تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة



د.طاهر : الوصايا الأربع تروض النفوس وتهذب السلوك

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

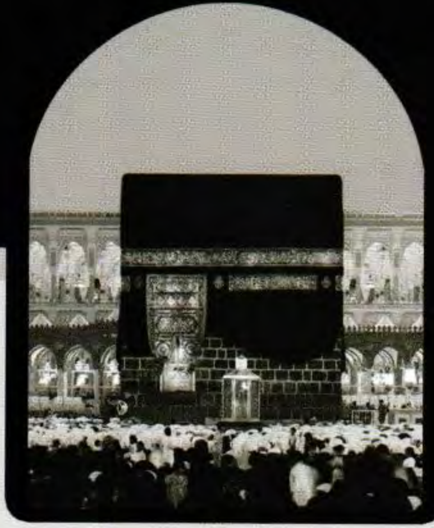


النصرة الدائمة.. ضرورة عقدية

- الإعلام الحضاري بين الحاجة والترف
- العقد الاجتماعي بين الخليفة والرعية
- ثقافة النقد الذاتي
- المقامة الدينارية
- الهجرة النبوية .. انتصار الخير على الشر



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني





﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج 27

إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

تقدم

المسابقة الكبرى

(الحج المبرور)

حول أحكام ومناسك الحج والعمرة

على موقع نفائس على شبكة الانترنت

www.nafaess.com

زوروا موقعنا فقد تكونوا أحد الفائزين

بالجوائز المالية المقدمة

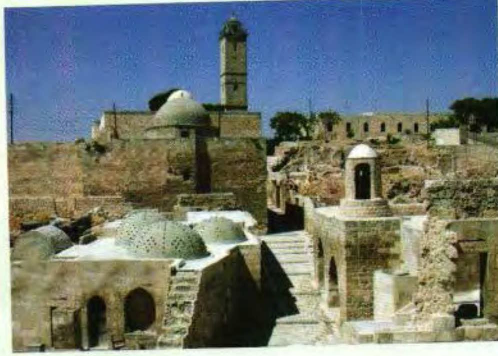
من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت

وقدرها 3000 دينار

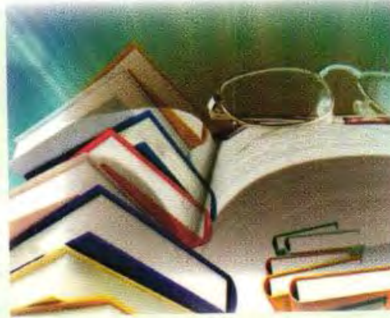
بزيارة موقعنا قد تكون معنا أحد الرابحين - إن شاء الله تعالى

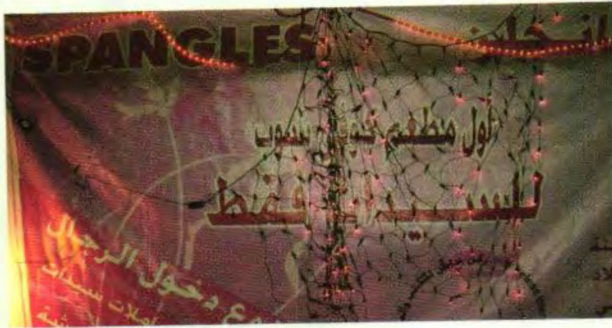
مع تحيات إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

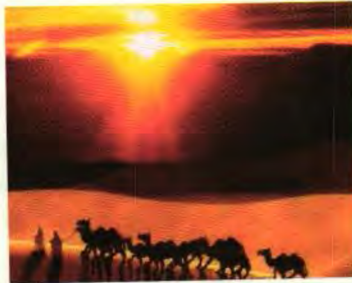
في هذا العدد

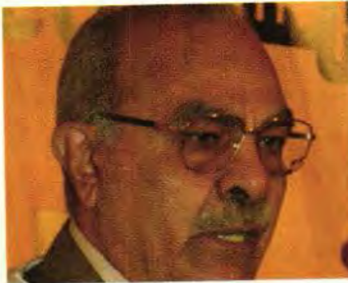












الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢١

العام السادس والأربعون

محرم ١٤٣٠ هـ

يناير ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

سكرتير التحرير التنفيذي

عبادة السيد نوح

التحرير

تمام أحمد الصباغ

رضا عبدالودود

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٤٦٧١٣٢ - ٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

الافتتاحية

إلا تنصروه فقد نصره الله

دراسة السيرة النبوية مهمة للمسلمين ولغير المسلمين، لأنها التفسير الواقعي والتطبيق العملي لهذا الدين، فالسيرة النبوية ضرورية لكل داعية لمعرفة كيفية دعوة الناس إلى دين الله، وكيف يحقق أهدافه بأيسر السبل وأقل التضحيات في كل المراحل، وهي مهمة لكل قائد لأنها تعلمه كيفية التخطيط الناجح ليقود الأمة إلى المجد، كذلك هي حاجة ملحة لكل مرب، يتعلم منها كيف استطاع النبي ﷺ أن يحول العرب من أمة أكلتها الثارات والأحقاد إلى أمة وصفها الله بالخيرية واستحقت الشهادة على العالمين، وهي مهمة لكل حاكم يريد الخير لأمته، يسوسها بالعدل والشورى، والسيرة مهمة كذلك لكل تاجر وقاض وزاهد وصابر يتعلم منها الدروس في التعامل والنزاهة.

وتعد من أهم أحداث السيرة النبوية الهجرة النبوية المباركة، وهي جديرة بأن نتعلم منها الدروس والأحكام، ونأخذ منها العبر والعظات لنعيش في ظلالها.

وتعتبر الهجرة النبوية أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، لما تمثله من نقطة تحول في تاريخ المسلمين، فتظهر ما لاقاه وقاساه الرسول ﷺ لتحقيق الرسالة وتبليغها للعالمين، ولو أدى ذلك لزوال ماله وهلاك نفسه، إذ لا عيش بدون قيم أو مبادئ أو أخلاق، وإن أعز شيء عند المسلم في هذه الحياة هو دينه، فهو يضحي بكل شيء من أجله.

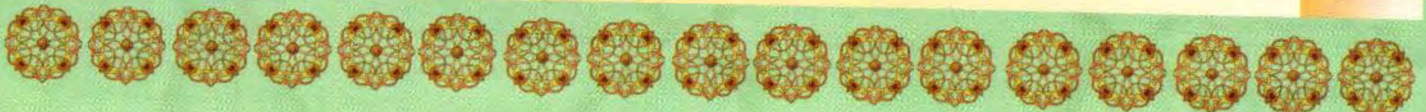
إن الدارس للسيرة يدرك أن رسول الله ﷺ ما خطا خطوة، ولا تكلم كلمة، ولا فعل فعلا إلا كان بتخطيط من أجل الوصول لهدف، وحين نراجع الأحداث نلاحظ دور الشباب والمرأة في الهجرة، فعنصر الشباب الحي المضحي الذي يرتاد المخاطر ويقتحم الصعاب ويستسهل المشاق، لا يعرف الخوف ولا الوهن، كان متمثلا في علي بن أبي طالب وعبد الله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة رضي الله عنهم، كما ساهمت المرأة في هذه الأحداث، وأوكل لها عمل يناسب طبيعتها لتعلم أن مسؤوليتها في هذا الدين لا تقل عن مسؤولية الرجل، فهي مكلفة بحمل الأمانة، والشباب المسلم والمرأة المسلمة اليوم ينبغي أن تتحقق فيهم صفات الجيل الأول، ومنها الأخذ بالأسباب المادية مع التوجه بالدعاء والرجاء إلى الله تعالى.

ومن الدروس المستفادة من الهجرة كيفية التعامل مع التآمر، والإغراء، والحملات الإعلامية الكاذبة، والتهديدات، وتوجيه التهم الباطلة.

لقد تجلت في الهجرة أسباب النصر، من الحب الصادق والتضحية بالنفس والنفيس، فداء للرسول ﷺ، فإلى كل قائد وزعيم أو مسؤول يحرص على الحب أن يسلك هذا الطريق، طريق السيرة العطرة.

فالهجرة كانت سبباً في نصر الإسلام ونشره كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله...﴾(التوبة - ٤٠).

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي



موضوع الغلاف



نصرة المصطفى ﷺ ليست ظاهرة مؤقتة تنتهي بإنتهاء سببها، لكنها تنطلق من مبدأ عقدي يفرض النصرة الدائمة على مختلف الأصعدة من خلال السلوك الرباني والقدوة الحسنة.

داخل العدد

كلمة العدد

مسيرة الكلمة

تستقبل مجلة «الوعي الإسلامي» عامها السادس والأربعين في مسيرتها التاريخية برحاب الصحافة الهادفة، وهي لاتزال محافظة على الكلمة الصادقة المبنية على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفق منهج وسطي معتدل يتناول جميع القضايا المعاصرة. تجربة فريدة في بلورة الرؤى الفكرية والثقافية والأكاديمية تستحق الوقوف عندها، فلم تكن السطحية والتفاهة في يوم من الأيام منهجها، أو الاثارة والتجارة رسالتها، وإنما تعمل للبناء التربوي والتنشيط العقلي والتهذيب السلوكي والتصحيح العقدي.

مرت المجلة بمراحل من عصر ذهبي سواء في استقطاب الأقلام المتميزة أو المبيعات، و فترات ضعف وتراجع كبير لأسباب إدارية وفنية خارجة عن إرادتنا، ومع ذلك لا تزال تحتل مكاناً جيداً في الساحة الصحافية في الأقطار العربية والعالمية.

اتخذنا في الفترة الأخيرة شعار «من أجل تأصيل فكري إسلامي معتدل» للتأكيد على الهوية الإسلامية، ولتشجيع المشاريع الثقافية، ولترسيخ أدب الحوار البناء، وبالفعل بدأنا بخطوات جادة لتحقيق العمل المؤسسي المهني على الرغم من تراجع الصحافة الورقية في عصر الشابكة. الأمر الذي يوجب علينا البحث عن وسائل جديدة مبدعة ومبتكرة لمجاراة التطور التقني الهائل.

فالمجلة اليوم في أمس الحاجة لنصائح الآخرين ومقترحاتهم وملاحظاتهم لتواصل المسيرة.

الوعي الإسلامي

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



كونوا في معية الله

يقول الله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا...﴾(التوبة -٤٠) من كان في معية الله فلا خوف عليه ولا حزن، كيف يخاف وكيف يحزن وهو في حمى العزيز، وفي كنف القوى المتين؟ إنها رسالة من الله تعالى، ورسالة من رسول الله ﷺ إلى الأمة في كل زمان ومكان، كونوا في معية الله تتبدد أحزانكم، وتزل مخاوفكم، هذا عمر رضي الله عنه، بعد أن أسلم يقول لرسول الله ﷺ: لم لا نجهر بإسلامنا ونحن على الحق وهم على الباطل؟، فيقول له رسول الله ﷺ: «يا عمر إنا قليل، قد رأيت ما لقينا»، فيقول له عمر رضي الله عنه: والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان! ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبأت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ثم وقف على القوم وتحداهم، وقال لهم بعد أن رفع سيفه، وغرز رمحه: شاهت الوجوه! من أراد منكم أن تثكله أمه فليلقني خلف هذا الوادي! فيقوم له عتبة بن ربيعة، محاولا الاعتداء على عمر، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن ضرب بأصبعه في عين عتبة، فجعل يتنحى عنه وهو يصيح، وذهل القوم مما فعله عمر، فانصرفوا عنه جميعا، فعل ذلك من أجل الله، وهانت نفسه من أجل الله، لأنه يعلم أنه لن يقدر عليه أحد ما دام في معية الله.



■ نجاح عبدالقادر سرور

الكلمات ذات المفعول السحري

تتبلور البنية الأساسية للفرد المسلم في أن منهجه وسلوكه في الحياة الدنيا ذو مردودين، مردود سريع في حياته، ومردود مؤجل إلى ما بعد مماته، والمتدبر للتوجيه التربوي الإسلامي يلاحظ أن كل أمر ونهى فيه خير للإنسان عاجلاً أو آجلاً.

ولقد تبنى الإسلام توجيهاً دقيقاً يعصم المرء من الانزلاق إلى شفا جرف هار، لذلك اهتم ديننا الحنيف، بكل كبيرة وصغيرة تصدر عن الإنسان، محاولاً تهذيب الآلات التي منحت له، وعلى رأسها اللسان.

واللسان هو آلة النطق في الإنسان، وهو سلاح ذو حدين، يمكن أن يجلب لصاحبه عداء مستحكماً، وكرهاً بغيضاً ممن حوله، ويمكن أن يكون واحة وارفة الظلال، يستريح فيها كل منهك أضناه الأسى.

وللكلمة مفعول سحري في التربية والمعاملة وكسب الآخرين، لذلك كانت الكلمة إحدى العوامل القوية في توطيد دعائم الدعوة الإسلامية.

ولقد بين القرآن الكريم أهمية دور الكلمة فقال سبحانه ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(آل عمران - ١٥٩)، ولا تعرف فظاظة الإنسان وقسوته إلا من خلال كلماته، لذلك انحصر النمط الإلهي للدعوة في قوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل -١٢٥).

■ محمد السيد عامر



أعظم آية في القرآن

تصف آية الكرسي الله عز وجل بعشر صفات:
١- أنه واحدٌ لاشريك له.
٢- وهو حي باقٍ لا يموت».
٣- وقائم على تدبير أمر خلقه من الإنس والجن والملائكة.
٤- ولا يغفل عن تدبير الكون، وإلا سقطت السماء على الأرض، واختل نظام الكون.
٥- وله ملك السماوات والأرض ومن فيهما.
٦- ولايشفع أحد للمؤمنين إلا بإذنه.
٧- وعلمه شامل لجميع خلقه في الماضي والحاضر والمستقبل.
٨- وعلم البشر مصدره من الله.
٩- وملكه يسع السماوات والأرض، وهما جزء من خلق أكبر يسمى الملكوت.

■ والمراد بالكرسي: كرسي العرش وهو مركز تدبير الكون، حيث يقرب الله لنا الأمور بما اعتاده الناس في ملوكهم وعظمائهم.
١٠- وهو سبحانه عالي المكانة عظيم السلطان.

■ محمد عبدالواحد شنوكه

هم ونحن شتان

بينما كنت أتابع الانفجار العظيم للكون، ومحاولة تفسير وتشبيه ما حدث بتجربة أجريت بسويسرا، بنفق عظيم أنشئ منذ عشرين عاما.
وسخر لهذا الأمر ألوف العلماء والباحثين، وبلايين الدولارات أنفقت للبحث والتحري والتقصي والاستفادة من النتائج.
وبعدها تابعت مركزا عالميا روسيا متخصصا في جراحة القلب وبهرت بما يحدث هناك حيث لم يعد تُجرى في الغالب الأعم جراحة للقلب المفتوح، إذ تجري العمليات عن طريق شرايين الفخذ، وترسل الكترودات معينة فتصل إلى الجزء المصاب في القلب، فتصلح ما أعطب، ولا يحتاج الأمر لتخدير كلي بل جزئي، والمريض يعي ما يجري له، ويغادر المستشفى في اليوم التالي.
وفي هذا المركز يتم تركيب أجهزة صغيرة، تصلح ضربات القلب، وهذه الأجهزة يتم تعديلها وضبطها عن طريق الأقمار الصناعية أينما كان المريض وبأي مكان بالعالم. ثم اتجهت ببصري إلى حال المسلمين فوجدت الدماء تسيل في أرضهم، وأوضاعهم يشيب لها الولدان وكأن بهم مسا من الشيطان، والتخلف أصبح سمةَ في كل مكان.

■ عصام الحسين حميد

المرأة ودورها البطولي في الإسلام

الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين، حماية لوحدتهم، وتكريما لإنسانيتهم، والدين الإسلامي يهتم بالمرأة كإنسان، إذ أنها خلقت من الرجل ولم تخلق من طينة أخرى، لذلك لا عجب أن تكون المرأة صاحبة أعمال بطولية مثلها مثل الرجل، فالمرأة في الإسلام قد لعبت دوراً عظيما في تأسيس المجتمع، وكان لها دور بارز ومؤثر في موكب الدعوة والإرشاد، ويروي لنا التاريخ الإسلامي الكثير من قصص البطولة والكفاح، التي وقفت فيها المرأة بجانب الرجل، تقوى من روحه وهمته، وتشعل حماسه وتشجعه على الثبات في مواجهة الأحداث والمصاعب، وعلى رأس هؤلاء السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت للنبي ﷺ نعم الصاحبة، فهي التي طمأنت النبي ﷺ حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبداً، فكانت رضي الله عنها ذات رأي راجح، وقلب صالح، تشد من أزر النبي ﷺ، وتشاركه في تحمل الأذى من قومه، بنفس راضية صابرة محتسبة، فكانت تشاركه مباهجه ومسراته، وكانت رضي الله عنها طول حياتها لا تنثني عن الحق، صبراً ودفاعاً عن خاتم الأنبياء.

■ رضا أبو الغيط

الإسلام والغرب والرسالة الإعلامية

الرسالة الإعلامية الموجهة إلى الدول الأوروبية، تبدو متهافتة وضعيفة المستوى، المقارنة بمثيلاتها الأوروبية، وتفشل في إيصال صوتنا لهم، من هنا نجد أننا في موقف لا نحسد عليه، وأنه لا وجه للمقارنة الموضوعية بيننا وبينهم، ويصبح مصطلح التواصل الحضاري مجرد أضغاث أحلام، تداعب أخيلة البعض منا، ولا يعبر عن الواقع.
وهذا يوجب علينا ضرورة الأخذ بأسباب التقدم، وإعادة النظر إلى منظومة العلم في العالم العربي والإسلامي، حتى نتحول من مرحلة التبعية الحالية للحضارة الغربية التي أوشك نجمها على الأفول، بعد ظهور وتفاقم بعض الأمراض الحضارية التي تنهش في جسد الحضارة الغربية، بينما يلوح في الأفق صحوة عربية وإسلامية، بعد فترة سبات طويلة، أرجعتنا كثيرا إلى الوراء وما هذه إلا دعوة للأمة العربية والإسلامية قاطبة إلى أن تصب جهودها نحو تحقيق الهدف الأسمى لنا جميعاً، وهو إحياء المجد العربي والحضارة الإسلامية، فلا يعقل أن يصبح هذا حال الأمة التي نشرت العلم والقيم الفاضلة في العالم، وأخرجته من ظلمات الجهل والخرافة.
وهذا لا يتنافى بحال من الأحوال مع الدعوات المنادية بالحوار بين الحضارات والأديان، فما أحوجنا إليها هذه الأيام، وإنما نهدف إلى استنفار الجهود لإحياء الشخصية التاريخية والحضارية لنا.

■ ممدوح قورة

ستون عاماً بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .. هل تغير شيء؟!

رجب الباسل - مصر

في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأصدرته، وبعد هذا الحدث طلبت الجمعية العامة من البلدان الأعضاء كافة أن تدعو لنص الإعلان وأن تعمل على نشره، ويتساءل العالم الآن بعد مرور ٦٠ عاما على الإعلان هل تغير شيء؟ هل توقفت الحروب واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان واحتلال أراضي الغير، بل والرق والاتجار بالبشر؟

لقد اعتبر البعض أن الإعلان حدث تاريخي، ولكن الأكثر تاريخية أن تتحقق أهدافه وبنوده الثلاثين التي وردت فيه.

البعض ينتقد الإعلان من ناحيتين:

أولا: مواده التي لم تراع اختلاف الثقافات والحضارات والأديان رغم الادعاء بأن اللجنة المشكلة من ١٨عضوا حينها كانت تمثل كل الثقافات، لكن الحقيقي أن الغالبية كانت تنتمي لحضارة واحدة هي الحضارة الغربية الليبرالية، فرئيسها كان كنديا هو جون بيترز همفري، ومساعدته أمريكية هي اليانور روزفلت، أرملة الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت، وغالبية أعضاء اللجنة كانوا يمثلون الثقافة الغربية، حتى ممثل الحضارة العربية الإسلامية كان اللبناني شارل مالك!









ثانيا: لم يتغير شيء ما، رغم مرور هذه الفترة الطويلة على إصداره، سواء في علاقات الدول مع بعضها، أو على مستوى الشعوب وعلاقاتها بحكامها، فما زال الاحتلال موجودا في أماكن كثيرة من العالم، ومازالت العبودية بأشكالها المختلفة خاصة الاتجار بالبشر (الأطفال والنساء على وجه الخصوص) تجارة رائجة، وما زالت الديكتاتورية بجميع أشكالها نظام الحكم المعتمد في كثير من دول العالم وبدعم من الدول الديمقراطية الكبرى، حماية لمصالحها، بعيدا عن المبادئ والمواثيق.

الخصوصية الثقافية

تقول د.ماجدة صالح أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة أنه لا سبيل إلى تجاوز الهوية أو محوها بصهرها في هوية واحدة، ففي هذا خروج على طبيعة الأشياء وسنن الكون، فضلا عما يحمله من مخالفة لقواعد القانون الدولي وتهديد للسلم والاستقرار في العالم، وهي الحقيقة التي أقر بها أحد أشهر علماء الغرب، ففي دراسة لصامويل هنتجتون صدرت عام ١٩٩٦ تحت عنوان «الغرب متفرد وليس عالميا» يفرق فيها بين التحديث والتغريب، أشار إلى أن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأميركية.. فروح أية حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد.. فالتحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس يؤديان لمزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب.

وتضيف صالح أن أحد الخيارات الموضوعية الأساسية للواقع الدولي الراهن أن تتضافر الجهود العالمية لترسيخ مبدأ التنوع الثقافي وإنعاش فكرة التمييز الحضاري، حيث أشار محاضر محمد - رئيس الوزراء الماليزي السابق - إلى أن من المهم عند التفكير المستقبلي في أنظمة القيم وجود ما أطلق عليه «الاحترام المتبادل» الذي يتضمن قبول مبدأ الذين يحملون وجهات نظر مختلفة، فليس من حق الدول الغربية فرض أولوياتها وأفضلياتها على الآخرين رغما عنهم.

من جهته يرى الباحث السياسي بمركز الدراسات الحضارية مدحت ماهر أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم ينشأ من فراغ إنما في بيئة فكرية سقته من معين فلسفتها ومنحت مفاهيمه الأساسية من الإنسان والحق والمساواة والحرية وما إليها دلالتها الخاصة والمتميزة، ويضيف ماهر أن الإعلان نشأ في لحظة تاريخية معينة لها محدداتها من التأثر بما جرته النظم الشمولية (النازية والفاشية) من ويلات على البشرية، ومن ثم اتسمت مفاهيم الإعلان وقضاياه الرئيسية ورؤيته والمنطق الكامن في أحشائه بسمات: الليبرالية التي تقدم الفرد قبل كل شيء، والعلمانية المتجاهلة لما قبل الإنسان ولما قبل الدولة، توجيه الاعتبار الأكبر إلى الثنائية التضادية بين الفرد والسلطة، والمجتمع والدولة، مع ترجيح كفة الشق الأول في الحقوق والمزايا، تأثرًا بالسياقين الفكري والواقعي اللذين برز فيهما الإعلان.

ويقول نائب رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان د. احمد كمال أبو المجد أن النصوص وإعلانات حقوق الإنسان وحدها لا تنشئ ولا تحمي حقا للإنسان، مدللا على ذلك بوجود اتجار بالبشر حتى الآن رغم كل المواثيق والإعلانات الدولية منذ الماجنا كارتا، مرورا بإعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ وغيره من المواثيق.. ويشير أبو المجد إلى أن قضية حقوق الإنسان ليست قضية إعلان، ولكن الضمان أن حماية حقوق الإنسان تحتاج إلى آليات على رأسها القضاء الحر المستقل، كما أن حرية التعبير هي القاطرة لباقي حقوق الإنسان فإذا تحققت تحقق باقي أركانه.

ليدن: الحوار بين الشباب قادر على إنقاذ كوكب الأرض

متابعة: سالي مشالي

وجه الصحافي الأميركي والرئيس السابق لمعهد الدراسات الحديثة بسان فرانسيسكو «بيتر ليدن» نداء إلى الشباب في كل أنحاء العالم، بأن يسعوا إلى الحوار فيما بينهم، وأن يستفيدوا من شبكة الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة للسعي إلى تقريب وجهات النظر بين كل الآراء والتوجهات، والتأثير على الشباب الأميركي الذي وصفه بأنه أصبح أكثر انفتاحا وقدرة على قبول الآخر، ولديه إمكانية تغيير السياسة الأميركية وتغيير العالم.

وقال: «نحن في لحظة انفجار تاريخية، وعلينا جميعا أن نشارك، وعلينا جميعا أن نصنع الفرق»

جاء ذلك في المحاضرة التي ألقاها ليدن في مكتبة مبارك العامة بالقاهرة منتصف أكتوبر الماضي تحت عنوان «الشباب والتكنولوجيا والانتخابات» وحدد ليدن جيل الشباب الأميركي الذين يتحدث عنهم بأنهم الشباب بين سن ١١ - ٢٩ عاما والذين أطلق عليهم لفظ «جيل الألفية» Millennial Generation وأضاف أن استقصاءات الرأي أثبتت أن هؤلاء الشباب أكثر انفتاحا وقدرة على قبول الآخر، ودلل على هذا بإجاباتهم على أسئلة هذه الاستقصاءات التي أكد ٥٧٪ منهم أنهم يرفضون الحرب ويفضلون الحلول الدبلوماسية لحماية أميركا من الإرهاب، و٥٢٪ يرون أنهم يملكون أشياء كثيرة مشتركة مع شعوب العالم، و٦٧٪ يرون أن المهاجرين يساهمون في بناء أميركا وليسوا عبئا عليها، بينما ٥٨٪ لديهم الاستعداد أن يضحوا ببعض رفاهيتهم ونموهم الاقتصادي مقابل حماية البيئة والحفاظ على الكوكب.

ووصف ليدن هؤلاء الشباب بأن لديهم القدرة على تغيير سياسات أميركا ومن ثم يستطيعون أن يغيروا وجه العالم، موضحا أن هذا الجيل هو الأكثر تنوعا واختلافا من حيث العرق، ومعظمهم من الأقليات السود وابناء اميركا اللاتينية، و٢٠٪ منهم يتعاملون مع العالم ويدرسون خارج أميركا، وهم أكثر اهتماما بالسياسة والبيئة والمجتمع المدني مقارنة بجيل الثمانينيات، ويهتمون بالقضايا العالمية وتهمهم صورة أميركا في عيون شعوب العالم، كما أنهم قادرون على التصويت في الانتخابات والتأثير في السياسة خلال الاعوام القادمة، ومن المتوقع ان يصل تعدادهم عام ٢٠١٥ الى ١٠٠ مليون شاب وفتاة، مشيرا إلى أن الاحصائيات تؤكد أن نسبة البيض في أميركا ستصبح بحلول عام ٢٠٥٠ أقل من ٤٧٪ وسيمثل العرق اللاتيني فيها أكثر من رُبع عدد السكان.

جيل الألفية العربي مطالب باستخدام منتديات في الحوار على الإنترنت لفتح مساحة أكبر للقضايا المشتركة

وأكد ليدن أن الشباب والتكنولوجيا كان لهما دور كبير في التأثير على الانتخابات الأميركية الأخيرة، وكان باراك أوباما هو المستفيد الأول منها مما أعطى له دفعة كبيرة في مقابل كل من هيلاري وماكين.

وأوضح أن الشباب هم الاكثر استخداما للانترنت ومتابعة مقاطع الفيديو على اليوتيوب، وهو ما مكنهم من أن يقوموا عبره بتقديم دعاية هائلة لأوباما لم تكلفه سنتا واحدا، واستغل الشباب الأنترنت ومواقع الفيس بوك واليوتيوب للحصول على تبرعات من متوسطي الدخل والشباب فاقت بكثير التبرعات التي تمكنت هيلاري من جمعها من مليونيرات أميركا، مشيرا إلى أن مقاطع الفيديو على اليوتيوب لها جاذبية خاصة حيث ان الشباب يمكنهم مشاهدتها أكثر من مرة وتمريرها للأصدقاء، كما أنها تسهل عملية المشاركة، فبمجرد أن يرى الفيديو ويعجبه يمكنه التبرع عبر الضغط على زر بنفس الصفحة أو التطوع للحملة عبر الضغط على زر آخر، وهو ما لم تُحسن هيلاري الاستفادة منه وفضلت عليه الدعاية عبر التلفاز أو عبر موقعها التقليدي الذي يفتقد للحماس وتفاعل الشباب.

وعرض ليدن أثناء المحاضرة أحد الإعلانات التي ساندت حملة أوباما والذي تم عرضه على موقع الـ youtube وشاهده ملايين المشاهدين عبر العالم واعتبره الصحفيون والمحطات الإخبارية أفضل إعلان انتخابي، بالرغم من أن مصممه هو في السادسة والعشرين من عمره وقد استخدم إعلانا حقيقيا وغير فيه ببعض البرمجيات وأضاف إليه كلاما صرحت به هيلاري ثم حوله كإعلان لصالح أوباما ولم يتقاض أجرا عن هذا.

ثم تناول الانهيار المالي الذي يُعاني منه العالم الآن وقارنه بالانهيار الذي حدث عام ١٩٢٩ واعتبر أن الاسباب في الانهيارين تكاد تكون واحدة، فالانهيار الأول حدث بعد تحول أميركا من دولة زراعية إلى دولة صناعية مع تجاهل حقوق الفقراء والعمال وانتشار النازية والفاشية، مقارنة بالانهيار الحالي الذي يحدث مع انتشار العولمة سياسيا واقتصاديا والنمو الهائل في الاتصالات والتكنولوجيا مع تجاهل لحقوق الفقراء وشعوب العالم الثالث وانتشار الحروب، واعتبر أن هذه لحظة «انفجار تاريخية» تحتاج العمل الجماعي من أجل إنقاذ العالم ورسم عالم جديد يحمل نهضة اقتصادية تعم فائدتها كل شعوب العالم.

ونبه إلى أن مطالب الشباب العربي أن يستخدم منتديات الحوار والمجموعات على الانترنت من أجل التحاور في القضايا السياسية والبيئية وفتح مساحة أكبر للقضايا المشتركة، كالاحتباس الحراري، والتغير في المناخ، والإرهاب، والطاقة البديلة، مشيرا إلى أن الاتفاق بين الشباب حول هذه القضايا قادر على صناعة رأي عام عالمي لصالح كل الشعوب ولصالح مستقبل الأرض.

الخبير النفسي السعودي د.ميسرة طاهر:

الوصايا الأربع تروض النفوس وتهذب السلوك وتجلب السعادة

حوار: محمد فتحي



رغم أن مجتمعاتنا الإسلامية تمتلك المقومات التي تكفل لها الراحة النفسية ومواجهة الأزمات، فإننا نفاجأ بأن أعداد المرضى النفسيين في بلادنا يتزايد يوما بعد يوم، كما تؤثر المشكلات علينا بشكل كبير، وتؤدي إلى حدوث أزمات كبيرة على مستوياتنا الفردية والمجتمعية.

«الوعي الإسلامي» التقت واحدا من الخبراء النفسيين المتميزين في عالمنا العربي والإسلامي، لتشخيص حالة مجتمعاتنا النفسية، ولماذا تتزايد الأمراض النفسية في تلك المجتمعات؟ و العوامل التي تؤدي إلى اتخاذنا مواقف خاطئة، والشروط التي يجب على الشخص اتباعها حتى يتمكن من بدء حياة جديدة، وهو د.ميسرة طاهر أستاذ الصحة النفسية والعلاج النفسي بجامعة الملك عبدالعزيز واليكم نص الحوار:.

■ نلاحظ زيادة أعداد المرضى النفسيين ببلادنا العربية خلال الفترة الأخيرة، فما سر تزايد هذه الأمراض رغم وجود كافة مقومات الراحة النفسية في ديننا وعاداتنا وتقاليدنا؟

- السبب أننا لم ننجح بعد في إدخال الأفكار الإيمانية في نفوسنا حتى تغير سلوكياتنا وأفكارنا، وأنا شخصيا يقف على قائمة الانتظار في عيادتي النفسية نحو ٧ آلاف مريض ينتظرون علاجا نفسيا، وبالطبع لن تكفي سنوات عمري المقبلة كلها للكشف على هذا العدد الضخم، ويحتاج الكشف عليهم إلى أعداد هائلة من الاستشاريين.

وأعرف أناسا كلما دخلت عليهم لابد أن أسمع موشحا عن همهم وغمهم، رغم أنهم يعيشون في نعيم بالنسبة لغيرهم، وأنصح - للتخلص من هذا التوتر العصبي المتزايد- بأن يجلس كل منا خمس دقائق بعد كل صلاة للتسبيح وذكر الله، وهذا هو أقل قدر يمكن أن يجلب لنا راحة نفسية جيدة، بالإضافة إلى قراءة صفحة واحدة من القرآن، على الأقل، كل ليلة، وثلاثة أحاديث نبوية، حتى لا يصيبنا ما أصاب هؤلاء المرضى.



■ نريد وصفة نفسية للخروج من القلق وبداية حياة جديدة؟

- هناك وصفة أرجو أن يتبعها الجميع، فهي بسيطة وسهلة التطبيق ونتائجها ممتازة ومجربة، وهذه الوصفة تتمثل فيما يلي:

ارسم على وجهك ابتسامة عريضة، فالابتسامة لها أكثر من عشر فوائد، ومنها ألا تظهر أي مساحة من التجاعيد على الوجوه، وتعين على هضم الطعام، وتسهل التفكير، أما الغضب فهو انفعال سلبي يعطل التفكير، فحين تواجهك مشكلة أو تعاني من القلق أو التوتر سارع برسم ابتسامة على وجهك.

وكم هو رائع إذا شاهدك أولادك مبتسما في الصباح، سوف يصبح اليوم مشرقا جميلا لك ولجميع من حولك.

أرجع كتفيك إلى الوراء، فحين يكون الكتفان إلى الأمام فإن ذلك يكون إشارة على الهم، أو القلق.

خذ نفسا عميقا وحاول نسيان الهموم التي تحيط بك، وتذكر شيئا جميلا تحبه.

هَمِّهم بكلمات تطربك، وأقنع نفسك بما تقول، كأن تذكر الله، أو تتفكر فيمن تحب، أو تتخيل أبناءك يجرون حولك في مكان يمتلئ بالخضرة والمياه تحيطه من كل الجوانب.

نفذ هذه الوصايا الأربع لمدة ثلاث دقائق فستشعر بالسعادة، أو على الأقل ستتخلص من الاكتئاب.

■ أحيانا تسيطر على تصرفاتنا مجموعة من العوامل تؤدي إلى اتخاذنا مواقف خاطئة.. فهل هناك قواعد يمكن أن تكون نبراسا لنا قبل التعامل مع تلك المواقف؟

- أود هنا الإشارة إلى عدد من القواعد التي يمكن أن يكون التعرف عليها دافعا لفهم المواقف التي نحن بصددها، وتحسين تعاملاتنا مع الناس، والراحة خلال حياتنا كلها وهذه القواعد هي:

«العمل يتأثر بالحال النفسي المصاحب له» فهناك أعمال يقوم بها الجميع إلا أن الحال النفسي لكل من القائمين بالعمل يختلف عن الآخرين، فإذا أردنا تحسين ظروفنا، والسير قُدُما في تجديد حياتنا لابد أن نبدل الأفكار الشقية إلى سعيدة.

«الأزمة أزمة فكر نحمله» فإذا كانت أفكارنا سيئة سيترتب عليها سلوكيات خاطئة، وبالعكس إذا كانت أفكارنا عن أمر معين صحيحة سيصبح السلوك صحيحا.

«لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا» فادعاء المرض والتعب الدائم يؤثر على حالتك النفسية ويدفع بها إلى الهاوية، وشعور الإنسان دائما أنه مريض سيؤدي إلى إصابته بالأمراض بالفعل، وتستمر معاناته للأبد، أما التفاؤل والمواجهة فهي مفتاح سحري للحصول على صحة جيدة تؤدي

- بالتالي - إلى حالة نفسية جيدة، وأنا شخصيا لي صديق شفي ثلاث مرات من مرض السرطان لأن إيمانه بالله قوي، في حين أن هناك البعض الذي أصيب بالأمراض نتيجة ضعف مقاومته وادعائه الدائم للعجز في مواجهة أي مشكلة تواجهه.

«خاطبوا أبناءكم بما تحبون أن يكونوا عليه، وليس بما هم عليه فعلا» وهذه قاعدة مهمة في تنشئة الأبناء، فتعامل الوالدين معهما منذ البداية يحدد حالتهم النفسية طوال حياتهم.

فإذا قال أب لابنه مثلا: يا كذاب، فسوف يصبح الطفل كذابا شئت أم أبيت، لأنك كسرت عنده الحاجز النفسي الذي كان يمنعه من الكذب، أما إذا أكدت له أنه «قادر على أن يكون صادقا» فسوف يصبح الصدق شعاره الدائم.

وانظر إلى قول النبي ﷺ لصحابته العائدين بقيادة خالد بن الوليد من إحدى الغزوات، حين ناداهم الأطفال قائلين: يا فرار يا فرار، فقال لهم النبي ﷺ: «ليسوا بالفرّار ولكنهم الكرار إن شاء الله» (ابن كثير في البداية والنهاية).

■ إذا أراد أحدنا الخروج من الأزمات التي تواجهه وبدء حياة جديدة.. هل هناك شروط معينة لذلك؟

- نعم، هناك ثلاثة قوانين أساسية يحتاجها الشخص ليجدد حياته، وهي:

١- قانون الضبط والتحكم حين أكون مقتنعا بهذا القانون أدرك أن مقود نفسي بيدي، وليس بيد الظروف الخارجية، وإذا كان أحد له العذر في الظروف الخارجية لكان أهل «أُحُد» أوْلى بذلك، ويجب أن أدرك أنني أمتلك مساحة للسيطرة على ظروفي، فإذا وجدت شخصا حالته المادية سيئة سيسارع إلى الادعاء بأن «الظروف صعبة والمصروفات كثيرة»، أما إذا فندت معه تفاصيل تلك المصروفات فسوف تجد أن مصروفاته غير الضرورية أكثر بكثير من إمكاناته، وإذا كان الشاب فقيرا ودخله محدود، فلماذا يضطر إلى إقامة حفل زواجه في قاعات تتكلف مبالغ باهظة، فمثل هذا الشخص يستدين حتى يظهر بشكل اجتماعي معين ثم يقول «إن الظروف صعبة» فهل هذا طبيعي؟ فلا يجب أن أتعامل مع حياتي وفقا للظروف، وأتذرع بأنها قاهرة، فكل منا بيده تغيير معظم الظروف السيئة التي يعيش فيها إذا أراد ذلك.

خاطبوا أبناءكم بما تحبون أن يكونوا عليه وليس بما هم عليه فعلا .. قاعدة مهمة في تنشئة الأبناء

ولا بد أن يتذكر كل منا أن النتائج التي نجدها على الأرض إنما هي نتيجة لما مر في عقولنا من أفكار سابقة، والمشكلة أننا نقف أمام المشاكل متذرعين بأنها أقوى منا، ولا نحاول أن نقوم بدورنا في حل المشكلة، وهو توجه مرفوض، لأن هذه الفكرة إن بقيت في عقولنا فلن نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، ولن نغير من الظروف التي لا ترضينا، وسوف يزداد واقعنا سوءا وسنكون سببا من أسباب هذا السوء، ونحن في حاجة ملحة إلى أن نغير طبيعة الفكر الذي نحمله حتى تتغير حياتنا إلى الأفضل.

٢- قانون التوقع ويعني أن ما نتوقع حدوثه يوجه اتجاهاتنا وطاقاتنا نحوه، فإذا توقعت الفشل سوف تفشل، وإذا توقعت النجاح فستنجح، ونحن مأمورون بأن نتفاءل «تفاءلوا بالخير تجدوه»، لأن توقع الأمر الحسن يوجه الطاقات لحدوث هذا النجاح.

وإذا استعرضنا تاريخ الناجحين فسنجد حياتهم مليئة بالمصاعب، لكن توافر لهم الإصرار والرغبة في النجاح.

والتفاؤل صار اليوم علما يدرس، ولا بد أن نتعلمه ونعلمه لأبنائنا، فضلا عن أن التوقع يحفز الهمة ويشحذها، وحين نتوقع الأفعال الإيجابية لا بد أن نحدث بها المقربين منا، حتى ننقل روح التفاؤل إليهم.

كما يجب أن يبتعد الإنسان عن التشاؤم، ولا يصاحب متشائما، لأنه سينقل له هذا السلوك، اما إذا لازم متفائلا فسوف ينتقل إليه التفاؤل بكل بساطة.

وهناك أمر مهم لا بد أن أشير إليه، وهو حتمية عدم البخل على الزوجات والأبناء بالحديث عن المستقبل والأحلام «لا تعيشوا وحدكم، بل شاركوا الآخرين الحياة»، ولا تتوقع من زوجتك وأهلك الذين لا يعرفون شيئا عن خططك أن يساعدوك في الوصول إلى هذه الخطط والأحلام.

٣- قانون الجاذبية ويعني هذا القانون أن الإنسان كالمغناطيس، يجذب إليه الظروف والأشخاص والأحداث التي تتناسب مع تفكيره، فابحثوا عن أصحاب الهمم العالية ولازموهم، لأن الشخص إذا صادق ضعيف الهمة تنخفض همته.

■ تواجه كلا منا مشاكل متعددة وعلى أصعدة مختلفة، وقد تمثل تلك المشاكل أزمة في حياتنا.. فما هي المشكلة؟ وما أنسب الوسائل للتعامل معها؟ وهل جميع الناس يتعاملون مع المشكلة بنفس الوسائل؟

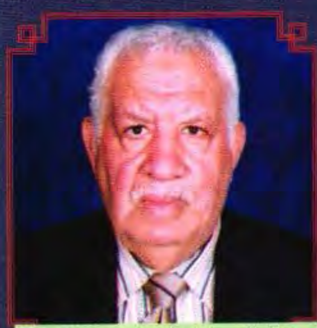
- المشكلة هي عبارة عن موقف لا تستطيع السيطرة عليه، وحين لا أفهم الوضع الذي أمامي يتحول إلى مشكلة، وعندما لا تستطيع الزوجة التعامل مع زوجها تصبح هناك مشكلة، وحين لا يستطيع الشخص التفاهم مع أهله وذويه وزملائه في العمل تنشأ مشكلة.

ومعظم الناس مر بأسئلة الامتحانات ونفس وقت الإجابة بذات المراقبين، إلا أن إجاباتهم تختلف، وبعضهم حصل على امتياز في حين رسب آخرون، وهكذا التعامل مع المشكلات، يتنوع من شخص إلى آخر.

والناس نوعان في مواجهة المشاكل: فريق قادر على مواجهة المشاكل والتغلب عليها، وفريق آخر تغلبه المشاكل ويقف عاجزا أمامها، والمهم في تعاملنا مع المشكلات أن تكون لدينا قدرة على التعاطي معها وفهمها حتى نستطيع الوصول إلى حل لها.

التاريخ الإسلامي .. أصالاتُه وإضاءاته أمام المفتريات

خطابي إلى الأمة المسلمة أولا، نساء ورجالا وأطفالا، كي يعرفوا ما عندهم وما عليهم، وما أصابهم نتيجة الاهمال والبعد عن منهج الله تعالى، مما أخرهم عن الركب، رغم أنهم يحملون بين أيديهم كتاب الله المنير، الذي به سجل السلف أروع الصفحات في تاريخ البشرية وحضاراتها الفاضلة، وحين غفلوا عنه ناموا وذهب وعيهم فغابوا عن واجبهم، ميدانا وأفنانا وبستانا. واليوم يُراد لهم العودة إلى خيريتهم ليقودو الحياة ويصونوا إنسانيتها ويحملوا اليها سعادة الدارين وذلك بالعودة إلى منهج الله القويم، وهذه هي المهمة التي يقوم عليها تفهم التاريخ الاسلامي. إنه لعجيب أن تتخلف أمة تمتلك كتاب الله تعالى، وأسوتها رسول الله ﷺ، وعجيبٌ ألا تتصدر العالم، بل تنفلت من يدها أزمّة قياده وتوجيه مواكبه وتسجيل مناقبه.



د. عبدالرحمن الحجي - إسبانيا ●

أمةٌ كانت الحياةُ لها ميدانا
مـــلأت جـوانـبـهـا أمـانـا
جعلت مرابعها بستانا
كيف لا تحوز لها اليوم في العالم مكانا
مالي أراكم ساهمين
كـيـف لا تـسـتـيـقـظـون
وبأيديكم كتــابٌ
نـــورُهُ عـــمّ الـقـــرون
عبثوا بالجهل فيــه
ثـم بـتّـــم غـافـلـيـــن

يحدثكم هـذا الخطـاب عـن التاريخ الاسلامي وحضارته، حديثا من أعماقه نابعا من أصوله وقواعده وجذوره، قائما على العلم، مبنيا على الدليل المستنير، بالوثائق والتحليل الأصيل، وإن أيّ حديث عن التاريخ الإسلامي وحضارته ومجتمعه، يقدّم بعيدا عن الإسلام ذاته دون معرفة دوره وعدم فهم امكاناته وجهل صناعته وصبغته، وهمٌ وهباءٌ وهشيم.

اقرأ التاريخ وسل أمجاده
كيف قام الناسُ من داء وبيل
من حباهم موقعا فوق الذُرى
واستقام أمرُهـم دون مثيـل
إنه القرآنُ أعلى شأنهــم
فانصروه إنـــه نعم الدليل

وبهذا يدرك كلُ أحد ما صنع هذا الدينُ بأهله، ويرى بأم عينيه الـولادة الجديدة التي تتمثل في تلك النقلة النوعية الهائلة -لأول مرة- بيد رؤوم، رفقة ورقة وحنانا، منهج أخذ بهم من السفوح الهابطة إلى القمم السامية السامقة، رفعهم إليها، لا يرفع إليها غيرُ هذا الدين، وعلى هذا الاعتبار نتفهم قول رسـول الله ﷺ «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهُم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»(رواه مسلم). وبهذا الفهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمته الملهمة «لا يعرف الاسلام من لم يعرف الجاهلية».

حتى لقد وصف هذا الحال بعض المنصفين مـن الـغـربـيـين، وصـف الـقـرنـين الخـامـس والسادس الميلاديين (قبل النبوة) بالانحراف إذ انهارت الأخلاق ونخرت شجرةُ الحضارة وسادت الأباطيل والمظالم والنفاق والادعاء، وسيطرت القوة الغشوم وانتهت فاعلية الـديـانـات، وتحـول كل ذلـك إلـى أداة بيد المستغلين، فآلت ومالت المعاني الانسانية وذهبت إلى الانهيار، وآمالها إلى الاندثار، وإن امتلكت تلك القوى الغالبة والمكنة السياسية والادارية. بل لعل هذا كان من أدوات هذا التمكن لكياناتها، ترعاها وتحميها وتمد ذراعها في هذا الجو المُلبّد بالنقائص عند جميع الأمم بشكل عام.

ولد الهدى فالكائناتُ ضياءُ
وفـمُ الـزمـان تـبـسـمٌ وثـنـاءُ

ومعلوم قصة أبي ذر الغفاري الذي عيّر بلالا بأمه الأمة ولونها الأسود فقال ﷺ - بعد أن اشتكاه بـلال: «يا أبا ذر أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية» فما كان من أبي ذر إلا أن ذهب ليعتذر لبلال.

وانظر هذه القصة الطريفة، تلك التي جرت في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وتحتويها قصيدة الحطيئة، التي ذكرفيها الزبرقان بن بدر زعيم قومه قائلا فيه:

دع المكارم لا ترحل لبُغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

يعيره بأنه ليس من أهل المكارم، وأن طموحه ينحصر في الطعام والشراب وأمور المعيشة، فما كـان مـن الـزبـرقـان إلا أن اشتكاه إلى الخليفة عمر الـذي حكّم حسان بن ثابت، الذي أشار إلى أنّ هذا من أشد الذم فسجن الخليفةُ الحطيئة وهـدده بعقوبة أو بقطع لسانه إن لم ينته عن مثل هذا (١).

أرسل الله تعالى الحبيب الطبيب ﷺ فهدى الله تعالى على يدي نبيه بكتابه المبين بني البشر، فتغير وجه الأرض وانساقت وانسابت ومشت البشرية على حُدائه تُنشد أناشيد الفـرح، واستقام أمرها ورقص الكونُ من حولها وشقّت أكفان الموت واهتزت الأرض به وربت وأنبتت من كل شئ بهيج.

إن الاطلاع على التاريخ الاسلامي وحضارته يُشهدك صورا بارعة من أصالاته وإضاءآته في مجتمعه في كل ميدان وجانب وحركة، تشير وتُري وتفصح بوضوح عن حضارة إنسانية كريمة. وقد تمر ببعض المنحنيات، لكنها كُلّها أصيبت بأقسى السهام التي أدمته وأوسعته

● أستاذ التاريخ الأندلسي



تاريخنا مسيرة إنسانية شاملة سجلها المسلمون خلال أجيالهم على أطوار الحياة

جراحا على يد أولئك الذين أغاضتهم تلك الإضاءات والوضاءات والفضائل، فجاسوا خلال أعصاره ودياره، وقد أوعبوه افتراء عامدين وتحريفا حاقدين وتزييفا قاصدين: (الفتح والمعارك: بلاط الشهداء).

فلابد من جهود متفتحة غيورة متخصصة، ليس فقط لمداواته بل ولاستعادة عافيته وبنيته وتنميته، قياما على العلم الأصيل والحجة الدليل والبرهان النبيل، بكل اسلوب مقروء ومسموع ومشهود، فان كان بعض تلك الجهود قد أصابت نجاحا مّا، لكن الأخرى أخفقت ذريعا بأي مقدار.

وما زال النداء له طالبا راغبا موجبا، من أجل تجلية هذا التاريخ وتقديمه محققا مدققا موثقا، يزود العقل والقلب والوجدان، يتولاه أهل الإخلاص والتخصص، ولعل هذا الذي يقدّم وما يتلوه يكون باكورة لهذا الاتجاه، ولابد أن تتعانق الجهود وتتلاقى الأيدي وتتضافر الطاقات المتنوعة، وبكل الوسائل لخدمة هذا الهدف المنشود، يحف ذلك الإخلاصُ والتوجه إلى الله تعإلى وحده ولوجهه الكريم تدعوه أن يكلله بالنجاح.

والتاريخ الإسلامي هو تلك المسيرة الإنسانية المتسعة الشاملة المتتابعة بكل مساراتها وسياقاتها ومنحنياتها، جرت فيها مراكبهم ومواكبهم وسجلها المسلمون خلال أجيالهم على مدار التاريخ وأطوار الحياة، كانت صورتها متفاوتة سلبا وإيجابا وإعجابا، مترافعة أو متهابطة متقدمة أو متباطئة، منتصرة أو منحسرة.

وكل سلبية جرت لها كانت بأسباب، لكنها كانت سرعان ما تقوم منها متعافية حين تعود إلى دين الله، فالعودة إلى القرآن الكريم هو المنقذ دوما للأمة ذاتها وللإنسانية أجمع، حمله المسلمون وبه انطلقوا في جنبات الأرض ينيرونها ويهدون أهلها ويعمرون بلدانها، يملأونها نورا وحضارة وهداية.

فهذا ربعي بن عامر في القادسية (أواسط شعبان - وقد يجعلها البعض في شوال- ١٥هـ - أواسط سبتمبر ٦٣٦م)، يقول لقائد الفرس رستم حين سأله عما جاء بهم (المسلمون): الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الأسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا وتركناه وأرضه (٢).

فحملت أجيال الأمة راية النور والتنوير مُحـرّرة بها أهل الأرض من الأوضار والأدناس التي امتلأت بها الآفاق. وهي مهمة الأمة في كل الأجيال والآماد، ولابد أن تعد نفسها لذلك، ومن جميل ما يُعبّر عن هذه المعاني وهي تحيا في قمم سامية كانت وتكون بالاسلام وحده. وانظر ما قاله شعرا معبرا عنه أجمل تعبير بأروع حقيقة وبأبهى صورة الصحابي أو التابعي المجاهد عبدة بن الطبيب (٢٥هـ)(٣) الذي ساهم في فتوحات العراق ومنها القادسية، يصف تعلق المسلمين في الجهاد، إلى حد أنهم كانوا يأكلون أي شئ حتى المطبوخ قبل نضوجه إذ ليس لديهم وقت للطهي أو انتظاره أو حتى غسل أيديهم بعد الطعام، فجعلوا من أعراف خيولهم (شعر رقابها) مناديل لتنظيف أيديهم وهم على ظهورها منطلقين إلى سوح الجهاد(٤).

لمّا نزلنا نصبنا ظلَّ أخبية
وفار للقوم باللحم المراجيلُ
وردٌ وأشقرُ ما يُؤنيه طابخُهُ
ما غيّر الغلي منه فهو مأكول
وبعدُ قُمنا إلى جُرد مُسوّمة
أعرافهن لأيدينا مناديل

ومن ذلك قصة قتادة بن النعمان الذي رد الرسول ﷺ عينه التي خرجت من مقلتها اثر سهم في معركة بدر (٥)، فكانت أحسن عينيه، وحين وفد حفيده عاصم (٦) بن عمر بن قتادة بن النعمان على عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) أثناء ولايته المدينة المنورة سأل عمر عاصما قائلا له من أنت؟ أجاب عاصم مرتجلا:

أنا ابنُ الذي سالت على الخد عينُه
فرُدّت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأول عهدها
فيا حسن ما عين ويا حسن ما ردّ

وقد يعتبر هذا خارجا عن طبيعة علم وظائف الأعضاء Physiology، إذ كيف لإنسان تخرج عينه وهو يريد الاستمرار في الحرب. وهذه في الحق وإن كانت من النوادر لكنها بدت مألوفة عند المسلمين ببنائهم القرآني الفريد، والأمثلة عليها كثيرة (٧).

ويمكن مراجعة القصة التالية -وان كانت نوعا آخر لكنها من نفس الطبيعة- حيث تعبر عن وجه آخر تصب في ذات المسار. تلك هي قصة ربيعة الرأي (١٣٦هـ) بن فرُّوخ مفتي المدينة المنورة الذي تركه أبوه صغيرا أو في بطن أمه، منذ ذهب للجهاد لمدة ٢٩ عاما، فلما عاد وجد ابنه قد غدا من العلماء وعُد من الفقهاء المعروفين في المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام.

وتجد مثل هذا في كل الميادين وعلى تنوع المستويات، وهذا هو البناء الاسلامي الشامخ المضئ الأصيل، وبه أنبت الحياة الاسلامية وحضارتها الفريدة الانسانية حضارة التوحيد الفاضلة.

المراجع

١ - انظر القصة في كتاب: تخريج الدلالات السمعية، ٣٢٣ أخبار عمر وابنه عبد الله، تأليف الأخوين الطنطاويين علي وناجي، ٩٤٢.
٢ - القادسية، ١٠٦.
٣ - انظر عنه: الأعلام الزركلي، ١٧/٣.
٤ - انظر: الطريق إلى المدائن، أحمد عادل كمال، ٥١.
٥ - كان ذلك في معركة بدر (رمضان ٢هـ، وتقع على بعد ١٤٥ كلم جنوب غرب المدينة المنورة)، أو في أحد (٣هـ، وأحد جبل على بعد ٣ كلم من المدينة).
٦ - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، ٢١٧/٢.
٧ - انظر: المحاظرة الرابعة.

الإعلام الحضاري بين الحاجة والترف

د.مصطفى محمد طه - لبنان●

تأتي ضرورة الدعوة إلى وجود الإعلام الحضاري، على خارطة واقعنا الثقافي المعاصر، في إطار التصدي الحضاري للهجوم الشرس، الذي تشنه قوى البغي والعدوان على أمتنا وثوابتها وهويتها الاسلامية وأصالتها الحضارية، بغية اقتلاعها من جذورها ان استطاعت الى ذلك سبيلا، وكذا من منطلق ان هذا الاعلام ينبغي ان يتسم بالشمولية، فضلا عن انه اعلام حي ذو ابعاد دينامية متفجرة، وذلك لأنه يعبر تعبيرا حقيقيا عن نزوعات الامة الاسلامية في الوجود، كما انه يجسد ملامح فلسفتها تجاه الكون والحياة والانسان، وهو ايضا اعلام يهدف الى تحقيق الارتقاء الحضاري الشامل بهذه الامة في عالم اليوم الراهن، وعالم الغد المنظور واللامنظور، وذلك لأنه اعلام يعتمد المنهجية الشاملة في التكوين ومحتوى الرسالة الاعلامية والخطاب الاعلامي، الذي ينزع الى تأكيد أصالة الذات الاسلامية في واقعها الحضاري، عبر ابراز قسماتها الوجودية والتكوينية، الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

ان التطبيق الامثل لهذه المفاهيم، يقتضي وجود إعلام حضاري يهدف، الى ان يكون لهذه الملامح البارزة للأمة الاسلامية، وضعية متميزة في عالم اليوم، الذي يتسم بالتمايز الحضاري فيما بين الكيانات البشرية المتباينة التي تكون مجتمعة الاطار العام للمنظومة الانسانية قاطبة، فالاعلام الحضاري المنشود - اذا - هو على الحقيقة بمثابة اعلام واقعي ذا طابع ايماني مفعم بالدينامية المتفجرة عبر معطياته الثرة الفياضة، بكل القيم المشعة، وهو ايضا اعلام واع من المنظار الانساني، وذلك لأنه لا ينكر او حتى يتنكر لوجود الغير، من خلال التعامل الحيوي معه، والاستيعاب الموضوعي لإفرازاته الحضارية.

ومن هنا، فإن هذا الاعلام مدعو لترسيخ مفهوم الانفتاح الحضاري على كل التيارات الفكرية السائدة في عصرنا الذي نحيا فيه، وذلك من منطلق اننا امة وسط، وبالتالي فنحن امة منوط بها تأدية رسالة حضارية ذات بعد ايماني تتبلور معالمه، عبر الشهود على كافة الناس، مصداقا لقول الحق وهو اصدق القائلين ﴿وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة- ١٣٤).

ماهية الإعلام الحضاري

ينبغي ان نؤكد تأكيدا جازما على ان معالجتنا لماهية هذا الاعلام سوف تكون بعيدة عن التنظير الأكاديمي البحت، الذي يحاول دائما تلمس الجذور اللغوية والدلالات المفاهيمية عند وضعه لتعريفات المصطلحات التي يود بلورة ملامح ماهيتها، عند صياغته لها - لغويا واجرائيا - ولذا، فإننا سوف نحاول عرض رؤيتنا الخاصة لماهية الاعلام الحضاري، الذي نرى، وعلى ضوء رسالته المبتغاة. انه بمثابة الاعلام الذي ينبغي ان يؤطر لمعالم المشروع الحضاري الاسلامي البديل في دنيا الواقع، وذلك من خلال إيضاح القسمات البارزة للهوية الاسلامية التي تفجرت ينابيعها ثرة فياضة، مع الانبثاق الايماني الباكر للإسلام المشرق في ليل الجاهلية البهيم مبددا سجفه الكثيفة. يضاف الى ذلك، انه اعلام واعد بقدر ما هو واع، لأنه سيحاول جاهدا عبر معطياته التأصيل العلمي والمنهجي لملامح الذات الحضارية الاسلامية، وسط هذا الركام المتلاطم من التيارات الحضارية الشتى التي تسود في عالم اليوم.

الإعلام مدعو لترسيخ مفهوم الانفتاح الحضاري على كل التيارات الفكرية

من هنا يمكننا القول ان الاعلام الحضاري هو على الحقيقة ذلك الاعلام الذي يلتزم بإطار استيعابي موضوعي عبر مواقفه الصادقة تجاه واقعنا الحضاري المفعم بالاصالة القرآنية، التي كونت العقلية الاسلامية ابان عصور التألق الحضاري لأمتنا الاسلامية، دون ان ينسى او حتى يتناسى مدى ديناميكية التفاعل الحضاري الايجابي مع معطيات العصر، ولاسيما الايجابية منها، مبلورا مدى فاعلية مردودها على واقعنا الاسلامي الراهن، مما يسهم اسهاما مباشرا في اضفاء طابع من الحيوية على هذا الواقع، وذلك حتى يتحقق لأمتنا نقلة نوعية نحو عالم الحضارة الرحيب.

وإزاء هذا، نرى ان الاعلام الحضاري هو اعلام يشي بانبجاس تكوين عضوي متفرد للعناصر الحية لحضارة إسلامية معاصرة، نرى في اغلب الظن ان ثمة ضرورة وجودية تحتم انبثاقها من رحم الارهاصات المعرفية والفكرية، التي سوف يبلورها هذا الاعلام المنشود، عبر خطابه الاعلامي المتمايز، ان هذا هو تصورنا لمفهوم الاعلام الحضاري، بعيدا عن التنظير الاكاديمي الذي يتوخى دائما الاعتماد على الاحالات للمعاجم اللغوية والعلمية التي تصك هذا المفهوم او ذاك.

ينابيع الاعلام الحضاري

لا ريب في ان القرآن الكريم، يعد كتاب الحضارة الأمثل وراقدها

● أكاديمي وباحث في الفكر الإسلامي



الأول، الذي اسهم اسهاما حيويا في تشكيل الكيان الحضاري الاسلامي، ذلك التشكيل الفريد، ابان الواقع التاريخي للأمة. ولذا فهو قادر على صياغة البناء الحضاري المنشود اليوم وفي الغد المنظور واللامنظور. ولعل اهم عامل حيوي يضفي على هذا الكتاب الشامخ طابعا من الديناميكية الحضارية، هو انه كان ولايزال - وسوف يظل الى ما شاء الله - غضا طريا كما نزل لأول مرة.

ومن هنا، فإنه لا مندوحة امام الاعلام الحضاري، اذا كان يريد فعلا ان يكون هو ذلك الاعلام المأمول للمرحلة الراهنة التي نمر بها الآن، إلا ان يرشف من معين القرآن الذي لا ينضب، وذلك حتى يتسنى له ان يساعد الامة مساعدة فاعلة، وهي في سبيل الاقلاع الحضاري نحو الغد، فضلا عن ان تتحقق لهذه الامة الفعالية الحياتية عبر الاستقلال الحضاري، ونشر القيم المشعة لهذه الرسالة الكونية.

ومن هنا يمكن القول ان القرآن الكريم يمثل في هذا الباب - مرجعية اعلامية سرمدية وثرية، وذلك لأن السياق التاريخي الحي، والمسألة الحضارية، بكل ابعادها، هي مادة اعلامية على قدر كبير من الاهمية، ومن ثم فلا غنى لأي اعلام حي عن الاستعياب الموضوعي للتاريخ الحضاري للأمة. ولعل اهم ما يجعل من هذا الكتاب الخالد ينبوعا ثرا فياضا للاعلام الحضاري - سيما وانه في طور التشكيل - هو ان القرآن يعد ولا ريب اهم كتاب سماوي للإعلام الشامل عبر التاريخ من لدن خلق آدم عليه السلام والي ان يرث الله الارض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

أما السنة النبوية الخالدة فتشمل ضمن سياقها الايماني والحضاري المتفرد، على السنة القولية والسنة الفعلية التقريرية للرسول ﷺ ولهذا تعتبر السنة النبوية الشريفة بمثابة التجسيد الحي لمعالم الهدي النبوي الخالد، الذي حاول الرسول الأكرم ﷺ من خلال معطياته التشريعية صياغة الملامح البارزة والقسمات الواضحة لمجتمع التوحيد الاول، الذي كان بمثابة الكوكب المتلألئ وسط الظلام الدامس للجاهلية، حيث اسهمت اشراقات السنة النبوية في تكوين هذا المجتمع الفريد، ولهذا السبب استطاع هذا المجتمع الاسلامي تكوين حضارة باسقة لذا، فإن السنة النبوية الشريفة بآفاقها الايمانية، وابعادها الحضارية والانسانية، ومن قبل صبغتها الربانية الحقة ﴿والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: ١-٤) تعتبر ينبوعا ثريا للإعلام الحضاري، ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾ (الحشر - ٧).

كما ينبغي علينا الا نغفل، ونحن بصدد رصد ينابيع هذا الاعلام الحيوي، ان نؤكد على ان ينبوع التراث الإنساني قد يحتوي ضمن سياقه التاريخي، على سلبيات هدامة، لاسيما التصورات العقائدية الضالة، التي انحرف بها اصحابها - او انحرفت بهم - عن معالم الطريق السوي، ولذا فإنه من الاهمية بمكان ان يكون القائمون على هذا الاعلام، على يقظة تامة تجاه هذه الانحرافات، ولن يتحقق لهم مثل هذا المطلب، الا اذا كانوا من ذوي الحس الايماني والحضاري، الذي يمكنهم من تصفية وتنقية هذا التراث من الشوائب التي شابت نقاءه وعكرت صفوه الفطري، فضلا عن تخليصه من الترهات والخزعبلات الفكرية التي التصقت به وشوهت معالمه الناصعة. وتلك وايم الله لرسالة حقة، لإعلام حضاري موضوعي، ومن هنا فإنه لا يحق لهذا الاعلام الا ان يبرز الجوانب الايجابية والحيوية في هذا التراث، ولاسيما ما هو مشترك انساني عام، حيث يعد بمنزلة احد المرتكزات الحضارية اللازمة لأي انطلاق نهضوي تريده الامة فيما يستقبلها من ايام، حتى يتسنى لها تحقيق المستقبل الحضاري المنشود.

التراث الحضاري الإسلامي

لا ريب ان التراث هو حجر الزاوية في البناء الحضاري، ولهذا فإن الاعلام الحضاري مدعو الى الاقتباس الواعي من التراث، وذلك حتى يساهم وبفعالية في حل اشكالية التأصيل الحضاري في واقعنا المعاصر، حيث ان هذه الاشكالية ينبغي ان تشكل هاجس الاعلام الحضاري، الذي يسعى الى تحقيق بصمات حية في دنيا الناس.

وفي ضوء هذا المنطلق، يعد التراث الحضاري الاسلامي، بمنزلة الملمح البارز للوجود الاسلامي الحق في التاريخ، وذلك لأن هذا التراث قد امتاح عناصره التكوينية، ومفرداته الحضارية من ينبوع الاسلام الصافي، وتبلور لنا الجوانب الابداعية في هذا التراث من المنظار الحضاري، اصالة العقيدة الاسلامية التي لا تعادي الابداع في اي منحى من مناحي الحياة، وهذا راجع الى ان هذا التراث يتسم، ولاسيما في جانبه الروحي بالربانية.

اللغة العربية

اللغة العربية الشاعرة، هي لغة القرآن الكريم، التي نزل بها، وفي هذا يقول عز من قائل ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا﴾ (طه- ١١٣). واكرم بهذا الشرف العظيم من رفعة وسيادة، مما اضفى على هذه اللغة طابعا من التفرد، فضلا عن ضمان الاستمرارية التاريخية (الديمومة) في عالم المعرفة والثقافة الحضارية. وكما يؤكد الواقع التاريخي للغات الحية، فإن هذا الشرف الرفيع لم يتح لأي لغة سواها، فمعظم هذه اللغات ماتت وتلاشت معالمها اللغوية (اللسانية)، ومن ثم صارت لغات مندثرة لا

يعرفها إلا علماء الآثار، من خلال المكتشفات الاثرية التي يكون مصيرها الى المتاحف، الا ان اللغة العربية باقية بقاء هذه الامة.

المعطيات الحضارية للعصر

لا شك ان العصر الراهن، الذي قدر لنا ان نحيا فيه الآن، هو من العصور الهامة في مسيرة الحضارة البشرية، وذلك لأنه عصر الاتصال والعولمة، فضلا عن ان البشرية قد حققت خلاله وثبات هائلة، ولاسيما في المضمار المادي (المدنية) لم يسبق لها مثيل عبر تاريخ الحضارة، ولعل ابرز معطيات هذا العصر، ثورة الاتصالات والانفجار المعرفي والاعلامي، الذي اسهم في تحقيق الاختزال الزماني والمكاني المشهود الآن، مما نتج عنه ان أصبحت الأرض كلها قرية صغيرة داخل صندوق، كما ذهب الى ذلك عالم الاجتماع الشهير مارشال ماكلوهان.



وعلى الرغم من هذا التطور والارتقاء الهائل، في جميع المناشط المادية للإنسان المعاصر، فإن هذا الانسان مستلب حضاريا، ولاسيما في الجانب المعنوي من حياته، مما اوجد عنده حالة صارخة من الاغتراب الحضاري، الذي اصبح سمة اساسية لهذا العصر، وقد انعكس ذلك الخلل على انسان العصر فأصابه بحالة من الخواء الروحي، الذي يعاني منه الكثيرون، الا من رحم ربك، وذلك على الرغم من التقدم المادي، الذي هو في اضطراد دائم، مما اضفى على ايقاع الحياة العصرية طابعا من الدينامية المتفجرة، فأصبحنا كل يوم نسمع عن الجديد من الابتكارات العلمية والفتوحات في عالم المادة، ونتج عن ذلك تراكم كبير في المعطيات الحضارية لهذا العصر.

إعلام إيماني

من منطلق ان الاعلام الحضاري، هو تعبير حي عن نزوعات الامة الاسلامية تجاه الكون والحياة والانسان - كما ألمحنا سابقا - فإنه من الحتمي ان يكون هذا الاعلام ذا توجه ايماني معجز يتسق مع السمت الاساسي لهذه الامة، التي تمتاح مقومات رسالتها الحضارية، من معين الايمان الذي لا ينضب ابدا، وفي هذا السياق يمكن القول ان الايمان الحق لا يحارب التفاعل الحيوي، بين العناصر العضوية للحضارة الحقة، الا وهي الانسان والتراب والوقت.

ومن هذا المنطلق نرى ان الاعلام الحضاري هو اعلام ايماني، وذلك لأن اللمسات الايمانية الحية، هي بمثابة القسمات البارزة، والمعالم الاساسية لمنطلقات هذا الاعلام، الذي يهدف الى تحقيق التغيير الحضاري الشامل في واقعنا الراهن، فضلا عن الدعوة البناءة لضرورة تلاقح الافكار، فالنهوض الحضاري هو افراز طبيعي للحضور بين الذات والآخر، في الاطار الايجابي للحضارة.

ان الاعلام الحضاري على تباين مفردات خطابه، عبر اي محتوى لبرامجه، سواء اكانت برامج اخبارية بحتة ام برامج علمية او ثقافية، او حتى برامج المنوعات، ينبغي عليه ان ينطلق من منطلقات ايمانية، تساعد الانسان على الارتقاء الاخلاقي، وفهم الاهداف المبتغاة من خلق الانسان، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون، ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات - ٥٦-٥٨).

ومادامت ان السمة الاساسية للإعلام الحضاري هي السمة الايمانية، فإنه ينبغي على هذا الاعلام تأكيد معالم الاصالة القرآنية الحقة في الواقع الحياتي المعيش، وذلك لأن هذه الاصالة مفعمة بإشعاع الايمان الحق، الذي يقر بالوحدانية الخالصة لله عز وجل، فضلا عن تفرده بالعبودية، ونبذ ما عداه من اقانيم وانداد، ومرجع هذا هو انه لن يكون لهذه الامة، اي وجود حضاري فاعل، الا اذا تأكد فعلا ايمانها الراسخ بالله عز وجل.

شمولية

نعني بالشمولية هنا ان الاعلام الحضاري يحتوي ضمن سياقه الاعلامي ومنظوره النسقي على الحل الشامل لكل الاشكاليات الحضارية التي يعالجها علاجا ناجعا. من هنا فإن هذا الاعلام لابد له ان يحرص كل الحرص على ان يقدم ضمن محتوى معطياته الاعلامية ما يحقق للمسلم خيري الدنيا والآخرة، انطلاقا من مصداقية الآية القرآنية في هذا الاطار، حيث يقول عز من قائل ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص- ٧٧).

يضاف الى ذلك ان الدنيا كما ورد في الحديث النبوي الشريف هي مزرعة الآخرة، ولذا فليس ثمة اي انفصام بينها وبين الآخرة، على الاطلاق، كما هو الحال في الحضارات والفلسفات البشرية المنحرفة، التي شهدت مثل هذا الفصام النكد، وبالتالي انحرفت عن نسق الفطرة السوية التي جاء بشأنها قول الحق سبحانه وهو اصدق القائلين ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم - ٣٠).

ومن هنا يمكن القول ان المنظور الاسلامي يشي بأن ثمة آصرة ودية تربو على آصرة الدم واللحم، تربط برباطها الوثيق فيما بين الدنيا والآخرة، عبر وشيجة وطيدة لا تنفصم عراها.

ولذا فإن الاعلام الحضاري مدعو لتأصيل هذا المبدأ الشمولي في دنيا الناس، يضاف الى ذلك ان الشمولية تعني ضمن ما تعني ان الاعلام الحضاري هو اعلام واع، يؤكد تأكيدا صارما على مدى اهمية التفاعل الحيوي بين المناشط الانسانية المتباينة، وذلك حتى يضفي مثل هذا التلاحم طابعا من النماء والارتقاء على واقع الحياة



الاسلامية الراهنة، ومن ثم يكون في مقدور امتنا الاسلامية تحقيق نقلة نوعية نحو عالم الحضارة.
وأغلب الظن عندنا هو ان الاعلام الحضاري لن يكون اعلاما شاملا، الا اذا كان هدفه الحقيقي هو ارساء دعائم الوحدة العضوية فيما بين كل مناحي الابداع الحضاري للإنسان المسلم، الذي هو على الحقيقة نواة المجتمع الاسلامي الحق، والعنوان الاساس للحضارة الاسلامية المعاصرة، كما كان المسلم الاول نواة بنيوية لمجتمع التوحيد الاول، ومهندسا للحضارة الاسلامية الباسقة في واقعها التاريخي.

أصالة

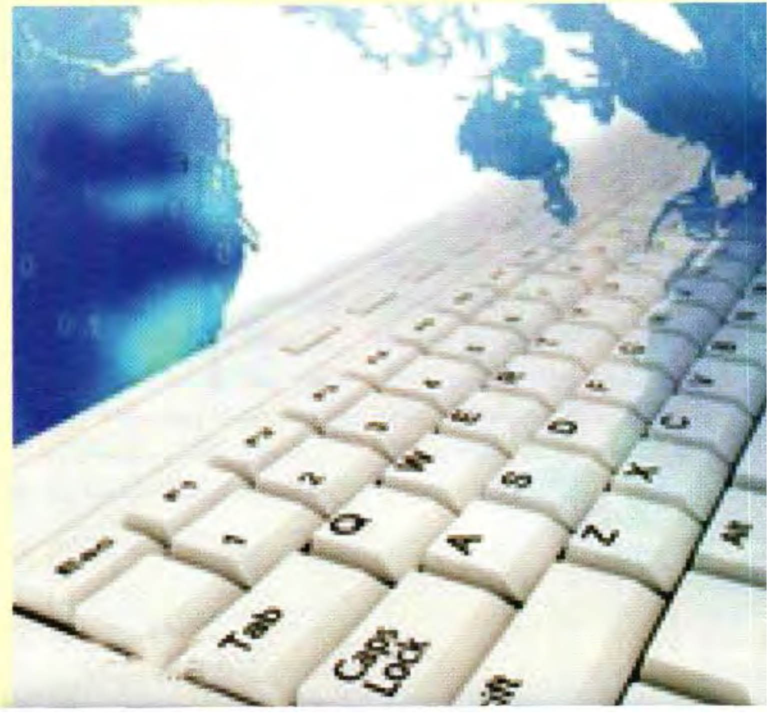
يذهب المفكر الاسلامي العالمي د.رشدي فكار (رحمه الله) الى ان الاصالة تأتي في قمة التحديث، ومن هذا المنطلق الحضاري الراشد، يمكن التأكيد على ان الاعلام الحضاري مطلوب منه تجسيد المعالم الحقة للهوية الاسلامية والقسمات البارزة للذات الاسلامية، وذلك لكي يكون بحق اعلاماً اصيلا بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، وما توحي به من ابعاد، كما انه مدعو ايضا الى تبني الخطاب الاعلامي الواعي، الذي يؤكد حقيقة على مدى حيوية وديناميكية كل القيم الحضارية المشعة، التي من شأنها بلورة ملامح وآفاق الاصالة الحضارية الاسلامية، ومن ثم فإنه علينا أن ندعو الى تبني التأصيل الاسلامي لكل مناشطنا الحياتية، فضلا عن الاستيعاب الموضوعي لمعطيات العصر الحضارية، فهذ الاعلام لن يكون اصيلا الا بقدر التوفيق بين عنصري هذه المعادلة الوجودية، اي الاصالة والحداثة، دون فقدان الهوية والذات.
ولهذا السبب يتأكد لنا مدى اصالة الاعلام الحضاري، وذلك لأنه اعلام اصيل قلبا وقالبا، ومرجع هذا هو ان الاصالة عندنا لا تعني بأي حال من الاحوال الارتماء في احضان الماضي، والتقوقع عند ايقاعه التاريخي، وانما هي وفية الى اقصى حد لروح هذا الماضي، ولاسيما في ثوابته التي انطلق منها، بقدر ما هي منفتحة على العصر ولاسيما في جوانبه الابداعية، التي من شأنها تكوين بناء حضاري يليق بنا كمسلمين.
ان هذه هي الملامح التي تشي بأن هذا الاعلام الحضاري هو اعلام اصيل لأنه يدعو لتأصيل المفاهيم الحضارية في الفضاء الثقافي المعاصر، عبر التزاوج بين قيم الماضي وعطاءات الحاضر.

انفتاح

يشكل الانفتاح على الآخر ضرورة حضارية، فضلا عن كونه ضرورة إسلامية، ومن هنا فإن امتنا الاسلامية مطالبة بالانفتاح على كل الامم والاخذ منها، ولاسيما في الجانب التقني، وذلك حتى يتسنى لنا تكوين تكنولوجيا اسلامية معاصرة. ليكون في مقدور امتنا اختزال هذه الفجوة الحضارية السحيقة التي تفصلنا عن العصر.
ومع قناعتنا بحتمية الانفتاح الحضاري، من قبل امتنا الاسلامية، على العصر، الا انه ينبغي الا ننسى ان ذلك الانفتاح المأمول، لن يؤتي ثماره المرجوة، الا اذا تم شريطة عدم انكار أو تجاهل التراث الحضاري الاسلامي، ودوره البارز في البناء الحضاري الاسلامي المعاصر، فضلا عن ابراز ملامح الذات الاسلامية حضاريا وتميزها، وسط هذه التيارات الحضارية التي تجتاح العصر، او اذا شئنا الدقة فإنه لابد ان يكون هذا الانفتاح في اطار التفاعل الحضاري مع الآخر.
في ضوء هذا المنطلق فإننا نرى ان الاعلام الحضاري مدعو وبكل الموضوعية الى تبني الدعوة الصادقة الى انتهاج مبدأ الانفتاح الحضاري على العصر، وذلك حتى يكون في مقدور امتنا الانعتاق الحضاري من ربقة التخلف، ولن يتسنى لهذا الاعلام تحقيق هذا المبدأ، الا من خلال تقديمه - عبر برامجه المبثوثة - جرعة حضارية منشطة، من شأنها ان تأخذ بيد الامة الاسلامية نحو عالم الابداع الحضاري الحق، الذي سيكون بمنزلة افراز شهي للتلاقح الحيوي فيما بين الحضارات المنفتح بعضها على بعض، ضمن اطار من الاحترام المتبادل، ولكي تؤتي هذه البرامج فعاليتها، فإنه لابد لها من الدعوة الى ضرورة الاقتباس الحضاري من الآخر، المقابل لنا حضاريا، ولن يحقق هذا الخطاب الاعلامي اي نوع من الدينامية المتفجرة، الا عبر تأكيده على مدى حيوية الاستفادة من المعطيات الحضارية لدى الآخر، دون الذوبان والتبعية الثقافية للآخر تحت اي مسمى من المسميات، ومن ثم يكون منطلق هذا الاعلام، منطلق انفتاحي بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى. ومن هنا يتأكد لنا ان سمة الانفتاح هي سمة اساسية من سمات الاعلام الحضاري.

ديناميكية

لكي يكون الاعلام الحضاري اعلاما ديناميكيا، فلابد له بادئ ذي بدء ان يتسم بقدرته الحركية على التحدي، فضلا عن الاستجابة لكل التحديات الحضارية المعاصرة، او بمعنى آخر، ينبغي ان يكون التصدي هو الملمح البارز والسمة الدالة على خطاب ومعطيات هذا الاعلام، وتتبلور ملامح وآفاق الديناميكية المنشودة للإعلام الحضاري، عبر تفاعله الحيوي مع التقنيات المعاصرة في عالم الاتصال، وذلك لكي يتسنى له ان يؤدي رسالته في تحقيق التنوير والنهوض الحضاري المنشود، وبالتالي فإن هذا الاعلام لابد ان يكون مرة اخرى ديناميكيا حركيا، واعيا بأبعاد رسالته الاعلامية المتميزة، التي من شأنها ان تتيح له، الوصول الى هذا المستوى الرفيع، مما يمكنه من القدرة على التصدي الحضاري لهذه الهجمة الشرسة، التي تستهدف هدم الكيان الحضاري الاسلامي، والاتيان عليه من القواعد.
ولهذا السبب تأتي ضرورة ان تكون الديناميكية، هي سمة من السمات الاساسية لهذا الاعلام الحضاري المأمول للعالم



الاسلامي المعاصر في عالم اليوم والغد، وذلك لأن العصر هو عصر الدينامية المتفجرة اعلاميا، ومن ثم فإنه لا مكان لإعلام ساكن خانع على خارطة الكون، واذا ما تحقق لإعلامنا الحضاري هذه السمة، فإنه سوف يساهم بلا حدود، في عودة امتنا الى تألقها الحضاري.

اعلام يدعو للإنتماء العقدي

كما سبق وان طرحنا فإن الامة الاسلامية، ما كان لها ان تكون بهذا المستوى الحضاري المتميز، لولا تفرد هويتها وذاتها الحضارية بقسماتها البارزة، التي انبثقت انبثاقها الحي من معين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مما جعلها حقيقة ناصعة قابلة للتطبيق على ارض الواقع الاسلامي ايمانيا وحضاريا، وذلك عبر سلوكيات المسلمين الاوائل الذين نهجوا هذا النهج السوي، الذي تجسد في انتمائهم العقدي والحضاري لأمتهم الاسلامية.



وفي هذا السياق، يمكن القول ان المنظور النسقي للواقع التاريخي لهذه الامة، يؤكد على انه لا وجود فاعل، الا من خلال تحقيق هذا الانتماء المشار اليه، ومرجع هذا هو انه لن يتحقق لوجودنا الحضاري الدينامية المتفجرة، الا اذا كان هذا الوجود مجسدا لكل نزوعاتنا الراشدة، التي تتبلور ملامحها البارزة، في التصور الاسلامي للكون والحياة والإنسان، حيث ان هذا التصور يؤكد على مدى ضرورة التأصيل لمبدأ الانتماء العقدي والحضاري لدى المسلمين في كل زمان ومكان، وذلك حتى تتحقق السيادة للمسلمين في عالم اليوم والغد. ومن ثم تعود للأمة الاسلامية الريادة الحضارية.

التجديد الحضاري

التجديد والتغيير سنة من سنن الله الكونية ﴿وتلك الايام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران - ١٤٠). وهو ايضا ظاهرة صحية انسانيا وحضاريا، فضلا عن كونه ضرورة انسانية، وذلك لأن التجديد يحقق الارتقاء والنماء للإنسان الذي يعتمد التجديد فلسفة له في الحياة، ولقد مارست كل الحضارات الانسانية التجديد، سواء من داخلها بعد فهمها لقوانين التطور، ام من خارجها بعد اقتباسها من الحضارات الاخرى، ان التجديد يقتضي من هذه الحضارات ان تمارس عملية تحويل الاقتباس الى نتاج حضاري متميز بها. اما الحضارات المندثرة، فقد ماتت لأنها لم تمارس التجديد على المستويين الداخلي والخارجي، ولهذا كان مصيرها الحتمي، هو الابادة، تلك النهاية المأساوية التي تنتظر كل تجربة حضارية تتنكر لسنن الله الماضية في الكون.

وفي هذا السياق، نرى ان حضارتنا الاسلامية الباسقة، في واقعها التاريخي قد ضربت لنا المثل الاعلى في التجديد - الحضاري - فهي قد اقتبست وتفاعلت تفاعلا حيويا، مع الآخرين المغايرين للمسلمين دينيا وحضاريا، واخذت من معطياتهم الحضارية، ما يتلاءم مع نسقها وفلسفتها، ولم تقف عند حد الاستهلاك لما عند الآخرين، كما نفعل نحن الآن، مع منتوجات الحضارة المعاصرة، بل هضمت كل ما من شأنه تغذية روافدها بالحياة والنماء.

ضرورة إسلامية

اذا كان الاعلام بوجه عام، يعتبر ضرورة انسانية، على درجة كبيرة من الاهمية، حيث انه يسهم في ابراز الدور الحيوي للفكر في عملية التغيير الحضاري، فإن الاعلام الحضاري المنشود، ينبغي ان يكون هو الوعاء الملائم للاستيعاب الموضوعي لكل معطيات الكيانات الحضارية الكبرى، التي عرفتها البشرية عبر تاريخها المديد، فضلا عن كونه المفجر الاول لشرارة الحضارة الاسلامية المعاصرة، التي نسعى الى تكوينها فيما يستقبلنا من ايام.



ولذا، يمكن القول انه لولا وجود الاعلام الفاعل، لما كان هنالك تواصل حي بين بني البشر على اختلاف اصولهم الجنسية والحضارية، وانتماءاتهم العقدية ونزوعاتهم الحياتية المتباينة. فالاعلام كان هنالك حيث انبثقت الكيانات الحضارية الباسقة فيما سبق من عصور. فلولا الاعلام لما تعارفت الحضارات، وتواصلت عبر تفاعلها ولقاءاتها.

ومن هنا نرى انه لن تكون هناك كيانات حضارية في المستقبل المنظور، الا مع وجود اعلام حضاري واع، وهذا من منطلق ان التواصل فيما بين البشر، هو الوسيلة الفعالة لتغذية الحضارات بكل ما هو حيوي كما يؤكد ذلك المنظور النسقي لمسيرة التاريخ المديدة التي شهدت على امتداد حقبها المتطاولة ودوراتها المتتالية انبثاق هذه الكيانات الحضارية من رحم التاريخ، على تفاوت في مستويات اصالتها وتألقها، حيث تبلورت ملامحها البارزة عبر الاخذ والعطاء والتأثر والتأثير.

ان كل هذا ما كان له ان يكون حقيقة تاريخية ملموسة الاثر في دنيا الواقع، لولا الاعلام، مما يؤكد على ان الاعلام ضروري - بأي مقياس - لأي ابداع حضاري متميز، ولهذا تبدو الحاجة ماسة في واقعنا المعاصر الى الاعلام الحضاري، حيث ان المأزق الحضاري الذي تمر به امتنا، يحتم عليها ضرورة الاقلاع الحضاري، والعمل على تصور مستقبلها من الآن، وليس ثمة إلا الاعلام الحضاري الشامل فهو وحده القادر على تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي لأمتنا الاسلامية.

ولن تؤتي هذه الثورة الحضارية المنشودة، ثمارها اليانعة، الا بتكوين كوادر مؤمنة ومتفاعلة مع الامة، كما ينبغي ان يكون لديها قناعة راسخة بجدوى مشروعها الحضاري المأمول، الذي ينبغي الدعوة له، عبر برامج جديدة لإعلام حضاري شامل، جديد، نعتقد جازمين بأنه هو الاعلام الواعد، الذي لابد ان تكون منطلقاته الاساسية اسلامية راشدة، فالاسلام دين وحضارة، وصدق الحق عندما قال ﴿... قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد- آية ١٧:١٦).

نحو نصرة دائمة للرسول ﷺ ...

غايات عدة تحرك حملات الإساءة لرسولنا الكريم ﷺ لتشويه الإسلام ووقف تمدده في أنحاء المعمورة.. وأمام تلك الأهداف والغايات هب المسلمون والمنصفون من أرجاء العالم للدفاع عن المصطفى في صور شتى، حبا واقتناعا بعظيم رسالته، فقامت منظمات وأقيمت دعاوى قضائية وخرجت تظاهرات ونظمت ندوات ومعارض، ومن أبرز تلك الفعاليات والمؤتمرات المؤتمر العالمي الثاني الذي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون مع منظمة النصرة العالمية بالكويت خلال نوفمبر الماضي تحت شعار «نحو نصرة دائمة» والذي حاول صياغة رؤية استراتيجية لنصرته ﷺ وفي ملف «الوعي الإسلامي» نحاول التطرق الى ابعاد استراتيجية للذود عن النبي ﷺ وتقديم النماذج والخطوات العملية التي ترسم خطانا للدفاع عنه ﷺ، محاولين تعميق ضوابط عرض سيرته ﷺ بصورة علمية للحفاظ على مدلولاتها بلا تشويه، وبيان القيم الحضارية في دعوته، وتفعيل دورها في علاج مشكلات واقعنا المعاصر وابراز الأبعاد الحضارية للأمة المسلمة التي آمنت بتلك الرسالة.

إعداد : رضا عبد الودود

وبانتهاء فعاليات المؤتمر العالمي الثاني للنصرة بالكويت، تكون جهود نصرة المصطفى ﷺ قد دخلت مرحلة جديدة من التخطيط الاستراتيجي المتكامل، للانتقال إلى مرحلة الفعل الكوني لتعميق حب الرسول ﷺ وحقيقة دعوة الإسلام السمحة في نفوس العالمين.

فتنوعت توصيات المؤتمر بين خطوات وأهداف بعيدة المدى، وأخرى قصيرة المدى، لتتلائم مع طبيعة التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية وفي مقدمتها نحو ثلاثة مليارات من البشر لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ولا عن النبي ﷺ.. لذا أوصى المؤتمر بالآتي:

- التأكيد على القيم والمبادئ التي انتهى إليها المؤتمر العالمي الأول لنصرة النبي ﷺ والذي انعقد في مملكة البحرين.
- العمل على استكمال وضع خطة استراتيجية شاملة للمرحلة القادمة، للتعريف بالنبي ﷺ ونصرته، عمادها العمل المؤسسي والتكامل والتنسيق بين الجهات العاملة في هذا المجال، وفتح المكاتب التنفيذية الاقليمية لمتابعة العمل وتنفيذ البرامج والخطط.
- العمل على توفير الدعم المالي لمشروعات النصرة المختلفة التي ستقوم بها المنظمة أو المؤسسات والمراكز المختلفة في انحاء العالم وذلك من خلال إنشاء وحدة اقتصادية ثابتة تعمل على تحقيق هذا الهدف بالطرق المختلفة.
- إقامة لقاءات تنسيقية دورية بين المؤسسات والمراكز الإسلامية العاملة ذات العلاقة والمشاركة في أعمال النصرة بحسب البلدان والأقاليم والتخصصات، تحقيقا للتكامل وتوحيدا للجهود ودفعا للتعارض والتكرار.
- إنشاء مركز بحوث ودراسات وترجمة متخصص يعني بإظهار القيم الإنسانية والحضارية التي دعا إليها النبي ﷺ وذلك من خلال جمع الميراث النبوي في هذا الشأن، والعناية به تحقيقا وترتيبا وإصدار الدراسات العلمية المتعلقة بجوانبها المختلفة مع الحرص على ربطه بالواقع وتقريبه للناس واظهار ما فيه من جوانب العظمة والكمال والشمول، وترجمته إلى اللغات العالمية الحية.
- دعوة جامعات العالم الإسلامي لتدريس سيرة النبي ﷺ وإنشاء الكراسي البحثية المتخصصة في التعريف برسالة النبي ﷺ في الجامعات غير الإسلامية، مع تقديم المقترحات العلمية في عمل المناهج التعليمية المتعلقة بتدريس سيرة النبي ﷺ وفق الاحتياجات المعاصرة.
- مخاطبة الحكومات الإسلامية والتواصل معها لتفعيل دورها في مساندة الجهود المبذولة لنصرة نبينا ﷺ في المجالات كلها وخصوصا في الجوانب القانونية والمالية والإعلامية.
- التعاون والتواصل مع الهيئات السياسية المؤثرة كمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي في أعمال النصرة.
- إنشاء وحدة إعلامية متخصصة في أعمال النصرة، تقوم على أسس احترافية مهنية، وتتولى مهمة الانتاج الإعلامي المتقن في المجالات المرئية والمسموعة والمكتوبة لخدمة الرسالة النبوية، وإظهارها للعالم بصورتها الحقيقية الإيجابية.
- تكوين لجنة استشارية قانونية تتولى مراجعة الجوانب النظامية والقانونية والقضائية المتعلقة بأعمال النصرة في بلدان العالم، وتسعى لاستصدار قرارات دولية تحظر الإساءة للأديان والرموز الدينية.
- تفعيل دور الأئمة والمرشدين في مجالات النصرة والتعريف برسالة النبي ﷺ، وإعداد برامج تدريبية وتأهيلية لهم ولجميع العاملين في مجالات النصرة.
- التأكيد على تفعيل جميع أعمال وأنشطة النصرة من خلال تأصيل شرعي يرعى أحكام الشريعة ومقاصدها في وسطية واعتدال، وفي إطار واحترام القوانين والأنظمة المعمول بها في الدول المختلفة.
- إنشاء المجلس النسائي العالمي لنصرة النبي ﷺ المعني بتفعيل دور المرأة في نصرته والتعريف برسالته والدفاع والحوار مع غير المسلمين، وإعداد القيادات الواعية في جميع المجالات.
- إظهار الدور الاقتصادي للنصرة باستثمار الوسائل والآليات المختلفة لتنمية الموارد المالية والتواصل مع رجال المال والأعمال لدعم المشاريع وتمويلها.

القيم الحضارية في الدعوة المح

د. عبد المجيد النجار - مصر*

جاءت الدعوة المحمدية خاتمة للنبوات، وهي وإن كانت في مجال المعتقدات ومبادئ الأخلاق مؤكدة لما جاء به الأنبياء من قبلها، ومصوبة لما انحرف منها، إلا أنها جاءت في التشريع العام من القيم والأحكام بما لم تأت به الديانات السابقة، وبما هو غير معهود عند البشرية، وأخذ بها التاريخ الإنساني مسارا جديدا في البناء الحضاري في وجوهه المادية والمعنوية.

وقد كانت تلك القيم الكبرى التي جاءت بها الدعوة المحمدية منشئة لتلك الحضارة الإسلامية بانجازاتها المشهودة التي كانت ملهمة في كثير من جوانبها لهذه الحضارة الراهنة، ولما بدأت تلك الحضارة الاسلامية في الانحلال لم تكن تلك القيم سببا في انحلالها، وانما كان الفتور الذي انتاب أهلها في تحملها تصديقا وسلوكا هو السبب في ذلك، أما هي فانها مازالت تحمل في ذاتها من قوة الحق ما تستطيع به ان تعالج من مشاكل الإنسان ما استعصى على المذاهب والفلسفات.

وإذا كانت القيم التي جاءت بها الدعوة المحمدية شاملة لجوانب مختلفة من الحياة الا انني أنتخب في هذا المقام ثلاثا منها، بيانا لقيمتها في ذاتها، ولما يمكن ان تقوم به من دور في علاج المشكلات المعاصرة التي تؤرق الإنسان، واذا كانت مشاكل الانسان تنشأ في مجال علاقته بعالم الغيب، او في مجال علاقته بأخيه الإنسان، أو في مجال علاقته بالطبيعة، فإنني أنتخب قيمة من القيم الحضارية التي جاءت بها الدعوة المحمدية في كل مجال من هذه المجالات الثلاثة، وأبين كيف يمكن أن تكون حلا لما يعانيه الإنسان فيها من أزمات.

التوحيد في مجال الغيب

كل نبي قبل المصطفى ﷺ جاء يبشر بتوحيد الله تعالى في مجال ما يجب على الإنسان أن يتصور في حقيقة الوجود، ولكن أتباع هذه الاديان جميعا سوى بقايا من المتحنثين على خطى ابراهيم عليه السلام، قد انحرفوا عن التوحيد الى الوثنية والشرك، وكذلك كان اتباع كل الديانات والفلسفات الوضعية، فكان العالم حين البعثة المحمدية يمور بمعتقدات لا تؤمن بإله واحد حق الوحدانية، ثم تفرق بعد ذلك أشتاتا في مسالك الشرك والوثنية أو الإلحاد والدهرية.

وقد كان لهذا الوضع العقدي الذي يسود فيه الشرك تأثير بالغ على مجمل الحياة الفردية والجماعية، إذ وفر للاستبداد بأنواعه المختلفة مناخا مناسبا في المجالات السياسية والنفسية والاجتماعية، ذلك انه حينما تغيب العبودية لله الواحد يقع الانسان في عبوديات متعددة، فإما للمال واما للسلطان السياسي، واما للكهنة والقساوسة، واما لمظاهر الطبيعة احجارا واشجارا وبحارا، وذلك هو المشهد الذي كان سائدا عند البعثة المحمدية، سواء في الجزيرة العربية او في الامبراطوريات المحاذية لها شرقا وغربا، حتى اذا جاءت الدعوة المحمدية بالتوحيد كان قيمة حضارية عظمى انحلت بها المشاكل القديمة، وهي اليوم مازالت قادرة على ان تحل المشاكل الراهنة.

إن التوحيد الاسلامي في أبعاده المتعددة هو القيمة الحضارية الاولى التي انبثقت منها الحضارة الاسلامية في مجالاتها المختلفة، حتى انه ليمكن تسمية هذه الحضارة بحضارة التوحيد، لقد توحد بعقيدة التوحيد، وانخرط العقل والحواس والمشاعر في اتجاه التوحيد وانخرط العقل والحواس والمشاعر في اتجاه معرفي واحد يتكامل ولا يتناقض، وانخرط المجتمع في وحدة جامعة تتكامل فيها الطوائف والفئات ولا تتصارع، وانسلكت فيها العلوم والمعارف في سلك واحد لا يتعارض فيها عقل مع نقل، ولا مقتبس مع اصيل، وانطبعت فيها العمارة بطابع التوحيد في تخطيطها وهياكلها ومرافقها، وهكذا كان التوحيد قاضيا على التناقضات المهلكة بين مكونات الفرد في ذاتها، وبين مكونات المجتمع وطوائفه.

دور التوحيد في حل مشكلة التيه

إن العالم يعاني اليوم من مشاكل عدة نتيجة عدم تمسكه بقيمة التوحيد، ومن تلك المشاكل مشاكل نفسية تتمثل في فقدان الامن والطمأنينة، وفي شيوع اليأس وضعف الامل، ومشاكل اجتماعية تتمثل في التفرقة العنصرية ظاهرة ومستترة، وما يتبع ذلك من تنازع بين الطوائف والاعراق والجنسيات، كما تتمثل في شيوع الاستبداد بين الناس، فشهوات مادية مستبدة على الانسان تصادر حريته في التفكير، وحكام مستبدون على شعوبهم يسلبونهم حرية القرار، ودول مستبدة على أخرى تخضعها لارادتها، وتمنعها من تقرير

...مدية ودورها في علاج المشكلات المعاصرة

مصيرها بنفسها، ومشاكل اقتصادية تتمثل في اللهث المرهق من اجل الاستهلاك المادي اذ هو غاية الحياة التي ليست وراءها غاية، ومن كل هذه المشاكل تنشأ امراض الاكتئاب والقلق، وترتفع معدلات الانتحار وتعاطي المخدرات، وتنتشر في ارجاء العالم النزاعات والحروب، وتتعرض البيئة للدمار استنزافا لمقدراتها واخلالا بتوازنها.

والتوحيد كقيمة عقدية هو الكفيل بعلاج هذه المشاكل جميعا، وذلك اذا ما كان توحيدا خالصا في التصور، وفاعلا في السلوك، فإسلام الوجه للواحد الأحد من شأنه ان يوحد القوى المدركة في البحث عن الحق فلا تتضارب تلك القوى ويسفه بعضها بعضا، وان يوحد مشارب الانسان في البحث عن اشباع اشواقه بين ما هو مادي وما هو روحي، ومن شأنه ان يحرر العقول من كل عائق من عوائق الأهواء وسطوة السلاطين والكهنة والعادات السيئة، ويحرر الارادة من العبودية لأي كائن غير الله تعالى، ومن شأنه أن يجعل الناس سواسية كأسنان المشط، لا يتفاضلون بعرق أو بلون أو بخلقة، وأن يجعلهم يتكافؤون في أقدارهم بحسب طبيعتهم، وفي فرصهم لتحصيل المكاسب، ويكون ما يكسبون هو المعيار الوحيد للتفاضل بينهم.

ومن شأنه أن يفسح في النفوس الآمال التي تمتد الى ما بعد هذه الحياة، فإن فات فيها غُنم فان الغُنم الأكبر يكون في الحياة التي بعدها، فتشيع اذن في النفوس الطمأنينة والأمن، وتزول اسباب الاكتئاب والقلق والهروب من الحياة بالتخدير أو بالانتحار، فالله الواحد الأحد ينتظر عبده بالرحمة والغفران والجزاء.

وحدة الإنسانية

لم يكن الناس قبل الدعوة المحمدية يعرفون وحدة الإنسانية، وانما كانت التفاضل بين الناس بحسب الخلقة هو الثقافة العالمية السائدة، فالعقل الفلسفي اليوناني وقد كان يعتبر قمة النضج جاء يشرع للطبقية، ويجعل العبودية لازمة ضرورية من لوازم تلك الطبقية، والثقافة الهندية كانت تقوم على طبقية صارمة مبنية على تفاضلية في البيئة التي نشأ فيها الانسان، فلا يستطيع اي انسان نشأ في طبقة دنيا فكاكا من دونية تلك الطبقة التي وُلد فيها، وعرب الجاهلية كانوا يقرون العبودية ايضا، ويتعالون على بعضهم بالرفعة القبلية، وهكذا كانت كل ثقافات الشعوب قائمة على التمييز العنصري أو الطبقي، سواء كانت ثقافات فلسفية متطورة أو ثقافات بدائية.

أ- القيمة الحضارية لوحدة الإنسانية

لما جاءت الدعوة المحمدية صاحت في الناس صيحة مدوية بوحدة الإنسانية، معلنة ثورة على ما كان معهودا وسائدا من التمايز التفاضلي بين بني الإنسان، بحسب ما خلقوا عليه، وجاء في تلك الصيحة المدوية قوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات - ١٣) وقوله ﷺ: «يأيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»(البيهقي)، وقوله ﷺ: «الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب»(الترمذي)، انها قيمة عليا في النظر الى الإنسانية نظرة توحيد، تتساوى فيها الأعراق والألوان والأجناس في غير تمييز يستعلي به بعضها على بعض، وهي القيمة التي لم يكن للناس بها عهد، فهي من مبتكرات الدعوة المحمدية.

وبهذه القيمة العليا جاءت الدعوة المحمدية تؤسس مجتمعا بشريا جديدا يقوم على المساواة بين بني الإنسان بمقتضى معنى الإنسانية فيهم، وتطيح بأي تفاضل قائم على أي مقوم من مقومات الخلقة، مساواة في القيمة الذاتية، ومساواة في الميزان الذي يوزن به التفاضل ألا وهو ميزان ما يكسبه الإنسان من التقوى، ومساواة في التكليف بالواجبات وفي التمتع بالحقوق، فكل الناس في ذلك سواسية بمقتضى معنى الإنسانية فيهم، ومساواة تتكافأ بها الفرص في الحصول على المنافع دون اعتبار لوجاهة أو لقرابة أو لحسب أو نسب.

دور وحدة الإنسانية في علاج مشكلة التمييز

وإذا كان العالم اليوم يدعي أنه ارتقى الى المرتبة التي اصبح فيها محكوما بقيمة وحدة الإنسانية، فإنه بالرغم من المواثيق التي تنظر لذلك مازال بعيدا عن هذه المرتبة، من حيث التصور ومن حيث الواقع، إذ مازالت التفرقة بين بني الانسان تحكم التصور وتوجه الواقع، وان كانت تفرقة تتخذ أشكالاً جديدة غير معهودة في كثير من الأحيان، مع استصحاب اشكال اخرى قديمة مما هو معهود.

ومن هذا وذاك تنشأ مشاكل كثيرة تؤرق الحياة الفردية والجماعية، وتؤدي الى صراعات وقلاقل وحروب تطالعنا بها الأنباء صباحا ومساء.

وقد جاءت الدعوة المحمدية بمبدأ وحدة الانسانية مبدأ ثابتا لا يتغير، على مر الزمن،





اذ هو مستند الى مصدر ثابت لا يطاله تغيير وهو مصدر الوحي، ولذلك فإنه لا علاقة له بالتوازنات الفئوية والاجتماعية والدولية، وانما هو قيمة عليا لا ينقضها الزمن، ولا تكيفها المصالح الخاصة، انها قيمة دينية اخلاقية انسانية لا يمكن للعالم أن ينصلح امره، ولا يمكن ان يسوده العدل والسلام، ولا يمكن ان يتعافى من صراعاته الراهنة الا اذا اعتنق هذه القيمة كما جاء بها الإسلام .

الارتفاق البيئي

جاءت الدعوة المحمدية بقيمة حضارية عليا في شأن علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية، تكشف الايام يوما بعد يوم عن عظمتها ونجاعتها، وهي ما يمكن ان نسميه بقيمة «الارتفاق» البيئي، جمعا في هذا الاشتقاق بين مدلولين من مدلولات مادته هما: الانتفاع والرفق، فقد جاء في القرآن الكريم منهج متكامل للحفاظ على البيئة الطبيعية، ان تبقى كما خلقها الله تعالى صالحة للحياة، قابلة للاستثمار، وهو منهج يرتكز على أسس عقدية في تصور حقيقة البيئة منشأ ومصيرا، وفي تصور علاقة الانسان بها ودوره فيها، ثم يمتد الى احكام شرعية في ضبط المسالك العملية للتعامل معها تعاملا يبقى على صلاحها ولا يؤول فيها الى فساد.

المشكلة البيئية المعاصرة

ولكن الإنسان في هذا العصر سلك مع البيئة مسلكا مخالفا لذلك المنهج القرآني، ابتداء من التصور الفلسفي لها، وانتهاء بالتعامل السلوكي معها، فإذا هو يفسد فيها بما اصبحت به على وشك ان تمتنع عن العطاء، وهو ما ينذر بمصير اقتصادي مظلم، قد ينتهي الى نهاية الحياة، وليس من حل لهذه المشكلة الا بمراجعة واسعة لعلاقة الانسان بالبيئة في اتجاه ان تتأسس تلك العلاقة على اساس المنهج العقدي الذي جاء به الاسلام، فهو الكفيل وحده بأن يجنب البيئة هذا المصير المظلم.



وإذا كان الانسان منذ بعض العقود من الزمن بدأ يستشعر فداحة الأزمة البيئية المحدقة به، وبدأ يتحمل بعض مسؤوليته إزاءها، الا اننا نراه يهمل من ابعاد تلك المسؤولية البعد الاكبر منها، وهو البعد الثقافي فيها، فالمؤتمرات البيئية التي تعقد في هذا الشأن، والبحوث والدراسات التي تنجز بخصوصه، والجهود التي تبذل من أجله، وأوجه التعاون التي تقوم بين الناس في أمره، تتجه في اغلبها الى الابعاد القانونية والسياسية والتكنولوجية، ولا تولي الاهتمام بالبعد الثقافي الا قليلا مثل تلك الخلاصة التي انتهي اليها آل قور في كتابه «الأرض في الميزان»، والحال ان ذلك البعد المهمل هو اهم الابعاد في ازمة البيئة جميعا، وأحسب انه هو العنصر الأكبر المحدد للنجاح في تلافي هذه الأزمة أو الفشل فيه.

ان أزمة البيئة لم تنشأ أزمة على هذا النحو من الخطر المنذر بالدمار إلا بسبب ثقافي، وبالتالي فإن المسؤولية الثقافية هي التي ينبغي ان تكون السلاح الأكبر في مواجهتها.

حينما تغيب العبودية لله يقع الإنسان في عبوديات متعددة من مال وسلطان وطبيعة ... وذلك ما قضت عليه دعوة الإسلام

ولاشك ان الأزمة البيئية التي أصبحت اليوم معلومة المظاهر والأبعاد للقاصي والداني من الناس، هي أزمة وان عمت الأرض كلها، ومست بحرها الناس جميعا، فإنها في منشئها ومضاعفاتها ليست الا من صناعة الحضارة الغربية الحديثة التي انتجتها النهضة الأوروبية منذ بضعة قرون، ثم امتدت الى العالم الجديد، ثم كانت لها الغلبة بحلوها ومرها على العالم بأسره.

وإذا بدا في الظاهر أن هذه الازمة البيئية هي افراز للتقدم الصناعي والزراعي والعمراني العظيم الذي افرزته الحضارة الغربية، فوفر للانسان الوفاه المادي المشهود، فإن اسبابها الحقيقية تضرب بجذور عميقة في المرجعية الثقافية التي انشأت تلك الحضارة ووجهتها، حتى ألقت بها في أتون الأزمة البيئية الراهنة.

دور الارتقاء في علاج المشكلة البيئية

لقد عالجت تعاليم الدين الاسلامي موقف الانسان من البيئة الطبيعية فيما يمكن ان يؤول اليه هذا الموقف من تأزم بينه وبينها معالجة شاملة، تناولت المستوى الثقافي المرتبط بأصل العقيدة، والقانوني المرتبط بالأحكام الشرعية والأخلاقية، والإداري المرتبط بتنفيذ تلك الأحكام في الواقع.

وفي تعاليم الدين الإسلامي ان بين الانسان والطبيعة نسب أخوة، اذ هما جميعا من خلق الله تعالى، ومن المشمولين برعايته وتدبيره، وهو ما تفيده الاشارات القرآنية الكثيرة الى ان الانسان خلق من تراب وهو رمز الطبيعة كلها ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾(الحج -٥)، ﴿والله انبتكم من الأرض نباتا﴾(نوح -١٧)، وذلك من شأنه ان يولد في النفس ثقافة الأخوة بين الإنسان والطبيعة، تلك الثقافة التي تنتفي منها معاني العداء والصراع والمغالبة والعنف والتدمير، لتسود معاني المحبة والرأفة والمحافظة والصيانة، وذلك ما أشار اليه حديث نبوي قال فيه النبي ﷺ في جبل أحد لما كان مارا به: «أحد جبل يحبنا ونحبه».

وفي العقيدة الإسلامية صورت البيئة الطبيعية على مبدأ أن فيها الكفاية لحياة الانسان وضمان عيشه السعيد من دون نفاد، وليس على مبدأ الندرة كما هو المبدأ الغالب في ثقافة الاقتصاد الغربي، وذلك ما يتضمنه قوله تعالى في الحديث عن الأرض: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾(فصلت -١٠)، والطبيعة زيادة على تكوينها على مبدأ الكفاية فهي مسخرة للانسان اذ هي مخلوقة من اجله، ومهيأة لخدمته ونفعه، وهذا من شأنه أيضا أن يجعل علاقته علاقة ودّ وطمأنينة، لا علاقة حقد وخوف وصراع.

❖ دراسة مقدمة لمؤتمر «نحو نصرة دائمة» بدولة الكويت، نوفمبر ٢٠٠٨ (بتصرف)

البعد الحضاري للأمة المسلمة في دعوة نبي الرحمة

تعبر الحضارات الإنسانية على مر العصور عن إسهام لأمة من الأمم أو لشعب من الشعوب في صنع ذلك التراكم الهائل من الأفكار والثقافات والعادات والتقاليد، وكذا الانتاج المادي لتلك الأمم من صناعات ومخترعات واكتشافات أبدعتها يد الإنسان، انطلاقا من شعوره بدوره الإنساني تجاه العصر الذي يعيش فيه، وقد ارتبطت تلك الإسهامات بدوافع عدة كانت الحاجة مبتدأها، وتطورت مع تطور الحياة الإنسانية، وجاءت الأديان لتعطي ذلك بعداً نفسيا ومعنويا ومشروعية لذلك الفعل التراكمي، إلا أن ذلك الفعل الحضاري لم يكن حكرا على الأديان السماوية وحده، بل شاركتها الأديان الوضعية على مختلف العصور، فاسهام الصينيين والمصريين القدماء بل واسهام الهنود والفرس مرورا بالاغريق كان للدين دور مؤثر فيه الا انه لم يكن الدور الأساس في صنع تلك الحضارات بدليل أن تلك الحضارات كانت تقترب أو تبتعد عن الأديان في كثير من مراحلها التاريخية وفقا لموقف الأديان من الفعل الحضاري لتلك المرحلة، ولم يكن الدين وحده المؤصل للحضارة، بل شاركته افكار وفلسفات انسانية، ولذا لم يكن الدين في تلك المراحل هو المؤثر الوحيد أو المؤثر الأول في صناعة الحضارة، ولعل هذا الأمر يفسر حالة الاندثار أو التراجع للحضارات الانسانية السابقة التي لم يبق منها إلا آثارها أو أطلالها، ولف النسيان ذلك الفعل الحضاري بمجرد زوال المرحلة التاريخية أو الدافعية، وأصبحت تلك الحضارات تاريخاً أو جزءاً من التاريخ.



د. سعيد حارب - الامارات *

إن هذه المقدمة تنقلنا إلى تساؤل عن مدى تطبيق هذا المعيار على الحضارة الإسلامية، وهل هي أثر من آثاره أم شيء منفصل يتأثر بالدين؟، وبماذا تختلف الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات؟

إن الأمر يتطلب أن نحدد عدة منطلقات في إجابتنا عن هذا التساؤل، أولها فك الارتباط بين الإسلام بشموليته وبين الواقع الإسلامي، فالحضارة الإسلامية وإن كانت تنطلق من الإسلام إلا أنها لا تعني أنها الإسلام ذاته، بل هي الفعل الإنساني للمسلم، وهذا الفعل ينطلق من المبادئ والتصورات والرؤى التي يحملها المسلم، وتلك علاقة طردية بين فهمهم للإسلام وفعله لما يفهم، ولا يعني هذا بالضرورة الدخول في احكام شرعية بإيمان المسلم أو عدم ايمانه، وبتطبيق احكام الإسلام عليه من عدمها، لأن ذلك ليس مدار الفكرة، بل يحكم للمسلم بالإسلام متى نطق الشهادتين وعمل جهده على تطبيق احكام الإسلام وتعاليمه، لكن الفكرة تنطلق من مدى ما يطبقه المسلم ومدلول هذا التطبيق، ولعل من نافلة القول ان الإسلام دين (سنني) أي قائم على السنن والأسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى، وتلك السنن لا تختلف ولا تتخلف، فهي ما أخذ الانسان «المسلم» بها تحققت له النتائج السننية لها.

حضارة مستمرة

أما ثاني المنطلقات فهو ان الحضارة الإسلامية حضارة مستمرة لا تعرف الاندثار، قد تتراجع أو تقصر عن الفعل أو الاسهام في صناعة الحضارة الانسانية في فترة تاريخية محددة لكنها تملك مقومات النهوض بها لان القول بامكانية اندثار الحضارة الإسلامية انما يعني توقف الجانب الانساني في الفعل أو العطاء من الإسلام، اي في فعل المسلم لذاته أو عطاءه لغيره فاذا كانت الحضارة هي الوجه الانساني للإسلام فإن القول بامكانية اندثارها يعني القول باندثار هذا الجانب وتراجع الإسلام ليصبح ديناً «قوميا» أو مرحليا أو محدوداً على فئة من البشر، وتلك قضية مناقضة لجهود الإسلام الذي جاء «رحمة للعالمين» واستقر الأمر على حفظه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(الحجر – ٩).

الأمر الثالث هو المرجعية التي تستند عليها الحضارة الإسلامية، إذ أن مرجعيتها هي الإسلام ذاته من خلال مصادره الأصلية أو الفرعية، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المرجعية الثابتة والمستقرة للحضارة الإسلامية التي تمدها بالدفع والتحريك من خلال النصوص العامة ذات الدلالة التي ترتقي على البعد الزماني والمكاني وتستمر في عطائها الحضاري عبر وتيرة تاريخية ترتفع وتنخفض وفقاً للفعل الذي يقوم به المسلم أو الأمة الإسلامية ،مع ثبات في الأصل الدافع، وثبات كذلك في الحد الأدنى من هذا الفعل الذي يشكل الصفة اللازمة للأمة حين يقرر «إسلاميتها»، إذ تحدد الخصائص العامة للأمة تلك الصفة الملازمة لها، والتي تفرق بينها وبين الأمم الأخرى ذات الخصائص أو الصفات الملازمة لها كذلك، لكن الأمة المسلمة (الأداة الفاعلة للحضارة) لا تستمد تلك الصفة من (قوم) أو (أرض) أو (عطاء) وإنما تستمدها من الدين، وتلك علامة فارقة بينها وبين الأمم أو الحضارات الأخرى اذ لا توجد حضارة دينية بالمعنى الدقيق فليس هناك حضارة بوذية أو هندوسية أو مسيحية أو يهودية أو غيرها من الأديان، بل تستمد الحضارات صفتها من الأرض أو القوم.. كالحضارة الفارسية أو الهندية أو البيزنطية أو الإغريقية أو المصرية القديمة أو غيرها من تلك المسميات التي تعبر عن حضارات انتهت، كما ان اداتها المنفذة لها تستمد كذلك صفتها من الدين، فنقول الانسان (المسلم) أو الأمة (المسلمة)، بل ان من معاني لفظ الأمة: الدين ذاته كما يقول

الإسهام الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد هو المشاركة في صنع حضارة إنسانية معاصرة ... تحد من غلواء المادية

الطبري «لأن الأصل ان يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة فتقام الأمة مقام الدين».

ولـذا فـإن «الأمـة» بالمعنى الإسلامي هي انتماء ديني عقدي وليست انتماء عنصريا لجنس من الأجناس أو عرق من الأعراق. ومن ثم فقد قامت الأمة الإسلامية خلال التاريخ على جميع العناصر التي استجابت لرسالة الإسلام بغض النظر عن انتسابها لجنس من أجناس البشر، «وهذا» الانتماء الديني العقدي الذي قامت عليه الأمة في الإسلام لا ينفي الانتماء العرقي،

فإذا كانت الأمة «كأداة صانعة للحضارة» تعتمد في مرجعيتها على الإسلام ذاته بمصدره الثابت التي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه، ومصدرها الثاني الذي يلائم الزمان والمكان فإن ذلك يضيف ثباتاً أخر للحضارة الإسلامية، حيث إن مرجعيتها واداءها ثابتتان ومستمران، ولذا قد عاشت «الأمة» المسلمة خلال مراحل التاريخ المختلفة، وخرجت من سيرورة المآل الذي آلت إليه الحضارات السابقة فبقيت مستعصية على الزوال الذي أطاح بالحضارات السابقة إما لطول زمن، أو لاندثار آلة آو لغلبة الآخرين عليها.

أما المعيار الثاني فقوامة الرأفة والرحمة التي جعلها الله سبحانه وتعالى للناس كافة، وقد جمع بين الرأفة التي هي أشد من الرحمة - كما يقول عمر بن العلاء - للتأكيد على أن الناس جميعاً محتاجون إلى رحمة الله ورأفته»، ويؤكد هذا الفهم الحضاري للرأفة والرحمة قول النبي ﷺ في الصحيح عندما رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فجعلت كلما وجدت صبياً من السبي أخذته فألصقته بصدرها وهي تدور على ولدها فلما وجدته ضمته إليها وألقمته ثديها فقال رسول الله ﷺ «أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»(رواه البخاري)، ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية حين تتميز بهذا الوصف أي بالرأفة والرحمة باعتبارها تمثل الأمر الألهي تطبيقا وتحقيقا فإنها تحمل في مضمونها معنى الشهود الحضاري، خاصة وانها قد تيسرت لها إمكانية القيام بهذا الدور من خلال المعيار الثالث الذي اتصفت به لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾(آل عمران - ١١٠).

عالم الغد

ولعل من الإسهام الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد هو المشاركة في صنع حضارة إنسانية معاصرة، فقد تعالت الصيحات الإنسانية محذرة من مآل البشرية في عالم يموج بالماديات وتتراجع فيه الروحيات يوماً بعد يوم، مما ينعكس على حياة الإنسان ذاته، لقد تحدث الدكتور «ليبولد مينون» أستاذ التربية الأميركي قائلا «لقد حققنا خلال العقود الثلاثة الماضية للبشرية ما لم تحققه خلال ثلاثة قرون، فغزونا الفضاء وفجرنا الذرة واجتزنا المسافات، كل ذلك من أجل الانسان، لكننا اكتشفنا بعد ذلك أننا نسينا الإنسان ذاته»، ولذا فلا يمكن تصور وجود حضارة معاصرة، اللهم إلا إذا اعتبرنا الإنجاز المادي الذي حققته البشرية «تجاوزاً» إنجازاً حضارياً، إذ الحضارة لا تتشكل من جناح واحد ولا تطير إلا بجناحين، جناح العلم، وجناح الروح، وهما جناحان متوزعان في عالم اليوم، فمن يملك العلوم والمعارف لا يملك الروح والقيم والفضائل إلا قليلاً، ومثل ذلك القليل من العلم الذي يملكه من يملك جناح الروح والقيم والفضائل، فلم يحقق أي من الطرفين حضارة متكاملة بالمعنى الدقيق للحضارة، ولذا فان الامة المسلمة تملك الاصل الثابت للحضارة وهو جانبها الروحي، لكنها تفتقد إلى الجانب العلمي المادي، وحين تعجز عن صنع حضارة خاصة بها فلا أقل من المشاركة مع الآخرين في صنع تلك الحضارة والعمل على ايجاد حضارة إنسانية معاصرة ومتوازنه، إن الرجوع إلى ماضي الأمة الإسلامية والاستشهاد بنموذجها الرائع حين أبدعت إنتاجا علمياً حضارياً عظيماً لا يكفي وحده لبناء حضارة جديدة فما فعله علي بن يونس والبيروني والمجريطي وعمر بن خلدون وابن رشد والخوارزمي ومحد بن أحمد مخترع الصفر - وابن الهيثم وجابر بن حيان وأبوبكر الرازي وابن سيناء وابن زهر وأبو القاسم بن عباس وغيرهم من علماء الإسلام الذين برعوا في المعارف والعلوم ووضعوا أسساً لحضارة استمد الغرب منها قواعده ليبني عليها مدنتيه - كل أولئك - تركوا تراثاً عظيماً توقف عن النماء حين تخلى المسلمون عن دورهم الحضاري ولايمكن ان يعود ذلك التراث بل لابد من بناء جديد يقوم على معطيات وحاجيات جديدة، ولن يتحقق ذلك الا من خلال التفعيل الروحي أولاً باعتبار ذلك أساساً.

والإسلام يرفض فكرة الحرب لذاتها، ويجعل الحرب والجهاد وسائل لأهداف عليا مختلفة، ويجعل السلام فضيلة يسعى لها بخاصة اذا كان في السلام نصرة المظلوم وحفظ حقوق الناس من حرية المعتقد والتملك وغيرها من الحريات الفردية والجماعية.

فنصرة المظلوم وحماية الناس من الظلم هدف يسعى له الإسلام، ولذا نجد رسول الله ﷺ يشارك - قبل البعثة - في حلف التقت عليه قريش من أجل نصرة المظلوم، فقد ذكر ابن هشام أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده، بنو هاشم وبنو المطلب، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا

معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمته قريش بذلك حلف الفضول (٣).

وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ، وأقره بإعطاء الشرعية له بعد البعثة حين قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه ابن اسحاق قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعي به في الإسلام لأجبت» (٤).

وبذلك وضع رسول الله ﷺ الأسس الأولى للتعاون بين المسلمين وغيرهم لنصرة المظلوم ورد العدوان، وهذا لب ما تقوم عليه دعوة السلام العالمي في الإسلام.

ويقر الإسلام القانون العالمي فيما يتفق مع الشريعة الإسلامية، وتلتزم الأمة المسلمة بما يتفق عليه المجتمع الدولي من معاهدات واتفاقيات لحفظ السلام العالمي، وتحترم هذه الاتفاقيات من أجل أن تعيش البشرية في سلام وأمن دائم «ولن يقوم السلام بين دول العالم المختلفة إلا اذا احترمت كل دولة كلمتها ووفت بعهدا ومواثيقها».

ولعل من الإسهام الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد هو مشاركتها في صنع التقدم المادي الذي يلف العالم المعاصر إذ أن حالة التخلف المادي الذي تعيشه الأمة المسلمة مدعاة لاستنهاض الطاقات والامكانات من أجل تلك المشاركة، تحقيقا لمتطلبات التنمية الشاملة التي يحتاجها المسلمون وقياماً بالدور المنوط بهذه الأمة باعتبارها أمة ذات رسالة تحمل في احد جوانبها الروحانية للإنسان بينما تحمل في الجانب الآخر حاجته المادية، وتحقيقا كذلك لواقعية الحضارة الإسلامية في تعاملها مع المراحل الزمنية التي تمر بها.



علماً بأن الأمة المسلمة تملك من الإمكانيات المادية والبشرية ما يؤهلها للقيام بهذا الدور المنشود، فمواردها الطبيعية مهيأة للاستغلال متى ما توفرت لها الأمور اللازمة والإمكانات العلمية والتقنية والأيدي الماهرة المدربة.

واليوم والأمة المسلمة تقف على أعتاب مرحلة تاريخية مهمة، تراقب الأمم الأخرى وهي ترقي إلى مراقي الصعود المدني والحضاري، لا يسعها أن تقف هذا الموقف، لأنه لا يناسب طبيعتها ودورها ورسالتها، بل هي في حاجة لعمل حضاري يعيدها لذاتها ويعيد ذاتيتها إليها، وذلك العمل لا يمكن أن يتم من خلال جهود محدودة ترتفع تارة لتخبوا تارة أخرى، لأن فعلا كهذا يحتاج إلى تضافر الجهود.

فالحضارة الإسلامية إنما نشأت من التعبئة الجماعية التي عبأت بها عقيدة التوحيد جموعاً من الناس كانت شتاتاً في الجزيرة العربية وفي خارجها، فإذا هم ينفرون بالعقيدة الجيدة في أمة موحدة ليصنعوا حضارة مشهودة، ولولا ذلك النفير الجماعي الذي أحدثه فيهم التوحيد ما نشأت تلك الحضارة، فقد بقي البدو في الجزيرة العربية زمناً طويلاً يعوقهم التشتت عن الإنشاء الحضاري، إذ لم يكن يحشد قوى الفرد فيهم غاية عليا للحياة، ولم يكن يجمع الأفراد هدف مشترك يعبئ فيهم الإرادة الجماعية لينطلقوا في نفير جماعي لإنشاء التحضر، فقد كان واضحاً إذن أن الاندفاع الجماعي كان عاملاً أساسياً في انشاء الحضارة الإسلامية.

إن الأمة الإسلامية اليوم تتوفر على قدر من الاعتقاد الصحيح، كما أنها تتوفر على قدر من الفكر السديد، وذلك ما يبدو جزء منه في القاعدة العريضة من الناس متمثلاً في استصحاب قدر من التدين بالإسلام، والتثقف بثقافته، ويبدو بصفة جلية متقدمة في سلم الكمال عند الكثير من الأفراد والدول، ولكن هذا القدر الذي تتوفر عليه الأمة من ذلك لا يقابله قدر من التقدم في العمل الحضاري، بحيث يصح القول إن أداء الأمة في التعمير يقل بكثير عن حظوظها من الفكر والتدين، بل حظوظها من الإمكانات المتاحة وبين مقدار الأداء وتعمير الأرض؟

نحسب أن السبب الأساسي في ذلك هو أن الأمة لا تعيش حالة من إرادة التحضر من شأنها أن تدفع بها إلى الإنجاز، فتوظف ما بين أيديها من الإمكانات المعنوية والمادية في حركة البناء، وبتعبير آخر فإن السبب الأساسي في ذلك هو عدم حصول حالة النفير الحضاري التي تهب فيها الأمة هبة جماعية لتنطلق من إمكاناتها مهما تكن متواضعة في حركة بناء تنمو فيها تلك الإمكانات ذاتها، وتفضي إلى إنجاز على طريق التحضر، ففي خضم حركة النفير تتولد القدرات والامكانات، ويتم تفعيلها في الترقية المادية والمعنوية، ولكن في غياب النفير قد تظل القدرات والإمكانات - وان كانت متوفرة - ركاماً لا يثمر شيئاً في سلم الترقي (٨).

إن النفير الحضاري هو بداية البداية لعمل حضاري تسهم به الأمة المسلمة في عالم الغد حتى تحقق الدور الحضاري الجديد أو تجدد القديم منه بروح تتعامل مع حقائق الإسلام بواقع العصر.

❖ دراسة مقدمة لمؤتمر «نحو نصرة دائمة» بدولة الكويت (بتصرف)

المراجع

١- تفسير المنار - رشيد رضا - ج٢.
٢- السيرة النبوية - ابن هشام ج١ ص ٢٢٢١.
٣- المصدر السابق.
٤- عوامل الشهود الحضاري - د. عبدالمجيد النجار - دار الغرب الإسلامي - بيروت.

رئيس المنظمة العالمية للنصرة د.عادل الشدي لـ «الوعي الإسلامي»:

نسعى لنكون همزة الوصل مع العالم للذود عن الرسول ﷺ



حوار: رضا عبدالودود

الذود عن رسول الله ﷺ شرف عظيم، لا يناله إلا من وفقه الله للخير، ومع تتابع الإساءات لرسولنا الكريم من الغربيين وأعداء الإسلام كان لزاما على المؤسسات الإسلامية الانتقال بالدفاع عن الحبيب المصطفى من ردود الأفعال إلى العمل المؤسسي المنظم الكاشف للشبهات والداعم للتقارب والتعرف على حقيقة الإسلام ورسوله.

وفي هذا الإطار جاء قرار رابطة العالم الإسلامي بتشكيل «المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته» ليدعم هذا التوجه..

«الوعي الإسلامي» حاولت التعرف عن قرب على تلك التجربة وآفاقها المستقبلية من خلال التحاور مع الأمين العام للمركز د.عادل الشدي، الذي التقيناه على هامش فعاليات زيارته لدولة الكويت أخيرا.. واليكم نص الحوار:

■ **غالبا ما تواجه حملات الدفاع عن الحبيب المصطفى ﷺ بعض حملات التشويه والتشويش، ومن ثم عدم الفعالية ويبقى المسلمون كأنهم يتحدثون مع أنفسهم.. فكيف ترى هذه الإشكالية؟**

- في البداية لا بد من تأكيد مجموعة حقائق، منها أن التعريف بخاتم الأنبياء ونصرته شرف يوفق الله له من شاء، ومتابعة النبي ﷺ في كل ما أمر ونهي هي النصرة الحقيقية، وأن الجهود المؤسسية في نصرة خاتم الأنبياء والتعريف به هي الأبقى والأجدر بالعناية، أما ردات الفعل المؤقتة وإن كانت مهمة في وقتها إلا أنها سرعان ما تضمحل، ورغم الحملات والجهود المبذولة في الفترة الأخيرة، فإننا ما زلنا بحاجة ماسة للمبادرة بالتعريف بخاتم الأنبياء ورسالته و نشر هديه في العالمين.

■ **ما أهم الأهداف الإستراتيجية التي يسعى المركز لإنجازها؟**

- نهدف الى تعريف غير المسلمين بالرسول ﷺ، وتصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة عن الرسول ﷺ، وتفنيد الادعاءات الباطلة والحملات التي تستهدف تشويه صورة الرسول ﷺ، وإبراز سنة الرسول ﷺ وسيرته ومآثره وخلقه وهديه ومنهاجه في حل مشكلات البشرية، والتنسيق بين الجهود الكريمة المبذولة في هذا المجال محليا ودوليا.

وسائل وآليات

■ **ما أهم الوسائل التي تعتمدون عليها في إنجاز أهداف المركز؟**

- نعمل على عدة مسارات، أهمها:

الجهود المؤسسية في نصرة خاتم الأنبياء والتعريف به هي الأبقى والأجدر بالعناية

تأليف الكتب والنشرات لمخاطبة غير المسلمين وتعريفهم بالرسول ﷺ، ورصد الحملات التي تستهدف شخص الرسول ﷺ ومواجهتها بالوسائل المشروعة، وإنشاء موقع على شبكة الإنترنت باللغات العالمية الرئيسية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، وإبطال الإدعاءات والتشويهات التي تستهدف شخصه الكريم، وتنظيم مسابقات للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، وإنتاج البرامج الإعلامية التي تساهم في تحقيق أهداف المركز ونشرها في وسائل الإعلام المختلفة.

على أرض الواقع

■ **وكيف تقيمون تلك الوسائل على أرض الواقع؟**

- تتواصل جهود القائمين على المركز لتفعيل عمل المركز وتحقيق أهدافه ورؤاه الإستراتيجية من خلال آليات عدة، منها استكتاب العلماء للرد على أي مغالطات تستهدف الرسول ﷺ في وسائل الإعلام، وتشجيع الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تصب في دائرة اهتمام المركز، وإيفاد الوفود واستقبالهم لمناقشة القضايا المتعلقة بالرسول ﷺ ونصرته، وتنظيم الندوات والمؤتمرات والدورات والمعارض في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية والمشاركة في الندوات والمؤتمرات والمعارض للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، واتخاذ الخطوات العملية المناسبة الأخرى في أي وقت أو مكان لإنجاز أهداف المركز بالطرق المشروعة.

لجان وانجازات

■ **وكيف تسيّرون تلك الأعمال التفاعلية التي تحتاج إلى نظام إداري فاعل لضمان تحقيق الأهداف المرجوة؟**

- يقوم النظام الداخلي للمركز على ثمان لجان رئيسية لإدارة المركز ومتابعة أعماله، هي:

١- لجنة المؤتمرات والدورات والوفود.
٢- لجنة المسابقة العالمية للتعريف بنبي الرحمة.
٣- لجنة البرامج الإعلامية
٥- لجنة الكتب والترجمة
٦- لجنة الموقع العالمي على شبكة الإنترنت
٧- لجنة الدراسات وتقنية المعلومات
٨- لجنة تنمية الموارد المالية والبشرية

انجازات

■ **وماذا حققت تلك اللجان في الفترة الماضية في مسيرة الدفاع عن النبي ﷺ؟**

من الإنجازات التي حققتها «لجنة المؤتمرات والدورات والوفود»

تنظيم المؤتمر العالمي الأول بعنوان «أثر معرفة النبي ﷺ على العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي» في لندن، وتنظيم سبع دورات لأفضل الوسائل التعريفية بالنبي ﷺ في بريطانيا والسويد والهند وفي جنوب إفريقيا، والمشاركة في الملتقى السنوي للاتحاد الإسلامي بالنمسا، وتنظيم مسابقة لأفضل مقال وأفضل مقطع قصير (فلاش) يعرف بنبي الرحمة، والمشاركة ضمن الوفد السعودي إلى الدنمرك للتباحث حول العوائق وفرص تطوير العلاقات المشتركة وعقد ندوة موسعة حول ذلك.

أما «لجنة المؤتمرات والدورات والوفود» فأعدت ونفذت الدورة العالمية للتعريف بنبي الرحمة (سيرته - هديه - أخلاقه) وأثر ذلك في معالجة مشكلات الواقع بست لغات عالمية، بجانب مشروع «ندوات النخبة للتعريف بنبي الرحمة» وهي لقاءات متخصصة مع سياسيين وإعلاميين ورجال أعمال بارزين في الغرب. كما نفذت اللجنة مشروع دورات متخصصة لأفضل وسائل التعريف بنبي الرحمة في أوروبا وآسيا، وهي موجهة لأئمة المساجد ومسؤولي الجمعيات والمراكز الإسلامية.

ومن إنجازات «لجنة المعارض»، إقامة معرض عالمي للتعريف بنبي الرحمة في لندن بالتزامن مع الملتقى السنوي الذي تقيمه قناة Islam Channel، وإقامة معرض مصاحب لمؤتمر نصرة نبي الأمة الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

بجانب نحو٥٠ معرضا من المعارض الصغيرة المتنقلة للتعريف بنبي الرحمة في الجامعات والمدارس واللقاءات والاجتماعات، وإقامة المعرض الأول لوسائل التعريف بنبي الرحمة في المدينة المنورة، والمعرض الثاني لوسائل التعريف بنبي الرحمة في القاهرة.

كما أنجزت «لجنة البرامج الإعلامية» عددا من المشروعات، أهمها: المشاركة في إنتاج مقطع تصويري إعلامي قصير بعنوان «أنا مريم» باللغات العربية والإنجليزية والألمانية والتركية، بالتعاون مع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء، وبثه مراراً في مجموعة من القنوات مثل (الهدى . الإسلام . الرسالة) وإنتاج عشر حلقات حوارية تلفزيونية بعنوان «نبي الرحمة» حول تأثير شخصية الرسول ﷺ على بعض من أسلموا حديثاً في أوروبا (باللغتين الألمانية والإنجليزية)، وإنتاج عشرين حلقة من برنامج المدائح النبوية للشيخ صالح المغامسي وبثها على قناة اقرأ، وتقديم ٣٠ حلقة من برنامج مع الرسول ﷺ مع مسابقات يومية للشيخ محمد حسان على قناة الناس، والمشاركة

الجهاد الإعلامي ضرورة العصر لتوضيح صورتنا المشوشة لدى الآخر

لا نريد أن نتحدث مع أنفسنا فقط.. فالعالم ينتظر المسلمين

في تقديم ٣٠ حلقة في برنامج المسابقات «انصر نبيك» د.أيمن عبد الكريم على قناة الرسالة الفضائية، بجانب إنتاج (٢٠) حلقة من برنامج نبي الرحمة (للأطفال) على قناة المجد الفضائية مع مسابقة وجوائز يومية، وتقديم برنامج أسبوعي في السيرة النبوية باللغة الإنجليزية للدكتور ياسر قاضي على قناة (إيجمن تي في) الأوروبية، ونشر خطاب مفتوح باللغة الدنمركية في اثنتي عشرة صحيفة دنمركية يوم ٢٠٠٨/٣/٢٥م بعنوان «هل حرية التعبير بلا حدود... خطاب مفتوح للشعب الدنمركي».

لجنة الكتب والترجمة

ونجحت «لجنة الكتب والترجمة» في تأليف وترجمة وطباعة ونشر وتوزيع ما يزيد عن مليون نسخة من اثني عشر كتاباً باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والصينية والإندونيسية والبنغالية في أوروبا وأميركا الجنوبية والصين وإفريقيا. بجانب توزيع ما يزيد عن (٣٥٠٠) حقيبة تعريفية للتعريف بالنبي (تشمل مجموعة من إصدارات البرنامج باللغات الإنجليزية والعربية، ومشروع هدية زائر المسجد النبوي ﷺ ومشروع «رسالة التعريف بنبي الرحمة» رسائل بريدية تستهدف (١٥,٠٠٠) جهة مهمة بالتعاون مع مكاتب رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي في العالم، ومشروع تيسير السيرة النبوية للناشئة في الغرب.

على صعيد آخر تستهدف لجنة الكتب والترجمة إنجاز عدة مشروعات أهمها؛ تأليف وترجمة وطباعة وتوزيع الموسوعة الشاملة للتعريف بنبي الرحمة، ومشروع هدية زائر المسجد النبوي، ومشروع «هل عرفت حقيقته؟» كتاب يعرف غير المسلمين بالنبي ﷺ، ومشروع سلسلة رسائل للأطفال والناشئة للتعريف بنبي الرحمة.

وفي سياق الانجازات التي حققتها منظمة النصرة العالمية، نجحت «لجنة المسابقة العالمية» في تنظيم الدورة الأولى من مسابقة السيد حسن عباس شربتلي لنصرة نبي الرحمة، تحت عنوان «مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ»، وكذا إقامة حفل المسابقة العالمية برعاية صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة.

وأنجزت «لجنة الموقع العالمي على شبكة الإنترنت» بناء و تصميم و تشغيل أول موقع موسوعي شامل عن نبي الرحمة ﷺ باللغة الإنجليزية:-www. prophet-of-mercy.com)) كمرجع لكل من أراد الاستزادة من سيرة النبي ﷺ سواء من المسلمين أو غيرهم. وقد نشر الموقع نحو (٩٠٠) مقالة تعرف بالنبي ﷺ باللغتين العربية والإنجليزية لزوار الموقع.

أما «لجنة الدراسات وتقنية المعلومات» فقد نجحت في إطلاق أول جوال للتعريف بنبي الرحمة في العالم بالتعاون مع شركة الاتصالات السعودية ومؤسسة أصداء الدعوة، يحمل الرقم (٨٤٥٥٥) وقد قام حتى الآن بإرسال أكثر من اثني عشر مليون رسالة، وتنفيذ تطبيق من الهدي النبوي في الحج وإتاحته مجانا لجميع عملاء شركة الاتصالات خلال موسم حج عام ١٤٢٨هـ بالتعاون مع مؤسسة أصداء الدعوة، ومشروع التطبيقات الإلكترونية للتعريف بالهدي النبوي على أجهزة الجوال، ومشروع المسجل الرقمي التعريفي (نبي الرحمة) الموجه للناشئة والفتيان باللغة الإنجليزية.

ومما ساعد في تحقيق تلك الانجازات «لجنة تنمية الموارد المالية والبشرية»، وهي بمنزلة المحرك الرئيس لأنشطة المركز، من خلال إطلاق صندوق إسلامي عالمي لنصرة الرسول ﷺ والتعريف به في رابطة العالم الإسلامي، وتنفيذ أكثر من (٢٦) مشروعاً للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، بجانب عقد أكثر من (١٥) لقاءاً تعريفياً بالبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ونشاطاته مع نخبة من رجال الأعمال في الغرف التجارية، وتدشين خدمة جوال التعريف بنبي الرحمة ﷺ بأربع قنوات رسائل ووسائط وتفاعلية باشتراك شهري.

ولتطوير وتنفيذ تطلعات المنظمة تستهدف لجنة الموارد البشرية والمالية إقامة وقف ثابت لنصرة الرسول ﷺ والتعريف به يدر على المركز دخلاً يضمن استمرار أنشطته، وإقامة مقر دائم للمركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته، وإطلاق مشروع «بطاقات العضوية الشرفية» باشتراك سنوي.



ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية

مع تطورات العصر بدت الحاجة لإعادة كتابة السيرة النبوية بطريقة قويمة تراعي الشمول في غير تطويل حتى تناسب حاجات العصر وأحوال أهله، وهذا يستلزم عددا من الضوابط المنهجية أهمها دخول الأخبار تحت دائرة القبول.
والمتعرض لإعادة كتابة سيرة رسول الله ﷺ إنما يتصدى لأمر عظيم، كثرت أخباره، واتسعت تفاصيله، وتفرقت في الكتب الكثيرة، وبعضها قد ورد بسند، وبعضها الآخر دون سند، وبعضها قد جاء صحيح الإسناد، وبعضها الآخر قد ضعف إسناده أو وهى وسقط، فكيف تورد تلك الأخبار؟



د. محمد الشريف- السعودية

إن علماء الإسلام ومؤرخيه في ذلك على طرفين ووسط، فقسم أورد كل شيء، ولم يقنع إلا أن يأتي بكل ما وقف عليه من السيرة غير آبه بدرجته من الصحة أو الضعف أو الوضع، وهؤلاء كلهم من القدامى، فلا أعرف أحداً من المعاصرين سلك هذه السبيل.

وقسم آخر من العلماء شدد وأبى إلا أن يأخذ بمناهج المحدثين في التصحيح والتضعيف، ورفض الأخبار التي عليها مخايل الضعف، وجّل هولاء بل ربما كلهم من المحدثين.

وقسم آخر توسط فأخذ من السيرة جل أخبارها، ونقد ما يراه من ضعف أو نكارة أو وضع.

- أما القسم الأول فلا يعول على ما يورده من الأخبار الموضوعة أو شديدة الضعف أو الغريبة المنكرة، وإنما يؤخذ منه ما وافقه عليه الجمهور من رواة السيرة، إذ ان القارئ يقرأ في تلك الكتب غرائب وعجائب لا تليق بسيرة سيد المرسلين ﷺ، وربما كان مثل هذا الخلط هو الباعث على الصيحة التي صاحها المنادون بوجوب كتابة السيرة على قواعد المحدثين.

- وأما القسم الذي شدد في قبول الأخبار، ولم يقبل منها إلا ما صح على وفق منهج المحدثين فأرى أنه لم يسلم من الشطط، فقد أسقط بهذا من السيرة أحداثا تفصيلية مهمة بدعوى أنها لم تثبت ثبوت الأخبار الحديثية، وإليكم هذا النص الموضح لما ذهب إليه أهل هذه المدرسة:

إن كتب المغازي والسير تشتمل على الروايات الضعيفة والموضوعة، ولكنك تجد لكل رواية إسنادا، والواجب على الباحث أن يحقق هذه الأسانيد ويختار الصحيح منها.

وأقول: إن الباحث إن صنع هذا فسيترك تفصيلات مهمة يحتاج إليها الجيل لكنها لم تثبت بسند صحيح ولا ضير في إيرادها، وقد رأينا من كتب في السيرة النبوية الصحيحة فأسقط عدداً من الروايات بدعوى ضعفها وهي مفيدة في إظهار النص وتبيينه أو تكميله، ينبغي الانتباه الى أن الانتقاء عندما يتم وفق قواعد صارمة فإنه يدع مجالا لتلتف العديد من النصوص التاريخية التي يمكن التعامل معها وفق معايير أقل صرامة، ومن ثم فإن قراءة نصوص الواقدي وفق منهج النقد التاريخي تتيح الفرصة لإضافات أخرى لمادة السيرة، وهذا ينطبق على الروايات التي أوردها ابن اسحاق بدون إسناد.. إن هؤلاء الرجال المتخصصين في فن السيرة قد عوملوا قبل النقاد القدامى بتساهل كبير بغية الافادة من رصيدهم التاريخي الهائل.

«والمطلوب اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها، ثم الحسنة، ثم ما يعتضد من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام، أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الافادة منها في اكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على ألا تتعلق بجانب عقدي، كبذلهم أو شجاعتهم وتضحيتهم فلا بأس من التساهل فيها.

- هذا وليعلم أن من شدد في عدم قبول رواية من الروايات إلا أن تكون صحيحة واشترط هذا في كتابه الذي صنفه، وجدته لا ينفك من إيراد بعض الضعيف ليكمل به النقص والفجوات التي لا تكملها الروايات الصحيحة، وهذا- عندي- مقبول، وبه يقترب أهل هذا القسم ممن صنف في القسم الثالث، فصارت القسمة على الحقيقة ثنائية:

قسم تساهل، وقسم أخذ بالصحيح إلا إذا لم يجد غير الضعيف، على التفصيل الذي ذكرته، والله أعلم.

- وأما القسم الذي توسط فهو الذي إليه أميل وعليه أعول، وأرى أنه حافظ على رونق السيرة وجمالها من دون إفراط ولا تفريط، وأتى بالأخبار التي رواها جل الشيوخ الأوائل الذين جمعوا سيرة المصطفى ﷺ.

وأرى -والله أعلم - أن ضوابط ايراد أخبار السيرة في هذا القسم - قسم دخول الأخبار تحت دائرة القبول- هي التالي:

١- ما كان فيها من أخبار تتعلق بالعقائد، أو الفتن، زو الحكم على الأشخاص بالنفاق أو الكفر، أو الاخبار بالمغيبات فهذا لابد من أن يثبت بسند صحيح أو حسن لذاته أو لغيره، حسب التفصيل الوارد في كتب دراسة الأسانيد، ولا يقبل في هذا القسم الأخبار الضعيفة.

٢- ما كان فيها من أخبار متعلقة بالكمالات النفسية،





والمجاهدات، والرقائق، وأخبار الزهد، والشجاعة، والبطولات، وغير ذلك مما لا تعلق له بالقسم الأول، فإنه يقبل بالضوابط التالية:

أ- أن تكون واردة في كتب السيرة الأصلية وليست الفرعية، ومن تلك الكتب الأصلية سيرة ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام، وابن سعد ونحوهم ممن جمعوا أخبار السير عن أشياخهم الذين كانوا بين صحابي وتابعي.

ب- ألا تكون مما يفحش ذكره، ويسوء إيراده.

جـ - ألا تكون من الإسرائيليات، فهذه لها حكم خاص بها.

د- ألا تكون خارجة عن القواعد العامة للشريعة الإسلامية ومقاصدها العلية.

ثم إن هذه الأخبار قد ترد بإسناد ضعيف وقد ترد من دون اسناد، وهذا لا ضير فيه- عندي- إن اندرجت تحت ما ذكرته آنفا، وذلك لأن وجود هذه الأخبار في تلك السير الأصيلة الأولى باعث على الاطمئنان على أن لها أصلاً، وذلك لأسباب:

١- اشتهار تلك الأخبار بين السلف الأوائل في القرن الأول والثاني، وابن اسحاق- على سبيل المثال- صاحب السيرة المشتهرة إنما هو منهم، وقد رأى بعض الصحابة، وهو مدني وأشياخه مدنيون كانوا قد ورثوا أخبار السيرة واشتهرت بينهم فلا يضر ورودها بإسناد ضعيف أو من دون إسناد.



بل ان الواقدي الذي هو مجمع على تركه يقول فيه الحافظ ابن حجر:

«والواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولا غيره من أهل المغازي فهو مقبول عند أصحابنا».

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى:«لا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم.. وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ وتورد آثاره من غير احتجاج».

ومعنى هذا أن الواقدي إن جاء ببعض التفصيلات التي لا توجد عند غيره، وليست هي داخلة في باب العقيدة والشريعة وما شابههما فلا بأس بإيراده مع علمنا أنه ضعيف متروك، وهذا حتى لا تضيع تلك التفصيلات ذات الفائدة.

٢- إن علماء السلف - رحمهم الله تعالى- قد قبلوا تلك السير من غير نكير أعلمه، وارتضوها بل رواها كثير منهم وتداولوها، ولو أنهم توقفوا في صحتها أو شكروا في نكارة بعض أخبارها لذكروه فشيء قد قبله السلف والتفوا حوله، ورووه وارتضوه أفنأتي نحن المتأخرين لنحذفه بدعوى أنه ورد بإسناد ضعيف أو بدون إسناد؟! إنما ينبغي أن نتشدد في الأخبار الواردة في الفتن والأحكام والعقائد ونحوها، أما أخبار البطولات والرقائق (الكماليات) فما وجه التشدد فيها إذا كانت واردة على الوجه الذي ذكرته آنفا؟!

عدم التصرف في نصوص السيرة بحكم العقل المجرد عن النص

إن السيرة النبوية الشريفة المعطرة إنما تؤخذ من مصادر محددة معروفة معلومة، أوجزها في الآتي:

١- القرآن الكريم.

٢- كتب الحديث الشريف.

٣- رواة السيرة العطرة الذين شافهوا الصحابة وكبار التابعين، ثم سطروا ذلك في كتب صارت هي المصادر الأصلية للسيرة النبوية الشريفة، وهناك كتب أخرى كثيرة تعد مصادر فرعية للسيرة باعتبار رواية الحادثة لأنها رجعت إلى هذه المصادر الأصيلة.

وهذه المصادر للسيرة النبوية تنقسم أخبارها إلى قسمين:

أ- قسم متواتر أو صحيح، فالمتواتر ما جاء في كتاب الله تعالى وما ثبت بالتواتر من الأحاديث، والصحيح ما ثبت على شروط المحدثين وضوابطهم المعروفة.

ب- وقسم افتقد الصحة وبقي في دائرة الضعف.

أما القسم الأول فلا يسوغ إنكاره أو رده، أو التعسف في تأويله تعسفا يفضي إلى أن



يكون كأخي الرد، ولا يسوغ تحكيم العقل فيه، فما قبله قبل وما لم يقبله هتك ورمي به عرض الحائط، فهذا منهج سقيم، فإنه لا يعلم أن خبراً صحيحاً صادم عقلا صحيحا، وإنما يخطئ من يخطئ في فهم دلالة النص، أو الجمع بينه وبين قواعد الشريعة، أو الجمع بينه وبين مفهوم العقول، وسيأتي مزيد بيان لهذا الأمر.

أما القسم الآخر فإن رده راد فلا حرج عليه، لكن قد ذكرت آنفا بعض القواعد في قبول أخبار هذا القسم.

عدم الجنوح إلى التبرير والاعتذار بدون داع في سوق أخبار السيرة

إن هناك عقدة مستحكمة عند بعض من كتب في التاريخ الإسلامي عامة والسيرة والصدر الأول خاصة، ألا وهي تبرير بعض الأحداث تبريراً واهيا، والاعتذار عن بعضها الآخر اعتذارا ضعيفا، وإنما يصنع هذا من صنعه فراراً من اللوم والتقريع من قبل المستشرقين أو اللادينيين، أو تحكيما للعقل المجرد، أو لأنه لم يستطع أن يجعل الحدث الذي يسوقه متفقا مع القواعد الشرعية والضوابط والمقاصد كما يفهمها، فلجأ إلى التبرير أو الاعتذار، فبعض الكتاب قد ذهب إلى أن غزوة تبوك- التي جرت في أطراف الجزيرة الشمالية بين النبي ﷺ وصحبه الكرام وبين الروم لم يذهب إلى أنها دفاع عن الحدود الشمالية لدولة الإسلام، وأن الجهاد إنما هو جهاد دفع ولم يجعل الطلب مكاناً في تاريخ الإسلام!!

واعتذر عن زواج النبي ﷺ بجملة من النساء، وبرر ذلك تبريراً ضعيفاً، واعتذر عن جملة من الأمور كان ينبغي له أن يعتز بها لا أن يعتذر عنها.

إن ما شرعه الإسلام من الجهاد وغيره يحتاج إلى اعتذار أو تبرير، حتى لو بدا ذلك غريباً أمام الذهنية المهيمنة على الناس في القرن العشرين، لأننا لا نطوع الإسلام وتاريخه لأذواق الناس واتجاهاتهم الفكرية في عصر معين، فما يحبذه الناس في عصر قد ينكرونه في عصر آخر، وما يحسبه أبناء بلدة حسناً يراه سواهم منكراً، والحكم لله ولشرعه وليس لأذواق الناس وأهوائهم، والله غالب على أمره.

من العقد المستحكمة لدى بعض كتاب التاريخ الإسلامي.. تبرير بعض الأحداث تبريرا واهياً والاعتذار عن بعضها لاعتمادهم على رؤاهم العقلية المجردة

مزج أخبار السيرة بالعاطفة

إن المرء ليقرأ بعض كتب السيرة فإذا هي أخبار مسرودة على وجه خال من التفاعل والعاطفة، وكأن الكاتب يسرد حقائق علمية طبيعية، أو أخبارا لحوادث ووقائع لا تمت لتاريخه ودينه ولمرحلة عظمى من تاريخ الإسلام بصلة، وهذا واقع في كثير من كتب المعاصرين وبعض كتب الأقدمين، وربما كان هذا بسبب غلبة المنهج العلمي الجاف في الكتابة الحديثة.

ولا بد -في تقديري- من كتابة الأخبار النبوية بلغة الحب والعاطفة والأدب الرقيق، ومزجها بالتعبيرات التي تنم عن حب وإجلال وتعظيم، والوقوف بين الفينة والأخرى بين تلك المعاني، والتعليق على جمال تلك المعاني، والتعريج على القلب قبل الكتابة، وتبيين العظمة النبوية وتلك السيادة، وهذا من أجل أن يتفاعل القارئ مع ما يقرأه، ويعتبر بتلك العبر والعظات.

إن نمط الحياة المعاصرة فرض على كثير من الصالحين والعاملين والمثقفين أن يقلوا من قراءتهم، فلم يبق لهم من الوقت للقراءة إلا النزر اليسير، فعلى من يريد أن يكتب في السيرة النبوية أن يراعي هذا الأمر فيأتي بها موجزة ليست طويلة طولا يمنع من قراءتها ولا قصيرة قصراً مخلا بأحداثها، وأن يأتي بها مشوقة مشجعة على القراءة مشتملة على العظات المقرونة بالأحداث.

٢- حسن التقسيم والتبويب، واجتناب السرد الطويل إلا لما لابد منه، ويمكن تفريق النص الطويل والتعليق على أجزائه.

٣- جمال العبارة وحسن الأسلوب، والاستعانة قدر الإمكان بنصوص الأوائل، فإنهم رزقوا ملكة التعبير الحسن والأسلوب الجليل، ورب عبارة يأتي بها الواحد تترك من الأثر ما لا تتركه صفحة من صفحات كتب من بعدهم.

٤- جمال الطباعة وحسن الحظ.



المراجع

- القرآن الكريم
- «تحذير العبقري من محاضرات الخضري»، الشيخ محمدالعربي البتاني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ / ١٩٨٤.
- «دراسات في السيرة النبوية»، محمد سرور بن نايف زين العابدين، نشر دار الأرقم، لندن، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ / ١٩٨٦.
- «السيرة النبوية الصحيحة»، د.أكرم ضياء العمري، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة ١٤١٥/ ١٩٩٤.
«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة تحليلية»، د.مهدي رزق الله أحمد، نشر مركز الملك فيصل - الرياض- الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ / ١٩٩٢.
- «صحيح السيرة النبوية» الشيخ إبراهيم العلي.
- شبكة المعلومات «الإنترنت».



مائة وسيلة لنصرة المصطفى

نجلاء كمال- مصر

أصدرت اللجنة العالمية لنصرة الرسول ﷺ مؤخراً كتاباً يحمل اسم «مائة وسيلة لنصرة الرسول»، ويركز الكتاب على أهمية تحقيق الشطر الثاني من الشهادة «أشهد أن محمد رسول الله» على أكثر من مستوى، أهم هذه المستويات الشخصي والقلبي، بتصديق النبي في كل ما أخبر به، وطاعته، والرضا بحكمه، والانقياد لسنته، والاقتداء به، ومحبته وتوقيره، والدفاع عنه، والعمل بمقتضى هذه المحبة من خلال نحو ١٠٠ وسيلة، منها:

١- التفكير في دلائل نبوته القاطعة بأنه رسول رب العالمين، وأصلها القرآن الكريم.

٢- تعلم الأدلة من القرآن والسنة والإجماع الدالة على وجوب طاعة النبي ﷺ والأمر باتباعه، والاقتداء به.

٣- العلم والمعرفة بحفظ الله للسنة، وذلك من خلال الجهود التي قام بها أهل العلم على مر العصور، فبينوا صحيحها من سقيمها، وجمعوها على أدق الأصول التي انفردت بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم السالفة.

٤- استشعار محبته في القلوب بتذكر كريم صفاته الخَلقية والخُلقية، وقراءة شمائله الشريفة، وأنه قد اجتمع فيه الكمال البشري في صورته وفي أخلاقه.

٥- استحضار عظيم فضله وإحسانه على كل واحد منا، إذ بلغنا دين الله تعالى أحسن بلاغ وأتمه.

٦- عزو كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه ونتنعم به إليه بعد فضل الله ومنته، إذ كان هو سبيلنا وهادينا إليه.

٧- استحضار أنه أرأف وأرحم وأحرص الخلق على أمته، قال تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...﴾ (الأحزاب- ٦).

٨- التعرف على الآيات والأحاديث الدالة على عظيم منزلته عند ربه، ورفعة قدره، ومحبة الله له، وتكريمه إياه.

٩- الالتزام بأمر الله لنا بحبه، وتقديم محبته على النفس، لقوله «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري).

١٠- الالتزام بأمر الله تعالى لنا بالتأدب معه (ومع سنته، لقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (الحجرات-٢).

١١- الانقياد لأمر الله بالدفاع عن النبي ﷺ ومناصرته وحمايته من كل أذى يراد به، كما قال تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه...﴾ (الفتح-٩) واستحضار النية الصادقة واستدامتها لنصرته.

١٢- استحضار ثواب الآخرة لمن حقق محبة النبي ﷺ على الوجه الصحيح بأن يكون رفيقه في الجنة، لقوله «لمن قال إني أحب الله ورسوله «أنت مع من أحببت» (البخاري).

١٣- الحرص على الصلاة عليه كلما ذكر، وبعد الآذان، وفي يوم الجمعة، وفي كل وقت.



١٤- قراءة سيرته والاستفادة من حكمها وربطها بحياتنا وواقعنا، وتعلم سنته من الأحاديث الصحيحة.

١٥- اتباع سنته كلها، مع تقديم الأوجب على غيره.

١٦- الحرص الاقتداء به في المستحبات، ولو أن نفعل ذلك المستحب مرة واحدة في عمرنا.

١٧- الحذر والبعد عن الاستهزاء بشيء من سنته.

١٨- الفرح بظهور سنته بين الناس، والحزن لاختفاء بعضها بين البعض من الناس.

١٩- بغض أي منتقد للنبي أو سنته.

٢٠- محبة آل بيته من أزواجه وذريته.

٢١- العمل بوصيته عندما قال «أذكركم الله في أهل بيتي» (رواه مسلم).

٢٢- محبة أصحاب النبي ﷺ وتوقيرهم واعتقاد فضلهم على من جاء بعدهم في العلم والعمل والمكانة عند الله، ثم محبة العلماء وتقديرهم، لمكانتهم وصلتهم بميراث النبوة.

على مستوى الأسرة والمجتمع.

٢٣- تربية الأبناء على محبة الرسول والاقتداء به.

٢٤- اقتناء كتب وأشرطة عن سيرته.

٢٥- انتقاء الأفلام الكرتونية ذات المنهج الواضح في التربية.

٢٦- تخصيص درس أو أكثر في الأسبوع عن السيرة تجتمع عليه الأسرة.

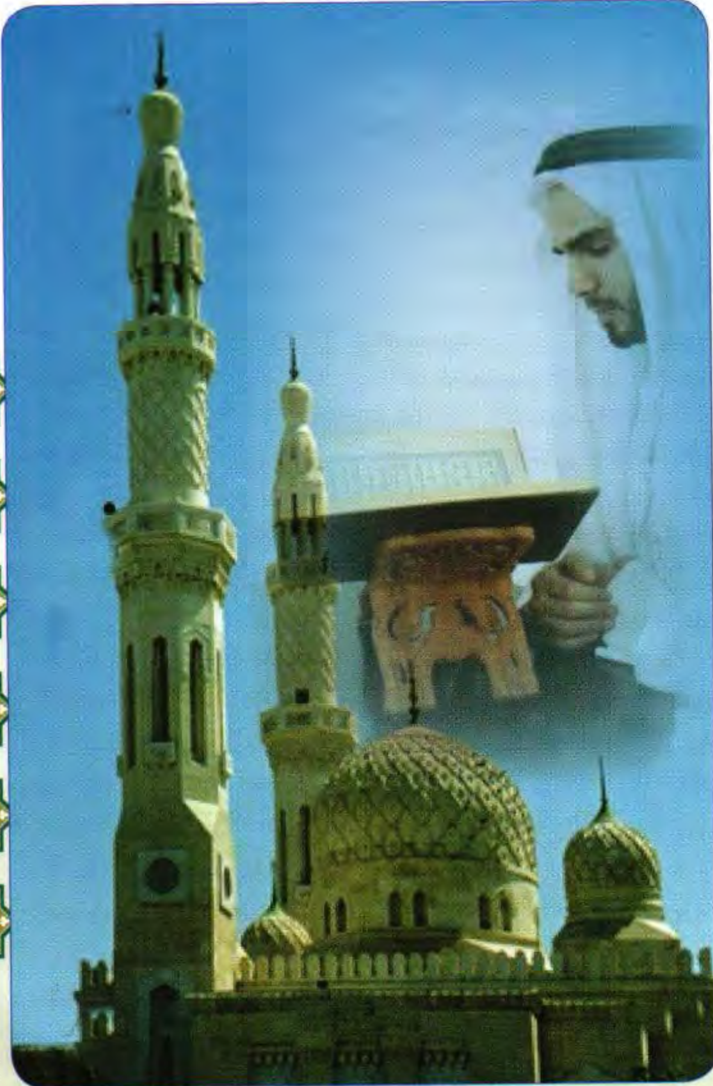
٢٧- اقتداء الزوج في معاملة أهل بيته بالرسول.
٢٨- وضع مسابقات أسرية عن سيرة الرسول.
٢٩- تشجيع الأبناء على حفظ الأذكار النبوية وتطبيق ذلك.
٣٠- تشجيعهم على اقتطاع جزء من مصروفهم اليومي من أجل التطبيق العملي لبعض الأحاديث، مثل: كفالة اليتيم، وإطعام الطعام، ومساعدة المحتاج.
٣١- تعويد الأبناء على استخدام الأمثال النبوية في الحديث مثل «يسروا ولا تعسروا...» (البخاري).
٣٢- تعريف الأسرة المسلمة بحياة الرسول ﷺ ومن خلال تطبيق مشروع «يوم في بيت الرسول».

على مستوى قطاع التعليم والعاملين فيه.

٣٣- زرع محبة الرسول ﷺ في نفوس الطلبة والطالبات من خلال إبراز حقه على أمته.
٣٤- الإكثار من عقد المحاضرات التي تغطي جوانب من حياة وشخصية الرسول.
٣٥- حث مسئولي قطاعات التعليم إلى إضافة مادة السيرة النبوية إلى مناهج التعليم والدراسات الإسلامية في التخصصات الإنسانية.
٣٦- العمل على تمويل وضع كراسي لدراسات السيرة النبوية في الجامعات الغربية المشهورة.
٣٧- تشجيع البحث العلمي في السيرة النبوية.
٣٨- حث الباحثين على تصنيف كتب السنة بتصانيف عدة مثل المغازي والشمائل.
٣٩- العمل على إقامة المعارض المدرسية والجامعية التي تعرف بالرسول ﷺ مع مراعاة التمثيل الجغرافي لنشأة الإسلام.
٤٠- تخصيص أركان خاصة في المكتبات تحوي كل ما له علاقة بالرسول ﷺ وسيرته والاهتمام بها وجعلها في مكان بارز.
٤١- العمل على إعداد أعمال موسوعية أكاديمية غنية في السيرة النبوية تصلح كأعمال مرجعية وترجمتها إلى اللغات العالمية.
٤٢- إقامة مسابقة سنوية للطلبة والطالبات لأفضل بحث في السيرة النبوية وتخصيص جوائز قيمة لها.
٤٣- إقامة مخيمات شبابية تتضمن أنشطة تزرع محبة الرسول ﷺ والتعلق بسنته.
٤٤- إقامة دورات تدريبية متخصصة لإعداد القادة في كيفية الاقتداء بالمصطفى ﷺ.

على مستوى الأئمة والدعاة وطلبة العلم

٤٥- بيان خصائص دعوته ورسالته وأن الأصل هو حرصه على هداية الناس كافة إلى إفراد العبادة لله.
٤٦- العمل على دعوة الناس وهدايتهم إلى هذا الدين؛ بجميع أجناسهم وقبائلهم.
٤٧- بيان صفاته الخلقية والخُلقية قبل وبعد الرسالة.
٤٨- بيان فضائله ومواقفه ومنهجه في حياته اليومية.
٤٩- بيان كيفية تعامله مع أعدائه من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين.
٥٠- تخصيص الخطبة الثانية لبعض الجمع للتذكير بمشاهد من سيرته.
٥١- تخصيص خطب كاملة عنه من وقت إلى آخر.
٥٢- التعليق على الآيات التي تتكلم عن الرسول ﷺ عند قراءتها في الصلاة لمدة ثلاث إلى خمس دقائق.
٥٣- إضافة حلقات لتحفيظ السنة النبوية إلى جوار حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد.
٥٤- تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى عامة الناس حول سنته.
٥٥- الدعوة إلى التمسك بما صح عنه بأسلوب بسيط واضح.
٥٦- ذكر فتاوى علماء الأمة التي تبين حكم من تعرض لرسول الأمة ﷺ بشيء من الانتقاص.
٥٧- ووجوب بغض من فعل ذلك والبراءة منه.
٥٨- التحذير في وسائل الاعلام من الغلو في الرسول ﷺ.
٥٩- بيان الآيات والأحاديث التي تنهى عن الغلو كقوله تعالى ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ (النساء- ١٧١) وقول النبي ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...» (البخاري).
٦٠- بيان أن المحبة الصادقة هي في اتباعه.
٦١- حث الناس على قراءة سيرة الرسول ﷺ من مصادرها الأصلية وتبيين ذلك لهم.
٦٢- دحض وتفنيد الشبهات



والأباطيل التي تثار حول الرسول ﷺ وسيرته.

على مستوى المثقفين والمفكرين والإعلاميين والصحفيين

٦٣- إبراز شخصية الرسول ﷺ وخصائص أمته.

٦٤- التحدث عنه في المناسبات الإعلامية والثقافية.

٦٥- عدم نشر أي موضوع ينتقص من سنته.

٦٦- التصدي للإعلام الغربي واليهودي المضاد والرد على ما يثيره من شبهات وأباطيل عن ديننا.

٦٧- نشر ما ذكره المنصفون من غير المسلمين بشأنه (.

٦٨- عقد اللقاءات الإعلامية والثقافية مع بعضهم والتحدث عن النبي ﷺ ورسالته.

٦٩- عقد الندوات والمنتديات الثقافية لإبراز منهجه وسيرته.

٧٠- بيان مناسبة منهجه لكل زمان ومكان.

٧١- إعداد المسابقات الإعلامية عن سيرته وتخصيص الجوائز القيمة لها.

٧٢- كتابة المقالات والقصص والكتيبات التي تتحدث عنه.

٧٣- يمكن لرؤساء تحرير الصحف والمجلات تخصيص زاوية يبين فيها الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب محبة الرسول ﷺ وأنها مقدمة على الولد والوالد والناس أجمعين، بل مقدمة على النفس.

٧٤- يمكن لمدراء القنوات الفضائية إعداد برامج خاصة في سيرة الرسول (وكيفية تعامله مع زوجاته وأبنائه وأصحابه وأعدائه وغير ذلك من صفاته الخلقية والخلقية.

٧٥- حث مؤسسات الإنتاج الإعلامي على إنتاج أشرطة فيديو تعرض سيرته بطريقة احترافية شيقة.

٧٦- حث المحطات التلفزيونية الأرضية والفضائية على إنتاج وبث أفلام كرتونية للناشئة تحكي شمائله وبعض القصص من السنة النبوية.

على مستوى المؤسسات الخيرية والدعوية:

٧٧- إنشاء لجان أو أقسام تحمل لواء نصرة الرسول (.

٧٨- تخصيص أماكن في المعارض والمؤتمرات المحلية والدولية التي تشارك بها المؤسسات لعرض الكتب والأشرطة المرئية والمسموعة التي تبرز خصائص الرسالة المحمدية.

٧٩- تخصيص أماكن دائمة لتوزيع الأشرطة والكتب والمطويات التي تتحدث عن الرسول ﷺ.

٨٠- تخصيص جائزة قيمة لأفضل من خدم السنة والسيرة النبوية وإقامة حفل تكريم سنوي يدعى له كبار الشخصيات.

٨١- تبني طباعة كتب السيرة النبوية باللغات الأجنبية وتوزيعها على مراكز الاستشراق والمكتبات العامة والجامعية حول العالم.

٨٢- إصدار مجلة أو نشرة دورية تهتم بالسيرة النبوية المطهرة وتعاليم الدين الإسلامي وتبرز صفات هذه الأمة ومحاسن هذا الدين الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

٨٣- تخصيص صناديق تبرع لتمويل حملات نصرة الرسول ﷺ.

٨٤- التأليف في السيرة والترجمة وإنشاء المواقع على الشبكة العالمية.

على مستوى العاملين في الشبكة العنكبوتية وأصحاب المواقع

٨٥- تكوين مجموعات تتولى إبراز محاسن هذا الدين ونظرة الإسلام لجميع الأنبياء بنفس الدرجة من المحبة وغيره من الموضوعات ذات العلاقة.

٨٦- إنشاء مواقع أو منتديات أو تخصيص نوافذ في المواقع القائمة تهتم بسيرة المصطفى ﷺ وتبرز رسالته العالمية.

٨٧- المشاركة في حوارات هادئة مع غير المسلمين ودعوتهم لدراسة شخصية الرسول ﷺ والدين الذي جاء به.

٨٨- تضمين أو تذييل الرسائل الإلكترونية التي ترسل إلى القوائم البريدية الخاصة ببعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

٨٩- إعداد نشرة إلكترونية - من حين إلى آخر- عن شخصية الرسول ﷺ ودعوته وخاصة في المناسبات والأحداث الطارئة.

٩٠- الإعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تتحدث عن الرسول ﷺ.

على مستوى الأغنياء والحكومات الإسلامية

نصرة الرسول ﷺ على الشبكة العنكبوتية لابد أن يتم وفق إشراف شرعي وعلمي حتى لا نروج لمرويات ضعيفة ترتد إلينا

٩١- دعم الأنشطة الدعوية المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة.

٩٢- طباعة الملصقات التي تحمل بعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

٩٣- المساهمة في إنشاء القنوات الفضائية والإذاعات والمجلات التي تتحدث عن الإسلام ونبي الإسلام باللغات المختلفة وبالأخص الإنجليزية.

٩٤- استئجار دقائق في القنوات أو الإذاعات الأجنبية لعرض أطروحات عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

٩٥- إنشاء مراكز متخصصة لبحوث ودراسات السيرة النبوية والترجمة إلى اللغات العالمية.

٩٦- إنشاء متاحف ومكتبات متخصصة في السيرة والتراث النبوي.

٩٧- إنشاء مواقع على الإنترنت متخصصة في السيرة والسنة النبوية.

٩٨- طباعة ونشر الكتب والأشرطة والبرامج الإعلامية التي تبرز محاسن الدين الذي جاء به النبي ﷺ وأخلاقه وشمائله بعدة لغات وخاصة اللغة الإنجليزية.

٩٩- المساهمة في دعم المسابقات الدعوية التي تهتم بالسيرة النبوية ورصد مبالغ تشجيعية لها.

ونترك الوسيلة رقم ١٠٠ للقارئ ليطورها .

تعلم واكسب.. تجربة هندية معاصرة

فوزي تاج الدين- مصر

في ظل الظروف المعاصرة أكدت الدراسة التي أجريت في الهند مدى الحاجة إلى إضفاء الجانب المهني على التعليم، خاصة أنه قد جرت في الماضي محاولات لتطبيق تجربة طاغور ومشروع غاندي للتعليم الأساسي، ولكن كان من الصعب تطبيقهما على نطاق واسع، وقد أكد د.ذاكر حسين- أحد المخططين الرئيسيين للتعليم الأساسي- أنه يشعر بصدمة لعدم تنفيذ التجربة والمشروع المشار إليهما، وفي هذا المقام نفرض تجربة مأرهيا براديش التي تعد تجسيداً لمشروع غاندي الذي يدور حول: تعلم الحرف للوفاء باحتياجات الفقراء الذين لا يقدرون التعليم لذاته؛ لأن مطلبهم الأساسي هو التغلب على الجوع.

مأرهيا براديش واحدة من أفقر الولايات الهندية، تعاني من ارتفاع الكثافة السكانية والأمية، ورغم ما لديها من مناخ معتدل وأرض شاسعة ومعادن وغابات فإنها لم تستغلها الاستغلال الأمثل، ولكن بعد اتخاذ قرار تطبيق برنامج تعلم واكسب تم تحديد العراقيل التي عانى منها مشروع غاندي وانحصرت في:

- عدم وجود التمويل لدعم برنامج التعليم المهني، خاصة فيما يتعلق بشراء المواد الخام ودفع حوافز للدارسين أو بناء أماكن مناسبة.
- نقص منافذ توزيع السلع المنتجة.
- قلة عدد الأفراد المعاونين المتحمسين.

واختارت إدارة التعليم نوعين من المراكز لتطبيق التجربة هما كلية المدرسين الأساسيين وأطلق عليها اسم مراكز التدريب على الإنتاج، ومراكز الإنتاج الموجودة في بعض المدارس الابتدائية والثانوية.

وهذا يعني التغلب على مشكلة المباني، ثم جاء القرار الخاص بإنتاج المواد المستهدفة، خاصة أن السلع المصنعة يدوياً تفتقر إلى الجودة، فاستقر الرأي على الاكتفاء بالسلع التي يحتاجها التلاميذ مثل الطباشير، الحصير الجوت، لفرشها على الأرض لعدم وجود عدد كاف من المقاعد، وبهذا كانت هذه المراكز هي المورد والمستهلك في آن واحد، أي ليست في حاجة إلى أسواق، كما تم توفير عدد كبير من المعلمين، وكذلك توفير أموال طائلة بسبب تصنيع الأنوال من الخشب المحلي، ووجود حافز مالي للدارسين، ومما هو جدير بالذكر أن هذا المشروع بدأ بـ٦ مراكز في المدارس الثانوية المتعددة الأغراض، وعرضت إدارة التعليم شراء حصير جوت بما قيمته حوالي مليون ونصف روبية، كما تم إنتاج عدد ضخم من صناديق الطباشير ذات الجودة العالية التي لا تقل عن نظائرها في الأسواق، وفي المرحلة التالية ارتفع عدد المراكز ليصل إلى ١٠٠مركز، وتم تقسيم العمل على النحو التالي: الفتيات يقمن بإعداد الطباشير، بينما يقوم الصبية بعمل الحصير، كذلك تم افتتاح ١٩مركزاً لتعليم الأطفال المعاقين، وإدخال صناعة الأثاث في المناطق التي تتوافر فيها الأخشاب.

البعد غير الرسمي

تم إعداد دراسة تدريبية مكثفة لمدة سنتين بدلاً من خمس سنوات وذلك للأطفال فيما بين سن التاسعة والرابعة عشرة، ممن لم يذهبوا للمدرسة أو تسربوا منها، وكان الهدف تأهيلهم للتعليم النظامي إذا كانت لديهم الرغبة الجادة في ذلك.

كان هناك من يشك في نجاح المشروع، خاصة فيما يتعلق بجودة السلعة وقيمتها التسويقية، إلا أنه أظهر أن تلك الشكوك لم تكن في محلها، فقد أصبح في وسع الإدارة تحقيق أرباح لا تقل عن ١٥٪ من رأس مال المشروع، وبيع السلع بأسعار منافسة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، مع ملاحظة مهمة، ألا وهي قدرة الطلاب على مواصلة الدراسة النظامية لما حققوه من دخل مالي ساعدوا به أسرهم، ومن جانب آخر فالمدارس تعمل من الثامنة صباحاً إلى العاشرة مساءً، كما أن المعلمين فضلوا البقاء في تلك المدارس لزيادة دخولهم.

ومن ثم، فإن عوامل نجاح المشروع تمثلت في وجود قوة دفع ذاتية، طلب الاشتراك في المشروع يأتي عن طريق الطلاب والآباء وليس مفروضاً على أحد، وجود تقدير اجتماعي لكل من المعلم والمتعلم، تأكيد قيمة التعلم شرطاً للكسب، احترام العمل اليدوي، وتشجيع روح العمل الجماعي، ولقد أدى نجاح المشروع إلى إعداد برامج جديدة لتعليم الفتيات والتدريب على إنتاج سلع جديدة.

كيف نستفيد من هذه التجربة؟

انطلاقاً من التشابه الكبير بين الهند وكثير من الدول العربية نجد أن الملامح والخطوط العريضة للتجربة الهندية تعلم واكسب قابلة للتطبيق في وطننا العربي من خلال إضفاء الصبغة الوظيفية على التعليم، وإحياء بعض الصناعات الصغيرة المعرضة للانقراض مثل السجاد اليدوي، المشغولات الفضية، والزخارف الخشبية ذات الطراز الإسلامي، التعليب، الأثاث.

مفتي الديار المصرية الأسبق د.نصر فريد واصل لـ «الوعي الإسلامي»:

الأزهر غير متعصب ويمثل المذاهب الإسلامية

حوار: عزة إبراهيم

د.نصر فريد واصل أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف، ومفتي الديار المصرية الأسبق، ورئيس اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في الفقه الإسلامي بجامعة الأزهر، واحد من أبرز المتخصصين في دراسة الفقه الإسلامي، اتسعت اهتماماته في مجال الدعوة والتربية، وحرص على أن يكرس وقته وجهده لخدمة الدعوة وطلبة العلم، فيقضي مع مريديه الساعات معلماً ومربياً ومفتياً، يسدي إليهم الرأي والنصح والمشورة، ولأنه جاهد نفسه حتى يقترن علمه بعمله وقوله بفعله واعتقاده بسلوكه، عرف الجميع فضله وأقروا بعلمه وفقهه، فنال عضوية رابطة العالم الإسلامي والمجمع الفقهي بها، ورأس هيئة الرقابة الشرعية في بنك فيصل الإسلامي ودار المال الإسلامي العالمي. «الوعي الإسلامي» التقت بالعالم الجليل د.نصر فريد واصل ... واليكم نص الحوار:



■ **توليتم دار الإفتاء المصرية لمدة قصيرة نسبياً ورغم ذلك أحدثتم ضجة كبرى بسبب فتواكم بحرمة التدخين شرعاً.. فما قصة هذه الفتوى؟**

- بفضل الله تعالى كان لفتوى حظر التدخين شرعاً التأثير الإيجابي على المسلمين وغير المسلمين، وكان لها الأثر الكبير في نفسي، وقصتها تبدأ حين جاء إلى دار الإفتاء خطاب يطلب توضيح موقف الشرع من التدخين، فقمت بنفسي بعمل بحث حول هذا الموضوع لأن الأمر السائد بين الفقهاء والعلماء قبل هذه الفتوى أن التدخين غير محظور شرعاً على الإطلاق، إنما تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة (الحل والحرمة والإباحة والكراهة والندب)، وأنه يقع ما بين منطقة الحرام والمكروه، حسب طبيعة كل فرد ومدى تأثير التدخين عليه، أي مدى الضرر الواقع عليه،لكن اتضح لي أثناء البحث أن أهل الاختصاص الطبي والعلمي أجمعوا على أن التبغ بكل مشتقاته قاتل للنفس الإنسانية، وضار بجسد الإنسان، ومضيع للمال، وعليه فقد أثبتت الإحصاءات العالمية بطرق مباشرة وغير مباشرة، ضرره وخطورته.

ولأول مرة يأتي الجانب الشرعي متوافقاً مع الإجماع العلمي العالمي، فيما تم التوصل إليه من نتائج تتعلق بالتدخين وأضراره على بني الإنسان، ولهذا كله لم أتردد في إصدار الفتوى وعنوانها «التدخين حرام شرعاً»، ومن ثم تلقفتها منظمة الصحة العالمية وطبعتها ووزعتها على الملايين ومهرتها ختم المنظمة بجوار ختم دار الإفتاء المصرية وتوقيعي، ونشرتها على مستوى العالم العربي والإسلامي وكل الدول تقريباً.

■ **هل هناك فتاوى أخرى أصدرتها دار الإفتاء المصرية أثناء وجودك فيها تمس واقع المسلمين وتطول قامة فتوى التدخين؟**

- نعم، أصدرت فتوى «تحريم ممارسة رياضة مصارعة الثيران»، وقصتها أن الحكومة المصرية أرادت إدخال هذه المصارعة إلى مصر بحجة تشجيع السياحة وغيرها، وبالفعل صدرت موافقة رئيس الوزراء المبدئية، وعندما عرض الأمر على دار الإفتاء لمعرفة موقف الشرع، صدرت الفتوى بأن هذه الرياضة أو المصارعة غير جائزة شرعاً، ودخولها إلى البلاد الإسلامية يعد اعتداءً على أمور العقيدة الإسلامية، وهذا مما يخالف دستور الدولة، وبرغم الضغوط الكثيرة من المسؤولين ورجال الأعمال أصحاب المصلحة في إدخال هذا النوع من الرياضة لتغيير الفتوى، فإن

توحيد اصدار الفتوى في وسائل الإعلام .. جديد مجمع البحوث

الحق أحق أن يتبع، والحقيقة أن الدولة كانت حكيمة، والتزمت بما صدر عن دار الإفتاء في ذلك الأمر، أيضاً فتوى «المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل»، وفتوى «الجهاد» حيث انني أيدته بكل وسائله ضد الاعتداء على النفس والعرض والوطن والمال، وذلك فيما يتعلق بفلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من البلاد المحتلة.

■ حدث لغط كثير حول طريقة خروجكم من منصب الإفتاء، فهل هذا - كما يقال - عقاب على فتاواكم الجريئة؟

- الأمر محسوم، وهو أنني لم أسع إلى هذا المنصب، ولم أكن من المشتاقين إليه، والأمر يستوي عندي لأنني أؤدي واجبي ورسالتي سواء كنت في المنصب أو خارجه، ومواقفي لم تتغير والحمد لله.

■ لماذا يتم تعيين شيخ الأزهر ولا يتم انتخابه؟

- تعيين شيخ الأزهر مسألة تنظيمية ينظمها القانون، وإذا لم تكن محددة تشريعياً أو دستورياً، فلرئيس الدولة تنظيمها وتحديدها بقانون، مثل باقي المسائل والوظائف العامة، أما قضية انتخاب شيخ الأزهر، فقد كان هذا هو المتبع قبل صدور القانون الخاص بتعيين شيخ الأزهر، وعليه فلكي يُنتخب لابد من تغيير أو تعديل القانون، وهذا دور النواب في مجلس الشعب.

■ ألا ترون أن تعيين شيخ الأزهر من قبل رئيس الدولة يحرم غير المصريين من هذا المنصب الأمر الذي يحجم دور الأزهر خارج مصر؟

- الأزهر منارة دينية ورسالته رسالة عالمية ومازالت، ومن الطبيعي أن يكون شيخه من علماء المسلمين دون البحث عن جنسيته، لكن للأسف الشديد الأمر تحكمه قوانين دولية ونظام سياسي جديد، فكل دولة من الدول الإسلامية حالياً لها قوانينها ونظامها السياسي، وهذا لم يكن موجوداً في ظل دولة الخلافة الواحدة ذات السياسة الواحدة.

■ ما تقييمكم لتجربة الشيخ الجليل محمد الخضر حسين شيخ الأزهر التونسي الأصل، الذي تولى المشيخة بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٣؟

- هذا هو الأصل، فالأزهر غير متعصب وهو يمثل المذاهب الإسلامية ويدرسها لطلابه دون عصبية، ولا مانع من أن يكون شيخ الأزهر من هيئة كبار العلماء الذين يمثلون مصر والعالم الإسلامي داخل مجمع البحوث الإسلامية ويتم اختياره بقرارات الأغلبية.

مشيخة الأزهر تحكمها قوانين دولية ونظام سياسي جديد

■ وافق مجمع البحوث الإسلامية أخيرا على مجموعة كتب عرضت عليه تحمل أفكار تيار إسلامي معروف.. ما دلالة ذلك في تقديركم؟

- إن المجمع حين ينظر في مجال النشر، فإنه ينظر، هل هذا يتعارض مع الدين والشرع أم لا، وليس له علاقة بالأشخاص، وإنما علاقته بالمادة المنشورة وإلى أي مدى تتوافق مع الشريعة والدين وليس للمجمع أي علاقة بالخلافات السياسية.

■ ما رأيكم في الدعوات التي تنادي بتوحيد جهة إصدار الفتوى؟

- بالطبع أؤيد ذلك وخاصة في البلد الواحد، وفي القضايا العامة وليس في كل الفتاوى، فهناك ماهو معلوم من الدين بالضرورة، وهناك مستحدثات تحتاج إلى مناقشات وآراء، وعلى مستوى المسلمين ككيان عام من الأفضل أن يكون ذلك في إطار المجامع الفقهية فيما بينهما، بحيث يكون هناك رأي موحد في القضية المطروحة.

■ تعددت الشكاوى في الفترة الأخيرة من كثرة الفتاوى وتضاربها على الفضائيات.. فما تعليقكم وما الحل؟

- أنا مع تلك الشكاوى، وكنت أحد المعارضين لهذا الانتشار، عندما طلبوا مني إباحة إصدار الفتاوى المباشرة عبر الفضائيات أثناء وجودي في دار الإفتاء، وقد رفضت ذلك في حينه، وحتى الآن، رفضاً تاماً، منعاً للخلاف والشقاق الذي يحدث الآن، حيث إن المشكلة الواحدة تصدر فيها أكثر من فتوى، فتتضارب الفتاوى، وعامة الناس لا يعلمون أين الصواب، وعندما يطلب أحد مني الفتوى في مشكلة قد أفتي فيها أحد العلماء لا أفتي فيها لكي لا يحدث أي تضارب.

وهناك مقترح في مجمع البحوث الإسلامية تحت الدراسة حالياً، يضم كثيراً من المقترحات، منها توحيد إصدار الفتوى في القضايا العامة التي يتم عرضها في وسائل الإعلام، وذلك عبر تنسيق وسائل الإعلام مع مجمع البحوث الإسلامية، وعندئذ يكون معلوماً أن هذا الشيخ يفتي في القضية إذا كان لها رأي معلوم، أما إن كانت جديدة ومن المستحدثات فيتم وضعها تحت البحث والدراسة، حتى لا تكون متروكة لكل إنسان ويتم إحالتها للمجمع.

■ ما رؤيتكم لتولي المرأة منصب الإفتاء أو أن تكون عضواً في لجنة الفتوى؟

- هناك فرق بين الإفتاء العام والإفتاء الخاص، فالإفتاء العام فيه درجة من درجات القضاء، ومن يقول إن المرأة يجوز أن تكون قاضية يجيز بطبيعة الحال أن تتولى الإفتاء، وأنا أرى أن القضاء العام يخضع لعملية المواءمة، وأن الأصل فيه الرجل وإذا لم نجده فالمرأة حسب الحاجة والضرورة، أما في الإفتاء الخاص فإذا توافرت الشروط الشرعية عند المرأة فهي تفتي كالرجل سواء بسواء.

■ كيف نحفظ لعلماء الأزهر هيبتهم مادياً واجتماعياً وعلمياً، وهل تؤيد منح العلماء لونا من ألوان الحصانة؟

- كل هذه الجوانب مترتبة على بعضها البعض، فالناحية المادية يسأل عنها المسؤولون عن الدعوة والدعاة، والناحية الاجتماعية مرتبطة بالجانب المادي، فيجب أن يكون العالم والداعية متفرغا من جميع الاهتمامات البسيطة في الحياة العادية، حتى يؤدي رسالته الدينية والعلمية، وذلك مرتبط بالناحية الاقتصادية واهتمام المسؤولين به وبأسرته من جميع النواحي، كما يهتمون بفئات من المجتمع ليست أعلى شأناً من الدعاة، الأمر الذي يساعدهم على إتقان مهمتهم، أما مسألة المكانة والحصانة فمن المفروض أن تكون للعالم مكانته وحصانته، حتى لا نعطي فرصة للغوغاء أن تتعدى عليه أو تهاجمه وتهاجم ما يدعو إليه من أحكام وشرائع الإسلام.

تبي تريح قلبك .. يلا نصلي

في الوقت الذي طغت فيه الماديات على قيم كثيرة وأصبحت كالهواء للكثير من البشر حتى أنستهم كثيرا من الحقوق والواجبات ولعبت بهم هنا وهناك فأصبحوا لا يشعرون براحة وطمأنينة، نجد أن هناك صنوفا أخرى من هؤلاء البشر قلوبهم مطمئنة وعيونهم مستقرة وعقولهم هادئة، وذلك لالتزامهم أداء مصدر الراحة ومنبع السكينة وهو الصلاة، ولم لا والصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به كما قال ﷺ «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»؟ (رواه أحمد والترمذي).

وهي صلة بين العبد وربه يؤديها خمس مرات في اليوم والليلة، وكفى من يؤديها مكانة ورفعة أنه سيكون في معية الله وحفظه على الدوام، وبالتالي لن تستطيع وساوس الشيطان أن تنال منه، ولن يستطيع الشيطان الانفراد به أو السيطرة عليه، وبهذا فإن الصلاة تهذيب للنفوس وشفاء لما في الصدور وتزكية للأرواح بما تمثله من أوبة إلى ذي الجلال والإكرام، وتوبة من الذنوب والآثام، وراحة للقلب بما تمثله من لحظات النقاء الروحي، إذ يفرغ المرء فيها من شواغل دنياه ليقف بين يدي مولاه مثنيا عليه بما هو أهله مفضيا إليه بذات نفسه ودخيلة أمره في ضراعة ودعاء، والاتصال بالله فيه قوة للنفس ومدد للعزيمة وطمأنينة للروح وتوكيد لتلك الحقيقة الدينية الثابتة وهي أن الله هو الأكبر وهو الأعلى.

يقول الرسول ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة».

وفي هذا الاتصال بالله العلي الأعلى جل علاه قوة للنفس ومدد للعزيمة وطمأنينة للروح وتوكيد لتلك الحقيقة الدينية الثابتة وهي أن الله هو الأكبر وهو الأعلى وهو الأكرم، ولهذا جعل الله الصلاة سلاحا للمؤمن يستعين به في معركة الحياة ويواجه به أحداثها وآلامها يقول تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾(البقرة-١٥٣) وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ولكن صلاته لم تكن حركات تؤدى من قيام وقعود، وإنما كانت استغراقا في مناجاة الله، حتى كان إذا حان وقتها قال لمؤذنه بلال في لهفة المشتاق «أرحنا بها يا بلال»(رواه أحمد وأبوداود) كما كان يقول «جعلت قرة عيني في الصلاة»(رواه أحمد).

فالصلاة أول ما أوجبه الله تعالى من الفرائض، وذلك ليلة الإسراء، قال أنس بن مالك «فرضت على النبي ﷺ الصلوات ليلة أسري به خمسين، ثم نقصت فجعلت خمسا»(رواه أحمد والنسائي والترمذي).

والمتتبع لآيات الكتاب العزيز يدرك أن الله سبحانه يذكر الصلاة ويقرنها بالذكر تارة ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾(العنكبوت-٤٥) وبالزكاة تارة ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾(البقرة- ١١٠) وأحيانا يفتتح بها أعمال البر التي يتحقق بها فلاح المؤمنين، كما يقول جل ذكره ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾(المؤمنون- ١-٢) ومن هنا كانت الصلاة واجبة على المسلم ما دامت روحه في جسده، فلا يجوز له أن يتكاسل عنها أو يفرط فيها، فالمريض يتيمم إن لم يستطع إلى الوضوء سبيلا، ويصلي قاعدا أو بالإيماء إن كان مستلقيا على فراشه، والمقاتلون في ميادين الحرب مكلفون كذلك بالصلاة، ولا يجوز أن ينشغلوا عنها ولا أن يضيعوا أوقاتها،



سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير

وإن كان الشارع الحكيم قد رخص في قصرها وأجاز في حالة القتال القيام بشتى الأعمال والحركات خلالها، كما يقول تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، فإن خفتم فرجالا أو ركبانا، فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾(البقرة ٢٣٨- ٢٣٩).

ولما كانت للصلاة هذه المكانة العظيمة في دين الله فقد شدد جل وعلا العقاب على أهل التفريط فيها، وتهدد المضيعين لها، فقال تقدست أسماؤه ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾(مريم-٥٩) وقال ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾(الماعون ٤-٥).

لذلك فالصلاة عنوان على الطاعة والانقياد لله العلي الأعلى، فالمرء في صلاته يخفض جناح الذل لخالقه في موقف هو التطبيق العملي لحقيقة العبادة التي هي منتهى الحب لله، فالمرء يصلي لأنه عبد ويضع أشرف معالم وجهه على الأرض إعلانا دائما لعبوديته لربه وإسلام نفسه لمولاه.

ولعلنا أدركنا الآن بعضا من فوائد وأهمية تلك الفريضة العظيمة التي وصى بها الله ورسوله، وكل الشكر والتقدير لإدارة الإعلام الديني على تبنيها هذا الموضوع الحيوي والمهم في عصر بات فيه الجميع في قلق وفزع وخوف من المستقبل.

لغة وأدب



حداثة ولكن...

لم يكن الأدب العربي، لاسيما الشعر، بمعزل عن المناداة بامتطاء موجة الحداثة والتجديد، ففي محاولة لتكسير قيود الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما يرى المحدثون، وإعلان التمرد عليها، فرض شعر التفعيلة نفسه على الساحة الأدبية، وكذلك قصيدة النثر، إن صح التعبير، ومع كثرة الأصوات المنادية بإخراج هذين اللونين من بوتقة الشعر والصارخة في وجه من يكتبونهما، فإنهما شكلا واقعا لا مفر منه ولا طائل من إقصائه أو رده.

وليس في طيات هذا الكلام، وما قصدنا، نصرة لاتجاه من الاتجاهين على الآخر، وإنما أخوف ما نخاف أن تمتد يد التجديد هذه، مع التحفظ على اللفظ، إلى ما هو أبعد من ذلك، لاسيما بعد خروج بعض دعاة التجديد علينا بين الفينة والأخرى منادين بـ «تكسير قيود سيبويه» فلا داعي، من وجهة نظرهم، لرفع ولا لنصب ولا لجر ما دام القارئ قد فهم مقصود الكاتب أو المستمع استبان غرض المتكلم.

ولا غرو أن هذا درب من العبث، ونكران لجميل لغة طال العالم كله، إذ حوت صنوفا شتى من العلوم والفنون والآداب والوقائع والأحداث، ولولا ترجمات لبعض ما كان قد كتب بلغات أخرى الى العربية لما علمنا عنه شيئا، وسعي لخلق فجوة يصعب تداركها إن هي تفاقمت.

ربما لا يدرك كثيرون ما يترتب من عواقب إن تخلينا عن أصول لغتنا بدعوى أننا نفهم مقصد محدثنا، فذاك سبيل إلى تمزيق عرى التواصل بيننا وبين تراثنا العملاق الذي كتب بلغة فصحى والذي إن فقدناه فقدنا هويتنا معه، والأدهى من ذلك أننا نصل بهذا التفريط إلى قطع الصلة بيننا وبين شريان الحياة ودستور الأمة، كتاب الله المنزل بلسان عربي مبين، وربما نشأ جيل، مع كر السنين، لا يفهم حرفاً واحداً فيه، وكذلك الأمر مع سنة النبي ﷺ، فضلاً عن كتب السير والشروح والتفاسير، كما هي الحال الآن عند كثير من أصحاب اللغات الأخرى، إذ يصعب عليهم قراءة ما كتبه آباؤهم الأولون، فضلا عن فهمه ، رغم قرب عهدهم به.

اللغة اللغة في كتبكم أيها الكتاب، ولتحرصوا على زرعها في كل أرض تطؤونها، فهي رسالتكم وأمانة في رقابكم .

المحرر





«المَقَامَةُ الدِّينَارِيَّة»

أحمد إبراهيم المحمد - الكويت ●

المقامة الدِّينَاريَّة(١)، أتحدثُ فيها عن الدرهم والدينار، من خلال الرُّؤى والأفكار، والطرائف والأخبار، والأدب والأشعار، فحديث الغِنَى والإفلاس(٢)، أضحى مالئ الدنيا وشاغل الناس، ولقد كُتبتْ بهذا العنوان مقامتان، في غابر الأزمان، الأولى لبديع الزمان الهَمَذاني(٣)، والأخرى للحريري(٤).

وسأذكر لكم مَقْطعَيْن، من كلتا المقامتين، يوضحان لنا ما يفعله الدينارُ في عالمنا، وليس المقصودَ بالدينار هنا، النَّقْد المعروف في زماننا، بل المرادُ به المالُ عموماً، والذي يجعل - بسْحره - من الأحباب خصوماً، ويفرِّق بين المرء وأخيه، وصاحبته وبنيه، ولله درُّ القائل(٥)، من الفحول الأوائل:

فلا أحسبُ الخسرانَ فقدانَ درهم
ولكنَّ فراقَ الخلِ أحْسبُهُ خُسْرَا

فيا عجباً لأمره! كم باعد بين الأصحاب، وقطّع أوثق الأسباب، ومزّق أقرب الأنساب، فهو لعمْرُ الله نعمة في نقمة، ونقمة في نعمة، مَنْ جعله مطيَّة الخير أوصله إليه، ومن سخَّره في الشر كان وبالاً عليه.

هانتْ لأجله النفوس، وانحنت الرؤوس، بريقُهُ سحر، وصفرته خَمْر، يُسْكر من غير شراب، ويَسبي من دون أسباب، ما أجمله في أيدي الكرام، وما أقبحه في أيدي اللئام.

قال الهَمَذاني- في مقامته الدِّيناريَّة: حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هشام قَالَ: اتَّفَقَ لي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ في دينَارٍ أَتَصَدَّقُ به عَلى أَشْحَذ رَجُل ببَغْدَادَ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَدُلِلْتُ عَلى أَبي الفَتْح الإسْكَنْدَريِّ، فَمضَيْتُ إلَيْه لأَتَصَدَّقَ به عَلَيْه، فَوَجَدْتُهُ في رُفْقَة، قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْه في حَلقَة، فَقُلْتُ: يَا بَني سَاسَانَ، أَيُّكُمْ أَعْرَفُ بسلْعَته، وَأَشْحَذُ في صَنْعَته، فَأُعْطيه هذَا الدِّينَارَ؟ فَقَالَ الإسْكَنْدَريُّ: أَنَا، وَقَالَ آخَرُ منَ الجَمَاعَة: لاَ، بَلْ أَنَا. ثُمَّ تَنَاقَشَا وَتَهَارَشَا(٦) حَتَّى قُلْتُ: ليَشْتُمْ كُلٌّ منْكُمَا صَاحبَهُ، فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ(٧).

فَقَالَ الإسْكَنْدَريُّ: يَا بَرْدَ العَجُوز(٨)، يَا كُرْبَةَ تَمُّوزَ... وَقَالَ الآخَرُ: يَا قَرَّادَ(٩) القُرُود، يَا... قَالَ عيسَى بْنُ هشام: فَوَالله مَا عَلمْتُ أَيَّ الرَّجُلَيْن أوثِر؟! وَمَا منْهُمَا إلاَّ بَديعُ الْكَلاَم، عَجيبُ المَقَام، أَلَدُّ الخصَام، فَتَرَكْتُهما، وَالدِّينَارُ مشاعٌ بَيْنَهُمَا، وانْصَرَفْتُ وَمَا أَدْري مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بهمَا(١٠).

قال الجرابُلسي(١١) في مقامته الدِّينَاريَّة: ولـو أوْرَدتُّ ما جرى بينهما من الشتائم والسِّباب، كما ذكره صاحب الكتاب(١٢)، لرأيتم شيئاً من العجب العُجاب، ولله در القائل(١٣):

وَعَلى الدِّينار دَاروا وله حَجُّوا وزارُوا
لَوْ يُرَى فَوْقَ الثُّريَّا وَلَهُمْ ريشٌ لَطَارُوا

أما الحريري فقد رَوى في المقامة الدِّينَاريَّة(١٤) عن الحارث بن هَمّام قال: نظمَني وأخداناً لي ناد، لمْ يخبْ فيه مُناد.. فبيْنَما نحنُ نتجاذَبُ أطرافَ الأناشيد، ونَتوارَدُ طُرَفَ الأسانيد، إذْ وقفَ بنا شخْصٌ عليْه سمَلٌ(١٥)، وفي مشيَته قزَلٌ(١٦)، فقال: يا أخايرَ الذّخائر، وبشائرَ العَشائر...

قال الجرابلسي مُلَخِّصاً(١٧): فشكى لهم هذا الشخصُ ما حلَّ به من الخطوب، وما نزل به من الكروب.

قال الحريري مُكَملاً: قال الحارثُ بنُ همّام:... فأبْرَزْتُ ديناراً، وقُلتُ لهُ اختِباراً: إنْ مَدَحْتَهُ نَظْماً، فهوَ لكَ حتْماً، فانْبَرى يُنشدُ في الحال، من غير انتحال(١٨):

أكْرِمْ به أصفرَ راقَتْ صُفرَتُهْ... جوّابَ آفاقٍ ترامَتْ سَفرَتُهْ
مأثورةٌ سُمعَتُهُ وشُهرَتُهْ...قد أُودعَتْ سرَّ الغنى أسرَّتُهْ

ثم بسَط يدَهُ، بعدَما أنْشَدَهُ، وقال: أنْجزَ حُرٌّ ما وعَدَ، وسَحّ خالٌ(١٩) إذ رَعَدَ، فنبَذْتُ



● إمام وخطيب في وزارة الأوقاف



الدّينارَ إليْه، وقلتُ: خُذْهُ غيرَ مأسوف علَيْه، فوضَعهُ في فيه، وقال: بارك اللهُمَّ فيه!... فجرّدْتُ ديناراً آخَرَ وقلتُ لهُ: هلْ لكَ في أنْ تذُمَّهُ، ثم تضُمَّهُ؟ فأنشدَ مُرتَجِلاً، وشَدا عجلاً(٢٠):

تبّاً لهُ من خادعٍ مُماذق... أصْفَرَ ذي وجْهَيْنِ كالمُنَافق

وحُبّهُ عندَ ذَوي الحَقائقَ... يدْعو الى ارتِكابِ سُخْط الخالق

لـوْلاهُ لـمْ تُـقْـطَـعْ يَـمـينُ سَـارق... ولا بـدَتْ مظْلمَةٌ منْ فاسقَ

فقلتُ له: ما أغزَرَ وبْلَكَ(٢١)! فقال: والشّرْطُ أمْلَكُ، فنفَحتُهُ بالدّينارِ الثّاني، وقلتُ لهُ: عوّذهُما بالمَثاني، فألْقاهُ في فمِهِ، وقرَنَهُ بتوأمه.

قال الجَرابُلْسي معلّقاً:

إيه أيها الدينار! ماذا أقول فيك، وأنشرُ من مساويك؟ كم بذل ناسٌ في سبيلك ماء وجوههم، ولم يسْتبْقوا ذرةً من حيائهم

نَبَذوا الوَفاءَ معَ الحَياءِ وراءَهُمْ فهُمُ بحَيْثُ يَكونُ هذا الدِّرْهَمُ

فلمّا لقوا المنون، لم ينفعهم مال ولا بنون

وما ينفع الدينارُ والموتُ محدقٌ... بروح الفتى والغائلات تحوطهُ

فإن لم تنفع القوم، في ذلك اليوم، فما أظنّك بعدها لمحتاج نافعاً، ولا لوَضيع رافعاً، وعندي العلمُ والأدبُ، لا يفوقهما التِّبر والذهبُ

مآثرُهنَّ المجدُ، لا كسبُ درهم، وهنَّ المعالي لا حُلَيٌ وثياب

ولا أزْعُمُ أني زاهدٌ فيك، ودَعْني بهذا الكُلَيمات أناجيك، أنا أريدُك، حتى لا يمنَّ عليّ عبيدُك، فبكَ أصون عِرْضي، وأحقق غرضي، فإن أتَيتَ، فأهْلَكَ وافيتَ، وإن أبَيْتَ، ذكَرْنا هذا البيت:

ولا ترهبن الفقرَ ما عشتَ في غدٍ... لكلِّ غدٍ رزقٌ من اللهِ واجبُ (٢٢)

الهوامش

(١) من الأسباب التي دفعتني لكتابة هذه المقامة ما رأيته من خلافات دائرة بين الناس وكثير منها من أجل المال، ولا أقول هذه الخلافات بين الأصحاب فحسب، بل حتى بين الأزواج.

(٢) إشارة إلى أخبار إفلاس كبرى البنوك العالمية.

(٣) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، بديع الزمان، أبو الفضل، أحد أئمة الكتاب، وصاحبُ المقامات الشهيرة، المتوفى سنة (٣٩٨هـ). انظر: الزركلي- الأعلام - ج ١ ص ٥١١.

(٤) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد، الحريري، البصري: الأديب الكبير، له شعر حسن، توفي سنة (٥١٦ هـ). انظر: المرجع السابق ج ٥ ص ٧٧١.

(٥) أحمد النجفي (ت:١٢١١هـ).

(٦) الهِرَاش والمُهَارشة بالكلاَب: هو تَحْريش بَعْضها على بَعْض. الرازي، أبو بكر، مختار الصحاح، مادة، هرش.

(٧) هذا من أمثال العرب، ومعنى من عزَّ أي غلب، وبَزَّ من بز ثيابه وابْتَزّه إذا سَلَبه إيَّاها، انظر: ابن الأثير - النهاية في غريب الحديث- مادة بزز.

(٨) برد العجوز يكون في آخر أيام الشتاء.

(٩) القرّاد هو الذي يلعب بالقرد، ويطوف به في الأسواق، انظر: أبو جيب: د. سعدي - القاموس الفقهي - ج ١ / ص ٩٩٢.

(١٠) انظر: مقامات الهمذاني ج ١ / ص ٦٥.

(١١) المقصود به كاتب هذا المقال والنسبة إلى مدينة جرابلس حيث نشأ، وهي واقعة على ضفة نهر الفرات عند الدخول من تركيا إلى سوريا، وذكرتُ هذا للتمييز بين مقامة الهمذاني وكلامي.

(١٢) أي: الهمذاني. حيث ذكر ما دار بينهما من شتائم وألفاظ يعفُّ القلم عن ذكرها.

(١٣) القائل هو محمود الوراق (ت: ٢٢٠هـ).

(١٤) انظر: مقامات الحريري ج ١ ص ٧ و ٨. بتصرف يسير.

(١٥) ثوبٌ بالٍ.

(١٦) عَرَجٌ.

(١٧) ذكر هذا الفقير حاجته في قطعة أدبية ساحرة اختصرتُها خشية الإطالة، تراجع في مقامات الحريري.

(١٨) اخترتُ من قصيدته في مدح الدينار هذين البيتين.

(١٩) السَّحُّ: الصَّبُّ الكثير، والخال: البرق، الزبيدي - تاج العروس - مادة: سحح وخيل.

(٢٠) لم أشأ ذكْرَ القصيدة التي ذمَّ فيها الدينار كلها، واكتفيتُ بما ذكرتُ من أبيات.

(٢١) الوَبْل: المطر الشديد، الرازي - مختار الصحاح - مادة: وبل.

(٢٢) البيت للفضل بن عبد الرحمن المطلبي ت: نحو ١٧٣ هـ، ولو قال: لكلِّ غدٍ رزقٌ من اللهِ نازلُ، لكان أفضل، إذ لا يجب على الله شيء، إلا أن يتفضل على عباده كرماً منه جل وعلا.

ابن آدم

جاك صبري شماس - سورية

قال الرسول ﷺ «لو كان لابن آدم واديان من مال لا تبغى لهما ثالثا، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب» (متفق عليه).

أتُراكَ تفلحُ في الحياةِ وتنفعُ
وتخطّ سفراً بالشموخ وتقنعُ

وتذوبُ في شفةِ المودةِ والندى
والحبُّ ينمو في القلوب ويمرع

وإذا حُظيتَ بثروةٍ ومباهج
أتظلُّ تلهث بالحياة وتطمع

وجهانِ أنت لعملةٍ مغشوشةٍ
مادمت تؤمن بالنقوُد وتخدع

تمضي الحياةُ وعزّها في موقفٍ
فيما يقدّمُ من جميلٍ يزرع

كم راحلٍ غنيَّ الزمانِ بذكره
يهفو على حلك الظلام ويسطع

ويلوذ في حُضنِ الفضيلةِ والحجى
وصداه يوغل بالأثير ويمتع

ما أنبل الإنسانَ إن رام المنى
وخطا على حَدِ الخطوبِ ويصفع

ما دام لا يرويكَ تبرٌ سائلُ
فالعينُ في حُفَرِ التراب ستشبع





ساحاتنا الأدبية وغياب الحراك الثقافي

لقد أدت المعارك الفكرية والأدبية التي شهدتها ساحاتنا الثقافية خلال القرن العشرين دوراً جوهريا في إثراء ثقافتنا بالعديد من الرؤى والتصورات التي ما كان لها أن تظهر أو تطرح على ساحة الفكر والأدب لو لم تنشب تلك المعارك الأدبية والسجالات الفكرية، ولقد نشأت تلك المعارك وأديرت- أو معظمها - في أجواء من الحرية والحيادية بهدف إحقاق الحق وإزهاق الباطل من الآراء الضعيفة أو الرؤى التي لا تقوم على أساس من فكر سليم.

وكانت هذه الأجواء تجذب أنظار المهتمين بالفكر والثقافة إليها بغية متابعتها ومعرفة تطوراتها والوقوف على نتائجها ونهاياتها، الأمر الذي كان يربط القراء بالكتاب والمبدعين وأطروحاتهم النظرية، إذ كان يوجد بين المستهلكين للفكر من يتحيز لهذا الرأي أو ذاك ويحاول الانتصار له وإثبات سلامته والبرهنة على صدقه.. من هنا شارك المجتمع المفكرين قضاياهم وانشغل بأفكارهم، ومن هنا أيضا نشأ «العقاديون» و«الطحسنيون» نسبة إلى العقاد وطه حسين.. وتلك نقطة إيجابية في المعارك الأدبية والفكرية، فهي تحرك الساكن وتنطق الصامت، الأمر الذي يجعل الساحات الفكرية تتخلى عن الجمود والاستاتيكية وتعيش حالة من الحركية والديناميكية.. ولا شك أن لهذه المعارك بعض السلبيات وعليها بعض المآخذ، فهي قد تتسبب مثلا في احتقان بعض النفوس أو إثارة بعض الخلافات بين المتجادلين والمتناظرين.. لكن والحق يقال، كان لهذه المعارك الحوارية كثير من الفضل في إثراء ثقافتنا والارتفاع بمستوى القراء والباحثين على السواء، وساهمت في طرح العديد من القضايا الثقافية والفكرية على الساحة وعلى القارئ في وقت لم تكن السبل لتتهيأ لطرح تلك الأمور ما لم تنشب هذه الحوارات وتدار تلك المساجلات.



د. أمان قحيف - مصر

نجوم الظاهرة

إن متابعي المنتج الثقافي للقرن العشرين لا يمكنهم تناسي المعارك الأدبية والمحاورات الفكرية بزخمها الذي شهدته الساحة الثقافية آنذاك، ومن نافلة القول الإشارة الى أن العقاد وطه حسين والرافعي والمنفلوطي وأحمد أمين وزكي مبارك ومحمد حسين هيكل كانوا من أبرز الفرسان الذين اعتلوا صهوة الجواد في هذه المعارك وتلك المنازلات، ومن نافلة القول أيضا الإشارة إلى أن الباحثين الذين لم يشتبكوا بشكل مباشر في معارك أدبية أو فكرية آنذاك كانوا دائما- أو في الأغلب الأعم- من أنصار أحد طرفي النزال سواء أعلن بعضهم ذلك وأذاعه أم حاول الاحتفاظ برأيه ولم يجهر به على الإطلاق.

ومهما يكن الأمر فإن الساحة الفكرية بحاجة دائماً إلى الاحتكاك الفكري والتحاور الأدبي، ولا بأس من دعم هذه الظاهرة والسماح لها بالظهور والتنامي لأنها قادرة على تحريك العقول واستنفارها باتجاه التجويد في البحث والدراسة من أجل طرح الجديد والوصول إلى أفضل مستوى معرفي يتاح لطرفي التناظر إدراكه والوصول إليه.

القرآن الكريم والحراك الثقافي

ولنا أن نشير في هذا السياق الى أن القرآن الكريم أمر النبي ﷺ باتباع أسلوب



● أكاديمي وباحث في الفكر الإسلامي



الحوار والمجادلة مع الآخر من أجل الوصول للحقيقة، قال تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل- ١٢٥)، وقال تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت -٤٦)، ويمكننا التأريخ لظاهرة المجادلة في ثقافتنا منذ فترة نزول الوحي، حيث إن الدعوة التي جاء بها الإسلام لم تكن عملاً سكونياً، «بمعنى أنها أمر من السماء يجب أن يطاع بجبرية مطلقة وغيبية صارمة» بل كانت دعوة مصحوبة بالتفكير والجدل والمناقشة واستعمال العقل.. لذا نشأ صراع فكري بين الإيمان والكفر الوثني وبين الإيمان والنصرانية واليهودية والصراع نفسه أو أشد حدث بين الإيمان والنفاق، ولم يكن النفاق في صدر الإسلام ظاهرة نفسية أو اجتماعية فحسب، ولكنه كان إلى جانب ذلك حركة قوية لمعارضة أسس الإسلام ومحاولة القضاء عليه، فهو حركة فكرية وسياسية. وقد اهتم القرآن الكريم بمظاهر هذا الصراع وصورها في مئات الآيات، وجادل وناقش ودافع بالحجج المنطقية والفكرية والدينية والوعظية، وكان في كل ذلك يدعو إلى استعمال العقل والفكر والعلم والتدبر.

ضوابط وأخلاقيات

وإذا كنا نتحدث عن أهمية المعارك الأدبية والفكرية لثقافتنا المعاصرة من أجل تحريك الراكد وبث الوعي في نفوس المغيبين وضمائرهم فلا بد من التأكيد على حتمية أن يلتزم المتحاورون أو أطراف الاشتباك الثقافي بالأمور التالية:

أ- نبل الهدف وسلامة المقصد، كأن يكون الهدف المراد تحقيقه والوصول إليه هو تصحيح خطأ شائع أو إثبات حقيقة غير مدركة، أو البحث عن طريق لنهضة الفكر والثقافة غير الطريق المطروح على ساحة الثقافة وفضاء الفكر، ومهما اختلفت السبل وتعددت المشارب في هذا السياق فإن المحصول الذي تجنيه ثقافتنا في هذه الحالة سيكون من الإيجابية والثراء بحيث نشعر في نهاية المحاورات أو المساجلات أننا أضفنا إلى فكرنا أفكاراً جديدة وملأنا ساحاتنا بحوارات مفيدة فيها من الثراء ما يجعلها تدفع عجلة الفكر والأدب إلى الأمام ولعلنا نذكر في هذا السياق تلك المعركة الفكرية الأخيرة التي دارت بين علمين من أعلام ثقافتنا المعاصرة وهما الدكتور عبدالعزيز حمودة الأستاذ بقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة- يرحمه الله- والدكتور جابر عصفور الأستاذ بقسم اللغة العربية ورئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية، وكان المحور الذي دارت حوله هذه المعركة الأدبية هو البحث عن الكيفية التي يمكن من خلالها تجديد وتحديث الأدب العربي المعاصر، حيث ذهب د. عصفور إلى ضرورة الأخذ عن الغرب والالتزام بالحداثة كما أوجدتها وخططت لها وأفرزتها الثقافة الغربية، بينما رفض د.حمودة هذا الاتجاه تماما وأكد على إمكانية تطوير الأدب العربي والنهوض به من خلال البناء على ما تركه السابقون من أسلافنا العظام، وأيضا من خلال المزاوجة بين القديم والحديث، حيث لا يفقد القديم أصالته ولا يفقد الجديد حداثته، وظلت هذه المعركة قائمة على صفحات الدوريات الأدبية سنوات عدة، وانقسم النقاد والباحثون بشأنها إلى فريقين، أحدهما مع الرأي الذي تبناه د.حمودة والآخر مال إلى رأي د.عصفور، وكانت النتيجة النهائية لهذه المعركة أن أثرى د.عبدالعزيز حمودة المكتبة العربية بكتابين أهم من الآخر، هما «المرايا المقعرة» و «المرايا المحدبة» حيث قام في أحدهما بتفكيك رؤية الآخر وتفنيدها، وقام في الثاني بطرح المنهج والكيفية التي تمكننا من الوصول للنظرية الجديدة التي يسعى إلى القول بها والتأكيد عليها، والكتابان نشرا بسلسلة عالم المعرفة بالكويت، في الوقت الذي قدم فيه د.جابر عصفور العشرات من المقالات التي تعالج القضية نفسها وتدور في الفلك نفسه، وقام هو الآخر بنشر هذا الانتاج في العديد من المؤلفات التي صدرت له تباعاً.. وذلك حصاد وغنيمة ما كان لأدبنا المعاصر أن يفوز بهما أو يحصل عليهما ما لم تنشأ تلك المعركة أو تثار تلك القضية.

ب- ألا يحاول أهل فكر أو رأي الاستقواء بغير أهل الفكر والرأي لتحقيق الانتصار على من يخالفهم الرؤية والتصور، فمما يؤخذ على علماء المعتزلة- مثلا- أنهم حاولوا الانتصار لأفكارهم بالسياسيين، ونحن نخال أن ركون أهل الاعتزال إلى السياسة وقتذاك للانتصار بها جعلهم يخسرون الكثير مما كان يمكنهم تحقيقه لو لم يلجأوا إلى هذا الطريق وقتذاك، لأن الانتصار بالسياسي يختلف من حيث الجوهر والغرض عن الانتصار بالثقافي في أغلب الأحيان.

ج- أن يدور الحوار حول قضايا أو أفكار تهم الواقع المعيش: بمعنى أن تكون المسألة المطروحة للنقاش لها نصيب من الأهمية الحياتية للناس والمجتمع، وإلا نظر القراء إلى الأمر على أنه يمثل ترفا فكريا لا حاجة لهم به... وليس أدل على ذلك من انصراف الناس عن الذين يبحثون في التراث عن المناطق الخلافية التي تجاوزها الزمن وتخطاها الفكر! فالمفترض أن يدور الحوار حول قضايا معاصرة تلامس حياة الناس وتمس همومهم، لنضع لها حلولاً أو نتفق فيها على كلمة سواء، أو على الأقل نتوافق على الخطوط العامة والأهداف الأساسية لها.





الشعر العربي في شبه القارة الهندية

د. نبيل فولي - باكستان ●

حين انطلق الإسلام في أرجاء العالم التي سعدت به لم ينطلق وحده، بل أخذ اللغة العربية في صحبته، يُتلى بها القرآن الكريم، وتروَى بها السنة الشريفة، ويتخاطب بها الفاتحون، ولولا السياسة وتقلباتها وأمور أخرى تتعلق بضعف كثافة الهجرات العربية وتغير لغة الفاتحين في الأجيال التالية لتعربت مناطق من العالم أكثر اتساعًا مما نجد الآن.

لكن العربية بقيت في كل الأحوال لغة العلوم الدينية والدنيوية الأولى طوال فترات التفوق الحضاري للمسلمين، وكانت تصنع لنفسها في بعض المناطق خنادق خاصة بها في أوساط العلماء والطلاب وسط خضم من اللغات الأعجمية التي تأثرت بها تأثرًا لم يتوقف عند حدود استعارة الألفاظ، بل استعارت منها ألوانًا أدبية وبلاغية متعددة أيضًا.

تجربة فريدة

وللغة العربية في شبه القارة الهندية تجربة تمتاز بتفرد عجيب، فعلى الرغم من أن لغة القرآن لم تكن يومًا ما لسان عموم السكان هناك، سواء تكلمنا عن المسلمين أو الهندوس، فقد سجلت هناك وجوهًا من التفرد - في الدرجة على الأقل - أهمها ما يلي:

١ - تسربت نسبة كبيرة من الألفاظ العربية إلى اللغة الهندية عن طريق اللغة الفارسية التي سبقت إلى استعارة هذه الألفاظ من لغة المسلمين الأولى، حتى بلغت تلك النسبة حوالي ٤٠ في المائة من ألفاظ الأردية.

٢ - نشأت طائفة كبيرة من أهل شبه القارة ذات صلة بالعلوم الشرعية تتقن من مهارات العربية السماع والقراءة دون النطق والكتابة، فإذا قرءوا كتابًا عربيًا أو تحدث إليهم أحد بهذه اللغة فهموه تمامًا، لكنهم يعجزون عن البيان العربي بألسنتهم بشكل كاف.

٣ - كثرت المؤلفات العربية لعلماء شبه القارة كثرة لافتة للنظر، وذلك في علوم الشرع واللغة على السواء، وتفردوا في هذا الباب بأشياء تندر أشباهها لدى الشعوب والأقليات الإسلامية الأخرى، فقد اهتموا بشرح سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة استكمالا لجهود السابقين في شرح صحيحي البخاري ومسلم، وألفوا في بعض دقائق المسائل والقضايا مثل: كاشف الظلام عما يتعلق بالألف واللام، والقول المأنوس في القاموس، كلاهما للمفتي سعد الدين (ت ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، وقصيدة لامية المعجزات (نظم معجزات النبي الكريم في حوالي ٣٠٠ بيت) لحبيب الرحمن العثماني (ت ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م)، ونظم أسماء الله الحسنى، ونظم أسماء النبي ﷺ للشيخ محمد موسى روحاني بازي (ت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٤ - أنجب شبه القارة ولا يزال ينجب الكثير من الشعراء الذين نظموا قريضهم بالعربية، وهذا ما تهتم هذه السطور بالحديث عنه.

لم يغب عن النظام التعليمي الذي استقر في الهند على صورة «درس نظامي» الشهير هذا الرباط المقدس بين الإسلام واللغة العربية، فأولوا علوم اللغة العربية وأدبها اهتمامًا بارزًا إلى جانب العلوم الشرعية، حتى صارت دراسة مقامات الحريري وديوان أبي الطيب المتنبي وديوان الحماسة وديوان حسان بن ثابت من ثوابت هذا المنهج.

وقد استثارت هذه الدراسة الأدبية قريحة المتعلمين، حتى شارك كثير منهم في قرض الشعر باللسان العربي، ولعل الاهتمام بحفظ هذه المتون الأدبية واستظهارها قد أسهم في تعزيز هذا التوجه نحو الشعر العربي.

سمات العربية بالهندية

ومن أهم السمات التي يمكن ملاحظتها على العربية وشعرائها في شبه القارة الهندية ما يلي:

أ- غلب الاهتمام بالعلم الشرعي على أكثر هؤلاء الشعراء، فمنهم المحدث والمفسر والأصولي والفقيه، ويندر أن نجد من بينهم من غلب عليه الأدب، ومن النوع الأخير تبرز شخصية شيخ الأدب «محمد إعزاز علي» (ت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) صاحب حاشية «السحاب الصيب على ديوان أبي الطيب»، و«حاشية الفراسة لمن طالع ديوان الحماسة»، و«نفحة العرب، والواقعات المحيرة للبلاغة العربية».

ب- التقليد واقتفاء أثر الشعراء السابقين، وما يتبع ذلك من الركاكة، مع فخامة الألفاظ وغرابتها في أحايين كثيرة، حيث بدا الشعر القديم نموذجًا لا يقصر الشاعر الهندي في احتذائه، حتى في موضوعاته وطرق تعبيره، فانحصر أغلب شعرهم في المدح والرثاء. ولعل من أسباب الضعف الذي عانى منه أكثر هذا الشعر أيضًا - إضافة إلى غرابة لغة القريض على طباعهم - أن الشاعر الهندي الذي كتب بالعربية كان منغمسًا في العلم والتعليم، فانعكس ذلك في شعره. ويمكن أن تلاحظ على شعراء العربية في شبه القارة أن أسلوبهم العربي - في الشعر والنثر على السواء - يجود أحيانًا بشكل ظاهر لا مرية فيه، إلا أنه يسقط أحيانًا أخرى في حضيض الركاكة والصنعة، ويعز أن تجد فيهم خلال القرنين الأخيرين من يكتب على الدوام عربية خالصة لا عجمة فيها.

جـ- كثير من شعراء شبه القارة مقلون في نظم الشعر العربي بالقياس العام لكثافة الإنتاج الشعري بالنسبة إلى متوسط أعمار الشعراء، وقياسًا إلى عموم نشاطهم الثقافي والعلمي، ومن هنا خلا شعر الهند العربي من فحل ينضم إلى قافلة كبار الشعراء ذوي اللسان العربي.

د- كتابة الشعر بلغات أخرى (الأردية والفارسية خاصة) يكاد يكون وصفًا عامًا لجميع شعراء شبه القارة، مع تفاوت مستوى الإبداع لديهم من حيث كونه

● أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية



مطبوعًا أو مصنوعًا من لغة إلى أخرى – وهي مسألة جديرة بدراسة خاصة، أعني تفاوت مستوى شعر الشاعر الواحد حين يكتب بأكثر من لغة، وهو أمر يمكن ملاحظته حين نقارن شعر عبد الرحمن الرومي الذي كتبه بالعربية مقارنة بروائعه الفارسية، بل يمكن أن نلاحظه حين نقارن إبداع أحمد شوقي للشعر العامي بما سطره في تاريخ الأدب من روائع الفصحى.

شعراء وأشعار

ومن أشهر شعراء شبه القارة الهندية الذين أبدعوا شعرًا عربيًا: ولي الله الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة»، وغلام آزاد البلجرامي الشهير بحسان هندوستان، والأمير العالم صديق حسن خان، والشيخ أنور شاه الكشميري أحد علماء ديوبند المشاهير.

واللافت للنظر هنا التقاء أصحاب الاتجاهات الفكرية والدينية المختلفة في شبه القارة الهندية على قول الشعر بالعربية، على اختلاف وتفاوت بينهم في القيمة الفنية لهذا الشعر وفي كميته.

ومن نماذج هذا الشعر التي تعبر عن تلك الخصائص: قول المفتي محمد شفيع – رحمه الله – في وداع بعض أصدقائه الذاهبين إلى الحج:

يا واقفًا لوداع وهو محتار ماذا
وقوفك والأحباب قد ساروا
ما لي أراك قرير العين جامدها
وليس يبكيك أطلال وآثار
ألا يحثّك طبل للرحيل ولا يهيج
شوقك أذكار وتذكار
ألا يهمك أن الركب مرتحل وحمّلت
لجميع الأصحاب الأكوار
قطيب في عشي طاب مسراه لطَيبة
ملؤها للحق أنوار...
ما لي أرى بزقاق الهند مضطربًا
وللرفاق إلى البطحاء تسيار
كيف التذذتَ بنوم بعد ما رحلوا
وكيف ألهاك سمر ثم سمار
هلاّ انتهجت غداة البين منهجهم

رغم أنها لم تكن لعموم السكان .. تسربت نسبة كبيرة من العربية إلى اللغة الهندية وكثرت المؤلفات العربية لعلماء شبه القارة الهندية

وكيف آوتْكَ فينا بعدهم دار
يا صاحبيّ وقوفًا بالذي سبقت له
عهودكم لا مسّكم عار
هل تُبْلغان سلامًا من قريح جوىً
ودَعتموه فريدًا وهو مختار

ويظهر صدق العاطفة التي أملت على الشاعر هذه الدفقة الشعرية الجميلة، خاصة أنه ما عاد يصدق أنه ودع الركب المسافر إلى الحج دون أن يكون واحدًا من أفراده، فوضعَنا وسط هذه المفارقة حيارى معه يحدونا الشوق مثله إلى الأرض الطاهرة.

ويقول الأستاذ محمد ناظم الندوي – رحمه الله – في قصيدة مناجاة بعد أداء مناسك الحج:

بسطت يدي راجيا منك غفرانا
وجنة فردوس لديك ورضوانا
وتبت إليك من جميع مآثمي
فرحماك رحماك وعفوًا وتحنانا
حداني الحنين سائقًا نحو بيتك
العتيق الذي قد شيد صدقًا
وإيمانا
فطفت به شوطا وشوطا وثالثًا
وأربعة أشواط وقد تم حسبانا
ذكرتك خاليًا ففاضت مدامعي
ولذت دموع العين تُسكَب تهتانا
وعهدي بعيني لا تجود بعبرة فأنى
لها نبع تبجس فيضانا
لعل دموع العين تغسل حوبتي
فتقبل توبتي وتنقي أدرانا

والشاعر من تلاميذ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي الذين تلقوا عنه العربية وعلومها في الهند خلال ثلاثينيات القرن الماضي، وفي هذه المقطوعة الشعرية يبدو تقليديًا في مناجاته التي أعقبت أداء فريضة الحج، وإن كشفت لنا عن التجديد الذي تحدثه الفريضة الكريمة في نفس الحاج، حتى يجود بدموع خشية كان قد جمَّدها طول العهد وكثرة مقارفة الذنوب.

ويقول الشيخ عبد الحي اللكنوي – والد الشيخ أبي الحسن الندوي «في مدح النبي» ﷺ:

خير البرية رأسهم ورئيسهم ابن الكرام أخو الندى والسؤدد
رحب الذراع حليف مجد سابغ خدن الصلاح شقيق عزٍّ سرمد
المصطفى المختار من تمت به نِعَمُ المليك الواحد المتوحّد

وهذا اللون من القصائد المخصَّص لمدح النبي ﷺ شائع في آداب المنطقة بكل لغاتها، ويسمونه بالنعت، وقد أُبدعت فيه قصائد ودواوين كثيرة جدًا، حتى أن بعض شعراء شبه القارة قد لا يبدع شعرًا إلا في هذا اللون وحده. والشيخ عبد الحي نفسه لم يُعرَف له سوى مقطوعتين شعريتين، هذه إحداهما، والثانية في رثاء زوجته.

وفي خطاب إلى قادة المسلمين يقول محمد يوسف الكاملبوري:

يا قادة إسلام طال بقاؤكم قوموا
وأحيوا ملة إسلام
أجروا نظام سياسة شرعية فيها
صلاح رعية وإمام
ومروا عباد الله أن تدينوا وعليكم
بصلاتكم وصيام

وقال الشيخ موسى روحاني بازي في رثاء أحد العلماء:

هلموا يراعًا مع كراريس وأسرعوا
لأملي حديث البين والبين مجزع
حديثي أخلائي حديث مماتكم
وهذا حديث ذو شجون مروِّع
يدير الدنيا الحمام على الورى ولم
يُنج منه الخلقَ حصن ومدفع
فيا خاطب الدنيا وطالبها احذرن
ويا جيرة الموتى أما آن
أن تعوا
ألا إنما الدنيا متاع يغرنا تفرّق
جمعًا بعدما يتجمع
فخذ للمنايا – لا أبا لك – أهبة ألم
تدر أن الموت ما ليس يُدفَع
غفلنا وليس الموت عنا بغافل يغير
ولا يُبقى ولا هو يُخدَع
ألا كل ما تبني، لغيرك تبتني وما
تجمع الدنيا، لغيرك تجمع
فطوبى لمن يبني لعقباه دائمًا
ويجمع للأخرى ولله يهجع

المراجع

١ – د. جميل أحمد: حركة التاليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي (٤) – باكستان، ب. ت.

٢ – الشيخ عبد الحي الحسني الندوي (وأكمله ولده: أبو الحسن الندوي): نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، نور محمد كارخانه تجارت كتب، كراتشي – باكستان – طبعة معادة بالأوفست – ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٣ – د. فيوض الرحمن الديوبندي: مشاهير علماء (باللغة الأردية)، فرنتير بيلشنك كمبني، اردو بازار، لاهور – باكستان، ب.ت.

٤ – محمد ناظم الندوي: باقة الأزهار مجموعة مقالات وقصائد عربية، دار التأليف والترجمة، كراتشي – باكستان ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥ – محمد يوسف البنوري: نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور، المجلس العلمي في كراتشي (سلسلة المطبوعات – ٣٨) – باكستان ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٦ – محمود محمد عبد الله: آداب اللغة العربية في باكستان، رسالة دكتوراه محفوظة في مكتبة جامعة البنجاب الباكستانية بلاهور، كلية الدراسات الشرقية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧ – مجلة ثقافة الهند (فصلية عربية تصدر عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية)، أعداد مختلفة.



هذه هي الكويت

بروفسور أحمد البيلي - السودان

إلى شعب الكويت سعيت جوا
فمن أهلي رحلت أزور أهلي (1)
فرحب بي وأنزلني كرام
رحاب نفوسهم فحمدت نزلي
مضى الترحيب حفلا بعد حفل
صفاء قلوبهم إكليل حفل
لقد عرفوا ببذل المال قربى
إلى الرحمن واهب كل فضل
ألم ترهم لشرع الله أهدوا
مدونة مفصلة لكل (2)
وأم الضاد قد شدوا عراها
ففي «تاج العروس» مزيد بذل (3)
أقاموا نصه متنا وشرحاً
به الأبيات قد ضبطت بشكل
وللآيات تشكيل وعزو
فسر الباحثون بكل حقل
به الفصحى تفاخر أخريات
وإن تفخر فما فخرت بدجل
فإن الله أودعها كتابا
هو القرآن يعلو كل قول
وفي الآفاق كم لهمو أياد
فدأبهم الحنان على المقل
ففي آسيا لهم أثر حميد
وفي إفريقيا كانوا المجلى
فكم شادوا المساجد والزوايا
وكم من قارئ كم من مصل
وما صنع «السريع» كيف ينسى؟
فما شهد الجنوب له بمثل (4)
و(للبابطين) ما يعلي القوافي
سيعليه المهيمن والمعلي (5)
فباسم المسلمين أصوغ شكراً
وإن قصرت لم أبلغ لعلي
وللشورى لهم صرح منيف
سديد الرأي يبرمه ويدلي
ولا يخشى عتاباً أو عقابا
صحيح الرأي للأقوام يعلي
عراك الرأي للإصلاح زاد
فإن الحق غاية كل رسل
بني الصباح مجدكمو تليد
مكارمكم تزينكمو وتعلي
جميل الذكر للإنسان عمر
وعمر الذكر باق لا يولي
فسيروا مقتدين بنهج طه
ألا إن الجليل من الأجل

١- بدعوة من وزارة الأوقاف، نوفمبر ٢٠٠٧م.

٢- هي الموسوعة الفقهية، وقد رتبت موادها وفق الحروف الهجائية العربية وقد بدأ الجزءال ٣٦ بحرف الميم، وسيتوالى طبع الأجزاء، حتى تصل الموسوعة الى حرف الياء.

٣- (تاج العروس) كانت طبعته الأولى بالقاهرة سنة (١٣٠٦هـ) وجاءت في عشرة أجزاء، وجاءت طبعة الكويت في (٤٠) جزءاً، والسبب في هذه الضخامة، الضبط بالشكل التام للكلمات، والآيات، والأبيات.
وقد امتلأت الحواشي بذكر المصادر التي رجع إليها المحققون.

٤- الدكتور (عبدالله السريع) كان سفير الكويت بالسودان في الفترة (١٩٨٤ - ١٩٩١) وفي هذه الفترة أنشأت الكويت عدداً من المؤسسات الخيرية بالجنوب، وله عدد من المؤلفات ودواوين الشعر.. وقد منح وسام النيلين قبل انتقاله من الخرطوم،رحمه الله .

٥- السيد عبدالعزيز البابطين، هو صاحب الجائزة المالية للإبداع الشعري له عدة مشاريع ثقافية، وهو عضو في المجمع اللغوي بدمشق، وفي غيره من الهيئات الثقافية، قلده رئيس الجمهورية السوداني عمر البشير وسام المبدعين.



الإيثار والانتصار

عبد الغني ناجي- مصر

أشد ما يحز في النفس جواب التاريخ حينما يُطرح عليه هذا السؤال: ما أقوى دعائم انتصار آبائنا وجدودنا في ماضينا الزاهر؟ فالجواب هو: كانت أقوى دعائم النصر للآباء والجدود الذين أسسوا صروح المجد التليد- كانت: (الإخاء والإيثار) وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..﴾ (الحشر -٩) واليوم نحن نعمى او نتغافل عن تلك الدعامة الفريدة:(دعامة الاخاء والايثار) ونبحث عن أسباب أخرى واهية، ما حققت ولن تحقق الانتصار المنشود، فلابد أن نعود إلى دعامة الآباء والجدود، ففيها النصر والمجد التليد، وقد ألهمني جواب التاريخ في هذا المجال بهذه الأبيات لعلها تمحو الأسى، وتريح الضمير، لصدق الشعور:

مِنْ يثربِ شعَّ الضياءُ فريدا
يهدي الأنامَ: قريبهم وبعيدا
يَهدي النهىَ بعد الضلال لربِّها
فنعانقُ الأنوارَ والتوحيدا
نبتُ الأخوة يانع بين الألى
قد هاجروا، ومن افتدَى تأييدَا
إيثارُهم فاقَ الخيالَ تصوّرا
فرأى الزمانُ إخاءهمْ منضودا
فمتاعُ دنيا الناس فيهم قسْمة
كلٌ يفضلُ غيرَه محمودا
وقفوا تجاه الشرك وقفة حازمٍ
ثُلَتْ عروشُ الظلم عوداً عودَا
حملوا لواء العدل يخفقُ عالياً
والحقُّ يرفعُ في الوجود بُنودا
بتوحدٍ كان انتصارُ للهدى
والنَّصرُ بالإيثار فاقَ حشودا
وتساءلت دنيا الأنام عن الألى
كانوا على سمع الزمان نشيدَا
أين الألى كانوا الضياءَ هداية
في السّلم كانوا ركعاً وسجودا
وإذا اعتدى عادٍ تهبُ صفوفهمْ
زمراً تدافعُ للذياد أسودا
لم يعتدوا، لكن دفاعاً عن حمى
بذلوا النفوس يؤدّبون عنيدا
إن الدفاع عن الحمى بدعامة
هي وحدةٌ تبدي الدفاع حديدا
هل نقتفي نهجَ الجدودِ بهمةٍ
فالصفُّ كانَ موحداً ورشيدا





إعداد: مصطفى عاشور

إصدارات

■ كتاب «التقارب السني الشيعي بين حق الاختلاف ودعوى امتلاك الحقيقة» للكاتب وحيد تاجا الصادر عن دار الفكر - دمشق في طبعته الأولى، ويقع في ٤٠٥ صفحات ويعرض مجموعة من الحوارات أجراها المؤلف مع عدد من المرجعيات والرموز الفكرية والحركية الإسلامية على الجانبين السني والشيعي من خلال مجموعة من الأسئلة حول التقارب المذهبي، وأسباب الأزمات المذهبية بين الجانبين التي تطل برأسها بين الفترة والأخرى، ويحوي الكتاب رؤى تحتاج إلى تطوير من أجل خلق أرضيات للتعايش المذهبي بين المسلمين، بعيدا عن أي استغلال خارجي أو توظيف سياسي من أطراف دولية وإقليمية.



■ كتاب «أسرار التقدم والتأخر» للدكتور علي عبدالعزيز النقيلي، الصادر عن «مكتبة الشروق الدولية» بالقاهرة في طبعته الأولى ٢٠٠٨م في ١١٦ صفحة، ومؤلف الكتاب عالم أنثروبولوجي كبير ويطرح الكتاب تساؤلا مركزيا هو: هل قضية التخلف والتراجع الحضاري والثقافي قدر يرتبط بالموروثات الجينية، أم أنه حالة من الممكن تجاوزها من خلال الغوص في أعماق البناء الثقافي لأمة ما وإصلاحه، حيث إن النتاج الثقافي يعكس تجاربها مع بيئتها الخاصة، وليس مرتبطا بالصفات الفيزيائية لأشخاص تلك الأمة.



■ «إياك والزواج من كبيرة القدمين.. النساء في أمثال الشعوب» تأليف مينيكه شبير، ترجمة منى إبراهيم وهالة كمال، وصادر عن دار الشروق ٢٠٠٨، وهو مهم في التحليل الثقافي لعدد من الشعوب من خلال الأمثال الشعبية التي تنظر إلى المرأة، حيث يرى البعض أنه ليس هنالك مثل غير صحيح، لأن المثل هو ملاحظات مبنية على الخبرة والملاحظة، وكما يرى الروس فإن المثل القديم لاينكسر أبدا، ويلعب المثل الشعبي دورا في التأكيد على معاني تقليدية وربما خبرة نمطية عن المرأة ويحصرها في زاوية معينة من الرؤية قد تكون تصفها بقلة العقل والحكمة، او بتمركزها حول الجسد، أو بصنع فروق ومسافات شاسعة بينها وبين الرجل.



ثقافة المتاحف

المتحف مكان يجمع بين الثقافة والتعليم والترفيه، وقد عرفته «منظمة المتاحف العالمية» ICOM، وهي منظمة مهنية دولية تأسست عام ١٩٤٨م، بأنه «معهد غير تجاري يعمل على خدمة المجتمع وتطويره، يتابع ويعرض جميع ما يتعلق بالإنسان وبيئته لغرض الدراسة والثقافة والمتعة، ويفتح أبوابه لعامة الناس ومختلف المستويات».

والمتحف من وسائل الاتصال، وهو مؤسسة تعليمية لا تتقيد بسن معينة، وهو مؤسسة تحافظ على التراث الإنساني والتاريخي والطبيعي، إضافة إلى الجانب الترفيهي والسياحي، ولذا اهتمت أغلب الدول بإنشاء المتاحف؛ حفاظا على تاريخها وتراثها..لأن المتحف هو نافذة على الماضي، ويمتلك قدرة على توصيل ثقافة الماضي بدرجة قد تعجز الكتب عن التعبير عنها أو رسمها في ذهن القارئ.



وكلمة «موزيون» moueion، هي الكلمة اليونانية التي اشتقت منها كلمة المتحف، وتعني «مكان التأمل والدراسة». وكان الرومان يستخدمون كلمة المتحف للتعبير عن المكان المخصص للمناقشات الفلسفية.

أما إنشاء المتاحف بمفهومها الحديث فكان في القرن السابع عشر الميلادي،

الانترنت كوسيط ثقافي

تعيش البشرية أمام واقع افتراضي لا متناه متسع باتساع شبكة الانترنت التي تضم أكثر من ٤٠٠ مليون موقع، تتكاثر مع كل ساعة من الزمن، منها ما يقرب من ٢٤ ألف موقع باللغة العربية، وهذا الواقع الافتراضي متاح للجميع بمختلف الأعمار ودرجات الثقافة والتعليم والجنس والدين.

ويتميز هذ الواقع الافتراضي الانترنتي بأنه واقع تفاعلي، على خلاف الجرائد الأدبية والصحافة التقليدية، يشارك في تأسيسه الفرد والجماعة، وترتبط هذه المشاركة بالقدرة على التعامل مع الواقع المعلوماتي من استخدام للكمبيوتر، ومعرفة بالانترنت، فهو مجتمع لا يتراءى أعضاؤه، وتحكم درجة فعالية الفرد فيه قدرات أخرى يتعلق بعضها بالجانب التقني، وهنا يتحلل الفرد من ضرورة الحضور الجسماني ليحل مكانه حضوره الالكتروني.

ومتصفح الانترنت أمام كم هائل من المواقع والاختيارات، فهو أمام أكثر من٢٠ ألف فرصة اختيار بين مواقع صفحات، على خلاف الجريدة الورقية العادية فليس أمامه إلا جريدة واحدة يكون مضطرا للتعامل معها وقراءتها، لكن في الانترنت أمامه اختيارات لا محدودة، ويلاحظ في الانترنت وجود جمهور مختلف نسبيا عن الجمهور العادي، فجزء كبير جدا من مستخدمي الانترنت من الشباب، وهذا الشباب له ثقافته الخاصة التي يسعى لفرضها على الانترنت وصبغ تلك الشبكة بها، فالشباب يعتبر الانترنت من عمره ويجب أن تصطبغ بلغته ورؤيته..وبالتالي فالأدب والمواقع الثقافية الموجودة على الانترنت تعبر وتفصح في بعض جوانبها عن ذلك الجمهور الذي يميل إلى اللغة السريعة، ويميل إلى الصورة أكثر من ميله إلى النص، ويميل إلى التفاعل أكثر من ميله إلى القبول بالآراء الجاهزة.

والانترنت يحتاج إلى الحرية بقدر ما يحتاج إلى التقنية، رغم ما تفرزه من سلبيات.. فالانترنت تزامن مع الحداثة وما بعد الحداثة وما تبعه من تفكك المرجعيات، وظهور مقولات تجد نفسها عمليا في أن الإنسان هو مرجع ذاته، وانعكس ذلك على ثقافة الانترنت في نمو النزعات الفردية والأنا العالية، هي ثقافة يساهم الانترنت في ترسيخها. وإذا كانت الثقافة تتطور بتطور وسائطها، فإن الحياة الأدبية على الانترنت تشهد طغيانا للتقنية على النص، فالنص لم يعد هو سيد الإنتاج الأدبي، لأن العصر يفرض اختياراته على الجميع.



حيث بدأت النواة الأولى لإنشاء المتحف البريطاني سنة ١٦٨٢م، عندما أهدى أحد الأثرياء لجامعة أكسفورد مجموعة من المخطوطات والتحف والعملات واللوحات الفنية النادرة، وعندما أنشئ المتحف البريطاني سنة ١٨٥٣م تم وضع هذه المقتنيات فيه.. وفي القرن التاسع عشر أنشأت بريطانيا متاحف متعددة، منها «المتحف العام» سنة ١٨٥٧م، و«متحف الصور»، و«المتحف الجيولوجي».

أما فرنسا فأنشأت «متحف اللوفر» أجمل وأضخم متاحف العالم، والذي كان في الأصل قصرا منيعا أنشأه ملك فرنسا «فيليب الثاني» سنة ١٢٠٤م ثم حوله نابليون بونابرت إلى متحف.

وفي روسيا أنشئ متحف «الهرميتاج» أول المتاحف الروسية في موسكو سنة ١٧٦٤م.

وكان «المتحف المصري» أول المتاحف المصرية إنشاء سنة ١٨٦٣م، وفي سنة ١٨٨١م أنشئ المتحف الإسلامي.

ويعد «متحف الفن الإسلامي» بالقاهرة أكبر متحف إسلامي فني في العالم؛ حيث يضم مجموعات متنوعة من الفنون الإسلامية من الهند والصين وإيران مرورا بفنون الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس، وافتتح المتحف لأول مرة في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٣م.

ويأتي متحف «طوبقابوسراي» بإستانبول في المرتبة الثانية بعد متحف الفن الإسلامي من حيث إن ٩٠ في المئة من مقتنياته من الفنون والتحف التركية و١٠ في المئة يمثل الفنون الإسلامية التي تنتمي إلى بقية العالم الإسلامي.

أما أحدث متاحف الفن الإسلامي فهو متحف الفن الإسلامي بقطر في نوفمبر ٢٠٠٨م ويحوي قدرا كبيرا من التنوع في الفنون الإسلامية التي تجمع المخطوطات، والسيراميك، والمعادن، والزجاج، والعاج، والمنسوجات، والأخشاب، والأحجار الكريمة، جمعت من ثلاث قارات وصولا إلى أسبانيا والهند، وتبلغ مساحته حوالي ٣٥ ألف متر مربع، وهو تحفة فنية تقع في جزيرة في مياه الخليج على بعد ٦٠ مترا من كورنيش الدوحة وقد صممه المعماري العالمي «أي إم باي».

أضواء قرآنية على ظواهر كونية في الآفاق والأنفس

د. أبو بكر خالد سعد الله - السعودية

يقع كتاب «أضواء قرآنية على ظواهر كونية في الآفاق والأنفس» الذي تم نشره بالتوازي في الجزائر «الشركة الجزائرية اللبنانية للنشر والتوزيع» وبيروت «دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع» في ٣٨٤ صفحة، للمؤلف، د. محمد سعيد مولاي، استاذ الرياضيات بجامعة الملك خالد بمنطقة أبها بالسعودية.

ويعتبر د. مولاي من النشطين في حقل الدعوة الاسلامية منذ ريعان شبابه، تربى في حلقات المفكر المسلم مالك بن نبي.

يؤكد الكتاب على ان الانسان يتعرض بعد اكتشاف السنن الثابتة التي وضعها الله في الكائنات والقوانين التي تتحكم فيها، الى هزات وثورات علمية واجتماعية ونفسية، مثل ذلك، الثورة العلمية التي حدثت باكتشاف كوبرنيك الفلكية التي نقلت العالم الى فكرة مركزية الشمس ودوران الارض بعد ان كان بطليموس يتصور ثبات الارض.

يقول المؤلف في مقدمته: «فكم من ثورة او طفرة عبر تاريخ البشر، غيّرت من مسلمات خالها اتباعها باقية الى الابد فتقلبت لهم الامور رأساً على عقب»!

عالم المجرات

يستهل الفصل الاول بتناول موضوع السنن في التحولات التي فرضتها الاكتشافات في الفضاء الواسع (عالم المجرات) وفي الفضاء الدقيق (عالم الذرة)، ويتحدث عن آيتي الليل والنهار والثوابت الطبيعية، فاذا اخذنا موضوع الذرة مثلاً، لاحظنا انها وحدة اساسية لجميع انواع المادة، ولطالما اعتقد الانسان انها جزء غير قابل للتجزئة، ثم تبيّن له انها مركبة باحكام من نواة (موجبة) يتحرك حولها كهروب (سالب)، وبعد التمعن اتضح ان الذرة مصدر عجيب للطاقة، ولها فوائد جمة اخرى في مجال الصناعة والزراعة وتركيب الادوية وغيرها.

ثم ان الانسان ظن مرة اخرى ان ما اكتشفه في نواة الذرة غير قابل للتقسيم، لكن بعد المزيد من التعمق والدراسة تجلّى ان هذه الجسيمات تتركب بدورها من عناصر ادق واكثر تعقيداً، وهكذا كلما واصلنا البحث اكتشفنا ان كل جزء ينقسم الى جزيئات وكل جزيء ينقسم الى جزيئات ادق منه، وكأن عملية التجزئة تتواصل بدون انقطاع، الى ما لا نهاية، وتلك حكمة الله في الكون تذكرنا بقوله تعالى ﴿وأنَّ إلى ربك المنتهى﴾ (النجم -٤٢).

وبذلك نتيقّن ان الخلائق قائمة على سنن محكمة، وهي تمضي لتحقيق اهداف معينة قدّرها بارئها تقديراً، وأتى المؤلف في هذا الشأن بشواهد عدة من الثوابت الطبيعية والسنن الوارد ذكرها في القرآن الكريم.

نسبية المفاهيم العلمية والاجتماعية

ثم تناول د. مولاي موضوع نسبية المفاهيم، وقدم لمحة عن نشأة مفهوم النسبية في العلم الحديث، وربط هذا المفهوم بمفهوم الحرية التي لا وجود لها بدون قوانين، وتحدث عن التجاوزات في استغلال الحريات التي نشأ عنها فساد كبير، لكن الانسان حين يحدث به شر الفساد يراجع نفسه فيعود الى رشده، او تقوم فئة من المصلحين بمقاومة ذلك الفساد ورد باطل المبطلين ودفع خطر الاشرار على العباد.

> **مهمة العلماء التوفيق بين تأويل الأحاديث في عالم «الكبريات» بناء على النظرية النسبية وبين تأويل الأحداث في عالم «الصغريات» بناء على نظرية الارتياب**

كما تحدث عن مبدأ الحتمية ومبدأ الارتياب في الفيزياء القائل بأنه لا يمكن التحديد المستقبلي لمكان وسرعة المجيء في آن واحد، وهو ما يتناقض مع مبدأ الحتمية، وهنا يقف الانسان تائهاً بين هذه المتناقضات في تفسير ما يجري في كبريات الكائنات وفي صغائرها، ويجتهد العلماء حالياً للتوفيق بين تأويل الاحاديث في عالم «الكبريات» بناء على النظرية النسبية التي تهمل مبدأ الارتياب، وبين تأويل الاحداث في عالم «الصغريات» بناء على نظرية الارتياب، ولم ينس المؤلف هنا تقديم نماذج من الكتاب والسنة (ثبات الجبال وحركتها، اليوم الآخر، قصة موسى والخضر).

وبعد ذلك تناول الكتاب المفاهيم الثابتة وضرورة وجودها فتعرض مثلاً الى النظام الدولي للمقاييس والاوزن والانظمة المالية والنقدية، والمعالم في العلوم والثقافات، والمبادئ المقدسة في الاديان، وفي موضوع المعالم اشار الى انواع عدة، منها المعالم التاريخية، والجغرافية، والمعالم في الرياضيات (الوحيد البعيد، وثنائية الابعاد وثلاثية الابعاد، ورباعية الابعاد، المسماة «الزمكان»، اي تلك التي تأخذ ابعاد الفضاء الثلاثة مضافا اليها الزمن، الخ) وجال الكاتب بين الحضارات المختلفة (وادي النيل، ما بين النهرين، اليونان، الروم، الصين والهند) باحثاً عن معالمها، كما ربط الصلة بالاديان والمعتقدات والمذاهب في العصور الحديثة (الاقطاعية، الاشتراكية، الثورة الفرنسية، الداروينية) حتى وصل الى ما سماهم «فراعنة اليوم»، وهم اولئك الغربيون الذين يعتبرون طريقتهم هي «الطريقة المثلى» في الحياة لا بد ان ينصاع اليها جميع من في الارض.

وقد ورد في هذا الموضوع الكثير

من الامثلة المتنوعة التي اوضحت ان الانسان ما فتئ - قديماً وحديثاً - يركن الى دين من الاديان والمذاهب عبر الحضارات، وذلك بحثاً عن اسباب الثبات والاستقرار، «ولعله يذوّق بها من شجرة الخلد وملك لا يبلى تماماً كما ظنّ من قبل أبواه آدم وحواء» (ص١٤٢)، ويستخلص المؤلف ان المفاهيم الثابتة بالغة الاهمية، وكلما اراد الانسان ان ينفكّ من قيودها عبر الثورات او الطفرات انقلب الى سواها ليتقيّد بها مجدداً بلا هوادة.

جدلية الثابت والمتغير

وبعد ذلك انتقل الكاتب الى الفصل الثاني مستعرضاً ومحللاً جدلية الثابت والمتغير، فبدأ بتناول اشكالية الموضوع: نحن هنا امام ظاهرة بشقّين متقابلين، هما واقعية النسبية وحتمية التثبيت، ثم عالج القضية بأسلوب يتغلب عليه المنطق الرياضي الذي تشبع به المؤلف خلال تجربته الطويلة، حتى اننا نخال انفسنا احياناً امام كتاب رياضيات خُطّ بلغة عربية سلسة، خالية تماماً من الرموز المتداولة في الرياضيات، والحقيقة ان الموضوع يفرض، من حين لآخر هذا الاسلوب غير الانشائي، مثلاً، عندما يناقش المؤلف تصورات الفيلسوف كانط، ومبرهنات عالم المنطق الشهير غودل الذي اثبت في النصف الاول من القرن العشرين ان هناك قضايا رياضية جادة لا يمكن البت فيها، اي قضايا يستحيل البت في صحتها او خطئها، بمعنى انها صحيحة وخاطئة في آن واحد (ان انت اثبت صحتها استنتجت خطأها، والعكس بالعكس).

سدرة المنتهى

وينتقل بنا المؤلف الى الفصل الثالث سابحاً بين البحث عن الحقيقة وصولاً الى «سدرة المنتهى»، وقد استهل حديثه عن الشك واليقين عند الغزالي، وعن اختلافات الوسائل في طلب المنتهى، ثم ذكرنا المؤلف بنظرة سيدنا ابراهيم في ملكوت السموات والارض وبدرجات العلماء ومقامات الانبياء، وعالج سلوك الانسان - الذي يمشي مكبّا على وجهه، أو يمشي مستقيماً على سبيل ربه - معالجة نفسية بناء على ما ذهبت اليه الدراسات الحديثة في مجال علوم النفس التحليلية حيث نجد فيها «مذهبين على وجه الخصوص، احدهما يركّز على الجانب «الفجوري» للنفس ويقوم على تداعيات «السوءات»، والآخر امعن النظر في الجانب الاخلاقي القائم على ما يسمى بالنماذج البدائية» (ص٢٥٠).

وفيما يخص البحث عن الحقيقة المطلقة فانه لا يتم الا بمنهجية محكمة، وللفطرة منهجها واتجاهها الذي جبلت عليه، فان خالف الانسان هذا الاتجاه زلّ ووقع في طريق مسدود، وكذلك السبيل الى بلوغ السموات والارض، فهو نوعان: «سبيل معوجّ للفطرة ومسدود بلا جدوى، وسبيل مستقيم على الفطرة وممدود بلا حدود». (ص٢٥١).

ويرى المؤلف ان من اوجب الواجبات في عصرنا هذا الذي اشتد فيه العداء لدين الله وانحرفت فيه العلوم عن سبيل التوحيد - بدعوى العولمة والحياد - «اعادة المياه الى مجاريها برفع الشبهات وتقديم البرهان على ان منابع العلم والمعرفة هي من الله عز وجل، كما ان مقاصدها القصوى هي الى الله جل وعلا» (ص٢٥٠).

الأزواج وكفتا الميزان

اما الفصل الرابع والاخير فخصص للحديث عن ظاهرة الازواج، فيشير الى الميزان والتوازن، ويلاحظ ان للميزان كفتين يقوم عليهما الوزن والقياس، وبذلك تتقابل البضاعة بالثمن، ويتحقق العدل بين البائع والمشتري، و«باستقامة الميزان يتم التوازن وتتحسن العلاقات وبخسرانه يضيع القسط ويظهر الفساد بين الناس» (٢٨٧)، والواقع ان هذه المقارنات والتوازنات لا تنطبق على نطاق الماديات دون غيرها، بل تمتد الى عالم المعنويات كالاخلاق والافكار، فكل شيء قائم في الحياة على الميزان، على القسطاس المستقيم، ومن ثم يحق لنا التساؤل، لا بد من وجود كفتين للميزان لتحقيق التوازن، فما هما كفتا ميزان الكائنات والانفس، وما هي انواعها وخصائصها؟

وعرج د مولاي على بعض المفاهيم المتداولة في الرياضيات واوضحها بلغة سلسة للقارئ مثل «الاستنساخ» الذي يقابله «الاستقراء» و«التحليل» الذي يقابله «التركيب»، كما تناول المنهجين التوفيقي والمقارن».

وفي الخلاصة أشار المؤلف الى ان الخصائص التسع للزوجية الوارد ذكرها اعلاه تمثل تسع سنن كونية ثابتة كلها آيات بينات، وبناء على ذلك يحاول المؤلف تعريف «الزوجية» في قالب رياضي حيث يدلي بهذا التعريف: تحقق ثنائية زوجية اذا تكامل طرفاها في نوع من الوحدة بحيث لا معنى لاحد الطرفين، ولا وجود له، ولا توازن، الا بمعية الطرف الآخر.

وهكذا ندرك ان كتاب د. مولاي «أضواء قرآنية على ظواهر كونية على الآفاق والأنفس» يجمع كمّا هائلاً من التأملات في الظواهر الكونية والفكرية حاول مؤلفه فحصها فحصاً اخضعه الى آيات القرآن الكريم وبيانه.



لماذا...؟

عبادة نوح
سكرتير التحرير التنفيذي
nooh22@hotmail.com

تستقبل الأمة الإسلامية عاما جديدا ومازال الأمل يراودها في التغيير والإصلاح والتمكين لقيادة البشرية إلى الصلاح والسعادة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه على الساحة هو لماذا يخفق المسلمون في تحقيق هذا الهدف؟ عندما نبحث في سيرة السلف الصالح نرى وعي الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين- من خلال معايشتهم للقرآن الكريم، ومصاحبتهم للنبي الأمين محمد ﷺ، ومشاهدتهم لأحوال المخلوقات على ظهر هذه الأرض، بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، وأنها مزرعة للآخرة يزرع الناس فيها اليوم ليقطفوا غداً في الآخرة، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك - ٢)، وأنها صائرة إلى فناء وزوال، يقول الله تبارك وتعالى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦- ٢٧).

من هنا كانوا يجاهدون أنفسهم لإخراج الدنيا من قلوبهم، فكان زهدهم إيجابياً مؤثراً في الحياة، لا زهد نفر من المتأخرين انقطعوا عن الحياة الدنيا، ولبسوا خشن الثياب، وتركوا النظافة والطيب! فهذا عبدالرحمن بن عوف ﷺ تقبل عليه الدنيا من كل جانب، فيسخرها في طاعة الله ومرضاته، ويلبي نداء رسول الله ﷺ في تجهيز سرية بأكملها، إذ نادى رسول الله ﷺ في أصحابه يوما «تصدقوا، فإني أريد أن أبعث بعثا» ويبادر عبدالرحمن بن عوف إلى منزله ويعود مسرعاً، ويقول يا رسول الله : عندي أربعة آلاف، ألفان منهما أقرضهما ربي، وألفان تركتهما لعيالي، فيقول له الرسول ﷺ «بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك الله لك فيما أمسكت» (رواه الهيثمي).

وحين تحرر الصحابة من سيطرة الدنيا وزخارفها ومفاتنها وبريقها وانقادوا لأوامر ربهم، أعزهم الله وأيدهم بروح منه، ونصرهم على عدوهم، والأمة اليوم تعاني وقوع الكثير من أبنائها في شهوة الحياة المادية، وتخليهم عن رسالتهم في الحياة، وانشغالهم عن رسالة الشهادة على البشرية.

والمتابع لأوضاعنا يرى أننا أخفقنا في عمارة الأرض إخفاقا عديم النظير، حتى صرنا عالة على الآخرين في كل شيء حتى في كسرة الخبز التي نأكلها، وفي الثوب الذي نلبسه، ناهيك عما هو أكبر من ذلك مثل السيارات والطائرات.

كذلك أخفقنا في الجانب الإيماني الذي يعتبر لب المشكلة والمتجلي في تقوى الله (مراقبة الله في السر والعلن، والنزول على حكمه سبحانه في كل ما نحب ونكره) فانتشر بيننا الإلحاد، وظهرت فينا الأحزاب العلمانية، ودعاوى القوميات والجنسيات، وبرز بيننا انتهاك الأعراض علانية وفي وضح النهار، وكذلك سلب الأموال، وسفك الدماء وظلم الأقوياء والأغنياء للضعفاء والفقراء.

وأخفقنا أيضا في جانب الشهادة على العالمين، حيث أهملنا منذ زمن بعيد الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الأعداء الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، بل تحول زمام الأمور إلى آمرين بالمنكر ناهين عن المعروف مضطهدين للأحرار القائمين بالحق الداعين إليه، فتحولنا عن مركز الإمامة والقيادة والشهادة على العالمين إلى مركز التبعية والاستسلام، الأمر الذي أورثنا ذلا وهوانا، إذ لما كانت القيادة في أيدينا كنا نحسن استخدامها فسعدنا وسعدت البشرية من حولنا، وحفظنا لها حق الحياة، ولما صارت قيادة البشرية إلى غيرنا شقيت البشرية بشقاء هذه القيادة.

آن أوان التجديد الإيماني والنفسي والمعرفي والفكري والدعوي للوصول إلى درجة المسلم الرباني الذي يعرف الله حق المعرفة، ويطبق ما أمره به، ويبتعد عما نهاه عنه، ويتخذ القرآن منهج حياة لتنظيم جميع شؤونه الدنيوية، وأن نلم بفقه الواقع والأولويات حتى نصل إلى التمكين في الأرض والفوز بالجنات. والله ولي التوفيق.

لفتة

- يمر العالم اليوم بمتغيرات سلبية عديدة تستدعي دراسة التاريخ بتمعن لمعرفة إلى مدى إمكانية وصول المسلمين إلى مبتغاهم في هذه المرحلة.
- تأتي الهجرة النبوية الشريفة لتذكرنا بالمعاني السامية والمبادئ القويمة والأسس الإيمانية.. فلنع هذه المفردات جيدا قبل فوات الآوان.
- تعيش غزة هذه الأيام حصار حصار خانق جراء تغافلنا عن حقها .. فلنبادر بتقديم الغالي والنفيس لأننا مسائلون عن أهلها أمام الله يوم القيامة .



أسـرتـي



- مطعم وكافية خاص بالنساء
- عولمة قضايا المرأة
- للتخلص من الخوف عليك ...








في حوار مع صاحبة أول مطعم وكافيه نسائي:

المطاعم الإسلامية .. ضرورة لنشر ثقافة الأماكن الملتزمة

حوار: منير أديب

«سبانجلز» اسم للكافيه الأشهر والأغرب في القاهرة، حيث يعد الوحيد بين كل الكافيهات المخصص للسيدات فقط، وتعد فكرته الأجرأ، ويقوم بالعمل فيه سيدات فقط، كما أن الكافيه نفسه مخصص لاستقبال الفتيات والسيدات بعيدا عن أعين الرجال، خادماته والعاملات فيه سيدات، ويقوم الكافيه الملحق به مطعم بالعديد من الحفلات النسائية الخاصة، بداية من الحنة (اليوم الذي يسبق عقد الزواج) وكل الحفلات والرحلات أيضا، «الوعي الإسلامي» زارت الكافيه الذي ارتسمت عليه صورة جديدة كبديل للكافيهات والمطاعم المختلطة، محاولة التعرف على الفكرة التي تعتبر جديدة، ونقل هذه الصورة كبديل جديد للكافيهات والمطاعم المختلطة.

فاجأنا، وقبل أن نبدأ الحوار مع مروة إسماعيل المدير المسؤول عن الكافيه، وجود لافتة كبيرة بعرض واجهة الكافيه مكتوب عليها «للسيدات فقط مطعم وكافيه بدون شيشة»، طلبنا الدخول إلى الكافيه لإجراء حوارنا المحدد موعده سلفا، وبعد تهيؤ الموجودين في الكافيه لدخول صحافيين بدأ الحوار:

■ **في البداية نحب أن نتعرف على الكافيه.. ولماذا اخترتم أن يكون للنساء فقط؟ وهل تخوفتم فعلا من فشل هذا المشروع، خاصة أنه جديد من نوعه؟**

- لا أخفيك سرا أن الفشل كان يراودنا كثيرا، وكنت أتألم أكثر عندما يأتي هذا الفشل إلى خاطري، ليس لخوفي على الأموال التي وضعتها في هذا المشروع، وإنما لأنني أريد في الحقيقة نشر ثقافة (الأماكن النظيفة) إن جاز التعبير، حيث يغلب على الكافيهات الموجودة، للأسف الشديد، كثير من السلوكيات غير المنضبطة، وبالتالي فإن النساء يحتجن كثيرا إلى كافيه يكون مخصصا لهن لا يدخله الرجال، علاوة على أن الكافيه نفسه يلبي الرغبة في إقامة حفلات نسائية صرفة، كحفلات الحناء التي تسبق عقد الزواج، وغيرها من الحفلات النسائية، وكثير من النساء يُقمن بمفردهن في الحياة لظروف قدَرية، ويحتجن بين الوقت والآخر للترفيه عن أنفسهن، وبالتالي يجدن في هذا المقهى سلوتهن وتلبية رغباتهن أيضا، غير أن كثيرا من رجالات الأعمال من النساء يحببن أن يقضين بعض أعمالهن في المقهى، والكافيه يلبي متطلبات النساء

البعض يحاول تشويه صورتنا.. ونحاول فتح فروع لنا في الأقطار العربية كافة

الترفيهية، من مكان مريح ونظيف وعمل رحلات بحرية وترفيهية عن طريق حجز بعض الأماكن المخصصة للنساء، وبالتالي يغلب على أعمالنا تقديم «البديل الإسلامي» لكل ما يمكن أن يسعد به الإنسان.

■ **متى بدأ مشروعكم؟ وهل ترون أن الفكرة نجحت بالفعل؟ وإلى أي مدى تشجعين أخريات لإقامة تجمعات نسائية خاصة؟**

- لا شك أن المرأة جزء من المجتمع، ولا يمكن أن تنعزل عنه بحال، غير أنها تحتاج بين الوقت والآخر إلى أن تأخذ مزيدا من الراحة والرفاهية بعيدا عن أعين الرجال، وهذا ما يوفره الكافي شوب، أما مشروعنا فقد بدأت فكرته منذ سنتين ونصف السنة، حاولنا دراسة المشروع أولا من كل جوانبه، لأننا كنا نبحث في الأساس عن



عوامل جذب شديدة للنساء نضاهي بها أماكن أخرى ربما وتلقى قبول النساء، أنا أرى نجاح الفكرة في إقبال الناس عليها، والشكر الذي نستقبله كثيرا من زائرينا ومن آخرين لم يتح لهم زيارتنا غير أنهم يتواصلون معنا عبر الاتصال التلفوني.

■ ما أبرز المواقف التي تقابلونها من قبل النساء والرجال على حد سواء؟

- هناك مواقف كثيرة نتعرض لها، في بداية إنشاء هذا المشروع تعرضنا لحملة تشويه كبيرة، خاصة أن المكان مخصص للنساء فقط، وهذه ثقافة غائبة عن كثير من البلدان العربية، وكانت الاتهامات في البداية تصورنا على أننا ندير أعمالا منافية للآداب، خاصة أننا خصصنا المكان فقط للنساء من دون غيرهم، حتى تغيرت هذه الصورة مع الوقت، وبدأت تنتشر هذه



الثقافة في كثير من الأوساط.

■ ما أكثر المواقف التي قابلتكم طرافة؟

- دخول إحدى الفتيات إلى الكافيه بصحبة والدتها، وعندما تفاجأن بأن الكافيه مخصص للنساء فقط، تراجعن عن الدخول، ورددن أنهن دخلن عن طريق الخطأ، وبالفعل لم يدخلن الكافيه، وهذه السلوكيات لا تؤثر فينا، وندعو الله أن يوفقنا في هذا المشروع، وأن يستخدمنا لدينه.

■ ما نوعية اللائي يترددن على الكافيه؟ وإلى أي الفئات العمرية ينتمين؟

- زبائننا من الأخوات الملتزمات بزيهن الشرعي، وممن يكرهن الاختلاط، وبالتالي يرفضن رفضا شديدا أن يذهبن للمطاعم

أتــــواصــــل مع زبــائــنــي عــبــر الميــل والإتصالات التلفونية

والكافيهات نظرا لوجود الاختلاط في أغلبها، خاصة أن كثيرات منهن يرتدين الحجاب الشرعي الذي يمنعهن أن يكن على راحتهن، فيجدن بديلا في الكافيه الخاص بنا، وبالتالي فإن متوسط الأعمار تتراوح بين سن ١٨ و٣٥ سنة، وكثيرا ما يتردد مجموعات من النساء من نواد مختلفة.

■ ما مواعيد الكافيه؟ وهل هناك أوقات ذروة للعمل في هذا الكافيه النسائي؟

- نعم هناك مواعيد للكافية تبدأ من الساعة العاشرة صباحا وتنتهي الساعة الحادية عشرة مساء، وأغلب الزبائن اللاتي يتأخرن ممن يسكن بجوار الكافيه، وكثير من النساء يسترحن في المقهى حتى يخرج أبناؤهن من المدارس، وفي الغالب لا نعمل أيام الأعياد، ويقل عندنا العمل يومي الخميس والجمعة، لأن هذه الأيام تسمى أيام الحموات وأيام الأسرة.

■ هل استخدمتم عوامل جذب للترويج لهذه الفكرة؟

- بلا شك، ومن أهم عوامل الجذب أننا حاولنا أن تكون أسعارنا منخفضة ولم نبالغ في الأسعار، حتى تستطيع النساء من كل الفئات والطبقات زيارتنا والاستمتاع بهذا البديل المفتقد في كثير من البلدان العربية، كما نحاول تقديم بعض الخدمات غير الموجودة في أماكن أخرى.

■ هل تنوين فتح فروع أخرى؟ وما الشيء الجديد الذي تحبين تقديمه للنساء فقط؟

- أحب أن أقدم كل جديد للنساء، وأجمل ما لدي أنني أطرح هذه المشروعات كبديل لما هو موجود على الساحة وتحتاج إليه كثير من الأسر، ونحن نستعد بالفعل لإنشاء فروع أخرى تكون منتشرة في كل الأحياء والمناطق القاهرية، غير أننا نحلم بأن تكون لنا فروع في كل العواصم العربية، لأننا نحس بمدى احتياج النساء لمثل هذا النوع من الكافيهات، علاوة على أننا نجد هذا الأمر مربحا في الدنيا والآخرة، أما عن الجديد، فأنا أفكر في استنساخ الفكرة، وأحاول تنقيحها لتناسب الأسرة بالكامل، لأن هذا الجو الأسري مفتقد للأسف الشديد في مطاعم وكافتريات كثيرة، ونحن طول الوقت نستقبل العديد من الرسائل، علاوة على أننا ندعم فكرة الاستقصاء عندنا، لنكون قريبين دائما من النجاح، وفي الوقت نفسه نقدم هذا الأمر بوجهة نظر بعيدة عن الاختلاط.

■ ما الشيء الجديد الذي تتعاملين به لتقديم خدمة جيدة وتحاولين من خلاله الترويج للبدائل النظيفة، على حد تعبيرك؟

- أنا أميز نفسي بأنني أتواصل مع زبائني عبر الميل والاتصالات التلفونية، وبالتالي يخلق هذا التواصل علاقة قوية يكون لها دور في الترويج للبديل المطروح الذي يحقق نجاحا يوما بعد الآخر.




الأمم المتحدة وعولمة قضايا المرأة

فاطمة حافظ - مصر

يمثل القرن العشرون نقطة تحول مفصلية في تاريخ المرأة عموما والمرأة المسلمة خصوصا حتى يمكننا أن نصفه بدون افتئات بأنه «قرن النساء»، إذ ظل سؤال المرأة حاضرا طيلة القرن مع تباين في أشكال الطرح وطبيعته، إذ بينما افتتح القرن بتساؤلات حول الحجاب وحدود المشاركة في المجال العام وضوابطها، فقد اختتم بتساؤلات ذات طبيعة مغايرة تتركز حول طبيعة العلاقة بين المرأة والعولمة، ودواعي الاهتمام الدولي بقضاياها، وموقع المرأة من منظومة التغيير الاجتماعي التي تتبناها قوى العولمة.

يشير مفهوم العولمة إلى عمليات الاختراق المنظمة التي تقوم بها عناصر وجهات خارجية لسيادة الدولة ومجتمعاتها بهدف إعادة تشكيل الأوضاع الداخلية فيها على نحو يتوافق مع النموذج الذي تروج له الأطراف الدولية ويتسق مع مصالحها، وقد ازداد الشعور بتأثير آليات العولمة في العقود الثلاثة الأخيرة نتيجة تضافر عدد من العوامل وهي انهيار نظام القطبية الثنائية الذي نتج عن انهيار الاتحاد السوفييتي وهيمنة الولايات المتحدة وانفرادها بقيادة العالم، وقد أغراها نجاحها في الحرب الباردة بالسعي لنشر نموذجها الليبرالي العلماني وفرضه بالقوة على غيره من النماذج والأنساق الحضارية، وكذلك تردي نموذج الدولة القومية الذي ساد في منتصف القرن الماضي بما كانت تمثله من الرغبة في تحقيق حلم الاستقلال عن الاستعمار وإنجاز التنمية الشاملة، بالاضافة إلى ثورة الاتصالات- خاصة الاتصال الفضائي- التي حملت قيم العولمة وأدواتها إلى بلدان الجنوب وساعدت في زعزعة الثقة بالتقاليد والثقافات المحلية.

ويتمثل المشروع العولمي في أدوار الفاعلين الدوليين الذين تتكامل أدوارهم معا: الأمم المتحدة، الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة، والمنظمات الحقوقية غير الحكومية، ويعد مشروع الأمم المتحدة بشأن المرأة أكثر مشروعات العولمة وضوحا وتكاملا بالنظر إلى عمقه التاريخي وتعدد آلياته، ولعله أكثرها خطورة لأنه يقدّم تحت لافتة المنظمة التي تمثل المظلة الجامعة التي يُفترض حيادها بين مختلف الثقافات والنماذج الحضارية.

ولفهم أبعاد الدور الذي تمارسه ينبغي أن نشير بإيجاز إلى بعض التطورات المهمة التي لحقت بالمنظمة الدولية في العقود الثلاثة الماضية والتي كان من أهمها حدوث تحولات جوهرية في أولويات الأمم المتحدة، فبدلا من تركيزها الاهتمام على الشئون السياسية باعتبارها منظمة معنية بحفظ السلم والأمن الدوليين، اتجهت المنظمة إلى التركيز على قضايا التنمية والسكان والبيئة والمناخ، وقيام الأمم المتحدة بتطوير رؤية جديدة في التنمية تتجاوز الأبعاد الاقتصادية إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية، وهي ما عرفت باسم «التنمية البشرية»، وبموجب هذه الرؤية تحولت من الاهتمام بالنهج الاقتصادي الذي يبحث في سبل إدماج النساء في التنمية وكيفية تحسين أوضاعهن الاقتصادية باعتبارهن الأكثر فقرا إلى النهج الاجتماعي والثقافي الذي يبحث في مجمل علاقات النساء بالرجال ويفحص الأدوار الاجتماعية ويسعى إلى التدخل لإعادة صياغتها وتشكيلها وفق أسس جديدة من أجل تحقيق التنمية الإنسانية الشاملة.

تاريخ الاهتمام بقضايا المرأة

برز اهتمام الأمم المتحدة المستقل بالنساء في منتصف السبعينات حين عقد المؤتمر الأممي الأول في المكسيك (١٩٧٥) وذلك في مفتتح العقد العالمي للمرأة (١٩٧٦-١٩٨٥)، وتوالت بعد ذلك المؤتمرات العالمية في كوبنهاجن (١٩٨٠) ونيروبي (١٩٨٥) وبكين (١٩٩٥) ومؤتمرات متابعة مؤتمر بكين التي تنعقد دوريا كل خمس سنوات (بكين +٥) و (بكين +١٠)، وإلى جانب ذلك تم عقد بعض الاتفاقيات الدولية المعنية بالمرأة أبرزها اتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) ١٩٧٩، رافق ذلك إصدار عدد ضخم من التقارير والوثائق الدولية المعنية بالمرأة، وتتكامل هذه الآليات الثلاث (المؤتمرات، الاتفاقيات، الوثائق والتقارير) مشكلة ملامح مشروع الأمم المتحدة بشأن المرأة.

ورغم أن اهتمام الأمم المتحدة بالنساء بدأ في السبعينات إلا أن عام (١٩٨٧) يعد انعطافة حقيقية في تاريخ هذا الاهتمام، ففيه حثت اللجنة المعنية بمركز المرأة في الأمم المتحدة على إدراج قضايا المرأة ضمن الانشغالات الرئيسية للمنظمة الدولية، ومنذ ذلك الحين انطلقت الدعاوى التي تحث الحكومات على أن تقتفي هذا الأثر، ونتيجة لذلك تبنى مؤتمر بكين ١٩٩٥ دعوة الحكومات لأن تدرج النساء بصورة واضحة ضمن خطط التنمية الاقتصادية، واعتبار القضايا النسائية ضمن القضايا القومية الكبرى.

الأسس الفكرية والإشكاليات المفاهيمية

هذا من الناحية التاريخية، أما من الناحية الفكرية فإن مشروع الأمم المتحدة يتأسس على دعامتين: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المستقى من المنظومة الليبرالية التي تتمركز حول الفرد، وتجعل منه القيمة العليا على حساب التشكيلات الجماعية وخاصة الأسرة، كما يتأسس على النهج التنموي الذي يشغل مفهوم المساواة (الكمية المطلقة) موقع القلب منه، وحسب أدبيات الأمم المتحدة فإن أي سياسة تتجه نحو تحقيق المساواة بين الجنسين تقدم للمرأة من الموارد ما يسمح لها بالسيطرة على حياتها، وحتى تتحقق السيطرة بصورة مثلى هناك ضرورة لإعادة النظر في أدوار الرجل والمرأة بحيث لا تقتصر وظيفة المرأة على الوظائف ذات الطابع الفسيولوجي كالحمل والإنجاب، أو ذات الطابع التقليدي مثل تربية الأبناء، كما أن هناك حاجة موازية

المنظمة الدولية تفرض نموذج عالمي للمساواة بين الجنسين بغض النظر عن إختلاف الديانات أو الثقافات

لإعادة تنظيم وصياغة الوحدات الأساسية في المجتمع مثل الأسرة والقبيلة والحكومة وفق مرتكزات جديدة تسمح بأن تحتل المرأة الصدارة في هذه الوحدات، إن هذه الكيفية في تحقيق المساواة المطلقة هي وحدها الكفيلة - برأي الأمم المتحدة- بإزالة التمييز الذي عانت منه المرأة طوال تاريخها.

إلى جوار مفهومي المساواة وإزالة التمييز، وهما من المفاهيم المستقرة اللذين لا خلاف عليهما إلا من زاوية النظر والتأويل، فإن رؤية الأمم المتحدة تتضح بصورة أفضل من خلال تتبع سيل المفاهيم المحدثة التي صكتها الحركة النسوية الغربية اخيراً، وتم تبنيها بشكل مطلق، وباتت تشكل معايير تستند إليها في تقييمها لأوضاع النساء دون مراعاة اختلاف الثقافات أو العادات. والمعلوم أن المفاهيم ليست كلمات مجردة تخلو من الدلالة كأسماء الأشياء، وإنما هي بمنزلة أوعية تحمل معاني ورسائل مضمرة، ولا يتصور حصول فهم للمعنى المقصود إذا لم يفهم المفهوم على وجهه الصحيح.

وبتدقيق النظر في طائفة من المفاهيم المحدثة الواردة في وثائق الأمم المتحدة فإننا نجد أن بعضها ليس له تعريف أصلا كالجندر، الذي اعترفت الأمم المتحدة رسميا في أحد مؤتمراتها بأنه مفهوم غير قابل للتعريف، أو أن بعضها مفاهيم ملفوظة، مثل «الأدوار النمطية» أي الأدوار المرتبطة بالجنس التي يعتقد بأنها آية التمييز ضد المرأة، ومثله مفهوم «الصحة الجنسية» التي تعتبرها الأمم المتحدة حقوقا إنسانية طبيعية غير مقصورة على المتزوجين زواجا شرعيا، أو البالغين، وإنما هي حق للجميع دون استثناء، وعلى شاكلته مصطلح «المتحدين أو المتعايشين» الذي يقنن العلاقات المثلية ويعدها علاقات مقبولة ما دامت تتم برضا الطرفين.

رؤية الأمم المتحدة يمكن تلخيصها بأنها قائمة على الإباحة المطلقة غير المقيدة لكافة أشكال العلاقة بين الذكر أو الأنثى، اللهم إلا من شرطي التراضي الكامل بين الطرفين، والجنس الآمن الذي لا يخشى منه أن يؤدي إلى الأمراض، وبموجب هذه الرؤية لم يعد الطفل المولود خارج نطاق الزواج طفلا غير شرعي، مثلما كان الحال في الماضي، وإنما أصبح «مولود خارج الزواج»، ثم تطور الأمر إلى أن أصبح طفلا طبيعيا، وفي خاتمة المطاف أصبح «طفل الحب»، ولعل هذا التدرج المفاهيمي يعكس مدى التدهور الحاصل في رؤية الأمم المتحدة بشأن الأسرة والذي يتجه من سيء إلى أسوأ.

تحديات المشروع العولمي

يطرح مشروع الأمم المتحدة عددا من المعضلات والتحديات أمام النساء في العالم الإسلامي، لعل أهمها التعارض الواضح بين منظومة المفاهيم التي يتأسس عليها وبين مفاهيم الشريعة الإسلامية وما تستهدفه من تحقيق الستر والعفاف، ويتجلى الإشكال حين تحاول الأمم المتحدة أن تجعل من مفاهيمها معيارا قياسيا يتم الاحتكام إليه لفهم أوضاع النساء المسلمات، ويصبح ما يخالف هذه المفاهيم تخلفا وظلما بحق المرأة وما توافق معها تقدما، وفي هذا إخلال واضح بمبدأ التعددية الدينية والثقافية الذي يفترض أن المنظمة الدولية معنية بالدفاع عنه.

ومن المعضلات التي يثيرها المشروع الأممي مسألة التوافق، بل التطابق بين الأجندة الغربية بشأن المرأة وبين مشروع الأمم المتحدة، وفي هذا السياق نشير إلى أن الأمم المتحدة في تقريرها الأول حول قضايا النوع وأوضاع المرأة والتنمية ذكرت أنه لا ينبغي فرض نموذج عالمي للمساواة بين الجنسين؛ لأن تفسير الحقوق سيختلف تبعا لاختلاف الديانات والثقافات، إلا أنها سرعان ما تراجعت عن هذا النهج إذ تؤكد وثائقها وممارساتها طيلة العقدين الماضيين تبني المنظمة الدولية سياسة التدخل المباشر واستخدام الضغط لأجل تحقيق الصورة النموذجية التي تبشر بها، والملاحظ أن تدخلها يزداد كثافة بمضي الوقت، فبعد أن كان قاصرا على دعوة الحكومات إلى تقرير سياسات وخطط قومية تدمج النساء، أصبحت الدعوة موجهة للحكومات حاليا من أجل العمل على إلغاء الأنظمة والأعراف والممارسات التي تعد من وجهة نظر الأمم المتحدة تمييزا ضد المرأة، وبدورنا نتساءل هنا حول أسباب تخلي الأمم عن نهجها السابق وعن مدى ارتباط ذلك بالتطورات السياسية الدولية، وعن الذي قام بتصميم وصياغة المشروع، وما هي مراميه ودوافعه؟

من خلال الاستعراض السابق حاولنا أن نحيط قدر الاستطاعة بطبيعة المشروع العولمي كما تقدمه الأمم المتحدة، ورغم قناعتنا بما يحمله من نقاط لا يمكن قبولها دينيا وثقافيا نرى أن هناك ضرورة للانخراط بقوة في المنتديات الدولية بشأن المرأة، إذ الملاحظ أن التمثيل النسائي في هذه المنتديات يكاد يكون قاصرا على المنتسبات للمرجعية الغربية في غياب شبه كامل لمن يقفن على الأرضية الإسلامية أو المتخصصات في الفكر الإسلامي؛ فهؤلاء يمكنهن أن يقدمن إسهامات فعلية في الحد من تأثيرات المشروع العولمي، وفي هذا الصدد نشير إلى تجربة حضور بعضهن فعاليات بكين حين أسهمن إلى حد ما في تشكيل لوبي استطاع التعريف بموقف الإسلام من المرأة، وإن لم يستطعن أن يقدمن ما هو أبعد من ذلك، ونأمل من وراء تراكم خبرات المشاركة أن ينجحن مستقبلا في إدخال تعديلات على النصوص والمشاريع المقدمة.






ساعدي طفلك على التخلص من الخوف

علي كشك- مصر

يعرف خوف الطفل على أنه شعور بالقلق، يراوده دون سبب واضح، إذ ليس بالضرورة أن يكون هناك تهديد خطير يستحق الخوف، لكن خيال الطفل يجعل الأمر يبدو وكأنه حقيقي.

فجميع الأطفال يشعرون بالخوف في أوقات معينة من حياتهم، ويعتبر هذا الخوف جزءاً طبيعياً من نموهم الفكري، ولكن هذا لا يعني أن نترك الطفل يعيش مع مخاوفه ويصدقها، بل ينبغي أن نساعده على تجاوزها حتى لا يكون لها أثر بالغ في حياته المقبلة.

ومن السهل جدا على الأم أن تشعر بأن طفلها يعاني الخوف، فغالبا ما يبدو وجه الطفل الخائف مصفراً، وربما تنتابه رجفة في جسمه أو قشعريرة، كما يشعر بوجع في بطنه أو يصيبه الإسهال.

ورغم ما يسببه الخوف من هلع للطفل فإنه يمكن أن يكون مفيداً لأنه يدفعه الى التصرف بحرص وحذر، فمثلا الطفل الذي يخشى النار يتجنب حتماً الاقتراب من الموقد أو اللهو بأعواد الثقاب.

إن طبيعة مشاعر الخوف والقلق تتغير مع تقدم الطفل في العمر، فمثلا يعبر الطفل في سن الرضاعة عن شعوره بالخوف من خلال الالتصاق بأمه، وعادة ما يشعر بالخوف عندما يحاول أحد الغرباء الاقتراب منه أو مداعبته، وينتابه خوف مصحوب بالقلق عندما يتعلم المشي وتقوده قدماه الى أماكن قد يجد نفسه فيها وحيداً، وعندها يشعر بالتوتر، ومع وصوله لسن ٤ أو ٦ سنوات، يبدأ خياله يصور له مخاوف من أشياء لا وجود لها، مثل الأشباح والوحوش، وما بين سن ٧ الى ١٢ سنة، تصبح مخاوفه إنعكاسة للأحداث الحقيقية التي تدور حوله مثل الحروب أو الكوارث الطبيعية.

إن جميع الأطفال يشعرون بالخوف في أوقات معينة من حياتهم، ويعتبر هذا الخوف جزءاً طبيعياً من نموهم الفكري، حتى أن الخبراء يعتبرونه من الأمور المستحبة لأنه يهيئهم للتعامل مع التجارب والتحديات القاسية، وشعور الأطفال بالخوف لا يعد أمراً مقلقاً، إلا عندما يستمر ويتواصل بحيث يؤثر على حياته ومستقبله، خاصة عندما يرتبط بنواح اجتماعية، فمثلا الطفل الذي يسيطر عليه الخوف من الفشل في تعلم المهارات الاجتماعية قد ينتهي به الأمر الى العزلة عن الجميع، وهذه حالة كثيراً ما نراها بين المراهقين، فالكثيرون منهم تعذبهم مخاوف تعود جذورها إلى الطفولة، فقد يكون خوف المراهق من التحدث أمام الجماهير نتيجة تعرضه لتجربة سابقة في الطفولة خرج منها محرجاً أمام رفاقه، ولكن هذا لا يعني أن نترك الطفل يعيش مع مخاوفه ويصدقها، بل ينبغي أن نساعده على تجاوزها حتى لايكون لها أثر بالغ في حياته المقبلة، لذا ينبغي على الأهل أن يتعرفوا على أعراض الخوف والقلق البادية على أطفالهم، حتى يعالجوها قبل أن تتمكن منهم، وتبقى مستمرة معهم طوال حياتهم، وهناك علامات وأعراض للخوف شائعة لدى الأطفال منها:

- الإصابة بالأرق أو النوم ساعات أكثر من المعتاد.
- الالتصاق بالأبوين.
- الإصابة بالذهول والحيرة والميل إلى الاندفاع والتهور.
- ظهور حركات عصبية لاإرادية مثل رعشة مفاجئة.

وبعيداً عن هذه العلامات، يستطيع الأبوان أن يشعرا بطفلهما عندما يبدو على غير طبيعته، لذا لا ينبغي التقيد بهذه العلامات فقط، لأن لكل طفل طبيعته الخاصة، وأفضل طريقة لدرء الخوف عن الطفل هي تشجيعه- بعد تعرضه لإحدى التجارب المزعجة- على التحدث عنها حتى تخف غرابتها، وتبدو أكثر ألفة، بدلاً من أن يدفنها في أعماق نفسه وتصبح مصدراً للشعور بالخوف والقلق.

وأخيراً يجب أن نعزز ثقة الطفل بنفسه، ونعلمه كيف يسيطر على خوفه، وأن نراعي القواعد الصحيحة في تربية الأطفال، وخصوصا فيما يتعلق بتوفير متطلباتهم وحاجاتهم الأساسية من العطف والمحبة، وتعويد الطفل على تحمل المسؤولية منذ صغره، كذلك عدم التردد في طلب المساعدة من الاختصاصي النفسي إذا ما فشلت كل المحاولات في تخليص الطفل من مخاوفه، حتى لا تصبح خطراً يهدد مستقبله.



ومضة روحانية

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

لنا في حياتنا عبر ومواقف، تمر بنا جميعا فتأخذنا بين أفراح وأتراح، نجاحات واخفاقات، غنى وفقر، سعادة وتعاسة خير وشر، وغيرها الكثير من الأضداد والمتناقضات، لأن هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار كما قال تعالى في كتابه الحكيم «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» فلذلك لن يكون هناك خير محض ودائم إلا في الجنة ولن يكون شر محض ودائم إلا في النار، أما حياتنا فتحمل الضدين، فكلما تعايشنا مع هذه المواقف الحياتية بخيرها وشرها واستطعنا التكيف معها كلما استقرت حياتنا وسرنا في طريق آمن وكلما تخبطنا في التعامل معها ولم نستطع التوافق والتكيف كلما شعرنا بالضيق ومن ثم الحزن والذي يكون بوابة للأمراض النفسية التي قد نصاب بها.وأهلا وسهلا بكم أعزائي القراء، نعرض عليكم بعض الأسئلة الخاصة بالمشكلات النفسية والاجتماعية علها تكون عبرة وعظة ووقاية لكم، مع تمنياتنا للجميع بحياة سعيدة، خالية من المشكلات، هانئة بالمحبة والرحمات.

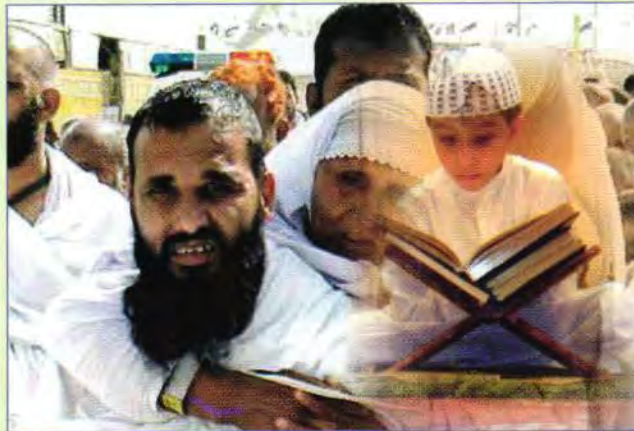
اجتمعنا والتقينا وتوحدنا على كلمة التوحيد تقربنا، وأخلصنا وارتجينا رحمة الواحد الرحيم، طفنا وسعينا ورجمنا الشيطان الرجيم، ووقفنا والتمسنا وخضعنا لربنا الكريم، فغسلنا وأمطنا ونظفنا صحائف سودتها أفعال عديدة، فيارب تقبلنا عندك، زدنا من لطفك المديد ولا تنقصنا، وأكرمنا بالشرب من حوض نبيك الرفيق ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا.

هكذا الحج ينقي النفوس، ويمحو الخطايا، ويغسل الذنوب، فيميط عن كواهلنا ما أثقلته سنوات من الذنوب والمشكلات والمعاصي، لنعود بأرواح جديدة ونفوس سعيدة وصحائف سديدة، فمن هنا الانطلاق، ومن هنا يبدأ السباق لجنات عرضها السموات والأرض، أعدت لمن عمل وبذل وأعطى وارتجى رحمة رب العالمين.

فللمؤمن محطات يقف مجبورا عندها ليناظر ويحاسب ويوازن حياته، ليسد الخلل إن وجد، ويرمم المتهالك إن كان، ويعيد لنفسه قوتها وصحتها، ويزودها من الوقود الروحاني ليسير في الطريق السليم ويعود إلى ما أراده الله له، ليحيا كريما ويعيش كريما ويموت كريما.

ومن هذه المحطات الروحانية شهر رمضان وشهر ذي الحجة، فكلاهما من المحطات الإجبارية التي نقف عندها لنختار طريقنا الصحيح، ولنقوم حياتنا عندها، فطوبى لمن اغتنم الفرصة وتزود وازداد من عطايا الرحمن، فتراه سعيدا حامدا شاكرا تائبا أوابا منيبا لرب العالمين، راضيا بما قسمه الله له، فالسعادة تغمره، والرضا يملأ قلبه، ولديه طاقة عجيبة شحنها عند تلك المحطات، فهو مزود بوقود لا ينفد، ورحمة واسعة لا تنتهي، وكيف لا وهي من رب كبير عظيم رحيم.

إلى قلوب جار عليها الزمان وشعرت بالوحدة القاتلة والنهاية القريبة، واستطعمت مرارة الحياة، تتقاذفها المشكلات يمنة ويسرة، وتلقي بها على شاطئ العذاب، أقول لا تنسوا تلك المحطات الاجبارية لتقفوا عندها لتتزودا منها ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾(من البقرة -١٩٧)، ولتعود إليكم الطاقة والقوة والعزيمة، لتفكروا بما أنعم الله به عليكم، ولتتمعنوا بما حباكم به من عقل مفكر وقلب مدبر، فاختاروا طريق السعادة، وقفوا عند باب الديان لا باب البشر، واسألوا الله من فضله وكرمه وانتظروا الرد السريع، من الواحد الجبار الذي لا قنوط ولا يأس لمن ارتجاه وسأله، هكذا نكون، وهكذا نريد أن نقاوم ونتخلص من كل الشرور والخطايا والمحن التي قد تعترضنا في حياتنا، فلنرتق جميعا إلى قمم الايمان و عطايا الرحمن، ولنغسل قلوبا ترتجي العفو والغفران.



الهجرة النبوية الشريفة.. انتصار الخير على الشر

محمود القاعود - مصر

منذ أن خلق الله بني آدم، وجد الخير والشر، ودائما ما ينتصر الخير على الشر مهما طال الصراع بينهما ومهما استمر الظلم والطغيان.. فالصراع بين الخير والشر صراع أبدي ودائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، واللبيب من يتأمل في نهايات الصراع الشرس الممتد عبر التاريخ بين الخير والشر.

لم نسمع أو نقرأ أبدا عن انتصار الشر على الخير.. نعم قد يبدو للناس أن هناك شرا لا خلاص منه، ولا انتصار للخير عليه، لكن سرعان ما يبدو الخير قويا لا يخلف وعده أبدا، ونرى الشر يندحر وينزوي بعيدا، ولعل أول صراع بين الخير والشر هو ما وقع بين ابني آدم، وحكاه رب العزة في قرآنه الكريم.

والمتأمل في مصير الأشرار يجد أنهم لا يتعظون من حوادث التاريخ ولا من نهايات الشر المخزية، فقد غرتهم الحياة الدنيا واستجابوا لنداء الشيطان الرجيم رغم علمهم ويقينهم أن الشيطان سيخذلهم ولن ينصرهم أبدا. يقول الحق سبحانه وتعالى يحكي قصة الشيطان الرجيم يوم القيامة، وكيف أنه يخذل من استجابوا لدعوته الآثمة، واعتراف الشيطان بأن الله هو الحق وأن وعده الحق، ونفيه اللوم عن نفسه، فما فعله لم يتعد أنه دعاهم للفسوق والعصيان، وهم استجابوا لدعوته الآثمة ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذابٌ أليمٌ﴾(إبراهيم - ٢٢).

أروع الإنتصارات

من أروع الأمثلة في تاريخ انتصارات الخير على الشر، حادث الهجرة النبوية الشريفة.. تلك الهجرة إلى الله. تلك الهجرة التي كانت هجرا للظلم والفحش والطغيان.. تلك الهجرة التي أسست لعالم خيري تسود فيه القيم والمثل والأخلاق.. عالم تكون فيه كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

لقد تعرض الحبيب المصطفى ﷺ لحملات إيذاء عاتية منذ أن بدأ يجهر بدعواه المباركة، فلم يرق لأنصار الشر الكفار ما جاء به محمد ﷺ من عند ربه، فأخذوا يضيقون عليه ويروعون أتباعه ويعذبون أنصاره، ويحاصرون قومه، وحاولوا بشتى الطرق أن يعرقلوا مسيرة الدعوة، فلما وجدوا إصرار الرسول ﷺ على دعوته، ذهب بعضهم إلى الترغيب علهم يجدوا فيه ما يثنيه عن الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد.

أورد أصحاب السير أن عتبة بن ربيعة ذهب للرسول وقال له: «يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه. فقال الرسول ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا فأعرضَ أكثرهم فهم لا يسمعون... ﴾(فصلت - ١: ٣) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها وهي قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت - ٣٧) فسجد رسول الله ﷺ ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك، فلما يئس عتبة من مساومة الرسول الأعظم خرج يبلغ قومه ما كان، فاجتمع رأيهم على أن يجتمع بالرسول أشراف قريش من كل قبيلة، وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن





الظلم سرعان ما يتهاوى وشريعة الشيطان تؤدي إلى الشرور والآثام ... والعدل يجب أن يسود بين البشر

الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف ليفاوضوه، حتى إذا ما قصرت الحجة بأحدهم لقنها إياه صاحبه.

فاجتمعوا وبعثوا إلى محمد من يخبره ويقول له: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أنه قد بدا لهم بما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصا، يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت لهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل إلي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. أ.هـ

هكذا حاول الكفار مع رسول الله ﷺ بجميع الحيل وشتى الطرق، إلا أن تمسكه بالحق يزداد ووقوفه في وجه الجور والكفر والطغيان يتعاظم.

التحايل على الخير

اجتمع الكفار بأبي طالب عم الرسول ﷺ، وأبلغوه أن يساوم محمدا ﷺ في أمر الدعوة ليريحهم ويستريح، يتركهم على الكفر ويكفون أذاهم عنه وعن أتباعه.

يقول ابن إسحاق في سيرته: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال رسول الله ﷺ «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

وأمام هذا التصميم الرهيب على مواصلة الدعوة وعدم الخضوع لابتزاز الشر وأهله من عتاة الكفار كانت حملة عاتية ضارية شنها الكفار الفجار ضد الرسول ﷺ وأصحابه الكرام الذين آمنوا بدعوته وصدقوا برسالته.

مهما طال الليل فلابد من طلوع الفجر

لم يخبرنا التاريخ أنه في أحد الأيام توقفت الدنيا عند الليل ولم ينبلج النهار، ولم يجعل الله الليل سرمدا إلى يوم القيامة، بل جعل الليل والنهار، ومهما طال الليل فلابد من طلوع الفجر ولا بد من شروق الشمس، وكذا مهما طال الظلم والجور فلا بد أن تتحقق العدالة ولا بد أن تكون هناك نهاية للعذاب ولا بد أن ينتصر المظلوم فالأيام دول، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران: ١٤٠).

ولله در الشاعر أبي البقاء الرندي إذ قال في رثاء الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يُغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان

لقد اشتد الإيذاء لرسول الله ولصحبه الأطهار، وكانت العبارة الخالدة للرسول الكريم «صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» تعبر عن مدى بشاعة التعذيب والتنكيل والإجرام الذي يلاقيه المسلمون.

بداية النهاية لرحلة الظلم والعذاب

اشتد الكرب والبلاء على رسول الله ﷺ، وهنا كان لا بد من الهجرة للمحافظة على أمر هذا الدين.. حاصر عتاة الكفر والإجرام بيت رسول الله ﷺ ليقتلوه، وينام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكل شجاعة وبطولة في فراش المصطفى ﷺ، ويعمي الله الكفار، ويضع الرسول الكريم فوق رؤوسهم التراب إمعانا في إذلالهم، يفاجأ الكفار بما حدث ويعلنون عن جوائز ضخمة لمن يأتي برسول الله، أحداث تتلاحق ويد الله تؤيد الرسول ﷺ وصاحبه أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لا يخشى من ملاحقة الكفار الأشرار الذين أقسموا ألا يتركوه حيا، ويمكث رسول الله وصاحبه في الغار، ويخشى أبو بكر من بطش الكفار الذين يحاصرون الغار وبينهم وبين الرسول وصاحبه عدة أمتار «يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطن قدميه لرآنا»، لكن الرسول ﷺ يطمئنه قائلا: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا» فتهدأ نفس الصديق.. فماذا بعد حماية ورعاية الله؟

البدر يطلع في المدينة المنورة

ظل الأنصار ينتظرون طلوع رسول الله ﷺ، مرت الأيام وهلت أنوار الحبيب ﷺ، وهرع أهل المدينة يستقبلون أشرف خلق الله أجمعين، الكل يريد شرف مصافحة الرسول والجلوس إليه، الجميع ينشد. مرت الأيام ودخل رسول الله مكة التي أخرج منها وفر من عذاب أهلها وجورهم، وسأل الرسول الكريم أهلها: «يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم ما قاله يوسف لإخوانه: لا تثريب عليكم اليوم.. اذهبوا فأنتم الطلقاء» غفر الرسول الكريم لجميع من آذوه وضيقوا عليه وحاصروه، لم يستجب لشهوة الانتقام رغم إجرام أهل مكة من الكفار الذين فعلوا به وبأصحابه الأفاعيل، سامحهم وهو في موقف القوة والقدرة عليهم، بين لهم كيف أن الخير ينتصر على الشر مهما طالت الأيام والليالي، وأن الظلم سرعان ما يتهاوى، وأن العدل يجب أن يسود بين البشر، فشريعة الشيطان تؤدي إلى الشرور والآثام، وشريعة الله تؤدي إلى العدل والإحسان والخير.

زيادة في الاستيراد وانخفاض في نصيب الفرد

أزمة الغذاء في اليمن

على الرغم من أن الأزمة المالية العالمية، قد أدت إلى انخفاض العديد من السلع الأولية ومنها السلع الزراعية، إلا أن الأزمة التي عاشها العام على مدار عام 2007 وحتى الشهور التسعة من عام 2008 في مجال الغذاء، من حيث قلة المعروض منه وارتفاع أسعاره، وكذلك الممارسات الجشعة للمضاربين في الأسواق العالمية على السلع الزراعية، أو توجه الدول المتقدمة لإنتاج الوقود الحيوي من السلع الغذائية، كل ذلك جعل جميع الدول تعيد حساباتها بشأن تأمين احتياجاتها من الغذاء، بالصورة التي لا تؤثر على أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية أيضا.



عبدالحافظ الصاوي - اليمن

وكانت اليمن واحدة من البلدان الفقيرة التي ألمت بها أزمة الغذاء، في ظل ارتفع معدلات وحدة الفقربها، فتشير الأرقام خلال الفترة من ١٩٩٨ – ٢٠٠٥ إلى أنه قد انخفض نصيب شريحة الـ ٢٠ ٪ الأفقر من السكان إلى ١,٦ ٪ بعد أن كان ٦ ٪ من إجمالي الدخل، في حين حدث العكس لنسبة الـ ٢٠ ٪ الأغنى حيث حصلوا على نسبة ٦٧ ٪ من الدخل في عام ٢٠٠٥ بعد أن كانت نسبتهم ٤٩ ٪ في عام ١٩٩٨.

وفي هذا الإطار عقدت جامعة الإيمان بالجمهورية اليمنية ندوتها العلمية بعنوان« نحو استراتيجية يمنية للأمن الغذائي في الحبوب» وذلك في الفترة من ١٥ – ١٨ نوفمبر ٢٠٠٨.

مفهوم الأمن الغذائي

تناولت معظم الأوراق المقدمة للندوة التعريف بمفهومي أزمة الغذء والأمن الغذائي. وعرفت أزمة الغذاء على أنها: وجود خلل في إتاحة احتياجات أفراد المجتمع من السلع الغذائية من خلال الإنتاج المحلي، أو وجود اضطرابات تعمل على صعوبة الحصول على الغذاء من الخارج، سواء كان ذلك بسبب ظروف سياسية أو اقتصادية، أو الفشل في توفير عوامل الصحة والسلامة المطلوب توافرها في السلع الغذائية التي يستخدمها أفراد المجتمع، أو معاناة أفراد المجتمع في توفير ثمن ما يلزمهم من الغذاء، وقد تأخذ أزمة الغذاء أحد هذه الصور السابقة أو بعضها، أو قد تجتمع كلها في حالة ما.

أماالأمن الغذائي فقد تم تعريفه على أنه: قدرة المجتمع على توفير احتياجاته الغذائية الأساسية لأفراد المجتمع وضمان حد أدنى من تلك الاحتياجات بانتظام، ويشير هذا المفهوم إلى عناصر أساسية ثلاث هي: وفرة السلع الغذائية، استقرار السلع من حيث احتياجات وامداد السوق بها، امكانية المواطنين المادية للحصول على السلع.

نظرة الإسلام للأمن الغذائي

مصطفى الدسوقي كسبة- المدير التنفيذي لمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- قدم ورقته للندوة بعنوان «الأمن الغذائي ومقاصد الشريعة» اشار فيها إلى أن المفهوم الإسلامي للأمن الغذائي يختلف عن المفهوم الوضعي حيث يركز المفهوم الإسلامي على البعد العقدي الذي لا يمكن إغفاله. وهذا البعد العقدي يرتكز على ثلاثة أسس: أولها: الإيمان القوي بأن الله هو الرازق، وأنه لن يترك مخلوقا دون كفايته من الرزق. ثانيها: أن الاستغفار والدعاء يجلبان الرزق. ثالثها: أن تقوى الله والإلتزام بمنهج الله ينميان الرزق. وأشار الدسوقي إلى أنه توجد ثلاثة مستويات متدرجة للأمن الغذائي من المنظور الإسلامي، إبتداء من المستوى الضروري للأمن الغذائي، وإنتهاء بالمستوى الكمالي للأمن الغذائي، ومرورا بالمستوى الحاجي للأمن الغذائي. ويتوقف مستوى الأمن الغذائي الذي يحققه المجتمع وطبقاته على الحالة الاقتصادية التي يمر بها المجتمع الإسلامي، وعلى مستوى دخل كل طبقة من طبقاته.

الزراعة المطرية والوعي الزراعي والبحث العلمي والمؤسسات المجتمعية ... منطلق علاج مشكلة الأمن الغذائي

واقع أزمة الغذاء في اليمن

أشار الدكتور خالد قاسم أستاذ الاقتصاد الزراعي المساعد بجامعة صنعاء إلى أن الفجوة الغذائية للحبوب في اليمن تتجه إلى الارتفاع بصفة مستمرة. فقد ارتفع حجمها من ١٢٣٥ ألف طن عام ١٩٩٠ إلى٣٥٨١ ألف طن عام ٢٠٠٧، ومن المتوقع أن يصل حجمها إلى نحو ٣٢٥٤ ألف طن عام ٢٠٢٠. ويتم مواجهة العجز بالاستيراد، ففي عام٢٠٠٧ تم استيراد حوالي ٢٧٩٠ ألف طن من القمح والدقيق، ونحو ٤٠٦ ألاف من الذرة الشامية لتغطية الاحتياجات الغذائية للسكان.

وبين قاسم أن اتساع الفجوة بين نمو الناتج المحلي من الحبوب والنمو السكاني أدى إلى تدني وتراجع نصيب الفرد اليمني من مجموعة الحبوب، فقد كان في عام ١٩٩٠ نحو ١٧١,٤ كيلو غرام وتراجع إلى نحو١٠١ كيلو غرام للفرد في عام ٢٠٠٦، وبلغ نحو١٣٢,٤ كيلو غرام للفرد كمتوسط خلال الفترة (٢٠٠٣-٢٠٠٥) مقارنة بنحو ٣٢٤ كيلو غرام للفرد

على المستوى العربي خلال نفس الفترة. كما يتفاوت نصيب الفرد في اليمن من السلع الغذائية لمحاصيل الحبوب تفاوتا كبيرا، نحو ١٠٣ كيلو غرام في السنة من القمح ودقيقه، ينخفض هذا المتوسط إلى٣٢ كيلو غرام من الذرة الرفيعة، والى ١٣ كيلو غرام من الذرة الشامية، والى١٢ كيلو غرام من الأرز.

وتشير الارقام التي دلل بها قاسم على واقع الغذاء في اليمن، إلى أن نسبة الاكتفاء الذاتي للحبوب في اليمن تراجعت من حوالي٤٠٪ عام ١٩٩٠ إلى نحو٢٢,٥٪ عام ٢٠٠٧، وتراجعت نسبة الاكتفاء الذاتي للقمح من ١٣,١٪ عام ١٩٩٠ إلى حوالي ٧,٣٪ عام ٢٠٠٧.

مشكلات إنتاج الحبوب في اليمن

الدكتور عبده فقيرة أستاذ المحاصيل بجامعة صنعاء تناول في ورقته مجموعة المعوقات والمشكلات التي تواجه إنتاج الحبوب في اليمن وبين أنها تتنوع بين أمور عدة منها:

١- زراعة محاصيل الحبوب على النظام المطري يوجد نوع من المخاطرة إضافة الى عدم كفاية تلك الكميات في وصول المحاصيل المنزرعة على الامطار الى مرحلة الحصاد.

٢- ثبت أن ٣٠٪ من مياه الري يتم استنفاذها في زراعة القات، وكان من الممكن توفير هذا القدر من المياه لاستخدامها في زيادة البدائل الرئيسية للأمن الغذائي كالحبوب والخضر والفاكهة.

٣- قلة وعي المزارعين بالتعامل مع محاصيل الحبوب سواء في الاوقات الحرجة للري ومواعيد التسميد ومكافحة الحشائش، والاستنزاف الجائر لمياه الري.

٤- عدم توفر ميكنة متكاملة لوجود أولويات في خدمة المحاصيل المنافسة.

٥- ارتفاع أسعار الوقود (الديزل) وانعكاس ذلك على انتاجية الهكتار من الحبوب وخاصة في المناطق المعتمدة على الري بالآبار.

٦- ارتفاع أسعار العماله وخاصة في المناطق الساحلية والتي يعتمد فيها مساحات كبيرة من الاراضي التي تستخدم في انتاج محاصيل الحبوب على تلك العمالة

٧- . ضعف الانتاجية في وحدة المساحة وصغر الحيازات تشكل عائقا في تسويق محاصيل الحبوب نتيجة لقلة المنتج.



٨- قلة أعداد المتخصصين في انتاج محاصيل الحبوب وقيام تنفيذ البحوث المتعلقة بمحاصيل الحبوب من غير المتخصصين، وارتفاع تكا ليف انتاج البذور محليا.

التمويل المفتقد للقطاع الزراعي

نظرا لحالة الفقر التي يعيشها المجتمع اليمني وكذلك التوجهات الاقتصادية الجديدة للدولة فقد تم توظيف الجهاز المصرفي ومصادر التمويل في إطار المنهج التجاري الهادف للربح بغض النظر عن الابعاد التنموية أو الاجتماعية والاقتصادية التي يحققها النشاط الزراعي. وقد اشار معظم المشاركين بالندوة إلى قصور دور بنك التسليف الزراعي في تمويل صغار المزارعين، وكذلك الصندوق الاجتماعي للتنمية في اليمن، وأن الصندوق يعتمد بشكل كبير على تمويل مشروعات القادرين.

الإيمان هو المنطلق الصحيح

أتت توصيات الندوة في نحو أكثر من عشرين توصية ركزت على العديد من جوانب مشكلة الأمن الغذاء في اليمن، إلا أنها انطلقت من قاعدة أساسية تمثل خلفية المشاركين وطبيعة المجتمع اليمني، وكذلك رؤية جامعة الإيمان الإسلامية، وكانت أهم التوصيات ما يلي:

- الإيمان والتسليم المطلق بأن الله سبحانه وتعالى هو المتكفل بالعباد وأن الواجب على الناس بذل الأسباب، من خلال الاعتماد على المنهج العلمي في تحقيق الأهداف المرجوة لما يخدم الإنسان ويحقق له الاستخلاف في الأرض وعمارتها على مراد الله.

- القيام بدراسة وتحديد الموارد المختلفة - دراسة علمية ومنطقية وواقعية - وتكوين قاعدة بيانات صحيحة يعتمد عليها في تشخيص المشاكل والمعوقات المختلفة وتقدير الاحتياجات من الحبوب على المستوى القريب والمتوسط والبعيد، ووضع الأهداف الواقعية (وفق الإمكانات).

-إشراك جميع الأطراف ذات العلاقة Stakeholders السياسية - الاقتصادية - الأكاديمية - البحثية - منظمات المجتمع المحلي) والاستفادة من كل الطاقات البشرية في عمليات التخطيط والتنفيذ للدراسات الميدانية وفق جدول زمني محدد يبدأ من المستويات الإدارية الدنيا إلى الأعلى (الخطط اللامركزية - التخطيط من القاعدة إلى القمة).

- الاستفادة من التنوع الجغرافي والبيئي في إيجاد مناطق زراعية إنتاجية متخصصة) تتميز بمميزات نسبية عن غيرها من المناطق في زراعة محاصيل معينة مثال ذلك أن تكون محافظات الجوف - مأرب - شبوة مناطق خاصة بزراعة القمح وتكون محافظات ذمار - اب - تعز لزراعة الذرة الشامية...... وهكذا.

- سن القوانين والتشريعات التي تنظم حقوق استخدام المياه الجوفية بما يحافظ على ديموميتها واستمرارها وعدم الإسراف في استخدامها.

- التركيز على الزراعة المطرية وتفعيل دور البحوث الزراعية في استنباط أصناف مقاومة للجفاف ومبكرة النضج وتتناسب مع الظروف المناخية في المرتفعات الجبلية.

- الاهتمام بالبحث العلمي الزراعي ودعم البحوث الزراعية في الهيئات والجامعات فنيا وماليا باعتبارها الرافد الحقيقي للتقانات الزراعية التي تهدف الى حل كل المشاكل الزراعية.

- تفعيل دور الإرشاد الزراعي وإعادة تأهيل كوادره واعتباره مكونا رئيسيا في جميع برامج وخطط التنمية الزراعية والريفية.

- الاهتمام بالإعلام وجعله أداة بناء للقيم والاستفادة من جميع وسائله المختلفة في نشر الوعي الزراعي والبيئي والمحافظة على الموروث اليمني من الحبوب ومن المعارف والخبرات المتوارثة والاستفادة مما يثبت صلاحيته للزمان والمكان باعتبار اليمن متعدد البيئات الزراعية.

المفكر اليساري السابق منير شفيق :

الإسلام قادر على إدارة التنوع في القطر العربي

حوار : عبدالله الطحاوي

العلمانية .. هل تكون حلا لما نعانيه من أزمات في ادارة مكونات الامة؟ السؤال يشتجر مع حالة النزاع المذهبي، والاحتكاك الطائفي الذي يهدد وحدة الأمة.. احدى حقائق تاريخ المسلمين بالتلاشي. العلمانية برأي المفكر الفلسطيني منير شفيق لسيت حلا، بل مشكلة، وهي لن تنجز شيئا، بقدر ما ستزيد انهاك قوانا الحضارية فوق ما نعاني من إنهاك، ولن يسلم الشارع العربي والاسلامي بها وهو الذي مازال حيا وغير قادر على الاستيعاب، ولذلك يتم قمعه.

«الوعي الإسلامي» التقت شفيق في قطر .. واليكم نص الحوار ..

هل نجحت المشاريع الإسلامية في إدارة المشاكل المذهبية والدينية والحركية؟ وهل ترى أن المشروع الإسلامي مستعد لاستيعاب تلك التنوعات أم أنه لا بديل عن العلمانية لإدارة هذا التنوع؟

العلمانية إذا كانت تدعو إلى المساواة المواطنية، فإن تطبيق هذا المبدأ غير موجود، لأن كل الدول العلمانية الآن بها تمييز ضد المواطنين، وهذا ما تؤكده الشواهد، فمثلا.. الديمقراطية والعلمانية الأميركية قامتا على سيطرة البيض البروتوستانت الأنجلوساكسون على حكم البلاد واضطهدوا السود، وأبعدوا الكاثوليك، وفي الدستور الكل يتساوى، ولكن في الواقع العملي الوضع يختلف.. كما أن الوضع في بريطانيا لم يكن أحسن حالا من الوضع في أميركا الحقيقة ليس صحيحا أن العلمانية ستحل المشاكل الداخلية، ولا الديمقراطية كذلك.

أما الإسلام فهو أفضل نظام، لأن لديه القدرة على إيجاد الحلول فيما يتعلق بتعدد الملل، وهذا ما أثبتته الدولة العثمانية، دون أن تدعي قصة المساواة، والمهم كيف ستكون حلول الإسلام والعلمانية للجوانب والأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع؟ فالمشروع الإسلامي في مرحلته الأولى، واجه المسيحية والغساسنة وأقام معهم عقودا ونظم العلاقة بينهما بالاتفاق بدون فرض، حتى على الجزية اتفق معهم، وفي حالات تم إلغاؤها، وفي حالات أخرى أبقاها فالإسلام يجد لكل مشكلة حلا. وفشل الحركات الإسلامية في المرحلة الحالية أو نجاحها يجب أن ينظر إليه في اطار مركب.

هل تقصد أن المشروع الإسلامي يحتاج إلى قرون حتى يختمر مثل المشروع الليبرالي الذي انتظم في مخاض طويل لعدة قرون؟

نعم، سيستغرق الأمر فترات لتطبيق المشروع السياسي الإسلامي.. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر يتوقف الأمر على ميزان القوى، فلن يتسنى لك فرض حلول إلا إذا كانت يدك هي العليا، وإذا لم يكن فلن تستطيع إلا عرض اقتراحات فقط، ولكن ما أهميتها إذا لم يتم تطبيقها، وفي هذه الحالة ستظل المشاكل قائمة، والمسلمون قدموا عدة أشكال للحلول. لذلك حينما نتساءل هل فشل الإسلام أم لا .. نستطيع أن نقول إن الإسلام حلوله متنوعة.

لكن هل المشروع الإسلامي مازال الأصلح لقيادة التنوع داخل العالم العربي؟

أهمية صلاح الإسلام لذلك تنبع من نقطتين.. النقطة الاولى: قناعتي أن منهج الإسلام يقوم على الوسطية والعدل والقسط والتوازن، فلا يوجد فيه إقصاء، وتلك قاعدة نظرية مهمة لحل إشكاليات المنطقة. والنقطة الثانية: هي أنك تخاطب جمهورا مسلما، ولابد من وجود تأثير للإسلام على هذا الجمهور لما له من دور أساسي في حل هذه القضايا، وهذا الجانب غير موجود في الغرب، لوجود أسباب أخرى، والحاجة للمنهج الإسلامي فاعلة حتى في الغرب.

الشواهد تقول إن الغرب حل مشاكله عبر تناقضات وصراعات كالمذابح بين البروتستانت والكاثوليك، أو الصراعات بين الأقليات، غير أنهم في الأخير استطاعوا إلى حد ما كبح جماح هذه الصراعات عن طريق النظام المدني العلماني.!



لكن لم يحل كل الصراعات، والدليل الحربان العالميتان اللتان اكتوى العالم بنيرانهما بعد أن قتل فيهما ٥٠ مليون شخص، فهم وجدوا حلولا فيما يتعلق بأبناء الدين الواحد كالكاثوليك والبروتوستانت، ولكنهم لم يجدوا حلولا بالنسبة للقوميات مثلا، ففي أوروبا نفسها في خمسين سنة نشبت حربان عالميتان، وما منع نشوب الحرب العالمية الثالثة هي القنبلة النووية وما سببته من دمار شامل، ولم يكن السبب في ذلك الأخلاق مثلا، ولولا تلك القنبلة لكانت نشبت الحرب العالمية الثالثة فعليا من شرارات جدار برلين بين روسيا وأميركا. لذلك ليس صحيحا أنهم حلوا مشاكلهم الداخلية، ولو حدث ذلك لكان هناك انسجام أميركي داخلي بين البيض والسود، أو لكانت بريطانيا حلت مشاكلها بين الأيرلنديين والإنجليز وبين ويلز. فكل هذه أوهام يحكون عنها وما تدل على حقيقة.

هل ترى أن العلمانية كبحت الصراع لكنها لم تحسمه؟

نعم.. فمازالت الصراعات والصدامات قائمة، حتى أن بلادا مثل ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، بينها أسوار، انظر كيف ينظرون إلى بعضهم البعض.

هل ممكن أن يكون الحل هو التقسيم بين السلطة والثروة؟

هذا رأي، لكن لن يحل المشكلة الإنسان.

العلمانية لم تحل مشكلة الطوائف والتمايز الداخلي والتعدد ... والاستبداد في بلداننا سببها الناس لأنهم لا يتروضون إلا بالكرباج

والإسلام ميزته الفلسفية أنه لا توجد فيه «يوتوبيا» أو مدينة فاضلة، الدولة الإسلامية هي دولة جهاد، يبتلى فيها المسلمون بالمصاعب. أما على مستوى الفرد الواحد فكيف يعرف الإسلام شخصية الإنسان؟ لقد صوره أنه عجول وأنه منكب، ومجادل، ويحب المال، وبعد أن تُسلم يفرض عليك خمس صلوات في اليوم حتى ينهاك عن الفحشاء والمنكر. وبعد ذلك لابد من الصيام في ثلاثين يوما في السنة، ولن تذوق حلاوة الصيام إلا بعد أن تصوم حقا، وذلك بقيام الليل وهكذا، ورغم ذلك قد يرجع الإنسان للذنوب بمجرد قدوم العيد. فالإسلام يعترف بالواقع، ويعترف بمدى الصعوبات التي ستواجه الإنسان والتي لن تنتهي، وذلك بعيدا عن اليوتوبيا. وبالتالي يجعل الحل عمليا ومستمرا، فصراعك ضد النواقص والأخطاء وتخفيف الشرور هي عملية صراعية دائمة، وليست ضربة واحدة، وكل ما عدا ذلك تبسيط فارغ، وما يدعون إليه لا يتماشى مع طبيعة البشر، والنظام الغربي لم يعترف بوجود قضية بشرية. والإسلام محكم ومهيمن. وعندما دخلت إلى الإسلام، دخلت بهذه المعرفة، حينما وجدت أن الإسلام هو المتفوق. ولا تسألني على أي نظرية، فأنا أكل علي الدهر وشرب! يعني لا العلمانية تبهرني ولا الرأسمالية ولا الاشتراكية ولا الديمقراطية الغربية.

تقصد أنك تقدم خلاصة تجربة في اطار التحولات الفكرية التي مررت بها من أقصى اليسار إلى الوسطية الإسلامية؟

أنا ما أحكيه لك هو بالفعل خلاصة تجربة، وأنا أقول لك إن العلمانية لم تحل مشكلة الطوائف ولا التمايز الداخلي والتعدد. حتى المسلم حينما يرى أن الغرب حريص على انتخاب الرئيس، ويقارن هذا النظام مع ما يجده من استبداد وقمع ربما ينبهر. في دولة كروسيا تكون العملية الانتخابية مقننة، فالنظام يختار اثنين أو ثلاثة ويكون مكانهم معروفا، فهذا نائب الرئيس وهذا كذا، أما في الولايات المتحدة فإن الطريق طويل أمام الرئيس لكي يصبح في منصبه هذا، إذ لابد أن يدخل الحزب سواء الديمقراطي أو الجمهوري، ويترقى حتى يصل إلى مكانة معينة تؤهله للترشح، ومن هنا يكون جزءا من النظام من رأسه لأساسه، ويكون له ملف كامل في المخابرات فصحيح أن اثنين فقط يتنافسان في الانتخابات سواء أكان أوباما وماكين أو غيرهما، ولكن كلاهما كأنه تفاحة مقسومة، وعلى الرغم من الاختلافات التي تكون ظاهرة بينهما في برنامجيهما، فإن الجوهر قد يكون واحدا، سواء في الإستراتيجية الخارجية، أو الداخلية، والخلافات الجزئية يتحملها النظام بإطاره، ونحن كمسلمين قد ننبهر بهذا الظاهر، وفي بلادنا حينما يعطي الشعب حق انتخابات حرة، ستأتي نتائجها على غير ما يريد النظام الحاكم.

تريد أن تقول إن النظام لابد أن يزور حتى يبقى على توافق وهمي؟

لا بد أن يزوروا، لأن النظام في حالة عدم التزوير لن يترك الحكم فحسب، ولكنه سيترك تغييرا جذريا في البلد، لأن المتنافسين ليسوا متفقين في برامجهم، فمثلا لو أن الإخوان كسبوا الانتخابات في مصر وأصبح رئيس البلاد منهم، وهو ضد معاهدة معينة، فسيلغي ما يريده من معاهدات، وستكون بالتالي السياسة الخارجية للبلد متأرجحة ومتغيرة في كل فترة انتخابية يأتي فيها رئيس ببرنامج سياسي خارجي غير الآخر. أما الغرب فإنه ليس على هذا النحو بالطبع لأنهم يتنافسون في حالة اتفاق، فهم يحافظون على السياسة الخارجية (الاستعمارية) للدولة رغم اختلاف انتماءاتهم الحزبية، كما أنهم يحافظون على المقومات الأساسية للنظام الداخلي، باعتبار أن هذه «أصول اللعبة»، وأذكر أن «بيفين» وهو وزير خارجية عمالي. يقول لتشرشل: «أنت وزة»، وحينما راجعوا القانون وجدوا أن كلمة «وزة» كلمة تسمح لمن قيلت له أن يرفع قضية في المحكمة العليا.

هل الدولة العربية المعاصرة فشلت في إدارة التنوعات بما في ذلك التعبير عن رأيها العام الذي لا تقوده إلا بالقمع بخلاف الدولة الغربية؟

لا يمكن السيطرة على إرادة الشارع العربي، فالشارع العربي خطير. حتى إن الشيخ كشك -رحمة الله عليه- لو كان تسنى له أن يدخل الانتخابات لنجح، وهذا ينطبق على أي حاكم وليس فقط الحكام الحاليين، في الغرب هناك سيطرة على الشارع من قبل الإعلام، حين ينصب في اتجاه معين غير اتجاه الرأي العام، وأنا أسمي الرأي العام العربي مثل الفرس المتمرد، فحتى الإسلاميون، لو كانت ممارساتهم خاطئة فسيكون مصيرهم نفس مصير سواهم.

يعني الضمير العربي به قدر كبير من الحياة!

قدر كبير جدا ، فالأمة حساسة بالنسبة للاستقامة ، وبالنسبة للمسلك الشخصي، والموقف من إسرائيل وأميركا ، وعي الأمة وعي وحدة وعزة ضد العدوان، وهذا ما يثبته التاريخ، فكم قدم الشعب المصري من شهداء ضد الفرنجة، وكم قدم شهداء حينما حارب المغول أو ضد الإنجليز أيام محمد علي، وفي حروب ٥٦ و٦٧ و٧٣، ألا يشكل كل هذا وعيا ثابت الأركان؟.

هل الأمة تدرك عدوها بدقة وتعرف هويتها وتنوعها؟

نعم.. وتدرك أيضا من القرآن الكريم الذي يتكرر في آياته «لعنة الله على الظالمين»، حتى الاستبداد الشديد الموجود في البلاد سببه الناس، لأنهم لم يتروضوا، ولن يتروضوا إلا بالكرباج. حتى مشكلة الهوية والانتماء على مستوى الشارع العربي، ليست محل تساؤل فهي محسوسة ومعروفة، فعند سؤالك أي عربي ما هي هويتك أو انتماؤك؟ لن تجد التباسا مثلما نجده عند المثقفين الآن، فكل مثقف عربي له هوية خاصة، ليس له علاقة بالهوية، وهذا على خلاف الإنسان العربي العادي، لأن هويته معروفة. المواطنون العرب العاديون لا يوجد تناقض بينهم، فكل منهم سيشعر أنه مسلم وسيشعر أنه ينتمي لقطره وأنه عربي، مع الشعب الفلسطيني أو اللبناني فهو ليست لديه مشكلة، غير النخب الذين يركزون على طريقة تكون كاذبة في الأغلب.

ثقافة النقد الذاتي

النقد الذاتي ثقافة مهمة للفرد والمجتمع على حد سواء، فمن دونها يختل ميزان العمل، ويصاب الإنسان بداء الظن بالكمال، وعدم المراجعة لما فعل، وعدم الاستفادة من أخطاء الماضي، بل النظر للنفس نظرة أكبر مما تستحق، أو النظر للعمل نظرة تهويل أو تهوين، مما يصيب العمل الإسلامي الدعوي بخلل خطير، وآفة تودي بجهوده وثمرته إلى الهلاك والضياع، والنقد الذاتي ثقافة مهمة يجب أن تغرس في مجتمعاتنا، وفي مدارسنا، ومؤسساتنا الدعوية والعملية، ولكنها للأسف تغيب بعمد أو بغير عمد، وهي ثقافة أصيلة في ديننا، وفي تراثنا الإسلامي.


عصام تليمة- النرويج

يظن البعض أن مصطلح النقد الذاتي مصطلح دخيل على قاموسنا الإسلامي، وهو تصور غير صحيح، فالمصطلح موجود في تراثنا الإسلامي، بل موجود في أعمال المسلم في اليوم والليلة، ولكنه تحت مسمى آخر غير ما يسميه الغرب، فكثيرا ما نمارسه تحت باب محاسبة النفس، وتحت مسمى الدين النصيحة.

ولقد ضرب القرآن نماذج عديدة للنقد الذاتي، الذي ينبغي للمسلم أن يمارسه مع نفسه، ومع فئته وعصبته، ومع قومه وعشيرته، ومع إخوانه الذين يتعاونون معه على القيام بالدعوة إلى الله، وفي المؤسسات الدعوية، وأول نموذج نرى النقد الذاتي بارزا فيه بوضوح، هو نموذج أصحاب الجنة، يقول تعالى ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ (القلم-١٧) إنهم قاموا بتصرف خاطئ، وأرادوا حرمان المساكين من حقهم الذي كتبه الله لهم، فعوقبوا بإهلاك الثمرة (فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم (القلم-١٩) إنهم أمام اكتشاف ما حدث، وتفسير ما حدث.. إنهم فعلوا في أول الأمر ما يفعله كل البشر في البحث عن كبش فداء في صورة خارجية، يلقون عليها أخطائهم، ويعولون عليها.. تطمين خادع للنفس.. إنه لم يحصل شيء، كل ما حصل هو أننا ضللنا الطريق، وهذا ليس بستاننا ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون. ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ (القلم: ٢٣- ٢٦).

ولكن تبين بعد قليل أنها هي هي لم تتغير، إذن التفسير الآخر الذي يقوم على تنزيه النفس بشكل غير مباشر.. إن الظلم وقع علينا وإننا مظلومون، بل نحن محرومون.

هنا تدخل الرجل المعتدل العاقل (أوسطهم) ليرشدهم إلى جوهر المشكلة ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ (القلم- ٢٨)، إن المشكلة عندكم في أنفسكم وليست في الخارج، راجعوا أنفسكم، واكتشفوا الخطأ الذي حدث، قوموا بعملية نقد الذات.

ويبدو أن القوم كان فيهم بقية من عقل، ولم يرتكبوا حماقة جديدة بالبقاء على تصرفهم كما كان، فاعترفوا بأنهم كانوا «الظالمين» وليسوا «المظلومين المحرومين».

فأقبلوا يقومون بعملية اللوم الجماعية للتنظيف الداخلي الجماعي، فكما أن عملية اللوم السابقة كانت فردية، فهي هنا جماعية ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ (القلم- ٣٠) وهذا هو الموقف التحليلي الصحيح.. إن موقف الاعتراف هو بداية حل المشكلة ﴿إنا كنا ظالمين﴾ (القلم- ٢٩)، ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ (القلم- ٣١)، فالمشكلة بدأت من نفوسنا، ولم تبدأ من العالم الخارجي، إنه موقف طاهر حين تبدأ عملية مراجعة النفس ونقدها ولومها ومحاسبتها وتقويمها(١).

عوامل غياب النقد الذاتي

١- النظرة السامية للفهم والتصرف البشري: فنحن ننظر إلى أعمالنا نظرة السمو التي هي في أفكارنا وفي دعوتنا، وفي ديننا الإسلامي، فدعوتنا الإسلامية لا شك دعوة ربانية، وهي دعوة الحق، وكذلك ديننا الإسلامي الحنيف، ولكن الداعية ينسى أن تصرفه ليس ربانيا دوما، وليس حقا على طول الخط، قد يغيب عن ذهن الإنسان الصواب، وتتحكم فيه بشريته التي بطبيعتها تميل للخطأ، ونفسه التي تتوق للأمر بالسوء ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ (يوسف- ٥٣)، فالمؤمن لا يستمر على إيمانه في ازدياد دوما، بل هو بين علو وهبوط، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديثه: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد» (رواه مسلم).

هذه النظرة تجعل الداعية يغيب عن تأمل واقعه تأملا منصفا، أو يقف مع عمله وقفة محاسبة، وجرد للحساب، ليسأل نفسه: ماذا ربح، وماذا خسر؟ وقبل هذا كله وبعده: لماذا خسر؟ ولماذا ربح؟ وهو سؤال أهم من سابقه.

٢- ليس في الإمكان أبدع مما كان: ومما يجعل النقد الذاتي يغيب ويضيع في مجتمعاتنا، مقولة ومبدأ: ليس في الإمكان أبدع مما كان، فقد استخرجنا أفضل ما عندنا، وليس هناك أفضل مما قدم أسلافنا، وما ترك الأول للآخر شيئا.. وهذا إضافة إلى خطأ نظرته، فهو للأسف يعني أننا نحجر على العقول أن تعمل، وعلى الأذهان أن تتفق لتبدع بأفكار جديدة، ولذا لم يفسر رسول الله ﷺ القرآن الكريم، بل فسر بعض آياته، أو عددا منها، وترك بقية الآيات لتبدع فيها عقول الأمة الإسلامية، وكم من كتب في

تفسير القرآن لا حصر لها، وفي كل كتاب منها جديد غير ما سبق إليه من سبقه من المفسرين، وكم من رأي فقهي، وطرح فكري أبدع فيه المحدثون في زماننا، والسبب أنهم لفظوا هذه المقولة، وطرحوها، وكذلك لهذه المقولة خطورة شديدة في حياتنا، فأحيانا نسقطها على واقعنا الدعوي، فندعي بأننا قدمنا أفضل ما لدينا، ولا يوجد أفضل من ذلك، وقد بذلنا قصارى جهدنا، ولا نعتقد أن أحدا سيفعل غير ما فعلنا، وهذا حجر على فضل الله الذي لا ينقطع عن خلقه، وقد قال الله تعالى عن قضية عرضت لنبي الله داود (فحكم فيها بحكم، ثم عرضت على نبي الله سليمان وهو ابنه فحكم بحكم آخر) وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (الأنبياء- ٧٨)، فقال الله عز وجل عن إصابة نبي الله سليمان في الحكم (ففهمناها سليمان) ثم بين فضل كليهما، وأن فهم سليمان لقضية لم يفهمها أبوه، ليس قدحا فيه، ولا في فهمه، بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال تعالى: (وكلا آتينا حكما وعلما) (الأنبياء- ٧٩).

٣- إسباغ هالة من التقديس: ومن موانع ممارسة النقد الذاتي، أننا نلقي بهالة من التقديس على أفكار العلماء والمشايخ، وأفكارنا نحن أيضا، مما يمنعنا من ممارسة النقد الذاتي، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفرقون بين ما هو مقدس من النص الشرعي الذي لا يجترأون على الاجتهاد معه، وبين ما هو من مساحة إعمال العقل، وإبداء الرأي، وفي مثل هذه المواقف رأينا الحباب بن المنذر، حين قال: يا رسول الله، هذا منزل أنزلكه الله، أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ فقال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: أرى أن هذا ليس بمنزل(٢).

إن إسباغ هذه الهالة التي نحيط بها أفكارنا، يجعلنا نغرس، بقصد أو بغير قصد، مبدأ ادعاء العصمة، التي لم يكتبها الله عز وجل إلا لرسله وأنبيائه فقط، فلا معصوم إلا هم، وهذا ما جعل علماءنا، من قديم، يشددون في التفريق بين الإسلام والفكر الإسلامي، الإسلام الذي هو وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبين الفكر الإسلامي الذي هو فهم المسلمين لهذا الوحي، فيما تتعدد فيه الأفهام، فالأول نقف أمامه وقفة إجلال وامتثال، والآخر يؤخذ منه ويرد، ويقبل منه ويرفض، ويناقش منه ما نختلف معه، نقاشا يزيده ثراء ووضوحا (٣).

ذواتنا تنتقد لتحسين حالنا وتجويد فكرنا وصد السهام المسمومة عن تراثنا

بواعث وثمرات للنقد

١- الحرص على رضا الله: فمما لا شك فيه أن حرص الإنسان على رضا الله عنه، يجعله يجري دوما عملية مراجعة لما يقوم به، ومحاسبة لنفسه، وعدم رضا عن أدائها مهما أدت، ومهما فعلت، فهو دوما ينظر إليها نظرة التقصير، حتى يدفعها إلى الأمام، وإلى عمل أكثر إخلاصا، وأغزر إنتاجا، وأعظم أجرا، وقد كان يستغفر الله كل يوم مائة مرة.

٢- الاقتداء برسول الله ﷺ فعملية النقد الذاتي، اقتداء بخاتم الرسل محمد ﷺ الذي كان من قوله أحيانا: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت...» (البخاري)، ولما رأى تزاحم الناس على الباب عند الخروج من المسجد النبوي، فقال: «لو تركنا هذا الباب للنساء» (أبو داود).

٣- الحرص على التجديد: فمن أراد أن يأتي بالجديد دوما، عليه أن يقف وقفة نقدية أمام أدائه التعبدي، والخلقي، والدعوي، والحياتي كذلك.

٤- تصحيح المسار: كما أن نقد الذات يفيد صاحبه بتصحيح مساره، فهو لا شك يكتشف خطأه، فالإنسان في غمرة الحياة ومشاغلها، وانطلاقه بمشروعه الدعوي والإيماني، في زحمة العمل ينسى نفسه، وربما انحرف عن هدفه دون أن يدري، أو سلك طريقا طويلا، ربما أخره عن تحقيق هدفه، أو انحرف به عن هدفه الأصلي إلى هدف فرعي.

٥- تقوية روح الشجاعة الأدبية: فنقد الذات يقوي من شخصية الإنسان المسلم، كي يلقي باللوم على نفسه عند تقصيره في حق الله، ويدعوه للاستغفار عما اقترف، واستدراك ما فاته، فإن أولى درجات التوبة الندم، والاعتراف بالخطأ، وهذا لا يكون إلا لمن يمتلك شجاعة على الاعتراف بالخطأ، وهو أول درجات النقد الذاتي البناء.

٦- منع تسرب فكرة التقديس للأشخاص والأفكار: التي طغت في أديان أخرى سبقت الإسلام، وانتشرت في بيئات لا يحكمها الإيمان بالله، فالتقديس للأشخاص نابع من نظرة زائدة عن الحد للشخص، وجعله فوق مستوى النقد، وفوق مستوى الأخذ والرد، ولذا رضي الله عن الإمام مالك حين قال: كل يؤخذ منه ويترك إلا صاحب هذا المقام، إشارة منه إلى رسول الله ﷺ.

وفي تراثنا الفقهي مراجعات

٧- مداواة للنفس: كما أن النقد الذاتي يفيد النفس البشرية بوقايتها من داء خطير هو داء العظمة، الذي يولد الانتفاخ في داخل الإنسان المريض بجنون العظمة، وعدم المساس بذاته كأنها ذات مقدسة، لا تقبل النقاش ولا الأخذ ولا الرد، وهو سبب كبير في نشأة التأله البشري.

الفرق بين نقد الذات وجلدها

بقيت نقطة مهمة لا تفوت على كل ذي لب، فينبغي أن نفرق بين نقد الذات، وجلد الذات، فهناك فئة من الناس لا ترى في نفسها خيرا قط، بل هو دوما يتهم نفسه اتهاما لا يرتقي بها إلى فعل الخير، بل اتهاما يودي بها إلى دوامة من الإحباط، وعدم الرجاء في أي عمل خير.

وهناك أناس لا يرون في أمتنا أي خير، فأمتنا من شر إلى أشر منه، ومن تخلف إلى ركود وخراب، وليس معنى نقد الذات الوقوف عند نقدها ثم لا يكون لنا همّ إلا توجيه السهام لأنفسنا وأمتنا وتراثنا، المقصود بالنقد للذات: النقد ونحن نعمل، وننقد لتحسين حالنا، وتجويد فكرنا، وصد السهام المسمومة عن تراثنا وفكرنا.

المراجع

(١) انظر: في النقد الذاتي لخالص جلبي ص ٢٢،٢١، طبعة مؤسسة الرسالة الثانية.

(٢) رواه ابن هشام (٦٦/٢) وضعف إسناده الشيخ الألباني لانقطاعه، ووصله الحاكم (٤٢٧،٤٢٦/٣)، انظر: فقه السيرة للشيخ الغزالي بتحقيق الشيخ الألباني ص ٢٣٢.

(٣) انظر: ليس من الإسلام، للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٥-١٣٧، طبعة دار القلم، دمشق.

البطالة .. آفة تنخر في جسد الأمة

رمضان بديني - الكويت

الشباب في كل مجتمع هو سر قوته وعماد نهضته، فإذا لم تستثمر مرحلة الشباب استثمارا مفيدا ونافعا فإنها ستتحول إلى قوة مدمرة للمجتمع تأتي على الأخضر واليابس، ذلك أن الشاب العاطل قوة كامنة، فإذا لم توجد قنوات طبيعية وشرعية تستنفد هذه القوة فإنها ستبحث عن منافذ ومخارج أخرى، فضلا عن أن العاطل الذي لا يملك ما يبدأ به حياته ويؤمن مستقبله يتعرض لضغوط وتغيرات نفسية يكون لها تأثيرها المباشر على سلوكياته وتصرفاته. ومن أجل ذلك حرص الإسلام على تأمين حياة كريمة تضمن الاستقرار الاجتماعي والنفسي للشباب

ومن الظلم قصر أسباب البطالة على فريق دون آخر، بل يشترك في هذه الأسباب الشباب أنفسهم كما تشترك فيه الدول والحكومات الرسمية، وفيما يلي البيان.

الأسباب العائدة للدولة

١- سوء التخطيط وعدم التنسيق بين التخصصات الدراسية ومتطلبات سوق العمل، فأصبحنا نرى طوابير من حملة الشهادات العليا من دون عمل.

٢- عدم الاهتمام بالتعليم التطبيقي والحرفي، والاهتمام بالتعليم النظري.

٣- انتشار بعض القيم والآداب غير الشرعية مثل الرشوة والمحسوبية والواسطة، وهو ما يحرم المجتهد من حقه في العمل وأخذ غيره له.

٤- عدم الاستقرار السياسي الذي يؤدي إلى هروب المستثمرين وعدم تهيئة بيئة اقتصادية توفر فرص عمل للشباب.

٥- بعض الدول تحرص على أن يبقى أبناؤها أسرى الجوع والحرمان حتى لا تمتد أمنية أحدهم أبعد من تحصيل قوت يومه، حرصا من هذه الحكومات على كراسيها وعدم تفرغ الشباب للمطالبة بحقوقهم السياسية مثل التعددية السياسية.

الأسباب التي تعود للأفراد

١- عدم مراعاة الشباب لمتطلبات سوق العمل في تخصصاتهم الدراسية، والتركيز على كليات القمة فقط.

٢- ضيق أفق الشباب وحرصهم على العمل في تخصصهم الدراسي فقط، وإن انعدمت الفرصة يجلس يندب حظه.

٣- عدم واقعية الشباب في طلبهم للعمل وحرصهم على تبوؤ أعلى المناصب في أسرع الأوقات أو الوصول إلى الوظيفة المريحة ذات الدخل العالي من البداية.

٤- عدم حرص الشباب على اكتساب مهارات حرفية تساعدهم إذا ضاقت بهم سبل الوظيفة الرسمية.

> **عدم الإستقرار السياسي وضيق أفق الشباب وعدم الواقعية وثقافة التجويع ...أبرز أسباب الظاهرة**

آثار البطالة

إن للبطالة آثارا مدمرة للمجتمع كله، وتتمثل فيما يلي:

١- فقدان الشباب روح الانتماء والحب للوطن، فالشاب الذي لا يجد من وطنه الرعاية والاحتضان وتوفير حياة كريمة سيصاب بالإحباط واليأس والنقمة على المجتمع كله.

٢- يكون الشباب عرضة للوقوع في المحرمات والشبهات مع توافر الوقت لديهم نتيجة الفراغ الوقتي والنفسي، فربما يلجأ بعضهم لقضاء وقته في تناول المخدرات وشرب الخمور هروبا من الواقع المرير، وربما يدفع ذلك البعض للحصول على المال من طرق غير مشروعة.

٣- ربما يلجأ بعض العاطلين إلى السرقة والاحتيال والنصب للحصول على المال لسد احتياجاتهم الضرورية واحتياجات أولادهم إن لم يجدوا إعانة من المسؤولين، وهو ما يؤدي إلى انتشار الجريمة والأمراض الاجتماعية المدمرة.

٤- تكريس الطبقية واتساع الفجوة بين الأغنياء الذين يستغلون الحاجة لتكديس الأموال، والفقراء الذين يرضون بأدنى الأجور للحصول على لقمة العيش.

٥- وأما أبرز الآثار السياسية فتتمثل في عزوف الشباب عن المشاركة السياسية والعمل الحزبي، وذلك إما بسبب فقد روح الانتماء للوطن وإما انشغالا بتحصيل لقمة العيش.

العلاج

سبل العلاج والتغلب عليها تتوزع على أطراف متعددة أيضا، بحيث تتكاتف الجهود لإيجاد علاج ناجع وفعال لهذه المشكلة، وهذه الأطراف المعنية بهذا الأمر هي:

على الدعاة دور مهم وحيوي تجاه مشكلة البطالة وآثارها المدمرة، فيجب عليهم وضعها في محور اهتماماتهم وخريطتهم الدعوية، فلا يصح أن يكون الناس في واد والدعاة في واد آخر. ويتمثل دورهم في:

١- توضيح منهج الإسلام في التعامل مع البطالة وتوضيح القيم الإسلامية السامية التي حرصت على توفير ضروريات الحياة الكريمة.



الدعاة مطالبون بوضع أزمة البطالة على خريطتهم الدعوية ... والحكومات عليها توفير حياة كريمة وآمنة للرعية

٢- القيام بواجب النصح للحكومات والمسؤولين بدورهم تجاه شبابهم وواجبهم في توفير عمل مناسب لهم.

٣- نصح الشباب والأخذ بأيديهم لإيجاد بدائل حرفية يسدون بها حاجتهم.

٤- العمل على تحصين الشباب وتنمية الإيمان بالله في قلوبهم حتى لا يلجئوا إلى المخدرات والطرق المنحرفة إذا ما ضاقت بهم سبل المعيشة.

٥- استثمار الأمر في توضيح أثر الذنوب والمعاصي على الحرمان من الرزق، بحيث يغرسون في الشباب روح الثقة واللجوء إلى لله تعالى كما فعل نوح عليه السلام مع قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(نوح -١٢).

٦- توضيح قيمة العمل في الإسلام وأن الإسلام احترم كل الأعمال وحث عليها.

٧- على الجمعيات الدعوية تدريب الشباب العاطل على بعض المهن والحرف الصغيرة التي يستطيع من خلالها كفاية نفسه.

٨- محاربة السلوكيات الخاطئة التي تكرس الثروة في يد البعض دون الآخر مثل الاحتكار والرشوة والمحسوبية.

وعلى الحكومات دور كبير في توفير حياة كريمة وآمنة للرعية، فهم رعاة وهم مسؤولون أمام الله تعالى عن رعيتهم، كما وضح ﷺ في قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...» (متفق عليه).

وتتمثل أبرز أدوار الحكومات فيما يلي:

١- وضع استراتيجية لضبط التخصصات والمقررات الدراسية حسب احتياجات سوق العمل، والاهتمام بالجانب التطبيقي في العملية التعليمية.

٢- الاهتمام بالتعليم الفني والحرفي، بما يكسب الشباب حرفة أو مهنة للعمل بعد التخرج.

٣- إعمال القانون في محاربة الاحتكار وتكديس الأموال في يد فئة قليلة من الشعب، والعدالة في توزيع موارد الإنتاج حسب طاقات الأفراد.

٤- خلق مناخ سياسي صحي وحيوي للمساعدة على الاستثمار والإنتاج وهو ما يوفر فرص عمل كثيرة ومتنوعة.

٥- على حكومات الدول التعاون فيما بينها ليسد بعضها حاجة الآخر، فمثلا إذا اجتمع المال الخليجي مع العمالة المصرية في الأرض السودانية لخرج خير وفير يكفي الوطن العربي كله.

وعلى الشباب أن يدركوا أن عليهم الدور الأكبر في حل مشاكلهم بأنفسهم خاصة مشكلة البطالة، ولذلك أنصحهم بما يلي:

١- «السماء لا تمطر ذهبا»: فخذ بالأسباب وتوكل على رب الأسباب، فاحرص على احتراف عمل أو مهنة تيسر لك سبل الحصول على عمل مناسب، واعلم أن الله يحب المحترف الأمين.

٢- «لتكن لك في النملة عبرة»: فالنملة إذا اعترضتَ طريقها بإصبعك فإنها تنحرف يَمنة أو يسرة لتفادي التصادم بيدك، فكن مرنا كالنملة ولا تصطدم بالواقع وتقف عاجزا.

٣- «من داوم الطرق أوشك أن يفتح له»: فلا تيأس إذا أغلقت في وجهك الأبواب مرة أو مرتين بل حاول مرات ومرات.

٤- «تعلّم ما تحب واعمل ما تجيد»: فلا تحصر عملك في شهادتك وتخصصك العلمي، فلا مانع أن تجرب في عمل آخر مناسب لك.

٥- «الاحتطاب خير لك من أن تسأل الناس»: فلا تتكبر على أي عمل مادام منضبطا بضوابط الشرع، ولا تنتظر أن تقفز إلى أعلى الدرجات من أول مرة، فنبيك عليه السلام كان يرعى الأغنام لقومه.

٦- «تسعة أعشار الرزق في التجارة»: فالتجارة في أي شيء مباح ميسرة وممكنة للكثيرين حتى ولو بدأ برأس مال صغير فسيبارك الله له فيه.

وفي النهاية فهذه رؤية لحل مشكلة انتشرت واستفحلت وامتدت مخالبها في مفاصل أمتنا فأصابتها في مقاتل متعددة في جسدها فأخرتها عن ركب الحضارة بعد أن كانت قائدة الأمم وتاجا متألقا في مفرقها.

فوائد من قصة النملة

مسير ماطر الظفيري - الكويت

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم امر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله اليه فهلا نملة واحدة» (البخاري كتاب بدء الخلق).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «قرصت نملة نبيا من الانبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله اليه ان قرصتك نملة أحرقت امة من الامم تسبح». (البخاري كتاب الجهاد ٣٠١٩).

الفوائد من هذه القصة

أولا: الحذر من الغضب، فالغضب ثوران في النفس يحملها على الرغبة في البطش والانتقام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا وان الغضب جمرة في قلب ابن آدم اما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء فليلتصق بالارض» (اخرجه احمد في المسند والترمذي في باب ما اخبر به الصحابه بما هو كائن الى يوم القيامة).

نلاحظ في هذا الحديث لونا من الوان العلاج لثورة الغضب، وصفه الرسول ﷺ الا وهو اللصوق بالارض، والغرض منه تجميد كل حركة يمكن ان ينجم عنها آثار غضبية مادية. (الاخلاق الاسلامية لحبنكة ٢/٣٤٥).

وقال الرسول ﷺ «ان الغضب من الشيطان، وان الشيطان خلق من النار، وانما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب احدكم فليتوضأ». (رواه ابوداود ٤٧٨٤).

والغرض منه تبريد حرارة الغضب، والانشغال بأمر من امور العبادة بصرف النفس عن توترها العصبي، وانفعالها الناري. (الاخلاق الاسلامية لحبنكة ٢/٣٤٥).

ويوجد علاج نبوي ثالث لحالة الغضب، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

روى البخاري ومسلم عن سليمان بن صرد قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبّان، واحدهما قد احمر وجهه وانتفخت اوداجه، فقال رسول الله ﷺ «اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»، فقالوا له ان النبي ﷺ قال «تعوذ بالله من الشيطان». (الاخلاق الاسلامية لحبنكة ٢/٣٤٥).

ثانيا: لابد من العدل فلا تزر وازرة وزر اخرى، قال الله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ١٦٤) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾ (المائدة: ٨).

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن...»: ﴿ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على الا تعدلوا﴾ كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا او مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق.

● مراقب إداري في وزارة الأوقاف

الويلات تجر على الأمة بأفعال البعض ... كما جلبت نملة الدمار لتهورها وتصرفها الخاطىء

﴿اعدلوا هو اقرب للتقوى﴾ اي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك اقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى.
﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلا وآجلا. اهـ.
والنبي هنا قد حرق قرية النمل كلها وكان الواجب عليه ان يعاقب المخطئ فقط وهي النملة لا غيرها اذا كان لا بد من العقاب.
ثالثا: هناك امم امثالكم: فقد قال الله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الانعام: ٣٨).
قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن...» اي: جميع الحيوانات، الارضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها امم امثالكم خلقناها كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا كما كانت نافذة فيكم.



قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: وقوله ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد: اي اصناف مصنفة تعرف بأسمائها، وقال قتادة: الطير أمة، والإنس امة، والجن امة، وقال السدي ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ اي خلق امثالكم.
وقوله ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ اي الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان بريا او بحريا، كقوله ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ اي مفصح بأسمائها واعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها.
رابعا: النمل امة تسبح، قال الله تعالى ﴿تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ (الاسراء: ٤٤).
قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن...»: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء...﴾ من حيوان ناطق وغير ناطق ومن اشجار ونبات وجامد وحي وميت ﴿إلا يسبح بحمده﴾ بلسان الحال ولسان المقال ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ اي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب.
قال الله تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ (الجمعة: ١).
قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن...»: اي يسبح لله وينقاد لأمره، ويتألهه ويعبده جميع ما في السموات والارض، لأنه الكامل الملك الذي له ملك العالم العلوي والسفلي فالجميع مماليكه، وتحت تدبيره، ﴿القدوس﴾ المعظم، المنزه عن كل آفة ونقص، ﴿العزيز﴾ القاهر للأشياء كلها، ﴿الحكيم﴾ في خلقه وامره.
فهذه الاوصاف العظيمة مما تدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له.
وممن يسبح الله تعالى ايضا: الملائكة: قال الله تعالى على لسان الملائكة: ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ قال الشيخ السعدي رحمه الله اي ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك.
والطعام يسبح الله تعالى، عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الاناء، ثم قال «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». (البخاري كتاب المناقب).
خامسا: قد تجر الويلات على الامة بأفعال البعض، كما فعلت النملة التي جرت على قريتها الدمار بسبب تهورها وتصرفها الخاطئ.
سادسا: التربية بالتأثيم تولد حفظ الدماء: ان من يربي ولده على ان يتأثم من قتل نملة لا يمكن ان يتأتى منه سفك دم انسان بريء بغير حق.
سابعا: التحريق بالنار للأحياء غير جائز، فلا يعذب بالنار الا رب النار، كما اخبر بذلك ﷺ عن محمد بن حمزة الاسلمي عن ابيه ان رسول الله ﷺ أمره على سرية قال فخرجت فيها وقال: «ان وجدتم فلانا فاحرقوه بالنار» فوليت فناداني فرجعت اليه فقال «ان وجدتم فلانا فاقتلوه ولا تحرقوه فإنه لا يعذب بالنار الا رب النار» (ابوداود كتاب الجهاد).

المراجع

- القرآن الكريم.
- كتب السنة (البخاري، ابي داود، مسند احمد، الترمذي).
- صحيح القصص النبوي للشيخ عمر الاشقر.
- الوافي في شرح الاربعين النووية للشيخين مصطفى البغا ومحيي الدين مستو.
- الاخلاق الاسلامية للشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني رحمه الله.

دور الإسلام في دعم أخلاقيات الإدارة


د. حسن عزوزي -المغرب

أمست كثير من المؤسسات الإدارية والمنظمات المهتمة بالتنمية الإدارية فضلا عن وزارات الوظيفة العمومية ببعض الدول العربية تتحدث في الأونة الأخيرة عن ضرورة دعم أخلاقيات الإدارة والاهتمام بتطويرها وتقويمها، ووصل الأمر بالمنظرين والمسؤولين في هذا المجال إلى إبداع مصطلح «التخليق» غير أن المثير للانتباه في هذا السياق هو أن حديث هؤلاء عن تخليق الإدارة ينأى بهم بعيداً عن المرجعية الإسلامية فلا يكاد يذكر اسم الإسلام أو دوره السباق والخلاق في تهذيب سلوك الموظف الإداري وتقويم تصرفاته وتقوية إرادته وتحفيز روح المسؤولية لديه، بل إن حديث معظم المسؤولين والمهتمين بحقل الاداريات عن تخليق الادارة انما يتم من خلال الحديث عن ضرورة محاربة الفساد الإداري والمحسوبية وايقاظ الضمير المهني ومسألة حسن التدبير وترشيد النفقات وغير ذلك من المصطلحات الحديثة المستوردة في معظمها من ثقافة الإدارة الغربية بكل مكوناتها.

ان الذي تتاح له فرصة حضور بعض فعاليات الندوات المختصة بالإدارات العمومية في بعض البلاد العربية لن يعدم تكوين فكرة واضحة عن مدى اغفال الدور الإسلامي في الحديث عن كل الجوانب المرتبطة بدعم أخلاقيات الإدارة العمومية، بل الأدهى من ذلك ان يصاب كثير من المسؤولين الإداريين الذين درسوا في الغرب بالدهشة والذهول عندما تحدثهم ان الإسلام كان سباقا الى الدعوة الى دعم أخلاقيات الإدارة وفق مبادئ وتعاليم أصيلة ترمي جميعها الى تقوية البواعث الإيمانية، والتأكيد على قيم التقوى والاستقامة وتحمل المسؤولية وإيقاظ الضمير لدى الموظف الإداري.

إن الإسلام ربط جميع المعاملات في الحياة العامة، بما فيها الحياة الادارية، بالأخلاق والسلوك المحمود ولذلك لم تكن نظرته الى موضوع تخليق الإدارة نظرة تجزيئية ضيقة بل نظرة شمولية وهادفة، فدعم أخلاقيات الإدارة لا يعني فقط في المنظور الإسلامي محاربة الرشوة والحفاظ على المال العام ومناهضة المحسوبية وما إلى ذلك، بل شمل ترسيخ مفاهيم المسؤولية والرعاية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ومراعاة حقوق الناس وحرماتهم، وكذا العمل على تسيير علاقة المواطنين بالادارة ودراسة تظلماتهم وشكاواهم وحمايتهم من كل أشكال التعسف والشطط لدى المسؤولين الإداريين.

تخليق الإدارة ضرورة لتهذيب السلوك وتقويم التصرفات وتحفيز المسئولية



ان نظرة الإسلام الشمولية إلى موضوع الادارة تنطلق من كون الأخلاقيات الاسلامية تأخذ مفهوما واسعاً يوحد توحيداً كاملا بين الإيمان والعبادات والمعاملات المجتمعية ومنها المعاملات الإدارية أي انه لا يفرق مطلقا بين الروحانيات والماديات، فبقدر ما يتدخل في الشؤون العامة يتدخل في الشؤون الخاصة لذلك كانت الرقابة الإلهية التي ينبغي للموظف الاداري ان يراعيها قبل الرقابة الادارية لا تتناول عملا وتدع آخر بل تتناول الأعمال كلها، فالصلاة مثلا إن أديت بضوابطها وخشوعها كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر ورادعة للموظف الاداري عن السقوط في الممارسات اللاأخلاقية، وللتدليل على أهمية هذا الأمر في تخليق المسؤول الإداري لا نجد أروع من الاشارة إلى ما افتتح به عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطابه عندما كتب الى عماله في الامصار قائلا «إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع» (رواه البيهقي) أي من ضيع حق الله تعالى الذي هو الصلاة ولم يحافظ على أوقاتها فهو لغيرها من الأعمال والواجبات





مبدأ تولية الأصلح في المناصب شرط لضمان حسن تدبير أمور الدولة ووقاية للصرح الإداري من الإهمال

والمسؤوليات أضيع.

من جهة أخرى فإنه إذا كان الشعور بالمسؤولية يعتبر احدى الخصائص الأساسية المطلوبة في الموظف الاداري الذي غالبا ما يعرف بأنه «الموظف المسؤول» فإن الإسلام بالرغم من تأكيده على المسؤولية الفردية واعتبارها الأساس لا يهمل المسؤولية الجماعية التي تجعل الموظفين في مجال التدبير الاداري متماسكين ومتضامنين على تحقيق النفع العام، وبذلك تتعدى مسؤولية الإنسان الاداري افعاله الخاصة ومقاصده الشخصية إلى نطاق مجموع المجتمع الاداري الذي يتحرك ويمارس عمله في اطاره، فهو في الوقت الذي يعتبر فيه مسؤولا عما يصدر عنه من افعال وتصرفات وممارسات، فان الإسلام لا يعفيه من المسؤولية عما يجري في محيطه الاداري ويدور حوله ويقع من غيره، خصوصاً إذا كان هذا الغير ممن يقع تحت مسؤوليته ورعايته وفي الحديث النبوي الشريف «كلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

هذا اذن عن نظرة الإسلام إلى مسألة تخليق الإدارة وهي نظرة شمولية هادفة تدعو إلى تفعيل السلوك الإداري قبل التوظيف وبعده وتنمية الاحساس لدى الموظف بأهمية الالتزام بالشعائر الدينية التي تسهم في تهذيب السلوك وتزكيته، وكذا ضرورة ايقاظ الضمير الديني الذي يوجه الخطوات ويسدد التصرفات إلى حد ما، هذا فضلا عن التأكيد على أهمية الاحساس بالمسؤولية الذي يعتبر الأساس وقطب الرحى الذي يبنى عليه مفهوم تخليق الادارة.

أما على مستوى المبادئ والمفاهيم التي تحد من شيوع مظاهر الفساد والتسيب الأخلاقي في المجال الإداري بصفة عامة مما لايدركه- للأسف الشديد- كثير من مسؤولي إداراتنا العمومية، فقد عمل الإسلام في مجال تعيين الموظفين وغيرهم على مراعاة شروط الصلاح والكفاءة والأمانة فيمن يراد توظيفهم وهو ما يعرف بمبدأ تولية الأصلح وذلك من أجل دعم المحافظة على نظام الأخلاقيات في الإدارة وأجهزة الدولة، ولذلك جاء في الحديث النبوي: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله».

وقد كان مبدأ تولية الاصلح في المناصب الإدارية ومصالح الدولة في صدر الإسلام شرطا ضروريا لضمان حسن تدبير أمور الدولة ووقاية الصرح الاداري من كل تفريط أو إهمال.

أما محاربة الرشوة التي تعتبر رأس الفساد الإداري فقد كان الإسلام سباقا الى تجريمها، معتبراً إياها من باب أكل أموال الناس بالباطل، لذلك فإنه ينبغي من أجل محاربة آفة الرشوة في المجال الإداري ان يتم بالاضافة إلى ما يوجد من قوانين زجرية وعقابية إشعار الموظفين الاداريين بشدة التجريم الإسلامي لهذه الآفة التي لعن فيها رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش بينهما، ومما لاشك فيه انه عندما يكون الضمير الخلقي للموظف الإداري متقداً ويقظاً فإنه يراعي الحظر الديني أكثر من مراعاته للحظر القانوني، وذلك بفعل الإيمان والوازع الديني اللذين إن كان لهما مكان في قلب ووجدان الإنسان فانهما يؤثران في سلوكه الأخلاقي أكثر من تأثير الرقابة الإدارية أو القوانين الزجرية.

هكذا اذن أمكن القول إن الإسلام قد عالج مسألة دعم اخلاقيات الادارة ليس عن طريق الزجر فقط وانما عن طريق التربية والتهذيب لسلوك الإنسان وجعله يخشى الله ويراقبه قبل أن يراعي الرقابة الادارية، وبمثل هذا المنهج الإسلامي الهادف عالج ديننا الحنيف قضايا البيئة والتنمية وحقوق الإنسان وغيرها مما لا يتصور كثير من المنظرين والمهتمين بتلك القضايا أن الإسلام كان سباقاً إلى معالجته وتقعيد قواعد تؤطره وضوابط تحكمه فيما نقلته إلينا نصوص دينية متنوعة ساهمت في إغنائها وتفسيرها سياسات الخلفاء الراشدين الذين أثروا المرجعية الإسلامية في كل المجالات والميادين.

العقد الاجتماعي بين الخليفة والرعية

زبير سلطان - سورية

تجاهل العديد من المؤرخين والمفكرين في العصر الحديث العقد الاجتماعي الذي تضمنه البيان الذي ألقاه أول خليفة للمسلمين بعد توليه السلطة، كما لم يلحظوا أن الإسلام سبق دعوة جان جاك رسو في نظرية العقد الاجتماعي بين الرعية والحاكم بمئات السنين، ولم يرفعه فقط شعاراً، بل مارسه عملياً، كما أنه لم يأت من خلال تظاهرات شعبية، أو من تنظير فلاسفة أو مفكرين أو من مطالبات للنخب السياسية والاجتماعية، بل جاء من صلب العقيدة الاسلامية وفكرها ورسالتها التوحيدية، التي جاءت لخير البشرية ولتخرجها من الظلمات الى النور.

حرص الخليفة الراشد الأول رضي الله عنه على ان يضع عقدا اجتماعياً بينه وبين الرعية في الدولة، بعد أن تمت مبايعته من قبل أهل العقد والحل من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وعامة الناس، يلتزم به الحاكم والأمة، ويؤسس للمسلمين دولة تقوم على أسس العدل والمساواة والحرية والشورى وفق ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

يرتكز هذا العقد على قاعدة قانونية شرعية بطاعة الحاكم مادام ملتزماً بالشرعية، وتتوقف الطاعة في حال خروجه عن هذه الشريعة.

سلطة متوازنة شورية لا تكون فيها السلطة مطلقة تتحول مع الزمن الى دكتاتورية، ولا حرية فردية تتحول الى فوضى ينفرط فيها عقد الدولة وتسقط هيبتها، بل الشريعة هي النظام القانوني للحاكم والمحكوم، وتخضع السلطة لمراقبة النخبة المختارة مع أهل الحل والعقد من فقهاء الأمة وعلمائها.

مؤسسة رقابية دائمة لسلوك الحاكم

الأمة مصدر السلطات، وتملك سلطة المحاسبة والعزل، بقوله: «فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»، وهذا أعلى أشكال الديمقراطية، لم نجده اليوم حتى في دول تدعي انها تطبق بحرفية كاملة الديمقراطية، ومن يملك الانصاف من المفكرين في الغرب والشرق أو ممن درس أو قرأ التاريخ سيجد عظمة الإسلام بأنه أرسى هذا العقد، في وقت كان الحاكم في مجتمعات العالم الأخرى يصل الى القداسة لا يحاسب ولا يعزل مهما فعل، بل تعتبره بعض الأمم وقتها سليل الآلهة، فكان للإسلام الأسبقية على كل أمم الأرض في وضع هذا الأساس الديمقراطي، الذي بدأت تطالب به الشعوب بعد الثورة الفرنسية.

القرآن الكريم والسنة

مصدرا التشريع «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم..» حدد النص الأسس التي يقوم عليها نظام الدولة، فالحاكم ملتزم بتطبيق الشريعة الإسلامية التي أسسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والأمة ملتزمة بالطاعة للحاكم مادام يطبق هذه الشريعة.



وتجري محاسبة الخليفة عند مخالفة الشريعة أو تجاوزها، والمحاسبة من قبل الأمة بواسطة ممثليها من أهل الحل والعقد، الذين يتصفون بالعلم والفقه بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ فهم الذين اختاروا الخليفة ورشحوه للأمة لمبايعته.

المصداقية والشفافية بين الحاكم وشعبه

نص العقد على أن: «الصدق أمانة، والكذب خيانة»، أي أن يكون الحاكم شفافاً بينه وبين شعبه، يصدقهم في أفعاله وأقواله وقراراته، والمثل الأعلى لأمته وشعبه في الممارسة والخلق والأداء، شفافا في ظاهره وباطنه، راعيا أمينا، وأبا حنونا، وقائدا حازما، وصلبا في ادارة الأزمات.

ونرى اليوم ان امم الأرض بعد اربعة عشر قرنا من خطبة العقد للخليفة الأول رضي الله عنه تطالب حكامها بالشفافية، هذه الشفافية تتجلى في صدق العلاقة بين الحاكم وشعبه، يشترك مع الشعب في ايجاد الحلول الناجعة لكل الصعاب، ويبادلهم ويبادلونه الرأي، فالمصداقية كما نص العقد أمانة في عنق الحاكم، والكذب وخداع الشعب خيانة عظمى توجب المحاسبة والعقاب.

مواطنو الدولة متساوون في الحقوق والواجبات

نص العقد على التعامل مع أفراد الأمة على أساس المساواة كما جاء في تعهد الخليفة في العقد

الاجتماعي بقوله: «الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله»، والمساواة حلم البشرية منذ مطلع التاريخ، ناضلت الشعوب لتحقيقها الى يومنا هذا، فالعقد الاجتماعي يكرسها في النص، لأن المساواة من صلب العقيدة الإسلامية فالحديث الشريف يقول: «الناس سواء كأسنان المشط..» (رواه ابن حبان) فالدولة الإسلامية تساوي بين مواطنيها في جميع الحقوق والواجبات، يخضع كل أبناء الدولة لقانون الشريعة بالتساوي المطلق من رأس السلطة الى اقلها مرتبة اجتماعيا وماليا.

فألزم الحاكم في نص العقد بإنصاف الضعيف وحماية روحه ودينه وعرضه وأملاكه وحريته، وأن ينزع حق الضعيف من القوي مهما كان وضعه السياسي والمالي والاجتماعي، ويرسي قانون المساواة والعدل والإنصاف لجميع أفراد الأمة.

لا عصمة ولا قداسة للحاكم

نص العقد الاجتماعي الذي تقدم على كل النظم السياسية التي كانت قائمة في ذلك الوقت، حين نزع القداسة عن الحاكم، واعتبره بشراً مثله مثل أي فرد من أفراد الأمة، وليس معصوماً عن الخطأ، لذا لا بد من التصحيح له في حال وقوعه في الخطأ «أيها الناس أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدا على العالمين، وعصمه من الآفات، أنا متبع، ولست بمبتدع، فان استقمت فاتبعوني، وان زغت فقوموني).



الفساد مفتاح دمار الأمة ... ودرؤه يعني استمرار الحياة و استقرار الدولة وسعادة المجتمع

الدفاع عن الوطن

نص العقد على ان الجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الوطن والدين والعرض والأرض من مسؤولية الأمة والحاكم، فالجهاد يحمي الأمة من أعدائها الخارجين ومن المخربين في الداخل، والجهاد يتطلب بناء دولة قوية مرهوبة الجانب، تملك أسباب القوة العسكرية، لدفع الأذى عن الأمة، ورد ما يحاك ضدها في الظلام، ويمنع الطامعين من مهاجمتها رهبة وخوفاً من قوة الدولة كما نصت الآية الكريمة: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الأنفال-٦٠).

والعقد أشار إلى أن الجهاد في سبيل الله واجب الدولة وحاكمها، وتركه حالة سلبية تسبب ذل الأمة، وتعرضها لمخاطر كبيرة، تبدأ من طمع العدو باحتلال أرضها، ونهب ثرواتها، وافساد دينها، واستعباد شعبها.

ومن يطالع صفحات التاريخ يجد أن سبب انهيار الأمة الإسلامية هو عزوفها عن الجهاد، وبناء القوة الضاربة التي أرادها الله عز وجل في الآية السابقة، وإعداد الأمة عسكرياً، فطمع بها الأعداء، واستباحوا أرضها، واحتلوا قدسها، وقتلوا الصغير والشيخ، وأكثروا فيها الفساد، وهذا ما حذر منه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قال: «لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل».

إقامة الحدود

نص العقد على محاربة الفساد من قبل الأمة والحاكم، لأنها تورث في الأمة الوهن والتفكك والذل والفقر والمرض وغضب الله عز وجل، كما جاء في قول الخليفة رضي الله عنه: «ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء».

وقد اثبتت وقائع التاريخ ان الفساد هو مفتاح دمار الأمة، وهو الذي يصيبها في مقتل في حياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وبانتشار الفساد انهارت أمم كبرى امتلكت المال والسلاح والجيوش الجرارة، وأصبحت أثرا بعد عين.

فأوجب النص على الأمة والحاكم درء المفاسد ماظهر منها وما بطن، ومحاربة الفواحش قبل أن تفتك في جسم الأمة كما نصت الشريعة الإسلامية، واقامة الحدود كما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة على الجميع دون استثناء، لأن فيها استمرار الحياة، واستقرار الدولة، وسعادة الأمة وترسيخ أمنها وبقائها.

إن هذا العقد تحتاج الأمة الإسلامية إليه، لترفع عنها الضعف والهوان الذي وصلت اليه، وتعود من جديد الى مقدمة الأمم تبني حضارتها التي ترسي القيم العليا التي أمر بها الله عز وجل ودعا اليها رسوله الكريم ﷺ، والبشرية جمعاء بأمس الحاجة اليها.

المفكر الإسلامي د. محمد عمارة لـ «الوعي الإسلامي»:

الأمية الفكرية .. كارثة العولمة



حوار: عبدالرحمن هاشم

دعا المفكر الإسلامي الكبير د. محمد عمارة إلى إفساح المجال أمام تيار الوسطية والعقلانية المؤمنة من خلال تضمين تراث هذه العقلانية في مناهجنا التعليمية، محذرا من الأجندة الغربية لتحرير المرأة، ومن الأمية الفكرية الناشئة عن تراجع دور المؤسسات التعليمية والثقافية والدينية. و انتقد ما يسمى بالحوار بين الأديان، داعياً إلى التجديد وتقديم البديل الإسلامي الصالح لتلبية احتياجات ومتطلبات الواقع الجديد، حتى يزول «الفراغ» الذي صنعه الجمود والتقليد، والذي يسعى التغريب الوضعي العلماني لملئه والتمدد فيه.

• الدكتور عمارة قيمة أدبية وشخصية إسلامية عالمية أطلقت إشعاعات فكرية ونقدية في كل اتجاهات الحياة، التقيناه في منزله بالقاهرة لإلقاء مزيد من الضوء على التحديات المفروضة على عالم الإسلام والمسلمين اليوم وكثير من قضايا الساعة الفكرية والثقافية.. واليكم نص الحوار:

■ ما ردكم على ما يردده أعداء الإسلام من ارتباط حالة «عدم إعمال العقل» بالمجتمع الإسلامي وأن الدين هو السبب في الجمود الفكري الذي يعيش فيه أتباع الإسلام؟

- اقتضت الإرادة الإلهية منذ بدء الخليقة تزويد الإنسان بنعمتين من أعظم النعم، هما العقل والدين، وكل منهما يتكامل مع الآخر من أجل سعادة الإنسان في دنياه وأخراه، والذين يدركون مقام العقل في الإسلام لا يمكن أن يخطر ببالهم إمكانية تغييب هذا العقل.

لقد كانت المعجزات قبل نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم مادية تدهش العقل فتشله عن التفكير، أما عندما بلغت الإنسانية سن الرشد وشاء الله ختم رسالات السماء إلى الإنسان كانت معجزة الإسلام عقلية لا تدهش العقل فتشله عن التفكير، وإنما تستثيره وتستحثه على التفكر ولذلك جاء الحديث الصريح عن العقل في القرآن في ٤٩ آية وجاءت مئات الآيات التي تتحدث عن مرادف العقل مثل اللب والتدبر والفكر والحكمة وغيرها، ولقد جاءت كثير من آيات القرآن تستخدم المنطق والعقل في الاستدلال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء- ٢٢).

الأمية الفكرية

لكن واقعنا المشاهد اليوم يؤكد ما يمكن أن نطلق عليه «الأمية الفكرية» أو الفقر المعرفي والديني وهو ما ظهر أثره على الشباب مما يشكل خطراً وإساءة للإسلام، ونظرا لتعدد ميادين الفكر تعددت ميادين الأمية الفكرية، فهناك أمية في الفكر العلمي، وأمية في العلوم العقلية، وأمية في الآداب والفنون وأمية في الفكر السياسي، وفي الفكر الاقتصادي وأمية في العلوم الشرعية والدينية.

وهناك أبعاد كثيرة تقف وراء هذه الأمية منها:

- غياب المؤسسات الثقافية والتعليمية في الاضطلاع بالدور الحقيقي المنوط بها في قيادة المعلم والمثقف. فلم نعد نرى المربي المثقف الذي يحب مهنته ويسعد بتربية الأجيال بالقدوة والفكر السليم، وأصبح أسلوب التعليم عندنا لا يحمل ثقافة ولا يثري فكرا، حتى أصبح الطلاب معبئين بالمعلومات عن طريق الحفظ والتلقين دونما التركيز على الفهم والتفكير والإبداع.

- أضف إلى ذلك كارثة العولمة التي سرقت منا شبابنا في كل شيء: المأكل والملبس والفكر والثقافة.. الخ، فضلا عن الاستخدام السيئ للأجهزة الالكترونية التي أخذنا منها أسوأ ما جاءت به، حتى أصبح الشباب يجيدون معرفة المفاتيح الالكترونية، ولكنهم بكل أسف لم يعرفوا المفاتيح الإنسانية.

- تراجع المؤسسات الدينية وغياب دور المسجد في التوعية والإرشاد ونشر الدين الوسطي الصحيح الذي يجمع بين التراث ومستجدات العصر.

- الادعاء: وهو مرض استشرى بين بعض الناس الذين يخيل إليهم أنهم بمعلوماتهم البسيطة والضئيلة قد بلغوا مرتبة العلماء، فبدلا من أن يجلسوا مجالس المستفتين ويتحلوا بأخلاق طلاب العلم، نراهم يجلسون مجالس الإفتاء وهم إلى الجهل والفقر المعرفي أقرب!

والحالة الفكرية المثلى أراها تتمثل في التزويد بالثقافة المتوازنة التي تجمع بين العقل والنقل، والتجربة والوجدان، والتي تجعل صاحبها على وعي بالذات وبالآخر، وبالتاريخ والمستقبل والمصير.

تجديد الخطاب الديني

■ هل ترون أن ثمة حاجة ضرورية لحركة فكرية منظمة ومخططة هدفها تصحيح الوعي الإسلامي وإزالة التزييف عن تاريخ أمتنا وثوابتها؟

- هذا يدخل ضمن قضية تجديد الخطاب الديني الإسلامي، وهي قضية مركبة، بل ومعقدة، وفي الحديث عنها ما هو طيب وضروري ومشروع، وما هو خبيث ومغلوط ومرفوض. والكلام في ذلك يحتاج إلى عدد من المقدمات:

المقدمة الأولى: التجديد في الفكر الإسلامي، وهذا التجديد ليس مجرد أمر مشروع وجائز ومقبول، وليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم على أهل الذكر والاختصاص من علماء الإسلام، وإنما هو سنة وضرورة وقانون، ومن دون التجديد ـ الدائم والمستمر ـ للفكر وللفقه وللخطاب الإسلامي، تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية ـ التي هي وضع إلهي ثابت ـ ومقتضيات ومتطلبات الواقع ـ المتغير والمتطور دائمًا وأبدًا ـ مما يعني أن الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي لن يفضيا إلا إلى «انفلات» الواقع المتطور أمام حاكمية الشريعة الثابتة، ويعني أيضًا العجز عن جعل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، فتغيب حجة الله على عباده، وهدايته لخلقه، بعد أن ختمت الشرائع السماوية بشريعة الإسلام ، فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، والتي ترتهن صلاحيتها لكل زمان ومكان، بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي.

والمقدمة الثانية: أن حاجة المسلمين أمام هذا «الغزو الفكري» الذي جاء في ركاب «الغزو العسكري» إلى تجديد الفكر والفقه والخطاب الإسلامي أكثر ضرورة وأشد إلحاحًا: لأنه هو السبيل لتقديم «البديل الإسلامي» الصالح لتلبية احتياجات ومتطلبات ومستجدات الواقع الجديد، وذلك حتى يمتلئ الفضاء الإسلامي بالبديل الإسلامي، فيزول «الفراغ» الذي صنعه الجمود والتقليد، والذي يسعى التغريب الوضعي العلماني لملئه والتمدد فيه.

غياب التجديد للفكر الإسلامي يحدث فجوة بين الشريعة والواقع ... والأمة في أمس الحاجة لتقديم «البديل الإسلامي» الصالح

إسقاط الحدود

■ يبادر كثيرون بالدعوة إلى «إسقاط الحدود»، مؤكدين عدم صلاحيتها لهذا العصر وأنها ضد حقوق الإنسان.. ما تعليق فضيلتكم؟

- الحديث عن العقوبات في أي تشريع سواء كان دينيا أو وضعياً يتطلب النظر إليها في إطار منظومة متكاملة لهذا الدين أو الفلسفة أو النسق الفكري.

وعند ذلك ستكون العقوبات هي الضامن لحقوق الإنسان، ولن تكون مضادة لحقوق الإنسان كما يظن الذين لا يرون من الشريعة سوى العقوبات.

حوار الأديان

■ كثيراً ما نسمع عن عقد مؤتمر دولي هنا أو هناك للحوار بين الأديان، لكننا لا نجد ثمرة لهذا الحوار على أرض الواقع.. فما السبب؟

- إن أهم شرط من شروط الحوار هو الاعتراف المتبادل والقبول المشترك بين أطراف الحوار، وهو ما يعني الاعتراف بسماوية هذه الأديان دون أن يستلزم ذلك الانتقال من دين إلى آخر، وهذه هي الصيغة الإسلامية في العلاقات بين الأديان السماوية، التي تشبه كثيرا العلاقة بين الأحزاب في أي مجتمع من المجتمعات. فالكل يعترف بالآخر مع احتفاظ كل حزب ببرنامجه الذي يسعى للتقدم من خلال تطبيقه، وهذا المعنى يبدو جليا في قول رسول الله ﷺ : «الأنبياء أولاد علات [أي إخوة من الأب] أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

أما الذي نشاهده حالياً فهو اعتراف من أتباع الإسلام بالآخر، بينما نجد هذا الآخر لا يعترف به دينا سماويا حتى أن الوفود الإسلامية المشاركة في مثل هذه الحوارات تجلس في صفوف الديانات الوضعية، فيصبح هناك طرف يرسل والآخر لا يستقبل مما جعله يبدو كأنه حوار مع الذات وليس مع الآخر.

إنقاذ الأزهر

■ منذ حوالي نصف قرن، تتصاعد الشكوى من هبوط مستوى أداء الأزهر كمؤسسة علمية وفكرية وتعليمية، والسؤال كيف ننقذ الأزهر ويعود منارة للإسلام وقلعة للعلم؟

- إن تراجع الأزهر، وكذلك ازدهاره، تابع لخط سير الأمة وحضارتها، ولكن الأزهر ظل طوال تاريخه مركز المقاومة وطليعة النهضة والتجديد، وساعده على ذلك كونه مؤسسة الأمة، واستقلاله عن السلطة.

ونجد أن هبوط مستوى الأزهر بمعاهده وكلياته هو جزء من الهبوط العام الذي أصاب معظم المؤسسات في مجتمعنا، بدءا من الجامعات المدنية، إلى الثقافة، إلى الصحافة، إلى التعليم العام.. الخ، ولكن الرسالة المتميزة للأزهر جعلت الغيرة عليه وعلى رسالته أشد وأكبر.

وعندي بعض المقترحات للاهتداء بها هي:

أولاً - أن يبدأ التشعيب في التعليم الأزهري من المرحلة الإعدادية إلى قسمين (شرعي ومدني)، وليس (أدبي وعلمي)، وأن تعود مدة التعليم في القسم الشرعي بالمعاهد الأزهرية كما كانت قديما (٤ سنوات للإعدادي، ٥ سنوات للثانوي)، بحيث يدخل هذا القسم الشرعي حفظة القرآن الراغبون في أن يكونوا متخصصين في الشريعة وعلومها والعربية وآدابها.

وهؤلاء هم الذين يدخلون كليات الشريعة وأصول الدين والدعوة والدراسات الإسلامية واللغة العربية، بينما تظل الدراسة بالقسم المدني على ماهي عليه مثل المدارس العامة، وهؤلاء هم الذين يدخلون الكليات المدنية.

ثانياً - فتح أبواب كليات الأزهر التقليدية أمام خريجي الجامعات المدنية الراغبين في التخصص في العلوم الشرعية، الذين ينظرون للدعوة الإسلامية على أنها رسالة وليست وظيفة.

ثالثاً - إحداث إصلاح جذري في المناهج والمقررات التي تدرس بالكليات الأزهرية التقليدية بحيث يدرس الطالب- مع القرآن والسنة وعلومهما- إبداعات العصر الحضاري الأول، وإبداعات عصر الإحياء والتجديد الحديث، وذلك بدلا من المذكرات التي لا هدف من ورائها سوى الربح المادي.

رابعا - تكوين أوقاف جديدة كمصدر للإنفاق تكفل للأزهر استقلاله المالي عن ميزانية الدولة ليعود له الاستقلال الفكري.

العمر في التسعين والروح في العشرين

السن ليس حجة للتقاعس أو التوقف عن صناعة الحياة والتأثير في الواقع، وإنما يستطيع الإنسان - لو قرر واجتهد واستعان قبل ذلك بالله تعالى - أن يفعل شيئاً كثيراً مهما كانت سنه، بشرط أن تكون الهمة عالية والنفس طموحة، فالشيب في حقيقته ليس ركوناً أو انزواءً في جانب قصي من هذه الحياة، إنما الشيب جلة ووقار، ونور للعبد ومنار، وما أجمل ما سطره القائل إذ يقول:

تفاريقُ شَيْبٍ في السَّواد لَوَامِعُ
وما خير لَيل ليس فيه نجومُ

وسنتناول سيرة أناس طالت أعمارهم حتى بلغ بعضهم التسعين، ولكن أرواحهم كانت أرواح شباب في العشرين، ومن هؤلاء:

أبو طلحة الأنصاري

شهد العقبة وبدراً، وغزا مع النبي ﷺ كل الغزوات، وكان له دوره المميز في صفوف الجيش حتى قال فيه النبي ﷺ «صوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من مائة» (أخرجه أحمد وإسناده صحيح).. كان كثير الصوم وقلما يفطر، وكان زاهداً متعبداً، بالرغم من تقدم سنه ﷺ، ولم يتخلف عن غزوة قط، ولم يتعذر بكبر السن فيجلس ويستريح، فعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة قرأ سورة «براءة» فأتى على هذه الآية: انفروا خفافاً وثقالاً فقال: أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً، جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهزوني، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير.

ابن عقيل البغدادي

كان الإمام علي بن عقيل البغدادي رحمه الله ذا همة عالية حتى إنه ألف عدداً كبيراً من المصنفات، من بينها كتاب الفنون والذي يقع في ٤٠٠ جزء، وقد ذكر الإمام الذهبي أنه لم يؤلف مثل هذا الكتاب من قبل، وكان ابن عقيل قد جاوز الثمانين من عمره ومع هذا يقول: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح.

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي
ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي
وإنما طال رأسي غيرُ صبغته
والشيب في الرأس غير الشيب في الهمم

يوسف بن تاشفين

كان يقاتل الفرنجة ويقود الجيوش بنفسه وقد جاوز الثمانين من عمره.

موسى بن نصير

فتح الأندلس وعمره ٧٤ عامًا، وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان فتحاً عظيماً حتى إنه لما استدعاه الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ٩٥هـ وصل موسى دمشق ومعه ١٢٠ من الملوك وأولادهم سبايا، وكان موسى بن نصير يقول - وهو شيخ كبير قد شارف الثمانين: «ما هُزِمتْ لي راية قط، ولا فُضّ لي جمع، ولا نُكب المسلمون معي نكبةً منذ اقتحمتُ الأربعين إلى أن شارفتُ الثمانين».

وبعد أن أوغل موسى بن نصير في فتح الأندلس وجاوز سرقسطة، وكان آنذاك شيخاً مسناً، قال: «أما والله لو انقادوا إليّ لقُدتُهم إلى رومية، ثم يفتحها الله على يديّ إن شاء الله»، فلله درّه من شيخ لا يعرف للمستحيل معنى.

ثابت البُناني

عاش ستّاً وثمانين سنة، قال عنه بكر المزني: «من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البُناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه». وقال عنه أنس بن مالك (رحمه الله): إن للخير مفاتيح، وإن ثابتاً من مفاتيح الخير.

الحاكم النيسابوري

ألّف كتابه القيم: «المستدرك على الصحيحين» إملاءً من ذاكرته بعد أن جاوز التسعين من عمره.



د.علي الحمادي-الامارات

عطاء بن أبي رباح

عاش تسعين سنة، وكان رحمه الله - بعد ما كبر وضعف - يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم، لا يزول منه شيء ولا يتحرك (صلاح الأمة في علو الهمة، ج٦، ص٥٦٨).

عمر المختار

دوّخ المستعمر الإيطالي، وظلّ يقاومه حتى أقدم الإيطاليون على إعدامه يوم ١٩٣١/٩/١٦م وقد جاوز التسعين من عمره. وكان من كلماته الخالدة أنه قال: «أفضل الموت جوعًا وعطشًا ولا أُلقي بنفسي وإخواني بين أيدي الإيطاليين يتصرفون فينا كيف شاءوا».

جورج داوسون

لم يتعلم القراءة والكتابة إلا بعد بلوغه الثامنة والتسعين من العمر، وبعد أربع سنوات من تعلمه (فك الخط) كتب سيرة حياته في كتاب بعنوان، الحياة رائعة جداً، باع منه ١٠٠ ألف نسخة خلال الأسابيع الأولى من صدوره، واحتل قائمة أكثر الكتب مبيعاً لفترة طويلة، كما قام بجولة في كل أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية لترويج الكتاب.

وكم نخسر كثيراً بسبب ذلك القانون الذي يحيل مَن بلغ ستين سنة إلى المعاش، وكأننا نقول له: لقد انتهت صلاحيتك، وآن لك أن تذهب إلى بيتك وتنتظر الموت، فلا فائدة منك!!

رئيس مركز التفكير الإبداعي

شهد العالم في القرن الماضي ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب بشكل ملحوظ وخاصة من قبل النخبة والصفوة وقادة الرأي العام والعلماء والفلاسفة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يعتنق الكثير من مفكري الغرب ومثقفيهم على اختلاف توجهاتهم الاسلام؟ هذا ما سنعرفه من خلال سلسلة روائع سير المهتدين التي ترويها لكم «الوعي الاسلامي» بألسنة أناس سعوا إلى الهداية والسعادة، أناس يرون أن الإسلام دين العقل والمنطق والحرية والرحمة والاحسان للإنسانية جمعاء.

قصة إسلام العالم الجيولوجي الألماني ألفريد كرونير

علاء الدين المدرس - الكويت

البروفيسور الفريد كرونير من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم، حضر مؤتمراً جيولوجياً في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبدالعزيز، وقال له أحد المشاركين المسلمين في المؤتمر: هل عندكم حقائق علمية تشير إلى أن جزيرة العرب كانت بساتين وأنهارا؟ فقال: نعم. هذه مسألة معروفة عندنا، وهي حقيقة من الحقائق العلمية، وعلماء الجيولوجيا يعرفونها، وإذا حفرت في أي منطقة تجد آثارا تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجا وأنهارا، وكان ذلك في التاريخ الموغل في القدم، وقد وجدت في الجزيرة مناطق أثرية عديدة، منها قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي... وأدلة أخرى كثيرة على هذه الظاهرة.

فقال له: وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجا وأنهارا؟ قال: هذه مسألة علمية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيين ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نحدد العصر بالتقريب.

وذلك لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي، فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة، ومن ضمن هذه الأحقاب المتعددة.. حقبة تسمى العصور الجليدية. فما معنى العصر الجليدي؟ معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد الشمالي ثم تزحف نحو الجنوب، وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس باردا، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطارا وأنهارا. ويقول المحاور: كنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا، وأنا أتأمل فيما يقول.

فقال له: هل تؤكد لنا هذا؟ قال: نعم. هذه حقيقة علمية لا مفر منها! فقال له: اسمع يا بروفيسور هذا الحديث النبوي الذي يشير إلى ما قلت. يقول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً». (رواه مسلم)، فمن قال لمحمد ﷺ إن أرض العرب كانت مروجا وأنهارا؟

ففكر وقال: الرومان.

فقال له: ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجا وأنهارا؟

ففكر وفكر وقال: هناك رب فوقنا هو الذي عنده هذا العلم الذي تعلمناه نحن البشر وكشفنا ما كان مجهولاً حتى وقت قريب!

وهنا قال له الداعية المسلم: اكتب ما ذكرت يا بروفسور.

فكتب بخطه: لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة، ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي محمدا ﷺ لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي.

قال العالم المسلم الشيخ عبد المجيد الزنداني: أيها الإخوة الكرام، هذا موقف العالم الألماني الكبير الذي كان ينكر الدين والإيمان به، وقد تضاعف شعوري بمسؤولية الأمة الإسلامية أمام دينها، وأنا أرى قيادات العالم الكبار ما إن تقوم لهم الحقائق حتى يسلموا.. ولا يكتفون بالإسلام فقط، بل وينشرونه ويكتبونه في كتبهم دون مبالاة.

قال المحاور جزاه الله عن الإسلام خيرا: فقلت في نفسي: لو أن هنالك عملا جادا من أمة الإسلام ومن الجامعات العربية والإسلامية، فلن تمر عشر سنوات أو خمس عشرة سنة، حتى يكون ثلث علماء الأرض من المسلمين. والله يا إخوة الإيمان، ما مر بيني وبين هذا العالم الألماني سوى ساعتين ونصف الساعة حتى قال هذا كله. وهذا عملاق من عمالقة العلم يكتب هذا ويقره. وهذا يدل على أن هناك علما واحدا وحقيقة واحدة وإلها واحدا هو رب العالمين الذي أرسل النبي محمدا ﷺ رحمة للعالمين. ولو أن هناك دعوة قوية وحركة وعملا متواصلا من المسلمين، لوجد ما يثبت للعالم أنه بيدنا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. إن هذا العصر عصر علم وتداخل ثقافات، عصر يتفاعل مع ما جاءت به الرسالة الإسلامية من حقائق وعلوم وأمور إعجازية، وهو عصر خضع فيه كل شيء للعلم، ولكننا بإذنه تعالى وبجهود العلماء الدعاة، في بدايات عصر خضوع العلم للإسلام وللقرآن، ولكنا لازلنا غير مستثمرين لتلك الميزة المسخرة لصالح كتاب الله وسنة نبيه.

انه القرآن الذي يقوم وحده فيبشر الناس ويدعوهم إلى النور ويدعو إلى التي هي أقوم، ويكشف الظمأ الذي يعيشه الإنسان لهذا الدين ولو كره الكافرون. قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾(فصلت-٥٣).

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

من تراث الوعي

كيف نحارب الغزو الثقافي؟

الشيخ عبدالعزيز بن باز- يرحمه الله- السعودية (العدد -98 غرة صفر 1393هـ 5- مارس 1973)

إن أخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحة متنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى، لذلك فإن الاستعمار في العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها في الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها، حيث إن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والإرهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس، لا سيما في الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعي بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض، وأصبحت هناك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة، وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعي في سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم في أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم في الحياة، وحسب ما تدين به تلك الشعوب من معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم، مما اضطر معه إلى الخروج من هذه الأقطار بعد قتال عنيف، وصدامات مسلحة، وحروب كثيرة دامية.

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار، فكر في عدة وسائل واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة واعية، وتفكير طويل، وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها والطرق التي ينبغي أن تتخذ للوصول إلى الغاية التي يريد، وأهدافه تتلخص في إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين، مبالغة في الدهاء والمكر والتلبيس، ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته، وترسيخ الإعجاب بما حققه في مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس، حتى إذا ما تشربت بها قلوبهم، وأعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققته وأنجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة لا سيما في صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون في سن المراهقة والشباب، اختيرت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لإكمال تعليمهم في الخارج في الجامعات الأوروبية والأميركية وغيرها، حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشهوات على أيدي المستشرقين والملحدين، بشكل منظم، وخطط مدروسة، وأساليب ملتوية في غاية المكر والدهاء،وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكيك ومجون وإباحة.

أسلحة مغرية

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من إغراء وعدم وازع من دين أو سلطة قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل، وهؤلاء- بعد إكمال دراستهم وعودتهم إلى بلادهم وتسليمهم المناصب الكبيرة في الدولة- خير من يطمئن إليهم المستعمر بعد رحيله ويضع الأمانة الخسيسة في أيديهم لينفذوها بكل دقة، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر، كما وقع ذلك فعلا في كثير من البلاد التي ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به.



طريق السلامة

أما الطريق إلى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضراره، فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد إدراك كامل للمصلحة العامة، وتقدير للمسئولية من إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث إلى الخارج، وتدريس العلوم بكافة أنواعها في المملكة ؛ حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب، وصيانة أخلاقهم وخوفا على مستقبلهم، وحتى يساهموا في بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الإسلامية وحسب حاجات ومتطلبات

● علامة الأمة الإسلامية ، توفي ٢٧ محرم ١٤٢٠ هـ

هـذه الأمـة المسلمـة، وضيقت من نطاق الابتعاث إلى الخارج وحصرته فـي علـوم معينة لا يـتوفـر فـي الـوقـت الحـاضـر تدريسها في الداخل.

وإنـا لنشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع، وحرصها الشديد على مستقبل الأمـة والـوطـن، وعلى مـا حققته وأنجـزتـه من المشاريع النـافـعـة، والمكاسب الضخمة، ونسأل الله لها مزيدا من التوفيق للأعمال الصالحة، والخدمات النافعة للمسلمين.

عناية مضاعفة

ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج إلـى مـزيـد مـن العناية فـي إصـلاح المنـاهـج وصبغها بـالـصـبـغـة الإسـلامـيـة على الوجه الأكمل، والاستكثار من المؤسسات العلمية التي يستغنى بها أبناء البلاد عن السفر إلى الخـارج، واخـتـيـار المـدرسـات والمديرين والمديرات، وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الـفـاضـلـة والـعـقـيـدة الطيبـة والـسـيـرة الحـسـنـة والـغـيـرة الإسلامية والقوة والأمانة، لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجـي وبـذل وسعه فـي كل ما من شأنه إيصال المعلومات إلى الطلبة والطالبات سليمة نقية.

أما إذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب إلى الخارج لعدم وجـود بـعـض المعـاهـد الفنية المخصصة لا سيما في مجال التصنيع وأشـبـاهـه، فـأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيـار الـشـبـاب الـصـالـح في دينه وأخلاقه، المتشبع بالثقافة والــروح الإسـلامـيـة واخـتـيـار مشرف على هذه البعثة معروف بعمله وصـلاحـه ونـشـاطـه في الدعوة ليرافق البعثة المذكورة ويقوم بالدعوة إلى الله هناك، وفـي الـوقـت نـفـسـه يـشـرف عـلـى البعثة ويتفقد أحوالها وتـصـرفـات أفـرادهــا ويـقـوم بإرشادهم وتوجيههم و إجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك.

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولـو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات الـتـي قـد تواجههم فـي البلاد التي يبتعثون إليها، ويبين لهم موقف الشريعة الإسلامية منها والحكمـة فيهـا حسب مـا دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وكـلام أهـل العلم مثل أحكام الـرق وتـعـدد الـزوجـات بصفة عامة وتعدد أزواج النبي بصفة خاصة وحكم الطـلاق وحكمة الجـهـاد ابـتـداء ودفـاعـا وغير ذلـك مـن الأمـور الـتـي يوردهـا أعداء الله على المسلمين، حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه.

هيئة علمية

أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هـذا الـعـصـر، وأخـذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغـم مـا تشتمل عليه فـي أكثـر الأحـيـان مـن السـم الـزعـاف والـدعـايـة المظلمـة والأدب الـرخـيـص والـصـور العارية والـدعوة إلـى الفساد، فأرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الإسلامية- لا سيما حكومتنا السنية- بإيجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الإسلام والثقافة الواسعة وتـفـرغـهـم لـكـتـابـة الـبـحـوث والـنـشـرات والمقـالات النافعة، والـدعـوة إلـى الإسـلام والـرد عـلـى الـغـزو الـثـقـافـي المنظم، وكشـف عـواره، وتبـيـين زيفـه، حيث إن الأعداء قد جندوا كافة إمكاناتهم وقدراتهم وأوجـدوا المنظمات المختلفة والـوسـائل المتنوعة للدس على المسلمين، فلا بد من تفنيد هذه الشبهات وعرض الإسلام عقيدة وتشريعا وأحكاما وأخلاقا عرضا شيقا صافيا جذابا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة، وعن طريق الحكمـة والموعظـة بـالـتـي هي أحـسـن، فـهـو الـديـن الـكـامـل الجـامـع لـكـل خـيـر، الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقي الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحـيـاة الكريمة والفوز في الدنيا والآخر.

التمسك بالدين

وما أصيب المسلمون الا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب، وعـدم فـهـم الأكثرين لحقيقته، ومـا ذلـك إلا لإعـراضـهـم عنه وعـدم تفقههم فيـه وتقصير أكثر العلماء فـي شـرح مزاياه وإبـــراز مـحـاسـنـه وحـكـمـه وأسـراره والصدق والصبر في الدعوة اليه، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة فـي هـذا الـعـصـر، ومـن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الكثير لأحكام الإسلام والتباس الأمور عليهم.

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، والذي صلح به أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربـه أفضل الصلاة والـتـسـلـيـم كـمـا قـال تـعـالـى ﴿اتّبـعـوا مـا أنـزل إليْكمْ منْ ربّكمْ ولا تتّبعوا منْ دونه أوْلياء قليلا ما تذكّرون﴾ (الأعـراف -٣) وقـال تعـالـى ﴿وأنّ هـذا صـراطـي مسْتقيـمـا فـاتّبـعـوه ولاتتّبعوا السبل فتفرّق بكمْ عنْ سبيله ذلكمْ وصّاكمْ به لعلّكمْ تتّقون﴾ (الأنـعـام-١٥٣) وقال سبحانه ﴿وهـذا كتابٌ أنْزلْناه مبـاركٌ فاتّبعوه واتّقـوا لعلّكمْ ترْحمون﴾ (الأنعام-١٥٥) وقد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قـال سبحانه وهـو أصدق القـائلين ﴿وكـان حقّـا عليْنا نصْر المؤْمنين﴾ (الـروم- ٤٧) وقـال سبحانه ﴿وإنْ تصْبروا وتتّقوا لا يضرّكمْ كيْدهمْ شيْئًا إنّ اللّه بما يعْملون محيطٌ﴾ (آل عمـران- ١٢٠) وقـال سبحانه ﴿يأيّها الّذين آمنوا إنْ تنْصروا اللّه ينْصرْكمْ ويثبّتْ أقْدامكمْ﴾) (محـمـد-٧) والآيـات فـي هـذا المعنى كثيرة، ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قـولا وعملا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونشر بهم العدل ورحـم بـهـم الـعـبـاد وجعلهم قادة الامة وأئمة الهدى، ولما غير من بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه ﴿إنّ اللّه لا يغيّر ما بقوْم حتّى يغيّروا ما بأنْفسهمْ﴾ (الرعد- ١١).

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومـات وشعوبا إلـى دينـهـم ردا حـمـيـدا وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصي بـالحـق والـصـبـر عـلـيـه، إنـه سـمـيـع قـريـب، وصـلـى الـلـه وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان.

عبدالفتاح أبوغدة.. الداعية الرباني

عبده دسوقي - مصر

العلماء ورثة الأنبياء، وهم حماة هذا الدين في أرض الله، كما أنهم بمنزلة الحواريين إلى مجتمعاتهم، يعلمونهم تعاليم القرآن والسنة المطهرة والذود عنهما.

فلقد تربوا على التجرد لله والعمل في شتى المجالات لدين الله، وتحملوا في سبيل ذلك شتى أنواع الأذى وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات على تحمل الصعاب من أجل هذه المبادئ، وتحملوا في سبيلها الكثير.

ولم يكن هدفهم الدنيا أو التمكين لجماعة بعينها، لكن كان هدفهم وغايتهم هو الله، والدفاع عن دينه القويم ونشر تعاليمه السمحة في شتى بقاع الأرض.

وكان الشيخ عبدالفتاح أبوغدة - رحمه الله - أحد الذين بايعوا على نصرة دين الله والدفاع عن سنة رسول الله ﷺ.

النشأة والتكوين

ولد في منتصف شهر رجب عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م في مدينة حلب الشهباء بسورية، وكان والده وجده يحترفان التجارة عن طريق صنع المنسوجات الغزلية، وقد نشأ في حجر والده الذي كان محبًا للعلماء حريصًا على حضور مجالسهم وسماع دروسهم ومواعظهم، وعندما بلغ الشيخ عبدالفتاح الثامنة من عمره أدخله والده المدرسة العربية الإسلامية الخاصة، ثم المدرسة الخسروية، وهي مدرسة ثانوية شرعية، وبعد التخرج ذهب إلى مصر للدراسة في الأزهر، فالتحق بكلية الشريعة حتى حصل على شهادة العالمية عام ١٩٤٨م، وتخصص في أصول التدريس بكلية اللغة العربية بالأزهر وتخرج فيها عام ١٩٥٠م، وعاد بعدها إلى سورية.

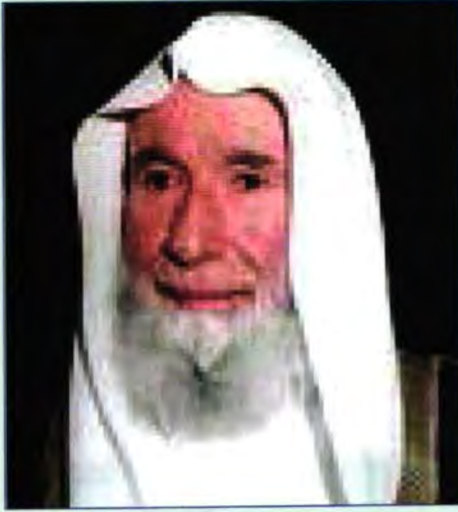
تلقى العلم على أيدي مشايخ كثيرين في مصر وبلاد الشام والهند وغيرهم، مثل الشيخ محمد أبو زهرة ومحمد الخضر حسين، واحمد شاكر، والشيخ شلتوت، وحسين راغب الطباخ (١٢٩٣-١٣٧٠/١٨٧٧-١٩٥١) الذي كان عالما في الحديث والتاريخ، والشيخ أحمد بن محمد الزرقا (١٢٨٥-١٣٥٧/١٨٦٩-١٩٣٧) والد الشيخ مصطفى الزرقا رحمهما الله، والشيخ عيسى البيانوني العالم الفقيه الشافعي، وكان مسجده يعرف بمسجد أبي ذر ويقع في الجبيلة بالقرب من بيت والد الشيخ عبدالفتاح.

تزوج الشيخ من السيدة فاطمة دلال الهاشمي أخت صديقه د. علي الهاشمي، فكانت له نعم الزوجة الصالحة، نهضت معه بعبء البيت وتربية الأولاد ليتفرغ للدعوة والعلم الشرعي، ووقفت بجانبه في الشدائد والأمراض، فكانت خير زوجة وأنيس، وللشيخ ثلاثة أبناء وثماني بنات، وهم محمد زاهد، والدكتور أيمن، المتخصص في أمراض القلب، والشيخ سلمان.

العمل الدعوي

بعد أن أنهى الشيخ تعليمه في المدرسة الخسروية التحق بالأزهر الشريف ونهل منه العلم الكثير، وأثناء دراسته تعرف على بعض الدعاة السوريين، وأعجب بهم، وصاحبهم في جولاتهم الدعوية، وانطوى تحت لوائهم، وسار معهم حتى بعد رجوعهم لبلاد الشام ليرفعوا راية الإسلام، ويخوضوا كل ميدان من أجل نشر الوعي الإسلامي، وتربية الجيل على منهج الإسلام، وتحرير البلاد الإسلامية من سلطان الأجنبي، والتصدي لموجة التغريب العلماني الوافدة من الغرب، والفكر الماركسي، والهجمة الصليبية الصهيونية.

بعد أن عاد الشيخ إلى بلده سورية حمل على عاتقه عبء الدعوة إلى الله تعالى، فكان له نشاطه الدعوي، وتعلق الناس به ووثقوا فيه، فكان إلى جانب عمله في التدريس، نشيطا في الدعوة إلى الله، فنال ثقة العامة والخاصة، واحترام أقرانه، لورعه وتقواه وعلمه ورجاحة عقله وحكمته، وأصبح مرشداً وسنداً وموئلاً، بل كان بشخصيته المتميزة وسلوكه القويم مدرسة دعوية حية متحركة، تتلمذ عليه ثلاثة أجيال أو أكثر من الدعاة العاملين، كلهم يفخر بأنه قد نال شرف الاغتراف من بحر فضيلته - رحمه الله تعالى - وأفسح له في جناته، وكانت دروس مادة التربية الدينية التي يدرسها من أحب



الدروس للطلبة وموضع إقبالهم واهتمامهم، بعد أن كانوا يعرضون عن أمثالها.

انتخب الشيخ سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦١م) نائباً عن مدينة حلب، بأكثرية كبيرة، فنال بذلك ثقة مواطنيه، على الرغم من تألب الخصوم عليه من كل الاتجاهات، ومحاولاتهم المستميتة للحيلولة بينه وبين الوصول إلى مجلس النواب، وفي مجلس النواب السوري، قام الشيخ عبدالفتاح مع إخوانه بنصرة قضايا الإسلام والمسلمين في سورية.

رحلة الرياض

وفي عام ١٩٦٥م بعد عامين من حل المجلس النيابي، غادر الشيخ سورية ليعمل مدرسا في كلية الشريعة بالرياض، ولما عاد إلى بلده في صيف (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) أدخل السجن مع ثلة من رجال العلم والفكر والسياسة، ومكث في سجن تدمر الصحراوي أحد عشر شهرا، وبعد كارثة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧م أفرجت الحكومة آنذاك عن جميع المعتقلين السياسيين، وكان الشيخ - رحمه الله - من بينهم.

جهوده العلمية

يعد الشيخ عبدالفتاح أبوغدة من العلماء الثقات، الذين يفخر بهم العالم الإسلامي في هذا القرن، وقد أحاط بالعلوم الشرعية، وملك زمام اللغة العربية والشعر والتاريخ، وتبحر في علمي الفقه والحديث، حيث أكب منذ بداية



حياته العلمية على تحقيق ونشر الكتب النفيسة في هذين الفنين وغيرهما.
ويمتاز تحقيق الشيخ عبدالفتاح بأنه يُقَدِّم مع الكتاب المحقق كتاباً آخر، مليئاً بالفوائد النادرة والتوضيحات النافعة، التي توضح الغامض، وتسدد وتصوِّب وتُرَجِّح وتُقَرِّب العلم إلى طالبه، وتحببه إليه.
وللشيخ رحمه الله تعالى ولع شديد بكتب العلم، فكان يصرف وقته وجهده وماله في سبيل اقتنائها وخدمتها، فتجمعت لديه مكتبة ضخمة، فيها النسخ النادرة من أمهات الكتب، وذهب جلها في الأحداث الأليمة التي طالت سورية في أعوام ١٩٧٨م-١٩٨٢م، وأعادت الحكومة السورية ما تبقى منها للشيخ عند عودته إلى سورية في عام ١٩٩٥م.

منهج التحقيق والتأليف

وكان منهج الشيخ في التحقيق والتأليف منهج المتأني الحريص على خدمة الكتاب من حيث الشكل والمضمون، فلم يكن يهدف إلى ربح مادي أو شهرة معنوية، ولذا كان الكتاب يبقى لديه حبيس التأليف والتحقيق سنين طويلة حتى إذا اطمأن إلى أنه قد قارب الاكتمال والحد المرضي من الجودة، أرسل به إلى المطبعة، وعكف شخصيا على مراجعة تجاربه المرة تلو المرة، وكانت زوجة الشيخ في كل هذه المراحل إلى جانبه عونا وسندا ومعاونا لا يفتر، خاصة بعد أن تأثر بصره، فما توقف إنتاجه العلمي حتى آخر أيام حياته فجزاها الله أفضل الجزاء.
وتوجت حياة الشيخ العلمية عندما قام مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في لندن بتكريم الشيخ فاختاره لنيل أول جائزة علمية تحمل اسم سلطان بروناي في حفل كبير في لندن في صيف عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، تقديراً لجهوده في التعريف بالإسلام ومساهماته القيمة في خدمة الحديث النبوي الشريف.
انتدب الشيخ أستاذاً زائراً لجامعة أم درمان الإسلامية في السودان ولجامعة صنعاء في اليمن، ولمعاهد الهند وجامعاتها، وشارك في الكثير من الندوات والمؤتمرات الإسلامية العلمية، التي تعقد على مستوى العالم الإسلامي، وكانت له جهود طيبة في جميع هذه المجالات ، حيث درس في الأردن والباكستان وتركيا والجزائر والعراق وقطر، وعمل فترة في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، ثم انتقل للعمل متعاقداً مع جامعة الملك سعود في الرياض، كذلك اختير الشيخ لتمثيل سورية في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بعد شغور مقعدها بوفاة الشيخ حسن حبنكة الميداني رحمه الله.
وقبل وفاته بسنوات قعد عن العمل، وعكف على العلم والتأليف حتى وافته المنية رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

مؤلفاته

لقد حظيت المكتبات بكثير من كتب الشيخ العلمية التي أظهرت مدى ولعه بالدعوة ومنها:
١- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، للإمام عبد الحي اللكنوي، وطبع ٣ طبعات، أولها سنة ١٣٨٣-١٩٦٣ بحلب.
٢- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، للإمام اللكنوي، وطبع ٣ طبعات، أولها سنة ١٣٨٤-١٩٦٤ بحلب.
٣- رسالة المسترشدين للإمام الحارث المحاسبي، وطبع ٨ طبعات، أولها سنة ١٣٨٤-١٩٦٤ بحلب، وترجم إلى اللغة التركية.
٤- التصريح بما تواتر في نزول المسيح، لمحمد أنور الكشميري، وطبع ٥ طبعات، أولها سنة ١٣٨٥-١٩٦٥ بحلب.
٥- إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة، للإمام اللكنوي، طبع بحلب سنة ١٣٨٦-١٩٦٦ .
٦- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام القرافي، وطبع طبعتين، أولاهما سنة ١٣٨٧-١٩٦٧ بحلب.
٧- فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية في الفقه الحنفي، للملا علي القاري الهروي المكي، طبع الجزء الأول بحلب محققاً سنة ١٣٨٧-١٩٦٧، ولم يقدر للشيخ أن يتمه تحقيقاً، ثم طبع في لبنان دون تحقيق.
٨- قاعدة في الجرح والتعديل للحافظ تاج الدين السبكي، وطبع ٥ طبعات، أولها ببيروت سنة ١٣٨٨-١٩٦٨ .

الشيخ والعلماء

وتعرف الشيخ على علماء كثيرين، منهم الشيخ أحمد سحنون من أبرز علماء الجزائر الذي التقى بالشيخ عند زيارته للجزائر وكتب تقريظا لرسالة المسترشدين، الشيخ أمجد الزهاوي (١٣٠٠-١٣٨٦/١٨٨٠-١٩٦٦) من أبرز علماء العراق في وقته، والشيخ عبد الله العلي المطوع أحد علماء الكويت ومن زعماء التيار الإسلامي فيها، والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري الأديب والشاعر الإسلامي ، والشيخ محمد محمود الصواف الداعية المتجرد والخطيب المفوه، ولد بالموصل ودرس في مصر، ثم هاجر إلى السعودية حيث عمل مستشارا للملك فيصل،والدكتور مصطفى السباعي الداعية والخطيب المفوه، مؤسس مجلة حضارة الإسلام، وتوفي سنة ١٩٦٥مريضا بالسرطان، والشيخ مناع القطان العالم والداعية، ولد بمصر ودرس بها ثم هاجر إلى السعودية حيث عمل في مناصب علمية وإدارية متنوعة منها إدارة المعهد العالي للقضاء الذي درس به الشيخ، وتوفي في الرياض، والبروفيسور نجم الدين أربكان رئيس وزراء تركيا الأسبق، والسياسي الإسلامي المخضرم، وكان للشيخ في نفسه اعتبار خاص، كان الشيخ موضع حفاوته إذا زار تركيا، والشيخ يوسف القرضاوي العلامة الفقيه الداعية.

وفاته

تلقى الشيخ في عام ١٤٠٥/١٩٩٥ دعوة من الرئيس حافظ الأسد ليعود إلى سورية، حيث أعرب على لسان فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي أنه يكن احتراما كبيرا للشيخ وعلمه، ويرغب أن يكون بين أهله وفي بلده، مبديا رغبته في الالتقاء بالشيخ، وقد استجاب الشيخ لهذه المبادرة الطيبة آملا أن تكون بداية لرأب الصدع الذي حصل في سورية في عقد الثمانينيات، فعاد إلى سورية مؤملاً تقريب وجهات النظر وتخفيف المعاناة التي أدت إليها أحداث مؤسفة سابقة أواخر حياته، ولم يقدر أن يلتقي الرئيس بالشيخ الذي كان موضع حفاوة رسمية ممن التقى به من المسئولين، وأتاحت له عودته إلى سورية بعد غياب دام سبعة عشر عاما أن يرى بلده قبل وفاته.
وفي شهر شعبان ١٤١٧هـ/ديسمبر ١٩٩٦م شعر الشيخ بضعف آخر في نظره فعاد من حلب إلى الرياض ليتلقى علاجا آخر لم يكن ناجعا ونتج عنه صداع شديد لازم الشيخ طوال أيامه الباقية، ثم اشتكى الشيخ في أواخر رمضان من ألم في البطن أدخل إثره مستشفى الملك فيصل التخصصي وتبين أنه ناتج عن نزيف داخلي بسبب مرض التهابي، وما لبث أن التحق بالرفيق الأعلى فجر يوم الأحد ٩ من شوال ١٤١٧هـ الموافق ١٦من فبراير ١٩٩٧م عن عمر يناهز الثمانين عاماً فرحمه الله رحمة واسعة.

بعد نجاحها في مقاومة الاستعمار ودعم العروبة

جامعة «القرويين» في طور جديد

إيناس توفيق - مصر

في نهاية أكتوبر الماضي كانت جامعة القرويين على موعد مع إنجاز حضاري يضاف إلى مسيرتها الممتدة عبر السنين، حيث تخرج فيها أول فوج يحمل شهادة العالمية في العلوم، وضم نحو ٢٩ طالبا كرمتهم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، و«الوعي الإسلامي» تسلط الضوء على تلك المنارة الحضارية التي أثرت العلوم الإنسانية على مر التاريخ.

جامعة القرويين بمدينة فاس المغربية أول جامعة عرفها العالم، أنشأتها فاطمة الفهرية (أم البنين) في عهد دولة الأدارسة في رمضان عام ٢٤٥هـ، ٣٠ يونيو ٨٥٩م، بإذن من العاهل الإدريسي يحيى الأول.

وقد سبقت جامعة القرويين جامع الزيتونة بتونس والجامع الأزهر بمصر، بل سبقت جامعات أوروبا بنحو ١٩١ عاما، حيث تأسست أول جامعة في أوروبا وهي جامعة سالرن سنة ١٠٥٠م في إيطاليا، ثم أصبحت معروفة بمدرسة نابولي، ثم تأسست جامعة بولونيا للحقوق، ثم جامعة باريس، وقد اعترف بها لويس السابع سنة ١١٨٠، ثم تأسست جامعة بادوا سنة١٢٢٢م، ثم جامعة أكسفورد سنة ١٢٤٩م، ثم جامعة كمبردج سنة ١٢٨٤، وجامعة سالامانكا في إسبانيا سنة١٢٤٣م، وكذا الجامع الأزهر، فقد بناه جوهر الصقلي سنة ٣٦٠هـ، ولم يتخذ معناه الجامعي إلا سنة٥٤٧هـ. فـ«القرويين» أقدم من الأزهر بـ١٢٥عاما، وأقدم منه جامعة بـ٣٠٢ عام.

بدايات وأهداف

بعد بناء الجامع قام العلماء بإنشاء حلقات لهم فيه، وكان يجتمع حولهم العديد من طلاب العلم، وبفضل الاهتمام الفائق بالجامع من قبل حكام المدينة المختلفين تحولت فاس إلى مركز علمي ينافس مراكز علمية ذائعة الصيت كقرطبة وبغداد، ودخل «القرويين» مرحلة الجامعة الحقيقية في العصر المريني، حيث بنيت العديد من المدارس حوله، وعزز الجامع بالكراسي العلمية والخزانات، وتمحورت الدراسة في «القرويين» في مرحلة البدايات حول العلوم الدينية، ومع اتساع العمران بالمغرب وكثرة الوافدين إليها، تطورت الدراسة وتحول الجامع إلى جامعة، وشملت علوما أخرى تهدف إلى أغراض سياسية واقتصادية واجتماعية، فكانت هناك دراسة الفلسفة والطب والصيدلة والطبيعة والفلك والهندسة.

الأدوار الاقتصادية

مثلت «جامعة القرويين» مصرفا من مصارف الخير والإنفاق لعموم أهل المغرب وخاصتهم، ومن ثم توسعت وتطورت حتى صارت مؤسسة مستقلة عن خزينة الدولة، بل تنافس ميزانية الدولة، حتى إن الدولة اقترضت من خزينتها في كثير من الأحيان عند الأزمات الداخلية، وعند ظروف الحرب التي فرضت على البلاد، وعند بناء المرافق والجسور الحيوية، وفاضت أوقاف القرويين على سائر مساجد فاس، بل وصلت أوقافها الزائدة إلى المسجد الأقصى بالقدس، والحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

أدوار مجتمعية

وفي أوقات الضيق الاقتصادية لعبت أوقاف القرويين دورا تكافليا بارزا داخل المجتمع،

المرحلة المقبلة تشهد تأهيل علماء متمكنين من علوم الشريعة ليكون درعاً واقياً للمجتمع

فشملت مشاريع الإحسان والبر في كل النواحي الإنسانية، وفي ذلك يشير المؤرخ المغربي عبدالهادي التازي في كتابه عن جامعة القرويين إلى أن «قاضي فاس عندما شب الحريق في وثائق حجج الوقف سنة ٧٢٣هـ، أمر بضم أملاك فاس كلها إلى القرويين، ولم يستثن من ذلك إلا من قدم شهادة تثبت الملكية من قبل جهة الوقف» وهو ما قام به أيضا السلطان أبوسعيد المريني والمولى الرشيد في أواخر دولة السعديين والمولى سليمان العلوي.. ومن تلك الأوقاف التي دعمتها «القرويين» بشكل مباشر أو غير مباشر؛ وقف للتزويج، ووقف للدواب المرضى، ووقف الحمامات، والمرستانات (للمجانين)، ووقف الموسيقى(الأندلسية)، وأوقاف العرائس (لتجهيز العرائس الفقيرات)، ووقف الأواني (للخدم الذين كسروا آنية من الفخار ليأخذوا بدلها سالمة)، ووقف الديون (القرض الحسن)، ووقف الطيور.

الأدوار العلمية

يمتد الإشعاع العلمي للقرويين منذ العصر الإدريسي إلى الآن، ولم يقتصر التدريس على العلوم الشرعية، بل اتسع ليشمل باقي علوم الحياة والعلوم العقلية والطبية، وانتشرت في أرجاء القرويين كراسي العلم وخصصت لها أوقاف، واعتبر كرسي العلم في جامعة القرويين ولاية حكومية عليا كالوزارة والقضاء والفتوى.

وتقدم الجامعة دروسها للجميع من طلاب وحرفيين، ومحاضرات يحضرها الرجال والنساء والأطفال، والولاة والقضاة ، وقد تخرج فيها عدد كبير من فقهاء المذاهب الفقهية السنية، مع التركيز على المذهب المالكي، لأنه المذهب الاجتماعي السائد في البلاد، وتعين هيئة التدريس بأوامر سلطانية، وتحصل على مرتباتها الرسمية من إدارة الحبوس «الوقف»، وكثيرا ما يتدخل السلطان لتحديد البرامج الدراسية واستبعاد المواد التي لا تلائم التوجه الديني السلطاني، ولم ينحصر الإشعاع العلمي

لفاس عامة وللقرويين خاصة على الذكور، بل نبغت عالمات وأديبات وسياسيات وفقيهات وقارئات ومحدثات.

الأدوار السياسية

لم يقتصر دور جامعة القرويين في تيسير العلوم بأنواعها، وإنما كانت مهد الثورة على الظلم ومنطلق الجهاد ضد المستعمر، وهو الواقع الذي دفع الجنرال الاستعماري الفرنسي «ليوتي» إلى نعتها بالبيت المظلم، وكان يتساءل حسب المصادر التاريخية: «متى سيغلق هذا البيت المظلم؟»، لأن جامع القرويين أفشل مخططاته في التفريق بين العلماء والسلاطين، وبين علوم الدين والدنيا بالمغرب، كما أن الاحتجاجات وتعبئة الفدائيين للجهاد تنطلق شرارتها من منبر القرويين.

مشاريع الإصلاح

عمل الاستعمار الفرنسي على محاربة جامعة القرويين وبعدما فشل في ذلك لجأ إلى محاولة احتوائها، وإجهاض دورها بشتى السبل، وخطط للتعليم الذي يخرّج أناسا يؤمنون بمفاهيم الغرب ويحتقرون ثقافة الأمة، ويقول R. Gaudefroy طرحت قضية إصلاح القرويين بمجرد إقامة الحماية الفرنسية على المغرب، وبداية اهتم به المثقفون المغاربة لأنهم رأوا فيها نهضة للدراسات الإسلامية، واستهدفت فرنسا من إصلاح القرويين تجميع طلبة المغرب وممارسة نوع من التوجيه الروحي عليهم بكل سهولة، ولهذا فإنه حينئذ لا يمكن أن يسمح للمغاربة بإنشاء جمعيات للتعليم الإسلامي الحر، الذي تتعذر مراقبته، كذلك سعت فرنسا للظهور بمظهر المحافظ على التراث والعلوم الإسلامية». واستهدف الفرنسيون من ذلك تحقيق نتائج على الصعيد الداخلي، منها أن أبناء الطبقة الميسورة سينجذبون إلى دروس القرويين، ويلازمون فاس بدل ارتياد جامعات إسلامية خارج حدود الوطن.

ونظرا لما تضمه جامعة القرويين من جميع أنواع التعليم من الابتدائي إلى الجامعي، سعى المستعمر لبناء تعليم جامعي مواز للقرويين: فتم تأسيس معهد عال تحت اسم «المدرسة العليا الفرنسية البربرية» سنة ١٩١٤م ثم تحول سنة ١٩٢٠م إلى «معهد الدراسات المغربية العليا» حيث احتلت دراسة اللهجات البربرية والإثنوغرافيا والفلكلور المغربي مكان الصدارة فيه، وقد تحول هذا المعهد إلى كلية للآداب والعلوم الإنسانية بعد الاستقلال. ورغم ما أحدثته الحماية الفرنسية من إحكام قبضتها على جامعة القرويين وأساتذتها والتحكم في إدارة الجامعة وتسييرها، بعد أن استشعرت الدور الخطير الذي تقوم به القرويين، فأنها لم تستطع القضاء تماما على هذا الصرح العلمي الشامخ - وإن نجحت بوسائلها الخبيثة في احتوائه وعزله وإضعاف دوره، وقبل أن يخرج الاستعمار الفرنسي من المغرب سنة ١٩٥٦ أنشأ مدارس للتعليم العصري لمنافسة القرويين وإضعاف دورها في بناء شخصية مغربية محافظة على أصالتها وعروبتها.



غرس الروح الوطنية

وعلى النقيض من تلك المحاولات التغريبية سعت الحركة الوطنية لإصلاح جامعة القرويين برؤى وطنية قد انبثقت من حلقات جامعتي القرويين وابن يوسف، فكانت دروس الزعيم علال الفاسي تحمي الروح الوطنية، وتحاصر الأفكار الاستعمارية، وقد عرفت هذه الجامعة تحولات عميقة بعد الاستقلال، فبعد الاستقلال مباشرة تم إدخال بعض الإصلاحات على نظام هذه الجامعة بهدف تأهيلها لتؤدي دورها العلمي، وفي سنة ١٩٦٣م صدر ظهير تم بموجبه تعزيزها بثلاث كليات تابعة لها وهي: كلية أصول الدين بتطوان، وكلية اللغة العربية بمراكش، وكلية الشريعة بفاس، وفي سنة ٢٠٠٤ تم إلحاق نظام التعليم العتيق بالتعليم الرسمي العام.

ذخائر المعرفة

وتعتبر مكتبة القرويين من أعرق مكتبات العالم العربي، إذ تضم مخطوطات يعود تاريخ كتابتها إلى القرن الثامن الميلادي، كما تضم مخطوطات فريدة بعضها بخط مؤلفيها، من بينها مؤلفات لابن خلدون وابن طفيل وابن رشد، ومؤلفات مختلفة لبعض ملوك المغرب، ففي جامع القرويين كان يدرس - إلى جانب الفقه والتفسير - علوم الرياضيات وعلم الفلك وعلوم أخرى مشابهة، وقد جلبت أو نسخت كل المؤلفات التي تعالج هذه العلوم مما زاد رصيد المخطوطات في المغرب، وبلغ عدد المخطوطات في القرويين نحو ٣٠,٠٠٠ مجلد ومخطوط، ومن أبرز نفائس خزانة القرويين أجزاء من موطأ مالك (ت١٧٩هـ)، كتبت لخزانة علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي على رق الغزال، وكتاب سيرة ابن إسحاق (ت ١٥١هـ) كتب سنة ٢٧٠هـ، وهو أقدم ما يوجد بالخزانة، والمصحف الأكبر الذي حبسه السلطان أحمد المنصور الذهبي على الخزانة عند تدشينها سنة ١٠١١ هـ، كما يوجد بها كتاب العبر لابن خلدون (ت٨٠٨ هـ) الذي ألف باسم السلطان أبي فارس المريني، وأهدي إلى خزانة القرويين في صفر من عام ٧٩٩ هـ.

مستقبل القرويين

يقول وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي عبدالكبير العلوي المدغري - بمناسبة تخرج الدفعة الأولى من طلاب الشهادة العالمية في نهاية أكتوبر ٢٠٠٨: ستسعى «القرويين» خلال المرحلة المقبلة إلى تأهيل علماء متمكنين من علوم الشريعة للقيام بالدعوة إلى الله والوسطية والاعتدال والتسامح والمرونة، وبالتالي سيشكلون درعا واقيا للمجتمع، وكذلك فسنسعى لتقوية مناهج ومسار التعليم الأصيل بالجامعة ليكون جسرا ما بين التعليم العتيق والتعليم العصري، ومن المتوقع أن تصدر قريبا عدة مراسيم تنظم الدراسة في جامعة القرويين في جميع المراحل ليكون هذا النوع من التعليم منسجما مع العصر.



حجاب المرأة المسلمة في الغرب


د. محمود مسعود - مصر

يعد حجاب المرأة المسلمة من مقومات شخصيتها، فهو فرض من الله عليها، تتزين به عبادة لله تعالى، وتحتمي به من التحرش وتصون به عفتها وكرامتها، وهو أيضا حصن سياسي للأمة، وركن رئيس من أركان الهوية، فمعركة الحجاب التي ظهرت في فرنسا وتعدتها إلى أقطار أوروبية أخرى، خاصة ألمانيا، لم تكن وليدة اللحظة التاريخية، إنما كانت معركة مدروسة ومخططا لها من جانب، ومن جانب ثان كانت لا تخلو من بُعد تاريخي، لهذا وجدنا عشرات المقالات والكتب التي صدرت في الغرب من قبل كتاب غربيين مسلمين وغير مسلمين ينبهون إلى ذلك، ومن تلك المقالات اخترنا لقرائنا مقالا لكاتب صحافي فرنسي من أصل جزائري وهو شاب في الثلاثينيات من عمره، ذلك لأن الجزائر، والمغرب العربي عامة، عانت من تلك القضية قديما وحديثا، ولأن هذا الكاتب، رغم أنه يقترب من الفكر اليساري رأى أن الحجاب مسألة ضرورية في الصراع مع الغرب، كونه البوابة التي يخترقنا منها الأعداء، والراية التي إن سقطت قد تسقط معها القومية أو الهوية.. الكاتب هو هشام الهميسي، وعنوان مقاله «الحجاب ومفهوم الجمهورية وقضية أصل الوجود».

يبدأ المقال بنص لمفكر فرنسي ومؤرخ للثورة الفرنسية هو فرانتز فينو، فيقول «قبل عام ١٩٥٤ بدأت المعركة الفاصلة، فمسؤولو الإدارة الفرنسية في الجزائر المكلفون بتحطيم الشعب المأمورون بالتصرف المتعاونون لتفكيك الأشكال الموجودة التي لها حساسية خاصة، لاستحضار حقيقة القومية- من قريب أو بعيد- قد حملوا بكل قوتهم على لبس الحجاب باعتباره رمزا لهيئة المرأة الجزائرية، والذي من خلاله يمكن تفكيك تلك الهوية».

يجب أن ننبه في هذه المناسبة إلى أننا لن نقف بالمسألة عند الحوار الفرنسي الذي انتهى إلى منع الحجاب في المدارس اليوم في فرنسا، لكننا نعود به إلى حرب الحرية التي خاضها الجزائريون لتحرير بلدهم في عصر الأسلاف، ففي ذلك الوقت، وقت الاستعمار الفرنسي للجزائر، كان حجاب النساء المسلمات رهانا إستراتيجيا من النوع الأول في الكفاح الشرس بين المستعمر والمقاومة الجزائرية بكل طوائفها، فكثيرون من مسلمي اليوم لم يفهموا لماذا تبنى الفرنسيون قانونا ضد الحجاب (١٥مارس ٢٠٠٤) رغم أن الرئيس شيراك كان معروفا حينذاك بسياسة دولية تقف في الأغلب الأعم إلى جانب مصلحة الفلسطينيين والعرب بصفة عامة، وللإجابة على ذلك يحسن الاستئناس بتاريخ الاستعمار الفرنسي، فالاستعمار الفرنسي للجزائر قاد في هذه الناحية، الخاصة بالإسلام، سياسة عنيفة غير معهودة في تاريخ الإنسانية جمعاء، فالزوايا (زوايا الصوفية) التي كانت تمثل المسلمين اضطُهدت، وذلك عندما منعت السلطات الفرنسية تدريس اللغة العربية بغية نزع الإسلام من الجزائريين، وذلك على الجملة من دون أن يدعوا إلى ذلك المبشرون الكاثوليك (الآباء البيض) المخولون بإدخال الشعب المحلي إلى المسيحية، أي حتى لو لم يكن الهدف الرئيس هو إدخال الجزائريين إلى الكاثوليكية، فالهدف الأصلي هو محو الإسلام من نفوس الجزائريين بغض النظر عما سيكون اختيارهم فيما بعد هذا المحو.

إكساب المرأة قيماً أجنبية يمثل استعمار حقيقي للرجل وسلب ثقافي للمجتمع

مدخل السيطرة على الرجل

في مقابل حقيقة حجاب النساء كان هناك حوار عنيف بدأ في التشكل، فالمفكر المارتيني الكبير المهتم بالقضية الجزائرية فرانتز فانون قد أثار هذه المسألة في كتابه «العام الخامس للثورة الجزائرية» فقد ذهب هذا المفكر إلى تفكيك رموز الحوار المتعصب وغير الإنساني للإدارة والعقيدة الاستعماريتين بقضية المرأة الجزائرية، خاصة مسألة حجابها، فهذه المرأة المسلمة التي تُعد مفخرة الجزائر كانت مستعصية على المستعمر طوال الوقت مما جعله يعمل لإيجاد أدب شبحي يعبر عن الملمح الدقيق لتلك المرأة وقوة تأثيرها، على اعتبار أن السيطرة على المرأة وهي المدخل لاستحكام الاستعمار، فهي المخزون الإستراتيجي لأي أمة مقامة، لهذا جاءت أدبيات المستعمر دائما تدعو إلى ما يسمى تحرير المرأة، ولم يكن يقصد بتحرير المرأة، التحرر من الجهل أو الظلم الذي يقع على النساء، إنما قصد تحريرها من الحياء وقيم الإسلام، ولن يتم لهم ذلك إلا بخلع الحجاب.

فالقادة الفرنسيون قد حددوا مذهبهم السياسي على طريقتهم «إذا أردنا ضرب المجتمع الجزائري في تلاحمه و مقاومته القوية يجب علينا أولا أن نأتيه من جانب حجاب المرأة حيث تختبئ، وفي البيوت التي يخبؤها فيها الرجل» وترجمة ذلك عمليا يعني أنه يلزم العمل على إخراجهن من

● أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

الجحر، حتى لو صورت إدارة المستعمر الأمر كأنه دفاع عن المرأة المهانة، المهمشة، المنعزلة، المهضوم حقها!

وسيلة التدمير

وصف فرانتز فانون بشكل جيد قضية كيفية تدمير المجتمع الجزائري عند المستعمر قائلا «بعدما تأكد أن المرأة هي محور المجتمع الجزائري فقد تركزت كل القوى المستخدمة من أجل السيطرة عليها، فالجزائري لن يدور في فلك المستعمر، بل سيثور ليقاوم مشروع التدمير الثقافي القائم عليه، سيعترض على التشبيه، ما دامت المرأة لن تغير سير البخار... إذن فتغيير المرأة وإكسابها قيما أجنبية يقلعها من أصلها، هذا معناه غزو استعماري حقيقي للرجل وامتلاك الوسيلة الفاعلة لتدمير الثقافة الجزائرية»، إن المرأة كانت مقصودة في المجتمع الجزائري القديم كحصان الحداثة الغربية ذي الثلاثة أرجل، فهذا الحوار يذكر بغرابة شديدة ما يحدث حاليا في الإعلام الغربي، فهو يكرس نفس المفهوم القديم عن المرأة المسلمة بأنها خاضعة، مستذلة، مستعبدة للرجال، كل ذلك يعاد بثه اليوم من جديد، فيدعو رواد العمل الاستعماري اليوم لتحرير المرأة المسلمة من رق الرجل، ولما كان الرمز الأساسي لهذا الخضوع يكمن في الحجاب أصبح الحلم النهائي لاستئناس المجتمع الجزائري يكمن في مساعدة النساء على خلع حجابهن مسايرة للمستعمر.

الهدف الحقيقي

في الحقيقة أن هذا المنحى أوضح بشكل سيئ الهدف الحقيقي للاستعمار، وهو العمل على السلب الثقافي والسيطرة على المجتمع الجزائري قديما، وكذلك السيطرة على الجالية المسلمة التي تعيش في الغرب حديثا، وهذا ما تصوره سياسة الإبعاد والحرمان النفسية للمستعمر، فقد وقفت المرأة الجزائرية خلف مسألة الحجاب عصية على المستعمر وتدخلاته المنحرفة وخياله وفهمه المريض للحريم فيما مضى، واليوم تقوم المسلمة الغربية بالدور ذاته لإثبات هويتها؟

لهذا لو راجعنا تاريخ الاستعمار الفرنسي سيكون هذا ضروريا جدا، فتعريته من قضاياه التي كانت ضد الإنسانية في رموز هذه الشعوب الخاضعة له يجب أن توضع في دائرة الضوء، فيعبر فرانتز فانون بشكل واضح في مؤلفه حول التبريرات النفسية المنعشة للمستعمر في مواجهة المرأة المحجبة يقول «يوجد عند الأوروبيين بلورة الافتراس التي تريد من خلالها إكراه المرأة الجزائرية، من أجل ذلك يجب خلع حجابها ليظهر جمالها لتتعرى ليكتشف سرها أملا في تحطيم مقاومتها لتكن متاحة للمغامرة...»

ملكية خاصة

فالأوربي كان يريد أن يجعل من المرأة المسلمة ملكية خاصة له ليسهل له السيطرة على مستعمراته بعد ذلك أو السيطرة على الجالية المسلمة بأثرها، لكن هذه المرأة أبَت أن تكون فريسة للمستعمر قديما، ولا تريد أن تتعاون معه حديثا، لهذا جعلها معركته الدائمة مع المسلمين، فعندما كان المستعمر الفرنسي يعمل على تحرير المرأة المسلمة كانت المرأة الفرنسية لا تملك حق التصويت ولا حق أداء الشهادة أمام القاضي!

النبض اللا شعوري

فمن الواضح أن الجدل الفارغ المقدم بواسطة الذين يعرضون مسألة الحجاب كأداة تهدم حقوق المرأة، ويكافحون ضد الحجاب النسائي يهملون النبض اللاشعوري الجماعي العميق، فضلا عن أن هذه الحجة تظهر ثقيلة إذا علمنا العصر التي أنتج فيه هذا الحوار، فالمرأة الفرنسية كانت لا تملك حق التصويت في الانتخابات العامة، ولا يؤبه بشهادتها أمام العدالة، ولا تملك شيئا في مقابل الرجل في ذلك العهد الذي كانوا يريدون أن يحرروا فيه المرأة الجزائرية من حجابها في أربعينيات القرن الماضي! إذن فبعودتنا بالمشكلة اليوم لهذا العهد الاستعماري ربما نجد هناك علاقة واستمرارية بين معركة الحجاب عند فرنسا الاستعمارية و فرنسا الحالية - التي وضعت قانونا جديدا للحجاب- وهكذا تظهر هنا واحدة من سيكولوجيات الغرب اللاحضارية، والتي تتناقض مع قيم الحرية والإخاء والمساواة للمواطنين.



معركة اليوم دينية وسياسية

إن الرهان الحقيقي من وراء دخان هذا الحوار الشعبي الفرنسي والأوربي الحالي حول مسألة الحجاب، يأتي بشكل قطعي من مسألة التمثيل الفاعل للمسلمين الذي بدأ يظهر في مجموع هؤلاء شيئا فشيئا في هذا العصر، فالمرأة المسلمة تريد أن تحترم هويتها المتعددة والمتشابكة دون أن يفكر لها أو أن يتكلم باسمها أحد، مفكراً كان أو مؤسسةً، والمخاطر الحقيقية لهذا الأمر لا تقف فقط عند قانون ضد الحرية أو أي تبريرات مهما يكن سلامة نية أصحابها، أو حتى على انقياد المرأة المسلمة لنموذج ما غربي كان أو غيره، لكنها تكمن في الحقد القديم الذي ورثه الغربيون من الخيال السيكولوجي الاستعماري القديم، ذلك الخيال الذي يرى في حجاب المرأة المسلمة صعودا سياسيا للمسلمين في البلاد الغربية، وبدلا من وضع الأقوال في نصابها ومجابهة القوة السياسية للجاليات المسلمة المطالبة بحقوقها في بلاد يدعي أصحابها حماية الحريات الشخصية، يصنع هؤلاء الغربيون الجدد العراقيل لتلك الجاليات من خلال كسر شوكتهم بقمع حرية نسائهم وبناتهم، ومن هنا يظلون أقلية بلا صوت، ويجب أن يستمروا كذلك بلا رأي أو بلا هوية تجمع مع هويتهم الغربية هويتهم الإسلامية جنبا إلى جنب.



2.8 تريليون دولار خسائر المؤسسات المالية العالمية بسبب أزمة الائتمان



ذكر تقرير أصدره بنك إنجلترا المركزي ان الخسائر التي تكبدتها المؤسسات المالية العالمية منذ تفجر أزمة انكماش الائتمان تقدر بـ ١,٨ تريليون جنيه استرليني (٢,٧ مليار دولار).

وقال تقرير الاستقرار المالي نصف السنوي الذي اصدره البنك ان الحكومات حول العالم انفقت اكثر من ٧٥٠ مليار جنيه استرليني لمساعدة البنوك.

وحذر التقرير قائلا: بالرغم من أنه خفت الضغوط على اسواق النقد بشكل طفيف منذ تطبيق خطط الانقاذ الحكومية الكبرى، فإنه تبقى مخاطر تراكم ديون صناديق التحوط والتي ربما تلجأ لبيع الأصول سريعا لمواجهة ارتفاع التكاليف وشركات التأمين التي يمكن أن تتآكل قاعدتها الرأسمالية نتيجة انخفاض اسعار الأسهم.

وأفاد التقرير أن ما يزيد على ١,٢ مليون بريطاني من مالكي المنازل ربما يتأثرون سلبا اذا انخفضت أسعار المنازل بنسبة ١٥ في المئة أخرى على مدار الشهور القادمة.

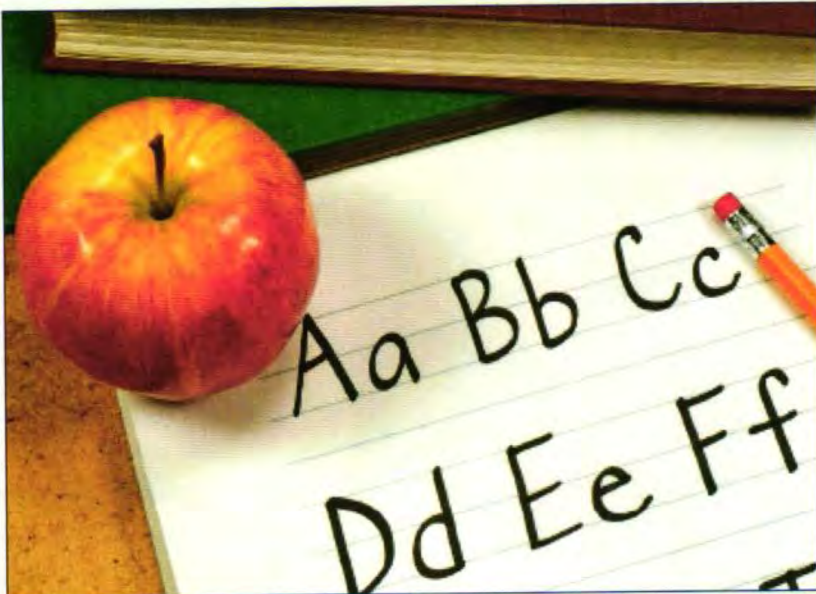
وقال بنك انجلترا المركزي ان البنوك البريطانية اضطرت لاعادة التفكير نتيجة الأزمة الحالية وربما تقبل تشديد القواعد المنظمة لعملها.

وذكر التقرير أن الصناعة المصرفية توسعت بشدة في وقت الرخاء دون وجود تمويل قوي بشكل كاف للتغلب على المشاكل.

وأضاف أنه لتجنب تكرار الأزمة المصرفية، فإنه يجب على البنوك اتخاذ سلسلة من الاجراءات لضمان توافر الأموال الكافية للنجاة دون مساعدة اثناء مرحلة الركود الاقتصادي.

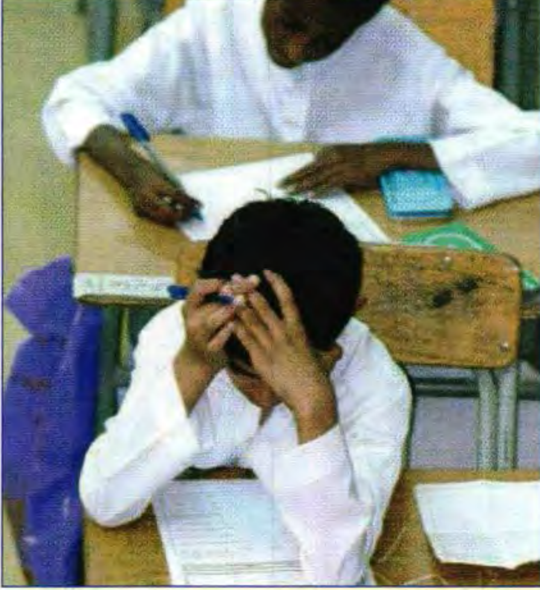
الإنجليزية تتراجع والعربية تتقدم

يحمل المستقبل نذر خطر لموقع اللغة الانجليزية كلغة عالمية يتحدث بها اكثر من ٦٦٠ مليون شخص في العالم كلغة ثانية فضلاً عن نصف هذا العدد تعتبر لغتهم الأم. وهناك العديد من العوامل التي تهدد عرش اللغة الانجليزية كما يطرح عالم اللغويات نيكولاس أوستلر رئيس مؤسسة اللغات المعرضة للخطر. ويؤكد ان الانتشار الطاغي للغة الانجليزية لا يعفيها من ذلك المستقبل المظلم مشيراً الى ان اللغة اللاتينية كان لها ذات الانتشار يوما ما الا انها آلت الى النسيان حاليا. وقال ان العديد من اللغات – من بينها العربية– تأخذ خطوات جادة نحو الانتشار خارج نطاق الدول الناطقة بها.





دبي تعلم أربعة ملايين طفل فقير



أعلنت امارة دبي ان حملتها الخيرية «دبي العطاء» نجحت خلال عام من اطلاقها في توفير التعليم لنحو اربعة ملايين طفل في الدول الفقيرة بمختلف دول العالم. وقالت ريم الهاشمي وزيرة الدولة، رئيس مجلس ادارة مؤسسة دبي للعطاء للصحافيين إن «الحملة التي اطلقها الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الإمارات رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، انتهت من بناء ألفي مدرسة في الدول الفقيرة، كما انتهت من تدريب ألفي معلم في تلك الدول».

وأضافت الهاشمي ان «المبادرة تستعد حاليا لشراء مليون كتاب وتقديمها الى الطلاب المحتاجين، بالتعاون مع هيئات المجتمع المدني المعنية في العالم العربي».

يشار إلى أن حملة «دبي العطاء» أطلقها الشيخ محمد بن راشد لتوفير التعليم لمليون طفل فقير في العالم.

ونجحت الحملة في جمع تبرعات زادت عن ثلاثة مليارات درهم إماراتي ، ووصفت بأنها أكبر حملة تبرعات خيرية في العالم نظرا لحجم التبرعات التي نجحت في جمعها.

الوثنية تزداد في السجون البريطانية



ازداد عدد السجناء الذين يصفون أنفسهم بأنهم وثنيون الى اكثر من الضعف في انكلترا وويلز منذ عام ٢٠٠٣م.

وتشير ارشادات ادارة السجون البريطانية الى ان السجناء الوثنيين يسمح لهم بالاحتفاظ بأدوات تتضمن ثوباً بغطاء للرأس وغصناً مرناً للاستخدام كعصا ضمن متعلقاتهم الشخصية، والعبادات العارية المعروفة باسم «سكاي كلاد» لا يسمح بها.

وتوضح الأرقام أن ٣٢٨ نزيلاً أدرجوا أنفسهم ضمن الوثنيين في عام ٢٠٠٧م بعدما كانوا ١٣٣ قبل أربع سنوات، ويوجد حالياً حوالي ٨٠ الف نزيل في السجون البريطانية.

حصاد الأخبار

- مع تدهور الوضع الأمني في العراق في اعقاب الاحتلال الاميركي ذكرت الاحصاءات ان اكثر من ٢٦٠ استاذاً جامعياً اغتيلوا واكثر من ٧٪ من المدرسين والاكاديميين هاجروا.
- قال البابا (بندكت) السادس عشر: ان موقف الكنيسة الكاثوليكية من خلق الكون لا يتعارض مع نظرية المعرفة التي تستند الى التجارب والشواهد العلمية الحسية.
- وصل الدين العام اللبناني في نهاية شهر يونيو الماضي ٤٤,٧ مليار دولار في مقابل ٤٢ مليار دولار في نهاية شهر ديسمبر ٢٠٠٧م.
- تقدمت إيران بطلب لجامعة الأزهر لفتح فرع لها في طهران في إطار تعزيز العلاقات المصرية - الايرانية وتقريب الطوائف الاسلامية المختلفة.
- أعلن تقرير صدر أخيراً عن المركز الاسلامي في العاصمة السويدية «استكهولم» ان الاسلام اصبح يحتل المرتبة الثانية في السويد بعد المسيحية.
- دعا البيان الختامي للمؤتمر الدولي الثالث لعلماء المسلمين الذي عقد أخيراً في العاصمة الاندونيسية «جاكرتا» الى تأسيس منظمة تحت مسمى «علماء بلا حدود» تمارس انشطتها بمختلف ارجاء العالم للمساهمة في مكافحة الامية والفقر ودعم العدالة والسلام في العالم.
- يؤدي حوالي ٢٠ ألف مسلم روسي فريضة الحج هذا العام وللمرة الأولى يفوق عدد الحجاج الروس المسافرين براً أمثالهم المسافرين جواً بأكثر من مرتين.

إعداد : علي الحربي

حاسوب مكتبي بسعة ٤٠٠٠ جيجابايت



أعلنت شركة أسوس عن إطلاق حاسوبها المكتبي الجديد ROG CG٦١٩٠ لهواة الألعاب والذي يعد الأول من نوعه في تقديم مستويات عالية من السرعة والأداء، ويتميز الحاسوب الجديد بماسح بيو متريك لبصمة الإصبع ونظام مزدوج بقوة ٢ كيلووات بالإضافة إلى أكثر من ١٢ جيجا للذاكرة العشوائية من نوع (DDR٣) الجديدة.

ويتمتع الحاسب الجديد بسعة تخزينية خيالية تصل إلى ٤ تيرابايت (٤٠٠٠ جيجابايت) وتتجه أسوس لاختيار أحد معالجي الرسومات NVIDIA SLI أو AMD CrossfireX والجهاز يوفر الدعم لمكبرات الصوت ثلاثية الأبعاد.

ديل ترفع أسعار الأجهزة المزودة بنظام إكس بي

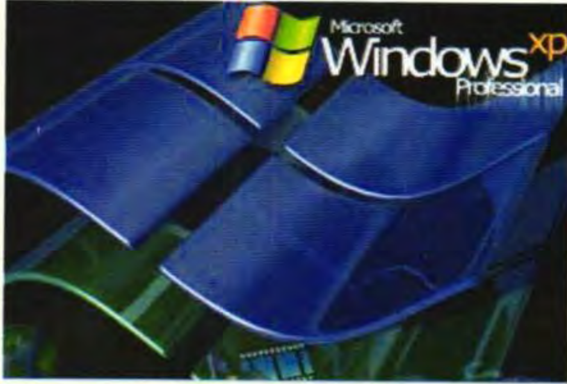


قررت شركة ديل زيادة أسعار أجهزة الكمبيوتر المزودة بنظام التشغيل ويندوز إكس بي بعد توجه الكثير من مستخدمي الأجهزة للبحث عن شراء أجهزة مزودة بنظام XP.

ووفقاً لمركز البيانات الدولي (IDC) المتخصص في تكنولوجيا المعلومات فإن ذلك يرجع إلى توجه الكثيرين لشراء أجهزة مستعملة مزودة بترخيص استخدام نظام تشغيل ويندوز XP كبديل أوفر من شراء جهاز جديد مزود بنظام تشغيل ويندوز فيستا ثم استبداله من قبل المستخدم بويندوز XP.

جاءت هذه الكراهية الشديدة لويندوز فيستا بسبب فرض هذا النظام أخيراً على جميع أجهزة الكمبيوتر الحديثة وإيقاف بيع تراخيص ويندوز XP دون إعطاء فرصة للمستخدم للاختيار، وإن قرر تثبيت نظام تشغيل ويندوزXP بنفسه فلن يجد الدعم اللازم من الشركة المصنعة للجهاز.

مايكروسوفت تطرح تحديثاً لنظام XP



كشفت شركة مايكروسوفت عن تحديث جديد خاص بنظام التشغيل ويندوز إكس بي SP٣ شمل الميديا باك، المجموعة N بحيث يتم استخدامه مع النسخة المنزلية من ويندوز اكس بي N SP٣ ونسخة ويندوز اكس بي Professional N.

وأوضحت مايكروسوفت أن مستخدمي إكس بي سيجب عليهم أولا تنزيل ويندوز ميديا بلاير و سيرفيس باك ٣ لإدخال تحديثات الميديا باك.

وتسمح التحديثات الجديدة بتمكين بعض البرامج مثل مايكروسوفت أوفيس وأنكارتا وفرونت بيج من العمل مع ملفات الويندوز غير الموجودة في نسخ ويندوز إكس بي المنزلية N و Professional N قبل التحديث.

مولود جديد في سلسلة نوكيا N٩٧هاتف



كشفت شركة نوكيا النقاب عن جهازها الجديد إن٩٧ وهو طراز جديد بشاشة كبيرة تعمل باللمس وتأمل الشركة أن يدعم معروضاتها من الهواتف الذكية، ولم تعلن الشركة عن الخصائص الفنية للهاتف الجديد إلا أن جوناس جوست نائب رئيس وحدة الأجهزة في نوكيا قال في حديث له: هذا فعلياً يعد بداية لسلسلة ان جديدة، انه بدء للموجة الجديدة، وأضاف أن الشاشة التي تعمل باللمس ستكون من خواص هذه الموجة الجديدة.

محرك عربي يطلق خدمة بحث جديدة



كشف محرك البحث «عربي» www.araby.com الذي يعد أول محرك بحث باللغة العربية يوفر لمستخدميه من مختلف أرجاء العالم قدرات متطورة وفريدة في البحث عن المحتوى العربي بشكل دقيق عن ابتكاره خدمة متطورة وسهلة ومتعددة الاستخدامات والتطبيقات صُممت خصوصاً لتوفير تجربة بحث فريدة لمستخدميه من خلال جعل خطوات البحث أسرع وأكثر كفاءة.

وصار «عربي دوت كوم» بعد إطلاقه آلية البحث الجديدة الأكثر بحثاً أول محرك بحث باللغة العربية، وواحدا من بين بضعة محركات بحث عالمية قليلة يوفر هذه الميزة الحصرية المتميزة لمستخدميه.

إعداد : هالة محمد

هل يتعرض البحر المتوسط لتسونامي؟

أبدى العلماء تخوفهم من تكرار تسونامي البحر المتوسط الذي يعتقد أنه ضرب الاسكندرية عام ٣٦٥م على الأرجح، وأشارت دراسة أجريت أخيراً الى أن الهبوط الجيولوجي الذي طرأ على سواحل اليونان وجزيرة «كريت» من المرجح أن يكون قد حدث أثناء الزلزال الضخم الذي تسبب في حدوث تسونامي في العصر القديم، وذكرت الدراسة أن منطقة البحر المتوسط تشهد حدوث زلازل كبيرة تضرب المنطقة كل ٨٠٠ سنة، ولكن هذا الرأي يرفضه بعض العلماء مشيرين الى ان ذلك الكشف ليس كافيا لتوقع حدوث تسونامي جديد.

وقد قام الباحثون بدراسة العديد من مظاهر الحياة البحرية في تلك المنطقة لاسيما على سواحل «كريت» وخلصوا الى ان تسونامي قد ضرب تلك المنطقة منذ قرون عديدة كما صرحت «بيت شو» الباحثة في جامعة «كمبردج» وقائدة فريق البحث. وقد حددت نتائج تلك الدراسة التاريخ الذي حدث فيه ارتفاع في أجزاء من السطح بغرب «كريت» بطريقة مفاجئة، مما ادى الى الجزم بوجود علاقة بين هذا الحدث الجيولوجي وبين تسونامي، خاصة مع وجود هبوط في المنطقة، وتقول «شو» إن هذا الارتفاع الذي وصل الى عشرة امتار شيء مذهل تماماً.

ويرى «روجر بلهام» عالم الجيوفيزياء ان هذه النتائج تمثل اخباراً كارثية نظراً لأن سواحل البحر المتوسط تضم أكثر من ١٣٠ مليون نسمة، مما سيجعل من حدوث تسونامي في هذه المنطقة أمراً يصعب تصوره.

زيت الخروع وقود حيوي!

أكدت الدراسات الحديثة أن زيت «الخروع» يشتق منه مادة «البايونيز» وهي المكون الأساسي لخام البترول (النفط)، وانطلاقا من نتائج هذه الدراسات بدأت بعض الدول الاهتمام بزراعته من أجل انتاج وتصدير هذا الوقود البيولوجي لدول العالم كبديل حيوي للبترول، وتقوم الهند والبرازيل «بالفعل» بتصديره لبعض الدول مثل ألمانيا التي استغنت عن البترول واستبدلت به هذا الوقود الحيوي في تشغيل السيارات تجريبيا.

ونظراً لأهمية «الخروع» والمستقبل الكبير الذي ينتظره بدأت الشركات الاستثمارية العالمية الكبرى اجراء دراسات فعلية لزراعة الأراضي الصحراوية بشجر «الخروع» والاستفادة منه، وعلى الرغم من أن الخبراء أكدوا أن «الخروع» لا يتحمل الملوحة، فإننا نجده ينمو بكثافة في سيناء (في مصر) نمواً طبيعيا من دون أي تدخل بشري ويكيف النبات نفسه على مياه الأمطار.

اختفاء 12 ألف كلم مربع من غابات الأمازون



خسر الأمازون ١١٩٦٨ كيلو مترا مربعا من المناطق المكسوة بالغابات بين اغسطس ٢٠٠٧ ويوليو ٢٠٠٨ جراء قطع الاشجار والحرائق وهو رقم يشير الى ان «رئة العالم» تستمر في التراجع بسبب إزالة الأشجار بطريقة غير قانونية وأظهرت أرقام نشرها المعهد الوطني للدراسات الفضائية أن قطع الأشجار في ٢٠٠٧-٢٠٠٨ تجاوز بنسبة ٣,٨ في المائة المستوى المسجل في العام السابق، وكانت البرازيل قد نجحت في خفض قطع الأشجار بنسبة ٥٩ في المئة خلال السنوات الأخيرة بعد القضاء على ٢٧٤٢٣ كيلومترا مربعا من المناطق المكسوة بالغابات بين أغسطس ٢٠٠٣ ويوليو ٢٠٠٤ وهو مستوى قياسي.

وحذرت الحكومة البرازيلية مطلع العام الحالي من أن ارتفاعا في قطع الأشجار سيسجل، واعتمدت سلسلة جديدة من الإجراءات لمكافحة هذه الظاهرة لاسيما عبر رفع قيمة الغرامات.



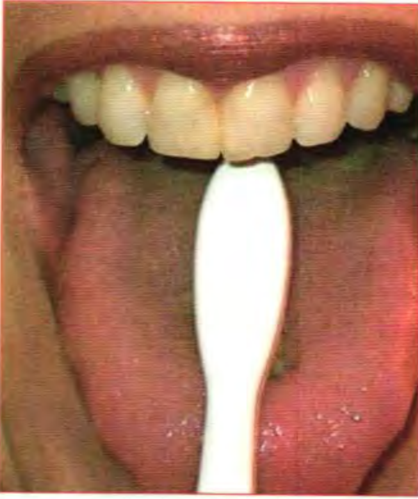
ومن أهم مميزات «الخروع» أنه ينتج بعد زراعته بـ ٨ أشهر فقط، كما أن شجرة «الخروع» تثمر مرتين في العام، وانتاجها مرتفع مقارنة بغيرها من المحاصيل، ونسبة استخراج الزيت من البذرة نفسها تصل الى ٦٠ في المائة، ويباع الطن الواحد منه بأكثر من ٥٠٠ يورو، وشجرة «الخروع» تتحمل أي ظروف بيئية حتى إنها تزرع في الأرضي الصحراوية وتعطي انتاجيتها نفسها.

ويشتق من نبات «الخروع» مادة «البايونيز» التي تتميز عن البترول في انها تقلل انبعاث المواد السامة والضارة كثاني أكسيد الكربون الذي يقل بنسبة ٧٥ في المئة وأول أكسيد الكربون الذي يقل بنسبة ٥٠ في المائة، كما أن هذا الوقود خال من الكبريت تقريبا وبالتالي يعد صديقاً للبيئة.

تنظيف اللسان يمنع رائحة الفم

أوصت مبادرة صحة الأسنان ومقرها مدينة «كولونيا» الألمانية بتنظيف اللسان بالفرشاة مثل تنظيف الأسنان تماما مرتين يوميا لان البكتيريا التي تسبب رائحة النفس الكريهة تتجمع ايضا على اللسان.

وقالت مبادرة صحة الأسنان إن إزالة طبقة البكتيريا يمكن أن تقلل من الغازات التي تنجم عن التحلل والتخلص الجزئي من الكائنات الحية الدقيقة.



وأفضل وسيلة لتنظيف اللسان هي استخدام الفرشاة من مؤخرة اللسان الى الأمام بالضغط الخفيف أثناء الامساك بطرف اللسان بقوة ويمكن ذلك بمساعدة قطعة قماش للتنظيف أو ملعقة شاي للضغط على اللسان الأعلى.

بالون يحل مشكلة تلوث المياه

نجح العلماء في عمل البالون الأقل سمكاً في العالم، وهو مصنع من طبقة واحدة من الكربون لا يزيد سمكها على سمك ذرة واحدة، حتى إنها تعد أصغر الجزيئات التي يحملها الهواء كما نشرت دورية NANOletters.

وتم عمل هذا البالون من الجرافيت الذي يوجد في أقلام الرصاص، ويصنع الجرافيت بدوره من طبقات رقيقة من الكربون توضع فوق بعضها البعض، ويطلق على هذه الرقائق اسم جرافين، وهي عالية التوصيل للكهرباء، ويبذل العلماء قصارى جهدهم لمعرفة إذا ما كان يمكن استخدامها في الدوائر الكهربائية المتقدمة او في تطبيقات أخرى تفيد من خصائصها أو لا.

وقد تمت صناعة البالون بالمصادفة البحتة اثناء دراسة كميات ضئيلة من الجرافين حين وقعت طبقة منها في ثقب، وبعد ذلك فوجئ الباحثون أنها تحبس الهواء بداخلها بحسب رواية «بول ماك أوين» الباحث بجامعة «كورنيل» بنيويورك.

وبالتجارب المتعاقبة على فقاعات من الجرافين وجد أن الأغشية لم تكن منفذة حتى لأصغر جزيئات الغازات بما في ذلك الهليوم.

ويعلق الباحثون بأنه شيء مدهش أن تكون أجسام في سمك الجزيء بمنزلة حامل غير منفذ، فيمكن وضع غاز في واحد وسائل في آخر من دون أن يخترقهما أي شيء رغم أن سمكه لا يزيد على حجم الذرة.

وعن التطبيقات المتاحة لاستغلال هذا البالون يطرح «ماكوين» فكرة وضع معدات دقيقة على أحد جوانب الغشاء، ويوضع في الجانب الآخر DNA أو بروتين معلق في الماء، ويمكن بهذه الطريقة التقاط صور متعددة للجزيئات.

كما يمكن استخدام تلك التقنية في فلاتر تنقية المياه الفائقة الدقة، إضافة الى امكانية استخدامها في الاستشعار.

ويؤكد أحد الباحثين أنه لشيء مدهش أن يكون لدينا غشاء لا يسمح لأي جسيم بالمرور من خلاله، وكانت الطريقة الوحيدة التي تمكن بها الغاز من الخروج من البالون من خلال الزجاجة التي وضعت بها الفقاعات، وأعرب فريق البحث عن أملهم في بناء قاعدة افضل تكون غير منفذة بدرجة اكبر تماماً مثل السليكون.



لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

■ هل يجوز إعادة طباعة كتاب إسلامي بغرض توزيعه مجانا لصالح الدعوة الإسلامية من دون أخذ إذن من صاحبه؟

- لا يجوز طبع كتاب ولو للدعوة الإسلامية ما لم يأذن صاحب الحق بذلك، سواء كان الإذن خاصاً أو عاماً، وينبغي مراعاة الأعراف والقوانين السائدة في المواطن المختلفة فيما يتعلق بهذا الأمر، ولا يسري هذا على كتب التراث الإسلامي التي ألفت قبل حدوث التعارف على الصفة المالية لحقوق التأليف. والله أعلم.

وقف أموال الزكاة

■ إن اللجنة ستقدم على مشروع تجاري، وهو إنشاء مدرسة خاصة أهلية على أن يكون إيراد هذا المشروع وقفا لأعمال الخير وأعمال اللجنة من توزيع المساعدات على المستحقين والفقراء داخل الكويت، فيرجى التكرم بإفادتنا عما إذا كان يجوز التبرع لهذا المشروع من أموال الزكاة أو لا؟

- لا يجوز وقف أموال أو أعيان الزكاة، بل يجب صرفها وصرف ريعها إن كان لها ريع في المصارف الشرعية لها، ولكن إذا فاضت أموال الزكاة عن الحاجة الآنية فيجوز أن ينشأ بأموال الزكاة مشروع استثماري، سواء أكان مدرسة أم غيرها، على أن تبقى أعيان المشروع من قبيل الأموال الزكوية القابلة للصرف عند تصفية المشروع، ولا يستفيد من ريع المشروع الزكوي إلا مستحقو الزكاة، وكذلك الأصل إذا جرت تصفيته.

تأجير دار عبادة لغير المسلمين

■ هل يجوز تأجير عقاري لكنيسة تقيم به شعائرها الدينية؟

- إن إنشاء أي دار للعبادة لغير المسلمين في دار الإسلام لا يجوز، وكذلك لا يجوز تأجير الدور لتكون كنائس، ولا تحويل الدور السكنية لتكون كنائس أو معابد لغير المسلمين. وذلك لإجماع علماء المسلمين على أنه لا يبقى في دار الإسلام مكان عبادة لغير المسلمين إلا في البلاد التي فتحت صلحا وأقر فيها غير المسلمين على أن الأرض لهم كبعض المدن والقرى في العراق والشام ومصر.

من أسباب جمع الصلاة

■ نحن موظفون في شركة، هل يجوز لنا الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، لأن الشركة لا تترك لنا مجالا للصلاة وتفرض علينا مواصلة العمل، وكذلك لا تعطى وقتا في رمضان للصلاة والإفطار. أفتونا مأجورين.

- إذا كان واقع الحال كما هو في السؤال من أن الشركة لا تترك لهم مجالاً للصلاة وتفرض عليهم مواصلة العمل فيجوز لهم الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، ولكن إذا أمكنهم أن يصلوا في الوقت فلا يجوز لهم تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، ويستوي الحال في رمضان أو في غير رمضان.

من القرارات الفقهية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ٢٢-٢٦ شوال١٤٢٨هـ التي يوافقها ٣-٧نوفمبر ٢٠٠٧م قد نظر في موضوع: «اختيار جنس الجنين»، وبعد الاستماع للبحوث المقدمة، وعرض أهل الاختصاص، والمناقشات المستفيضة فإن المجمع يؤكد على أن الأصل في المسلم التسليم بقضاء الله وقدره، والرضا بما يرزقه الله من ولد، ذكراً كان أو أنثى، ويحمد الله تعالى على ذلك، فالخيرة فيما يختاره الباري جل وعلا، ولقد جاء في القرآن الكريم ذم فعل أهل الجاهلية من عدم التسليم والرضا بالمولود إذا كان أنثى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل:٥٨-٥٩)، ولا بأس أن يرغب المرء في الولد ذكراً كان أو أنثى، بدليل أن القرآن الكريم أشار إلى دعاء بعض الأنبياء بأن يرزقهم الولد الذكر، وعلى ضوء ذلك قرر المجمع ما يلي: أولاً: يجوز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبيعية، كالنظام الغذائي، والغسول الكيميائي، وتوقيت الجماع بتحري وقت الإباضة؛ لكونها أسباباً مباحة لا محذور فيها. ثانياً: لا يجوز أي تدخل طبي لاختيار جنس الجنين، إلا في حال الضرورة العلاجية في الأمراض الوراثية، التي تصيب الذكور دون الإناث، أو بالعكس، فيجوز حينئذ التدخل، بالضوابط الشرعية المقررة، على أن يكون ذلك بقرار من لجنة طبية مختصة، لا يقل عدد أعضائها عن ثلاثة من الأطباء العدول، تقدم تقريراً طبياً بالإجماع يؤكد أن حالة المريضة تستدعي أن يكون هناك تدخل طبي حتى لا يصاب الجنين بالمرض الوراثي، ومن ثم يعرض هذا التقرير على جهة الإفتاء المختصة لإصدار ما تراه في ذلك. ثالثاً: ضرورة إيجاد جهات للرقابة المباشرة والدقيقة على المستشفيات والمراكز الطبية التي تمارس مثل هذه العمليات في الدول الإسلامية، لتمنع أي مخالفة لمضمون هذا القرار، وعلى الجهات المختصة في الدول الإسلامية إصدار الأنظمة والتعليمات في ذلك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

من القواعد الفقهية

الظن معتبر في العبادات

الغالب أن المعتبر في العبادات الظن، وفي المعاملات ما في نفس الأمر.

في العبادات: لو أن رجلاً غلب على ظنه أنه طاف سبعة أشواط. يبني على هذا الظن وإذا قدر أنه لم يطف إلا ستة أشواط فإنه لا يلزمه شيء لأن هذه المعاملة بينه وبين ربه؛ لأن الله تعالى محل العفو والسماح، وأما العبادات فيما يمكن تلافيه وتداركه، فإن عليه التصحيح، فلو أنه صلى وظن أنه على وضوء ثم تبين أنه لم يتوضأ فعليه أن يتوضأ ويعيد الصلاة.

في المعاملات: لو أن رجلاً باع شيئاً يظنه لغيره ثم تبين أنه له. قالوا: فالبيع صحيح لأن العبرة بما في نفس الأمر.

ملخص القواعد الفقهية

للشيخ صالح بن عثيمين

مجمع فقهاء الشريعة بأميركا

هو مؤسسة علمية غير ربحية، معفاة من الضرائب تتكون من مجموعة مختارة من فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها، تسعى إلى بيان أحكام الشريعة فيما يعرض للمقيمين في أميركا من النوازل والأقضيات، ومقره الولايات المتحدة الأميركية، ويرأسه الأستاذ الدكتور حسين حامد حسان، والأمين العام الأستاذ الدكتور صلاح الصاوي.

أهداف المجمع

إصدار الفتاوى فيما يعرض عليه من قضايا ونوازل لبيان حكم الشريعة فيها.

وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تتعلق بأوضاع المسلمين في المجتمع الأميركي وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تواجههم في هذا المجتمع، وبيان الحلول الفقهية المناسبة لها، والإشراف على تنفيذها.

دراسة وتحليل ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام، وتقويمه للانتفاع بما فيه من رأي صحيح، أو تعقب ما فيه من أخطاء بالتصحيح والرد.

معاونة المؤسسات المالية الإسلامية بإعداد البحوث والدراسات، وابتكار صيغ التمويل وعقود الاستثمار وتقديم ما تطلبه من الفتاوى والاستشارات، وتدريب كوادرها على ذلك.

دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني على الملزم من قضايا الأمة وثوابتها.

واحة الإيمان

إعداد: محمد شفيق

ثلاث آيات مقرونات بثلاث

﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول، فلا طاعة له ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤد الزكاة فلا صلاة له، ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فمن يشكر الله ولم يشكر والديه فإن شكره مردود عليه.

الفتوة عند سفيان الثوري

ذكرت الفتوة عند سفيان الثوري فقال: ليست الفتوة بالفسق ولا بالفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد، طعام موضوع، وحجال مرفوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

لم أمسك المال بخلا

قال سعيد بن المسيب - رحمه الله: اللهم إنك تعلم أني لم أمسك المال بخلاً ولا حرصاً عليه، ولا محبة للدنيا وشهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهي، وأصل به رحمي، وأؤدي منه الحقوق التي فيه.

نصيحة أم لابنتها ليلة زفافها!

قالت أسماء بنت خارجة لابنتها ليلة زفافها: يابنية إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فكوني له أرضا يكن لك سماء، وكوني له سهادا يكن لك عمادا، وكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يسمع إلاحسناً، ولا ينظر إلا جميلاً!

لاتعادوا أنعم الله



وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لاتعادوا أنعم الله، قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله!

الدراهم أربعة

درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله، فذاك خير الدراهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله، فذاك شر الدراهم، ودرهم اكتسب، بأذى مسلم، وأخرج في أذى مسلم، فهو كذلك، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة، فذاك لا له ولا عليه.

أكرم مولود

قال معاوية يوما لجلسائه: من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعماً وعمة وخالا وخالة؟
فقالوا: أمير المؤمنين أعلم: فأخذ بيد الحسن بن علي رضي الله عنه وقال هذا، أبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت محمد، وجده رسول الله، وجدته خديجة، وعمه جعفر الطيار، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمد، وخالته زينب بنت محمد رسول الله ﷺ.

اجتماع الخير

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أحمد

رأسياً

١- ذهب (معكوسة)- من أسماء الذكور (وكذلك الإناث)، وهو انعكاس الشعاع الضوئي (معكوسة).
٢- متشابهات - حاجز.
٣- حرف نصب- متشابهات.
٤- قول أو فعل يستبشر به (معكوسة) - انشر (معكوسة).
٥- متشابهات- اعترف واثبت.
٦- مرتفع عن الأرض متجاوزا التل- مفر، كذا نصيب.
٧- متشابهان- من أسماء الإناث وهو الدنيا (بالفارسية).
٨- مال كثير، مدفون تحت الأرض- من أسماء الاناث، وهو من أسماء الخمر.

٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■					١
		■						٢
	■				■			٣
■				■				٤
			■				■	٥
		■				■		٦
					■			٧
				■				٨

افقياً

١- من أسماء الإناث، ويعني: المزاح الحسن، أوالمداعبة اللطيفة، نقول: دلت المرأة على زوجها، أي مزحت معه مزاحا حسنا، كأن تظهر عليه الجرأة في تكسر وملاحة وكأنما تخالفه، وما بها من خلاف!- من الأسماء التي تطلق (خطأ) على الإناث، وهو يرادف (ملاك) حيث انه إذا كان المقصود من إطلاق الاسم هو التيمن بأن المولودة ستكون بأخلاق الملائكة (وهم من مخلوقات الله، خلقهم من نور، ويفعلون ما يؤمرون به من قبل الله، ولا يعصون الرحمن أبدا) إلا أنني أرى أنه لا يجوز إطلاق هذا الاسم على الإناث.
٢- من أسماء النساء، وهو زهر الرمان- أداة نفي.
٣- من الأمراض - من أسماء الذكور، وهو يعني ذهاب الغم.
٤- من أسماء الذكور، وهو يعني المرتفع في الشرف والمكانة- من أسماء الذكور، ويعني الإصلاح (معكوسة).
٥- من اسماء الذكور، وهو من أسماء الأسد- مدينة فرنسية.
٥- رفض (معكوسة)- ضمير بارز منفصل للغائب المؤنث.
٧- نصف: وسيم- من اسماء الإناث (وكذلك الذكور) ويعني إقدام، ضد إدبار، والمقصود الشجاعة.
٨- من أسماء النساء (وكذلك الرجال) وهي بخار الماء المتكاثف في طبقات الجو العليا، والذي يتساقط أرضا في الصباح الباكر، في قطرات صغيرة كذا الجود والسخاء- يقل (معكوسة).

حل العدد السابق

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
د	ي	ر	غ	ت	■	ء	ا	غ	ر	■	ب	ي	ع	ن	١
■	ل	■	م	ي	د	ا	■	ي	ي	■	د	ا	ب	ع	٢
د	ج	م	■	ل	و	غ	■	ل	م	ن	■	■	ش	ي	٣
ر	ا	ر	ق	■	ل	ث	ا	م	■	■	ن	هـ	ي	ق	٤
و	ن	ج	ل	ا	ف	■	ر	■	ل	ا	م	ا	■	■	٥
■	ب	ا	■	ق	ي	ر	ط	ب	■	■	س	و	ر	ض	٦
ب	ا	ن	■	ر	ن	■	ع	ل	م	هـ	■	ل	ف	غ	٧
غ	■	■	ن	ا	■	هـ	■	ب	ا	ل	خ	■	ا	ي	٨
ا	ل	ط	ب	ر	■	د	■	ل	ا	■	و	■	ح	ب	٩
م	ا	ن	ا	■	ظ	ي	غ	■	■	س	ا	م	■	■	١٠
■	ح	ي	ح	ف	■	ل	ي	هـ	ص	■	ر	ي	ء	ز	١١
م	ظ	ن	■	هـ	ب	■	ب	■	ف	د	■	ء	ا	ق	١٢
و	■	■	ا	د	ل	هـ	■	د	و	د	ا	ل	ق	ز	١٣
ا	ل	ي	ف	■	ع	■	ن	ج	ا	د	■	ل	ن	ق	١٤
ء	ا	و	ع	■	ث	ع	ب	ا	ن	■	س	ا	ع	ة	١٥

إلى اللقاء

نداء الفطرة



د. حلمي محمد القاعود - مصر

في يوم الأربعاء ٢٤ من سبتمبر ٢٠٠٨ أعلن رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون أن السيدة روث كيلي وزيرة النقل في حكومته قررت تقديم استقالتها من منصبها لأسباب عائلية، نافياً أن يكون لهذه الخطوة أي علاقة بالتمرد الجاري في حزب العمال الذي يقوده براون، وأوضح أن روث كيلي تريد أن تمضي وقتا أطول مع أولادها الأربعة الذين تتراوح أعمارهم بين أربع سنوات وإحدى عشرة سنة، مشيراً إلى أنها عبرت عن رغبتها في الاستقالة منذ شهر مايو، أي قبل أربعة أشهر تقريباً.

هذا هو ملخص الخبر الذي أذاعته من لندن وكالات الأنباء العالمية، ويشير إلى أن السيدة روث كيلي لم تنس وظيفتها الأساسية وهى الأمومة، وكان حرصها على أولادها الأربعة يسبق أهمية الوزارة والمنصب السياسي وبريق السلطة والجاه والشهرة، فآثرت أن تنسحب إلى البيت، وتعيش في ظل أبنائها وتستمتع بأمومتها، وتمارس دورها في الحياة الطبيعية داخل الأسرة، إن روث كيلي تنتمي إلى مدنيّة لا تكف عن إلقاء الدروس على المسلمين في ضرورة تحرير المرأة المسلمة من بيتها لتثبت وجودها خارجه من خلال العمل والانغماس في تيار الحياة الصاخب تحقيقاً لما يُسمى المساواة والتمكين والاستنارة وغير ذلك من شعارات خدعت بعض النساء في الغرب وفى بلادنا الإسلامية، ودفعت بهن إلى لجّة الاضطراب والقلق، فلم يحصدن إلا « خرط القتاد»، وقبل ذلك وبعده الحرمان من «الأمومة» الحقيقية، ومعاندة الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها.

ثم شاهدت حواراً تلفزيونياً مع الممثل المصري المعروف عمر الشريف تحدّث فيه عن حياته وأمنياته بعد رحلة طويلة في عالم السينما والشهرة والمال، فقال في معرض الحديث عن أخطائه التي وقع فيها بسبب الحياة القلقة في أمريكا وأوروبا، وعدم استقراره في منزل أسرى يجمعه مع أسرته في المساء كل يوم، إنه أقلع عن عادة ذميمة وهى لعب البريدج (القمار) بسبب أحفاده، فقد ملأ حبهم حياته، وكان تعلقه بهم دافعاً إلى تغيير أسلوبه في الحياة، لقد كف عن السهر خارج المنزل، وكان حريصاً على العودة مبكراً ليلحق بالأحفاد قبل أن يناموا، واهتم بقضاء العطلات الأسبوعية معهم، والذهاب إلى محلات لعب الأطفال ليشترى لهم اللعب المناسبة التي يشترك معهم في تحريكها، وأصبح مهموماً بمطالبهم الطفولية، يناقشها ويعمل على تيسير المصاعب التي تعترضهم!

لقد حرّك «نداء الفطرة» عمر الشريف لتكون أغلى أمانيه في رحلته المليئة بالإثارة الجلوس مع أحفاده، واللعب معهم، وتجاوز كل الاهتمامات الأخرى التي تشغله وتحرّكه ليكون قريباً من أطفال ولديه، يأنس بهم ويجد لديهم متعة الحياة الإنسانية الطبيعية بعيداً عن الأضواء والإعلام ومجالات التنافس البشرى التي لا تكف عن الصخب والإثارة والصراع!

ولا ريب أن هذه النماذج (روث كيلي - عمر الشريف) ليست وحدها التي تتوق إلى تلبية «نداء الفطرة» والعيش في هدوء لممارسة الحياة الأسرية والعائلية، والاستمتاع بها دون ملاحقة الصحافة أو الإعلام أو رجال الإنتاج أو غيرهم.. هناك بالتأكيد آلاف إن لم يكن ملايين، تهفو أرواحهم إلى حياة الفطرة الآمنة التي تحقق صفاء الروح ونقاء القلب وسلامة الوجدان.. فقد ذاق كثير من الناس متاعب اللهاث وراء المادة والحياة المصطنعة، وبذلوا في ذلك زهرة العمر والصحة والشباب، ولم يحصدوا غير السراب بعد أن حرموا من الحياة الفطرية الطبيعية التي توفر لهم البعد الإنساني الذي يشعرهم بلذة الحياة وقيمتها.

ليس معنى البحث عن حياة الفطرة أن يخاصم الإنسان الواقع، أو يعتزل بعيداً عن معترك الحياة، بل عليه أن يبذل جهده وقدراته في العمل وفقاً لإمكاناته وخصوصيته وطبيعته، إن الأمومة مقدمة على ما عداها من وظائف ومهن ومهمات، والأبوة مطلوبة مهما كانت ضرورات الحياة حادة وقاسية، وللأولاد والأحفاد الحق في الأم والجدة، والأب والجدّ، تلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أما الذين يخالفون الفطرة البشرية ويعاندون الطبيعة الإنسانية، تحت دعاوى زائفة، وشعارات مضللة فهم الخاسرون في كل الأحوال.

إجابات مسابقة نزهة العقول رقم «١٠»
العدد ٥١٧ - رمضان ١٤٢٩هـ

١- سبعون مرة.
٢- طحْنا.
٣- الَفتيلة.
٤- جندب بن جنادة رضي الله عنه.
٥- مؤيد الدين الطغرائي.
٦- ميناء روتردام.
٧- أول العصير.
٨- البغام.
٩- الظبية.
١٠- الحديث الذي رواه عدد كثير يستحيل في العادة اتفاقهم على كذب عن مثلهم وكان مستندهم حسن.

أسماء الفائزين في المسابقة

١- سعود حمد عبدالرحمن الراجح/ الرياض - حي الملك فهد - ص.ب: ١٦٩٦٨ - الرمز البريدي ١١٤٧٤- السعودية.
٢- محمود حماد سالم محمد/ الاسماعيلية - القنطرة شرق الجديدة - مساكن التوفيق - عمارة ٤٣ - الدور الرابع - شقة ٨ - مصر.
٣- فاطمة صالح حسين مساعد/ صنعاء - ص. ب: ٣٠٠٣- اليمن.
٤- بدر راشد سعد العنزي/ الدوحة - قطعة ٢ شارع ٨ - منزل ٢ - الكويت.
٥- هناء كامل عبدالملك أحمد/ المنيا - ملوي - قرية أم قرص- مصر.
٦- مولاي الصديق أقشر/ مراكش - ص.ب: ٥٥٦٠ - باب غمات - المغرب.
٧- مها محمد محمد علي/ بورسعيد - الزهور - شارع عمر بن الخطاب - عمارة ١٠٨ - شقة ١٧ - مصر.
٨- عبدالغني محمود محمد/ عمان - ص. ب: ٨٥٤٥ - الرمز البريدي ١١١٢١- الأردن.
٩- حسن علي حسن الجمل/ المنصورة - الفردوس - مساكن المحمودية - عمارة ٣٧ - شقة ١٣ - مصر.
١٠- حسنة سعيد معمو/ حلب - ص. ب: ١١٣١٢ - سورية.

الكويت - المسجد الكبير بدالة: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني email:info@alwaei.com موقع المجلة على الإنترنت www.alwaei.com
مجلة الوعي الإسلامي الكويت صندوق بريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧

تبي تريح قلبك ..

يلّا نصلي

www.nafaess.com



نفائس

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة



د. علي جمعة:
فلسطين تعيد مفهوم الأمة الواحدة

غزة.. ملحمة العزة

العدو العربي في أدب الأطفال الصهيوني

ملف العدد

الآل والأصحاب.. محبة وقرابة

النقوش الكتابية في أوابد دمشق

الإعجاز التشريعي في القرآن

ثقافة أمتنا تنادي...

وسائل تنمية الموارد البشرية

وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر

اما لله والاسلام جند تدافع عنه شبان وشيب

فقل لذوي البصائر اين كانوا اجيبوا الله ويحكم اجيبوا



موضوع الغلاف



يرتكب الكيان الصهيوني الغاشم جريمة حرب بشعة بحق إخواننا الفلسطينيين في قطاع غزة.. ولكن المقاومة الباسلة تثبت أن هذه الأرض مصدر عزة للأمة في زمن غربة الإسلام.

داخل العدد

كلمة العدد

صمود الأتقياء

يعيش إخواننا في قطاع غزة فوق لهيب نيران الكيان الصهيوني الغاشم في ظل الصمت الدولي الرهيب والخرس العربي المقيت.

فما يرتكبه العدو الصهيوني كشف عن الأقنعة المزيفة والشعارات المفبركة والمانشيتات المحورة.. حتى صرنا نقول له: شكراً على فعلتك الخبيثة لأنك فضحت زبانيتك في المجتمع الدولي وأنت لا تدري.

والصراع القائم اليوم صراع بين الحق والباطل، فيفرق بين الطيب والخبيث وبين الأبيض والأسود، و بين الصديق والعدو وبين الطهارة والنجاسة، لذا ينبغي ألا نخدع بالمصطلحات المستحدثة من محاربة الإرهاب والدفاع عن الأمن القومي وغيرها من الخزعبلات اليهودية، فلن تنكس راية أمة رفعت «لا إله إلا الله» شعاراً لها واتخذت الرسول ﷺ قدوتها وارتضت القرآن دستورا لها وفضلت الموت في سبيل الله عن متاع الدنيا.

ولن تركع عزائم شعوب سعت إلى التمكين لدين الله في الأرض والسيادة لشريعة الإسلام.

ولن تغيب مجتمعات ارتضت لنفسها العزة والكرامة والشموخ ورفعت قول الله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة : 120)، ولن تموت قلوب تحفظ الله في السراء والضراء وتملأ بخاتم الكتب السماوية.

الوعي الإسلامي

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلسا ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريال ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



﴿إن مع العسر يسرا﴾

قال ﷺ عن قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا.إن مع العسر يسرا﴾ (الشرح: ٥-٦) لن يغلب عسر يسرين (البيهقي). ويرجع هذا المعنى الى أن تعريف العسر يعني تحديده، أما كلمة يسر في صيغة النكرة بدون «ال» فإن اطلاق اليسر واتساع نطاقه وعدم قصره وتحديده فضل من الله على العباد، ثم أتبع الله سبحانه وتعالى أسباب اليسر كما أوردها المفسرون باجتهاد العباد في عبادة الله والتقرب إليه، فيقول المفسرون إذا فرغت من شغلك مع الناس ومع الأرض، ومع شواغل الحياة، إذا فرغت من هذا كله فتوجه بقلبك كله الى ما يستحق ان تنصب فيه وتكد وتجتهد من العبادة، والتجرد، والتطلع والتوجه إلى ربك وحده خالياً من كل شيء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم.. انه لا بد من الزاد للطريق، وهنا الزاد، ولا بد من العدة للجهاد، وهنا العدة، وهنا ستجد يسرا مع كل عسر، وفرجا مع كل ضيق.. هذا هو الطريق.

وان مع هذا الجهد والجد لتفريج العسر وازاحة أسبابه، فإلى



جانب هذه الطاعات والعبادات والتقرب الى الله سبحانه وتعالى فإن الإكثار من الدعاء والتضرع الى الله سبحانه وتعالى من أهم الأشياء المطلوبة من الإنسان في مثل هذه المواقف، فقد قال الرسول الكريم ﷺ «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء» (الترمذي) وليس أنفع منه في تحقيق المطلوب ودفع البلاد والكروب.

شوقي وهبة

وماذا بعد الهجرة؟

انتهت أيام ذكرى الهجرة النبوية وبقي ما بها من عبر وعظات، سيظل التاريخ يذكرها ونتدارسها على مر العصور والأزمان، ويتدارسها جيل بعد جيل إلى أن تقوم الساعة، ولكن بدلا من الاحتفال في وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة والمقروءة، أتساءل عن جانب مهم في هذه الاحتفالية، وهو الجانب العلمي والتطبيقي لهذه الهجرة، وكلنا يعرف ما حدث فيها من مواقف وما فيها من العبر والعظات، وهل سألنا أنفسنا عن الجانب المهم بل والخطير والمستفاد من هذه الرحلة الطيبة من التطبيق الفعلي مع نهاية كل عام هجري، عرفنا موقف عبدالله بن اريقط رغم انه كافر ولكن هل أخذنا العبرة والعظة؟ وعرفنا موقف أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف سراقة وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف سيدنا علي رضي الله عنه وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف سيدنا عمر رضي الله عنه وهجرته علانية وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف الصحابة رضوان الله عليهم وهم يتركون المال والأولاد والديار، وما موقف سيدنا صهيب الرومي منا ببعيد، يقول الحق تبارك وتعالى فيه ﴿ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (البقرة-٢٠٧) ولا ننسى أبدا موقف الأنصار من استقبال المهاجرين وما فيه من العبرة والعظة التي سيظل التاريخ يذكرها الى أن تقوم الساعة يقول الحق جل وعلا ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(الحشر-٤٩).

رضا حسن علي عثمان



في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٢

العام السادس والأربعون

صفر ١٤٣٠ هـ

فبراير ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

سكرتير التحرير التنفيذي

عبادة السيد نوح

التحرير

تمام أحمد الصباغ

رضا عبدالودود

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٤٩١٩٦٢٠ - فاكس: ٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٤٦٧١٣٢ - ٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان: ٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

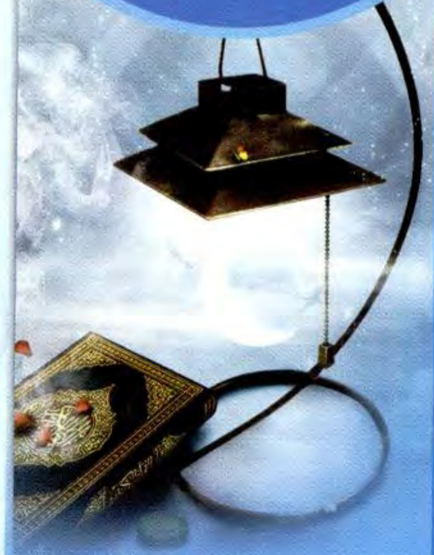
info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الافتتاحية



حقيقة الانتصار





رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

اذا تأملنا واقع الأمة اليوم، وما تمر به من المحن والابتلاء، ورأينا الصحوة والنهضة، وانتشار الفكر والمعرفة، نلاحظ أن هناك مفاهيم غائبة عن فهم الكثير، مع أن الكتاب العظيم الذي بين أيدينا قد بيّنها وفصّلها، ففيه خبر من قبلنا، وكذا السيرة العطرة التي حفظت لنا طرق الانتصار ووسائله.

رأيت أن كثيرا من أسباب الخلل في الواقع يعود لغياب هذه الحقائق، وأن خفاءها أوقع في خلل كبير، ومن ذلك الاستعجال والتنازل واليأس والقنوط والعزلة، وهذه أمور لها آثار سلبية.

وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال هذا الفهم الخاطئ لمعنى حقيقة الانتصار والخلط بين انتصار الاشخاص وبين انتصار الأمة وظهور الحق والحقيقة، ولتأخر النصر أسبابه، وعدم الأخذ بالاسباب سبب من الاسباب، وكذلك وجود بعض الموانع، مثل الظلم والمعاصي والانحراف في المنهج وتأصيل الحزبية وتفريق كلمة المسلمين وتنافر القلوب وعدم النضوج، فهذه أبرز أسباب تأخر النصر الظاهر، وعلينا الأخذ بالأسباب الشرعية سعيا لتحقيق النصر.

والطريق الى المستقبل المأمول ليس مفروشا بالأزهار والورود، بل هو مفروش بالأشواك والآلام.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يصر فيها الاعداء على الاعتداء، ولكن ربما كانت المحاولات السابقة تختلف عن المحاولات الحاضرة، وقد تبدو الهجمة الشرسة مستغربة مع ضعف العالم الإسلامي والعربي، ولكن ربما يزول العجب إذا عرفت الاسباب.. تلك هي الصهيونية الواضحة، اذا فهمنا سر الهجمة الشرسة وأدركنا إصرار الأعداء عليها، فإن لنا أن نتساءل: كيف استعدت الأمة لتحقيق حقيقة الانتصار، انها قامت بجهد كبير تبدو آثاره على الساحة، وأبطأت كثيراً في بعض المجالات ظناً منها أنها أصبحت ناضجة، لكن.. هل هذا هو الجهد المطلوب؟

﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ (الروم - ٤٧)

أيها المسلمون.. انتبهوا

ترى هل فهمنا قواعد اللعبة الخطرة لعبة العولمة؟ وهل جاء الوقت لاعادة الحسابات؟ أو على الأقل لاعادة عرض ديننا العظيم لكي يفهمنا الآخرون.
إن علينا كأمة أن نتصدى لكل من يحاول تدمير هويتنا وقطع جذورناحتى لا نجد أنفسنا يوما بلا هوية؟
﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(النور-٦٣).

محمد الحسيني ابو عبدالرحمن السحرتي



ردود خاصة

■ القارئ ماهر محمد علي حسن- مصر
جزاكم الله كل خير على عواطفكم الجياشة تجاه المجلة والقائمين عليها، وأما بخصوص الاسطوانات المدمجة فهي غير متوافرة في الوقت الحالي.

■ القارئة سكينة شافعي محمد - مصر
ما تطلبينه من المجلة خارج عن اختصاصاتنا يمكنك مخاطبة الوزارة مباشرة.

■ القارئ إبراهيم محمد - الجزائر
أحلنا الفتوى إلى لجنة الافتاء في الوزارة وسننشرها على صفحات المجلة حين يجيء الرد عليها.

■ القارئ علي عبدالقادر - كونتي- مالي
أهلاً وسهلاً بنتاجك الشعري وأما بخصوص طلبكم فهذا غير ممكن في الوقت الراهن ونأمل أن يتحقق ذلك مستقبلاً.

الحب في الله



«اقسم بالله العظيم أني أحبك في الله تعالى» قسم معطر بالإخلاص، ندي بالإيمان، عميق الدلالة على سمو النفس وصدق العاطفة ومبلغ التأثر بهذه الحقيقة التي تعيش في أعماقك ووجدانك، لقد سمعتها واستقبلتها بكل حواسي، ولكن لم استطع حينها أن أبلغ مداها وأن أرتفع الى مستواها فأبعث إليك بصداها، فكان سكوتي عجزاً عن الوفاء بحقها، حتى استيقظت عليها تتفاعل في أعماقي في نداء كأنه أنشودة أو تغريدة أو تسبيحة في محراب الصلاة، استيقظت على روح تهفو وتحلق، فإن الحب في الله تعالى يرقى بالإنسان في سماء لا تطاولها سماء، الدنيا كلها لا تتسع لسبحات نفسه وتطلعات روحه وانبعاث أشواقه، لما لهذا الحب من أشواق وآثار عميقة في القلب وانشراح الصدر وإيقاظ الهمة وانسياب المعاني في جداول رقراقة تغذي وتنعش.
إن ود القلوب نادر، وان العثور على قلب أندر من الماس في دنيا الناس، وإن الحرص على قلب هو أعظم من الحرص على كنز، فإن النفوس معادن أغلاها وأحلاها من كان له قلب يفقه ويتذوق ويتألم.

ماهر محمد علي حسن

د. علي جمعة مفتي الديار المصرية لـ «الوعي الإسلامي»:

قضية فلسطين تعيد مفهوم الأمة الواحدة ويجب وضع برنامج عملي لعمارة الأرض



حوار: أحمد غانم

خلال الايام القليلة الماضية تابع العالم كله عبر وسائل الإعلام المختلفة هذه الحرب الظالمة وهذه الجريمة البشعة التي يرتكبها الكيان الصهيوني الغاصب ضد أهالي غزة العزل بفلسطين، من أطفال ونساء وشيوخ، ناهيك عن قصف المساجد والجامعات والمدارس والبيوت دون ادنى وازع من ضمير او دين، وهنا ظهرت بعض التساؤلات: هل هؤلاء الصهاينة أمثال أولمرت وليفني وباراك وقبلهم شارون ونتيناهو، طبعة جديدة من يهود المدينة المنورة من بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ويهود خيبر الذين حاربهم النبي محمد ﷺ قبل ١٤٠٠ عام وجاء ذكرهم مرارا فى القرآن الكريم؟ أم أن هؤلاء صهاينة علمانيون لايمتون للديانة اليهودية بصلة؟ وهل هي حرب عقيدة أم لها أهداف أخرى؟ وهل قام علماء الامة بواجبهم تجاه اخوانهم في غزة؟ وما هو الحكم الشرعي لمن كان قادرا على نصرة إخوانه بأي شكل من الأشكال، ووقف صامتا لم يفعل شيئا؟ « الوعي الإسلامي » التقت د. علي جمعة مفتي الديار المصرية... واليكم نص الحوار:.

■ **هل يهود اليوم هم يهود الأمس من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود خيبر؟**

- أنا أميل إلى ما رآه المفكر الكبير وصاحب موسوعة «الصهيونية» الدكتور عبدالوهاب المسيري عليه رحمة الله من أن المحتلين الغاصبين لفلسطين الآن والذين أتوا من كل حدب وصوب هم صهاينة لا علاقة لهم باليهود، وأنهم مجموعة من العلمانيين يستغلون الدين في السياسة، وهذه وجهة نظر جديرة بالاحترام، وقد يعد دليلا على صحة هذا الطرح ما نراه اليوم من منظمات يهودية تقف ضد ما يحدث لشعب فلسطين من قتل وتشريد وهدم للمنازل والمساجد والجامعات والمدارس، ومنهم من يعترض على الرجوع إلى فلسطين أصلا، ويرون أن الرجوع إلى فلسطين هو خروج عن تعليمات اليهودية.

■ **فضيلة المفتي، لكن هؤلاء قلة؟**

- نعم هذا صحيح، لكن الأتقياء والمتمسكين بديانتهم دائما ما يكونون قلة، فهناك من تولى مناصب قيادية في «الكيان الصهيوني» وكانوا من الملاحدة، ولذلك أنا أرى أن هؤلاء لا علاقة لهم ببني قينقاع ولا بيهود خيبر ولا بشيء من هذا القبيل، وان هذه عملية سياسية ترجع إلى التوجهات الصهيونية، وهي كما تعلم لا علاقة لها باليهودية، بل إنها اتسعت حتى اصبح هناك من المسيحيين أنفسهم من هم صهاينة، فالحركة الصهيونية توسعت إلى أن أصبح معها جزء كبير من الملاحدة وجزء كبير من المسيحيين وجزء كبير من اليهود، ومن هنا فانا أرى أن هذه الدولة المسماة «اسرائيل» لا تراعي أحكام اليهودية، فهم لا يعرفون عنها شيئا وهي ألعاب سياسية في الأصل تتلاعب بالدين من أجل الوصول إلى مصالح معينة ومحددة فى أجندة مسبقة.

■ **إذن ترون أنها ليست حرب عقيدة؟**

- في الحقيقة إنها في الظاهر حرب عقيدة، وهكذا تحاول القيادة الاسرائيلية ان تجعلها، وعندما نطلق عليها نحن حرب عقيدة فهذا يصب فى مصلحة الصهيانة الإسرائيليين، وهي وإن كانت من جانبهم في الظاهر حرب عقيدة فهي من جانبنا كمسلمين وعرب وفلسطينيين من حقنا أن ندافع عن أنفسنا ووطننا وقضيتنا وهويتنا وديننا أيضا، وقد سألني صحافي أميركي من «السي إن إن» قائلا لي: ما رأيك في هدم إسرائيل للمساجد في غزة؟ فقلت له: إذا كان هؤلاء الغاصبون المحتلون قد هدموا الإنسان ألا يهدمون البنيان؟ وإذا كانوا قد قتلوا الساجد ألا يهدمون المساجد؟ هذا كلام عجيب وغريب أن يسألني سائل مارأيك في هدم بنيان الرب الذي يأتي ضمن مذبحة بشعة تحاكي مذبحة الهولوكست التي أنكرتها البشرية جمعاء، إذن أنا أرى أن هذه ترتيبات سياسية بأجندة مسبقة، فالاحتلال الاستيطاني البغيض الذي يختلف نوعيا عن أي احتلال رأيناه عبر التاريخ، مثل الاحتلال الانجليزي أو الفرنسي لعدد من الدول العربية، مثل مصر والجزائر وليبيا، هذا الاستيطان يعد نوعا مختلفا من الاحتلال أنكره العالم كله في قرارات الأمم المتحدة، لكنه مازال ساراً في عدوانه على الأرض في فلسطين، وهو أصل كل المشاكل التي نحيا فيها منذ أن صدر هذا الوعد المشؤوم المسمى بوعد بلفور عام ١٩١٧ والذي منح يهود العالم حق اقامة دولة على أرض ليست أرضهم ومن ساعتها بدأ الصراع.

■ **مع بدء العدوان الصهيوني على غزة صدرت بعض الفتاوى تجيز استهداف المصالح الصهيونية في أي مكان في العالم؟**

- بصراحة أنا لست مع هذه الفتاوى التي قد تدخلنا في دوامة من العنف لا نستطيع أن نخرج منها، فنحن نسعى بالقتال إلى السلام وليس إلى مزيد من القتال.

■ **كان هناك تحرك من العلماء تجاه**

ما يحدث في غزة وكان أبرزه تحرك الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بقيادة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي بزيارتهم لعدد من القادة والزعماء العرب والمسلمين لحثهم على نصرة شعب فلسطين المحاصر والمنكوب فهل ترون هذا التحرك كافيا ؟

كل تحرك في الاتجاه السليم من عدم نسيان القضية وتوضيح المسألة الى الرأي العام وإنقاذ الشعب الفلسطيني انقاذا فوريا وايقاف هذه المذبحة من ناحية والاستمرار في المطالبة بحقوق هذا الشعب في أن يحيا حياة كريمة كباقي شعوب العالم، فهذا جهد مشكور وينبغي علينا ان نقف معه وندعمه بكل قوة، والعلماء لهم دور بلا شك في توعية جماهير الأمة بالمخاطر التي تحدق بها وضرورة مواجهتها والتصدي لها بكل قوة ودائما وأبدا العلماء هم سند الأمة فى أي أزمة وغمة تمر بها عبر التاريخ.

■ ما رأي فضيلتكم في التعبير والإدانة لما يحدث عبر المظاهرات والوقفات السلمية؟

- التعبير بالتظاهر شيء إيجابي لأنه ينشئ رسالة للعالم بأننا في حالة من عدم الرضا والغضب والاستنكار لهذه المجازر الوحشية والبشاعة التي ترسم الآن نقطة سوداء في تاريخ البشرية وهولوكوستا جديدا لذا ينبغي أن تكون هذه المظاهرات منضبطة لإنشاء هذه الرسالة، ولا يكون هناك صدام بين الأمن والمتظاهرين، أو تخريب للممتلكات أو ضياع للحقوق بأي شكل من الأشكال أو العدوان على الأشخاص، لأن الغضب هدفه توصيل رسالة وليس التدمير أو الفساد في الأرض.

■ وما رأي فضيلتكم في مقاطعة البضائع الصهيونية في المقام الأول ثم بضائع الدول التي تساندها وتدعمها في هذه الحرب الاجرامية؟

- إنا في رأيي أن المقاطعة لا تتأتى إطلاقا إلا إذا أتت من قبل الدول وأن مقاطعة بعض البضائع الصهيونة من الشعوب البسيطة لا تحقق النتيجة المرجوة والمتسهدفة من جراء المقاطعة لأن هذه البضاعة طالما أنها أصبحت ملكنا ودفعنا ثمنها مسبقا فهل نحن بذلك نقاطع أنفسنا؟ فلا بد أن تكون من قبل الدول وليست بحركات فردية قليلة التاثير والفعالية.

أي إنسان في استطاعته تحقيق النصر سواء كان حاكماً أو محكوماً وتراجع بأي شكل فهو آثم شرعاً وسيحاسب على تقصيره

■ أي مسلم يستطيع النصرة في هذا الموقف ويتخاذل هل هو آثم؟

نعم أي إنسان في استطاعته وفي طوقه وفي مكانه الذي اقامه الله فيه سواء كان حاكما أو محكوما وتراجع عما يتسطيع ان يقدمه لهذه القضية بأي شكل كان فهو آثم شرعا وسيحاسبه الله تبارك وتعالى على تقصيره هذا.

■قضية فلسطين أعادت إلى الأذهان الحديث عن مفهوم الأمة فما هو مفهوم الأمة الإسلامية من وجهة نظركم؟

- إن من مقتضيات مفهوم الأمة في الإسلام ترتيب الأولويات، ومنهج التعامل مع الحياة الدنيا، وتحديد العلاقة مع الآخرين، ووضع برنامج عملي لعمارة الأرض، ففي نظر المسلمين، الأمة ممتدة عبر الزمان فيما يمكن أن نسميه بالدين الإلهي، فالأمة تبدأ من آدم، وتشمل كل الرسل والأنبياء في موكبهم المقدس عبر التاريخ، والأمة بعد النبي محمد ﷺ ممتدة عبر الزمان والمكان، وفي جميع الأحوال ولدى جميع الأشخاص، وهذا أمر غاية في الأهمية إذا اعتبرناه تأسيساً لما ندعو إليه من معاصرة وإصلاح وتجديد، فالمسلمون لا يعرفون الرابطة القومية أساسا للاجتماع البشري، وإن كانوا لا ينكرونها في سياقها، ولا يعترفون بالرابطة الوطنية إذا أدت إلى الشوفونية المتعصبة، وإن كانوا يعتبرون حب الوطن من الإيمان.

فإذا تحدد مفهوم الأمة بهذا المعنى فإن لدينا أمة الدعوة وهي الإنسانية كلها، وأمة الإجابة وهم من صدقوا بالنبي ﷺ ودينه ومنهجه في الحياة، وهو مفهوم للأمة يشمل البشرية كلها، ويرى المسلمين مع غير المسلمين أمة دعوة يتوجه لهم جميعا الخطاب بـ (يأيها الناس) وإنما اختص المسلمون بخطاب (يأيها الذين آمنوا) حتى إنه في العقائد الإسلامية نرى شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لجميع الخلائق حتى يصدق عليه قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء-١٠٧) أي السابقين واللاحقين.

■ لكن إذا أردنا أن نبني على مفهوم الأمة برنامجا عمليا يتعلق بالسياسة والاقتصاد والاجتماع، ويتواءم مع واقعنا ومشكلاتنا الآنية فماذا نفعل؟

- لا بد من ترتيب أولوياتنا بأجندة تنبثق من واقعنا وحاجتنا دون النظر إلى ما يحاولونه من فرض الهيمنة من الخارج لمصالحهم ومنافعهم، فإذا كانت الأمة واحدة عبر التاريخ الماضي، وواحدة بعد بعثة النبى ﷺ، وواحدة في يومنا هذا في أساس عقائدها، فلماذا لا نكون أمة واحدة أيضا في واقع معاشنا، مع اختراع ما يلزم من نظم وإجراءات تحقق هذا النظر وتؤيد هذا التوجه فإن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف كما قال رسول الله ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ» (رواه ابن ماجه)، ويمكن أن نضع برنامجاً عمليا منبثقا منا يشتمل على:

أولا: التقريب والتحالف بين دول المنطقة، ولنبدأ باقتراح الطريق السريع الذي يربط بين طنجة وعمان، وشبكة الطرق السريعة هذه هي أول خطوة في ربط البلدان بعضها مع بعض.

ثانيا: رفع تأشيرات الدخول والإقامة بين العالم العربي.

ثالثا: السعي إلى تفعيل السوق المشتركة والتجارة البينية والاكتفاء الذاتي.

رابعا: السعي الحثيث لتوحيد العملة بين الأقطار العربية، ثم الإسلامية.

خامسا: هناك أساليب للوحدة مع الاحتفاظ بالخصوصية كالاتحاد الفيدرالي، وهو أمر يحتاج أيضا إلى رأي عام، وتوجه صادق، وخطوط كثيرة للوصول إلى التواؤم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين الدول العربية. سادسا:إصلاح التعليم بالاهتمام بمراكز البحث العلمي، وتشجيع الابتكار وحمايته والاهتمام بقضايا التدريب، وبالجانب التطبيقي.

تاريخ اليهود الأسود في فلسطين

مفرح النومس العنزي ●

لم يكن مشهد العنف المفرط في غزة جديداً على اسلوب الصراع العربي الصهيوني، فما حدث في قانا وجنين ولبنان قبل عامين يعيد نفسه في غزة اليوم.
وتستمد العقيدة «الاسرائيلية» هذا الاسلوب القتالي العنيف من عمق تاريخها الملطخ بدماء الابرياء على يد يوشع بن نون وغيره، وقبل ان نبدأ بتحليل الموقف في غزة ومحاصرة القوات «الاسرائيلية» لها والقصف المتواصل بطائرات F16 علينا ان نتذكر بأن اليهود قساة في تعاملهم مع عدوهم، وقد ورد ذكرهم بصراحة في القرآن الكريم حول هذه الصفة في الآية 74 من سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...﴾.



ولم يكن هذا الصراع جديدا بل يمتد الى ٤٥٠٠ سنة مضت، وفيما يلي الأحداث وتواريخها في هذا الصراع:

- في عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد نزحت قبائل الكنعانيين العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ثم الى أرض كنعان المسماة فلسطين.

- في عام ١٨٠٥ قبل الميلاد هاجر نبي الله إبراهيم الخليل مع جماعات من قبيلته من مدينة أور الكلدانية جنوب العراق الى أرض فلسطين، وقد رافقه في رحلته زوجته سارة وابن أخيه لوط ولم يدخلها غازياً بل نبياً يدعو الى وحدة الخالق.

- في عام ١٧٩٤ قبل الميلاد أنجبت هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام ابنه اسماعيل.

- في عام ١٧٨٠ قبل الميلاد انجبت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ابنه اسحاق.

- اسحاق بن إبراهيم عليه السلام انجب توأمين هما عيسو ويعقوب ولقب يعقوب باسرائيل وتعني بالعبرية مقطعين هما: إسرا: وتعني عبد وئيل: وتعنى الله، أي عبدالله ثم هاجر يعقوب الى بابل في العراق وأقام عند خاله وتزوج من ابنتيه ليا وراحيل ثم عاد إلى أرض كنعان واشترى مزرعة وبنى مذبحا سماه مذبح الرب وأنجب يعقوب اثني عشر ولداً هم الاسباط وهم روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، بساكر، زبلون من ليا، ويوسف وبنيامين من راحيل ودان نفتالي من بلها جارية راحيل، وجاد وآشير من زلفة جارية ليا وجميعهم ولدوا في العراق ما عدا بنيامين الذي ولد في أرض كنعان بعد هجرته من بابل.

- في عام ١٦٥٦ قبل الميلاد هاجر يعقوب وأبناؤه وعشيرته الى مصر بعد أن أصاب أرضهم القحط والجفاف فاستعبدهم الفراعنه وسخروهم في اعمال البناء الشاقة وعذبوهم وبقوا على هذه الحالة من المذلة حتى ظهر منهم نبي الله موسى عليه السلام.

- وفي عام ١٢٩٠ قبل الميلاد آمر الله نبيه موسى عليه السلام ومن اتبعه من القوم بمغادرة مصر والاتجاه نحو البحر ففلق الله تعالى البحر أمامه ثم أطبقه على فرعون وجنوده فغرقوا جميعا ثم اتجه بهم



● كاتب صحفي كويتي

الى «صحراء سينا» وهناك نسي بعضهم فضل الله عليهم وعبدوا ثور سينا من دون الله، وبعد ذلك أمرهم موسى عليه السلام بالذهاب معه الى أرض الكنعانيين بفلسطين فرفضوا أمره وقالوا إن بها قوماً جبارين لا طاقة لنا بقتالهم حتى وصلوا معه أن قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.. فتاهوا في سيناء ٤٠ عاماً بعد أن خذلوا نبيهم.

- في عام ١٢٠٠ قبل الميلاد هاجرت قبيلة فيلستيا الأوروبية من جزيرة كريت الى أرض كنعان واستقروا في غزة وجوارها وامتد نفوذهم حتى الكرمل واستوطنوا الساحل وأقاموا مدناً محصنة هي: غزة، عسقلان، اسدود، عاقدة.

وقد اندمجت هذه القبيلة مع الكنعانيين وتأثرت بعاداتهم وتقاليدهم السامية وعرفت ارض كنعان منذ ذلك الوقت باسم «فلسطين» نسبة الى قبيلة فيلستيا.

- وفي عام ١١٨٦ قبل الميلاد تولى يوشع بن نون قيادة تلك القبائل البدوية من بني اسرائيل فعبر بهم الى فلسطين وتمكنوا من احتلال اريحا الكنعانية، وقد ذكر سفر يوشع انهم قتلوا بحد السيف جميع من في المدينة من بشر وحيوانات ثم زحفوا الى مدينة «عاي» الكنعانية فقتل يوشع وقومه كل من في المدينة البالغ عددهم حوالي ١٢ ألف نسمة.

- في عام ١١٠٠ قبل الميلاد أقام شاؤول مملكته اليهودية في أواسط وجنوب فلسطين وأجزاء من شرق نهر الأردن إلا انه هزم وقتل في إحدى المعارك مع الفلسطينيين.

- في عام ١٠٠٠ قبل الميلاد وبعد وفاة شاؤول أسس الملك داود مملكة اسرائيل بعد ان فتح مدينة أورشليم وهي آخر حصون الكنعانيين التي حافظت على استقلالهم، ثم نقل عاصمة ملكه الى القدس بعد ان كانت في الخليل، وقد بلغت مملكته اقصى اتساعها باستثناء الساحل الفلسطيني الممتد من شمال يافا



الى جنوب غزة فقد كان خارج السيطرة اليهودية، وقد حكم لمدة ٤٠ عاماً.

- في عام ٩٦٩ قبل الميلاد تولى الحكم من بعده ابنه سليمان وشيد المعبد المعروف باسم هيكل سليمان وذلك بمساعدة العمال الفينيقيين المهرة وبلغت مملكته اقصى اتساعها باستثناء الساحل الممتد من شمال يافا حتى جنوب غزة.

- في عام ٩٣٥ قبل الميلاد توفي سليمان وضعفت مملكته وانقسمت الى قسمين، مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة بعد ثورة الاسباط العشرة على ابنه رحيعام، أما السبطان يهوذا وبنيامين فقد أسسا مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم القدس، وقد اتسم عهد هاتين المملكتين بطابع الفتن والثورات والدسائس في سبيل بقاء الحكم.

- في عام ٩٢٠ قبل الميلاد قام شيشق ملك مصر بمهاجمة مملكة يهوذا واحتلها ونهب كنوزها بما في ذلك بعض من كنوز الهيكل.

- في عام ٧٢١ قبل الميلاد قام الآشوريين بقيادة الملك سرجون الاكدي ملك بابل باحتلال اسرائيل ومملكة يهوذا ثم فرض عليها جزية باهضة الثمن.

- في عام ٧٠١ قبل الميلاد حاولت مملكة اسرائيل التمرد على الآشوريين فهاجمها الملك سرجون مرة أخرى فدمر مدنها وسبى معظم شعبها ونقله معه الى بابل ثم أحل محلهم قبائل عربية من بابل وسوريا وشبه الجزيرة العربية فانتهت مملكة اسرائيل على يد الملك سرجون.

- في عام ٥٩٧ قبل الميلاد قام الملك الكلداني «نبوخذ نصر باحتلال مملكة يهوذا فسبى ملكها يهويا قيم وعائلته وقادة جيشه وجيشه البالغ تعداده ١٠ آلاف مقاتل فنقلهم معه الى بابل ثم نصب صدقيا ملكاً على مملكة يهوذا.

- في عام ٥٨٦ قبل الميلاد حاول اليهود بقيادة صدقيا التمرد على سيطرة الملك نبوخذ نصر ملك بابل فهاجمهم مرة أخرى واستولى على أورشليم القدس فحرقها وهدم هيكل سليمان وقتل أبناء صدقيا أمام عينيه ثم سمل عيني صدقيا وأسر جميع سكان المدينة البالغ عددهم حوالي ٥٠ ألفا بما فيهم ملكهم صدقيا وساقهم الى بابل ثم دمر بقية البلدان اليهودية فضاعت دولتهم بعد ان دامت قرابة الأربعة قرون فعادت فلسطين عربية مرة أخرى، والجدير بالذكر ان اليهود لم يستطيعوا فرض سيطرتهم التامة على أراضي فلسطين بالكامل بالرغم من تواجدهم قرابة ٤ قرون على أرض فلسطين.

- في عام ٥٣٩ قبل الميلاد وبعد ان أمضى اليهود سبعين عاماً في بابل اتفقوا مع قورش ملك فارس فاحتل بابل واعاد لهم الذهب والفضة وهيكل سليمان من خزائن نبوخذ نصر ملك بابل المهزوم.

- لم يكن يهود بابل متحمسين للعودة الى أورشليم القدس إلا ان جزءا منهم عاد الى القدس وتمكنوا في عام ٥١٦ قبل الميلاد من بناء هيكل سليمان.

- في عام ٣٣٢ قبل الميلاد انتصر الاسكندر المقدوني على الفرس وألحق دولتهم بدولة الاغريق.

- في عام ٩٠ قبل الميلاد غزاها العرب الانباط فاحتلوها وضلت تابعة لعاصمتهم «بترا» ثم احتلها الرومان وفي عام ٧٠ الميلادي اشاع اليهود الفوضى والحرائق والاغتيالات واعلنوا العصيان على الرومان وظهرت منظمة «السيكاري» وهي اول منظمة ارهابية في التاريخ القديم .

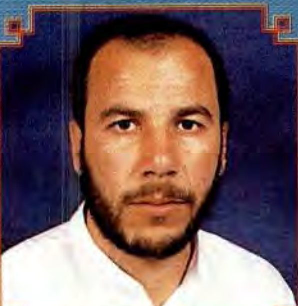
- في عام ١٣٥ ميلادي حاول اليهود جمع شتاتهم في القدس على يد القائد سمعان المدعو بركوكب حيث ادعى بأنه المهدي المنتظر وايده في ذلك الحاخام عقيبا وثاروا على القائد الروماني ادريانوس «هارديان» فهاجمهم واحتل المنطقة اليهودية في القدس ودمر وقتل اهلها، وهدم الهيكل وحرث ارضه وبنى مدينة جديدة على انقاضه وبهذا لم تقم لهم قائمة حتى القرن العشرين.

المراجع

- القرآ الكريم سورة البقرة آية ٤٧.
- د. جميل الجبوري - جذور القضية الفلسطينية - ط١ - ١٩٩١.
- عمر رشدي - الصهيونية وربيبتها اسرائيل - ط٢ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ٥٦٩١ ص٥، ٦.
- د. عبدالوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - ط ٩ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ٥٨٩١.
- سفر يوشع - الاصحاح - ٨: آية: ٢-٨٢.
- رفيق شاكر - الاسلام وفلسطين - الرياض ٠٨٩١ - ص٨٢، ٩٢.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - ج٢- المجلد الاول - ص٧٢٣، ص٧٥٣، ص٨٥٣.
- شفيق الرشيدات - فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً - دار الكتاب العرب - القاهرة ٨٦٩١م.

أساليب القرآن الكريم في مواجهة الحرب النفسية

استحرَ القتل بأهلنا في غزة، وأثخنوا بالجراح والآلام، نتيجة الحرب الأخيرة التي شنها جيش الكيان الصهيوني عليها، واستغل بعض المنافقين مصيبة الموت أو القتل التي ابتلى الله تعالى بها المجاهدين؛ ليشنّ حرباً معنوية ونفسية، يتخذ فيها من مقتل الشهداء ونقص الأنفس وآلام الجراح مادة، لإثارة الحسرة في قلوب أهليهم واستجاشة مشاعر الأسى والأسف على فقدهم في المعركة - نتيجة لاختيارهم جانب المقاومة والجهاد- والإيحاء إليهم بأنهم وقعوا ضحية لسوء القيادة ورعونتها وطيشها حيث ألقت بهم في هذه المهلكة؛ لينفضوا من حولها، فقالوا لهم كما قال إخوانهم من قبل ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ (آل عمران - 154) وقالوا أيضاً ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران - 156) وقالوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران - 168) وهذه أقوال أهل النفاق والذين في قلوبهم مرض في عهد النبي ﷺ وهي ذاتها تتكرر اليوم والمعركة دائرة، ونسمعها بين الفينة والأخرى من هنا وهناك، من كاتب أو صحفي أو محلل أو سياسي أو غيرهم، لتثبيط العزائم وإثارة المواجع وإشاعة البلبلة والخلخلة وإيقاع الهزيمة النفسية بالمقاومة، وهؤلاء جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره كما يقول الشيخ السعدي (1) وربما تجول هذه الهواجس والوساوس في خاطر بعض المجاهدين أنفسهم أو قد تجري على لسانه عفواً في لحظة ضعف.



محمد علي الخطيب

ولا بد في مثل هذه الظروف من مواجهة هذه الحرب النفسية، وإبطال هذا المكر السيئ للمؤسسة الجهادية وأبنائها، لأنه قد يترك في صفوف المقاومة وقاعدتها الشعبية الظهيرة لها آثاراً سلبية أشد من أثر الطائرات والدبابات والبارود والنار، وقد يفتُ في عضد المقاومة، ويوهن قدراتها الدفاعية أكثر مما يؤثر فيها أيُ شيء آخر. وهو ما اتخذه القرآن الكريم عقيب غزوة أحد في مواجهة الحرب الإعلامية التي شنتها قريش من جهة والمنافقون من داخل الصف المسلم من جهة أخرى، وقامت الآيات القرآنية بعرض الحدث الجلل واستخلاص العبر والسنن وتسليط الضوء على أسرار الابتلاء بالقتل والقرح والألم والحكمة منه، والرد على تلك الحرب النفسية وتفنيد الأقوال والدعاوى الفاسدة التي انطلقت بها ألسنة هؤلاء.

عوامل الثبات عند الابتلاء

- أن يعلم أهل الجهاد والرباط والقاعدة الشعبية التي تحتضنهم وتساندهم أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم؛ لقوله تعالى ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ . قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:٥٠-٥١) ومن ثم فإن أصحاب عقيدة القدر يتحلون بالتوازن والسكينة والانضباط العاطفي في الشدة والرخاء. وفي كل حال، فهم لا يتلقون الضراء بالجزع والفزع كما أنهم لا يستقبلون السراء بالزهو والفرح، ولا يتحسر أحدهم أنه لم يصنع كذا ليدرأ عن نفسه كذا، أو أنه لو فعل كذا لاستجلب من النفع كذا وكذا بعد وقوع الأمر وانتهائه! فمجال التقدير والتدبير والرأي والمشورة كله قبل الإقدام والتحرك؛ فأما إذا تحرك بعد التقدير والتدبير -في حدود علمه ووسعه وإمكاناته- فكل ما يقع من النتائج بعد ذلك فهو يتلقاه بالطمأنينة والثقة والرضا والتسليم، ويقول كما علمنا الرسول ﷺ (قدر الله وما شاء فعل) (رواه مسلم) موقناً أنه وقع وفقاً لقدر الله وتدبيره وحكمته ومشيئته؛ وأنه لم يكن بدٌ من أن يقع كما وقع (٢) ففي صحيح مسلم «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» وهذا يعطي حركة الجهاد التوازن والانضباط والثقة والثبات والاستقامة على الطريق حتى نهايته دون حيدة أو انحراف. فأما الذي يفرغ قلبه من هذه المعاني، ويخلو من العقيدة السليمة والتصديق بالقدر والتسليم له فهو في قلق وحيرة واضطراب أبداً، ويستهلك أوقاته وجهده وأعصابه أبداً في «لو» و«لولا» و «ليت».

-ولا بد أن نعلم أن أمر هذه الحياة لا ينتهي بالموت أو القتل؛ فالحياة في الأرض ليست آخر الشوط ولا نهاية المطاف، ومتاعها ليس خير المتاع ولا غاية النعيم. فالموت أو القتل في سبيل الله في الاعتبارات الشرعية خير من الحياة وخير مما يجمعه الناس في الحياة من مال أو جاه أو سلطان أو متاع هو في الاعتبارات البشرية أكبر المكاسب وأعلى الغايات. وإذا كانت الحياة في نظر الكافرين هي هذه الدنيا، تذهب بجيل وتأتي بآخر، ... الأرحام تدفع والأرض تبلع، وكما قال عز وجل على لسانهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية-٢٤)، ولأن الحياة في نظر الكافر هي الدنيا وحدها أو الجزء المحسوس منها فهي فرصته الوحيدة ولذلك يحرص الكافر على حياة، أي حياة. ويودُ أحدهم لو يعمر ألف سنة، لكن نظرة الذين يؤمنون بالله ويرجون الآخرة تختلف، ويختلف

● مدرس تربية إسلامية في الكويت

عاً لذلك الحساب والتقدير، ولذلك ـر الله رسوله أن يقول للمشركين إخوانهم من المنافقين في معرض الرد لى حربهم النفسية ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ ا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ كُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ أَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ لتوبة-٥٠-٥٢).

من عوامل الثبات وهو سلوة للمصاب ن يعلم أنه لا مفر من الجراح والآلام القتل؛ لأن من شأن القتال أن تَقتل تُقتل، وهي سنة الله في الصراع، المتدبر في السيرة النبوية يعلم هذه حقيقة الكبيرة، فلم يسلم الرسول ﷺ وأصحابه من الجراح والقتل، في غزوة أحد فجع ﷺ بسبعين من صحابه وعلى رأسهم عمه وأخوه من رضاعة وحبيبه وتربه حمزة أسد الله أسد رسوله، وبقرت هند بنت عتبة ن بطنه حتى أخرجت كبده، ولاكتها، مُثِّل به فجُدِعَ أنفه وأذناه. وكسرت رباعية رسول ﷺ وشج وجهه وأرهقه المشركون، وهمَّ لشركون بقتله، وكادوا يصلون إليه لولا عصبة ن أصحابه بذلوا في سبيله المهج، منهم سعد طلحة الخير.

من عوامل الثبات أيضاً أن نعلم خصال شهيد ودرجاته عند الله وما أعد له من كرامة والأمن والوقار، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ عْمَالَهُمْ﴾ أي: لن يذهبها بل يكثرها وينميها يضاعفها. ومنهم من يجري عليه عمله في طول بَرْزَخه (٣)، كما ورد بذلك الحديث الذي واه الإمام أحمد في مسنده، من حديث قيس لجذامي، قال: قال رسول الله ﷺ «يُعْطَى لشهيدُ ستَ خِصَالٍ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِه، كَفَّرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ يُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ» وحديث خر عند أحمد أيضاً ورواه الترمذي وصححه بن ماجه، عن المقدام بن معد يكرب الكندي ال: قال رسول الله ﷺ «للشهيد عند الله ستُ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى قْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، يَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِه تَاجُ لْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، يُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».



البعض يتخذ من مقتل الشهداء وآلام الجراح مادة لإثارة الحسرة في قلوب أهليهم واستجاشة مشاعر الأسى والأسف

ومن الأسباب المعينة على الصبر وعوامل الثبات على فتنة القتل أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار وأن قتلانا مضوا إلى ربهم شهداء بررة يأتسي بهم الناشئة، ويسير على دربهم الشباب، فإن يك قد قتل من أبناء الحركة الإسلامية هذا الجم الغفير فإن الله تعالى سيعوض الحركة الإسلامية أضعاف أضعاف من فقدناهم، وما زال علماؤنا يعلموننا أن في المحنة منحة، ولا يسعنا إلا أن نقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهم اجرنا في مصيبتنا وعوضنا خيراً منها.

ومن مواقف السيرة التي تشهد لهذه المعاني أنه بعد غزوة أحد شنَ أبو سفيان بعد نهاية المعركة حرباً نفسية وإعلامية ضد المسلمين، فقال مزهواً بانتصاره «يوم بيوم بدر يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان وفلان بفلان» فردَ عليه رسول الله ﷺ قائلاً «لا سواء، أما قتلانا فأحياء يرزقون، وقتلاكم في النار يعذبون».

كل ما تقدم هو من أصول الإيمان وأسس العقيدة الإسلامية، ولا يتحقق الإيمان إلا به، وهو لو تدبرته «القدر» الذي يجب التصديق به، ولا يدخل العبد الجنة إلا بالإيمان به، عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال «يَا غُلامُ، إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (رواه الترمذي).

وفي أجواء المحنة عندما يستحرُ فينا القتل، ونثخن بالجراح، ونعيش أجواء الحصار والنار، فإن مما يخفف من الصدمة أن نعلم أن من سنة الله: مداولة الأيام بين الناس، وأن القتل لا يقع في صفوفنا فقط بل يصيب عدونا أيضاً، ونحن أحقُ بالصبر وأولى، كما قال سبحانه ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران-١٤٠) وقوله أيضاً ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء-١٠٤).

وأخيراً فإن من الضروري أن نعلم أن الابتلاء بالشدة محك لا يخطئ وميزان لا يظلم، وأنه ضرورة لكل جماعة؛ ليتميز الصف، ويتكشف عن: مؤمنين ومنافقين، ويظهر هؤلاء وهؤلاء على حقيقتهم، ويعلمهم الناس، ويزول به عن الصف الغبش والدخل وتزول الخلخلة والاضطراب من صفوف الجماعة، كما قال سبحانه ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران-١٧٩) وقد ظهر هذا واضحاً في المحنة الراهنة التي تعيشها غزة خاصة والأمة عامة. وتفصيل ذلك يطول ولنقتصر على هذا القدر في عرض أساليب القرآن الكريم في مواجهة الحرب النفسية وعوامل الثبات عند الابتلاء بكثرة القتل، ولولا خوف الإطالة لبسطت من ذلك ولكن فيما تقدم منه الكفاية والحمد لله.

الهوامش

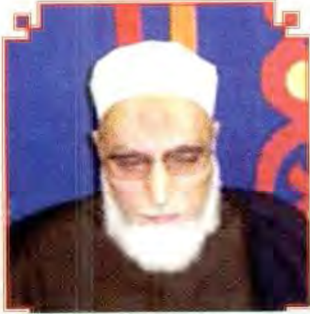
١- تفسير السعدي - مؤسسة الرسالة - ط١- ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م - ج ١ / ص ١٥٦

٢- انظر: في ظلال القرآن - تفسير قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران-١٥٦)

٣- تفسير ابن كثير- دار طيبة للنشر والتوزيع - ط٢ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - ج ٧ / ص ٣٠

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

إن الإعجاز معناه سبق الشيء لغيره سبقاً بالغاً، بحيث يصير هذا الغير عاجزاً عن إدراكه لحاقاً به، أو سباقاً له، ومنه «معجزات» الأنبياء عليهم السلام، التي يظهرها الله تعالى بقدرته المطلقة، خارقة للعادة، فتعجز المخلوقات جميعا عن الإتيان بمثلها، فإذا تعلق الأمر بالتشريع أو اختيار المنهاج الصحيح للبشر كان الإعجاز أظهر وأغلب، رغم الجدل البشري العقيم طوال التاريخ! وهذا إجمال يحتاج إلى بيان، وقد فصله القرآن الكريم تفصيلاً بديعا واسعا، نذكر بعضه فيما يلي:



د.عبد الستار سعيد

أولاً: الخلق والهداية الإلهية

فقد خلق الله عز وجل كل شيء وقدره تقديراً، وهدى كل مخلوق إلى وظيفته النوعية، وإلى غايته العامة، وجعل لذلك سبلاً كثيرة، منها الفطرة التي فطر الأشياء والأحياء عليها، ومنها الوحي الإلهي، ومنها التعليم والتجارب، قال تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذى خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾ (الأعلى:١-٣).

ولذلك كان الوحي الإلهي بالنسبة للإنسان ضرورة لازمة، ونعمة سابغة؛ لأنه يعلمه حكمة حياته، ومهمة وجوده، وغاية خلقه، ومنتهى مصيره، ويصونه عن عبثية الخلق، وبطلانه!

ومن أجل ذلك كانت الشريعة الإلهية للإنسان بمثابة الروح التي تحيي الموات، والنور الذي يضيء الظلمات، والهداية التي تنقذه من الضلالة والضياع، وتدله على الصراط المستقيم، حين يتشابه عليه الأمر، وتتفرق به السبل!!

ثانيا: النبوة من البداية إلى النهاية

وقد جعل الله تعالى النبوة مفتاح الوحي الإلهي، وطريق البلاغ المبين لهذه النعمة الإلهية، منذ فجر التاريخ البشري، ثم في كل مراحله التالية، ثم في ختامه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وقد كانت النبوة الأولى مقترنة بخلق الإنسان، فاصطفى الله تعالى آدم عليه السلام لهذه النبوة، وعلمه الأسماء كلها، وبعثه بدينه وشريعته إلى أولاده وأحفاده، وجعل ذلك ناموس الحياة البشرية وقانونها الدائم، كما قال تعالى لآدم عليه السلام من أول الطريق في الأرض: ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٣- ١٢٤).

ثم جاءت النبوة الوسيطة ابتداء من إبراهيم عليه السلام، لأن البشرية كانت قد تطورت إلى مرحلة الدولة والحكومات المنظمة في العراق، ومصر، والشام، وغيرها من أقطار الأرض، فبعث الله تعالى لهم الرسل.

ثم أتم الله الأمر لعباده بالنبوة الخاتمة على يد محمد ﷺ، لتمتد دعوته ورسالته إلى العالمين جميعاً، وإلى يوم القيامة.

وفي كل هذه المراحل ما خلّى الله تعالى الأرض، والأمم، والشعوب من دعوته ورسالته لهم بشريعته الدائمة إليهم، قال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى- ١٣). وقال ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل- ٣٦).

ثالثا: معجزات الأنبياء

النبوة: محض هبة من الله تعالى، لا تنال بالكسب الذاتي مهما اجتهد الإنسان، وهي حجة الله على الناس؛ ولذلك حماها الله عز وجل من الدجالين والكذابين، بأن جعل لكل نبي آية معجزة يظهرها على يديه، تصديقاً له في دعواه، وكأنه تعالى يقول حينئذ: «صدق عبدي فيما يبلّغه عني».

والمعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد من يدعي النبوة، تصديقاً له، وتمييزا للمحق من المبطل في هذا الأمر الخطير، الذي يترتب على الصدق فيه وجوب الإيمان بالرسول، وبما أوحي إليه من ربه، ووجوب الطاعة والانقياد في كل شؤون الحياة.

ولذلك لا تكون المعجزة إلا من الله تعالى، ولا تكون قابلة للتكرار إلا بإذن الله تعالى وبأمره، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾ (الحديد- ٢٥).

والآيات الكريمة تسمي المعجزة بأسماء عديدة، ذات دلالة موحية بالمراد منها مثل: «البينات»، و«السلطان»، و«الآية»، وكلها تعطي معنى الظهور البالغ، والحجة القاهرة، والعلامة الدالة على القدرة الخارقة، وهذا يؤهلها لمعنى السبق الفائق الذي لا يلحق ولا يسبق في بابه، مما يؤدي إلى العجز التام عن مواجهتها، فيكون العجز أبلغ دليل على إعجازها.

رابعاً: المعجزات الحسية والمعنوية:

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بالكثير من معجزات الأنبياء عليهم السلام بأعيانها وأوصافها، وهي نوعان

١- المعجزات الحسية:(١)

● أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر وأم القرى سابقا

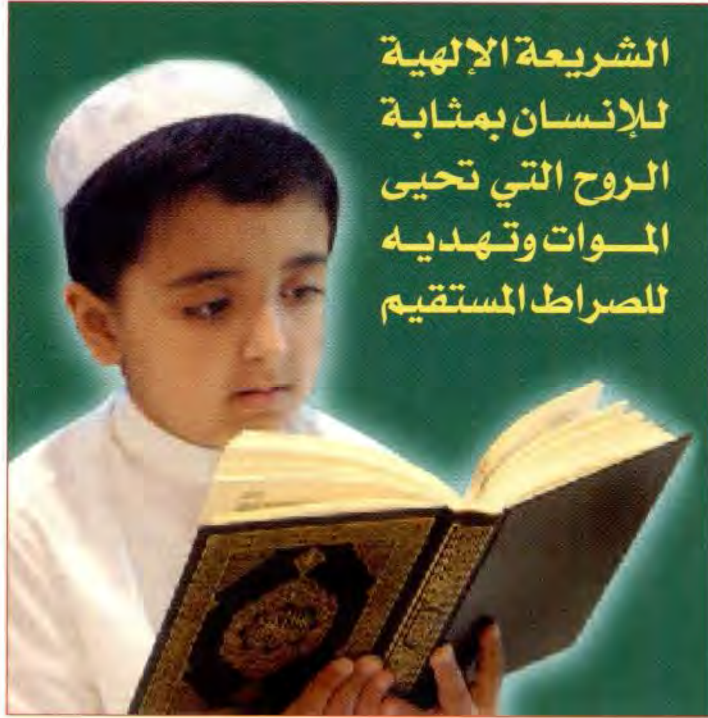
ـهــي الخـــوارق الـتـي تـرى ـالأبصـار، أو تلمس بـالأيدي، ـو تـدرك بـالحـواس؛ لتكون ـنة ظاهـرة، لا يمـاري فيه إلا المبطلون المجادلون، وذلك مثل ناقة صالـح التي خرجت من ـصخر أمـام العيـون، وكانت ـشرب المياه، وتعطي لبناً غزيراً ـكفي القبيلة الكبيـرة؛ لذلك ـقول الله عنها ﴿وآتينـا ثمود ـناقة مبصرة﴾(الإسراء- ٥٩) ـي ناقة حية ذات بصـر، ترى ـناس ويرونها، وذات دلالة على ـدرة خالقهـا، وصـدق رسـوله ـصالح عليه السلام.

مثل عصا موسى عليه السلام ـتي يـراهـا النـاس جميعاً في ـده، فإذا ألقاها صارت ثعباناً ـبيناً هـائـلا، ومثل يد موسى ـليه السلام التي يخرجها من ـجيبه فتكون في غاية الضياء ـالبيـاض من غيـر مـرض ولا ـرض ﴿فألقى عصاه فإذا هي ـعبان مبين. ونزع يده فإذا هي ـيضاء للناظرين﴾ (الأعـراف: ١٠٧- ١٠٨).

- المعجزات المعنوية

ـالإخبـار بـالغـيـوب، وتعليم ـشـرائـع الحكيمـة الـتـي لا ـستطيعها البشر، كما سنبين ـن شاء الله، وإقامة الحجج ـالبراهين القاطعة على صحة ـلحـق، وإبطـال البـاطـل، في ـناقشـة الأفـكـار، ومـحـاورة ـلناس... الخ.

ـهذا لم يقع مجتمعاً في كتاب ـاحد - يتحدى الكفار، ويصدق ـلرسـول ﷺ - إلا في القـرآن ـلعظيم، وقد طلب المشركون ـن الرسـول ﷺ - عناداً - أن ـأتيهم بآية حسية مثل الرسل ـلسابقين ﴿بل قالوا أضغاث ـحلام بل افتراه بل هو شاعر ـفليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ ـالأنبياء- ٥).



المعجزة العظمى.. القرآن

وقد ردّ الله عليهم: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء -١٠)، بل بيّن لهم سبحانه وتعالى أن هذا الكتاب هو الآية الكبرى، والمعجزة العظمى التي تحمل للناس جوامع الآيات والمعجزات، قال تعالى ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم...﴾ (العنكبوت: ٥٠- ٥١)، ويقول سبحانه وتعالى ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾ (الرعد: ٣١) وجواب لو محذوف يدل عليه المقام، والمعنى: لكان هذا القرآن.

وقد كذب الكفار الأولون والآخرون بالمعجزات الحسية جهلاً وعناداً، وجاءت معجزة القرآن كافية شافية فكان لها من الآثار والأسرار، والإقناع والإبلاغ، ما لا نظير له في العالمين.

وهذا القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ هو المعجزة الكبرى التي تثبت صدقه في دعواه النبوة، وتكليفه بالرسالة، وهو الآية العظمى التي وقع بها التحدي المرة تلو المرة، فعجز الناس أن يأتوا بمثل القرآن، أو بسورة من مثله، فكان هذا العجز هو أبلغ دلائل الإعجاز، والتفرد بالسبق والامتياز.

خامساً: وجوه الإعجاز القرآني

حين بعث محمد ﷺ لم تكن معه قوة، ولا كثرة، ولا مال، وإنما كان وحيداً، في مواجهة خصوم غلاظ شداد، فلما قرأ عليهم القرآن، أدركوا فوراً أنهم أمام طبقة عليا من الكلام، تجاوز ما عهدوه من فنون القول نثراً وشعراً، مع ما تحمله من معان عليا وآفاق رحيبة، فانبهروا انبهاراً، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه حمية، أو جهلا وعناداً، ومضى القرآن يتنزل يدعوهم إلى الحق، ويتحدى المعرضين ويجادل المعارضين، ويقيم الحجة والبرهان على صدق الرسول، وبطلان الشرك، وكان هو السلاح الحاسم مع رسول الله ﷺ، كما قال له الله تعالى ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ (الفرقان - ٥٢).

وكان القرآن من القوة والتأثير بحيث استنطق الكفار بغاية إعجابهم به، مع كفرهم وعنادهم.

فهذا الطفيل بن عمرو الدوسي يقول حين سمع بعضه من رسول الله ﷺ قبل أن يسلم: «إن هذا الكلام ليخرج من قاموس البحر» (١) والمراد من أعماق البحر كاللؤلؤ ونحوه.

سر الإعجاز في القرآن العظيم؟

وما السبب أو الأسباب التي تجعل هذا الكتاب الغلاب شيئاً متفرداً سباقاً لا يعلو عليه قول أو فكر، أو مذهب؟!

لقد أدرك المسلمون الأولون ذلك بسليقتهم العربية، وفطرتهم الإيمانية، فآمنوا بذلك إيماناً وثيقاً بلغ بهم ذروة اليقين، حتى خرجوا بسبب هذا الإيمان جهاداً في سبيل الله، وابتغاء مرضاة الله، وبذلوا أرواحهم وأموالهم ليكون هذا الحق باطنهم وظاهرهم، وواقع حياتهم، ثم أنفق العلماء من بعدهم أعمارهم وجهودهم، ليستخرجوا للناس الجواب عن أسرار الإعجاز الجليل في القرآن العظيم، فقالوا خيراً كثيراً:

١- فمنهم من قال كلاماً عجيباً، يملأ القلوب مهابة وإجلالاً، وخلاصته: أن الإعجاز شيء حقيقي موجود، يدرك ولا يمكن وصفه او التعبير عنه مستقلاً منفردا، كالحلاوة

في السكر، والعذوبة في الماء.
يقول أبو حيان التوحيدي رحمه الله: لم اسمع كلاماً ألصق بالقلب، وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بندار بن الحسين الفارسي - وكان بحراً في العلم - وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن، فقال: هذه مسألة فيها حيف على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسانية من الإنسان؟ فليس لها موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه، لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومَعجَزة لمحاوله، وهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه، وأسراره في كتابه، ولذلك حارت العقول، وتاهت البصائر عنده (٢).

٢- ومنهم من اجتهد في تحديد الوجوه، وتسمية الأسباب، وإبرازها في قوالب علمية معلومة، أو قواعد ذات أصول وفصول، وضوابط يمكن حفظها، وتعلمها، وتعليمها، قال ابن سراقة رحمه الله: اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره، فقال قوم هو الإيجاز مع البلاغة، وقال آخرون هو البيان والفصاحة، وقال آخرون هو الرصف والنظم... الخ(٣).

٣- وقد أطنب بعض العلماء في عد هذه الوجوه حتى جاوز بها ثلاثين وجهاً، كما فعل الإمام السيوطي في كتابه الشهير: «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، ومن هذه الوجوه:

الأول: العلوم المستنبطة من القرآن الكريم.

الثاني: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان، محروساً من التبديل والتغيير على مر الزمان.

الثالث: حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحتها، وإيجازه، وبلاغته الخارقة لعادة العرب... الخ.

الرابع: مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني...

الخامس: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات.

السادس: روعته وهيبته.

السابع: اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة... الخ.

سادساً: الجوامع الثلاثة لوجوه الإعجاز

وعند التحرير والتحقيق العلمي الدقيق، نجد هذه الوجوه الكثيرة تقوم على ثلاثة أصول جامعة، تضم كل الوجوه الجزئية المتشابهة، والمتفرقة، وهي بإيجاز:

الوجه الأول: الإعجاز البلاغي البياني

ويدخل فيه فصاحة الألفاظ، وجودة المعاني، وبراعة الأسلوب، وسائر ما يتصل بهذا الباب.

الوجه الثاني: الإعجاز الخبري الغيبي

ويدخل فيه كل إخبار بالغيب ورد في القرآن الكريم، ابتداء من الغيب السحيق الذي لا يعلمه أحد إلا الله تعالى، مثل خلق العرش والماء، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم خلق الأحياء كالملائكة والجن، ثم خلق آدم عليه السلام، وإسكانه الجنة، وطرد إبليس، ثم أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها، وإهباطه إلى الأرض... الخ.

ويدخل في هذا النوع قصص الأنبياء مع أممهم، وما يسمى الآن بالإعجاز الغيبي، وهو على سعته في القرآن مسوق للدلالة على قدرة الله، وتفرده بالخلق، ودعوته للناس.

ويدخل فيه الإخبار بغيب الحاضر وقت نزول القرآن، وهو كثير جداً في الكتاب العزيز، وسورة التوبة مليئة بهذا على سبيل المثال.

ويدخل فيه الإخبار بغيب المستقبل مثل الدابة، والقيامة، وأحوالها، ومشاهدها، ومحاورات أهل الجنة وأهل النار.. وغير ذلك كثير جداً.

وهذان النوعان كتب فيهما العلماء ما لا يحصى من الكتب والرسائل.

ما الأسباب التي تجعل هذا الكتاب شيئاً منفرداً سباقاً لا يعلو عليه قول أو فكر أو مذهب ؟!

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي

وهو وجه الوجوه في إعجاز القرآن الكريم، وقد أشار إليه العلماء في عدّ الوجوه إشارات واضحة، ولكن لم يتابعوا ذلك بالتأصيل، والتفصيل، والاستيعاب كما فعلوا في الوجهين الأول والثاني، وقد تعجبت من ذلك أشد العجب، إذ لا أجد في المكتبة الإسلامية إلى الآن كتباً مفردة جامعة تبحث في «الإعجاز التشريعي» بحثاً شاملاً جامعاً، وتبرز أسراره وآثاره، كما فعل العلماء في الإعجاز البلاغي، والغيبي بكثرة كاثرة، واستفاضة واضحة، ومن أوضح الإشارات «للإعجاز التشريعي» قول الإمام الخطّابي (توفي ٣٨٨ هـ) في كتابه «بيان إعجاز القرآن»: «إن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف؛ مضمّنا أصح المعاني من توحيد الله تعالى، وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لمنهاج عبادته في تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها



موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يُرى في صورة العقل أمر أليق به منه...».

وهذا تماماً ما نعنيه بالإعجاز التشريعي، ولكنه يحتاج إلى بسط وبيان كالتالي:

١- المراد بالشريعة والتشريع

الشريعة في اللغة العربية: مورد الماء، والتشريع إيراد الإبل مورد ماء سهل ميسر لا يحتاج إلى آلات، وهو أيسر السقي.

ولذلك سميت الأحكام الإلهية «شريعة وتشريعاً» لأنها مورد تستقى منه المبادئ والأحكام في يسر وسهولة، وبلا معاناة أو بلا تقلب في التجارب التي قد تعرض الإنسان للمهالك، وقد سمَّى الله تعالى مجموع هذه المبادئ والأحكام بأسماء محددة ومميزة، منها الدِّين، والإسلام، والشريعة، والمنهاج. قال تعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً...﴾ (الروم- ٣٠).

وهذا الدين المسمى بهذه الأسماء هو دين الله لعباده في كل العصور، جاء به كل رسول لأمته، وجاء به محمد ﷺ للناس جميعاً؛ ولذلك كان ديناً واحداً لأن مصدره واحد ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ (الشورى- ٣). واتفق فيه الرسل في كل الأصول إلا ما اقتضت حكمة الله أن يتفاوتوا فيه ليناسب زمان كل منهم من الأحكام الفرعية. فاتفقوا في العقائد والأخلاق جميعاً بلا أدنى تفرقة. واتفقوا في أصول العبادات والمعاملات. وتفاوتوا في صور العبادات والمعاملات فقط.فالصلاة مثلاً ذات ركوع وسجود عند الجميع، ولكن تتفاوت الهيئات والأعداد فقط، والصيام كتب علينا كما كتب على من قبلنا، وتتفاوت الأحكام في زمانه وأعداده ومقاديره فقط، وكذلك الزواج، والبيع وغيرهما من المعاملات.

قال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى- ١٣)، وقال تعالى ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ١٦١- ١٦٢).



الأحكام الإلهية سميت شريعة وتشريعاً لأنها مورد تستقى منه المبادئ والأحكام في يسر وسهولة

٢- إعجاز الشريعة الإلهية في كل العصور

ويتضح مما سبق أن الإعجاز صفة ذاتية ثابتة لشريعة الله تعالى في كل العصور لأن الله تعالى هو الذي شرعها ابتداء، فهي كما قال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ (النمل- ٨٨).

ولأنه سبحانه وتعالى متصف بالعلم المحيط؛ لذلك يشرع على غاية الحكمة وحسن الاختيار، فهو لا يأمر فيها إلا بكل خير، ولا ينهى فيها إلا عن كل شر، ولا يحيط الشارعون من دون الله تعالى بهذه الأسرار، ومن ثم يتخبطون في الضلال.

- ولذلك سمى الله شريعته من أول الطريق «هدى» كما مر في الآيتين من سورة طه، لذلك لا يضل من اتبعها، ولا يشقى من لزمها، ومن أعرض عنها واتبع الأهواء والبدع البشرية وقع في ضنك الدنيا والآخرة جميعاً.

- وفي النبوة الوسيطة يقول تعالى عن شريعته ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ (المائدة- ٤٤). ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ (الأعراف- ١٤٥).

والفارق بين النبوة الخاتمة وما قبلها يتضح فيما يلي:

أن الرسل السابقين بعثوا بمعجزات حسية، وقع بها التحدي لإثبات دين الله وشريعته، ولم يقع التحدي بالكتب السابقة، ولا بالشريعة الهادية مع أنها معجزة في ذاتها.

وفي النبوة الخاتمة جمع الله تعالى بين الدليل والمدلول عليه، وجعل الشريعة في ذات الكتاب الذي هو معجزة التحدي وإثبات الرسالة، فصار الإعجاز مركباً، ترادفت فيه معجزة الشريعة بمصدرها وبذاتها، ومعجزة القرآن بمصدره الأعلى، وفي ذاته، ومعجزة الرسول الأمي الذي جاء به، ومعجزة الحفظ والصيانة والاستمرار في حاضر نزوله، وفي مستقبل زمانه إلى يوم الدين.

وهذه أمور اقتضاها ختم الرسالة بمحمد ﷺ، ووجوب استمرار قيام حجة الله على الناس بعده ﷺ، وضرورة معرفة الناس بشريعة الله ودينه عبر العصور المقبلة، التي علم الله أنها عصور ستزدحم بالمذاهب والأفكار، والشك والإلحاد، ولا تقوم عليهم الحجة إلا بصوت النبوة الممدود، ونداء المعجزة الموصول، وبرهان الوحي المحفوظ، تماماً كما قال ﷺ «وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

سابعاً: أسباب الإعجاز التشريعي القرآني

لهذه الشريعة القرآنية أسباب بالغة، وأسرار جامعة متعددة، جعلتها ذروة في الإعجاز والامتياز منها:

أولاً: الأسباب الخارجية

ويعنى بها الأسباب الخارجة عن ذوات النصوص التشريعية، وإن كان لها أبلغ التأثير في إعجازها.

وأولها: مصدر الشريعة وهو الله رب العالمين، المتصف بكل صفات الكمال والجلال، والمنزه عن كل نقص وقصور، الذي ليس كمثله شيء في ذاته،

وصفاته وأفعاله، فمن بدهيات اليقين أن تكون شريعة على أوفى ذروة من الكمال، والموازنة، والصدق، والحق، والعدل، كما قال تعالى ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ (الأنعام- ١١٥) أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وقال تعالى ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾(الفرقان- ٦)، وقال تعالى معللا انفراده بالحكم والتشريع: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى- ١١)، أي أنه تعالى خلق، وبث الحياة على نمط الزوجية، فكل شيء له أشباه ونظائر إلا هو سبحانه ﴿ليس كمثله شيء﴾ في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، ومنها شريعة الهداية التي لا يملكها غيره، ولا يستطيعها سواه على وجهها المعجز، المبرأ من العيوب.

وثانيها: رسولها المبلغ الذي بعث بها، وهو الرجل الأمي، في أمة أمية، لم يجلس إلى معلم، ولم يقرأ كتاباً قط، ولبث في قومه عمراً طويلاً لم يشتهر بخطابة أو شعر، أو اشتغال بعلوم ودراسات ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت- ٤٨)، وفجأة يأتيه الوحي الإلهي على رأس الأربعين، فيأتي بكل هذا القدر الهائل من الحكمة وفصل الخطاب، أو بكتاب يتحدى المكذبين، ويحاور أهل الفكر والنظر، ويناقض البيئة الجاهلية كل المناقضة، ويندد بأوثانها وشركها، ويجعل رأس دعوته التوحيد الخالص، ويستنكر قبائح الجاهلية من الزنى، والربا، والتطفيف، ووأد البنات، ثم يتعرض - وهو لا يزال مستضعفا في مكة - لنقد أهل الكتاب قبله، فيندد بتحريفهم الوحي الإلهي في أخص تعاليمه وهو التوحيد، ويكشف جنايتهم على دين الله عز وجل قبل آخر أنبياء بني إسرائيل وبعده وهو عيسى عليه السلام، ويظل يأتي بحقائق الحق، وشرائع الصدق، حتى أنزل الله تعالى عليه هذه الآية الجامعة قبل موته بأشهر معدودة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة- ٣) أي شريعة أكمل الله تعالى صفاتها، وأتم إعدادها وأحكامها، ورضيها للناس ديناً قيماً معجزاً، لا يتسرب إليه عوج ولا خلل، ولا يستطيعها البشر مجتمعين، وينسبها محمد ﷺ إلى مصدرها الأعلى بأصرح عبارة، فيكون بحاله ومقاله أبلغ دليل على هذا الإعجاز المبين.

ثانيا: الأسباب الذاتية الداخلية:

ونعني بها أسباب الإعجاز التي ترجع إلى ذات النصوص التشريعية، وتتصل بصميم ألفاظها ومعانيها، وإحاطتها وصياغتها، وتفردها بالسبق في كل موطن توضع فيه موضع المقارنة والموازنة، أو تقاس فيه بمقاييس الصلاحية، وجليل الآثار.

وهذا باب واسع جداً لم يعطه الباحثون حقه من التأصيل والتفصيل، ولا يتسع له مقال مهما طال، وحسبنا هنا أن نذكر بعض جوامعها التي هيأ الله تعالى بها هذه الشريعة للإعجاز والتفوق، خاصة في نسختها القرآنية الخاتمة، ومن ذلك:

الشمول التشريعي

والمراد بالشمول: العموم



والاستيعاب والإحاطة، والمعنى: أن شريعة الله تعالى لعباده هي شريعة كلية، وليست قاصرة على جانب دون غيره من جوانب الحياة البشرية، بل تستوعب شؤون الحياة جميعاً، الظاهرة والباطنة، المادية والمعنوية، القولية والفعلية، بل تمتد إلى أغوار النفس البشرية؛ لتنظيم النيات والضمائر التي هي بواعث السلوك الإنساني العجيب.

وقد قام هذا الشمول التشريعي على أربع شعب رئيسية، تستوعب الوجود الإنساني من كل أطرافه، وهي:

أولا: شعبة الإيمان

وهو التصديق الجازم، واليقين التام بالله عز وجل، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله على الوجه الذي فصلته هذه الشريعة الربانية، ثم التصديق باليوم الآخر، والملائكة والكتاب، والنبيين على تفصيل واسع النطاق في كل أصل منها.

وهذه العقيدة كلها حق وصدق، ولا مدخل فيها للأساطير التي اخترعتها شياطين الإنس والجن، وهي تملأ باطن الإنسان طمأنينة وسكينة، ويقوم عليها ما بعدها من شؤون الحياة جميعاً، وسلوك الإنسان قاطبة.

ثانيا: شعبة الأخلاق

وهي السجايا النفسية التي يصدر عنها السلوك البشري، ولذلك حددتها شريعة الله تعالى، وأمرتنا بأحسن الأخلاق، ونهتنا عن سيئها، كالأمانة، والصدق، والصبر، والعفة في النوع الأول منها، وكالخيانة، والكذب، والهلع، والكبر، والغدر في النوع الثاني.

ثالثا: شعبة العبادات

كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة، وغير ذلك من العبادات المحددة شرعاً، أو المطلقة كالذكر وعبادة التفكر، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة مفصلاً.

رابعا: شعبة المعاملات

وهي التصرفات التي تقع بين الناس في شؤون حياتهم الاجتماعية، والأسرية، والاقتصادية، والتعليمية، وفي علاقات السلم والحرب، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة على غاية التفصيل، والتحديد، والتبيان.

لقد استوعب الوحي الإلهي شؤون الحياة جميعًا، وجعل للإنسان في كل حال من أحواله حكماً يتصف بكل ضمانات الحق،



الصدق، والعدل، والمصلحة، ودفع المضرات، واختيار الأكمل ـه في كل مواطن الاختلاف والاشتباه، وهذا إنجاز لما تفرق ن عناصر الامتياز، وهو إعجاز ـوق الإعجاز، ولو اجتمعت الإنس والجن لا يأتون بمثل هذا النظام التشريعي الفذ، ولو كان عضهم لبعض ظهيراً.

وكان لذلك من جلال الحكمة الإلهية أن الله تعالى ختم آيات التشريع جميعاً بكلمات معجزة، واختار لنزولها جوامع المناسبات: زمانا، ومكانا، وتاريخاً، وعيداً رجموعاً، فقال تعالى ﴿اليوم كملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...﴾ (المائدة- ٣).

والآية الكريمة شهادة ربانية في ختام هذه الشريعة الشاملة: بإكمال كل حكم فيها فلا يلحقه نقص في صفات جودة الكيف، وبإتمام أعدادها المطلوبة لكل شؤون الحياة فلا تنقص عن شيء من أعداد الكم، ثم تتويج الشهادة بأنها نعمة يرضاها رب العزة والجلال، وهو وصف - لو يعلم الناس - عظيم من منشئ هذا الهدى، ومعلمه، وموحيه إلى رسوله ﷺ وهي ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون﴾ (التوبة- ٣٣).

فإذا استصحبنا هذه الأصول دائماً وهي: ربانية المصدر، وشمول الشريعة التي أنزلها بشعبها الجامعة، وشهادته سبحانه وتعالى في ختامها بإكمالها، وإتمامها، ورضاه عنها، لكان ذلك تأكيداً جامعاً، وبرهاناً قاطعاً، وحجة بالغة على تفرد هذه الشريعة بكل ضروب السبق، والامتياز، والإعجاز.

ومن هنا نتبع عشرات المعجزات، والخصائص، والأسباب التي نبين بعضها تتميماً لما سبق في إيجاز:

- الصحة والاستقامة

فكل أحكامها صحيحة لا خطأ فيها، ومستقيمة لا اعوجاج فيها، ولذلك فهي شريعة معصومة من الخطأ، والخلط، أو القصور عما شرعت له بشروطه، ومعصومة عن الزيادة والنقصان؛ لأن كلاً منهما ظلم في الحكم، ولذلك وصف الله دينه بالاستقامة، ونزهه عن الجور، ورتب أحكامه جميعاً على هذا الميزان الدقيق، قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام- ١٥٣). وقال تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾ (النحل- ٩).

الوسطية وموافقة الفطرة

والمراد بها الخيرية التي يعلمها الله تعالى في الأشياء كما قال تعالى ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة- ٢١٦)، فهو يعلم الأسرار كلها، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، والتي هي أحسن وأفضل، ولا يدخل عليه سبحانه وهم ولا خداع، ولا يحكم على الأشياء بظواهرها أو زخارفها، وإنما بحقائقها، وما فيها من حق وضده الباطل، ومن خير وضده الشر، ومن مصالح ترجح ضدها من المضار، وليس المقصود المتوسط الحسابي، أو الزماني، أو المكاني، وإنما المقصود تشريع ما فيه الخير، والبعد عن الشر، في كل شُعَب الدين التي شرعها لعباده سبحانه وتعالى.

فالله تعالى يأمر بالتوحيد؛ لأن الحق والخير والفلاح في هذا، وينهى عن الشرك؛ لأنه باطل وكذب وخسران.

والله تعالى أمر بالإنفاق على وجه الاعتدال لأن فيه خير الدنيا والآخرة، ونهى عن الطرفين المذمومين: الإسراف والبخل؛ فقال تعالى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان- ٦٧).

وشرائع البشر أوقعتهم في سعار المادية تارة حتى صاروا وحوشاً شرهة للحرام، وزنا، وكيلاً، وتطفيفاً، وغصباً، ونهباً، وسرقة، وربا... الخ.

الثبات والمرونة

فكل ما علم الله ضرورته لعباده أمر به أمراً جازماً وثبته في شريعته، وكل ما علم الله ضرره المؤكد على عباده نهى عنه نهياً جازماً، وثبته في شريعته ولم يجعل لأحد خياراً في ذلك لما علمه من جهل الناس في كثير من الأحيان، وتقديمهم المضرة على المنفعة، كالخمر والزنا، والربا، والتدخين، وسفك الدماء، أو لما علمه من اتباعهم الهوى، وإيثارهم اللذة العاجلة ولو كانت قاتلة، أما ما عدا ذلك من الوسائل والأساليب فقد شرعها الله تعالى على وجه المرونة حتى تظل شريعته تدور على محورها في ثبات الأحكام أمراً ونهياً، وتمتد وتتجدد على محور المرونة فيما يتغير ويتطور حسب المكان والزمان، فمثلاً أمر الله تعالى بالشورى أمراً جازماً في كل شؤون الحياة، وجعلها قيمة إسلامية لازمة، وترك أساليب تطبيقها في الأسرة والمجتمع والحكومات والدول لاجتهاد اهل الحل والعقد بما يناسب زمانهم، وسيحاسبون عنده.

أعجوبة الدهر

تمتلأ الأرض بالعجائب، ولكن أم العجائب والغرائب جميعاً هو ما عليه المسلمون الآن، من إهدار لهذه المعجزة الربانية الباهرة، واتخاذهم القرآن المعجز مهجوراً، واستجلابهم قوانين الشرق والغرب المظلمة، التي جلبت عليهم خزي الدنيا وضنك الحياة:

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الخلاص وما إليه وصول
كالعيش في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

هوامش

١- انظر قصة إسلام الطفيل بن عمرو في كتب السيرة، وتنسب هذه الجملة أيضا إلى ضماد الأزدي.
٢- البرهان للزركشي، ج ٢ ص ١٠٠ مع تصرف يسير في النقل للإفهام والشرح.
٣- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، ج ٤ ص ١٤ تحقيق محمد أبو الفضل.

التلاقي الوطني حص



● سامي محمد العدواني

لقد منّ الله على الكويت بمساحة من الانفتاح وأجواء من الأمن والحرية لمواطنيها التي كفلها الدستور، وأشاع هذا الجو حالة من الانتعاش الفكري والتنامي الطبيعي للأفكار والاتجاهات والمذاهب المتنوعة، حتى سادت حالة من التنوع والتعددية التي مبعثها السقف الوافر الذي أتاحته النظم والآليات التي استوعبت هذه الأخلاط والتباينات، وشكلت في مجملها عامل إثراء في الحالة الكويتية وباعث إشباع للحاجات الفكرية التي غالبا ما تؤدي إلى مزيد من اللحمة الوطنية والتماسك الاجتماعي في ظل أجواء السلم العفوي معتمدة على أسلوب العرض لا الفرض، والحوار لا الصدام، التزم الجميع بالنظام العام وروح الدستور الوطني.

المجتمع النبوي قام على أساس التنوع في الخلفيات والأصول، هذا المجتمع ظهر انصهاره في أكثر من موقف ومنها ما حدث يوم السقيفة مما رسخ دعائم الأمن وعزز أطر العلاقة الضابطة لإيقاع الحياة، وكم نحن بحاجة اليوم لمزيد من القراءة في المنهجية النبوية التي بنى عليها النبي ﷺ مشروعه وأقام بموجبها أركان الدولة العادلة القوية.

مبادئ الشراكة

ولأن متغيرات الأحداث في واقعنا تفرض مزيدا من التحوط في ظل تسارع الأحداث كان من الواجب أن ترسخ مبادئ جديدة يتعاهد عليها شركاء الوطن، وتتوافق عليها مختلف الانتماءات والمذاهب لينعم الجميع برغد البعيش وبحبوحة الأمن، فالله تعالى ما من على قريش بمثل ما امتن عليهم بنعمة الأمن والمطعم الهانئ، قال سبحانه في سورة قريش ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش:٤)، ولعل من الواجب التنبيه، في ظل التجاذب الطائفي الذي تتزايد وتيرته من فترة لأخرى، على جملة من العناوين أجد من أهمها تأكيد الولاء التام للوطن الذي يعيش فيه الجميع تعزيزا للسلم الأهلي والأمن المجتمعي، وأن تغلب المصلحة الوطنية الجامعة على ما سواها من انتماءات خاصة أو ولاءات خارجية تفت في عضد الوطن وتنغص عليه أمنه واستقراره، وأن يصار إلى تفعيل الرموز المؤثرة التي هي محل ثقة الآخرين من علماء وحكماء لإشاعة أجواء التسامح وثقافة الائتلاف بدل القطيعة والاختلاف، ولعل الدعوة إلى احترام الخصوصيات التي هي محل تقدير واعتبار في كل مذهب، ومنها أن تقدر الشخصيات ذات الثقل التاريخي والحاضر بيننا من أدعى ما يستوجبه التعايش الوطني ويستلزمه الارتقاء نحو توطيد العلاقات بين هذه الشخصيات لتقديم الرمزية الوطنية الصادقة في التلاحم والتعاضد فيكونوا منارات هدى للتلاميذ ومن يقتدي بهم من أبناء المجتمع.

كما أن إعلان الرفض لكافة أشكال العنف والتطرف التي تفضي إلى الإلغاء أو الإقصاء وإسناد ذلك بما يعضده من أحكام وفتاوى يجعل للمرء رادعا دون ارتكاب حماقات تفسد على المجتمع صفاءه وقد يتسبب

● داعية وباحث إعلامي كويتي

التقريب بين السنة والشيعة.. تحديات وفرص

كثيرا ما تعقد المؤتمرات والندوات حول الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، وتنفض عن توصيات وقرارات، تظل حبيسة أدراج تحجبها عن شق طريقها نحو أخذ خطوات عملية لتنفيذها في الواقع الذي يبقى بكل آلامه ودمائه محتدما ومشتعلا، وتظل روح العصبية في كلا الفريقين موجودة تذكيها محاولات تسنين الشيعة وتشييع السنة، واستعلاء الطائفية في كثير من بلاد المسلمين واستغلالها لتحقيق مآرب سياسية. ورغم دماء الأمة المراقة في غزة هاشم والتداعيات والتحديات الإقليمية التي ندعوا الله لأهلها بالنصر والتمكين على اليهود الغاضبين، تطرح «الوعي الإسلامي» ملفها الشهري حول «التقريب بين السنة والشيعة.. تحديات وفرص»، كسبيل رائد لرص الصفوف وتقوية جبهتنا الداخلية لمواجهة استحقاقات المرحلة المقبلة بعناوينها المختلفة؛ التكتلات، الاندماجات، الاتحادات، وغيرها من مفردات الخطاب العالمي في القرن الحادي والعشرين.. نهجنا البحث عن الفرص وتشخيص الداء وتقديم نماذج مضيئة عسى أن تتوحد الجهود من أجل مستقبل أمتنا الذي تواجهه التحديات وتجرفه الأطماع العالمية، فهلا نلتقي.

إعداد: رضا عبد الودود

...انة للأمن وإعمار للوطن

...ـذا التعصب في إلحاق ...ضرار مادية أو معنوية تمس ...لأشخاص أو المرافق العامة ...ي حين لو أدرك هذا أو ذاك ...لمتهور أن كل اختلاف بشري ...ـو واقع بمشيئة الله ضمن ...ـنن كونية ثابتة، فالله تعالي ...يقول ﴿ولو شاء ربك لجعل ...لناس أمة واحدة ولا يزالون ...ختلفين﴾ (هود:١١٨) وهذا ...يدعونا إلى البحث والتركيز ...على القواسم الجامعة التي ...توجد تلاقيا بين المذاهب ...الإسلامية قاطبة، والتي تبدأ ...ن توحيد الاعتقاد، وإسلامية ...لديانة، والنبوة المحمدية، ...الأصول التاريخية المشتركة، ...ولو عمدت الدولة إلى تضمين ...ناهجها في التربية الوطنية ...و الإسلامية تدريس مناهج ...لوحدة والاتفاق، والمتمثلة في ...فقه الخلاف وفقه الأولويات ...في العلوم الشرعية، ومبادئ ...لحوار والتعامل مع الآخرين ...في المهارات، وأدبيات الفن التقريبي في ...لأدب، والقيم والأخلاق الاجتماعية في ...لسلوك، والتوعية القانونية بالواجبات ...والحقوق المدنية، لكان لذلك عائد على ...لأجيال الناشئة التي تتغذى الفرقة والكره ...من أطراف لا تشعر بمسؤوليتها تجاه وطنها ...وأمتها وتنقصها حصافة وعيها عن إدراك ...محاولات بعض القوى العالمية تبعا لمصلحتها ...وسياستها باستبقاء بذور النزاع بين المذاهب ...الإسلامية.

تجاوز العثرات

...إن عدم قدرة أبناء الوطن الواحد على تجاوز ...العثرات التاريخية والعرقية والمذهبية، والوقوف عليها بجعلها وقودا للصراع ومحاولة استدعائها من جديد كل ذلك يفاقم الأزمات ويجعل المجتمع مادة للاشتعال في كل وقت وأداة للشحن وافتعال الصراعات الاجتماعية والفكرية بين أبناء الوطن الواحد، ولعل إقامة جسور جادة للتواصل والبحث في دوائر مغلقة تلتزم أطر الحوار وتحترم التخصص العلمي الرصين يمكن أن يساهم في تجاوز جملة من المعضلات، التي اعتقدنا استحالة حلها، وهذا يوجب إخلاصا من الطرفين وتقديم مبادرات يتحمل كل طرف كلفتها ما دامت نتائجها التزمت المنهج العلمي وصارت إلى مشروعات جامعة وكم يعلمنا الإمام الشافعي رحمه الله حين يصف من سعى لطلب الحق ويقول: **كناشد ضالة لا يضره إن وجد الضالة هو أو غير**



عدم قدرة أبناء الوطن الواحد على تجاوز العثرات التاريخية العرقية والمذهبية يجعلها وقوداً للصراع

أدوات رسمية وشعبية

أجد من المهم الإشارة إلى حالة من التكامل ما بين الجهود الرسمية والأهلية الشعبية تستلزم التوجه نحو مواجهة محاولات فت الوحدة الوطنية فعلى الدولة أن تضمن برنامجها الحكومي مشروعات محددة وبرامج عملية للتنشئة التربوية للأجيال القادمة على منظومة الوحدة الوطنية، وما يستتبعها من واجبات و حقوق بين أبناء الوطن الواحد، وأن تسعى لرفد الجهود المجتمعية التي تعمل على ترسيخ اللحمة الوطنية، ولعل مبرة الآل والأصحاب من النماذج الشاخصة على دور هذه المؤسسات ومدى استثمارها للتجمعات والمحافل العامة والخاصة في طرح المضامين الوطنية والمعاني الإسلامية الداعية إلى التواصل والتكامل المجتمعي بأساليب عصرية وأدوات تعبير فيها الكثير من العمق والتجديد، وهو ما ينعكس بلا شكل على الحالة التنموية العامة للمجتمع فتزيد من آفاقه التي يعود خيرها ونفعها على البلاد والعباد.

إنها جملة إشارات لما أردت التعبير عنه في تناولي لقضية التلاقي الوطني الذي أعتبره حصانة للأمن وإعمارا للوطن، وأدعوك عزيزي القارئ في كل بلاد العالم لتردد معي دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات﴾ (البقرة:١٢٦).

ثقافة الكراهية السوداء



د. محمد عمارة

وقع في يدي كتاب «فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب»(١) وهو الكتاب الذي دخل مصر - مع شديد الأسف - وبيع في معرض الكتاب بها - يناير، فبراير سنة ٢٠٠٨م - وفي هذا الكتاب وجدت العبارات التي تتكرر وتصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه: «الجبت، الذي عادى النبي ﷺ وآله، وفرعون الذي حَرف القرآن، وأذاع في الأرض الفساد، وأظلمت من كفره الدنيا، والذي طلب. عند مماته. أن يشرب النبيذ»!(٢).

كما يصفه بأنه «أكبر صنم عرفته البشرية منذ بدء نشأتها وحتى يومنا هذا، بل إلى آخر الدنيا، ذلك أنه لم يوجد منذ أول يوم من أيام الدنيا وحتى يومنا هذا ولن يوجد صنم أكبر وأعظم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. فهو المنافق الذي أرضى المجوس واليهود والنصارى» (٣).

كما يقول عن عمر: «إن الكبش خير منه» (٤).

كما ينسب الكتاب إلى الصحابي حذيفة بن اليمان، وصف عمر بن الخطاب بأنه: «المنافق، الذي ارتد عن الدين، وحرف القرآن وغير الملة، وبدل السنة، وغير السنن كلها، وأظهر الجور، وحرم ما أحل الله، وأحل ماحرم الله...»(٥).

كما ينسب الكتاب إلى رسول الله ﷺ «أن الآية: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف- ١٠٦) قد نزلت في عمر بن الخطاب» (٦).

ويختم الكتاب صفحاته بشعر يقول فيه عن عمر بن الخطاب:

إنه.. جبت بالله قد كفر.

وعن مقتله: إنه عيد فيه صنم الكفر انكسر.

تلك قطرة من بحر الأوصاف التي امتلأ بها هذا الكتاب عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما أبو لؤلؤة المجوسي - قاتل عمر بن الخطاب - فهو في هذا الكتاب: «مسلم .. مؤمن.. من خُلّص شيعة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»، وإن قتله لعمر بن الخطاب «إنما كان بإشارة علي - عليه السلام - ولذلك فمهمة أبي لؤلؤة - رحمه الله - لا يُلقاها إلا ذو حظ عظيم، إذ على يديه جرى أعظم عمل، ونفذت أكبر مهمة لم يعرفها العالم قبله، ولن يعرفها بعده، وهي كسر أكبر صنم عرفه التاريخ» (٧).

ويصف أبا لؤلؤة بأنه «من أبرز مصاديق عنوان المؤمن، وأن زيارة قبره ﷺ في كاشان بإيران أولى وأوجب من زيارة سائر المؤمنين.. فهو مبشر بالجنة.. وقتله لعمر كان عملا جهاديا عظيماً، بدافع ديني سام، مقبولا عند الله تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (المائدة - ٢٧) ولذلك استوجب عليه الجنة...»(٨).

وحتى يثبت الكاتب ويؤكد أن ما ذهب إليه كتابه هذا ليس اجتهادا فردياً، وإنما هو موقف «المذهب والطائفة فقد أورد كلام آيات الله العظمى: الوحيد الخراساني، والتبريزي، والسيد محمد اليثربي الكاشاني» في تعظيم الشيعة لقبة أبي لؤلؤة ومزاره، وتكريم بقعته المباركة، وشخصيته العظيمة، بناء على الأدلة المحكمة والمتقنة التي تثبت أن السيرة المستمرة للسلف وقدماء الشيعة من قديم الأيام كانت على تعظيم واحترام هذه الشخصية العظيمة، وأنه أولى بالتعظيم بعد الأئمة المعصومين»!(٩).

الباطنية الغنوصية

وتلك هي المقولة الوحيدة التي صدق فيها كاتب هذا الكتاب! فهذا «الفكر الشيطاني» الذي امتلأت به صفحات هذا الكتاب، والذي طفح بثقافة الكراهية السوداء ضد صحابة رسول الله ﷺ وخاصة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس مجرد وسوسة شيطانية لمؤلف هذا الكتاب، وإنما هو موقف مذهب «الباطنية - الغنوصية» في هؤلاء الصحابة، حواريي رسول الله ﷺ الذين صنعهم على عينه، والذين أقاموا الدين، وأسسوا الدولة، وأزالوا طواغيت هذا الزمان، وفتحوا في ثمانين عاما أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون، وكانت فتوحاتهم تحريرا لأوطان الشرق،



● مفكر إسلامي

لضمائر الشعوب، وعقائدهم ـن القهر الحضاري والديني الثقافي والسياسي والاقتصادي الاجتماعي الذي دام عشرة ـرون، فنحن إذن أمام مذهب، ليس مجرد مؤلف كتاب، مذهب عتقد ويتدين بالبراءة والسب الوقيعة والتفسيق والتكفير، لا جمهور الصحابة فقط، وإنما كل من والاهم من المسلمين، أي ـ٩٠٪ من أمة الإسلام، الذين سمونهم «العامة العمياء التي تدين بدين البغال»!

أحد أشراف قريش

أخيراً: من هو عمر بن لخطاب الذي افتروا عليه كل هذه الافتراءات؟

نه أحد أشراف قريش، والقائم على مهمة «السفارة» لها في لجاهلية، ولقد كان إسلامه - ني السنة السادسة من الدعوة - استجابة إلهية لدعاء رسول الله ﷺ أن يهدي إلى الإسلام حب الرجلين إلى الله.. عمر ن الخطاب، أو عمرو بن هشام، يعز الله به هذا الدين «اللهم عز الإسلام بأحب الرجلين ليك.. عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام»، وبإسلامه كمل عدد المسلمين - من الرجال - أربعين مسلماً، وهو الذي أعز الله به الإسلام - بعد مرحلة الاستضعاف الشديد - فجهر المسلمون بصلاتهم بعد الاستخفاء، ولذلك سماه الرسول ﷺ «الفاروق»، فلقد فرق الله بإسلامه بين مرحلتين من مراحل الدعوة إلى الإسلام، وهو أول من هاجر - من مكة إلى المدينة - علانية، متحدياً ملأ قريش، بعد أن كان المسلمون يهاجرون متسللين في الخفاء، فلقد حمل سيفه وسهامه، ومر على ملأ قريش متحدياً، فطاف بالبيت سبعاً، وأتى المقام فصلى، ثم قال لملأ قريش «شاهت الوجوه.. من أراد أن تثكله أمه، ويُوتم ولده، ويرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي» فما جرؤ واحد من ملأ قريش على اعتراض سبيله، كما

سب صحابة رسول الله ﷺ والإساءة للرعيل الأول يهدم كل محاولات التقريب.. والمكاشفة والمصارحة أهم آليات التوافق

يروى ذلك على بن أبي طالب!

وهو الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأحد القلة القليلة الذين صمدوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان لسان المسلمين الذي تحدى أبا سفيان - قائد الشرك يومئذ - عندما صاح عقب المعركة - وكان يظن مقتل رسول الله ﷺ - اعلُ هُبَل! فقال عمر صائحا: الله أعلى وأجل.. لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

وهو الذي تشهد فتاواه وأقضيته ومبادراته على أنه الفقيه الملهم.

وهو الذي شهد له السابقون إلى الإسلام والهجرة بأنه كان أزهدهم في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة.

وهو المؤسس للطور الجديد للدولة الإسلامية كدولة عظمى في ذلك العصر والتاريخ، خرج بها من شبه الجزيرة العربية، فامتدت حدودها إلى شمالي إفريقيا، وإلى فارس، فضمت العراق، والخليج، وفارس، وأذربيجان، وأرانية، وخوزستان، وبلاد الجبال، وأرمينية، والشام، ومصر...وغيرها، حتى لقد ضمت في عهده وتحت قيادته معظم الشرق ببحاره وخلجانه وأنهاره وسهوله وأوديته وصحاريه.

وهو الفاتح لعواصم ذلك العالم القديم، المدائن، والإسكندرية، والفاتح لأولى القبلتين وثالث الحرمين القدس الشريف.

وهو - مع شرفه في قومه - القائل عن تحرير أبي بكر الصديق لبلال الحبشي «سيدنا أعتق سيدنا»!

وهو القائل عن علاقته بالرعية «والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة، فأين المخرج؟!» والقائل: «لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين؟!» (١٠)

هذا هو عمر بن الخطاب الذي افترى عليه المفترون، وظلمه الظالمون، وبغى عليه البغاة، ضمن من بغوا عليهم من صحابة رسول الله ﷺ، وتلك بعض معالم «الفحش الفكري» و «ثقافة الكراهية السوداء» التي حملتها صفحات كتاب «فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب» إلى القراء، والتي مثلت - وتمثل - معاول هدم لوحدة الأمة، ولكل محاولات التقريب بين الشيعة والسنة، ولكل المؤتمرات التي تعقد تحت هذه الشعارات، بعيدا عن المصارحات والمكاشفات!



صحابة رسول الله فتحوا في ٨٠ عاماً أوسع ما فتح الرومان في ٨ قرون... بل كانت فتوحاتهم تحريراً للأوطان والضمائر من القهر والإستعباد

الهوامش

(١) صفحاته: ٢٥٩ صفحة، الناشر: هيئة خدام المهدي - لندن سنة ١٤٢٧- ٢٠٠٨م التوزيع: مركز نور الهدى - بيروت - حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك الفرنسي.
(٢) فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب - ص ٧.
(٣) المرجع السابق: ص ١٣، ٢٩، ٣٧، ٥٠، ١٨٣، ٢٣٣.
(٤) المرجع السابق: ص ٢١٥.
(٥) المرجع السابق: ص ٥ .
(٦) المرجع السابق: ص ٢٣٩.
(٧) المرجع السابق: ص ١٨٧.
(٨) المرجع السابق: ص ٢٣٦ - ٢٣٨.
(٩) المرجع السابق: ص ٢٠٦ - ٢٠٨.
(١٠) ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، المجلد الرابع، ص ١٤٥ - ١٨١.

معوقات التقريب بين السنة والشيعة



وصفي عاشور أبو زيد

رغم أن فكرة التقريب - نظريا - انطلقت من الجانب الشيعي بكلام المرجع الشيعي الإيراني تقي الدين القُمّيّ، وتشكلت عمليا قبل أكثر من خمسين عاما فيما عرف بـ «دار التقريب» بالقاهرة السنية - بلد الأزهر الشريف - وكتب كلا الطرفين أدبيات رسخت الفكرة وعمقتها، وشرعت لها طريقها نحو التفعيل إلا أن عدم المصداقية الذي بدا واضحاً في كثير من المواقف حال دون نجاح جهود التقريب على أرض الواقع.

ويرجع عدم نجاح هذه الفكرة - في تقديري - إلى وجود عقبات وموانع لم تفتح للنقاش بجرأة إلا أخيرا، بل كان كل ما يطرح حول مبادئ الوحدة وآداب الحوار وكيفية إدارة الخلاف وغير ذلك، وحينما طرحت هذه العقبات للنقاش أثارت غضب الطرف الشيعي مما أدى إلى أزمة أشبه بالقطيعة والتدابر، وهذا يدل على أن الحقائق مرة، وطَرْقَها مستفز، والكلام المعسول والمجاملات والمواءمات لن تغني في هذا الملف كثيرا ولا قليلا.

الإسلام دين الوحدة

وقبل أن أذكر بعض هذه العقبات لابد من التأكيد على أن الإسلام دين الوحدة، ولا آكد في الإسلام من هذه الفريضة التي شرع لها الشرع ما يوجدها ويؤكدها ويحافظ على وجودها واستمرارها، وحرم كل ما يمكن أن يقوض هذه الوحدة أو يصيبها بضعف أو ترهل، وأغلظ النكير على القائمين بهذا، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ما يبلغ حد التواتر بما يغني عن إيراده والاستشهاد به.

عقبات

ومن هنا إن أردنا للتقريب النجاح والعافية فلابد من إدراك العقبات والموانع لكي يكون لنا منها موقف عملي حقيقي ملموس، لننطلق بمقتضاها، ونعمل على سبل تذليلها، وطرق ومناهج التغلب عليها، بعيدا عن معسول الكلام ومسك العصا من المنتصف، وإلا فلا داعي لبذل مزيد من الجهد في هذا الملف، ولن يكون أمام جميع الأطراف إلا إغلاقه تماما، ورأيت أن أقسم هذه العقبات إلى جانبين،

الأول: جانب نظري أصولي:

الجانب الأول: عقبات أصولية نظرية يزعم بعض من لهم جهود في ملف التقريب بين السنة والشيعة أنه ليس بينهم خلاف في الأصول، وإنما كل الخلاف بينهم في الفروع فقط، وإذا صح هذا الكلام فأين يقع تكفير الصحابة - عدا سلمان وعليا والحسن وجعفر وحمزة؟ وسبّ عائشة أم المؤمنين؟ ولعن الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما؟ وادعاء تحريف كتاب الله تعالى؟ وادعاء مقام الإمامة لأئمتهم الاثني عشر، وأنهم يعلمون الغيب ولا يموتون إلا بعلمهم ورضاهم؟ وحسبنا ما أورده في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «منهاج السنة النبوية»، ولقد نبعت هذه الخلافات القوية من أنهم لا يحتكمون في الاستدلال النظري إلى عدد من القواعد والأصول التي تفضي إلى نتائج عقلية يتفق عليها الجميع، ومن هذه القواعد:

أولا: القواعد اللغوية، وهي منهج ثابت عند الجميع في دلالة الألفاظ على أحكامها، وفي الاستدلال عموما من القرآن والسنة:

- فلم يقل أحد قديما ولا حديثا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(الزخرف: ٤) لم يقل أحد بأن قوله تعالى: ﴿لعلي﴾ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنما هو وصف للكتاب في الآيات قبله: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الزخرف - ١:٣).

- ولم يقل أحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾(البقرة - ٦٧) بأن البقرة هي السيدة المبرأة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

- ولم يقل أحد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾(طه- ١٢) بأن المقصود بـ «النعلين» هما أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما.

لم يقل أحد بهذا سوى الشيعة، وهي تأويلات لا يقرها الشرع، ولا يثبتها التاريخ، ولا تسمح بها السياقات اللغوية ودلالاتها واستعمالاتها بأي وجه من الوجوه.

ثانيا: الحقائق العقلية والمسلمات البدهية، من المسلمات العقلية ألا نعتمد روايات مرسلة عن مجاهيل، سواء كانت الجهالة في الذات أو الصفات، فلا يقال:

الملف شائك ويحتاج إلى كثير من المصارحة والوضوح والانطلاق من حقيقة أن الإسلام دين الوحدة

● باحث بالمركز العالمي للوسطية

تجاوز العقاب الفرعية لن يتم دون معالجة الموانع الأصولية في الإستدلال وبناء الأحكام كالأسانيد المرسلة .. وغيرها

حدثني الثقة» وهذا الثقة غير عروف عندهم، ومختلف فيه ينهم، ولا يقال: «حدثني قلبي عن ربي»...الخ.

ثالثا: اعتماد المنهج التاريخي ذلك أننا حين نعتمد المنهج لتاريخي وحقائقه التاريخية، اعتماده أمر يشترك فيه كل البشر فضلا عن أهل لديانات، ناهيك عن مذاهب داخل الإسلام، وخاصة الشيعة والسنة.

وباعتماد المنهج التاريخي والأخذ بحقائقه سيثبت لنا - يقينا - أن المهاجرين والأنصار الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(التوبة: ١٠٠) لم يكونوا خمسة فقط بل كانوا أضعافا مضاعفة.

وكذلك سيثبت لنا - يقينا - أن من قال الله في شأنه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾(التوبة: ٤٠) هذا الصاحب هو أبو بكر رضي الله عنه.

فكيف نلعن ونكفر من رضي الله عنهم؟ ومن عاصروا الرسول، وعايشوا التنزيل، واستأمنهم الله تعالى على نقل الدين وحمل أمانته؟!

الجانب الثاني: عقبات فرعية

عملية إذا كان ما سبق موانع وعقبات نظريةً أصولية في الاستدلال والبرهان فإن ما نورده الآن من حديث هو عقبات عملية تطبيقية، ولن يصح حديث عنها أو انتقال لها إلا إذا تمت معالجة الموانع الأصولية في الاستدلال والقضاء عليها في ضوء ما سبق من قواعد وحقائق يجب اعتمادها.

وكل العقبات الفرعية هنا إنما هي نتيجة طبيعية للأصول التي بنوا عليها هذه الفروع، مثل الأسانيد المرسلة التي يبنون عليها أحكاما، ويفرعون عليها شرعا، وقد وضعوا هذه المناهج الأصولية في استنباط عقائدهم وعباداتهم ليتفق هذا مع مذهبهم السياسي الذي كان حصاد وقائع تاريخية شديدة، لو رجعنا إلى عصر الإسلام الذهبي قبل هذه الأحداث لما وجدنا لهذه الفروع ولا الأصول أثرا في واقع المسلمين، ولكي تنضبط الفروع الشرعية والتطبيقات العملية والعبادات الإسلامية عند السنة والشيعة على السواء يجب أن نعتمد قواعد يأتي منها ما ذكره شيخنا العلامة د. يوسف القرضاوي في كتابه: «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية» من مبادئ وآداب في التعامل، مثل: **حسن الفهم، وحسن الظن، والتركيز على نقاط الاتفاق، والتحاور في المختلف فيه، وتجنب الاستفزاز، وعدم التكفير بلا موجب، والبعد عن شطط الغلاة، والمصارحة بالحكمة، والحذر من دسائس الأعداء، والتلاحم في وقت الشدة، إضافة إلى أنه لا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ قرآنا وسنة صحيحة، وأن الإسلام قول وعمل، والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وعليه فإن مبدأ التقية** المعمول به عند الشيعة يجب أن يخضع لهذه القاعدة، التي تستخدم في الأصل - بضوابطها - بين المسلمين والكافرين فقط، وليست بين المسلمين بعضهم وبعض، كما أنه لا يجوز الخروج على الجماعة في الشعائر الكبرى في بلد واحد وفي جماعة وطنية واحدة، ومثال هذا: ما يحدث في الصيام كل عام عند بدء شهر الصيام وعند انتهائه، أو عند استطلاع هلال رمضان، وعند استطلاع هلال شوال، فانتماءات الشيعة الإمامية في كل مكان إلى إيران حتى لو تقدمت أو تأخرت عن البلد التي يحيون فيها يوما أو يومين أو ثلاثة، وكذلك في شعيرة الحج، وهي التي تجمع الأمة كلها من المشارق والمغارب، كان الشيعة قبل سنوات قليلة يقفون على عرفات في يوم مخالف لأهل السنة، انطلاقا من استطلاع الهلال عند إيران، إلى أن منعتهم السلطات السعودية من ممارسة هذا الشذوذ.

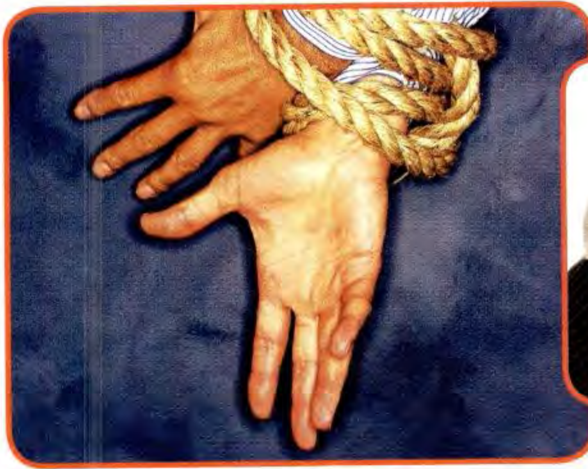
ميزان الإسلام

والإسلام يزن وزن الأشخاص بميزان الله ويحكم عليهم بالظاهر، فلا ينبغي أن نخضع الناس لأحكام الأهواء والشهوات والانطباعات البشرية، إنما نحكم عليهم بميزان الحق، فمن غلبت حسناته سيئاته، وُهبت سيئاته لحسناته، قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: «ليس من عالم ولا شريف ولا فاضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله» (١).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «ثم إن الكبير من أئمة العلم، إذا كثر صوابه، وعُلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه، تُغفر له زلته، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك» (٢).

وليس لنا أن نتدخل في نوايا الناس، وما بينهم وبين ربهم، بل نحكم عليهم بالظاهر ونكل إلى الله السرائر، ولهذا نهى الله







حسن الظن والحوار وعدم التكفير وعدم الإستفزاز ووزن الأمور بميزان الإسلام ...مفاتيح التقريب المرجو

تعالى عن الظن لأنه لا يغني من الحق شيئا، وهذه من القواعد العامة في الشريعة، فبعد أن أرسل النبي ﷺ سرية لتأديب أهل فدك، قال أسامة استغفر لي يا رسول الله. فرد عليه النبي حزينا: «قتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟ كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟!» فقال أسامة: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل. فقال له الرسول: «هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا». وظل النبي يردد أمامه وهو حزين: «أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله» حتى قال أسامة: وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له المصطفي ﷺ وأمره بعتق رقبة (٣).

المسئولية الفردية

والإسلام يؤكد على مبدأ الاعتراف بالمسئولية الفردية فيما يصدر عن الإنسان، فليس عندنا في الإسلام كهنوت، ولا سلطة في الإسلام إلا للشرع، فلا أحد يستطيع أن يجادل عن غيره أو نفسه أمام الله، أو أن يغفر أو يأجر، أو يضمن لنفسه - فضلا عن غيره - النجاة من عذاب الله أو دخول الجنة، وإنما هذا موكول إلى الله تعالى يوم القيامة، وراجع إلى عفوه وفضله ورحمته، وفي القرآن الكريم ما يؤيد هذه القاعدة بوضوح، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(الأنعام: ٩٤) وقال: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٥) وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر: ٣٨)، حتى أعز الخلق وأحبهم إلى الله تعالى لا يملك ذلك فكيف يدعي مرجع أو قسيس أو حاخام هذا من دون الله؟

عن أبي هُرَيْرَةَ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قالوا ولا أَنْتَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لَا، ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ولاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَأما مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ». (صحيح البخاري، (٥٣٤٩)، ج٥/٢١٤٧)، فينبغي التأكيد على هذا المبدأ حتى لا يخضع أحد لأحد، ولا يذل فرد لآخر مهما كانت منزلته الدينية ومكانته العلمية، إنما ليس بين الله وبين أحد من خلقه حجاب أو واسطة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة: ١٨٦).

حديث الصالات المغلقة

وأخيرا لابد من الصدق في التعاطي مع ملف التقريب، فلا يصح أن يتكلم الشيعة مع السنة كلاما في المؤتمرات والملتقيات ثم هم يمارسون بعدها ما يناقض كلامهم معهم، ويؤيدون مبادئ نظرية ثم هم يمارسون تطبيقيات تكذب تأييدهم.

وإذا كان المرحوم الشيخ محمود شلتوت أصدر فتوى شهيرة تقضي بأنه يجوز للمسلم السني أن يتعبد على المذهب الشيعي الإمامي، ومعظم علماء السنة المعتدلين يرفضون تكفير الشيعة - إلا ما يوجب التكفير - فلماذا لم يصدر عن مراجع الشيعة أو أحدهم حتى الآن فتاوى وبيانات لقواعدهم بجواز التعبد على أحد مذاهب أهل السنة، وهي أربعة، إن أرادوا التقريب حقا؟ بل إننا نجد كلاما للمرجع الشيعي الأشهر محمد حسين فضل الله ينفي هذا، حيث أجاب على سؤال يقول: هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة، وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟ فكان جوابه بالنص: جواب: «لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام، لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة»(٤). لكنه حين يسأل عن ذلك أمام الملأ يبتعد عن محل السؤال، ويتحدث عن المشترك بين السنة والشيعة، وعن الاجتهاد الفقهي، وعن الخطوط الاجتهادية، ولا يتجرأ على إصدار فتوى مقابلة.

ولماذا أيضا لم يُصدر أحدهم بيانا أو فتوى يلزم بها أتباعه أو قواعده بحرمة سب الصحابة ولعن أبي بكر وعمر وعائشة؟ ولماذا لم يصدروا فتوى بأن الذي يقول بتحريف القرآن أو بأن فيه زيادة أو نقصا فإن هذا قول قد يخرج صاحبه من الملة؟ أم أن التصريح بهذا الكلام في المؤتمرات لذر الرماد في العيون فقط، وتبقى المراجع مع قواعدها على ما هي عليه؟

وبعد هذه العقبات الأصولية والتطبيقية يجب أن يكون هناك صدق في الأخذ بها، والتعاون فيها، وفي كل ما يخدم القضية من قواعد متفق عليها عقليا وإنسانيا ..

الهوامش

١- (التمهيد: ١١/١٧٠).
٢- (سير أعلام النبلاء: ٥/٢٧١، وانظر: ١٦/٢٨٥).
٣- (راجع: السيرة النبوية لابن كثير، ٤/٤٣٥).
٤- (مسائل عقدية: ١١٠).

الضوابط الحضارية للتقريب

لم تشأ قدرة الله عز وجل أن تظهر خلافات كبيرة بين المسلمين تؤدي إلى انقسام الأمة في عهد النبي الكريم ﷺ، والتاريخ يؤكد لنا ذلك، ولكن ظهرت بوادر الخلاف في أمر الولاية بعد موت رسول الله ﷺ يقول أبو الحسن الأشعري: «وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة» (١).


د. جمال نصار

ونحن إذا تأملنا في المسائل التي تجمع بين السنة والشيعة نجد أنها كثيرة وأساسية، فيجمع بيننا وبين الشيعة الإمامية: الإيمان بالله تعالى ربا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبكل ما جاء به من عند الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطَعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (البقرة- ٢٨٥). يقول العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، بعد ذكر هذا المعنى: «فهذه قواعد الإيمان الأساسية نتفق جميعا على الإيمان بها، وهي أسس الدين وركائزه» (٢).

ويجمع بيننا أيضا الإيمان بالقرآن كتابا منزلا من عند الله تبارك وتعالى وأنه محفوظ بحفظ الله له: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر- ٩).

فلا يخالف مسلم سني أو شيعي في أن ما بين الدفتين من سورة الفاتحة إلى سورة الناس هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ به يستدل الفقهاء والمتكلمون، وإليه يرجع الدعاة والمرشدون، ومنه يستمد الموجهون والمربون بلا خلاف بين أحد منهم وآخر على حرف فما فوقه أنه من كلام الله تعالى.

ولا يعنينا في هذا السياق بطبيعة الحال أن ندخل في تفاصيل ما ذهب إليه بعض الغلاة من الشيعة في فهمهم لبعض القضايا مثل، تحريف آيات القرآن الكريم، وسب الصحابة، والعصمة للأئمة، وغيرها من القضايا محل الخلاف بين السنة والشيعة، والذي يعنينا بالدرجة الأولى هو التأكيد على الاحترام المتبادل بين السنة والشيعة، وعدم محاولة فرض الرأي والفكر على الآخر بالقوة والقهر لتحقيق الوحدة للمسلمين.

بداية التقريب بين السنة والشيعة في العصر الحديث

يقول مؤرخو حركة التقريب المعاصرة بين أهل السنة والشيعة إنها بدأت في مصر سنة ١٩٤٨م بقيادة شيخ الأزهر وقتئذ عبدالمجيد سليم، وتشكلت جماعة التقريب من مجموعة من الشخصيات البارزة في ذلك الوقت، وهم: الشيخ محمود شلتوت الذي صار شيخا للأزهر فيما بعد، والعلامة محمد تقي الدين القمي، وقد تقلد منصب الأمين العام للجماعة، وكان الشيعي الوحيد في الجماعة، والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين عضوا، والأستاذ حسن البنا المرشد العام الأول لجماعة الإخوان المسلمين عضوا، واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين عضوا، ومحمد علي علوبة باشا عضوا(٤).

وسادت روح الأخوة بين أعضاء الجماعة على الرغم من تباين مذاهبهم فأصدروا مجلة «رسالة الإسلام» التي استمر صدورها ستة عشر عاما، ولم تتوقف إلا سنة ١٩٦٤م، وقد حملت إلى القراء روح التقارب، وكان شعارها قول الله تعالى ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء -٩٢).

وعبر الشيخ شلتوت عن روح التقريب بفتواه التي أجازت للمسلمين التعبد على مذهب الإمامية الاثناعشرية كسائر مذاهب أهل السنة الأربعة.

لا يخالف مسلم سني أو شيعي في أن ما بين سورة الفاتحة وسورة الناس هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ

ضوابط الإنطلاق

ويمكن أن نضع بعض النقاط كضوابط للتقريب بين السنة والشيعة

١- <u>أهمية إدراك الأمة أنه إن كان الباري جلت قدرته قد يسر القرآن للذكر وهيأ لنا سبل الاطلاع الواسع على السنة من خلال كتبها الكثيرة المتوافرة، فإن الأخذ عن تلك المصادر بمبادرات فردية فيه الكثير من المحاذير</u>، فلا بد من الاستعداد السابق ثم التزود لذلك بأدواته التي فصلها أهل الاختصاص من معرفة ضوابط الاستنباط وقواعده، وإتقان العربية وأساليب التعبير فيها، ومعرفة علوم الكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والعام المراد به الخصوص، والمطلق والمقيد من النصوص وغير ذلك من عوارضها، فإن أي قول يصدر عن المسلم من غير إحاطة ومعرفة بتلك الوسائل، إنما هو قول في الدين بالتشهي والخرص والتخمين، من غير نور ولا هدى ولا علم، ومن فعل ذلك فقد ركب مركبا صعبا وأودى بنفسه والعياذ بالله، فقد قال

● دكتوراة في فلسفة الأخلاق

معرفة ضوابط الاختلاف ومحاذيره ومخاطره على الأمة من أعظم أبواب التقريب بين السنة والشيعة

رسول الله ﷺ «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» (رواه الترمذي)، وهذا النوع من المعرفة لا يمكن تحصيله من خلال قراءة كتاب أو كتابين، بل لابد من دراسة منهجية متقنة، تضع في يد الدارس مفاتيح تلك العلوم التي تهيئ له سبيل الولوج إلى ساحة الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، وحتى تؤتي تلك الدراسة أكلها لا بد أن تعتمد على البحث المستقصي الذي يقوده الأستاذ المتقن والموجه المجيد، والناقد البصير، في ظل من تقوى الله وابتغاء الأجر منه.

٢- **لابد من التنبيه على أن هذه الشريعة أنزلت لتسعد الناس في الدارين، الدنيا والآخرة**، ولتحقق لهم مصالحهم بما ينسجم وقدراتهم العقلية التي أنعم الله بها على عباده، فكرمهم سبحانه على سائر مخلوقاته، ولم تتضمن الشريعة السمحاء أمرا لا يطيق الناس إتيانه أبدا، ولذلك قال الله تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج- ٧٨) وقد يسر سبحانه على عباده حتى يعملوا بهذا الدين في ظل المحبة لا القسر والإكراه، يقول جلت قدرته في ذلك ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة- ١٨٥) و﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ لعلمه بضعفكم ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ (النساء- ٢٨).

وكل الأحكام الشرعية حوت مصلحة العباد، وحرصت على تحقيق النفع لهم، ولا شيء فيها يعود لله تعالى نفعه، ذلك لأنه تعالى هو الغني الحميد، ولذلك فإنه لا بد من فهم جزئيات الشريعة في ضوء تلك الكليات ونحوها، ومن لم يحط بكليات الشريعة، ويفهم مقاصدها، ويدرك قواعدها فإنه لن يستطيع أن يرد الفروع إلى الأصول والجزئيات إلى الكليات.

الوحدة فريضة

٣- إن من أهم الواجبات **أن يدرك الجميع أن أخوة الإسلام، ووحدة صفوف المسلمين المخلصين والحفاظ عليها ونبذ كل ما يسيء إليها أو يضعف من عراها من أهم الفرائض وأخطرها**، وعبادة من أهم العبادات، وقربة من أفضل القربات، لأننا بتلك الأخوة نقوى على التصدي لكل العقبات التي تعيق استئناف الحياة الإسلامية على الصورة التي ترضي الله ورسوله ﷺ، ويكفي أن رسول الله ﷺ نفرنا من الفرقة بأن أهدر دم المفرق للجماعة، ولذلك فإن التفريط بالأخوة الإسلامية أو المساس بها لمجرد اختلاف في الرأي أمر لا يجوز لمسلم أن يفعله، أو أن يسقط في شراكه، ولاسيما في هذه الظروف التي تداعت فيها علينا الأمم، تريد أن تطفئ جذوة الإيمان التي بدأت تتقد في القلوب، وتبيد البذرة الطيبة التي بدأت تشق التربة رغم الأيدي العابثة التي تنهال عليها وتحاول اجتثاثها.

إن الأخوة في الله، ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأولى للواجبات، بل هي في مقدمتها، لأنها شقيقة التوحيد وقرينته، كما أن هناك مراتب للمنهيات يقع النيل من الأخوة في مقدمتها كذلك، ولذلك فإن علماء السلف كثيرا ما يفعلون المفضول ويتركون الأفضل منه مراعاة للائتلاف وخروجا من الخلاف، وقد يتركون المندوب في نظرهم، ويفعلون الجائز تحقيقا لذلك.



٤- ولعل من الأمور المفيدة في حمل المسلمين على التمسك بضوابط الاختلاف **معرفة المخاطر الهائلة، والتحديات الخطيرة، والخطط الماكرة التي يعدها أعداء الإسلام للقضاء على الطليعة المؤمنة** التي تحمل لواء هذه الدعوة، وليس في حساب الأعداء أبدا أن تفلت من يدها إن استطاعت فئة دون أخرى، فالمهم هو القضاء على العاملين للإسلام على اختلاف مذاهبهم وتباين وجهات نظرهم، وهذا يجعل إثارة أي اختلاف بين المسلمين، أو تنمية أسبابه، أو تجاوز آدابه خيانة عظمى لأهداف الأمة، وجريمة كبرى في حقها لا يمكن تبريرها أو الاعتذار عنها بحال (٦).

٥- **التعاون في المتفق عليه والأخذ بأسبابه**، فإن هذا فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

وأعتقد أن ما نتفق عليه ليس بالشيء الهين ولا القليل، إنه يحتاج منا إلى جهود لا تتوقف، وعمل لا يكل، وإرادة لا تعرف الوهن، يحتاج منا إلى عقول ذكية، وعزائم قوية، وأنفس أبية، وطاقات بناءة.

ألسنا متفقين على الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولد يكن له كفوا أحد؟

ألسنا متفقين على أنه تعالى متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص؟

ألسنا متفقين على كل ما وصف

ـه القرآن الرب الأعلى جل جلاله ـن الأسماء الحسنى؟ (٧)

ـلسنا متفقين على أن الصهيونية ـليـوم خـطـر داهـــم: خطر ـيني، وخطر عسكري، وخطر ـقـتـصـادي، وخـطـر سيـاسـي، ـخـطـر اجـتـمـاعـي، وخطـر ـخـلاقـي، وثـقـافـي وحـضـاري، ـأنها تريد هدم الأقصى، وبناء ـيكلهم عليه، وأنها تطمح في ـلمدينة وخيبر، وأنـهـا تخطط ـتعمل، وتصل في النهاية إلى ـا تريد، وأنها حققت أحلاما ـكان يعتبرها المغرق في الخيال ـستحيلات، فاغتصبت الأرض ـشردت أهلها، ومازالت مستمرة ـفي عدوانها، وأنها تحاربنا من ـنطق ديني، تستثير به إيمان ـليهود بتوراتهم وتلمودهم، ـنبوءات أنبيائهم؟

٦- وقبل هـذا وبعده لا مناص **من التـزام تقوى الله عز وجل في السر والعلن، وابتغاء رضاه في حـالـتـي الـوفـاق والخـلاف،** مع الحرص على فقه دين الله، والتجرد عن الهوى، والبعد عن نزغات الشيطان، ومعرفة سبل إبليس والحـذر مـن شـراكـه، وحسب الأمة ما لقيت وعانت، وقـد آن الأوان لـتـثـوب إلـى رشدها، وتستتير بكتاب ربها، وتـعـض عـلـى سـنـة نـبـيـهـا ﷺ بالنواجذ، ولعل الله يكتب إنقاذ الأمة على أيدي هذا الجيل من أبنائه البررة، إذا صدقت النية مع الله، واتخذت من السبل ما هو كفيل بقيادة الركب نحو شاطئ الأمان، بعد أن طال ليل التيه والضلال.

خطوات عملية

ولعل التوصيات التي ختم بها الدكتور أحمد عبد الرحمن كتابه «الشيعة والسنة» (٩) تفيد في هذا السياق، حيث قال خلال الدراسة أوصيت باتخاذ





خـطـوات وإجــراءات لخدمة قضية التقريب وهنا ألخص بعضها

١- المواقف السياسية تؤثر في تقريب الجماهير المسلمة، وقد تباعد بينها، فعلى دعاة التقريب أن يتصلوا بالسياسيين ويطالبوهم بمراعاة المقاصد العليا للحركة، وهي مفيدة للتقريب كما هي مفيدة للسياسة.

٢- الأبحاث العلمية هي الأساس المتين لكل أنشطة التقريب، فلا بد من تدعيم مراكز البحوث للقيام بواجباتها على أكمل وجه.

٣- المناهج الدراسية هي أهم الأدوات لنشر فكر التقريب، لأنها هي التي ترسخ الحقائق في أذهان الملايين من أبناء المسلمين، فيجب أن تصاغ صياغة علمية شرعية لتحقيق الغايات الإسلامية.

٤- لابد من استخدام الفنون عامة في خدمة التقريب وفي خدمة الدعوة الإسلامية، وخاصة المسرح والتليفزيون والسينما، ولهذا يجب إنشاء مؤسسة متخصصة لهذا الغرض.

٥- يجب وضع ميثاق إعلامي يمنع دعاة الفرقة والتحريض والتكفير من استخدام الصحف والقنوات الفضائية والكتب لإفساد جهود التقريب.

٦- لابد من ترشيد المؤتمرات والندوات لتكون أداة علمية فعالة في التقريب لا مجرد تجمعات للمجادلة.

٧- القرآن هو الذي يقربنا، لكن التفسير المتعسف يفرقنا، فلا بد من وضع ميثاق علمي يتفق عليه لإعادة الاحترام لأصول التفسير، وقد يكون هذا هو الموضوع الرئيسي لأحد المؤتمرات.

٨- الموقف العلمي السديد من السنة النبوية هو قبول كل رواية تثبت صحتها، ورد كل رواية لا تثبت صحتها، تطبيقا لمبدأ أن المعول عليه هو: عدالة الراوي لمذهبه.

الهوامش

١- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، الطبعة الثالثة ١٩٨٠، ص٢.
٢- مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٥م ص٢٨.
٣- نفس المرجع، ص٢٩.
٤- إيران من الداخل، فهمي هويدي، مؤسسة الأهرام، ص٣٢٨.
٥- الشيعة والسنة دراسة مقارنة، د.أحمد عبد الرحمن، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م، ص٣٢٥.
٦- أدب الاختلاف في الرأي وضوابطه، د.جمال نصار، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ص ٦٦ - ٧٤.
٧- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص ١٤٩.
٨- نفس المرجع السابق، ص ١٥٢.
٩- الشيعة والسنة، ص٣٤١.

إشكالية التعريف في الآل والأصحاب ضوء القرآن والسنة

من عقيدة أهل السنة والجماعة حب آل بيت رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، والتبرؤ ممن يعاديهم، فما يحب آل بيت رسول الله ﷺ إلا مؤمن، وما يكرههم إلا منافق، فـ : «من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ: حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي». (صحيح مسلم).



مسعود صبري

محبة آل البيت واجب شرعي

بل حب آل البيت من الواجبات الشرعية عند الأمة، قال الإمام الألوسي: «إن أهل السنة بأجمعهم يروون في كتبهم فضائل أهل البيت ومآثرهم، كيف لا؟ وهم يرون فرضية حب أهل البيت! ويروون في ذلك عدة أحاديث.

منها: ما رواه البيهقي وأبو الشيخ والديلمي، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من نفسه».

وقد أكد فقهاء الإسلام على رعاية حقوق آل البيت، كما يقول الإمام ابن تيمية:

(آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ فقال لنا: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)، وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله، فإن النبي ﷺ قال: (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) وقد قال الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)

تقدير الصحابة لآل البيت

ومع كون آل البيت جزءا من صحابة رسول الله ﷺ، فإن الصحابة من غير آل البيت كانوا يعرفون لآل البيت قدرهم وحقهم، ففي صحيح البخاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : " ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته" .

وقال لعليّ رضي الله عنهما : " والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس :" والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب " .

ولذلك قال ابن كثير : فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

إشكالية التعريف بين الآل والأصحاب

بعد الحديث عن مكانة آل البيت عند أهل السنة والجماعة، وأن حبهم من الأصول نحتاج إلى بيان العلاقة بين الآل والأصحاب و كشف اللثام عن بعض المفاهيم والإشكاليات التي تتعلق بفهم معنى كل منهما، والعلاقة بينهما، هل الأصحاب شيء والآل شيء آخر؟ ومن هم الآل تحديدا، من يدخل فيهم، ومن يخرج منهم؟

وهذا يتطلب تعريف كل من الآل والصحابة؟ وكيفية حديث القرآن عن كل منهما؟

ولعل التقسيم الذي يجعل الآل فريقا والأصحاب فريقا آخر هو تقسيم غير سليم، فآل رسول الله ﷺ هم جزء من صحابته، وإن كانوا رتبة أعلى في حدود الصحابة أيضا، وذلك أن الصحابة ليسوا سواء في الرتبة.

" فالصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام. ولا يشترط لإطلاق هذا الوصف على الرجل أن تطول صحبته للنبي ﷺ، أو أن يروي عنه شيئاً، أو أن يغزو معه، أو أن يكون بصيراً رأى النبي ﷺ عندما لقيه.

فعن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكرَ من أصحاب رسول الله ﷺ أهلَ بدر فقال: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بُعث فيهم، كل من صحبه سنةً، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعةً، أو رآه ، فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه)، وإلى هذاالمعنى أشار الإمام الإمام البخاري في (صحيحه) (كتاب فضائل الصحابة) (باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم): (ومن صحب النبي ﷺ، أو رآه، من المسلمين ، فهو من أصحابه).

ويرى الخطيب البغدادي أن معنى الصحابي في اللغة هو كل من صحب شخصا دون تحديد مدة زمانية، وهذا يمكن أن ينطبق على أصحاب الرسول ﷺ، إلا أن المرجح أن ما تقرر للامة في أنهم «لا يستعملون هذه التسمية الا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجرون ذلك على من لقى المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثا فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله.

ولهذا يفرق بين أن نقول «هذا صحابي»، أو «له صحبة»، فالصحابي هو من طالت صحبته ومعاشرته ومعايشته للنبي ﷺ، أما من له صحبة فتطلق على من قصرت صحبته أو حصلت له الرؤية وهو صغير ، أو اختلف في صحبته وكان إثباتها هو الأرجح، أو نحو ذلك من الأمور التي لا تؤهله لأن يوصف بأنه صحابي إلا بنوع من التجوز، أو على سبيل التغليب، وذلك عندما يذكر في جملة من الصحابة، أو إذا كان المراعَى في التعبير هو اصطلاح المحدثين والمؤرخين وأصحاب الطبقات ،

الآل جزء من الصحابة وهم في رتبة أعلى في حدود الصحابة من حيث الجملة وليس التفصيل

فهؤلاء الغالب في عرفهم هو إطلاق لفظة صحابي على من حصل له الوصف المتقدم المذكور في تعريف الصحابي في أول هذه الترجمة، ولا سيما في المختصرات من تصانيفهم.

ويتفرع عن هذا أنه يمكن أن يطلق على كل من له صحبة أنه صحابي، ولكن العكس فيه نظر ، فمن طالت صحبته للنبي ﷺ واشتهر بين الصحابة أو كان من كبارهم وأفاضلهم فإنه لا يَحسُنُ أن يُقتصر في وصفه على كلمة (له صحبة).

تعريف آل البيت

أما آل البيت فقد اختلف العلماء في تحديدهم على أقوال أشهرها:

القول الأول: هم الذين حرِّمت عليهم الصدقة، وبه قال جمهور أهل السنة.

القول الثاني: هم ذرية النبي ﷺ وأزواجه خاصة، اختاره ابن العربي وانتصر له، ومن القائلين بهذا القول مَنْ أخرج زوجاته.

القول الثالث: آل النبي هم أتباعه إلى يوم القيامة، واختاره الإمام النووي من الشافعية والمرداوي من الحنابلة.

القول الرابع: هم الأتقياء من أمته.

وتقصر بعض الفرق الإسلامية من الشيعة آل البيت على آحاد منهم، هم: فاطمة الزهراء بنت رسول الله وأحب أولاده إليه، رضي الله عنهم، وزوجها علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، رضي الله عنهم. ويضيف بعضهم أولاد الحسين دون أولاد الحسن، ويزيد بعضهم الأئمة الإثني عشر.

وفي فكر هؤلاء، فإن بقية أولاد الرسول ﷺ لا يعدون من أهل البيت، بل أولاد الحسن ليسوا من آل البيت في فكرهم، ولا بناته كرقية وأم كلثوم وزينب، ولا أعمامه ولا أبناء أعمامه سوى علي، ولا زوجات رسول الله - رضوان الله عليهن، مع كون القرآن الكريم كان صريحا في اعتبار زوجات النبي من آله، بل إن القرآن لما ذكر أهل بيت رسول الله ﷺ صراحة، كان الحديث عن زوجاته رضي الله عنهن، كما قال تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٢-٣٤)، ويؤيد هذا أيضا حديث القرآن عن زوجة إبراهيم عليه السلام، وأن وصف القرآن جاء بمخاطبتها بلفظ (أهل البيت)، كما قال تعالى ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود:٧٢ - ٧٣)، فجاء حديث القرآن عن زوجات النبي ﷺ ومن قبلهن زوجة إبراهيم عليه السلام مخاطبا بلفظة (أهل البيت)، قال ابن عجيبة في تفسيره:

ولذلك قالوا: (رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي: بيت إبراهيم، وكذا قال البغوي في تفسيره، و غير واحد من المفسرين.

وأهل البيت في سورة الأحزاب، ذهب فريق من المفسرين على أن المقصود منها زوجات النبي ﷺ خاصة، كما قاله ابن عباس وعكرمة، ومنهم من رأى أنها في الأهل والأزواج، وذهب إليه الضحاك، ومنهم من قصرها على علي وفاطمة والحسن والحسين، ولكن سياق الآية هنا يجعل المقصود منها زوجات النبي لأن الحديث كله هنا لهن، وما قبل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كان حديثا لأمهات المؤمنين، وما بعده يشهد لهذا أيضا، وهو قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٤)، ولكن ذكر نساء النبي على أنهن (أهل البيت) لا يعني حصر (أهل البيت) عليهن، فليس الحديث هنا حديث حصر، فقد أطلق القرآن الكل وأراد به الجزء، وهو أسلوب من أساليب العرب المشتهرة، ويعرفه أهل البلاغة والبيان، فأهل الرجل همأاقاربه من الأبناء والزوجات والأعمام وذويهم.

ولهذا جاء في حديث زيد بن الأرقم قول النبي ﷺ: «ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم» (أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤/ ص ١٨٧٤ حديث رقم: ٢٤٠٨).

وعلى هذا، فمن عاشر الرسول ﷺ من أهله، فهو من الصحابة، وهم من أعلى الصحابة رتبة، فأولاده ﷺ وأولادهم ممن عاصر النبي ﷺ، هم من أهل بيته ومن أصحابه، وكذلك أعمامه وأبناؤهم ممن عاصره وآمن به، فيجمعون بين شرف الآل والأصحاب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأصحابه من غير نسب بينه وبينهم هم من عاصره وعايشه وآمن به، أما من كان من نسل النبي ﷺ، ولم يكن في زمنه فهو من آل بيته دون أن يكون من صحابته، أما من آمن به ولم يعاصره من غير الصحابة فهم السلف من التابعين ومن بعدهم.

وعلى هذا، فهناك من آل البيت من هم في عداد الصحابة، وهم أهله الذين عاشوا معه وعاصروه ﷺ، ومن آل البيت من ليس من صحابته، وهم من آمن به ولم يعاصره.

ولست ممن أؤمن بجعل المسلمين في زمن النبوة فريقين فريقا يسمى الآل وفريقا يسمى الأصحاب، ففي عصر النبوة كان كل آل بيته هم من صحابته، لأنهم آمنوا به وعاصروه وعاشوا معه ﷺ، ولكنهم كانوا أعلى رتبة من الصحابة من حيث الجملة لا التفصيل الذين آمنوا به ولم يربطهم به نسب أو قرابة، أما في العصر الذي يليه بعد وفاته ﷺ، فاستمر آل البيت ممن هو من نسبه ولم يعاصره، و من آمن به من غير نسبه فهم التابعون ثم تابعو التابعين وغيرهم من السلف الصالح.

المراجع

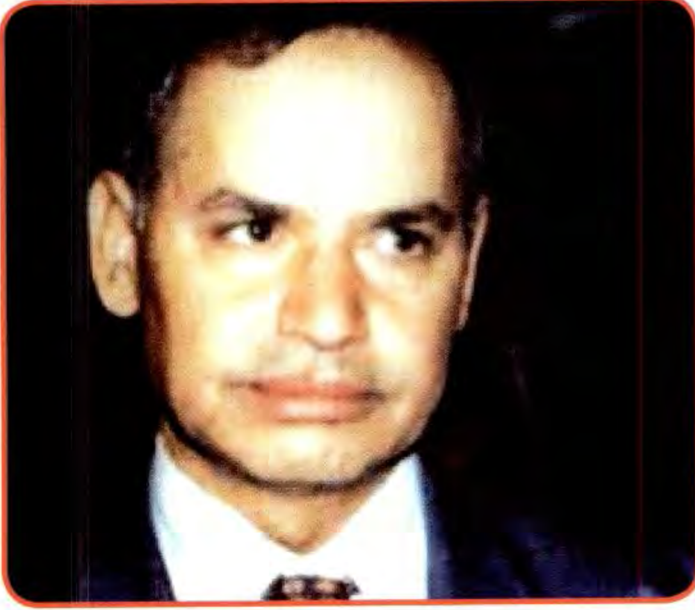
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - (٣ / ٣٥٤)
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس (١ / ٣٣٥) طبع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الأولى١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب محمد بن درويش الحوت، (١ / ٣١)، طبع دار الكتب العلمية.
- صب العذاب على من سب الأصحاب، للألوسي (١ / ١٢٤-١٢٦)
- الفتاوى (ج٣ ص٤٠٧)
- تفسير ابن كثير، (ج٤ ص ١١٣)
- تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي (ج٤ ص ٣٤٣)
- راجع: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، تحقيق :أبو عبد الله السورقي،إبراهيم حمدي المدني (١ / ٥١)، طبع: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين) محمد خلف سلامة (٣ / ٣٢٢).
- أحكام القرآن (٦٢٣/٣).
- شرح صحيح مسلم (٣٦٨/٤).
- الإنصاف (٧٩/٢).
- صب العذاب على من سب الأصحاب، للألوسي (١ / ١٢٧ وما بعدها).
- البحر المديد لابن عجيبة، (٣ / ٦١).
- تفسير البغوي (٤ / ١٨٩)حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٧٥).

الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر:

التقريب ضرورة سياسية وفريضة مجتمعية

حوار: سالي مشالي

في ظل الظروف الاستثنائية والاحداث الساخنة التي تمر بها المنطقة، ووسط الفتن والصراعات، والأعداء الذين يستهدفوننا من كل جانب، ثارت الدعوات لتجاوز الخلافات ودعم وحدة المسلمين، وبين من يقول بضرورة إن يحذر السنة من الشيعة وأن يحذر الشيعة من السنة، ومن يقول إنه لا خطر من الشيعة على السنة أو العكس... كان هذا الحوار مع الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية د. محمد الشحات الجندي ... واليكم نص الحوار:.



■ **في البداية ما الذي ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين السنة والشيعة؟**

- التقريب بين السنة والشيعة فريضة إسلامية مقررة بنص القرآن والسنة، كما في قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾(الأنبياء -٩٢)، وقول الرسول ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه»(رواه مسلم) وهو ما يعني أن التوحد بين السنة والشيعة ركيزة شرعية وفريضة حتمية لا يتسنى للأمة أن ت نهض وأن تحقق مقاصد الإسلام ونهضة المسلمين إلا عن طريق هذه الوحدة.

■ **ومن أين تأتي دعوات التفريق؟**

- الفرقة مطلب من مطالب أعداء الأمة، يمّكن الاعداء من النيل منها، وهم يتعمدون تكريس التشرذم والانقسام، وهو ما نلاحظة في الآونة الأخيرة، فقد كثرت الانقسامات وعلت اصوات الطائفية والمذهبية البغيضة والعصبية الجوفاء، وقد تصدر بعض الآراء يقصد منها أصحابها الحفاظ على مذهبهم وأهلهم ولكنها تسبب هذا التفرق، ولهؤلاء اقول قول الرسول ﷺ: «ليس منا من دعا الى عصبية...» (رواه الترمذي) فلا يجوز إطلاق النعرات القومية لأن الاسلام هو الجنسية التي تجمع بين المسلمين جميعاً، فالأمة كلها سنة وشيعة ربها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ودينها واحد وهو الاسلام، ونبيها واحد وهو محمد ﷺ، وكتابها واحد وهو القرآن الكريم.

■ **كيف يمكن التقريب؟**

- على الجميع سنة وشيعة أن يتفقوا على وحدة الصف الاسلامي، وأن ينأى كل فريق عن إثارة الأمور التي تسفه رأي الآخر، وأن يقوم الحوار بينهما على أساس من الإحترام المتبادل وأن يكون رائد الجميع المصلحة الاسلامية العامة بعيداً عن القطرية والفئوية والمذهبية، ولتكن هذه هي اللغة الأساسية للجميع في كل المحافل الدولية والمنظمات العالمية وفي مواجهة أعداء الأمة الذين يعتدون على أرضها وأهلها ويعملون على إضعافها وتفتيت وحدتها، ولو تم الالتزام بهذه القاعدة فسوف يثمر فوائد متعددة.

■ **وما الفوائد التي تتوقعها من هذا التقارب؟**

- أهم فائدة ستكون في احترام الآخرين للمسلمين باعتبارهم كياناً عالمياً صلباً يحترم هويته ويدافع عن عقيدته ومصلحته، وبجانب أن هذا الالتقاء على الهدف يمتد لجوانب حياتية ويثمر مزيداً من الفوائد من أكثر من جانب، فمن الناحية الاقتصادية- على سبيل المثال - يمكن إقامة السوق العربية والاسلامية المشتركة أو إقامة اتحاد جمركي في مناطق عربية واسلامية، ومن الناحية التشريعية يمكن إنشاء محكمة عدل عربية واسلامية تتولى تسوية النزاعات التي تحدث بين الدول والاقطار الاسلامية، كما يمكن العمل على اصدار عملة موحدة مثل الدينار الاسلامي، ولو بشكل تدريجي، أما من الناحية الاجتماعية فإن هذا التقريب يحقق مطلباً جماهيرياً على مستوى الشعوب الاسلامية لأنها تستشعر في قرارة نفسها أنها أمة واحدة.

المسلمون لم يحققوا إنتصاراتهم التاريخية إلا خلال فترات توحدهم

■ **وهل تجد هذا التقريب ممكناً في الوقت الحالي؟**

- الأصل في الأمة الإسلامية أنها أمة واحدة، والمخططات الاستعمارية هي التي فرقت بين ابنائها وصيّرتها الى وحدات سياسية وكيانات دولية متعددة، واذا عدنا للتاريخ نجد أن المسلمين لم يحققوا أمجادهم إلا في الفترات التي كانوا فيها موحَّدين، ونحن نرى هذه الوحدة متحققة بالفعل في أيامنا هذه أثناء اداء فريضة الحج كملتقى اسلامي يجمع بين ابناء الشعوب الاسلامية على اختلاف دولهم وعلى تعدد أجناسهم واختلاف الوانهم، ومع ذلك فإنهم يستشعرون جميعاً أن يتوجهوا الى الله - سبحانه وتعالى - ويحسوا أنهم امة واحدة فرق بينها الاعداء، أما التمايز السياسي فلا ينبغي أن يقف عقبة أمام توحد المسلمين، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون فيه، وأن يمتنع كل فريق عن تكفير الفريق الآخر أو النيل من عقيدته، فالاسلام دين الله ولا داعي لإثارة الفرقة والتحزب، وينبغي أن ينضوي الجميع تحت راية الاسلام وقبلة الاسلام وكتاب الاسلام ونبي الاسلام ويتناسى كل منهم خلافاته ويطرحها خلف ظهره.

■ معنى كلامكم أنك ترى أن الوحدة ممكنة ومتحققة بالفعل؟

- أنا أتبنى وجهة نظر الشيخ القرضاوي حول أهمية النظر للدول الاسلامية من خلال الجانب السياسي والمصلحة السياسية المترتبة على التقريب، والبعد عن الخلافات المذهبية.

■ وكيف يمكن أن يتحقق هذا؟

- ينبغي ان يمتنع كل طرف عما يعتبره نصرة لمذهبه وأن يضع نفسه في موضع الطرف الآخر، وأن يمتنع الجميع تماماً عن انتقاد وتسفيه بعضهم البعض، وعدم اثارة الحساسيات التي تؤدي الى مزيد من الانقسام، ويجب أن ننظر إلى مصالح الأمة العليا، فما يحدث الآن في فلسطين يستدعي أن تتضافر الجهود وتتوحد القلوب وتتكامل الأدوار، وان يتكاتف المسلمون سنة وشيعة لمواجهة العدو المشترك، وأن يعتبرا ما تمر به القضية الفلسطينية فرصة لإحداث هذا التقريب والبعد عما يُضعف المسلمين من رؤى مذهبية ضيقة تهدف الى اغراض سياسية تُشقي الأمة وتُضعف الإسلام، وعلى الجميع حكاماً ومحكومين أن يمنعوا نشر هذه الطائفية سعياً لمكاسب شخصية أو نفوذ سياسي، وهو ما يُعد - بيقين - ضد الاسلام، وعلى الجميع احترام الخلاف بين السنة والشيعة باعتباره خلاف تنوع لا خلاف تضاد او تناقض، ولا ندع الاختلافات السياسية والحرص على المصلحة القطرية تخصم من وحدة المسلمين العامة وتصبح مفتاحاً لأعداء الأمة، لا مانع أن تكون كل دولة قوية ولكن عليها ألا تسعى لتحقيق هذه القوة على حساب إضعاف دولة مسلمة أخرى، فالمصلحة الآنية والمهمة والتي ينبغي تحقيقها هي التقارب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حتى تقوم أمتنا من كبوتها، وتستعيد مكانتها.

● صحفي مصري مقيم بالبحرين

أطروحة دكتوراة تدرس:

معالم وأدوار الفكر التربوي الشيعي في المجتمع الإسلامي المعاصر

قراءة: حمدي عبد العزيز ●

أسهمت عدة مدارس فكرية في تشكيل الحياة الفكرية والثقافية الإسلامية خلال ما يزيد على أربعة عشر قرناً، ويكاد يتفق الباحثون في التاريخ الإسلامي على أن هناك أربع مدارس رئيسة كان لها الدور الأساسي في الحياة الإسلامية، هي: مدرسة أهل السنة، والمدرسة الإمامية، المعتزلة، الصوفية.

وقد نوقشت بدايات العام ٢٠٠٨ بأحد الجامعات المصرية أطروحة دكتوراة للباحث التربوي حسان عبد الله حسان حول الفكر التربوي الامامي، ونال عنها درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف، ثم صدرت بعد ذلك بفترة وجيزة في بيروت عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإنساني.

الفكر الإمامي.. لماذا؟

يقول مؤلف الدراسة إن هناك حزمة من الأسباب التي دعت إلى البحث في الفكر التربوي الإمامي، أهمها: أولا: أن الشيعة - موضوع البحث - من الفرق الإسلامية التي أسهمت بشكل واضح في الجانب العلمي والتربوي في الحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه لم تنل من الاهتمام ما يكفي للتعرف على كل إسهاماتها الحضارية والمعاصرة.

ثانيا: أن المجتمع الشيعي المعاصر أصبح مجتمعاً فاعلاً اجتماعياً، ومن ثم فمن الضرورة بمكان معرفة الفكر التربوي الذي يوجه هذا المجتمع، على اعتبار أن التربية هي قائدة التغيير والتنمية في المجتمع، وهذه من الحقائق المسلم بها بين المربين والاجتماعيين والسياسيين.

ثالثا: الرغبة في فتح آفاق جديدة للبحث في التربية الإسلامية غير العربية، وهذا يؤدي بدوره إلى استفادة المجتمع العربي المعاصر من تجارب وأنماط من الأنساق التربوية لمجتمعات تتشابه معه في الظروف والمتغيرات نفسها، فضلاً عن التشابه في الخلفية العقدية.

رابعا: تحقيق قدر من التبادل المعرفي الموضوعي بين عنصري العالم الإسلامي، السنة والشيعة -لاسيما في ظل المتغيرات العالمية والإقليمية الأخيرة- بما يساهم في بناء شخصية إسلامية قادرة على مواجهة التحديات، وهو ما يبرز دور التربية في تحقيق الوحدة الإسلامية

قضية الدراسة وانعكاساتها المختلفة

تتساءل الدراسة عن تأثير الفكر الشيعي الاثنى عشري على جوانب الحياة المختلفة للفرد والمجتمع الشيعي المعاصر، وبالتالي تسعى إلى

إلقاء الضوء على موقع التربية من هذا التأثير باعتبارها المسئولة عن قيادة المجتمع إلى التطوير أو التجديد وبناء الدولة، ومن ثم كان التساؤل الرئيسي هو: ما معالم الفكر التربوي المعاصر عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية؟ وتفرع من هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية سعت فصول البحث إلى الإجابة عليها، وهي: ما السياقات الاجتماعية والفكرية للفكر التربوي الشيعي المعاصر؟، ما مصادر الفكر الشيعي المعاصر؟، ما النظرية التربوية التي يتبناها الفكر الشيعي المعاصر؟، ما وسائط التربية المعاصرة عند الشيعة؟، ما معالم النظام التعليمي المعاصر في إيران وقضاياه؟

نتائج مهمة

إن السؤال الذي لم تطرحه الدراسة ولكنها أجابت عليه بشكل مباشر هو: هل أثرت الأبعاد الفكرية والتاريخية على السلوك الاجتماعي والسياسي للشيعة في الاسلام؟

والإجابة هي: نعم!، حيث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج العامة التي تحدد هذا السلوك مثل: أولا: أن البعد التاريخي لنشأة الشيعة- وفقاً للتفسيرات المختلفة - كان له أثره التربوي الواضح، حيث أصبح الهدف الأساسي للفكر التربوي الشيعي هو تكوين شخصية تقوم على مضامين ومفردات التمايز والخصوصية.

ثانيا: أن البعد الاجتماعي لنشأة الشيعة وما تأثر به من أحداث ووقائع سياسية مختلفة أدى إلى تبني الفكر التربوي الشيعي نسقاً فكرياً يقوم على تأكيد مفاهيم «الجماعة» و «الأقلية» و«الفئة» في مقابل المجتمع الأكبر الذي ساعد في تأصيل هذه المفاهيم في الشخصية الشيعية.

ثالثا: أن النسق الفكري والثقافي للشخصية الشيعية قد تأثر بمجموعة من العوامل التاريخية والاجتماعية مرت بها الجماعة الشيعية خلال المراحل والأدوار التي تكونت فيها، أدت إلى بلورة مجموعة من الأصول الفكرية والثقافية التي ساهمت فيما بعد في تشكيل الشخصية الشيعية عبر التاريخ وهي: الوصية أو النص للأئمة الاثني عشر بعد النبي ﷺ، عصمة الأئمة، التقية، الغيبة أو المهدوية.

وبمجئ الإمام الخميني في القرن العشرين حدثت بعض التطورات في هذه الأصول أهمها إلغاء التقية، حيث أعلن أنه لا تقية لشيعي بعد اليوم، أي بعد الثورة الإسلامية، وأنتج وطور نظرية ولاية الفقيه، وهي تعديل لفكرة الانتظار السلبي في ظل الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر.

من الأصول التربوية

تذكر الدراسة أن الفكر التربوي الشيعي يستمد محدداته العقدية من خمسة أصول أساسية هي: التوحيد، النبوة، العدل، الإمامة، المعاد، وينفرد الشيعة بالقول بالإمامة وهي أساس الاختلاف بين الشيعة والسنة على المستوى المذهبي، وتحاول الآراء والكتابات الشيعية المعاصرة التقريب بين الشيعة والسنة فيما يتصل بمسألة الإمامة من خلال تجاوز الآراء الشيعية القديمة التي تؤكد على أن الإمامة من أصول الإيمان وجعلها من أصول المذهب فقط، وقد ذهب إلى ذلك علماء ومراجع شيعة كبار أمثال محمد كاشف الغطاء، وغيره.

وتؤكد أن الفلسفة التربوية الشيعية تتفق مع النظرية التربوية الإسلامية لاسيما في أهداف التربية وغايتها، والأبعاد الأخلاقية والمعرفية والرؤية الكونية، بينما تتمايز عنها في عنصرين أساسيين، هما: الإمامة والنظرة إلى المجتمع، حيث يذهب التفسير المذهبي الشيعي إلى تقسيم المجتمع الشيعي إلى ثلاثة أصناف: الأول: مجتمع الحضور، أي الذي شهد حضور الأئمة، والثاني: مجتمع المنتظرين، أي الذي يعيش فترة انتظار الإمام المهدي، والثالث: المجتمع المهدوي أو المجتمع الذي يشهد عصر ظهور الإمام المهدي.

مدخل جديد للتقريب

قدمت الدراسة عددا من التوصيات والمقترحات في ضوء البحث والتحليل للفكر التربوي الشيعي المعاصر، منها:

دراسة صورة أهل السنة في مناهج التعليم العام الإيرانية، للوقوف على مدى تحقيق الثورة الإسلامية للانسجام الإسلامي والاجتماعي في إيران.

ضرورة توجيه نظر الباحثين في ميدان التربية إلى البحث في فلسفات التربية المختلفة في العالم الإسلامي، لاسيما الفكر التربوي الشيعي المعاصر، وذلك لثراء تجربته التربوية من ناحية، وللتقريب الفكري بين الباحثين في العالم الإسلامي من ناحية أخرى.

تقديم اللغة الفارسية في التعليم العام في مصر- كلغة ثانية-، حيث إنها تعد احدى أهم اللغات التي يتحدث بها عدد كبير من المسلمين، بعد اللغة العربية، بالإضافة إلى غزارة الإنتاج الفكري والتربوي الذي يصدر سنوياً بهذه اللغة، والتي يقف الجهل بها عائقاً أمام التعرف عليه.

وأوصت الدراسة أيضا بتعديل مفاهيم «التربية الإسلامية» لدى الباحثين، والتي اقتصرت في أذهانهم على التربية عند «أهل السنة»، وذلك بإدخال المذاهب الإسلامية الأخرى مثل الإمامية، الزيدية، الإباضية في هذا المفهوم، لاسيما وأن هذه المذاهب الإسلامية فاعلة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وتنشيط حركة ودور الترجمة من لغات العالم الإسلامي إلى اللغة العربية، لإحداث نوع من الانفتاح الثقافي والفكري بين أبناء الأمة الواحدة.

ويستخلص الباحث في خاتمة دراسته العلمية درسا هاما للنظام التربوي والتعليمي العربي، يتمثل في تأكيد مبدأ «الاستقلالية الفكرية»، أي أن يكون النظام التربوي العربي مستقلاً في تفكيره، ويعود إلى هويته الإسلامية التي انسلخ عنها، والعمل على إيجاد فلسفة تربوية عربية واضحة المعالم، مما يترتب عليه وجود نوع من التعليم محدد الأهداف، متوافق مع قيم وعقيدة وتراث المجتمع العربي، إضافة إلى غرس روح الإرادة والتحدي في النشء، وهو ما تفتقده الشخصية العربية نتيجة لضعف بنائها التربوي، نظرا لأن حالة الاضطراب التي يعاني منها التعليم في العالم العربي ناتج بصورة أساسية عن عدم وجود فلسفة تربوية واضحة المعالم، وعن التبعية العمياء للمنهج الغربي.

نقلتها البحرين والمنطقة العربية بحاجة لتعميمها

«مبرة الآل والأصحاب» .. منارة كويتية للتلاقي

إيناس توفيق

وسط الحراك الفكري والتنظيرات المتنوعة لمد جسور التواصل تأسست «مبرة الآل والأصحاب» كأول تجربة عملية، بموجب قرار وزير الشؤون الاجتماعية والعمل رقم ٢٨/ ٢٠٠٥م، وقد سجلت المبرة في إدارة الجمعيات الخيرية والمبرات بوزارة الشؤون تحت رقم ٢٣ بين المبرات الخيرية في الكويت، في محاولة لإظهار الترابط والمحبة التي تجمع بين آل بيت النبي ﷺ والصحابة الكرام ظهرت في الثناء المتبادل، وتَرَضي بعضهم عن بعض، بل تصاهر بعضهم مع بعض، وتسمي بعضهم بأسماء بعض، رضي الله عنهم جميعا.

ورغم تلك الحقائق إلا أن تاريخ آل بيت النبوة الأطهار وصحابته الأخيار اختلط فيه الخطأ بالصواب، وشابه لبس، وتداخلت فيه الروايات، وزيد عليه ما ليس منه، لهذا نشأت المبرة لتخدم الأمة والمجتمع من خلال عمل مؤسسي هادئ يغرس محبة الآل والأصحاب في نفوس المسلمين، وينشر العلوم الشرعية المتعلقة بتراث الآل والأصحاب بين أفراد المجتمع، ويقوم بالتوعية بدور الآل والأصحاب وما قاموا به من خدمات جليلة لخدمة الإسلام.

النهوض الواقعي

وتعمل المبرة على غرس محبة الآل (آل البيت) الأطهار والأصحاب (الصحابة) الأخيار في نفوس المسلمين، ونشر العلوم الشرعية بين أفراد المجتمع وخصوصا تلك المتعلقة بتراث الآل والأصحاب من عبادات ومعاملات.

وتقوم المبرة بنشر الصفحات المشرقة من تاريخ الآل الأطهار والصحب الأبرار، وبيان ما كان بينهم من صلة ومحبة، وقرابة ومودة، وصهر ونسب، والتوعية بأدوارهم في خدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين وتحقيق هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودعم الوحدة الوطنية، وزيادة التقارب بين شرائح المجتمع من خلال تجلية بعض المفاهيم الخاطئة التي رسخت في نفوس بعض المسلمين عن أهل البيت الأطهار والصحابة الأخيار.

إستراتيجية إطفاء الحرائق

وتعتمد المبرة، التي يرأس مجلس إدارتها د.عبدالمحسن الجار الله الخرافي الأستاذ بجامعة الكويت، الإغاثة الفكرية لمواجهة مخاطر الطائفية التي تعد بحق أكبر الهواجس التي يمكن أن تعصف بأمن المنطقة؛ بسبب الفهم المغلوط لتراث آل البيت والصحابة الذين كانت لهم علاقة حميمة بين بعضهم البعض، ومع خطأ هذه المفاهيم ازداد الشعور الطائفي رغم أن أصحاب الشأن كانت علاقتهم في أفضل صورة من الحميمية.

الأمة الإسلامية أمام تحدي وجود يستوجب طرح الخلافات جانباً

العمل الخيري الفكري بات أولوية لنزع فتيل الطائفية بطرح عقلاني وواقعي

وتنطلق سياسات المبرة من نهج أساسي وهو تجنب التدخل في السياسة والبعد عن المنازعات أو ما من شأنه إثارة العصبيات الطائفية والعنصرية، وخدمة جميع الشرائح الاجتماعية من خلال الفئات العمرية من الذكور والإناث في نطاق جميع أنحاء الكويت، والانفتاح على شرائح المجتمع وإفادة الجميع.

الإغاثة الفكرية

وتشتمل المنظومة الفكرية للمبرة على مجموعة من الأهداف لتكريس مفاهيم الوسطية الواضحة في أذهان المسلمين الأمر الذي يلغي فكرة النزاعات الطائفية، ويسحب البساط من تحت أرجل كل الغلاة من الجانبين، وهم الذين ينقبون عن فوارق مصطنعة بين آل البيت والصحابة.

وتضع المبرة الإغاثة الفكرية أو العمل الخيري الفكري كأولوية أساسية، لنزع فتيل الطائفية بطرح عقلاني وواقعي، ودون مواجهة حادة أو ميدانية، وتبرز فعالية الإغاثة الفكرية في الوقت الذي تتقدم فيه الإغاثة المادية بقوة، ونظرا لما تواجهه المنطقة العربية من متغيرات سياسية، قد تلهبها إثارة النعرات الطائفية، التي يثيرها البعض وتؤثر سلبا ليس على المنطقة فقط،



وإنما على الأمة الإسلامية بكاملها.

كما تتركز جهود المبرة في إعادة تقديم تراث آل البيت والصحابة بشكل صحيح تحترم فيه ثوابت كل مذهب؛ دون أن يتخلى أحد عن مذهبه، ودعم الوحدة الوطنية وزيادة التقارب بين شرائح المجتمع من خلال تجلية بعض المفاهيم الخاطئة التي رسخت في بعض النفوس عن أهل البيت الأخيار والصحابة الأطهار.

ومن أبرز التحديات التي تواجهها المبرة استقطاب خَيِّرين جدد؛ فكل العاملين في المجال الخيري مشغولون بما لديهم من مشروعات خيرية لا يمكنهم التخلي عنها.

وسائل وآليات

لتحقيق تلك الأهداف الحضارية التي وضعتها المبرة، اعتمد القائمون عليها إقامة الندوات والمحاضرات، ونشر الكتب والأشرطة التي تحقق أهداف المبرة، وكذلك تأسيس مجلة، والبدء في عمل موسوعي ضخم عن آل البيت والصحابة.

ومن أبرز إصدارات المبرة: «شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين» و«ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت»، و«تذكير الصديق.. بصلة القرابة بين الصادق والصدّيق»، وهناك إصدارات عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة وعائشة وخديجة وحفصة وحمزة رضي الله عنهم جميعا، بالإضافة إلى كتاب «كيف نقرأ تاريخ الآل والأصحاب»، وشجرة بأولاد النبي ﷺ وأولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد عثمان، وأولاد علي، وأولاد موسى الكاظم، رضي الله عنهم، ويظهر في هذه الشجرة المصاهرة والنسب بينهم جميعا.

وغيرها الكثير مما لا يخرج عن إطار التقريب تحت شعار: «آل البيت والصحابة.. محبة وقرابة».

آفاق التمويل الواسعة

وتعتمد المبرة في تمويلها على المبالغ المخصصة من قبل المؤسسين والوصايا والأثلاث والهبات، وأية مساعدات أخرى تقدم للمبرة في سبيل تحقيق أهدافها بالإضافة إلى الزكاة من مصرفها السابع: «وفي سبيل الله» بناء على فتاوى الهيئة الشرعية في بيت الزكاة بالكويت، ولجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف، والرئاسة العامة للدراسات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية، ومجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وندوة الاقتصاد الإسلامي.

أقوال وبرامج عملية

ومن روائع الأقوال والآثار التي تنطلق منها المبرة في أنشطتها العملية قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام «ولدني أبو بكر الصديق مرتين».. فالإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هذا نسبه من جهة أبيه، ومن جهة أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم فروة أمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق؛ لهذا جاءت تسمية فروة بنسبها من أمها وأبيها إلى أبي بكر الصديق، ومنه قال الإمام جعفر: «ولدني أبوبكر الصديق مرتين»، ولذلك يقال له: «عمود الشرف» أي إنه عليه السلام يجمع في شرف نسبه بأخذه من بني هاشم من جهة أبيه، وأخذه من آل أبي بكر الصديق من جهة أمه.

فلسطين واللا مبالون الجدد

عبدالفتاح إسماعيل

الآن أصبح وضع قطاع غزة بصفة خاصة وفلسطين بصفة عامة يوصف بأنه الأسوأ وانه يحمل كارثة تعد الأسوأ في تاريخ البشرية، وهي بذلك أصبحت وصمة عار على جبين البشرية.

فالبشاعة هي الصورة التي اصبحت تطل علينا يومياً من خلال وسائل الاعلام المختلفة فتنقل لنا مشاهد من العنف والقسوة والوحشية والدمار والتجويع والتجريف والتخويف والارهاب وتكسير العظام وقتل الذين هم في عمر الزهور فلم يسلم حتى الشجر والطير ولا حتى الحجر من ايذاء الصهاينة اليهود الذين ادانهم حتى منصفي اليهود.

مناظر تنخلع لها القلوب حتى لتكاد تصل الى الحناجر، فهل مات داخلنا الضمير الانساني بحيث أصبح الانسان لايشعر بداخله بانسانية الانسان ولا يهتم لأمر المسلمين؟!

فها هي مذبحة غزة تضاف الى سلسلة المذابح الوحشية التي ارتكبها اليهود الصهاينة على ارض فلسطين الحبيبة ابتداء من مذبحة «دير ياسين» وانتهاء بمذبحة غزة.

وعندما أستحضر في ذهني صورة للواقع الفلطسيني وبخاصة في غزة الآن أجد ان الصورة تشبه الى حد كبير صورة البوسنة أثناء الحرب الصربية عليها فوجه الشبه واحد في انها حرب مخطط لها ضد المدنيين العزل، فكلا الشعبين يجوع ويحاصر ويباد، الى غير ذلك من وسائل التطهير العرقي، حرب تخصصت في اعمال القتل والخراب وقصف البيوت على رؤوس اصحابها ولم تحترم حتى قوانين الحرب نفسها بل ألقت بكل المواثيق الدولية والاتفاقيات عرض الحائط.

ففي مذبحة غزة كان ومازال ذبح الاطفال والنساء هو هدف اليهود الصهاينة، اما في مذابح البوسنة فكان ذبح الرجال هو الهدف.

وقد ارتبط مع الوضع في فلسطين والوضع في البوسنة موقفان- في نظري - حملا لنا اسمى المعاني الانسانية.

أما الموقف الاول على ارض فلسطين فكان موقف الشاعرة «راتشيل كوري» الأميركية الجنسية والتي تمر ذكراها الخامسة هذا العام، فقد جاءت الى فلسطين عام ٢٠٠٣ مع وفد التضامن العالمي لمساندة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي، فحين رأت وعرفت الكثير من الألم والحصار الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني اصرت حينها على ان تفعل ولو شيئاً بسيطاً فتشارك هذا الشعب آلامه، فوقفت بجسدها امام جرافة اسرائيلية كانت متوجهة لهدم أحد المنازل الفلسطينية في مدينة رفح، لكن سائق الجرافة الاسرائيلية لم يأبه لكل نداءاتها او حتى الى لون ملابسها البرتقالية والتي تمثل شارة الوفد العالمي ولم يهتم حتى بأنها أميركية وهي التي لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يتجرأ عليها أحد ويؤذيها، وقام بدهسها بكل برود!.

أما الموقف الثاني على ارض البوسنة وكان بالتحديد في مطار سراييفو وكان صاحب هذا الموقف هو الرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» عام ١٩٩٢حين قام برحلة الى مطار سراييفو المحاصر اثناء الحرب لغرض فتح الطريق امام المساعدات الانسانية لنحو ٣٠٠ الف مسلم مدني كانت تحاصرهم القوات الصربية وقد نجا يومها من اطلاق النار عليه لدى عودته من اجتماع مع زعماء البوسنة في مدينة سراييفو واضطر الى الاختباء في مبنى المطار لحين توقف القتال!

وهنا في كلا الموقفين لنا وقفة، فقد كان ثمن موقف «راشيل كوري» هو حياتها، أما موقف الرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» فقد كاد يومها ان يدفع حياته ثمنا لموقفه! وأن كلا الموقفين حمل لنا مشاعر مرهفة ومفعمة بالعواطف الانسانية النبيلة التي سطرت لنا مثالاً يحتذى به في موقفهما الرافض للظلم ايا كان مصدره.

وان اكبر اسفنا على اللا مبالين الذين يقول لسان حالهم «انا مالي» او «انا ومن بعدي الطوفان» فاصبحوا يرون ان ما يجري على ارض فلسطين هو شيء طبيعي وحين استشعر العدو الصهيوني هذا الشعور ظن انه باستطاعته ان يزرع الخوف واليأس ويكسر الذراع الطولى للشعب الصامد المرابط، غير ان قدر الله غالب ونصره للمؤمنين محقق بإذنه تعالى.

أما آن لنا ان نعتبر من مواقف اطفال فلسطين حين يتصدى الصبي بجسده الصغير ممسكاً في يده حجراً وهو الاعزل ليواجه به دبابات «الميركافا» وطائرات الاباتشي وصواريخ الليزر؟!

والله انها لمواقف وافعال ترتفع معها هامات الشرفاء كما ننحني لها احتراماً وتقديراً فهم العزة والكرامة

يقول الشاعر - كمال خضر:

حتى متى يا أمتي تبقى سيوفك مغمدة
وهي التي دكت لقيصر عرشه والأعمدة
وإلى متى تبقى الجياد الصافنات مقيدة
وهي التي عبرت لتفتح مانعات موصدة
ومتى نهب لمن دعا وا مسلماه لننجده
يا أمة وهنت وصارت دون جهد مجهدة

فلقد أثبتت الأيام وحشية اليهود وتجردهم من الآدمية كما اثبتت ايضاً ان كل مشاريع السلام ما هي الا اشجار بلا جذور وان ثمارها هي امر من العلقم والحنظل، فإلى متى سنظل نتجرع المر و العلقم؟!



سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

سلاحنا لإخواننا في غزة

أحداث غزة سيطرت على أجوائنا اليومية، فلا تمر لحظة ولا ثانية إلا وما يتعرض له إخوة الدين في غزة تمر مشاهده الدامية على أذهاننا، فتعصر قلوبنا وتدمع عيوننا، ويصبح العاقل فينا سائلاً نفسه: ما العمل؟ وكيف نخفف عنهم ما يلاقونه صباح مساء؟ وهل لنا دور منتظر نقوم به؟

نعم هناك كثير من الأعمال البسيطة التي تصغر في العين لكنها تؤثر في نصرة الإخوة الكرام، أهل غزة، وأحب أن ألفت نظركم اليها - رغم أنها معتادة عند الكثيرين منا - لتكون سلاحنا الذي نهديه لغزة دون منة أو تفضل، فهذا واجب الأخ نحو أخيه.

أولها قول الله تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾(البقرة - ١٨٦)

فالدعاء - كما أنه عبادة - هو سلاح من لا حول له ولا قوة، فواجبنا التزام الدعاء لاخواننا، أن يصبرهم الله تعالى على ما يجدونه من محن ومصائب يشيب لها رأس الصبي، ويثبتهم - سبحانه وتعالى - أمام أهوال القصف المتواصل والعشوائي الذي لا يعرف مدنيا ولا رضيعا ولا صغيراً ولا مسناً ولا بيتاً ولا مستشفى ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولاذمة﴾(التوبة - ٨)، فنعاهد أنفسنا أن نرفع الكفوف ونكثف الدعاء، فلا نتركه قبل إقامة الصلاة ولا عند السجود ولا عند أوقات السحر أو غيرها من الأوقات إلا ونلح بدعاء المضطر الذي يستيقن أن الحول والقوة بيد الله تعالى وحده، وأن الله على كل شيء قدير ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾(النمل - ٦٢).

ثانيها: كل منا يملك المال، بأي صورة كان، ويستطيع أن يخرج منه ما يريد، ليفرج هم من فقد ماله وداره وقوته من أهل غزة المنكوبين، ومن زاد في صدقته كان من أهل البر الأخيار، كعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - صحابة نبينا الأطهار، فقد وصف الله تعالى الصدقة العظيمة قائلاً سبحانه: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾(آل عمران - ٩٢).

ثالثا: بعد منع إسرائيل لمراسلي القنوات الغربية من تغطية أحداث ومآسي غزة، فإنه أصبح لزاماً على كثير من شباب أمتنا البارع والماهر في تصميم ودخول المواقع الالكترونية أن يسخر نفسه وطاقته لنصرة الإخوة في غزة بالصورة والكلمة المؤثرة، أمام الرأي العام الغربي، وغير الإسلامي، فالكثير منهم يعشق زيارة المواقع المصورة، ويبحث عن الإثارة ويتحمس للدفاع عما يحزن له، وهو ما نحتاج إليه - خاصة - بعد إخفاق مجلس الأمن في تنفيذ قراراته لإنصاف أهلنا في غزة.

وأخيراً: اللهم فرج عن إخواننا في غزة، اللهم اربط على قلوبهم، اللهم ثبت أقدامهم، وانصرهم بجنودك في السماء والأرض الذين لا يعلمهم إلا أنت، اللهم سخر لهم عبادك وخلقك، وارزق شهداءهم الجنة، واكشف ضر مريضهم، اللهم عجل نصرهم وفرج همهم وأبدل همهم نصراً وفرحاً، فأنت حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.



لغة وأدب



نصرة الأدب

لقد أتى على العرب حين من الدهر كان الشعر علمهم، وليس لهم علم غيره، فكان شريان حياتهم وعصبها، وروحاً تسري في أبدانهم لتبث فيها الحياة، وضميراً ناطقاً بما لا تستطيع أن تتلفظ به الألسن، يوري به أو يكني عنه، أو حتى يصرح، ونافذة يُطل منها على ما يختلج في صدر صاحبها، وقلماً يسجل تاريخاً مجيداً وفناً أصيلاً، وجهاز إعلام يذيع التجربة الشعرية ليجد فيها كل مكلوم سلواه، وكل عاشق ليلاه، وكل ناشد وصول مسعاه، وكل ساخط على من حوله متنفسه ورضاه.

ولم يكن هذا الدور ليقف عند الترفيه والتسلية، والطرب والتسرية، بل كانت التجربة الشعرية معملاً تجهز فيها القنابل الموقوتة لتقذف في ساحات القتال، ربما في شبه كبير لما يسمونه الآن الحرب النفسية، ولطالما أضرمت قصيدةٌ نار حرب شعواء، وأخمدت ثانية نار فتنة عمياء، وألهبت أخرى حماس جند أشداء.

«اهجهم يا حسان وروح القدس تؤيدك».. ألم يكن هذا قول النبي ﷺ لشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه يحفزه على قول الشعر لنصرة الأمة ودحر أعدائها؟ فما كان النبي ﷺ ليقول هذا لولا يقينه بما يثمره هذا الشعر في تحديد وجهة سفينة المعركة، فاكتبوا معشر الأدباء والشعراء لنصرة إخوانكم في غزة ودحر العدوان عنهم، اكتبوا وروح القدس تؤيدكم، وليكن عملكم زرعاً أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، يقيناً بوعد الله بالنصر والتمكين، وإحياء لقلوب تتماوت، وإعادة لثقة الأمة بنفسها، وتصغيراً لعدو كبّره هواء امتلأ به، وغثاء لا يلبث أن يمحى، غير أنه يحتاج إلى من يمحوه.

ذكّروا القوم بأيام الله ونصرته لعباده، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين.. وإلا تفعلوا تقتلوا تاريخ أدب ساير أمته، أفراحها وأتراحها، آمالها وآلامها.

المحرر





"المَقَامَةُ الغَزِّيّة" (1)

أحمد إبراهيم •

هذه المقامة الغَزِّيَّة بعد المقامة الدِّينارِيَّة، سميتُها بهذا الاسم، لَما حل بغزة من الظلم، من جوعٍ وحصار، ثم بطشٍ ودمار، فقُتل الأبرياء، وسالت الدماء، وتناثرت الأشلاء، فلا يُلام حرٌّ إن مات بعد ذلك من الهمّ، أو ذهبت نفسُه حسرةً من الغمّ (2)، والكلامُ عن مأساة غزة غيرُ كافٍ، والوصفُ غيرُ وافٍ، والبيانُ غيرُ شافٍ.

خطبٌ ألمَّ فلم يَسْطِعْ تحمُّلَهُ
لفرط وطأته قلبٌ ولا خَلَدُ(٣)

لقد رأينا المعتدين يدمرون المساجد(٤)، ويدنسون الكتاب الخالد، ولم يرحموا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، قتلوا الطفلَ أمام والدته، والرجلَ مع أسْرَته.

يا غيرةَ الله ابطشي بعصابة
ألهاهمُ الجبروتُ والطغيانُ
ولقد أُهينت للمساجد حرمةٌ
وأُهين في محرابها القرآنُ(٥)
ونحن، لعجزنا، لا نَملك عُدّةً غيرَ الدُّعاء،
وَلا حيلةَ إلاّ الرَّجاء، فيا رَبِّ:
أدركْ بنصرك" أهلَ غزة" إنهم
ظُلموا فريعَ الشيبُ والشبانُ
أدركْ بها الضعفاءَ واستعجل فقد
عزَّ النصيرُ وقلّت الأعوانُ
وجرت دموع الحزن فوق خدودهم
وتقرحت منهم بها الأجفانُ(٦)

أيها الناس إني سائلُكم، وبالله مستحلفكم، هل رأت البشريةُ منذ وجودها، مثل هذه الفظائع، أو عرفت البَرِيَّة عبر عهودها، مثل تلك الشنائع، هل فعل فرعونُ عُشْرَ ما فعلوا؟ وهل قتل نُمرودُ(٧) معشارَ معشار ما قتلوا؟ بل لو وُضعت جرائم الطغاة عبر القرون في كفّة، ووضعت جرائم أولئك في كفة، لرجحت كفة إجرامهم، وطاشت كفة أقرانهم.

يا قوم.. اقطعوا حبال مَنْ ساند الطغاة، وانبذوا مَنْ صمت عن أفعال البغاة، يا قوم كيف تأكلون وتشربون، وتلعبون وتطربون، وأهل غزة يموتون؟

أينَ الحفائظُ ما لها لم تَنبعث
أينَ العَزائمُ ما لها لا تنبَري
عندَ الخُطوبِ النُكر يَبدو فضلُكم
والنارُ تُخبرُ عن ذَكاء العَنبَر (٨)

فاجْأروا بالدعاء لهم في الأسحار، وسَلوا لهم التثبيت والنصر آناء الليل وأطراف النهار، ادعوا لهم، قولوا: اللهم كن معهم، فمن كان الله معه فهو الغالب، ومن كان عليه فهو الخائب، ولا تبخلوا بمدِّ يد العون لهم، فقد أعرض قريبُهم عنهم، وجار عدوُّهم عليهم، فلا تغضوا الطرف عن مأساتهم.

وَكَيفَ تَنامُ العَينُ ملءَ جُفونها
على نَكَبات أَيقَظَتْ كُلَّ نائم (٩)

يا قوم.. عودوا إلى أصلكم، عودوا إلى جوهركم، ففي أصلكم الشهامة والوفاء، وفي جوهركم النجدة والإباء، فأنتم أحفاد الفاتحين، وأبناء الغر الميامين، فخذوا نصيباً من مآثرهم، وأعيدوا شيئاً من مفاخرهم، وهبوا لنصرة غزة، وسجلوا وقفة عزة.

سأفعلُ فعلَ أجدادي فإمَّا
كما نالوا وإمَّا حيثُ صاروا(١٠)

وأنتم أيها المعتدون، وايْم الله (١١) إنكم أنتم الخاسرون، نعم خسرتم كل ما تريدون، ولم تحققوا ما إليه تَصْبُون، فإذا كانت غايتكم من عدوانكم تحقيق الأمن والأمان، فهذا لم يكن ولن يكون لمجرم عبر الزمان، لأن اللص يحسب كل صيحة عليه، وكل سهم موجهاً إليه، فلا يطيب له رقاد، ولا يتحقق له مراد.

وإن كان مرادكم من فعلكم، التخويف والترويع، والترهيب والتركيع، فهذا ضرب من المحال، لأن الخوف لا مكان له في قلوب الرجال، وأمامكم رجال يطلبون الموت ويريدونه، كما تفرون منه وتخشونه.

كفاكم أيها المعتدون عدواناً، وتجبراً وطغياناً، واعلموا أن دماء أجدادنا، ما تزال تسري في عروقنا، وغبار فتوحهم ما يزال محلقاً في سمائنا، فاحذروا غضب الحليم، كما نحذر منكم غدر اللئيم، فلقد أوشك صبر الأمة على النفاد، وهي عازمة على إعادة الأمجاد.

فتقوم أحفاد لأجداد مضوا
وتعيد مجد أولئك الأجداد(١٢)

ويا أهل غزة، أنتم رمز العزة، أرضكم مثوى الكرام، ومنبت الأعلام، ولست مبالغاً في هذا الكلام، ألم تضم أرضكم في بطنها هاشماً(١٣)، وتُخرج للإسلام عالماً(١٤)؟ هاشم عنوان الجود والبذل، والشافعي صنوان العلم والفضل، اسمع إلى قول القائل من الفحول الأوائل(١٥)، يرثي هاشماً، فيقول متألماً:

مات الندى بالشام لما أن ثوى
فيه بغزة هاشمٌ لا يبعد

واسمع إلى قول الآخر (١٦)، يُجَلّي ما للشافعي من المفاخر:

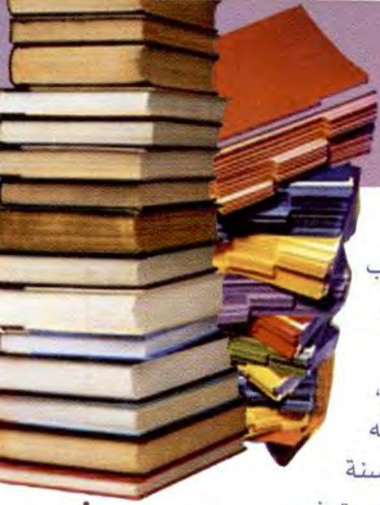
لرَأي ابن إدريس ابن عَمِّ مُحَمَّد
ضياءٌ إذا ما أظلمَ الخَطبُ ساطعُ
أبى اللَهُ إلاّ رَفعَهُ وَعُلُوَّهُ
وَلَيسَ لما يُعليه ذو العَرش واضعُ
فَمَن يَكُ علمُ الشافعيِّ إمامَهُ
فَمَرتَعَهُ في باحَة العلم واسعُ

قال الشافعيّ يحن إلى غزة حنين المشتاق، بعد أن طوّف في الآفاق:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة
وإن خانني بعد التفرُق كتماني
سقى اللهُ أرضاً لو ظفرتُ بتُربها
كحلتُ به من شدة الشوق أجفاني(١٧)

فيا أيها الغزِّيُّون، أنتم ـ لعمر الله ـ منصورون، عرفتم الطريق فَسرْتم، وما ضعفتم وما استكنتم، ولم تلتفتوا إلى أحد، وتوجهتم إلى الواحد الأحد، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه، فلن يغلبه الوجود أجمعه.

● إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



الهوامش

(١) عند النسبة إلى اسم في آخره تاءُ التأنيث، فإن التاء تحذف، كـ (مَكّي) نسبة إلى مكة، و(غَزّي) نسبة إلى غزة، وأما قَوْلُ العامَّة مَكّاويٌّ وغَزّاوي، فخَطأ. انظر: الزبيدي: محمّد بن محمّد «تاج العروس» مادة: م ك ك. والكفوي: أبا البقاء «الكليات» (ج ١ ــ ص ٨٩١).

(٢) مات أناسٌ وهم يتابعون الأخبار الواردة من غزة، في عدد من البلدان، منهم مَنْ نعرفه، ومنهم من سمعنا عنه.

(٣) القائل عبد الكريم القيسي البَسطي، وهو من شعراء الأندلس قبل سقوطها، وكان شاهداً على مأساتها، «وليست النائحة كالثكلى» كما تقول العرب في أمثالها.

(٤) بلغ عدد المساجد التي هدمت في غزة حتى الآن (الجمعة ١٤٣٠/١/١٢هـ الموافق ٢٠٠٩/١/٩ ثمانية عشر مسجداً، وهذا منذ بداية تلك المجزرة المروعة التي بدأوها (السبت ١٤٢٩/١٢/٢٩ هـ الموافق ٢٠٠٨/١٢/٢٧م كما نقلت وكالات الأنباء.

(٥) البيتان لجميل صدقي الزهاوي (ت: ١٣٥٤هـ).

(٦) الأبيات للزهاوي من نفس القصيدة السابقة، وأبدلنا (أهل غزة) مكان (أمر قومك) كما في الأصل.

(٧) أحد الطغاة الجبارين وهو الذي حاول حرق إبراهيم عليه السلام، ونمرود: بالضمّ وإهمال الدال وإعجامها ــ أي: يجوز أن نقول: نمرود ونمروذ ــ وذهب بعض النحاة إلى أن اشتقاقه من التَّمَرُّد. انظر: ابن منظور «لسان العرب»، والزبيدي «تاج ال تاج العروس» ــ مادة: ن م ر د.

(٨) البيتان لإبراهيم بن سهل الأندلسي (ت: ٦٤٩ هـ). انظر ترجمته في الأعلام للزركلي - (ج ١ ــ ص ٤٢ و٤٣).

(٩) قائل البيت هو الأبيوردي أبو المظفر محمد بن العباس (ت: ٥٠٧ هـ)، وفي الأصل (هفوات) مكان (نكبات).

(١٠) البيت لمصطفى صادق الرافعي إمام العربية ــ رحمه الله تعالى ــ (ت:١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٧ م).

(١١) أَيْمُ الله وإيمُ الله أيضاً بكسر الهمزة، هي كلمة قسم. ابن منظور ــ لسان العرب ــ مادة: ي م ن.

(١٢) البيت لجميل صدقي الزهاوي.

(١٣) هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قريش (مات نحو ١٠٢ ق هـ، ٥٢٤ م): أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي ﷺ قالوا: اسمه عمرو، وغلب عليه لقبه «هاشم» لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات، مات في غزة، وبه يقال لغزة: «غزة هاشم» وإليه نسبة الهاشميين. انظر: «الأعلام» للزركلي (ج ٨ ــ ص ٦٦).

(١٤) المراد به الشافعي: هو محمد بن إدريس القرشي المطلبي، فقيه العصر، صاحب المذهب، لَهُ: كتاب «الأم»، وكتاب «الرسالة»، وغيرهما، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ على الأصح، وتوفي ــ رحمه الله تعالى ــ بمصر سنة ٢٠٤ هـ. انظر: النووي «تهذيب الأسماء» (ج ١ ــ ص ٦٤).

(١٥) مطرود بن كعب الخزاعي: شاعر جاهلي فحل، لجأ إلى عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف لجناية كانت منه، فحماه وأحسن إليه، فأكثر مدحه ومدح أهله. الأعلام للزركلي (ج ٧ ــ ص ٢٥١).

(١٦) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني)ت: ٣٢١ هـ (من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب المقصورة الدريدية، من كتبه (الاشتقاق) في الأنساب، و(الجمهرة) في اللغة، و(أدب الكاتب)، و(الأمالي). المرجع السابق(ج ٦ ــ ص ٨٠).

(١٧) انظر: الحموي: ياقوت ــ معجم البلدان ــ باب الغين والزاي وما يليهما.





الإعجاز في رسم المصحف بين القبول والرفض

أخذت العناية بالكتاب العزيز أشكالا كثيرة متنوعة طالت مناطق مختلفة مما يرتبط به، حتى صارت العناية بخطه وطريقة هجائه علما مستقلا في قائمة علوم القرآن، وهو ما تجد مصداقه في الأبواب التي صنعها المؤلفون في علوم القرآن كما يلي:



د. خالد فهمي

١- باب في كتابة المصحف وهجائه في «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ ص ١١٩-١٢٩.

٢- علم مرسوم الخط في «البرهان في علوم القرآن» للسيوطي توفي سنة ٩١١ هـ مج٢ ج/٤ ص ١٤٥-١٦٦.

٣- كتابة القرآن ورسم مصاحفه وما يتعلق بذلك في «مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٧هـ ج ١/ص٣٦١-٤١١.

وقد عرف التاريخ العلمي عند المسلمين استقلال التصنيف في هذا العلم منذ وقت قديم جدا لأمثال: يحيى بن الحارث الذماري، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، والغازي الأندلسي، وأبي عمرو الداني وغيرهم كثيرون (١).

١- تطور التأليف في رسم المصحف مدخل لقضية القول بإعجازه.

لقد كانت مباحث رسم المصحف في تاريخ العناية به تهدف إلى نوع من حفظ ما ورد في المصاحف القديمة على اعتبار أن الفتوى الثابتة المستقرة تقضي بوجوب التزام الرسم العثماني عبر العصور خلافا للعز بن عبدالسلام فيما روي عنه!

ولعل السر وراء ذلك الإجماع كامن في إغلاق الأبواب التي يمكن أن تفضي إلى تحريف الكتاب العزيز.

على أن ثمة تطورا مهما أصاب هذا العلم وتوسع فيه أبوالعباس أحمد بن البناء المراكشي (٦٥٤-٧٢١هـ) في كتابه «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل» (٢).

وخطورة هذا الكتاب أنه صنع اتجاها كاملا، صارت له الغلبة والجلبة فيما بعد، يفسر اختلافات الرسم العثماني في الكلمات تفسيرا يعكس الإيمان بإعجاز رسم المصحف، وهوتطوير واسع المدى للاتجاه القائل بتوقيف الرسم المصحفي، ومن لوازمه المفرطة في التأويل.

وقد وصف هذه المحاولة التي وجدت من ينسج على منوالها د.غانم قدروي الحمد في دراسته الرائدة «رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية» بغداد ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م ص ٨

وكان أساس هذه المحاولة هو تفسير ظواهر الرسم على أساس اختلاف معاني الكلمات حسب السياقات بأسلوب صوفي باطني» وعلى الرغم من قسوة هذا الوصف فإن ثمة ما يدعمه من بعض عناوين مؤلفاته من مثل «مراسم الطريقة في فهم الحقيقة» و«شرح مراسم الطريقة» و«رسالة في طبائع الحروف» وهي جميعا عناوين تضرب في اللغة الصوفية بسهم.

هذا فضلا عما عرضته د. هند شلبي في أثناء حديثها عن مذهب ابن البناء في تعليل رسم المصحف في تقسيمه على ظاهر وباطن في باب ما يدرك.

وهذا هو الخطر في المسألة، وفي تطور النظر في قضية القول بما سمي عند بعض المعاصرين بإعجاز التلاوة!

٢- الانتصار لآراء ابن البناء المراكشي

وقد انتصر لأفكار ابن البناء المراكشي منذ فترة مبكرة جدا، وربما يكون هذا الانتصار قد وقع في حياته، إذ نرى نقولا وموافقة من الزركشي ٧٩٤هـ، ثم استمر هذا الانتصار عند السيوطي ٩١١هـ .

حتى جاء العصر الحديث لنرى لمذهب أبي العباس هذا أثرا في مواقف من تعرضوا لدراسة الرسم من بعده، على ما نرى في دراسة د.عبد الحي حسين الفرماوي في كتابه «رسم المصحف ونقطه» الذي كان في أصله رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

ثم جاء محمد شملول ليتطور بالقضية تطورا أوسع مدى عندما ينتصر لابن البناء المراكشي ويؤلف في القضية تحت عنوان «إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة» ، طبعة دار السلام، القاهرة ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م بتقديم د.علي جمعة، مفتي الديار المصرية.

وخطر العنوان أنه يلزم منه وضع الذين قالوا بأن خط المصحف اصطلاحي وليس توقيفيا في موقف حرج دينيا وعقديا!

وواضح أن قراءة القضية من إطار وجداني عاطفي يحكم بمتابعة رأي المراكشي، فمن ذا الذي لا يرقى بمنزلة الصحابة، ويرقى بمنزلة خط المصحف، وأن وراءه أسرارا وكنوزا؟

ويبدو أن البعد الباطني في قراءة اختلافات الرسم العثماني كان واضحا منذ فترة بعيدة قديمة، وهوما يفسر الحدة التي واجه بها ابن خلدون ٨٠٨هـ هذا الاتجاه ، فيقول في مقدمته «تحقيق د.علي عبد الواحد وافي ٩٦٦/٢»: ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم (أي الصحابة) كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿لا أذبحنه﴾ (النمل -٢١)، إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في قوله تعالى ﴿بأييد﴾ (الذاريات -٤٧)،

● أستاذ اللغة العربية في جامعة المنوفية



ـه تنبيه على كمال القدرة الربانية.

كتاب ابن البناء تفسير قريب ـما يسخر منه ابن خلدون هنا، قول المراكشي في لغة باطنية ٩١ ولا شك أن القوة التي بنى بها الله السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر ني الإدراك الملكوتي في الوجود».

يستمر محمد شملول في إعجاز رسم القرآن» ص ١٤٩ إن زيادة حرف «ي» في كلمة بأييد يوضح قوة وشدة السماء متانة سمكها وبنائها»!

وقد كان ذلك أمرا واضحا عند .عبد الحي حسين الفرماوي لذي صنع مبحثا مستقلا بعنوان الدلالة على معنى خفي دقيق» ومثل فيه أول ما مثل بزيادة الياء في قوله تعالى ﴿بأييد﴾، ليصل إلى أن يقرر ٤٢٨ » وهكذا لا بعدم المتأمل في الرسم بعقل واع وقلب مستضيء من أن يقع على أسرار من أسرار الإعجاز في الرسم، فلله در القرآن ما أعظم بركاته ! وما أكثر أسراره لفظا ومعنى ورسما.

٣- الساحة ليست فارغة

والحق يقتضي أن نقرر أن غلبة هذا الصوت القائل بإعجاز رسم المصحف المدعوم بقبول وجداني وعاطفي عام لا يصح أن تبعدنا عن اتجاه مهم جدا يرى أن رسم المصحف لا مدخل للتوقيف فيه، إنما هوصناعة بشرية اضطلع بها الصحابة رضوان الله عليهم .

ومن أقدم من انتصر لهذا الاتجاه أبوبكر الباقلانى وابن خلدون على ما رأينا في تعليقه على القائلين بوجود أسرار كامنة خلف الرسم ومن المعاصرين الشيخ حسين والي وأحمد حسن الزيات ود.رمضان عبد التواب ود.غانم قدوري الحمد ود.علي عبد الواحد وافي.

رسم المصحف وطريقة كتابته أمراً اجتهادياً وليس توقيفياً وأنه صناعة بشرية خاضعة لظروف كل زمن

وهذه بإجمال أبرز أدلة القائلين بعدم توقيفية الرسم العثماني.

أ- عدم بيان السنة وجها معينا لرسمه.

ب- لا دليل من القرآن ولا القياس الشرعي يوجب رسمه على وجه مخصوص.

ج- اختلاف خطوط المصاحف

٤- تساؤلات على الطريق

والحق أن ثمة تساؤلات كثيرة ينبغي التوقف أمامها في هذا السياق لأهميتها، وأول ما يجب التنبيه إليه هو كيف جاز للأمة أن تقبل بإدخال أية تعديلات تحسينية على الخط أو الرسم العثماني عبر العصور من مثل: نقطه وإعجامه، أي التمييز بين حروفه باستعمال النقط، وهو ما لم يكن موجودا في الرسم الذي تم في عهد النبي ﷺ ولا في الجمعين اللذين وقعا في عصر أبى بكر وعثمان رضي الله عنهما.

أفليس قبول هذا التعديل، ومن قبله الموافقة على إجرائه إعلان بعدم توقيفية الرسم المصحفي؟!

ثم أليس دخول الضبط (الشكل) وتطوره في مرحلتين، هما مرحلة الضبط بالنقط بالمداد الأحمر بجوار النقط أو الاعجام بالمداد الأسود، ثم الضبط باستعمال الأشكال التي ابتكرها الخليل بن أحمد ١٧٥هـ والتي استمرت إلى يوم الناس هذا. (الضمة بُ والكسرة بِ وقد كانت في أصلها ياء مرتدة تحت الحرف، والفتحة بَ وهي ألف مضطجعة فوق الحرف، والشدة ، وهي رأس شين مهملة فوق الخط، وبْ التي كانت في أصلها رأس خاء مهملة فوق الحرف) أقول أليس دخول الضبط أيضا دليلا على عدم توقيفية الرسم العثماني؟!

وهل يصح أن يكون الرسم الناقص الذي تم إدخال عدد من التعديلات والتحسينات عليه توقيفيا؟

أمر ثان يجب أن نتأمله جيدا وهو مع إقرارنا بمنزلة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومع قولنا بجهادهم العلمي في خدمة الكتاب العزيز، هل ثبت القول بعصمتهم؟ وهل روي عن احد من السلف أو الخلف القول بقداسة ما صنعوا أو فعلوا؟ وهل صح أنهم جميعا كانوا أئمة في الاجتهاد والعلم ولا يجوز في حق أحد منهم الخطأ فيهما؟ اللهم لا. وإذا كان القول بعصمة الصحابة غير وراد فان القول بتنزيه خطوطهم عن الاضطراب أمر يحتاج إلى شيء غير قليل من المراجعة والتأمل.

هذان إشكالان مهمان يمكن أن يضاف إليهما عدد آخر من الإشكالات يلزم الجواب عنها قبل التورط في القول بإعجاز رسم المصحف الشريف من مثل: هل ورد أن جبريل عليه السلام نزل بنسخة مكتوبة من القرآن الكريم، وهل نزل مصحف من السماء؟ اللهم لا!

٥- العلاقة بين القول باصطلاحية الرسم المصحفي والقول بمخالفته.

والحق - كذلك - يفرض علينا أن نقرر أن القول بعدم توقيفية الرسم المصحفي وأنه صناعة بشرية خاضعة لما كان شائعا مألوفا من قواعد الكتابة العربية في ذلك الزمان البعيد، وخاضعة لاختلاف مستويات الصحابة الكتاب في الكتابة والتدوين والإتقان في هذا الباب المهاري أقول إن القول بهذا لا يلزم منه القول بمخالفة الرسم العثماني للمصحف الشريف، ذلك أن المنع من مخالفته، ووجوب التزامه والحفاظ عليه لاعتبارات وعلل أخرى يأتي في مقدمتها:

أ- إغلاق الباب أمام العبث بالقرآن الكريم.

ب- تقديم الجهد العلمي الجبار الذي اضطلع به الصحابة العلماء الذين قاموا على جمع المصحف الشريف وتدوينه وكتابته.

ومن المهم أن نقرر أن الانتصار للقول بأن رسم المصحف الشريف صناعة بشرية وليس توقيفا إنما كان احترما للأدلة النقلية والعقلية وأنه - وما يتولد عنه من نتائج - لا يصح أن يتخذ ذريعة لهجرانه ومخالفته، فذلك ما لا يرضى عنه مسلم.

المراجع

١- انظر: الفهرست لابن النديم ٣٨ وما بعدها ودراسة د. أحمد شرشال لكتاب «مختصر التبيه لهجاء التنزيل» لابن نجاح المتوفى سنة ٤٩٦هـ ج١/١٦٤-١٩٩.

٢- حققته ونشرته د. هند شلبي في دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٩٠م

٣- اعتمدنا طبعة دار نور المكتبات، والمكتبة المكية، بجدة ومكة المكرمة سنة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.



العـــدو العـــربي في أدب الأطفال الصهيوني

علاء الدين رمضان

إن أمتنا الإسلامية تعيش - منذ زمن - مأزقا حضاريا وإنسانيا خطرا، هذا المأزق يحوجنا إلى تعيين الأعداء، ونقاط العداء الرئيسة، حتى يتثنى لنا التعامل معهم ومع عداوتهم بحسم وقوة، وعدونا الرئيس في تلك الحقبة - من جملة الأعداء الظاهرين - هو الكيان الصهيوني، وهو كيان لا يجدي معه التعامل من الخارج فقط، بل لا بد أن نتغلغل في أعماقه حتى نتمكن من صناعة آليات لمواجهته، ومن أهم ما يمكننا درسه في المجتمع الصهيوني - سعيا وراء ذلك - هو التربية اليهودية للأطفال خاصة، ثم أدب الأطفال العبري على نحو أخص، لأنه يوجه أطفالهم نحو أهداف استراتيجية وأيديولوجية محددة، وقد حاولت أن أقدم ههنا ملمحا من ملامح الأدب العبري الموجه للأطفال، وآلياته من خلال هذه المقالة حول صورة العربي في هذا الأدب.

سادت الحياة الفكرية اليهودية في القرن التاسع عشر حالة من الاتزان الفكري تجاه العرب، وكان للأدباء اليهود دور مهم في دعم ذلك التيار، فمن رواد الأدب اليهودي بنجامين دزرائيللي ١٨٠٤ - ١٨٨١ الذي عالج في رواياته صورة العربي من وجهة النظر اليهودية السائدة في ذلك العهد، ففي روايته «كوننفزبي» صنف العرب في المرتبة الثانية - بعد اليهود - في المنظومة العرقية القوقازية، وبعد ذلك بعامين كتب رواية أخرى هي «تانكريد»، وصف فيها العرب بأنهم يهود على ظهور الخيل.

وقد خلقت كتابات دزرائيللي اتجاها في التصور اليهودي للعرب يدعمه التوجه الاجتماعي اليهودي الذي كان يرى في العرب أبناء عمومة، كما كان هذا الاتجاه أساسا من أهم الأسس التي انطلق منها التصور البوبري للعرب، وهو تصور تشكل بين يدي «مارتن بوبر»، الذي يعترف بالنظرة المعتدلة للعرب على أساس الاعتراف بالظلم التاريخي الذي وقع عليهم، والذي تمثل في طردهم من ديارهم بزعم أن شعبا بلا أرض قد وجد أرضا بلا شعب- بحسب مقولة إسرائيل زانغويل الشهيرة - لكن هذا التصور لم يعد له وجود مقدر في النفسية الاجتماعية الصهيونية بعد أن أشبعت بالقتل والطغيان والإرهاب وترويع الآمنين العزل من العرب، وهذه النفسية الجديدة قد خلقت اتجاها تصوريا إزاء العرب يرى أنهم: أهل صحراء، وهمج، و جهلة لا يرون، ولا يفهمون ما يجري حولهم، كما قال كاتب صهيوني روسي ملقب بـ أحد العوام (آحادها عام) سنة ١٨٩١.

إتجاهات ايدولوجية

وتتميز القصص المكتوبة للأطفال بخاصة، في الأدب اليهودي، بتعدد الاتجاهات الأيديولوجية في القصة الواحدة، كما اهتم بعض الكتاب بتقسيم القصة الواحدة إلى وحدات فكرية متعددة، ومثل هذا الأسلوب في الكتابة يدفع الملل عن القارئ، ويحدث لدى الأطفال نوعا من التفكير المتحفز والذهن النشط، كما أن هذه الطريقة في الكتابة تبعد عن المباشرة في التوجيه الأيديولوجي، وهو أنسب الطرق وأنجحها في مخاطبة الأطفال الذين يكرهون التدخل بالإرشاد المباشر ممن هم أكبر منهم سنا.

فيلجأ كتاب الأطفال في الأدب العبري من خلال عوامل الجذب والتشويق إلى إحياء تقاليد العنف التي تعد رمزا للتمرد اليهودي والبطولة والشجاعة اليهودية.

كما أنهم يحاولون تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الأطفال في القضاء على العدو العربي





من جهة، وإزالة أسباب التوتر والخوف لدى الأطفال اليهود من جهة ثانية، فهم يقدمون العرب على أنهم كثيرو العدد،كثيرو الموارد، ولا يريدون غير إبادة اليهود وإزالة إسرائيل من الوجود.

عرس الكراهية

ويزرعون في نفوسهم مفاهيم القوة والعنف والعداء وتثبيت معاني القتال حتى الموت، كما يعلمونهم ويدخلون في روعهم أن حياتهم رهن الانتصار الدائم على العرب، كما أن حياة أمهاتهم وآبائهم وإخوانهم وأفراد أسرهم الآخرين ومواطنيهم يهددها العرب باستمرار. وقد ظلت هذه النظرة الصهيونية المعادية للعرب تزداد سوءا منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى الآن، وقد انعكست هذه النظرة الصهيونية في كتاباتهم وأدبهم، بل ازدادت وضوحا وحدة وعداء للعرب، في الأدب الموجه للأطفال، إذ جعلت الحكومات والأجهزة التربوية الصهيونية نصب عينيها هدفا سياسيا وأيديولوجيا رئيسا تسعى إلى تحقيقه وتأكيده وترسيخ دوره في المجتمع المحيط، من خلال تنمية الوعي اليهودي الإسرائيلي لدى الأطفال والشباب، وغرس المبادئ الصهيونية في نفوسهم وتلقينهم قيم الحضارة اليهودية، وحب إسرائيل والولاء للحركات اليهودية والصهيونية.

وقد لوحظ أن لأدب الأطفال والمناهج المدرسية أثرا كبيرا في صياغة العقل والخيال لدى الأطفال اليهود، ففي دراسة أجراها أحد أساتذة علم الاجتماع في إسرائيل على طلاب المدارس الابتدائية، خرج بالنتيجة التي تقول: إن ٦٠ ٪ من بين ١٠٦٦طفلا قابلهم، تتراوح أعمارهم بين ٩- ١٤ عاما، أيدوا الإفناء الجماعي الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في الأرض المحتلة، في حالة وقوع صراع مسلح مع الدول العربية، إذ ترسخ التربية الصهيونية من خلال أدب الأطفال أسسا تراها من أهم الأسس اللازمة لاستمرار الدولة الصهيونية على الأرض العربية منها:
تقديس اللغة العبرية بوصفها لغة دينية، ومن ثم العمل على نشرها وتوسيع رقعتها.
تنمية الثقة في النفس، وإضفاء مسحة القداسة على حياة اليهود وتاريخهم.
غرس الروح العسكرية لدى الأطفال ووضعهم في جو مهيأ للحرب والتأكيد على أن أمر الانتصار اليهودي أمر مسلم به، وغير قابل للمناقشة أو التحول.
جعل البروتوكولات التي وضعها حكماء صهيون أساسا جذريا للتعليمات والتقاليد والحياة الدينية للأطفال.

قنابل ورقية

ومن أهم الكتب اليهودية الموجهة للأطفال، تلك التي ساهمت في تشكيل هذا التيار العدائي ضد العرب: السامبا' وهي قصص مسلسلة كتبها يغيئال موسينيزون في خمسينيات القرن العشرين، وفتحت الطريق سافرا للعداء والاضطهاد العنصري فظهرت عدة كتب قصصية موجهة أيديولوجيا وتربويا للأطفال الصهاينة، ومن هذه المؤلفات أيضا: ما كتبه حاييم غبور مؤرخا لأمجاد جماعة تطلق على نفسها اسم هافو عوز، والرواية تصف للأطفال كيفية انتصاراتهم السهلة على العرب الأغبياء! وظهرت كذلك روايات: البغضاء الأربعة،وجماعة شوفتيشيك، وعملية جوش عتسيون وهي من مؤلفات الكاتبة الشهيرة أرنونا جادوت، كما كتب أورجيل جي قصة تحكي عن الجبابرة اليهود الأبطال الذين تعقبوا العرب المخربين، عنوانهاالجبابرة يتعقبون المخربين.

ويبقى أخطر ما يقدمه الأدب اليهودي للأطفال كامنا في كتابات عيدان إستر، وهو الاسم الوهمي لحزاي لوفمان رئيس التحرير السابق لمجلة الجيش الإسرائيلي بما حانيه، وأون سريج وهو شارنما غفتي عضو منظمة ليحي سابقا، فكتاباتهما مسلسلة تعتمد على ترسيخ بطل فرد، هو الفتى الإسرائيلي الصغير الذي ينتصر على العرب، فمن أهم ما كتب شارنما غفتي قصة دانيدان الفتى اليهودي الذي تسلل إلى مصر وفجر العلبة التي دمرت كل أرض العدو وبسكانها، ولم يكم للمصريين الجبناء رد فعل إلا قولهم: هيا نهرب، صاح ناصر وبدأ يفر، ولكن بسرعة سقط على الأرض، فاستجمع قواه ووقف مذعورا، وهرول، ومعه كل من شهد الموقف.

وقد أصدر إلياهو عاش بيبر مجموعة السقوف الحمراء للأطفال عام ١٩٦٥، وهي مجموعة قصصية للأطفال تتحدث عن الخطر المحدق باليهود نتيجة العمليات البربرية التي يقوم بها العرب في سبيل اجتثاث أرومة اليهود والقضاء عليهم، كما صدر في عام ١٩٦٧ كتاب بعنوان الجيديونيت ألفه عمر ديفورا، وهو ينادي الأطفال بالالتزام بيهوديتهم ضد العدو العربي والتمسك بأرض الميعاد، وفي عام ١٩٦٩ أصدر بني متيف كتابا سماه في ظل شجرة السنط، ينقل للأطفال أهمية أن يعيش الإنسان اليهودي في وطنه ويحاول أن يمس من قريب قضية الخطر العربي على الوجود الإسرائيلي وقضية الأمن الإسرائيلي في مقابل التهديد العربي، ثم توالت المؤلفات التي تشير إلى العداء العربي الإسرائيلي، أو تخلق أنموذجا لهذا العداء وتحفز عليه، ففي عام١٩٧٠ نشر موشي بتشاؤول مغامرة سر الكلمات المفردة، وصدرت في تل أبيب عام ١٩٧١ مجموعة قصصية، على المنوال نفسه، تأليف زيفاج بنشالوم.

وقد تخطت بعض الكتب الموجهة للأطفال حدود الأدب واللغة العبريين، إلى آداب ولغات أخرى،ومن أشهر كتب الأطفال ذات الدور الإعلامي الصهيوني العالمي: كتاب داود الصغير أو حكاية إسرائيل تروى للأطفال، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدد كبير من اللغات الحية حتى يقرأه يهود هذه اللغات فيحيا في نفوسهم أمل العودة إلى أرض الميعاد كما يزعمون ويخططون.

المراجع

١-د.سناء عبد اللطيف: الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري في إسرائيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العبرية وآدابها، عام ١٩٩٢م.
٢- هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.
٣ - هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، عالم المعرفة . ١٢٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨م.
٤ - ندعوكم لزيارة موقع القدس عبر الانترنت، ومواقعه الفرعية: الوهن frustrate، والسلام peace، والفيصل strict، وقدسنا ourQods، على العنوان التالي:
/http://www.geocities.com/alauddin٧٠ alQods.htm



رباعيات مقدسية

وحيد الدهشان

القدس قدسي والمحراب محرابي
والساح ساحي والأبواب أبوابي
وقبة الصخرة الشماء قبتنا
والأرض أرضي فيها إرث أحبابي
وبين مكة والأقصى عرى نسب
خطى البراق هنا مفتاح أنسابي
ما راح يتلو من الإسراء مدكر
وما الشهادة قالت إيه خطابي



القدس جرحي وآلامي وأوجاعي
بدء انطلاقي لآمالي وإقلاعي
يدمي هنا معصمي والقيد في يدها
وصمتها كم سرى رعداً بأسماعي
لو جاع في القدس طفل جعت في شبعي
وإن بكى زلزلت روحي وأضلاعي
القدس مسرى رسول الله تربتها
بوقع أقدامه معراج إبداعي



القدس مفتاحها الميمون مفتاحي
على رباها نما حزني وأفراحي
من يوم أن وقع الفاروق عهدتها
قد أفصح العدل فيها خير إفصاح
حتى أتاها الدجى والغدر في يده
يغتال روحي بها يجتث أدواحي
متى بشمس الهدى تختال مصبحة
وفي الليالي يشيع الأنس مصباحي

القدس يجري هواها في شراييني
أصحو على نبضها في الحلم تأتيني
القدس عشقي وتاريخي وملحمتي
لها انتفاضة شعري في دواويني
القدس ليست مكانا في خرائطنا
القدس صخري وصاروخي وسكيني
القدس عزمة ياسين بمقعده
أنفاس جند صلاح عند حطين



القدس قدسي وكانت قبلتي الأولى
لا لست أفدي الثرى بالقول معسولا
القدس حب بحجم القلب منشرحا
والقلب ليس هنا عرضا ولا طولا
القدس حب جنوني ومشتعل
لو ساحة العشق تأبى الحب معقولا
القدس حب حقيقي نواصله
وليس بالحب حب ليس موصولا



القدس قدسي ولي وعد وميقات
ما عاش من عاش أو ما مات من ماتوا
وعد من الله بالتمكين يدركه
من آمنوا إن علا واغتر أشتات
وعد تغني له أشجار مقدسنا
وتحت أحجاره للرمل ذرات
فلتفسدوا يا لفيف الشر وارتقبوا
فإنها في طريق الوعد آيات





مرثية حي

إبراهيم الأسود

أبنوه إبان فوداه شابا   أو إذا سيم عن بنيه اغترابا
تان للموت صورتان فأمعن   نظراً فيهما ودقق حسابا
صاح إنا بين المنى والمنايا   ما أرانا إلا فقدنا الصوابا
والذي في لمامه نتبارى   بلغة ندعيه لا إعجابا
هو ضرب من المعابة فاضرب   عنه صفحاً وانفض يداً وعياباً
دق جداً تحليل فلسفة الرز   ق وأمهل جريا ووفر عذاباً
فاعْنَ أو فاغْنَ بالهوادة والرفـ   ق مجيبا بالكد أو منجابا
لو تشاء الحياة وصف غني   أو قوي، قالت له: يا ترابا
إن دنياك هذه يا أخا الحـ   ـب عجوز، لكنها تتصابى
والذي في بنائها يشبه العنـ   ـدم هذا دم وليس خضابا
وهي كالزوجة الفروك تداجيـ   ـك، فإن غبت غمغمت: لا آبا
خذ زكاة للعاملين عليها   من همومي فقد بلغن النصابا
وخذ الحلم والتجاريب مني   والنهى والأخلاق والآدابا
ما وقار المشيب عندي بغنم   خذه واغنم به وبعني الشبابا
والتي عششت على أم رأسي   مسخت بومة وكانت غرابا
شب فيها القتير حتى حسبت الـ   ـصبح أوفى أو مفرق الليل شابا
رغم أنف الحياة لا رغم أنفي   إن يكن واعز المنون أهابا
فهي أصبى إلي مني إليها   فإذا ما أصبت جلت مصابا
ظل فكري (حي بن يقظان) فيها   نصف قرن والموت يصرف نابا
قذفتني شرارة فتعالى   أدبي بي حتى غدوت شهابا
فأثارت ضروب غين ورين   ضربت دون مجتليَّ حجابا
فلذا لو نَوَّهْتَ في الأرض باسمي   لم يصادفك من يحير جوابا
بينما لو سألت في الأفق عني   كوكباً، لم يسعه أن يتغابى
غير أني أسلمت وجهي للـ   ـه اتضاعا لوجهه واحتسابا
في نهار من المحجة ضاحٍ   لم ألج من ظلمائها سردابا
مطمئن الفؤاد حيناً، وحيناً   ينثني القلب خافقا وجابا
واهلاً إن عَدَّدْتُ بعض ذنوبي   بيد أنْ لم أُعَدِّد الأربابا
ومليكي أغنى وأكرم من أعـ   ـتق فضلا عن العبيد الرقابا
مبغض من عباده كل من أغـ   ـلق في وجه مجتديه البابا
يا تباركت خالقي وتعاليـ   ـت عميما جوداً ورحباً جنابا
عطر الروح بالقبول وأشرع   لي بين السماء والأرض بابا
وكما قد أحسنت في البدء هدياً   رب أحسن ختماً وأحسن مآبا





إعداد: مصطفى عاشور

إصدارات

■ «ألفاظ عامية فصيحة» الكتاب هو موسوعة جمعت حوالي (١٤٠٠) كلمة عامية يعتبرها العرب ليست فصحى، لكنها ذات جذور عربية أصيلة، كما يقدم الكتاب تصحيحا لعدد من الكلمات التي تم تحريف نطقها في الاستخدام العامي الدارج وهو ما غير من وجهها العربي الأصيل، حيث بدلت العامية الثاء إلى تاء، والهمزة إلى ياء مثل كلمة بئر تحولت في العامية إلى بير، والكتاب تأليف محمد داود التنير، ويقع في (٢٤٥) صفحة وهو صادر عن دار الشروق بالقاهرة ٢٠٠٨.

■ «جذور الأصولية الإسلامية في مصر المعاصرة» تأليف أحمد صلاح الملا، وصادر عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة في ٢٠٠٨ وعدد صفحاته ٤١٢ صفحة، ويناقش الكتاب أسباب ظهور التيار السلفي الذي ينسب إلى الشيخ رشيد رضا ومجلته المنار، والتي أصدرها في الفترة من ١٨٩٨م حتى ١٩٣٥م رغم أن جذور تلك المدرسة نبتت في المدرسة الإصلاحية للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والكتاب يحاول في بعض جوانبه أن ينظر إلى الأسباب التاريخية للقضية من منظور طبقي.

■ «مريم المسلمة» كتاب من تأليف ميشيل دوس، وترجمة عبود كاسوحة، وهو صادر في بيروت سنة ٢٠٠٨ عن دار قدمس للنشر والتوزيع، ويتناول الكتاب صورة السيدة مريم- عليها السلام- كما صورها القرآن الكريم، حيث يرى مؤلف الكتاب- وهو أستاذ في التاريخ والديانات التوحيدية الثلاث على أن النص القرآني ليس أقل تمجيدا للسيدة مريم من النصوص الإنجيلية.

■ «ماذا لو لم يظهر الإسلام» هذا الكتاب رغم صغر حجمه (٤٦صفحة) إلا أنه يكتسب أهميته من جانبين: الأول من مؤلفه جراهام فولر، الذي شغل مناصب متقدمة في المخابرات الأمريكية، والثاني كون السؤال طريفا في طرحه، وعميقا في مقصده ومعناه، فيتساءل الكاتب عن حجم التحديات التي كان سيواجهها الغرب إذا لم يكن الإسلام موجودا في منطقة الشرق الأوسط، وعن شكل العلاقة بين الشرق والغرب في حالة عدم وجود الإسلام، كذلك مستقبل الديمقراطية في المنطقة، وهو ما يؤكد أن الإسلام هو الذي أعطى المنطقة قوتها وأهميتها وحيويتها، والكتاب صادر عن مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٨.

«السامية والحداثة الأوروبية»

المسألة اليهودية هي إحدى الظواهر السلبية للحداثة الأوروبية، تلك الحقبة التي دعت للتحرر من السيطرة الدينية وإعلاء العقلانيات الإنسانية، والتأكيد على الحقوق المدنية والمساواة بين أبناء أي مجتمع بشري بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي.

ومن سلبيات حقبة الحداثة الأوروبية تنامي الشعور القومي ليحل محل الانتماء الديني الذي سيطر على أوروبا في العصور الوسطى، فبينما كان الأوروبيون يعرّفون أنفسهم من خلال الانتماء الديني المسيحي- بشقيه الكاثوليكي أو البروتستانتي- حلّ الانتماء القومي مع الحداثة محل الانتماء الديني، وشهدت أوروبا ميلاد الأمة كنواة للدولة الحديثة.

وفي هذا السياق الأوروبي كان لا بد من طرح السؤال عن وضع اليهود كمجموعة أوروبية، هل هم مجموعة قومية أم مجموعة دينية؟ فإن اعترف الأوروبيون بـ«يهودهم» كمجموعة قومية وَجَبَ عليهم السماح لهم ببناء دولة مثل بقية الشعوب الأوروبية، وإذا اعترف الأوروبيون بـ «يهودهم» كمجموعة دينية! فإن اعترافاً كهذا يمثل خرقاً لمبادئ الثورة الفرنسية التنويرية الرافضة للهوية الدينية الجماعية..وهنا ولدت المسألة اليهودية، رغم أن جذورها تعود إلى عصور أوروبا الوسطى - حيث كان اليهود يعيشون على هامش المجتمعات الأوروبية - وعرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر انقسامات شديدة داخل التجمعات اليهودية، فبينما تأثر معظم يهود الغرب الأوروبي بالأفكار التنويرية، واختلطوا بمجتمعاتهم وعُرفوا بـ «يهود الغرب»، تشبثت معظم تجمعات أوروبا الشَرقية من اليهود بالفهم التقليدي للديانة اليهودية، معتبرينَ أنفسهم حماة تراثهم الديني من الاندثار.

ومع موجات التطرف القومي الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذ العداء لليهود في التزايد، وهو عداء لم يكن بالجديد في أوروبا، وظن عدد من المثقفين اليهود أن ذوبانهم في أوروبا العلمانية، سينهي الكراهية الأوروبية المشرّعة دينياً، لكن خاب الظن، فتزايد التطرف القومي الأوروبي وأتى بكراهية عرقية لليهود أخذت بعداً أيديولوجياً تمثله ظاهرة العداء للسامية.

وكان أول من استخدم مصطلح العداء للسامية صحافي ألماني مغمور يسمى فيلهيلم مَرّ (١٨١٩-١٩٠٤)، وقد استغل النقاشات الدائرة في ذلك الحين حول الثورة الصناعية وما جلبته من تغيرات اجتماعية وصراعات بين فئات المجتمع الألماني من رجال الدين الخائفين من اندثار الروحانيات وتعاظم الماديات كنتيجة للعلمنة، ليصدر كتيباً عنوانه «نتصار اليهودية على الجنس

«الهوية.. من نحن؟.. وأيضا من الآخر؟»

جاء سؤال الهوية في الوعي العربي متأخرا عن سؤال النهضة، ولا شك أن سؤال الهوية هو سؤال وجودي، لأنه يسأل عن الذات والآخر المواجه لها، فالآخر هو المرآة التي تُرى من خلاله الهوية، فإذا غاب الآخر أصبحت الهوية كامنة، ولعل ذلك ما جعل بعض الأوربيين يرون أن وجود المسلمين في تلك القارة هو الذي دفع الأوروبيين للبحث والتنقيب عن هويتهم وأن يطرحوا على أنفسهم السؤال الوجودي: من نحن؟

والإشكالية هنا هل سؤال «من نحن؟» تفكيكي يحاول تفكيك الـ «نحن» ليتوصل إلى تكوينها، أم أنه تركيبي يهدف إلى تركيب المتناثرات لتكون الـ «نحن»؟ وهل الهوية كيان مكتمل التصنيع وغير قابل للتشكل إلا مرة واحدة، أم أن الهوية كيان متعدد الطبقات تستدعى كل طبقة حسب التحدي الذي يمثله الآخر، وهل الهوية كيان بلوري شفاف يعطي انعكاسات مختلفة حسب الأضواء التي تسقط عليه، وبالتالي فالآخر هو الذي يحدد ما يظهر من هويتنا وما يترتب على ظهوره من حركة وفعل سياسي واجتماعي وغيره؟

يرى البعض أن اقتصار تشكيل الهوية على الدين فقط هو نوع من السجن لها، إذ يحصرها في مكون واحد، لكن هذا الاتجاه يمتلك رؤية تقزيمية للدين في شتى مجالات الفكر والحياة، متجاهلا أن الدين هو أحد أهم مكونات الهوية، بل هو المفسر للمكونات الأخرى غير الدينية في الهوية والقادر على إعطائها تفسيرات جديدة حتى وإن كانت متراكمة منذ سنين طويلة.

ومن ثم تظل الهوية مشروعا تحت التأسيس، فليست هناك نقطة ما يكتمل عندها إنجازها، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكنا؛ فالكمال شيء نقاربه ولا نستحوذ عليه، ووفقا لذلك فالهوية تحتاج إلى تجديد مستمر.

وهنا تثور مشكلة التضحية بالهوية، وأن يصبح إنسانا فاقدا لها ومتخليا عنها، وذلك في حالة أن ينتقل من موقع «الذات» الذي يتيح له رؤية الآخر لينتقل إلى موقع «الآخر» فتحدث حالة تبخر الذات وذوبانها في الآخر، وهذا الضياع «الهوياتي» يحدث في حالات الاستلاب الحضاري.

ولذا فالهوية تطرح عناصر التميز للجماعة عن الآخرين، وهي عوامل الثبات فيها، وتطرح -أيضا- تصورات الجماعة للآخرين وعناصر الاندماج معهم، وبالتالي فالهوية تتحقق في مجال الاتصال بالآخرين، حتى يصح القول إن هوية الفرد الواحد تتبدل حسب اتصالاته ومواقفه ومواقعه المختلفة.

ومن الضروري التأكيد على أن الدفاع عن الهوية الثقافية لا يتأتّى من خلال الانغلاق على الذات ورفض الغير، ولكن من خلال بناء الذات وكسر الانبهار.

الجرماني» معلناً أن كراهية اليهود لا تعود لأسباب دينية، بل لأسباب عرقية، لأن اليهود غرباء عن الجنس الأوروبي ودخلاء على الثقافة الأوروبية، وعليه فليس هناك جدوى من محاولات استيعابهم داخل الجسد الأوروبي الواحد، إذ أنهم يمثلون ورماً خبيثاً يجب بتره ليتعافى الجسد الأوروبي.

وتزايدت الكتابات المعادية للسامية، وتزايدت معها الصور النمطية المعادية لليهود، فعرفت الثقافة الأوروبية صورة اليهودي القبيح الذي يحيك المؤامرات، وصورة اليهودي عديم الشرف، وأصبح العداء للسامية جزءاً من الوجدان الأوروبي.

ومع تنامي العداء للسامية في أوروبا في القرن التاسع عشر، أخذ العديد من المفكرين اليهود في البحث عن السبل لمواجهة الرفض الأوروبي المتزايد ليهودها، وفي هذا السياق ظهر تيودور هرتزل (١٨٦١-١٩٠٤) الذي يعتبر المؤسس للصهيونية السياسية، التي تولدت عنها ومنها دولة لليهود في فلسطين، حيث اقتنع بأهمية بناء حركة قومية يهودية، وهو بذلك لا يخرج عن الفكر السائد في أوروبا في القرن التاسع عشر.

ويلاحظ أن هرتزل كان مقتنعا بأن أوروبا لن تسمح ليهودها ببناء وطنهم القومي في إطارها، وكانت هناك عدة مناطق مطروحة للوطن القومي اليهودي وهي: فلسطين وأوغندا والأرجنتين ومدغشقر، ومال اختيار هرتزل إلى فلسطين، لما لها من وقع ديني وثقافي على النفس اليهودية، وهذا لا يعني أن الحركة الصهيونية السياسية قامت على فكرة دينية، إذ أن هرتزل ومن بعده الجيل الثاني المنشئ للدولة العبرية كانت تغلب عليهم العلمانية، بل العداء للفكر الديني اليهودي، إلا أن هرتزل ومن بعده ديفيد بن غوريون قد أدركا أهمية تسخير الدين في خدمة هدفهم السياسي من اجل تعبئة اكبر عدد من اليهود خلف الفكرة الصهيونية.



«معسكر الاعتقال النازي برجن بلسن».. أكاذيب عنصرية

بدر محمد

الفكرة الأساسية في كتاب «معسكر الاعتقال» النازي برجن بلسن، الذي ألفه أستاذ الأدب الإنجليزي بكلية الألسن جامعة عين شمس د.رمسيس عوض وصدرت طبعته الأولى عن مكتبة الإنجلو المصرية في عام 2007 م، أنه يبحث فيما جرى في أحد معسكرات الاعتقال النازية التي ساهمت في إنشاء وطن قومي لليهود، وكيف تم ترحيل أعداد كبيرة من اليهود المعتقلين فيه إلى فلسطين، ويرد على ما يقع فيه الإعلام الغربي، وأيضا العربي، من خطأ الاعتقاد بأن معسكر برجن بلسن وغيره من المعسكرات، استخدم الغازات السامة في إبادة السجناء، استنادا إلى أن هذا المعسكر كان مزودا بغرف المحارق، غير أن الواقع مختلف تماما - كما يقول المؤلف - فبالرغم من وجود هذه المحارق في معتقل برجن بلسن فإن هذا المعسكر لم يستخدم غرف الغاز في إبادة نزلائه، ولم تكن هذه الغرف - بأي حال من الأحوال - شرطا ملزما للمعسكرات النازية في إبادة السجناء.

يقول المؤلف في المقدمة: إن معسكر برجن بلسن يمثل مكانة مهمة في الذاكرة الجماعية للألمان والبريطانيين واليهود، المتصلة بالحرب العالمية الثانية، ولم ينس اليهود ذكرى هذا المعسكر أبداً، بل حثوا الألمان - في يوم ذكرى الهولوكست - ألا يسمحوا لأنفسهم بنسيان هذا المعسكر، والأهم أن اليهود الذين كانوا يمثلون السواد الأعظم من السجناء فيه، آمن الكثير منهم بالمذهب الصهيوني وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وينقل المؤلف عن الباحث هاجيت لافاسكي أن تحرير الجيش البريطاني لهؤلاء الغلاة لم يكن كافياً، فقد رفضوا الرجوع إلى بلادهم الأصلية، وطالبوا بإنشاء وطن قومي ليهود الشتات، وعقدوا العزم على تحقيق الحلم الصهيوني بالهجرة إلى فلسطين لإقامة كيانهم.

معسكرات الاعتقال

في الفصل الأول يعود بنا المؤلف إلى السنوات الأولى من إقامة معسكرات الاعتقال النازية، في أعقاب تولي أودلف هتلر وحزبه النازي السلطة في ألمانيا في ٣٠ / ١ / ١٩٣٣، حيث بدأ في اضطهاد المعارضين السياسيين من جميع الأطياف، بوحشية لم تعهدها ألمانيا من قبل، وبعد خمسة أيام من توليه السلطة، أعلن حالة الطوارئ في البلاد، وسرعان ما تم اعتقال ٢٥ ألفاً من المعارضين في شهري مارس وأبريل من نفس العام، وبدأت معسكرات الاعتقال تنتشر في أنحاء ألمانيا، ورغم ذلك لم تزد نسبة النزلاء اليهود عن ١٠٪ من مجموع السجناء تقريباً، غير أن التركيبة المتناسقة من السجناء تغيرت تغيراً كبيراً في عامي ٣٧ - ١٩٣٨، عندما تم وضع ١٥ ألفاً من المسجلين الخطرين ومعتادي الإجرام في المعتقلات، بالإضافة إلى ترحيل عدد كبير من المعارضين السياسيين والزج بهم في معسكرات اعتقال في المناطق التي ضمها الرايخ الألماني عام ١٩٣٨ إلى أراضيه ومنها النمسا، والمناطق التي تتحدث باللغة الألمانية في يوغسلافيا، بالإضافة إلى ترحيل نحو عشرة آلاف يهودي إلى المعسكرات «بهدف إذاقتهم كأس المرارة، حتى يضطروا إلى مغادرة الأراضي الألمانية بأسرع وقت ممكن» وتم إطلاق سراح معظم المقبوض عليهم من اليهود في نوفمبر ١٩٣٨، بمجرد موافقتهم على الهجرة من ألمانيا.

ويؤكد المؤلف أن النازيين مارسوا ضغوطا هائلة على اليهود للنزوح من ألمانيا إلى الأقطار الأخرى، فنزح نصفهم تقريباً من الرايخ إلى الخارج عام ١٩٣٣، وفي بولندا التي احتلتها ألمانيا النازية عام ١٩٣٩ والتي كان يعيش فيها ما لا يقل عن مليوني يهودي لم يتمكنوا من الهجرة، وفي أكتوبر ١٩٣٩ أجبرت سلطات الاحتلال النازي يهود بولندا على العمل الشاق القسري والعيش في الجيتو، وأثناء استعداد هتلر لغزو الاتحاد السوفيتي، فكر الفوهرر في انتهاز هذه الفرصة لإبادة يهود أوربا الشرقية إبادة جماعية، وقد حدثت أكبر مجزرة لهم يومي ٢٩، ٣٠ سبتمبر ١٩٤١، حيث أجهز النازيون على أكثر من ٣٣ ألفا بإلقائهم في هوة سحيقة بالقرب من كييف تعرف باسم بابي يار.

تحفظ بهدف المقايضة

أنشيء معسكر برجن بلسن عام ١٩٤٣، وكان الهدف من إنشائه التحفظ على نحو ألف يهودي من أوربا، بهدف المقايضة عليهم بالتفاوض، في مقابل أسرى ألمان وقعوا في قبضة الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي آخر مناسبة تبادل يهود يزمعون الهجرة إلى فلسطين، قام البريطانيون بإرجاع ٣٠٠ ألماني من الأراضي الفلسطينية إلى الرايخ الألماني، وأملاً في إجراء بعض التبادلات، أمر النازيون بإعداد قائمة جديدة بأسماء ١٦٠٠ يهودي من سكان بولندا، ممن كان لهم أقارب يعيشون في فلسطين، والهدف هو المقايضة ببعض الألمان الذين يعيشون في فلسطين على وجه التحديد، الخاضعة آنذاك للحكم البريطاني.

ومنذ بداية عام ١٩٤٤م أصبحت غالبية السجناء في معسكر برجن بلسن من اليهود الهولنديين المحتجزين للمقايضة، وقد



● صحفي وباحث إعلامي

المعسكر لم يستخدم غرف الغاز للتخلص من اليهود عكس ما يشاع

تعرض يهود هولندا للإبادة النازية أكثر من يهود البلاد الأوروبية الأخرى، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لم يعد سوى ستة آلاف من اليهود الهولنديين المرحلين، البالغ عددهم ١١٠ ألف سجين، كان أكثر من ثلثهم محتجزين في معسكر برجن بلسن للمقايضة عليهم، لكن خطة التبادل لم تأخذ طريقها إلى حيز التنفيذ إلا في حدود ضيقة للغاية، ولم يتحرر من قبضة النازيين سوى عدد ضئيل من آلاف السجناء في برجن بلسن.

ويرصد المؤلف أن هذا المعسكر تحول في أواخر عام ١٩٤٤ من معسكر متميز للمحظوظين لاستخدامهم في عملية التبادل إلى معسكر إبادة، واكتسب وجها قميئاً وسمعة بالغة السوء، فبعد أن كان في مراحله الأولى مجرد معسكر احتجاز ليهود تفيض قلوبهم بالأمل في الهجرة السريعة إلى فلسطين أو إحدى البلاد القريبة، نراه يتحول في مراحله الأخيرة إلى معسكر إبادة، وفي الفترة من أوائل يناير إلى منتصف أبريل ١٩٤٥، مات في المعسكر مايقرب من ٣٥ ألف سجين، وظل الموت يحصد أرواح الكثيرين من سجناء برجن بلسن، حتى بعد أن تم تحريره على أيدي القوات البريطانية في ١٥ أبريل ١٩٤٥، ومنذ تحريره وحتى ٢٠ يونيه من نفس العام مات في السجن ١٤ ألف سجين، أي أن ضحايا المعسكر في أقل من ستة أشهر بلغ نحو ٥٠ ألف سجين.

ويسجل المؤلف شهادات بعض الناجين من هذا المعسكر، التي تكشف الكثير من المعاناة، ثم يتحدث عن أن بعض اليهود - برغم هذه الظروف المأساوية - كانوا يقيمون صلواتهم سراً حتى يحافظوا على أمنهم النفسي وصلتهم الروحية، لكن البعض الآخر غيّر دينه أو أصبح بلا دين، ثم يصل المؤلف في النهاية إلى قيام القوات البريطانية بتحرير المعسكر لكنه ينتقد ضعف الرعاية الصحية، التي خصصها الإنجليز للسجناء في هذا المعسكر، وهو ما أدى إلى موت عدد كبير منهم قبل أن يتم إنقاذهم طبياً.

فن الحديث الناجح

أميرة أبوجبة - مصر

هل تؤمن بأنه يمكن تغيير رأي شخص آخر؟ انه مهما كان مركزك، ومهما كانت مهنتك فان احد اكبر اسلحتك هو قوة الاقناع، والخبرة والنجاح يسيران جنباً الى جنب في اي موقف. ان الامر يتطلب اكثر من الثقة بالنفس والقدرة على تكرار ما تؤمن به حتى تقوم باقناع الشخص الآخر. وهناك ثلاث خطوات للاقناع:

ثقة الجمهور

هي تحضير افكارك بدقة، ابدأ بالتخطيط لبعض اساليب اتصالك بجمهورك ومستمعيك، فكر في كيفية كسب ثقتهم، ويساعدك في ذلك ان تجمع أكبر قدر من المعلومات عن جمهورك، ثم البحث عن الاسباب التي قد تؤدي الى اقناعهم وموافقتهم.

مشاركون لا قلقون

هي الحديث نفسه، فقد يكون بامكانك صياغة عبارات بشكل مثالي، ولكن هذا لن يكون له اي قيمة ان لم تستطع جذب الجمهور للاستماع اليك، ان الحديث عن التفاصيل المملة يبعث الملل والسأم، اذا فما الذي يجب عمله لجذب الجمهور الى صفك؟ يمكنك البدء بإلقاء الاسئلة بدلاً من التصريح بالعبارات، او القاء البيانات، فبدلاً ان تقول مثلاً: «انا اريد» يمكنك ان تقول «ماذا لو جربنا القيام بكذا؟» وبدلاً من قول «انا اعتقد» يمكنك ان تقول «هل فكرتم في كذا؟»، فإذا تمكنت من اشعار مستمعيك بانهم مشاركون لا متلقون فقط، فستكون قد اكتشفت اول انواع قوى الاقناع، ويمكنك اظهار مشاعرك: (حماسك واهتمامك بالمشروع الذي تدعوا اليه)، فالناس تجذب تلقائياً نحو من يحدثهم بصراحة وصدق.

نجاح كامل

يجب ان تعرف انه لا يمكنك اقناع الجميع كل الوقت، ولكن يمكنك ان تنجح في اقناعهم ٩٠ ٪ من الوقت، وهو ما يجب عليك عمله:

اقهر الخوف من عدم القبول او الرفض، توقف عن القلق بشأن قبول الآخرين او احترامهم لك. وافهم انه لا يوجد انسان معصوم من الخطأ، لذلك توقع الخسارة أحياناً، وتقبل اختلاف وجهات النظر. وحول أي عصبية تشعر بها إلى حماس وطاقة عمل.

التعاطف

تعبيرك عن تعاطفك مع مستمعك، يخلق حلقة اتصال معه، تذكر دائماً انك تحتاج الى ان تعرف الناس أنك تفهمهم وتتعاطف معهم، اهتم بالشخص الآخر، والامور التي تخصه، وابحث عن ارضية مشتركة بينكما، كأن تجد موضوعاً يمكنكما الاتفاق عليه، لانكما مررتما بالتجربة نفسها سابقاً، عشتما في المدينة نفسها مثلاً، او دراستها بالمدرسة نفسها.

اعرف مستمعك

بعض الناس يريدون الوصول الى قرار سريع، وآخرون يحتاجون لبعض الوقت لاتخاذ قراراتهم، حاول ان تكون مرناً، وتحرك حسب ايقاع الشخص امامك، أشعره بالراحة، ولا يعني هذا ان تغير شخصيتك، بل عليك فقط ان تجعلها تتسع لتستوعب الشخصيات المختلفة.

دروس في الاستماع

قرر ان تسمح للناس بأن يتحدثوا دون مقاطعة، وكن على استعداد لسماع ما لا تحب، وتعلم السيطرة على مشاعرك، فلو كانت أنباء سيئة، فحاول ان تبتعد بنفسك عما يقال، ولكن استمر في الاصغاء حتى تفهم ما يحدث واسبابه. وكن بسيطاًوسهل على مستمعيك فهم ما تريد.

الاختبار الإسلامي

عبادة نوح

nooh22@hotmail.com

تعيش الأمة الإسلامية اليوم مرحلة فاصلة في تاريخها.. مرحلة الصراع فيها على أشده بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الفضائل الرذائل.

فما يحدث في غزة الجريحة دليل واضح على الفرق الشاسع بين المسلمين واليهود في مختلف مجالات الحياة، حتى في القيم والمبادئ الانسانية، وهذا ما عبرت عنه مجرمة الحرب الجديدة الداعرة الصهيونية تسبي ليفني بقولها أن ما يحدث في القطاع ليس حربا بين «اسرائيل» وجماعة ارهابية، وانما هو صراع قيم ومبادئ! ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر...﴾ (آل عمران: ١١٨).

ونحمد الله أن ابتلانا بهذا المصاب الجلل ليكشف لنا المنافقين من بني جلدتنا، والمتخاذلين ممن يدعون الإسلام، والمتعربدين ممن يقودون مجتمعاتن، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصر أهل غزة، ولكنها سنة الابتلاء والتمحيص ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد: ٢٥) فماذا قدم المسلمون لهذه القضية؟

إن ما يشهده الميدان يثبت حقا دور كل فرد ومؤسسة في هذه الأمة على مختلف المستويات والفئات سواء بالسلب أو الايجاب ليعود ذلك بالنفع للجميع في الدنيا قبل الآخرة خاصة أن هناك فئة من أصحاب الأقلام المسمومة ورواد الكلمات الخائنة وأصدقاء القردة والخنازير وأبناء «السكسونية» المجحفة يصطادون في (الماء العكر)..

فأعمالنا تلوح في الأفق بإمكانية تضييع فلسطين، كما ضيعت الأندلس من قبل، بسبب خلودنا للراحة الدنيوية وتغييبنا عن الحقيقة الأخروية، فأحد المؤلفين الصهاينة يؤكد: «إن إجبار العرب على الصلح مع إسرائيل هو هدف حيوي من أهداف السياسة الإسرائيلية، ولا بد لها من السعي إلى تحقيقه، إذا أرادت التخلص من الوضع الشاذ الذي يستحوذ عليها منذ مولدها عام ثمانية وأربعين ... والعنف أهم وسيلة للاعتراف بكياننا».

ونحن على يقين تام بأن هذا الكيان الدخيل وسط ٣٠٠ مليون عربي مسلم يسعى لتمزيق أواصر وحدتنا وروابطنا المتعددة من دين وجيرة وقيم وعادات، وهذا ما أكده موسى ساريد رئيس وزراء «إسرائيل» الأسبق في مذكراته من أنه كي تبقى «إسرائيل» فلا بد من تحقيق هدفين مهمين أولهما: أن تصبح «إسرائيل» قوة إقليمية مهيمنة، تتمتع دائمًا بالتفوق العسكري على العرب، والآخر أن تفرض «إسرائيل» تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، ضعيفة ومفككة.

وطرح ساريد وابن جوريون أفكار عدة لتحقيق الخطوة الثانية، أي تقسيم المنطقة الإسلامية إلى دويلات صغيرة ضعيفة ومفككة، تحت شعار طائفي أو عرقي أو غير ذلك، وقد طرحوا آراء لتقسيم لبنان وسورية والعراق والأردن ومصر... الخ، وهذا ما حصل في مؤتمر السلام، فقد دخلت كل دولة من الدول العربية على حدة في مفاوضات مع «إسرائيل»، وكانت غير ملزمة بأن تتفاوض مع الجميع، فتتفاوض مع من تريد وترفض مفاوضة من لا تريد. فالصورة الواضحة مما يحدث هي أن هذا «الدمل» الخبيث لن يقتلع من الجسد إلا إذا استخدمنا أدواتنا الطبية الصحيحة المتمثلة في الكتاب والسنة، وهذا ما نتغافل عنه اليوم لسبب أو لآخر.

ولنتمعن في قول الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الانفال -٦٠) فلا بد من تضافر الجهود للحصول على أسرار التسليح وخفاياه، والحصول على التكنولوجيا المتطورة، كما فعل الكيان الصهيوني تمامًا، فلم تكن مهمة الموساد مضايقة المستوطن «الإسرائيلي»، أو ملاحقته، أو حبس حريته، بل كانت مهمته خدمة المصالح القريبة والبعيدة لليهود، وتنفيذ العمليات الداخلية والخارجية التي يعتقد اليهود أنها في صالحهم. والله ولي التوفيق.

لفتة

■ «المعركة الفاصلة مع اليهود» كتاب أكثر من رائع للشيخ سلمان العودة، وأنصح كل مثقف ومفكر غيور على وطنه وأمته بأن يقرأه بتمعن ولن يندم.

■ أتحفتنا بعض الفضائيات والصحف والمجلات بالدفاع المستميت عن العدوان الصهيوني وكأنهم صهاينة أكثر منهم.. واسألهم سؤال واحد، أيهما أولى بالظفر الجاه والمال أم الجنة؟!

■ أعتب على بعض العلماء الذين كان يظهرون في كل المناسبات ويقودون الرأي العام إلا في قضية فلسطين وكأنها مسألة خلافية لا تستدعي الحديث فيها!

■ تحية خاصة للمجاهدين في المقاومة الباسلة في غزة ونقول لهم أنتم مصدر عزة الأمة في زمن ضاع فيه أبسط أنواع الشهامة والرجولة.

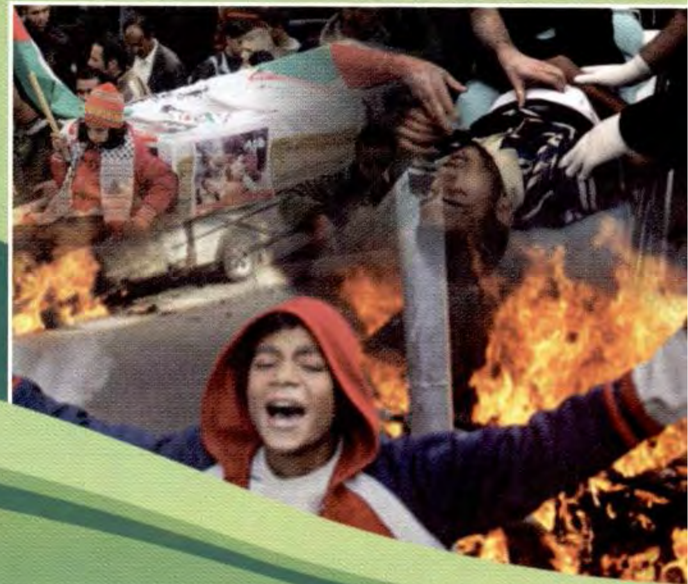


أسرتي



- هتك أسرار البيوت جريمة
- نبذ العنف ضد النساء
- أنين غزة









مذيعة محجبة!



د. حلمي القاعود

بعد عشر سنوات من العمل في التلفزيون الوطني محررة ومترجمة بقطاع الأخبار، انتقلت المذيعة المحجبة إلى العمل مراسلة في قناة «بي.بي.سي» العربية التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية، مما يدل على مهارتها ونجاحها في عملها، وقد ظهرت المذيعة المحجبة على شاشة القناة التلفزيونية البريطانية، لتسرد تقريرا حول تاريخ جراحات التجميل في الحرب العالمية الثانية وذلك عبر برنامج بثته القناة، وكانت المذيعة أول محجبة تظهر على شاشة التلفزيون البريطاني.

وكانت المذيعة المحجبة، قد حاولت مرارا في أثناء عملها بتلفزيون بلدها أن تظهر على الشاشة ولكنها أخفقت، وذلك بسبب الحجاب، لأن المسؤولين في التلفزيون لا يوافقون على ظهور محجبات.

بالطبع كانت المذيعة المحجبة سعيدة بظهورها على الشاشة الفضية البريطانية، لأنها مارست حريتها في ارتداء الحجاب اتساقاً مع دينها وعقيدتها، وأثبتت جدارتها وكفاءتها مثل الآخرين الذين يعملون ويجتهدون، وهو ما يشجعها على الاستمرار في التفوق، خاصة أن مذيعة محجبة لم تظهر من قبلها على هذه الشاشة.



معيار المهنية

وقد أفاد رئيس الخدمة العربية بهيئة الإذاعة البريطانية أنه لا توجد معايير تحريرية تمنع ظهور نساء يرتدين الحجاب على شاشات بي.بي.سي، وأضاف: إن إدارة هيئة الإذاعة البريطانية لا تضع مسألة الحجاب في الحسبان عند النظر في التكاليف الصحافية. وأشار إلى أن ظهور المذيعة المحجبة لم يكن مخططاً له، ولم يتم الرجوع إليه بوصفه رئيساً للخدمة العربية أو للمسؤولين في هيئة الإذاعة البريطانية في هذا الشأن، لأن الزيّ- كما يعتقد- ليس جزءاً في عملية اختيار الصحافيين.

وختم الرجل تعليقه قائلاً: من السخرية أن بعض مؤسسات العالم العربي عندها تخوف من مسألة الحجاب.

وإذا كان التلفزيون البريطاني لا يتخوف من مسألة الحجاب، فإن بعض الدول العربية تتخذ موقفاً صارماً من ظهور المحجبات على الشاشة الفضية، وترى في ذلك عملاً مخالفاً لنظام الدولة وسياستها، مع أن الدستور في هذه الدول يقرر أن الإسلام هو الدين الرسمي، ومصدر التشريع الرئيس، ولا يستطيع مسؤول في هذه الدول أن يتنكر للشريعة الإسلامية علناً، والقرآن الكريم يقول صراحة: ﴿يأيُّها النَّبِيُّ قُل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذين وكان اللّهُ غفُورًا رّحيمًا﴾ (الأحزاب- ٥٩).

مفارقات عجيبة

ومن المفارقات أن السنوات الماضية شهدت صراعاً قانونياً أمام القضاء بين مجموعة من المذيعات في بلد عربي، تحجبن استجابة للعقيدة والشريعة، وكن بالقياس إلى غيرهن من الزميلات يمثلن تفوقاً واضحاً في عملهن وأدائهن، ومع ذلك، فقد منعتهن إدارة التلفزيون من الظهور على الشاشة، وتم تحويلهن إلى القيام بأعمال



تلفزيون البي بي سي البريطاني يسمح لمذيعة محجبة وتلفزيون دولة مسلمة يرفض أحكام القضاء بظهور المحجبات على شاشاته لسنوات

أخرى وراء الشاشة، وقد استطاعت إحداهن منذ شهور أن تحصل على حكم ملزم بتمكينها من الظهور محجبة على الشاشة الفضية، وقد رضخت الإدارة وسمحت لها في حدود قناة محلية أو إقليمية محدودة التأثير!

في العديد من البلاد العربية تظهر مذيعات محجبات على شاشات التلفزة، دون أن يمثل ذلك مشكلة أو معضلة للمذيعات أو السلطات، وبعض هؤلاء المحجبات متفوقات في أدائهن وقدراتهن المهنية، ولا يمثلن مشكلة بحال من الأحوال، ولكن بعض النخب الثقافية المتغرّبة ترى في الحجاب مظهراً من مظاهر التطرف، فضلاً عن كونه- من وجهة نظرهم- سيثير صراعاً دينياً طرفه الآخر غير المسلمات، أو سيحول الشاشة إلى ساحة مفتوحة للصراع الديني، كما أن ظهور المذيعة المحجبة يصبح معبراً عن الاتجاه الفكري أو العنصري للقناة.

وإذا كانت القنوات الإسلامية المتخصصة تشترط ارتداء مذيعاتها الحجاب، فإن من حق السلطات الرسمية- كما ترى هذه النخب- أن تضع القواعد التي تراها ملائمة، أي نزع الحجاب!

تحالف علماني ضد الحجاب

ومع أن مسألة الحجاب لا تمثل عدواناً على أحد، ولا انتقاصاً من وجوده ولا إكراها له على اعتقاد، فإن العلمانيين في الغرب (غير الإسلامي) وبعض النخب المثقفة في البلاد الإسلامية صنعوا تحالفاً غير مقدس ضد الحجاب بوصفه رمزاً للإسلام يجب استئصاله في الغرب وبلاد الإسلام معاً.

ولم يعد خافياً ما يلاقيه الحجاب في الغرب من ازدراء ومحاربة في كثير من المؤسسات والأماكن، لدرجة فصل الموظفات المحجبات من أعمالهن، والتلميذات المحجبات من مدارسهن، وقد صدرت قوانين في بعض البلاد الأوروبية لحرمان الطالبات والعاملات المحجبات من التعليم والوظائف، ولا يكاد يمرّ يوم إلا وتحمل الأنباء خبراً عن مأساة مسلمة محجبة في هذه المدينة الغربية أو تلك، بسبب حجابها وتمسكها به، ومن المؤسف أن يصل الأمر إلى استبعاد المحجبات في المؤتمرات واللقاءات والتجمعات ذات الصبغة الرسمية أو الشعبية كما حدث مثلاً في أحد المؤتمرات الانتخابية لمرشح الرئاسة الأميركية باراك أوباما، حيث تم استبعاد فتاتين مسلمتين عن المنصة بسبب حجابهما.

وللأسف فإن بعض البلاد الإسلامية تحذو حذو الغرب في الموقف من الحجاب، لدرجة أن بعض الحكومات كانت مرشحة للسقوط بسببه، وهو ما حدث في تركيا، حيث كان قانون السماح بارتداء الحجاب داخل الجامعات الذي أقره البرلمان التركي سبباً لرفع دعوى أمام المحكمة لإسقاط حكومة حزب العدالة والتنمية.. ومع ذلك فإن حزب الشعب القومي التركي العلماني المتشدد ضد الحجاب لم يجد أخيرا مفراً، كي يكسب أنصاراً في الانتخابات، من السماح لبعض النساء في حزبه بارتداء الحجاب واستقبالهن بوساطة رئيس الحزب أمام كاميرات التلفزة والصحافة، وأبدى تسامحاً غريباً مع المحجبات!

ولكن نمو عدد النساء المحجبات في العالم الإسلامي، يؤكد عودة المرأة المسلمة إلى فطرتها، دون أن تعبأ بالحملات الكثيفة التي يشنها خصوم الإسلام ضد معتقداته وتشريعاته وقيمه.

أخطر ما يفعله هؤلاء الخصوم هو إصرارهم على محاربة الحجاب عبر الأعمال السينمائية والدرامية المصورة، فلا تكاد تعثر على سيدة أو فنانة محجبة، مع أن نسبة المحجبات تتجاوز ٩٠٪ في المجتمعات الإسلامية، بل إن خصومة القوم تذهب إلى أبعد من ذلك حين تطبع في وجدان المشاهدين سلوكيات وأخلاقيات تزدري بالمرأة المحجبة وتشوه الإسلام.

ومهما يكن من أمر، فإن وجود مذيعة محجبة على شاشة التلفزيون لن يغير نظام الكون، ولن يؤذي أحداً، ولن يؤجج صراعاً دينياً في دولة إسلامية، لسبب بسيط هو أن المجتمعات الإسلامية، أهلها جميعا مسلمون بالعقيدة أو الثقافة، ولا يجدون غرابة في أن تكون المرأة محجبة على الشاشة أو بعيداً عنها، لأن هذا هو الأمر الطبيعي والفطري.





هتك أسرار البيوت جريمة مجتمعية

كمال عبدالمنعم

هتك أسرار الحياة الزوجية هو قاصمة الظهر لاستمرار تلك الحياة، ذلك لأنه يجعل الزوجين أحدهما أو كليهما في حرج وخجل شديدين من مواجهة المجتمع من حولهما، لم لا وقد هتكت أسرار حياتهما الزوجية؟ وأصبح هذا وهذه، وهم وهن يتحدثون عن هذا البيت وعما يدور فيه، وعن مشاكله التي لا تنتهي، ولا يجد المصلحون لها حلولاً، وإن وجدت لا يجدون لها آذانا صاغية.

والبيت المسلم يقوم أساسه ومعاملاته خاصة بين الزوجين على الستر والصون، وحفظ الأسرار بينهما، فلا يطلع عليها أحد، قريب أو بعيد، حتى الأبناء، وهذا أدعى الى نجاح هذا البيت والى تحقيق السكن والمودة والرحمة التي هي أركان الحياة الزوجية، فلا بد من سر قائم بين الزوجين في أمور ما، هذا السر يعد بمثابة العهد بينهما، لا يجوز نقضه، بل يجب الوفاء به، لأن هذا من شيم المؤمنين الذين خاطبهم الله تعالى في صيغة الأمر قائلاً: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾(النحل -٩١)، وقال سبحانه: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾(الأسراء - ٣٤)، والذي ينقض هذا العهد ولا يفي به فيه خصلة من النفاق، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، وفي زيادة للإمام مسلم «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»، وإن كانت هذه الأدلة تحث على الوفاء بالعهود بشكل عام إلاَّ ان الاسلام شدد على أهمية حفظ قدسية العلاقة الزوجية فقال عنها: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾(البقرة -١٨٧)، فتخيل أخي الكريم وأختي الكريمة هذا الوصف، وكيف ينسحب على جميع شؤون الحياة الزوجية الخاصة منها والعامة؟ كذلك قال الله تعالى واصفاً هذه العلاقة: ﴿وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾(النساء -٢١)، هذا الافضاء الذي يشمل كل الاسرار الزوجية بما فيها القول والفعل، التلميح والتصريح، فمن العبث أن تفشى هذه الأسرار

أو يباح بها خارج جدران غرفة نومهما، وخص النبي ﷺ العلاقة الزوجية بهذا الوفاء حفظاً للأسرار وحماية للأسرة المسلمة من التفكك والانهيار، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي الى المرأة وتفضي اليه ثم ينشر سرها».

فضفضة مقيتة

والعجب كل العجب من الذي يهتك سر بيته بإرادته لا رغما عنه فيذهب الى أصدقائه في العمل ليتحدث معهم عما يدور في بيته وعن حواراته مع زوجته، وربما تطرق الحديث الى أخص علاقاته بزوجته، والمرأة كذلك تنتشي بإفشاء هذه الأسرار أمام قريناتها في العمل، وهي تظن أنها تفضفض عن نفسها بما تفعل، ولا تدري ان من بين من تحدثهن التي تحبها فتحفظ سرها ولا تفشيه، والتي تكرهها وتتمنى هدم بيتها وتقويض أركانه، هذا فضلاً عن ان من فعل ذلك، يستحق وصف النبي ﷺ له، فقد روى الامام أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد – رضي الله عنها- قالت: كنت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم» (عضوا على أضراسهم) فقالت أسماء: أي والله يا رسول الله إنهن يفعلن، وانهم يفعلون، قال: «فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في الطريق فغشيها والناس ينظرون»، فهذا أقل ما يوصف به من يهتك أسرار بيته.

وغالباً فإن المشكلات الأسرية التي تحدث هي الاساس في افشاء الاسرار لان الزوجين لايحسنان ادارة المشكلة والوصول الى حلول سريعة لها، فأول ما تحدث المشكلة تعلو الاصوات وتُتبادل الاتهامات بينهما، ويحكي هذا وتحكي هذه، ويتسع الخرق على الراقع، وان تم التوصل الى حل يكون بعد ان اذيعت الاسرار التي كانت، ولو أن الزوجين اغلقا الباب عليهما وتناقشا بطريقة هادئة بعيدة عن از الشيطان وهمزه ولمزه لتوصلا الى حلول مرضية لكل شقاق.

بيت الزهراء

فهذه زوجة تربت في بيت النبوة تعطينا القدرة في حفظ اسرار بيتها حتى عن أبيها رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «جاء النبي ﷺ الى بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد علياً رضي الله عنه فقال «اين ابن عمك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج النبي ﷺ فقال لرجل: «انظر اين هو»؟، فقال: هو في المسجد راقد، فجاء وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يقول: «قم يا أبا تراب، قم يا أبا تراب»، يقول سهل بن سعد: ما كان لعلي اسم أحب إليه منه.

فكم من الحكم في هذه القصة الرائعة في حسن تصرف الرسول ﷺ في عدم سؤاله عن سبب الغضب حتى لا تتسع دائرة المعرفة بما حدث بين الزوجين، وتباح الأسرار، وفي حسن تصرف الزوجة البتول فاطمة الزهراء في عدم إفشائها أسرار بيتها ولو لأبيها النبي المختار، وفي حسن تصرف الزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث خرج «مؤقتا» من المكان الذي أجج فيه الشيطان نار الخلاف بينه وبين زوجته، فلم يعطه الفرصة كي يزيد من اشتعال تلك النار، فأين ذهب اذن؟ انه لم يذهب الى فلان كي يقص عليه ما حدث، ولم يشتك حتى لرسول الله ﷺ، بل جلس في المسجد لأن المسلم فيه ابعد ما يكون عن وسوسة الشيطان.

قدوة للأبناء

إن الزوجين اذا حفظا اسرار بيتهما يكون ذلك قدوة للأبناء للتخلق بهذا الخلق، فقد روى مسلم في صحيحه عن ثابت عن انس بن مالك – رضي الله عنهما – قال: «أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟

فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: «والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت»، فهذا مثال عظيم للابن الذي يصون الأسرار ولا يفشيها، ومثال رائع للأم التي ساعدت ابنها في حفظ الأسرار، فقد ربته وعلمته ذلك.

إن المرأة العربية نصحت ابنتها في ليلة عرسها قائلة لها: «لا تفشي له سراً، ولا تعصى له أمراً، فإنك ان افشيت سره لم تأمني غدره، وان عصيت أمره أو غرت صدره».

فالمرأة المسلمة تصون سر بيتها وكذا الزوج، فهما يتعاهدان أمام الله على ذلك، والا فان حياتهما مهددة بالفشل والانهيار، جراء افشاء الأسرار.

فكوني كفاطمة الزهراء في حفظ اسرار البيت، وقولي لزوجك: زوجي العزيز، سرك في بئر، وإياك ان يكون هذا البئر سقيا للرائح والغادي!! وأنت كذلك أيها الزوج الكريم.

كم من البيوت هدمت؟ وكم من الأبناء شردوا؟ بفعل هتك أسرار البيوت من باب الفضفضة المقيتة





حتى تصدق الرغبة في نبذ العنف ضد النساء

د. صالحة رحوتي

في عالم متلاشية فيه القيم ومتهالكة فيه مقومات الإنسانية، لا بد أن يطول الضعيف القهر وسوء المعاملة، ولما كانت المرأة قد صنفت ضمن فصيلة «الضعفاء» وتعورف على أنها تستحق «العنف» فمن اللازم القول إنها تستحق أيضا التعاطف معها وأن يحتفل باليوم العالمي لنبذ العنف ضدها ولمواجهة احتقارها.

لكن وقد اتُفق على أن العنف معيب في حقها، ويجب ردع مرتكبيه وردهم إلى الجادة أو حتى معاقبتهم إن لم يرعووا وينتهوا، فيجب أن يُصطلح أيضا على أن كل أنواع العنف تجاهها مرفوضة وكل أصنافه ممقوتة.

ولا شك أن العنف الزوجي مخرب لأنسجة الأسر، ولا شك أيضا أن المطلوب هو إشاعة المودة والرحمة داخل البيوت، انطلاقا من ضرورة احتساب كل من الطرفين للمسؤولية تجاه الآخر.

وعلى الرغم من الآثار السيئة والمدمرة لهذا العنف فإن هناك عنفا آخر مقيت يطول منها الجسد ويفتك بالنفس، ما يجعل الحديث عنه أحرى وأهم ويجعله أولى بالمحاربة، لكن وللأسف الشديد فإن ذلك الصنف استُمرئ وجوده، وتُعورف على استحلاله، وتووطئ على غض الطرف عن تداعياته وآثاره.

إنه يتمثل في أسواق النخاسة المنتشرة في كل ربوع العالم «المتحضر» حيث تعرض فيها الأجساد وبأبخس الأثمان وحتى لقد غدا يُعتبر ذلك البيع من مستلزمات التقدم وضرورات الحضارة.

والأنكى والأشد أن هنالك نساء مثقفات لا يستنكرنه، بل ينادين بتقنينه وجعله تحت الإشراف الطبي ضمانا لإيجاد أحسن الظروف النفسية للرجال المستهلكين لتلك الأجساد المعروضة المعدة للاستهلاك.

إن هؤلاء النسوة يرمن «تحقيق الإشباع الجنسي» للرجال كيفما اتفق وأينما كان ذلك، ولو في المواخير، وهن المناضلات اللواتي يظللن يجعجعن حول ضرورة التحرر من ربق العبودية، وينفقن الكثير من الوقت في الحديث حول ضرورة تحقيق المساواة، يُردْنَهن أن يكن مطمئنات غير خائفات من الإصابة بالأمراض الجنسية حين ممارسة تفلتاتهن وعند القيام بانحرافاتهن وهن يزعمن أنهن يدافعن عن حقوق بائعات اللذة، لأنهن نساء مثلهن، يعترفن لهن بحق التصرف في الجسد، ثم يتخذن لهن الأعذار لأنهن المضطرات بدافع الحاجة والفقر وقد تكون منهن فعلا فئة من المحتاجات المعانيات من آثار الفاقة، لكن، أولا يبدو امتهان مهن أخرى من طرفهن أقل ضررا وأقل عنفا على أجسادهن وعلى مقوماتهن النفسية؟

فنتائج العهر ليست إلا الجراح في الأجساد تتآكل بفعل تواتر أمراض جنسية مدمرة، وليست سوى الشروخ في الحنايا تتناثر منها الشظايا بسبب صدمات عاطفية محطمة.

لا بد أنه من الواجب، والحالة هذه، أن يهب الجميع لدرء هذا العنف عن هؤلاء النسوة، إلا إذا احتُسب أنهن من الدرجة الدنيا في سلم الطبقات، وما يُحتاج إلى الاهتمام بأوضاعهن، بل يجب تكريسها توفيرا للمتع حين تتطلبها الطبقات الأخرى.

«راضيات عما هن عليه» هكذا يقال، لكنهن أيضا الأميات الجاهلات في الأغلب الأعم كما يقال عنهن مرة أخرى، وتقع على المجتمع مسؤولية إنقاذهن من أتون هذا العنف الذي لا يدركن مقدار عمق الهاوية الكامنة فيه،،، ففي الوقت الذي تتزايد فيه نسب المصابات بالوباء الوبيل «الإيدز» يُقترح عليهن فقط من طرف المسؤولات عن جمعيات محاربة داء الإيدز إرغام الزبناء على استعمال العازل الطبي، وكأنهن غير عالمات بالحمولة الثقافية التي تختزنها العقلية الرجالية حول الجنس وظروف ممارسته في واقعنا المتخلف، ثم كأنهن لا يدرين أن المشتري هو من يحدد الشروط ويدفع الثمن، ثم أيضا كأنهن لا يدركن أن استعمال تلك القطعة من اللدائن حتى وإن منعت مرور الفيروس القاتل، فإنها لا تدرأ جرثوم المهانة المدمر ولا سم الاحتقار المشين.

ففي دراسة حول المتهنات للجنس في المغرب أنجزتها المنظمة الإفريقية لمحاربة داء الإيدز، يبدو وكأن سن المتعرضات لعنف الدعارة آخذة في التناقص بشكل رهيب، إذ هي السن بين التاسعة والخامسة عشرة، تلك التي يبدأ فيها ٥٩،٤ في المائة من المحترفات في التقاضي.

هو عنف متفاقم بغيض إذن، ولا يطول البالغات فقط، وإنما يتعداهن إلى الطفلات ليسرق طفولتهن وبراءتهن على اطلاع من المجتمع وعلى مرأى من «مثقفيه» ولا من منافح عنهن ولا مجرّم للمستغلين لأجسادهن، بل هنالك فقط المبتهجون بالوفود المتناسلة من السياح القادمين الراغبين في قضاء الوطر وتحصيل المتع وتحقيق الشهوات.

عنف الدعارة إذن هو ما يجب أن يشجب قبل كل شيء، والنساء هن من يجب أن يمتنعن أو حتى يُمنعن من أن يعنفن أنفسهن بامتهان العهر، والرجال هم من ينبغي أن يبرهنوا على صدق الرغبة في القضاء على هذه الظاهرة المشينة بعدم استعمال بضائع أسواق النخاسة.

خطوات تستبطن الصدق حقيقة، ولعل هذا هو ما يلزم أن يُفعل، وأن يُقام به عوض تلك الجعجعة المتواترة من الكل سنويا حول نبذ العنف ضد النساء.



توتر الآباء ليس مسؤولية الأبناء

آمال عبدالرحمن محمد - مصر

أشعر بأننا ندور في ساقية لا تتوقف.. هكذا صرحت ميليسا هيل، الأم والزوجة الأميركية العاملة التي انغمس زوجها في عمله الحر وانشغل أولادها الثلاثة بالدراسة وبالأنشطة الرياضية حتى أصبحوا لايجدون وقتا لتناول العشاء معا، خلال دراسة أجرتها الجمعية الأمريكية للطب النفسي في ٢٠٠٥ م ومن الواضح أن ميليسا هيل تعيش في فوضى لا تستطيع السيطرة عليها وتشعر بالتوتر جراء هذه الفوضى، لكنها ليست الوحيدة.

فالتوتر يهدد ٤٧ ٪ من النساء والآباء العاملين في الولايات المتحدة الأميركية، وذلك وفقا لإحصاء أجرته الجمعية الأميركية للطب النفسي، كما كشف إحصاء آخر تم اجراؤه عام ٢٠٠٥ عن أن الأطفال أيضا يصابون بالتوتر بسبب الواجبات المدرسية بنسبة ٣٦ ٪ وبسبب الأسرة بنسبة ٣٢٪ والأصدقاء والنميمة والمداعبة بنسبة ٢١٪ وقد وضع الخبراء التربويون بعض الإرشادات التي تساعد المرأة على تجنب الإحساس والمعاناة من التوتر ومنها النقاط التالية:

لا تهملي وقت الفراغ

أوضحت الاستفتاءات أن ٢٦ ٪ من الأمهات الأميركيات يتركن العمل يزحف على الوقت المخصص لأسرهن، وأن ساعات العمل زادت لديهن بنسبة ٢٥ ٪ بينما نقصت أوقات الفراغ بنسبة ٢٥٪ والمعروف أن الأميركيين يحصلون على اجازات أقل من نظرائهم في بقية المجتمعات الصناعية خوفا من فقدان وظائفهم، وتقول د.بولين بوس مؤلفة كتاب «إدارة ضغوط الأسرة» إن الآباء يريدون السيطرة على كل كبيرة وصغيرة في حياة الأبناء، كما أنهم يحاولون منح أبنائهم كل خبراتهم التي تعلموها لينجحوا، وفي سبيل تحقيق ذلك يحرمون أنفسهم من كل أوقات الراحة التي يحتاجون إليها.

تنفس أنت أولاً

إذا كنت دائماً متوترة فاعلمي أنك لن تستطيعي تعليم طفلك كيفية التعامل مع الآخرين بأسلوب صحيح، وأحسن هدية يمكنك تقديمها له هي أن تكوني أما سليمة العقل والبدن وراضية عن حياتك، فأبناؤك يحتاجون إليك أكثر مما يحتاجون إلى درس «باليه» أو مباراة كرة قدم.

لا تنشدي الكمال

ربما يخيل إليك أن الآخرين يعيشون حياة أفضل من حياتك، مثل جارتك التي يبدو منزلها أكثر ترتيبا من منزلك، أو ابنة أخيك التي أجادت القراءة أكثر من طفلك، توقفي عن توبيخ نفسك ومقارنتها بالأخريات من حولك واعلمي أنك مثل الآخرين، وهم لا يتصفون بالكمال، لأنك إذا تحدثت معهم بصراحة ستجدينهم مثلك وربما أقل منك وقد يكون لديهم من يعاونهم على بلوغ ما وصلوا إليه من كمال.

اتصلي بالآخرين

بعض الناس لديهم قناعة أن في استطاعتهم المضي في الحياة من دون طلب المساعدة من الآخرين، ولكن تأكدي أننا لا نستطيع أن نعيش من دون مساعدة أفراد الأسرة أو الجيران أو المدرسين أو الأطباء أو بقية أفراد المجتمع، وإذا لم يكن لديك هؤلاء الأشخاص لتعتمدي عليهم في حياتك فابدئي ببناء شبكة من العلاقات لأن وجودهم من حولك ومساعدتهم في وقت الحاجة شيء أساسي في الحياة.

احمي أولادك من التوتر

وفقا لهيئة الصحة العقلية الأميركية يؤثر الاكتئاب على واحد من كل ثمانية مراهقين، وواحد من كل ثلاثة وثلاثين طفلا، وبعض هذا الاكتئاب يرجع الى تأثير الأسرة على الطفل، وتشيرالدراسات إلى أن الابناء يحتاجون إلى الحب والقوانين والإرشاد الأسري وإلى قضاء الوقت مع الآباء ليشعروا بالسعادة والأمن والاستقرار، كما يحتاجون الى الآباء المستقرين نفسيا وغير المتوترين ليصدروا لهم القرارات الحكيمة، ويمكنك أن تحمي طفلك من تأثير التوتر بالحد من النشاط الخارجي أنت وأطفالك، والجلوس معا لمناقشة مشكلاتهم واحتياجاتهم، كما يؤكد د.ريتشارد أوكونر مؤلف كتاب «القضاء على التوتر الدائم».

علمي أبناءك المرونة

نحن نحب أبناءنا كثيراً ولا نتحمل أن نراهم محبطين، ولكن هذا الحب المبالغ فيه يجعلهم عرضة للشعور بالتوتر الشديد عند عجزهم عن حل أي مشكلة تواجههم، لذلك نحن في حاجة لتعليمهم أن الاحباطات والتحديات ليست هي نهاية العالم وأن نعلمهم كيف يقاومون عندما لا يحصلون على ما يريدون، وفي المرة المقبلة التي يتعثر فيها طفلك في حل مشكلة ساعديه على التفكير في خطوات حلها واتركيه يتخيل الحل، وعندما يصبح مرنا ومدركا سينخفض شعوره بالتوتر وأنت الأخرى لن تعاني منه.

والنصيحة الأخيرة هي ضرورة منح مساحة من الحرية لأفراد الأسرة لأن التدخل في التفاصيل الصغيرة هو الذي يؤدي إلى التوتر.




الأبعاد الخفية لهدايا الأطفال



إبراهيم نويري

الهدية رمز للمحبة والمودة العميقة الخالصة، ولكنها تأتي غالباً دلالة على تثمين لجهد متميز أو إقراراً بمكانة خاصة... الخ، ومن غير شك فإن الهدية تؤدي دورا ظاهرا ملحوظا في التأثير النفسي والعاطفي على الطفل، فهي تحمل الكثير من المعاني الإيجابية الضرورية، كالمودة والعطف والتبجيل والتشجيع والاهتمام، ويزداد وقع الهدية على نفسية الطفل إذا كانت مُقدّمة من قبل الأم أو الأب، إذ تتحول في هذه الحالة إلى أداة فاعلة، أو وسيلة مهمة تدعم وتعضّد السلوك الإيجابي في منظومة الطفل الأخلاقية والسلوكية والقيمية.

المردود المعنوي

كما أن الهدية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمردود الإنجازي، سواء كان معنوياً أو مادياً، والرغبة في تحسينه واستثماره، وقد انتبه أحدُ علماء التربية الغربيين إلى أثر التحفيز والتشجيع على مضاعفة المردود وتحسين الأداء، عندما حضر عرضاً بهلوانياً شيقاً في «السيرك» لطائر البطريق، فقد كان المشرف على هذا العرض يبادر إلى تقديم «سمكة» كهدية تحفيزية للطائر، كلما أبدع في عروضه، وكان الطائر بدوره ينوّع أكثر في حركاته الشيقة، ويجتهد في الكشف عن مهارات جديدة - لم يظهرها من قبل - لإمتاع الجمهور، وكأنه بذلك يتطلع إلى تحصيل هدية جديدة أو مكافأة مناسبة للجهد المبذول، فأدرك هذا الخبير التربوي على الفور مدى أثر عنصر التحفيز وفعاليته الظاهرة على الاجتهاد في العمل، والكشف عن المهارات المتميزة، وتحسين الأداء، كما اكتشف هذا العالم التربوي - من خلال عروض طائر البطريق - أن التربية بواسطة التحفيز والتشجيع أكثر مردوداً من تلك التي تعتمد على أساليب العقاب والزجر أو تغلب فيها على غيرها من الأساليب.

ولعل هذا الأمر واضح في منهج التربية الإسلامية المستمد من القرآن الكريم، فالترغيب أبرز من الترهيب في آيات القرآن، والحكمة ظاهرة أيضاً من تفصيل القرآن للثواب والجزاء العظيم الذي أعدّه الله تعالى للمتقين في جنات النعيم، فقد فصّل القرآن وعرض صوراً فنية كثيرة متنوعة عن حياة مَنْ شملهم الرضوان الأعلى في دار الخلود.

خطر غير متوقع للهدية

بيد أن بعض الآباء لا ينتبهون للنتائج العكسية، أو المترتبات غير المتوقعة لبعض هداياهم لأطفالهم الصغار في بعض المناسبات الخاصة والعامة، وسبب ذلك نقص الوعي أو غياب التفكير الصحيح، نتيجة قلة العلم وسيطرة العاطفة غير المنضبطة بعقلانية راشدة مسؤولة، ومما طالعته في مطالعاتي المتكررة في هذا الباب، أن أحد الآباء وعد ابنه الصغير، وهو ما يزال في الصف الثاني الابتدائي بشراء دراجة جميلة إنْ هو تفوّق في الاختبار، وقد فاجأ هذا الأب ابنه - قبل صدور نتائج الاختبار - ودون أي تمهيد أو شرح، بإدخال الدراجة إلى غرفة ابنه الصغير، ومن شدة الفرح أصيب هذا الصغير بمرض السكري، وهو في بدايات عمره!! وقد ندم الأب ندماً شديداً على تصرفه الخاطئ، بل الأهوج، ولكن بعد فوات الأوان، حيث لا يجدي الندم والحسرة فتيلا، فقد أصاب هذا المرض المزمن الفتاك فلذة كبده، وقد يودي به يوما ما إذا جُهل التعامل معه كما جُهل التعامل مع فن الهدية.

قلة الوعي

ومثال آخر أيضا ينمّ عن الجهل وقلة الوعي، ضحيته بنتٌ بهية الطلعة في العام الخامس فقط من عمرها، حيث أحضر لها والدها دمية جميلة جداً من نوع «فلامنكو» المعروف بجودته وغلاء ثمنه، وكان والدها هذا يحبها حباً جماً، فلم ينتظر يقظتها من نوم عميق كانت تغطّ فيه، بل سارع إلى إيقاظها من نومها، ووَضع بين يديها هذه الدمية التي أراد أن يفاجئها بها، ولما كانت المسكينة لم تستيقظ تماماً، فقد أصيبت بهلع شديد، وتبيّن بعد عرضها على الأطباء أنها أصيبت بمرض يُسمى «فوبيا الدمى»، وأصبحت منذ ذلك اليوم كلما رأت دمية، ولو على شاشة التلفزيون، تنخرط في بكاء شديد وانتحاب متواصل، وتصاب بعد ذلك بتغيّر فسيولوجي يجعل وجهها أقرب إلى الزرقة، وتكون تصرفاتها وردود أفعالها شاذة ومحيّرة لجميع المحيطين بها. وهكذا، بدل أن تؤدي الهدية وظيفتها، وتحقق الغاية الباعثة عليها، كالتشجيع وشحذ الهمم وتقوية العزائم... الخ، تصبح أداة وسبباً مباشراً لهموم ومتاعب ومشكلات معقدة، تسهم في تعكير صفو الحياة، والتخبط في محن كان يمكن تلافيها، بالتزام الحكمة، والإنصات الجيد إلى خبراء التربية.

فينبغي على الأسر المسلمة مراعاة هذا الأمر ودراسة التصرفات التي يُتعامل بها مع الطفل دراسة مستفيضة، قبل اعتمادها أسلوباً في المعاملة، فليست كل مسائل التربية واضحة جلية، بل هناك الكثير من القضايا التي يجب مراجعتها والتأكد من الوجه الأصوب فيها، من المختصين في علوم النفس والتربية والسلوك.



أنين غزة

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

لنا في حياتنا عبر ومواقف، تمر بنا جميعا فتأخذنا بين أفراح وأتراح، نجاحات واخفاقات، غنى وفقر، سعادة وتعاسة خير وشر، وغيرها الكثير من الأضداد والمتناقضات، لأن هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار، كما قال تعالى في كتابه الحكيم «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» فلذلك لن يكون هناك خير محض ودائم إلا في الجنة ولن يكون شر محض ودائم إلا في النار، أما حياتنا فتحمل الضدين، فكلما تعايشنا مع هذه المواقف الحياتية بخيرها وشرها واستطعنا التكيف معها كلما استقرت حياتنا وسرنا في طريق آمن ، وكلما تخبطنا في التعامل معها ولم نستطع التوافق والتكيف كلما شعرنا بالضيق ومن ثم الحزن والذي يكون بوابة للأمراض النفسية التي قد نصاب بها.وأهلا وسهلا بكم أعزائي القراء، نعرض عليكم بعض الأسئلة الخاصة بالمشكلات النفسية والاجتماعية علها تكون عبرة وعظة ووقاية لكم، مع تمنياتنا للجميع بحياة سعيدة، خالية من المشكلات، هانئة بالمحبة والرحمات.

دماء تراق.. وأنفاس تكتم.. وأرواح تبعث صراخا ونحيبا.. بكاء وحزنا.. استغاثة وعويلا: ساعدونا يرحمكم الله.. أنقذونا من بطش الطغاة.. هلموا إلينا فنحن بحاجة إليكم.. حي على الجهاد.. حي على الجهاد.... بهذه الكلمات الحزينة نبدأ، وهي كلمات نطق بها كل أهالي غزة، حيث مشاهد القتل في كل مكان، ومناظر الخراب تعم كل دار، فهل من مغيث؟ فهل من مجيب؟



فإليكم إخوتي في غزة تحية عز وإجلال، إليكم شهداءنا الأبرار جنة عرضها السموات والأرض، أكتب لكم وقلبي معكم، أشعر بما تشعرون به، وأتألم مما تتألمون منه، فنحن هنا في الكويت جربنا معنى الاحتلال وذقنا ألوان العذاب، وقتل أهلونا وأسر أحبابنا من غير ذنب اقترفوه، هاهو الظلم يقتل قلوبكم، هاهو الاضطهاد بجميع صوره يحتويكم، هاهو الموت يسلب منكم أحبابكم وأهليكم، فقلوبكم- بلا شك- ثكلى، وإن كان للحزن أوقات عند العالم كله فأنتم مولودون معه، يعيش بينكم وهو شاهد على كل ما حدث وما سيحدث، ولا ننسى قول الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾(الزمر- ٥٣)، فلا تيأسوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون بإذن الله.. فالنصر قريب، والفرج آت، لأنكم تدعون ربا قريبا كريما.

عطاء الكريم

يأيتها الأمهات الكريمات، أذكركن فقط بأن هذه الدنيا دار ابتلاء وليست دار قرار، هي دار للمصائب والمحن، قدّر لكُنّ أن تعيشوها بجميع أشكالها، وأعتقد أنكن الآن الأقوى في العالم للتعامل مع مثل تلك الأزمات، والأفضل في التصدي لمثل هذه المحن، لأنكن على يقين بأن النصر آت لا محالة، وبأن مثل تلك الأوضاع غير الطبيعية لن تبقى مهما كان، لأن لكل بداية نهاية، ولكل شدة وقت ثم تزول، ولكل المحن زمن لا يمكن أن تتعداه، لأن الله خلق فسوى، وقدر فهدى، فعليكن أخواتي بالصلاة والدعاء بإلحاح، فالله لم يبتلكن إلا لأنه أحبكن، فأنتن محبوبات من الله، صابرات قانتات طيبات متعلقات بالله، لا تكللن ولا تمللن من البناء، هم يهدمون وأنتن تبنين، هم يقتلون أبناءكم وأنتن الودودات الولودات، هم يدمرون ويخربون، وأنتن تصلحن وتزينّ، أتعلمن لماذا؟ لأنكن متمسكات بأرضكن، لأنكن على حق، وعلى يقين بأن الله معكن، فصبرا صبرا... ودعاء ورجاء لله، وسيتبدل حالكم إلى أفضل حال بإذن الواحد القهار.

السكينة في القرآن

يحتل القلق النفسي المرتبة الأولى في الانتشار بين الأمراض النفسية، فالاحصاءات تفيد بأن كل شخص بين أربعة أشخاص يعاني من القلق النفسي خلال فترة حياته. والقلق حالة نفسية تتصف بالخوف والتوتر، وكثرة التوقعات، وينجم القلق عن الخوف من المستقبل، أو توقع لشيء ما، أو عن صراع نفسي بين النوازع والقيود التي تحول دون تحقيق تلك النوازع.
وقد أفاض الأطباء النفسيون وعلماء النفس في الحديث عن القلق من حيث أسبابه ومظاهره وأنواعه ومدى انتشاره وسبل علاجه، والقرآن الكريم قد سبق في بيان علاج القلق والتنبيه على ضرره، وذلك عند تناوله لمعنى السكينة في مواضع مختلفة، حيث أكد - سبحانه وتعالى- أن السكينة تتنزل من عنده على من يشاء من عباده، وأن السكينة علامة على رضا الله عز وجل عن عباده، وهي سمة العلماء والأولياء، حيث يستقر اليقين، ويثمر الخشوع، ويتجلى الوقار، وتثبت الأقدام، وفي هذا المقال الموجز بيان لمعنى السكينة وأنواعها وبعض مواردها في القرآن الكريم، ليكون القارئ على علم بهذه الصفة العظيمة والمنة الجليلة.



وليد خالد الربيع

تعريف السكينة

أصل هذه الكلمة- كمايقول ابن فارس- يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال سكن الشيء يسكن سكونا فهو ساكن، ومن هذا الباب: السكينة، وهي الطمأنينة والوقار.
قال الراغب في المفردات: «السكون: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان نحو: سكن فلان مكان كذا أي: استوطنه، واسم المكان مسكن، والجمع مساكن، قال تعالى ﴿لا يرى إلا مساكنهم﴾ (الأحقاف-٢٥)، وقال تعالى ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ (الأنعام-١٣)، فمن الأول يقال: سكنته، ومن الثاني يقال: أسكنته نحو قوله تعالى ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ (ابراهيم- ٣٧)، والسكن ما يُسكن إليه، قال تعالى ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ (النحل-٨٠)، وقال تعالى ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ (التوبة- ١٠٣).
وقال ابن عباس: «كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا في سورة البقرة»، يقصد قوله تعالى ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ (البقرة-٢٤٨)، كما سيأتي بيانه.
قال ابن القيم معرفا السكينة: «هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات».
وقال الشيخ ابن سعدي: «السكينة: ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد».
ووردت السكينة في القرآن الكريم على معان منها:
المعنى الأولى: سكينة بني اسرائيل التي أعطوها في التابوت
وذلك كما جاء في قوله تعالى ﴿وقال له نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ (البقرة-٢٤٨).
وقد اختلف المفسرون في المراد بالسكينة المذكورة في الآية، كما نقله ابن كثير وابن القيم وغيرهما، هل هي عين قائمة بنفسها أو معنى؟ على قولين:
أحدهما: أنها عين، ثم اختلف اصحاب هذا القول في صفتها فروى عن علي بن أبي طالب أنها ريح هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان، ويروى عن مجاهد، أنها صورة هرة لها جناحان وعينان لهما شعاعا وجناحان من زمرد وزبرجد فإذا سمعوا صوتها أيقنوا بالنصر، وعن ابن عباس: هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن وهب بن منبه: هي روح من روح الله تتكلم، اذا اختلفوا في شيء أخبرتهم ببيان ما يريدون.
والثاني: انها معنى ويكون معنى قوله ﴿وسكينة من ربكم﴾ أي ومجيئه إليكم سكينة لكم وطمأنينة، وعلى الأول يكون المعنى: إن السكينة في نفس التابوت ويؤيده عطف قوله: ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾، وقال عطاء بن أبي رباح: فيه سكينة هي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: هي من السكون أي طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا.
المعنى الثاني: السكينة التي أنزلها الله على قلب رسوله ﷺ والمؤمنين
قال صاحب المنازل: «أما السكينة التي نزلت على قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين، فهي شيء يجمع قوة وروحا، يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين والضجر، ويسكن إليه العصي والجريء والأبي».
قال ابن القيم معلقا على كلامه: «إن هذا الشيء الذي أنزله الله في قلب رسوله ﷺ وقلوب عباده المؤمنين يشتمل على ثلاثة معان: النور والقوة والروح، وذكر له ثلاث

● العميد المساعد للاستشارات والتدريب في كلية الشريعة بالكويت





مرات: سكون الخائف إليه، وتسلي الحزين الضجر به، واستكانة صاحب المعصية الجرأة على المخالفة والإباء إليه، فبالروح لتي فيهاحياة القلب، وبالنور الذي نيها، استنارته وضياؤه وإشراقه، بالقوة ثباته وعزمه ونشاطه.

نالنور يكشف له عن دلائل الإيمان حقائق اليقين ويميز له بين الحق الباطل، والهدى والضلال، والغي الرشد، والشك واليقين، والحياة وجب كمال يقظته وفطنته وحضوره انتباهه من سنة الغفلة وتأهبه لقائه، والقوة توجب له الصدق صحة المعرفة وقهر داعي الغي العنت وضبط النفس عن جزعها هلعها، واسترسالها في النقائص العيوب، ولذلك ازداد بالسكينة يمانا مع إيمانه والإيمان يثمر له لنور والحياة والقوة، وهذه الثلاثة ثمره أيضا وتوجب زيادته فهو محفوف بها بلها وبعدها.

من الآيات قوله تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده جنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا لسفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ (التوبة-٤٠).

نال ابن كثير: يقول تعالى ﴿إلا تنصروه﴾ ى تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده كافيه وحافظه كما تولى نصره – أي يوم لهجرة- لما همّ المشركون بقتله أو حبسه و نفيه، فخرج منهم هارباً بصحبة صديقه صاحبه أبي بكر فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام يرجع الطلب من الذين خرجوا في آثارهم، م يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه جزع أن يطلع عليهم فيخلص إلى الرسول ﷺ منهم أذى فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته يقول «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، لهذا قال تعالى ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ ي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ ني أشهر القولين، وقيل: على أبي بكر وروى عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ م تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ أي الملائكة.

قال ابن سعدي: «ونصر الله رسوله ﷺ بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضوع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم، بأن يتم الله لهم ما طلبوا وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليه، والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله اياه أن يرد عنه عدوه ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع، وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته، وفيها أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع ان الأولى - إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة».

وقد ورد في السنة أن السكينة قد تجري على لسان المحدثين كما أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم» (رواه مسلم) قال النووي: واختلف تفسير العلماء للمراد بـ «محدثون»، فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: مصيبون، وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا، وقيل: تكلمهم الملائكة، وجاء في رواية «متكلمون»، وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم.

ولهذا نقل عن ابن مسعود أنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ لا نشك أن السكينة تكلم على لسان عمر»، قال ابن القيم: «السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه، وكثيرا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن عن فكرة منه ولا روية ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه كما يستغرب السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه، وأكثر ما يكون هذا عند الحاجة وصدق الرغبة من السائل والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله والإسراع بقلبه إلى بين يديه وحضرته مع تجرده من الأهواء وتجريده النصيحة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين وإزالة نفسه من البين».

فالسكينة من الله -عز وجل- كما تقدم، وقد ورد في السنة ما يحض على طلبها والتخلق بها وبيان بعض موجباتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» (متفق عليه).

فما أجمل أن يتحلى المسلم بالسكينة في روحه وقلبه وجوارحه وتعامله مع الآخرين، لأنها من الصفات السامية التي رغب فيها الشرع ومنّ الله تعالى بها على من شاء من عباده، نسأله سبحانه أن يمن بها علينا أجمعين ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

التاريخ الإسلامي.. مفاخره ودرره

لقد غدا الإسلام لأهله خلال تاريخه الفخر والدر، فسطروا به المفاخر والدرر المتفردة، منذ أول يوم، مقتدين بالرسول ﷺ، يتبين ذلك من خلال سلوك المسلمين الذين عرفوا حقائق هذا الدين ومنهج رب العالمين وصياغته وصوره، وعبَّروا عنها عمليا في حياتهم، فكانت تلك الحقائق الباهرة المثيرة التي دكّت عناد الآخرين وأسقطت الحجب أمامهم، فأقبلوا على دين الله أفواجاً وندم الذين تأخر إسلامهم، فأصبح همهم التعويض عما فات، فكان أحدهم يعتبر بقاءه حياً حتى أسلم من نعم الله عليه التي تستوجب الحمد والشكر، وبهذا انطلقوا في الحياة بكل طاقاتهم، يسعون في دروبها، ينيرونها ويزيّنونها بالمفاخر.



د.عبدالرحمن الحجي

ولذلك نرى أمثلة كثيرة مترادفة متتابعة متكاثرة، فهذا عكرمة بن أبي جهل الذي حارب الإسلام طويلاً، أسلم بعد فتح مكة (٨ هـ) وقد هرب منها ناجياً بنفسه، ودعته امرأته أم حكيم إلى الإسلام فأسلم، وهو الذي نادى في المسلمين في معركة اليرموك (الخامس من رجب، ١٥هـ) حين اشتد القتال «من يبايعني على الموت؟» فتقدم إليه المئات في التو واللحظة، واستُشهد هو في تلك المعركة، ويذكر أنه حين جاء الساقي بالماء للجرحى بعد المعركة وكان هو بينهم وأتاه الساقي بالماء، نادى جريح آخر يطلب الماء، فقال له: أعطه قبلي، وهذا بدوره سمع جريحاً آخر يطلب الماء، فقال للساقي: أعطه قبلي، فلما وصل إلى الثالث وجده قد مات، فرجع إلى الثاني فوجده قد مات، فرجع للأول (عكرمة) فوجده قد مات.

ولإحساس هؤلاء الذين تأخر إسلامهم كانوا يحمدون الله أن أبقاهم، فكان أحدهم يقول إذا أقسم: والذي نجاني يوم بدر (حكيم بن حزام، ٥٤هـ). ويقول آخر (لبيد بن ربيعة):

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي
حتى لبستُ من الإسلام سربالاً

إنَّ كل ما حققه المسلمون من انتصارات ومفاخر كان بالإسلام وحده، كما قال القائل:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ
إذا افتخروا بقيس أو تميم

وكما قال آخر:

وما وجدتُ بغير الدين معركةً
للعُرْبِ فيها على أعدائها الغلَبُ
إن العروبة بالإسلام عِزّتها
فإنْ تولى فلا عزٌ ولا عَربُ

لقد أنقذ الله تعالى بمنهجه كل من أقبل عليه واهتدى به، واستراح كل من استظل بظله من الأمم الأخرى خلال تاريخه الطويل، لكن الذين التحقوا به صدقوا في انتمائهم، فحملوه في نفوسهم مُستأمَنين عليه، فحولوه إلى حياة متحركة ناطقة.

خلق اليأس

إن كثرة الهجوم على التاريخ الإسلامي هَدَفَ أعداءُ الإسلام به إلى أن يقيموا في نفس المسلم اليأس منه ونَفض اليد عنه، ولذلك فإن وظيفة المؤرخ لاسيما المسلم الغيور الصبور هو بذل الجهد لتنقيته وتقديمه بحقائقه، وللأسف فإن كثيراً مما ألقي على التاريخ الإسلامي من شُبُهات وزيف أصبحت - عند البعض - مُسَلّمات، وإن تفاوت جرحها وتلبيسها، وقد تستغربون لو ذُكر أن خطبة طارق بن زياد الشهيرة في فتح الأندلس (٩٢ هـ-٧١١م) لا وجود لها في الحقيقة، فهي ملفقة في عمومها، ومثلها قضية حرق السفن، ودراسة التاريخ الإسلامي لابد أن تكون متمكنة غائرة ناظرة في بواطنه، تتجاوز القراءة السطحية التي يمكن أن يكون أمرُها مثل ذلك الرجل الذي سمع عن أحد الفرسان فطلب سيفه ليراه، فلما جيء به ونظر إليه اعتبر ألا فرق بينه وبين غيره، ثم طلب فارسَه الذي قال للرجل حين سمع مقالته: أنت اعتبرتَ السيفَ لكنك لم تعتبر اليد التي تضرب به، ومثل ذلك كان في غزوة الخندق (٥ هـ) حين استطاع أحد فرسان قريش الذي قفز بفرسه من فوق الخندق لكنه سقط فيه، ولما نزل إليه الزبير بن العوام ضربه ضربة واحدة على رأسه فشقه إلى مقعده، وحين رأى المسلمون ذلك قال بعضهم ما أروعَ هذا السيف! فنظر إليه الزبير مستنكراً وقال: ليس السيف وإنما اليد التي ضربت به، وقل مثله في المحاورة التي جرت بين بائعة اللبن وابنتها من أهل المدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعلى ذلك يكون من وظيفة المؤرخ المأمول أن يستخرج لآلئ هذا التاريخ بامتلاك العدة في تميز وتعلق وجهد جهيد حثيث وتَحلٍ بالورع وثبوت النظر والصبر واتباع ما يقود إليه الدليل، وعلى هذه المنهجية يُقال للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، ولا يحجب إحسانُ أحد سيئاته ولا سيئاتُه حسناته، وهنا يصح ميزانُ قول من قال «أنت لا تعرفُ الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله»، وهذه قاعدة رائعة تصلح أن تكون رائداً في البحث العلمي الأمين ووجهة سليمة كريمة في منهجية الكتابة الرصينة التي تتصف بالحيدة واتباع طريق الحجة بالنص والمنطق والعقل والأخذ بالحقائق الموثقة ومعرفة جادة جديرة ملمة بالعصر وطبيعته وصيغته وبنائه الإسلامي القيم المشهود.

وإن من هدايا الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية المعاصرة هي مناهج البحث العلمي والعلم التجريبي الحديث، وذلك باعتراف غير واحد من رواده، ولابد من إدراك أن لتاريخنا موازينَه المترقية في فهم الحياة ومعرفة حقائقها، أورثهم إياها هذا الدين، ولذلك كان التاريخ الإسلامي

● أستاذ التاريخ الأندلسي



من وظيفة المؤرخ المأمول أن يستخرج لآلئ التاريخ الإسلامي المشوهة

- بالتزام أهله - أروعَ التواريخ إنسانية وحضارة كرامة، وسيبقى نموذجاً فريداً يُحتذى، وهذا ما جري السعيُ لتحقيقه وإظهاره في كتابة التاريخ الإسلامي الذي يقوده الورع والتقوى والحب، اعتبار ذلك جهاداً وقربة إلى الله تعالى، وعلى هذا لابد من تكوين قاعدة جيدة رصينة متينة ي فهم ذلك كله وكتابته بصيغة علمية أمينة بعد متلاك المؤهلات اللازمة النوعية والتخصصية، إظهار تلك المفاخر، إن هذا التاريخ هو الوحيد الذي بنى بعقيدة الوحدانية الحياةَ الإنسانية الفاضلة وحضارتَها الوارفة، وذلك واضح في كلمات الله المنيرة وفي أحاديث وسيرة الرسول ﷺ، وألْتَقطُ في ذلك ما رواه الإمام أحمد (٢٤٠ هـ)عن ربيعة بن عباد - وكان جاهلياً فأسلم - قولاً استوقفني كثيراً واستدر الإعجاب مني أيَّ عجاب.. قال ربيعة الذي كان مع والده: «رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المَجاز يتتبعُ الناسَ في منازلهم يدعوهم إلى الله يقول: يأيها الناس قولوا لا اله إلا الله تفلحوا، ويكرر ذلك عليهم». وكان هذا - سواء بالنسبة لرسول الله ﷺ أو مَن تابعه - يمثل الثقة بنصر الله تعالى رغم تلك الظروف، والذي يعرف طبيعة هذا الدين وحقيقته لا تؤثر فيه أقاويل الأعداء، مهما مكنها أن تجلب في طياتها من ظواهر اليأس والبأس وتفتيت الآمال، فلقد تغلبت حقائق هذا الدين وطردت الأباطيل والظلمات.

ولقد صنع المسلمون بهذا الدين المفاخر والأمجاد، ولكنهم أنجزوا ذلك حين كان الإسلام عندهم كل شيء ويتمنى أحدهم تقديم نفسه العزيزة هبة لهذا الدين وهو بها أجدر، بل ويستقل نفسه من أجل هذا الدين، ولذلك قال خُبَيْب بن عَديّ بعد أن أُسر في مكة وقُدِّم للقتل قال: «والله إن قتلي في سبيل الله قليل»، وصلى ركعتي الشهادة وقال والسهام تمزقه:

ولستُ أبالي حين أقتل مُسلما
على أيِّ جَنْب كان في الله مَصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو مُمَزَّع

وعلى ذلك كان جواب عُبادة بن الصامت لسؤال المُقَوقس (حاكم مصر، التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية) حين قابله بوفد المسلمين فهدد المقوقس المسلمين قائلاً: إذا كنتم تريدون طعاماً نقدمه وارجعوا، وإلا فليس لكم إلا الفناء بهذا الجيش الكبير الذي أعده، فما كان من عبادة إلا أن قال له: إن الذي تهددنا به لا عبرة فيه، وإن أحدنا ليدعو الله صباح مساء أن يرزقه الشهادة.

المستقبل للإسلام

ماذا تنتظر من دين أنزله الله ليتولى أمر البشرية إلى يوم الدين.. لابد أن يهيئ الله تعالى من ينصره، وكان ذلك يلوح منذ الأيام الأولى وإن بدا غير واضح بالنسبة لكثير، ويوم أنزل الله تعالى في مكة: ﴿سيُهزم الجمعُ ويولون الدُّبُر﴾ (القمر- ٥٤)، لم يَفْهم كثير من المسلمين مدلول هذه الآية، ولكن في معركة بدر، وحين ابتدأ القتال كان رسول الله ﷺ، يتلو هذه الآية الكريمة: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ وحينئذ فهم الصحابة معناها.

ولقد أنشأ الإسلامُ المفاخرَ العظام وأقر في الحياة مفاهيم جديدة في كل اتجاه، ومن طرائف ذلك أن الفرار كان عيباً عند كل الأقوام وعند العرب كذلك، ولكن غدا مألوفاً أو ربما ليس عيباً إلى تلك الدرجة أمام المسلمين، ففي فتح مكة (٢٠ رمضان، ٨هـ) كان حماس أحدُ المشركين يستعد بأسلحته ويحد سيفه في بيته، فسألته زوجته: لمن تصنع ذلك؟ فقال: لمحمد وأصحابه وسأُخْدِمُ أحدَهم لك، فضحكت وقالت له: يا رجل والله ما أرى أن يقوم لمحمد وصحبه شيء، ويوم الفتح ناوش هذا الرجل شيئاً من قتال وتطاير أمامه أصحابه، فخرج منهزماً حتى وصل بيته يطرق الباب طرقاً جنونياً ففتحته امرأته وقال لها: أغلقي عليّ الباب، فقالت المرأة ساخرة: أين ما كنت تقول؟ واعتذر عن فراره فقال:

إنك لو شهدت يومَ الخَنْدَمَة
إذ فَرَّ صفوانُ وفر عكرمَة
ولهم يزيد قائمٌ كالمؤتَمَة
واستقبلتهم بالسيوف المُسلمَة
يَقطف كُلَّ ساعد وجُمجُمَة
ضَرْباً فلا يُسمَعُ إلا غَمْغَمَة
لهم نَهيتٌ خَلْفَنا وهَمْهَمَة
لم تَنْطقي باللوم أدنى كَلمَة

فالإسلام هو الحركة الوحيدة العالمية لتحرير الإنسانية والارتقاء بها وبناء الحضارة الفاضلة، وما دام التاريخ الإسلامي وحضارته هو الصورة العملية لهذا الدين والواقع التطبيقي له - في حالة الالتزام والاعتصام - فإن الحديث عن التاريخ الإسلامي هو بيان للإسلام نفسه وصنائعه، وقدراته وإطلالاته وامتداداته، وإن صبغته وصنعته كانت ثماراً لهذا التطبيق، ترى من خلاله حقيقة هذا المنهج المتفرد مُصَنَّعَة ومُصَبَّغة مُؤَلَّفة ﴿صبغةَ الله ومَن أحسنُ من الله صبغةً ونحن له عابدون﴾(البقرة، ١٣٨).

كان المسلمون في كل ميدان وفي الفتوحات وميادينها بشراً جديداً، ما رأى الناس مثلهم، حين عبروا نهر دجلة وقت فيضانه على ظهور الخيل، ما صَدَّق الفرسُ وهم على الشاطئ الآخر أن ذلك يحدث، فكانوا يُشيرون إلى المسلمين ويقولون: ديوانا ديوانا، فعبروه. وتذكر الروايات جميعاً أنهم كانوا . وهم يعبرون النهر على ظهور الخيل يتحدثون كما اعتادوا وهم يسيرون فوق الأرض، والله جلت قدرته يُسَخر كل شيء للمسلم.

والخيل تهفو إلى الفرسان تَحملهم
كأنها جُنِّدتْ للدين أعوانا

وما دام الأمر كذلك فإن كل تخلف وضعف وتدهور وتمزق في حياة الأمة كان بسبب الضعف في الأخذ بهذا الدين، وفي كل كَبْوَة رَمَتْ بالأمة أرضاً كانت تقوم باللجوء لهذا الدين لا ترى في غيره نجاة، وانظر حولك اليوم هل رأيت أو سمعت صوتاً كريماً أو صورة مشرفة إلا من نفحاته أو آثاره أو أنواره، حتى في كبوتها الحديثة، مع أنها أشد الكبوات طرا، فسارت تطلبه وتستمد منه عافيتها وإن تَعَثَّر ذلك أحياناً.

ومن هذا وغيره تظهر أهمية دراسة التاريخ الإسلامي، نقياً قوياً موثقاً كما هو في الحقيقة.

أستاذ التاريخ والحضارة د.عبدالحليم عويس:

إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ضرورة لتصحيح المسار



حوار: محمد صالح

عندما يشتد وطيس الحرب على الإسلام وتتعالى صيحات الكارهين لعقيدة الإسلام، نحتمي بمنهجنا القويم، ود.عبدالحليم عويس أحد فرسان الدفاع عن إسلامنا في هذا العصر الذي كثر فيه الأعداء والذي ينير الطريق بدراسة التاريخ الإسلامي.. «الوعي الإسلامي» التقت بالمفكر ليعطي صورة واضحة عن واقعنا المعاصر من خلال قراءة للتاريخ الإسلامي.. وإليكم نص الحوار:.

■ **تعرض التاريخ الإسلامي للتشويه والتحريف من المستشرقين، ومن بعض المسلمين، من أجل ذلك تعالت الصيحات منادية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بشكل علمي وموضوعي، فهل تؤيدون هذه الدعوة؟**

نعم أؤيدها.. وبكل قوة، والحقيقة أنه ليس التاريخ الإسلامي وحده هو الذي صنعته وطبخته بطريقة خاصة مطابخ الاستشراق، وتلامذة الاستشراق.

فإني أزعم أن هناك محاولات جرت لتوجيه الأدب والعلوم الإسلامية هذا التوجيه الاستشراقي الذي يُجّسد بعض القيم، أو بعض النماذج التي تخدم الفكر الاستشراقي، والتي في نهايتها تُقدم الإسلام والمسلمين تاريخاً وحضارة على أنهم أناس لا يصلحون كحل حضاري للإنسان الغربي، وأيضاً يحاولون تشويه الإسلام تاريخاً وحضارة، فركزوا على مناطق الخلاف بين المسلمين، كسنوات الخلاف بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وركزوا على بعض الحركات الخارجية كالصعاليك، وبعض الفرق التي تزندقت، أو ثارت على الدولة الإسلامية، سواء كانت أموية أو عباسية أو عثمانية لأتفه الأسباب.

ولقد اختزلوا بعض الفقرات من التاريخ، وعمّقوا بعض الوقائع، وقادوا الحقائق قيادة تحليلية تؤدي في النهاية إلى بث الشك في هذا التاريخ، ولكن، ليس معنى هذا أن تاريخنا يخلو من الأخطاء، ولكن حتى هذه الأخطاء يمكن أن تُدرس، ويُستفاد منها العبر، وألا تتكرر بعد ذلك، فتاريخنا هو تاريخنا بإيجابياته وسلبياته، وقد آن لنا أن نكتبه نحن بأقلامنا، وبأقلام علمية وموضوعية، وأن نتعرف على العناصر الرائعة فيه، وحبذا أن تقوم دولة بتشكيل لجنة كبيرة لكتابة هذا التاريخ، وأن يُكتب في عدد من الدول، وأن تُجمع هذه الجهود من قِبل بعض المخلصين الذين كتبوا التاريخ بعلمية وحيادية - وهم كثيرون الآن والحمد لله - تُجمع هذه الجهود وتُطبع وتُقدم للناس تقديماً يصل إليهم ولا يصعُبُ عليهم أن يحصلوا عليه.

ويشرفني أن أُعلن أنني أشرفت منذ عشر سنوات على موسوعة كاملة للتاريخ الإسلامي كتبها نحو ثمانين أستاذاً، وكنت أنا المشرف عليها، وتقع في نحو عشرة الآف صفحة.

■ **باعتباركم أستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية، ما هو تعريفكم لمفهوم الفقه الحضاري، وكيف نقدم حضارتنا الإسلامية للحضارات الأخرى؟**

الفقه الحضاري: هو التعرف على سنن الله الكونية والاجتماعية. والأمة الإسلامية قد تجادل كثيراً.. وقد تبذل جهوداً كبيرة في حقل الجزئيات، وفي حقل الأحكام الفرعية، بيد أنها لم تُول الفقه الحضاري حقه من الدراسة، بل إن القرآن الكريم فُسر لغوياً، وفُسر وفقاً للأحكام، وفُسر وفقاً للعقيدة على النمط الاعتزالي، وعلى نمط أهل السنة، وما إلى ذلك، فُسر القرآن تفسيرات مختلفة، لكن حتى الآن لم يُفسر القرآن تفسيراً حضارياً يستوعب كل ما ورد فيه حول الأمم السابقة، وحول تجارب الأنبياء السابقين، وحول اللمحات والإشارات التي تضمنتها كثير من الآيات القرآنية، والتي تدل على سنن البقاء، وسنن الصعود، وسنن الهبوط وسنن السقوط. ففي القرآن الكريم زخم كبير من هذا اللون من الإشارات الوجيزة

الوضيئة للسنن التي إذا اتبعتها الأمم ارتفعت، وإذا تخلت عنها هوت وسقطت.

فنحن في حاجة إلى قراءة للقرآن، وتفسير للقرآن وفقاً للفقه الحضاري الذي يُقدم السنن الاجتماعية والكونية، ويضع أمام الحاكمين والمحكومين، وأمام المثقفين أدلة عمل، أدلة نهضة، أدلة بقاء، أدلة وجود، وأيضاً يضع من خلال التجارب الهالكة أدلة الفناء، وأدلة السقوط، لنعمل على تقوية هذا وتجنب ذاك.

هذا هو الفقه الحضاري، فقه السنن الكونية.. فقه الدروس المستخلصة من قصص الأنبياء، ومن قصص الأمم السابقة، ومن فقه الإشارات الواردة في القرآن الكريم حول: كيف تبقى الأمم؟ وكيف تسقط الأمم؟

■ من أخطر الأمور على الأمة الإسلامية شعور أفرادها بالهزيمة النفسية، فهل من سبيل لاستعادة المسلم ثقته بنفسه، واعتزازه بحضارته؟

- أنا أؤمن دائماً بأن المسلم يجب عليه أن يبذر بذور الإيمان، وأن يقوم بما عليه في حدود ما يستطيع، والقاعدة الشرعية تقول: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿لا يُكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾، وحتى الرسول ﷺ عاتبه ربه عندما رآه يُكلف نفسه فوق طاقتها وقال له: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ (فاطر-٨)، فالمسلم يجب أن يُؤمن بأن الله مهيمن على كل شيء، وأنه لا يقع في ملك الله شيء إلا بمراد الله، وكل ما يقع الآن هو تمحيص للمؤمن، وهو إعادة للمؤمن إلى القضبان الصحيحة، من أجل أن يمضى القطار الإسلامي إلى غايته الصحيحة، ولا يمكن أن تستيقظ الأمة بدون هذه التمحيصات التي تقع، لأن المسلمين كانوا نائمين ومخدرين، وما زالوا يُؤثرون الخلافات الفرعية على الأصول الجامعة المانعة كشعب الإيمان، والأخوة الإسلامية. هناك أكثر من ثمانين شعبة تُجمع المسلمين، لا يختلف عليها مسلمان قط، ومع ذلك نترك هذه الأصول الجامعة المانعة ونعمل في حقل الخلافات الفرعية.

بعض المستشرقين اختزلوا بعض أحداث التاريخ وعمقوا بعض الوقائع الخلافية وقادوا الحقائق لأهدافهم التغريبية والإستعمارية

وأذكر هنا أن المفكر العظيم الذي عاش في ظل واحدة من أسوأ الظروف في تاريخنا المعاصر، وهو المفكر الكردي التركي المسلم بديع الزمان سعيد النورسي، وضع ستة شروط لنهضة الأمة الإسلامية، جعل أولها نبذ اليأس، فليس من حق مسلم أن ييأس، فإنه إذن يُشكك في قدرة الله أمام القوى العاتية التي يراها طغت على نفسه، ولأمر ما جعل الله اليأس قرين الكفر: ﴿إنه لا ييأسُ من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ وكثير من المصلحين نجحوا، وكونوا من حولهم ملايين حملوا الراية من بعدهم، وكانوا في ظروف من أسوأ الظروف، ففي تركيا مثلاً -أيام مصطفى كمال- ظهر سليمان حلمي، وقاد آلاف الكتاتيب وعمل عملاً عظيماً، وله تلامذة ينشرون الإسلام، حتى في أوروبا، وبهدوء أيضاً ظهر بديع الزمان النورسي، وهكذا، فيجب علينا أن نعمل، ونترك النتائج لله.

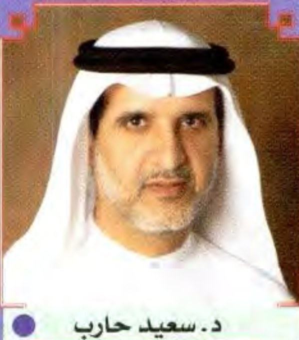
■ لا شك أن كل مفكر وباحث إسلامي ومؤرخ له في مسيرته العلمية رجال كانت لهم بصمات واضحة عليه، فمن هم هؤلاء الرجال الذين تأثر ببصماتهم المفكر الإسلامي د.عبدالحليم عويس، وما هي جوانب الإبداع والتميز فيهم؟

- الحديث في هذا يطول، لكن أحمد الله أنني كانت لي علاقة طيبة مباشرة بعدد من الرموز الإسلامية الكبيرة، فقد كانت لي صلة قوية بفضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وكنت من أخلص وأقرب تلامذته إليه، وكنت أذهب إلى بيته، وأعيش فيه معه كما يعيش أقرب التلامذة إليه، وما زلت والحمد لله قريباً من أسرته وقريباً منه، وقد كتبت عنه كتابين أحدهما طبع في مصر عدة طبعات، والآخر طبع في جدة.

الشيخ محمد الغزالي تعلمت منه مباشرة عن طريق الاحتكاك الأسبوعي المباشر، وكنت أسافر معه دائماً، وسافرت معه خمس عشرة مرة إلى ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، وكنت أنا الذي أشرُف بصحبته، وأسنده في مشيه، وأقضي له أموره عندما يكون مريضاً أو مُتعباً، وهذا شرف أعتبره نعمة من الله، فتأثرت به وبأخلاقه، وبروحه الإسلامية، وأشهد أنه كان بكّاءً من خشية الله، وأنه كان يستظهر القرآن عن ظهر قلب، وأنه كان رجلاً يعيش لله وفي الله.

وأيضاً عشت على فترات متقطعة مع الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، وزرته في الهند أكثر من عشر مرات، وكنت أقيم في ندوة العلماء أكثر من عشرة أيام في بعض الزيارات، وأعرفه عن قرب، وأيضاً عندما كان ينزل إلى الرياض وغيرها، كنت أصحبه، وكان ينزل في بيتي في بعض الأحايين، وقامت بيني وبينه علاقة قوية، وفوضني حتى في مراجعة كتبه، وقد رأيت فيه الإخلاص الشديد، والزهد العجيب، هذا الرجل الذي كان من الممكن أن يعيش في ترف، كان ينام على سرير من الخشب أو من الخوص، وكان يزهد في كل الأحوال، وكان يقدم الإسلام سلوكاً، وكان يتأوه لكل آلام المسلمين، ويعيش مع آلام المسلمين، وقد عُرف بوسطيته وبأخلاقه الرفيعة وبفكره الغزير رحمه الله.

وسائل تنمية الموارد البشرية


د. سعيد حارب

أشرنا في مقال سابق إلى أسس تنمية الموارد البشرية، ونواصل في هذا المقال البحث في وسائل تنمية الموارد البشرية التي تعد مدخلاً لإيجاد العناصر الجيدة القادرة على القيام بأدوارها الانسانية في مختلف الوظائف والإدارة، ولا شك أن الإنسان يمر في عصر تطورت فيه الوسائل، وتعددت الأساليب مع تطور الحياة البشرية، وتعدد صورها، ودخول عناصر جديدة أثرت على حياة الإنسان، مثل التأثير الكبير والمكثف لعوامل التقنية وأساليبها، كما أن التواصل الانساني والانفتاح على الآخر، وضع الموارد البشرية أمام تحد آخر، وهو قدرة الإنسان على استيعاب المتغيرات الاقتصادية والمعرفية المتجددة، إذ لم تعد متطلبات التنمية المحلية هي الوحيدة التي تفرض شروطها على أساليب تنمية الموارد البشرية، بل أصبح الإنسان مطالبا بشروط جديدة أدخلتها العولمة السائدة في العالم بحيث فرضت صورا جديدة لما هو مطلوب في تنمية الموارد البشرية.

فمتطلبات العولمة في تنمية الموارد البشرية تدفع بالدول والقائمين على برامج التنمية والتطوير إلى الأخذ بأحدث أساليب التعليم والتدريب وبنوعية جيدة منه، وتبرز المواهب والإبداع، وتحفز المهارات الإنسانية، وتشجع أخذ المبادرات الفردية والجماعية من أجل المنافسة، كما تدفع متطلبات العولمة إلى تطوير المهارات التقنية للإنسان، ورفع كفاءته في استخدام التقنية وتشجيع البحث العلمي الخادم للعملية التنموية، وتطوير المهارات التطبيقية للفرد، كما تهيئه للتعامل مع المتغيرات الاقتصادية وتقلباتها، إذ المطلوب من برامج تنمية الموارد البشرية أن تخرج إنسانا قادرا على التكيف مع متطلبات العمل، والتأثيرات الاقتصادية العالمية، بحيث تكون لديه المرونة للتعامل مع فرص العمل وصورها المتعددة في حال تغيرت الظروف الاقتصادية، ولذا فإن أصحاب المهارات الضعيفة أو المحدودة أو الضعيفة لن يجدوا فرصة لهم في عالم يتغير تغيراً سريعا، ومن هنا وجب إعدادهم لتلك المتغيرات،

فالأخذ بأساليب ووسائل التنمية البشرية الحديثة والمتوافقة مع قواعد الإسلام وأحكامه ومبادئه الهامة هو السبيل للولوج في عالم اليوم برؤية إسلامية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومن أبرز وسائل التنمية البشرية:

الإدارة

وهي المدخل الرئيسي لعملية تنمية الموارد البشرية، وقد اهتم الإسلام بتكوين مهارات الإنسان وحث على ذلك، ولقد كانت سيرة المصطفى ﷺ وصحابته الكرام نموذجاً للإدارة الناجحة، وإذا كانت المهارات الفردية والجماعية تنبع من قدرة الإنسان على استيعاب ما يتلقاه، فإن الإسلام اهتم بالإنسان ذاته، فحثه على العمل ورغبه فيه، بل جعل العمل عبادة يؤجر عليها المسلم إذا أخلص فيها، وأتقن أداءها، فقال تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة - ١٠٥)

وقد حث النبي ﷺ على العمل، فعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه» (البخاري).

وأمر عليه الصلاة والسلام بإتقان العمل فعن عائشة - رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (البيهقي).

نجاح برامج تنمية الموارد البشرية مرتبط بتخريج أفراد قادرين على التكيف مع متطلبات العمل والتأثيرات الإقتصادية العالمية

وإذا كان هذا شأن العمل بصفة عامة، فإن إدارة هذا العمل لها شأن خاص، إذ عليها المعول في تحقيق أهدافه، والسير به بصورة صحيحة، ولذلك فإن أهمية إدارة العمل لا تقل عن العمل ذاته، وقد عرف الباحثون الإدارة في الإسلام بأنها «تنظيم وإدارة القوى البشرية لتحقيق أهداف الدولة الإسلامية في إطار أحكام الشرع» (١).

وعرفت كذلك بأنها: الإدارة التي يقوم أفرادها بتنفيذ الجوانب المختلفة للعملية الإدارية على جميع المستويات وفقا للسياسة الشرعية.

وبهذه التعريفات فإن الإدارة الإسلامية في مجال تنمية الموارد البشرية تحتاج إلى صفات عدة من أبرزها:

التخطيط:

فالتخطيط سمة إنسانية يتميز بها البشر عن سائر المخلوقات، فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان عقلا يستطيع أن يميز به الأشياء كما يستطيع أن يضع التصورات والخطط التي تسبق أفعاله وتصرفاته، ولذلك فإن أي عمل ناجح لابد أن يسبقه تخطيط جيد، فالتخطيط هو **«عملية فكرية تعتمد على المنطق والترتيب حيث يبذل فيها الجهد لتوضيح الأهداف التي تريدها الإدارة والبحث عن أفضل الوسائل لتحقيقها، وكذلك محاولة التنبؤ بالمعوقات التي يمكن أن تعترضها وكيفية التغلب عليها»** (٢).

ولقد ساد بين المسلمين تفكير خاطئ بأن التخطيط له علاقة

● نائب رئيس جامعة الإمارات الأسبق

بالغيب، والواقع أن التخطيط لا يبحث في علم الغيب لأن ذلك خارج عن قدرة الإنسان، لكن التخطيط علم يأخذ بأسباب القدَر، ويستخدم المعلومات والإمكانات المتاحة لوضع تصورات (يُتوقع) نجاحها وليس في ذلك جزم، لأن تحقيق النتائج المتوقعة قد لا يكون تاما، بل ربما تحقق جزء منها وربما لم يتحقق بالكلية، ومن يتتبع سيرة النبي ﷺ يجد أنها قائمة على التخطيط، ولعل أبرز صورة للتخطيط ما حدث في هجرته ﷺ.

أما في التخطيط الاقتصادي فإن قصة يوسف عليه السلام تبرز أهمية ذلك، قال سبحانه وتعالى حكاية عن يوسف ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف - ٤٧).

أما التخطيط الإداري فهو واضح فيما عمله ﷺ منذ هجرته إلى المدينة، حيث اهتم بتنظيم شؤون حياة المسلمين في المدينة مثلما اهتم بشؤون دينهم، ولعل أبرز صور التخطيط الإداري يتمثل في إعداده ﷺ صحابته، ومشاورته إياهم في كثير من شؤون الحياة، وتوليتهم المسؤوليات، فقد كان يختار العمال من الصالحين أولى العلم والدين ومن المنظور إليهم في العرب، وكان يكشف عن عملهم ويفتشهم ويتتبع أخبارهم ويعزل من أساء منهم.

ومن هذا نستنتج أهمية التخطيط الإداري كأسلوب لتنمية الموارد البشرية، وتتمثل أهمية التخطيط في:

١- القدرة على التفكير في الأهداف.

٢- القدرة على الرؤية المستقبلية.

٣- القدرة على تحديد الاتجاه والحشد خلف الاتجاه والتحفيزهم لتفجير الطاقات الكامنة.

٤- القدرة على توضيح الأهداف وتحديدها بدقة.

٥- القدرة على البحث عن الفرص المتاحة والاستفادة منها.

٦- القدرة على تحديد الأولويات.

٧- القدرة على وضع إستراتيجية فعالة تتسم بالمرونة والشمول والتكامل وتكون جسرا يصل الماضي بالمستقبل (٣).

القيادة :.

إن الهدف الأساسي من تنمية الموارد البشرية هو إيجاد عناصر قيادية تتولى إدارة شئون المجتمع، وتقوده نحو التطور والتقدم، والقيادة هي المفتاح لأي عمل إداري، فإذا كانت القيادة على قدر من الوعي والإعداد الجيد استطاعت أن تحقق ما تعمل من أجله.

والقيادة هي: «نشاط التأثير على الناس لكي يعملوا برغبتهم على تحقيق أهداف الجماعة» (٤)

وقد اهتم الإسلام بالقيادة كأسلوب للإدارة ووسيلة لتنمية الإنسان، فقال ﷺ «لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدكم، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة يتناجى اثنان دون صاحبهما» (مسند أحمد).

ولذلك اعتنى الإسلام بإعداد القادة حتى يستطيعوا أن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه دينهم وأمتهم، فوضع مواصفات للشخصية القيادية تلتقي مع ما يراه أهل الاختصاص من تلك المواصفات، لكنه يتميز عن ذلك بصفات خاصة منها:

١- الإيمان والتقوى: لأن ذلك ضابط لسلوك الفرد وتصرفاته، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران - ١٠٢).

٢- الالتزام بالضوابط الشرعية، فالشريعة هي الحاكم لتصرفات الإنسان المسلم، والقائد أول من يجب عليه أن يلتزم بذلك، لأن التزامه ينعكس على من معه من الأفراد والعاملين، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام - ١٦٢).

٣- القدوة الحسنة: فقد كان النبي ﷺ نموذجا للقدوة الحسنة، فزكاه ربه بقوله (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب - ٢١)، والقدوة الحسنة صفة لا بد منها للقائد حتى لا يناقض قوله فعله فيسقط من أعين الناس وممن معه، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من ذلك بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

٤- العلم بما يقوم به: فأولى خطوات القيادة الإدارية أن يكون القائد محيطا بما يتولاه من مسؤولية وعمل حتى يستطيع أن ينقل معرفته إلى من معه من العاملين، ويقودهم لتحقيق الإنجازات المطلوبة من العمل، وقد حذر الله - سبحانه وتعالى- من العمل بلا علم فقال ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء - ٣٦).

٥- المهارات العملية: فالقيام بأي عمل يحتاج بعد العلم إلى مهارات عملية تعين القائد على القيام بعمله في القيادة الإدارية، مثل تحمل المسئولية، وتنظيم العمل وتطويره، والقدرة على اتخاذ القرارات، وإثارة اهتمام وحماس العاملين معه، وبث روح التعاون بينهم، والقدرة على التعامل مع الأفراد والمجموعات وإدارتها وفهم الفروق الفردية بين الأفراد، واستخلاص النتائج وغير ذلك من المهارات العملية.

٦- المهارات السلوكية: إذ بها يستطيع أن يحقق الجوانب العملية في إدارته، فالقائد يجب أن يتحلى بصفات شخصية مميزة كالشجاعة والصدق والإيثار والحزم والثبات والهدوء والإنصاف وغيرها من الصفات التي تنظم سلوك الأفراد وعلاقاتهم مع بعضهم البعض.



الهوامش

١- الإدارة في الإسلام - فوزي كمال أدهم ص٢٤.

٢- الإدارة المعاصرة - علي السلمي . ص١١٥.

٣- التنمية البشرية - مصطفى رضا عبدالرحمن ص٣٦.

٤- إدارة الأعمال - جميل أحمد توفيق ص ٣٦٧.

الإسلام في إفريقيا .. منطلقات و قيم

د. قاسم زكي ●

إن قصة دخول الإسلام وانتشاره في القارة الإفريقية من أقصى شمالها (مصر الكنانة) إلى أقصى جنوبها (جنوب إفريقيا)، وتغلغله شرقا وغربا، لجديرة بالدراسة والتمعن وأخذ العبر والعظات، فإفريقيا السمراء ثاني أكبر قارة في العالم بعد آسيا من حيث تعداد السكان، ففيها يعيش اليوم 950 مليون نسمة يمثلون 14.2 في المائة من سكان العالم، ومساحتها تقدر بـ 30.2 مليون كم2 تمثل 6 في المائة من مساحة الكرة الأرضية و20.4 في المائة من إجمالي مساحة يابس المعمورة، وهي تعادل ثلاثة أضعاف مساحة أوروبا، وتمتد إفريقيا طولا قرابة 8 آلاف كم، وعرضا 7.4 آلاف كم، تضم 53 دولة، وتحوي جميع معالم الجغرافيا من السهول والوديان إلى الهضاب والجبال، ومن الصحراوات القاحلة إلى الأراضي الفيضية والغابات الكثيفة، فكيف انتشر الإسلام في هذه المساحات الشاسعة، ومازال يشكل أكثر الديانات انتشارا، ليس في إفريقيا فحسب، بل في جميع أركان المعمورة، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م؟ وصدق الحق حين يقول ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة- 32،33)، وتذكر أصح الإحصاءات، أن المسلمين يشكلون قرابة 45 في المائة من سكان القارة، وتمثل نيجيريا أكبر دولة مسلمة فيها بملايينها الـ133، وبتطبيق حكم الشريعة الإسلامية في بعض ولاياتها.



نور الإسلام يشرق في الشرق والشمال أولا

وكان استقرار الإسلام في الشمال الافريقي بداية لتغلغل الإسلام إلى جنوب الصحراء أو ما يعرف بإفريقيا السوداء، والحقيقة أن أول اتصال بين الإسلام وإفريقيا السوداء، كان منذ فجر الإسلام الأول، وذلك لما أمر النبي ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة (إثيوبيا اليوم) وكان من آثار هجرتهم هذه إسلام ملكها النجاشي، وكان اتصال العرب بالساحل الشرقي لإفريقيا قديماً قبل الإسلام، لقربه من جزيرة العرب، واستقر الكثير من المهاجرين والتجار العرب في هذه المناطق واختلطوا بأهل البلاد وأثروا فيهم، إلا أن التأثير الحقيقي كان بعد الإسلام، وقوي التواصل بين الطرفين، وإن كان الانتقال بين ضفتي البحر الأحمر كان مألوفاً أيضاً قبل الإسلام، وعن طريقه انتشر الإسلام في القرن الافريقي وإفريقيا الشرقية وقوي بعد الإسلام كمعبر قريب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

بداية الرحلة

ولكن الدخول الحقيقي للإسلام في إفريقيا بدأ من كنانة الله في أرضه، حيث استقبلت مصر المحروسة عام ٢٠ هـ (٦٤١م) العرب المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت مصر بعد أن انتشر فيها الإسلام قاعدة الفتح لإفريقيا الشمالية، وأما بلاد المغرب العربي فبدأ فتحها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك سنة ٢٧هـ (٦٤٨م) على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتبعه الأمويون حتى وصل عقبة بن نافع لأقصى الغرب وغمس سيقان حصانه في مياه الأطلسي، حيث كمل انتشار الإسلام بشمال إفريقيا جميعها في القرن الأول

● رئيس الجمعية الإفريقية لعلوم الحاصلات الزراعية، وعضو الرابطة العربية للإعلاميين العلميين.

طرق التجارة عبرت بالإسلام إلى قلب إفريقيا بسلاح الصدق والأمانة للتجار المسلمين

الهجري (السابع الميلادي) وبلغ منها إسبانيا وقتها.
كما دخل الإسلام جنوبا إلى النوبة في القرن الثامن الهجري (الـ١٤م)، وشأن الفتح الإسلامي إفريقيا على يد هؤلاء الأبطال عجيب، فقد تم في ثلاث سنوات تقريباً، وبسط الإسلام ظله على تلك الأقطار الواسعة ذات الأمم التي لا يحصيها إلا الله، من حدود ليبيا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، مع وعورة المسالك وقلة عدد المسلمين، وكثرة أعدائهم وجهل الفاتحين بمعالم تلك البلاد، وبعادات أهلها ولغتهم، ولكنه الإيمان والإخلاص وصدق العزيمة، ولم تزل هذه الغرائب التي صاحبت الفتح الإسلامي مثار دهشة المؤرخين من المسلمين وغيرهم.

التجارة والإسلام

وتجدر الإشارة إلى أن التجار المسلمين قد قاموا بدور بارز في نشر الإسلام في إفريقيا السوداء على العموم، فقد كانت الطرق التجارية الموصلة بين المراكز الإسلامية في شمال القارة والبلاد الواقعة فيما وراء الصحراء هي المسالك الحقيقية التي تسرب الإسلام عبرها إلى قلب إفريقيا، وكذا الأمر بالنسبة للطرق التجارية على طول ساحل المحيط الأطلسي، فقد قامت هذه الطرق بدور جليل الشأن في نشر الإسلام في بلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة تشاد، كذلك كان شأن الطرق التجارية التي تصل وادي النيل ببلاد السودان وشرق إفريقيا، وصدق الرسول الكريم حين قال «التاجر الأمين الصادق المسلم مع الشهداء يوم القيامة» (رواه الترمذي).

ولقد ظهرت ممالك إسلامية عديدة في غرب إفريقيا كمملكة غانا بجنوب شرق موريتانيا، فيما بين الصحراء الكبرى والغابات، وكان لها دور كبير في تجارة الذهب الذي ينتج في جنوبها وتشتريه قوافل بدو الصحراء التجارية لتحمله الجمال إلى شمال إفريقيا، وكانت مملكة غانا قد تحولت للإسلام على أيدي المرابطين بمراكش في القرن الخامس الهجري (الـ١١م)، حيث كوّن المرابطون دولة إسلامية حكمت شمال غرب إفريقيا والأندلس ما بين عام ٤٤٨-٥٤٢هـ (١٠٥٦- ١١٤٧م)، أما إمبراطورية مالي فبدأ تكوينها عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) على يد قائد قبائلماندينكا (سوندياتا كيتا Sundiata Keita)، والذي كوّن اتحادا للقبائل في الوادي الخصيب بأعالي نهر النيجر، وبسط سيطرته على جيرانه مؤسسا إمبراطورية مالي التي كانت أكبر من مملكة غانا، وأثناء أوجها امتدت تلك الإمبراطورية من ساحل المحيط الأطلسي بالغرب إلى ما وراء تخوم منحنى نهر النيجر بالشرق، ومن حقول الذهب في غينيا بالجنوب الغربي إلى محطّ القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال.

رحلة الحج الذهبية

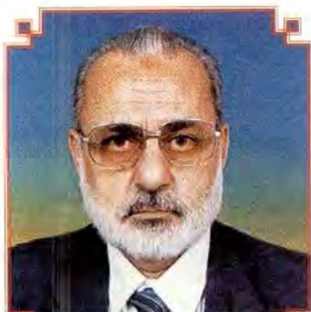
ويذكر التاريخ بدهشة رحلة الحج لإمبراطورها مانسا موسى (أعظم زعماء إمبراطورية مالي، ومن أشهر زعماء إفريقيا والإسلام في القرون الوسطى) فقد حج لمكة عام ٦٣٢هـ (١٣٢٤م) عبر القاهرة، واستقبله المماليك في القاهرة بحفاوة بالغة، وقد انخفض سعر الذهب بالعالم إثر رحلة الحج تلك لكثرة ما وزع من ذهب على طول الرحلة، ودخل اقتصاد العالم أجمع في حالة تضخم سريع (ارتفاع أسعار) لعشرين سنة تالية بسبب ذهب تلك الرحلة، وفي هذه السنة أصبحت العاصمة تمبكتو على شمال غرب نهر النيجر مركزا لتجارة الذهب وتعليم الإسلام، وفي أواخر القرن الثامن الهجري (الـ١٤م) استقلت الأقاليم الخارجية، ومن جنوب منحنى نهر النيجر هاجمت قبائل موسي (Mossi) قلب الإمبراطورية، واستولى الطوارق، وهم بدو جنوب الصحراء الكبرى، على تمبكتو العاصمة، وقامت إمبراطورية سونجهاي في الجانب الشرقي لمنحنى نهر النيجر، وعاصمتها جاو وكانت تمتد من ساحل المحيط الأطلنطي حتى وسط النيجر، وفي أواخر القرن العاشر الهجري (الـ١٦م) عانت الإمبراطورية من الصراعات والنزاعات مما أضعف السلطة المركزية حيث نشأت دول بالشرق عدة كبورنو ودول مدن الهوسا وسلطنة الطوارق، واستولت عليها مراكش عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١ م).

انتشار الإسلام حديثا

أما وصول الإسلام إلى دولة اتحاد جنوب إفريقيا، فهو قصة تجسد استعباد الاستعمار الأوروبي للشعوب فعندما أخذ الهولنديون يفرضون سيطرتهم على جزر اندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو قاوم المسلمون في هذه المناطق الاحتلال، مما دفع المستعمر إلى نفي قادة الثورة إلى جنوب إفريقيا في عام ١٠٦٢هـ (١٦٥٢م)، وكان من بينهم الشيخ يوسف، شقيق ملك جاوا وزعيم المقاومة ضد الاحتلال الهولندي، وجاء ومعه ٤٩ من الثوار المسلمين كسجناء، هكذا كان أول قدوم للإسلام إلى جنوب إفريقيا حيث بدأت الدعوة، كما استقدم البريطانيون (المستعمرون أيضا) العمال من شبه القارة الهندية في أواخر القرن الـ ١٩ وأوائل القرن العشرين للعمل بزراعة قصب السكر، وكان بين العمال عدد كبير من المسلمين، وبعد استقرار الجالية المسلمة بالبلاد قام المسلمون بنشر الدعوة الإسلامية بين الجماعات المستضعفة التي تعاني من التفرقة العنصرية، ثم أخذ الإسلام ينتشر بين المواطنين الأفارقة، وهكذا غزا الإسلام أقوى قلاع التفرقة العنصرية، واليوم يشكل المسلمون هناك ١,٥ في المائة من سكان الدولة البالغ تعدادها ٤٤ مليونا، واليوم يشكل المسلمون غالبية السكان في ٢٩ دولة إفريقية (من إجمالي ٥٣ دولة) ويتمركزون في شمال وغرب القارة، وهم أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، هذا على الرغم من محاولات المستعمر الأوروبي للقارة تغيير ديانات شعوبها بعمليات التنصير المستمرة التي لم تنجح في تغيير معتنقي الدين الإسلامي، مقارنة بالديانات والمعتقدات الأخرى، وهذا حسب شهاداتهم الموثقة.

غلاء الأسعار.. كيف عالجه الإسلام؟

على المسلمين جميعاً أن يعلموا أن الرزاق هو الله تعالى وحده، وأنه غني لا ينفد ما عنده، وأنه كريم لا يبخل على عباده، وأنه سبحانه وتعالى يبتلي عباده أحياناً بشيء من قلة المال أو الرزق، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، قال سبحانه: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (البقرة:٢١٤)، وقال سبحانه: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (آل عمران:١٤٢)، وقال النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» (رواه مسلم). وغلاء الأسعار أمر يعترض البلاد كلها في بعض الأوقات، وقد عرض للمسلمين في السابق مرات كثيرة، وكانوا يستعينون عليه بالدعاء والصلاة، ومن ذلك صلاة الاستسقاء عندما يحتبس المطر، وهو سبب مهم من أسباب الغلاء.



د. أحمد الحجي الكردي

أسباب كثيرة

غلاء الأسعار في البلاد له أسباب كثيرة، أهمها:

١- قلة الإنتاج، أو قلة المطروح للبيع من السلع التي يحتاج إليها الناس في حياتهم، مما ينتج عنه عدم القدرة على تلبية الطلب، فتزداد الأسعار، فإذا زادت قل الطلب عليها مرة ثانية، فإذا قل الطلب عليها نزلت، فإذا نزلت زاد الطلب عليها فغلت... وهكذا.

وقلة الإنتاج لها أسباب كثيرة، منها:

- القحط وقلة الأمطار.
- الكسل وعدم الرغبة في العمل.
- بعض التشريعات الجائرة التي تثني النشطاء عن العمل.
- الجهل بطرق الإنتاج.
- شيوع الربا والفوائد المحرمة.

ومنها احتكار السلع من الجشعين من التجار، بغية حجبها عن المستهلكين مدة لترتفع أسعارها.

ومنها وعلى رأسها جميعاً معصية الخلق للخالق رب العالمين.

٢- كثرة الطلب على وجه لا يكون الجاهز من الحاجات كافياً لتغطيته، وكثرة الطلب لها أسباب كثيرة، منها: كثرة النسل و كثرة الغنى و سوء التصرف والتبذير.

طرق معالجة غلاء الأسعار

تكون معالجة غلاء الأسعار بشكل منطقي بمعالجة أسباب ارتفاعها، فإذا عولجت الأسباب عادت الأسعار إلى مستوى معتدل، وبيان ذلك فيما يلي:

١- معالجة قلة الأمطار، تكون بالاستعانة بالأنهار والعيون ومصادر المياه الطبيعية، والاستفادة منها بأحسن الطرق وأيسرها، ومنع التبذير فيها، واختيار أنواع المزروعات التي يكفيها القليل من الماء، والتقليل من المزروعات التي تحتاج إلى ماء كثير، ثم استعمال أفضل الطرق في ري المزروعات، ورسم طريق ذلك يحتاج إلى دراسات المتخصصين.

ولا ننسى في هذه المجال صلاة الاستسقاء التي يسن أن يجتمع فيها عباد الله تعالى في جانب من أرض الله تعالى، متقشفين لابسين الثياب البسيطة، ضارعين إلى الله تعالى بقلوب منكسرة أن يسقيهم المطر، ثم يصلون لله صلاة جماعية، ويدعون الله تعالى بعدها أن يكرمهم ويرزقهم ويسقيهم الغيث.

٢- معالجة الكسل وقلة الرغبة في العمل والإنتاج، زراعياً كان أو صناعياً أو غير ذلك، وذلك بوضع الحوافز للعمل، مالية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك، وتيسير سبل العمل لكل من يستطيعه.

٣- إعادة النظر في التشريعات التي قد تكون جائرة وتنفر العمال وأصحاب رؤوس الأموال من إقامة المشاريع الزراعية والصناعية وغيرها، ودراستها دراسة علمية واعية بواسطة متخصصين من العلماء، بعيدين عن الأهواء والاتجاهات الفكرية المحدودة والعقيمة، ثم العمل على تعديل هذه التشريعات بما يزيد الحافز إلى العمل والإنتاج، فكم من مزرعة أغلقت، وكم من مصنع أغلق، وذلك بعد تأميمها في كثير من البلدان في العالم.

٤- تخفيف الضرائب على وسائل الإنتاج قدر الإمكان، ليميل الناس إليها، ويزدادوا منها، فيكثر الإنتاج وتنزل الأسعار، ثم العمل على تحسين دخل الفرد الفقير والمتوسط، ورفع الرواتب والأجور بما يرفع العنت عن المحتاجين، ويخفف ضائقة الغلاء عنهم، لأن الأغنياء لا يضرهم الغلاء كثيراً، وربما يزيد في أرباحهم، أما الفقراء ومتوسطو الدخل، فهم الذين يعانون من الغلاء.

٥- تسهيل طرق تبادل السلع بين الشعوب والأمم بأقل التكاليف، فكثيراً ما يفضل منتج ما عند أمة لأسباب كثيرة، وهي في الوقت نفسه محتاجة لإنتاج فاضل عند أمة أخرى، فإذا سهلت الحكومات طريق تبادل الإنتاج مع تخفيف الضرائب والرسوم، تيسر الأمر، ونزلت الأسعار عند الجميع.

٦- التدريب المهني على جميع وسائل الإنتاج التي تحتاج إليها الأمة، وذلك بفتح المعاهد المهنية

● خبير الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الميسرة له، سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، لأن إحجام كثير من العمال والأثرياء عن الإنتاج سببه جهلهم به.

٧- محاربة الربا والفوائد على القروض، وتشجيع المضاربة والمشاركات المالية بأنواعها المختلفة، لأن الفوائد الربوية تعني أن يكسل الأغنياء، ويتعب الفقراء، أما المشاركات والمضاربات بأنواعها فتعني أن يشترك الجميع في بذل الجهد في التنمية، ومن هنا نفهم معنى قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الله الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة:٢٧٥) وقوله تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ (البقرة:٢٧٦)، وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ (البقرة:٢٧٩).

وحديث النبي ﷺ «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية» (رواه الدار قطني).

٨- ترشيد الاستهلاك، وتعليم الناس ودعوتهم بكل الطرق المتاحة إلى التدبر والتريث في الاستهلاك، وعدم التبذير، وعدم الإنفاق فيما لا يحتاجون إليه حاجة حقيقية، قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف:٣١)، وقال سبحانه: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ (الإسراء:٢٧)، وقال ﷺ «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة» (رواه مسلم).

٩- دعوة الناس وتشجيعهم على التخفف من المتطلبات قدر الإمكان، ومن الكماليات خاصة، والاكتفاء بالقليل عن الكثير، والالتفات عن كثرة المتطلبات إلى حسن الاستفادة من هذه المتطلبات، فكثير من الحفلات يكون مصير الكثير مما يقدم فيها إلى علبة الزبالة، ولو اكتفى القائمون عليها بالقدر الذي يحتاجون إليه من ذلك لاستغنوا عن الكثير الذي يغني من يحتاج إليه.

١٠- دعوة الأغنياء إلى الاستثمار في بطون الفقراء، بدفع الزكاة وكثرة الصدقة، فإن في ذلك تقليل قدرة الأغنياء على الشراء وكثرة الطلب للسلع، وزيادة أجرهم عند الله تعالى، وفي الوقت نفسه يسهل على الفقراء الحصول على ضرورياتهم بما حصلوا عليه من الأغنياء من المال، فيقل ألمهم، وقد وعد الله تعالى المتصدقين من الأغنياء بكثرة الأجر، فقال سبحانه: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة:٢٦١)، وقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل. (رواه مسلم)، وقال ﷺ: «إن في المال حقا سوى الزكاة» (رواه الترمذي).

١١- منع الاحتكار، ومنع الغش والنجش والتغرير، والتسعير على المحتكرين من قبل ولي الأمر، وعلى وجه يؤمن السلعة للفقير ولا يضر بالغني أو المنتج للسلعة قدر الإمكان، لحديث النبي ﷺ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (البيهقي)، ومن هذا الباب تحديد أرباح التجار، بما يؤمن لهم مورداً مناسباً دون أن يلحق بالعامة الضرر، ولكن ذلك محصور في الضروريات فقط من حاجات الناس، ولا يجوز التوسع فيه إلى الكماليات، فعن أنس بن مالك وقتادة وحميد عن أنس قال: قال الناس يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال رسول الله ﷺ «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال» (رواه أبوداود).

١٢- توجيه الإعلام نحو التقليل من الدعاية للسلع عامة، والترفيهية أو الكمالية خاصة، لأن لذلك أثراً كبيراً في كثرة الإنفاق عند الناس.

أثرياء الأمة مطالبون بالاستثمار في بطون الفقراء



ثقافة أمتنا تنادي ...

التعارف والتفاهم الانساني من أهم قواعد ثقافتنا، فهي لا تنفي الآخر بل تتحرك للالتقاء معه على الأقل في الجوانب الإنسانية ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات13-). كما دعت إلى الانفتاح على ثقافة الآخر والحوار معه والسماع منه، لأخذ الصالح والمفيد من ثقافته وحضارته للانتفاع به في إصلاح حياة الإنسان ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ (الزمر- 18-17).



د.حسن يوسف الشريف

كما أنها في حوارها مع الآخر تشدد على أتباعها ضرورة الالتزام بأحسن أخلاقيات الحوار، حتى لا تغضب الآخر، فيختل توازنه الفكري، فلا يحقق هدف الحوار وهو التفاهم والتعاون في كل ما هو خير لصالح الإنسانية مادياً ومعنوياً، ومن هذه الأخلاقيات:

١ - عدم السَّبّ والإساءة لثقافة الآخر أو لمعبوداته أو عباداته ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام-١٠٨).

٢ - عدم إظهار التسفيه أو الاحتقار أو الضلال لثقافته وحضارته، أو إظهار أنّ الجمال كله والكمال كله والهدى كله نملكه نحن فقط ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ-٢٤).

وإذا لم نصل إلى تفاهم أو تعاون معه، فلتكن النهاية احترام اختياره واحترام اختيارك، فكل إنسان هو المسئول عن اختياره، وعدم إلصاق التهم به ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون. قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ (سبأ: ٢٥-٢٦).

٣- التزام العدالة معه في حقوقه الإنسانية، سواء كان هناك اتصال وتفاهم معه أم لا، فكما يقول ابن تيمية: «العدل واجب لكل أحد علي كل أحد في كل حال»، فكراهتنا له سواء لاعتقاداته أو أعماله لا يدفعنا لظلمه ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة-٨)، قال المفسرون: «فيه التنبيه علي وجوب العدل مع الكفار» (١).

أصل التعامل

فالأصل في التعامل مع الآخر في الإسلام هو السلام، وإذا حصل منه ما يعكّر صفو السلام فلا تتعجل الاعتداء عليه، بل تحاول معه للوصول إلى مساحة من الخير نتعاون فيها، ولا نساعد في تصاعد الشر والعدوان ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة-٢) قال فيها المفسرون «وليس للناس أن يعين بعضهم بعضاً علي العدوان حتى إذا تعدى واحد منهم على الآخر، فتعدى ذلك الآخر عليه، لكن الواجب أن يعين بعضهم بعضاً على ما فيه البر والتقوى» (٢).

وسائل التفاهم

٦ - رسالة الإسلام دعوة إلى التسامح والسلام ونصرة المظلوم، لأن هذه وسائل نحو الالتقاء والتفاهم والتعاون فقال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ﴾ (التوبة-٦).

٧ - يكره الإسلام وينهى عن سياسة البحث عن عدو، بل إذا وجد الاعتداء من العدو لا نسرع برد العدوان بالعدوان، بل بالحوار والتفاهم، ولكن إذا أصرّ العدو على ظلمه وعدم رد الحقوق إلى أصحابها، فالواجب هو المقاومة والصبر والثبات فيها، حتى عودة الحقوق إلى أصحابها وفي الحديث «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاثبتوا» «البخاري ومسلم».

٨ - ينهى الإسلام عن استخدام القوة لفرض الثقافات، بل يدعو إلى عرضها دون فرضها ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (الكهف-٢٩)، و﴿لا إكراه في الدِّين ﴾ (البقرة-٢٥٦)، و﴿أفأنت تكره الناس حتى يَكونواْ مؤْمنِينَ﴾ (يونس-٩٩).

٩ - يقول الإمام ابن القيم: «لا ينفّك العبد عن واجبين: واجب بينه وبين الله و واجب بينه وبين الناس»، ويقول الرازي: «واعلم أن التكاليف وإن كثرت إلا أنها محصورة في نوعين: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله» (٣)، فالإنسان في نظر الإسلام - بغض النظر عن دينه - هو مخلوق مكرم ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾(الاسراء-٧٠)، له حرية الحركة والاعتقاد والعبادة والعمل، وكامل حقوقة كإنسان ما لم يقم بالاعتداء على حقوق الآخرين، لا يجوز أن نمنع عنه الطعام والشراب حتى يموت، فهذا منهي عنه اصلاً مع الحيوان، وفي الحديث «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» (البخاري ومسلم). لأنه سقاه من العطش، فكيف يكون الحال مع الانسان؟!

الرحمة

إنّ بعض النصوص الشرعية ربطت رحمة الله لنا برحمتنا لمخلوقاته «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (سنن الترمذي) وأيضاً «الراحمون يرحمهم الرحمن» (سنن الترمذي وأبي داود).

١٠ - ثقافتنا الإسلامية تدعو العقل وتثيره نحو النظر والتفكير في السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾(يونس:١٠١)، ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية

:١٧-٢٠) ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا﴾ (عبس:٢٤-٣١)، عشرات الآيات التي تدعونا إلى التفكر والتدبر والتذكر والاعتبار، وكلها قدرات عقلية يدعونا القرآن لتنميتها والاستفادة منها.

١١- ثقافتنا تدعو إلى البحث عن الدليل والبرهان، كما تهانا عن التقليد الأعمى والظن ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (النمل -٦٤)، ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ (الاسراء-٣٦)، ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (البقرة-١٧).

١٢- ثقافتنا تدعو إلى حسن استثمار الصحة والفراغ والعلم والمال «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ (الترمذي والدارمي).

إستشعار المسئولية

١٣- ثقافتنا تدعو إلى استشعار المسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» «البخاري ومسلم»، ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقي معاذيره﴾ (القيامة:١٤-١٥)، حتى ألفاظنا وكلماتنا لابد أن نتحسسها قبل أن نتلفظها، فنحن مسؤولون عنها ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق-١٨).

١٤- ثقافتنا تدعو إلى التقدم العلمي والتقدم الروحي معا﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور. إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾(فاطر:٢٧-٢٩).

١٥- ثقافتنا تدعو إلى التقدم في الصناعات المدنية والصناعات العسكرية ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (الحديد-٢٥)، فالبأس الشديد الذي في الحديد إشارة إلى الصناعات العسكرية والحربية للدفاع عن أوطاننا، والمنافع التي للناس في الحديد هي الصناعات المدنية التي تساعد في التقدم المدني والحضاري.

التكافل الإجتماعي

١٦- ثقافتنا تدعو إلى التضامن والتكافل الاجتماعي، وخاصة مع الطبقات التي تعاني من أشد العقبات التي يواجهونها، مثل طبقة العبيد فلابد من تحريرهم، وطبقة الأيتام فلابد من كفالتهم بعد فقد عائلهم، وطبقة الفقراء التي لا يجد عائلهم ما يقدمه لأولاده من الطعام ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة﴾ (البلد:١٣-١٦).

ثروة فقهية

وحتى في الجانب القانوني لثقافتنا، فقد أشادت به المجامع العلمية، ففي عام ١٩٣٨م عقد في لاهاي مؤتمر «القانون المقارن» وقد تقرر فيه: اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا مهما من مصادر التشريع، وفي عام ١٩٥١م عقدت شعبة الحقوق بالمجتمع الدولي للقانون المقارن مؤتمرا للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم «أسبوع الفقه الإسلامي» ودعت إليه عددا من أساتذة القانون والمستشرقين، وقد حاضر الأعضاء في خمسة موضوعات فقهية، حددها مكتب المجمع الدولي للقانون المقارن وهي:

١- إثبات الملكية.
٢- المسؤولية الجنائية.
٣ -الاستملاك للمصلحة العامة.
٤ - تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها على بعض.
٥ - نظرية الربا في الإسلام.

وفي خلال بعض المناقشات وقف النقيب السابق للمحامين في باريس يقول: «أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلاحيته كأساس للتشريع وأنه لا يعي حاجات المجتمع العصري المتطور، وبين ما نسمعه الآن في هذه المحاضرات في مناقشاتها مما يثبت خلاف غيره تماماً ببراهين النصوص والمبادئ، كما وقف غيره من المستشرقين ورجال القانون وأشادوا بالفقه الاسلامي وأنه صالحٌ لكل زمانٍ ومكان، وفي ختام المؤتمر صدر بالإجماع القرار الآتي: «نظراً لما ثبت للمجتمعين في المؤتمر من الفائدة المحققة التي أتاحتها المباحث المعروضة خلال «أسبوع الفقه الاسلامي»، وما دار حول هذه المباحث من مناقشات أثبتت بجلاء أن الفقه الإسلامي يقوم على مبادئ ذات فائدة أكيدة، وأنه ينطوي على ثروة فقهية، وعلى مجموعة من الأصول الفنية، تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة، ولهذا فإن أعضاء المؤتمر يعلنون رغبتهم في أن يظل «أسبوع الفقه الاسلامي» يتابع أعماله سنة فسنة، ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامي، يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه، فيكون موسوعة فقهية تعرض المعلومات القانونية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة»(٤).

إذا تعدى الآخر علينا .. يجب أن نعين بعضنا بعضاً لما فيه البر والتقوى

إنّ من حقنا أن نعتز بثقافتنا، خاصة جانبها الأخلاقي والروحي الذي يدعونا إلى الارتقاء فوق الذات، والاستعلاء على الغرائز لضبط سلوكها بالقيم والاخلاق السامية، إن الثقافة والحضارة المعاصرة قد أغفلت وعن عمد الجوانب الروحية والأخلاقية السامية في النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، فلقد أصبح الانسان المعاصر يعاني من الفقر الروحي والأخلاقي، تحت ضغط وثقافة الحضارة المادية المعاصرة.

إن الواجب على علمائنا ومفكرينا أن يغوصوا في أعماق ثقافتنا العظيمة، ليكونوا في المرحلة المقبلة على استعداد تام ليقدموا الدواء الشافي لعلل الثقافة والحضارة المعاصرة، لتعود للإنسان كرامته وليصبح لحياته معنى، بعد أن ضاعت كرامة الإنسان ومعنى الحياة في ظل عولمة متوحشة تقود العالم نحو الهاوية بسبب إفلاسها في عالم القيم الأخلاقية والروحية.

المراجع

١ - الرازي، جـ ٥ / ٦٥ .
٢- الرازي، جـ ٥ / ٥٥٥ .
٣- الرازي، جـ ٥ / ٦١٩.
٤- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، صـ ١٩٠، دار الاعتصام ١٩٧٨.

دور الفكر القومي العربي في وقوع نكسات الأمة


د.غـازي التوبة

لقد وقعت عدة كوارث خلال النصف الثاني من القرن العشرين، منها: «نكبة فلسطين» عام 1948 والتي قادت الى قيام اسرائيل وتهجير معظم افراد الشعب الفلسطيني من وطنهم، ثم جاءت حرب الايام الستة في حزيران عام 1967 بين ثلاثة جيوش عربية واسرائيل، وكانت نتيجتها ان احتلت اسرائيل سيناء من مصر، والجولان من سورية، والضفة الغربية من الأردن، وسميت تلك الهزيمة «بنكسة حزيران»، ثم احتلت اميركا العراق عام 2003، وستكون لهذا الاحتلال آثاره العميقة على اوضاع المنطقة بشكل خاص والأمة بشكل عام، وأخيراً مجزرة غزة الجماعية.

ومن الجدير بالذكر ان هذه النكبات والنكسات التي وقعت في أزمان مختلفة وأقطار متباينة كانت تحمل فكراً واحداً هو الفكر القومي العربي، ويفترض في المراجعات أن تتجه الى فحص بنية الفكر القومي العربي، وظروف نشأته، وعوامل قصوره، وأسباب ايصالنا الى التعثر إلخ... لكن المراجعات اتجهت بكل اسف الى شخصنة النكبات والنكسات، والى الظواهر الجزئية المرافقة للنكسات: مثل القصور في ادارة الأزمة، أو في ضعف الإعلام، أو في بعض المواقف السياسية إلخ....، ومع أن الأشخاص يتحمّلون جزءاً من المسؤولية فيما وقع، وكذلك الاعلام، والادارة، والسياسة إلخ... لكن يبقى كل ذلك ذا مسؤولية محدودة، والمسؤولية الكبرى يتحمّلها المنهج، وهو في هذه الحالة الفكر القومي العربي، وعلى الأرجح ان القصور في الاشخاص والإعلام والادارة والسياسة واقع تحت تأثير القصور في المنهج.

مؤسسات المجتمع

عندما قرّرت انكلترا الانسحاب من فلسطين عام ١٩٤٨، ودخلت الجيوش العربية السبعة الى فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨، كانت السيطرة الغالبة لمنهج الفكر القومي العربي وقياداته وشخصياته في كل من العراق وسورية والأردن ولبنان وفلسطين. وكان الفكر القومي العربي هو النافذ في مختلف مؤسسات المجتمع، كالأحزاب والجمعيات والنوادي والنقابات، وكان المفكرون القوميون العرب، والسياسيون القوميون العرب هم أصحاب الشأن الفاعل في تلك الدول والمجتمعات، كساطع الحصري وشكري القوتلي وصبري العسلي ونوري السعيد ورياض الصلح وهاشم الأتاسي إلخ....، وانتهت المواجهات بانتصار الصهاينة واعلان دولة اسرائيل في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، وشكل قيام الدولة الصهيونية زلزالا في الواقع العربي، وصدمة للكيان العربي، واستتبع ردات عنيفة، وقامت عدة انقلابات تعبيراً عن الاستياء من الهزيمة، والملاحظ ان المراجعات التي حصلت اثر النكبة لم تتعرض للفكر القومي العربي كمنهج قائد بالمراجعة والفحص والتقويم والسبر واعادة النظر، لكنها اتجهت الى امور اخرى واعتبرتها سبب النكبة من مثل الحديث عن خيانات بعض الأشخاص، واجتماعهم بالعدو، وعن الاسلحة الفاسدة، وزيف الديموقراطية السياسية لعدم ارتباطها بالعدل الاقتصادي إلخ....، وقد يكون كل ذلك صحيحاً لكنه لا يتجه الى جوهر البناء واصله وهو الفكر القومي العربي.

منهج الحكم

ثم حكم عبدالناصر مصر بعد انقلاب عام ١٩٥٢ وجعل القومية هي منهجه في الحكم، واعتبر مصر جزءاً من الأمة العربية، عندئذ وسع الفكر القومي العربي آفاق انتشاره بسبب ثقل مصر المعنوي، وقوتها الناعمة، وتأثيرها التاريخي في العالم العربي، فانتشر الفكر القومي العربي في عدد من البلدان العربية، واستلم دفة القيادة الكاملة في الستينيات من القرن الماضي في عدد من الدول، منها: اليمن، الجزائر، ليبيا، السودان، العراق، سورية. ومن الملاحظ ان الفكر القومي العربي ارتبط بالاشتراكية، ثم وقعت الحرب مع اسرائيل في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، لكن النتيجة كانت كارثة دمرت العالم العربي، وكان يفترض اعادة النظر في الفكر القومي العربي الذي هو اصل بناء





ضرورة إعادة النظر في محتوى الفكر القومي وفي تعامله مع التراث وفي تخطيطه لبناء الفرد والأمة

لدول والافراد والمجتمعات التي
اجهت اسرائيل، لكن المراجعات
الانتقادات والتقويمات أرجعت
لنكسة الى التهويل الاعلامي،
الى سيطرة الخرافة الدينية
على عقولنا، والى ضعف فهم
لمتغيرات السياسية، والى
فوذ الطبقة البرجوازية، والى
مفاجأة العدو لنا فجاء من
لغرب وكنا نتوقع ان يأتي من
لشرق إلخ...
استمر الفكر القومي العربي
يقود معظم الدول العربية بعد
لنكسة، وقفز حزب البعث عام
١٩٦/ الى السلطة في العراق،
ثم توصل صدام حسين الى
رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٩،
ومن المعلوم أن حزب البعث
صدام قوميان عربيان، وقد
غزا الأميركان العراق في آذار
مارس) ٢٠٠٣، وانهار الحكم
في عشرين يوماً، وجاء الاحتلال
تغييرات كثيرة في أوضاع
لمنطقة ومستقبلها.

الفرد والدولة

من الجلي ان الفكر القومي العربي كان هو المنهج المتحكم والفاعل في كل شؤون الفرد والدولة والمجتمع وفي مختلف المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الخ... اثناء وقوع النكبات والنكسات التي طالت الأمة على مدار القرن الماضي، بدءاً من نكبة عام ١٩٤٨ ومروراً بنكبة عام ١٩٦٧ وانتهاء باحتلال العراق ٢٠٠٣، فماذا يعني ذلك؟ ذلك يعني في ابسط الأحوال أن هناك قصوراً في هذا الفكر القومي العربي، ولأنه لم يستطع أن يعبئ الفرد والمجتمع والدولة والجيش والإعلام تعبئة سليمة، ولم يستطع ان يبني تلك العناصر بناء صحيحاً تقود الأمة الى النصر، وهذا القصور يقتضي إعادة النظر في محتواه، وفي العناصر التي يقيم عليها الأمة، وفي تعامله مع التراث، وفي تخطيطه لبناء الفرد والأمة، وهو الذي يتحمل المسؤولية الأولى قبل القيادات التي هي في الغالب والأعم نتاج لهذا المنهج، وان كان لها دور سلبي فهو دور سلبي ذو سقف معين أقل بكثير من سلبية المنهج وآثاره السيئة.

قصور منهجي

ويتركز قصور الفكر القومي العربي في أمرين، الأول: أنه فكر غير موضوعي لم ينطلق من تحليل الواقع المادي في توصيف الأمة العربية وتحديد عوامل وجودها، بل انطلق من مقايسات جزئية في تشابه الواقعين الألماني والعربي بوجود لغتين أصيلتين من جهة، والى وجود التجزئة السياسية من جهة ثانية، فأسقط النظرية الألمانية التي قالت بأن الأمة الألمانية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ، أسقط تلك المقولة على أمتنا واعتبر أن الأمة العربية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ، أسقط تلك المقولة على أمتنا واعتبر أن الأمة العربية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ، وهو «بذلك» اغفل عامل الدين الذي دخلت حقائقة وافكاره ومثله وآدابه واخلاقه وتصوراته وقيمه واشواقه وشرائعه في كل مجالات المجتمع العربي المعنوي والاجتماعي والفنية والتربوية والاقتصادية والجمالية الخ... ولايمكن ان نفسر اي جانب من جوانب حياة الأمة العربية الا من خلال معطيات الدين الاسلامي.

الثاني: انه فكر فقير ثقافيا، وهذا يفسر طغيان الشعارات الماركسية على التيارات القومية العربية في مرحلة ما بعد النكسة، وخير مثال على ذلك حركة القوميين العرب التي بدأت حركة قومية عربية صرفة، مغالية في قوميتها، فانقلبت الى حركة ماركسية تتبنى كل المفردات الماركسية من عنف ثوري، وديكتاتورية البيروليتاريا، وفرز طبقي الخ...، وقد بهتت ملامح القومية العربية في صورتها وتكوينها الى درجة الاختفاء.

وقفة صامدة

لذلك امام هذه الازمة البنيوية التي يعاني منها الفكر القومي العربي، والتي كانت سببا في وقوع النكبات والنكسات خلال القرن الماضي، والتي يمكن ان تكون سبباً لنكسات اخرى، بخاصة ان الفكر القومي العربي مازال لاعباً نشطاً في ساحة العمل العربي والإسلامي، لذلك ارى ان تقف قيادات الأمة الفاعلة طويلاً أمام فكرة القومية العربية، وتقوم دورها السابق قبل أن تقوم بأية حركة في أي اتجاه.

النقوش الكتابية في أوابد دمشق

غسان كلاس

تؤلف النقوش الكتابية ونصوصها التاريخية المنتشرة في أوابد دمشق ومشيداتها الأثرية والتراثية مجموعة لوحات أبدعتها يد فنان عريق عرف كيف يحّول جفاف مادتها الى كتل تتصف بكل معاني التشكيل، تاريخاً وعراقة، ويوظف انماط الزخرفة العربية الاسلامية في تكوين بنائها لتخدم انسياب الخط، ويسخر مخزون إبداعاته سبك حروفها، وربط سطورها وكلماتها ضمن قالب جمالي مميّز.

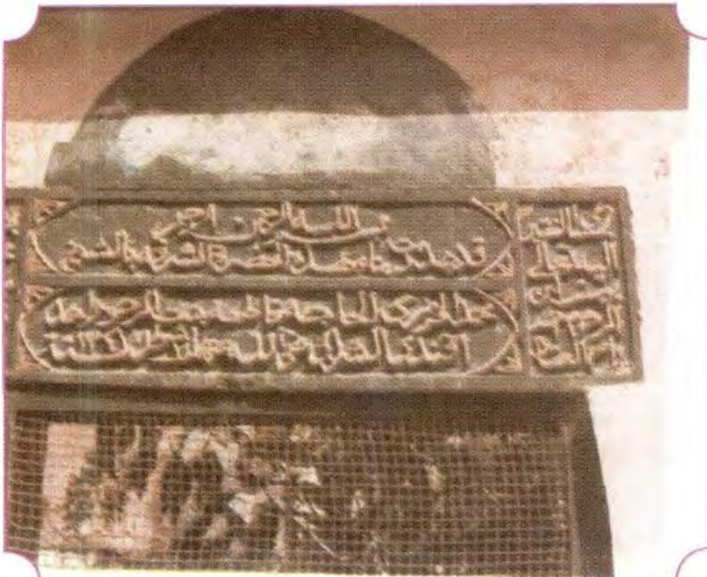
وتشكر الجهود الاستثنائية التي بذلها د.قتيبة الشهابي في هذا الاطار على سبيل الخصوص، فقد اجرى مسحاً ميدانيا لعدد كبير من المشيدات والأوابد في دمشق، معتمداً على عنصري التصوير وقــراءة النص في الموقع، باحثاً ومحققاً ومقارناً، رغم جملة من العقبات واجهته في ذلك، اشار الى بعضها في كتابه الذي حمل عنوان «النقوش الكتابية في أوابد دمشق».

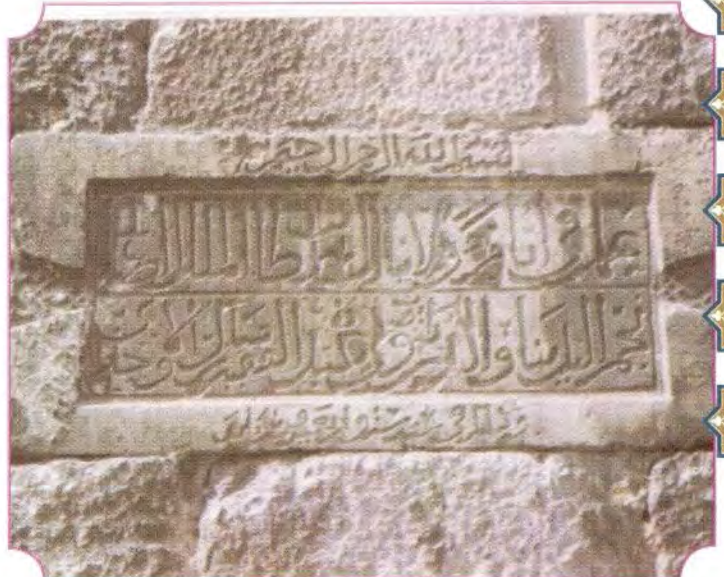
وغني عن القول ان الكتابة هي اداة ترجمة الفكر الانساني الى شكل ولون، منذ بدء الخليقة الى اليوم، وهي واسطة التعبير عن حدث او قصة او طقوس او عبادة، فكانت الكتابة التصويرية، فالكتابة بالرموز، فالكتابة المقطعية، والتي منها نشأت الابجدية، وقد كان للاسلام فضل كبير في تطوير النماذج الشكلية لهذه الابجدية، حين منع تصوير كل ذي روح، مما دفع الفنان الى الاعتماد عليها مجالاً للخلق والابداع، فأوجد انماطاً فنية جديدة، تتناوب بين التشكيل والزخرف، وهكذا ظهر خط الثلث، وهو من اروع الخطوط العربية مجالاً ومتانة في التكوين، وعنه تطور خط الجلي، الثلث الثقيل، والخفيف.

كما ظهر خط النسخ وبه كتبت المصاحف الشريفة، وتطور عنه خط نسخ التعليق ونسخ الكتاب والنسخ الوراقي، كل ذلك الى جانب الخط الكوفي والديواني والفارسي وغيرها.

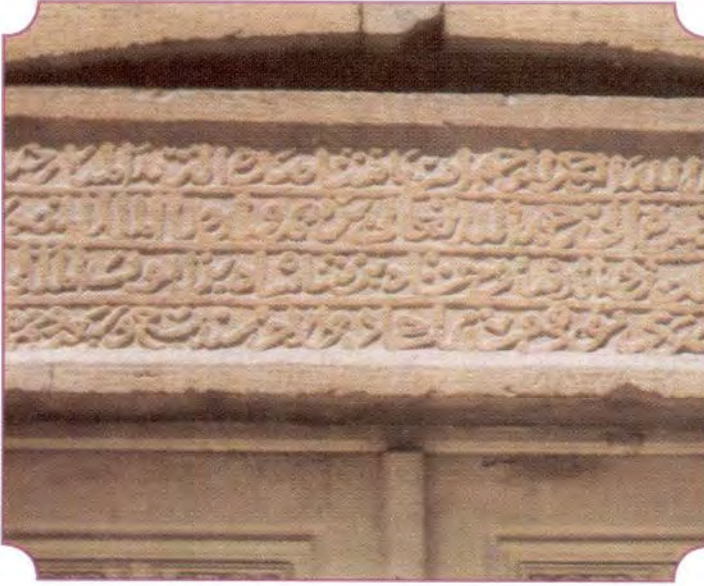
وكان للكتابات المنقوشة في العمارة الاسلامية - كما يقول الدكتور الشهابي في كتابه المشار اليه آنفاً - هدفان اساسيان: تاريخ المكان، الذي يبدأ بالبسملة ثم بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف، أو قصيدة، أو كلمة، أو قول مأثور، يلي ذلك اسم المكان واسم الحاكم أو الواقف أو المنفق عليه، والمشرف على تنفيذه، وزخرفة البوابات والأبواب والسواكف والواجهات والجدران والنوافذ لكسر رتابة الزخارف الأخرى المتكررة، التوريقية منها والهندسية.

وهكذا انتشرت الكتابات المنقوشة في اوابد دمشق فطعمت زخارف المساجد وجذوع المآذن والمحاريب والمنابر ودور القرآن ودور الحديث والخوانق والزوايا والتكايا والمدارس والبيمارستانات والنوافذ والأبواب والقباب والترب والأضرحة والقبور وشواهدها، والسبلان، والحمامات والأعمدة، ففي العهد الأموي كان للخط الكوفي قصب

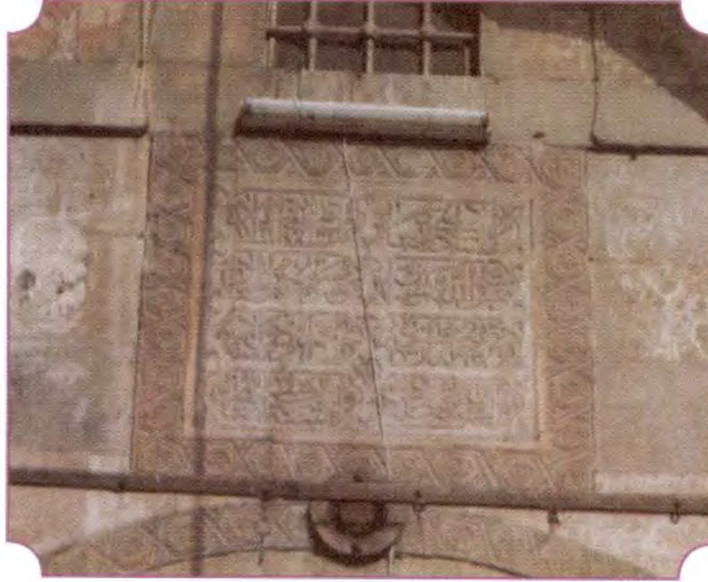








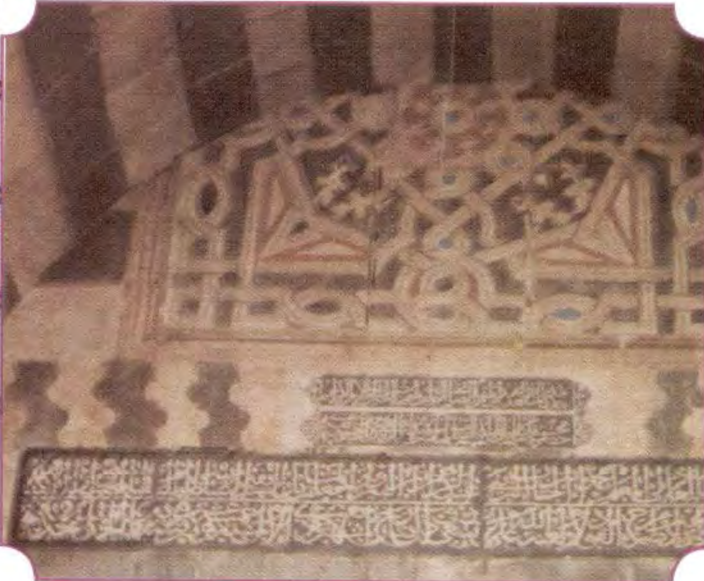
السبق في الكتابات المنقوشة، وفي العهد السلجوقي استمر النقش بهذا الخط الى جانب خط الثلث، ويشير الدكتور الشهابي الى عدد من الشواهد على ذلك تخص الجامع الأموي بدمشق، اما في العهد الأتابكي فشاع الخط الثلث (ساكف المدرسة النورية الكبرى) واستمر في العهد الأيوبي (كثير من المدارس في حي الصالحية) وفي العهد المملوكي عاد الخط الكوفي الى الظهور ثانية، ويتصف العهد العثماني



بالغنى الخطي فالى جانب خط الثلث التقليدي ظهرت الكتابات المؤرخة بالخط الفارسي، كما ظهر الخط النسخي الحديث (التكية السليمانية).

ونورد - فيما يلي - صورة مستلة من كتاب الدكتور الشهابي تتضمن نماذج الخطوط المستعملة في النصوص الكتابية في أوابد دمشق، أتبعناها بمجموعة صور ضوئية التقطها بعدسته مذيلة بأبرز المعلومات المتعلقة بها.





رغم المآسي ..

حينما تشتد الأزمة، ويتعاظم البلاء، وتكثر الحروب والهجمات على الإسلام والمسلمين، لا ينبغي للمؤمن أن يتسرب إليه إحساس بالفشل أو اليأس، وعليه أن يتعلم من النبي ﷺ، الذي كان يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله، ويفيض عليهم مما أفاضه الله على فؤاده من أمل رحيب في انتصار الإسلام، وانتشار مبادئه، وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغارب. استمع إلى النبي ﷺ يوم الخندق، وقد أحاطت بالمسلمين الأهوال من كل مكان: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾(الأحزاب- ١٠، ١١). وهو يبشر المؤمنين: «والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله عز وجل مفاتح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (السنن الكبرى للبيهقي)، ولقد تحققت هذه البشارات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ والمسلمون محاصرون معه في المدينة يواجهون الخوف والجوع والبرد القارس، وما إن سمعت هذه النفوس تلك البشريات حتى سكنت وارتاحت واطمأنت: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليماً﴾(الأحزاب- ٢٢).

حقائق الواقع

والواقع من حولنا مليء بكثير من الصور التي تحمل أملا وبشارات صادقة، ومن هذه الصور:

- أن العالم الإسلامي يمثل الآن نحو ربع البشرية، فهناك مليار ونصف المليار مسلم يعيشون في مساحة تبلغ حوالي ٣٥ مليون كيلو متر مربع.

- ديننا الإسلامي يتمدد في الفراغ المسيحي في بلاد الغرب، فمتوسط من يدخلون الإسلام في أميركا يبلغ ٢٠ ألف شخص سنويًا، وفي أوروبا حوالي ٢٣ ألفًا، وفي ألمانيا بلغ عدد من دخلوا الإسلام في العام قبل الماضي فقط نحو ٤٠ ألف شخص.

- كشفت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية في مارس الماضي أن المنظمات اليهودية الفرنسية أرسلت تقارير إلى الوكالة اليهودية الدولية تستنجد بها وتطلب منها التدخل من أجل وضع حد لما أطلقت عليه «الإقبال اليهودي الكبير على اعتناق الإسلام»، بعد أن أكدت الإحصاءات أن ٨٠ في المائة ممن دخلوا حديثًا في الإسلام من المواطنين الفرنسيين كانوا من اليهود.

- بلغ عدد المسلمين في أوروبا بين ٢٠ إلى ٢٥ مليون مسلم، فيما يبلغ عدد المسلمين في أميركا قرابة ١١ مليون مسلم.

- من المتوقع أن يصبح الإسلام الديانة الأولى في العاصمة البلجيكية بروكسل خلال ١٥ أو ٢٠ سنة، وفقًا لدراسة أعدتها صحيفة «لاليبر بلجيك» البلجيكية.

- اعترف الفاتيكان أواخر مارس ٢٠٠٨ بأن الإسلام تجاوز الكاثوليكية، بعدما أصبحت نسبة المسلمين الآن أكثر من ١٩ في المائة من مجموع سكان العالم، بينما عدد المسيحيين الكاثوليك أقل من ١٧ في المائة.

- كشفت صحيفة «ديلي تليغراف» البريطانية أن اسم «محمد» هو الأكثر انتشارًا بين المواليد في انجلترا وويلز في عام ٢٠٠٦، حتى إنه فاق اسم جورج من حيث العدد، وأوضحت أن مكتب الإحصاء الوطني أكد في أحدث تقاريره أنه خلال ٢٠٠٦ تمت تسمية ٤٢٥٥ طفلاً باسم محمد.

- في الوقت الذي وصل فيه عدد المساجد ذات المآذن في ألمانيا ١٥٩ مسجدًا، وعدد المساجد العادية ٢٦٠٠ مسجد، إضافة إلى وجود ١٨٤ مسجدًا تحت الإنشاء في الوقت الحالي، تم إغلاق مئات الكنائس (٣٠ في



د.علي الحمادي

المائة منها) وتحوّل الكثير منها إلى مطاعم ومقاه في أوروبا.

- وفي الدنمارك التي نشرت صحفها الرسوم المسيئة، تم عرض ١٠ كنائس للبيع، والعدد قابل للزيادة، أغلبها في العاصمة (كوبنهاجن) بسبب عزوف الناس عن الذهاب إليها، وعلى الرغم من أن نسبة المسجلين بالكنائس الدنماركية ٨٢ في المائة فإن الذين يدخلونها لا يتعدون ٨ في المائة، الأمر الذي دفع «كاي بولمان» - الأمين العام للكنائس في الدنمارك - إلى أن يقول «إذا لم تُستعمل الكنيسة للعبادة، فالأحرى أن تُستعمل كإسطبل!».

- اعترف البابا في أحد كتبه بأنه يتخوف من ثلاثة أمور، أولها انقراض المسيحيين الأوروبيين، وثانيها أن الذين سيحلون محلهم هم أصحاب الهجرات الإسلامية، وآخرها أن تصبح أوروبا جزءًا من ديار الإسلام في القرن الحادي والعشرين.

أحداث الحياة تعلمنا ألا ننظر إلى نصف الكوب الفارغ، وننسى نصفه الملآن، وصدق القائل:

هشت لك الدنيا فمالك واجم
وتبسمت فعلام لا تتبسم
إن كنت مكتئباً لعز قد مضى
هيهات يرجعه إليك تندم
او كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهات يمنعها أن تحل تجهم
انظر فما زالت تطل من الثرى
صور تكاد لحسنها تتكلم

رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

فعل الخيرات في أوقات الأزمات

رضا عبد الواجد أمين

تمر بلدان العالم بشكل عام، والعالم الإسلامي بشكل خاص باعتبارمعظمه من الدول النامية - بالكثير من المشاكل والأزمات الاقتصادية المتمثلة في ارتفاع أسعار السلع الأساسية التي لا غنى للإنسان عنها، مثل الغذاء والمحروقات، الأمر الذي أدى إلى زيادة أعداد الفقراء والمحتاجين إلى مقومات الحياة الأساسية.

ومن هنا كان دور الحكومات في رعاية هؤلاء الفقراء والمهمشين لازما، تجنبا لحدوث ما يمكن تسميته بثورة الجياع، ولسد الأبواب أمام انتشار الجرائم المترتبة على الفقر كالسرقات والاختلاسات...الخ.

لكن دور الحكومات وحده ليس كافيا أمام الأرقام التي تشير إلى تآكل الطبقة المتوسطة في المجتمع، وانضمامها إلى الطبقات الفقيرة، وأمام المشكلات الكبيرة التي تعاني منها الحكومات، بداية بتحدي توفير التمويل اللازم لرعاية هؤلاء، وانتهاء بحزمة السياسات غير المدروسة التي تضر بالفقراء وبمصالحهم، وبالتالي فإن على مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية الدور الأهم في تلك الأوقات، لتقوم بدورها في المجتمع المسلم، لتحقق حديث رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

وقد ارتبط ظهور الجمعيات الأهلية بالنشاط الخيري منذ بدايات القرن الماضي، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية التي كانت تقدم مساعدات كبيرة للفقراء والمحتاجين في مصر في الفترة المذكورة.

الإسلام يأمر بالخير ويدعو إليه:

يهدف الإسلام كشريعة سماوية إلى إفشاء الخير ونشره بين أفراد المجتمع، فالخير مقصد من مقاصد الشريعة التي جاءت لحفظ الكليات الخمس، أولها الدين الذي يندرج تحته فعل ونشر الخيرات، وحفلت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالدعوة إلى فعل الخيرات، حيث يقول تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾(الحج - ٧٧).

كما أنه لا ينبغي أن يخلو مجتمع مسلم من وجود نخبة تدعو إلى الخير وتعمل على نشره بين الجماهير، يقول تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾(آل عمران - ١٠٤)، والإسلام يدعو إلى قول الخير، يقول رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»(متفق عليه) وذم الله الذين يقفون في وجه الخير وفي سبيل انتشاره لمآرب شخصية، أو أهواء شيطانية، قال تعالى ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم﴾(القلم- ١١)، وأمر الإسلام أتباعه ألا يحتقروا من الخير والمعروف شيئا، حتى ولو كان مثقال ذرة .

دور الجمعيات الآن

تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن مصر وحدها بها ٢٢١٠٢ جمعية عام ٢٠٠٧ على مستوى الجمهورية طبقا لما أعلنه الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء تعمل في أكثر من عشرين مجالا من مجالات العمل الاجتماعي، وهو رقم كبير إذا ما وظف التوظيف الأمثل لنماء المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي، وفي الدول العربية المئات من المؤسسات والهيئات الخيرية التي يمكنها حشد طاقاتها وتكثيف جهودها، ليس على المستوى المحلي فحسب، بل وعلى المستوى الإقليمي أيضا .

وبوسع هذه الجمعيات أن تفعل نشاطها الخيري في أوقات الأزمات لتسد فراغا كبيرا أحدثته الظروف الاقتصادية الراهنة، وبالفعل فإن هناك الكثير من الجمعيات والمؤسسات التي يتعدى دورها إعطاء الفقراء مبالغ نقدية شهرية، ومستلزمات الكسوة في بعض المواسم والمناسبات المختلفة، فبعض هذه الجمعيات يحاول تقديم حلول صغيرة لمشكلات عميقة الجذور مثل مشكلة البطالة، من خلال إنشاء مجمعات للتريكو أو حياكة الملابس أو غيرها من المشروعات.

والحقيقة تقول إن كثيرا من هذه الجمعيات أيضا يقع في خلافات شخصية بين القائمين عليها بسبب الفساد وسوء الاستغلال بالإضافة الى ضآلة الموارد المتاحة، أو حتى نقص في قواعد البيانات اللازمة لأداء عملها بشكل جيد، وهي مشكلات يمكن التغلب عليها من خلال التدريب المستمر، وعرض النماذج الناجحة من المؤسسات التي تؤدي أدوارها بشكل جيد، ونشر ثقافة إشاعة الخير والحض عليه بين مجتمع المسلمين، وعلى وسائل الإعلام أن تلعب دورها في نشر هذه الثقافة التي يمكن تسميتها بثقافة الخير بين الناس، وتسليط الأضواء على الشخصيات والجمعيات الناجحة في ميدان العمل الخيري والتنموي لتقديم النماذج التي يمكن الاقتداء بها على صعيد العمل الخيري في الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها أمتنا الآن.

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

بين الشريعة والقانون

الشيخ علي الطنطاوي (يرحمه الله) - العدد 116

منذ وقت ليس ببعيد علت أصوات كثيرة تطالب باستبدال الشريعة الإسلامية الغراء بالقوانين الوضعية، التي لم تؤت ثمرتها وكشفت الأيام عن قصورها وعدم ملاءمتها للبيئة الإسلامية، ولكن بعض المعارضين تصدوا لصيحة الحق هذه يحاولون النيل منها متشدقين بأسانيد باطلة، وحجج واهية، ناسبين إلى شريعة الله ما ليس فيها.. زاعمين أنها قاسية، وأنها لا تساير ما يسمونه بالتطور ومدنية القرن العشرين.

وبادئ ذي بدء أقول: إنه ليس من المستغرب أن نسمع هذه المفتريات في وقت شاع فيه الباطل، وذاع فيه قول الزور، وتغلغلت فيه المادية الفاجرة في كثير من مناحي الحياة، ولكن فات هؤلاء المعترضين أن الحق وإن تأخر انتصاره لن يخبو ضياؤه، وأن لا بد له من الانتصار حتى وإن علا الباطل عليه وطال.

مجافاة ظاهرة

ومما لا جدال فيه ولا مراء أن الناظر لحجج هؤلاء المعترضين يكاد يلمس من الوهلة الأولى مدى مجافاة أسانيدهم للوقائع، ومخالفتها للعقل والمنطق العادي للأمور، فغني عن البيان أن وظيفة كل قانون هي خدمة الجماعة التي يحكمها وسد حاجاتها، وصيانة أخلاق أفرادها، ورعاية آدابها وتقاليدها، وحماية دينها ومعتقداتها.. ومن هنا اختلفت القوانين باختلاف الشعوب، فالقانون يجب أن يكون نابعا من الظروف الاجتماعية للدولة، ومن عقائدها ومشاعرها وعاداتها وتقاليدها، إنه يجب أن يكون قطعة من ماضيها وحاضرها، وإلا فقد الغاية المرجوة منه، بل يكون وبالا على الجماعة وأخلاق أفرادها، ومما يؤسف له أن هذا هو ما تعاني منه الدول الإسلامية التي تحكمت فيها عقدة الاستيراد، وهبطت بدينها إلى المستوى الذي حجب عنها حسناته، فلجأت إلى الدول الأجنبية واستعارت بعض قوانينها، فجاءت هذه القوانين مخالفة لعادات المسلمين وتقاليدهم، ولا مكان فيها لعقيدتهم، بل جاءت مجافية كل المجافاة للإسلام، متحدية للمسلمين، تسخر من عقيدتهم، وتمتهن مشاعرهم، وتعبث بحرماتهم فكانت الطامة الكبرى، وأصبحت الدول الإسلامية، بسبب تطبيق هذه القوانين الغربية، مجتمعات تشيع فيها الفاحشة، ويتفشى فيها الفساد الذي يوشك أن يدمرها، والانحلال الذي كاد أن يقضي عليها.. نعم، كل هذا بفعل القوانين الأجنبية التي عطلت حدود الإسلام، وأحلت ما حرم الله، وحرمت ما أحل الله، ونظرة خاطفة إلى بعض مواد هذه القوانين تكفي لمعرفة مدى انسلاخها من الأخلاق، وانحرافها عن الفضائل، وتنكرها للبر والكرم.

ازدواجية فاشلة

ولضيق المقام، على سبيل المثال لا الحصر، نجد أن القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر ولا السكْر لذاته، إنما تعاقب عليه في حالة السكر في الطرق العامة أو المحلات العامة، لأن المشرع تخوف من أن وجود السكير في هذه الأماكن قد يعرض المارين بالطرق أو المرتادين لهذه المحلات لأذاه أو اعتدائه، ورغم هذا التخوف من المشرع نجد أن الحماية التي أراد أن يسبغها على هؤلاء أضعفُ من أنفاس المحتضر إذ جعل عقوبة هذه المخالفة الغرامة التي لا تزيد على جنيه أو الحبس مدة لا تزيد على أسبوع.. وبكل أسف ومرارة جرى القضاء في الغالب الأعم من قضائه على تطبيق الغرامة دون الحبس، ولكن الشريعة الغراء تعاقب على شرب الخمر في جميع الأحوال لأنها تعتبرها رذيلة مضرة بالصحة، مفسدة للأخلاق، متلفة للمال.. إنها تجرّمه لأنها تريد بناء الإنسان النقي الضمير، الحسن الخلق، المكتمل الصفات والفضائل، لكي ينشر الفضل، ولكي يسمو بنفسه، وبالحياة والأحياء المحيطين به إلى درجة الكمال.

مرة ثانية، على سبيل المثال أيضا، نجد القانون الوضعي يحل الربا ويسبغ الحماية اللازمة عليه في حدود قيمة الفائدة المحدودة قانونا، ونسي المشرع أن المدين لم يستدن إلا لضرورة من ضرورات العيش، ونسي أن هذه الفائدة ترهق المدين وتزيده إعسارا على إعسار، ولكن شريعة الإسلام تحرم الربا فيقول الله



● عرف بالعالم الأديب والأديب العالم، توفي في منتصف ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

عز وجل ﴿وأحلّ اللّه البيع وحرّم الرّبا ...﴾(البقرة- ٢٧٥)، ثم يضع في الاعتبار المدين الذي أعجزته ضآلة الدخل عن السداد، فيعاني من أجل ذلك الدّين همّ الليل وذل النهار، فيقول وهو أحكم الحاكمين ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (البقرة-٢٨٠).

معالجة ناقصة

ثم تأمل معالجة القوانين الوضعية لجريمة الزنا وكيف أباحتها ما دام ذلك برضاء الأنثى «ما لم تقل سنها عن ثماني عشرة سنة»، وإذا كانت أقل من هذه السن جعلت عقوبة الزنا الحبس، وتركت تقدير مداه للقاضي الذي قد ينزل به إلى أسبوع، وهكذا نجد أن القانون خرج على الدين، وأن الأخلاق الفاضلة الكريمة صارت هي الاستثناء.. أين هذا من عقوبة الله التي جعلها الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن؟ إن الله أراد حماية الأعراض من أن يعبث بها أو تمتد إليها الأيادي الملوثة الآثمة حرصا على الحرمات وصونا للأنساب من العبث والفساد.

الفساد وتعطيل الحدود

هذا قليل من كثير أحلت به القوانين الوضعية ما حرمه الله وآذت به شعور المسلمين وأشاعت الفساد بينهم وعطلت الحدود التي جاء بها دينهم، ولقد زعم بعض الأشخاص أن هذه الحدود لا تساير ما يسمونه بالمدنية والتطور، مدعين أنها قاسية، وكان أدنى للحق، وأقرب للنفع العام، وأوفق وأرشد في علاج جرائم السرقة، وإحراق المال العام واختلاسه، أن يسارع المشرع بتطبيق حدود الشريعة الإسلامية حتى لا يكون مال الدولة مستباحا لكل موظف خرب الذمة طامع فيه، ولكيلا يكون أفرادها غرضا لكل هاجم، وموضعا لكل معتد أثيم.. إني أقول لهؤلاء المفترين والمدعين بأن شريعة الإسلام لا تلائم المدنية ولا تساير التطور: **إن الإسلام هو الذي انتشل الناس من ظلمات الجهل إلى النور، وهو الذي قاد العالم إلى المدنية التي يزعمون انه لا يسايرها.. وعلى هؤلاء الذين تتحكم فيهم عقدة الاستيراد أن يمعنوا النظر في أقوال المستشرق الفرنسي رينان «إن المدنية الأوروبية الحالية هي وليدة المدنية الإسلامية القديمة في حقائقها العليا»، ثم هذا هو العلامة الكاثوليكي شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا يقول «إن محمدا الذي تفخر البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتي من قرون بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى مثله بعد ألفي عام»، وهذا مستشرق أميركي آخر هو كنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول «... إن في الشريعة الإسلامية كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة»، وهذا رد المستشرقين أنفسهم أضعه أمام القائلين بعدم مسايرة الشريعة للمدنية الحديثة.**

فرية خبيثة

بقيت الفرية الخبيثة التي ينسبونها للإسلام وهو منها براء.. فرية القسوة في قطع يد السارق.. إن الإسلام وضع الحدود لتقويم الخاطئ، وهداية المنحرف، ووقاية المجتمع من شر الفساد.. ترى هل الرحمة في نظر هؤلاء الضالين المضلين هي الحنان الذي لا عقل له؟ هل هي الشفقة التي تتنكّر للعدل والنظام؟! إن الإسلام لا يقيم الحدود إلا إذا تأكد من أنه ليس للجاني عذر في ارتكاب جرمه، ولا شبهة في وقوعه منه، فالرسول ﷺ يقول «ادرؤوا الحدود عن المسلمين بالشبهات فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فان الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»(البخاري في العلل الكبير)، إن الإسلام يقطع يد السارق الذي لا يسرق اضطرارا ليطعم نفسه أو أهله، فان ساقته ضرورات العيش إلى جرمه فلا عقوبة عليه، بل قد توقع العقوبة على من دفعه إلى السرقة، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع غلمان ابن أبي بلتعة الذين سرقوا ناقة، فقد أطلق سراحهم، وغرم سيدهم ثمنها ضعفين، لأنه أجاعهم فاضطروا إلى السرقة، ولما عمت المجاعة في عام الرمادة لم يطبق حد السرقة؛ لأن شروطه لم تتوافر، ويخطئ بعض المسلمين فيقولون إن عمر رضي الله عنه عطل حد السرقة، وحاشا لله أن يقوم عمر بتعطيل حدود الله، وهو الحريص على إرضاء ربه، والمعروف بشدته في الدين، وحرصه عليه لا يخفى على أحد، ولكن عمر لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تكن متوافرة لأن السارق كان يسرق وقتئذ اضطرارا، ثم إن هذه القسوة التي يرمون بها الشريعة الإسلامية دليل على جهل القائلين بها بدين الإسلام.. إن الإسلام جعل الرحمة أساس الإسلام والإيمان، وعلامة من علاماته، بل هي صفة من صفات المؤمنين كما وصفهم القرآن الكريم، والرحمة في الإسلام لا تقتصر على الإنسان، بل تشمل الإنسان والحيوان، يقول الله عز وجل ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ (البلد-١٧)، ويقول الرسول ﷺ «في كل كبد رطبة أجر» (البخاري) ويقول «والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم...» (رواه أبو يعلى وصححه الألباني)، هذه هي شريعة الرحمة.. شريعة الإسلام.. الشريعة التي جمعت بين العقيدة والنظام.. شريعة جمعت بين الدين والدنيا في توجيهاتها وتشريعاتها، وأمرنا الله أن نطبقها في نظامنا الاجتماعي والقانوني والخلقي، فيقول ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ (المائدة-٤٩) ويقول: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله...﴾ (النساء- ١٠٥)، وعد من لا يحكم بكتاب الله كافرا وظالما وفاسقا ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (المائدة- ٤٤).

أقول لهؤلاء المغتصبين: إن لدينا من التشريعات الإسلامية ما نعطيه للآخرين، ولسنا بحاجة إلى استيراد قوانين أجنبية تخالف ديننا وتنحدر بأخلاقنا.. يا قوم تدبروا قول الله عز وجل ﴿يأيّها الّذين آمنوا استجيبوا للّه وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم...﴾(الأنفال-٢٤).. يا قوم تدبروا قول نبيكم الكريم «... كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» (سنن الترمذي، إسناده مجهول).. يا قوم أفيقوا من نومكم، وسارعوا إلى تطبيق شريعة ربكم، فهي المنقذ ولا منقذ لنا سواها.. يا قوم إن الله هو خالقنا وهو الأعلم بعلاجنا، وشريعته هي الأقدر على حل مشاكلنا، وهي الطريق الوحيد لسعادتنا.



الشيخ عبد الرحمن السعدي.. الفقيه الزاهد

عبده دسوقي

عانى الوطن العربي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين من الوقوع تحت نير الاستعمار الغربي، مما كان عاملا قويا في تخلف البلاد وانهيارها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا.

في ظل هذه الأوضاع ظهرت هذه الشخصيات التي تركت بصمات في إصلاح المجتمع قبل رحيلها، ومنها الشيخ عبد الرحمن السعدي الذي ترك خلفه بصمات علمية وتراثا فكريا عظيما.

النشأة والتكوين

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من الحمران من قبيلة النواصر أحد قبائل تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم ١٣٠٧هـ، الموافق الأحد ٨ سبتمبر ١٨٨٩م، وتوفيت أمه وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، فتربى يتيماً، ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم، وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره إحدى عشرة سنة، ثم اشتغل بالتعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى إنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه.

لقد كان الشيخ عبد الرحمن السعدي من الناحية الدينية هو كل شيء في عنيزة، فقد كان العالم والمعلم والإمام والخطيب والمفتي والواعظ والقاضي وصاحب مدرسة دينية له فيها تلاميذ منتظمون.

صفات اتصف بها الشيخ

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعاً للصغير والكبير والغني والفقير، وكان يقضي بعض وقته في الاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم نادياً علمياً، حيث إنه يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها، فتتقلب مجالسهم العادية عبادة ومجالس علمية، ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه، ويبحث معه في الموضوعات النافعة له دنيا وأخرى، وكثيراً ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ماداً يد المساعدة لهم بحسب قدرته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير، وكان على جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم في كل أعماله، وكان من أحسن الناس تعليماً وأبلغهم تفهيماً، مرتباً لأوقات التعليم، يقيم المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون، وكل من حفظ أعطى الجعل ولا يحرم منه أحد.

مكانته العلمية

كان عالماً في الفقه، أصوله وفروعه، وكان في أول أمره متمسكاً بالمذهب الحنبلي تبعاً لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك، وكان له مصنف في أول أمره في الفقه، نظمه رجزاً نحو أربعمائة بيت وشرحه شرحاً مختصراً، ولكنه لم يرغب في ظهوره لأنه على ما يعتقده أولاً.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوسين، هدانا الله وإياهم للصواب والصراط المستبين، وله اليد الطولى في التفسير، إذ قرأ عدة تفاسير، وبرع فيه، وألف تفسيراً جليلاً في عدة مجلدات، فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره، ودائماً يقرأ تلاميذه القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى إن سامعه يود ألا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سوق الأدلة والقصص، ومن اجتمع به وقرأ عليه عرف مكانته في المعلومات، كذلك من قرأ مصنفاته وفتاواه.



مشايخه

يعتبر الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، أول من قرأ عليه الشيخ السعدي، وأيضا الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة أخذ عنه الأصول والفقه والتوحيد والتفسير والعربية، ولازمه إلى وفاته، وأيضا الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية، والشيخ عبد الله بن عايض، والشيخ صعب القويجري، والشيخ على السناني، والشيخ محمد الشنقيطي لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس قرأ عليه في التفسير والحديث وعلوم العربية، كالنحو والصرف ونحوهما.

مؤلفاته

١- تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان» في ثماني مجلدات أكمله في عام ١٣٤٤هـ.

٢- حاشية على الفقه استدراكاً على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي ولم تطبع.

٣- إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة

الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، رتبه على السؤال والجواب، طبع بمطبعة الترقي في دمشق عام ١٣٦٥ على نفقة المؤلف ووزعه مجاناً.

٤- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، طبع في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦هـ.

٥- الخطب العصرية القيمة، لما آل إليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت في المواضيع المهمة التي يحتاج الناس إليها، ثم جمعها وطبعها مع الدرة المختصرة في مطبعة أنصار السنة على نفقته ووزعها مجاناً.

٦- القواعد الحسان لتفسير القرآن، طبعها في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦، ووزع مجاناً.

٧- تنزيه الدين وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز الشيخ محمد افندي نصيف عام ١٣٦٦هـ.

٨- الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

٩- توضيح الكافية الشافية، وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم.

١٠- وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني، وهذه الثلاثة الأخيرة طبعت بالقاهرة السلفية على نفقة المؤلف ووزعها مجاناً.

١١- القول السديد في مقاصد التوحيد، طبع في مصر «بمطبعة الإمام» عام ١٣٦٧ هـ.

١٢- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، طبع على نفقة المؤلف وجماعة من المحسنين، وزع مجاناً، طبع بمطبعة الإمام.

مواقف من حياة الشيخ السعدي

في عام ١٣٧٣هـ عين الشيخ عبد الرحمن السعدي مشرفاً على المعهدالعلمي من الناحية العلمية، وكان تعيينه براتب شهري قدره ألف ريال، ولكن الشيخ رحمه الله تعالى أرسل إلى رئاسة المعاهد العلمية أنه على استعداد للإشراف على المعهد حسبة لوجه الله تعالى، وأنه لا يريد أن يكون له على ذلك أجر مادي، وقبلت الرئاسة شاكرة له هذا الصنيع الذي لا يصدر إلا من عالم زاهد يبتغي وجه الله.

وكانت للشيخ دروس في المعهد وفي المسجد الجامع وفي بيته المتواضع، كما كان رحمه الله يأتي إلى المعهد بانتظام يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان يخلع نعليه عند دخول الفصل أثناء الدرس مع أن أهل نجد لا يخلعون نعالهم عند دخول المسجد، ولا عند الصلاة، ولكنه الأدب الراقي واحترام العلم ومجلسه، ثم يدخل آخر صف ويجلس فيه وكأنه أحد طلاب هذا الفصل، ويكرر هذا العمل في أكثر من فصل ويستمع إلى أكثر من مدرس.

كان يصلي الفجر بالناس، ثم يجلس لأداء الدرس حتى تطلع الشمس، ويذهب بعد ذلك إلى بيته حتى الضحوة الكبرى فيعود إلى المسجد يعلم الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والنحو والصرف في دروس منتظمة وكتب اختارها لطلابه ويستمر معهم حتى صلاة الظهر فيصلي بالناس ويعود إلى بيته يستريح فيه إلى صلاة العصر، ثم يذهب إلى المسجد فيصلي العصر بالناس ويعطيهم عقب الصلاة وهم جلوس بعض الأحكام الفقهية في دقائق لا تؤخرهم عن الانصراف سعياً وراء أرزاقهم، وعندما تغرب الشمس يصلي بالناس المغرب ويجلس للدرس حتى يصلي العشاء، ويتكرر ذلك في كل يوم.

وكان من سيرته - عليه رحمة الله - أنه في موسم الحصاد تأتي إليه ثمار النخيل والبساتين التي وقفها أصحابها على المسجد الجامع ليؤدي رسالته الإسلامية العظيمة، فكان الشيخ يجمع كل هذه الثمار في المسجد ويوزعها على الفقراء والمساكين ولا يأخذ تمرة واحدة يدخلها فاه أو ينقلها إلى بيته.

ومرت الأيام.. وفي نهاية عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م بدأ العدوان الثلاثي على مصر، وهاجمت فرنسا وإنجلترا وإسرائيل أرض مصر، ولكل دولة منه دوافعها الخاصة، وعرف الشيخ السعدي هذه الأبعاد كلها وخطب في الناس الجمعة في هذا الموضوع ورفع الناس معه أكف الضراعة إلى الله أن يحمي القوة الإسلامية وأن ينصر المسلمين ويرد كيد الكافرين، وقد استجاب الله دعاه، فخطب الشيخ في جمعة تالية مهنئاً ومبشراً ومذكراً بقول الله تعالى ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ (الأحزاب-٢٥)

قالوا عنه

قال عنه الشيخ ابن العثيمين في ١٥ رمضان ١٤١٦ هـ: «فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» من أحسن التفاسير حيث كانت له ميزات كثيرة: منها سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه. ومنها تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره.

ومنها تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، وهذا يظهر جليا في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة حيث استنبط منها خمسين حكما، وكما في قصة داود وسليمان في سورة «ص». ومنها أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف - ١٩٩).

ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير ألا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم.

وفاته:

أصيب بمرض شديد مفاجئ، ثم وافاه الأجل في ليلة الخميس ٢٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ، الموافق الخميس ٢٤ يناير ١٩٥٧م بمدينة عنيزة، بعد عمر دام قرابة ٦٩ عاماً في خدمة العلم، ومما وصف به الشيخ ما قالته عجوز جالسة على طريق الجنازة والناس يمرون وهم يحملون نعش الشيخ قالت العجوز في صدق وحرارة: «نجم هوى».

المراجع

١- مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ومساعد بن عبدالله بن سليمان السعدي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، دار الميمان.

٢- مجلة المختار الإسلامي.

٣- موقع ويكبيديا.

مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية

البيمارستان النوري بدمشق

د. عماد ممدوح عبد الحليم ●

تعتبر البيمارستانات من مفاخر الحضار العربية الإسلامية، و«البيمارستان» كلمة فارسية الأصل مكونة من بيمار ومعناها «مريض» وستان بمعنى «دار» فهي إذن دار المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. ولم تكن مهمة البيمارستانات في العصر الإسلامي تقتصر على معالجة المرضى، بل كانت في الوقت نفسه جامعات لتعليم الطب وتخريج الاطباء في مختلف الاختصاصات المعروفة اليوم.

وكانت في أول أمرها بسيطة، ثم أصبحت فيما بعد بحالة جيدة تتوافر فيها التسهيلات التي يطلبها المريض من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين الذين كان عملهم فيها ابتغاء لمرضاة الله وخدمة لعباده وليس طلبا للمال، وكان لها من الشرف والمكانة بحيث كان السلطان أو نائبه هو الرئيس الأعلى لها، ولا غرابة في أن يولي الناس آنذاك علوم الطب كل عنايتهم، وقد رأوا ما للأطباء من الأرزاق الوافرة من السلطان والمناصب العليا والشأن الاجتماعي العظيم.

وكانت تكاليف إنشاء هذه البيمارستانات وتمويلها والإنفاق عليها يتم صرفها من بيت المال أو من الأوقاف المخصصة لها في صك إحداثها.

كما تتفق الروايات على أن أول من بنى البيمارستان في بلاد الشام وأخذ شكله المتكامل كان الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي وذلك سنة (٨٨هـ - ٧٠٦م) وجعل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحجر المجذومين وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، وأعطى لكل مقعد خادما ولكل ضرير قائدا.

وقد انتشرت البيمارستانات في بلاد الشام انتشارا واسعا حتى صرت تجد في بقعة صغيرة حول المسجد الأموي ثلاثة بيمارستانات يمر الماشي عليها جميعا في دقيقتين، الا ان اشهرها كان البيمارستان النوري بدمشق.

نور الدين الزنكي وبناء البيمارستان

تذكر المصادر التاريخية أن السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي (٥١١ - ٥٦٦ هـ - ١١٧-١١٧٤م) خلال حروبه الطويلة مع الصليبيين كان قد أسر بنفسه أحد ملوكهم، واستشار مجلس اعيانه بمصيره فأشاروا عليه أن يطلق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة تنفق في بناء بيمارستان ليكون مشفى يقدم العلاج والدواء لكل مصاب، وبالفعل فقد راقت له الفكرة واطلق سراح هذا الملك بعد اخذ الفدية، واستقدم خيرة المهندسين والعمال العرب المهرة لبناء البيمارستان الذي كان فاتحة أعمال السلطان نور الدين، ومن أعظم مآثره في المنشآت المدنية التي زخر بها عهده في دمشق.

وقد بني على مرحلتين، الأولى تضم البناء الأساسي في عهد الملك العادل نور الدين سنة ٥٤٩هـ - ١١٥٤م والثانية حين وسعه الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك سنة ٦٣٧هـ، وقد بقي القسم الرئيسي من البيمارستان على وضعه الاصلي حتى الآن، وتبلغ مساحته اكثر من عشرة آلاف متر مربع، ويعد من الأبنية الأثرية المتكاملة التي تقدم نموذجا رائعا لفن العمارة في الحضارة الإسلامية، من حيث مخططه وطراز عمارته وزخارفه البديعة ونقوشه الفريدة، كما تزين جدرانه لوحات رخامية كتب عليها آيات من القرآن الكريم، ويقع هذا البيمارستان في قلب مدينة دمشق القديمة في الشارع المسمى حاليا منطقة الحريقة، والمتفرع عن سوق الحميدية، وهو على مسافة غير بعيدة من الجامع الأموي الى الجنوب الغربي منه.

لم تقتصر مهمة البيمارستان في العصر الإسلامي على معالجة المرضى .. بل كانت جامعات لتعليم الطب وتخريج الأطباء

ويمكن القول: إن بناء البيمارستان النوري وغيره من البيمارستانات الكثيرة في مدن بلاد الشام من قبل الملك نور الدين ربما كان له مغزى كبير، فإلى جانب المهمة الأولى التي يقوم بها وهي معالجة المسلمين واصلاح الاوضاع الصحية، كان نور الدين يدرك أنه في حالة حرب مستمرة مع الصليبيين لا يعرف لها نهاية، وهذه الحروب التي يخوضها المسلمون من الطبيعي ان يوجد فيها من يتعرض للقتل أو لجروح خطيرة أو خفيفة، وكلها بحاجة الى علاج، فيستفيد من البيمارستانات في معالجتهم، ولا يعني هذا أن الجندي المسلم عندما يتعرض في ارض المعركة لاصابة يتم نقله الى البيمارستان، وانما كانت تصاحب الجيش فرقة طبية تشكل من الاطباء ومساعديهم تجهز بكامل المستلزمات الطبية للاسعافات الاولية للتخفيف من آلام المرضى. كما تذكر المصادر التاريخية ان بيمارستان نور الدين كان يماثل القصور الملكية بترفه، ووسائل الراحة المتوفرة فيه، وانواع الطعام الفاخرة التي تقدم للمرضى والمصابين، كما ان العلاج كان مجانا للفقراء والاغنياء على حد سواء دون ان تكلف المرضى درهما واحدا، بل كانوا يمنحون لدى خروجهم من البيمارستان ثيابا ونقوداً تكفيهم للعيش دونما اضطرار للعمل لمدة اسبوعين (مدة فترة النقاهة).

أقسام البيمارستان

لم تكن البيمارستانات تسير بغير نظام ولا ترتيب، بل كانت أعمالها تسير على وتيرة منتظمة، وكانت منقسمة الى قسمين منفصلين، قسم للذكور وقسم للاناث وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة وغيرها.

وفي كل قسم عدة قاعات لمختلف الأمراض: فقاعة للأمراض الباطنة، وقاعة للجراحة، وقاعة

● مدرس في جامعة دمشق وباحث في التراث

للكحالة (أمراض العين)، وقاعة للتجبير وغيرها، وأيضا كانت كل قاعة تخصصية منقسمة الى: قسم للمحمومين وهم المصابون بالحمى، وقسم للممرورين (وهو لمن بهم مرض مانيا أو ما يعرف بالجنون السبعي)، وقسم للمبرودين (أي المتخومين) وقسم لمن بهم إسهال... الخ.

كما كان لاطباء البيمارستان رئيس يسمى ساعور البيمارستان (الساعور كلمة سريانية تعني بالعربية متفقد المرضى)، وكانت تناط بالساعور مهمة ادارة الامور الطبية والفنية في البيمارستان، فالاشراف الطبي كان من صلاحية رئيس الاطباء، فهو الذي يحكم على مقدرة الاطباء، ويأذن لهم في التطبيب ونحو ذلك، وكان يتم اختياره من بين العديد من زملائه بعد اجتيازه امتحانا دقيقا.

وكان للبيمارستان ناظر يشرف على إدارته، وكان النظر عليه معدودا من الوظائف الديوانية العظيمة.

وللبيمارستان صيدلية تسمى شرانجاناه، ولها رئيس يسمى شيخ شرانجاناه البيمارستان.

نظام المعالجة والعناية بالمرضى

كان في البيمارستان طريقتان للعلاج: علاج خارجي اي ان المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه في منزله، وعلاج داخلي يقيم المريض اثناءه في البيمارستان في القسم الخاص بمرضه حتى يشفى منه.

ففي الطريقة الاولى كان الطبيب يجلس على دكة ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج اوراقا يعتمدون عليها، ويأخذون بها الأدوية من البيمارستان، فكان المرضى يوزعون على القاعات حسب أمراضهم، وكان لكل قسم من أقسام البيمارستان طبيب او اثنان او ثلاثة اطباء حسب اتساعه وكثرة المرضى، وكان اذا دعت الحاجة يستدعى طبيب من قسم آخر غير القسم الذي يعالج فيه المريض.



الدروس الطبية (الإكلينيكية)

كان طلبة الطب يتلقون علومهم على يد أساتذتهم في البيمارستانات، اذ كانت تهيأ لهم الايوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالآلات والكتب أحسن تجهيز، فيجلسون بين يدي معلمهم بعد ان يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم، كما كان يفعل الطبيب ابو المجد بن أبي الحكم رئيس الاطباء في البيمارستان النوري الكبير، وهو أول طبيب عينه السلطان نور الدين لإدارة البيمارستان، حيث كان يتردد على المرضى في البيمارستان، يتفقد أحوالهم ويصف الدواء والغذاء لكل منهم، وبعدها يذهب الى قلعة دمشق فيتفقد المرضى من اعيان الدولة، ثم يعود ثانية الى البيمارستان فيجلس في قاعة الدرس وهي الايوان الكبير، وكان يقرأ على التلاميذ ما يخطر له من بحوث ويبقى معهم عدة ساعات يناقشهم ويرد على اسئلتهم واستفساراتهم.

إجازة الطب

لم تكن إجازة الطب تمنح للطبيب إلا إذا أثبت جدارته ومهارته في هذه الصناعة، وكان رئيس الأطباء في البيمارستان يقوم بامتحان الطلبة الراغبين في الحصول على إجازة الطب كل حسب اختصاصه، ويكتب للناجح رقعة (وثيقة بخطه تجيز له ممارسة الطب).

لقد اعترف الغرب بقدرة هذا النظام التدريسي، الذي لايزال قيد التطبيق حتى الآن، وتقول المستشرقة هونكة: «إن هذه السمعة الوطيدة التي تمتع بها أطباء العرب في أرجاء الدنيا قاطبة، كانت تعتمد على تضلع كبير وباع طويل في العلوم والخبرة والامتحانات القاسية».

ومن المفارقات التي تذكرها هونكة بين تقدم العرب وتخلف الأوروبيين في العصور الإسلامية، أنه قبل أكثر من ٦٠٠ عام كانت مكتبة كلية الطب بباريس لا تحتوي إلا على كتاب واحد، وهذا الكتاب هو «الحاوي في الطب» للرازي، الذي ظل مرجعاً في أوروبا لمدة تزيد على ٤٠٠ عام، بعد ذلك التاريخ، وتكريماً للرازي أقام الفرنسيون له نصباً تذكاريا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم.

الأطباء الذين عملوا في البيمارستان

ذكر لنا المؤرخون عددا كبيراً من مشاهير الأطباء الذين مارسوا الطب وخدموا في البيمارستان النوري بدمشق ومنهم:

ابن النفيس

هو علاء الدين أبوالحسن علي بن أبي الحزم القرشي الشهير بابن النفيس، ولد بدمشق سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١١م، وهو من الأطباء الذين نبغوا في الطب وذاعت شهرته في جميع الأمصار، وكان من أشهر أطباء البيمارستان النوري، وقد درس على يد العالم الكبير الدخوار، وكان للدخوارية دورها العظيم في ثقافة ومنهج ابن النفيس وطريقته العلمية باعتماده على التجربة والملاحظة وتطبيق قواعد المنهج التجريبي، وهو القائل: «لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى مدة عشرة آلاف سنة ما وضعتها».

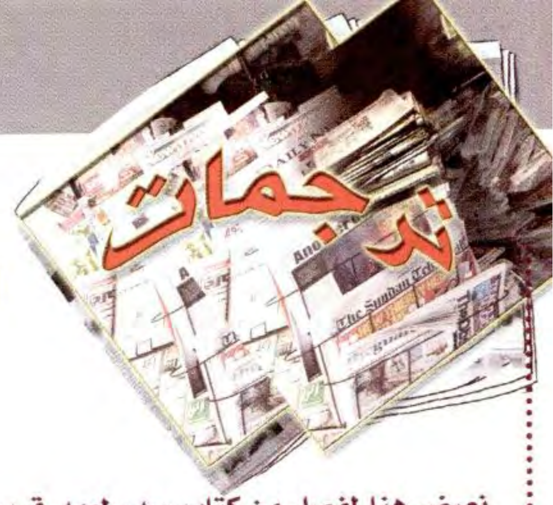
استدعاه السلطان الكامل محمد الى القاهرة لشهرته العظيمة، فعمل في البيمارستان الناصري.

ابن النفيس صفحة مشرقة في تاريخ التراث العلمي العربي، حيث حظي بشهرة كبيرة تجاوزت عصره وزمانه بفضل مؤلفاته الكثيرة وتصانيفه وتجاربه، واعتماده التشريح المقارن كطريقة له في عمله وبحثه.

وتشير المصادر الى ان البيمارستان النوري الكبير ظل عامراً يعالج فيه المرضى الى سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م، وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن العشرين، حتى قامت بلدية دمشق في عهد حسين ناظم باشا - والي سورية آنذاك - بإنشاء مشفى الغرباء (المشفى الوطني) بجانب التكية السليمانية، وهكذا خلف هذا المستشفى الجديد البيمارستان النوري الذي جعل ميتما للبنات أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم أصبح فيما بعد مدرسة للتجارة سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م.

ومنذ عام ١٩٤٥م عُنيت به مصلحة الآثار القديمة وقامت بترميم بعض أجزائه، وفي سنة ١٩٨٧م أصبح متحفاً للطب والعلوم عند العرب وأعيد ترميمه من جديد.

وأخيرا فإن هذا البيمارستان يعد بحق أول وأعظم جامعة طبية في ذلك العصر وفي الشرق كله، وهو انجاز كبير من انجازات حضارتنا الاسلامية، حيث بقي يقدم رسالته الإنسانية حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.



صدام الحضارات بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١

نعرض هنا لفصل من كتاب صدر لعهد قريب عن الإسلام وعلاقته بدول العالم وأيديولوجياته المختلفة والمتنوعة، وأول ما نبدأ به هنا التعريف بمؤلف هذا الكتاب وهو آلان جريش Alain Gresh رئيس تحرير الجريدة السياسية لا موند دبلوماتيك le monde diplomatique ، حيث دأب آلان جريش على تقديم نفسه دائمًا كصديق للمسلمين وقريب من همومهم، فرغم أنه فرنسي ومن أم يهودية روسية فإنه قضى شطرًا مهمًا من صباه في مصر العربية، وعاش كمسيحي (حيث كان أبوه الحقيقي مصريًا مسيحيًا وماركسيًا) في مدينة القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين، صحيح أنه لم يعرف أباه هذا إلا بعد العشرين من عمره، لكنه عاش مصريًا بثقافة فرنسية يغلفها حب الوطن الذي ترعرع فيه كما يقول. ويشغل الآن كما ذكرنا رئاسة تحرير جريدة فرنسية سياسية مهمة وهي le monde diplomatique، أما كتابه الذي نحن بصدد تقديم فصلا منه الآن فهوla leIslam، république et le monde وقد صدر عن دار كاسبا عام 2005، وترجمته هي: الإسلام والجمهورية والعالم، لكننا رأينا أن نقدم هنا الفصل الأول منه وهو «صدام الحضارات»، وقد نتبع هذا المقال بمقال أو اثنين آخرين لو رغب القراء في الاطلاع على العمل كله، لأن الكتاب عبارة عن استخلاص لحوارات العديد من الإخصائيين الغربيين بالإسلام وقضاياه، خاصة المستشرقين الذين أوقفوا حياتهم لدراسة الإسلام مثل: ماكسيم ردنسون وغيره من الكتاب والصحفيين، فجاء الكتاب وكأنه تعبير عن روح الفريق العلمي، وإن كانت العبارات والمواقف تعبر بشكل قوي عن اتجاه المؤلف الفكري وحده، ونحن سنتتبع الفصل الأول للكتاب ونقدمه هنا كوجبة دسمة لمن يريد أن يفهم الغربيين المنصفين بصفة عامة، وآلان جريش بصفة خاصة وهو واحد من المنصفين بلا شك.



د. محمود مسعود

يطرح المؤلف في مقدمة الكتاب هـذا السـؤال ويجيب عليه: لـماذا الإسـلام؟ ولـماذا ينشغل هـو بالمسلمين رغم أنـه ملحد وعلـماني؟ ثـم يجيب بـأنـه لا يستطيع أن يحدد ذلك بدقة غير أنه يقول: ربما يكمن السبب في طبيعة عمله كصحفي معني بالدرجة الأولى بالشرق الأوسط بصفة عامة والنـزاع العربي الإسرائيلي بصفة خاصة. وربما هذا هو السبب المباشر لذلك. أو ربما لأنه وُلد عشية الصراع السياسي بين الغرب والمسلمين، حيث بدأ طفولته في مصر مع العدوان الثلاثي عليها، وساعتها -كما يقول -كنت طالبًا بالمدارس الفرنسية في القاهرة فرحًا بتأميم ناصر لقناة السويس، ولم أفهم لماذا يهاجمنا الفرنسيون الذين أتعلم أنا لغتهم! تلك الدهشة هي التي دفعت المؤلف ليكرس حياته لتلك القضية.

ويجب أن أذكر هنا أنني التقيت الكاتب في مؤتمرات عدة في فرنسا وشهدت حماسه للدفاع عن المسلمين وقضاياهم، وهو أيضًا صديق للمفكر المسلم السويسري الجنسية طارق رمضان ذي الشهرة الواسعة والفكر الحصيف.

أما الكتاب فهو يناقش كثيرًا من القضايا: منها على سبيل المثال: صـدام الحضـارات، الإسـلام والمسلمون في الغرب، ظاهرة الخوف من المسلمين، مسلمو فرنسا وقضاياهم، خاصة مسألة انعدام المساواة بينهم وبين غيرهم وبصفة أخص، قضية الظلم الذي يقع على المرأة المسلمة الفرنسية وحريتها الشخصية المتمثلة في حجابها، ثم ينتهي الكتاب بالدعوة لمستقبل يجمع المواطنين الغربيين في بلادهم بغض النظر عن دياناتهم المختلفة، ويذيله ببعض الملاحق خاصة ملحق لجنة Stasiستازي التي كونها الرئيس الفرنسي جاك شيراك لوضع قانون للحجاب عام ٢٠٠٢.

عدم قبول المستعمر

يعرض المؤلف في الفصل المعنون بـ: «صـدام الحضـارات» لتاريخ العلاقة بين الغرب والمسلمين سيما أن العراقيين بعد عام ٢٠٠٣ لم يعودوا قادرين على حكم أنفسهم، وفي ذات الوقت لن يقبلوا بحكم المستعمر الأميركي الغربي، وتلك ليست فقط حالة العراقيين إنما هي ملمح حضاري عند المسلمين عامة، وربما حرب العراق قد فتحت النقاش حول الصراع القديم بين العرب والغرب منذ الحروب الصليبية، مرورًا بالاستعمار الغربي والحرب التركية الأوروبية. لكن الأهم اليوم أن يكون صدام الحضارات معنيًا بالدرجة الأولى بالصراع بين المسلمين وبين الغرب سواءً أكان هؤلاء المسلمون في البلاد العربية أم كانوا يعيشون في الغرب كمواطنين أصليين أو كمقيمين، فقد تفجرت المشكلات من هذا الجيل من المسلمين الذين خرجوا يجوبون شوارع أوروبا بالمظاهرات منددين بالحرب ضد إخوانهم المسلمين في العراق وفي فلسطين، ومن هنا شاع الخوف منهم عند كثير من الغربيين الذين صُدموا فجأة بحضور كل تلك الجاليات لفعاليات تلك التظاهرات، فقد ظن الكثير من الغربيين أن المواطنين المسلمين الغربيين سيتفاعلون مع القضايا الوطنية أكثر من تفاعلهم مع قضايا خارج الوطن والأرض، فلما بدأت الحرب بين أميركا

● أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

وحلفائها الغربيين عام ١٩٩١ وبين العراق اكتشفوا قوة ترابط الجالية المسلمة من جانب وقوة عاطفتهم مع القضايا التي تخص إخوانهم المسلمين من جانب ثان، مما ولد توجهًا غربيًا ضد المواطنين المسلمين، وعدهم خارجين عن السياق الحضاري الغربي. ومن ثم توجس الغرب خيفة من الجالية المسلمة وظهرت الكتابات والمقالات التي تحذر منهم، وعليه بدأ ظهور ما يسمى بالصراع بين الحضارات.

المسلمون اليوم هم الآخر

فلم يعد مفهوم «الآخر» عند الغربيين بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ يعني اللون (لون البشرة) بقدر ما أصبح يمثل المسلمين، كما كان العرب في عصر الاستعمار هم «الآخر» عند الغربيين أصبح المسلمون اليوم هم الآخر بالنسبة للحضارة الغربية، سواء أكان هؤلاء المسلمون ذوي بشرة بيضاء أي غربيين أم أصحاب بشرة سوداء، سواء أقام هؤلاء الآخرون في الغرب كسكان أصليين أو مقيمين أو حتى الذين لم يذهبوا في حياتهم للغرب، لكن مجموع المسلمين أصبح يمثل الآخر الذي يكمن فيه الخطر كما يرى مجموع الغربيين. ومن هنا بدأ هجوم المنظرين الغربيين على الإسلام علنًا بعدما كان متواريًا.

فرغم أن الغربيين قد اكتشفوا مع نابليون ومع الاستعمار وحدة ثقافة المسلمين على تباعد أصقاعهم فإنهم لم يجرؤوا على نقد الإسلام علنًا إلا بعد الحادي عشر من سبتمبر، ولهذا بدأوا الإعلان صراحة وبوضوح عن الآخر أو العدو الذي يهددهم وهو المسلمون ممثلون في شخص ابن لادن أو أي مسلم يسكن ضواحي أوروبا. فقد أضحى هذا المسلم خطرًا كامنًا وقنبلة موقوتة. وغالى من الغربيين من غالى، فعادت الدعاوى التي أخذت تنادي بعظمة الحضارة الأوروبية وتفوقها على الآخر كما صرح سلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١، وتفشى مصطلح تصادم الحضارات بعد الحادي عشر من سبتمبر مع أن هذا المصطلح قد ظهر لأول مرة عام ١٩٦٤ على يد المستشرق البريطاني برنارد لويس الذي يعيش في أميركا منذ عام ١٩٧٤، وهذا المستشرق هو أستاذ الجيل الحالي من المحافظين الجدد في أميركا خاصة وأوروبا عامة. وهؤلاء المحافظون أظهروا الحقد على المسلمين، وقد ظهر ذلك جليًا فيما يسمونه الحرب على الإرهاب، خاصة أن كتابات برنارد لويس ظلت تتباكى وتشكو من أن حضارة الغرب مهددة وفي خطر، ومنشأ هذا الخطر من المسلمين. وهو صاحب فكرة أن التقارب المسيحي اليهودي هو الحصن المنيع ضد المسلمين. وقد أدت تلك المفاهيم خاصة بعد عام ١٩٨٠ إلى أن يصبح الدين حائلاً بين اندماج المسلمين في مجتمعاتهم الغربية لكنه -أي: الدين- لم يمثل تصادمًا للحضارات (إسلام وغرب) إلا بعد الحادي عشر من سبتمبر.

ثم حاول المؤلف أن يبين أن كلمة الفوبيا الإسلامية أو ظاهرة الخوف من الإسلام لم تكد تظهر لا في الكتب ولا المجلات الغربية ولا حتى في الصحف السيارة قبل اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر. وإنما بدأت تظهر بقوة بدءًا من تلك الاعتداءات التي أخذت تمثل ظاهرة في كل المجالات العلمية والأكاديمية والإعلامية والصحفية.

الحرب العالمية الثالثة أبرزت ظاهرة الخوف من المسلمين كجالية ومن الإسلام كظاهرة حضارية قادرة على العودة من جديد للمنافسة

الحرب الباطنة

فمن قبل تلك الاعتداءات كان الاتجاه السياسي الأميركي غامضًا، فهو من جانب يقف مع الإسرائيليين ضد العرب، ومن جانب ثان هو صديق للمحافظين المسلمين وللمملكة العربية السعودية ضد الاتحاد السوفييتي والشيوعيين. أما بعد تلك الأحداث فقد اتخذ هذا الاتجاه من المسلمين العدو الظاهر والباطن. وأصبحت كل الحركات الإسلامية كحماس والقاعدة وحزب الله والإخوان المسلمين والجهاد في مصر والإصلاح في اليمن كلهم جميعًا في سلة واحدة، ولم يفلت من ذلك اللغم الأميركي إلا المجاهدون الشيشان. وظهر ما يسمى بالحرب العالمية الثالثة. ففي الوقت الذي توجهت إدارة بوش للحرب في العراق كانت تلك الحرب هي ذاتها الحرب العالمية الثالثة عند كثير من الكتاب الغربيين. وقد تسببت تلك الحرب والمظاهرات المناهضة لها وكثرة المتظاهرين في بروز ظاهرة الخوف من المسلمين كجالية، ومن الإسلام كظاهرة حضارية قادرة على الاستمرار والعودة من جديد للمنافسة الحضارية. فقد قابل الغرب بعد الحادي عشر من سبتمبر عدوًا أكثر خطرًا من النازيين والشيوعيين الذين واجههم في الماضي كما يقول المؤلف.

فالحقد على الجالية الإسلامية في الغرب غدا ظاهرة في كل البلاد الأوروبية، ففي فرنسا اختلطت الأمور وأصبح الحجاب والجلباب والمسجد صورة للإرهاب. وفي إنجلترا ذكرت الصحيفة اليومية التايمز Timesفي شهر يونيو ٢٠٠٤ أن «المسلمين الإنجليز أخذوا يشعرون بأنهم ليسوا جزءًا من الوطن، وأنهم أصبحوا غير مقبولين، وأن الشعب ينظر إليهم كقنابل موقوتة»، وفي أميركا زادت الاعتداءات على المسلمين وعلى السيخ لكونهم يلبسون لباسا يشبه لباس المسلمين الهنود.

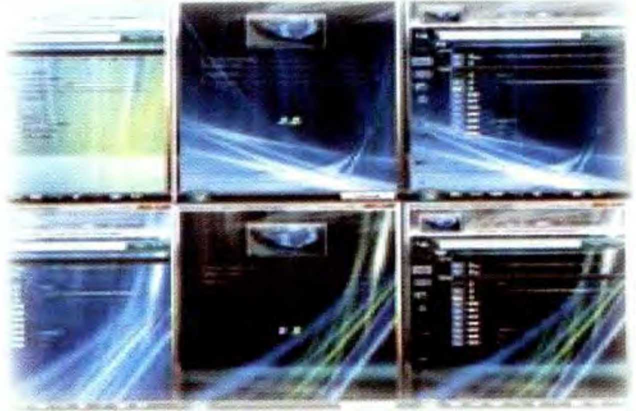
النظرية السياسية

ويجب أن نبين أن إسلاموفوبيا أو ظاهرة الخوف من الإسلام أضحت أقرب للنظرية السياسية wIdéologie التي يجتمع عليها كثير من أعداء الإسلام في الغرب. وكان رد فعل بعض المسلمين من تلك الظاهرة أن حاولوا مقاضاة بعض الكتاب بتهمة العداء للإسلام، كما حدث مع أحد الكتاب الفرنسيين وهو إدجر موغان. ويرى آلان جريش في تلك الظاهرة أمرًا طبيعيًا يحدث للأقلية مستندًا هنا إلى نص لماكسيم ردونسن الذي كان يرى أن الأقلية في مجتمع ما كثيرًا ما تستقبل صور العداءات اللفظية والتحرشات النقدية، فإن كانت ضعيفة ومهتزة أثرت فيها تلك الصور وذلك النقد.

وإن لم يحاول الكاتب أن يقدم وصفة للعلاج أو أن يبين الخلل في المنظومة الغربية نفسها، إلا أنه قد أجاد حينما وصف الخلل في الجالية المسلمة التي عليها أن توجد لنفسها صفة الديمومة والاستمرار بالاندماج الفاعل في المجتمع الغربي، وعدم الخوف من الحوار الديموقراطي، وألا تنطوي على نفسها في معزل عن قضاياها، وقضايا الوطن الذي تعيش فيه.

إعداد : علي الحربي

نسخة جديد من نورتون لأنظمة ماكنتوش



أعلنت سيمانتيك عن قرب إطلاق برنامج Norton Internet Security ٤ لأنظمة ماك والذي يجمع خواص الحماية من الفيروسات وسرقة المعلومات الشخصية والهوية.

ويتم تنزيل هذه النسخة الجديدة في حوالي دقيقة مع واجهة محدثة وحماية مزدوجة لماك، وحماية ضد فيروسات وأخطار كل من أنظمة ويندوز وماك

وتساعد النسخة الجديدة على الحماية ضد أخطار phishing و malware ومحاولات المخترقين

سيتوافر كل من Norton Internet Security و Norton Internet Security للحماية المزدوجة بداية من العام الجديد ٢٠٠٩

مايكروسوفت تطلق النسخة الذهبية لويندوز لايف ماسنجر٩

قامت شركة مايكروسوفت رسميا بإطلاق نسخة جديدة من برنامج المحادثة ويندوز لايف ماسنجر لعام ٢٠٠٩ وهى Windows Live messenger ٩,٠

وقد تمت إضافة خاصية جديدة للنسخة الذهبية وهي المجموعات التي تعتبر خدمة في بداية إطلاقها تم تصميمها لتسمح بإجراء المحادثات بين أكثر من واحد من مستخدمي البرنامج في الوقت نفسه ويمكن من خلال الخاصية الجديدة في أحدث نسخ ماسنجر إضافة المجموعات معا من خلال قائمة Add وبعد ذلك تكوين مجموعة.

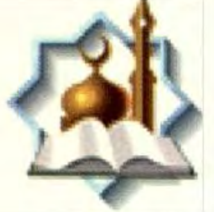
وسيقوم المستخدم بتسمية المجموعة ثم بعد ذلك اختيار الأصدقاء الذين يريدهم من قائمة المعارف كما أنهم سيتمكنون أيضا من مشاركة الصور عبر البرنامج كما أن المجموعات التي ستقوم بتكوينها مع Windows Live Groups ستظهر تلقائيا في برنامج ماسنجر.

ويعتبر برنامج ويندوز لايف ماسنجر هو الأول عالمياً ضمن برامج المحادثة الفورية مع أكثر من ٣٣٠ مشتركاً ومستخدماً بالإضافة إلى أنه يوفر إمكانية تنظيم قوائم لأكثر الأشخاص أهمية بالنسبة لك، والتحدث مع حوالي ٢٠ شخصا في الوقت ذاته.

وكانت مايكروسوفت قد قامت بإطلاق Windows Live Messenger ٩,٠ النسخة التجريبية في منتصف سبتمبر ٢٠٠٨.



موقع نداء الإيمان



موقع نداء الإيمان موقع إسلامي يهدف إلى تقديم رسالة إسلامية عالمية متكاملة تتميز بالاعتدال والشمول، بعيدًا عن تشدد المتشددين وتفريط المفرطين، ومن أهدافه

-استحداث موقع إسلامي جديد ومتميز وفريد على شبكة الإنترنت والإسهام في الطرح الإسلامي الهادف على الشبكة.

-تقديم رسالة إسلامية لها نفس خصائص الإسلام السمح .

-تقديم هذا العمل ليكون عالميًا ولذلك يحرص على ترجمة محتواه إلى لغات عدة.

-الربط والتنسيق والتكامل بين المواقع الإسلامية ومصادر المعلومات مكتوبة،أو مسموعة،أو مرئية ليعم النفع وتعظم الفائدة .

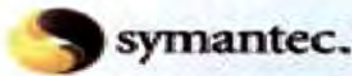
-سد جزء من الحاجة الماسة في الجانب التربوي للآباء والأمهات والمعلمين والمربين .

-الإسهام في حل المشكلات التربوية والدعوية .

-الإسهام في توجيه الشباب والإجابة على تساؤلاتهم.

تعرف على المساحة الخالية للقرص الصلب

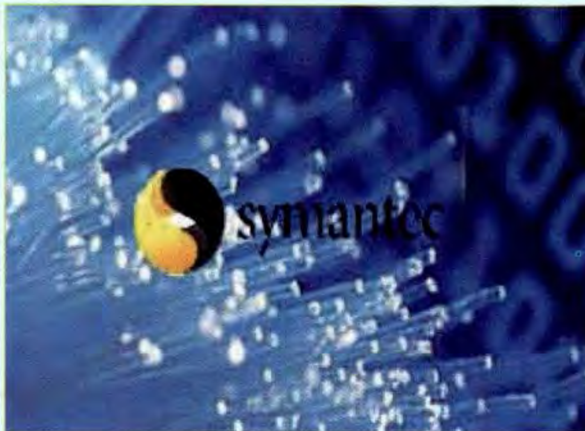
يتيح نظام تشغيل ويندوز إمكانية معرفة حجم المساحة الخالية على القرص الصلب حيث يتعين على المستخدم فتح ويندوز إكسبلورر ثم توجيه مؤشر الفارة إلى القطاع المراد معرفة المساحة الخالية عليه ثم الضغط على المفتاح الأيمن للفارة وسوف تظهر في هذه الحالة قائمة عليها مجموعة من الخيارات، ويتعين على المستخدم الضغط، على خيار بروبرتيز وعندها ستظهر قائمة فرعية توضح حجم المساحة الخالية على القطاع المطلوب.



سيمانتيك تطلق نورتون ٢٠٠٩ الخاص بالألعاب

أطلقت شركة سيمانتيك نسخة برنامج نورتون لعام ٢٠٠٩ الخاصة بهواة الألعاب قادرة على حماية الحاسب أثناء اتصال المستخدم بالإنترنت دون أن تشكل أي إزعاج أثناء تشغيل الألعاب.

ويشغل برنامج نورتون لمقاومة الفيروسات Gaming Edition لعام ٢٠٠٩، ٦ ميجابايت من ذاكرة النظام و٥٠ ميجابايت من ذاكرة القرص الصلب ويضمن برنامج



نورتون الجديد حماية المستخدم أثناء اتصاله بالإنترنت دون مقاطعته أثناء اللعب.

وأطلقت سيمانتيك قبل فترة برنامج Norton Antivirus لعام ٢٠٠٩ بتحسيناته المتنوعة وتتضمن برامج نورتون نظام حماية لمتصفح فاير فوكس و انترنت إكسبلورر ضد أخطار شبكة الإنترنت والتهديدات المجهولة مع إمكانية استعادة ملفات نظام التشغيل في حالة فقدانها.

إعداد : هالة محمد

خريطة الموت

أظهرت «خريطة الموت» في الولايات المتحدة أن من المرجح ان تذهب الحرارة بأرواح أميركيين أكثر مما قد تفعل الزلازل وأن العواصف الرعدية تقتل أكثر من الاعاصير.

وعبر باحثون اميركيون جمعوا بيانات عن ضحايا الكوارث الطبيعية عن أملهم ان تساعد دراستهم مسؤولي استعدادات الطوارئ على وضع خطط أكثر فاعلية.

ووجد فريق البحث في جامعة ساوث كارولاينا أن الحرارة والجفاف تسببا في ١٩,٦ ٪ من اجمالي الوفيات التي وقعت بسبب مخاطر طبيعية وأن عواصف الصيف الرعدية سببت ١٨,٨٪ من الضحايا.

وكانت الزلازل وحرائق الغابات والاعصاير مجتمعة مسؤولة عن أقل من خمسة في المائة من كل وفيات المخاطر، وقال الباحثون في دورية «بيوميد سنترال للجغرافيا الصحية» أنهم يأملون في تبديد بعض الغموض بشأن أكبر التهديدات التي يمكن أن تودي بحياة البشر أو تسبب اصابتهم، وذكرت سوزان كاتر وكيفن بوردن من جامعة ساوث كارولاينا في تقريرهما الذي شمل بيانات من١٩٧٠ الى ٢٠٠٤ أظهرت نتائجنا ان الاجابة هي الحرارة.

وقالت كاتر: أعتقد أن أغلب الناس سيظنون أن السبب الرئيسي للوفاة والدمار هو الأعاصير والزلازل والفيضانات، ولن يقولوا الحرارة، وأضافت الجدير بالذكر هنا أنه مع الوقت فإن الاحداث الفردية المدمرة وأحيانا الكارثية التي تحظى بتغطية إعلامية كبيرة مثل الأعاصير والزلازل مسؤولة عن وفيات قليلة نسبياً عند مقارنتها بأمور أكثر حدوثا وأقل كارثية مثل موجات الحرارة والأحوال الجوية القاسية، وأوضحت كاتر ان أكثر مناطق العيش خطورة هي معظم مناطق الجنوب بسبب مخاطر ارتفاع درجات الحرارة ثم سواحل الاعصاير وولايات السهول الكبرى في وسط الولايات المتحدة والتي تعاني من أحوال مناخية صعبة.

ووجد الفريق أن ولايات الجنوب الأوسط منطقة خطيرة بسبب الفيضانات والأعاصير أما كاليفورنيا فآمنة نسبياً.

طحالب خضراء لإنقاذ العالـــ

اكتشف علماء بريطانيون أن ذوبان الجبال الجليدية في القطب الجنوبي يؤدي إلى تكون طحالب خضراء قد تنقذ العالم من الاحتباس الحراري، أو على الأقل تؤخره.

وذكرت صحيفة «دايلي مايل» أن فريقا من العلماء البريطانيين يعملون على متن سفينة أتش أم أس أنديورانسر التابعة للبحرية الملكية البريطانية قبالة شواطئ القارة المتجمدة الجنوبية «أنتركتيكا» اكتشفوا جزيئيات من الحديد تنتشر في المحيط مع ذوبان الجليد.

وهذه الجزيئيات من شأنها أن تساعد في ولادة طحالب تمتص غاز ثاني أوكسيد الكربون ومن ثم تحبسه في قاع البحار مما يؤدي الى محاصرة الغازات الدفيئة لمئات السنين.

ويعتقد الفريق أن العملية قد تحمل المفتاح لتفادي ارتفاع درجات الحرارة في العالم.

وأضافت الصحيفة أنه نتيجة لهذا الاكتشاف، سيجري الفريق تجربة هذا

مسحوق لنمو الأطراف المبتورة!

شهد المعرض العلمي السنوي الذي ينظمه الجيش الأميركي للاكتشافات القابلة للاستخدام العسكري، طرح مجموعة من العقاقير والأجهزة التي قد تساعد على إنقاذ حياة الجنود في أرض المعركة وعلاجهم لاحقا، وذلك في تطور يعكس القلق الناجم عن تزايد الخسائر البشرية في صفوف العسكريين بالعراق وافغانستان.

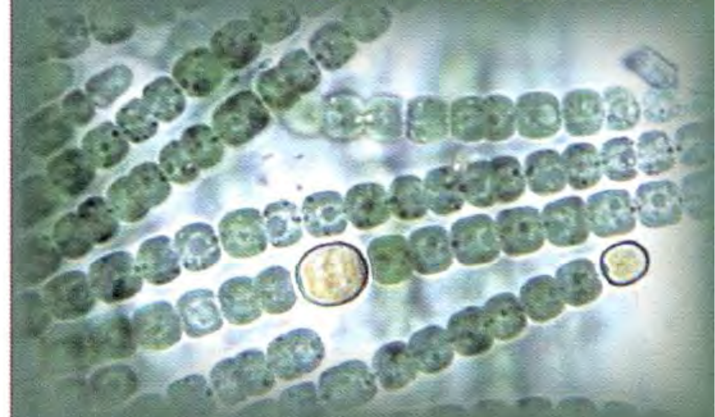
لكن أبرزها ما شهده المعرض كان «المسحوق السحري» الذي قال مطوره إنه يدفع الأطراف المقطوعة للنمو مجدداً، إلى جانب القضيب الخاص الذي يسمح للجسم بإعادة بناء العظام المفقودة، والروبوتات المتطورة القادرة على انتشال الجرحى من أرض المعركة.

وقال غلين روسمن، من قسم العلوم البيولوجية في الجيش الأميركي، إن «المسحوق السحري» يخلق لدى وضعه في موضع العضو المفقود بيئة توحي للجسم انه لا يزال في المرحلة الجنينية التي يكون عليها في الرحم، الأمر الذي يدفع الأنسجة والشرايين والاعصاب للنمو مجدداً.



وتشير التقارير التي عرضت إلى أن المسحوق استخدم لمساعدة رجل قطع طرف احدى اصابعه بحادث، وقد نمت العظام والأنسجة مجدداً في مكانها القديم بعد أربعة أسابيع.

ولكن أهم ما يحتاجه الجيش الأميركي، قبل مباشرة علاج الجنود الجرحى، هو ضمان نقلهم بأمان خارج أرض المعركة، وفي هذا الاطار، قدمت شركة فيسنا رجلا آلياً متطورا يحمل ملامح الإنسان، وقادر على رفع أوزان ثقيلة.



الشهر قبالة شواطئ جزيرة جنوب جورجيا البريطانية جنوب شرق جزر الفوكلاند، وتهدف التجربة الى معرفة ما اذا كانت هذه الظاهرة من شأنها احتواء انبعاثات غاز الكربون.
وسيستخدم الباحثون أطناناً من كبريت الحديد لتكوين فورة اصطناعية من الطحالب، وستكون رقعة التجربة كبيرة لدرجة يمكن رؤيتها من الفضاء.
ومن المعروف لدى العلماء ان نشر الحديد في البحر يحفز نمو الطحالب ولكن علماء البيئة يحذرون من أن القيام بذلك بشكل اصطناعي من شأنه الضرر بالنظام البيئي للأرض.

النحل والنبات يتواصلان بالألوان

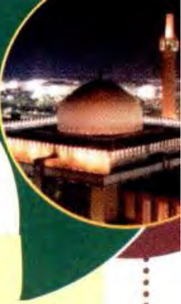
اكتشف العلماء أن النحل والنبات يتواصلان مع بعضهما البعض بلغة الألوان التي لا يمكن للبشر ان يروها أو يسمعوها.
وذكرت التقارير أن علماء في جامعة كامبردج قالوا: إن بتلات الأزهار تستخدم التقزح اللوني (من قوس قزح) الذي يقوم على فصل الضوء إلى ألوان لجذب النحل الجامع لغبار الطلع.
ومن المعروف لدى العلماء ان الحشرات والطيور والأسماك والزواحف تستخدم التقزح لتسهيل التعرف عليها ولاختيار الشريك، ولكن العلماء اكتشفوا أن النباتات أيضا تستخدم هذا الأسلوب لجعل نفسها جذابة للنحل



أقدم كتابة إفريقية تكتشف في السودان

تم اكتشاف ثلاثة تماثيل قديمة لكباش في السودان وهذا الاكتشاف قد يساعد المتخصصين في كشف أسرار أقدم كتابة في إفريقيا جنوب الصحراء.
وقال رئيس القسم الفرنسي في مجلس الآثار في السودان، فانسان رونـدو إن «التماثيل اكتشفت في الحصى على مسافة ١٨٠ كلم شمال الخرطم على طريق يفضي الى معبد قديم»، والذي يقع في أبعد موقع إلى الجنوب بين المعابد المكرسة للإله آمون، وقد ظلت الشعوب التي كانت تعيش في وادي النيل طوال العهد المروي (في مملكة مروى من سنة ٣٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٤٥٠ بعد الميلاد) تعتبر آمون إلها حارساً ومهيمناً وخالقاً.
وأوضح روندو الذي تمول بعثته وزارة الخارجية الفرنسية أن العنصر الأساسي في الاكتشاف الذي تم قبل ثلاثة أسابيع يتمثل في نقش مكتوب على أحد التماثيل، ويحمل اسم ملك غير معروف يدعى اماناكهار يقيريم، مضيفا «لقد أصبح لدينا هذا العام وللمرة الأولى نص كامل مع اكتشاف هذا التمثال الذي نحت عليه هذا النقش»، وأوضح أن لغة مرى تعتبر من آخر الكتابات القديمة التي مازال يتعين تفسيرها.. وهي أقدم لغة مكتوبة في افريقيا جنوب الصحراء، مشيرا الى أن المتخصصين يمكنهم نطق كلمات النص وقراءة الاسماء، ولكنهم لا يفهمون معنى الكلمات، وتعتبر لغة مروى فرعاً من الشجرة اللغوية للغات عدة يتكلمها الناس في السودان واريتريا.
ويقول روندو «هناك أهمية كبيرة لفهم هذه اللغة، ويتعين علينا فقط قراءة الكلمات الأخيرة في النقش، فهذا النوع من النقوش يعتبر مفيدا للغاية، لأنه يتضمن كلمات قليلة، وعلينا ان نحاول فهم مغزاها».
بدأت عمليات التنقيب عن الآثار في عام ٢٠٠٢ بعد ١٧ عاماً من اكتشاف فلاحين، وهم يحفرون قناة للري تمثالاً لكبش في معبد اكتشفه بعض الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر.





لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

زكاة المال المدخر لشراء بيت

والدي عنده بيت مضت عليه فترة ثم باعه، وفي عزمه أن يشتري بيتاً آخر، ولكن غلاء الأسعار حال دون شراء البيت الجديد، وبقيت أموال البيت الأول حتى حال عليها الحول.. فهل تجب الزكاة فيها؟

إن الزكاة واجبة في الأموال التي حصل عليها ثمنا للبيت والمعدة لشراء بيت آخر إذا حال عليها الحول، ويجوز صرف الزكاة إلى أقاربه إن كانوا مستحقين بأن كانوا من الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة-٦٠).

نصب لوحات تعريفية على كل قبر

هل يجوز أن تقوم البلدية وهي الجهة المسؤولية عن المقبرة بتوفير لوحات معدنية للمقبرة بحيث يوضع على كل قبر لوحة تعريفية تحتوي على اسم المتوفى ومعلومات عنه؟

إن مبدأ إعلام الناس بالقبر وصاحبه أمر مشروع لأن رسول الله ﷺ وضع بيده الشريفة حجراً على قبر عثمان بن مظعون وقال «أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» (رواه أبو داود)

وبناءً على ذلك يجوز أن يكون الإعلام بالكتابة بذكر صاحب القبر وتاريخ وفاته ونحو ذلك من البيانات الأساسية التي قد يحتاج إليها، ولا يبالغ في ذلك، ويجب الحرص على ألا يكتب شيء من القرآن الكريم تنزيها للقرآن عن الابتذال. والله أعلم.

تخصيص جوائز لزيادة المبيع

■ من الأساليب المتبعة لترويج البضائع في السوق أو لزيادة حجم المبيعات تخصيص جوائز عينية أو نقدية على قدر معين من المشتريات تحدده الشركة المعلنة، فهل هذا جائز شرعاً؟

يجوز تخصيص جوائز عينية أو نقدية لمن يشتري قدرا معينا من السلع يحدده البائع المعلن عن الجائزة لأن هذا من قبيل حط جزء من الثمن.

شروط بيع المرابحة

■ ما شروط عمليات المرابحة؟

المرابحة هي مبادلة المبيع بما قام به على البائع مع زيادة ربح بمبلغ معيّن أو بنسبة مئوية من التكلفة ويشترط لصحتها ما يلي:

١- أن يكون المبيع قد دخل في ملك البائع وحازه إليه.

٢- علم المشتري بالثمن الذي قام به على البائع، ولا يحلّ للبائع أن يكذب فيزيد في الثمن الذي يخبر به، فإن كذب وزاد استحق المشتري استرجاع الزيادة وما يقابلها من الربح، فلو لم يعلم الثمن الأول حتى افترق العاقدان عن المجلس بطل العقد لتقرير الفساد.

٣- العلم بالربح لأنه بعض الثمن والعلم بالثمن شرط في صحة البيع.

٤-أن يكون العقد الأول الذي اشترى به البائع صحيحاً، فإن كان فاسداً لم يجز أن يبيعه مرابحة. والله أعلم.

أخذ المقابل على الإقامات

■ هل يجوز أخذ مبالغ مالية لقاء كفالة الإقامة؟

يجوز أن يؤخذ على عمل الإقامات مقابل معيّن في نظير عمل المندوب في إجراءاتها ومصاريف الطبع وما يخصّ هذه الأعمال من مصاريف المكتب، ولكن لا يجوز تضمين هذا المقابل شيئاً عن نفس الكفالة لتأمين الإقامة، بمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ شيئاً من هذه الأعمال حيلة لأخذ الأجر على الكفالة. والله أعلم.



من قرارات مجمع الفقه الإسلامي

مبدأ التحكيم في الفقه الإسلامي

أولاً: التحكيم اتفاق طرفي خصومة معينة، على تولية من يفصل في منازعة بينهما، بحكم ملزم، يطبق الشريعة الإسلاميةً.

وهو مشروع سواء أكان بين الأفراد أم في مجال المنازعات الدولية.

ثانياً: التحكيم عقد غير لازم لكل من الطرفين المحتكمين والحكم، فيجوز لكل من الطرفين الرجوع فيه ما لم يشرع الحكم في التحكيم، ويجوز للحكم أن يعزل نفسه.

- ولو بعد قبوله - ما دام لم يصدر حكمه، ولا يجوز له أن يستخلف غيره دون إذن الطرفين، لأن الرضا مرتبط بشخصه.

ثالثاً: لا يجوز التحكيم في كل ما هو حق لله تعالى كالحدود، ولا فيما استلزم الحكمُ فيه إثبات حكم أو نفيه بالنسبة لغير المتحاكمين ممن لا ولاية للحَكَم عليه، كاللعان، لتعلق حق الولد به، ولا فيما ينفرد القضاء دون غيره بالنظر فيه، فإذا قضى الحكم فيما لا يجوز فيه التحكيم فحكمه باطل ولا ينفذ.

رابعاً: يشترط في الحكم بحسب الأصل توافر شروط القضاء.

خامسا: الأصل أن يتم تنفيذ حكم المُحكّم طواعية، فإن أبى أحد المحتكمين، عرض الأمر على القضاء لتنفيذه، وليس للقضاء نقضه، ما لم يكن جوراً بيناً، أو مخالفاً لحكم الشرع.

سادسا: إذا لم تكن هناك محاكم دولية إسلامية، يجوز احتكام الدول أو المؤسسات الإسلامية إلى محاكم دولية غير إسلامية، توصلاً، لما هو جائز شرعا.

ويوصى بدعوة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى استكمال الإجراءات اللازمة لإقامة محكمة العدل الإسلامية الدولية، وتمكينها من أداء مهامها المنصوص عليها في نظامها.

بدل الخلو

أولا: تنقسم صور الاتفاق على بدل الخلو إلى أربع صور هي:

١- أن يكون الاتفاق بين مالك العقار وبين المستأجر عند بدء العقد.

٢- أن يكون الاتفاق بين المستأجر وبين المالك وذلك في أثناء مدة عقد الإجارة أو بعد انتهائها.

٣- أن يكون الاتفاق بين المستأجر وبين مستأجر جديد، في أثناء مدة عقد الإجارة أو بعد انتهائها.

٤- أن يكون الاتفاق بين المستأجر الجديد وبين كل من المالك والمستأجر الأول، قبل انتهاء المدة، أو بعد انتهائها.

ثانيا: إذا اتفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغاً مقطوعاً زائداً عن الأجرة الدورية - وهو ما يسمى في بعض البلاد خلوا، فلا مانع شرعاً من دفع هذا المبلغ المقطوع على أن يعد جزءاً من أجرة المدة المتفق عليها، وفي حالة الفسخ تطبق على هذا المبلغ أحكام الأجرة.

ثالثاً: إذا تم الاتفاق بين المالك وبين المستأجر أثناء مدة الإجارة على أن يدفع المالك إلى المستأجر مبلغاً مقابل تخليه عن حقه الثابت بالعقد في ملك منفعة بقية المدة، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، لأنه تعويض عن تنازل المستأجر برضاه عن حقه في المنفعة التي باعها للمالك، أما إذا انقضت مدة الإجارة ولم يتجدد العقد، صراحة أو ضمناً، عن طريق التجديد التلقائي حسب الصيغة المفيدة له، فلا يحل بدل الخلو، لأن المالك أحق بملكه بعد انقضاء حق المستأجر.

رابعاً: إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد في أثناء مدة الإجارة على التنازل عن بقية مدة العقد، لقاء مبلغ زائد عن الأجرة الدورية، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، مع مراعاة مقتضى عقد الإجارة المبرم بين المالك والمستأجر الأول، ومراعاة ما تقضي به القوانين النافذة الموافقة للأحكام الشرعية.

على أنه في الإجارات الطويلة المدة، خلافاً لنص عقد الإجارة طبقاً لما تسوغه بعض القوانين، لا يجوز للمستأجر إيجار العين لمستأجر آخر، ولا أخذ بدل الخلو فيها إلا بموافقة المالك، أما إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة فلا يحل بدل الخلو، لانقضاء حق المستأجر الأول في منفعة العين.

من القواعد الفقهية

قول الصحابي

الأقرب إلى الصواب أن الصحابة الفقهاء والمعروفين بالفقه والفتيا هم الذين يكون قولهم حجة؛ لأنه لاشك أن علمهم أغزر وأوسع، وأما من كان له مجرد صحبة ولم يعرف بفقه ولا علم فإن قوله ليس بحجة.

ويشترط ليكون قول الصحابي حجة ألا يخالف قول صحابي آخر مثله في الفقه والعلم، وألا يخالف نصا من كتاب أو سنة.

العُرف

وهذه القاعدة من القواعد المهمة، وهي أن ما جاء في الكتاب والسنة مطلقاً بغير تحديد؛ فإنه يرجع فيه إلى العرف.

والعرف هو: ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول، وينقسم إلى قسمين:

عرف صحيح: وهو العادة التي لا تخالف نصاً من نصوص الكتاب والسنة، ولا تفوت مصلحة معتبرة ولا تجلب مفسدة راجحة.

عرف فاسد: وهو العادة التي تكون على خلاف النص، أو فيها تفويت مصلحة معتبرة أو جلب مفسدة راجحة.

ملخص القواعد الفقهية

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

إعداد: محمد شفيق

حوار بين الحق والباطل

تمشى الباطل يوماً مع الحق فدار بينهما هذا الحوار: قال الباطل: أنا أعلى منك رأساً، فقال الحق: أنا أثبت منك قدماً، فقال الباطل: أنا أقوى منك، فقال الحق: أنا أبقى منك، فقال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن، قال الحق لكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين، قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون قال الحق: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ (الأنعام-١٢٣).

نصيحة أم لابنتها ليلة زفافها!

قالت أسماء بنت خارجة لابنتها ليلة زفافها: يابنية إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فكوني له أرضا يكن لك سماء، وكوني له سهادا يكن لك عمادا، وكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يسمع إلاحسناً، ولا ينظر إلا جميلاً!

الدموع

قيل لحكيم: هل يوجد الرجل الذي يستطيع أن يعيش بلا دموع في هذه الحياة؟

أجاب: لا: لن يوجد الإنسان الذي يعيش بلا دموع، فالحياة مليئة بألوان عديدة من المآسي، ولكن يوجد الإنسان المؤمن الذي يستطيع أن يمسح دموعه ودموع الآخرين!

بنو طفوان وبنو غطسان

تخاصمت قبيلتا بني طفوان، وبني غطسان في نسب طفل، ادعت كل منهما أنه لها، فاحتكموا إلى أول قادم إليهم، وكان القادم معتوها (مجنونا) فقال: اطرحوه في اليم (البحر) فإن طفا فهو لبني طفوان، وإن غطس فهو لبني غطسان!

من وصايا الصالحين

قال سعيد بن العاص ينصح ولده: يابني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يفضي عنك الموانسين، ويوحش منك المصاحبين، يا بني: اصبر على الشدائد، واجعل الصبر زادك، واجعل العفو أقرب إليك من الغضب، والحلم أقرب إليك من العقاب.

واعظ الخليفة

جاء أبو عثمان عمرو بن عبيد إلى مجلس الخليفة المنصور، فقال له: عظنا يا أبا عثمان، فقرأ سورة الفجر حتى بلغ قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ فبكى بكاءً شديداً ثم قال له: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، واعلم أن الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، واني أحذرك ليلة تمخضت صبيحتها عن يوم القيامة، ثم بكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه.

الكلمات المتقاطعة

أفقياً:

١- لقب بذي النورين، وذلك لأنه تزوج من ابنتي الرسول محمد ﷺ: رقية، وأم كلثوم، حيث، تزوج من الأخيرة (أم كلثوم) بعد وفاة الأولى (رقية)، وقد كانتا متزوجتين (قبل ذي النورين) من: عتبة وعتيبة، ابني عبدالعزى بن عبدالمطلب (الملقب بـ: أبي لهب)، وهو عم الرسول ﷺ، ثم تم طلاقهما. وكان سبب الطلاق أن أبا لهب أمر ابنيه بتطليقهما، بعد نزول سورة المسد، والتي توعد الله فيها بأنه سيدخل أبا لهب، وزوجته أم جميل جهنم.

٢- صيغة مبالغة على وزن فعال من: آب، وهناك معنيان لآب، الأول: عام ويعني: رجع، أما الآخر: فخاص، ويعني: رجع إلى الله، والمبالغة في المعنى الآخر تعني: الدائم الرجوع إلى الله، عند أدنى خطأ - ريب (معكوسة) - طابور.

٣- أصلح (معكوسة) - غار بشمال مكة، اسم الغار - والجبل واحد. كان يعتكف فيه الرسول محمد ﷺ في رمضان من كل عام، ليتدبر ويتفكر في خلق الكون قبل نزول الوحي عليه، وفي هذا الغار نزل الروح القدس للمرة الأولى على النبي ﷺ بالقرآن، وكانت أول آيات أنزلت هي: الآيات من: (١- ٥) من سورة العلق (معكوسة) - أمة، كذا: اسم فترة من الزمن، تعادل ثلث قرن أي حوالي ٣٣ عاماً.

٤- من كبار الشعراء العرب، لقب بشاعر الرسول ﷺ وذلك لأنه كان يمتدح الرسول ﷺ كثيراً في أشعاره، بعد إسلامه، توفي عام ٥٤ هـ وقيل: غير ذلك، كما ذكر البعض أنه عاش ١٢٠ عاماً، نصفها في الجاهلية، ونصفها في الإسلام.

٥- مدخل - مرض (معكوسة)- للاستفهام.

٦- اسم سيف للرسول محمد ﷺ.

٧- حزن - اطمئنان - أداة نفي للمستقبل (معكوسة).

٨- اداة نفي بالماضي - قربة الماء الصغيرة - سقاية - هر (معكوسة).

٩- من أمهات المؤمنين، والدها هو: حيي بن أخطب، زعيم يهود بني النضير، وكان شديد العداوة للنبي ﷺ، وللمسلمين، ودنيء النفس، غدّارا، وقد قتل في غزوة بني قريظة (عام ٥ هـ)، بعد غزوة الخندق مباشرة، فقد كان يحارب مع بني قريظة المسلمين، أما ابنته (أم المؤمنين لاحقا) فقد سُبيت في غزوة خيبر (عام ٧ هـ)، وقدلجأت أسرة حيي إلى يهود خيبر، بعد هزيمتهم في غزوة بني النضير (عام ٤ هـ)، وقتل أيضا زوجها كنانة بن الربيع والذي كان يحارب مع خيبر ضد المسلمين، وكنانة هذا، ومعه حيي بن أخطب، ونفر من اليهود هم من ألبوا القبائل على المسلمين، وكانوا السبب في غزوة الخندق (٥ هـ)، وقد أعتق النبي ﷺ ابنة حيي، ثم تزوجها بعد ذلك، وأسلمت، وحسن إسلامها. وقد توفيت رضي الله عنها في زمن معاوية بن أبي سفيان، ودفنت بالبقيع، بالمدينة المنورة (معكوسة).

١٠- متشابهان - ضد: شراء - عدم المحاسبة على الذنب، كذا: ما زاد من المال عن الحاجة.

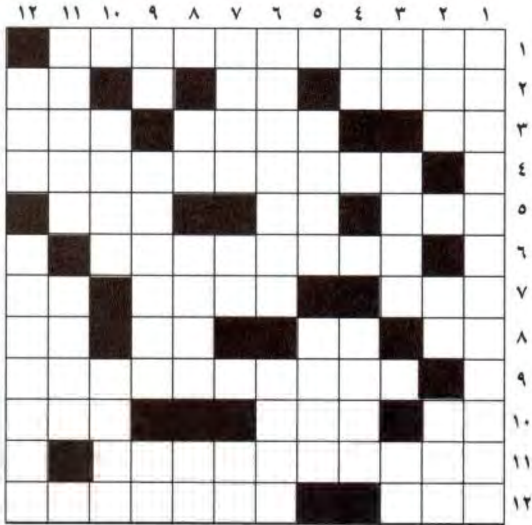
١١- ابن عم سيدتنا خديجة رضي الله عنها، ترك عبادة الأصنام، ودخل في النصرانية، وهو الذي قال بعد علمه بنزول سيدنا جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ بغار حراء بأن محمدا هو نبي هذا الزمان، كما قال بأن محمدا سوف يواجه أشد الصعاب، وبأنه لو أدرك ذلك اليوم لينصرنه.

١٢- ما يأخذه مالك الأرض الزراعية من مستأجرها (معكوسة) - لقب أخت سيدنا محمد ﷺ في الرضاع، واسمها الأصلي: حذافة (وقيل: جذامة)، وأبوها: الحارث بن عبدالعزى، وأمها: حليمة بنت أبي ذؤيب، وأخوها: عبدالله، وأختها: أنيسة، زوجها: بجاد بن سعد، وفي غزوة حنين (٨ هـ) أمر الرسول ﷺ بالقبض على بجاد، لأفعاله في الحرب، وعندما قبض عليه، كانت معه زوجته، فصاحبته، إلى النبي ﷺ، وقد بسط لها النبي ﷺ رداءه، وأجلسها عليه، وأكرمها، وردها إلى قومها، بحسب رغبتها.

رأسياً:

١- من صحابة الرسول ﷺ، وفي غزوة خيبر (٧هـ) رجع عليه سيفه، وهو يقاتل، فأصابه إصابة شديدة، توفي منها، وقد سأل البعض النبي ﷺ في ذلك، فقال: انه لشهيد، وقد طلب منه النبي ﷺ أثناء المسير الى خيبر أن ينشده شيئاً من الشعر، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا - ولا تصدقنا، ولا صلينا



إنا إذا قوم بغوا علينا - وإن آرادوا فتنة أبينا

فانزلن سكينة علينا - وثبت الأقدام إن لاقينا

٢- الغار الذي اختبأ فيه الرسول محمد ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه من قريش، أثناء هجرتهما من مكة إلى المدينة، وهو يحمل ذات اسم الجبل الذي به، وهو يقع جنوب مكة، باتجاه اليمن، وليس باتجاه المدينة، وذلك للتضليل، وقد مكثا به ثلاثة أيام، ولم يكن أحد يعلم بمخبئهما فيه سوى عبدالله بن أبي بكر، وأختاه: أسماء، وعائشة، ومولاهم: عامر بن فهيرة.

مادة قاتلة - نعاس.

٣- للاستفهام - ينحر (معكوسة) - سر، ورضي، كذا: سكن، واطمأن.

٤- والد الاسم (الأصلي) لعبدالمطلب، جد الرسول محمد ﷺ، حيث ان اسم عبدالمطلب قد جاء نتيجة لواقعة معينة.

٥- نعم (معكوسة) بكاء شديد، بصوت عال.

٦- دويبات من رتبة العنكبيات، للواحد منها ثمانية أرجل، وستة عيون، سامة، يأكل بعضها بعضا (معكوسة)- أصف (معكوسة).

٧- ننهل - ثغر - ثلثا: نلم.

٨- عطف - اسم الدابة التي امتطاها الرسول محمد ﷺ في رحلتي الاسراء والمعراج (معكوسة)- ثلثا: وشى.

٩- هرب - عدد الملائكة التي تحمل عرش الله في الآخرة، والتي جاءت (بسورة الحاقة- ١٧) - حرف جر.

١٠- اسم مفتاح الكعبة، كذا: يطلق أيضا على أي مغلاق لباب (معكوسة)- يعرف.

١١- حظي - نعطي أقل مما نأخذ، كذا: نبخس الميزان، وننقصه.

١٢- تدور (معكوسة) - اسم ناقة للرسول محمد ﷺ، رغم أنها كانت سليمة الأذن.

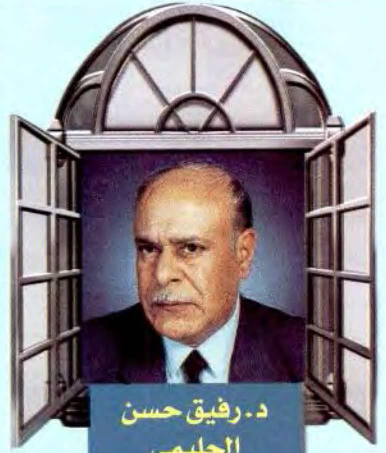
إعداد: محمد أحمد

حل العدد السابق



8	7	6	5	4	3	2	1	
ك	ل	م	■	ل	ا	ل	د	1
ن	ل	■	ر	ا	ن	ل	ج	2
ز	■	ج	ر	ف	■	ل	س	3
■	ج	ب	ر	■	ي	ل	ع	4
ل	ي	ل	■	ث	ي	ل	■	5
ي	هـ	■	ا	ب	ي	■	ر	6
ل	ا	ب	ق	ا	■	س	و	7
ى	ن	د	ر	■	ى	د	ن	8

إلى اللقاء


د. رفيق حسن الحليمي

العدوان على غزة وتداعياته المأساوية

سمي قطاع غزة بعد نكبة ١٩٤٨م، باعتباره الجزء المقتطع من فلسطين، وكان قبل النكبة يسمى «لواء غزة الجنوبي»، وكان يضم بعض المدن والقرى في الشمال وفي الشرق، وقد وقعت هذه المدن والقرى في قبضة الاحتلال عام ١٩٤٨م، وبقي القطاع شريطاً ساحلياً على البحر الأبيض المتوسط في الجنوب الغربي من فلسطين، وهو في حجمه الحالي لا يزيد طولاً عن ٣٨كم٢، وبين ٨-١٦كم٢ عرضاً، ويحده من الشمال والشرق دولة الكيان الصهيوني التي تتحكم في ثلاثة معابر تجارية وسياحية، ومن الجنوب مصر بمساحة لا تزيد عن ١٦كم، ويوجد بينها وبينه معبر رفح، ويعيش فيه حالياً ما يقارب المليون ونصف المليون نسمة ويعد من أكثر البلاد ازدحاماً بالسكان في العالم.

وقع قطاع غزة تحت الاحتلال الصهيوني مرتين: الأولى عام ٥٦-١٩٥٧م وانسحبت قواته بعد أربعة أشهر، والثانية عام ١٩٦٧م حتى أيامنا هذه، وقد آثر الصهاينة أن ينسحبوا من غزة ويعيدوا انتشار قواتهم على الحدود، وظلوا يتحكمون في المعابر الثلاثة، وأما معبر رفح فقد كانت له فيه مراقبة من وراء حجاب.

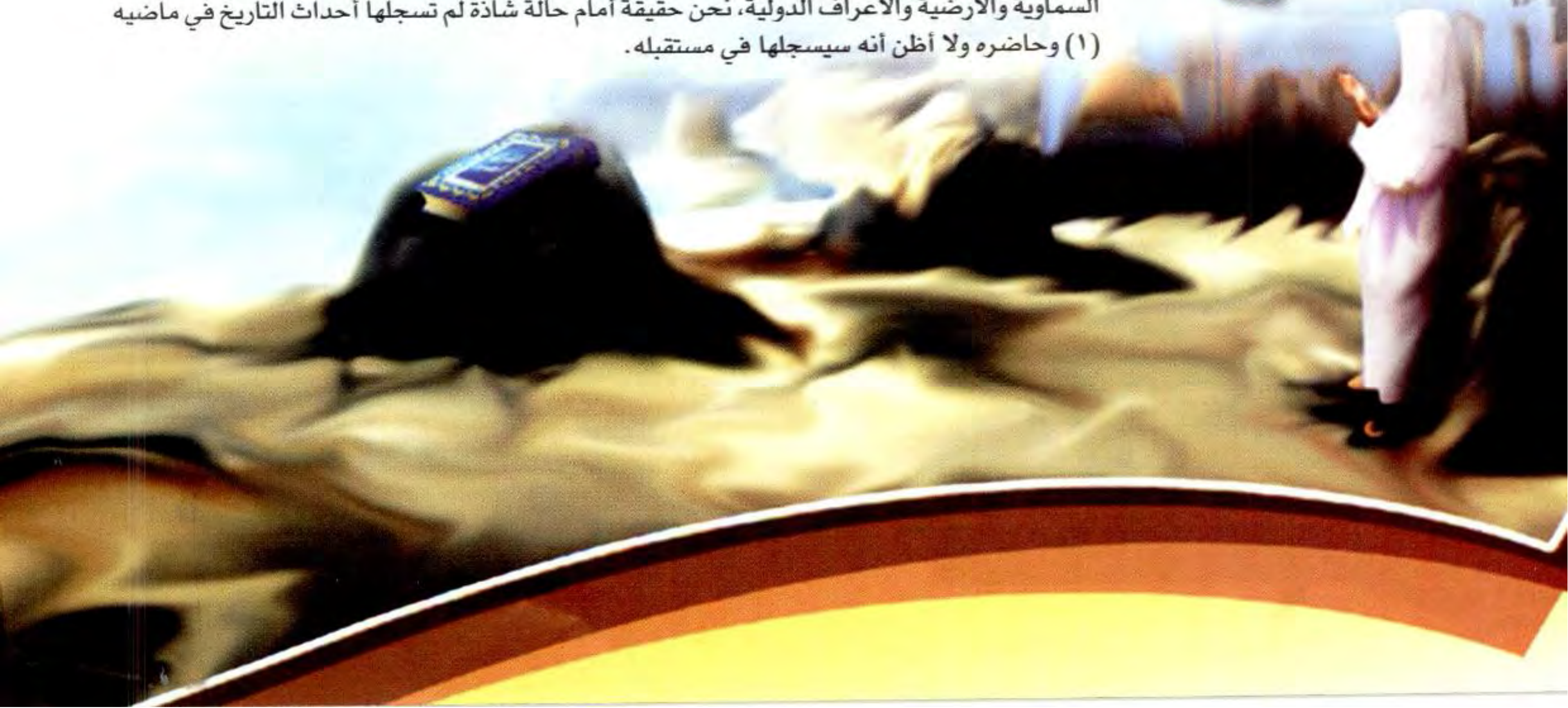
وبعيداً عن السياسة وتعقيداتها وتقلباتها فقد أصبح قطاع غزة بسكانه خاضعاً لحصار ظالم منذ أكثر من عام ونصف العام وعدوان غاشم أخيراً، الأمر الذي ضاعف من مأساة السكان جميعاً، وزاد من حدة هذه المأساة الحملة العسكرية الواسعة التي يقوم بها جنود الاحتلال على مختلف الجبهات مع منع إدخال الوقود لتشغيل السيارات، والمولدات التي تزود البيوت والمستشفيات والمخابز والمعامل بالطاقة اللازمة لها، فضلاً عن منع دخول المواد الغذائية والدوائية رغم الاستغاثات من بعض المنظمات والهيئات الدولية.

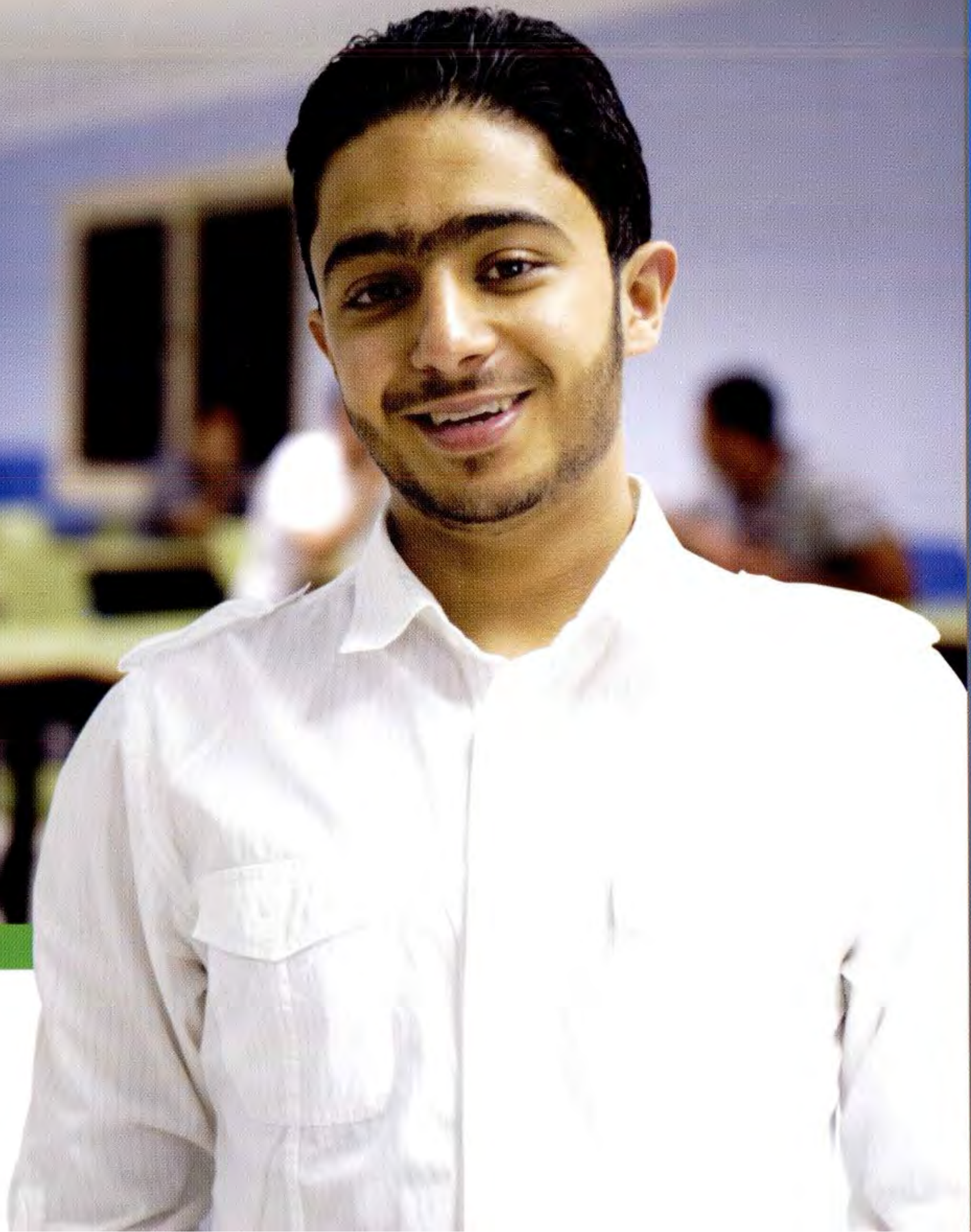
المشهد أمامنا مأساوي في اكثر من وجه ويستحق التوقف للتأمل والمراجعة ونقد الذات، وهل يتصور انسان عاقل في هذا الزمان - زمن الفضائيات - أن يترك قطاع غزة على ضيقه الشديد وكثافة سكانه وشحة أراضيه وقلة موارده الطبيعية هكذا دون اهتمام ومساعدة وفك للحصار الجائر عنه ووقف للعدوان الظالم، ويلقى به في زوايا النسيان وكأنه سقط من معادلة الوجود البشري وانزاح الى عالم العدمية والفناء الأبدي، فلم تعد الذاكرة الفردية والجماعية العربية والعالمية تستذكره وتستحضره لا في صحوها ولا في سباتها، ولا في أحلامها إلا لماماً، كطيف ثقيل يريد صاحبه أن يتخلص منه، اذا ما راوده بين حين وحين!

إنه لبلاء عظيم واختبار كبير يمتحن الله به عباده سواء أكانوا هم المصابون بالبلاء أم ممن يسمعون عنه أو يرونه من قريب أو بعيد، ليقيم الحجة لهم إذا صبروا، أو عليهم إذا لجوا وكفروا يوم القيامة، ويوم يقوم الناس لرب العالمين ويوم يقوم الأشهاد، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾(البقرة- ١٥٧:١٥٥)، أليس حصار غزة من المنكر الذي دعا الرسول الكريم الى تغييره وتقويمه اي بمحاربته والتصدي له، بقوله ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم) ولدي قناعة مطلقة بأننا معشر المسلمين في المشارق والمغارب سنحاسب أمام الله على صمتنا وسكوتنا عما يجري في قطاع غزة، وفي غيره من بقاع المسلمين من تجويع وترويع وقتل متعمد ممنهج للمرضى والشيوخ والأطفال.

أليس ما يجري في قطاع غزة يصل بالمتسببين فيه بطرق مباشرة أو غير مباشرة الى مستوى «جرائم الحرب» التي يعاقب عليها القانون الدولي؟ ذلك القانون الغائب الحاضر والحاضر الغائب الذي يستغل استغلالاً بشعاً فيطبقونه عندما يرون ان ذلك في مصلحتهم، ويلغونه عندما لا يكون في مصلحتهم، أليس هذا هو الكيل بمكيالين متناقضين، فالويل كل الويل للمطففين.

هناك صمت مطبق وسكوت مميت وإمعان في اغلاق المعابر، وخاصة معبر رفح، فإذا كان الاغلاق من جانب فالصمت عليه من جانب آخر، وكلا الجانبين مدان ادانة كبرى بكل المقاييس وبكل الشرائع السماوية والأرضية والأعراف الدولية، نحن حقيقة أمام حالة شاذة لم تسجلها أحداث التاريخ في ماضيه (١) وحاضره ولا أظن أنه سيسجلها في مستقبله.





تبي تريح قلبك ..
يلّا نصلي
www.nafaess.com
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

تأسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٢٣) ربيع الأول ١٤٣٠هـ ـ مارس ٢٠٠٩م



العلامة محمد المنص

وحدة الأمة

ضرورة لمواجه

كيد الأعداء

أساتذة التميز

ثقافة التخصص

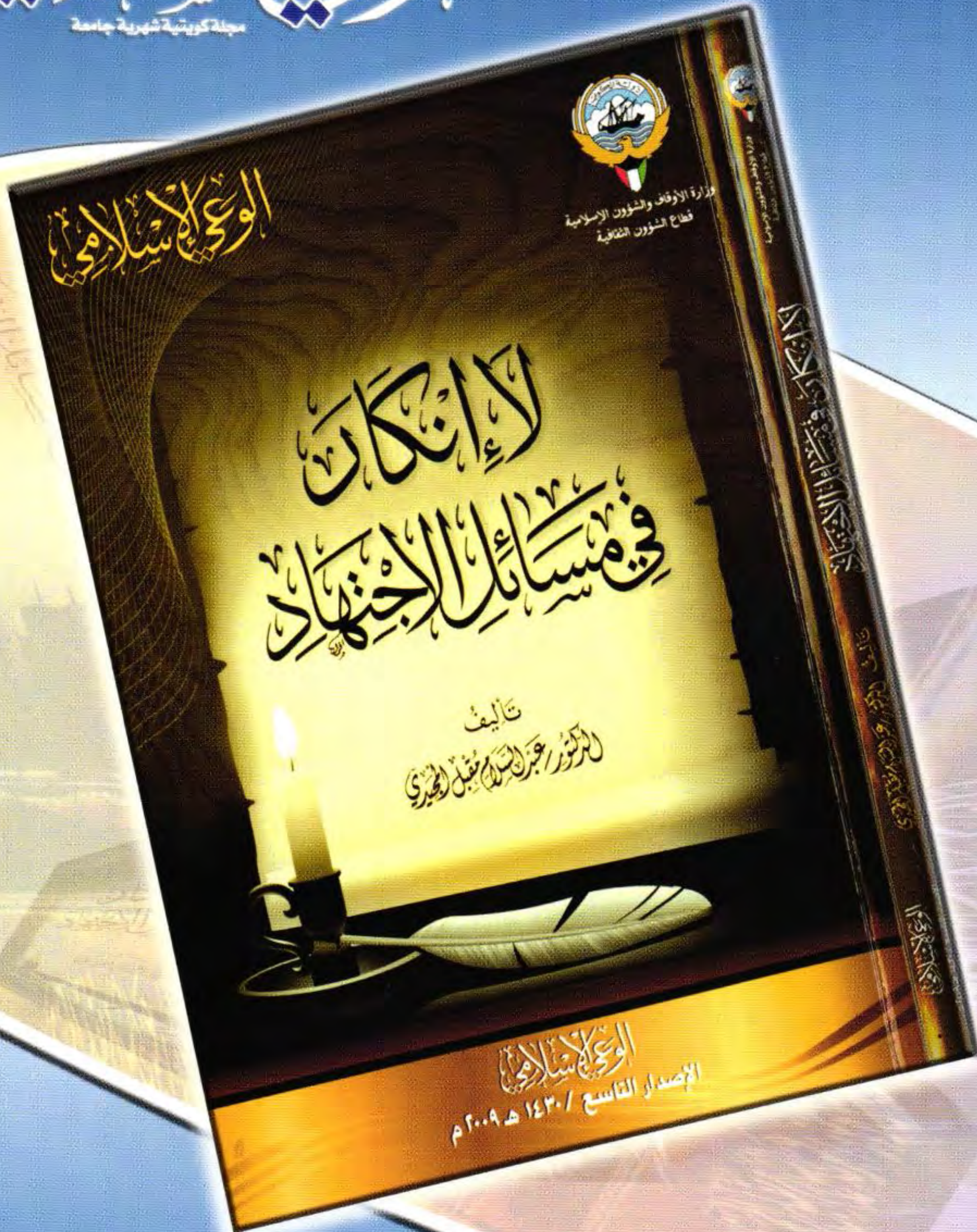
التأمين على الودائع

النصر في ميزان الشرع

الذكرى الثالثة لتولي أمير البلاد سدة الحكم

الإصدار التاسع لـ "الوعي الإسلامي"

مجلة كويتية شهرية جامعة



يعتني الكتاب بتأصيل مسائل الاجتهاد وضبطها بضوابط سديدة، ويعالج قضية الاختلاف مع الحرص على جمع الكلمة والبعد عن الفرقة وحرمة التطاول على أهل العلم.

الكتاب يؤكد أنه لا إنكار على من يسلك الاجتهاد، والإنصاف خير الأوصاف في باب الاختلاف والرجوع إلى الإتقان أولى من الافتراق.

الافتتاحية



رحمة للعالمين

محمد ﷺ رحمة للعالمين، أرسله الله للناس كافة، بشيراً ونذيراً، فهو منشئ الحضارة الإنسانية والتقدم والرقي الإنساني، فلقد أدى الأمانة ونصح الأمة، ووضع التعاليم التربوية الربانية للإنسانية لإخراج البشرية إلى المجد الصاعد، وإلى قمم الحضارة الفكرية والروحية والمادية على مستوى الفرد والمجتمع.

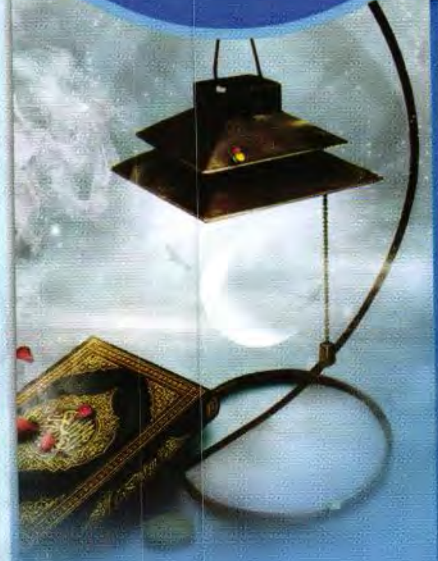
فالإسلام الذي جاء به النبي ﷺ قد تولى تحديد المرتبة العظمى وإقامة المعالم وإنارة السبل، ودعا الناس الى الأخذ بها والانتفاع بثمراتها العاجلة والآجلة.

كما رسم للناس الطريق القويم والمنهاج المستقيم الذي يكفل لهم السبق العظيم، فجاء بالشرائع والأحكام الكفيلة بأن تقيم مجتمعا إنسانياً فاضلاً إذا التزموا بتطبيقها، وترك المجال الواسع للاستزادة من النظم الحضارية التي أذن لهم بأن يتابعوا تطويرها وتحسينها بحسب المصالح.

فالإسلام دين للبشر كافة، وهو حركة شاملة، عقيدة وعبادة، وهو نظام سياسي واجتماعي ومنهج متكامل، وفي الإسلام أمور لا نجدها في غيره من الأديان، وهو الذي رد للإنسان كرامته في الحياة، ورفع مكانة العلم وحث على طلبه واكتسابه.

والإسلام ليس ظاهرة اجتماعية جاءت ثمرة أفكار وإبداعات بشرية، بل هو حقيقة ذات وجود مستقل، فلا بد من الخضوع لسلطانه والتقيد بأحكامه.

ولقد كرر الله إرسال هذا المنهج في مختلف العصور والأزمان لشتى الناس والجماعات عن طريق الرسل والأنبياء ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(فاطر: ٢٤) وكان آخرهم محمداً ﷺ، أرسله إلى أهل الأرض جميعاً بعد أن كان الأنبياء والرسل يرسلون إلى أقوامهم.. إن هذه الرسالة تحمل الإنسان مسؤوليات بناء الحضارة، فالوظيفة التي يحمّلها الإسلام للإنسان إنما هي عمارة الأرض، لإقامة مجتمع إنساني سليم، ليكون بذلك مظهراً لعدالة الله وحكمه في الأرض، لا بالقوة والإجبار ولكن بالتعليم والاختيار ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(الأنبياء:١٠٧).





رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٣

العام السادس والأربعون

ربيع الأول ١٤٣٠ هـ

مارس ٢٠٠٩ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



تحتفل الكويت بالذكرى الثالثة لتولي أمير البلاد سدة الحكم، وقد تميزت هذه الحقبة بالأعمال الاصلاحية والتنموية، إكمالاً لمسيرة آباء الكويت المؤسسين.

داخل العدد

كلمة العدد

رسالة الإنسانية

لقد منَّ الله - سبحانه وتعالى - على البشرية ببعثة سيدنا محمد ﷺ رسولاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الدنيا إلى عدل الإسلام.

فرسالة خاتم الأنبياء ترى الإنسان في قمة سموه، وذروة شموخه، وعظمة أخلاقه، وانصهار روحه في بوتقة الحب الالهي، وتفانيه في العبودية لربه، وصبره على جميع الابتلاءات.

والانتماء للإسلام ليس اسماً يحمله المسلم، لكنه خلق وسلوك، وواقع عملي يترجم مع مختلف أصناف البشرية.

فلم يقتصر عمل ديننا الحنيف على العبادات المعروفة، بل جاء ليكون منهجاً للحياة ينظم شؤونها بحكمة إلهية ودقة متناهية.

إن الأمة اليوم في أمس الحاجة الى اتخاذ القرآن الكريم منهجاً عملياً لتسيير حياة مجتمعاتنا، بالاضافة الى دراسة سيرة المصطفى ﷺ والتأسي بسلوكه وأعماله وأقواله، للصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

الوعي الإسلامي

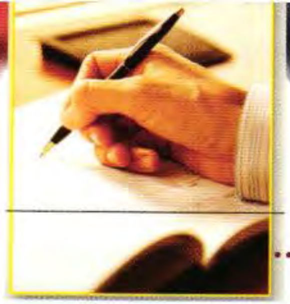
الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



قوة المؤمن

الله جل جلاله وحده هو القوي ولا قوي سواه، وكل قوة في الأرض في الذوات والأشياء مستمدة من قوة الله، تأييداً أو استدراجاً أو تسخيراً، لحكمة بالغة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.
قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ان القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾ (البقرة:١٦٤).
لذلك المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف.
كن عضواً في جمعية الأقوياء ولا تكن رأساً في قطيع النعاج
قد تبدو ضعيفاً، لانك قبلت أن تكون ضعيفاً، فعش كما تريد ولكن لابد من ان تعلم انه بامكانك ان تصبح قوياً، وان تتعافى من شعورك بالضعف.
إن الأقوياء بالحق هم السعداء، والضعفاء بالباطل هم التعساء. واعلم يقينا ان الشيء الذي لا تستطيعه هو الشيء الذي لا تريد ان تكونه.
القوة مطلب اساسي، والا فلا قيمة للحياة من دون قوة. ان القوة مصدر للثقة وهي لا توجد الا في قلوب الأقوياء.
وإذا اردت القوة الحقيقية فابحث عن قوة لا تحتاج الى غيرها، انها قوة الله عز وجل، ان الجبن والخور والاستكانة والاستسلام والانهزامية والذل وجميع المفردات في قاموس الضعف مرفوضة في حياة الاقوياء، فانت لم تخلق لتكون مسلوب الارادة بارد الهمة، تأمل دعاء رسول الله ﷺ «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال»(صحيح البخاري).
عليك ألا تتردد لحظة في الانتساب لعضوية نادي الأقوياء، فلديك عملاق لا ينام بين جنبيك، فابحث عنه حتى لا تموت وانت تعيش بين الأحياء.

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء

تأمل في البعوضة، إنها لا تبدو بالنسبة إليك شيئاً مذكوراً، ولكنها أقوى منك، حينما تصر البعوضة من دون كلل او ملل في البحث عن منفذ في جلدك.
لكن السؤال المهم: كيف نبحث عن القوة ونحن ضعفاء؟
إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف، ليس دعوة الى الرضا بالضعف او السكوت عليه، بل هو دعوة لاستشعار القوة، حتى في حالة الضعف.
إذن يجب ان نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه. ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه، ولصار الضعف قوة، لان الضعف ينطوي على قوة مستورة، يؤيدها الله في حفظه ورعايته، فاذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون، لذلك تستطيع ان تقابل القنبلة الذرية، بقنبلة الذرية، أي بتربية جيل واع ملتزم ينهض بأمته، ويعيد لها دورها القيادي بين الأمم.

محمد سعيد أبو حوية - سورية

تحصيل السعادة

إن هذه الأيام التي نعيشها تكاد تكون مضطربة مليئة بالهم وعدم الاستقرار في النفس بسبب المشاكل التي تحيط بالانسان من جميع نواحيه، فمن أجل ذلك يغتم الانسان ويفقد سيطرته ولا يتفهم حياته ولا يجد وسيلة لتجاوزها، بل يعجز عن حلها كما حدَّث رسول الله ﷺ أنه في آخر الزمان يمر الرجل على قبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وسبب هذا الاضطراب وعدم الاستقرار النفسي هو البعد عن المنهج الالهي، فنحن حينما بعدنا عن هذا الطريق ضللنا فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا﴾(طه:١٢٤)، فما أحوجنا في هذه الأيام الى المحبة والسعادة والاخوة. وحيازتنا للسعادة تتم بحبنا لغيرنا كما وصف النبي ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد»(صححه الألباني).

محمد عاكف حبال - الكويت



إمام المرسلين خاتم النبيين

إذا تأملنا قصة سيدنا إبراهيم وخروجه بالسيدة هاجر ورضيعها اسماعيل عليهم صلوات الله، وتدبرنا كل احداثها وشخصياتها والمكان والتوقيت وترتيب الأحداث لخرجنا من وراء كل هذا بما يؤكد صدق رسالة ونبوة سيدنا محمد ﷺ.

إذن هذه الرحلة ما كانت الا وحيا وترتيبا وتدبيرا من الله العظيم سبحانه، ولم يكن أمام سيدنا ابراهيم وهاجر إلا الطاعة والامتثال كما أطاع إبراهيم ربه في كل ما سبق وفي كل ما ابتلاه به، وليس هذا النبي العظيم الذي يقصي ولده الرضيع، وهو من أثلج صدره وهو استجابة الله لدعوته بالذرية، وإنما هو الأمر الإلهي والطاعة النبوية.

ودليل عطف ابراهيم وشفقته وحنوه على اسرته انه عليه السلام قد دعا الله ان يجعل افئدة الناس تهوي اليهم وان يعمر المكان ويرزقهم الثمرات والخيرات بغير حساب، فاستجاب الله وأصبح الحج حلم كل مسلم، وما كانت الرحلة صدفة ولا لقسوة أو شيء من هذا القبيل، ولكنها تمهيد جميل منظم لميلاد أمة محمد ﷺ وما تفجرت زمزم إلا لري النواة المباركة (إسماعيل عليه السلام) لتكون في هذا المكان أعظم أمة أخرجت للناس، إذن الاسلام حق ومحمد حق والقرآن حق وكل ما جاء به حق والا ما كان كل هذا الترتيب الإلهي.

شادية محمد عبدالحليم - مصر

العالم في اهتزاز والمسلم في اعتزاز

كم هو رائع هذا الدين! وحق له على مر الأزمان ان يكون رائعاً فهو للباطل دافع وللحق شارع.

فان العالم اليوم يعيش الاعصار المالي الذي يهدد بكارثة عالمية ونكبة اقتصادية بسبب الرأسمالية المتوحشة والربا والقروض الجاهلية والرهون العقارية الجائرة وكلها لا تعرف معنى الرحمة أو الانسانية، بل كانت على شفا جرف هار فانهارت به.

بعكس المبادئ الاسلامية التي تحرم الربا والاستغلال والغبن في البيوع والمعاملات اليومية، ولو أتقنت الحكومات والشعوب معاملاتها الفقهية وتمسكت بها على مختلف الأزمنة والأصعدة التجارية لزهت اليوم أمام العالم بالتعاليم الربانية.

ولكن للأسف فالدول الاسلامية تسير في ركب الدول الأجنبية وتدخل كل جحر ضب خرب تدخله هذه الدول ولو على سبيل التسلية، في الوقت الذي يجب ان تكون سياستها واقتصادها بمنتهى الاستقلالية بعيداً عن اي تبعية.. انه اقتصاد الأمة المحمدية.

ناهد السيد شعبان - مصر

عام جديد.. وأمل جديد

لقد انصرم عام وأطل عام جديد، فالسنة الذاهبة التي مضت صارت آخر ورقة في نتيجة العام المنصرم، والتي ألقينا بها في غياهب النسيان، وما السنة الحالية الا واقع كان في الخيال، والانسان يركب عجلة الزمن من دون أن يعرف الى اي غاية يسير، والى اي هدف يتجه، وانسان اليوم يعيش سعيدا لأنه تسلح بالأمل الذي منحه الله إياه لكي ينتصر به على العوائق، كان ما مر به شر فانه يأمل في المستقبل الخير، وإذا كان ما مر به خير فإنه يأمل في المستقبل ان يزداد خيراً ويحقق طموحاته، والانسان يعلم علم اليقين ان المستقبل يأكل من عمره، وان الزمن يأكل من عمره ايضا، ويقاس عمر الانسان بالأيام السعيدة التي عاشها وذكرياته الجميلة التي اختزنها، وهكذا الحياة، فمادتها الزمن، فعام مضى واطل عام جديد، ويوم مضى وأطل يوم جديد، فالحياة امل، والأمل حياة، والأمل يدفعنا الى العمل والسعي والاجتهاد لنحقق النجاح في حياتنا، وبالأمل نستطيع ان ننهض بعد ان نقع، ونواصل السير بعد ان يجهدنا المسير، انه يتجدد على مر السنين، واذا لم يتحقق الامل نسجنا املاً جديداً، لا نسلم سلاحنا، ولا نرفع الراية البيضاء مستسلمين، ونظل في العام الجديد مسافرين تنقلنا سفينة الحياة بين احضان الموانئ، وتمر في العمر الليالي كالثواني، ونعيش دوماً في كنف الأماني، علينا ان نواجه الأيام بالأمل، واذا كان الإخفاق يقهرنا بتجدده، فإننا نقهره بالأمل الذي يتجدد بلا نهاية!



محمد شفيق سليمان - مصر



الذكرى الثالثة لتولي أمير البلاد مقاليد الحكم





تعيش الكويت في شهر فبراير من كل سنة أكثر من احتفال، ما بين الأعياد الوطنية، وذكرى جلوس أمير البلاد على كرسي الحكم، ومهرجان هلا فبراير فالاحتفال بالمناسبات والأعياد الوطنية يكرس الولاء والانتماء ويعبر عن مشاعر حب الوطن، ويكون مصحوبا بالفعاليات والأنشطة بمشاركة أجهزة الدولة ولعل الحدث الأبرز والاهم هو ذكرى تولي الأمير مقاليد الحكم لما عرف عنه من أنه رجل دولة وقائد من الطراز الأول وذو حنكة سياسية فذة وفعالة على المستوى العربي والعالمي، وجهوده واضحة لجعل الكويت مركزا ماليا واقتصاديا، حيث ظهرت، منذ توليه الحكم، الإنجازات التنموية على الشعب الكويتي بكل مؤسساته الحكومية والخاصة.

ويعد صاحب السمو الربان الذي يقود سفينة الكويت إلى بر الأمان لمصلحة الشعب الكويتي، فله العديد من الإنجازات قبل توليه مقاليد الحكم وبعده، وتنصب مساعيه لخدمة الشعب الكويتي في التنمية بأشكالها كافة، خاصة المشاريع المستقبلية التي تخدم الكويت وأجيالها القادمة،وأمير البلاد صاحب مواقف حكيمة واضحة، وأكبر دليل على ذلك القمة الاقتصادية التي ترأسها في الكويت أخيرا، وجاءت بحلول سياسية واقتصادية وإنسانية كثيرة، وهذا يدل على حكمته، فالقمة لم تكن اقتصادية فقط بل بحثت قضايا كثيرة، فقد كان ومازال، حفظه الله أميرا للمحبة والحكمة والكفاءة والإنسانية وله العديد من الإنجازات الكبيرة في مسيرة التطوير والتقدم لخدمة الكويت بتاريخها الكبير وإسهاماتها العظيمة ومواقفها الصلبة لمناصرة الحق، والمشهود لها بالنجاح محليا وخليجيا وعربيا ودوليا، فعلى الصعيد الداخلي بدأ سموه الإصلاح في مجالات عدة، منها أن الدولة بجوهرها السياسي دولة مؤسسات، فالتمسك بالمؤسسات على صعوبته في ثقافة سياسية انتشر فيها رفض الآخر، يعد تعزيزا للمواطنة، وتأكيدا للمشاركة في صنع القرار، وتعميقا للخصال الاجتماعية الحميدة التي تجعل المجتمع مجتمعا متحضرا تسوى أموره بالحسنى، وتقبل شرائحه الاجتماعية حل خلافاتها بالتراضي، وكان لسموه الاهتمام الكبير بتطوير التعليم، فكان المؤتمر الوطني للتعليم وتوصياته المختلفة، وحرص سموه في كل المناسبات التربوية والتعليمية على أن يكون حاضرا متابعا لأبنائه المعلمين والطلاب في مختلف درجات السلم التعليمي، كذلك شهدت الكويت في السنوات القليلة الأخيرة توسعا في بناء المستشفيات التي ما إن ينتهي بناؤها حتى تصبح البلاد ملاذا للطب الحديث، فقد تحقق لها كادر طبي وطني متميز، وهذا الإنجاز يعني أن الطب بجناحيه الوقائي والعلاجي سيكون متوافرا للمواطن والمقيم وبأعلى المواصفات الفنية الدولية.

هذا غيض من فيض من سيرة أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد وبعض الأعمال الإصلاحية التي تمت في عهده الميمون، إكمالا لمسيرة طويلة قام بها آباء الكويت المؤسسون حتى أصبحت الكويت دولة المؤسسات والإصلاحات.





النصر في ميزان الشرع



محمد علي الخطيب

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة كانت واقعة بئر معونة، وملخصها أن رسول الله ﷺ بعث سبعين شاباً من الصحابة القراء إلى أهل نجد، ليعلموهم الإسلام، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومأ إلى رجل منهم فطعن حرام بن ملحان بالحربة من خلفه فطلعت الحربة من صدره، فتلقى رضي الله عنه دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه، وقال «الله أكبر.. فزت ورب الكعبة» ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم عن آخرهم، فلم يفلت منهم إلا رجل واحد(١)، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا» فدعا النبي ﷺ أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله، ومن فضلاء الصحابة الذين قتلوا يوم بئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنهما، قتله جبار بن سلمى الكلابي، وأثر عن عامر أنه قال كلمة حرام عند الشهادة «فزت والله».

فزت ورب الكعبة!

هذا ملخص ما جرى في واقعة بئر معونة، وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما، ولست بصدد الكلام عنها.. لكني أتوقف عند قول حرام خال أنس لما قتل «فزت ورب الكعبة» وكذلك عامر بن فهيرة، وكثيرون يسألون: كيف فاز وقد قتل؟ وحق لهم العجب والإنكار، لأن علمهم سطحي، لا يتجاوز ظاهر الأمر، ويغيب عنهم باطنه وعواقبه كما قال عز وجل ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم -٧)، بل إن قاتل عامر وهو جبار بن سلمى الكلابي (٢) عجب له أشد العجب، وقال في نفسه: ما فاز؟ ألست قد قتلت الرجل؟! ويردد مقولة جبار اليوم كثير من الناس، ويقولون: كيف فازت غزة؟ ما فازت؟! أليس قد قتل منها وأصيب الآلاف، وأثخنت بالجراح، وقطعت الأطراف، وبقرت البطون، وقلعت العيون؟ ألم تهدم البيوت على ساكنيها؟ ألم تسو أحياء بالأرض حتى صارت أثراً بعد عين؟ ألم تقض عائلات نحبها لم ينج منها إلا طفل أو طفلة، أو لم ينج أحد؟ هل فاز نزار ريان وأربعة عشر نفراً من عائلته وقد مزقتهم آلة الحرب؟ ومن تدابير القدر اللطيفة أن جاء الجواب على لسان جبار بن سلمى نفسه، إذ سأل بعد واقعة بئر معونة: ما «فزت» التي قالها عامر؟ قالوا له: الشهادة والجنة.

فقال: فاز لعمر الله.

ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك!

وإذا كان جبار قد أنعم الله عليه بنعمة الإسلام ونعمة الفقه في الدين وعلم الباطن والنظر في العواقب فإن بعض الكتاب والصحافيين والمثقفين وما يسمون بالمحللين السياسيين والعسكريين ما زالوا عاجزين عن الارتقاء إلى هذا العلم الحقيقي، لغفلتهم وذهولهم عن حقائق الأمور ومآلاتها، وعن سنن الحياة ونواميسها وارتباطاتها، فتضطرب لأجل ذلك موازينهم، وتختل مقاييسهم وتقديرهم للأمور، ويضلون عن الحقائق الكبرى في هذا الوجود، ولذلك يسألون: ما معنى «انتصرت» التي تتغنون بها؟ وكيف؟

أصحاب الفوز الكبير

وقصة حرام تذكرنا بقصة

مدرس التربية الإسلامية بالكويت

أصحاب الفوز الكبير الذي ينتظر المؤمنين الذين اختاروا عقيدتهم على الحياة، وارتفعوا على فتنة النار والحريق كما ارتفع أهل غزة ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ (البروج:١٠-١١) وهو فوز كبير في ميزان الله لأن أصحاب الأخدود لم يتخلوا عن دينهم، وفوز باعتبار المآل والعاقبة والنجاة من عذاب النار في الآخرة وإن عذبوا بالحريق في الدنيا، فأين نار الدنيا من نار الآخرة؟ وأين حريق وإن كان بالفوسفور من حريق جهنم في شدته أو في مدته؟ وبالمقابل أيضاً، أين متاع العاجلة وزينتها الزائلة عما قريب من جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟ ولذلك فإن أكبر فوز كتبه الله لأهلنا في غزة- وهو فوز للأمة بأسرها- هو تمسكهم بحقوقهم وعدم إعطائهم الذلة لعدوهم، وبذلك رضي الله عنهم ورضوا عنه.

التجارة الرابحة

وأنتقل من الفوز الكبير في سورة البروج إلى الفوز العظيم في سورة الصف، وفيها يدعونا ربنا سبحانه إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة، ويستعمل القرآن لفظ التجارة المحبب إلى النفوس ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ (الصف:١٠-١٢) وهذه التجارة التي دلنا الله عليها وإن اقتضت النقص في المال والأنفس، وهي في اعتبار أهل الدنيا ونظر المحللين خسران، غير أنها في الميزان الشرعي تعتبر أربح تجارة، وهي كذلك حقاً، لأن المؤمن الذي يفقد حياته الدنيوية- وهي حياة قصيرة مهما طالت وهزيلة مهما انتفخت- ثم يعوض عنها بجنات عدن ومساكن طيبة، فإنه الفائز حقاً، وإنه لربح ضخم كبير أن يعطي المؤمن دنيا فانية ويأخذ الباقية، بل يجمع الله له بين لذة الدارين وسعادتهما، فهو وإن كان يطلب الآخرة الآجلة فإنه لا يحرم من لذة العاجلة ومتاعها القريب الذي تتعلق به النفوس، ولذلك وعدهم الله بها، فقال ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ (الصف: ١٣).

صور من التجارة مع الله

الربح الحقيقي

ولقد حددت سورة العصر الربح الحقيقي الذي غفل عنه كثير من أهل الدنيا، وتمثل في الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر:١-٣) فهذا هو طريق الربح وهذا منهجه ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين:٢٦)، أما الخاسر الأكبر فهم الكافرون الذين خسروا أنفسهم، كما وصفهم الحق سبحانه ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً...﴾ (النور:٣٩).

> **إذا ثبت المسلمون على دينهم مع القتل وتمسكوا بحقوقهم.. فهو في حساب الإسلام نصر عزيز وإن تأخر تحرير الأرض**

مفهوم النصر في الإسلام

إن مفهوم النصر في الإسلام ومرادفاته القريبة كالفوز والربح والنجاة مفهوم متميز ومختلف عنه في مفهومات الآخرين ومقاييس أهل الدنيا، فليس منتصرا ذلك الذي يحرز المعونات والمساعدات وبعض المكاسب والأرباح الآنية ليتخلى بالمقابل عن حقه أو بعض حقه، بينما عدّ القرآن نهاية المؤمنين في قصة أصحاب الأخدود نصرا، وسماه الله تعالى الفوز الكبير رغم أنهم أحرقوا بالنار ذات الوقود! وعليه فإن القتل الذي يستحر بالمسلمين اليوم هنا وهناك وفي فلسطين خاصة إذا ثبتوا معه على دينهم، وتمسكوا بحقوقهم، وعضوا عليها بالنواجذ هو في حساب الإسلام ومقاييسه نصر عزيز لا يضاهيه نصر وإن تأخر تحرير الأرض أو ارتفعت تكاليفه في الأنفس والأموال.

وإن المرء المسلم لتأخذ الدهشة بلبه كل مأخذ حين يرى بعض من يملكون زمام الأمر قد يئسوا من نصر الله، وارتابت قلوبهم، يولون وجوههم قبل عدوهم، ليلتمسوا منه الحصول على بعض حقوقهم ﴿كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ (الرعد:١٤). ألم يعلم هؤلاء أن الله تعالى نصر رسوله، وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار؟ ألا فليعلموا أننا لم ننتصر يوماً بعدد ولا عدة- وإن كان إعداد العدة واجباً شرعيا- وإنما نصرنا بهذا الدين، وانظر إلى حال العرب اليوم وتأمل، لم ينتصروا في تاريخهم المعاصر في معركة قط، ولم يستردوا أرضاً، ولم يستعيدوا حقاً رغم كثرة جيوشهم، ورغم صنوف الأسلحة التي كدسوها وأنفقوا عليها الأموال الباهظة، وذلك لأننا أبعدنا الإسلام عن معركتنا، وابتغينا العزة بغيره، وخضناها معركة قومية أو وطنية وتحت مختلف الشعارات والرايات الجاهلية والعصبية، وفرقنا الأمة شذر مذر، وطلبنا النصر من غير مصدره فأذلنا الله وخذلنا، وما نزال نتجرع مرارة الهزائم التي تتوالى على الأمة شرقاً وغرباً، وما لم نرجع إلى ديننا، وننصر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإن ما نزل بنا لن يرفع، بل لنرتقب ما هو أدهى وأمر، وقد قال الحق سبحانه ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد:١١).

بقي أن نقرر أن محنة غزة الأخيرة انقلبت بفضل الله إلى منحة ونصر وفتح وبشرى بكل المقاييس والاعتبارات العسكرية والسياسية والإعلامية والمعنوية والأخلاقية، وقد تناولها كثير من أهل الخبرة والاختصاص، وأفاضوا فيها، لكني أنبه إلى أعظم وجوه النصر وأخطر معانيه، لأنه لم يعط حقه، وهو أن القافلة كلها كانت تخطو إلى تيه وعماء، وأن الرايات كلها كانت جاهلية عمياء ترتفع للباطل وتنتصر للباطل ليس فيها راية واحدة للحق، لكنها الآن وللمرة الأولى في تاريخ معركتنا مع اليهود قد ارتفعت وامتازت، ووجدت الأمة التي تضامنت على حراسة الحق مزودة بزاد الصبر الجميل والثبات العجيب الذي رأينا صوره وأخباره في كل بيت، وفي كلمات ومواقف الشيوخ والنساء والأطفال.

العلامة الشيخ محمد بن علي المنصور في حوار خاص:

وحدة الأمة.. ضرورة لمواجهة كيد الأعداء

حوار: تمام الصباغ وعبادة نوح



أكد العلامة الشيخ محمد بن علي المنصور أن الأمة اليوم مطالبة بالأخذ بالأسباب الدنيوية، والحرص على توحيد الصفوف لمواجهة العدو الذي يحيك المؤامرات ليل نهار للتخلص من المسلمين.

وقال إن حرب الصهاينة الأخيرة على غزة أثبتت حقد اليهود وغدرهم ومكرهم وطبيعتهم المنتنة.

وأوضح ان الجانب التقني بات ضرورة ملحة لخدمة قضايا الأمة المختلفة لاسيما ان ايجابياته طغت على سلبياته.

ودعا الشيخ منصور الى أهمية توفير بيئة نقية خالية من الفتن والشهوات للحفاظ على العلم والعلماء مشدداً على ان العلماء والمشايخ هم ورثة الأنبياء في نقل كلام السلف الصالح.

«الوعي الإسلامي» التقت الشيخ على هامش زيارته للكويت للمشاركة في الملتقى الثقافي التي عقدته المجلة أخيراً.. واليكم نص الحوار:

■ **بداية نود معرفة مجالات المعهد العالي للقضاء في اليمن الذي تعملون فيه كعضو في هيئة التدريس؟**

- المعهد تابع للدولة ممثلة في وزارة العدل اليمنية، وخريجوه يعملون في المحاكم سواء في القضاء أو النيابة، ويدرس فيه حوالي ١٨٠ طالبا، ويتطلب دخول المعهد التخرج من أي جامعة بتقدير امتياز أو جيد جداً ليدرس ثلاث سنوات العلوم الشرعية والقانونية.

■ **القوانين في اليمن .. مدنية أم شرعية؟**

- القانون المدني القائم حالياً شرعي في كل المجالات، ومستمد من الشريعة الإسلامية، ولاتوجد أي علاقة له بالقانون الفرنسي أو البريطاني، كما ان الاحكام تعتمد على المذهب الحنفي بشكل واضح، مع اللجوء في الفترة الأخيرة للأقوى دليلاً سواء من الشافعية أو المالكية أو الزيدية.

■ **تعاني الأمة اليوم آثار مأساة العدوان الصهيوني الغاشم على غزة، كيف ترى هذا الأمر؟**

- يقول الله تعالى ﴿ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..﴾(المائدة: ٨٢)، فاليهود عرف عنهم منذ قديم الزمان حقدهم وغدرهم ومكرهم اللامتناهي، وهذه الحرب الشعواء من طبيعتهم المنتنة، ولكن أرى أن المسلمين لهم دور في هذا العدوان لتشرذمهم وتفرقهم، لذا فإن سبيل الخروج من هذه الأزمة وتبعاتها وحدة الصف المسلم واتحاد الدول العربية والإسلامية تحت لواء «لا إله إلا الله».

■ **ما واجب كل مسلم تجاه هذه القضية؟**

- المسلم مطالب بأن يمد يد المساعدة والتعاون والدعم المادي، إلى جانب التشجيع المعنوي ورفع الهمم والارادة.

■ **مارأيكم فيما أنجزته الكويت للأمة الإسلامية؟**

- الكويت لها دور رائد في خدمة قضايا الإسلام والمسلمين بداية من الموسوعة الفقهية الرائعة التي تأخذ من كل المذاهب في (٤٥) مجلدا والتي تعتبر هدية الكويت للعالم وانتهاء بالمشاريع التراثية الأخرى من حلقات الأسانيد والاستماع وغيرها.

كذلك لفت نظري تجربتها الفريدة في الاهتمام بالعلم الشرعي والحرص على طلب العلم في مختلف العلوم الشرعية.


الشيخ في الملتقى الثقافي


جانب من الحضور في الملتقى الثقافي

■ كيف ترون موضوع الاسانيد والاستماع الى المشايخ؟

- الموضوع في غاية الأهمية لما له من تأثير واضح في حفظ سنة نبينا محمد ﷺ وشريعته الغراء، بالاضافة الى ان هذا ورد عن النبي المصطفى ﷺ وصحابته والتابعين.

■ ما رأيكم في التطور التكنولوجي على الساحة الإسلامية؟

- الجانب التقني بات ضرورة ملحة في هذا العصر لخدمة قضايا الأمة المختلفة عبر الوسائل السهلة والبسيطة التي جعلت من العالم قرية صغيرة يسهل التواصل بينها.

■ اليمن معروفة بأنها غنية بالمخطوطات، فما هو مجال هذه المخطوطات؟

- يوجد عندنا ادارة للمخطوطات تعتني بهذا الجانب ولها مكتبات في أنحاء الجمهورية، حيث تهتم هذه المخطوطات بعلمي الأصول والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية.

■ كيف نحافظ على العلم والعلماء؟

- هذا الأمر يتطلب توفير بيئة نقية خالية من الفتن والشهوات، مع العناية أكثر بالمساجد والحفاظ على المشايخ باعتبارهم المصدر الأول لطلبة العلم وورثة الأنبياء في نقل كلام السلف الصالح.

■ يقول الغرب إنه تقدم بفعل فصل الدين عن الدنيا، فهل تأخر المسلمين سببه التمسك بالدين؟

- الإسلام دين القوة ودين الكرامة، وهو الحاكم الى يوم القيامة، لأن الله حافظه، ولكن ما فعله الغرب انحصر في أخذه لجميع الأسباب الدنيوية وهذا عكس ما قام به المسلمون اليوم.

ترجمة الشيخ

ولد فضيلة الشيخ محمد بن علي بن محمد المنصور سنة ١٩٣٥م.

تولى الشيخ حفظه الله إدارة المدرسة العلمية بالأهنوم والتدريس فيها من سنة ١٩٥٧م ثم صار عضواً في هيئة التدريس للدراسات العليا بالمعهد العالي للقضاء من عام ١٩٨٩ الى الآن.

وأخذ العلم عن جمع من أكابر اعيان وعلماء اليمن منهم والده الشيخ علي بن محمد المنصور والشيخ أحمد بن قاسم الشمط والشيخ عباس بن أحمد بن إبراهيم ومطهر بن يحيى الحكلاني ومحمد بن أحمد يحيى قطران، ويحيى بن حسن الغماري، ويحيى بن يحيى الأشول شيخ المدرسة العلمية بشهارة، وأحمد بن علي الطلحي، وحمود بن عباس المؤيد وأخذ الإجازة عن جماعة من أهل مكة وغيرها.

وقد أخذ الشيخ المنصور عن شيوخه علوم الحديث ورواية الكتب الستة بالأسانيد المتصلة من طريق شيوخه وكذا علوم العربية والفقه والتفسير، ومسموعات الشيخ للكتب الكبيرة كثيرة وقد فصلها في منظومة له.


الشيخ يتوسط الزميلين تمام الصباغ وعبادة نوح

شخصنة الفكرة وفكرة الشخصنة

حين نتأمل حال الأفكار في عالمنا الإسلامي نجدها تحولت- أو كادت- من مصدر للقوة والنهوض إلى مصدر للشقاق والجمود، رغم أننا نمتلك أفكارا تمثل المرجعية الهادية للبشرية، ولكن يبدو أن منهج تعاملنا مع هذه الأفكار يعاني من أزمات أدت إلى هذا التحول البغيض، من أجل هذا بات من المهم أن نتأمل في أحوالنا الفكرية وننظر إليها نظرة شاملة نراجع فيها خطواتنا ومناهجنا عن طريق إلقاء الضوء على بعض المشكلات التي تعانيها في عالمنا الإسلامي، حيث نبدأ ببحث مشكلة فكرية حقيقية وهي مشكلة «الشخصنة، شخصنة الفكرة»، فما حقيقة تلك المشكلة؟ وما أهم مظاهرها في عالمنا الإسلامي؟ وما مدى مساهمتها في تحويل خلافاتنا الفكرية الموضوعية إلى معارك شخصية؟ وهل من ضرورة أو فائدة تعود علينا من وجود شخص تتجسد فيه أفكارنا أم أن هذا يؤدي إلى مخاطر تجعلنا نتمهل في قبول هذه المسألة؟ وما موقف المرجعية الإسلامية من شخصنة الأفكار؟ وما الأسباب التي أدت إلى شخصنة الفكرة في بلادنا على الوجه الذي نلمسه جميعًا؟ وهل من سبيل لمعالجة حاسمة لتلك المشكلة؟



حازم ماهر

هذه بعض الأسئلة والإشكالات سنحاول أن نناقشها.. آملين أن نسهم في تقديم ما يساعد على إثارة الانتباه وشحذ الجهود للتخلص من هذا الداء الذي يمثل تحديا كبيرا يواجه الوحدة الفكرية المنشودة بين أطياف الأمة المختلفة.

ماذا نقصد بشخصنة الفكرة؟

نقصد بشخصنة الفكرة تحويلها من فكرة مجردة إلى فكرة مجسدة تتمحور في شخص معين، سواء سلبًا أو إيجابًا، أو ربط الفكرة بأمور شخصية خارجة عن موضوعها ومنهجيتها وأصولها وأدلتها، كالعواطف الإنسانية والمصالح السياسية والرؤى المذهبية.

وقد عرف المعجم الوسيط(١) الفكرة بأنها «الفكر والصورة الذهنية لأمر ما» فهي بطبيعتها أمر معنوي مجرد لا ترتبط بشخص أو بشيء خارجها إلا على النحو الذي يساعد على فهمها أو تفسيرها لا أكثر ولا أقل، فإذا اتصلت الفكرة بعالم الأشخاص أو بعالم الأشياء فهي لا تنتج- في الغالب- حضارة حقيقية إلا إذا ظلت منفصلة في الوعي عن الأشخاص، لا تموت بموتهم، ولا تتقلب مع تقلباتهم، وتبقى هي الحكم عليهم والميزان الذي توزن به أعمالهم.

ومؤدى هذا أن تجسيد الفكرة في شخص ما لا يعني بالضرورة وجود خطورة على الفكرة وتجريدها، بل قد يكون في تجسيدها إضافة قوية لها باعتبار أن حاملها يقوم مقام القدوة التي تؤكد على إمكانية تطبيق الفكرة وتحققها، إلا أن الخطورة تحدث حين يتم التبادل في ذهن الناس بين الفكرة المجردة والشخص الذي تجسدت فيه فتصبح الفكرة طوع تصرفات الإنسان، تُعرف به وتنتهي بتخليه عنها أو بموته، عندئذ تحدث المشكلة محل النقاش.

وشخصنة الفكرة قد تتحقق بربطها بشخص طبيعي (إنسان)، أو بشخص معنوي (حركة، جماعة، حزب، مؤسسة، شعب، عرق... إلخ)، ولا يُشترط أن يكون الشخص الطبيعي- الذي تتمحور حوله الفكرة- حيًا، أو أن يكون الشخص المعنوي موجودًا بل على العكس من ذلك، فقد يكون موت الإنسان، خاصة استشهاده، سببًا في تقديس أفكاره وجعله معيارا عليها، ويعتبر المخالف لرأيه فيها أو لمنهجه بشأنها خارجًا على الفكر الصحيح نفسه، وكارهًا بل محاربًا لهذا الإنسان، أو عكس ذلك كله إذا كان صاحب الفكرة من المغضوب عليهم أو الضالين- في نظر المشخصين- فتُحتقَر أو تُبخَس أفكاره الغث منها والثمين!

مظاهر الشخصنة

يجب علينا أولا أن نؤكد على حقيقة بالغة الأهمية في الموضوع الذي نحن بصدده، ألا وهي أن مرض «شخصنة الفكرة» ليس مرتبطا بعالم المسلمين وحده، بل هو مرض يعاني منه الناس في العالم أجمع ولكن بنسب متفاوتة، فالغرب- على سبيل المثال- يعاني من أنه يجعل من نفسه محور الكون ومركزه، وأن الحكمة متجسدة في الرجل الأبيض وحده، وأن أفكاره معيارية بالنسبة لما ينتجه العالم كله من أفكار، بل إن الآخر نفسه لا يعتبر موجودًا إلا إذا اكتشفه الغربيون!

ومن نماذج الشخصنة كذلك خارج العالم الإسلامي ما يتعلق برؤية اليهود لأنفسهم على أنهم شعب الله المختار، وزعمهم أن الله سبحانه قد فضلهم على العالمين واختارهم ليكونوا أصفياءه من دون خلقه، لا لصفات موضوعية فيهم ولكن لذواتهم، ولهذا فلم يروا إلا أنفسهم وقالوا ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا

● باحث في المركز العالمي للوسطية

فِي الأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ﴾(آل عمران: ٧٥) فحرموا الظلم وسوء الخلق بينهم فقط وأحلّوه في تعاملهم مع غيرهم، فربطوا القيم بذواتهم ومصالحهم وكأنهم هم المعيار عليها!

أما عن عالمنا الإسلامي فعلى الرغم من تميزه عما عداه فإنه يئن هو الآخر تحت وطأة الشخصنة، ونورد هنا بعض أعراض هذا الداء الدفين الذي لم يسلم منه كثير من المسلمين:

١- الجمود على الموجود وتسييد التقليد

فالربط بين أخلاق الأولين وتقواهم وبين ما توصلوا إليه من أفكار من أعظم الأسباب وراء التهيب من مخالفتهم في الأفكار التي انتهوا إليها حتى لو كان الأولون أنفسهم قد بدلوا فيها في حياتهم ونهوا عن تقليدهم، ولو علم المقلدون والداعون إلى التقليد أن الأفكار ليست وليدة البر والتقوى(٢) والتقارب الزمني من عصر النبي ﷺ فقط، بل هي نتاج عوامل كثيرة تختلف باختلافها وتتأثر بوجودها، ومنها الظروف والأحوال والأشخاص والأزمنة والأمكنة... إلخ، ولو أدركوا أن الأولين على عظم قدرهم يخطئون ويصيبون لأنهم ليسوا معصومين لعلموا أن في تقديس أفكارهم وشخصنتها ظلم لأنفسهم بل ولأصحابها لأنهم ما كانوا ليرضوا أن توضع أفكارهم في غير الموضع الذي أرادوا، أو أن يتسبب التمحور حول أفكارهم في فوات تحقيق مصالح المسلمين بعد أن كانوا ينشدون منها تحقيق تلك المصالح في الدنيا والآخرة فيما لا يخالف نصوص الشريعة ومقاصدها.



٢- تحويل خلافاتنا الفكرية إلى معارك شخصية

فجعل الفكرة مرتبطة بالأشخاص يحول الحوار الموضوعي حول الفكرة إلى سجال شخصي قد يتحول إلى معارك شخصية تستخدم فيها أسلحة التدمير الشامل لمعنويات المختلفين، وتكفي نظرة واحدة إلى عدد من البرامج الحوارية في بعض القنوات الفضائية لنعرف مدى ما وصلنا إليه من انحدار في كيفية إدارة الحوار حتى لا يكاد ينتهي الحوار الهادئ إلا وقد تعارك المتحاورون بالأيدي قبل الألسنة، وقد حدث قريبًا أن اختلف بعض علماء المسلمين ومفكريهم حول قضية فكرية معينة بشكل علني، لأنهم غالبًا ما يختلفون في الأماكن المغلقة بشكل موضوعي لا يؤثر على علاقاتهم الودية فيما بينهم، فما كان من تلامذة وأتباع هؤلاء وأولئك إلا أن حولوا الاختلاف الفكري الموضوعي إلى خلاف شخصي، وهاجم كل منهم الآخر، وأخذ يشكك فيه وفي أغراضه، وصوره على أنه عميل لهذه الدولة أو تلك، أو أنه من المؤلفة قلوبهم، متناسين أن أولئك العلماء والمفكرين المختلفين أصحاب تاريخ نقي شامخ قضوه في خدمة دينهم وأمتهم، وأنهم حتى لو أخطأوا في موقفهم في تلك القضية فهي زلة العالم أو كبوة الجواد.

٣- جعل الفكرة المشخصنة لا الحكمة المجردة كأنها ضالة المؤمن

فعلى الرغم من أن ديننا الحنيف أمرنا بأن نتبع الحكمة المجردة من أي مصدر جاءت «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» (الترمذي)، فإننا بتجسيد هذه الفكرة جعلناها ضالتنا، ففكرة الإصلاح- على سبيل المثال- شخصنّاها، وبتنا ننتظر المهدي المنتظر، وصلاح الدين الأيوبي، ومجدد القرن... وانشغلنا بالأشخاص عن القيمة نفسها، وبالأماني عن العمل، وبالتقليد عن الإبداع، وبالقعود والانتظار عن الجهاد، وأصبح الإصلاح المشخصن ضالتنا.

والأمر نفسه بالنسبة للفساد فأصبح هو الآخر ينحصر في شخص الحاكم أيا كان، وظن البعض أن طريق القضاء على الفساد يكمن في التخلص من الحاكم، فأصبح التخلص منه في ظنهم وكأنه ضالة المؤمن، وقد وقع بالفعل أن قام ثلة من هؤلاء باغتيال أحد الحكام للسبب نفسه، ففوجئوا أن الفساد من بعده زاد واستشرى.

٤- غياب الفكر المؤسسي

فشخصنة الفكر أودت بنا إلى فكر الشخصنة، فأصبحت الشخصنة سمة أساسية، ليس في فكرنا وحده، بل في حياتنا العملية كذلك، فغاب الفكر المؤسسي، وكادت تنعدم مؤسسة الفكر، فماتت أفكار بموت أصحابها، وتبعثرت جهودنا العلمية والفكرية لعدم وجود مؤسسات تقوم بالرعاية والإشراف عليها، وإذا وجدت المؤسسات تشخصنت قيادتها، وتشخصنت معايير الالتحاق بها حتى بات المعيّنون فيها من أهل الثقة والقرابة لا من أهل القدرة والكفاءة والأمانة، وإذا تغير القائد أو المدير تغيرت كل السياسات والأفكار بل وتغير الأشخاص، حتى وصلنا إلى «شخصنة الدولة» نفسها، على حد تعبير المستشار طارق البشري.

مخاطر الشخصنة

أ - بالنسبة لإضعاف الفكرة فلم يكن مالك بن نبي مبالغًا حين ذكر- في كتابه «الصراع الفكري في البلاد المستعمرة»- الفارق بين الفكرة المجسدة والفكرة المجردة، وأكد ضعف الأولى وهوانها إلى أن تتجرد، وقوة الثانية ما لم تتشخصن، فأشار إلى أن الاستعمار (وشقيقه الاستبداد) يسهل عليه القضاء على الفكرة المجسدة عن طريق استعمال القوة ضد صاحبها أو إغوائه، على عكس المجردة التي يجد صعوبة هائلة في القضاء عليها، فيحاول شخصنتها من جديد حتى يتمكن من التخلص منها أو تشويهها.

والشخصنة تعوق إثراء الفكرة في جو طبيعي تتلاقح فيه الأفكار وتتبادل فيه الآراء، كما تحجب عنها الاجتهاد الموضوعي الذي يطرحها طرحًا يركز على المحتوى والمضمون، فتقع في أسر الشكلية والتقليد الذي يجمدها أو يبتعد بها عن مقاصدها أو قيمها مما يؤدي بها إلى أن تمسي أفكارا ميتة لا حياة فيها، أو تبقى شعارا تنطق به الألسنة دون أن تغوص في القلب أو تُصدَّق في الواقع، وإن غاصت أو صُدِّقَت فإنها تكون كالقطار الذي ينطلق بسرعة ولكن بعيدًا عن قضبانه أو عن هدفه الذي يرنو إليه فينطلق إلى حتفه.

ب- بخصوص المشخِّصين فإنهم ينقسمون إلى طائفتَين

أولا: الشخصنة بالتقديس

فالذين تتمحور حولهم الفكرة قد ينخدعون ويظنون أنهم ما داموا أبدعوا الفكرة أو لفتوا النظر إليها فقد باتوا أوصياء عليها، فيصبح من يعبر عن رؤية أو وجهة نظر مخالفة معتديا طاعنا في شخصهم متطاولا عليهم، فينافحون ويفتخرون، ويوجهون تلاميذهم فيحتشدون، فيظلمون المخالف الذي ما أراد إلا الوصول إلى الحق، ويظلمون تلاميذهم بجعلهم يجاهدون في المعركة الخطأ، ويظلمون أنفسهم بالكبر الخفي أو تضخيم الذات على حساب الموضوع، أو بالاستسلام للمدح والثناء على حساب تقبل النقد البناء.

ثانيًا: الشخصنة بالتبخيس

وعلى العكس ممن تجسدت فيهم الفكرة بالمدح والتقديس والثناء يكون حال من تم شخصنة الفكرة فيهم بالقدح والتبخيس، فقد تضعف ثقتهم بأنفسهم وبأفكارهم فيتخلوا عنها على الرغم من أنها قد تكون صحيحة نافعة فاعلة ناجعة، ولكن المقاومة الشديدة لأفكارهم والنقد الهدام لها يؤثر عليهم بالسلب، كما أنهم قد لا يجرؤون- أصلاً- على الإعلان عن أفكارهم لكونها أفكارًا تجديدية قد يفقدهم الإفصاح عنها احترام الناس لهم، ويؤدي إلى التشكيك فيهم وفي دينهم، فيؤثرون السلامة- حسب ظنهم- ويكتفون بكتمانها في الصدور لتموت معهم.

وأما الطائفة الثانية، فهم الذين يبتلون بتشخيص الفكرة المجردة فيخلطون في الحكم عليها بين الاعتبارات الموضوعية المتعلقة بالفكرة، والمشاعر الشخصية تجاه قائلها، أو يحددون موقفهم منها بمدى تحقيقها لمصالحهم الشخصية الدنيوية، المادية منها والمعنوية، وهؤلاء من أكبر الخاسرين، لأنهم بذلك قد يتخلون عن أفكار صحيحة كانت كافية لتقدمهم لولا بغضهم لقائلها، وقد يتبنون فكرة خاطئة لمجرد أن صاحبها من المقربين.

مرض الشخصنة ليس مرتبطاً بالمسلمين فقط .. بل يعاني منه العالم أجمع ولكن بنسب متفاوتة

المرجعية الإسلامية

من الممكن أن نقول مطمئنين: إن المرجعية الإسلامية ترفض منذ بدئها شخصنة الفكرة، ولن نجد عناء في ذكر النماذج المؤكدة على ذلك من نصوص القرآن الكريم ومن السنة النبوية، ومن سنة الخلفاء الراشدين المهديين على النحو الآتي:

١- مبدأ التوحيد

فمن مقتضيات التوحيد رفض وجود واسطة بين الإنسان وربه أو وجود وصاية من أحد على المسلم «لا كهنوت في الإسلام»، فليس في الإسلام واسطة بين العبد وربه يتجسد فيها الإسلام وتعطي صكوكا للغفران، وقد ذم القرآن بني إسرائيل والنصارى لأنهم ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾(التوبة: ٣١)، ولهذا فلا يوجد في الإسلام طبقة تسمى بـ «رجال الدين»، بل هناك أهل ذكر لا يختلفون عن غيرهم إلا في أنهم تفرغوا للعلم الديني ودرسوه وتخصصوا فيه، وهو أمر متاح لمن سعى وأراد، وأهل الذكر ليسوا حكما على الدين بل الإسلام حكم عليهم بنصوصه ومقاصده وقيمه، والكهنوتية في حقيقتها هي شخصنة للدين في نصوصه وقيمه ومبادئه المجردة في أناس يحتكرونها من دون الناس ويقيمون أنفسهم حكما عليها وميزانا توزن به.

٢- التمييز بين الرسالة وشخص النبي ﷺ

ونجد الأمثلة على ذلك كثيرة:

أ - فالرسالة لم يكن اسمها المحمدية- على نسق المسيحية مثلاً- بل تم تسميتها باسم الفكرة ذاتها وهي الإسلام، فهذا فصل كامل بين العقيدة (الفكرة)



وبين حامليها من الناس والرسل وغيرهم من الأشخاص على رفعة قدرهم ومقامهم عند الخالق سبحانه. ولهذا أطلق د.محمد فتحي عثمان على الدولة الإسلامية- بحق- مفهوم «دولة الفكرة» واعتبرها الدولة الوحيدة في التاريخ التي قامت على الفكرة المجردة وحدها.

ب - ويرتبط بما سبق أن القرآن استنكر أن يرتبط إيمان المسلمين بالإسلام بوجود النبي الخاتم ﷺ، فيرتدوا عن العقيدة بمجرد وفاته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾(آل عمران: ١٤٤).

ج - ربط الإسلام خيرية الأمة الإسلامية بتحقق شروط موضوعية على عكس ما يعتقد اليهود على النحو الذي أشرنا إليه سلفًا، فالمسلمون خير أمة أخرجت للناس إذا ما توافرت فيهم الشروط الموضوعية التي أوجزتها هذه الآية الكريمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾(آل عمران: ١١٠)، فخيرية الأمة الإسلامية فكرة مبنية على أسباب موضوعية لا شخصانية عرقية.

اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار وزعمهم أن الله اختارهم ليكونوا أصفياءه من دون خلقه .. من نماذج الشخصنة

أسباب الشخصنة

الأسباب الخلقية

١- الغيرة والحقد

فقد تؤدي غيرة الإنسان أو حسده أو حقده على صاحب الفكرة أو من طرحها إلى رفض فكرته والسخرية منها، على الرغم من أنه في داخله يعلم أنها فكرة صحيحة وصالحة فإن حقده يجعله يشخصنها ويهاجمها.

٢- التعصب

فالمتعصب لا يرى إلا رأيه أو رأي من يحب، ويعتبره صوابًا لا يقبل الخطأ، ورأي غيره خطأ لا يقبل الصواب، ومن هنا تتشخصن عنده الأفكار فيقبل- مثلا- الفكرة التي تصدر من جماعته أو تياره أيا كانت ضحالتها، ويرفضها ممن يخالفه ولو كانت فكرته بالغة الصحة والأهمية، والعجيب أن الفكرة الواحدة إذا طرحت ممن يتعصب ضده رفضها، وإذا طرحت بعد ذلك ممن يتعصب له قبلها وقد يكيل لها المدح والثناء، وهذا أمر مشاهد وملحوظ في الواقع للأسف الشديد.

الأسباب النفسية

١- ضعف الثقة بالنفس

فإن الإنسان إذا ضعفت ثقته بنفسه سلم قياده لغيره وذاب في فكره، ومن هنا تأتي مشكلة القبول الشامل لفكر غيره ممن يحوز ثقته ليعوض بها المشخصن القصور في إيمانه بقدرته العقلية على التمييز بين الأفكار الحسن منها والسيئ.

٢- الإعجاب والافتتان

فالإنسان إذا أعجب بإنسان وافتتن به وقع في أسره فلا يرى فيه عيبًا ولا يتصور منه خطأ، وقد رأينا من يفتتن بعالم الفقه فيأخذ منه الحديث ويكذب المحدثين إذا خالفوه، ورأينا من يعتبر المفكر فقيها، والعالم الشرعي خبيرا في علم السياسة ويعرف فيها أكثر من أهلها، وقد يكون الإعجاب والافتتان بالذات وليس بالغير، فيصاب المفتتن بنفسه بداء شخصنة أفكاره واعتبار أنه بات وصيا عليها ليس من حق أحد أن يخالفه فيها أو حتى يناقشه ويجادله.

الأسباب العقلية (الفكرية)

١- الجهل

فالجاهل لا يدرك حقيقة وخطورة تجسيد الفكرة أو محورتها حول إنسان يصيب ويخطئ ويعتريه النقص ولا تُؤمَن فتنته أو يضل وينسى، أو يخضع لهواه فيشقى.. فلو أدرك ذلك حقيقة لكان أشد حرصا على التمييز بين الفكرة وبين مبدعها أو الداعي إليها من الناس، ولكنه- بجهله- يظن أنه بهذا أبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب، وأحوط له من إعمال عقله القاصر، فيتبع الفكرة- مثلاً- لمجرد صدورها عن مؤسس جماعته جاهلا حقيقة أنه لا أحد من البشر يحتكر الصواب فكل بني آدم خطاء.

٢- الخوف المبالغ فيه على الإسلام أو على قيمه ومقاصده نعم قد يكون هذا دافعا حقيقيا للمخلصين لدينهم يؤدي بهم إلى شخصنة الأفكار، فهم قد يناصرون العالم المسلم ضد المفكر العلماني خشية افتتان العوام بالآخرين، فيحقرون أفكار الأخير كلها ولو صدق بعضها، ويعظمون أفكار العالم جميعها ولو لم يصح بعضها، وهكذا...

معالجة الشخصنة

قد يتوقع القارئ أن نطرح رؤية حاسمة في معالجة الشخصنة وأن نرسم له خريطة طريق للتخلص من هذا الداء، كما أنه قد ينتظر أن نعالج ما أوردناه من أسباب لها واحدا تلو الآخر، ولكننا نعتذر له عن ذلك، ونقرر أننا لا نملك حلولا سحرية، إذ إن الشخصنة داء متأصل فينا، أسبابه عديدة، معقدة، متداخلة، ولذا لم نوردها جميعًا بل أشرنا إلى بعضها فقط





آملين أن نتوسع فيها في موضع آخر، ولكننا سنشير هنا إلى بعض السبل التي نعتقد أن الوعي بها والعمل على تفعيلها يمثل خطوات مهمة في سبيل القضاء على هذا الداء الخطير:

١- التربية على التمييز بين الأشخاص والأفكار

يجب أن نربي أنفسنا على عدم تقديس الأشخاص، وأن يكون تركيزنا فقط على الفكرة ومدى صحتها، وأن نفصل بين الفكرة وقائلها فلا يجرمننا شنآن قوم على ألا نعدل، ولا يدفعنا حب أو ود أو مصلحة إلى عدم الأمانة في التعامل مع الفكرة والتنادي بصلاحيتها وعمقها على تفاهتها لمجرد أن صاحبها من أولي القربى، يجب أن نربي أنفسنا على أن قوله تعالى ﴿... فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾ (الأنعام: ١٥٢) ليس موجهًا فقط للحكم بين الناس، بل هو شامل كذلك للحكم على أفكار الناس فلا نظلمهم بتقديس أو تبخيس في غير محله.

٢- تنقية الصدور مما يوغرها

يجب أن نغرس في أنفسنا سلامة الصدر فلا نحمل غيرة أو حقدا لأحد أيا كان مسلما أو غير مسلم، لأن الأخلاق لا تتجزأ، والمسلم مأمور بها في كل حال ومع كل الناس المفسد منهم والمصلح، لأنه ليس إمعة، فهو يعامل الناس بأخلاقه لا بأخلاقهم، ويحسن إليهم ولو أساءوا إليه، فيفعل الخير في أهله وفي غير أهله لا يريد منهم جزاء ولا شكورا، ومن فعله الخير أن ينصف في فهمهم ولا يحمل كلامهم على محامل شخصية لا موضوعية.

٣- تدعيم الثقة في النفس

يتعين علينا أن نثق بأنفسنا دون عجب أو افتتان، نثق في أنفسنا لأننا مكرمون من خالق الكون، حبانا بنعمة العقل وحملنا الأمانة لننظر ماذا سنفعل، فلا يجوز لنا بعد هذا أن نهدر نعمته ونستغني عن عقولنا ونسلمها لمخلوق آخر ليشكلها لنا كيفما شاء، واهمين أنه امتلك الحق وحده، وكأن عقله مخلوق من مادة أصلح من التي خلقت منها عقولنا، فنحن لم نعدم التمييز والإدراك ولا ينقصنا سوى بذل الجهد المعرفي المطلوب لتمحيص الأفكار وتبيان السقيم فيها من الصحيح والأولى بالترجيح، لا وفقا لشخص قائلها ولكن وفقا لعناصر الفكرة ومنهجها وفاعليتها.

٤- التوعية بفقه الاختلاف وآدابه

يجب نشر ثقافة الاختلاف وآدابه بين الناس والتي من أهمها التركيز على الموضوع لا الأشخاص، وأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وهذا في الأساس موجه إلى الدعاة والعلماء والأعلام ووسائل الإعلام، فهم الذين يشكلون الوعي ويبنون الوجدان.

٥- تجنب المبالغة في الخوف على الإسلام

فالإسلام قوي بذاته، لا يطلب منا أن نركز جهودنا كلها في الدفاع عنه، بل يعلمنا أن الأولى من ذلك أن نلتزم بأوامره، وننتهي عما نهى عنه، أن نتحلى بقيمه ونَعِي مقاصده، أن نحيا به ونموت في سبيله، إذا فعلنا ذلك فلن يكون هناك ما يضطرنا إلى تزيين الباطل وإبطال الحق بحجة نصر من ينصر ديننا، فالإسلام لا يعترف بأن الغاية-دائمًا- تبرر الوسيلة، فهو يضع شرطا أساسيا هو أن تكون الوسيلة مشروعة وملتزمة بقيم الإسلام ومبادئه، ومن أهمها ما أمرنا الله به في قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

هوامش

١- مادة: «فَكَرَ».

٢- قد يدفع البعض بأن هذا قد يتعارض مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾(البقرة ٢٨٢)، وقوله جل شأنه: ﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(الفرقان: ٢٩)، غير أنني أوضحت في المتن أن التقوى تدخل ضمن العوامل التي قد تتوقف عليها صحة الفكرة، ولكنني آخذ بالتفرقة بين صحة الفكرة وصلاحيتها، فالفكرة قد تكون صحيحة وصالحة في عصرها وفي العصور التالية، ولكنها لم تعد صالحة للتطبيق في زماننا - رغم صحتها- لتغير العوامل التي أشرنا إليها مثل تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال..إلخ.



سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

حب الوطن في قلبي

لقد فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على حب الوطن الذي عاش فيه وترعرع في أكنافه وصار سجية في قلب كل إنسان على بقاع الأرض، يشعر من خلاله بالسعادة الغامرة والأنس الجميل وصدق قول الشاعر:

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم خطرت لهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ولعل حب الرسول ﷺ لوطنه خير شاهد لذلك، حين قرر كفار قريش قتله في مؤامرة دار الندوة، وعندما خرج الرسول ﷺ من مكة لم يكن كارها لها، بل ودعها بكلمات رقيقة «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» (ابن عبدالبر، حسن صحيح)، وكذلك كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يحنون إلى مكة بعدما قدموا المدينة ووجدوا فيها من الإيواء والمؤازرة ما شهد القرآن لأهله شهادته الخالدة ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر-٩)، فكان بلال وقد أصابته حمى المدينة ينشد هذه الأبيات:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

ومهما اضطر الإنسان إلى ترك وطنه فإن حنين الرجوع إليه يبقى معلقا في ذاكرته لا يفارقه، وهذا ما حصل للشعب الكويتي إبان الغزو العراقي الغاشم في التسعينيات عندما غادر من غادر وبقي من بقي، فقد استشعرنا فعلا حب الوطن والحنين إليه، وعرفنا قيمة الأرض التي نعيش فيها، وأكرمنا الله سبحانه وتعالى بأنواع النعم المختلفة فأغدق علينا من الرزق الحلال، وجعل بلادنا آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان، وكبت أعداءنا، وأجاب دعاءنا، وها نحن اليوم نعيش في حياة هنيئة وعامرة وآمنة، وإنها لمنة عظيمة أن يرزقك الله الأمن الذي يستوجب الشكر، وكما قال الله تعالى ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم... ﴾(إبراهيم-٧).

وليعلم كل مواطن مخلص أنه حارس لهذا الوطن ومرابط على ثغر من ثغور الأمة، فانظر إلى مكانك والدور المطلوب منك، ولا تسكن حتى تؤدي واجبك دون تهاون أو تقاعس، واجعل عملك وهمتك مسخرة في خدمة الوطن، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

وفي الختام نسأل الله أن يحفظ أميرنا وولي عهده الأمين وولاة أمور المسلمين وأن يرزقهم البطانة الصالحة، وأن يجعل هذا البلد آمنا مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

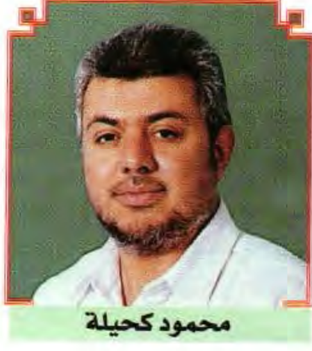
آراء العقلاء في خـ

نبي الرحمة محمد ﷺ

﴿ومـا أرسلـنـاك إلا رحمـة للعالمين﴾ (الأنبياء: 107)، بهذه الآية الكريمة خاطب الله رسوله محمداً ﷺ وخط له معالم الطريق بكل تفاصيلها وجزئياتها، فقد كانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين في العقائد والعبادات والأحكام والتشريعات .. رحمة للعالمين في حماية حقوق الإنسان في السلم والحرب .. رحمة لكل الأعراق والأجناس، فلقد جعل ﷺ ميزان التفاضل بين البشر التقوى، ﴿إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: 13) فلا نسب ولا حسب ولا جاه ولا سلطان يخرج عن هذا الميزان الالهي الذي جاء به ﷺ، لقد كان كلامه قصيراً يفهمه كل من يسمعه، وكانت سيرته من خلال سنوات حياته نبراسا يضيء لأجيال الأمة على مدار الزمان طريق عرشها وريادتها وسؤددها، ان هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا تحت عنوان «نبي الرحمة» يضم بين دفتيه عددا من المقالات عن هذا النهج النبوي الكريم الذي نحن في أمس الحاجة إليه للنهوض من كبوتنا وأزماتنا.

والله الهادي إلى سواء السبيل

إعداد : تمام الصباغ


محمود كحيلة

كتّاب الأمم وفنانوها ومفكروها هم قلبها النابض ورأسها القائد وعقلها المدبر الذي يوجهها الى ما فيه تقدمها ورقيها وفلاحها ونجاحها ونهضتها وصلاحها.

وتعطل العقل المدبر والرأس المفكر عن التدبر والتفكر يؤدي الى التراجع والتخبط والجنون، كما حدث لأولئك الذين دفعهم عدم الاتزان الى المبادرة الى فعل ما سرعان ما ارتد ندماً وحسرات عليهم، وهي الاساءة لمن لم يعترضهم من المسلمين ونبيهم الذي لا يستحق ازاء ما له من فضل على الانسانية الا الصلاة والسلام عليه.وفعل الاساءة الى نبي الإسلام ﷺ، والذي تورط فيه بعض أبناء الغرب من دون وجه حق وبلا منطق وبأساليب قميئة وسافرة، أقل ما يمكن ان تقضي به العدالة الطبيعية في شأنه ان ترتد شرور ما اقترفوا ذلاً وحسرات عليهم، فعلى الباغي تدور الدوائر، هذه حقيقة مجربة.

يتجه العقلاء من ذويهم الى البحث المخلص بدافع الفضول عن ماهية المساء إليه وهو سيدنا وحبيبنا ونور قلوبنا محمد ﷺ، وعن طبيعة الرسالة التي تكبد كل مشقه في سبيل تبليغها وهي دين الإسلام، فتكون النتيجة دائماً مزيداً من المسلمين وبوادر تحقق ذلك نفاد جميع نسخ القرآن الكريم من مكتبات البلدان التي حملت لواء الريادة في تعمد الاساءة الى محمد ﷺ، وبالتالي مزيداً من القلوب ستنضم الى رابطة محبيه عليه الصلاة والسلام وتتأكد رسالتنا «على الباغي تدور الدوائر».

تشغل مسألة الشتم والسب جانبا من التاريخ الإسلامي بدأ في حياة الرسول ﷺ الذي كان في قومه الصادق الأمين، حتى جهر بالدين فانهالت عليه (صلاة الله وسلامه عليه) الاساءة بكل الطرق المكنة وهو يتلقاها بالصبر والحكمة والحرص التام على ألا يتورط بدعاء الله ان ينتقم ممن آذاه، وظل على صموده حتى أوصل الرسالة وأدى الامانة ورفع الله به الإسلام الى أعلى مكانة، ومن حوادث التابعين ما كان من الرومان في عهد عبدالملك بن مروان ٧٣-٨٦هـ الخليفة الأموي الذي اكتشف ان القراطيس المعمولة في الأواني والثياب، عليها شعار يرمز الى الشرك فقال: «ما أغلظ هذا في أمر الدين الإسلامي» فكتب الى عامله في مصر حيث تعمل بإبطال ذلك الطراز واستبداله بـ «أشهد أن لا إله إلا الله» ووصل ذلك الى ملك الروم فغضب، وكتب الى عبدالملك يقول: «إن أبطلت فإنك تعلن بذلك أن كل من تقدمك من الخلفاء كانوا على خطأ» وأرسل له مع التوجيه كثيراً من الهدايا ورجاه أن يرد ذلك الطراز الى ما كان عليه، فلما رد عبدالملك الهدايا كتب اليه الرومي مجدداً «أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أو لآمرن بنقش شتم نبيك على الدنانير والدراهم التي لا ينقش شيء منها الا في بلادي..».

فما كان من عبدالملك بعد قراءة الرسالة إلا أن جمع أهل الرأي واستشارهم، فقال أحدهم: «إن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما يُهددك به صاحب الروم في رسول الله ﷺ» واتفقوا على أن الخروج من الأزمة يكون باستقطاب صناع الدراهم والدنانير ليضعوها في ديار المسلمين، وينقش على أحد وجهيها سورة التوحيد وعلى الوجه الآخر ذكر رسول الله ﷺ، وأن يُجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يُضرب فيه والسنة التي ضرب فيها، ولم يفعل ملك الروم ما هدد به، لأنه لم يعد يتحكم في حاجة من حاجات المسلمين وبدلاً من أن ينتصر خسر مصدراً مهما من مصادر تحكمه في معيشة المسلمين، والعاقبة عندنا بأمر الله لأنه على الباغي تدور الدوائر، وسجل التاريخ ان عبدالملك بن مروان هو أول من صك العملة العربية الإسلامية.

...ـاتم الأنـبيـاء محـمـد صلى الله عليه وسلم

ومع ذلك فإن سلسلة الاعتداءات على سيرة الهادي الكريم لن تنتهي طالما استمر تقدم مسيرة الإسـلام، ومن الخطر أن تتوقف، لأن ذلك يعني أنه لاخوف من الإسلام، وهذا بفضل الله وبلا جهد منا مستحيل، لذلك علينا فقط أن نستعد لمواجهة أي اعتداء على السيرة العطرة بالثقافة الدينية الملتزمة بالمنطق والموعظة الحسنة لإجابة من يهتم من المسلمين وغيرهم بالبحث عن الحقائق التي جعلت قلوب الكثير من الناس تتجه كل يوم نحو الإسـلام بلا حول ولا قوة من المسلمين الذين يمرون بواحدة من أسوأ مراحل ضعفهم و تراجعهم بسبب تشتتهم وتفرقهم على عكس ما أمروا به بقوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً..﴾(آل عمران: ١٠٣).

والمطالع لحكايات انضمام هـؤلاء المسلمين الجدد يرى أنها حدثت لأجل الإسـلام ذاته، ذلك الدين القيم المنعّم أهله بنعمة الانتساب إليه، تلك النعمة التي يحسدهم عليها غيرهم فيلجأون الى الشتم والتحرش والهجوم بهدف زرع الشك والبغضاء والحقد في قلوب مواطنيهم الفارين الى الإسلام، لكن لن ينالوا ما يبغون لأنهم ﴿يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(الأنفال:٣٠)، وسترتد عليهم آمالهم آلاما وينالوا ما لا يحبون.

وقد تنبأ الكاتب المسرحي الايرلندي الشهير برنارد شو بما سيجري من إقبال الغرب على الإسلام بقوله «إن العالم أحوج ما يكون الى رجل في تفكير محمد ﷺ هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة - يعني أوربا-».

وقد تحققت النبوءة، حيث ذكرت أحدث الدراسات الاستراتيجية الغربية ان أوروبا تخشى سيطرة المسلمين عليها خلال أقل من نصف قرن.

أما برنارد شو فبسبب شهادته عن الرسول ﷺ منع كتابه «محمد» من التداول في بريطانيا لأنه كتب فيه أيضاً: «إن رجال الدين في القرون الوسطى ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكني اطلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت الى انه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب ان يُسمى منقذ البشرية، وفي رأيي انه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن من السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

ولأجل شهادة الحق هذه، ورغم منع تداول بعض كتاباته استمر المفكر الكبير برنارد شو في الانطلاق نحو النجاح وكُللت جهوده الأدبية والفكرية بالحصول على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٦، لأن ربنا سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن العمل، وإن كان من غير المسلمين.

وفي شهادة المفكر الفرنسي لامارتين عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام يقول: «إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة فمن ذا الذي يجرؤ أن يُقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد ﷺ في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت، لكن هذا الرجل لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الامبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط وانما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ، ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأفكار والمعتقدات الباطلة، لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر من الله».

لامارتين : بالنظر الى مقاييس العظمة البشرية أود أن أتساءل: هل هناك أعظم من النبي محمد - عليه الصلاة والسلام؟

وأسهب لامارتين في وضعه لما اعتبره من أسباب عظمة رسول الله محمد ﷺ ثم اختتم كلماته قائلاً: «.. بالنظر الى مقاييس العظمة البشرية أود أن أتساءل: هل هناك أعظم من النبي محمد - عليه الصلاة والسلام؟».

وفي شهادة الفيلسوف والزعيم الهندي غاندي عن محمد ﷺ يقول: «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع بأن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول ﷺ مع دقته وصدقه في الوعود وتفانيه وإخلاصه لاصدقائه واتباعه وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف..».

كثيرة هي شهادات اهل الرأي والحكمة من أعلام الغرب وما اخترناه هو أقل القليل وبقدر ما يسمح المقال، والعبرة بالواقع الذي يشهد زيادة مستمرة في اعداد المسلمين بعد ان سطعت شمس الإسلام وغمرت بنودها الأرض فبددت الظلمات ولن يقدر كائن من كان ان يُطفئ نور الله الذي قال في كتابه الكريم ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾(الصف: ٨).

وإنهم بما يفعلون ليسوا إلا أدوات يوظفها الخالق لإظهار دينه لرفد الإسلام بمزيد من المسلمين واحاطة محمد ﷺ بمزيد من الاتباع المخلصين من ابناء الشتامين ومن أزواجهم وزوجاتهم حتى تزداد فجيعتهم ويُصبحوا على ما ارتكبوا من إثم نادمين، ولعلهم يتدبرون حكمة الخالق سبحانه وتعالى.

الانتساب لأمة محمد ﷺ

(الواقع والمأمول)

يقول الناظم:
وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

من السهل أن يدعي المرء انتماءه لمنهج، أو لجهة، أو لكون، أو لدين، لكن من الصعب اثبات مثل هذه الدعوى حين المطالبة بالدليل، والأمة الإسلامية اليوم، وقد جاوز عدد سكانها المليار ونصف، كلهم يدعون الانتماء الى هذه الأمة، وحق لهم الادعاء، ولهم الفخر بذلك، لكن القاعدة المشهورة تقول: «إن كنت مدعيا فالدليل وان كنت ناقلا فالصحة»، فكيف اذن يمكن تقديم دليل على مثل هذا الأمر المعنوي الكبير؟ والأمة اليوم تعيش زمن القبض على الجمر، زمن الفتن والبلايا والمحن، زمن يحتاج المرء ان يسرق منه لحظات، يسائل فيها نفسه عن موقعه من الاعراب، عن نسبه وانتمائه، قبل ان يوقف ويسأل، فمن أعد العدة - والجواب عن أي سؤال قادم هو نوع من العدة - فهو قادر على السير بخطوات ثابتة، وقادر على مواجهة تحدي السؤال، ومن الاجابة تأتي هذه الباقة من النصوص لتقدم السؤال، وتجيب عنه، تجيب عن حقيقة الانتساب وشروطه واقعا وأملا.

أولا: مفهوم الانتساب وحقيقته

النسب نسب القرابات وهو واحد الأنساب، والنسبة والنسب القرابة، وقيل هو في الآباء خاصة، وقيل النسبة مصدر الانتساب، وجمع النسب أنساب، وانتسب واستنسب ذكر نسبه، ويقال للرجل اذا سئل عن نسبه أستنسب لنا، اي انتسب لنا حتى نعرفك، ونسبت الرجل انسبه بالضم نسبة ونسبا اذا ذكرت نسبه، وانتسب الى أبيه اي اعتزى (١).

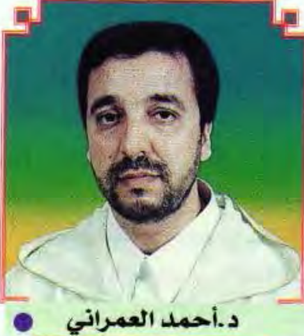
والنسب والنسبة ضربان، نسب طولي كالاشتراك بين الآباء والأبناء، وعرضي كالنسب بين الاخوة الاعمام»(٢)، وانتسب: انتمى واعتزى وادعى وتنحل وانتحل (٣).

وهي معان ومفاهيم بعضها من بعض، وكلها تروم مقصدا واحدا، وهو الانتماء الى أمة، سواء كان انتماء صحيحا ام مدعى به فقط.

والنسب الحقيقي، نسب الدين ونسب الاتباع والتسليم، وليس الانتساب الاسري لعدم نفعه يوم الدين، لقوله تعالى في سورة هود مخاطبا نبي الله نوحاً عليه السلام لما اشتكى مصير ولده ﴿يا نوح انه ليس من أهلك﴾(هود: ٤٦). وقول النبي ﷺ «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(صحيح مسلم).

وزاد النبي ﷺ الامر بيانا بما رواه عنه ابوهريرة قال «لما انزلت هذه الآية ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾(الشعراء:٢١٤) دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي، انقذوا انفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، انقذوا انفسكم من النار، يا بني عبدشمس، انقذوا انفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب، انقذوا انفسكم من النار، يا فاطمة انقذي نفسك من النار، فاني لا أملك لكم من الله، ان لكم رحما سأبلها ببلالها»(صحيح مسلم).

والأمة المنتسب اليها هي امة محمد ﷺ، الأمة الخاتمة، وتنتسب الى النبي ﷺ انتسابا عاما وخاصا، فكل من جاء بعده وآمن به فهو من أمته التي سينافح عنها غدا يوم القيامة كما ورد في حديث الشفاعة، الذي يبين حاجة الناس الى شفيع، ولجوءهم الى جمع من الانبياء والمرسلين الى ان وصلوا الى النبي محمد الأمين حيث يقول ﷺ في ذلك «فأوتى فأقول انا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا اقدر عليه الآن يلهمنيه الله، ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتي أمتي» (صحيح مسلم).



د.أحمد العمراني

ونحن من انعم الله علينا بالاسلام وأكرمنا بالايمان بهذا النبي الأمين، دون بحث او سؤال، اولى الأمم باتباعه، لتتحقق فينا حقيقة النسبة، وحتى لا يتبرأ منا يوم القيامة كما أخبر ﷺ بقوله «ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه،



● مفكر إسلامي مغربي



بلى والله ان رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، واني يأيها الناس فرطكم على الحوض، فاذا جئتم قال رجل: يا رسول الله انا فلان بن فلان، وقال آخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: فأما النسب فقد عرفته ولكنكم احدثتم بعدي وارتددتم القهقرى» (رواه أبويعلى ورجاله رجال عبدالله بن محمد بن عقيل وقد وثق، انظر المجمع: ٠١/٤٦٣).

ثانيا: الرسول المنتسب اليه

اذا علمنا لمن ننتسب، وجب علينا بدءا التعرف على هذا النبي الكريم الذي سنسأل عنه في أول يوم من عالم البرزخ - كما أخبرنا ﷺ حينما قال: «... فتأتيه الملائكة فيقولون من ربك؟ قال: فيقول الله، فيقولون ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولون: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول رسول الله، قال فيقول: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء ان صدق فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وأروه منزله من الجنة، قال: ويمد له في قبره ويأتيه روح الجنة وريحها قال فيفعل ذلك بهم...» (المستدرك على الصحيحين).

- كما يجب علينا ايضا ان نتعرف على فضله وفضائله وما خصه الله به، لنعرف حقيقة هذا الانتساب واهميته.

نسبه الشريف

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب (واسمه شيبة الحمد) بن هاشم بن عبدمناف (واسمه المغيرة) بن قصي ويسمى (زيدا) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهذا قدر متفق عليه من نسبه الشريف، اما ما فوق ذلك فمختلف فيه، ومما لا يخالف فيه ايضا ان عدنان من ولد اسماعيل عليه السلام، فقد روى مسلم عن النبي ﷺ قال: «ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم» (صحيح مسلم).



وجبت النبوة للنبي ﷺ وآدم بين الروح والجسد

- وعن المطلب بن وداعة قال: قال العباس: بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس، قال: فصعد المنبر فقال: من أنا؟ قالوا: انت رسول الله، فقال: انا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا» (صححه الألباني).

التأريخ لنبوة محمد ﷺ

وجبت النبوة للنبي ﷺ وآدم بين الروح والجسد حيث روى أبوهريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد» (سنن الترمذي وصححه الألباني).

وقال ﷺ: «إني عبدالله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري، دعوة أبي ابراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام» (مسند احمد).

صفة النبي ﷺ

كثير من الناس يدعون رؤية النبي ﷺ وهم لم يطلعوا على وصفه وصفته، ومعرفة ذلك دليل من أدلة محبته والشوق الى معرفته، وقد وردت جملة نصوص تحدثنا عن صفته ﷺ منها:

ما رواه الامام علي رضي الله عنه حيث قال: «كان رسول الله ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس واللحية، شثن الكفين والقدمين مشرب وجهه بحمرة طويل المسربة ضخم الكراديس اذا مشى تكفأ تكفؤا، فكأنما انحط عن صبب لم ار قبله ولا بعده مثله ﷺ» (مسند احمد).

وفي رواية: «كان رسول الله ضخم الرأس عظيم العينين هدب الأشفار مشرب العين بحمرة كث اللحية أزهر اللون إذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صعد واذا التفت التفت جميعا (مسند احمد).

اختياره العبودية لله

نبي ورسول خاتم، لأمة خاتمة، اختار العبودية والرسالة بدلا من الملك ليتمثل خصلة من الخصال التي وصفه الحق بها في قوله سبحانه ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران: ١٥٩)، إنها خصلة التواضع، حيث روى لنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل الى النبي ﷺ فنظر الى السماء فاذا ملك ينزل، فقال جبريل: ان هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل، قال: يا محمد أرسلني اليك ربك، قال: أفملكا نبيا يجعلك او عبدا رسولا قال: جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبدا رسولا» (مسند احمد).

البشرية والايمان بالنبي الخاتم

يقول الله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥)، ويقول سبحانه ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقد أخبرنا النبي ﷺ في حديثه الصحيح بأن مصير من لم يؤمن به سيكون حتما النار حيث قال «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان

من اصحاب النار»(رواه مسلم).

وزنه وزن أمته

- عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال: رأيت قبيل الفجر كأني اعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهذه التي تزنون بها، فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فوزنت بهم، فرجحت، ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فوزن، ثم جيء بعمر فوزن بهم فوزن، ثم جيء بعثمان فوزن بهم ثم رفعت»(مسند احمد).

وهو خليل الله

عن النبي ﷺ قال «إني أبرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وان صاحبكم خليل الله عز وجل»(صحيح مسلم).

هو لبنة التمام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فانا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»(متفق عليه).

ميلاده وتركته أمان للأمة

قال رسول الله ﷺ «أنزل الله علي أمانين لأمتي ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾. فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة» (مسند احمد وسنن الترمذي)، وقال ﷺ «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»(مسند احمد).

كل تصرفاته مع الأمة خير لهم

قال ﷺ: «اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته أو شتمته أولعنته أوجلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»(صحيح مسلم).

اكثرهم تابعا

قال ﷺ «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي كان أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة (متفق عليه).

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «عرضت علي الأنبياء الليلة بأممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة، والنبي ومعه النفر والنبي وليس معه أحد، حتى مر علي موسى معه كبكبة من بني إسرائيل، فأعجبوني فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيل، قال: قلت: فأين أمتي؟ فقيل لي: انظر عن يمينك، فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال، ثم قيل لي: انظر عن يسارك، فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقيل لي: أرضيت؟ فقلت: رضيت يارب، قال: فقيل لي: إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، فقال النبي: فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفا فافعلوا، فإن قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون، فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله يارسول الله أن يجعلني من السبعين، فدعا له، فقام رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: قد سبقك بها عكاشة، قال: ثم تحدثنا فقلنا: من ترون هؤلاء السبعون الألف؟ قوم ولدوا في الإسلام لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون (مسند أحمد).



كثير من الناس يدعون رؤية النبي ﷺ وهم لم يطلعوا على وصفه وصفته ومعرفة ذلك دليل من أدلة محبته

الشفيع ذو الدرجة الرفيعية

روى عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة (صحيح مسلم).

فضل محبته

فمحبته تقتضي محبة كل عمل يقرب إليه، وقد قال ﷺ «من أشد أمتي حبا لي ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو يعطي أهله وماله بأن يراني» (مسند أحمد) ولنحرص أيضا على الصلاة عليه لصلاة الله وملائكته عليه فإن لها فضلا لا يسكت عنه.

قال ﷺ «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» (مسند أحمد).

وقال أيضاً «من صلى علي مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات» (مسند أحمد).

وقال «ما من مسلم يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة ما صلى علي، فليقل العبد من ذلك أو ليكثر» (صحيح ابن ماجة).

الهوامش

١- لسان العرب مادة نسب.
٢- التعاريف للمناوي: ١/٦٩٦.
٣- كتاب الالفاظ المؤتلفة للطائي الجياني: ٧٧٢/٦٠٠هـ، بتحقيق محمد حسن عواد.

في يومك الميمون

إلى سيدي رسول الله ﷺ في ذكرى مولده

عبدالغني أحمد الحداد

إليك في يومك الميمون تنطلق
أشواقنا أنت فيه النور والألق
أتيت يا بهجة الأرواح ترفعنا
إلى عوالم بالإيمان تأتلق
منك ابتدا عالم بالطهر مزدهر
تصبو إليه المعالي منه ننطلق
إليك قد يممت ارواحنا ومضت
على طريق الهدى والنور تستبق
أتيت فانطفأت أحقادهم ومضوا
على طريق الهدى في نوره انطلقوا
حررتهم من إسار الجهل فابتدروا
يبنون بالعلم دنياهم وقد سبقوا
تلك الحضارة شادوها وقد صنعوا
من المعارف ما يسمو. إليه رقوا
في سفر سيرتك الغراء معجزة
من المبادئ فيها الحق مؤتلق
من أين أبدأ لا أحصي عوارفها
فكل سام بها يهدى. له السبق
فالحب أنت. وأنت العدل رافعه
ورحمة من سناها الخير ينبثق
أنت الرؤوف فكم أسديت من نعم
أنت الرحيم سما من هديك الخلق
وأنت جئت لهذا الكون مرحمة
وجاء دينك عدلا ليس يستبق
ألم تحرر بني الإنسان من سفه
ومن ضلال. ومن شر به سبقوا
في يوم ذكراك تأتينا مواجعنا
عذرا فأمتنا في الحزن تحترق
تكالبت أمم شتى تمزقها
وتستبيح حماها والدجى حنق
تمزقت أمة قد كنت رائدها
الى التوحد. هذا جمعها مزق
وريحها ذهبت من بعد عزتها
ومزقوها ففي أعماقنا حرق
وربنا قال في التنزيل: واعتصموا
فآه مما عراهم هاهم فرق
فأين مسراك والأقصى تدنسه
صهيون فالقلب مما فيه يحترق
فقل لهم سيدي عودوا لوحدتكم
وحطموا من قيود الذل ما الفقوا
لا درب للعز إلا درب دعوتكم
على هداها فسيروا للعلا انطلقوا

ثاني المساجد التي تشد إليها الرحال.. المسجد النبوي

مجدي إبراهيم

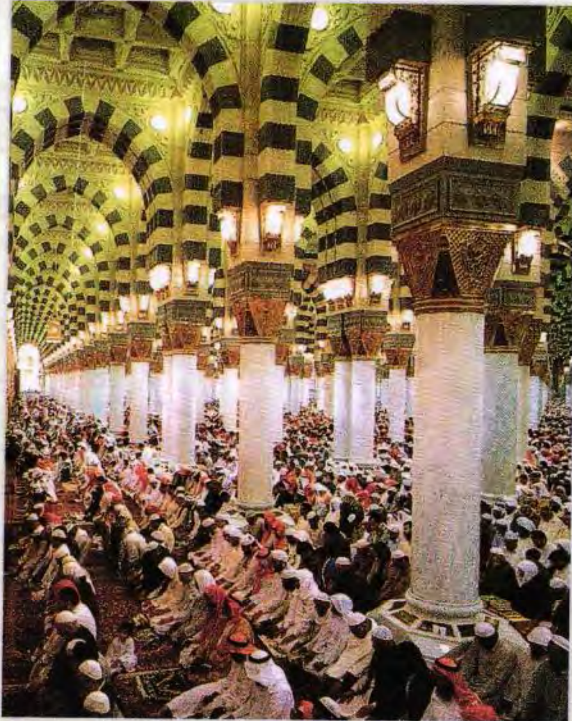
يحتل المسجد النبوي الشريف مكانة عظيمة وأهمية كبيرة في التاريخ والحضارة الإسلامية عامة، وفي تاريخ المدينة المنورة والعمارة الإسلامية خاصة، فهو ثاني المساجد التي تشد اليها الرحال، أسسه النبي ﷺ عندما قدم الى المدينة مهاجراً، فكان اول لبنات الدولة الإسلامية التي امتدت شرقاً وغرباً وعم نورها جميع الأرجاء.

كان المسجد النبوي مقراً للحكم في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، وكان ملتقى اهل الرأي والمشورة من اصحابه، وكان منطلق الأحداث الحاسمة في التاريخ الإسلامي، واتخذت فيه قرارات غيرت مجرى التاريخ، وكان نواة المدينة المنورة وقلبها وأهم مكوناتها تأثيراً ووجوداً، إذ شكل تكوين هذه المدينة وتأثرت بمجالاته خطتها واتجاهات نموها، فالتف حول عمرانها يكتنفه ويحميه، واتجهت إليه شوارعها وحاراتها، وتداخلت معه أحياؤها واصبحت بوجوده فيها مذكورة مشهودة، كما كان لنبض حلقاته ومجالسه العلمية الدينية أثر كبير في منحها مركزها الديني المتميز بين سائر المدن العربية والإسلامية.

ومن جهة اخرى يمثل علامة بارزة في تاريخ العمارة الإسلامية عامة وعمارة المساجد خاصة، فقد كان تخطيطه النموذج الاول من نوعه، وهو النموذج الذي انتقل مع الاختلاف في بعض التفاصيل والمفردات الى انحاء العالم الإسلامي، وقد اصطلح على تسميته بالتخطيط التقليدي، او التخطيط العربي، وغير ذلك من المصطلحات، وفضلاً عن ذلك يعد المسجد النبوي الشريف ثاني المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال، والصلاة فيه افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام، ومن ثم فهو محط آمال تهفو إليه قلوب المسلمين، وتتجه اليه افئدتهم من كل حدب وصوب، رغبة في الاجر وطمعاً في الثواب، لذا يود كل مسلم ان يتعرف على اهمية هذا المسجد التاريخية والحضارية وفضائله وآدابه وعمارته ومعالمه وتوسعته، ومن هنا حظي بالعديد من الدراسات في شتى المجالات.

اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً

بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة الى المدينة، كانت اول خطوة اتخذها هي بناء المسجد ليتلقى فيه الناس تعاليم الإسلام، وفيه تعقد الالوية للحروب والغزوات، وفيه تتم كل الامور الخاصة بهذه الدولة الناشئة، بركت ناقة النبي في مكان كان مربدا لغلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة، فقال: هذا ان شاء الله المنزل، وقال: اللهم انزلنا منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين، وابتاعه منهما ثم بناه مسجدا، كان المكان مربعا طول ضلعه مائة ذراع، ويذكر انه كان اقل، امر النبي باللبن فضرب، وبالاساس فحفر ثلاثة اذرع، ثم رفع البناء باللبن فوق الارض سبعة اذرع، وجعلت قبلته الى بيت المقدس، وجعل ثلاثة أبواب: باب في مؤخرته، وباب يقال له باب الرحمة، والباب الثالث هو باب آل عثمان، وقد شارك النبي ﷺ أصحابه في بناء المسجد وكان ينقل الحجارة بنفسه حتى يرغب المسلمين في العمل، فعمل معه المهاجرون والانصار، ودأبوا في العمل، ويذكر السمهودي ان اساس المسجد بني بالحجارة، ثم رفعت الجدران بعد ذلك باللبن، وان الجدران قد بنيت اولاً بالسميط (لبنة على لبنة)، ثم بنيت بعد ذلك بالسعيدة (لبنة ونصف لبنة، والذكر والانثى لبنتان مختلفتان، وهي الطرق الثلاث التي بني بها مسجد رسول الله ﷺ بالمدنية)، ولم يكن للمسجد في بداية الأمر سقف، فأمر النبي ﷺ بعمل ظلة من ثلاثة صفوف من الأساطين، بكل صف ست أساطين، ويذكر أن أساطين المسجد كانت من جذوع النخل وأن سقفه كان جريداً وخوصاً، ويذكر أن المسجد قد جعلت قبلته تجاه بيت المقدس من حجارة منضودة بعضها على بعض، وجعلت حيطانه باللبن وعمده من جذوع النخل، وقد ظلت القبلة متجهة نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم حولت الى الكعبة قبل غزوة بدر بشهرين، حينما نزلت الآية الكريمة: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾(البقرة: ١٤٤)، وقد أقيمت قبلة ثانية في



القصة الكاملة لبناء وتوسعة المسجد النبوي منذ بناه النبي ﷺ وحتى نهاية العصر العثماني

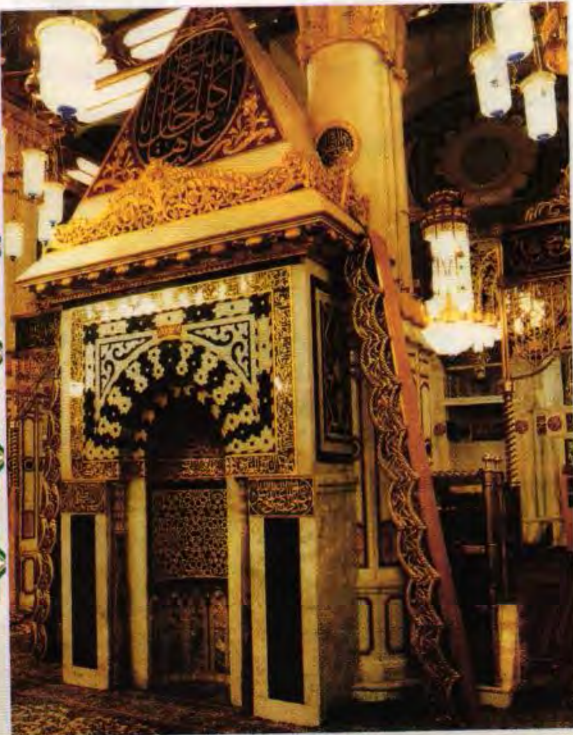
المسجد من جهة الكعبة، وبقيت القبلة الاولى مكاناً لاهل الصفة (المساكين والفقراء والغرباء ممن لا مأوى لهم ولا أهل، وكانوا ينزلون في مؤخرة المسجد حتى يراهم الاغنياء فيجودون عليهم) وكان بين القبلتين رحبة واسعة، ولهذا سمي المسجد بمسجد القبلتين، وكان رسول الله ﷺ قد ألحق بالمسجد بيتين لزوجته عائشة وسودة رضي الله عنهما على بناء المسجد نفسه، من لبن وجريد النخل، ولما تزوج بنى لنسائه حجراً، وهي تسعة بيوت، اختلف الرواة في تحديد مكانها، وان كان معظمهم قد رجح انها بشرق المسجد، وبعد سبع سنوات ضاق المسجد على المصلين، فعزم النبي ﷺ على زيادة مساحته، واشتراها عثمان بن عفان فوسعها في المسجد، ونستخلص من حديث السمهودي نقلاً عن ابن زبالة ان المسجد قد زيد من جهة الشرق حتى الاسطوان الذي يلي القبر، وان حجرة عائشة (قبر الرسول ﷺ) قد اصبحت منطقة ملتصقة بالمسجد بعد زيادة سنة ٧ هـ، اي انها قبل هذه الزيادة كان يفصلها عن الجدار الشرقي للمسجد شارع عرضه عشرة اذرع، تم اضافته للمسجد سنة ٧ هـ، على اثره اصبحت حجرة عائشة ملتصقة به، اي ان المسجد كان منعزلاً عن حجرات زواج الرسول ﷺ، وهو ما ينفي مزاعم المستشرقين الذين ذكروا ان المسجد لم يكن سوى جزء من بيت الرسول ﷺ، وقد تمت توسعة المسجد من ثلاث جهات، فزيد في المسجد من جهة الشرق عشرة أذرع واسطوانة، ومن جهة الغرب عشرين ذراعاً واسطوانتين، ومن جهة الشمال ثلاثين ذراعاً، فأصبح ذرع المسجد قريبا من مربع طول جدار القبلة فيه تسعون ذراعاً، ومنه الى جدار المؤخرة مائة ذراع، وكانت تمتد في ظلته حينذاك ثلاثة صفوف بكل صف تسع سوار من جذوع النخل.

المسجد النبوي في عهد الخلفاء الراشدين

نخرت جذوع النخل في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجددها ووضع مكانها جذوعاً اخرى وسقفها بالجريد، ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كان الناس قد كثروا في عهده، وضاق بهم المسجد، فاشترى عمر ما حوله من الدور - الا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين - ولما هدم دار العباس بعد تصدقه بها على المسلمين ليوسع عليهم في مسجدهم، وسع عمر المسجد، وبناه باللبن والجريد. وذكر السمهودي ان عمر بن الخطاب قد جعل امتداد المسجد من القبلة الى الشام (اي من الجنوب الى الشمال) مائة واربعين ذراعاً، ومن المشرق الى المغرب مائة وعشرين ذراعاً، وموضع هذه الزيادة من جهة القبلة عشرة أذرع، وزيد من جهة القبلة عشرة أذرع، تكون الزيادة من جهة الشمال ثلاثون ذراعاً، اما الامتداد من الشرق الى الغرب فلم يزد فيه من جهة الشرق، وعلى هذا الاساس تكون الزيادة من جهة الغرب فقط عشرين ذراعاً او ثلاثين، ويكون طول المسجد مائة واربعين ذراعاً، وعرضه مائة وعشرين ذراعاً، وله ظلة قبلة مكونة من اربع بلاطات يفصلها اربعة صفوف من السواري، بكل صف اثنتا عشرة سارية (كان المسجد قبل الزيادة طول قبلته تسعون ذراعاً، وبكل صف ظلته تسع سوار، اي ان المسافة بين كل سارية وسارية عشرة اذرع، ثم زيد في عهد عمر بن الخطاب فأصبح طول قبلته مائة وعشرين ذراعاً، وبالتالي زيدت الاعمال اثني عشر عموداً في كل صف) وفي سنة ٢٩هـ -٦٤٩م، شكا الناس الى عثمان ضيق المسجد يوم الجمعة حتى انهم يصلون في الرحاب، فشاور عثمان اهل الراي فأجمعوا على ان يهدمه ويزيد فيه، فصلى الظهر بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: «ايها الناس، اني قد اردت ان اهدم مسجد رسول الله ﷺ وازيد فيه، واشهد لسمعت رسول الله يقول: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»(أبونعيم في حلية الأولياء) وقد كان لي فيه سلف وامام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب كان زاد فيه وبناه، وقد شاورت اهل الرأي من اصحاب رسول الله فاجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه»، فحسن الناس يومئذ ذلك ودعوا له، فاصبح فدعا المعمار وباشر ذلك بنفسه، وامر بالقصة (الجص) المنخولة تعمل ببطن نخله، وكان اول عمله في شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخل هلال المحرم سنة ثلاثين - فكان عمله عشرة اشهر، وقد زاد عثمان المسجد من جهة القبلة ومن جهة الشام (الشمال) ومن جهة الغرب، اما الجهة الشرقية فلم يزد فيها شيئا، بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده حجارة منقوشة وبها عمد الحديد فيها الرصاص وسقفه ساجاً وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه ثلاثين ومائة ذراع، وجعل ابوابه ستة أبواب على ما كانت عليه في عهد عمر رضي الله عنه، هي باب عاتكة المعروف بباب الرحمة، وباب النساء، وباب السلام، وباب النبي المعروف بباب جبريل، وبابان في مؤخرة المسجد، وكان عثمان رضي الله عنه أول من عمل المقصورة بالمسجد باللبن، وكانت فيها كوى ينظر الناس منها للإمام، وقيل انه عمل المقصورة خوفا من الذي اصاب عمر، وهي مقصورة صغيرة.

المسجد النبوي في العصر الأموي

ظل المسجد النبوي بعد زيادة عثمان سنة ٢٩ هـ بدون زيادة، حتى كان عهد الوليد بن عبدالملك، وكان عمر بن عبدالعزيز عامله على المدينة ومكة، فبعث الوليد الى عمر بمال وقال له: «من باعك فأعطه ثمنه، ومن ابى فاهدم عليه واعطه المال، فان أبى أن يأخذه فاصرفه الى الفقراء.. واستعمل عمر صالح بن كيسان على هدم المسجد وبنائه، فهدمه في سنة احدى وتسعين، وبناه بالحجارة المنقوشة وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء والمرمر، طلبها من ملك الروم، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب، وهدم حجر ازواج النبي ﷺ فأدخلها في المسجد، أما عن اطوال المسجد بعد زيادة الوليد، فقد اصبح طوله من الشمال الى الجنوب مائتي ذراع، حيث زيد من جهة الشمال حوالي اربعين ذراعاً، اما عرضه من الشرق الى الغرب



كان مائة وخمسة وستين ذراعاً، ومن جهة الشمال مائة واربعين ذراعاً، وذلك الفارق نتيجة لميل الجدار الشرقي للمسجد جهة الغرب، حيث جعله عمر بن عبدالعزيز منحرفاً جهة الغرب حتى لا يكون قبر الرسول أمام المصلين في الظلة الشرقية، وقد ذكر ابن هشام ان عمر جعل للمسجد حين بناه اربع منارات، في كل زاوية منارة، وايده في ذلك السمهودي، ووصفها نقلا عن ابن زبالة، اما عن تاريخ ابتداء وانتهاء العمارة فقد ذكر ان بدايته كانت سنة ثمان وثمانين، وانتهاء بنائه كان سنة احدى وتسعين على الأرجح.

المسجد النبوي في العصر العباسي

وظل المسجد على حاله بعد زيادة الوليد الى ان هم أبوجعفر المنصور بالزيادة فيه، الا انه توفي ولم يزد فيه كثيراً، حتى زاد فيه المهدي الذي حج سنة ستين ومائة وقدم الى المدينة، فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة احدى وستين ومائة، وامره بالزيادة فيه، وولى بناءه عبدالله بن عاصم بن عمر بن عبدالعزيز، وعبدالملك بن شبيب الغساني، فمات ابن عاصم فولى مكانه عبدالله بن موسى الحمص، وكانت زيادة المهدي من ناحية الشام (الشمال) حوالي خمسة وستين ذراعاً، ولم يزد من جهة الجنوب (القبلة) ولا الشرق ولا الغرب، وقد استقرت حدود المسجد الشمالية عند هذا الحد منذ ذلك التاريخ، وخفض المقصورة وكانت مرتفعة قدر ذراعين عن ارض المسجد، فوضعها على الارض على حالها اليوم (اي القرن السابع الهجري) وقيل ان المهدي زخرف المسجد بالفسيفساء شأنه في ذلك شأن الوليد، واصبحت أبواب المسجد بعد زيادة المهدي اربع وعشرين باباً، منها: اربعة في القبلة خاصة غير عاملة، وعشرون عامة، وثمانية في المشرق، وثمانية في المغرب، واربعة في الجهة الشمالية، وانتهى البناء سنة ١٦٥هـ. ويصف لنا ابن جبير حال المسجد بعد بناء المهدي له فيقول: «كان مستطيلاً تحف به من جهاته الاربعة بلاطات مستديرة به، ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى، والجهة القبلية بها خمس بلاطات مستطيلة من غرب الى شرق، والجهة الجنوبية بها خمس بلاطات ايضا على الصفة المذكورة، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات، والجهة الغربية بها اربع بلاطات وبالمسجد مائتان وتسعون سارية، وهي اعمدة متصلة بالسمك كأنها دعائم قوائم، وهي من حجر منحوت قطعاً قطعاً، ململمة، مثقبة، وتوضع انثى في ذكر، ويفرغ بينها الرصاص المذاب الى ان تتصل عموداً قائما وتكسى بغلالة جيار، ويبالغ في صقلها ودلكها، فتظهر وكأنها رخام ابيض».



ثم يصف ابن جبير قبر الرسول ﷺ، فيذكر انه مع آخر الجهة القبلية مما يلي الشرق، وله خمسة اركان بخمس صفحات، وشكله شكل عجيب، وصفحاته محرفة عن القبلة تحريفا بديعاً لا يتأتى لاحد معه استقباله في صلاته لانه ينحرف عنه، وعن يمين الروضة المنبر الكريم، وارتفاعه نحو القامة وسعته خمسة اشبار، وطوله خمس خطوات، وله باب على هيئة الشباك، وللمسجد المبارك ثلاث صوامع، إحداها في الركن الشرقي المتصل بالقبلة، والاثنتان في ركني الواجهة الجنوبية صغيرتان، كأنهما على هيئة برجين، والصومعة الاولى على هيئة الصوامع. «وفي سنة ٦٥٤هـ، شب حريق كبير بالمسجد النبوي، بدأ من زاوية الحرم النبوي الغربية من الشمال ثم إحترق السقف كله ووقع بعض اساطينه، واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة، فارسل الخليفة المستعصم بالله عبدالله بن المستنصر بالله الصناع والآلات في موسم الحج، وبدأ تجديد المسجد سنة ٦٥٥هـ، كذلك ارسل اخشاباً ومواد للعمارة: الملك المظفر صاحب اليمن، نور الدين علي بن المعز، والظاهر بيبرس البندقداري، وتم تجديد المسجد.

المسجد النبوي في العصرين المملوكي والعثماني

بعد زوال الدولة العباسية بسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ على ايدي المغول، آلت رعاية الحرمين الشريفين الى الدولة المملوكية، فاظهر سلاطينها عناية فائقة بالحرمين، ومنهم سيف الدين قطز والظاهر بيبرس خليفته والذي قام بتجهيز الاخشاب والحديد والرصاص وأمد العمال بالآلات والنفقات حتى تم اصلاح باقي المسجد، وفي سنة ثمان وسبعين وستمائة في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحي عملت فوق الحجرة الشريفة قبلة، وهي مربعة من اسفلها، مثمنة في اعلاها بأخشاب اقيمت على رؤوس السواري، وسمر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح من الرصاص.

وفي سنة ٧٠٥ هـ و ٧٠٦ جدد السلطان الملك



الناصر محمد بن قلاوون سقف المسجد شرق رحبته وغربها وفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة زاد الناصر رواقين في السقف القبلي وجددها الملك برسباي، وحدث خلل في سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد في دولة الظاهر جقمق، فجدد ذلك في ثلاث وخمسين وثمانمائة هجرية على يد الأمير بردبك الناصر المعمار، وفي عهد الأشرف قايتباي سنة ٨٩٩ هـ أجريت عمارة كبيرة، فهدمت عقود المسجد التي تلي رحبته من جهة المشرق، وسيق الرواق الذي كان عليها، ونقضت بعض أساطينه، ثم أعيد بناؤه من جديد وأصلحت مآذنه، ولما انتقلت الخلافة إلى آل عثمان وأصبحت لهم السيطرة على الحرمين، خلفوا ملوك مصر في القيام بما يحتاج إليه المسجد النبوي، ففي سنة ٩٨٠ هـ عمره السلطان سليم الثاني وشيد به محرابا جديدا هو القبلة القائمة اليوم وغرب المنبر، وقد وشي هذا المحراب بالفسيفساء المنقوشة بالذهب، وكتب اسم السلطان سليم على ظاهره بخط الثلث الجميل، وفي سنة ١٢٣٣هـ، بنى السلطان محمود القبة الشريفة، ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر في نسة ١٢٥٥هـ، ومن ثم سميت القبة الخضراء، وفي سنة ١٢٦٥هـ، كانت عمارة السلطان عبدالمجيد للمسجد كله فيما خلا المقصورة وبعض جدر لم ينقضوها لإحكام أساسها وإتقان بنائها، منها الجدار الشمالي والغربي، ولم ينقضوا المحراب العثماني لاتقانه وحسن صنعه، وغيروا الأعمدة القديمة بأخرى، أكثرها قطعة واحدة يرتكز كل منها على مربع حجري، وفي علوه مثله،

النبي ﷺ بنى لزوجاته بيوتا داخل المسجد وكان يبني بيديه الشريفتين وينقل الحجارة ليرغب المسلمين في العمل

وأقاموا عليها عقودا من الحجر الأحمر المنحوت، وعلى تلك العقود قبابا في كثير منها طاقات وشبابيك، بها الشبكات النحاسية التي تشبه الزرد، والزجاج الملون ينفذ منه الضوء إلى جوف المسجد، واستحدثوا أعمدة في جدران المسجد لتقوم عليها القباب، ووسعوا الأروقة الشمالية والشرقية والغربية، فجعلوا في الجهة الشمالية رواقين بدلا من ثلاثة، وكذلك في الجهة الشرقية، وجعلوا في الجهة الغربية ثلاثة بدل أربعة، ولم يوسعوا الأروقة القبلية التي تحاذي الصحن، وإنما اضافوا إليها رواقين مما يلي صحن المسجد، وخرجوا بالجدار الشرقي من المئذنة الرئيسية إلى باب جبريل خمسة أذرع، فوسع ما بين المقصورة والجدار، فعملت فيه حجرة استخدمت كمخزن، وأعادوا بناء باب جبريل وباب السلام بشكل فخم، وبنوا أمام باب السلام قبة كبيرة، وبنوا ساحتين بكل منها أربع حجرات، وبنوا المئذنة المجيدية، وهدموا القبة التي بكل بصحن المسجد وجعلوا جزءاً من الرواق الشرقي مصلى للنساء، ثم رخموا أرض المسجد كلها، والنصف الأسفل من الجدار القبلي، ونقشوا في القباب رسوماً تمثل أشجارا مختلفة وأزهارا وجداول جارية وصقلوا الأساطين وذهّبوا رؤوسها، وأعادوا تذهيب المحراب والمنبر، بكلفة ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات المجيدية، واستقرت عمارة المسجد النبوي بعد عمارة السلطان عبدالمجيد التي انتهت سنة ١٢٧٧هـ.

وصف المسجد النبوي بعد استقرار عمارته في العصر العثماني

شكل المسجد مستطيل، ويتكون من صحن أوسط غير مسقوف يسمونه الحصوة، والجهة الجنوبية إثنا عشر رواقاً، وبالجهة الغربية ثلاثة أروقة، وعدد أعمدة الحرم- بما فيه الملتصقة بالجدران- ثلاثمائة وثلاثة وعشرون عموداً. ويوجد بين كل عمودين ثلاثة مصابيح معلقة في عوارض بين الأعمدة بسلاسل فضية، وسقف الأروقة من القباب المقامة على عقود.

وللمسجد خمسة أبواب: اثنان في الجهة الغربية هما: باب السلام، وباب الرحمة، واثنان في الجهة الشرقية هما: باب النساء، وباب جبريل، وباب واحد من جهة الشمال أنشأه السلطان عبد المجيد.

وللمسجد خمس مآذن، في كل ركن من أركانه مئذنة، وهي:

١- مئذنة في الركن الجنوبي الغربي، تسمى مئذنة السلام.

٢-مئذنة في الركن الجنوبي الشرقي، وتسمى المئذنة الرئيسية التي يؤذن عليها رئيس المؤذنين.

٣- مئذنة في الركن الشمالي الشرقي، تسمى المئذنة السليمانية.

٤-مئذنة في الركن الشمالي الغربي، تسمى المئذنة المجيدية.

٥- مئذنة تقع بجوار باب الرحمة بالضلع الغربي، تسمى مئذنة باب الرحمة، وجميع مآذن المسجد على الطراز العثماني، ولها قمم على هيئة المخروط- باستثناء المئذنة الموجودة بالزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد بجوار القبة الخضراء فهي على الطراز المملوكي - وللمسجد ستة محاريب، وهي: المحراب النبوي بالروضة على يسار المنبر، والسليماني غرب المحراب النبوي، ومحراب عثمان خلف المحراب النبوي، ومحراب التهجد، الى الشمال من حجرة فاطمة رضي الله عنها خارج المقصورة الدائرة عليها، ومحراب على يمين الداخل من باب النساء يرجع لعمارة السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٧٥هـ.

المنبر ودكة المؤذنين

هو منبر السلطان مراد الذي ارسله الى المسجد سنة ٩٩٨ هـ، ولا يزال موجوداً الى الآن، وله اثنتا عشرة درجة من الرخام، ظاهره مغمور بالتذهيب والنقوش البديعة وفوقه قبة قائمة على أربعة أعمدة مرمرية، وفوق بابه شرفات آية في الإبداع،وبقرب المنبر توجد مقصورة المبلغين، وهي عبارة عن مربع رخامي قائم على ثمانية أعمدة رشيقة، ستة محلاة بصبغ أحمر عقيقي، واثنان أبيضان.

حجر الرسول ومقصورته

دفن النبي محمد ﷺ بحجرة عائشة رضي الله عنها، رأسه إلى الغرب ووجهه الشريف نحو القبلة، ودفن معه أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما من جهة الشمال، وفي عهد عمر بن عبد العزيز أدخلت الحجرة في المسجد، وبني حولها جدارا ذا خمسة أضلاع، وكانت مقاساتها من الداخل ١٠ أذرع وثلث الذراع، في الضلع الجنوبي و ١٠ اذرع في الضلع الشمالي والضلع الشرقي والغربي كل منها ٧,٦ أذرع تقريبا، والشرقي ١٢,٥ ذراعا، والغربي ١٦,٢٥، والضلع الشمالي الشرقي ١٢,٥، والشمالي الغربي ٤ أذرع، أما الارتفاع فهو ١٣ ذراعاً من أرضية المسجد.

وكانت الحجرة مسقوفة بالخشب إلى أن غطاها المنصور قلاوون سنة ٦٧٨هـ بقبة خشبية، ثم جددها الناصر حسن ثم الظاهر جقمق وقايتباي ومحمود بن السلطان عبدالمجيد، وطليت باللون الأخضر بدلا من اللون الأزرق، ويحيط بهذه الحجرة مقصورة من نحاس أصفر عملت في عهد السلطان قايتباي سنة ٨٨٨ هـ، ولها باب على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة وباب الوضوء، والى جانبه من جهة الجنوب شباك يفتح عليها يسميه الحجاج التوبة، ويتصل بها من جهة الشمال مقصورة السيدة فاطمة، وطولها من الجنوب ١٤,٥ مترا ومن الشمال ١٤ متراً، من الشرق ٧,٥ مترات وكذلك من الغرب.

وداخل الصحن توجد قبة الزيت، كانت مخصصة لخزن الزيوت اللازمة لإنارة المسجد، وهدمت في عمارة السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٧٧هـ نظرا لأنها تلوث المسجد، وبالجهة الشرقية من الصحن بعض الأعمدة التي تحمل مصابيح للإنارة.



أثر النبوة في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم



علاء الدين المدرس

كانت قريش في الجاهلية وقبل البعثة النبوية تلقب محمداً ﷺ بالصادق الأمين، ذلك هو الحكم والتقييم الذي أصدره جيل محمد ﷺ عليه قبل بعثته، وذلك هو منظار أهل مكة لنبي المستقبل، كم هو بليغ ومعبر ذلك اللقب الكريم. لقد كان في أعينهم في ذلك العصر يمثل جوهر الصدق والأمانة، هذه الشهادة التاريخية تعطينا تفصيلاً ثميناً لمعالم الصورة النفسية والاجتماعية التي كان عليها محمد قبل أن يبعث نبياً ورسولاً. وعلى مدار التاريخ كان هنالك كثير من الشواهد على التقييم الرائع الذي وصفه به الخصوم قبل الأصحاب والأصدقاء، من خلال سيرته العطرة، فضلاً عن الأثر العظيم الذي خلفه ظهوره في البشرية جمعاء، فنرى ان الثقة بهذا النبي لكاتب إنجليزي شهير هو برناردشو تصل إلى أقصاها حين يقول: لو أن محمداً موجود الآن بيننا لحل مشكلات العالم جميعها ريثما يتناول فنجاناً من القهوة.

ويقول المستشرق وليم موير عن النبي ﷺ: لم يشهد التاريخ مصلحاً ايقظ النفوس وأحيا الاخلاق ورفع شأن الإنسانية في زمن قصير كما فعل محمد.

ويقول توماس كارليل عن عظمة محمد: هؤلاء العرب وهذا الرجل محمد وهذا القرن السادس الميلادي، أليس كل ذلك كالشهاب بدا ثم اختفى، شهاب واحد لمع في عالم كالرمال السوداء، لا يؤبه له ولكن يا للعجب إذا بالرمال وكأنها استحالت الى مسحوق متفجر، يرتفع وهجها في السماء من دلهي الى غرناطة، قلت: لقد كان «الرجل العظيم» دائما كالبرق يومض في السماء والناس ينتظرونه وهم كالوقود، ومن هذا الوميض يشتعل الوقود.

ويقول أيضا: لما كان من المستبعد أن يصبح أي منا مسلماً فلا يضيرني أن أقول كل الخير عن محمد بقدر ما أستطيع، فالأكاذيب التي كدسها التعصب من أجل مصلحة ديننا حول هذا الرجل لا تسيء إلا إلينا نحن.

ويقول أيضا: من المسلم به أن محمداً لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعليماً مدرسياً، ولكنه عرف منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة وأصالة الرأي في كل ما يقول وما يعمل، وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائماً رجلاً اجتماعياً وصديقاً صدوقاً ومخلصاً ودوداً.

أما اللورد هدلي فيؤكد إعجابه بشخصية النبي محمد بقوله: إن محمدا هو الوحيد بين جميع الأنبياء الذي استطاع ان يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق.

أما البروفسور ستوبارث فيقول: لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد.. ألا ما أقل ما امتلكه من الوسائل المادية وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية، فلن نجد فيه اسماً منيراً هذا النور وواضحاً هذا الوضوح غير اسم النبي العربي.

ولو تتبعنا أقوال المنصفين من المستشرقين واعجابهم بالنبي محمد ﷺ لطال الكلام وكثر، وآخر ما قرأنا عن قوة سطوع شخصية النبي ﷺ وأثرها في الفكر الغربي، هو ماجاء في كتاب «المائة الاوائل» للكاتب الأميركي د. مايكل هارث، فقد اختار فيه أعظم مائة شخصية في تاريخ العالم - حسب رأيه- من ناحية أثرهم وتأثيرهم في حركة التاريخ البشري، ورغم صعوبة مثل هذا البحث وقلة المحايدة المتوفرة في الغرب عن الإسلام ورموزه وشخصياته، فإن المؤلف اختار محمداً ﷺ في أول المائة، في حين جعل المسيح عليه السلام في التسلسل الثالث وموس عليه السلام في التسلسل السادس عشر، كما اختار بعض العلماء الطبيعيين - أمثال نيوتن واينشتاين وغاليلو بالتسلسل الثاني والعاشر والثالث عشر على التوالي، واختار عدداً آخر من الزعماء السياسيين أمثال ماركس وأوغسطس القيصر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتسلسل الحادي عشر والتاسع عشر والواحد والخمسين، والفلاسفة أمثال أرسطو وديكارت بالتسلسل الرابع عشر والتسلسل الرابع والستين وهكذا.. إلى تسلسل المائة.

وقد أجاب المؤلف عن سبب اختياره محمداً ﷺ على رأس قائمة أعظم مائة شخص في العالم منذ بداية البشرية حتى اليوم رغم أنه باحث غير مسلم، فقال:

إن اختياري محمداً ليكون الأول



العقل والمنطق والحكمة وسائل النبي الكريم للإقناع والدعوة إلى رسالة الإسلام

في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي.

ويقوم المؤلف بمقارنة يسيرة بين شخصيات أنبياء الديانات السماوية الثلاث، ويستنتج منها تفوق شخصية النبي محمد ﷺ على أخويه موسى وعيسى عليهما السلام من حيث الكتب التي أنزلت عليهم وهي التوراة والأنجيل والقرآن، ومدى المحافظة على صحتها وأثرها في الواقع البشري إلى الآن، ومدى استكمال الرسالة الدينية والدنيوية في حياة كل نبي، وأخيراً من حيث البيئة التي عاش فيها كل منهما، مقارنة مع فقر البيئة العربية الصحراوية إلى أي مصدر ومرجع للمعرفة والحضارة، بعكس البيئة التي عاش فيها كل من عيسى وموسى عليهما السلام في عهد الرومان في فلسطين وعهد الفراعنة في مصر.

أثر النبوة في شخصيته ﷺ

إزاء تلك القيمة الرفيعة والمكانة الفريدة المجمع عليها، وهذه المنزلة العالية التي احتلتها شخصية النبي ﷺ، يحق لنا أن نسأل: ما السر في هذه الشخصية العظيمة، وهل ان ذلك كان أثراً من آثار النبوة، وبفضل المدد الإلهي لهذا النبي الكريم؟، أم أن أثره العظيم في التاريخ البشري، هو لون من ألوان العبقرية- التي يحاول بعض المستشرقين ان يبرروا بها تفرده عن باقي عظماء التاريخ وهي التي دفعت به وبأعماله الى تلك المكانة السامقة التي لا ينافسه فيها مقام؟ فقد يسأل سائل بجهل أو بخبث: لماذا لا نراه واحداً من الفلاسفة أو المفكرين العباقرة أو المصلحين من طراز فريد؟ لماذا نقول إنه نبي؟

وهي أسئلة تجرنا الى موضع ملامح النبوة في حياته ﷺ ولا حاجة بنا الى ان نتكلم عن الخوارق التي روتها السيرة عن حياة النبي ﷺ، وحين أسلم خالد بن الوليد وكان فارس قريش وأحد قادتها أيام الشرك، وقف يقول بعد صلح الحديبية: الآن استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه كلام رب العالمين، فحق على كل ذي لب أن يتبعه.

كان العقل والمنطق والحكمة من أهم رسائله للإقناع والدعوة إلى رسالة الإسلام وليست المعجزات ولا الخوارق.

وإذا كانت هناك معجزة في حياة النبوة بعد معجزة القرآن، فإنها لم تكن شق بحر أو إحياء ميت أو إخراج حية من عصا، كما كان يفعل الأنبياء الذين سبقوه في عصور الخوارق والمعجزات، حينما كانت البشرية لا تدرك غير هذه الوسائل، فإن كانت في الموضوع معجزة، فهي ذات محمد نفسه، التي جمع الكمالات وبلغت في كل كمال ذروته، كان محمد ﷺ ذاته سيرة وخلقا وسلوكا والمعجزة التي تسعى على الأرض، فأن يبلغ الإنسان الكمال في صفة واحدة، فيبرز فيها ويتفوق على أقرانه فهذه هي العبقرية.. أما أن يكون الإنسان كاملاً وقدوة في كل شيء، فتلك هي النبوة، ان يبلغ الذروة في الخطابة والحكمة، والقمة في فنون الحرب والكمال في التشريع، وأن يمنحه الله في كل صفة فيبلغ فيها غاية المدى دون مدرسة أو معلم فهو الإعجاز بعينه، وإذا حدث ذلك فإنه لا يفسر إلا بأنها النبوة حيث اللطف والمدد من الله الوهاب وحده، وهذه هي إحدى البراهين على نبوته.

فنحن أمام إنسان إذا تحدث كان أبلغ البلغاء، وإذا نطق كان أفصح الفصحاء، لا ينطق عن الهوى ولا يتحدث عن حفيظة، وإنما عن حكمة الحكيم وبصر البصير، وأحاديثه المجموعة تشهد لنا بأنها من جوامع الكلم، فإذا ذهب ليحارب رأينا فيه مقاتلا فذا ومخططاً عسكرياً من الطراز الأول، كما نراه واضحا في سيرته وغزواته العديدة في بدر وأحد والخندق وتبوك وغيرها.

ويوم حنين، حين أمطر المشركون جيش المسلمين بوابل من النبل من أعالي جبال الطائف في الفجر، فأنزلوا الفوضى والاضطراب في صفوفهم فكروا فراراً، حتى قال القائد المشرك شيبة بن عثمان في شماتة، اليوم أدرك ثأري من محمد، فماذا فعل النبي ﷺ وهو يرى انكسار اثني عشر ألف محارب مسلم بعد ان اخضع قريشاً وفتح مكة، وهو يواجه خطر ضياع عشرين سنة من الجهاد في غمضة عين.

لقد ثبت وسط طوفان من الأرجل وهي تهرول مذعورة من حوله، وجيش الشرك ينزل من أعالي الجبل في ألوف يطارد المسلمين ويجندلهم صرعى عن يمين وشمال، والنبي يحاول ان يندفع في وجه السيل الجارف ويحث بغلته البيضاء، وعبدالله بن الحارث بن عبدالمطلب يرد خطامها خوفا على النبي، والعباس بن عبدالمطلب يصيح بصوته الجهوري في المنهزمين: يا معشر الأنصار.. يا معشر المهاجرين.. هلموا فإن النبي محمدا حي..

والنبي صامد وسط الموت يصيح إلى أين؟.. إلى أين أيها الناس؟ ويرجز في الجموع المنهزمة:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبدالمطلب

وتمر لحظة هائلة بوزن التاريخ كله، لحظة تتغير فيها المصائر، وتحس القلوب وقفة النبي القائد أمام الموت.. ويعود من انهزم من المسلمين يتصايحون من كل جانب: لبيك.. لبيك يا نبي الله.. ويلوي كل رجل عنان فرسه





ليقتحم المعركة وتلتحم الأسنة، وكان رد الفعل عنيفاً، حتى انهم قتلوا الكثير من المشركين، دون ان يفرقوا بين الكبير والصغير حتى نهاهم النبي ﷺ فاستعادوا توازنهم، ويذكر أصحاب السيرة والتاريخ ان قبيلتين من القبائل المسلمة قد فنيت في هذا الالتحام قبل ان تنقلب الهزيمة إلى نصر حاسم.. وأحصى المسلمون من الغنائم ذلك اليوم عشرات الآلاف من الإبل والشياه والفضة والرماح والسيوف مع ستة آلاف أسير، فماذا كان موقف النبي من هذا السيل من الغنائم، التي رآها المسلمون مكدسة أمامهم؟ لقد قسم هذه الغنائم الكثيرة على المسلمين، ثم انه نزل عن نصيبه وخمسه لهؤلاء الذين كانوا منذ أيام ألد أعدائه.. فأعطى مائة من الإبل لأبي سفيان والحارث بن كلدة والحارث ابن هشام وسهيل بن عمرو، ومن أمثالهم من قادة قريش ومكة، وكذلك لأشراف ورؤساء القبائل الأخرى ممن أراد أن يؤلف قلوبهم بعد فتح مكة، وأعطى خمسين من الإبل لآخرين أقل من هؤلاء شأنا ومكانة.

وكان لهذا الحدث أثر في نفوس الانصار مما جعلهم يتهامسون، ويقولون: لقد وجد النبي أهله، وسوف يوزع النبي ﷺ الغنائم على قومه، وحينما سمع النبي ﷺ بهذا التهامس الذي كان يدور في غيابه جمع الأنصار ليواجههم بهذه المقالة البليغة، يا معشر الأنصار، ما هذه المقالة التي سمعتها عنكم؟ ألم آتكم ضالين فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم، قالوا: بلى والله، يا رسول الله، فقال لهم: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم، أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أستكثرتم يا معشر الأنصار أن تذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت واحداً من الأنصار. ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار قال النبي ﷺ هذه الكلمات البليغة في تأثر وود، فبكى الأنصار. حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا.

وبذلك أظهر النبي زهده في هذا المال الوفير الذي غنم من حنين وجعله وسيلة ليكسب به قلوب هؤلاء المسلمين الذين كانوا منذ أيام كفاراً، ليروا في الدين الجديد وسلية إلى ربح الدنيا وربح الآخرة، وهذا منتهى الحكمة وبعد النظر والبصيرة بقلوب الرجال وحسن السياسة للجموع المختلفة المصالح والأهواء.

تلك السكينة التي ثبتت الرسول والمؤمنين كانت مدداً من الله، ولقد أنزل الله مع تلك السكينة جنوداً لم يروها كما نص القرآن.. من هم هؤلاء الجنود؟.. ذلك هو الغيب.

إن مثل هذه المعركة الهائلة، لا يمكن أن يدرك العقل تحولاتها السريعة من دون ان يتصور أن هناك سنداً مجهولاً من الغيب كان يعمل من وراء حجاب، شأنها شأن بقية الغزوات الشريفة في عصر النبوة المبارك.

وفي ميدان النفس والتربية والدعوة الى دين الله، نجد محمدا ﷺ هو النبي الذي تجتمع فيه الكمالات والمكارم، حتى قال عنه تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقال تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، وقال تعالى في وصف حلمه ولينه وسمو أخلاقه في هديه وتربيته لاصحابه وعموم عرب الجزيرة ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاروهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وغيرها من النصوص الكثيرة المبثوثة في سور القرآن الكريم.

فهو العابد المبتهل الذي يذوب خشوعاً وحباً في الله، وهو المقاتل الصنديد الذي يتعرض لجاحفل الموت ثابت القدم والفرسان يفرون أمامه، وكان الملجأ والملاذ لبقية الصحب الكرام في المعركة، حتى قال عنه سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه: كنا إذا حمي الوطيس في الحرب احتمينا برسول الله، وهو المخطط الفذ الذي يحرك المجاميع ويمسك بمقاليد المشاعر بمهارة المبدع، وهو المحدث الذي ينطق بجوامع الكلم، وهو الأب والأخ والزوج والصديق، وهو صاحب الدعوة الذي يقيم نظاماً وينشئ دولة من عدم، وهو النبي الرباني صاحب القلب المنير الشريف، بالغاً بذلك القمة في كل شيء.

وهو الكريم الحليم الودود الرؤوف الصبور البشوش البسام اللطيف المعشر، لا تمنعه الأعباء الجسام من ملاحظة الطفل الوليد، ولا من مغازلة زوجته في حنان، ولا ينضب لعواطفه معين، وكأنه يستمد من بحر.

هذه الذات العظيمة هي المعجزة، واجتماع هذه الكمالات في ذات واحدة معجزة، وليست عبقرية، لأن العبقرية جزء صغير من هذه الذات العظيمة التي هي بحق رحمة مهداة لنا من الرحمن الرحيم.

قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(الأنبيا:١٠٧).

إننا أمام ذات منفردة تماماً، مستوفية أسباب الكمال، جامعة لأقصى الأطراف في كل شيء، فاعلة منفعلة، نشيطة مؤثرة، تصنع





بطلاً من كل رجل تلمسه، وكأنما لها أثر السحر في كل ماحولها، ومن حولها ثم فيمن بعدها، ثم في التاريخ بطولة أربعة عشر قرناً، ثم فيما يستجد بعد ذلك إلى قيام الساعة، نحن أمام ذات تسبح وتقدس من أنشأها وخلقها وبعثها للأبد رحمة للعالمين، وصلى عليها في عليائه حيث قال ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (الأحزاب:٥٦).

وهو بشر ولكنه محصن بالوحي والرسالة وبنور القرآن، قال تعالى ﴿قل إنما أنا بشر يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه...﴾ (فصلت: ٦)، اذن هي ليست عظمة وعبقرية فحسب، بل نبوة.

وإننا إذ نمضي في كتب السيرة نتتبع أثر النبوة في شخصه ﷺ وفيمن حوله، وأثرها البعيد المستمر في ذلك الواقع الجاهلي والبدوي الفض من حولها، نرى شخصية النبي ﷺ تصنع الأعاجيب، فأينما لمست انساناً احالته نوراً يمشي على الأرض، وأيقضت فيه نوازع الخير، وفجرت فيه ينابيع المحبة، كيف كان حمزة قبل إسلامه؟ وكيف كان عمر في جاهليته؟ وكيف أصبحا بعد تلك اللمسة السحرية؟ إنها النبوة وفيضها الرباني المعجز، إنها اللمسة السحرية التي تشق البحر وتحيل العصا ثعباناً، وتشفي الأبرص وتحيي موات النفوس، وتبدل الحال غير الحال، وقد آتى الله نبيه تلك القدرة المذهلة على تغيير الرجال، وصهر معادن النفوس وإعادة سبكها في أحلى الصور.

ولهذا أحبه أصحابه وافتدوه بالمهج والأرواح، فقد رأوا نفوسهم تولد بين يديه، وكأنهم كانوا عدما فأحياهم.

العبقرية جزء صغير من هذه الذات العظيمة التي هي بحق رحمة مهداة للأمة من الرحمن الرحيم

فهذا زيد بن الدثنة وقد وقع أسيراً بيد قريش، يسأله أبو سفيان لما قدم للقتل: أناشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمد ﷺ الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي، فعجب أبو سفيان وقال: ما رأيت من الناس أحداً يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمداً، وقتل زيد، فذهب شهيد الإسلام والحب والوفاء والإيمان، ولم يكن ذلك الحب عن غرام محمد بالتعظيم، وإنما عن حب وفداء، فقد عرف محمد ﷺ بالتواضع، وكان يقول لأصحابه: «ولا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»(صحيح البخاري)، وقال يوماً لأعرابي أخذته الهيبة من محضره: «هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» (قال الألباني إسناده صحيح مرسل) لم يكن التعظيم إذن هو حافز الأصحاب، بل الحب والاحترام والثقة، ثم هذه اللمسة السحرية والنفحة الإلهية من وراء الغيب، فيما ألقى له الله من محبة في قلوب الناس.

هنا سند الغيب والتوفيق والتمكين من الله لنبيه في الأرض وفي التاريخ وفي قلوب هؤلاء البدو الجفاة الغلاظ الذين يئدون بناتهم أفلاذ أكبادهم ويدفنونهن أحياء في التراب، خوفا عليهن من السبي وآثار الغزو القبلي الذي كان شائعاً بينهم قبيل عصر الرسالة وخوفا من الفقر، وبدون هذا السند الإلهي لا نستطيع أن نفسر أموراً ووقائع كالخيال.

نحن إذن أمام نبوة مؤيدة بسند الغيب، ورجل انعقد له لواء التمكين الإلهي، ولسنا أمام مصلح اجتماعي أو صاحب ثورة أو عظيم من عظماء الدنيا يعمل بالاجتهاد والعلم الكسبي فحسب.

ترى هل يكون ذلك بغير مدد وعون من الله سبحانه؟ كيف استطاع تأليف قلوب العرب المتنافرين العنيدين الذين طبعت حياة الصحراء وقساوتها على قلوبهم؟ إن الله وراء ذلك النبي الكريم.. قال تعالى ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (الأنفال:٦٣).

هكذا كان النبي محمد ﷺ بشخصيته وبساطته وتواضعه وحبه ورفعته، هو الروح التي باتت تسري بين أصحابه ثم امتدت الى باقي الأجيال، حتى شهد تاريخنا فيما بعد رجالاً عظاماً استمدوا من ذلك النور العظيم وتلك النفس الزكية، ومن قبس النبوة الوهاج، رجالاً من أهل البيت والصحابة كان في مقدمتهم خلفاؤه الراشدون، ثم من تبعهم باحسان من التابعين كزين العابدين والحسن البصري ومحمد الباقر وعمر بن عبدالعزيز والأئمة العظام الذين أسسوا المدارس الفقهية كالصادق وأبو حنيفة وزيد ومالك والشافعي وأحمد، والذين أقاموا صرح علوم القرآن والسيرة والحديث في عصر التدوين، ومن جاء بعدهم من أهل الزهد والتصوف والدعوة والعلوم الأخرى.. رجال يكفي أن نذكر اسمهم لنعرف أي دور كان لهم وأي تأثير لذلك النبي الكريم كان عليهم وأي قبس أخذوه عنه.

هكذا إذن كان نبي الرحمة رجلاً بسيطاً متواضعاً، تراه في بيته يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخصف نعله، تراه يأكل مع الخادم ويعود المريض ويعطي المحتاج، وتراه قد احتمل الحسن والحسين وهما طفلان على كتفيه وهو يصلي، ويتكرر ذلك المشهد الجميل مع حفيدته أمامة بنت زينب.

وكان الحب والحنان مجسداً في ذاته، أحب الإنسان والحيوان، بل حتى النبات حنا عليه، فكان يوصي بالشجر ألا يقطع، حتى الجماد شمله بحبه فكان يقول عن جبل أحد: هذا الجبل يحبنا ونحبه.

ذلك هو محمد بن عبدالله الأمي الذي حمله رسالة القرآن للبشرية، وكان حديثه ينطق بالحكمة الخالصة، وكثير من كلامه يجري مجرى الأمثال والحكم المنيرة التي يستنير بها الناس جميعاً، ومن ذلك:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس.. الصحة والفراغ»(صحيح البخاري).

«ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(متفق عليه)..«الدين النصيحة»(متفق عليه).

ومن أحاديثه الشريفة وكلماته البليغة: «عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» (صحيح الألباني).

«حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات» (صحيح مسلم).

وهكذا قضى رسول الله ﷺ ورحل عن الدنيا وهو يقول: بل الرفيق الأعلى في الجنة وترك في أعناقنا أمانة الله على الأرض .. رسالة الإسلام الخالد لهداية البشرية وفق منهج الله وهدي الكتاب والسنة.

د. موسى لاشين في ذمة الله

د. ناصر وهدان

في قرية أسنيت مركز بنها بمحافظة القليوبية في السادس من إبريل عام 1920م كان مُبتدأه، وعلى فراش المرض بمنزله الكائن بمدينة نصر بمحافظة القاهرة في السادس من يناير عام 2009م كان مُنتهاه عن عمر يناهز تسعة وثمانين عامًا. إنه العَالم العَامل الثبت، والأديب اللوذعي، والفارس الأول للمركز الدولي للسيرة والسُنة بوزارة الأوقاف المصرية، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومجمع البحوث الإسلامية، الشيخ الدكتور موسى شاهين لاشين رحمه الله رحمة واسعة.

كان دائرة معارف تمشي على قدمين، هو البحر ماله من شاطئين، كان جُلّ همه الانتصار للقُرآن والسُّنة بصفة خاصة، وللشريعة الإسلامية بصفة عامة حتى آخر رمق في حياته. وقد كان مُحدِّثًا مُتمكِّنًا، ومُفسِّرًا لا يُبارى، ومُثقفًا ثقافة إسلامية وعربية عالية ومتنوعة، قدَّم النُّصح خالصًا للراعي والرَّعية على سواء، وتصدّى لأصحاب الفكر الشَّارد عن الإسلام بشجاعة العَالِم مهما تكبّد من مُعاناة، وكياسة السياسي الفَطِن لبواطن الأمور؛ لأن طبيعته ترفض الباطل - أي باطل- ولعل ذلك من مفاتيح شخصيته رحمه الله.

نشأته

نشأ عَالمنا الدكتور موسى شاهين لاشين في أسرة مستورة الحال، وحفظ القرآن الكريم كعادة أبناء القُرى المصرية في كُتَّاب القرية (مكتب سيدي سالم الذي كان جدًا له من جهة أمه)، وتَولاه بالحفظ أخوه الأكبر جُودة.

تعليمه في الأزهر الشريف

سَلك شيخنا سنوات التعليم بالمعاهد الأزهرية، وكان أول طالب يدرس في الأزهر من هذه القرية (بعد خالٍ له أخذ الابتدائية من معهد طنطا) إلى أن حصل على شهادة الثانوية الأزهرية التي أَهَّلته للالتحاق بكلية أصول الدين فحصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين عام ١٩٤٦م، كما حصل على شهادة العالية مع إجازة التدريس (الماجستير) من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م، كما حصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) في التفسير والحديث من كلية أصول الدين عام ١٩٦٥م، اختارته إدارة المعاهد الأزهرية مُدَرِّسًا للتفسير



والحديث لمدة عشرين عامًا تقريبًا (١٩٤٨م-١٩٦٥م)، وتقديرًا لعلمه الوفير اختارته جامعة الأزهر مُدَرِّسًا بقسم الحديث بكلية أصول الدين منذ عام ١٩٦٥م، وتدرج في سلك الجامعة أستاذًا مساعدًا للتفسير والحديث (١٩٧١م - ١٩٧٦م)، وأستاذًا ورئيسًا لقسم الحديث ١٩٧٦م، وعميدًا للكلية (١٩٧٩م-١٩٨٢م)، وتقديرًا لمكانته العلمية عُيِّن رئيسًا للجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في أقسام التفسير والحديث والدعوة (١٩٧٧م-١٩٨٤م)، وفي ١٩٧٩م تَقَلَّد منصب نائب رئيس جامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث بالانتداب،كما تَقَلَّد منصب رئيس المركز الدولي للسِّيرة والسُّنة بالمركز الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف منذ عام ١٩٩٤م حتى وفاته.

إعارته الخارجية

وفي أثناء عمله بالمعاهد الأزهرية والجامعة أُعير للتدريس بالكويت والسعودية وليبيا والصومال وقطر.

من مفاتيح شخصيته

من مفاتيح شخصيته التي تميز عالمنا بها الصبر الجميل على المكَاره، نجد ذلك عندما احتسب عند الله تعالى زوجته الأولى مع كريمته العروس الشابة في حادث أليم، ومن قبل عندما احتسب في حياته ثلاثة من أبنائه وبناته وهم في مقتبل عمرهم.

كما أن من مفاتيح شخصيته استثمار الوقت حتى في لحظات المرض المؤلمة، نجد ذلك عندما نَقل مكتبه فوق فراش المرض ليسهل عليه التفرغ للاطلاع والتأليف.

ومن مفاتيح شخصيته أيضًا تمتعه بحب كوكبة عامرة من عارفي فضله من أساتذته وزملائه وتلاميذه من أمثال الشيخ إبراهيم زيدان رحمه الله (الذي زَوَّجه كريمته)

ود.محمد رشاد خليفة رحمه الله (الذي زَوَّج ابنه لإحدى كريمات الفقيد) ود.محمد المسير رحمه الله، ود.محمد نايل (الذي زَوَّج كريمته لأحد أبناء الشيخ الفقيد)

جهوده العلمية ومنهجه

كان فقيدنا لا يعرف تضييع الأوقات؛ لذا كان من أهم جهوده قيامه بالتخطيط لمشروع موسوعة السُّنة (تخريج الأحاديث النبوية والحُكم عليها بالصحة أو الحُسن أو الضعف بمنهج علمي دقيق) فقد ابتكر هذا المنهج لطلابه في جامعة الأزهر، ودرجوا عليه إلى وقتنا الحاضر في إعداد رسائلهم للماجستير والدكتوراه، وظل طوال حياته يتابع نجاح هذا المنهج ويشرف عليه مع أقرانه وتلاميذه في إعداد الرسائل الجامعية منذ عام ١٩٧٦م حتى وفاته، فخرج منه العديد من المُجلدات في جامعة الأزهر الشريف، كما ناقش وأشرف على أكثر من مائتي رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعة الأزهر والإسكندرية بمصر، وأم القُرى والإمام محمد بن سعود بالسعودية، وأم درمان بالسودان، كما شارك في ترقية أكثر من خمسين أستاذًا في الحديث والتفسير والدعوة بالجامعات المصرية والسودانية والسعودية والإماراتية، فضلاً عن قيامه بالتدريس والمحاضرات لطلبة الدراسات العليا بمصر والسعودية وليبيا وقطر على مدى ثلاثين عامًا، كما شارك في تصحيح المفاهيم المغلوطة، ونشر الدعوة الإسلامية في الإذاعات المرئية والمسموعة بنحو ألف حلقة في مصر، ونحو خمسمائة حلقة في قطر، وخمسين حلقة بالسعودية، وعشرين حلقة بالإذاعة البريطانية، كما أثرى الصحافة العربية والإسلامية بما يزيد على ألف فتوى وخمسين مقالة وردٍّ علمي في صحافة مصر ، وعشر مقالات في صحافة قطر، ونحو خمسة مقالات في صحافة السعودية، كما سَدَّ فراغًا كبيرًا بالمكتبة الإسلامية بمؤلفات متميزة في مجالي التفسير والحديث، منها تيسير تفسير النسفي في تفسير القرآن الكريم (خمسة عشر جزءًا) والذي دُرِّس لطلاب المعاهد الأزهرية حقبة طويلة من الزمن، وقد لاقى رواجًا كبيرًا لدى الأساتذة والطلاب بها، واللآلئ الحِسان في عُلوم القُرآن، والمنهل الحديث في شرح أحاديث البخاري (أربعة أجزاء) الذي يتهافت عليه جموع الطلاب بمن فيهم طلاب الجمعيات الشرعية والأهلية بمصر، وفتح المُنعِم في شرح صَحيح مُسلم (عشرة مُجلدات) وهو المُؤلَّف الذي قضى في إعداده حوالي ربع قرن من عمره، والذي يُعد من أكبر وأعظم مؤلفات شيخنا الجليل، وتحقيق وتعليق صَحيح مُسلم في (خمسة مُجلدات) بالاشتراك مع تلميذه د.أحمد عُمر هاشم، وتيسير البخاري (ثلاثة مجلدات) وصحيح البخاري في نظم جديد (أربعة مجلدات)، وقصص من الحديث النبوي (مُجلدان) بالاشتراك مع كريمته د.أماني موسى لاشين ود.حِصَّة السويدي من قطر، والموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية (إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) وعُلوم الحديث وبحوث عديدة منها السُّنة والتشريع، والسُّنة كلها تشريع والحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة، وكان خاتمة المطاف كتابه تجديد الدِّين.

جل همه كان منحصراً في الانتصار للقرآن والسنة وللشريعة الإسلامية حتى آخر رمق في حياته

من مظاهر التقدير

ومن مظاهر التقدير التى حظى بها حصوله على جائزة الأوائل طوال سنوات الدراسة بالمعاهد الأزهرية، وجائزة عيد العلم لحصوله بنجاح على مراتبِ الشرف طوال سنوات الدراسة بالجامعة وذلك عام ١٩٦٤م، وحصوله على درع وزارة الداخلية وشهادة تقدير منها عام ١٩٨٢م لجهوده في تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى شباب جماعات التكفير والهجرة، وبقية الجماعات الأخرى، وشهادات تقدير متعددة لما قام به من التوعية الدينية العامة من الجامعات والجمعيات الشرعية والأهلية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية منذ عام ١٩٦٥م وحتى وفاته.

وقد تُوِّجتْ هذه الجوائز بحصوله من رئيس الجمهورية على وسام جمهورية مصر العربية للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى فى عام ١٩٩٧م، وقد قَدَّمَ قبل وفاته مُؤلفاته وعلى رأسها كتابه الفريد فى بابه «فَتح المُنْعم» إلى إحدى مسابقات المؤسسات العلمية المتخصصة بدولة الكَويت، ولم يتم البت فيها الى الآن.

يذكر أن إمام مسجد رابعة العدوية بالقاهرة يُعد رسالة دكتوراه عن حياة الشيخ ومنهجه في بحوثه وكتبه.

خاتمة المطاف

ما ذكرته عن الشيخ غيض من فيض، وقطرةٌ من محيط عطاياه، وقديمًا قالت العرب: كفى بالقلادة ما حَفَّ بالعنق، رحم الله شيخنا، وأسكنه فسيح جناته، وألهم آله وتلاميذه ومحبيه وعارفي فضله الصبر والسلوان، ونفع بعلمه، وأوصل إليه ثوابه، وعَوَّضَ الأمة الإسلامية عنه خيرا.

الشيخ جمال قطب الرئيس الأسبق للجنة الفتوى بالأزهر الشريف:

قوة الأمة تتحدد بمؤسساتها الدعوية ومدى استقلاليتها

حوار: منير أديب

يعيش العالم الإسلامي بين خطر الجهل من جانب وخطر تصحر الثقافة الإسلامية لدى كثيرين من جانب آخر، وبين هذا الجهل والتصحر يعاني إعلامنا من فتاوى يطلقها بعض العلماء دون أن يكون لها سند، وتعتبر الفضائيات وسيلة لنشر هذه الفتاوى.. «الوعي الإسلامي» التقت الشيخ جمال قطب رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر الشريف ومدير الإعلام الديني السابق به حول هذه الفتاوى وتأثيرها، والمخرج من كم هذه الفتاوى التي تشوش على الناس، وقضايا أخرى نبحث من خلالها في واقع الأمة وما آلت إليه.. وإليكم نص الحوار:



■ **كثيرا ما يثار الجدل حول فتاوى يطلقها أصحابها بين الحين والآخر، دون أن تكون هناك آلية حقيقية للفتوى، كيف يمكن التغلب على ما يسميه البعض بعصر الفضائيات التي أتاحت نشر الفتاوى للجميع؟**

- كثرة النوافذ الإعلامية هي التي أثارت مثل هذه القضية، والأصل أن يكون في كل دولة مسلمة مؤسسة للدعوة قوية ومستقلة، لا يشاركها في عملها مؤسسات أخرى، بمعنى استقلاليتها، فالدعوة إلى الله والفتوى ليست هواية ولكنها علم له أبعاده، فحين تترك الدولة هذه المؤسسة تقطع أجزاء وبالتالي تنشأ جمعيات وطرق نتيجة هذه التقاطعات، بلا مبرر، لأن الفتوى جزء من الإستراتيجية العامة للدولة، فلابد أن تكون موجودة في أيد أمينة ومتخصصة ومتفردة، فكما لا يوجد في الدولة أكثر من جيش، ولا يوجد أكثر من نظام قضائي، ولا يوجد أكثر من جهاز أمني واحد، لابد أن يكون للدعوة جهاز موحد وقوي يحقق الثقافة في نفوس الناس، وقد تجد بلادا تنظم وزاراتها، ولا تجدها تنظم مؤسساتها الدينية، فتكون كشيء هلامي للمناسبات الدينية فقط، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه لكل الراغبين سواء بحسن نية أو سوء نية، فأما حسن النية فهم يتخيلون أن المجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر، وحين يعمل المرء في الفتوى فلابد له من أصول وأسس ولابد له من منهج على منهج، فترى البعض يدعو إلى أنواع من السلوك دون أن يسبقها مثلا بمراتب من الأخلاق، ودون أن يكون هناك نسق أخلاقي عام، أو يدعو لتفعيل العمل والإنتاج، هذه المآزق جعلت كثيرا من الناس يحجم عنها، فلابد أن تعود الدول ذات الأغلبية المسلمة إلى إقامة مؤسسة الدعوة بحيث تكون قوية بجانب مؤسسة الرئاسة، بغض النظر عن كون الدولة جمهورية أو ملكية.

■ **وهل هناك مشروع مقترح حتى لا تتضارب فتاوى بعض العلماء ولا تخرج فتاوى شاذة على إجماع العلماء بين الحين والآخر؟**

- إذا وجدت المؤسسة الدعوية القوية التي ندعو إليها، والتي استمرت بشهادة التاريخ أكثر من ثمانية قرون في الأزهر على سبيل المثال تبقي الدعوة قوية، على اعتبار الأزهر مثالا، وكل دولنا العربية بها مؤسسات دينية يمكن لها أن تعطي، وبالتالي يعود هذا على باقي المؤسسات الدعوية في كل الدول العربية الأخرى، عندما يرتاح الناس للمؤسسة الدعوية ويشعرون بها، بحيث يجدونها حاضرة وغير مغيبة، قريبة منهم، ومتخصصة، ومنتخبة من أهل الاختصاص، وبالتالي يسمع لها الناس ويلتفون حولها.

■ **ما جدوى وجود مجامع فقهية تكون مهمتها مراجعة ما يصدر عن العلماء من فتاوى، خاصة تلك التي يختلف فيها العلماء، وتكون مثار تشويش على الناس؟**

- مع وجود بعض المجامع مثل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ومجمع الفقه الإسلامي بجدة، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في لندن، تكتسب الدعوة ثقة داخل قلوب الأمة الإسلامية، نظرا لاجتماع أصحاب هذه الدعوات، فالناس تقترب أكثر مما يقربها من المولى عز وجل، فهي تتكلم بعلم وتنقل عن الناس بثقة، وبالتالي تكتسب مصداقية لدى عموم وخواص المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

■ **ما رأيكم فيما أثير أخيراً من فتاوى خرجت من بعض السنة والشيعة حملت اتهامات متبادلة، وما قيمة التوافق إثر الهجوم الشرس الذي يتعرض له الإسلام؟**

- الحقيقة أنني أرى ضرورة في التآلف

على كلمة سواء، لأن ذلك في صالح الإسلام كدعوة، والتي يحتاج أبناؤها إلى أن يعتصموا بحبل الله، وهذا نداء نوجهه إلى الشيعة والسنة على حد سواء أن توحدوا على كلمة سواء، فالأمة تحتاج أكثر لعطائكم.

■ كيف ترى واقع الأمة الإسلامية وما آلت إليه بعد محاولات الأعداء المستميتة القضاء على الإسلام من خلال ما يحاك لها يوميا؟

- حينما نريد أن نعبر عن واقع الأمة الإسلامية لابد أن نحدد ثوابتها، فالأمة ثقافيا وبشريا لها إمكانات كثيرة ولكنها ضعيفة ومهدرة ومخطوفة ومجمدة، وتوضع في سبيلها العقبات التي فرضت عليها، فلابد للأمة أن تتفهم دينها وإستراتيجيتها، الكاتب الأديب توفيق الحكيم وصف في كتابه «عودة الروح» واقع الأمة مطالبا بالأخذ بأيديها إلى المراعي لضرورتها، فلابد من إزالة التحديات الكبيرة، حتى تكون قادرة على التحرير لتغيير نفسها.

■ البعض يرى أن الحرب ليس مقصودا بها الإسلام، وإنما مقصود بها الحصول على الثروات العربية والإسلامية، وأنه ليس من مشكلة بين الغرب وأولئك المحاربين والإسلام؟

- هؤلاء إنما يمضغون الماء ويلتفون على المعنى ويفسرون الماء بالماء، فالبحث عن ثروات العرب والمسلمين ليس لذاتها وإنما من أجل المسلمين والإسلام ذاته، نحن لم نخلق العداء وديننا يفرض السلام، فبوش في لحظة قال: لتكن حربا صليبية، وقالوا صراع الحضارات، فقالوا عن قوله تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾(البقرة - ٢٥١) إنه يعني المدافعة والحوار، ما يحدث في العراق وأفغانستان هو السعي للموارد لإفقار هؤلاء الناس وإذلالهم، البعض يريد أن يسترسل في ادعاء الثقافة فيقول دعوكم من نظرية المؤامرة.

■ هل ترون مع ما يرى البعض أن أعداء الداخل للأمة الإسلامية أكثر خطورة على الأمة من أعداء الخارج الذين يقفون لها بالمرصاد؟

- هذا الأمر ينبغي ألا نفرط فيه، فمهما كان ذكاء الأعداء، فنحن نستطيع أن نبْصره، وكم من فيروسات وميكروبات داخلية قد تحصن الشعب ضدها، فنحن ما زلنا بين آفتين داخلية وخارجية، وهم مرتبطون بالفساد الذي يجب القضاء عليه بشكل عام.

■ كيف تستطيع الأمة مجابهة أعدائها في الداخل والخارج، وهل لكم أن تعلقونا على أسباب تراجع الأمة الحضاري؟

- الأمة قد تأخرت أو أُخرت عن مجالها، شأن أي كابح أو جامح حددت حركته، فالمد الخارجي له دور في ذلك، فكثير من الدساتير التي يحتكم إليها البعض هي نوع من الدجل والهوس، فنحن إنما نعاني مما يوجد في طريقنا من عقبات، لابد أن نرجع إلي ذواتنا، نريد الحرية والكرامة والعدل والمساواة، نريد إعمارا وإنتاجا وتحديا.

■ ما دور العلماء والدعاة تجاه هذا التراجع؟ وما دور المجتمع في إعادة البعث الحضاري؟

- إذا قلنا الدعاة كأفراد قد تراجعوا وقصروا، فالتقصير دائما يكون من قبل بعض المؤسسات الدينية التي تحتضن العلماء، وتقصيرها يكون في توجيه هؤلاء العلماء.. الدعاة الذين هم موضع ثقة الناس لم يقصروا، ووسائل الإعلام لم تذكرهم، وعلمهم بين صفحات الكتب يطلع عليه الناس.

■ كيف ترون الصحوة الإسلامية في الوقت الراهن؟ وما هو موقعها في عالم اليوم؟ وهل المسلمون قادرون بالفعل على صناعة الأحداث كما كان في الماضي؟

- إذا نظرنا إلى مظاهر كثيرة في الصحوة فسوف نجدها كثيرة، ومنها على سبيل المثال عودة كثير من النساء إلى الاحتشام، وعودة كثير من الشباب إلى المساجد، وإقبال الناس على تعلم الإسلام من جديد، وما ينبغي أن نقوله قد حدث ميل في هذه الصحوة حيث اتجه بعض الشباب إلى الركون، فبعضهم اتجه مثلا إلى اللغة الأجنبية ولم يتمسكوا بلغتهم العربية، وإذا ما ذكرت الصحوة، فلابد أن يذكر التطرف والإرهاب والذي كان له تأثير سلبي على الصحوة بشكل عام، خاصة أن كثيرين يستخدمون هذا التطرف في تشويه صورة الصحوة الإسلامية.

■ إلى أي مدى يمكن التعويل على الشعوب العربية والإسلامية في معركة التحرير الكبرى للقدس؟ وما سلبيات هذه المعركة التي يحركها طرف وحيد في ظل غياب دائم للمسلمين؟

- الشعوب العربية والإسلامية كلها كفيلة أن تجدد النداء وتعيد القدس، وقبل ذلك لابد من أن تلتحم الفصائل الفلسطينية لحمة لا رجعة فيها لا يفترقون بعدها أبدا، لابد من وحدة إسلامية جامعة، لابد من استثمار البقاء عليه، من باب سددوا وقاربوا.

■ كيف يمكن للعرب والمسلمين «التجبه» في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية؟

- هذا التجبه لن يكون إلا عن طريق التحام الشعوب والأنظمة والحكومات ضد أعداء الخارج، وهذا التجبه يكون عن طريق الاعتصام بحبل الله والوقوف صفا واحدا.

■ من واقع خبراتكم في العمل الدعوي خلال السنوات المنصرمة من العمر.. هل لك أن تضع يدك على مرض الأمة، ومن ثم تضع العلاج وآلية التعاطي مع هذا العلاج وتحدد إطارا زمنيا للعلاج؟

- الرجوع إلى الحق، وإقامة العدل، والرجوع إلى أهل الاختصاص في إدارة الأمور، هو السبيل إلى العلاج الناجع للأمة، ففي ظل هذه المقومات يبدأ العود الحميد إلى الدين.

■ إلى أي مدى ترى استقلالية العمل الدعوي، وكيف ترى احتضان دول عربية وإسلامية لهذا العمل، وكيف يستفيد الدعاة من الحالتين «الاستقلالية» و«الاحتضان»؟

- لا شك أن دولا عربية كثيرة لها باع في الدعوة إلى الله، وأذكر منها السعودية ودولا أخرى كالكويت، فالعطاء لا ينبغي قياسه بعدد السنوات بقدر ما يقاس بالعطاء ذاته، وهو ما يتوافر في هذه الدول وغيرها، وفي الدعاة الذين ينتمون لها، أما عن الاستقلالية والاحتضان فهما متوافران في بلادنا، احتضان للدعوة واستقلالية في التبليغ.

■ كيف ترى طبيعة الصراع العربي الصهيوني، وهل هناك بشائر نصر تحلق في الأفق؟

- هذا الصراع يستلزم منا المرابطة الدائمة في سبيل نصرة الدعوة، والبشائر التي أراها في الأفق هي النصر المؤزر ولكن بتمسك المسلمين بدينهم وجهاد عدوهم.

صراع العقل والغريزة

سهى إبراهيم ياسين

بات من المعروف أن الحياة كتاب مفتوح لكل ما يبحث عنه الإنسان، ولعل صفحات هذا الكتاب هي انبثاق لمنظومات مختلفة من حياتنا، فكل منظومة مختصة بمفردة من مفردات شخصية هذا الكائن الإنساني كمنظومة العقل ومنظومة الغريزة اللتين تعتبران قوى عظمى داخل النفس البشرية، فإذا حلت منظومة العقل في موقع الزعامة ما كان من الغريزة بكل جوانبها إلا أن تدبر أو تستكين، أما لو كانت الغريزة هي المسيطرة فإنها بذلك تسدل ستاراً سميكاً أمام العقل بغية جعله في حالة من عدم الوعي والاستبصار بما يحدث، ومن خلال ذلك يتجلى الصراع بين العقل والغريزة اللذين يتدخلان في كل صغيرة وكبيرة تخص الإنسان بغية الاستيلاء على قلبه والوصول إلى صنيعة معينة يسير وفقها هذا الإنسان من خلال تحكم أحدهما، أو أن يكون لكل واحد منهما حصة من عمل واحد.

وانطلاقاً مما تقدم فقد انطلقت موجة كبرى من الدراسات حول ماهية هذا الصراع، كدراسات فرويد أحد علماء النفس الغربيين، الذي اعتبر ان مركز الصراع عند الإنسان متجسد في الغرائز التي هي عبارة عن «الهوى» مركز الشهوات والقوة الدافعة المحركة، وبين «الانا» التي تلعب دور الوسيط الموفق، بينما تمثل منطقة «الأنا الأعلى» من الحياة النفسية البشرية مركز الضمير والعقلنة والقوة الكابحة المقيدة.

وهذا معناه أن فرويد كان يرى أن جميع الصراعات التي يعيشها الإنسان انما تعود الى تلك القوى منطقة «الهو» ومنطقة «الأنا» ومنطقة «الأنا الأعلى»، لأنها تمثل القوى الدافعة لحركة شخصيتنا الإنسانية، والمحركة لحياتنا النفسية كلها، بالاضافة إلى دورها الجوهري في تحريك سلوك الإنسان وتحديد وجهته الحياتية والوجودية والثقافية، من خلال زيادة حساسيته بالقوة الكامنة فيه والكافية لأنواع معينة من التنبيه، كمنبهات الوسط الخارجي التي تهدف إلى تنشيط بعض الغرائز الفطرية مثل ما نشهده اليوم في الإعلام ولاسيما برامج البث الفضائي والانترنت.

وإذا كانت نظرة فرويد تمثل نظرة علماء النفس الغربيين للصراع بين العقل والغريزة، فإن النظرة الإسلامية لهذا الصراع قد اختلفت عندما انطلقت من فكرة مفادها آن العقل أفضل نعمة منحها الله للإنسان، لأنه يشكل دواء لأي داء يواجه الإنسان، فهو بصيرة كل إنسان على اختلاف ماهيته الدينية والمجتمعية، فالنظرة الإسلامية تقوم على أن الله سبحانه وتعالى قد ميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية بالعقل (أفضل نعمة ممنوحة) وذلك بغية جعله الرادع والوازع لأي غريزة من شأنها أن تحط من شأن الإنسان الباحث عن رضا الله سبحانه وتعالى، وتنزل به إلى مستوى الرذيلة التي نهى الله سبحانه عنها، فالصراع هنا قائم بين العقل، النعمة التي توصل إلى الفضيلة ورضا الله، وبين الغريزة، الشهوة التي توصل إلى الرذيلة وسخط الله ومعصيته، ولذلك تتسم حياة الإنسان المؤمن وفق النظرة الإسلامية- بالهدوء والاتزان لأنها قائمة على تحكم العقل وانتصاره على الغريزة بينما تتسم حياة غير المؤمن بالقلق والتوتر لأنها تتعرض للأهواء والشهوات والسقوط في الرذيلة.



ولعل أفضل شيء يمكن أن نحل به هذا الصراع هو إيجاد صيغة مشتركة بين هاتين القوتين العقل والغريزة بحيث تقود هذه الصيغة المتوازنة الإنسان إلى الحياة السوية وذلك من خلال توجيه الغريزة الوجهة الصحيحة النافعة للحياة الإنسانية المستقرة وبما يتلائم مع ما يدعو إليه ديننا ويتماشى مع عاداتنا وتقاليدنا الأصيلة.

لغة وأدب

نظرية عربية نقدية.. من أين؟ وكيف؟

بينما يرى نقاد وأدباء ضرورة وجود نظرية عربية نقدية لمواكبة الأدب العربي وتقويم اعوجاجه ووضعه على الطريق الصحيح للقيام بدوره المناط به، يزعم آخرون أن الأدب لا يعرف جنسا ولا لونا، فلا يمكن أن تكون هناك نظرية نقدية عربية، وثانية أميركية، وثالثة أوروبية... الخ، إنما الأدب إنساني عام، ونظريته واحدة لا تتغير بتغير لغته أو جنسه.

والحق أن النظرية النقدية العربية ليست في حاجة إلى إيجاد، فهي موجودة بالفعل، إلا أنها تحتاج الى من يلملمها أو يعيد ترتيبها، وإلى من يأخذ بيدها الى التطبيق، فاكاً أسرها من التنظير والتقعيد، ففيما كتبه عبدالقاهر الجرجاني وابن جني وابن طباطبا وابن سلام الجمحي وأبوهلال العسكري والباقلاني والجاحظ وغيرهم ما هو جدير بأن يكون قواعد وأصولا تبنى عليها أدوار وأنماط متعددة لنظرية عربية نقدية، وعقول نقادنا ما جفت ولا أجدبت، ولا هي عاجزة عن أن تعلو بالبناء على هذه القواعد، غير أنها تحتاج الى من يكسر ما كبلت به من قيود.

أما من يلهث وراء نظريات نقدية غربية ويحاول أن يلوي أعناق النصوص ليطوعها لتلك النظريات التي ربما لا يصلح كثير منها لقراءة أدبنا قراءة نقدية سليمة، فإن لهم أن يعرفوا أن النظريات الغربية (البنيوية والتفكيكية واللسانية وغيرها) انما هي قائمة على ما أفرزته عقول نقادنا القدامى الأفذاذ الذين سبق أن أشرنا الى نفر منهم، فإذا كان الأصل في أيدينا، فلم نلهث وراء الفروع؟

ليس معنى هذا أن نضرب حول انفسنا أسوارا منيعة تحجب عنا رؤية غيرنا، من حيث هو يرانا، بل لنا أن نأخذ ما صلح لأدبنا ولاءمه، ان كان موجودا، ونطرح ما لا يكون له سبيل في قراءة آدابنا ذات الطبيعة الخاصة المختلفة عن كل الآداب، لا أن نطوع النصوص لنظريات تحل في واد وهي في واد آخر!

مع العلم أننا ان للمنا ما لدينا من أصول نقدية، وطرحنا ما في النظريات الغربية مما لا يتوافق مع آدابنا، فأغلب الظن أنه لن يبقى فيها ما ينفعنا.. وُلنَرَ!

المحرر





الشاعر والكاتب المسرحي د.كمال غنيم في حوار خاص:

تجربة الصراع الطويلة أبرزت ملامح التميز في الأدب الفلسطيني



ولد د.كمال أحمد غنيم في السادس والعشرين من يونيو عام ١٩٦٦ لاجئا في بلدة النصيرات وسط قطاع غزة، فلسطيني المنبت وجذوره تمتد إلى «وادي حنين»، حين شبَّ فتيا ولع بالشعر، أولى كتاباته الأدبية كانت وهو في الثالثة عشرة من عمره.

صقل موهبته بالدراسة والعلم، إذ تخرج في عام ١٩٩٢ من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية، ومن ثمَّ تمرس على كتابة الفنون الأدبية، فأبدع في الشعر والقصة القصيرة، وراح يوازن بين الدراسة الأكاديمية والإبداع في الفنون الأدبية، تخرج من جامعة النجاح الوطنية بكلية اللغة العربية وآدابها وحصل على شهادة الماجستير بعد مناقشة أطروحة «عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر» عام ١٩٩٧، وحصل على الدكتوراه في المسرح الفلسطيني، غنيم لم يترك مجالا لم يبدع فيه، إيماناً منه أن المبدع دائماً مبادر يثبت ذاته أينما كان، حالياً يشغل منصب أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية ورئيس نقابة العاملين فيها، ومشرف الدراسات العليا في كلية الآداب «الوعي الإسلامي» حاورت الشاعر.. واليكم نص الحوار:

- كالكثير من رجال المجتمع الفلسطيني المحتل، تعرضت للاعتقال في سجون الاحتلال، هل حدثتنا عن تجربة الأسر بكل ما فيها من آلام وإبداعات أدبية؟

تجربة الأسر في سجون الاحتلال كانت على مدار تسعة أشهر، كانت أشبه بمخاض جديد وميلاد جديد شكلت وبلورت شخصيتي من جديد، أذكر حين دخلت المعتقل كنت أملك رؤية أكثر مثالية للأشياء، وإن كنت كما سائر الشعب الفلسطيني منغلقاً على واقع دام ومحزن إبان انتفاضة عام ١٩٨٧غير أن تلك التجربة صقلت بشكل كبير شخصيتي، أعادت التوازن لديَّ ما بين الواقع المر والإمكانات والعواطف الجياشة، استطاعت تلك التجربة أن تشكل شخصيتي من جديد، ولو لم أمر بتلك التجربة لكنت قد خسرت الكثير، فعلى الرغم من مرارة الاعتقال فإنها تزيد الإنسان نضجا وإحساساً أكبر وتفكيراً أعمق وجدية أكثر في تحقيق الأهداف والطموحات والسعي الدؤوب من أجل الوصول إلى الأهداف الكبيرة.

ماذا عما ناديت به والدتك من الشعر؟

كانت تجربة الاعتقال قاسية جداً حتى كانت مفعمة بقسوة أكبر من تجارب الإخوة المعتقلين الآخرين، عشت ما يقارب تسعة أشهر في المعتقل ولم أر أحداً من الأهل والأقارب، في مرة من المرات أثناء المحكمة لمحت طيف أمي خارج قاعة المحكمة وكان الأمر قاسياً، فمهما كان الإنسان يستطيع أن يغلف قلبه بالصلابة والمتانة إلا أنه يبقى إنساناً من قلب ومشاعر وتبقى لديه أشياء صغيرة تجرح صلابته وتخدشها بشكل كبير، ولمحتي لأمي وهي خارج المحكمة ذبحتني ،خاصة أنها تعاني ما تعاني دون أن تتمكن من رؤيتي أو أستطيع أنا أن أراها، كانت تجربة قاسية ومريرة ورغم ذلك نسجت كلمات شعرية إبداعية بسيطة الطرح قلت مخاطباً طيف أمي:

أمي ناديتك يا أمي
والسلك الشائك يجرحني
قد كنت هناك على لهف
ودموع عيونك تذبحني
وفؤادك يقطر تحنانا
وفؤادي يقتله شجني
أمي ناديتك محموما
ويداي تلوِّح في وهن
فالقيد يكبلني قسرا
وذئاب حولي تنهشني
ومضيتُ وقافلة الأسرى
وعيونك أمي تتبعني
أمي رحماك فلا تبكي
أمي فبكاك يعذبني
ودعي الأحزان لمن ضعفوا
غشاهم طيف من وسن
وغدا ستعود جحافلنا
وتزغرد أركان الوطن
وتعلم أرجاء الدنيا:
لا نصر يجيء بلا محن

- لديك حصيلة كبيرة من المجموعات الشعرية والقصص والمسرحيات، أيها أقرب إلى نفسك؟

الحقيقة كل مجموعة شعرية كانت تمثل مرحلة زمنية من مراحل العمر وتطورها فـ «شروخ في جدار الصمت» كانت تمثل مرحلة انتفاضة عام ١٩٨٧ على امتداد سنواتها، مرحلة الفتوة والشباب، ثمَّ جاءت مرحلة «شهوة الفرح» التي تمثلت في تجربة صعبة بعد خفوت صوت المقاومة على مدار سنوات عديدة، ثمَّ جاءت مرحلة تالية تجددت فيها روح المقاومة بشكل كبير، فكانت مجموعة «جرح لا تغسله الدموع» كان فيها النضج أكبر على صعيد الشعور بالفقد والعطاء والتضحية ثم توجت حتى الآن بـ«ما لم يقله قيس» وفيها وصول إلى حافة الجنون عشقاً وهياماً بالوطن والتضحية من أجله، كل مجموعة من المجموعات الشعرية التي كتبتها تشكل مرحلة دالـه على ذات الإنسان وقلبه، لكن هناك بعض القصائد



التي يكون لها أثر كبير، أذكر مثلاً قصيدة «رسالة شهيد» في ديوان «شروخ في جدار الصمت» وقصيدة «سارية على مفترق طرق» في ديوان «شهوة الفرح» وقصيدة «الوصايا» من ديوان «ما لم يقله قيس» فيها نوع من تمثل روح التضحية والمواصلة والمثابرة رغم الظروف الصعبة، أيضاً بها نوع من الدرامية في الحوار ما بين الشاعر الذي تتجسد فيه معاناة الإنسان الفلسطيني والبحر عندما يصبح البحر مسانداً له، يقول له لا تذرف الدموع لأنك إن ذرفتها لا تحل قضاياك، حيث البحر هو دموع الضعفاء الذين سبقوا فأنت ستزيد البحر دموعاً لا أكثر ولا أقل وعليك السعي والمواجهة.

- جاءت انتفاضة الأقصى بزخم كبير وأحداث أبرزت الوضع الإنساني وما تبعه من مآس، شعرياً كيف واجهت هذا الوضع؟

الشاعر في الغالب يكون قريباً منتمياً لطبيعة الواقع مستقرئاً لمعطياته يستطيع أن يتنبأ نبوءات علمية أو شعرية إن صح التعبير بما يمكن أن يجري أو يحدث، الحقيقة انتفاضة الأقصى الأخيرة كانت نبوءة من النبوءات التي تنبأت فيها بقصيدة «سارية على مفترق طرق» في بدايات ديوان «شهوة الفرح» وكانت نبوءة تتوقع حدوث الكثير من التلاحم الفلسطيني، وكانت تحذر من قضية الخلافات الفلسطينية وانعكاساتها على المجتمع الفلسطيني؛ إذ إن العنوان «سارية على مفترق طرق» حمل المعنى بالفعل، أستطيع أن أقول أن الشعر الذي نكتبه ما هو إلا محاولات لتأجيج العواطف وتأكيد الصمود والمثابرة والمكابرة وخلق واقع أفضل وأجمل، والتحذير من أمور قد تكون بمثابة عقبات ومعيقات خطيرة في سبيل الوصول إلى الأهداف، أعتقد أن الكتابة الشعرية كانت رقيقة جداً وبطريقة حيوية إنسانية دفاقة كإفراز طبيعي لمثل هذه التجربة الصعبة والمميزة التي يعيشها الإنسان الفلسطيني في الواقع العالمي العصيب.

- هناك بعض الشعراء والأدباء المعروفين أخطأوا وانصاعوا لتوجهات سياسية، وكان ذلك واضحاً في الفترة الأخيرة، برأيك هل يعتبر ذلك بعداً منهم عن الدور الرئيسي للشعر الذي من الواجب أن يكون للشعب كله وليس لفئة على حساب الأخرى وفقاً للمصالح؟

بداية أقول إن الإبداع نوع من إعادة ترتيب مفردات الواقع وفق وجهة نظر مبدع معين، من الجميل أن تكون وجهة النظر تلك نظرة إيجابية، لكن لا نستطيع أن نجعل الجميع ينصهر في بوتقة واحدة وتحت إطار واحد، من الصعب أن نطلب من كل الشعراء والمثقفين التزام رؤية موحدة، لكن بالإمكان أن يكون لهم رؤية متقاربة توحد الأمور المتباعدة، برأيي أن قيام بعض الشعراء تحت هذا الإطار- وإن كنت لست معه- يعد إفرازا طبيعيا لخلاف وجهات النظر بين الناس، لكن الأفضل فعلاً للشعراء والمثقفين والأكاديميين والحكماء في كل فئة من فئات المجتمع أن يكونوا هم من يقودونا إلى نوع من التوحد، باعتقادي أن من يقوم بمسألة الخلاف هو أبعد الناس عن الثقافة والإبداع والعلم والفكر والدين، قضية الخلاف الدامي قضية محرمة ويصعب أن يقبل بها شاعر أو أديب أو عالم أو سياسيٌ أو مفكر.

- كيف تقيم الأداء الشعري والأدبي في المشهد الثقافي الفلسطيني خلال السنوات الأخيرة؟

كوني متابعاً للمشهد الثقافي الفلسطيني بصفتي الأكاديمية وصفتي الإبداعية، الأدب الفلسطيني تفجر عطاؤه إلى الوجود بشكل رائع وجميل منذ عام ١٩٣٠ عندما بدأت تتفتق التجربة الوطنية، تجربة الصراع طويل الأمد بدأت تظهر ملامح التميز عند الأديب الفلسطيني، وتلك المعطيات التي فجرت ذلك الينبوع الجميل الذي أثرى المشهد الثقافي العربي وأمتع المثقفين في كل مكان ما زالت موجودة حتى في ظل وجود معوقات كالانقسام أو ما شابه، وما زلنا نرى عطاءً ونتاجاً مميزاً على صعيد الإبداع الفلسطيني في كافة النواحي الأدبية، المشكلة أحياناً أن بعض الأصوات قد تغيب بسبب الخلافات أو سطوة السياسي على الثقافي في بعض الأحيان، لكن في النهاية المشهد ثريٌ وهناك العديد من الأصوات الإبداعية الجميلة التي تقاوم من أجل أن تبقى وأن يكون لها دور في صناعة مستقبل أفضل وصياغة واقع أجمل.

- وماذا عن الذين يريدون التواجد على الساحة الأدبية من الشباب الموهوبين، هل هناك رعاية لمواهبهم وتقدم في محلها؟

الحقيقة أن المواهب اليوم أجمل وأكثر وأحسن حظاً من المواهب التي كانت في السنوات الماضية، فاليوم على أرض الواقع نمتلك العديد من المؤسسات والجمعيات والهيئات التي تهتم بالطاقات الإبداعية الجديدة وتأخذ بيدها نحو الصعود والانتشار، وهذا لا يعني مطلقاً أنني راض عن أداء كل الهيئات الرسمية أو المجتمعية القائمة على أرض الواقع، فهناك طموح أن يكون هناك واقع أفضل، ودائماً كنت أقول لذوي المواهب من الشباب والفتيات بألا ينتظروا أحداً فالمبدع يمتلك روح المبادرة وروح المكابرة والمثابرة بحيث يواصل طريقه ولا ييأس ولا يحبط مهما كانت الظروف صعبة، الواقع اليوم أفضل بكثير مما كان عليه ونأمل أن يكون أفضل في القريب.

- الإبداع الشعري الفلسطيني في المهجر، ما رأيك به الآن؟

أصبح هناك تداخل بشكل كبير بين أدب المنفى والأدب الفلسطيني في الداخل، وهذا مرده إلى التطور الحضاري الذي وصلنا إليه، فاليوم عبر الإنترنت والفضائيات وإمكانيات التواصل الجدية تكسرت الكثير من الحواجز التي كانت تقيد المبدع وتبقيه في إطار ضيق، اليوم حتى رغم الحصار الشديد الموجود في غزة أو الضفة فإن الإنسان يستطيع أن يحلق عبر فضاءات الإنترنت ليصل إلى جمهور أكثر وانتشار أوسع مع وجود بعض السلبيات عندما لا يكون هناك إفراز حقيقي ما بين الغث والسمين في بعض الوسائل الإلكترونية.

لكن لكل شيء جانب إيجابي وآخر سلبي، والجانب الإيجابي اليوم هو قدرة المبدع الحقيقي أن يصل إلى مبتغاه برغم وجود الغث إلى جانب السمين، والقارئ سيحكم في النهاية، ولأن ما ينفع الناس سيمكث في الأرض.

- الإغلاق جعل المبدع الفلسطيني في غزة مقطوع عن الضفة والعالم الخارجي هل هذا صحيح؟

على صعيد الاتصال المباشر بالتأكيد، وذلك منذ فترة بعيدة وليس في الفترة الحالية، لكن من خلال التواصل الثقافي عبر الوسائل المستحدثة فالإنسان امتلك اطلاعا أوسع من خلال هذه الوسيلة.



معاجم مصطلحات البحث والتأليف العربية المعاصرة

لم يكن مدهشا أن يقرر فرانتز روزنتال أن المسلمين كان لهم إسهام جبار في ميدان التأليف العلمي، وهذا الرأي الذي افتتح به كتابه «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي» (ص 15) جاء مدعوما بما توصل إليه كثير من العلماء الغربيين من أمثال فون كريمر.
وبالإمكان أن نقرر أن وجود جهاز مصطلحي أو مدونة مصطلحات عربية للتأليف والبحث العلمي عند العرب كاف- في هذا السياق- لإثبات تفوق الحضارة العربية الاسلامية في باب التأليف والبحث العلمي منذ وقت مبكر مقارنة بما عرفته فيما بعد الحضارة الغربية.



د. خالد فهمي

هذه الحقيقة جاءت نتيجة منطقية للعناية المبكرة التي أولاها الإسلام العظيم لتدبر نصه الأكبر الحاكم في الثقافة العربية وهو الكتاب العزيز، فضلا عن العناية المبكرة التي تجلت في الحث على القراءة والبحث والتأمل على مستوى النصوص المشرعة في القرآن الكريم والسنة المشرفة وعلى مستوى الواقع منذ زمان مبكر جدا يعود إلى عصر النبوة.

١ - العناية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في الحضارة الإسلامية قديما

ظهرت عناية الثقافة العربية الاسلامية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في ميادين متنوعة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: معاجم المصطلحات المتعددة العلوم (أو ما نسميها باسم معاجم المصطلحيات العربية) من مثل: مفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريف للجرجاني، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، وجامع العلوم للأحمد نكري، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

ثانيا: مصنفات تصنيف العلوم، ذلك أن هذه المصنفات غايتها التعريف بالعلوم المختلفة، وبطرائق تصنيفها، ومن أشهر ما عرفه التأليف العربي في هذا الباب المعرفي إحصاء العلوم للفارابي، وطبقات العلوم لصاعد، وترتيب العلوم لساجقلي زاده.

ثالثا: مصنفات الفهارس والببليوجرافيا العربية، التي اعتنت برصد الإسهام العلمي عبر التاريخ من مثل: الفهرست، للنديم، ومفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده، وكشف الظنون لحاجي خليفة.

رابعا: مصنفات علم الحديث (الدراية)، لما فيها من عناية فائقة بطرق تحمل العلم وأدائه وكيفية نقد المتن، وغيرها من المسائل المهمة جدا في التأليف والبحث العلمي، من مثل: تدريب الراوي للسيوطي، والجامع للخطيب البغدادي، والإلماع للقاضي عياض.

خامسا: مؤلفات أصول الفقه ومعاجمه، لاهتمامها بالمجتهد وشروطه، وهي كثيرة تملأ المكتبة العربية، من مثل: الحدود للباجي، والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري، وبيان كشف الألفاظ التي لابد للفقيه من معرفتها للامشي الحنفي، المنسوب خطأ للأبذي المصري.

ولا يمكن التغافل هنا عن مؤلفات علم الأصول والجدل والمناظرة والمنطق، لعنايتها جميعا بطرائق الاستدلال، ونقص الأدلة، وعكسها، وبيان بطلان الباطل منها، ورد أقوال الخصوم، وكلها من لوازم عمل الباحث في التأليف والبحث العلمي.

سادسا: مؤلفات تحقيق التراث وإعداد البحوث ومناهجها، ومؤلفات أصول التوثيق ونشر الكتب وعلم المكتبات والوثائق، وعلم المخطوط العربي، وهي كثيرة جدا ومتنوعة تنوعا خصبا.

واعتماد ما ورد في هذه المصنفات كاف في إخراج معجم غزير المادة لمصطلحية البحث العلمي عند العرب، وهو ما يعكس الوجه الحضاري الرائع للثقافة العربية الإسلامية في عطائها المعرفي للإنسانية في هذا المجال الخطير.

وقد كان لغياب كثير جدا من هذه المصادر عن المعاجم المصنوعة حديثا لمصطلحات التأليف والبحث العلمي عند العرب أثر ظاهر في إخلالها بعدد كبير من هذه المصطلحات لم تظهر فيما بين أيدينا من هذه المعاجم المعاصرة.

وفيما يلي أمثلة لمصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية توافرت فيما رصدته من المصادر التي تعد أصلا لازما لصناعة أمثال هذه المعجمات، وهي من مصدر واحد فقط هو معجم التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي المصري (ت ١٠٣١هـ) (١):

■ آداب البحث = صناعة نظرية، لاستفادة كيفية المناظرة، وشروطها صونا عن الخبط في البحث، وإلزاما للخصم وإفحاما.

■ الدخيل = وقولهم: هذا الفرع دخيل في الباب، أي: ذكر استطرادا أو لمناسبة، ولا يشتمل عليه عقد الباب.

■ العرض = وله معان منها: استظهار الكتاب حفظا، ومقابلته بنسخة صحيحة، لتصحيحه وضبطه.

■ الغصب = في آداب البحث: منع مقدمة الدليل، وإقامة الدليل على نفيها قبل إقامة المعلل الدليل على ثبوتها سواء لزم إثبات الحكم المتازع فيه ضمنا أم لا.

■ المبادئ = هي التي تتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المذاهب، وتقرير المباحث، فللبحث أجزاء مترتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ والأواسط والمقاطع والمقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها.

وهذه أمثلة قليلة جدا لما تحتفظ به لغة العرب في هذا المجال المهم، مما يمكن الإفادة منه، وهو ما كان لغيابه الأثر السلبي في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة.

٢- معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة اجتهد المعاصرون من

● أستاذ اللغة العربية في جامعة المنوفية



علماء العربية في قطاع كبير من قطاعات العمل المعجمي، ولاسيما المختص، أن يبتكروا أنواعا من المعاجم لم تلق العناية اللائقة بها قديما من جانب، أو أن يدفعوا عن هذه المعاجم بعضا من الاتهامات أو الأخطاء الشائعة في مجال معرفي معين.

هذه الصورة هي التي حكمت ظهور معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة، يقول د.أحمد جاسم النجدي: «من الأفكار الشائعة بين كثير من الباحثين فكرة تشير إلى أن منهج البحث علم اقتبسناه من الغربيين ضمن ما اقتبسناه في بداية عصر نهضتنا من علوم وفنون. ولم يكن اقتباسنا هذا العلم مقتصرا على خطواته ومبادئه فقط، بل شمل كثيرا من مصطلحاته الدالة على خطوة من تلك الخطوات، أو مبدأ من تلك المبادئ بعد ترجمتها إلى لغتنا واستعمالها بمدلول يدل على تلك المبادئ والخطوات» (٢).

ويؤكد د.عبد الله بن محمد أبوداهش أن الدافع وراء عنايته بجمع مصطلحات البحث العلمي هو أنها متفرقة في غير ما مكان مما يفوت فرص الإفادة منها.

وقد عرف التصنيف المعجمي العربي المعاصر معجمين لمصطلحات التأليف والبحث العلمي، هما كما يلي:

(أ) معجم مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي ١٩٨٦م، صدر ضمن كتاب المورد بعنوان: دراسات في اللغة، تحرير - طراد الكبيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد سنة ١٩٨٦م (ص ١١٧-١٤٤).

(ب) معجم مصطلحات البحث العلمي، للدكتور عبد الله بن محمد أبي داهش، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، صدر عن مكتبة العبيكان، الرياض سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م (ص ٩١).

العناية بمعاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي يصحح التصورات والمفاهيم المغلوطة عند الحضارة الغربية المعاصرة

وظائف مهمة

وفحص الأهداف التي حكمت ظهور هذين المعجمين يعكس عنايتهما بتحقيق الوظائف والأغراض التالية:

أولا: الوظيفة الحضارية، أي البرهنة على تقدم العلم في الثقافة العربية الإسلامية في ميدان البحث والتأليف، من خلال جمع مصطلحاته واستعمالها برهانا على عطاءات هذه الحضارة وسبقها في ميدان البحث العلمي ومناهجه مقارنة بغيرها من ثقافات الألسنة الأخرى.

ثانيا: الوظيفة المعرفية (العلمية)، ويقصد بها العناية بالمفاهيم والتصورات التي تحملها هذه المصطلحات، لاسيما بعد تقادم العهد بها.

ثالثا: الوظيفة التربوية والأخلاقية، ويقصد بها أثر هذين المعجمين في المبادئ التي تتسرب إلى أنفس المستعملين من تأمل كثير جدا من المداخل (المصطلحات) التي تحمل قيما تربوية وأخلاقية، لاسيما أن عددا ضخما من مصطلحات التأليف والبحث العلمي تتعلق بآداب البحث وأخلاق العلم وسمات الباحث وآداب التلقي، وأخلاق النقل.

منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي

لم يكن غريبا أن يرتب د.أبوداهش مصطلحات معجمه في مصطلحات البحث العلمي وفق المنهج الهجائي الألفبائي النهائي، أي من غير اعتبار للحروف الجذور أو الأصول، وهو المنهج الأشهر من معيار التيسير، ولا شك أن ذلك يعكس وعيا معجميا معاصرا من جانب ويعكس وعيا بضرورة توفير مبدأ التيسير في العمليات المختلفة في البحث والتأليف.

ومراجعة المصطلحات التالية، وهي منقولة حسب ورودها عنده، دالة على هذا المنهج المتبع (مداخل باب الباء)

■ الباب = جزء من المحتوى العلمي في الكتب أو البحوث العلمية... ص ٩٨

■ الباحث = المؤلف المستقصي ذو صفات العلمية... ص ٩٨

■ البحاث = كالباحث... ص٩٨

■ البحاثة = المصنف العالم ذو القدرة على التدوين والتأليف... ص ٩٩

■ البحث = بذل الجهد في موضع ما وجمع المسائل التي تتصل به... ص ٩٩

■ البسملة = ما تفتتح به البحوث العلمية... ص ٩٩

■ البشر = إزالة بعض المكتوب بالسكين بطريقة معينة... ص١٠٠

■ البطاقة = ورقة مصممة بشكل معين تستعمل في جمع المادة العلمية... ص ١٠٠

فهذه المصطلحات التي تدخلنا في بعض تعريفاتها منقولة بترتيبها من المعجم المشار إليه، وهي تدل على المنهج الذي وصفناه، والعلة الظاهرة من هذا المنهج هي التيسير بل الإنعام في التيسير، ولا شك.

وهذا المنهج هو الذي يدعم الوظيفة العلمية التي هدف إليها صانع هذا المعجم.

الطريق مازال طويلا

وتأمُّل هاتين المحاولتين على ما أصابهما من نقص يفتح الباب واسعا للقول بأن الحاجة إلى معجمات تعنى بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في العربية ما تزال ملحة جدا، لاعتبارات كثيرة لعل أهمها أن غايات التأليف والبحث العلمي عند العرب مختلفة تماما عن الغايات المتواترة عند غيرهم، وهو الأمر الذي يتعرض لكثير من الضبابية بتأثير من غول الثقافة الغربية، ومن شأن العناية بمعاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي عند العرب أن يعيد تصحيح التصورات والمفاهيم المرتبطة بهذا الميدان التي ظلت على امتداد التاريخ الإسلامي مرتبطة بقيم التوحيد والربانية والإعمار وتزكية الأنفس والتراحم، وهو ما غاب غيابا ظاهرا عن ميادين البحث العلمي في الحضارة الغربية المعاصرة.

المراجع

١- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط ١ سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م (ص٤٥،٣٣٥،٥١١،٥٣٩،٦٣٣).

٢- مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، د.أحمد جاسم النجدي (ضمن كتاب المورد: دراسات في اللغة) بغداد، ١٩٨٦م (ص ١١٩).



أيهما أفضل .. الشعر أم النثر؟

عبدالهادي صافي

هذه القضية النقدية من القضايا الكبرى التي طرحها الأدباء والنقاد في العصر الحديث والقديم، أيهما أفضل الشعر أم النثر؟ وبعبارة أخرى أيهما أفضل الشعر أم القصة والرواية؟ وأيهما أفضل الشعر أم المسرح؟ الشعر أم الأنواع النثرية الأخرى؟ وقد أشبعوا هذه القضية بحثا، وصاغوا السؤال صياغة جديدة تستدعيها الثقافة المعرفية التي حصل عليها النقاد من توافر المعلومات والكتب والمدونات، هذه الصياغة الجديدة هي: أيهما كان الأقدر على تصوير الحياة والتعبير عن مشاكلها وهمومها الشعر أم النثر؟ هل الناس أكثر حاجة لقراءة الشعر والقصيدة أيا كان نوعها عمودية أو حرة أم لقراءة قصة أو مسرحية؟ وأي النوعين أشد اهتماما بما يلامس شعور الناس الشعر أم النثر؟

هناك طائفة من النقاد القدامى كانوا يؤثرون الشعر على النثر ومنهم ابن رشيق القيرواني الذي كان يفضل الشعر على النثر، ويلتمس لتفضيله أسبابا كثيرة وينظر اليه من الناحية الفنية والجمالية، فالعقد المنظوم أفضل عنده وأجمل من الدر المنثور «إن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه، ألا ترى أن الدر – وهو أخو اللفظ ونسبه، وإليه يقاس، وبه يشّبه – إذا كان منثورا لم يؤمن عليه، ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب، وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمنا، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال، وكذلك اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع، وتدحرج عن الطباع، ولم تستقر فيه إلا المفرطة في اللفظ وان كانت أجمله، فإذا أخذه سلك الوزن، وعقد القافية، تألفت أشتاته وازدوجت فرائده وبناته، واتخذه اللابس جمالا، والمدخر مالا، فصار قرطة الآذان، وقلائد الاعناق، واماني النفوس، وأكاليل الرؤوس، يقلّب بالألسن، ويخبأ في القلوب، مصونا في اللب، ممنوعا من السرقة والغصب»(١).

ثم يمضي يبين شدة ولع العرب بالشعر وشدة حاجتهم اليه لتدوين مآثرهم ومكارم أخلاقهم، وذكر وقائعهم وأيامهم وأنسابهم، فالشعر ديوان العرب، ولا تدع العرب الشعر حتى تدع الناقة الحنين الى ولدها، ويذكر في كتابه العمدة الحاجة النفسية والاجتماعية للشعر عند العرب «وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم الاخلاق، وطيب اعرافها، وذكر ايامها الصالحة، وأوطانها النازحة وفرسانها الانجاد وسمحائها الاجداد، لتهز انفسها الى الكرم، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا، لانهم شعروا به اي: فطنوا»(٢).

ويبين القيمة الاجتماعية للشاعر وقلة مكانة الكاتب، فان الشاعر يخاطب الملوك والامراء، ويلقي شعره وهو واقف، واثقاً بنفسه «مدل بما عنده على الكاتب والملك، فهو يطلب ما في ايديهما ويأخذه، يخاطب الملك بالكاف كما يخاطب أقل السوقة، فلا ينكر ذلك عليه بل يراه أوكد في المدح، وأعظم اشتهارا للممدوح...»(٣).

ولشدة أهمية الشعر وخطره خاصة في صدر الاسلام ان «النبي ﷺ بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم: الشعر ميزان القوم، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه: مر من قبلك يتعلم الشعر، فانه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب»(٤).

ولكن يجب ان نتذكر أن للنثر قيمة كبيرة ايضا، فالكتب التي كان يوجهها النبي عليه الصلاة والسلام كانت تكتب نثراً، بأبلغ اسلوب وأوجزه، والمراسلات بين الخلفاء وقادة الجيوش كانت تكتب نثراً، والتواقيع التي كان الخلفاء والأمراء يكتبونها في الحواشي كانت نثراً، والخطب – وما أكثرها – كانت نثرا، وهذه المؤلفات في السيرة النبوية والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وكتب الفقه والتفسير والمنطق والفلسفة كلها كانت تكتب نثرا، ناهيك بكتب الجاحظ الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وينبري ابن رشيق لقضية القرآن الكريم يرد به على من يحتج للنثر على الشعر، يقول أصحاب النثر ان القرآن الكريم منثور وأن النبي عليه الصلاة والسلام ليس شاعرا ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾(يس –٦٩) فيرد على هؤلاء المنتصرين للنثر الطاعنين على الشعر وجعله منثورا ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادرا على ما يحبه من الكلام، وتحدي جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم وذلك كما قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الاسراء-٨٨) فالقرآن أعجز الشعراء وليس بشعر، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة، والمترسلين وليس ترسلاً، وإعجازه الشعراء أشد برهانا، ألا ترى كيف نسبوا النبي ﷺ الى الشعر لما غُلبوا وتبين عجزهم فقالوا: هو شاعر، لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه ما لا يلحق، والمنثور ليس كذلك...».

والحقيقة أن القرآن ليس نثرا ولس شعرا، إنه لا يخضع لموازين النقد ويتأبى على كل تصنيف، إن له من مزايا الشعر نصيبا ومن خصائص النثر نصيبا، ولكن

● كاتب صحفي سوري

لا يجري على أمثالهما البتة، هناك آيات لها وزن شعري، إلا أنها ليست بشعر لأنها لا تجري على سننه وتقاليده وأعرافه، وقد يميل الى أن يكون نثرا لولا هذه الموسيقى الساحرة التي لا توجد في نثر مهما بلغت جودته وفنيته، ان القرآن لا يستقيم على خصائص النثر لأن من أوفى علاماته التسلسل الفكري، والقرآن يكاد يخلو من هذا التسلسل في الأفكار الذي اعتاد عليه العقل البشري، وعصى على الترابط العقلي، لأنه يخاطب الشعور في أكثر الأحيان، ومخاطبة الشعور لا تحتاج الى إحكام الصنعة في الترابط، انه كلام معجز لا يجري على ما ألفه الناس من أسس الشعر ولا من مقومات النثر، عرف العرب القصائد وما هو منها، وعرفوا كلام الخطباء والكهان، وليس منه، إنه نوع معجز، نوع له خصوصيته، كلام لا يشبه كلام البشر ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾(النجم -٤) إنه قرآن فحسب له معاييره وموازينه وأحكامه وأسسه لم يعرفها العرب في بلاغتهم وحكمهم.

وبناء على ذلك فإن ابن رشيق لم يفطن الى أن القرآن نوع آخر من الأنواع الكلامية، فلا يقيم الموازين بين المنثور والمنظوم وبينه، كان يجب ألا يدخل في ذلك للرد على من يفضلون النثر على الشعر، ونلاحظ ان حجته لم تكن قوية ولا البراهين التي أقامها دليل على أفضلية الشعر على النثر بالبراهين الساطعة والحجج القوية.

نعم، كان الشعر ديوان العرب وعلم قوم لا علم لهم غيره، ولكن لما أخذ الإسلام ينتشر في الأصقاع والمدن، وبدأت حاجة الخلفاء الى التدوين وانشاء الدواوين ازدادت أهمية النثر، وظهرت أنواع من الكتابات النثرية لم تكن معهودة من قبل، ظل الشعر مسيطراً على المجتمع الاسلامي والعربي فترة من الزمن، حتى ظهرت حاجة الناس الى ان يدونوا تاريخهم وسيرة نبيهم وحديثه عليه الصلاة والسلام، واحتاجوا الى تفسير القرآن وتأويله، فبرزت ظاهرة النثر، فألفت الكتب في مختلف العلوم، وتراجع الشعر إلا عن قصور الأمراء لمدحهم والثناء عليهم، وتقدم النثر في العصر الحديث تقدما كبيرا، وطغى على الشعر، لأنه كان الاقدر على تصوير واقع الحياة بحرية لا يقيده وزن ولا تحده قافية، فاسترسل الأدباء يكتبون في القصة والرواية والمسرح والأدب والنقد ومختلف العلوم، وقلّ اهتمام الناس بالشعر وانصرفوا عنه ووجدوا في القصة والمسرحية تعبيرا أكثر صدقا وواقعية عن نفوسهم، لا شك ان الانسان يحتاج الى ان يقرأ قصيدة في فراغه فتملأ وجدانه ومشاعره، ويستمتع بها لموسيقاها وعواطفها وأفكارها، ولكنه يحتاج الى من يصور له حياته وواقعه فيلجأ الى الأدب النثري الذي يصور له ذلك كله، فالنثر إذن يلبي حاجة العصر وخطواته السريعة في التقدم والتطور، ويلبي حاجة العلوم والمعارف إلى أن تنتشر بين أيدي الناس.

هوامش

١- ابن رشيق، العمدة، ص ٩١ - ٩٢.
٢- ابن رشيق، العمدة، ص٢٠.
٣- ابن رشيق، العمدة، ص ٢٢.
٤- ابن رشق العمدة، ص ٧٢ - ٨٢.

الحرب على غزة

وليد عبدالباري الخطيب

علام الصمت يا قومي علاما
وغزة تندبُ القوم الكراما
فإن كنتم كراماً فاستجيبوا
وإلا كنتم القوم اللئاما
أيرضيكم إذا ماتت ألوف
وأطفال لهم سكنوا الخياما
أيرضيكم إذا دارت عليكم
دوائر مثلها تمحو السلاما
وكيف النوم يأتيكم وأنتم
مع الأشلاء أمسيتم نياما
إذا مات الضمير فلا تلمهم
فتباً للضمير إذا تعامى
أغزة أنت من قهر الكراسي
وعرى من عليها قد أقاما
أغزة أنت من بُليت بقوم
رأوا في الذل عزَاً لا يساما
رضوا عزا تغلفه المخازي
فقد أعطوا على الخزي الطعاما
فناموا والبطون بها امتلاء
وإخوان لهم ناموا صياما
وقالوا إن أهلك قد أساءوا
أبوا سلما وشاءوها خصاما
وليسوا قادرين على قتال
فجاء الغدرُ ينتقم انتقاما
أغزة أنت جُرح ليس يبرا
وكم جرح بنا بلغ العظاما
أغزة أنت حاضنة لأسد
لهم شأن إذا امتشقوا الحساما
يخاف عدوهم منهم بليلِ
وفي صبح إذا وضعوا اللثاما
أغزة أنت من سهر الليالي
على قصف وما قالوا: حراما
لبست الثوب من دمِ كلُ حر
وباقي القوم قد لبسوا اللجاما
وإن نطق السفيه يظَن أنا
نصدقُ مثلما نطق الكلاما
وربي قال تعرفهم بلحن
فلحنُ القول يرتطم ارتطاماً
فصبرا آل غزة لا تخافوا
ولا تهنوا وإن زادت ضراما
وردوا الكيل أكيالاً بعنفِ
أذيقوهم من الموتِ الزؤاما
فإن عدوكم لا بد يمحى
ويبقى القدسُ في عز دواما



آفاق واسعة أمام لغتنا العربية

د. محمد عبدالهادي

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، ورغم أنها آخر لغة سامية في التاريخ، فإنها تعتبر أهم لغة في مجموعة اللغات السامية لسببين: الأول نزول القرآن الكريم بهذه اللغة؛ فهي وعاء ديننا الحنيف الذي يجمع المسلمين على اللسان العربي فيجعل منهم جسدا واحدا وثقافة واحدة، قال تعالى ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾(فصلت - ٣).

وقال عز وجل ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلهم يعقلون﴾يوسف -٢)، ولما كانت العربية بهذه المكانة الرفيعة فقد تكفل العزيز الحكيم بحفظها قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر -٩)، السبب الثاني هو أن هذه اللغة تفوقت على كل اللغات السامية من نواح عدة، فعلى سبيل المثال، أثبتت الدراسات المقارنة أن العربية وحدها هي التي احتفظت بحروف معينة فقدت في اللغات السامية الأخرى كالحروف الحلقية، كما أثبتت الدراسات المقارنة كذلك أن العربية احتفظت بالعديد من الألفاظ التي يعود تاريخها إلى ما يزيد عن الأربعين قرنا من الزمان، ومن أهم الخصائص اللغوية التي احتفظت بها العربية وتفوقت فيها على كل اللغات السامية بل لغات العالم أجمع، ظاهرة الإعراب، التي يذهب علماء فقه اللغة إلى أنها أقدم من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد.

ومع أن ظاهرة الاشتقاق من أهم مميزات اللغات السامية، إلا أن الثابت أن العربية يضطرد فيها الاشتقاق بأكثر مما يضطرد في سائر اللغات السامية.

تميز اللغة

والسر وراء هذه الشخصية يكمن في كون العرب قد أتيح لهم من الظروف ما جعلهم شبه منعزلين عن غيرهم في جزيرتهم العربية ما أتاح للغتهم - بالإضافة إلى شخصيتهم المستقلة - أن تكون صدى جميلا لبيئة هذه الجزيرة الشاسعة المسافات، الصافية الأجواء، ذات الشاعرية المتنوعة في التعابير.

وتشاء العناية الإلهية أن تتهيأ الأسباب التي تجعل من لغة قريش لغة أدبية لعرب الجزيرة كلها، وهي أسباب دينية وسياسية واقتصادية وثقافية. وقد أتاحت زيارة العرب لمكة المكرمة في المواسم، الفرصة للقرشيين أن يقفوا على اللسان العربي كله، وأن يقتبسوا منه ما حلا لهم وما راق ذوقهم المرهف.

وقد عمق ذلك رحلاتهم التجارية الواسعة الانتشار، وأهمها رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، ويتعلق بالالتقاء في المواسم والأسفار الالتقاء في أسواق العرب التي كانت أسواقا أدبية، إضافة إلى كونها أسواقا اقتصادية.

وبسبب القرآن الكريم ومنزلته الرفيعة ارتفعت اللغة العربية إلى الدرجة التي لا تدركها الأبصار، وقد تحدى القرآن الكريم الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، فكان العجز ديدنهم، قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾(الإسراء -٨٨) ولله در الشاعر الذي أشاد باللغة العربية التي وسعت كتاب الله لفظا وغاية، وصاغته فكرا معجزاً، بنظمه هذه الأبيات:

نزل الكتاب بها فصارت وحدها
قدسية القسمات والأسماء
عرضته في لفظ بهي ساحـر
وجمال إيقاع وحسن أداء
صاغته فكرا معجزا متألقـا
خرّت لديه أكابر الفصحاء

خلود لغة القرآن رغم كيد الكائدين

أصبحت العربية لغة خالدة بعد نزول القرآن الكريم بها، لأن الله قد تكفل بحفظ كتابه المجيد الذي نزل بلسان عربي مبين. وقد حفظت اللغة العربية من جهتيها المنطوقة والمكتوبة. فالمنطلق لحفظ اللغة منطوقة، هو كون كل ما فيها من جيد القول، إنما يصاغ وفق طريقة القرآن الكريم التعبيرية. والمعروف أن قواعد العربية أخذت من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن التراث الإسلامي ذاته.

والمنطلق لحفظ الكتابة العربية الإسلامية، هو كتابة المصحف الشريف على عهد الرسول ﷺ ابتداءا ثم كتابة السنة المطهرة والتراث الإسلامي بعد ذلك.

وإنه ليتبين دائما أن العناية من قبل جماعة المسلمين باللغة العربية نطقا وكتابة، يمكن أن تكون مقياسا دقيقا لتعاونهم على البر والتقوى وتضامنهم، وتحقيقهم للأخوة الإسلامية.

ويتبين كذلك أن الخصوم قد أدركوا ما تعنيه العربية منطوقة ومكتوبة، من قوة العلاقة بين أجزاء الأمة الواحدة.

لذا عملوا على المدى الطويل جاهدين من أجل القضاء على هذه العلاقة المتينة، بإقصاء العربية منطوقة أولا، وإقصاء العربية مكتوبة ثانيا، وقد بلغت ثقتهم بأنفسهم في نجاح مخططاتهم أن وجدنا المحاولات الجادة المستمرة للقضاء على الكتابة العربية في قلب البلاد العربية ذاتها عن طريق إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية.

إننا نشيد بموقف أولئك العلماء الغيورين الذين حرَّموا طبع القرآن الكريم بالحروف اللاتينية، لأن هذه مؤامرة قصد منها إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي الإسلامي، إن هذه الدعوة تمثل النصف الثاني من المؤامرة على لغة القرآن الخالدة من زاويتها المكتوبة، بعد نجاح خصوم الإسلام في النصف الأول من المؤامرة الذي تمثل في إقصاء العربية المنطوقة من أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي كانت العربية هي لغته نطقا وكتابة.

مسيرة العربية على مر التاريخ

لقد كانت العربية في صدر الإسلام، لغة الدولة الإسلامية الممتدة، دون انقطاع من الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً. وفي إمكان المرء أن يتمثل أن هذا العالم المترامي الأطراف لا يحتاج فيه المسافر إلى غير اللغة العربية لغة القرآن والحديث الشريف والتراث الإسلامي. ولا يحتاج



لغير الكتابة بالحروف العربية التي دون بها المصحف الشريف على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإن للمرء كذلك أن يتمثل الجماعات الأبية التي وصل إليها الإنقاذ الإسلامي وقد تخلت عن معتقداتها السابقة ولغاتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، واعتنقت الإسلام عن طواعية، واحتضنت اللغة العربية، وهضمت الثقافة الإسلامية فأجادت الهضم والتعبير. لقد كان تطبيق الإسلام هو السبب في إقبال الناس على الدخول في هذا الدين أفواجاً.

نشر اللغة العربية

لتحقيق التربية الإسلامية وصولا لتحقيق العبودية لله وحده، ينبغي العمل بكل الوسائل على نشر اللغة العربية، لغة القرآن والحديث النبوي الشريف، وطبيعي أن نشر العربية إنما يكون في العالمين، الإسلامي وغير الإسلامي على السواء، ولكل من العالمين وسائله. فعلى سبيل المثال نستطيع النظر إلى العالم الإسلامي من زاويتين رئيسيتين:

أ . الذين كتابتهم العربية الإسلامية.

ب . الذين كتابتهم غير العربية الإسلامية.

ولكل من هؤلاء وهؤلاء وسيلة في العمل على نشر العربية تختلف إلى حد ما عن الأخرى.

فيما يتعلق بالعالم الإسلامي وبالأقليات المسلمة، فالملاحظ أن ثمة تصوراً عميقاً لدى المسلمين بضرورة جعل العربية - على أقل تقدير - اللغة الأولى بعد اللغة الأم، ومثل هذه الغاية بحاجة إلى الكثير من الجهود المضنية المتضافرة. ويمكننا بشيء من الإيجاز إبراز بعض هذه الوسائل منها:

اللغة العربية حفظت التراث العربي والإسلامي من هجمات المعتدين وأبرزت عظمة الإسلام في العالمين

١- نشر المصحف الشريف المكتوب بالخط الذي كتب على عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

٢- نشر الكتب التي تعلم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي باللغة العربية وبلغة إخواننا المسلمين معا، بمعنى أن يكون للغة العربية في الكتاب الواحد، حظها المساوي لحظ لغة هذا القطر الإسلامي أو ذاك.

٣- التوسع في إيفاد المدرسين الذين يجيدون تدريس اللغة العربية، ومساعدتهم على حل المشكلات التي تحول بينهم وبين القيام بهذه المهمة.

٤- بناء المدارس في أنحاء العالم الإسلامي - وغير الإسلامي - لهذا الغرض.

٥- التوسع في إنشاء معاهد تعليم اللغة العربية لغير العرب في العالم العربي والإسلامي.

٦- الاستعانة بالوسائل الحديثة في مجال نشر القرآن الكريم ولغة القرآن الكريم، عن طريق التسجيلات الصوتية، وعن طريق المعامل الصوتية، التي ينبغي أن يوزعها بالمجان الذين أنعم الله تعالى عليهم بفهم العبء الملقى على كواهلهم من أجل نشر لغة القرآن الكريم، الذين من الله تعالى عليهم بنعمة الثراء.

٧- التوسع في عقد الدورات التي ترفع من مستوى العاملين في حقل اللغة العربية دارسين ومدرسين.

٨- العمل على جعل المساجد مراكز ثقافية بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى، وبخاصة في مجال ترتيل القرآن الكريم وحفظه.

٩- إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية، وإسناد إدارتها والإشراف عليها للكفاءات من العلماء والباحثين.

١٠- العمل على تقوية الدراسات العربية والإسلامية في مدارس العالم الإسلامي وجامعاته، بما في ذلك مدها بالكفاءات من أعضاء الهيئة التدريسية.

وإذا نظرنا نظرة أبعد من ذلك إلى تدريس العربية وآدابها في الجامعات الغربية، يتضح لنا أنها تُدَرَّس في أقسام الدراسات السامية، أو أقسام الدراسات الإسلامية أو أقسام الدراسات الشرقية والإفريقية، وهي تُدَرَّس من زاوية لغوية أو إسلامية لأهداف محدودة، وللمستشرقين الدور الرئيس في السيطرة على هذه الأقسام. مع أن الحاجة ماسة لأن يهيمن على هذه الأقسام أساتذة مسلمون متقنون للعربية. وأن يكون في كل الجامعات المعتبرة كرسي للغة العربية، وآخر للدراسات الإسلامية. فالمسألة إذاً بحاجة إلى جهود مضنية أحيانا بسبب رغبة خصوم هذه الأمة في إقصاء لغتها وثقافتها. وإن المرء ليكاد يجد هذا المخطط في كل جامعة يولي إليها وجهه، كما يجد علماء تلك الجامعات المسلمين الأجلاء الغيورين على دينهم، يحذرون من السدود التي تعوق طريق الثقافة الإسلامية، واللغة العربية والدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي، التي بدأ المستشرقون نقلها - بعد أداء دورها في أوروبا - إلى العالم الجديد، وخاصة الولايات المتحدة. ومن رواد هذه الأعمال المناوئة للإسلام «هاملتون جب» «وبرنارد لويس» اللذين استقدمتهما الولايات المتحدة من بريطانيا.

إذن نحن بحاجة إلى مضاعفة الجهود أمام العقبات التي يضعها خصوم الإسلام، وأعداء اللغة العربية. ومن الأمور النافعة في هذا الميدان، أن توفر دولنا العربية والإسلامية أساتذتها لتلك الجامعات لتدريس العربية والثقافة الإسلامية، وفي ذلك ما فيه من الفوائد، من ناحية اكتساب الخبرة، ونقل المعلومات الصحيحة عن الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، والاحتكاك بالأقليات المسلمة هنالك، وتدارس شؤونها، والاحتكاك بذوي الرأي من علماء تلك البلاد ومفكريها من مسلمين وسواهم، عن طريق المحاضرات والندوات التي تعقد في المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية.

المراجع

١- القرآن الكريم ...

٢- حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم.

٣- حسن محمد باجودة، اللغة العربية والتربية الإسلامية، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين، مكة المكرمة جمادى الثاني ١٤٠٠ هـ.

٤- عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين الماضي والحاضر، القاهرة ١٩٧٠م

٥- محمد أحمد عبد الهادي، التربية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار البيان العربي جدة ١٩٨٤م.

٦- محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، القاهرة ١٩٧٨م.



نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية

عامر أحمد عامر

لعل النقاد وأصحاب تاريخ الأدب لا يختلفون على أن مواكبة النقد البنّاء، القائم على أسس علمية ونظريات منهجية، غير المبني على أهواء ذاتية، لأي فن من الفنون تعد من أهم أسباب رقيه وازدهاره، ولا غرو أن تجد شاعرا كبيرا كالنابغة الذبياني تضرب له خيمة ويتحاكم إليه الشعراء ويتبارون بين يديه، فيحكم بالإجادة لمن أجاد، ويلفت نظر المقصر إلى تقصيره.

وليس ببعيد عنا ما فعله عباس محمود العقاد ورفيقاه عبدالرحمن شكري وعبدالقادر المازني، إذ أرادوا أن يغيروا مسار الأدب العربي ليحرروه من التقليدية والجمود اللذين كانا مسيطرين عليه في ذلك الوقت، على حد زعمهم، متأثرين ببعض النظريات الغربية، فربما كان نتاج هذه المدرسة الأدبية جديرا بتحقيق النظرية النقدية التي يؤسسون لها، إلا أنهم لم يقصروا الأمر عليه، بل أصّلوا لنظريتهم وقعّدوا لها، وكان ذلك عبر المقالات النقدية التي كانوا ينشرونها في الصحف والمجلات، وكذلك ما نشر في كتابهم «الديوان في الأدب والنقد».

وليست الخطابة بجميع ألوانها وأشكالها إلا ضرب من ضروب الأدب، يناله ما ينال غيره من الفنون، ويتأثر بما تتأثر به، ومع أهميتها وقوة تأثيرها في المجتمع، وما تملكه من سبل التحكم في مسار أمة بأكملها، لا تجد مواكبة نقدية لها، إلا فيما ندر وجاء مفرقا هنا وهناك بين طيات الحديث ودون إفراد الكلام له، وحتى ما أفرد له الكلام لم يقم على أسس علمية راسخة، يمكن أن تمثل قاعدة يعلو فوقها البنيان، بل ابتعد كثير منه عن روح النقد، ليقتصر على تقديم خطب جاهزة، أو نصوص مجمعة حول موضوع واحد لتوفر على الخطيب عناء البحث عنها، أو نصائح للمبتدئين في كيفية تحضير الخطبة أو إلقائها، وهذا كله قد يكون جيدا، غير أنه غير الذي نسعى إليه.

وقد تناولت دراسات حديثة الخطابة، نشأتها وتطورها وأهم نصوصها، وتعرضت لها بالنقد والتحليل، وتلك هي التي يمكن أن تمثل نقطة انطلاق جيدة لما ننشده، ليُطبَّق ما حوته هذه الدراسات على نتاجنا الخطابي اليوم ليقوم اعوجاجه، ويعيده إلى جادة الصواب.

حديثنا إذن ليس بدعا من القول، ولا ندعي به أننا جئنا بما لم يأت به الأولون، فهو لا يعدو أن يكون تجميعا لما فرق، أو إلقاء للضوء على بعض ما قد أطفئت عنه القناديل، أو إسقاطا لما في جعبة النقاد على ما نسمعه من خطبائنا، ولعله يكون فاتحا لشهية الباحثين والدارسين للمزيد من الدراسات حول المنهج الخطابي لفلان أو التسلسل المنطقي لعناصر الخطبة عند علان... وهكذا.

ولسنا ندعو إلى قول كل أحد فيما لا يعلم، ولا لتجريح العلماء وسبهم والتعريض بهم، إنما ندعو إلى نظرية نقدية قائمة على أسس علمية وتقنية تواكب النتاج الخطابي، تصفق لمن أجاد، وتعطي ضوءا أحمر لمن قصر، فلقد عانى الأدباء والنقاد طويلا من تطفل المتطفلين على النقد، وذكروا من أسباب ذلك أن الكلام فيه غير مكلف ماديا، ومن اليسير أن يحكم على شاعر أو كاتب أو خطيب بأنه جيد أو أنه رديء، فما خسر صاحب الحكم مالا ولا غرم غرما بنقده، وقد أشار ابن سلام الجمحي في كتابه الشهير «طبقات فحول الشعراء» إلى هذه القضية فقال: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها... وقال قائل لخلف (بن حيان أبي محرز،وكان من نقاد الشعر): إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء! فهل ينفعك استحسانك إياه؟»

ففي هذه السلسلة نحاول أن نلقي الضوء على بعض ما يمكن أن تضمه جعبة المتعرض لنقد هذا الفن، من أجل استجلاء ما قد يستتر عن أعين خطبائنا وفرسان منابرنا، لنصل في نهاية المطاف إلى رؤية عامة يمكن أن تكون لبنة في بناء ضخم يقوم على أسس علمية دقيقة لمواكبة ما يثمره خطباؤنا، ولتسلط الأضواء عليه أكثر، حتى لا يتحول ما يلقى فوق منابرنا إلى هشيم تذروه الرياح، غثه وسمينه على السواء، فمن باب إحقاق الحق أن بعض ما يلقى على منابرنا اليوم من ذلك الهشيم الذي لا طعم له ولا وزن، ولا يبقى في يد إن هي حاولت إمساكه للحفاظ عليه، ذلك إن وجدت ما تمسكه أصلا، كما أن منه ما يستحق أن تحفر سطوره في كتب الأدب ليضم، عن جدارة، إلى ما خلفه آباؤنا وأجدادنا من تراث خطابي وأدبي تليد.

فليست الجمعة مجرد شعائر جوفاء تقام بلا معنى ولا غاية، يحافظ فيها على الأركان محافظة شكلية لا معنى لها، ولا تمس، بحال من الأحوال، روح الشريعة ومقاصدها، بل هي مؤتمر أسبوعي تطرح فيه قضايا المسلمين وهمومهم وجرعة إيمانية لقلوب ظمئت ستة أيام إليها، تزودهم بما يستطيعون معه المكث ستة أيام أخرى ترقبا لغيرها... وهكذا دواليك.

وإذا كانت هذه السلسلة موجهة في المقام الأول إلى من يعتلون المنابر، لاسيما المبتدئين، فإن هذا لا يمنع من أن يستفيد منها المتلقون أيضا، ذلك أنهم المقصودون بالخطاب وإليهم يوجه، والمستمع الذي يتلقى عن دراية وبصيرة ليس كالذي يستمع بلا وعي ولا مبالاة.



يا عميان العالم ..!

قتل امرئ في غابة
جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن
مسألة فيها نظر

ذلكم هو منطق المستعمر المستبد مذ كان الاستعمار في أرضنا، وهو هو لم يتغير منه شيء حتى يوم الناس هذا، منطق المكابرة والغطرسة، بل منطق العربدة و الطغيان، والكيل بأكثر من مكيال. منطق يتألم و يتوجع لرمي صاروخ لا حيلة له ولا قوة ولا أثر لمرماه على أرض بلقع لا حياة فيها و لا إنس، و يعمى عن تدمير شامل يدك فيها هذا هو العدو الماكر أرض غزة الطاهرة فيزرع الموت والدمار أينما حل وينشر الأشلاء والدماء أينما وقع.

والذي لا ينقضي منه العجب أن يتابع الواحد منا الحدث فيجلس أمام جهاز التلفاز، يقلب قنواته فلا يرى إلا هذا الموت يصبه اليهود على إخواننا في غزة الصامدة غير عابئين بمن يموت ومن يفوت.. ولا يهتز لهذا رمش أو يُحرَّك له ساكن! بل تسمع من خلال ذلك تصاريح يهتز لها أركان جسدك، ويقف لها شعر رأسك!.

أطفال أربعة تخطفتهم يد اليهود الغادرة من مراقدهم فلم يبق منهم إلا أشلاء ودماء.. و أنّة أم ثكلى.. و أب مفجوع.. وأخت مكلومة.. ثم ماذا؟ تسمع من بين هذه الأنات وتلك الفجيعة صوت ناعق حقير يطالب بعدم إطلاق الصواريخ على المستوطنات الإسرائيلية! و آخر يقول من حق إسرائيل أن تدافع عن مواطنيها!

أي حق هذا وأي دفاع؟
أهو حق المغتصب أم المحتل؟


د. محمد حسان الطيان

ومتى كان للسارق أو المجرم حق؟
يسرقني ويحتل أرضي ويشرد شعبي وينتهك أقدس حرماتي ثم يكون له بعد كل ذلك الحق؟
فما تملك إلا أن تبصق بصقةً تملأ شاشة التلفاز ليصل رشاشها إلى ذاك الوجه الأغبر، عساه يغسل عاره وما إخاله غاسله، وماذا نملك إلا البصقة أو الحذاء يرمى به هذا الكلب المسعور ومن ينعق معه ويعوي في ركابه.

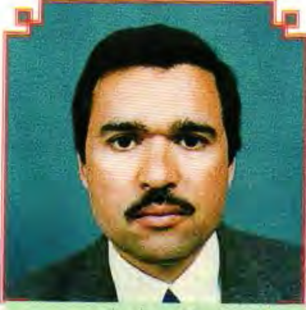
لو كل كلب عوى ألقمته حجراً
لأصبح الصخر مثقالا بدينار

يا عميان العالم أما آن لكم أن تبصروا!
يا خرسان العالم أما آن لكم أن تتكلموا!
يا موتى العالم أما آن لكم أن تنبعثوا من مرقدكم!
أي ضمير تحملون؟
وبأي وجدان تدينون؟
وبأي كيل تكيلون؟
ألا تبت أياديكم!
وخسئت وخسرت أمانيكم!
وأذاقكم الله كأس البلاء التي تتعامون عن رؤيتها يتجرعها إخواننا صباح مساء لعلكم تستبصرون!.



«المغني» للإمام الفقيه ابن قدامة المقدسي

احتفت الحضارة العربية والإسلامية بالكتب والمكتبات ودور الثقافة، ما يمثل اليوم - في تاريخ الفكر والثقافة - على جبينها إشراقة مضيئة، فهذه الميزة الجليلة تجعل حضارتنا شامخة باذخة بين شتى حضارات الأمم التي تعاقبت على صفحات التاريخ الإنساني العريق. فلو اعتمدت البشرية اليوم هذا المعيار الجليل في تقويم الحضارات لما تقدمت حضارة من حضارات العالم على الحضارة العربية الإسلامية. وفي هذا الإطار الموضوعي نريد التعرض - ولو بإيجاز - لتعريف القارئ بقصة نشر كتاب «المغني» للإمام الفحل موفق الدين بن قدامة، إمام الفقه الحنبلي، وأحد أساطين العلم الشرعي في حضارتنا.



إبراهيم نويري

فهو الإمام عبد الله بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي (وقدامة: يكتب بالتاء المربوطة وبالألف المقصورة على حد سواء).

ولد في شهر شعبان سنة ٥٤١ هـ، بمنطقة «جماعيل»، وقَدِم «دمشق» مع أهله وله حينئذ عشر سنين، فقرأ القرآن، وحفظ مختصر الخرقي عن والده في بداية الأمر.

وقد أخذ العلم عن أبي المكارم وأبي المعالي بن صابر، ثم رحل إلى بغداد سنة ٥٦١ هـ، وسمع عن هبة الله الدقاق، وعن ابن البطي، وسعد الله الدجاجي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وابن تاج القراء، كما ذكر الناصح الحنبلي أنه حج سنة ٥٧٤ هـ، ثم رجع إلى بغداد للاستزادة من العلم.

قال ابن الناصح: وكنت أنا قد دخلت بغداد سنة ٥٧٢ هـ، فسمعت - رفقة الإمام موفق الدين - عن الشيخ أبي الفتح، إلا أن الإمام الموفق عاد مرة أخرى إلى دمشق واشتغل بتصنيف كتاب (المغني).. وذكر الشيخ أبو الطيب البخاري القنوجي في كتابه (التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول) بأن الإمام موفق الدين كان كثير الحياء، عازفا عن الدنيا وأهلها، هينا لينا، متواضعا، محبا للمساكين، من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكان كامل العقل شديد التثبت، دائم السكوت، نزها ورعا عابدا، وجهه النور وعليه الوقار والهيبة، ينتفع المرء برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

توفي رضي الله عنه يوم السبت - يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ، بمنزله بدمشق، وصُلي عليه من الغد، وحُمل إلى سفح جبل قاسيون فدُفن هناك.

ترك الكثير من المؤلفات عظيمة النفع منها ما يلي:

- البرهان في مسألة القرآن.
- فتاوى ومسائل فقهية عامة.
- روضة الناظر وجنة المناظر.
- ذم التأويل.
- منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين.
- رسالة إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية.
- كتاب المتحابين في الله.
- كتاب المغني (في عشرة مجلدات ضخمة)... وهو موضوع هذا المقال.

الكتاب يمثل دائرة معارف شاملة في الفقه والتشريع الإسلامي ويعكس سلوكاً حضارياً فاعلاً

القيمة العلمية لكتاب المغني

القيمة العلمية والمعرفية هي المعيار الحقيقي الذي يجب أن تقاس به المصنفات والأعمال، وعن كتاب المغني يقول الشيخ محمد رشيد رضا - صاحب المنار- رحمه الله:

كنت رأيت كلمة سلطان العلماء في عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفضيل كتابي المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق على غيرهما من كتب الفقه الإسلامي قبل أن أراهما، فدعتني الرغبة في تعرف قيمة هذه الشهادة إلى الاختلاف إلى خزانة الكتب الكبرى (المكتبة المصرية) مرارا للنظر في الكِتابين، وقرأت عدة مسائل من كل منهما رأيتها كافية في معرفة قيمة الشهادة وصحة الحكم، وعلمت أن العلماء الذين قالوا إن ابن عبد السلام وصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق لم يقولوا إلا الحق.

وبعد هذه الإشارة العلمية ذكر الشيخ محمد رشيد رضا بأن الإمام موفق الدين بن قدامة فقيه حنبلي من الأعلام، وهو إلى جانب ذلك محدّث أثري ألف عدة كتب في فقه الحنابلة، إلا أنه أراد أن يكون كتابه (المغني) في فقه المسلمين كافة، فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار والمشهورين كالأئمة المتبوعين، ويتعرض لأدلة كلّ منهم.

وإذا هو رجّح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم، ولا يحمله التعصب على كتمان شيء من أدلتهم، ولا على تكلّف الطعن فيها كما يفعل أهل الجمود المقلدين ممن يضيقون بما وسعه دين الله.

فالمزيّة الأولى لكتاب المغني أنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها في أمهات الأحكام ومهمات المسائل،

فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج إلى الوقوف عليه منها، وعن مراجعة كتب السنن لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الإجماع والخلاف.

الاعتدال المذهبي في «المغني»: لقد شاع لدى كثير من مصنفي كتب الفقه الإسلامي الميل إلى استلطاف أدلة المذهب الذي يقلدونه فضلاً عن التحيز البيّن في بعض الأحيان في ترجيح آراء المذهب المتّبع على غيره من المذاهب الأخرى.

أما صاحب المغني فلم يسلك هذا المسلك، فهو يرجّح ما يعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة، ولا يتكلّف الطعن في أدلة مَنْ خالفهم، ولو لا هذا وذاك لما فضّله ابن عبدالسلام على كتب الشافعية، وكان هو نفسه من أجلّ علمائهم، وهي التي يشهد لها من لم يعرف من مزايا تحريرها ما يعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر المذاهب في دقة التحرير والاستدلال، والجزم بالصحيح من الأقوال.

قصة انتشار «المغني»

من فضل الله ورحمته أن الأسفار النفيسة، والأعمال الجليلة، يسخّر الله لها من يقوم بإخراجها للناس وافتكاكها من بين عوامل الفقدان والاندثار والتلاشي.

وعن قصة إخراج كتاب المغني وانتشاره في الناس يقول الإمام محمد رشيد رضا:

عرفت المغني فتمنيت لو يسخّر الله تعالى مَنْ يطبعه ليعمَّ نفعه الذي هو عندي فوق ما كان عند العز بن عبد السلام، وكان صديقنا «حسن باشا عاصم» خادم الأمة والملّة رحمه الله تعالى يقول: «إذا يسر الله لنا طبع كتاب (المحكم لابن سيده) فإنني أموت آمناً على اللغة العربية أن تموت - وذلك لما سمعه من إمام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقطي رحمه الله من الثناء على المحكم وعلى النسخة الصحيحة الموجودة المكتوبة في المكتبة المصرية - وكان كلما قال لي هذه الكلمة أقول له: وإذا يسر الله تعالى لكتاب المغني مَنْ يطبعه فأنا أموت آمنا على الفقه الإسلامي أن يموت».

ثم مازلت أفكر في السعي لطبعه إلى أن هداني الله تعالى إلى تبليغ أمنيتي هذه إلى السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إمام نجد وملحقاتها، فبلّغته بأن الله تعالى قد أيّد به العلم والدين وأعزّ بسيفه الإسلام والمسلمين، وبأنني عازم على طبع كتاب المغني مع كتب أخرى لإحياء العلم وتوسيع نطاقه في بلاده، فخاطبني هو موافقاً على طبعه مع كتاب الشرح الكبير، وطبع تفسيريْ ابن جرير وابن كثير، وكتب أخرى من كتب السنة والفقه.

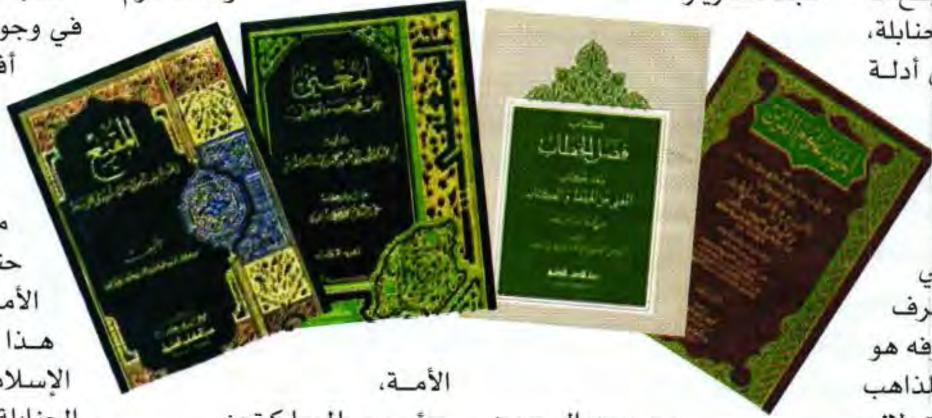
الملك عبد العزيز.. رجل علم وحلم

عُرف الإمام الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله بحبه الجم للعلم والعلماء، والحقيقة أن هذه الصفة - كما هو متداول في الأوساط الثقافية والعلمية - قد اتصف بها كلُّ أبنائه من بعده وقادة المملكة ورجالاتُها المخلصين.

وقد اعترف بهذه الحقيقة قطاع عريض من علماء الإسلام ممن كانت لهم ارتباطات برجالات المملكة وقادتها، حتى أن الشيخ محمد رشيد رضا كتب يقول فور الانتهاء من طبع كتاب المغني:

ونحن لا يسعنا إلا أن نعود في هذه الخاتمة إلى الثناء على مسدي هذا الخير العظيم إلى الأمة الإسلامية بالأمر بطبعه والإنفاق عليه من ماله الخاص به، إمام السنة ومحيي عدل الخلفاء وعلوم الأمة، مؤسس المملكتين، وخادم الحرمين الشريفين، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد، وعاهل العرب في كل غور ونجد، أعزّه الله تعالى وأعزّ به العرب والإسلام، ونفع به الأنام، وقد كان أَمَرَنا أولاً بطبع خمسمائة نسخة منه فقط ليوزّعها على علماء نجد، وأذن لنا أن نطبع منه ما شئنا على حسابنا لأجل نشره في سائر الأمصار، وبعد صدور عدة أجزاء منه.. كان قد استولى على الحجاز واتسع الباب لنشر مطبوعاته فيه وفي غيره من الأقطار، فاشترى منّا أكثر النسخ التي طبعناها لأجل البيع، وكان الكتاب قد اشتهر في مصر وغيرها، وصار يزيد عدد طالبيه فاضطررنا إلى زيادة ما كنا نطبعه لمكتبتنا عما تحتاج إليه لتكملة نسخ الذين اشتروا الأجزاء الأولى وما زالوا يكثرون حتى اضطررنا إلى إعادة طبع الأجزاء الأولى.

ويستطرد الشيخ محمد رشيد رضا - وهو يمجد صنيع الملك عبد العزيز ويثني على ما أسداه من النفع والخير للعلم وأهله - قائلا: ولا شك أن لهذا الإمام الملك الهمام ثواب الألوف من النسخ التي يوزعها على العلماء مجانا وثواب سائر النسخ التي يشتريها منا المنتفعون بهذا الكتاب الجليل لأنه هو السبب في وجوده، ولولاه لما أقدمنا ولا أقدم غيرُنا على طبعه، لأن التجّار لا يقدمون على طبع اثني عشر مجلداً في الفقه لأحد فقهاء مذهب الإمام أحمد بن حنبل مع قلة الحنابلة في الأمصار، وقلة مَنْ يعلم أن هذا الكتاب هو في الفقه الإسلامي في جملته لا في فقه الحنابلة وحدهم.



سلوك حضاري

وهكذا يتبدى لنا بحق بأن قصة نشر هذا السفر النفيس - الذي يمثّل بمفرده دائرة معارف شاملة في الفقه الإسلامي والتشريع الإسلامي - إنما تعكس سلوكاً حضارياً فاعلاً، وهذا السلوك هو عين ما تحتاج إليه أمتنا ومجتمعاتنا، إذ به وحده يعمّ الخير والنفع، وتقوم المجتمعات على قاعدة فكرية سليمة، ومرتكزات إنسانية صحيحة.

فما أحرانا جميعا أن نتأس بهذا السلوك الصالح الخيِّر والنسج على منواله في حياتنا، حتى نُسهم في ترقية العقول وبثّ أسباب ووسائل المعرفة والتنوير.

الكلمة المسمومة

عبادة نوح

nooh22@hotmail.com

جاء اعلان موقع وزارة الخارجية الصهيونية لقائمة الكتاب العرب الموالين لعدوانها الغاشم على غزة صدمة للشارع العربي والإسلامي ليكشف الأقنعة المستترة خلف الديموقراطية والأمن القومي والإنسانية.

هذه حلقة من مسلسل الاستسلام الذي يمثل بطولته اليوم الأمتان العربية والإسلامية بلا منازع، ولكن على المستوى القيادي فقط.

فالأقلام العربية المسمومة بدماء الفلسطينيين خذلت الرأي العام الإنساني المتعاطف والمتضامن مع الشعب الأعزل ضد الاجتياح الصهيوني، وتجاوز اخلاصهم للصهاينة أنفسهم الذين وجهوا سهامهم الى كيانهم وانتقدوا أعمال قادتهم البربرية حتى إن بعضهم ظهر على الشاشات وهو يبكي رأفة بهؤلاء الشهداء والجرحى.

لم يأت هؤلاء المرجفون بجديد على الساحة الاعلامية بمختلف تفريعاتها لما عرف عنهم بموالاتهم العمياء لفكرة التطبيع مع الكيان الصهيوني ومعارضتهم الشديدة للدين الإسلامي واتباعه في امصار الأرض، حتى يتماشوا مع معطيات القوة السائدة في العالم، لاسيما في الوطن العربي.

فأخذوا يحللون وفق أهوائهم المنسلخة، وينظّرون بحسب نفوسهم العفنة، ويهاجمون المنتصرين الحقيقيين في الدينا والآخرة، ويثيرون الشبهات واللغط حول رجال الأمة المخلصين، ويقللون من شأن الإسلام وشريعته الغراء، ويسخرون من دعاة الحق والنخوة والشجاعة ... فهذه هي أدوات مرتزقة الصحافة في عالمنا اليوم!

لم يفكر أحد منهم في الوطنية الحقة والقومية الحسنة والإسلام الصحيح عندما أخذ يجرح بقلمه قلوب الناس، ويقطر بحبره أموال العمالة، ويمسح بطرفه حقيقة الانتماء للمجتمع والوطن والأمة.

إن الإسلام بريء من هذه الشرذمة براءة الذئب من دم يوسف لما أقدموا عليه من تواطؤ رسمي وعلني مع أعداء الأمة، وبالخصوص أبناء القردة والخنازير مغتصبي القدس وأرض الإسراء والمعراج.

ولكن الأمة اليوم تعيش وعيا دنيويا عاليا، ولم يعد باستطاعة أتباع المدرسة الأتاتوركية والسكسونية دغدغة مشاعر الشعب والاستخفاف بالعقول النيرة والكذب على الجوارح المتشبعة بالإيمان الرباني والعروة الوثقى.

إن ما سطرته أقلام هؤلاء المتصهينين سيذهب الى زبالة التاريخ معهم، ولن يكون له أدنى أثر سواء في الوقت الحالي او المستقبل، لان مجتمعاتنا ادركت بحقيقة عملية معنى الإسلام الشمولي الحاكم في الأرض والمنقذ في السماء وكما قال الله تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف : ٨) . والله ولي التوفيق.



أسرتي



أوقات النساء

فتش عن السعادة

فلذات أكبادنا ..كيف نتعامل معهم ؟









أوقاف النساء.. رؤية في الدور الحضاري

فاطمة حافظ

هناك افتراض شائع مؤداه أن حالة من السلبية والتواكل والانكفاء حول الذات قد غلبت على مشاركة المرأة في التاريخ الإسلامي، وهو الافتراض الذي تحول إلى قناعة رسختها سلسلة من الأدبيات التاريخية مثل: ألف ليلة وليلة، والمؤلفات المبكرة للمستشرقين.. وهذه الحالة من السلبية لم يتم تجاوزها وصولا إلى العصر الراهن- وفقًا لرؤية الأمم المتحدة - التي تجمع تقاريرها أن المرأة المسلمة تعاني من التهميش التاريخي المتجذر في بنية الثقافة الإسلامية، وبفعل التهميش تم إقصاؤها من عملية التنمية واستبعادها من المشاركة في الموارد الاقتصادية، وإذا ما أريد النهوض بواقع المرأة ينبغي أن يتم دمجها في عملية التنمية إذ هي السبيل الوحيد للنهوض بأوضاعها.

هذا بإيجاز مجمل رؤية المنظمة الدولية لواقع المرأة المسلمة، وإشكاليتها الأساسية هي تجاهلها أن تعدد الثقافات لابد أن ينتج عنه اختلاف في أشكال الممارسة التاريخية، ذلك أنها تنطلق من رؤية أحادية للتاريخ هي الرؤية الغربية، وعلى ضوئها تتم محاكمة ومقاضاة تاريخ الشعوب والحضارات الأخرى، فما توافق منه مع التاريخ الغربي اعتبر تقدمًا وما اختلف عنه عُد تخلفًا.

وانطلاقًا من تلك الرؤية لم تشأ الأمم المتحدة النظر إلى التجربة الإسلامية في الوقف باعتبارها تجربة تنموية إسلامية، وخبرة تاريخية لم تعهدها الحضارة الغربية، وتجاهلتها بصورة كلية في إطار تقاريرها وبياناتها التي تصدرها والمعنية برصد واقع التنمية في البلاد الإسلامية وعلاقة المرأة بها، وهذا الإحجام له ما يبرره إذ إن الإتيان على دور المرأة في الوقف يبدد الادعاءات القائلة بتهميش المرأة وينفي سلبيتها ويبرز فاعليتها، وإزاء هذا التجاهل فإننا نجد أن هناك ضرورة ملحة للتعريف بماهية الوقف وإسهام النساء فيه.

المنشأ والوظيفة

الوقف لغة هو الحبس والمنع، وفي الاصطلاح حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح.

ويعود الأساس الديني للوقف إلى توجيه الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في كيفية التصرف في غنيمته من فتح خيبر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها. فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث، في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه». (صحيح البخاري، كتاب الوصايا باب الوقف كيف يُكتب).

ويُنظر إلى الوقف باعتباره المؤسسة الإسلامية الأكبر لرعاية الفئات والشرائح المجتمعية الأضعف في المجتمع (الفقراء، اليتامى، الأرامل) وهو يتسم بصفات خاصة تميزه عن غيره من تنظيمات المجتمع المدني الحديثة الوافدة من الغرب، ومن أهمها:

١- الوقف نظام عقدي اجتماعي، ارتبط بالقيم القرآنية مثل التراحم، التواد، والإحسان، وميزته الأساسية أنه استطاع الانتقال بهذه القيم من الإطار النظري إلى حيز الممارسة الواقعية التي جسدتها مؤسسات الوقف الخيرية.

٢- انتشر الوقف في جميع أنحاء العالم الإسلامي دون استثناء فأينما وجد الإسلام وجد معه الوقف، وبفعل انتشاره لم تكن المشاركة فيه قاصرة على فئات بعينها دون أخرى، فقد أسهمت فيه الشرائح الوسطى إلى جانب الأغنياء، كما انخرطت فيه النساء إلى جوار الرجال سواء بسواء.

٣- استطاع الوقف، كمفهوم وممارسة، أن يُخفف كثيرا من حدة النزعة الفردية في نفس المسلم فلم يسمح لها بالتمدد والبروز على حساب الروح الجماعية والانتماء للأمة، وفي الوقت نفسه وفر قناة يتم من خلالها تفعيل هذا الانتماء على أرض الواقع.

٤- وفر الوقف مساحة من الاستقلالية للمجتمع في مقابل الدولة، لذلك عندما عجزت مؤسسة الدولة عن الوفاء بواجباتها في فترات تدهورها استطاعت المؤسسات الوقفية أن تنهض بهذه المهمة بديلاً عن مؤسسات الدولة، فكانت لها اليد الطولى في مجالات مثل: التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية.

٥- يتسم الوقف بالأصالة والعراقة فقد نشأ في ظل الأمة وتطور معها وأوجد له منظومة فقهية كاملة تدور في فلكه، وبالتالي هو ليس مفهومًا وافدًا وطارئًا.

الوقف واتساع قاعدة المشاركة النسائية

تعود الإسهامات الوقفية النسائية الأولى إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فهن أول من أوقف من النساء، على حين تؤول أول إدارة نسائية للوقف إلى أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها، التي عهد إليها الخليفة عمر بن الخطاب بمهمة الإشراف على بعض الأوقاف التي يملكها في حال وفاته، فدلل هذا على جواز ولاية المرأة للوقف، وقد توالت المشاركات الوقفية النسائية طوال التاريخ الإسلامي وحتى عصرنا الراهن ولم تعرف انقطاعا قط، إذ استطاعت مؤسسة الوقف أن تستقطب النساء على اختلاف مواقعهن الاجتماعية وتوزعهن ما بين نساء النخبة ونساء الطبقات الدنيا وهكذا تراوحت الأوقاف النسائية بين الضخامة والضآلة تبعا للموقع الاجتماعي للمرأة الواقفة، وفي السياق ذاته

لوحظ أن الجواري والمعتوقات قد أسهمن بنسبة لها وزنها في تعزيز الوقف، وهو أمر ليس بمستغرب في ظل الشريعة الإسلامية التي لم تميز بين الأحرار والعبيد من حيث الأهلية للانخراط في العمل من أجل الأمة، وأن المجتمع لم يضع حدودا أمام المشاركة الاجتماعية للرقيق- بخلاف الخبرة الغربية- حتى ارتقى بعضهم عرش الدولة، والواقع أن إسهامات الجواري الوقفية تنهض دليلا على أن الجارية المسلمة قد مارست دورها في العمران الحضاري كاملا غير منقوص، ولعل في هذا ما يبدد، ولو جزئيا، تلك الصورة المبتذلة السائدة عن الجواري ودورهن الاجتماعي.

هذا الانخراط النسائي الواسع في إنشاء الأوقاف وإداراتها صار محلا للتساؤل والبحث من قبل المشتغلين بالأوقاف إذ حاول البعض أن يفسره على ضوء الطبيعة العاطفية للنساء وأنهن الأكثر تأثرًا بحاجة الغير، على حين أرجعه آخرون إلى الفاعلية النسائية والرغبة في الإسهام العمراني الذي حث عليه الإسلام.

أنماط المشاركة النسائية

عُرف عن النساء أنّهن أوقفن في المجالات كافة، فلم تكن إسهاماتهن قاصرة على مجال دون آخر، ولكننا نلمس أن هناك حضورًا نسائيًا مميزًا في مجالين، الأول: تشييد الأربطة وهي أماكن أقيمت خصيصا لسكنى الأرامل والمطلقات والعجائز ومن لا عائل لهن، وقد سمح لهن بالإقامة الدائمة فيها مع تقديم الغذاء والكساء والرعاية الصحية، وإلى جانب تلك الوظائف الرعائية قدمت الأربطة لنزيلاتها دروسا دينية ووفرت لهن محفظات لتيسر عليهن مهمة إتمام حفظ كتاب الله فكانت بذلك مؤسسة متكاملة رعائية واجتماعية وإنسانية.

وأما المجال الثاني الذي تجلت خلاله المشاركة النسائية الوقفية فهو تشييد المنشآت العلمية بغرض نشر العلم، ويكفي أن ندلل على ذلك بالسيدة فاطمة بنت عبد الله الفهري (فاطمة الفهرية) التي ورثت عن أبيها هي وأختها مريم ثروة طائلة تنافستا على إنفاقها في وجوه الخير، إذ بينما أنشأت مريم أول مسجد جامع هو جامع الأندلس، فإن فاطمة أوقفت أموالها كاملة لبناء جامع القرويين الذي شرعت في بنائه عام ٢٤٥هـ، ويعد أول جامعة- بالمعنى المؤسسي المتعارف عليه حاليا- في العالم الإسلامي، وتذكر المصادر التاريخية أن فاطمة الفهرية قد نذرت الصيام منذ شرع البناء في المسجد، ولم تزل صائمة إلى أن اكتمل بناؤه بعد عامين تقريبا، ويبدو أنها كانت تمتلك رؤية محددة للكيفية التي ينبغي إنجاز العمل عليها، إذ أنها قد اشترطت على العمال ألا يجلبوا مواد البناء من المناطق أو المدن المجاورة، وألزمتهم بتوفيرها محليا، وأنشأت لذلك معامل خاصة في فاس من أجل توفير الحجر والجص وغيرها من لوازم البناء، فضلا عن أنها أمرت بحفر بئر لجلب الماء اللازم للبناء، فأحدثت بذلك تجربة تنموية محلية فريدة من نوعها في مدينتها فاس.

ومن فاطمة الفهرية في القرن التاسع الميلادي إلى الأميرة فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل في القرن العشرين التي تُعد وقفيتها الأكبر ضمن الوقفيات التي خصصت لبناء جامعة القاهرة، إذ بلغت مساحة ٦٤٧ فدانا من الأراضي الزراعية من أصل ١٠٢٨ فدانا موقوفا لإنشاء الجامعة بالإضافة إلى مجوهرات بلغت قيمتها ١٨ ألف جنيه، مرورا بعدد ضخم من الواقفات في مجال إنشاء المدارس والمكتبات، نلمس امتدادا تاريخيا وتراثا من الفاعلية النسائية متصلا من السلف إلى الخلف يعبر عن الإيمان بالرسالة الحضارية للأمة.



المشاركة النسائية تبلغ حوالي ٢٥ ٪ من حجم الأوقاف الحالية في العالم الإسلامي و٤٠٪ في الدول الخليجية

حدود المشاركة وضوابطها

هناك من المؤشرات ما يرجح أن المشاركة الوقفية النسائية خلال التاريخ الإسلامي كانت مشاركة واسعة وضخمة، ومن هذه المؤشرات ما حفلت به المؤلفات التاريخية والفقهية من ذكر للوقفيات النسائية، ومنها أيضا كتب السير والتراجم التي أرّخت لحياة كثير من الواقفات والتي اتضح من خلالها أن نسبة منهن كن عالمات فضليات، أما في عصرنا الراهن فتتكفل الإحصاءات ببيان حجم المشاركة النسائية حين تذكر أنها تبلغ حوالي ٢٥ بالمائة من حجم الأوقاف الحالية في العالم الإسلامي، ويبدو أن هذه النسبة تمثل متوسط المشاركة النسائية، إذ ترتفع النسبة في الدول الخليجية حتى تصل إلى ٤٠ بالمائة، وهذا يدل على أن نساء الخليج لسن جميعا على تلك الصورة التي تروج لها وسائل الإعلام، حيث يشغلهن هاجس المشاركة الاجتماعية، وتخفيف العبء عن الشرائح الدنيا في المجتمع، ولكنه يظل بعدا مضمرا في ظل التركيز الإعلامي على الفعاليات السياسية والفنية والرياضية وعزوفه عن متابعة ما سواها.

على الرغم من اتساع دور النساء الوقفي، فقد ظل هذا الدور طيلة التاريخ الإسلامي منضبطًا على الدوام بضوابط معينة لم تحرفه عن مساره، فقد انطلق من الإسلام وقيمه، وارتبط بالأمة وقضاياها، ولم يتحول في أي مرحلة من مراحله إلى إنتاج خطاب نسوي ينفلت عن خطاب الأمة العام أو يشذ عن ثوابتها الأخلاقية، ولم يجد يومًا أي أرضية تجمعه مع أعداء الأمة، وهو ما تفتقر إليه الممارسات النسوية المعاصرة التي تبنت الطرح الغربي الذي تروج له الأمم المتحدة، فانتهجت بذلك سبيلاً يشق الأمة ويفرق بين نسائها ورجالها، وتبنت مزاعمه بشأن سلبية دور المرأة في التاريخ الإسلامي دون أن تنظر إلى الوقف باعتباره نموذجًا تجلت فيه الفاعلية النسائية في أوضح صورها.





أطفال غزة.. كيف يُعاد تأهيلهم نفسياً؟

د. ناصر احمد سنة

إن جميع ساكني قطاع غزة تضرروا وعانوا ويلات العدوان عليه، بيد أن أكثر من تم تعمد الإضرار بهم هم الأطفال، حيث تم اغتيال الطفولة، الحياة، الأمل، والمستقبل، كعقوبة جماعية لآبائهم الذين يتحدون ذلك الكيان الغاصب بخياراتهم الديموغرافية، ثم الديموقراطية، فكان الحصار والتجويع والعدوان وقتل ما يزيد عن ألف وثلاثمائة شهيد، منهم ما يزيد على أربعمائة طفل، وإصابة الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، والتسبب في إحداث إعاقات متعددة كفقد البصر، وبتر الأطراف، والحروق والجروح بأنواعها ومضاعفاتها.

ولقد نقلت لنا الفضائيات بعض الحالات المؤلمة، فشاهدنا ذلك الطفل الذي فقد عينيه، وتلك الفتاة التي بُترت ساقيها، وذلك الصغير الباكي الذي حُرق وجهه ورقبته وصدره، وتلك التي تصرخ منادية على أمها.. في «عزبة عبد ربه» شمال القطاع قتلت «أمل وسعاد» أمام أعين والدهما، وهاهو شقيقهما الأصغر (لعله لم يتعد ٥ سنوات) يمسك بثلاث رصاصات متروكة من جنود الاحتلال قائلا: "طخوا اخواتي بهاي الرصاص.. كنت بأحبهم».

وكما هو معلوم أن مقابل كل إصابة بدنية يُسفر العدوان عن عشرات الآلاف من الإصابات النفسية.. تنزف الأبدان وتتألم، ثم تلتئم جراحها، لكن نزيف النفوس وجروحها أكثر ألماً، وإعاقتها أبعد أثراً، والتئامها أكثر تعقيداً.

في مثل هذه الظروف القاسية يتعرض الناس من كل الأعمار لصدمات نفسية تتفاوت في شدتها ومدتها ومعدلها وأثرها، بيد أن الأكثر حساسية لتلك الأحداث هم الأطفال، حيث يتعرضون لمعدل مرتفع (وخلال ٢٢ يوما من العدوان) من الحوادث المؤلمة الصادمة والتي منها:

- تشتتهم عن أسرهم وذويهم: فعشرات الآلاف من العائلات تترك بيوتها، وتُشرد في الشوارع ومنشآت الإغاثة، وعند الأقارب، وبعض الأماكن الأكثر أمناً.
- قتل الآباء وحسرة وصدمة اليُتم.
- قتل الأمهات وصدمة فقد أمان وحنان الأمومة.
- المشاهد المروعة والمرعبة من القصف والتدمير وهدم المنازل فوق ساكنيها، ومعاينة الجروح والدماء والحروق والأشلاء.
- المعاناة النفسية المستمرة جراء الإصابة الجسدية والإعاقة على اختلاف درجاتها.
- التهديد المستمر، وافتقاد المقومات الأساسية للمعيشة المعتادة يعرض الأطفال للكثير من المخاوف الشديدة (١).

النتائج النفسية للعدوان الحربي على الأطفال

- الصراخ والتوتر والفزع والهلع والقلق والحزن والاكتئاب.
- الخوف الشديد، وعدم الشعور بالأمن، لعل هذا النوع من الخوف رأس قائمة الانفعالات الأصلية في النفس البشرية، يعكس نمو وعيها، وتدرج إدراكها المعرفي والانفعالي والمادي بالبيئة والأشخاص والمواقف المختلفة التي تحيط بها، وهو ليس خوفاً مفيداً يحمي الأطفال من الأخطار التي تتهدد كياناتهم، ويحفظ عليهم سلامتهم، بل قد يكون ضارا فيستمر معهم حتى مراحل المراهقة ويظهر في صورة أعراض مرضية.. قلق ورعب وهلع وتوتر شديد، وأرق وعدم قدرة على الاسترخاء والتعلم ومواصلة مسيرة الحياة في بهجة وتفاؤل.
- اضطرابات النوم، من عدم انتظام، وكوابيس وأفكار مخيفة وفزع وقلق وانعدام نوم.
- اضطرابات الأكل وضعف أو فقدان الشهية.
- التبول اللاإرادي.
- العزلة والانطواء وعدم الاختلاط بالآخرين.
- الإيذاء البدني للنفس، كضرب الرأس بالحائط، وتنامي مشاعر الغضب والعنف، ومحاولة الاعتداء على الآخرين.
- عدم الذهاب إلى المدرسة.
- يلوذ ويحتمي بمن تبقى من أقارب.
- التكرار المستمر، وإعادة سرد واستحضار شريط أحداث وظروف وملابسات الصدمة، مع ما يستتبع ذلك من تجدد الألم النفسي والمعاناة.
- الابتعاد عن الأماكن التي قد تذكره بالصدمة، مع حساسية مفرطة للعديد من المؤثرات الصوتية والضوئية.
- عدم ممارسة حياة الطفولة المعتادة.

إعادة تأهيل الأطفال نفسياً

- بداية ينبغي الإسراع بتقديم الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للأطفال خاصة أن المؤسسات المختصة في تلك الشؤون قد عانت كثيرا بسبب طول الحصار المفروض على القطاع.
- توفير المعلمين والأطباء والاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين المدربين على الإرشاد وإعادة التأهيل النفسي والاجتماعي مع تضافر وتكامل الجهود الأهلية والمؤسسية من أجل تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية، والدعم النفسي الكافي، وتحسين مستوى حياة الأطفال.





علينا بذل الجهد لثمار قلوبنا ليشبوا أسوياء صالحين مصلحين في خدمة وطنهم وأمتهم

- على المجتمع الدولي، والرأي العام العالمي الذي أبدى تعاطفاً وتضامنا غير مسبوق مع أهالي قطاع غزة في محنتهم أن يوالي الضغط لتسهيل سرعة دخول الطواقم الطبية الدولية والإقليمية والعربية ذات الإمكانات والخبرات المتطورة لتقديم الدعم وإعادة التأهيل النفسي للأطفال.

- تنفيذ خطة طوارئ نفسية عاجلة عبر المدارس والمراكز الاجتماعية تسعى إلى..

- تجميع الأطفال، وإشعارهم بالأمان والثقة والطمأنينة، وتبديد الوحشة والوحدة التي تغمرهم، والتحدث معهم، والصبر عليهم، وتنمية عقد العلاقات الاجتماعية والصداقات، وتأكيد ذواتهم، وتفريغ انفعالاتهم عبر مختلف الأنشطة.

- الأطفال ما بين الثانية والخامسة من العمر لديهم رغبة في التعرف على الأسباب الكامنة وراء كل شيء، فينبغي الإجابة عما يدور بخلدهم، وشرح وتوضيح مجريات الأمور بطريقة سهلة وسليمة.

- عقد جلسات نفسية منتظمة للأطفال حسب حالتهم، والبحث عن مصدر كل خوف، والتعامل معه برفق وإيجابية، مع تهيئة المناخ المناسب والبعيد عن المؤثرات العنيفة وذكرياتها.

- اكتشاف الحالات الحرجة التي تحتاج لرعاية خاصة ومكثفة.

إنشاء مراكز إعادة تأهيل كبيرة تقدم خدماتها المستمرة والبعيدة المدى لهؤلاء الأطفال.

وتوفير شتى صور الدعم لهم من الضرورات المُلحة لتحقيق الأمن النفسي (٢)، يقول تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر((الضحى:٩)، ويقول تعالى ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيرا﴾(النساء:٢). ويقول النبي ﷺ «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» (الألباني، ضعيف الأب المفرد).

- العمل الجاد لتوفير وإشباع الحاجات النفسية والصحية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والترويحية شأنهم شأن الأطفال الأسوياء في الظروف العادية.

لا شك أننا عندما نطوف بهذه الأفكار والتصورات، فضلا عن أن نُعايش وعثاءها وويلاتها نجد النفوس تكرهها، لكن هل ينفي الكره أن نجد فيما نكره ضروبا من الحكمة، وفيما نبغض وسائل خير ومنفعة، وما سرور نصف الناس إلا بما يكره النصف الآخر! يقول تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦) «نكره الحرب لأنها تصور كل ألوان الخراب والهلاك، وفكرة العدم، ونمقتها لأنها تلوث الحياة بدماء الرجال، ثم لا تغسلها إلا بدموع النساء والأطفال، ونبغضها لأنها تدفن تاريخها الصحيح المستقبل، ولا تترك للحاضر إلا تاريخها المشوه في أعضاء الجرحى.. غير أن الناموس أو القانون الذي يوضع لبقاء فرد واحد غير ذلك الذي يوضع لبقاء جميع الأمم» (٣).

صفوة القول: إنها حلقة من سلسلة المجازر وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية من دير ياسين، وبحر البقر، وصبرا وشاتيلا، والبوسنة والهرسك، وكوسوفا، وجنين، وقانا الأولى والثانية، وجنوب لبنان، والفلوجة، والصومال، والشيشان، وأفغانستان، وتركستان الشرقية، وكشمير، وباكستان... الخ وأخيرا وليس آخرا في غزة الصامدة الصابرة المجاهدة المحتسبة.. إن أطفال غزة كأطفالنا، ثمار قلوبنا، وفلذات أكبادنا، وعماد ظهورنا، فعلينا بذل كل جهد لهم، ليشبوا أسوياء صالحين مصلحين في خدمة وطنهم وأمتهم.

الهوامش

١- راجع د. ناصر احمد سنه، أطفالنا.. كيف نقضي على مخاوفهم؟، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٩٥، ذو الحجة ١٤٢٧هـ . ديسمبر. يناير ٢٠٠٦. ٢٠٠٧م ، ص: ٧٤. ٧٥، الكويت.

٢- انظر د. ناصر أحمد سنه، كيف نُلبي حاجة أبنائنا إلى الأمن النفسي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٥٩، ذو القعدة ١٤٢٤هـ . ديسمبر ٢٠٠٣- يناير ٢٠٠٤م، ص٧٧. ٧٩، الكويت.

٣- مصطفى صادق الرافعي، كتاب المساكين، بتصرف، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م، ط ١٠، ص ٢٢٦ .





فتش عن السعادة!

د. زيد الروماني

في استطلاعات الرأي التي تجرى حول الشعور الشخصي بالسعادة، يسأل الباحثون الناس: عَما إذاكانوا سعداء أم لا؟ وكذلك عن مدى الشعور بالرضا عن حياتهم، فمثل اليوسفي والبرتقال تختلف السعادة عن الشعور بالرضا، لكن تظل هناك روابط كثيرة بينهما.

ما مدى شعور الناس بالسعادة؟

هناك تقليد قديم ينظر للحياة باعتبارها مأساة لكن أخيراً، ظهرت بعض الكتب الدافئة حول كيف تكون سعيداً؟ كتبها أناس قضوا أيامهم في معالجة غير السعداء.

لقد أشاع علماء الاجتماع بعض الأساطير حول مَنْ هو سعيد ومَنْ هو غير سعيد، وذلك بتحديد مؤشرات للسعادة والشعور بالرضا، فكثيرون يعتقدون أن هناك مراحل غير سعيدة في حياة الإنسان، نموذجياً: سنوات المراهقة المليئة بالضغوط، سنوات ما يعرف بـ أزمة منتصف العمر والسنوات الأخيرة في حياة العجائز، لكن استطلاعات الرأي لم تبرهن على وجود مرحلة عمرية أكثر سعادة أو أكثر كآبة من غيرها، لكنهم وجدوا أن الاحتياجات العاطفية تتغير مع المراحل المختلفة.

فالرضا داخل العلاقات الاجتماعية والشعور بالعافية يصبحان أكثر أهمية عند كبار السن، والمراهقون على العكس من الناضجين، تتبدّل مشاعرهم بين الغضب والرضا من ساعة الى اخرى.

باختصار، فإن معرفة عمر الشخص لا تعطي أي مؤشر حقيقي عن مدى شعور هذا الشخص بالسعادة والرضا، بل أكثر من ذلك فإن معدلات الاكتئاب والانتحار أو الطلاق لم تشهد أي زيادة حقيقية خلال سنوات أزمة منتصف العمر الأسطورية.

هل السعادة تفضل نوعاً على آخر؟ هل الرجال أكثر سعادة بسبب دخولهم الاقتصادية العالية، وقوتهم الاجتماعية؟ أم هل النساء أكثر سعادة بسبب قدرتهن الرائعة على المحبة وروابطهن الاجتماعية المتينة؟

يجيب ديفيد مايرز استاذ علم النفس قائلاً: مثل العمر، لم يعط النوع أيّ مؤشر حول الشعور بالسعادة.

ويؤيد داينر ذلك بقوله: صحيح أن هناك اختلافاً بين تفاعل كل من الرجال والنساء مع حالات البؤس، لكن إجمالاً فكل من الرجل والمرأة يعلنون بنفس القدر عن كونهم سعداء أو راضين عن حياتهم.

هذه النتيجة بنيت على قياسات أجريت حول العالم أجمع.

ومازلنا في بحثنا عن السعادة نعجب: هل الثروة تجلب السعادة؟ فإذا كانت القلة تعتقد بقدرة المال على شراء السعادة، فإن الكثيرين يعتقدون ان مالاً أكثر قليلاً سيجعلهم أسعد قليلاً مما هم عليه.

هل الثروة والسعادة حقاً متلازمتان؟

هنا ينبغي الحذر من ثلاثة أسئلة مختلفة ومحددة حول السعادة والثروة، بين البلدان المختلفة، داخل نفس البلد، وعلى اختلاف الوقت.

أولاً: هل الناس في الدول الغنية أكثر سعادة من غيرهم في الدول الأقل غنى؟

ثانيا: داخل البلد نفسه، هل الأغنياء أسعد؟

ثالثا: هل أصبح الناس أكثر سعادة بمرور الوقت، حين أصبحت مجتمعاتهم أكثر وفرة؟

إذن، اذا كانت السعادة متاحة هكذا للجميع من كل الأعمار والأنواع والأجناس، وكذلك في مختلف المستويات الاقتصادية، فمن هو إذن الأسعد؟

رغم تقلبات الحياة الى أعلى والى أسفل فإن بعض الناس تظل قدرتهم على الفرح كما هي.

وفي دراسة تلو أخرى تبين وجود أربع سمات أساسية لهؤلاء السعداء:

الأولى: حب النفس، وخصوصا في المجتمعات الغربية الفردية.

الثانية: ضبط النفس بمعنى الشعور بالقدرة على مواجهة ظروف الحياة وليس بالعجز أمامها، فهم يؤدون بشكل حسن



في سنوات الدراسة، يكتسبون خبرات بسرعة، ولديهم قدرة خاصة على مواجهة الضغوط.

الثالثة: التفاؤل، فالسعداء غالباً متفائلون ومن الممكن ملاحظة أن المتشائمين ممن تصدق توقعاتهم السيئة، دائما يصابون بالدهشة أمام الفرح.

الرابعة: الانبساط، بمعنى الانفتاح على الآخرين، ربما نعتقد أن الانطوائيين أكثر سعادة في ظل صفاء تأملاتهم، بيد أن الانبساطيين أكثر سعادة منهم سواء في وحدتهم أو بصحبة الآخرين، وسواء عاشوا بالريف أو بالمدينة، وكذلك سواء كانوا يعملون بشكل فردي أو في أعمال جماعية.

مع كل واحدة من هذه المميزات والسمات فإن الدلالات تظل غير واضحة تماماً، بمعنى هل تجعل السعادة أصحابها أكثر وداداً؟ أم أن الودودين- بطبعهم- أكثر حيوية، وأقل توجساً من معايشة الآخرين، هذا النزوع ربما يشرح زواجهم المبكر، حصولهم على وظائف أفضل، وكثرة أصدقائهم.

إذا كانت هذه الصفات والسمات تجلب السعادة حقاً، فإن الناس يمكنهم ان يكونوا أكثر سعادة، مما هم عليه لو تصرفوا كما لو كانوا يملكون هذه الصفات بالفعل.

وقد أثبتت التجربة أن الذين يدعون تقديراً أفضل لأنفسهم ويتصنعون الابتسامة يملكون السعادة، فهم بالفعل أسعد من غيرهم.

والعلاقات الحميمة بدورها تضع علامتها على الحياة السعيدة، لقد أثبتت نتائج الأبحاث أن نسبة السعيدات من المتزوجات أعلى من السعيدات بين غير المتزوجات.

المئات من الدراسات أثبتت ذلك، رغم ان الزواج التعيس يجعل المرأة أكثر اكتئاباً من الرجل، إلا أن الأسطورة التي تدعي أن المرأة الوحيدة أسعد من المرأة المتزوجة عليها أن تذهب إلى النسيان.

ومازالت هناك دراسات كثيرة تحاول اكتشاف السعادة من خلال نمط الحياة، النظرة الثقافية للعالم والسعي وراءالأهداف.

ختاما يمكن القول بالسؤال عمّن هو السعيد، ولماذا؟ تفتح النظرة العلمية الطريق أمام الناس لوضع أولوياتهم موضع التساؤل، وتفتح الطريق أمامنا جميعا للعمل من أجل عالم يدفع السعادة الإنسانية إلى الأمام.

العناد عند الأطفال.. الأسباب والعلاج

لينة أحمد جلبط

بعض الأطفال يتميزون بالعناد الشديد، ويعتبر العناد من خصائص الطفولة، فليست هناك مدعاة للانزعاج من قبل الأب والأم أو اتهام الطفل بتعمد العناد، بل عليهما أن يشجعاه ويحفزاه على فعل النقيض بذكر القصص والحكايات التي تجعله ينفر من العناد، فمثلا: يشبه له الذي يعاند بالشيطان الذي عاند مع الله واستكبر عن السجود لسيدنا آدم عليه السلام ولم يطع أمر الله فغضب الله عليه وأدخله النار، الأمر الذي يجعل الطفل يبتعد عن هذه الصفة، ومن المهم أن يتأكد الوالدان تمام التأكد ان الطفل العنيد غير مريض وغير عاق لوالديه، وان هذا العناد راجع لطبيعة المرحلة العمرية، فمثلا إذا صعد على الفراش برجله المتسخة ورفض النزول ورفض النوم أو صمم على الرفض أو عاند في أي شيء، فعلى الوالدين تحفيزه وتشجيعه وعدم اهانته أو عقابه.

مظاهر العناد

من مظاهر العناد عند الطفل التصلب في الرأي، والجمود في التفكير، مما يثير دهشتنا ويصيبنا بالضيق والحرج لهذا العناد وصلابة الرأي، فالطفل مثلا لا يريد ان يستمع لتوجيهات الكبار، ولا يحب أن يفعل الا ما يريده هو، حتى لو كان ذلك الفعل غير سليم، أو لا يتماشى مع المنطق والعقل، ومن الأمور الأخرى رفض الطفل أموراً مهمة مثل النظافة، وغسل الوجه، والاستحمام، وتناول كوب الحليب، والنوم في الموعد المحدد، فيبدو مقاوما متشبثا برأيه رافضاً توجيهات الكبار، وقد يكون هذا الأمر مقبولا في مرحلة الحضانة، لكنه غير مقبول في مراحل العمر التالية للطفل، وقد يفسر بعض الآباء والأمهات هذا العناد على أنه دليل قوة شخصية الطفل، والحقيقة أن هذا السلوك لا يعبر عن هذا الفهم الخاطئ، لأن اسلوب العناد غير السوي يعبر عن ممارسات سلبية تبعد الطفل عن التفاعل الاجتماعي السليم، فليس العناد تعبيرا عن احترام الذات بقدر ما هو اسلوب يعبر عن المشاكسة.

ويرتبط العناد بالقسوة والعدوانية، فنلاحظ ان بعض الأطفال الذين يتصفون بالعناد تبدو عليهم ميول عدوانية وكذلك بعض القسوة، ويتجلى ذلك من خلال بعض تصرفاتهم، فنراهم يمزقون الملابس، ويحطمون التحف الغالية، أو يعتدون على الحيوانات، أو يستخدمون الأقلام استخداما سيئا فيشوهون بها الجدران في المنزل أو المدرسة، وهذه التصرفات الغريبة قد تجعل الطفل يشعر بالقوة ويفخر بنفسه، فما الذي يجعل الصغير يلجأ الى مثل هذه التصرفات؟ يحب ان يقلد الكبار في قسوتهم، أو يميل الى السيطرة أو الإعلان العنيف عن ذاته.

ومن الأسباب التي تدفع الأطفال للعناد: العلاقات الأسرية المتوترة، والمعاملة الشديدة من قبل الوالدين مما يزيد من محاولات التعويض عند الطفل والانتقام فيقابل ذلك بالمثل.

علاج العناد

- ينبغي ألا نقابل مقاومة الطفل بمقاومة مضادة، لكن علينا ان نتفاهم معه ونحرص على اقناعه، ونشجعه حتى يتدبر الأمر ويفهم كيف يتصرف في كل أموره بصورة سليمة ومنطقية.
- الابتعاد عن اساليب الحماية الزائدة والتدليل المفرط، فهذه الاساليب تعود الطفل على اسلوب المخالفة.
- عدم ارغام الطفل على القيام بسلوكيات معينة في الأكل او الملبس، أو مراعاة اصول الذوق واللياقة (الإتيكيت)، فهذا الخضوع المتكلف قد يدفع الطفل للخروج عليه ويقوده للتمرد على اصوله وحيثياته.
- عدم تفضيل الأم أو الأب لأحد الابناء أو البنات، فان ذلك التفضيل يكون في غالب الأحيان سببا في عناد الطفل.
- تنمية تبادل الآراء بين الاطفال حتى يشعر الطفل بالقيادة حينا والتبعية حينا آخر.




فلذات أكبادنا.. كيف نتعامل معهم؟


د. عبدالرحمن النمر

«من ليس لديهم أبناء، بارعون في التربية»! هذه العبارة تعكس مدى الإحباط الذي يعانيه أكثر الآباء عند تعاملهم مع أبنائهم، إذ ما إن يبدأ المولود الحبيب يَدرُجُ خارج مهده حتى يتبدد جوُّ السعادة الذي كان يشيعه في البيت! فمع خطوات الحياة الأولى للطفل تولد معاناة الآباء في التربية، ومع مرور الأيام يتحول الملاك الوديع إلى شيطان مريد، يُشيع في البيت الهَرجَ والمَرج، وينشر الفوضى في كل مكان، ويملأ الدنيا ضجيجا يكدّر صفو العائلة، ويفقد الوالدين صوابهما! عندئذ تبدو قواعد التربية خواءً أجوف، وتتحول العلاقة بين الوالدين وطفلهما إلى صراع يومي مرير!

أين يكمن الخطأ في علاقة الوالدين بطفلهما؟ كيف تكون معاملة «مارد صغير»؟! وكيف يمكن تحقيق التوازن العائلي في جو الفوضى الصاخبة الذي يخلقه مَرَدَةُ الجنّ؟!

الغرائز الأولية

يمكن تعريف الغريزة ببساطة بأنها رغبة أو حاجة طبيعية يستلزم إشباعُها أو تحقيقُها سلوكا أو تصرُّفاً معينا من غير حاجة إلى علم أو خبرة (أي أن السلوك أو التصرف اللازم لإشباع الحاجة أو الرغبة الطبيعية لا يتطلب علما ولا خبرة).

ونظرةٌ فاحصةٌ إلى سلوك الطفل- أي طفل- من لحظة مولده، تكشف في الحال عن الوجه الغريزي لتصرفاته، إذ تدور تصرفاته كلها حول غريزة المحافظة على الحياة، وهي أقوى غرائز الأحياء، وأوّلها ظهوراً، وأدومها وجوداً. فعندما يُدَوِّي بكاء الرضيع في جوف الليل فإنه لا يهدف إلى إزعاج والديه وحرمانهما من لذة النوم، ولا يريد أن يثبت وجوده بصياح يمزق صمت الليل وهدوءه، وإنما ببساطة شديدة يريد جُرعَةً من لبن أو ماء تحفظ عليه حياته، وفي كل أمر يتعلق بوجوده تراه يلجأ إلى الصياح والبكاء، وهما لغته في تلك المرحلة من العمر، ولا يهدأ الرضيع ولا يسكت صياحه إلا عندما يتحقق له ما يريد.

وعلى ذلك، فإن غريزة المحافظة على الحياة، أو بكلمات أخرى، غريزة البقاء، هي التي تفرض على الرضيع التصرف على ذلك النحو المزعج بالبكاء والصياح، كلما نشأت عنده حاجة تحتاج إلى إشباع، وكما لا يخفى، فإنه لا يحتاج إلى تعلم البكاء ودراسة أصول الصياح، ولا يحتاج إلى خبرة في هذا المضمار!

لذلك فإن أولى الحقائق التي يتعين على الآباء أن يَعُوها وهم يتعاملون مع أبنائهم، أن سلوك الطفل في أطوار نموه الأولى تحكمه غرائز حيوانية، وليس يعني ذلك أن نعامل أطفالنا كما نعامل القطط والحيوانات الأليفة في البيت، وإنما يعني- ببساطة شديدة- ألا نتوقع من أطفالنا في تلك المرحلة من العمر سلوكا مهذباً يخضع لـلأعراف السائدة، ويراعي الآداب المعمول بها في محيط الأسرة والمجتمع.

الحاجات النفسية

للطفل حاجات نفسية أساسية لا بد من إشباعها إذا أُريدَ له أن ينشأ نشأة سوية، وهذه الحاجات غريزية كذلك، إلا أن علم النفس يُؤثِرُ إطلاق تلك التسمية عليها «الحاجات النفسية» على اعتبار أن تحقيق تلك الحاجات ليس ضرورة من ضرورات البقاء ولا لازمة من لوازم الحياة، لكن إشباع تلك الحاجات النفسية ضروري لنشأة الطفل خالياً من الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية، وهذه الحاجات النفسية الأساسية هي:

- الحاجة إلى الحب.
- الحاجة إلى الأمن.
- الإحساس بقدرة الاعتماد على النفس.
- الإحساس بالاعتبار أو الكرامة.

من البديهي أن كل والدين يحبان طفلهما، إلا أن توصيل الحب إلى الطفل وإشعار الطفل أنه أثير عند والديه قد يتخذ طرقا غير سليمة، وصوراً غير صحيحة، مثال ذلك إغراق الطفل بعشرات من اللُعَب ثم تركه وحيداً منزويا في ركن من البيت، وانصراف الأم عن طفلها بسبب عملها، أو بسبب اشتغالها بشؤون البيت، وانصراف الأب عن طفله نتيجة ساعات غيابه الطويلة عن البيت! وإذا كانت اللعب ضرورية لتسلية الطفل وتنمية مداركه، فإن ضمه وتقبيله ومشاطرته ألعابه أكبر ضرورة لنموه نمواً نفسياً سليماً، ولا بد من إظهار حب الوالدين لطفلهما، بمداعبته وتدليله من غير إسراف ولا تقتير.

ومن الأخطاء الشائعة تخويف الأطفال بأشياء عديدة لزجرهم أو منعهم من عمل ما، أو لحثهم على طاعة وتنفيذ أوامر الوالدين لهم، وما أكثرها! مثال ذلك أن تخوِّف أمٌّ طفلها قائلة: إذا لم تشرب اللبن فسوف أحبسك بمفردك في غرفة مظلمة، أو إذا لم تفعل كذا وكذا فسوف نعطيك إبرة، أو نحضر كلباً ينهش ذراعك!... إلى غير ذلك من أساليب التخويف التي يمارسها كثير من الآباء، وغني عن الذكر أن أساليب التخويف- على اختلاف أنواعها- تغرس في الطفل مخاوفَ تُفقدُهُ الشعور بالأمن، كأن يخاف الطفل من الظلاَم، أومن الحيوانات الأليفة، وحتى من الحشرات وغيرها مما لا يجب أن يسبب خوفاً، وقد تتسع دائرة مخاوف الطفل بحيث يفقد تماما الشعور بالأمان، مما يؤثر عكسيا على شهيته للطعام، وعلى نموه العام، وعلى سلوكه داخل البيت وخارجه، ومثل هذا الطفل ينشأ جباناً رعديدا، مفتقراً إلى الجرأة وروح المغامرة التي يتمتع بها أقرانه الأسوياء.

ويحتاج الطفل من سنٍّ مبكرة إلى قدر كبير من الإحساس بأنه يمكنه الاعتماد على نفسه، ويتجلى ذلك باديء الأمر في رغبة الطفل في تناول الطعام بنفسه، ثم سرعان ما تنتشر

رغبته في الاعتماد على نفسه إلى معظم تصرفاته ونشاطه اليومي، ومن الطبيعي أن تنشأ من رغبة الطفل في الاعتماد على نفسه عشرات الأخطاء والعثرات، فهو قطعاً سوف يلوث ملابسه وهو يحاول تناول الطعام بنفسه، وقد يلوث المائدة كذلك، وقد تنسكب منه أواني الطعام، وقد تتساب على ثياب والديه، كل هذه الاحتمالات وأكثرُ منها وارد، ومثل هذه التصرفات من جانب الطفل- خصوصاً عندما يصر عليها في عناد - تذهب بصواب والديه، بحيث يمكن أن يتصاعد الموقف إلى صراع مرير بين رغبة الطفل في أداء العمل بنفسه وبين إصرار والديه على منعه من ذلك! وهذه المواقف تحتاج من الوالدين إلى صبر وكياسة، بحيث تتحقق للطفل رغبته في الاعتماد على نفسه بأقل خسائر ممكنة، مثال ذلك استعمال آنية طعام لا تنكسر كالبلاستيك، ووضع مفرش من «المشمع» زهيد الثمن فوق المائدة، مع تغطية ملابس الطفل بصديرية الطعام، وهكذا، المهم ألا تكبح رغبة الطفل في الاعتماد على نفسه إلا في أضيق الحدود، وباتباع أسلوب الإغراء والإقناع (الترغيب والترهيب) سوف يكون الطفل ألْيَنَ عريكة وأقل عناداً.

وتوبيخ الطفل كلما أخطأ أو عَثَرَ عادةٌ شائعة في كثير من الأسر، وما أكثر أن يتردد على مسامع الطفل ألفاظ وعبارات مثل «يا غبي»، «يا مغفل»، «أنت سخيف»، إلى غير ذلك من الألفاظ والعبارات المشابهة! وقد يَعجَبُ الآباء إذا علموا أن لطفلهم كرامة تخدشها هذه الألفاظ والعبارات، مثلما تخدش كرامة الكبير! وقد يثور الطفل لكرامته الجريحة بالبكاء، أو بضرب الأرض بقدميه، أو بتوجيه الإهانة نفسها إلى من بدأ بها، أو بزيادة التمرد على والديه! والأسلوب الأمثل، هو تفهيم الطفل وجه الخطأ الذي وقع فيه، مع بيان وجه الصواب حيثما أمكن، ولا يعني اتباعُ هذا الأسلوب أن الطفل سوف يقلع عن خطئه فوراً وبصورة نهائية، ذلك أن المحاولة والخطأ هي وسيلة الطفل للتعلم، وكما يتضح من التسمية، فلا بد من محاولات عدة قبل أن يمكن تجنب الخطأ.

من العرض السابق يتضح أن إشباع الحاجات



النفسية الأساسية للأطفال أمر ميسور، وكل ما يستلزمه تحقيق ذلك الأمر هو معرفة مواطن الخطأ لتفادي الوقوع فيها، وتعديل (أو بالدقة تصحيح) أسلوب التعامل مع الأطفال.

غريزة الفضول

إذا أحضرنا قطة صغيرة إلى البيت فإنها تقضي الساعات الأولى مختبئة في ركن حصين يوفر لها الشعور بالأمان، فإذا انقضت تلك الساعات في سلام من غير حادث يهدد أمن القطة (مثل هجوم الأطفال عليها أو مطاردتهم لها من مكان إلى آخر في البيت مما يدفعها إلى الفرار) فإنها تقضي الساعات التالية في استكشاف المكان، وقد تقضي القطة أياما عدة تستطلع خلالها كل زاوية في البيت، وكل ركن فيه، إلى أن يصبح كل ما في البيت معروفا تماماً لها! سلوك القطة هذا يبين لنا أن الفضول أو حب الاستطلاع غريزة حيوانية، وإن تكن هذه الغريزة في فصائل الحيوان متممة لغريزة البقاء ومعززة لدورها في المحافظة على الحياة، إلا أنها عند الإنسان تتخذ بُعدًا أوسع يتناسب مع الوضع الراقي للإنسان على رأس مملكة الحيوان.

وغريزة الفضول هي التي تدفع الطفل إلى فتح كل ما هو مغلق، وفَضِّ كل ما هو ملفوف، وما يبدو للآباء على أنه عبث من الطفل بكل محتويات البيت، ليس في الحقيقة إلا محاولات استكشاف يقوم بها الطفل في محيطه الصغير، ومن الطبيعي كذلك أن تكون محاولات الاستكشاف الأولى فَجَّةً لا براعة فيها، إذ ما تزال المهارات الحركية للطفل في طور النمو المبكر، وليس غريبا- والحال كذلك-أن تكون هناك بعض الخسائر نتيجة رياضة الاستكشاف، لاسيما عند غياب المتابعة المستمرة للطفل.

ومن الخطأ الفادح قمع محاولات الاستكشاف التي يقوم بها الطفل، واتهامه بأنه يتلف كل شئ في البيت، ولا يَدَعُ شيئا في مكانه أو على حاله! إذ لن تُسفرَ محاولات القمع إلا عن نوبة بكاء حاد من الطفل، تتوتر معها أعصاب الأم أو الأب أو الاثنين معا، وتزداد حدة التوتر حين تفشل محاولات إسكات الطفل وترضيته، بحيث يمكن أن ينتهي الموقف بمشهد مأساوي حين ينهال أحد الوالدين على الطفل ضرباً! والأساس الصحيح لمعالجة مواقف الاستكشاف هو إفساح الطريق للطفل ليشبع غريزة الفضول دون تماد، فمثلا إذا أراد الطفل استطلاع ما في حقيبةً أمه، فلا بأس من تركه يفعل ذلك تحت إشرافها، فإذا بدأت يَدُهُ الصغيرة تنبش محتويات الحقيبة وتلقي بها خارجاً، فيمكن عندئذ صرف انتباهه عن هذا العمل برفق إلى شئ آخر، وما أسهل تبديد انتباه الأطفال! أما جَذبُ الحقيبة عُنوَةً من يده، سواء صاحَبَ ذلك التوبيخُ المألوف أو لا، فسوف تكون النتيجة خلق واحد من مواقف الصراع مع الطفل وهي مواقف يتأذى منها الطرفان (الطفل ووالداه).

ومع تقدم الطفل في العمر يأخذ حب الاستطلاع صورة جديدة، تتمثل في ملاحقة الوالدين بعشرات الأسئلة، وهي أسئلة محرجة غالباً، وقد يتكرر السؤال نفسه من الطفل مرات عدة، والواجب على الآباء هو الإجابة على الأسئلة بصدق، دون مراوغة وحتى دون مواربة، مع مراعاة أن تكون الإجابة واحدة أو متقاربة في كل مرة يتكرر فيها السؤال، فالأجوبة غير الصحيحة لن ترضي فضوله، والأجوبة المختلفة سوف تربكه وتزيد من حيرته.

العقاب البدني

بين الثانية والرابعة من العمر يكون الطفل مملوءًا طاقة وحيوية تؤهلانه وتمكناه من القيام بجميع أعمال «الشَّيطَنَة» من قَفز على الأَسرَّة إلى وثب على المقاعد، ومن اختباء في «الدواليب» وتحت الأرائك إلى اعتلاء المناضد والتسلق على الكراسي، ومن العَدو والصياح إلى رَكلِ أقرانه وجَذب شعرهم، وغير ذلك من





الأعمال المشابهة التي تخرج بالطفل من وداعة الملائكة إلى تمرد الشياطين!

ورُوَيـدًا رويـدًا يصبح التعامل مع شيطان مريد أمراً صعبًا، فالأم المسكينة تلهث وراء طفلها الـذي يفـور حيـوية، ولا تـكاد تلحق بـه، ولا يفيد أمـر ولا نهي في زجـر الطفل عن ألعابه الشيطانية، وأكثرها لا يخلو من خطر، عندئذ قد يفلت زمام السيطرة على الأعصاب، فتنهال الأم على صغيرها ضربا، وقد يعجز الأب كذلك عن كبح جماح طفله الذي لا تهدأ له حركة، ويرثي لحال زوجته التي فقدت صوابها بسبب شيطنة طفله، فيأخذ هو كذلك في ضرب الصغير! ومرة تلوَ مرة، يصبح الضرب عادة متكررة، بحيث لا يمر يوم دون ممارستها، وإذا كانت أعمال الطفل الشيطانية سبباً في إنزال العقاب عليه بالضرب، فأحيانا يُضرَبُ الطفل لأسباب لا دخل له فيها، فغالباً ما يفوز المسكين بـ«علقة ساخنة» في أعقاب نقاش حاد بين الوالدين ترتفع فيه درجة توتر الأعصاب! وقد يكون الطفل كذلك «كبش الفداء» لضغوط في العمل تجعل والده متوتراً مشحوناً بحيث ينفجر بغير وعي عند أدنى خطأ من الصغير، وقد تكون ظروف معيشية صعبة تجتازها الأسرة سبباً في تكرار ضرب الطفل بغير مبرر.

أيًّا ما كان سبب ضرب الطفل، فإن الدراسات الحقلية (أو الميدانية) التي يجريها الباحثون في طب الأطفال النفسي تشير جميعها إلى الآثار العكسية للضرب على نفسية الطفل وصحة نموه العقلي، بل إن العقاب البدني الشديد (أي الذي يؤذي الطفل) يؤدي إلى نشوء عقد نفسية واضطرابات سلوكية خطيرة، كما تفيد تلك الدراسات أن الهدف من العقاب البدني يمكن تحقيقه بوسائل أخرى أقل إيلاما وإيذاء للطفل، وأجدى في تعويده على هجر السلوك أو العمل الذي يعاقب لأجله، ولعل أجدى تلك الوسائل وأنفعها على الإطلاق هو الترغيب المبني على تفهيم هادئ يعقبه تشجيع بمكافأة، فمثلا إذا أريد أن يقلع الطفل عن عادة وضع إصبعه في أنفه، وهي عادة شائعة بين الأطفال، فيمكن تفهيمه أنها عادة غير مستحبة، ثم يُعَلَّمُ كيف يستعمل منديلا لتنظيف أنفه، ثم يعطي قطعة حلوى مكافأة له على استعمال المنديل، مع إخباره أنه سوف ينال قطعة حلوى في كل مرة ينظف فيها أنفه باستعمال المنديل، ومن وسائل العقاب المجدية وغير المؤذية في آن واحد حرمان الطفل من مصروفه اليومي، أو حرمانه من اللعب مع أقرانه، ومن المهم أن يلجأ الوالدان إلى العقاب إذا كان خطأ الطفل كبيرا، وأما توقيع العقوبة على كل هفوة وزلة فأمر غير مستساغ عقلا ولا مقبول تصرفاً، ومن المهم كذلك أن تكون وجهات نظر الوالدين واحدة، إذ لا يصح معاقبة الطفل على أمر تراه الأم خطأ ويراه الأب غير ذلك، والواجب في هذه الحالة أن يتفق الوالدان فيما بينهما أولا على ما هو خطأ وما هو صواب بالنسبة لسلوك الطفل.

التربية الحسنة

يقتصر مفهوم التربية في أذهان بعض الناس على توفير حياة رغدة للطفل.. وكفى! وليس يَخفَى ما في هذا المفهوم من قصور، إذ ليست التربية مجرد إغداق الماديات على الطفل، وإنما تعني التربية بالمفهوم العلمي، والديني كذلك، تعليم الطفل التصرف الحسن في مواقف الحياة المختلفة، ويشمل هذا المفهوم ضمنيا غرس الفضيلة ومكارم الأخلاق في نفس الطفل، وتوفير فرصة تعليم جيدة يكتسب من خلالها المهارات النافعة والسلوكيات الفاضلة التي تؤهله في النهاية للهدف الأسمى من التربية وهو إحسان التصرف في مواقف الحياة المختلفة.

ووفقا للمفهوم العلمي والديني للتربية، فإن التربية عملية غير سهلة بالمرة، إذ تتطلب من الوالدين مثابرة مستمرة وجهداً دائباً وصبرا واسعا لتحقيق أهداف التربية، هذا خلافا لما تفرضه التربية على الوالدين من الإلمام بأفضل السبل الممكنة لتربية الطفل تربية حسنة، والأسس العلمية للنهوض بهذا العمل، أما الأعباء المادية فإنها أمر هين عند مقارنتها بالأعباء الذهنية والنفسية والبدنية التي يحتملها الآباء في تربية أبنائهم.

وإن تكن التربية عملا شاقا، فمن رحمة الله تبارك وتعالى أنها مشقة ممتعة نافعة.

وللتربية الحسنة ثمرات دنيوية وأخروية منها اكتساب المربي فضائل عديدة قد يتعذر اكتسابها من غير هذا الطريق، ذلك أن تربية الأطفال تهيئ المناخ الملائم لاكتساب فضيلة الصبر والحلم وسَعَة الصدر، فالمحاولات اليومية المتكررة لضبط النفس ومحايلة الطفل والتغاضي عن أخطائه، وطول النَّفَس معه، هي في الحقيقة تمرينات ممتازة لاكتساب الفضائل المذكورة بطريقة غير مباشرة، كذلك فإن رغبة الوالدين في توفير قدوة حسنة لطفلهما تدفعهما إلى التخلي عن عادات وسلوكيات مرذولة، أو على الأقل غير مرغوب فيها، وإحلال عادات أفضل مكانها، مثال ذلك تخلي كثير من الآباء عن عادة التدخين مخافة أن يقلدهم أطفالهم في اتباعها، كما تلتزم الأمهات بأداء الصلاة في أول وقتها تشجيعاً للأطفال على اكتساب هذا الالتزام، وهذه الأمثلة من واقع الحياة وأشباهها ونظائرها كثيرة.



وحتى مداعبة الطفل ومشاركته ألعابه، وهي جزء أساسي من عملية التربية، لا تخلو من متعة وترويح عن الوالدين، وليس شيء يُسَرِّي هموم أب مكدود مثل ضحكة عالية من طفله، ولا تنكر أمٌّ أن ضمَّ طفلها وتقبيله من أعظم مسرَّاتها في هذه الحياة.

وفضول الطفل وأسئلته العديدة المتنوعة من أعظم أسباب إثراء ثقافة الوالدين، فكم من أمٍّ لم تكن قد نالت حظا يذكر من التعليم، راحت تتدرج مع أطفالها على مدارج العلم درجة درجة، وكم من أب خاض تجربة مماثلة، ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد أن أشهر مؤلفي قصص الأطفال، كان أطفالهم سبباً في نبوغهم في هذا الحقل من حقول الإبداع الفني (أو الأدبي)، وحتى الذين يخترعون لعب الأطفال، يفعلون ذلك بدافع إرضاء أطفالهم في المقام الأول.

خيالنا العجيب

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

لنا في حياتنا عبر ومواقف، تمر بنا جميعا فتأخذنا بين أفراح وأتراح، نجاحات واخفاقات، غنى وفقر، سعادة وتعاسة خير وشر، وغيرها الكثير من الأضداد والمتناقضات، لأن هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار كما قال تعالى في كتابه الحكيم «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» فلذلك لن يكون هناك خير محض ودائم إلا في الجنة ولن يكون شر محض ودائم إلا في النار، أما حياتنا فتحمل الضدين، فكلما تعايشنا مع هذه المواقف الحياتية بخيرها وشرها واستطعنا التكيف معها كلما استقرت حياتنا وسرنا في طريق آمن وكلما تخبطنا في التعامل معها ولم نستطع التوافق والتكيف كلما شعرنا بالضيق ومن ثم الحزن والذي يكون بوابة للأمراض النفسية التي قد نصاب بها.وأهلا وسهلا بكم أعزائي القراء، نعرض عليكم بعض الأسئلة الخاصة بالمشكلات النفسية والاجتماعية علها تكون عبرة وعظة ووقاية لكم، مع تمنياتنا للجميع بحياة سعيدة، خالية من المشكلات، هانئة بالمحبة والرحمات.

تخيل أنك تعيش في عالم يعمه السلام، القوي يعين الضعيف، والصغير يحترم الكبير، والكبير يعطف على الصغير، الكل يرى الفضل لدى الكل، والكل يقدم الخير للكل، ما أجمل هذا العالم وما أسمى معانيه، عالم خال من النفاق والحسد، عالم مليء بالحب والوداد، عالم يوقر فيه العلماء ويبجل فيه العظماء، عالم بلا طلاق ولا تفكك أسري، عالم بلا حروب ولا سموم، عالم نظيف، مثلما أراده الله لنا.. ما أجمله من عالم، وما أسعدها من حياة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل نفكر فعلا بمثل هذا العالم، هل تخيلنا جميعا مثل هذا السلام أم هي مجرد كلمات تجول في خواطرنا دون خيال جامح يلحقه عمل راسخ.

إن وظائف العقل عديدة وعجيبة، وإحدى هذه الوظائف الخيال، وهو الصورة التي يرسمها الفرد في عقله، وهو الفكرة المصورة غير المنطوقة التي يبنيها الفرد في رأسه، وهي المشاعر التي تجيش في قلبه حول هذه الفكرة مما يجعله يسبح في سماوات عالية ويطير في أفق لا نهاية له، مما يولد لديه نشاطا وحماسا وطموحا بلا حدود، وكل ذلك يأتي من هذا الخيال العجيب، الذي يدفع الفرد للتغيير والعمل الدؤوب الذي يخلو من الكلل والملل، فترى الفرد يعمل بصورة جادة للوصول لما رسمه له خياله، ولكن حذار أن يكون هذا الخيال منقادا خلف الهوى والشهوات والدنيا فإن كان كذلك فيا حسرة على العباد، وإن كان العكس فيا مرحبا بدنيا العمل ودنيا السعادة.

نستخدم نحن الأخصائيين النفسيين الخيال في العلاج النفسي أحيانا بل غالبا، فعندما يكون الفرد يعاني من ضيق وتوجس وخوف مرتقب يسبب له التوتر والكرب، فإننا نحاول أن نأخذه بخيال، نصف فيه حياته وهي خالية من هذه التوجسات والمرعبات، ونطلب منه أن يعيد سيناريو حياته مرة أخرى وهي خالية من تلك الشوائب، ونطلب منه أن يصف لنا شعوره وحياته بعدها، كذلك من يعاني من حزن يشوبه اكتئاب مزمن، نعيد صياغة حياته بطريقة يستخدم فيها الخيال، ونقول: تخيل لو أن ما ذكرته ومررت به خلال الاشهر الماضية يعود مرة أخرى وأنت سعيد وأنت انسان راض ومقتنع ومثابر ومبادر فكيف ستكون حياتك، فنرى ابتسامة تخرج من شفتيه اللتين مر عليهما زمن لم تعرفا الابتسامة، ونرى في عينيه بريق أمل بدأ يلوح في الافق وهذا هو بداية العلاج.



ولهذا نقول بعد حمد الله على نعمه الجليلة وآلائه العظيمة، أيها الناس استخدموا وظائف عقولكم كلها بشرط أن تكون بصالحكم وتؤدي لسعادتكم في الدنيا والآخرة.

الخبير الاستراتيجي والعسكري اللواء طلعت مسلم:

«إسرائيل» ستنقرض عام ٢٠٥٠!

حوار: المنشاوي الورداني

إذا كان للمريض أمل وعلى استعداد لتلقي الدواء، فإن جموع الناس تنتظر تحليلات ورؤى المحلل الاستراتيجي والعسكري حينما تكون أدوار السياسة غامضة على الأذهان.. ولعل اللواء طلعت مسلم الخبير الاستراتيجى والعسكري المصري واحد من هؤلاء الذين عرفوا بقوة التحليل وعمق الفهم وإعادة القراءة المرة بعد المرة لمشروع الهيمنة الأميركية الصهيونية من جهة.. والصراع العربي الصهيوني من جهة اخرى. وعندما نقترب من شخصية اللواء طلعت مسلم لنعرف سيرته الذاتية وكيف أثرت الأحداث في محطات حياته نعلم أنه قد ولد عام ١٩٣٥ بمدينة الإسكندرية، وكان يحلم منذ نعومة أظافره أن يكون عسكريا يحمل بندقية وليس ضابط شرطة كوالده!

لذلك فقد التحق بالكلية الحربية التى تخرج منها عام ١٩٥٢ وحصل بعدها على ماجستير العلوم العسكرية وزمالة أكاديمية ناصر العسكرية العليا ودبلوم إدارة الأعمال التطبيقية، وشغل مناصب عسكرية عدة في القوات المسلحة المصرية، وشهد حروبا عدة مرت بالمنطقة فجعلته يفهم الأبعاد السياسية والأطماع العسكرية للحلف الأميركي الصهيوني في المنطقة، وقد ظهر ذلك جليا في كتبه وأبحاثه التي من أهمها: التعاون العسكري العربي، والوجود العسكري الأجنبي في الوطن العربي، والأمن القومي العربي بعد حرب الخليج.

« الوعي الإسلامي » حاورت اللواء لتسليط الضوء على الرؤية التحليلية لواقع مجتمعاتنا السياسية والعسكرية .. واليكم نص الحوار :.



■ اللواء طلعت مسلم.. لماذا تولدت داخلك طيلة أيام الطفولة والصبا أن تكون عسكريا - أو كما تقول - الرغبة في أن تحمل بندقية؟

- هذه حقيقة.. فقد كنت أرى الضابط يحمل مسدسا صغيرا لا يشبع رغبتي الحماسية، وكنت أجيب كل من يسألني في طفولتي: ماذا تريد أن تكون؟ فأقول: أريد أن أكون عسكريا وأريد أن أحمل بندقية، وكان السبب وجود الاستعمار الانجليزي في البلاد المصرية.

■ متى بدأ إحساسك بالقضية الفلسطينية؟

بدأ ذلك مبكرا، ومازلت أذكر هذا اليوم (٢ نوفمبر ١٩٤٥) وكنت وقتها في مدرسة «قنا» الثانوية حيث نظمت المدرسة احتفالا بمناسبة وعد بلفور، وتحمست وقتها وألقيت كلمة حماسية رسَّخت في ذهني قضية الصراع العربي - الإسرائيلي، واستمر الاهتمام المتحمس بهذه القضية يوما بعد يوم، ولأن والديّ كانا يحبان القراءة، فكنت أنافس إخوتي في قراءة الجرائد والمجلات لمتابعة الأحداث.

■ من عام ١٩٤٥ وحتى عام ٢٠٠٩: كيف ترى المسلسل؟ بمعنى مرت نحو اثنتان وستون سنة عليك منذ إحساسك المبكر بالقضية الفلسطينية.. فكيف ترى النهاية؟

- أرى أن «إسرائيل» ستنقرض عام ٢٠٥٠!!

■ هل هذه نبوءة؟

- أبدا.. إنها ليست نبوءة.. ولا إرهاصا.. ولكنها قراءة مؤكدة أراها ستكون حقيقة مهمة، وهي ان «اسرائيل» عندما نشأتها قامت على أكتاف صهيونيين يؤمنون، بما يسمى «إسرائيل الكبرى» وبالتطور الديموجرافي للتركيبة السكانية في إسرائيل فإن هذا التطور سوف يقلب الموازين، لأنه سينشأ جيل جديد يبحث عن المصلحة الشخصية بالدرجة الأولى، وبالتالي أصبحت فكرة «اسرائيل الكبرى» مستحيلة بسبب ضعف الولاء والانتماء في ذلك الوقت لدى اليهود، وستتحول الفكرة من «اسرائيل الكبرى» إلى «اسرائيل الصغرى».

أيضا أذكر أنه كان شرفا لليهودي الالتحاق بالقوات المسلحة، والآن هو يهرب من الجندية! ثم اني أريد أن اقول لك شيئا آخر.. الجيش «الإسرائيلي» كان جيش غزو، وتحول عبر سنوات إلى وظيفة شرطية مسئوولة ومشغولة بالعمليات الداخلية.

■ ولكن «إسرائيل» لديها سلاح نووي يمكن أن تحقق به ما تريد؟

- «إسرائيل» بسلاحها النووي لم يتغير وضعها ولم تحقق شيئا! لأن المهم هو الرجال، والرجال عندهم لن يكونوا موجودين! وانظر إلى ما حدث للكيان في الحرب الأخيرة على غزة

■ وأين أميركا..؟ أليست هي التي تحمي «اسرائيل»؟!

- الاثنان عملة واحدة.. و «إسرائيل» أداة أميركية.. أو قل هي الوكيل الوحيد لها في المنطقة، وإذا كانت أميركا تحاول أن تكون رجل العالم كما فعلت في أفغانستان والعراق ثم الصومال، فهي تفشل كل يوم لأن القوة العسكرية التي تتباهى بها تحتاج إلى قوة اجتماعية تساندها، وكلا من «إسرائيل» واميركا يفقدان كل يوم هذه القوة الاجتماعية، لذلك فسياسة الدولتين محكوم عليها بالفشل.

■ كثر الحديث عن مشروع الشرق الأوسط الكبير.. فكيف ترى أبعاده وأخطاره؟

- قبل تفصيل هذه النقطة.. أريد أن أوضح شيئا هاما، وهو أنه ليس مشروعا واحدا ولكنه الكبير والجديد والعريض والأعرض، وكلها محاولات لتحقيق السيطرة على العالم بمسميات مختلفة، وهو في النهاية فاشل في جميع الأحوال.

ونعود الى تفصيل البعد العسكري في مشروع الشرق الأوسط، وهذا البعد قد ساعدته بعض المتغيرات التي سيكون لها أبلغ الأثر في صياغة هذا النظام.

■ ما تلك المتغيرات في المنطقة؟

- تتلخص هذه المتغيرات في حرب الخليج الثانية، وتحطيم قدرة العراق العسكرية، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وانهيار نظام الثنائية القطبية، ومحاولة الولايات المتحدة فرض هيمنتها على العالم، وإبراز فكرة النظام الدولي الجديد بزعامتها ومن زاوية اخرى: لا بد من مراعاة الأوضاع العربية الراهنة، ومسيرة الصراع العربي - الصهيوني، وفي هذا المجال نجد - أن النظام العربي الإقليمي في أسوأ حالاته، وقد تعرض هذا النظام في السنوات الأخيرة إلى الكثير من الهزات والكوارث والمشكلات التي تمثلت في: الاختراق الحاصل للصراع العربي - الصهيوني والمتمثل في اتفاقية كامب ديفيد والمعاهدة المصرية - الاسرائيلية، واتفاق أوسلو بين الفلسطينين والاسرائيلين، والمعاهدة الأردنية - الاسرائيلية، ومحاولات التطبيع المستمرة على الصعيدين الاقتصادي والثقافي، وتراجع العمل العربي المشترك.. ومنذ مؤتمر مدريد ١٩٩١ تقود الولايات المتحدة المسيرة السلمية من خلال مفهومها وأهدافها في المنطقة العربية.

الشرق الأوسط الكبير والعريض والأعرض.. كلها مسميات لهدف واحد هو الهيمنة على العالم العربي

■ سيادة اللواء.. كيف تستنتج أهداف الولايات المتحدة بخصوص الأمن والميزان العسكري في المنطقة في ضوء ما ذكرت؟

- هذه الأهداف باختصار هي: الحفاظ على المصالح الأميركية ومصالح اصدقائها باحتواء الدول المناوئة لسياستها، وفرض السلام الاسرائيلي على العرب، وضمان استمرار أو استقرار الأوضاع القائمة باستمرار التفوق الإسرائيلي، وكذلك ضبط انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل توصيلها وفقا للمعايير الأميركية وفك الروابط الدفاعية العربية وربط الدول العربية بدول اخرى، وقد عملت الولايات المتحدة على ربط الافكار المتعلقة بنظام شرق أوسطي جديد بعملية السلام، وضرورة قيام تعاون اقتصادي مالي ومؤسسات للبيئة بما يسهم في قيام سوق أو سطية مشتركة، من حيث أنها لا تقبل - إطلاقا - بدور عربي متكامل بالنسبة إلى أمن الخليج.

■ نريد أن نعرف ايضا عناصر النظام لشرق اوسطي حسب التصور الأميركي!

هذه العناصر هي:

- أن تكون للولايات المتحدة الكلمة العليا والأخيرة في التخطيط الأمني باعتبار مصالحها الخاصة بها في امن الخليج واستقراره.

- رفض اي دور عربي متكامل في امن المنطقة، وفصل المشرق العربي عن المغرب العربي.

- التشاور مع حلفاء الولايات المتحدة لتحديد ما يلزم لحماية مصالح هذه الدول التي عليها ان تكون مبادرة في تحديد ذلك.

- تكثيف الوجود العسكري الأميركي في الخليج و«اسرائيل» وتركيا، باعتبار انه هو الأساس العملي للترتيبات الأمنية من وجهة النظر الأميركية، بالإضافة إلى وجود عسكري محدود لكل من: بريطانيا وفرنسا، وقيام قوات الأمم المتحدة بالأعمال الأكثر تعرضا للخطر.

- تطوير أشكال التعاون العسكري الثنائي بين الولايات المتحدة من جهة وأصدقائها من الدول العربية واسرائيل من جهة ثانية.

- الاعتماد على الامم المتحدة في القيام بدور هام في الترتيبات الأمنية.

- تعزيز التعاون بين دول الخليج بعضها مع بعض، وبينها وبين الولايات المتحدة والدول الصديقة (إسرائيل) وباقي الشركاء الأمنيين الخارجيين (بريطانيا وفرنسا وتركيا).

- حصار الدول المناوئة للسياسات الغربية عموما، والأميركية خاصة وحظر تزويدها بالمعدات العسكرية والأسلحة، مع ضبط وتدمير الصواريخ والقدرات النووية والكيميائية والجرثومية العربية أينما وجدت.

- فرض قيود اقليمية على التسلح وخاصة على الجانب العربي.

- إقامة مؤسسات وتنظيمات إقليمية مستقرة ودائمة لضمان استقرار المنطقة.

- إنشاء نظام للتعاون الاقتصادي بين دول المنطقة، تموله دول عربية لصالح اسرائيل - ودول أخرى غير عربية.

- مساعدة حكومات «الشرق الأوسط» لمواجهة التهديد المتنامي من احتمال سيطرة الإسلام السياسي.

النظام العربي يتعرض في السنوات الأخيرة إلى الكثير من الهزات والكوارث والمشكلات على المستويات كافة

أول الواجبات.. إيقاظ الأمة

من حق كل مسلم أن يكون سعيداً بانتمائه للإسلام وانتمائه لخير أمة لقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران : ١١٠)، وفي الحديث: «إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله» (الترمذي)، و"نحن الآخرون الأولون يوم القيامة «مسلم».

ومن الواجب على المسلم أيضاً أنْ يتعلم هذا الإسلام، وأنْ يلتزم به، ويتذوق حلاوته، ويدعو إليه، وينشره، وينصره، وعليه واجب آخر يتفرع من هذا الواجب وهو الولاء (الحب والنصرة) لكل من ينتمي للإسلام، وذلك لأن الاسلام في حقيقته لا يقوم إلا على قاعدتين: الإيمان والأخوة، والثانية (الأخوة) هي ثمرة الأولى (الإيمان) لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات : ١٠)، وقوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة : ٧١) ، وفي الحديث يقول النبي ﷺ «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا...» (مسلم)، ويقول «وكونوا عباد الله إخوانا...» (مسلم)، و«المؤمن أخو المؤمن...» (مسلم).



د.حسن يوسف الشريف

وهذا هو أول الواجبات التي يجب على الدعاة والعلماء والمفكرين أن يعملوا لها.

نعم .. بهذا يكون إيقاظ أمتنا، إيقاظ الإيمان في القلوب، ليكون إيماناً قوياً راسخاً ثابتاً أشدّ ثباتاً ورسوخاً من الجبال، ومظهره الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواها، ومظهره الثاني: حب بعضنا لبعض «... أن يحب المرء لا يحبه إلا لله...» (البخاري)، وكأن هذه الثانية (الأخوة) هي ثمرة الأولى (حب الله ورسوله)، وهذا الحب لله ورسوله وحب بعضنا لبعض يثمر أن يحب كل منا الخير لأخيه لقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (البخاري)، ومنه أن ينصح كل منّا أخاه بما يقربه من الله ويدخله الجنة، كما جاء في قوله ﷺ «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (مسلم)،، وقد جمعت هذه الواجبات في حديث واحد، فقد أخرج بن عبدالبر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم:



أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولاَّهُ الله أمركم....».

إن أي مسلم يعي تاريخ أمتنا الإسلامية في مرحلة التفوق الحضاري في الماضي، ثم يقارن ماضي أمتنا المشرق مع حاضرها المؤسف، سيعرف مدى التراجع والتخلف الذي وصلنا إليه في كل الجوانب، إن دراسة واقعنا ثم العمل على إصلاحه هو واجب شرعي في أعناق شعوبنا وحكوماتنا الإسلامية، حتى تتم لنا العودة إلى مكاننا الأصيل لنتصدر قائمة الدول المتقدمة، وذلك من أجل تحقيق دورنا الحضاري في العالم ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة-١٤٣).

إنّ أمتنا والحمد لله تمتلك كل وسائل ومتطلبات التقدم، ولكن غفلتنا عن مهمتنا الحضارية الإسلامية العالمية وغفلتنا عن إمكاناتنا الضخمة والمتنوعة جعلتنا نتراجع شيئاً فشيئاً، حتى أصبح العالم الاسلامي في آخر قائمة العالم الثالث، هذه حقيقة الواقع ومن يقول غير ذلك فهو يخدع نفسه قبل أن يخدع غيره.

إن تخلفنا وضعفنا العلمي والتقني والاقتصادي والسياسي والفكري واضح للعيان.

إن هذا التخلف والضعف كبيرة من الكبائر التي يجب أن نتوب منها، بل هي نجاسات يجب أن نتطهر منها ونغسل ما أصابنا منها، حتى نكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران-١١٠).

قد وصل الأمر إلى أنّ تعاني أمتنا من مشكلة الغذاء، بعد أن كنّا سلة الغذاء لأوروبا منذ حوالي مائتي سنة تقريباً، حيث **يقول المفكر الفرنسي روجيه جارودي: «كانت جيوش الإمبراطورية الفرنسية تعيش على فائض القمح من دولة الجزائر»**، فكيف أصبحت الجزائر وغيرها من الدول الإسلامية تعيش على فائض القمح من الدول الأجنبية؟ ولماذا ننتج أقل مما نستهلك؟! لماذا لا نتعاون اقتصادياً لتحقيق التكامل العربي؟! أليس ذلك هدفاً من أهداف الدول العربية؟

إنه إذا تمّ إيقاظ أمتنا إسلامياً على قاعدتي: الإيمان والأخوة، ونجحت المهمة، فستصبح الأحلام وقائع، وستتحول الآمال إلى أعمال، ولكن لابد من العقل المسلم المفكر والارداة الإيمانية الفاعلة.

دراسة الواقع والعمل على إصلاحه .. واجب شرعي في أعناق الشعوب والحكومات الإسلامية

لقد تعرض العالم منذ ثلاثين عاماً لمشكلة نقص الغذاء، وبدأت الدول المتقدمة تتنافس بقوة لتحتكر إنتاج الحبوب، لأنه أهم مصادر الغذاء في شتى بقاع العالم، وبدأت التكتلات الاقتصادية بين الدول المنتجة، وذلك تعظيماً للربح ولتحقيق أهداف سياسية في ذات الوقت «لأن من لا يملك غذاءه لا يملك قراره».

فاحتكار الدول الغربية لكميات ضخمة من إنتاج الحبوب قد شكل عناصر ضغط شديدة على الدول المستهلكة والمستوردة للحبوب، وظهرت تكتلات جديدة مثل السوق الأوروبية المشتركة، وظهرت بعده سوق أميركا اللاتينية، ولم نجد في الواقع سوقاً عربية مشتركة! أو تضامنا عربيا مشتركا! أو تفكيرا عربيا فاعلا مشتركا! رغم أنه كان يومها من السهل حل مشكلة الغذاء في العالم العربي والإسلامي، بل تقديم المساعدات الغذائية إلى فقراء العالم.

لقد بدأت الدول الغربية التي لا تريد الخير للعالم الإسلامي، بدأت تستخدم سلاح الغذاء كواحد من أخطر الأسلحة العصرية، لتلوح به في وجه الدول الفقيرة والنامية، لتخضع للتبعية السياسية والاقتصادية له.

وبالتفكير الجاد، والهمة الصادقة، واليقظة للتحديات التي تواجه أمتنا، فإنه بوسعنا عملياً - رغم سوء الظروف - أن نحل مشكلة نقص الغذاء في العالم العربي، وذلك إذا أحسنّا النظر في معطيات وإمكانات دولنا العربية والإسلامية، وأيضاً إذا تم التعامل مع هذه المشكلة - نقص الغذاء - برؤية شمولية، وبعيداً عن النظرة الضيقة التي تحجب وتحول عطاء الإمكانات الموجودة على مستوى أقطار أمتنا الإسلامية.

إنّ السودان يتعرض لأكبر هجوم استعماري ماكر، من أجل تفتيته وتقسيمه بهدف ألا يصبح سلة غذاء للعالم الإسلامي، فهو يملك المساحات الصالحة للزراعة، كما يملك الماء، ولكن ينقصه الإمكانات المادية والفنية التي تحول السودان لبلد قوي اقتصادياً، ولكن أهملنا في حق السودان علينا، فأصبح الآن مهدداً بالتقسيم، وبذلك يضيع منّا المفتاح الإسلامي الجنوبي نحو إفريقيا.

علينا حكومات وشعوبا أنّ نقف بجانب السودان، ليسترد عافيته، وتصان وحدته، ليصبح سلة غذاء تساهم وبقوة في كسر احتكار إنتاج الغذاء، وهذا أيضا السلاح الجديد الذي يلوحون به في وجوهنا.

إيقاظ امتنا هو أول واجبات المخلصين الصادقين في أمتنا الإسلامية، لتبدأ مسيرة الشهود الحضاري لهذه الأمة المختارة ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ (الحج-٧٨)

يجب علينا أنّ نفكر لأمتنا، لتكون أمةً قويةً لها مكانها المرموق على خريطة السياسة الدولية، وعند ذلك نستطيع أن تقوم بوظيفتها الحضارية من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن الأفكار لا تقوم في فراغ، ولا تكون إلا بأولئك المخلصين الصادقين الذين يستطيعون قبولها والتفاعل معها، وستظل الأمة الإسلامية بخير، ولكن المطلوب تدعيم هذا الخير بالحكمة والرفق والصبر والموعظة الحسنة، علينا أن نتواصى بالصبر حتى تتحقق آمالنا وأحلامنا، وعلينا أيضاً زراعة الأمل في قلوب اليائسين، ليؤمنوا بأن المستقبل لهذا الدين رغم أنف الحاقدين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف-٨) و ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة-٣٢).

الثورة الإنتاجية .. رؤية إسلامية

لم يكن ليحصل التطور الانتاجي في الغرب لولا الثورة الصناعية التي اجتاحت أوروبا ومارافقها من تقديس للدنيا وتمجيد للربحية، بحيث أدت هذه الثورة إلى تغيير معالم الحركة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فتحولت معها القوى الانتاجية إلى قوى فاعلة تعدت كميات منتجاتها حاجات مواطنيها فانطلقت إلى ما وراء الحدود البرية والبحرية، فكان الإنتاج الضخم الذي شكل لاحقاً سبباً مهماً في العديد من الحروب، ومزيداً من قهر الشعوب واحتلال أراضيها في سبيل الحصول على المواد الأولية من جهة ثم إيجاد الأسواق لتصريف منتجاتها من جهة أخرى، ومع التطور المستمر لوسائل الإنتاج وحجمه، وغياب أشكال الانتداب والاحتلال التي ربطت اقتصادات الدول الضعيفة المحتلة باقتصادات الدول القوية المنتصرة، جاءت الحاجة إلى فتح الأسواق العالمية بأسرها من أجل تدفق المنتجات دون أي حائل، وقد ظهر ذلك جلياً في مرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، وبروز نجم منظمة التجارة العالمية الداعية لتحرير الاقتصاد وفتح الأسواق، والتي أصبحت تضم في جنباتها غالبية دول العالم.


د. رامز الطنبور

أمام هذه التحولات التي تلف العالم بأسره ما انفك جل العالم العربي والإسلامي يجتر بعض معالم الثورة الصناعية مما خلفه له الاستعمار الاجنبي، فلايزال طابعه الاستهلاكي هو المسيطر، ولم يقو بعد على احداث ثورته الانتاجية التي يعبر من خلالها إلى الثورة التقنية، وذلك لاسباب خارجية مثل الاحتلال وآثاره ومخلفاته، ولأسباب داخلية جوهرية تتعلق بالعقلية والبنية الفكرية للثقافة الانتاجية - الاستهلاكية السائدة في المحيط العربي، وما يلازمها من واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي ضاغط في معظم الدول العربية.

وحيث ان الإسلام هو الموروث الفكري والثقافي الأكثر تأثيرا في المجتمعات الإسلامية كان لابد من معرفة حقيقة موقف الإسلام من الإنتاج والربحية، بصفته يشكل الدافع الأساسي للنهوض والانطلاق، وهل من الممكن أن يؤثر ايجاباً في إطلاق الثورة الإنتاجية؟ وهل يضاهي الغرب في نظرته للربحية وللإنتاج أم أن له رؤيته الخاصة في ذلك؟

لقد طغى هدف زيادة الانتاج على ما عداه في الغرب، وشكلت الحوافز المادية دافعاً حقيقياً للمزيد من العطاء والأثر الفعال في نفوس العاملين، ويعتقد أن ذلك كان انعكاساً طبيعياً للإيديولوجيا المادية الغربية المسيطرة في أعقاب الثورة الصناعية والتحول الكبير في المجتمع الأوروبي.

وبغض النظر عن الاسباب والوسائل (المريبة وغير المريبة) التي اوصلت الغرب إلى تعظيم الانتاج والربحية وعن النتائج الاجتماعية القاسية التي رافقتها، استطاع الغرب أن يتحول إلى قوة انتاجية هائلة مهدت الطريق أمام تطورات متلاحقة ومتسارعة وصولاً إلى الثورة التقنية التي يضج بها العالم اليوم.

أما في الإسلام فالقضية تختلف بمنطلقاتها وأهدافها عن الغرب، فمن حيث المنطلقات فإن العملية الانتاجية وفقاً للرؤية الإسلامية تقوم على ركائز أقرها الشرع، واردة أو مستنبطة من مصادر التشريع من القرآن الكريم والسنة النبوية والاجماع والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان والعرف، وهذا باب واسع من أبواب الاجتهاد، باب مفتوح لكنه مضبوط بالأطر الشرعية وفق قاعدتين أساسيتين هما الغاية الربانية والمصلحة البشرية، التي تسمح بالاستفادة من جميع التجارب البشرية الإدارية والانتاجية، السابقة واللاحقة، التي تخدم البشرية ولا تتعارض مع الشرع، وهذا ليس ببعيد عن التاريخ العربي الإسلامي، حيث استفاد العرب وكان من بينهم كبار الصحابة، من نظم الإدارة الفارسية والبيزنطية آنذاك، ولم ينكر أحد عليهم ذلك، وجاء ذلك تماشياً مع روح الإسلام الذي يحث على الاستفادة من العلم والحكمة في جميع الميادين: طاعة لله وخدمة للناس، قال رسول الله ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها» (رواه ابن ماجة).

واهتمام الإسلام بالانتاجية هو اهتمام بالحياة المادية للناس من خلال اهتمامه بتحقيق الخدمة والنفع لهم، وقد كان ذلك هو الخطاب السائد إبان الحكم الإسلامي، جاء في خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله للناس «إنني لم أبعث إليكم الولاة ليضربوا أبشاركم ويأخذوا أموالكم ولكن ليعلموكم ويخدموكم»(١)، كما جاء في قول رسول الله ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»(حسنه الألباني)، وكما تهتم شريعة الإسلام بالحياة الدنيا فإنها تعظم الآخرة على السواء بشكل متناسق لا يطغى فيه جانب على آخر، بما ينسجم مع تكوين الإنسان من جسد وروح، قال تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾(القصص -٧٧).

الابتغاء فيما تملك وتقدر يكون للدار الآخرة لأنها دار المستقر، وأما دار الممر وهي الدنيا بما فيها وما تحتويه من أنشطة وأعمال فعليك ان تأخذ نصيبك منها بأحسن وجه لكي تحقق النتيجة المرجوة في الدار الآخرة، هذا الربط الميداني بين أثر عمل الدنيا على الآخرة، وبين

وحدة الموقف وقوة الإرادة ووضوح الهدف .. المدخل الحقيقي لإثبات الوجود وتحقيق الذات

ابتغاء الآخرة كهدف والدنيا كوسيلة للوصول إلى هذا الهدف هو ما يميز النظرة الإسلامية ويعبر عن هدفها وغايتها، وقد ربطت هذه الغاية على الدوام بخير الأعمال ولم تترك كهدف وغاية للعبث والفراغ، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾(المائدة -٣٥)، ﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾(النساء -١١٤)، ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾(الرعد -٢٢)، ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾(الرعد -١٨).

إن قضية الجمع بين الدنيا والآخرة في الإسلام لا يتماشى مع قضية التفرد للدنيا في الغرب.

وهدف المسلمين (اليوم الآخر)، هدف كبير عند المؤمنين به، ومن مظاهر الاهتمام بهذا اليوم أنه غالباً ما ارتبط الإيمان به بالإيمان بالله، وقد ورد في ذلك آيات كثيرة، نذكر منها ﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾(العنكبوت - ٣٦)، ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(البقرة -٦٢).

ولكيلا نستغرق في الوقوف عند الهدف البعيد والمستمر على الدوام في حياة المجتمع والمؤسسة والفرد «اليوم الآخر»، نعرج على هدف الانتاجية والربحية في الإسلام من خلال نظرته الشمولية لحياة تجمع الدنيا والدين معاً، والتوزان في هذا الموضوع تبينه لنا آيات القرآن الكريم وسيرة الرسول محمد ﷺ وصحابته الكرام، قال تعالى ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(الأعراف - ١٦٠). ﴿يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾(المائدة -٨٧)، ويقول الرسول ﷺ «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة» (رواه مسلم).

وسأل الإمام جعفر عن رجل فقيل: أصابته الحاجة، وهو في البيت يعبد ربه وإخوانه يقومون بمعيشته، فقال: الذي يقوته أشد منه عبادة (٢)

إن وظيفة الإنسان في الارض بنظر الإسلام هي العبادة، والانتاجية كما رأينا عبادة، وبذلك يجمع خيري الدنيا والآخرة اللذين يتكاملان مع الإسلام ولا يتعارضان، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(الذاريات - ٥٦)، ومن أشكال هذه العبادة إعمار الأرض، قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾(هود -٦١)، ومعنى استعمركم أي طلب منكم عمارتها وذلك بالعمل، وتاريخ الحضارة الإسلامية يشهد على التقدم العمراني والعلمي... في شتى الميادين، ولم ينحن هذا التقدم الا عند ضعف الدولة الإسلامية وتخلخل قيمها في المجتمع في ظل الهزيمة والغزو الخارجي.

والإنتاجية في الإسلام فضلاً عن انها عملية اقتصادية إدارية فهي ذات بعد اجتماعي أيضاً، فالشخص المنتج مرغوب به اجتماعيا وغير المنتج مذموم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول أله حرفة فإن قالوا لا، سقط من عيني» (٣).

من خلال ما تقدم ندرك ان الانتاجية وتحقيق الربح هدف من أهداف المجتمع الإسلامي، ولكن خصوصية الإسلام تكمن في أنه وهو يدعو إلى العمل والعمران والمزيد من الإنتاجية يربطها جميعاً بالهدف البعيد، وهو أن هذه الدنيا دار ممر وأن الفوز بالدار الآخرة هو المطلوب في نهاية المطاف كيلا يغرق الانسان في دنيوية محضة، وبدوره يؤكد على الاهتمام بهذه الدنيا في خط الفوز بالآخرة، فالدنيا والآخرة توجهان مكملان لبعضهما لا ينفصلان وفق المنهج الإسلامي العام كما جاء في قوله تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾(القصص- ٧٧).

إنها خصوصية ذاتية وعميقة تخفف عن البشرية ضغط الاستئثار والاحتكار والجشع الذي يدمر اجمل المعاني الانسانية، خصوصية مرتبطة مباشرة بالرؤية الشاملة للانسان ودوره في الحياة، توضح لنا الفرق ما بين الرؤية الغربية والنظرة الإسلامية، «فالإنسان المسلم يجب ان يختلف عن الانسان العصري في المجتمعات الاستهلاكية الحديثة من حيث اندفاع هذا الأخير للجشع وسعيه للتسلط وانصرافه إلى التبذير وحبه للمال جماً، ذلك ان هذه الصفات لا تمت إلى النهج الإسلامي بشيء، لأن الانسان في الإسلام مرتبط بقيم أخلاقية توجه تصرفاته الاقتصادية وتبعده عن السلوك المذكور»(٤)، وعندما أشير إلى القيم الأخلاقية للإنسان المسلم فإنني لا أنفي وجودها عند الإنسان الغربي فلكل مجتمع قيمه، ولكن يبدو ان الغرب ومنذ حركة ميكيافيللي، احدث شيئاً من التباعد بين معالم الحياة الدنيوية وبين الأخلاق والدين، مما عزز من تأثير الحياة المادية التي أفرزت قيما مادية هي القيم السائدة عند غالبية أبناء المجتمع الغربي والمتأثرين به.

منتديات البدائل العالمية.. محاولات للاجتهاد في ظل غياب إسلامي ملحوظ

د.هبة رؤوف •

حين قامت مظاهرات سياتل الشهيرة أمام مبنى اجتماعات منظمة التجارة العالمية عام 2000 لمعارضة السياسات التجارية للنظام العالمي الجديد القديم وشروطه الرأسمالية المجحفة لدول العالم النامي، كان هذا بمنزلة انطلاقة شرارة ما سمي بحركة مناهضة العولمة، والتي برزت لتجمع شمل الحركات الاجتماعية المختلفة في أنحاء العالم، والتي تأتي معظمها من خلفية اليسار الذي لم يمت بسقوط الاتحاد السوفييتي، بل بقيت قواه الاجتماعية وأحزابه ناشطة في دول كثيرة من العالم، لكنها انصرفت لأجنداتها الديمقراطية الداخلية، بل وفازت في العديد من الدول الغربية بالانتخابات خاصة في ظل استقرار تجربة الديمقراطية الاشتراكية ودولة الرفاهية في المنطقة الاسكندنافية شمال أوروبا، ولأن تلك الأحزاب أحزاب قديمة وناشطة في كل دول غرب أوروبا.

كان المنتدى الاقتصادي العالمي دوما محل انتقاد مختلف القوى سابقة الذكر، فهو مساحة صغيرة الحجم في دولة صغيرة هي سويسرا في مدينة جبلية هي منتجع شتوي للأغنياء أصلاً، نشأ بها في الثمانينيات- بشكل غير رسمي لكنه منظم- ذلك المنتدى ليجمع رؤساء الدول والحكومات مع رؤساء الشركات العابرة للقارات، ليفتح مجالا للقاءات وتحالفات وترتيبات ومصالحات ولقاءات دون أن تكون محسوبة على الدول بشكل رسمي.

قيل إن هذا المنتدى هو مركز من مراكز الرأسمالية العالمية، وأن الندوات التي تعقد فيه تعكس أجندة وعقل النظام العالمي للمرحلة الراهنة، مع الوقت بدأ المنتدى في دعوة مثقفين وفنانين وشباب من قادة العالم، بل ورجال دين كي يبدو أكثر تنوعاً، بل وسمح لبعض رؤساء النقابات الضخمة في الغرب ورؤساء بعض الجمعيات والكيانات الدولية الضخمة كمنظمة العفو الدولية وبرنامج الغذاء العالمي ومنظمة سيفيكوس وغيرها بالمشاركة ليبدو ديمقراطياً، وإن بقيت المشاركة رهينة دعوة من المنتدى، فالحضور محدود والإجراءات الأمنية عالية، إذ يستلم الجيش السويسري المدينة من الشرطة طوال فترة انعقاد المؤتمر التي لا يتجاوز المشاركون فيه ألفي مشارك، منهم نسبة من الصحفيين من أكبر الصحف ووكالات الأنباء العالمية للتغطية وعقد المقابلات وتغطية بعض الفعاليات المفتوحة مباشرة على أشهر الفضائيات العالمية.

كان عام ٢٠٠١ التالي لمظاهرات سياتل الضخمة، والتي كشفت بصراحة في شعاراتها عن جبهة قوية لمعاداة الرأسمالية تنتشر بين الشباب في الغرب والشرق على حد سواء، هو عام إقامة أول منتدى اجتماعي عالمي ليكون موازياً في انعقاده مع المنتدى الاقتصادي العالمي، ليجمع الحركات الاجتماعية والمنظمات الأهلية والنشطاء في مساحة واحدة بمبادرة من البرازيل، وذلك في مدينة بورتو آليجري جنوبي البلاد، والتي استمر اللقاء بها كل عام لمدة ثلاث سنوات، ثم قرر المنظمون من نشطاء المنتدى أن يتحركوا لمكان آخر كي يتاح الحضور لجمعيات وحركات أخرى يمنعها بعد المسافة وقيود تكلفة السفر من المشاركة، فانتقلوا إلى الهند عام ٢٠٠٤ في مدينة مومباي، ثم عادوا لبورتو آليجري ٢٠٠٤، ثم انقسم عام ٢٠٠٥ لثلاثة منتديات للوصول الى أكبر مشاركة في ثلاث قارات بالتوازي، فانعقد في نفس توقيت دافوس في كاراكاس في فنزويلا بأميركا اللاتينية وباماكو في مالي بإفريقيا وكاراتشي في باكستان بآسيا، وهو مع قلة الحضور الذي كان لا يقل في السابق عن ١٥٠ -٢٠٠ ألف مشارك في حدث ضخم إلا أنه أثمر تواصلاً حول الأهداف بين أبناء القارة الواحدة شارك فيه أقرب القارات لكل منتدى، فكانت استراليا من نصيب كراتشي، وكانت أوروبا من نصيب مالي في الغالب، وكانت فنزويلا قبلة كل نشطاء أميركا اللاتينية في ذاك العام، وفي عام ٢٠٠٧ اجتمع شمل المنتدى في كينيا لتجتمع كل الفعاليات على القارة الإفريقية في لحظة استقرار نسبي شهدتها كينيا(التي شهدت تردياً في أوضاعها السياسية للأسف في الشهور اللاحقة)، وعاد المنتدى الذي تقرر أن يعقد كل عامين لإتاحة الفرصة لتقويم النشاط وتطوير الأجندات لأميركا اللاتينية مجدداً ٢٠٠٩ في الفترة من ٢٧يناير إلى ٢ فبراير في مدينة بيليم شمال البرازيل كي يلفت الأنظار لقضايا البيئة والخطر الذي يهدد غابات الأمازون من الشركات عابرة القارات التي تهدف إلى الاستثمار في تجارة الأخشاب، وتهدد الرصيد الحيوي والبيئي للعالم كله الذي تمثل الغابات رئته الرئيسية.

الفرصة الذهبية.. أزمة الرأسمالية

كان من حق المنتدى أن يغمره شعور بالتفاؤل، فهو ينعقد هذا العام ليجمع ١٣٣ ألف ناشط من ١٤٢ دولة بأغلبية حضور من أميركا اللاتينية قرابة الـ ٨٠ في المئة في ظل أزمة طاحنة للنظام الرأسمالي نتيجة تردي أوضاعه المالية، وهو ما خلق فرصة للمنتدى لكي يسعى لمناقشة بدائل متنوعة في كل المجالات، في الوقت الذي كانت القوى العالمية والشركات الكبرى ورؤساء الحكومات الغربية يسعون للملمة أمورهم في دافوس في جو مشحون بالتوتر نتيجة إخفاق الرأسمالية والأزمة التي كادت تودي بالنظام المالي العالمي لولا تدخل الحكومات وضخ المليارات.

المنتدى الاجتماعي الدولي قام على مجموعة من المنطلقات أبرزها رفض قاطع للرأسمالية والإقطاعية، واتفاقات التجارة الحرة التي تجتاح أسواق الدول التي لا تملك منافسة السلع الأجنبية بما يجهض جهودها في التصنيع ويجهض القطاع الزراعي لصالح

• مدرس العلوم السياسية-جامعة القاهرة

استيراد المواد الغذائية من خارج يمكنه الإنتاج الأكبر والأرخص بفعل استخدام تقنيات الهندسة الوراثية في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني.

أيضاً من أجندة المنتدى الاجتماعي الدولي في دورات انعقاده السنوية- ثم كل عامين- مناقشة أشكال الهيمنة الثقافية والعدالة الاجتماعية في مواجهة القمع الطبقي أو التقليدي، وخطر التشدد الديني، وتجميع جهود الجمعيات والحركات التي تتشارك في نفس الأهداف من حركات البيئة والمرأة والتحرر الوطني وحقوق الإنسان والسكان الأصليين وتشبيك الجهد عبر القارات، وتعبئة الحملات بما يضغط على المنظمات الدولية (مثل الأمم المتحدة) لتبني أهداف واضحة.

وقد يتساءل المرء عن الأثر الفعلي لتلك المنتديات، والحقيقة أن تبني الأمم المتحدة للأهداف الإنمائية للألفية كان نتاج ضغوط كثيرة من التحالفات الدولية التي كانت الشريك المؤسس للمنتدى الاجتماعي الدولي قبل أن يأخذ صيغته الدورية، وكثير منها تشارك في المنتدى الاقتصادي اليوم، كما ترسل وفودا للمنتدى الاجتماعي، أي تسعى للضغط على صناع القرار في الشمال وتنضم لزخم تحالفات ونقاشات وتظاهرات الجنوب في آن واحد.

ولا ينبغي أن ننسى أيضا أن كثيرا من القوى التي تحضر المنتدى الاجتماعي كانت خلف تأسيس المحكمة الجنائية الدولية التي قد نعترض على بعض قراراتها، لكن لا ينبغي إهدارها كمساحة للعدالة الدولية ستفيد أول ما تفيد جهودنا في محكمة مجرمي الحرب في الكيان الصهيوني في أحداث غزة، وفتح ملفات الكثير من القضايا التي تم فيها إبادة للمسلمين في البلقان.

تحالف عالمي وتحالف لاتيني..

منتدى هذا العام حظي بدعم واضح من حكومة البرازيل مجدداً، والتي خصصت له ٣٥ مليون دولار في بعض التقارير في حين رفعتها بعض التوقعات إلى ٥٠ مليون دولار لتغطية تكلفة الدعوات للأجانب والإقامة والتنظيم، والأمن الكثيف الذي تجاوز ٧ آلاف ضابط، وسيارات شرطة ومروحيات حلقت طوال الأيام فوق رؤوس المشاركين، ليس فقط لحمايتهم بل لحماية خمس رؤساء دول من أميركا اللاتينية، هم رؤساء البرازيل وبوليفيا وفنزويلا والإكوادور وباراجواي، وهكذا فقد أرسل هؤلاء الرؤساء الخمسة رسالة واضحة بأن أميركا اللاتينية تسعى إلى تدعيم قوتها والتحالف بين أنظمتها لتشكيل كتلة جديدة تلعب دورا في الساحة الدولية بين دول الجنوب.



الحضور الديني وغياب المسلمين

قد يبدو لمن يتابع ما يبثه الإعلام من أخبار عن المنتدى الاجتماعي الدولي- الذي لا تهتم به صحافتنا العربية إلا في إشارات مقتضبة سريعة- أن المنتدى هو لقاء لبقايا يسار العالم من بلدان مختلفة، وهذا في الحقيقة غير صحيح، فرغم المزاج الاشتراكي الغالب والواضح، ومنحى التحرر الأخلاقي الغالب في حالة ما بعد الحداثية والسيولة التنظيمية والمرونة الفكرية السائدة فإن هناك حضورا أيضا لكثير من الكنائس، ويشهد المنتدى مشاركة قوية من مجلس الكنائس العالمي- الذي له موقف ممتاز من القضية الفلسطينية طول الوقت -وفي كل ندوة أو لقاء شاركت فيه هذا العام في المنتدى وجدت أفرادا من الإرساليات التبشيرية من الكاثوليك والبروتستانت والكنائس الحرة المنتشرة في القارة.

ومما لفت نظري بشدة غياب الحضور العربي والإسلامي في المنتدى، حتى إنني أرسلت لصديق في الإغاثة الإسلامية أسأله لماذا أحجموا عن المشاركة فلم يصل منه رد!

لقد خرجت مسيرات كبيرة أثناء المنتدى هذا العام ضد مذبحة غزة، وأقام تحالف النساء الديمقراطيات العالمي وكذا اتحاد نساء البرازيل حملة توقيعات لتقديم مجرمي الحرب في غزة إلى المحاكمة الدولية، وشارك فيها عشرات الآلاف، وساهم وفد من الأرض المحتلة من الضفة والقدس في خيمة حركات التحرر وفعاليات منتدى تلك الحركات الذي رعته حركة الكاتالون الأسبانية، منهم نقابيون ونساء وقياديون للعمل المدني.

قد لا يدرك القاريء أن المظاهرات التي تخرج في العواصم الغربية لدعم نضال فلسطين أو المطالبة بخروج أميركا من العراق معظمها تكون من تنظيم هذه الحركات والجمعيات والشبكات لطبيعتها المعادية للرأسمالية والإمبريالية تاريخياً، وهكذا فإن مشاركة التنظيمات المدنية والأهلية العربية والإسلامية في هذا المنتدى من الضرورة بمكان، لكنه سيحتاج بالتأكيد للكثير من الإعداد والفهم لأهمية الحدث وأيضاً حدوده وقيوده وطبيعة الثقافة السائدة فيه، والتي يمكن أن يستوعبها خطاب اسلامي تحرري وطني ووسطي تجديدي، دون حاجة للاعتراف أو التفاعل بالإكراه مع تنظيمات حاضرة بيننا وبينها خلافات على أمور أخلاقية أساسية، لذا ذكرت أن المشاركة في هذه الفرصة السانحة للتأثير والتعبير والتغيير تحتاج إعدادا ووعيا وحكمة.

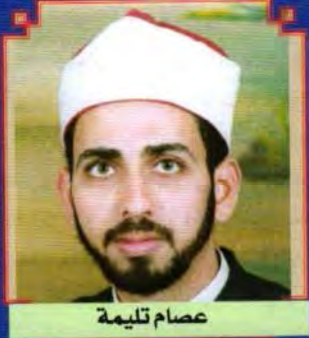
مناهضة أم بدائل؟

اليوم العالم كله يبحث عن بديل للحضارة الغربية التي تعاني أزمة تاريخية ومأزقاً فكرياً واجتماعياً، ويبحث عن بديل للرأسمالية التي فضحتها الأزمة الأخيرة، فهل ندرك أن هناك قارات أخرى في انتظار شراكة اجتماعية وعمل مدني وأهلي وإغاثي، وندية فكرية في البحث عن بدائل- وليس بديل واحد- للعولمة المهيمنة.

من البرازيل عدت بهذه الأسئلة، أحملها للأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأنا أدعو في طريق عودتي الطويل الذي استمر عبر أربعة مطارات ٣٦ ساعة كاملة: اللهم استخدمنا.. ولا تستبدلنا.

ثقافة التخصص

خلق الله عز وجل الخلق، وهيأ لكل منهم ما يعينه على أداء رسالته في الحياة، فمنهم من لا يصلح إلا لوظيفة محددة، وقد كان من عدل الله عز وجل أنه لم يخلق إنسانا غبيا وآخر ذكيا، بل أعطى كل إنسان حظه من الذكاء، وعلى كل فرد أن يكتشف قدرات ذكائه، وأين تصلح وتعمل، وقد خلق الله لكل إنسانٍ العمل اللائق بذكائه، والمناسب لتكوينه وفطرته، يقول ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». (رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن عمران بن حصين).


عصام تليمة

وقد خلق الله كل عضو في الإنسان وله وظيفة، وله تخصصه الذي يؤديه في الجسد، فالعين وظيفتها وتخصصها الإبصار، والأذن السمع، وهكذا، وينتج الخلل في الجسد عندما نريد لعضو وظيفة غير وظيفته، وما يقال عن أعضاء الجسد يقال عن الفرد في المجتمع عموما، فكل فرد منا خلقه الله عز وجل لوظيفة يتقنها، وهذا هو الأصل في كل إنسان، غير أن هناك فروقا فردية قد تؤدي بالبعض النادر القليل إلى أداء عدة وظائف، ولكن هذه الفروق ليست قاعدة ثابتة، بل هي الشاذ الذي لا حكم له، ويظل الثابت والأصيل هو احترام تخصص كل فرد في المجتمع.

وفي حديث القرآن الكريم عن صفات الأنبياء، وأبرز ما اتصف به كل منهم، نرى تخصيصا لكل منهم بخصيصة اختص بها دون سائر الأنبياء، فإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (النساء: ١٢٥)، وموسى عليه السلام كليم الله ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (النساء: ١٦٤)، وقال عن نبي الله إسماعيل عليه السلام ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ (مريم: ٥٤)، وقال الله عن نبيه إدريس عليه السلام ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا. ورفعناه مكانا عليا﴾ (مريم: ٥٦-٥٧)، بل في المعجزات كان لكل نبي ما يخصه من المعجزات، بما يتناسب مع بيئة قومه وتفكيرهم، فنبي الله موسى انتشر في عهده السحر والسحرة، فكانت عصا موسى، ونبي الله عيسى وجد في بني إسرائيل عندما ازدهر في عهدهم الطب، فكان من معجزاته التي اختص بها ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ (المائدة: ١١٠)، وهكذا كل معجزات أنبياء الله ورسله إلى أقوامهم.

وقد رأينا هذا التفاوت في صحابة رسول الله ﷺ، وخاصة في ألقابهم، فرأينا لكل صحابي لقبا يتناسب مع أبرز صفة فيه، وهو ما اختُصَّ به دون سائر الصحابة، وإن اشترك معه البعض في جزء منه، فلا شك أن كل الصحابة كانوا على درجة عالية من الصدق، ولكن أبا بكر الصديق صار «الصديق» لقبا له، لتميزه بهذه الصفة وانفراده بالدرجة العالية فيها عن بقية صحب رسول الله ﷺ الكرام، ومعاذ بن جبل أعلم الأمة بالحلال والحرام، وليس في ذلك وصف لغيره بالجهل بالحلال والحرام، ولكنه انفرد بدرجة عالية من التميز والتفوق في هذا الميدان، وتخصص فيه وبرع، وخالد سيف الله المسلول، فلم يكن يعيبه أنه لم يعرف عنه روايته للحديث النبوي، ولا فصاحته في الخطابة، ولا قرضه للشعر.

وكل هذا التخصص في الكون الذي نراه، وفي كل مخلوقات الله عز وجل، وفي ملائكة الله ورسله، وفي صحابة رسول الله ﷺ، ليتعلم الإنسان احترام التخصص، وإشاعة ثقافة التخصص في المجتمع، لا أن ينبري أحد ليقوم بمهمة أو بعمل ليس له أهلا، ولا يمتلك مؤهلاته، ولا يقوى على القيام به.

الإسلام يقدر التخصص

والإسلام دين يغرس في الناس احترام التخصص، والاعتماد على المختص في كل أمر من الأمور، نرى ذلك في عدة أمور سلكها رسول الله ﷺ في حياته كلها، فنراه في ليلة الهجرة قد خطط وأعد لكل أمر عدته، وبحث عن دليل خرّيت خبير بالطرق، فاستعان بعبدالله بن أريقط، وهو رجل على الشرك، إلا أنه ثقة وأمين، ويعرف الطرق ووعورتها معرفة تامة، يثق فيه الإنسان المصاحب له في الطريق، ورأينا احترام رسول الله ﷺ للتخصص عندما ربط جنيا في سارية من سواري المسجد، ولكنه احتراما لدعوة نبي الله سليمان أن يهب الله له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وقد كان مختصا بخطاب الجن، ورؤيتهم، يقول ﷺ «إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ (ص: ٣٥)». (رواه البخاري عن أبي هريرة)

موقف الإسلام ممن يقدم على غير تخصصه فيفسد

لم تقف عناية الإسلام باحترام التخصص، والدعوة إليه، بل شدد في عقوبة من يتولى أمرا، أو يدعي علما ثم يتسبب تجرؤه بالادعاء في الإضرار بالناس، يقول الشيخ سيد سابق رحمه الله: لم يختلف العلماء في أن الإنسان إذا لم تكن له دراية بالطب، فعالج مريضا فأصابته من ذلك عاهة، فإنه يكون مسؤولا عن جنايته، وضامنا بقدر ما أحدث من ضرر، لأنه يعتبر بعمله هذا متعديا، ويكون الضمان في ماله. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من تطبب، ولم يعلم منه قبل ذلك الطب، فهو ضامن». (رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة)، بل وصل الأمر بالفقهاء أن دعوا إلى الحجر على المفتي الجاهل الماجن، والطبيب الجاهل غير الحاذق، والمكاري (البناء) الذي لا يحسن عمله، فقالوا: لأن المفتي

الإسلام يغرس في الناس احترام التخصص والإعتماد على المتخصص في تدبير شئون حياتهم

يفسد على الناس دينهم بفتواه الجاهلة، والطبيب يفسد على الناس صحتهم، والمكاري يفسد على ناس بيوتهم ومساكنهم، وفي كل ما مضى صلاح الدين والدنيا، وبعملهم يكونون قد أفسدوا على الناس دينهم ودنياهم، وهو ما أخبر به النبي ﷺ في شأن الرجل الذي اغتسل وبه جراحة «قتلوه قتلهم الله» (رواه البخاري في التاريخ الصغير) أي كانوا سببا في قتله، فدعا عليهم بالقتل، فالجزاء من جنس العمل.

ثمار ثقافة التخصص

لا شك أن احترام التخصص، وغرس هذه الثقافة في نفس الفرد والمجتمع، نجني من ورائها ثمارا عدة، منها:

١- رضا الله، فرضا الله عز وجل يكون في أداء كل إنسان ما يتقنه، وما يجيده، فإذا أقحم نفسه في عمل لا يجيده ولا يتقنه أفسده، وبإفساده يقترف إثما وذنبا، لأنه لم يترك لغيره من أهل الاختصاص القيام به، يقول تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء: ٣٦).

٢- التقدم والرقي، فمن أهم ثمار التخصص أن تتقدم الأمة وتزدهر، ولا تكون في ذيل القافلة، أو في مؤخرة قطار النهضة والتقدم العلمي، وهو ما حرص عليه رسول الله ﷺ أن يخصص لكل أمر في الصحابة من يعنى به، ويأخذ بأسبابه، بما يحقق للإسلام المنعة والقوة المادية والمعنوية، ومن هذا ما أقدم عليه رسول الله ﷺ من تخصيصه زيد بن ثابت لترجمة رسائل رسول الله ﷺ التي ترد إليه من اليهود، فقال له ﷺ: «...إني ما آمن يهود على كتابي...» (أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي) وأمره بتعلم لغتهم، فتعلمها رضي الله عنه في خمسة عشر يوما.

٣- النصر والنجاح، من ثمار احترام التخصص ورعايته والحرص عليه أنه يرزق الأمة النصر والنجاح في دنياها، والفوز في أخراها في الدنيا بالنصر والتمكين، لأنه لا نصر بغير علم، ولا علم بغير تخصص متقن، يعتبر ويحترم، ويقدم في مكانه اللائق به وهو ما فعله الصحابة في غزوة مؤتة.

٤- التواضع والاستزادة من العلم، ومن ثمار احترام التخصص أنه يجعل الإنسان متخلقا بخلق التواضع، وخفض الجناح، وحرصه على طلب العلم مهما بلغ من المناصب والشهادات العلمية، نرى ذلك في رسول من أولي العزم من الرسل، نبي الله موسى عليه السلام وذلك عندما طلب من الرجل الصالح (الخضر) أن يصاحبه مقابل أن يتعلم مما علمه الله، واختصه به من علم ليس لدى نبي الله موسى عليه السلام ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ (الكهف: ٦٥-٦٦).

آثار غياب التخصص

لا شك أن لغياب ثقافة التخصص عن حياتنا الدينية والعلمية والعملية آثارا سيئة، تنتج مباشرة عن غيابها، وهي إفراز طبيعي لا يستغربه الإنسان الراصد لأمراض المجتمع وأوبئته، ومن هذه الآثار:

١- فساد الدنيا والدين.. من الآثار السيئة لغياب ثقافة التخصص، أنها تسبب خرابا في الدنيا، وضعفا وخسرانا في الدين، والله عز وجل يقول ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل:٤٣)، وللأسف نرى في حياتنا بعض الناس إذا ما أخطأ في أمر، أو احتاج إلى فتوى، تساهل وسأل أي إنسان يرى عليه سمت التدين، أو ربما رأى خطيبا مفوها فاستفتاه، وليس كل خطيب فقيها يفتي.

٢- انتشار الفوضى، ومن آثار انتشار ثقافة عدم التخصص، إشاعة الفوضى، وادعاء الفهم في أمر لا يدركه ولا يفقهه من يتقدم له، مما يشيع في الأمة الحيرة عند الاختلاف، وعدم جمع أمرها على الصواب، لأنها لا تعتمد في حل قضاياها ومشكلاتها والمعضلات التي تواجهها على المختص، فتشيع الفوضى والضياع والتشرذم والتشتت.

٣- شيوع ثقافة السوبرمان.. من أهم آثار غياب ثقافة التخصص واحترام التخصص شيوع ثقافة الشخص السوبرمان، أو ما يسميه العوام «بتاع كله»، وهو ادعاء الشخص أنه يمتلك ناصية البيان والعلم في كثير من فروعه، فتغريه نفسه باستباحة حمى علم لا يمتلك أدواته.

٤- التخلف العلمي والحضاري، ومن آثاره كذلك أنه يكون سببا رئيسيا في تخلف الأمة عن ركب العلم والحضارة، ويؤدي إلى انهيار بنيانها، وتحطيم قدراتها، فأولى مراحل السقوط والانهيار في الأمم السابقة وفي عوامل الانحدار في الحضارات توسيد الأمر لغير أهله، أي وضع غير المختص في موضع لا يحسن فيه التصرف.

أسباب غياب ثقافة التخصص

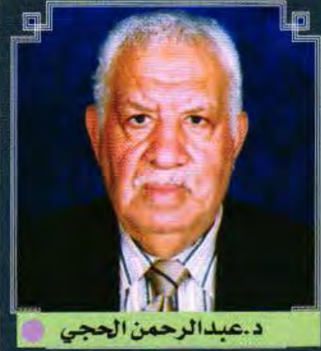
١- تقديم الثقة على الكفاءة، وهو داء خطير، أن يكون معيار التفضيل بين الناس في تولي المهام، أو في أداء الوظائف هو الثقة في المتقدم للعمل، لا الإنسان الكفء المناسب له، فالأصل في الإسلام أن يقدم الإنسان الكفء للمكان المتقدم إليه، دون محاباة أو مجاملة.

٢- حب الظهور، ومن أسباب تفشي ظاهرة عدم التخصص، حب الظهور الذي فشا في زماننا الذي اتسم بغلبة الثورة الإعلامية فيه، فأصبح كل متحدث يحب الظهور، ويحب أن يتألق كبقية نجوم الإعلام، ولم يقنع بتخصصه، فدفعهم حب الظهور إلى التكلم في غير تخصصهم أحيانا، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب كما قال سلفنا الصالح، تفتح التلفاز والفضائيات لترى بعض الدعاة أو المشايخ، وبعد انتهائه من شرح الموضوع تنهال عليه الأسئلة من كل صوب وحدب، أسئلة لو طرحت على مالك وأبي حنيفة لتوقف في كل سؤال فترة يفكر فيه.

٣- غياب الوعي وحسن الفهم، فمما لا شك فيه أن الوعي السديد، والفهم الصائب، يرشد الإنسان إلى اللجوء إلى المختص فيما يسأل فيه، ويجعل الأمة تبحث عمن يقوم بفرض الكفاية فيما تحتاجه من تخصص تمس حاجة الأمة إليه، وبغياب الوعي والفهم الصحيح يأتي غير المختص فيوسد الأمر لغير أهله.

٤- عصر ثقافة السندوتشات، وكذلك ساهم في غياب ثقافة التخصص ما نعيشه من عصر السرعة، والمعلومة السريعة غير الموثقة، التي يسعى قائلها لمجرد الدعاية، ومجرد الظهور، فهو يخطف العلم خطفا، لا يتأنى في طلبه، ولا يتريث في تعلمه، ولا يتعب ويثابر على حسن تدبره، وحسن تفهمه، إنما عاش على ثقافة المعلومة الخاطفة، والقراءة السريعة التي لا تشبع نهما، ولا تبني عالما، ولا تكون متخصصا يفيد في مجاله.

التاريخ الإسلامي.. منجزاته ومبتكراته


د.عبدالرحمن الحجي

إن تقديم التاريخ الإسلامي ليس للوقوف عند استشعار الإعجاب والاستئناس بصوره والاستمتاع بصيغه، بل ليقود الى الأخذ بمضامينه وتبنيه والاهتداء به واستيعاب مؤثراته، إن هذا التقديم الجديد للتاريخ الإسلامي بهذه الصيغ- متفاعلاً متلاحماً متعانقاً- يخاطب العقل والقلب والوجدان، للكيان الإنساني بأكمله، يُوَجّه لكل الأمة أولاً، ليستثير حيويتها ويقوي نظرها ونظرتها ويحرك فطرتها، فتسير خلاله لتتصل الى أسباب العزة والقوة والانتصار، ليستقر في نفسها أنه الإسلام، وتعود إليه عودة حميدة جادة قوية أمينة.

قد يستغرب البعض هذا الاسلوب في عرض التاريخ الإسلامي، ولكنه عرض وتقديم يتلاحم مع حقيقته وطبيعته، وتشرئب الأعناق والنفوس الى رؤيته والإعجاب به فيتحقق هدف الانتفاع ووظيفة هذا الاسلوب، والتأسي للترقي.

وهناك طريقتان في التعبير عن معاني الإسلام وتقديمه للآخرين ودعوتهم اليه، فالفقيه- والفقه شرف- يُقَدِّم الإسلام عن طريق النصوص وقد يستعين بالأحداث شاهداً عليه، أما المؤرخ فيقدمه معبراً عن حقيقته من خلال الأحداث وقد يستعين بالنصوص، ومن هنا كان أكثر مؤرخينا- إن لم يكن كلهم- من الفقهاء، أمثال الطبري (٣١٠ هـ) وابن الأثير (٦٣٠هـ) والذهبي (٧٤٨ هـ) وابن كثير (٧٧٤ هـ) وابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) وأبوالربيع سليمان بن سالم الكلاعي (٦٣٤ هـ)، وهؤلاء هم الفقهاء المؤرخون وآخرون هم المؤرخون الفقهاء، من أمثال ابن حيان القرطبي (٤٦٩ هـ) والوزير لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) والمقري (١٠٤١ هـ) صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

ومن أوصاف المؤرخين أنهم بالمواصفات الإسلامية التي أنبتت شخصية المسلم على التقوى والاستقامة والأمانة، وجعلته يبحث عن الحقيقة، عميقاً متحرياً منصفاً، حتى وهو يكتب تاريخ غير المسلمين، ولذلك فإن من مصلحة غير المسلمين أن يكتب المؤرخ المسلم تاريخهم، وعلى ذلك فكلما كان المؤرخ المسلم أميناً متخصصاً وصابراً، إيماناً وتقوى، كان أجود وأقدر على كتابة التاريخ، حيث يستطيع أن يتفهم الصيغ التي بناها الإسلام وأقام مجتمعه عليها.

إن الحياة الإسلامية- مجتمعاً وحضارة- لا يمكن، خلال العرض التاريخي، أن تنفصم عن فهم الإسلام وعن بناء المجتمع الإسلامي الذي ينتمي اليها، بل هو امتداد لأصولها معبر عن طبيعتها وثمرة لها، فأنجزت هذه الحياة بمنهج الله تعالى المقادير المتكاثرة المثمرة في حياة الإنسان، وقدم أروع حضارة كريمة فاضلة متفردة تموج بالمبتكرات والمنجزات كماً ونوعاً ومستوى، وما كان لها أن تكون الا بهذا المنهج، حتى لو جدّ الإنسان وبلغ الطاقة وتعرّف عليها، ولكنها هنا أتت طبيعية حين ابتنى الإنسان نفسه على هذا الدين فلا تقود الا إليه.

ولا أعني بالمنجزات والمبتكرات المادي منها فحسب، فتلك أوليات وبديهيات، وممكن أن يتم بعضها ولو من دون هذا المستوى بالمسعى البشري لكل أحد، بقدر ما يبذله من جهد ويوفر من طاقة ويقدم من اهتمام، ولقد وفر الإسلامُ لأهله أفانين السبق- الذي لا يُنال الا به- من التقدم المادي والعلمي والتقني المتنوع، ولقد قدَّم منه ما لا يمكن أن يُقدَّم من دونه، ومع كل ذلك فإن الأساس الأقوى والهدف الأسمى هو تربية وبناء الإنسان نفسه.

يبني الحياةَ وغيرُه يبني القرى
شتان بين قرىً وبين رجال

وهذه النظرة رغم أنها تذكر سَردا نظرياً لكن ليس هو أهم ما تعتني به الحضارات الأخرى، ومنها الحضارة الحديثة، لكن الإسلام جعلها أساساً يَسبق ويتقدم غيره من المنجزات والمبتكرات، والإسلام يُفرد هذا بالأهمية البالغة وهي الأساس ولا يَهمل غيرَها، يُقَدِّم في الماديات وغيرها ثماره الباهرة الفارهة، طبيعة لهذا البناء بمنهجه الكريم الذي يُورث البعدُ عنه الهلاكَ الماحق للإنسان وحضارَته، بل إن المنهج الإسلامي يبارك الجهد وينميه ويقويه ويُؤَصِّله، كما يرتقي به ويسدده ويُقَوِّمه ويقوم عليه، وبه يستقيم نفعُه وطريقة استعماله، آثاراً لتلك المباني الكريمة الشاهقة.

ويوماً كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلس في غرفة مع مجموعة من الصحابة الكرام، فسألهم عما يتمنى أحدُهم، فذكر العديد منهم أمنيته، وكلها تدور حول خدمة الإسلام والتضحية من أجله، من مثل أن أحدهم يود أن يكون له مال أو ذهب أو غنى ليبذله في سبيل الله، ثم سألوه عن أمنيته هو، فقال: أتمنى أن تكون الغرفة مملوءة رجالاً مثل أبوعبيدة وحذيفة وسالم ومعاذ بن جبل وغيرهم فأستعْملُهم في طاعة الله سبحانه وتعالى، إضافة إلى ذلك فإن هذا الاسلوب المتحضر حقيقةً هو البناء المرجو وعلى منهج الله تعالى، وهو من أروع المنجزات

● أستاذ التاريخ الأندلسي



البناء المرجو على منهج الله .. من أروع المنجزات الحقيقية وأغلى من الدنيويات والعملات الصعبة والتقنيات التي لا تقيم الإنسانية

والمبتكرات الحقيقية، وأعلى وأثمن من كل الدنيويات والعملات الصعبة والتقنيات التي لا تقيم إنسانية، بل إذا كان الميدان لها امتلاكاً جاءت بالتدمير وقادت الى التردي وأدت الى المهاوي.

ومن الباحثين والمؤرخين من لا يعتبر المنجزات المادية المتنوعة دليل الحضارة، إنما الحضارة والحضارة الحقة أن يكون الإنسان نظيفاً مستقيماً كريماً، يحقق ذلك في نفسه من تكريم الله له، ليكون مُؤَهَّلاً لخلافته في أرضه يسوسها بمنهجه، ولذلك فالحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي تَوَفرَ فيها هذا المُقَوِّمُ، أساساً وبناء وارتقاء، وكل رغبة في الإصلاح وسعي لبناء حضاري لا بد أن يأخذ بهذا المنهج الرباني ليكون فعالاً، منهج مرتق كامل شامل متوازن ومتواز و متلاحم يتناول الإنسان بكليته روحه وعقله ووجدانه، فرداً وجماعة ومجتمعاً وبانسجام وتوافق وتعانق، وفي كل أحواله يبنيه شامخاً مضيئاً، ابتداء من العقيدة، التوحيد ألوهية وربوبية، بعد طمس كل معالم الجاهلية في النفوس والعقول والأوضاع، ومن هنا فالحضارة الإسلامية هي حضارة التوحيد الوحيدة المتفردة بالبناء الإنساني الكريم، وإذا ابتعدت الحضارة عن هذا المنهج وإن تفوقت في الماديات وانصرف أهلها الى المتع فهي تأخذ بنفسها الى الدمار، طال الزمان أو قصر، وإن كل تَقَدُّم دون تَقوَى يكون مدمراً لأهله وسبباً لانهياره، وهذا واضح في الحضارات القديمة وكذلك يتراءى في الحديثة.

ومعلوم أن الإسلام وتاريخه وحضارته جعلت أعلى قيمة في الحياة هي الإيمان والإنسان، وفي الأثر أن حرمة المؤمن عند الله أعلى وأكبر من حرمة الكعبة، كما حفظ الإسلام حياة غير المسلمين في المجتمع المسلم، وجعل الرسول ﷺ أن من آذى ذمياً فهو ﷺ خصمه يوم القيامة، وكذلك بالنسبة للعبيد والإماء حتى يتم تحريرهم، وأعاد النظر في قضيتي تعيير أبي ذر الغفاري لبلال بأمه السوداء وفي قصة تعيير الحطيئة للزبرقان بن بدر.

وحين يقوم كيان مجتمع على هذه المقومات ويُبنى على هذا الأساس وبهذا المنهج سيأتي بالعجائب وهو الذي لا تنفد عجائبه، وعلى هذا ربّى الرسول الكريم ﷺ أتباعه بما أشربهم وأطعمهم بيده الشريفة مضامين ومضامير كلمات الله من على مائدة القرآن، ولم تكن تلك التربية مقصورة على أفراد بل المجتمع كله، رباهم وأطلقهم في الحياة فكل واحد منهم يقدم المبتكرات فيما يقوم به، وفي كل أحواله- مهما كانت شديدة- لا يفارق منهج الإسلام وتعاليمه بأعلى صوره، ومهما كان دفعه شديداً وصعباً، بل ان المسلم جعل يُقبل على الأخذ بالعزائم حتى في المندوبات، وإن واجه ذلك لأول مرة، ويبتكر الصيغ والخُطط لأول مرة وهو ملتزم بكل أحواله ومواقفه من دون موازنات أو أي حسابات أخرى.

فهذا الصحابي الجليل عثمان بن مظعون من مهاجري الحبشة الهجرة الأولى أواخر السنة الخامسة أو أوائل السنة السادسة للبعثة النبوية الشريفة حين عاد والآخرون الى مكة إثر إشاعة كاذبة من أن قريشاً اصطلحت مع رسول الله ﷺ، وحين وصل مكة علم أن الأمر ليس كذلك، فدخلها بجوار أحد المشركين (الوليد بن المغيرة، أبوخالد)، ومن اعرافهم أن المجير يحمي مَن استجار به والتجأ إليه ويعتبره من أسرته، فلما رأى عثمان أنه في حماية مشرك والمسلمون ينالهم أشد العذاب لم تطاوعه نفسه ألا أن يشاركهم ما هم فيه، فذهب الى مجيره ليرد عليه جواره ففعل، وكان عثمان يوماً جالساً في مجلس لقريش فيه الشاعر لبيد بن ربيعة (٤١هـ-٦٦١م)، أحد أصحاب المعلقات، وكان مشركاً ثم أسلم فيما بعد:

ألا كُلُّ شيئٍ ما خلا اللهَ باطل فقال له عثمان بن مظعون: صدقت وكل نعيم لا محالةَ زائلُ فقال له عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول) فضرب بعض مَن في المجلس عثمان، حتى اخضرت إحدى عيناه، فلما رآه مجيرُه قال له يا ابن أخي أما كنتَ في جواري وأنت في غنى عن هذا، فقال له عثمان: «والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في سبيل الله»، هكذا كان جيل الصحابة، ولذلك وصفهم عبدالله بن عمر:

«من كان مستناً فليستن بأصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة أَبَرَّها قلوباً وأعمقَها أيماناً وأقلَها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم والله ربِ الكعبة". وهم كما وصفهم الشاعر:

من الوجوه المصابيح الذين همو
كأنهمَ من نجوم حيةٍ صُنعــوا
أخلاقُهم نورهـم من أي ناحيَـة
أقبلتَ تنظر في أخلاَقهم سطعوا

وبقبول المسلم الإسلام ديناً ورضاه بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً يكون منه الإقبال بالانعتاق والاعتناق وتكون البيعة والعهد والولاء، ولم يكن المسلم يعلن عن نفسه وعن دينه ولا يشرحه ابتداءً الا بالسلوك الذي يعبر به عن نفسه بوضوح كامل أبلغ من البيان

والمِسْكُ ما قد شَفَّ عنه ذاتُهُ
لا ما غدا يَنْعَتُهُ بائعُهُ

فكانت هذه المنجزات والمبتكرات على أرضية المنهج الإسلامي، دَوَّنها المسلمون بالتزامهم المهتدي بنور الله المبين، تطفح بها صفحات تاريخنا الإسلامي الوضيء.

إحياء التراث.. من الأفكار الكاسحة إلى السياسات الكسيحة

ارتبط الاحياء في الفقه الاسلامي بعملية استصلاح الأرض الموات وزراعتها، استنادا إلى الأثر الذي فيه «من أحيا أرضا مواتا فهي له» فالمسلم الذي يضع يده على أرض بوار لا يملكها أحد يصبح هو مالكها إن زرعها. ومعظم الفقهاء لا يشترطون أذنا من الحاكم لمن يقدم على هذه الخطوة، لكن أبا حنيفة يذهب إلى أنه لا تجوز زراعة الأرض الميتة من دون إذن ولي الأمر.


د . عمار علي حسن

أعطى الإمام أبو حامد الغزالي كلمة الإحياء معناها الديني، العقدي والفقهي، حين وضع مؤلفه ذائع الصيت «إحياء علوم الدين» الذي يعد أهم كتبه على الإطلاق، ولذا نسخ على ضخامته أكثر من مائتين وخمسين مرة قبل اختراع الطباعة، وترجم إلى العديد من اللغات الحية، وقدمت له عدة شروح، ولخص زيادة على ست وعشرين مرة. ويحتوي الكتاب على معارف كثيرة في العقيدة والفقه والتصوف والفلسفة، وهو يتأسس على كلمة الإخلاص لله بالتوحيد، والإخلاص للدين بالرجوع إلى حظيرته، والعمل بجوهره، ويحاول فيه مؤلفه أن يصحح الكثير من المسائل التي تناولها سابقوه من الفقهاء وعلماء الدين، بحل ما عقدوه، وكشف ما أجملوه، وترتيب ما بددوه، ونظم ما فرقوه، وإيجاز ما طولوه، وضبط ما قرروه، وحذف ما كرروه، وإثبات ما حرروه، وتحقيق أمور غامضة استعصت على الأفهام.

وهذا الشمول الذي سيطر على كتاب الغزالي انتقل إلى الكثيرين ممن جاءوا بعده، فاستخدموا لفظ «الإحياء» مرارا وتكرارا كلما اعتقدوا أن الناس قد انصرفوا عن «الدين الصحيح»، وأن العقيدة قد خالطتها شوائب وجرحتها ألوان عدة من الشرك الخفي، واللهو الظاهر. وارتبط الإحياء هنا بمسألة العودة إلى الدين في صورته النقية التي كان عليها وقت نزول الوحي وتكليف محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة. وقدم العديد من علماء الإسلام وفقهائه المحدثين مثل هذا التصور، من أمثال محمد بن عبد الوهاب ورشيد رضا.

ثم أخذ المفهوم بعدا جديا وعميقا بالحديث عن «إحياء التراث» من خلال التعريف به، و«تحويله من ركام مخطوطات وأوراق صفراء إلى طاقة فاعلة وسارية في كيان الأمة، تؤثر وتدفع تقدمها وتطورها» كما يقول محمد عمارة. وانطلق المنشغلون بهذه القضية من عدة اعتبارات تتمثل في أن التراث ينطوي على إيجابيات لا يمكن نكرانها، منها انبثاقه عن مصدر إلهي، وعمقه الزمني، وقابليته للتجديد والتنقية، وقبوله للعالمية، وسعته وشموله، ونزعته الإنسانية، وقدرته على تبيان الفكر الإسلامي في شتى مراحله، وإعجاب غير المسلمين به، وكونه جهدا بشريا يجب احترامه.

وهذا التقدير قاد كثيرون إلى بذل جهود ملموسة في العناية بهذه المسألة، وبدأت العملية في منتصف القرن التاسع عشر على يد رفاعة الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٣) الذي وضع لبنة مشروع مصري لإحياء التراث العربي، وإثر هذا شرعت مطبعة بولاق منذ سنة ١٨٥٧ تقدم الأعمال الفكرية التي اقترح الطهطاوي وتلاميذه تحقيقها ونشرها على الناس. ثم أسس الإمام محمد عبده (١٨٤٩ . ١٩٠٥) «جمعية إحياء العلوم العربية» التي وظفت جهدها وطاقتها في إحياء التراث. وفي سنة ١٩١٠ رصد «مجلس النظار» المصري ميزانية لتمويل مشروع أعده أحمد زكي لإحياء التراث، بدأ بطباعة كتاب «نهاية الأرب في فنون العرب» للنويري لكنه لم يلبث أن تعثر.

وتم تكوين لجنة لإحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، ومركز لإحياء التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ولجنة للتراث بمجمع البحوث الإسلامية، ومركز للتراث بمكتبة الإسكندرية. ونشأت هيئات للتراث في بلاد عربية شتى، منها المملكة العربية السعودية والإمارات. وتوازى مع ذلك جهود فردية لتحقيق التراث ونشره، سواء بدور النشر الحكومية أو الخاصة، وظهرت سلاسل تعنى بهذا الأمر، مثل سلسلة «الذخائر» التي تصدرها الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة. ولم يقتصر الأمر على كتب التراث الدينية والأدبية والعلمية، بل امتد إلى الحفاظ على الموروث الشعبي بمختلف أشكاله الفنية والإنتاجية.

ويعطي عالم السياسة حامد ربيع قضية إحياء التراث بعدا أكثر عمقا حين يقوم بتشريح معناها ومبناها، واصلا الماضي بالحاضر، ومعولا على التراث في بناء مستقبل الأمة العربية . الإسلامية، حيث يعتبر أن إحياء التراث لا يعني نشر بعض أمهات الكتب في الفلسفة أو الفقه، بل السير في مسالك متعددة تبدأ من طبيعة وحقيقة التصور العلمي لوظيفة ذلك الإحياء. وتتوزع وتتنوع هذه الوظيفة بين تصورات ثلاثة كل منها

يعكس منهاجية مستقلة، برغم أن أيا منها لا يستطيع في النهاية إلا أن يأتي ليكمل التصور الآخر، فالإحياء قد يقتصر على الوظيفة اللغوية، وقد يتعدى ذلك إلى الوظيفة التاريخية، ولكنه قد يرتفع إلى مستوى الوظيفة السياسية، ليساهم في خلق التكامل القومي، وربط الحركة الآنية في مختلف نماذجها بالوظيفة التاريخية والحضارية للمجتمع، والحفاظ على الوعي الجمعي للأمة، والمساهمة في بناء الدولة العصرية، وتعزيز دور الدين كمؤثر في التعامل الدولي.

وقد حرص «الإسلاميون» على التفرقة بين حركة الإحياء في التراث العربي . الإسلامي ونظيرتها في الحضارة الغربية المعاصرة. فالغرب لا يميز في نظرته للتراث بين الدين وبقية الإرث الإنساني الذي خلفه الإغريق والرومان الأقدمون، ولا بين ما نزل به الوحي وبين ما أنتجه البشر في تاريخهم المديد. وعلماء النهضة في أوروبا سعوا إلى توثيق علاقتهم الفكرية والنفسية بتراث اليونان والرومان الوثني، متجاوزين تاريخ النصرانية والكنيسة، التي ساهمت في تزكية الفساد والاستبداد والظلامية التي لفت القارة العجوز طيلة القرون الوسطى، فلما وصلنا إلى القرن العشرين كانت أوروبا يسيطر عليها العبث وفقدان اليقين الديني، مما عزل الأجيال الصاعدة عن المسيحية. أما تراث الإسلام فعلى العكس من هذا تماما، لأنه مرتبط بالدين واليقين، ويشكل جزءا أصيلا من الهوية الثقافية للأمة، والتي من دونها تضمحل وتتفكك ذاتيا.

ومسألة إحياء التراث كانت، ولا تزال، إحدى المسائل الأساسية التي يدور حولها جدل بين العرب والمسلمين المعاصرين، من مختلف التيارات الفكرية. فهاهو أحد رموز الليبراليين العرب وهو الدكتور زكي نجيب محمود يتساءل: ماذا نحن العرب المعاصرون فاعلون للتوفيق بين أصيل موروث، وجديد معاصر؟ ثم يجيب: «أحسب أن الطريق أمامنا واضح، وهو طريق تربوي من الأساس. فما علينا إلا أن نربي ناشئتنا على أن يحتفظوا بميراثهم في



المشروع الإحيائي قادر على إخراج الأمة من كبوتها خاصة مع ضعف تيار الليبراليين العرب

تدريب الإرادة الماضية، وفي التطلع والمغامرة، ثم يضيفون إلى ذلك تدريبا آخر على النظر العقلي، والبحث النظري».

وتتأسس هذه الرؤية على اعتبار أن «التاريخ العربي هو كالنهر دفاق المياه، وتظل للنهر هويته منذ ألوف السنين، برغم جريان مائه وتبدله، يوما بعد يوم، بل لحظة في إثر لحظة، والذي يحفظ للنهر هويته هو التزامه مجرى واحدا، وهكذا نريد لحياتنا أن تكون: نحفظ لهذا الإطار الأساس العام، ووجهة النظر الرئيسية، ثم نجدد المضمون، الذي يملأ ذلك الإطار، أو الذي يشغل تلك الوجهة من النظر، كلما جاءت العصور المتوالية بحضارات متعاقبة، لكل حضارة منها مضمونها الجديد».

لكن المعنى لبس لبوسا سياسيا واجتماعيا مع ظهور الجماعات والتنظيمات السياسية ذات الإسناد الإسلامي، التي أطلقت عليها بعض الأدبيات الأجنبية Islamic Revival، حيث أخذت حركة الإحياء طابعا جماهيريا بنزول روادها إلى الشارع، يدعون الناس للانضمام إليهم، ويقدمون الإسلام كنظام شامل للدنيا والآخرة. وقد راهنت جماعة الإخوان المسلمين، كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين والعمود الفقري لتيار الإحياء، على الجماهير الغفيرة منذ أول لحظة لانطلاقها على يد مؤسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨، واعتبرت هذا الأمر هو صلب استراتيجيتها للتمدد وحيازة القوة.

واتسمت حركة الإحياء الإسلامي في العصر الحديث بسمات عدة، حيث الدعوة إلى شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة، فهناك الاقتصاد الإسلامي، والسياسة الإسلامية، والثقافة الإسلامية، وأسلمة المعرفة...الخ، وهناك سعي دؤوب إلى إعادة بعث الأمة عبر التحويل الجماعي لها إلى الإسلام حسب الصيغة التي فهمها رواد الإحياء، من خلال تأويلهم للنص وقراءتهم لممارسات الرعيل الأول ومضمون التراث بشتى علومه، وهناك أيضا رفض للخلاص الفردي، وتأكيد على الروح الجماعية للإسلام، وهناك رغبة ظاهرة في مد جسور التعاون والتضامن بين مختلف «الجماعات الإسلامية» في الأقطار الإسلامية، اتكاء على تمتع تيار الإحياء بالانتشار السريع والمستمر في مختلف الأرجاء، وتعدد المراكز والهيئات التي تدعو إليه.

وتعددت الآراء حول الأسباب التي أدت إلى ظهور تيار الإحياء. فهناك من أرجعها إلى الصدمة الحضارية التي أصابت هؤلاء جراء احتكاكهم بالغرب في لحظة توهجه وهيمنته ونزعته الاستعمارية الحديثة التي بدأت باحتلال الفرنسيين لمصر سنة ١٧٩٨، وشعورهم بأن سبب فقدان المسلمين لموقعهم ومكانتهم هو ابتعادهم عن الدين، ومن ثم فإن العودة إليه، أو إحياء ما كان عليه المسلمون الأوائل هي الطريق المثلى لاستعادة المجد الإسلامي الضائع. وهناك من عزا هذه الظاهرة إلى الفجيعة التي انتابت قطاعا من المسلمين لانهيار «الخلافة العثمانية» عام ١٩٢٤، فهبوا إلى نجدة أمة كانت شمس حضارتها تتوارى خلف جبال من الغيوم الداكنة، وحسبوا أن الإنقاذ يقوم على أكتاف السياسة وينزع إلى المقاومة المسلحة، وتناسى أغلبهم شروط الحضارة، ومحددات النهضة، كما فهمها المسلمون الأوائل، وإعداد العدة كما أعدوها.

التأمين على الودائع

محمد عبد العزيز



نظرا للدور الحيوي الذي تقوم به البنوك من حيث التأثير على كمية السلع والبضاعة بالنسبة للبنوك الاسلامية وعلى كمية النقود المتداولة بالنسبة للبنوك الربوية أو التقليدية، ومن ثم التأثير على النشاط الاقتصادي، يجب ان تتوافر آليات واضحة لحماية هذه البنوك من التعثر والافلاس من جانب، ولحماية أموال متعامليها المودعين من جانب أخر، ونجد ان ما حدث في اعقاب الازمة المالية العالمية احدث ذعرا وهلعا لدى المودعين، حيث فوجئوا بانهيار عدد من البنوك مثل بنك ليمان برادز رابع اكبر بنك استثماري عقاري في أميركا الذي أشهر إفلاسه بسبب ديونه المستحقة عليه التي بلغت 600 مليار دولار، كما تنبأ الملياردير الأميركي ديلرروس مؤسس شركة الادارة الاميركية المالية بأن ما لا يقل عن ألف بنك أميركي ستعلن انهيارها وتشهر إفلاسها في غضون الاشهر المقبلة، ما أوجب على السلطات المعنية بكل دولة حماية اموال المودعين، حتى لا يقوموا بسحب اموالهم من البنوك وبالتالي تفلس هذه البنوك وتخفق في اداء رسالتها فدعمت آلية ما يسمى نظام التأمين على الودائع.

هذا النظام ظهر في ولاية نيويورك الاميركية عام ١٨٢٩ثم قامت ولايات عدة بإنشاء أنظمة مماثلة، ومع نهاية القرن التاسع عشر اختفت جميع انظمة التأمين على الودائع لأسباب عدة، منها عدم كفاية رأس المال ونقص السيولة وضعف المواسم الزراعية والازمات المتلاحقة التي كان لها اثر واضح في فشل البنوك وكان ينقصها آنذاك وجود المقرض الأخير، حيث ان نظام الاحتياطي الفيدرالي لم يكن قد أسس بعد.

وتذكر الاحصاءات الاقتصادية ان الولايات المتحدة الاميركية كان لها السبق كأول دولة تقيم نظاما للتأمين على الودائع، الا ان تشيكوسلوفاكيا تعتبر اول دولة انشأت نظاما متطورا لحماية الودائع والقروض على المستوى القومي (١٩٢٤) فقد انشأت صندوقين في ذلك الوقت، الاول صندوق الضمان الخاص لمساعدة البنوك على استعادة خسائرها الناجمة عن الحرب العالمية الاولى، والثاني صندوق الضمان العام لتأمين الودائع مما يشجع على جذب الودائع والادخار.

وفي عام ١٩٣٣ صدق الكونجرس الاميركي على قانون البنوك الذي بموجبه تم إنشاء المؤسسة الفيدرالية للتأمين على الودائع عام ١٩٣٤ وهي أحد أجهزة ثلاثة يناط بها مسؤولية الاشراف على النظام المصرفي الاميركي، وفي عام ١٩٧٤انشأت ألمانيا صندوقا خاصا لحماية اموال المودعين بعد انهيار بنك هيرشتات حين عجز البنك المركزي الالماني عن احتواء آثار الفشل المالي للبنك، وفي بريطانيا أدى حدوث أزمات مصرفية حادة مع بداية السبعينيات إلى انشاء صندوق لحماية الودائع تساهم فيه كل البنوك والمؤسسات المالية المرخص لها بجمع الودائع، وكان ذلك في عام ١٩٧٩، وأنشأت ايطاليا بعد ذلك في الثمانينيات نظاما لحماية الودائع، تلتها فرنسا في عام ١٩٨٥وذلك عقب انهيار البنك السعودي الفرنسي.

وإذا اتجهنا الى العالم العربي فتعتبر لبنان الدولة الاولى التي اهتمت بإنشاء نظام لحماية المودعين بعد انهيار بنك انترا الذي كان من اكبر المؤسسات المصرفية في ذلك الوقت، ثم اندلعت شرارة الافلاسات المصرفية، الامر الذي أدى الى وضع الحكومة يدها على عشرة بنوك والى زعزعة الثقة بالجهاز المصرفي من قبل المودعين اللبنانيين وغير اللبنانيين على حد سواء، وكان لا بد للدولة من اتخاذ التدابير اللازمة التي من شانها أن تحول دون توسع رقعة الافلاسات ودون هروب الاموال اللبنانية والاجنبية خارج البلاد، فكان إنشاء المؤسسة الوطنية لضمان الودائع في عام١٩٦٧أول مبادرة في هذا المجال، وفي الاردن تم انشاء نظام لضمان الودائع، حيث خرجت فكرة انشاء الموسسة الاردنية لضمان الودائع الى حيز الوجود بشكل جدي بعد الازمة التي لحقت بسعر صرف الدينار

● باحث اقتصادي ومصرفي إسلامي

الاردني في نهاية عام ١٩٨٨، ومع ظهور مشكلة بنك البتراء وما تبعها من تعثر بعض مؤسسات الجهاز المصرفي، حيث تم اعداد مشروع قانون المؤسسة الأردنية لضمان الودائع الذي تم اقراره من قبل البنك المركزي الاردني في ١٩٩١، وفي مصر انشئ صندوق التأمين على الودائع طبقا للقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٩٢ وقد جمع البنك المركزي القسط الأول من البنوك واستخدمه في سداد خسائر إفلاس بنك الاعتماد والتجارة ولم يفعل ذلك ثانية.

هدف نظام التأمين على الودائع

يقوم في الاساس على تحقيق هدفين، الأول حماية حقوق المودعين في حالة تعرض البنوك لمصاعب مالية، فهو يحقق نوعا من الضمان لأموال المودعين، والثاني يحافظ على سلامة المراكز المالية للبنوك وتفادي تعرضها للاعسار المالي او الافلاس، فهذا النظام يكفل دعم الثقة والاستقرار في الجهاز المصرفي.

وهناك جدل في الأدب الاقتصادي حول حدود هذا الضمان، حيث يقوم بضمان ودائع المتعاملين عن طريق تعويضهم كليا أوجزئيا من خلال مساهمات البنوك، ويمول هذا النظام من خلال الآتي:

١- سداد البنوك لأقساط تأمين محددة وبصفة دورية وفي مواعيد محددة وبنسبة وتتاسب مع حجم الودائع لدى كل بنك ويتم فرض فوائد تأخير على البنك الذي لا يقوم بتسديد أقساطه في الموعد المحدد، ومثال ذلك الأنظمة المطبقة في لبنان والهند.

٢- أو إلزام البنوك بالمساهمة فقط عند حدوث تعثر أو إفلاس بنك بمبلغ محدد يوزع بينهم بنسبة وتتاسب مع حجم الودائع لدى كل بنك، ومثال ذلك الأنظمة المطبقة في سويسرا وايطاليا وفرنسا.

العضوية في نظام التأمين على الودائع

هناك بعض الأنظمة التي تقوم على الإلزامية، ومؤدى ذلك إلزام جميع البنوك والمؤسسات المصرفية التي تقبل الانضمام إلى عضوية النظام، ومثال ذلك الأنظمة المطبقة في لبنان وتركيا والفلبين ومصر، وهناك بعض الأنظمة التي تكون العضوية فيها اختيارية مثل الأرجنتين والهند، ويعتبر النظام الإلزامي في نظر بعض المصرفيين أفضل من النظام

ضرورة توافر آليات واضحة لحماية البنوك من التعثر والإفلاس لاسيما أموال متعامليها المودعين

الاختياري بالنسبة للدول النامية، حيث إنه في حالة النظام الأخير قد تحجم البنوك ذات الحجم الكبير عن التأمين على ودائعها، استنادا إلى أن التأمين يمثل عبئا عليها يتمثل في قيمة قسط التأمين أو المساهمة المطلوبة منها.

ومما هو جدير بالذكر انه ليس هناك ازدواجية أو تداخل بين دور كل من نظام التأمين على الودائع و البنك المركزي، بل إن هناك اختلافا كبيرا بين دور كل منهما في إقراض أو دعم البنوك، حيث إن أنظمة التأمين على الودائع تقوم بتعويض المودعين عن ودائعهم طبقا لنظمها المختلقة عند إفلاس البنك، بينما لا يقوم البنك المركزي بهذا الدور في الأساس، إنما يقع على عاتقه مهمة المقرض الأخير للبنوك لمساعدتها على تجاوز أزمة السيولة.

طبيعة الودائع في البنوك

بعد أن بيّنا نظام التأمين على الودائع بصورة موجزة، نشير إلى أن طبيعة الودائع في البنوك الربوية تختلف اختلافا جذريا عن طبيعة الودائع في البنوك الإسلامية للآتي:

البنوك الربوية

علاقة المودع بالبنك علاقة دائن بمدين، والتي تكيف وفقا للرأي الراجح على أنها عقد من عقود القرض، ومن ثم فإن يد البنك على الودائع يد الضامن وليست يد الأمين، أي أن البنك يتصرف في مال الودائع تصرفه في ماله الخاص الذي يتملكه، ويتحمل تبعة هذا التصرف، فبذلك يكون البنك ملتزما بسداد الودائع وفوائدها أيضا في الموعد المحدد، وليس المقام هنا لنبين حرمة هذا الأسلوب الربويّ.

البنوك الإسلامية

علاقة المودع بالبنك الإسلامي تحكمه قواعد المضاربة الشرعية، فيد البنك على الودائع يد أمانة وليست يد ضمان، فالبنك الإسلامي لا يضمن رد أصل المبلغ إلى المودع عند الخسارة إلا إذا كان البنك قد تعدى أو قصر، فتطبيق نظام التأمين التجاري الذي يتضمن شبهات عديدة طبقا لفتاوى مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة ومجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي ومجمع البحوث الإسلامي وغيرهم على الودائع يخرجها عن خصائصها الأصلية باعتبارها مضاربة، فيدخل فيها مسألة تضمين البنك في حالة الخسارة بغير تقصير أو تعدى، وهو ما يجعل يد البنك يد ضمان وليست يد أمانة، فتكون مشاركة الودائع في الربح دون الخسارة تحولها إلى قرض ربوي، الأمر الذي لا يتفق مع طبيعة العمل المصرفي الإسلامي.

الضوابط الفقهية للتأمين على الودائع للبنوك الإسلامية

من البداية يجب أن نفرق بين نوعين من الودائع: الأول يطلق عليها حسابات جارية أو حسابات تحت الطلب والثاني يطلق عليها حسابات الاستثمار أو حسابات بهدف الحصول على عائد عند تحققه فعلا.

الحسابات الجارية

يمكن التأمين عليها باعتبارها مضمونة من قبل البنك طبقا لقاعدة الخراج بالضمان «ويقصد بها أن من ضمن أصل شيء جاز له أن يحصل على ما تولد عنه من عائد، فبضمان أصل المبلغ يكون الخراج المتولد عنه جائز الانتفاع لمن ضمن لأنه يكون ملزما باستكمال النقصان المحتمل إن حدث، وجبر الخسارة إن وقعت».

ويجب أن يكون التأمين تعاونيا أو تبادليا، فهناك اتفاق بين الفقهاء على جواز هذا النوع من التأمين، ويتم هذا من خلال إنشاء صندوق مشترك لضمان الحسابات الجارية تحت إشراف البنك المركزي، ولا يرتبط استثمار حصيلتها بالتعامل الربوي.

حسابات الاستثمار

الأمر يتطلب توخي الدقة والحذر في وضع الأسس والمعايير التي يمكن أن يتم التأمين من خلالها، بحيث لا تتعارض مع الضوابط الخاصة بعقد المضاربة الشرعية، وخاصة المتعلقة بمسألة الضمان، وكذلك أن يكون التأمين تعاونيا وليس تجاريا، وان يرتبط القسط أو الاشتراك بالمسؤولية الشرعية عن الضمان المحتمل عند حدوث الخسارة، ويتم استثمار الحصيلة بالأساليب الشرعية، ومن خلال هذه الضوابط يمكن اقتراح إنشاء صندوق للتأمين على الودائع تحت إشراف البنك المركزي.

أساتذة التميز

من أهم أسرار التأثير في الآخرين ضرورة التميز عنهم بالأمر الذي يراد التأثير من خلاله، ذلك لأن الناس لا يلتفتون إلى من لا طعم له ولا لون ولا رائحة.

والتميز هو التفرد الذي يمكنك به الظهور على الآخرين والتفوق عليهم. ولا يكفي للتأثير الفذ أن يتقن المرء صنعة ما، وإنما يجمل به أن يتميز في صنعته هذه عن الصنائع الأخرى (المشابهة أو المنافسة) وعن صناعها.

وأما التميز في الأمة الإسلامية فهو نابع من صميم دينها، إذ ميزها ربها عن غيرها من الأمم، وسما بها على سائر البشر، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠)

إن الناس قد تعاملوا مع جميع مجالات الحياة وخاضوا غمارها، ولذا من لا يزيد فيها شيئاً جديداً ويتميز في أمر يختلف فيه عن الآخرين فسوف يُهمَّش في هذه الحياة، وتذهب ريحه، ويضمحل أثره، ويكون كغيره لا قيمة ولا وزناً كبيراً له، حياته نمطية تقليدية، ويومياته روتينية لا طعم لها، يأكل ويشرب ويلهو وينام ولا شيء غير ذلك، لسان حاله يقول:

إنما الدنيا طعام
وشراب ومنام
فإذا ما فات هذا
فعلى الدنيا السلام

وقصة الثلاثة الذين دخلوا الغار تضرب مثلاً فذاً على التميز، إذ إن الأول تميز ببره لوالديه، والثاني بعفته، والثالث بأمانته.

وانظر كذلك إلى السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، فكل واحد منهم تميز بميزة جعلته أهلاً لأن يبلغ هذه المنزلة الرفيعة في أصعب موقف يمكن أن يقفه الإنسان.

والذين تميزوا بالصيام في الدنيا، ميزهم الله يوم القيامة بباب في الجنة لا يدخله غيرهم.

والزبير بن العوام كان من المتميزين في الشجاعة حتى إنه كان يُعدّ بألف رجل، وكان يركب فرسه ويضع عليه ابنه عبدالله ثم يخترق جيش الروم ويشقه نصفين حتى يصل إلى مؤخرة الجيش، ثم يعود وهو يقاتل بسيفين، سيف بيمينه وسيف بشماله، لسان حاله يردد ما قاله امرؤ القيس:

مكر، مفر، مقبل، مدبرٌ معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وتأمل معي كذلك العمل الذي تميز به بلال بن رباح رضي الله عنه، والذي سمع به رسول الله ﷺ دف نعليه في الجنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» قال: «ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي» (رواه البخاري)

ومن قبل كان عنترة قد اشتهر وتميز بالشجاعة حتى إن ديوانه مليء بشعر الشجاعة والحماسة، وكان مما قال:

حكم سيوفك في رقاب العذل
وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة
خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولا تحفل بها
واقدم إذا حق اللقا في الأول
واختر لنفسك منزلاً تعلو به
أو مت كريماً تحت ظل القنسطل

ولقد كان أبوحنيفة رحمه الله متميزاً بالعلم والحجة حتى قيل عنه إنه لو أراد أن يثبت لك أن اسطوانة المسجد (والتي هي من طين أو جذع نخل) من ذهب لأقام على ذلك دليلاً ولاستطاع أن يقنعك بذلك.

وتميز ابن عقيل البغدادي بالتأليف حيث إنه ألف العديد من المؤلفات العظيمة منها، على سبيل المثال، كتاب الفنون والذي يقع في (٤٠٠) جزء، يقول عنه الإمام الذهبي: ما ألف مثله من قبل.


د.علي الحمادي

وفي العصر الحديث: تميز إديسون باختراعاته الفذة، والتي ارتفعت بها البشرية، حتى إنه حاز على (١٠٩٣) براءة اختراع.

كذلك الياباني يهيرو نكاماتس، فقد حصل على أكثر من (٢٥٠٠) براءة اختراع، ويُعتبر أكثر رجل (عبر التاريخ) حصل على براءات اختراع.

كما تميزت شركة سوني بالمنتجات الجيبية (Pocketability) إذ حرصت على تصغير حجم منتجاتها الإبداعية إلى حجم يسعه جيبك، ولذا عندما تذهب إلى السوق تجد في كل فترة جهازاً لشركة سوني أصغر من نفس الجهاز الذي أنتجته قبل بضعة أشهر.

وتميزت شركة فيدرال اكسبرس(Federal Expres) بالسرعة في توصيل البريد، حيث إن شعارها(Over night) أي نوصله لك في ليلة واحدة.

أما شركة دانا (Dana) فقد تميزت بالأسلوب الإداري المبسط، والذي جعل كل واحد من العاملين مندمجاً مع العمل الكلي مع بقاء كل الأمور مبسطة، فلا توجد أدلة تشرح السياسات أو الإجراءات، ولا مستويات إدارية كثيرة، ولا أكوام من تقارير الرقابة، ولا حساسيات تسد الطريق على الاتصال الشخصي مع جميع الموظفين في جميع المستويات الإدارية في الشركة.

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

شهد العالم في القرن الماضي ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب بشكل ملحوظ وخاصة من قبل النخبة والصفوة وقادة الرأي العام والعلماء والفلاسفة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يعتنق الكثير من مفكري الغرب ومثقفيهم على اختلاف توجهاتهم الاسلام؟ هذا ما سنعرفه من خلال سلسلة روائع سير المهتدين التي ترويها لكم «الوعي الاسلامي» بألسنة أناس سعوا إلى الهداية والسعادة، أناس يرون أن الإسلام دين العقل والمنطق والحرية والرحمة والإحسان للإنسانية جمعاء.

قصة إسلام الكاتب الصحافي الألماني هنريك برودر

حين أعلن الكاتب الألماني والصحافي الشهير هنريك م برودر، الذي تميز بنقده الجارح للإسلام والمسلمين خاصة في عام ٢٠٠٧، إسلامه بشكل مفاجئ وقال مطلقا صيحته الكبيرة: «هيا اسمعوني فقد أسلمت» وهو الذي كان يطعن في الإسلام، كان إعلانه هذا صدمة للألمان والأوربيين عموماً.

وقد جاء إعلان إسلامه هذا نتيجة صراع داخلي مرير مع نفسه لسنين طويلة، وفي مقابلة مع إمام مسجد رضا في نيوكولن في ألمانيا قال برودر «إنه ارتاح أخيرا للتخلص من كبت الحقيقة التي كانت تعصف بجوارحه» وقال معقبا على سؤال حول تخليه عن دينه اليهودي «إنه لم يدع دينا وإنما عاد إلى إسلامه، الذي هو دين كل الفطرة التي يولد عليها كل إنسان».

هذا وقد صار يدعى بعد أن أدى الشهادة أمام شاهدين بـ (محمد هنريك برودر)، وقال معقبا على ذلك بافتخار: «أنا الآن عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرضين للإهانة باستمرار، وتنجم عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الذي ولدت فيه».

قوبل إسلام هذا الكاتب بترحاب كبير من المسلمين، الذين كانوا يجدون فيه متهجما كبيرا على عقائدهم وتصرفاتهم، وإذا به ينقلب إلى رافض لتلك الجوائز الأدبية التي تمنح للمدافعين عن العقلية المعادية للسامية لدى اليهود أنفسهم، على حد قوله، أي أن اليهود هم الذين يعادون السامية الحقيقية (أو بالأحرى الحنيفية) وما كان عليه الأنبياء والمرسلون من توحيد وأخلاق ونور وهداية.

واستقبل الكثيرون من مثقفي الألمان إعلانه الإسلام بمرارة بعد حربه الطويلة على الإسلام، واعتبر بعضهم هذا بمنزلة صدمة للألمان الذين كانوا يقرأون بلهفة ما ينشره بغزارة.

هنريك برودر عمره ٦١ سنة، الصحفي اليهودي المخضرم في مجلة دير شبيجل الألمانية ذو الشعبية الكبيرة، صاحب أكثر الكتب مبيعاً في ألمانيا عام ٢٠٠٧ بعنوان «هاي.. أوروبا تستسلم» وحاصل على جائزة الكتاب الألماني للعام.

إن هنريك برودر كاتب اشتهر بهجومه الشديد على الإسلام، وكان يحذر دائماً من خطر الإسلام على أوروبا، ومن أقوال هنريك برودر: لا أريد لأوروبا أن تستسلم للمسلمين، عندما يقول وزير العدل الألماني إنه من الممكن أن تكون الشريعة هي أساس القوانين، فعلى أوروبا السلام. وقوله: الإسلام أيديولوجية أصبحت أكثر وأكثر مرتبطة بالعداء للحياة العصرية الغربية، وقوله: أنصح الأوربيين الشباب بالهجرة، فأوروبا الآن لن تظل كذلك لأكثر من عشرين عاما قادمة.. أوروبا تتحول للإسلام الديموجرافي. وقوله: نحن نمارس بشكل غريب نوعا من الاسترضاء، رداً على أفعال الأصوليين الإسلاميين.

إن هنريك برودر هذا العدو اللدود للإسلام والمسلمين والمدافع عن أوربا العصية على الإسلام، في نهاية فبراير ٢٠٠٨م أصبح مسلماً وأصبح اسمه محمد هنريك برودر، وليس ذكر تلك القصة لإسلام هذا الرجل الإعلامي المعروف من باب الابتهاج بإسلامه، بقدر ما هي للتعرف على أسباب تحول هذا الكاتب بهذه الخلفية والفكر والتراث الكبير، وبعد هذا العمر إلى دين كان يهاجمه وينتقده طول مسيرة حياته.

يقول محمد برودر: لقد جاء إعلان إسلامي هذا نتيجة صراع داخلي مرير مع نفسي لسنين طويلة، فأنا لم أدع ديني ولكني عدت لديني وهو الإسلام دين الفطرة، أنا الآن أفتخر بأني عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرضين للإهانة بشكل دائم، وتنجم عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الذي ولدت فيه، لقد شاهدت العلاقات بين المسلمين وخصوصا من الناحية الجنسية، والطهارة والعفة والتواصل الاجتماعي الذي تفتقده أوربا، وكانت دافعاً كبيراً لي لكي أتحول إلى الإسلام دين رب العالمين، كما أن سياسة الكيل بمكيالين المتبعة في ألمانيا العلمانية، ليست بالأهمية بالنسبة لي.

وقد عدد الإعلامي الألماني هنريك برودر أسباباً كثيرة لإعلان إسلامه الذي فاجأ الألمان والأوربيين، في حديثه الحصري مع موقع العالم أون لاين تحت عنوان: صدمة الأسبوع.. هنريك برودر يتحول للإسلام.

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

واجبُنا نحْوَ الشَّباب

د. احمَد الشرباصي العدد 77 جمادى الأولى 1391 هـ 24 يونيو 1971م.●

كلما هممت بالحديث أو الكتابة عن الشباب خطر ببالي ما جاء منسوبا إلى رسول الله ﷺ وهو: «أوصيكم بالشباب خيرا، فإنهم أرق أفئدة، إن الله تعالى بعثني بشيرا ونذيرا، فحالفني الشباب، وخالفني الشيوخ» ثم تلا قوله تعالى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16).

نعم إن الشباب أرق أفئدة وأصلح قلوبا، إذا وجدوا منذ بداية الطريق من يحسن قيادتهم وسياستهم، فإن في الشبيبة معنى العزم والتوقد والإقدام، وكلمة «الشباب» نفسها فيها معنى الحرارة والنور، لأنها مأخوذة من قولهم: شب الرجل النار، إذا أوقدها فتلألأت ضياء ونورا، وفيها معنى الطموح والارتفاع والتوفز، إذ يقال شب الجواد، إذا رفع يديه معا إلى أعلى.

تربية وتوجيه

و لا جدال في أن شبابنا بحاجة إلى تربية وتوجيه، بل نحن أحوج ما نكون إلى تربية الشباب، فهم رجال الغد، وهم الذين ستوكل إليهم مقاليد الأمور، عما قريب، وبمقدار توفيقنا في إعدادهم وتخريجهم، يكون الجيل القادم رشيدا موفق الأعمال مسدد الخطوات.

وبعض المصلحين الاجتماعيين يرى أنه لا وسيلة للنهوض بالمجتمع إلا بتربية جيل من الشباب تربية قويمة سليمة، تكون فيصلا بين جيل فسدت تربيته فنزلت رتبته، وأجيال قادمة تكون أنقى وأرقى، وهذه الأجيال لا تتوالد إلا من أصل كريم طيب، هو ذلك الجيل من الشباب الذي نستنفد الجهد صادقين مخلصين في تعليمه وتقويمه.

مذاهب مختلفة

ونحن نتطلع، فنرى الناس شتى المذاهب في إعداد أبنائهم وفلذات أكبادهم، فمنهم من يسرف مع ابنه في الشدة والضغط والكبت، فيتولد من ذلك التمرد والانفجار، وتزهق خصائص شريفة، كان من الممكن استغلالها والإفادة منها، وهناك من يسرف في التدليل وإطلاق سراح الحرية، فيأتي التحلل والفساد، وتتماع خصال الخير والقوة في طوفان من الشر والإثم، ومنهم من يخبط خبطا عشواء في تربية أبنائه، فيتبع معهم أساليب عرفية بدائية لا نصيب لها من العلم أو الفهم أو التعقل، بل هي مواريث فجة من مختلف الأجيال المنحرفة أو الفاسدة. فكيف السبيل إلى تربية الشباب؟

من الواجب أن نتذكر أولا أن الشباب عنده مجموعة من الطاقات والغرائز، إذا لم نحسن امتلاك قيادها والبراعة في توجيهها، صارت نارا ودمارا، فسن المراهقة عند الشباب يحتاج إلى رعاية ووقاية وإرشاد، وفترة الشك التي تعرض للشاب لا يجوز بحال من الأحوال أن نتجاهلها أو نعالجها بالقسوة والتهديد والوعيد، بل علينا أن نتذرع بالحكمة في إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، حتى لا يفلت من أيدينا الزمام.

وإذا كان الحديث الشريف يقول «لأن يؤدب الرجل ولده أو أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع» (رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه فإن الحديث الشريف أيضا يطالب بالإحسان – أي الإتقان – في



هذا التأديب فيقول ﷺ «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم» (رواه بن ماجه) ويقول ﷺ «ما نحل والد ولده نحلاً أفضل من أدب حسن» (رواه أحمد).

التدين السليم

ولا ريب في أن رأس الأدب الحسن هو أن ينشأ الشاب على أساس من الإيمان بالله والتدين السليم، والتمسك بمكارم الأخلاق، وحينما قال القرآن الكريم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦)، جاء الحسن وفسر هذا بقوله «مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير»، وقال ابن عباس «اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لكم ولهم من النار».

ولكن غرس الإيمان والتدين

● أحد كبار علماء الأزهر، توفي في عام ١٩٨٠ م

والاستقامة الأخلاقية في نفس الناشئ لا يتحقق بكثرة الكلام وحده، ولا بشدة التحذير والإنذار، وإنما يتحقق إذا كانت هناك-أمام الناشيء - قدوة عملية سلوكية مؤمنة، تقرن القول بالعمل.

والناشئ يقلد الكبار الموجودين أمامه ببراعة وإتقان، فإذا كان الكبار أمثلة طيبة للتدين والاستقامة، أثروا تأثير الخير والإصلاح في الناشئين من حولهم، ولو أن الوالد تذكر على الدوام أن ولده أمانة بين يديه، وهو مسئول عن هذه الأمانة في الدنيا والآخرة، لما ارتضى لنفسه أن يقتصر في تأديبه لولده على مجرد النصائح والوصايا يسوقها إليه في ترفع وتعال، وهذا المعنى يذكرنا بقول سيدنا رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه مسلم)...

غاية الإساءة

ولذلك رأينا ابن القيم في كتابه «تحفة الودود» يقول في هذه العبارة «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، أضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا هم بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا».

التراث التربوي

والرائع المعجب أن التراث الإسلامي قد عني بتربية الأبناء والشباب عناية كبيرة ملحوظة، ولو راجعنا ما كتبه أمثال الغزالي وابن خلدون وابن المقفع وابن سينا وابن جماعة وابن سحنون والماوردي وابن مسكويه، لوجدنا أنهم تعرضوا للجلائل والدقائق في تربية الأبناء، ونوّهوا بأن العناية بهذه التربية تجلت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكتب الأخلاق والوصايا وغيرها من مصادر التراث الإسلامي، وها نحن أولاء نرى السنة النبوية الشريفة تلفتنا إلى العناية بالأبناء منذ بداية الطريق، فيقول الحديث «من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه...» (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

وإذا كانت عناية الإسلام بتربية الأبناء تبدأ من حسن اختيار الاسم، فإن ما خلفه المسلمون السابقون من تراث تربوي، يرينا كيف اتسعت آفاقهم، وتكاثرت وصاياهم في هذا الباب، حتى شملت كل ناحية تتعلق بتقويم الناشئة، وإعدادهم للحياة العاقلة الفاضلة الواسعة.

كبار الأمة

والإسلام يرى من الواجب على كبار الأمة نحو شبابها أن يوصوهم دائما بحياة القوة والفتوة والفروسية، وبالتخفف من الترف والتنعم، وبتعود الخشونة، لأن النعم لا تدوم، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي شباب الأمة المؤمنة وصية جليلة تعد نموذجا باهراً لأدب الفروسية والفتوة، فيقول لهم: «اتزروا وارتدوا، وانتعلوا، وألقوا الخفاف، وألقوا السراويل، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، واخشوشنوا، واخلولقوا، واقطعوا الركب، وانزووا على الخيل نزوا، وارتموا الأغراض». إنه يقول لهم «اتزروا وارتدوا» أي اكتفوا بلبس الأزرار والرداء، وهما ثوبان خفيفان ليس فيهما ثقل ولا ترف ولا إسراف، ويقول لهم «وانتعلوا» والنعل حذاء خشن فيه شيء من الصلابة والتماسك، مع قلة ثمنه وقلة ما يستره من القدمين، ويقول لهم: «وألقوا الخفاف والسراويل» لأنها لينة طرية قد يتعود الإنسان معها نعومة الأظفار وضعف الاحتمال، ويقول لهم «وعليكم بثياب أبيكم إسماعيل» وإسماعيل هو جد العرب، وكان فارسا قويا متماسكا، وكانت ثيابه فروسية، لأنه يكتفي بالإزار والرداء، ولا يلبس ثياب المترفين أو العاطلين من النشاط والعمل، ويقول لهم «وإياكم والتنعم و زي العجم» فهو يحذرهم من التوسع في التمتع باللذات والشهوات، ويحذرهم أن يقلدوا العجم في ثيابهم الناعمة الرخوة التي يألفها أهل التبطل والفراغ من التبعات، ويقول لهم «وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب» فهو ينصحهم بالتعرض للشمس، حتى تصح أبدانهم، وتقوى عضلاتهم، ويتعودوا احتمال أشعتها وحرارتها، وتذيب هذه الشمس من أجسامهم ما فيها من فضلات ورواسب، ويقول لهم «وتمعددوا» أي كونوا كأبيكم معد بن عدنان الذي كان ذا فروسية وقوة، وكان خفيف الثياب، حسن الأخلاق والأفعال، ويقول لهم «واخشوشنوا» أي تعودوا الخشونة في الملبس والمأكل والمركب ونحو ذلك، حتى لا تضعفوا، ولا تتعودوا الرفاهية والكسل، ولذلك قال عمر في كلمة أخرى: «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم».

واجب الشيوخ

ومن واجب الشيوخ نحو الشباب أن يتذكر الشيوخ أن الأجيال يختلف بعضها عن بعض بسبب اختلاف الأحداث والأوضاع والبيئات، وبسبب التطور الذي يحدث في أساليب الحياة وشؤون الأحياء، ولعل عمر رضي الله عنه كان يقصد شيئا قريبا من هذا المعنى حين قال «الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم» وهذه الكلمة ينسبها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إلى عروة بن الزبير بن العوام، وفي موضع آخر من كتابه هذا يقول عنها، إنها إحدى ثلاث كلمات مراسلة، وقد رويت لأقوام شتى، وقد يجوز أن يكونوا حكوها ولم يسندوها، وكذلك ينسب إلى عمر انه قال «إن أبناءكم قد خلقوا لجيل غير جيلكم، وزمان غير زمانكم» ومن هنا كان واجبا على الوالد أن يقدر شعور ولده وتفكيره، ويلاحظ الفرق بين زمنه وزمنه، وبين تفكيره وتفكيره، على الأب أن يتعرف ميول ابنه، وان يتبين استعداده واتجاهه، وأن يضعه حيث يريد، أو حيث يستفيد ويفيد، فلا يكرهه على لون من الدراسة لا يطيقه أو لا يستطيعه، ولا يرغمه على اتجاه لا يحبه، أو حرفة لا يرغب فيها، ولنذكر الحديث القائل» اعملوا فكل ميسر لما خلق» (رواه البخاري من حديث علي رضي الله عنه) ومن باب تقدير الشباب وحسن الإفادة منهم أن نشركهم في الأمور ونبادلهم الآراء، وقديما قالت العرب: عليكم بمشاورة الشباب، فإنهم ينتجون رأيا لم ينله القدم، ولا استولت عليه رطوبة الهرم، وقال هرم ابن قطبة: عليكم بالحدث السن، الحديد الذهن كما قال الشاعر:

رأيت العقل لم يكن انتهابا
ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقاسمته
حوى الآباء أنصبة البنينا

قراءة في فكر علماء الوسطية

المستشار سالم البهنساوي أنموذجاً.. في الذكرى الثالثة لرحيله

د.حسين الجرادي

في فجر الجمعة وبعيد أدائه صلاة الفجر جماعة برفقة وكيل وزارة الأوقاف بدولة الكويت د.عادل الفلاح في الثالث من صفر عام ١٤٢٧هـ الموافق ٣ مارس ٢٠٠٦م وفي غرفة من غرف أحد فنادق العاصمة الأذرية باكو ارتقت روح الرجل الملائكي والعالم الرباني المستشار سالم البهنساوي الى الملأ الأعلى وهو يبلغ دعوة الله الى الناس في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة أثناء مشاركته في مؤتمر عن الوسطية بأذربيجان.

ويعتبر المستشار البهنساوي واحداً من أبرز المفكرين الإسلاميين في القرنين العشرين والحادي والعشرين، فلم يكن رجلاً عادياً بل كان إنساناً ذا طابع ملائكي اذا خالطته فقد خالطت الصفاء والفطرة والنقاء والإسلام في أعذب صوره، وإذا ناقشته وجدت أنك أمام عالم كبير ذي علم غزير وأدب جم، وأفق واسع ونظرة ثاقبة، محيط بزمانه ملم بفقه واقعه مالك لزمام نفسه، يدعو الى الله على بصيرة وبحنكة.

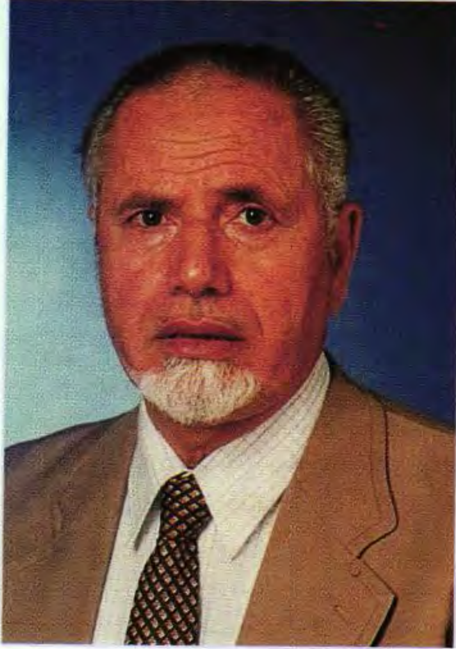
وقد كان البهنساوي، بحق كما قال عنه رفيق دربه د.توفيق الواعي «شهاباً ساطعاً في سماء ملبدة بالغيوم، وصخرة عاتية تتكسر على حوافها موجات الضلال العاتية.. فقد تصدى - رحمه الله لأربع طبقات.

الطبقة الاولى: طبقة الموجهين من الاستعمار ومن العلمانية اللادينية، وقد تولى الرد عليها وبيان زيف ادعاءاتها.

الطبقة الثانية: طبقة المخدوعين الذين لا يملكون إلا الاذعان، وهي طبقة المتدينين من الجماهير، وهؤلاء تولى تنويرهم وبسط الحقائق أمامهم حتى يستيقظوا وينهضوا.

الطبقة الثالثة: طبقة تنتسب الى الدعوة الإسلامية وتقتات منها ولا مانع عندها من أن تداهن على حساب دينها حتى ان بعضهم أفتى بأن الشيوعية لا تتعارض مع الإسلام عام ١٩٦٥م، وقد وقف أمامهم وأبان زيفهم وإفكهم للقاصي والداني.

الطبقة الرابعة: طبقة المغالين والمنحرفين عن النهج القويم والصراط المستقيم،



مؤلفاته

١- الوجيز في العبادات (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م).
٢- الإسلام والتأمينات الاجتماعية (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).
٣- القوانين وعمال التراحيل (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م).
٤- الحكم وقضية تكفير المسلم (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).
٥- السنة المفترى عليها (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
٦- قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
٧- مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية (١٤٠١هـ- ١٩٨١م).
٨- الغزو الفكري للتاريخ والسيرة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م).
٩- أضواء على معالم في الطريق (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
١٠- سيد قطب بين العاطفة والموضوعية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
١١- تهافت العلمانية في الصحافة العربية (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
١٢- شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر (١٤٠٩هـ -١٩٨٩م).
١٣- الحقائق الغائبة بين الشيعة وأهل السنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
١٤- الخلافة والخلفاء الراشدون بين

الذين كفّروا المجتمع وأوغلوا في دماء المسلمين، وتولى كشف زيفهم وانحراف عقيدتهم وسوء صنيعهم بما لم يسبق إليه.

وقبيل أن نتناول فكر الرجل، رحمه الله، وبيان معالم تراثه الفكري في الوسطية والاعتدال والذود عن حياض الإسلام لا بد لنا أولاً أن نبحر في نهر حياته العذب، وأن نستكشف الملامح الثقافية والبيئية والتربوية والاجتماعية التي أثرت في تكوينه حتى امتزج بالإسلام وامتزج الإسلام به، فكان إسلاماً يمشي على الأرض.

ولد المستشار البهنساوي رحمه الله في ١٩٣٢/٥/٣٠ بقرية السعديين، إحدى قرى محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية، والتحق بكلية الحقوق جامعة الملك فؤاد (القاهرة حالياً) عام ١٩٤٨م، وعمل مديرا لادارة التأمينات بمدينة المنصورة من ١٩٥٦ حتى ١٩٥٩م، ومديراً للتأمينات الاجتماعية بمدينة شبين الكوم من ١٩٥٩- ١٩٦٤م.

المستشار يعد أحد أبرز المفكرين الإسلاميين في القرنين العشرين والحادي والعشرين

قدم الى الكويت عام ١٩٧٣ ليعمل بالهيئة العامة لشؤون القصر بوزارة العدل بالكويت، ووضع جميع القوانين الخاصة بشؤون القصر بدولة الكويت وفق الشريعة الإسلامية، ولما بلغ سن المعاش تم اختياره ليعمل مستشاراً لوكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت حتى وفاته في ٢٠٠٦/٣/٣م.

وقد قام رحمه الله خلال فترة عمله بالكويت بصياغة الكثير من القوانين المدنية ذات الصبغة الإسلامية للهيئة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية، وفي الحلقات المقبلة عنه سنكشف عن صياغته لأول دستور مدني لدولة مدنية تنبثق مواده من الشريعة الإسلامية ، حيث قام - رحمه الله- بالانتهاء منه قبيل وفاته مباشرة، وقد شارك - رحمه الله - في صياغة دساتير بعض الدول الإسلامية، وفي العديد من المؤتمرات الدولية في كثير من دول العالم.

التحق المستشار البهنساوي في بواكير حياته بالتيار الإسلامي الوسطي المعتدل .

وقد دفع - رحمه الله - ثمن التزامه بالإسلام كمنهج حياة فاعتقل وهو طالب في الفترة الملكية، واعتقل ظلماً عام ١٩٥٤م اثر الاضرابات التي سادت الجامعات المصرية للاعتراض على تنحية الرئيس محمد نجيب، واعتقل في سبتمبر عام ١٩٦٥ مع كل من سبق اعتقاله من التيار الوسطي المعتدل ومورست عليه صنوف من التعذيب عندما كان يحقق معه عن محاضرات ألقاها في الأعوام ١٩٦٣و١٩٦٤و١٩٦٥ عن الإسلام والشيوعية بالمعهد العالي التجاري بالمنصورة ومؤسسة الثقافة العمالية بالدقهلية وظل في السجن ٦ سنوات ليخرج بعدها في مايو ١٩٧١م في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات، ورغم مرارة السجن فإنه شارك في مواجهة الفكر التكفيري الذي انتشر في السجن آنذاك، وحاربه بالحجة والبرهان حتى تراجع قرابة ثلثمائة ممن كانوا قد اعتنقوا هذا الفكر، وشارك في صياغة كتاب «دعاة لا قضاة» للمستشار حسن الهضيبي رحمه الله، في السجن.

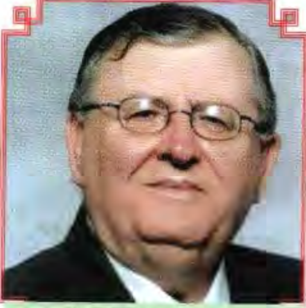
وقد ترك البهنساوي تراثا ضخماً من المؤلفات، فألف ما يربو على ٢٦ كتاباً، وفي الحلقات المقبلة بإذن الله سنتناول الجوانب الفكرية في جميع المجالات التي تركها المستشار البهنساوي بين ثنايا كتبه، والتي عالجت الكثير من القضايا الفكرية الشائكة التي تعزز قيم الوسطية.

الشورى والديموقراطية (١٤١١هـ- ١٩٩١م).
١٥- الإسلام لا العلمانية (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
١٦- الشريعة المفترى عليها (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
١٧- فكر سيد قطب في ميزان الشرع (١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م).
١٨- السنة بين الوحي والعقل (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
١٩- حرية الرأي (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).
٢٠- كمال الشريعة وعجز القانون الوضعي (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م).
٢١- قواعد التعامل مع غير المسلمين (١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م).
٢٢- التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدولي (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
٢٣- السلام الصهيوني والعجز العربي (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٤- أدب الحوار والخلاف (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
٢٥- أركسة العلمانيين (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٢٦- الإصلاح الإسلامي الحائر بين أهله (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

نفائس فريدة.. تنوع كبير.. حقب ممتدة

متحف الحضارة الإسلامية بالشارقة

على سيف بحر الشارقة وأمام الميناء القديم داخل سوق المجرة التاريخي افتتح الشيخ سلطان بن محمد القاسمي- حاكم الشارقة - متحف الحضارة الإسلامية في شهر يونيو ٢٠٠٨م بعد عملية تجديد المكان وترميمه من الداخل والخارج فاكتسى المبنى حلة قشيبه زادته بهاء.



بهيج بهجت سكيك

يتكون المبنى من ثلاثة طوابق تضمنت (٦) قاعات رئيسية يتفرع منها أروقة - كل رواق تخصص في عرض مقتنيات لموضوعات معينة أو حقب تاريخية وبعض هذه التحف تعرض لأول مرة.

قاعة أبوبكر للعقيدة الإسلامية

ومن أنفس ما تضمه هذه القاعة «كسوة الكعبة الشريفة» ولأول مرة أرى قطعة من الكسوة كبيرة بهذا الحجم، بخطوطها الذهبية اللامعة وخطوطها الجميلة وآياتها القرآنية، وهي هدية من المملكة العربية السعودية للمتحف.

كما تضم القاعة نسخاً ومخطوطات «للمصحف الشريف» بأحجام مختلفة وخطوط متنوعة، ولعل من أجملها مخطوطة كاملة للقرآن الكريم كتبت آياتها بالمداد الأسود وبخط النسخ، وفواصل الآيات بالذهب يرجع تاريخها إلى عام ١٠١٠ هـ - ١٦٠١م كتبها «سلمان باشا» من جمهورية الجبل الأسود، كما تضم نموذجا للحرم المكي ومراحل أداء مناسك الحج والعمرة وصور فوتوغرافية لتطور ومراحل توسعة الحرمين الشريفين.

قاعة ابن الهيثم للعلوم والتكنولوجيا

في الجهة المقابلة رواق الحسن بن الهيثم، وهو يضم آلات فريدة وأجهزة مختلفة استخدمت في تجارب علوم الكيمياء والطبيعيات والفلك والطب ومن أجملها «الإسطرلاب» بعدة نماذج وأحجام ودوارق وأنابيب اختبار الكيمياء ومراصد الفلك وأجهزة وأدوات الجراحة عند المسلمين وعملية «القسطرة» التي كان يجريها النطاسي - الزهراوي - ونماذج دقيقة للآلات الحربية المستخدمة وأجمعها مجسم «المنجنيق» والمواقع، والعجلات الحربية.

كما يضم مجسمات «للبيمارستانات» «المشافي» من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي وكيفية العناية بالمريض وتقديم الغذاء والكساء والدواء طيلة مكوثه في المشفى، من هذه المجسمات الفريدة بيمارستان السلطان قلاوون بالقاهرة ومشفى (أدرنة) في تركيا الذي أمرت ببنائه الأميرة طوران شاه عام ٦٢٥هـ-١٢٢٨م.

معروضات مؤقتة

على الجانب الآخر وفي الدور الأرضي «قاعة المعروضات المؤقتة» وهذه القاعة تستضيف كل ثلاثة أشهر مقتنيات ونفائس ومجسمات ومخطوطات للحضارة الإسلامية من إحدى الدول.

وكان «المتحف الإسلامي» ببرلين أول المشاركين في عرض مقتنياته بقاعة "المجرة" للمعروضات المؤقتة حيث تم اختيار ست وأربعين قطعة من المتحف لم يكن يسمح بإخراجها من المتحف في السابق لقيمتها التاريخية والأثرية، وتفردها، وجمالها، وهي تضم نفائس من غرب

أكثر من ٥٠٠٠ قطعة ومجسم ونموذج وعينة يعرضها المتحف لأول مرة









وجنوب غرب آسيا في عصور الدول العثمانية والصفوية في إيران والمغولية، لقد شغف ملوك وسلاطين المغول بالغن الإسلامي في العمارة والأسلحة، وكان اندماجهم في الحضارة الإسلامية سريعاً.

وفي القاعة الرئيسية للمعروضات المؤقتة تعرض مجموعات فريدة من النقود والمسكوكات المعدنية Coins من عصر الدولة الأموية والعباسية والفاطمية والطولونية.. إلى الدولة العثمانية..قطع ذهبية وفضية وبرونزية من أعلى إلى أسفل، وتتحرك هنا وهناك لتتفحص هذه المسكوكات بدقة فترى جمال الخط ووضوحه ونقاء المعدن وبريقه، وبالذات تلك القطع الذهبية «العثملية» في العصور العثمانية «الرشادية» منها و«المجيدية» و «الحميدية» وغيرها، وكذلك الدينار «الرشيدي» نسبة إلى هارون الرشيد.

كنوز الكويت الإسلامية

وكانت دولة الكويت هي الضيف الثاني الذي تستضيفه قاعة المعروضات المؤقتة، حيث عرضت بعض الآثار الإسلامية الموجودة في متاحف الكويت ومنها تيجان أعمدة منحوتة من الحجر الجيري وتعود للعصر الأموي وأواني زجاجية من إيران وسورية من حقب مختلفة وأواني خزفية جميلة وخناجر وسيوف مطعمة مقابضها بالعاج والأحجار الكريمة.

وفي ركن خاص من معروضات كنوز الكويت توجد مقتنيات خاصة «بآل الصباح» الكرام تحمل دلالة خاصة وتتميز بدقة الصنع وجمال المنظر وقد يستمر عرضها لمدة ثلاثة أشهر.



فسيفساء ومنمنمات

باقي الصالات «الأربع» تم تقسيمها حسب الحقب والدول الإسلامية من القرن الأول إلى الثالث الهجري وهكذا لتضم مقتنيات أثرية وثقافية ودينية «وطرز» ملابس لخلفاء وولاة، وفسيفساء ومنمنمات من الخزف والزجاج المجزع الجميل.

من اللوحات الجميلة «معلقة» من الخزف الأزرق الجميل تخالها من بعيد سجادة قطعة واحدة، وهي تجميع فني لقطع من الخزف على شكل ورود وأشجار صنعت من «كاشان» في فارس، هذه المدينة التي أعطت اسمها لكل الفخار الملون والذي صار يعرف «بالكاشاني» والذي برعت في صنعه الصين وفارس وتنافسها اليوم «بافاريا» في أوروبا.

كما ضمت هذه الأروقة والقاعات «شواهد» رخامية لأضرحة وقبور لملوك وسلاطين من مختلف الدول الإسلامية، وكذلك احتوت على «تيجان» أعمدة، ومقرنصات، ومنمنمات، ورنوك، وهي قطع رخامية أو جيرية ينحت عليها آيات قرآنية أو تاريخ الانتهاء من تشييد المبنى، توضع فوق أبواب المساجد والقصور وتشير إلى اسم الخليفة أو السلطان، وكان يهتم بتثبيتها أولو الأمر على كل ما شيدوه.

أما السجاد فقد حظي باهتمام بالغ في كل العصور الإسلامية، فتعرض قطع نفيسة منه بألوان زاهية من إيران وتركيا ومصر، كما كان للأعمال النحاسية نصيب من الاهتمام من دوارق وأكواب وغيرها.

لم يغفل القائمون على المعرض أن الأندلس "كانت البوابة الغربية للحضارة الإسلامية والكوة» التي أطل منها المسلمون على أوروبا ونقلوا إليها الكثير من فنون الحضارة الإسلامية والصناعات كصناعة «الورق» و«الزجاج» و«الثلج» و«السكر» والتي ما تزال تحمل أسماء عربية في لغات تلك الدول.

عرضت مخطوطات، وكتب، وأدوات جراحة، تعود إلى عصور إسلامية في الأندلس والتي امتدت إلى ثمانية قرون هناك.

إن متحف الشارقة يضم أكثر من (٥٠٠٠) قطعة ومجسم ونموذج وعينة بعضها يعرض لأول مرة.

إن متحف الشارقة للحضارة الإسلامية: متحف يزار.



الإسلام والجمهورية والعالم



د. محمود مسعود

في هذا المقال نكمل عرضنا لكتاب «الإسلام والجمهورية والعالم» لمؤلفه الفرنسي آلان جريش، فقد قدمنا شطرا من الكتاب في المقال السابق، واليوم نعرض لباقي فصوله.

ففي الفصل المعنون بـ«من الإسلام ومن المسلمين» ينقل المؤلف عن المستشرق الفرنسي المعروف آرنست رينان حينما كان يكتب تاريخ المسيحية قوله: إن ثمة فرقًا بين النظرية المثالية والتطبيق العملي لها، ثم يطبق آلان جريش هذا القول على الإسلام، فيرى أن هناك دائمًا مفارقة بين الإسلام في ثوبه النظري المثالي وبين تطبيق المسلمين له في الواقع العملي، ففي ثقافة الغرب قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 استقرت كلمة إسلام في ثقافة الغربيين وكأنها كلمة مطبوعة على عَلَم عشيرة تحشد قوتها على الحدود الأوروبية، وادعى الكتاب الأوروبيون أن ما يكتبونه عن الإسلام هو الواقع والحقيقة.

ظل هذا الادعاء عند الغربيين إلى أن جاء الحادي عشر من سبتمبر فقلب المفاهيم، فأخذ جمهور كبير من الغربيين يبحثون في المكتبات عن فهم جديد للإسلام يفسر لهم ما حدث، فتُرجم القرآن في شهور عدة، وأعيدت طباعة المصحف مرات عديدة، وصدر عدد كبير من المقالات والكتب والأعداد الخاصة من الصحف والمجلات، كلٌ يعيد تفسير معنى الإسلام، ومن هؤلاء من أخذ يبحث في القرآن عن السورة أو الآية التي دعت محمد عطا ورفاقه الثمانية عشر أن يضربوا مركز التجارة العالمي والبنتاجون الأمريكي، لكن الجميع -حسب قول المؤلف- لم ينتبه إلى تباين المسلمين الذين يمثلون أكثر من سبع وخمسين دولة، وأنهم يختلفون عن بعضهم البعض رغم وحدة الدين والمعتقد، فهم يختلفون في الممارسة السياسية: فهناك دول ديموقراطية مثل إندونيسيا ومالي والسنغال وتركيا، وهناك دول يقوم نظامها السياسي على الملكية الدستورية كالمغرب والأردن.

فالغربيون عندما يقرأون الإنجيل يرون أن هناك كثيرًا من النصوص تتناقض مع الديموقراطية، ومع ذلك يتجاوزون تلك النصوص دون أن يوجهوا لها لوما، لكن إن وجدوا نصا في الإسلام ضد الديموقراطية يدّعون أن الإسلام والمسلمين أعداء للديموقراطية وهذا ما نبه إليه إدوارد سعيد.

فالإسلام لم يرفض الحرب، والنبي محمد «لم يترك وسيلة للجهاد إلا دعا إليها»، لكن الأزهر-أكبر جامعة إسلامية- يدعو للسلام كما تدعو المؤسسة البابوية في الغرب، فهذه ثمرة القرآن كما أن تلك ثمرة الإنجيل، ومع ذلك يصر كثير منا على أن الإسلام دين حرب وكأننا ننسى الحروب التي أججها الغرب باسم المسيحية!».

ثم يسرد المؤلف قصة الإسلام منذ ظهور النبي محمد في مكة إلى أن يصل إلى فتح مكة، ثم يبين أن الإسلام يجمع في طياته تاريخ المسيحية واليهودية وما سبقه من أديان، وأن محمدًا ختم الوحي والرسالة، ثم أخذ يشرح تاريخ المسلمين السياسي حتى وصل إلى فهم الحركات الإسلامية المعاصرة للإسلام عامة وللجهاد خاصة، ثم يبين أن للمسلمين اليوم أربع سمات مميزة: السمة الأولى تشمل أغلبية المسلمين وهي الفقر، فيعيش معظم المسلمين فيما سمي بعد عام ١٩٦٠ بالعالم الثالث وهم يعانون الفقر والحرمان، أما السمة الثانية فهي العاطفة الدينية الجياشة، وهم يتمنون العودة لعصور الإسلام القوية (أيام الخلافة) كما هو واضح من الدعوة إلى القومية العربية، أما السمة الثالثة: فهي الأممية، ففكرة الأمة الإسلامية ووحدة الجامعة الإسلامية والعودة للخلافة الإسلامية الراشدة تسيطر على عدد كبير من جمهور المسلمين، أما السمة الرابعة (ظهرت بعد ١٩٧٠) هي سمة التفسير الضيق للنصوص الإسلامية، وكان ذلك ثمرة للإخفاقات المتوالية للحركات الإسلامية، مما ولّد النزوع نحو التطرف في فهم النصوص الدينية، ومن هنا فالإسلام ذو العقيدة الواحدة يمارسه مسلمون كثر يختلفون في نوازعهم السياسية وحياتهم العملية.

ثم يعنون المؤلف فصلا جديدا بميلاد الخوف، ويبدأ هذا الفصل بذكر أن الخوف من الإسلام ظهر جليا فيما بعد ١٩٩٠(أي بعد أن أصبح للعراق جيش قوي)، ثم يسرد المؤلف التاريخ السياسي للمسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م والتي كانت تعد رمزا للأمة الإسلامية، فبسقوط هذا الرمز تفرقت الأمة تبحث عن نظرية سياسية جامعة، ورغم أن القرآن لا يحمل نظرية سياسية أو اقتصادية وكذلك السنة -كما يقول المؤلف- إلا أن المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية اعتمدوا على المذاهب الفقهية القديمة لاستخراج تلك النظرية السياسية، فبدءًا من جمال الدين الأفغاني وحتى ظهور الحركات الإسلامية المعاصرة

أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

مـــرورا بمحمد عبده ورشيد رضا أخذ المسلمون على عاتقهم ثلاثة أمور هي تطبيق الشريعة الإسلامية ومحاربة الاستعمار ومحاربة الإمبريالية، وإن كان محاربة الإمبريالية شارك فيها العلمانيون المسلمون، إلا أن أهم تلك الحركات الإسلامية على الإطلاق هي حركة «الإخوان المسلمين» لأنها كانت وما زالت الأكثر فاعلية في العالم الإسلامي، بل وبين المسلمين في شتى البقاع، وليس الإخوان المسلمون إسلامًا جديدًا بقدر ما أنهم يعبرون عن إسلام حي ومعاصر ومتجدد كما يقول أويفي روا، ليس هذا فحسب بل من ذكائهم السياسي يعبرون عن كل قومية بما يناسبها، فتراهم في الكويت كويتيين، وفي مصر مصريين، وفي الأردن أردنيين، فهم لا يعارضون القومية، وهذا ما أدى إلى الخلاف بينهم في حرب الخليج ١٩٩١.

وحل الخوف من الإسلام عند الغربيين محل الخوف من الشيوعيين سابقا، فكأن فرح الأوروبيين بنهاية الاتحاد السوفييتي وأنه لم تعد هناك حرب عالمية ثالثة قد انتهى؛ لأن المسلمين سيضربون مصالح الغرب في كل مكان، وأصبح الخوف عند الغربيين ظاهرة قد ولدت من جديد، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وظهرت النداءات الغربية للتمييز بين القيم الغربية والقيم الإسلامية، وكيف أن القيم الغربية قيم إنسانية في حين أن قيم المسلمين قيم وحشية، ثم أخذت تظهر الدعوات لحرب عالمية ثالثة يحتل فيها الغرب من جديد البلاد الإسلامية، وظهرت الكتابات التي تبين أن الإسلام دين عنف في مصادره الأصلية، ولابد من حذف آيات الجهاد من القرآن الكريم، ثم بدأت موجة من العنف تضرب المعابد اليهودية في الغرب، مما جعل علماء كبار مثل الشيخ القرضاوي والشيخ فضل الله يفتون بحرمة تلك الأعمال.

ومن تلك الأعمال ولدت الدعوة في الغرب لمحاربة الإرهابيين، ثم أصبح مصطلح «الحرب على الإرهاب» هو الأكثر شيوعا في جميع البلاد الغربية والشرقية، وأخذت تستخدمه السلطات المحلية ذريعة لقتل الحريات وتمرير السياسات، وإن كان بوش وابن لادن وجهين لعملة واحدة (وهي ظاهرة العنف والعنف المضاد) فإن ذلك لا يخدم أحدًا من الغربيين أو من المسلمين، ثم يعرض المؤلف في الفصول الباقية من الكتاب قضية المسلمين في فرنسا، خاصة مسألة تمثيل المسلمين الفرنسيين ومسألة الحجاب، أما مسألة تمثيل المسلمين فقد كافح المسلمون -كما يقول المؤلف- ليجدوا لهم ممثلا شرعيا يمكن للحكومة الفرنسية أن تتعامل معه، حتى جاء وزير الداخلية نيكولا سركوزي الرئيس الحالي لفرنسا في عام ٢٠٠٣ بمشروع تمثيل المسلمين، وظهرت الاستبيانات والإحصاءات في الصحف الفرنسية التي توضح أن المسلمين الفرنسيين يرون أن الإسلام يتوافق مع القوانين الفرنسية، وأن أغلب المسلمين لا يرون تعارضا بين الإسلام والقانون، أو بين الإسلام والديمقراطية أو بين الإسلام والحرية، وأُنشئ لأول مرة المجلس الفرنسي لدور العبادة الإسلامية (CFCM)، ولم يعد مسجد باريس هو الممثل للمسلمين في فرنسا، كما كان منذ أكثر من خمسين عاما، وظهر في هذا التمثيل كثير من المنظمات الإسلامية خاصة (اتحاد المنظمات الإسلامية) القريبة من الإخوان المسلمين، والذي مثل أغلبية في هذا المجلس، ثم ظهرت بعض المشكلات بين الطلاب في المدارس كعدم ظهور روح المساواة بينهم، خاصة بعدما خشي كثير من الفرنسيين على العلمانية ذاتها أن يلتهمها المسلمون الفرنسيون، مما جعلهم يبحثون عن مشكلة تحيي الصراع مع المسلمين الفرنسيين لكي يحجّموا دورهم السياسي الصاعد، فأوجدوا مشكلة أو مسألة الحجاب، على اعتبار أن الحجاب خطر على الفتيات الصغيرات، ولكونه إشارة رمزية تتحدى قانون العلمانية، الذي يحظر ممارسة الشعائر الدينية في المدارس، وربما كان لهذا القانون مقصد آخر، وهو إشاعة الخوف من المسلمين الذين غزو الشارع الفرنسي. وأصبحت مؤسساتهم الدينية والاجتماعية لا تخطئها عين، فأخذ آلان جريش يحلل المسألة من جميع الزوايا التاريخية والاجتماعية والسياسية، ويبحث عن مبررات للعلمانية أحيانا، ويتهمها بالضعف وعدم القدرة على مجابهة حجج المسلمين أحيانا أخرى، ويدافع في كل الحالات عن الحريات العامة للفرنسيين - مسلمين كانوا أو غير مسلمين - والكتاب على كلٍ وجبة دسمة لمن أراد أن يطلعَ على صراع المسلمين الغربيين من أجل إثبات وطنيتهم الغربية، دون أن يتخلوا عن هويتهم الإسلامية، وكفاحهم الشريف ضد الظلم، وجهادهم الكبير لنيل حقوقهم وحقوق نسلهم المشروعة.

الكتاب وجبة دسمة لمن أراد أن يطلع على صراع المسلمين الغربيين من أجل إثبات وطنيتهم دون أن يتخلوا عن هويتهم الإسلامية



إعداد : علي الحربي

إطلاق النسخة النهائية من برنامج كلمة السر



كشفت شركة Agile Web Solutions عن النسخة النهائية من برنامج Password١ وهي Password١ ٢,٩,٨ والذي تم تصميمه لحفظ كل كلمات السر التي يدخل بها المستخدم على المواقع الالكترونية المختلفة، ليمكنه من الدخول عليها باستخدام كلمة سر موحدة.
ويتعامل البرنامج مع معظم المتصفحات Fire fox و Omni Web، Camin و Safariويتوافر البرنامج بنسخة مناسبةIPhone عبر متجر iTunes الالكتروني، كما يحتوي على خواص لمقاومة التصيد الاحتيالي.
ويأتي التعديل الأخير من البرنامج بمجموعة كبيرة من التغييرات يصل عددها إلى ٢٣ تغييرا، تتضمن تحسين قائمة البرنامج وظهور قوائم فرعية جديدة.

جوجل تستكشف أعماق البحار عبر خدمتها «أوشن»

قدمت شركة جوجل خدمتها الجديدة لتقديم صور ثابتة ومتحركة لأعماق البحار والمحيطات على كوكب الأرض، من خلال الجيل الجديد من برنامجها جوجل إيرث تحت اسم «جوجل أوشن».
وأعلنت الشركة الأميركية عن الإصدار الجديد من الجيل الجديد لجوجل إيرث، ويحمل اسم جوجل إيرث ٥ في مدينة سان فرانسيسكو الأميركية.
وقال آل جور الذي يشغل مقعدا في مجلس إدارة جوجل: لن تستطيع فقط تكبير صورة أي جزء من سطح الأرض لكي ترى أدق التفاصيل، ولكنك تستطيع أيضا الغوص في أعماق المحيطات التي تغطي نحو ٣ أرباع كوكب الأرض، واستكشاف العجائب التي لم يكن في المقدور الوصول إليها في الإصدارات السابقة.

وإلى جانب إمكانية مشاهدة أعماق المحيطات، رحب آل جور بالقدرة التي سماها التصوير التاريخي التي تتيح للمستخدمين مشاهدة أرشيف تاريخي لصور الأقمار الصناعية، مما يتيح لهم رصد التغييرات التي تحدث على كوكب الأرض.



وهناك خاصية أخرى في الإصدار الجديد تمكن المستخدم من القيام بجولات سياحية في أي منطقة من كوكب الأرض، مع وجود راو يحكي عن طبيعة وتاريخ المكان، كما أن الجيل الجديد مزود بخاصية عرض صور ثلاثية الأبعاد لكوكب المريخ بالتعاون مع وكالة أبحاث الفضاء والطيران الأميركية ناسا.

CTL٢go أحدث كمبيوتر لوحي من انتل



طرحت شركة انتل العالمية حاسبها الجديد CTL٢go أو ما يطلق عليه النسخة اللوحية من حاسب Classmate PC الذي تنتجه ضمن مشروع حاسبات المدارس.

والحاسب يحمل شاشة عرض قياسها ٨,٩ انش، تعرض صورة بدقة ١٢٠٠×٦٠٠ بكسل، وهي قابلة للدوران حول محورها وتدعم اللمس ومزودة بمستشعر للوضع والحركة.

ويعمل على ضبط الصورة المعروضة على الشاشة تلقائيا الى الوضع الأفقي أو الرأسي وفقا لوضع الحاسب.

ويتمتع الحاسب بمعالج Intel Atom ١,٦GHz، ذاكرة ١GB ويتوافر خيار بذاكرة ٢GB وقرص صلب تقليدي بسعة ٦٠GB.

«محمول» بخاصية التعرف على المواقع الجغرافية

أطلقت شركة HTC هاتفها المحمول من طراز Footprints بخاصية التعرف على المواقع الجغرافية، كتحديث لطراز بالاسم نفسه بإمكانات أكثر تطورا وتصميم أكثر أناقة.

ويقدم الهاتف لأول مرة خاصية HTC Footprints التي تمكن المستخدم من تسجيل اللحظات الخاصة بالتقاط صور رقمية أو بطاقات بريدية رقمية على الهاتف.

ويمتاز الهاتف بشاشة TFT-LCD ٢,٨ بوصة تعمل بتقنية اللمس، وكاميرا ٣,٢ ميجا بكسل، ويعمل بنظام تشغيل Professional Windows ٦,١ Mobile وقد زودت الشركة الهاتف بذاكرة ROM ٥١٢ ميجابايت، وذاكرة RAM ٢٥٦ ميجابايت، مع إمكانية إضافة بطاقات الذاكرة micro SD



نسبة المحتوى العربي على الإنترنت ٠,٥٪



أعلن مسؤولون في مركز التراث الحضاري والطبيعي في مصر أن حجم المحتوى العربي على الإنترنت لا يتعدى نسبة ٠,٥ في المائة من المحتوى العالمي للشبكة العالمية.

وأشارت دراسة للمركز إلى أن نسبة التراث العربي والإسلامي المسجلة على الشبكة العالمية لا تتجاوز نحو ١٦,٥ في المائة مما تم تسجيله على قائمة التراث العالمي، وهو ما يتناقض بصورة كبيرة مع حجم الإسهامات التي قدمتها الثقافة والحضارة العربية والاسلامية على امتداد تاريخ الإنسانية.

وأشارت الدراسة إلى أن المحتوى العربي الرقمي على الانترنت يمكن تقسيمه إلى (تراثي- فني- معرفي- خبري- ومجتمعي)، داعية إلى إثراء المحتوى العربي على الإنترنت للحفاظ على هوية وتراث العالم العربي للأجيال القادمة، خاصة أن المحتوى العربي لا يتعلق بالماضي وحده، وإنما بالمعاصر أيضاً.

إعداد : هالة محمد

تكنولوجيا جديدة للقضاء على ميكروبات الطعام

احيانا يكون الطعام سببا في اصابتك بالمرض، وقد يتطور الامر الى حالات اكثر صعوبة من شأنها ان تقضي على حياتك.
فالميكروبات القاتلة توجد في كل مكان، بما في ذلك الطعام، ولكن الطب الحديث لم يغمض عينيه امام هذه المخاطر، فانبرى العديد من العلماء في كل انحاء العالم يبحثون عن وسيلة شافية لقطع الطريق على هذه الميكروبات والقضاء عليها قبل ان تصل الى معدة الانسان.
يتوفر حاليا سلاح فعال ومجرب في القضاء على البكتيريا الضارة بانواعها المختلفة، من دون الحاجة الى مواد كيماوية او درجات حرارة عالية لا تقتل الميكروبات وحسب، وانما تقضي على القيمة الغذائية للطعام في الوقت نفسه.
هذا السلاح هو عبارة عن طريقة لمعالجة الطعام، ولكن بواسطة «الضغط العالي»، حيث يعرض الطعام قبل تسويقه الى درجة الضغط الجوي ويؤثر هذا الضغط في المواد الغذائية من كل جوانبها، ويمنع



البكتيريا من الحركة والتنفس فتموت في الحال.
هذا النوع من التكنولوجيا الجديدة جرى اختباره على انواع مختلفة من اللحوم ومنتجات الحليب والفواكه والخضراوات.
وقد حافظت هذه الاطعمة على قيمتها الغذائية بصورة ايجابية ولم تتغير محتويات خلاياها الغذائية، اي جزئيات اللون والطعم والبروتينات.

«أبوفيس» زائر خطـ

في الفضاء الخارجي توجد ملايين، وربما مليارات، الاجسام التي تطوف بين الكواكب والنجوم بمسافات مختلفة، بعضها كبير الحجم، وبعضها الآخر صغيره.
ومن بين هذه الاجسام الجرم الصغير الذي يدعي بـ «ابوفيس» المشتق اسمه من اله الشر الفرعوني القديم Apophise.
ويبلغ طوله في المعدل ٣٩٠ مترا، اي ما يعادل طول برج ايفل في باريس، والمسافة التي يدور فيها تتبع المسافة التي تدور فيها الأرض، وهذا يعني انه يبعد عن الارض اقل من ١٥٠ مليون كيلومتر.
وحسب الافتراضات العلمية، فان «ابوفيس» ربما يهدد الأرض في ١٣ ابريل عام ٢٠٢٩، حيث سيقترب منها الى مسافة ٣٠ الف كيلو متر، واذا ما اصطدم بالارض فان هذا الاصطدام سيعادل انفجار ١٠٠ الف قنبلة نووية من القنابل التي اسقطت على هيروشيما.
والعلماء حاليا ليسوا متأكدين من كونه

بقايا الأقمار الصناعية

يبلغ عدد الاقمار الصناعية التي ترُسل الى الفضاء الخارجي سنويا نحو ٦٠ قمرا، منها ما يتراوح بين ١٠ و ١٥ قمرا، تستقر في خط المسافة الذي يدعى Geostacional.
لذلك فان الفضاء الخارجي لم يعد طريقا معبدة في وقتنا الراهن، بعد ان امتلأ ببقايا مختلف انواع الاقمار الصناعية الخاملة، وايضا معدات الصواريخ الناقلة للمركبات الفضائية، وغيرها من النفايات الأخرى.
وهذه الاجسام يمكنها ان تدمر، ليس فقط الاقمار الصناعية التي تطلق الى الفضاء تباعا، وانما ايضا المركبات الفضائية المختلفة، بما في ذلك تلك المركبات التي يؤمل اطلاقها لاغراض سياحية في المستقبل.
وقد نبهت الى هذه المخاطر العديد من مراكز ووكالات الفضاء، ومنها المحطة الدولية للفضاء (Iss).



وحسب الدراسات الفضائية العلمية، يوجد في الفضاء الخارجي حاليا نحو ٣٣٠ مليون جسم من النفايات التي تنتشر وتتحرك في مختلف الاتجاهات حول الارض، وتتفاوت احجام هذه الاجسام بداية من المليمتر الواحد، وهي اجزاء من منظومة الصناعات الفضائية التي ارسلها الانسان الى الفضاء الخارجي، وهي الآن عبارة عن نفايات، وتشمل بقايا الاقمار الصناعية والصواريخ المحروقة والمعدات المختلفة كأجسام المركبات او المحركات او غيرها.

ـــــريهدد كرتنا الأرضية



سيعاود الاقتراب من الارض في عام ٢٠٣٦، وأن اقرب موعد للتأكد من كل ذلك سيكون عام ٢٠١٣، فالمراقبة لهذا الكوكب ستكون حينئذ واضحة بحدود ٩٧ في المائة، وسيجري التأكد من زيارة هذا الجرم الشرير الذي لم يفتأ يحوم حول كرتنا الارضية.

لكن العلماء يعملون حالياً لابتكار وسيلة ناجحة لايهامه او ابعاده عن الأرض وتجنب هذا الاصطدام.

كائنات القطب الجنوبي في خطر بسبب ارتفاع الحرارة

ربما تكون كائنات مثل عناكب وقنافذ البحر التي تعيش فقط في المياه التي تقترب درجة حرارتها من التجمد، اكثر الكائنات المهددة على سطح الأرض جراء ظاهرة الاحتباس الحراري العالمية التي تؤدي الى ارتفاع درجة حرارة مياه المحيط الجنوبي.

والحيوانات الغريبة الموجودة في قاع البحر حول القارة القطبية الجنوبية والتي عزلتها التيارات الباردة لملايين الاعوام من اقل الكائنات التي خضعت للدراسة في العالم.

والآن يجد العلماء في القطب الجنوبي دلائل مثيرة للقلق على انها لا تتحمل سوى نطاق ضيق من درجات الحرارة، بينما ارتفعت درجة حرارة المياه نحو درجة مئوية في السنوات الخمسين الماضية بالفعل.



حيوانات متحجرة في أبوظبي

أعلن فريق اثري اماراتي اميركي اكتشافه عظاما لطائر كبير منقرض تعود الى ٨ ملايين عام، وفكَّ فيل يحتفظ بشكله الاصلي الى جانب فكين لحصان بدائي في «ابوظبي».

وقال محمد خلف المزروعي مدير عام هيئة «ابوظبي» للثقافة والتراث للصحافيين مؤخراً، ان «فريقا من متحف ييل بيبودي للتاريخ الطبيعي التابع لجامعة ييل في الولايات المتحدة، يجري منذ منتصف الشهر الماضي بحوثا مع ادارة البيئة التاريخية في الهيئة حول تركيبة طبقات جيولوجية مترسبة غنية بالبقايا الحيوانية المتحجرة تم اكتشافها في المنطقة الغربية في ابوظبي».

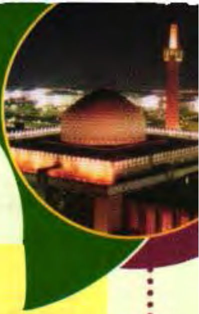


وأضاف: «عمل الفريق الذي يقوده الدكتور اندرو هيل وفيصل بيبي من جامعة ييل طيلة شهر كامل في ابوظبي لمسح مواقع البقايا الحيوانية المتحجرة ورسم الخرائط الخاصة بها، وتبين ان تاريخ هذه المواقع يعود الى حوالي ٦-٨ ملايين عام ابان العصر المعروف بالميوسيني (العصر الجيولوجي الثلثي الاوسط) المتأخر».

وأشار الى ان المراجع العلمية تؤكد ان «ابوظبي في تلك الحقبة كانت اكثر اخضراراً من الواقع الراهن، وتتمتع بالانهار المتدفقة الزاخرة بحيوانات الكركدن والزرافات والخيول والظباء والنعام».

ولفت الى ان نتائج البحث في الحفريات كشفت عن «فك فيل يحتفظ بشكله الاصلي الى جانب فكين لحصان بدائي (يعرف بالهيباريون) وهيكل عظمي لتمساح، وعظام لطائر كبير منقرض من فصيلة النعام ترجع الى عصر الميوسين قبل ٨ ملايين عام.

واعلن المزوعي ان «فريق البيئة التاريخية التابع للهيئة يعمل حاليا على انجاز مشروع شامل لاعداد الخرائط لكل مواقع البقايا الحيوانية المتحجرة في ابوظبي».



لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

■ أرجو الإفادة عن حكم قراءة الإمام في الصلاة من المصحف

إن قراءة القرآن من المصحف في صلاة التراويح وقيام الليل وغيرها من النوافل جائزة، ولا تبطل الصلاة، والأولى لمن يحفظ أن يقرأ عن ظهر قلب، ولا يعتمد على القراءة من المصحف، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت يؤمها عبدها ذكوان من المصحف، رواه البخاري تعليقا، أما قراءة القرآن من المصحف في صلاة الفرض فلا تجوز.

■ بناء مسجد من الميراث دون موافقة جميع الورثة

إنه ما لم يكن هناك وصية من المورث فلا يجب على الورثة أن يبنوا له مسجدا، ولكل وارث أن يأخذ حقه من التركة، وله أن يتبرع إن شاء.

■ هل يجوز إخراج الزكاة بحساب الحول على التاريخ الميلادي؟

إن الزكاة تجب كل عام قمري، لأنه هو الحول المعتبر شرعاً فإذا كانت الميزانية تعد على السنة الميلادية فيمكن مراعاة الفرق بين العامين القمري والميلادي، وهو (١١ يوماً تقريبا) ومن طرق مراعاة ذلك أن تحسب نسبة الزكاة (٢,٥٧٧٥) بدلا من (٢,٥) في المائة حيث تعطى هذه الزيادة فرق الأيام بين السنتين.

■ بيع وشراء الستلايت (الدش)

إن الأصل في الأشياء الحل، وإن للوسائل حكم المقاصد، فإذا كان الغرض من اقتناء هذه الأجهزة وبيعها والاتجار بها أمرا مشروعا كمشاهدة الأخبار العلمية والمستجدات العالمية فانه لا مانع شرعاً من اقتنائها لهذا الغرض المشروع، شأنها في ذلك شأن كل الأجهزة التي يمكن استخدامها في الخير والشر، كالتلفزيون والفيديو والراديو، وأما إذا كان الغرض من اقتنائها النظر إلى الأفلام المحرمة أو جلب فتنة تضر بالأخلاق والقيم الإسلامية الفاضلة أو تؤثر على العقيدة الإسلامية فإن اقتناءها حينئذ لهذا الغرض محرم شرعاً لما تجره من مفاسد. كما يكون الاقتناء والاستعمال محرمين فيما إذا غلب الاستعمال المحرم على الاستعمال المباح أو كان ما يستقبل بواسطة هذه الأجهزة من مباح مختلطا مع المحرم بحيث لا يمكن تفاديه أو صرف الأبناء عن مشاهدته فيكون محرما سدا للذريعة المفضية إلى الحرام إفضاء غالبا، وخاصة مع عدم خضوع البرامج المستقبلة عبر هذه الأجهزة للرقابة الرسمية. وتهيب اللجنة بأولياء الأمور أن يحرصوا على استعمال هذه الأجهزة استعمالاً شرعياً مفيداً، وألا يتركوا الفرصة لأبنائهم وبناتهم أن يتابعوا القنوات والمواد الهابطة والمنافية لتعليم ديننا الحنيف.

■ تأجير محل لتزيين النساء

إنه لابد من مراعاة القواعد الآتية في الأماكن التي تقدم فيها خدمات تزيين النساء:

أ - أن يمنع حضور الرجال سواء كانوا من العاملين في هذه الأماكن أو من الرجال المرافقين للراغبات في التزين ولو كانوا أزواجا أو محارم.

ب - التحرز من استخدام المواد النجسة في التزيين.

ج - تجنب أي زينة تحدث تشبها بالرجال.

د - تجنب النظر أو اللمس لما هو عورة من المرأة على المرأة وهو ما بين السرة إلى الركبة.

هـ - ألا يستخدم في هذه الأماكن عاملات عرفن بترويج الفساد أو كشف أسرار المترددات للتزين، على أنه يجب ملاحظة المرأة التي تأتي للتزين إن كان معلوما أنها ستخرج بتلك الزينة متبرجة فإن قيام الصالون بتزيينها حرام لا يحل، لأنه إعانة لها على معصية الله تعالى، ويجوز استخدام غير المسلمات في أعمال التجميل والتزيين، على ألا تطلع من المرأة على عورتها إلا على ما تحتاج إلى كشف حال المهنة، وهو كشف الرأس والعنق والذراعين والساقين بشرط أن تكون مأمونة لا تصفها للرجال الأجانب والأولى عدم استخدام غير المسلمات في مثل هذه الأعمال وغيرها، والاستغناء بالمسلمات عنهن.

وعليه فلا ترى اللجنة مانعا من تأجير أحد فروع الجمعية لهذا الأمر إذا كان منضبطاً بالضوابط المذكورة.

من قرارات المجمع الأوروبي للإفتاء

زواج الرجل بمن زنى بها

الزاني والزانية إذا تابا إلى الله تعالى، وأرادا أن يخرجا من الحرام إلى الحلال، ومن حياة التلوث إلى حياة الطهارة، فزواجهما صحيح بالإجماع، وجمهور الفقهاء لا يشترطون التوبة لصحة النكاح من الزانية، كما روي أن عمر رضي الله عنه «ضرب رجلاً وامرأة في الزنى، وحرص على أن يجمع بينهما»(١).

والحنابلة هم الذين اشترطوا التوبة، لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(النور:٣) أما موضوع العدة وهل يجب على الزانية أن تعتد أم لا؟ ففي هذا خلاف بين الفقهاء.

والذي نختاره هو: ما ذهب إليه الحنفية والشافعية والثوري: أن الزانية لا عدة لها. ولو كانت حاملاً من الزنى، وهو المروي عن ثلاثة من الصحابة الخلفاء، أبي بكر وعمر وعلي -رضي الله عنهم-(٢). وقد استدلوا بالحديث: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»(٣)، ولأن العدة شرعت لاستبراء الرحم حفظًا للنسب، والزنى لا يتعلق به ثبوت النسب، فلا يوجب العدة.

وإذا تزوج الرجل امرأة حاملاً من الزنى من غيره صح عند أبي حنيفة وصاحبه محمد، وعليه الفتوى في المذهب الحنفي، ولكن لا يجوز له وطؤها حتى تضع، لحديث: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسقي ماءه زرع غيره»(٤)

وهذا بخلاف ما إذا كان الحمل من الزاني نفسه، فإن نكاحها جائز باتفاق الحنفية ومن يجوزون نكاحها، ويحل وطؤها عندهم جميعًا إذ الزرع زرعه، والحمل منه

(القرار ٥/٤)

استفادة الهيئات الخيرية من عوائد الحسابات الربوية

عموم المسلمين في الغرب لا يجدون مناصًا من فتح حسابات في البنوك الربوية، ومعلوم أن هذه الحسابات تترتب عليها زيادات ربوية تلحق بحساباتهم، فيجدون أنفسهم بين خيارين: إما ترك هذه الفوائد للبنك، وفي هذا تفويت مصلحة للمسلمين، وربما كانت عونًا لمؤسسات تبشيرية، وإما أن يصرفوها في وجوه الخير العامة، وبما أن الحكم لا يتعلق بعين المال وإنما بطريقة تحصيله أو صرفه، فما كان منه حرامًا فحرمته في حق من اكتسبه بطريقة غير مشروعة، فالذي يحرم في شأن هذا المال الربوي هو أن ينتفع به الشخص لنفسه، أما بالنسبة للفقراء والجهات الخيرية فلا يكون حرامًا.

وبناء على ذلك، فإن المجلس لا يرى بأسًا من أن تسأل المؤسسة الخيرية أصحاب هذه الحسابات أن يمكنوها من تلك الأموال، كما لا يجد فرقًا في تحصيل هذه الأموال من أي جهة أخرى كالمؤسسات والبنوك وغير ذلك.

وينبغي للمؤسسة أن تتحاشى ما وسعها ذكر اسم البنك المتبرع على وجه الدعاية له، بسبب عدم مشروعية أصل عمله

ولا مانع كذلك من أن يفتح حساب خاص تودع فيه تلك الأموال.

الهوامش

(١) أخرجه الشافعي في «الأم» (٣٨/١٠) ومن طريقه: البيهقي (١٥٥/٧) عن أبي يزيد المكي: أن رجلاً تزوج امرأة، ولها ابنة من غيره وله ابن من غيرها، ففجر الغلام بالجارية، فظهر بها حمل، فلما قدم عمر مكة رفع ذلك إليه، فسألهما فاعترفا، فجلدهما عمر الحد، وحرص أن يجمع بينهما، فأبى الغلام. إسناده حسن.

(٢) ذكره محمد بن الحسن الشيباني في «الحجة على أهل المدينة» (٣٨٨/٣، ٣٨٩) عن أبي بكر وعمر، وذكر معنى ذلك البيهقي في «السنن» (١٥٥/٧)، وأخرجه ابن حزم في «المحلى» (٤٧٦/٩) عنهما، كما ذكر (٢٨/١٠) عن عمر ما يدل عليه.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (رقم: ١٩٤٨ ومواضع أخرى)، ومسلم (رقم: ١٤٥٧) من حديث عائشة. ومعنى الحديث (الولد للفراش) أي تابع لصاحب الفراش، وهو من كانت المرأة تحته عندما ولدت،(وللعاهر الحجر): أي للزاني الحرمان والخيبة، ليس له حق في الولد.

(٤) حديث حسن، أخرجه أحمد (٢٠٧/٢٨)، وأبو داود (رقم: ٢١٥٨، ٢١٥٩) والبيهقي (٤٤٩/٧)، ١٢٤/٩

من القواعد الفقهية

المحرم يباح عند الضرورة

إن المحرم يباح عند الضرورة، وفقاً لشرطين لابد منهما: صدق الضرورة إليه، وأن تندفع ضرورته بفعله.

فإذا كان يمكن أن يدفع ضرورته من المباح فإنه لا يحل هذا المحرم، وكذلك إذا لم يتيقن اندفاع ضرورته، فإن هذا المحرم لا يحل.

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (الأنعام:١١٩) وقوله تعالى ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(المائدة:٣)

استثناء: وما حرم سداً للذريعة فإنه يباح عند الحاجة وإن لم تكن ضرورة، والحاجة دون الضرورة.

المكروه عند الحاجة يباح

المكروه دون المحرم يباح عند الحاجة لأن فاعله لا يستحق العقاب ولهذا تبيحه الحاجة، والحاجة التي يستغني عنها الإنسان وإن كان محتاجاً إليها.

مثل: الحركة اليسيرة في الصلاة لغير مصلحتها تباح إذا احتاج إليها.

ملخص القواعد الفقهية - عبد الله بن حميد الفلاسي

إعداد : محمد شفيق

لا شيء أمر من الفقر

قال حكيم لابنه، يابني: أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئاً أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس، كيلا ينقصوك، ولكن اسأل الله من فضله، فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه؟ أودعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف مابه.

أجود أهل الإسلام

١- أجود أهل الحجاز ثلاثة، هم: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وسعيد بن العاص.

٢- أجود أهل البصرة خمسة، هم: عبدالله بن عامر، وعبيدالله بن أبي بكرة، ومسلم بن زياد، وعبيدالله بن معمر القرشي، وطلحة بن عبدالله (طلحة الطلحات).

٣- أجواد أهل الكوفة ثلاثة، هم: عتاب بن وتعاء الرياحي، وأسماء بن خارجة الفزاري، وعكرمة بن ربعي الفياضي.

أخلص العلم وأصوبه

سئل الفضيل بن عياض -رحمه الله- ما أخلص العلم، وما أصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا اكان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكو لله، والصواب أن يكون على السنة.

فصاحة أعرابي

يروى أن اعرابياً ذهب إلى الخليفة المأمون يوماً، وتظلم له من أحد ولاته، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن هذا الوالي لم يترك لي فضة إلا فضها، ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا جليلاً إلا أجلاه، ولا دقيقاً إلا أدقه، وإني أفوض أمري إلى الله ثم إليك، فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته.

من كنوز الحكمة

من طلب عزا بباطل، أورثه الله ذلا بحق.

أطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك.

اتقو الله فيمن لا ناصر له إلا الله.

لا شيء يرفع مقدار الحياة، ويسمو بمعناها قدر صلة الإنسان بالله.

من لم يحب الناس، لم يحب الواحد الخلاق.

الصبر ستر من الكروب، وعون على الخطوب.

إذا ملئ البطن من المباح، عمي القلب عن الصلاح.

إضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب.

بعض النسيان ليس مصدره شرود العقل، وإنما شرود القلب.

احرص ألا تجعل ملابسك أغلى شيء فيك، حتى لاتجد نفسك يوما أرخص مما ترتدي.

- أسمى درجات الإيمان بالله، أن نصل بالعقل إلى معرفة الله.

كن على حذر

أوصى لقمان ابنه فقال: يا بني كن على حذر، من اللئيم إذا أكرمته، ومن الكريم إذا أهنته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الجاهل إذا صاحبته، ومن الفاجر إذ خاصمته، وتمام المعروف بتعجيله.

لغة الزهور

إن للزهور لغتها ورونقها وجمالها، فهي على الصدر أناقة، وعلى الرؤوس أكاليل وإكبار، وعلى الموائد قلائد، وهي في اللقاء ترحيب، وفي الأفراح يمن وإقبال، وهي للمرضى دعاء ورجاء، وفي الوداع ذكرى ووفاء، وعلى القبر عبرات ورثاء.

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أحمد

أفقياً:

١- حشرة طائرة، لم يستح الله تعالى أن يضرب مثلاً بها (البقرة:٢٦) - نوع من الحيوانات مسخ الله عليها المعتدين من اليهود (المائدة: ٦٠).

٢- أكثر نحافة - نوع من الحيوانات، شبه الله فرار الكفار من النبي ﷺ، وما يدعوهم إليه كفرار تلك الحيوانات من الأسد (المدثر:٥٠) (معكوسة) - ثلاثة أرباع: جناح.

٣- الإرهاق من العمل (معكوسة) - نوع من الحشرات غير الطائرة، تعجب من قول إحداها سيدنا سليمان عليه السلام، حيث دعت أترابها للدخول الى مساكنها، خشية أن يحطمها النبي وجنوده، بلا قصد (النمل:١٨) (معكوسة).

٤- إله - نوع من الحشرات الطائرة سلطها الله على فرعون وأتباعه (الأعراف:١٣٣) (معكوسة) - تكلم بفكاهة.

٥- تقوى - من الحروف.

٦- حرف جر - اسم عام لنوع من الحيوانات طلب الله من الناس النظر إليها، والتدبر في كيفية خلقها (الغاشية:١٧) - نوع من الحشرات سلطها الله على فرعون واتباعه (الأعراف: ١٣٣).

٧- تتفتح في الربيع - انشقاقه من علامات الساعة.

٨- من أسماء الأسد (المدثر: ٥١) (معكوسة) - طائر أتى سيدنا سليمان عليه السلام بنبأ من سبأ باليمن، مفاده وجود قوم يعبدون الشمس هناك من دون الله، وهم قوم الملكة بلقيس ملكة سبأ، والتي أسلمت في النهاية مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين (النمل:٢٠).

٩- متشابهان - حيوان أنثى، وهي جنس من فصيلة البقريات، أمر الله سيدنا موسى عليه السلام أن يأمر اليهود بذبحها، ثم يضرب بجزء منها أحد القتلى، فيرتد حياً، وينبئ عمن قتله، فماطل اليهود النبي، وما كادوا يفعلون! (البقرة: من الآية:٦٧).

١٠- طائر بعثه الله أمام قابيل، وجعله ينبش في الأرض، لكي يعلم قابيل كيف يواري جثة أخيه هابيل الذي قتله (المائدة:٣١) (معكوسة) - نوع من الحشرات الطائرة، ضرب الله بها مثلاً، مفاده ان الذين يدعوهم الكفار من دون الله لن يستطيعوا خلق مثل هذه الحشرات الصغيرة ولو اجتمعوا لذلك الأمر (الحج:٧٣) - نصف وسوس.

١١- حيوان كان على رأس جيش أبرهة حين أراد هدم الكعبة، وباسمه سمي العام الذي ولد فيه الرسول محمد ﷺ (الفيل:١) (معكوسة) - لم ينم.

١٢- صنف من نوع من الحيوانات فدى الله به سيدنا إسماعيل عليه السلام من الذبح على يد أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام، تنفيذاً لرؤيا من الله، وقد ذكر الله اسم هذا الحيوان بلفظ ذبح (الصافات: ١٠٧) - اسم عام لكل وحش، حرم الله علينا أكل شيء قتله (المائدة:٣) - حيوان يعيش بأعالي البحار، متعدد الأنواع والأحجام، ومنه نوع هو أكبر المخلوقات قاطبة، وهو الملقب بـ «الأزرق»، حيث يصل طول بعض أنواعه الى ٣٣ متراً، أي إذا افترضنا ان هذا الحيوان وقف على ذيله القوي أمام مبنى مكون من ١١ طابقاً، فإنه يستطيع ابتلاع شخص يقف على سطح هذا المنزل! وقد أمر الله احد هذه الحيوانات البحرية أن يبتلع سيدنا يونس عليه السلام، ولكنه أمره ألا يخدش له لحما، أو يكسر له عظماً (الصافات: ١٤٢، والقلم:٤٨).

رأسياً:

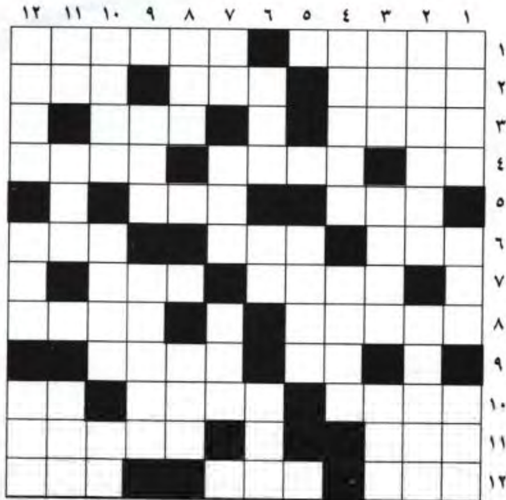
١- ابتدأ بعمل شيء- نوع من الزواحف تحولت إليها عصا سيدنا موسى عليه السلام (طه:٢٠) - حيوان كان مصاحباً لأهل الكهف (الكهف: ١٨-٢٢)(معكوسة).

٢- دويبة من رتبة العنكبيات، لها ثمانية أرجل، وستة عيون، ضرب الله بها مثلاً، مفاده أن الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل تلك الدويبة اتخذت بيتاً، وهو أوهن أنواع البيوت، حيث من المفترض أن يكون البيت ذا أمن ورحمة بين ساكنيه، وهذا مفتقد في بيوت هذه الدويبات. (العنكبوت:٤١) - الريب (مبعثرة).

٣- طين - منصب سياسي كبير (معكوسة) - حد (معكوسة).

٤- مخلوقات صغيرة برمائية، سلطها الله على فرعون واتباعه، (الأعراف: ١٣٣) - زرعه (معكوسة).

٥- أبجل.



٦- متشابهات - حب القمح - حيوان من الفصيلة الكلبية زعم كذباً إخوة سيدنا يوسف عليه السلام لأبيهم سيدنا يعقوب عليه السلام أنه أكل أخاهم (يوسف: ١٣).

٧- عقل (معكوسة) - حيوان ضخم ذكر، ضرب الله به مثلاً، مفاده أن الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا لن يدخلوا الجنة حتى يدخل هذا الحيوان من سم الخياط، أي: الإبرة (الأعراف: ٤٠) - متشابهات.

٨- نوع من الحشرات الطائرة أخرج الله من بطونها شراباً مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس (النحل: ٦٨) - رجل (معكوسة).

٩- متشابهات - مفره.

١٠- أتم عملاً بصورة طيبة (معكوسة) - نوع من الحيوانات مسخ الله على هيئتها المعتدين من اليهود (المائدة:٦٠)، والبقرة:٦٥، والأعراف: ١٦٦) - ضد برد (معكوسة).

١١- عملة اليابان - نوع من الحيوانات ذكرها الله في سورة (الأنعام: ١٤٣) (معكوسة) - من الحروف.

١٢- حيوان كان يصاحب عزيرا، أماته الله معه مائة عام، وعندما احيا الله عزيرا، أمره أن ينظر الى بقايا جثة هذا الحيوان، وكيف يعيده الله الى الحياة مرة أخرى أمامه (البقرة:٢٥٩) (معكوسة) - قبر - جزء من الدولار.

المراجع:

١- القرآن الكريم.

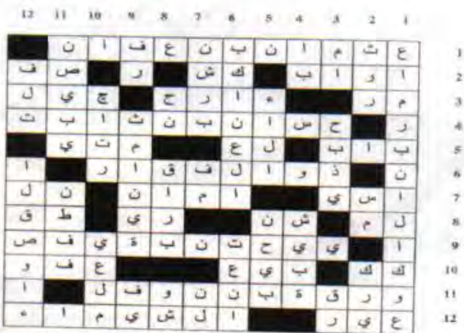
٢- عجائب العنكبوت - د.كارم السيد - دار الصحوة - القاهرة.

٣- عالم الحيوان بين العلم والقرآن - عبدالرزاق نوفل - أخبار اليوم - القاهرة.

٤- مختار الصحاح - الإمام محمد بن أبي بكر الرازي - مكتبة لبنان - بيروت.

٥- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - القاهرة.

حل العدد السابق



	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
1	ع	ث	م	ا	ن	ب	ن	ع	ف	ا	ن	■
2	ا	و	ا	ب	■	ك	ش	■	ر	■	ص	ف
3	م	ر	■	■	ه	ا	ر	ح	■	ج	ي	ل
4	ر	■	ح	س	ا	ن	ب	ن	ث	ا	ب	ت
5	ب	ا	ب	■	ل	ع	■	■	م	ت	ي	■
6	ن	■	ذ	و	ا	ل	ف	ق	ا	ر	■	ا
7	ا	س	ي	■	■	ا	م	ا	ن	■	ن	ل
8	ل	م	■	ش	ن	■	■	ر	ي	■	ط	ق
9	ا	■	ي	ي	ح	ت	ن	ب	ة	ي	ف	ص
10	ك	ك	■	ب	ي	ع	■	■	■	ع	ف	و
11	و	ر	ق	ة	ب	ن	ن	و	ف	ل	■	ا
12	ع	ي	ر	■	■	ا	ل	ش	ي	م	ا	ء

الشواذ والمنظمات العالمية لحقوق الإنسان

كاميليا حلمي

في الوقت الذي ينتفض فيه العالم للمجازر التي ارتكبت أخيرا ضد شعب فلسطين الأعزل، وقد بلغ النساء والأطفال نصف ضحايا تلك المجازر.. وتعلقت الأنظار بمنظمات حقوق الإنسان الدولية التي طالما رفعت شعارات حقوق الإنسان، كانت تلك المنظمات في واد آخر، إذ اجتمعت كبرى المنظمات العالمية لحقوق الإنسان وأشهرها على الإطلاق؛ لتضع معًا مسودة بيان يطالب بضمان الحقوق كافة للشواذ، على المستوى الدولي، القانوني والتشريعي، وقد ساندت هذا البيان ٦٦ دولة.

وقد طالب الشواذ في هذا البيان باستبدال مصطلح الشواذ(Homosexuals) الذي صار يغضب الفئات المختلفة من الشواذ لأنه يعبر -وفقا لقولهم- عن فئة واحدة فقط، وهي فئة الشواذ من الرجال Gays، أما باقي الفئات (الشاذات، ومتعددو الممارسات، والمتحولون) فلا يجدون أنفسهم في هذا المصطلح، لذا قرروا استبداله بمصطلح (LGBT)، حيث يرمز كل حرف فيه إلى نوع مختلف من الشواذ، كما يتم التعبير عن الشذوذ بمصطلحي «الهوية الجندرية» (Gender Identity)، و«التوجه الجنسي (Sexual Orientation)، وقد بنت تلك المنظمات الحقوقية العالمية بيانها الذي ألقته أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٨م، على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يقر بأن حقوق الإنسان مكفولة للجميع بالتساوي.

ولأول مرة في تاريخ الجمعية العامة للأمم المتحدة، يتم إلقاء مثل هذا البيان وأمام وفود العالم أجمع، وقد شارك في صياغته كل من البرازيل، وكرواتيا، وفرنسا، والجابون، واليابان، وهولندا، والنرويج، وألقته الأرجنتين أمام الجمعية العمومية.

ومن ورائها ائتلاف تشكل من أكبر المنظمات الحقوقية العالمية التي شاركت في صياغة البيان؛ والذي ضم كلا من (أمنستي إنترناشيونال Amnesty International)، (هيومان رايتس ووتش Human Rights watch)، (مركز القيادة العالمية للنساء Women's Global Leadership)، (اللجنة الدولية لحقوق الشواذ والسحاقيات IGLHRC)، (المؤسسة العالمية للسحاقيات والشواذ ومتعددي الممارسات (ILGA)، وغيرها من المنظمات الحقوقية التي تتبنى حقوق الشواذ.

وفي إصرار على إجبار كل دول العالم -مهما اختلفت ثقافاتها- على إدماج حقوق الشواذ ضمن قوانينها الوطنية، يقول ممثل برنامج مراقبة حقوق الإنسان للشواذ (LGBT) من هولندا بوريس ديدريتس «عالمي تعني عالمي.. وليس هناك أي استثناءات»، ويقول أيضا «يجب على الأمم المتحدة أن تستخدم القوة لوقف العنف والانتهاكات، فلم يعد هناك مكان لأنصاف الحلول حين يتناول الأمر حقوق الإنسان»، ويدين البيان ما أسماه بـ «التمييز والاستبعاد والوصمة والانتهاك والاعتقال والحرمان من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية» بسبب الهوية الجندرية، والتوجه الجنسي، وذلك في إشارة إلى القوانين الحالية في كثير من الدول التي تحرم وتجرم فعل الشذوذ، وتتعامل مع الشواذ باعتبارهم منحرفين ومنحلين خلقيًا.

بقي أن نعرف أن هذا البيان صاغته المنظمات الحقوقية، وتمكنت من الضغط على دول العالم لتوقع عليه، حتى وقعت عليه ٦٦ دولة في العالم حتى الآن، حتى لا ننخدع بادعاءات تلك المنظمات بدفاعها عن حقوق الإنسان، ولندرك الخطر الحقيقي لها.

ويكمن خطر هذه الأجندة في كونها «كالسوس» ينخر في الأساس القيمي والأخلاقي للمجتمعات، وقد مثل في العصور السابقة حائط الصد الذي مكن الشعوب من صد العدوان، ودحر المستعمر عبر مئات السنين، أما إذا ما أطلق لهذا السوس العنان، فالمسألة تكون مسألة وقت، ثم ينهار البنيان، وتنهار المقاومة، ويصبح من السهل جدًا على المحتل أن يدخل بلادنا ويعيث فيها فسادًا، ولن يجد من شبابها أي مقاومة تذكر، فقد انشغل هذا الشباب في إشباع شهواته، وغرق في بحر الملذات المحرمة، ولم يعد لديه الاهتمام بل مجرد الرغبة في الخروج منه.



العدد (٥٢٤) ربيع الآخر ١٤٣٠هـ - إبريل ٢٠٠٩م

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



الشيخ الأديب أحمد غنام الرشيد في ذمة الله

الصحة بين التراث والحداثة

الإسلام في سكند لايف

العطاء الحضاري للإسلام

التدابير الوقائية لحفظ كيان الاسرة



التنوع الثقافي في ظل العولمة

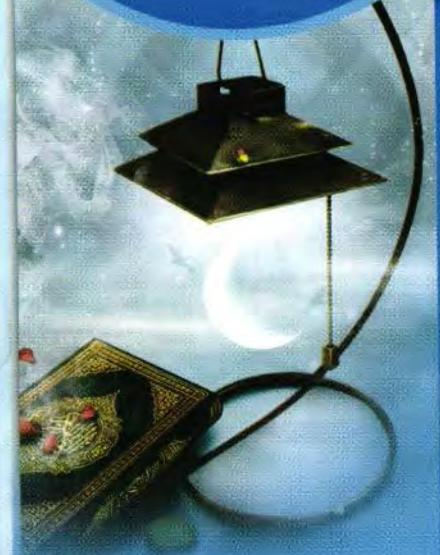
مجالس السماع .. مفخرة الكويت

من إصدارات مكتب الشئون الفنية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



الإصدار الثالث لكتاب الخطب المنبرية لوزارة الأوقاف يحتوي على ٥٥ خطبة لعام ٢٠٠٧م
من إعداد اللجنة النموذجية لإعداد الخطبة لتحقيق الأهداف العامة الموحدة





ورثة الأنبياء

العلماء ورثة الأنبياء، وهم قدوة الأتقياء، وصفوة الأولياء، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، وهم سراج الأمة وضياؤها بلا مراء، يبينون لها الأحكام، ويفرقون بين الحلال والحرام، ويخرجونها بفتاواهم من الآثام، ويوضحون شرائع الإسلام، وهم الموضحون والحافظون لما جاء من المنقول، وهم الداعون إلى ملته ﷺ، الذابون عن شرعه وسنته.

والعالم كالعين العذبة نفعها دائم، وكالغيث حيث وقع نفع، وكالسراج من مر به اقتبس.

وموت العلماء ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
فإن يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن نأى عاد في أكنافها التلف

فالعلماء الأثبات والأئمة الثقات والمفتون القضاة هم الذين نقلوا أحكام الرسالات، فهم الرؤساء في كل الحالات، ولهم في الدنيا شرف الولايات، وهم أهل الحل والقصد والرئاسات، بهم تفهم العبارات.

أوجب الله تعالى على العباد، وعلى الحكام الذين مكنهم في البلاد، طاعة العلماء، فهم النور الذي يستضيئون به، وهم ورثة الأنبياء، وفي تبيين الشرع والفرض أمناء.

وقد عرف الحكام للعلماء حقوقهم، وسلكوا بأفعالهم طريقهم، ومهدوا الأرض للعلماء، لأنهم العارفون بما يجب من رعاية حقهم، فقدروهم قدرهم، وشدّوا بهم أزرهم، وتواضعوا للعلم والعلماء.

وقد نجم في هذا الوقت ناجم، وهجم على العلماء هاجم، باللوم والعقوق، وإهمال الشرائع والحقوق، مع أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار مُنتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب.

فعلى الكل أن يحسنوا الظن بحملة القرآن، وبالقائمين بالعلم والتقوى والبرهان، وأن يجلوهم على مر الزمان، وأن يرفعوا قدرهم على كل الإخوان، فوجودهم زيادة في الإيمان، وسعادة في البلدان وعمارة للأوطان، وصلاح للرعية والسلطان، فينبغي إعانتهم على ما هم فيه من الشان.

وقالوا: جالس العلماء، فإنك إن لم تعمل بعلمهم، أخذت من أخلاقهم، وإن لم تأخذ من أخلاقهم، نزلت الرحمة وأنت فيهم.

إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء.



رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٤

العام السادس والأربعون

ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ

ابريل ٢٠٠٩ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



هل تختلف الصحة في الماضي عن الصحة في الحاضر؟ وأيهما أفضل في التمريض اليوم؟ وهل فرَّغ الطب النبوي من محتواه بفعل فاعل؟ وهل الطب الحديث ألغى تراث العلماء في العصور السابقة؟

داخل العدد

كلمة العدد

الحوار بين العالم الإسلامي واليابان

تولي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية اهتماماً خاصاً بقضايا الفكر الإسلامي بعدما أخذت على عاتقها بناء أرضية فكرية خصبة في العالم الإسلامي من خلال عقد المؤتمرات والندوات والفعاليات.

وقد عقدت الوزارة أخيرا ندوة الحوار الحضاري بين اليابان والعالم الإسلامي باعتبار أن الحوار بين الشعوب سنة اجتماعية يتقوى بها العمران الإنساني، وتسهل سبل التعاون والتعايش وتبادل المصالح لتسمو بالحوار من مقام الجدال النظري والبحوث النخبوية الى ممارسة تستوعب مختلف جوانب الحياة.

وسلطت الندوة الضوء على موضوع البيئة من خلال الموروث الثقافي لكل من الجانبين، والتعرف على الخبرات في التعامل مع البيئة ومكوناتها ودراستها وعرض نماذج تلك التجارب وطرح مناقشة التحديات التي يلقاها العالم في مواجهة التلوث البيئي، والعمل على صياغة أدوات وأساليب عملية في التعاون بين الجانبين.

الوعي الإسلامي

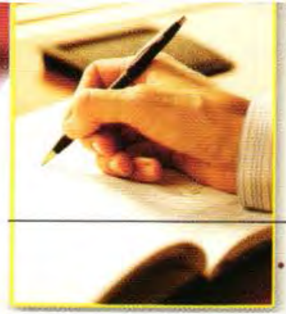
الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



بدعة اسمها «دار للمسنين»

من أهم أسباب عمارة الدنيا الترغيب في المقاصد الصالحة وتعاطي الأسباب التي تقتضيها الحكمة الربانية ليعلم المسلم ما له من خير فيرغب فيه وما يسبب له الشر فيتجنبه، ومن رحمة الله بعباده ان جعل بعد شكره تعالى شكر الوالدين، فقال عز وجل ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾(لقمان:١٤)، وقد قال سفيان ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقب كل صلاة فقد شكر لهما فما بالنا بمن نسي والديه على الاطلاق فتركهما وحيدين فيما يسمى بدار المسنين، شاعرا بأنه قام بكل واجباته نحوهما بهذا النفي لهما من حياته، فكل منا تدور عليه الدوائر، فكيف يحدث هذا بيننا نحن المسلمين وديننا دين الرحمة ورسولنا رحمة مهداة، وقد قال ﷺ «من لا يرحم لا يرحم» وقال «لا يدخل الجنة قاطع رحم»، فهذا عين الافساد في الأرض لأن الفساد لا يقتصر على مجرد فعل الفواحش بمعناها المحدود ولكنه ايضاً يحوي هذا الجرم في حق والدينا، فيرتكب العاق لوالديه كبيرة من أكبر الكبائر فقد روي أن النبي ﷺ قال لأصحابه «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور»، فمن العجب هذا الخلل الرهيب الذي يجتاحنا، والتغريب لشرعنا وقيمنا لهدم صرح الأسرة المسلمة وكسر دعائمها في الوقت الذي نعمل فيه على ترسيخ شرعنا في نفوس ابنائنا فنجد من يعبثون بتلك الفضائل بدعوى التقدم الحضاري ويجاهرون بأفكارهم المسمومة بتقليدهم الأعمى للغرب والذي أكثر ما يبهره الترابط الأسري للمسلمين، ولا أدري ما وجه الاستدلال على شرعية ذلك العمل المشين الذي يتسبب في خسارة الدنيا والآخرة، فلقد قدم رسول الله ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله عندما سئل أي العمل أحب الى الله - عز وجل فقال: «الصلاة على وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله»، كما ان برهما في حد ذاته جهاد، وقد سأل رجل النبي ﷺ الجهاد فقال: ألك ابوان؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد، فتجريدنا من اسلامنا وهويتنا ردة حضارية وليس تقدماً ولا علواً، فلا يقول قائل إن الواقع مرير والحياة صعبة ومن يتواطأ معه في هذا يشاركه الذنب، فالدين حرص على بر الوالدين واقاربهما واصدقائهما حتى بعد وفاتهما لكي يبسط الله لنا الخير في ارزاقنا ويستجاب دعاؤنا، فلعلنا نواجه هذا التيار الجارف لمخاطر العولمة فننقذ القيم الشرعية لابنائنا، فهم الفروع التي يسهل كسرها بتضليلهم بعد محاولة خلع جذور آبائنا من بيوتنا، وليعلم العاقون لآبائهم ان بعض مشرفي دور المسنين لا يتقون الله في الآباء والأمهات، فلا يقدمون لهم الرعاية المستحقة على الرغم من المقابل المادي الكبير، فلم تكون الشكوى بعد أن تخلى عنهم أرحامهم، فأرجو من الله عز وجل زيادة الاهتمام والرقابة ليلاً ونهاراً من المسؤولين عن تلك الدور، وان تخصص كل اسرة مسلمة من وقتها ولو القليل لزيارة هؤلاء الكرماء فلا نتخلى جميعاً عنهم، أكرمنا الله وإياكم.

■ هدى الكاشف

فنزويلا

فنزويلا، لقد صنعت باليهود ما صنعت.. وأبقيت على قلة منهم حتى يعرف العالم ويتأكد لماذا قمت بالقضاء على اليهود.. أهل الشر والفساد في الأرض (هذا ما قاله هتلر).

أول مرة أعرف ان فنزويلا دولة عربية! أو هي اكثر عروبة من العرب أنفسهم عندما قطعت علاقتها بالدولة الصهيونية وطردت السفير الإسرائيلي من بلادها!

والسؤال: ما السر الذي جعل بعض زعماء الدول العربية حتى الآن يتمسكون بالعلاقات مع أقذر الدول إسرائيل؟ هل هو الخوف؟ أين الكرامة؟ هل هي المصالح الشخصية؟ لقد أكدت إسرائيل في أكثر من موقف أنها لا تحترم أحدا وآخر هذه المواقف موقفها مع تركيا! هذه الدول العربية فقدت شخصيتها وتأثيرها ووزنها واحترامها أمام شعوبها. المعروف عن إسرائيل أنها لا تحترم عهوداً أو مواثيق، نحن لا ندعو الى الحرب، نحن ندعو الى العقل، وهذا ابسط مطلب شعبي يقره العقل.

ما السر وراء كل هذا التخاذل والضعف؟ هل وراءه شيء آخر لا نعرفه نحن الشعوب؟ نريد معرفته الان وبسرعة.

■ علي سليم

افتحوا باب الاجتهاد

لقد ساعد إغلاق باب الاجتهاد في تآكل الجانب العقلي في الإسلام ونمو الجانب الغيبي فيه.
ونحن نعرف أن في الإسلام أكثر من جانب واعجازه هو التوازن المدهش بين جوانبه كلها فلا ينمو جانب الإيمان بالغيب على جانب اعمال العقل ولا ينمو الجانب العقلي على حساب الإيمان بعالم الغيب.
وبهذا التوازن يلعب الاسلام دوره في الحياة ويعيد تغيير الانسان لتمكينه من أداء مهمته كخليفة في الأرض.
وقد أدى اغلاق باب الاجتهاد الى ابتعاد الاسلام عن بعض القضايا المعاصرة، الامر الذي جعل هذه القضايا بمنجاة من رقابة الاسلام وهيمنته.
مثلاً ألقي في روعنا أن الاسلام يقف ضد الفنون، ايضاً أبعد الإسلام عن مجال الاقتصاد والمال، وايضاً قيل ان الاسلام عقيدة لا علاقة لها بالحكم ولا تتدخل فيه.
ولقد كانت النتيجة المنطقية لهذا كله ان العالم الاسلامي يعيش عالة على الغرب او الشرق ويتبنى انظمة الاقتصاد الغربي ويحكم طبقاً لنظم الفرد.
من هنا نشأ التناقض بين الفرد المسلم وبين المجتمع وساد الغلو في الدين او التفريط فيه، فإذا نحن امام شباب يحكم بتكفير المجتمع، او امام شباب يلحد عن اصول دينه ويرعى بعقله في حقول الغرب.
وليست سيادة نزعات التكفير أو الالحاد الا وجهان لعملة واحدة هي أزمة التوجيه الإسلامي وهي ازمة ترجع جذورها الى ما قبل الاجتهاد.
ونحن نحسب ان عودة الاجتهاد الى عرشه كفيلة بحل كثير من المشكلات التي تواجه المسلمين اليوم.

■ محمد السيد عامر

هارون الرشيد ظلمه التاريخ

لم يظلم التاريخ أو المؤرخون أحداً بقدر ما ظلموا الخليفة العباسي هارون الرشيد بن المهدي، فقد أغرقوا في القول ونسبوا اليه ما هو بريء منه، حتى أصبح للناس ولع شديد بهذا الاسم، وسماع ما يقال عنه من الروايات الكاذبة المختلفة التي دوّنها الأقدمون.
فراحوا يتهمونه بالترف والبذخ والاسراف وبالأعمال الكثيرة التي هو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.
ولم يكتف هؤلاء الرواة بتشويه ذلك الاسم العظيم، بل راحوا يتناولون الكلام الخيالي عن زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد وعن العباسة أخته، ولو أن في القوانين ما يحاسب هؤلاء لقال القضاء في غير هوادة: إنهم خونة كاذبون.

■ محمد السحرتي

فلسطين نبع فياض للمبدعين

كان الأدب ومازال بفنونه وأساليبه مصاحبا لمحنة أهلنا في فلسطين، وأعظم دور يؤديه الأدب هو المواكبة والمباركة والمعايشة وتمجيد البطولات وإلهاب الحماسة وتعبئة الشعوب للتعايش مع أهلنا في القدس وأكنافها، ويعتبر الأدب من أعظم وأخطر وسائل الإعلام، حيث يرى العالم أجمع من خلال فنونه القضية عبر شاعر بروائع تصويره وخياله ورسام بلمسة فنية رائعة من خلال ريشته وقصاص بحبكته الفنية ومصور بآلته ونحات بأدواته.
فالحركة الأدبية كي تمنح نفسها الحياة الخالدة يجب ان تكون قريبة من دنيا الناس، تعظم فيهم الفضائل والمبادئ والقيم وتحط من شأن الرذائل والمفاسد والشرور وتعيش الألم بصدق وتعبر عنه بكل شفافية وحيادية، ويوم يحدث هذا تجد كل الطوائف والشرائح على اختلاف مشاربها وثقافاتها تقبل على الأدب وابداعات أصحابه قارئة ومعايشة لابداعات المبدعين ومن هذه الزاوية أجد فلسطين قد استقطبت الأدباء رغماً عنهم.
لكنه الاستقطاب الرائع الجميل الذي منح تلك الفنون الحياة الخالدة الطاهرة.. ألف تحية ثم ألف تحية لفلسطين الحبيبة، فلا جدال أن فلسطين، والاقصى، والقدس، والأرض المباركة، تمثل نبعا متفجرا للابداع واصحاب الاقلام الطاهرة، فمنذ زمن والكتاب يكتبون – ومازالوا – مقالات وقصصا وروايات تهز الجبال وتحرك الساكن، فالكتاب يقفون أمام هذا النبع المتدفق مشدوهين.. من اين يبدأون، وعن اي شيء يتحدثون، فنهر الدماء الحارة يجري وآهات الثكالى، وتبدو بقايا الديار واطفال شبه عرايا وارامل رسمت على وجوههم مرارة الحزن الدفين.



يقف الكتاب أمام هذه الصور المعبرة ليرسم لنا بقلمه ملامح المأساة لعالم مات قلبه، وجمدت مشاعره ويعبر بقلمه حتى يكاد القلم يبكي على الحال.

■ محمد أبوعيد

الشيخ الأديب أحمد غنام الرشيد في ذمة الله

(١٩٢٨ - ٢٠٠٩م)

د. وليد المنيس ود. ياسر المزروعي والشيخ محمد العجمي وفيصل العلي



قبل أيام وفي السابع من شهر ربيع الأول لهذه السنة 1430هـ الموافق 4 مارس 2009 يوم الأربعاء فقدت دولة الكويت والأمة الإسلامية أحد أعز أبنائها وأوفاهم لها ومن آخر علماء الكويت الذين مارسوا الإمامة في أول حياتهم قبل إنشاء وزارة الأوقاف، وكان له دور بارز في الوعظ والإرشاد على مستوى دولة الكويت والأحياء القديمة في ذلك الوقت كالقبلة وشرق والمرقاب وأم صدة، ألا وهو فضيلة الشيخ الأديب أحمد غنام الرشيد الحمود الحنبلي.

اسمه ونسبه

هو فضيلة الشيخ أحمد غنام الرشيد الحمود، المعروف بأحمد الغنام أو بـ «أبوعبدالرحمن» من عائلة كان منهم بعض العلماء قبل قدومهم للكويت في نجد وفي الزبير.

مولده ونشأته

ولد الشيخ في بيت والده بالمرقاب بدولة الكويت عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٨م، وتربى في بيت والده حيث نشأ في كنف ورعاية والديه.

ويقول عن منطقته:

قلبي يحن الى حي ولدت به
حي يقال له بعرف الناس مرقاب

طلبه للعلم

درس الشيخ أحمد كعادة أهل الكويت قديما في الكتاتيب حيث ابتدأ دراسته في مدرسة العثمان في سوق الدعيج التي كان يدرّس فيها الملا عثمان عبداللطيف العثمان وأخوه الملا عبدالله العثمان، وكان يدرس معه أخوه عبدالرحمن الذي يكبر الشيخ أحمد بسنة وتوفي بعدها بسنوات وهو صغير، ثم الى كتاب الملا سليمان العلي الخنيني بالمرقاب فتعلم عليه الكتابة وتصحيح القراءة وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وظل عنده فترة من الزمن، ثم انتقل بعدها الى مدرسة الملا مرشد محمد السليمان، وبعدها فتح المعهد الديني فالتحق به عام ١٩٤٨م، حيث كان ضمن الدفعة الأولى له، ويقول «وكانوا يعطونا ثلاثين روبية مكافأة للطلبة الدارسين بالمعهد الديني».

كما درس على أيدي كثير من علماء الكويت، وممن استفاد منهم الشيخ العلامة محمد سليمان الجراح رحمه الله حيث درس عليه في الفقه من باب الحج، كما درس على الشيخ محمد أحمد الفارسي متن الأجرومية في النحو مع شرحها، ودرس متن الرحبية وشرحها في الفرائض عند الشيخ عبدالرحمن الدوسري، وكذلك اصول الفقه عنده، ويقول رحمه الله «مازلت احتفظ بمذكرة الاصول في مكتبتي» كما درس على الشيخ أحمد عطية الأثري.

عمله

يقول الشيخ رحمه الله أنه عمل أولا مؤذنا في مسجد العجيري المعروف الآن بمسجد الغربللي قرب مبنى البلدية، وكان ذلك عام ١٩٤٨م، ثم انتقل الى مسجد الوزان في المرقاب مؤذنا، وبعدها اصبح خطيبا في مسجد دسمان عام ١٩٥٢م، وكان عمره آنذاك ثلاثة وعشرين عاما، وكان أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح رحمه الله، وصاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح أمير البلاد الآن حفظه الله يحضران خطبة الجمعة في المسجد نفسه.

ثم تم تعيينه إماما في مسجد ابن بحر، وموقعه مقابل ادارة الجمارك عند قصر السيف على شارع الخليج العربي، وهو اول مسجد في الكويت واقدم مساجدها، وقد جدده المحسن عبدالله الابراهيم وعرف بمسجد الابراهيم قبل اكثر من مائة سنة، ثم جاءت وزارة الاوقاف وهدمته ورفعته ووضعت تحته دكاكين لكي يوازي منطقة بهيتة، ومن تاريخ ١ اغسطس من عام ١٩٥٧م كان الشيخ فيه اماما حتى عام ١٩٦٢م، وبعدها تمت ازالته لتوسعة شارع الخليج.

ثم انتقل الى مسجد العجيري مرة أخرى كإمام له، وبعدها اصبح اماما وخطيبا في مسجد قطعة «٦» بالفيحاء، وذلك عام ١٩٦٢م، ثم الى مسجد الحداد مقابل البنك التجاري، وبقي به اماما سنوات عدة، وفي عام ١٩٦٧م رجع الى مسجد العجيري وبقي به اماما لمدة احدى عشرة سنة حتى تقاعد في عام ١٩٧٨م، وقد خدم في وزارة الاوقاف مؤذنا واماما وخطيبا ثلاثين سنة، كما انه كان يقوم بدل الشيخ العلامة محمد سليمان الجراح خطيبا في اوقات مرض الشيخ محمد فكان يخطب في مسجد الساير، وبعدها في مسجد المطير بضاحية عبدالله السالم بدل الشيخ محمد وذلك حتى عام ١٩٩٦م.

كما قام بالتدريس في مدرسة الملا سليمان

> **عرف بدماثة الخلق وتواضع العلماء وشغفه بطلب العلم وسعيه لفعل الخير وقضاء الحوائج**

الخنيني، وكذلك في مدرسة تابعة لجمعية الاصلاح حيث درس القرآن الكريم وبعض الأمور الواجبة في الفقه كالعبادات.

وله حلقات مسجلة في إذاعة دولة الكويت في مجالس رمضان للشيخ عبدالله خلف الدحيان وهي في ثلاثين حلقة.

مكتبته النادرة

له مكتبة عامرة بالكتب الكثيرة والمتنوعة في جميع العلوم، وفيها طبعات قديمة، فيقول عن نفسه: «أنا كونت مكتبة علمية لا بأس بها أقرأ فيها وانهل من العلم لانني احب القراءة واجمع كل كتاب قيم واشتريه لأقتنيه».

التواضع ولطف المعشر

كان رحمه الله تعالى لطيف المعشر، فهو صاحب طرف ونكات مع وقار لا يخرجه عن سمته المعتاد فيدخل السرور على جلسائه بما يختاره لهم من قصص وحكايات يتخللها ابيات من الشعر الذي قد تكون وليدة لحظتها، وربما رد على احد محدثيه بنفس سؤاله بسجع غير متكلف، مع ابتكار وتفنن طبيعي، من اجل ذلك كان مجلسه لا يمل.

حبه للعلم ومشايخه وطلبته

كان الشيخ أحمد رحمه الله يحب العلم ويحبب محدثيه اليه، ويدعو الى طلبه ويذكر مشايخ العلم بأحسن ما يذكر عنهم، ويوجه طلبة العلم اذا رأي منهم نجابة وفهما، ولا يبخل عليهم بالنصح، ويزودهم بنوادر الكتب والمراجع، او ربما عرضها عليهم بأقل من سعرها الحقيقي تشجيعا لهم على اقتنائها، فمن ذلك اذكر انه اهداني نسخة نادرة من كتاب «صحيح الإمام البخاري»، قديمة جداً - غلافها جلدي له زوائد تطوى حوله - لا تقدر عندي بثمن، واهداني نسخة نادرة «للاختيارات العلمية» للبعلي، وهي اختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية كما هو معلوم، وآخر ما تسلمته منه قبل دخوله المستشفى كتاب «الكوثر الجاري الى رياض احاديث البخاري» في مجلدات عدة.

قوة ذاكرته

امتاز الشيخ أحمد بقوة ذاكرة يسرت له - بعون الله - استرجاع الحوادث والأخبار التي مرت به أو حدثت في الكويت وما حولها بدقة واضحة فيذكرها كما لو أنه حديث عهد بها، وكم مرة سألناه عن علماء واخبار وحوادث فيجيب بثقة ووضوح، كان آخرها لما كان على فراش مرضه الأخير رحمه الله في المستشفى الاميري، عندما سألته عمن زار الكويت من علماء الاحساء من عائلة الملا، فأجاب وبدد كل شك في ذلك رحمه الله.

زياراته العلمية

حرص الشيخ رحمه الله على القيام بزيارات علمية كل فترة، خاصة عندما كان في قوته حيث زار المدينة المنورة، وحضر مجالس المشايخ ومن أشهرهم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، ووصف حاله وعلمه وحليته وترحم عليه، وكذلك زياراته لعنيزة في فترة تواجد العلامة الشيخ محمد العثيمين، وكان يحضر صلاة الجمعة معه إذا توافق ذلك، وكان يختار نوادر المؤلفات من مكتبات عنيزة، ويأتي بها الى الكويت، كما زار علماء الاحساء في زيارة جمعته مع الاخوة المشايخ فيصل العلي وياسر المزروعي ورائد الرومي حيث مروا على مشايخها من آل ملا، والعفالق، والمبارك، والسماعيل وغيرهم ... وزياراته لعلماء الشام كذلك.

سعيه لفعل الخير ونفع المحتاجين

كان الشيخ أحمد رحمه الله قبل أن يقعده المرض، من الذين يسعون في قضاء حاجات المعوزين، فكان يوزع عليهم الزكوات والصدقات ويتنقل بنفسه من مكان الى مكان ليضمن تسليم الزكوات الى اهلها، وقد تشرفت بالذهاب معه لهذا الغرض اكثر من مرة، وقد أمنه اهل الزكاة فكانوا يسلمونه جزءاً من زكواتهم ليوزعها بمعرفته على مستحقيها، فكان يوزعها بأمانه ودقة، وكان يقول دائما: «انظر الى المستحقين خاصة من عنده بنات فانهن احوج من غيرهن، وذلك لحفظهن من تعريض انفسهن لأي شر اذا ما ظهرت حاجاتهن» لهذا كان يخصص لهن كثيراً لمعرفته بحاجاتهن.

من شعره

لآلــئ تـخـلـيـد لحـبــر مـبـجـل
هـو الشـيـخ عـبـدالله ذاك السميدع
لقـد صـاغـهـا صـوغ الخبـيـر محمد
الى ناصر العجمي في الاصل يرفع
أبــان بـهـا يـا صــاح خـيـر مـنـاقـب
لـشـيـخ المـعـالـي والخـلائـق تجـمـع
مـحـمـد لا شـلـت يمـيـنـك مــن فتى
فـأنـت لـفـعـل الخـيــر ورد ومـنـبـع
فـسـفـرك عـقـد فـوق صـدر مليحة
تــلألأ نـــوراً فــي الـدجـنـة يـلـمـع
لـقـد كـنـت فـي مـسـعـاك بـرا مـوفـقـا
روائــح عـطـر الـصـدق فـيـك تـضـوع
جــزاك الــذي أولاك خـيـر جـزائـه
فـلا زلـت بـالـعـلـيـاء تـرقـى وتـطـمـع
فأنـعـم وأكـرم مـن فـتـى زانـه التقى
عـلـى سـنن الأسـلاف مـاض ومـزمـع
مـحـمـد مــن لـلـعـلـم كــرس وقـتـه
فـمـن كـل بـحـر لـلـمـعـارف يـكـرع
لـقـد زانـــه جـد وحـــزم وحـنـكـة
فيشفيك في التحقيق لا يتصنع
حكى الصدق مختاراً ودون تكلف
أتـى بـسـطـور فـي الحـقـائـق تـصـدع
مـنـاقـب عـبـدالـلـه جـلـى كـثـيـرة
فـمـا طـالـهـا المحـصـون حـين تـتبعوا
تـقـي حـلـيـم عـالـم مـتـورع
ففي معضل التحكيم هاد ومرجع
وأحيا دروس العلم بعد اندراسها
وليس له في ذي الدنا قط مطمع
مـواعـظـه كـانـت دواء وبـلـسـماً
لها في سويدا القلب وقع وموقع
رسـائـلـه در يـتـيـم مـنـضـد
وألـفـاظـهـا لـهـي الـلـجـين المـرصـع
فـعـنـه فـسـل أهـل المحـبـة والـوفـا
تجدهم لعمر الحق بالمدح أجمعوا
ويكفيه إجماع الورى في امتداحه
فـإن قـام يـدعـو الـنـاس فالكل يسمع
فـكـان رؤوفـــا بـالـفـقـيـر حـيـاتـه
وصـولاً لحـبـل الـود حـاشـاه يقطع
فـذا الحـبـر عـبـدالـلـه بـدر زمـانـه
فـذكـراه بـين الـنـاس بـالـنـور تسطع
وصـــلِّ الــهــي بــكــرة وعـشـيـة
عـلـى أحـمـد المخـتـار فـهـو المشفع
على الآل والأصحاب خير بني الورى
وتـابـعـهـم مــن لـلـشـريـعـة يـتـبـع
بعدّ الحصى والرمل ما وابل همى
وما صاح طير السعد في الأفق يسجع

وفاته

وبعد أن ركبت له بطارية للقلب خرج من المستشفى بعد ثلاثة أسابيع، وكان قد شفي مما أجلسه في المستشفى وفي صباح يوم الاربعاء خرج من المستشفى كعادته ماشيا، وبعد ان وصل الى البيت اخذ في الاغتسال من آثار المستشفى، وبعدها توفي رحمه الله، وكان خبر وفاته فاجعة لاهله واقاربه واحبابه وطلبته القريب منهم والبعيد، فرحم الله الشيخ أحمد الغنام واسكنه أعلى فراديس الجنان.

العلامة الهاشمي في حوار خاص:

مجالس السماع تضع الكويت على خريطة الريادة في العلوم الشرعية

حوار: عبادة نوح

أكد العلامة الشيخ عبدالوكيل الهاشمي أن مشروع مجالس الاستماع للمسانيد والسنة يعد احياء لذكرى المحدثين، باعتباره وسيلة لحفظ سنة النبي ﷺ وشريعته الغراء.

وقال إن وجود ثلة من العلماء الملمين بالحديث والاسناد يتطلب جلوس طلبة العلم على عتبات مجالسهم للمدارسة لتصل إليهم السنة كما جاءت عن النبي المصطفى ﷺ. وأوضح ان الامة الاسلامية اليوم تعيش في تراجع بسبب بعدها عن الدين، حتى إن بعض المسلمين بات لا يعرف أبجديات دينه من الفروض والعبادات. وأشاد الهاشمي بدولة الكويت لاحتضانها هذا المشروع الرائد في المنطقة العربية، داعياً القائمين عليه إلى الحرص على عمل اسطوانات أو كتيبات أو ملخصات لهذه المجالس لنشرها في أمصار الأرض لتعميم الفائدة.

«الوعي الإسلامي» حاورت الشيخ .. واليكم نص الحوار:



طلبة العلم مطالبون بالجلوس على عتبات مجالس العلماء لمدارسة علوم الشرع

■ ما دور مجالس الاستماع للسنن والمسانيد؟

- بداية نود أن نسدي الحق لأهله، فأول من أحيا هذه السنة الحسنة في الكويت مدير مكتب الشئون الفنية في وزارة الأوقاف آنذاك فيصل يوسف العلي - رئيس التحرير الحالي - عندما سمع بهذا المشروع في رحلة الحج، فتحمس لنقل هذه التجربة لتعم الاستفادة لطلبة العلم والباحثين الشرعيين.

فهذه المجالس تعد إحياء لذكرى المحدثين، لاسيما أن مجالس الاستماع في العصور السابقة كانت تحيى بأكثر من ٤٥٠ ألف طالب علم، ليستمعوا لكلام خير البرية ﷺ لينفعهم في الدنيا والآخرة.

■ لكن الواضح أن دورها تقلص في ظل تواجد الجامعات والمؤسسات العلمية في عصرنا الحالي.. كيف ترون ذلك؟

- نعم، تقلص الى حد ما، ولكن هذه المجالس لها فوائد علمية وعملية لا توجد في الجامعات، مثل مراجعة أحاديث الرسول ﷺ والمرور عليها وتفقهها ومعرفة بعض الأحكام، وحفظ بعضها، فمثلاً عندما أقرأ ألف حديث، فإني أحفظ خمسين حديثاً، كذلك تكرار الأحاديث يساعد على المداومة على الصلاة على رسول الله ﷺ، وأخيراً رحب النبي المصطفى ﷺ بطالب العلم، والملائكة تحب طالب العلم، وحتى الحيتان تدعو لطالب العلم، فما أجمل ان يكون لسان المسلم رطباً بقول رسول الله ﷺ.

■ هل تقتصر المجالس على مجالات الحديث النبوي الشريف؟

- المعروف هو مجالس الحديث، ولكن يمكن أن تكون هناك مجالس في الفقه باعتباره طريق العمل، فالرسول ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين» (صحيح البخاري)، وهي كذلك تعين على استنباط المسائل من الأحاديث النبوية.

■ يلاحظ أن المحدثين في عصرنا قل عددهم واتجهوا الى العلوم العصرية..

بماذا تفسر ذلك؟

- هذا الأمر واضح للعيان، ذلك لقلة العلماء وطلبة العلم، ولكن توجد ثلة من العلماء الثقات الملمين بالحديث والإسناد، ما يوجب الجلوس على عتبات مجالسهم لمدارستها كما جاءت عن النبي المصطفى ﷺ.

■ كيف يمكن لطالب العلم أن يجاز في مجالس الاستماع؟

- يذهب طالب العلم الراغب في التعلم للشيخ المجيز، فيقول أجزني في الاستماع الى المسانيد والسنن ليكون لي عالي الاتصال بهذه السنن، فلا بأس بذلك شرط ان يكون لديه خلفية عما يسمعه.

■ كيف ترون واقع الأمة الإسلامية اليوم؟

- حال الأمة اليوم لا يسر أحدا، فنحن نعيش في تراجع بسبب بعدنا عن الدين، فلا بد ان ندرك حقيقة هذا الشيء، فخريجو الجامعات اليوم لا يعرفون فروض الصلاة، ولايعرفون ابجديات أمور الدين، ولكن في أمور الدنيا متميزون ومبدعون، لذلك فهذا الأمر يوجب على العلماء أن يرشدوا المسلمين الى طريق الصلاح والفلاح، كذلك ينبغي على وسائل الاعلام - ومنها مجلتكم - كتابة المقالات لتصحح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وتنير دروب الهداية والسعادة الحقيقية.

أيضاً لا بد من قيام الأئمة والمؤذنين في المساجد بالعمل جدياً على توعية المصلين بأمور دينهم بعد كل صلاة ليفقهوا شؤون أمتهم.



ضرورة إيجاد مجالس استماع لكتب الفقه باعتبارها طريق العمل

■ ما رأيكم في دور دولة الكويت في الاهتمام بالعلوم الشرعية؟

- تميزت الكويت عن باقي الدول باحتضانها مشروع مجالس الاستماع للمسانيد والسنن، بداية من الكتب الستة حتى آخرها سنن الدارمي يرحمه الله.

وأقترح في هذا الشأن أن يحرص القائمون على هذا المشروع بعمل اسطوانات أو كتيبات أو ملخصات لتوزيعها على طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها، لتعميم الفائدة، ولتشويق الناس بالحرص على حضور هذه المجالس.

■ كلمة أخيرة لعموم المسلمين.

- يجب على كل مسلم الاستمرار في الجهاد بأشكاله المختلفة، لأن القابض على دينه اليوم كالقابض على الجمر، وعلى المسلم ألا يلتفت إلى الشبهات والفتن والاتهامات.

ترجمة موجزة للشيخ

هو الشيخ أبو خالد عبدالوكيل بن الشيخ عبدالحق الهاشمي، ولد سنة ١٣٥٧هـ درس في بداية حياته في بلدة جلال بور بملتان.

ثم رحل مع والده الى مكة المكرمة حيث عين والده مدرساً في المسجد الحرام وذلك لمكانته العلمية، ثم التحق بمدرسة تحفيظ القرآن في مكة المكرمة وبعدها في مدرسة دار الحديث في دار الأرقم وعمل مدرساً بالمسجد الحرام باللغة الأردية وهو يجيد عدة لغات، الأردية والسريكية والبنجابية قراءة وكتابة.

وقد أخذ عن جمع كبير من العلماء على رأسهم والده الشيخ عبدالحق الهاشمي والشيخ عبيدالله الرحماني تلميذ صاحب تحفة الأحوذي، والشيخ عبدالسلام البستوي، ولقي جمعا من العلماء وأجازوه كالشيخ أحمد شاكر والشيخ عبدالرزاق حمزة وقد قرأ عليه بعض مجلدات من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، والشيخ عبدالرحمن المعلمي والشيخ سليمان بن حمدان وغيرهم.

وقد درس عدة مرات الكتب الستة ومسند الإمام أحمد والسنن الكبرى للبيهقي وغيرها.

وله مؤلفات ومصنفات منها: عناية الباري في ضبط مواضع اسماء الرجال في صحيح البخاري، وانعام الباري في معجم احاديث شيوخ البخاري، والحطة في معظم احاديث شيوخ الأئمة الستة، والبحر الزاخر فيما روى البخاري في جامعه عن شيخه بواسطة شيخه الآخر وغيرها.

وقد قرأ عليه الكثير من طلبة العلم حفظه الله ورعاه.

مشروع قراءة وسماع كتب السنة

اختتم مكتب الشؤون الفنية في وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت أخيراً - مجالس قراءة وسماع مسند الامام الدارمي.

ويأتي هذا المشروع ضمن سلسلة مشاريع وزارة الاوقاف بدولة الكويت في الاهتمام بعلم الحديث والسنة النبوية دراية ورواية على مشايخ أجلاء مسندين محدثين، وكانت بداية المشروع الأول في ابريل ٢٠٠٧ وهو مشروع قراءة وسماع الكتب السبعة (البخاري - مسلم - أبوداود - النسائي - الترمذي - ابن ماجة - الموطأ).

وتبعه مشروع قراءة وسماع المسانيد والسنن والمصنفات، وكانت على النحو التالي (مسند الامام أحمد بن حنبل - مسند الإمام الشافعي - مسند الإمام الحميدي - مسند الإمام الطيالسي - الأدب المفرد للامام البخاري).

كما قرئ كتاب الشمائل للامام البخاري، ومقدمة علوم الحديث لابن الصلاح، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر، وكتاب المنتقى للمجد ابن تيمية، والعمدة في الحديث لعبدالغني المقدسي.

وقرئت هذه الكتب على المشايخ المحدثين (ثناء الله المدني - محمد اسرائيل الندوي - عبدالوكيل الهاشمي - محمد المنصور- مساعد البشير).

فالإسناد خصيصة هذه الامة التي شرفها الله تعالى، وسنة بالغة من سنن العلم وآداب المتعلمين.

هذا وقد خص الله تعالى المسلمين بالإسناد دون سائر أهل الملل كلها، كرامة لهم وتفضيلا على من سواهم لأجل حفظ الدين وحراسة المنقول من نصوص الوحيين الشريفين.

وكفي الراوي المنتظم في هذه السلسلة شرفا وفضلا وجلالة ونبلا ان يكون اسمه منتظما مع اسم المصطفى ﷺ في طرس واحد.





وثبت عند اهل هذا الفن انه لا يتصدى لإقراء كتب السنة والحديث قراءة ودراية او تبركاً ورواية الا من اخذ اسانيد تلك الكتب عن اهلها وأتقن درايتها وروايتها، وباحث الأقران فأحاط بمدارك الروايات ووجوهها وعللها، والاسانيد انساب الكتب.

وفائدة حفظ الاسناد بقاء شريعة محمد ﷺ صافية صحيحة لا تشوبها عوامل الغلط والتصحيف ولا تعتدي عليها عوادي الزيف والتحريف، فإنا لم نشاهد النبي ﷺ ولم تصل الينا سنته الا بالوسائط، فلو لم يكن الاسناد اصلا في نقل الخبر والتوثق منه لم تبق الشريعة.

وعلى من يريد أن يكون محدثا ان يقرأ كتب الحديث بحثا ودراية ويسمعها على محدث، ويطالع شروح كتب الحديث وكتب الرجال وغريب الحديث.

ومناهج اهل العلم في دراسة كتب الحديث على عدة طرق، منها: طريقة السرد وهي أن يقرأ الشيخ المسمع أو القارئ مع التعرض للمباحث اللغوية والفقهية وأسماء الرجل وغيرها، فتحصل الدراية والرواية.

ولا يخفى ان تسلسل سماع كتب الحديث وعلومه شرف عظيم وظاهرة علمية، وقد سرد كثير من العلماء هذه الكتب على شيوخهم حتى انهم كانوا يحضرون الأطفال والنساء لعلو الاسناد وبركة السماع.

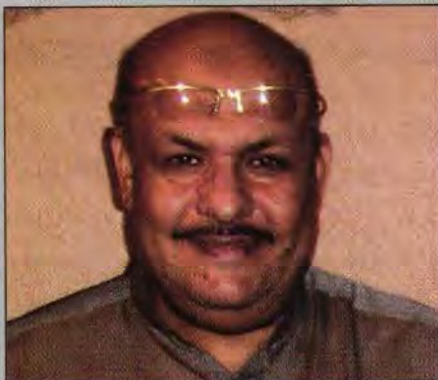
وقراءة هذه الكتب بهذه الطريقة لها عدة فوائد:

١- كثرة ذكر الله بقراءة هذه الدواوين.
٢- كثرة الصلاة على النبي ﷺ.
٣- مراجعة الحفظ لمن كان حافظا لشيء منها.
٤- التدبر والتأمل في الألفاظ النبوية ومعرفة غريبها.
٥- مراجعة الأحكام والمسائل الفقهية.
٦- معرفة الرجال وأنسابهم بذكر الأسانيد.
٧- الدراية العلمية والرواية المتصلة الصحيحة.
٨- إحياء سنة الإسناد والإجازات.
٩- زيادة الرصيد العلمي للبلد وجعله محط الأنظار في اسانيد الكتب التي كانت لا تتحصل إلا بالرحلة في طلب العلم.



وانطلاقا من هذا الباب المهم في العلم والتأصيل ستكمل الوزارة في المستقبل القريب المشروع بسماع كتب مصطلح الحديث ومسند عبدين حميد والمنتقى لابن الجارود ومعجم الطبراني الصغير والسنن الكبرى للبيهقي.

د. عماد عثمان في ذمة الله



فقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في مجلة «الوعي الإسلامي» أحد أبنائها المخلصين، مستشار التحرير السابق د.عماد الدين عثمان أبوزيد الذي وافته المنية قبل أيام قليلة في مصر.

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل داعين الله أن يرحمه ويغفر له ويلهم أهله الصبر والسلوان.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

في دورة المنهجية الإسلامية.. الغرب ليس دائما في المقدمة



رجب الباسل

أكد المشاركون في الدورة العلمية التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة حول منهجية البحث الإسلامية في العلوم الاجتماعية أن على الباحثين والأكاديميين المسلمين العاملين في مجال البحوث الاجتماعية أن يفطنوا لمنهجية البحث الغربية، فضلا عن مناهج وأدوات البحث المستخدمة في تلك العلوم والتي لا تنفصل عن الواقع الذي نشأت فيه.

وأشار المشاركون في الدورة العلمية التي نظمها المعهد لعدد من أساتذة العلوم الاجتماعية في الجامعات المصرية والعربية إلى أن المسلمين يملكون منهجية للبحث نابعة من مصادرهم الإسلامية المعروفة ومن قراءتهم للواقع، كل في مجال تخصصه، وبما لا يعني في الوقت ذاته تجاهل المجهود العلمي الذي قدمه الغرب في هذه العلوم.

أكد د.علي جمعة- مفتي الديار المصرية وأستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر- أن هناك دلالة لغوية لكلمة منهاج، فكلمة منهج ومنهاج ونهج بمعنى واحد في القاموس المحيط، وأضاف فضيلته أن المنهج اصطلاحا، رؤية كلية ينبثق عنها إجراءات، والرؤية الكلية تتضمن النموذج المعرفي وتتضمن العقيدة، وأن الفكر يغذي العلم، وأن الفكر إذا ابتعد عن العلم أصبح أقرب للتلقين.

وأشار المفتي إلى أن الخالق جل وعلا أوحى النموذج المعرفي مشتملاً على المطلق والنسبي، وهو يختلف عن نموذج معرفي يعتمد على النسبي فقط، وأن النظام الأخلاقي إذا قام على النسبي انهار فلا بد أن يكون المطلق موجودا إذا أردنا الأخلاق الرفيعة.

وأوضح أن التعريف الاصطلاحي للمنهج يتمثل في الإجراءات والتي تشتمل على:

- تحديد مصادر البحث، وإلا نحن بإزاء الفوضى.
- طرق البحث متنوعة باختلاف نوع البحث (نقلي، حسي، عقلي، وضعي...).
- شروط الباحث: يفرق بين العلم والمنهج والثقافة العامة.

أما عن مصادر المنهجية، فقد أشار إلى أن المنهجية الإسلامية مردها إلى النموذج المعرفي، ومصادرها النص، ويشمل القرآن والسنة والتراث (ويسمى ذلك النص سواء موحى به أي مقدسا وهو القرآن والسنة، أو كلام المسلمين وهو من كلام البشر)، ثم الوجود الذي قام الغرب باختزال العلم فيه على التجريب، وبالتالي أصبح الإيمان ليس علميا بينما هو في المنهجية الإسلامية مصدر من مصادر المعرفة.

ويرى جمعة أنّ التراث متنوع ويغطي فترة زمنية واسعة، وهو جهد بشري تنتزع عنه القداسة، وأقر العلماء التغيير مع تغير الأشياء الأربعة: الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

منهج وسطي

د.محمد عمارة المفكر الإسلامي تحدث عن معالم المنهج الإسلامي في التفكير والبحث، حيث أشار إلى أن منهج الفكر الإسلامي يعني الاعتدال والوسطية (الجمع بين الفرد والمجموع- بين الذات والآخر- الدين والدنيا)، مشيراً إلى أن المرجعية الغربية قائمة على النسبي المطلق، ولا تأخذ في اعتبارها المطلق، وهذا أنشأ تطرفا في صور كثيرة، وتناول المرجعية وفق المفهوم الإسلامي، وتعرض لقضية المنهج في دراسة القرآن والسنة والتراث فبين أنه عند دراسة القرآن الكريم تثار قضايا طرحها الغرب والمتأثرون به مثل النسخ والتأويل وتدوين وجمع القرآن، وفيما يتعلق بالنسخ أكد عمارة انه لا يعني المحو، وبالنسبة للتأويل قال: إن هناك ضوابط لغوية وعقدية للتأويل، وصل ابن رشد إلى انه لا مجال للتأويل في مبادئ الشريعة لأنها مبادئ إلهية تفوق العقل الإنساني، وأن من يتجرأ في التأويل يجب قتله، وبالنسبة لجمع القرآن يؤكد عمارة أن هناك ٢٨ صحابيا كانوا كتابا للوحي، و٦ من الصحابة جمعوا المكتوب على عهد النبي ﷺ، وأن ما قام به الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه هو جمع الصحائف، أما عثمان بن عفان

رضي الله عنه فقد جمع الناس على حرف واحد، أما منهجية التفكير في التعامل مع السنة النبوية فتقوم على الجمع في العناية بين الرواية والدراية، وان نتعامل معها بمنهاج علماء السنة، والتمييز بين السنة العملية والسنة القولية، وأضاف أن مشكلتنا في التعامل مع السنة وما يسمى مراجعة الأحاديث أننا إزاء هواة وليس علماء، وهذا مجال علم وليس مجال إعلام، ويشترط فيمن يتعرض له الورع والتقوى، وهو ما كان يملكه أحمد بن حنبل، ويرفض ثنائية العقل والنقل التي فرضها الغرب، فمقابل العقل في الإسلام الجنون وليس النقل، وإذا كان يجوز للغرب أن يستخدم مناهجه في مقابل لاهوت، فلا يجوز أن يفرض ذلك على أمتنا.

تطور المفهوم

وفي حديثه عن المنهجية في الفكر الإسلامي أكد د.رائد عكاشة- الأستاذ بجامعة الإسراء الأردنية ومدير تحرير مجلة إسلامية المعرفة- أن المنهجية بدأت من خلال الوحي (قرآن وسنة) يتلقاه الرسول ﷺ وينزله على المجتمع (الواقع)، ومن ثم فمصادر التشريع هي القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم الاجتهاد، وهو تنزيل النصوص على الواقع، وأنه كي ندرك تطور مفهوم المنهج في الفكر الإسلامي نستطيع أن نقيس مدى التفاعل بين المتلقي والمصدر خلال التاريخ الإسلامي عبر العصور المختلفة (عصر التنزيل- عصر الخلفاء الراشدين- عصر التدوين- العصر الحالي) لنلاحظ تصدر القرآن الكريم في العصرين الأول والثاني، ثم بداية اختلال الهرم في ترتيب المصادر في عصر التدوين ليتضح الخلل في الترتيب جلياً في العصر الحالي، وأضاف أننا بحاجة إلى مراجعة موقفنا من مصادر التشريع، وضرورة تقديم القرآن الكريم على ما سواه، وقد كان القرآن الكريم مصدرا للتأمل والتدبر والإدراك واكتشاف السنن ووضع القوانين في المرحلة المتقدمة من التاريخ الإسلامي، وكلما ابتعدنا عن القرآن الكريم كلما ابتعدنا عن المنهجية الصحيحة. وأشار إلى تطور مفهوم المنهج في الفكر الغربي حتى وصل إلى درجة الصراع بين الدين والعلم وسيادة دعوات مثل الهرطقة (الخروج على النص).

رؤية كونية إسلامية

د.عبد الحميد أبوسليمان- رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي- تحدث عن أهمية إدراك الفرق بين الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المتكاملة وبين غيرها من الرؤى الأحادية، وأثر تلك الرؤى على الفكر والبحث والسلوك، وأشار إلى أن الأمة الإسلامية جربت كل النظم من الغرب وفي كل المجالات، وكان الخطاب التقليدي على الجانب الآخر سائدا طول الوقت، لذا لا بد من البحث عن أشياء أخرى يمكن أن نسميها الأصالة المعاصرة، والقدرة الإسلامية في الرؤية الكونية هي البنية التحتية للأمة الإسلامية، والرؤية الكونية مرتبطة بالثقافة لأنه إذا غابت الثقافة ضاع كل شيء، وأضاف أن الأمة الإسلامية ضعيفة ومتخلفة، ووظيفة الفرد (المستخلف) في الأمة الإسلامية هو إبداع الحضارة، وأن المسلم إذا لم يدرك غاية وجوده وهي الاستخلاف فقد ضاع الهدف، ومن أكبر المشاكل التي وقع فيها العقل المسلم متأثرا بالثقافة الإغريقية التعارض بين العقل والنقل، لكن الرؤية الفكرية القرآنية عقلية وفطرية معا، ولا تعارض فيها بين العقل والنقل، وأن مشكلة الأمة أنه لما استولى السياسي على الديني قهر الدين، والمطلوب ألا تستولي السلطة التنفيذية (وهي جزء من النظام) على المقدس؛ لأنها عندما تحتكر الحديث عن المقدس تضعف الدين، ولكن لا بد أن تكون الأمة هي مصدر السلطة للنظام.

د.محمد عمارة: مشكلتنا في التعامل مع السنة أننا إزاء هواة وليس علماء

مدارس المنهجية

الدكتور عبد الحميد مدكور- أستاذ الفلسفة- تحدث عن مناهج التفكير في التراث الإسلامي حيث استعرض مدرستين، هما المدرسة الصوفية العرفانية والمدرسة العقلانية، وأشار إلى أن المنهج العرفاني ليس مطلقا بل هو مشروط ومضبوط، فمن شروطه أن تسبقه مجاهدة طويلة تمر بمرحلتين، الأولى التخلية، والثانية التحلية، وينبغي أن يراعى أن المقصود هنا هو التصوف العلمي لا التصوف السلوكي، وضوابطه ثلاثة: ألا يناقض الشرع، وألا يناقض العقل، وألا يتعارض مع المقاصد العامة وأصول الدين، ويضيف أن الصوفية بذلوا جهدا كبيرا في محاولة إثبات هذا المنهج، فاستدلوا عليه من القرآن الكريم بآيات عدة، ومن السنة النبوية بأحاديث عدة، ودعا المدارس الإسلامية المختلفة إلى الاستفادة من بعضها البعض، والتقييم الذاتي المستمر لخدمة الفكرة الإسلامية بدلا من الهجوم الحاد أو الرفض الكلي لما تقوله كل مدرسة.

تطبيقات المنهجية

د.رفعت العوضي- أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر- قام بتطبيق المنهجية الإسلامية في مجال الاقتصاد، مشيرا إلى أن الغرب يحاول أن يجعل تاريخ العلوم عنده هو تاريخ العلوم للدنيا بأسرها، وحسب تاريخ العلوم الذي كتبه الإنسان الغربي، فإن الفكر الاقتصادي بدأ في الحضارة اليونانية ثم الإغريقية وان العصور الوسطى التي امتدت من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر فترة اضمحلال فكري، وهو ما لم ينطبق على العالم الإسلامي حينها، واستعرض الفكر الاقتصادي عند المفكر المسلم عبدالرحمن بن خلدون في مقدمته التي أسس فيها لمذهب الحرية الاقتصادية حيث دافع عن حرية الإنتاج وعن حرية التبادل، كما كان ضد أن تكون الدولة تاجرا أو منتجا، كذلك كان ضد استخدام أدوات اقتصادية تخل بعمل السوق.

الإسلام في «سكند لايف»

أحمد فتحي

بشرى رسول الله ﷺ بانتشار الإسلام في كل أنحاء العالم تتحقق يوما بعد يوم، ومن تلك البشرى ما يحدث في هذا العالم الجديد «سكند لايف».
إشهار ثلاثة إسلامهم والنطق بالشهادتين، وانتشار المساجد والمراكز الدعوية بشكل مكثف، واستضافة العلماء والدعاة للتعريف بالإسلام وقضايا الأمة، وكذلك التدريب على مناسك الحج خطوة بخطوة.. تلك أبرز ثمار الدعوة الإسلامية داخل عالم سكند لايف الافتراضي الذي يسكنه 15 مليون شخص، بعد القيام بجهود دعوية مكثفة لأفراد ومؤسسات داخل هذا العالم، بحسب رصد لـ «الوعي الإسلامي»، وعزا دعاة وعلماء نجاح الدعوة في سكند لايف للدعوة بالاختلاط داخل هذا العالم، ومعايشة مجتمعات إسلامية، وأيضا تفاعل الداعية المباشر مع غير المسلمين الراغبين في دخول الإسلام.
ويماثل الـ«سكند لايف» في بنائه شكل الألعاب الثلاثية الأبعاد، ولكن ما يميزه إمكانية التفاعل والتعارف بين رواده، والبيئة المصممة للتعايش وإلقاء المحاضرات والتعليم بجانب الترفيه.
وافتتحت وكالة «رويترز» للأنباء مكتبا افتراضيا في هذا العالم، كما سعت دول للحصول على تمثيل سياسي أو رسمي داخل «سكند لايف» كانت أولها جزر المالديف، ثم السويد اللتين افتتحتا سفارتين لهما داخل هذا العالم الافتراضي.

أولى المظاهر الإسلامية، لجوء عدد من المؤسسات أو الأفراد إلى بناء مساجد كبيرة، تحاكي شكلها في الواقع، من أبرزها مسجد «شيبي» الذي يستقبل المئات شهريًا من الزوار لتعريفهم بالإسلام وأركانه وأحكامه، وبناه شاب ألماني بشكل يحاكي تماما مسجد قرطبة الموجود في إسبانيا حاليًا، وقد زينت جدران المسجد بالنقوش الإسلامية، ويحوي محرابا ومئذنة.

ويوجد أيضا مسجد «تسنيم»، وهو مركز دعوي يشرف عليه داعية بريطاني يدعى دراون فيرو، ويقول عنه «هذا المركز أسسته للتعريف بالإسلام...»

وبجزيرة المغرب الافتراضية يوجد مسجد الحسن الثاني الذي يشبه تصميمه في الواقع، وتحتضن جزيرة تركيا بعالم سكندلايف، مسجد السلطان أحمد الملقب بالمسجد الأزرق، وهو من أشهر مساجد تركيا وأجملها، وإضافة إلى الانتشار المكثف للمساجد في عالم سكندلايف، فإن عددا من المؤسسات العربية والإسلامية شرع في شراء جزر افتراضية كمراكز دعوية للتعريف بالإسلام وبرسوله الكريم ﷺ لزوار الحياة الثانية، والرد على الشبهات المثارة حوله في الغرب.

شبكة «إسلام اون لاين.نت» أحد أكبر المؤسسات التي حرصت على الحضور القوي داخل هذا العالم، فقامت بشراء جزيرتين، الأولى خصصت للتدريب على مناسك الحج خطوة خطوة بعد أن أنجزت جميع مناسك الحج بشكل يحاكي الواقع، بداية من الحرم المكي ومرورا بالمسعى (الصفا والمروة) وجبل عرفات ورمي الجمرات، انتهاء بالحلق والتقصير وذبح الأضحية أو الهدي، ويهدف المشروع إلى التدريب على مناسك الحج خطوة بخطوة.

أما الجزيرة الثانية، فخصصت لنقل بعض أدوار الشبكة الدعوية، وتجهز خلالها كل عام خيمة رمضانية، تسعى لنقل أجواء شهر رمضان إلى زوار عالم سكندلايف، ومن أبرزها، البث المباشر لصلاة التراويح من الحرم المكي، وعقد محاضرات لعدد من العلماء والشيوخ، مع إتاحة مائدة الرحمن تحوي أكلات شرقية مختلفة.

وإلى جانب هذه المؤسسة، توجد جزر «إكستروبيا» وهي إحدى المجتمعات داخل سكندلايف، والتي تهتم بحوار الثقافات والأديان، وجزيرة الأندلس الافتراضية أو جزيرة «مشروع الخلافة»، التي تروج لإعادة بناء حضارة القرن الثالث عشر الميلادي في الأندلس، وبناء مجتمع متعدد الثقافات، مع الحفاظ على القيم الإسلامية، حسب كلام أصحاب الجزيرة.

وبدأت هذه المؤسسات تقطف ثمار الدعوة الإسلامية في سكندلايف، حيث أشهر اخيراً ثلاثة إسلامهم داخل جزيرة تعليم الحج، ويروي مسؤول الجزيرة قصة إسلامهم فيقول «اهتدت



فتاتان في جزيرة الحج الماضي للإسلام، فتاتان هما أمينة زهرة، وآنا».

ونقل مسؤول جزيرة إسلام اون لاين عن أمينة، ٣٦ عاما، «سيندي» سابقا، التي تعيش بالمملكة المتحدة قولها «إن جزيرة تعليم الحج التابعة لإسلام أون لاين أتاحت لي مخالطة المجتمعات الإسلامية، وكانت سببا رئيسيا في تحولي إلى الإسلام، كنتيجة لاحتكاك مباشر بالمسلمين، وممارسة بعض أركان الإسلام بشكل عملي افتراضي على الجزيرة».

وتقول أمينة «وجدتُ دعما كبيرا من المسلمين في جزيرة «إسلام أون لاين.نت»، جعلني أشعر بأنني وسط عائلتي، كما وجدت أماكن ومراكز دعوية عديدة طالما حلمت بتواجدها في عالم الواقع، هنا أعيش إسلامي بشكل كامل، فأقابل مسلمين، وأرتدي الحجاب، كما أن بعض أركان الإسلام تمارس بشكل عملي، كأداء الصلاة ومناسك الحج».

أما «آنا» فترجع اعتناقها الإسلام، إلى أنها أحبت نموذج الحياة الإسلامية على «سكندلايف» بعد أن التقت العديد من المسلمين، وتعرفت

الدعوة في «سكندلايف» تثمر عن ثلاثة يشهرون إسلامهم ويتعلمون مناسك الحج

عن قرب على أركان الإسلام، وبعدها اختارت اسما عربيا لها، وارتدت الحجاب. وتقول «وجدت العديد من التجمعات الإسلامية، وهو ما لا يتوافر في العالم الحقيقي بالنسبة لي، فالمكسيك دولة كاثوليكية، والأقلية المسلمة فيها غير معروفة، ولا أسمع عنها كثيرا، ولا وجود لها في الإعلام، وطيلة حياتي لم ألتق مسلما أو مسلمة».

رحلة «موردخاي»، وهو ثالث شخص يشهر إسلامه داخل خيمة رمضانية بعالم سكندلايف، فيرويها قائلا «أنا من مدينة سان ديجو بولاية كاليفورنيا الأميركية، وبدأت رحلتي للإسلام بالكاثوليكية، ثم الإلحاد والشك في وجود خالق لهذا الكون، ثم شرعت في مرحلة البحث والاستكشاف ومناجاة الله سرا، حتى كان السابع من رمضان هذا العام (١٤٢٩هـ).

فبعد انتهاء تلاوة سورة «المائدة»، ضمن الجزء السابع من القرآن الكريم، في خيمة «إسلام أون لاين.نت»، أعلنت أمام من بالخيمة أنني أريد معرفة المزيد عن القرآن وأداء أركان الإسلام.

ومضى قائلا: «نعم.. بداخلي دافع كبير للدخول في الإسلام، بدأت أقرأ عن أركان الإسلام وكيفية أدائها، ومن بينها الصيام، أصوم لفترات طويلة من اليوم».

وأرجعت بتول بوثا أستاذ اللغة العربية للأجانب في جامعة حلب بسوريا، ومشاركة في مركز دعوي بعالم سكندلايف، انتشار الإسلام على سكندلايف إلى أنه ترجمة حقيقية لأسلوب الدعوة بالاختلاط، وليس فقط بنشر المعلومات عن الإسلام، فالمسلم العادي قادر – بأبسط آداب الإسلام – على أن يقدم لغير المسلم صورة حية صادقة عن الإسلام.

وأضافت قائلة «حجاب المسلمة يلفت نظر الغربي كثيرًا، ويدفعه للتساؤل والاستفسار والاحتكاك المباشر بالمسلمين، وهذه الأجواء لا تتوافر دائما في عالم الواقع».

وبدوره، يرى محمد يوسف أول داعية سعودي في عالم سكندلايف وهو طبيب نفسي مقيم في السويد، أن فرص الدعوة إلى الإسلام في سكندلايف جيدة جدا؛ لأن المسلمين أكثر اعتدالا في الأقوال والأفعال في هذا العالم، كما أن فرص التعرف والتفاعل المباشر مع جميع الجنسيات من مختلف دول العالم متاحة.

ويضيف يوسف لمجلة «الوعي الإسلامي»، أنه برغم كثرة مواقع الإنترنت التي تقدم معلومات وافية عن الإسلام، فإن عالم سكندلايف يوفر فرصة غير عادية للتعرف على الإسلام، والتواصل مع العالم الإسلامي عن قرب.

لكن كحالهم في الحياة الواقعية، عانى المسلمون في عالم سكندلايف كثيرا من مظاهر «الإسلاموفوبيا»، متجسدة في محاولات تخريب متعمدة من شخصيات قالت إنها تسعى للسيطرة علي الجزر العربية وإخراج المسلمين منها.

وذكرت صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية، أن مسلمين متطرفين يقفون وراء تفجيرات افتراضية استهدفت مباني أنشئت في موقع «سكندلايف»، فضلا عن استخدام الموقع لتحويل الأموال لأغراض إرهابية.

كان عالم سكندلايف عالما جديدا، ولم يحظ بالانتشار المطلوب كغيره من أشكال الشبكة العنكبوتية، فإن من الأولى أن تهتم به الدول العربية والإسلامية، خاصة مع الإمكانات الهائلة لدولنا، وأن يكون لنا السبق في هذا العالم، خاصة أنه يعد عالما جديدا يفتح آفاقا واسعة للدعوة إلى الله، في ظل العالم الذي ينفتح كل يوم أكثر بأسلوب جديد، كل هذا يستدعي اهتمام الدعاة والمسؤولين عن الدعوة بالشكل الرسمي والشعبي، وأن يكون لهم دور فعال في هذا المضمار، تحقيقا لحديث النبي ﷺ «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» (صححه الألباني) فهل لنا أن نشارك في تحقيق بشرى رسول الله ﷺ في «سكندلايف»؟



قطوف تربوية

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي



الشباب والمخدرات

الإسلام لم يتخل عن الإنسان، بل وقف مع مصلحته، ومن أجل خيره وسعادته في دنياه وأخراه، ومن هنا فإن كل ما من شأنه أن يجلب على الإنسان ضرراً مادياً أو معنوياً يحرمه الدين ويعاقب عليه، وهناك قاعدة إسلامية تقول إنه «لا ضرر ولا ضرار» كما ورد عن الرسول ﷺ في الحديث الصحيح.

ومن المعلوم للجميع أن المخدرات بجميع أنواعها القديمة والحديثة تضر بالمجتمع، ومن رحمة الله تعالى بنا أن أرسل إلينا الرسل، وأنزل إلينا الكتب، وبيّن لنا الحلال والحرام، وجاءت رسالة الإسلام خاتمة للرسالات، وبعث الله تعالى محمدا ﷺ خاتماً للرسل والأنبياء، ليسلك بالناس طريق الهدى وسبيل النجاة، مصداقا لقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقد أكد الرسول الكريم تحريم جميع المسكرات والمخدرات في حديثه الجامع المانع «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» (رواه مسلم).. وتحريم الخمر والمسكرات والمخدرات داخل في دائرة تحريم الخبائث، فقد أباح الله تعالى لنا الطيبات من كل ما خلق، ونص على كل ما يحرم من الخبائث في قوله تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف:٣٢)، فالمسلم في رحاب الشريعة الإسلامية، يعيش في حياة سعيدة هانئة مستقرة، ملبسه طاهر، ومطعمه حلال طيب، وعقله في مأمن من غوائل المسكرات والمخدرات وجسمه في حصانة من شرورها وآثارها المدمرة.

والجوانب السلبية التي تعرض في الأفلام والمسلسلات عن المخدرات من شأنها أن تثير حب استطلاع الأبناء، ومن ثم دخول تجربة التعاطي والإدمان، ومن هنا يجب على الآباء أن يبينوا لهم أضرارها وذلك من خلال:

- ضرورة الحديث عن أضرار المخدرات الصحية والاجتماعية والاقتصادية ومخاطرها، سواء على الفرد أو الجماعة أو المجتمع، وذلك قبل بدء الفيلم أو المسلسل، وكذلك بعد الانتهاء منهما، والهدف من وراء ذلك خلق رأي عام سلبي لدى الأبناء تجاه أخطار المخدرات.

- تعميق وترسيخ المشاهد الإيجابية في الفيلم أو المسلسل في عقول الأبناء، ويعني ذلك الحديث مع الأبناء عن مآسي المخدرات، وكيفية التخلص من أخطارها، وتشجيع الأبناء على المشاركة الإيجابية في الحملات التي تدعو إلى محاربة المخدرات.

- تأكيد الآباء لأبنائهم على بعض الأمثلة الواقعية أو المستخلصة من واقع المجتمع للنهاية المأساوية للجزاء أو العقوبة التي يلقاها تجار المخدرات، عندما يتم القبض عليهم ومحاكمتهم التي تنتهي بإعدامهم، وكذلك حالات الوفاة لبعض متعاطي ومدمني المخدرات، نتيجة الجرعة الزائدة من المواد المخدرة، إن عرض مثل هذه الحالات والنماذج أمام الأبناء يخلق لديهم الكراهية لتجار المخدرات ومتعاطيها ومدمنيها، بل إن عرض مثل هذه الحالات والنماذج يمثل تحصيناً ومناعة ضد المخدرات.

- يجب أن يحرص الوالدان على عدم حضور الأبناء من صغار السن وحتى الأبناء من سن المراهقة الأفلام والمسلسلات، التي تعرضها القنوات الفضائية وحدهم، وذلك للخوف من سوء فهم بعض هذه المشاهد، إذ إن وجود الوالدين أو أحدهما على الأقل مع الأبناء عند مشاهدة الأفلام والمسلسلات يمثل صمام الأمن، حيث يقوم الوالدان بفتح

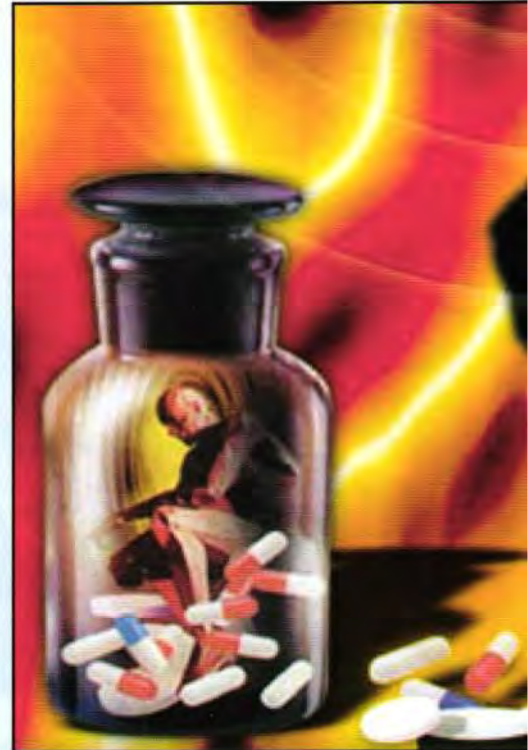




حوار مشترك يتم من خلاله التركيز على الدمار العقلي والنفسي والجسمي والاجتماعي والاقتصادي الناجم عن تعاطي وإدمان المخدرات.

عجز المجتمع

اجتاحت الشباب في الفترة الأخيرة من هذا القرن موجات تعبر عن واقعه المرير، وظهرت فئات ساخطة لها تساؤلات عجز المجتمع عن الإجابة عنها، وترك هؤلاء يلجأون إلى عالم الأوهام والمخدرات، وهناك أسباب جعلت مستوى الشباب ينحدر إلى ذلك الواقع، أولها المؤسسات الحضارية في العالم، والتي ترفع شعارات الحرية والإخاء والمساواة والعدالة والديموقراطية، ثم لا تمنح الأفراد من ذلك شيئا، ولا شك في أن الفراغ الروحي والديني، وتيارات المادية الجارفة، وقلة الوازع الديني، وضياع القدوة، أودت بالشباب إلى هذه الهاوية، مع أن



الآباء مطالبون بالقرب من أبنائهم لكي لا يقعوا في براثن هذا الداء ولا يكتسبوا سلوكيات خطيرة

الشباب ثروة يجب أن يعنى بها، فالمخدرات آفة اجتماعية وسموم قاتلة، ولهذا دأبت جميع المجتمعات على محاربتها كما حاربتها جميع الأديان السماوية.

لذا يجب على الشباب الذين هم عماد الوطن، أن يبتعدوا عن هذه الآفة الفتاكة، وأن يضعوا نصب أعينهم مدى حالة التفكك والضياع التي يعيشها شباب العالم الغربي، وباستطاعة الشباب قتل أوقات فراغهم بالاتجاه إلى الأندية الرياضية وجميع النشاطات، التي هيأتها لهم الدولة مشكورة لعمل أشياء تعود فائدتها ويرجع نفعها للصالح العام، وأن يتخذوا من الشريعة الإسلامية السمحة منهاجا لهم، وأن يبتعدوا عن الأعمال الهدامة التي من شأنها أن تضر بمصلحة الوطن والمواطنين والمقيمين.

آثار المخدرات والمسكرات والخمور

- التليف الكبدي الذي لا شفاء منه.
- النقص الحاد في فيتامين «B» و «C».
- تسمم عضلة القلب وتصلب الشرايين.
- ضعف الشهية وسوء التغذية والتأثير الضار على عمليات الهضم.
- قرحة المعدة و«الإثنا عشر» والتهاب البنكرياس.
- انتشار مرض السل الذي يصيب حوالي ٢٠في المائة من المدمنين.
- التهاب أعصاب الأطراف والموت المفاجئ.
- الإصابة بالأمراض العقلية وضعف الذاكرة والجنون.
- تصدع النظام الأسري بكثرة الطلاق وانحراف الأبناء.
- الوقوع في براثن الوحوش البشرية، وهتك أعراض النساء تحت تأثير المخدرات والمسكرات، وهناك أنواع من المخدرات مثل الكحول والسبرتو لها تأثير ضار في أماكن معينة من الجسم، حيث تؤثر تأثيراً شديداً على الكبد والجهاز العصبي والجهاز التناسلي.

طرق الخلاص من براثن الإدمان

- العمل على تقوية الجانب الإيماني لدى المدمن
- تقوية الثقة بالنفس.
- بث روح الأمل وتوافر فرص الشفاء.
- توفير بيئة بديلة صالحة يعيش فيها المدمن.
- ملء وقت الفراغ، وإشباع حاجة المدمن إلى التقدير.
- أداء الفرائض الدينية، وخاصة الصلوات الخمس في المسجد والاندماج في جماعة المسجد، ومشاركتها نشاطاتها الاجتماعية السليمة.
- مراجعة الطبيب وعدم إهمال نصائحه.
- مصارحة الأهل بكل ما في حياة المدمن خارج نطاق الأسرة، لتساعده على الحياة السوية، وتكوين علاقات صداقة سليمة

وخلاصة الحديث أن الخمر وسائر المخدرات والمسكرات بكل أنواعها وأسمائها يحرم تعاطيها بأي وجه من وجوه التعاطي مهما كان، كما يحرم تصنيعها وزراعتها وتهريبها والاتجار فيها وبيعها وإهداؤها والتعامل بها على أي وجه كان، وعلى أي صفة، والإعانة على ذلك معصية محرمة لا شبهة في حرمتها، قال الله عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (المائدة: ٢).

فيجب علينا كآباء أن نكون قريبين من أبنائنا، حتى لا يقعوا في براثن هذا الداء، أو اكتساب سلوكيات خطيرة، وكذلك يزداد شعورهم بأهميتهم، ومن ثم يزداد تقبلهم للاستماع إلى ما نتمناه لهم.

مدى الاحتجاج بالأحاديـ

«الطب النبوي» عبارة شائعة جدًا، يُراد بها تلك الأحاديث الصادرة عن النبي ﷺ في مسائل تتعلق بالطب، من علاج ودواء ووقاية ونحوها، لكن ثمة سؤال بالغ الأهمية لا يلتفت إليه كثيرون وهو.. هل هذه الأحاديث في الأمور الدنيوية عامة، وفي الطب خاصة (ولو صحَت) تعتبر حجة يجب الأخذ بها واعتبارها وحيًا؟

هذا السؤال يعالجه د.محمد سليمان الأشقر في بحثه (مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشئون الطبية والعلاجية) معالجة جريئة، ويخلص إلى أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله الدنيوية ليست تشريعًا، وأنه ﷺ إنما بُعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، ويجوز عليه ﷺ فيها الخطأ، إذ ليس في هذا نقيصة ولا محطة، وأقواله وأفعاله في الأمور الطبية الصرفة ليست حجة، ولا يلزم الأخذ بها، بل هي أقوال وأفعال مبنية في الأصل على التجارب الشخصية.

الأصل في أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله وتقريراته أنها حجة شرعية على عباد الله، إن ثبتت بطريق صحيح، وقد تكفل ببيان ذلك والاستدلال له علم أصول الفقه، وهذا واضح كل الوضوح فيما كان من ذلك مبيِّنًا لأمور الدين، كالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وكالأحاديث المبينة لأحكام الله تعالى من الحلال والحرام والفرائض وأنواع التعبدات والمعاملات وغيرها من أمور الشريعة.

القواعد العامة في الأمور الدنيوية

أما الأمور الدنيوية، فهل يلزم أن تكون اعتماداته وأقواله ﷺ فيها مطابقة للواقع بمقتضى نبوته، أو أن هذا أمر لا صلة له بمقام النبوة؟

اختلف العلماء في ذلك على مذهبين

المذهب الأول، أنه ﷺ معصوم من خطأ الاعتقاد في أمور الدنيا، بل كل ما يعتقده في ذلك مطابق للواقع، وكذلك ما يقوله ويخبر به، ولم نجد أحدا من قدماء الأصوليين صرح بمثل هذا المذهب، ولكنه لازم لمن جعل جميع أقواله وأفعاله ﷺ حجة حتى في الطبيات والزراعة ونحوها، وهو لازم أيضا لمن صحح منهم أن تقريره ﷺ لمخبر عن أمر دنيوي يدل على صحة ذلك الخبر، كما فعل السبكي وأيده المحلي والبناني.

وابن القيم في كتابه «الطب النبوي» يذهب



الصحة بين التراث والحداثة

أدرك الإسلام أهمية الصحة بالنسبة للإنسان لعيش حياة تتميز بالتوافق الداخلي مع العالم المحيط به سواء كان هذا العالم جسدياً أو عقلياً.

ولكن ينبغي أن نفرق بين المعجزات العلمية في القرآن الكريم بصفة عامة وبين المعجزات الخاصة بالصحة، فقديماً كان الناس يصنفون الأمراض على أساس الأعراض وليس على أساس طبيعة المرض نفسه، وجاء الطب النبوي بيقين قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة، ولكن لا ينتفع به إلا من تلقاه بالقبول واعتقد الشفاء به.

ولا يمكن مقارنة الطب البدائي بالطب الحديث، لاختلاف وسائل التشخيص وتطور علوم الطب المختلفة، فكل عصر فيه اجتهادات وآراء في أمور الدنيا.

«الوعي الإسلامي» أفردت صفحاتها لهذه القضية للتعرف على أبعادها المختلفة، وكيف يمكن التعامل مع الطب التراثي والطب الحديث لا سيما أن هناك الكثير ممن يتاجرون بالطب النبوي ويفرغونه من محتواه ليتماشى مع أهوائهم ومصالحهم.



ـــث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية

إلى حجية أقواله وأفعاله ﷺ في الطب، قال «طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل».

المذهب الثاني، أنه لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقا للواقع، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ.

قالوا: وليس في ذلك حطّ من مقامه العظيم الذي أكرمه الله به؛ لأن مقام النبوة مُنصب على العلم بالأمور الدينية من الاعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومن الأمور الشرعية، أما إن اعتقد أن فلانا مظلوم فإذا هو ظالم، أو أن دواء معينا يشفي من مرض معين، فإذا هو لا يشفي منه، أو أن تدبيرا زراعيا أو تجاريا أو صناعيا يؤدي إلى هدف معين، فإذا هو لا يؤدي إليه، أو يؤدي إلى عكسه، أو أن تدبيرا عسكريا أو إداريا سينتج مصلحة معينة، أو يدفع ضررا معينا، فإذا هو لا يفعل، فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة، بل هو يعتقده من حيث هو إنسان، له تجاربه الشخصية، وتأثراته بما سبق من الحوادث، وما سمع أو رأى من غيره، مما أدى إلى نتائج معينة، فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن أو اعتقد.

وقد صرح بأصل هذا المذهب، دون تفاصيله القاضي عياض، والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي، والشيخ محمد أبو زهرة. وظاهر حديث أنتم أعلم بأمر دنياكم (رواه مسلم) أنه ﷺ كغيره من الناس في ذلك، بل فيه التصريح بأن أصحاب الخبرة في صنائعهم وتجاراتهم وزراعاتهم قد يكونون أعلم منه بدقائقها، إلا أن القاضي عياضا أوجب أن يكون الخطأ في ذلك نادرا، لا كثيرا يؤذن بالبله والغفلة.

ويحتج لهذا المذهب بأدلة، منها:

أولا: حديث تأبير النخل في صحيح مسلم، «قدم النبي ﷺ المدينة، فإذا هم يأبرون النخل- يقولون يلقحون النخل- فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه. قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا. فتركوه، فنفضت، فذكروا ذلك له، فقال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر» وشبيه به قول رسول الله ﷺ: «... إنما أنا بشر، فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ» (الهيثمي في مجمع الزوائد وإسناده حسن).

ثانيا: إن النبي ﷺ قال: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها» (رواه البخاري).

واختار د. محمد سليمان الأشقر المذهب القائل بأن أقوال النبي ﷺ وأفعاله الدنيوية ليست تشريعا، واستدل لذلك بالأدلة الآتية:

١- قوله تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي...﴾ (الكهف: ١١٠) وقوله ﴿... قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (الإسراء: ٩٣)، وقد تكرر التأكيد على بشرية الرسول ﷺ، بخلاف أمور الشريعة، فإن كلامه فيها لا يستقر فيه خطأ، كما هو ثابت في علم أصول الفقه، فالأصل استمرار حاله في أمور الدنيا كما كان قبل النبوة، لما لم يدل على انتقاله عن ذلك دليل، وقد أكدت السنة النبوية ما بينه القرآن من ذلك كما يأتي:

٢- قوله ﷺ: «... إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بأمر دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر» (رواه مسلم) وفي رواية: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، وبهذا الحديث، برواياته المختلفة، يؤصل النبي ﷺ أصلا عظيما في الشريعة، ويبينه لنا، ويشعرنا بأن بعض أفراد الأمة قد يكونون أحيانا أعلم منه ﷺ بما يتقنونه من أمور الدنيا، والمقصود أهل الخبرة في كل فن وصناعة، وأنه لا داعي شرعا لالتفاتهم إلى ما يصدر عنه ﷺ من ذلك إلا كما يلتفتون إلى قول غيره من الناس.

أقوال وأفعال النبي ﷺ ليست حجة لأنها مبينة على التجارب الشخصية

٣- إن الحباب بن المنذر، قال في غزوة بدر: «يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي» (الألباني في السلسلة الضعيفة).

وممن صرح بهذه القاعدة بصفتها العامة، من الأصوليين القدامى القاضي عبد الجبار، وصرح بها حديثا الشيخ ولي الله الدهلوي، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ عبدالوهاب خلاف، والشيخ عبد الجليل عيسى، والشيخ فتحي عثمان، ويرى ابن خلدون أن الطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب.. فإنما بُعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره.

قال ابن خلدون «الطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل (يعني طب البادية المبني على تجارب قاصرة) ليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» قال: فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على



أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه».

قال القاضي عياض «فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه ﷺ فيها ما ذكرناه (أي الخطأ)، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وشغل نفسه بها، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة».

وبيّن شاه ولي الله الدهلوي أن علوم النبي ﷺ على قسمين: أحدهما ما سبيله سبيل تبليغ الرسالة، والآخر ما ليس من باب تبليغ الرسالة، وفيه قوله ﷺ «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر» وقوله في قصة تأبير النخل.. قال: ومنه الطب.

وقال الشيخ محمد أبوزهرة في شأن حديث تأبير النخل: الحديث يتعلق بالصناعات وفنون الزراعة، وتثمير الأشجار، فهل يتصور أن النبي ﷺ يمكن أن يكون حجة وذا خبرة في فنون الزراعة والتجارة، وصناعة الزجاج والجلود، ونسج الأقطان والحرير، وغير ذلك مما يتعلق بالمهن المختلفة؟!

والأمور الدنيوية التي هذه سبيلها، ووردت فيها أحاديث نبوية، هي على ثلاثة أنواع:

<u>النوع الأول:</u> الأمور الغائبة عنه ﷺ مما شأنه أن يعرفه ممن رآه أو سمع به، ولا يعرفه الإنسان المعتاد بمجرد الفكر، كمعرفة ما في بيت مغلق، أو معرفة ما يجري في مكان بعيد من أرض الله، فهذا من علم الغيب، لا يعلمه إلا الله، لقوله تعالى ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾ (النمل: ٦٥) وقوله ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ (الأنعام: ٥٠) فلا يعلم النبي ﷺ مثل ذلك إلا بطرق المعرفة المعتادة، ما لم يخبرنا أن الله أطلعه عليه وأوحى إليه به.

<u>النوع الثاني:</u> أمور البشر وأسرارهم، وما في قلوبهم، وما عملوا في حال غيبتهم، فلم يقل النبي ﷺ شيئًا من ذلك بغير إطلاع خاص من الله تعالى، كما أطلعه على حال بعض المنافقين، ثم قد يعتقد الشيء من ذلك الذي لم يوحَ إليه به على غير ما هو عليه؛ لقوله ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي...».

وكان ﷺ يُجري أحكامه على الظاهر وموجب غلبة الظن، بالشاهدين، أو يمين الحالف، أو مراعاة الأشبه، أو معرفة القرائن. ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته، ولكنه غيّب عنه ذلك.

<u>النوع الثالث:</u> ما يدخل من أمور الدنيا ضمن ما يسمى العلوم البحتة والعلوم التطبيقية، وهي ما يفعله الإنسان بقصد تحصيل نفع في البدن أو المال له أو لغيره، أو دفع ضرر كذلك، أو يدبر تدبيرا في شأنه خاصة أو شؤون المسلمين عامة، لغرض التوصل إلى جلب نفع أو دفع ضرر.

<u>**ويشمل هذا النوع الأضرب التالية:**</u>

الضرب الأول: الأمور الطبية، فقد تناول النبي ﷺ، أو أعطى غيره، أو وصف له، أطعمة وأشربة متنوعة على سبيل حفظ الصحة، أو لدرء أمراض معينة، كألبان الإبل وأبوالها، وكذلك تعاطى أو أعطى أنواعا مختلفة من العلاج.

الضرب الثاني: شؤون الزراعة.

الضرب الثالث: الصناعة.

الضرب الرابع: التجارة.

الضرب الخامس: أنواع أخرى من المكاسب كرعي الغنم، أو العمل للغير بأجر.

الضرب السادس: مثل التدابير الفنية التي اتخذها ﷺ في الحرب، من استعمال المجانيق والسيوف والرماح والسهام، وتربية الخيل للقتال، وحفر الخنادق، وترتيب الجيوش وتدريبها.

الضرب السابع: مثل التدابير التي اتخذها ﷺ في الإدارة المدنية، من اتخاذ الولاة والكتاب والحراس والحجاب والسفراء، وكذلك الأعلام والشعارات، والمرافق من الطرق والحصون وغيرها.

فهذه الأضرب وأمثالها قد وقع من النبي ﷺ الكثير من أفرادها، ونقل إلينا أشياء من ذلك.

والنظر في الأحكام التي يمكن أن تدل عليها مثل تلك الأحاديث من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول (أصل): ويشمل الطب والزراعة والصناعة والتجارة والقصد إلى تحصيل المكاسب، والسعي لتحقيق التدابير المدنية والعسكرية المناسبة، ونحو ذلك، تعتبر أقواله ﷺ في ذلك حجة يجب اعتقادها واتباعها، ويستفاد من الأحاديث القولية والفعلية في ذلك إباحته، وأنه لا يخالف العقيدة ولا الشريعة، وقد يكون من باب الاستحباب أو الوجوب، بحسب الأحوال الداعية إليه ودلالة نطقه في ذلك.

وفي الحديث إشارة إلى ذلك حيث قال ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام



كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري) وهذا في الصناعة، وقال «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة» (رواه ابن حبان) وهذا في التجارة، وورد في الزراعة وغيرها أحاديث أخرى، وسوف تأتي الأحاديث التي تأمر بالتطبيب والعلاج لاحقاً.

الوجه الثاني: إرشادات وتوجيهات شرعية في ممارسة تلك الأعمال، كتجنب البول وقضاء الحاجة تحت الشجر المثمر، ووجوب إحسان الذبح، وتحديد الشفرة لئلا يتعذب الحيوان المذبوح، وإمكانية استعمال المنجنيق في الحرب، وتجنب قتل النساء والأطفال فيها، ونحو ذلك، فهذا شرع يؤخذ كما يؤخذ غيره من الشرع في العبادات ونحوها.

الوجه الثالث: الأمر الذي عمله بخصوصه، هو مباح له، وقد يكون مستحبًا له، أو واجبا عليه، لاعتقاده ﷺ أنه هو المؤدي إلى غرض مستحب أو واجب.

أما أقواله ﷺ وأفعاله المبنية في الأصل على التجارب الشخصية فليست حجة، ولا يلزم الأخذ بها.

ولكن هل يكون حكم مثله بالنسبة إلينا كذلك؟ كما لو شرب دواء معينا لعلاج مرض معين، فهل يستحب لنا شرب ذلك الدواء لذلك المرض مثلا، أو يجب، بل هل يباح بناء على ذلك أم لا؟ هذا ينبني على القاعدة التي سبق تحريرها، وقد رجحنا فيها قول من قال من العلماء: إن أقواله ﷺ وأفعاله في ذلك الباب ليست حجة، ولا يلزم الأخذ بها، بل هي أقوال وأفعال مبنية في الأصل على التجارب الشخصية للنبي ﷺ من حيث هو بشر، وما قد سمع به من أهل التجربة والمعرفة.

ونبه د.محمد الأشقر هنا إلى أنه إذا نص القرآن على أمر دنيوي فهو حق لا مرية فيه؛ لأنه من الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض، فإذا كان الحديث النبوي في الشؤون الدنيوية استجابة لإرشادات القرآن التي تتعلق بذلك الأمر، فيكون الفعل بيانا أو امتثالا للقرآن، ويحمل على الشرعي، ولعل خير مثال على ذلك شربه ﷺ العسل للتداوي، فإن ذلك تطبيق لقوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ (النحل: ٦٩). وشبيه بذلك ما أخبر ﷺ أنه فعله عن وحي من الله تعالى.

كما نبه الأشقر إلى أمر آخر وهو أنه إذا تردد الفعل بين أن يكون دنيويا أو دينيا، حمل على الديني؛ لأنه الأكثر من أفعاله ﷺ. والله أعلم.

هل يكون ما ورد عن النبي ﷺ من المعالجات الطبية من جنس آثاره حتى يستشفى بها؟!

الأحاديث الواردة في شأن الطب والعلاج

بعد تأصيل القواعد العامة التي ذكرت، والتي تصدق على جميع الأحاديث النبوية المتعلقة بالشؤون الدنيوية المختلفة، نخص بالكلام الأحاديث الواردة في الشؤون الطبية بالذات، بتطبيق القواعد السابقة عليها فنقول: إن الأحاديث المذكورة نوعان رئيسيان:

أولهما: ما يعتبر شرعا يتبع، ويعمل به، كسائر الأحاديث الواردة عنه ﷺ في شؤون الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأحكام المختلفة التكليفية والوضعية.

والثاني: ما لا يعتبر شرعا، ولا يلزم العمل به، وسبيله سبيل الشؤون الدنيوية التي تقدم بيانها، ويعتبر قول النبي ﷺ فيها كقول سائر الناس.

النوع الأول: ما هو شرع من أحاديث الطب وهو ما ورد من الأحاديث في الطب ويعتبر شرعا يتبع، يشمل فئات:

الفئة الأولى: ما كان من الأحاديث الواردة في حكم أصل العمل بالطب والمعالجات وتناول الأدوية، فهذا النوع شرع يتبع، وقد وردت في أصل العمل بالطب أحاديث منها، حديث الأمر بالتداوي، وأن الله تعالى ما أنزل داء إلا أنزل له دواء، غير داء واحد، اختلفت الأحاديث في تعيينه، ففي بعضها: هو الهَرَم، وفي بعضها: هو الموت.

ومثلها الأحاديث التي تفيد أن النبي ﷺ كان إذا مرض يتداوى، وربما سأل الأطباء عن دواء مرضه، وكانت وفود العرب تصف له الأدوية، فكانت عائشة رضي الله عنها تعالج له تلك الأدوية أي تمزجها وتهيئها، ومن ثم كان لها علم بالطب.

ومنها حديث أبي رمثة أن النبي ﷺ قال لطبيب: «الله الطبيب، بل أنت رفيق، طبيبها الذي خلقها» (رواه أبوداود) هذا الحديث إقرار للعمل بالطب، وفيه التنبيه إلى قوى البرء المركبة في البدن الإنساني في أصل خلقته، وأن مهمة الطبيب الرفق بالمريض لإتاحة الفرصة لهذه القوى كي تعمل عملها.

الفئة الثانية: أحاديث فيها توجيهات شرعية متعلقة بعملية التداوي وشؤون المرضى، من ذلك حديث البخاري عن الصحابية رُبيِّع بنت معوذ، قالت: كنا نغزو مع رسول الله حتى نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.







ففيه جواز مداواة المرأة للجرحى من الرجال. ومنها أحاديث الأمر بعيادة المريض، وأن النبي ﷺ كان يعودهم، حتى «إن غلامًا ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: أسلم. فأسلم» (البخاري)، وكان إذا عاد المريض ربما وضع يده على جبهته، ومسح على صدره وبطنه، ودعا له، نقل البخاري أنه ﷺ فعل ذلك عندما زار سعدًا، وربما رقى المريض، ففي حديث عائشة كان النبي ﷺ إذا مرض أحد من أهله قال «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا» (رواه الطبراني).

ومنها حديث النهي عن التداوي بالمحرمات، كحديث أنه ﷺ سئل عن الخمر يتداوى بها فقال «إنها ليست بدواء ولكنها داء» (صحيح الترمذي)، وحديث «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» (ابن حبان).

فهذه الأحاديث هي من قبيل الشرع: لأنه ﷺ ناط الحكم بمعنى شرعي، وهو التحريم، فما كان من المواد محرما لم يجز التداوي به، ولا يعني هذا أنه لا يجوز استعماله عند الضرورة، مع عدم وجود دواء آخر غير الدواء المحرم، بل إن الضرورة تبيح المحظور.

الفئة الثالثة: أحاديث أبطلت أنواعا من المعالجات كانت سائدة في الجاهلية، تنافي صحة الاعتقاد الإيماني؛ لأنها ليست أسبابا حقيقية للشفاء، منها «أن عبد الله الجهني الصحابي رضي الله عنه خرج به خُراج، فقيل له: ألا تعلق عليه خرزا؟ فقال: لو علمت أن نفسي تكون فيه ما علقته، ثم قال: إن نبي الله ﷺ نهانا عنه» (رواه ابن جرير وصححه).

ومنها قوله: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». (رواه أحمد وأبوداود والحاكم من حديث ابن مسعود). وحديث: «من علق تميمة فقد أشرك» (رواه الهيثمي وصححه الألباني)، والمراد بالرقى الرقى المجهولة، وما كانت الاستعاذة فيها بغير الله تعالى، بخلاف الرقية بالفاتحة والمعوذتين والأدعية المشروعة، والمراد بالتمائم الأحجبة التي تعلق على الأطفال والبيوت والسيارات ونحو ذلك، يزعم الجهلة أنها ترد العين، أو تمنع المرض والحوادث. والتولة شيء كانوا يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها.

الفئة الرابعة: أحاديث أمرت بأدوية ومعالجات ربطتها بأحكام تعبدية وشعائر دينية، من ذلك حديث أحمد والنسائي عن عائشة مرفوعا: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»، وفي صحيح البخاري أيضا «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».

ومنها أحاديث الاسترقاء، منها ما في صحيح البخاري من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين جميعا، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده.

ومنها أحاديث الدعاء للمريض، كقوله ﷺ «اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما». ومنها حديث «داووا مرضاكم بالصدقة» (الألباني، صحيح الجامع).

الفئة الخامسة: أحاديث مبنية على النص القرآني، ومن ذلك أحاديث التداوي بالعسل.

الفئة السادسة: أحاديث فيها ذكر أدوية أو معالجات يخبر النبي ﷺ أنه علمها بطريق الوحي، أو إخبار الملائكة، أو أن الله يحبها، أو يكرهها، ونحو ذلك.

وإنما كان هذا النوع من الأدوية صحيحا ومشروعا لأنه منسوب إلى الله تعالى أو ملائكته، فمن ذلك أحاديث الأمر بالتداوي وأصل العمل بالطب.

ولا بد لاعتبار الأحاديث التي ضمت هذه الفئة الأخيرة حجةً في باب الطب من أحد أمرين

الأول: أن يكون الحديث على درجة عالية من الصحة؛ لأن تطبيقه على الأجسام الإنسانية قد يكون فيه ضرر كبير، فإن وقع الضرر فلا يكون للطبيب عذر أن يتبين كون العلاج مبنيا على حديث صحيح ظاهرا لكنه في الحقيقة موهوم أو مكذوب، ولذا أقترح ألا يعتبر حجة- من الناحية الطبية الصرفة- حديث ما لم يكن ثابتا على سبيل القطع، وهو الحديث المتواتر، أو على شبه القطع، وهو ما ورد من طريقين على الأقل، منفصلين، من أول السند إلى آخره، بحيث يعرف أنه لم ينفرد برواية الحديث راو واحد في أي طبقة من طبقات السند، حتى لو كان صحابيا.

الثاني: أن يخضع مضمون الحديث للتجارب الطبية تحت نظر الاختصاصيين، فإن ثبتت صلاحيته كفى، وتكون التجارب هي الحجة في ذلك.

النوع الثاني: وهو ما لا حجة فيه من أحاديث الطب وهو سائر الأحاديث النبوية الواردة في الطب والعلاج، وليس فيها ما يشعر أنها من قبل الله تعالى، أو أنها من قبيل الشرع، وقد وضح من القواعد المذكورة سابقا أن هذا النوع من الأحاديث ليس من قبيل التشريع، ونحن نذكر جملة من تلك الأحاديث على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:

١- فمنها حديث مقدام بن معد يكرب عند أحمد والترمذي مرفوعا: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

٢- ومنها أحاديث الحجامة، كما تقدم في الفئة السادسة من النوع الأول، إن لم يصح الحديث بأن الملائكة أمروا النبي ﷺ بها.

٣- ومنها حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود «من تصبّح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في

ذلك اليوم سم ولا سحر».
٤ - ومنها حديث ابن عباس مرفوعا، عند أحمد والبخاري ومسلم «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».
٥- ومنها حديث أبي هريرة مرفوعا عند أحمد والترمذي «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن، وفيها شفاء للعين»، (وروى نصفه الثاني البخاري ومسلم وأحمد والنسائي مرفوعا من حديث سعيد بن زيد).
٦- وحديث أبي هريرة مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم، ومثله عند أحمد عن عائشة، وعند ابن ماجة عن عمر مرفوعا «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» والسام الموت.
٧- ومنها حديث أحمد والبخاري وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر دواء». زاد أحمد في رواية: «وإنه يتقي بجناحيه الذي فيه الداء، فليغمسه كله»، (وأخرجه كله أحمد والنسائي وابن ماجة من رواية أبي سعيد الخدري مرفوعا).
٨- ومنها الأحاديث الواردة في العدوى
فمنها حديث أبي هريرة مرفوعا: «لا يُوردَن ممرض على مصح»، (رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبوداود). الممرض هو الذي له إبل مريضة، نهاه أن يوردها على الإبل الصحيحة.
ومنها حديث أبي هريرة عند البخاري أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة».
٩- ومنها أحاديث الطاعون، كحديث أسامة بن زيد وعبدالرحمن بن عوف عند البخاري «إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» (رواه مسلم).
١٠- ومنها حديث عند الإمام أحمد مرفوعا «إن في أبوال الإبل وألبانها شفاء».
فهذه الأحاديث المذكورة في هذا النوع الثاني، ونحوها من الأحاديث التي تدخل في صلب الأمور الطبية والعلاجية، لا ينبغي أن تؤخذ حجة في الطب والعلاج، بل مرجع ذلك إلى أهل الطب، فهم أهل الاختصاص في ذلك، وقد يتبين في شيء من هذه الأحاديث الخطأ من الناحية الطبية الصرفة، وكما قال القاضي عياض: ليست في ذلك محطة ولا نقيصة، لأنها أمور اعتيادية يعرفها من جربها.



لكن قد يبدو لبعض أهل العلم في شيء منها ملحظ صحيح يكون قرينة على أنها تشريع، فتخرج بذلك عن أن تكون من هذا النوع الثاني، وتدخل في النوع الأول، وتعتبر حجة في باب الطب، كما ظهر لنا في الفئات الست. والله أعلم.

إثبات فاعلية هذه الأدوية والمعالجات

إنه وإن قلنا في أحاديث هذا النوع الثاني وأمثالها: إنها ليست حجة في الأمور الطبية، فإنه لا ينبغي مع ذلك اطراحها بالكلية، بل ينبغي أن تثير احتمالا بالصحة، كسائر الأقوال الطبية المأثورة عن أهل التجارب والمعرفة من غير أهل الاختصاص، بل هي أولى منها، للشبهة في أنها قد تكون مبنية على الوحي، ولو كانت شبهة ضعيفة، ولا يخفى ماذا حدث في الطاعون المتقدم ذكره من الحكمة البالغة التي يؤيدها الطب الحديث كل التأييد.
ولذا أرى أن تخضع للتحليل وللتجارب على الأسس المتعارفة عند أهل الاختصاص، فإن وجدت صالحة أدخلت حيز العمل، ويكون التحليل والتجريب هو الحجة في صلاحيتها، دون كونها مما ورد عن النبي ﷺ، خاصة أن الكثير منها لا يثبت من حيث الرواية بطريق القطع أو شبهه على الوجه الذي تقدم بيانه.

تناول الأدوية المأثورة على أساس الاعتقاد الإيماني

ذكر ابن خلدون رحمه الله بعد كلامه الذي نقلناه سابقا حول كون الطب المنقول في الشرعيات عن النبي ﷺ لا ينبغي أن يحمل على أنه مشروع، قال: «... إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم في النفع، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية».
وقال ابن حجر «استعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله، ويدفع الله عنه الضرر بنيته، والعكس بالعكس».
والذي اختاره د.محمد الأشقر أنه لا شك أن من فضائل النبي ﷺ أنه يجوز التبرك بآثاره، والاستشفاء بها، لكن هل يكون ما ورد عن النبي ﷺ من المعالجات الطبية هو من جنس آثاره وملابسه ونحو ذلك، حتى يستشفى بها ويتبرك بها؟ يبدو أن في هذا نظرًا (أي ضعفًا)، فإنه لما ثبت أن النبي ﷺ نبه على أن ما يصدر عنه في مثل ذلك هو مجرد رأي يراه، وأنه بشر يخطئ ويصيب، وأن ما حدث به من قبل نفسه فهم أعلم بدنياهم، فكيف يتساوى ما نبه على عدم نفعه من الشؤون التي قالها من عند نفسه، مع ما أذن فيه من التبرك بآثاره ﷺ؟!
ثم إن الصحابة الذين تركوا تأبير النخل إنما تركوه تصديقا لرسول الله ﷺ وإيمانا به، وعملا بقوله، ومع ذلك خرج ثمره ذلك العام شيصا، أي تالفا غير صالح، ولم يأت إيمانهم وتصديقهم كافيا ليصلح به الثمر؛ لأنه ليس في الحقيقة سببا لذلك، فكذلك هذه الأمور الطبية الصرفة، هي من صميم الأمور الدنيوية، لا يكفي فيها مجرد الإيمان- التصديق- مع كونها ليست أسبابا في حقيقة الأمر.
وأما القياس على الشفاء القرآني بالمواعظ فهو قياس فاسد، فإن مواعظ القرآن من لم يصدق بها لا يستمع إليها، وإن استمع إليها فإنه لا يقبلها ولا يعمل بها، فكيف تنفعه؟ كالدواء المادي إذا لم يتناوله المريض لا ينفعه، أما إن تناوله فإن تأثيره في الأجسام لا يختلف بالتصديق وعدمه.

تراث العرب في الطب.. أباطيل وحقائق

مصطفى يعقوب

لم تتعرض حضارة أمة من الأمم لتشويه متعمد وهجوم ضار من قبل مؤرخي الغرب ومستشرقيه، مثلما تعرضت الحضارة العربية الإسلامية، وقد أخذ هذا التشويه وذلك الهجوم صوراً شتى وأنماطاً مختلفة عبر محاور عديدة، لعل أبرزها المحور العلمي. ويتلخص هذا المحور في نظر المؤرخين والمستشرقين - عدا فئة محدودة منهم تميزت بقدر من الحيدة والتجرد من الهوى - أن الحضارة العربية الاسلامية لم تؤثر في قليل أو كثير في مسار تاريخ العلم الانساني العام، لأن العرب بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير الاصيل المبتكر (١)، بل تمادى بعضهم في شدة الهجوم فوصف الانتاج العلمي العربي بالبربرية والجهالة (٢)، وكان من نتائج هذا الهجوم ان اسقطت فترة الحضارة العربية الاسلامية من تاريخ العلم، فقد قسم فريق منهم العصور العلمية الى عصرين رئيسيين، الأول العصر الاغريقي ويمتد من سنة ٦٠٠ ق.م، أما العصر الثاني فهو عصر النهضة الأوروبية الحديثة التي تبدأ من سنة ١٤٥٠م (٣)، ويذهب مؤرخ آخر الى ان اهمية العرب في تاريخ العلم أنهم حفظوا تراث القدماء من اليونان والفرس والهنود حيث يقول: «يتفق الناس عامة على ان العصور الوسطى - يقصد عصر الحضارة العربية الاسلامية - حفظت علم القدماء لاستخدامه في الازمنة التالية، والواقع ان هضم الثقافة العلمية واقتباسها من اقوام غرباء - يقصد العرب - تفصلهم عن الغرب في ذلك الحين مسافات بعيدة، كان كسباً عظيماً، ولكن الامر لا يتجاوز هذا الحد، ان الذي تسلمته العصور الوسطى لم تزد عليه الا قليلا، والواقع ان مشاركة اهل العصور الوسطى في تطوير العلم بلغت من الضآلة حدا جعل مؤرخي العلم يميلون الى اعتبار العصور الوسطى فترة توقف» (٤).

ولقد أثارت هذه النظرة الجائرة حيال العلم العربي عدداً من مؤرخي الغرب ومستشرقيه الذين توفروا على دراسة الانتاج العلمي العربي فاتصفوا بقدر من الحيدة والموضوعية، ومن ثم فقد حاولوا رد هذه الافكار وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي لحقت بالعلم العربي، تقول المستشرقة الالمانية زجريد هونكه Z.Honke في كتابها الشهير «شمس العرب تسطع على الغرب»: يخيل الى ان الوقت قد حان للتحدث عن شعب - تعني العرب - قد أثر بقوة على مجرى الأحداث العالمية ويدين له الغرب كما تدين له الانسانية كافة بالشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك فان من يتصفح مائة كتاب تاريخي لا يجد اسما لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها.

ويبدو ان تلك القضية قد شغلت تفكير عدد من المؤرخين، يقول مونتجمري وات M.watt في كتابه «فضل الإسلام على الحضارة الغربية»: إن السؤال المهم الذي يخطر بالذهن عند التحدث عن انجازات العرب في ميادين العلم والفلسفة هو الى اي حد كان العرب مجرد نقلة لما اكتشفه اليونانيون؟ والى اي حد بلغت انجازاتهم المبتكرة؟ ويبدو ان الكثيرين من الباحثين الاوروبيين يطرقون الموضوع مع بعض التحيز ضد العرب، بل إنه حتى أولئك الذين يمتدحونهم، إنما يفعلون ذلك وكأنما يضنون عليهم بالثناء.

أباطيل وحقائق

وعلى الرغم من الجهل الواضح بتراث العلم العربي، فقد دأبت فئة من المؤرخين على اسقاط فضل العرب واسهامهم الفعال في عدد من العلوم، ان لم يكن اغلب العلوم، واذا جاز لنا ان نتخير مثالا على مدى الاجحاف الذي لحق بالعلم العربي، فاننا سوف نتخذ من الطب العربي شاهدا حيث يغني الشاهد الواحد عن شواهد كثيرة، قد لحق بها ظلم كبير ليس عن جهل فحسب، وانما - وهذا هو المهم في الامر - عن سوء قصد ونية مبيتة حيال العرب وعلم العرب.

وعلى سبيل المثال فان جوستاف جرونيباوم Grunepaum G. يرى ان الطب لدى المسلمين كان عالة على طب الاغريق حيث يقول «أما العلوم الطبية فإنها لم تعالج قط بدرجة من الاستقلال تسمح بفحص الهيكل النظري الذي فرضه عليها الاقدمون - يقصد بذلك الاغريق - وكان أذكى الباحثين من الاطباء المسلمين يقبلون على ما خلفه الاغريق من علوم التشريح والفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) والباثولوجيا (علم الامراض) قانعين بتصحيح بعض التفاصيل، وكانت رغبتهم في بدء البحث تكاد تكون غير معروفة (٥).

وقد شايعه فيما ذهب اليه مؤرخ آخر وهو كراوذر Krawther اذ يقول: «وكانت الزيادات التي اضافها المسلمون الى التشريح وعلم وظائف الاعضاء قليلة، وذلك لان الإسلام حرم تشريح جسم الانسان والحيوان مما منعهم من اجراء التجارب الفسيولوجية والكشف عن اخطاء جالينوس، وفي الواقع لم يضيفوا شيئا، وكانت اضافتهم ضئيلة في علم النبات» (٦)، ويكرر المؤلف هذه النظرة حيال العلم العربي التي ظاهرها المدح وباطنها القدح، اذا يقول في موضع آخر: «وأجل خدمة اداها المسلمون الى العلم، احياء علوم الاغريق، كما انهم اضافوا كثيراً الى العلوم الرياضية والكيمياء، ولكن كانت اضافتهم في الفلك والطب اقل مما في علمي الهندسة والطبيعة وعلم الحياة التجريبي» (٧).

نخلص من هذه لنقول، ان الطب شأنه في ذلك شأن كثير من العلوم التي برز فيها العرب، وافاضوا من ابداعهم العلم الذي تميز بقدر كبير من الاستقلال عن الاغريق، غير أن هذا الابداع العلمي لم

يحظ بغير التجاهل المتعمد في اغلب الاحيان، والدليل على ذلك ما كتبه الدكتور ادوارد براون E. Browne ضمن فصول كتابه «الطب العربي» حيث خرج عن حدودالعنوان، ليدخل في قضايا فرعية استغرقت معظم صفحات الكتاب مثل: من هم العرب؟ وهل كان العرب من ذوي الحضارة، أم أنهم مجرد نقلة لحضارات اليونان والفرس والهنود؟ وهل كان الطب العربي طبا عربيا ام اسلاميا؟...الخ، الأمر الذي حدا بالمترجم أن يخصص فصلاً كاملا للرد على ما ورد في الكتاب من آراء وقضايا ابتعد فيها عن جادة الصواب (٨).

ولأن تاريخ العلم لا يعدم باحثين قد توفروا على دراسة التراث العلمي العربي - بقدر أو بآخر- فأبانوا أصالة الانتاج العلمي للعلماء العرب، وكشفوا عن قدر كبير من فضل سبقهم في ميادين شتى من العلم، وسوف نحاول في النقاط التالية أن نرد على تلك المزاعم التي تجرد العرب من أي قيمة علمية، من خلال أقوال عدد من المؤرخين الغربيين أنفسهم، باعتبارها شهادة من الغير:

شهادات منصفة

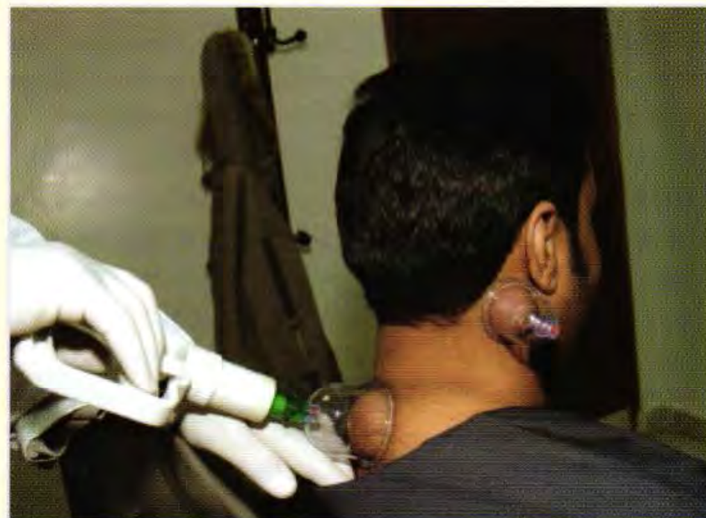
١- يقول مونتجمري وات في كتابه «فضل الإسلام على الحضارة الأوروبية»: وبلغ العديد من المسلمين شأوا بعيدا في الإلمام بعلم الطب، لدرجة أنهم بزوا أسلافهم بمراحل، وانما تحقق لهم هذا اذ جمعوا بين المعرفة النظرية الواسعة والمران العملي الذي دونوا أثناءه الملاحظات الثاقبة الدقيقة، ويكفي ان نشير هنا الى اشهر طبيبين: وهما الرازي وابن سينا، فلا يزال للرازي (توفي بين عامي ٩٢٣ و ٩٣٢ بين ايدينا اكثر من خمسين مؤلفاً، من افضلها رسالة في الجدري والحصبة، ترجمت الى اللاتينية واليونانية والفرنسية والإنجليزية، واعظم كتبه هو كتاب «الحاوي» الذي كان موسوعة لكل المعارف الطبية في زمنه، وقد عرض بصدد كل مرض آراء المؤلفين اليونانين والشاميين والهنود والفرس والعرب، مضيفا ملاحظاته من خلال تجاربه العملية، ومعبراً في الختام عن وجهة نظره.

العرب أبدعوا في ابراز الطب بالطرق العلمية غير أنهم لم يحظوا بغير التجاهل المتعمد من قبل مؤرخي الغرب ومستشرقيه

أما المؤلف الشهير الثاني فهو ابن سينا (توفي عام ١٠٣٧) وكتابه الكبير «القانون في الطب» يعتبر بحق - على حد تعبير مايرهوف M. Meyerhof ذروة التصنيف المنهجي العربي وروائعه، وقد ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وظل يهيمن على الدراسات الطبية في أوروبا حتى نهاية القرن السادس عشر على أقل تقدير، وفي القرن الخامس عشر صدرت منه ست عشرة طبعة، في حين صدرت منه عشرون طبعة في القرن السادس عشر، وطبعات أخرى في القرن السابع عشر.

ولم يمض زمن طويل على وفاتهما حتى ظهر كاتب مبتدع، هو أبوالقاسم الزهراوي (المتوفي بعد عام ١٠٠٩) وتعتبر كتاباته في الجراحة والأدوات الجراحية المساهمة العربية البارزة في هذا الميدان الطبي (٩).

٢- من الثابت أن الطب قد حظي بقدر كبير من الاهتمام في الحضارة العربية الإسلامية فمن يرجع الى كتاب «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة سوف يجد عشرات الأسماء اللامعة في سماء الطب العربي ومئات المؤلفات الطبية التي عرف معظمها طريقه الى أوروبا حيث ترجمت الى اللاتينية ومنها الى سائر لغات أوروبا، وكان من فرط اهتمام العرب بالطب، إنشاء المستشفيات في الحواضر الإسلامية وعقد الامتحانات للطلاب الراغبين في ممارسة الطب، يقول شارل سورنيا ch. sournia في كتابه «تاريخ الطب»: ففي سنة ٩٢٢ فرض الخليفة المقتدر امتحانا تمهيديا قبل ممارسة مهنة الطب، وأوكل الى احد اطبائه مهمة تنظيم هذه الامتحانات، وكان بامكان التلاميذ التدرب على المهنة سواء بتلقي العلم على يد معلم يدفعون له او بالتردد على مدرسة طبية.



ويحصي ابن بطوطة الذي طاف العالم من طنجة الى الصين في القرن الرابع عشر أربعة وثلاثين مستشفى في الشرق نستطيع زيارة بعضها الى الآن في بغداد وحلب والقاهرة، أما الخليفة في قرطبة فقد كان له وحده أربعون مستشفى لم يتبق منها أي شيء تقريبا.

وكان الاطباء المؤهلون يعالجون المرضى داخل هذه المنشآت، وكان التلاميذ بعد اختيارهم يقومون بفحص المرضى ثم يُسلمونهم الى مساعدين اكثر خبرة قبل ان يؤكد المعلم صواب الشخيص ويصف العلاج المناسب، وفي حين انشأ العالم الاسلامي- خلال اربعة قرون- مستشفيات ذات طابع تعليمي، انتظر الغرب المسيحي حتى القرن الثامن عشر لكي ينشئ مثلها (١٠).

٣- يذهب مؤرخ شهير مثل هـ. ج. ويلز H.G. Wells مذهبا يناقض تمام المناقضة ما ادعاه جرونيباوم بأن الطب العربي كان عالة على طب الإغريق، ويكاد علم الاقراباذين (المادة الطيبة) لديهم أن يكون هو نفس ما لدينا، ولا يبرح كثير من طرق العلاج عندهم مستعملا بين ظهرانينا الى اليوم، وكان جراحوهم يفهمون استعمال التخدير ويقومون بطائفة من اصعب العمليات المعروفة، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحرم ممارسة الطب انتظاراً منها لاتمام الشفاء على يد المناسك الدينية التي يقوم بها

القساوسة، كان لدى العرب عِلْمٌ طبيٌّ (١١).

٤- أما عن جالينوس الذي يزعم كراوذر ان العلماء العرب لم يكتشفوا أخطاءه، فإن من يقرأ اسفار التراث العربي في الطب وغيره من المؤلفات التي تتعرض لجالينوس، فسوف يجد ان جمهرة كبيرة من العلماء العرب قد تناولوا أخطاءه بالنقد تارة وبالتصحيح تارة أخرى. فمن هؤلاء العلماء، البيروني الذي نقد جالينوس في سخرية مريرة قائلا: «وذكر جالينوس حية سماها ملكة الحيات، من رآها أو سمع صفيرها يموت مكانه، فليت شعري من أخبر بمكانها أو أخبر أمرها إذا كان المطلع عليها ميتا»(١٢).

ومن بين العلماء العرب الذين كشفوا اخطاء جالينوس، عبداللطيف البغدادي في كتابه المشهور «الافادة والاعتبار» يصف فيه تلا من جماجم الموتى لمجاعة حدثت في مصر فيقول: «فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها، ما افادنا علما لا نستفيده من الكتب، اما انها سكتت عليها او لا يفي لفظها بالدلالة عليه او يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها، والحس اقوى دليلاً من السمع، فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه، فان الحس اصدق منه.

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرجا ان امكن، فمن ذلك عظم الفك الاسفل، فان الكل قد اطبقوا - اي اجمعوا - على انه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك، وقولنا الكل، انما نعني به هاهنا جالينوس وحده، فانه هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينه، وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا، والذي شاهدناه من حال هذا العضو، انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا، واعتبرناه - اي فحصناه - ما شاء الله من المرات في اشخاص كثيرين تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه، ثم اننا استعنا بجماعة اعتبروه - اي فحصوه - بحضرتنا وفي غيبتنا، فلم يزيدوا على ما شاهدناه منه.... الخ» (١٣).

ويعلق د. توفيق الطويل على هذا النص بقوله: ان البغدادي قد رفض جالينوس مع شهرته ومكانته مصدراً للحقيقة، وهذه ظاهرة لم تعرفها أوروبا الا في مطلع عصورها الحديثة، وانه حرص على ان يستقي حقائقه من مشاهداته وحدها، وانه قد توخى أن يكرر خبرته الحسية ولا يتعجل في اصدار حكم لا تبرره مقدماته، وزاد فاستعان بغيره من العلماء في مشاهدة ما شاهده بنفسه خشية ان يكون قد أخطأ.

وشبيه بهذا موقف ابن النفيس، اول من كشف الدورة الدموية الرئوية في تاريخ الطب، فقد تحرر من سيطرة جالينوس وابن سينا مع فرط اعجابه بأولهما، وباشر التشريح بنفسه، برغم انه كان يزعم انه لم يباشره عملا بالشريعة، وفي عباراته يشهد بما نقول (١٤).

٥- ويلخص المستشرق الفرنسي جوستاف لو بون j.le Bon دور الحضارة العربية الاسلامية في النهوض بعلم الطب وأثره في أوروبا فيما بعد، إذ يقول في فصل خاص بعنوان «العلوم الطبية» وذلك في كتابه الشهير «حضارة العرب»: «يعد الطب والفلك والرياضيات والكيمياء أهم العلوم التي عني بها العرب، وأتم العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم، وترجمت مؤلفات العرب الطبية في جميع أوروبا، ولم يتلف قسم كبير منها كما أصاب كتبهم الأخرى.

ويعد الرازي من أشهر أطباء العرب، فقد وضع آثار من ظهر قبله من الاطباء على محك النقد الشديد فوق فراش المريض، وكان واسع الاطلاع على علم التشريح، وكان كتابه في أمراض الأطفال اول كتاب بحث في هذا الموضوع، ويرى في كتبه وسائل جديدة في المداواة، كاستدخام البارد في الحميات المستمرة الذي اخذ به علم الطب الحديث.

وترجمت أكثر كتب الرازي الى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات، ولاسيما في البندقية سنة ١٥٠٩م، وفي باريس سنة ١٥٢٨م، وسنة ١٧٤٨م، وأعيد طبع كتابه في الجدري والحصبة سنة ١٧٤٥م، وظلت جامعات الطب في اوروبا تعتمد على كتبه زمنا طويلا، وكانت كتبه مع كتب ابن سينا، أساساً للتدريس في جامعة «لوفان» في القرن السابع عشر من الميلاد.

مطالب اليوم

نخلص من هذا لنقول: ان العرب مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى بالدفاع عن هويتهم وعقيدتهم، فقد دلت الحوادث المعاصرة على ان الغرب قد استعاد ذاكرة الحروب الصليبية في ذهنه واسترجعوا ما كتبه المستشرقون الذين يناصبون العرب والاسلام العداء وما أكثرهم، فأصبح الهجوم على العرب كأمة وعلى الاسلام كعقيدة جزءاً اساسياً من ثقافة الغرب وادبياته التي نطالعها صباح مساء في صحفه وكتبه، لذلك كله يجب ان نكون اكثر انصافا لانفسنا، فما افادته اوروبا من الحضارة العربية الاسلامية ليس بالقليل، ولعل البداية الحقيقية تتمثل في بيان ما اسداه العرب للحضارة الانسانية من خلال العكوف على التراث العلمي العربي درسا وبحثا وتحليلا، وليس ابتغاء وجه الحقيقة فحسب، وانما لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي لحقت بدور العرب في تاريخ العلم الانساني العام، وهو تاريخ يوشك أن يكون مجهولا، لا في الغرب نفسه، بل - وللأسف الشديد - يوشك ان يكون مجهولا لدى الغالبية من النشء العربي.

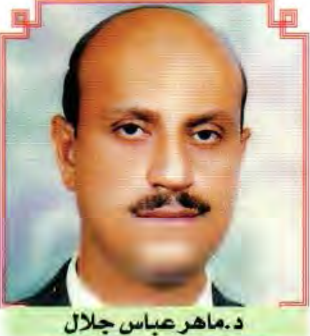
ولعل ما سطرناه هو جزء يسير من فيض غزير مما ابدعه العلماء العرب، وقد حرصنا على ان نستشهد بما كتبه بعض المستشرقين الذين توفروا على دراسة مؤلفات العلماء العرب، واستبان لهم حجم العطاء العلمي للحضارة العربية الاسلامية كرسالة موجهة للنشء العربي كي يكونوا خير خلف لخير سلف.

الهوامش

١- في تراثنا العربي الإسلامي، د. توفيق الطويل ٨٥.
٢- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، د. عبدالحليم منتصر، ص ٨٢١.
٣- المصدر السابق، ص ٥١.
٤- موجز تاريخ العلم، لفيف من الباحثين، ترجمة د. عزت عبدالرحمن شعبان، ص ٥١.
٥- حضارة الاسلام، جوستاف جرونيباوم، ترجمة عبدالعزيز جاويد، ص ٠٣٤.
٦- صلة العلم بالمجتمع، ج. كراوذر، ترجمة حسن خطاب، ص ٢٧١.
٧- المصدر السابق، ص٦٧١.
٨- الطب العربي، ادوارد براون، ترجمة د. داود سلمان علي، ص ٩١١ - ٠٢١.
٩- فضل الاسلام على الحضارة الاوروبية، مونتجومري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، ص ٤٥.
١٠- تاريخ الطب، جان شارل سورنيا، ترجمة د. ابراهيم البجلاتي، ص ١٩.
١١- معالم تاريخ الانسانية، هـ . ج. ويلز، ترجمة عبدالعزيز جاويد، ج٣ ص ١٣٨.
١٢- الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني، تحقيق سالم الكرنكوي، ص ٩٩.
١٣- الإفادة والاعتبار، عبداللطيف البغدادي، تقديم د. عبدالرحمن الشيخ، ص ٩٤١.
١٤- في تراثنا العربي الاسلامي، مصدر سابق، ص ٠٢.

نعمة الألم بين الطب والدين

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمه الوفيرة، فقال سبحانه ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقد يكفر الإنسان ببعض هذه النعم جاهلاً أو غافلاً، إذ قد يبدو الشيء في ظاهره نقمة لكنه في حقيقته نعمة، ومن الألم ما له وجهان، ونحن قد لا نرى إلا وجها واحداً منهما فقط، وهو جانب الشقاء والعذاب.



د.ماهر عباس جلال

و يعرف أهل اللغة الألم بأنه الوجع (١)، أما عند الفلاسفة فهو «حالة نفسية يصعب تعريفها، وتتميز بإحساس مادي أو معنوي بعدم الراحة أو بالضيق أو المضض» (٢)، ويرجع السر في تعريف حالة الألم إلى كون الألم إحساساً شخصيا إلى حد كبير، فالاصابة مثلا التي تسبب ألماً حاداً لأحد الأشخاص قد تسبب ألما أخف لشخص آخر (٣).

وأحياناً يكون الألم عند بعض الناس متضخماً، فيبدو أكبر من أسبابه (٤).

والألم في الطب «إحساس مرهق يتسبب عن تنبيه نهايات عصبية ميكروسكوبية تختلف عن سواها من النهايات الحساسة بكونها عارية» (٥).

أسباب الألم

تتنوع الآلام، فبعضها بدني مادي، والآخر نفسي. أما الأسباب الجسمية المادية فنحو الجوع، والعطش، والجروح، والحروق... إلخ، وأما الأسباب النفسية فمثل: القلق والهم، والمخاوف... إلخ (٦) والناس عادة ما يقرنون الألم بالإصابات البدنية أو المرض، متناسين أن الأحاسيس أو العواطف يمكن أن تسبب ألما أيضاً، فالإزعاج على سبيل المثال- يمكن أن يسبب توتراً مؤلماً في عضلات الرقبة (٧).

وأحياناً تبدو بعض الآلام مجهولة السبب، مثل: الألم العصبي، والألم العضلي للالتهاب الدماغي النخاعي (٨).

ولا شك أن تحديد سبب الألم ومعرفة مصدره بدقة من الأمور الضرورية لعلاج الألم أو الوقاية منه مستقبلاً، وإن كان يصعب أحياناً تحديد مصدر الألم، وأحياناً يلتبس على المريض تحديده، فالمريض مثلا بالذبحة الصدرية لا يشعر بالألم في قلبه، بل يشعر به في ذراعه اليمنى، أو في رقبته، أو مقدم صدره (٩)، وهذه الآلام المجهولة السبب أو المصدر من أخطر أنواع الآلام، فقد تتحول الى آلام مزمنة تهدد راحة الإنسان زمناً طويلاً.

أنواع الألم

تتنوع الآلام حسب شدتها أو ضعفها، وكذلك حسب مدتها الزمنية.

أ- أنواع الآلام حسب الشدة والضعف

تنقسم الآلام حسب شدتها وضعفها الى آلام ضعيفة، وآلام متوسطة، وأخرى حادة.

ب- أنواع الآلام من حيث المدة الزمنية

وتنقسم الآلام - حسب المدة الزمنية- الى آلام قصيرة الأجل، وهذه تزول بمجرد السبب أو المؤثر، وغالباً ما تكون حادة (١٠)، وآلام مزمنة تدوم وقتا طويلاً وتعاود صاحبها كل فترة زمنية، وهذا النوع من الآلام يعد من أخطر أنواع الآلام، وذلك لأنه يصعب علاجه بصورة نهائية، مثل أنواع معينة من السرطان، والتهاب المفاصل، كما انه يقاوم العلاج، وقد يؤدي إلى انهيار عقلي أو الى إدمان العقاقير المخدرة، وحتى التدخل الجراحي في مثل هذه الآلام قد لا يكتب له النجاح (١١). ويدخل المريض الذي يعاني من هذه الآلام المزمنة في دوامة متصلة من الآلام، فتوقعه للآلام وانتظاره لها يسبب له آلاماً نفسية ريثما تعاوده الآلام المزمنة مرة اخرى، وهكذا تصبح حياته عبارة عن سلسلة من الآلام المتصلة يسلم بعضها إلى بعض.

هل الألم شر خالص؟

يقرن كثير من الناس الألم بالشر والإحساس بالبغض أو الكره، ويتضح هذا في تعريف التهانوي للألم، حيث يقول «الألم إدراك ونيل لما هو عند المدرك آفة، وشر من حيث هو كذلك» ويعرف بعضهم الألم بأنه إحساس مرهق (١٣)، أو بأنه إحساس بغيض (١٤).

فهل يعني هذا كله أن الألم في جميع أحواله شر خالص، فلا يرتجى من ورائه نفع أبداً؟

إن النظرة العجلى والتفكير السطحي يمكن أن يسلما إلى إجابة متسرعة، وهي أن الألم - فعلاً- شر خالص، لكن النظرة المتأنية والتفكير العميق - بتقليب الأمور على جميع أوجهها، والبحث عن الحقيقة من جميع وجوهها- يثبتان عكس



ذلك، فالله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، والألم شيء من الأشياء، ومن صفاته - سبحانه - أنه حكيم خبير، بتقليب حكمة الله ألا يخلق الشيء عبثاً من دون نفع أو جدوى، فمن المؤكد إذن ان ثمة منفعة من ورائه للبشر علمها من علمها وجهلها من جهلها، وما علينا إلا أن نتريث ونتأمل هذه الآلام، وندرسها بشيء من المثابرة والتعمق، لنعرف ثمارها وفوائدها أو الحكمة منها.

فوائد الألم

إن الحديث عن فوائد الألم متشعب، وذلك أن فوائد الألم متنوعة، بعضها مادي، وبعضها نفسي معنوي، وبعضها يتحقق للفرد، وبعضها يتحقق للجماعة أو الأمة، وأبرز هذه الفوائد

١- الألم ذو فائدة بيولوجية، فهو بالرغم من أنه إحساس غير مرغوب فيه يشبه ناقوس الخطر، ويؤدي الى أعمال عصبية انعكاسية تهدف الى حماية الجسم من المؤثر الخارجي أو الداخلي الذي قد يتلف الأنسجة، فضلا عن أن الألم يجبر الإنسان على الراحة وعلى استشارة الطبيب، مما لا يترك الفرصة للمرض حتى يستفحل وحينئذ يصعب علاجه (١٥).

فبذا يكون الألم وقاية للإنسان من آلام أكبر، هذا بالنسبة للألم المادي.

وكذلك الحال بالنسبة للألم النفسي، فإن الألم النفسي الناشئ عن خوف العبد من عذاب الله يقيه من وقوع العذاب الأليم به في الدنيا أو الآخرة، ومن ثم نرى أن العذاب وصف بكلمة «أليم» في القرآن الكريم في اثنين وسبعين موضعاً (١٦).

٢- الألم ذو فائدة دينية عظيمة، فهو ابتلاء، والابتلاء مع الصبر نعمة تستوجب الشكر، فيطهر الله به الإنسان من الآثام والذنوب، بل ان الله اذا أحب عبداً واصطفاه ابتلاه، وأشد الناس بلاء هم الأنبياء، فعن معصب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (صححه الترمذي).

فالألم يصهر معدن الإنسان المسلم، فتصفو روحه، ويزكو خلقه، وتطهر نفسه، فألم الابتلاء سبيل إلى لذة التقوى ونعيم القرب من الله، وهل يبرق الذهب إلا إذا ذاق آلام النار؟!

٣- الآلام قد تصحح مسار الإنسان المسلم، وتفيقه من غفوته، فيرجع عن سالف عهده من الذنوب والمخالفات، فمن رحمة: الله أنه جعل الآلام نذيراً لخطر داهم وعقوبة شديدة، فإذا أفاق العبد وتضرع إلى الله رفع عنه الضر، قال سبحانه ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون﴾ (الأعراف:٩٤).

فإذا لم يفقه المسلم حكمة الله في هذا البلاء، وتماى في غيه، حقت عليه كلمة العذاب، قال عز من قائل ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ٤٢-٤٥).

٤- الألم قرين الإحساس، والإحساس آية الحياة، ولا يمكن أن تتصور حياة خالية من الإحساس، فأنا أتألم إذن أنا موجود، فمن أراد أن يعش بلا ألم ومعاناة، فقد اختار لنفسه الموت لا الحياة، فأنا موجود إذن لابد أن أتألم. وقد خلق الإنسان في كبد ونصب كما قال سبحانه مقسماً ﴿لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالدٍ وما ولد. لقد خلقنا الإنسانَ في كبد﴾ (البلد: ١-٤).



٥- الآلام تربي فينا نعمة الإحساس بالآخرين، فنقدم لهم يد العون والمساعدة، فيتحقق بذلك التكافل الاجتماعي، فالغني يتألم للفقير فتكون الصدقة والزكاة، والمقتدر يتألم للمعوزين فتكون المشروعات الخيرية، والقوي يتألم للضعيف فيكون العون والمساعدة، والعالم أو المخترع يتألم لمأساة مجتمعه ومعاناته فتكون الاختراعات والاكتشافات العلمية، وهكذا.

٦- الآلام تقوي العزيمة والإرادة، وتثبت دعائم الرجولة الحقة، فيكتسب المسلم حصانة من آلام الحياة، ويستمد من مقاومتها قوة وصلابة يستطيع بها مواجهة صعوبات الحياة وظروفها القاسية، فألم الإخفاق يبصر صاحبه بطريق النجاح، وألم القهر والتسلط يدفع صاحبه الى البحث عن طريق الحرية، وألم الندم على المعصية يقود الى لذة الطاعة، وألم الفقر يخطو بصاحبه صوب الغنى والثراء.



ولا غرو إذا علمنا أن الأعمال الشاقة تزيد المرء قوة وقدرة على تحمل الأعباء، ولنا في أنبياء الله أسوة، فإدريس عليه السلام كان خياطاً (١٨)، ونوح كان نجاراً (١٩) وداود كان حداداً (٢٠)، وموسى كان راعياً للغنم (٢١)، كما كان محمد ﷺ راعيا للغنم كذلك، مع ما في الرعي من تعلم الصبر وتعود حسن سياسة الرعية، قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (صحيح البخاري).

٧- تسهم الآلام في صنع مستقبل الشعوب وقيام حضاراتها، فكثير من الأمم عانت آلام التخلف والفوضى ردحاً من الزمان، فما كان منها إلا أن تحسست خطاها نحو العلم والحضارة، مثل أوروبا كانت تعيش في ظلام دامس في العصور الوسطى، ثم ما لبثت أن قامت الثورة الصناعية ثم الحضارة الغربية التي يزهو العالم بها اليوم، وكثير من الدول عانت آلام الذل والاستعمار، فكان ذلك سبباً في سعيها لاسترداد حريتها ونيل استقلالها، مثل جنوب إفريقيا في ظل الحكومة العنصرية، فهي حرية حمراء مقرونة بدماء الشعوب كما قال شوقي:

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق (٢١)

وعندما تعاني الشعوب ويلات الحروب وآلامها، تسعى جاهدة إلى السلام والوئام، فإذا كان الإيلام لطرفي النزاع معاً، كان السلام رغبة مشتركة بينهما، أما إذا كان السلام من طرف واحد وهو الذي يحس بالإيلام الحقيقي، فهو استسلام وإذعان.

الألم نعمة يثاب عليه الإنسان المسلم وباعثاً للهمم ومحركاً للطاقات البناءة ومثيراً للعقول المبدعة

متى يكون الألم نعمة؟

الألم يمكن أن يكون نعمة لصاحبه، كما يمكن أن يكون نقمة عليه، شأنه في هذا شأن كثير من الأحاسيس والمشاعر، فمتى يكون الألم نعمة؟

يمكن للألم أن يكون نعمة إذا توافرت فيمن أبتلي به بعض الشروط الضرورية، وهي:

١- الإيمان بالقضاء والقدر، وبأن هذه الآلام من قضاء الله وقدره، قال تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾ (التغابن:١١)، وقال سبحانه ﴿وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً﴾ (النساء:٧٨).

٢- التحلي بالصبر، فإن ذلك من عزم الأمور قال سبحانه، على لسان لقمان واعظاً ولده ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان:١٧).

والصبر على آلام الابتلاء عاقبته خير، فهاهو موسى يوصي قومه بالصبر على أذى فرعون وآله، ليورثهم الله الأرض من بعدهم، قال سبحانه ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (الأعراف: ١٢٨).

وأيوب عليه السلام لما صبر على الآلام والمرض والابتلاء، جعل الله عاقبته خيراً، قال سبحانه ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ (ص:٤١-٤٣)، وقد مدحه سبحانه بقوله ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ (ص:٤٤).

٣- قوة الإرادة، حتى يمكن تحمل الآلام، فلو استسلم لآلامه دب اليأس في قلبه، وتحول الألم إلى نقمة عليه، فنراه يقنط من رحمة الله، وتثبط همته، ولذا على المسلم دائماً العناية بتربية إرادته وتقويتها، وتدريب نفسه على تحمل آلام الحياة وصعابها، ثم عليه أن يتخطى هذه الآلام ويتناساها، ليتجه إلى العمل النافع والإنتاج المثمر.

٤- الأخذ بالأسباب في معالجة الألم والتخلص من أسبابه إذا استطاع، وذلك للحيلولة دون استفحال الألم، فإهمال الألم سيؤدي حتما الى اشتداده واستفحاله، وحينئذ قد لا يجدي معه علاج، ولا تنفع معه أي مقاومة، فتخور قوى المسلم، ويتحول إلى طاقة معطلة، فيعجز عن مواصلة الكفاح وأداء رسالته في الأرض.

٥- حسن التقدير وبعد النظر، فينبغي على المسلم أن يحسن تقدير آلامه وتشخيصها وكذا تقدير الوسيلة والوقت اللازمين لعلاج الألم ومقاومته، والإنسان من طبعه التعجل، قال سبحانه ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ (الأنبياء: ٣٧).

ثم عليه ان يتحلى ببعد النظر، فالشفاء من الآلام بقدر معلوم، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، فعلى المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح.

فإذا ما توافرت هذه الشروط فعندئذ يكون الألم نعمة، ويثاب عليه الإنسان المسلم، ويصبح الألم باعثا للهمم، ومحركاً للطاقات البناءة، ومثيرة للعقول المبدعة، ويصير أداة بناء في المجتمع لا معول هدم، وسيوصف حينئذ بأنه نعمة الحياة وسر من أسرار النجاح فيها.

الهوامش

١- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١/٤٣٦.
٢- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميركية ببولاق، ١٩٧٩م، ص٢.
٣- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية ١٩٦٦م، طبعة أولى ٢/٥٨١.
٤- المعجم الكبير، ١/٤٣٧.
٥- المعجم الكبير، ١/٤٣٦.
٦- المعجم الكبير، ١/٤٣٦، ٤٣٧.
٧-الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨١.
٨- الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨٢.
٩- الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، طبعة أولى، ١٩٦٥م، ١/٢٠٨.
١٠- الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨١.
١١- الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨٢.
١٢- المعجم الكبير ١/٤٣٧.
١٣- الموسوعة العربية الميسرة: ١/٢٠٨.
١٤-الموسوعة العربية العالمية: ٢/٥٨١.
١٥- الموسوعة العربية الميسرة: ١/٢٠٨.
١٦- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص ٤٧ -٤٩.
١٧- تاريخ الطبري، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، طبعة أولى، ١٩٨٥م، ١/٨٨.
١٨- المرجع السابق ١/٩٣.
١٩- المرجع السابق ١/٢٤٢.
٢٠- قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، عمان، طبعة أولى، دون تاريخ، ص ٢٧٦.
٢١- الشوقيات، أحمد شوقي، شرح وتعليق د.يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، طبعة أولى، ١٩٩٦م، ٢/٤٠١.



جسم الإنسان بين اليوم والأمس

زيناء أنس ليلى

لاشك أن هدي النبي ﷺ في الطعام والشراب ذو فائدة جمة لصحة الإنسان، ويظهر العلم يوما بعد يوم هذه الفوائد من خلال الأبحاث المعملية والتجريبية الحديثة، وفي هذا المقال سنتناول هديه ﷺ في تناول حبوب الشعير خبزا وحساء وشرابا، وكيف أن النبي ﷺ وصفه لمداواة المرضى وتخفيف الحزن والغم الذي يعتري النفس الإنسانية بين حين وآخر، وسنعرض نتائج البحوث الحديثة التي توضح بالدليل العلمي الفوائد الغذائية والدوائية لحبوب الشعير، مما يثبت ويؤكد أن حديث النبي ﷺ في هذا الموضوع خارج من مشكاة النبوة.

أولا: أهم الأحاديث الواردة في الموضوع

١ - روى الترمذي بسنده عن سليم بن عامر سمعه أبو أمامة يقول: «ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير» (حسن صحيح غريب).

٢ - في الصحيحين من حديث عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن».

٣- روى الترمذي من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه وكان يقول: «إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها» (ضعيف الترمذي).

أشارت هذه الأحاديث إلى استعمال حبوب الشعير غذاء ودواء فقد استعمله النبي ﷺ لأهل بيته خبزا، وأمر به للمريض الذي لا يطعم الطعام، وأمر به للحزين، وإصلاح فؤاد المريض، وأمر به للمبطون فإن حساء الشعير يغسل بطن المريض، ويرتو - أي يشد ويقوي - فؤاد الحزين، ويسرو - أي يكشف - عن فؤاد السقيم.

والتلبين لغة: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه، وقال الهروي - رحمه الله: سميت تلبينة لشبهها باللبن لبياضها ورقتها، وقال ابن القيم - رحمه الله: وهذا الغذاء هو النافع للعليل وهو الرقيق الناضج، لا الغليظ النيئ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير، فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحا والتلبينة تطبخ منه مطحونا، وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن.

ثم قال - رحمه الله: وقوله ﷺ: «مجمة لفؤاد المريض» يروى بوجهين بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم، والأول أشهر ومعناه مريحة له أي تريحه وتسكنه، من الإجمام وهو الراحة. وقوله: «تذهب ببعض الحزن»، قد يقال - وهو الأقرب: إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية والله أعلم. ويقول - رحمه الله - في تفسير حديث عائشة - رضي الله عنها: «إنه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها» ومعنى يرتو أي يشد ويقوي، ويسرو يكشف ويزيل. ثم يقول - رحمه الله: وقد تقدم أن هذا ماء الشعير المغلي وهو أكثر غذاء من سويقه وهو نافع للسعال، وخشونة الحلق، صالح لقمع حدة الفضول، مدر للبول، جلاء لما في المعدة، قاطع للعطش، مطفئ للحرارة.

ثم قال - رحمه الله: وصفته (ماء الشعير) أن يؤخذ من الشعير الجيد المرضوض مقدارا ومن الماء العذب الصافي خمسة أمثاله. انتهى كلامه - رحمه الله.

البحوث العلمية

توافقت البحوث الحديثة في مجال الغذاء والاستطباب بالشعير مع هدي سيد الأنام ﷺ وسأعرض نتائج هذه الأبحاث إثر بيان الدلالة في نص الأحاديث النبوية كالتالي:

تعريف الشعير: هو نبات حولي من الفصيلة النجيلية ويشبه في شكله العام نبات الشوفان والقمح وهو أقدم غذاء للإنسان واسمه العلمي: Hordeum valgara.

ويبين الجدول التالي التحليل الكيميائي لحبة الشعير وذلك نقلا من كتاب العلاج بالتلبينة للأستاذ عبد الكريم التاجوري نقلا عن بحث قام به معهد البحوث الزراعية بجامعة ألبرتا بكندا، وكان عنوان البحث، أهمية المنتجات المحتوية على منتجات الشعير على صحة مرضى السكر (النوع الثاني غير الوراثي) وتحديد أهمية استخدام منتجات الشعير وتأثيرها على نسبة السكر والدهون في الدم، وكانت النتيجة النهائية لهذا البحث توضيح أهمية غذاء الشعير وخبز الشعير كوسيلة لزيادة كمية الألياف المطلوبة للجسم القابلة للذوبان وغير القابلة للذوبان، لخفض نسبة السكر والدهون في الدم.

والكولسترول: هو مركب دهني نتناوله في طعامنا، وتكونه أجسادنا ويجري في دمائنا وله حد طبيعي إن زاد عنه تترسب هذه الزيادة على جدران الأوعية الدموية وتضيقها، وتعد زيادته أحد الأسباب المؤدية إلى الإصابة

الطب النبوي يساهم في مداواة المرض وتخفيف الحزن والغم .. والأبحاث العلمية والتجريبية الحديثة أثبتت ذلك

بأمراض القلب والشرايين.
أثبتت الدراسات العلمية فاعلية حبوب الشعير الفائقة في تقليل مستوى الكوليسترول في الدم من خلال عدة عمليات حيوية منها:

تحتوي حبوب الشعير على مركبات مشابهة لفيتامين E الذي يعد من أشهر مضادات الأكسدة التي لها القدرة على تثبيط إنزيمات التخليق الحيوي للكوليسترول.

تحتوي ألياف الشعير المنحلة على مادة هامة جدا وهي البيتا جلوكان (Beta-glucan) التي تتحد مع الكوليسترول الزائد في الأطعمة والأحماض الصفراوية مما يقلل وصوله إلى تيار الدم.

وتشير نتائج البحوث إلى انخفاض نسبة الكوليسترول العام بنسبة ١٠ في المائة، وانخفاض نسبة الكوليسترول منخفض الكثافة ldl إلى ٨ في المائة، وارتفاع نسبة الكوليسترول عالي الكثافة hdl إلى ١٦ في المائة.

ينتج عن تخمر الألياف المنحلة في القولون أحماض تمتص من القولون وتتداخل مع استقلاب الكوليسترول فتعيق ارتفاع نسبته في الدم.

الشعير يكبح جماح ضغط الدم لسببين:

أ - يحتوي على كمية وافرة من عنصر البوتاسيوم حيث يخلق هذا العنصر التوازن اللازم بين الملح والماء داخل الخلية.

ب - الشعير مدر للبول مما يقلل من ضغط الدم.

ثانيا قوله ﷺ «تذهب ببعض الحزن» أثبت الباحثون أن الحزن والاكتئاب هو خلل كيميائي، كما أثبتوا أن هناك مواد لها تأثير في تخفيف الاكتئاب والحزن، مثل: عنصر البوتاسيوم والمغنيسيوم ومضادات الأكسدة والميلاتونين وبعض عناصر فيتامين (ب) المركب والسيراتونين، فما علاقة الشعير بذلك؟

- يحتوي الشعير على عنصري البوتاسيوم والمغنيسيوم اللذين يؤدي نقصهما إلى سرعة الغضب والانفعال والشعور بالاكتئاب والحزن، وضبط عنصر البوتاسيوم والمغنيسيوم له تأثير في تخفيف الاكتئاب عن طريق تأثير هذين العنصرين على بعض الموصلات العصبية، وانظر إلى قوله ﷺ: «يذهب - ببعض - الحزن»، وقول الباحثين يؤدي إلى تخفيف الاكتئاب.

يشعر الإنسان بالميل إلى الاكتئاب عند تأخر العمليات الفسيولوجية للموصلات العصبية وهذا من أهم أسبابه نقص فيتامين (ب) المركب، والشعير يحتوي على كمية طبيعية من بعض فيتامين (ب) المركب، وهذا مما يساعد على التخلص والتخفيف من الاكتئاب.

إن علاج نقص مضادات الأكسدة مثل فيتامين (هـ) له تأثير فعال في علاج حالات الاكتئاب والشيخوخة وخاصة لدى المسنين، والشعير يحوي كمية كبيرة من مشابهات فيتامين E المضادة للأكسدة وأيضا على فيتامين A المضاد للأكسدة.

يحتوي الشعير على الحمض الأميني تريبتوفان (tryptophan) الذي يسهم في تخليق أهم الناقلات العصبية وهو السيروتونين (serotonin) والتي تؤثر بشكل واضح في الحالة النفسية والعصبية للمريض.

ثالثا: قوله ﷺ: «التلبينة تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ بالماء» فما ذاك؟

التلبينة ملين للأمعاء، مهدئ للقولون، مضاد لسرطان الأمعاء، يوصف حساء الشعير للمرضى كغذاء لطيف سهل الهضم، والشعير غني بالألياف المنحلة وغير المنحلة، وهذه الأخيرة تمتص كميات كبيرة من الماء وتحبسه داخلها، فتزيد من كتلة الفضلات مع الحفاظ على ليونتها مما يسهل ويسرع هذه الكتلة عبر القولون، وينشط الحركة الدودية للأمعاء مما يدعم عملية التخلص من الفضلات، وهناك أبحاث على أهمية الشعير في التقليل من الإصابة بسرطان القولون، حيث استقر الرأي على أن الشعير يقلل من بقاء الفضلات في الأمعاء، مما يقلل من بقاء المواد المسرطنة في الأمعاء، ويقلل من الإصابة بالسرطان، كما أن الشعير يحوي من عناصر مضادات الأكسدة والفيتامينات ما يقاوم الشوارد الحرة (free radical) التي تدمر غشاء الخلية والحمض النووي، وقد تكون المتهم الرئيسي في حدوث أنواع معينة من السرطان.

الشعير لا يحتوي على مادة الجلوتين وهي مادة صمغية يحتوي عليها القمح بوفرة، والجلوتين باللاتينية يعني الصمغ، وقد اكتشف الباحثون أن سوء امتصاص الطعام الناتج عن مرض السلياك إنما هو بسبب مادة الجلوتين الموجودة في القمح، ووجد أن أعراض هذا المرض تختفي تماما باستبعاد مادة الجلوتين من وجبات المريض، ومرض السلياك مرض سوء التغذية نتيجة سوء الامتصاص للمواد الغذائية وعدم امتصاص المواد الدهنية، فانظر إلى الشعير وكيف أن «التلبينة تغسل بطن أحدكم».

يستخرج من الشعير مادة تستعمل حقنا تحت الجلد أو شرابا في حالات الإسهال والتيفوئيد والتهابات الأمعاء تسمى الهوردنين (L'Hordenine).

رابعا: قوله ﷺ: «إنه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم»: ثبتت وفرة الميلاتونين الطبيعي غير الضار في الشعير فكل آثار الميلاتونين تظهر على مغتنم الشعير، فما هو الميلاتونين وما آثاره؟

الميلاتونين: هرمون تفرزه الغدة الصنوبرية الموجودة في المخ خلف العينين ويحصل الجسم على أعلى معدل إفراز منها عند الليل ومع تقدم السن يقل إفراز هذه الغدة، وهرمون الميلاتونين له القدرة على الوقاية من أمراض القلب، وله القدرة على خفض الكوليسترول في الدم مما يؤدي إلى خفض ضغط الدم، وله علاقة بالشلل الرعاش عند المسنين، ويزيد الميلاتونين من وقاية الجسم ومناعته، ويقي الإنسان من الاضطراب في النوم ويعالج حالات الاكتئاب، ويعمل على تأخير ظهور أعراض الشيخوخة.

والشعير من أعلى الحبوب في نسبة احتوائه على الميلاتونين.

قوة الحضارة



د.حلمي محمد القاعود

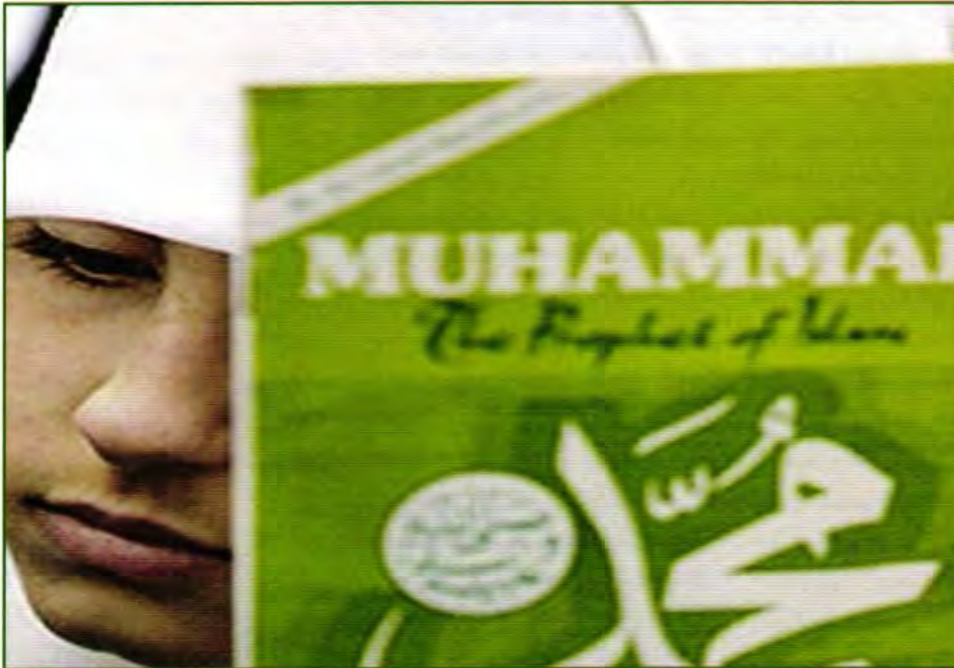
في أواخر عام 2008م كان هناك حدثان لافتان، الأول تصريح توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق حول تحوله من البروتستانتية إلى الكاثوليكية، وحديثه عن الرسول ﷺ، والحدث الثاني هو وفاة الكاتب والأكاديمي اليهودي صموئيل هنتنجتون صاحب نظرية «صدام الحضارات»، وأهمية الحدثين تكمن في ارتباطهما بنظرية خطيرة تتوقف عليها مصائر الشعوب والأمم، ثم التطابق التام في الإستراتيجية الفكرية بين الرجلين مع ما يبدو من تناقض ظاهري بينهما.

قال توني بلير لصحيفة «دي تسايت» الألمانية: «إذا لم تلعب العقيدة الدينية أي دور في القرن الحادي والعشرين، وهو ما لا استطيع تخيله، فإن شيئاً حاسماً سيكون مفقودا» والعبارة تكشف عن إدراك بلير لأهمية الدين- أي دين- في حياة الأمم سواء بالإيجاب أو السلب، وهو من جانب آخر يمثل جوهر نظرية هنتنجتون.

لقد بدأ بلير يتحدث جيداً عن الرسول محمد ﷺ حين وصفه بأنه «قوة حضارية هائلة» وأضاف أنه يقرأ القرآن يومياً بانتظام، ولكنه رفض الإجابة عن سؤال حول إذا ما كان يعتزم اعتناق الإسلام! وإن كان قد أشار إلى أن معتقداته الكاثوليكية- التي تحوّل إليها من البروتستانتية- ساعدته على الضلوع بدوره مبعوثاً للسلام في الشرق الأوسط.

حين سُئل بلير عن القمع الذي يتعرض له بعض المسلمين على يد القوات الغربية المتحالفة، ردّ بشيء من الاستنكار قائلا: من يقمع المسلمين في أفغانستان والعراق؟ لقد أطحنا بدكتاتوريين، وتركنا للشعبين أن يقررا من يحكمهما من خلال صناديق الاقتراع. وأضاف: يُحرض المسلمون مسلمين آخرين على قتل إخوانهم، أخبرني.. من يقمع المسلمين؟ هم أم أنا؟! وهكذا تتجلى أعماق بلير الحقيقية بعد امتداحه للرسول ﷺ وهي الأعماق التي عبّر عنها على السطح رجل آخر، من خلال فكرة «صدام الحضارات» التي كانت إرهاصاً بإستراتيجية ترويع العالم الإسلامي، وإثارة القلاقل في داخله، وتدمير بعض بلدانه، ووضعه على طريق التراجع والتخلف والضعف المشين.

صموئيل هنتنجتون (١٩٢٧ - ٢٠٠٨م) أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد، والمقرب من إدارة المحافظين، أصدر أول كتبه عام ١٩٥٧م بعنوان «العسكر والحكومة المدنية»، وفي عام ١٩٩٣ نشر مقالة في مجلة «الشؤون الخارجية» بعنوان «صدام الحضارات» كانت نواة لكتاب صدر بعد ثلاث سنوات ١٩٩٦م، فصّل فيه رؤيته لطبيعة الصراع في المستقبل بين الغرب من ناحية والحضارات الأخرى من ناحية ثانية، وقد اختص المسلمين بالتركيز من خلال اعتقاده أن الدين أهم عوامل التمييز بين الحضارات، والعامل الأهم في صراعات المستقبل، لذا فالمجتمعات الإسلامية- في رأيه- لا تحدد هويتها إلا بالإسلام «الأصولي»، وترفض



● مفكر إسلامي

العلمانية الغربية، مما يترتب عليه أن الصراع العسكري بين الحضارتين الإسلامية والغربية الذي استمر على مدى القرون الماضية سوف يستمر ويزداد ضراوة في المستقبل، ويخشى صموئيل من الزيادة السكانية في العالم الإسلامي لأنها قد تكون سبباً في مشكلات لأوروبا حين تتزايد الهجرة نحو الغرب.

ويعتقد هنتنجتون أن مناطق الصدام في العالم الإسلامي بين الإسلام وغيره من الأديان هي الأطراف، وأبرزها جنوب السودان والصومال وإريتريا وإثيوبيا ونيجيريا في الجنوب، والبوسنة وكوسوفا وألبانيا وأرمينيا في الشمال، وأفغانستان وباكستان وجنوب الفلبين في آسيا، وقد تحققت توقعات كثيرة للرجل، وخاصة بالنسبة للمسلمين في السودان وشرق إفريقيا ويوغوسلافيا السابقة وجنوب آسيا، وقد تحدث قبيل وفاته بفخر شديد عن صدق توقعاته في تصريحاته إلى صحيفة «دي تسايت» الألمانية التي نقلت تصريحات بلير التي سبقت الإشارة إليها، وقد نشرت الصحيفة كلام هنتنجتون تحت عنوان «الحدود الدموية للإسلام» زعم فيه أن القرن الحادي والعشرين هو «قرن حرب المسلمين».

وقال الرجل «كانت أحداث ١١ سبتمبر أهم تطبيق لنظريتي، فلم تكن حرباً بين دول كما في القرن التاسع عشر أو بين أيديولوجيات كما كانت في القرن العشرين، بل كان هجوماً لمجموعة إسلامية منظمة ضد صورة الحضارة الغربية (أميركا)، وكان المنفذون ينتمون للحضارة الإسلامية».

بيد أن الجانب الأخطر في نظرية هنتنجتون هو الجانب الاقتصادي، فهو يرى أن الكتل الاقتصادية الإقليمية المتنافسة هي صيغة الاقتصاد العالمي في المستقبل، وأن الحضارة الغربية تعيش مرحلة الازدهار الذي وصل إلى القمة اقتصادياً وعسكرياً، وأن الغرب سوف يسيطر على بقية العالم عن طريق المؤسسات الدولية.

وكان قد انتهى في نظريته إلى توصيات في المدى القريب وأخرى في المدى البعيد،



والأولى تتمثل في التعاون الوثيق داخل دول الحضارة الغربية (أوروبا وأميركا الشمالية)، والسعي لدمج دول أوروبا الشرقية وأميركا اللاتينية في المجتمع الغربي واستغلال القرابة الدينية في هذا الدمج، ومنع الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية من التحول إلى صراعات كبيرة، في مقابل الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية ودول شرق آسيا (الصين وكوريا وفيتنام واليابان)، والاحتفاظ بقوة عسكرية في وسط آسيا وشرقها، مع الاستفادة من الخلافات بين الدول الإسلامية والكنفوشية والهندوسية، ودعم النخب المتعاطفة مع قيم الغرب ومصالحه في هذه الدول.

والأخرى تشير إلى أن تحتفظ الحضارة الغربية بقوتها العسكرية والاقتصادية، ومقاومة الحضارات الأخرى التي تسعى للحصول على أسباب القوة الاقتصادية والعسكرية.

إن صموئيل هنتنجتون تلميذ نجيب للمستشرق المتعصب الشهير برنارد لويس، وقد تجلى نبوغه في الإعلان عن تعصبه ضد المهاجرين إلى الولايات المتحدة، وعبّر عن ذلك صراحة في كتابه «من نحن ؟ أطروحة حول الهوية الأميركية» الذي صدر عام ٢٠٠٤م، وهو يرى أن المهاجرين ينتسبون إلى حضارات متعددة وألسنة شتى، ومنهم من تحرر من الانتماءات الإقليمية، أو يسكن في البيوت المتنقلة، وهؤلاء يقسمون الولايات المتحدة إلى شعبين بثقافتين ولغتين، والأخطر هنا أنه يتهم المهاجرين حين يسميهم أتباع «الإسلام الراديكالي» وأبناء الثقافة اللاتينية بالتهديد الحقيقي للأنجلوبروتستانت، حيث نقلوا مفاهيم سلبية إلى المجتمع الأميركي لم تكن موجودة من قبل، أبرزها غياب ثقافة البحث عن المستقبل، وموت الطموح، والقبول بالفقر والبؤس بوصف ذلك شرطاً لدخول الجنة(!) وهذه المفاهيم- في رأيه- مرتكزات الثقافات التي بدأت تتسرب للشعب الأميركي.

تطرح رؤى هنتنجتون كثيرا من القضايا تتعلق بالعرب والمسلمين، وهي في جوهرها تتفق مع فكر من يسمّون بالمحافظين في الغرب وأميركا ومنهم توني بلير، هذا الفكر الذي لا يختلف في روحه عن فكر الحروب الصليبية الأولى، مع الفارق الزمني والصياغة، ويعتمد على التفوق العسكري والاقتصادي والدبلوماسي أو السياسي، والحرص على إضعاف الأمة الإسلامية وعدم تمكينها من الدخول إلى مجالات القوة.

وإذا كان ما يطرحه الآخرون لا يتم تنفيذه في عالم ساكن أو غير متحرك، فإن الأمة الإسلامية، تواجه- كما يفترض- هذه النظريات بأخرى مضادة تحرم أصحاب «صدام الحضارات» من شرف تحقيق غاياتهم الشريرة، خاصة وأنه يمكن وصف المسألة بوصف أدق هو «عدوان الحضارة الغربية».

ولعل الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية من جانب العرب والمسلمين، مع تقديم صورة الإسلام في جوهرها المضيء، ورفض ما يُسمى بصراع الحضارات، وقبول فكرة «تفاعل الحضارات» من أجل التكامل والتطوّر وإفادة الإنسانية.. وإحلال السلام بين البشر يمثل الحل العملي والفعال في هذه المواجهة المفروضة على المسلمين والإسلام.

منهج الشريعة في تربية الشباب

محمد مكين صافي

ربما كان موقع الشباب وسطا بين جيلي الطفولة والرجولة، هو السبب الذي يجعلهم منسيين، او ان يتم التعامل معهم - على الاقل - بنسق التعامل مع الشريحة التي قدموا منها وليس وفقا لاستحقاقات الشريحة التي هم متجهون اليها، هذا بالرغم من ان ديننا كان ومايزال يشدد على الاهتمام بالشباب، تربية وتوجيها واعدادا.وبالاضافة الى ما تشكله هذه الشريحة المفعمة بالهمة والتوثب من رافد قوة للمجتمع عندما يحسن توجيهها او على العكس من عامل ضعف واضطراب فيما لو اهمل شأنها، فإن من الضروري ان نبحث كيف اهتم ديننا بهم، وبماذا امرنا تجاههم، ومنذ البدايات الأولى لتكوين المجتمع الاسلامي التفت نبينا الكريم اليهم، وأولاهم رعايته، وناداهم بالنداء المحبب «يا معشر الشباب...» (البخاري) من يومها والاسلام عبر الكتاب المبين، وفي توجيهات النبي الأمين، يسعى نحو تقديم التوجيهات المصلحة لشأنهم، سواء على مستوى العقيدة والفكر، او على الصعيد النفسي، او السلوك، او حتى على مستوى البدن، في تكامل سها عنه المربون والمسكون بالزمام الى زمن قريب، يوم تبين لهم ماذا يمكن ان يؤدي اليه اهمالهم، واي أياد معوجة سوف تتلقفهم وتزج بهم في نهاية مؤلمة في كثير من الاحيان.

التربية العقيدية والفكرية

من اللحظة الأولى اهتم الاسلام بأن يبين للناس ان الإله واحد، والمعبود واحد، والوجهة واحدة، ﴿ألا تعبدوا إلا الله...﴾ (هود: ٢) وهي العقيدة التي استمر التنزيل الحكيم - كما نعلم - مدة طويلة مقصودة في طولها كي يثبتها في قلوب الأتباع باعتبارها القاعدة الاساسية التي سيقوم عليها بناء الانسان الجديد المتكامل، وفي الجانب الذي نحن بصدد دراسته نجد في توجيه الرسول الكريم لابن عباس مثالا ناصعا لما يمكن ان يهتم به المربي من امر الشباب، وللطريقة المثلى لتوصيل هذه العقيدة الى قلوبهم وعقولهم في بساطة ويسر: «يا غلام اني اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله.. واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الاقلام وجفت الصحف» (سنن الترمذي).

وان الدهشة لتدركنا ونحن نتمعن في هذا التوجيه الكريم من ذلك المستوى الراقي الذي تسعى القيادة الى رفع اهتمام قادة المستقبل اليه، اذ تأتي هذه الكلمات لتشد انتباه الغلام - ومن ورائه كل شباب الامة - بعيدا عن كل ما يتوقع ان ينشغل به اقرانه، وترده الى اليقين التام بالمرجعية الوحيدة الفاعلة لكل ما يمكن ان يصادفه ذلك الغلام في حياته من احداث، وحين تطمئن نفس الشاب ويمضي مرتاحا خالي البال من كل السموم النفسية التي تعيق تقدمه، وحين يتحصن بمثل هذا الحصن المنيع، وحين يعي وجهته ويعرف طريقه نحو تلك الوجهة، فقد استقامت حياته كلها، واستقام هو عنصرا ايجابيا في اي مكان يكون فيه.

بالاضافة الى هذا فقد اهتم الاسلام اهتماما دائبا بترسيخ عقيدة الحساب والبعث بعد الموت، ولقنها للشباب، ليغدو لحياتهم المفعمة بألوان النشاط غاية أسمى من واقع اللحظة الحاضرة، ولحركتهم معنى اجدى من مجرد الاستعراض او تأكيد التفرد واستقلال الذات.

مسئوليات أبعد

ولا يفوتنا هنا التأكيد على ان مجرد تبني الشاب لعقيدة هي في مستوى نصاعة وسلامة العقيدة الاسلامية سوف ينقلهم الى مستوى ابعد بكثير مما يعيش فيه اقرانهم من الذين لم يؤمنوا، او ممن في قناعتهم غموض او ارتباك، وذلك بما تخلقه لهم هذه العقيدة من قضية جدية ومهمة ثقيلة سيجاهدون كثيرا لجذب الناس اليها وهدايتهم لنورها، وسيتعرضون جراءها لأذى يأمرهم دينهم بالصبر عليه، ويعدهم متى صبروا بأن لهم الجنة، تماما كما شد من ازر آل ياسر يوم اهاب فيهم الرسول ﷺ موجها: «صبرا آل ياسر.. فإن



موعدكم الجنة» (قال الألباني: حسن صحيح) وهو المستوى الذي لا يدانيه في شيء ما تنشئه باقي التصورات في ادمغة الشباب ونفوسهم.

التربية النفسية

من المهم هنا ان نلتفت الى ما يتميز به الشباب من الحيوية والاندفاع، والامتلاء بذلك الكم الهائل من الرغبات والطموحات والتطلعات التي قد تخلق في مجموعها عالما نفسيا متناقضا يجعله مضطربا شيئا ما وبعيدا عن ان يفهم من هم حوله، بينما ينمحي هذا كله فيما لو وجد من ينسقها لهم ويحميهم من ان تخربهم، بل ان تفيدهم.

خطوات تربوية

من هنا دأب ديننا الحنيف على انتهاج خطوتين متلازمتين، الاولى ملء نفوس الشباب بالاهتمامات العلوية التي تشكل لديهم القناة الصالحة والمجدية لحركتهم، والاهتمام بإبعادهم عن كل الاهتمامات (الارضية) الرخيصة.. والاخرى، السعي الى تنقية الاجواء والساحة المحيطة بنفوسهم من كل ما يهيجهم او يزين لهم السوء، او يزلقهم الى مثل تلك السفاسف والاهتمامات التي لا يرضاها لهم دينهم.

في سبيل الخطوة الأولى بين لهم - كما قلنا - الغاية من الحياة، وانها بناء وتزكية وارتقاء، وليست لهوا ومتعا صغيرة لا تساوي عند الله جناح بعوضة.. ومثل هذا التوجيه ضروري ومهم لمن هم في سن تعد من اكثر سني العمر تدفقا واندفاعا نحو كل ما يبرق ويلمع ويهيج، كما بين لهم انه مادام مآلهم الاخير الى هناك، الى ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه..﴾ (آل عمران: ١٠٦) فعليهم ان يهتموا وينشغلوا بما يبيض وجوههم فيه، وهي القضية التي يمكن ان تشغلهم والى آخر العمر انشغالا يكون موجها لهم الى كل خير، وتقيهم من التردي نحو كل سوء.

طريق الجنة

وهو هنا لا يكتفي بالبيان النظري بل يقدم لهم الوسيلة العملية والطريق الاقصر نحو الجنة، ويدفع بهم نحو ألوان من النشاط تنفعهم وترضي عنهم خالقهم، وتربي فيهم الاستعداد النفسي نحو الصلاح والاستقامة، فيقول الحبيب المصطفى: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: اني اخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (البخاري).

بل انه لا يتوانى عن تذكيرهم بأهمية الطاقة الكامنة بين جوانحهم فيدعوهم ويشدد عليهم الدعوة للاستفادة القصوى منها، ففي الحديث الشريف: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (البيهقي). وذلك خشية ان تتبعثر هذه الطاقة او تضيع فيما لا يفيدهم او يفيد دينهم وامتهم.

برامج علمية

ولم يكتف بهذا ايضا، بل ربطهم ببرنامج عملي متكامل الفقرات عنوانه المجاهدة، مجاهدة النفس نحو تزكيتها وترقيتها، ومجاهدة نوازع الشر حيثما وجدت في نفوسهم او في الناس من حولهم، كما انه فتح في نفوسهم منابع الخير كي يقترفوه حيث كانوا دون ان ينتظروا عليه الا رضى الخالق، وهو بهذا يكون قد شحن نفسية الشاب ليكون الاداة الفاعلة في محيطه على الدوام، وصولا الى مرتبة يرحمه الله فيها لأنه غدا مفتاحا للخير مغلاقا للشر، وسار به ودربه على الدور الذي اناطه به دينه نحو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على هداية الناس الى مثل ما اهتدى هو اليه، حيث تبرز لنا هاهنا وصية الرسول الكريم : «... فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم» (البخاري) ولا يخفى ان مثل هذه النفسية متى نشأت هي التي تصنع الرجال.

ديننا يقدم برنامجاً علمياً متكامل الفقرات عنوانه المجاهدة

تنقية الأجواء

اذا استعرضنا نهج الشريعة في الخطوة الأولى من تربية الشباب نفسيا فلابد ان نذكر شيئا عن الخطوة الاخرى العملية التي لن يقوم بها الشباب انفسهم، بل يقوم بها من اجلهم المجتمع او النظام الذي يخضعون له، وتعني بها تنقية الاجواء.. كثيرون هم المصلحون عبر التاريخ، وكثيرون نادوا بضرورة الالتزام بالمثل العليا وبالفضائل وبمكارم الاخلاق، ودعوا إليها، لكن ديننا وفوق انه سماوي خالص يتميز عن هذا كله بأنه قد خلق لأتباعه الواقع العملي والجو النظيف الذي يماشي نظافة ما يدعوهم اليه، كي يسهل عليهم مهمة الالتزام بما يدعوهم اليه. وفي هذا الجانب وحده نكتشف كم قصرنا.

حين يحرم ديننا الفاحشة مثلا ينقي الاجواء من كل ما يحرض عليها او يزينها، بل ويعاقب بالجلد او بالرجم وعلى الملأ اولئك المخالفين هذا على صعيد المجتمع، وعلى صعيد الفرد يدعو الشاب بذلك النداء المحبب الى قلبه: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج» (البخاري) ومعلوم ان حرف اللام الساكن حين يدخل على الفعل المضارع (يتزوج) فإنه يفيد الوجوب ولكن ماذا عن الذين لا يجدون؟ انه لا يدير لهم ظهره ليدبروا امرهم بوسائلهم الخاصة بل ينصحهم وهو بهم رؤوف رحيم: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم» كعلاج مؤقت ريثما يمتثل الكبار للنداء الكريم: «اذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه...» (سنن الترمذي) وما ذلك الا ليفوت على شياطينهم - من الجن والانس - فرصة استغلال حاجاتهم لتصريفها فيما لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون، وليهبهم القدرة على ان يمضوا في مهمتهم الكبرى، بناء الدولة والحضارة، وهم مرتاحو البال والنفس والجسد من كل ما يشغلهم ويلح عليهم من ضرورات فطرهم الله عليها.

وهو حين يأمر بالصدق وينهى عن الكذب، يرفض ان يجعله الكبار اداة يمررون بها كثيرا مما يفعلون ولو كانت مبررة في ذاتها، ويؤكد - للكبار قبل الشباب - انه مايزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وويل لرجل كتب عند الله كذابا، ومهما تكن المبررات التي يتذرع بها امثال هؤلاء، وهكذا نجد في كل القيم الاخلاقية ان المنهج اهتم بالاسوة التي يمثلها الكبار ليفتح القنوات

النظيفة لحركة الشباب، وليسهل عليهم امر الامتثال لها، وما أروع الكلام النبوي في مثل هذه النقطة: «انما ضل من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (البخاري).

ان سعي الكبار الجاد نحو الالتزام بما اتى به التشريع من القيم الاخلاقية النبيلة، ومبادرتهم - هم اولا - الى الامتثال لها سوف يخلق ذلك المجتمع النظيف الذي بينا اهميته، وسوف يمنح الشاب القدوة المناسبة، كما يمنحه اليقين بنفاسة تلك القيم التي هو مدعو اليها، هذا بالاضافة الى ان ما يلمسه الشاب من رعاية من هم اكبر منه، وعنايتهم بحاجاته وانهم يمهدون له ما استطاعوا طريقه الاخلاقي، ان هذا سوف يتولد عنه تلقائيا حب من الشاب لمجتمعه وطاعة وسلوك قويم لأولي الامر منهم، هذا على العكس مما ينشأ في الصورة المقابلة، حين يدعون الشاب الى شيء نظيف، ثم يتركونه ليتمزق ما بين مثل رفيعة وواقع فاسد.

تربية للسلوك

ان المرء اكثر ما يكون عرضة للنزوع نحو الانفلات والضيق بالانضباط وهو في سن الشباب، ومن هنا كثرت التوجيهات الكريمة التي تسعى نحو ضبط سلوك الشباب، وتنزع نحو تدريبهم على الطاعة والانقياد لأمر النبي ﷺ، والتوجه فقط حيث يشير، وذلك في محاولة ذكية لجعل طاقتهم طوعا لرؤية النبي ﷺ، فها هو يأمرهم: «اذا كنت ثلاثة فأمروا عليكم واحدا منكم...» (البيهقي)، تأكيدا على اولوية الانضباط.

ثم هو يتدرج في تربية سلوكهم منطلقا من نقطة الآداب العامة البسيطة، وليس كالبر بالوالدين ادبا يحرص عليه دين رفيع مثل ديننا، ثم يعرج على آداب الملبس والمأكل: «يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» (البخاري) مع التأكيد التام على النظافة في كل مناحيها حين يعيب على ذلك الاشعث الاغبر فيقول: «اما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه؟» (صحيح الجامع) مرورا بصلة الارحام واحترام الاكبر سنا ورأيا، واهمية ترتيب الصفوف في الصلاة - وفي غير الصلاة - وفقا لترتيب اولي الاحلام، وهنا نجد السيرة زاخرة بجملة كريمة من تلك التوجيهات الرفيعة التي كان من آثارها ذلك الحياء الذي ادرك شابا مثل عبدالله بن عمر فتوانى عن اجابة نبيه ﷺ عن الشجرة التي لا يسقط ورقها - مع درايته بالاجابة - خجلا ان يتكلم وهو الغلام في سؤال سكت عنه الشيوخ.

تربية للبدن

إن ديننا دين توازن، ولو تجسد التوازن في منهج لتجسد في منهجنا، فمثلما انه يبني العقيدة



الناصعة السليمة عن الله والكون والحياة، ومثلما يربي الفرد المسلم على الطاعة والالتزام والانقياد للحق، كذلك هو يحضه على العناية بصحته وبنيته الجسمية لتكون على الدوام في عافية، ولتكتمل صورة الشاب وضاءة جوهرا وشكلا.

ديننا يحث على تعلم الرماية والفروسية بكل ما تهب الفروسية للشاب من فتوة وحيوية واستقامة، وينهى عن فرط التنسك الذي يضعف البدن، بل ينهى عن التوالي في الصيام لنفس الحكمة، ويقول: «ان لجسدك عليك حقا» (البخاري) ويريهم كيف ان للبدن قيمته لما يؤديه من دور حيوي في مدافعة الباطل ونشر الحق، حين يؤكد: «المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...» (مسلم).

ثم يأتي دور الدعاة وفقا للنسق الطيب والمبارك الذي نراه منتشرا بين ظهرانينا وعبر وسائل الاعلام الطيبة التي تؤدي دورها المميز والحيوي، بما يزيد الشباب وعيا ويملأ عليهم وقتهم وفراغهم بما يجدي، ويعبؤهم بالفكر والشعور اللذين يكفلان الحركة السليمة والمستقيمة لشبابنا.

المجلة الهادفة، والقصة الشبابية الهادفة، والرواية والمسرحية الهادفة، والفيلم السينمائي الهادف، وان تكون كل هذه موجهة ومخصصة للشباب فحسب.. اين هي؟ لماذا لا نسمع لها ذكرا في ساحتنا الثقافية او نلمس لها اثرا في تربية شبابنا؟ بل ان مجلات «الكبار» على تعددها لتضن بصفحة او صفحات تهتم بهذه الشريحة التي قلنا انها منسية، هذا في الوقت الذي تعج فيه الاجواء ومن كل اتجاه ببرامج وافلام ودعايات ومقابلات، كلها تحمل عنوان «الشبابية»، وتهدف الى افساد الشباب، وتهوين الانحراف عليهم، وصرفهم عن الخط الذي يضمن سلامتهم في الدنيا قبل الآخرة.

أكبادنا

انما اولادنا بيننا

اكبادنا تمشي على الارض

هكذا قال الشاعر قديما، وهكذا نحس بهم فعلا، فلئن قدمنا لأطفالنا ما يلزمهم من الرعاية بكافة الوانها الصحية والتعليمية والنفسية والترفيهية، فكيف نتوانى عن تقديم نفس الرعاية - بالوجوه التي دلتنا عليها شريعتنا واستعرضناها فيما سبق - لفلذات اكبادنا من الشباب؟

هل يجوز ان يسخر المفسدون اموالهم وجهودهم واوقاتهم لفتنة الشباب، ويبذلوا الكثير في هذا السبيل، ثم يتأخر الخيرون او يتهاونون عن الزرع في هذه المزرعة التي ترضي المؤمنين وتصلح لهم دنياهم بدل ان تفسدها وتخلق الفتنة فيها والفوضى والارتباك؟ هل يجوز ان يلتفت المفسدون في الارض الى شبابنا فيتلقفونهم بالافساد من أول ما تستقل لديهم تطلعاتهم، وننشغل نحن عنهم بدعوى ان هم الكبار اكثر اهمية او الحاحا من امر الصغار؟

لغة وأدب

التجربة الشعرية
بين خصوصية الولادة وعمومية الخلود

لا يمكن أن يتصور أن هناك نقدا أدبيا بغير نص يقع عليه، وكذلك لا يمكن أن يتصور أن هناك نصا أدبيا حقيقيا بلا نقد، ذلك أن النص الحقيقي سواء كان شعرا أو نثرا يتفاعل مع ذات المتلقي الواعي تفاعلا غير تقليدي، يتجاوز التأثر اللحظي، ليملك عليه شعوره حينا من الدهر، طال او قصر، فلا يهدأ إلا إذا جالت فيه عينه أو تشنفت به أذنه، ثم لا يكون هذا إلا مجرد مسكن عند الناقد الذي يصاب بالنص ولايبرأ منه الا اذا اجرى عملية جراحية لا تكون إلا معالجة نقدية لذلك النص.

فالتجربة الشعرية - وإن كانت مولودة أصلا في ذات الشاعر - لا تخصه وحده، بل إن شيئا من نجاحها يقاس بمقدار ما يجده فيها المتلقي خاصا به وحده دون غيره، وهذا من أسرار خلود كثير من الشعر وبقائه غضا ينبع بالحياة رغم جريان نهر الحياة عليه، وهذا ايضا ما يصيب المتلقي من الشعر ليجعله على الصورة التي سبق أن أشرنا إليها.

ألا ترى أن كل مفجوع في فقد عزيز عليه لا يشعر في رثاء الخنساء إلا بأنها تتحدث بلسانه؟ ثم ألا ترى أن كل حكيم صقلته السنون ودربته الأيام يشعر بمثل هذا في حكمة المتنبي؟

ثم أرأيت أن كل مسلم لا يجد بدا من مشاركة أحمد شوقي في مديحه لرسول الله ﷺ في نبوياته الخالدة:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها وما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء

فلا يمثل النص الأدبي في هذه الأحوال إلا ضالة يظل يبحث عنها صاحبها إلى أن يظفر بها، ثم لا تلبث أن تمتلك عليه وجدانه.. وهكذا يكون مسلك الآداب.

المحرر



الأديب الدكتور محمد بن المرسي الحارثي:

الأدب الإسلامي رسالة إنسانية سامية.. وليس ترفاً أو تسلية



أكد المفكر السعودي المعروف د.محمد بن المرسي الحارثي عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة أن الأدب الإسلامي رسالة إنسانية سامية، وليس ترفا أو تسلية، وقال: إن الإسلام يشجع الشعر الملتزم، ويرتقي بالملكات البلاغية والفكرية للأدباء المسلمين. وأضاف في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن القرآن لم يحرم الشعر ولا ينتقص من قيمته المعرفية إذا التزم بالحق. وشدد على أن الأدب الإسلامي نشاط إنساني مهم في منظومة المشروع الحضاري العربي الإسلامي، لأن الاهتمام به ينبع من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. واليكم نص الحوار:

حوار: فاروق الدسوقي

■ **هل لنا أن نتعرف منكم - في البداية - على أهم ما تنطلق منه دعوتك الى احياء مفهوم الأدب الإسلامي؟**

- إن الأدب الإسلامي نشاط إنساني مهم في منظومة المشروع الحضاري العربي الإسلامي، لأن الاهتمام به نبع عند أصحاب الدعوة إلى تأصيل مذهب إسلامي في الأدب من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، وهذا الالتزام بالتصور الإسلامي لهذه الحقائق الكبرى في الوجود يختلف في جوهره ومراجعه المعرفية عن الالتزام الشيوعي والوجودي لان الانتماء الإسلامي ليس انتماء إلزاميا وإنما هو التزام إيماني بإرادة الفرد وحريته لقوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهو تصور في الضمير ويتفاعل مع المشاعر، ويتلبس بالحياة، وهو وشيجة حية بين الإنسان وخالق الوجود.

وقد كون الإسلام روح المسلم وعقله بمادة الوحي الرباني، وكذلك ما دار حولها من حركة فكرية استمدت مقوماتها من ذلك المصدر الأساسي الذي يمثل مصدر المعرفة الحقيقية عند الأديب المسلم.

ولقد وجه القرآن الكريم العقل الإنساني إلى استثمار مادة هذا الكون التي تبعث على دقة التفاعل وحسن التدبير، وعمق التفكير في آيات الله تعالى التي تثير بنظامها البديع وتناسقها المحكم حس الإنسان وعقله وتربطهما بمشاهد الكون في الدارين، الدنيا والآخرة، لقوله تعالى ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾(آل عمران:١٩١).

كما أن القرآن الكريم لفت الذهنية البشرية إلى التفكير والتدبير والتأمل في علاقات الأشياء المتاحة في هذا الكون، ودقة تلك العلاقات وانضباطها في حركة الكون، لقوله تعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩) وقوله أيضا ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾(الرعد: ٨).

وقد طور ذلك التأمل طرائق التفكير عند المسلمين واستتبع ذلك تطورا في الذوق وفي الملكات الاكتسابية، فاتسع مفهوم الأدب من المنظور الإسلامي، وفي هذا يقول ابن خلدون: إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم، فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب والأحوص وبشار، ثم كلام السلف من الدولة العباسية في خطبهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد. ومن كلام الجاهليين في منثورهم ومحاوراتهم.

■ **وما السبب في ذلك؟**

- السبب أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام وسمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم وفي الحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونهما يؤثران في قلوبهم ونشأت على أساليبهما نفوسهم، فنهضت طباعهم، وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبنى، وأعدل تثقيفا، بما استفادوه من القرآن والسنة.

وقد توافر للإسلاميين من أسباب الملكة الاكتسابية، ما لم يتوافر للجاهليين، غير أن الأمر لا يقتصر على الملكة الاكتسابية التي تأتي تالية للملكة الغريزية، وهذه الملكة الغريزية لا ترتبط من حيث القوة والضعف بزمن دون زمن، ولا بفكر دون فكر، أو جنس دون جنس آخر.

■ **وما القواعد التي تحدد طبيعة العلاقات بين أنواع النشاطات الإنسانية القولية والفعلية المختلفة؟**

- ينبغي أن ندرك أن قواعد الدين وسننه هي التي تحدد طبيعة العلاقات بين أنواع النشاطات الإنسانية القولية والفعلية، فيتحقق الانسجام والتوافق بين أنواع النشاطات كلما أخذت في اعتبارها أهمية الدين، ولما كانت



الغاية من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، لقوله عز وجل ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)، والعبادة أمر جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، فإن هذه الغاية ستصبح ماثلة في كل نشاط إنساني، بل إن كل نشاط إنساني يبلغ غايته من السمو والنجاح والقبول إذا حقق تلك الغاية، ولم ينحرف عنها.

ومن هنا تكون العلاقة بين الدين والأدب علاقة عضوية، إذ يستمد الدين الإسلامي أسباب تأثيره على النفس والذهن معرفيا من مصدر المعرفة الربانية، إذ هي المعرفة الحقيقية لقضايا الكون، وبهذا يكون ذلك التأثير أداة مفيدة في تشكيل السلوكيات السوية، وإصلاحها وتوجيهها وتهذيبها، والأخذ بها إلى عوالم الخير والحق، غير أن هذا النشاط لن يحقق مهمته المعرفية والجمالية إلا إذا تناول قضايا الكون بمنطق أدبية الأدب، لا بمنطق البحث والعرض العلمي.

■ **هناك من يؤكد أن الأدب الاسلامي ترف فكري، وأنه للتسلية فقط! فكيف تردون على هؤلاء؟**

- إن الأدب الاسلامي عاطفة وموقف، وليس تسلية، وان كان للتسلية نصيب في بنيته، كما أنه ليس محاجة، وإن كان يتعامل معها بمنطق الأدب، كما أنه رسالة إنسانية سامية في غاياتها وأهدافها، ولذلك لم يكن الأدب، خاصة الشعر محل رفض من وجهة النظر الإسلامية، فإذا ما تدبرنا آيات الذكر الحكيم التي تتحدث عن الشعر والشعراء، نجد أن القرآن لم يحرم قول الشعر، ولم يقف دونه أو ينتقص من قيمته المعرفية إذا التزم الشعر بالحق.

وما يقال عن الشعر الذي يعد رأس الفنون الأدبية القولية عند العرب، يقال كذلك عن فنون القول الأدبية الأخرى، إذ إن الفنون الأدبية جميعها متاحة للأديب في موضوعاتها المتنوعة، إذا قصد الأديب في ذلك تغليب جانب الخير على جانب الشر.

وعلى هذا الأساس يفترض في الأدب الإسلامي أن يتم نظمه ونقده وفق المنظور الإسلامي للفن عامة والأدب خاصة وقد رأى توفيق الحكيم أن التزام الأديب شيء ينبع حرا من أعماق نفسه، فإن لم ينبع الالتزام حرا من قلبه وبيئته وعقيدته، فلا تلزمه أنت ولا تلزمه قوة في الوجود، فيجب أن يكون الالتزام جزءا من كيان الأديب أو الفنان، ويجب أن يلتزم، وهو لا يشعر بأنه ملتزم، فإذا شعر الأديب لحظة واحدة أنه يؤدي بفنه ضريبة عليه أن يؤديها وجوبا، فإن الذي سينتجه لن يكون فنا، فإذا لم يشعر بأن الالتزام واجب، وإنما هو شيء طبيعي، بحيث لو أرغمته على ألا يؤديه لعصاك، وأداه لأنه جزء من طبيعته وتفكيره وعقيدته فإن الذي سينتجه مع الالتزام سيكون فنا.

■ **وكيف يكون الاسلام عقلية الأديب المسلم؟**

- من المعروف أن عقلية الأديب المسلم عقلية تكونت في ظلال العقيدة الإسلامية، وهذا التكوين الإيجابي الذي يستمد مقوماته الأساسية من الكتاب والسنة، وما دار حولهما من حركة فكرية واسعة يعطي العقل والنفس حركة واسعة، وقدرة فائزة تستطيع أن تكشف طبيعة بعض العلاقات الكونية الدقيقة، وذلك بما يتهيأ لها من قدرة تفكيرية وانفعالية تتآزران في إبراز معالم تلك العلاقات ولا تغيب عن البال أن العلاقات بين الظواهر الكونية هي علاقات منضبطة، بعيد عن مبدأ الاحتمال والعشوائية والفوضوية لأنها علاقات مقدرة بخلق الخالق سبحانه وتعالى وتقديره لها.

ويتطلب من الأديب مطابقة التجربة الشعورية للتجربة التعبيرية.. والتجربة الشعورية هي في الأصل فكرة ذهنية تشبعت بها النفس، وشكلتها من خلال طبيعتها التكوينية، ثم أفرزتها في صورة تعبيرية مؤثرة كانت تلك الصورة أو غير مؤثرة، والنفس هي بؤرة الإيمان، فإذا كان الإيمان قد استقر بداخلها وطبعها بطابعه فإن تشكيلها للتجربة الإبداعية سيصطبغ بتلك الصبغة الإيمانية الاعتقادية أيا كانت طبيعة ذلك الانتماء الإيماني والصدق الفني حتى وإن دلس على النفس أحيانا، فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون بعيدا عن المكونات الروحية والذهنية للأديب، ولأن تلك المكونات هي التي ستكون قد شكلت اهتمامات الأديب فكريا، وهي التي ستكون وشيجة للتجربة الإبداعية، فإذا كان المبدع والمتلقي يلتقيان في تكوينهما النفسي والعقلي فإن التواصل بينهما سيكون ميسورا، والاستجابة ستتحقق لتأليف الطبائع وتلاؤم الذهنيات، وانجذاب بعضها إلى بعض ولعلك تدرك ما تحدثه القصائد الدينية الإسلامية من هزات وجدانية عند المتلقي المسلم، وما ذلك إلا لطغيان العاطفة الدينية على الحاسة الفنية عند العامة فكيف إذا كان مثل ذلك الشعر يحمل صورة تعبيرية مؤثرة، لأن ذلك سيرفع من حيز ذلك الشعر الاستجابي فنيا ومعرفيا عند الخاصة والعامة على حد سواء.

وإذا تناول الأديب تصوير تلك الحركة الكونية المقدرة، فإنه إنما يتعامل مع الواقع في حدوده المعقولة دون تزييف ذلك الواقع، وهذا يتيح للأديب اقترابه من طبيعة الحياة الإنسانية في منظومتها المتساوية التي يأخذ بعضها بحجة بعض، لأن التزييف للواقع ومغالطة العواطف يجعلان التجارب الأدبية بعيدة عن ثقة المتلقي واستجاباته، ولن يتم التعامل مع الواقع في حدوده المعقولة إلا من خلال رابطة التوازن بين الذهن والنفس وبين المادي والروحي وهذا التوازن بين الذهن والنفس ما هو إلا نتيجة طبيعية لذلك التوازن الأشمل والأسمى لحركة الكون التي قدرها الله وحده.

وعلى هذا الأساس فإن وجدان الأديب المسلم إذا تناول حقائق الكون الكبرى، فإنما يتناولها مرتبطة بالخالق دون انفصام، مما يجعل تجاربه منسجمة مع طبيعة تلك الحقائق، وهذا التوازن في صورته المثالية هو الذي افتقده الفكر الأجنبي من شيوعية ووجودية وغير ذلك وكل النظم الثقافية وغير الثقافية التي لا تنتمي إلى مصدر المعرفة الربانية فإنها لن تحقق موجبات الحق والخير الذي ينشدها الإنسان في كل زمان وكل مكان.

الإسلام يشجع الشعر الملتزم .. ويرتقي بالكلمات البلاغية والفكرية للأدباء المسلمين



نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية

أبرز السمات الفنية لتراث الشيخ عبدالحميد كشك

عامر أحمد عامر

هذه هي الحلقة الثانية من حلقات «نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية»، أو إن شئت فهي الأولى إذا عدت سابقتها توطئة وكشفا لمعالم السبيل التي ستمضي فيها تلك الحلقات.



وقد رأيت أن تكون البداية مع الداعية الشيخ عبدالحميد كشك فالرجل، فضلا عن أنه صاحب تفرد في الأداء وتميز في الأسلوب وشكل غير مسبوق في العرض، وأن له مكانة خاصة في قلوب طائفة من المسلمين لا يحصيها إلا الله وحده، وأن خطبه مازالت تحتفظ برونق ذي طابع خاص رغم فر الأيام وكر السنين عليها، له تأثير بيّن في أداء كثير من الخطباء والدعاة، لدرجة دفعت بعض محبيه إلى القول: «إنه ما من خطيب في العالم الإسلامي إلا تأثر بشكل أو بآخر بالشيخ كشك» -رحمه الله-، أو «أنه أثر في كل من جاء بعده»، ومع ما يمكن أن يشم في مثل هذا الكلام من مبالغة ربما قد تكون غير مقبولة عند البعض، فإنه لا يخلو من صواب، لاسيما إن علمنا أنه قد تخرج في تلك المدرسة العملاقة أئمة أعلام يشار لهم بالبنان اليوم، لعل في مقدمتهم الشيخ الداعية الكويتي أحمد القطان والعالم الجليل محمد حسان وغيرهما كثير من الأعلام والمشاهير ومن غيرهم، بل قد وصل الأمر إلى ما هو أبعد من التأثر، فقد رأينا من يستظهر خطب الشيخ ليلقيها على الناس بلا أدنى وعي لما بها- أو قد يعي- حتى إنك لو سألته عن بعض المعاني لما وجدت جوابا، وما أظن هذه النماذج من الخطباء قد انقرضت حتى يومنا هذا.

ومازلت أذكر يوم وقف أحد زملائنا في المرحلة الثانوية ليلقي كلمة الصباح في الإذاعة المدرسية، ولم تكن تلك الكلمة إلا جزءا من خطبة للشيخ يلقيه الزميل بنبرات وأداء وحدة تقترب من أسلوب الشيخ، وهذا كله حسن، إلا أن غير الحسن أن الزميل قال «موعدنا اليوم مع الدرس الحادي عشر بعد المئة الثانية» (هذا الرقم من عندي لأني لا أذكر بالضبط الرقم الذي ذكره)! وقد كان الشيخ يؤرخ لخطبه بهذا التعداد، وذاكرة القرية المصرية، على وجه الخصوص، مازالت تحتفظ من هذه النماذج عددا غير قليل.

وأول ما يمكن أن يلحظه الناظر في تراث الشيخ كشك الخطابي ما أوتيه من إجادة عجيبة للغة العربية، تخطت المستوى الشكلي من رفع للفاعل ونصب لاسم «إن»...إلخ، إلى ما هو أسمى وأرفع من فصاحة وبلاغة وبيان، حتى إنك تشعر أنك أمام نص أدبي راق جدير بالدراسة الأدبية، وهو ما يجعل الحديث عن السمات الفنية لخطب الشيخ كشك -رحمه الله- في موضوع كهذا صعب المنال، إذ كل خطبة ألقاها هذا الرجل تحتاج إلى وقفات وتأملات طويلة، وهذه السلسلة كما سبق أن أشرنا لا تعدو إلا أن تكون فاتحة شهية للباحثين والدارسين للمزيد من البحث العلمي الدقيق والتمحيص الفني العميق لذلك التراث الخطابي الذي بين أيدينا.

وكان من التراكيب اللغوية التي انفرد بها الشيخ قوله حينما يصف بعض المسائل أو القضايا «اسمحوا لي أن أعنصر مراكزها، وأمركز عناصرها، بما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير»، وكذلك قوله «كم من ملك كانت له علامات، فلما علا مات»... إلخ مما ينم عن تمكن وقدرة على توظيف اللغة قل أن نجد مثيلها، ولعل هذا من أسرار تعلق القلوب بأحاديث الشيخ، فالفطر اللغوية السليمة تتوق دائما إلى جمال العبارة وحسن الإشارة وسلامة اللفظ وجزالة الأسلوب، وتنفر من الركاكة والإنشائية الفجة، حتى إن حافظت على المستوى الشكلي للغة من نصب ورفع وجر، ويزداد الطين بلة إذا عرفنا أن بعض الخطباء مازالوا مصرين على التحدث باللهجات المحلية، غير عابئين بشيء، فماذا يمكن أن يقال لهؤلاء؟

والسبيل لتفصيح اللغة لدى الخطيب ألا ينفك عن قراءة ومطالعة النماذج العليا من الأدب، وقبلها كتاب الله العزيز وحفظه أو ما تيسر منه، وحفظ ما تيسر من تلك النماذج الأدبية التي يرجى أن تقيم سليقة لغوية سليمة فصيحة، تترك لدى صاحبها صورا



عدة وأنماطا متباينة لما يمكن أن تكون عليه الجمل والعبارات والتراكيب.

ومن صور إتقان الشيخ للغة أنه حين كان يشجع الطلاب على الجد والاجتهاد والمثابرة، يلقي عليهم ملخصا سريعا لدروس النحو أو الصرف أو البلاغة، فكان يقول «اعلموا أن المرفوعات كذا وكذا، والمنصوبات كذا وكذا... الخ، والكلام خبر وإنشاء، والإنشاء ينقسم إلى ...إلخ، كل ذلك في خطبة الجمعة، في وقت يسير لا ينقص من موضوعها الأساسي شيئاً، وتراه كذلك يتعرض لمسائل لغوية تخدم موضوع الخطبة، فيعرب جملة، أو يشرح صورة بلاغية... إلخ، وما أكثر ما كان يحدث مثل هذا.

التصوير عند الشيخ كشك

وكان من أهم ما يميز خطب الشيخ كشك والذي إذا قرأته أيقنت أنه من كلامه أو من كلام متأثر به التصوير والتجسيد، وأشهر ما في هذا الباب قوله الذي كان كثيرا ما يردده «هنا مدرسة محمد ﷺ، مكتوب على بابها وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (وقد تتغير المقطوعة الأخيرة)، وكذلك ما كان يقوله إذا أراد أن يحكي قصة وقعت في بيت المقدس مثلا «أنتقل بحضراتكم الآن إلى بيت المقدس» وبعد أن ينتهي يقول «أعود بكم من هناك إلى هنا، من هناك، حيث المسجد الأقصى، إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة محمد ﷺ...»، وأحيانا كان يقول من هنالك إلى هناك إلى هنا إذا كان التنقل بين ثلاثة أماكن، ولا يخفى ما في هذا التصوير من تقريب المعنى إلى المتلقي وجذبه إليه والاستمتاع به، وهذه نقطة يغفل عنها كثير من الخطباء، وهي خلق جسر تواصل بينه وبين المستمع بالتصوير أو بغيره، حتى لا يكون في واد ومن أمامه في واد آخر.

دور المنبر عند الشيخ كشك

كان دور المنبر عند الشيخ جليا واضحا مذ بواكير خطبه، أو قل مذ أول صعدة صعد فيها المنبر، فيروي الشيخ أن أول خطبة خطبها كانت في مدينة شبراخيت بمحافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية التي ولد فيها عام ١٩٣٣، وتحدث عن الفساد المستشري في مستشفى ذلك البلد آنذاك، ما دفع مدير المستشفى إلى شكواه، وهو ما مثل إرهاصا بما تلاه من صدامات أخرى جاءت نتيجة لجرأة الشيخ وعدم خوفه في الحق لومة لائم، وكان من عواقب هذا أن حرمت القلوب الظمئة من غيثها، فاعتقل الشيخ فترات، وأوقف عن الخطابة أخرى.

والحق أن دور المنبر في المجتمع وحل قضاياه لا ينبغي أن يتجاهل، والخطيب الناجح هو الذي يتناول ما يشغل مجتمعه ليجد عنده كل صاحب هم فرجه، وعيب أي عيب أن يطعن الإسلام في مقتل، ويستقطب شبابه وطاقاته، ثم لا يتناول شيء من هذا في المؤتمر الأسبوعي للأمة، وأن تكون الموضوعات سطحية مكرورة، ولسان حال المتلقين يقول «هل غادر «الخطباء» من متردم؟».

آخر ما أذكره مما كان يمتاز به شيخنا الجليل- وأنا أعلم أني ما وفيته حقه وأني لي ذلك أمام هذا الحبر البحر، فهذه ليست إلا بعضا من كل، وخطوة على الطريق كما ألمحت من قبل- هو ما كان يجب أن تكون له الصدارة، لكني أخرته لأن الكلام فيه ربما يكون غير مجد، فهو إلى الفعال أحوج، ناهيك عن أن يكون الكاتب فيه أردأ حالا من القارئ، ذلك الذي يستعصي على كثير من العلماء والعبّاد، والذي كانت تنطق به نبرات الشيخ التي كان يختبئ وراءها حزن دفين، وكذلك ما كان يفعله حينما يسأل الجمهور سؤالا تقريريا: من الواحد؟ من الماجد؟... إلخ بنبرات تهز الجبال هزا، أو حين ينادي يا اللـــــه.. إنه الاخلاص والزهد فيما عند الناس والطمع فيما عند الله، والإحساس العميق بما يُتكلم به، فيما يشبه إلى حد كبير صدق التجربة الشعرية عند الشعراء، مما يترك أثرا منقطع النظير لدى المتلقي.

مآخذ موضوعية

وجدير بنا، ونحن نضع بين يدي القارئ دراسة موضوعية، أن نشير إلى نقطتين اثنتين أخذنا على الشيخ، الأولى تتعلق بتوثيق المادة العلمية، وقد رد عليها الشيخ نفسه ردا معقولاً ذات مرة بأنه وإن كان يستشهد بالأحاديث الضعيفة فإنها يؤخذ بها في فضائل الأعمال، ومن أشهر هذه الأحاديث والآثار قصة ثعلبة التي ما خلت منها معظم التفاسير، وحديث «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع...» وهو موضوع لا أصل له، وغير ذلك، وقد التمس الشيخان الجليلان محمد حسان وأبوإسحق الحويني العذر للشيخ في هذا، فالأول قال: «إني أتقرب إلى الله بحب هذا الرجل... إنه لم يجد من يقرأ له» (على اعتبار ما ابتلي به الشيخ من فقد للبصر)، والثاني قال «إنَّ الحركة العلمية كانت هامدةً في ذلك الوقت، وكل من تصدَّر لوعظ الناس فهو عندنا عالمٌ، فما بالك بأشهر الواعظين عندنا في ذلك الزمان- وهو الشيخ كشك- رحمه الله- الذي كان له بالغ التأثير في الناس بحسن وعظه، ومتانة لفظه، وجرأته في الصدع بالحق، لم ينجُ منحرفٌ من نقده مهما كان منصبه، وكان في صوته- مع جزالته- نبرة حُزن، ينتزع بها الدمع من المآقي انتزاعاً، حتى من غلاظ الأكباد وقساة القلوب، فكان هذا الشيخ العالم الأول والأخير عندي، لا أجاوز قوله. وقد انتفعت به كثيرا في بداية حياتي، كما انتفع به خلقٌ، لكنني لما طالعت «السلسلة الضعيفة» وجدت أن كثيراً من الأحاديث التي يحتج بها الشيخ منها، حتى خيل إليَّ أنه يحضر مادَّة خطبه من هذه «السلسلة»، وسبب ذلك فيما أرى أن الشيخ حفظ أحاديثه من كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، وكان الغزالي- رحمه الله- مزجى البضاعة في الحديث، تام الفقر في هذا الباب» (منشور على الشبكة العنكبوتية تحت عنوان حلو المذاق في سيرة كشك والحويني أبي إسحق).

أما النقطة الثانية فهي نقده اللاذع وذكره أسماء المنتقدين صراحة على المنبر أو في الدروس، وقد قال الشيخ في إحدى خطبه إنه يتعمد ذكر الأسماء من باب قول الرسول ﷺ «اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس» وهو حديث قال عنه الألباني «ضعيف جدا» وحسبنا أن نشير هنا إلى أنه كان من هدي الرسول ﷺ في مثل هذه الأمور أن يقول «ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا».. على أي حال فإن عبدالحميد عبدالعزيز كشك الذي تخرج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر وتوفي وهو ساجد كما كان يتمنى هو رائد المدرسة الخطابية في العصر الحديث بلا منازع.. رحم الله الشيخ رحمة واسعة ونفع بعلمه إلى يوم الدين.



في دراسة عن أدب الأطفال والخيال العلمي من منظور إسلامي

الأدب الإسلامي ينقل الطفل من التمركز حول ذاته إلى التفاعل مع الآخرين

محمد عويس

مفهوم أدب الأطفال بمعناه العام يعني الإنتاج العقلي في كتب موجهة للأطفال في شتى فروع المعرفة، أما أدب الأطفال بمعناه الخاص، فهو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة، سواء كان شعراً أم نثراً، وسواء كان تعبيراً أم تحريرياً، تشير د.نيفين محمد كمال بقسم اللغة العربية بكلية الألسن جامعة عين شمس في دراسة لها بعنوان «أدب الأطفال والخيال العلمي في ضوء المنظور الإسلامي» إلى أنه لكي يحقق هذا الأدب أهدافه يجب ان تتوافر فيه الشروط الآتية:

■ يخرج بالشكل الجيد المناسب للأطفال مما يجذبهم ويستهويهم.

■ مضمونه صحيح من الناحية العلمية، هادف من الناحية التربوية.

■ ملائم لمرحلة نمو الطفل وخصائصه في هذه المرحلة.

■ معروض بطريقة شائقة تتفق ومعايير أدب الأطفال.

لذلك يجب أن يوجه الجهد الأكبر لمحتوى كتب الأطفال العربية، وأن تبذل عناية خاصة لتدريب من يتصدون لتأليف هذه الكتب ونشرها وإخراجها، وتوعيتهم حتى لا تتحول كثير من الجهود التي تبذل في هذا الميدان إلى جهود لا طائل منها، أو تسيء إلى الأطفال من حيث أرادت أن تحسن إليهم، ونلاحظ أنه على الرغم من أن القصص الخرافية والأساطير بمفاهيمها القديمة التقليدية قد تغير أثرها الكبير، فإنها مازالت تمثل اتجاهاً قوياً لا يمكن إنكاره في أدب الأطفال، بجانب الاتجاهات الحديثة التي بدأت تثبت وجودها وتؤكده بإصدار الكتب الإعلامية والمصورة وكتب القصص البوليسية والألغاز، وكتب الخيال العلمي التي تتفق مع التقدم المعاصر في مجالات العلم والتكنولوجيا، بل إن هناك من يرى أن هذا التقدم المعاصر المدعوم بسيطرة العقول الالكترونية ببرامجها الحديثة قد فاق خيال الكُتاب والمؤلفين.

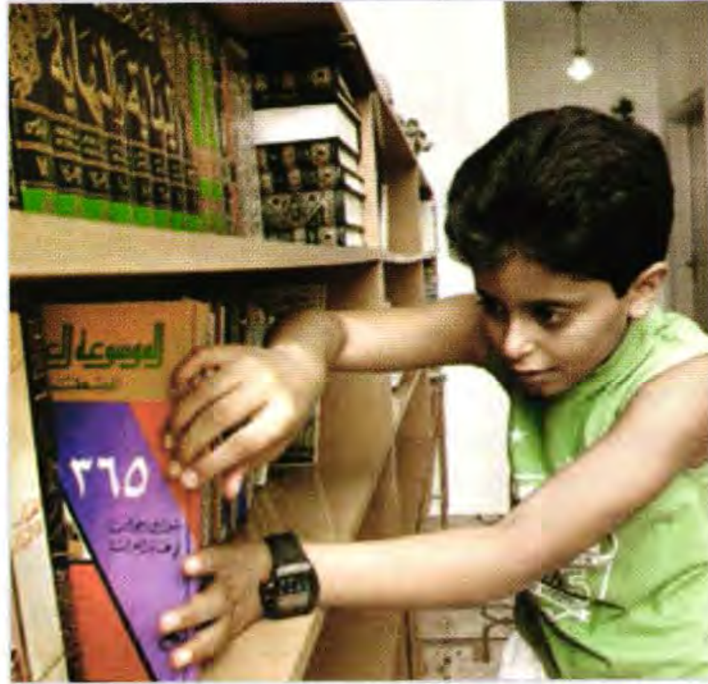
أما الخيال العلمي فهو ضرب من القصص يوظف فيه الأديب منجزات العلم، أو يستشرف ما يمكن أن يأتي به المستقبل من تكنولوجيا، عندما يطوع العقل الطبيعة لخدمة الإنسان وتقدمه بعد فهمه لقوانينها، ومن ثم تتخذ هذه القصص بيئتها في أماكن غير تقليدية كالكواكب، وأعماق البحار، وباطن الأرض، ويصبح السفر في الفضاء والغوص في البحار، واختراق جوف الأرض والمغامرات وسائل لإقامة هيكل الحكاية في هذه البيئات لتلك القصص، وقد تشكل بعضها «الفانتازيا» التي تعني ذلك الخيال الجامح الذي لا يتوقف عند حدود، فهي اختراق واضح لكل حدود الأزمنة والأمكنة، وقد تشكل هذه «الفانتازيا» بعض هيكل الحكاية مع استفادتها من الفروض العلمية التي تسمح لخيال الكاتب بالانطلاق، فيتصور عوالم ليست واقعية، ولكن يمكن تصورها، ولا تتنافى مع ما يتيحه من مناهج أو تجاوز للواقع المعيشي، بحيث يمكن عد هذه العوالم خيالاً محضاً، لكنها في الوقت نفسه امتداد لهذا العالم الذي نعيش فيه، أما عن تسمية هذا النوع بقصص الخيال العلمي فهي وليدة العصر الحديث، ومن أهم رواد هذا القصص حديثاً الكاتبان جول فيرون الفرنسي، وأهم انتاجه «خمسة أسابيع في مناطـ» سنة ١٨٦٣م، وهـ ج ويلز وأهم إنتاجه «آلة الزمان» ١٨٩٥م.

تراثنا يضم بذوراً لقصص الخيال العلمي لكنها لم توظف لتحقيق الغايات المنوطة بها

إلا أن تجاوز الحد المعقول، والإفراط في عنصر الفانتازيا، قد يشكل قصصا للأطفال مفعمة بالوهم لا التخيل، مما يبعد الأطفال عن الواقع وينفرهم منه، ويغرقهم في الوهم والخداع، أما عن الخيال العلمي في الأدب العربي، فإن تراثنا يضم بذور قصص تحتوي على الخيال، مثل ما قام به عباس بن فرناس عندما حاول الطيران بجناحين صنعهما من الريش، لكنها لم تستثمر أو توظف في أشكال فنية لتحقيق الغايات المنوطة بهذا الضرب من القصص، هذا.. ولا يغيب عنا الكثير من الأحداث في «ألف ليلة وليلة»، «حي بن يقظان»، وسير «سيف بن ذي يزن»، و«عنترة» و «الظاهر بيبرس»، وغيرها مما ينطلق فيها الخيال انطلاقاً، ومن أشهر كتابنا في هذا اللون نهاد شريف فهو لا يكتب عداه، ومن أشهر إنتاجه «أنا وكائنات الفضاء ١٩٨٣م»، «احزان السيد مكرر ١٩٩١م»، وفي مجال أدب الأطفال «رحلة إلى القمر» لأحمد نجيب و«علاء وحده في العالم» لمصطفى رمزي.

وحول المنظور الإسلامي لعلاقة الخيال العلمي بأدب الأطفال تشير الدراسة الى انه يمثل نظرة جمالية منفتحة على الإنسان والآفاق، وذلك لأن النظرة





الإسلامية في جوهرها نظرة كونية، فالإنسان المسلم إنسان كوني لا تحده حدود العنصرية أو الاقليمية، ولا يصطدم مع المثل العليا والمبادئ الإنسانية، أما عن غايته فهي بناء طفل اليوم ورجل المستقبل، خاصة أن الأدب الإسلامي قادر بمزاياه الفنية والنفسية على أن يشبع اهتمامات الطفل، ويقدم له الغذاء النفسي والفكري، فيتحول من حالة الفردية التي يتمركز فيها حول ذاته، إلى كائن اجتماعي يتفاعل مع الآخرين، ومن امثلة ذلك: مقطوعة «الفيل وأمة الأرانب» للشاعر أحمد شوقي في ديوانه للأطفال، وفيه يحث على الاتحاد والتشاور لمواجهة المحتل الدخيل، ومثله ديوان الأطفال لمحمد الهواري وفيه تفاعل بين أدب الأطفال ومتغيرات الحياة، كذلك يقدم أدب الأطفال الإسلامي طائفة من القيم، كالحرية والحرص على التعليم، والتفكير والبحث ورفض التقليد، نجد ذلك في ديوان الشاعر إبراهيم العرب، فللأطفال مقطوعات تستهدف توعيتهم بهذه القيم التي يوليها الدين اهتماماً خاصاً، ولها في عصرنا رابط، بما فيه من منجزات ومتغيرات.

والأمثلة في القصص القرآني جد كثيرة، مثل قصص أحمد شوقي للأطفال، حيث وظف فنيا سفينة نوح عليه السلام في تسع قصص مختلفة للأطفال، وأيضا قصة سيدنا سليمان عليه السلام ومعرفته لغة الطير، وفيها تثبيت لقيم الوفاء، وحسن الخلق والأمانة، والتواضع وكذلك مجموعة «القصص الدينية» باشراف محمد برائق، ويقترن بها مجموعات «قصص الأنبياء» لعبدالحميد جودة السحار.

وفي السيرة النبوية أيضاً مجموعات «محمد خير البشر» لعبدالتواب يوسف، حيث يوظف الحوار مع السرد للكشف عن جوانب عظمة النبي ﷺ، وفي المصادر التراثية حكايات من كليلة ودمنة للكاتب وصفي آل وصفي في سلسلة أصدرتها دار المعارف بالقاهرة، ومن أوائل الكُتاب الذين حاولوا الاستفادة من قصص «ألف ليلة وليلة» كامل الكيلاني (١٨٩٧ -١٩٥٩م)، فكتب عشر قصص منها «عبدالله البري»، و«عبدالله البحري» وغيرهما.

هذا، ومن ناحية أخرى يمكن استخدام الخيال العلمي في أدب الأطفال أداة لغرس ركائز الدين، وذلك للعلاقة الوثيقة بين الكلمة والمعتقد في الإسلام، وهذا يبني الحياة ولا يهدمها، واذا كانت الموضوعات التي يتعرض لها الكتاب المعاصرون اليوم تتمثل في ازاحة الجنس البشري بواسطة جنس آخر، قد يكون من القردة مثلما فعل بييربول أو الحشرات العملاقة، أو بغزو من الفضاء من قوم مجهولين يسكنون الفضاء البعيد، يجيئون في مركبات أكثر تطوراً، ويمتلكون أسلحة أشد فتكاً من التي يمتلكها الإنسان، وحرب الكواكب واستعمارها ونقل الصراع البشري إليها، وسيطرة العقول الآلية على الإنسان وتخلي البشر عن دورهم في قيادة العالم مثل رواية أرثر كلارك «٢٠٠١ أوديسا الفضاء»، وهنا نكون بحاجة الى ادب اسلامي يواجه هذا التباين الذي يفقد الأطفال توازنهم الفكري والعقدي، فنقدم لهم مثالاً للسياحة الفضائية، حيث تسبح الشمس والقمر والأرض والكواكب والنجوم والمذنبات في سباحة فضائية تمثل تسبيحا وسجودا للخالق العظيم، فكل ما في الكون يسبح لخالقه، وليس لقوى أخرى تحكمه وتسيطر عليه كما في مخيلة كتاب الخيال العلمي، مثل دوريس ليسنج في ثلاثية شيكاستا- فليس في الوجود إلا إله واحد لا شريك له، تخضع لمشيئته نواميس الكون، فجاء قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفورا﴾ (فاطر-٤١).

وفي قمة من قمم العلم تمكنت العلوم المكتسبة من التعرف على عدة من القوى التي تمسك بأجرام السماء، منها «قوى الجاذبية» التي تربط بين كل أجزاء السموات والأرض بإرادة الخالق عز وجل، ولولا هذا الرابط المحكم الذي أوجده الله لا نفرط عقد هذا الكون، وبها نستطيع أن نفسر للطفل كيف أن الرجل على سطح القمر يستطيع أن يقفز فوق قمة جبل مثلا في خطوة واحدة، وأن يرفع صخرة ضخمة بيد واحدة دون تعب، حيث توظف النظريات العلمية المتصلة بطبيعة القمر، ويمكن تقريب قصة الإسراء والمعراج من مستوى الأطفال وتصورها، حيث توظف النظريات العلمية وتجسيد الأحداث في غرس كثير من قيم الدين ومبادئه، وتقوية صلة الأطفال بعقيدة الوحدانية، مما يحقق التوازن العقدي والفكري لهم، والاستقرار النفسي والولاء لوطنهم، وبذلك يكون الخيال العلمي قوة إقناع حقيقية، وأداة فعالة في ترسيخ الإيمان، ويبرز دوره في بناء العقول على أسس صحيحة، وهو دور يتجاوز كونه وسيلة للترفيه، ليصبح تعبيراً صادقاً عن العقيدة والحياة.



تعقيباً على مقال « نحو نظرية نقدية للخطبة المنبرية »

خطبة الجمعة.. الإرث التاريخي والدور المنتظر

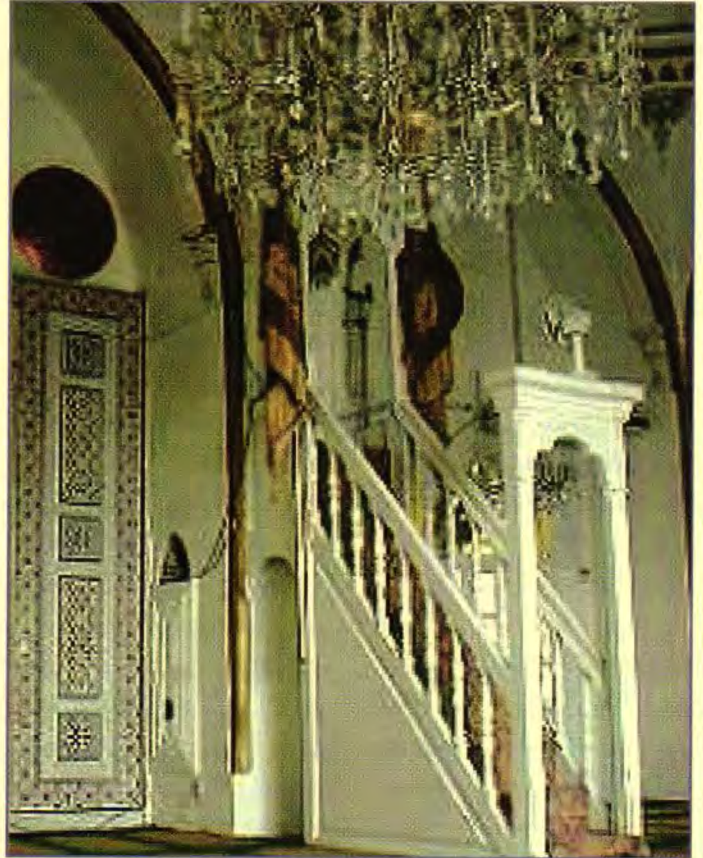


شعبان السيد

جذبني في العدد السابق من « الوعي الإسلامي » مقال « نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية » للكاتب عامر أحمد عامر، الذي تحدث عن « خطبة الجمعة »، وما ينبغي أن نوليها إياه من عناية فاحصة ودراسة ناقدة، سعيا الى تأسيس نظرة جديدة الى هذه الشعيرة السامية التي تمارس تأثيرا مباشرا في الوجدان الجمعي للمسلمين منذ ما يزيد على اربعة عشر قرنا.

ولعل أهمية المقال المذكور تنبع - بداية - من جرأته على الولوج الى هذه الشعيرة الركينة، التي هي من أكثر الأنشطة الدينية في حياة المسلمين علوا وخطرا وأثرا في وقت معا، وان ظلت قدرة المقال على تحقيق التأثير المبتغى رهنا بحصيلة الجدل المتوقع اشتعاله حول هذا الموضوع المفرط في الحساسية، اذ يستطيع المرء التكهن بالانقسام المنتظر حيال الرغبة في التغيير في «خطبة الجمعة»، بين فريق يلاقيها بحفاوة واستبشار، وفريق يجابهها بامتعاض ورفض.

وربما كان مما يزيد صعوبة البحث النقدي في هذه القضية الشائكة، المكانة السامية التي تتسنمها خطبة الجمعة في حياة المسلمين، وكذلك الارث التاريخي الثقيل الذي تراكم على كاهلها منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا، في الشكل والمضمون على السواء، ومن ثم سينشب التجاذب بين من يعتبرون خطبة الجمعة شعيرة يجب ان يحافظ الجميع على ثباتها شكلا ومضمونا، معتقدين ان اي تغيير لتقاليدها الراسخة هو اعتداء على مكانتها وجوهرها، ومن يعتبرون هذه الخطبة رسالة ابداعية انسانية، شأن سائر ألوان الخطاب الابداعي، او هكذا ينبغي، بحيث لا تتعارض قداستها مع ان تتفاعل مع متغيرات عصرها، وظروف واقعها وملابساته، وان تشتبك مع ما يكتنف حياة الناس من مشكلات وظروف، وما يشغل عقولهم من آمال وتحديات.



وفي تقديري ان القضية على جانب كبير من الخطر والدقة، مما يوجب التسلح بالحصانة والحيطة في مناقشتها، ذلك ان خطبة الجمعة في نهاية المطاف تقليد ابداعي موغل في القدم، وهو كذلك مزيج بين ما هو ثابت كالنص الديني من قرآن وحديث شريف، وما هو متغير من سمات أسلوبية وخصائص تعبيرية ومضمون ثقافي. واذا كان الثبات في الجانب الاول يوجب ان تستند مقاربته الى ما هو خليق بقدسيته من دراية واسعة وإلمام عميق ومعرفة بأصوله وفروعه، فإن قابلية التغير في الجانب الثاني من الخطبة تستلزم مراعاة المستجدات المعرفية في عصرها وضرورة ان تستجيب الخطبة لقضايا واقعها، ومعايشة ما يفرض نفسه على حياة الناس من مسائل متجددة ومناهج لرؤية الواقع هي بطبيعتها تتباين في كل زمن، وتتغاير في كل قطر.

وبناء على ما سبق ينعدم المبرر المعقول للاستسلام لما درج عليه كثير من الخطباء، اذا يخفقون في الانفلات من اسر الارث التقليدي الذي تحمله خطبة الجمعة من سمات اسلوبية وطرق للأداء ومسالك في مخاطبة الناس، وهذا البقاء في أسر التقليد يأوي اليه البعض اما انصياعا للمألوف، واما خشية من تغييره، حتى أضحى المسلم في حياتنا المعاصرة يعيش ما قُدّر له من حياة لا يجد فارقا كبيرا- وربما قليلا - بين خطبة سمعها وهو في الخامسة عشرة من عمره وخطبة سمعها وهو في الستين، على رغم الاختلاف الكبير في سيول المياه التي مرت يقينا من تحت جسر الواقع في هذا البون الشاسع من الزمن!

أليس الجمود الذي تتسم

به خطبة الجمعة يمثل أزمة حقيقية، في إطار ما يمكن تسميته ازمة الخطاب الاسلامي، في التقاصر عن اداء الدور المنوط به والمنتظر منه على صعيدي الداخل والخارج، صيانة لمقدرات العالم الاسلامي وهويته في عصر يموج بتحديات كبرى تقف وراءها وتغذيها «ميديا» اعلامية مسلحة بتقنية فائقة من ناحية، ومفاهيم غريبة قليلها نافع، واكثرها يتخاصم مع ثوابتنا، فضلاً عن ان يهدد وجودها ذاته.

في ظل هذا الصراع الذي يبدو ناعما احيانا، وان كانت نعومته الخادعة لا تخفي ضراوته الطاحنة، يروع المتتبع لما يلقى في مساجدنا من خطب الجمعة في عصرنا هذا، تقادم المضامين التي تدور حولها هذه الخطبة، الى حد انها بدت منفصلة عن قضايانا الحالية انفصالا تاما، فبينما يخوض العالم الاسلامي معركة وجود أمام تهديدات العولمة، وتقف جمهرة الشباب المسلم حائرة تجاه هذا الفيضان العولمي الذي يغمره من كل صوب، نجد خطبة الجمعة لا تزال تخاطب الناس بقضايا وكلمات وتعابير تراكم عليها غبار الزمن، فصارت غريبة عن عصرنا غربة فارس عاد من زمن قديم يحمل سيفا ويمتطي جوادا، وقد اراد النصر في معركة معاصرة، غير منتبه الى ان سلاحه البدائي لم يعد يجديه نفعا ازاء أسلحة العصر من قنابل وصواريخ.

في عصرنا هذا تتعين اعادة النظر في خطبة الجمعة في إطار تقويم منظومة الخطاب الاسلامي برمته، ذلك اننا يجب ان نحول هذه الخطبة الى مؤسسة اعلامية فاعلة في حياة المجتمع والانسان في عالم الاسلام، وهو ما لا يتأتى الا اذا خرجنا بها عن تقليديتها، وخلصناها من جمودها الذي تئن تحته منذ عقود وقرون.. فإنسان عصر الفضاء والانترنت والتراكم العلمي المذهل لم يعد يرضى بخطبة جمعة مستعارة من عصور غابرة، تناقش قضايا تجاوزها الزمن، وتصطنع اسلوبا تكالبت عليه أمراض الشيخوخة، فلم يعد قادرا على تقديم فائدة، ولا اجتذاب عقل، ولا استمالة قلب.

أخيرا، لعل مقالة «نحو نظرية نقدية للخطب المنبرية» تفتح نافذة علمية لدراسة هذه القضية المهمة فقد حان الوقت كي تخرج خطبة الجمعة من قمقمها القديم الذي حبستها فيه ثقافة التقليد، لتبدأ في استنشاق هواء جديد، يتيح لها ان تجدد حياتها وقدرتها على مواجهة العصر الحالي بثقافته المختلفة وإنسانه المغاير، ويصبح في وسعها قيادة المسلمين الى تبني العقيدة الصحيحة واعلاء شأن العقل والعلم، والشجاعة في مواجهة الآخر بغير وجل ولا استعلاء، وحفز المسلمين على تحقيق التعايش بين الدين والعلم، حتى يمكن للمسلم – في وقت واحد – ان يتمسك بإسلامه بينما يظل عنصرا متصالحا مع عصره، مؤثرا في عالمه وفاعلا في ارتقاء حضارته.

عَبْرة ودعاء

سعد القليعي

ياصاحبي أخمر في كؤوسُكما
أم في عيوني أحزان وتقريح؟
حتى تبدّى لها في فرحها نوب
وغاص في سكرها النشوان تبريح
لم تبق في مهجتي «ياريمُ» أغنية
ولا بشعري عصافير ولا روحُ
وكيف أشدو، ووجه الشمس منكفئ
على دمانا.. وعري الأرض مفضوحُ
هذا أخي «فلسطين» تمزقه
يدُ التتار، فتبكي ثأرهُ الريحُ
وأمه تشتكي لله أمتها
يكفيهمُ من عُرى الإسلام تسبيحُ
فعرضنا في يسار الأرض منتهك
وديننا في يمين الأرض مذبوحُ
وقد حبانا إله الكون مكرمة
نحن الألى لاعوجاج الركب تصحيحُ
ما بالنا اليوم ننسى عهد خالقنا
نبكي إليه، وكم تبكي التماسيحُ!
جهادُنا عبرةٌ في الليل نذرُفها
وغاية الذود تنديدٌ وتصريحُ!
جيوشنا درعُ حكّام لنا جُمعت
كم هزّنا من دعاوي البطش تلميحُ
وقد نسينا «صلاح الدين» مُندفعاً
وكم ينادي دمٌ - يارب- مسفوحُ
شبابنا ثورةٌ من أجل أغنية
وقبحنا عند أهل الذّكر ممدوحُ
أعداؤنا أحكموا قبضاً وسيطرةً
وسيفنا في ملاهي الرقص مطروحُ
يارب فارجع لنَا تاريخَ قوتنَا
ياصاحبَ الأمر.. إنَ القلبَ مجروحُ

العطاء الحضاري للإسلام.. روح متجددة ومعين لا ينضب

صلاح حسن رشيد

هذا الكتاب (العطاء الحضاري للإسلام) لمؤلفه المفكر الإسلامي د.محمد عمارة، يعد من أهم الكتب التي تغوص في أعماق الفكر الإسلامي، لاستخراج الكنوز التي تضمنتها الشريعة الإسلامية في مختلف أطوارها ومراحلها.

لقد عمد -المؤلف- إلى الوقوف على المحطات الرئيسة التي انطلق منها الفقهاء والعلماء والمفكرون الإسلاميون الذين يطلق عليهم «المجددون» الذين ينفضون عن كاهل الإسلام كل ما يعلق به من أوشاب المفاهيم وأخطاء التأويل من غلاة الفكر والرأي.

لقد استطاع المؤلف أن يعرض من خلال هذا الكتاب بعض جوانب العظمة والتألق والإبداع الذي رافق مسيرة الحضارة الإسلامية منذ مولدها.. وكيف أفاء الإسلام على البشرية بمبادئ الحق والعدل والخير الذي لم تعرف البشرية مثله أبدا، فالأمة الإسلامية- كما يقول المؤلف- هي النموذج الأسمى في العمل الخيري، وفي العقلانية المؤمنة التي تؤمن بالتنوع والتعدد والاختلاف.

في البداية، يشير المؤلف إلى أن أمتنا وُلدتْ من بين دفتي «القرآن الكريم» الذي انبثقت منه «الجوامع الخمسة» التي بلورتْ هذه الأمة ووحّدتها وميّزتها عبر تاريخها الطويل، هذه الجوامع هي «العقيدة والشريعة والحضارة ووحدة الأمة ودار الإسلام» ومن القرآن الكريم تبلورتْ منظومة القيم والثوابت التي أصبحت معايير إسلامية الأمة وإسلامية الدولة وإسلامية الحضارة وإسلامية الحياة.

ولهذه الحقيقة تجاوز الإسلام حدود الدعوة الدينية إلى حيث أصبح أمة ودولة وحضارة منذ فجر ظهوره ولحظة انبثاق نور القرآن الكريم.. ولأن الإسلام هو خاتم الوحي والنبوات والرسالات.. كان القرآن- ولا يزال الحصن الذي يحمي مقومات الأمة الخاتمة من عاديات التحديات.

واجبات شرعية

وحول العطاء الحضاري للإسلام في مجال «حقوق الإنسان» يؤكد د.عمارة أن المسلمين عرفوا مبدأ حقوق الإنسان قديماً، ومارسوه لا كمجرد حقوق للإنسان، وإنما كفرائض إلهية وتكاليف وواجبات شرعية، لا يجوز للإنسان أن يتنازل عنها أو يفرط فيها حتى بمحض اختياره إنْ هو أراد!

جوانب التشريع الإسلامي

يقول د.عمارة: إن الدعوة الشاملة للإسلام تعني أنه دين ودنيا، دنيا وآخرة، ومنهاج شامل لتدبير ملكات الروح والجسد، وشؤون الفرد والأمة والإنسانية، وسياسة الدولة والاجتماع، وتقديم منظومة للقيم تحكم سائر شؤون الحياة.

وفيما يتعلق بالجانب العقدي والشعائري والروحي، لم يجادل أحد في استمرارية حيوية الإسلام في ميادينه، بأكثر مما هي في الشرائع الدينية الأخرى، فحتى عندما تراجعت أو عُزلتْ حاكمية الشريعة الإسلامية عن بعض ميادين الدولة والاجتماع والسياسة والاقتصاد-خاصة في ظل الاستعمار الغربي لأغلب أوطان عالم الإسلام- فلقد ظل الجانب العقدي والشعائري والقيمي قوي التأثير والجاذبية في حياة المسلمين.. وجاذبية هذا الجانب الروحي تتزايد في هذه السنوات، حيث اننا نشهد انعطافاً جماهيرياً للتدين، والحفاظ على الشعائر العبادية، وتحري معالم الحلال في العقائد والعبادات.

قوة الإسلام الروحية أحبطت كل محاولات العلمنة والتغريب

أما عن الشق التشريعي والقانوني في الإسلام، وتدبيره لسياسة الدولة والمجتمع والذي عزلت حاكميته عن كثير من الميادين الحياتية، لتحل محله القوانين الوضعية ذات الفلسفة الغربية في التشريع والتقنين، فإن هذا العزل لم يلق قبولاً لدى جماهير المسلمين، الذين أحسوا أن فيه قطعاً لإحدى رئتي الإسلام! ولذلك شملت حركة الإحياء الديني الإسلامي، الحديثة والمعاصرة الإسلام العقدي، والشعائري، وإسلام الشريعة، والسياسة والاجتماع، والاقتصاد جميعاً.

شمولية حركة اليقظة

وعلى حين ظن البعض أن الإسلام قد تخلى- بعد محاولات الاستعمار تحجيمه، وحصره في العقيدة والشعائر- عن شموليته وتكامل مناهجه، كانت شمولية حركة اليقظة، والإحياء الديني المعاصرة تبديداً لهذا الظن، فمحاولة علمنة عالم الإسلام ودوله وسياسة مجتمعاته لم تتجاوز القشرة التي أخذت تتحطم أمام سعي المد الإسلامي الحديث والمعاصر، ويشهد على هذه الحقيقة - حقيقة شمولية الدعوة الإسلامية، واستعصاء الإسلام على العلمنة والاختزال في العقيدة والتخلي عن الشريعة- علماء الغرب الذين وعوا أبعاد تكامل مقاصد الإحياء الإسلامي المعاصر..

فمثلاً، عالم الاجتماع الإنجليزي إرنست جيلنر يقول «إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع، والتي تقول إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يقوض الإيمان الديني- مقولة العلمنة- صالحة على العموم.. وهي تتباين في التفاصيل والفروق الدقيقة من حالة إلى حالة، لكن التأثير السياسي والسيكولوجي للدين قد تناقص عملياً في كل المجتمعات، وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، وعالم الإسلام استثناء مدهش وتام جداً من هذا.

فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهي أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، فهو لم يقبل قواعد المجتمع العلماني، مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة ومؤلمة، وكان الإسلام على قدر من الرسوخ في المجال السياسي والاجتماعي يجعله رافضاً لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر، بحيث لا يسمح أبداً لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين لديموقراطية علمانية» فحفاظ الإسلام على شمولية دعوته حتى يومنا هذا، حقيقة يشهد بها أهل العلم، حتى من غير المسلمين!

ظاهرة اليقظة الإسلامية

ويرى المؤلف أن ظاهرة اليقظة الإسلامية والاجتماعية والإحياء الديني التي برزت واجتذبت جماهير واسعة- على نحو غير مسبوق في العقود الأخيرة، من الظلم ومن الخطأ النظر إليها عند تقويم الإيجابيات والسلبيات فيها ككتلة واحدة صماء، فإذا مثّلت هذه الظاهرة الإسلامية تياراً إحيائياً يتغيى العودة كاملة إلى كامل الإسلام، واتخاذ هذا الإسلام منهاجاً شاملاً لكل مناحي الحياة العقدية والعبادية والخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية...الخ فإن في هذه الظاهرة العديد من الفضائل والتيارات التي تتمايز في إطارها العام، فهناك الجماهير العريضة، غير المؤطرة ولا المنظمة في أحزاب أو حركات، والتي اندفعت وتندفع ملايينها إلى الالتزام بأحكام الإسلام، باحثة عن حدود الله في شؤون حياتها، وعن معالم الحلال والحرام في هذه الحياة، محيية سنن الإسلام وشعائره في تفاصيل شؤونها الحياتية، وهناك فصيل وتيار العمل الخيري غير السياسي الذي أقام ويقيم في عالم الإسلام آلاف الجمعيات والمؤسسات الخيرية والإغاثية والتنموية والصحية والفكرية والثقافية والتعليمية... الخ، وهو تيار يقيم قطاعاً من البنية التحتية التي تسهم في تخفيف مشقات حياة الناس بواسطة الحلال الإسلامي، مبرزاً دور الإسلام في البناء الاجتماعي والإنساني، وهناك أهل الفكر والاجتهاد والتجديد، الذين نذروا أنفسهم لصناعة الفكر والثقافة انطلاقاً من المنظور الإسلامي، يبدعون في ميادين الفكر الإسلامي، على تعدد وتنوع هذه الميادين، إصلاحاً لمناهج هذا الفكر، وتجديداً لفلسفاته، وصياغة لمعالم وسمات وقسمات مشروع حضاري إسلامي، يكون دليل عمل لكل فصائل وتيارات الإحياء الإسلامي المعاصر، وهناك التيار الحركي المنظم والمؤطّر في أحزاب وجماعات وجمعيات ذات مقاصد سياسية، وأغلب هذا التيار- على امتداد أوطان الأمة- يلتزم الوسطية الإسلامية والاعتدال الإسلامي، فيدعو إلى برامجه ومقاصده بالكلمة الطيبة، والحكمة والموعظة الحسنة، ويحاور ويجادل الفرقاء غير الإسلاميين بالتي هي أحسن، بل يصبر ويصابر على الكثير من ألوان القهر والتضييق والعقبات التي توضع في طرقه ويعاني الابتلاء بها، وهو يحتكم إلى جماهير الأمة عبر آليات الشورى والديموقراطية.

مظاهر العنف والغضب

ويرى المؤلف أن هناك شريحة محدودة العدد، اختار شبابها طريق الغضب والرفض والعنف والاحتجاج، إمّا «رد فعل نزق» لعنف النظم والحكومات التي حرمتهم من العمل القانوني السلمي والمشروع، وإما لتأويلات فاسدة لبعض المأثورات الإسلامية، من أحاديث الفتن وآخر الزمان، ومن فتاوى عزلوها عن ملابسات صدورها، وإما للأمرين معاً، وهذه الشريحة، وإن قلّ عددها، إلا أن صوتها قد أصبح عالياً، كطبيعة أصوات الغضب والاحتجاج دائماً وبسبب من المخطط الإعلامي الخبيث الذي يسلط على هذه الشريحة كل الأضواء، ليشوه كل الصور، وليلقي ظلال هذه الشريحة على كل الموكب العريض لظاهرة اليقظة الإسلامية المعاصرة، وذلك بهدف حجب الإيجابيات الكبيرة والكثيرة لأعظم ظواهر عصرنا عن أنظار الجماهير!

ويختتم المؤلف كتابه بالدعوة إلى الوحدة الفكرية والتضامن الروحي، والالتفاف حول الرؤية الوسطية والمنهج الإسلامي الوسطي من أجل التصدي لمحاولات الغزو والاختراق الفكري والثقافي الذي يهدد الكيان الإسلامي، فالوسطية هي صمام أمان مسيرة الحضارة الإسلامية في مختلف العصور.



الفنان وجدي العربي لـ «الوعي الإسلامي»:

ضرورة الرقابة على الأعمال الفنية المبتذلة والخليعة... فالمساواة في الظلم عدل

حوار: محمد حسين

«تدينت من خلال الأعمال التي عرضت علي، فشاركت في أعمال دينية بشخصيات إسلامية كنت اسمع عنها فقط و لا اعلم عنها شيئا، فكنت أحاول أن اقرأ في سيرة الشخصية التي اقوم بها مثل صهيب الرومي وسلمان الفارسي ومصعب بن عمير وجعفر بن أبي طالب...» بهذه الكلمات لخص الفنان القدير وجدي العربي في حواره مع «الوعي الاسلامي» قصة تدينه وتحوله إلى الفن الهادف، وقال وجدي العربي الذي تربى في حي السيدة زينب ويبلغ من العمر ستين عاما انه لم يدع انه بحث عن التدين بل إن الأمر جاء إليه وحده.

التقيناه لنتعرف على جانب أخر خفي لفنان عرف في الدراما المصرية بدماثة خلقه ورقه أدائه وعمق أدواره، ... وإليكم تفاصيل الحوار:

■ **كثير من الفنانين لا نعرف عنهم سوى ما نشاهده أمام الكاميرا، لكن هناك شق اعتقد أن القارئ يحرص على معرفته وهو الجانب الأخر من حياته، نريد أن نستعرض شريط حياتك؟**

- ولدت في احد الأحياء الشعبية المصرية العريقة وهو حي السيدة زينب وكان يسكن في العمارة نفسها أسفل شقة والدي الفنان حسن يوسف وأسرته وكان وقتها متعلقا بالتمثيل وكان يطلب دائما من والدي أن يعلمه التمثيل حتى ان من بين المناوشات التي كانت تحدث بين والدة حسن يوسف وبين والدتي أنها كانت تقول لوالدتي «جوزك هيخسر ابني» وكانت امى تقول لها «بكرة هتشوفيه ممثل مشهور» وفعلا أصبح كذلك.

■ **أين تلقيت تعليمك؟**

- تعلمت في مدرسة قصر دوبارة الابتدائية ثم انتقلنا جميعا لشارع الفلكي في منطقة باب اللوق ثم انتقلت إلى مدرسة الناصرية في شارع شامبليون وهناك التقيت بهاني شاكر وبعد أن حصلت على الإعدادية انتقلت إلى مدرسة الخديو إسماعيل وبعد أن تخرجت من الثانوية العامة التحقت بمعهد الالكترونيات الذي تركته بعد شهور وقدمت اوراقي لمعهد الفنون المسرحية وكان وقتها أخي محمد يدرس في السنة الثالثة ثم تدرجت من فنان مبتدئ حتى وصلت إلى فنان قدير.

■ **انتقلت من معهد الالكترونيات الى الفنون المسرحية، ما سر هذا التحول؟**

- وجدت أن أخي محمد العربي لم يمثل أصلا ودخل معهد الفنون المسرحية وأنا الذي شاركت في التمثيل أنا طفل لم ادخل هذا المعهد فكان لابد من تصحيح الوضع خاصة أني أحب التمثيل رغم أن أبي كان حريصا على ألا يكون احد منا فنانا.

■ **لماذا؟**

- لما رآه في هذا الوسط، فنان يتحايل ويسرق دور فنان ووشايات بين الفنانين وعلى غير المألوف لدينا من ان ضابط الشرطة يحب ان يكون ابنه ضابط شرطة و الدكتور ابنه يكون دكتورا كان والدي حريصا على ألا يكون احد من أبنائه في هذا الوسط رغم انه كان في زمن الفن الجميل.

■ **سرت في طريق الفن العادي لكننا وجدنا شخصية أخرى تحولت إلى النمط الديني الباحث عن التمثيل الهادف بضوابط الفن الملتزم، ما سر هذا التحول؟**

- تدينت من خلال الأعمال التي عرضت علي حيث عرضت علي أعمال دينية وشخصيات إسلامية كنت اسمع عنها فقط، إنما كتاريخ كنت لا اعلم عنها شيئا فكنت أحاول أن اقرأ في سيرة الشخصية التي أقوم بها مثل صهيب الرومي وسلمان الفارسي ومصعب بن عمير وجعفر بن أبي طالب وأحببت هذه الرموز الإسلامية ومن خلالها أحببت التوغل في الدين وانطبقت علي قاعدة «يثاب المرء رغم انفه» ولا ادعي أنى كنت ابحث عن التدين بل إن الأمر جاء إلي وحده.

■ **ماذا عن أكثر الشخصيات التي أثرت فيك؟**

- اكثر شخصية اثرت في كانت شخصية محمد بن القاسم (محمد الفاتح) وهي الشخصية التى عندما أديتها بدأ يشار الي في الاعمال الدرامية ويقال ان وجدي ممكن أن يؤدي الدور الفلاني واصبحت من المطلوبين في الاعمال الدينية ومنها بدأت أسير في الطريق الديني والاجتماعي،

وبفضل الله كل الاعمال الدرامية الاجتماعية التي أديتها لم يكن بها ما يشين، فكانت اعمالا راقية جدا وبعد عدة مرات بدأت انسحب منها واكتفي بالجانب الديني والتاريخي.

وكان من الاعمال التي لن انساها ومن اكثر الاعمال التي أعجب بها الناس «على باب زويلا» الذي أديت فيه شخصية طومان باي ومن خلال هذه الشخصية حصل بيني وبين الناس «كونتاكت».

■ **اذا اردنا ان نقسم حياة وجدي العربي الفنية؟**

- انا عادة اقسم حياتي الى ثلاثة اقسام: الاول قسم الطفولة حيث أديت ادوارا مع فاتن حمامة واحمد مظهر وعمر الشريف ويحيى شاهين ثم كانت المرحلة الثانية وهي مرحلة الشباب وشاركت فيها في العديد من المسلسلات الاجتماعية في التلفزيون كان من بينها على «باب زويلا» الذي شاركت فيه كثيرا من نجوم مصر مثل صفاء أبو السعود وأنور إسماعيل وفاروق الفيشاوي وسمية الالفي وأحمد ماهر وأحمد بدير وكنت وقتها بطل الرواية.

ثم تاتي المرحلة الثالثة التي بدأت أؤدي فيها ادورا كبيرة وهي مرحلة بدأت من وقت قصير.

■ **عرف عن وجدي العربي نشاطه في العمل الخيري هل ترى ان العمل الخيري ضرورة لكل شخصية عامة؟**

- انا لا اختلف كثيرا عما يراه المشاهدون في اعمالي الفنية فجميع الاعمال التي قمت بها - عدا عمل واحد ظهرت فيه شريرا هو «الموج والصخر» - لم اجسد فيها سوى الشخصية الطيبة.

كانت البداية في العمل الخيري عندما عرضت علي اختي الحاجة كاميليا العربي ان أدير دار المعاقين الخاصة بها في مدينة ٦ اكتوبر واعجبت بالفكرة وبدأت العمل فيها بجدية وحينها استطعت ان اشعر بقيمة العمل الخيري ورأيت انه يشعرني بمسؤولية وشعرت انني اتعامل مباشرة مع رب العزة بدون وساطة الا بحب هؤلاء المعاقين ودعاء الذين يكفلونهم او المتبرعين وشعرت بأن ربنا سبحانه وتعالى اختصني بخصوصية معينة وهي مكانة ما كنت أصل اليها الا برضا الله سبحانه وتعالى.

■ **لو تحدثنا عن هواياتك، هل ممكن ان تكون القراءة احدى هذه الهوايات؟**

- ان قراءتي ضعيفة جدا وممكن اقرأ في اليوم صفحة او اثنتين على الأكثر فالقراءة ليست من هواياتي لكن هوايتي سماع درس جيد وممارسة كرة القدم.

■ **لو تحدثنا عن الفنان الذي تحب ان تشاهد اعماله.**

- كل الفنانين القدامى وان كنت لا اتابع الافلام القديمة لكني اقف امام ادائهم! فمثلا محمود المليجي وهو يؤدي دور الشرير رغم ان حقيقته غير ذلك تماما، شاهد عبد الفتاح القصري وهو يقول افيه مثل «ح ن ش» وشاهد فريد شوقي وحش الشاشة كنا نرعبه ونحن صغار، كان «بيخاف من خياله»، ويكفي ان واحدا مثل عادل ادهم رغم اجرامه في الافلام كان طيبا جدا.

■ **كيف ترى واقع الفن الآن؟**

- انا اراه الآن بمنظور مختلف، اصبح الأمر غاية وليس ترويحا وانعاشا او توصيل قيمة، فالمطلوب هو الشهرة والمال وكلهم عرفوا الفن عن طريق «المودلايلات» فمعظم الفنانين والفنانات الآن كانوا في الاصل «موديلات» وكان الواحد فيهم يعرف انه حينما ينجح في أن يكون «موديل» سيشق طريقه الى عالم الفن.

■ **كلمة اخيرة تحب ان تقولها للقراء؟**

- كل فنان يستطيع ان يغرس قيمة في نفوس شبابنا. وما يحزنني ان كل علمائنا ومشايخنا الكبار يغادرون مصر مثل وجدي غنيم وعمر عبد الكافي وعمرو خالد ويوسف القرضاوي، والدولة تعالج المدمنين الآن بما يقدر بـ ٣٥ الى ٥٠ الف جنيه للمدمن، وكان يمكنها ان تقي هؤلاء بغرس القيم النبيلة والفهم الصحيح للدين في نفوسهم وان تضرب بيد من حديد على الايادي الخفية التي تعبث بشبابنا والا تغمض العين عنهم.

واتمنى كما ان هناك رقابة على الاعمال الهادفة مثل مسرحية «الشفرة» التي كنت اقدمها واتهموني فيها بالحض على التظاهر، ان تكون هناك رقابة على الاعمال المبتذلة والخليعة، فالمساواة في الظلم عدل.



الصراع الدعوي

عبادة السيد نوح

nooh22@hotmail.com

من المعلوم أن الصراع بين الحق والباطل أزلي، ولن ينتهي الا بقيام الساعة، وعندها ستبلى السرائر وتكشف الحقائق وتتعرى الأقنعة، لأن ملك الملوك أذن بالحساب على أعمال البشر في الدنيا لينال كل واحد منهم جزاءه عما قدم.

ولا يقتصر هذا الصراع على ما يدور اليوم بين المسلمين وأعداء الدين، بل يظهر جلياً بين المسلمين أنفسهم لاسيما داخل الوسط الدعوي! وليس هذا بغريب، لأن هناك من يريد الدنيا وثمة من يريد الآخرة، حتى ان النفس البشرية يتصارع في داخلها فريقا الخير والشر.

فالحرب الضروس بين هذين الطرفين ستستمر الى ان يرث الله الأرض ومن عليها، وتنتهي مظاهر الشرك على هذا الكون بنزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

ولكن العجيب ان هذه القضية اخذت منحى آخر داخل الدعوة الإسلامية، اذ تغلغل فيها بشكل واضح اتباع مسيلمة الكذب والرويبضة والمنافقون والدخلاء لتفتيت عضد هذا الصرح العريق، ولإشباع نفوسهم المسرطنة واحكام التواجد الدنيوي وخدمة اعداء الامة دونما النظر إلى مسؤولية الشهادة والرسالة في الأرض، او ابداء اي اعتبار لعالم الغيب غير الملموس الذي فيه الجزاء والحياة الخالدة.

ولعل سبب ذلك كله يرجع الى استفحال الامراض القلبية في ابنائها، اذ بدت مشاعر خبيثة تترجم الى اعمال مميتة، فظهر سوء الظن والحقد والحسد والكبر والبغض والرياء وحب الظهور والوجاهة، والركض في فلك اشباع الشهوات، فرحم الله شيخنا د.السيد نوح الذي أفرد سلسلة كبيرة باسم «آفات على الطريق» لمعالجة هذه السقام التي تعيق الاستمرار في السير على طريق الصلاح والفلاح والنجاح.

ويمكن اعتبار تفاوت البيئات، وتمايز الطباع، وتفاوت القدرات والامكانات، واختلاف العقول مؤشراً عملياً على أن هناك صراعا دائما وخطيرا.

إن بروز هذه الظاهرة وسط الدعوة اوجد نوعا من الفساد السلوكي في أعمال وقرارات الدعاة ما شأنه اعاقة وتأخير عملية الاصلاح والتغيير في المجتمع بمختلف اشكاله، لما ينقصهم من الزاد والمعين الذي ينبغي ان يتسلح به كل رجل دعوة مخلص وصادق مع الله.

وشرف الدعوة عظيم، ولكن الشرف الاعظم ان تدعو على بصيرة ونور وشفافية، ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾(يوسف: ١٠٨)، فما يبطنه البعض يفتت وحدة الصف ويقوض اتحاد الجماعة، وما يكيده الآخر في النفوس المريضة ينخر كالسوس في جسد الدعوة الإسلامية.

فالداعية يؤدي الأمانة التي حملها المسلمون ويخلي مسؤوليته أمام الله تعالى كما أخبر الله تعالى ﴿..قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون﴾ (الأعراف: ١٦٤) الأمر الذي يتطلب ألا يكسل أو ييأس أو يقنط أو يثبط من سلوكيات الآخرين ومعاصيهم لأنه دائماً على خير مادام قائماً بأمر الله تعالى من الدعوة.

إذن الصراع قائم وسيستمر ما يتطلب اعادة تجديد النية، والصدق والإخلاص فيها، والحرص على تربية النفوس وترويضها وفق الشرع وليس الهوى والدنيا، والعمل المستمر بلا كلل أو ملل، والاستمرار في التزام الجماعة المؤمنة المرابطة في سبيل الله.. ذلك أقصر الطرق الى جنة الدنيا والآخرة. والله ولي التوفيق.

لفتة

■ نعيش هذه الأيام الذكرى الثالثة لوفاة المستشار سالم البهنساوي يرحمه الله.. الفقيه الدستوري الذي كان كالشوكة في حلق العلمانيين والتكفيريين لتسلحه بالحجة البليغة والدليل القاطع.. ومؤلفاته تستحق القراءة.

■ العالم كله يتسابق اليوم لعقد المؤتمرات واللجان لإعادة إعمار غزة دونما النظر أو النقاش في العدوان الصهيوني نفسه.. فما السبب؟!

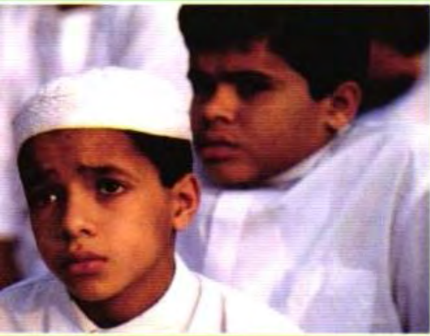
■ لوحظ في الآونة الأخيرة ازدياد القنوات الفضائية الإسلامية، ولكن الغريب ان معظمها يكرر الآخر، أو يحقق أجندة معينة دونما التفكير في التنسيق أو التعاون أو حتى العمل ضمن رابطة معينة لتوحيد الجهود ولعدم ازدواج المهام ولعدم اهدار المال والوقت.. فهل من مدكر؟!

■ اصدار محكمة العدل الدولية مذكرة اعتقال بحق الرئيس السوداني عمر البشير دليل واضح على تكالب الغرب على دولنا لاستنزاف مقدراتنا وثرواتنا، ودرس عملي لقدرة اليهود على قيادة العالم.. فأين أولمرت وليفني وباراك وبوش وبلير من المحاكمة؟!





أسرتي



تدابير حفظ كيان الأسرة

عمل المرأة

الطفل والتعلم باللعب





التدابير الوقائية لحفظ كيان الأسرة

يقصد المنهج الإسلامي قصدا إلى بناء الإنسان الصالح، ومن أجل ذلك شرع له الشرائع، وحد له الحدود، ووضح له الحلال، وفصل له الحرام، وحفظ له عرضه وشرفه وكرامته.
ولا شك أن تكوين الأسرة الصالحة ثمرة حقيقية لإيجاد هذا الإنسان الصالح، تلك الأسرة التي تعتبر- بحق- لبنة لها شأنها وبأسها في بناء مجتمع صالح، يؤمن بقيم الترقي والتقدم، ويأخذ بمعالم التحضر، ويحافظ على سلامته وصفائه ونقائه وحريته، فلا غرو أن ينظر الإسلام إلى الأسرة نظرة خاصة، فيبين منهجه في بنائها والمحافظة عليها، وأهدافه منها، ويضع الحلول المناسبة لكل مشكلاتها، ويشرع التدابير الوقائية والتنظيمات الحافظة التي تقيها من الوقوع فيما لا تحمد عقباه، أو يصل بها إلى طريق مسدود



وصفي عاشور أبوزيد

إقامة الأسرة من مقاصد الإسلام كما يبتغي الإسلام بناء الإنسان الصالح روحيا وعقليا وبدنيا ووجدانيا، كذلك من مقاصده الكبرى إقامة الأسرة الصالحة التي هي ثمرة واضحة لبناء الفرد الصالح، والتي يناط بها تحقيق عمارة الأرض وتكوين المجتمع، وليس هذا مجرد كلام يلقى هنا أو هناك، بل استنباط من استقراء النصوص الشرعية في القرآن والسنة.

فقد رغب الإسلام في الزواج في نصوص عديدة، حسبنا منها قوله تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ (النور: ٣٢) ولا يخفى ما في الآية من الترغيب هنا، فقد وعد الله تعالى المتزوجين بالغنى من فضله، وهذا مشاهد ومحسوس في الواقع لكل من أقبل على الزواج أو تزوج، والله لا يخلف الميعاد، وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١)، كما لا يخفى هنا أيضا الترغيب، حيث بين ثمرات الزواج ومقاصده بأنه أغض للبصر وأحصن للفرج وأذهب للشهوة وأهدأ للنفس.

وقاوم الإسلام أفكارا منحرفة عارضت الزواج، منها أنه لا رهبانية في الإسلام، وأن النبي ﷺ رد الرهبانية على من ترهبن، فقد روى مسلم بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا» (٢)

كل هذه الأمور التي شرعها الإسلام يُستنبط منها ومن غيرها أن من مقاصد الإسلام الكبرى إقامة الأسرة الصالحة التي تقيم- من ثم- المجتمع الصالح، وقد قال ابن عاشور في المقدمة الرابعة من تفسيره: «وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي؛ إذ الأفراد أجزاء المجتمع ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه» (٣).

وترغيب الإسلام في الزواج ونهيه عما يعارضه أو يصد عن سبيله هو من باب الحفاظ على الأسرة من ناحية الإيجاد كما يقول علماء المقاصد، أما حفظ الأسرة من العدم فقد شرع له الإسلام أمورا كذلك، منها بيان حقوق الزوجة وحقوق الزوج، وكيفية معاملة الزوجة لزوجها، والزوج لزوجته، وحقوق المعاشرة بينهما، وغير ذلك مما سيأتي مزيد بيان عنه.

التشريعات في مراحل ارتباط الزوج بالزوجة .. لبنة قوية لتأسيس مجتمع صالح

مقاصد الإسلام من الزواج

١- تحقيق عمارة الله في الأرض، قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١) فبالزواج يأتي النسل وبه تتحقق العمارة، وقد ذكر الراغب الأصفهاني أمورا لأجلها أوجد الله الإنسان، وذكر عمارة الأرض أولها(٤).

٢- تحقيق السكن النفسي، والإشباع الجنسي، والتراحم بين الزوجين، وهو ما ذكره الله تعالى في قوله ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) وقال سبحانه: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف: ١٨٩)، فأراد الله تعالى «أن يكون هذا اللقاء سكناً للنفس، وهدوءا للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد، ثم ستراً وإحصاناً وصيانة، ثم مزرعة للنسل وامتداد الحياة، مع ترقيها المستمر في رعاية المحضن الساكن الهادئ المطمئن المستور المصون» (٥).

٣- العون على غض البصر وإحصان الفرج، وهو ما جاء في حديث مسلم عن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...».

٤- تحقيق الاستقرار في المجتمع نفسيا وخلقيا، وهو ما يؤدي إلى حفظ نظامه العام، حيث إن الشهوة لها ضرام في ظهر الإنسان، وما لم يتيسر لها الطريق لتصرف في مسارها المشروع أدى ذلك إلى سلوك طرق غير مشروعة لاسيما مع التحلل السائد في المجتمع بصورة ملحوظة، أو يتوجه نحو كسب غير مشروع لظروف الحياة الصعبة، مما يهدد أمن المجتمع واستقراره.

وفيما يلي نتناول باختصار مراحل الحياة الزوجية ابتداء من الخطبة وانتهاء بالفرقة مع إبراز التدابير

الوقائية والأحكام الشرعية التي حرصت كل الحرص على إقامة هذا الكيان المهم في بناء المجتمع:

مرحلة الخطبة وما قبل الزواج

لقد شرع الله تعالى أمورا في الخطبة من أجل أن يظل الحب موصولا في الحياة الزوجية، ومن ذلك:

١- أنه شرع النظر إلى المخطوبة، وبين مقصود ذلك، فعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»(٦). قال الكاساني «إذا أراد أن يتزوج امرأة فلا بأس أن ينظر إلى وجهها، وإن كان عن شهوة؛ لأن النكاح بعد تقديم النظر أدل على الألفة والموافقة الداعية إلى تحصيل المقاصد»(٧).

٢- واستحب الإسلام أن تكون الزوجة بكرا؛ لأن ذلك أدعى إلى الود الكبير حيث لم تعرف زوجا غيره من قبل يشغل حيزا من قلبها، وقد روى البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله قال: «كنا مع النبي ﷺ في غزوة فلما قفلنا كنا قريبا من المدينة تعجلت على بعير لي قطوف، فلحقني راكب من خلفي فنخس بعيري بعنزة كانت معه فسار بعيري كأحسن ما أنت راءٍ من الإبل، فالتفتُّ فإذا أنا برسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله إني حديث عهد بعرس قال: أتزوجت؟ قلت: نعم، قال: أبكرا أم ثيبا؟ قال: قلت بل ثيبا، قال: فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك. قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلا- أي عشاء- لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة» (٨).

٣- واعتبر بعض الفقهاء الكفاءة في الزواج، وفي هذا من التوافق بين الزوجين ما فيه، وهو أقرب إلى استمرار الحياة وسلامتها، فقالت الحنفية بـ «المماثلة بين الزوجين في خصوص أمور أو كون المرأة أدنى، وهي معتبرة في النكاح؛ لأن المصالح إنما تنتظم بين المتكافئين عادة» (٩).

٤- وجعل الشرع الحنيف الخطبة وعدا بالزواج وليست إلزاما به، وفي هذا فرصة ليتحقق كل من الطرفين مما إذا كان الطرف الآخر صالحا للمعاشرة أم لا، فقد يكون أحدهما لا يصلح للآخر ولا يتوافق معه لسبب من أسباب كثيرة، ومن هنا كان أدعى إلى إنهاء هذه العلاقة أو عدم إتمامها لما يترتب عليها من هدم لبنيان سيقوم على هذا الأساس الواهن، فالإسلام يؤسس البناء على قواعد وأصول ينهض عليها بعد ذلك قويا راسخا شامخا ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم﴾ (التوبة: ١٠٩).

مرحلة الحياة الزوجية

إذا كانت هذه كلها تدابير شرعية وإجرائية قبل الزواج؛ كي ينبني الزواج بناء صحيحا تدوم فيه العشرة، وتستمر معه الحياة، فقد شرع الإسلام إجراءات أخرى أثناء الحياة الزوجية تضمن استمرارها ودوامها سكنا وحبا واستقرارا ومودة، من ذلك:

١- أنه لم يبح شرطا من الشروط تنافي مقاصد الزواج، بل كل ما كان منافيا لذلك حرمه، وكل ما كان معينا له ومحققا أباحه وأقره، ولذلك قال الصنعاني «والمعروف عن الشافعية أن المراد من الشروط هي التي لا تنافي النكاح بل تكون من مقتضياته ومقاصده كاشتراط حسن العشرة والإنفاق والكسوة والسكنى وألا يقصر في شيء من حقها من قسمة ونفقة وكشرطه عليها ألا تخرج إلا بإذنه وألا تتصرف في متاعه ونحو ذلك» (١٠).

٢- أنه أمر الرجال أن يعاشروا النساء بالمعروف، فقال تعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ (النساء: ١٩) قال ابن كثير: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله (١١).

٣- أمر الشرع الحنيف، من ناحية أخرى، المرأة بطاعة زوجها حتى روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (١٢).

٤- كما أمرها بحفظ سر زوجها، وهو أمر مهم في استقرار الأسرة وتماسكها؛ إذ إفشاء السر يترتب عليه الشقاق والنزاع وتحلل بنيان الأسرة، ومن هنا أوصت المرأة العربية الحكيمة ابنتها ليلة زفافها بحفظ سر زوجها وقالت لها «...فإن أفشيت سره لم تأمني غدره...».



٥-جعل الاستماع والحوار بين الزوجين سببا من أسباب استدامة الحياة وحفظ صفائها وجمالها، فهاهو النبي ﷺ يستمع إلى زوجه عائشة فيما عرف بحديث أم زرع، وهو الحديث الطويل في كمه والصعب في كيفه، ومع ذلك استمع النبي ﷺ إليها رغم مشاغله وهمومه، ثم قال لها في النهاية: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» (١٣).

٦- حين وقوع النشوز أو ترقبه وتوقعه لم يقطع الشرع هذه الحياة أو يحكم عليها بالفناء، إنما شرع لهذا السلوك تدابير وإجراءات يستنقذ بها الحياة الزوجية، ويحفظ كيانها، فالزوج نفس بشرية، والزوجة نفس مختلفة، وقد خلق الله البشر مختلفين في الطباع والأخلاق والأذواق، فالخلاف بينهما وارد، والنشوز ممكن، ولهذا راعى الإسلام ذلك التنوع والاختلاف، ووضع له ما يناسبه من حلول عملية واقعية.

٧- هنا تأتي الوسيلة الثانية أو التدبير الثاني الذي يتناسب مع هذا الوضع، وهي الهجر في المضجع حيث يستعلي به الرجل (الزوج) على كل هذه المظاهر فيحدث نوع تراجع للمرأة، يقول صاحب الظلال «والمضجع موضع الإغراء والجاذبية التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها، وكانت- في الغالب- أميل إلى التراجع والملاينة، أمام هذا الصمود من رجلها، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه، في أحرج مواضعها... على أن هناك أدباً معيناً في هذا الإجراء.. إجراء الهجر في المضاجع.. وهو ألا يكون هجراً ظاهراً في غير مكان خلوة الزوجين، لا يكون هجراً





أمام الأطفال، يورث نفوسهم شراً وفساداً، ولا هجراً أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستثير كرامتها، فتزداد نشوزاً، فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة، ولا إفساد الأطفال، وكلا الهدفين يبدو أنه مقصود من هذا الإجراء» (١٤).

٨- إذا لم تُجدِ هاتان الوسيلتان فليس أمامنا إلا الإجراء الثالث وهو الضرب، حتى نستنقذ الأسرة من التحطيم والانهيار، وهو ضرب غير مبرح كما قال أكثر الفقهاء والمفسرين، فليس ضربا للتعذيب والانتقام والتشفي بل مصحوبا بعاطفة المربي حين لا تثمر الوسائل الأخرى.

٩- عند خوف الشقاق وضع الشرع الحنيف إجراءات أيضا حفاظا على الأسرة واستنقاذا لها، والشقاق مرحلة متقدمة من الخلاف بين الزوجين على النشوز، وأقوى منه، وأقرب منه إلى الفرقة وتحطيم الأسرة، ومن هنا وضع إجراء من خارج الكيان حتى يردهما إلى الجادة، ويعيد معاني الصفاء والنقاء والتعايش في الأسرة المسلمة، فقال تعالى ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا﴾ (النساء: ٣٥)، وبعث حكمين في هذه الحالة، حالة الشقاق، هو الأوفق والأفضل؛ إذ النفوس، نفوس الزوجين، مملوءة بالغضب والحنق، وكل من الطرفين يريد أن يكون الحق معه، وأن يهزم الآخر ويستعلي عليه، وكلها من آثار الشقاق ومعانيه وتوابعه، وبقدر إخلاص الحكمين وإرادتهما في الإصلاح يوفق الله تعالى.

في الفرقة بعد استحالة الحياة الزوجية

ولا يكتفي الشرع بكل هذه الإجراءات والتدابير الوقائية قبل الزواج وبعده، بل تستمر إجراءات أخرى حين تصل الحياة الزوجية إلى طريق مسدود، بل يتعدى ذلك إلى ما بعد الفرقة والطلاق حفظا لأسرار الزوجية واحتراما لها، كل هذا لما للأسرة من مكانة وأهمية في التشريع الإسلامي.

١- فمن ذلك أن الله وصف هذا العقد بـ ﴿ميثاقا غليظا﴾ (النساء:٢١) فليس هناك عقد في الإسلام وصف بأنه ميثاق غير عقد الزواج، وزاد على ذلك ما لم يتصف به عقد من العقود وهو أنه ميثاق غليظ، فهو تشديد مركب في الوصف بما يوجب الحرص على بقاء هذا العقد، والحذر من نقضه وتحطيمه.

٢- ومنه أن الشارع الحكيم لم يجعل الطلاق مرة واحدة إنما جعله مرتين، ثم يتم التسريح في الثالثة بعد انقضاء العدة، وذلك لما يعلمه سبحانه- وهو العليم بمن خلق- في الإنسان من عجلة ووقوع في الغضب، فبسط له فرصة، وجعل له عودة بعد عودة، وأملا بعد ألم، ورجاء بعد يأس، فقال تعالى ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (البقرة: ٢٢٩).

٣- ومنه أن الشرع أوقع الطلقات الثلاث في المجلس الواحد طلقة واحدة، وهو الرأي الذي ظل سائدا في عهد النبوة، وفي خلافة أبي بكر، وجزء من خلافة عمر، ثم اختاره ابن تيمية ومدرسته، واستقرت عليه المحاكم الشرعية في كثير من البلدان العربية والإسلامية.

٤- ومنه أنه أوجب للمطلقة السكنى والنفقة، قال تعالى ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ (الطلاق: ٦) ونهى عن إيقاع الضرر بهن، ولا يخفى ما في ذلك من دعوة لمراجعة النفس، واحتمال استئناف حياة زوجية جديدة.

٥- ومن الإجراءات التي شرعها الإسلام أملا في أن تعود الحياة الزوجية إلى ما كانت عليه، وذلك حين وقوع الطلاق الرجعي أو البائن وأثناء فترة العدة، عدم إخراج الزوج لزوجته من بيت الزوجية، ومنع خروج الزوجة من البيت إلا لضرورة، فإن خرجت كانت آثمة في نظر الشرع، قال تعالى ﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (الطلاق:١).

كل هذه التدابير في مراحل ارتباط الزوج بالزوجة تدل دلالة واضحة على حرص الإسلام على هذا الكيان، ورغبته في أن يكون لبنة قوية يتأسس عليها مجتمع صالح مصلح، وهي تشريعات وتدابير تبين عظمة هذا الدين، ومراعاته للنفوس البشرية؛ لأن الله هو الذي خلق، ويشرِّع لمن خلق ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك: ١٤).



الهوامش

(١) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

(٢) صحيح مسلم: الكتاب نفسه والباب نفسه.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٨/١.

(٤) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ٨٢، تحقيق د.أبو اليزيد العجمي، طبعة دار السلام، ٢٠٠٧م.

(٥) في ظلال القرآن: ٦٤٨/٢، دار الشروق، ط ٣١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٦) سنن الترمذي: كتاب: النكاح. باب ما جاء في إعلان النكاح، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن، وصححه الألباني.

(٧) بدائع الصنائع: ١٢٢/٥ طبعة دار الكتاب العربي . بيروت.

(٨) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة.

(٩) البحر الرائق: ١٣٧/٣ طبعة دار المعرفة. بيروت.

(١٠) سبل السلام: ١٢٥/٣ طبعة دار إحياء التراث العربي. بيروت.

(١١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٦٧ طبعة دار الفكر. بيروت.

(١٢) سنن الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(١٣) الحديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

(١٤) في ظلال القرآن: ٦٥٤/٢.

القلق لدى أطفالنا

د. محمد الفيومي

القلق لا يعترف بسن، فهو لا يصيب الكبار فقط، وإنما يصيب الصغار أيضاً، وتتزايد معدلات القلق خلال العام الدراسي نتيجة خوف الصغير من العقاب الذي يمكن أن يتعرض له في حالة عدم إتمام الواجب الدراسي أو مذاكرة الدروس، لذلك أصبح القلق ملازماً لأطفالنا، فكيف نحميهم؟ وقبل ذلك لماذا يصيبهم ذلك القلق؟

يحذر خبراء تربية الطفل من التقييم السلبي لما ينجزه الأطفال، وتوبيخ الآباء لهم باستمرار على ما يصدر عنهم من أفعال، لأن هذا يعرضهم للقلق، كما يقرر الخبراء أن مصادر القلق لدى الأطفال عديدة وإن كانت مرتبطة في أغلب الأحيان بدوافع الطفل الذاتية ورغباته، لأنها تكون عادة موضع عقاب من الوالدين.

بين الكبت والقلق

فالطفل يقلق عند ولادة طفل جديد، لأنه يشعر بأنه يهدد مركزه عند أبويه، والقلق عند الطفل يؤثر على نموه الاجتماعي والمعرفي، فقد لوحظ وجود درجة عالية من القلق عند أطفال الروضة، يتمثل في الميل إلى جذب الانتباه وطلب المساعدة والتعلق والتلامس مع الكبار المحيطين به، ما يعني نكوصا وتراجعاً إلى مراحل أقل نضجاً في النمو الاجتماعي والمعرفي، أما إذا تعرض الطفل للظروف القاسية والإسراف في المعاقبة، فقد يتخذ القلق شكلاً أخطر وهو ما يسمى بالخوف المرضي أو «الفوبيا» وتظهر هذه «الفوبيا» في الخوف من اقتراب أي حيوانات أليفة منه، أو الوجود في مكان مفتوح، أو وجود زحام حوله، أو احتمال انفصال والديه أو موت أحد أفراد الأسرة، وغالباً لا يتحدث الطفل عن هواجسه هذه إلى الآخرين، ويمتنع عن تذكرها أو التفكير فيها لطبيعتها المخجلة، وهو ما يسمى «ميكانزم الكبت» الذي يمكن علاجه بتشجيع الطفل على الإفصاح عن مخاوفه لوالديه أو المقربين منه وعدم كبت المواقف التي تعرض فيها للخوف، لأن المصارحة لا تجعل هناك مجالاً لنشأة الفوبيا، لذلك نرى بعض الأطفال يتعرضون لحوادث مزعجة أو مخيفة ومع ذلك لا تنشأ لديهم مخاوف مرضية من المواقف التي مروا بها نتيجة أنهم تحدثوا عنها ولم يكبتوها.

أما القلق فهو حالة جسمية ونفسية تقترن باضطرابات فسيولوجية مختلفة تغشى الأجهزة الداخلية جميعاً، فضلاً عن اثارة بعض الغدد الصماء التي يتصل إفرازها بالدم مباشرة، وقد تؤدي زيادة افرازها الى بعض الأضرار في حالة استمرار القلق، ويؤدي ذلك إلى حدوث بعض الأمراض مثل ارتفاع ضغط الدم أو الربو أو قرحة المعدة والسكر والصداع النصفي وأمراض الشريان التاجي والذبحة الصدرية والجلطة الدموية، وبعض حالات الإمساك والإسهال المزمن وبعض التهاب المفاصل والروماتيزم والطفح الجلدي والبهاق... إلى غير ذلك من الأمراض، ولقد دلت أبحاث دقيقة أجريت على فريق كبير من المصابين بضغط الدم الجوهري الذي لا ينشأ من الأسباب المعروفة على أنهم يعانون القلق. كما دلت الاحصاءات الحربية على أن قرحة المعدة والأمعاء سببت للجيوش البريطانية خسائر فادحة خلال الحرب العالمية الثانية، وجاء في التقرير عمن أصيبوا بها أنهم تعرضوا لقلق وتوترات نفسية موصولة من جراء توقع العدوان عليهم، فهي أمراض جسمية ترجع في المقام الأول إلى عوامل نفسية سببها حالات القلق، لذا لا يجدي في شفائها العلاج الجسمي وحده في حين أنها تستجيب للعلاج النفسي إلى حد كبير.

إشباع حاجات الطفل النفسية والجسمية وتجنب أسلوب التهديد ودعم ثقته بنفسه وتوفير القدوة الحسنة ... مضادات للقلق

الوقاية والعلاج

يؤكد علم النفس أثر العوامل النفسية والاجتماعية في جميع العلل الإنسانية دون أن يغفل أثر العوامل الجسمية، فهو يهتم بالمتاعب الاجتماعية والمالية والأسرية وينظر إلى العوامل الانفعالية والأزمات النفسية على أنها عوامل حقيقية فعالة لإحداث الاضطرابات الجسمية، كالميكروب والسموم على حد سواء. كما ينظر للإنسان على أنه وحدة نفسية جسمية اجتماعية متكاملة متضامنة. فينبغي على المهتمين بتربية النشء أن يعملوا على غرس القيم الدينية الراسخة لديه، لأن ذلك من شأنه أن يشعر الفرد بالأمن والسكينة، ويصبح مستقراً في نومه ويقظته، كما ينبغي توفير طفولة سعيدة لأبنائنا، لأن ذلك يؤثر في مراحل العمر المتأخرة، والعمل على إشباع الحاجة الى الحرية والحب والأمن والانتماء وتهيئة مناخ لممارسة الهوايات، والعمل على توفير القدوة الحسنة لدى الطفل، كما ينبغي الابتعاد عن العقاب البدني للطفل وعدم مقارنته بالأطفال الآخرين، لأن لكل طفل ظروفه الخاصة وفق مبدأ الفروق الفردية، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، مع تجنب التهديد والوعد والوعيد للطفل وعدم تحمله واجبات دراسية تفوق طاقته وتثقل كاهله وتفوق قدراته.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أحمد عزت راجح «٢٠٠٢» أصول علم النفس، دار المعارف- القاهرة.

٣- محمد محمد عيسوي الفيومي «١٩٨٨» آثار اللعب النفسية والجسمية على حياة الطفل- المجلة العربية - السعودية.

٤- محمد محمد عيسوي الفيومي «١٩٩٥» مواجهة صعوبات الاستذكار والتغلب على قلق الامتحان- المجلة العربية.

٥- محمد محمد عيسوي الفيومي «١٩٨٤» القلق سمة العصر والإيمان خير عاصم، المجلة العربية- السعودية.

٦- عبدالرحمن العيسوي «٢٠٠٥» علم النفس ومشكلات الفرد، منشأة المعارف- الاسكندرية.




عمل المرأة من منظور الشريعة

وليد الجراد

لا يخفى على أحد أن النساء نصف هذه الأمة بل أكثرها، وهن شريكات الرجال في جميع ما ورد من الشريعة الحقة إلا في أشياء خصهن الله تعالى ورسوله بها من دون الرجال، وقد تفضل عليهن كما تفضل عليهم بأنواع من الأفضال، فلهن مالهم وعليهن ما عليهم في جملة الشرائع والأحكام، وما من خصال حسنة نزل بها القرآن والحديث إلا ومطلوب منهن فعلها، فالمرأة والرجل يشتركان معا في بناء الأسرة والبيت ويسهمان في تنشئة جيل صالح محصن بالخلق الحسن والسلوك القويم والتربية الصالحة المستمدة من تعاليم شريعتنا السمحاء.

وقد نظر المجتمع عبر المراحل التاريخية الى المرأة نظرة دونية فعانت من الضعف والاضطهاد والهوان، لكن ديننا الحنيف أعلى شأنها وحافظ على حقوقها كاملة دون انتقاص، وأنزلها منزلتها الحقة كمخلوق له الدور الكبير في تطوير وتنمية الحياة العامة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فالمرأة مصونة الحقوق والواجبات في الإسلام، لها ما للرجل وعليها ما عليه، وخير دليل على ذلك ما ضمنه الرجل للمرأة من الانفاق والقوامة عليها وتأمين متطلباتها وتوفير اسباب الحياة السعيدة لها بموجب نص القرآن الكريم ﴿الرجال قوامون على النساء﴾(النساء - ٣٤) لأن الاصل أن الرجل هو المكلف بالانفاق، أما بالنسبة للمرأة فقد أوكلت إليها مهمة عظيمة، مهمة الانجاب وتربية الاولاد والحرص على تأمين متطلبات الزوج وتدبير شؤون المنزل، والعمل على تنشئة جيل من الابناء تنشئة اجتماعية ودينية صالحة ليكون حجر الزاوية الهام في بناء مجتمعنا المطبق لتعاليم دينه المتمسك بقضايا امته، جيل يجعل عنوان حياته الوسطية في كل شيء فلا غلو ولا تطرف.



بهذا الدور الجبار الذي تقوم به المرأة في بناء مجتمعها ستحقق الاستخلاف في الأرض، وستنتج لنا جيلا مسلماً متمسكاً بتعاليم دينه الحنيف كما اراد رب العزة جل في علاه، لانها راعية ومسؤولة عن رعيتها.

وقد تعالت - حديثا - بعض الاصوات المنادية بتشجيع المرأة على الخروج الى سوق العمل لتخدم ذاتها ومجتمعها ولتبحث عن اسلوب العيش الكريم لها ولاولادها بذريعة الخوف من المستقبل المحفوف بالمخاطر، كالطلاق وموت الزوج او موت الأبوين ... الخ.

وهذا الامر ليس محل خلاف او اختلاف، فالإسلام لم يمنع المرأة مطلقاً من العمل ولكن وضع لذلك قيوداً وضوابط شرعية تلتزم بها المرأة العاملة دون تفريط بالواجبات الاساسية المناطة بها، وهي: الإنجاب والحضانة وتربية الاولاد وتدبير امور البيت والزوج، وفي حال دخول المرأة غمار العمل علينا ان نؤمّن لها العمل المناسب لطبيعتها كأنثى والملائم لجنسها، فلا نزج بالمرأة في اتون عمل شاق ومضن بين ماكينات النسيج ومصانع السيارات ومعامل الكيماويات، لأن ممارسة مثل هذه الأعمال ستنعكس سلباً على صحتها وصحة جنينها.

لذا يجب ان نتحرى لها العمل المناسب وأن نحدد لها ساعات عمل أقل، ونؤمن لأولادها دور الحضانة ووسائل المواصلات وقرب منطقة العمل، وان نبعدها عن الاعمال الليلية دون ان ننقص من اجرها شيئا، بهذا نكون قد يسرنا عمل المرأة وجلعناها تسهم اسهاماً فعالاً في بناء مجتمعها وذاتها دون التفريط في تربية الجيل الذي هو عمدة المجتمع واساسه المتين، لذا فما الفائدة من عمل المرأة اذا اهملنا تربية الابناء مقابل التنمية الاقتصادية؟ مما يجعل المجتمع خاسراً بسبب خروج الأبناء عن جادة الصواب وربما سلكوا سلوكاً اجتماعياً شاذاً واتبعوا طرقا هدامة تنعكس سلباً على بناء المجتمع الانساني الذي نتطلع الى بنائه بشكل صحيح.

وإذا نظرنا بين صفوف الاخوات والأمهات اللواتي ربين ابناءهن تربية صحيحة، فسنجدهم قادة ودعاة وعلماء ومربين، بينما كثير من الابناء الذين عملت امهاتهم دون الالتفات إليهم فشلوا في تحقيق النجاح سواء في مجال الدراسة او في مجالات الحياة الاخرى، كل هذا يجعلنا ندرك المهمة الحقة للمرأة في الإسلام.

من هنا كانت المناداة بلا افراط ولا تفريط في عمل المرأة، لكن نحن كمجتمع إسلامي له دستوره وتعاليمه وشريعته لم يترك الحبل على الغارب في قضية عمل المرأة، فهناك ضوابط شرعية واخلاقية لا بد ان تلتزم بها المرأة في حال خروجها للعمل من هذه الضوابط:

١- الحجاب الشرعي

يجب ان تكون المرأة العاملة بكامل حجابها بمعنى ألا تكون مختلطة مع الرجال، لأن الاختلاط له مساوئ متعددة ووخيمة عليها



وعلى المجتمع، وهذا ما نبه عليه نبينا الكريم ﷺ بقوله في الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ألا لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم» (متفق عليه) وعن ابن عمر رضي الله عنهما في قصة خطبة عمر بالجابية: «ما خلا رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما...»(رواه الترمذي).

٢- أمن الفتنة :

أي ألا يكون هناك افتتان لأن النبي ﷺ يقول في الحديث المروي عن ابي سعيد رضي الله عنه: «إن الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا والنساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء» (رواه مسلم والنسائي)، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال قال: رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» (الشيخان والترمذي)

وفي هذا نصوص كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم...﴾(النور - ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾(النور -٣١)، فالقضايا هنا هي قضايا عقدية شرعية ثابتة لايمكن المساس بها مطلقا.

٣- أن يكون عمل المرأة متناسباً مع طبيعتها كأنثى: بمعنى ألا تعمل أعمالاً ليلية أو أعمالاً شاقة ومضنية تتعرض فيها لاستنشاق الغازات والمواد الضارة التي قد تؤذي صحتها وصحة جنينها.

وثمة قائل يقول بأننا ضيقنا مجالات عمل المرأة، فالصحيح أن عمل المرأة في كل زمان ومكان فهناك أعمال الحياكة والتطريز وبيع الألبسة النسائية العامة والخاصة، فالمجال رحب وفيه سعة كبيرة لمن أراد العمل

المرأة الخليجية قدمت نموذجاً اسلامياً رائداً للمرأة العاملة الملتزمة بالحجاب والضوابط الشرعية

العفيف، العمل المناسب لطبيعة المرأة كأنثى، وهذه واحدة من أمهات المؤمنين وهي زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت صنّاعة اليد والنبي ﷺ يقول: «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يداً»(رواه مسلم) كانت تصنع الخوص والصوف وتتصدق مما تصنع، وللأسف أصبحت المرأة الآن تشتري حاجياتها وملابسها الداخلية الخاصة من رجال، وهذا ينافي طبيعة الشريعة وحقيقة الإسلام، وحري بالمرأة ان تمارس هذا العمل بدلاً من الرجل منعاً للفتنة والاختلاط غير المشروع الذي يتنافى مع تعاليم ديننا الحنيف.

٤- ألا يطغى عمل المرأة على وظيفتها الأساسية في الحياة

ألا وهي وظيفة الإنجاب والولادة والإرضاع والتربية والحضانة وتدبير شؤون المنزل والقيام على حاجيات الزوج، اي لا يطغى العمل على الواجبات الأساسية المنوطة بها كأم ومربية ومرضعة، وهذا ما أكدت عليه نصوص الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾(البقرة -٢٣٣)، ويجمع التربويون اليوم على أن الأم تقوم بدور أساسي وهام لايمكن الاستعاضة عنه بأي دور آخر حتى أن الأب لايستطيع أن يقوم بهذا الدور، لأن الطفل يبقى مع أمه أكثر من ١٦ ساعة باليوم بينما الأب يذهب للعمل ويعود وينام ويرتاح من عناء التعب، مما يجعل من الصعب عليه القيام بذات الدور المهم والمتميز الذي انفردت به الأم لوحدها دون الأب، وقد كانت المرأة عبر التاريخ ترضع ابنها اللبن كما ترضعه مكارم الأخلاق، فأي دور أسمى وأرقى من هذا الدور الذي تقوم به الأم؟

خلاصة القول، إن عمل المرأة عمل يتسم بالوسطية كما ان الإسلام لايمنع المرأة من العمل منعاً مطلقاً في حال الحاجة اليه كي لا يجعلها مخلوقاً عالة يعيش على صدقات الآخرين، ولايبيحه إباحة تامة بل اجاز لها العمل ضمن ضوابط شرعية - فلا إفراط ولا تفريط - لئلا يطغى جانب على آخر فنخسر الأولاد على حساب العمل.

وهناك سبق تاريخي مشرف لبعض دول الخليج العربي في مجال عمل المرأة، فالمرأة تمسكت في هذه البلاد ولله الحمد والمنة بكامل حجابها فلا اختلاط ولا فتنة ومع ذلك نافست الرجال في الميادين العلمية والتربوية، وحصلت على اعلى الشهادات العالية كالماجستير والدكتوراه وهي بكامل حجابها وبانعزال تام عن الرجال، واستطاعت ان تضرب المثل الرائع في المشاركة في العمل بجميع القطاعات التربوية منها والصحية والتعليمية وغيرها من القطاعات الأخرى وهي بكامل حشمتها، وبهذا تكون قد قدمت لنا نموذجا إسلاميا رائداً للمرأة العاملة الملتزمة بالحجاب، مؤكدة للعالم اجمع ان الإسلام لم يمنع المرأة من العمل بل شجعه ضمن ضوابط الشرع، وان دين الإسلام هو الدين الخالد الذي يصلح لكل زمان ومكان يعطي لكل ذي حق حقه.





تنمية مهارة الحوار عند الطفل

حواس محمود

الحوار مهارة عقلية وكلامية يحتاج إليها الطفل كحاجته إلى أي من متطلبات النمو العقلي والعاطفي، والحوار أسلوب تربوي ينمي لدى الطفل قدرات فكرية ولغوية متنامية، فعلى الوالدين والمدرسين تدريب الطفل على آداب الحوار والنقاش جنبا إلى جنب مع تدريبه على آداب الجلوس والأكل والنوم وما إلى ذلك، فالأم والأب اللذان تطبع أحاديثهما الأسرية روح الهدوء والتدخل في الوقت المناسب، وإصغاء الواحد منهما لوجهة نظر الآخر، والتعليق عليها بالموضوعية التامة، والبعد عن الانفعال الزائد، يقدمان بلا ريب درسا مباشرا في أدب الحوار لابنهما الجالس بجانبهما، لذلك فهو سيشب على توفير مثل هذه الأجواء في كل حوار يكون هو أحد طرفيه، لأن للتربية بالقدوة أحيانا مفعولا طويل الأمد تعجز عن تحقيق مثله مئات المواعظ والتوجيهات والنصائح!.



والأم والأب اللذان يشركان طفلهما في الحديث كلما استدعت الحالة ذلك، ويأخذان وجهة نظره مأخذ الجد، أو يعلقان عليها بمزيد من الثناء والتشجيع، لن يجدا في ابنهما مطلقا ذلك الجليس الذي تتصارع داخله الرغبة في الكلام أو عدمه، وإذا حصل وأخذ الكلمة فإنه يأخذها والخجل يملأ عليه نفسه فتخرج جمله ناقصة، ووجهة نظره بعيدة عما كان ينوي طرحه، وعلى الأم والأب أن يراقبا عن كثب حديث أبنائهما فيما بينهم فيوقفان المستبد بالكلام عند حده، ويعلمان المتدخل فيهم متى يتدخل، ويطلعان المستمع على ضرورة الإصغاء الكلي لما يقوله المتكلم، وكذلك المدرس أو المدرسة عليهما أن يوجها التلاميذ إلى ضرورة الحوار والمشاركة والأسئلة في تقديم المادة الدراسية، في أجواء تسودها الحوارية والتشاركية والتبادلية والتفاعلية بعيدا عن أجواء التلقين السلبي والحفظ الجامد الذي لا يؤدي إلا إلى الجمود والركود واللاتفاعلية، وهي طريقة في التدريس تقليدية، يجب الخروج منها إلى تطورات العصر بما يتضمنه من الارتقاء بالعملية التعليمية وأجواء التحاور والتبادل والتشارك والتفاعل.

ولا ننسى عملية الحوار بين الوالدين والطفل، فيطلب من الوالدين التحاور مع الطفل بروح من المرح والابتسامة والتشجيع والدعابة وبث المعلومات المفيدة في عقله وروحه، والابتعاد عن الطرق السلبية في التحاور كالتعامل معه بأسلوب التسكيت، والتعامل معه بعبارات من قبيل: «فكني»، «بعدين بعدين»، «أنا ماني فاضي لك»، «رح لأبيك»، «رح لأمك»، «خلاص خلاص»، بالإضافة إلى الحركات التي تحمل المضمون نفسه، مثل التشاغل بأي شيء آخر عن الابن أو عدم النظر إليه، وتلاحظ أن الولد يمد يده حتى يدير وجه أمه إلى جهته كأنه يقول «أمي اسمعيني الله يخليك» وهذا أسلوب خاطئ في التعامل مع الطفل، يضاف إلى ذلك أسلوب التعامل معه بطريقة التحقيق كأسلوب الشرطة مما يربك الطفل ويوقعه في حالة من الخجل وضعف الشخصية، وذلك بإطلاق العبارات من قبيل أين كنت؟ وماذا عملت؟ ولماذا لم تخبرني؟ ومن كان معك؟ بأسلوب غاضب بعيد عن أجواء المحبة والمودة والتحاور العاطفي والعقلي الذي بموجبه يمنح الطفل الثقة بنفسه وقدراته وقيمه وأخلاقه، وذلك بتنبيهه إلى الممارسات الخاطئة والسلبية كقوله له:«لا يابني ما كان لازم تعمل هيك»، أو«ليه عملت هيك يابابا»... وهكذا.

ويمكننا هنا أن نذكر ما اعتمدته د.إلهام عبدالحميد من الأسس التي تحقق الحوار الجيد ومنها:

- المناقشة: يستند الحوار الجيد إلى فكرة المناقشة التي تعني رفض الجمود عند حالة واحدة أو طرف واحد، بل تعني التحرك من حالة إلى حالة ومن طرف إلى طرف.

- الحرية: لا يتحول الحوار إلى حوار حقيقي دون إعطاء كل طرف حق الحوار والتعبير عن رأيه واحترام الرأي الآخر، وأن يتخلص الإنسان من مخاوفه، فإذا شعر الإنسان بحرية أمكنه أن يطلق العنان لتنمية قدراته وتفجير طاقاته الإبداعية.

- النضج العقلي والانفعالي: لا يمكن أن يتحول الحوار إلى مسألة ذات أهمية إن لم يستند إلى عقلية مدركة واعية ومرنة وغير متعصبة لأفكار سابقة، ويجب أن يكون لدى المتحاورين سعة أفق ورحابة صدر، ومعلومات كافية حول الموضوع المطروح للحوار.

- الواقعية والموضوعية: من أهم سمات الحوار الجيد التفكير العلمي والرؤية الموضوعية، والقدرة على ربط الأسباب بالمسببات، والابتعاد عن العواطف والمشاعر والانفعالات، والقدرة على النقد الموضوعي البناء.

- التواضع والحب والألفة: إن الحوار الجيد يتطلب الحب والتواضع والألفة، فلا يمكن لأي حوار- مهما كان ساخنا- أن يؤدي إلى جو من اليأس أو عدم احترام الآخر أو عدم الثقة بقدرة الإنسان على الابتكار، فالخصومة الفكرية لا تعني الكراهية أو عدم احترام الآخر، ولذلك فإن الحوار الجيد ينبغي أن يولد وينمو ويتطور في ظل مناخ يحترم آراء الجميع ولا يسخر منها، ويحافظ على جو من الهدوء والبعد عن العنف والافتعال والمجاملة والأساليب الإنشائية الطنانة.

- التسامح الفكري: الثقة بالتسامح الفكري ترتبط بشكل أساسي بالثقة بالمساواة بين البشر، وبحق كل إنسان مهما اختلف لونه أوجنسيته أو ديانته في الحرية والعدل، وبذلك يصبح التسامح واجبا أخلاقيا .

كثرة الحركة عند الأطفال.. الأسباب والعلاج

لينة أحمد جلبط

يشكل التعامل مع الأطفال المصابين بكثرة الحركة ونقص الانتباه تحديا كبيرا لأهاليهم ولمدرسيهم وتشتكي كثير من الأمهات من حركة أطفالهن الزائدة ويتساءلن.. هل امومتنا قاصرة؟

لا تعني كثرة الحركة عند الطفل قصورا بل هي دليل الحيوية والنشاط عند الطفل، ورسول الله ﷺ يقول «عراقة الصبي في صغره زيادة في عقله عند كبره» (رواه الترمذي) والطفل المتحرك يعطي فرصة للتوجيه والتصويب، والصواب ان نبحث عن العلاج، وننزعج في حالة الطفل الذي لا يحرك ساكنا لانه غالبا ما يصاب بالكبت والخوف والخجل.

وقد تشتكي بعض الامهات من حركة اطفالهن الزائدة، على الرغم من انه يتضح بعد ذلك ان حركتهم لا تزال في الحدود الطبيعية، لكن تحمل اسرهم لهم ورحابة صدورهم تجاههم تكون ضيقة، وقد يكون ذلك لوجود عوامل خارجية مثل ضيق المنزل وعدم وجود اماكن مناسبة ينفس الاطفال فيها عن نشاطهم الطبيعي وربما يرجع ذلك الى عدم وجود وسائل تسلية وألعاب مناسبة يفرغ الاطفال فيها طاقاتهم الطبيعية.

من وسائل الإسلام في تربية الإنسان

ان هذه الطاقة التي يفرزها الكيان الإنساني بشكل تلقائي هي طاقة حيوية محايدة تصلح للخير وتصلح للشر، تصلح للبناء وتصلح للهدم، كما يمكن ان تنفق بددا بلا غاية، والإسلام يوجهها وجهتها الصحيحة في سبيل الخير.

وسائل العلاج

١- الاكثار من الدعاء للطفل وتجنب الدعاء عليه، فقد قال ابن المبارك لمن اشتكى ولده: لعلك تدعو عليه قال نعم، قال: فأنت أفسدته.

٢- اشاعة روح العدل كما امرت بذلك شريعة الله المطهرة، فمن الضروري ألا يشعر ان غيره يفضل عليه لان المربي الجيد يعلم ان هناك فروقا فردية بين الاطفال.

٣- تحقيق الاشباع العاطفي لهذا الطفل، فلا شك انه يحتاج الى مزيد من العطف والاهتمام مثل المسح على رأسه وأعلى ظهره، وعدم حرمانه من القبلات.

٤- الثناء عليه، خاصة أمام الأضياف والأقارب حتى لا يحتاج الى لفت الأنظار امام الأضياف، واعلم اننا نخطئ عندما نوجه الطفل لتحسين سلوكه امام الناس فقط، فإن الخطأ خطأ سواء كان أمام الناس أو من ورائهم.

٥- تشجيعه على معاشرة الطيبين والاحسان اليهم، ويراعى اختيار الاصدقاء والاقارب والجيران الصالحين الذين يربون ابناءهم على القيم السليمة والاخلاق الفاضلة.

٦- الحرص على تغيير الاسلوب السابق في التعامل معه، ومن الخطأ ان تكرر العقوبة وان نجعلها الحل الاول، والمفتاح الاساسي في تغيير اي سلوك هو الاستخدام الحكيم لأسلوب الثواب والعقاب.

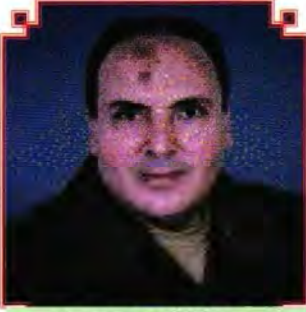
٧- شغل أوقات الفراغ، فالنفس ان لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والطفل كذلك ان لم تشغله بما هو مفيد سيفرغ طاقاته فيما هو غير مفيد، فيطلب من الطفل مثلا ترتيب ادواته وملابسه وحجرته قدر الامكان، او الاشتراك في احد الاندية لتفريغ طاقته في لعبة ما، او الخروج لمتنزهات المراقبة، او التمثيل وتبادل الادوار وألعاب الماء والرمل والصلصال وكلها من الالعاب المهمة في تخلص الطفل من مكبوتاته وتفريغ شحناته الانفعالية والايجابية او السلبية والتنفيس عما بداخله اثناء اللعب.

الخلاصة انه يجب علينا ان ننتبه لاطفالنا واذا لاحظنا حركة زائدة عندهم فاننا نوجههم، فهناك العديد من اطفالنا لا تنقصهم سوى دفعة بسيطة والتفاتة صغيرة ليصبحوا مثل اقرانهم بل احسن ويستثمروا ذكاءهم في اشياء تخدمهم وتخدم عائلاتهم ومجتمعهم.





الطفل والتعلم باللعب



د.بركات محمد مراد

يعد اللعب من أهم الأنشطة التي يمارسها الطفل فتستهويه، ومن ثم تثير تفكيره وتوسع خياله، ويسهم اللعب بدور حيوي في تكوين شخصية الطفل بأبعادها المختلفة، وهو وسيط تربوي مهم يعمل على تعليمه ونموه ويشبع احتياجاته، ويكشف أمامه أبعاد العلاقات الاجتماعية والتفاعلية القائمة بين الناس. وتعد الألعاب عامة مدخلا أساسيا لنمو الطفل من الجوانب العقلية والجسمية والاجتماعية والأخلاقية والانفعالية والمهارية واللغوية، كما يسمح اللعب باكتشاف العلاقات بينها، وهو عامل أساسي ورئيس في تعليم وتنمية التفكير بأشكاله المختلفة، وهو يسمح بالتدرب على الأدوار الاجتماعية، وتخلص الإنسان من انفعالاته السلبية وصراعاته ودروب توتره، ويساعده أيضا على إعادة التكيف.

إن للعب وظيفة مهمة- وإن بدا في ظاهره نشاطا عبثيا- إذ من خلال اللعب يتعلم الأطفال وينمو مخهم، ونرى الأطفال يرددون أصوات المناغاة في محاولة لتعلم نطق أصوات اللغة، ويهزون «الخشخيشة» أو يلقون دمياتهم ليتدربوا على الوظائف الحركية، وليفهموا كيف تتحرك الأشياء، وليستكشفوا قانون الجاذبية.

ويلعب الأطفال الأكبر سنا ألعابا تقتضي أداء أدوار معينة، ويتعلمون كيف يفهمونها ويسيطرون على الأدوار التي هي أمور ضرورية في الحياة اليومية للكبار.

ويعتبر المؤشر على أهمية اللعب لنمو الأطفال كمّ الوقت الذي يقضونه في اللعب، وكمّ الطاقة التي ينفقونها.

وقد يكون الأطفال أحيانا مدركين أن ما يفعلونه لعبا، ومثال ذلك حين يمارس الطفل الإمساك بكرة، ولكن اللعب يمكن أن يكون وظيفيا تماما دون أن يعي الطفل دوره الوظيفي.

ويحدث أحيانا أن ينطوي اللعب على مخاطرة، ويحب الصبية بخاصة الألعاب التي تشتمل على السرعة أو الإثارة أو القتال أو أداء أعمال بهلوانية تقتضي مهارة، وهذه الألعاب الخطرة لها وظيفة مهمة تفوق دور المخاطرة؛ إذ يتعلم الطفل أن يفهم المواقف الخطرة، وأن تتوافر له الفرصة لتجربة استجابات بديلة، وهكذا يتعلم تقنيات القتال، وتقنيات السقوط المحكوم، وأنشطة المراوغة، والاستراتيجية وغير ذلك من مهارات التي يمكن أن يكون لها في الحياة بعد ذلك دور مهم حين يواجه مواقف محفوفة بالأخطار.

إن القدرة على الاستجابة السريعة عند مواجهة خطر مفاجئ قد تكون مسألة حياة أو موت، وهنا لا تكفي فقط المعرفة العقلية، ذلك لأنها تقتضي من المرء وقتا طويلا جدا لتنشيطها في الذاكرة، ولكن رد الفعل الفوري لا يتحقق إلا من خلال أفعال منعكسة تدرب عليها المرء، وهذه الأفعال المنعكسة لا يمكن أن يتعلمها المرء إلا من خلال ألعاب تنطوي على عنف وجسارة.

ويمكن أن يتعلم الأطفال في مناخ اللعب الوقائي أو الآمن نسبيا كيف يعرفون ويقدرون المواقف الخطرة قبل أن تصبح واقعا حياتيا داهما، وهذا هو ما يسمي التعلم الوقائيBuffered Learning" نظراً لما توفره الألعاب للأطفال من بيئة خصبة تساعد على نموهم، وتستثير دافعيتهم للتعلم، وتحثهم على التفاعل النشط مع ما يتعلمون من حقائق ومفاهيم ومبادئ ومهارات وقوانين ونظريات، في جو واقعي قريب من مداركهم الحسية، وتجعلهم أكثر إقبالا على التعلم، بدأ رجال التربية التركيز على الألعاب بشكل عام في مجال التفكير والتعلم.

وقد بدلت النظريات التربوية الحديثة أساليب تقديم المعلومة وطورتها، لاسيما بعد ظهور نتائج دراساتها المرتبطة بسلوكيات الطفل وحاجاته الفطرية، فمن ذلك إثباتها أن مفهوم اللعب والنشاط لم يعد نقيضا للجد والاجتهاد، وتأكيدها أن اندفاع الأطفال للمرح ليس عائقا لمسيرة العملية التعليمية، ومن هنا كانت التوجهات التربوية الحديثة للمعلمين وأولياء الأمور لتفهم إمكانية استثمارها تربويا في زيادة حصيلة الطفل العلمية، ورفع كفاءته المهارية، وتوجيه قدرته الإبداعية.

ولا ننسى سيطرة فكرة التعليم بالمعاناة على العملية التعليمية لعهود طويلة، ولم تتقادم هذه الفكرة بمرور الزمن، ففي كل عصر يظهر لها مجددون ومؤيدون يتعصبون للمادة التعليمية وللمعلم وللإدارة، ويتنكرون للمتعلم وطبيعته وقدراته وتفضيلاته، وقد تسببت هذه الفكرة في وقوف كثير من معتنقيها موقفا عدائيا من كل ما يضفي المتعة على التعلم والمتعلمين، فهم يؤمنون أنه لا تعلم من دون ألم "no - pain- no -gain"، وأن الدواء المر أنجع من الدواء الحلو، ورغم قسوة هذه الفكرة فإنها لاقت قبولا شعبيا واسعا في كثير من المجتمعات، نظرا لما حققته من نتائج إيجابية في مساعدة المتعلمين على تعديل سلوكهم وعلى الحفظ والتحصيل، علاوة على أن كثيرا من المعلمين شغوفون (بالفطرة) بالتعليم من خلال الخبرة المؤلمة، وأن الكثير من أولياء الأمور لا يقدّرون التعلم الناتج عن المتعة واللعب.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت العديد من النظريات التي تقول إن اللعب ظاهرة سلوكية تسود عالم الكائنات الحية، وتمتاز بها الفقاريات العليا لاسيما الإنسان، ومن هنا فاللعب ليس قاصرا على البشر، فغالبية الثدييات تلعب مثلما تلعب طيور كثيرة، وصغار الإناث تلعب دور الأم مع أطفال من النوع نفسه، وتتعلم بذلك كيف تتعامل مع أطفال القردة، وهذه المعارف يمكن أن تكون حيوية حين تكبر وتنجب أطفالا.

إذن لم تكن الألعاب فكرة جديدة، بل على العكس من ذلك، فإن جذورها تضرب في عمق التاريخ الإنساني، إلا أن النظرة إلى اللعب تختلف بحسب تفسيرها.

لقد لفت موضوع اللعب أنظار الباحثين في مختلف العصور، فتأملوا لعب الحيوان ولعب الإنسان وحاولوا التوصل إلى ما قد يكون له من فوائد، ويفسرون الأغراض التي يمكن أن يؤدي إليها، وقد وضعوا نظريات عدة حول تفسيرها.

وقد نشر هؤلاء العلماء والأدباء تفسيرات متعددة لهذه الظاهرة، فمنهم من فسرها على أنها طاقة زائدة لابد أن يتخلص منها الطفل، وأنه لا مانع من أن تسهم المدرسة في ذلك عن طريق إتاحة الفرصة للأطفال للتخلص من هذه الطاقة بما يساعدهم على التركيز في الدروس بعد ذلك، ومن أنصار هذه النظرية شيلر الشاعر الألماني، والفيلسوف المعروف هربرت سبنسر.

وهناك من رأى أن اللعب هو إعداد للحياة المستقبلية، ومن أنصار هذه النظرية كارل جروس الذي ذكر أن اللعب يؤدي وظيفة بيولوجية مهمة للطفل، فهو يمرن الأعضاء ويمكّنه من السيطرة التامة عليها واستعمالها استعمالا حرا في المستقبل.

أما نظرية جان بياجيه النمائية، فيشير فيها هذا المفكر التربوي إلى أن اللعب يرتبط بمراحل النمو عند الأطفال، ولكل مرحلة نمائية ألعاب، بل أنماط لعب خاصة بها، كما أن اللعب عند الأطفال كالتفكير عندهم، فهناك مراحل تفكير ولكل مرحلة تفكير أنماط من اللعب خاصة بها، ويشكل نمط اللعب في كل مرحلة أسباب التطور المعرفي أو العقلي، ووسيلة للتعلم والتفاعل مع البيئة واكتشافها، وبالتالي يمكن النظر إلى اللعب على أنه مقياس تطور العقل نفسه، ومن خلال هذه النظرية يمكن القول إن اللعب عبارة عن عملية كبرى تتكون من عمليتين رئيسيتين هما التمثيل Assimilation والملائمة Accommodation، وتشير عملية التمثيل إلى النشاط الذي يقوم به الطفل لتحويل ما يتلقاه من أشياء أو معلومات إلى بُنى خاصة به وتشكل جزءا من ذاته، أما عملية الملائمة فهي النشاط الذي يقوم به الطفل ليتكيف مع ما يحيط به لتيسير عملية التمثيل.



لذا فإن بياجيه Jean Piaget يعزو عملية النمو العقلي عند الأطفال إلى النشاط المستمر للعمليتين، وتشكل مُتكاملا نشيطا، وفي هذه الحالة يصبح لدى الطفل حالة توافق ذكي وانسجام بين التعلم الجديد والخبرات السابقة في نطاق حاجته، وإذا تحقق هذا فإن بياجيه يطلق عليه اللعب الذي يعتبره وسيلة تعلم بالدرجة الأولى، ويُعتبر بياجيه من أهم السلطات المرجعية المهمة عن نظرية اللعب.

ومن هنا تعد الألعاب طريقة جديدة ومُثلى للآباء والأمهات للانخراط في تعليم أطفالهم وتربيتهم، لقد أظهرت الأبحاث العديدة أن مساعدة الآباء من خلال الألعاب تلعب دورا حيويا في تحصيل أبنائهم في المدرسة، والاحتفاظ بما تعلمه، وفي نقل أثره إلى مواقف جديدة.

إن بعض الآباء يعلمون أبناءهم كل شيء في المنهاج المقرر لهم وبالطريقة التقليدية، وبعضهم الآخر يقدم المساعدة لأبنائه من خلال البطاقات اللاصقة في كتاب أعمال أبنائه، كل ذلك أفكار غير مقبولة وغير كافية، فيجب على الآباء المساعدة بطريقة ممتعة، مرحة وذكية، وعندما يتم الاتصال والتفاعل بين الآباء وأطفالهم يجب أن تكون تلك اللحظات مفيدة وممتعة، وهذا ما توفره الألعاب التربوية المفيدة شرط أن تكون بسيطة وسهلة وغير مكلفة، ولكن شكوى الآباء أنهم دائما لا يوجد لديهم وقت فراغ لتعليم أبنائهم، أو حتى للجلوس معهم! وتتعدد أشكال وأنواع اللعب، وقد صنفها الباحثون في أصناف عدة هي:

الألعاب التلقائية: وتمثل الأشكال الأولية للعب، وفيها تغيب القواعد والمبادئ المنظمة للعب، وهي في معظمها انفرادية، ولا تتم ضمن مجموعات، ويلعب الطفل كلما رغب، ويتوقف عنه حين لا يهتم به، ومعظم ألعاب هذا النوع هي استقصائية واستكشافية.

ألعاب تمثيل الأدوار: يعتمد هذا النوع من الألعاب على خيال الأطفال الواسع ومقدراتهم الإبداعية، وفيه يتم تقمص الأطفال نماذج الحياة الإنسانية والمادية المحيطة بهم، وينشأ هذا النموذج من اللعب استجابة لانطباعات انفعالية قوية يتأثر فيها الطفل بنموذج حياة من الوسط المحيط به (٣).

الألعاب الترويحية والرياضية: يشمل هذا النوع من الألعاب جميع الأنشطة التي يقوم بها الأطفال والتي تنتقل من جيل إلى جيل، ومنها الألعاب الشعبية.

الألعاب الإيهامية: من أكثر الألعاب شيوعا في عالم الطفولة المبكرة، وهي من الألعاب الشعبية أيضا، وفيها يتعامل الطفل مع المواد أو المواقف كما لو أنها تحمل خصائص أكثر مما تتصف به في الواقع.

الألعاب الفنية: وهي إحدى أنواع الألعاب التركيبية، وتعد من الأنشطة الفنية التعبيرية التي تنبع من الوجدان والتذوق الجمالي، ومنها الرسم بالمواد المختلفة.

الألعاب الاستطلاعية الاستكشافية: يشمل هذا النوع من الألعاب كل عملية يقوم بها الطفل لمعرفة المكونات التركيبية لشيء ما وكيف يعمل ذلك الشيء.

الألعاب اللغوية: تمثل نشاطا مميزا للأطفال يحكمه قواعد موضوعية، وله بداية ونهاية محددة، ويمكن من خلالها تنمية كفاءة الاتصال اللغوي بين الأطفال وتدريبهم على الاستخدام الصحيح لكثير من أدوات اللغة حروفا أو أسماء أو أفعالا، كما أنها تمنح الأطفال فرص الإبداع اللغوي عن طريق التدريبات الشفوية الحرة.

الألعاب الثقافية: من خلال هذه الألعاب يكتسب الطفل معلومات ومعارف وخبرات متنوعة، ويدخل ضمنها الأنشطة القصصية





المختلفة، كالمطالعة والكتابة.

الألعاب التركيبية البنائية: يمثل هذا النوع ألعاب البناء والتشييد بالطرق والمواد المختلفة.

الألعاب الفلاحية: وهي أوجه النشاط المختلفة التي توجه للأطفال الذين يعانون اضطرابات نفسية مختلفة لتخليصهم مما يعانون.

ومن الجدير بالذكر أن الألعاب التربوية ممارسَة في وسائلنا التربوية، لكنها اجتهادات فردية تفتقر إلى التأصيل، فالألعاب طريقة تربوية لها تأصيلاتها النظرية في جامعات عالمية عريقة، وتطبيقاتها العلمية المشاهدة في الدورات التدريبية والفصول التعليمية في المدارس الغربية تستند إلى ثروة من الأبحاث والدراسات الأكاديمية، تقدم تحت مسمى «التعليم من خلال الممارسة «تارة أو » التعليم الترفيهي Eduainment أو «التعليم بالمرح»، وما العمل التربوي في محصلته النهائية إلا عملية تعلم هدفها إكساب الفرد معلومة جديدة، وغرس سلوك حميد وتنقيته من آخر مشين، وتغيير اتجاهات وقناعات. فالدراسات تؤكد أن الأفراد يتعلمون بصورة أفضل عندما تكون عملية التعلم ممتعة، فالألعاب طريقة جذابة وطبيعية، فنحن مفطورون على حب المرح الذي أحد مصادره اللعب، ففي داخل كل منا طفل يتوق للعب، كما يقول نيتشه.

إن الألعاب التربوية تتبنى مبدأ التعلم من خلال الممارسة، فهي ألعاب تُحكم بقوانين، وتحدد سلوك المشاركين المطلوب منهم القيام به، كما تحدد النتائج الأهداف المراد تحقيقها، والجزاءات التي تحدد نتيجة للأداء، كما تشير إلى مجموعة من الأنشطة المطلوب القيام بها لإنجاز مهمة ما، ويتم ذلك في جو مصطنع يحاكي الواقع، وأغلب الألعاب تحمل طابعا تنافسيا في إطار تفاعل اجتماعي بين المشاركين، تنتهي بفائز وخاسر، وهي بطبيعتها تتطلب من الأفراد المشاركة الجسدية (نشاط عضلي كالحركة) أو العقلية (نشاط عقلي كحل مشكلة) أو كليهما، كما تستثير الجانب الانفعالي لدى المشارك (كالحماس والمتعة والإثارة والترقب) (٤).

وعامة فإن الألعاب التربوية هي إحدى أهم وسائل نقل واستيعاب المعلومة، وغرس السلوك المطلوب، وتغيير الاتجاهات، والسبب في ذلك هو تميزها بخصائص عدة مقارنة بالوسائل الأخرى، والتي منها مخاطبتها لأكثر من حاسة لدى الإنسان، ففي حين تعتمد المحاضرة التقليدية على حاسة السمع لنقل المعلومة، فإن الألعاب التربوية تستخدم بالإضافة للسمع.. البصر، واللمس، وفي أحيان أخرى الشم والذوق، وكلما تمت مخاطبة أكثر من حاسة خلال عملية التعلم، كلما كانت المعلومة أو السلوك أكثر ثباتا وفهما لدى المشارك.

ومن الجدير بالذكر أن الألعاب من أكثر الوسائل جذبا لانتباه الأفراد، وأكثر وسائل التعلم التي يتفاعل من خلالها الأفراد فيما بينهم، كما أنها تقوى العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعة، وتزيد وتعزز ثقة الفرد بنفسه.

ونلاحظ أن الألعاب في المنهج الأمريكي تبدأ من اليوم الأول من المدرسة، وهي ما تسمى بـ «الآيس بريكر Ice Breakr – »، وتلعب أدوارا مختلفة مثل تلك التي تقدم للدرس أو تقرب فكرة معينة، أو تستخدم لمراجعة الدرس أو لاستغلال وقت الحصة الباقي بما ينفع، أو لتدخل شيئا من الاسترخاء على جو الحصة. وبعد قانون «لا طفل يخفق دراسيا» الذي أطلقته الإدارة الأمريكية، أصبح التركيز على تعلم الرياضيات والعلوم والقراءة والكتابة كبيرا، وتظهر في الوقت الحالي محاولات جادة للدمج بين كل هذه المهارات، وذلك عن طريق الأنشطة العلمية والتجارب.

وهكذا يحقق المعلمون أكثر من هدف تعليمي إضافة إلى المرح والتسلية، فإحدى معلمات العلوم في الصف السابع لم ترض بتدريس طلابها الحقائق العلمية الجافة فقط، فمثلا عندما بدأت تدرس طلابها عن الحمض النوويD N A أرادت أن يفهم طلابها آثاره على المجتمع، فبدأت بعرض أحد أفلام الخيال العلمي عن رجل مصاب بخلل في الجينات الوراثية، ثم بعد ذلك قرأ الطلاب قصة عن صبي تطوع لمحاربة الأخطار من أجل حماية الجنس البشري، ثم ناقش طلابها مقالات عن الاستنساخ، وبحوث الخلايا الجذعية، وقاموا بإجراء خمس عشرة تجربة في المعمل، وقاموا بعمل خلية من الجيلاتين والحلوى، وفحصوا خلاياها تحت المجهر، وحقنوا D N A بكتيري في إحدى الخلايا وجعلوها تتلألأ، ثم بعد ذلك انغمس الطلاب في كتابة قصصهم الخيالية العلمية..

المؤشر العلمي على أهمية اللعب لنمو الأطفال كمّ الوقت الذي يقضونه وكمّ الطاقة التي ينفقونها

وهكذا استطاعت المعلمة أن تدمج أكثر من مهارة في تدريسها.

ومما لا شك فيه أننا وبعد انتشار أجهزة الكمبيوتر وألعابه في كل مكان، لو استطعنا تطويع ألعابه بحيث تخدم أهداف التعليم، فسيرتقي التعلم كثيرا، فأطفالنا اليوم يقضون الساعات الطوال أمام شاشات الكمبيوتر بلا كلل ولا ملل، أفلا يمكن استغلال الجاذبية التي يفرضها عليهم الكمبيوتر في التعليم؟ وما أكثر الألعاب التي يستطيع المعلم أن يدخلها في المنهج الدراسي، خاصة أنها لا تعتمد على نوع واحد من الألعاب، فمن تجارب وتمثيل وألعاب حركية إلى إنترنت وألعاب كمبيوتر، وكل المطلوب أن يُعمل المعلم خياله، ويجيل النظر في الخيارات الكثيرة المطروحة أمامه ليختار من بينها ما يناسبه ويناسب المنهج الذي يدرسه.

المصادر

- د. محمد محمود الحيلة: الألعاب التربوية وتقنيات إنتاجها، عمان، دار المسيرة، ط٣ ٢٠٠٦م.
- على فالح الهنداوي: سيكولوجيا اللعب، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣م.
- عزو عفانة: أسلوب الألعاب في تعليم وتعلم الرياضيات، غزة ١٩٩٦م.
- د. محمد محمود الحيلة: تقنيات إنتاج الألعاب التربوية، المعرفة، العدد١٤٧، الرياض ٢٠٠٧م.
- أجنر فوج: الانتخاب الثقافي، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.
- إيمان الكرود: الآيس بريكر، المعرفة يوليو ٢٠٠٧م.
- Games Eor Learning. (٢٠٠٣) Kaye peggy .Farrar Giroux .NEW YORK

قصة خلود

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية
نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

جاءتني تطلب المساعدة ونظرات اليأس تملأ عينيها، مطأطئة الرأس، ودموعها تبرق في عينيها البريئتين، فقالت بصوت لا يكاد يسمع: أنا لا استحق أن أعيش، لا قيمة لي بعد الآن، أرجوك يا دكتورة ساعديني فأنا أشعر باكتئاب حاد لا أطيق الحياة معه.

فأخذتني بجولة على مدى ستة أشهر من حياتها، تذكر تفاصيلها بكل دقة، وتجسدها لي وكأنني أرى أحداثها أمامي، لتنهي قصتها بانهيار نفسي يصحبه بكاء بحرقة، وندم ليس له مثيل، وبكلمات سلبية موجهة لذاتها المحطمة.

حاولت تهدئتها بعد أن تركتها للحظات تبكي وتفرغ ما يثقل صدرها من ألم وضيق، فبدأت معها من حيث انتهت، فقلت لها: والآن وبعد هذه القصة المؤلمة التي كنت أنت بطلتها الضائعة، هل تريدين حقا الخروج مما انت فيه لتعيدي أشلاء نفسك المتناثرة، ولتمارسي حياتك بصورة طبيعية، وتنطلقي للحياة بروح المرح والطموح والحب كما كنت في السابق؟ فقالت بيأس يشوبه الأمل: نعم يا دكتورة، وهذا سبب وجودي هنا (في مركز ثوابت للاستشارات النفسية) فقلت: اسمعي يا ابنتي، لنجاح أي مهمة -ومنها مهمة تغيير الفرد لذاته- نحتاج إلى أمرين مهمين وهما: وضوح الهدف، ووجود الدافع، فقالت: كيف؟ قلت: هل أنت فعلا تعلمين إلى أين ستصلين بعد الانتهاء من هذه الجلسات؟ وبالنسبة لوجود الدافع فيجب أن تكوني على أتم استعداد لمواجهة أي واجبات قد يتطلبها العلاج، وتتحملي كل الصعاب في سبيل وصولك إلى «خلود» السابقة وكأن شيئا يدفعك من داخلك لتحقيق ذلك، فقالت: نعم.. وكررت وهو سبب وجودي هنا، وبدأنا العلاج.

ولتكونوا معنا أعزائي القراء فإنني سأمرر عليكم شريط الأحداث، والذي غالبا ما تتعرض له البنات، وخصوصا اللاتي يمتلكن قلوبا وشخصيات مثل قلب وشخصية خلود، فالقصة بدأت عندما تعرفت خلود أثناء الدورة التدريبية التي انتسبت إليها من خلال عملها على شاب يكبرها بعشر سنوات، فهي في العقد الثاني من العمر وهو في العقد الثالث، لم يسبق لها خلال مراهقتها أو في سن رشدها أن تتعرف على الجنس الآخر أو تحتك بهم، مما ساعد في استغلالها بطريقة ساذجة، فبدأت حواراتهم رسمية عن المادة التي يدرسونها، ثم تطورت الحوارات إلى أن وصلت لتبادل أرقام الجوالات بهدف الشرح وتبادل الخبرات حول الدورة التدريبية، ومن هنا كانت البداية.. فبدأ هذا الشاب يحرك في نفس خلود ما لم يحركه غيره، فأسمعها كلمات تدل على الاهتمام والإعجاب من غير خدش للحياء، واستمر أربعة أشهر وهو على هذا الحال، ولكن خلود -كأي فتاة- رسمت لنفسها صورة أخرى معه، فتخيلت نفسها العروس التي طالما انتظرت يومها السعيد، والآن وجدت هذا الحب مع هذا الشاب، وبدأت العلاقة بالتطور إلى أن وصلت إلى المقابلات خارج إطار العمل وفي الأماكن العامة، ترددت خلود في البداية لكنها غلفت ترددها بإيحاءات وهمية بأن هذا لقاء عمل فلماذا لا أخرج معه؟! إلى الآن.. وهذا الشاب لم يخدش حياءها ولم يستخدم أي كلمات حب أو إطراء إلا ما ذكره من اعجاب غير مباشر، وهذا ما فهمته خلود من كلماته.

مرت الأيام وخلود تعيش أحلام اليقظة للفارس المنتظر فتطور حديثها إلى أن قال لها كلمة «أحبك» وهنا بدأت القصة الحقيقة، يا سلام.. يا الله.. هذا ما انتظرته خلال خمسة أشهر، هذا ما كنت أريده، لقد تحقق حلمي وصدقت كل أفكاري، إنه فعلا يريدني أنا، ويحبني أنا، هذا ما قالته خلود ببكاء شديد، ثم نكست رأسها لتقول: لقد انتهيت يا دكتورة، أنا إنسانة غير شريفة، أنا لا أستحق أن يكون والداي هما والدي لأنني ابنة فاشلة غير سوية جلبت لهم العار والخزي، بكت قليلا لتكمل لي قصتها، ثم تواعدنا في يوم ما على ان نتقابل في شقة صديق له، ويقول إن صديقه متزوج وهو مسافر الآن، وأعطاني مفتاح شقته حتى أحرسها له، فتعالي لنأكل طعام الغداء معا خاصة أنني أريد أن أهديك شيئا كبيرا لا أستطيع أن اهديك إياه في مطعم عام، ترددت خلود كثيرا وخافت ولكن (أحبك، أنت حبيبتي) كانت تتردد في عقلها، فبررت لنفسها الذهاب دون علم أحد، خرجت من البيت وتزينت وتعطرت وذهبت حيث الدمار على حد وصفها، دخلت ثم حدث ما كان يخطط له هذا الشاب، لقد سلب منها حياءها، سلبها أغلى ما تملك الفتاة ثم حاول ان يعالج الأمر بعدما انتهى، فقال لها: أنت الآن زوجتي، وسوف أتقدم لك رسميا ولكن امنحيني بعض الوقت، وقام وكأن شيئا لم يكن، تقول خلود: كانت لدي مشاعر مضطربة لا أعرف ما هي، رجعت البيت وسلمت على أسرتي ولم أضع عيني بعين أحد، أشعر بخوف شديد ومشاعر ألم ونشوة ولكن الخوف هو المسيطر.

مرت أيام على الحدث ولم يتصل الحبيب، بدأت خلود بالاتصال عليه وهو لا يرد عليها، وبعد اتصالات عدة تجاوزت العشرات رد عليها ليقول: اسمحي لي انا مشغول أكلمك اليوم ليلا، أعادت هذه الكلمات إلى خلود نوعا من الأمل المشوب بالخوف، ولكن داخلها يقول سوف نضع اليوم موعدا لتحديد يوم الزواج، تقول: انتظرت الليل ، فاتصلت به والخط مشغول، كررت وكررت ولكن.. لديه خط آخر، اتصلت وأخيرا أجابني وقد جاوزت الساعة ٢ صباحا فقال لي: ما بك انا تعبان ماذا تريدين مني فقلت: أنا.. ماذا أريد؟! ألا تعلم أنني أعيش أياما عصيبة، فالخوف من الفضيحة يكاد يقتلني، متى ستأتي لتخطبني؟، فرد بكل برود، يا خلود أنا قلت لك لم يحن الوقت بعد، وأنهى المكالمة التي تركت خلود في حيرة من أمرها، صرخت من الداخل ولكن لا مجيب، مرت أيام وعندما حاولت الاتصال به بعد هدوئها رد عليها بنبرة عصبية يا بنت الناس: أنا لا أصلح لك، وأرجوك لا تتصلي على هذا الرقم مرة أخرى، انتهت المكالمة واغلق الجوال، انهارت خلود... ولنا بقية في العدد القادم.

التربية الإعلامية في عصر الطغيان الإعلامي

التربية الإعلامية هي المبادئ والأحكام التي يكتسبها الفرد من وسائل الإعلام عن طريق تحصين الجماهير في مواجهة الانفلات الإعلامي، وتعريفهم بالأسلوب الصحيح للتعامل مع هذه الوسائل.

وقد كشفت الدراسات العلمية عن أهمية التربية الإعلامية في المجتمعات العربية الإسلامية بعدما هيمنت وسائل الإعلام على الساحة الدولية، وأصبحت تشكل خطورة على الجمهور المتلقي، وبعد أن أصبح المتلقي ضحية لكل ما يقدم له دون أن يميز بين ما يضره وما ينفعه في عصر ثورة العلم والمعرفة التي نعيشها بفضل التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال لاسيما الإعلام الفضائي لما يتمتع به من سعة في الانتشار وقوة في التأثير تتزايد لدى الجماهير يوما بعد يوم.


د.محيي الدين عبدالحليم

والإعلام الناجح يعد شاهداً على العصر الذي نعيش فيه، فهو مرآة تعكس ما يدور في العالم بما ينقله من وسائل واقعية وأخرى خيالية تقدم للجماهير مستجدات الحياة وأنماطها بما يزخر به من سلوكيات ومفاهيم ومعارف، وقد توصلت احدى الدراسات إلى أن ثلثي معلومات الفرد أصبح يحصل عليهما من وسائل الإعلام المختلفة.

بيد أن الناظر لحال ومستوى وسائل الإعلام العربية يجدها أصبحت دون مستوى التحدي في بناء مجتمع المعرفة وحماية الجماهير في العالم العربي لأنه قلما تهتم هذه الوسائل بصفة خاصة بالعلماء والمفكرين والمبدعين بل نجدها تمجد نجوم السينما والفن والرياضة والطرب لتنشر أذواق هؤلاء وسلوكياتهم حتى أصبحوا مثلا أعلى للشباب، والطامة الكبرى تجسدها أغاني «الفيديو كليب» بما تحويه من مشاهد الإثارة والجنس والعري واستخدام الآلات الموسيقية الصاخبة لاسيما في إعلانات التلفزيون مما قد يدعو الشباب صراحة إلى الانحراف والابتذال فيتحول الإنسان العربي إلى شخص استهلاكي ينشغل فقط بتحقيق رغباته ومتعه الشخصية.

وهذا يعني أن الإعلام العربي قد أصبح في حاجة إلى وقفة متأنية وموضوعية كي يكون اعلاما هادفاً له رسالة، ويدعو إلى العمل والبعد عن الاستهلاك المبني على المجتمع الانتاجي الذي يعتمد على نفسه لا المجتمع الاستهلاكي الذي يعتمد على الغير ويستهلك نتاج حضارة الآخرين دونما عطاء مقابل.

ولكي يحقق الإعلام العربي هذه المهمة فلا بد من ايجاد الإعلام الذي يملك الثقافة العلمية التربوية الحقيقية والرغبة والموهبة في توصيل المعلومات والمعارف وتفسير مدلولاتها ومعرفة الآثار الناجمة عنها لأن رجل الاعلام هو الحارس الأمين على الرسالة الاعلامية، ولا بد أن تتلقفه يد التربية بالتعليم والتأهيل والتدريب منذ اللحظة الأولى التي يضع فيها قدميه على عتبة العمل الإعلامي وطوال سنين حياته العملية، لأن رجل الإعلام الواعي المدرب المنشأ تنشئة إعلامية سليمة سوف يستطيع أن يعبر عن أهداف وطنه.

المفكرون والإعلاميون والتربويون مطالبون بوضع تصور علمي للمعلومات والمعارف التي ينبغي أن يلم بها الإنسان العربي

وفي الحقيقة رجال الإعلام هم ضيوف على كل بيت وفي كل وقت، والقدوة الحسنة هي خير وسيلة لتحقيق المنشود، ومن الاعلاميين من يحرصون على السلوك القويم والثقافة الجادة والعمل المفيد ويضربون مثلا أعلى يحتذى بدلاً من الاهتمام بالشكل دون الجوهر وبالتسطيح دون التعمق لأن أمثال من هذا طريقه يكون ضررهم أكثر من نفعهم وهم أحوج ما يكونون إلى التربية الإعلامية السليمة.

وإذا كان للاعلام العربي انجازات تكنولوجية ملموسة في مجال الأقمار الصناعية ومستوى الإرسال والابنية والاجهزة الهندسية، فإن الجانب البشري لم يلق مثل هذا النهوض والتطوير، فلا يكفي تحديث الأجهزة ونقل التكنولوجيا.

ومن ثم فلا بد من إعداد الكوادر الإعلامية في جميع الميادين، لأن التأهيل التربوي لرجل الإعلام عن طريق التعليم والتدريب المستمر هو الطريق للوصول لممارسة إعلامية سليمة مادمنا نتطلع عن طريق التربية الإعلامية إلى اليوم التسلية والترفيه فقط، ويسهم في تحقيق التنمية الحقيقية التي تسعى إلى الارتقاء بمستوى معيشة البشر وأنماط حياتهم بفضل التحول من الجمود إلى الإنجاز، ومن الانعزالية والأنانية إلى إنسان غيري لا ينصب كل اهتمامه على نفسه بل يهتم ويفكر في المستقبل العام للوطن، ومن ثم فإنه لا بد من تشجيع وسائل الإعلام على تنمية نمو العقل الفكري الحديث لايجاد

الذي يشهد فيه العالم العربي نهضة اعلامية تقودها كوادر قادرة على النهوض بهذه الرسالة السامية.

وتشير الحقائق العلمية إلى أن المناهج الدراسية في شتى مراحل التعليم الأساسي في العالم العربي تفتقر إلى وجود مادة إعلامية في مناهجها الدراسية شأنها في ذلك شأن التربية الموسيقية والرياضية والفنية والزراعية والتجارية والحرفية، فلماذا لا تكون هناك تربية اعلامية؟ لاسيما أن الإعلام يمارس تأثيراً كبيراً على كل قطاعات المجتمع، لأن الحاجة ماسة إلى أن يشمل الخطاب الإعلامي مخاطبة الصغار وتنشئتهم تنشئة صحيحة مزودة بالمعارف المناسبة وإحاطتهم بمسارات الإعلام ومهاراته وتطبيقاته واخلاقياته.

ولا يخفى أن التربية الإعلامية تواجه تحديات كثيرة يلزم مواجهتها على المستويين العربي والإسلامي على اعتبار أن التربية قطاع من قطاعات المجتمع يصيبها ما يصيب المجتمع، ولمواجهة تلك التحديات فإنه لا بد من الدخول بقوة في عصر المعلومات والتدفق المعرفي بحيث يمكن اللحاق بأسرع ما يمكن بمنجزات العصر العلمية والتكنولوجية بما تفرضه من أنماط ثقافية، إلى جانب التأكيد على منظومة القيم التي تشكل الخصوصية الثقافية العربية، ومن أهمها القيم الدينية والأخلاقية والعادات والتقاليد والموروث الشعبي، مع ضرورة التحاور مع الثقافات الأخرى من منطلق الندية لا التبعية، فالإسهام الثقافي العربي والإسلامي كان يمثل إحدى الركائز الأساسية للثقافة الإنسانية عموما حتى لا تقع فريسة لأي ثقافة غلابة أو



مسيطرة في العصر الذي نعيش فيه، وإنما تتبادل التأثير والتأثر من منطلق استقلالية الثقافة العربية وما تتمتع به من عناصر قوة مؤثرة.

وأمام هذه التحديات فإن التربية التعليمية يجب أن تأخذ على عاتقها ترسيخ الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية وتحصن الجمهور المتلقي من كل أشكال الاتصال الثقافي الذي يستهدف هويتنا وحضارتنا، وكذلك تحقيق التوازن بين المحافظة والتجديد دون التقوقع في ماض عريق أو التعولم المطلق غير المشروط، وإنما التقدم المحسوب الذي يحكمه منطق الانتقاء في ضوء الحاجة الى العصرنة مع التمسك بالهوية وتمثيل التراث العربي الإسلامي واستخلاص النماذج التي تستجلي أصالته وبعث القيم التي تساعد في ذلك من خلال الحفاظ على الأصالة والمعاصرة ومساعدة الجماهير العربية في مواكبة العصر وتوظيف معطياته والإسهام بالجهد الذي يجعل منها عناصر غير منتجة للحضارة وليس فقط مستهلكة لها، ولا نحسب الأمر يسيراً إذ إن تربية الفرد إعلاميا في مثل هذا المجتمع وفي مثل هذا العصر أمر بالغ الصعوبة لأنها تحدث في مناخ تسوده قيم غير ثابتة سريعة التحول متعددة الاتجاهات متباينة من حيث القوى التي وراءها.

ولقد أكد تقرير اليونسكو للتربية في القرن الـ ٢١ أن سبل مواجهة تحديات القرن المقبل تكمن في أن نبني التربية الإعلامية من خلال تنمية شخص المتلقي العربي من مختلف جوانبها حتى يصبح قادراً على تحمل المسؤولية والحكم الصائب على الأمور.

ونظرا لأهمية التربية الإعلامية فإنه يلزم بذل الجهد من قبل المفكرين والباحثين الإعلاميين والتربويين لوضع تصور علمي للمعلومات والمعارف التي ينبغي أن يلم بها الإنسان العربي وهو يعيش الآن في القرن الحادي والعشرين وكذلك القيم والاتجاهات التي ينبغي أن يتحلى بها، والاتجاهات التي ينبغي أن تتوافر لديه، والمهارات التي ينبغي أن يكتسبها.

ومن المهام التي ينبغي انجازها بإلحاح تصميم برامج تدريبية للمعلمين في مجال التربية الخاصة بوسائل الإعلام، حيث إن الزمان الذي كان المعلم فيه على معرفة متعمقة بمادة اختصاصه فقط قد ولى إلى غير رجعة، فالمطلوب في أيامنا هذه أن يعرف كيف يكسب التلاميذ القدرة على استثمار المعلومات التي تصلهم عبر وسائل الإعلام، بالاضافة الى الاهتمام بالبرامج التدريبية الموجهة للمعلمين ليكونوا أكثر قدرة على تعليم الصبية والشباب فن السيطرة على أنفسهم.

وهذا يقتضي تصميم برامج تربوية لجميع المراحل التعليمية ترتكز على تدريب الشباب على كيفية التعرف على وسائل الإعلام، ومدهم بمعارف تتعلق بآليات البث وبرمجة صور العالم التي تصله عبر الشاشة الصغيرة، وتعليمه كيف ينتقي وكيف ينقد، بالاضافة إلى جعله أكثر انفتاحاً وفضولاً على المعلومات الحديثة مما يؤدي إلى فهم أوسع للمحيط الذي ينتمي إليه، كما أنه يتعين على وسائل الإعلام أن تشارك هي نفسها في تربية المشاهد والمستمع والقارئ عن طريق برامج خاصة.

المفكر الإسلامي د.محمود عمارة لـ (الوعي الإسلامي) :

الهوى والمزاج الشخصي والتدين الملون .. وسائل تشرذم الأمة



حوار: محمد صالح

المفكر الإسلامي الكبير د.محمود محمد عمارة عالم جليل من علماء الأزهر الشريف نهج أسلوبا علميا شرعيا في تربية طلابه ومريديه بعلمه الغزير، وعطائه الوفير، صاحب قلم رقيق، وأسلوب دقيق، وحضور متميز على الساحة الإسلامية.. أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي نهل منها الطلاب وعل منها العلماء، له باع طويل في الأسلوب العربي المتأدب، يعمل حاليا أستاذا للدعوة بالدراسات العليا في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.. «الوعي الإسلامي» التقت د .عمارة .. وإليكم نص الحوار:

ما الذي يشغل اهتمامكم من واقع الأمة الإسلامية في حقبتها المعاصرة؟

موضوع وحدة الأمة الإسلامية، وتدعيم القدوة، من أهم القضايا المعاصرة التي تشغل البال، وأنا من الذين يشغلهم ذلك.. فكونك على الحق هذا شيء مهم جداً، وأهم منه أن تتضافر جهود المحقين، لاسيما وأعداء الإسلام يواجهون الإسلام من خلال وحدتهم القوية التي تبين عنها المؤتمرات الرامية إلى توحيد الصف في مواجهة الزحف الإسلامي، ونذكر هنا قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، هذه هي الوحدة، فإنك تلاحظ أن الآية تقول «جميعاً» وكأنها تكشف الستار عن مجموعة المهتمين بالإسلام، لكنّ هذا مُشرّق وذلك مُغّرب.. مما يذهب بقيمة هذه الأمة الموزعة أشتاتاً، وكأننا بهذا الاختلاف نوفر على الأعداء طاقة كان من الممكن أن يبذلوها لمحاربتنا، لكننا تركناهم يجلسون على كراسي المتفرجين يشاهدون هذه الفرقة التي هي بعض آثارهم، وثمرة من ثمرات مؤامراتهم علينا، فلا بد من التوحيد، ثم الوحدة.

ثانياً : غياب القدوة.. فما أكثر من يتكلمون عن الإسلام، لكن القدوة غائبة.. لاحظ أن الرسول ﷺ في عمرة الحديبية عندما أشار على الصحابة أن يحلقوا رؤوسهم فتوقفوا، فأشارت عليه أم سلمة أن اخرج ولا تكلم أحداً وادعُ حالقك.. ومن هنا قالوا: عمل رجل في ألف رجل خيرٌ من قول ألف رجل في رجل.. إذن ألخص لك هذه القضية، التوحيد ثم الوحدة، التي يؤسفنا أن نقول بأنها مشروخة، ويجب إذا أردنا أن ننطلق أن نوحد الجهود.

الغزو الفكري أشرس وأعنف بكثير من الغزو العسكري فما هو مدى معاناة الأمة من هذا الغزو، وما هي مظاهر المعاناة، وكيف السبيل إلى العلاج؟

لاحظ أن القرآن أشار إلى خطورة هذا الغزو قال تعالى ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء... ﴾(النساء: ٨٩) وأنهم يستخدمون كل الوسائل لتدعيم هذا الهدف الخبيث، ومن المواجهة العسكرية قوله تعالى ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا... ﴾(البقرة: ٢١٧)، فالقرآن فيه إشارات صريحة في هذه النقطة، لكن المهم في الموضوع هو ما دور الأمة الإسلامية؟ وإذا كانوا يحاربوننا بالسلاح فيجب أن نكون على أعلى مستويات الاستعداد أخذاً من قوله تعالى ﴿وأعدوا

لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل... ﴾(الأنفال: ٦٠) ولاحظ (مِنْ) وهي تفيد معنى الاستغراق.. القوة المادية والقوة المعنوية أيضا، فلا بد أن يكون العلماء الذين يتصدون لمواجهة هذه الحملات، لا بد أن يكونوا على مستوى المواجهة، وإلا فدخول أنصاف المتعلمين في عراك فكري مع هؤلاء الناس ربما يُهزمون.

الواقع يعج بالأفكار المختلفة، والتيارات المتنوعة، ولا بد من وجود داعية يقظ لرصد المؤامرات والرد على المطاعن، فما مؤهلات الداعية المعاصر؟

لابد أولا من حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً، ومعايشة السنة المطهرة، ومع هذا وهذا لا بد أن يكون للداعية حس لغوي مميز ليستطيع بواسطته أن يفهم السطور وما وراء السطور، ولعل الشيخ الشعراوي- رحمه الله- في طليعة مَن يؤكدون ذلك، فعن هذه اللغة كان ينطلق، وكان يحقق من النجاح ما لا يحققه غيره، ولاحظ أهمية اللغة، وضرورة أن يكون في المكتبة أكثر من مرجع في اللغة، وهذا أمر غائب في حياة بعض الدعاة ، لا صلة لهم بكتب اللغة .

هناك فصائل كثيرة تعمل في حقل الدعوة الإسلامية..كيف ترون واقع هذه الفصائل؟ وما رؤيتكم الدعوية لتعددها؟ وبماذا تفسرون الاختلاف والتنازع بصفة عامة فيما بينها؟

هذا الاختلاف الذي تتحدث عنه له تفسير واحد فقط وهو أن عنصر الذات والمزاج الشخصي طرف في القضية، لو أننا أخلصنا النية لله سبحانه وتعالى لاتفقت كلمتنا، وكما قال بعض الصالحين: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، فأي فئة من هذه الفئات فيما بينها وبين الفئات الأخرى أصول، فلماذا لا نتفق في الأصول ثم يعذر بعضنا بعضا في الفروع، وإلا فاختلافنا هذا محسوب لأعداء الإسلام، فيجب أن تتلاقى هذه الفئات بالتعبير السياسي «أن نتلاقى على خط الهدنة»، بمعنى أن أتنازل عن بعض ما عندي، وأن تتنازل عن بعض ما عندك من الأمور التي ليست في صلب الإسلام، ثم نقف على خط واحد، والطاقات المبذولة الآن في اختلافات الفرق الإسلامية يجب أن تُرصد للترقي.

دودة القطن ليست دودة القطن وإنما معاصينا تشكلت فكانت رد علينا حتى نفيق

وهل نحن في هذا الاختلاف ممن يُغيظ الله بهم الأعداء؟

أبداً، فالأعداء مغتبطون، ونحن نحقق أهدافهم من حيث ندري أولا ندري، فالوسيلة هي الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ثم استبعاد الأشخاص والأمزجة، وإجلاء كل من ليس له قدم صدق في العلم أو الدين، حتى يتحدث باسم العلم والدين، من هو من أهل العلم وأهل الدين. إننا في عصر التخصص، بل إن القرآن الكريم يقول ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣)، فلا ينبغي أن يتصدى لهذه الأمور من ليس له قدم صدق في العلم أو الدين.

كما قلت لك في بداية هذه الإجابة: إن الهوى والمزاج الشخصي أو العلم الملون، والتدين الملون الذي فرض نفسه، فكانت هذه الفُرقة التي قدمناها خدمة لأعداء الإسلام، وسوف نحاسب عليها لأن ذكاء المرء محسوب عليه.

كانت تربط بينكم وبين الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- علاقة وآصرة طيبة، فما طبيعة هذه العلاقة؟

عقب تخرجي عُينت مدرسا في الأزهر، وفي العام التالي نُقلت إلى معهد دسوق الديني، فعلمت أن الشيخ الغزالي سيُلقي محاضرة في الإسكندرية، والمسافة بعيدة بين بلدة دسوق والإسكندرية، وكان علي أن أنفق في السفر نصف راتبي الشهري، فبذلته راضيا لأراه وأستمع إليه، كنت قرأت له قبل ذلك لكن «فما راءٍ كمن سمع»، كان يُعجبُني فيه سجيته التلقائية، ووضوحه، ونشأته الريفية، ولذلك تعجب أنّ علاقتي به توطدت عندما علمت أنه فلاح مثلي، وتلمح آثار هذه الخضرة، وهذه الطلاقة وهذه الحرية في أسلوبه، في تعبيراته، فلما التقيت به، وكنت في مجموعة خصني بالحديث، وتذكرت حينئذ أن الأرواح جنود مجندة، فلما عملت معه في جامعة أم القرى مدة أربع سنوات وجدت الأهداف متفقة، ويسعدني أن أكون تلميذا في مدرسة الشيخ محمد الغزالي، وقد تعلمت منه خلق السماحة على الفارق الهائل بيني وبينه، فحينما كان في وزارة الأوقاف وهو مدير تأتيه الورقة فيوقع عليها دون أن ينظر لما فيها، ويساعد دائما ذوي الحاجات، كان الشيخ الغزالي يقول: أنا أميل إلى الدعابة، وأنا أيضا أميل إلى الدعابة، وكان يقول: أنا فيّ شيء من الحِدّة، وأنا أيضا فيّ شيء من الحدة، وهذه طبيعة من نشأ في الريف، يعبر عن شعوره بتلقائية وبدون مراجعة.

يتطاول أدعياء الإسلام بين الحين والحين على ثوابت الدين، ومما يدمي القلب أنّ بعض أجهزة الإعلام تفتح صدرها لهم، وتفسح المجال لكلامهم.. فما نظرتكم لهؤلاء؟

أختصر الرد وأقول: مثل هؤلاء معنا كمثل حقل نام صاحبه، فعاثت فيه الذئاب، فقبل أن تلوم هؤلاء الناس لُم أمة الإسلام الغافية، الراقدة، مع أن أعداءها يَنشَطون، يُسخرون كل إمكاناتهم للنيل منها، فإذا أردت أن تضع حدا لهذه الهجمة، فعد إلى أصحاب الحقل أنفسهم، الذين يجب أن يستيقظوا من سباتهم، من كهفهم المظلم.. لأن الذي يُهاجم، ليس هجومه صادراً عن جُرأة، فلقد سمعت مرة من يقول: يهودي فدائي! فقلت له: لا، يهودي، أم فدائي؟ إذا كان يهودياً فلن يكون فدائيا، وإذا كان فدائيا فلن يكون يهوديا!! أما ما تريد أن تصفه ليس فدائية اليهود، ولكنه ضعفنا نحن، لذلك أظن أنني استطردت وأنا طالب فقلت: «وإذن فدودة القطن ليست دودة القطن، وإنما هي معاصينا تشكلت فكانت خير رد علينا حتى نفيق».

ونذكر هنا قول الشاعر:

أنا لا ألومُ المُستبدَّ إذا تجبر أو تَعدّى
فسبيلُهُ أن يستبد وشأننُا أن نَستَعدَّ

فأين الاستعداد لوضع حد لهذه الهجمة الشرسة؟ نحن نلوم أنفسنا أولا.

وسائل عملية للتنمية البشرية

أشرنا في مقال سابق إلى بعض وسائل تنمية الموارد البشرية، كالإدارة والتخطيط والقيادة، ونكمل في هذ المقال بقية هذه الوسائل، فتنمية الموارد البشرية هي الأساسي لأي تنمية يراد تطبيقها في المجتمعات، انطلاقا من أن الإنسان هو المحرك الأساس لجميع برامج التنمية، سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية، ولذا فمن وسائل تنمية الموارد البشرية ما يلي:


د.سعيد عبدالله حارب

الرقابة

إذ لا يكفي في الإدارة الناجحة أن يكون التخطيط سليما والقيادة كفؤة، بل لا بد أن تتبع ذلك رقابة جيدة حتى تراجع سير العمل وتسعى لمعالجة أخطائه وتصويب مسيرته وقياس أدائه، فالرقابة هي «متابعة وملاحظة وتقييم التصرفات والأشياء بواسطة الفرد ذاته أو بواسطة الغير وذلك بهدف التأكد من أنها تتم وفق قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية وبيان الانحراف والأخطاء تمهيدا لعلاجها والقضاء عليها» (١). وبهذا التصور فإن الرقابة تعتبر جزءا أساسيا من الأداء، إذ من خلالها يمكن قياس أداء الأفراد في أعمالهم وتصحيح أخطائهم ومعاقبة من يخطئ أو يخل بمهام عمله.

وللرقابة مكان واضح في الإدارة الإسلامية، فقد جاءت الآيات التي تؤكد على الرقابة وأثرها الدنيوي والأخروي، فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران:٥). وقال تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة :٢٨٤).

ووردت الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أهمية الرقابة، فعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحداً حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله، أو قال: تبرأت منه ذمة الله عز وجل» (مسند الإمام أحمد) .

وقد طبق النبي ﷺ هذه الرقابة في حياته ثم جاء صحابته من بعده فساروا على نهجه وقد تميز عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خلافته بأسلوب الرقابة على أداء الأفراد فكان يبعث الولاة ويراقبهم ويستدعيهم متى قصروا أو أخطأوا في أداء أعمالهم، «إن الممارسة العلمية للرقابة الإدارية في عهد عمر بن الخطاب توضح المفهوم العام للرقابة، وكيفية تطبيقها بصوره تمثل قمة الإدراك الإداري السليم لمسؤولية الحاكم والإداري في الرقابة والمتابعة فقد اكتمل في فهمه أن الرقابة هي مرحلة مكملة لحسن الإدارة، وأن مسؤولية الحاكم لا تقتصر على حسن اختيار العاملين وتوجيههم وتدريبهم على العمل فحسب، وإنما تتعدى ذلك إلى المتابعة والرقابة الدقيقة، فقد كان يقول لأصحابه: أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما علي، قالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا» (٢) .

إن الرقابة على أعمال العاملين وسيلة لتصحيح مسارهم وتجاوز أخطائهم، وتتوزع الرقابة بين رقابة ذاتيه.. ترتبط بالخشية من الله سبحانه وتعالى ومراقبته في كل شأن من شؤون الإنسان، وهي رقابة لا تنفك عن الإنسان في كل شأن من شؤون حياته وهي الأساس لكل صور المراقبة الأخرى بالنسبة للمسلم، ورقابة الخير وفعل الحسن وترك السيئ وهي صفة تنشأ مع الإنسان بالتربية والتزكية وتعويد النفس على فعل الخيرات وترك المنكرات، والرقابة الإدارية وهي التي تتولاها جهات الاختصاص في العمل خلال ضوابط وتعليمات ومقاييس يتم تطبيقها على الأفراد لبيان أداء أعمالهم بطريقة صحيحة.

التدريب

يعتبر التدريب أحد الأساليب المهمة في تنمية الموارد البشرية إذ من خلاله يتم صقل هذه المواهب والمهارات وتطويرها أو تعليمها مهارات جديدة تحتاج إليها، خاصة في العصر الحديث حيث تطورت الوسائل ودخلت مستجدات جديدة تحتاج من الإنسان إلى أن يتابعها ويتعلمها ويستفيد منها، وقديماً كان التدريب مرادفاً للتعليم وصنوا له، لكنه في العقود الأخيرة أخذ منهجاً جديداً بحيث أصبح علما مستقلا بذاته، والتدريب «نشاط

إنساني هدفه العام يتركز حول التحسين أو التطوير ويمكن أن يمارس هذا النشاط بأسلوب فردي أو بأسلوب جماعي، وفي كلتا الحالتين قد يتم بصورة منظمة وقد يأتي عفوياً أو بصورة غير مخططة لا تتضمن وضع أهداف محددة» (٣).

وقد اهتم الإسلام بتدريب الأفراد وتهيئتهم للأدوار التي يكلفون بها، فقد أعد النبي ﷺ أصحابه من خلال تكليفهم بالواجبات والأعمال التي يستطيعون القيام بها حتى إذا اعتادوا على ذلك دفعهم للأعمال الكبيرة ولعل في اختياره لقواد الجيوش واستخلافه لبعض الصحابة في المدينة أثناء خروجه للغزوات خير دليل على ذلك، وكان توجيهه ﷺ بالتدريب والتعلم لما يستطيعون، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً» (رواه البخاري).

والتدريب في مجال الموارد البشرية يسعى لرفع كفاءة العاملين في مجال عملهم واختصاصهم وإدارة وظائفهم بصورة جيدة تحقق المستوى الأفضل، وتعليم الأفراد حل مشكلاتهم العملية التي تواجههم، وتطوير إنتاجيتهم، كما يعمل التدريب على إطلاع العاملين على المستجدات في حقول تخصصهم وتنمية مهاراتهم الشخصية وخاصة القيادية منها، وكذلك مهارات الاتصال مع الآخرين والعمل ضمن مجموعة مشتركة، ويرفع التدريب من حماس العاملين ويشعرهم بالرضا عما يقومون به من أعمال، كما يقلل من أخطائهم، ويفتح أمامهم أبواب التقدم والترقية ولا شك أن



مثل ذلك التدريب ينعكس على أعمالهم ومؤسساتهم التي يعملون بها من خلال معرفتهم الدقيقة بالواجبات الموكلة لهم وبأهداف المؤسسة التي يعملون لها، كما يزيد من إنتاجهم ويعمل على تطوير هذه المؤسسات.

ويهدف التدريب إلى تزويد الفرد بالمعلومات ذات العلاقة بوظيفته، وبالأساليب المتطورة لأداء واجبات ومسؤوليات وظيفته وتزويد الفرد بالمهارات اللازمة التي تمكنه من إنجاز وظيفته بأقل جهد ممكن، وأخيراً بناء وتنمية الفرد وتغيير اتجاهاته ومفاهيمه لكي يتمكن من أداء وظيفته بفاعلية.

تنمية المواهب والقدرات

يتفاوت الناس في قدراتهم ومواهبهم وإمكانياتهم، ولذلك تسعى تنمية الموارد البشرية إلى الاهتمام بمواهب الإنسان وقدراته وتنميتها ورعايتها وتطويرها، فليس كل واحد يقدر على تأدية كل الأدوار، ففي الحديث الذي يرويه البخاري، قال يزيد حدثني مطرف بن عبدالله عن عمران قال قلت: يا رسول الله فيم يعمل العاملون؟ قال ﷺ «كل ميسر لما خلق له» (صحيح البخاري).

كما أخبر بذلك النبي ﷺ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» (صحيح البخاري).

وكذلك يتمايز الناس فيما بينهم في صفاتهم ومهاراتهم ومواهبهم، وذلك جزء من التكوين الإنساني الذي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان عليه، فالمواهب هي إمكانات ذاتية يهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان، فيميزه ببعض الصفات التي تكون خَلقية أو خُلقية أو يميزه بمهارة في الصنعة أو الحرفة أو الإدارة أو القيادة، ولا يكاد يخلو إنسان من موهبة أو صفة من هذه الصفات التي تنمو وتزدهر بالعناية والتربية، أو تندثر بالإهمال والترك وهنا يأتي دور برامج تنمية الموارد البشرية التي تعمل على تطوير هذه المهارات والمواهب وإكسابها المعرفة والتطبيق.

وتنمية المواهب تتم من خلال الاهتمام بأصحاب المهارات والذكاء والفطنة، ولعل أولى الخطوات في ذلك اكتشاف هذه المواهب والقدرات منذ المراحل الأولى في حياة الإنسان، ويأتي دور التعليم في اكتشاف هذه المواهب من خلال معايير ومقاييس عالمية مجربة، ومعترف بها بين أهل الاختصاص، وإيجاد البرامج التدريبية اللازمة لذلك ومتابعة هذا الأمر في مراحل حياة الإنسان كافة.

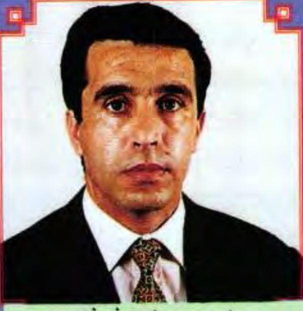
ولهذا فإن أصحاب المواهب والقدرات يحتاجون إلى عناية خاصة لأنهم يستطيعون أن يتفوقوا على أقرانهم بل يسبقوهم بخطوات واسعة، والأمم التي تعتني بالموهوبين تجني تقدماً ورقياً على يد هؤلاء الموهوبين الذين يخرج العلماء والباحثون والمفكرون من بينهم، ومن هنا فلا بد من البحث عن هؤلاء المتميزين لأنهم أقل الناس حظا من العناية و الاهتمام.

إن من الحقائق الثابتة على امتداد التاريخ البشري أن الموهبة الإنسانية أعظم وأندر وأهم ثروة يستطيع أي مجتمع أن يمتلكها، فهناك العديد من المصادر سواء أكانت طبيعية أم من صنع الإنسان، والتي ساهمت ويمكن أن تساهم في تقدم المجتمعات وتطورها، والعالم الإسلامي في حاجة ماسة إلى الاهتمام بهؤلاء الموهوبين والمبدعين حتى يستطيع أن يحقق تقدمه العلمي ورقيه الحضاري.

الهوامش

١- الإدارة الإسلامية، حزام المطيري ١٩١.
٢- الإدارة في الإسلام، فوزي كمال أدهم. ص١١٣.
٣- تدريب الموظفين، حسن الحلبي ص ٣٢.
٤- أسس التدريب الإداري، يوسف القبلان ص٢.
٥- انظر تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٦ ص ٣٢٧، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

التنوع الثقافي في ظل العولمة


د. حسن عزوزي

مما لاشك فيه أن الثقافة تتخذ أشكالا متنوعة عبر الزمان والمكان، وهذا التنوع يتجلى في أصالة الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية، وكذا في تعددها وتفاعلها. ويتزايد تنوع هذه المجتمعات يوما بعد يوم، مما يستدعي التفاعل المنسجم والرغبة في العيش المشترك بين الافراد والمجموعات ذات الهويات الثقافية المتعددة والمتنوعة.
وبالرجوع الى اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي نجده يشير الى أن التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي، وحيث ان التعددية الثقافية لا يمكن فصلها عن وجود اطار ديموقراطي فانها تيسر المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الابداعية التي تغذي الحياة العامة، واذا كانت الحقوق الثقافية جزءا لا يتجزأ من حقوق الانسان التي هي حقوق عالمية ومتكافلة فان من حق كل شخص ان يتمتع بالقدرة على التعبير عن نفسه والابداع في كل المجالات، كما ان له الحق في تعليم وتدريب جيدين يحترمان هويته الثقافية احتراما كاملا، فضلاً عن الحق في ممارسة تقاليده واعرافه الثقافية الخاصة المميزة.

إن إعلان اليونسكو عن التنوع الثقافي يكفل حرية التعبير وتعددية وسائل الاعلام والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول الى اشكال التعبير الفني والثقافي والحضور الكامل في وسائل التعبير والنشر وهي مفاهيم وقيم تعتبر في اطار القانون الدولي ضمانات للتنوع الثقافي.

ولذلك فان كل ابداع ينهل من منابع التقاليد الثقافية لا بد ان يزدهر بالاتصال مع الثقافات الأخرى، ويعتبر احياء تراث الشعوب بمختلف اشكاله ونقله الى الاجيال القادمة طريقا لتغذية الابداع الانساني بكل تنوعه، والتحفيز على تأسيس حوار حقيقي وفعال وهادف بين الثقافات يخدم الاهداف الانسانية ويساهم في اقرار ثقافة العدل والسلام والحوار بين الحضارات والأديان. إن المفهوم الدولي للتنوع الثقافي يؤكد على ان تهتم السياسات الثقافية لبلدان العالم بإتاحة الظروف المواتية لانتاج ونشر صناعات وخدمات ثقافية متنوعة تكون لها القدرة على اثبات الذات على الصعيدين المحلي والدولي، ولذلك يعهد الى كل دولة تحديد السياسة الثقافية التي ترجو من ورائها تنفيذ إسهامها الطبيعي في التنوع الثقافي.

مساهمة الحضارة الإسلامية في الحفاظ على التنوع الثقافي

يوجد في الحضارة الإسلامية ضرب من الأدب يعرف بأدب الاختلاف الذي هو خلق إسلامي ومظهر إيجابي من مظاهر الحضارة الإسلامية، إنه يؤكد على قيم الحوار وأدب الخلاف في الإسلام، لما في ذلك من انصاف للخصم واحترام للرأي الآخر وتفصيل لأسس التنوع الثقافي الذي حافظت الحضارة الاسلامية عليه عبر القرون، ولم يسبق ان حفظ حق التنوع الثقافي وكفلت حرية التدين كما حدث في ظل الحضارة الاسلامية، ومهما تم خرق هذا الحق في بعض الأحيان خلال عصور التراجع الحضاري فإن هذا الحق يعتبر من الثوابت التي لا تتغير.

وقد وردت في القرآن الكريم نصوص متعددة تؤكد التنوع وتدعو الى قيمه وتؤصلها، من ذلك قوله تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾(الروم: ٢٢)، وقوله عز وجل ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾(هود: ١١٨-١١٩)، وقوله تعالى ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل:١٢٥)، إن الإسلام ينكر نزعة المركزية المغرضة التي تريد العالم نمطا واحدا والإنسانية قالبا واحدا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾(المائدة: ٤٨)، فهو سبحانه قد خلق البشر للتنوع والاختلاف لكن لن يتحقق المراد من هذا التنوع الا اذا كان هنالك حوار يرسخ قيم التوافق والتعاون والتعايش بين أتباع الحضارات والثقافات المختلفة، وهذه القيم تنبني على ثلاث قواعد.

- **قاعدة الاحترام المتبادل.**
- **قاعدة احترام الخصوصيات.**
- **قاعدة التسامح.**

لقد تميزت الحضارة والثقافة الإسلاميتان بتركيزهما على اعتبار «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وأن «الحكمة ضالة المؤمن» مما أسهم في إغناء التراث الإنساني في حقول العلوم والفنون والآداب كافة، لقد حرصت الشعوب الإسلامية عبر التاريخ على إظهار رغبتها وتأكيد إرادتها في المشاركة في اغناء الرصيد الثقافي الانساني على اساس من احترام حقوق الانسان وصون المقومات المادية والمعنوية للكرامة الانسانية واعتبار التنوع الثقافي والحق في الاختلاف مقوما اساسيا من حقوق الإنسان

● أكاديمي في جامعة فاس

كما شرع لها الإسلام وحددتها القوانين الدولية.

مميزات التنوع الثقافي في سياق تكريس الحوار الحضاري

إنه لا يمكن تصور حوار حقيقي بين الثقافات والحضارات إذا لم يكن هناك اقرار بمبدأ التنوع الثقافي، ومهما كانت هناك بعض وقائع الصدام والصراع، فالأمر ليس قدرا محتوما، لأن العنف والجهل بالحقائق والخوف من الآخر ليست أمورا حتمية بل هي نتاج للتربية وللثقافة التي ينشأ عليها الفرد وتطبع سلوكه وردود أفعاله، ولذلك كان لا بد في اطار التفاعل الحضاري من التمسك بالهوية الحضارية وحماية الشخصية الثقافية، ولا شك ان في كفالة الحق في التنوع الثقافي تأكيدا على الخصوصية الثقافية لكل شعب من شعوب العالم وابرازا للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية.

جاء في المادة الاولى من اعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي:

- لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والحفاظ علىهما.
- من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.
- تشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع خصب وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعا.

من جهة أخرى تتأكد خصوصية كل ثقافة في اغناء التراث الانساني من خلال الاقتناع بعدم وجود ثقافة راقية واخرى منحطة، فلكل ثقافة غناها المتميز وثراؤها الخاص، وقد جاء ضمن مبادئ واهداف الاعلان الاسلامي للتنوع الثقافي.

«إن لكل ثقافة قيمتها ومكانتها وإسهامها في اغناء التراث الثقافي الانساني وانها معنية بالعمل على تجسير هوة عدم الفهم بين الحضارات وعدم اخلاء الساحة للتوجهات المعادية وللهجمات المغرضة لتستمر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين والتجني على العقيدة السمحة.

- إنه لا وجود من حيث المبدأ لثقافة عدوة أو أمة عدوة، عكسا لما قد تفضي اليه الأحكام المسبقة ضد الثقافات والحضارات والصور النمطية للشعوب والأمم مع مواصلة الدعوة الى الافادة من مزايا العولمة وتلافي سلبياتها ومفاجآتها المحتملة.
- إن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدرا للنزاع والتوتر ونبذ الآخر، بل سبيلا الى توسيع الارضية المشتركة ودعم فرص التوافق والتلاقي وتقليل الفوارق وحل النزاع بالطرق السلمية «وبالمنهج القائم على الحوار المؤدي الى زيادة الوعي بالقيم المشتركة بين الشعوب جميعا».

التنوع الثقافي في ظل تحديات العولمة

لاشك ان العولمة تثير مخاوف عدة في جميع الأوساط، غير ان العولمة ليست معطى جديدا في تاريخ العلاقات بين الأمم، إذ ظهرت العولمة بشكل ما حين عزز العرب والمسلمون المبادلات التجارية والثقافية بين الشرق والغرب.

أما العولمة في صورتها الغربية الحديثة فبالرغم مما تنطوي عليه من بعض الايجابيات الا انها تمثل في واقع الأمر تحديا حقيقيا للموروث الانساني المشترك، حيث تجد الشعوب الاسلامية نفسها امام تحد يتمثل في فقدان التحكم في مصيرها نتيجة للتحديات التي تستهدف انماط العيش في المجتمعات الإسلامية بسبب تراجع الالتزام بالأخلاق والقيم الإسلامية تحت ضغط العولمة التي تسعى الى اضعاف الخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب ومظاهر الابداع لديها، فعندما تفقد الأمم والشعوب خصوصياتها الثقافية والاجتماعية نتيجة الاستلاب الثقافي الذي ينشأ عن عدم التكافؤ في العلاقات بين الدول فإنها تصير مجرد مستهلك للمنتجات التي تفرضها العولمة، ولاشك ان مواجهة الآثار السلبية للعولمة في مجال التأثير على حق التنوع الثقافي لدى أمم وشعوب العالم انما تتحقق من خلال تعزيز مظاهر ومجالات التبادل المتكافئ والحوار الندي البناء ونشر ثقافة العدل والسلام لجعل العلاقات بين الشعوب والثقافات والديانات أكثر انسجاما.



العولمة تمثل تحدياً حقيقياً للموروث الإنساني المشترك من فقدان الشعوب التحكم في مصيرها

وهكذا فإن التنوع الثقافي له قيمة ايجابية عالية لأنه يدل على غنى العطاء الفكري للعقول البشرية على اختلاف ظروفها وبيئاتها عكس العولمة التي تسعى الى فرض نموذج ثقافي واحد مهيمن يلغي النماذج الثقافية الأخرى المتنوعة ويهدد باندثار مقوماتها الحضارية.

إن مواجهة تحدي العولمة في سياق الحديث عن حق التنوع الثقافي تفرض حشد جميع الجهود لترسيخ الثوابت والمسلمات التي يؤمن بها المسلمون والإسهام في تعزيز قيم التعدد والحوار والتعارف الحضاري الذي دعا اليه القرآن الكريم من خلال الآية القرآنية ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣)، وهو مبدأ إنساني حضاري هام له أكبر الدور في ردع النزاعات والصراعات من جهة وتقريب الأفكار والمسافات ونسج أواصر التعارف والتفاهم بين الأمم والشعوب من جهة أخرى، إنه بالتعارف والتواصل والاعتراف المتبادل يمكن تقريب الشقة بين مختلف الثقافات والحضارات وجعلها ينفتح بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد يسمح بالإقرار بالتعددية والتنوع الثقافي والاعتراف بما لدى الآخر من مقومات الإنتاج الثقافي والإبداع الحضاري.

تفجيرات مومباي ومستقبل الصراع الهندي الباكستاني

جاءت تفجيرات مومباي في السادس والعشرين من نوفمبر 2008 لتدفع بالصراع التقليدي بين الهند وباكستان إلى واجهة الأحداث، بل وتُنذر بتحول الصراع إلى حرب شاملة كما حدث عامي 1965 و1971 أو تستمر الحرَب الباردة بينهما، والأخطر أنها وضعت العالم على شفا حرب نووية لا تبقي ولا تذر.


د.عمرو عبدالكريم

ربما كان الصراع هو السمة الغالبة على تاريخ البلدين منذ الاستقلال، حيث خاضت الدولتان ثلاث حروب شاملة، انتهت الأولى بتقسيم كشمير عام ١٩٤٩، ولم تفلح الثانية عام ١٩٦٥ في تغيير الوضع، في حين أسفرت الثالثة عام ١٩٧١ عن تقسيم باكستان نفسها إلى دولتين، وغدا تاريخ الجوار بينهما خطوطا متعرجة من الهدنة على حَذر أو حرب مشتعلة على خط الحدود الفاصل بينهما، أو اتهامات متبادلة بإثارة القلاقل والنزاعات العرقية والدينية داخل كل دولة.

وفي كل مرة تضرب إحدى الدولتين حوادث عنف تشير أصابع الاتهام مباشرة إلى الطرف الثاني، ففي تفجيرات مومباي الأولى ١٩٩٣ ورغم اعتقاد ساد أنه ربما يكون الفاعل جماعات الجريمة المنظمة أو جماعات هندوسية فإن الهند ركزت اتهامها في باكستان، وفي نهاية ٢٠٠١ كادت الدولتان أن تصلا إلى حافة الحرب حينما اتهمت نيودلهي إسلام أباد بالضلوع في الهجوم على مبنى برلمانها.

ثم كانت تفجيرات مومباي الثانية ٢٠٠٨ والتي وضعت الدولتين مجدداً على حافة حرب نووية علقت الهند على إثرها عملية السلام المعروفة باسم "الحوار الشامل" التي كانت قد بدأت في ٢٠٠٤، كما أجلت المباحثات الثنائية التي كان من المقرر عقدها في ديسمبر ٢٠٠٨ في باكستان، بل صرح مسؤولون هنود أن كل الخيارات مطروحة أمامهم في إشارة إلى الخيار العسكري.

ورغم محاولات تحسين العلاقات سواء عقب زيارة فاجباي لباكستان فبراير ١٩٩٩ أو بداية عملية السلام ٢٠٠٤ فإن هذه المحاولات دائما ما كان يقطع خطها حوادث العنف في أي من البلدين، إلا أن امتلاك الدولتين للقدرات النووية ١٩٩٨ جعل الصراع بينهما يدخل في إطار «المعادلات الصفرية» التي يخسر جميع أطرافها.

مَن الفاعل ومَن المستفيد؟

بالرغم من أن البحث في هوية المنفذين ربما يتجاوز طاقة هذا المقال فإنه يمكننا التأكيد على عدة نقاط:

أولا: أن معرفة هوية الفاعلين لن تتكشف تماماً إلا بعد أن تنتهي التحقيقات، ثانيا: أن المستوى العالي في التخطيط والتنفيذ الذي تمت به العملية يرجح أن يكون الفاعل تنظيما كبيرا وراءه دعم لوجستي ضخم وربما دولة، ثالثا: أن تأثير هذه العمليات سيتجاوز مساحته الداخلية، خاصة أن المنطقة برمتها تشهد صراعا دموياً ليس في وسع أي من المحللين التنبؤ بنهايته.

رابعاً: يمكننا رصد عدة فاعلين محتملين وهو يمثل أغلب المستفيدين من التفجيرات.

١- إن تنظيم القاعدة بالتعاون مع تنظيمات جهادية هندية هو المخطط والمنفذ، وفي هذا السياق نرى أن هناك علاقة وثيقة بين الحرب الدائرة في وزيرستان، وبين تفجيرات مومباي.

٢- جماعة عسكر طيبة التي تستهدف تحرير كشمير، ورغم نفي الجماعة مسؤوليتها عن الأحداث فإن الهند تصر على تحميلها المسؤولية.

٣- هناك احتمال أن يكون الفاعل منظمات هندوسية متطرفة عمدت إلى إطلاق اسم إسلامي وهمي «مجاهدي ديكان» واستهداف أميركيين وبريطانيين للإيحاء أنهم من تنظيم القاعدة.

٤- تشير بعض الاحتمالات إلى قيادات الاستخبارات العسكرية الباكستانية ولو بشكل فردي- والتي ترى أنه ليس من مصلحتها تقارب بلادهم مع الهند، وهم يعتبرون أن إضعاف الهند ودعم حركة طالبان يخدم الدور الإقليمي الباكستاني، ويساعد في المساومة بشأن قضية كشمير، أي هي محاولة لاستخدام «الورقة الدينية» في إدارة الشأن العام الداخلي وعلاقات باكستان الإقليمية، وخاصة مع الهند وأفغانستان.

٥- لا تستبعد بعض التكهنات رجال المافيا الهنود.

كشمير أهم محاور الصراع

ثمة اعتقاد سائد لدى العديد من المحللين الاستراتيجيين بأن كشمير هي مشكلة العلاقات الهندية الباكستانية حيث تحتل موقعاً إستراتيجياً بين وسط وجنوب آسيا لاشتراكها في الحدود مع أربع دول هي الهند وباكستان وأفغانستان والصين، ولما تمثله من أهمية إستراتيجية لدى الدولتين، فهي تشكل للهند عمقا أمنياً إستراتيجياً أمام الصين وباكستان، كما أنها امتداد جغرافي أمام فلسفة النظام الباكستاني القائمة على أسس دينية مما يهدد الأوضاع الداخلية في الهند ذات الأقلية المسلمة الكبيرة.

ولعل إدراك هذه الأهمية الإستراتيجية واضح لدى النخبة الهندية من أيام نهرو الذي أرسل إلى رئيس وزراء بريطانيا في ١٩٤٧: إن كشمير ترتبط من الناحية الشمالية بحدود مشتركة مع ثلاث دول هي أفغانستان والاتحاد السوفييتي والصين، وهو ما يجعلها أمرًا حيويًا لأمن الهند».

أما بالنسبة لباكستان فكشمير منطقة حيوية لأمنها القومي، نظرًا لأن الطريقين

الرئيسيين وشبكة السكة الحديد تجري محاذية لكشمير، ومن ثم فالاحتلال الهندي لكشمير يمثل تهديدًا مباشرًا لأمن باكستان، كما أن الأنهار الثلاثة الرئيسية المغذية للنظام الزراعي في باكستان تنبع من كشمير، وهو الأمر الذي يجعلها بالنسبة لباكستان خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه.

وبصرف النظر عن الأهمية الإستراتيجية للإقليم لدى الدولتين، فإن النظام الذي أقر استقلال الدولتين عام ١٩٤٧ قضى بأن تنضم الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان. ولكن الهند استولت على الإقليم بالقوة وعندما أقرت الأمم المتحدة بحق الإقليم في إجراء استفتاء يحدد مصيره اعترضت الهند ورفضت تنفيذ القرار.

لقد كانت كشمير سبباً في حربين من ثلاثة حروب بين الدولتين، وسباق تسلح انتهى بدخول الدولتين النادي النووي. وهذا الصراع يلقي بظلاله على الاستقرار الإقليمي في شبه القارة الهندية، وتتأثر به المنطقة العربية إجمالا، ليس فقط بسبب سياسات الاستقطاب الحاد، وإنما بسبب التداخل بين الدوائر الإقليمية.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر والولايات المتحدة تعمل على إعادة رسم الخرائط الإقليمية بما يتوافق مع مصالحها الإستراتيجية ولعل هذا مبعث اهتمامهما بقضية كشمير والصراع الهندي الباكستاني، ليس من أجل إيجاد حل عادل للقضية وإنما من أجل وضع حد للأزمة بين الدولتين، كما تخشى واشنطن أن تتحول كشمير إلى أفغانستان أخرى فتكون نقطة ارتكاز في الحرب على الولايات المتحدة.

الحرب النووية.. بين الممكن والمستحيل

منذ أن أدى سباق التسلح بين الدولتين إلى قيامهما بالتفجيرات النووية في مايو ١٩٩٨ أصبح كل نزاع بينهما مُهَدداً بحرب لا تبقي ولا تذر، حدث هذا في أواخر ٢٠٠١ وتكرر في تفجيرات مومباي الثانية نوفمبر ٢٠٠٨ التي وضعت الدولتين على حافة صراع غير تقليدي، فما إن حدثت التفجيرات حتى قال وزير الخارجية الهندي إن بلاده لديها عدة خيارات إن لم تتجاوب باكستان مع مطالبها، ورغم استبعاده شن هجوم عسكري علي باكستان، فإن رئيس الوزراء عقد اجتماعاً بقادة الأركان، وقادة الجيوش البرية والجوية والبحرية الذين عرضوا عليه سيناريوهات التهديدات العسكرية التقليدية وزيادة التدابير الأمنية «لمستوى الحرب»، وأوصت الهند رعاياها بعدم السفر إلى باكستان.

ورَدّت باكستان على لسان وزير خارجيتها: إن دولته تملك خيار الدفاع عن سلامتها وان جيشها متأهب لردع أي عدوان، وقال رئيس الأركان إن الجيش سوف يرد خلال دقائق على الهجمات الهندية، وألغيت إجازات الجنود وأعيد نشر القوات على الحدود مع الهند.

لكني أحسب أن حرباً نووية - أو حتى شاملة- بين الدولتين هي أمر مستبعد لعدة اعتبارات:

١- إن هناك تكافؤا وردعاً نووياً بين الدولتين، ولعل هذا ما جعل الهند تعلن أنها لن تكون البادئة باستخدام السلاح النووي، كما أكدت باكستان أنها لن تلجأ إلى الخيار النووي إلا كخيار أخير.

٢- هناك قوات أميركية في باكستان، لذا حذّرت أميركا الهند من اللجوء إلى الخيار النووي، بل حذرتها من شن حرب تقليدية واسعة النطاق، فالتوتر بين البلدين يقوض جدول أعمالها في السيطرة على المنطقة.

٣- ومن ثم فلن تترك واشنطن باكستان تولي وجهها شطر الهند وتتركها وحدها في مواجهة طالبان الأفغانية والباكستانية، وذلك هو ما هدّدت به باكستان من أن الصراع إذا نشب فستحول مجهودها الحربي إلى حدودها مع الهند بدلاً من التصدي للجماعات المسلحة التي تنشط داخل باكستان.

٤- تدرك باكستان أن استخدام السلاح النووي قد يؤدي إلى تعقيدات دولية حادة تؤثر على المستقبل السياسي للنظام الحاكم في باكستان، كما قد يتيح لإسرائيل الفرصة للاشتراك مع الهند في ضرب المفاعلات النووية الباكستانية.

٦- كثير من المحللين يرون أنه لا يمكن لأي من البلدين تحمل كلفة مواجهة شاملة وأن لغة التصعيد كانت لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية، ومن ثم فإن خيار الحرب مستبعد لأن النخبة الحاكمة في الدولتين لا تريد أن تخوض غمار حرب، فالهند على أعتاب انتخابات تشريعية وسباق بين الحمائم والصقور مازال مستمراً، كما أن باكستان خارجة تواً من تغيير في رأس السلطة الحاكمة وما زالت أزمتها السياسية مستمرة.

ولعل تلك الاعتبارات هي ما تفسر اتجاه الخطاب السياسي في الدولتين إلى شيء من المرونة والذي بدوره يشير إلى استيعاب الطرفين للمتغيرات التي طرأت على هيكل النظام الدولي والتي تؤثر بالتبعية في إدارة القضايا الخلافية بين القطبين النوويين، لذلك فإن المتوقع هو هدوء العاصفة وتعاون البلدين في إنهاء الأزمة.

وإذا كان ما سبق هو حكم موازين القوى على الأرض فأنه ينبغي التأكيد أن الحرب إذا نشبت فلن تكون مجرد معركة تستغرق عدة ساعات أو بضعة أيام، إنما ستستمر بقوة دفع ثلاثية لدى كل طرف من: قوة العقيدة القتالية وكثافة البشر وتقدم السلاح.



الخطاب السياسي للدولتين يتجه إلى المرونة لاستيعاب المتغيرات التي طرأت على هيكل النظام العالمي

دورنا الدعوي في الأزمة الاقتصادية

الداعية إلى الله - عز وجل - يشارك في أدوار مختلفة في الحياة، فهو الأب والمربي الحكيم لأهله وأبنائه، وهو الابن البار لوالديه، وهوالأخ الصادق الوفي لإخوانه واخواته، وهو الداعية المتفائل المستبشر برحمة الله في حالات اليأس والاحباط التي تصيب الناس، وهو كذلك الداعية الواعي لما يحدث في المجتمع من تداعيات في جميع مجالات الحياة، فهو دائما يتأمل ويفكر في كيفية الاستفادة من تلك الأحداث في تقريب الناس إلى الله ونشر أخلاق الإسلام بمفهومه الشمولي، وبما انني قريب من القطاع الخاص ومجال شركات الاستثمار والأحداث الساخنة حول الأزمة الاقتصادية وتداعياتها وأثرها الاقتصادي والاجتماعي على أفراد المجتمع، أجد أن العلماء والدعاة الى الله والمؤسسات الدعوية والعلمية وأصحاب التوجه الإسلامي في البرلمان وغيرهم ممن يستطيع أن يكون له أثر ايجابي في حل الأزمة وتفريج كربات الأمة الإسلامية مطلوب منهم المساهمة بشكل رئيس في حل مثل تلك الأزمات وآثارها على مستوى مجالات عدة منها:


عمر المطوع

الاجتماعي

يجب على الداعية أن يسعى في قضاء حوائج الناس وتفديج كرباتهم والوقوف معهم وتذكيرهم بالله عز وجل، وتذكيرهم بمعاني الصبر والتوكل والرضا والثبات، فقد رأينا الكثير من الناس البسطاء متضررين من الأزمة الاقتصادية وانهيار أسواق المال، فمنهم من خسر كل ما يملك والثاني عليه دين لو أنفق عمره كله لم يستطع سداده، والثالث أعفي من وظيفته بسبب تقليص المصاريف، وهكذا سوف تجد الكثيرين ممن تضرر بهذه الأزمة الاقتصادية، فلنكن قريبين من واقع الناس، نشد أزرهم ونواسي آلامهم ونشير عليهم بالرأي السديد في حال طلبهم النصح والمشورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (رواه مسلم)، وما أعظم أن تقوم المؤسسات الدعوية بعمل دروس عامة تركز فيها على الجوانب الإيمانية وربطها بالواقع الذي يعيشه الناس في الأزمة المالية، فلتلك المواعظ والدروس اثر كبير في ثبات الناس على الحق والرجوع الى الله، يقول سفيان الثوري رحمه الله «ليس للشيطان سلاح للإنسان مثل خوف الفقر، فإذا وقع في قلب الإنسان منع الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء».

العلمي والشرعي

لا بد ان ينبري اخواننا الدعاة المهنيون في عالم المال والاستثمار ليكونوا صفاً واحدا مع العلماء والمراقبين الشرعيين المختصين بالمعاملات المالية، للقيام بتحضير بحوث عدة وتقارير متخصصة في تداعيات الأزمة المالية ووسائل علاجها، فيقومون بعقد الملتقيات والندوات التي تناقش الموضوع بنظرة واقعية وموضوعية بعيدا عن النظرة البسيطة التي يتم التركيز فيها فقط على الربا، فآثار الربا مدمرة سواء في حال الأزمة الاقتصادية أو النهضة الاقتصادية، وهذا ما نؤمن به وندعو اليه، وسوف يجد اخواننا الدعاة الكثير من المؤسسات المالية التي ترحب برعاية مثل هذه الملتقيات، وهناك الكثير من المختصين أصحاب التوجه الإسلامي قد كتبوا في ذلك، فياحبذا لو تجمع الجهود حتى يعم نفعها، فاصدار مثل تلك التقارير وعقد مثل تلك الملتقيات التخصصية سيؤدي







الأزمة الحقيقية أن يسلب الدين والإيمان بعرض من أعراض الدنيا

إلى وجود دور واضح وجلي ذي طبيعة تتوافق مع احكام الدين الإسلامي في محتوى القرارات التي سيتم تطبيقها من قبل الجهات التنفيذية في الدولة.

الشركات الإسلامية

من باب النصح الذي امرنا به شرعاً أن نذكر إخواننا أصحاب القرار في الشركات التي تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية بأن المسؤولية العظيمة في إظهار الصورة المشرفة للاقتصاد الاسلامي لانتشال الناس من الآثار المدمرة للربا، فعليهم أن يتوقفوا ويدققوا التأمل في حصيلة التجربة المالية الإسلامية ومدى تأثيرها في الأزمة الحالية، وهل مؤسساتنا المالية تستطيع أن تساهم في ايجاد مجتمع ذي طبيعة انتاجية يساهم في بناء الاقتصاد؟ أم أنها تشجع النمط الاستهلاكي لافراد المجتمع؟، وهل الأدوات المالية التي يتم استخدامها تساهم في بناء اقتصاد متكامل يساعد في تنمية البلاد في شتى قطاعات الحياة؟ وماذا عن بعض الأدوات التي تشوبها شبهة الربا مثل «التورق» الذي أصبح منظما بشكل مخيف وكذلك «التكييش».

إن علينا أن نراجع انفسنا وألا نتوسع بما لا تتحمله قدراتنا وامكاناتنا، فنؤسس في كل مجال شركة بهدف تحصيل رسوم الاكتتاب حتى يظهر الربح في ميزانية الشركة الأم، أو نقيّم الأصول بأكبر من أسعارها ونسجل أرباحا غير محققة بهدف تجميل الميزانيات وقبض المكافآت، إن علينا ان نتوقف ونقيّم تعاملنا مع الآخرين، علينا أن نقف، نراجع، نقيّم، نصحح، ثم ننطلق من جديد، فكما تقول الحكمة «ليس من العيب أن تخطئ .. ولكن كل العيب ان تتمادى في الخطأ».

السياسي والنقابي

لابد من المسارعة في تشريع قوانين تحافظ على استقرار الاقتصاد ولا تكافئ أصحاب الادارات السيئة للقطاع الخاص والمتنفعين، وأن نفكر في مشاريع البنية التحتية وضرورتها وكيفية بناء المواطن المنتج، علينا ان نشرع قوانين تضمن جودة الادارات التنفيذية للشركات، فلقد جمعت أموال المساهمين من قبل بعض الادارات السيئة واستثمرت في نشاطات ذات مخاطر عالية، فلنفكر في المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة، ولنشجع كل مشروع مدروس وحكيم يساهم في حل الأزمة الاقتصادية ولو كان من غير توجهاتنا.

أخيراً فإن الأزمة الحقيقية والهلاك المروع هو أن يسلب منك الدين والإيمان بعرض من أعراض الدنيا، فقد قال النبي ﷺ «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» (رواه مسلم).



التاريخ الإسلامي .. عجائبه ونجائبه

حين نتحدث عن التاريخ الإسلامي وبطولاته وتضحياته لا نعني ولا نحدد ذلك بنسب أو جنس أو بيئة أو أي عامل طرأ عليه، إنما فقط نعني ما صنعه هذا الدين الذي أنزله الله تعالى، منة منه ونعمة، كما لا نعني أفراداً قاموا بذلك فعلوه بأشخاصهم، وإنما كان ذلك بالإسلام وحده، أقبلوا عليه وأخلصوا له وضحوا لأجله، ولولاه لم يكونوا شيئا ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء- 10) (1)، به تميزوا وتحضروا وسادوا وقادوا، وإلا فما الذي كان لديهم يعطونه ويقدمونه للآخرين، وهو ما عبر عنه ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس في القادسية، وقارن بين حالهم قبل الإسلام وبعده وفي كل الميادين الانسانية والحضارية والاجتماعية، فتغير المجتمع كله وارتقى وأقام الحياة الكريمة الفاضلة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (آل عمران- 103) (2).



د.عبدالرحمن الحجي

ويحدثنا التاريخ عن ذلك المجتمع الذي تحرر من أثقاله وأدرانه وقام بانياً فارعاً، ارتقى قمم الحياة الإنسانية الفاضلة التي ما كانت تخطر على بال أو تَمُرُّ على ذاكرة، لكنها كانت بالإسلام واقعاً متحركاً مأموناً على الدوام، وقامت في مجتمعه المعاني الإنسانية الغائبة وعاشت تموج بها الحياة في نوع من البشر جديد، إنسانية واستقامة وأمانة، كما هي علماً وإنتاجا وشجاعة، عَرفت بهم الحياةُ لأول مرة الإنسانيةَ والعدالة الحقة والمحبة، وتغير بذلك الإنسان والحياة وفرحت بهم وانتشت البيئة والمكان، بل والحيوان، ورأت من ورائهم الحياة الإنسانية الفاضلة والحضارة الكريمة والفروسية الخَلوق، ولادتها الجديدة السليمة السالمة الأبية الطهور، فأحدثت في الحياة عجباً لا يُصَدَّق لولا أنها مرئية متكررة متوهجة، فغدت الأرض غير الأرض عندما أشرقت بنورها وازّينت وأنبتت من كل زوج بهيج، فاستدار الزمان وعاد كما أراده الله يوم خلق السموات والأرض.

والحديث عن رقي المجتمع المسلم يتجاوز المباني العمرانية والإنجازات المادية، بل حتى أحياناً النِّتاجات العلمية إلى رقي ذلك المجتمع في نوعيته وسلوكه وأخلاقياته، فما كان يمكن أن تُبنى تلك الصروح العالية والعجائب لولاه، وتأتي معانيه واضحة في سلوكه، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل، وبذلك ارتقوا من السفوح الهابطة إلى القمم السامقة، فكانوا مثالاً فريداً، تشهد ذلك من خلال سلوكه وفعاله وتعاملاته.

هل يمكن أن نجد في التاريخ أمةً، أطفالها ونساؤها وشيوخها فضلاً عن رجالها، يهرعون باحثين عن طرق- مهما كانت شاقة- يخدمون بها هذا الدين تقرباً إلى الله تعالى وعلى منهجه، حتى لو كان في ذلك تقديم نفوسهم رخيصة له.

والكلام عن المجتمع المسلم الذي رباه الإسلام باعتباره هو الذي يسوس أمورهم ويوجه حياتهم ويأخذ المسلم نفسه بمنهجه إيماناً واحتسابا، يفعله مقبلاً غير مدبر، مهما كانت التضحيات إلى مستوى اعتبر من العجائب الفريدة، وقدم نجائب الأحداث وعجائبها وكرائمها وبشائرها الندية التي أضاءت الحياة وارتقت بها إلى الفضائل.

والتاريخ الإسلامي مليء بهذه الصور التي زينته، تجدها مطمورة تحت أنقاض الشبهات والزيوف والتحريف، التي لم تدع جانباً منه إلا هوت بفضائله وأضاعت مذاقه وأذابت قوة بيانه ومدلولاته وجمالاته، فكم من صورة باهرة- عُرضت بشكل باهت أو جائر حائر- جعلته مثيراً للرثاء، إن لم يكن للازدراء، وهو في حقيقته يحمل الضياء الذي لو عرفه أهله بل حتى غير أهله، لأعجبوا به وانجذبوا إليه، وهذا الغبش والعبث قد أحاط بالتاريخ الإسلامي في عمومه أفراداً وجماعات ومجتمعاً، وهم الذين قدموا غالي التضحيات لبناء ذلك المجتمع الكريم، نساءً ورجالاً، شباباً وأطفالاً. فهذه عفراء وموقفها- مع أولادها الثلاثة- في غزوة بدر (٣) (١٧ رمضان، ٢هـ).

وهذه أم سعد بن معاذ سيد الأوس حين تأخر ابنها قليلا عن الالتحاق بغزوة الخندق خرجت تحثه قائلة له: لقد تأخرت يا سعد. ولما انتهى من استعداده خرج يهرول وهو يرتجز (٤):

لَبِّثْ قليلاً يَشْهَد الهيجا حَمَلْ
لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

وانظر إلى سَواد بن غَزِيّة وما فعله في بدر

● أستاذ التاريخ الأندلسي



الإســـلام يـصـنـع الحـيــاة الـفـاضـلـة بـتـربـيـة أهـلـه عـلـى الـعـظـائـم الخـيـرة والـكـرائـم الـنـيـرة والمحـامـد الـفـاضـلـة

وهو متقدم في الصف فأشار إليه رسول الله ﷺ «استوِ يا سواد» فقال «يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني» ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه الشريفة وقال اسْتَقِدْ، فما كان من سَواد إلا أن اعتنقه فقبل بطنه فقال «ما حملك على هذا يا سواد» قال» يا رسول الله حضر ما ترى فأردتُ أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير (٥).

ومن الأسف أن هذه الصيغ الفريدة تم تجاوزها من قبل الأعداء وإهمالها، بل جرحوها وفتكوا بها وقلبوا صورتها، وكلما كانت صفحاتها أكثر بياضاً زادت عليها السهام وكثرت جروحها واتسعت الهوة بينها وبين حقيقتها الرائعة، من أمثال يوم السقيفة وحروب الردة والفتوحات، ويقدم التاريخ الإسلامي بغير حقائقه مما يجعله مبتورا عن طبيعته بعيدا عن أصالته غريباً عن منبته.

أما عجائب هذا التاريخ في صناعة الحياة الإنسانية فهي بعيدة عن التناول في أغلب الأوقات، وهو في حقيقته مليء بالعجائب والنجائب حين يُعرض محققاً مدققاً متحرياً، فالإسلام الذي ربى أتباعه على معانيه ومنهجه الرباني أنتج مجتمعاً- أفراداً وجماعات نساءً ورجالاً وأطفالاً- ملأ الحياة الإنسانية في ذاته وفيما حوله، صيغاً نشرت شذاها في الآفاق وتمنى العيش فيها حتى غير المسلمين، بل إن ذلك كان المفتاح لقلوبهم كي يُقبلوا على هذا الدين فدخلوه أفواجاً.

كيف لإنسان مثخن بالجراح يبقى مستمرا في القتال كأنه لا يحس بالألم، فهذا أنس بن النضر يطلب الموت في سبيل الله (وهو عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ وبه سُمِّي)، قاتل حتى قُتل فوجدوا به فوق ٧٠ ضربة، فيقول أنس ابن أخيه عنه «لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ في معركة أحد فوق ٧٠ ضربة فما عَرَفَتْه إلا أختُه من بَنانه» (٦).

وهذه من العجائب والنجائب وقصص الكرائم وأحاديث المحامد التي صنعها المسلمون بهذا الدين وحده، وهكذا كان المسلمون جميعاً، فلو قرأت عن أي من الصحابة الكرام والتابعين ومن بعدهم أمثالهم من تلك الأجيال ممن أقبلوا على دين الله بحب عميق وتوجهوا بإخلاص عديم النظير في القيام بواجبهم لرأيت العجب، وحين تنظر في حياة أحدهم ترى هذه النوادر مسطورة مشعة تنير الحياة وتعطرها بعبق الحضارة الإنسانية ونضارتها البارة، فاستحقوا بذلك كل وصف فاضل كريم (٧).

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

شم الأنوف من الطراز الأولا

وكذلك ما كان من آخرين مثل سعد بن الربيع في معركة أحد وغيرهم كثير وكثير، انطلاقاً من النبع ذاته والقيام بتلك المعاني التي قدمت تلك الصيغ بمنهج الله تعالى، إيمانا واحتساباً، وهذه الصيغ وأمثالُها مليئة بها صفحات التاريخ الإسلامي في كل العصور، كلما كان الالتزام بهذا الدين. وكان العلماء في ذلك قدوة.

وبالإسلام وحدَه يمكن صناعة الحياة الفاضلة، ترى ذلك من خلال صفحات تاريخه المدون الموثق، في صور تربيته لأهله على العظائم الخيِّرة والكرائم النيِّرة والمحامد الفاضلة، فيه وحده يصنع الإنسان ما لا يمكن صناعته من قِبَل أي أحد أو يبلغه أو يرتقيه مهما حاول أو أراد وهو لا يعرفه إلا بهذا الدين الذي يأتي بالعجائب والنجائب في كل اتجاه وفي كل ميدان وفي أي أثر.

وفي الختام نتعرف على قصة عُمَيْر بن الحمام الأنصاري شهيد معركة بدر، وكان يستعد للمعركة وبيده تمرات يأكلها مستعيناً بها يتقوى على القتال، فما إن سمع رسول الله ﷺ يقول: "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة" فرمى بقية تمراته وهو يقول: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فكان أول شهيد أو من أوائلهم، وكان ينشد (٨):

ركضاً إلى الله بغير زادِ
إلا التقى وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجهاد
وكل زادٍ عرضة النفادِ
غير التقى والبر والرشادِ

الهوامش

١ - انظر تفسيرها: في ظلال القرآن، ٤/٢٣٦٩.
٢ - انظر تفسيرها: في ظلال القرآن، ١/٤٤٣.
٣ - سيرة ابن هشام، ١/٧٠٢. واستشهد منهم اثنان (عوف و مُعَوِّذ)، سيرة ابن هشام، ١/٧٠٨. (والعفراء: الأرض البيضاء لم توطأ، وكذلك: اليلة الثالثة عشرة من كل شهر). ونسبها في سيرة ابن هشام، ١/٤٢٩، ٧٠٢، ٧٠٨.
٤ - انظر السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، ٢٢١.
٥- سيرة ابن هشام ١/٦٢٦.
٦ - سيرة ابن هشام ٢/٨٣، ١٢٤، ١٢٥.
٧ - من قصيدة لحسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ.
٨ - نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، وبعدها.

التغيير

التغيير كلمة لها مدلول كبير، طالب به الجميع، ولم يمارسه بذكاء إلا نفر قليل، إنها كلمة مدوية، عشقها العلماء، وهام بها الجهابذة العظماء، ولم يفر منها إلا الحمقى والجهلاء، الذين رضوا بالدون، واستمرأوا الذل والهوان، وقبلوا أن يسطروا على هامش التأثير وفي ذيل القافلة.

لقد أثبت التاريخ أن الإنسان لا يمكن له أن يقيم حضارة أو يصنع مستقبلاً ما لم يغير من نفسه ابتداء، ثم يسير جاداً في طريق التغيير حتى يغير مَنْ وما حوله، وعندها سيجني الشهد، وإن لم يفعل ذلك فما له غير العلقم والحنظل.

يقول الله تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

إن عمر بن عبدالعزيز غيّر فأحسن التغيير، إذ بنى دولة إسلامية لم يشهد التاريخ من بعدها لها مثيلاً، فأمن الناس على أنفسهم وأهليهم وأعراضهم وأموالهم، وعزوا فلم يجرؤ أحد على إذلالهم، وفاض المال حتى لم يجدوا من يأخذه، وكل ذلك في سنتين لا غير!

وقد فر عبدالرحمن الداخل من الشام بعد سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسيين، فلم يرضه ما آل إليه أمره، فأبى إلا التغيير، فكانت العاقبة أن شيد له ملكاً في قعر بلاد النصارى، وأقام حضارة إسلامية دامت قروناً طويلة، أخرج الله بها الغرب من ظلمات جهلهم إلى علم سادوا اليوم به الدنيا.

وهرب الطفل الرضيع، صلاح الدين الأيوبي، مع أبيه وعمه وجميع أهله فاراً من القتل المحتم، وكاد والده أن يفتك به لما جاع فصاح وأوشك أن يكشف أمرهم في جنح الليل، لولا قدر الله عز وجل الذي حماه بيد عمه الذي أدخله صندوقاً فأسكته. ثم تمر سنوات ليست طويلة في عمر الأمم، وإذ بهذا الطفل الطريد يدخل بيت المقدس، فيكسر الصليب، ويرفع راية التوحيد، ويحدث تغييراً عجز أكثر من ألف مليون مسلم أن يحدثوه اليوم!

وفي عالم الإدارة والسياسة والمال حوادث كثيرة، ونجاحات عديدة، لم تكن لتكون لولا أن أصحابها برموا من واقعهم وصمموا على التغيير.

فالرئيس الفرنسي جاك شيراك لما انتخب رئيساً لفرنسا وزار الولايات المتحدة الأميركية تحدث في مؤتمره الصحافي عن الفترة التي أمضاها في شبابه في الولايات المتحدة الأميركية فقال: منذ أربعين سنة كنت أعمل في مطعم هوارد جونسون، ولم أتخيل أبداً أنني في يوم من الأيام سأقف في البيت الأبيض إلى جانب رئيس الولايات المتحدة في مؤتمر صحافي.

وهذا مانديلا عاش ثمانية وعشرين عاماً في سجن جنوب إفريقيا، وكان يقود التغيير ويؤججه وهو في سجنه، حتى أخرجه حاكم جنوب إفريقيا مرغماً من سجنه، وأصبح حاكمًا لجنوب إفريقيا عدة سنوات، بينما أصبح الحاكم السابق في طي النسيان، فيا للعجب!

والمرأة الحديدية تاتشر كانت بائعة مغمورة في أحد المحلات التجارية، وإذ بها بعد ذلك تصبح رئيسة لوزراء بريطانيا. فما الذي صنعت حتى أصبحت كذلك؟ أهو الجمود والتقاعس؟ أم التغيير والمبادرة والتصميم؟

وماليزيا مثل متميز في التغيير، حيث صممت أن تصبح دولة صناعية خلال عشر سنين (١٩٨٦ - ١٩٩٥)، فغيرت من شأنها تغييراً شاملاً، واستطاعت أن تصبح كما أرادت في المدة التي رسمتها لنفسها. بل إن معدل النمو في ماليزيا اليوم يعدّ من أعلى معدلات النمو في العالم.

وشركة (American on line) دخلت البورصة في شهر مارس ١٩٩٢، وكان سعر السهم فيها ثمانية دولارات، وبعد ثلاث سنوات فقط ارتفع سعر السهم إلى تسعين دولاراً!


د.علي الحمادي

بل إن بعض الشركات حققت في السنوات الأخيرة الماضية أرباحاً مقدارها ١٥٠٠في المائة ومنها شركة (Global Link)، وهي شركة للترجمة، حيث تقوم بالترجمة إلى ست لغات هي: الإنجليزية، الروسية، الفرنسية، الألمانية، الأسبانية، والإيطالية. صاحب هذه الشركة كان يعمل رئيساً للترجمة في جهاز المخابرات الأميركية لمدة ثلاثين سنة، وعندما تقاعد أسس هذه الشركة المتميزة، والذي غيّر فيها أسلوب الترجمة العادي إلى الترجمة بالحاسب الآلي، حيث يتم تصوير ما يراد ترجمته بواسطة (Scanner)، ثم يقوم الحاسب الآلي بترجمة ثلاثين ألف كلمة في الساعة الواحدة!، لذلك حققت هذه الشركة أرباحاً كبيرة جداً.

نعم، إنه التصميم على تغيير الواقع والسعي إلى ذلك، وقد سئل أحد الزنوج الأميركيين، وكان مليونيراً، فقيل له: كيف أصبحت مليونيراً؟ فقال: بأمرين، ومن فعلهما فسيصبح مثلي، فقيل له: ما هما؟ فقال: الأمر الأول أنني قررت أن أصبح مليونيراً، والأمر الثاني أنني حاولت أن أصبح مليونيراً!

إن العملية التغييرية عملية ذكية، إذ لم تعد مسألة خاضعة للمزاج، بل هي ضرورية للبقاء والمواصلة والتفوق والنجاح، فمن لا يتقدم يتقادم، ومن لا يغيّر بذكاء يفشل ويندم، ونجاح الأمس لا يعني نجاح الغد، وعلى المرء أن يقرر التغيير، بعد أن يتوكل على الله تعالى ويستعين به، ثم يبدأ ولا يتأخر.

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

شهد العالم في القرن الماضي ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب بشكل ملحوظ وخاصة من قبل النخبة والصفوة وقادة الرأي العام والعلماء والفلاسفة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يعتنق الكثير من مفكري الغرب ومثقفيهم على اختلاف توجهاتهم الاسلام؟ هذا ما سنعرفه من خلال سلسلة روائع سير المهتدين التي ترويها لكم «الوعي الاسلامي» بألسنة أناس سعوا إلى الهداية والسعادة، أناس يرون أن الإسلام دين العقل والمنطق والحرية والرحمة والإحسان للإنسانية جمعاء.

قصة إسلام الملك الإنجليزي جون لاكلاند بن هنري الثاني

-ظهور أول وثيقة لحقوق الإنسان (الماكناكارتا)-

علاء الدين المدرس

لقد كشف الباحثون والعلماء أخيراً أن أول صحيفة لحقوق الإنسان، التي كتبت في انجلترا في عصر الملك جون لاكلاند، وهي وثيقة «الماكناكارتا»، في سنة ١٢١٥م، كانت بنودها مستقاة ومستنبطة من القرآن بشكل مباشر، كما كشف الباحثون أن الملك جون الذي صدرت في زمنه أول وثيقة لحقوق الإنسان، كان حاكماً عادلاً ورشيداً على عكس ما أشيع عنه خلال القرون التي تلت عصره، والملك جون هو أخو القائد الانجليزي ريتشارد قلب الأسد إبّان الحملات الصليبية المعروفة على بلاد الشام في عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي، في القرن الثالث عشر الميلادي.

وتشير الوثائق إلى أن الملك جون كان قد قرأ القرآن وتأثر به، وحاول اعتناق الإسلام سراً، ويذكر الباحثون أن هذا الملك قد طلب من السلطان محمد الناصر ملك المغرب والأندلس وإفريقيا في ذلك العصر، أن يتحالف معه ضد خصومه في أوروبا، كما أبدا رغبة شديدة في دراسة الإسلام والتعرّف عليه عن كثب، لكي يعتنق دين محمد ﷺ ويعلن إسلامه في الوقت المناسب.

وكان قد أرسل وفداً مكوناً من ثلاثة أشخاص إلى قصر السلطان الناصر لهذا الغرض، ولكن خطة الملك جون ورغبته الصادقة في التقرب إلى السلطان الإسلامي وتأثره بالقرآن وتعاليمه، كانت قد كشفت وأجهضت من قبل خصومه، وكان من أبرز أسباب هذا التوجه السياسي لدى الملك جون، التآمر الصليبي الأوروبي المستمر على حكمه، وربما كان من بين الأسباب التي أدت إلى فشل خطته، الدور المشبوه الذي قام به أحد أعضاء الوفد الذي أرسله إلى السلطان العربي، إذ كان متعاوناً مع خصومه ومناوئاً لحكمه، وقد استطاع هذا الشخص أن يشكك في نوايا الملك جون أمام السلطان محمد الناصر، وتمكن من أن يدقّ «إسفيناً» من الشك والريبة بين السلطان المسلم والملك الانجليزي، فأدى ذلك بطبيعة الحال إلى رفض طلب الملك جون، للتحالف بين بريطانيا والأندلس، ضد المحور الصليبي في ايطاليا وفرنسا وأسبانيا، والمتحالف مع الكنيسة والتيار اللاهوتي المتعصب آنذاك، وقد أدت جهود خصوم الملك جون إلى ارتياب السلطان المسلم في نوايا الملك، وفي رغبته باعتناق الإسلام، فاتهمه بالحماقة وقصر النظر وعدم الجدية في مشروع التحالف الذي عرض عليه، ما أدى إلى عودة الوفد إلى انجلترا، دون أن ينجح في إبرام أي اتفاق مع الدولة الإسلامية القوية والمتحضرة آنذاك، ومن ثم محاصرة الملك جون ومحاربته وتشديد الطوق عليه من قبل الكنيسة والدول الأوروبية المتحالفة معها، مما أدى في نهاية المطاف إلى عزله واتهامه بالظلم والفساد، ثم الجنون والهرطقة، وأخيراً إعدامه.

الجدير بالذكر أن الملك الجديد ريتشارد والدول المتحالفة معه، كانت قد استعانت برموز الإقطاع وكبار الملاك والتجار الاحتكاريين في انجلترا، لمحاصرة الملك جون والانقضاض عليه وإسقاط حكمه، وكان من أبرزهم الأمير الإقطاعي روبن هود، والذي كان صديقاً للملك ريتشارد.

ولقد تم – مع الأسف- تزييف التاريخ وتفاصيل الأحداث المهمة المتعلقة بعصر الملك جون وخفاياه، لاسيما ما يتعلق بعدالة حكمه وتأثره بالإسلام، ومعارضته للحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، وصدور أول وثيقة لحقوق الإنسان في عهده، حتى شهدنا أن التاريخ المزيف قد قلب الحقائق، فخلّد الأمير روبن هود، وجعله بطلاً أسطورياً، ونصيراً للفقراء والمساكين، ومدافعاً عن الحق الإلهي الذي نادت به الكنيسة، وجعله من أبرز الأمراء الوطنيين الذين حاربوا الملك المستبد المارق والخارج على تعاليم الكنيسة! حتى اشتهر روبن هود في السينما الأوروبية بطلاً أسطورياً، وأطلق عليه زوراً لقب نصير الفقراء والمستضعفين.

ورغم إعدام الملك جون واتهامه بالظلم والاستبداد والجنون، وتعرض سيرته وعهده للتشويه والتزييف التاريخي، إلا أن وثيقة الماكناكارتا الشهيرة، تشير إلى عدالة حكمه، وتثبت ظلم واستبداد خصومه، كما تشير هذه الوثيقة إشارة قاطعة، إلى مدى تأثر أوروبا العصور الوسطى والملك جون ووثيقته، بالقرآن الكريم وتعاليمه الراقية.



من تراث الوعي

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

حاجتنا إلى الإيمان

الشيخ يوسف القرضاوي (العدد التاسع والعشرون - غرة جمادى الأولى 1387 هـ - 7 أغسطس 1967م)

إن قضية الإيمان ليست امرا على هامش الوجود، يجوز لنا ان نغفله أو نستخف به، أو ندعه في زوايا النسيان، كيف وهي أمر يتعلق بوجود الإنسان ومصيره؟ وانها سعادة الأبد أو شقوته، إنها لجنة ابدا، أو لنار ابدا.. فكان لزاما على كل ذي عقل ان يفكر فيها ويطمئن إلى حقيقتها.

وقد فكر الكثيرون من اولي الالباب، وانتهى كل منهم إلى اثبات العقيدة في الله بطريقه الخاص، فمنهم من استند إلى صوت الفطرة في اعماقه ﴿أفي الله شك فاطر السموات والارض؟﴾ (إبراهيم:١٠) ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ (الروم:٣٠)، ومنهم من اعتمد على مبدأ «السببية» الذي يقرر ان كل صنعة لا بد لها من صانع، وكل حادث لا بد له من محدث، وكل حركة لا بد لها من محرك، وكل نظام لا بد له ان يكون وراءه منظم، وهذا المبدأ ثابت الاوليات البديهية في العقول.

ومنهم من ناقش المسألة مناقشة حسابية رياضية، فانتهى إلى ان الاضمن والآمن لحياته وما بعد حياته ان يؤمن بالله وبالآخرة والبعث والجزاء، وفي مثل هذا يقول الشاعر الفيلسوف ابوالعلاء المعري:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تبعث الاموات، قلت: اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما.

ونحن نقول - تنزلا مع هذا المنطق: ان الذي يؤمن بالله والدار الآخرة، لا يخاطر بدنياه الفانية ليربح آخرته الباقية، كلا انه بإيمانه يربح الحياتين معا، ويفوز بالحسنيين في الدنيا والآخرة جميعا، ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾(النساء:١٣٤)، ﴿ولدار الآخرة خير﴾(يوسف: ١٠٩).

إن العبادات التي فرضها الدين إنما هي وسائل لتزكية نفس المؤمن، وترقية روحه، ما أقل ما يبذل فيها من جهد، إلى جنب ما يكسب وراءها من خير.

وإن المحرمات التي حظرها عليه الدين، انما صان بتحريمها عقله وخلقه، ونفسه وماله، وعرضه ونسله، فهو إنما ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف:١٥٧).

والدين اذا حرم على الناس شيئا عوضهم ما هو خير منه، مما لا يشتمل على مفسدة الشيء المحرم.

إن المؤمن لم يخسر شيئا بعبادته لله سبحانه، واتقائه ما حرم الله عليه، وإنما ربح الهدى والاستقامة على الحق، والثبات على الخير، والاستعلاء على الشهوات، وربح بعد ذلك هدوء النفس، وطمأنينة الحياة.

وفي عصرنا هذا أصبح الناس يجرون وراء المنفعة لاهثين، حتى إن كثيرا منهم ليرون الحق فيما ينفعهم، لا فيما يطابق الواقع، أو ما تقوم البراهين على صحته.

وقد قام مذهب برأسه ينادي بأن المنفعة مقياس الحقيقة، ويصر على أن المهم من كل شيء هو نتائجه، وما يترتب عليه من آثار في حياتنا العملية، وعلى أن الصدق ليس هو مطابقة الخير للواقع، بل انسجامه مع ما سيقع، وهكذا، فكل شيء يحكم عليه بما يتبعه من نتائج، فإن كانت هذه النتائج متناسبة مع اغراضنا ومع



ما نريد من مقدماتها كانت خيرا وصدقا وحقا، وأن كانت غير ذلك كانت شرا وكذبا وباطلا، ولا يوصف الفعل بحسن ولا قبح ولا يوصف القول بالصدق والكذب، حتى تعرف ثمرته.

هذا هو مذهب البراجماتزم، او مذهب المنفعة، الذي يدعو اليه «وليم جيمس» وغيره.

ونحن لا نخشى هذا المذهب على عقيدتنا- وان كنا لا نوافق عليه في الجملة - فاننا نوقن ان أنفع شيء للناس هو الحق، وأضر شيء بالناس هو الباطل، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للحق بالماء السائل، والمعدن النافع، وللباطل بالزبد الرابي على وجه الماء حين يسيل به الوادي، أو بالرغوة المنتفخة على وجه المعدن، حين يوقد عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع، ثم قال تعالى معقبا على هذا التمثيل ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب

جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الامثال﴾ (الرعد:١٧).
والذي يمكث في الارض هو «الحق»، وهو الذي عبر عنه القرآن بـ«ما ينفع الناس» لانه ينفعهم ماديا ومعنويا، ينفعهم اجساما وعقولا وقلوبا، وينفعهم افرادا وجماعات، وينفعهم دنيا وآخرة.
نحن لا نقصر المنفعة على الحياة العاجلة هنا، بل نضع في حسابنا دائما الحياة الآخرة، حياة الخلود التي أعدت للإنسان، وأعد لها الإنسان.
أجل، لو أننا احتكمنا إلى مقياس المنفعة وحدها، ورضينا منطق الذين لا يعتقدون فكرة إلا المصلحة، لوجدنا الدين - مع هذا - ثقيل الميزان، مبين السلطان.
فقد اثبت التاريخ والاستقراء لحياة البشر ان الدين ضرورة لا غنى عنها.. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك.
والفرد بغير دين ولا إيمان، ريشة في مهب الريح، لا تستقر على وضع ولا تثبت على حال، إنسان ليس له قيمة ولا جذور ولا اعماق، إنسان حائر قلق، لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سر وجوده، لا يدري من جاء به إلى هذه الحياة ولا لماذا جيء به إليها.
والمجتمع بغير دين ولا إيمان مجتمع غابة - وإن لمعت فيه بوارق الحضارة - الحياة والبقاء فيه للأشد والأقوى، لا للأفضل ولا للأبقى.. مجتمع تعاسة وشقاء، وإن زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم، مجتمع تافه رخيص لان غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون، والفروج، فهم ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ (محمد:١٢).

ماذا حقق التقدم المادي

و«العلم» المادي - وان امتد رواقه، وانفسحت ميادينه - ليس بمستطيع ان يحقق الطمأنينة والسعادة للناس، لان العلم انما يرقى بالجانب المادي للحياة، فيختصر الشقة البعيدة، والزمن الطويل إلى مدة اقصر، ولهذا سموا عصرنا هذا «عصر السرعة» أو «عصر التغلب على المسافات».
ولكن هل يستطيع أحد ان يسميه عصر «الفضيلة» أو «عصر الطمأنينة» أو «عصر السعادة» للبشر؟
إن العلم هيأ للإنسان الحديث وسائل الحياة، ولكنه لم يهده إلى غاياتها، إنه زين له ظاهرها، ولكنه لم يصله بأعماقها، وما أتعس الإنسان إذا اغرقته الوسائل فذهل عن الغايات وإذا شغل بالسطح عن القاع، وبالقشر عن اللباب.
العلم المادي اعطى الإنسان ادوات كثيرة، ولكنه لم يعطه «قيمة» كبيرة أو «هدفا» رفيعا، يحيا له، ويموت عليه.
ذلك ان هذه ليست من وظيفة العلم، وليست من اختصاصه، وانما ذلك من اختصاص الدين.
ولقد رأينا من المفكرين والفلاسفة من لا يؤمنون بالله، ولكنهم يؤمنون بالإيمان بالله، أي يعتقدون في نفع هذا الإيمان، باعتباره قوة هادية موجهة، وقوة مؤثرة دافعة، وقوة منشئة خلاقة.
لم يستطع هؤلاء ان يجحدوا ما للإيمان بالله من طيب الاثر في نفس الفرد، وفي حياة المجتمع، فقال بعضهم: «لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه»، أي نخترع للناس إلها يؤمنون به، ويتلمسون رضاه، ويخافون حسابه حتى ترتدع الانفس الشريرة، وتستقيم اخلاق الجماهير.
وقال آخر: لم تشككون في الله، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي.
ونحن لا نوافق على منطق هؤلاء في عمومه، فإن الحق احق ان يتبع مهما تكن نتيجته، والاباطيل يجب ان تطارد كيفما كانت العاقبة، ولكن الذي يعنينا من قول هؤلاء - وهم خصوم الدين وأعداء الإيمان - إن أثر الدين والإيمان في النفس والحياة لا يمكن ان يكابر فيه إنسان. ان الحقيقة يجب أن تحترم لذاتها، وان لم تجلب نفعا، أو تدفع ضررا، فكيف اذا كان من ورائها أعظم المنافع وأطيب الثمرات.
ونحن حين نتحدث عن ثمرات الإيمان، انما نعني الإيمان القوي الدافق، الإيمان حين يبلغ مداه، ويشرق على القلوب سناه، ويخطر في اعماق النفوس مجراه.. لا نتحدث عن الإيمان الضعيف المزعزع، الإيمان المخدر النائم انما نتحدث عن الإيمان الحي اليقظ، القادر على التوجيه والتأثير.
ولا يضيرنا ان اصحاب هذا الإيمان قليلون، فاننا نناقش هنا الماديين الذين يشككون في قيمة الإيمان، وحسبنا ان يعلم الشاكون والمشككون ان الإيمان الذي يحاربونه كلما زاد عمقه في القلوب، وسلطانه على النفوس، ازداد اثره المبارك في حياة الافراد والجماعات.

مفتاح الشخصية الإسلامية

مفتاح الشخصية الإسلامية والعربية على وجه خاص هو الدين، هو الإيمان، هو عقيدة الإسلام.
ومهما نحاول أن نزكي هذه الشخصية، وان نفجر طاقاتها المكنونة، بغير مفتاحها الأصيل - وهو الدين - فإننا نحاول عبثا، كمن يبنى على الماء، أو يكتب على الهواء.
بعقيدة الإسلام انطلق العرب من جزيرتهم، يخرجون العالم من الظلمات إلى النور، ويؤدبون بسيوفهم الاكاسرة والقياصرة، وكل من صعر خده من الجبابرة.
وبعقيدة الإسلام انتصرت أمتنا العربية على اوروبا، وقد جاءت بقضها وقضيضها في تسع حملات صليبية، تريد ان تلتهم الاخضر واليابس، في هذا الشرق المسلم.
وبعقيدة الإسلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق «كالريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم» وكادوا يدمرون الحضارة الإنسانية كلها، لولا ان قيض الله لهم من مسلمي مصر والشام من ردهم على أعقابهم، وهزموهم بإذن الله في «عين جالوت» وكان مفتاح النصر صيحة أطلقها القائد المملوكي «قطز» فهزت المشاعر واستثارت العزائم، وأيقظت الهمم، وهبت بها على المقاتلين نسمات الجنة، تلك هي الصيحة التاريخية «و إسلاماه»، الا ان كل عمل أو قول يزعزع الدين والإيمان في نفوسنا إنما هو عمل يؤدي إلى إضعاف كياننا، ومقومات حياتنا، وجذور نهضتنا.
«نحن قوم مؤمنون» وهذا الإيمان هو أساس شخصيتنا، وسر قوتنا، ورافع رايتنا، هو سر مجدنا في الماضي، وباعث انتفاضتنا في الحاضر ومناط آمالنا في المستقبل.
«نحن قوم مؤمنون» وهذه قضية بديهية، يجب ان يلتقي على حمايتها وتثبيتها واشاعتها، قلم الكاتب، ولسان الخطيب، وفكر الفيلسوف، ووجدان الشاعر، وريشة المصور، وتقنين المشرع، وسلطان الحاكم، وقوة الجيش، ورقابة الشعب.
يجب ان يرعاها الأب في البيت، والمعلم في المدرسة، والاستاذ في المحاضرة، والأديب في القصة، والصحفي في الخبر، والمؤلف في الكتاب، وكل ذي فن في فنه.

ابن المبارك وجهاد السيف والقلم

د. أحمد عيساوي

هو أبو عبد الرحمن بن المبارك بن واضح المـروزي الحنظلي بالولاء، تركي الأب وخوارزمي الأم، الحافظ المحدث المجتهد، أحد الأئمة الأعلام. كان أبوه تركيا ومولى لرجل من بني حنظلة، من أهل همذان، وأمه خوارزمية من خوارزم . كما تشير المصادر التاريخية الإسلامية إلى أن أباه مبارك كان كثير التقوى والخلوات والعزلة والورع، فقد روي أنه كان ناظرا لبستان مولاه، فطلب منه رمانة حامضة فجاءه برمانة حلوة، فقال له: أنت لا تعرف الحلو من الحامض، قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنك لم تأذن لي فيه.

فلما علم مولاه قدره ووجد حقيقته كذلك عظم قدره عنده وصار يستشيره في أمور كثيرة، وقد كانت لمولاه بنت جميلة خُطبت له كثيرا، فسأله يوما، وقال له: يا مبارك من ترى نزوج هذه البنت؟ فقال: «الجاهلية كانوا يزوجون للحسب والنسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين»، فأعجبه عقله، وقال لأمها مالها زوج غيره، فتزوجها، فجاءت بعبد الله هذا، وكان واحد زمانه وقته، وفريد عصره، وفيه يقول القائل:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة
فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذكر الأحبار في كل بلدة
فهم أنجم فيها، وأنت هلالها.

مولده

اتفقت الآثار على أن ولادته كانت سنة ١١٨هـ، ولكنها اختلفت في موطن ولادته، فقد أشارت بعضها إلى أن ولادته كانت بمدينة «مرو» حسب البيتين الآنفي الذكر، وغيرها من أبيات المديح

ومن مرو خرج إلى العراق سنة ١٤١هـ فلقي التابعين.

فيما ذهبت بعض المصادر إلى عدم ذكر موطن ولادته، ولكن ابن المبارك كان إذا زار مدينة «همذان» أحسن إلى ذراري وأولاد موالي أبيه من بني حنظلة، وهذه إشارة ضمنية إلى أنه تربى مع أولئك الأولاد من موالي أبيه أو ولد معهم في مدينة همذان، أو تربى معهم فيها. والأرجح أنه - على عادة الموالاة آنذاك - أن يقيم المولى مع القبيلة التي يواليها، ويتزوج منها، وينجب أولاده فيها، وهو ما نرجحه من ميلاد ابن المبارك في مدينة همذان.

نشأته وتعلمه

تشير المصادر إلى أن عبد الله بن المبارك أدرك جيل التابعين وسمع منهم، وأشهرهم: هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التميمي، وحميد الطويل، وعبد الله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة، وغيرهم من أئمة تابعي هذه الطبقة.

أخذ عبد الله بن المبارك الحديث والفقه والقراءات عن شيوخ كثيرين، فقال عن نفسه: «حملت عن أربعة آلاف شيخ، فرويت عن ألف منهم».

وممن روى عنهم الحديث: سليمان التيمي، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن عون، وسفيان الثوري، وشعبة، والأوزاعي، ومالك، والليث بن سعد، وهشام بن عروة، وابن أبي ذئب، وابن جريج، والأعمش، وموسى بن عقبة، ونظراؤهم.

وأخذ الفقه عن أبي حنيفة كما أخذ القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة المشهورين، ووردت عنه الرواية في حروف القرآن.

كما تذكر المصادر أنه حدث الناس بأكثر من عشرين ألف حديث شريف، وصنف الكثير من المصنفات في اللغة والأدب والشعر والحديث والسيرة والفقه والزهد والجهاد، ولكن لم يصلنا منها شيء.

روى الإمام الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ «١٣» أن خلقا كثيرا قد روى وحدث وتعلم عن ابن المبارك من أهل الأقاليم، فإنه من صباه ما فتر عن السفر، منهم: عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن معين، وحبان بن موسى، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وأحمد بن حنبل، وغيرهم الجم الغفير. وما يمكن ملاحظته على هذه المرويات ما يلي:



١ - زهده في التعالي بذكر نفسه، بالرغم من علمه الكبير، فقد روي أنه لما سكن الكوفة جلس إليه بعض تلامذته يطلبون العلم و يقرأون عليه كتاب المناسك، وانتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله، وبه نأخذ، فقال من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكه بيده حتى درس، ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي؟

٢ - كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم، وتلامذته الذين أخذوا عنه، حتى صار مدرسة علمية متنقلة.

٣ - انقطاعه للعلم والتعلم والتعليم، ثم توسيع دائرة نشاطاته باتجاه التجارة والجهاد.

منزلته العلمية وخصاله

للإمام عبد الله بن المبارك منزلة علمية عالية المستوى، فقد أجمع أهل العلم في زمانه، ومن بعده على الإشادة بفضله، وعلى رئاسته لسيف العلم والقلم والجهاد، فقد قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى مصر واليمن الشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهله، كتب عن الصغار والكبار، وجمع أمرا عظيما، وكان صاحب حديث حافظا..».

قال فيه الإمام ابن معين: «كان كيسا، متثبتا ثقة، وكان عالما صحيح الحديث، وكانت كتبه التي

● مفكر إسلامي جزائري

حدث بها قرابة العشرين ألف حديث ويزيد».
وقال فيه ابن عبد البر: «.. أجمع العلماء على قبوله، وجلالته، وإمامته، وعدله». ووصفه الإمام الزاهد والمحدث الثقة سفيان الثوري فقال: «.. وددت عمري كله بثلاثة أيام من أيام ابن المبارك».
وقال شعبة: «.. ما قدم علينا مثله».
وقال أبو إسحاق الفزاري: «.. ابن المبارك إمام المسلمين».
وقال شعيب بن حرب: «.. ما لقي ابن المبارك مثل نفسه». .وقال ابن عيينة: «.. نظرت في أمر الصحابة، فما رأيت لهم فضلا على ابن المبارك إلاّ لصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم، وغزوهم معه». وقال إسماعيل بن عياش: «.. ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير، إلاّ وجعلها فيه».
واجتمع فريق من أصحاب ابن المبارك مثل الفضيل بن موسى، ومخلد بن الحسين، فقالوا: «تعالوا نعدد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب، والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف، وقيام الليل والعبادة، والسلامة في رأيه، وقلة الكلام فيما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه».
وقال فيه الإمام ابن كثير: «وكان موصوفا بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة والشعر، له التصانيف الحسان، والشعر الحسن، المتضمن حكما جمة».
ومن خلال هذه الشهادات العلمية والأخلاقية المحايدة في ابن المبارك نتبين أنه استحق بجدارة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيل القرون الثلاثة الأولى ووصفهم بالخيرية.

مؤلفاته وتصانيفه

قال عنه الإمام الذهبي: «دون العلم في كل الأبواب، والفقه، والغزو والزهد والرقائق وغير ذلك». ومؤلفاته هي:
١ - تفسير القرآن، وقد ذكره البغدادي في كتابه «هداية العارفين»، وذكره ابن النديم في الفهرست، باسم التفسير.
٢ - السنن في الفقه، وذكره ابن النديم والبغدادي.
٣ - كتاب التاريخ، وذكره ابن النديم والبغدادي.
٤ - كتاب الزهد، ذكره ابن النديم والبغدادي، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»، وقد نشر كتاب «الزهد» في الهند باسم «كتاب الزهد والرقائق» بتحقيق الأستاذ حبيب الأعظمي سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م. «٢٧»
٥ - كتاب البر والصلة، ذكره ابن النديم والبغدادي.
٦ - رقاع الفتاوى، ذكره البغدادي وحاجي خليفة.
٧ - الرقائق، ذكره الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، وحاجي خليفة في كشف الظنون، والبغدادي باسم «الدقائق في الرقائق».
٨ - الأربعين في الحديث، ذكره البغدادي وحاجي خليفة باسم «الأربعين».

مرجعيته وفكره

كان الإمام ابن المبارك شديد التمسك بالسنة والحديث، شديد الحرص عليهما، شديد الاعتناء بهما، شديد التدقيق في مسائلهما، وقد ورد عنه ما يلي: قال عبدان، سمعت ابن المبارك يقول: «.. ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث».
وقال ابن المبارك لرجل: «.. إذا ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر».
وسئل ابن المبارك: عمن نأخذ، قال: «من طلب العلم لله، وكان في إسناده أشد، قد تلقى الرجل الثقة، وهو يحدث عن غير ثقة، وتلقى الرجل غير الثقة، وهو يحدث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة».
وقال أبو إسحاق الطالقاني: «.. سألت ابن المبارك عن الرجل الذي يصلي عن أبويه؟ فقال: من يرويه؟ قلت شهاب بن خراش، قال: ثقة، عن من؟ قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة، عن من؟ قلت: عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحجاج مفاوز تتقطع فيها أعناق الإبل».
وقد حفلت كتب الرقائق والزهد والأخلاق والسير والآداب بالكثير من أخلاق ومواقف عبد الله بن المبارك، يمكن عرضها في الميادين التالية:

أكثر أوقاته كان يقضيها في الجهاد .. فإذا حان وقت قسمة الغنائم غاب وقال: يعرفني الذي أقاتل له

مواقفه السياسية والجهادية

إن اختيار ابن المبارك لمنهج الحج عاما، والغزو عاما، يكشف لنا عن موقفه السياسي من الخلفاء العباسيين، الذين كان منهم الرشيد والمأمون والمعتصم، وغيرهم، ممن كان يحج عاما ويغزو عاما، وممن استشهد منهم في الغزو، كالخليفة المأمون الذي توفي بطرسوس ببلاد الروم عندما قفل راجعا من إحدى الشواتي.
فقد كان موقفه واضحا من سياستهم عندما تبنى خطهم واشتغل بالعلم والتعليم والحديث وروايته وبالتجارة والزهديات وسائر أعمال الخير. ومن شجاعته في الجهاد ما رواه عبده بن سليمان عنه فقال: «كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل من المسلمين فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم الناس إليه، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بأطراف كمه فمددته، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال لي: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟». ولعل هذه الرواية تبين لنا مدى تكتم ابن المبارك عن سيرته الذاتية وأخباره الخاصة، وكذلك شأن المتصوفة وزهاد القرون الهجرية الأولى. فقد كان يمضي أكثر أوقاته في الجهاد، ويبلي فيه البلاء الحسن، فإذا حان وقت قسمة الغنائم غاب، فقيل له في ذلك، فقال: «يعرفني الذي أقاتل له».

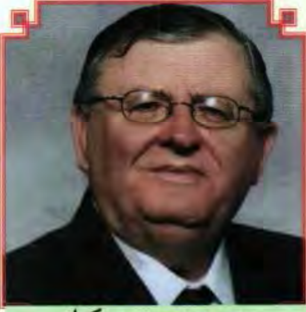
وفاته ووصيته

توفي بهيت بالعراق منصرفا من غزوة بعد حياة عامرة وحافلة بالطاعات والقربات والحسنات، لثلاث عشر خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائتين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل مات في البرية سائحا مختارا العزلة، متمثلا بهذين البيتين:

وإذا صاحبت فاصحب صاحبا
ذا حياء وعفاف وكرم
قائلا للشيء: لا، إن قلت: لا
وإذا قلت: نعم، قال: نعم.

تحفة معمارية وصدقة جارية وأثرٌ باق

جامع زايد الكبير


بهيج بهجت سكيك

منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة قبل ١٤٣٠ عاماً والمسجد يمثل محور الحياة عند المسلم، فلم يكن المسجد مجرد مكان للصلاة بل كان له دور يمس كل جوانب الحياة عند المسلمين، فقد كان مقر الحاكم الرسول ﷺ وقيادة الجيش، تخرج منه الجيوش لصد الغزوات وللفتوح فيما بعد، ودارا للقضاء، ومدرسة لتعليم مبادئ الدين الإسلامي وأصوله، وفيه يتفق التجار على بيوعهم، بل تعدى ذلك ليصبح مكتبة تضم المخطوطات والكتب التي تتعلق بالعقيدة والقرآن والتفسير والفقه والشريعة.

بقيت وظائف المسجد هذه في الدول غير الإسلامية التي تضم أقليات إسلامية، وما المراكز الإسلامية في لندن وواشنطن وديترويت وروما وباريس إلا تجسيد ومثل لدور المسجد في الإسلام، فالمركز الإسلامي في لندن يحتل رقعة كبيرة أقيم عليها مسجد للصلاة ومكتبة، ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين هناك، ومكتب للمأذون الشرعي لإتمام عقود الزواج حسب الشريعة، بل ضم مكاناً للذبح على الطريقة الإسلامية(مسلخ) ومكانا لتجهيز الموتى ومقبرة.

ومع اتساع رقعة العالم الإسلامي لم يعد للمسجد هذا الدور، واقتصرت وظيفته على الصلاة فقط، كما اختلفت مواد البناء والتصميم التي كانت تتسم بالبساطة (الطين والخشب وسعف النخيل)، كما كان صحن المسجد والمنبر والمحراب هي أركان المسجد.

إن دخول كثير من الشعوب والأمم في حظيرة الدولة الإسلامية أعطى ثراء كبيراً في تنوع مواد البناء ومهارة البنائين و هندسة وعمارة المسجد، فلقد صهرت حضارات كالفرس والترك والروم والهنود والأفارقة في بوتقة الإسلام.

مسجد الشيخ زايد

إن مسجد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في «أبو ظبي» نموذج لهذه المساجد التي اختزلت وضمت نتاج هذه الحضارات، فعمارة المسجد شملت القاعات، والايوانات، والقباب، والأعمدة والأقواس، وتيجان الأعمدة، والمنمنمات، والمقرنصات، والرنوك، وتنوعت فيها خطوط الكتابة بين النسخ والرقعة والكوفي والديواني، كما جلبت مواد البناء لهذا المسجد من بقاع الأرض، مثل الرخام، والزجاج، والخشب المحفور، والأصباغ والسجاد، والمعادن وغيرها.

جمال الموقع والتصميم

أديت صلاة عيد الأضحى المبارك في مسجد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مدينة «أبو ظبي»، حاضرة دولة الإمارات العربية المتحدة، بهرني جمال المبنى وروعة التصميم، والموقع المشرف على مدينة «أبو ظبي» من الجهة الجنوبية على الطريق إلى دبي والى مدينة العين الظبيانية التي تحظى بمكانة خاصة من آل نهيان.



وضع تصميم هذا الصرح الجميل عام ١٩٩٦ على أيدي شركات عالمية بعد اختيار الموقع، وبوشر بناؤه عام ١٩٩٨، وافتتح رسمياً عام ٢٠٠٧، ومازالت الأعمال التجميلية جارية في مساحاته وميادينه الخارجية.

شيد هذا البناء على مساحة قدرها ٢٢٤٠٠ متر مربع، وشاركت في بنائه ٣٨ شركة مقاولات عالمية وآلاف من العمال المهرة، وأول ما يلفت الانتباه عن بعد تلك القباب الموزعة على سطحه والتي بلغت ٨٢ قبة مستوحاة من الفن المعماري القوطي، المغربي والباروك، تتوسطها القبة الرئيسة الكبرى المصنوعة من الرخام الأبيض والتي يبلغ قطرها الخارجي ٣٢,٨ متراً، وارتفاعها عن سطح الأرض ٨٥ متراً، وهي بذلك تعتبر القبة الأكبر على مستوى مساجد العالم!

للمسجد أربع مآذن، ترتفع كل مئذنة ١٠٧ أمتار، محيطة بزواياه يرفع فيها اسم الله خمس مرات كل يوم.

يستوعب المسجد حوالي ٤٠٩٠٠ مصل موزعين على القاعة



الرئيسة التي تستوعب ٧٠٠٠ مصل، والصحن الخارجي ٢٢٥٠٠ مصل، وفي الإيوان بين الحرم الرئيس والصحن ١٠٠٠ مصل، أما قاعة النساء فهي تتسع لحوالي ١٠٠٠ امرأة.

الحرم الداخلي للمسجد

أول ما يواجه الداخل إلى القاعة الرئيسة للمسجد المنبر والمحراب، وقد تجلت فيهما خلاصة الفن المعماري الإسلامي من خطوط لآيات القرآن الكريم وحفر على الخشب فيما يعرف اليوم بـ «الأرابيسك»، والرخام المطعم بعروق الذهب والأحجار الكريمة والفسيفساء ذات الألوان الزاهية.

تقوم القاعة الرئيسة على ٢٤ عمودا ضخما، ينقسم كل عمود إلى أربعة أعمدة أصغر منه تتصل بالأرض بقاعدة مستديرة، أما إجمالي عدد الأعمدة الداخلية والخارجية التي أقيمت عليها الصالات والإيوان والتي تحمل الأقواس فقد بلغ ١٠٤٨عموداً، لها تيجان جميلة تصلها بالأقواس محلاة بماء الذهب.

جلب رخام المسجد من بلاد كثيرة كإيطاليا واليونان والصين وأفغانستان، واشتمل على ٢٨ نوعاً من الرخام، أشهرها الرخام الأبيض (اكوا بيانا) و(بيانو) من ايطاليا للقباب، والرخام المجزع ذي العروق الجميلة المتداخلة لأرضية الصحن الخارجي والإيوان والقاعة، وتم تلبيسها بأسلاك معدنية على شكل أزهار وورود مما زاد من بهائها.

أكبر ثريا وأكبر سجادة

إذا كانت قاعدة القبة الرئيسة للمسجد هي أكبر قاعدة قبة مسجد في العالم، فإنه يضم أيضاً أكبر ثريا، وتغطي قاعته الرئيسة أكبر سجادة في العالم، وفيه أكبر ميضأة للوضوء، فهو مسجد «الكبريات» بحق.

سجادة القاعة الرئيسة تغطي٧١٥٠ متراً مربعاً، وشغلت من ٣٥ طناً من الصوف والقطن النقي، قام بتصميم زخارفها الفنان الإيراني علي خالقي في مدينة مشهد وتضم ٢٥ لوناً زاهياً يغلب عليها اللون الأخضر الذي كان يفضله الشيخ زايد- يرحمه الله - وتتصل بها ثلاث قطع أخرى للقاعات الملحقة بالصالة الرئيسة وصالة مصلى النساء.

أما الثريا التي تتدلى من مركز القبة الكبرى التي تتوسط القاعة الكبرى للمسجد وتواجه تماماً المنبر والمحراب فيبلغ قطرها ١٥ مترا، وترتفع عن سطح الأرض ١٥ مترا، وهي من البلور(الكريستال) النقي والذهب والأحجار الكريمة التي يكثر بها العقيق الأحمر، كما توجد ٦ ثريات موزعة على أروقة المسجد وايواناته، وكريستال البلور تم تصنيعه من نوع «شواروفسكي» الشهير.

مرافق المسجد

إلى جانب مكاتب هيئة السياحة في «أبو ظبي» ومكاتب الإشراف والأمن والخدمات والصيانة، عليك أن تقطع صحن المسجد وأروقته لتصل إلى مبنى مخصص للوضوء، تنزل السلم الكهربائي لتصل إلى سرداب كبير ينقسم إلى ناحيتين، واحدة للرجال تتكون من غرفتين، وأخرى للنساء، داخل كل غرفة ميضأة من الرخام ذات هندسة دائرية لها مقاعد مجهزة بالماء الحار والبارد وكل ما يلزم الوضوء. لقد وضعت مخططات لاستكمال وبناء مركز تحفيظ القرآن ومدرسة ومكتبة حتى يصبح المسجد مجمعا شاملا.

سد مأرب وترعة جابر

مازالت صورة الشيخ زايد - يرحمه الله- وهو يفتح سد مأرب في اليمن الشقيق، والذي أمر بإعادة بنائه في موقعه القديم بتمويل خاص منه، وبهندسة جديدة ليحيي به موات الأرض ويعيد إليها سعادتها ليعود اليمن السعيد ماثلة.

ما بين تمويل سد مأرب وجامع زايد أكثر من ثلاثة عقود، وخلال هذه العقود فإن مآثر الشيخ زايد- يرحمه الله- لا تنحصر في بناء مسجد أو بناء دولة الإمارات العربية المتحدة ونهضتها الحديثة، بل تعدت هذه المآثر حدود الدولة لتكون سببا في فتح بيوت، وإغاثة قرى، وتخطيط مدن في جميع أنحاء العالم.

فمازالت أسماء فرسان العرب: زايد بن سلطان، وجابر الأحمد الصباح، وفيصل بن عبدالعزيز، وفهد بن عبدالعزيز، وهم جميعاً الآن في رحاب الله، تحملها مشاريع خالدة: مدينة زايد في مصر، ومدينة زايد ومسجد زايد في فلسطين، وترعة جابر في مصر، ودار الأمل والنور في جنوب لبنان، ومدينة فيصل ومجمع فيصل ومركز فيصل وجسر الملك فهد... وغير ذلك كثير.

إن مسجد الشيخ زايد بن سلطان في أبوظبي معلم سياحي يزار، وتحفة معمارية تمثل الحضارة الإسلامية بكبريائها وشموخها وديمومتها التي بقيت حتى الآن، وهو يرقد قريبا من مسجده يسمع اسم الله يرفع خمس مرات كل يوم.

قراءة في فكر علماء الوسطية

قواعد التعامل مع غير المسلمين

د. حسين الجرادي

في الثلث الأخير من القرن المنصرم وأوائل القرن الحادي والعشرين ابتليت الأمة بأفراد ظنوا أنهم من أكثر الناس حرصاً على الإسلام والمسلمين، فزعموا أن رأيهم هو الحق وما بعده هو الضلال، فاستحلوا دماء وأموال المخالفين، واستباحوا دماء أهل الكتاب في البلاد الإسلامية مدعين أنهم ليسوا أهل ذمة لعدم دفعهم الجزية ولعدم الحكم بالشريعة الإسلامية، واستباحوا دماء السياح، وأدى فهمهم الخاطئ للولاء والبراء والقتال الى تحريمهم التعامل مع غير المسلمين، وقد تصدى المستشار سالم البهنساوي رحمه الله لهؤلاء وذاد عن حياض الإسلام النقية، وفند دعاواهم وكان لهم بالمرصاد فأبان خطأ فهمهم، واعوجاج منهجهم، وبين زيف افكارهم، وجرمهم بحق الإسلام والمسلمين، فناقش هؤلاء، وسافر في مؤتمرات دولية، ونشر بالصحف، ثم قام باصدار كتاب «قواعد التعامل مع غير المسلمين» يفند فيه دعاواهم، ويشرح بالدليل والبرهان كذب ادعاءاتهم.

التعددية في الإسلام

الإسلام هو الدين الوحيد الذي اعترف بخصومه وحفظ حقوقهم على الرغم من إنكارهم له، وذلك أن الله تعالى قد أقام الوجود على أساس التعددية والتنوع، وهذه سنة من سنن الله تعالى وآياته في خلقه قال تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين﴾ (هود: ١١٨)، ومن آياته أيضاً التعددية في القوميات والأجناس واللغات قال تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾(الروم:٢٢)، وهناك تعددية في الشعوب والقبائل تثمر التمايز الذي يدعو القرآن الكريم الى توظيفه في اقامة علاقات التعارف قال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات:١٣).

وهناك تعددية في الشرائع ثم الحضارات قال تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ (المائدة:٤٨).

ظن بعض المسلمين انه إعمالاً لقاعدة المعاملة بالمثل، يعامل غير المسلمين في البلاد العربية والإسلامية والاوروبية بمثل ما يعامل به المدنيون في فلسطين والعراق وافغانستان، وهو القتل ومصادرة الأموال او سلبها، لكن الإسلام يرفض ذلك تماماً فهو لا يتعرض الا لمن اعتدى وفي حدود اعتدائه، فالعقوبة في الإسلام شخصية لا يمكن ان تتعدى الى شخص آخر غير المعتدي قال تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(الأنعام:١٦٤)، ولايقوم بذلك أفراد بل تتولاه الحكومات، ذلك أنه لما قتل عبيدالله بن عمر الهرمزان لأنه قاتل لأبيه أفتى الصحابة بتعزيره لا بقتله لأنه مفتئت على الإمام لأن الأحكام على الناس لا يصدرها الا الحكام ومن يفوضونهم من القضاة، كما لا يجوز أن تتعدى العقوبة شخص الجاني، فلا يجوز أن تزيد عن حدود الاعتداء قال تعالى ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾(البقرة: ١٩).

وقد ذكرنا الله بحكمه الوارد عند اليهود في التوراة والذي حرفوه فقال تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصرف به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾(المائدة:٤٥)، انه ان تجاوز اليهود وغيرهم حكم الله الوارد في دينهم وحرفوه فلا يجوز للمسلم ان يتجاوز حكم الله لا في النفس ولا في المال ولا فيما دون ذلك، فما بالنا وقتل النفس من اكبر الكبائر، ولعلم الله ان اليهود سينحرفون حرّم عليهم هذا من قبل، فعندما اعتدى ابن آدم على أخيه وقتله كان قول الله تعالى ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾(المائدة: ٣٢).

إن شريعة الإسلام فرضت رد الاعتداء الواقع من بني صهيون على اخواننا في فلسطين المحتلة، وأوجبت تحرير كل شبر من ارض فلسطين اما تجاوز ذلك الى المسالمين من السياح والمقيمين داخل البلاد العربية والإسلامية او غيرها في غير فلسطين فالإسلام لا يحل الاعتداء على المسالمين بل امر بالعدل معهم والبر بهم قال تعالى ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة:٨)، وقد روى ابن ماجه في باب الديات ان النبي ﷺ قال ﴿من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»، والمعاهد هو غير المسلم الذي دخل بلداً إسلامياً بطريق مشروع سواء للزيارة او للاقامة او للعمل، وروى الامام مسلم في صحيحه في باب الجهاد عن ابن عمر رضي الله عنه قال «لما دخل رسول الله ﷺ مكة رأى امرأة مقتولة فقال ما كانت هذه لتقاتل ونهى قتل النساء والصبيان».

ويوضح البهنساوي رحمه الله حدود العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين فيقول: لا توجد لدى المسلمين مشكلة في العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين، ذلك أنهم ان انكروا الإسلام وحجدوا حقوق المسلمين فان الإسلام لم ينكر الديانات السابقة ولم يجحد حقوق أهلها ولا حقوق غيرهم، وأقام علاقة المسلمين معهم على أساس التعايش السلمي وذلك في قوله تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾

(الممتحنة: ٨)، لقد اعترف الإسلام بغير المسلمين وبحقوقهم لأن الله يجعل الرضا والاقتناع هما سبيل الدخول في الدين، فقد نهى سبحانه وتعالى عن الاجبار والقهر قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾(البقرة: ٢٥٦) انه نص واضح انه لا يجوز اجبار أحد على الدخول في الدين، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

وهذا الحكم العام لا يتعارض مع آيات قتال غير المسلمين لانها ليست عامة، وكذلك الأحاديث في قتال الناس حتى يسلموا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلواً سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾(التوبة: ٥).

هذا الحكم نزل في أهل الجزيرة العربية الذين اختارهم الله لحمل الرسالة، فأنزل القرآن الكريم فيهم وبلغتهم، وقد ترك لهم مهلة كافية بعد المعجزات الحسية على يد النبي ﷺ بخلاف المعجزة القرآنية التي تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثل القرآن الكريم، وتركهم الله عشرين عاماً بعد نزول القرآن الكريم ولكن وجد منهم من ظلوا على عنادهم وتجبرهم وتسلطهم واصرارهم على التحريف في مناسك الحج ودخول بيت الله وهم عرايا، وفي هؤلاء قال النبي ﷺ «امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله» (رواه البخاري).

فالنص القرآني والحديث النبوي بشأن قتال غير المسلمين هو حكم خاص بالعرب في الجزيرة العربية، وليس عاماً في جميع الناس للحديث المتفق عليه «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

ولما رواه أحمد ومسلم «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً» وقد قال الحافظ في الفتح في كتاب الجهاد نقلا عن الجمهور أن هذا المنع هو للحجاز خاصة «مكة والمدينة واليمامة».

فالنص القرآني ورد في سياق خاص بالمعاهدين الذين نقضوا عهدهم من عرب الجزيرة حيث قال الله تعالى فيهم ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول



وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ (التوبة: ١٢-١٣).

والحديث النبوي خاص بهؤلاء العرب وليس عاماً في جميع الناس، فلفظ الناس هنا عام أريد به الخصوص كقول الله تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران: ١٧٣)، فالقائل هو نعيم بن مسعود وليس جميع الناس والذين جمعوا لقتال النبي ﷺ والصحابة ليسوا جميع الناس بل أبو سفيان، لهذا فالناس في الحديث النبوي هم عرب الجزيرة.

أما نص القرآن بقتال من لا يؤمنون بالله حتى يعطوا الجزية فهم فئة خاصة جداً من أهل الكتاب، فيهم نزل قول الله تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾(التوبة: ٢٩)، فعند نزول هذه الآية كانت الجزيرة العربية قد دانت بالإسلام، وكان نصارى الروم قد تجمعوا في نحو مائة ألف مقاتل لغزو المدينة، ومن ثم كانت غزوة مؤته في مواجهة هذا الحشد.

وغير هؤلاء من المسالمين يعيشون بين المسلمين ويتمتعون بظلال الإسلام دون حقوق توجبت عليهم، ومعلوم ان الجزية مقابل اعفائهم من تبعات الدفاع عن أرض الإسلام.

من هنا تقرر

ان الذين استدلوا بالحديث السابق «أمرت ان اقاتل الناس حيث يشهدوا ان لا اله الا الله وأني رسول الله» قد غاب عنهم ان الفقهاء قد اجمعوا على ان هذا من العام المخصوص، فكلمة الناس من العام لكنها مخصوصة بالمشركين بجزيرة العرب ولا تشمل جميع الناس، وأكد هذا التطبيق العملي في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بعده، فقد تصالحوا مع غير المسلمين على دفع الجزية، بل وضع النبي ﷺ دستوراً يحكم العلاقة بين المسلمين وغيرهم، هذا الدستور هو المسمى بالوثيقة او الصحيفة فوادع اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وجعل القاعدة في الشؤون الدنيوية «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

يستدل هؤلاء بالقاعدة الفقهية «ما لم يتم الواجب إلاّ به فهو واجب» وهذا الاستدلال يعني ان رد عدوان اليهود في فلسطين المحتلة المستمر ضد الفلسطينين امر واجب شرعاً، لكن لا سبيل للقيام بهذا الواجب الا بالاعتداء على المدنيين من اليهود في كل مكان حتى يكف الاسرائيليون عن قتل الفلسطينين، وهذا الاستدلال ينطوي على أخطاء شرعية أهمها:

أ- ان هذه القاعدة ليست نصاً في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فلا تطبق على اطلاقها، فهي اجتهاد من الفقهاء في امور العبادات، وليس في القتل والسرقة، فنطاق هذه القاعدة عند الفقهاء خاص بأداء العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، فمن شروط الصلاة الوضوء لهذا اصبح البحث عن الماء واجبا شرعيا.

ب- أن هذه القاعدة لا تعني ان حكم الواجب الاصلي هو نفس الواجب الفرعي، فالزنى محرم، وكذلك النظرة الآثمة قد تؤدي الى الزنى محرمة شرعاً، لكن عقوبة الزنى الرجم أو الجلد، أما عقوبة النظرة الآثمة فهي التعزير ومنه النصح والتوبيخ، فالواجب الفرعي عقوبته اخف.

ج- ان قتل المسالمين محرم بالنصوص الصريحة سالفة الذكر فلا ينسخها قاعدة بشرية مخصوصة بالعبادات، ولم يقل احد من الفقهاء على مرّ التاريخ بتطبيقها في غير ما وضعت له، ولا يجرؤ مسلم على القول بأن تلك القاعدة نسخت تحريم قتل المسالمين وغير المحاربين، ذلك انه لا يجوز لبشر نسخ حكم القرآن او السنة باجتهاد او رأي، فالوحي لا ينسخه الا الوحي.

د- قرر الفقهاء أن سبب القتال مع غير المسلمين هو الاعتداء من جانبهم، فلم يقتل غير المسلم لكفره بل لاعتدائه، ولهذا امر النبي ﷺ بعدم قتال من ليسوا أهلاً للقتال فقال «ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا امرأة»(سنن أبي داود).

إعداد: علي الحربي

الكويتية أفضل موقع إلكتروني بالكويت



حازت مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية على المركز الأول في مسابقة سمو الشيخ سالم العلي الصباح للمعلوماتية لعام ٢٠٠٩ في مجال الحكومة الإلكترونية كأفضل موقع على الإنترنت للمؤسسات والهيئات الحكومية للعام الثاني على التوالي.
وقال مدير دائرة تكنولوجيا المعلومات في المؤسسة خالد الوقيان إن لجنة التقييم المشكلة لهذا الغرض قد اختارت موقع المؤسسة للمركز الأول نظراً لما يمتاز به الموقع من تطور وتنوع في الخدمات المقدمة لجمهور العملاء.
وأضاف الوقيان أن دائرة تكنولوجيا المعلومات تهدف إلى إبراز وجه مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية الحضاري محلياً وعربياً وعالمياً، مشيراً إلى أن المؤسسة قد حصدت الكثير من الجوائز، وكان آخرها هذا الإنجاز الذي أضيف إلى سجل المؤسسة في مجال تكنولوجيا المعلومات.

برامج مكافحة الفيروسات كاذبة

أكد خبراء الكمبيوتر أن الجيل الحالي من برامج مكافحة الفيروسات تحسن كثيرا عن الأجيال السابقة، ولكن من عيوبها أنها أصبحت تميل إلى إصدار إنذارات كاذبة، خاصة لدى تحميل برنامج جديد على الكمبيوتر، حيث أنها ترصده باعتباره من البرامج الضارة وتحذر المستخدم من مغبة تنزيله.
وتوصلت الدراسة المتخصصة في مجال الكمبيوتر إلى هذه النتيجة بعد اختبار عشرة برامج مكافحة فيروسات مختلفة
ويظهر هذا التحسن بوضوح في قدرة البرامج على رصد فيروسات لم تكن معروفة من قبل وتحييد خطرها.
وأضافت الدراسة أن معظم برامج مكافحة الفيروسات توفر الآن حماية جيدة من برامج التجسس.



وتقول الدراسة في كثير من الأحيان يستحيل على المستخدم معرفة سبب التحذير الذي يطلقه برنامج مكافحة الفيروسات مشيرة إلى أنه يتعين على منتجي برامج مكافحة الفيروسات برمجة هذه البرامج بحيث تفسر للمستخدم أسباب التحذيرات التي تصدرها باستمرار.
وحذرت الدراسة من استخدام برامج مكافحة الفيروسات المجانية حيث إنها كثيرا ما تفتقر إلى الوظائف المهمة التي لا تتوافر إلا في النسخ غير المجانية.

نسخة رياضية من هاتف Nokia N٧٩



أعلنت شركة نوكيا عن واحد من أحدث هواتفها المحمولة وهو N٧٩ الذي يأتي الآن مع حزام Polar Bluetooth WearLink لقياس ضربات القلب ويأتي الهاتف أيضا مع برنامج Nokia Sports Tracker الذي يسمح للمستخدم بمراقبة أدائه الرياضي ووضع المعلومات التي يريدها على شبكة الإنترنت وسيأتي مع الهاتف أيضا سماعات رياضية لاستخدام هاتف نوكيا كمشغل إم بي ثرى مع إمكانية حمل الهاتف على ذراع المستخدم عند ممارسة الرياضة ويحتوى الهاتف أيضا على كاميرا ٥ ميجابيكسل مع بطاقة ذاكرة ٤ جيجابايت وإمكانية الاستماع لراديو إف إم .

بلو إرث أول هاتف محمول بالطاقة الشمسية

طورت شركة سامسونج الكورية للإلكترونيات أول هاتف محمول في العالم مجهز بلوحة شمسية لشحن بطاريته.

ويعد هذا أول هاتف محمول في العالم مجهز ببطارية يتم شحنها عن طريق لوحة شمسية في الجزء الخلفي من الجهاز تولد طاقة كافية لإجراء المكالمات.

وقد تم تصنيع الهاتف بمواد بيئية، حسبما أشارت الشركة التي تؤكد أن شحن الجهاز لمدة ١٠ دقائق في اللوحة الشمسية يكفي لإجراء مكالمة مدتها ثلاث دقائق.

وأضافت سامسونج أن الجزء الخارجي للهاتف تم تصنيعه من مواد أعيد تدويرها مثل زجاجات المياه البلاستيكية مما يساعد على إعادة استخدام الموارد وتخفيض انبعاث غاز ثاني إكسيد الكربون.

وخلال مؤتمر برشلونة ستبدأ سامسونج للإلكترونيات حملة بعنوان «ذا بلو إرث دريم» أو «حلم الأرض الزرقاء» بهدف الترويج للهواتف المحمولة الصديقة للبيئة.



برنامج يسجل ملفات الفيديو من كاميرا الويب



يمكنك من خلال برنامج (Super Webcam Recorder) تسجيل الفيديو من خلال الكاميرا المثبتة بالكمبيوتر، ويمكن أخذ لقطات من ملف التسجيل، كما يمكن حفظها بالأنساق (/AVI WMV)ويتميز البرنامج بسهولة وسرعة الفيديو، مع إمكانية اختيار انساق الفيديو وضغطه من بين (AVI -WMV) وأخذ لقطات من الفيديو وحفظها، كما أنه يحتوي على العديد من الأشكال التعبيرية يمكن الاستفادة منها، كما ورد بمجلة العالم الرقمي ويحتوي البرنامج على واجهة استخدام سهلة وبسيطة للمستخدم، وهو متوافق مع Windows ٩٥/٩٨/NT/Me/٢٠٠٠/XP/٢٠٠٣ Server)) ويبلغ حجمه حوالي (٤,٦٩) ميجا بايت ويمكن تحميل البرنامج من خلال هذا الرابط:

/http: //www.free-screen-capture.com

إعداد : هالة محمد

كيف ظهرت الحياة على الأرض؟

ذكر مركز ادارة التحليقات في بيان له ان طاقم المحطة الفضائية الدولية يستعد لإجراء تجربة قد تساعد على فهم طبيعة ظهور الحياة على الأرض.

واشير في البيان الى ان المهندس الفضائي الروسي على متن المحطة الفضائية الدولية يوري لونتشاكوف يقوم بالاستعدادات اللازمة لإجراء تجربة EXPOSE_R الاوروبية.

ومن المتوقع ان يقوم لونتشاكوف وزميله الاميركي مايكل فينك في الثالث والعشرين من ديسمبر بالخروج الى الفضاء المفتوح لينصبا على سطح المختبر الأوروبي «كولومبوس» حاوية تضم نماذج من جزيئات عضوية وجدت في نوى المذنبات.

وقد نقلت هذه الحاوية الى المدار بواسطة سفينة الشحن الفضائية الروسية «بروغرس م ٠١-م» التي التحمت بالمحطة الفضائية الدولية في الثلاثين من نوفمبر الماضي، وستبقى هذه الحاوية على السطح الخارجي للمحطة لمدة سنة ونصف كي يتسنى اثبات ان الجزيئات استطاعت ان تصمد امام الاشعاع الشمسي الشديد، الامر الذي قد يكون دافعا لظهور الحياة على الأرض.



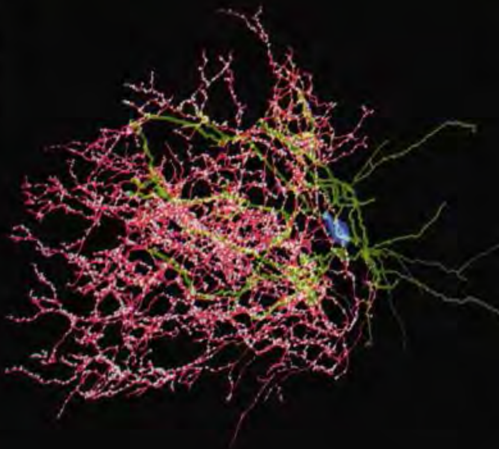
الحياة في المحيط

قال علماء دانماركيون ان الاحتباس الحراري قد يتسبب في تكون مناطق ميتة في المحيط، «ما قد يؤدي الى نهاية الحياة البحرية لفترة قد تستمر ألفي عام، وذكرت هيئة الاذاعة البريطانية (بي. بي. سي) ان العلماء استخدموا برامج محاكاة حاسوبية تتنبأ بما سيكون عليه الطقس خلال الـ ١٠٠ الف سنة المقبلة، حيث توصلوا الى ان نسبة ثاني أكسيد الكربون في الهواء سترتفع بثلاثة أضعاف مع نهاية القرن الحالي، ما سيؤدي الى ارتفاع درجة حرارة المحيطات، واضاف العلماء ان معدل جريان المحيطات سيتباطأ، ما سيؤدي الى انخفاض الاكسوجين في مساحات شاسعة منها، وبالتالي يؤدي ذلك الى انقراض اصناف من الاسماك ومظاهر اخرى من الحياة البحرية، وقال العلماء ان عودة الحياة البحرية الى سابق عهدها قد تتطلب قرونا عدة، نظرا الى مساحة الغطاء البحري الهائلة، الا انه يمكن التحكم في بعض هذه التغيرات بتقنين استعمال

خلايا عصبية من أنابيب كربونية

يحاول علماء اميركيون بناء خلايا عصبية من أنابيب كربونية متناهية الدقة، تضاهي في نشاطها نشاط الدماغ البشري.

وقالت الاستاذة أليس باركر من جامعة ساورثرن كاليفورنيا: «حتى هذه اللحظة لا نعرف ما اذا كان بامكاننا بناء دماغ اصطناعي»، مضيفة «قد تمضي عقود قبل صناعة اي شيء شبيه بالدماغ البشري»، وتابعت باركر ان صناعة اجزاء من دماغ تضاهي تلك الموجودة في الدماغ البشري، بما في ذلك قشرته الخارجية، قد يتم خلال عقود واضافت ان تحديات بناء دماغ صناعي امر مذهل، لافتة الى انه على عكس ما هو الامر بالنسبة الى برامج العقل الالكتروني التي تحفز الدماغ على العمل، فان الدماغ الصناعي سيشمل مواد معدنية وسيضاهي الخلايا الدماغية، ما سيتيح للخلايا العصبية الصناعية التعلم عبر التجارب والتأقلم على المتغيرات في البيئة، كما هي الحال بالنسبة للخلايا العصبية الحقيقية، ويعكف العلماء حالياً على صناعة خلايا عصبية تستطيع التواصل مع غيرها بشكل دقيق وصحيح.



ـــــات مهـددة



المخصبات الكيماوية، واوضح البروفيسيور المشرف على البحث جاري شافر من معهد نيلزبور بجامعة كوبنهاجن ان مستقبل المحيطات كاحتياطي غذائي ضخم مهدد، ومن الضروري خفض الانبعاثات الناجمة عن احتراق الوقود الاحفوري للحد من نقص الاكسوجين في المحيطات.

كيف تشكلت المجرات في الكون؟

عرض البروفيسور ايفشاي ديكيل نظرية جديدة حول الطريقة التي تكونت بها المجرات في العالم قبل مليارات السنين.

وقال البروفيسور المتخصص في علم الكون ان النظرية الجديدة تم التوصل اليها بعد الاستعانة ببرامج محاكاة عقل الكتروني وتقنيات مراقبة فلكية وعلمية متقدمة.

وأضاف ان الدراسة التي اجراها مع زملائه في الجامعة اظهرت ان المجرات تشكلت نتيجة كميات كبيرة من الغاز البارد وليس الحار كما ساد الظن لفترة طويلة.

وتابع ديكيل في الدراسة التي نشرتها مجلة «نايتشر» ان اندماج المجرات ببعضها كان له تأثير محدود على تركيب الكون.



تراجع الضباب أسهم في سخونة المناخ

أكدت دراسة نشرتها المجلة المتخصصة «نيتشور جيوساينس» ان انخفاض الضباب في اوروبا - الناجم خصوصا عن التلوث خلال السنوات الثلاثين الأخيرة - يسهم في تفسير سخونة المناخ أكثر من المعدل الطبيعي في العالم.

وقال روبير فوتار، أحد المشاركين الثلاثة في الدراسة من مختبر علوم المناخ والبيئة في جيف سورايفيت قرب باريس، لوكالة فرانس برس «من المرجح أن تراجع الضباب الكثيف والخفيف اسهم بنسبة ١٠ في المئة كمعدل وسطي في الصيف و٢٠ في المئة في الشتاء في سخونة المناخ خلال النهار في أوروبا»، وفي اوروبا الشرقية يمكن تفسير ٥٠ في المئة من ارتفاع الحرارة خلال العقدين الاخيرين، خصوصا في



الشتاء، بهذه الطريقة بحسب الدراسة.

ومعدل ارتفاع حرارة الارض كان بنسبة ٠,٧٤ درجة مئوية على مدى مائة عام (١٩٠٦-٢٠٠٥)، لكنه كان اكبر في النصف الشمالي من الكرة الأرضية خصوصا في فصلي الشتاء والربيع.

ودرس الباحثون معطيات ٣٤٢ محطة لقياس الرؤية، خصوصا في المطارات، وهذا ما لم يفعله احد حتى الان على مستوى القارة الاوروبية.

واوضح العالم «لدينا ايام ضباب او سوء رؤية اقل بمرتين مام كان عليه الامر قبل ٣٠ عاما».

ويتحدث عن وجود ضباب عندما يكون مدى الرؤية الافقية اقل من كيلو متر، اما عندما تكون بين كيلو متر وكيلو مترين فإنه يتحدث عن سحابة ضباب خفيف.

وانخفاض الضباب ناجم عن تحسن نوعية الهواء، وبدرجة اقل عن جفاف التربة نتيجة الحركة الحضرية والبناء الاسمنتي، وكذلك عن سخونة المناخ بحد ذاته.

لذلك لا يتوقع فوتار ان تتراجع انبعاثات ثاني اكسيد الكبريت اكثر بكثير، و«يفترض ان نلاحظ ارتفاعا للحرارة اقل في اوروبا في السنوات المقبلة».



فتاوى الوعي

فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



لبس الساعة المطلية بالذهب للتزين

هل يجوز بيع أقلام وساعات تحتوي في جزء منها أو بكلها على عيار ١٤، ١٨، ٢١ من الذهب وما شابهها من أشياء يستخدمها الرجال مثال خاتم الذهب للرجال؟

الإجابة

إنه يجوز لبس الساعة المطلية بالذهب إذا كان يسيرا بحيث لا يمكن استخلاصه منها، أما إذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص فإنه لا يجوز للرجال لبسها مطلقا، ويجوز لبسها للنساء دون الرجال وينطبق على البيع ما ينطبق على اللبس من أحكام.

موت راكب سيارة بلا تسبب من سائقها

تجاوزت الإشارة وهي خضراء و أثناء تجاوزي للإشارة وهي خضراء صدمتني سيارة، وقد توفي ابن عمي.

والسؤال هو: إن زوجات ابن عمي الثلاث وأولاده تنازلوا عن حق والدهم مني، فهل يلحقني شيء لأنني أريد أن أبرئ ذمتي؟

الإجابة

إنه إذا كان الأمر كما أفاد المستفتي من عدم مباشرته، أو تسببه في الحادث وأن الإشارة كانت مفتوحة له، وسرعته عادية، فإنه لاشيء عليه.

بيع وشراء المحار

يوجد حالياً سوق رسمي بالشويخ لبيع المحار عن طريق أكياس، وتقدر قيمة الكيس تقريباً من ٦ إلى ٤٥ ديناراً كويتياً، وقد يزن الكيس الواحد ٣ كيلو غرام تقريباً.

ويعلم الجميع بأن المحار (نصيب) أي قد يجد فيه المشتري اللؤلؤ وقد لا يجد، وهذا معروف والكل يعلم ذلك، لذا أرجو إعطاءنا الفتوى الشرعية حول بيع وشراء المحار، وهل هو حلال أم حرام؟

الإجابة

إنه مادام الوضع. كما هو الآن في الكويت. على عدم اتجاه القصد في البيع إلى المحار نفسه لعدم الاستفادة من صدفه ولا من اللحم الذي بداخله، فإنه لا يجوز بيعه لما فيه من الغرر الفاحش، وقد «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وبيع الغرر» كما رواه مسلم، فهو من قبيل أكل المال بالباطل وشبيه بالقمار المحرم. لكن إن تغير الحال وصار صدف المحار أو ما بداخله من اللحم مما يقصد للشراء لجريان الانتفاع به فحينئذ يجوز بيع المحار أصالة، أما بيع اللؤلؤ الذي في المحار قبل فتحه فلا يجوز بأي حال لأنه لايعلم وجوده.

الزواج من مطلقته بعد الزوج الثاني

طلقت زوجتي ثلاث مرات، وقد تزوجت زوجتي برجل آخر وبقيت معه ثلاثة أشهر، ويريد أن يطلقها وأريد أنا أن أتزوج بها بعد انتهاء عدتها، فهل يجوز لي ذلك؟

الإجابة

بأنه إذا كان الأمر كما أفاد المستفتي أمام اللجنة من عدم وجود التواطؤ بينه وبين زوجها على أن يتزوجها ثم يطلقها فإنه يحل للأول أن يتزوجها إن طلقت من زوجها وانتهت عدتها. أما الآن فيحرم على المستفتي أن يشجعها على طلب الطلاق من زوجها، أو يصرح لها برغبته في عودتها إليه، أو يعرض لها بذلك، أو يعدها بشيء.



من قرارات المجمع الأوروبي للإفتاء



حكم تزوج الكافر للمسلمة وتزوج المسلم للكافرة

أولاً: إن تزوج الكافر للمسلمة حرام لا يجوز، باتفاق أهل العلم، ولا شك في ذلك لما تقتضيه نصوص الشريعة؛ قال تعالى: ﴿وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة: ٢٢١) وقال تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا﴾ (الممتحنة: من الآية١٠). والتكرير في قوله تعالى ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ للتأليد والمبالغة بالحرمة، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك، وقوله تعالى ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا﴾. أمر أن يُعطى الزوج الكافر ما أنفق على زوجته إذا أسلمت، فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، فإذا كانت المرأة المشركة تحت الزوج الكافر تحرم عليه بإسلامها ولا تحل له بعد ذلك، فكيف يقال: بإباحة ابتداء عقد نكاح الكافر على المسلمة؟ بل أباح الله نكاح المرأة المشركة بعد ما تسلم- وهي تحت رجل كافر- لعدم إباحتها له بإسلامها، فحينئذ يجوز للمسلم تزوجها بعد انقضاء عدتها، كما نص عليه قوله تعالى ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)

ثانيًا: وكذلك المسلم لا يحل له نكاح مشركة لقوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة:٢٢١). ولقوله تعالى ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: من الآية١٠). وقد طلق عمر، رضى الله عنه، امرأتين له كانتا مشركتين، لما نزلت هذه الآية. وحكى ابن قدامة الحنبلي: أنه لا خلاف في تحريم نساء الكفار غير أهل الكتاب على المسلم. أما النساء المحصنات من أهل الكتاب، فيجوز للمسلم أن ينكحهن، لم يختلف العلماء في ذلك، إلا أن الإمامية قالوا بالتحريم، والأولى للمسلم عدم تزوجه من الكتابية مع وجود الحرة المسلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يكره تزوجهن مع وجود الحرائر المسلمات. قال في الاختيارات: وقاله القاضي وأكثر العلماء؛ لقول عمر رضي الله عنه، للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب: طلقوهن. فطلقوهن إلا حذيفة امتنع عن طلاقها، ثم طلقها بعد، لأن المسلم متى تزوج كتابية، ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها.

من قواعد الدلالات

- الأصلُ في الكلام الحقيقةُ، فلا يُعْدَلُ به إلى المجاز -إن قلنا به-، إلا إذا تعذّرت الحقيقة
- العملُ بنصوص الكتابِ والسُنَّة واجبٌ على ما تقتضيه دلالتها، حتى يقوم دليل على خلاف ذلك
- الألفاظُ إذا وردت في نصٍّ شرعيٍّ، وكان لها حقيقة شرعيّة: فالأصلُ أن تُفسَّرَ بها ما لم تأتِ قرينة صارفة عنها، فتفسَّر بحسَب ذلك.
- إن لم يكن للفظ حقيقة شرعية: فإنّه يُفسَّرُ بالحقيقة العُرْفية (بعرف الصحابة: عرف زمن النزول والتشريع) إن وُجدت.
- فإن لم توجد أو جاءت قرينة صارفة عنها، فُسِّرَ بالمعنى اللغوي.

القواعد والضوابط الأصولية للشيخ عبد الرحمن السعدي

واحة الإيمان

إعداد : محمد شفيق

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة، فقالو: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، قالوا فإن لم يجد؟ قال:ك يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، ويمسك عن الشر، فإنها له صدقة» (صحيح البخاري).

القيام في الليل

ذكروا أنه كان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية، فقالت: يا أهل الدار: الصلاة الصلاة، فقالوا: أأصبحنا؟ أطلع الفجر؟ فقالت: ما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا نعم: فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني لقوم لايصلون إلا المكتوبة: فرجع وردها إليه.

الظالم

مر رجل برجل قد صلبه الحجاج بن يوسف الثقفي، فقال الرجل: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك الليلة، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، ورأى ذلك المصلوب وهو منعم في أعلى عليين وإذا بمناد ينادي، حلمي على الظالمين، أحل بالمظلومين أعلى عليين.

النابغة والنعمان بن المنذر

دخل النابغة على النعمان بن المنذر وأنشده:

تخف الأرض إن فقدتك يوماً

وتبقى – ما بقيت بها– ثقيلاً

فنظر إليه النعمان مغضباً، وكان كعب بن زهير الشاعر حاضراً فقال: أصلح الله الملك إن مع هذا بيتاً ضل عنه وهو:

لأنك موضع القسطاس منها

فتمنع جانبيها أن يميلا

فضحك النعمان وسري عنه

أسئلة عن الحياة

سئلت أم: ما الحياة؟ قالت: إنها ضحكة طفلي، وسئلت نحلة؟ ما الحياة؟ قالت: زهرة وعسل، وسئل المطر: ما الحياة؟ قال: أرض جرداء تنتظر قطراتي بلهف وشوق، وسئلت الشمس: ما الحياة؟ قالت: ظلام ينتظرني أبدده بنوري، وهكذا نجد لكل شيء خلقه الله تعالى غاية، ولم يخلق سدى، فسبحان الله الذي جلت قدرته، وتعالت عظمته.

محادثة الإخوان

إن محادثة الإخوان حياة القلوب، وجلاء النفوس، وتذكير من النسيان، والدنيا سرورها أحزان، وإقبالها إدبار، وآخرها الموت، فكم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومنتظر غدا لا يبلغه، ولو ينظر المرء الى الأجل ومروره، لأبغض الأمل وغروره!

دعاء

يا من لم يمنعه سمع عن سمع، ويا من لا تغلطه المسائل، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا مسألة السائلين، ارزقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك.

الله يكفيك

قال حاتم الأصم لرجل أتاه يستنصح: الزم بيتك فإن أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق، فرفيقك رقيبك، وإن أردت الدنيا فالقرآن يؤنسك، وذكر الموت يعظك!

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أحمد

	8	7	6	5	4	3	2	1
1			■					
2		■					■	
3				■		■		
4		■					■	
5					■	■		
6	■			■			■	
7	■							
8								■

أفقياً

١- من سور القرآن الكريم، بداية آياتها من: (٢-٦) هي من الاعجاز الغيبي بالمستقبل للقرآن الكريم، وتتحدث تلك الآيات عن حرب جرت بين الفرس والرومان، وفيها لقي الرومان هزيمة ساحقة على أيدي الجيش الفارسي عام ٦١٦م، وكانت دولتا الفرس والرومان (واللتان تجاوران أرض العرب) هما أكبر قوتين عسكريتين حينذاك، وكان بينهما تنافس كبير.

ملحوظة: ذكر الله في الآية (٣) من تلك السورة الكريمة ان المعركة التي غلبت فيها الروم من الفرس كانت في ﴿أدنى الأرض﴾، وقد جرت تلك الحرب بالقرب من البحر الميت، بفلسطين، وقد ثبت مؤخراً ان تلك المنطقة التي جرت فيها تلك الحرب هي أكثر مكان على سطح الأرض انخفاضا عن مستوى سطح البحر، ونجد هذا واضحاً ومذكوراً في الخرائط الجيولوجية، اي ان تلك الآيات التي تتحدث عن تلك المعركة لم تشمل فقط إعجازاً غيبياً بالمستقبل، وانما شملت ايضا اعجازاً علمياً - حرف نفي.

٢- عشق. ٣- بدر (معكوسة) - الكلب الصغير (معكوسة).

٤- نهر صغير. ٥- إله - شاطر. ٦- اسم صوت، لا محل له من الإعراب، يستخدم للنداء على الخيل، والبغال، والحمير، لتمشي - سئم. ٧- طائر حسن الصوت، لقبه البعض بـ «طائر الليل الحزين» (معكوسة). ٨- من سور القرآن الكريم، الآية (٤) منها هي من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وفي هذه الآية يرد الله على تساؤل للكافرين الذين قالوا إنه لن يستطيع أن يجمع عظام من يموت، فقال لهم إنه قادر ايضاً على ان (يسوي) بنانهم (اصابعهم)، وقد اثبت العلم الحديث استحالة تطابق بنان انسان مع انسان آخر، بمن فيهم التوأم المتطابق، منذ بدء الخليقة، وحتى قيام الساعة، وفي هذا الصدد فاننا نورد - على سبيل المثال - ما جاء في الموسوعة العربية العالمية عام ١٩٨٩م، من ان سجل مكتب التحقيقات الفيدرالي الاميركي (F.B.I) Federal Bureau OF Investigaton فحص حوالي ١٧٥,٠٠٠,٠٠٠ (مائة وخمسة وسبعين مليوناً) من البصمات، في الولايات المتحدة الأميركية، فلم يجد بينها اثنتين متشابهتين.

رأسياً

١- مملكة عربية، عبارة عن أرخبيل صغير (الأرخبيل: مصطلح جغرافي يعني مجموعة من الجزر المتجاورة)، وهي تقع بالخليج العربي بين قطر والسعودية، وتبلغ مساحتها ٥٩٨كم٢، وعاصمتها المنامة، وعدد سكانها أربعمائة ألف نسمة (تقدير عام ١٩٨٥م).

٢- متشابهان. ٣- جاهل، كذا: غافل (معكوسة) - سنة، كذا: قوة، كذا: حيلة.

٤- الاسم الأصلي لـ (هاشم) والد جد النبي محمد ﷺ، حيث ان اسم سيدنا محمد السداسي هو محمد بن عبدالله بن شيبة (عبدالمطلب) بن... (هاشم) بن المغيرة (عبد مناف) بن زيد (قصي)، حيث غلب اللقب على الأربعة اسماء الاصلية الاخيرة (معكوسة) - عدم استطاعة النوم ليلا. ٥ - حرف نفي - مهارة - للتعليل. ٦- المشقوق بشق غير نافذ (معكوسة).

٧- الوالدة. ٨- كلمة يونانية، ذات اصل يرجح انه آرامي، تعني: البشارة، اي: الخبر السعيد، وهي اسم كتاب سماوي، انزل على رسول كريم، وصفه الله بأنه سيكون وجيهاً في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين (انظر: سورة آل عمران: آية ٤٥).

حل العدد السابق

	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
1	ر	ي	ز	ا	ن	خ	■	ة	ض	و	ع	ب
2	ا	ن	ج	■	ح	م	ر	■	ف	ح	ن	ا
3	م	■	ن	م	ل	■	ر	■	ا	ل	ك	د
4	ح	ز	ا	م	■	ج	ر	ا	د	■	ب	ر
5	■	ع	■	م	ي	م	■	■	ع	ر	و	■
6	ل	م	ق	■	■	ل	ب	ا	■	ى	ث	ح
7	ح	■	ر	م	ق	■	ر	و	هـ	ز	■	ي
8	د	هـ	د	هـ	■	ب	■	ق	س	و	ر	ة
9	■	■	ة	ر	ق	ب	■	ر	ر	■	ل	■
10	س	و	■	ب	ا	ب	ذ	■	غ	ر	ا	ب
11	ن	ا	ر	هـ	س	■	ء	■	■	ف	ي	ل
12	ت	و	ح	■	■	ع	ب	س	■	ش	ب	ك

إلى اللقاء

كان مجلسًا حافلاً بدا لي أن الرحمةَ تغشاه والملائكةَ تحفُّه.. ذاك الذي دعاني إليه أخي الحبيب وصاحبي القريب الأستاذ أيمن بن أحمد ذو الغنى في بيته بمدينة الرياض العامرة، وقد سعدت بكلّ من ضمَّه ذلك المجلس من أهل العلم، وما اشتمل عليه من الأطايب واللذائذ، إلا أن سروري الذي لم يعادله سرور إنما كان بلقاء عَلَمَين من أعلام هذا الزمان طالما تطلَّعت إلى لقائهما.. أما الأول فهو الشيخ الجليل د.محمد بن لطفي الصبَّاغ، صاحب الفصاحة والنصاعة والداعية الإسلامي المعروف، أمتع الله به وزاده من فضله، وأما الآخَر فهو شيخ أشياخنا العلامة الجليل عبد الرحمن الباني الذي ما إن حلّ بالمجلس حتى بدأ يُعِد العدَّة للسماع! وأي سماعٍ هذا؟ إنه سماع أهل العلم، يريد أن يُصغيَ لأهل المجلس، فلا بد إذن من وضع سمَّاعات الأذن بعد أن كلّ السمع.. ثم ماذا؟ سيل من الأسئلة، ومحاولة للإحاطة بموضوع يتحاماه الناس من المتخصصين، بَلَهَ المثقفين وذوي المعارف العامَّة من أهل العلم.. أما الموضوع فهو علمُ التعمية واستخراج المعمَّى (الشفرة وكسرها) وريادة العرب المسلمين فيه! وما صنَّفوا من مخطوطات سبقوا بها علماء أوروبا، بل سبقوا العالم كلّه، ولم يكتفوا بذلك بل كشفوا اللثام عن رموز الأقلام القديمة التي كان الحكماء يخفون بها كتاباتهم، ومن بين هذه الأقلام الكتابة الهيروغليفية القديمة!

وهنا بدأ الشيخ الجليل يسألُ عن صاحب أول مخطوط عَرَض لهذه اللغة وهو ابن وحشيَّة النَّبطي، وعن تتبُّعنا لآثاره، ومعرفتنا بمواطن نُسَخ هذا المخطوط النادر.. لم يَدُر بخَلَدي أن الشيخ يسألُ هذه الأسئلة ليكونَ له أجر المشاركة بهذا العمل العلميِّ، بل قدم لنا في صباح اليوم التالي صفحات تتبَّع فيها تراجمَ ابن وحشيَّة في مظانِّها من كتب التراجم والتاريخ والموسوعات، وتتبَّع أيضًا مؤلفات الرجل، ثم ختمها بصفحتين كانتا كالتاج لما كتب جعلهما تحت عنوان «حقائق لاستنهاض الهمم» جاء فيهما:

١- الخوارزمي محمد بن موسى (ت نحو ٢٣٢هـ- ٨٤٧م) مؤسِّس علم الجبر.

٢- عبَّاس بن فرناس (ت ٢٧٤هـ- ٨٨٧م) أول من حاول الطيران، والجوهري إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ- ١٠٠٣م) صاحب الصِّحاح.

٣- الرازي أبو بكر محمد بن زكريا (ت نحو ٣١٣هـ- ٩٢٥م) مؤسِّس علم الكيمياء، وأبو الكيمياء الحديثة (راجع لمحات في تاريخ العلوم الكونية عند المسلمين، للدكتور عبدالله حجازي، الرياض ١٤١٧هـ)، ومؤسِّس علم طبِّ الأطفال (راجع تاريخ طب الأطفال عند العرب، للدكتور محمود الحاج قاسم محمد، ط٢، مكتبة تهامة- جُدَّة، ١٤٠٣هـ).

٤- الكَرَجي (وفي بعض المصادر الكَرْخي) محمد بن الحسن (ت نحو ٤١٠هـ- ١٠٢٠م)، أول من اكتشف طرقًا علمية لاستخراج المياه الجوفية من باطن الأرض في كتابه «إنباط المياه الخفيَّة»، وهو مبدع مثلَّث المعادلات ذات الحدَّين المعروف بمثلَّث باسكال نسبة إلى الفرنسي بْليز باسكال (ت ١٠٧٣هـ- ١٦٦٢م)، والأولى أن يسمَّى مثلث الكَرَجي (انظر «كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟» للدكتور خالد عزب، الصادر عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإسيسكو)، فصل: علم استنباط المياه عند المسلمين).

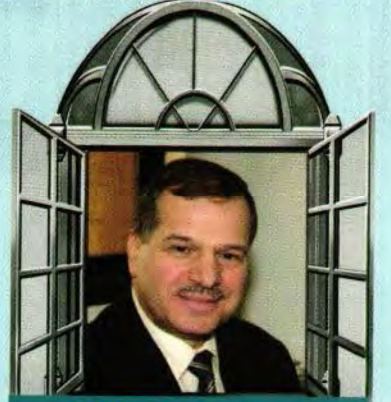
٥- ابن الهيثم محمد بن الحسن (ت نحو ٤٣٠هـ- ١٠٣٨م) مكتشف قوانين الضوء، وليس الألماني يوهانز كبلر (ت ١٠٤٠هـ- ١٦٣٠م) (راجع «ابن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية»، لمصطفى نظيف، ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م).

٦- الغزالي أبوحامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ- ١١١١م) (ت ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م) مكتشف الفعل المنعكس الشرطي، لا الروسي إيفان بافلوف (د.فايز الحاج).

٧- ابن النفيس علي بن أبي الحزم (ت ٦٨٧هـ- ١٢٨٨م) مكتشف الدورة الدموية، لا الإسباني مايكل سرفيتوس (ت ٩٦٠هـ- ١٥٥٣م)، ولا البريطاني وليم هارفي (ت ١٠٦٨هـ- ١٦٥٧م): (راجع «ابن النفيس» لبول غلبونجي).

٨- ابن الشاطر علي بن إبراهيم (ت ٧٧٧هـ- ١٣٧٥م) في بيان القوانين الفلكية، لا البولندي نيكولاس كوبرنيكوس (ت ٩٥٠هـ- ١٥٤٣م).

٩- ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ- ١٤٠٦م) مؤسِّس علم الاجتماع، لا الفرنسي أوغست كونت (ت ١٢٧٣هـ- ١٨٥٧م)، ولا الفرنسي إميل دوركهايم (ت ١٣٣٥هـ- ١٩١٧م) (راجع «ابن خلدون» للدكتور علي عبدالواحد وافي، وله كتب أخرى عن ابن خلدون). وابن خلدون لا الفرنسي شارل مونتسكيو (ت ١١٦٨هـ- ١٧٥٥م) في ربط علم الاقتصاد بعلم التاريخ (علماء العرب وما أعطَوه للحضارة، لقدري حافظ طوقان).



د.محمد حسان الطيان

شيخ في التسعين يستنهض همم الشبان



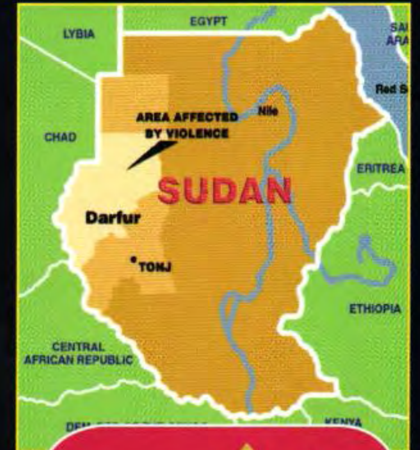
الخرافي: الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب.. تجربة رائدة

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

الإسلام والغرب.. تصادم أم تقارب؟



دارفور.. رؤية استراتيجية للمشكلة

السرقات العلمية.. ظاهرة العصر

الصحافة في فكر رواد النهضة المسلمين

حول نكاح أهل الكتاب

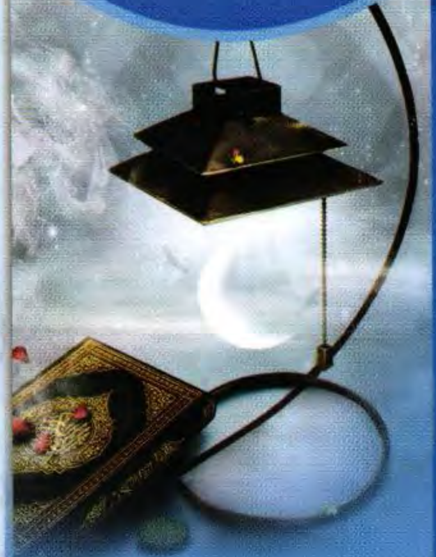
المرأة المسلمة ومجال العلم الشرعي

خطر الفتوى



الافتتاحية

خطر الفتوى





رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

من الضرورة أن نعطي الواجب حقه من الواقع، والواقع حقه من الواجب، وإلا ضاع الواجب والواقع بين تفلت من الواجب، وغربة عن الواقع، وما أحوجنا لضبط الفتاوى، التي تراوحت بين شدة في غير موضعها، وسهولة في غير محلها، فاستحالت السهولة إلى تساهل، والشدة إلى غلو وتنطع، فالأمة بحاجة إلى فقيه النفس الذي يكشف حقيقة الأشياء والمقاصد، والفقيه الموصول بالأثر، ومعرفة الواقع والأخبار، المرتبط بالأصل، والمتصل بالعصر.

ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يُبَلَّغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أولى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدّته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، كيف لا، وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله. وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، عبدالله ورسوله، وأمينه على وحيه، ثم قام بالفتوى بعده أهل الإسلام وعصابة الإيمان، وعسكر القرآن، وجند الرحمن، الصحابة الكرام، ألين الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأحسنها بياناً، وأصدقها إيماناً، وأعمها نصيحة وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط، وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فهذا حال السلف رضوان الله عليهم من الورع، بأنهم لا يُنَصِّبون أنفسهم للفتوى إلا بعد استكمال شروطها، ومع أنهم قد جمعوا العلوم المشروطة في الفتيا فإنهم كانوا كثيراً ما يمتنعون تورعاً.

وفي هذا الزمان انتحل صفة المجتهد من نزل عن درجة المقلد البصير، واستنسر البُغاث واستبحر الغدير، ومازالت الهمم تتقاصر، فمات العلم، وقد جاء الوعيد الشديد لمن يفتي وليس من أهل الفتوى، فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، وليعرض عن طلب الرئاسة في غير وقتها، فقد قال الحكماء: من تصدر وهو صغير فاته علم كثير، وقال بعض العلماء: قلّ من حرص على الفتيا، وسابق إليها، وثابر عليها، إلا قلّ توفيقه، واضطرب في أمره.

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٥

العام السادس والأربعون

جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ

مايو ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

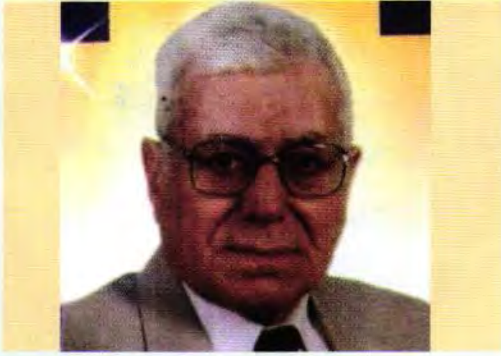
تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ – فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

موضوع الغلاف

هناك فجوة كبيرة بين الإسلام والغرب تتركز في محور انعدام الثقة، ولعل حوارات الحضارات والأديان تنجح في بعث الاحترام المتبادل بين الطرفين لاسيما أن مسلمي الغرب لا يزالون يعانون من التضييق والتهميش.



داخل العدد

كلمة العدد

مسؤولية الشباب

انطلاقاً من دور وزارة الأوقاف الاستراتيجي في توعية المجتمع أقامت إدارة التنمية الأسرية مؤتمرها الثاني تحت شعار «المسؤولية كما يفهمها الشباب» لتسلط الضوء على دور الشباب تجاه وطنه ومجتمعه وأسرته ودينه ونبيه ﷺ وكذلك تجاه نفسه.

وتولي الوزارة الجانب الأسري اهتماماً غير مسبوق من خلال تفعيل دور كل أفراد الأسرة في النواحي الاجتماعية والثقافية والتنموية، وتنشئة الأطفال تنشئة إسلامية متكاملة.

ولعل التركيز على فئة الشباب جاء باعتبارهم عماد أي مجتمع ومصدر قوته ويده الفاعلة العاملة في الحاضر والمستقبل لاسيما أن هذه الفئة تمثل 34 % من نسبة سكان المجتمع الكويتي وفق هيئة المعلومات المدنية لعام 2008.

وتسعى الوزارة إلى إعداد هؤلاء الشباب بالتوفيق بين أحدث النظريات في مجال التربية وبين خصائص بيئتنا العربية الإسلامية المحافظة والمزج بين التجديد والتطوير وملاءمة سمات عصر العولمة وبين التأصيل الشرعي ما شأنه بناء جيل متفاعل مع عالمه ومزود بما يحضه ويستشعر المسؤولية بما يتناسب مع أهمية الرسالة التي يحملها.

الوعي الإسلامي

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلسا ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريال ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



كيف نربي أطفالنا على المطالعة في الصغر؟



المطالعة هـي تربيـة وهواية واذا اعتاد الطفل عليها منذ صغره اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته، والمطالعة بكل أنواعها هي ثقافة وتكوين للشخصية ولربما اصبح هذا الطفل يوما كاتبا او شاعرا أو عالما.

إذنٍ كيف نربي اطفالنا على المطالعة من الصغر؟

أولاً: يجب اصطحاب الطفل الى المكتبات ثم التجول في صفوفها وبين رفوفها ثم الوقوف بالجهة او الجناح المخصص للأطفال، فحسب السن والمستوى التعليمي للمتعلم يتم شراء ما أحب الطفل بإرشادات من المربي، ويكون التدرج في الاختيار، بداية بالمجلات التي تغلب عليها الصور أكثر من الكتابة ثم نسير نحو العكس، ويستحسن أن يقتني المربي من حين لآخر مؤلفاً أو مجلة لنفسه أو على الأقل يكون الطفل قد شاهد هذا المربي وهو يبحث ويتفحص الكتب والعناوين، وبفضل هذه الزيارات للمكتبة سيتعود الطفل على هذه الأماكن، وعند كبره سيذهب وحده معتمدا على نفسه في اختيار واقتناء الكتب والمجلات.

ثانيا: يجب ان تكون بالبيت خزانة خاصة بالكتب، فالطفل سيعتبرها جزءا من اثاث المنزل ويكون قد تعود على هذا المشهد الثقافي من حوله، وحبذا لو كان الأبوان او احدهما يزور الخزانة ويطالع محتوياتها من فترة لأخرى، وبالنسبة للطفل يخصص له مكان بخزانة المنزل ليضع فيه مجلاته وكتبه، وكلما زاد عددها خصص له مكان اوسع او خزانة صغيرة مجاورة.

الطفل سيستأنس بهذا المكان ويوما من الأيام سيبدأ هو كذلك يتفحص كتب ومجلات الكبار، أخيرا الكتاب خير أنيس فهو معك أين رحلت أو ارتحلت، وخير معلم، لا يحل محله التلفاز ولا الانترنت، وخاصة اذا ابتدأ الطفل المطالعة منذ نعومة أظافره وهو لا يميز الا الصور.

■ عبدالصمد عيار

حلم المصاخيط

إن حلم الغنى والثراء الفاحش أصبح يراود الكثير والكثير، وحلم الحياة الرغدة والعيشة المنعمة أصبح يسكن وجدان الشباب، أما العمل الجاد، والمكسب الحلال فأصبح وهما، إذا تحدث عنه أحد رموه بالجنون، وقالوا له «عمرك ما هتوصل»، وكأن الوصول عندهم هي محطة كتب عليها محطة الأغنياء.

لذلك لجأ العديد من الشباب الحالم بالمكسب السريع الى التفكير في البحث عن المصاخيط، ويقصدون بالمصاخيط الآثار المصرية، فلجأوا الى الدجالين والنصابين يبحثون عن أنواع معينة من البخور والزئبق الأحمر، الأمر الذي كلفهم كل ثروتهم.. تلك الجنيهات التي كانت ثروتهم فقدوها، وفقدوا معها الثقة في أنفسهم، وراء البحث عن المصاخيط، حتى يجمعها النصابون والدجالون، ويعيشون حياة الترف والإسراف، ويعيش هؤلاء الحالمون ظلمة اليأس، أو يسكنون مستشفيات المجانين، أو يسيرون في الشوارع يعرفهم الناس وهم لأنفسهم لا يعرفون.

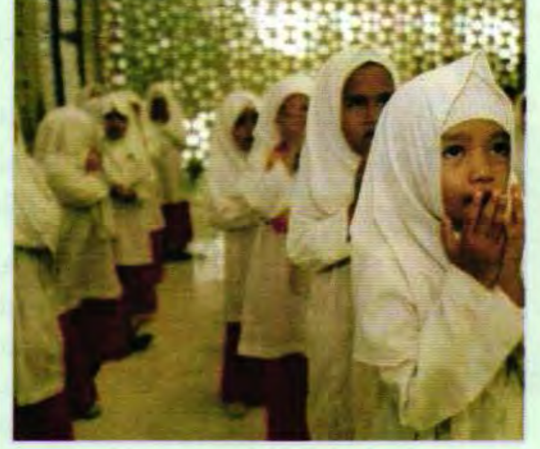
أيها الشباب يقول تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (الكهف: ٣٠)، وتقول الحكمة «من جد وجد ومن زرع حصد».

فيا أيها الشباب، اتقوا الله في أنفسكم واعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

وإن كنتم تبحثون عن المصاخيط فانظروا الى من سبقوكم تجدوهم أصبحوا مصاخيط أما الثروة الحقيقة فهي في انفسكم أفلا تشعرون.

■ رضا أبو الغيط المحامي

نصرة الله



مرت علينا ذكرى المولد النبوي الشريف حيث ولد المصطفى ﷺ في شهر ربيع الأول، فأربع الدنيا كلها وحول ظلامها الحالك الى نور وضياء في كل المسالك، ويهمني هنا ان انوه الى شيء مهم يفتقده المسلمون في حياتهم المعاصرة حيث اسست رسالة المصطفى ﷺ على النصرة.

فلقد نصر الضعيف فنصره الله عز وجل وأيده، والمسلمون اليوم يفتقدون نصرة بعضهم ونصرة قضاياهم.

وأخوتهم تقتضي النصرة والالتزام بهديه ﷺ «انصر أخاك ظالما أو مظلوما...» (البخاري)، فأين هي النصرة للمسلمين في العالم أجمع؟ والنصرة في الأخوة قبل مطالبة الآخرين بها، ولكن وللأسف فقد جاوز الظالمون المدى بسبب عدم النصرة.

■ عبدالله الحسين محمد

رسالة الى الوطن الجريح

إليكم أيها المسلمون جميعاً، إليكم أيها العرب أقول: حبكم مواسم، عطفكم مواسم، وحتى دعاؤكم أصبح مواسم، ونحن عذابنا كل المواسم، انتم تنعمون ونحن مشردون، أنتم آمنون ونحن خائفون، أوما تعلمون يا مسلمون أننا جسد واحد.

حسبي الله ونعم الوكيل

إمضاء، طفلة فلسطينية

منى رضا الجداوي



من أطفال الحجارة

يا أطفال العالم، هل سألتم أنفسكم، ولو مرة واحدة، لماذا يواجه اطفال فلسطين ما يواجهونه من حصار وجوع وحرمان وتشريد ودمار؟!

ألم تحاولوا التفكير في هذا الأمر الخطير؟!

يا أطفال العالم نحن أطفال فلسطين نناجيكم، فنحن أطفال مثلكم، ألا يحق لنا العيش ولو للحظات بعيداً عن الرعب والدمار والذل والهوان والاستعباد؟!

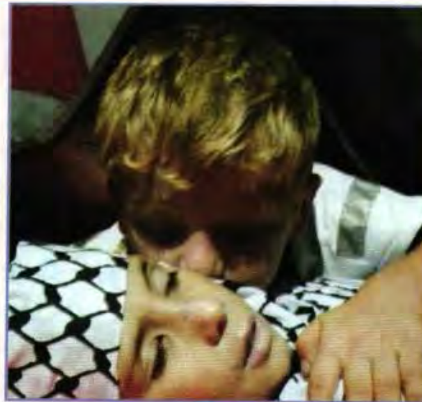
يا أطفال العالم لقد نفد ما عندنا من خبز وماء ووقود، لقد نفد ما عندما من نقود، ألا يحق لنا العيش بأمن واستقرار في دولة ذات حدود؟!

ألا يحق لنا أن نذهب إلى مدارسنا ونتعلم أن العدل يوماً سيسود مهما وضع الظالم من قيود؟!

يا أطفال العالم، ألا يحق لنا أن نمرح ونلعب بالأزقة والحارات؟!

ألا يحق لنا أن نكبر في جو يملؤه الحب والحنان بين أحضان الأباء والأمهات؟!

ألا يحق لنا أن نستيقظ يوماً على الصوت



الحنون للأمهات لا على صوت الرصاص والطائرات والدانات؟!

ألا تعرفون من نحن؟!

نحن أطفال الحجارة، ولدنا تحت الاحتلال وكبرنا مع الانتفاضة والرفض وعدم القبول بالذل والعدوان.

أين أنتم أيها المتحدثون عن الحرية وعن حقوق الإنسان أو حتى عن حقوق الحيوان؟!

ألا تدافعون عن حقوق الأطفال؟!

كم سمعنا عن وعود بوطن مستقل ودولة وحدود!!

يا أطفال العالم نحن لا نخاف الموت، ولا نخشى الجراح ولا الألم، كل ما نخشاه الفرقة والانقسام والعدم!.

■ محمد السيد عامر

هيئة الفتوى الشرعية بالكويت

- تعريفها ورؤيتها ومنهجها-

عرفت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (هيئة الفتوى) بأنها: جهاز مستقل يصدر بتشكيله قرار وزاري سنوي، ويستهدف تحقيق الغرض التالي: بيان الحكم الشرعي في القضايا العامة والخاصة والمستحدثة المطروحة داخل وخارج الكويت (1).


مسعود صبري

بداية الإفتاء في الكويت

بدأت الفتوى بالكويت في شكل يسير يتناسب مع يسر الحياة الاجتماعية لأهل الكويت قبل ظهور النفط، وتكاد تنحصر أسئلة الناس حول فتاوى العلاقات الأسرية بين الأفراد والعوائل، أو العلاقات التعاقدية بين التجار والنواخذة من جهة، وبين الناس المستأجرين للغوص أو السفر من جهة أخرى، أو كانت تتعلق بالمنازعات القبلية أحيانا.

ولم يبدأ الإفتاء رسميا في ظل هذه الأوضاع الأولى، فكان الناس يذهبون إلى المشايخ ممن يثقون بعلمهم يسألونهم في المساجد ونحوها، وهو شكل من أشكال الفتاوى مازال موجودا إلى يومنا بجوار الإفتاء الرسمي.

و يعتبر الشيخ عبدالله بن خالد العدساني هو أول مفت رسمي للبلاد، حيث كلف بالفتوى من قبل المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الحاكم التاسع لدولة الكويت (١٩١٦ - ١٩٢٠)، غير أن هذا التعيين لم يدم إلا سنة ونصف، فقد توفي قاضي الكويت الشيخ عبدالعزيز العدساني، فتفرغ ولده الشيخ عبدالله العدساني للقضاء.

ومع هذا، فقد عرف عدد من علماء الكويت بالفتوى، وكانوا مرجع الناس فيها، منهم: الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، و الشيخ يوسف بن حمود، والشيخ عبداللطيف العدساني، والشيخ جمعة بن جودر، والشيخ محمد بن عبدالله بن فارس التميمي، والشيخ محمد بن جنيدل، والشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح، والشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن محمد الفارس، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن محمد فارس، والشيخ أحمد بن خميس الجبران، والشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة، وغيرهم، فكان الناس يلجأون إليهم في مسائلهم وفتاويهم، ويعتبرونهم مرجعيتهم الشرعية في حياتهم.

آثار فقهاء الكويت في الإفتاء

رغم كثرة عدد الفقهاء والمفتين بالكويت قديما وحديثا، فإنه لم تسجل كل فتاوى علماء الكويت، ولكن وثق منها عدد لا بأس به، وإن لم يعطنا الصورة الكاملة لجهد فقهاء الكويت في الإفتاء(٢).

ومن تلك الكتب التي حفظت:

١- سؤالات علامة الكويت، الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، لعلامة الشام الشيخ عبدالقادر بن بدران، المسماة (العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية)، وهو كتاب يتضمن ثلاثين سؤالا من الأسئلة الدينية وجهها الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان إلى محدث الديار الشامية في حينه الإمام ابن بدران: عبدالقادر بن أحمد، وذلك سنة ١٣٤٦هـ. اعتنى بطبعه الدكتور الطاهر الأزهر خذيري، إصدار مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف بالكويت، ويقع في أزيد من أربعمائة صفحة.

٢- الأجوبة النافعة عن الأسئلة الواقعة، للشيخ عبدالوهاب الفارس، الوكيل المساعد سابقا في وزارة الأوقاف.

٣- درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص، وهي جواب لسؤال مؤرخ الكويت الشيخ عبدالعزيز الرشيد للعلامة الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن بدران الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، طبع مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. وهي رسالة لطيفة تقع في قرابة خمسين صفحة.

٤- الأحكام المفيدة من الأقوال السديدة، تأليف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل سند، إصدار: مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف، ويقع في أزيد من مائتي صفحة.

٥- من غريب ما سألوني، للشيخ عبدالله النوري.

٦- سألوني في العقيدة، للشيخ عبدالله النوري.

٧- مجموعة الفتاوى الشرعية، والتي تصدرها هيئة الفتوى الشرعية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

٨- يضاف إلى هذا بعض ما نشره أساتذة الشريعة بالكويت من كتب خاصة.

الفتوى بالكويت اختصاص وزارة الأوقاف

ولأهمية الإفتاء فقد أسند هذا الاختصاص الحيوي لوزارة الأوقاف بموجب المرسوم الأميري الذي ينص على: بعد الاطلاع على المادة ٧٣ من الدستور وعلى المرسوم الأميري رقم ٢ لسنة ١٩٦٢ بإعادة تنظيم الوزارات والمراسيم المعدلة له، وعلى مرسوم تشكيل الوزارة الصادر في ٨ من ربيع الأول سنة ١٣٨٩هـ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٧٨م، وبناء على عرض رئيس مجلس الوزراء، وبعد موافقة مجلس الوزراء..رسمنا بالآتي: مادة ثانية «تختص الوزارة بالإفتاء فيما يطلب من الوزارة من استفسارات دينية وفقهية» (٣).

استقلالية لجنة الفتوى

فهيئة الفتوى بالكويت هي هيئة دينية شرعية لا تخضع لسلطان

أحد، سواء أكان جهة رسمية أو غير رسمية، وقد أكدت ذلك القرارات الوزارية، ولم يتدخل أي أحد في عمل اللجنة، ولا في فصل أحد الأعضاء، أو ممارسة أية ضغوط عليها بأي شكل من الأشكال.

أما تبعية الهيئة لوزارة الأوقاف، فهي تبعية من حيث التنظيم والإدارة وتوفير ما تحتاجه الهيئة من المقر والخدمات وكل ما ييسر لها عملها الشرعي.

التأريخ للجان الفتوى بالكويت

صدر أولا القرار الإداري رقم ٢١ لسنة ١٩٦٩م بتشكيل لجنة الفتوى، والتي تكونت من السادة العلماء التالية أسماؤهم:

- الشيخ عبدالله النوري (رئيسا).
- الشيخ أحمد محمد الأحمر.
- الشيخ رضوان رجب البيلي.
- الشيخ حسن مراد مناع.
- الشيخ محمد الأشقر.

و غلب على عمل هذه اللجنة العمل الشفهي، فلم تكن تسجل جلسات اللجنة.

واستمر الحال ما يزيد على سبع سنوات، ثم صدر القرار الوزاري رقم ٩ لسنة ١٩٧٧ بإعادة تشكيل لجنة الفتوى من العلماء التالية أسماؤهم:

- الشيخ عبدالله النوري (رئيسا).
- الشيخ بدر المتولي عبدالباسط.
- الشيخ حسن مراد مناع.
- الشيخ عطية محمد صقر.
- الشيخ محمد سليمان الأشقر.

وكانت اللجنة تختار مقررا لها من بينها، ثم تم اختيار الشيخ مشعل مبارك عبدالله الأحمد الصباح (وهو من خريجي كلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز سابقا، أم القرى حاليا) وذلك سنة ١٩٧٨م، ونظرا لوفاة الشيخ عبدالله النوري- رحمه الله- ولانتهاء عمل الشيخ عطية صقر بالكويت، فقد صدر القرار الوزاري رقم ٣١٢ لسنة ١٩٨٢م بتشكيل لجنة الفتوى، فأضيف إليها الدكتور خالد المذكور، والدكتور عبدالستار أبوغدة، وعين الشيخ مشعل مبارك الصباح مقررا، والشيخ أحمد سالم غيث نائبا للمقرر، وتولى الشيخ بدر المتولي عبدالباسط رئاسة اللجنة.

وفي عام ١٩٨٣م صدر القرار الوزاري رقم ١٧١ بتعديل تسمية لجنة الفتوى إلى الهيئة العامة للفتوى، وقسمت إلى لجنتين: لجنة تختص بالإجابة عن الأحوال الشخصية، والأخرى عن الأسئلة العامة.

كما زاد عددها مع هذا التعديل الجديد، كان أشهرهم الشيخ جاسم مهلهل الياسين، وفي سنة ١٩٨٤م ضم للجنة الدكتور عجيل النشمي، وفي عام ١٩٨٧م صدر قرار وزاري بتعديل اسم «مكتب الإفتاء» إلى «إدارة الإفتاء»، مع وضع نظام لها، وضم إليها الدكتور محمد عبدالغفار الشريف عضوا، والشيخ عيسى أحمد العبيدلي نائبا للمقرر، وهو الآن مدير


أعضاء هيئة الفتوى في زيارة لأمير البلاد

قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية والمخطوطات.

وظلت اللجنة على عملها حتى العدوان العراقي الغاشم على الكويت، وبعد التحرير عادت إدارة الإفتاء تزاول نشاطها، وقد ضم إليها عام ١٩٩٣م الدكتور أحمد الحجي الكردي.

وفي عام ١٩٩٢ صدر قرار وزاري رقم ١٦٨ لضم إدارة الإفتاء وإدارة البحوث (الموسوعة الفقهية) باسم «إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية»، وتكون ملحقة بالسيد وكيل الوزارة، ثم انضمت إليها: إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية، وإدارة الشؤون العامة (المسجد الكبير)، وفي ١٩٩٥/٧/٥م صدر القرار الوزاري بتسمية الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية باسم قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، وتضم: إدارة الإفتاء، وإدارة البحوث والموسوعات الإسلامية، وإدارة المكتبات.

وفي سنة ١٩٩٧م انضم إلى اللجنة الدكتور حسن الشاذلي، وفي عام ٢٠٠٢م تم تعيين الدكتور محمد عبدالرزاق الطبطبائي إلى اللجنة (٤).

أشكال الفتوى

تتعدد أشكال الفتوى بهيئة الفتوى الشرعية بالكويت إلى ما يلي:

١- الفتوى الشفهية، سواء أكانت فردية أم جماعية.
٢- الفتوى المكتوبة، شعبية كانت أم رسمية.
٣- الفتوى على الإنترنت.
٤- الفتوى على الهاتف.

منهج هيئة الفتوى

يمكن تلخيص أهم السمات المنهجية لهيئة الفتوى الشرعية بالكويت فيما يلي:

١- تغليب التيسير في المسألة إن اقتنعت به، حتى لا توقع السائل في الحرج، ولا تتشدد في الأحكام، بل تحمل الناس على الرفق.

ومن نماذج التيسير في الفتوى: فتوى دفع زكاة الفطر نقداً.

٢- التزام التخير من المذاهب الأربعة، وعدم الخروج عنها، إلا في القليل النادر، إذا رأت اللجنة في رأي ما دليلا يستند إليه، ومصلحة أكيدة تدفع إلى ذلك.

٣- تجنب تناول القضايا التي تعرض في ساحة القضاء أمام المحاكم، ولا تتدخل إلا بطلب رسمي من الجهات المختصة.

٤- عدم الالتزام بذكر الأدلة التفصيلية- خاصة في الفتاوى القديمة-، واعتبار أن مجال ذكر الأدلة هو البحوث الشرعية وليست الفتاوى، خشية التشويش على المستفتي، إلا أن يكون المستفتي أهلا للإحاطة بالأدلة الشرعية.

٥- التمهل في الإجابة على الأسئلة، وتأخير الإجابة أحيانا حتى تجمع معلومات كافية حول السؤال، وربما بعثت أحد الأعضاء خارج الوزارة لمعرفة الواقع، ورفع تقرير يمكن من خلاله إيجاد صورة واضحة يمكن معها الفتوى عن السؤال بشكل تطمئن إليه اللجنة.

٦- البعد عن المسائل السياسية البحتة، سعيا لنزاهة عمل اللجنة، وإبعادا لها عن أي تأثير، وحرصا أن يبقى عمل اللجنة علميا بحتا، كما تبتعد عن القضايا والمسائل التي تثير حساسية اجتماعية أو طائفية في المجتمع، كالمذاهب الفقهية، والسنة والشيعة، والبدو والحضر ونحو ذلك.

٧- الإحالة- أحيانا- إلى جهات علمية أخرى في مجال الإجابة عن بحث تخصصي، أو جهة إدارية، وهو من قبيل سؤال أهل الذكر.

٨- مراعاة أعراف السائلين، واختلاف بلدانهم، وربما أحالت اللجنة السائل إلى فقهاء بلده، حتى تعرف خبايا المسائل بشكل دقيق ومفصل مما قد يخفى عليها.

٩- الاعتذار عن إجابة ما لم يسبق للمجامع والمؤسسات الفقهية الإجابة عنه، والانتظار لمزيد من البحث والدراسة في المسألة حتى تقف على إجابة شافية.

١٠- التوازن في الإجابة بين الإفراط والتفريط، والتشدد والتساهل، في حدود الأدلة الشرعية المعتبرة، فلا هي تتجاوز الأحكام الشرعية المتفق عليها، ولا أن تشدد على الناس في المسائل الخلافية التي يكون فيها للناس سعة.

١١- الاكتفاء بالإجابة على السؤال دون الخروج عن حدود المسؤول عنه، ولا ذكر الخلافات الفقهية ومناقشة الأدلة، فجاءت إجابات اللجنة- غالبا- قصيرة غير مسهبة بالتفاصيل أو الافتراضات، ولا متوسعة في الآراء والأقوال، ولا مستفيضة في الأدلة الشرعية.

١٢- غلبة الطابع العملي، والبعد عن الافتراضات غير الواقعية.

طريقة الإفتاء

وتتمثل طريقة الإفتاء في عرض السؤال على اللجنة، وأن يدلي كل عضو برأيه، فإما أن يتفق أعضاء اللجنة كلهم على رأي، فيخرج برأي اللجنة كلها، أو يخالف بعض الأعضاء، فتخرج الفتوى بالأكثرية، مع تسجيل رأي المخالف.

وقد تحيل اللجنة بعض الأسئلة إلى بعض أعضائها ليتولى هو الإجابة عن السؤال، وذلك إما لمصلحة عامة، أو لتفهم ظروف السائل، والاتصال بأصحاب العلاقة فيه أو غيره.

وفي مسائل الطلاق، لا بد من حضور الزوج والزوجة، أو في حالات النزاع لا بد من حضور جميع الأطراف حتى يسمع من الجميع.

تدوين الفتاوى

لاعتبار أن لجنة الفتوى لجنة رسمية، فقد سجلت اجتماعاتها منذ عام ١٩٧٧م في محاضر رسمية، دونت فيها الأسئلة المقدمة والبيانات التوضيحية والنقاش القائم بين اللجنة والمستفتين والإجابة المعتمدة، وتعتبر تلك المحاضر سرية لا يطلع عليها إلا أصحابها، أو من تستدعي الظروف الخاصة من عائلية ودينية واجتماعية الاطلاع عليها، بعد موافقة السيد المدير العام لإدارة الإفتاء والبحوث الشرعية بتصريح خاص منه.

ولكن الفتاوى من حيث الأسئلة والأجوبة، فهي تصدر في مجلدات بعنوان «مجموعة الفتاوى الشرعية».

عدد الفتاوى المجاب عليها

وتتنوع مهام واختصاصات وإنجازات إدارة الإفتاء، حيث تتلقى يوميا العديد من الأسئلة الرسمية وغير الرسمية من داخل الكويت وخارجها حيث تقوم هيئة الفتوى بالرد عليها، ويزيد عدد الأسئلة التي ترد إلى الإدارة خلال السنة الواحدة على ٣آلاف سؤال، فيما يزيد عدد الفتاوى الصادرة عن هيئة الفتوى ولجانها خلال المدة نفسها على أكثر من ٢٥٠٠ فتوى، وتصل عدد الجلسات المنعقدة للنظر في الاستفتاءات المعروضة على هيئة الفتوى ولجانها إلى أكثر من ٨٠٠ جلسة، وتنظر سنويا في قرابة ١٠٠٠ حالة طلاق، هذا فضلا عن عشرات الجهات التي يتم مخاطبتها تحت عنوان: «لمن يهمه الأمر» لتوضيح الأحكام الشرعية في قضايا بعينها.

كما تقوم خدمة الإنترنت، والتي يتولاها الدكتور أحمد الحجي الكردي، فيجيب عن أزيد من ألفي (٢٠٠٠) سؤال سنويا.

أعمال هيئة الإفتاء الشرعية

أ - إصدار الفتاوى الشرعية المتنوعة.

ب - الإصدارات الفقهية:

على صعيد الإصدارات قامت إدارة الإفتاء بإصدار سلسلة تضم فتاوى هيئة الإفتاء ولجانها في المواضيع كافة تحت عنوان سلسلة «مجموعة الفتاوى الشرعية» مع فهرس شامل لفتاوى السلسلة لكل عشر سنوات، وسلسلة «المختارات الموضوعية» من الفتاوى الشرعية مثل فتاوى «الحج والعمرة» و«فتاوى المغتربين والمسافرين» و«كتاب الصيام» و« كتاب الزكاة»، وسلسلة «رسائل التوجيه والتثقيف الشرعي» في بعض القضايا الفقهية التي تتضمن حلولا شرعية لبعض المشكلات الأسرية والاجتماعية.

ج - مشاريع الفتوى:

وتترجم إدارة الإفتاء فلسفتها وأهدافها في مجموعة من المشاريع القيمة المتمثلة في طباعة نشرة و مطوية «وسطية الإسلام ونبذ التطرف» نشرة «القروض الاستهلاكية» وبعض الأجزاء من سلسلة مجموعة الفتاوى الشرعية، و كتاب «أحكام الزكاة» من سلسلة المختارات الموضوعية من الفتاوى الشرعية، واستكمال إدخال فتاوى العالم الإسلامي إلى الحاسوب الآلي، وإعداد وطباعة كتاب «أحكام النساء في الإسلام» من سلسلة المختارات الموضوعية من الفتاوى الشرعية، ومطوية «نصائح الآباء في تربية الأبناء»، وفهرسة أجزاء مجموعة الفتاوى الشرعية ووضعها مع الفهرس الشامل الخاص بها على قرص مدمج (CD)، وإصدار المجموعة الأولى للفتاوى الصادرة عن طريق الإنترنت على قرص مدمج (CD) مع برنامج متعدد الخدمات، وترجمة كتاب فتاوى المغتربين والمسافرين مع البرمجة على (CD)، وإعادة طباعة كتاب «نحو أسرة مسلمة سعيدة» متضمنا مطوية نصائح للزوجين.

الهوامش

(١) راجع: موقع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية على الإنترنت، في تعريف قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية.. http://www.awkaf.net/min-sec-eftaa.html

(٢) راجع: هيئة الفتوى الشرعية في الكويت، إعداد: إدارة الإفتاء، ص: ٣٩ -٤٦، طبع سنة: ١٣٢٤هـ = ٢٠٠٣م، و مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، الجزء الأول.

(٣) راجع: مقال عن هيئة الفتوى، بمجلة العالمية - شوال ١٤٢٨ هجرية - نوفمبر٢٠٠٧ م - العدد (٢١١) - السنة التاسعة عشر.

(٤) راجع: هيئة الفتوى الشرعية في الكويت، إعداد: إدارة الإفتاء، ص: ٤٦ -٥٥، طبع سنة: ١٣٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

في محاضرة بكلية التربية الأساسية

الخرافي: الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب.. تجربة رائدة

تنطلق مبرة الآل والأصحاب من أرض الكويت لتصدح بعظم العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين، تلك العلاقة التي ينبغي أن يتعرف عليها كل مسلم ليعالج ما تصدعت به الرؤوس من تعتيم حول هذه العلاقة السامية التي يعني كتمانها إعطاء فرصة للمغالين والمغرضين والطائفيين للعمل على شق الصف المسلم، لذلك فإن العلاقة الحميمة بين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الأطهار الأبرار تعد أعظم داعم للوحدة الوطنية وأكبر حجر عثرة أمام الطائفية البغيضة، فهي نموذج رائد لتجربة رائدة على طريق الوحدة الوطنية.. هذا ما افتتح به د.عبدالمحسن الجارالله الخرافي رئيس مبرة الآل والأصحاب محاضرة «الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب نموذج لتجربة رائدة على طريق الوحدة الوطنية» ضمن فعاليات الموسم الثقافي التاسع والعشرين للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ م لكلية التربية الأساسية أخيرا.



وأكد د. الخرافي على عدة اعتبارات مهمة تتمثل في أن هذا النموذج المقترح هو اجتهاد، فمن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، وأن الموضوع شائك لتراكمات الطائفية وحساسية مادته، فيتم تناوله بالعناية اللازمة، وأن هذا النموذج مبادرة ينبغي تشجيعها في البداية مع تقويمها خلال المسيرة، فالمهم البداية.

وتساءل الخرافي: لماذا الآل والأصحاب؟ وأجاب: بسبب فضلهم، لأنهم نصروا الدين وناصروا الرسول ﷺ ونشروا الدين ونقلوا لنا القرآن كما أنزل، ونقلوا لنا السنة كاملة نقية، وقد امتدحهم الكتاب والسنة بوصفهم خير القرون، موضحا أن الوحدة الوطنية تعد السور الخامس، والسور الدفاعي الأول المنطلق إلى وحدة الأمة، لاسيما أن هناك تحديات في طريق الوحدة تتمثل في الممارسات الطائفية، والممارسات القبلية، والممارسات الحزبية.

وتطرق الخرافي لدوائر الاهتمام (دوائر الالتقاء) التي تدعم هذا النموذج الرائع المتجلية في «الكتاب» من حيث مرجعيته للأمة وشموله منهج الحياة، و«السنة» من حيث تفصيلها للقرآن الكريم ومرجعيتها للأمة، و«السيرة» بما حوته من تغطية لتفاصيل حياة المصطفى ﷺ والآل والأصحاب وعلاقتهم الحميمة، و«التاريخ» بأهم مشتملاته وهي الرسالة الخاتمة والخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية وايجابيات التاريخ الإسلامي.

وبيّن أن هدي الآل والأصحاب دعم الوحدة الوطنية بسبب الاستقطاب الطائفي المتطرف، ووجود الفهم الخاطئ في تراث الآل والأصحاب، ولأن الآل والأصحاب ضربوا أروع المُثل في المحبة والإخاء، ولأن تسمياتهم انعكست على الفرز الاجتماعي.

وأوصى الخرافي بأهمية إبراز النماذج القدوة من تراث الآل والأصحاب، وتخفيف الأضواء عن الفتن والبقع المظلمة في التاريخ الإسلامي، ومعرفة المعايير الصحيحة لقبول تاريخ الآل والأصحاب، والاستناد إلى الروايات الصحيحة، وتجنب الإفراط والتفريط في فهم تراث الآل والأصحاب، عارضا مقياسا طريفا وقيما «المبرة ميتر» لقياس المستوى المعرفي بتراث الآل والأصحاب، وذلك من خلال طرح الأسئلة العشرة التالية..

١- من آل البيت؟ ومن الصحابة؟
٢- من العشرة المبشرون بالجنة؟
٣- من أصحاب الكساء؟
٤- من أصحاب بيعة الرضوان؟
٥- من أول فدائي في الإسلام؟
٦- من القائل: ولدني أبو بكر مرتين؟
٧- من القائل: أنا ابن الخليفتين؟
٨- من سيد الشهداء؟
٩- ما علاقة القرابة بيننا وبين زوجات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟
١٠- من هنَّ سيدات نساء العالمين؟

السرقات العلمية.. ظاهرة العصر

(أسبابها وحكمها وواجبنا نحوها)


عصام تليمة

انتشرت في الآونة الأخيرة عدة ظواهر غير صحية في مجال البحث العلمي، والمجال الدعوي الإسلامي، ومن هذه الظواهر ظاهرة السرقات العلمية بأشكالها وألوانها كافة، والعجيب في الأمر أن هذه الظاهرة استفحلت واستشرت في البلاد العربية الإسلامية، في مقابل أننا نرى الغرب في بحوثه ودراساته يحرص الدارس كل الحرص على إبراز المراجع، ويدون في مراجعه المقابلات الشخصية والوثائق، وتجد في كتب بعض الغربيين في مقدمة الدراسة شكرا خاصا لكل من ساهم، وليس شكرا عاما، بل يذكر كل من ساهم ولو بكلمة، وأحيانا تجد في المقدمة الشكر لعاملة الآلة الكاتبة التي طبعت له البحث، على الرغم من أن التي كتبت على الآلة الكاتبة أو على جهاز الحاسوب (الكمبيوتر) لم تقم بعمل فكري، إنما هو عمل عضلي محض، ليس فيه إعمال فكر ولا إبداع، وقد تقاضت أجرا على ما بذلت، ولكنه خلق الشكر لكل من أسدى له خدمة ساهمت في خروج بحثه.

وكم أكبر عالما كالشيخ عبدالفتاح أبي غدة رحمه الله، الذي عزا حديثا بالخطأ إلى الإمام مسلم، وقلده في ذلك الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف في تحقيقه لتدريب الراوي، حتى عبر الشيخ أبو غدة عن ذلك قائلا: وهذا من تقليد الساهي للساهي!! ودله أحد طلبة العلم على خطئه في عزو الحديث للإمام مسلم، وأنه في غير صحيح مسلم، ولم يكن الشيخ أبو غدة يعرف طالب العلم، ولم تسعفه ذاكرته في تذكره، فكتب يعترف في تحقيقه لأحد الكتب تصويب هذا الطالب له، هاتفا بطالب العلم أن يتعرف إليه، حتى يشير إلى نسبة الفضل له في التصويب.

صور للسرقات العلمية

وللسرقات العلمية صور مختلفة، كلها تصب في خانة واحدة، هي خانة اللصوصية العلمية، مهما كان المبرر مقبولا أو غير مقبول.

١- النقل بدون عزو إلى القائل: فهناك النقل من الكتاب أو الكاتب دون عزو النقل إليه، أو الإشارة إليه، ومن الطرائف التي قابلتها في ذلك أن أحد دكاترة الكليات الشرعية، في دولة عربية، أرسل مقالة لمجلة مركز بحوث السنة والسيرة في قطر للشيخ القرضاوي، وقد طلب مني أن أراجعها، فإذ بكاتب المقالة أو الدراسة، يقتبس من كلام القرضاوي وغيره دون عزو، وينسب الكلام لنفسه!! وصدق رسول الله ﷺ «...إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (البخاري).

٢- الاقتباس الكامل للفكرة دون الإشارة إلى صاحبها: وذلك بأخذ فكرة كاملة من الكاتب، أو من الشخص، وصياغة الفكرة بأسلوب الكاتب الذي سرق الفكرة، فالعبارات فعلا عباراته، ولكن الفكرة الرئيسية -التي لولاها ما كتب- ليست فكرته.

٣- النقل الكامل، وهو ما يسمى «السَّلْخ»: وهو نقل مقال كاملا، أو كتاب كاملا، بلا إضافة أو تعديل، أو تنقيح، بل أحيانا ينقل الأخطاء المطبعية أيضا، كنت أجمع ما كتب عن «النسخ في الشريعة» في مجلة الأزهر في أعدادها القديمة، ففوجئت بمقال نشر في مارس ١٩٦٣م، على حلقتين، وإذ بي أفاجأ بأن المقالين مسروقان سرقة تامة، من فتوى قديمة للشيخ إبراهيم الجبالي، نشرت في مجلة الأزهر أيضا في صفر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، ولم ينتبه أحد من القائمين على أمر المجلة إلى السرقة التي كانت صيغة ما كتبه الشيخ الجبالي فتوى، وقال فيها: «وأما النقطة الثانية وهي موضع السؤال...» وقد نقلها عنه الكاتب بالنص نفسه، في مقاله.

٤- الكتابة الكاملة وشراء ما يُكتب: وهذه حالة استشرت، بخاصة في دول الخليج العربي، وعند أصحاب الثراء في عالمنا العربي والإسلامي، أو أصحاب النفوذ والمناصب العلمية، وقد يكون مقابل ما يكتب ماديا، أو معنويا، بالترغيب أو الترهيب، وكلاهما وسيلة من وسائل سرقة الجهود العلمية.

أسباب انتشار السرقات العلمية

هناك أسباب كثيرة، لا شك، أدت إلى تفشي هذه الظاهرة السيئة في بيئتنا العلمية والدعوية، وقد حاولت رصد أهم أسبابها، وهي:

١- غياب الوازع الديني: وهو أول العوامل، فبلا ضمير حي يقظ، يجعل صاحبه يتذكر وقوفه بين يدي الله عز وجل ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (المطففين: ٤-٦) ويتمثل وقوفه بين يدي الله، ﴿... ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (الكهف:٤٩)، بدون هذا الضمير الحي، والرقابة الذاتية من الإنسان، يحدث ما يحدث، ويأتي الخلل الخلقي، الذي يؤدي بصاحبه إلى سرقة جهود الآخرين.

٢- العجز والتكاسل العلمي: فمنهم من لا يملك ملكة البحث العلمي، ولا يقوى على خوض غماره، وسبر أغواره، بل لا يقوى على ذلك، مما يدعوه إلى التكاسل عن الكتابة، كما نراه في بعض المشاهير الذين يملكون أن يكتبوا، ولكنه يتكاسل عن ذلك، ويجد أن كتابة غيره له أسهل وأسرع.

٣- حب التنافس في كثرة المؤلفات: أضف إلى ذلك دافعا مهما، للأسف، وهو التنافس في عالم الشهرة والنجومية الفكرية والعلمية، فأضحت موضة الآن، يريد الكاتب

● داعية إسلامي مقيم في قطر

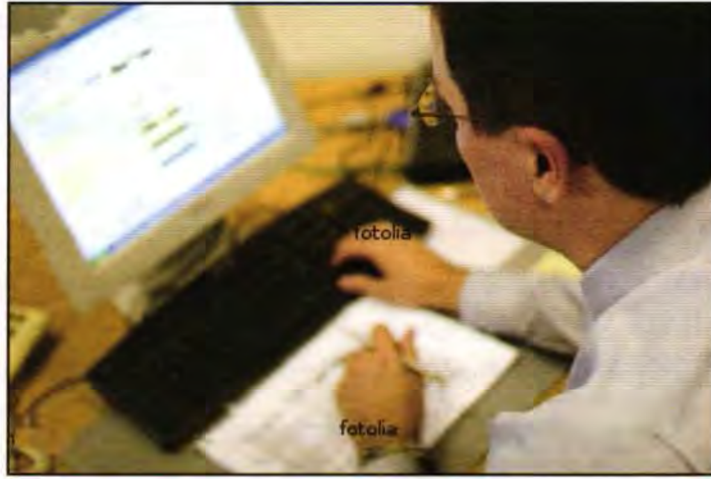
أن يقول: إن رصيدي من الكتب عشرات الكتب والدراسات، وأنى له أن يبلغ ذلك بجهده وحده، لا بد من عمل فريق.

٤- عدم وجود رادع دنيوي: وهو من أهم العوامل، فرحم الله عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ يقول «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، هناك أناس لا يردعهم النص الإلهي، ولا الوازع الديني، ولا الضمير الحي بداخلهم، ولكن يردعهم قانون صارم، وإعلام فاضح لما يفعلونه.

٥- إحساسه بأنه لن يكشفه أحد بحكم موقعه ونفوذه: ومن الدوافع التي تجعل لصوص العلم وسارقيه يتمادون في غيهم إحساس الواحد منهم بأن أمره لن يكتشف، وأنه شخصية كبيرة، أو معروفة، أو لها وزنها بحكم الموقع الفكري، أو النفوذ المادي، أو السلطوي، وينسى هؤلاء أن الله رقيب عليهم، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

٦- التناقض الشديد في السلوك: فهناك من الكتاب من تأتمنه على أموال الدنيا، ولا تستطيع أن تأتمنه على معلومة لك، أو فكرة انقدحت في ذهنك، وتخشى من البوح بها أمامه، وهذا من أكبر الدلالة على التناقض في السلوك، فهو أمين في الجانب المادي، غير مؤتمن على الجانب العلمي.

٧- حاجة طلبة العلم للمال: ومن أهم الأسباب التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة البغيضة حاجة طلبة العلم للمال، وعوزهم، مع تفشي ظاهرة البطالة، وعجز الدول عن تشغيل خريجي الجامعات، مما دفع بعضهم إلى ولوج هذا الباب، باب الكتابة للغير، رغم علمه بأنه شريك في الجريمة، ولكنه ربما ترخص في ذلك، كمن يجبر على أكل الربا لحاجته، وأن الوزر على المقترض أخف من وزر المقرض.



هذه الآفة تصيب الباحثين بالسلبية وتقضي على ملكة البحث العلمي وتقتل موهبة الإبداع والتنافس وتجعل المجتمع يستمرئ السرقة

آثار هذه الظاهرة

١- تصيب الباحثين بالسلبية واليأس والإحباط، فقد ذكر الأستاذ فهمي هويدي في مقال له بعنوان «دكتوراه للبيع» أن أحد الذين يستأجرون بالمال لكتابة رسائل علمية لآخرين حضر مناقشة الرسالة، وقد نال مقدمها درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وليس لمن نال الدرجة أي جهد يذكر، عندها صعق المسكين الذي كتبها، وهو لم يستطع لعوزه وفقره أن يكمل دراساته العليا، فخرج مباشرة من قاعة المناقشة إلى نهر النيل، ليلقي بنفسه من فوقه منتحرا، مكتئبا لما جرته إليه الظروف.

٢- تقضي على ملكة البحث العلمي النزيه وتجعل الباحث لا يبالي من أين أتى بالمعلومة، ولا مصدرها، وتنشئ عقليات هشة علميا، متهرئة فكريا، ويكون نتاجها أن تكون الأمة فراغا من كل عقلية بحثية.

٣- تقتل موهبة الإبداع والتنافس، فمن ملك المال فقد ملك العلم أيضا، وإن كان بالشراء والبيع، مما يزهد الباحثين النابهين في التفوق والتنافس والإبداع.

٤- تجعل المجتمع يستمرئ السرقة ويتعود عليها.

حكمها الشرعي

أما عن حكم هذه الظاهرة، وهذه الفعلة التي كثرت وانتشرت بصورة مزعجة في الآونة الأخيرة، فهي بلا شك محرمة حرمة يقينية، وهي في الحقيقة جريمة دينية، وخلقية، كما أنها تجمع بين عدة جرائم معا، فهي:

١- سرقة: وإن كانت سرقة من نوع آخر، غير سرقة المال، إلا أنها أخطر، إذ المال يعوض، أما الفكرة التي سرقت، فقد صارت في حوزة لصها وسارقها بلا عودة لصاحبها.

٢- نسبة ما ليس له إلى نفسه: كما أنها تنسب فضلا ليس له فيه أدنى دور أو حق، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ١٨٨)

ويقول ﷺ «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» (النسائي).

٣- أخذه ما لا يستحق: فهو يحوز ما ليس من حقه، ويمتلك ما لا يجوز له امتلاكه، كما يضيف إلى رصيده رصيدا ليس من تعبه وعرقه، بل هو من تعب وعرق وكد الآخرين.

٤- استغلال حاجة طلبة العلم: ومعظم هذه الحالات تكون باستغلال حاجة طلبة العلم الذين ضاقت بهم سبل الحياة، فهو أشبه بآكل الربا، واستغلال حاجات الناس مما ذمه الشرع، وقبحه الإسلام.

٥- خداع الناس والقراء: كما أن هذه الجريمة تجمع إليها جريمة خداع الناس وإيهامهم أن هذا الكاتب رجل مبرز، وكاتب همام، وبحاثة مكثر من الكتابة والتأليف، وأن قريحته جادت فكتبت ما خرج للناس من بحوث وكتابات، ليست بينها وبينه من نسب، فتخدع الناس في هذا الكاتب.

واجبنا نحو هذه الظاهرة

١- واجب شرعي: ويكون ببيان موقف الشرع من أمثال هؤلاء، وأن نبدأ معهم بالنصح لهم، في سرية تامة، ملتزمين آداب النصيحة، فمن عاد عن غيه، وانتهى عن سرقته، ورد الحقوق لأهلها، وجب علينا الستر عليه، وإلا ففضحه بين الناس بما فعل وارتكب يصير أمرا شرعيا لا وزر فيه، وهذه هي وظيفة العلماء والمختصين، وكل ذي حس ديني وبصيرة.

٢- واجب قانوني: فلا بد من السعي لإصدار قانون يحاسب من يمارس السرقة العلمية.

٣- واجب شعبي: ويكون بمقاطعة كتابات من يعرف عنهم السرقة العلمية، ويثبت عليهم ذلك، ولفظ كل من بنى كتاباته على السطو العلمي من المجتمع العلمي والشعبي.

نحو الكمال الإنساني

القلب وتنازع الموجودات

د. يحيي اسماعيل

العِلم الملائكي يسمى عند أهل العلم بالداعي فإذا توافرت معه القدرة استلزم ذلك وجود المقدور، ومن المقدور ما قُدّر له من خير في الدنيا والآخرة، وكان بذلك ذاهبا إلى كمال، ومنتقلا من علو إلى علوٍ وارتفاع، حتى يبلغ تمام حقيقته الإنسانية التي بها يفضل الحقيقة الملائكية الثابتة على صورة واحدة من الكمال.

إن ذكر العبد ربه هو في حقيقة أمره طلب للقدرة الفائقة، واستحضار للهدى التام الذي تلازمه السعادة كما يلازم الضلالة الشقاء، وهذا الذكر هو كذلك دافع للصارف من الأسباب المعوقة، والمسببة للفساد، فساد القوة العلمية، و فساد القوة العملية جميعا، فكما أن المرء يفقد إحساسه فيجد العسل مرا، فكذلك من فسد ضميره وباطنه لخلوه من ذكر الله - الذي هو ربه، لا يستريح للحق، ولا يرضى به، ولا يريده، لأنه مصروف عنه بمحبة غيره، ومن ثم فلن يطلبه، ولن يقدر عليه، فإن النفس إذا أحبت شيئا سعت في حصوله بكل ممكن، حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية، حتى يفعل لأجلها ما هو محرم، او ما هو ليس إلا لله، فيفعله لغير الله لأجل هواه، والقلب لا يشغله متنازعان، فإنه إنما خلق لأجل حب الله، فلا يجوز له أن يحب شيئا من الموجودات لذاته، فلا يحَب لذاته إلا الله الواحد القهار سبحانه وتعالى، ومحبة الأنبياء والصالحين هي تبع لمحبته جل جلاله، فإن من تمام حبه جل جلاله حب ما يحبه، والله يحب الصالحين، ويحب الأعمال الصالحة، فحبها من العبد لله هو من تمام حب الله، وكل محبوب سوى الله إنما جازت محبته لغيره لا لذاته، فإن محبة الشيء لذاته بعد الله شرك، فمن أحب إنسانا لأنه يعطيه- مثلا- فما أحب في الحقيقة إلا العطاء، وكذلك من أحب إنسانا لأنه ينصره فما أحب الناصر بل أحب النصر فقط، وكل هؤلاء ما أحبوا في الحقيقة إلا المنفعة أو دفع المضرة، وما أحب الفاعل لها إلا لأنه وسيلة إلى محبوبه، وهذا ليس حبا لله ولا لذات المحبوب على الحقيقة، ومن يرجو النفع من الغير ثم يزعم أنه يحبه لله فهذا من خديعة الطبع اللئيم ومن نفاق الأقوال.

إن الله تعالى خالق الأسباب كلها لم يجعل شيئا منها مستقلا بنفسه، مستغنيا عن غيره في تحصيل مطلوبه، فلكل سبب معاون له من جنسه وشريك، كما أن له ضدا وخصيما من غير جنسه، فإن لم يعاون السبب شريكه، ولم ينصرف عنه خصيمه وما هو من أضداده لم يحصل المطلوب، وذلك كالمطر الذي لا سبيل له منفردا إلى الإنبات بغير التربة والهواء، وامتناع العواصف المفسدة والمدمرة، وكل سبب معين هو جزء من المقتضي للمطلوب، فليس في الوجود مقتضى قائما بنفسه، بل المقتضي للمسبب هو مجموع الأسباب، مع انتفاء أضدادها ومفسداتها.

فبذكر الإنسان ربه يعطى كل خير، حيث يحصل أولا أصل الإيمان، الذي هو أصل لكل علم، كما أن الله جل جلاله أصل كل موجود، و هو رب كل شيء ومليكه، فهو جل ثناؤه معلم كل علم وواهبه، فبذكره كذلك يتوصل إلى العلوم لأن الذكر أصل لكل علم، كما أن في الغفلة عنه جل جلاله أصل كل شقاء، ثم إن في ذكره تعالى كمال أسرار دينه، وذكره جل جلاله يبدأ في القلب أولا، ثم يُظهر اللفظ أنواعه على وفق ترتيباته المشروعة من ثناء على الله، وما يلي ذلك من الإخبار عنه والإنشاء له لقوله جل جلاله في الإخبار عنه ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (الأنعام-٧٩) وفي الإنشاء ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد﴾ (الإخلاص:١-٤) ثم يأتي الطلب منه جل جلاله، وهو آخر أنواع الذكر، الطلب الذي لم يُشرع للمسلم إلا مع الثناء المتضمن مقصود الدعاء، كما في حديث جابر الذي أخرجه الترمذي ومالك «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» (سنن الترمذي) ذلك أن الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله، وأما دعاء الطلب فإنه يقع من المسلم وغيره كما قال تعالى ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ (الأنعام:٦٣-٦٤) وكان الدعاء بالإخبار والإنشاء من دون الدعاء بالثناء وبعده منزلة، لأن في الثناء تحصيل محبوب الرب؛ وفي الخبر والإنشاء تحصيل مطلوب العبد، قال ﷺ «احب الكلام الى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (رواه مسلم).

يقول الإمام ابن القيم: والذكر هو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعِمارة ديارهم التي إذا تعطلت صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يُقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، ويدع الذاكر مذكورا، فهو عبودية القلب واللسان غير المؤقتة حيث عبودية كل جارحة هي عبودية مؤقتة، وهو جلاء القلوب وصقالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، به يزول الوقر

● أستاذ في جامعة الأزهر

عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

إن في الغفلة فساد الإرادة، أو فساد العمل، أو فسادهما معا، كما قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الانعام:١٠٩-١١٠) يعني أنهم كاذبون في يمينهم أنهم إذا جاءتهم الآية آمنوا، وذلك لأن الله تركهم في طغيانهم يعمهون لضعف القوة المؤثرة فيهم، لفساد إرادتهم، فهو من مثل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(الصف-٥)، وقوله ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة-٨٨)، وقوله ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء-١٥٥)، وقوله ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف- ١٧٩)، وقوله ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة-١٧١).

فهؤلاء عميت قلوبهم، وبكمت وصمت آذانهم عن الحقيقة كما قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج-٤٦).

قال الإمام ابن تيمية: ومن الناس من يقول: إنهم لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر والنطق جُعلوا صما، وبكما، وعميا، أو لما أعرضوا عن السمع والبصر والنطق صاروا كالصم العمي البكم، قال: وليس كذلك، بل نفس قلوبهم عميت، وبكمت، وصمت كما قال تعالى ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦).

وأصل السعادة أمران:

١- سلامة الفطرة.

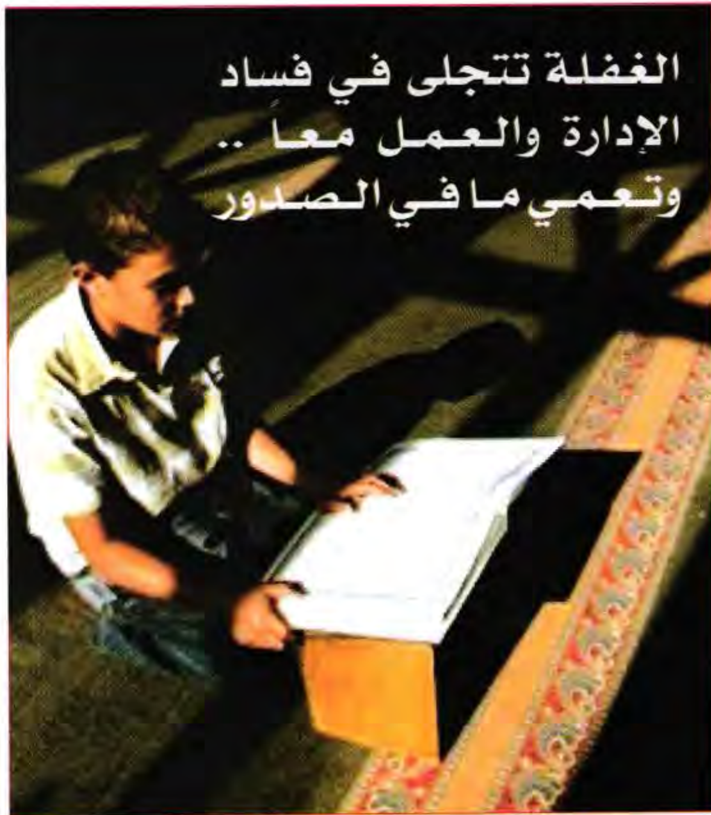
٢- تمام الهداية.

كما أن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين:

١- فساد العلم.

٢- وفساد القصد.

ويترتب على ذلك حصول الداءين القاتلين لكل قيمة وكل حضارة، الضلال، والغضب (١)



فذكر الله تعالى الذي في القلب يعطي أصل العلم الذي هو أصل الإيمان، ثم يعطي القرآن العلم المفصل فيزداد بذلك الإيمان قوة تظل تتنامى حتى تفوق قوة الملك أحيانا، وبغير ذكر الله تتسلط الشياطين، والشيطان وسواس خناس، صارف عن الحق والهدى، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا غفل وسوس.

بعد ذلك يأتي تكوينه الروحي العجيب، حيث قوة الشعور والإحساس والإدراك، وقوة الإرادة والقصد والحركة، قوتان في روحه هما الأساس لنشاطه المميز له، لا قوة واحدة، فبقوة الشعور والإحساس والإدراك يميز - فيصدق أو يكذب، وبالقوة الثانية- الإرادة والقصد والحركة، يكون الحب، حيث الحب والبغض هما أصل الأمر والنهي- كما قال ابن تيمية (٢)، الحب الذي لا حَد له يعرف به غير أنه الحب، الحب الذي مبدؤه الإرادة، ثم الميل، فالصبابة، فالغرام، قبل العشق، و بعده التتيم، ثم التوله، فإذا اكتمل على هذا أتت الخلة، وعندها تدخل بها صفات المحبوب على البدل من صفات المُحبِّ (٣)لأن المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل.

لقد حاول الكثير من العلماء تقريب أمر هذا الحب بالتعريف له فلم يزدد الأمر على محاولاتهم إلا خفاءً -كما ذكر ابن القيم (٤)، قال: «لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدُّها وجودها».

قالوا فيها إنها «أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء» (٥) أو «الميل الدائم بالقلب الهائم»، أو «إيثار المحبوب على جميع المصحوب»، أو «موافقة الحبيب في المشهد والمغيب» (٦) أو «أن يكون كلك بالمحبوب مشغولا، وذُلُّك له مبذولا» على وفق قول من قال:

بدم المُحبِّ يباع وصلهم
فمن الذي يبتاع بالثمن

إنه ذلك كله، فبذلك يحب أو يبغض ما يُؤمَرُ به أو يُنْهى عنه، فيحب النافع الملائم له، ويبغض الضار المنافي، وفي الحب غذاء الإنسان وقوته وصلاحه، وفيه كذلك ذله، وعبوديته، وأسره، وافتقاره

مساكين أهل الحب حتى قبورهم
عليها تراب الذل بين المقابر

وفي العبودية والأسر يأتي الثواب أو العقاب، (٧)، فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه (٨).

فالحب في حقيقته وكماله هو أحد المحركات الثلاثة للقلب مع الخوف والرجاء (٩)، وكل الناس يغدو - كما قال ﷺ في الحديث الصحيح- فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها (١٠).

اخضع وذل لمن تحب فليس في
حكم الهوى أنف يشال ويعقد

يقول ابن القيم: والمراد أن تهب

الذكر قوت القلوب .. متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا

إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتحبسها في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك، فتأخذه منه له (١١).

وفي أصل الحب ومبادئه تقع الشركة لجميع المحبوبين، فإن عاطفة الحب لها أصل تبتدئ منه؛ وغاية تصل إليها، ومحبته تعالى لا يكتفى فيها بأصل الحب (١٢)، الذي هو الميل ثم الإرادة، لكن لابد من تميزه له جل جلاله باستيعاب المراحل بعدها من صبابة وغرام حتى يبلغ معه جل جلاله تمام أمره الذي هو الخُلّة التي لا تقع فيها الشركة

قد تخللت مسلك الروح مني

وبذا سمي الخليل خليلا (١٣)

يقول الإمام ابن تيمية: فكل بني آدم له اعتقاد، هذا الاعتقاد فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء، وله قصد وإرادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكن الوصول إليه، أو لوجود المحبوب عنده، أو لدفع المكروه عنه. واعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه، ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (محمد:١٧)، ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ (النساء:٦٦) وهذا من معنى قول ابن مسعود رضي الله عنه «إن للملك لَمّة، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، ولَمّة الشيطان إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق» (١٤) وهذا هو مبدأ الشعور والحركة فيه، الملك يلقي التصديق بالحق والأمر بالخير، حيث للملائكة من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا الله (١٥)، والشيطان يلقي التكذيب بالحق والأمر بالشر، وعلى الإنسان أن ينظر ويختار، «فالتصديق والتكذيب مقرونان بنظره وعقله، والأمر والنهي مقرونان بمحبته وإرادته»، فإذا قويت الإرادة وصارت جازمة، واقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعا(١٦)، على وفق سنن الله تعالى في خلقه.

وعلى هذا فالقلب فقير إلى الله من وجهين:

من جهة العلة الغائية - وهي العبادة، من حيث إن نفس الإيمان بالله وعبادته، ومحبته ذلك، كل هذا هو غذاء الحقيقة الإنسانية وقوتها وصلاحها وقوامها وعبوديتها، تقوى بها محركات قلبه وما يتولد عنها من حالة الطمع في الفضل، والرحمة، والرجاء (١٧).

ومن جهة العلة الفاعلية وهي الاستعانة (١٨)، وهذا سر عظيم شأن الإنسان عند الله تعالى، وما يمثله هذا الإنسان من وزن في نظام هذا الوجود(١٩) حتى إنه جل جلاله تعظيما منه له على هذا الشأن فإنه سبحانه أسجد له ملائكته تشريفا، وتعظيما، وتكريما، عبادة لله، وطاعة له، وجعل ذلك قربة لهم يتقربون بها إليه، ومنع آدم وبنيه من أن يسجدوا لغيره- جل جلاله- ولو كان من جنسهم، فهم جميعا أكفاء لبعض في هذه الحقيقة الإنسانية، فلم يجعل لأحدهم مزية يصلح له بها السجود له من بني جنسه «... أنتم بني آدم، وآدم من تراب» (سنن أبي داود)، ثم أقسم جل جلاله على ثبوت ذلك الشرف له بتلك الأقسام العظيمة ﴿والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين﴾ (التين:١-٣) تلك الأقسام بتلك المواضع التي جاء منها أصحاب الرسالات الكبرى محمد، والمسيح، وموسى، ومن قبلهم أبو الأنبياء إبراهيم، عليهم جميعا أشرف صلوات وأزكى تسليم، ذلك أن الإقسام بالأماكن هو في حقيقة الأمر تعظيم لساكنيها، فإن موضع الإنسان إذا عُظِّم من أجل الإنسان كان الإنسان على ذلك أحق بالتعظيم وأعظم، ولهذا يقال في المكاتبات والمراسلات أصحاب: «المجلس الموقر، وصاحب الباب العالي، وإلى صاحب المقام السامي»، وفي مثل هذا الصنيع ما يتأكد به التحقيق للمقسم عليه، الذي هو خلق الإنسان على تلك الطبيعة المعقدة، المزدوجة، القابلة للارتفاع إلى أعلى عليين، والمؤهلة أيضا للتسفل إلى أسفل سافلين، وذلك قبل أن يأتي البعث والنشور وقيام الناس جميعا لله رب العالمين، وهو الأمر الذي أخبرت به الرسل، كما أن في هذا الإقسام ما يتضمن ثبوت الجزاء في الدنيا -كإهلاك من أهلكهم من الكفار، فإنهم ردهم أسفل سافلين بهلاكهم، وهو تنبيه- كما يقول ابن تيمية- على زوال النعم إذا حصلت المعاصي (٢٠).

انها حقيقة من حقائق القرآن، حقيقة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، الفطرة القويمة التي تعني سلامتها قبول الحق ودفع الزيغ، هي «السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة» (٢١)

فإذا ماحادت عن ذلك كان مرد ذلك إلى استعدادها للأمرين.. قبول السلامة واستقبال العلل، وباستقبالها العلل ورضاءها بها يكون الخذلان من الله تعالى لها «فسلامة القلب من النقص كسلامة البدن، هو الأصل، وأما العيب والخلل فحادث طارئ» (٢٢)

إن ربنا جل جلاله هو ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾(السجدة:٧)، وهو جل جلاله ﴿الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾ (الأعلى:٢-٣) وهو﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه:٥٠)

فلماذا الإنسان وحده هو الذي يفرده جل جلاله هنا بأنه المخلوق في أحسن تقويم؟ على مثل ما قال فيه وله من قبل ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك﴾ (الانفطار:٧-٨).

إنما كان وراء ذلك التعبير الفريد في القرآن في قضية خلق الإنسان



أن يظهر الحق جل جلاله ما في هذا الإنسان من فضل، وما كان له من مزيد عناية، لأن له شأنا بمقتضى خصائصه الروحية والعقلية والجثمانية عند الله، كما أن له وزنا خاصا في نظام هذا الوجود، هذه الخصائص الروحية والعقلية التي يتجلى فيهما تفوق التكوين الإنساني- كما يقول صاحب الظلال- حيث إنه مهيأ بها لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، كما تشهد بذلك قصة المعراج، حيث وقف جبريل عليه السلام عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله ﷺ الإنسان- إلى المقام الأسنى، ليظهر بذلك أن فضل أحد الذاتين على الأخرى إنما هو بقربها من الله تعالى، ومن مزيد اصطفائه وفضل اجتبائه جل جلاله (٢٣).

بينما هذا الإنسان مهيأ- حين ينتكس- لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾، حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى، بينما هذا المخلوق الذي خلق ﴿في أحسن تقويم﴾ قد يجحد ربه، ويرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه من وفرة الذنوب والسيئات التي تعمل عملها في ذاته أكثر مما تعمل السموم في رحلة تلك الحياة الطويلة التي بدأت بالخلق وتنتهي بالإكرام أو الإهانة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق· اقرأ وربك الأكرم﴾ (العلق:١-٣) فأمره في أول ما أنزل عليه أن يقرأ باسم الله، فتضمن الأمر بالقراءة الأمر بدوام الذكر واستصحابه معها، فالخلق يتضمن الابتداء «وهنا ذكر سبحانه أنه خلق أكرم الأعيان الموجودة عموما وخصوصا، وأنه المعلم للإنسان العلم عموما وخصوصا، وذكر التعليم بالقلم الذي هو آخر المراتب - في التحصيل بعد البيان والوجدان واللسان- ليستلزم تعليم القول، وتعليم العلم الذي في القلب» (٢٤) ففي العلم كان الابتداء، وفي الإكرام يتضمن الانتهاء، كما قال جل جلاله في أم القرآن ﴿رب العالمين﴾ ثم قال ﴿الرحمن الرحيم﴾

وعلى ذلك فكمال المخلوقات هو في الهدى والتعليم الجامعين لأطراف الطريق من بداية الخلق إلى نهاية الرحلة عند ﴿الأكرم﴾ جل جلاله. حيث بين سبحانه في أول ما أنزله أنه سبحانه هو الخالق الهادي ﴿الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى﴾ إن لفظ «الكرم» هو لفظ جامع للمحاسن والمحامد، ولا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء م تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويُسرته، ولهذا قال النبي ﷺ فيما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه «لا يقولن أحدكم الكرْمَ، إنما الكرمُ قلب المؤمن» وفي لفظ «لا يقولن أحدكم للعنب الكرمَ، إنما الكرم الرجل المسلم» (٢٥).

قال الإمام المازري: ومجمل هذا عند أهل العلم على أنه لما حرم الخمر عليهم وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، ونفوسهم مجبولة عليه، فكَرِه عليه السلام أن يُسمَّى هذا المحَرم باسم وضع لمعنى يهيج طباعهم إليه عند ذكره، وتهش نفوسُهُم نحوه عند سماعه، فيكون ذلك كالمحرك على الوقوع في المحرمات، ولهذا احتج عليه السلام بقوله «وإنما الكرم قلب المؤمن»، يعني أن الكرم حبس النفس عن شهواتها، وإمساكها عن المحرمات عليها، فهذه الحالة أحق بأن تسمى كرما (٢٦).

لقد كان العنب بهذا الوصف عندهم لأنه أنفع الفواكه، وهو أعم وجودا من النخل، ولأنه ذل لقاطفه، وليس عليه شوك يؤذي جانبه، قال القاضي عياض: والكريم من كثر نفعه وكثرت فضائله (٢٧).

قال ابن تيمية: والقرآن دل على أن الناس فيهم كريم على الله يكرمه، وفيهم من يهينه (٢٨)، قال تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات:١٣) وقال تعالى ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج:١٨).

قد أخبر سبحانه أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها، فدل أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال «وربك أكرم» فإنه لا يدل على الحصر، ولم يقل -جل جلاله «الأكرم من كذا»، بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقا غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه.

قال ابن عطية: ثم قال له تعالى ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ على جهة التأنيس، كأنه يقول «امض لما أمرت به وربك ليس كهذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص، فهو ينصرك ويظهرك، قال: وقد قال بعض السلف «لايهدين أحدكم لله ما يستحي أن يهديه لكريمه، فإن الله أكرم الكرماء» أي هو أحق من كل شيء بالإكرام، إذ كان أكرم من كل شيء، وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام، فهو المستحق لأن يُجلَّ، ولأن يكرم، والإجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة (٢٧)، قال الإمام ابن تيمية: ولهذا قدم ذكر العنب على النخل وغيره في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (عبس:٢٤-٣٢).

> **لا تنال الجنة باعتبارها أعلى درجات النعيم إلا بما نصبه الله لها من أسباب جعلها مفضية إليها**

إن هذا الشأن العظيم الذي كان للإنسان، وذاك الوزن لا يظهر أمره قبل أن تتضح فيه معالم إنسانيته ومعالم كماله، تلك المعالم التي نثرت له في ميادين الحياة ولأجلها أهبط إلى الأرض التي هي دار العناء ليطلب منها على شوق منه وعناء فيها الرجوع إلى داره الأولى التي عرفها من قبل على وفق ما قدر الله له من سنن في كونه والتي منها:

١- <u>أن الغايات لا تنال إلا بأسبابها</u> التي جعلها الله تعالى أسبابا مفضية إليها، كما يقول الإمام ابن القيم، وبما أن الجنة هي أعلى درجات النعيم، وأفضلها، وأجلها، فإنها لا تنال إلا بما نصبه الله تعالى لها من أسباب جعلها مفضية إليها.

<u>وإن الأسباب مع مسبباتها هي على أربعة أنواع:</u>

محبوب يفضي إلى محبوب وينتهي إليه كأنواع الطاعات كلها، فهي أسباب محبوبة لله موصلة إلى الإحسان، والثواب المحبوب له جل جلاله.

مكروه يفضي وينتهي إلى محبوب، كالشرك والمعاصي، فمع أنها مكروهة لله تعالى مسخوطة منه جل جلاله فإنها مفضية ومنتهية إلى قيام العدل المحبوب له سبحانه، فإنه لابد من ظهور أسباب العدل في الدنيا واقتضائها لمسمياتها، ليترتب عليها وعلى أسباب الفضل كمال الحمد الذي هو أهله جل

جلاله، فإنه سبحانه له الحمد المطلق الذي لا نهاية بعده، وظهور الأسباب التي يحمد عليها هي من مقتضى كونه محمودا، وهي من لوازم حمده تعالى، وهذه الأسباب نوعان: فضل، وعدل، فكما أنه سبحانه يحمد على إنعاماته وإحسانه وهم من معالم الفضل فلا بد أن يحمد على عدله وانتقامه، وعقابه لأعدائه وأعداء عباده، وذلك كله من معالم عزته وحكمته التي نبه عليها كثيرا في القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ عقب كل قصة ساقها من قصص الرسل من أول السورة حتى نهايتها﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين. فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ (الشعراء:٥-٩).

قال الإمام ابن القيم: وهذان النوعان عليهما مدار أقضية الله تعالى وأقداره.

أما الثالث وهو المكروه الذي ينتهي أمره إلى مكروه.

والرابع وهو المحبوب الذي ينتهي أمره إلى مكروه، فإنهما ممتنعان في حقه تعالى، وذلك لأن الغايات المطلوبة من قضائه وقدره الذي ما خلق الخلق ولا قضى ما قضى إلا لأجل حصولها لا تكون إلا محبوبة للرب مرضية له، والأسباب المفضية إليها إما محبوبة له، أو مكروهة (٢٨).

٢- أن من معالم تمام القدرة بقاء الأضداد في هذه الحياة لحاجة بعضها إلى بعض، فالضد يظهر حسنه الضد، وعلى ذلك فالنصَبُ في دار الدنيا وملاقاة همومها وغمومها وأوصابها لازمة من لوازم تعظيم مقدار الجنة في الآخرة في أعين أصحابها، «فلو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدرها» (٢٩).

٣- وأن الثواب لا ينال بغير الأمر والنهي، والأمر هو شرعه، وأمره، ودينه، الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولهذا لما كانت الجنة ليست بدار تكليف فإنه تعالى أهبطنا إلى الأرض لتحقيق تلك الغاية فينا، فكما أن أفعال الله وخلقه هو من لوازم كما للأسمائه وصفاته، فكذلك أمره، وشرعه، وما يترتب عليه من الثواب والعقاب.

٤- أن المعلق على شرط يعدم عند انعدام ما علق عليه، وعلى ذلك فمحبة العبد لله وهي غاية كمال العبد وسعادته لا تتحقق ولا تثبت في القلب إلا بإيثار المحبوب الذي هو الله جل جلاله على غيره من محبوبات النفس، واحتمال أعظم المشاق في طاعته ومرضاته، فإن المحبة إذا شرط فيها حصول المراد والسلامة من الأخطار ليست محبة صادقة، فمن ودك لأمر ولى عنك عند انقضائه.

٥- أن تفاوت الناس في الحظوظ في تلك الدنيا معلم من معالمها ولازمة من لوازمها، ليعرف كل صاحب فضل وحظ مقدار ما حباه الله منه وأكرمه ليظهر خلق الشكر في الناس، ولو تساووا جميعا في النعمة والعافية لم يعرف صاحب النعمة قدرها، ولم يبذل حق شكرها، إذ لا يرى أحدا إلا في مثل حاله، ومن أقوى أسباب الشكر وأعظمها استخراجا له من العبد أن يرى غيره في ضد حاله الذي هو عليه من الكمال والفلاح.

٦- وأنه على مقتضى تلك السُّنَّة فإن الجنة وإن كانت بمحض فضله تعالى فإن تفاوت المنازل فيها كان على وفق التفاوت في الحظوظ من الطاعات، كما جاء عن غير واحد من السلف «ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته، ويتقاسمون المنازل بأعمالهم» (٣٠).

٧- وبذلك تظهر حكمة الله تعالى التي اقتضت كون الجنة درجات بعضها فوق بعض، وبين الدرجتين فيها كما بين السماء والأرض، كما جاء في الحديث الصحيح «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض...» (رواه البخاري).

٨- أن القلب للعلم كالإناء للماء، والوعاء للعسل، والوادي للسيل، وهذا ما يفيده قوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ (الرعد-١٧).

فقد شبه الحق جل جلاله إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء كذلك، كما شبه ورود القرآن على أسماع الناس بالسيل الذي يمر على مختلف الجهات عند نزوله، حيث يمر على التلال، والجبال، فلا يستقر في التلال والجبال؛ ولكنه يمضي إلى الأودية والوهاد، فيأخذ كل من الأودية والوهاد ما يناسب سعته واستعداده، وهذه السيول في حال نزولها تحمل على متنها الزبد الذي هو رغوة الماء التي تربو وتطفو على سطح الماء، فيذهب الزبد غير منتفع به، ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقيا.

ثم شبهت هيئة نزول الآيات وما تحتوي عليه، من إيقاظ النظر فيها فينتفع به من دخل الإيمان قلوبهم على مقادير قوة إيمانهم وعملهم، ويمر على قلوب لا يشعرون به، وهم المنكرون المعرضون، ثم يخالط قوما فيتأملونه ليأخذوا منه ما يثير لهم شبهات وإلحادا (٣١)

هوامش

١ - راجع مدارج السالكين ٥١/١.
٢- مجموع الفتاوى ١٢٩/٢٢.
٣ - وهذا تعريف الجنيد.
٤- مدارج السالكين ١٣/٣.
٥ - وهو ما اختاره أبو عبد الله القرشي على ما حكاه ابن القيم.
٦ - مدارج السالكين١٣/٣.
٧ -السابق ٣٢/٤.
٨ - السابق ١٠/ ١٩٣.
٩ - مجموع ٩٥/١.
١٠- مسلم، والترمذي، والنسائي، واحمد في المسند من حديث أبي مالك الأشعري.
١١- مدارج السالكين ١٣/٣.
١٢ - مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٠.
١٣ - مجموع الفتاوى ٢٠٤/١٠.
١٤ -المجموع ٣٢/٤.
١٥- السابق ٢٥٣/٤.
١٦ - مجموع الفتاوى ٢٧٢/١٠.
١٧ - السابق ١٨٤/١٠.
١٨ - مجموع الفتاوى ١٩٤/١٠.
١٩ - يراجع في ذلك في ظلال القرآن ٢٩٣٢/٦.
٢٠ - التفسير الكبير المنسوب لابن تيمية٢٨٧/٦.
٢١- مجموع الفتاوى /٤ ٢٤٥.
٢٢ - مجموع الفتاوى ٩٣/١٠.
٢٣ -مجموع الفتاوى ٣٧٢/٤.
٢٤ - السابق ٣٨/٤.
٢٥- البخاري كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن» ومسلم واللفظ له كتاب الألفاظ من الأدب باب تسمية العنب كرما، كما أخرجه أبو داوود في كتاب الأدب كذلك ٧٤، والدارمي في كتاب الأشربة ١٦، وأحمد في المسند ٢٢٩،٢٥٩،٢٧٢/٢.
٢٦- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ١٨٥/٧بتحقيقنا.
٢٧- ذكره ابن قتيبة وعن الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم التفسير الكبير ٢٩٧/٦.
٢٨- السابق.
٢٧ - التفسير الكبير٢٩٨/٦.
٢٨ - مدارج السالكين ٣١٩/١.
٢٩ - مفتاح دار السعادة ٣/١.
٣٠ - مفتاح دار السعادة ٨/١.
٣١- وذلك كقولهم ﴿هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد﴾ (سبأ:٧)، شبه ذلك كله- بهيئة نزول الماء، فانحداره على الجبال والتلال، وسيلانه في الأودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبدا لا ينتفع به ثم لم يلبث الزبد أن ذهب وفني،والماء بقي في الأرض للنفع، التحرير والتنوير ١١٦/٧.



سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

الوقت عند الشباب

أيها الشباب إن الوقت هو عمر الإنسان ورأس ماله الضخم ويجب عليك أن تستغله فيما يعود عليك وعلى أمتك بالنفع، ولتكن حريصا على اشد من حرصك على ما تملك من حطام الدنيا، لأنه اذا فاتك لا أمل لك في استرجاعه، وكل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت، وإذا كان القرآن وصف الذين ينفقون الأموال في غير وجهها بالسفه كما قال تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ (يونس: ٥). فإن إنفاق الوقت في غير منفعة يعد أكثر سفها لأنه أثمن من المال وأعم نفعاً.

أخي الشاب إن إضاعة الوقت فيما لا يفيد جريمة لا عقوبة لها في القوانين، لكن جزاءها عند رب العالمين، فالوقت من النعم التي فرط فيها بعض الشباب وأهدروها فيما لا يعود بنفع قال ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» (البخاري)، فلنعمل اليوم على استغلال أوقاتنا في عمارة الأرض والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية كما كانت امتنا في سابق عهدها، ولنحرص على استغلال العطلة الصيفية هذه الأيام بما يعود علينا بالنفع والخير.

أيها الشاب: المؤمن يحرص على أن يكون يومه خيراً من أمسه وغده خيرا من يومه، وأن يطيل حياته بعد موته بطول اعماله الصالحة، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، انه يحرص أن يخلف وراءه علماً نافعاً او عملاً طيباً أو مشروعاً مثمراً أو صدقة جارية أو ذرية طيبة صالحة حيث قال تعالى ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ (الكهف: ٤٦).

نعم هذه الروح الطيبة التي جعلت رجلا كأبي الدرداء رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ يغرس شجرة الجوز وهو في آخر رحلة حياته فيقول له بعض الناس: أتغرس هذه الجوزة وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر الا بعد كذا وكذا من السنين؟ فيقول ابو الدرداء «وماذا علي أن يكون لي ثوابها ولغيري ثمرتها؟» وهي التي جعلت آخر يغرس شجرة الزيتون ويقول «غرس لنا من قبلنا فأكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا».

قال ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

قال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لان إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

مسلمو بريطانيا .. واقـ

صلاح محمد أبوزيد

في إحدى مواعظه الأخيرة حذر بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر من تنامي الوجود الإسلامي في أوروبا خصوصا في بريطانيا، في الوقت الذي تبث فيه الصحافة يومياً عشرات الأخبار الملفقة عن مخططات إرهابية يدبرها متشددون إسلاميون للنيل من أمن البلاد وسلامتها، وبالطبع انعكست هذه الأجواء التحريضية على أوضاع مسلمي بريطانيا الذين يتعرضون للكثير من المضايقات والأزمات، حتى إن شاهد مالك (أول وزير مسلم في الحكومة البريطانية) قال: إن مسلمي بريطانيا صاروا كالغرباء في بلادهم، وإنهم مستهدفون من قبل الجماعات العنصرية المتطرفة، ومع كل هذا فإن كثيراً من المؤشرات الإيجابية تؤكد على المستقبل المشرق للإسلام في بريطانيا!

تاريخ عريق

ليس الوجود الإسلامي في بريطانيا وليد اليوم، بل انه يمتد تاريخياً حتى ألف عام - حسب معلومات وزارة الخارجية البريطانية- التي يشير موقعها على شبكة الإنترنت الى وجود بعض الكشوف الأثرية التي تعزز هذا القول، حيث تم العثور على حلية يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي منقوش عليها البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) في جنوب شرق ايرلندا، وعملات يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي ممهورة بكلمات الشهادة.

وقد وصلت أول مجموعة كبيرة من مسلمي الهند إلى بريطانيا في بداية القرن الثامن عشر، ثم أدت التجارة طوال المائتي عام التالية إلى زيادة الاحتكاك بين بريطانيا والدول الإسلامية، خصوصا حين بدأت السفن التجارية البريطانية باستئجار بحارة من الخارج للعمل على متنها، وبحلول عام ١٨٤٢ كان يزور بريطانيا كل عام حوالي ٣٠٠٠ من البحارة المسلمين - كانوا يعرفون باسم «اللسكريين»- وبعضهم تزوج واستقر في ليفربول وجلاسجو ولندن.

ثم اعتنق عدد من البريطانيين المرموقين الإسلام من بينهم لورد اسمه هيدلي، ومحام وشاعر معروف اسمه وليام كليام، وهو



الإسلام والغرب .. تصادم أم تقارب؟

العلاقة بين الغرب والإسلام علاقة قديمة متجددة تخبو تارة وتطفو على السطح تارة اخرى، حسب مستجدات الأحداث، وقد وجدت هذه العلاقة منذ صدر الإسلام وقرونه الأولى.

وإذا كان الغرب يملك اليوم زمام العلم والتكنولوجيا والتقدم المادي ويقيم حضارته على أساسها بعيداً عن المبادئ والقيم والأخلاق، فإننا نحن المسلمين نملك ما هو أثمن من ذلك، نملك غذاء الروح والفكر الذي تفتقده الحضارة الغربية.. نملك أسس وقواعد ديمومة الدول وسر بقائها، ألم يقل الشاعر العربي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن المشكلة القائمة اليوم هي: كيف نعرض بضاعتنا، وكيف ندعو لقيمنا، وكيف نحاور بالتي هي أحسن.. هناك انفصام بين سلوكنا وبين مبادئنا، وهذا هو الذي يعيق حركتنا ودعوتنا ويؤخر مسيرة امتنا، اننا في أمس الحاجة لتطبيق مبادئ الإسلام الوسطية على انفسنا قبل تقديمها للغير حتى ننجح في حوارنا مع الغرب والشرق، وعلينا ألا نخاف من الحوار مادمنا نملك كنزاً ثراً من المبادئ والقيم والأخلاق.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: 110).

واجبنا اليوم في علاقتنا مع الغرب أن نكون مؤثرين لا متأثرين، وفاعلين لا منفعلين وصانعين للأحداث لا مستقبلين، حتى نعيد لأمتنا وجهها الحضاري والإنساني ودورها الايجابي المشرق، وهو ما نحاول ترسيخه وتأصيله من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا وقارئاتنا، والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد : تمام الصباغ

ـــع مـأزوم ومـستقبـل مشرق

مؤسس أول مسجد بريطاني عام ١٨٨٩م، وهناك أيضاً الروائي ومترجم القرآن الكريم محمد مارمادوك بيكتول.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي بدأ المسلمون يهاجرون على شكل جماعات إلى بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية، واستقروا بشكل أساسي في بعض مناطق لندن، وفي المدن الصناعية الواقعة في إقليم وسط انجلترا، وفي مدن صناعة الأقمشة في لانكشاير ويوركشاي وستراتكلايد.

وقد قدر عدد المسلمين في بريطانيا وفق إحصاء عام ٢٠٠١م بحوالي ١,٦ مليون مسلم، وربما وصل هذا الرقم اليوم إلى ما يقارب المليونين، ٥٠ ٪ منهم من مواليد بريطانيا، و٥٠٪ تقل أعمارهم عن ٢٥ عاماً، وبهذا يمثل المسلمون أكبر أقلية دينية في بريطانيا.

ويوجد في بريطانيا العديد من المؤسسات والمنظمات التي ترعى مصالح المسلمين الدينية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، ومن أبرزها: مجلس مسلمي بريطانيا، ومسجد وسط لندن، والمركز الثقافي الإسلامي الذي افتتح عام ١٩٨٥م، وكان أول مسجد يرفع فيه الأذان للصلاة من منارته الشاهقة وعبر مكبرات الصوت، وهناك المؤسسة الإسلامية البريطانية التي تأسست عام ١٩٧٣م في مدينة ليستر كمركز للتعليم والبحوث والنشر، وأيضا مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية الذي تأسس عام ١٩٨٥م، وهو يمثل نقطة التقاء بين العالمين الإسلامي والغربي.

مرض العصر

في فيلم وثائقي بثته القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني بمناسبة الذكرى الثالثة للهجمات التي نفذها مسلمون بريطانيون في شبكة النقل بلندن يوم ٢٠٠٥/٧/٧م وراح ضحيتها ٥٢ شخصاً.

الإسلام يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوروباوسيشكل المسلمون في عام ٢٠٢٠نحو ١٠٪ من مجموع سكانها

أشار شاهد مالك - الوزير البريطاني المسلم- إلى أن استهداف المسلمين عبر وسائل الإعلام أصبح يتم بصورة ممنهجة وعلى نطاق واسع، وأن المسلمين باتوا يشعرون بفعل التغطيات الإعلامية المنحازة ضدهم بأنهم غرباء في مجتمعهم، وأنهم مستهدفون كاليهود أيام حكم النازي، واتهم مالك بعض أجهزة الأمن بإمداد الصحف بمعلومات كاذبة عن المسلمين بهدف تشويه صورتهم وتكريس حالة العداء ضدهم، ومالك نفسه قد تعرض لبعض الحوادث العنصرية، ومنها حرق سيارة عائلته ومحاولة قتله بسيارة في محطة للوقود، كذلك تعرض مسجد مدينة اسكس للحريق على أيدي متطرفين بريطانيين، ومع أن الفيلم الوثائقي يشير إلى أن ٥١٪ فقط من البريطانيين يلقون باللوم - إلى حد ما- على المسلمين في تلك التفجيرات، فإن ثمانية من بين كل عشرة مسلمين يشعرون أن التحامل على الإسلام في ازدياد منذ التفجيرات، وفي فبراير الماضي أثار المعهد الملكي للدراسات الدفاعية والأمنية ضجة حين أشار في تقرير - رفضته الحكومة بشدة- إلى أن بريطانيا المتعددة الثقافات هدف سهل لهجمات «المتشددين الإسلاميين»، نظراً لأن أهدافها وقيمها وهويتها السياسية مقسمة، في إشارة إلى اختلاف القيم الإسلامية عن الغربية، كذلك فجرت تصريحات عدد من رجال الدين المسيحيين في بريطانيا -وعلى رأسهم مايكل نظير علي أسقف مقاطعة ورشستر جنوبي شرق البلاد- الداعية إلى تحويل سكان البلاد كافة خصوصا المسلمين إلى المسيحية الإنجيلية موجة من القلق لدى مسلمي بريطانيا، وفي الاتجاه نفسه تعهد بول إيدي عضو مجلس الكنيسة الإنجيليكانية بمواصلة حملته الرامية إلى دفع كنيسة إنجلترا للعمل بشكل علني على تنصير المسلمين في البلاد، وتحويلهم الى الطائفة المسيحية الإنجيليكانية.

وقد اتهمت فيكتوريا بريتين نائبة رئيس تحرير الجارديان أجهزة الأمن بأنها وراء تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام، ويرى كثير من المحللين السياسيين أن كراهية الإسلام والنظر بريبة تجاه المسلمين قد بات مرض العصر في بريطانيا، حتى إن الإندبندنت نشرت مقالاً للكاتب بيتر أوبورن أشار فيه إلى أن نظرة الشك والريبة تجاه المسلمين امتدت إلى كل طبقات المجتمع، تحت وطأة المقالات والأخبار التي تبثها الصحافة عن أن بريطانيا أصبحت وطنا للمسلمين الذين يصنعون لأنفسهم مناطق خاصة تحل فيها المساجد مكان الكنائس، والشريعة مكان القوانين العلمانية، ولم يضيع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر الفرصة، فحذر من تنامي الوجود الإسلامي في الغرب في ظل معدلات الخصوبة العالية في أوساط المسلمين، الأمر الذي سيؤدي في غضون نصف قرن على الأكثر إلى وضع ديموجرافي يهدد الثقافة الغربية ذات الطابع المسيحي، وكان الفاتيكان قد حذر من تراجع الهوية المسيحية في أوروبا، بعد نشره إحصاءات تظهر تجاوز عدد المسلمين لعدد الكاثوليك على مستوى العالم وذلك للمرة الأولى، وأرجع ذلك إلى زيادة معدل المواليد عند المسلمين، وليس هذا فقط هو ما يعانيه المسلمون، بل إن الإحصاءات تشير الى ان نسبة البطالة الأعلى هي بين المسلمين، إلى جانب أنهم يعانون أيضا من الفقر وانخفاض



مستوى التعليم.

مؤشرات إيجابية

وليست الصورة قاتمة على إطلاقها، فثمة مؤشرات ايجابية تؤكد على المستقبل المشرق للإسلام في بريطانيا، ومنها أن الإسلام على الرغم من كل شيء يعد أسرع الأديان انتشاراً في الغرب، وكلما ازداد الهجوم ضراوة ازداد الاقبال على دراسته واعتناقه، خصوصا في أوساط النساء البريطانيات، وقد أكدت دراسة مسحية أعدها الكونجرس اليهودي العالمي عن صعود الإسلام في أوروبا، أن الإسلام يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوروبا، فهناك نحو ٢٠ مليون مسلم في الاتحاد الأوروبي يمثلون قوة يجب أخذها في الحسبان، وإذا تواصل هذا الاتجاه سيشكل المسلمون في عام ٢٠٢٠ نحو ١٠٪ من مجموع سكان أوروبا، ودلل التقرير على ذلك بأن عدد المسلمين في بريطانيا - مثلا- عام ١٩٦٣ كان لا يزيد على ٨٢ ألف مسلم، وارتفع في ثلاثين عاما إلى أكثر من مليونين

ومع أن ربع المسلمين يعتقدون باختلاف القيم الإسلامية عن الغربية وأنه من الصعب التقاؤها، فإن تقريراً نشرته صحيفة التايمز البريطانية اخيراً أكد أن المسلمين أكثر ثقة في النظام القضائي والانتخابات والشرطة، وأظهر الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة جالوب المستقلة أن أكثر من ٥٠ في المائة من مسلمي لندن يتبنون بقوة بالغة الهوية البريطانية، وأن نحو أربعة من كل خمسة يعتقدون انه من المهم لإنجاز الاندماج اتقان اللغة الانجليزية وتلقي مستوى عال من التعليم والبحث عن وظيفة، وذكرت التايمز أن الاستطلاع أظهر أن تسعة من كل عشرة مسلمين في لندن يعتقدون ان الهجمات ضد الأبرياء غير مبررة وخاطئة أخلاقياً، كما أن ٨١ في المئة يدينون العنف، وإن استخدم في قضية عادلة، وهي نسبة تزيد



ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام باتت مرض العصر في بريطانيا بفعل تحريض وسائل الإعلام وبثها أخباراً كاذبة عن المسلمين

بـ ٩٪ عن وجهة نظر الرأي العام، وترى الصحيفة أن هذه الاحصاءات تشير إلى نظرة أكثر أملاً لمسألة الاندماج، مقارنة بالتقارير الأخيرة التي تحدثت عن مشكلات التطرف والإقصاء، وعقلية الجيتو الانعزالية، ومن المؤشرات الايجابية كذلك انه لا يوجد قانون أوروبي صريح يعادي المسلمين، وبعض المسلمين يلجأون الى القانون الأوروبي لرفع الظلم عنهم، بل ان بعض أفراد الشرطة البريطانيين اعتنقوا الإسلام حينما أرسلوا للتجسس على المسلمين فعاينوا سلوكيات مستقيمة، وحياة منضبطة صادقة، كما أن المسلمين، يتمتعون بحرية ممارسة شعائرهم الدينية، وإنشاء المؤسسات وبناء المساجد، كذلك فإن ثمة أصواتاً عاقلة في المجتمع ووسائل الاعلام تدعو للتعامل مع المسلمين بصورة عادلة ومحايدة باعتبارهم إحدى فئات المجتمع المهمة حتى إن كبير القضاة اللورد فيليبس دعا إلى السماح للمسلمين بالالتزام بالشريعة الإسلامية في ظل مجتمع متعدد الثقافات والقوميات والأعراق، يضم الاسكتلنديين والايرلنديين وسكان ويلز وغيرهم، ومن ثم فإن القانون البريطاني ينظر الى المجتمعات العرقية المختلفة نظرة ايجابية، ويسمح لها بقدر من التمايز، وقد سعى مسلمو بريطانيا لإبراز هويتهم الدينية والثقافية من خلال آليات قانونية متعددة، منها التدخل في العملية التعليمية من أجل فرض ما يجب تعليمه لأطفال المسلمين، وتشكيل جماعات ضغط في الانتخابات البلدية والتشريعية تستهدف وضع مصالح المسلمين في الحسبان، وفتح قنوات للحوار مع الحكومة لحمايتهم من الهجمات العنصرية، والاعتراف بالزواج الشرعي الإسلامي أمام المحاكم، كذلك نجح المسلمون في فتح قنوات تعاون مع الحكومة عبر تجربة فريدة قاموا بها في مدينة بيرمنجهام بمقاومتهم لبائعات الهوى وبائعي المخدرات، الأمر الذي جعل الحكومة البريطانية تتصل بهم لتفيد من تجربتهم وخبرتهم لمحاربة الجريمة في أماكن أخرى، وكل هذه المؤشرات تؤكد على المستقبل المشرق الذي ينتظر الإسلام في بريطانيا خاصة، والاتحاد الأوروبي بوجه عام.

الدبلوماسية الثقافية ودورها في انتشار الإسلام في العالم

سيد أبوفاضل رضوي أردكاني ●

يعتبر الدين الإسلامي أحد الأديان السماوية الكبرى التى تلعب دورا حاسما في بناء وبلورة الثقافة في المجتمعات الانسانية، حيث يغطي مساحات واسعة من أرجاء المعمورة، ويعتنقه حوالي ثلث سكان العالم من كل القوميات وفي مختلف القارات.

ما سبب هذا الانتشار والنمو للإسلام؟ وما العوامل التي أدت إلى تطور هذه الثقافة الإنسانية الغنية؟

البعض، ومن خلال نظرتهم السطحية أو عدم إلمامهم بالوقائع التاريخية أو بسبب نظرتهم الحاقدة كما هو الحال لدى العديد من المستشرقين، يحاولون الإيحاء بأن الإسلام انتصر بقوة السيف والحرب والقهر إلا أن هذه المقولة لا تنطبق مع الوقائع التاريخية التي تؤكد على رصانة الفكر الإسلامي المستنير.

يزيد عدد المسلمين في عالمنا المعاصر على مليار وثلثمائة مليون نسمة، ويقطن غالبيتهم بعيدا عن مركز ظهور الدين الحنيف في بلاد الحجاز، حيث نجدهم في آسيا بشرقها وشمالها وأقصى مناطقهما، وكذلك في أوروبا وإفريقيا وبقاع متعددة من أميركا.

إن الدراسات التاريخية تؤكد على أن ثلثي البلاد الاسلامية قد تم فتحهما دون الاستعانة بالقوة والجهاد المسلح والحروب.. فهل اندونيسيا، التي بلغ عدد سكانها حسب احدث الإحصاءات أكثر من ٢٢٢ مليون نسمة ويشكل المسلمون ٩٠ في المئة منهم، قد فتحت بقوة السيف؟ وهل يذكر التاريخ أن جيوش المسلمين وصلت إلى هناك أو أن هذه البلاد أسلمت بالقوة؟ في تايلاند والفلبين يعيش مئات الآلاف من المسلمين، وفي ماليزيا تجاوز عدد المسلمين الملايين و٦٤ في المئة من سكانها هم من المسلمين، وفي بنغلادش ١٤٠ مليون نسمة، ٨٩ في المئة منهم يعتنق الدين الاسلامي بكل حرية، ووفقا لتقارير منظمة المؤتمر الإسلامي فإن أكبر جالية دينية في الصين هي الجالية الإسلامية، ويبلغ عددها ١١٣ مليون نسمة.

إن الباحثين والمؤرخين يؤكدون أن العلماء والدعاة والتجار هم السبب في اعتناق أهل هذه البلاد للدين الحنيف وإشهار اسلامهم.

إن ثقافة الإسلام الغنية وأسلوب الدعوة بالتي هي احسن استقطبا الناس نحو الشريعة السمحة ولولا الدبلوماسية الثقافية والمنطق الشفاف والفطرة الانسانية للإسلام وتضحيات الدعاة والمبلغين لما وصل الدين المبين الى ما وصل اليه اليوم في اصقاع المعمورة، ولسنا بصدد إنكار الفتوحات الإسلامية التي تمت في الصدر الاول في منطقة جزيرة العرب والنواحي الشرقية كبلاد فارس، والنواحي الغربية كبلاد مصر ومناطق من شمال إفريقيا، إلا أن بقية الأقطار الإسلامية في شرق آسيا والشرق الأقصى والتي تضم اكبر التجمعات والكتل الإسلامية بحضارتها وعنفوانها الفكري قد اعتنقت الاسلام طواعية من خلال إيمانها بمبادئه وأطروحاته الراقية دون ان تطأ اراضيها اقدام أي محارب أو مجاهد من المسلمين.

ومن خلال نظرة عابرة لما تقدم نرى أن التطور المذهل الذي نشهده اليوم في اعتناق الناس للدين الاسلامي يأتي من خلال الدبلوماسية الصحيحة والتواصل مع الشعوب والمنطق الذي يتمتع به الدين الاسلامي دون الحاجة لممارسة القوة، والطريف في الأمر أن الشعوب التي اعتنقت الاسلام من خلال المنطق والاستدلال والتواصل الثقافي كانت أكثر تمسكا بمبادئه ومفاهيمه حتى إن الإمبراطورية الفارسية والحضارة الإيرانية القديمة كانت قد تأثرت بالفكر الاسلامي ومنطقه السليم قبل ان يتم فتحها وهذا التأثر هو الذي مهد لفتح بلاد فارس.

انها لتجربة غنية وثمينة لكل سفراء الفكر والثقافة في البلاد الإسلامية لا سيما في عصر العولمة والقرية الكونية والمعلوماتية للاستفادة من الإمكانات المتاحة لنشر أفكار الدين الإسلامي السمحة من خلال توظيف التقنيات الحديثة، لأن العالم اليوم قد يئس من المدارس الإلحادية ويتعطش للمعنويات القادرة على إشباع خوائه ونسمه.

ثقافة الإسلام الغنية وأسلوب الدعوة استقطبا الناس نحو الشريعة السمحاء

إن الدبلوماسية الثقافية كانت ولا تزال أفضل سبيل للتعريف بالدين الإسلامي ونشر أفكاره ومنطلقاته، ولا شك أن هناك تحديات وإعلاما مضادا يقف في وجه نشر مبادئ الإسلام إلا أن الخواء الذي تعانيه البشرية بعد تجربتها المريرة مع الفكر المادي وهيمنة القوى الكبرى المتجبرة وزيف ادعاءات الذين يتشدقون بنجاة الإنسانية قد مهد السبيل لبيان رؤى وأهداف الإسلام.

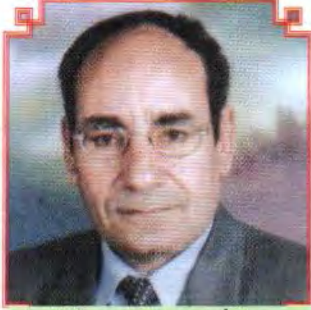
نستخلص أن الدبلوماسية الثقافية يمكن أن تلعب دورا حاسما في نشر الثقافة والفكر الإسلامي المبني على الوسطية والتعايش السلمي ومن خلال استراتيجية ثقافية مبنية على أسس إعلامية متينة ومبرمجة.

إننا كمسلمين نعتبر انفسنا سفراء لثقافة هذا الدين الحنيف ودعاة للمنطق، وثروتنا كتاب الله المجيد والسنة النبوية، وهذا ما يكفل نجاحنا في مسيرتنا وتواصلنا مع بقية الشعوب التي تتوق للحقيقة وتتعطش للعدالة والحرية، يقول الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقال سبحانه ﴿ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون﴾ (التوبة: ٣٣).

● المستشار الثقافي الإيراني بدولة الكويت

الغرب والمشكلة المعرفية مع الإسلام

- الأسباب والتجليات -


د.أمان عبدالمؤمن قحيف

من المعلوم للباحثين والدارسين ان هناك العديد من العوامل والأسباب التي تؤثر سلباً على سلامة النظرة الأوروبية، بل الغربية على السواء، للدين الإسلامي الحنيف، وهذه العوامل منها ما يتعلق ببعض الأوروبيين وطبيعة تعاملهم مع ما لدى امم الجنوب من عقائد وقيم وموروثات، ومنها ما يتعلق بسلوك بعض المسلمين ومنهجهم في فهم دينهم وعرض قضاياهم وقيمهم وأفكارهم، ولقد تسببت هذه العوامل مجتمعة في ايجاد ما يمكن تسميته «المشكلة المعرفية في فهم الغرب للإسلام» فماذا نقصد بالمشكلة المعرفية هنا؟ وما أسبابها؟ وما تجلياتها؟ تلك هي التساؤلات التي سنحاول الاجابة عليها في السطور التالية.

معنى المشكلة المعرفية

المقصود بـ «المشكلة المعرفية»، في هذا السياق هو: الاشارة إلى وجود حالة من الالتباس والخلط في فهم وإدراك معظم الغربيين للمفاهيم والتصورات الإسلامية، مما أدى الى ظهور الكثير من القلق والتوتر داخل المجتمعات الأوروبية والأميركية تجاه ديننا الحنيف، ولقد تصاعد هذا الأمر بفعل جهود خصوم هذا الدين وأعدائه الذين كرسوا جهودهم في هذا الاتجاه، ومما يؤسف له أنهم نجحوا في الوصول إلى خلق جو عام ينظر إلى الإسلام نظرة رفض واستياء وتخوف، لدرجة أن بعضهم يتحدث الآن عن وجود ظاهرة أطلقوا عليها «إسلاموفوبيا»!

والحق أن هناك الكثير من العداوات والخصومات التي تنشأ وتظهر بين الحضارات والثقافات بلا سبب أو علة غير غياب المعرفة الصحيحة والادراك السليم لما عند الآخرين من أفكار ورؤى وتصورات، ولعل هذا هو الحاصل بالفعل بين الحضارتين الإسلامية والغربية في اللحظة الراهنة.



أسباب المشكلة

ألمحنا في السطور الأولى إلى أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى وجود مشكلة معرفية في فهم بعض الغربيين للإسلام، وأشرنا إلى أن بعض هذه الأسباب يتعلق بالآخر الغربي، وبعضها يتعلق بالمسلمين أنفسهم، وسنحاول هنا وضع أيدينا على الاسباب والعوامل الأكثر تأثيرا في وجود هذه المشكلة المعرفية، ونرى أن نعرضها على النحو التالي:

أ- ندرة الدراسات الجادة والمحايدة: الغريب في الأمر أننا لم نبذل -تاريخياً- جهوداً علمية حقيقية في الغرب الأوروبي بالقدر الذي يسمح للإنسان الأوروبي العادي بفهم واستيعاب الأسس والقيم والمبادئ التي يدعو إليها الإسلام ويأمر المسلمين باتباعها والتزام منهجها، من هنا فقد لاحظ بعض الباحثين أن المسيحيين الأوروبيين، الذين فكروا في الإسلام، قد فعلوا ذلك وهم في حالة من الجهل، رغم أن القرآن كان متوافراً فعلا بترجمة لاتينية منذ بدايات القرن الثالث عشر.. كذلك كانت بعض المؤلفات الفلسفية باللغة العربية معروفة بفضل ترجمة بعض مؤلفات الفكر اليوناني، أما الفقه والشريعة والعقائد التي تتناول ما ورد في القرآن من نظام للفكر والممارسة، فإن معرفة المسيحيين بها كانت معرفة محدودة، وهناك استثناءات قليلة.. (١).

ويقتضي الحياد العلمي الإشارة إلى أن هناك من الفلاسفة والمفكرين الغربيين من تنبه إلى هذا الخطأ في فهم الإسلام، وحاول الأخذ بيد العقل الأوروبي باتجاه الفهم السليم والصحيح للمفاهيم والتشريعات الإسلامية، وتأتي الباحثة الالمانية الشهيرة «زيجريد هونكه»، والمفكر الألماني المسلم «مراد هوفمان»، والفيلسوف الفرنسي الكبير «روجيه جارودي» على رأس من ذهبوا هذا المذهب وساروا في هذا الاتجاه، بل إن هناك من المفكرين الغربيين من هاجم بعض صناع الثقافة الأوروبية لعدم تحريهم الدقة والأمانة العلمية عند الكتابة عن الإسلام أو التحدث عنه، يقول فولتير (١٦٩٤م - ١٧٧٨م) الذي انخدع فترة من الزمن وهاجم الإسلام خلالها ظلماً وزوراً - موجهاً خطابه إلى خصوم هذا الدين

الحنيف «أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جلهة آخرون إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هي ليست شيئاً من ذلك، لقد خدعتم في هذا الموضوع، كما خدعتم في موضوعات أخرى كثيرة... وفي كلمة موجزة، فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو إلى الإعجاب» (٢)

معنى هذا، أنه إذا كان هناك من الباحثين الغربيين من تجرد عن الموضوعية العلمية والحيادية الفكرية وانساق وراء نزعات الهوى ورغبات النفس فإن هناك العديد من الباحثين والمفكرين الجادين من تنزه عن العصبية والشوفونية وكتب في الإسلام بما يرضي ضميره الإنساني ويتماشى مع أخلاقيات العلماء.

ب- صعوبة التجربة الغربية مع الدين: لا يختلف المؤرخون على أن الحضارة الغربية عاشت تجربة مريرة مع الكنيسة ورجالها في العصور الوسطى، الأمر الذي جعل الحديث عن الدين يستدعي لدى العقل الغربي عدة أمور نذكر منها:

١- سيطرة رجال الدين على العمل.

٢- كبت حرية التفكير الإنساني.

٣- سيطرة المؤسسة الدينية على المناخ العام، وتشكيله وفقاً لمصالح رجال الدين.

٤- سيادة التفكير الغيبي والأسطوري الخرافي...الخ، من المعاني التي رسخت في الذهنية الأوروبية نتيجة لممارسات بعض رجال الدين المسيحي هناك إبان مرحلة العصور الوسطى.

من هذا المنطلق تجد العقل الغربي يشعر بنوع من عدم الارتياح عندما يتعلق الأمر بالدين، خصوصا الدين الإسلامي الذي يوجد الكثير من اللبس والخلط في فهم الإنسان الأوروبي لتعاليمه وتشريعاته، الأمر الذي أشار إليه علي عزت بيجوفتش في كتابه «الإسلام والغرب» حيث كشف النقاب عن «ان عداء الغرب الحالي للإسلام ليس مجرد امتداد للعداء التقليدي والصدام الحضاري الذي وصل إلى حد الصدام العسكري بين الإسلام والغرب، منذ الحملات الصليبية حتى حروب الاستقلال، وانما يرجع هذا العداء إلى تجربة الغرب التاريخية مع الدين وإلى عجزه عن فهم طبيعة الإسلام المتميزة» (٣).

هناك حالة من الالتباس والخلط في فهم وإدراك الغربيين للمفاهيم والتصورات الإسلامية

وإذا كان من المتفق عليه أن هناك حالة من اللبس والغموض مازالت تعتري فهم العقل الغربي للإسلام إلى الآن فإن التركيز في الخطاب الإسلامي المعاصر على ابراز الطبيعة المميزة للتعاليم الدينية الإسلامية يعد من أهم الواجبات المنوط بالمفكرين المسلمين تأديتها والاضطلاع بها في اللحظة الراهنة، ويتحقق من خلال الكشف عن عدم تصادم الإسلام مع العلم والاجتهاد البشري، بل إن الله تعالى لم يرفع من شأن أحد من الناس مثلما رفع من شأن العلماء، قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١)، وأن العالِمَ في الإسلام إذا اجتهد وأصاب يكون له أجران، أما إذا اجتهد وأخطأ فيكون له أجر واحد مقابل بذله للجهد، معنى هذا أن الإسلام يأمر بالبحث والتفكير والاجتهاد، ومن يمارس هذه الأوامر يثاب على عمله حتى وان لم ينجح في إدراك الحقيقة أو الوصول إلى الصواب، كما أن الإسلام لم يمنح أحدا سلطة كهنوتية يستطيع ممارسة الضغط من خلالها على غيره من الباحثين والمفكرين من أجل قهرهم على الالتزام ببعض الرؤى أو التقيد ببضع التصورات، خصوصاً في مجال العلم الطبيعي، بالاضافة الى عدم تعارض جوهر التشريعات الإسلامية مع قيم التقدم، بل إن الله تعالى أمر العباد بإعمار الأرض وبناء الحضارات، قال جل شأنه ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود:٦١).



إن الكشف عن الطبيعة المميزة للدين الإسلامي يساهم إلى حد كبير في إزالة اللبس الموجود في الذهنية الغربية تجاه هذا الدين الحنيف، ويصحح المفاهيم المغلوطة التي رسخت في أذهانهم هناك نتيجة صعوبة التجربة المريرة التي مرت بها أمم الحضارات المعاصرة مع الكنيسة الغربية في العصور الوسطى.

ج -طغيان الجهود المناهضة لتوضيح صورة الإسلام الصحيح في الغرب: لا شك أن من أسباب وجود مشكلة معرفية بين الغرب والإسلام أن هناك من يحرص على تشويه صورة هذا الدين الحنيف في الغرب، ويتم بذل المزيد من الجهد وإنفاق الكثير من المال سواء داخل المجتمعات الغربية أو خارجها من أجل تحقيق هذا الغرض والوصول الى هذه النتيجة، الأمر الذي يفسر لنا وجود حالة من الغضب أو



الخوف من الإسلام بين الناس العاديين هناك، ومما يؤسف له أن أصوات المهاجمين للإسلام والمتطاولين عليه مازالت هي الأعلى بين بقية الأصوات التي تحاول دراسته وإلقاء الضوء عليه، وتتعالى اصوات هؤلاء المتطاولين اكثر واكثر اذا ما ارتكب بعض المسلمين فعلا ترفضه القيم الانسانية أو السلوكيات الحضارية.

ومما يؤسف له ان هناك من المسلمين من منح خصوم هذا الدين الفرصة للهجوم عليه، وذلك من خلال ارتكاب بعض الافعال والتصرفات التي تسيء الى هذا الدين الحنيف، سواء تمثلت هذه السلوكيات في التطرف والتشدد وممارسة العنف، او تمثلت في إنفاق الأموال ببذخ وإسراف على الملذات والشهوات العديمة القيمة والقليلة النفع.

تجليات المشكلة المعرفية

لقد عبرت المشكلة المعرفية عن دورها في التوتر الحاصل الآن بين المسلمين والغرب في العديد من المظاهر والتجليات التي نذكر بعضها على النحو التالي:

أولاً: اختزال العلاقة التاريخية بين الحضارتين في فترات الصراع دون التعاون، لابد من الإشارة الى انه ليس من العلم الصحيح أو المعرفة الدقيقة أن يتحدث بعض الباحثين أو الكتاب عن العلاقة بين الإسلام والغرب باعتبارها علاقة تنافر وتضاد على مدى التاريخ، من هنا يأتي خطأ الذين يحرصون طوال الوقت على إبراز نقاط التناقض وعوامل الاختلاف بين الحضارتين، والجدير بالذكر ان هذا الخطأ لم يكن من نصيب بعض الشرقيين فحسب، بل وقع فيه العديد من الغربيين كذلك، ومن الغريب أيضاً ألا يكتفي بعضهم بتشويه التاريخ والماضي فحسب، بل ذهب يتحدث عن توقع الصدام بين الحضارتين في المستقبل، وكان أعلى من تحدث في هذا الموضوع صوتاً في الآونة الأخيرة «صمويل هنتنجتون» المفكر الاستراتيجي الأميركي صاحب رؤية «صدام الحضارات»، فقد حاول البرهنة والتدليل على أن الصدام بين الإسلام والغرب قادم لا محالة وستفرزه التناقضات الكبيرة بين مفاهيم وأفكار وتوجهات الثقافتين، وبدلاً من أن يدعو الى أهمية وضرورة العمل على رفع التناقضات وفض الاشتباك بين النقاط المتوترة في المنظومتين الحضاريتين - الإسلامية والغربية - ذهب يدعو إلى حتمية الاستعداد للمواجهة التي زعم انها قادمة لا محالة، لكن

لابد من التعرف على الأسباب التي أدت إلى خصومة الغربيين للإسلام .. حتى نتمكن من التعامل معها بشكل حضاري ومنهجي

الله تعالى قيض للأمر جماعة من الباحثين والسياسيين والمثقفين من الشرق والغرب على السواء ليتبنوا الحديث عن التواصل والتعاون والتعايش، بل والتآخي بين الحضارات الإنسانية، الأمر الذي ساهم وبشكل كبير وفاعل في تنبيه العقلاء هنا وهناك الى ضرورة الدعوة الى الحوار والتفاهم، وصولا الى التعايش والتعاون بين الحضارات الانسانية بدلاً من الدخول في المشاحنات والتوترات أو الصدامات.

والحق ان قراءة التاريخ تكشف عن ان «العلاقة بين المسلمين والمسيحيين الاوروبيين لم تكن مجرد علاقة حرب مقدسة، بل كانت علاقة تجارة عبر البحر المتوسط، وكان ميزانها يتغير عبر مجرى الزمن، فوسعت المرافئ الايطالية تجارتها ابتداء من القرن الحادي عشر والثاني عشر، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر أخذت السفن المنطلقة من مرافئ شمال أوروبا تظهر في البحر المتوسط والمحيط الهندي، وكان هناك ايضا تبادل للأفكار يتجه من البلدان الإسلامية نحو البلدان المسيحية، فظهرت مؤلفات فلسفية باللغة العربية، وترجمت كتب العلوم والطب الى اللاتينية، وظلت، حتى القرن السادس عشر، كتابات عالم الطب الشهير ابن سينا تستخدم في مدارس الطب الأوروبية» (٤).

ثانياً: تناقض فهم الغربيين للإسلام ونعته بما ليس فيه

لقد تجلت المشكلة المعرفية لدى الغربيين في تباين رؤيتهم للإسلام واختلافهم حول مفاهيمه وتصوراته وبنيته العقدية، لدرجة أن تياراتهم الفكرية قد فسرت تفسيرات متباينة، بل متناقضة كأقصى





ما يكون التناقض، فلقد «أنكر الماديون الغربيون الإسلام باعتباره - في نظرهم - دين غيبيات (اتجاه يميني)، بينما أنكره المسيحيون الغربيون لأنهم يرون فيه حركة اجتماعية سياسية (اتجاه يساري)، وهكذا أنكر الغربيون الإسلام لسببين متناقضين» (٥).

ولا يخفى عن الأذهان أن هذه التفسيرات المتناقضة والمتعارضة للدين الإسلامي تكشف النقاب عن وجود مشكلة معرفية عميقة، كان من تجلياتها تحميل الإسلام ما ليس فيه من صفات وخصائص، الأمر الذي يقتضي ضرورة أن تتكاتف جهود الباحثين والمفكرين مع جهود المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية من أجل العمل على توضيح الصورة الحقيقية للإسلام في أذهان الأمم جميعاً خاصة الأمم الغربية.

ويتصور كاتب السطور أن اتضاح الصورة الحقيقية للإسلام أمام الإنسان الغربي سيحد - الى درجة كبيرة - من حملات الهجوم والتطاول على الإسلام التي تظهر بين الحين والآخر، وذلك لأن الانسان الغربي موضوعي في احكامه ومواقفه الى حد كبير، والحقيقة تفرض نفسها وتفرض احترامها على الجميع، ونظراً لأنه من المفترض أن العقلية الغربية قد بلغت مستوى من النضج يسمح لها بالانحياز نحو الحق والصواب حتى وان اختلف مع الهوى الشخصي والنزعات الذاتية، فإن المأمول ان ينحاز الناس هناك الى احترام الإسلام وتوقيره اذا ما اتضحت لهم حقائقه وتكشفت لهم أباطيل خصومه الذين يعملون على تزييف تعاليمه وإظهاره في صورة تتناقض جوهرياً مع روحه السمحة ورسالته العالمية.

ثالثاً: الخلط بين تعاليم الإسلام وسلوك بعض المسلمين

تتجلى المشكلة المعرفية في فهم الغربيين للإسلام عندما يقوم بعض الناس هناك بالاستشهاد على الإسلام بسلوك بعض المسلمين، اذ يبني جماعة منهم خصومتهم للإسلام ومقاطعتهم له على خصومتهم لبعض المسلمين او اختلافهم معهم في الرؤى والمواقف، يقول فولتير: «لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التي لم تكن به على الاطلاق، لقد كان هذا موجهاً بالدرجة الأولى ضد الترك الذين اصبحوا من اتباع محمد ﷺ، فكتب رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه، اذ لم تكن هناك وسيلة تمكنهم من مواجهة فاتحي القسطنطينية، خلاف ذلك» (٦).

ويقتضي الأمر ان ننبه في هذا السياق الى اهمية ان يضبط المسلمون في الغرب - وفي كل انحاء العالم - سلوكياتهم بما يتوافق مع تعاليم الشريعة الغراء، لأن من الشائع والمشهور في الغرب عندما تصدر بعض السلوكيات غير اللائقة من مسلم فإنه يتم الربط بين هذا السلوك وبين تعاليم الإسلام، ويتم الترويج للأمر باعتباره من تشريعات الإسلام وليس سلوكاً فردياً أو شخصياً، بهذا المعنى يتم تفسير سلوك المستهترين والمسرفين والمتطرفين والمتشددين على أنها تعاليم دينية إسلامية، الأمر الذي يضر بسمعة الإسلام ضرراً بليغاً، ويكشف النقاب - في نفس الوقت - عن وجود مشكلة في أسلوب بعض الغربيين في التعرف على الإسلام وتعاليمه وتشريعاته، حين يأخذ بعضهم الدين من سلوك الناس وليس من تعليمات الشريعة الغراء ذاتها

الخلاصة

ثمة مشكلة معرفية أدت دوراً كبيراً - ومازالت - في خصومة بعض الغربيين للإسلام، وكان لهذه المشكلة العديد من الأسباب، والعديد من التجليات والمظاهر التي ذكرناها وأشرنا إليها، وسيكون من الصواب أن نتعرف الى هذه الأسباب وتلك المظاهر حتى نتمكن من التعامل معها بشكل حضاري وأسلوب منهجي سليم، ونعتقد ان النتيجة عندها ستكون ايجابية وستتضاعف أعداد الغربيين الذين يقتنعون بالإسلام، أو يتراجع العديد منهم عن خصومته أو التطاول عليه كما حدث مع كثير من الأوروبيين الذين أعلنوا إسلامهم أو - على الأقل- احترامهم له عندما قرأوه قراءة واعية وعرفوه معرفة سليمة.

الهوامش

١- ألبرت حوراني، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلية للنشر والتوزيع: بيروت - ١٩٩٤م، ص٨١، ٩١.

٢- Dictionnaire Philosophique de Voltaire. Tome vll. PP ٤٦-٤٨.

٣- راجع، علي عزت بيجوفتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، ط٢، ١٩٩٧م، ص٢٩٣ وما بعدها.

٤- ألبرت حوراني، المصدر السابق ص ٧١-٨١.

٥- علي عزت بيجوفتش، المرجع السابق، ص٤١٣.

٦- فولتير، القاموس الفلسفي، المجلد السابع، مقالة «المحمديون».



مسلمو أوروبا والمشاركة السياسية..

ملامح الواقع وخيارات التطوير

د. رفيق حسن الحليمي

يبدأ هذا الكتاب بتقديم من المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في صفحة واحدة، ثم مقدمة وتوطئة وتسعة فصول وخاتمة، وصدر عن المجلس الأوروبي للإفتاء - دبلن ٢٠٠٧م، وطبع على نفقة هيئة آل مكتوم الخيرية.

موضوع الكتاب «معالجة قضية المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا بالنظر الى واقعها والبحث في سبل تطويرها وآفاق النهوض بها» وفقاً لامتدادها على رقعة القارة الأوروبية بين الصعود والهبوط وبين مختلف التحديات التي تواجهها، وحجم الانعكاسات الايجابية والسلبية على الوجود المسلم، ويعد هذا الكتاب كما جاء في التقديم «الدراسة الوحيدة لواقع المسلمين في أوروبا من زاوية مشاركتهم السياسية في مجتمعاتهم الأوروبية».

المقدمة: تضمنت شرحاً موجزاً لقضية مشاركة مسلمي أوروبا في الحياة السياسية والاجتماعية، فقد اصبح الاهتمام بها يتنامى في السنوات الماضية فلم تعد «شاغلاً هامشياً»، بل اصبحت جزءاً من حياة المسلمين في أوروبا لتحقيق المصالح والمنافع ودفع المضار، على أساس «التفاعل بين الأطراف المجتمعية والسياسية»، وسعياً الى توثيق عرى الصلة والانتشار للمسلمين ضمن النسيج المجتمعي العام، وعلى قاعدة المواطنة الصالحة أملاً في «أن تنحاز المجتمعات الأوروبية، إلى خيار تكافؤ الفرص للجميع».

الفصل الأول: المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا، ويتناول مفهوم المشاركة السياسية وفقاً لما تقرره مصادر العلوم السياسية، حيث يقوم النظام السياسي الديموقراطي على أساس مشاركة جميع أفراد الشعب أو الجمهور فيه بهدف «توفير جو اجتماعي، وحمايته والمحافظة عليه يستطيع فيه الأفراد أن يحققوا طموحاتهم الفردية والجماعية»، وينبغي ان «تكون هذه الطموحات منسجمة بقدر معقول مع خصوصيات البيئات السياسية الأوروبية، وغير متعارضة مع قيم الإسلام وتوجيهاته وتعاليمه، وبطبيعة الحال لا تسعى الى الهيمنة على الساحة على أساس التفاعل السليم مع شركاء المواطنة».



ورغم هذه التطمينات يرى أن الحضور اللائق ليس بالمطلب المتيسر، لما تعترضه من عقبات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمسلمين، فإن المرء يلحظ ذلك بشكل صارخ في التناول التحريضي ضد الوجود المسلم.

والى جانب المشاركة السياسية تقف المشاركة المجتمعية إذ «تبقى المشاركة السياسية جزءاً من المشاركة المجتمعية بمفهومها الشامل»، وتأتي اهميتها لتحقيق التغيير المطلوب ولتمكين «الأجانب» من حق المشاركة في الحياة السياسية.

الفصل الثاني: مسلمو أوروبا وصعوبات المشاركة السياسية، يرى الكاتب أن المشاركة بشقيها السياسي والمجتمعي تمثل أبرز تجليات الاندماج الإيجابي»، ورأى «أن المشاركة الفاعلة والإيجابية تعكس أعلى درجات الاندماج ومدى فعالية قيم التعايش الودي، وتكافؤ الفرص والمنسوب الديموقراطي في المجتمع العريض».

ومع هذا تجد المشاركة بشقيها السياسي والمجتمعي صعوبات جمة، منها صعوبات يعود بعضها الى النظام الديموقراطي (الديموقراطية التمثيلية المتعلقة بنظام الانتخابات) وما ينشأ عنها من فجوات بين النواب والناخبين ما يؤدي إلى «أزمة ثقة بين السياسي والناخب» الأمر الذي

الحياة السياسية أصبحت جزءاً من حياة المسلمين في أوروبا لتحقيق المصالح والمنافع ودفع المضار

دفع بعض الساسة الى القول بضرورة «إعادة النظر في الديموقراطية...لأنها دخلت في حقبة تحول تراجعي... ستفضي كما هو متوقع إلى نقيض لها» ولا بد من معالجة نواقض الديموقراطية التمثيلية بأشكال أكثر تشاركية، ومنها صعوبات خاصة تتعلق بالأقليات أو من يصنفون على أنهم أجانب وكونهم مسلمين، فالأقليات المسلمة مهما يكن حجمها ووزنها لا تتمتع بفرص مريحة إزاء ما يوصف بـ«مجتمع الأغلبية»، والأقليات المسلمة تطل منها أسماء توحي بالانتماء الديني «ولطالما واجهتهم أشكال التمييز والتفرقة» علاوة على الزي الإسلامي للمرأة (الحجاب) وما يستثيره من ردود «فالثابت ان المرأة تواجه في الساحة السياسية الأوروبية سقفاً زجاجياً يحد من قدرتها على الصعود الى المواقع المتقدمة» فهذه الأقليات المسلمة لا تسلم من حملات الاستهداف والتشويه التي تتجند لها مؤسسات وأقلام وأبواق إعلامية وأصوات سياسية ومجتمعية.

يضاف الى ذلك ان الاقليات المسلمة تعيش في حراكها الاجتماعي حالة من الازدواجية، ففي وجه منها تهيمن عليها ثقافة إسلامية محكومة بمرجعية دينية، وفي وجهها الآخر تتجاذبها ثقافة غربية غريبة عنها ومتعارضة معها، وبين هذه وتلك يظل المسلم حائراً بين ثقافتين، وهذا الأمر يختلف مع واقع المسلمين في اوروبا الشرقية باعتبارهم مواطنين أصليين، وصل اليهم الاسلام وهم في عقر دارهم، كما سيأتي في الفصل السادس.

خلاصة القول: إن مسلمي أوروبا «لا يتمتعون حتى الآن بفرص ذات شأن في الحضور الملموس ضمن دوائر النخب.. في الساحتين المجتمعية والسياسية، ويبقى حضورهم الضعيف للغاية لا يتناسب مع نسبهم العددية».

ويرى المؤلف أنه من المؤسف تحميل المسلمين وحدهم المسؤولية فلا «يمكن إعفاء المنظومة التشريعية من مسؤولية تحفيز المشاركة السياسية عندما تَحْرِمُ القوانين المعمول بها في معظم البلدان الأوروبية مَنْ يقيمون فيها مِنَ البشر مِنْ حق التصويت السلبي (الاقتراع دون الترشيح) في الانتخابات البلدية إضافة الى بعض العراقيل التي تضعها بعض الدول في حصول المقيمين على المواطنة (الجنسية)، الأمر الذي يؤثر سلباً في تفاعلهم مع الشأن السياسي، وحتى المجتمعي.

الفصل الثالث: مواقف مسلمي أوروبا من المشاركة السياسية، صنف المؤلف تلك المواقف في ثلاث فئات:

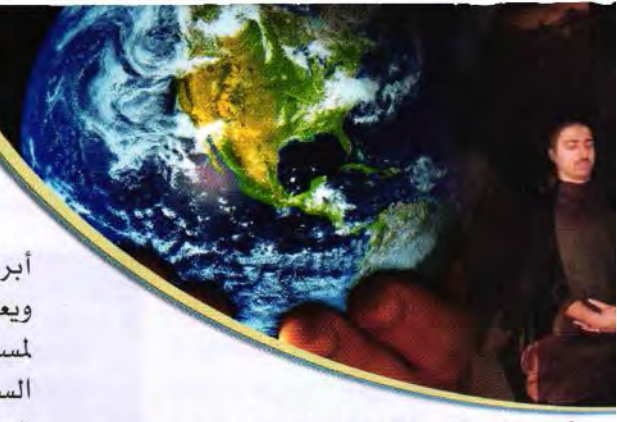
- فئات مؤيدة: تمثل الاتجاه العام «فالتيار الرئيس المسلم المعبر إجمالا عن الوجود المسلم يؤكد فكرة المشاركة السياسية بلا مواربة بل يرى أهميتها، وربما قال بعض قياداته بوجوبها أو فوق ذلك أي بفرضيتها، ويعزز هذا الرأي من يرون أن «المشاركة الفعالة وتحمل المسؤولية في كل مجالات الحياة هو مبدأ إسلامي أصيل يثري التعايش المشترك في عالم يقوم على التعددية».

- فئات مترددة: تتحاشى الخوض في الشأن السياسي وترى أنه «لا يقف على رأس الأولويات بالمقارنة مع اهتمامات أخرى»، وتخشى من مغبة زج المسلمين في المعترك السياسي، بما قد يثير حفيظة بعض الأطراف.

- فئات معارضة: مع تفاوت نوعي في درجة المعارضة تصل عند بعضهم درجة التحريم فمنهم من يمعن «في رفض المشاركة في شتى صورها» وخاصة فيما يتعلق بالانتخابات، أو بالانضواء ضمن الأحزاب والبرلمانات والحكومات، ويرى أن هذه المشاركة لا تجوز شرعاً وهي محرمة، ويقترح بدائل تحت ذريعة المشاركة غير المباشرة كالاتصال بالجمهور لنشر الدعوة وتوظيف رؤوس الأموال كقوة اقتصادية، وللتأثير في صناعة القرار السياسي انطلاقاً من أن النشاط في بلاد الغرب - من حيث الأصل - ليس محرماً في الإسلام، مع الحرص الدقيق على عدم الوقوع في المحرم من المعاملات كالربا، والمشاركة في ميدان الاعلام، والاستفادة من القوة العددية للمسلمين ليصبحوا قوة ضغط.

الفصل الرابع: في توصيف المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا، من أجل توصيف دقيق لهذه المشاركة مهد المؤلف عن وعي بمدخل تاريخي للعلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، ورأى من خلال المنظور التاريخي وما انتهى إليه العلماء أن هذه العلاقة غالباً ما تتموضع «في سياق مأزوم، مع إشارات الى ميراث ثقيل من وطأة تلك الاعباء التاريخية ينعكس على الحضور المسلم في أوروبا وآفاق مشاركته مجتمعياً وسياسياً»، فالماضي يشكل جزءاً مهماً من ثقافة الحاضر لدى المسلمين ولدى الغرب أيضاً، تترك آثارها على العلاقة المشتركة بينهم وتعمل على إخراج معطيات تتحكم في مسيرة هذه المشاركة ومدى تقبلها والرضا عنها من قبل الغرب أو بعض شرائحه، فضلاً عما يأتي في سياق الحاضر من سلبيات (الكيل بمكيالين)، (وأحداث الحادي عشر من سبتمبر) ما يؤدي الى تصعيد في شقة الخلاف والى «أزمة ثقة» بينهم.

ويتطرق الى النمو العددي المتزايد في الوجود المسلم، وتمركز الأكثرية في العواصم والمدن الكبرى مما يثير حساسية من نوع معين، وهذا الوجود «لم يكن ظاهرة متوقعة سلفاً على هذا النحو»، ففي ألمانيا وحدها أكثر من مليونين وربع مليون نسمة من أصل تركي جاءوا كعمال ضيوف ثم أصبحوا «مواطنين» وقد افتتحوا قرابة ألفي مسجد ومصلى «وبرزت المظاهر الإسلامية بوضوح» وعادة ما يجري توظيف هذه الأعداد «من قبل الأطراف المتحفظة على الوجود المسلم



بطريقة تنزع الى اثارة الذعر والفزع في صفوف المواطنين الاصليين» لما يحدثه من خلل في تركيبة السكان، وقد تباينت الرؤى في التعامل مع هذه الظاهرة بين الإقصاء في حالات او المشاركة، وبين الإذابة والصهر الثقافي والاندماج.

وعلى أثر هذه التجاذبات برزت «الهوية الاسلامية» متخطية بذلك كثيراً من العقبات، وبدأ موضوع «الاندماج» يتصدر الواجهة فتبلورت اتفاقية اوروبية عام ١٩٩٢م (تم التوقيع عليها عام ٢٠٠٠م) بشأن مشاركة السكان الاجانب في الحياة العامة وحقهم في التعبير عن مصالحهم «وأخذ حضور المرأة المسلمة يبدو ملحوظاً أحياناً ضمن فضاء المشاركتين السياسية والمجتمعية».

الفصل الخامس: المشاركة السياسية في ظلال الأزمات، يعرض لما يواجه أفراد الجالية المسلمة من الأزمات المتلاحقة، وكيفية «التعبير الجماهيري» المسموح به، وهو في مجرد «التظاهر» الذي يعد حقاً ديموقراطياً كفلته المواثيق والقوانين، ويدعو المؤلف الى ضرورة تبلور «ثقافة الاعتراض السلمي» وهي ثقافة تنمو عبر مساحة حرية الرأي اساساً وتستمد وقودها من ارادة الجمهور، ووعيه بالواقع وبالتحديات التي ينطوي عليها، ويرى أن «الاعتراض السلمي»، «ينبغي ان يخضع لتقدير الدواعي والجدوى المرجوة ... ولا ينبغي أن يجنح الى التطرف أو التعصب».

الفصل السادس: مسلمو أوروبا الشرقية والمشاركة السياسية، يتناول واقع المشاركة وأبعادها المختلفة في أوروبا الشرقية في ظل التحولات التي طرأت أخيراً، فقد أعيد تشكل الساحة السياسية في دول شرق أوروبا بسبب عاملين: انهيار نظم الحكم الشيوعي، واعادة تشكيل الخارطة السياسية، وما لازم ذلك «من توترات وأزمات وحروب طاحنة كان المسلمون هم أبرز ضحاياها بلا منازع».

ويعقد مقارنة بين خصوصيات المشاركة لمسلمي اوروبا الشرقية وما تميزت به عن السياق الاوروبي العام باعتبار أن المسلمين في اوروبا الشرقية هم اصلا من السكان الأصليين، بخلاف واقع المسلمين في أوروبا الغربية فهم وافدون أو مهاجرون جدد، أما في شرق القارة فالمسلمون «يشكلون الأغلبية السكانية أو نسبة سكانية كبيرة في بعض البلدان أو ضمن أقاليم بعينها... ويعني ذلك ان المشاركة السياسية لها -من هذه الوجهة- من الأهمية والوزن والخصوصية ما لا يتوافر لنظيرتها بالنسبة لمسلمي أوروبا الغربية... وهو ما يجعل المشاركة السياسية تتعلق بمواطنين ضربت جذورهم في أعماق البيئة التي يعيشون بين اكنافها».

الفصل السابع: إشكالية المفاضلة بين المواقف السياسية عبر المجالات المختلفة، يمكن تلخيص هذا الفصل بعبارة واحدة تجري مجرى المثل وهي «الغريب أعمى» فالغريب الوافد على بلد ما أقرب ما يكون الى الاعمى الذي فقد القدرة على الرؤية الصحيحة التي تجنبه الوقوع في المطبات، وتنجيه من مهاوي الردى، أو هو كمن يفقد البوصلة في بحر لجي أو ليل مظلم بهيم، هذا هو حال المسلمين في أوروبا، كما يجسده هذا الفصل، فعندما يقتحم المسلمون حلبة المشاركة في العمل السياسي مع الأحزاب السياسية المختلفة يواجهون صعوبات جوهرية تتمثل «في افتقار عدد كبير من قطاعات المسلمين لادراك خارطة الواقع السياسي وعمقه في الساحة الأوروبية»، سواء أكان ذلك على مستوى العلاقات الداخلية أم الخارجية، إذ يتكون لديهم بعض «الانطباعات المشتتة عن سياسات بعض الحكومات والأحزاب»، ما يؤدي الى إرباكات عدة في صفوفهم تفقدهم كثيراً من مواقعهم ومصالحهم لأن هذا الحزب أو ذاك الذي حظي بأصوات الناخبين المسلمين قد يكون مقيداً بمعايير معينة يتبناها حزبه، ولا تمكنه من تحقيق طموحات الناخبين، وقد يكون هذا الحزب صاحب أيدلوجية تتعارض مع مصالح المسلمين وطموحاتهم، الأمر الذي قد يؤدي الى شكل من اشكال التهميش، «وربما يفضي الى إحباط مساعي الاندماج الإيجابي»، والأمر اكثر حساسية مع السياسات الخارجية، فهناك «فجوة ملموسة بين توقعات المسلمين والنتائج المحققة»، وقد يعزى ذلك الى ان بعض الشعارات «نادراً ما ترافقها تحولات عميقة في فضاء السياسات الخارجية».

الفصل الثامن: كيف تكون المشاركة؟ سؤال يتلمس منه المؤلف بعض المداخل لتطوير المشاركة، بكل الأشكال التي تتوافق مع خصوصيات الساحة الأوروبية وتستهدي بالتوجيهات الاسلامية اذ لا بد من معرفة المقاصد العامة للمشاركة وهي الاسهام الحسن في التأثير الايجابي على السياسات وصناعة القرار وتحديد اهداف المشاركة ووسائلها وأدواتها، ثم يقترح مواصفات لحضور اكثر فاعلية.

الفصل التاسع: مسائل واشكاليات في العمل السياسي للمسلمين، غالباً ما تثار بعض الشكوك بشأن ولاء السياسي المسلم، أهو للاقلية المسلمة التي انتخبته؟ ام هو للحزب الذي رشحه وينضوي في اطاره؟ وينتهي بعد مناقشة مستفيضة لهذه القضية الحساسة الى ان إمكانية «تأثير السياسي المسلم ضمن نطاقه السياسي أو الحزبي تبقى محكومة بعوامل عدة... فالسياسيون المسلمون في الأحزاب القائمة هم مجرد افراد من حيث المبدأ يعملون ضمن اطار عام مما يجعل فرصهم في التأثير محدودة».

الخاتمة: تضمنت خمسين فكرة، هي عبارة عن استخلاصات واستنتاجات لمضمون الكتاب، وقد ترجمها المؤلف الى اللغة الانجليزية، ليقف على مضمون الكتاب من لا يجيد اللغة العربية من غير العرب من ابناء الجاليات المسلمة.

في الختام: من يقرأ الكتاب يدرك للوهلة الأولى الجهد المبذول فيه، والعناء الذي تجشمه مؤلفه في جمع مادته العلمية وترتيبها وتسلسلها، ثم كتابتها بأسلوب عصري ممتع سليم يرقى الى مصاف كبار الكتاب، أتمنى لمؤلف الكتاب كل سعادة وتوفيق ونجاح والى مزيد من العطاء المثمر.

د. عبد الحليم خفاجي رئيس المركز الإسلامي بميونخ في حوار خاص يؤكد على:

ضرورة خلق جزر من التواصل بيننا وبين الغرب من خلال تفسير القرآن الكريم


د. عبدالحليم خفاجي

د.عبد الحليم خفاجي، أحد رموز العمل الإسلامي في العالم الإسلامي ساعد في خدمة المركز الإسلامي بميونخ، وكان له دور في تفسير القرآن الكريم لغير الناطقين باللغة العربية.

د.خفاجي، تاريخ كبير وقديم للعمل للإسلام من خلال كتب أفرد بعضها لخلق حوار مع الغرب وبعضها الآخر تناول تفسير آيات الذكر الحكيم، «الوعي الإسلامي» تحاول التعرض لتاريخ د. خفاجي وما قدم للإسلام، علاوة على تقييمه للعمل الدعوي في أوروبا، وإليكم نص الحوار:

منير أديب

■ **في البداية نحب أن نتعرف على أهم إصداراتكم أو ما شاركتم في تقديمه للمكتبة الإسلامية؟**

- من أهم الكتب التي قمنا بتأليفها: رياض الصالحين، الحلال والحرام في الإسلام، المرأة في الإسلام، وعود الإسلام، أختي المؤمنة، محمد في الإنجيل، الإنجيل والقرآن، أمهات المؤمنين، كتاب الله ليس كذلك، شبهات حول الإسلام، يوميات ألماني مسلم، الإسلام بين الشرق والغرب، الإسلام كبديل، الله ليس كذلك، زفرات البوسنة، بين شتّى الجبهات، الإسلام في عيون السويسريين، روض الرياحين، كواكب حول الرسول، دور أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي.

■ **وماذا عن القرآن الكريم.. هل كانت لديك فكرة واضحة عن وضع ترجمة ليس بها ما في غيرها من التراجم؟**

- كان هذا هو الهاجس المسيطر علينا لأننا اكتشفنا اهتمام الألمان منذ زمن بالقرآن الكريم أكثر من أي شعب آخر، والكارثة أننا وجدنا ٤٣ ترجمة للقرآن وللأسف لم تكن في المستوى المطلوب.. بل قال أحدهم - ممن أسلم - إنها ترجمات شيطانية لأنّ الذين قاموا بها كان هدفهم تحريف القرآن، وقد روي عن القس «مارتن لوثر» حين شكا بعض رجال الكنيسة إقبال الألمان على الإسلام فنصحهم بترجمة القرآن ترجمة محرّفة حتى ينصرفوا عنه.. فشرعت المذاهب وأصحاب الديانات المختلفة في ترجمة القرآن، مثل الكنيسة، والمستشرقين، والبهائيين، والأحمديين، والقاديانيين، وكل الديانات، الكل أراد أن يترجم القرآن على هواه، وكذلك المذاهب المنحرفة شمرت عن ساعديها لهدم هذا البنيان العظيم، فكان هذا حافزاً لوضع ترجمة للقرآن الكريم اجتنبت عيوب الترجمات القصيرة.

■ **ما مميزات الترجمة التي قدمتها؟**

- أولا من ناحية خطة العمل.. هذه الترجمة عملٌ جماعي توثيقي قام به عشرة من الباحثين المتخصصين، خمسة من العرب وخمسة من الألمان، ووفرت لهم إحدى المراكز البحثية كل الإمكانات مع كل المراجع الخاصة بالتفسير والسيرة والحديث وأسباب النزول باللغات المختلفة، وعلى رأسها لغة القرآن الكريم، وأخرجناها جزءاً جزءاً، وأنا كنت واحدا من هؤلاء ليس



أكثر.

وعلى كل استبشر بها الكثيرون لأنها أول ترجمة تفسيرية بلغة أوروبية تجنبت أخطاء الترجمات الأخرى وتجاوزتها، واستمر العمل على قدم وساق وبدأب لثلاث عشرة سنة متصلة، ولاقت الترجمة قبولاً من المسلمين الناطقين بالألمانية، ومن غير الناطقين بها.

كان لا بد من وضع ترجمة غير تقليدية لتكون بديلا ملائما لتتغلب على ضعف الترجمة الحرفية، وتعتمد المصادر الإسلامية من تفسير وحديث وأسباب النزول واختيار أوثق الآراء في تفسير آيات كتاب الله، فضلا عن الاعتماد على المصادر في اللغات الأخرى.

لقد وضعوا أيديهم على ما يعاني منه المسلمون الناطقون بالألمانية والمسلمون الجدد عامة، وأدركوا خطورة عدم توافر ترجمة ألمانية صحيحة لمعاني القرآن الكريم، مما يفتح المجال واسعاً أمام طعنات الحاقدين.

ومن خلال مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام في مدينة ميونخ برز إلى الوجود المشروع العملاق لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية التي أخذت على عاتقها تصحيح الصورة المشوهة للإسلام، وإنجاز ترجمة صحيحة ووافية لمعاني القرآن تمهيدا لوصول رسالة الإسلام إلى الناس كافة.

لقد قام فريق العمل المكون من العرب والألمان المتخصصين بهذا الإنجاز على خير وجه، وكلف د. أحمد توتونجي - بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي في أميركا - كلف فريقا لمراجعة العمل العملاق في مراحله المختلفة.

■ ما أهم المصادر التي اعتمد عليها تفسير القرآن باللغة الألمانية من كمّ المصادر الكبير الذي ذكرت؟

- كان الهدف ترجمة سهلة التناول والاستيعاب، حيث تم اختيار المصادر التي رجعنا إليها في هذا التفسير، وبعد جهد شاق خرجت الترجمة التفسيرية إلى النور في ثلاثة آلاف صفحة، ونالت القبول من الناطقين بالألمانية، فلم يقرأها أحد من غير المسلمين إلا دخل الإسلام، فضلا عن التزكيات العلمية التي صاحبت صدورها سواء في مصر (الأزهر الشريف)، أو في المملكة العربية السعودية (رابطة العالم الإسلامي)، أو من شخصيات لها اعتبارها لتكون الترجمة المعتمدة لدى المسلمين الألمان، وتحل محل العديد من الترجمات التي تحمل التشويه والمغالطات.

والترجمة موثقة وتورد النص القرآني باللغة العربية بجوار الترجمة الألمانية، كما أدلى مدير إدارة القرآن الكريم برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، برأيه فيها، وتم عرض العمل بعد اكتماله على مؤتمر جامعة آل البيت في الأردن، وتم اختيارها كأحسن مصدر لفهم القرآن الكريم لغير العرب معلنين انتهاء عهد الترجمات القصيرة.

■ هل قرأ غير الألمان هذه الترجمة ووجدوا فيها ما يريدون؟

- نعم، كانت البداية من قبل الروس المسلمين في السفارة السوفييتية قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، حيث جاء أعضاء السلك الدبلوماسي لزيارتي وذكروا أنهم أعجبوا بالترجمة الألمانية وأنهم لأول مرة يفهمون القرآن الكريم دون عوائق وبطريقة صحيحة، ولم تكن الترجمة الألمانية قد اكتملت، وطلبوا مني نقل ما أنجز - حتى ذلك الحين - إلى اللغة الروسية على أن تتحمل مؤسسة «بافاريا» التكلفة، فعلمت أنها إرادة الله، وأن الله قد كتب للعمل القبول بإذنه وحده، وافقت على الفور رغم ما تحملته من عناء الإنفاق على هذه الإنجازات.

■ معنى ذلك أنهم هم الذين أقبلوا على مشروع الترجمة الروسية.. نأمل التوضيح؟

- لقد عبروا عن تقديرهم للترجمة الألمانية المفسرة التي فهموا عن طريقها - ولأول مرة كما قلت لكم - معاني القرآن الكريم، الأمر الذي لم يحظوا به من خلال الاطلاع على التراجم الروسية القصيرة أو الألمانية القصيرة، حيث يسّرت الترجمة المفسرة الفهم وأزالت الغموض الذي كان يقابلهم كلما قرأوا التراجم القصيرة، لذلك رأوها خير وسيلة لفتح أبواب الشعوب الروسية على العالم الإسلامي، كما عرضوا استعدادهم لتوثيق الترجمة من جميع الجهات المعتمدة في العالم الإسلامي، ونزولا على رغبتهم وإصرارهم تمت الموافقة على نقل الترجمة الألمانية الأم إلى اللغة الروسية.

استغرق العمل في الترجمة الروسية تسع سنوات من العمل المتواصل المضني، واكتملت الترجمة، وسرعان ما عرفنا الطريق إلى موسكو لمراجعتها على أيدي نفر من المسلمين المختصين الروس، حيث يستفيد من هذه الترجمة حوالي ٨٠ مليون مسلم يقطنون إحدى عشرة ولاية، فضلا عن إطلاع غير المسلمين عليها وإتاحتها في المنتديات والمكتبات، والمراكز الثقافية إضافة للمساجد والمراكز الإسلامية لعل الله أن يهدي الجميع إلى الإسلام.

قام على هذا العمل العملاق عدد من المراكز المعتمدة مثل مكتب «هوتسة» للترجمة بميونخ، ومكتب شؤون القانون الدولي في البوسنة بإشراف البروفيسور «رامو أتاجيك» عميد كلية الحقوق في سراييفو، وتمت المراجعة على أيدي عدد من المسلمين الروس الثقات، ثم كانت المراجعة النهائية على يد كل من: د.عبدالسلام المنسي، ود.سمية عفيفي في القاهرة، والروسية المسلمة بالينا في موسكو، وهم جميعا من الخبرات التي لها قدرها في تخصصاتهم.

■ نأمل تسليط الضوء على الترجمة التي تلت الترجمة الروسية، وهي البوسنوية؟

- أوجدت الحرب في البوسنة والهرسك اهتماما غير عادي لدى الشعوب الأوروبية عامة والشعب الألماني خاصة بالإسلام، ويظهر ذلك جليا في الصحف والمجلات التي تتكلم كل يوم عن الإسلام والعالم الإسلامي ومستقبل العالم، كما يظهر ذلك من موجة الإقبال على السؤال الدائم عن كثير من القضايا ورؤية الإسلام لها حيث لا توجد فيها مصادر معتمدة.

جاء دور الترجمة البوسنية المفسّرة على غرار ما سبقها من تراجم مفسرة، ولا يملك الإنسان إلا أن يسجد شكرا أمام كرم الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا.. كان بين أيدي البوسنيين نسخة قديمة لمعاني القرآن الكريم منذ

عهد الخلافة العثمانية.. وهي ترجمة الحاج على رضا كارابج، قمنا بطبعها مصغرة قبل اندلاع حرب البوسنة والهرسك.. زارنا اثنان من أهل البوسنة د. رامو أتاجيك عميد كلية الحقوق بجامعة سراييفو وزميل له، وأعربا عن رغبتهما في نقل الترجمة الألمانية المفسرة إلى اللغة البوسنية لأنهم فهموا القرآن الكريم، ولأول مرة، على الوجه الصحيح من خلال الترجمة الألمانية المفسرة نظرا لإجادتهما اللغة الألمانية إذ كانا يعيشان في ألمانيا قبل حرب الاستقلال، وافقنا على ذلك فللقرآن رب يحميه.. وبعد سبع سنوات اكتملت الترجمة البوسنية المفسرة بحمد الله فكانت فتحا جديدا من الله.

■ ما آخر الترجمات التي أصدرتها مؤسسة بافاريا؟

- آخر الترجمات هي الترجمة الإسبانية فقد قيض الله لنا جنديا من أرض الحجاز أخذ على عاتقه تحمل نفقات الترجمة المفسرة إلى اللغة الأسبانية لحاجة المسلمين في إسبانيا وأميركا الوسطى والجنوبية إلى مثل هذا العمل، ولكون اللغة الأسبانية هي الثانية في العالم من حيث عدد الناطقين بها بعد الإنجليزية، فهي لغة عريقة ورثت من العربية الشيء الكثير، يتكلم بها اليوم ما يربو على ٤٠٠ مليون نسمة، وهي من اللغات اللاتينية الأساسية التي من الممكن أن تكون أساساً للترجمة إلى الفرنسية والبرتغالية والإيطالية.. كانت مهمة اختيار لجنة الترجمة على عاتق أخينا د.بهيج ملا حويش لكونه قضى في أسبانيا ما يربو على الثلاثين عاما، ولكونه عضوا في عدد من المؤسسات الدعوية الإسلامية العالمية، وقام بجهد متواصل ليكون حلقة الوصل بين بافاريا والمجلس الإسلامي الأسباني الأعلى للبحوث العلمية CESIC ليقوم بتوثيق الترجمة المفسرة لمعاني القرآن الكريم في اللغة الأسبانية، وقد تحقق كل ذلك بفضل الله ورعايته على الوجه الأفضل.

نقدم القرآن الكريم مفسرا بلغة سهلة وميسرة لجميع لغات العالم حتى تصل الدعوة للجميع

و نشير إلى أن أمر الإشراف على الطباعة اسند إلى شركة (ديداكو - DIDACO) الأسبانية لما لها من إنتاج متميز يشهد به أهل الاختصاص في الغرب، ليكون في متناول القارئ الناطق بالأسبانية تحت اسم «الترجمة المفسرة لمعاني القرآن الكريم باللغة الأسبانية».

■ ولكنك توقفت فجأة منذ إصدار الترجمة الأسبانية، وكنت عازما على الترجمة الإنجليزية في أسرع وقت.. ما أسباب هذا التأخير؟

- حقيقة هي استراحة محارب، فقد حاولنا أن نعيد ترتيب البيت من الداخل، ووجدنا أن جهدنا لثلاثة عقود أو يزيد كان خارج بلادنا، فسعينا للتواجد في البيئة العربية كموقع وسط، واخترنا دبي في الإمارات لنقيم شركة هناك «بافاريا دبي» تهتم أكثر بالتسويق للمشروع وهي الآن في مراحلها الأخيرة، ونسعى لإكمال المراحل الأخيرة من الترجمة الإنجليزية التي ستعد من أقوى الترجمات وأكثرها فعالية، وبإذن الله من خلالها سينطلق العمل إلى الإيطالية والفرنسية، ثم اليابانية والصينية ولا نستبق الأحداث.

■ وماذا عن المشروعات المستقبلية؟

- الله أعاننا على هذا العمل بتوفيقه، فقد عقدت العزم أن ننطلق في مشروع حضاري عملاق أطلقت عليه «الفتوح العشر» وهي فتوح ربانية لنقل القرآن مفسرا إلى اللغات الحية، وانتهينا من اللغة الإنجليزية كفتح جديد متميز، وتمت المراجعة النهائية، وبصدد تأمين تكاليف الطباعة والمراجعة والله هو الموفق، بالإضافة للعمل الثقافي لنقل أفضل الكتب التي لها اهتمام بالإسلام، أو الكتب المؤثرة التي توضح لغير العرب الصورة المشرقة للإسلام إلى اللغات الأخرى.

وتوجد لدينا الترجمة المفسرة للقرآن الكريم باللغة البولندية جاهزة للمراجعة الآن، ولكن مؤجلة قليلا لأهمية مشروع آخر.

د.خفاجي في سطور

- رئيس مجلس إدارة مؤسسة بافاريا للإعلام والنشر
- مصري الجنسية.
- ولد في قرية مرصفة - محافظة القليوبية في ٦ فبراير ١٩٢٣.
- تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة ١٩٥٤.
- عمل في الكويت منذ مطلع السبعينيات باحثا قانونيا في ديوان وزارة العدل الكويتية.
- هاجر إلى ألمانيا عام ١٩٧٩.
- عمل في المركز الإسلامي في مدينة ميونيخ ١٩٨٠.
- ثم أسس مدرسة تدرّس المنهجين العربي والألماني ١٩٨١.
- أسس معهدًا لتعليم اللغة العربية للألمان ١٩٨٢.
- تفرغ لتأسيس مؤسسة بافاريا للإعلام والنشر كرافد ثقافي يعرّف الأوروبيين بالإسلام ورسالته بمنهج وسطي بلا غلو ولا تفريط حيث لم يكن يوجد منذ ربع قرن الكتاب الإسلامي بالفهم الصحيح ١٩٨٣.

ومنذ ذلك الحين يعمل في المجال نفسه.

كان يلفت نظره حرص الألمان على القراءة والسعي للتعرف على الإسلام، فملأ ذلك الفراغ بالعديد من الكتب الإسلامية، وكان شغله الشاغل هو القيام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية بفريق عمل من الألمان والعرب، فتم ذلك في ثلاث عشرة سنة، ومن هنا انطلق إلى اللغات الأخرى.

مؤلفاته

- حوار مع الشيوعيين
- عندما غابت الشمس
- كواكب حول الرسول
- دور أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي

منهج الإسلام في تحقيق السلام العالمي

محمود سلامة الهايشة

نحن بصدد استعراض الكتاب الذي صدر حديثا بعنوان «منهج الإسلام في تحقيق السلام العالمي»، عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، ضمن سلسلة دراسات إسلامية، التي تصدر في منتصف كل شهر هجري، العدد (١٦٣)، المحرم ١٤٣٠هـ/يناير ٢٠٠٩م، والكتاب من تأليف د.محمد الشحات الجندي، ويقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع الصغير.

بداية، تناول الكتاب مفهوم الحرب ومدى مشروعيتها وأسبابها وأنواعها، والمراد بالحرب والقتال بين فئتين من الناس، ونورد فيما يلي الفرق بين الجهاد والحرب كما بينه المؤلف في الكتاب.

فالجهاد في الإسلام هو دفاع عن مبدأ، وشرع لإعلاء كلمة الله وإنقاذ الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، وسيادة قواعد الحق والعدل بين البشر.

أما الحرب، فكلمة تطلق على القتال مطلقاً أيا كانت بواعثه، مشروعة أو غير مشروعة.

أسباب الحرب كما حددها ابن خلدون

١- غيرة أو منافسة بين القبائل المتجاورة.

٢- حرب عدوان، وتحدث بين الأمم الوحشية (الساكنين في الأماكن النائية)

٣- غضب لله ولدينه، وهذا يسمى جهادا.

٤- غضب للملك.

أنواع الحرب: حرب دولية، حرب داخلية.

الحرب وسيلة غير مرغوب فيها لما فيها من سلب الأرواح والأموال، ومع ذلك فهي وسيلة سلكها البشر ولم ينجوا من أهوالها، فهي مظهر من مظاهر حب البقاء وتنازع الأهواء وصراع الحق مع الباطل (١).

ولكن إذا كانت الحرب مشروعة في الإسلام، فإن هذا باعتبارها الملجأ الأخير وليس معناه أنها شرعت بصفة مطلقة دون قيد أو ضابط، فإن الإسلام لا يخرج عن علاقة السلم إلا إذا امتدت إليه يد العدوان، هنا فقط يؤذن لأهله أن يردوا العدوان بالعدوان.

ومن هذا المنطلق يؤكد الكاتب أن إقرار السلام العالمي غاية ومقصد من مقاصد التعايش البشري في الإسلام، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

ونظراً لمكانة السلام في الإسلام كانت تحية المسلمين هي السلام، وذلك تقديراً لشأنه وإعلاء لكلمته، وقد نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة تعتبر رمزاً عالياً لتعلق السلف بالسلام، إذ يروى أنه كتب إلى الأشتر النخعي يقول «لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك، ولله فيه رضاء، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عـــدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل (يأخذك على غفلة)، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن (يعني لا تركن لحسن الظن)».



ومن الأدلة التي تثبت أن السلم هو الأساس في علاقة المسلمين بغيرهم، قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ومن السنة النبوية المطهرة: قول رسول الله ﷺ «أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» (صحيح البخاري) إن الحروب التي خاضها النبي ﷺ ما كانت إلا دفاعاً مشروعاً عن الدين والوطن الإسلامي، وعلى سبيل المثال، حروبه مع أهل مكة لأنهم وقفوا موقفاً عدائياً للدعوة وتآمروا على قتله، وحروبه مع اليهود لأنهم نقضوا عهودهم معه.. وهكذا. وقد رسم النبي الكريم ﷺ لأصحابه المنهج في حروبه مع أعدائه، وهو أن يخيروا من يحاربونهم بين أمور ثلاثة: الإسلام (أو المعاهدة التي تبيح نشر الدعوة)، عقد الصلح الدائم، وإما القتال.

لذلك نؤكد أن الحرب إذا قامت فلا بد أن تكون دفاعية تحت نطاق الضرورة، أي تكون شرعية وليست لأهداف مادية، ومن الضروري أن نؤكد أيضاً على أصل التضامن والتكافل في رد العدوان بين الوحدات الإسلامية كافة.

ولتحقيق السلام يجب على الأمة الاحترام المتبادل بين الدول، والتسوية

السلمية للمنازعات...كالتسوية التي أجراها أبوعبيدة مع أهل الشام، وكما جاء في الآية الكريمة ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١).

أنواع الصلح

الصلح المؤقت (الهدنة): وهو عقد موادعة ومهادنة مع العدو لمدة معلومة.

الصلح الدائم: وهو يعتمد على خضوع أهل الذمة لأحكام الإسلام، وكف شرهم إلى الأبد مقابل جزية كل عام.

والصلح المؤقت يكون بين زعيمين: مسلم وكافر، أو بين نائبيهما، أو بين أحدهما ونائب الآخر.

أما إجراء الصلح الدائم فيكون بين طرفين: الجانب الإسلامي، ويمثله الامام أو نائبه، أما الطرف الآخر فيكون دون تخصيص أو تمييز ما دام المخالف يعقل هذا الصلح ويلتزم بمقتضياته ومؤداه، والالتزام بإعطاء الجزية، والالتزام بأحكام الإسلام.

الأسس اللازمة لإجراء الصلح المؤقت

(١) توافر المصلحة: لا بد لعقد الصلح المؤقت أن تكون هناك مصلحة، مثل: قلة المال - ضعف- حقن الدماء...إلخ.

(٢) خلو الصلح من الشروط الفاسدة، بمعنى أن أي شرط يرفضه الإسلام أو لا يتفق مع أحكام القرآن والسنة لا يجوز أن نقيم عليه صلحا، ومن أمثلة الشروط الفاسدة: منع فك أسرى المسلمين- رد امرأة مسلمة إليهم- احتلال أجزاء من الأراضي الإسلامية.

(٣) تحديد المدة: معلومية المدة بداية ونهاية.

شروط الصلح الدائم

(١) الالتزام بأحكام الإسلام فيما يتعلق بحقوق الآدميين.

(٢) الالتزام بدفع الجزية كل سنة.

آثار الصلح المؤقت

(١) وقف الحرب وأعمال القتال، يتقرر الأمن والسلام طيلة مدة الصلح إلا إذا نقضه العدو.

(٢) عصمة أنفس المجاهدين وأموالهم، يكتسب أصحاب العقد عصمة (صيانة) أنفسهم وأموالهم مما يبرز تعميق حق الحياة، ويحل السلم والوئام، ويفرض الوضع الجديد الحرص على ترسيخ ثقافة السلام.

إن الهدنة كما ذكر الماوردي (٢) موجبة لثلاثة أمور: الموادعة في الظاهر، وترك الخيانة في الباطن، والمجاملة في الأقوال والأفعال.

آثار الصلح الدائم

(١) إنهاء الحرب وعودة العلاقات السلمية بين المسلمين وغيرهم.

(٢) التزام المسلمين بالدفاع عنهم وحمايتهم، مثل موقف الإمام ابن تيمية حينما تغلب التتار على الشام فذهب ليكلمهم بشأن أسرى المسلمين ورفض إطلاق سراح أهل الذمة، فأبى الإمام ابن تيمية وقال: لا نرضى إلا بانفكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً منا أو منهم فاستجاب لطلبه.

(٣) التزام أهل الذمة بأحكام الإسلام.

(٤) حرية العقيدة وممارسة شعائر الأديان.

(٥) المساواة مع المسلمين في الحقوق والواجبات.

التحقيق والوساطة أو المساعي الحميدة

التحقيق في الشريعة الإسلامية

يأمرنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قائلاً ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)، لقد دعانا ديننا الإسلامي إلى وجوب التحقق قبل الحرب أو إزهاق الأرواح.

ان التحقيق نوع من بيان الحقيقة وإظهارها، لذلك أمرنا الإسلام عند مجيء فاسق بنبأ عظيم له نتائج عظيمة فلا تقبلوه بادئ الأمر بل توقفوا فيه وتثبتوا، حتى تأمنوا العاقبة، كما يجب أن يراعى في لجان التحقيق الحيدة والعدالة المطلقة والتنزه عن الهوى حتى مع الأعداء، كما اخبرنا الله سبحانه وتعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

حقائق مهمة

(١) إن الشريعة الإسلامية تركز على الغاية من وسائل التسوية السلمية.

(٢) إن المفاوضات وسيلة مقبولة كإجراء لتسوية المنازعات.

(٣) إن الشريعة أجازت موادعة الأعداء وعقد معاهدة سلام مع غير المسلمين.

(٤) «لا ضرر ولا ضرار» هذا هو هدف المفاوضات الإسلامية.

(٥) إن الشريعة مفتوحة العقل والقلب، فلم تحدد إجراءات معينة وإنما تركتها لاعتبارات الزمان والمكان.

(٦) إن الصلح بنوعيه لا يكون بالضرورة نتيجة لحرب وإنما يمكن أن يكون في أية منازعة.

(٧) يجب الاستجابة لتسوية المنازعات إذا كانت بمبادرة من الأعداء.

(٨) الصلح مع العدو في الإسلام جائز مطلقاً من غير تحديد مدة ولا فرض جزية.

الوساطة أو المساعي الحميدة

وهي مساعي الإصلاح والتوسط لإزالة الخلافات تماماً، ليس بالضرورة أن المساعي أو الوساطة تنجح في كل الأحوال، كإرسال السلطان الغوري إلى لويس الثاني عشر ليقوم بالوساطة لدى رئيس الفرسان، لإبرام معاهدة تقرر حرية التجارة للتجار الفرنسيين في مواني مصر، وفتح الكنيسة والسماح للحجاج بزيارة الأراضي المقدسة، ووجد لويس الثاني عشر هذا العرض فرصة طيبة وأرسل اندريه لوردي سفيراً لدى الغوري.

التحكيم في الشريعة الإسلامية

تعريف التحكيم: هو أداة للفصل في المنازعات الداخلية والخارجية السلمية والحربية، أي انه يستخدم على حد سواء في العلاقات الدولية والشؤون الداخلية.

إن التحكيم يستخدم كوسيلة لفض المنازعات، ويكون اللجوء إلى التحكيم بناء على رغبة طرفي المنازعة، وعلى المحكم أن يطبق حكم الشرع ويلتزم بأحكام الإسلام، كما جاء في القرآن الكريم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥).

الهوامش

١- منهج الإسلام في تحقيق السلام العالمي، ص ٣١.

٢- انظر: مخطوطة شرح الحاوي، ج٤، ص ٥٣.

د.محمد شوقي الفنجري رائد الوقف الإسلامي:

مؤسستا الزكاة والوقف .. هدية الإسلام للبشرية

أحمد أبوزيد



د.محمد شوقي الفنجري أستاذ الاقتصاد الإسلامي ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، يعد من رواد الوقف الإسلامي في هذا العصر، فهو صاحب أوقاف خيرية تعمل لخدمة الدعوة والفقه الإسلامي، والبحث العلمي وطلبة العلم، وأبناء الأقليات الإسلامية، والمجالات الخيرية الأخرى، وتبلغ قيمتها اليوم ما يزيد على أربعة ملايين جنيه، ويرأس اليوم أكبر جمعية خيرية في تاريخ مصر، وهي الجمعية الخيرية الإسلامية، التي أحيا نشاطها من جديد، وجعلها معقلا من معاقل العمل الخيري في مصر والعالم الإسلامي، وأدخل فيها المواسم الثقافية السنوية التي يحاضر فيها مجموعة من كبار العلماء والمفكرين في مصر مثل د.زغلول النجار ود.محمد عمارة والمستشار طارق البشري ود.جعفر عبدالسلام، وتعالج فيها قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، كما أدخل الندوات التي تناقش العديد من القضايا الإسلامية، مثل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والوقف والسبيل إلى إصلاحه وتفعيل دوره، والعمل الخيري بين الواقع والمأمول، واللغة العربية وسبل النهوض بها، إلى جانب الاحتفاليات السنوية التي تنظم تخليدا لذكرى رواد الجمعية الخيرية من العلماء، وآخرها احتفالية الشيخ مصطفى عبدالرازق أحد شيوخ الأزهر السابقين.

« الوعي الإسلامي » حاورت الفنجري حول العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه الأمة في هذا العصر... وإليكم نص الحوار:

■ **من المشهور عنكم اهتمامكم الكبير بقضايا الوقف، ودخولكم في هذا المجال بثقل كبير، فما هو دور الوقف في تنمية المجتمع الإسلامي ومعالجة مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية؟**

من الثابت أن الإسلام قد أهدى للبشرية منذ خمسة عشر قرنا مؤسستين أساسيتين، هما مؤسسة الزكاة ومؤسسة الوقف، والغريب أن هاتين المؤسستين مغيبتان اليوم في العالم الإسلامي أو معطلتان عن أداء دورهما الكبير في خدمة المجتمع، وتحقيق المصلحة العامة لأفراده، باستثناء بعض الدول الإسلامية التي تنظم جمع الزكاة وتضع لها قانونا مثل المملكة العربية السعودية، وتعطيل هاتين المؤسستين يعد أهم أسباب تخلف العالم الإسلامي المعاصر، بينما أخذ العالم المتقدم في أوروبا وأميركا بهاتين المؤسستين تلقائيا، مما أسهم في تقدمه إسهاما كبيرا، فمن المعروف أن كل أسرة أوروبية أو أمريكية تخصص بانتظام أكثر من ٢ في المائة من دخلها للجمعيات الخيرية والمنظمات غير الحكومية، وهذا مقابل للزكاة في الإسلام وهي فريضة معطلة، كما أن رجال الأعمال في الغرب يوقفون تلقائيا بعض ما يملكون من عقار أو أوراق مالية لصالح الجمعيات الخيرية أو الجامعات والمستشفيات وغيرها من أوجه البر، وهذا هو الوقف الإسلامي بعينه، فجائزة نوبل وغيرها ليست إلا تطبيقا للوقف الإسلامي.. وهذا هو سر تقدم الغرب، فليس هناك أحد مضيع، وهذا مبدأ إسلامي أصيل، ألا يكون في المجتمع جائع واحد أو مضيع واحد، ولكن مع الأسف فإن هذه المؤسسات مغيبة في العالم الإسلامي بسبب العدوان على أوقاف المسلمين، والاستيلاء عليها من قبل بعض الحكومات، مما جعل الناس يزهدون في الوقف، ولم يعودوا يوقفون أملاكهم أو أموالهم خشية أن يأخذها الحكام، بعكس الغرب الذي يحترم هذه المؤسسات ويشجعها، ولذلك نقول: إذا أردنا للعالم الإسلامي تنمية حقيقية علينا أن نعيد الاعتبار لمؤسستي الزكاة والوقف حتى تؤديا أدوارهما في خدمة المجتمع وتنميته وتقدمه.

مقياس الفقر

■ **وما مقياس الفقر في المجتمع طبقا لمنهج الاقتصاد الإسلامي؟**

- الفقراء هم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم أن يوفروا لأنفسهم المستوى اللائق للمعيشة، وهو حد الكفاية لا

الكفاف، فيعطون من الزكاة القدر الذي يصل بهم إلى حد الكفاية، أي أن الهدف من الزكاة هو تحقيق مستوى لائق لمعيشة الفقير بوصفه إنسانا كرمه الله واستخلفه في الأرض، ومن ثم كانت الزكاة معونة دائمة منتظمة حتى يزول الفقر بالغنى، وتزول البطالة بالكسب.



والفقراء ثلاث طوائف، نوع يستطيع أن يعمل ويكسب ويكفي نفسه بنفسه ولكن ينقصه رأس المال للتجارة أو أدوات الصنعة، فهذا يعطى من الزكاة بقدر ما يمكنه من العمل والكسب واكتساب كفاية العمر وعدم الاحتياج إلى الزكاة مرة أخرى، ونوع ثان يستطيع أن يعمل ويكفي حاجته ولكنه متفرغ للعبادة، فلا يعطى من الزكاة، بخلاف الفقير المتفرغ للعلم، إذا تعذر عليه الجمع بين الكسب وطلب العلم فإنه يعطى من الزكاة بقدر ما يعينه علي أداء مهمته، والنوع الثالث عاجز عن الكسب كالمريض المقعد والشيخ الهرم والأبله والطفل اليتيم فهذا يعطى من الزكاة راتبا دوريا يكفي حاجته الأصلية حتى يزول سبب العجز.

الضرائب والزكاة

■ البعض يخلط في الفهم بين الضرائب والزكاة، ويتقاعس عن إخراج الزكاة بعلة أنه يدفع ضرائب للدولة عن مشروعاته الاقتصادية، فهل تغني الضرائب عن الزكاة؟

- الزكاة تختلف عن الضرائب، فالزكاة فريضة دينية وركن من أركان الإسلام، ولها أنصبة ومصارف محددة تنفق فيها، ولا نستطيع أن نصرف منها على الجهاز الإداري للدولة، ومن هنا يبيح الإسلام للدول أن تفرض ضرائب على المواطنين للصرف منها على المرافق مقابل الخدمات التي يحصل عليها الأفراد كالتعليم والصحة والمرافق المختلفة والمصالح الخدمية في الدولة، ومن هنا فإن الزكاة لا تغني عن الضرائب، وكذلك الضرائب لا تغني عن الزكاة. ومن الأشياء التي تميز الضرائب عن الزكاة، أن الزكاة يجب إخراجها سواء احتاج إليها المجتمع أو لا، بخلاف الضرائب فلا يجوز أن تفرض ضرائب إلا بقدر احتياج المجتمع.. ولذلك في أيام العز بن عبدالسلام، طلب منه الظاهر بيبرس المملوكي أن يفتي له بفرض ضرائب ليقوي بها الجيش الذي يحارب التتار، فقال له العز: سأفتي لك بهذا بعد أن تبيعوا كل ما تحلون به سيوفكم وملابسكم من ذهب، وعندها سنجمع لك بقدر ما تحتاج من أموال للانتصار في الحرب لأنك تدافع عن ديار الإسلام.

الإسلام والتوازن الاقتصادي

■ ضوابط الملكية في الإسلام تختلف عما هو سائد في الأنظمة الوضعية، فما الأسس التي وضعها الإسلام في هذا الشأن لتحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع الإسلامي؟

- الفقهاء المسلمون القدامى والمعاصرون لخصوا طبيعة الملكية في الإسلام، سواء كانت ملكية خاصة أم عامة بقولهم «المال مال الله والبشر مستخلفون فيه» فحيازة أو ملكية الفرد أو الدولة للمال في الإسلام ليست امتلاكا بالمعنى المطلق، وإنما هي وديعة أو وظيفة شرعية، أو هي ملكية مجازية، أي ملكية في الظاهر بالنسبة للآخرين، إذ المالك الحقيقي لكل الأموال هو الله تعالى، وانه سبحانه سيحاسب المكتسب للمال أو الحائز المتصرف فيه، من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

وقد ترتب على تكييف الإسلام للملكية، خاصة كانت أم عامة، أن أصبحت أمانة واستخلافا ومسؤولية، ويجب الالتزام في شأنها بتعاليم الإسلام.. وحرية الملكية الخاصة في الإسلام مشروطة بأن يتوفر حد الكفاف، أي الحد الأدنى اللازم للمعيشة للآخرين.. والمستوى اللائق للمعيشة يقدر حسب ظروف الزمان والمكان، والواجب توفيره لكل من يتواجد في المجتمع الإسلامي أيا كانت ديانته أو جنسيته، وهو ما يوفره لنفسه بجهده وعمله، فان عجز عن ذلك بسبب خارج عن إرادته كمرض أو شيخوخة انتقلت مسؤولية ذلك إلى بيت المال أو خزانة الدولة.

والإسلام يسمح بالثروة والغنى مع وجوب محاربة الفقر والعوز، لقول الله تعالى ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ (الإسراء: ٢٦)، فلا بأس بالغنى لمن اتقى في ظل الاقتصاد الإسلامي، على أن يكون الغني ملتزما بالشرع الإسلامي، فالغني لا يسمح له مثلا أن يكنز أمواله أو يحبسها عن التداول والإنتاج، ولا يملك أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل وإلا عد سفيها، وجاز الحجر عليه، وهو مطالب دائما بإنفاق الفائض عن حاجته في سبيل الله، سواء في صورة إنفاق مباشر على المحتاجين أو استثمار يعود نفعه على المجتمع، كما أن على الحاكم أو الدولة التدخل لمنع استئثار أقلية بخيرات المجتمع، إعمالا لقول الله تعالى ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ (الحشر: ٧).

مواجهة العولمة

■ التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية أصبح اليوم ضرورة حتمية حتى تستطيع فرض وجودها على الساحة العالمية والتصدي للعولمة التي تهددها بقوة، فما السبيل لتحقيق هذا التكامل المنشود؟

- التكامل الاقتصادي من أهم صور التكافل والذي يؤدي في النهاية إلى أن نكون أمة واحدة.. وشاء الله أن يتحقق هذا التكامل بين الأمة العربية والإسلامية مجتمعة رغم أنه مفقود في كل دولة على حدة، لكن رغم وجوده في هذه الدول فإنه ينقصه التنفيذ، بمعنى أن هناك أربعة عناصر للإنتاج، وهي رأس المال والعمل والموارد الطبيعية والعنصر

المسلمون مقربون إلى الله بقدر تعميرهم للدنيا وأخذهم بأسباب التنمية الاقتصادية

المنظم.

فعلى سبيل المثال يوجد في السودان ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة لكنها تحتاج لرأس المال لكي تتم زراعتها، وإذا وجد رأس المال سوف تكون السودان سلة العالم العربي كله، وفي مصر ٥ ملايين فدان لم تزد منذ أيام محمد علي، وكلما توسعت المساحة تأتي الزيادة السكانية والمباني لتتصدى لعملية التوسعة، بالإضافة إلى أننا ينقصنا أيضا رأس المال رغم وجود العمالة، عكس دول الخليج التي لديها الإمكانيات المادية لكن ينقصها العمالة، وهذا التفاوت في عناصر الإنتاج وتوزيعها بين الدول الإسلامية جاء لحكمة جليلة، وهي ضرورة تحقيق التكامل والوحدة بين هذه الدول لتكون امة واحدة، فكل الإمكانيات متاحة أمام العرب والمسلمين لإثبات الوجود لكن لم تستغل هذه الإمكانيات وتنقصها سرعة التنفيذ، ولتحقيق هذا التكامل الاقتصادي فعلى الدول العربية والإسلامية الاستفادة من بعضها البعض والتعاون فيما بينها عملا بقول الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢) وقول النبي ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (البخاري).

الإسلام ورعاية المسنين

■ الجمعية الخيرية الإسلامية التي تتولون رئاستها من الجمعيات التي لها تاريخ عريق في رعاية المسنين منذ إنشائها في عام ١٨٩٢م، فما الدور الذي تقوم به في هذا الصدد، خاصة أن عدد المسنين في مصر قد وصل إلى ما يقرب من ٧ ملايين مسن؟

- من بين أهداف الجمعية الخيرية الإسلامية تقديم الرعاية الاجتماعية للفقراء العاجزين سواء في صورة عون مادي أو علاج مجاني أو إيواء اليتامى ورعاية المسنين، والجمعية ترد لها طلبات عديدة من الأسر الفقيرة لمساعدتها وتقوم بتكليف موظفيها من الإخصائيين الاجتماعيين ببحث الطلبات وتقديم تقرير بشأنها ثم يتم صرف المساعدات اللازمة سواء كانت عارضة كحالات المرض أو الوفاة أم دائمة كحالات الشيخوخة والعجز الكلي عن العمل، والجمعية في عام ١٩٤٤ حولت تكية المولوية إلى ملجأ للمسنين العاجزين، وألحقت به عيادة وصيدلية لتوفير الرعاية الصحية المجانية للنزلاء ثم تم نقل دار المسنين إلى مقر الجمعية بحي السيدة زينب، وتوفر الجمعية للنزلاء الإعاشة الكاملة من إيواء وغذاء وكساء ورعاية صحية واجتماعية مجانا، وفي عام ١٩٨٣ أنشأت الجمعية دارا أخرى للمسنين تشغل أربع وحدات سكنية تقدم خدماتها مقابل أسعار مخفضة، ثم أنشأت دارا ثالثة لرعاية المسنين في مقابل دفع التكلفة الفعلية للخدمة فقط، ونحن بصدد إنشاء دار كبيرة لرعاية المسنين والمسنات في مقرها الجديد بضاحية المعادي، ولا شك أن احتياجات المسنين المتزايدة تتطلب التنسيق بين الحكومة والجمعيات والمؤسسات المعنية لتوفير الرعاية الملائمة للمسنين لأن الجمعيات الخيرية وحدها لا تستطيع القيام بتلك المهمة العسيرة، ومن أجل ذلك فإننا نقترح تخصيص جزء من أموال الزكاة لرعاية المسنين المحتاجين، وأن تقوم المستشفيات الحكومية بندب أطباء زائرين لدور المسنين، وأن تمنح وزارة الشؤون الاجتماعية معاشات خاصة للذين يقيمون في دور المسنين المجانية، وإنشاء المزيد من تلك الدور لاستيعاب المسنين الراغبين في الاستفادة من خدماتها.

وقفيات د.شوقي الفنجري

بلغت وقفيات د.محمد شوقي الفنجري التي بدأها منذ ما يزيد على ربع قرن وحتى اليوم سبع وقفيات، تجاوزت قيمتها أربعة ملايين جنيه، تدر عائدا سنويا شبه ثابت يقدر بنحو ٤٠٠ ألف جنيه، أي نحو ٣٥ ألف جنيه شهريا تصرف بانتظام على أوجه الخير المحددة في نص الوقفيات، وتشمل خدمة الدعوة والفقه الإسلامي وأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن، ومساعدات لطلبة الأقليات الإسلامية الدارسين في الأزهر، وكذلك لطلبة الأزهر المصريين وطلبة جامعة القاهرة، والأنشطة الخيرية بالجمعية الخيرية الإسلامية، وهي على الوجه التالي:

١- وقفية للطلاب المحتاجين بجامعة القاهرة قيمتها ٧٥٠ ألف جنيه في صورة شهادات استثمار، وعائدها سبعة آلاف جنيه شهريا، توزع على ٢٨٠ طالبا في سبع كليات، وبعد أن يتخرج الطالب يحل محله طالب جديد.

٢- وقفية مسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي، وقيمتها ٦٥٠ ألف جنيه، وبعد وفاة الواقف سيضاف إليها نصف مليون جنيه أخرى، وهي لتشجيع الأبحاث العلمية في مجالات الدعوة والفقه الإسلامي.

٣- وقفية الأجهزة التعويضية للطلاب المعاقين بالمعاهد الأزهرية، وقيمتها ٥٠٠ ألف جنيه، وعائدها السنوي ١٠٠ ألف جنيه مدعومة من قبل بنك فيصل الإسلامي.

٤- وقفية الطلاب الوافدين للدراسة بجامعة الأزهر من غير القادرين، وقيمتها ٣٧٥ ألف جنيه، وعائدها الشهري خمسة آلاف جنيه، توزع على خمسين طالبا بواقع مائة جنيه لكل طالب حتى يتخرج.

٥- وقفية المساعدات الاجتماعية لغير القادرين من طلاب جامعة الأزهر المصريين في سبع كليات، ويبلغ عائدها سبعة آلاف جنيه شهريا، وهذه الوقفيات بجامعة الأزهر يساهم فيها بنك فيصل الإسلامي.

٦- وقفية تشجيع أبحاث الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية، قيمتها ٤٠٠ ألف جنيه، ويبلغ عائدها السنوي ٧٥ ألف جنيه بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامي أيضا.

٧- وقفية لصالح الأنشطة الخيرية الخاصة بالجمعية الخيرية الإسلامية، قيمتها ٣٠٠ ألف جنيه، تدر عائدا سنويا قدره ٤٠ ألف جنيه.

لغة وأدب

أدب البشارة

لأن الإنسان خلق هلوعاً -بالأصالة - فقد كانت أولى تعبيراته التي تستقبله بها الحياة الصراخ والبكاء، وربما كانت مجمل انفعالاته وتعابيره طوال حياته هي صور مكبرة لذلك الهلع وتلك الصرخة، حتى إنك لتعجب من أناس يعتصرون من شهد الأفراح مرارة العلقم، فيحيلون صباحات الأمل إلى عتمات قاتمة.

وما أكثر ما تجد هذا في عالم الأدب والأدباء، أياً كانت اتجاهاتهم أو مدارسهم، وعلى امتداد الزمان وانفساح المكان سيطر الأدب المتشائم على رقعة واسعة من النتاج الأدبي، ونال الأدب الإسلامي من ذلك نصيب ليس بالقليل.

وعلى الرغم من أن اسباباً موضوعية في -أحايين ووقائع كثيرة- تصنع مثل هذه الأعمال البئيسة فإنه مما لامراء فيه أن هناك في المقابل ما يستفز معجم الأمل والبشارة، إن واقعاً وإن ذخراً عقدياً وتاريخياً وإنسانياً.

فعلى بقاع شتى من هذه المعمورة تمتد خيوط بيضاء، مبشرة بميلاد فجر مؤمن، وعلى مستوى العقيدة لا وجود في دين المحجة البيضاء لبيئة تستزرع الأحزان والأنين والتشكي، ومثلهما ما يعظنا به التاريخ العام للإنسانية من أن الكآبة لا تدفع أذى ولا تجلب منفعة.

كل هذه المعطيات نتوجه بها إلى أدبائنا الإسلاميين الأفاضل ليلملموا منها حزم ضوء ينقدح في تضاعيف أعمالهم كالذي انقدح بين يدي رسول الله ﷺ في أحلك لحظة مبشراً بفتح قصور عواصم الحضارة العالمية حينها.

المحرر





التفجع على القدس في الشعر العربي المعاصر

محمد أسد

عرف أدبنا العربي الكثير من قصائد التفجع والبكائيات التي عبر الشعراء فيها عن حزنهم وآلام أمتهم وشعوبهم للمصاب العظيم الذي حل بالمدينة أو الأسرة أو العائلة، وتذكر كتب الأدب والتاريخ قصائد قيلت في البصرة لابن الرومي وفي بغداد نتيجة غزو المغول والتتر والقاهرة ودمشق والأندلس وفلسطين.

وهذه القصائد تشكل ملاحم يمتزج فيها الدمع بالدم، والغضب بالاستسلام، والتأمل والتدبر مع التقريع والتنديد، قصائد لا تخفي شيئا، تنطلق بعفوية، يحملها على جناحيه هول الحديث وشدة وقعه على النفس، قصائد مفرداتها البكاء والعويل والدموع السجام والثياب المزقة والمآذن المهدمة والمنازل المندثرة والصوامع النائحة والأشجار الباكية المنكسرة نفوسها، وهذا النوع من الشعر ضمته كتب المختارات ودواوين الشعراء، والذي يعنينا في بحثنا مدينة القدس الشريف وما يحاق بها في العصر الحديث، القدس التي عرج منها الرسول محمد ﷺ الى السماء، وإليها أسرى به، وإلى مسجدها الأقصى توجه في الصلاة فكانت أولى القبلتين، القدس أم المدائن ومهد المسيح ومحجة الأديان والشعوب تعاني ما تشيب له الولدان، وتبكي عليه الجدران، القدس تتعرض لممارسات لا أخلاقية لا تقبلها العقول وترفضها الأديان وهي ممارسات تستهدف طمس هويتها وإزالتها من سفر الحضارة البشرية لارضاع واشباع رغبات الصهيونية العالية التي تعادي الشرائع والحق والسلام، لأنها تبنى وترتكز على أسس عنصرية تعادي الآخرين وتسعى لتدميرهم.

والشعراء وهبهم الله ملكة التعبير ورقة الإحساس، فكانت قصائدهم خير شاهد للجرائم وخير ناقل وواصف لما يجري، فانطلقت القصائد قوية تصفع الآذان وتطرق جدار الوجدان الأصم.

وتسعى لإيقاظ القلوب الغافلة والعيون الحسيرة، فكانت منذرة بالخطر، وملامسة حرارة الفجائع، ومستخدمة شتى الأساليب التعبيرية مع اختلاف مستويات الفن فيها.

فالشاعر نزار قباني لا يخفي بكاءه وحزنه، ويبوح بآهات وأنات نفسه وهو يرى القدس تتلوع وتداس طهارتها في قصيدته «القدس»:

بكيت حتى انتهت الدموع
صلّيتُ حتى ذابت الشموع
ركعت حتى ملّني الركوع
سألت عن محمد فيك.. وعن يسوع
ياقدس يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء



وللشاعر المصري صالح جودت وقفة معبرة عند القدس تختلج لأجلها الحروف وترتعد الضمائر، وعساها تصحو من ظلام خوفها وبؤسها، وقد بنى حزنه وتفجعه على إثارة الجانب الديني:

من ساحة الإسراء في المسجد

من حرم القدس الطهور الندي

أسمع في ركن الأسى حريماً

تهتف بالنجدة.. للسيد

وأشهد الأعداء قد أحرقوا

ركنا مشت فيه خطى أحمد

وأبصر الأحجار محزونة

تقول: واقدساه يا معتدي

فالشاعر يتوجع ويتألم لما جرى للقدس عندما أحرق الصهاينة المسجد ودنسوا الحرمات.

وللقدس شرف اتفاق الشعراء حول مصيرها، وقد تجاوزوا خلافات السياسيين والمنظرين، فكانت قبلتهم لأشعارهم كما كانت قبلة المسلمين الأولى.

والشاعر فاروق جويدة يشعر بقسوة الواقع الراهن، ويتساءل بقلق:

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء

من أي تاريخ سنبدأ

بعد أن ضاقت بنا الأيام

وانطفأ الرجاء

يا ليلة الإسراء عودي بالضياء

وللشاعر السوري عدنان برازي قصيدة أخذت عنوان «ياقدس كلنا سواء» فيها تفجع المكابر الصنديد، لا يستسلم رغم البكاء، ولا يلين رغم تساؤلاته:

سأبكي ولكن بغير دموع

فقلبي يتوق ليوم الرجوع

دموعي ستغرق هذي البقاع

فتملأ بالشوق كل الربوع

ننام على الدمع، والدمع جمر

وتشرب.. ملء الكؤوس الضلوع

ونصحو على الآه.. والآه نار

تلظّي القلوب، تزيد الخنوع

والشاعر محمد أبو دية وقد وضع عنوانا لقصيدته التي وردت في مجلة الحرس الوطني بعنوان «مذبحة جديدة»، المطلع يبعث الإنسان عن غفلته وجموده، ويطرق أذنيه موخزاً ومقرعاً، وهذا أمر يليق بالشعر في هذا المقام الذي تعرض فيه المسجد الأقصى للحرق والتهديم وعلى مرأى من العالم والمسلمين:

كم قتيل عند ساحات الحرم

كم شهيد كفنّوه بالعلمْ

صارخ القدس ينادي أهله

وينادي كل حرّ في الأمم

كم وليد وسدوه في التراب

مزجت أحبابه دمعا بدم

دلالة (كم) الخبرية في هذه الأبيات يوحي بما انتاب الشاعر، وتشتد وطأة الفجيعة على الشاعر الفلسطيني سميح القاسم في قصيدته «مزامير» وقد وردت في ديوان «الوطن المحتل» جمع ودراسة الشاعر يوسف الخطيب:

مزمور بقايا الفلسطينيين من هنا

من مطهر الأحزان في ليل الجريمة

أيها العالم، تدعوك العصافير اليتيمة

من هنا، من غزة الموت ومن جنين، والقدس القديمة

أيــهـــا الـــعـــالـــم تـــدعـــوك

فردً الغاز، والنابالم، والأيدي الأثيمة

إنها فاجعة إنسانية يتحمل مسؤوليتها العالم الرحب الذي أغمض عينيه، وسدَّ أذنيه عن سماع الأطفال الذين كانوا عصافير تحلق وتطير ولها فضاؤها، فها هو يصادرها ويحاصرها.

وهذا شاعر عربي من موريتانيا فاضل أمين وقد نشرت قصيدته «صبرا لكاع» في كتاب في جريدة الصادر عن صحيفة تشرين نيسان ٢٠٠٨ وفيها يؤجج لهيب النفوس ويشعل الضمائر الخامدة:

القدس ليست خيمة عربية

ضاعت فردد شاعر أنفاسها

القدس ليست قصة وهمية

تذرو الرياح الذاريات كلامها

القدس تولد من هنا شمسها

ومن الروابي يحتسين ضرامها

ومن العقول وقد تبلج نورها

ومن الحضارة ركزت أعلامها

قولا لمن باع التدخيل ترابها

وأهان حرمتها وعق ذمامها

صبرا (لكاع) فكم عميل خائن

وضعت بمفرقه الشعوب حسامها

والشاعر يوسف العظم في قصيدته «القدس» مجلة الحج والعمرة (السعودية) العدد السابع ١٤٢٨هـ، يضيء جوانب المأساة، ويكشف أبعادها:

يا قدس، يا محراب، يا منبر

يا نور، يا إيمان، يا عنبر

من لوث الصخرة تلك التي

كانت بمسرى أحمد تفخر

وأمطر القدس بأحقاده

فاحترق اليابس والأخضر

والبغي مهما طال عدوانه

فالله من عدوانه أكبر

تعداد النداء وذكر الأماكن ولها قدسيتها ودلالتها يوحي بالأسى والمرارة التي تفتك بصدر الشاعر فقد صور وحشية الأعداء وما أقدموا عليه دون تمييز ولكنه لم ينس مشيئة الله وقدرته على سحق البغي والعدوان.

ولنا أن نتوقف عند أبيات الشاعر «خالد العدساني» وقد وردت في كتاب العربي (قوافي الحب والشجن) العدد ٤٢ ت ٢٠٠١ وعنوانها «عيسى» فالشاعر يخاطب نبي الله عيسى، ومهده في القدس، ويخبره عن فظائع الصهاينة الذين لا يعرفون شيئا عن الرحمة والإنسانية، فرأى في هذه الأعمال ما يقلق ويؤلم:

والقدس مهدك ماذا دبروا وأتوا

فيه من الويل والتقتيل والنقم

قد سلطوا في بلاد الله شرذمة

يدنسون رحاب الحل والحرم

ما للسلام تباهوا يرجعون به

هل أدركوا الحق أم فاؤوا على ندم

وامتد أثر الحزن والفجيعة الى مختلف الشعراء ومن كل الديانات، فقد وردت قصيدة في كتاب «شعراء النصارى العرب والإسلام» من منشورات مؤسسة البابطين للشاعر نبيه سلامة «مولد النبي العربي» فالشاعر يعتقد جازما أن مصاب فلسطين مصاب الأمة:

ليست فلسطين الشهيدة وحدها

كل الجزيرة في المصاب شهيد

صبرا بلاد الأنبياء على الأذى

كيد البغاة لنحرهم مردود

يا من يرون القدس في أحلامهم

وطنا يهيمن فوقه التلمود

لا تستفيقوا، فالحقيقة مرة

بين الحقيقة والمنام حديد

هذا غيض من فيض وقليل من الشعر الكثير الذي التحم مع الوجع الفلسطيني، اخترت بعض النماذج المتنوعة وآثرت تقديم مجموعة من النماذج لشعراء من مختلف الأقطار العربية، هذه القصائد يجمعها المصاب وهول الفجيعة، ويربطها الإحساس الصادق بمعاناة القدس، جميعهم أيقن بدورها الديني ومكانتها، فلم يكتموا إحساسهم وفرط لوعتهم، قدموا عصارة آلامهم، وكانوا مثالا في ارتباط الشعراء بقضايا أمتهم المصيرية.



عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الإسلامية د.عبدالحميد مدكور:

العولمة الثقافية تسعى لفرض لغة واحدة على العالم

مجاهد مليجي



أكد رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية دعبدالحميد مدكور أن اللغة العربية تواجه تحديات في الألفية الجديدة لم تواجهها طوال ١٤ قرنا مضت ما يهدد وجودها، وهي بحاجة إلى تكاتف جهود الدول العربية مجتمعة لمواجهة هذه الأخطار.

وحذر في حوار لـ «الوعي الإسلامي» من ضعف جودة طرق تعليم اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا لأنها لا تساعد على النهوض باللغة أو جذب الطلاب إليها بقدر ما تبعدهم عنها... واليكم نص الحوار:

■ بداية ما طبيعة إسهاماتكم في أنشطة مجمع اللغة العربية؟

- العمل في مجمع اللغة العربية عمل مؤسسي لا يتم بصورة فردية، ولكن يتم عن طريق لجان مشتركة يتعاون افرادها على تحقيق الاهداف والاعمال المطلوبة من كل لجنة من هذه اللجان، وبناء على ذلك فإنني اعمل في المجمع في عدد من اللجان منها لجنة الفلسفة الاسلامية، ولجنة الشريعة الإسلامية، ولجنة الفيزياء، ولجنة المعجم الكبير، ولجنة إحياء التراث، ولجنة اللغة العربية في وسائل الإعلام، والعمل في كل هذه اللجان يستغرق وقتاً طويلاً وجهدا كبيرا، ويحتاج إلى مثابرة من أجل الوفاء بهذه الأعمال.

وكان آخر شيء فردي قمت به في المجمع هو مراجعة عمل علمي في نطاق التحقيق قُدمَ إلى المجمع لطباعته ونشره ضمن اعمال المجمع، وكان عملي في المراجعة هو أن اتأكد من تحقيق الشروط العلمية التى يتطلبها هذا التحقيق، من حيث توثيق النص الأصلي للكتاب، وشرح الغريب من الألفاظ الواردة فيه، والتعريف بالأعلام الذين وردت اسماؤهم فيه، والتعريف بمواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومعرفة التأثر العلمي للكتب التى جاءت بعد هذا الكتاب.

اللغة العربية باتت لا تضمن وظيفة جيدة ولم تعد لغة العلم والبحث العلمي وتراجع استعمالها أمام العامية في الإعلام وفي مجالات الحياة كافة ... فيما الإنجليزية لغة الصناعة والسياسة والتكنولوجيا

■ كيف ترون مستقبل اللغة العربيه في بلادنا العربية؟

- اللغة العربية في العصر الحاضر تواجه صعوبات كبيرة لعلها لم تواجه مثيلا لها من قبل على امتداد تاريخها الطويل بوصفها واحدة من اقدم اللغات المستعملة بين لغات البشرية المعاصرة، هذه الصعوبات منها ما هو خارجي يرتبط بالعولمة الثقافية التي تسعى إلى فرض لغة واحدة على العالم تكون هي المستعملة في سائر مجالات الحياة، وهي اللغة الانجليزية، لغة الصناعة والسياسة والاقتصاد والأجهزة الحديثة من إنترنت وكمبيوتر، ولغة الإعلام الموجهة للعالم الإسلامي، ولغة المؤلفات العلمية الحديثة لسائر العلوم وتسعى لاكتساح الساحة المحلية والاقليمية مما سيؤدي في النهاية إلى انقراض بعض اللغات، إذا لم يقم اصحابها ببذل جهد اضافي للحفاظ عليها، ويثبت مكانتها، كما أن اللغة العربية في هذا المجال مهددة بعوامل كثيرة إذا لم نجعلها في الحسبان ستؤدي إلى ضياع اللغة العربية؛ وهناك عوامل داخلية من مدارس اجنبية منتشرة هنا وهناك، ومن طبقة تعلمت في هذه المدارس وأصبحت لا تتحدث اللغة العربية ما يمثل خطورة على مستقبلها.

■ وما نوعية هذه التحديات التي تواجه اللغة العربية؟

- لاشك أن العولمة تسعى لفرض لغة واحدة على العالم، وتحاول أن تذيب جميع اللغات المحلية؛ ولكن الأمر ليس مقصورا على هذا الخطر القادم من الخارج، ولكن هناك تحديات الداخل التي ترجع إلى عوامل كثيرة، منها انتشار المدارس الاجنبية التي تدرس مناهجها للتلاميذ بلغات مختلفة، وهي تركز على هذه اللغات الاجنبية وتبذل في تعليمها جهودا كبيرة، في حين تعامل اللغة العربية معاملة لغة غريبة عن الجو العلمي والثقافي الموجود في هذه المدارس، ما يجعل المتخرجين فيها بعيدين عن اللغة العربية.. بل ربما وصل بهم الأمر إلى حد احتقار اللغة العربية، والاستحياء من استعمالها، ما يؤدي إلى



تعريب العلوم مهمة قومية تشمل البلاد العربية كلها .. فلغتنا قادرة على النهوض والنمو والوفاء

تراجع حجم استعمال اللغة العربية بين هؤلاء، اضافة إلى انتشار اللغة العامية التي تستعمل بكثرة في وسائل الإعلام؛ حتى في البرامج الحوارية التي تسرف في استخدام العامية بدلا من ان تستخدم لغة عربية فصحى ميسرة، لا يكون فيها تقعر ولا صعوبة في مفرداتها، كما أن الجامعات بصفة عامة لا تتضمن اي دروس عن اللغة العربية، فيما عدا الأقسام المتخصصة في دراسة اللغة العربية، وعلى سبيل المثال نجد الطالب الذي يدرس في كلية الطب والهندسة والصيدلة والعلوم لا يتلقى أي قدر من الاتصال باللغة العربية التي هي لغة قوميته وشعبه وتراثه، وإنما يستعمل إما اللغة الانجليزية أو العامية، فيكون غريبا أيضا عن اللغة العربية، ومن المفارقات ان الذين يتجهون الى الدراسات العليا في الكليات المختلفة يتم الزامهم بتحقيق مستوى عال في اللغة الانجليزية، على حين انهم لا يكلفون بمثل هذا المستوى العالي ولا بغيره فيما يتعلق باللغة العربية، كما ان لغة التعليم والبحث العلمي في الكليات العلمية بصفة عامة يغلب عليها استعمال اللغة الانجليزية وليست العربية، مع انها لغة الشعوب العربية كما تنص على ذلك الدساتير في هذه البلاد!

فاذا لم تكن اللغة العربية لغة علم أو تعليم أو اعلام فان ذلك كله يؤدي إلى غربتها وضعفها على لسان المتحدثين بها؛ بل غربة المتحدثين بها، ويضاف إلى ذلك عامل في غاية الأهمية وهو أن اللغة العربية لا تضمن لمن يعرفها وحدها وظيفة ذات شأن في سوق العمل، بل يجب عليه تعلم لغات أخرى ليتمكن من التعامل مع الإنترنت وغيره من أدوات التكنولوجيا، وليس معنى ما ذلك اننا ضد تعلم اللغات الاجنبية، بل يجب علينا أن نحسن تعلمها، والتفوق فيها لاننا نعيش في قلب العالم ولا نستطيع أن نعزل انفسنا عنه، ولكننا لا نريد أن يكون التعلم باللغات الاجنبية.

■ هذا يدعونا الى طرح تساؤل عن مستقبل تعريب العلوم في الكليات العملية؟

ينبغي أن يكون تعريب العلوم مهمة قومية تشمل البلاد العربية كلها، فتوضع خطط طويلة المدى ولو استغرقت ٥٠ عاما، بحيث تكون النتيجة النهائية هي ان يتم تعريب العلوم، وكتابة ملخصات وافية للابحاث التي تجري في مصر والعالم العربي، لانه بدون أن يتم تعريب العلوم ستظل اللغة عاجزة وفقيرة عن مواكبة حركة العلم العالمية، ونحن نشير إلى أن اللغة العربية قد اتسعت في العصور الأولى للاسلام للترجمة من عدد غير قليل من اللغات كالفارسية واليونانية واللاتينية والاغريقية والعبرية والهندية السنسكريتية والسريانية، واتسعت اللغة العربية لها جميعا، ولم تعجز عن الوفاء بمتطلبات العلم في تلك الازمان التي مر عليها الآن أكثر من ألف ومائتي عام، فاللغة العربية ليست فقيرة في ذاتها، وإنما تفتقر بسبب أهلها الذين يقومون باقصائها عن المجالات الحيوية التي تؤدي الى تجددها وثرائها في التعليم، والاعلام والبحث العلمي، وسائر أنشطة الحياة المختلفة التي تمد اللغة بالطاقة والحيوية والنماء.

فضلا عما سبق فان اللغة العربية ليست اقل من اللغة العبرية التي كانت لغة ميتة فعلا، ولا تكاد تستخدم إلا على ألسنة عدد قليل من الحاخامات والمهتمين بالشؤون الدينية فقط، ولكن الذين فكروا في قيام إسرائيل وجمع اليهود من ربوع العالم تنبهوا الى ان من اهم الشروط التي تساعد على جمعهم من الشتات هو وحدة اللغة؛ ولذلك كانت من أول القرارات التي اتخذت في مؤتمر بازل في سويسرا عام ١٨٩٨: «العناية باللغة العبرية والادب الشعبي اليهودي» لأن هذا هو الذي يؤدي إلى وحدة هؤلاء الذين كانوا متناثرين في شتى انحاء العالم حسب لغات البلاد التي عاشوا فيها.. وعليه فاللغة العربية غزيرة المفردات متنوعة الدلالات قادرة على النهوض والنمو والوفاء بكل ما تقوم به اللغات، ولكن بشرط أن نعطيها حقها من العناية والاهتمام والتوقير تدريسا، وتعليما، وبحثا، واستعمالا، وبهذا يتحقق الأمل المرجو في مقاومة كل هذه التحديات وتنهض اللغة العربية لتحتل مكانها العالي والرفيع بين اللغات بوصفها من أعرق اللغات الحية المستعملة في العالم في هذه الأيام.

■ ما تقييمكم لطريقة تعليم اللغة العربية في مدارسنا في المراحل المختلفة؟

الشكوى من هذا الأمر معلومة ومعروفة، ولها ما يبررها وأنا لا استطيع ان ألقي العبء دائما على الآخرين، ولكن يجب أن يكون الذين يضعون مناهج اللغة العربية على وعي بان يحببوا الطلاب في اللغة العربية عن طريق حُسن اختيار النصوص، وأن تكون نصوصا ملائمة في موضوعاتها وفي مفرداتها وفي المعاني التي تدل عليها للمستوى الدراسي الذي تقدم اللغة إليه، وأن نتعلم من أصحاب اللغات الأخرى كيف يتفننون في حسن تقديم لغتهم إلى انفسهم وإلى الآخرين، وينبغي كذلك الأختيار الدقيق للمناهج.. فمثلا إذا كان الذين يضعون المناهج يتحدثون عن العصر الجاهلي فان امامهم بعض النماذج الشعرية والنثرية الجاهلية، فعليهم أن يدققوا في اختيار أيسرها وأسهلها، ولا يستخدمون نصوصا تتحدث عن بيئة لم يعشها الطلاب، وهناك من الشعر الجاهلي ما إذا قرأه الطالب اليوم شعر بانه يقرأ شعراً معاصراً.. وهذا ما ينبغي علينا مراعاته حتى نحبب الطلاب في لغتهم، وهناك أمر مهم جدا بعد حسن اختيار المناهج وتيسير تقديمها، وهي أن يحرص مدرسو اللغة العربية على أن يتسخدموا اللغة العربية الفصحى في الشرح ولا يشرحوا بالعامية حتى لا يكون ذلك فشلا ذريعاً يحكم على كل جهد بعد ذلك بالاخفاق.. وهو للأسف شائع الآن..



فن الرسالة عند الأديب نجيب الكيلاني


د.أحمد عيساوي

تعود أسباب المراسلة بيني وبين الأديب نجيب الكيلاني -يرحمه الله- إلى سنوات ١٩٧٧ - ١٩٨٠م عندما كنت طالبا أتابع دراستي الجامعية الأولى بمعهد الآداب والثقافة العربية بجامعة عنابة، وكان يومها يدرسنا مجموعة من الأساتذة المصريين -رحمهم الله جميعا- وعلى رأسهم د. عبدالعزيز نبوي يوسف، والأستاذ محمود غنيم والأستاذ محمود حجاج وغيرهم، ممن زكى في أعماقنا حب الأدب العربي، ونمى في وجداننا تذوقه، وفتح عقولنا لدراسته وفهمه، والذود عنه في الجزائر العربية الإسلامية التي كان يطارد فيها وقتئذ الحرف العربي الإسلامي الأصيل.

وكان هؤلاء الأساتذة قد لمسوا فينا الحماس الديني الفياض، من خلال نشاطاتنا المسجدية والدينية في رحاب الجامعة الجزائرية البائسة، المليئة بفلول الشيوعيين والاشتراكيين والملحدين والعلمانيين والفرنكوفونيين والانتفاعيين.. سعى أولئك الأساتذة الفضلاء لتوجيهنا بلطف وبتلميح عابر الى ضرورة البحث عن الجانب الأدبي والفني لدى الأديب سيد قطب، حيث كانت تستهوينا كتاباته الدعوية والفكرية والحركية والتنظيرية، وللأسف الشديد فإننا لم نكن نحفل باكتشاف الجانب الأدبي والفني لديه، بمقدار احتفالنا بالجانب الحركي والتوعوي، ومن هنا تفتقت اعيننا على مفاهيم الأدب الإسلامي الأصيل، وصادف ان عرّفنا د. عبدالعزيز نبوي يوسف الأستاذ بجامعة عين شمس، على بعض قصائد سيد قطب عندما كان يتخذها مادة شهية لتدريس البلاغة والعروض والشعر الحديث والمعاصر وشعر التفعيلة وغيره، ثم انتقل ليعرفنا بقصائد الشاعر الإسلامي هاشم الرفاعي، ولما لمس منا الاستعداد الأكيد، وحب الاستزادة والاطلاع على الأدب الإسلامي عرج بنا -رحمه الله- على الأديب المرحوم نجيب الكيلاني، فقرأنا له «الإسلامية والمذاهب الأدبية»، ومنها قررت أن يكون بحث تخرجي الصفي لنيل اجازة الليسانس في اللغة والأدب العربي حول جزئية من جزئيات الأدب الإسلامي، على الرغم من احتفاء الكثير من أساتذة القسم بأن ندير ظهورنا لمثل هذه الدراسات الإسلامية التي -حسب زعمهم- مازالت في بداياتها الأولى، وأنها غير مستقرة بعد في عالم الأدب والنقد والدراسات الأدبية، وأنها ستجلب لنا الكثير من المشاكل.

وكان قصدهم الخفي في ذلك صرفنا -حسب زعمهم- عن الغرقة في الأصولية الأدبية، فوق أصوليتنا الدينية، حيث نجحوا في توجيه الكثير من زملائنا في دفعة التخرج - ممن اختيروا بعدها حسب مقاس الايديولوجيا الشيوعية والاشتراكية والعلمانية كمعيدين ولتحضير شهادتي الماجستير والدكتوراة في القسم- لإنجاز مذكرات تخرجهم الصفية في المواضيع التالية:

١- الحانة في روايات الأديب الجزائري الطاهر وطار.
٢- المرأة في رواية «ريح الجنوب» للأديب الجزائري عبدالحميد بن هدوقة.
٣- لون الخمرة في شعر أبي نواس.
٤- الرجل الثوري في رواية «اللاز» للطاهر وطار.
٥- صورة المرأة في رواية «عرس بغل» للطاهر وطار.

ومثيلاتها من المواضيع المتهافتة التي تساقطت بتساقط خرافة انهيار جدار برلين وفلسفة الايديولوجيا الشيوعية، وتداعي الالحاد الوثني والرأسمالي.

وكنت قرأت يومها رواية «دم لفطير صهيون»، و«عذراء جاكرتا»، و«نور الله»، وتأثرت بها أيما تأثر، وبخاصة رواية دم لفطير صهيون، وقررت يومها أن يكون بحثي الصفي للتخرج عن جزئية فيها، ولكن حالت دون ذلك أمور ثم وجدت رواية «قاتل حمزة» فاقتنيتها من السوق، وقرأتها فأعجبت بها، وقررت ان يكون بحثي الصفي دراسة لشخصية البطل في الرواية الاسلامية، من خلال تطور شخصية بطل رواية «قاتل حمزة» وحشي، ودراسة دوافعه ومحفزاته وظروف حياته وتطلعاته بين المادية الوثنية والقيمية، وقد أسميته «الصراع لدى البطل في الرواية الاسلامية -من خلال رواية قاتل حمزة»، وقد اشرف على البحث د.نسيب نشاوي الدمشقي - يرحمه الله-، فكان خير مؤطر ومشرف وموجه، حيث وجهني - يرحمه الله - الى مراسلة الأديب نجيب الكيلاني، الذي دلنا عليه الاستاذ رضوان دعبول -يرحمه الله - الذي وافانا بهذه الرسالة القيمة.

الرسالة شكلها وهيكلها

رسالة الأديب المرحوم نجيب الكيلاني التي ارسلها إليّ تتكون من ثلاث صفحات كبيرة، من نوع صفحات الرسالة العادية، حيث حوت الصفحة الأولى والثانية ثلاثا وثلاثين سطرا، والصفحة الثالثة حوت ثمانية عشر سطرا، بمعدل اثنتي عشرة كلمة في السطر الواحد، وهي مكتوبة بخط مشرقي صغير، وهي مذيلة بتوقيع الكاتب -يرحمه الله -، وبعنوانه الشخصي في دولة الامارات العربية المتحدة بدبي، وبتاريخ كتابتها، وقبل تحليل جزئياتها نحب ان نقدم لمحة عن فن المراسلة في الأدب



العربي.

فن المراسلة في الأدب العربي

عـــرف عـــرب الجـاهـلـيـة فـن الرسالة كنوع أدبي قبيل مجيء الإسلام، واستخدموه في بعض شؤونهم الحياتية على نطاق ضيق، وقد غلب عليه الأسلوب الشفهي والشعري معا اكثر من غلبة الأسلوب النثري المدون، نظرا لشيوع الأمية فيهم، وقلة القادرين على الكتابة والتدوين، ولـنـدرة وسائل التدوين أيضاً (١).

وقد ازدهـر فن الرسالة كنوع أدبـي فـي الـعـصـر الإسـلامـي عندما نـزل القـرآن الكريم من أول يوم ممجدا الكتابة والتدوين والقراءة في الكليات العقدية، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، وحاثا على الكتابة والتدوين في الكثير من فـروع المعاملات الشرعية، من ذلك مثلا قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل...﴾(٢).

أهمية الرسالة

يمكن إجمال أهمية هذه الرسالة في العوامل التالية:

١- كونها مرسلة مـن طـرف الأديب المرحوم نجيب الكيلاني، أحد رواد الأدب الإسلامي في العصر الحديث (٣).

٢- كونها مدونة بخط يده، وغير مرقونة على أي جهاز كتابة (آلة كاتبة، جهاز إعلام آلي).

٣- مضى عليها أكثر من عقدين من الزمان.

٤- قيمة المعلومات التي حوتها.

٥- كـونـهـا إحـــدى الـوثـائـق التاريخية عن الأديـب نجيب الكيلاني يرحمه الله.

٦- الخشية مـن ضـيـاعـهـا أو اندثارها أو كتمانها في مكتبة نائية لأحد الباحثين الإسلاميين بمدينة تبسة بالجزائر، وعدم استفادة المسلمين منها، والفوائد المـرجـوة مـن تـعـريـف المثقفين المسلمين بها(٤).

٧- قيمة دوافع وغايات كاتبها -يـرحـمـه الـلـه - الـذي كـانـت تحركه الفكرة الإسلامية فقط دون النظر لمنابت وأصل الأفراد المنتمين إليها، واهتمامه بالجناح الغربي لوطنه الإسلامي المتعطش -يومها- للأدب الإسلامي.

٨- الخشية من أن أحشر مع كاتمي العلم يوم القيامة عملا بقوله تعالى، الذي يعيب على أحبار وعلماء يهود كتمانهم للعلم، ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ (البقرة: ١٥٨) (٥).

محتويات الرسالة

كتب الأستاذ نجيب الكيلاني - يرحمه الله - رسالته الي بـأدب إسـلامـي جـم، وبأسلوبه الرقيق السلس العذب الجذاب، وقد فاضت سطورها لتكشف عن انسان متواضع خلوق رقيق مؤمن، متضمنة المسائل التالية:

١- الديباجة الأدبية للرسالة الإسلامية وتضمنت: «البسملة، الـنـداء والمـخـاطـبـة بـألـقـاب الاحترام، التحية الإسلامية: (السلام)، عبارة فصل الخطاب: وبعد».

٢- توضيحات حول رسالة الأخ الناشر (رضوان دعبول) إليه، مع الشكر والثناء، وحسن الظن به وبأدبه.

٣- وعـد مـنـه بـتـزويـدي بما يستطيعه مـن مـعـلـومـات أو نتاجات مستقبلا.

٤- البدء بتناول ووصف رواية «قـاتـل حـمـزة» المكتوبة سنة ١٩٦٩م، والـتـي نـالـت جـائـزة مجمع اللغة العربية المصري سنة ١٩٧٢م.



٥- التعرض لخلفيتها التنظيرية، حيث كتبها مستندا الى مفهوم الأدب الإسلامي، الذي اصدر فيه سلسلة تنظيرية، تدعم توجهاته الابداعية.

٦ - لمحة موجزة عن حياته.

٧- تخرجه طبيبا من كلية طب القصر العيني سنة ١٩٦٠م.

٨- سـفـره الـى دولـة الامـارات العربية المتحدة سنة ١٩٦٨م وعمله بها كطبيب، ثم كمدير للثقافة الصحية الى تاريخ كتابة الرسالة سنة ١٩٨٤م، ووظائفه المهنية فيها كطبيب، ثم كمدير لـلـثـقـافـة الـصـحـيـة فـي وزارة الصحة.

٩- كتابته لأول عمل نثري في الـسـجـن سـنـة ١٩٥٦م، الـذي دشنه برواية «الطريق الطويل» التي نالت جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧م، ثم قررت لـتـدرس عـلـى طـلاب المرحلة الـثـانـويـة فـي الـصـف الـثـانـي الثانوي عام ١٩٥٩م.

١٠- كـتـابـتـه لـروايـة «الـيـوم الموعود» سنة ١٩٦٠م، التي نالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر في العام نفسه، ثم رواية «فـي الـظـلام» الـتـي نـالـت الجـائـزة فـي الـعـام التالي ١٩٦١م.

١١- تـعـداد مؤلفاته الأخـرى، وهـي: المجتمع المرضي، الإسلام والقوى المضادة، الطريق الى اتحاد إسلامي، لمحات من حياتي سيرة ذاتية، شوقي في ركب الخالدين، في رحاب الطب النبوي (١٠).

عبرة..

وبرحيل الأديـب نجيب الكيلاني عـن عـالمـنـا الأرضـــي.. تـبـقـى روحه وآثاره خالدة بخلود القيم الـفـاضـلـة، وبـخـلـود الإســلام مـادامـت الـسـمـاوات والأرض، وصـدق رسـولـنـا الـكـريم محمد ﷺ حين قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله، إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» (رواه مسلم).

الهوامش

١- انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ١، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، دون تاريخ، ص ٨٥١ .. و٨٩٣.

٢- ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعارف، بيروت، دون طبعة، ١٠٢هـ ١٨٢م، ج٣، ص٤٩٤.. ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ٧٦.

٣- يشكل الأديب نجيب الكيلاني حلقة في سلسلة الأدباء والكتاب الاسلاميين في القرن العشرين، امثال المرحوم: سيد قطب، ومحمد علي قطب، ومحمد عبدالحليم عبدالله، وأحمد علي باكثير، وهاشم الرفاعي.

٤- الرسالة محفوظة عندي من يوم ان وصلتني يوم ٢٠ حزيران ١٩٨٤م، وأخشى أن تضيع لأن المؤمّن لا يملك من نفسه شيئا.

٥- وبالر غم من حرصي على ظهورها وعدم كتمانها، وسعيي الحثيث لدى الكثير من اصحاب المطابع والمكتبات ودور النشر، فإن البحث مازال مخطوطا منذ سنة ١٩٨٤م، وهو في بضع وستين صفحة مكتوب بالآلة الكاتبة.



الرحلة الكويتية والنحلة المكية

الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن الكوهجي ●

بـرب الـورى خلاقنا الواحد العلي
أقول مقالاً منبئاً عن ترحلي
تنقلت من أرض الكويت لأربع
وعشرين من ذي قعدة متفضل
بثامن عام بعد ستين أتبعت
ثلاث مئين بعد ألف مكمل
فمذ سار ركبي بالكرام تنسمت
على الروح روحي ريح طيب مفضل
جرت عبرات القلب مني صبابة
إلى الحرم المكي مثوى الفضائل
أتانا نسيم الوصل مذ سار ركبنا
بحجاج بيت الله جمع الأفاضل
نسير ويطوي البيد مركبنا الهني
أشد مروراً من جنوب وشمأل
أتينا من البلدان جرية مركز
به خفقان للخؤون المغفل
فلا بارك الرحمن في خائن الورى
اذا كان صوالا على الناس معتلي
أتينا بحمد الله مع كل راحة
على ارتواز قد تسمى بمعقل
مكثنا وقيلنا لأنس وراحة
فقمنا مساء للسرى والترحل
قطعنا الفيافي ساعة بعد ساعة
إلى أن أنخنا بالرماح المسهل
بأرحابها سود الخيام تراكمت
على بئرها عيس كظبية أشهل
رأيت أناساً كالخطاطيف لونهم
ركوباً على عيس ببيداء جول
ترحلت منها ضحوة في سكينة
إلى أن نزلنا وسط سمر مسلسل
أكلت غداء ثم صليت جامعاً
مع الصحب والاخوان في خير محفل
فقمنا بكل الشوق نحو رياضهم
لنا زجل بالذكر حين التنقل
رأينا رياضاً روضها قد تنضرت
فكيف وفيها خير ملك مبجل
له عزمات في الورى قد تفوقت
شجاع لدى الهيجاء يسطو ويعتلي
وأشباله الغر الميامين كلهم
على سيره في كل أمر منزل
له نسب من آل شمر قد بنوا
من المجد صرحاً فوق أس مكلل
فتلك قصور بالمربع نورها
يلوح كنجم في السموات يجتلي
فاكرم بها من بلدة نسبت إلى
امام سما في مجده المتكمل
ومنها ارتحلنا راكبين عشية
على أحوذيي طائر متقلقل
فعرس كل في رويض مراتهم
بيوت حوت سوقاً كنخل مظلل
كميت بها وهو الدليل لضائع
اذا حاد عن نهج الطريق المعدل
فأصبحت في خير وقيلت ساعة
فقمت وصليت الفريضة في عل
تعوذت من شيطان رمل نفودهم
برب الورى في كل خفض ومعتل
فلما اتيناه وجدنا رماله
كرملة احقاف وذا شر موئل
لذا لم يبارك حيث بارك أرضهم
محمد أكرم بالرسول المظلل
ولكن قطعناها بغاية سرعة
بجواب أرض قط لم يتملل
فدمنا على التسيار نحو دوادم
بها الحصن للملك الهمام الحلاحل
فبتنا وأصبحنا بخير ونعمة
وسرنا بحمد الله في خير محفل
إلى قرية تسمى بقاعية لهم
بويتات مثوى كل آت ومقبل
بأبيارها ماء ولكن تخاله
امر على الشراب من ماء حنظل
عفيف له دون المنازل ميزة
غدا فاصلا عن نجدهم أي فاصل

● عالم من علماء بلدة كوهج الواقعة في بر فارس وكان يتردد على الكويت للدعوة والإرشاد

مررنا بارحاب الدفينة لم نقف
بها وقفة نأوي إلى ظل منزل
فتلك بويتات صغار كأنها
بيوت يرابيع بنتها لوابل
مويه وذا مر مذاقة مائه
محاط باطلال لديه وأجبل
تراه كسور حول قصر مربع
محكم أس سالما عن تزلزل
فقمنا مساء قاصدين عشيرة
بجمع خلوا عن خدعة وتملل
نزلنا بها ثم ارتحلنا بسرعة
إلى سيلهم أكرم بسيل ومغسل
غسلنا بماء الدمع قلبا مدنسا
بلوث ذنوب في مضي المراحل
فلما غسلنا واغتسلنا لحجنا
نوينا ولبينا ارتجاء التفضل
فلما بدت انوار مكة غطني
سرور على نيل المراد المؤمل
فقلت وحمد الله ديدن مذودي
سلام على أهل البلاد المفضل
فطفت ببيت الله طوفة شاكر
وصليت في خير المقام المكلل
فقبلت حجراً أسعداً بعد مسه
وجئت الى صوب السقاية في عل
تضلعت منها ثم سرت إلى الصفا
صعدت على معراجه المتكمل
فكملته سبعا وحلقت سرعة
وألقيت إحرامي بعيد التحلل
وفي ثامن أحرمت بالحج قاصدا
إلى عرفات خير أرض وموئل
فصليت ظهراً ثم عصراً ومغرباً
بها آيباً منها إلى خير منزل
وفي ليلة الجمع ازدلفنا ازدلافة
فبتنا وأصبحنا وجئنا كأعجل
إلى جمرة في منتهى ساحة المنى
بسبع رميناها كحب البواقل
فطفنا طواف الركن والسعي أجمعا
حلقنا وقد حزنا جميع التحلل
ليالي منى قضيتها ورميت في
نهار جماراً رتبت حين تنجلي
بقرا ذبحنا حيث تذبح نعجة
نوينا امتثال الأمر للخالق العلي

فنلنا بحمد الله خيرا ونعمة
بإتمام حج إثر ذنب مثقل
فقمت أسلي النفس أني فرغت من
شعائر كنا نرتجيها لاول
فقالت بقي ان الرحال تشد
للمدينة مثوى خير رسل مفضل
فوجهت عزمي والفؤاد متيم
إلى سيد الرسل الكرام المبجل
إلى سيد كان البراق ركوبه
من الحجر للاقصى مشرف منزل
فصلى بجمع الانبياء لأنه
هو السيد المقدام في كل محفل
ومنه عروج للسموات انه
له الشرف الاوفى على كل مرسل
نبي دنا من ربه حيث يسمع
مكالمة الأملاك فيما سينجلي
فلما بدت أنوار طيبة تهت في
مطالعة الأنوار غطت مخيلي
دخلت وصليت وزرت محمداً
ببعثته الكفر ابتدا في تزلزل
كأني لدى ما كنت تلقاء وجهه
اشاهد نوراً من سماء التجمل
فقمت الى رضوان روضة تائها
شبيه غريق في بحار التذلل
ارى القبة الخضراء يزداد نورها
على نور نجم في العلا متكمل
فطورا أرى الشباك بالنور ساطعاً
وطوراً ارى نور النبي المظلل
عليه صلاة الله ثم سلامه
ومن بعده للصاحبين تقلقلي
وزرت بقيعا والقباء ومسجداً
له قبلتان منذ يوم التحول
وزرت الأحد يوم الأحد شهدائهم
لدى الله احياء على خير منزل
الهي بفضل منك ثم بقرب من
شهدت له بالفضل والخلق العلي
تجاوز عن الذنب الذي اقترفته
فانك غفار اليك تبتلي
انا الكوهجي عبد الاله مقصر
ببابك يا رحمن حق تذللي
ولي فاغفرن والوالدين وكل من
له نسبة مني بفضلك يا علي

بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية

أحمد زايدة

في وقت يتواصل فيه السعي، ويبذل الباحثون فيه قُصارى جهدهم، وغاية طاقتهم لتفعيل هذا العلم (علم مقاصد الشريعة)، الذي يُعد من أرقى علومها، والذي أسسه علماؤنا الأفاضل قديما، أمثال العلامة الإمام الشاطبى فى كتابه الرائع الموافقات، والإمام ابن القيم فى كتابه إعلام الموقعين، والإمام الطاهر بن عاشور، وكذلك الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم، يأتي هذا الكتاب للدكتور يوسف القرضاوي في إطار مشاركته في الندوة التأسيسية لمركز مقاصد الشريعة بلندن، في صيف عام 2004م في مدينة لندن، والذي يترأسه الشيخ أحمد زكي يماني، ويُديره الدكتور جاسر عودة.

والكتاب يبدأ فى أوله بمقدمة تتضمن فصلين، أولهما: يتحدث فيه عن اهتمامه بمقاصد الشريعة في بحوثه وقراءاته وكتاباته، وكيف بدأ وإلى أي نتائج انتهى ووصل، وثانيهما: عن مدلول جملة «فقه مقاصد الشريعة».

ثُم ينتقل بعد ذلك إلى المبحث الثاني تحت عنوان «دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية»، حيث يذكر أنه بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية توجد ثلاث مدارس.

أولها: المدرسة التي تعنى بالنصوص الجزئية أو تتشبث بها وتفهمها فهماً حرفياً بمعزل عما قصد الشرع من ورائها، وقد سماها فضيلته مدرسة «الظاهرية الجُدد»، وثانيها: المدرسة المقابلة لهؤلاء، وهي التي تزعم أنها تُعنى بمقاصد الشريعة، وروح الدين، مُعطلة النصوص الجزئية للقرآن العزيز، والسنة الصحيحة، مُدعية أن الدين جوهر لا شكل، وحقيقة لا صورة، وقد سماهم فضيلته بمدرسة «المُعطلة الجُدد»، وثالث هذه المدارس: المدرسة الوسطية التي لا تغفل النصوص الجزئية من كتاب الله تعالى، ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ، ولكنها لا تفقه هذه النصوص الجزئية بمعزل عن المقاصد الكلية، بل تفهمها في إطارها وفي ضوئها، فهي ترد الفروع إلى أصولها، والجزئيات إلى كُلياتها، والمتغيرات إلى ثوابتها، والمتشابهات إلى محكماتها، معتصمة بالنصوص القطعية في ثبوتها ودلالتها، فالاستمساك بها استمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومتشبثة كذلك بما أجمعت عليه الأمة إجماعاً يقينياً حقيقياً، بحيث غدا يمثل سبيل المؤمنين الذي لا يجوز الانحراف أو الصد عنه، وسماها فضيلته «المدرسة الوسطية» (الربط بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية).

المدرسة الظاهرية

ثم بدأ شرحاً عاماً مُجملاً موضحاً فيه المدرسة الأولى، مدرسة الظاهرية الجُدد، ثُم بدأ يوضح سمات هذه المدرسة الظاهرية وخصائصها، في ست نقاط

١- حرفية الفهم والتفسير.
٢- الجنوح إلى التشدد والتعسير.
٣- الاعتداد برأيهم إلى حد الغرور.
٤- الإنكار بشدة على المُخالفين.
٥- التجريح لمخالفيهم في الرأي إلى حد التكفير.
٦- عدم المبالاة بإثارة الفتن الدينية والمذهبية وغيرها.

وذكر بعد ذلك مُرتكزات هذه المدرسة، وهي أربعة مرتكزات

الأول: الأخذ بظواهر النصوص، دون التأمل في معانيها وعللها ومقاصدها.

الثاني: أنهم ينكرون «تعليل الأحكام» بعقول الناس واجتهادهم.

الثالث: أنهم يتهمون الرأي، بل يدينونه ولا يرون استخدامه في فهم النصوص وتعليلها.

المرتكز الرابع: أن المدرسة الحرفية تنهج- بصفة عامة- نهج التشدد في الأحكام.

وشرح كُل مرتكز شرحاً مُفصلاً، مع التمثيل لكل مُرتكز، وتوضيحه بمثال عملي.

ثُم ختم فضيلته الحديث عن هذه المدرسة بذكر بعض النتائج والمواقف لفقه هذه المدرسة، والآراء التي توصلت إليها منهجيتهم في الفهم والبحث، وذكر منها أربعة مواقف: إسقاط الثمنية عن النقود الورقية، وإسقاط الزكاة عن أموال التجارة، الإصرار على إخراج زكاة الفطر من الأطعمة، تحريم التصوير الفوتوغرافي والتلفزيوني.

المدرسة الوسطية .. سبيل المؤمنون في التصدي للانحراف والتشبث بإجماع الأمة

المعطلة الجدد

أما المدرسة الثانية، فهي مدرسة «المعطلة الجُدد» (تعطيل النصوص باسم المصالح والمقاصد)، وقد ذكر فضيلته نبذة مجملة عنها، ثم أخذ يذكر سماتها وخصائصها، وهي ثلاث خصائص: الجهل بالشريعة، الجرأة على القول بغير علم، والتبعية للغرب.

وعدد مرتكزات هذه المدرسة، وهي مُرتكزات أربع: إعلاء منطق العقل على منطق الوحي، ادعاء أن عمر رضي الله عنه عطل النصوص باسم المصالح، مقولة نجم الدين الطوفي، مقولة «حيث توجد المصلحة فثم شرع الله».

وقد فند هذه المرتكزات بل

الشبهات والمُغالطات، ودحضها بالأدلة والبراهين، وشرح حقيقتها شرحاً بيناً، ثم ختم فضيلته الحديث عن هذه المدرسة بذكر نتائج ومواقف فقه أصحابها المنتمين إليها، وهي ثلاث نتائج: الهرب من النصوص القطعية والتشبث بالمتشابهات، معارضة أركان الإسلام والحدود باسم المصالح، شبهة لأحد أساتذة القانون.

المدرسة الوسطية

وبدأ في شرحها شرحاً مُجملاً ذكر في أوله تعريفها قائلاً «وثالثة المدارس، وهي التي تسير على النهج الوسط للأمة الوسط، فهي وسط بين المدرستين السابقتين، فلا تغلو مع الغالين، ولا تُفرط مع المفرطين، إنها مدرسة «الصراط المستقيم» التي ترفض التطرف والتسيب كليهما، وتؤمن بالتوازن والاعتدال، وتعمل بموجب قول الله تعالى ﴿ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن: ٨-٩).

فهذه هي الوسطية القُرآنية، لا طغيان في الميزان، ولا إخسار فيه. ثم ذكر ست سمات لهذه المدرسة:

الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها لمصالح الخلق، ربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض، النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا، وصل النصوص بواقع الحياة وواقع العصر، تبني خط التيسير والأخذ بالأيسر على الناس، الانفتاح على العالم والحوار والتسامح معه.

ثم ذكر فضيلته مرتكزات خمسة لهذه المدرسة: البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم، وفهم النص في ضوء أسبابه وملابساته، التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة، الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات.

١- البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم: فإن هذه المدرسة تجتهد في البحث عن مقصد النص الشرعي وهدفه، قبل أن تسارع بإصدار الحكم من مجرد لفظه، وذلك لا يكون إلا بطول البحث والتدبر للنصوص الواردة، والسعي لمعرفة مقصد الشارع فيما أمر به أو فيما نهى عنه، حتى يكون الحكم على المسألة حكماً صحيحا.

٢- فهم النص في ضوء أسبابه وملابساته: فهي تقرأ النص في ضوء سياقه وأسباب نزوله إن كان قُرآنا، أو أسباب وروده إن كان حديثاً، ومعرفة الظروف والملابسات التي سيق فيها الحديث، حتى لا يُخطىء الدارس فهم المقصود منه، فيأخذ من النص حُكما لا يقصد إليه وليس مرادا منه.

٣- التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة (تقرير المقصد الشرعي دون تعيين وسيلة)، فإن المتأمل في أحكام الشريعة وأوامرها ونواهيها يتبين له أن منها ما يقرر المبدأ المطلوب، وهو المقصود للشارع، ولا يعين له وسيلة لتحقيقه، لأن وسائله قابلة للتغير والاختلاف، باختلاف الأزمنة والأمكنة والأعراف، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لذلك فإن الشارع قد ترك للمكلفين الحرية في اختيار الوسائل الملائمة، ولم يقيدهم بوسيلة معينة لعصر البعثة، فيتشبث بها بعضهم ويجمد نفسه عندها، ويظنها بعضهم أمراً تعبدياً يلزم كل مسلم التقيد به، ولا يجوز له مجرد التفكير في الفكاك منه، فكان الأولى أن يترك الوسيلة للعقل المسلم ليختارها وفق ظروفه وأحواله.

وأبرز مرتكزات هذه المدرسة:

١- الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، فهي تُلائم بين ثوابت الشرع ومتغيرات الزمان والمكان والحال.

فأما الثوابت، فلا يمكن المساس بها بحال، وهي الدائرة المغلقة، التي لا يدخلها الاجتهاد ولا التجديد ولا التطور، بل هي المحور أو قطب الرحى الذي يدور حوله المجتهدون والمجددون والمطورون، فكل ما حوله يتحرك وهو ثابت.

وهُناك المتغيرات (الأحكام الفرعية والجزئية)، وما ثبت من نصوص ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة، أو ظنيتهما معاً، وهذه الدائرة رحبة تدخل فيها معظم أحكام الشريعة، وهي قابلة للاجتهاد والتجديد والتطوير.

٢- التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات، فمن مرتكزات المدرسة الوسطية أنها تتبنى هذه القاعدة المهمة التي نبه عليها الإمام الشاطبي- يرحمه الله- وهي التفريق بين العبادات والمعاملات، من ناحية الالتفات إلى المعاني والعلل والمقاصد من وراء التكليف لكل منهما، وتدليله على ذلك، فقد ذكر في كتابه الأصولي الفريد «الموافقات» هذه القاعدة، في المسألة الثالثة عشرة من مقاصد وضع الشريعة للامتثال، وهي أن الأصل في العبادات بالنسبة إلى المكلف التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وأصل العادات (المعاملات) الالتفات إلى المعاني، فالأصل في العبادات التعبد والتزام النص (مع ما في العبادات من حكم وأسرار أيضاً)، وأن الأصل في العادات والمعاملات الالتفات إلى المعاني والمقاصد.

اجتهادات علماء الوسطية

وختم فضيلة الشيخ كتابه القيم بذكر فتاوى من اجتهادات المدرسة الوسطية توثيقاً لهذا المنهج، وإبرازا للنتائج المنبثقة عنها، والتي تُجسد منهجيتها الوسطية في الحُكم على الأمور والافتاء فيها، وهي عشر فتاوى، أولها: فتوى لفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا- يرحمه الله- عن «الدستور والدين الإسلامي» وذلك في إجابة من فضيلته عن سؤال وجه إليه، ما هو الدستور؟ وما حقيقته؟ وهل هو موافق للدين الإسلامي تمام الموافقة؟ وما الدليل عليه من الكتاب والسنة؟.

أما الفتوى الثانية، فهي للشيخ السعدي، وهي إجابة عن سؤال وجه إليه، هل يجوز شق بطن الميتة لإخراج الحمل الحي؟، أما الفتوى الثالثة، وهي أيضاً للشيخ السعدي إجابة عن سؤال، هل يجوز أخذ جزء من جسد الإنسان وتركيبه في إنسان آخر مضطر إليه، برضا من أُخذ منه؟.

الفتوى الرابعة لفضيلة الإمام محمود شلتوت- يرحمه الله- وهي عن الغناء والموسيقى، والخامسة أيضاً لفضيلته عن قضية الوصول إلى القمر، الفتوى السادسة، وهي من فتاوى الشيخ الزرقا حول تحديد أجور العقارات قانونا، وجواز الاستفادة منه شرعاً؟ والسابعة أيضاً للشيخ الزرقا وهي عن حُكم استيلاء البلدية على المقابر الدوارس؟.

أما الفتوى الثامنة، فهي لفضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، وهي عن الرمي قبل الزوال، الفتوى التاسعة للشيخ القرضاوي، عن تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم، والفتوى العاشرة والأخيرة لفضيلته أيضاً عن ميراث المسلم من غير المسلم.

الفن و الزخرفة في الإسلام

سليمان حسن

إذا ما تعرضنا للحديث عن حضارة من الحضارات وما الذي قدمته تلك الحضارة للبشرية فإنه لابد لنا من أن ندعم آراءنا بما يؤكد صحتها من المصادر المتاحة لدينا.ويجب أن يكون الاستدلال بمصادر مادية لا تدع مجالاً للشك في صحة وجودها، ولاخلاف انه إذا استطعنا أن ننظر بعين الحكمة إلى آثار عصر ما، فإنه لابد أن نستشف منها جوهر هذه الحضارة ونحكم حينئذ انها مثل انعكاسات حقيقيا لجوهر وروح عصرها . وخير مثال على ذلك قلعة حلب وقلعة صلاح الدين الواقعتين في الجمهورية العربية السورية، والآثار الموجودة انعكاس للحضارات القديمة، حيث نجد أن آثار فترات القوة التي عاشتها الحضارات خلفت وراءها آثارا تعبر عن قوة واضحة، بينما في فترات الضعف التي عاشتها الحضارات نجدها تعبر عن وهن وضعف.

وقد أشار القرآن الكريم الى ما تركه الأقدمون من بعدهم في مثل قوله تعالى ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾(الحج:٤٥)، ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾(الأنعام: ٦). ومن الإنصاف أن نقول، بل الحق يقال إن بعض الآثار القائمة الآن قد لا نعرف كيف بنيت وشيدت مثل أهرامات الفراعنة في مصر، وبعض الظواهر قد لا نجد لها تفسيراً كسر التحنيط وسر تعامد الشمس على وجه رمسيس في يوم ميلاده ويوم جلوسه على العرش، فإذا ما تحدثنا عن الآثار الاسلامية فسنجد ان كل ما سبق ذكره ينطبق تماما عليها من حيث تعبيرها عن روح وجوهر حضارتها، والجمال الكائن فيها الى جانب تعبيرها الواضح عن فترات القوة والوهن الحضاري الذي تعرضت له الحضارة الاسلامية، بل وكذلك عن مدى تأثير الدين الاسلامي في العمارة والفنون السائدة في الأزمنة الماضية.



اثر الدين على العمارة والفنون

- القضاء على كل التماثيل التي تصور الأشخاص بصورتهم الطبيعية او التي كانت تعبد في تلك العصور.

- الابتعاد عن الرسوم العارية والتزام البنائين بالبساطة والجمال والأشكال الهندسية، ورسم الأوراق والنباتات بصورة إبداعية.

- إبداع الفنانين في الخطوط العربية المختلفة والمخطوطات المصورة.

- التوحيد الفني بين ريشة الفنانين وأنامل البنائين.

- النهي عن دفن الممتلكات مع الميت وعدم تزيين القبور (١).

- الاهتمام ببناء المساجد وزخرفتها وكذلك بناء السبيل الذي تفردت به الحضارة الإسلامية، فالسبيل هو بناء معماري يقوم على بئر كبيرة بها ماء يقدم للمارة وعابري السبيل دون مقابل وحينذاك استفادوا من هذا المبنى في التعليم.

الزخرفة الاسلامية

إن مصطلح الزخرفة يعود إلى المفردة اللاتينية decus التي تعني التزيين والتحلية فالخطوط والألوان والإيقاعات تشكل وحدات فنية تثير فينا حساً زخرفياً ساراً وفن الزخرفة يدخل في شتى مظاهر حياتنا اليومية، الأبنية وقطع الأثاث والأواني والأزياء والأنسجة وقطع الحلي وفي كل فن تزييني، فكل وحدة جمالية هي في حد ذاتها عالم متميز في الحياة ومن المؤكد ان مجمل حضارات العالم قد عرفت الزخرفة عبر فنونها المختلفة.

وظيفة الزخرفة

لقد بدأت الزخرفة في تنمية خصائصها المعروفة مثل التغطية الشاملة للحشوات وكثافة الجزئيات وتحوير الأشكال النباتية والتأليف بين التكوينات الهندسية والنباتية وكثافة المظهر السطحي لها دون أحجام بارزة لتتلاءم مع وظيفتها الأساسية المتمثلة في التغطية (٢).

ب- مكونات الزخرفة: بالنسبة للعناصر الخاصة بفن العمارة الاسلامية فهي: المآذن - الأعمدة وتيجانها - الأقواس - القباب -المقرنصات (المتدليات) - النقوش ودقائق الزخارف - الزخارف الملونة - الكتابة العربية - الرقش العربي (الأرابيسك). ومن المؤكد أن هذا الموضوع يحتاج الى جهد كبير ودراسة مستفيضة ولكننا سنحاول أن نلقي الضوء على هذه المكونات.

المآذن

كانت المآذن لرفع الأذان، وهي مصممة على أشكال مختلفة.

- الأعمدة: ومثال عليها ما هو قائم الآن في قاعة الأسود بقصر الحمراء.

- الأقواس: وكانت مصممة على شكل حدوة الحصان أو مدببة من الأعلى او من ذوات الفصوص.

- القباب: وكانت مصممة على أشكال مختلفة.

المقرنصات

وكانت مصممة على شكل خلايا النحل في واجهات المساجد او تيجان الأعمدة او في الأسقف أو في المآذن أو في زخرفة جلود المساجد، يقول غستاف لوبون: لقد انفرد العرب في المقرنصات ولم توجد هذه الزخرفة عند امة من الأمم.

النقوش

وكانت مصممة على شكل رسوم هندسية ممزوجة بالخط العربي الذي كان له شأن كبير في الزخرفة وقد كانت تنقش في الحجر او تصب في قوالب خاصة.

- الزخارف الملونة: كانت الجدران الداخلية والخارجية للمساجد ملونة بازهى ألوان الزخرفة (٣).



الكتابة العربية

إن الخط العربي يعد من أهم ما برز فيه العرب في مجال الفنون الزخرفية والمعمارية، فقد سما به الفنان الى أعلى درجة من الإجادة بحيث لا يكاد يخلو اثر من الآثار الاسلامية من هذا الخط.

الرقش العربي

وهو اصطلاح يستعمل للدلالة على الفنون الزخرفية وقد استعمل في مجال الموسيقى، أما كلمة ارابيسك فكلمة عربية وتعني الفن العربي الزخرفي المعماري الذي انتشر في جميع أنحاء العالم وأصبح مرجعا ونموذجا لسائر الفنون الزخرفية التجريدية المتطورة التي تحفل بها المساجد والأبنية والأسواق بل إن الفنان يمزج فيه بين الخط العربي والأشكال والتكوينات الهندسية او الأشكال النباتية، وكلها تمثل تكوينا فنيا متكاملا (٥).

ج- خصائص الزخرفة: يمكن إيجاز أهم خصائص الزخرفة في السمات التالية: الإيحاء بالحركة، شغل الفراغ، التجريد والرمز، التكرار، التنوع، الوحدة.

- الإيحاء بالحركة: فعندما نتأمل الوحدة وفي اللحظة التي يخيل إليك أنها انتهت تفاجأ عند نقطة معينة في الفراغ أن الوحدة التالية تبدأ ويمكن أن لحظ في الزخرفة الأشكال الساكنة والأشكال المتحركة.

- شغل الفراغ: بحيث تعطى الأولوية في الرؤية إلى مجموع المساحة المزخرفة والظاهرة للعين، ومثال على ذلك واجهة جامع المؤيد بالقرب من زويلة بالقاهرة وجامع اولو في ديفريجي بالأناضول الوسطى.

التجريد والرمز

وذلك ما هو موجود في بعض المباني القديمة الدينية فهي تتوهج بنبض شاعري فالتجريد فن مطلق لانهائي غير مقيد بأبعاد الرؤية البصرية للموضوعات الطبيعية كما انه ليس تجريدا عبثيا.

- التكرار: إن التكرار في العمل الفني بشكل عام فيه خطورة بينما نجد ان الفنان المسلم قد قام به دون أن يشعرنا بالملل وذلك نتيجة لطريقة توظيفه فهو تجسيد مثالي، والقرآن الكريم علمنا التكرار، قال تعالى ﴿فبأي الاء ربكما تكذبان﴾(الرحمن: ١٣-٥٥).

- التنوع: تتصف الزخرفة بالاتساق إضافة إلى التنوع والضخامة وتحاشي تكرار الصيغة الزخرفية وخير مثال على ذلك الزخرفة الموجودة في جامع احمد بن طولون بالقاهرة.

- الوحدة: تتكامل عناصر الزخرفة مثلما يتكامل أعضاء الجسد الواحد بنسبة ثابتة لتحقيق التكوين المتكامل والتعبير عن الكل (٤).

عمارة المساجد

لقد انشأ المسلمون في المدن التي شيدوها المساجد والمدارس والقصور وغيرها من المباني الفخمة المتعددة، وذلك وفق طرز متميزة تسمى عادة العمارة الاسلامية ويجدر بنا أن نذكر بعض المساجد القديمة قبل أن اختم بحثي هذا: المسجد الحرام بمكة المكرمة، المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، قبة الصخرة والمسجد الأقصى بالقدس، الجامع الأموي الكبير بدمشق، مسجد السنة بالرباط وجامع القرويين بفاس، مسجد عقبة بالقيروان، جامع قرطبة بالأندلس، جامع احمد بن طولون بالقاهرة، مسجد باداشاهي في لاهور، هذا ما استطعت تقريبه إلى الأذهان من هذا النوع من الفن الاسلامي الرائع.

المراجع

١- مجلة السياحة الاسلامية ع (٧) ٢٠٠٣ م
٢- مجلة القافلة ع يناير ١٩٩٦م
٣- من كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية
٤- مجلة القافلة ع يناير ١٩٩٦م
٥- مجلة القافلة ع يناير ١٩٩٦م
٦- من كتاب تاريخ الحضارة الاسلامية

الفصام التربوي

عبادة السيد نوح

nooh22@hotmail.com

يخاطب الإمام الشافعي رضي الله عنه أولاد هارون الرشيد فيقول «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعيُنَهم معقودة بيدك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح عندهم ما تركته»، ومن الجميل قول أحدهم «كونوا عبَادًا قبل أن تكونوا قوّادًا؛ تصل بكم العبادة إلى أحسن قيادة».

هذا مختصر لتشخيص حال المسلمين اليوم الذين لو عملوا بقدر كلامهم لتغيرت مسيرتهم وصاروا - حقا- شهداء الله في الأرض.

فمن الملاحظ انتشار ظاهرة ازدواجية السلوك أو التناقض السلوكي بين المسلمين، حتى بات الغرب يتهم الإسلام بالتخلف والرجعية والجمود والنفاق، والحقيقة أن بعض المسلمين هم الأزمة الحقيقية، والإسلام بريء مما يرتكبه أبناء شريعته.

ولكن الغريب استفحال هذه الآفة الخبيثة في أوساط المجتمع الدعوي المتدين والملتزم بالمنهج الصحيح، فالتدين أساسه تطهير النفس من موبقات الحياة الدنيا، وسعي دءوب لاكتشافها والتخلص منها، من اجل الحفاظ على طاعة الله في الفكر والممارسة.

والتناقض التربوي خارج نطاق التدين يمكن التعامل معه بقدر من التفهم باعتباره عيباً في الشخصية، ولكنه لا يضع الفرد في دائرة التنقيص من التزامه أو تدينه. أما أوامر الله ونواهيه فلا تقبل الاجتهاد الملتبس أو الغامض، الأمر الذي يثير الناس العاديين باعتبار أن المتدين يفسر النص القرآني، والحديث الشريف بطريقة تخدم مصالحه ورغباته!

فلننظر إلى رسول الله ﷺ كيف أوصى معاذا رضي الله عنه قبل أن يرسله لدعوة الناس، حين حدّد له ما يجب أن تكون عليه شخصيته، فأوصاه بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، ونهاه عن أن يسب حكيمًا، أو يكذب صادقًا، أو يطيع آثمًا، أو يعصي إمامًا عادلاً، أو يفسد أرضًا، وأوصاه باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر. لقد أوصاهُ ﷺ كما أوصى غيره من دعاة الخير ورُسل العقيدة بكل معاني تربية النفس، ومعالم تهذيبها، والارتقاء بها.

ويرجع التربويون والنفسيون أسباب هذه الظاهرة (الفصام بين القول والعمل) إلى أنها قد تكون عادة متأصلة في عدد من الناس ناتجة عن طبيعة هذا الشخص أو ذاك، والبيئة تلعب دوراً أساسياً في بعض العادات الاجتماعية سلبا أو إيجابا، بالإضافة إلى أنها قد تكون نتاج مصالح مادية أو انتهازية.

فصاحب المبادئ والقيم والقواعد لا مبرر له أبداً للإقدام على مثل هذه السلوكيات الفاسدة التي تقلل من شأن الإسلام وشريعته الغراء، مع العلم بأن كل إنسان خطاء ولكن ليس على حساب المصالح الكلية.

ومصالح السلوك المزدوج المادية بمختلف أشكالها مؤقتة وزائلة، بينما السلوك القويم والأثر الطيب يظل راسخا في عقول وقلوب الناس. ومن يعتقد أن السلوك السلبي يمكن أن يزول من ذاكرة الناس بالتقادم فهو مخطئ لأن الإنسان يحفظ تاريخ الولادة والنجاح والكوارث وأعوام الجوع.. فازدواجية السلوك لا تقدم لصاحبها سوى ازدراء الناس وكرههم له، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (رواه البخاري ومسلم).

يقول أحد المفكرين: إن مثلاً واحداً أنفع للناس من عشرة مجلدات، لأن الأحياء لا تصدق إلا المثل الحي، لهذا كان النبي الواحد بمثله الخلقي الحي وجهاده أهدى للبشرية من آلاف الكتّاب الذين ملأوا بالفضائل والحكم بطون المجلدات، وإن أكثر الناس يستطيعون الكلام عن المثل العليا، ولكنهم لا يعيشونها، فالإسلام لا يحييه إلا المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والسلوك المستقيم، والانضباط الذاتي، والعفة عن المطامع والمحارم، والعمل الصالح، والتضحية والإيثار.

أخيرا يؤكد الداعية السعودي د.علي بادحدح أن نجاح الداعية مرتبط بقدرته التأثيرية في المدعوين، ولا شك أن التأثير لا يأتي عفواً ولا عرضاً، كما أنه قطعاً لا يفرض فرضاً، بل هو مرتبط بمؤهلات ومواصفات لا بد للداعية منها لتكون له شخصيته المؤثرة من التميز الإيماني والتفوق الروحاني والزاد العلمي والرصيد الثقافي، ورجاحة العقل، وحسن التدبير، ورحابة الصدر، وسعة الخلق، والله ولي التوفيق .

لفتة

■ أثار أحد كتاب الصحف اليومية قضية المؤتمرات والندوات الفاخرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع..هذه القضية تحتاج إلى وقفة جادة مع الجهات المنظمة لتراجع نفسها عن النتائج الحقيقية لمثل هذه التجمعات.

■ نبارك للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو جائزة (كويري) الفرنسية للتميز تقديراً لكتابه عن تاريخ العلوم خلال العهد العثماني .

■ انزواء العلماء الربانيين في مجالسهم وابتعادهم عن حقل الدعوة يثير الدهشة، لاسيما أن الأمة في أمس الحاجة لتوجيهاتهم وإرشاداتهم ولعلمهم.. فهل من مجيب؟



أسرتي



- «وأزواجه أمهاتهم»
- صناعة الجمال
- الطفل الموهوب .. كيف نكتشفه؟









شهر العسل!

د. حلمي محمد القاعود

يحرص الإسلام على أن يكون المسلم في أصفى حالات الرضا والسعادة، وأن يستمتع بالطبيعة والجمال وفقا لما أمر الله ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف:٣٢).

وكلما اقترب المسلم من المنهج الإسلامي في الحياة والسلوك، ازداد طمأنينة ورضا وسكينة، لأن الإسلام يضع منهجه موافقا للفطرة الإنسانية ومقتضياتها، ويستجيب لمطالبها وطبيعتها، فلا يهبط معها إلى حضيض الانفلات والتردي، ولا يقذف بها إلى عالم الحرمان والتزمت، وغالبا ما تكون الشخصية الإسلامية الطبيعية سوية ومستقيمة وناضجة، والبعد عن المنهج الإسلامي في الحياة والسلوك يوقع في مشكلات كثيرة منها غضب الله، وبؤس الحياة، ولو كان من يعيشها أغنى الأغنياء وأشهر الناس.

دعونا نقص هذه الحكاية التي نشرتها الأهرام في ٢٠٠٩/٢/٢٧م، فقد تم عقد قران «محمود» ابن واحد من كبار رجال الأعمال والصناعة، وتم زفافه في أبسط حفل، حضرته أسرتا العروسين في عشاء بسيط، وأصر العريس على التبرع بتكلفة «الفرح» للفقراء، ولأنه الابن الوحيد على خمس بنات كان والده يصر على إقامة فرح كبير، يدعو فيه الكبار والمشاهير، ويقدم لهم ما لذ وطاب وغلا من الأطعمة والمشروبات ووسائل الترفيه والسرور.. إلا أن الشاب لقن أباه درسا هادئا مؤدبا حين جلس يشرح له أنه في ظل الأزمة الاقتصادية التي تمر بالبلاد والعباد لا يجوز أن يقام مثل هذا الفرح الذي يريده الأب الحاني، بل إن فرحة محمود وعروسه ستتضاعف لو أنه تم التبرع بتكلفة العرس للفقراء.

استجاب الأب لرغبة ابنه الشاب، وسلمه قيمة تكاليف العرس ليتصدق بها كما أراد، وعلى عكس ما يحدث من سفر العروسين لقضاء شهر العسل على شواطئ ماليزيا وهاواي وتايلاند ومنتجعات إسبانيا، فإن العريس (محمود) وعروسه أصرا على قضاء شهر العسل في المدينة المنورة لبدء حياة زوجية مباركة ومستقرة بمشيئة الله.

ورأى محرر الجريدة أن هذا النموذج الصالح قليل في زمن عزت فيه القدوة والنماذج الطيبة وشاعت فيه النماذج المشوهة التي تعدي جيلا بأكمله.

ولاشك أن النفس الإنسانية مفطورة على حب الخير بمعناه الشامل، وليس المال وحده، وشعوبنا الإسلامية لديها الرغبة في العمل الصالح، والاستجابة لداعي التراحم والتعاون، ومع ما يغشى المجتمعات الإسلامية من تقاليد لا أساس لها في التشريع الإسلامي، وترفضها الفطرة السليمة والقلوب النقية، فإن أبناء الأمة لا يترددون في المبادرة إلى المعروف والسلوك الطيب والقول الطيب أيضا إذا وجدت القدوة الصالحة والأسوة الحسنة داخل المجتمعات الإسلامية.

لقد كانت هنالك تجارب طيبة في عقد القران للعرسان الجدد في المساجد توفيرا للنفقات على الفقراء وتلافيا للمظاهر التي تجافي القيم الإسلامية، وترسيخا لحب المساجد والارتباط بها وبما تمثله من إشعاع يهدي إلى الحق والخير والنور والجمال، وللأسف فإن هذه التجارب تعرضت لغارات شرسة من جهات تفكر بذراعها ولا تفكر بعقلها، فقضت على هذه التجارب، ولم يبق منها إلا ما يكلف أهل العروسين فوق الطاقة، في قاعات محدودة تتقاضى مبالغ كبيرة، ويحضرها بعض العلماء الرسميين!

وللأسف، فإن شيوع التقاليد الغريبة في المجتمعات الإسلامية أخذ يحفر مجرى عميقا في واقع الحياة الاجتماعية، ويأخذ شكلا أكثر إسرافا وبذخا وشناعة، مع أن الغربيين في مجملهم يقيمون أفراحهم داخل الكنائس في احتفالات بسيطة، ودون تكاليف باهظة.

بعض القوم عندنا ممن يحبون المظاهر، وخاصة في الطبقات التي تفرض على المجتمعات الإسلامية عبر الإعلام وشاشات التلفزة من أهل الفن والكرة والأعمال وأشباههم، أخذوا ينحرفون باحتفالات الزواج عن أغراضها،



وراحوا ينشرون قيما غير طيبة، من خلال سلوكيات يرفضها الدين، وترفضها الفطرة السليمة المستقيمة.

وأخيرا سمع الناس ورأوا نماذج من المغالاة في إقامة الأفراح يأباها أصحاب الضمائر الحية، أو الذين حصلوا أموالهم بالجهد والعرق والحلال، ولم تعد هذه النماذج من المغالاة قاصرة على الفنادق الفخمة ولا الأطعمة الغالية، ولا المشروبات المحرمة، ولا الراقصات والمطربات الكاسيات العاريات وما يقدمنه من خلاعة وابتذال وسلوك فج وكلمات بذيئة، بل امتد الأمر إلى العروسين، ليقوما بالرقص معا أمام الجمهور بطريقة سوقية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد إلى ما هو أكثر من ذلك غرابة وشذوذا.

والأدهى من ذلك هو قيام بعض الفضائيات العربية بنقل هذه الأفراح وما يجرى فيها من تجاوزات وسلوكيات شاذة بعيدة عن قيمنا وأعرافنا على الهواء، وأمام الملايين لتقتن أوضاعا يأباها كل حر، وصاحب غيرة ونخوة، والمفارقة أن من يشيعون هذه التجاوزات، يشكون من التحرش الجنسي في الشوارع والأماكن العامة!

إن الأعراس حين تقام وفقا لمنهج الإسلام وروحه، ستحقق أهدافا إنسانية واجتماعية عديدة تعود بالخير على المجتمع كله، وقصة الشاب محمود الذي أصر أن يقضي مع عروسه شهر العسل في المدينة المنورة تقدم لنا نموذجا، يجب أن يشيع في المجتمع الذي تسلطت عليه شياطين الإنس وأساطين الشر، بقصد نشر الرذائل، وقتل الحياء في النفوس والضمائر، وإحياء قيم الشكلية والمظهرية والتفاخر الأجوف.

لماذا نبحث عن الأفراح في الصورة والشكل ولا نبحث عنها في أعماق القلوب والنفوس؟ يجب أن نضيء أرواحنا من الداخل بالأمل والأمن والرضا والقناعة، وقبل ذلك بالإيمان واليقين بالخالق سبحانه.. هذا هو الفرح الحقيقي في داخلنا، وليس في المظاهر الخارجية الوقتية التي تزول سريعا وتخلف وراءها في الغالب كدرا وهما وغما وفشلا ذريعا.

إن شهر العسل الحقيقي، يتمثل في مرضاة الله وطاعته، وليس في الخروج عن تعاليمه والدخول في زمرة السفهاء والمبذرين إخوان الشياطين ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ (الإسراء:٢٧).

مكانة المرأة في الإسلام

لينة أحمد جلبط

كرم الإسلام المرأة تكريماً عظيماً وأعطاها سائر الحقوق المشروعة، وقد سوى بينها وبين الرجل في العبادات، والتكليف، والثواب، والعقاب، فالأصل في الأدلة الشرعية التكليفية التسوية بين الجنسين، وعدم التفريق بينهما، ولكنهما مختلفان في الدور والوظيفة كل حسب طبيعته الجسمانية والنفسية، واختلاف امكاناته الفطرية التي فطره الله عليها، وجعل من حق المرأة أن تطلب العلم كما قال رسول الله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (صحيح ابن ماجة)، حتى يتسنى لها تصحيح عقيدتها، وضبط سلوكها، لتقف عند حدود الله في الحلال والحرام، والحقوق والواجبات.

ويعتبرها أما، فقد أكد الوصية بها وجعلها تالية للوصية بتوحيد الله وعبادته، وجعل عقوقها والإساءة إليها مقرونا بالشرك بالله والفساد في الأرض قال تعالى ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (لقمان: ١٣-١٤)، وإذا كان للأم كل هذه العناية، فإن عليها واجب في الاهتمام بتربية أبنائها لصناعة أجيال الغد، وغرس الفضائل في نفوسهم، والبعد عن الرذائل، وحب الطاعة لله عز وجل، والتشجيع على نصرة الحق ورفع راية الإسلام.

ويعتبرها بنتا، والجنة جزاء كل أب يحسن صحبة بناته، ويحسن تأديبهن، ويرعى حق الله فيهن، حتى يبلغن أو يموت عنهن، وجعل منزلته بجوار الحبيب محمد ﷺ في الجنة، وهذا ما رواه ابن عباس عن الرسول ﷺ حيث قال «ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» (صحيح ابن ماجة)، كما أوجب الإسلام على أبيها النفقة عليها حتى تتزوج، وليس للأب حق تزويج ابنته البالغة ممن تكرهه ولا ترضاه، فعن ابن عباس «أن جارية بكرا أتت رسول الله ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ﷺ» (صحيح أبي داود)، فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل، فتخرج لتبحث عن المسكن والطعام على حساب كرامتها ونبيل أخلاقها؟.

ويعتبرها زوجة، بل جعل الإسلام الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها من دنياه قال عليه الصلاة والسلام «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم)، وقرر الإسلام للزوجة حقوقها على زوجها، ولم يجعلها مجرد حبر على ورق، وأول هذه الحقوق الصداق الذي أوجبه الإسلام للمرأة على الرجل، وثاني هذه الحقوق هو النفقة فالرجل مكلف بتوفير المأكل والملبس والمسكن والعلاج لامرأته قال تعالى ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق:٧)، وثالث الحقوق المعاشرة بالمعروف من حيث حسن الخلق، ولين الجانب، وطيب الكلام فالرسول ﷺ قال «إن من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا وألطفهم بأهله» (رواه الترمذي).





صناعة الجمال

إيمان القدوسي

الوجه الحسن هو أفضل بطاقة تعارف تقدم صاحبه للناس، وحب الجمال من البديهيات المركوزة في نفوس البشر، وعندما ذكر رسول الله ﷺ الأسباب التي تدعو لاختيار الزوجة ذكر في مقدمتها «جمالها».

جمال المرأة تحديدا من المحاور الرئيسية الدافعة لسلوك البشر، تغنى به الشعراء، ورسمته ريشة الفنان، وقامت بسببه صراعات ونزاعات وحروب، والمرأة تعرف ذلك جيدا وتقدره، وأشد ما يسعدها أن يقال عنها حسناء ولو كان خداعا!!

يقول أمير الشعراء:

خدعوها بقولهم حسناء

والغواني يغرهن الثناء

ومنذ القدم فطن التجار لأهمية الجمال والتجميل بالنسبة للمرأة التي وصفها المولى عز وجل بقوله ﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ (الزخرف: ١٨)، وقامت صناعات كثيرة لاستثمار هذا الاهتمام، منها صناعة مساحيق التجميل والازياء وتصفيف الشعر وغيرها، وتعبر رسوم الفراعنة عن ولع المرأة بذلك منذ تلك العصور القديمة.

ولكن صناعة الجمال في العصر الحديث تخطت كل الحدود وفاقت كل التصورات، فلم يعد الامر قاصرا على ارتداء الحلي والملابس وبعض الزينة، ولكنها صارت صناعة حقيقية، تجعل القبيحة جميلة وتعيد العجوز صبية، فقد تطورت جراحات التجميل بشكل مذهل، وصار بامكانها اعادة تصميم الوجه الانساني واضفاء درجة عالية من التناسق والجاذبية عليها، وهكذا امتلأت الدنيا بالنجمات فائقات الجمال، حيث تبدو الواحدة منهن أجمل من رسم الفنان وأفضل من خيال الشاعر وأكثر شبابا وحيوية من أحفادها!

قد يكون هذا الأمر ليس من شأننا ولا يدخل في صميم اهتمامنا، ولكن الحقيقة أنه في عصر الاعلام الفضائي الذي جعل الدنيا كلها قرية صغيرة، لم يعد ممكنا أن نقول: هذا لا يعنينا، لأن كل ظاهرة لها تداعيات مباشرة وغير مباشرة وان بعدت بيننا وبينها المسافات.

فمن تداعيات ظاهرة «صناعة الجمال» ان ارتفع سقف ومعيار الجمال واصبحت غالبية النساء دونه، بالنسبة للفتيات يقلل ذلك فرصتهن للزواج، وبالنسبة للمتزوجات يكون هذا النموذج حائلا دون الانسجام الحقيقي بين الزوجين، فالرجل يريد نفس النموذج الذي يراه، ولذلك نلاحظ تزايد الإصرار على شرط الجمال بين الشباب وبين الرجال الذين يريدون الزواج مرة ثانية.

نلاحظ ايضا بالنسبة للمرأة انها صارت اكثر اقبالا على التجميل والتجمل بشكل غير مسبوق لانها تريد أن تحرز مكانا مناسبا في هذا السباق المحموم، بل ان النساء الثريات يسرن على خطى نجوم الاعلام في اجراء جراحات التجميل وتغيير خلق الله والبحث عن استعادة الشباب الضائع.

اتسع المجال امام التجار بأحلام البسطاء، فلا تكف الاعلانات عن الكريم الذي يجعل السمراء شقراء، والصابون الذي يحول الشعر الخشن الى نعومة الحرير وغير ذلك مما لا حصر له من برامج واعلانات ومجلات تحاصر الفتاة البسيطة والمرأة الكادحة وتستنزف قروشها القليلة جريا وراء وهم الحصول على الجمال الزائف.

قال أحد الشباب الذي تزوج شمطاء متصابية شهيرة: غرني شكلها الخارجي الرائع ولكن حين عشت معها وجدتها أولا وأخيرا امرأة عجوز. وهذا بديهي فلو صبغنا الشعر والوجه وأخفينا آثار السنين فكيف يمكن أن نعيد للمفاصل والعظام والقلب والأحشاء شبابها؟ وكيف يمكن أن نعيد للعين لمعتها؟ وللروح دهشتها الأولى؟ وللنفس براءتها وغفلتها وشغفها بالجديد؟

ليس الشباب فقط هو الذي لا يعوض ولكن ايضا الإحساس بالتفرد، التفرد أن يكون لي شكلي الخاص بي وحدي ولا يشبه أحدا، ولي شخصيتي التي أبنيها وفقا لعقيدتي، ولي اسلوبي الناجح في ادارة حياتي بشكل يجذب اهتمام شريكي لاعجابه بكل تلك المقومات وليس بالشكل فقط، وفي هذا الصدد يمكننا ان نزعم ان كل النساء جميلات بشكل ما.

أجمل الوجوه هو وجه امرأة نقية الفطرة، صادقة في التعبير عن نفسها، واثقة في تميزها وتفردها بما حباها الله من أسرار الجمال الطبيعي التي لا تمنح إلا لمثلها من البسطاء، والتي تغيب تماما عن تلك الوجوه المصبوغة المصنوعة، وجه حقيقي لا يشبه وجوه التماثيل ولا يفتقد اللمسة الإنسانية، ويمكنك بسهولة أن تتواصل معه وتحبه وكأنك تنظر في المرآة.





«وأزواجه أمهاتهم»

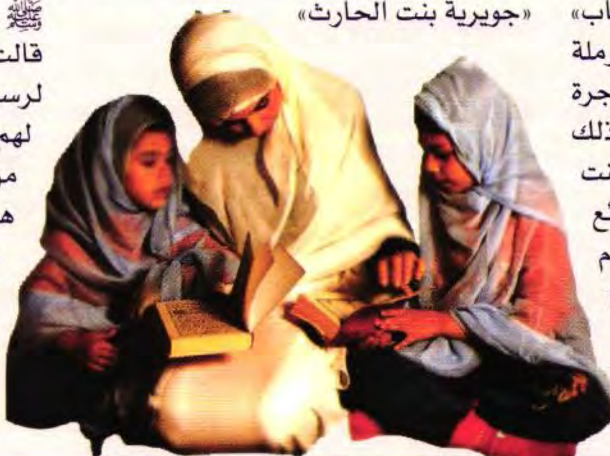


هدى الكاشف

الأم عصب الحياة وعطاؤها ليس له حدود، فهي رمانة الميزان، فمن صلحت امه صلح حاله، والبائس من لا يحظى بهذه الأم الصالحة، وربما كان ذلك سبباً رئيسياً في ضلال وجهل الطريق المستقيم، فهؤلاء عليهم ألا ييأسوا لأن امهات الاجساد تفنى أما أمهات الأرواح فباقية بقاء الحياة حتى بعد فنائنا نحن منها، وعز من قال «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» (الأحزاب:٦) فقد جعل العزيز الوهاب لكل منا أماً بالجسد، حظه منها ما كتب الله له، وأماً بالروح في زوجات النبي ﷺ، وحظ المسلمين جميعهم منهن شريف وواحد، حتى لا يفقد أحد منا الحنان، ولايضل الطريق اذا قست عليه الحياة فابتلي في أدفأ حضن يهديه من ضلال، وينير له الظلام.

فعلينا التعرف عليهن لحقهن علينا وحاجتنا الشديدة اليهن، فمعلوم لدينا من سيرة نبينا ﷺ أنه تزوج السيدة «خديجة بنت خويلد» الشريفة خير نساء العالمين وكانت في الاربعين من عمرها، ونبينا محمد ﷺ في الخامسة والعشرين، وظل معها وحدها حتى تجاوزت الخامسة والستين لا يضم اليها اخرى، وماتت وهو فوق الخمسين.

وبعد وفاة السيدة خديجة رأى الصحابة وحدته ﷺ، فودوا لو تزوج من تؤنس وحدته وترعى له بناته وبيته، فتزوج السيدة «سودة بنت زمعة» وكانت لها ظروفها التي جعلت الرسول ﷺ يمد إليها يد الرحمة، فكانت -رضي الله عنها- كبيرة في السن مهاجرة أرملة تعزف عن الرجال، فقامت برعاية بيت النبوة، وبعد ذلك كان الباعث الأول في زيجاته ﷺ الرحمة بظروف كل زوجة أوفرض تشريع جديد، وحرصه على الارتباط بالرجال الذين آزروه في دعوته، فتزوج «عائشة بنت أبي بكر» رغم صغر سنها، و«حفصة بنت عمر بن الخطاب» على قلة جمالها، ثم تزوج «أم سلمة» أرملة قائده الذي أكرم بالشهادة وكانت مهاجرة معه الى الحبشة ثم الى المدينة، وبعد ذلك امره الله تعالى بالزواج من «زينب بنت جحش» بنت عمته لإبطال تقليد شائع عند العرب وهو نظام التبني، وقد اقدم رسول الله ﷺ على هذا الزواج بحرج شديد، ولكنه استجاب لأمر الله، لأنه قد سبق وأمر زينب بالزواج من زيد بن حارثة الذي كان يتبناه سيدنا محمد ﷺ وكان عبداً فأكرمه رسول الله وألحقه بنسبه قبل الغاء التبني، وكانت زينب من اشراف قريش ولكنها أطاعت أمر النبي ﷺ الذي اراد تحطيم الاعتزاز بالأنساب، ولكنها كانت مصروفة الفؤاد عن زيد، فشكى لرسول الله ﷺ فأوحى الله لنبيه أن يطلقها زيد رضي الله عنه ويتزوجها رسول الله، أما باقي نساء النبي فكن يعتبرن بنات ملوك، وكان لكل منهن ظروفها، «فأم حبيبة» بنت أبي سفيان بن حرب سيد من أسياد قريش، قاد الحرب ضد الإسلام أكثر من عشرين عاماً، فأسلمت وتركت أهلها ومكة حيث يسود أبوها وهاجرت مع زوجها للحبشة، فلما مات ضمها رسول الله ﷺ لزوجاته إعزازاً وتقديراً لشأنها وصنيعها، وأما «صفية بنت حيي» فكان أبوها ملك اليهود، وأثناء الحروب بين بني اسرائيل والمسلمين مات زوجها واهلها، ووقعت في الأسر، فرق النبي لحالها ومنزلتها فوهبها حريتها وتزوجها ليطيب خاطرها، أما عن «جويرية بنت الحارث»



فأبوها زعيم بني المصطلق، انتهت حربه مع المسلمين بهزيمته فذلت قبيلته وهانت فواسى النبي ﷺ القائد بمصاهرته، فتزوج ابنته التي أعادت الكرامة والشرف لقبيلتها بهذا الزواج.

وقد استحقت كل زوجة منهن ان تكون اماً لنا جميعاً، فرفع الله درجاتهن لتفانيهن في خدمة الرسالة وصاحبها ﷺ، واهمال مطالب النفس على الرغم من مجيء كل منهن من اعرق البيوت، فلم يصبحن زوجات رجل يطلبن معه متاع الدنيا، بل كنّ شريكات حياة عفيفات فاضلات بسيطات الحال على قاعدة «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»، فتحملن معه الحياة الخشنة، فكان الفرش أدم جلد حشوه ليف، وكان ﷺ يدعو الله قائلاً «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» (صحيح مسلم)، وعن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت لعروة ابن اختها «إن كنا لننظر الى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت يا خالة: ما كان ليعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا» (رواه البخاري).

هذا حال بيت النبوة، فكيف لو رأى حالنا وقد تهالكنا على الدنيا وملذاتها، ولم يعد يملأ أعيننا شيء من متاعها وهو القائل «لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا» (رواه البخاري).




الطفل الموهوب.. كيف نكتشفه ونرعاه؟



د.بركات محمد مراد

تعد الموهبة المنفذ الذي تبحث عنه المجتمعات التي تريد ان تسطر لها تاريخا، وأن يكون لها إسهامها الواضح في الحضارة الإنسانية بأسرها، مما يجعل لها دورا بارزا في تلك الحضارة، ويكسبها بالتالي مكانة مرموقة بين الأمم، ولذلك تعمل مثل هذه المجتمعات جاهدة من خلال أساليب علمية مقننة للكشف عن الموهوبين، حتى تتمكن من صقل مواهبهم، لأنهم -بطبيعة الحال- الذين سيقومون برفع راياتها في كافة المحافل المختلفة من خلال إسهاماتهم المتعددة التي لا يستبعد أن تعيد تشكيل وهيكلة الحضارة البشرية من جديد.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن ظاهرة الطفل الموهوب قد لفتت نظر المفكرين والمربين منذ أقدم العصور، وحاول بعضهم أن يقدم تفسيرات شتى لهذه الظاهرة، كما استخدمت مصطلحات عدة للدلالة عليها، كالعبقرية والنبوغ والإبداع، ويرى البعض أن الموهوب يختلف عن المبدع، فالموهوب هو الذي يملك قدرة عقلية عالية، أما المبدع فيتسم بالإنجاز الجديد الأصيل. وينظر علماء النفس أثناء تعاملهم مع الموهوبين إلى المستقبل، في حين ينظرون إلى الماضي أثناء تعاملهم مع المبدعين، وكأنهم في حال الموهوبين يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة المستقبلية من هؤلاء الموهوبين. وفي الواقع.. فإن الأطفال الموهوبين ذخيرة يجب أن تصان ولا تبدد، فهم القوة التي تدفع البشرية إلى الأمام، وهم القلم الذي يكتب التاريخ، وهم وديعة الوطن وثروته، ومن هنا تمثل رعاية الموهوبين الأساس ونقطة الانطلاق، وما يتم صرفه على فئات الموهوبين لا يضيع هباء، بل يظهر مردوده بعد سنوات عدة في مختلف مجالات الحياة.

يختلف علماء النفس في تعريف الموهوبين، إلا انهم يتفقون على أن التفوق العقلي وارتفاع نسبة الذكاء، هما أساس التعرف عليهم، وقد أثبت علماء النفس أن نسبة من تقل كمية ذكائهم عن (٦٠) من حاصل الذكاء - وهم المتخلفون عقليا، تصل إلى (٢,٥ في المائة) من مجموع أفراد المجتمع، في حين أن الذين تتراوح نسبة ذكائهم بين (٩٠ :١١٠) - وهم متوسطو الذكاء، تصل نسبتهم إلي حوالي (٥٠ في المائة)، وأما الذين تزيد نسبة ذكائهم عن (١٣٠) - وهم المتفوقون عقليا - فلا يتجاوزون (٢,٥ في المائة) من مجموع أفراد المجتمع.

وبذلك يمكن تعريف الموهوب بأنه الفرد الذي تزيد نسبة ذكائه على (١٣٠) من حاصل الذكاء، وصفة الموهوب تعني قدرة عقلية عالية جدا، وتدل الموهبة على أولئك الذين يملكون بعض القدرات الخاصة بشكل متميز، مثل الرسم والشعر، والكتابات الإبداعية والرياضة، والحرف اليدوية، والمهارات الميكانيكية، والقيادة الجماعية.

المجتمع والموهبة

تعمل الدول المتقدمة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية على تنفيذ برامج معينة تهدف من خلالها إلى تنمية المواهب المختلفة وتطويرها، ومن هذه البرامج تلك التي تقوم على نموذج الهاءات الأربعة ٤-H programs، وتشير كل H من هذه الأربعة إلى مصطلح يبدأ بها، وهذه المصطلحات هي الرأس Head، والقلب Heat، واليدين Hand، والصحة Health.

وهي مجموعة من البرامج القومية للأطفال والمراهقين الموهوبين، تنمي المهارات الحياتية المتعددة التي تسهم في إعدادهم للحياة في مجتمع متطور، وتقوم كثير من المعاهد التابعة للجامعات الأميركية المختلفة بتطبيق مثل هذه البرامج والتطوير فيها، كما تعمل بعض المدارس على تطبيق بعض هذه البرامج، بحيث تختار المدرسة لنفسها برنامجا واحدا أو أكثر من بين هذه البرامج، ومن هذه البرامج ما يتعلق بالرياضة، أو القيادة، أو الزراعة، أو الأمور الصحية المختلفة، أو البيئة، أو تربية الحيوانات المختلفة ورعايتها من الناحية البيطرية، أو الاهتمام بالحدائق والزهور، أو التصوير، أو الحرف المختلفة، أو الفنون الأدائية، أو الفنون الجميلة Fine arts .

اكتشاف الموهبة

إن مهمة البحث عن الطفل الموهوب عملية مشتركة بين الآباء والمعلمين، فالتعاون عامل أساسي، ليس في اكتشاف الطفل الموهوب فحسب، بل في توفير الفرص له لكي ينمو روحيا وجسميا وعقليا، وعلى قدر مشاركتهما في هذه المسؤولية، يتقاسمان الفخر بهذا الطفل، وبالرضا عن أعماله، وبذلك يجمعان بين الرضا والحرص على أن يجعلا من هذا الطفل ذي المواهب النادرة شخصية متكاملة متفوقة.

ولا شك أن هناك أساليب مختلفة تُتبع للكشف عن المواهب، ومنها ملاحظات الوالدين، وترشيحات المعلمين، وترشيحات الخبراء، وترشيحات الأقران، والتقارير الذاتية، والاختبارات التحصيلية، واختبارات التفكير الابتكاري والإبداعي، إلى جانب اختبارات الشخصية.

وتمر عملية الكشف عن الموهوبين ورعايتهم

بخمس مراحل أساسية، وهي:
١- مرحلة المسح والفرز المبدئي Screening، ويتم خلالها التعرف على الأطفال الموهوبين.
٢- مرحلة التشخيص والتقييم، ويتم من خلالها التأكد من تلك الملاحظات التي أبداها الأشخاص الذين قاموا بترشيح هذا الطفل أو ذاك ليكون من الموهوبين، كما يتم تطبيق المقاييس المختلفة للحكم على موهبة الطفل، ومدى مطابقتها للمعايير الفنية، مما يجعل منه طفلا موهوبا.
٣- تقييم الاحتياجات، ويتم فيها تصنيف الموهوبين إلى فئات مختلفة بحسب مواهبهم.
٤- اختيار البرنامج المناسب والتسكين، بما يحقق أقصى استفادة للطفل من هذا البرنامج أو ذاك.
٥- التقييم، وهنا يتم تقييم الأنشطة والبرامج التي يكون قد تلقاها الطفل.

وفي الواقع نحن في العادة نكتشف الموهبة الثقافية وغيرها من المواهب مصادفة، كأن نسمع طفلا يقرأ قراءة سليمة معبرة، أو نراه في موقف خطابي معين، أو نقرأ شيئا كتبه، لكن هذا الاكتشاف ليس مهما، لأن موهبة الطفل برزت من خلال سلوكه الفني أو الثقافي، وأعلنت عن نفسها دون أن يكون لأحد دور في ذلك، ومن الممكن أن يستفيد الآباء والمعلمون من ملاحظة أي مؤشر لموهبة ثقافية أو فنية عند الطفل، ثم تأتي الرعاية والمتابعة، ويمكنهم أيضا أن يرتفعوا إلى مستوى مكتشفي المواهب، إذا امتلكوا القدرات اللازمة لمتابعة الأطفال الموهوبين.

أما القدرات والمعارف اللازمة لمكتشف المواهب الثقافية والفنية فهي تتمثل في قدرات عدة، مثل القدرة على الملاحظة المستمرة، والقدرة على إثارة الطفل الموهوب، والقدرة على المعرفة الثقافية واللغوية والفنية، والقدرة على معرفة مراحل نمو الطفل، والقدرة على معرفة صفات الطفل الموهوب وحاجاته.

ومن المتفق عليه أن الطفل الموهوب في القصة مثلا، لا يشترط فيه أن يكون موهوبا في الخطابة أو الشعر أو المقالة، ولهذا السبب يحتاج مكتشف الموهبة الثقافية أو الفنية إلى الملاحظة المستمرة، ليكتشف ميول الطفل الموهوب، كذلك ليست موهبة الطفل عامة شاملة، وإنما هي محدودة بمن هم في سنه وعمره العقلي، أي أنه موهوب بالقياس إلى أقرانه، ويؤخذ ذلك بعين الاعتبار أثناء رعاية الطفل الموهوب وتوجيهه ومتابعته.

ومن المعروف أن رعاية الموهوبين يمكن أن تتم في المدرسة من خلال الإسراع التعليمي acceleration، عن طريق تخطي الطفل صفوفا أو مقررات دراسية معينة Skipping، أو الالتحاق المبكر بالمدرسة أو بصفوف معينة، كما يمكن أن يتم أيضا من خلال الإثراء التعليمي enrichment والتجمع grouping سواء تم ذلك عن طريق المجموعات المتجانسة، أو حتى المجموعات غير المتجانسة.

ومن أهم المقاييس النفسية التي تستخدم في هذا الصدد الصورة المعدلة من مقياس وكسلر لذكاء أطفال ما قبل المدرسة وأطفال المرحلة الابتدائية (ذكاء لفظي وذكاء عملي)، أو مقياس ستانفورد بينيه للذكاء Stanford - Binet Intelligence test ، والذي يمكن استخدامه عندما يتجاوز مستوى ذكاء الطفل حدود مقياس وكسلر.

وإذا كان الطفل يستطيع القراءة وإجادة بعض العمليات الحسابية، فإنه يصبح بالإمكان استخدام اختبارات تحصيلية مقننة تم إعدادها لذلك، وإن كان يفضل أن تستخدم اختبارات شفوية في ذلك السن، أما عندما يجيد الطفل القراءة والكتابة مع إجادة الحساب فيفضل إلى جانب ذلك أن نستخدم اختبارات تحريرية.



أما فيما يتعلق بالمواهب الفنية، فإن الإنتاج الفني يعتبر الأساس في ذلك، وبالنسبة للفنون الأدائية والمهارات الحس حركية، فيمكن الحكم على الطفل أو المراهق من خلال أدائه الفعلي فيها، ويفضل أن يتم تقييم هؤلاء الأطفال بشكل فردي، حتى يمكن الحكم بدقة على مواهبهم.

أسس الرعاية والتوجيه

إن رعاية الموهبة الثقافية والفنية غير مقصورة على الاهتمام بالطفل الموهوب والتعاطف معه، فهذان الأمران مطلوبان ولكنهما غير كافيين لتنمية الموهبة الثقافية وتوجيهها، لأن الرعاية تعني العمل العلمي الواعي مع الموهوبين، وهذا العمل يستند في العادة إلى ثلاثة أسس هي:

- **تهيئة الظروف الموضوعية لنمو الموهبة.**
- **الإشراف والمتابعة والتوجيه.**
- **التنافس.**

فالموهبة تخبو إذا لم تكن الظروف المحيطة بها قادرة على تنميتها، وأهم هذه الظروف، الحرية والفردية والتشجيع، ذلك أن الموهبة الثقافية لا تنمو في ظروف القهر وسيطرة الكبير على الطفل الموهوب، وتوجيهه بحسب رغباته وآرائه، وتتيح علاقة الود بين الموهوب والمربي فرصة متابعته، ومعرفة استجابته للمواقف، والمعوقات التي تحول دون دخوله حقل الإنتاج الثقافي والفني.

ثم إن التنافس بين الموهوبين يحفز الموهبة الثقافية والفنية للتفتح، ويدفع الطفل إلى تجويد إنتاجه والتدقيق فيه، ومن البديهي ان يكون التنافس تربويا بعيدا عن الحسد والغيرة والمشكلات التي تنتج عنهما، ومتى أدرك الآباء أن طفلهم موهوب، فمن الخير أن يبادروا بالتفكير في مستقبله، وأن يرسموا خطتهم من الآن لكي يواصل ابنهم تعليمه، وألا ينتظروا حتى يتخرج من المدرسة الثانوية، والإعداد للمستقبل خطوة





الموهوبون .. ذخيرة يجب أن تصان ولا تبدد باعتبارهم القوة التي تدفع البشرية إلى الأمام والقلم الذي يكتب التاريخ

أساسية جوهرية لعدم التفريط في مواهب أبنائهم.

وتحتل الرعاية مكانة مهمة في العمل مع الموهوبين، على أن تتكامل المصادر التي تقوم بها، وتوظف جهدها للإشراف والمتابعة والتوجيه، فالأسرة والمدرسة والمجتمع هي مصادر الرعاية، وتحتضن الأسرة الموهبة، وتوفر لها حاجاتها الأساسية، وتدفعها إلى الإنتاج وتحوطها بالحرية، كما أنها تشجعها وتزيل العقبات التي تعترضها، ويجب على الوالد أن يعمل على توفير مكتبة بالمنزل كي يتعلم أولاده من خلالها، بحيث تحوي مثل هذه المكتبة كتبا وألعابا وصلصالا ومكعبات وألعابا بنائية، وإلى جانب ذلك يجب ان يعمل الوالد على تعليم الطفل المهارات المكانية والابتكارية، وتقبل المكسب والخسارة، كذلك يجب أن تصبح الأسرة أقل منعا لسلوكياته، وأقل تقييدا لتصرفاته، ما لم تخرج تلك السلوكيات عن إطارها المسموح به.

ويجب على الأم تنمية الابتكارية لدى الطفل، لأن الأم ذات الطبع المستقر تولد لدى الطفل شعورا بالأمن والطمأنينة والاستقلال، إنها تؤكد استقلاله عن طريق الحماية التي يقدمها له عطفها وحنانها، وتغدو الأم فيما بعد عونا لطفلها على تطوير قدراته واكتساب القيم، وعلى توليد معايير القيم الخاصة به، ومن المفترض أن تعي الأم كيف تساعد إسهامات العائلة في النمو الفكري والعاطفي والإبداعي والابتكاري للطفل، عن طريق تجويد البيئة العائلية التي يحيا فيها الطفل، وهو تعلم غير مباشر، كما يجب عليها ان توظف الأسرة في النمو الفكري للطفل عن طريق تقديم العوامل المهيئة للابتكار، وذلك بإيقاظ المجرى الطبيعي للنمو لدى الطفل وتوجيهه ودفعه إلى الأمام.

وقد أوضحت الدراسات تميز الأمهات المرتفعات الإبداع بالسماح لأبنائهن في سن أكثر تبكيرا بنوع من الاستقلال والسلوك الاستكشافي، وحرية اتخاذ القرارات في تصرفاتهم داخل المنزل أو خارجه.

ويجب على الوالد أن يشجع أطفاله على الاشتراك في الأنشطة المدرسية الإيجابية التي يمكنهم خلالها ان يشاركوا أطفالا آخرين متعة التعلم، وذلك كالاشتراك في الفرق المختلفة، والأعمال الدرامية، والمناظرات، ونادي الكمبيوتر، والصحافة المدرسية، وحل المشكلات المستقبلية، وسوف تساعدهم مثل هذه المشاركة الإيجابية كثيرا خلال تلك الفترة التي تسود فيها ضغوط الأقران خلال سنوات الدراسة بالمرحلة المتوسطة (الإعدادية)، والعليا (الثانوية)، وذلك في تجاوز ما يمكن ان يحدث من عقبات، وما يصادف من مشكلات.

وتحتل المدرسة المكانة الثانية في رعاية الموهوبين، ومن واجباتها فتح سجل للتلاميذ الموهوبين، تدون فيه تطوراتهم وسلوكهم الثقافي والفني، ومشاركتهم في العمل الثقافي المتميز طوال السنوات الست التي قضاها الطفل الموهوب في المدرسة الابتدائية، كالكتابة في صحف الصف والمدرسة، والخطابة في المناسبات، والنشر في المجلات، والمشاركة في المسابقات داخل المدرسة وخارجها.

ويضيف أحد الباحثين ملاحظة هامة، وهي أن الملاحظة المباشرة للطفل في ظروفه المختلفة، تعطي معلومات ثمينة عنه، لا تعطيها أي طريقة اخرى أو أي مصدر آخر، وكذلك توفير الظروف الموضوعية والمربين المؤهلين، والتشجيع، لأن مستوى الموهوبين ليس واحدا، وينبغي إثراء المناهج المدرسية بمواد إضافية لإشباع حاجات الأطفال الموهوبين، والتركيز على الطفل في عملية التعلم، لأن ذلك أصبح مطلبا أساسيا في المدرسة الحديثة، وييسر فرصة تفريد التعليم، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، وينبغي أيضا استخدام الطرق الاستكشافية في التعليم لمساعدة الطفل على إشباع حاجته للكشف والتنقيب والاطلاع والتخيل، لأن هذه الطرق تساعد على رعاية الموهبة الثقافية والفنية عند الأطفال وتنميتها، فالطفل الموهوب رجل المستقبل، وليس المطلوب سوى الإعداد لهذا المستقبل.



المراجع

- د.إسماعيل عبد الفتاح، الابتكار وتنميته لدى أطفالنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.
- د.عادل عبدالله محمد، رعاية الموهوبين، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٣م.
- د.صادق سمعان، أطفالنا الموهوبون، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م.
- بهاء الدين الزهوري، الأطفال الموهوبون ثقافيا، الخفجي، السعودية أغسطس ٢٠٠٢م.

خلود والخوف من الفضيحة

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الالكتروني suad119@hotmail.com

انهارت خلود بكاء ونحيبا وإغماء، ولا أحد يدري..فهي في غرفتها وحيدة، دخلت والدتها لترى ابنتها منهارة محطمة تبكي بحرقة، سألتها: ما بك يا ابنتي؟ فردت...هذا ما وصلنا اليه في العدد الماضي.

فقالت لوالدتها: لا شيء يا أمي، أنا أشعر بالتعب والإرهاق من عملي، كما أنني اختلفت مع صديقتي حول موضوع تافه، وهذا ما يزعجني، لا تحملي همي يا أمي، سأكون بخير، خرجت هذه الكلمات من فمها وليس من قلبها، فهي كما قالت محطمة القلب، ولكنها لم تستطع ان تبوح لوالدتها الكبيرة والمريضة بالقلب ما حل بها، خوفا من أن يحدث ما لايحمد عقباه لوالدتها.

حالة من الصمت والسرحان لثوان عدة، ثم استطردت لتقول لي: والآن يا دكتورة ماذا سأفعل؟ أرجوك ساعديني، هل هناك من حل لمصيبتي؟ هل سأعود كما كنت في السابق.. البنت العفيفة الشريفة الطاهرة؟ أم سأكون قد سقطت من أعين الناس، والكل سيعرف ما اقترفته يداي من عمل لا أتحمل ذكره؟

فقلت لها: أود أن أسالك سؤالا تجيبين عليه بكل صراحة، فقالت: ما هو؟ اسألي، فأنا هنا لأقول لك الصراحة، ولا شيء غيرها، فقلت لها: هل فعلا أنت نادمة؟ هل تبت إلى الله على ما فعلته توبة نصوحا؟ وهل لديك القوة والدافع للتخلص من هذه المشكلة التي حلت بك؟ فردت بالإيجاب، وأنها فعلا نادمة وتائبة إلى الله، وقالت: وما وجودي هنا- في مركز ثوابت للاستشارات النفسية- إلا أكبر دليل على ندمي وإصراري على التخلص من مشكلتي، وقبولي لكل ما سيطرح.

فقلت لها: الحمد لله على ذلك، وكانت نظرات الاستغراب تلوح باستفهام لما أقصد، فقلت لها: إن جوابك على أسئلتي عليه نصف الحل، وبقي النصف الآخر.

الآن يا خلود، أريد أن أصوغ ما قلتيه لي ولكن بطريقتي الخاصة، وأرجو أن تصححي لي إن أخطأت، فقالت: موافقة، فقلت لها: إنك قمت بما قمت به بحثا عن الحب المفقود والذي طالما انتظرتيه، كما انك انجرفت وراء الهوى الذي رسمه لك الشيطان، وزين لك سوء عملك، فهذه العلاقة المحرمة التي استدرجت إليها شيئا فشيئا أوقعتك في هذه المصيبة، وهذا ما أراده الشيطان الرجيم لك، ولكن مع التوبة.. فأنت الآن كالمولود الجديد، لأن التوبة النصوح تمحو الذنوب والخطايا على قدر الندم الذي يصاحبها.

- نظرت إلي بنظرات يصحبها الأمل مع ابتسامه بسيطة.

فواصلت الحديث قائلة لها: أولا: يجب أن تتأكدي أن الله غفور رحيم، يقبل التوبة عن عباده، ولهذا، أنت الآن أقوى من قبل.

ثانيا: قد كان الصحابة وهم في عصر الرسول ﷺ يقعون في الذنوب والخطايا لأنهم بشر مثلنا، لكنهم سرعان ما كانوا يسترجعون ويتوبون إلى الله ويعودون -وبقوة- إلى العمل الصالح، وأنت كذلك عليك طي هذه الصفحة من حياتك، والعودة إلى العمل الصالح الخالص لوجه الله، وبذل قصارى جهدك في العمل مع التركيز على الابداع فيه.

ثالثا: عدم الجلوس وحدك، حتى لا يأخذك تفكيرك بعيدا، وتعود ذكرى هذا الرجل لعقلك، والذي نريد منك ان تنسيه نهائيا، وأن تلغيه من حياتك.

رابعا: مخالطة الصحبة الصالحة التي تعينك على الخير، ومحاولة اختيار صديقاتك اللاتي لهن روح الفكاهة معك، حتى يخرجنك مما أنت فيه، مع ملاحظة عدم التحدث في الموضوع نهائيا مع أي شخص.

خامسا: لا تعتقدي أن كل الرجال مثل هذا الرجل الخائن، ولكن ادعي الله ان يسخر لك الصالحين من عباده، ويرزقك الزوج الصالح الذي يعينك على امر دينك، وتأكدي أن الله سيجيب الدعاء الخالص لوجهه.

سادسا: لقد تعلمت يا خلود، درسا في حياتك يجعلك حذرة انت وبنات جنسك من الوقوع فريسة سهلة لوحوش بشرية لا تخاف الله، وهذا لا يعني انك مغفلة، ولكنك الآن اقوى لأنك تعلمت كيف تتعاملين مع الناس، خاصة الشباب.

سابعا: تذكري دائما قوله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ (النور: ٣١)، وقوله سبحانه ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ (الأحزاب: ٣٢).

ثامنا: انا أعلم يا خلود أن تقديرك لذاتك اهتز هزة قوية، وهو الآن في أدنى مستوياته، فعليك الإكثار من الدعاء والصلاة والعمل الصالح حتى يمحى كل عمل سيئ قمت به، قال رسول الله ﷺ «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (رواه الترمذي)، وبذلك سترتفع قيمتك وثقتك في نفسك شيئا فشيئا بعد كل عمل طيب تقومين به.

وأخيرا: حاولي أن تعيدي نشاطاتك السابقة كلها، وأبدعي فيها وسخري وقتك لله ثم للعمل الطيب، تأكدي انك اليوم اكبر واقوى من قبل، وأنك الآن حرة، ولست أسيرة قصة وهمية دمرت جزءا من حياتك. نظرت إلي نظرة أمل تملؤها الابتسامة وقالت: كلامك طمأنني يا دكتورة، وسأحاول أن أعمل ما طلبته مني وأسال الله أن يعينني على ذلك، وسوف أوافيك بآخر أخباري.

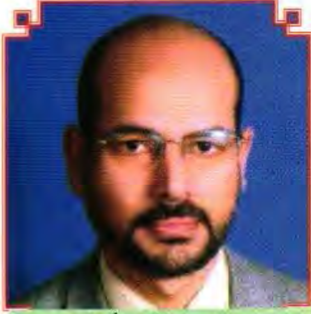
خرجت وهي مطمئنة، وكلها أمل في العودة إلى الحياة الطبيعية..حياتها الأولى.




المرأة المسلمة ومجال العلم الشرعي

ترددت في الآونة الأخيرة آراء فقهية تحرِّم ظهور المنتقبات على شاشات الفضائيات؛ بحجة أن المنتقبة تعتبر أكثر فتنة من المتبرجة، وأنها بحد ذاتها عورة، وأنها لا تمتلك من القدرات ما تعلم به النساء فضلا عن الرجال، لكونها جاهلة، وستظل جاهلة!

ولا نريد أن نتعرض هنا لقضية المرأة بشكل عام أو المجالات التي شاركت فيها على عهد الرسالة، ولا المجالات المشروعة التي يمكن أن تشارك فيها في واقعنا المعاصر، ولكن سنقتصر فقط على مجال العلم الشرعي، علما بأن عمل المرأة في كل هذا يجب أن يكون مضبوطا بالقواعد الشرعية والآداب المرعية في الخروج والملبس والزينة والحديث والمشي ومراعاة الأولويات.



وصفي عاشور أبوزيد

دراسة ماجستير عن دور المرأة في خدمة الحديث

لقد كان للمرأة على مر التاريخ في مجال العلم الشرعي بلاء حسن وسهم طيب على غير ما يتوقع كثيرون، وحسبنا أن دراسة مستقلة (رسالة ماجستير) تحدثت عن "دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى" للباحثة آمال قرداش بنت الحسين، مطبوعة ضمن سلسلة كتاب الأمة، العدد رقم (٧٠)، وهي محاولة أكاديمية (١) لإبراز وتأصيل دور المرأة وعطائها في الحياة الإسلامية، حيث كانت في تراثنا الثقافي من ورثة النبوة راوية للنص الديني الملزم، لعل ذلك يصبح دليل عمل للمرأة المسلمة في كل عصر، حيث يعتبر هذا العطاء من أعلى أنواع الأهلية وأرقى مراتب التكريم والقيمة الإنسانية، فأحكام الدين بكل ما تصوغه من حياة الناس تُتلقى وتنقل من المرأة، كما تنقل من الرجل.

دراسة عن فقيهات النساء في العهد الراشدي

وفي مجال الفقه كان لهن دور بارز، فقد وُجد في عصر الخلفاء الراشدين الكثيرُ من النساء الفقيهات؛ حيث نقل الفقهاء الرجال فقهَهن في كتبهم المدونة، ومن هؤلاء النساء الفقيهات: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وبَريرَة، وجُوَيْرية، وأم حَبيبة، وحفصة بنت سيرين، وحفصة بنت عمر، وأم الدرداء، والربَيِّع بنت معوِّذ، وزينب بنت جحش، وصفية أم المؤمنين، وصفية بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، وصفية بنت أبي عبيد، وعائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين، وعائشة بنت طلحة، وعاتكة بنت زيد، وأم عطية، وعَمرة بنت عبدالرحمن، وفاطمة بنت رسول الله، (وفاطمة بنت الحسين، وفاطمة بنت قيس، وأم كلثوم بنت أبي بكر، وميمونة أم المؤمنين، وأم هانئ، وغيرهن...(٢).

ويلاحظ د.محمد رواس قلعجي أنه لم يُنقل إلينا الكثير من فقه هؤلاء النساء لقلة توجه الرجال إليهن بالسؤال، نظرا لتوفر الرجال الفقهاء؛ ولذلك بقي فقهُهن محصورا في صدورهن أو في المجتمعات النسائية، وقد جمع قلعجي فقه هؤلاء النساء الفقيهات مما نقله الفقهاء في كتبهم، ونَقْلُ الفقهاء لفقه النساء في كتبهم- كما يقول هو- يدل على فقاهة هؤلاء النساء؛ لأن الفقهاء لا ينقلون في كتبهم إلا عن فقيه عُرفت فيه الفقاهة.

وهناك شبهة تقول "لو صار فقه النساء إلى النساء لكان فيه غير هذه الأحكام" ولأن تتبع أحكام المرأة في فقه الفقهاء أمر يطول فقد اقتصر الشيخ في هذا الكتاب على المقارنة بين فقه المرأة وفقه الخلفاء الراشدين الأربعة فقط، فقارن فقههم بفقه فقيهات النساء، وعرضه مرتبا ترتيبا معجميا، وسجل نتائج هذه المقارنة في نهاية بحثه، وحسبنا أن نعرض ما توصل إليه من نتائج مذهلة في هذا المجال.

العصر في حاجة ماسة إلى دور المرأة المسلمة الفقيهة وطالبات العلم الشرعي لسد الفراغ النسائي الفقهي

يقول في خاتمة كتابه: هذا ما جمعناه من فقه المرأة عند فقهاء الرجال (الخلفاء الراشدين) وفقيهات النساء، ومن النظر في الجداول التي صنعناها وجدنا أن الرجال انفردوا بمعالجة قضايا لم يتطرق إليها النساء، وأن النساء انفردن بمعالجة قضايا لم يتطرق إليها الرجال، ووجدنا قضايا اشترك في معالجتها الرجالُ والنساء، ولكن تساهَل فيها النساء وتشدد الرجال، وقضايا اشترك في معالجتها الرجالُ والنساء، ولكن تساهَل فيها النساء وتشدّد فيها الرجال.

إن فقيهات النساء لم يعالجن القضايا التالية، وعالجها الخلفاء الراشدون وهي:

تولية النساء الإمارة، وقتل النساء في الحرب، وما تستحقه المرأة من الغنيمة، وضرب الجزية على النساء، وحجاب المرأة المسلمة من المرأة الكافرة، وزواج المسلم بالكافرة، وتأديب الزوجات، وحق الزوجة في النفقة، والحالات التي يشرع فيها الخُلع، وطلاق ناقص العقل، وحق المرأة في الجماع والولَد، وأقلّ المهر، وتقديم حق الأم في الحضانة، وشهادة المرأة، وتأخيرُ رَجم الحامل حتى تضع حملها، ودخَول المرأة الحمّام، وتسليم الرجل على النساء، وفساد الصلاة بمحاذاة المرأة.

والمتأمل في هذه القضايا يجد

أن مبعث الكثير منها السلطة السياسية والإدارية لرئيس الدولة، ومبعث بعضها النظام العام، وهي بعيدة نسبيا عن اهتمامات المرأة، ومبعث بعضها غيرة الرجل على المرأة وحفاظه عليها.

ووجدنا أن الخلفاء الراشدين لم يعالجوا ما يلي، وعالجه فقيهات النساء:

سن البلوغ للمرأة، وتطهيرُ بولِ الغلام بالرشّ وبولُ الأنثى بالغسل، وطهارة ذيول ثياب النساء التي تمس الأرض، وما تراه المرأة من الحمرة والصفرة أثناء الحيض وأثناء الطهر، وعلامة انتهاء الحيض، وأكثر مدة الحمل، ونقض ضفائر المرأة في الغسل، ورفع المرأة صوتها بالتلبية، والتزين بنتف الشعر ووصله، وحق الرجل في الجماع، وتبرع المرأة بمال زوجها، وزيارة المرأة القبور.

والمتأمل في هذه الموضوعات يجد أكثرها موضوعات تهم المرأة، والمرأة فيها أعلم من الرجل؛ لذلك لم يبحثها الخلفاء الراشدون، وتركوا أمرها لفقيهات النساء، وبعضها الآخر مما يخجل الرجال من الكلام فيه، كحق الرجل في الجماع، وتبرع المرأة من مال زوجها.

ووجدنا في المسائل التي عالجها الرجال والنساء أن المرأة كانت متشدِّدة أكثر من الرجل في المسائل التالية:

ما تراه الحامل من الدم، فقد كان النساء يرينه حيضا، ويراه الرجال استحاضة.

وجماع المستحاضة لم يجزه النساءُ وأجازه الرجالُ.

ويرى النساء أن الرجل يملك أن يعيد زوجته المطلقة طلاقا رجعيا وأن له إرجاعها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة.

وزواج الزاني بمن زنى بها منعه النساء وأجازه الرجال.

ونفقة المرأة المعتدة من طلاق بائن أوجبها الرجال ولم يوجبها النساء.

ووجدنا في المسائل التي عالجها الرجال والنساء أن الرجال كانوا متشددين أكثر من النساء في المسائل التالية:

أذان المرأة، وإمامتها للصلاة، وإمامتها النساء في صلاة الجماعة، ولباسها في الصلاة، وتغسيل الزوجة زوجها الميت، وزكاة حليِّها، وجهاد المرأة، وتحريم الرجل زوجته على نفسه بقوله "أنت عليّ حرام"، وتزيُّن المرأة للخروج، وكحل الزينة للمحرمة بحج أو عمرة.

واختلف النساء في مسائل هي:

أين تقضي المتوفّى عنها زوجها عدتها، فبعضهن رأى أنها تعتد حيث شاءت، وبعضهن أوجب عليها ألاّ تبيت إلا في بيتها، واختلفن في إجزاء مسح الخمار عن مسح الرأس، فأجازه بعضهن، ومنعه أخريات، واختلفن في الكفاءة بين الزوجين، فاعتبرها بعضهن، ولم يعتبرها البعض الآخر (٣).

هذه نتائج دراسة قامت على تناول المسائل الفقهية على حروف المعجم، وقارن الباحث فيها فقه النساء بفقه الخلفاء الراشدين فقط، وخرج بهذه النتائج المشرفة.



كبار العلماء يتخرجون على النساء

ومن يطالع كتب التراجم والتأريخ يجد أخبار كثير من النساء في مجال العلم، اللاتي حباهن الله نور العلم والفهم، فتفتحت بصائرهن، وتخرّج في مدارسهن كبار العلماء، ومن هؤلاء، معلمة أمير الحفاظ الحافظ ابن حجر، رحمه الله، كان إذا ذكر أخته ستّ الرَّكب قال "كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء وهي أمي بعد أمي" (٤) وهي التي ربته وحدبت عليه وعلمته، وقد ماتت ولم تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها، ولكن العلم يرفع صاحبه ويعلي منزلته في الدنيا والآخرة، ويكفيها فخرا أن من تلاميذها الحافظ ابن حجر، رحمه الله، كما أن الحافظ ابن حجر قد تعلم على جماعة من النساء يشار إليهن بالبنان في العلم، حتى إنه قد قرأ على نيف وخمسين امرأة، كلهن شيوخه في العلم، فمنهن، فاطمة الدمشقية أم الحسن، وكذلك في مشايخه فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية أم يوسف، قال ابن حجر، رحمه الله "ونعم الشيخة كانت"، وكذلك خديجة بنت إبراهيم، وسارة بنت تقي الدين علي السبكي، كما جاء في معجم شيوخ ابن حجر، وأكثرُ من الحافظ ابن حجر شيوخا من النساء الحافظ ابن عساكر، رحمه الله، فقد ذكر شيوخَه من النساء فكنّ بضعا وثمانين شيخة، كما جاء في معجم شيوخ ابن عساكر.

فهل كانت المرأة في أخذها للعلم تأخذه من وراء حجاب؟! وهل كانت تدرِّسه وتلقنه للرجال من وراء حجاب؟! أم أنها كانت جاهلة لا ترتقي لأن يتخرج عليها كبار العلماء؟!

ويكفينا أن عالم التاريخ والطبقات عمر رضا كحالة حينما رصد أعلام النساء اللائي برزن وتصدرن صفوف الرموز والأعلام في تاريخنا العربي والإسلامي ترجم لثلاثة آلاف من أعلام النساء في موسوعته "أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام" في خمسة مجلدات كبيرة تجاوزت ٢٠٠٠ صفحة.

ونحن في هذا العصر بحاجة ماسة إلى أن نعيد دور المرأة المسلمة الفقيهة بحق، وطالبات العلم اللائي يأخذن العلم الشرعي عن الرجال والنساء، ثم يدرسنه بعد ذلك للرجال والنساء في ضوء الضوابط والآداب الشرعية المعروفة، إننا نريد المرأة التي تفتي عن علم وتقول في دين الله بتبحر وتوسع، وتتبوأ مكانة علمية وفقهية متميزة، عمادها العلم الراسخ والخلق الكريم، وليس مجرد الفراغ النسائي الفقهي الذي يتمدَّدنَ فيه.

الهوامش

(١) انظر مقدمة الكتاب لعمر عبيد حسنة.

(٢) فقه المرأة بين فقهاء الرجال وفقيهات النساء: ٥-٦. د.محمد رواس قلعجي. مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. طبعة أولى. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٣) فقه المرأة بين فقهاء الرجال وفقيهات النساء: ١٦٨-١٧٣.

(٤) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: ٣٠٢/٣. لابن حجر العسقلاني. تحقيق د.محمد عبدالمعيد خان. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.





الكذب عند الأطفال

علاء الدين حسن

يُعرف الكذب بأنه قول مجانب للواقع، وأول أسبابه هو الخوف من قول الحقيقة، ويبدأ الكذب منذ لحظة الطفولة الواعية، فعندما يسلك الطفل سلوكاً سيئاً يستوجب العقاب، فإنه يكذب ليدفع عن نفسه هذا العقاب، فإذا نشأ الطفل في بيئة تلتزم الحق والأمانة فإنه سيمتثل الصدق.

أسباب الكذب

قد لا يستطيع الطفل في سنواته الأولى أن يميز بين الحقيقة والخيال، وهنا يجب على الوالدين أن يتركا الولد مسترسلاً في خياله، ولكن مع مراعاة الخلل الأخلاقي الذي قد يرافق الحديث الخيالي.

وقد يكذب الطفل بدافع الغيرة أو التقليد أو غير ذلك.. المهم بالنسبة للأبوين أن يميزا بين الخيال المبدع والغش المقصود، فالطفل يهرب إلى تصورات خيالية تقوم مقام التعويض في واقع يصعب احتماله، كما يقول بيير داكو في «انتصاراته المذهلة».

ويحذر علماء التربية والنفس من أن تقول الأم لولدها إنه يكذب حين يروي لها الحكايات عن أصدقائه، أو يبتكر حكايات من خياله.

ومن بين الأسباب العامة للكذب عند الأطفال، الدفاع عن النفس للتهرب من النتائج غير السارة للسلوك، والتفاخر والتباهي كي يحصل على الإعجاب والاهتمام وينال مكاسب شخصية.



من الطفولة إلى المراهقة

بعض الأطفال ينمو لديهم الميل للكذب حتى سنّ المراهقة، ويرتبط بالعديد من الممارسات الأخرى بسبب النمو الفيزيولوجي والعقلي السريع، وبسبب رغبة المراهق في الاستقلال واكتساب قيم غير واقعية تجعله يطلب الكمال، وينتقد الأبوين على واقعيتهما، وهذا أمر عارض في الغالب، فالمراهق قد يرغب في جذب الانتباه، فيتخيل كل أنواع الروايات ويلعب فيها دور البطل، ولدى ثبوت هذه العادة يأخذ المراهق في الكذب بشكل مستمر.

والأطفال والمراهقون المصابون بنوع معين من الطفولة النمطية يعانون من الميل للكذب، وهم يكذبون في حماسة، ويصنعون قصصاً وروايات لم تحدث، وعندما ينتهون منها ينسون تفاصيلها، ولا يستطيعون إعادة سردها ثانية، لذا سرعان ما ينكشف كذبهم، ولكن هذا لا يزعجهم ولا يشعرون بالخجل إزاءه.

أنواع الكذب

الكذب الإيهامي: وهو نوع من أنواع التسلية بالنسبة للطفل، ويكثر بين الرابعة والخامسة من العمر، ويعود سببه إلى سعة خيال الطفل، ويُنصَح بالاهتمام بالقصص التربوية وعدم المبالغة في القصص الخيالية، حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق.

الكذب الدفاعي: وهو أكثر أنواع الكذب انتشاراً بين الأطفال، إذ يلجأ إليه الطفل خوفاً مما قد يقع عليه من عقاب، خاصة إذا كان العقاب جائراً، وقد يدمن الطفل هذا النوع من الكذب عندما تواجهه نوبات القلق والتوتر.

الكذب الالتباسي (الخيالي): ويعود سببه إلى أن الطفل لا يستطيع التمييز بين ما يراه حقيقة، وما يدركه في مخيلته، فكثيراً ما يسمع الطفل قصة خرافية فيسارع إلى سردها وكأنها حدثت في الواقع، وهذا النوع من الكذب يذهب تلقائياً، وهو لا يدل على انحراف سلوكي أو مرضي.

الكذب الانتقامي: ويلجأ إليه الطفل والمراهق ليتهم غيره اتهامات كاذبة يترتب عليها عقابه، وهو من أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل؛ لأنه ينمُّ عن حقد وحسد، وهنا يجب على الآباء والمربين أن يقابلوا الاتهامات بحذر شديد، وتحقق دقيق.

الكذب الادعائي: ويلجأ إليه الطفل بدافع المفاخرة، ويكون إما بالقول و إما بالفعل، وينبغي على الآباء أن يعالجوا هذه الحالة بتوضيح الحقائق، وإشباع الحاجات النفسية للأبناء باللعب والتسلية

ضرورة تنمية الوعي الذاتي عند الطفل وتشجيعه على الصدق وتوجيه سلوكه نحو الأعمال التي تتناسب مع قدراته



المفيدة.

الكذب من أجل الامتلاك: وهنا يكذب الطفل ليستحوذ على بعض الأشياء التي يرغب فيها ولا يتمكن من الحصول عليها بالوسائل الصحيحة.

الكذب اللاشعوري: ويسميه البعض كذب العقدة النفسية، ومثال ذلك: أن يكذب الطفل أو المراهق على مدرِّسيه دون سبب ظاهر.

كذب التقليد: يكون هذا النوع من الكذب تقليداً للناس الذين يعيش الطفل معهم، كالآباء والأمهات أو أحد الأقران الذي يعجب الطفل بشخصيته.

علاج الكذب

إنَّ علاج الكذب بالضرب أو السخرية غير مفيد، وقد وجدت حالات كثيرة قام فيها الوالدان بعتاب الطفل بشدة فأدى إلى ردّ فعل عكسي، فالتعامل مع الطفل الكذوب يحتاج إلى صبر وتحمّل، ويلعب الوسط الاجتماعي الدور الحاسم في العلاج، فينبغي أن يكون الآباء والمربون والمعلمون على وعي بكذب الطفل وفهم دوافعه، لأن ذلك يساعد على تحجيم المشكلة، كما يجب تجنب الظروف التي تشجع الكذب.

ويجب عند علاج الكذب أن نستخدم رؤية متكاملة تشمل الجوانب البيولوجية والاجتماعية والسلوكية، و يجب التسامح مع الطفل في بعض المواقف، مع بيان خطئه وإعطائه الفرصة الكافية ليصحح ما يقع فيه من خطأ، كما يجب أن نلبي حاجات الطفل النفسية الضرورية من حب وحنان، فذلك يساعده على الصراحة والصدق.

ويجب على الآباء أن يفوا بوعودهم مع أطفالهم؛ لأن عدم الوفاء بالوعد يعوِّد الطفل على الكذب، كما يجب عدم الاستهانة بكذب مرحلة الطفولة، وعليهم أن يعلموا أطفالهم أن الصدق بكل أشكاله هو أمر أخلاقي وبنَّاء للشخص نفسه وللآخرين، وأن يوضحوا لهم أن الاحترام المتبادل والثقة تبنيان على الاتصال الصادق بين الأفراد، وأن كلمة الصدق لها أهمية كبرى، وعليهم أن يقصُّوا على أطفالهم قصصاً مسلية في هذا الشأن، كقصة «الراعي الكذاب» الذي صعد في يوم من الأيام إلى رابية وصاح: الذئب.. الذئب.. فهبَّ القوم لنجدته، ولكنهم- للأسف- لم يجدوا الذئب، بل وجدوا كذبة انطلقت في الهواء بعد أن صدرت من راع كذاب، وعندما أعادها ثانية وصاح ملء صوته: الذئب.. الذئب.. لم يصدقه أحد، وكان الذئب هذه المرة حقيقة، فكانت الكارثة.

كما يجب على المربين تنمية الوعي الذاتي عند الطفل، وتشجيعه على الصدق، وتوجيه سلوكه نحو الأعمال التي تتناسب وقدراته الطبيعية، واستشارة الاختصاصي في مجال السلوك عندما يزداد كذب الطفل.

وأخيراً فقد جاء في التنزيل الحكيم: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا﴾(الاحزاب:٧٠)، ومن الهدي النبوي «إنَّ الصدق يهدي إلى البِر...» (متفق عليه).

المصادر

١- الصحة النفسية- د.محمد قاسم عبدالله- كلية الآداب والعلوم الإنسانية في حلب /١٩٩٧ م.
٢- أطفالنا- مرزوق الباشا- دار المامون بدمشق/ ١٤٢١ هـ.
٣- مشكلات الأطفال- د.أحمد محمد- دار الفكر/ دمشق ٢٠٠٥ م.
٤- الكذب عند الأطفال- أميمة عزالدين- المجلة العربية- العدد ٨٩١.
٥- الكذب عند الأطفال - وفيق مختار- مجلة القافلة- ذو الحجة ٧١٤١.
٦- لماذا يكذب الأطفال؟- ملاك جرجس- مجلة العربي- آيار ٦، ٨٩١٠- عبدالرحمن العيسوي «٢٠٠٥» علم النفس ومشكلات الفرد، منشأة المعارف- الاسكندرية.

من قواعد الدعوة الى الله

محمد سعيد أبوحوية

المسلمون من دون دعاة الى الله جهال تتخطفهم شياطين الانس والجن من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات من كل جانب، لذلك كان الدعاة الى الله مصابيح الدجى وأئمة الهدى وحجة الله في أرضه، بهم تمحق الضلالات وتنقشع الغشاوات، هم ركيزة الايمان وغيظ الشيطان، هم قوام الامة وعماد الدين، هم امناء على دين الله يدعون الناس الى الله بلسان صادق وجنان ثابت، وخلق كريم، اعمالهم تؤكد اقوالهم، هم اسوة ونبراس يصلحون ما فسد ويقومون ما اعوج، لا يستخفون من الناس ولا يخشون أحداً الا الله ولا يقولون الا حسناً (١).

ولن يفلح الدعاة الى الله في دعوتهم الا اذا اتبعوا النبي ﷺ الذي عصمه الله عن الخطأ في الاقوال والافعال والأحوال، وأوحى اليه وحياً متلوا وغير متلو، وألزمنا ان نأخذ منه كل ما امرنا به وان ندع كل ما نهانا عنه، وان نتأسى بمواقفه وسيرته لانه القدوة والاسوة.

وللدعوة الى الله قواعد واصول نستخلصها من سنة النبي ﷺ التي تشتمل على اقواله وافعاله وإقراره، فمن تلك القواعد:

القدوة قبل الدعوة

كان ﷺ عابداً متحنثا قائداً فذاً شيد أمة من الفتات المتناثر، ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش، وأبا عطوفا تملأ نفسه مشاعر محكوميه، يمنحم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم، ومع هذا كله فهو قائم على اعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للانسان وجوده الكامل، وتغلغلت في كيانه كله ورأى الناس الرسول الكريم صلوات الله عليه تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها (٢).

رأوها متمثلة فيه ولم يقرأوها في كتاب جامد بل رأوها في بشر متحرك، فتحركت لها نفوسهم، وهفت لها مشاعرهم وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم كل بقدر ما يطيق فكان اكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي قبل ان يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به، لأن القدوة هي اعظم وسائل التربية، ذلك لان دعوة المترف الى التقشف دعوة ساقطة، ودعوة الكذوب الى الصدق دعوة مضحكة، ودعوة المنحرف الى الاستقامة دعوة مخجلة، لذلك كانت مواقف النبي ﷺ وشمائله وفضائله ومكارمه قدوة صالحة واسوة حسنة ومثلا يحتذى وهي ليست للاعجاب السلبي ولا للتأمل التجريدي ولكنها وجدت فيه لنحققها في ذوات انفسنا كل بقدر.

يستطيع الانسان ان يكون عالما جهبذا في الطب او العلوم من دون ان تتطلب هذه العلوم ممن يتعلمها قيدا سلوكيا، ولا يفسد حقائقها ان يتبع النابغ فيها هوى نفسه في حياته الخاصة، إلا علم الدين فانك ان كنت من المتدينين المخلصين او من علمائه او الداعين اليه فلا بد من ان تكون قدوة حسنة لمن تدعوهم اليه وإلا ما استمع اليك احد ولو كنت اكثر الناس اطلاعاً وعلماً في دين الله ولن ينظر اليك احد نظرة احترام جديرة بك الا اذا كان سلوكك وفقا لقواعد الدين.

> **الإنسان يستطيع أن يكون عالماً في جميع العلوم دون التقيد بسلوك إلا علم الدين الذي يتطلب القدوة الحسنة**

الاحسان قبل البيان

لقد علمنا النبي ﷺ ان نكون رحماء قبل ان نكون اوصياء، فمن لا يرحم لا يرحم قال تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فالنفوس جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها، فهو فتح اقفال القلوب برحمته ورفقه حتى لانت القلوب القاسية واستقامت الجوارح العاصية.

الترغيب قبل الترهيب

لقد علمنا النبي ﷺ ان نقدم للمدعو الترغيب قبل الترهيب والتبشير قبل الانذار، وان نرغبه في الاخلاص قبل ان نرهبه من الرياء، وان نرغبه في طلب العلم ونشره قبل الترهيب من الاعراض عنه وكتمانه، وان نرغبه في الصلاة في وقتها قبل الترهيب من تركها او تأخيرها لان تقديم أسلوب الترغيب يكون انفع وأجدى من تقديم اسلوب الترهيب.

يروي عدي بن حاتم الطائي عن نفسه فيقول: ما من رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله ﷺ حين يذكر مني، وكنت ملكا في قومي فلما التقيت به قال لي «لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم (أي فقر المؤمنين) فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، تقول انما اتبعه ضعفة الناس فو الله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف احداً الا الله، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك

والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض في ارض بابل قد فتحت عليهم، قال عدي فلما سمعت ذلك اسلمت» (أورده ابن كثير في البداية والنهاية).

القاعدة الرابعة: التيسير قبل التعسير

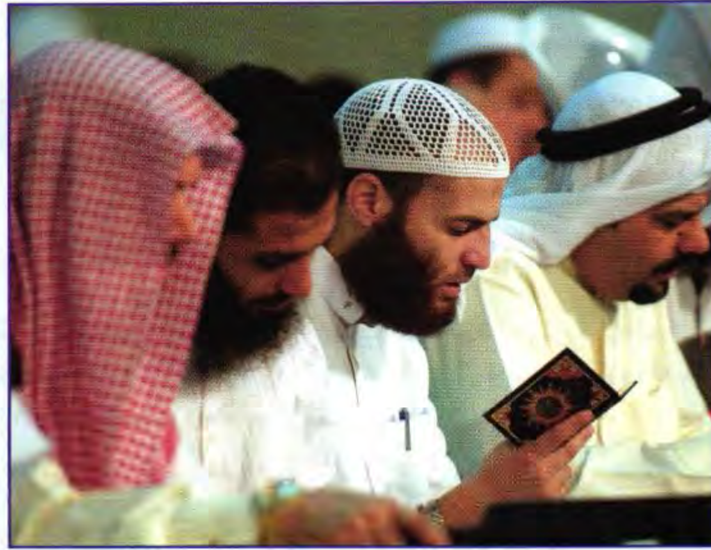
لقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام ان نيسر ولا نعسر وان نبشر ولا ننفر فقد ورد عن النبي ﷺ قوله «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (متفق عليه)، قال النووي «لو اقتصر النبي ﷺ في قوله على «يسروا» لصدق على من يسر مرة وعسر كثيرا»، فلما قال ولا تعسروا فلكي نتجنب التعسير في كل الاحوال» وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن تكليف الناس ما لا يطيقون ليستمر سيرهم في طريق الايمان.

فالداعية المتبع لسنة النبي ﷺ يأخذ نفسه بالعزائم ويسمح للمدعوين بالرخص تخفيفاً عليهم وتيسيرا لهم، قال ﷺ «عليكم بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا» (متفق عليه).

التربية لا التعرية

لقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام من خلال اقواله وافعاله ومواقفه من اصحابه في جميع احوالهم ان الدعوة مهمة تربوية اساسها النفسي الحب الصادق والرحمة الواعية والشفقة الحانية على المدعو، واساسها العقلي المعرفة الدقيقة والعميقة والشاملة لطبيعة النفس الانسانية في قوتها وضعفها، في تألقها وفتورها، في اقبالها وادبارها.

لما تجهز رسول الله لفتح مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة الى اهل مكة يخبرهم بذلك وقال لهم: ان رسول الله يريد ان يغزوكم فخذوا حذركم، ثم ارسل الكتاب مع امرأة مسافرة، فنزل الوحي على رسول الله ﷺ يخبره بذلك، قال علي: فبعثني رسول الله ﷺ انا والزبير والمقداد وقال: انطلقوا حتى تأتوا موضع خاخ فإن به ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى اتينا الروضة، فاذا نحن بالظعينة، قلنا لها أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها -اي من ضفائر شعرها- فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه: من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض امر رسول الله. فقال رسول الله «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل علي، اني كنت امرءاً ملصقا في قريش وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم، ان أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام، فقال



رسول الله: «انه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال «انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم» (متفق عليه).

انه القلب الكبير والصدر الواسع والمتفهم العميق للحظة ضعف طارئة ألمت بهذا الصحابي وأراد النبي ﷺ من هذا الموقف الرحيم ان يعينه وينهضه من عثرته.

مخاطبة العقل والقلب

علمنا النبي ﷺ من خلال سنته وسيرته ان الانسان عقل يدرك وقلب يحب، وان العقل غذاؤه العلم، وان القلب غذاؤه الحب، وان العقل امير القلب.

لذلك كان النبي ﷺ يخاطب العقل في الانسان، فعن ابي امامة رضي الله عنه ان شابا اتى النبي رضي الله عنه فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ «قربوه، فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام: أتحبه لامك. قال: لا جعلني الله فداك. قال عليه السلام: كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم. اتحبه لاختك؟ قال لا جعلني الله فداك. قال عليه السلام: كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم، ثم ذكر له العمة والخالة ثم وضع النبي ﷺ يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا (صححه الألباني).

واذا كانت مخاطبة العقل تحدث قناعة فان مخاطبة القلب تحدث موقفا، لقد خاطب النبي عليه الصلاة والسلام الانصار الذين وجدوا عليه في انفسهم عقب غزوة حنين وتوزيع الغنائم، قال لهم «يا معشر الانصار، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، أوجدتم يا معشر الأنصار في انفسكم من اجل لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم، عندئذ بكى الانصار حتى اخضلوا لحاهم» (متفق عليه).

وهكذا نجد ان للدعوة الى الله قواعد استنبطت من سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فهو سيد المربين وامام المعلمين.

قال تعالى ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

الهوامش

١- الدعوة قواعد واصول. تأليف جمعة أمين عبدالعزيز (ص١٠٩).
٢- المرجع السابق.

الصحافة في فكر رواد النهضة المسلمين

مصطفى عاشور

واجه العالم الإسلامي مجموعة ضخمة من التحديات مع بداية صدمته الأولى بالعالم الغربي إبان الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م، وكانت الأسئلة الأولى مطروحة حول التقدم ووسائل النهوض الحضاري، لكنها لم تكن ضاغطة بالدرجة التي عانى منها المفكرون والمصلحون في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

ففي منتصف القرن الثامن عشر ظهرت مجموعة من الدعوات الإصلاحية في أطراف العالم الإسلامي بعيدا عن مراكز الثقل الثلاثة في الخلافة العثمانية أو ما يسمى بمحور (استانبول-دمشق- القاهرة) وكانت الحركات التي قامت كلها تجديدية إصلاحية تهدف- في غالبيتها- إلى العودة إلى أصول الدين لتنقيتها، فظهرت في الهند دعوة ولي الدين الدهلوي (ت-١٧٦٢م)، وظهرت في اليمن دعوة الإمام الشوكاني (ت-١٨٢٣م)، وفي العراق الشهاب الألوسي (١٨٥٤م)، وفي المغرب محمد بن علي السنوسي (١٨٥٩)، وفي السودان دعوة المهدي (١٨٨٥م)، فكانت الدعوات الإصلاحية ظاهرة عامة في ذلك الوقت تهدف إلى التجديد وتنقية المعتقد وفتح باب الاجتهاد.

لذا فإن الفكر الإصلاحي- كما يقول المؤرخ المستشار طارق البشري- شيد تحت خط النار، فالأفغاني هو واضع اللبنات الأولى لفكرة مقاومة الاستعمار، أما الإمام محمد عبده فهو واضع النموذج الفكري لما يمكن تسميته مقاومة القابلية للاستعمار، ويبقى لهذين الرائدين الأثر الأكبر في سائر الأعمال والرواد والمدارس والأفكار والمصلحين الذين ظهروا بعد ذلك، والذين كانوا تجليات لهاتين المدرستين الكبيرتين.

وكانت الصحافة من أهم الأدوات التي لجأ إليها المصلحون في تلك الفترة سواء كوسيلة لمقاومة الاستعمار أو وسيلة لبعث روح اليقظة والنهوض والتجديد في نفوس المسلمين، وكان من أهم تلك الصحف وأبرزها صحيفة «العروة الوثقى» التي أصدرها الشيخ جمال الدين الأفغاني والإمام الشيخ محمد عبده، حيث أصدراها من باريس من غرفة صغيرة متواضعة فوق سطح أحد منازل، حيث كانت تلك الغرفة مقرا للتحرير وملتقى الأتباع والمؤيدين.

ولقد أزعجت تلك الصحيفة الإنجليز، وأثارت مخاوفهم كما أثارت هواجس الفرنسيين، إذ كانت تدعو إلى مناهضة الاستعمار والتحرر الوطني، لكن الإنجليز أخمدوا صوتها، فاحتجبت بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا في ثمانية أشهر.

ولكن إدراك الإمام محمد عبده لأهمية الصحافة في إطار المشروع الإصلاحي جعله يغتنم الفرصة للتفاعل مع الصحافة، فعندما أسند إليه تحرير صحيفة «الوقائع المصرية» التي كانت تنشر القوانين المصرية، خصص جزءا منها لينطق بالمبادئ الإصلاحية التي كان يدعو إليها، واستمر على هذا الحال قرابة العام والنصف.

ومن المصلحين الذين لعبت الصحافة دورا في حياتهم الشيخ عبدالعزيز جاويش (١٨٧٦-١٩٢٩م) الذي تولى رئاسة تحرير جريدة «اللواء» الوطنية في مصر، والتي كانت تناهض الاستعمار الإنجليزي، وعندما تولى ذلك المنصب كتب:«باسمك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ومطيتها الدهان والتلبيس.. وبيمينك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة، حياة الصراحة في القول، وحياة الجهر بالرأي، حياة الإرشاد العام»، وظلت الصحافة وسيلة مهمة للشيخ جاويش في تبليغ رسالته الإصلاحية، فعندما اضطر إلى مغادرة مصر تحت ضغط الاحتلال الإنجليزي، أنشأ في تركيا صحيفة «الهلال العثماني»، وجعل هدفها الدفاع عن حقوق مصر في الحرية والاستقلال ومناهضة الإنجليز في كل مكان، وبعدها أصدر جريدة «الحق يعلو».

ومن العلامات البارزة في تاريخ الصحافة الإصلاحية الدور الذي لعبه أحمد أمين، الكاتب الكبير، صاحب فجر الإسلام والذي تولى رئاسة تحرير مجلة «الثقافة» في (ذي الحجة ١٣٥٧هـ- يناير ١٩٣٩م) والتي تعد من أهم المجلات الثقافية التي صدرت في تلك الفترة، واستمرت في الصدور أربعة عشر عاما متوالية، وكان يكتب فيها مقالا أسبوعيا في مختلف مناحي الحياة الأدبية والاجتماعية، وكانت ثمرة هذه الكتابات كتابه الرائع «فيض الخاطر» بأجزائه العشرة.

وتأتي مجلة «المنار» التي أنشأها الشيخ رشيد رضا كأهم مجلة إصلاحية، بل كانت مجلة تعبر عن تيار إصلاحي كان له أكبر الأثر في حياة المسلمين، فلم يكد يمضي شهر على نزول الشيخ رشيد رضا القاهرة قادما من الشام، حتى صارح شيخه محمد عبده بأنه ينوي أن يجعل من الصحافة ميدانًا للعمل الإصلاحي، ودارت مناقشات طويلة بين الإمامين الجليلين حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع، وأقنع رشيد شيخه بأن الهدف من إنشائه الصحيفة هو التربية والتعليم،

ونقل الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والخرافات والبدع، وأنه مستعد للإنفاق عليها سنة أو سنتين دون انتظار ربح منها.

أما العلامة عبدالحميد بن باديس في الجزائر فقرر أن يقاوم الاستعمار بأساليب عدة من بينها الصحافة، وكانت الصحف التي يصدرها أو يشارك في الكتابة بها من أهم وسائله في نشر أفكاره الإصلاحية، فأصدر جريدة «المنتقد» سنة(١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م) وتولى رئاستها بنفسه، لكن الاحتلال عطّلها، فأصدر جريدة «الشهاب» واستمرت في الصدور حتى سنة (١٣٥٨هـ-١٩٣٩م) واشترك في تحرير الصحف التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثل «السنة» و«الصراط» و«البصائر».

وفي الشام نجد العلامة محمد كرد علي الذي عُهد إليه بتحرير مجلة الشام الأسبوعية، وهي أول مجلة تظهر في دمشق في بداية العشرينيات من عمره، فعمل بها إلى سنة(١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م)، ثم أنشأ بعد ذلك جريدة يومية باسم «المقتبس» كما أعاد إصدار مجلة المقتبس الشهرية التي كان قد أصدرها بالقاهرة، لتكون لسان حال الثقافة الرفيعة، وكانت الجريدة اليومية «المقتبس» صوت حرية وسوط عذاب على الظلم والاستبداد، وكانت مقالاته تحارب الجهل والجهلاء، وتدعو إلى التحرر من الخرافات، وتنادي بالإصلاح والتجديد، والأخذ بوسائل المدنية الحديثة، وإحياء التراث النافع، ومعرفة التاريخ المجيد للأمة، حتى تستلهم منه روح البعث والنهوض.

وعندما أنشئ «المجمع العلمي العربي» للنهوض باللغة العربية وآدابها، وهو أول المجامع اللغوية ظهورا، أنشأ له مجلة رصينة، صدر العدد الأول منها في(٢١ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٩هـ- ٢ من يناير ١٩٢١م) وتعد من أهم المجلات العربية.



المهمة الأولى للصحافة الإصلاحية تجلت في مقاومة الإستعمار وبعث روح اليقظة والنهوض والتجديد في نفوس المسلمين

وفي الهند نجد المصلح الهندي الكبير أبوالكلام آزاد الذي كان يسميه الزعيم الهندي نهرو صاحب الإمامتين- إمامة الدين وإمامة السياسة- والذي تأثر بمنهج الشيخ رشيد رضا ومجلته المنار، وأدرك دور مجلة العروة الوثقى في إلهاب شعور المسلمين ضد الاستعباد والاستبداد، فأصدر مجلة «الهلال» التي اتخذها منبرا لدعوة المسلمين إلى التحرر العقلي والسياسي، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية حتى يفهمه المسلمون في الهند، ولا يعيشوا في عزلة عن معانيه.

وصدرت الهلال أسبوعية، وصدر عددها الأول من «كلكتا» في (٢٦ من جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ- ١٢ من يونيو ١٩١٢م) وأنشأ مطبعة خاصة لها، وحققت قبولا واسعا في أوساط المسلمين، وبلغت كمية توزيعها٢٥ ألف نسخة أسبوعيا، وكانت نقطة تحول في تاريخ الصحافة في الهند، وفي واقع المسلمين، فكانت مدرسة في التدين القويم والوطنية والحرية. ولم يستطع الإنجليز أن يسكتوا طويلا عن النهضة الفكرية والروحية التي أحدثتها «الهلال» فقرروا إغلاقها في (شعبان ١٣٣٣هـ- يونيو ١٩١٥م) لكن آزاد لم يحطم قلمه، ولم ينكسر قلبه العاشق للحرية، فلم تمض شهور قليلة حتى أصدر مجلة «البلاغ» في (٤ من المحرم ١٣٣٤هـ- ١٢ من نوفمبر ١٩١٥م) لكن سرعان ما أغلقت بقانون الطوارئ بعد أشهر عدة من صدورها.

وفي الهند نجد-أيضا- المصلح الكبير أبا الأعلى المودودي الذي اشترك مع مدير جمعية علماء الهند في إصدار جريدة «مسلم» في دلهي، وصار مديرًا لتحريرها لمدة ثلاث سنوات حتى أغلقت عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢م) ثم تولى الإشراف على إصدار جريدة تصدرها جمعية علماء الهند تحمل اسم الجمعية، وظل يتحمل وحده عبء إصدارها حتى سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨م)، وفي عام(١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) أصدر مجلة «ترجمان القرآن» من حيدر آباد الركن، وكان شعارها «احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلقوا فوق العالم».

وفي روسيا نجد المصلح التتري اسماعيل كسبرالي (المتوفى ١٩١٤)، حيث آمن كسبرالي بدور الصحافة في تشكيل وعي الأمة فسعى إلى إصدار صحيفة تعرض لأفكاره الإصلاحية، رغم أن المسلمين التتر يعانون ضعف المستوى التعليمي وانتشار الأمية.

وكان هدفه تقديم الصورة الواقعية للثقافة الروسية أمام المسلم، وتقديم الصورة الحقيقية للمسلم أمام القارئ الروسي، واختار للصحيفة مسمى «بيريفوتشيك» كعنوان للطبعة الروسية و«ترجمان» كعنوان للطبعة التركية، وكلاهما يعني المترجم وهو ما يمهد لبناء ثقافة للتقارب.

واستعان كسبرالي بالتجار للمساهمة معه في إصدار الصحيفة، ولذا رحل إلى المركز التجاري الأكبر في روسيا «نجني نوفجورد» وهو المركز الذي يأتيه التجار من كل أطراف روسيا وجلهم من التتر المسلمين، ووافق٢٥٠ تاجرا منهم على دفع اشتراك عام مقدم، واستطاع الحصول على تصريح بالصحيفة، وخرج العدد الأول من صحيفة «الترجمان» في(١٠ إبريل ١٨٨٣م) ومضت السنوات الأولى للترجمان في حالة عدم استقرار مادي، غير أن زوجته(زهرة هانم) وقفت إلى جانبه مستندة إلى أموال أسرتها.

إصلاح المؤسسات التعليمية وأجهزة البحث العلمي قاطرة التقدم للعرب والمسلمين

أ. د. محيي الدين عبدالحليم

كيف يمكن أن يسهم التعليم في تنمية المجتمع العربي في غيبة مؤسسات قادرة على بناء الانسان؟ ودون تهيئة مناخ مناسب لتحقيق هذه الغاية؟ ذلك أنه باستعراض مستوى المعلمين والدارسين لدينا، فاننا سنصاب بالاحباط واليأس بسبب تدني مستوياتهم الفكرية وقدراتهم الذهنية وأوضاعهم الثقافية.

وقد أصابني حزن شديد حين تم توجيه سؤال لمدرس لغة عربية عما يعرفه حول الازمة الاقتصادية الحالية التي تسود العالم، فقال لي «رحم الله امرؤ عرف قدر نفسه»، بضم الراء والواو، وأجاب معلم آخر عن سؤال حول حديث لرسول الله ﷺ حث فيه المسلمين على طلب العلم، فقال «اطلبوا العلم حتى الممات»، أما معلومات معظم خريجي الجامعات والمعاهد في كثير من ميادين العلم والمعرفة التاريخية والجغرافية والعلمية فحدث ولا حرج، إنهم لا يعرفون شيئا عن الخلايا الجذعية والجينات البشرية، والمواقع التاريخية، والقارات التي تضم دولا اسلامية كالصومال وموريتانيا وألبانيا، والقائد الذي حرر القدس من الاحتلال الصليبي صاحب معركة حطين، إن معظمهم يجهل هذه المعلومات، في حين انهم يعرفون المطربين ونجوم كرة القدم حق المعرفة.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو، لماذا تخلف احفاد الخوارزمي وجابر بن حيان وابن بطوطة والحسن بن الهيثم في ميادين الثقافة والمعرفة والبحث العلمي؟ وما الذي اصاب العقول العربية؟ لماذا تجمدت هذه العقول أمام ثورة العلوم والتكنولوجيا؟ ولماذا نستورد طعامنا ولباسنا؟ ونعتمد على المنتج الأجنبي في حين أننا نملك الثروات الهائلة والأراضي الواسعة، والأنهار التي تتدفق عبر أراضينا، والينابيع التي أنعم الله بها علينا، والثروة البشرية الهائلة التي تجاوزت ٢٥٠ مليون نسمة، هذا في الوقت الذي نرى فيه إسرائيل تصدر الفواكه والخضروات والالكترونيات، كما تمتلك المفاعلات النووية، ومساحتها لا تصل الى ربع مساحة السودان او الجزائر او ليبيا.

فهل يليق بنا وقد عبرنا بوابة القرن الواحد والعشرين أن نرى معلماً للتاريخ لا يعرف المواقع والأحداث والشخصيات التي غيرت وجه الحياة في العالم، هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الأبحاث العلمية أن المعارف التي يتم غرسها في عقول التلاميذ تختلط بدمائهم وتصبح جزءا من مكونات شخصيتهم ويصعب انتزاعها منهم، ومن ثم فإنه لا يمكن إذن أن ننهض بالعملية التعليمية في ظل قيادات جاهلة أو معلمين فقدوا الضمير الانساني والانتماء الوطني والملكة التدريسية.

لقد أصبح التعليم في كثير من المؤسسات المنوطة به تجارة رائجة تقوم على الابتزاز والسلب والنهب، فما الذي ننتظره من معلم جاهل أو مناهج متخلفة أو كتاب مدرسي أو جامعي يقوم بتسطيح المعارف والأفكار، أو يتم فرضه على الطالب، فيحصره في مساحة ضيقة من المعلومات المتواضعة التي تقتل فيه ملكة الابتكار والإبداع بدلا من أن تفتح أمامه آفاق الحياة المعاصرة في مختلف الميادين! إنه لا يحب الاتصال برواد الفكر والمعرفة وقادة الرأي، وهكذا نرى أن التعليم اصبح يقوم على الحشو والحفظ واختزان المعلومات النمطية، وقد أصبح نظام الامتحانات يصيب الدارس بالرعب كلما اقترب موعده كأنه سيف مسلط على الرقاب.

والأخطر من ذلك هو خضوع العملية التعليمية لسياسات تستهدف إرضاء صناع القرار حتى لو أدى ذلك الى قتل الابداع واجهاض الفكر وتعطيل ملكة الاجتهاد والرأي، في حين ان الاصل في التعليم تهيئة الطالب للعمل القيادي من خلال مناهج دراسية تمكنه من مواجهة الحياة بكل ابعادها، وتمكنه من تناول قضايا المجتمع بالأسلوب العلمي بدلاً من أسلوب الحفظ والتلقين الذي يصبّ الطالب في قوالب جامدة وأساليب عتيقة تجاوزها الزمن، أو تقوم بتقليد أنظمة تعليمية أجنبية، ونقلها دون تدبر أو تبصر، ودون النظر الى مرجعية المجتمع الذي يعيش فيه الدارسون، والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحكم شكل الحياة لديهم بدلا من الانظمة الحالية التي تلعب حول الحواشي والمتون، وهي أنظمة تعيش في غرف مغلقة بعيداً عن الواقع.

وإذا كنا نتطلع الى تطوير التعليم الديني فإن مناهجه لا بد ان تواكب معطيات العصر وثورة العلوم والتكنولوجيا، كما ان تطوير التعليم المدني لا بد ان يشتمل على دراسة العقيدة والتراث وأصول الفقه وتفسير القرآن وعلوم الحديث والمذاهب الفقهية، وهي مواد لا تحتل أهمية تذكر في المناهج التعليمية، وذلك لمواجهة التعليم الأجنبي الذي ينتشر بصورة وبائية في العالم العربي، هذا اللون من التعليم الذي يغرس في الطالب الانتماء الى الثقافة والتراث، أما اللغات الأجنبية بكل ما تحمل من مفاهيم وأفكار

فإنها لا تربط الطالب بالثوابت القومية والعقيدة الإسلامية ومرجعية الأمة.

وتشير الدراسات العلمية الى ان التعليم هو قاطرة التنمية، وهو الطريق الامثل لصياغة حاضر العرب ومستقبلهم في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية شتى، وهو عماد النهضة والتقدم، والدعامة الأساسية لبناء الفرد وبناء الأمة، فهو الذي يأخذ على عاتقه تأهيل الكوادر البشرية القادرة على مواكبة متغيرات العلوم، والتعامل مع المتغيرات المتلاحقة التي ترد العالم، كوادر تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتمتلك مهارات التعامل مع مجتمع واقتصاد المعرفة، وقادرة على التفكير العلمي الخلاق مع الحفاظ على الهوية الفكرية والثوابت الدينية والثقافية.

وهذا يعني أنه لا بد من إعادة النظر في نظام تعليمي في العالم العربي يقدم نماذج رائدة من خلال تهيئة المناخ المناسب لذلك، وتوفير كوادر مرتفعة الجودة، وإعداد دارسين قادرين على المشاركة الفاعلة في مجتمع تسوده الحرية والديموقراطية والعدل الاجتماعي، وهنا يأتي تدريب المعلمين وتأهيلهم وتحديث قدراتهم في مقدمة أولويات النهوض بالعملية التعليمية لإثراء البحث العلمي، ودفع عجلة الحياة للأمام، انطلاقا من أن التعليم هو المحضن الذي تنمو فيه الملكات الشابة، لأن المتعلمين هم قادة الغد الذين يقع عليهم عبء النهوض بالمجتمع العربي وتغيير أنماط الحياة فيه واجراء البحوث العلمية التي تتناول قضايا الأمة ومشاكل الجماهير وتعمل على حلها، ذلك أن البحوث العلمية هي بمثابة مصابيح يهتدي بها صناع القرار في مختلف مواقع العلم والانتاج لإعداد الخطط ورسم البرامج وسن القوانين واتخاذ القرارات، ولن يتحقق ذلك الا اذا انتقلنا بالعملية التعليمية من مرحلة التلقين والاجتهاد والارتزاق الى مرحلة الإبداع والابتكار وتحقيق الافادة من المستجدات العصرية والثورة التقنية، وإيجاد بيئة صالحة للابتكار تجذب الموهوبين والمبدعين، لا بيئة طاردة للنوابغ والمتفوقين، لأننا اذا كنا نشحذ الهمم للحفاظ على التراث العربي والثوابت العقدية فإن هذا لا يعني الجمود والتوقف دون تطوير أو إبداع.

وتأسيسا على ذلك و المنظومة التعليمية في الوطن العربي في حاجة الى تغيير وثورة شاملة في جميع عناصر هذه المنظومة (المعلم، والكتاب، والمنهج، والطالب، والخطط، والسياسات، ونظام الامتحانات، والمعامل، والمكتبات، والنشاط المدرسي، والأبنية التعليمية) فكلها بمنزلة نسيج واحد يجب ان تتناغم وتتكامل مثل اعضاء الفرقة الموسيقية التي تعزف نغماً متناسقا.



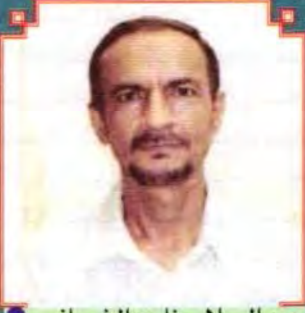
هل يليق بالأمة أن ترى معلماً للتاريخ لا يعرف المواقع والأحداث والشخصيات التي غيرت وجه الحياة في العالم ؟!

وتؤكد كل الدلائل والبراهين ان قوة الدول تتحقق من خلال المنظومة التعليمية السليمة، التي تفرز الباحثين الأكفاء في مختلف المجالات، وتتوافق مع غيرها من المنظومات لكي تشكل حلقات متكاملة ذات ارتباط وثيق بعضها ببعض، ذلك ان البحث العلمي هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق الرفاهية، وهذا يتطلب مواجهة مشاكل ضعف الكوادر البحثية، واعادة النظر في الموارد المخصصة للبحث العلمي، والاهتمام بالتدريب والتنمية البشرية، والمتابعة المستمرة للتطورات العلمية والتكنولوجية التي تسود العالم اليوم بهدف توفير وتحديث البيانات اللازمة في مختلف المجالات، وتخفيض الفاقد في مختلف منظمات المجتمع وعدم الخلط بين العلوم التطبيقية والطبية والاجتماعية والهندسية والزراعية وغيرها.

وفي الحقيقة فإن اصلاح التعليم والبحث العلمي يتطلب الصبر والايمان والثقة في الله وفي النفس، ووضوح الرؤية والهدف، والعمل على فتح قنوات علمية مع الدول التي سبقتنا في هذا المضمار، واعداد استراتيجية متكاملة للتعليم والبحث العلمي، وتقديم رؤية واضحة له، وتشجيع شباب الباحثين على المناقشة ونقل التكنولوجيا، واصلاح الادارات القائمة على العملية التعليمية، وانشاء وحدات للتطوير، واقامة قاعدة بيانات احصائية تكون في متناول الباحثين وصناع القرار.

وتأسيسا على ذلك فان الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي يجب ان يتم بجدية وحزم، وان يتم تنظيمه بصورة دقيقة حتى يتم تكوين الشخصية العربية المعطاءة، وتدريبها على المناقشة والحوار وجدية الرأي، والاهتمام بها بما يضمن تكوين اجيال جديدة صحيحة الأجسام وصحيحة العقول، ويأتي المعلم على رأس العوامل التي تحقق هذه الأغراض، لأن التعليم لا يمكن ان يستقيم في غيبة معلم كفء وقادر على العطاء لاسيما في مراحل التعليم الأولية، والدولة التي تريد أن تنشئ جيلا صالحا لا بد أن تفكر في المعلمين الذين ينشئون هذه الأجيال أولاً وقبل كل شيء، ومن ثم فإننا في حاجة إلى وقفة أمينة مع النفس لنتدارس أسباب تراجع التعليم والبحث العلمي في عالمنا العربي والإسلامي عن مواكبة التطورات المتسارعة في عالم اليوم.

دور المعرفة والتغيير


عبدالسلام فارع الشيباني

كثيرا ما يضطرب الفهم وتشوش الرؤية عند الحديث عن المفاهيم الكلية المتداخلة (العقيدة- الشريعة- الفقه) وذلك بسبب الخوض فيها دون منهج واضح، أو بسبب لا يعدو كونه انفجارا عاطفيا، بدافع الخوف على الملة، وذلك لأن العقيدة هي ما يتبقى للإنسان بعد أن يفقد كل شيء، وبذا فهو يتشبث بها ولا يسمح بمسّها ولو بهدف إجلائها لمن يجهلها في المقام الأول، وكما قيل الانسان عدو ما يجهل، وعندما يجهل الانسان ذاته أو عقيدته فإنه يعادي كل شيء ويخشى كل شيء، وإذا ما بدأ الإنسان المحاولة (المغامرة) في الكشف عن بعض رموز ما يجهل انتابه القلق، لأن أول ما يكشف له ليس ما كان يجهل بل صعوبة الطريق (طريق المعرفة)، إذ يجد أن هذا السبيل محفوف بالمخاطر، وأنه يحتاج لتضحيات جسام أقلها التخلي عن جزء من المعتقدات التي ترسخت في الذهن والاعتراف بالآخر والتحاور معه، وتجاوز المألوف ومواجهة العرف السائد، وأسوأ ما يبرز في حياتنا الثقافية والفكرية هو افتراض سوء قصد الآخر الذي يؤدي إلى الريبة بكل ما يطرحه لمجرد اختلاف الفهم حول قضية من القضايا، الأمر الذي ينذر بعقم ذلك الحوار مع العلم أن وجهة النظر أو الرأي في أي قضية اجتهادية لا يكون محض صواب أو محض خطأ، ولكنه يقترب من أحدهما كلما بعد عن الآخر، أخذاً من المسلمة القائلة «من لديه الأكثر من شيء لديه الأقل من نقيضه»، ومحض الصواب هو ما أوحى به الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام.

وإذا كنا نرى الإسلام في مجمله شريعة وعقيدة وفقها وفكرا، فإنه لا يمكن الفصل بينها طوعاً أو كرهاً إذ هي كالغرسة التي هي بمجملها كيان واحد، جذورها العقيدة، وساقها الشريعة، وزهرها الفكر والفقه، أما ثمرتها فهي السعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة، ومصدر غذائها الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والدين ليس هو العقيدة بذاتها، بل هو عقيدة وفكر وسلوك يعكس في الواقع مفاهيم العقيدة، شريعة وفقها تشريعيا، وفكرا من أجل تنظيم شامل للحياة، ومن اجل ذلك أناط الخالق عز وجل جزءا من تنظيم الحياة للإنسان ذاته، على ضوء المنهج القويم المبينة خطوطه العامة في القرآن الكريم وهدي السنة النبوية، وتعلم الصحابة- رضوان الله عليهم- على يدي رسول الله ﷺ استنباط الأحكام الشرعية بالاعتماد على القرآن والسنة، ومع اتساع رقعة الدولة كان لابد من ابتكار قانون ينظم عملية الاستنباط والقياس على ضوء منهجية صارمة لا يحيد عنها العالم المجتهد، وهو ما تم فعلاً، على يد الإمام الشافعي الذي أسس علم أصول الفقه في أواخر القرن الثاني الهجري، وعلم أصول الفقه هو علم عملي تشريعي، تُستنبط به التشريعات والقوانين وفق منهج محدد، يرتكز على الاجتهاد بمضمونه الذي

المدخل الصحيح لتنوير جمود وركود الأمة ... اعتماد الشورى منهجاً في اتخاذ الرأي

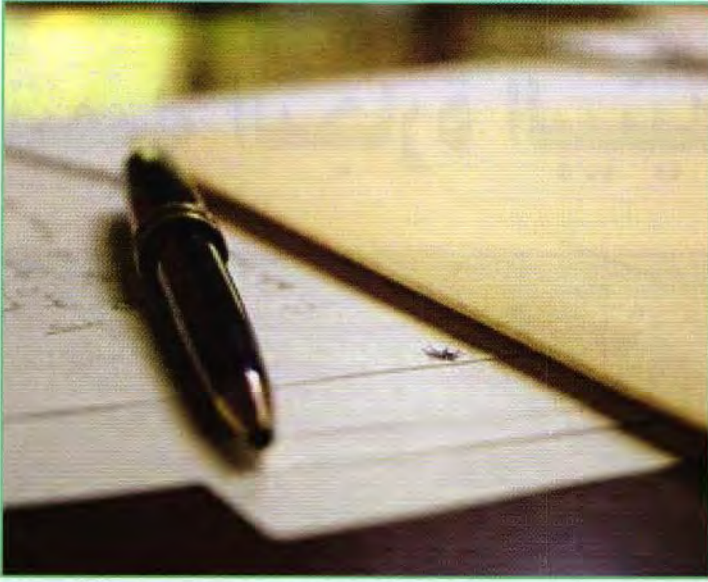
هو مصالح الناس والغرض منه تحقيق الفضيلة، أما أداته فالعقل المجتهد.

ولقد ظل الاجتهاد لعدة قرون محصورا في فضاء محدود هو أصول الفقه من أجل استنباط الأحكام الشرعية عند غياب النص، واليوم يفرض علينا الواقع نهجاً يتمثل في توسيع مجال الاجتهاد بحيث يغدو منظومة كلية للفكر والسلوك، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال رفده بالمنهج العلمي أو رفد المنهج العلمي به.

وبالنسبة للقائلين بحرية المسلم في الاقتداء والتقليد لأي من المذاهب الإسلامية فيختار ما يشاء مما يشاء، فهو قول يحتاج لوقفة ثابتة ونظرة ثاقبة ذلك أن حرية الاختيار كقاعدة من قواعد العقيدة الإسلامية قد وجهت في هذا الموضوع توجيهاً سلبياً ارتدادياً بحيث قد تتصادم في المحصلة النهائية مع مقاصد الشريعة، وبالذات عند من يجهلون طبيعة المنهج الفقهي عند الفقهاء، على الأقل في ضوء الفهم الحالي للاقتداء والتقليد، كما أن القول بأن القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية هي المذهب الملائم، فيه مغالطة وفساد في الرأي، أما القول بالمذهب الفقهي الجامع من خلال التقريب بين المذاهب فهو اعتراف بالعجز عن تقديم رؤية جديدة

● باحث إسلامي يمني





أو ابتكار منهج مستحدث يلبي متطلبات هذا العصر، رغم الاعتراف الضمني من أنصاره بقصور أداء كل مذهب على حدة في الاستجابة للمشاكل المعاصرة، فالزهور تفقد جاذبيتها إذا نزعت من أشجارها ووضعت في مزهريات جامدة، فالأحرى أن نغرس أشجاراً جديدة في حقول حديثة تحيط بالحقول القديمة بحيث يكون آخر أفق الحقل القديم هو بداية أفق الحقل الجديد.

وليس عسيراً الاستدلال على هذا المبدأ بحكمة الله في إرسال الرسل على فترات لهداية الناس إلى الحق كلما استشرى الباطل وعم الفساد، والثابت اختلاف الخطاب لكل رسول بحسب الواقع والعلاقات بين أفراد وفئات الجماعة التي يرسل إليها، ودرجة الوعي بالتناقضات التي تبرز بين صفوف الجماعة، وتكون المعجزات الحسّية براهين دامغة، بخلاف الرسالة الخاتمة التي اعتمدت على البراهين العقلية بصورة عامة تقريباً، وهذا راجع إلى أن الإنسانية بهذه الرسالة بلغت الرشد والنضج العقلي، وخاطبت هذه الرسالة الإنسان كمخلوق كوني ناضج، إذا أراد أن يهتدي فإن عليه أن يتبع الحق وذلك بتحكيم العقل، وإن أراد النقيض (الضلال) فلن يعوزه النقيض (الهوى).

ومن هذا المنطلق وعطفاً على ذلك المبدأ فإن الحرية كمدخل منطقي للاجتهاد أحد ثوابت العقيدة، تظل جوهرة بيد فحّام ﴿فما رعوها حق رعايتها...﴾ (الحديد: ٢٧)، وكما أن القيود والقهر يفضيان لا محالة إلى الهروب من الواقع والانعزال والرهبنة في مخابئ اليأس والتعلق بالأماني، فإننا أمام اختيار صعب.. فإما أن نقبل بالحالة الثقافية والفكرية السائدة اليوم، أو أن نفسح الطريق للمقبل غدا.

وهذا الاختيار لن يتم بمعزل عن حقائق الواقع الداخلي للأمة، وكذا التحديات التي تفرض عليها من خارجها، وحتى الذين ينزعون إلى التشبث بالحالة الراهنة بدافع الخوف من الانزلاق وانهيار ما تبقى من القيم الدينية للمجتمعات المسلمة إنما يفعلون ذلك من باب الخوف على المصالح الشخصية أو بسبب انعدام الرؤية وعدم الشعور بالحراك المتعاظم من حولهم، إنهم يؤثرون السلامة بالبقاء في صوامع العبادات المفروضة معتقدين أنها الدين كله، غير مدركين أن الآخرين الرافعين لشعار صراع الحضارات يسعون لجعل جميع المسلمين في هذا النطاق من خلال ما يسمى بالعمل على قيام ثورة تنويرية للمسلمين، كما حدث للمسيحيين في القرن السادس عشر، وجعل الدين في حدود السلوك الفردي من حيث أداء الصلوات والصيام فقط.

إن التمسك بأداء العبادات البدنية والمالية المفروضة على المسلمين ينبغي أن يكون هو الأساس وليس النهاية أو الغاية، وذلك بتعليم المسلم الترابط الوثيق بين الصلاة في المسجد والتعامل في السوق من حيث إن كلاً منهما عبادة لله تعالى، وكذلك الأمر في الحياة العامة اجتماعياً وسياسيا... الخ فلابد من اعتماد القاعدة الأساسية التي تنظم الكيفية التي تسير عليها أمور المسلمين وهي قاعدة الشورى، فقد بيّن الله عزّ وجل في كتابه الكريم شمولية هذه القاعدة من أدنى مراتب التعامل بين المسلمين حينما ربط استمرار إرضاع المولود أو الفصال- أي فطامه- على أساس التشاور بين الأبوين وهما طرفا العلاقة على الرغم من انتفاء رباط الزوجية بينهما، قال الله تعالى ﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما...﴾ (البقرة:٢٣٣)، ومن ثم يستمر تصاعد اعتماد هذه القاعدة حتى يصل إلى أعلى مراتب إدارة الدولة، وهي أمور السلم والحرب حينما يقول الرسول ﷺ في غزوة بدر «أشيروا علي أيها الناس» متمثلاً قول الله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر...﴾ (آل عمران: ١٥٩) وكذا قوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى:٣٨) فهذا هو الحق الذي يجب الاعتماد عليه وليس الاستبداد والتفرد بالرأي، بل هو المدخل الصحيح لتثوير الجمود والركود الذي ابتليت به أمة الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان.

تنمية التجارة البينية بين الدول الإسلامية

أصبحت الحاجة إلى تحقيق المزيد من عمليات التجارة البينية بين الدول الإسلامية- بوابة التكامل الاقتصادي- هدفا استراتيجيا وضرورة تفرضها التطورات الاقتصادية العالمية في ظل مناخ العولمة الاقتصادية وما نتج عنها من بروز كيانات ومصالح اقتصادية دولية لا تلتفت إلى الكيانات الصغيرة والهامشية، وتعطي الأولوية للتكتلات الاقتصادية التي تستطيع الصمود في وجه المنافسة العالمية في مختلف المجالات الاقتصادية.


د.مصطفى عبد السلام

إن تحقيق حلم السوق الإسلامية على أرض الواقع يلبي تطلعات وآمال دول المجلس المتعلقة بتفعيل المواطنة الخليجية سواء في التنقل أو العمل أو التعليم أو الخدمات الاجتماعية فضلا عن أن إنشاء السوق المشتركة من شأنه أن يعزز دور المجلس وقدراته على التفاوض في ظل التطورات والتكتلات الاقتصادية العالمية، ويأتي التوجه نحو السوق الخليجية المشتركة في إطار اهتمام دول مجلس التعاون بالعمل على تعزيز وتطوير المجال التجاري بصفة عامة بما يعود بالنفع على مواطني دول المجلس، استفادة من حجم النتائج الايجابية التي تحققت ومنها ارتفاع حجم التجارة البينية.

ويعد العمل الاقتصادي من أهم المجالات التي يمكن من خلالها توحيد الدول والشعوب الإسلامية والانتقال بها من مجرد التعاون والتنسيق إلى مراحل متقدمة من التكامل والوحدة الاقتصادية التي أضحت ضرورة حتى يستطيع المسلمون إيجاد موطئ قدم لأنفسهم في هذا العالم، فالدول الصناعية والنامية تنتظم في تكتلات إقليمية وترتيبات تجارية جماعية، بغرض توفير بيئة أكثر ملاءمة لنموها الاقتصادي، والتكيف مع التغيرات العالمية التي تتجه نحو المزيد من التحرير الاقتصادي والعولمة وترابط المصالح بين الدول، ومن شأن هذه التغيرات العالمية أن تفضي إلى زيادة حدة المنافسة في الأسواق الدولية، الأمر الذي يفرض على الدول الإسلامية العمل بجدية لتوسيع وتطوير أسواقها وزيادة قدراتها التنافسية.

مفاهيم مرتبطة بالتجارة البينية

يتم تصنيف الدول الإسلامية ضمن مجموعة البلدان النامية، فهي تعاني من التخلف والتبعية، والنشاط الاقتصادي فيها متعثر، لذلك فان التجارة البينية بين الدول الإسلامية يمكنها أن تؤدي إلى نجاح منظومة التكامل الاقتصادي بينها ما يؤدي إلى تحسين مستوى الأداء الاقتصادي والنهوض باقتصاداتها، ومن ثم قد يشكل تهديداً للمصالح الاقتصادية للدول الصناعية المتقدمة التي ترغب أن تبقى الدول الإسلامية سوقا لتصريف منتجاتها وموردا لمصادر للطاقة والمواد الخام.

ويبلغ عدد الدول الإسلامية المنضوية تحت منظمة المؤتمر الإسلامي حالياً ٥٧ دولة، وتمتد في أربع قارات، من ألبانيا في الشمال (أوروبا)، وموزمبيق في الجنوب (إفريقيا)، وجيانا في الغرب (أميركا اللاتينية) إلى إندونيسيا في الشرق (آسيا)، وتحتل الدول الإسلامية ١٦،٧٪ من مساحة العالم، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٠٪ من سكان العالم، وبذلك تعتبر منظمة المؤتمر الإسلامي أكبر منظمة دولية بعد هيئة الأمم المتحدة (١).

وحسب تصنيف البنك الدولي فإن جميع الدول الإسلامية تعد دولاً نامية، وتتفاوت في أوضاعها الاقتصادية وهياكلها الإنتاجية تبعاً للتباين في مستوياتها التنموية وأدائها الاقتصادي (٢).

واقع حجم التجارة البينية بين الدول الإسلامية

ترتبط العلاقات التجارية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي بجهات محدودة جدا من حيث الصادرات والواردات معا، فالتجارة الخارجية للدول الأعضاء موجهة لعدد محدود من الشركاء، وغالبا ما يكون هؤلاء الشركاء من الدول الصناعية المتقدمة، وفي مقدمتهم المجموعة الأوربية، واليابان والولايات المتحدة الاميركية، وتتراوح حصة هؤلاء الشركاء في التجارة الخارجية للدول الإسلامية ما بين ٤٠٪ إلى ٩٤٪ للصادرات، وما بين ٤٠٪ إلى ٨٠٪ بالنسبة للواردات، وقد قدم كوزنتس Kuznets تفسيرا لهذه الوضعية باستخدام مفهوم «حجم الأمة» Size of Nation وهو أن الحجم الصغير- كما في حالة معظم الأقطار الإسلامية- يشكل بحد ذاته قاعدة لتبعية القطر للخارج، وذلك لأن الموارد الطبيعية للبلد الصغير تكون عادة محدودة وإنتاجه ومبادلاته، ومصادر تمويله تكون محصورة في عدد قليل من العملاء والموردين، وينحصر هؤلاء العملاء والموردون في الشركاء الكبار من الدول الصناعية، خاصة في ظل عدم وجود تكتل اقتصادي إسلامي يمكن أن يكون عوضا عن زيادة

معدلات التجارة البينية بين الدول الإسلامية والدول الغربية (٣).

أما حصة التجارة المتبادلة بين الأقطار الإسلامية بالنسبة إلى مجموع صادراتها فهي ضئيلة للغاية، ففي العام الذي تأسست فيه منظمة المؤتمر الإسلامي (١٩٦٩م) لم تتجاوز ٥,٩٪، ولم تتجاوز ١٣٪ عام ٢٠٠٧م (٤).

هيكل التجارة البينية حسب توزيع السلع

بالنظر إلى هيكل التجارة الإسلامية البينية يتبين أن صادرات المحروقات (البترول ومشتقاته) شكلت القاسم الأكبر من هذه التجارة، حيث مثلت ٦٪، تليها صادرات المواد الغذائية بنسبة ١٩٪، ثم المواد الأولية الأخرى ذات المنشأ الحيواني والنباتي والمنجمي بنسبة ٣٦٪، وتعتبر السعودية والإمارات وليبيا والكويت وإيران أهم الدول الإسلامية في تصدير المحروقات إلى بقية الدول الإسلامية، حيث تصدر٨٢٪ من هذه النوعية من السلع إلى الدول الإسلامية(٥).

أما بالنسبة لمصدري المواد الغذائية فنجد ماليزيا وسوريا وباكستان وإندونيسيا والسعودية وتركيا، حيث تصدر ٦٢٪ من هذه النوعية من السلع إلى الدول الإسلامية، وتعتبر كل من ماليزيا ولبنان وسوريا والبحرين وبنجلاديش وإيران أهم الدول المصدرة للمواد الأولية الأخرى ذات المنشأ النباتي والحيواني والمنجمي إلى بقية الدول الإسلامية الأعضاء، حيث تستأثر هذه الدول بتصدير ٦٥٪ من هذه النوعية من السلع إلى بقية الدول الأعضاء(٦).

ومن أهم إيجابيات التجارة البينية للدول الإسلامية أن الصادرات البينية من السلع المصنعة وصلت إلى ١٦ مليار دولار ممثلة ٤٢٪ من إجمالي الصادرات البينية للدول الأعضاء، وتعتبر أهم الدول الإسلامية في تصدير السلع المصنعة تركيا وماليزيا وإندونيسيا والسعودية وباكستان، حيث تستحوذ هذه الدول الخمس على ٦٣٪ من صادرات السلع المصنعة داخل الدول الإسلامية الأعضاء، وهو ما يعني تزايد اعتماد الدول الإسلامية الأعضاء فيما بينها على صناعاتها الداخلية، وهو مؤشر إيجابي لتحرير الدول الإسلامية من الاعتماد على الصناعات في الدول المتقدمة، وأهم السلع المصنعة في التجارة البينية الإسلامية الآلات ومعدات النقل والمواد الكيماوية(٧). .

العامل الديني يلعب دوراً كبيراً في تآزر الدول الإسلامية من أجل التكامل الاقتصادي ومواجهة التحديات المشتركة التي تفرضها الظروف العالمية

المعوقات والتحديات التي تواجه التجارة البينية الإسلامية

من أهم مشكلات الوصول إلى أسواق الدول الإسلامية الحواجز الجمركية، وغير الجمركية، ونقص التمويل التجاري، والحواجز المؤسسية، وقصور البيانات الأساسية، ونقص المعلومات والموارد البشرية الماهرة، إضافة إلى صعوبات تأشيرات الدخول.

أسباب ومبررات التكتل الاقتصادي

١- التكيف مع عولمة الاقتصاد والاستجابة لتحدياتها التجارية والإنتاجية والتقنية، فالتقدم التقني أدى إلى الزيادة الإنتاجية كمًا ونوعا، مما ضاعف من حدة المنافسة الدولية في تسويق هذه المنتجات، ولا تستطيع الدول الإسلامية متفرقة- باعتبارها دولاً نامية- تنمية صادراتها بغير التعاون فيما بينها، وإقامة سوق مشتركة ومناطق تجارة حرة وتجمعات إقليمية، والانتظام في تكتل اقتصادي كبير.

٢- مواجهة التجمعات الاقتصادية المتنافسة على الأسواق الدولية، والتي سيتعاظم تأثيرها ويقوي نفوذها في العالم، وهو ما يضيق من فرص الأسواق المتاحة للدول الإسلامية، ويضعف من قدراتها الجماعية التنافسية في الأسواق الخارجية.

٣- تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتي تمثل مطلباً ضرورياً للدول الإسلامية لكي تتمكن من استعادة مكانتها وترقية شعوبها، ولم يعد ذلك ميسرا في الظروف الإقليمية والدولية الراهنة، أو بالاعتماد على الخارج، فالدول الإسلامية يجب عليها أن تنظر إلى مصالحها في إطار منظومة تعاونية وتكاملية.

٤- اختلاف وتباين الموارد الطبيعية والبشرية التي تملكها كل دولة.

٥- اختلاف الموارد المالية (دول تحقق عجزا ودول تحقق فائضا في موازينها التجارية).

٦- ضيق حجم الأسواق الداخلية لكل دولة منفردة وعدم قدرتها على إقامة مشروعات حديثة وكبيرة الحجم.

٧- ضعف المركز التفاوضي والتنافسي لهذه الدول في علاقاتها الاقتصادية الدولية.

٨- انخفاض الإنتاجية، وشدة التبعية للدول المتقدمة.

٩- تمتلك الدول الإسلامية نحو ٧٣٪ من الاحتياطي العالمي من النفط، وتنتج ٣٨,٥٪ من الإنتاج العالمي، كما تملك نحو ٤٠٪ من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي، ويلاحظ أن ٩٠٪ من صادرات هذه المواد تتم كمادة خام غير مصنعة.

الهوامش

1-SESRTCIC (2002a) Annual Economic Report on the OIC Countries 2002 with Special Reference to the World Summit on Sustainable Development. Ankara. Turkey. p120.

2 IMF (2007) World Economic Outlook 2007. Washington. D.C. www.imf.org.

3 Kuznets.(1990). Economic Growth of small nations in Economic consequences of the Size of Nations. McMillan. London. p:180

4 SESRTCIC (2007a) Annual Economic Report on the OIC Countries 2007 with Special Reference to the World Summit on Sustainable Development. Ankara. Turkey. p136.

5 Ibid. p: 140.

6 Ibid. p:141.

٧- البنك الدولي،(٢٠٠٧)، تقرير عن التنمية في العالم، مركز الأهرام للطبع والترجمة والنشر، القاهرة، ص ١٥٤.

دارفور.. رؤية إستراتيجية للمشكلة

د.عمرو عبدالكريم

في فبراير ٢٠٠٣ رفعت حركة التمرد في دارفور السلاح في وجه الحكومة المركزية، وشرَعت في شن هجمات على أهداف حكومية بذريعة إهمال الإقليم وأنه عانى من التمييز المنهجي والقمع والتهميش؛ ودخل الإقليم الذي يعاني تاريخيا من التوتر - حول الأرض والمراعي بين عرب البادية الرحّل والمزارعين من القبائل- أعنف أزمة في تاريخه الحديث وما زالت مرشحة للتصاعد.

لقد بـدأت مشكلة دارفـور من خلال أمرين، الأول هو عمليات التصعيد الإعلامي المبالَغ فيها، باعتبارها «أكبر كارثة إنسانية» كما وصفها جـوردون بـراون، أو أنها «جرائم إبادة وتطهير عرقي» كما زعمت إدارة بـوش، وذلك كله في إطار حملة تهيئة الرأي العام العالمي لمواقف تتخذ ضد السودان، والأمر الآخر هو سياسة الحكومة المركزية التي تعاملت مع التمرد باستخفاف في البداية، وأصرت على أنه هجمات قطاع الطرق، رغم استيلاء الحركتين المتمردتين (تحرير السـودان، والعدالة والمساواة) على عدة مـدن صغيـرة، لكن الأجهـزة الأمنيـة قلّلَت مـن قـدرات التمرد، وبذلك أغلقت الحكومة البـاب أمـام أي حل سياسي حينما كان ذلك ميسورا، وفي المراحل الأخيـرة رغم تركيز الحكومـة علـى أن حـركات التمرد مدعومة من الخارج فإن تداعيات المشكلة على الصعيد الدولي أجبرتها على الجلوس على طاولة المفاوضات بعد أن بلغت تلك الحركات من القوة والدعم الخارجي درجة جعلتها لا تقدم كثيرا من التنازلات.

رؤية إستراتيجية للمشكلة

تُجمع كثير من التحليلات الخاصة بمشكلة دارفـور أن أصـل النزاع هو شح الموارد الطبيعية والصراع عليها، وأنه ليس صراعا عرقيا، وإن اكتسب فيما بعد بعض الملامح العرقية بفعل أزمة الهوية، حيث عانت أقاليم الأطـراف تهميشا واضـحـا مـن قبـل الحكـومـات المركزية في الخرطوم على مدار تاريخ السودان المستقل.. قضية دارفـور قضيـة خـلاف تقليدي على المـوارد الطبيعية يقع دائما في مناطق التخوم بين القبائل العربية، وهـم رعـاة رحّـل، وبين القبائل الإفريقية المستقرة، وهم مزارعون يستوطنون القرى ، لكن هذا الخلاف الذي كان يجد سلفا حلوله بشكل سلمي في أعراف وتقاليد قَبَلِيَّة تنظِّم حقوق الطرفين ، وتعاقب الطرف المتجاوز، وذلك عن طريق ما كان يعرف بالإدارة المحلية في الإقليم، والمتمثلة في الناظر والعمدة والشيخ، وكانت هـذه الإدارة تمتلك سلطات قانونية خولتها لها الدولة بجانب رمزيتها الاجتماعية بين القبائل، إلا أن الرئيس النميري ألغى هذه الإدارة واستبدلها بلجان الاتحاد الاشتراكي التي لم تتناسب مع التعددية الاجتماعية التي اتسم بها الإقليم، وهنا نشير إلى حقيقة أن الحكومات السودانية المتعاقبة تتحمل جـزءًا مـن المسئولية عن هـذه المشكلة لعدم تفهمها طبيعة هـذه المنـاطق والآليـات المناسبة للتعامل مع الخلافات والصـراعات التـي تنشأ فيها، كما تتحمل الحكومات السودانية المتعاقبة جزءًا من المسئولية عن مشكلة دارفـور لعدم اهتمامها بتنمية أطراف الدولة السودانية التـي عانـت مـن التهميش على المستويات كافة ، وافتقارها للبنية التحتية والمشروعات الاستثمارية الكبيرة.

> **العوامل المحلية والإقليمية والدولية تكاملت لتصعد بالأزمة إلى واجهة الأحداث ولتدفع النظام في مسار الإستسلام أو الإنهيار**

لقد تكاملت العوامل الثلاثة: المحليـة والإقليـميـة والـدوليـة لتـصـعـد بـالأزمـة إلـى واجـهـة الأحـداث وتشكل مسارها على الأرض ولتدفع بالنظام السوداني في مسار الاستسلام أو الانهيار، أو ابتكار حلول لمعالجة الأزمة تجنبه المقصلة.

فالعوامل المحلية ترسم مأساة الحـالـة الإنسـانيـة وعمليـات توظيفها فـي الإعـلام الغربي (المُسَمَّى الدولي) بغية خلق رأي عام عالمي مُواتٍ لأي قرارات ضد السودان (الدولة والنظام) ذلك أن مناظر معسكرات اللاجئين بما فيها من أطفال ونساء لا تترك للفرد-مهما كان وعيه وفهمه للقضية- إلاّ أن يتعاطف مع هذا الوضع، ثم تقوم عمليات تزييف الوعي برسم رؤى لحل المشكلة تصب في صالح القوى التي تدفع بعنف في سبيل تشكيل الرأي العام العالمي، فعلى الرغم من وجود عشرات التنظيمات المسلحة المعارضة التي ترتكب جرائم بحق الأبرياء والعزّل بدعم من الخارج فإنه لا يُشار إليها في الإعلام الغربي، كما أن تصوير القضية على أنها عرب وأفارقة فيه تضليل للرأي العام وتزييف للحقيقة، فليس هناك نقاء عرقي في دارفور، فلا يوجد عربي قُح، ولا إفريقي قُح؛ فالقبائل هناك متجانسة ومتزاوجة عبر سنوات طويلة، ولا يوجد فوارق في اللون بين سكان الإقليم سواء كانوا عربا أو غير عرب، كما أن جميعهم مسلمون، والفارق الوحيد بين طرفي الصراع في دارفور هو حرفة كل جانب منهما، حيث يمتهن أحد الجانبين الزراعة فيما يعمل الطرف الآخر بالرعي.

ولا يمكن فهم كثير من العوامل المحلية إلا في ضوء العوامل الإقليمية التي غَذَّت عملية الصراع، فكثير من القبائل الإفريقية والعربية في دارفور مشتركة بين السودان وليبيا وتشاد، وقد تأثرت هذه القبائل بالتفاعلات السياسية داخل هذه الدول، وبين هذه الدول وبعض، فتأثرت بالحرب الأهلية في تشاد في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي حتى أصبحت دارفور مسرحا خلفيا للقوى والصراعات الدائرة هناك، كما أصبحت معبرًا للسلاح مما أدى إلى انتشار السلاح في الإقليم؛ ومن ثم يمكن القول إن: وجود الإقليم في منطقة تماس مع ثلاثة حدود لدول مختلفة جعله عرضة للتأثر بالصراعات الداخلية لتلك الدول ذات التقلبات السياسية، كما أن وجود قبائل مشتركة حدودية جعلت الصراع في الدول المجاورة ينتقل بحكم الانتماءات القبلية إلى داخل بعض القبائل التي تستوطن الإقليم، بالإضافة إلى أن الحدود المفتوحة والأرض المنبسطة جعلت من الإقليم منطقة رائدة لتجارة السلاح، وبذلك شكل الإقليم القاعدة الخلفية لأغلب الانقلابات العسكرية في دول الجوار خاصة في تشاد، ويمكن كذلك فهم الدور الفرنسي حيث يشكل إقليم دارفور نقطة تماس مع ما يُعرف بالحزام الفرانكفوني (تشاد، النيجر، إفريقيا الوسطى، الكاميرون) وهي الدول التي كانت تستعمرها فرنسا.

ثم تأتي العوامل الدولية -وهي غير معزولة عما سبق- للضغط على مؤسسات الاتحاد الإفريقي السياسية والعسكرية المعنيّة بالأمر بهدف إظهار فشل الاتحاد الإفريقي، وأهمية أن يتولى مجلس الأمن مهمة معالجة مثل هذه النزاعات، ومن ثم تم تصعيد مشكلة دارفور إعلاميا وسياسيا فتحركت العواصم الغربية عبر المنظمات الرسمية في صورة تصريحات من لندن وواشنطن، واجتماعات في نيويورك، وكذلك عبر المنظمات غير الرسمية (بيانات، مظاهرات، مؤتمرات)، بهدف تعبئة دولية تهيئ لإصدار القرارات المطلوبة، ذلك أن الرؤية الغربية لحرب دارفور تشكل مدخلا للاستقطاب والاستدراج حيث تشكل دارفور البوابة الغربية للعالم العربي والإسلامي مثلما كانت بغداد تشكل البوابة الشرقية.

ومن ثم يمكن فهم كثير من خلفيات الأجندات الدولية لكل من واشنطن والدول الأوروبية، وهذه الأجندات لا تتعلق بالحرب ولا بالسلام في دارفور وإنما تتعلق بمصالح هذه الدول وموقع السودان الجيوبوليتكي والموارد الضخمة في دارفور.

ولا يمكن إغفال الدور الصهيوني وأثره في قضية دارفور، فقد استطاعت مجموعات اللوبي الصهيوني في الغرب والولايات المتحدة خلط البعد الاثني العرقي بالبعد الإنساني في دارفور بإبراز القضية وكأنها جرائم ضد الإنسانية أو عمليات تطهير عرقي يقوم بها العرب ضد الأفارقة، فالصهاينة هم من تولوا كِبرَ مشكلة دارفور وأججوا نيرانها.



رؤية إستراتيجية للحل

قبل الشروع في بناء معالم حل إستراتيجي أو خريطة طريق لمشكلة دارفور من المهم التأكيد على أمور عدة:

الأول: لا يمكن حل مشكلة دارفور بمعزل عن حل مشكلة السودان، فالنظام الفيدرالي لا يقام في طرف دون آخر، ولكن يقوم على التوازن بين مختلف الأقاليم، وما دارفور إلا عَرَض لمشكلة السودان كله.

ثانيا: إن خيار الحل السياسي السلمي للمشكلات الموروثة في السودان هو الخيار الإستراتيجي، حيث يهدف إلى معالجة جذور المشكلات بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو الخيار الذي يمكن أن يزيل بؤر الاحتقان القابلة للاشتعال.

ثالثا: في صراعات الهوية الوطنية لا يقوم العلاج على اتفاقيات السلام المجردة، ولكن لا بد من عملية مصالحة وطنية شاملة تعمل على إعادة صياغة مفهوم الدولة ليتسع للجميع، فالسودان الجديد بحاجة إلى إستراتيجية شاملة للسودان ككل وليس لمجرد حماية دارفور.

رابعا: أي حل لمشكلة السودان يقتضي فتح حوار جدي على مستويين، داخل السودان: بين مختلف ألوان الطيف السوداني الممتد، وخارجه: بين السودان كدولة ونظام وبين المجتمع الدولي؛ للاتفاق على أسس شاملة لحل الأزمة وبدء تنفيذها فورا؛ لأن الحلول الجزئية للقضايا السودانية لم تعد مجدية.

أما معالم هذه الإستراتيجية أو خريطة الطريق فهي:

١- العمل على بناء دولة مركزية قوية قادرة على معالجة أزمات التنمية مثل الهوية والتغلغل والتكامل، فالسودان اليوم يحتاج إلى عقد اجتماعي جديد.

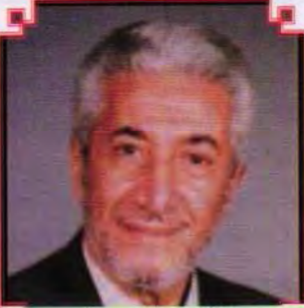
٢- العمل على بناء نظام ديمقراطي، إذ تقلل النظم الديمقراطية من الاستقطاب القَبَلي والعرقي حيث يكون التنافس سياسيا، ورغم أن الأحزاب قد تعتمد على رموز القبائل فإنه يظل الأساس هو البرامج والتنافس الحزبي.

٣- على السودان الجديد احترام واقع التنوع في البيئة السودانية والتركيبة القبلية: فالقبيلة وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية تدين بولاء طوعي يجذب الفرد نحو الجماعة لما يوفر من حماية وضمان وهوية.

٤- يحتاج السودان الجديد النظر لمشاكله برؤية شاملة على ثلاث مستويات: أمنية، وإنسانية وسياسية، والحل السياسي هو الأساس ثم تسنده الحلول الأمنية والإنسانية.

٥- على السودان الاهتمام بما يسمى باللاعبين غير الدول «Non State Actor»، ويقصد بهم المنظمات غير الحكومية -مراكز حقوق الإنسان والمنظمات الإعلامية- التي يمكنها لعب دور مؤثر في السياسة الدولية وتحقيق المصالح العليا لأي دولة.

صحة الفم


د.عبدالقادر الحبيطي

لصحة الفم انعكاس كبير على صحة جسم الإنسان، فوجود بؤرة انتانية في الفم مثل التهابات اللوزتين أو البلعوم المتكررة قد تؤثر تأثيراً سيئاً على القلب أو الكليتين أو سواهما من الأعضاء، وخاصة إذا تكررت تلك الالتهابات في الطفولة فقد تصاب صمامات القلب بعطب يتضح عند التقدم في السن. كما أن عدم العناية بصحة الفم قد يجعل حشداً كبيراً من الجراثيم المرضة تتسرب الى الجهاز الهضمي ومنه إلى سائر أعضاء جسم الإنسان فتسبب أمراضاً عديدة لسنا بصدد الدخول في تفاصيلها.

وكلمة «المعدة بيت الداء» تنطوي على حكمة بالغة، والفم هو فاتحة الطريق الى المعدة. ومن المهم أيضا أن نركز الاهتمام على أن اهمال نظافة الفم وعدم الالتفات لصحته العامة قد يؤدي إلى نخر الأسنان وما يصاحب ذلك من الآلام، ثم فقدان الأسنان وتلك خسارة فادحة حقا. ويسبق أمراض تسوس الأسنان مرض آخر قد ازداد الاهتمام به في القرن الحادي والعشرين، ألا وهو التآكل الحمضي للأسنان Acid Erosion فما هذا المرض؟ وما أعراضه؟ وما سبل الوقاية منه أو علاجه؟

التآكل الحمضي يهدد صحة الأسنان

لقد حقق طب الأسنان نجاحاً في علاج تسوس الأسنان وأمراض اللثة، مما يطيل من عمر الأسنان الطبيعية، وكنتيجة لذلك فإن الأسنان قد تتأثر بالتآكل Tooth Wear لفترة طويلة من الوقت، وأسباب التآكل ترجع في الغالب الى التآكل الحمضي Acid Erosion والتآكل بفعل الاحتكاك Attrition بالاضافة إلى السحل Abrasion.

التغير في نمط الحياة

يؤثر أسلوب الحياة العصرية بشكل كبير في تآكل الأسنان، حيث تحتوي الأغذية في هذه الأيام على كمية عالية من الأحماض من مصادر متعددة بما فيها المرطبات والمشروبات الغازية وعصائر الفاكهة، والتي تعمل على تليين سطح الأسنان، وتفقدها المواد المعدنية مما يجعلها أكثر عرضة للضرر والتآكل، وتعرف هذه الحالة بالتآكل الحمضي وهي تؤثر على مختلف الأعمار.

ويبدأ التآكل الحمضي عند تعرض الأسنان للمأكولات أو المشروبات الحمضية التي تضعف سطح طبقة المينا، ما يؤدي الى إضعاف طبقة الحماية وبالتالي إلى التقليل من سمك مينا الأسنان والذي بدوره يسبب تغيير تركيب وشكل ومظهر الأسنان، وتصبح الأسنان أكثر حساسية.

يشكل ألم الأسنان الناتج عن تناول المأكولات والمشروبات الساخنة أو الباردة أولى علامات التآكل الحمضي، وتعرف هذه الحالة بحساسية الأسنان، وتبدو الأسنان المتضررة مستديرة الشكل وبشكل لماع ومصقول، بالإضافة إلى اصفرار خفيف بفعل تآكل المينا حيث ينكشف عاج الأسنان الموجود تحتها.

وفي المرحلة المتقدمة قد تتعرض الأسنان لظهور بقع صفراء، كما أنها قد تبدو أكثر شفافية مع تشقق أطرافها، فضلا عن زيادة حساسية الأسنان وبروز تجاويف صغيرة على سطح السن، والتأثيرات الناجمة عن التآكل الحمضي لا تزول تلقائياً بل تتطلب المعالجة بغية استعادة شكل ووظيفة الأسنان المتضررة وحمايتها، وفي الحالات القصوى قد تكون النتيجة ضرورة نزع السن المتضررة.

التدخل المبكر هو الحل

معظم المرضى لا يدركون أنهم يعانون من مشكلة التآكل الحمضي إلا عند بلوغ المشكلة مراحل متقدمة، لذا فإن التشخيص المبكر للحالة يعتبر ضرورياً جدا، وقد تساعد زيادة وعي المريض بالاضافة إلى بعض النصائح الخاصة بأسلوب الحياة ونمط الغذاء في سهولة التحكم والسيطرة على الأعراض المتنامية للتآكل الحمضي، وسنتطرق لاحقاً الى أساليب الوقاية منه، ومن التسوس، ومن الأمراض التي تصيب الفم إجمالاً.

كما أن علاج الحالة في أول ظهورها قد يوفر على المريض متاعب لاحقة قد تستدعي نزع بعض أسنانه وهي خسارة كبيرة.

الوقاية أولا

لقد شاع لدى الناس أن الوقاية خير من العلاج، وتلك بديهية يعرفها الكثيرون ولا ينسجم معها إلا القليل منهم، ولما كان ديننا الحنيف يعنى بالانسان كله جسماً وعقلاً ونفساً وخلقاً فإن ثمة وصايا كثيرة تعد بمثابة الوقاية المسبقة من إصابة الأسنان بالتسوس والمرض أو بالتآكل الحمضي أو بما ينتاب الفم من أمراض تؤثر سلباً على صحة الجسم كله، فمن ذلك

● استاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (سابقا)

مثلا المضمضة ثلاثا في الوضوء الـذي يتكرر خمس مـرات أو أكثر في اليوم والليلة، كما أن استخدام السواك عند الوضوء سنة مباركة تزيل الرواسب الغذائية أو غيرها من الأسنان وتبقي الفم مطهراً من الجراثيم المرضة، وتحافظ على صحة تجويف الفم إجمالاً.

وثمة وصايا أوصى بها رسول الله ﷺ الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، نذكر بعضها فيما يلي:

«بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء وبعده» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي).

والمقصود بالوضوء هنا غسل اليدين والفم قبل الطعام وبعده، وهذه توصية وقائية ثمينة في آثارها الصحية.

«تمضمضوا من اللبن فإن له دسما» (الجامع الصغير رقم ٨١٨١).

ويندرج في مضمون هذا الحديث المضمضة من كل طعام وشراب كالشاي والقهوة والمرطبات والعصائر التي نشربها، وخصوصا التي تحتوي على السكر أو على الحوامض التي تسبب التآكل الحمضي للأسنان كما مر معنا آنفاً، ولنا أن نتساءل من منا يذهب بعد شربه للشاي أو القهوة أو العصير الى المغاسل فيغسل فمه من آثارها؟!

«استاكوا استاكوا لا تأتوني قلحاً» عن ابن عباس - الجامع الصغير.

والقلح plog ue هو رواسب صفراء تتجمع على حافات الأسنان الملاصقة للثة وتسبب التهابها وتراجعها، لأن القلح إذا ترك يصبح موضعاً للجراثيم المرضة، وتكون آثاره المرضية وخيمة إذ تنكشف الأسنان ثم تتخلخل وقد تفقد وهذا الحديث مع كونه وصية وقائية فإنه يحافظ على نصاعة الأسنان وجمالها.

«تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب... ولولا أنني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته لهم» (عن أبي أمامة- الجامع الصغير).

وقد روي أن النبي ﷺ كان يواظب على السواك، إذ كان يستخدمه عند كل وضوء وقبل أن يخرج من داره وبعد أن يعود إليها، وقبل الطعام وبعده وإذا استيقظ من نومه في ليل أو نهار.

وكل ما ذكرناه آنفا ثابت في أحاديث صحيحة، وفي ذكر هذا العدد القليل منها إثبات لأساليب الصحة الوقائية للفم التي كان النبي ﷺ يتبعها ويوصي باتباعها، ولو طبقنا وصاياه هذه لسلمت أفواهنا وصحتها اجمالاً من الأمراض والأسقام، فالأسنان نعمة عظيمة خلقها الله تبارك وتعالى لنا لتدوم لنا مدى الحياة إذا نحن حافظنا عليها بدقة وعناية وحرص.

من الأبحاث عن السواك

أثبتت الابحاث العلمية بشأن السواك، التي أجريت في عدد من الدول كألمانيا وماليزيا ودمشق وأميركا أن في السواك موادا كيميائية فعالة وذات أثر طبي إيجابي نافع لصحة الفم وقائياً وعلاجياً، ونظرا لكثرة هذه المواد وتنوعها فليس ثمة معجون أسنان يضاهي السواك في فعاليته ومن ذلك مثلاً:

١- حمض العفص Tannic Acid وهو مطهر ومقبض يقوي اللثة.

٢- مادة Sinnigrin وهي مطهرة قوية وقاتلة للجراثيم، كما أنها مقبضة أيضا ومقوية للثة.

٣- أملاح الفلورايد المهمة لتقوية ميناء الأسنان ووقايته من التسوس.

٤- البنسلين، وهو مضاد حيوي واسع المفعول يطهر الفم من كثير من الجراثيم المرضة.

٥- مادة السلفا دورا الواقية من تسوس الأسنان.

٦- بلورات السيليس، وهي مادة تزيل القلح Plaqueعن حافات الأسنان فتحمي اللثة من الالتهابات وتحمي الأسنان من التخلخل.

٧- مادة Trimethyl Amine وهي مادة مقوية للثة ومضادة للبكتريا.

٨- كلوريد البوتاسيوم وبيكربونات الصوديوم، وهي تقاوم التآكل الحمضي الذي ذكرناه آنفا وتقي الأسنان منه. وهكذا نجد في السواك مواد كثيرة مطهرة للفم من الجراثيم المرضة والتي تسبب الالتهابات في اللثة واللوزتين والبلعوم فتجعل تجويف الفم في صحة مثالية، كما أن فيه مواد تقي من نخر الأسنان التآكل الحمضي الذي قد يصيبها، ان المرء ليعجب لقول رسول الله ﷺ عن السواك أنه مطهرة للفم، فهل أجرى عليه أبحاثا وتحاليل كيميائية ليعلم ذلك ويقوله بثقة تامة، أم انه علم تلقاه من العليم الخبير جل شأنه؟

وكذلك قوله: «استاكوا لا تأتوني قلحا»، أي ان السواك يزيل القلح، وهذا ما ثبت بالبرهان العملي مما تعجز عنه كل معاجين الأسنان وفرشاة الأسنان بأنواعها المتعددة، ويحققه السواك بكفاءة عالية.

وقد أصبحت هذه الأبحاث منشورة، مما حدا بجمعية طب الأسنان الأميركية بواشنطن The American Dental Association- (A D A)- Washington لتوجيه منتجي معاجين الأسنان أن يضمنوا في معاجينهم خلاصة مركزة للمواد الفعالة في السواك، وقد بادرت أكثر الشركات المنتجة للاستجابة لهذه التوجيهات.

ولذلك فالمداومة على استعمال السواك يضمن للفم صحة مثالية، وللأسنان نصاعة وتألقاً وجمالاً ووقاية من النخر والتآكل الحمضي وغير ذلك من الأمراض التي تصيب الأسنان والفم، وكل ذلك يناله الإنسان بفضل اتباعه لهذه السنة النبوية المباركة صلى الله وسلم وبارك على صاحبها.



المبررات العشرة للتغيير الفعال

نشرت مجلة الإصلاح الإماراتية في العدد رقم (٣٢٤) تقريراً مثيراً عن الصراع الحاصل بين شركات الحاسب الآلي، لاسيما شركة (آي. بي. إم) وشركة ميكروسوفت، وقد بين التقرير تفوق برامج ميكروسوفت على برامج (آي.بي.إم) بسبب التغييرات المستمرة- وإن كانت طفيفة- التي تحدثها ميكروسوفت في برامجها.

يقول التقرير: «ومن المثير للدهشة حقاً أن ميكروسوفت التي تحصد مليارات الدولارات أسبوعياً من حفنة محدودة من برامج الكمبيوتر تدين بنجاحها لشركة (آي. بي. إم)، فهي لم تكن في الواقع سوى شركة مغمورة ومتواضعة للبرمجيات، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي قررت فيه شركة (آي.بي.إم) اختيار نظام تشغيل من صنع ميكروسوفت يعرف باسم (DOS)، لتضعه على أجهزة الحاسوب الشخصية التي صنعتها، وذلك في غمرة نشوتها بالنجاح الباهر لهذه الأجهزة، ومع التطور السريع لهذه الأجهزة ومتوافقاتها، حاولت (آي. بي.إم) التخلص من ذلك الاختيار، سواء بصناعة أنظمة تشغيل خاصة بها، أو بتشجيع شركات أخرى على إعداد أنظمة بديلة، ولكن كل ذلك كان عبثاً، لدرجة أنه كلف (آي.بي.إم) خسائر كبيرة بدون طائل، فقد أدركت في النهاية أنها ارتكبت خطأ عمرها الذي يصعب إصلاحه.

والواقع أن نظام التشغيل (دوس) الذي امتلكت به ميكروسوفت «قلوب» أجهزة (آي.بي.إم) ومستخدميها ليس شيئاً خارقاً، بل وليس أفضل النظم، وكان في إصداراته الأولى في الثمانينيات الكثير من المشكلات.

ولكن في كل مرة يفرح المنافسون بأنه سيقضي نحبه، تنتج ميكروسوفت نسخة جديدة منه تعالج المشكلات موضوع الشكوى، وتسترضي المستخدمين بتحسينات بسيطة، وهكذا ظل يبُعث أكثر نشاطاً كلما اجتمع خصومه وأنصاره لحضور جنازته ودفنه، إن له أكثر من سبعة أرواح كما يقال.

ولكن الأعداء والأصدقاء جميعاً نسوا نظام «دوس» تماماً وهان أمره حينما طلعت ميكروسوفت بالطامة الكبرى، ليس على (آي.بي.إم) فقط، ولكن على شركات البرامج الأخرى، إنه نظام التشغيل الوسيط المعروف بـ «ويندوز»، الذي ظهر عام ١٩٩١م ليؤسس مرحلة جديدة تماماً في عالم الكومبيوتر الشخصي.

نعم.. إنه التصميم على تغيير الواقع والسعي إلى ذلك، إن التغيير ليس هدفاً في حد ذاته وإنما هو وسيلة لمستقبل أفضل، ولذا ينبغي أن يكون هذا التغيير مبرراً ومسبباً، وكل تغيير لا ينطلق بناء على أسباب منطقية، ولا يبنى على مبررات وجيهة فإنه تغيير تخبطي عشوائي لا خير فيه، يورد صاحبه موارد السوء ويسبب له- غالباً- مشكلات لا حصر لها.

ومن الصعوبة تحديد جميع المبررات والأسباب المؤدية إلى التغيير، حيث إنها تختلف باختلاف الظروف والأحوال والأزمنة والأمكنة، كما أنها تختلف باختلاف دوافع المغيرين، إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعض المبررات الرئيسية للتغيير، ولعل أهمها ما يلي:

١- لمواجهة مشكلات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية أو غيرها.

٢- لإثبات الذات واستعراض القوة، كأن يأتي مدير جديد فيغير كثيراً من الأمور، حتى تلك التي لا داعي لتغييرها ولسان حاله يقول: هأنذا!

٣- للقضاء على الملل والروتين والإبقاء على النشاط والحيوية.

٤- من أجل السمعة، أو ليقال إنك رجل مبدع مغير مطور.

٥- لاختصار الوقت، وتقليل الجهد، وزيادة الإنتاج، وتعظيم الأرباح، وتقليل الخسائر.



د.علي الحمادي

٦- لمواكبة التقدم العلمي والتقني في جميع المجالات والعلوم والفنون.

٧- للضغوط والمطالبات الكثيرة من قبل الرؤساء أو المرؤوسين، أو الزوجة، أو الأقارب، أو الزملاء أو غيرهم.

٨- لتحسين الأداء وتطويره وتجويده.

٩- للمنافسة الشديدة والرغبة في عدم الاندثار.

١٠- لأسباب خفية لا نعلم حقيقتها، وبمعنى آخر لا ندري أحياناً لمَ نغير.

وحتى يكون التغيير فاعلاً ومؤثراً وراسخاً ومستمراً، غير مهدد ولا معرض للإجهاض أو الإعدام، فلا بد أن تتحقق فيه النقاط العشر التالية وهي:

١- أن يكون مقنعاً للقيادة والقاعدة.

٢- أن يكون له قائد فذ يقوده.

٣- أن تكون له قوة تحميه وسلطة تسانده.

٤- أن تكون له أهداف محددة وواضحة.

٥- ألا يهدد مصالح وأمن المغيرين والمتغيرين.

٦- ألا يتعارض مع قيم ومبادىء ومعتقدات المتغيرين.

٧- أن يكون مجزءاً في التنفيذ، متدرجاً في التطبيق.

٨- أن يلامس الواقع ويلبي حاجات ومعاناة المغيرين والمتغيرين.

٩- أن يكون مستنداً إلى تجارب ودراسات وحجج منطقية.

١٠- أن تظهر بعض نتائجه الإيجابية عاجلاً.

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

وأفل علم من أعلام الأمة

في ذمة الله د. حسن الهويدي - يرحمه الله -



غيب الموت فجر الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الأول الموافق ١٣ مارس ٢٠٠٩م علماً من أعلام الأمة وفارساً من فرسانها ممن عرفتهم ميادين العلم والدعوة على هدى وبصيرة من الله انه العالم المجاهد د.حسن هويدي (يرحمه الله).

وإذا كان هذا الداعية المجاهد قد غاب عنا بجسده ليلحق بالرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء (ان شاء الله تعالى) فإن سيرته العطرة ستظل مشعلاً يضيء للاجيال اللاحقة طريق الهداية والنور طريق الثبات والصبر على القيم والمبادئ النبيلة والاخلاق القويمة التي ارسى أسسها نبينا محمد ﷺ وهاجر من اجلها وضحى في سبيلها بالغالي والنفيس حتى أتاه اليقين، فقد هاجر الفقيد الراحل من بلده سوريا منذ عقود مضت مؤثراً حياة التنقل والشتات في اصقاع الأرض مرفوع الرأس منتصب الهامة عالي الجبين على حياة الذل والخنوع والتثاقل الى الحياة الدنيا حتى وافته المنية وهو في هجرته هذه ليقع اجره بإذن الله على ربه سبحانه وتعالى ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله...﴾ (النساء:١٠٠).

كان همه الذي لا يفارقه طيلة حياته هو شؤون المسلمين، وما ألمَّ بهم من كوارث ونكبات على ايدي اعدائهم فكان يرحمه الله يتفاعل مع كل قضية من قضاياهم فترى أثارها بادية على وجهه لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ساعياً قدر استطاعته للتخفيف من أثارها على إخوانه في العقيدة والدين. وكانت للقضية الفلسطينية مكانة خاصة في قلبه ووجدانه فهو يعتبرها كغيره من المخلصين الصادقين، قضية أمة باكملها لاقضية شعب فقط وان التفريط بها خيانة للأمة ومقدساتها.

التقيته للمرة الأولى في عيادته في مدينة دير الزور السورية عام ١٩٦٤م فكان نعم الطبيب المعالج الذي يعرف كيف يداوي الأرواح والقلوب قبل أن يداوي الابدان فكان عطوفاً شفوقاً على المرضى عامة والفقراء خاصة وهذا هو سر نجاحه في عمله ودعوته.

كانت الشورى ديدنه في تعامله مع اخوانه وكانوا يلجؤون إليه عند اختلافهم في قضية ما ليجدوا عنده الرأي الصائب السديد وبعد النظر والرؤية الثاقبة مغلفة بروح التواضع والرفق والرحمة.

رحمك الله يا أبا محمد وجعل منزلتك في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أبوبلال

الراحل في سطور

- ولد في مدينة دير الزور في سوريا عام ١٩٢٥م.
- نال شهادة الدكتوراة في الطب عام ١٩٥٢م.
- له من المؤلفات: الوجود الحق، من نفحات الهدى، محاذير الاختلاط، الشورى في الاسلام، مفهومات في ضوء العلم (تحت الطبع).
- دفن في العاصمة الاردنية (عمان) بعيداً عن وطنه.



صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

حول نكاح نساء أهل الكتاب

العلامة أبو الأعلى المودودي (السنة الثامنة - العدد 86 - غرة صفر 1392هـ - 16 مارس 1972م)

لقد طلب منا أحد إخواننا المخلصين بإلحاح شديد أن ننشر كلمة مفصلة عن زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب، مستندين في ذلك إلى أحكام الكتاب والسنة، لأن فتنة «الإفرنجيات» كما يقول هذا الأخ الكريم، في تفاقم وانتشار هذه الأيام. وقد اتخذ المسلمون من الإذن الشرعي في هذا الباب حيلة للاستمتاع بهن، واستيرادهن بكثرة لا يوجد لها مثيل في تاريخهم الماضي.



ومما لا مجال فيه للريب أن هذه فتنة كبيرة في واقع الأمر، ظهر من تأثيرها الكثير في الهند ومصر وسوريا والكويت وغيرها من بلاد المسلمين.

إن «السيدات الغربيات» ولجن في حياة المسلمين الاجتماعية، ثم عملن ما في وسعهن لاستئصال الحضارة الإسلامية، وأخطر من ذلك ما ظهر من النتائج السياسية مما لا يستطيع مسلم- إن كان في قلبه حب للإسلام والمسلمين- أن يسكت عليه.

وعلى هذا..إن كان المخلصون من أفراد المسلمين اليوم يشعرون بحاجة إلى أن يقوموا في وجه هذه الفتنة، ويضعوا لها حدا معلوما فلا شك أن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على حبهم للإسلام، ونصحهم للمسلمين.

ولكن..كيف يكون عندنا التغيير والتعديل في قضية شرعية ثابتة؟

إن الذي قد أنزل القرآن حكيم عليم على الإطلاق، لا ينظر إلى كل المصالح والضرورات والحاجات إلا بغاية من التوازن والتناسب، فلا بد لإدراك أحكامه وتطبيقها على الظروف الراهنة تطبيقا سليما من أن نوسع دائرة نظرنا بقدر الإمكان، ثم نستعرض المصالح كلها- ما جل منها وما دق- استعراضا تفصيليا شاملا، حتى لا ننزل كل واحدة منها إلا بدرجة من الرعاية والأهمية قد أنزلها بها الشارع نفسه.

فالآية التي تبيح للمسلمين أن يتزوجوا بنساء أهل الكتابين من اليهود والنصارى هي ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥)

اختلاف السلف حول تفسير الآية

لا شك أن السلف- رحمهم الله- قد اختلفوا كثيرا حول تفسير هذه الآية، إلا أن جمهور العلماء في كل زمان

السيدات الغربيات ولجن في حياة المسلمين لإستئصال الحضارة الإسلامية

إنما حملوا حكمها على ظاهر ألفاظها وعموم إطلاقها، إذ لا بد من أن يكون الله أكثر حكمة في تشريعه وتقنينه فهو ملحوظة الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، ولو كانت هناك حاجة إلى استثناء أو تخصيص في حكمه ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) لقيده به بنفسه، إذ مما لا يجتمع مع حكمته في التشريع ألا يستعمل في بيان الأحكام القانونية ولا مثل اللغة الرصينة المتقنة التي يستعملها واضعوا القوانين في الدنيا، فكيف يجوز أن نعتقد إذن أن كل مقصوده بهذا الحكم أن يحل للمسلمين التزوج بنساء طائفة خاصة من أهل الكتاب، وقد اختار لبيان هذا الحكم ألفاظا عامة شاملة لأهل الكتاب كلهم، لا إشارة فيها قطعا إلى استثناء أو تخصيص، لأجل هذا فإن جمهور الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الآية على الإذن العام في التزوج بنساء أهل الكتاب بدون قيد ولا شرط، بل قد تزوجهن جماعة منهم ولم يروا بذلك بأسا لعموم هذا الإذن، فقد تزوج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي نصرانية، وتزوج طلحة بن عبيدالله يهودية من أهل الشام، وتزوج حذيفة بن اليمان وكعب بن مالك والمغيرة بن شعبة بنساء من أهل الكتاب أو خطبوهن للزواج.

رأي عبدالله بن عمر

ولكن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- من الصحابة وحده هو الذي كان لا يرى التزوج بنساء أهل الكتاب مطلقا، وكان يقول: إن الله حرم على المؤمنين النساء المشركات في قوله تعالى ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: من الآية٢٢١) وكان يقول «لا أعلم شركا أشد من أن تقول- أي المرأة- إن ربها عيسى أو عبد من عبيدالله»، ولذا فإنه يحرم التزوج بنساء كل من يوجد الكفر والشرك في اعتقادهم من أهل الكتاب، وقد فسر كلمة «والمحصنات» بالمسلمات، فمعنى الآية بموجب رأيه: أن لكم أيها المسلمون أن تتزوجوا أيضا باللاتي يدخلن في الإسلام من نساء أهل الكتاب.

رأي غير صحيح

ولكن لا يصح من هذا الباب رأي ابن عمر-رضي الله عنهما- وذلك لأسباب نذكرها بالاختصار في ما يلي: إن الله سبحانه وتعالى بنفسه قد بين في كتابه من معتقدات أهل الكتاب ما هو مبني على صريح الشرك كقولهم ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (المائدة: من الآية١٧) وكقولهم ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة: من الآية٧٣) وكقول اليهود «عزيز بن الله» وقول النصارى «المسيح ابن الله» بل قد نسب إليهم كلمتي الشرك والكفر، ولكنه على ذلك لم يذكرهم في أي موضع من كتابه بكلمة «المشركين» كاصطلاح لهم، وإنما ذكرهم في كتابه كله بكلمة «أهل الكتاب»، أو بكلمات أخرى لها نفس هذا المعنى، اقرأ القرآن من أوله إلى آخره تجد فيه ثلاث طوائف مستقلة بعضها عن بعض: طائفة المشركين والكفار، أي الذين ليس عندهم كتاب سماوي على وجه محرف أو غير محرف، وطائفة أهل الكتاب، أي الذين يؤمنون بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب السماوية، على كل ما هم فيه من الضلالات الاعتقادية أو العملية، وطائفة أهل الإيمان، وهم المؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عما إن كانوا ولدوا في الإسلام أو دخلوا فيه من طائفة أهل الكتاب، أو طائفة المشركين والكفار.

والقرآن في ذكره هذه الطوائف الثلاثة يميز بعضها عن بعض بما لا مجال فيه للاشتباه والاختلاط مطلقا، فلا يقول: «أهل الكتاب» ويريد بهم المشركين، أو يقول: «المشركين أو الكفار» ويريد بهم اليهود والنصارى، أو يقول «الذين أوتوا الكتاب» ويريد بهم المسلمين، فلما قال تعالى في موضع من كتابه ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ (البقرة: من الآية٢٢١) ثم قال في موضع آخر ﴿اليوم أحل لكم الطيبات...﴾ إلى أن قال ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ (المائدة: ٥)، فلا بد من القول بأنه ليس المراد بالمشركات في الآية الأولى نساء أهل الكتاب، وإنما المراد بهن نساء الوثنيين وغيرهم من الأمم غير الكتابية.

ونحن إذا لم نفسر كلمة «المشركات» و «المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» بهذا المعنى فإن ذلك يستلزم تعارضا صريحا بين آيتين في القرآن، لا يمكن رفعه بمجرد أن يقال إن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أولئك اللاتي كن قد دخلن في الإسلام من نساء اليهود والنصارى، أو أن المراد بهن نساء الفرق الكتابية المتنزهة عن الشرك والكفر وذلك:

١- لأن الله عز وجل قد قال ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (المائدة: من الآية٥) قبل أن يقول ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (المائدة: من الآية٥)، وليس المراد «بالمؤمنات» اللاتي قد ولدن في الإسلام فحسب، بل المراد بهن كذلك اللاتي قد دخلن في الإسلام تاركات أديانهن السابقة، فلما كان قد أحل الزواج بالمؤمنات عموما وفيهن من كن يهوديات أو نصرانيات قبل الإسلام، فأية حاجة اقتضت إذن ذكر المسلمات من الذين أوتوا الكتاب بالذات بعدهن؟ إذ لو كان الأمر هكذا لما كان لهذه الجملة أي معنى أبدا.

٢- وقد قيل قبل هذه الآية كذلك ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥)، فهل المراد بهم هنا أيضا أولئك المسلمين الذين قد دخلوا في الإسلام من اليهودية أو النصرانية؟ فإن



من تراث الوعي

قيل: لا، فعلى أي أساس جاز أن يفسر «الذين أوتوا الكتاب» في جزء من آية بمعنى غير المعنى الذي يفسر به في جزء آخر من الآية نفسها؟

٣- أية فرقة من فرق أهل الكتاب هي بريئة من الشرك أو الكفر؟ ومتى وجدنا فيهم الاعتقاد السليم عن الله؟ ومن أين كان لهم أن يهتدوا إليه؟ لقد كانوا حرفوا أصل تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام، فأنى كان لهم أن يجدوا سبيلا إلى صحة الاعتقاد حتى تكون فرقة منهم على الصراط المستقيم؟ إذن لا يصح القول أبدا بأن المراد «بالذين أوتوا الكتاب» في قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) فرقة من اليهود أو النصارى سليمة في اعتقادها.

أما الآيات التي قد يخيل إلى الإنسان عند قراءتها أنه كان في أهل الكتاب فرق سليمة في اعتقادها، فإنها تشير في حقيقة الأمر إلى أناس من أهل الكتاب كانوا قد آمنوا بالقرآن واتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم، أو كادوا بناء على طهارة قلوبهم وسلامة فطرتهم.

٤- وإذا فرضنا أن اليهود والنصارى فيهم طائفة مثل هذه، فإن الله تعالى ما قيد ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) بشيء يجوز الاستدلال به على أن هذا الحكم خاص بتلك الطائفة وحدها، وليس بشامل لسائر أهل الكتاب، فما لنا إذن نشغل أنفسنا بفحص معتقدات أهل الكتاب، ونقضي بقياسنا أنه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء الفرقة أو الفرق «الفلانية» من أهل الكتاب، ولا يجوز لهم أن يتزوجوا بنساء سائر فرقهم؟.

دليل آخر غير سليم

والذين قد أيدوا ابن عمر رضي الله عنهما في رأيه يستدلون كذلك بقوله تعالى ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: من الآية١٠)، مع أن هذه الآية إنما نزلت خاصة في أولئك الرجال والنساء الذين قد هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام، والذين بقيت زوجاتهم أو أزواجهن على الكفر في دار الحرب، والمقصود من الآية بيان أن نكاح الجاهلية ينفصم مع مجرد دخولهم في دار الإسلام، ويكون من حق الرجل المهاجر أن ينكح غير زوجته السابقة، ومن حق المرأة المهاجرة أن تنكح غير زوجها السابق، هذا المعنى يتحقق باعتبار شأن نزولها، أما إذا اقتصر أحد على نفس ألفاظها، فنقول: إن الله عز وجل أنزل في موضع حكما عاما بقوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: من الآية١٠)، وبين في موضع آخر أن جماعة من الكفار وهم من أهل الكتاب، مستثنون من هذه الحرمة العامة وذلك بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥)، وإنكم إذا كنتم لا تقولون بأن هذا الحكم الثاني قد خصص الحكم العام الأول، فلا بد أن تقولوا بأن هناك تناقضا في أقوال الله عز وجل، يحل شيئا في موضع، ويحرمه في موضع آخر والعياذ بالله.

رأي ابن عباس

والصحابي الثاني الذي حاول أن يضع حدا لإباحة الزواج بنساء أهل الكتاب: هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذ يقول: إن هذا الحكم خاص بالذميات دون الحربيات، فلا يجوز الزواج إلا بنساء اليهود والنصارى الذين هم من رعايا دار الإسلام، مهما كانت عقائدهم فاسدة، وأما أهل الحرب منهم- أي الساكنون خارج حدود دار الإسلام- فلا يجوز الزواج بنسائهم، ودليله على ذلك أن الله قد أمر المسلمين بقتال هذه الطائفة من أهل الكتاب، وذلك حين قال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:٢٩)، وأيضا قد حرم على أهل الايمان أن ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: من الآية٢٢)، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالعلاقة الزوجية لا تقوم إلا على المودة والرحمة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: من الآية٢١)، فعلى هذا كانت علاقة الزواج توجب المودة والمحبة، وإذا كانت مودة الحربيين من المشركين وأهل الكتاب محرمة على المسلمين، وكان قتالهم واجبا عليهم فإنه ينبغي أن يكون زواج الحربيات سواء أكن من المشركين أم من أهل الكتاب محظورا.

هذا ما يحتج به سيدنا عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-، إلا أن جمهور الصحابة والتابعين والأئمة الفقهاء لم يوافقوه على رأيه، كما لم يوافقوا سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على رأيه، وهم وإن كانوا كلهم يكرهون الزواج بامرأة من أهل الكتاب، إذا كانت من دار الحرب أو دار الكفر، ولكن ما قال بحرمته أحد منهم، لأن إباحته المذكورة في قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) عامة شاملة لأهل الكتاب جميعا، سواء أكانوا من أهل الحرب أم من غيرهم، والله تعالى ما قيدها بشيء.

هذا بالنسبة للجواز القانوني، والمقصود مما قلنا إن هذا الجواز القانوني يجب أن يبقى على عمومه وشموله الموجودين في آية القرآن، أما عدم تناسب الزواج وكراهيته على اعتبار المصالح القومية أو الظروف الشخصية، فهذا أمر آخر، لا يجوز لنا أن نحرم الحلال، غير أنه من حقنا ولا ريب أن نتجنب فعلا حلالا إذا كان لا يناسبنا في وضع خاص، إذ ليس معنى الحل والإباحة الأمر واللزوم.

المسلمون اتخذوا من الإذن الشرعي في الزواج بـ « الإفرنجيات » حيلة للاستمتاع بهن واستيرادهن بكثرة

رأي جمهور الصحابة والأئمة واختلافهم

والذين لا يوافقون عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس- رضي الله عنهم جميعا- على رأيهما، ويقولون بأن حكم الآية شامل لأهل الكتاب كلهم، يدور الخلاف بينهم في معظمه حول تفسير كلمتين وهما: (المحصنات) و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥).

فالمحصنات عند جماعة منهم «العفائف»، وعند جماعة أخرى «الحرائر» دون الإماء، فلا يجوز الزواج عند الجماعة الأولى إلا بالعفائف من نساء أهل الكتاب دون الفاحشات والمومسات منهن، ولا يجوز الزواج عند الجماعة الأخرى بالإماء من نساء أهل الكتاب ولو كن عفائف، ويجوز بالحرائر منهم ولو كن فاحشات.

رأي الشافعي

أما أهل الكتاب فيقول الإمام الشافعي رحمه الله: إنهم اليهود والنصارى من بني إسرائيل، وأما الأمم الأخرى التي قد انتحلت اليهودية أو النصرانية فلا تطلق عليها كلمة «أهل الكتاب»، لأنه ما أرسل موسى ولا عيسى عليها السلام إلا إلى بني إسرائيل، وما كانت دعوتهما لغيرهم من أمم الأرض.

رأي الأحناف والجمهور

ويقول الأحناف وجمهور الفقهاء: إن كل أمة إذا كانت مؤمنة بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب الإلهية تعد من أهل الكتاب، وليس كونها من اليهود أو النصارى شرطا في ذلك، فلو كانت في الدنيا طائفة مؤمنة بصحف إبراهيم وحدها، أو الزبور وحده لكانت طائفة كتابية.

رأي جماعة آخرين

وقد ذهبت جماعة قليلة من السلف إلى أن كل أمة عندها كتاب يجوز الظن بأنه سماوي هي من أهل الكتاب كالمجوس مثلا، وهذه الفكرة قد وسعها في هذا الزمان جماعة من المجتهدين الجدد، حتى قالوا إن الهنادك والبوذيين أيضا من أهل الكتاب، فيجوز الزواج بنسائهم لأنه لا بد أن يكون قد جاءهم نبي من الأنبياء، ولا بد أن يكونوا قد أوتوا كتابا من الكتب السماوية.

الرأي الصحيح

وأصح رأي في كل هذه الاختلافات عندنا الرأي القائل بأن المراد من أهل الكتاب اليهود والنصارى، سواء أكانوا من بني إسرائيل أم من غيرهم، فإن كلمة «أهل الكتاب» ما وردت بالقرآن إلا لهاتين الطائفتين، وقد صرح في موضع آخر بأنهما هما أهل الكتاب، وذلك حيث يقول عز من قائل: ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ (الأنعام: من الآية١٥٥-١٥٦)، أما الأمم الأخرى التي أنزلت إليها الكتب، فهي لما قد أضاعت كتبها ولم يبق شيء من معتقداتها وأعمالها يتفق مع تعاليم الأنبياء فلا يجوز أن تطلق على إحداها كلمة أهل الكتاب، ولذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما جعل المجوس من أهل الكتاب على اعتقادهم بزرداشت، فلما أخذ الجزية من مجوس هجر قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» (موطأ مالك)، ولم يقل إنهم من أهل الكتاب.

ولما كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام قال بكل صراحة «فان أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ومن أبى فعليه الجزية غير أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم» فلا مجال للشبهة بعد ذلك بأنه يجوز أن تعد أمة غير اليهود والنصارى من أهل الكتاب، فتؤكل ذبائحها وتنكح نساؤها.

الرد على مخالفي هذا الرأي

أما رأي الإمام الشافعي رحمه الله، أي اشتراطه بالإسرائيلية، فلا يصح كذلك، لأنه وإن كان الخطاب في دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لبني إسرائيل وحدهم إلا أن الله ورسوله قد عد من أهل الكتاب حتى الأمم غير الإسرائيلية التي انتحلت النصرانية، ويدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كتب إلى قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام ضمن في رسالته هذه الآية ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية٦٤) مع انه لم يكن الروم من بني إسرائيل.

أما الذين فسروا المحصنة بالعفيفة أو الحرة وجعلوا العفة أو الحرية شرطا لتزوج الكتابية فلا يصح رأيهم أيضا عندنا، إذ لا شك أن الإحصان يشمل مفهومه كلا من العفة والشرف، وما المحصنة إلا عفيفة وشريفة معا، ولكن ليس من مقصود الشارع بقوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) أن يجعل العفة أو الشرف شرطا لجواز الزواج بنساء أهل الكتاب، وإنما مقصوده به إظهار الأفضلية والأولية، ويقصد في حقيقة الأمر بيان أنه وان كان لكم، أيها المسلمون أن تتزوجوا أية امرأة من المؤمنات أو من أهل الكتاب، ولكن الأولى والأفضل أن تكون تلك المرأة محصنة أي عفيفة وشريفة.

وقد قيدت كثير من أحكام القرآن بأمور ليست بشروط لثبوت الحكم، وإنما هي كقيود زائدة لإظهار أفضل ناحية في فعل من الأفعال المباحة، أو لإظهار أرذل ناحية في فعل من الأفعال المحرمة، حتى يبذل أهل الإيمان اهتمامهم لاختيار الأفضل واجتناب الأرذل، وهذا عين ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الباب حين تزوج حذيفة بن اليمان بيهودية، فكتب إليه عمر «أن خل سبيلها» فكتب إليه حذيفة أحرام هي؟ فكتب إليه: لا، ولكني أخاف أن تواقعوا المومسات منهن!.

فأصح رأي عندنا أن نجعل السماح الشرعي بتزوج نساء أهل الكتاب عاما، من الحربيات كن أو من الذميات، ومن العفائف كن أو من غير العفائف، ومن الإماء كن أو من الحرائر.

مصطفى الزرقا.. الفقيه الورع

عبده الدسوقي

عانى العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين من الوقوع تحت نير الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، فقد احتلت بريطانيا مصر منذ سبتمبر ١٨٨١م ومن قبل كان الاحتلال الفرنسي عام ١٧٩٨م، ما أدى إلى تخلف البلاد وانهيارها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا.

وظهر أثر الفكر الغربي في الفكر والثقافة الإسلامية، فظهر الفكر التغريبي والدعوة إلى فصل الدين عن السياسة، كما اجتاحت الشيوعية الهدامة كثيرا من بلاد المسلمين وتغلغلت فيها، وانعكس كل ذلك على التعليم فأصبحت نسبة المتعلمين لا تتجاوز الـ٢٠٪ من نسبة المجتمع المصري مثلا، جلهم من الطبقة الثرية، ناهيك عن المدارس التبشيرية التي كانت تتبع الإنجليز أو الأميركان أو غيرهم.

في ظل هذه الأوضاع ظهرت ثلة من الشخصيات التي تركت بصمات في إصلاح المجتمع قبل رحيلها، ومنها الشيخ الفقيه مصطفى الزرقا، رحمه الله.

من هو

هو من أبرز علماء الفقه في العصر الحديث، ولد الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد بن السيد عثمان بن محمد بن عبدالقادر الزرقا، بمدينة حلب في سورية عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م، في بيت علم وصلاح، ونشأ في بيئة علمية حافزة على الطلب والتحصيل، حيث تربى تحت نظر جده العلامة الكبير الشيخ محمد الزرقا، وفي رعاية والده الفقيه الشيخ أحمد الزرقا (١٢٨٥-١٣٥٧هـ/١٨٦٩-١٩٣٧م) (من أعلام علماء تلك المدينة، وكان مشهوراً بالفقه الحنفي بوجه خاص، وكان مدرسا بالمدرسة الثانوية الشرعية) رحمهما الله تعالى.

فنشأ في ذلك الجو العلمي النابض، وظهرت عليه ملامح النجابة والذكاء منذ طفولته، وساعده على ذلك النبوغ تلقيه العلم عن كبار علماء حلب، ومعرفته باللغة الفرنسية والعلوم العصرية.

دراسته

بدأ دراسته في كتاتيب القرآن الكريم، وقرأ في بدايته كتاب «الكفراوي على الآجرومية» على العلامة المحقق محمود بن سعيد السنكري، وتوجهت رغبة الشيخ إلى التجارة، ولكن جده أصرَّ على أن يسجله والده في المدرسة الخسروية.

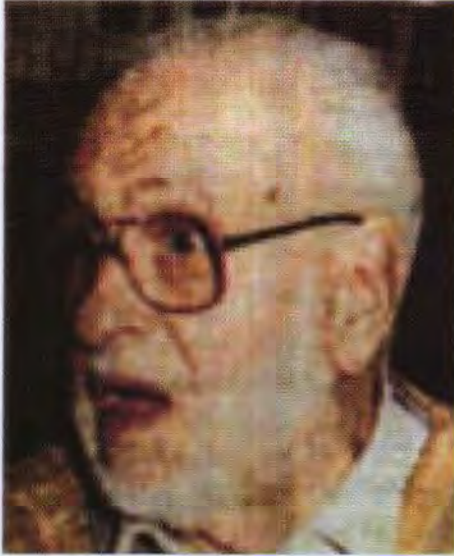
تتلمذ على يد المحدث الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني، ووالده العلامة الشيخ أحمد الزرقا، حيث درس عليه الفقه الحنفي، وقواعد الأحكام العدلية، والعلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ، ودرس عليه الحديث والسيرة النبوية، والعلامة الشيخ محمد الحنيفي، ودرس عليه شرحه لجوهرة التوحيد.

ثم تابع بجهوده الشخصية دراسته العصرية، فنال شهادة البكالوريا الأولى في شعبة العلوم والآداب، وحصل على الدرجة الأولى على طلاب سورية جميعهم، ثم توجَّه إلى دمشق سنة ١٩٢٩م لمتابعة دراسته العصرية، ونال البكالوريا الثانية في شعبة الرياضيات والفلسفة، والتحق- بعد إحرازه البكالوريا الثانية- بالجامعة السورية، وفي عام ١٩٣٣م تخرج من كليتي الحقوق والآداب معاً، وأحرز الدرجة الأولى، ثم حاز عام ١٩٤٧م دبلوم الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).

ومن أساتذته في تلك المرحلة: الشيخ عبدالقادر المبارك، وعبد القادر المغربي، وسليم الجندي، وشاعر الشام شفيق جبري.

باشر التدريس في وقت مبكر، حيث تولى التدريس مكان والده في المدارس التي كان يدرس فيها، في المدرسة الخسروية والشعبانية، كما تولى القيام بالدرس الذي كان لوالده في الجامع الأموي بحلب، وجامع الخير، ولذلك درس الكثير من الطلبة الذين هم أكبر منه سناً، وألحق الأحفاد بالأجداد.

ثم انتقل الشيخ إلى دمشق للتدريس في كلية الحقوق عام ١٩٤٤م، كما درس في كلية الشريعة بدمشق بعد إنشائها سنة ١٩٥٤م، وبقي فيها أستاذاً للحقوق المدنية والشريعة، حتى بلوغه سن التقاعد في آخر عام ١٩٦٦م.



اشتغل بالمحاماة لمدة عشر سنين، بعد تخرجه في كلية الحقوق، بعد ذلك عينته وزارة الأوقاف في الكويت خبيراً للموسوعة الفقهية فيها سنة ١٩٦٦م، وبقي في الكويت خمس سنوات قائماً بهذه المهمة خير قيام، حيث أنجز مشروع «الموسوعة الفقهية» محرراً على المذاهب الفقهية الثمانية، ومعجماً للفقه الحنبلي يقع في ١١٤٢ صفحة مرتَّباً ترتيباً هجائيا بإشرافه.

كما اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضواً في المجمع الفقهي منذ إنشائه عام ١٣٩٨هـ، وقدم للمجمع عدة دراسات فقهية معاصرة.

ودرس في معهد الدراسات العربية العالية، التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، ثم درس في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية عام ١٩٧١م، وظل بها حتى عام ١٩٨٩م، وتخرج على يديه وتربى على منهجه العلمي نخبة من كبار العلماء، الذين تبوأوا أرفع المناصب العلمية.

ومن هؤلاء التلاميذ الشيخ المحدث عبدالفتاح أبوغدة، والفقيه الحنفي الشيخ محمد الملاح، واللغوي الأديب عبدالرحمن رأفت باشا، والفقيه الأصولي الشيخ محمد فوزي فيض

الله.

كان الشيخ مثالا لا يجارى في الأخلاق والذوق والكياسة، تأثر به كل من احتك به، فقد كان رفيقا شفيقا، كما كان متأسيا بأخلاق الرسول ﷺ حتى أصبح شامة بين العلماء، وكان يحب اللباس المتوسط النظيف البعيد عن المغالاة، ويحرص على نظافة ملابسه وحذائه، كما كان لا يفارقه الطيب في كل أحيانه.

عمله ونشاطه العلمي والسياسي

كان الأستاذ مصطفى الزرقا يتقن اللغة الفرنسية تحدثاً وكتابة، ويجيد اللغة الإنجليزية، ويعرف شيئاً من اللغة الألمانية، وهذه المعرفة للغات الغربية، إضافة إلى تفوقه العلمي قادته إلى حضور كثير من المؤتمرات العالمية، فقد سماه الدكتور يوسف القرضاوي سلسلة الذهب.

في الستينيات أقيم في دمشق «أسبوع الفقه الإسلامي» وقد حضره فقهاء كثيرون من مختلف بقاع العالم الإسلامي، وكان منهم الأستاذ الزرقا والشيخ محمد أبوزهرة، والدكتور مصطفى السباعي، وفي إحدى المسائل الفقهية المعاصرة، وهى مسألة التأمين اختلف العملاقان الزرقا وأبوزهرة اختلافاً كبيراً، وانتصر كل منهما لرأيه، وراح يأتي بالأدلة والبراهين، ولم ينته الرجلان إلى اتفاق.

وسئل الدكتور السباعي في جلسة خاصة عن سبب اختلاف العالمين، ورأيه فيما قالا فقال: الأستاذ أبوزهرة مكتبة فقهية، والزرقا ملكة فقهية، وكأنه رحمه الله يعني أن الفرق كبير بين المكتبة والملكة، ففي المكتبة عشرات أو آلاف المراجع المحفوظة والروايات المسجلة، بينما الملكة هي أول أدوات المجتهد.

حصل الشيخ مصطفى الزرقا على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٤هـ تقديراً لإسهاماته المميّزة في مجال الدراسات الفقهية، وخاصّة كتابه «المدخل إلى نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي».

وله مشاركات علمية أخرى، منها: مشاركته في وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية السوري عام ١٣٧٢هـ، ورئاسته لجنة مشروع القانون الموحد للأحوال الشخصية لمصر وسورية خلال وحدتهما (١٩٥٨: ١٩٦١)، وقد قام الأستاذ الزرقا بنشر هذا المشروع، وقدَّم له، وصدر عن دار القلم بدمشق، كما شارك في تأسيس وتطوير مناهج عدد من الجامعات، وشارك في كثير من المؤتمرات.

الشيخ كان مثالاً في الأخلاق والذوق والكياسة...وعرف بأنه صاحب ملكة فقهية فريدة

من مؤلفاته

١- أحكام الأوقاف.
٢- في الحديث النبوي.
٣- الاستصلاح والمصالح المرسلة في الفقه الإسلامي.
٤- الفعل الضار والضمان فيه.
٥- نظام التأمين، والرأي الشرعي فيه.
٦- الفقه الإسلامي ومدارسه (بتكليف من منظمة اليونسكو).
٧- صياغة شرعية لنظرية التعسف في استعمال الحق.
٨- المدخل الفقهي العام، الجزء الأول والثاني.
٩- مجموعة فتاوى الشيخ مصطفى الزرقا، وغيرها من المؤلفات.

وبرز الشيخ في الفتوى حيث يرى أن الشريعة لا يمثلها مذهب واحد وإنما يمثلها مجموع المذاهب والمدارس الفقهية على اختلاف مشاربها وتعدد مسالكها، كما يتجلى ذلك بوضوح في عدد من الفتاوى، وهو يرى أن العصبية المذهبية سجن ضيق في جنة الشريعة الفيحاء.

ويقوم منهجه على أسس هي:

١- الاستقلال في الفهم والبعد عن العصبية المذهبية.
٢- التخفيف والتيسير والبعد عن الحرج بضوابطه الفقهية.
٣- تطبيق مبدأ سد الذرائع.
٤- الأخذ بفقه الضرورة.
٥- التعليل للحكم الفقهي.
٦- ذكر الحكم الديني بجانب الحكم القضائي.
٧- الاستدلال بالقواعد الفقهية والأصولية.
٨- إحالة المستفتي إلى كتاب يستوفي الموضوع.
٩- سؤال إخوانه من أهل العلم.
١٠- إيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة.
١١- تقييد الفتوى بقيود وضوابط.

انتخب عن مدينة حلب نائباً في المجلس النيابي السوري عام ١٩٥٤ ثم ١٩٦١م، وأسندت إليه وزارتا العدل والأوقاف عامي ١٩٥٦ ثم ١٩٦٢م.

قالوا عنه

قال الأستاذ عبد القادر عودة، يرحمه الله، عن كتابه المدخل الفقهي العام «اعتصم الفقه الإسلامي من طالبيه في المتون، وتحصن في الشروح، واستعصى على طلابه في اللغة المغلقة والأسلوب العقيم، وكان كل من له إلمام بالفقه الإسلامي، وكل من عانى من قراءة كتبه، يود أن توطأ للناس هذه الكتب حتى تتيسر لهم قراءتها، وتسهل عليهم دراستها، وحتى يستطيعوا أن يوازنوا بين الفقه الحديث وبين الفقه الإسلامي العتيد؛ ذلك الفقه الغني بموضوعاته ونظرياته واصطلاحاته، المتميز بدقته وقوته، ليكون لهم من هذه الموازنة ما يزيد ثقافتهم، ويوسع آفاقهم، ويفتح أعينهم، ويوجههم إلى الطريق المستقيم.

وفاته

فجع العالم الإسلامي بخبر وفاة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا العالم الفقيه، فقد كتب د.بكري شيخ أمين يقول «مصائب كبرى متتالية وقعت على العالم الإسلامي في السنة الهجرية الماضية، تجلت في موت الشيخ عبدالعزيز بن باز في المحرم، ثم موت الشيخ علي الطنطاوي في صفر، وموت الشيخ مصطفى الزرقا في ربيع الأول، والشيخ مناع القطان في ربيع الثاني، وعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في جمادى الأولى، والفريق يحيي المعلمي في جمادى الثانية، ماتوا جميعاً في المملكة العربية السعودية، ودفنوا تحت ثراها، وبكاهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وسيظل الناس يذكرون أعمالهم الكبيرة إلى أن تقوم الساعة، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها».

ففي يوم السبت ١٩ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩م وافته المنية بعد أذان صلاة العصر. وهو جالس ينقح الفتاوى ويبوبها. رحم الله الشيخ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

البرلس الإسلامية.. بلد المعارك الكبرى

محمد ياقوت

إذا أردنا أن نصور «البرلس» في كلمات قليلة، فنستطيع أن نقول: إنها بقعة إسلامية جعل لها عمرو بن العاص رضي الله عنه أولوية في فتوحاته، وخصها بقائد كبير من قادته، هي بقعة أطنب المؤرخون في ذكر أهميتها واسترسلوا في عد مناقبها، وشرح خيراتها، وهي بقعة استهدفها الرومان الغزاة، ومن بعدهم الصليبيون البغاة، وتخرّج فيها العلماء والفقهاء والدعاة، كان طلاب العلم يأتون إليها من تونس والمغرب والشام والقاهرة يطلبون العلم عند مشايخها أمثال علامة البرلس «ابن الأقيطع».. بلد المعارك الكبيرة، والحصون المنيعة، والحمامات الوفيرة، والزوايا الكريمة، والآثار العتيقة، والمناظر الساحرة الجذابة الأنيقة.. البحر من الشمال، والبحيرة من الجنوب، وبوغاز من الغرب، والخضرة من الشرق.. بقعةٌ حصّنها صلاح الدين، ودافع عنها الملك الكامل، وأكرمها الملك قايتباي، ورفع الملك برقوق عنها المكوس.

يقع إقليم البرلس على بعد ٢٠٠كم من القاهرة، شمال دلتا مصر، بين الإسكندرية من الغرب ودمياط من الشرق، وهي إحدى مراكز محافظة كفر الشيخ، وبلطيم هي عاصمة مركز البرلس.

ثغر البرلس

ورد ذكر اسم البرلس في كتب التاريخ الإسلامي مقرونًا بلفظة «ثغر» (١)، وهذا يدلك على الأهمية العسكرية للبرلس من حيث كونها موضع الرباط، ومحل الجهاد، وبقعة فاصلة بين بلاد الكفر وبلاد الإسلام، لذا قال عنها الإمام السخاوي (٢) «البرلس ثغر عظيم من سواحل مصر» (٣).

وقال اليعقوبي «مدينة البرلس على ساحل البحر المالح، وهي موضع الرباط»(٤)، أي موضع الجيش والسلاح لترَصد أي محاولة عدوان على الأراضي الإسلامية(٥).

خيرات البرلس

لقد مر بالبرلس الرحالة المغربي محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩)، وأطنب في ذكر البرلس، ووصفها بأنها بلاد الصالحين، ثم وصف خيراتها من مزارع وبحيرات، ومما ذكره «... بلاد البرلس ونسترو، وهي بلاد الصالحين... فقصدت تلك البلاد، وهي كثيرة النخل والثمار والطير البحري والحوت- المعروف بالبوري- ومدينتهم تسمى ملطين (٦)، وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروفة ببحيرة تنيس، ونسترو بمقربة منها.. نزلتُ هنالك بزاوية الشيخ شمس الدين القلوي، من الصالحين» (٧).

بلد الصحابة والعلماء

وعلى أثر الفتح الإسلامي لمصر سكن عدد من الصحابة بالبرلس منهم وردان مولى عمرو بن العاص، وغانم بن عياض الأشعري، قال المرتضى الزبيدي «ذكر أبو بكر الهروي أن بالبرلس، اثني عشر رجلا من الصحابة، لا تعرف أسماؤهم، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان بن داود الكوفي البرلسي الأسدي، حدَّث عن أبي اليَمان الحَكم بن نافع، وعنه أبوجعفر الطحاوي، وكان حافظا ثقة»(٨).

وقال الصاغاني(٩) «بُرُلُّس- بالضمات الثلاث وتشديد اللام- قرية من سواحل مصر يُنسَب إليها جماعة من أهل العلم»(١٠).

البحر من الشمال والبحيرة من الجنوب وبوغاز من الغرب والخضرة من الشرق .. موقع البرلس الاستراتيجي

فاتح البرلس

على أثر الفتح الإسلامي فُتحت البرلس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان فاتحها وقائدها وحاكمها هو الصحابي الجليل غانم بن عياض الأشعري رضي الله عنه حفيد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولقد أحبه أهل البرلس وبلطيم لسماحته وعدله وحسن ولايته، وظل يحكم فيهم بأحكام الإسلام حتى توفي بينهم ودفن في تراب البرلس، وضريحه معروف بقرية برج البرلس، ولم يُكره أحدا من أهالي بلطيم والبرلس على الإسلام، وإنما دخلوا في الإسلام لتأثرهم بسماحة المسلمين، وللبون الشاسع الذي لاحظوه بين معاملة الرومان ومعاملة أهل الإسلام.

مولى عمرو بن العاص يموت مدافعًا عن البرلس

استهدف الرومان البرلس بعد فتحها كمحاولة منهم لاستردادها والانطلاق منها عبر سواحل مصر لإخراج المسلمين، وكان ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وحدَث أن القوات الرومانية داهمت سواحلَ البرلس، فجاء الصريخ إلى الإسكندرية - وكان عليها علقمة بن يزيد القيطعي- أن الروم قد نزلوا البرلس فأغيثوها، فاستنفر علقمةُ الناسَ إليهم، فولى عليهم وردان مولى عمرو بن العاص فنفر بهم حتى قدم البرلس بجيشه، فوجد الروم بها، فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد وردان ومن معه، وعدد من الصحابة منهم أبو رقية اللخمي - وكان على الخراج- فاستشهد وعائذ بن ثعلبة البلوي -وكان على الخيل- فاستشهد (١١).

وكان والي مصر في هذه الفترة هو مسلمة بن مخلد، وتوفي مسلمة وهو والٍ عليها، لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين، كانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر، واستخلف عابس بن سعيد عليها (١٢).

ومكان هذه المعركة -على الأرجح- في موضع قرية العنابرة الآن، حيث بها عدد من القبور تنسب إلى جماعة من الصحابة.

نسترو (أو مستروه)

من معالم البرلس الإسلامية قرية

نستروه، تلك التي كان يستهدفها الصليبيون، فيتصدى رجالها مجاهدين صامدين، ومن هجمات الصليبيين على نستروه الهجمة التي وقعت سنة ٨١٩ هـ (١٣).

وارتبط اسم هذه القرية التاريخية ببحيرة نستروه، وجزيرةُ نستروه.

أما الجزيرة فيقول عنها صاحب معجم البلدان «نستروه جزيرة بين دمياط والإسكندرية، يصاد فيها السمك، وعليهم ضمان خمسين ألف دينار، وليس عندهم ماء، وإنما يأتيهم في المراكب فإذا لاحت لهم مراكب الماء ضربوا بوق البشارة سرورًا، ثم يأتي كل رجل بجرته يأخذ فيها الماء ويحملها إلى بيته» (١٤).

قضاء البرلس

ولما كانت للبرلس مكانتها بين أقاليم مصر - سواء في العهد الروماني أو في العهد الإسلامي- كان لها القدح المعلى في القضاء فاشتهرت البرلس بكثرة قضاتها، وكان بها دارٌ للقضاء مشهورة بين أقاليم مصر.

قال السمعاني «كل من ولي قضاء البرلس ولي قضاء مصر حتى إن القاضي إذا ولي البرلس صار الناس يهنئونه بقضاء مصر!» (١٥).

حصون صلاح الدين بالبرلس

ولأهمية البرلس الجهادية أنشأ بها القائدُ العظيم صلاح الدين الأيوبي حصنين كبيرين لحماية السواحل من غارات الصليبيين، وقد عُرف أحد الحصنين باسم «البرج»، واقترن هذا الاسم على مر السنين بالبرلس، حتى عرفت قرية «برج البرلس» بهذا الاسم نسبة لهذا الحصن، أما موضع الحصن الثاني فكان بموضع طابية عربي الآن، وقد قام الخديوي إسماعيل بترميم هذا الحصن عام ١٨٨٢م، وتبلغ مساحته ١٢٢,٥٠٠م٢، وصارت بعد ذلك موضع وحدة مدفعية تابعة للمجاهد الكبير أحمد عرابي ١٨٤١-١٩١١م لذا عُرفت باسمه، وكانت قلعة حربية قديمة من سلسلة التحصينات العسكرية التي أُقيمت لحماية مصر من الغزو البحري عبر البحر الأبيض المتوسط.



فنار البرلس

يعد فنار البرلس من أقدم الفنارات بمصر، وهو الفنار الوحيد المتبقي من مجموعة أنشأها الخديوي عباس، وقد أُنشئ فنار البرلس عام ١٨٦٩م على ارتفاع ستين مترًا، وقد صممه عدد من المهندسين الفرنسيين والإنجليز، والفنار الآن في عُهدة هيئة الآثار بالقرار الوزاري رقم ٤٦٣ لسنة ١٩٩٨، ويقع الفنار الآن في حدود قرية الشيخ مبارك التابعة لمركز البرلس (١٦).

معركة البرلس

من ضمن الثغور التي استهدفها العدوان الثلاثي على مصر ثغر البرلس، وقد ظهرت قوة أهل البرلس في هذه الملحمة حيث أظهر المجاهدون بطولات رائعة في محاولة صد المدمرة الفرنسية «جان بارت» ومن هؤلاء الأبطال جلال الدسوقي، إسماعيل فهمي، صبحي نصير، محمد البيومي، وجميعهم من القاهرة، وجول جمال البطل السوري ابن اللاذقية، وعلي صالح، ومحمد رفعت من الإسكندرية، وجمال رزق من المنصورة.

جرائم اليهود في البرلس

في سنة ١٩٦٩م ضرب اليهودُ البرلسَ ضربتين بالطيران الحربي «الفانتوم»، ضربة كانت في قاعدة الرادار- قرب قرية الكوم الأحمر- وقُتل فيها بنيران الجيش الصهيوني نحو ثلاثين جنديا مصريا، إضافة إلى بعض المدنيين من أهالي بلطيم، ودفنت جثث الأبرياء في مدفن بلطيم، وأُطلق على الشارع المجاور لهم «شارع الشهداء»، والضربة الصهيونية الثانية كانت في منطقة الكُربة في مدخل بلطيم وأدت إلى استشهاد امرأة من أهالي بلطيم، هي السيدة «كريمة محمد موسى».

ها قد رأيتَ هذه النبذة عن «البرلس» .. هذه النبذة الخفيفة تجعلنا نقول بكل ثقة: إن البرلس إسلامية التاريخ، إسلامية الحضارة، إسلامية العلم والأدب، وإن أهل البرلس وبلطيم كانوا مختلطين بالصحابة والمجاهدين والعلماء، فجاهدوا معهم، وتعلموا منهم.

وقد أوقف أهل البرلس وبلطيم أوقافا خيرية من عقارات ومدارس وصدقات في بلاد الحجاز وغيرها... وهذا يدلك على السمة السائدة بين أغنياء هذا العصر من خير وفضل، وبذل وعلم، وكان الواحد من أهالي بلطيم والبرلس تؤثَر عنه رحلات في طلب العلم، ورحلات في الجهاد والرباط عند الثغور، وحسبك قصة «يعقوب بن محمد بن صديق البرلسي» (ت ٨٨٣هـ)، وكان الواحد من أهالي البرلس يذهب إلى القاهرة يطلب العلم عند الإمام السخاوي أو غيره، ثم يرجع البرلس فيرسل ولدًا بعد ولد إلى القاهرة، يطلبون العلم عند العلماء والفقهاء والقراء، فلا يكاد يخلو بيت من عالم أو طالب علم.

هوامش

(١) الثغر هو الموضع الذي يكون حدًا فاصلا بين الوطن والعدو، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.

(٢) هو الإمام المؤرخ الشافعي محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ) أصله من مدينة سخا بمحافظة كفر الشيخ، انظر الأعلام للزركلي (١٩٤/٦).

(٣) السخاوي، الضوء اللامع (٥ / ٣٣٥).

(٤) البلدان (١ / ٤٢).

(٥) وفي فضل المرابطة على الثغور يقول النبي ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ، جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» (مسلم).

(٦) يقصد بلطيم.

(٧) رحلة ابن بطوطة، ص ٢١.

(٨) تاج العروس (١٥ / ٤٤٧).

(٩) الرضى الصاغاني (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٥٢ م) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني الحنفي رضي الدين: أعلم أهل عصره في اللغة. وكان فقيها محدثا (الأعلام للزركلي٢/٢١٤).

(١٠) العباب الزاخر (١ / ٦).

(١١) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق (٦٢ / ٤٣٣).

(١٢) الكندي، ولاة مصر (١/١١).

(١٣) انظر ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر (٧ / ٢١٠).

(١٤) الحموي: معجم البلدان (٢٨٤/٥).

(١٥) الأنساب للسمعاني (٣٢٨/١).

(١٦) شاهد في جوجل إيرث مجموعة صور لحمدي أبو زيد عن بلطيم.

إعداد : علي الحربي

برنامج هاتفي للتذكير بأوقات الصلاة



قام علماء في معهد جورجيا للتكنولوجيا في الولايات المتحدة بتطوير برنامج الكتروني يتيح لمستخدمي الهواتف المحمولة المسلمين معرفة أوقات الصلاة والتوجه بشكل صحيح نحو الكعبة وينبه المسلمين الى اقتراب مواعيد الصلاة وذلك بعرض صورة للشمس على الهاتف المحمول، وقال العلماء: ان ميزة البرنامج الجديد انه يتيح للمسلم معرفة أوقات الصلاة سواء كانت السماء صافية أو ملبدة بالغيوم أو عندما يكون داخل المباني المغلقة، وقال قسم برامج الكمبيوتر في المعهد. ان برنامجنا على عكس البرامج الأخرى يعتمد على الصور بدل النص من أجل الابلاغ عن أوقات الصلاة وتمت تجربة البرنامج في منطقة أتلانتا بالولايات المتحدة وسيزود بساعة رقمية وجهاز انذار يحدث اهتزازات خفيفة للتنبيه الى أوقات الصلاة.

تصفح الانترنت أثناء العمل يساهم في زيادة الانتاجية

أكدت دراسة جامعية حديثة أن السماح للموظفين بتصفح الانترنت والدخول الى الشبكات الاجتماعية والمواقع الالكترونية من شأنه أن يزيد من انتاجية الموظفين.

وكان الباحثون قد أكدوا في تقريرهم (Freedom to Surf)أن منح الموظفين امكانية الاتصال بشبكة الانترنت وتصفح مواقع الكترونية سيساهم في زيادة الانتاجية أثناء العمل.

إن منح الموظفين القدرة على تصفح الانترنت لمقدار معين من الوقت يقل عن ٢٠ في المائة من الوقت الفعلي للعمل سيساهم في جعل الموظفين أكثر انتاجاً بنسبة ٩ في المائة بالمقارنة مع من لم يُسمح لهم بتصفح الانترنت أثناء العمل.



يذكر أن منح الموظفين القدرة على تصفح مواقع الوسائط والشبكات الاجتماعية يعتبر من أهم القضايا المثارة على الساحة التقنية، حيث أن العديد من الشركات الكبرى حاولت على مدار السنوات الفائتة منع موظفيها من الدخول الى المواقع الالكترونية على الويب لأسباب متعلقة بمستوى انتاجية الموظفين، وأشارت الدراسة أن تحقيق ارتفاع في مستوى انتاجية الموظفين يتم الوصول اليه عبر عمليات تصفح محكومة بضوابط ومرتبطة بقيود وقواعد زمنية، حيث أكدت أن الإفراط في استخدام الانترنت سيسبب حدوث نقص في الانتاجية لأقل من معدلاتها الطبيعية.

ياهو تطرح رسميًا خدمة ياهو موبايل

طرحت شركة ياهو رسميًا خدمة ياهو موبايل لمتصفحات المحمول وiPhone. وأصبح متاحًا حاليًا على أكثر من ٣٠٠ هاتف محمول مزود بمتصفحات محمولة مزودة بخاصية HTML أو كتطبيق في iPhone App Store ويمكن الوصول الى الخدمة من الهواتف المحمولة من على http: //new.m.yahoo.com.

وتأتي خدمة ياهو موبايل بـ Yahoo oneSearch وYahoo News وYahoo oneConnect، الذي يجمع بين بريد الويب وYahoo Calendar وYahoo Address Book و Yahoo Messenger بالاضافة الى الشبكات الاجتماعية. كما ستقدم الخدمة أيضًا ياهو ون بلس التي تسمح للمستخدمين بتجميع كل الروابط في محتويات المفضلة الخاصة بهم في مكان واحد.

آدامو الكمبيوتر الأقل سمكاً في العالم

أطلقت شركة ديل الحاسب المحمول الجديد آدامو الأقل سمكاً في العالم، مما يعني سهولة حمله وخفة وزنه، وهو يمثل خطوة رائدة في مجال منتجات الحوسبة الشخصية التي تتسم بمزيج من التصميم الجديد والجمال والخيارات الشخصية المتنوعة وأرقى أنواع التكنولوجيا وأكثرها جودة، والاطار الخاص بالجهاز الجديد مصنوع من قطعة واحدة من الألومنيوم تتميز بدقة التفاصيل، ولوحة المفاتيح الصدفية الى جانب شاشة عرض زجاجية عالية الجودة تحاكي أفضل ما توصلت اليه التكنولوجيا في هذا المجال ويتوفر آدامو بعدة طرازات مزودة اختيارياً بقرص تخزين خارجي بسعة ٢٥٠ جيجابايت أو ٥٠٠ جيجابايت، ومحرك أقراص «دي في دي» أو أسطوانة بلو راي وتوفر ديل لمقتني هذا الطراز العديد من الخدمات يأتي في مقدمتهاخدمة التدريب الفني على مدار الساعة وخدمة الصيانة والاصلاح في اليوم التالي مباشرة للابلاغ عن العطل.



برنامج يكتشف ويزيل التجسسية



يمكنك من خلال برنامج سباي بوت Spybot Search and Destroy اكتشاف وازالة البرامج التجسسية من حاسبك. والبرامج التجسسية عبارة عن نوعية جديدة من التهديدات الامنية التي لا تستطيع التطبيقات المضادة للفيروسات من التعامل معها حتى الآن، وحال ملاحظتك لوجود شريط ادوات جديد في متصفح الويب انترنت اكسبلورر والذي لم تقم انت عن قصد بتركيبه، او لو ان ذاكرة المتصفح او الصفحة الرئيسية له تغيرت بدون علمك؛ فعليك ان تضع في اعتبارك -غالبا - أن حاسبك مصاب ببرنامج تجسس، وعلى كل حال وحتى ان لم تر اي اعراض فيظل احتمال اصابة حاسبك ببرنامج تجسس امر قائم، لانه يوجد العديد والجديد دوما من برامج التجسس التي تصمم لتعمل بصمت دون ان تشعرك باي شيء غريب، وتكون وظيفتها هي تتبع عاداتك وسلوكياتك في تصفح الويب؛ وذلك لانشاء سمة تسويقية خاصة بك، والتي يمكن بيعها لشركات التسويق والدعاية.

سباي بوت برنامج مجاني، وعليه فلا توجد مشكلة من تجربته، لترى او تتأكد من وجود متطفلات داخل حاسبك من عدمه.

إعداد : هالة محمد

أشعة الشمس تكافح السل



قالت منظمة الصحة العالمية: إن التهوية وبعض أشعة الشمس قد تمثل خطوة كبيرة للحد من مخاطر السل داخل المستشفيات والسجون وهي معاقل للمرض الرئوي المعدي.

ورفعت المنظمة التابعة للأمم المتحدة في أحدث تقرير عالمي لها حول مكافحة السل تقديرها لعدد المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسب (اتش آي في) المسبب لمرض الأيدز الذين يصابون ويموتون بالسل، وحذرت بشكل خاص من أن السلالات القاتلة تواصل الانتشار في جميع أنحاء العالم.

وقال «ماريو رافيجليوني» مدير قسم مكافحة السل بمنظمة الصحة العالمية: نظرا لنمو بكتيريا السل بقوة في الهواء غير المتجدد يمكن «لمجرد فتح الأبوب» ان يحد من فرص اصابة مرضى ونزلاء واشخاص آخرين بالمرض الذي ادى الى وفاة نحو ١,٨ مليون شخص عام ٢٠٠٧م.

لبن خاص لعلاج تـ

قال باحثون يابانيون: إن نوعا جديداً من اللبن يمكن أن يكون له التأثير نفسه للقاحات المستخدمة في مكافحة البكتريا المسببة لالتهابات المعدة وتقرحها.

وأوضح الصيدلاني الياباني هاجيمي هاتا، الذي يعمل في جامعة كيوتو للنساء في كيوتو باليابان، ان اللبن الجديد يشكل مقارنة فريدة من نوعها بمكافحة تقرحات المعدة. وقال هاتا: إن الناس سيتمتعون الآن باللبن الجديد، وفي الوقت ذاته سيمنع أو يقضي على البكتريا التي تسبب تقرحات المعدة موضحا أن البكتريا المسؤولة عن تقرحات المعدة Helicobacterr أوpyiori- H تعتمد على بروتين اسمه Urease تلتصق ببطانة المعدة وتصيبها بالالتهاب.

وأشار الى انه تم استخدام تكنولوجيا لقاحات تقليدية، وذلك بحقن طيور دجاج ببروتين Urease والسماح لاجهزة مناعتها بانتاج أجسام مضادة له، وبعد ذلك قام الباحثون بجمع المضاد الحيوي Urease- LgY من بيض الدجاج واستعان العلماء بـ ٤٢ شخصا

الحياة الريفية لمحاربة البدانة الموروثة

من السهل جداً أن يحمل بعض البدناء أو البدينات على شماعة الوالد أو الوالدة بالقول: انها مسألة وراثية ليخلي مسؤوليته وينفض يديه عما يفعله أو لا يفعله في هذه الحياة، لكن الطب الحديث يقول: ان في الامكان التغلب على البدانة الموروثة بطريقة بسيطة للغاية تتلخص في الحركة، وفي القيام بالأعمال اليومية المعتادة بدلاً من الركون للكسل.

ويقول أطباء أميركيون من جامعة ميامي: انهم تابعوا احوال عدة آلاف من الاشخاص لمعرفة حقيقة البدانة الموروثة، فتبين ان النشاطات البدنية البسيطة وعلى اختلاف انواعها كفيلة، مع تناول الطعام الصحي بالقضاء على هذه النوعية من البدانة.



وأوضح الأطباء أن اعتماد طريقة حياة سكان المناطق الريفية على سبيل المثال اعطى نتائج رائعة كالتقليل من استخدام السيارة واعتماد المشي بدلا من ذلك لقطع المسافة القصيرة، بالاضافة للتقليل من الاعتماد على الاجهزة الحديثة كالغسالة وجلاية الصحون وامثالهما، كلما كان ذلك ممكنا، وأشار الأطباء الى ان القيام بنشاط الحياة اليومية المعتادة لمدة أربع ساعات يوميا وبصورة منتظمة كفيل بالقضاء على البدانة حتى ولو كانت موروثة، وأضافوا ان سكان المناطق الريفية لا يعتمدون مثل سكان المدن على المأكولات المصنعة والمعلبات والمثلجات، بل تشكل الخضروات والفواكه الطازجة ركيزة طعامهم الصحي.

...قرحات المعدة



أظهرت الفحوصات أن نتائجها كانت ايجابية لهذه البكتريا، اذ طلب منهم تناول كوبين يوميا إما من اللبن العادي أو اللبن الذي يحتوي على المضاد الحيوي لأربعة أسابيع. إذ تبين أن مستويات اليوريا وبروتين Urease خفت بشكل كبير عند المجموعة التي كان في أكواب اللبن التي تناولتها مضادات حيوية مقارنة بالمجموعة التي تناولت لبنا عادياً، مما يعني بحسب العلماء تراجعاً في نشاط البكتريا.
وحذر هاتا من أن اللبن الجديد ليس ملائما للذين لديهم حساسية للحليب أو البيض.

شريحة تحت الجلد لتحديد أماكن الاشخاص

توصلت شركات التكنولوجيا المكسيكية إلى تقنية جديدة تسهم في الحد من ظاهرة الاختطاف عن طريق زرع شريحة كمبيوتر تحت الجلد بقدر حبة الأرز لتحديد مواقع المختطفين والمفقودين، وتتصل الشريحة بالقمر الصناعي حيث يبدأ عملها فور تعرض الشخص لمحنة ما وذلك بالضغط على مفتاح خارجي فترسل هذه الشريحة إشارات عبر الأقمار الصناعية لتصل بعدها الى الشركة المصنعة التي تبلغ رجال الأمن بأن الشخص قد تعرض للخطر.

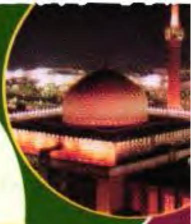


رصد أخطاء الدماغ قبل ارتكابها

تمكن علماء أميركيون وهولنديون من التعرف على انماط واضحة من تموجات «ألفا» تظهر في منطقتين من الدماغ قبل لحظات من ارتكاب المرء اخطاء بسبب تشتت انتباهه.
وأفاد الباحثون «أولي جينسن وعلي مزاهري وزملاؤهما»، بأن نتائج الدراسة قد تستخدم في تطبيقات مختلفة من تطوير اجهزة رصد الحركة الجوية التي تنبه مشغلي المراقبين إلى تشتت انتباههم، الى ابتكار استراتيجيات جديدة لمساعدة الاطفال الذين يعانون من اضطرابات قصور الانتباه وفرط النشاط.
وقال «مزاهري» ان الدراسات السابقة ركزت على رد المخ بعد ارتكاب الأخطاء مضيفا ان ما يبحث عنه هو «حالة الدماغ قبل ارتكاب الخطأ لأن هذا ما سيكشف لنا سبب ارتكابنا للخطأ».



وطلب الى المشاركين في التجارب على سبيل المثال الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر ومراقبة الأرقام التي تومض مرة كل ثانيتين، والضغط على زر قريب منهم كلما رأوا الرقم ٥ وأوضح مزاهري: ان الاختبار كان مملا لدرجة أنه عند ظهور الرقم ٥ على الشاشة، لم يجد المشاركون ضغط الزر في الوقت المناسب إلا في ٤٠ في المائة من الحالات.
وبعد تحليل البيانات، وجد فريق البحث انه قبل ثانية واحدة على ارتكاب الخطأ كانت الموجات في منطقتين من المخ أقوى منها في مناطق أخرى.



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



تعليق اللقطة في المسجد

بعض المصلين يفقدون مفاتيحهم أو ساعاتهم أو ما أشبه ذلك، فيقوم الموظفون بتعليقها داخل المسجد للتعريف عنها.. فهل يعتبر هذا العمل من الأمور المنهي عنها بالقياس على النهي عن إنشاد الضالة؟

● إن هذا التعليق للمفقودات داخل المسجد ليس من قبيل نشدان الضالة المنهي عنه، بل هو من قبيل الإعلان عنها وإشهارها ليعلم بها صاحبها فيأخذها من المؤذن أو الإمام، وهذا خاص باللقطة المفقودة داخل المسجد.

زكاة الدين

هل الديون عليها زكاة؟ وإذا كان عليها زكاة، فمن يتحمل إخراجها؟ الدائن أم المدين؟

● إن كان الدين على مليء (أي: واجد غير معسر) فيجب على الدائن زكاته، إلا أنه لا يلزمه إخراجها حتى يقبضه فيؤدي عما مضى، وأما إن كان على معسر، أو جاحد أو مماطل، فلا يجب عليه زكاته إلا إذا قبضه، فيضمه إلى سائر ماله، ويزكيه عند الحول بعد القبض، فإن لم يكن له مال غيره فإنه يستأنف به حولا جديدا منذ أن يبلغ النصاب.

هل على الأرض المتنازع عليها بين ورثة أو ملاك زكاة؟ مع العلم بأن الأرض في حوزة القاضي، وحال عليها حول أو أكثر، وإن كان عليها زكاة فكيف يتم ذلك؟

● إن الأرض المتنازع عليها لا تجب فيها الزكاة، حتى تثبت ملكيتها، فإذا ثبتت ملكيتها لشخص ما فإنه يجب عليه أن يدفع الزكاة عنها، فيقومها بآخر كل عام بقيمتها السوقية، هذا إذا نوى بها التجارة، أما إذا لم ينو التجارة فليس فيها زكاة إلا أن يتصدق.

طواف الوداع والإفاضة للحائض والنفساء

هل على المرأة الحائض طواف الإفاضة مع السعي أم فقط السعي وهي تريد السفر إلى بلدها؟ وماذا عليها كذلك بالنسبة لطواف الوداع؟

● لا يجوز للمرأة أن تطوف بالبيت وهي حائض إلا إذا خافت فوات الرفقة، فقد أجاز لها بعض العلماء أن تعتصب وتطوف بالبيت وعليها بدنة، ويسقط طواف الوداع عن الحائض والنفساء.

الحلف بالطلاق

رجل قال لصاحبه: عليَّ الطلاق، أن تأكل عندي اليوم، فلم يستجب له صاحبه.. فما الحكم؟

فسألته اللجنة عن سبب سؤاله؟ فأجاب: لأنني إمام مسجد، وهذه أمور يكثر السؤال عنها، وأريد معرفة الحكم الشرعي.

● بأنه يعتبر يمينا يكفر عنه كفارة يمين إذا لم يقصد الحالف بهذا اللفظ طلاقا، علما بأنه لا يجوز الحلف بغير الله تعالى، لقول النبي ﷺ «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (متفق عليه).

بيع التبغ والدخان وسائر المكروهات

إحدى الجمعيات التعاونية تقوم ببيع بعض السلع ومنها السجائر كما أنها تقوم بتوزيع صافي الربح في نهاية كل سنة مالية للجمعية.

لذا يرجى الإفادة عن حكم الشرع في توزيع الأرباح على المساهمين

أهالي المنطقة المتحصلة من بيع السجائر سنويا.

● يجوز توزيع هذه الأرباح مع الكراهة، وذلك أن القول بحكم تجارة التبغ أو الدخان مبني على القول بحل تعاطيه أو بحرمته أو كراهيته، وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في هذا الحكم، وأعدل الأقوال أن تعاطيه مكروه تنزيها، وقد يكون حراما إذا تأكد أن تعاطيه مضر لمن تعاطاه ضررا بليغا، وبناء عليه تكون التجارة فيه مكروهة.

- وتوصي اللجنة إدارات الجمعيات بالاستغناء عن بيع السجائر، لأن الأولى عدم بيعها.

تأجير الرخصة التجارية

هل يجوز استخراج إجازة محل لتاجر يبيع بضاعة لنفسه مقابل مبلغ من المال كل سنة؟

● إن حكم بيع أو تأجير الرخصة مرتبط بحكم ولي الأمر (الجهة المانحة) فإن سمح بذلك فهو جائز، وإن منعه فلا يجوز.

التعامل مع البنوك الربوية فيما لا علاقة له بالربا

نحن نعلم أن التعامل مع البنوك الربوية حرام، ولكن إذا كان التعامل معها بأمور لا يدخل فيها الربا (الحساب الجاري مثلا) فهل هذا جائز؟

● لا يجوز فتح حساب في البنوك التي تتعامل بالربا إذا كان الغرض من الإيداع الانتفاع بالفائدة، وأما فتح الحساب الجاري بدون أخذ فوائد ربوية عليه فإنه يجوز للضرورة مع الكراهة.



من القواعد الفقهية

- إذا أمر اللهُ نبيَّه بأمر أو نهاه عن شيء كانت أمّته أسوة له في ذلك، ما لم يقم دليلٌ على اختصاصه بذلك.

- الأصلُ التأسّي بالنبي ﷺ ومشاركةُ الأمّة له في الأحكام إلا ما دلّ الدليلُ على تخصيصه به.

-إذا تعارض قولُ النبي ﷺ وفعلُه، قُدِّم قولُه؛ لأنه أمْرٌ أو نهْيٌ للأمّة، وحُمِل فعلُه على الخصوصية له. فخصائصُ النبي ﷺ تنبني على هذا الأصل.

-لا بدّ للخصوصية من دليل يدلُّ على اختصاص الفعل بالنبي ﷺ، وإلا فسيدخل كثير من الأحكام في باب الخصوصية بالظنِّ والاحتمال.

-الأصلُ في التشريع وخطاب الأمة هو: القول، ولا يتطرَّقُ إليه من الاحتمالات مايتطرَّق للفعل.

رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة - للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

من فتاوى مجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)

بعد استعراض مجلس المجمع الفقه الإسلامي لما تقدم من بحوث وفتاوى، فإن مجلس المجمع تبين له ما يلي:

١- أن الأذان من شعائر الإسلام التعبدية الظاهرة، المعلومة من الدين بالضرورة بالنص وإجماع المسلمين، ولهذا فالأذان من العلامات الفارقة بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر، وقد حكي الاتفاق على أنه لو اتفق أهل بلد على تركه لقوتلوا.

٢- التوارث بين المسلمين من تاريخ تشريعه في السنة الأولى من الهجرة وإلى الآن، ينقل العمل المستمر بالأذان لكل صلاة من الصلوات الخمس في كل مسجد، وإن تعددت المساجد في البلد الواحد.

٣- في حديث مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال «إذا حضَرت الصلاةُ فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم ولْيَؤمَّكم أكبرُكم». (متفق عليه).

٤- أن النية من شروط الأذان، ولهذا لا يصح من المجنون ولا من السكران ونحوهما، لعدم وجود النية في أدائه، فكذلك في التسجيل المذكور.

٥- أن الأذان عبادة بدنية، قال ابن قدامة- رحمه الله تعالى- في المغني ٤٢٥/١ «وليس للرجل أن يبني على أذان غيره لأنه عبادة بدنية فلا يصح من شخصين كالصلاة» ا.هـ.

٦- أن في توحيد الأذان للمساجد بواسطة مسجل الصوت على الوجه المذكور عدة محاذير ومخاطر منها ما يلي:

أ - أنه يرتبط بمشروعية الأذان أن لكل صلاة في كل مسجد سننًا وآدابًا، ففي الأذان عن طريق التسجيل تفويت لها وإماتة لنشرها مع فوات شرط النية فيه.

ب - أنه يفتح على المسلمين باب التلاعب بالدين، ودخول البدع على المسلمين في عباداتهم وشعائرهم، لما يفضي إليه من ترك الأذان بالكلية والاكتفاء بالتسجيل.

وبناء على ما تقدم فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر ما يلي:

أن الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد عند دخول وقت الصلاة بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا يجزئ، ولا يجوز في أداء هذه العبادة، ولا يحصل به الأذان المشروع، وأنه يجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت من أوقات الصلوات في كل مسجد على ما توارثه المسلمون من عهد نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى الآن.

إعداد : فاطمة الدعي

حكم قيمة من حكيم



قال حكيم:
مررت على كثير فاستفدت منهم ثماني حكم
■ إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك
■ وإن كنت في مجالس الناس فاحفظ لسانك
■ وإن كنت في بيوت الناس فاحفظ بصرك
■ وإن كنت على الطعام فاحفظ معدتك.
■ واثنان لا تذكرهما أبدا: إساءة الناس لك وإحسانك إلى الناس.
■ واثنان لا تنسهما أبدا: الله عز وجل والدار الآخرة.

عشرون مهارة تجعلك محبوبا بين الناس

- ابدأالآخرين بالسلام والتحية، ففي السلام تهيئة وتطمين للطرف الآخر.
- ابتسم، فالابتسامة مفعولها سحري وفيها استمالة للقلوب.
- أظهر الاهتمام والتقدير للطرف الآخر وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- للناس أفراح وأتراح، فشاركهم في كل الأحوال تنل رضاهم.
- اقض حاجات الآخرين تصل إلى قلوبهم، فالنفوس تميل إلى من يقضي حاجاتها.
- في تفقدالغائب والسؤال عنه ضمان لكسب الود وجذب القلوب.
- لا تبخل بالهدية ولو قلّ سعرها، فقيمتها معنوية أكثر منها مادية.
- أظهر الحب وصرّح به، فكلمات الود تأسر القلوب.
- تفنن في تقديم النصيحة، ولا تجعلها فضيحة.
- حدث الآخرين بمجال اهتمامهم، فالفرد يميل إلى من يحاوره في مدار اهتمامه.
- كن إيجابياً متفائلاً، وابعث البشرى لمن حولك.
- انتق كلماتك ترتفع مكانتك، فالكلمة الحسنه خير وسيلة لاستمالة القلوب،



- تواضع، فالناس ينفرون ممن يستعلي عليهم.
- تجنب تصيُّد عيوب الآخرين، وانشغل بإصلاح عيوبك.
- تعلم فن الإنصات، فالناس تحب من يصغي لها.
- وسع دائرة معارفك، واكسب في كل يوم صديقا.
- اسع لتنويع تخصصاتك واهتماماتك، تتسع دائرة معارفك وصداقاتك.
- إذا قدمت معروفاً لشخص ما، فلا تنتظر منه مقابلا.

الكلمات المتقاطعة

أفقيا

١- من أسماء الذكور، ومعناه: سمع الله (بالعبرية)، وقيل في ذلك: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما دعا الله ان يرزقه بابن، وسمع الله دعاءه، ورزقه بهذا الابن، اسماه هكذا عندما ولد.

٢- من أسماء الذكور، وهو: نوع من الأجرام السماوية، والتي تتفاوت في احجامها، والكثير منها اذا دخل المجال الجوي للأرض، احترق - بسط (معكوسة).

٣- من أسماء الذكور، وهو: صفة لمن حسن قولاً، أو فعلاً، أو شكلاً-

من أسماء الذكور، وهو تصغير: حسن، وحسن: الجميل.

٤- اسم مدينة، قيل: أنها اسم عاصمة عاد (وقيل: بل اسم قبيلة من قبائل عاد)، وعاد: هم قوم سيدنا هود عليه السلام، وتلك المدينة هي التي لم يخلق مثلها في البلاد، وعن موقعها، فقد اختلف فيه، وذكر البعض انها كانت في مصر - حرف جر.

٥- من أسماء الذكور، وهو: الفتى من الابل.

٦- من أسماء الذكور، وهو: صفة مشبهة، تعني: الجميل، وهو على وزن (فعل)، من: حسن، وحسن حسنا: جمل، اي ان معنى هذا الاسم: الجميل - من اسماء الذكور، ومعناه: الصعوبة، والشدة (معكوسة).

٧- من أسماء الذكور، ويعني: الشخص عنيف الطباع - من أسماء الذكور، ومعناه: القوة، والغلبة، كذا: الندرة، كذا: الحب.

إعداد: محمد أحمد

٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■					١
		■						٢
	■				■			٣
■				■				٤
			■				■	٥
		■				■		٦
					■			٧
				■				٨

٨- متشابهان - من اسماء الاناث، وهو: تصغير: (زبدة)، وهي القطعة من: الزبد، والزبد هو: ما يستخرج من اللبن بالمخض.

رأسياً:

١- من أسماء الإناث، وتعني: أحزان - من الأقارب.

٢- من أسماء الإناث، وهو: تصغير: (سهر)، والسهر: عدم النوم، كل، أو بعض الليل - حزم.

٣- من أسماء الخمر (معكوسة) - شيء خفي.

٤- والد - من أسماء الإناث، وهو: شجر حسن الشكل، طيب الرائحة (معكوسة).

٥- أحسن الصنع، كذا: أحسن التدبير - شتم.

٦- متشابهان.

٧- من أسماء الذكور، وهو: صيغة مبالغة على وزن (فعيل) من: لطف، ولطف لطفا: رأف، كذا: رق - من أسماء الذكور، ومعناه: الرضا، والاطمئنان، والسعادة، وهو ضد: الشقاء.

٨- من أسماء الإناث، وهي: جمع: مُنية، والمنية: ما يتمنى الشخص تحقيقه - من أسماء الإناث، وهو: الغزالة الصغيرة.

حل العدد السابق

12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
ر	ي	ز	ا	ن	خ	■	ة	ض	و	ع	ب	1
ا	ن	ج	■	ح	م	ر	■	ف	ح	ن	ا	2
م	■	ن	م	ل	■	ر	■	ا	ل	ك	د	3
ح	ز	ا	م	■	ج	ر	ا	د	■	ب	ر	4
■	ع	■	م	ي	م	■	■	ع	ر	و	■	5
ل	م	ق	■	■	ل	ب	ا	■	ى	ت	ح	6
ح	■	ر	م	ق	■	ر	و	هـ	ز	■	ي	7
د	هـ	د	هـ	■	ب	■	ق	س	و	ر	ة	8
■	■	ة	ر	ق	ب	■	ر	ر	■	ل	■	9
س	و	■	ب	ا	ب	ذ	■	غ	ر	ا	ب	10
ن	ا	ر	هـ	س	■	ء	■	■	ف	ي	ل	11
ت	و	ح	■	■	ع	ب	س	■	ش	ب	ك	12

إلى اللقاء

حقيقة محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

يحيى العقيلي

حديثنا اليوم هو الذي لا يمل، ولا ييأس محدثه ولايكاد، حديثنا عن الرحمة المهداة والنعمة المسداة، حديثنا عن خير البرية ومعلم البشرية، حديثنا عن الهادي البشير والسراج المنير عن صاحب الحوض المورود واللواء المحمود والشفيع في اليوم الموعود، حديثنا عن خاتم النبيين وسيد المرسلين، عن النبي المجتبي والرسول المصطفى محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه عدد ما ذكره الذاكرون الأبرار وأحبه الصالحون الأخيار وعدد قطرات الأمطار وجريان الأنهار وعدد ذرات البراري والقفار وما تعاقب الليل والنهار صلاة وسلاماً أتمان أكملان نذخر ذخرها مغفرة ورضوانا عند الواحد الديان، وهل هناك أحلى للقلوب من ذكر الحبيب المحبوب وأجلى للبصائر من سنة النبي المجتبى وأنس للأرواح من سيرة الرسول المصطفى ﷺ.

ومن منا لا يشتاق لرؤية الحبيب المصطفى ﷺ؟ من منا لا يخشى أن يُحرم من رؤيته الميمونة وشفاعته الموعودة وعن حوضه المورود في اليوم الموعود؟ أليس حريابنا أن نجعل قضية محبته أجل القضايا تدبراً وفقها، وعلما وعملا، وتربية ودعوة، ومحاسبة للنفس وتقويماً، في زمن تزينت فيه الدنيا لأهلها واخضرت، وتعددت فيه الفتن وأضلت، وتشعبت فيه الأهواء وأغوت، وزاغت فيه الأبصار وطغت، في زمن ترك فيه هدي خير الأنام لشطحات الأقلام وتدليس الإعلام، في زمن ظن البعض أن حب المصطفى ﷺ هو عاطفة جياشة يهيم بها الفؤاد عند ذكره ثم تمضي، أما الأفكار والمبادئ أما السلوك والأخلاق أما التشريع والحكم أما أسلوب الحياة ومنهجها أما السياسة وقواعدها أما الاقتصاد ونظمه أما الولاء والبراء أما النصرة والانتماء أما القدوات والأسوات، فكل هذا في أودية السبل والأدواء، وفي مهاوي القناعات الشخصية والآراء وتحت سلطان المصالح الدنيوية والأهواء.

إن محبة الرسول ﷺ هي قاعدة من قواعد الإيمان، وركن من أركان العقيدة، وفريضة من فرائض الدين، ينبغي أن نفقه معناها وان نحقق متطلباتها ونلتزم أحكامها، وما العاطفة التي نكنها للمصطفى ﷺ إلا دليل من دلائلها، وشاهد من شواهدها، كما هي باب للتأدب بآدابها والانقياد لأحكامها، ليحقق المرء بذلك حقيقة المحبة ومقصودها، وينال ثمرتها وثوابها، فكلنا يرنو لأن يحشر في زمرة الحبيب المصطفى ﷺ وينال شفاعته، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي: متى الساعة؟ قال «وما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولاصوم، ولكني أحب الله ورسوله. قال «أنت مع من أحببت».

كلنا يشتاق لأن يرد حوضه ليهنأ من يديه الشريفتين بشربة لا يظمأ بعدها أبداً، حين يطرد عنه فئام من أمته تسموا بالمسلمين ولكنهم لم يحققوا المحبة له ﷺ كما ينبغي.

كان النبي ﷺ يخطب على جذع نخلة، فلما بني له المنبرُ صعد عليه خطيباً فإذا بالجذع يحنّ إلى رسول الله ﷺ وسمع له الناس نحيبا كبكاء ولد الناقة لأمه، فنزل النبي الرحمة المهداة ﷺ من على المنبر فوضع يده على الجذع فسكنه فسكن، فكان الحسن البصري رحمه الله إذا ذكر حنين الجذع وبكاءه يقول «يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»، وروى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً «من أشد أمتي لي حبا، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

فحققوا رحمكم الله شروط المحبة له ﷺ بالصلاة والسلام عليه عند ذكره، وبالاقتداء بسيرته العطرة والتخلق بأخلاقه السامية والاتباع لسنته الراشدة والاحتكام لشريعته الكاملة والتأدب بآدابه الرفيعة، حققوها بنصرة دينه والدعوة لرسالته والانتماء لأمته، وبتربية أبنائنا ونسائنا على حبه والاقتداء به وتعلم سنته ودراسة سيرته ليكون حقا هو القدوة والأسوة، فذلك هو عنوان السعادة في الدنيا وطوق النجاة في الآخرة قال تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

من اصدارات مكتب الشئون الفنية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



« سؤالات علامة الكويت الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان لعلامة الشام عبد القادر بن بدران والمسماة العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية » كتاب جليل يعالج مسائل فقهية قديمة ونازلة، ويشرح بعضاً من مباحث العقائد والتاريخ، وهو من أنفع الكتب ولا يستغنى عنه طالب.

العدد (٥٢٦) جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ - يونيو ٢٠٠٩م

تأسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

Alwaei Al-Islami

مجلة شهرية كويتية جامعة

الشيخ ولد عدود في ذمة الله



«الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي

الأمانة العامة للأوقاف.. تجربة رائدة في التنمية

الإيموز..صرخة على حال الشباب

أفضل فكرة في الألف سنة الماضية

حمية الجاهلية



أبوجهل .. الشخصية والنموذج

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٦

العام السادس والأربعون

جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ

يونيو ٢٠٠٩ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

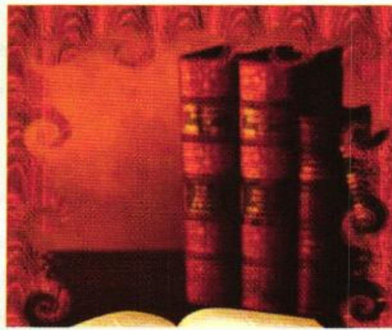
البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

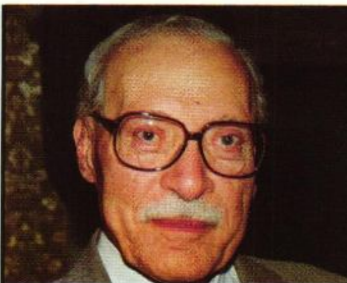
manager@alwaei.com













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• **السودان**. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •**اليمن** - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •**لبنان** - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ •**سوريا** - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •**الأردن** - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •**مملكة البحرين** - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •**الإمارات العربية المتحدة** - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •**مصر** - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •**المملكة العربية السعودية** - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •**المغرب** - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •**سلطنة عُمان** - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •**قطر** - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر



حمية الجاهلية

إن الاجتماع الإنساني ضرورة، فالإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع، وهو عمران العالم الذي تتكون منه المجتمعات، فالناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها، وهذا الاجتماع إذا حصل فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم من العدوان والظلم، ولا بد من شيء آخر يدفع هذا العدوان، وهو النظام والدولة.

إن من حكمة الله في خلقه انتظام معاشهم، وتيسير مصالحهم وأن يتم بقاؤهم لأن المجتمع لا يتم وجوده وبقاؤه إلا بتعاون أبنائه على مصالحهم ما يتطلب من القيادات الدعوية والفكرية والسياسية والثقافية أن تخلّص المجتمع من التصادم وتجمع الكلمة، فالمجتمع هو الأصل في توجيه الخطاب من حيث العموم أو الصلاحيات والمسؤوليات والأولويات وتأتي الدولة والجماعات والأفراد تبعاً وضمناً.

إن قادة المجتمع وعلماءه وصناع القرار فيه هم من يوجه المجتمع إن أريد له التقدم والرقي والعطاء، أو سيبقى في الانحطاط إن لم يأخذوه إلى العزة والتمكين، وتوجيه وحدة الكلمة في تقديم الإصلاح وألا تفرقنا العصبيات. وإلا كيف نعالج ونحن بحاجة إلى أن نتخلق بخلق الإصلاح، ونقل المجتمع إلى حالة جديدة من الفاعلية الحضارية والاجتماعية. إن معيار نجاح عمل الحكومات والمؤسسات والجماعات والأفراد مقترن بمقدار نجاحها في التأثير في المجتمع ومساعدته على النهوض والتغيير.

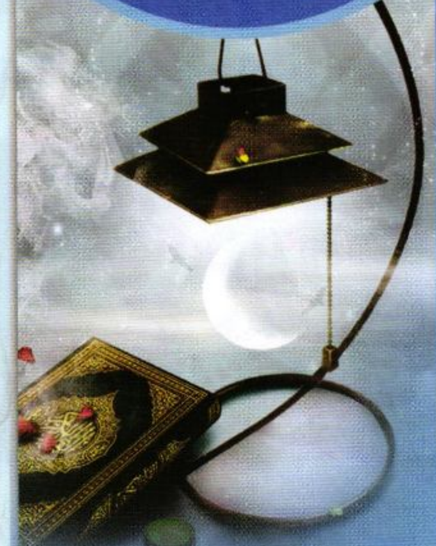
والمجتمع الحضاري هو الذي ينتقل من موقع المستهلك القائم على إبداعات الآخرين إلى موقع الإنتاج والمشاركة الإيجابية، كما يدعو إلى وحدة المجتمع وتآلفه ونبذ الخلافات ليكون كالجسد الواحدآماله وألامه واحدة، فالتجربة التاريخية الحضارية الإنسانية للأمة الغنية التي ساهمت فيها جميع الأجناس والألوان والأقوام جاءت مشتركاً إنسانياً بعيدة عن العنصرية والجنسية والقومية والتعصب فكانت تجربة غنية لكل النماذج البشرية، إضافة إلى القيم التي تحمل الحب والخير للآخرين، رابطاً نجاته بنجاة الآخر كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (رواه البخاري).

وقد تتحول الاختلافات الفكرية والسياسية إلى عصبية، تسود فيها القيم السلبية من التعصب والتنازع والقهر والاستبداد مقابل قيم العدالة والحرية والتفاهم والإحترام.

إن العصبية تلغي العقل، باعتبار أنها تنظر بعين واحدة، وتأمر بالكره لكل من خالف عصبيتك، وتحتقره، وتفصل بعضنا عن بعض وتخلق داخلنا الحقد والعداوة، ولكي تزدهر الحياة البشرية في المجتمع وتتأصل كرامة الإنسان من الاحترام والإنصاف، بعيداً عن التمييز، ينبغي رفض العصبية إلا ما كانت على الحق والعدل. إن أي مجتمعاً تسود فيه حمية الجاهلية لا يمكن أن يتقدم ويتطور وتقام فيه العدالة، وإن تنوعت فهي واحدة، لأنها تدعو إلى مجانبة الحق ومساندة الظلم وإثارة الفتن على الفهم الجاهلي.

ومن أسباب الألفة المجتمعية الدين والمؤاخاة بالمودة والبر، فالدين يبعث على التناصر ويمنع التقاطع والتدابر، فقد بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب أشد تقاطعاً وتعادياً واختلافاً فلما أنقطعت أسلموا فانقطعت عداوتهم وصاروا في الإسلام إخوانا متواصلين. كما أن المؤاخاة بالمودة تكسب إخلاصاً ومصافاة لذلك آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة، لتزيد ألفتهم، ويقوى تضافرهم وتناصرهم، فلقاء الإخوان جلاء الأحزان، وأما البر فيوصل إلى القلوب ألطافا ويثنيها محبة وانعطافا ولذلك قال سبحانه وتعالى «وتعاونوا على البر والتقوى» (المائدة:٢٢)، لأن في التقوى رضا الله تعالى وفي البر رضا الناس ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته، وكما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم





رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

موضوع الغلاف



التكافل والتراحم والتعاون فريضة شرعية وضرورة حياتية وأساس وحدة الأمة وديمومتها، وبالحفاظ على مبادئنا نفرض مكانة وهيبة الأمة على أمم الأرض

داخل العدد

كلمة العدد

التشويش على الحق

لا يزال العلمانيون والملحدون يسعون إلى طمس الحقائق وقلب الحجج وتضليل الفطرة السليمة بالتشويش والتهويش على الحق والصواب، فتجدهم لا يكلون ولا يملون من التشكيك في الثوابت والأصول، فضلا عن الاستخفاف بالشعائر والمشاعر الإسلامية متشدقين بأنهم رواد النهضة التنويرية المستقاة من الغرب وما سوى ذلك فهو لديهم ظلامية ورجعية.

ولا تعلم هذه الشرذمة التي تعيش بيننا أن سلوكيات بعض المسلمين لا يمكن أن تعبر أو تحكم على الإسلام المنزه عن النقص أو العيوب، فمنهج الله في الأرض هو السبيل الوحيد لبسط السعادة والسلام الدنيوي بين الأمم وليست القوانين الوضعية التي هي من نتاج العباد.

ولكن المصالح النفعية والعناد الجاهلي غطيا على قلوب وعقول وجوارح هؤلاء، فلا يرضون بالحق، ولا يرضخون للحجة البليغة، ولا يعترفون بالمعجزات الربانية، ولا يؤمنون بالبينة.

إن اللمز والهمز التغريبي لن يجدي نفعاً في مجتمع يحصنه الكتاب والسنة وتتسم أفعاله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولعل ازدياد أعداد المسلمين في أوروبا والغرب أبرز دليل على قدرة الإسلام ان يسيِّر الإنسانية وفق النواميس الربانية، إلى جانب انتشار التدين والروح الإيمانية بين الشباب المسلم الذي يعد حجة واقعية على خيبة العلمانية وأدعيائها.

. الوعي الإسلامي

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا

• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).

• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).

• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المسلمون قادمون بشريعتهم



كشفت الحرب على غزة من هم أعداء الانسانية والارهابيون بحق، وما هي منظمات حقوق الانسان ولمن تعمل، وأزيح الستار عن تلك الهجمة الصهيونية الاعلامية على المسلمين، والعجيب أن جميعهم يعلمون ان الإسلام انتشر في مناطق من العالم لم يدخلها جندي مسلم مثل جنوب شرق آسيا وماليزيا واندونيسيا إعجاباً منهم بأخلاق واخلاص وايمان التجار المسلمين القادمين عليهم.

لهذا فلتحذر الامة الاسلامية طوفان الفتن القادم عليها من اعدائها لانه السلاح الباقي بعد استيعابهم الدرس جيداً وانه ليس لقوة السلاح سلطان علينا اذا ملأ الايمان قلوبنا، فشعارنا، الفوز باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وهذا الذي قهر عتاة الظلم سابقاً وسيقهرهم لاحقاً وصدق الله تعالى ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾ (المائدة: ٣).

ولننتبه جميعاً لما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الانعام الى قوله تعالى ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ أي من الآية (١٣١ : ١٤٠)، ولنتدبر تلك الآيات الهادية جيداً لعل الله يصلح حالنا.

إذن فالمسلمون قادمون بشريعتهم التي آن الأوان لأهل الأرض ان يعترفوا بأحقيتها في الاتباع ولا يقيسوا قدراتهم الواهية بقدرة خالقهم، قال تعالى ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف: ٢١).

هدى الكاشف

الاقتصاد الاسلامي نظام رباني

الأحوال الاقتصادية المضطربة في بلادنا في الوقت الحاضر والتي أوجدها الاستعمار، تحفز أبناء الوطن كلهم للاندفاع والعمل، لإيجاد حلول لهذه المشكلات التي أخذت بخناق الناس وخلفت الفوضى والاختلاف في حياتهم.

وان نظرة هؤلاء جميعا، وان كانت متفقة في نقطة واحدة هي فساد أحوالنا الاقتصادية ووجوب اصلاحها وتغييرها إلا انهم يختلفون اختلافا كبيراً في الطريقة التي يعالجون بها هذه المشكلات.

ان النظم الاقتصادية والاجتماعية التي جاءت من الخارج في ظروف معينة وتحت حماية المستعمر وتشجيعه، هذه النظم هي والإسلام على طرفي نقيض، وبالتالي لا يمكن ان تقوى هذه النظم الوضعية على حل المشكلات التي يواجهها مجتمعنا اليوم.



ودليل ذلك فشل هذه النظم في نفس البلاد التي نشأت فيها ومازلنا نسمع ونقرأ الترقيعات والزيادات عليها والنقصان منها، وعلى فرض نجاحها في دولة ما فان هذا لا يعتبر حجة.

ان بلادنا - وكل بلاد المسلمين بلادنا - عاشت أربعة عشر قرنا من الزمن في ظل الإسلام.

وامتزج هذا الاسلام بدماء أبنائها وبنسيج عقولهم واستقر في عقولهم وكانت مشكلاتهم على اختلاف صورها، تجد حلولها في الاسلام.

سعاد محمد الحسيني السحرتي

ارحل أيها المحتل وعارك في يديك

كل الذي أخفيته يبدو عليك.. لا تنتظر صفحاً جميلاً
فالدماء مازالت تلوث راحتيك.. وعلى يدك دماء شعب
مهما اختفيت فلن يفارق مقلتيك.. رعب الصغار الضائعين على بحار الدم في غزة.. كلما أخفيته يبدو عليك
كل الشواهد فوق غزة.. تحمل سخطها الدامي عليك
قل لي ماذا تبقى من حشود الدم في غزة.. لم يعد شيء لديك
بين أطلال الخرائب والدمار يلف غزة.. والليالي السود شاهدة عليك
مهما اعتذرت فلن يفيد الاعتذار.. ولمن يكون الاعتذار؟!
للأرض.. للأحياء.. للموتى.. لأحلام الصغار؟!
لعيون طفل مات في عينيه ضوء الصبح
واختنق النهار
لدموع أم لم تزل تبكي وحيداً صار طيفاً ساكناً فوق الجدار
فلمن يكون الاعتذار؟
لمدينة صارت بقايا من غبار
ماذا تركت الآن في غزة.. ارحل وعارك في يديك
فالأرض كل الأرض ساخطة عليك.

محمد السيد عامر



الازمة الاقتصادية والمعاملات الاسلامية

جاءت كارثة المال العالمية لتطهر المسلمين من أموالهم غير الطاهرة وغير الزكية. وأما من كانت أموالهم من الحلال الخالص وبدون شبهات أو منكرات ربوية أو استثمارات شيطانية فهي بالنسبة لهؤلاء محنة وقتية وبالتالي فمن خلال مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» أناشد زعماء الدول العربية أن يعتصموا بحبل الله وبالتالي يتعاهدوا فيما بينهم على التعامل في الاقتصاد بطريقة اسلامية.

ولهم فيما حدث عظة وعبرة إلهية ولنثبت للعالم اننا خير أمة اخرجت للبشرية وان ديننا هو الامام الذي يجب ان تأتم به الانسانية.

عصام الحسين حميد

والعاقبة للمتقين

يقول الله تعالى معقبا على قصة سيدنا نوح عليه السلام ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (هود: ٤٩).

عجيبة هي تلك الخاتمة القاسية التي انتهت بها قصة سيدنا نوح عليه السلام، أناس يبكون ويصرخون من الفزع وغرقى وصرعى في كل مكان وقد انفتحت ابواب السماء بماء منهمر وتفجرت الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ووسط هذا المشهد العظيم تسير سفينة بسيطة متواضعة دون ان تتأثر بما حولها وكأن نواميس الكون قد انقلبت الا على تلك السفينة وركابها.

ولكن لماذا اختار الله هذه النهاية القاسية؟ لماذا تتغير نواميس الكون بهذا الشكل الغريب من اجل ثمانية عشر مؤمنا؟ ولماذا تتغير نواميس الكون اصلاً؟ فما دام الله تعالى قد قضى بموت الكافرين فلماذا تكون نهايتهم بهذا الشكل؟ لماذ لم تقبض ارواح الكافرين وهم في بيوتهم دون هذا الهول العظيم؟.



إن الله تعالى لا يفعل شيئا عبثا (ونحن اقل من أن ندرك حكمة الله تعالى) ولكن نقول ان الله تعالى يرسل برسالة الى المؤمنين الصابرين ان الله تعالى معكم حتى لو قل عددكم وكثر عدد عدوكم.. لا تيأسوا من روح الله، إن الذي غير موازين الكون من اجل ثمانية عشر مؤمنا، وان الذي غير مقاييس الزمن من أجل فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، وان الذي شق القمر لنبينا ﷺ، لهو اقدر على ان يغير نواميس الكون من اجلكم لهو قادر أيضاً على ان يقلب موازين النصر والهزيمة من أجلكم.

زكريا قرشي حسين علي

«الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي



شاركت مجلة «الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي ٣٤ الذي نظمته جمعية الإصلاح الاجتماعي خلال الفترة ٤/٢٢ - ٥/٢ - ٢٠٠٩ م في أرض المعارض بالكويت.

وجاءت مشاركة المجلة في المعرض للإسهام في التنمية المعرفية والمعلوماتية وتعريف الجمهور بأهم انجازات ومشاريع المجلة عارضة أهم الاصدارات والبوسترات والاعداد التراثية الخاصة بالمجلة.

ولاقى جناح المجلة قبولاً واسعاً وسط الحضور والمشاركة لاستخدامها أسلوبا حديثا في عرض المنتجات ولحداثة معروضاتها ولتوزيع الهدايا العلمية.





التعليم والمسيرة النهضوية

محمد عمير الفضلي

انتفضت الكويت مع بداية الستينيات نهضة كبيرة على جميع مستويات الحياة، وكان من أبرز معالم هذه النهضة المجال التعليمي من خلال دعمها للتعليم وتلبية احتياجاته واهتماماته كافة، فقد راسلت وجلبت الكوادر التدريبية والتدريسية المؤهلة والمتميزة القادرة على العطاء من أجل الدفع بالمسيرة النهضوية، بالإضافة إلى تشييد المدارس والجامعات وتجهيزها بأفضل المعدات والأجهزة والتقنيات الحديثة، وكان لرواد الكويت من الآباء والأجداد دور كبير في حث الأبناء على التحصيل العلمي والمعرفة، فأصبح أبناء ذلك الجيل متميزين بثقافتهم العالية وحسهم العلمي.وفي الوقت الحاضر وفي ظل السعي إلى التقدم والازدهار والتحضر المدني لوحظ في الآونة الأخيرة أن قطاع التعليم بحاجة ماسة إلى التطوير نظرا لضعف المخرجات التعليمية ولن يأتي الرقي بالمسيرة النهضوية إلا من خلال الزج بمزيد من المتطلبات التدريبية والتعليمية.

«الوعي الإسلامي» استطلعت آراء بعض الطلبة لمعرفة متطلبات تحقيق الإنعاش التعليمي في الكويت.. فكان هذا التحقيق:


جاسم يعقوب


محمد الفضلي


مشعل الحربي

في البداية ذكر باسل العنزي أن المجتمع يمر بتغيرات تكنولوجية وتقنية هائلة، والمناهج التعليمية الحالية لا تواكب تلك التغيرات السريعة، كما أنها لا تخاطب عقل الطالب الذي يعيش متغيرات كبيرة في المجتمع، مقترحا التطوير الشامل والابتعاد عن التطوير الجزئي الذي اعتدنا عليه، لأن التطوير عملية معقدة وصعبة، فالتطوير لا يشمل فقط محتوى المناهج، وإنما يشمل الأساتذة والدكاترة والمباني الأكاديمية والطالب المثالي، ومن يحصر التطوير في المناهج فقط يكون وعيه ضيقا، لأن المسألة أكبر من هذا التصور المحدود.

وتساءل جاسم يعقوب هل هناك تطوير حقيقي؟ أم أن المسألة لا تتعدى أغلفة المقررات الدراسية نفسها؟ إذ يرى أنه ليس هناك تطوير سوى في شكل الغلاف الخارجي للمواد والمقررات التعليمية، كما يعتقد أننا بحاجة لتدريس مواد ومقررات تحمل محتوى التخصص ولا بد أن تكون مناهجنا منسجمة مع متطلبات العصر الذي نعيشه.

ونوه مشعل الحربي بان هناك مشكلة في ضخامة المناهج الدراسية الحالية من حيث عددها ومحتواها، لذا نطالب بإعادة النظر فيها، خصوصا أنها مرهقة ولا تتيح لنا الفرصة للتفكير والإبداع، ويضيف بأن هناك بعض المقررات لا تناسب التخصص الذي يتخصص الطالب فيه، ويرى أنه آن الأوان لأن تحذف هذه المقررات الدخيلة على التخصصات من التقويم التخصصي للتخصص.

وأرجع محمد الفضلي بعض أسباب انحدار المستوى التعليمي إلى فقدان الكثير من الكفاءات الممتازة من جانب المدربين والمعلمين وعدم الاهتمام بالمناهج والمدرسين وضعف الوازع العلمي لديهم وعدم حصولهم على أي محفزات تدفع المعلم إلى الإبداع وهذا ما يجعلهم يفضلون الذهاب إلى دول أخرى، ولا ننسى كذلك عزوف الشباب الكويتي عن التدريس وذلك بسبب الأعباء الإدارية المكلف بها وعبء الجدول الدراسي كل هذه الأمور أثرت وتركت بصمتها على المستوي التعليمي في الكويت.

وأكد عيد النصافي بأن من مشاكل التعليم في الكويت كثرة المعلومات غير المفيدة في الكتب المدرسية بالإضافة إلى عدم جاذبية المباني المدرسية وقلة الأنشطة التي تشد الطالب للدراسة وجمود الكتب الدراسية وعدم تطويرها وثقلها على الطلبة، كل هذه المعوقات جعلت المدرسة مكانا منفرا للطلبة.

تعتبر هذه الأسباب هي التي أدت إلى انحدار المستوى التعليمي في الكويت، وهنالك بعض الاقتراحات لتحسين المستوى التعليمي، ومنها: أن تكون عملية الإصلاح مدعومة بشكل رئيسي وقوي من صاحب السمو أمير البلاد، وان تبدأ عملية الإصلاح بالاهتمام بالكوادر التعليمية وزيادة رواتبهم، والاهتمام بالمسؤولين عن الإدارات المدرسية وإلحاقهم بدورات تدريبية وتزويدهم بالمهارات الفنية اللازمة للقيادة، وتطوير المناهج الدراسية وتنقيحها من وقت لآخر لتواكب العصر.

تزاوج في التطبيقات الوقفية بين الموروث الأصيل ومستجدات العصر

الأمانة العامة للأوقاف في الكويت.. تجربة إسلامية رائدة في مسيرة التنمية

رجب الدمنهوري

العمل الخيري بات معلما رئيسيا من معالم دولة الكويت بعد أن تحول من مجرد مبادرات ومشاريع فردية - عرفها الكويتيون منذ نشأة بلادهم - إلى أعمال مؤسسية واسعة النشاط، تضطلع بها هيئات وجمعيات ومؤسسات عديدة، ومن أبرزها الأمانة العامة للأوقاف التي نشطت في مجال الوقف الاسلامي ابداعا وابتكار واحياء وبحثا في بطون الكتب عن أدبياته ونماذجه لتطوير تطبيقاته وصياغاته في أرض الواقع، وتفعيلها لمواجهة تحديات الفقر والعوز التي تجتاح العالم الإسلامي. والكويتيون عرفوا الوقف منذ قديم الزمان، وضربوا أروع الأمثلة - ومازالوا - في وقف بعض ممتلكاتهم وثرواتهم وتخصيص ريعها للتنمية المجتمعية، وكان لذلك أثر كبير في تماسك المجتمع الكويتي وتلاحم أواصره عبر مساعدة المساكين والفقراء وانشاء المساجد والمدارس، ورعاية دور تحفيظ القرآن الكريم، والمرافق الصحية والاجتماعية وغيرها.

والكويت صاحبة تجربة فريدة في مجال الوقف الإسلامي، فقد استطاعت المزاوجة بين الموروث الفقهي الاصيل ومستجدات العصر في تطور نوعي تجلى في مسيرة الأمانة العامة للأوقاف التى غدت صرحا اسلاميا عملاقا له بصماته الواضحة على مستوى العالم الإسلامي، وتجربة رائدة في مسيرة التنمية، وحرصا على مواكبة المتغيرات تنظم الكويت كل سنتين منتدى لبحث قضايا الفقه ونوازله والأوقاف المعاصرة ومستجداتها، بل وتشارك في الملتقيات الوقفية والخيرية التي تعقد في الدول العربية والإسلامية بين الحين والآخر، ومن ثم فان هذا النموذج الوقفي جدير بالدراسة والبحث بعد أن نجح في تلبية احتياجات شرائح واسعة من فقراء ومعوزي المجتمعات الإسلامية.

منذ انطلاقتها نشطت الأمانة العامة للأوقاف في مجال العمل الوقفي بموجب المرسوم الأميري رقم ٢٥٧ لسنة ١٩٩٣، الذي أسند اليها اختصاصات الدعوة الى الوقف والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه، بما في ذلك ادارة أمواله واستثمارها وصرف ريعها في حدود شروط الواقف وبما يحقق المقاصد الشرعية للوقف وتنمية المجتمع حضاريا وثقافيا واجتماعيا لتخفيف العبء عن المحتاجين في المجتمع.

وفي هذا السياق كثفت الأمانة جهودها عبر العديد من الأنشطة والممارسات في مجال الدعوة الى احياء سنة الوقف النبوية الشريفة والتعريف بها، وبأهميتها في المجتمع، والاضطلاع بها وتنميتها من خلال الوسائل والمشاريع الاستثمارية والاقتصادية الشرعية، والصرف من ريعها على المصارف الشرعية التي تحقق النماء للمجتمع وتسد احتياجاته وبما يتوافق ومقاصد الواقفين وشروطهم.

وانطلاقا من أن التنمية هي الغاية المنشودة من وراء الوقف، فقد نجح الوقف الكويتي في تقديم إسهامات مميزة في دعم المشروعات الاقتصادية والتنموية داخل الكويت من خلال العائد المتجدد من الاصول الوقفية الثابتة، ومن أبرز الأنشطة في هذا المضمار ما قامت به ادارة المشاريع الوقفية التابعة للأمانة العامة للأوقاف من تقديم الدعم لمختلف الانشطة والمشاريع والبرامج التنموية الداعمة للبناء المجتمعي، والعمل على تلبية احتياجات الشرائح الاجتماعية سواء كانت الجهة القائمة على رعايتها رسمية أوأهلية، ومن ذلك مشروع رعاية طالب العلم وهومشروع يقدم الدعم للطلبة المحتاجين بهدف الارتقاء بمستوى تحصيلهم العلمي، وكذلك دعم الطلبة المسلمين من غير العرب في المدارس الاجنبية، كما أسهم مشروع وقف الوقت - رعاية العمل التطوعي - بدور كبيرفي الدعوة إلى العمل التطوعي وتنمية ميول الافراد والمؤسسات في المجتمع من اجل تعزيز فرص الاقبال على العمل التطوعي واعدادهم وتأهيلهم للانخراط في برامجه، ومن ثم قيامهم بدور ايجابي وفاعل في المجتمع، كذلك هناك دعم واضح من جانب الأمانة العامة للاوقاف لمشروع مركز الكويت للتوحد، وهومشروع متميز يعبر عن الوجه الحضاري للبلاد ولدور الوقف في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، لاسيما ان هذا المركز يرعى المصابين بمرض التوحد ويوفر لهم بيئة تعليمية وتربوية واجتماعية ونفسية تساعدهم على الاندماج في المجتمع بشكل علمي.

اسهامات متنوعة

وللصناديق الوقفية في الأمانة العامة للأوقاف اسهامات واضحة في المجالات التعليمية والصحية والثقافية والفكرية، فإدارة الصناديق تعنى بتقديم الدعم للمشروعات التي تُقدم اليها، سواء من جهات حكومية اواهلية من خلال اربعة صناديق

رئيسية هي: الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية، والصندوق الوقفي للتنمية الصحية، والصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه، بالاضافة الى الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة، ويتولى الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية، رفع مستوى الخدمة العلمية والثقافية والاجتماعية، بما يحقق تنمية المجتمع وتوعيته، وذلك من خلال تمويل ودعم عدد من المشاريع، مثل مشروع مساندة معلم الفصل بوزارة التربية، ودعم مشروع جليس الحدث بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وكذلك دعم الدورات التدريبية الخاصة بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، من خلال ادارة التوعية والارشاد، ودعم مشروع مكتبة الرواد بالهيئة الخيرية الاسلامية العالمية، هذا على الصعيد العلمي والثقافي.

اما على الصعيد الاجتماعي، فيمول الصندوق مشروع «من كسب يدي» وهومشروع اسري مشترك بين وزارة الشؤون الاجتماعية والامانة العامة للاوقاف، والمتمثل في «الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية» ويهدف المشروع الى تدريب وتأهيل الفئات التي تحصل على مساعدات اجتماعية، وذلك من خلال إكسابهم المهارات اللازمة للعمل في الميادين المختلفة.

استثمار الأموال الوقفية

أولت الأمانة قضية استثمار اموال الوقف اهتماما خاصا بهدف المحافظة على الاصول الوقفية واستثمارها وتنميتها بما يتناسب واحكام الشريعة الاسلامية، ووفق سياسات مأمونة تجعلها بمنأى عن التعرض للتقلبات الاقتصادية المحتملة وما قد يترتب عليها من آثار سلبية، وذلك لتحقيق ايرادات مناسبة يجري الصرف من ريعها على المشروعات الوقفية والتنموية وفقا للمقاصد الشرعية وشروط الواقفين، ويتحقق ذلك من خلال رعاية اموال الوقف بمختلف صورها وانواعها بما هواصلح وانفع ماليا واجتماعيا، والبحث في دائرة الاستثمارات المطابقة للاصول الشرعية من خلال افضل الفرص المتاحة لاستثمار تلك الاموال بالاسلوب المناسب الذي يحقق اعلى عائد، فضلا عن مراعاة النواحي الفنية وتجنب المخاطر العالية في مجالات الاستثمار غير المأمونة، وهذا ما تقوم به الامانة ووفق معطيات وسياسات الشركات الاستثمارية المطروحة وتحليل القطاعات الاقتصادية المختلفة، وذلك لتمكين الامانة العامة للأوقاف كمؤسسة وقفية من تحقيق الاهداف الحضارية للوقف في دعم خطط التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لمصلحة الافراد على اختلاف شرائحهم، ومن اجل تحقيق ذلك تحتضن الأمانة قطاعا متخصصا في الاستثمار يديره فريق فني محترف بمنهجية



وآليات واضحة ومدروسة.

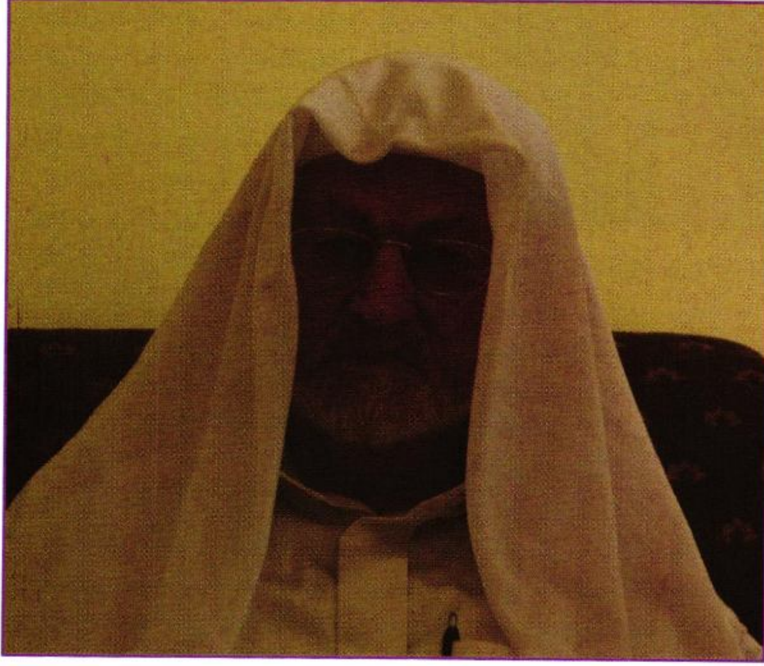
الشفافية والالتزام بالضوابط

وفي مجال ادارة الأموال الوقفية وضمان وصول عوائدها الى مستحقيها تنطلق الأمانة العامة للأوقاف في عملها من قاعدة الشفافية والالتزام بالضوابط الشرعية واللوائح الرقابية سواء على الصعيد الداخلي عبر اللجنة الشرعية وادارة الرقابة والتدقيق، أو الخارجي من خلال ديوان الخدمة المدنية والمكاتب المعترف بها عالميا في مجال التدقيق المحاسبي، وكل ذلك يتم وفق شروط الواقفين ومقاصدهم المثبتة في حججهم الوقفية، كما ان جميع أعمال ادارة الأموال بالأمانة - اجازة أو رفضا - تمر من خلال تلك القنوات الرسمية، هذا الى جانب ان المرسوم الأميري الخاص بإنشاء الأمانة نص في المادة (٦) منه على ان مجلس شؤون الأوقاف هو السلطة العليا المشرفة على شؤون الأوقاف واقتراح السياسة العامة لها، وخوله اتخاذ ما يراه لازما من القرارات، ومن ذلك رسم السياسة العامة لإدارة اموال الوقف واستثمارها، وكذلك وضع النظم واللوائح الكفيلة بتنمية ايرادات الأوقاف وتحصيلها بصفة منتظمة، ومما يعزز شفافية نشاط الأمانة أنها تتواصل مع الواقفين فيما يتصل بضمان وصول اموالهم وعوائدهم الى مستحقيها، اذ أن ادارة المصارف الخاصة تعنى ضمن اختصاصاتها بالتواصل مع ذرية وأقارب الواقفين، وتمكينهم من الاطلاع على أوجه الصرف ومجالاته اذا ما رأت الادارة احقيتهم في ذلك بشكل جدي وبأسلوب تطمئن اليه في هذا الصدد، اضافة الى قيام الأمانة بإصدار تقرير سنوي رسمي يعتمده مجلس شؤون الأوقاف يتضمن الجانبين المالي والإداري ليكون متاحا لجميع الاطراف ذات الاهتمام.

استشراف المستقبل

ورغم التحديات التي تهدف الى تشويه صورة العمل الخيري بما فيه العمل الوقفي وتضييق الفرص والمجالات امام المؤسسات الخيرية والوقفية، تركزالأمانة العامة للأوقاف - عبر استراتيجيتها وبلغة التحدي الواقعي والثقة في سلامة مشاريعها - على ان رسالتها الاساسية تهدف الى تنمية المجتمع والعمل على النهوض به في دور مكمل لدور الدولة، وصاغت رؤيتها الرامية الى تحقيق الريادة في توظيف الوقف كأداة للتنمية الشاملة، كذلك تهتم استراتيجية الأمانة بقضية التعاون الدولي في مجال الوقف، اضافة الى مجالات العمل الأربعة الأخرى التي تشمل: الدعوة الى الوقف، وتفعيل دور الأمانة في تنمية المجتمع، والاستثمار وتنمية الريع الوقفي، وصرف الريع في مجالات التنمية، بالإضافة إلى التطوير المؤسسي والتواصل مع الواقفين والمعنيين بالوقف ومشروعاته الخيرية والتنموية.

مجالس سماع وقراءة كتب الفقه الحنبلي



حوار: سليمان الرومي

من المعلوم أن العلماء هم ورثة الأنبياء لتوريثهم المجتمعات المسلمة حقيقة معرفة الله وأصول المنهج الحاكم لمختلف مجالات الحياة، وهذا مصداقا لقول رسول الله ﷺ «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (الترمذي).

فلا عمل بلا علم ولا وقاية بلا فقه، فالعلم والعمل هما المنجيان للإنسان في الدنيا والآخرة من المهالك والشرور والفتن.

«الوعي الإسلامي» التقت أحد أبرز العلماء في الشام والعالم الإسلامي الشيخ إسماعيل بدران الدومي لتسلط الضوء على دور العلماء اليوم، ومعرفة الفروق بين مدارس العلم الشرعي، وسبل المحافظة على أصولنا في مواجهة حملات المستشرقين التمذهب .. وإليكم نص الحوار:

■ غياب العلماء الربانيين في هذا الزمان بات واضحاً... كيف ترون ذلك؟

- في هذا الوقت بفضل الله يوجد علماء ربانيون وعلماء عاملون وفقهاء، فعندنا في الشام علماء محترمون أمثال الدكتور سعيد البوطي ومحمد راتب ومحمد كريم راجح، ومهدي مصطفى النور وهؤلاء علماء على مستوى البلاد الإسلامية لا على مستوى الشام فقط.

■ ما الفرق بين الشيخ والعالم والعلامة؟

- كلمة شيخ باللغة لا تعني عالماً، وبلغتنا العامية فلان شيخ يعني محتمل يكون فقيه ومحتمل يكون إمام جامع، أما العالم فهو أعلى مرتبة، أما العلامة فمرتبته أعلى.

■ ماسبب زيارتكم الأخيرة للكويت؟

زيارتنا كانت لمجالس السماع الفقهية لطلبة العلم، فقد قرئ علي كتب الفقه الحنبلي المتمثل في كشف المخدرات شرح أفضل المختصرات، ونيل المآرب شرح دليل الطالب، وبلوغ القاصد شرح بداية العابد.

■ على من تلقي مسؤولية تراجع الاهتمام بالعلوم الشرعية؟

- هناك تقصير من العلماء وتقصير من الشباب، فالشباب لديهم فكرة ان من يطلب العلم فلا عمل له، فأنا كنت مزارعاً وكنت آتي من المزرعة على دار الحبيب نقرأ الدرس أنا وأخي وابن عمي، وهناك من يتحجج بأننا لم نعد قادرين على طلب العلم بسبب الواجبات والالتزامات، ولكن هذا مردود عليه لأن هناك ٢٤ ساعة ويمكنك اقتطاع ساعة من حساب نومك أو ساعة من شغلك.

■ ما رأيكم في قضية التمذهب والاجتهاد في طلب العلم؟

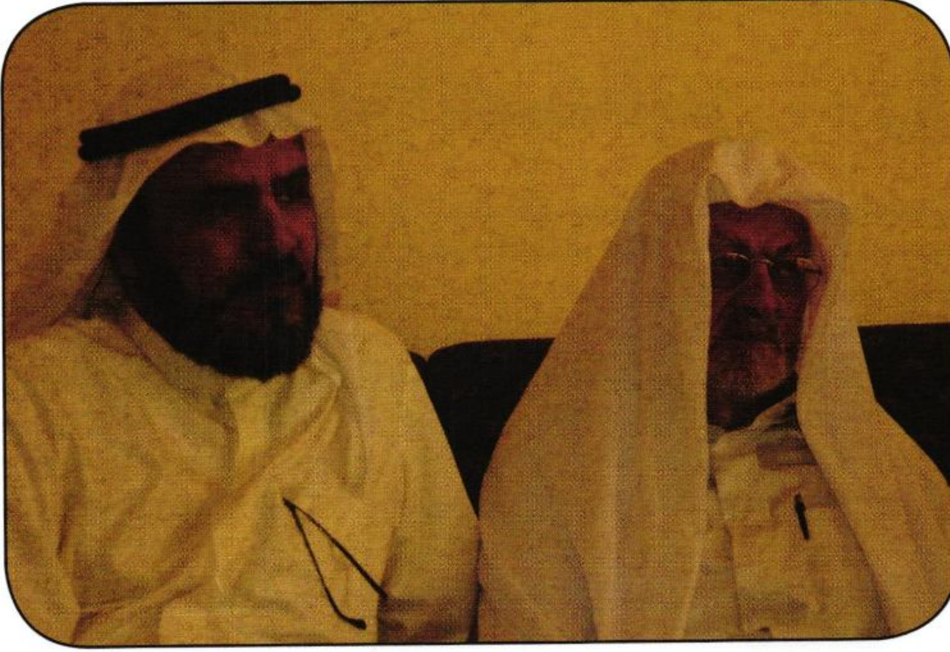
- الذي عنده مقدرة يجتهد بالأصول لا مانع مثل العلامة الشيخ القادر بدران علامة الشام، فقد وصل لدرجة الاجتهاد وليس من الضروري أن يلتزم بمذهب، مع العلم انه كان في الماضي حنفياً ثم تحنبل في آخر حياته، فالإجماع يمكن في بعض الأمور وبعض الأحكام.

فليس بشرط أن يلتزم الواحد بالمذهب ١٠٠٪ لأن هذا يسمى تعصبا وأنا أحارب التعصب، وبالنسبة للجماعة الذين يقرأون عليّ أنا أقول لهم لا تعتبروني حنبليا وأنا بالأصل حنبلي لكني لا أؤيد التعصب، فاذا وجد حكم دليله أقوى من دليل آخر فإنه أحرى بالاتباع.

■ كيف ترون فوضى الفتاوى اليوم؟

- أنا قلت من قبل الشيخ العالم الذي وصل لدرجة الفتوى وقرأ كتاب «إعلام الموقعين» هو المخول بذلك أما من لم يقرأ هذا الكتاب فيحرم عليه الفتوى.

وإن كان السؤال لغويا أو فقهيا ولم أكن متيقنا ١٠٠٪ فلا أجيب وهذا الشيء واقعي. الإمام مالك رضي الله عنه سئل عن ٣٦ سؤالاً فأجاب عن ثلاثة اسئلة فقط، وقال عن ٣٣: لا أدري وجاءه أحد العلماء من اليمن الى المدينة المنورة يسأله سؤالاً فسأله، قال: لا أدري، فقال له: يا إمام جئت من اليمن لأسأل مالكا فتقول لا أدري، قال: ارجع الى قومك وقل لهم: ذهبت وسألت مالكا وقال:لا أدري.



التمذهب والاجتهاد مرتبطان بالقدرة على فهم الأصول

أرفض التعصب المذهبي باعتبار أن الحق أحق أن يتبع

هناك تقصير من العلماء و الشباب في طلب العلم

من هو؟

- هو الشيخ الفقيه المتقن الحنبلي اسماعيل بن محمد بن محمد بن الشيخ عبدالرحيم بن الشيخ مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بن محمد بن عبدالرحيم بن خليل بن محمد بن شمس الدين بن محمد بن محمد بن عبدالقوي بن عبدالله الشهير كأسلافه بابن بدران السعدي، الدومي، وبهذا يكون والد الشيخ عبدالقادر بن أحمد بدران، العلامة المشهور ابن أخ الشيخ عبدالرحيم الجد الأعلى لشيخنا إسماعيل، وقد رأيت ذلك في شجرة النسب عند شيخنا.

ولد حفظه الله تعالى في سنة (١٣٥٤هـ)، وبعد أن أنهى ما يعادل الثانوية العامة، أخذ علم التجويد على الشيخ المقرئ أحمد عبدالمجيد أحد تلاميذ المقرئ الشيخ محمد سليم الحلواني، ثم لازم شيخه العالم المربي أحمد قويدر خمس عشرة سنة في دار الحديث بدمشق، وخمس سنوات في قرية عربين من أعمال دمشق، وأخذ عنه علم العربية والفقه الحنبلي حيث قرأ عليه «كشف المخدرات في شرح أخصر المختصرات» مرتين، وقرأ عليه «صحيح مسلم بشرح النووي»، وبعد وفاته انتقل عند الشيخ أحمد الشامي مفتي دوما، ولازمه ثلاث سنوات حيث اخذ عنه الفقه الحنبلي وقرأ عليه «كشف المخدرات»، ثم انتقل الى الشيخ عبدالمجيد بن محمد عبدالمجيد المعروف بـ«الحنبلي الصغير» لمدة سنتين ونصف فقرأ عليه «دليل الطالب» لمرعي الكرمي ثم «منار السبيل» لابن ضويان، وقد كان محباً له وملازماً في غير القراءة أيضاً، قال شيخنا اسماعيل بن بدران ومن خطه نقلت «ثم انتقلت الى العلامة والحبر البحر الفهامة، الاصولي المجتهد اللغوي عبدالقادر بن محمد الحتاوي، وكانت مدة طلبي للعلم عليه ثلاث سنوات حتى توفاه الله تعالى في كانون الثاني سنة ١٩٨١م، وقد أجازني في الفقه الحنبلي واللغة العربية ثلاث مرات» وكان قد قرأ عليه شيخنا «غاية المنتهى في جمع الاقناع والمنتهى» لمرعي الكرمي، وبعده تولى شيخنا اسماعيل بن بدران تدريس الفقه الحنبلي في هذه السنة اعني (١٤٠١هـ) وحضر عليه الطلبة غالب أيام الأسبوع في «الدليل» و«نيل المآرب» للتغلبي وشيخنا يحب هذا الكتاب ويثني عليه، و«منار السبيل» و«كشف المخدرات»، و«العدة في شرح العمدة» للمقدسي، وأوائل «المغني» لابن قدامة، وكذا الآجرومية وشروحها: لزيني دحلان، ومحيي الدين عبدالحميد، وابن عثيمين، درس هذه الكتب تكراراً ومراراً حتى إنه يكاد يحفظ بعضها لكثرة تدريسه لها، واخبرني - حفظه الله تعالى بخير وعافية - انه قرأ عليه من بلدته دوما معقل الحنابلة في الشام أكثر من (٨٠) طالباً، وكذا حضر عليه من الرحيبة ودمشق ومن غيرها من الطلبة من الجزائر والهند وبريطانيا وأميركا، ومنهم من لازمه سنوات عديدة، وشيخنا اسعده الله، ودود لطيف المحيا، يأنس به من يلقاه ويستفيد من علمه بالمذهب الحنبلي من يجلس اليه ويقرأ بين يديه، بارك الله تعالى في حياته وزاد في أيامه وحسناته، وإنه لا يفوتني في هذه السطور شكره على حسن استقباله وكريم نواله، كما لا يفوتني أيضاً شكر أخي المقرئ المفيد الشيخ عبدالله بن حسين العيسى الذي كان واسطة العقد في التعرف على شيخنا جزى الله الجميع خير الجزاء

خطف الصحافيين .. رؤية فقهية

حين ننظر إلى تعريف الصحافة نجد أنها جمع الآراء والأخبار والمعلومات ونشرها في إحدى وسائل الإعلام كالجريدة والمجلة أو موقع الإنترنت أو الفضائية وغيرها، بنوع من حرية التعبير عن الرأي (1).ولا يقف عمل الصحافة على أنها حرفة، بل عرفها مجمع اللغة العربية بأنها «حرفة ورسالة لأنها تتبع الأخبار وكتابة التعاليق والتحقيقات والمقالات في الوسيلة الإعلامية» (2).والصحافة جزء من الإعلام، والإعلام هو إخبار الجمهور كي يكون على علم ومعرفة بما ينقله الإعلامي له.
والمهم في تعريف الصحافة هنا هو ما أشار إليه مجمع اللغة العربية من كونها مهنة ورسالة، وأنها جزء من الإعلام المبني على العلم والمعرفة الصادقة حسب اجتهاد القائم بهذه الوظيفة.



مسعود صبري ●

كثير من الآيات التي تدل على أن الوظيفة الأولى للأنبياء والمرسلين والمصلحين هي رسالة إعلامية في المقام الأول، وهذا يعني أن الصحافيين الذين يلتزمون آداب المهنة الصحافية، ولا يتخذون الصحافة وسيلة لنشر الرذيلة بكل أنواعها، جنسية كانت أو فكرية، يأتون عملا يشبه عمل الأنبياء والمصلحين، وهذا يدل على شرف وعظم العمل الصحافي إن التزم الآداب الشرعية، واحترم منهج الصحافة العلمي.



قراءة في وقائع الخطف في صدر الإسلام

١- خطف ثمامة بن أثال

بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال «ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك، فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت! قال: «لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ» (صحيح البخاري، المغازي، وفد بني حنيفة وثمامة بن أثال).

وقد عفا عنه النبي ﷺ كما أشار إلى ذلك ابن حجر في الفتح في رواية ابن إسحاق «قال قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك».

يقول الشيخ فيصل مولوي (٣): ما يستنتج من هذه القصّة:

١- كانت هناك حالة حرب فعليّة، وقد أراد ثمامة بن أثال أن يقتل العلاء بن الحضرمي رسول رسول الله ﷺ، مع أنّ الرسل لا تقتل حتّى في حالة الحرب.

٢- أمر رسول الله ﷺ بخطف ثمامة وهو من زعماء الأعداء المقاتلين، وقد أراد قتل أحد المسلمين خارج المعركة، فهو مستحقّ للقتل خارج المعركة أيضاً.

٣- عندما خطف ثمامة لم يقدم الخاطف على قتله، وإنّما سلّمه إلى وليّ الأمر (رسول الله ﷺ) ليرى فيه رأيه، ورغم خطورة فعله واستحقاقه القتل فقد أطلق رسول الله ﷺ سراحه دون مقابل، رغبةً في إسلامه، ممّا يؤكّد أحد المقاصد الهامّة للشريعة الإسلاميّة، وهو الحرص على إسلام الناس، وليس على قتلهم.

٢- خطف الصحابة لبعض أهل الحرم

عن مجاهد قال «أقبل معتمرا نبي الله ﷺ، فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبي ﷺ» (٥).

وما يمكن استنتاجه من هذه القصّة أنّ رسول الله ﷺ لم يكن في ذلك الحين يعتبر نفسه في حالة حرب مع المشركين، وقد

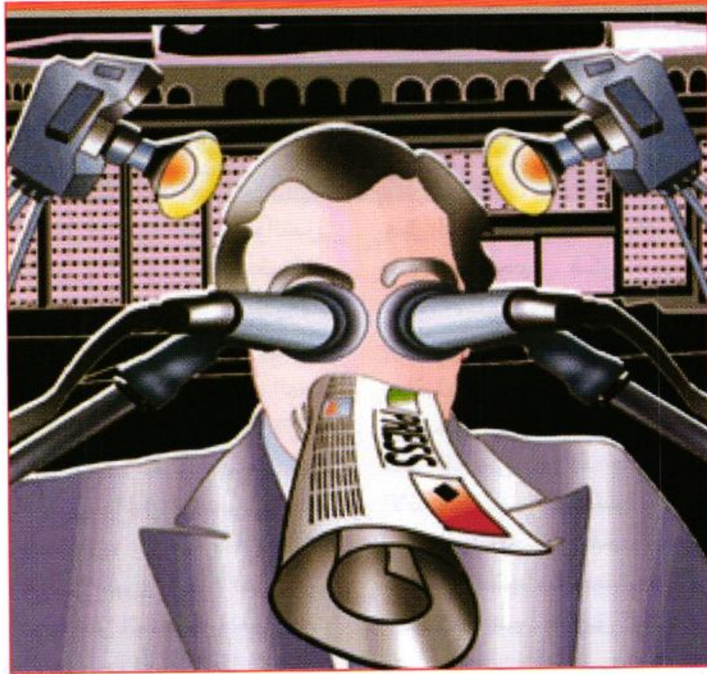
● باحث شرعي في المركز العالمي للوسطية

خرج معتمرا، ولذلك فقد أطلق سراح المختطفين باعتبار أنّ الخطف لا يجوز في غير حالة الحرب الفعليّة.

٣- **اختطاف سلمة بن الأكوع وعمه عامر بعض المشركين،**

حيث اختطف سلمة بن الأكوع أربعة من المشركين، واختطف عمّه عامر رجلا من العبلات (وهم أبناء عبلة بن عبيد) بعد صلح الحديبية، وأطلق رسول الله ﷺ هؤلاء المختطفين، وقد وردت هذه القصّة في صحيح مسلم (غزوة ذي قرد) يقول سلمة بن الأكوع «...لمّا اصطلحنا نحن وأهل مكّة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها (أي كنسته)، واضطجعت في أصلها، فأتاني أربعة من المشركين، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ (أي يذمونه)، فأبغضتهم، فتحوّلت إلى شجرة أخرى، وعلّقوا سلاحهم واضطجعوا. فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قتل ابن زنيم، فاخترطت سيفي، ثمّ شددت على هؤلاء الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، وجعلته ضغثا في يدي (أي حزمة مجموعة)، ثمّ قلت: لا يرفع أحدكم رأسه إلاّ ضربت الذي فيه عيناه، ثمّ جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء عمّي عامر برجل من العبلات، يقال له مكرز، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفّف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال «دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثناه...» (صحيح مسلم، الجهاد والسير، غزوة ذي قرد).

يقول الشيخ فيصل مولوي (٤): وما يستنتج من هذه القصّة هو أنّ الصلح كان قائما بين رسول الله ﷺ والمشركين، ولذلك صبر



سلمة على ذمّ المشركين لرسول الله ﷺ، لكنّه عندما سمع بقتل ابن زنيم اعتبر أنّ المشركين نقضوا الصلح فاستباح خطفهم، وهكذا فعل عمّه عامر، لكن يلاحظ أنّ سلمة وعامرا رضي الله عنهما لم يقتلا أحدا من المختطفين، وإنّما سلماهم إلى رسول الله ﷺ وهو وليّ الأمر، وأنّ رسول الله ﷺ عفا عنهم، وقال تلك الكلمة الرائعة: «دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثناه». وهي تبيّن بوضوح أنّ مقتضيات الدعوة تتغلّب على مقتضيات القتال والانتقام، وأنّ بدء الفجور وإعادته ثانية هو من أخلاق المشركين، وليس من أخلاق المسلمين، وإذا أبيح للمسلم الردّ على الفجور بمثله، فليس ذلك استجابة للرغبة في الانتقام، وإنما هي محاولة لمنع تكرار الفجور، ولإزالته من ميدان العلاقات الإنسانيّة، ولذلك فإنّ الإسلام يدعو للعفو والصبر، لأنّه عادة يكون أبعد أثرا في منع تكرّر الفجور.

٤- **أسر الصحابة رجلا من بني عقيل، لأسر ثقيف رجلين من الصحابة.**

والحديث كما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن عمران بن حصين قال «كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال يا محمد، فأتاه فقال: ما شأنك؟ فقال بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج، فقال إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف، ثم انصرف عنه، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا، فرجع إليه فقال ما شأنك؟ قال: إني مسلم، قال لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح. ثم انصرف، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه فقال ما شأنك؟ قال إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني. قال: هذه حاجتك ففدي بالرجلين. قال: وأسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ، قال: وناقة منوقة، فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت، ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ، فقالت إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال سبحان الله، بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد» وفي رواية ابن حجر «لا نذر في معصية الله» (صحيح مسلم، النذر).

ومما يُستنتج من هذه الحادثة أنّ رسول الله ﷺ أقرّ أصحابه على خطف العقيلي وأسره، باعتباره حليفا لأعدائه المحاربين، لكنّه قضى له حاجته من الطعام والشراب، أي أنّه لا يجوز إيذاء المخطوفين أو تجويعهم.

خطف الصحافيين في الحروب

لاشك أن أعمال الخطف في حال السلم والأعمال المدنية محرم بلا خلاف، وإن ورد في الشرع اختطاف للمحاربين وقت الحرب، لأنهم يباشرون عدوانا، بناء على أن أصل الجهاد في الإسلام لدفع العدوان، فما خرج عن دفع العدوان يكون عدوانا، وهو ممنوع شرعا.

وعمل الصحافة في الحروب وغيرها هو نقل الواقع لمن يجهله، بل وتحريك أصحاب القرار لرفع الظلم عن المظلومين،

وكأن الصحافة هنا- إن التزمت آداب المهنة المتفق عليها- تقوم بدور أساسي في الجهاد الإعلامي، من فضح الظالم- أيا كان، وبيان حقيقته، حتى يتحرك الناس لرفع الظلم عن المظلوم، والوقوف ضد الظالم، ولبيان الحق حتى لا ينقلب المظلوم ظالما، والظالم مظلوما، والباطل حقا، والحق باطلا، وعلى هذا فالصحافة من الأعمال المحترمة شرعا، والتي يجب صيانتها والحفاظ على أهلها، بل يعد الحفاظ على الصحافي الذي ينقل الحقيقة للناس أهم من الحفاظ على غيره من المدنيين، لقيامه بهذا الدور الفعال.

ولقد رأينا كيف كان نقل الصورة محركا للشعوب ضد الظلم والعدوان من المعتدي، ولهذا كان الاعتداء على الصحافيين الذين ينقلون الحقائق ويلتزمون آداب المهنة أشد حرمة وجرما.

و الدليل على تحريم خطف الصحافيين ما يلي:

١- أن هذا الخطف نوع من الاعتداء، وهو محرم بنص القرآن، قال تعالى ﴿... ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة: ١٩٠) وقد قال العلامة الشيخ القرضاوي: وقد فسر الاعتداء المنهي عنه هنا بأمرين: إما بقتال غير المسلمين الذين لا يقاتلون المسلمين، ولا يعادونهم، أو يظاهرون عليهم عدوا، وإما بقتل النساء والأطفال والشيوخ الضعفاء والزمنى والعميان وأمثالهم ممن ليسوا من أهل الحرب والقتال، وليس لهم فيها مشاركة ببدن ولا رأي. وهو مروي عن ابن عباس.

٢- أن خطف الصحافيين حبس لحرية الإنسان ومن المعلوم أن الحبس نوع من التعزير، والتعزير لا يكون إلا عند ارتكاب خطأ في غير الحدود، ويكون بإذن ولي الأمر، إن كان هناك داع للحبس، وقد قرر بعض فقهاء العصر أن مقاصد الشريعة لا تتوقف عند الخمسة المشهورة، وهي «النفس، والمال، والدين، والعقل، والنسل» بل رأوا أن هناك مقاصد كبرى أيضا قد لا تقل أهمية عن الخمسة، وجعلوا على رأسها الحرية، بل إننا نلحظ أن الله تعالى مع كونه أوجب على الناس الإيمان به، وتوحيده، وعدم الإشراك به، وهو الذي خلقهم وأوجدهم من عدم، وهو الذي يحاسبهم ويرزقهم...إلخ، ومع كل هذا ما أجبر الناس على فعل شيء مما أمرهم به، بل قال تعالى ﴿وهديناه النجدين﴾ وقال ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وقال ﴿لا إكراه في الدين﴾ لأن حقيقة الطاعة لا تكون إلا في جو من الحرية، وقد جبل الإنسان على كره الإكراه، ولو في الخير، فكيف تسلب حرية الإنسان وتستباح؟

الرسالة الإعلامية الصادقة يمكن إدراجها ضمن رسالة الإسلام الإنسانية التي تسعى إلى النفع العام

ثم إن الخطف نوع من الحبس بلا ذنب، ولا يشترط في الحبس أن يكون في مكان معد للحبس، بل قد يكون منع الإنسان عن مباشرة حياته نوعا من الحبس المحرم، وقد عرف الفقهاء الحبس فقالوا «الحبس هو: تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه والخروج إلى أشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية، وليس من لوازمه الجعل في بنيان خاص معد لذلك، بل الربط بالشجرة حبس، والجعل في البيت أو المسجد حبس» (٦). والحبس لا يشرع إلا في الاتهام، مع الاختلاف الوارد بين الفقهاء في مشروعيته، وإن كان الراجح جواز الحبس للمتهم، غير أن خطف الصحافيين وحبسهم عن عملهم في غير محله، لأنهم غير متهمين.

ولقد عاب الله تعالى على المشركين محاولتهم اعتقال الرسول ﷺ وحبسه، حين قال ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الأنفال: ٣٠) فعلم أن الاعتقال والحبس بلا ذنب ولا جريرة محرم شرعا.

٣- القياس على رسل الحرب ومن المعلوم أن رسل الحرب قديما كانوا يبلغون الرسالات بين الطرفين المتحاربين، فيرسل هذا رسولا للآخر، ويرسل الآخر رسولا لمن أرسل إليه، لطبيعة الحياة البدائية آنذاك، حيث لم تكن وسائل الاتصال بهذه السرعة التي وصفت بالثورة (ثورة الاتصالات)، وقد تواضعت الأعراف الدولية، ومعها الشرع، على حماية خاصة للرسول، واتفقت على أن رسل الحرب لا تقتل، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله «لا أحبس البرد» أي الرسل. (رواه أبوداود). وقال ابن مسعود: «مضت السنّة أن الرسل لا تقتل» (رواه البيهقي).

بل وصلت عظمة الإسلام في أنه حرم قتل رسل الحرب، وإن كان منهم من لو لم يكونوا رسلا لكان قتلهم مباحا.

فقد نقل الطحاوي في كتابه «مشكل الآثار» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «كنت عند رسول الله ﷺ جالسا فجاءه ابن النواحة ورجل معه يقال له ابن وثال حجر وافدين من عند مسيلمة، فقال لهما رسول الله ﷺ أتشهدان أني رسول الله؟ فقالا: أتشهد أنت أن مسيلمة رسول الله؟ فقال: آمنت بالله عز وجل وبرسوله، لو كنت قاتلا وفدا لقتلتكما» (رواه ابن تيمية وإسناده صحيح)، وساق روايات عن رسل لمسيلمة لم



يقتلهم رسول الله ﷺ، ثم قال الطحاوي: فتأملنا هذه الآثار طلب الوقوف على المراد بما فيها من رفع رسول الله ﷺ عن الوفود ألا تقتل، وإن كان منها مثل الذي كان من ابن النواحة وصاحبه مما يوجب قتلهما لو لم يكونا رسولين فوجدنا الله- عز وجل- قد قال في كتابه لرسوله ﷺ ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ أي فيتبعه، أي يجب عليه المقام حيث يقيم المسلمون سواه، أو لا يتبعه فيبلغه مأمنه، وكان في تركه اتباعه بقاؤه على كفره الذي يوجب سفك دمه لو لم يأته طالبا لاستماع كلام الله تعالى، فحرم بذلك سفك دمه حتى يخرج عن ذلك الطلب ويصير إلى مأمنه فيحل بعد ذلك سفك دمه، فكان مثل ذلك الرسل الذين يبلغون من أرسلهم عن رسول الله ﷺ جوابه لهم فيما أرسلوا من أجله، وسماعهم كلام الله عز وجل ليكون من يصيرون إليه بذلك يقبله فيدخل في الإيمان، أو لا يقبله فيبقى على حربيته، وعلى حل سفك دمه، فهذا عندنا هو المعنى الذي به رفع رسول الله ﷺ عن الرسل القتل، وإن كان منهم ما يوجب قتلهم لو لم يكونوا رسلا (٧).

ولو كان رسول الحربيين مرتدا عن الإسلام، وهو ما يوجب القتل عند بعض الفقهاء، فإن بقاءه في وظيفته كرسول يرفع عنه الاعتداء بأي شكل من أشكاله، فيكون الحفاظ على الصحافي- أيًا كان دينه أو معتقده- أولى.

وإن كان الإسلام قد أمر بالحفاظ على الرسول الحربي، الذي جاء من عند العدو المحارب، وحفظ له حياته، فكان الإبقاء على حياة الصحافيين الذي يمثلون رسلا عامة للمجتمع الإنساني أولى بالحفاظ عليها، وعدم التعرض لهم بالقتل أو الحبس أو أي صورة من صور الإيذاء.

الصحافيون الذين يحيدون عن وظيفتهم ويساعدون المحتل جاز خطفهم بشكل استثنائي لأنهم باتوا محاربين

٤- أن الصحافيين من المدنيين الذين لا يجوز التعرض لهم، والمتتبع لدستور الأخلاق في القتال والجهاد يرى أن الإسلام استثنى أصنافا من الناس، كالمرأة والشيخ الهرم، والصبي الصغير، والراهب في صومعته، وأهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس، والفلاحين الذين يقومون بزراعة أرضهم والأجراء عند الناس...الخ، وقد صحت بذلك الآثار عن النبي ﷺ وصحابته، أما عن الفلاح، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال «اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب»، وأما الأجير، فلما روي عن حنظلة بن الربيع قال «غزونا مع رسول الله ﷺ فمررنا على امرأة مقتولة قد اجتمع عليها الناس، فأفرجوا له، فقال: ما كانت هذه تقاتل فيمن يقاتل، ثم قال لرجل انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له إن رسول الله ﷺ يأمرك، يقول: لا تقتلن ذرية ولا عسيفا» (صحيح ابن ماجه)، وأما الشيخ الكبير فلما روي أن النبي ﷺ قال «لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة» (رواه أبوداود) ولما روي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ولا تعتدوا﴾ يقول «لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير»، وروى مالك في الموطأ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أوصى يزيد بن أبي سفيان- أحد قواده إلى الشام- فكان مما قال له «إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله (يعني الرهبان) فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما...» ونقل الحطاب- من فقهاء المالكية- عن بعض الفقهاء أنه لا يجوز قتل الأجراء والحراثين وأهل الصناعات إذا لم يخش من جهتهم، وأمنت فتنتهم (٨).

والعلة التي أعفت هؤلاء من القتل أنهم- بلغة عصرنا- مدنيون لا يشاركون في القتال، وإن كان الفقهاء قديما نصوا على عدم التعرض لهؤلاء، فإنه يلحق بهم كل مدني لا يشارك في القتال، وعلى رأسهم الصحافيون.

٥- أن الخطف خلف للوفاء بعقد الأمان والعهد وذلك أن الدساتير الدولية أجمعت على أن العاملين في الصحافة ممن لهم عقد الأمان، ولهم ذمة وعهد في أية دولة يدخلونها، وذلك بموجب دخول الدول في هيئة الأمم المتحدة، وقد نصت المادة ٧٩ من البروتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ «يعد الصحفيون الذين يباشرون مهمات مهنية خطرة في مناطق النزاعات المسلحة أشخاصا مدنيين... يجب حمايتهم بهذه الصفة بمقتضى أحكام الاتفاقيات وهذا البروتوكول، شريطة ألا يقوموا بأي عمل يسيء إلى وضعهم كأشخاص مدنيين، وذلك دون الإخلال بحق المراسلين الحربيين...» وهذا قانون دولي يوافق دستور الإسلام في عدم التعرض للمدنيين، ونحن لا نقول إن الإسلام وافق اتفاقية جنيف، بل نقول: إن اتفاقية جنيف أقرت ما ذهب إليه فقهاء الإسلام.

٦- خطف الصحافي امتهان لكرامة الإنسان الذي فضله الله بها على كثير من خلقه كما قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠)، فمن أهم ما كرم الله تعالى به الإنسان أن يعيش حرا غير مقيد عند أحد، فهو فرد في المجتمع الذي يعيش فيه، ليس لغيره سلطان إجبار عليه، بل سخر الله تعالى للإنسان ما في الكون، فهو صاحب الحرية، وغيره فاقدها.

٧- خطف الإنسان نوع من الإفساد: من المعلوم شرعا أن رسالة الإسلام هي رسالة إصلاح إنساني، ولهذا خاطب الله تعالى رسوله ﷺ مبينا طبيعة هذه الرسالة بأنها رحمة للعالمين، فقال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وأوضح الله تعالى أن من أهم أهداف تواجد البشر على الأرض التعمير، فقال تعالى ﴿واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١)، ونهى عن كل فساد وجعله محرما، وإن كان الفساد الذي يقوم به الإنسان محرما، فإن الإفساد أشد حرمة، قال تعالى ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة: ٦٠)، وقال ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧).

٨- القياس على الأسر ومن

المعلوم أن الأسر إنما يكون في الحروب للمحارب، بل إن الفقهاء ذهبوا إلى أن الأسير إذا طلب الأمان، أعطي إياه، وحرم التعرض له بالقتل أو إتلاف المال أو غير ذلك، وبهذا قال الثوري والأوزاعي والشافعي وإسحاق وابن القاسم وأكثر أهل العلم، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٩)، فإن كان هذا في الأسير الذي وقع في أسر المسلمين، وهو محارب لهم، معتديا عليهم، فإن إعطاء الأمان أولى للصحافي الذي لا دخل له بالقتال.

بل لا يجوز أسر الصحافي الذي يلتزم بمهنته، لأنه عمل مدني في المقام الأول، والأسر لا يكون إلا للمحاربين ومن والاهم، ثم إن الواقع يقول: إن كثيرا من الصحافيين لا علاقة لهم بالجيش، لأنه في الغالب من بلد غير بلد المحتل، بل إنه ليس لازما أن يكون الصحافي- الذي هو من بلد المحتل- مساعدا له في ظل المؤسسات الإعلامية المعارضة للأنظمة.

وإن جوز الفقهاء قديما أسر بعض الفئات غير المقاتلة، فإن الفتوى يجب أن تراعي الواقع، لأن الوضع الدولي القديم كان يجعل الدولة كتلة واحدة، وقد قالوا قديما «الناس على دين ملوكهم»، فلم يكن يظهر هذا التمييز الذي نراه في عصرنا، وبالتالي فلا يمكن الحكم على كل من ينتمي لجنس المحتل على أنه ضمن الاحتلال، بل يجب التفريق بين من هو مدني ربما يخدم قضية من اغتصبت أرضه، كما هو الشأن في العمل الإعلامي والصحافي، وبين من هو عسكري أو تابع للجيش بالمفهوم الحديث، لأن الجيش في



القديم كان مقصورا على من يحملون السلاح وبعض الفئات الأخرى، أما الآن فالجيش أكثر تعقيدا، فكل من كان في خدمة الجيش، فهو محتل، يجب جهاده، وكل من لا علاقة له بعمل الجيش والاحتلال لا يمكن إدراجه ضمن الجيش المحارب، ولا أن نعامله معاملة المحتل.

متى يجوز خطف الصحافي؟

والاستثناء الوحيد الذي يجوز فيه أسر الصحافي وخطفه هو أن يترك عمله كصحافي، وينضم إلى جيش الاحتلال بأي صورة من صوره الحديثة، أو يتخلى عن العمل الصحافي وفق نظرية المسؤولية الاجتماعية للصحافة، والتي تدعو إلى ألا يكون الإعلام قائما على الكسب بما يضر مصالح المجتمع الإنساني، ومن العجيب أن يكون أساس هذه النظرية التي طرحت بشكل معاصر بتقرير «لجنة حرية الصحافة الأميركية الصادر عام ١٩٤٧م» والذي نبه إلى أن التجاوزات التي تحدث من قبل الإعلام والصحافة لها أكبر الضرر على المجتمع، وهو التقرير الذي يعد أساس نظرية المسؤولية الاجتماعية للصحافة، التي جاءت مراجعة للنظرية الليبرالية التي سادت الإعلام والصحافة الغربيين حتى أربعينيات القرن (١٠).

الخلاصة

١- إن الرسالة الإعلامية الصادقة، التي لا تدفعها الأهواء والمصالح الشخصية يمكن إدراجها ضمن رسالة الإسلام الإنسانية، والتي تسعى إلى النفع العام.

٢- إن حالات الخطف التي تمت في عهد الرسول ﷺ كانت لمحاربين اعتدوا على المسلمين بالقتل، وكانوا على منهجهم في محاولة قتل كثير من المسلمين، وهي حالة واحدة كانت بأمر الرسول ﷺ، وما سواها من حالات الخطف، فإن الرسول ﷺ رفضها، لأنه لم يكن في حالة حرب مع المشركين، وأنه أوصى للمخطوفين المستحقين للخطف بحسن المعاملة.

٣- إن خطف الصحافيين منهي عنه شرعا، لأنه جمع في فعله محرمات عدة، فهو نوع من الاعتداء، وحبس لحرية الإنسان، والصحافيون من المدنيين الذين لا يجوز التعرض لهم، والخطف خلف للوفاء بعقد الأمان والعهد، وامتهان لكرامة الإنسان الذي فضله الله بها على كثير من خلقه، وهو نوع من الإفساد، ونوع من الأسر، وهو لا يجوز لغير الحربي في الأصل، وإن كان الإسلام أمّن رسل الحرب، وحرم قتلهم، فإن الصحافي بمثابة رسول محايد، فكان الاعتداء عليه إثم.

٤- إن من وقع في الأسر والخطف لا يجوز الاعتداء عليه، بل الواجب إحسان معاملته، اقتداء بهدي النبي ﷺ.

٥- إن من حاد من الصحافيين عن دوره ووظيفته، وقام بعمل يساعد المحتل، جاز خطفه في هذه الحالة، وهو أمر استثنائي، لأن الصحافي- في هذه الحالة- تخلى عن وظيفته، وأصبح محاربا بشكل من الأشكال.

٦- إن الإسلام وإن طلب توفير الحماية للمدنيين في الحروب، فإن عمل الصحافي- في أصله- يجعل الدعوة لحماية الصحافيين في المرتبة الأولى من الحماية.

الهوامش

١- معجم المحيط لأديب اللجمي، وشحادة الخوري، باب: ص- ح- ف.
٢- المعجم الوسيط: ص- ح- ب.
٣- احتجاز الرهائن في ميزان الإسلام، بحث للشيخ فيصل مولوي، منشور على موقع إسلام أونلاين.نت.
٤- المرجع السابق.
٥- تفسير الطبري (٢٦-٥٩).
٦- الموسوعة الفقهية، ج ٣٨٢/٦١.
٧- مشكل الآثار للطحاوي، ج ٩٩٢/٤-٢٠٣.
٨- مواهب الجليل شرح مختصر خليل، للحطاب، ج ٢٥٣/٣.
٩- المغني، ج٩/١٩٥.
١٠- المسؤولية الاجتماعية للصحافة، د.محمد حسام الدين، ص١٦، الدار المصرية اللبنانية.
١١- المرجع السابق.

أثر النصيحة في ترشيد السلوك

اسلوب الاستغراق الذي يشتمل على مستغرق ومستغرق فيه، قليل في شواهد بيان اللغة العربية، وهو، حسب علماء البلاغة والبيان- يدل على خطورة وعظمة أمر ما «يُطلق عليه أيضا اسم: أسلوب أو صيغة القصر»، وفي السنة النبوية الشريفة، نستحضر الآن شاهدين لهذا الأسلوب، الشاهد الأول قوله ﷺ «الحج عرفة» «رواه أحمد والترمذي»، فالوقوف بعرفة في الحج مستغرق في الحج، حتى كأنما الوقوف بعرفة هو الحج عينه بكل أركانه وسننه ومستحباته، وذلك لبيان علوّ شأن هذا الركن الجليل- أي الوقوف بعرفة في فريضة الحج.

أما الشاهد الثاني فيتمثل في الحديث النبوي الشريف، الذي يرويه الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه البخاري ومسلم والترمذي).

ففي هذا الحديث الشريف أيضا حصر رسول الله ﷺ الدين في النصيحة، حتى لكأن النصيحة تستغرق الدين كله، أو كأن الدين كله يقتصر على النصيحة، وذلك لخطورتها، وعلوّ منزلتها، لمقتضى ومغزى ما يترتب عليها من جلب المصالح ودفع المفاسد، على المستويين العام والخاص معاً.

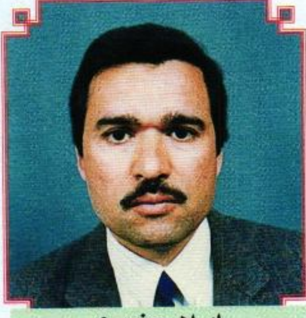
والنصيحة تعني- أول ما تعني- إرادة ورجاء الخير للمنصوح له، وهي من فروض الكفاية للمؤهلين لها، كأهل الحسبة ومنْ هم في منزلتهم، لكنها تعتبر أيضا من العينيات في حدود المسؤولية الخاصة، مثل دائرة العلاقة بين الأولياء والأبناء «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...» (رواه البخاري) أي أنها واجبة بقدر الطاقة البشرية، لاسيما عند توقع قبولها، والعمل بمقتضاها.

وبما أننا لا نلمس للنصيحة في واقعنا الإسلامي تلك المنزلة التي يضعها فيها الحديث النبوي المذكور، وإسهاماً في إحياء وبعث هذا النزوع القيمي في واقع السلوك الإسلامي، و في العلاقات العامة بين المسلمين، سواء داخل الأسرة المسلمة، أو في نطاق الحراك الاجتماعي والاقتصادي والفكري والتربوي والسياسي بأبعاده ودواعيه المختلفة، نسوق هذه النصيحة الهادفة التي قدمتها امرأة أعرابية أو بدوية بسيطة لابن وبنت لها.

قالت هذه المرأة صاحبة الفطرة الصافية، والعاطفة السليمة مخاطبة ابنها: أي بُني، إياك والنميمة.. فإنها تزرع الضغينة، وتفرّق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب، فتُتخذ غرضا، فخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلاّ كَلَمَتْه حتى يهي (يضعف وينهار) ما اشتدّ من قوته، وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك.

وإذا هززتَ «الهزاهز: الشدائد والفتن التي تهزّ الناس، والمراد: إذا عرضت لك محنة وشدة فاعرضها على كريم، يحس بما يحس به الآخرون» فاهزز كريماً يلنْ لهزتك، ولا تهزز لئيماً، فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها. ومثّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودته بشرُه وخالفَ ذلك منه فعلُهُ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها. والغدر أقبح ما تعامَل به الناس بينهم، ومَنْ جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحُلة رَيْطتها (ثوب رقيق يشبه الملحفة) وسربالها (القميص).

ثم نصحت ابنتها ليلة زفافها فقالت: أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنتْ عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها، لكنتِ أغنى الناس. أي بنية، إنك فارقت الجوّ


إبراهيم نويري

الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فاحملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً: اصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، وتعهدي موقع عينيه، فلا تقع عينهُ منك على قبيح، ثم اعرفي وقت طعامه، واهدئي عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضَة.

ثم اتقي مع ذلك الفرحَ أمامه إنْ كان ترحاً، والاكتئابَ عنده إنْ كان فرحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشد الناس له إعظاماً، يكن أشدهم لك إكراماً، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت، والله يخيّر لك.

أحسب أن هذا السلوك الراشد، الذي بواسطته تنتقل الخبرة بالحياة وعوادي الزمن، لو تحول إلى قاعدة سلوكية في التوجيه والإرشاد، ينطلق منها الأولياء لنصح وتربية وإعداد الأبناء، لتحقق خيرٌ وفيرٌ، لصالح الأسرة المسلمة، ولتمّ تجنب الكثير من الأخطاء والهنات التي كثيراً ما يقع فيها الأبناء نتيجة ضعف خبرتهم بالحياة، وغياب الرؤية الصحيحة في الاهتداء إلى المسالك والحلول الأقرب إلى الصواب والرشد.

خطاب البذل والإنفاق وأثـ

تجربتي الدعوية مع رواد مسجد سلمان الفارسي بتبسة أنموذجا

د. أحمد عيساوي

قال الله سبحانه وتعالى﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة:٦٠).

سؤال مصيري واستراتيجي يفرض نفسه على المشتغلين في حقل الدعوة الإسلامية ويتوجب أن يطرحوه باستمرار، لأنه يدخل إلى فضاءاتهم الفكرية والنفسية والروحية والأدبية والمنهجية من غير استئذان، ومن غير تردد ولا خجل، بل يجدون أنفسهم محاصرين به بُعيد أو قُبيل كل نشاط ديني ذاتي، أو جمعي، أو اجتماعي، أو فكري، أو ثقافي، أو تربوي، أو إعلامي، لأنه يشكل عقدة مفصلية في فضاء الوعي الرسالي بحقيقة رسالة الإسلام التي نزلت على سيدنا محمد ﷺ، ومحطة محورية رئيسية لحامل الخطاب الديني الإسلامي الواعي، الذي يجد نفسه محاصرا بطرحه باستمرار، ولأن طرحه يشكل أيضا خطا بيانيا فاصلا بين حامل الخطاب الواعي، عن مثيله الذي تعج به الكثير من المساجد.

هذا السؤال المحوري جعله الله في جبلة ومكونات هذه العملية الدعوية الدينية، لا غنى لها عنه في سائر أركانها الرئيسية، وفحواه هو: ما دور وأثر فعلي التربوي والتأثيري في جمهور المدعوين؟، وهل لجهودي الدعوية تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة في تغيير أفكار ورؤى ومعتقدات وقناعات وسلوكات وحياة جمهور المدعوين؟ وبعبارة أخرى: هل لدوري الديني من أثر في حياة المدعوين؟ أم أنا مجرد محطة إذاعية تلقي من غير فائدة؟ مع تسليمي المبدئي بالقاعدتين الذهبيتين في المنهج الدعوي التي يوضح أولاهما قول الله سبحانه وتعالى ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ (الروم: ٥٢- ٥٣). والقاعدة الدعوية الثانية التي يفصّل حكمتها ويجمل ضوابطها قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (التغابن: ١٢) . وقول رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» (صححه الألباني)

وهذا السؤال الوجيه له مكانة كبيرة عند الاجتماعيين، والنفسانيين، والإعلاميين، والسياسيين، والتربويين، والاقتصاديين، الأكاديميين منهم أو المهتمين المتابعين أو العاملين في مراكز قياس الرأي، وحركية المجتمع، إذ ينظر كل واحد منهم تجاهه بزاوية معينة، ويتعامل كل منهم معه بطريقة معينة، تختلف منطلقا ووسيلة وممارسة وأثرا وهدفا ونتيجة، بحسب أدوات ومنهج ووسائل كل تخصص علمي على حدة.

ويُفترض أن يكون لهذا السؤال المحوري حيز كبير لدى مراكز البحث والمتابعة في وزارات الشؤون الدينية في العالم العربي والإسلامي، نظرا لما ينطوي عليه من قيم إيصالية وإعلامية ودعائية وعقائدية، ترتبط ارتباطا وثيقا بقدرة القيادة السياسية في التحكم والتوجيه والقيادة والتسيير والمتابعة والمراقبة، وفي الحد من بعض الظواهر، والتقليل من بعض المخاطر، وفي بث وتعميم السياسة المنتهجة من قبل السلطة، وفي الدعاية المقنعة للتوجه العام للنظام القائم.

ولذا يُعد ركن «أي تأثير»؟ أو بأي ردة فعل؟ أو رجع الصدى أو أثر الرسالة في الجمهور من بين أهم الحلقات الواجب تتبعها ودراستها ضمانا لمكاسب كثيرة، واتقاء لمخاطر كثيرة، ودرءا لتأويلات وانحرافات متعددة.

فهو - بالإضافة إلى ما يوفره للجهات القائمة من حقائق ومعلومات عن ميول وحقيقة اتجاهات الرأي الوطني العام - يضمن توفير الجهد والزمن والمال والطاقات المادية والمعنوية المبذولة، والتي يُظن أنها تسير في

وتعاونوا

التكامل والتراحم والتعاون ونجدة الضعفاء والفقراء والمظلومين فريضة شرعية وضرورة حياتية وأساس متين تقوم عليه وحدة الأمة وديمومتها وتلك الأمة التي وصفها المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون﴾

وحين التزمت امتنا بهذه المبادئ كان لها الريادة والتمكين في الأرض حيث فرضت هيبتها ومكانتها على أمم الأرض جميعا وبلغت ما بلغت من رفعة وتقدم وازدهار.

إنَّ امتنا اليوم تمر بأزمات عديدة على كل صعيد وما ذلك إلا لأنها انحرفت عن تلك المبادئ والقيم السامية النبيلة الداعية إلى التراحم والتواصل والبر والإحسان وأخذت تسير بعيداعنها لا هثة وراء ماديات الغرب وحضارته الزائفة اعتقاداً منها أن طوق النجاة لها إنما يكمن في التقليد الأعمى لتلك الحضارة التي تحمل في داخلها ومنذ نشأتها وحتى اليوم عوامل انهيارها وسقوطها من أثره وطمع وقهر وظلم وما الأزمة المالية الأخيرة التي عصفت ولا تزال تعصف بها إلا دليلاً عملياً وواقعياً على صدق ما نقول..

لقد حاولنا من خلال هذ الملف الذي نضعه بين أيدي الإخوة القراء والاخوات القارئات التركيز على القيم والمبادئ النبيلة التي قامت عليها حضارتنا الإسلامية والتي تلاقي اليوم رواجا وقبولاً ليس عند المسلمين فقط الذين جربوا إيديولوجيات الغرب والشرق ولم يجنوا من ورائها إلا الخسران والخيبة بل عند كثير من اتباع الشرائع والملل والدعوات الروحية الأخرى التي تشهدها الساحة العالمية المعاصرة.

إعداد : تمام الصباغ

ــــره البياني في خط الطاعة

الصالح العام للخطة، وهي في حقيقتها جهود مبذولة في الفراغ. حيث يتمكنون من خلال المتابعة الدائمة لصيرورة ومؤشرات وتطورات بيانات الخطاب من التعرف على نتائج نجاح الخطة الكلي أو الجزئي، أو فشلها، الأمر الذي يقودهم إلى اتخاذ القرار المناسب.

فالاجتماعيون المهتمون بدراسة التطور الاجتماعي للفرد وللجماعة وللمجتمع، يتعاملون مع هذا السؤال من منطق قياس وسبر الأسس والمبادىء التي تتحكم في صيرورة التطور والتخلف والتغير الاجتماعي، بمنهج الإحصاء والمسح البياني أو التحليلي أو الاستبياني العشوائي أو الانتقائي.. ومن خلال توزيع الاستمارات يتمكنون من تحديد بعض الإجابات التقريبية حول حقيقة التأثير والتأثر والأثر الذي يتركه الداعية أو الخطيب أو الموجه الاجتماعي من قادة الرأي، ويعرفون مدى وحجم ومكانة وقدرة وأثر وفاعلية التأثير الاجتماعي الذي يتركه هذا الداعية في المجتمع.

وإذا كان هذا هو شأن الأكاديميين والمهتمين والسياسيين في الاهتمام والبحث والدرس والتحليل والمتابعة، فإنه من باب أولى على القائمين على توجيه الرسائل الدينية نحو الجماهير المختلفة أن يكونوا أكثر انفتاحا وتفهما وإقبالا على إيلاء هذا الركن مكانته في نجاح أو فشل العملية الدينية.

الدواعي والأسباب

يمكن إجمال دواعي وأسباب الخوض في هذه التجربة الدعوية والإرشادية المسجدية فيما يلي:

١ - دراسة خط الطاعة الحقيقي من خلال تتبع روح وآلية البذل والإنفاق لدى الفرد الجزائري من خلال روح البذل والعطاء الصادرة منه واقترابه من صندوق الزكاة.

٢ - معرفة الآليات الدعوية الحقيقية والناجعة للتأثير في جمهور المدعوين ما يدفعه للتفاعل الإيجابي مع صندوق الزكاة.

٣ - الخشية من هيمنة الخطاب المتشدد والمتطع والمنفر المدعوم من قوى مذهبية خارجية عملت على تفتيت الوحدة العقدية والفروعية للأمة الجزائرية، التي تجد من خطابات الصدقات والزكاة والإنفاق معبرا لبث الفتاوى الظاهرية لإبعاد جمهور المدعوين عن صندوق الزكاة.

٤ - الخوف على تشتت المواطن الجزائري أمام زخم وسيولات القنوات الفضائية الدينية العربية والإسلامية السنية الوسطية، وغيرها التي تجهل مكانة صندوق الزكاة والآمال المعلقة عليه في القطر الجزائري.

٥ - ضياع قيمة الدين في نفس المواطن الجزائري بعد حملات التشويه والتهجم التي تعرض لها الإسلام من خلال ما راج كذبا وزرا وأشرا باسمه في العشريتين السالفتين، واستمرار هذه الصورة النمطية عنه إلى اليوم.

٦- ارتفاع معدلات الجريمة من: قتل وضرب واعتداء وتهديد.. والتسبب في الجروح العمدية والإعاقات الدائمة، والعنف والعنف المضاد في سائر شؤون الحياة، والتعدي الفاضح على قوانين البيئة والعمران والطرقات والآداب العامة، وارتفاع ضحايا وخسائر ونتائج حوادث المرور، والتفنن في أنواع السرقات، والتهريب، والتهرب الضريبي، وانتشار ابن الزنى بشكل لافت للانتباه، والاعتداء على الأصول، فضلا عن تعاطي المحرمات بشكل مقلق كالمخدرات والمسكرات والمفترات.

مقومات خطاب البذل المؤثر

يجب أن يتضمن خطاب الإنفاق والبذل الإسلامي الناجع العناصر الآتية:

١- فيما له صلة بشخصية المتكلم

إن سمعة ومكانة وصدق وأخلاق الملقي ضرورية جدا في نفاذ الخطاب للأعماق، ثم إن سيرة

الخطاب الإنفاقي يجب أن يركز على خطورة ترك الفرائض وعدم العمل بها

الشخص بين الجماعة مهم جدا في فاعلية الخطاب الديني ولاسيما ما تعلق بجانب المال، حيث العامة من الناس شديدة الحرص على جيوبها، شديدة الحرص على مالها، لا تنفقه إلاّ بعد طول تدبر وتوسم ونظر، وقد بينت التجربة قيمة وأهمية هذه الحقيقة.

٢- فيما له صلة بعناصر الخطاب

يجب أن يتضمن الخطاب الإنفاقي العناصر التالية:

١ - تحديد قيمة وقداسة الفرائض كعامل مهم لاكتساب العضوية في جماعة المسلمين.

٢ - التنبيه لخطورة ترك الفرائض والاستهزاء بتركها وعدم العمل بها.

٣ - خطورة ادعاء الانتماء للإسلام بغير العمل بفرائضه مع التنبيه لخطورة وحكم تارك ومنكر الفرائض جحودا وإهمالا وكسلا وجهلا.

٤ - قيمة هذه الفريضة في البناء الاجتماعي والكياني للأمة.

٥ - تبيان قيمتها من حيث فوائدها ومنافعها الفردية والاجتماعية والكيانية المادية والروحية.

٦ - تبيان قيمتها النفسية والوجدانية في تخليص النفس من الأمراض والعقد النفسية كحب الكنّ والكنز والبخل والأثرة والأنانية.

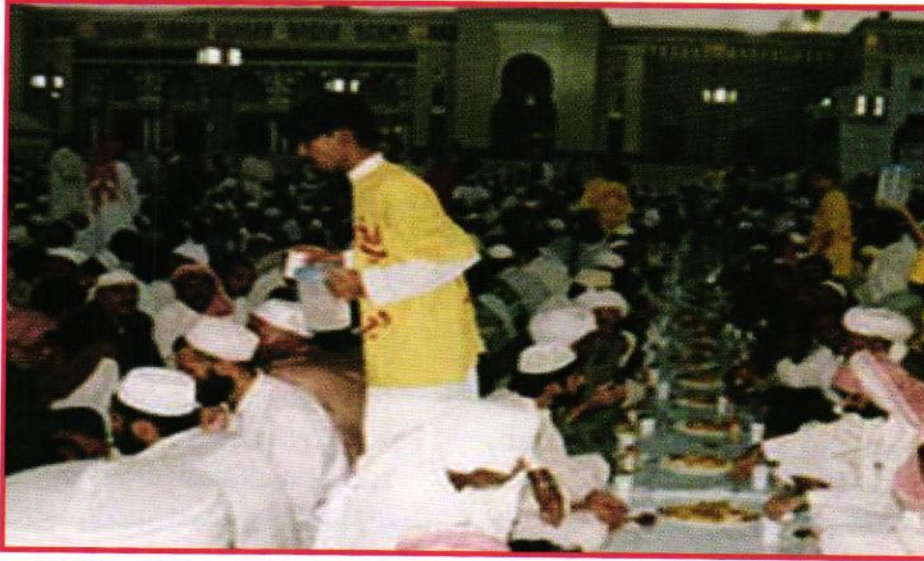
٧ - قيمتها في التجسير الإيجابي مع الآخر وزراعة المشاعر النبيلة بمشاركة الآخر همومه وآلامه والسعي في حل مشاكله والتخفيف من معاناته.

٨ - قيمتها في نشر التوادد والتعاطف والمحبة والتراحم وروح الأخوة التي هي قوام الحياة.

٩ - قيمتها كآلية لتضييق الشقة الطبقية ورفع مستوى النمو.

١٠- قيمتها في حماية المجتمع من الصراع والتطاحن والتناجش.

١١- قيمتها في تجنيب المجتمع الانحرافات



المطلوب من القائمين على توجيه الرسائل الدينية أن يكونوا أكثر انفتاحاً وتفهما لخطاب البذل والانفاق

والتداعيات الأخلاقية والتربوية.
١٢- قيمتها في صهر أفراد المجتمع ضمن نسق اجتماعي سوي بعيد عن الأمراض والانحرافات.
١٣- قيمتها في حماية الأعراض والكرامات والشرف للفئات المحتاجة كالأرامل والمطلقات واليتامى والمشردين وكبار السن والمعوقين.. وكل من هم بحاجة للعطف.
١٤- قيمتها في الحفاظ على توازن المجتمع وضمان العلاقات الشريفة فيه.
١٥- الحد من تضخم رؤوس الأموال وتجمع الثروة في أفراد قليلين ما يؤدي إلى نشوء طبقة المترفين والترف.
١٦- قيمتها في قتل روح الحقد والحسد والغيرة والنقمة والسخط على الطبقات الغنية في المجتمع.
١٧- قيمتها في تطهير المزكي مما لحق به في تجارته من حظ الشيطان والنفس والهوى، وفي تنقية روحه ووجدانه مما علق به من مشاعر اللوم والعتاب عن تقصيره في تخلف وفقر المجتمع.
١٨- قيمتها في القضاء على الدعوات الهدامة الساعية لتمزيق وحدة الأمة عن طريق التغني بمشاكل وآلام الفقراء.
١٩- قيمتها في قطع دابر الفقر الجلاّب لكل الرذائل والموبقات.
٢٠- إدراك قيمة آخر آية الزكاة وفقهها على وجهها السليم ﴿عليم حكيم﴾ في قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة:٦٠).

نتائج الدراسة

وما يمكننا تصوره وتشخيصه وعرضه بشكل تقريبي من نتائج ينحصر في التالي:
بالنسبة لمستويات المصلين والمصليات الاجتماعية والاقتصادية
١ - بيّن أن جل المصلين والمصليات من الفقراء أو الذين هم دون مستوى الفقر.
٢ - أن خط الطاعة والتدين متدن جدا في الطبقات الفقيرة.
٣ - أن الخضوع لسلطان الدين وطاعة المرجعيات تلاشى حتى لدى أدنى الطبقات، وهو مؤشر خطير عن حالة الإغماء واللاوعي والتلاشي التي مست الطبقات الدنيا من المجتمع.
٤ - أن عامل التدين لدى الطبقات الفقيرة العريضة هو تدين وراثي أو انتفاعي أو شكلي أو آني أو مصلحي.
٥ - بين أن القلة من المصلين والمصليات من ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية الجيدة .
٦- أن خط الطاعة ضئيل أيضا لدى الفئات الجيدة اقتصاديا واجتماعيا.
٧ - أن سلطان الدين والخضوع لضوابط الشريعة تلاشت عند النخبة أيضا، وهو مؤشر خطير على المناخ الثقافي والفكري والعلمي الذي آلت إليه النخبة.
٨ - سلبية النخبة وانسلالها من مشروع تشييد الوعي والنهوض بالطبقات المسحوقة من الأمة من الناحية الفكرية والعلمية والأدبية والسلوكية والأخلاقية، فضلا عن المالية والمادية.
٩ - أن عامل التدين لدى النخب انطوائي وغير فعال، وانعزالي وغير موّار، بحيث تكتفي النخبة بممارسة العبادة والتدين ممزوجة بالسلبية المفرطة والانطوائية المثبطة.
١٠- ضآلة أسئلة فقه المعاملات بشكل لافت للانتباه، حيث لم تتعد أسئلة البيوع والأقضية والدين والرهن ورد العارية والزكاة تسعة عشر سؤالا ١٩ طلبة سنوات الاختبار الأربع.
١١ - كثرة أوراق طلب المساعدة المادية والأدبية والمعنوية والروحية. ما يبين تواضع همة المصلي الجزائري، ونشدانه الأدنى. فقد تلقيت الكثير من طلبات إهداء الكتب، وجمع المال والصدقة، وما رافقها من بكاء وتأسف وتألم وتصنع باد للعيان.
ومن هنا يمكننا فهم اتجاه التدين الحقيقي لدى الفرد الجزائري، ولدى النوعية المتميزة والجيدة منهم، ممن يقيم الصلاة ويحضر الدروس والمواعظ والجمعات، ويؤدي بعض فرائض الإسلام، وبالتالي يمكن للقائمين على الخطاب الديني تعديل الاتجاه العام لمنحى التوجيه، وتصحيح المسار الرسالي لمضامين الخطاب وفق الجهة المبتغاة، ضمانا للفوز والنجاة في الدنيا، ورغبة في الفلاح بجنة الآخرة. وصدقت حكمة الله القائلة ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ١٢٣- ١٢٦).

إصلاح المجتمع من مبادئ الإسلام

محمد إبراهيم مشالي

إن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده- كفل مصالح الأفراد والأمم جميعا دينية ودنيوية على أوسع نطاق، وصلح لذلك في جميع الأزمنة ولجميع الشعوب، فهو دين الإنسانية الخالد، وذلك لما اشتمل عليه من المبادئ القويمة والمثل العليا، والتعاليم السامية، والإرشادات الحكيمة، فهو دين الحياة والإصلاح، دين الرقي والحضارة، دين الحق والخلود، دين قيادة وتوجيه، دين تكافل وتعاون وأخوة وتضامن، دين صالح لكل زمان ومكان كافل لسعادة البشرية.

دين ارتضاه الله لنا ليكون مسك الختام لجميع الشرائع السماوية، قال الله تعالى: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة -٣).

فكم لهذا الدين من محاسن كثيرة وفضائل جمة، وآثار جليلة، تحمل ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة على التمسك به، والتحلي بآدابه، والاهتداء بنوره، وكلما كان المرء سليم العقل نير البصيرة، صحيح الوجدان، اشتد تعلقه بهذا الدين لما فيه من جليل المحاسن وجميل الفضائل.

لقد أخرج الله بهذا الدين القويم العرب الأميين إلى عالم أفضل، لا وثنية فيه، وإلى حضارة جيدة في سياج من الخلق والفضيلة، أخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن الجهل الى العلم، ومن الخمول الى الشهرة، ومن الجمود والركود الى التفكير الناضج والعمل المفيد، ومن التفرق والتطاحن الى الاتحاد والتضامن، وأبدلهم بالخوف أمنا، وبالضعف قوة، وبالذل عزا، وبالعداوة محبة، وبالتفرق وحدة، وبالتوحش والهمجية حضارة ومدنية، وبجفاء الطبع وغلظ الأكباد رأفة ورحمة، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور-٥٥).

لقد صاغ هذا الدين المسلمين جيمعاً على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم عرباً وعجماً في قالب واحد، وصهرهم في بوتقة واحدة، فكانوا اخوانا، وألف بين قلوبهم فكانوا أمة شديدة، عظيمة القوة مسموعة الكلمة، واسعة السلطان، منهم اساتذة العالم، سياسة وعلما وأدباً، وأئمة الفنون اختراعا وتطبيقاً وعملا، قلمهم يكتب فيطاع، وسلاحهم ينتضي فيهاب، وراياتهم تخفق فوق ربا الكون فيجري من تحتها العدل والسلام فبنوا مجداً وسيادة وكانوا خير أمة تمثل الشهامة والكمال والحكمة.

لقد هامت بحب هذا الدين النفوس الطاهرة، التي لم تتدنس لأنها أدركت مزاياه، ولا عجب فهو دين نشر نفسه بنفسه، من غير تبشير من أهله، ولا إغراء بمنصب أو وظيفة أو مال أو عمل، دين يكيد له حساده من يوم نزوله وهو كما ترون لم يطفأ له نور.

ولم يضعف له برهان ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (التوبة -٣٢).

دين نرى مبغضيه يقتربون منه يوماً بعد يوم، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، ذلك لأنهم بهذه المكتشفات الحديثة، والمخترعات الجديدة لم يزيدوا على أنهم به يصدقون، وبفضله يشهدون.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد﴾ (فصلت -٥٣).

دين لا يفرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وعجمي، الكل في حق الحياة سواء لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى فهي الشرف الحقيقي ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات -١٣).

وأثر عن الإمام محمد عبده أنه قال: «إذا أحسست من أمة ميلا إلى الوحدة، فبشرها بما أعد الله لها في مكنون غيبه من السيادة العليا».

إن اقتراب أعداء هذا الدين منه يوماً بعد يوم لدليل علي قوته وأصالته



الشباب والعمل التطوعي

يعتبر العمل الاجتماعي التطوعي من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويكتسب العمل الاجتماعي اهمية متزايدة يوما بعد يوم، فهناك قاعدة مسلم بها مفادها أن الحكومات سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، فمع تعقد الظروف الحياتية ازدادت الاحتياجات الاجتماعية واصبحت في تغير مستمر، ولذلك كان لابد من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بملء المجال العام وتكمل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية ويطلق على هذه الجهة «المنظمات الاهلية»، وفي احيان كثيرة يعتبر دور المنظمات الاهلية دوراً سباقاً في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وليس تكميليا، وأصبح يضع خططا وبرامج تنموية تحتذي بها الحكومات.



د . مصطفى محمود عبدالسلام

لقد شهد العمل الاجتماعي عدة تغيرات وتطورات في مفهومه ووسائله ومرتكزاته، وذلك بفعل التغيرات التي تحدث في الاحتياجات الاجتماعية، وما يهمنا هنا التطورات التي حدثت في غايات وأهداف العمل الاجتماعي، فبعد أن كان الهدف الأساسي هو تقديم الرعاية والخدمة للمجتمع وفئاته، أصبح الهدف الآن تغيير وتنمية المجتمع، وبالطبع يتوقف نجاح تحقيق الهدف على صدق وجدية العمل الاجتماعي وعلى رغبة المجتمع في إحداث التغيير والتنمية.

ومن الملاحظ أن العمل الاجتماعي بات يعتبر أحد الركائز الأساسية لتحقيق التقدم الاجتماعي والتنمية ومعياراً لقياس مستوى الرقي الاجتماعي للأفراد.

ويعتمد العمل الاجتماعي على عدة عوامل لنجاحه، ومن أهمها المورد البشري فكلما كان المورد البشري متحمساً للقضايا الاجتماعية ومدركاً لأبعاد العمل الاجتماعي كلما أتى العمل الاجتماعي بنتائج ايجابية وحقيقية، كما ان العمل الاجتماعي يمثل فضاء رحباً ليمارس أفراد المجتمع ولاءهم وانتماءهم لمجتمعاتهم، كما يمثل العمل الاجتماعي مجالاً مهماً لصقل مهارات الافراد وبناء قدراتهم.



وانطلاقاً من العلاقة التي تربط بين العمل الاجتماعي والمورد البشري، فانه يمكن القول بأن عماد المورد البشري الممارس للعمل الاجتماعي هم الشباب، خاصة في المجتمعات الفتية، فحماس الشباب وانتماؤهم لمجتمعهم كفيلان بدعم ومساندة العمل الاجتماعي والرقي بمستواه ومضمونه، فضلاً عن ان العمل الاجتماعي سيراكم الخبرات وقدرات ومهارات الشباب، والتي سيكون بأمس الحاجة لها خاصة في مرحلة تكوينهم ومرحلة ممارستهم لحياتهم العملية.

ورغم ما يتسم به العمل الاجتماعي من اهمية بالغة في تنمية المجتمعات وتنمية قدرات الأفراد الا اننا نجد نسبة ضئيلة جداً من الافراد الذين يمارسون العمل الاجتماعي، فهناك عزوف من قبل أفراد المجتمع، وخاصة الشباب منهم عن المشاركة في العمل الاجتماعي بالرغم من ان الشباب يتمتع بمستوى عال من الثقافة والفكر والانتماء، وبالرغم من وجود القوانين والمؤسسات والبرامج والجوائز التي تشجع الشباب على المشاركة بشكل فاعل في تنمية مجتمعهم.

وهذا ما يثير التساؤل عن الأسباب المؤدية الى عزوف الشباب عن المشاركة في العمل الاجتماعي.

تعريف العمل الاجتماعي التطوعي

يمكن تعريف العمل الاجتماعي التطوعي بأنه مساهمة الأفراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي او بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال، ومن خصائص العمل الاجتماعي ان يقوم على تعاون الأفراد مع بعضهم البعض في سبيل تلبية احتياجات مجتمعهم، وهذا يقود الى نقطة جوهرية مفادها ان العمل الاجتماعي يأتي بناء على فهم لاحتياجات المجتمع.

وتجدر الاشارة الى ان مساهمة الأفراد في العمل الاجتماعي

تأتي بوصفهم إما موظفين أو متطوعين، وما يهمنا هنا الوصف الثاني، والتطوع هو الجهد الذي يقوم به الفرد باختياره لتقديم خدمة للمجتمع دون توقع لأجر مادي مقابل هذا الجهد.

وبالرغم من «مجانية» العمل الاجتماعي التطوعي، إلا أنه يوجد نظام امتيازات وحوافز وجوائز يمتع بها العاملون في هذا القطاع وبشكل عام يمكن أن نصف المتطوع بأنه انسان يؤمن بقضية معينة واقعي ومتعايش مع ظروف مجتمعه، له القدرة على الاندماج والتفاعل مع افراد مجتمعه، ومستعد لتقديم يد المساعدة لرعاية وتنمية مجتمعه.

أهمية العمل الاجتماعي التطوعي للشباب

١- تعزيز انتماء ومشاركة الشباب في مجتمعهم.

٢- تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية.

٣- يتيح للشباب التعرف على الثغرات التي تشوب نظام الخدمات في المجتمع.

٤-يتيح للشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تهم المجتمع.

٥- يوفر للشباب فرصة تأدية الخدمات بأنفسهم وحل المشاكل بجهدهم الشخصي.

٦- يوفر للشباب فرصة المشاركة في تحديد الأولويات التي يحتاجها المجتمع والمشاركة في اتخاذ القرارات.

إطار العمل الاجتماعي التطوعي

يتصف العمل التطوعي بأنه عمل تلقائي، ولكن نظراً لأهمية النتائج المترتبة عن هذا الدور والتي تنعكس بشكل مباشر على المجتمع وأفراده، فانه يجب ان يكون هذا العمل منظماً ليحقق النتائج المرجوة منه.

وعادة ما يتم تنظيم العمل الاجتماعي بالطرق التالية:

١- القوانين:

وهي مجموعة القوانين التي تنظم العمل الاجتماعي وتحدد قطاعاته، كما تنظم انشاء وعمل المؤسسات الاهلية العاملة في المجال الاجتماعي التطوعي.

٢- اطار المجتمع:

فكما سبق وأشرنا بأن العمل الاجتماعي التطوعي يأتي استجابة لحاجة اجتماعية، فهو واقعي ومعبر عن الحس الاجتماعي، وبرغم من أن انفتاح المجتمعات يؤدي الى اتساع الخيارات أمام العمل الاجتماعي، الا انه يبقى هناك حد ادنى في التغيرات الاجتماعية التي يهدف العمل التطوعي إلى إحداثها والتي يرفضها المجتمع.

٣- المؤسسات:

وهي مؤسسات حكومية أهلية، فبإمكان الشباب المشاركة في البرامج التطوعية التي تنفذها المؤسسات الحكومية كالوزارات والمدارس والجامعات والمؤسسات الدينية.. الخ، كما يمكن للشباب ممارسة العمل التطوعي من خلال انتسابهم للمؤسسات الأهلية كالجمعيات والنوادي والهيئات الثقافية... الخ.

يجب إتاحة الفرصة أمام مساهمات الشباب المتطوع وعدم الاعتماد على فئة معينة

المعوقات التي تعترض مشاركة الشباب الاجتماعية

١- الظروف الاقتصادية السائدة وضعف الموارد المالية للمنظمات التطوعية.

٢- بعض الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع كالتقليل من شأن الشباب والتمييز بين الرجل والمرأة.

٣- ضعف الوعي بمفهوم وفوائد المشاركة في العمل الاجتماعي التطوعي.

٤- قلة التعريف بالبرامج والنشاطات التطوعية التي تنفذها المؤسسات الحكومية والأهلية.

٥- عدم السماح للشباب بالمشاركة في اتخاذ القرارات بداخل هذه المنظمات.

٦- قلة البرامج التدريبية الخاصة بتكوين جيل جديد من المتطوعين أو صقل مهارات المتطوعين.

٧- قلة تشجيع العمل التطوعي.

التوصيات

١- إتاحة الفرصة أمام مساهمات الشباب المتطوع وخلق قيادات جديدة وعدم احتكار العمل التطوعي على فئة أو مجموعة معينة.

٢- تكريم المتطوعين الشباب ووضع برنامج امتيازات وحوافز لهم.

٣- تشجيع العمل التطوعي في صفوف الشباب مهما كان حجمه او شكله او نوعه.

٤- تطوير القوانين والتشريعات الناظمة للعمل التطوعي بما يكفل إيجاد فرص حقيقية لمشاركة الشباب في اتخاذ القرارات المتصلة بالعمل الاجتماعي.

٥- إنشاء اتحاد خاص بالمتطوعين يشرف على تدريبهم وتوزيع المهام عليهم وينظم طاقاتهم.

٦- تشجيع الشباب وذلك بإيجاد مشاريع خاصة بهم تهدف الى تنمية روح الانتماء والمبادرة لديهم.

٧- أن تمارس المدرسة والجامعة والمؤسسة الدينية دوراً أكبر في حث الشباب على التطوع خاصة في العطل الصيفية.

٨- أن تمارس وسائل الإعلام دوراً أكبر في دعوة المواطنين الى العمل التطوعي، والتعريف بالنشاطات التطوعية التي تقوم بها المؤسسات الحكومية والأهلية.



العناية بالمسنين

د. ندى سعدالله السباعي

ليس التقدم في العمر مرضاً، انما هو عملية طبيعية تحدث لكل انسان ولا يمكن ايقافها او تجنبها، حيث تقضي سنة الله جل جلاله في خلقه ان يتعرض الانسان لتغييرات كثيرة كلما تقدم به العمر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون﴾ (يس68-).

ولذلك تتدنى قدرات الانسان وتضعف امكاناته فيمرض بعد صحة، ويضعف بعد قوة، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعض ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (الروم ٥٤).

كما تتدنى قوة الانسان على التأقلم ومواجهة المشكلات اليومية، وتزداد الشدة النفسية بسبب الخسائر التالية (والمتتالية): خسارة العمل، خسارة الاصدقاء، خسارة الاهل، خسارة الصحة، خسارة القوة، خسارة الانتاج، خسارة مصدر الرزق، وأخيراً خسارة الذات والعمر.

وتتعرض كل اعضاء الجسم لتغييرات مع التقدم في العمر أهمها:

الجلد: تضمر غدد العرق ويقل الشحم تحت الجلد فيصاب الجلد بالجفاف والتجعد والتشققات.

القلب: تشيخ الدورة الدموية وتنقص مرونة الشرايين وتضعف قوة القلب، وتحدث تبدلات في بنيته فيصاب المسن بارتفاع ضغط الدم، وقد يصاب بجلطة في القلب او الرأس.

المعدة: ينقص اللعاب، وتنقص حموضة المعدة مما يؤدي لاصابة المسن بالتخمة (عسر الهضم)، كما تنقص حركة الامعاء فيصاب بالامساك، ويساعد على ذلك تساقط الاسنان وعدم مضغ الطعام جيداً.

الرئة: تنقص مرونة الرئة وتقل سعتها مما يسبب صعوبة التنفس، كما تنقص حساسية منعكس السعال، فتكثر اصابة المسن بالامراض الصدرية.

العين: تصاب العين بالمياه الزرقاء والبيضاء (الساد)، كما تصاب عدستها بالامراض، وتضعف قدرة العين على المطابقة وتعاني من بُعد البصر.

الأذن: ينقص السمع، خاصة للاصوات ذات التوتر العالي، بينما يزداد سماع الاصوات العالية لان توترها منخفض ما يزيد من



ازعاج المسن، ويختل التوازن مما يعرض المسن للسقوط كثيراً.
الأنف: تنقص حاسة الشم.
الكلية: تضعف كفاءة الكلية، ويكثر تعرض المسن للتجفاف وفشل الكلية والالتهابات البولية وتكثر الاصابة بسلس البول.
الدماغ: ينقص حجم الدماغ لان المخ يفقد الملايين من الخلايا، مما يؤدي لضعف الادراك، وينقص عدد ساعات النوم، ويفقد القدرة على التحكم بالحركات وتضعف الذاكرة، ويصاب المسن بالنسيان وقد يصاب بالخرف، كما قد يفقد القدرة على التحكم في التبول او التبرز، والقدرة على التحكم بوضعية الجسم نتيجة ضعف المنعكسات اللازمة لذلك.
العظام: ينقص الكلس في العظم، وخاصة عند الاناث، مما يؤدي لسهولة حدوث الكسور، كما تنقص كمية العضلات وكتلة العظم مما يؤدي بالنحول والضعف، والاصابة بهشاشية العظام وما يليها من كسور في الفخذ او الحوض او الاضلاع.
الغدد: تنقص قدرة غدة البنكرياس التي تفرز الانسولين مما قد يعرض المسن للاصابة بالداء السكري، كما تنقص قدرة الغدة الدرقية مما يسبب الضعف العام والاكتئاب، كما تتخضم غدة البروستات وتنقص الرغبة الجنسية.
المناعة: تضعف مناعة الجسم مما يعرض المسن للاصابة بالالتهابات التي تكون اكثر شدة عنده من غيره.
الحالة النفسية: تزداد نسبة اصابة المسن بالاكتئاب والقلق، وتنقص الشهية ويزداد الميل للانتحار، كما تكثر حالات التحسس من الادوية ايضاً.
المظهر العام: نقص الطول، زيادة الشعر الاشيب، جفاف الجلد وتجعده.
ولكن: هل هذا يعني ان المسن أصبح عنصراً غير مرغوب فيه، او غير ذي قيمة في المجتمع؟! وهل يعني هذا تجاهله او اهماله؟!
طبعاً لا: فالرسول ﷺ يقول: ليس منا من لم

عندما ينشغل الابناء بمسؤوليات الحياة عن والديهم يصاب المسنون بالانعزالية والاكتئاب

يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا (او يعرف شرف كبيرنا)، وهل هناك تقصير أكثر من هذا الذي يبعد الانسان عن جماعة المسلمين؟!
كما ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم كما روى أبو داود وهذا مبدأ في غاية الاهمية، فالسلوك الاسلامي يربط بين اكرام المسن وبين اجلال الله تعالى، وبالتالي فان التقصير في رعاية المسن معصية لله عز وجل.
فكيف اذا كان المسن أباً او أماً او قريباً؟، وكلنا يعرف ان الله تعالى قرن عبادته بالاحسان للوالدين في قوله: ﴿وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احساناً﴾(الاسراء: ٢٣)، كما قرن الشكر لهما بالشكر له في قوله ﴿ان اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾(لقمان:١٤).
وحذرنا الله تعالى من الاساءة اليهما وتوعد كل من يسيء لهما، ولو بكلمة «أف» وهي كلمة بسيطة مؤلفة من حرفين فقط، ولو كان في اللغة العربية كلمة تدل على التأفف أبسط منها لذكرها الله تعالى كما قال كثير من المفسرين، فقال عز شأنه:﴿إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾(الاسراء:٢٤) وحتى لا يدعي احد انه يكره والديه طاعة لله وحباً فيه لانهما بعيدان عن الله، فقد امرنا الله تعالى ان نكرمهما حتى وان سعيا إلى اضلالنا فقال: ﴿وإن جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ (لقمان: ١٥).
ولكن: كيف يمكن لاحد ان يكرّم والديه خاصة والمسنين عامة من حوله؟! هناك مجالات عدة لرعاية الوالدين والمسنين وأهمها:

مجال الرعاية الصحية:

يجب ان يقدم للمسن طعام متوازن، لا يحتاج لمضغ كثير، سهل الهضم، قليل الدهون كثير الالياف، غني بالفيتامينات والمعادن، مع الاكثار من الفاكهة والخضار الطازجة، والاكثار من السوائل.
من الضروري اجراء فحص طبي دوري للمسن لمتابعة ضغط الدم وحالة القلب والاوعية الدموية ووظائف الكليتين، وسلامة الصدر وغيره.
من الضروري فحص السمع والنظر والاسنان والقدمين بشكل متكرر.
يجب اشراف الابناء على وقت تناول الادوية والعقاقير.
يجب الاهتمام بنظافة المسن ورعاية الجلد لمنع حدوث تقرحات الفراش، مع تغيير وضعية رقاد المسن باستمرار.
يجب العمل على رفع معنويات المسن دائماً وحثه على التفاؤل، فهو قادر منتج.
يجب الاهتمام والتجاوب مع أي شكاية صحية للمسن.
يجب تأمين دور ارضية بلا عوائق، لتجنب الحوادث والاذيات المنزلية، وتأمين اضاءة مناسبة وخاصة في الليل لغرفة النوم والحمام، لمنع تعثر المسن او سقوطه، ويفضل تركيب حواجز، وابعاد الارضيات المنزلقة واسلاك الهاتف والكهرباء عن طريق المسن من غرفة نومه الى الحمام.
يجب الباس المسن ملابس مناسبة تمنع البرد، ولا تسبب له التعرق الزائد.
أخيراً: يجب البقاء بجانب المسن دائماً لتقديم العون والمساعدة لرد الجميل ونيل الاجر من الله عز وجل.

مجال الرعاية النفسية

عندما ينشغل الابناء بمسؤوليات الحياة عن والديهم، يصاب المسنون بالانعزالية والاكتئاب، بل انه وللاسف يعتقد البعض ان ايداع المسنين دور الرعاية هو الحل للتخلص من رعايتهم، وهي جريمة تدفع المسنين الى الحزن والاسى والشعور بالحرمان، فالمكان الطبيعي للمسنين هو الاسرة بين دفء الابناء والاحفاد يشاركون في أمور الاسرة، فيقدمون المشورة والخبرة ويرشدون الشباب لما فيه خير امتهم وخير أسرهم، فكبار السن هم من جاؤوا بنا الى هذه الحياة ووفروا لنا الرعاية في طفولتنا



وافنوا سنوات عمرهم في خدمتنا، وربما خدمة اطفالنا ايضاً.

فلنجعل للمسنين مكاناً ودوراً وأهمية وسط الاسرة، ولنعلم الاحفاد احترامهم وتوقيرهم واجلالهم، ولنساعدهم على تقبل وتحمل مشاق ومتاعب الشيخوخة، ولنحرص على متابعتهم وفحصهم طبياً بصورة دورية، ولنطلب منهم الاهتمام بالعالم الخارجي بقراءة الصحف والقيام بالنشاطات التي تفيد المجتمع.

لنتذكر جميعاً اننا سنصل الى تلك المرحلة، وبقدر رعايتنا لوالدينا سيرعانا ابناؤنا، وقد قال الرسول ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه (الترمذي) ولنعلم انما جعل الاحسان للوالدين تالياً لعبادة الله لوجوه عدة اهمها:

ان الوالدين سبب وجود الولد

انعامهما يشبه انعام الله

انهما لا يقطعان كرمهما عن الولد، وان كان غير بار بهما.

افلا يستحق هذا المسن الذي امضى عمره في خدمة اولاده ومجتمعه ان يُكرم بقية عمره بعد ان فقد مركزه وأهميته في كل ما يحيط به.

مجال الرعاية الاجتماعية

يجب مخاطبة المسنين عامة والوالدين خاصة بأدب واحترام، مع عدم تكذيبهم او تخطئتهم، وان اخطأ الوالد او المسن فينبغي ارشاده بأدب الى الصواب.

يجب تلبية ندائهم بسرعة والقيام بكل ما يدخل السرور الى قلوبهم.

يجب اكرامهم من غير منة.

يجب عدم عقوق الوالدين لقوله ﷺ: «ألا انبئكم بأكبر الكبائر، قالوا بلى يا رسول الله، قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين» (متفق عليه).

يستحسن الا ينقطع بر الوالدين بعد موتهما.

قال الرسول ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» (البيهقي) وهذا يعني ان للوالدين - احدهما او كلاهما- حق مشروع بل حق اجباري في كل ما يمتلكه الابناء، اما اذا لم يكن المسن والدا، فان له ايضاً حق على كل افراد المجتمع، بتأمين حياة كريمة وهنيئة، ولا يجوز اطلاقاً اشعار المسن بأن دوره في الحياة قد انتهى وانه يعيش بلا هدف في انتظار الموت.

وقد أجريت دراسات على بيوت المسنين في الغرب (دور العجزة) تبين فيها ان الذين يعيشون حياة سلبية بلا هدف يعانون من الكثير من الامراض الجسمية والنفسية، ويقل متوسط عمرهم مقارنة بالذين يعيشون حياة اسرية كريمة وينشغلون بعمل نافع يتناسب مع قدراتهم.

ومن أهم وسائل تقديم الرعاية الاجتماعية والصحية هي تقديم الادوية للمريض المسن بيد احد معارفه وعدم تركها قربه خاصة اثناء الليل حتى لا يتناول جرعة كبيرة وخاصة من الادوية المهدئة، مما يزيد من حوادث الانتحار كما ذكرنا.

وفي النهاية: يجب الا نقلد الغرب الذي يدعي ان المسنين اناس غير منتجين ويشكلون عبئاً على المجتمع، بل نتبع نظرة الاسلام اليهم بأنهم مصدر البركة ومجلبة للرزق لقوله ﷺ: «انما تنصرون وترزقون بضعفائكم» كما روى أبو داود عن أبي الدرداء.

كما يجب ان نستغل وجودهم بيننا فهم مدرسة تتعلم منها الاجيال الخبرة والحكمة فلكل فرد دور ورسالة، فمن يعجز عن العمل بيده قد يفيد بأعمال فكره، فتتكامل الخبرة والقدرة.

كما يجب ان نستغل هذا الوجود للتقرب الى الله عز وجل من خلال اكرامهم الذي أمرنا به، فمن فاته خدمة والديه المسنين فقد فاته فضل كبير وخير كثير لقوله ﷺ: «رغم انفه ثم رغم انفه ثم رغم انفه قيل من يا رسول الله، قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما اوكليهما ثم لم يدخل الجنة» (صحيح مسلم) ومعنى رغم انفه اي توضع في الرغم وهو التراب اذلالاً وهواناً لما اضاع من فرصة ذهبية لدخول الجنة برعاية والديه المسنين.

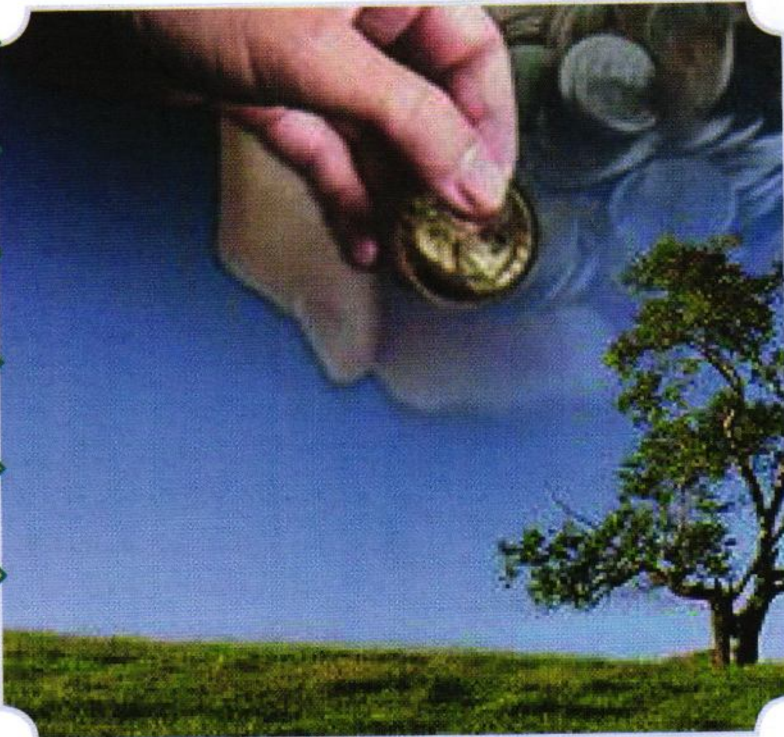
وهكذا نجد أن الامر لا يكلفنا كثير عناء، لا بل يوفر علينا عبء القيام بانشاء دور الرعاية وخدمات التمريض للمسنين، بل أكثر من ذلك فان رعايتهم من احب الاعمال الى الله لقوله ﷺ: « أحب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله» (متفق عليه).

وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم

أحمد أحمد عبده

بكلمات الله أبدأ موضوعي حيث إنني بي غصة من الأغنياء الذين منّ الله عليهم بالمال الوفير والرزق الكثير، وأغدق عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ولكنهم كنزوه ولم يؤدوا حق الله فيه ورغم ان الله قد توعد هذه الفئة الكانزة لاموالها من الذهب والفضة بالعذاب فإنهم لم يأبهوا لهذا ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ (التوبة: ٣٤)، فخرجت من بيننا طائفة من الفقراء المساكين المحتاجين لا يجدون ما يتعيشون به ولو النزر اليسير ولو أن كل غني أخرج زكاة ماله والله لن يكون هناك فقراء، ورحم الله سيدنا عمر بن عبدالعزيز ذلكم الحاكم الصالح حين أرسل منادياً في الطرقات «من لم يتزوج فهلم إلى بيت مال المسلمين ليأخذ النفقة اللازمة لذلك ومن كان فقيراً وفي حاجة للمال فليذهب الى بيت المال ليأخذ ما يكفيه» وعاش المسلمون أيام سيدنا عمر بن عبدالعزيز أياما زاهرة مليئة بالرخاء لأن الخليفة الزاهد طبق شرع الله وأصلح ما بينه وبين خالقه فأصلح الله له كل شيء، جاءت هذه الكلمات تتدافع في رأسي عندما قرأت وعلمت ان هناك يوماً معينا لليتيم تقوم الجمعيات والمؤسسات الخيرية بالاستعداد لذلك اليوم ولكن لو أن الغني أدى حق الله في ماله لما كان هناك فقير ولعاش المجتمع في تكافل اجتماعي بديع كما رسمه ربنا ورسمه سيدنا رسول الله ﷺ والصدقة تطفئ غضب الرب وما نقص مال من صدقة فطهروا أنفسكم وطهروا أموالكم ولتعلم يأيها الغني ان المال مال الله وأنك حارس عليه تتركه لمن خلفك، إن لم تؤد حق الله فيه ستزول قدمك من الدنيا ولن يفعل غيرك ذلك لأنك ورثتهم تركة صافية لا دخل لهم أكنت تؤدي حق الله فيها أم لا! فأهل الدنيا يحبون المال حباً جماً وأنت ستذهب الى خالقك يحاسبك عن مالك فيما انفقته وعمرك وعلمك وشبابك.

فبم تجيب؟ على أن الله سيسأل ابن أدم عن أربعة أشياء حين تزول قدمه من الدنيا وهي ماله وعمره وعلمه وشبابه، فهل سيكون ابن ادم قوي الحجة ينطق بلسان مبين بأنه انفق ماله في الطريق الشرعي وأدى حق الله فيه ام سيقول يا رب كنزت مالي وورثته لابنائي ولم اراع حقك فيه، هنا يكون الندم في يوم لا ينفع فيه الندم، أفق يا صاحب المال وأعط حق الله فيه حتى يعم الخير والرخاء ولا يحسدك فقير على مالك ولا على أي نعمة أنعم الله بها عليك، ولن يكون هناك فقير يسأل الناس إلحافا وقد بحثت في بعض التفاسير عن تفسير لهذه الكلمات القرآنية التي اوردتها في صدر مقالي ووجدت في القرآن الكريم والتفسير الميسر لشيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي قوله «أي لمن يسأل غيره المساعدة والفقير الذي يتعفف السؤال...» ثم تجولت بين بعض التفاسير الأخرى منها أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر الجزائري قوله «أي للذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل لتعففه هذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة»، وإذا أعطيت الفقير شيئاً من مالك فاجعل يد الفقير هي العليا واجل يدك هي السفلى تواضعاً لله، فيا أيام سيدنا عمر بن عبدالعزيز عودي عطري الدنيا لانه قد ساد العدل وعم الرخاء ولم يكن هناك التفاوت الطبقي الرهيب الذي نراه بسبب أن الغني لا يؤدي حق الله فقد رعى الذئب مع الغنم فهنيئاً لك يا سيدنا عمر بن عبدالعزيز جنات الفردوس جزاء ما عدلت بين الرعية، كم أتمنى أن يعلم صاحب المال ان المال مال الله وليس لك دخل فيه، تمتع بما أفاء الله به عليك وأكرم غيرك، فقدرة الله قضت أن تكون من الأغنياء وغيرك من الفقراء الذين يسألونك فبين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال فسارع باخراج حق الله من مالك وطهر نفسك وقل الحمد لله الذي جعلك من مؤدي الزكاة وليس من مستحقيها.



المساهمة في العمل الاجتماعي التطوعي يكون بالرأي أو العمل أو التمويل

وتعاونوا على البر والتقوى



علاء الدين معصوم حسن

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة:٢)، وقال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (رواه البخاري والترمذي) (١).



خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان اجتماعياً بطبيعته، لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفرداً، ولا الحصول على لوازمه وحده، بل لابد له من مشاركة غيره، وقد اشتهر عن الحكماء أن الإنسان مدني بطبعه (٢).

فالتعاون أمر إلهي تتحقق عنه كل الأعمال الكبيرة، ولا يزال الناس بخير ما تعاونوا، قال تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران- ١٠٣)، والتعاون على الخير من أبرز مميزات الحياة الروحية للنهوض بالحياة الاجتماعية الى المستوى الرفيع الذي يؤدي إلى رفاهية الجميع والتخفيف من آلام الغير (٣).

ولقد كانت الأمة على شفا حفرة من النار، فألف الله بين قلوب أبنائها، ورد النفس الإنسانية إلى فطرتها من حيث التعاون والتحابب، ونهى عن التفاخر والتعالي، وساوى بين المسلمين، فأصبحوا أمة واحدة، لا يفرق بين أبنائها لون ولا جنس ولا إقليم.

وجاء التوجيه الإلهي يدفع المؤمنين إلى هذا السلوك الكريم، قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾ (التوبة-٧١).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أحب إلى الله؟ قال: «أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم... ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام (رواه ابن أبي الدنيا) (٤).

وأنكر الإسلام النزعة الفردية، ونبذ الأثرة والأنانية، وبين أن جميع الناس في حق الحياة والكرامة سواء، وما إن يستقر الإيمان في قلب المسلم حتى يعبر عن ذاته بحركة خيرة نحو الآخرين ليكونوا كالجسد الواحد، وما لم يكن ثمة تعاون وتناصح تكن فتنة في الأرض وفساد عريض، والصادق في إسلامه يعمل من أجل الآخرين، ولقد ترك المهاجرون بلدهم، وتركوا فيه كل ما يملكون، وانتقلوا الى المدينة وليس معهم شيء، في حين كان الأنصار يملكون ويقيمون في أرضهم، فدعا رسول الله ﷺ الى الأخوة والتعاون فصار كل أخوين يشتركان في السراء والضراء.

قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (متفق عليه) (٥)، وقال: «يد الله مع الجماعة» (رواه الترمذي) (٦).

وكان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجري أن يقاسمه كل ما يملك، وفي الوقت ذاته لم يستغل المهاجرون هذا السخاء، بل إن الكثيرين منهم اتجهوا الى السوق ليأكلوا من كسب أيديهم، وقد رسم القرآن الكريم هذه الصورة الرائعة في قوله تعالى ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر

إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ «الحشر-٩».

فالتكافل الاجتماعي من ألزم الواجبات الاجتماعية، فهو مما ينشق عن واجب التضامن الاجتماعي ويكون عنواناً عليه، وترجماناً صادقاً لمضمونه، ومعناه الشامل الواسع في المنظور الإسلامي يتضمن التكافل الأدبي والعلمي والسياسي والدفاعي والجنائي والأخلاقي والاقتصادي والعبادي والحضاري. (٧).

وتعاون الأمة في شؤون المعيشة المادية من طعام ولباس وسكن مثل أعلى في الشعور بالمسؤولية، لتحقيق الحد الأدنى للكفاية المعيشية، ولولاها لكان المجتمع مهدداً بالخراب. (٨).

والحديث عن التعاون يذكرنا بمشهد غاية في الدقة، يتعلق بحياة النملة التي تموت إذا عزلت عن أخواتها، والتي

من طبيعة الحياة أن يتفاوت الناس في المواهب والملكات

تعلِّم الإنسان أبلغ درس عن التعاون، قال تعالى ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكاً من قولها..﴾ (النمل -١٨-١٩).

لقد أثبت الله تعالى للنمل الكلام ونوعاً من المعرفة والذكاء... ولو تفكرنا فيها لقضينا من خلفها عجباً، فتبارك الذي أقامها على قوائمها، ولم يشركه في فطرتها فاطر (٩).

وكذلك جماعات النحل تتعاون في دقة وتنسيق، فتنتج شراباً مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس.. والطيور الأخرى نراها جماعات، فاذا تعرضت لخطر، واجهت ذلك الخطر بالتعاون، لادراكها أنها إذا انقسمت انهزمت.

ولأن الإنسان مخلوق عاقل، فإنه يدرك أن الجماعة خير من الفرقة، وأن التعاون أجدى من التخاذل.

ومن طبيعة الحياة أن يتفاوت الناس في المواهب والملكات، فمنهم قوي ومنهم ضعيف، ومنهم غني ومنهم فقير.. فإذا تركت الفروق وشأنها، ظهر التناقض بين أبناء المجتمع، وظهرت أزمة الأخلاق.

ولعلنا نعلم قصة ذلك الرجل الذي كان على سرير الموت، وكان له عدد من الأبناء، فأعطاهم حزمة فيها عشرة رماح، فلم يستطع أي منهم كسرها ثم فرَّق الرماح، فكسَّر كل واحد منهم رمحه، فقال:

كونوا جميعاً يابني إذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا أفرادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا (١٠)

ولا شيء يحقق الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو معه الأموال، ويأمن به السطان، ولا شيء تنهض به الأمم كالتعاون على البر والتقوى (١١).

والمؤمن يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلب كبير، وعزم متين، هدفه أكبر من رغباته، يقود هواه ولا ينقاد له، ويدرك أن التعاون درجة علمية وأخلاقية وجمالية، فيتخذ منه شعاراً حتى ترفع راية المحبة بالعودة الصادقة إلى الله.

الهوامش

١- رواه البخاري في كتاب المظالم (٥١) حديث رقم (٢٣١٥) ج/ ٢ ص(٨٦٤)، والترمذي في كتاب الحدود (١٥) باب ماجاء في الستر على المسلم (٣) حديث رقم (١٤٢٦).

٢- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق- للدجوي- تحقيق: د.علاء الدين زعتري ص (٨٥)- دار العصماء، دمشق ١٩٩٧م.

٣- انظر: روح الدين الإسلامي- تأليف: عفيف طبارة-ص / ٢١٩- الطبعة (٢٧) سنة ١٩٨٨م - بيروت.

٤- رواه ابن أبي الدنيا عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وقال الحافظ المنذري: رواه الأصبهاني واللفظ له، وانظر: الهدي النبوي الى مكارم الأخلاق للأستاذ عبدالله سراج الدين - ص (٤٦-٤٧) الطبعة الأولى - حلب ١٤١٩هـ.

٥- رواه البخاري في كتاب المساجد، حديث رقم (٤٦٧) ج / ١، ص (١٨٢) وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلاة، باب تراحم المؤمنين، ج / ٨، ص (٢٠).

٦- رواه الترمذي في كتاب: الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة حديث رقم (٢١٦٦)، وقال: حديث حسن غريب.

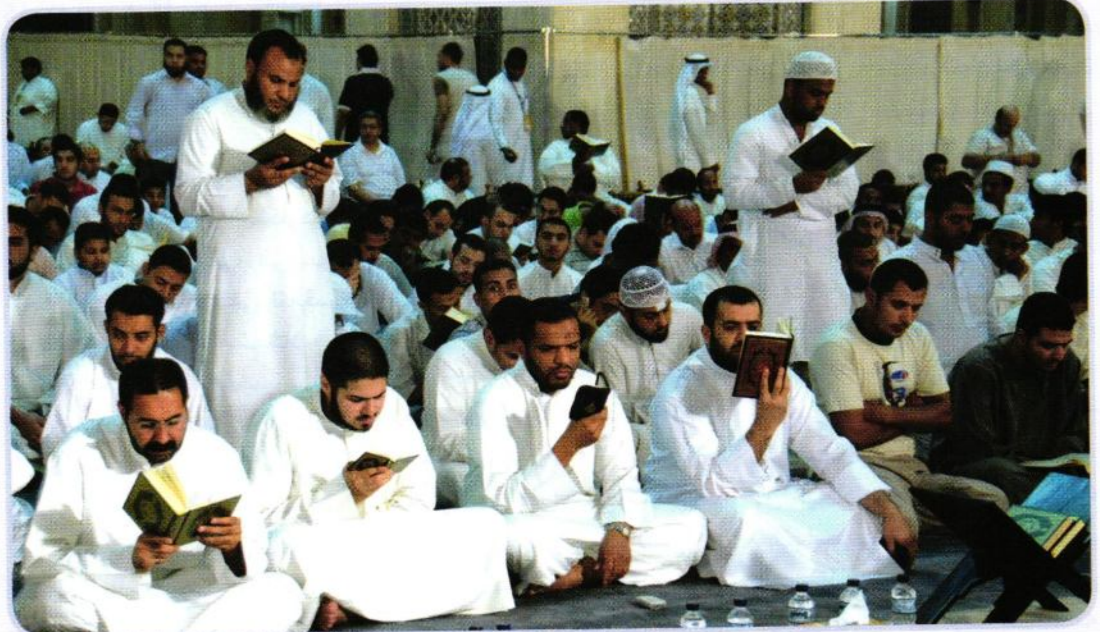
(٧) انظر: اشتراكية الإسلام- د.مصطفى السباعي- الطبعة الثانية - ص (١٠٦).

٨- القرآن الكريم... بنيته وخصائصه- د. وهبة الزحيلي- ص (٨٠)- دار الفكر- دمشق ١٤١٣ هـ.

٩- التعاون واجب ديني - د. راتب النابلسي- مجلة «نهج الإسلام» - دمشق -العدد (٧٤-٧٥) رمضان ١٤١٩هـ - ص (٤٦).

١٠- البيتان من البحر الكامل.

١١- التعاون على البر والتقوى - محمود إبراهيم - صحيفة البيان الإماراتية- الصفحة (٨) تاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٢.

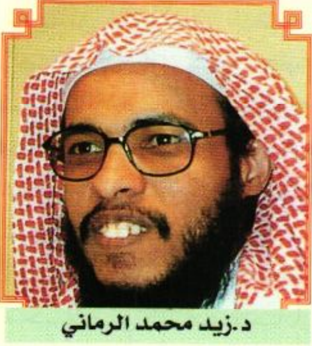


هناك علاقة وثيقة بين الانحراف والفقر لأن الفقر يولد كثيراً من المشكلات الحياتية

الانحراف الاجتماعي

(الأسباب - العلاج)

إن المجتمع المريض الذي يحول دون إشباع حاجات أفراده والذي يفيض بأنواع الحرمان والإحباطات والصراعات والذي يشعر فيه الفرد بنقص الأمن وبعدم الأمان، وإن التنافس الشديد بين الناس وعدم المساواة والاضطهاد والاستغلال وعدم إشباع حاجات الفرد، ويضاف الى ذلك وسائل الإعلام غير الموجهة التي تؤثر تأثيرا سيئا في عملية التنشئة الاجتماعية.. كل هذه الأسباب الى جانب اسباب اخرى تدفع الفرد الذي يعيش في مثل هذا المجتمع المريض الى سوء التوافق الاجتماعي بحيث يكون السلوك المريض والشيخوخة المبكرة وغير السوية، النتاج المتوقع لهذه المساوئ.


د.زيد محمد الرماني

يقول جليل وديع شكور في كتابه «أمراض المجتمع»: من المعروف أن تدني الحالة الاقتصادية لأية عائلة لا يسمح بتلبية جميع متطلباتها، وتلعب البطالة وفقدان المواد الأولية دوراً فاعلاً في هذا التدني.

وفي هذا المجال، وجد «سالوس» في دراسة له على الأحياء البائسة والمعدمة اقتصادياً ان العوز المادي ليس كاف بمفرده لتفسير الانحراف، فهناك متغيرات خمسة تميز عائلات المنحرفين: غياب الأب، وسوء تفاهم الوالدين والبطالة وعدم الاستقرار المهني، والادمان الكحولي في الأسرة، والماضي الجانح لأحد الوالدين.

وقد أظهرت الدراسة التي اعدتها الامانة العامة للأمم المتحدة عن الوقاية من جناح الأحداث ان الزيادة في حجم جناح الاحداث اكثر تواجداً في البلاد التي بلغت حداً كبيراً من النمو عنها في البلاد الآخذة في هذا النمو، وأن التغيرات الاقتصادية والصناعية الجديدة في البلاد الآخذة في النمو ذات أثر مباشر على تزايد جناح الأحداث.

والجدير ذكره ان عمليات النمو والتحضر قد لا تكون السبب المباشر في الانحراف، انما ما يرافق ذلك او يترتب عنه كالتفكك الذي يصيب الاسرة من جراء ذلك او سوء التكيف الذي يصيب النازحين من الريف الى المدينة بحثاً عن العمل، او التعارض في القيم بين قيم الواقع وبين ما يرجى أن يكون. كل ذلك يشكل ضغوطاً على الناشئة تساعد على ظهور الانحراف او تعجل في ظهوره.

ومن الاسباب التي تضاف الى ذلك التضخم المالي وغلاء اسعار المواد الاستهلاكية او احتكارها.

إن هذه الاسباب تسهم في سوء الحالة الاقتصادية التي تعكس مرضاً اجتماعياً متمثلاً في القلق والخوف على المصير.

كما أن سوء الوضع الاقتصادي قد يدفع بالعديد الى ممارسة بعض أنواع السلوك الممنوع أو المرفوض اجتماعياً كأعمال الغش والتزوير والاتجار بالمخدرات وقبول الرشوة والسرقة والاحتيال.

لذا، يرى رجال الاقتصاد وعلماؤه ان اسباب الانحراف الاجتماعي تكمن في سوء الحالة الاقتصادية المتمثلة بمشكلات تعود الى الفقر والبطالة والفشل الناتج عن سوء التوافق المهني، ويربط بعض الاقتصاديين بين الانحراف والفقر معتبراً اياه السبب الاول مستشهدين على ذلك بأن غالبية نزلاء السجون من اصل فقير، كما ان الفقر يولد العديد من المشكلات الحياتية المتعلقة بالصحة والسكن والتعليم وتوازن الأسرة، والتي تولد الانحراف.

وعلى العكس من ذلك يعتبر اقتصاديون آخرون أن الغنى والرخاء هما سبب ازدياد حالات الانحراف، ويصدق ذلك في البلاد المتقدمة صناعياً، حيث نرى ازدياداً لعدد الاحداث الجانحين.

والمعترضون على ربط الانحراف بالفقر يشيرون الى ان الاحصاءات تكون عادة مضللة لاسباب عديدة منها: ان معظم جنح الاغنياء تبقى خفية او تسوى قبل أن تصل الى المحاكم، كما أن الفقراء لا يتمتعون عادة بوسائل الحماية التي تتوفر للاغنياء، وايضاً لان الفقراء هم اكثر الناس تعرضاً للملاحقة وسوء الظن.

وإذا كان الفقر سبباً للانحراف، فكيف يمكن تفسير التصرفات غير المشروعة والمنحرفة التي تكثر في أوساط رجال الأعمال، كما هو معروف للجميع.

وأمام هذا التناقض يمكننا القول: إن الفقر بوجوهه المتعددة قد يشكل ظروفاً أو مناخات مهيئة للانحراف، أو على الأقل فرصاً تسهل للسلوك الجانح احتمال حدوثه.

إن مهمة الباحث النفسي والاجتماعي، وبعد تزايد الاهتمام بالفرد والاخذ في الاعتبار البعد الانساني، ليست في ادانة المنحرف واصدار الحكم عليه، بل البحث في ظروف الانحراف وفي اسباب هذا العمل المرفوض، الى جانب البحث الجدي والمعمق في شخصية المنحرف لمساعدته

على اعادة النظر في سلوكه وفي تغيير مواقفه الخاطئة.

وعلاج الأمراض الاجتماعية يحتاج الى فريق عمل يضم على الاقل طبيبا نفسيا، ومرشدا اجتماعيا، ومرشدا دراسيا ومهنيا.

وتبرز أهم ملامح علاج سلوك المنحرفين فيما يلي:

١- استثارة تعاون المريض واثارة رغبته في العلاج.

٢- محاولة تصحيح السلوك المنحرف وتعديل مفهوم الذات.

٣- إرشاد الوالدين وتوجيههما ليتحملا مسؤولية العمل على تجنب الطفل التعرض للأزمات النفسية والاجتماعية.

٤- تغيير السلوك داخل المنزل وشغل أوقات الفراغ بالترفيه المناسب والرياضة.

٥- انشاء المزيد من العيادات النفسية المتخصصة لعلاج الأمراض النفسية والاجتماعية.

إضافة الى تضافر العلاج السلوكي، والعلاج الطبي، والعلاج النفسي للشخص المنحرف.

إن مجتمعاً تكثر فيه الأمراض الاجتماعية: العنف، والجريمة، والادمان، والانحرافات الجنسية، واستغلال الطفولة، سيكون هو حتماً مريضاً وبحاجة الى اعادة تنظيم من خلال تفعيل الرعاية الاجتماعية، وتأمين الاحتياجات الخاصة بالفرد، وبالمجتمع، تأميناً لحالات الاكتفاء والاشباع.

باختصار، إننا مدعوون أفراداً وجماعات ومؤسسات حكومية وخاصة، إلى اقتسام المسؤوليات كل من زاوية الخاصة وبقدراته المتاحة والى توزيع الأدوار، بحيث نضمن النجاح والتكامل.

سيكولوجية العدالة في الإطار الإسلامي

د. عبدالرحمن محمد العيسوي



العدل سمة من سمات الشخصية الإيجابية والعظيمة، والتي يمكن غرسها في حس المسلم وشعوره وعقله ووجدانه عن طريق أساليب التربية الإسلامية الصالحة والتنشئة والتوعية والوعظ والإرشاد والتوجيه، والتي يمكن تربية ضميره عليها منذ الصغر، والعدل قيمة أخلاقية ودينية وروحية واجتماعية وسياسية، وهي من قيم الإسلام الحنيف العديدة التي تحيط كل حياة الإنسان.

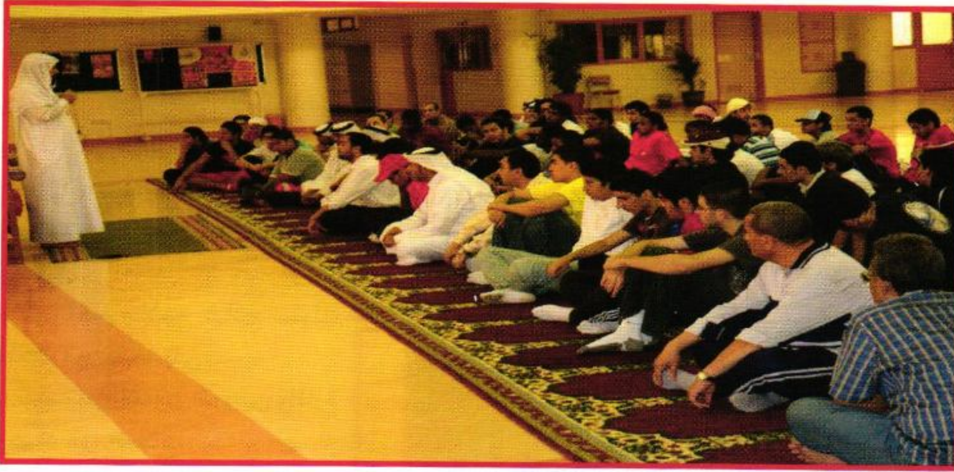
وإسلامنا الخالد يحرص على تربية أبنائه على أساس من فضيلة العدل، بحيث يشب المسلم مؤمناً بقيمة العدل كقيمة أخلاقية عامة وشاملة، وإذا آمن بها فإنه يطبقها في كافة مناحي الحياة، حيث تصبح أسلوباً من أساليب حياته أو فلسفة من فلسفة حياة الفرد والجماعة، فالعدالة ليست مجرد نظام سياسي وحسب ولكنها نمط من أنماط الحياة الشاملة.

والعدل قيمة عامة يتعين أن تطبق في مجالات العمل والانتاج والاقتصاد والسياسة والادارة والعلاج والتعليم وفي المجالات الأسرية والعائلية والثقافية والتربوية.

والعدل لغة: ضد الظلم والجور والبطش، والعدل يعني القسط، وأقسط الوالي أي كان عادلاً، ومن أسماء الله الحسنى «المقسط» أي العادل، وكما يقولون فإن العدل أساس الملك بل هو أساس الحكم وأساس التعامل الاجتماعي والإنساني بين الأفراد والجماعات والدول، وفي هذه الأيام نقول: إن العدل أساس التقدم والنمو والازدهار والتنمية والرخاء، وأساس التعامل بين الناس، حيث يجب أن يعمد كل فرد إلى إعطاء غيره حقوقه كاملة عملاً بالهدي النبوي الكريم «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (سنن ابن ماجه).

دور الأسرة

والحياة الأسرية هي التربة الخصبة التي يتم فيها غرس القيم والمثل والمعايير والمبادئ والقواعد الأخلاقية والسلوكية والروحية، ولذلك دعانا إسلامنا الخالد إلى العدل مع الأولاد والعدل مع الزوجات، وبالتالي مع الإخوة والأخوات، ومع الجيران وزملاء الدراسة والعمل، والعدل مع النفس، ولكن كيف يكون



الإنسان عادلاً مع نفسه؟ وكيف نربي أجيالنا الصاعدة على قيم العدل قولاً وسلوكاً؟ وكيف يصبح العدل اسلوباً في الحياة اليومية لدى كل طوائف المجتمع حكاماً ومحكومين وعمالاً وأصحاب أعمال وموظفين ومديرين وطلاباً ومعلمين؟ وكيف يصبح العدل أساس الحياة كلها في مجتمعنا المسلم؟

السبيل إلى ذلك هو غرس هذه القيمة العظيمة في الطفل المسلم منذ نعومة أظفاره، ثم تتوالى أساليب التربية الأسرية والمدرسية والجامعية على أساس من غرس قيم العدل وتدعيمها وتنميتها وإذكائها في عقول الشباب وفي نفوسهم وفي ضمائرهم، بحيث يصبح العدل جزءاً لا يتجزأ من كيان المسلم أو من شخصيته.

القيم الروحية والأخلاقية تشكل منظومة متكاملة متناسقة لا بد من تعلمها واكتسابها

توفر القدوة الحسنة

ولا بد من توافر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يُقتدى به في التحلي بقيم العدل نظراً لنزعة الإنسان إلى حب التقليد والمحاكاة، ومن هنا كان لا بد من توافر النماذج الحياتية الجيدة التي يقلدها الناس ويتقمصون قيمها، وهنا يبرز دور رجال الدعوة والإرشاد ورواد الإصلاح والقادة والزعماء فالتعلم يتم عن طريق التقليد والمحاكاة، وخصوصا في ضوء حقيقة أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه.

والقيم الأخلاقية والروحية تشكل منظومة متكاملة متناسقة لا بد من تعلمها واكتسابها جميعاً، ولذلك يحض الإسلام أبناءه على التحلي بقيم العدل والمساواة والاخاء والحرية وتكافؤ الفرص والبر والإحسان والرحمة والشفقة والمودة والتقوى والورع والخشوع والزهد والعفة والشرف والأمانة والصدق والولاء والوفاء والإخلاص والقناعة، ولكن ما الآثار النفسية لشعور الفرد بالعدل؟

الآثار النفسية للشعور بالعدل

ما الذي يشعر به الإنسان عندما يعامل بالعدل في المنزل والمدرسة وفي العمل وفي المجتمع؟ الشعور بالعدالة يجعل الإنسان أكثر شعوراً بالرضا والسعادة والأمن والأمان والاطمئنان والتكيف النفسي والاجتماعي، كما يشعر بالتوحد والوحدة والاتحاد مع مجتمعه.

ويشجع هذا الشعور الإنسان على أن يبذل مزيداً من الطاقة، والشعور بالعدالة يبعد عن الفرد الشعور بالاغتراب ورفض المجتمع وعدم الرضا عن أوضاع المجتمع، وقد يزداد هذا الشعور فيعاني الفرد من «اغتراب الذات» أي يرفض قبول نفسه، كما يبعد عنه الشعور بالظلم والجور والإحجاف والغبن.

والعدالة تؤدي إلى شعور أفراد المجتمع بالرضا والقبول والاحترام والتضامن والأمل والرجاء في غد أفضل، ويدفع ذلك إلى مزيد من الإبداع والابتكار والتقدم والرخاء.

العدل حق أصيل من حقوق الإنسان

وكما أن العدل حق أصيل من حقوق الإنسان له أن يتمتع وينعم به، فالإنسان أيضا مطالب بأن يكون عادلاً مع أبناء مجتمعه ابتداء من أبنائه وأهل بيته إلى زملائه وأتباعه ورعيته إن كان حاكماً، فالعدل حق وواجب، وهو حق للمحكوم وواجب عليه أيضا.

ويقترن العدل في القرآن الكريم بالاحسان وإيتاء ذي القربى كما في قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ (النحل:٩٠)، والله تعالى يخبر عباده بأنه يحب أهل القسط والعدل، كما في قوله تعالى ﴿... وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة:٨) إشارة الى العدل وإلى العادلين في تعاملهم مع إخوانهم وأخواتهم.

والعدل قيمة عامة شاملة، فهو واجب في أقوال المسلم كما هو واجب في أعماله وأفعاله وأحكامه وقراراته وتصرفاته، اهتداء بقوله تعالى ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى...﴾ (الأنعام: ١٥٢) فالمسلم يقول ويعمل الحق ولو كان على نفسه أو على أقاربه، ومن هنا ينبذ الإسلام الحنيف التعصب والتحيز والتفرقة، فالناس في اسلامنا سواسية لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وتقترن قيمة العدل بكثير من القيم والفضائل الإسلامية الأخرى مثل الأمانة

وغيرها من القيم التي يحفل بها إسلامنا العظيم كما في قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (النساء: ٨٥) لذلك فالعدل أساس من أسس القضاء، والحكم والعمل والانتاج، والإدارة، والقيادة، والتربية، والسياسة، فالمسلم مطالب بأن يعدل في أقواله وأفعاله وفي حكمه وفي علاقاته الأسرية والاجتماعية ولذلك فإن العدل يجب أن يكون صفة مترسخة في شخصية المسلم الحق، والمسلم العادل يتمتع بمحبة الله تعالى ورضوانه وإنعامه، والله تعالى يحب المقسطين ولهم منزلة عالية عند ربهم كما في قول رسولنا الكريم ﷺ «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» (رواه الإمام مسلم)، وكما في قوله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل معلق قلبه في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (رواه الإمام البخاري).

المجالات التي يبدو فيها العدل

ويبدو العدل في كثير من المظاهر منها:

١- العدل مع الله تعالى بأن لا يشرك الإنسان معه في عبادته وصفاته غيره.

٢- العدل في الحكم أو في القضاء بين الناس وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه.

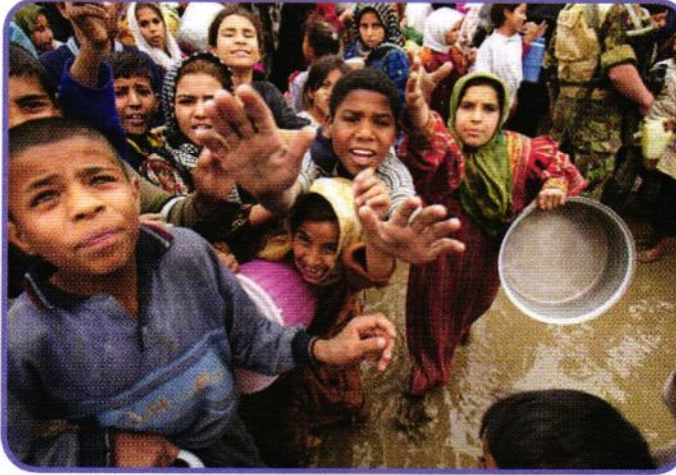
٣- العدل بين الزوجات والأبناء، فلا يؤثر أو يفضل بعضهم على بعض.

٤- العدل في قول الحق، فلا يشهد بالزور ولا يقول الكذب أو البطلان.

٥- العدل في الاعتقاد في الحق والصدق.

والتاريخ الإسلامي حافل بالأحداث

حينما يتحقق العدل في المجتمع يندفع أفراده نحو الابتكار والإبداع والتقدم والرضا



والوقائع التي تظهر التمسك بقيمة العدل، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص رضي الله عنه أمير مصر «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً»؟ وذلك عندما ضرب ابن عمرو بن العاص المصري الذي سبقه في سباق للخيل وقال له «أنا ابن الأكرمين»، ويؤدي انتشار العدل الى انتشار روح الأمن والأمان والاطمئنان في النفوس، ومن ذلك ما رآه رسول قيصر الروم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرآه نائماً دون حراس، فقال له قولته المشهورة «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» فالعدل من أشرف الفضائل في الإسلام.

وفي مجال الدعوة للعدل بين الأبناء، الذكور والإناث، جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال «إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فأرجعه» وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: اتقوا الله في أولادكم، فرجع إلىّ، فرد تلك الصدقة» وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله في أولادكم، فرجع الي، فرد تلك الصدقة، وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ: «يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور» وفي رواية قال: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن» (متفق عليه).

العدل مع الزوجات

وفي إطار العدل مع الزوجات، فإن المسلم مطالب بأن يعدل مع زوجته إذا كانت واحدة، وإن كن أكثر فعليه ان يعدل بينهن في العطاء وفي العطف والرعاية والحماية والاشباع المادي والعاطفي وفي التعامل والا فلا ضرورة للتعدد كما في الهدى القرآني الكريم ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ (النساء: ٣).

وعلى المسلم أن يبعد عن نفسه الهوى وأن يمسك بالعدل حتى مع خصومه ومع من يكرههم كما في قوله تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله﴾ (المائدة: ٨)، فالعدل أساس الملك والحكم والعلاقات الأسرية والاجتماعية الطيبة ونحن المسلمين في حاجة ماسة الى بسط العدل بين ظهرانينا.

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- عبدالباقي، محمد فؤاد، (١٩٨١)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٣- الجزائري، أبو بكر جابر (١٩٦٤)، منهاج المسلم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (١٩٧٠)، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت، لبنان.

المشروع بين القبول والرفض

مفتي العالم الإسلامي .. تيسير أم تعسير

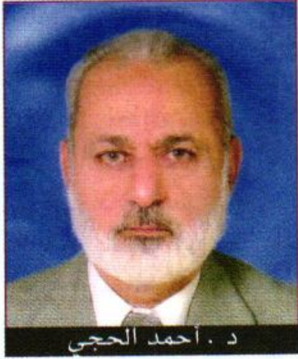
أميرة إبراهيم - عبدالرشيد راشد

أعلنت دار الإفتاء المصرية نجاح أولى خطوات إنشاء هيئة إسلامية عالمية، تكون بمنزلة مجلس أعلى للفتوى في العالم الإسلامي، يضم مفتين من دول إسلامية عدة، حيث تلقت الدار موافقة أربعة مفتين على انضمامهم لهذا المجلس وهم مفتو سوريا، ولبنان، والأردن، والبوسنة. وأكد د. علي جمعة مفتي مصر أن هذه الهيئة ستتعهد ببحث شؤون الإفتاء وخدمة قضايا الأمة المعاصرة، والنهوض بمجال الدعوة الإسلامية من خلال توحيد الرؤى، للقضاء على ظاهرة تصدر غير المتخصصين للإفتاء، والذين يسيئون إلى الفتوى بسبب الجهل بأصول الإفتاء.

وفي حين أجمع علماء الدين على وجود أهمية لإنشاء تلك الهيئة نظرا لما يشهده المجتمع الإسلامي من فوضى في الفتاوى، ولحاجته أيضا إلى صدور فتاوى موحدة فيما استجد من نوازل ووقائع معاصرة، تكفيهم شر الاختلاف والفرقة وحدوث البلبلة والاضطراب، خاصة في ظل ما يفعله الاحتلال الصهيوني والأميركي في بلدان العالم الإسلامي، على أن تكون هيئة مستقلة بعيدة كل البعد عن أي تبعية حكومية أو حزبية أو مذهبية، وأن يتم اختيار أعضائها من المشهود لهم بالعلم والخبرة والقدرة على استنباط الأحكام، ويتصفون بالاعتدال وعدم التعصب، وأن يمثلوا كل المذاهب، وأن تكون الفتاوى الصادرة عنها ملزمة لكل الدول الإسلامية، كي يتحقق الهدف من إنشائها.

ورأى البعض أن تلك الهيئة فكرة خاطئة لا تؤدي إلى التوحد، بل تؤدي إلى حدوث الانشقاقات والاختلافات في العالم الإسلامي، وهناك أيضا من لا يعارض إنشاء تلك الهيئة، ولكن يتحفظ على أن تكون الهيئة وحدها هي مصدر الإفتاء في العالم الإسلامي، مؤكدا أن الاختلاف بين الفقهاء في الفتوى رحمة، ولا يوجد أحد يقول بتوحيد الفتوى، ولكن يمكننا القول بأن يكون الهدف من الهيئة هو إيجاد مرجعية ضد الغلو والتطرف.. «الوعي الإسلامي» تعرض تلك الآراء في هذا التحقيق.


د. محمد عبد الغفار


د. أحمد الحجي

يؤكد د. علي جمعة مفتي مصر أن هذه الهيئة ستتعهد ببحث شؤون الإفتاء، وخدمة قضايا الأمة المعاصرة، والنهوض بمجال الدعوة الإسلامية من خلال توحيد الرؤى، للقضاء على ظاهرة تصدر غير المتخصصين للإفتاء، حيث يسيئون إلى الفتوى بسبب الجهل بأصول الإفتاء، ومن خلالها أيضا يمكن نشر فكر الوسطية وبيان سماحة الإسلام، ومحاصرة الأفكار المتشددة الداعمة لنشر الإرهاب والعنف والتطرف داخل المجتمعات.. ويشدد د. جمعة على أن الإفتاء بغير علم حرام، لأنه يتضمن الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ، ويتضمن إضلال الناس وهو من الكبائر، والتخصص يعني أن يكون من يتعرض للإفتاء قد دَرَس الفقه والأصول وقواعد الفقه دراسة مستفيضة، مع مشاركته في باقي علوم الشريعة، وممارسته لكتب العلم، وقدرته على استخلاص المعلومة منها، ومعرفته بالواقع المعيش، ويطالب الدول العربية والإسلامية بوضع ميثاق موحد يتضمن الضوابط والمعايير الشرعية والعلمية للإفتاء، ويقول: لدينا حرص كبير على التعاون مع كل المنظمات والهيئات العربية والإسلامية، ودعم كل الجهود، فهناك ضرورة إلي أن تتوحد جهود الفتوى في العالم الإسلامي، لتصبح صناعة تختص بأهلها، وكذلك هناك أهمية لتوعية المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بأهمية الفتوى وخطورتها وآدابها وشروطها، وسيتم وضع الآليات الفَعَّالة والضوابط العلميّة لمواجهة من يتصدرون للفتوى من غير المتخصصين وغير المؤهلين، والذين عادة ما تثير فتاواهم بلبلة في المجتمع الإسلامي.

و يوضح الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف الكويتية د. محمد عبدالغفار الشريف رأيه باختصار شديد قائلا: إن النوازل أو المستجدات نوعان، محلية وعالمية، أما الأولى فلا تحتاج إلى هيئات عالمية، فأهل مكة أدرى بشعابها، وأما الأخرى فهناك الكثير من الهيئات الإقليمية والعالمية التي تعالجها مثل مجمع الفقه التابع لمنظمة الأقطار الإسلامية، ومجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة وغيرهما، لذلك فلا أرى حاجة إلى إنشاء مثل هذه الهيئة المذكورة، وبالتالي ليس لدي أي اقتراح في قضية استقلاليتها أو تبعيتها لجهة أخرى.

أما خبير الموسوعة الفقهية وعضو لجنة الفتوى بالأوقاف في الكويت د. أحمد الحجي الكردي فبدأ حديثه بمقدمة تطرق من خلالها إلى معنى الفتوى ومنزلتها وأهميتها وما يتعلق بها معللا ذلك بأنها مهمة لفهم القارئ لسر أو مغزى ما يدلي

به العلماء في هذا الخصوص فبين فضيلته أن الفتوى معناها الإخبار بحكم الله تعالى لمن يسأل عنه، وهي فرض كفاية على المسلمين، لأن اتباع حكم الله تعالى في كل الأمور واجب على كل مسلم، وبعض الناس يعجزون عن معرفة ذلك بأنفسهم من مصادر التشريع، فوجب تهيئة من يجيبهم عنه عند حاجتهم إليه، قال تعالى ﴿..فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) ويكمل د.الحجي وأول المفتين هو رب العالمين، قال سبحانه ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ...﴾ (النساء: ١٢٧)، ثم الرسول ﷺ، حيث كان يسأل عن حكم الله تعالى فيجيب من يسأل عنه، وبعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، قام الصحابة الكرام بهذه المهمة، فكان الناس يرجعون إليهم فيسألونهم فيجيبونهم بحكم الله تعالى فيما سألوا عنه، وبعد الصحابة الكرام التابعون لهم بإحسان من العلماء إلى يومنا هذا، ثم ينتقل الحجي إلى شروط الفتوى مبينا أن أولها القدرة على الاجتهاد في دين الله تعالى، والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها، وهذا لا يستطيعه غير المجتهدين من العلماء، ومن هنا نعلم معنى امتناع كثير من علماء السلف الصالح - من زمن الصحابة الكرام إلى من بعدهم- عن الفتوى في كل ما لم يستطيعوا استنباطه من الأحكام.

ويضيف: وقد حذر النبي ﷺ غير المؤهلين للفتيا من الإفتاء بغير علم فقال ﷺ «أَجْرَؤُكم على الفتيا أجرؤكم على النار» (رواه الدارمي)، وقد قضت حكمة الله تعالى أن تكون نصوص الشرع على نوعين، بعضها قطعي الدلالة، وبعضها ظني الدلالة، كما أن نصوص السنة الشريفة بعضها قطعي الثبوت وبعضها ظني الثبوت، وأما نصوص القرآن الكريم فكلها قطعية الثبوت، وهذه الظنية في الثبوت أو في الدلالة مثار اختلاف الفقهاء في الفتوى في أمور كثيرة، وهذا الاختلاف مراد من

الشريف: النوازل والمستجدات لا تحتاج إلى هيئات عالمية... فأهل مكة أدرى بشعابها وتوجد بعض الهيئات الإقليمية التي تؤدي الغرض

الشارع الحكيم تيسيرا على الناس، «فقد سئل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه هل اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء؟ فقال: نعم، فقيل له: هل كنت تتمنى أنهم لم يختلفوا؟ قال: لا، فإن في اختلافهم رحمة الأمة» ومن هذا الباب نجد اختلافا كبيرا بين المذاهب الفقهية المعتمدة لدى عامة المسلمين في الفتوى في أحكام كثيرة، سواء في العبادات أو في المعاملات، وعدوا ذلك مظهرا من مظاهر التيسير، وليس من مظاهر الخلاف الممقوت كما يراه بعض الجاهلين.

من خلال هذه المقدمة ننتهي إلى أنه من غير المستحسن التحجير على الناس بربطهم بلجنة معينة واحدة للفتوى يخضعون لها ولا يخرجون عليها، مهما بلغ أعضاؤها من العلم والتقوى، لأن في ذلك تحجيرا على الاجتهاد، وإلحاق حرج بالأمة، فضلا عن أن ذلك غير ممكن، لأن المجتهدين والعلماء العاملين موجودون في كل أنحاء العالم الإسلامي، يعرف كل منهم أعراف القطر الذي يعيش فيه، وطريقة التفكير التي يمشي عليها أهله، والعرف مصدر من مصادر التشريع الإسلامي في كثير من المسائل، وقد اجتهدوا لهم في أمور تسهل عليهم التزامهم بأحكام دينهم ودنياهم، وربطهم جميعا باجتهاد لجنة واحدة فيه إلحاق أذى كثير بهم وهو يخالف أهداف الشارع الحكيم في قوله تعالى ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ (الحج: ٧٨) لأن لجنة الفتوى الموحدة المقترحة إما أن يكون أعضاؤها من بيئة واحدة، فتكون اجتهاداتهم وفتاواهم متأثرة ببيئاتهم، فلا تلائم البيئات الأخرى، فينفر منها أهل تلك البيئات ويتمردون عليها، وإما أن يكونوا من بيئات مختلفة فلا يتفقون على رأي، ويبدأ الاختلاف بينهم من اللحظة الأولى، ولذلك أرى الانصراف عن التفكير في هذا المشروع من أصله، وترك المسلمين في كل قطر يرجعون إلى علماء قطرهم، مع ضرورة إبعاد الجهال عن نطاق الفتوى من أي فرقة كانوا، تنزيها للفتوى من أن يدخلها الزغل والانحراف عن حكم الله تعالى. والله تعالى أعلم.

أما د.طارق الطواري الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الكويت وعضو رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي فيرى بأن إنشاء هيئه عالمية للإفتاء لا داعي له وذلك من وجهة نظره لعدة أسباب، أهمها وجود هيئات الإفتاء، ولخصوصية كل بلد وإقليم في مسائله ونوازله، لكنه في الوقت ذاته يلح على ضرورة استقلالية الإفتاء كاستقلالية القضاء من حيث المالية والتبعية والتعيين، حرصا على عدم تسييس الإفتاء مع الحرص على تنظيمه إداريا.

صورة حضارية ومشرفة

فيما يؤكد د.عبد الفتاح إدريس أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر أن إنشاء تلك الهيئة سوف يكون له أثر ايجابي على الصعيد العالمي، حيت إن توحيد الفتاوى والمواقف الشرعية أمر يجعل صورتنا حضارية ومشرفة أمام العالم، بعكس الاختلاف والفرقة وعدم التوحد على الرأي في المسألة الواحدة، فتوحيد الفتاوى خاصة في بداية الشهور الهجرية ورؤية هلال رمضان يعتبر من مظاهر الحضارة الإسلامية، كما أن توحيد المسلمين في عالم تكالبت فيه الأعداء على أمتنا وحضارتنا، وأخذوا اختلافنا ذريعة لبث بذور الفرقة بيننا، هو من صميم جوهر الحضارة الإسلامية..

تمثيل الأقليات المسلمة

ويقول د.مصباح حماد وكيل كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر: لابد بالفعل من وجود هيئة إسلامية تضم عددا من المفتين من كل البلاد الإسلامية، بل وتمثل فيها

منيع: قضية قد تؤدي إلى حدوث إنشقاقات في العالم الإسلامي

أيضا الأقليات الإسلامية، لأن ذلك من شأنه تحقيق الوحدة في الإفتاء، خاصة في القضايا التي تمس المجتمع الإسلامي ككل، وأنا أرى أن تكون تلك الهيئة على نسق هيئة مجمع البحوث الإسلامية في مصر، تناقش القضايا والأمور بداخلها ولا يخرج الخلاف في الآراء بين أعضائها عن حدودها، فالرأي الذي يتم الإجماع عليه يكون هو الرأي الملزم للجميع، حتى لمن اختلف معه، كما يجب أن يكون تمويلها لا يمثل ضغطا من قبل الحكومات عليها، فيمكن أن يكون لها صندوق دعم تابع لجامعة الدول، أو تابع لرابطة العالم الإسلامي، بحيث يكون الدعم بعيدا تماما عن الدول، وتكون هناك حرية تامة للمفتين، وعلى الهيئة الشرعية في كل بلد إسلامي أن تختار من يمثلها في هذا النظام الجديد، وهنا لا يشترط أن يتم اختيار مفتي الدولة نفسه، فقد يكون هناك من هو أكثر علما وفقها ودراية وقدرة على استنباط الأحكام، وإذا تحقق كل ذلك فإننا سنقضي على الهرج وعدم الانضباط في إصدار الفتاوى.

الأخذ برأي الأغلبية

وينفي د.محمد الدسوقي عضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن يكون الاختلاف المذهبي عائقا أمام إقامة تلك الهيئة، ويقول: بل نحن بالفعل في حاجة إليها الآن، فالاختلاف الموجود بين المذاهب يتمثل في قضايا ظنية وفرعية وجزئية تحتمل الخلاف، بل إن الاختلاف فيها هو من باب التيسير، لكن قضايانا المعاصرة حتى لو تم الاختلاف فيها لا يكون هناك ضرر من أن نأخذ برأي أغلبية أعضاء الهيئة، ولكن يجب أن نوضح أن هناك فتاوى تختلف بتغير الزمان والمكان ومن بلد إلى آخر، بحسب اختلاف الثقافة والعادات والتقاليد والعرف، وتلك الفتاوى يمكن أن تكون مرجعيتها لمفتي البلد نفسه، فنحن لا نستطيع أن نوحد كل الأمور الخاصة بالمجتمعات المختلفة في الفتوى، لكن القضايا التي لها ارتباط بجميع الدول دون تفريق والخاصة بالمشاكل المعاصرة التي تعاني منها أمتنا يؤخذ قرار الإصلاح فيها دون النظر للاختلاف الذي قد يكون موجودا في بعض الدول.

العودة للمنظمات الكهنوتية

يرى د.منيع عبد الحليم العميد الأسبق لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر أن وجود مجلس أعلى للفتوى أو هيئة إسلامية بأي اسم كان تتصدر وحدها للفتوى فكرة خاطئة لا تؤدي إلى التوحد، بل تؤدي إلى حدوث الانشقاقات والاختلافات في العالم الإسلامي، والى عدم احترام هذا الدين، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها

أولا: أن الإسلام في جوهره يتقبل التعددية بين اتجاهات عدة، منها الاتجاه النصي والاتجاه العقلي وكذلك الاتجاه الروحي.

ثانيا: أن الإسلام يقبل الاجتهاد، بل ويشجع عليه، ويكره التقليد ويحب التحدي، فإذا أوقفنا العمل الفقهي على علماء تلك الهيئة فلن يخرج المجتهدون، ولن يقدموا الجديد في فكرنا الإسلامي المعاصر.

ثالثا: أن الفتوى في الإسلام لا تخضع لمؤسسة معينة، ولا إلى اتجاه محدد، بل هي حياة، بمعنى من يبرز علمه يصبح مؤهلا للفتوى.

رابعا: قصر الفتوى على هيئة معينة حط من قدر عالمية الإسلام، حيث إن هناك بلادا قد دخل كثير من أبنائها للإسلام، كما هو الحال في دول أوروبا وأميركا وغيرها من الدول، وهؤلاء المسلمون الجدد لا ينتمون إلى علماء المشرق أو المغرب، بل لهم علماؤهم والتزاماتهم ومساجدهم.

خامسا: إنشاء هيئة أو مؤسسة تختص وحدها بأمر الفتوى من أهم مخاطره أنه سوف يعود بالناس إلى المنظمات الكهنوتية التي كانت موجودة في العصور الوسطي في أوروبا، أي إلى فترة الانغلاق الديني الذي جعل الناس عبيدا للكهنة.. ويتساءل د.منيع قائلا: هل نريد بعد اشراقات وأنوار الإسلام، وحرية الفكر التي أتى بها أن نغرق في الظلام بهذا التوجه الخطير على العالم الإسلامي؟ إن الذي يجب علينا هو أن ندع إطار الفتوى كما هو، وكما كان منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- وعهد الأئمة الأربعة، فلا يجب أن نحجر على آراء العلماء، وإذ كان هناك فكر خاطئ فالذي يجب علينا هو مواجهة هذا الفكر بالفكر، لا بالمؤسسات التي قد تستخدم قوة وجبروت الحكومات لفرض ما يصدر عنها، وإذا عجزنا عن معالجة ومواجهة هذا الفكر، فهذا إنما يدل على عجز وقصور في علمنا وفهمنا لأمور ديننا، وعلينا أن ننمي علمنا الديني، لا أن نلجأ إلى فكر مؤسسي.

مرجعية ضد الغلو والتطرف

ويري د.أحمد عبدالرحيم السايح أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر أن خروج تلك الهيئة للنور مفيد، لكنه في الوقت نفسه يرفض أن تكون الهيئة وحدها هي المسؤولة عن الإفتاء، لأن في ذلك - من وجهة نظره- تضييقا وكبتا للآراء، موضحا أن في تعدد واختلاف الآراء ظاهرة صحية للمجتمع الذي يتطلع إلى ما هو راق من خلال العمل والأخذ بالآراء والفتاوى التي تحقق له النفع والمصلحة، دون أن يكون هناك حجر على خروج تلك الفتاوى والآراء، ودون أن يتم تجميد الفكر وتعطيل العقل وقصر الاجتهاد واستنباط الأحكام والفتاوى على أعضاء تلك الهيئة، لأن معنى ذلك ألا يتكلم في العلم غير هؤلاء، حتى ان كان هناك من هو أقدر منهم في العلم والخبرة والقدرة على استنباط الأحكام.

فيجب أن يكون الهدف ليس توحيد الفتوى، بل جمع الفتوى تحت مظلة تلك الهيئة بحيث تبين الصواب من الخطأ، أما اختلاف المذاهب فهو رحمة وواقع تاريخي نعتز به، ولا يوجد أحد يقول بتوحيد الفتوى، ولكن علينا أن نعمل على إيجاد مرجعية ضد الغلو والتطرف.

لغة وأدب

رسالة السماء

منذ كان الإنسان كانت الكلمة، ومنذ كان الإسلام كان الأدب إحدى أدواته الرسالية.

فلا ينتاب ذا إلمام بأبسط جماليات الكلام شك في أن كتاب الله الكريم قد بلغ من الجمال درجة الإعجاز الذي أقعد أبلغ بلغاء البشرية على الدوام أن يدانوه، بله أن يجاروه.

وقريب من هذا القول يقال عن سنة أبلغ الخلق أجمعين حيث انقطعت الأعناق دون مسايرتها من كل بليغ منتحل مهما بذل وحبك.

غير أن هذين المصدرين المعجزين لم يحجبا عن طالب رشد هدى ولم يمنعا قاصد اقتفاء أثراً.

بل لقد أحدثا في ألسنة وقلوب وكلمات كل تال لهما متدبر تحولاً عميقاً أعاد صياغته بما رفع مقامه وأعلى شأنه فكراً ووجداناً وتعبيراً.

ومن ثم فإنهما قد أخرجا للوجود أمة رسالية ترى الوجود من حولها جميلاً لأنها كل يوم تقرأ أجمل بيان تلي على الأرض.

ألا إن عينا لم تر الوحيين وأذنا لم تسمعهما وقلباً لم يعقلهما لفي غاية الحرمان من أجمل الجمال.

تنويه

بكثير من التميز تتوالى أنشطة منتدى الأدب الإسلامي بالمركز العالمي للوسطية برئاسة د.مطلق القراوي.

ويشار إلى أن المنتدى يقيم العديد من الفعاليات الدورية وقد كان آخرها ندوة للشيخ محمد العوضي بعنوان «قطوف أدبية».

المحرر

منزلة لغة الضاد بين اللغات ووسائل الحفاظ عليها

د.محمد عبدالهادي

في العدد ٩٤ (ابريل ٢٠٠٥) من مجلة الضياء الإماراتية قرأت تحقيقاً بعنوان «اللغة العربية تشكو الإهمال والصدود من أبنائها» جاء فيه: «...فالعربية بالنسبة لنا لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة والدعاء وهي الوعاء الحقيقي المحتضن للهوية الحضارية وحينما يهتز هذا الوعاء فعلينا جميعاً أن نحفز كل طاقاتنا للمحافظة عليها وحمايتها، بعد أن طالها الإهمال الشديد، خاصة في أجهزة الإعلام والفضائيات وأشكال الثقافات المختلفة الفنية منها والترفيهية، بل إن البعض منها لا يكتفي بالإهمال المتعمد لهويتنا اللغوية بل يمتد الأمر به إلي السخرية من الفصحى ومن المتحدثين بها، بما يخلق وازعاً عدائياً داخل نفسية المتلقي تجاه لغته...».

من منطلق هذه العبارة شرعت في كتابة مقالتي بعنوان «منزلة اللغة العربية بين اللغات والسبيل للحفاظ عليها» دفاعاً عن لغتنا الجميلة. وإبرازا لمكانتها بين اللغات من جهة، والسبيل للحفاظ على هذه المكانة من جهة أخرى.

عرّف كثير من الفلاسفة والمربين الإنسان بقولهم «الإنسان حيوان ناطق»، فالنطق يقتصر على الإنسان وحده دون غيره من بقية الكائنات. والإنسان وحده هو الذي يستطيع استعمال مجموعة من الرموز والإشارات للدلالة على ما يريد من معان والتفاهم مع غيره من الناس. والذكاء والفهم لا ينتقلان إلا عن طريق اللغة. إن تاريخ ما قبل التاريخ والعصور القديمة وتاريخ الفراعنة والآشوريين والكلدانيين والفينيقيين وصل إلينا عن طريق اللغة التي حفظته بين حروفها وكلماتها.

لذلك يجب أن يحتل تدريس اللغة المكان الأول في المدرسة، وعلى عاتق المعلم العربي يقع عبء التربية اللغوية، فوحدة اللغة تؤلف قلوب الجماعة على مشاعر واحدة لأن اللغة هي روح الأمة كما قيل، فإذا فقدت أمة من الأمم لغتها اندثرت وقضي عليها ولم تعد تحمل خصائصها، واللغة وعاء يضم الحضارة والعلوم والآداب وجميع التراث القديم.



واللغة بكتابتها وقراءتها وسيلة من أهم وسائل التنوير الذهني، واليقظة والنهضة الفكرية. وما استيقظت أمتنا العربية في فجر نهضتنا في القرون الهجرية الأولى إلا حين انتشرت تعاليم الشريعة الإسلامية، ثم انتشرت الحركة الفكرية المنظمة بالتدوين والتداول العلمي.

فتحت لغتنا صدرها لتراث الإنسانية الخالد ومعارف البشرية الرائعة، كما اتسعت لمقومات الأمة الإسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت، وانصهرت في بوتقتها الحضارة الفارسية واليونانية، وأصبحت لغة العلم والمعرفة كما كانت لغة الأدب البارع والفن الرفيع منذ الفتح الإسلامي.

لقد مرت العربية قبل الإسلام بطور تفرعت فيه إلى فرعين، جنوبي بائد بلهجاته كالحميرية واللحيانية والثمودية، ولا تزال أطلال هذه اللغات ماثلة في اللغة المهرية، وفرع آخر شمالي باق كادت تتحول لهجاته كالقرشية والهذلية والتميمية والطائية إلى لغات مبعثرة متباعدة لولا مجموعة من الروابط التي كانت تشد هذه اللهجات بعضها إلى بعض، هذه الروابط نعني بها الأسواق التي كانت مواسم للعرب يتنقلون فيها من مكان إلى آخر في قلب جزيرتهم، ويتبادلون الأنشطة الثقافية والأدبية والقضائية فضلاً عن الاقتصادية التجارية.

ولكن الرابطة الأقوى التي صهرت هذه اللهجات في لغة فصحى تمثلت بمجيء الإسلام، ونزول القرآن الكريم مصدر التشريع والعبادات باللغة التي ينطق بها رسولنا العربي الكريم صلى الله عليه وسلم، وبلهجته التي لم تقتصر على لهجة قبيلته (قريش)، بل اختارت من لهجات القبائل الأخرى عدداً غير قليل من العناصر اللغوية، وأصبحت لغة القرآن الكريم هي لغة المجتمع الجديد والدولة الناهضة.

وأصبح القرآن المجيد سداً عالياً منيعاً في وجه تفتت العربية إلى



لهجات لا حصر لها، وفي وجه رياح العجمة التي كانت تتسرب بين الحين والآخر إلى ألسنة الأجيال العربية.

إن اللغة العربية هي لسان حالنا ووعاء حضارتنا وتراثنا وعزنا وفخرنا، حوت حضارتنا وحفظت تاريخنا وهي تنمو وتزدهر في كل يوم وفي كل حين.

ستظل رابطة تؤلف بيننا

فهي الرجاء لناطق بالضاد

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، تلك اللغات التي امتازت بين سائر لغات البشر بوفرة كلمها، وتنوع أساليبها، وعذوبة منطقها، ووضوح مخارج حروفها، واللغة العربية تفوقها جميعاً في كل ذلك.

وهي أدق اللغات صوراً لما يقع تحت الحس، وأوسع تعبيراً عما يجول في النفس، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب. وقد نزل القرآن الكريم بلسانها فجعلها أكثر رسوخاً، وأشد بنياناً، وأقوى استقراراً، وبفضله صارت أبعد اللغات مدى، وأوسعها أفقاً، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية.

أخذت هذه اللغة تفرض سلطانها على بيئات جديدة في أقطار الأرض، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من أواسط آسيا حتى جبال البرانس في شمال أسبانيا، ولم تستطع لغة من هذه البيئات أن تثبت لها أو تحول بينها وبين سيادتها.

وقد يكون من أسباب ذلك أيضاً أنها لغة القرآن الذي كفل لها حياة الخلود، وقد يكون من أسبابه أيضاً قوتها وجمالها الفني، والعربية ما تزال لغة الشرق العربي الإسلامي من الخليج إلى المحيط، تتوهج جذوتها وترسل أشعتها إلى كل مكان. ومن الواضح أنها اجتازت آماداً وأحقاباً متطاولة من الزمن، وقد ألمت بها خطوب كثيرة، ولكنها رسخت في طريقها وصمدت كالصخرة في مجرى السيل.

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تضق بكل ما أدركه الإنسان من علم، بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والأمم المختلفة غير كارهة أو مكرهة.

ولأول مرة في التاريخ نجد لغة تنتشر بهذه القوة، فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية، ولكنها لم تصل إلى أعماق الشعوب، ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الأيام في بلاد الشرق، أما اللغة العربية فقد غلبت كل هذه اللغات ووصلت إلى أعماق شعوبها.

هذه اللغة منذ أن تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث، ولغة سياسة، ولغة إدارة، ولغة دين، وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والإنتاج الأدبي العصري، وفي أقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت أن تسع كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة.

رماها أعداء الإسلام بالعقم، ولكنها كانت البحر الذي في أحشائه الدر كامن. وما فتئت تفيض قوة وحيوية. كيف لا؟ وهي التي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية.

أما وسائل الحفاظ على مكانتها ورونقها فيكمن في علاج مشكلاتها، وقد تناول علماء اللغة في العدد نفسه من مجلة الضياء هذا الموضوع فماذا قالوا؟

يؤكد د. فاضل السامرائي (جامعة الشارقة) أن العربية تواجه تحدياً مستمراً وحرباً دائمة ظاهرة وخفية من جهات مختلفة، وعلاج هذه المشكلة يحدده السامرائي في شقين: الأول يتعلق بأولى الأمر في كل قطر عربي وإسلامي، وهو الشق الأهم لان أولي الأمر وهم أهل السلطة وأهل الحل والعقد بيدهم الحل الناجع إذا أرادوا.

أما الشق الآخر فيتعلق بأبناء العربية، إذ ينبغي أن يبصروا بقيمة اللغة العربية وارتباطها بوجودهم وكيانهم، فان زوالها يعني زوالهم، وان يبصروا بمحاربة الأعداء لها وهدفهم من ذلك. وأن يطلعوا على جوانب من مخططات الأعداء لمحاربة لغتهم بإثارة الحمية في نفوسهم للدفاع عنها والاستعداد للبذل في سبيلها، وان يدركوا أن عليهم أن يدافعوا عنها كما يدافعون عن وجودهم وأهلهم وأوطانهم.

ويحدد د. عبدالقادر السعدي أستاذ العربية (جامعة الشارقة) مقومات النجاح لعلاج الخلل الدراسي والتربوي في التعامل مع العربية بإيجاد محفزات للترغيب في دراستها وإتقانها وذلك بغرس حبها في قلوب الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ويقع ذلك على عاتق ألياء الأمور ومعلمي المرحلتين الابتدائية والإعدادية والاتجاه إلى تفضيل خريج أقسام اللغة العربية في الجامعات على غيره في التعين بالوظيفة المناسبة له.

كليات التربية في بلادنا تخرج معلماً للغة العربية لا يقوى على تدريسها لأن مدة دراسة العربية عامان ونصف العام فقط

إن كليات التربية في بلادنا العربية تخرج معلماً للغة العربية لا يقوى على تدريسها في المدارس الثانوية أو الإعدادية لسبب جوهري يتمثل في أن مدة دراسة العربية هي عامان ونصف العام فقط، يضاف إليها عام ونصف لدراسة العلوم التربوية، وهذه المدة بطبيعة الحال لا تسمن ولا تغني من جوع.

وإذا رجعنا إلى تاريخ التعليم في مصر- مثلاً - نجد أن طالب مدرسة المعلمين الأولية الذي كان يعهد إليه بالتدريس في المدرسة الأولية الإلزامية، كان يقضي خمس سنوات في مدرسة المعلمين الأولية، بعد قضاء عامين في تحضيرية المعلمين يختم فيها حفظ القرآن الكريم، ويكفي أن نقول إن الأديبة العبقرية بنت الشاطئ، والخطيب المفوه حافظ بدوي، رئيس مجلس الشعب السابق بمصر كانا من خريجي مدارس المعلمين الأولية.

إن معاهد إعداد معلم العربية، ينبغي إعادة النظر فيها بوجه عام وكليات التربية منها بوجه خاص.

المراجع

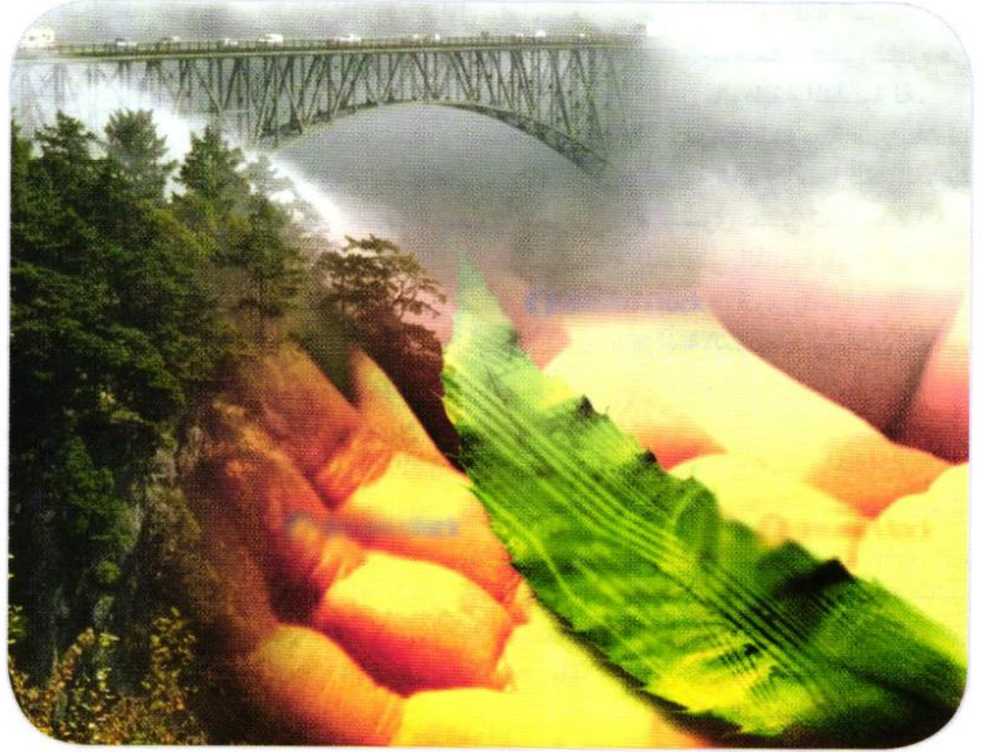
١- محمد أحمد عبدالهادي وزميله، التربية والطرق الخاصة بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية.

٢- محمد صالح سمك، فن تدريس اللغة العربية.

٣- محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية.

قصة قشة

عبدالجواد حمام



في حياة الضياع، ووسط الفوضى العارمة حيث التيار يجرف كل شيء، وحيث الأمواج تضرب يميناً وشمالاً، فلم يبق ثابت أو متأصل إلا اختلعته أو ثنته، ولم يبق صاحب مبدأ أو عزيمة إلا شوَّهت حقيقته، وأعملت مخالبها فيه نهشاً وتمزيقاً.

في غمرة هذا الصخب المقيت، تتشبث قشة ببقايا شجرة قفرة، تعزم على ألا تنجرف، وأن تكون الناجية في هذا الحطام المتحطم.

رَمَقت ما حولها فرأت الكبير والصغير، والعاقل والسفيه، والمتعلم والجاهل، رأتهم كلهم منجرفين، يظنون أنهم في نزهة أو مغامرة، ولا يدرون أن النهايةَ القريبةَ منهم، هي الفناءُ والهلاك.

نظرَتْ فرأت الكونَ كلَّه معتماً حالكاً، قد خبا فيه النور، وعشعشت الظلمة، ولم تجد ما تشد به أَزْرَها، أو يُحيي في قلبها الأمل.

نظرت القشة إلى هذا التيار العظيم برعونته وزُخْرفه وما يحتويه من كل فتنة وزينة ألهت الغارقين، وشغلت عقول التائهين.

تأملت في هؤلاء المغفلين فرحمتهم، وتأسفت عليهم، فهم مغشوشون مخدوعون، وليس هناك من يوقظهم.

في غمرة هذه الخطرات والتأملات والنظرات وجدت القشة نفسها وقد كادت أن تنفلت مما تشبثت به، وكادت أن تنجرف مع التيار، فانتبهت بسرعة، وعضت على غصن تلك الشجرة الهرمة بكل قوة وعزم.

نعم كادت أن تنجرف هي أيضاً؛ فالتيار قوي عنيد طاغ، لا يرحم أحداً حتى يسوق الجميع إلى مهلكهم.

ورغم ما في هذه القشة من الوعي والحكمة والنظرة الصائبة، فإن الأمواج قد أخذت تُكسِّرُ منها أجزاء، وتبتر منها أشلاء، وأحست بالوهن، وبدأ الضعف يسري في أوصالها حتى أوشك أن يصل إلى تفكيرها.

أوشكت على الإغماء، لكن الإغماء يعني الاستسلام .. يعني الضياع.

لكن..أن تبقى متشبثة متماسكة فهذا صعب جداً، مرهق للغاية، وهي وحيدة غريبة، وربما لا تستطيع الصمود حتى ينجلي هذا التيار وهذا الابتلاء.

كل هذه الأفكار جالت في خاطر تلك القشة، وتراءت أمامها صورُ المنساقين مع التيار، ما بين لاهث وراء نزوة، وباحث عن شهوة، ومُتبطل لا يُكلِّفُ نفسه عناء الثبات، أو مخالفة محيطه، وبين ناعق وتابع لا يعرف من الحياة إلا حياة الذَّيلية ومستوى الأذناب.

صُوَرٌ مَقيتة نفرت منها هذه القشة، وتأبَّتْ عليها نفسُها أن تنصبغ بلون من ألوان الضياع والخنوع هذه، ورأت في نفسها- على ضعفها ووهنها وغربتها- أنها أرفع من ذلك، وأرقى من هاتيك المسخ والصور المشوهة.

ولكن.. ولكن التيار هادر، قوي، جارف، لم يُبق مُتَمَسَّكاً لأحد، ولم يَذَرْ ملجأ لهارب ولا فارّ، وليس ثمة من يأخذ بيدها.

ولكن، برغم قوة التيار وهديره، وبرغم زُخرُفه وبريقه، وبرغم كل من انجرف معه وانساق فيه.. برغم ذلك كله فإنها تمتلك الإرادة، تمتلك العزم.

أخيراً عزمت على الصمود والثبات فأغمضت عينيها، وأمسكت بالغصن بكل ما أوتيت من قوة، آملة النجاة، مستبشرة بالقادم الذي ستصنعه.

فهل تُكتَبُ لها النجاة يا تُرى؟ أم إن شدَّةَ العواصف العاتية سوف تجرفها لا محالة، وترمي بها بعيداً في منزلق الهلاك؟

التوقيع: قشة مذعورة.

النحو الفطري

د. محمد حسان الطيان

لي صاحب لما يبلغ السابعة من عمره، يحلو له أن يكلمني بالفصحى، سواء لقيني وجهاً لوجه، أو خاطبني بالهاتف.

يشدو بها كما تشدو العصافير، فتخرج من فيه غضة طرية، لا تكلف فيها ولا عسر، ولا لحن فيها ولا خطأ، بل تجري على لسانه سليقة فطرية على نحو ما قال الشاعر:

ولست بنحويٍّ يلوك لسانَهُ
ولكنْ سليقيٌّ يقولُ فيعربُ

فهو يعرب كلماته، أي يعطي كلّاً منها حركته المناسبة، ضمة كانت أو فتحة أو كسرة، دون أن يعلم شيئاً عن فن الإعراب، ودون أن يدرس شيئاً من دروس النحو والقواعد، إنه نحوُ الفطرة الذي يجري على ألسنة الفصاح، لا نحوُ الفطنة الذي تشتمل عليه مصنفات النحو. وهو - أي نحو الفطرة - النحو الذي استقامت به ألسنة، وارتقت عليه أذواق، واستوت به ملكات.

وإنما يُكتَسَبُ من مجالسة الفصحاء، ومداومة الكلام معهم، وقراءة النصوص - نصوص العربية السليمة - وتخير الجميل منها وحفظه، وملازمة الكتب.

قلت لصاحبي الصغير مرة كيف أتقنت العربية؟ وأنى لك هذه الطلاقة فيها؟ فأجابني: من كلامي مع والدي، ومن أفلام الكرتون، ومن القصص التي أقرأها صباح مساء.

وقد جربته في هذا فوجدته قارئاً نهماً، بل هو أسرع قارئ صغير عرفته، إذ زارني مع أبيه ذات يوم فتجاذبت معه أطراف الحديث، ثم خشيت أن يلهيني عن والده فصرفته بمجموعة قصصية تحوي أربع قصص دفعتها إليه طالباً منه أن يقرأها ظاناً أنه سيبدأ بها عندي ليكملها في بيته، وما كان أشد عجبي حين أعلن بعيد برهة يسيرة أنه أتى على تلك القصص، وجعل يعلق على بعض شخصياتها، فذكرني بالمتنبي حين أخذ يتصفح كتاباً يريد صاحبه أن يبيعه في سوق الوراقين، فلما أطال النظر فيه نهره صاحب الكتاب قائلاً: إن كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر فأجابه المتنبي: وإذا كنت قد حفظته فمالي عليك؟ قال: أهبه لك، وأقبل يتلوه عليه إلى آخره، فعجب الرجل وترك له الكتاب.

أما أنا فأعطيت صاحبي الصغير مجموعة قصصية أخرى وأنا أودعه على باب المنزل، خشية أن يأتي على مجموعات المكتبة كلها فلا يبقي لأولادي منها شيئاً!

وحدثني والده وهو يقدم لي أطروحته التي صنعها لنيل درجة الماجستير أن صاحبي الصغير هذا - واسمه إبراهيم - كان يساعده في إعدادها، وقد وقف له على تصحيح بيت من الشعر، كما أنه أسهم في ترتيب مواد الفهرس على حروف الهجاء لأنه يحفظ الترتيب جيداً.

والحق أن صاحبي هذا ليس بدعا في بابه، بل هو يمثل نمطا من الأطفال أخذهم آباؤهم بهذه اللغة الفطرية فأحسنوا فيها كل الإحسان، وكان شيخنا وشيخهم في ذلك الأستاذ الدكتور عبدالله دنان الذي عمم هذه التجربة الرائدة، وأخرجها من محيطه الفردي إلى رياض للأطفال بدأها في هذا البلد الطيب الكويت في أواخر الثمانينيات من القرن الفائت، وانطلق بها لتعم كثيرا من بلداننا العربية كسورية ولبنان والسعودية وقطر.. وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

أكتب هذا الكلام وقلبي يتفطر حسرة على الضعف المستشري بين أبنائنا وآبائهم وأعمامهم وعماتهم وكل من يلوذ بهم... في لغتهم العربية، مع أن العلاج سهل ميسور، وهو على طرف الثُّمام من كل منا، إنه يكمن في سماع صحيح، يمكن أن نوفره لهم فيما يتابعونه من أفلام الكرتون، وقراءة نهمة، يمكن أن نعودهم عليها بتقديم القصص الجميلة بلبوس بديع وأسلوب شائق. ثم نعتادهم ببعض النصوص الأدبية القصيرة من القرآن والحديث والشعر الرائق يحفظونها، فيمتلكون ناصية اللغة، ويكتمل في أذهانهم نظام نحو الفطرة، ويستغنون به عن كثير مما نشغلهم به من نحو الفطنة، فهلّا بدأنا!

لقد شغلنا بنحو الفطنة - أعني قواعد اللغة ونحوها وصرفها - أكثر مما ينبغي، وأهملنا نحو الفطرة - أعني سماع اللغة السليمة وقراءة نصوصها الفصيحة وحفظ روائعها الجميلة - فكانت النتيجة ما نحن فيه من ضعف في اللغة ونفور من دروسها، وعداء مستحكم بين أبنائنا وبينها.

إن هذه السبيل في اكتساب ملكة اللغة - أعني سبيل نحو الفطرة - هي التي سلكها أجدادنا في تعليم أولادهم العربية و في إكسابهم سليقة الفصاحة والبيان عن طريق المحاكاة والسماع لا عن طريق النحو والقواعد. وفي هذا يقول الجاحظ في فصل عقده لرياضة الصبي من رسالته في المعلمين «وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أردّ عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع».

وهي السبيل التي نادى بها ابن خلدون في مقدمته عندما رسم خطة التعليم لمن ابتغى ملكة اللغة، ثم انتهى إلى القول «وتعلم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، و يتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».

وهي السبيل أيضا التي نبه عليها أرباب العربية في عصرنا، حين تصدوا لأمر اكتساب اللغة، كالأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب حيث يقول «لاشيء أجدى على من يريد تعلم لغة ما من الاستماع إليها والقراءة الكثيرة في تراثها، وحفظ الجيد من نصوصها».

الإنسان وبلاغة اللغة

عبدالباقي يوسف

الإنسان كائن يتحدث، وهذا الحديث ينتج عن عقل يتحمل به الإنسان نتيجة ما يقول. تستمد اللغة مقدرتها وبلاغتها ودورها من العقل، وتعتمد عليه بالدرجة الأولى في أداء وظيفتها. روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له: أقبلْ، فأقبل، ثم قال له: أدبرْ، فأدبرَ، فقال عز من قائل: وعزتي ما خلقت خلقا هو أعجب إلي منك، بك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب، وعليك العقاب» (رواه أحمد).

ذات مرة قيل لعلي ﷺ: صف لنا العاقل، قال: الذي يضع الشيء مواضعه، قيل: فصف لنا الجاهل، قال: فقد فعلت، يقصد الذي لا يضع الشيء مواضعه.

مداراة الناس دليل على العقل، قيل لبعض الحكماء: بم يُعرف عقل الرجل؟ قال: بقلة سقطه في الكلام، وكثرة إصابته فيه، فقيل له: فإن كان غائبا؟ فقال: بإحدى ثلاث، إما برسوله، وإما بكتابه، وإما بهديته، فإن رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه تصف نطق لسانه، وهديته عنوان همته.

العاقل لا تبطره المنزلة السنية، كالجبل لا يتزعزع وإن عتت عليه الريح، والجاهل تبطره أدنى منزلة، كالحشيش يحركه أدنى ريح.

قال الأصمعي: رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن، وعليه ثياب فاخرة، وحوله حاشية وهرج، وعنده دَخْلٌ وخرج، فأردت أن أختبر عقله، فسلمت عليه وقلت له: ما كنية سيدنا؟ فقال: أبوعبدالرحمن الرحيم مالك يوم الدين، قال الأصمعي: فضحكت منه وعلمت قلة عقله، وكثرة جهله

كيف وصلتنا اللغة التي نتحدث بها، ومَنْ أول إنسان نطق لغة، وما اللغة التي نطقها؟

تشير المصادر إلى أن الإنسان قد اكتسب اللغة من أصوات الطبيعة، فمثلاً الماء يخر فسُمي خرير الماء، والشجر يحف فسُمي حفيف الشجر، ومثل ذلك صرير الباب، وقعقعة الشنان، وجعجعة الرحى.

فأنت عندما تطرق الباب يصدر منه صوت وكأنه يقول: طق.. طق.

ويرى ابن جني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) صواب هذه النظرية إذ قال: «ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء وشحيح البغل، ونهيق الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبَّل»(١).

وهناك اتجاه آخر يرى أن اللغة مسألة غريزية وفطرية في الإنسان، فلو وضعنا عشرة أطفال في مكان منعزل فإنهم عندما يكبرون سيعبرون عن مشاعرهم بالإيماء أو الإشارات، وماكس مولر (المتوفى سنة ١٩٠٠) يميل إلى هذا الاتجاه بقوله: «إن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زُوِّد بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع، كما زود باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة».

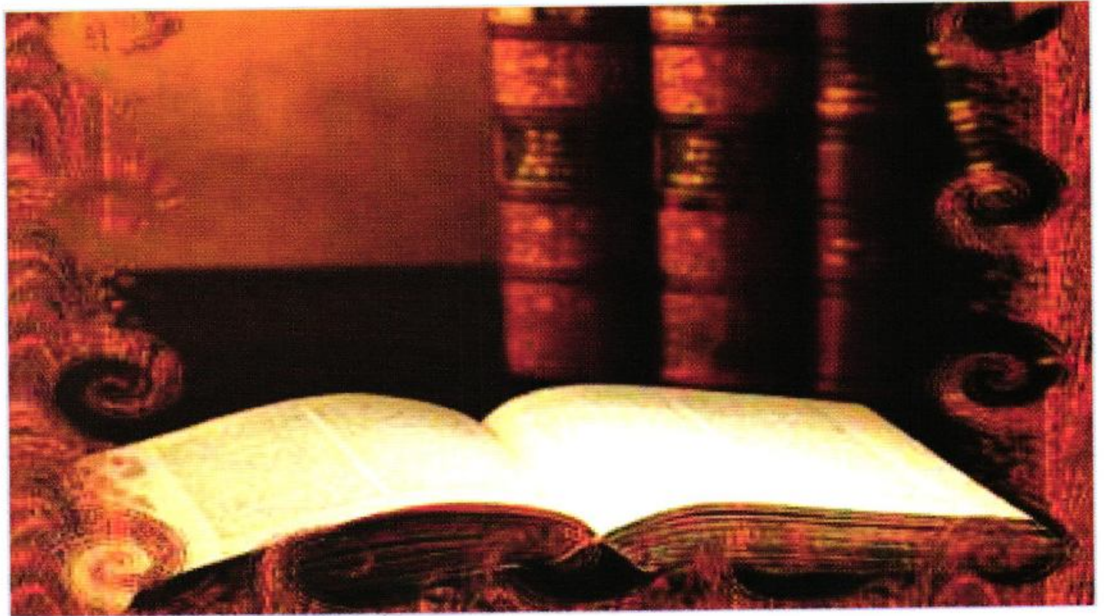
وهناك اتجاه آخر يرى أن الإنسان قد اخترع اللغة كما اخترع المصباح الكهربائي مثلاً، أو ما نشاهده من الاختراعات البشرية(٢)، والدليل أنه يطوّر لغته ويحدّثها من قرن إلى قرن، وكذلك يخترع لغات متعددة، إضافة إلى ذلك فإننا نجد اتجاها يدعو إلى عدم الخوض في البحث عن أصل اللغة، ودليل هذا الاتجاه هو أن الباحث سوف يبحث في دائرة مفرغة، وبالتالي يعود من حيث انطلق، يمثل هذا الاتجاه الإمام أبو حامد الغزالي الذي يحدد موقفه في كلمات موجزة يقول فيها: «أما الواقع في هذه الأقسام فلا مطمع في معرفته يقيناً إلا ببرهان عقلي أو بتواتر خبر أو سمع قاطع، ولا مجال لبرهان العقل في هذا، ولم يُنقل تواتر ولا فيه نص قاطع، فلا يبقى إلا رجم الظن في أمر لا يرتبط به تعبدعملي ولا ترهق إلى اعتقاده حاجة، فالخوض فيه إذن فضول لا أصل له» (٣)، وابن السبكي الذي جاء بعد الغزالي يؤكد هذا الاتجاه بقوله: «الصحيح عندي ألا فائدة لهذه المسألة، ولذلك قيل: ذكرها في الأصول فضول» (٤).

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم:٢٢).

قال ابن خلدون في المقدمة: «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة عن المتكلم من مقصوده، وتلك العبارة فعل اللسان، فلا

السلم على مدار التاريخ يحل بالكلمة البليغة والدعوة إلى التحاور .. وهو ما يسمى اليوم بقوة الدبلوماسية





بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتهم»(٥).

وعرّفها ابن الحاجب في المختصر «حدُّ اللغة كلُّ لفظ وضع لمعنى».

أما أبو الفتح ابن جني فقد عرّفها بقوله: «حدُّ اللغة أصوات يعبّرُ بها كل قوم عن أغراضهم»، وقال ابن تيمية «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صور هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق».

اللغة ومسؤولية الحوار

إن الأنانية هي غرسة في أعماق الإنسان، وليس بوسع إنسان أن يولد بدون أنانية، ولكن البطولة تكمن في مواجهة هذه الأنانية وإرضاخها لعوامل الثقافة والنضج والتسامح والأخوة والمحبة، كما تكمن روح الهزيمة في إرواء هذه الغرسة بمياه القمع والعنف وقهر الآخرين، ثمة حكمة قديمة في التراث العربي تقول: العفو عند المقدرة، أي أن تأتي إلى الذي أخطأ بحقك سواء بالقول أو بالفعل فتقول له بشموخ وأنت في ذروة قدرتك عليه: لقد عفوت عنك.. اذهب فأنت طليق، والأديان وإن كانت تجيز في بعض الأحوال العقاب بحق من اعتدى عليك بالقول أو بالفعل، فإنها في الوقت عينه توجه إلى أن العفو أقرب إلى التقوى.

قال عمر بن الخطاب في هذا الصدد: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي.

الحوار سلوك وممارسة ومنهج عام للحياة المعرفية والانفتاح على العالم المظلم، وعندما يفقد شخص إيمانه بالحوار فإنه يغلق كل أبواب المعرفة والنور أمام ذاته فلا يصغي للآخرين ولا يقرأ لهم، ولا ينسجم مع العلاقات الاجتماعية تاركا نفسه متقوقعة في ظلماء ذاتها.

والحوار هو الوسيلة الأنجع إلى معرفة الحقيقة الغائبة، ولا تفسح هذه الحقيقة الغائبة عن غيومها إلاّ من خلال حديث مبتسم هادئ، إلى مصغ متأمل هادئ، ولا يكون من اليسر أن تحل هذه الحقيقة عليك إلاّ إذا بلغتَ مبلغا من الاستعداد لتلقيها وأنت متجه إلى مائدة حوار، وعلى قدر رحابة استعدادك لتلقي هذه الحقيقة الغائبة من الطرف الذي تصغي إليه، فإنك تستمد من تربتها ذات الاستعداد لتقول له حقيقة لم يكن يعلمها.

رغم كل تاريخ الحروب البشرية العالمية والإقليمية والأهلية والمحلية عبر التاريخ البشري لا توجد حرب واحدة استطاعت أن تؤسس لحالة من السلم، بيد أن السلم في كل مراحل التاريخ يحل بالكلمة الطيبة والدعوة إلى التحاور، ونحن نلمس مدى مشاعر الاستقرار لدى بعض الذين يتحاورون، بيد أن الإنسان يكون في عجالة من أمره لحلول حالة السلم فيلجأ إلى القوة في سبيل ذلك، وأحيانا يكون الدافع الانتقام والثأر، فالسلم بدون ثأر لا يشفي غليل الذي يرى بأنه سيبقى مجروحا إن لم ينتقم من خصمه بشكل مباشر، وهنا سيكون قد حقق غايتين في آن، فيفرح لأنه ثأر لجرحه من جهة، ويفرح لأنه حقق حالة السلم بالقوة من جهة أخرى، لكن هذا لا يعني أن الإنسان القوي ليس بمقدوره أن يجلب حالة السلم بقوة الكلمة الطيبة أيضا، أو كما يقال بقوة الدبلوماسية السلمية بما لا يلحق إلا أقل الأضرار حتى لو دخل شيء من القوة وفق مراحل متدرجة، إذ أن الحروب الفتاكة الكبرى دوما تكون خاسرة.

وهنا أذكر كيف أن شاعرا مثل الشيرازي استطاع أن يؤثر بقوة الكلمة في روح الشاعر الألماني الكبير يوهان غوتيه ليغدو مريدا له وينشده قائلا: «يا حافظي الأقدس، يا حافظي إن أغانيك لتبعث السكون، يا حافظي الأقدس إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة المتناثرة، بهم جميعا أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبدالله» (٦).

الهوامش

١- الخصائص، أبو الفتح ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ص ٤٧- ٤٨، ٦٨٩١.

٢- بمعنى أن كل شعب اخترع لغة تنسجم مع تركيبته الاجتماعية.

٣- التمهيد، تحقيق د. مفيد أبوعميشة، ج ١.

٤- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، ط ٢، ص٢٦، ج ١، ١٩٩١ لبنان.

٥- مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ، ص ٦٤٥.

٦- شمس الدين محمد بن بهاء الدين المعروف بخواجة حافظ الشيرازي، شاعر شعراء إيران الملقب بلسان الغيب وترجمان الأسرار، ولد في شيراز سنة ٧٢٥ هـ وتوفي سنة ٧٩٠هـ.

قصة قصيرة

أنين المفاصل والعمة المكلومة

ميسون صافي

لم أكد أصل إلى البيت وأشرع في أخذ راحتي حتى «رن» الهاتف وظهر رقم أخي على الشاشة الصغيرة، خير ان شاء الله؟ دعوة للعشاء، آسفة الوقت متأخر جداً وغير مناسب بالمرة، ولن ألبي، كان بادياً على صوته الانهاك واللهفة.. إنه ولدي لا تفتر حرارته، ولا يكاد يفيق، لله كم أكره العيادات المسائية، أكرهها وأفصل خط الهاتف لأجلها، ألا يكفي تعب النهار؟... لكنه أخي، ولا اذكر انه شكا يوما من تعب حين كنت أقصده في حاجة! فهل تكف مفاصلي عن اعلان توجعها وتقدر الموقف؟

هل ننقله الى المستشفى أختي؟ حمل صوته قدراً كبيراً من الجزع.. لا احب له ذلك.. فيما سبق كنت اهرع اليه بجزعي فيطمئنني بثباته ويقينه بعون الله، لكن الولد غال.. ومن حقه ان يغالي في القلق.

لا تجزع الامر لا يستحق لو صبرت على «الكمادات» الباردة فسنخفض حرارته! قلت له هذا مع يقيني انه - مع أنين الولد - لن يصبر! لا بد من فعل شيء غير «الكمّادات» فالأعراض لا توحي بخير، خلعت حجابي وقلت: سأبيت عندكم، اهتز قليلاً من المفاجأة وارتبك وقال: لا، أختي.. لا يحق لنا أن نحرمك من بيتك، حقوق؟، صار بين الاخوة حقوق؟ كنا نتقاسم في صبانا كل شيء يمكن تقاسمه! اليوم ننظر في الحقوق؟، وفي هذه اللحظة بالذات؟ قلت لهما: سأصلي العشاء وأعود.. راقبا «الكمادات» لتبديلها.

لهفة ورجاء

عندما يشتد المرض نهرع الى الله سبحانه! هكذا خلقنا، وليس كذلك أخي، فهو مع الله من صغره، حتى على حفظ جزء «عم» بكامله عندما كنت في الابتدائية، لكنه حين تأخر عليه الولد حتى الخمسين، عاش بادي القلق، وإن لم يفقد الأمل، وحين جاءته البشرى أقسم ليصومن من كل أسبوع يومين عرفانا بفضل الله، أرقني قليلاً من يومها دلاله له، توقعت أن الفرصة قد لا تتكرر فلم ابلغه أرقي وفي كل مرة يمرض فيه ينقلبون الى حال هي بالنفير العام أشبه مع أنني في كل مرة أحثهم على الصبر: لا شيء - يا جماعة - يستدعي القلق، اصبروا فالزمن جزء من العلاج، واسألوا الله عافيته، لكن من ذا يملك السيطرة على قلب الوالدين؟ من أجل هذا قرن المولى الإحسان اليهما بإفراده بالعبودية؟ أعرفهم.. الآباء، إنهم دائمو اللهفة، كأنها الفرصة الأخيرة، أقدم الوصفة لأطفالهم في النهار ثم لا يلبثون - عند المساء- أن يهتفوا: «تكفين دكتورة هل نحن على الخطة الموصوفة، هل كل شيء تمام؟».

تساؤل وترقب

«يعني أن الخطورة زالت أختي» نظرت في العينين اللاهفتين بعطف كبير، مددت أصابعي فوق الجبين، لا يزال يشعل شيء مؤرق بحق، ولكن ماذا اقول له؟ كان دائماً يطمئنني ببسيطة، أختي ستجيبين على كامل الاسئلة! قولي يا الله فحسب! وحينما أكون هناك - داخل الامتحان - أحس كأن عينيه تتابعانني، بل وتلهمانني بعض الاجابات، وعندما اخرج يطوي المصحف ويقول: لا بأس، ناجحة بإذن الله.

أصدقاء السوء

لا بأس.. طهور إن شاء الله، قلت له.. لم أجد غير هذا مستحيل أن أفصح له عما برق في خاطري.. الولد مدلل، ولم لا، فهو وحيدهم وربما تجاوز حده فاقترف ما لا يحق له، رفقاء السوء لا يرحمون، خصوصاً مع من يرونه قريب التجاوب مع ايحاءاتهم الخبيثة، يعتبرونها «شطارة» لو ورطوا أقرانهم في المحرمات، والأعراض التي تبدو على ابن أخي لا تطمئن، وأخاف أن أفصح عنها، لا بد من التحاليل، المهم الآن أن تزول الحرارة، قلت فبرقت عيناه بأمل لا يريد أن ينطفئ، ورنا الى طفله وهو يسأل نفسه: ألن يصحو؟، فسحبته من يده لابعده عن المشهد، وأوعزت الى زوجة أخي ان تتابع الصغير، ثم سألته: هيه قل لي، تعرف كل أصحابه؟، فأجاب دون تفكير: لا أحب ان أمارس معه دور الرقيب!، لو بقيت على هذه القناعة فسيعذبك كثيراً قلت له، ثم تابعت: ينبغي ان تراقبه ولو عن بعد، فقال كأنما يخاطب نفسه: أراقبه؟ هل تسمح لي مشاغلي بذلك؟، ينبغي ان تسمح، هذا ان لم تشأ أن تخسره، اهتز قليلا فتابعت: لا تتهاون معه، دعه يحدثك بإسهاب



عن رفاقه وعن فصولهم، واسمع الى ما يرويه عنهم مهما كنت متعبا او مشغولاً، هل ستزوجه باكراً؟، سألته وأنا أبتسم، بالتأكيد، أجاب ثم استدرك: لكن دراسة الطب ستأخذ منه وقتاً طويلاً ألا تذكرين؟.

أذكر؟ كنت أسهر الليل لاستدرك المنهاج الكبير ودوامي في الكلية طويل وقاس ولا أعود منه الا وقد أنهكت، عندكم ليمون؟ تذكرت أسأله، هز رأسه متعجباً فاستدركت: لا، الليمون لنا نحن.. سأعده بنفسي، هرولت الزوجة لتسبقني فرجوتها: دعيني أضاهي أخي في لهفته.. لا تحرميني شعوري انني في بيتي، اذاً نتشارك، قالت مستسلمة.

نفس الخطوة السابقة لكن مقلوبة.. تقدمت إليه لأضاهي ما كان دأبه القديم، الليمون ينعش.. أليس هذا ما تقولونه، يا طبيبتنا! لم يكن الليمون وحده ينعش، تلك الرحم المعلقة بعرش السماء تقول وصل الله من وصلني.. انها هي النبع الثري الذي أودعه الله قلوبنا ليتفجر عند الحاجة ماء طهوراً يغسل المفاصل المتعبة.

بعد الليمون قال لي: البركة فيك، أنت عمته، ستهونين عليه دراسته، هززت رأسي وقلت: أنت تعرف، هذا ما اسعى إليه، ان اكون القدوة لمن بعدي، مثابرة واصراراً، صبراً على المتاعب، نموذجاً مستقيماً وجذاباً يرونه فيحاكونه، قال وهو يبتسم: أنت - فعلاً - مثل صالح في كل مكان تكونين فيه، فرحت بما قال مع أنني أعترف بالتقصير، حرارة ابن أخي - التي يخيفني سببها - تشي بذلك، قاتل الله الدنيا ومشاغلها وغرورها.

أوقفنا رنين الساعة المنبه، فقمنا اليه، الى الصغير، الآن أحسست أن مفاصلي ستخذلني، ونفسي أيضاً، لا أرجوك، ليس بعد، بقيت خطوة، سنجري التحاليل، لعل هواجسي تعترف أنها كاذبة، بعدها فحسب يمكن ان أنام، لو ثبت ان الخطوط السوداء تحت العينين من السهر لا من الجرعة الملعونة، عندها سأرتاح فعلاً وسأستجيب لأنين مفاصلي، أوعزت اليهما ان ينالا قسطاً من الراحة، فهز رأسه وقال: وكيف ينام من يعلم أن حبيبه لا ينام؟.

رنوت اليه، الى الصغير، ما أشبهه بأبيه!، لو تزوجت لجلست بولد شبيه به، لماذا نتعلق بهم الى هذا الحد؟ لتهون علينا متاعبهم؟ ربما، لكننا - مع حبنا لهم - ننشغل عنهم، ننساهم أحياناً.. يغرينا منهم انهم ينعمون ويسعدون، ماذا عن عقولهم؟.

عمتي، ياروح عمتك أنت، بل كل حياتها، أجبت نداءه كأنه لا يرى غيري، وكأنني لا أرى في الكون غيره وانحنيت له، وطبعت على خده قبلة حملتها أقصى ما أمكنني من حنان، ثم سألته: قل لي يا حبيبي، تحس بعطش شديد؟، وبمجرد ان هز رأسه الى اسفل تركته لذويه، وانا اداري دمعتي.

أعدت الغطاء الى رأسي، وانسحبت ونظري نحو السماء، ما دام يطلب الماء بشدة فقد انتهى دوري، و«فيروس» الحرارة الخبيث سيمكنني السيطرة عليه عبر الهاتف - ان شاء الله - الآن سأدع مفاصلي تنام، وسأستجيب لأنينها، هذه الليلة فحسب، لأنني من الغد سألتفت الى «الفيروس» الآخر، سأحاربه، سألاحقه من المنشأ، لن أدع له نصيباً من ولد أخي، ولا من أقرانه أيضاً، هل سيوفقني المولى؟ هل سأجد من يقف معي؟ يا رب.

الإرهاب

جاك شماس

داء يشل الفكر والأعصابا
ويحجر الإحساس والألبابا
ويعيث في خضر المدائن والقرى
ويفح سما خسة وخرابا
ويتيه في عصف البلاء مروعاً
طفلاً وكهلاً طاعناً وشبابا
ويحوك أرزاء التطرف عابثاً
ويقوض البنيان والأعتابا
يقتات حقداً ريبة ومكائداً
ويفيء في كهف الدجى مرتابا
والشرع في الإسلام نهج حضارة
سمحاء تهمي رحمة وسحابا
لم يرتد الإسلام برد تطرف
زرع الوداد الخلق والآدابا
وسما بنبل عقيدة نبوية
غمرت قلوب المؤمنين شهابا
هذا هو الإسلام يشهد شاعر
عشق العروبة قبلة وثوابا
مهما ادعى غرب وحاك دسائساً
لن يحجبوا شمس الهدى و«كتابا»
مهد النبوة مكة ومآثر
فاضت تجود غمائماً ورحابا
لاينتمي الإرهاب إلا للهوى
مهما استعار منابراً وخطابا

التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم

السيد أحمد المخزنجي

«التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد» كتاب صدر حديثاً، تأليف منى محمد بهي الدين الشافعي، عن دار البشير في القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ)، وهو في الأصل موضوع رسالة الباحثة لنيل درجة الماجستير من كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات- جامعة الأزهر.

يقع الكتاب في نحو (٧١٥) سبعمائة وخمس عشرة صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على مقدمة وخطة البحث، وتمهيد يتطرق إلى التعريف بعلم التفسير وغاياته، ثم أربعة أبواب رئيسية يتناول الباب الأول منها: التعريف بالتيار العلماني الحديث، وبيان هدف العلمانية من الخوض في التفسير، ويعرض الباب الثاني لشبهات العلمانية حول القرآن الكريم وتفسيره والرد على كل شبهة منها، أما الباب الثالث فيتحدث عن موقف العلمانيين من مناهج علم التفسير، كموقفهم من أسباب النزول، وموقفهم من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وموقفهم من تفسير القرآن الكريم بالرأي، وموقفهم من اللغويات والإعراب والتراكيب والأساليب العربية، ودلالة السياق اللغوي في النص القرآني، وكذلك موقفهم من قضية التأويل للقرآن الكريم.

كما تخصص المؤلفة الباب الرابع من كتابها للحديث بالتفصيل عن أسباب تهافت أقوال العلمانيين في تفسير القرآن الكريم ووسائلهم وأساليبهم الخبيثة والماكرة التي يستخدمونها في ذلك، والتي تتسم باللامنهجية والانحراف المنهجي الذي ينعكس في موقفهم المعيب والمتناقض، من خلال آرائهم في القرآن وتفسيره، حيث عرضت المؤلفة لأمثلة من تلك التفاسير العلمانية لدى كل من د.محمد شحرور ومحمد سعيد العشماوي ود.نصر حامد أبوزيد ومحمد أركون، ومحمد عابد الجابري... وغيرهم، من خلال مؤلفاتهم وكتاباتهم المنشورة.

خصوم الإسلام

في البداية تشير المؤلفة في مقدمة كتابها إلى أن الصراع بين الإسلام وخصومه يعتبر معركة أشد خطورة وأبعد أثراً، لما قد يؤدي إليه من خطر يهدد المجتمعات الإسلامية برمتها، وذلك بسبب الاختلافات والمناطحات الفكرية الدائرة رحاها بين المثقفين، إضافة إلى الجدال المضلل والتلبيس المستمر من قبل وسائل الإعلام والصحافة وما تثيره من آراء وأفكار مشوهة تسمم النفوس والأجواء في تلك المجتمعات العربية والإسلامية، والتي تهدد البناء العقدي وتؤثر على عقل الإنسان المسلم غير المتسلح بالثقافة الإسلامية الحصينة التي تحول بينه وبين الوقوع في مزالق الحيرة والتشكك في أمر دينه- معاذ الله!!

موقف الإسلام من العلمانية

توضح المؤلفة أن جميع العلماء من أهل العلم الشرعي والتخصص فيه، ومن أهل الاعتقاد السليم والبعد عن البدع الاعتقادية والعلمية، قد أجمعوا على رفض العلمانية لمناقضتها للإسلام، وتدلل على ذلك بأن من هؤلاء العلمانيين من «اجترأ على ربه وقال: إن القوانين الوضعية خير من الشريعة الإسلامية، لأن الأولى تمثل الحضارة والمدنية، والثانية تمثل البداوة والرجعية»!.

وتشير في ذلك إلى ما تسميه بـ «التيار الحديث» الذي يتمثل في مرحلة الدولة القومية في جميع الدول العربية والإسلامية، والذي يتسم بسيطرة الفكر النفعي على مختلف جوانب الحياة وأن أصحاب هذا الأسلوب من العلمانيين يدعون الإسلام ويتباكون على حال المسلمين.. حيث إن المجال الديني (الإسلامي) من أهم المجالات التي جُندٌ له كثير من المفكرين، من أمثال: د.حسن حنفي، د.نصر حامد أبوزيد، المحامي خليل عبدالكريم، المستشار محمد سعيد العشماوي، محمد شحرور، د.محمد أركون، ود.محمد عابد الجابري وغيرهم.

أما عن هدف هؤلاء العلمانيين من الخوض في تفسير القرآن الكريم فيتمثل في أمرين تعرض لهما المؤلفة في الفصل الثاني من كتابها، وذلك من خلال الترويج للعلمانية، وادعاؤهم بتجديد علم التفسير، وهو هدف مزعوم، حيث يسعى هؤلاء العلمانيون إلى تحقيق خمسة أمور في منهجهم الدعوي لمذهبهم الفكري، تتمثل في الآتي:

١- نزع القداسة عن النص القرآني، عن طريق الدعوة إلى النقد الحر، أو بالأحرى «نقد النص» كما عند د.نصر أبوزيد.

٢- هدم مبدأ المرجعية لنصوص القرآن الكريم، كما عند د.فؤاد زكريا، د.حسن حنفي.

٣- إبطال (أو رفض) الرجوع إلى كتب التفسير التراثية والتشكيك في الثقة بها.

٤- العمل على تحلل المجتمع من عُرى الدين (الإسلام).

٥- نشر الإباحية ومحاولة صبغ المجتمع الإسلامي بالصبغة الغربية المادية (ص١١٠ - ١١٩من الكتاب).

وتخلص المؤلفة من عرضها لمقولات هؤلاء العلمانيين (المفكرين) إلى القول بأن «المطلع على هذه الأقوال يرى بوضوح أن العلمانيين يريدون تجديد أصول الدين (الإسلام) وأسسه بدءاً من عقائده وأحكامه، وأن هذا يتم عن طريق نفي المفاهيم القرآنية التي أطلقوا عليها لقب التاريخية ووقف العمل بالنص (أي بالقرآن) وإعادة بناء الأصول أي أصول الفقه والتشريع الإسلامي الصالح لكل زمان ومكان...وهذه الأقوال تثبت أن ما يريدونه ليس تجديداً، بل هو نسف للشريعة والدين الإسلامي وتفريغهما من

أصولهما (القرآن الكريم والسنة النبوية).

تفنيد دعوى التجديد العلماني

تخصص المؤلفة الفصل الثالث في الباب الأول من كتابها لـ «إبطال دعوى التجديد في علم التفسير عند العلمانيين» من خلال أربعة مباحث هي: الرد على دعوى العلمانيين في تجديد التفسير، والرد على دعواهم في تطوير علم التفسير، واستحالة قبول تفسير دلالات القرآن الكريم لأي معنى من معاني التغيير، فقول الله تعالى وقول رسوله (هما الحق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.. فاستحالة التغيير والتبديل يوصف بها القرآن الكريم من باب أولى، مصداقاً لقوله ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...﴾ (المائدة: ٣)

وكذلك تُفنِّد المؤلفة شبهات العلمانيين حول جواز تغيير معاني ودلالات القرآن الكريم، حيث يدعي العلمانيون أن معاني ألفاظ القرآن الكريم لا يشترط لفهمها معرفة المعاني والدلالات المعهودة لدى العرب وقت التنزيل، وإنما يجب لأهل كل عصر فهم دلالات تلك الألفاظ حسب ما استحدثوه من معانٍ جديدة لهذه الألفاظ، والذي تولى كبر هذا الأمر د.نصر أبوزيد ومن ورائه خليل عبدالكريم، وترى المؤلفة أن ما يدعو إليه د.نصر يدخل تحت مسمى «الانحراف الدلالي» (ص١٦٩-١٧٠ من الكتاب)

علم التفسير ومفهومه

بعد ذلك تنتقل المؤلفة في الباب الثاني من كتابها لتستعرض «شبهات العلمانيين حول القرآن الكريم وتفسيره» من خلال أربعة فصول أخرى، حيث تتناول فيها تلك الشبهات والرد عليها، ومن ذلك شبهاتهم حول علم التفسير ومفهومه وقواعده، وشبهاتهم حول علاقة علم التفسير بغيره من العلوم، وأخيرا- وليس آخرا- شبهات العلمانيين حول شروط المُفسر وآدابه، وفي هذا الصدد نجد المؤلفة قد تصدت للرد على شبهات ثلاث أثارها هؤلاء العلمانيون حول مصدر القرآن الكريم، وهي أن القرآن الكريم من صياغة الواقع، وأن القرآن الكريم ليس من كلام الله تعالى، وأن آيات الأحكام ليست من كلام الله تعالى.

كما تناولت المؤلفة في الفصل الثاني من هذا الباب شبهات العلمانيين حول علم التفسير ومفهومه وقواعده والرد عليها، من خلال أربعة مباحث تكشف عن الزعم بأن المفسر ينشئ معنى النص بدعوى أن النصوص قوالب فارغة من المعاني!

وكذلك استحالة الوصول- في نظرهم- إلى مراد الله من النصوص القطعية الدلالة، وأيضاً زعمهم بأن التفسير يحوِّل النص من الإلهية إلى البشرية، وأخيراً خلو علم التفسير من القواعد والضوابط والأصول.

وتوضح المؤلفة أنه نظراً لحالة الأمية الدينية التي يعيشها المسلمون، فقد حمل العلمانيون على علم التفسير، حيث يصفونه بأنه خواطر نفسية وأهواء شخصية ونظرات خاصة للمفسرين تتلون بالصبغة الدينية لأجل المصالح، وصار الوصول إلى مراد الله أمراً مستحيلاً- بزعمهم- لأن كلام الله تعالى- كما يدعون- لا معنى له (!!).

التبعية للغرب

تخلص المؤلفة من هذا العرض والسرد والتفنيد لآراء العلمانيين إلى القول بأن العلمانيين لم ينكروا مصدر العقائد الإسلامية كنوع من الفلسفة أو السفسطائية، ولكن أنكروها لهدف هو المناداة بتطبيق العقائد التي أفرزتها الظروف السياسية والاجتماعية الحالية على القرآن وهي: الماركسية أو المادية أو اللادينية...الخ من فلسفات الإلحاد، كما طبق السابقون العقائد الأسطورية التي أفرزتها الظروف السياسية والاجتماعية على القرآن الكريم.

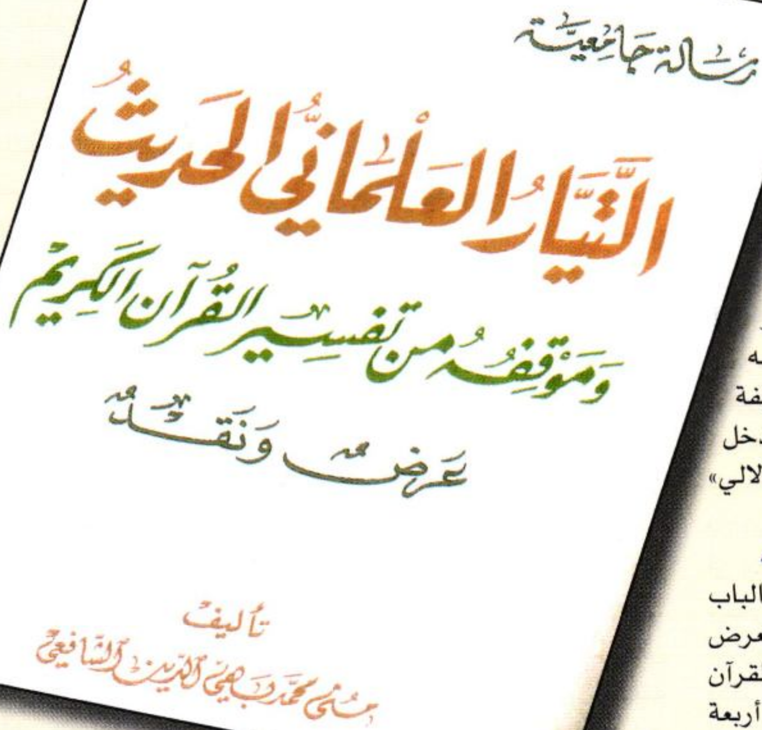
وتخلص المؤلفة من ذلك كله إلى القول بأنه «بعد التسليم الجدلي والافتراضي للعلمانيين بأنهم استحدثوا مناهج، فإن هذه المناهج المزعومة تتسم بأوجه قصور عديدة، منها: القصور في تحصيل الأدوات اللازمة للخوض في التفسير، القصور في وضع ضوابط للمنهج المزعوم.

أهم النتائج

■ استحالة الجمع أو التقريب بين العلمانية والإسلام، لأن العلمانية مضادة للأديان عموماً وللإسلام خصوصاً.

■ أطروحات العلمانيين حول تفسير القرآن الكريم لا ترقى أبدا لتكون منهجاً علمياً متكاملاً بديلاً عما وضعه المتقدمون في مجال تفسير القرآن، بل هي لا تزيد عن كونها مجرد وجهات نظر متفرقة تفتقر لكثير من الأدلة والضوابط العلمية لتبنيها أو الاعتماد عليها أو الإيمان بها في نهاية المطاف.

■ العلمانيون ليسوا أهلاً لمستوى الارتقاء لتفسير كتاب الله «حتى لو جمعوا في جعبتهم أعلى الدرجات العلمية الأكاديمية، لافتقارهم لشروط المفسر ومؤهلاته العلمية والشرعية والفقهية والأصولية واللغوية والعقدية كذلك.



المئذنة .. فن إسلامي خالص

جاد الله فرحات

تنوعت الفنون والعمارة الإسلامية تنوعاً كثيراً، ولعل أهم الفنون المعمارية هي المساجد بما تحويه من مآذن وأروقة ومحاريب وصحون... الخ، وتعتبر المئذنة من الفنون الإسلامية الأصيلة التي تنوعت تنوعاً شديداً، وقد تفنن الفنان والمهندس المسلم في فن المآذن حتى ظهرت آلاف بل عشرات الألوف من المآذن، وكلها تدل على أن هذا الفن فن إسلامي خالص ليس مقتبساً ولا منقولاً من حضارات سابقة.

فإذا كنت في أي مكان من العالم الإسلامي فلا بد أن تظهر أمامك أحدى المآذن الإسلامية. فالمئذنة علامة على وجود المسجد والمسجد هو مركز الخلية الإسلامية أو المجاورة السكنية الإسلامية.

والمئذنة فن إسلامي خالص، وهناك بعض المستشرقين والباحثين - سواء عن جهل أو قصد - يحاولون دائماً إلحاق العمارة والفنون الإسلامية بأصول غير إسلامية، فنرى الأستاذ كريسول وهو من هو في العمارة الإسلامية، إذ هو صاحب فكرة إنشاء كلية للآثار في مصر وكان أستاذاً للعمارة الإسلامية في الجامعة المصرية وهو الذي ناقش رسالة الدكتوراة لأستاذنا الدكتور كمال الدين سامح عام ١٩٤٧ ينسب المئذنة في إصرار إلى أحد أصلين: أبراج المعابد الرومانية أو كنائس سورية والأردن.

وهذا الكلام مع جزيل احترامنا للعالم الجليل ولمن سار على نهجه من أساتذة العمارة مرفوض جملة وتفصيلاً للأدلة التالية:

١- نقول إن الحاجة أم الأختراع والابتكار - والوظيفة تملي إرداتها وتفرض نفسها، فإن أصل المئذنة مأخوذ من الأذان وهو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة يحصل به الدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام، وهو واجب أو مندوب، قال القرطبي وغيره: الأذان - على قلة ألفاظه - مشتمل على مسائل العقيدة، لأنه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ثم دعا إلى الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيداً.

أهم الحكم التي تتجلى في الأذان تتلخص فيما يلي:

١- الإعلام بدخول وقت الصلاة، وهو المقصود الأعظم من الأذان.

٢- نشر لذكر الله تعالى وإعلان بالتوحيد وتعظيم الله.

٣- إظهار شعار الإسلام في كل بلدة أو مصر.

٤- نداء لحضور الجماعة ومكان الصلاة.

٥- هو العلامة الدالة المفرقة بين دار الإسلام ودار الكفر، فقد كان النبي ﷺ إذا غزا، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار.

٦- اشتماله على فوائد جليلة أخرى تطرد الشيطان، واستجابة الدعاء عنده وغيرها.

وهذا معناه أن الأذان لابد أن يكون من مكان مرتفع يراه الجميع وأن يكون وسط المجاورة السكنية (Center) وقد ورد ذكر المنارة في صحيح مسلم في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفعه حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ... إلى أن قال: ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكية». فقد ورد ذكر المنارة وهي المئذنة والصومعة وكلها ألفاظ مترادفة للمكان الذي يؤذن منه.

وقصة الأذان معروفة في كتب الحديث والسير، فمن ذلك ما رواه الإمام البخارى ومسلم «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادي بها أحد فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر بن الخطاب، لولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة، قال رسول الله ﷺ يا بلال قم فناد بالصلاة».

وقد أخرج أبوداود بسند صحيح «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس، فقيل انصب راية عند حضور وقت الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا فلم يعجبه الحديث». وذكروا البوق وذكروا الناقوس، فانصرف عبدالله بن زيد رضي الله عنه وهو مهتم فأري الآذان فغدا على رسول الله وكان عمر قد رآه من قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً ثم أخبر النبي ﷺ فقال ما منعك أن تخبرنا قال سبقني عبدالله بن زيد فاستحييت، فقال ﷺ يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبدالله بن زيد فأفعله» واستحب العلماء أن يكون الآذان في مكان مرتفع وبصوت عال وبتؤدة وتمهل (فتح الباري ٢/٦٦).

وذكر السمهودي في كتابه «وفاء الوفا»: أن بلالاً الحبشي رضي الله عنه

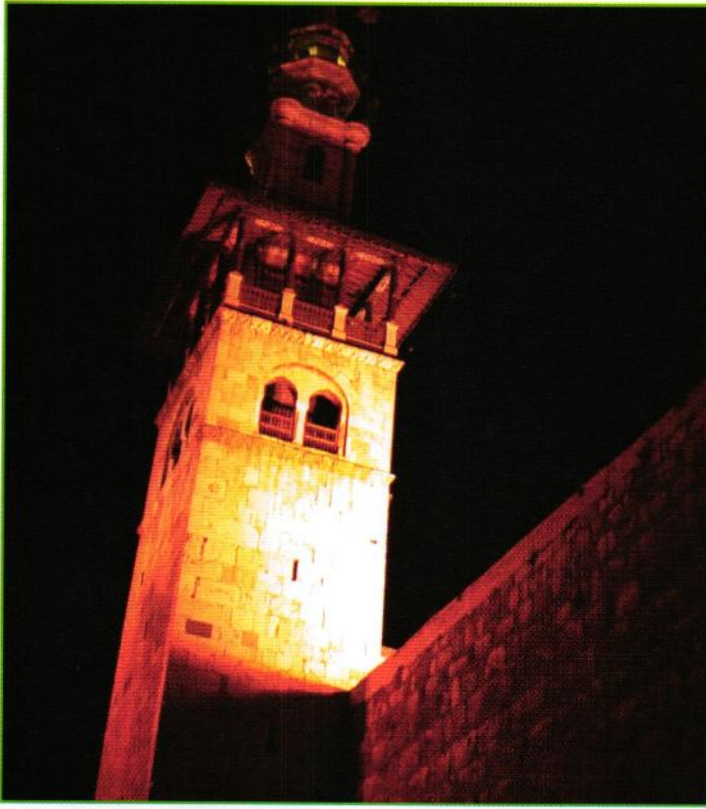
كان يصعد على أسطوان في دار عبدالله بن عمر في قبلة مسجد المدينة، ويؤذن وهو واقف فوقها، وقيل إنه كان يرقى على أقتاب في بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وزوج الرسول ﷺ، ثم تطورت فكرة ذلك المكان المرتفع وصارت بشكل صومعة يصعد المؤذن إلى شرفتها من سلم يدور في جوفها، وكان عمر بن عبدالعزيز عامل الوليد بن عبدالملك أول من أدخل بناء المئذنة في جامع المدينة. وإن من أقدم المآذن في شمال إفريقية صومعة جامع القيروان في تونس، وقد بنى هذا الجامع عقبه بن نافع سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ثم أقام هشام بن عبدالملك مكان مئذنتها القديمة المئذنة الحالية في سنة ١٠٥هـ، فأصبحت هذه المئذنة نموذجاً لمآذن مساجد المغرب العربي والأندلس، أما في العراق وبلاد فارس فقد أخذت المآذن شكلاً اسطوانياً وأحيانا ملوياً كما في سامراء، ثم صار للمآذن أشكال متنوعة في الهند وما وراء النهر، كما ظهرت مآذن بأشكال مختلفة في جوامع القاهرة تتدرج من قاعدة مربعة يعلوها قسم مثمن ثم تنتهي برأس أو رأسين أحيانا عليهما مبخرة. وقد بلغت المآذن من النحافة والجمال أقصى ما يمكن في المآذن التركية في أسطنبول وغيرها من المدن.

٢- والقول بأن أصل المئذنة أبراج المعابد أو الكنائس مردود عليه بأن المئذنة ينبغي أن يكون لها سلم يصعد عليه المؤذن وشرفة يرفع منها الأذان وهذا شرط في جميع المآذن وليس ذلك بلازم في برج الأجراس بل يكفي دق الأجراس عن طريق حبل أو سلسلة، ولا يلزم صعود أحد إلى ذروتها أو الإطلال من شرفتها فكل منارة تصلح لأن تكون برجاً للأجراس وليس كل برج يصلح لأن يكون مئذنة، فحينما استولى الأسبان على مئذنة جامع إشبلية قاموا بتحويلها الى برج أجراس ولكن حينما استولى المسلمون على أيا صوفيا في أسطنبول بتركيا كان لابد من عمل أربع مآذن لأنه لا يوجد شيء في الكنيسة يصلح كمئذنة.

فالمئذنة كانت لحاجة وظيفية وهي الإعلام بوقت الصلاة وتقتضي مكاناً مرتفعاً.

٣- كذلك فإن للمئذنة وظيفة اخرى وهي التأكد من دخول وقت الفجر الصادق بالنسبة لأذان الفجر، فإن هناك فجرين فجر كاذب وفجر صادق فكان على المؤذن أن يصعد إلى مكان مرتفع ليتمكن من رؤية الفجر الصادق حتى يؤذن للناس وليمسك الناس عن الطعام والشراب خاصة في شهر رمضان.

٤- ما أسفرت عنه الحفريات في دومة: الجندل، من وجود مئذنة ذات طوابق أربعة بمسجد عمر بن الخطاب.



مئذنة مسجد عمر بالجوف

يقع جنوب شرق البلدة القديمة، وتحيط به المنازل من الجهة الشمالية والغربية، بينما تقع قلعة مارد على بعد ١٥٠ م من جهته الجنوبية.

والمئذنة ذات تصميم فريد، وتقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وتبرز من جدار القبلة، وهي عبارة عن كتلة معمارية مقامة على دعامتين مستطيلتي القطاع، ويعلوها كابولى يتكون من قطع حجرية ضخمة ويحمل ثماني قطع حجرية ضخمة أيضا كأعتاب. وصعود المئذنة يتم بواسطة درج خارجي مقام على قطع خشبية ضخمة، يصل بالداخل إليها باب قليل الارتفاع في ضلعها الشمالي الشرقي. ويبدأ بعده السلم الداخلي للمئذنة الذي قوامه قلبات متعامدة مقامة على قطع من جذور النخيل الضخمة. ويمكن تمييز ستة مستويات للمئذنة من الخارج. ويوجد بكل من المستوى الثاني والثالث والرابع والخامس أربع فتحات مستطيلة الشكل يعلو كلا منها حجران موزعة على أضلاع المئذنة الأربعة للإضاءة والتهوية، ولوصول صوت المؤذن للصلاة إلى الناس.

والواقع أن بساطة التصميم العام للمسجد تذكرنا بطابع البساطة الذي ساد معظم المساجد الإسلامية الأولى بالبصرة والكوفة. كما أن السلم الخارجي للمئذنة، يذكرنا بملوية سامراء بالعراق وبمئذنة مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة.

ونحن هنا نستعرض لأجمل المآذن الإسلامية عبر العصور والأمكنة لنثبت أنه فن إسلامي خالص ونقول لمن يدعون أنها مشتقة من طراز أبراج الكنائس هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟

٥- هذا التنوع الشديد في المآذن من مآذن طينية إلى مآذن مغطاة بالذهب الخالص وفي كل الحالات فإنها لا تخرج عن كونها فناً إسلامياً خالصاً.

ومن أشهر المآذن في التاريخ:

١- مآذن الحرمين الشريفين.
٢- مآذن القاهرة.
٣- مآذن الشام.
٤- مآذن العراق.
٥- مآذن المغرب.
٦- مآذن الهند.
٧- مآذن سمرقند وبخارى وطشقند.
٨- مآذن حضرموت واليمن.
٩- مآذن إفريقيا (المآذن الطينية).
١٠- مآذن أوروبا.
١١- مآذن دول الخليج.
١٢- المآذن الحديثة.

التوريث المباح

عبادة السيد نوح

nooh22@hotmail.com

تعيش الأمة الإسلامية قيادة وشعباً حالة من التخبط الدعوي غير المبرر نتيجة الكثير من المعطيات والأسباب المادية والروحية، فالتطرق لمثل هذه القضايا ليس من باب جلد الذات أو ذبحها وإنما تسليط الضوء على ظواهر تنخر في جسد الروح المشتعلة التي تلهب قلوب الغافلين التائهين عن طريق السعادة الحقيقية في الدنيا قبل الآخرة.

ولعل هذا التخبط متوقع في ظل أوضاع أمتنا على مختلف مجالات الحياة، وبالتالي فليست الحياة الدعوية بمعزل عن هذه المتغيرات التي يعايشها الدعاة في كل يوم وليلة صباحاً ومساءً.

وتتجلى آثار الخلل الدعوي في فقدان الدعاة لملكة توريث الدعوة للتلاميذ وطلبة العلم والعمل لأسباب شخصية بحتة متمثلة في الأنانية أو عدم القدرة على التعليم والتربية باعتباره غير متعلم ومتربي بالدرجة الكافية التي تسمح له بتوريث التجارب والمهارات والخبرات.

فالأنا أو الأنانية تظهر بوضوح لدى الكثيرين ممن يتبوأون المناصب القيادية لحاجة في نفوسهم ناتجة عن خلل تربوي في المنظومة الدعوية المباركة، فقد يكون مر بتجربة سلبية مع من سبقه من الدعاة، وقد يكون تلاميذه أقرانه في العمل، وقد يكون متشبثا بالمناصب ويسعى للحفاظ عليها بحجب خبراته وتجاربه عن الآخرين لكي لا يكون في آخر عمره فرداً عادياً وكأن القيادي سيكون على رؤوس الخلائق في الفردوس الأعلى ولا يعلم أن صبيا في الدعوة مخلصا قد يفوقه مكانة يوم القيامة.

إن استفحال مثل هذه الظواهر القاتلة مؤشر سلبي على مستقبل الدعوة في عصر الفتن الحياتية، فنحن مرضى بالحساسية في مجتمعنا المريض بالأمراض الفتاكة، ولكن مرضنا قد تحدث له مضاعفات إذا لم نعالج انفسنا جيداً قبل أن نساعد المجتمع في علاج أمراضه الخطيرة.

لذا ينبغي الأخذ في الاعتبار أن توريث الدعوة أحد أهم صفات الأخ المسلم وقد يكون أهمها على الإطلاق لما يمثله من غرس القيم والمبادئ والأخلاق والتجارب العملية في النفوس بشكل واقعي ومؤثر.

والاختصاصيون والتربويون والمعنيون مطالبون بالسعي الحثيث لإيجاد وسائل عملية وعلمية تساعد على بذر هذا الخلق القويم في نفوس الدعاة والعاملين مع التأكيد على أن إخراج القياديين الربانيين متوقف على هذا العامل بشكل واضح.

ويتمثل هذا الخلق في العمل على احتواء الدعاة، وبث الثقة في النفس من خلال تصديرهم للمجالس والمنابر، ووضع المتعلم في موضع المعلم ليزداد شعوراً بأنه قد يصبح في يوم من الأيام مثل استاذه او افضل، وهذا ما يفرح الجميع.

أخيراً نقل الخبرات والتجارب بين أجيال الدعاة يتطلب الصدق في إخلاص العمل كله لله، والتقوى الإيمانية، والنفس المطمئنة، لأن الهوى إذا تحكم في أعمالنا خسرنا الدنيا قبل الآخرة، وصرنا أشباه دعاة ندعو الناس ونحن أحق أن نصلح ذواتنا قبل مطالبة الآخرين بالتغيير، والله ولي التوفيق.

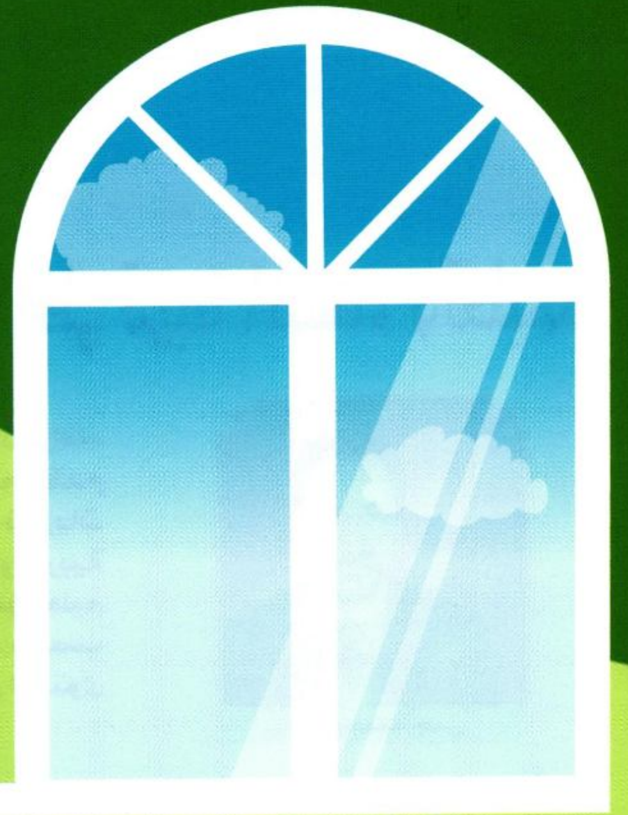
لفتة

■ أشكر الأستاذ طارق الفقيه من اليمن على تفاعله مع مقال «الصراع الدعوي» وتقديمه بعض الاضافات الجوهرية التي استدعت ان اسطر هذا المقال.

■ نعزي أمتنا الإسلامية بفقدان عالمين جليلين هما د. حسان حتحوت الطبيب العامل والشيخ محمد سالم ولد عدود خال الشيخ المشهور محمد الحسن ولد الددو.. سائلين الله أن يرحمهما وأن يجعلنا ممن يتبعون آثارهما وتجاربهما في حياتنا الدنيا للوصول الى جنة عرضها السماوات والأرض.

■ انفلونزا الخنازير وباء دنيوي قلب الحياة رأساً على عقب.. ونحن عندنا انفلونزا المعاصي وباء روحاني ولم تعلن حالة الطوارئ في البلاد.. فلماذا التمييز يا أهل القرار؟!

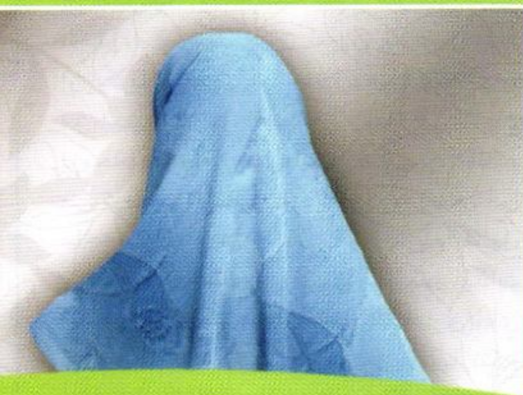
■ د. طارق السويدان أتحفنا باصدار جديد «اليهود.. الموسوعة المصورة» عن دار عالم الفكر.. الكتاب يستحق القراءة.

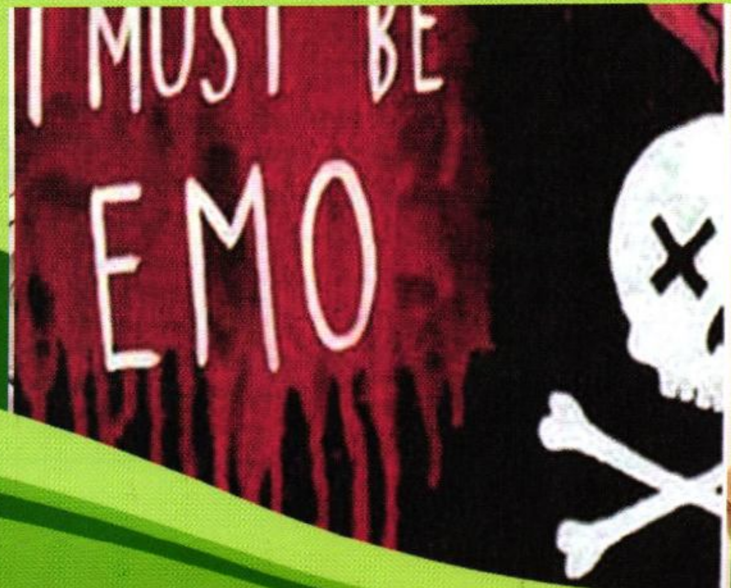


أسـرتي



- أثر التوجيهات الإسلامية على النشىء
- الجانب النفسي للحجاب
- الإيموز .. صرخة على حال الشباب








أثر التوجيهات الإسلامية على تربية النشء وتعليمه


د. بوجمعة جمي

العقلاء الراغبون في إصلاح شأن النشء، يلحون على البحث عن أسباب انحرافه، ومعاناته من الاضطراب النفسي والاحباط، على الرغم من انتشار التعليم وتقدم وسائل تحصيله، حيث ان علماء التربية وعلماء النفس اهتموا بإحداث نظريات بيداغوحية وابيستيمولوجية، يستعان بها في عملية التعليم والتعلم والتربية النفسية لا الروحية، كما ان معظم الآباء اصبح الهمّ الذي يؤرقهم هو تعليم ابنائهم، بقصد تأهيلهم لإحراز مكانة لهم داخل مجتمعهم، وليظفروا بمنصب في عملهم، على المستوى المادي، وتحقيق مكانة اجتماعية محترمة على المستوى المعنوي.

لكن الكثير يصاب بخيبة الأمل والذهول عندما يشاهد ما آلت إليه اوضاع النشء المسلم خاصة، من انحراف سلوكي، واضطراب نفسي، وانزلاق نحو سراب تبنيه له المخدرات والملاهي، وتقليد سلوكيات النشء الغربي الغارق في لجة الانحرافات والعبث القاتلين لوقته وشخصيته، المخربين لعقله، بسبب انتشار مغريات جذابة وخطيرة، تقتحم عليه مكان وجوده، تفننت الادمغة في ابداع وسائل تبليغها اليه بهدف الربح التجاري، او تخريب القيم الاخلاقية والدينية في نفسه، او تحقيق رغبات سيئة ونزوات شيطانية لبعض الادمغة المريضة نفسيا، والقادرة على الاختراع.

واهداف التربية الإسلامية ليست دنيوية محضة كما هو الشأن عند اليونان والرومان والفرس، أو دينية محضة كما كانت عند اليهود، وإنما تقوم على الإيمان والعمل، أو العقيدة والسلوك.

إن التربية الإسلامية تتبع مراحل تربية النشء، فتهيئ للجنين ابوين تفرض فيهما أن يكونا مؤمنين صالحين، بحيث يتم البدء من اختيار الرجل الصالح الراغب في الزواج لزوجة صالحة، يقول النبي ﷺ «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه، فزوجوه» (سنن ابن ماجه)، ويقول ﷺ «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (صحيح البخاري)، أي استغنت يداك فعلى الرغم من كونها تنكح للأغراض الثلاث، إلا ان الدين الإسلامي هو المقصود بالذات، بدليل ورود «فاظفر بذات الدين» وهذا الاختيار له دلالته على مستوى تربية النشء، حيث يعول على أخلاق الوالدين وسلوكهما في الوسط الذي يتربى فيه الطفل، الذي يتأثر بكل ما يجري داخل البيت منذ ولادته، كما ثبت علميا، فإذا كان الوسط تمارس فيه شعائر الدين الإسلامي، وتطغى الاخلاق الفاضلة على المعاملات فيه، فإن التنشئة ستكون سليمة وطيبة، لهذا قال النبي ﷺ «من يلي من هذه البنات شيئا، فأحسن اليهن، كن له سترا من النار» (رواه البخاري) والهدف من هذا الاهتمام والاستيصاء بالنساء خيرا هو أن تصبح البنت أم المستقبل المؤهلة لتربية النشء، بحيث تتوافر فيها شروط المرأة الحاضنة لتربي المحضون تربية سوية تمكن الطفل من التعامل مع الغير تعاملا توجهه الاخلاق الإسلامية من احترام الغير والاستحياء من الله ومن الناس، لأن فقدان هذه المرتكزات داخل الوسط الاسري، وحرمان الطفل من التعود على تمثلها والعمل بها يسبب له الفشل في التعامل مع الآخرين، ومن ثم يبدأ الانحراف والانزلاق نحو ما يعود بالشر على النشء وعلى مجتمعه.

ان تعويد الطفل على الاستماع للقرآن الكريم في البيت وتلاوته، يحقق اهدافا تربوية وتعليمية، يقول عنها أحد الباحثين «وابناؤنا في مختلف اعمارهم هم احوج ما يكونون الى تربية دينية وثقافية لغوية تعين على فهم القرآن وتدبر معانيه، والوقوف على مبانيه اللغوية، والعمل بما جاء فيها، بما يرضي الله ورسوله، ولعل الفتيان وبراعم الايمان عندما يقبلون على قراءة القرآن وسماعه من أفواه المشايخ، يخرجون بجملة من الفوائد والمنافع التي تعود عليهم بالخير العميم»، فبالاضافة الى الاهداف التربوية التي تحققها قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه، فانها تساعد على تطويع اعضاء النطق على تحديد المخارج الصوتية التي تتناسب مع هذا الصوت او ذاك، كما تزيد من الرصيد اللغوي، وقد اثبتت احدى ادوات البحوث الميدانية لدى كثير من التربويين «أن الفتيان ممن كانوا يقرأون القرآن على شيوخهم، هم الاصح ألسنة والأصوب نطقا، والاقدر على قراءة مختلف النصوص التي تعرض عليهم بطلاقة ويسر ممن لم ينهلوا شيئا من لغة القرآن في صغرهم، ولم يتربوا عليها التربية الصحيحة» (١).

وفي هذا الاطار التربوي فرض الإسلام طاعة الوالدين، والبر بهما، لأن عقوقهما يعمق سوء التفاهم بينهما وبين ابنائهما الذين يجنحون الى الانحراف، فاذا توفي الوالد مثلا فإنهم ينتقمون من الاسرة، فيعمدون الى تبديد ثروته إن تركها، فينزلقون الى ما هو أسوأ، ويقول النبي ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع» (سنن أبي داود)، فلا ينبغي أن يفهم من الضرب هنا أنه ضرب عنيف، وانما هو اسلوب تربوي تقويمي لين، لا يسبب ألما شديدا للطفل، ولا يثير في نفسه الغضب والكراهية، كما ان التربية الإسلامية راعت الغريزة الجنسية عند الطفل، على الرغم من

عدم بلوغه سن الرشد، لذلك امرت بالتفريق بين الأطفال في المضاجع، وهو علاج مهم يوقف جماح الغريزة الجنسية التي تهيج فتسبب وقائع خطيرة، كما ان النبي ﷺ يقول «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف» (المدخل الى السنن الكبرى للبيهقي) فالتربية الإسلامية إذن تراعي مشاعر الطفل وردود أفعاله النفسية، لذلك اختارت الأسلوب التوجيهي الذي يوفق بين الصرامة المعتدلة والليونة، كما أنها تغرس في نفسه الشعور بالعزة والكرامة المستمدتين من قوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون: ٨).

وقد قرن الإسلام بين التربية السليمة والعلم، وبين العلم والعمل، لأن التربية المجردة من العلم النافع، الخالية من الأخلاق الفاضلة، تلقي بالنشء في مستنقع الانحراف والمهالك، يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ، لم يضروك الا بشيء، قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» (سنن الترمذي - الجامع الصحيح)، إن أول ما يغرس في قلب النشء وعقله هو الإيمان بالله عز وجل وبرسوله الكريم محمد ﷺ، وبما أمر ان نؤمن به، وهو القاعدة الصحيحة الصلبة التي تبنى عليها التربية والتعليم، فشعور النشء بمراقبة الله عز وجل له في كل وقت وحين، والتوكل عليه، ويقينه بأن النفع والضرر من الله تعالى وحده، يبعث في نفسه المؤمنة العزيمة القوية، والهمة العالية، اللتين يعول عليهما في تكوين انسان صالح نافع لنفسه ولأمته وللإنسانية، تلك العزيمة والهمة اللتان يسعى عدو المسلمين الى قتلهما في ناشئتنا، بل في رجالنا، موظفا الشهوات والمغريات التي احبطت عزائمهم، فأصبحوا مستهلكين عاجزين عن الابداع والابتكار، يقول علماء التربية: إن التربية والتعليم عملية متكاملة، لذلك يتأكد أهمية دور الآباء والأمهات والمدرسين، وكذا دور وسائل الإعلام في التأثير في العملية التربوية والتعليمية التي يستهدف بها النشء، ذلك ان التربية تعنى باعداد الفرد اعدادا يؤهله للانتفاع بمواهبه وميوله بعد ان توجه توجيها سليما يسعى للخير والصلاح، فيحيا في مجتمعه حياة طبيعية توفر له الاطمئنان، والقدرة على التعامل معه بحكمة وتعقل، وهذا الاعداد يشمل التربية الدينية والخلقية، والاجتماعية، والوجدانية والجمالية، وهذه التربية تقرن دائما بالتعليم، الذي يعتبر جانبا من جوانب هذه التربية، التي هي أهم من التعليم الذي يهتم بتلقي المعلومات والأفكار والآراء بالاصغاء والتلقي، وفي التربية البحث والاطلاع، مع الاعتماد على النفس، والتفكير في الصعوبات والوسائل التي تساعد على تجاوزها، فالطفل - كما يقول احد الباحثين- يعمل في التربية ويصغي ويتلقى في التعليم، ليكتسب المعرفة والمهارة، فالمدرس يطلب منه ان يكون مربيا لا معلما، الا ان التربية الإسلامية لا تكتفي بتنشئة الطفل على معرفة ما هو حرام وما هو حلال، وما هو طيب وما هو خبيث، ولكنها تعمل على اطلاع النشء على سبب الحرمة وسبب الخبث، لترسخ في ذهنه الاضرار والاخطار الناجمة عنهما، وهو ما يسمى بالتربية السلبية، لأن الاكتفاء باطلاعهم علي ما هو محرم وخبيث دون بسط القول فيما يجر لمرتكبه من أخطار واضرار جسمية وعقلية وروحية، تسقطه في المهالك دنيا واخرى لا يؤتي اكله، بل احيانا يدفعهم الفضول الى اتيان ذلك المحرم والخبيث لمعرفة سبب التحذير من الإقدام عليه، لكن اذا اطلعه المربي على اضراره ومخاطره وعواقبه الوخيمة، فإنه، ان كان عاقلا سويا، سيستغرب إلقاء المقدم عليه نفسَه في التهلكة.

لكن عصر العولمة والانترنت والفضائيات طرح عقبة كأداء امام هذه الاطراف المربية، لانها وسائل تغري النشء للتعامل معها، وهي سلاح ذو حدين، يسبب انحراف الناشئة اذا لم تتم مراقبته التي تصعب على الآباء وبقية المربين، فاذا لم تحصن التربية الروحية النشء مما تقدمه هذه المصادر المسخرة لنشر صور خليعة وافكار هدامة، تساهم في هدم ما بنته التربية الإسلامية، فإن مراقبة المربين لن تجدي نفعا، وهذا ماثل للعيان، اذ نرى الناشئة الإسلامية كغيرها من الناشئة غير الإسلامية منساقة وراء ما يبثه عالم الانترنت والفضائيات من سموم على مستوى الفكر، وعلى مستوى الاخلاق، فكأن الغرب تضايق من الأخلاق الفاضلة التي بنيت عليها التربية الإسلامية المتكاملة مع التعلم، فحاربها بهذه الاسلحة الخطيرة التي يتعذر ان يحيل المربون بينها وبين النشء، كما يصعب عليهم أن يوجهوا ابناءهم الى الاستفادة من العلم النافع الذي اختلط بما هو ضار ومدمر للأخلاق والمروءة.

إذن فلابد أن تربى أجيالنا على التأثر بالتوجيهات الإسلامية في المجال التربوي والتعليمي، مع تهييئ وسط سليم تتعاون فيه السلطة مع الأسرة والمعلمين المربين، وكل من له قدرة على التأثير في عقل الطفل ونفسيته، كي تسود فيه روح الإسلام وتعاليمه.

الهوامش

١- الوعي الإسلامي، العدد: ٥٠٥ سبتمبر ٢٠٠٧ ص. ٨٩. د. رفيق حسن الحليمي.







العانس

بريهان فارس عيسى

اعتاد في بعض الليالي أن يذهب إلى بقالة جارته «روند» المرأة العانس التي بلغت الخمسين من عمرها، يجلس داخل المحل وهو يستمتع بالناس يدخلون ويشترون الأشياء .. أطفال، نساء، شبان، شيوخ، مراهقات، عمال، مهندسون، محامون، أطباء... كلهم يدخلون ويشترون حاجات مختلفة وهو يتأمل هذا المنظر وكأنه في مسرح، فتمضي ساعتان دون أن يدري بهما وروند بين حين وحين تقدم له كأسا من الشاي، أو زجاجة مياه معدنية، أو فنجانا من القهوة.

ثم قبل أن تغلق في وقت متأخر تشكره على الزيارة، وتعيد ما تقوله في كل مرة: كيف أن العمل في هذا المحل جعلها تخسر كل عمرها.

تنحدر الدموع من عينيها وتنشج بنبرات ثقيلة على مسمعه: المرأة التي لا رجل لها، لا أحد لها حتى لو ملكت مال قارون.

ثم تتنهد مستأنفة قولها: صحيح أنني حققت حلمي بشراء هذا المحل، وصرت غنية، ولكن أشعر بأن ماخسرته لن تعوضه أموال العالم، لقد تحول هذا المحل إلى عبء ثقيل على كاهلي، لا أعرف كيف أتخلص منه، علي أن أنهض كل يوم في السادسة صباحا حتى أبيع القشدة واللبن والحليب الذي يصل صباحا، أبقى في هذا المحل حتى الثانية ظهرا، ثم أذهب إلى البيت الذي لا أحد فيه غيري، أتناول وجبة غداء سريعة، وقبل أن أنتهي يطرق علي الناس الباب حتى أبيعهم بعض الحاجات، هؤلاء يجدون محلات أخرى مفتوحة، ولكنهم عادة يكونون من الزبائن الذين يشترون بالدين إلى نهاية الشهر، أعود إلى المحل وأبقى إلى الحادية عشرة ليلا، ثم أذهب إلى البيت منهكة، أتعشى وأغفو حتى السادسة صباحا ليبدأ يوم مكرر آخر لاجديد فيه، لم يبق أمامي من هدف في هذه الحياة سوى جمع المال، وياله من هدف سخيف، أعترف لك يا جاري بأنه في بعض الأوقات جردني حتى من إنسانيتي، فكنت أغش بعض الناس، وأكذب عليهم من أجل المزيد من الربح، هل تظن بأنني أعيش؟! أنا أعيش ولكن ليس لي أي علاقة بالحياة.

ذات يوم حدثته بعمق وهي تغالب الدموع في عينيها :

أترى ذاك الباب الأبيض؟

قال وهو يلتفت إليه: نعم أراه.

لعلك لا تعرف، إنه بيت جارنا نوح، صاحب منشرة أخشاب.

- أظنني أرى شخصا يدخل هذا البيت، وسبق له أن ألقى علي السلام، وإن لم تخني الذاكرة فقد رأيته يشتري أغراضا من هذا المحل، وأيضا هناك امرأة يبدو أنها حديثة العهد بالزواج، أراها أحيانا جوار الباب وألقي عليها السلام.

- قصتي مع هذا الباب عمرها خمس سنوات من الدموع، منذ تزوج نوح وحتى هذا اليوم، بعد عودتهما من شهر العسل يأتي صبي كل صباح بدراجة هوائية، يوقفها على الرصيف المحاذي لهذا الباب ويمد يديه إلى ذاك الزر المضيء ليرن الجرس، ويحمل من مقود الدراجة ومن مقعدها الخلفي أكياسا أرسلها معه معلمه، تفتح جارتنا الباب وتتناول الأكياس، ثم ما تلبث أن تغلق الباب ثانية دون أن تنظر إلى أي ركن من الشارع.

كل صباح يجلدني هذا المنظر وتسيل معه دموع من عيني حتى لو كان المحل غاصا بالزبائن، وعندئذ أتخيل كيف أنها تناولت الأكياس وعادت إلى دفء بيتها، ثم عند الظهيرة يعود زوجها من محله فيتناول الطعام ويمضي قيلولته معها، وأراه يعود إلى المنشرة ويبقى حتى التاسعة مساء، فيأتي إلى محلي يأخذ ما يشاء ويمضي برفقة زوجته حتى الصباح ليظهر ذاك الصبي من جديد أمام عيني.



الجانب النفسي للحجاب

إيمان القدوسي

لكل فعل إنساني ظاهر وباطن، يبدو الظاهر في السلوك الخارجي أما الباطن فهو الجانب النفسي، وبالنسبة للحجاب فإن الجانب الظاهر فيه شديد البساطة والوضوح، ملابس فضفاضة وغطاء للرأس، والالتزام به لا شك أمر محمود وقرار سهل، أما الجانب النفسي فيحتاج مجاهدة وتربية ويعطي بعداً إيمانياً وعمقاً إنسانياً للحجاب.

حكمة الحجاب هي أن تخرج المرأة للحياة كإنسانة وليس كأنثى، وبالتالي فإن الإصرار على ارتداء الملابس ذات الألوان اللافتة اللامعة الضيقة واستخدام أدوات الزينة ووسائلها المتعددة هو فعل يتنافى تماماً مع الغرض من ارتداء الحجاب، ويدل على تناقض داخلي يحتاج حلا.

إذا تجاوزنا الشكل فإن سلوك المحجبة يكون أكثر أهمية في الدلالة على اطمئنان قلبها وفهمها لدورها كمسلمة، كثيراً ما تلفت أنظارنا فتاة محجبة تقف في وسط زميلاتها وتكون هي الأعلى صوتا والأكثر صخباً ومزاحاً وحركة، هل تريد أن تقول إنها رغم حجابها فإنها فتاة عصرية متفتحة؟ أم تريد أن تنفي عن نفسها تهمة الانغلاق والتزمت؟ أم تتصور أنها فعلت ما عليها وهي حرة بعد ذلك في سلوكها؟

أعتقد أن الفتاة التي يتسم سلوكها بالطيش والنزق مع تمسكها بالهدى الظاهر للحجاب هي في الحقيقة تريد أن تمسك بالعصا من منتصفها، فهي محجبة مع المحجبات ومهرجة مع المهرجات، تسعى لنيل حب الزميلات ورضا الناس عنها، وتظن أن من يضحك في وجهها قد اكتسبته وليا حميماً، وهي للأسف تعطي انطباعا سيئا جدا عن نفسها وتخسر الطرفين إذ لا يمكن أن يعتبرها أحدهما نموذجا.

قد تكون الرغبة في لفت أنظار الشباب والخوف المرضي من العنوسة هي السبب في خفة بعض الفتيات والمبالغة في المرح والتساهل مع الغير، للأسف ستخسر هنا أيضاً، لأن سلوكها يدل على فقدان الثقة بالنفس ويدل على عدم تمتعها بشخصية قوية مستقلة، والأهم أنه سلوك لا يبعث على الاحترام.

فتاتي العزيزة لا تنشغلي إلا بأمرين، الأول هو الإجابة على السؤال الأرقى في الحياة (لماذا أحيا؟) لا نحيا لنتزوج أو نتجمل أو نعجب الآخرين، ولكن لنرضي ربنا ونتبع أمره ونهيه ونتوكل عليه تماما، وبالتالي سنلتزم بالهدي الظاهر والباطن للحجاب ونمارس الحياة كإماء لله سبحانه وتعالى لا نبغي إلا رضاه.

أما الأمر الثاني الذي يجب أن يشغلك فهو كيف يمكنك الارتقاء بنفسك وتنمية شخصيتك ومحاولة العثور على أجوبة لأسئلة الحياة؟

حين تفعلين سيستقر اليقين بداخلك وتمتلأ نفسك ثراء وخصوبة وتزداد شخصيتك قوة وجاذبية واحتراماً، ووقتها سيحبك الناس ويلتفون حولك وسيتمناك الشباب الصالح زوجة وشريكة للحياة وأما للأبناء، لأنك جديرة بالثقة وناجحة وباعثة على الاطمئنان، وسينعكس جمال نفسك وسكينة روحك على صفحة وجهك فلا تحتاجين مساحيق الزينة ولا وسائل التجميل الخارجي.

الحجاب في معناه الحقيقي، امرأة مسلمة راقية السلوك مطمئنة النفس تعرف هدفها وطريقها وتسعى جاهدة في الحياة لكل ما فيه خير ونفع لنفسها وبيتها ومجتمعها وهي تزين ذلك كله بحجابها وسترها لأنوثتها التي تحتفظ بها لزوجها فقط، إنها منظومة من العفاف والعطاء والتقوى ولوحة متكاملة لأفضل صورة ممكنة للمرأة، والحجاب هو إطار الصورة الذي يبرزها ويحافظ عليها.






الإيموز.. صرخة على حال الشباب

محمد فتحي النادي

كثيرة هي تلك الدعوات التي تموج بها فضاءات ساحاتنا العربية والإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، وكل دعوة لها داعية وأتباع ووسائل تتخذها لنشر تلك الدعوة، وتلك الدعوات منها ما هو حق وقليل ما هم، والكثرة الكاثرة دعوات لم تتخذ كتاب الله نبراسا، ولا سنة النبي ﷺ هاديًا ودليلاً، وإنما هي أهواء وأمزجة.

ومن الدعوات التي أطلت برأسها في عالمنا العربي دعوة تسمى «الإيموز EMO» وهي دعوة اجتماعية تستهدف تغيير الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمعات، والتمرد عليها، وإحلال أمور غريبة وشاذة مكانها.

وكلمة إيمو أو إيموز(Emo) اختصار للكلمة الإنجليزية (Emotion) والتي تعني: الانفعال أو الإحساس أو العواطف، وقد قالت إحدى الفتيات المنضمات لهذه الدعوة: الناس كلها (إيموز)، لكن البعض يخجل من الكشف عن هذا، والبعض الآخر لا يعترف أمام الناس بذلك، وأضافت: «إيموز» جاءت من كلمة «إيموشنال» (أي: إحساس)، وكل الناس في الدنيا عندها إحساس، لكنه يزداد في فريقنا.

وقد ظهرت هذه الدعوة في الثلث الأخير من القرن العشرين في كل من أمريكا والمملكة المتحدة كتيار موسيقي في موسيقى «الهارد روك» فكانوا عبارة عن مجموعات من المراهقين يتجولون في الشوارع ليلاً بملابسهم القاتمة وهيئتهم اللافتة، ويعمل أغلبهم في العزف بالجيتار والدرامز بالملاهي الليلية كوسيلة لجني المال، ويتهم البعض أفراد الإيموز بممارسة الشذوذ الجنسي والطقوس الغريبة الشاذة من خلال التلفظ ببعض العبارات والألفاظ التي لا معنى لها في حالة التقائهم بعضهم ببعض، وأخذت في التطور حتى أصبحت في العقد الأول من الألفية الجديدة أسلوب حيا (Life style)

وبدأت هذه الظاهرة في التواجد والنمو في العالم العربي منذ مطالع الألفية الجديدة، ولكنها بدأت في الاستفحال، لأن أصحاب هذه الدعوة أخذوا يعلنون عن أنفسهم عن طريق الشبكة العنكبوتية في المنتديات والفيس بوك، وكذا عن طريق الظهور بمظهرهم الغريب الشاذ في المجتمعات التي يعيشون فيها على هيئة مجموعات، ويكثر وجودهم في الأسواق الكبيرة (المولات)، حتى وصل بهم الأمر إلى إغراق شوارع بعض المناطق بعاصمة عربية كبرى بشعارات لهم، وكانت عبارة عن رسومات باللونين الأسود والأخضر لرجل بلا رأس يمسك في يده مكنسة، وكان الدافع لذلك كما صرح عدد من شباب الإيموز اعتراضهم على ملاحقتهم أمنيًا، ووفقا لما ذكره شباب الإيموز على عدد من المنتديات أن عددهم بلغ تسعة آلاف شاب في دولة عربية كبرى.

وتنتشر هذه الدعوة في صفوف المراهقين، بل هي مقصورة عليهم، فلا يجوز لغيرهم الانضمام إليها، فهي ليست دعوة مفتوحة للجميع، فهي تشترط على من ينضم إليها أن يكون ما بين الثانية عشرة والعشرين، ومن يتعدى هذه المرحلة يخرج من الإيموز حتى لو كان عضوًا معهم في السابق، ومرحلة المراهقة التي يركز عليها دعاة الإيموز هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، وتتسم بأنها فترة تقلب المزاج وكثرة العناد والتمرد على الآخرين لإظهار التميز والتفرد في شخصيتهم.

ومن ينضم للإيموز عادة ما يكون قد مر بتجربة قاسية- على حد تعبيرهم- في حياته جعلته مجروحًا، وحاول من كتب عن صفات الإيموز النفسية أن يؤكد على أمور نفسية رأوها هي القاسم المشترك بينهم جميعًا فقالوا: تتسم شخصية الإيموز بالحزن والتشاؤم والصمت والميل إلى الخجل، بالإضافة إلى الحساسية العالية في التعامل مع الآخرين؛ فهم لا يألفون إلا أقرانهم من نفس الجماعة؛ فمعهم فقط يجد شاب الإيموز



نفسه ويشعر أن هناك من يتفق ويتفاهم معه، ويكتب البعض منهم أشعارًا وخواطر متشائمة أو حزينة.

وأول ما يلفت نظر المجتمع لهؤلاء هو المظهر الغريب الشاذ الذي يجمع بين الجنسين، فلا فرق بين ذكر وأنثى، بل يصعب التفريق بين الإيمو الفتاة والإيمو الصبي، فكلهم Emo-kids ولا يفرقون بين الجنسين، وهم يتميزون كذلك باللونين الأسود والزهري، وتخطيط أسود حول العيون لتظهر كبيرة، والشعر الأسود الذي ينساب على العين فلا تكاد تراها، ومن الخلف غالبًا ما يُثبّت في الهواء، وقد يحتوي على خصلات زهرية.

Emos

أما لباسهم فهو الجينز الضيّق، والقميص الضيّق الذي يحمل علامة الإيمو، أو أحد شعارات فرق الروك-إيمو، وغالبا ما ترسم عليها أشكال مخيفة لا معنى لها، وجماجم بشرية أحيانًا، وقلوب متكسرة، أو صور لمصاصي الدماء (الدراكولا)، وتحوم الشكوك حول شباب الإيموز نتيجة لتشابه بعض مظاهرهم مع مظاهر عبدة الشيطان الذين ظهروا في بعض البلاد العربية في تسعينيات القرن الماضي، وما يصاحب حفلاتهم من رقص هستيري وموسيقى صاخبة واقتراف للجنس بصورة مقززة،



ولكن هؤلاء الشباب سارعوا لنفي هذين الاتهامين، فقالت إحدى منتسبات الإيموز «أنا فتاة مسلمة ولم أتخل عن ديني، وكذلك باقي شباب الإيموز لم يتخل أحد عن دينه، بل نمارس العبادات والشعائر الدينية بشكل عادي مثلنا مثل غيرنا، ونحن لسنا كعبدة الشيطان» واطّرد هذا النفي على ألسنة العديد من المنتسبين للإيموز فقالت فتاة أخرى «الإيموز في (...) لم يتخلوا عن دينهم، ولم يمارسوا أي طقوس شاذة، نحن فقط شباب لنا أسلوب وطريقة في الحياة، نعبر بها عن مدى الحزن والاكتئاب الذي نعاني منه» ولكن يبقى وقوعهم في دائرة الشُّبَه والاتهامات.

وأخيرًا نقول لهؤلاء الشباب: احذروا الفتن فالمظاهر خداعة، وما نشدتم فيه العلاج ما هو إلا عين الداء، والعلاج الناجع هو في العودة إلى الله، وبابه مفتوح لا يغلق في وجه عباده، ولنحذر مواطن الشبهات، ولنتذكر قول رسول الله ﷺ «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، على كتفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يدعو يقول: يأيها الناس، اسلكوا الصراط جميعًا ولا تعوجوا، وداع يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم» (أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي).




الأصدقاء بين قلق الآباء وعناد الأبناء

صلاح محمد أبوزيد

بينما يصرخ الآباء متهمين أصدقاء الابن أو صديقات الابنة بأنهم جرفوا الابن أو جرفن الابنة الى طريق الفساد والغواية، فإن الأبناء على صعيد آخر يتشبثون عنادا بأصدقائهم رافضين أي تدخل أو وصاية من جانب الآباء في اختياراتهم، وبالطبع يزداد التوتر بين الطرفين ويعتقد الآباء أنهم فقدوا سيطرتهم على أبنائهم فيزدادون قلقاً وخوفاً من تأثير الأصدقاء على حياة أبنائهم وسلوكياتهم.

يشكو السيد عبدالغفار وهو أب لفتى مراهق عمره ١٦ سنة من أصدقاء ابنه الذين يعتقد بأنهم علموا ابنه التدخين وربما أشياء أخرى سيئة لم تصل إلى علمه بعد، مما حدابه إلى منعه عن أصدقاء السوء هؤلاء، ولكنه فوجئ أن ابنه لم يقطع علاقته بأصدقائه نهائيا وأنه لا يزال يلتقي بهم.

ويعترف حسين وهو موظف وأب لفتاة وفتى في مرحلة المراهقة بأن أصدقاء ابنه مجموعة من الفاشلين الذين أفسدهم تدليل أسرهم لهم، وأن ابنه اكتسب كثيراً من العادات السيئة خلال احتكاكه بهم وأحياناً يشعر بأنه فقد السيطرة على ابنه الذي أصبح لا يطيع كثيراً من أوامره وإرشاداته.

أسرتي مقابل أصدقائي

وعلى الجانب الآخر يشكو الأبناء من أن الآباء غالباً ما يعترضون على أصدقائهم ولا يحترمون اختياراتهم، فيقول طارق طالب بالمرحلة الثانوية: أنا لا أستطيع الاستغناء عن أصدقائي لدرجة أنني أحيانا أشعر بأنه من الممكن أن أستغني عن أسرتي مقابل أصدقائي، وللأسف فإن أبي غالباً ما يطالبني بالابتعاد عن اصدقائي من دون أن يعرفهم أو يعرف هل هم صالحون أو طالحون، فأبي يعتقد ان مجرد ارتباطي بأصدقاء سيجعل مني شخصاً فاسداً.

وتقول مها وهي طالبة جامعية أيضا: أنا وأمي نعيش في عالمين مختلفين فهي حين تسمع إحدى صديقاتي تضحك بصوت مرتفع تطلب مني أن أقطع علاقتي بها لأن سلوكها غير محترم، وإذا رأت إحدى صديقاتي ترتدي ملابس لا ترضي عنها تطلب مني أن أقطع علاقتي بها أيضا، ولو أنني أطلعت أمي دائما على صديقاتي لما بقيت لي صديقة واحدة.

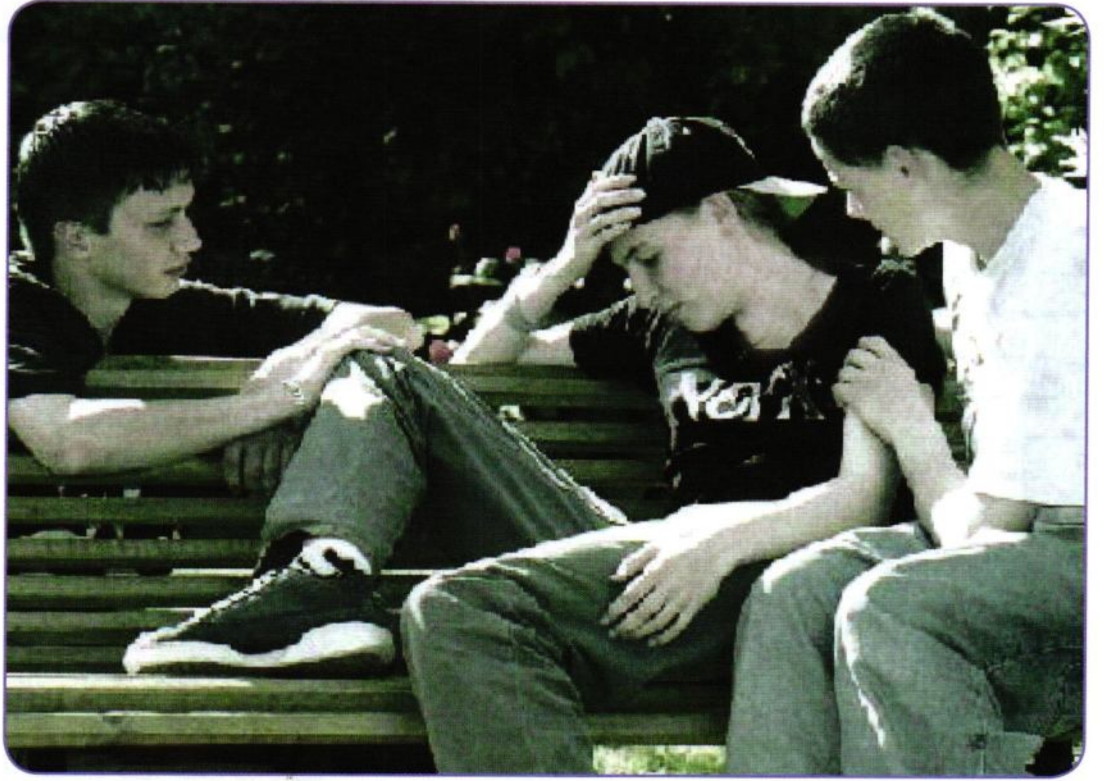
النار في الهشيم

تقول د.هبة سعدالدين أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة: الصداقة حاجة طبيعية للإنسان لا يستغني عنها في أي مرحلة من مراحل حياته، وما يقلق الآباء- وهم غالباً على حق في هذا القلق- أن الأبناء في مرحلة الطفولة أو الشباب المبكر يتأثرون بشدة بسلوكيات أصدقائهم، فالصديق قد يدفع صديقه الى طريق التدخين أو تعاطي المخدرات أو غير ذلك من طرق الفساد حتى دون أن يطلب منه مباشرة ان يفعل ذلك، فالصديق يحاول ان يقلد اصدقاءه ولو على سبيل التجربة ليبدأ بذلك أولى خطواته على طريق الفساد، والفتاة تتأثر بصديقاتها تأثراً بالغاً سواء من حيث الملبس أو العادات أو محاولة تقليد زميلاتها في اقامة العلاقات مع الشبان بدافع التقليد أو الغيرة أو التجربة- كما تفعل الصديقات- وهنا يصبح الخطر كبيراً، والعادات السيئة تسري في تجمعات الفتيات كما تسري النار في الهشيم خصوصا مع ضعف الرقابة الأسرية أو ضعف الوازع الديني، ولكننا مع كل ذلك لا ننصح الآباء بفرض الرقابة اللصيقة الخانقة على أبنائهم وبناتهم لأن ذلك يولد مزيدا من التوتر والقلق بين الطرفين، بل ننصح الأسرة بطريق الحوار والتفاهم مع الأبناء والاقتراب منهم والتعرف على همومهم وأفكارهم.

رفاق السوء

أما الدكتورة السباعي الاستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية تقول: في مرحلة المراهقة يبدأ الأبناء في محاولة الاستقلال بأفكارهم وسلوكياتهم وتكوين الأصدقاء والعلاقات المختلفة خارج نطاق الأسرة، وغالباً ما يجنح سلوك





العادات السيئة تسري في تجمعات الفتيان كالنار في الهشيم خصوصا مع قلة الرقابة الأسرية وضعف الوازع الديني

الأبناء إلى السلبية والتحدي للكبار والمدرسين واتخاذ بعض المواقف المعادية والعنيفة بمواجهة المجتمع، وهنا يظهر دور التربية التي تلقاها المراهق في طفولته وما غرسه الأبوان من قيم دينية واجتماعية في طفولته حيث يلعب الوازع الديني دوراً كبيراً في استقرار المراهق، ويجب على الأبوين أن يتفهما تلك المرحلة العمرية بكل ما تحمله من تغيرات فسيولوجية ونفسية وألا يجعلا البيت ساحة للتحدي والصراع ومحاولة فرض السيطرة على الأبناء أو عزلهم عن أصدقائهم لأن ذلك سيؤدي لمزيد من التوتر والاضطراب ومزيد من الرفض لنصائح وتوجيهات الآباء.

وتواصل د.نادية كلامها قائلة: بالطبع هناك مبالغة يغذيها قلق الآباء على مستقبل أبنائهم فأحياناً يكون الأصدقاء من الطيبين ويؤثرون تأثيراً حسناً على الأبناء وأحياناً يكونون من رفاق السوء الذين يؤثرون تأثيراً سلبياً على الابناء فيكتسبون منهم السوكيات السيئة كالتدخين والكذب وغيرها من العادات المنحرفة، وكثيراً ما لا تجدي نصائح الآباء لأبنائهم بالابتعاد عن رفاق السوء لأن المراهق قد يتمسك بأصدقائه بل ويضعهم في كفة مقابل أسرته، ورغم أننا لا ننصح الآباء بالقسوة أو العنف مع أبنائهم ليبعدوهم عن أصدقائهم، فإن عليهم أن يلاحظوا سلوكيات أبنائهم في دقة ويتقربوا إلى هؤلاء الأصدقاء، فإذا ما لاحظت الأسرة على أحد الأصدقاء أو إحدى الصديقات سلوكيات غير مقبولة أو غير لائقة فينبغي التدخل فوراً بالتوجيه والحوار والمناقشة والإقناع ليبعدوا أبناءهم وبناتهم عن مثل هؤلاء الأصدقاء.

عناية خاصة

وعن الصداقة في ظل الإسلام يقول د.عبدالمنعم أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة القاهرة: عني الإسلام بالصداقة عناية خاصة لما لها من تأثير بالغ على حياة الفرد وعلى حياة الجماعة في آن واحد، فإذا كانت هذه العلاقة قائمة على البر والتقوى والخير يباركها الله تعالى، وإن كانت غير ذلك فإن القرآن الكريم يحذر منها أشد التحذير، ويقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ (الزخرف:٦٧-٦٨).

ويقول النبي ﷺ في الحديث الشريف «مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه». (رواه أبوداود).

وقد أمرنا النبي ﷺ بالدقة الشديدة في اختيار الصاحب حيث قال ﷺ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (حسنه الألباني).

ويقول ﷺ «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» (رواه أبوداودد).

فالصديق إما قرين خير يعين على الحق وأداء الواجب وحفظ الحقوق، فهذا يجب أن نستمسك به، وإما قرين سوء يحرض على الشر ويزين طريق الغواية فيجرف صاحبه الى مزالق التهلكة والفساد وهذا يجب ان نتجنبه ونتجنب الاحتكاك به، ولذا كان لزاماً على المسلم أن ينتقي اخوانه وأن يطمئن إلى صلاحهم، وعلى كثرة الأحاديث الشريفة الواردة في أمر الصداقة والصديق فإنها كلها تعلي من شأن الصداقة والصحبة القائمة على التقوى والمحبة الخالصة التي لا تشوبها شوائب المصلحة أو المنافع الرخيصة.




القوامة والذمة المالية للمرأة

لينة أحمد جلبط

وردت صيغة «القوامة» في القرآن في ثلاثة مواضع، حيث ورد اللفظ في قوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...﴾ (النساء:٣٤)، وقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله...﴾ (النساء:١٣٥)، وقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط...﴾ (المائدة:٨).

فالقوامة إحدى صفات المؤمنين رجالا ونساء وترتبط بالشهادة على الناس، وتعني القيام على أمر هذا الدين وفق الشرع، والالتزام بالعدل والقسط وهي صفة من صفات الله - سبحانه- التي يجوز أن يتخلق بها عباده إذ إنه «القيوم» وإذا كانت القوامة على مستوى الأمة هي سمة عامة فإنها مسؤولية تكليفية على الرجل تجاه زوجه، وقد حدد الإسلام طبيعة سلطة الرجل في الأسرة إذ جعل مفتاحها كلمة «قوام» أي القائم على شؤون الأسرة، وتقتضي القسط في شؤون من أوكل إليه أمرهم، وذلك بخلاف ما إذا كان التعبير عنها بكلمة سلطة أو نحوها، فليست القوامة كما يشاع عنها من أنها أمر ونهي وزجر وتأديب وممارسة للسلطة الذكورية على المرأة كما يدعي بعض جهال أمتنا، إنما هي أن يأخذ الرجل على عاتقه توفير حاجات المرأة المادية والمعنوية، وان يوفر لها الحماية والرعاية ويسوس الأسرة بالعدل، فإذا كانت المرأة مطالبة بأن تنفق في البيت مثل ما ينفق الرجل فهل يقبل ذلك الرجل ان يتخلى عن نصف القوامة للمرأة؟

فالنساء في الغرب يغبطن النساء المسلمات على ما أنعم الله به عليهن، لأنهن لا يتحملن مسؤولية الانفاق على أنفسهن، بعكس المرأة في الغرب فإنها مسؤولة عن كل شيء في حياتها، ولا تجد سوى الطريق المحرم ملجأ لها بعد أن تفقد دفء الأسرة وقوامة الرجل، وهذا الدفء يشمل: الحب والاحتواء وكل المعاني والمشاعر التي تحقق السعادة لدى جميع أفراد الأسرة، فمواثيق حقوق المرأة في أوروبا تنبثق من الواقع المعيش فيها، فالمرأة هناك مضطهدة، ومضطرة إلى أن تنفق على نفسها وعلى زوجها -إن وجد- فهما يتقاسمان المال ويتقاتلان من أجله، وهم يعدون هذا مساواة، ويدخلون به الى بلادنا لضرب الإسلام ومبادئه، ويحققون بذلك ما عجزوا عن تحقيقه بطرق أخرى، فهم يرون أن إرث المرأة الذي يعادل نصف ارث الرجل يخالف مبدأ المساواة بين إنسانية الرجل وانسانية المرأة إلا أن الله عندما أوجب للمرأة نصف ميراث الرجل فبسبب ذلك أنه أوجب عليه الانفاق في أمور لم يوجبها على المرأة وهو الانفاق على الزوجة والأسرة.

والمرأة في التشريع الإسلامي مكفولة النفقة، تجلس في بيتها، وعلى زوجها أن ينفق عليها ولو كانت ميسورة ولا يحق له التصرف بمالها إلا ما تعطيه إياه عن طيب نفس منها، ومن هذا يتضح أن الذمة المالية للمرأة مستقلة عن الذمة المالية للرجل، ولا يحق للزوج المساس بتلك الذمة أو دمجها مع ذمته، ولا سلطان للرجل على معاملاتها، فمالها لها ومال الرجل له، وعليه عبء الانفاق على زوجه وأسرته، وهذه روعة التشريع الإسلامي الذي يعزز المرأة، ويجعل لها حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها، ولكن الأولى والأفضل أن تشاور زوجها في ذلك تطيبيا لخاطره ومحافظة منها على العشرة الزوجية، فيجب ألا ننسى الفضل في هذه العلاقة كما في قوله تعالى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ (البقرة:٢٣٧).

لذا فقد أصدر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي فتوى عن اختلافات الزوج والزوجة الموظفة، وعن انفصال الذمة المالية بين الزوجين، تتيح للمرأة حق التملك والتصرف.

وبرغم أننا نعتنق الإسلام دينا ونؤمن به شريعة ومنهج حياة لنا، فإننا للأسف- لا نطبقه في واقع حياتنا، ومن هنا يأتي الخلل، وإذا كانت هناك مشكلة للمرأة تعاني منها فهي بسبب هذا الخلل ونتيجة له، فنجد أن أكثر حالات الطلاق تكون بسبب الخلاف المالي، لذا يجب تناول هذا الموضوع مرارا وتكرارا، وفي حال كانت المرأة تعمل أو كان لها موردها المالي الخاص، فإنفاقها يجب أن يكون برضاها، وخير الانفاق هو إنفاق الزوجة على زوجها، وهذا من باب التراضي بين الزوجين، ودفعها الى مزيد من الترابط شرط ان يكون ذلك عن طيب نفس منها، ولا ننسى أن ذلك كان موقف السيدة خديجة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ بعد بعثته حيث يقول «وواستني بمالها...» (السلسلة الضعيفة)، وعموما فان المرأة التي تشعر بالأمان في ظل زوجها لن تتأخر بوضع مالها فيما يحتاجه أي فرد من أفراد الأسرة، ولكن الخوف يتصاعد يوميا لدى امرأة لا تشعر بهذا الأمان حينما يقصر الزوج في التزاماته، بل على العكس تشعر بطمع زوجها بمالها ورغبته بوضع يده عليه دون ان تعرف ما هي نواياه وخططه المستقبلية، وهنا تكون الكارثة حيث يعمل كل من الزوجين لمصلحته الخاصة، دون وضع المصلحة العامة للأسرة في الاعتبار، أو أن يعطي الزوج لنفسه الحق بألا تتصرف في مالها خارج أسرتها.

قصة أحمد وأخواته البنات

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

دخل ذلك الشاب الوسيم عليّ باندفاع، يلبس جينزا أزرق وقميصا أسود، يضع على رأسه مادة تسمى بالجل لترتيب الشعر وهي موضة العصر الحالي، فارع الطول ذو جسم معضل ومنسق، ألقى التحية علي وجلس على المقعد المقابل لي في غرفة الاستشارة وقال أنت الدكتورة سعاد؟ فهززت رأسي إيجابا مع ابتسامة تدل على القبول بالرغم من وجود استفهامات تدور في رأسي على اندفاعه وطريقة جلوسه، ولكن نحن الاستشاريين يجب أن نظهر لطالبي الاستشارة الثبات الانفعالي بكل الأحوال حتى نضفي جوا من الأمان والاطمئنان، فرحبت به وقلت: تفضل يا أحمد، بعد أن اطلعت على اسمه المدون أمامي في الملف، فقال: أتعرفيني يا دكتورة؟ فقلت: لا، ولكن اسمك مدون لدي، وأنت الآن ضيفي فعلى المضيف أن يكرم ضيفه بالقول والفعل، فماذا تريد أن تشرب؟ فقال: لا شيء، لا وقت لدي يا دكتورة، إن في قلبي كلاما كثيرا وأخاف أن يسرقنا الوقت دون أن أكمل فدعيني أسرد لك قصتي.

لزمات في حديثه، فقال: أنا إنسان فاشل كثير السقوط أعيش في أسرة مفككة، أبي ينحدر من أسرة متحررة تطبق قشور الدين، وأمي سيدة فاضلة من أسرة متدينة حاولت جاهدة أن تربينا على الطاعة، ولكن تدخل أبي كان يحول أحيانا بين ما تقول وبين ما نريد، كنت صبيا صغيرا طائشا حديثي مع أسرتي دائما ينتهي بصراخ وانفعال أخرج بعدها من البيت لساعات ثم أعود والكل نيام، إلى أن أصبحت في سن السابعة عشرة، وذات يوم كنت ذاهبا للمسجد بعد مشادة بيني وبين أمي كالعادة فاحترت إلى أين اذهب فقررت الذهاب لارتاح في المسجد وإذ بالمؤذن يقيم الصلاة فصليت جماعة وجلست قليلا وإذ بالشيخ يحمد الله ويثني عليه وبدأ درسه عن الحجاب والستر والعفة ودور الرجل في بيته بأن يأمر بناته أو أخواته بالحجاب، كما تطرق إلى الوضع الراهن وبما تفعله الفتيات غير المحجبات وكيف يثرن الفتن مما يؤثر سلبا على المجتمع والشباب والأسرة والسمعة، هنا التفت أنا نحو الشيخ وبدأت أركز على أسلوبه وطريقة طرحه وشعرت بأنه يتحدث عن أحوال أخواتي البنات اللاتي يذهبن للأسواق دون استئذان بسبب التدليل في التربية التي أولاها لهن والدي وبسبب ضعف شخصية أمي، كما أنهن لا يلبسن إلا الملابس الفاضحة وهن غير محجبات، هنا شعرت بالغيرة والضيق، فقررت أن أتدارك الأمر سريعا خوفا من الفضيحة والعار الذي قد يحل علينا ونحن غير مدركين لما تفعله البنات.

فقلت له: فماذا فعلت يا أحمد؟ فقال ذهبت مسرعا للبيت لأضع قوانين صارمة، وشروطا للخروج، وأسلوبا جديدا في اللبس، وفرضت عليهن لبس الحجاب، هذا ما كانت أمي تطلبه منهن ولكن بأسلوب غالبا ينتهي برفع أصواتهن عليها لأنهن مسنودات من والدي المتحرر الذي يعتبر أن الحجاب رجعي وتخلف، سكت قليلا ونكس رأسه ثم رفعه وعينه مليئة بالدموع فقال: يا دكتورة تصوري بأنني كنت وقتها شابا صغيرا ومندفعا وأخذتني الحمية والحماس وكلام الشيخ يرن في رأسي، فبدأ الصراخ والمشادات الكلامية التي انتهت بضربي لإحدى أخواتي الخمس وكانت سنها حينذاك ١٥ سنة، وقد تدخل أبي بالموضوع بعدما سمع الصراخ فجاء مسرعا ليقول، اخرج من بيتي، لا أريد أن أراك...أتسمع؟ وحاول دفعي بقوة من الباب وأنا أحاول أن اشرح له الموقف ولكن دون فائدة، البنات يصرخن وأمي تحاول أن تدافع عني لكن دون جدوى.

خرجت من البيت وأنا اركض لا اعلم إلى أين ولكني جريت مسرعا إلى أن وصلت بيت جدي (والد أمي) ووقفت عند بابهم طويلا مترددا هل اطرق الباب...دخلت في حديقة بيت جدي وانتظرت إلى أن فتح جدي الباب ليذهب لصلاة العشاء فدخلت خلسة، أتتني جدتي فقالت: من؟ أحمد، ها يا ابني «شلونك» «وشجايبك» بمعنى كيف حالك وكيف حال والدتك وما الذي أتى بك في هذا الوقت، فقلت كنت مارا من هنا مع أحد أصدقائي، ودخلت الحمام سريعا خوفا من أن ترى وجهي، توضأت وأنا أبكي وكانت صورة أخواتي أمام عيني وهن بذلك اللباس غير المحتشم، وأتذكر كلام الشيخ عن العار والفضيحة، فتدمع عيني وأزداد قهرا وأضرب قبضة يدي بالحائط قهرا وضيقا.

فعاد يقول: طلبت من جدتي أن ترتب لي غرفة الضيوف لأنني أريد أن أقضي الليلة في منزلهم، وعند ذهابي إلى الفراش جاء جدي رحمه الله (نعم لقد توفى ذلك الرجل العظيم) وتركني في هذه الدنيا أشعر بالوحدة، إنني افتقده يا دكتورة. من خلال حواره علمت بأن جده رجل متدين وحكيم ولقد توفى منذ أسابيع، فقلت: جدي حبيبي، أنا وحيد ليس لي أحد غيرك فأربت على كتفي قائلا: اهدأ يا بني وان شاء الله كل شيء سيصلح، سردت له ما حدث بالتفصيل وسألته هل أنا على حق يا جدي؟ أليس الله غاضبا علينا لأننا لم نفعل شيئا لستر عوراتنا؟ (يقصد أخواته البنات) رد جدي بهدوء وقال لي جملة واحدة: الله يهديهن يا ابني، ادعو لهن بالهداية وأرجوك أن تذهب لأبيك وتعتذر منه غدا عما بدر منك فشهقت وقلت لا، لا استطيع، ولكن أسلوب جدي المقنع وطيبته جعلتني اقتنع ووافقت.

عند الصباح ذهبت أجر همي وحزني خلفي مثقلا بهما ودخلت البيت فوجدت أبي يقرأ الجريدة، نظر لي نظرة استهزاء وقال: هذا أنت لماذا عدت؟ كلماته كانت كالصاعقة بالنسبة لي، لا أعلم كيف سأعتذر منه، فقلت له: أبي، أنا آسف أرجوك سامحني فرد علي بنبرة غضب لن أسامحك إلا عندما تعتذر من أختك التي ضربتها وان تعدني بألا تتدخل بموضوع لبس أخواتك أو خروجهن، فانا المسؤول.







الأطفال وإعلانات التلفزيون

د.محيي الدين عبدالحليم

تشير الدراسات العلمية إلى أن التلفزيون أصبح هو المربي الرئيسي لأطفالنا بعيداً عن الأسرة والمدرسة ودور العبادة بما يقدمه من برامج وفقرات لأطفالنا، وقد كشفت البحوث العلمية أن مشاهدة التلفزيون هي ثاني أهم نشاطات الطفل بعد النوم، وقد أكدت البيانات الإحصائية أنه حين يصل الطفل للمرحلة الثانوية يكون قد قضى 22 ألف ساعة من وقته أمام الشاشة مقابل 11 ألف ساعة يقضيها في غرف الدراسة، وتشكل الرسوم المتحركة 88% مما يشاهده الأطفال، 65% من هذه المواد مدبلجة ومستوردة وخالية من وجود شخصية عربية كرتونية واحدة.

وقد أفادت الدراسة التي أجراها د.جلال حسن أن الرسوم المتحركة التي تقدمها برامج الأطفال هي المسؤولة عن إقرار العديد من الظواهر السلبية في المجتمع العربي مثل العنف والعدوان والتأخر الدراسي وانتشار الألفاظ السوقية مما أثر على فهمهم وتفكيرهم وسلوكياتهم السلبية، وذلك في ظل تراجع مستوى التعليم في المدارس مما يلقي اللوم على التلفزيون في إضعاف مستوى التحصيل لدى الطفل لأنه يستولى على معظم وقته، بالاضافة إلى ضعف الانتاج العربي لرسوم الأطفال مما أتاح الفرصة أمام الكرتون المستورد لنقل قيم ومعارف وأفكار ومفاهيم غريبة عن واقع الطفل بالاضافة لاعتماد الكارتون الأجنبي على شخصيات وهمية تقوم على القوة الجسدية والاحتياجات البيولوجية.

وهكذا نرى أن برامج الأطفال في القنوات الفضائية ترسخ قيماً مغلفة بألوان ورسوم تؤثر على عقلية الطفل مثل العدوانية والخيانة والظلم والكذب والأنانية والتفكير الخرافي، ويقوم كثير من القائمين على انتاج برامج الأطفال بتوظيف عناصر الصوت والصورة بشكل سلبي يؤكد على مناظر ومشاهد عدوانية باستخدام اللقطات المكبرة والزوايا الخاصة وحركات الكاميرا والمؤثرات السمعية والبصرية الأخرى، ومن ثم فان أغلب مشاهد العنف المقدمة في هذه البرامج تستخدم وسائل غير مشروعة، وهو عنف بصري وصوتي وحركي وجسدي موجه من الصغير إلى الصغير.

وهذا يعني أننا في حاجة إلى عمل إعلامي عربي عبر القنوات الفضائية لرصد وتحليل ما يقدم للطفل ويؤثر على عقليته، واعتماد منهج للتربية الإعلامية في روضات الأطفال ودور الحضانة والمدارس والنوادي يقوم على تزويد الأطفال بالقيم الأخلاقية التي يجب أن ترسخها برامج الأطفال في عقولهم، واستثمار الرسوم المتحركة كشكل فني محبب وليس فقط لمجرد الترفيه، بحيث تتحول الشخصية الكارتونية إلى صديق يتفق ويرشد ويوجه كما يرفه من خلال إنتاج عري متماسك وبناء.

وتحتل الإعلانات في التلفزيون العربي مساحة كبيرة على خريطة البرامج، وتزداد هذه المساحة بصورة مطردة كلما دارت عجلة الخصخصة وازدادت نسبتها، فلم يعد يقتصر دور الإعلان التلفزيوني على الترويج للسلع والمنتجات ولكنه أصبح يروج للأفكار والمعتقدات والقيم السلبية حتى أصبحت هذه الأفكار والمعتقدات تنافس البرامج الثقافية والدينية والسياسية في تكوين شخصية الصبية والشباب والفئات التي لم تنل حظها من الثقافة والتعليم لاسيما أن اعلانات التلفزيون يتم تقديمها بصورة مبهرة تستخدم فيها كل عناصر الجذب والاستمالة لتشد المشاهد إلى مضمونها.

ويتضاعف حجم التأثير في مراحل الطفولة الأولى بسبب تعرض هؤلاء الأطفال إلى سيل لا ينقطع من مشاهد العنف والجنس والجريمة، وهذه المشاهد تترك بصماتها البارزة على سلوك أبناء العرب والمسلمين، مما يدفعهم إلى التصرفات العدوانية بفعل غريزة التقليد والمحاكاة لاسيما أن كثيراً من البرامج والفقرات الاعلانية تروج لسلع ومنتجات وأفكار أجنبية مما جعل هؤلاء الأطفال يتم حصارهم بمجموعة من قنوات البث والبرامج التي تتنافى مع معطيات الفكر والثقافة الإسلامية.

وفي الحقيقة ان الطفل العربي والمسلم قد تخلف عن أطفال عصره بسبب التسلط على فكره وسحق ارادته لاسيما أن كثيراً من العناصر الجاهلة تسيطر على وسائل الاعلام، وتشير الدراسات العلمية إلى أن أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على الطفل المعاصر، حتى إنه من الصعب عليه أن يفلت من أسارها، فهي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، وتحاصره من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات ليلاً

برامجنا تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة .. ما شأنه الاعتماد على البرامج الغربية

ونهاراً وتحاول أن ترسم له طريقا جديداً لحياته وأسلوبا معاصراً لنشاطه وعلاقاته.

ويكشف الواقع المعاصر أن برامج الأطفال في وسائل الإعلام بالبلاد العربية والإسلامية تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة مما أدى إلى الاعتماد بشكل مكثف على برامج الأطفال الأجنبية التي تحمل من المفاهيم والمعاني ما يؤثر بالسلب على عقل الطفل ووجدانه، وقد تهدم قيما تكون هذه الدول قد أنفقت الكثير لغرسها في كيانه، وقد نجم عن ذلك غياب استراتيجية علمية سليمة لإعلام وإعلان الطفل، بل اننا نلاحظ أن هذه الأجهزة كثيراً ما تتخبط في تناولها لهذا الموضوع دون أن تصل إلى رؤية فلسفية تستند إليها، وترسم لها الطريق الصحيح.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخداع البصري الإعلاني يدهم الأطفال بصورة مخيفة تجعلهم في غير مأمن على أخلاقهم أو سلوكهم أو صحتهم، حيث يؤدي هذا الزخم الاعلاني الى ابتراز أموالهم وأوقاتهم وأذواقهم، ويوقعهم في أخطاء شديدة وىؤثر بالسلب على أخلاقهم مستخدماً في ذلك كل أسلحة الاستفزاز الاستهلاكي، والأمثلة على ذلك كثيرة بصورة تجعلنا أمام جيل إعلاني من الأطفال يرددون الإعلانات في المنازل والمدارس والشوارع كالببغاوات، وقد تحول هؤلاء الأطفال إلى سلعة، وكأن المنافسة بين الشركات المعلنة لم تعد تتوقف على التهام الأسواق فحسب بل تعداه الى اغتيال الطفولة، كما أن الإعلان يستخدم المرأة بصورة مبتذلة مليئة بانفلات من الأطر والقيم الأخلاقية للمجتمع العربي من خلال محاولات الاقناع عن طريق تقديم معلومات كاذبة وتصرفات مستهجنة تسيء بصورة شديدة إلى الذوق العام، وتفتقر إلى الحد الأدنى من الاحترام والالتزام، وقد تزايدت مخصصات الإعلان بصورة تلفت الانتباه حيث وصل إنفاق كبرى الشركات الأميركية على الاعلان ما يربو على مائة مليار دولار، كما أن حجم الانفاق الاعلاني للشركات العالمية بالمنطقة العربية يزيد على ٣٠٠ مليون دولار.

وقد أشارت احدى الدراسات التي تم اجراؤها بجامعة القاهرة حول أخلاقيات الإعلان عن وجود أشكال عدة للتجاوزات الأخلاقية التلفزيونية بحق الأطفال تشمل العديد من القيم السلبية المؤثرة مثل الشراهة والتبذير والتفاخر والمباهاة والعنف والعدوانية وانتشار الملابس غير اللائقة، وتعليم السرقة والابتزاز، اضافة إلى العديد من مظاهر الإثارة الجنسية في مرحلة الطفولة المتأخرة، إلى جانب التجاوز في استخدام اللغة العربية بصورة مغلوطة من خلال استخدام ألفاظ غريبة وسوقية تقوم بتشويه الأبنية اللغوية نحويا وصوتيا، وقد كشفت الدراسة الى أن ٩٣٪ من الاعلانات في التلفزيون العربي تستخدم النساء، بينما النسبة في الولايات المتحدة بلغت ٣٧ ٪ فقط، وأن ٧٣٪ من هذه الإعلانات يتم تقديمها من خلال حركات جسد المرأة، والأداء التمثيلي الخاطئ وابراز علاقات غير عادية للأطفال مثل تقديم الرشوة لتحقيق غرض تسويقي معين، أو الفوز عن طريق المقامرة، أو السرقة للحصول على سلعة معينة، وقد أفرزت هذه الإعلانات نتائج سلبية أكدتها البحوث والدراسات العلمية، وانخرطت بعض الفتيات في أعمال الدعارة رغم أن أعمارهم تتراوح بين ١٢ إلى ١٦ عاماً، وهنا يصبح من الأهمية بمكان إعادة النظر في إعلانات التلفزيون من حيث الشكل والمضمون، فالأطفال هم أمل الأمة، وإذا انهارت هذه الثروة فلن نجد مستقبلاً من يحمي هذه الأمة.

وترتفع معدلات مشاهدة الإعلانات التي يتم عرضها قبل وأثناء تقديم المسلسلات وغيرها من الأعمال الدرامية، وقد كشفت لنا العديد من الدراسات أن هذه المسلسلات تتضمن مواقف تمجد الكذب والحقد، وتزين الفساد والشخصيات الشريرة والخيانات الزوجية والخداع والعنف والأنانية والغرور، وعدم احترام الكبير، وكذلك القسوة والوشاية والنميمة والتفرقة العنصرية وغير ذلك من المواقف التي تعكس الأخلاق «الميكافلية»، وأبرز مثال لذلك مسلسل «ميكي ماوس» الذي يبين في الظاهر المواجهة بين الجسد الضخم والجسد الضعيف، ثم ينتصر صاحب الجسد الضعيف، والمعنى الكامن وراء هذا المسلسل هو ان الغلبة تكون للدهاء والمكر والخداع والتآمر.

وهذا يعني أن معظم البرامج التي يتم بثها للأطفال العرب سواء البرامج المدبلجة أو المبثوثة بلغتها الأجنبية والتي تحاصر أطفالنا صباحاً ومساءً تهدد ثقافتنا الأصيلة المتوارثة من أجيال بعيدة مما يوجب علينا أن نحترس وندقق فيما يبث للصغار من برامج، ثم ان علينا أن نبدع ونبتكر برامج تلفزيونية خاصة لأطفالنا، وعلينا أن نعمل عقولنا، ونعد برامج ترسخ الهوية العربية الإسلامية، وتنمي حب الوطن والانتماء له، وتمحو أنماط التفكير الخرافي، وتواجه الأفكار الوافدة والقيم التي تتناقض مع ثقافة مجتمعنا ذلك أنه في ظل النظام العالمي الحالي برزت مسلسلات التلفزيون، وظهرت برامج الاطفال التي تبث من القنوات الفضائية الاجنبية، ولكن شتان بين التربية الأسرية والمدرسية، وما تبثه برامج التلفزيون والقنوات الفضائية، فالأسرة والمدرسة تعملان على دمج ثقافة المجتمع الأصيلة في شخصية الطفل كما تعملان على المحافظة على التراث الاجتماعي والثقافي، وثمة تواصل بين المدرسة والأسرة، أما إعلانات ومسلسلات التلفزيون فهدفها يختلف عن أهداف المؤسسات التربوية.

وتؤكد الشواهد العملية أن طفل اليوم – على غير العادة– يتعرض للعديد من وسائل الإعلام، يأتي التلفزيون في مقدمتها لاسيما بعد القفزة الهائلة التي حدثت في تكنولوجيا الاتصال، وأتت بالعديد من القنوات التي أخذت من الصبية والأطفال معظم أوقات فراغهم، والأطفال يندفعون نحن التلفزيون لاعتماده على الصورة والصوت والحركة، لذلك كان لابد أن نبدع ونبتكر في برامجنا التلفزيونية المحلية الخاصة بأطفالنا، كما لابد أن نعمل على كتابة واخراج مواد تجذب الصغار وترسخ الهوية العربية والعقيدة الإسلامية السمحة، وتنمي حب الوطن والانتماء العربي والإسلامي، وترسخ دور المدرسة والبيت والمؤسسات الثقافية والاجتماعية والاعلامية حماية الأطفال من الثقافات الوافدة، وترسخ الدور الايجابي لهذه المؤسسات.

أبوجهل .. الشخصية والنموذج

د. نبيل فولي

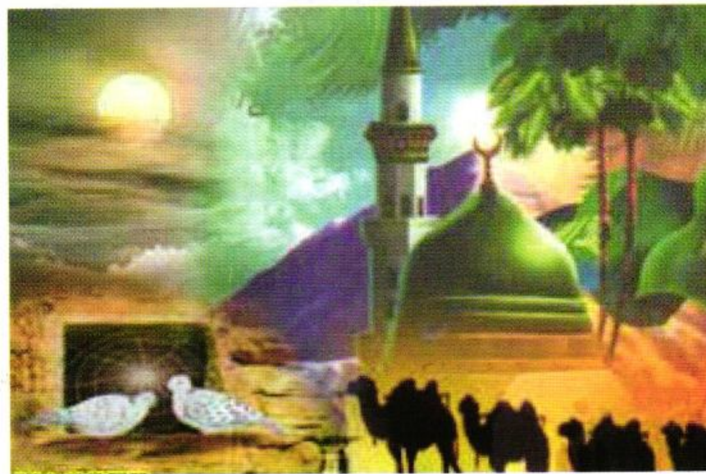
مثَّلت شخصية عمرو بن هشام، أبي جهل، وما انتهت إليه حياته، انكسارَ أعنف النماذج الجاهلية أمام الإسلام، فقد عاش الرجل مع الإسلام نوعا غريبا من التكذيب، فكان يعرف صدق ما جاء به النبي ﷺ ولكنه استكثر على نفسه أن يتبعه، ساقه إلى ذلك كبر الجاهلية المتجذر في نفسه، ووضعُه نفسَه في مقام مَن لا يجوز أن يكون تابعا لأحد، ويبقَى متبوعًا سيدًا على الدوام. وقد سمى القرآن هذا الكبر «جحودًا»، وهو أن يعرف الإنسان الحق، ويأبى الاعتراف به واتباعه، فقد روى الحاكم بإسناد صححه، أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئتَ به، فأنزل الله تعالى ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (الأنعام: ٣٣). وفي رواية لابن أبي حاتم، قال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه لنبيٌّ، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟! وتلا أبو زيد (الراوي) الآية السابقة.

وشبيه بهذا ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!

لقد كان أبو جهل معجبا بالقرآن، ويراه من طبقة أرفع -بصورة مدهشة- من أفصح كلامهم، على الرغم من أنه بلُغَتهم ولسانهم، ويستعمل ألفاظهم نفسها، لكنَّ أبا جهل أبى أن يصرح برأيه في القرآن لأحد جهرًا، فكشفته أعماله وكلماته الخافتة، إذ خرج ليلة مستخفيا من قريش ليستمع إلى النبي ﷺ في داره وهو يقرأ القرآن، فجلس يستمع من الليل حتى أدركه الصبح، وتسلل عائدا إلى داره، فجمعته الطريق برجلين من قريش (أبو سفيان، والأخنس بن شريق) فعلا مثلما فعل من الاستماع للقرآن سرًا، فتعاهد الثلاثة على ألا يعودوا إلى الاستماع إلى القرآن، لكنهم رجعوا في الليلة الثانية، وجمعتهم الطريق، فتعاهدوا ثانية، وفعلوا مثل ذلك في الثالثة، وتلاوموا من جديد، وعزموا على عدم العودة، وراح الأخنس يسأل أبا جهل عن رأيه فيما سمع، فقال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعَموا فأطعمنا، وحمَلوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رِهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!

لقد كان سؤال الأخنس بن شريق عن القرآن، فغيّر أبو جهل الحديث إلى التنافس المحتدم منذ الجاهلية بين بني مخزوم وبني عبد مناف، فالقضية التي كانت تشغله هي قضية الشرف والمكانة، وأما القرآن فلا يستطيع أن يقول فيه شيئا يتنقصه به.

والذي لقَّب عمرو بن هشام بـ «أبي جهل» هو رسول الله ﷺ كما يروي ابن حجر، ويرجع ذلك أساسا -فيما يبدو- إلى مواقفه الغريبة في مواجهة الإسلام، واتباعه أعنفَ سبل الجاهلية في تلك المواجهة، وليس إلى ضربه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما- بعنف شديد يوم الهجرة كما هو شائع؛ فهذا الحادث متأخر جدًا.



ومن صفات أبي جهل الجسدية القليلة التي عثرنا عليها، أنه كان خفيف الجسم، سريع الحركة، حاد الصوت، واضح الكلمات، قوي النظر، قويَّ ملامح الوجه، شديدَها.

يقول عنه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «كان رجلا خفيفا، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر».

وقد كان أبو جهل مقاربا لرسول الله ﷺ في السن والميلاد، فيروي ابن هشام في السيرة أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتماس أبي جهل في القتلى يوم بدر، وعرّفه لهم بأثر جرح في ركبته، أصابه عندما دفعه رسول الله ﷺ وهما غلامان، فوقع على ركبتيه، وأصيب بجرح ترك أثرا.

إن المحرك الأساسي لعداوة أبي جهل لرسول الله ﷺ ودعوته هو ميراث التنافس الجاهلي المقيت، والكبر المستكنّ في نفس هذه الشخصية الغريبة، وقد كان يرى حوله كثيرًا من رجال قريش يطيلون قاماتهم بأعمال مجيدة يقومون بها، فكان ينافسهم ويجري معهم في هذا المضمار، حتى ذُكر كأحد رجال

قريش المعروفين بإطعام الطعام وإكرام الحجيج، وبرز كواحد من شجعان قومه، حتى بلغت به شجاعته درجة التهور الذي أهلكه يوم بدر.

وحين بُعث النبي ﷺ كانت المفاجأة، فهذا الرجل (الصادق الأمين) لم يكن ينافس قومه في هذا النوع من الشرف الذي يتصارعون عليه، فإذا به يخرج عليهم اليوم بما يجعل الكل -إن أطاعوه- أتباعًا له، ويبرز في مجال لا سبيل لأحد منهم إليه، و هذه النبوة نفسها قلبت حب أبي لهب لابن أخيه محمد ﷺ إلى عداوة شديدة.

إن مشكلة أبي جهل، هي أنه كان باحثًا باستمرار عن مجد شخصي، وكان يرى نفسه مؤهَّلا لنيل هذا المجد بمواهبه وشرف آبائه، ويسيل لعابه دائما عند الحديث عن هذا الهدف، فحين اجتمع وفد من سادة قريش، وقدّمهم أبو طالب لرسول الله ﷺ قائلا: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ «يا عمُّ، كلمة واحدة يعطونيها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعم، وأبيك، وعشر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه». فصفقوا بأيديهم اندهاشا وإنكارًا.

العداوة الأقسى

أبو جهل من بين زعماء المشركين في مكة، لم يلن في مواجهة الإسلام إطلاقًا، واختار دائما أقسى الآراء والمواقف لمواجهة الدين الجديد، وهذه بعض الشواهد:

- أبو جهل هو الوحيد الذي قام بمحاولة فردية وبدون تحريض من أحد لقتل النبي ﷺ في فترة الدعوة المكية، فاحتمل بيديه حجرًا ثقيلاً، وواعد الملأ من قريش أن يخلصهم من الرسول، وأقبل على النبي ﷺ وهو ساجد بين الركن اليماني والحجر الأسود، والكعبة بينه وبين الشام، ليحطم رأسه، وملأ قريش يراقبون الموقف، وينتظرون النتيجة، ففوجئوا بأبي جهل يرجع إليهم متغير اللون، يملأ الرعبُ قلبَه، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجرَ من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟! قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه، عرض لي دونه فحل من الإبل، لا، والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قَصَرته (أصل العنق)، ولا أنيابه لفحل قط، فهمَّ بي أن يأكلني.

- تزعّم حصار المسلمين القاسي في شعب أبي طالب، وحين رق قلب أناس من قريش وسعَوا لرفع الحصار، وقف هو في وجوههم، ولم تأخذه بالمسلمين -وفيهم النساء والأطفال- رحمةٌ ولا شفقة، لولا أن الرأي الآخر انتصر، ورُفع الحصار.

- أبو جهل صاحب أسوأ رأي للقضاء على دعوة النبي ﷺ عند الهجرة، حيث قال «أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدًا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجلٍ واحد ...» وهو الرأي الذي حاول المشركون تنفيذه، لكن الله حال بينهم وبين ذلك.

- ضحّى بمروءة الرجل التي كان الجاهليون يحرصون عليها، غيظا من الإسلام ورسوله، فضرب أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- بعنف وقسوة، حين أتى دار أبي بكر يوم الهجرة، فوجد رسول الله ﷺ وصاحبه قد خرجا مهاجرين، بل إنه نال خزيًا أكبر حين تعدى على سمية بنت خياط -رضي الله عنها- في أول الإسلام، فجعل «يطعن بحربته في قبلها حتى قتلها».

- لم تتوقف حربه للإسلام على إيذاء من أسلم، بل تعدته إلى صد من يريد الإيمان عن دين الله تعالى، ففي صحيح البخاري أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

- وأما إيذاء أبي جهل لمن آمن فحدِّث ولا حرج، ويكفي أنه خدع أخاه لأمه عياش بن أبي ربيعة حين هاجر إلى المدينة مسلما، حتى رده إلى مكة زاعما أن أمه قد هجرت الدنيا لأجل هجرته، ولما رجع عياش معه فتنه عن دينه، حتى أدركته رحمة الله وهاجر.

هناك الكثير من « آباء جهل » في المشرق والمغرب مهمتهم تنحصر في نشر ثقافة العداوة والكراهية للإسلام وإثارة النعرات الجاهلية

لم يكن سقوط أبي جهل سقوطا لشخص بقدر ما كان سقوطا لنموذج، فكثيرون استعملوا ويستعملون مثل منطقه في معاداة الإسلام، والسعي نحو تدميره، فالحق الذي يبدو في نظرهم أنه سيضعهم في رتبة متأخرة لابد من إنكاره، بل محاربته، لأن تركه حرًا يحمل خطرًا شديدا عليهم.. هكذا تصوروا.

إننا نجد في كل زمن «آباء جهل» كثيرين، منبثين في مشرق ومغرب، يتوارثون المهمة بعضهم من بعض، وخطرهم يأتي من أنهم لا يعادون الإسلام بأشخاصهم وحدهم، بل يتجاوزون ذلك إلى نشر ثقافة العداوة للإسلام، بتزوير حقائق الإسلام، وإثارة النعرات الجاهلية، وحشد القوى المادية والمعنوية في مواجهة الإسلام، وتشجيع من فتر عن عداوته للإسلام كي يستمر في عداوته.. وهكذا.

وهكذا يبدو المعادون للإسلام من نوعية أبي جهل حوائط صد للخير عن قومهم وأهلهم، ولكن الإسلام، إن أحسن أهله فهمه وتمثّله في حياتهم، لم تضره عداوة أبي جهل ولا آباء جهل الكثيرين، مهما بلغ مكرهم.

المراجع

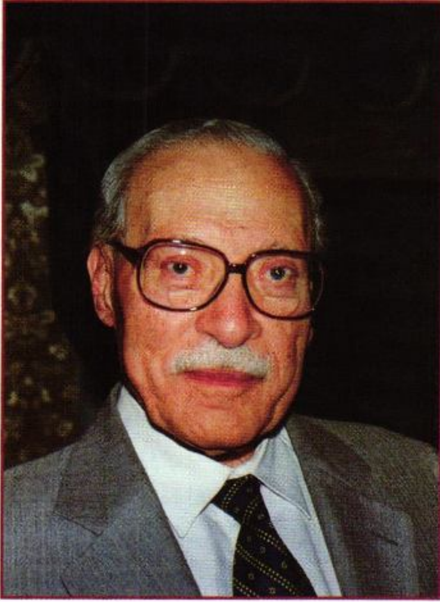
- البداية والنهاية لابن كثير.
- تاريخ الطبري.
- تفسير القرطبي.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- سيرة ابن هشام.
- معجم البلدان لياقوت الحموي.

الطبيب والشاعر والمفكر د. حسان حتحوت في حوار صريح مع «الوعي الإسلامي» قبيل وفاته:

لابد من إحياء «الفكرة» في وقت «السكرة»

محمود خليل

الحوار مع الداعية الكبير د.حسان حتحوت له خصوصيته، نظرا لما يمتاز به الرجل من تجربة واسعة ورؤية عميقة ثاقبة، واستشراف جيد للمستقبل.
ولتعدد القضايا التي تطرح نفسها في هذا الاشتباك الحضاري بيننا وبين الآخرين، كان ل« الوعي الإسلامي » معه هذا اللقاء - قبيل وفاته- في كاليفورنيا الأميركية باعتباره شاهدا عريقا على مسيرة الحركة الإسلامية المعاصرة وداعية متفرغا في الولايات المتحدة الأميركية كرئيس للمركز الإسلامي هناك.



■ **لماذا جاء اختياركم للاستقرار في المجتمع الأميركي، ليكون خاتمة المطاف لرحلة العمر الخصيبة؟**

- عشت نحو نصف حياتي في مصر، وكانت آخر وظائفي بها أستاذا للنساء والتوليد بكلية الطب جامعة اسيوط، ثم حدث ما دفعني دفعا الى الخروج من مصر، والاستجابة لدعوة حكومة الكويت للانتقال اليها، وعشت بها من عام ١٩٦٦م الى عام ١٩٨٨م، حيث ساهمت في انشاء كلية الطب بها، وكنت الاستاذ المؤسس لقسم التوليد وأمراض النساء، وكان معي الإسلام في كل مراحل حياتي، لأن الذي يحمل الإسلام يستطيع أن يعيش به وأن يتخلق به في كل مجال.

■ **من خلال أسفاركم العلمية والدعوية العديدة، نحب أن نقرأ معكم الصورة المعاصرة للدعوة الإسلامية داخل أميركا مع إلقاء الضوء على الصورة المستقبلية؟**

- لاحظت من خلال أسفاري العلمية والدعوية - خاصة أميركا - أن معرفة القوم بالاسلام معرفة مغلوطة جداً، وصورتهم عنه شوهاء، فأخذت أقلب الفكر لماذا لا أخصص شريحة من عمري، أقف فيها جهدي على تعليم الناس ما هو الإسلام؟ فاستقلت من عملي بالكويت، وودعوني مشكورين، بالكلام الطيب عن القلب الطيب، وذهبت الى أميركا عام ١٩٨٨م وكان في ذهني أنني محتاج الى تعليم غير المسلمين، ما هو الإسلام؟ فإذا بي أيضا أكتشف أن المسلمين ليسوا أقل حاجة الى تعلم الإسلام من غير المسلمين.

رحلتي مع القرآن

■ **ارتباط الداعية بكتاب الله تعالى كشرعة وشريعة وتشريع، كيف تنظرون اليه في ظل إشكاليات العمل الدعوي مع المجتمع الغربي بثوابته ومتغيراته الهائلة؟**

- رحلتي مع القرآن رحلة عمر، وقد توثقت صلتي به منذ طفولتي الباكرة والناس حيال القرآن درجات ومستويات، فهو رسالة وخطاب، أوصلها جبريل عليه السلام الى محمد ﷺ، ثم أوصلها محمد ﷺ الى العالمين، ومن ثم فهو رسالة وردت الى كل مسلم، لا بد أن يفهم محتواها ومغزاها، وإلا انتفت اهليته للمخاطبة.

وتخيل انك قد جاءتك رسالة من مرسل، ثم لم تعرف ماذا يريد أن يقول لك، ولله المثل الأعلى، وكوننا بليون ونصف بليون مسلم، لا يعني أن نصيبي من القرآن يمثل واحدا على بليون ونصف، إنما هو رسالة خاصة الى كل مسلم، فضلاً عن أنَّ تلاوته عبادة، واستماعه عبادة، وتدبره من أرقى العبادات، واذا كان الكثير من المسلمين مازالوا محجوبين عن هذا حتى الآن، فإننا في المجتمعات الغربية، نبسط معهم قضايا القرآن، من حيث الفهم والتدبر ثم المطالبة بالعمل، بعد بسط القضايا على طاولة البحث العقلي والعلمي الحر، ومن عجائب هذا الكتاب أنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، فنحن لا نعرض عليهم القرآن بقدر ما نعرضهم على القرآن، لأنه الميزان الوحيد المعصوم والباقي لتصحيح المسيرة الانسانية الى يوم القيامة. والنبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب سيظل الكتاب الذي أنزله الله عليه هو ميزان الحق الى قيام الساعة وتلك معجزة المعجزات، مهما بلغت الحضارات المعاصرة من زهو وزخرف، فسوف تظل منحنية ساجدة أمام القرآن.

■ **ومن وراء تكريس وترسيخ هذه الصورة الشوهاء عن الإسلام والمسلمين في أذهان الغرب؟**

- هذه الصورة التي تشكو، وأشكو، ويشكو

كل منصف عاقل منها، وراءها ولا شك «الإعلام الصهيوني» الخبيث، وهو إعلام عنصري بغيض، ولكنه يعمل باستراتيجية عالمية منظمة، تخدمه مؤسسات المال ودوائر السياسة والفنون، ولكن من الإنصاف أيضا أن نقول أننا شركاء أصلا في هذه الصورة الشائهة، لأننا نسهم بأنفسنا في رسم جزء كبير منها، وإن لم نسهم في رسمها بالكامل، ولأن قراءة الموقف بصورة متزنة لا بد أن تستدعينا الى أن نقرأ ما عندنا أولا، ولأن اليهود ليسوا من النجاح المطلق في كل شيء، فهم بذواتهم مكروهون في كل مكان يعيشون فيه، سيما أميركا والأوساط الغربية.

ولعله ليس ببعيد عنا ما قرأناه على لسان «جاك شيراك» حين كان عمدة باريس من قبل، حيث قال بالحرف الواحد: إننا جميعا كسياسيين لا نحب اليهود، غير أننا لا نجرؤ على قول ذلك، خوفا من نفوذهم السياسي والاعلامي، وقد نشرت الـ «واشنطون تايمز» موضوعات مطولة من الشكوى المرة بإدارة «كلينتون» من تزايد النفوذ اليهودي وبيان اخطاره وأضراره على المجتمع الأميركي، كذلك فإن سويسرا والنمسا تئنان من الابتزاز اليهودي الزائف باسم «المحارق النازية» التي نفخ اليهود فيها من ريح إعلامهم السموم.. كل ذلك يجعلنا نؤمن أن تصحيح الصورة ليس من الاستحالة في شيء.

فلسطين بين العروبة والإسلام

■ يأخذنا هذا الى شهادتكم الواجبة، لقراءة الواقع اليهودي في فلسطين، باعتباركم أحد المجاهدين الأوائل في فلسطين عام ١٩٤٨، وأمامكم الصورة بين الأمس واليوم.

- عندما ذهبت الى فلسطين عام ١٩٤٨، كنت ذاهبا بمشاعر وعواطف المجاهدين، ولكن في يوم من الأيام، جاءتنا رسالة ونحن بمدينة «الرملة»: إذا سلمتم أمناكم على حياتكم، وإذا لم تسلموا فعلنا بكم كما فعلنا في «دير ياسين».

ورفضنا الإنذار، وبدأ الهجوم اليهودي، وكان هناك حصار حول «اللد» و«الرملة»، ولأول مرة أوضع في التجربة، حيث كنت طبيبا حديث التخرج بمستشفى الرملة، وجرح عدد من اليهود وحملوا الى المستشفى كأسرى، وجاء الناس ليقتلوهم، فوقفت على سلم المستشفى وقلت: على جثتي!! أنا مسلم! وفي شأن الأسرى يقول الإسلام كذا وكذا، وكانت هذه تجربة عملية وضعتني امام اختياراتي، ولعل مثل هذه التجربة بعينها هي التي ادخلت «رجاء جارودي» في الإسلام.

كانت هذه مقدمة، لقراءة الصورة الحزبية الموجعة. خمسون عاماً من عمرنا ضاعت، ويا ليتها ما بدأت، وكانت آمالنا أمامنا وكان في الوسع ألا تقوم «إسرائيل»، لو ظلت ثورة فلسطين من الداخل، وسواعد المجاهدين من مصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان، وبدلا من ارسال الجيوش المهزومة قبل إرسالها، ثم انهزمت امام العصابات الصهيونية، ثم خانت بسحب سلاح المجاهدين المسلمين واعتقالهم، لو لم يحدث هذا، لقضي الأمر.

قرأت حديثا في كتاب لكارتر اسمه «Keeping the face» يقول فيه: عندما توليت الرئاسة وأنا متدين، فكرت في إحلال السلام في بلد المسيح، ثم أرسلت مندوبي الى الجهتين، إسرائيل والبلاد العربية، فاذا كل البلاد العربية تقول: اتحاد فيدرالي «نعم»، دولة فلسطينية مستقلة «لا»!!

قال كارتر ذلك، ولم يتصد أحد لتكذيبه على الإطلاق.

«الفكرة» و«السكرة»

الآن في أميركا وإسرائيل، يديرهما رأس مال يهودي واحد، وهو أغلب رأس المال الأميركي، وقد زادت سطوته في محاولاته الآن لشراء مقدرات بلادنا.

ولكن قضية «صراع الحضارات» ووراءها هنتنجتون، قد ماتت وقبرت، والكل هنا بأميركا يسفهها علميا وعمليا، و«العولمة» هي كلمة مستعارة «للأمركة».

والعولمة مهما كانت سطوتها، لن تذوب الشعوب التي تحتفظ بمقدسات وتحميها عقائد. ولن يقر لاسرائيل قرار أبدا، سواء بفرضها بالشرق أوسطية أو بالعولمة، طالما بيننا من يقول لا، ويثبت عليها مهما كانت العواقب.

لابد من إحياء «الفكرة» في وقت «السكرة»، وأنا أعتقد أن القضية لا تقاس بمقياس العقود من الزمان، ولكن على مدى زمني اطول، إن أمتنا ستشهد بعثا جديدا، وان الحضارة الغربية ستتقن تشخيص الجراثيم الكامنة في جسدها، ولن تجد علاجها الا في منظومة القيم الإسلامية.

■ هل ترى أن المسلمين مؤهلون لميراث حضاري ما في عصرنا هذا؟!

- للأسف، المسلمون الآن لا يمثلون حضارتهم، ولا يقدمون صورة مشرفة لدينهم، وقرآننا ينادينا ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران: ١١٠)، فإن هذه الخيرية على مستوى العالم وعلى مستوى الدول، يا للقرآن من كتاب لو كان معه رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولكننا لا نحب القفز على القطار من أية «محطة»!

محطات مضيئة في حياة د.حسان حتحوت

- فقدت الأمة الإسلامية الطبيب الإنسان د.حسان حتحوت بعد صراع طويل مع المرض، مساء السبت ٢٠٠٩/٤/٢٥م عن عمر يناهز ٨٤ عاما، وذلك بولاية كاليفورنيا الأميركية.
- كان - يرحمه الله- نموذجاً للداعية صاحب الفكر الراقي والأدب الجم والخلق الرفيع والجرأة في الحق والتضحية في سبيل الله، ولا يفوتنا ذكر موقفه الرائع في تركه للعمل بدولة الكويت وذهابه للدعوة في أميركا، حيث قدم الفقيد العزيز النموذج والقدوة سلوكاً وعملاً بين أفراد المجتمع الأميركي، مما دفع الى التغيير التدريجي في تعامل الأميركيين مع المسلمين.
- ولد الفقيد في مدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية بمصر، وذلك في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤م، وقد نشأ في بيت تحركه المشاعر الوطنية.
- استقر د.حسان في الكويت قرابة عشرين سنة، طبيباً ومدرساً، ورئيس قسم أمراض النساء والولادة بكلية الطب بها.
- نجح الفقيد في عقد تحالفات مع تنظيمات اجتماعية مختلفة، ونجح أيضاً د.حسان ورفاقه في حمل الإدارة الأميركية على الاعتذار في وسائل الإعلام المختلفة عن إهانة وجهت للمسلمين والإسلام باعتبارهم «إرهابيين» وبصورة خاصة اعتذارا لمسلمي أميركا.
- كان ثمرة من ثمرات هذا الجهد المبارك أن قام التحالف الإسلامي بإقامة شعائر صلاة العيد (عيد الفطر لعام ١٩٩٩م) في حديقة البيت الأبيض الأميركي بحضور زوجة الرئيس الأميركي كلينتون وابنته، حيث تدرس الابنة الدين الإسلامي.

تطبيق الشريعة

في أوائل السبعينيات، وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م، أخذت الدعوة إلى العودة لمناهج الإسلام في الحياة والعمل والسلوك تسلك طرقاً مباشرة، بوصفها المنقذ من الهزيمة من ناحية، والأمل في بناء مجتمعات إسلامية تقوم على العدل والتفوق والانطلاق إلى مشاركة العالم في بناء الحضارة الإنسانية من ناحية أخرى، وقد لقيت الدعوة- وما زالت- استجابة طيبة في أرجاء البلاد الإسلامية كافة على مستوى الشعوب والحكومات، وكان من مظاهر هذه الاستجابة استعادة بعض الدساتير لمادة الشريعة الإسلامية بوصفها أساس التشريع ودين الدولة الرسمي، وكانت هناك بدايات النظام المصرفي الإسلامي للابتعاد عن التعاملات الربوية، ثم كان ارتداء الحجاب من جانب عدد لا بأس به من النساء، مع محاولات تغيير السلوك الاجتماعي بما يتفق مع روح الإسلام بظهور موائد الرحمن والتكافل الاجتماعي وتيسير العلاج للفقراء في مستوصفات شعبية تلحق بالمساجد، ومساعدة الطلاب بدروس التقوية المجانية في المساجد أيضا، والإعلان عن تلقى الزكوات في لجان يشكلها متطوعون، وإقامة الصلوات في المصالح الحكومية والشركات والمؤسسات، وصار مألوفا الاستماع إلى الأذان في مواقيته أينما كان الإنسان، ولعله كان من الجديد آنئذ أن يُبث الأذان من أجهزة الدعاية المرئية والمسموعة، حتى تلك القنوات والمحطات التي تبدو موجهة لغير المسلمين، كانت تعلن بإشارة ما عن حلول موعد الصلاة، كما كانت هناك مؤتمرات حول تقنين الشريعة، أو إخضاع القوانين الوضعية للشريعة الإسلامية، وتنقيتها من المواد التي تتعارض معها.


د.حلمي محمد القاعود

وفى حرب رمضان ١٣٩٣هـ - أكتوبر ١٩٧٣م سطع التعبير عن الروح الإسلامية في أثناء القتال الذي أنهى الأثر الحارق لهزيمة ١٩٦٧م، وتحرك الجنود بوحي الإيمان، وبدلاً من الهتاف الذي كانوا يتدربون عليه في أثناء الهجوم بإخراج صيحة (هه!)، صارت الصيحة «الله أكبر» قوية وعاصفة وقاهرة وتلقائية.

كان تطبيق الشريعة، أو الدعوة إليه، وسيلة من وسائل «استعادة الهوّية»، فقد عاش العرب والمسلمون مرحلة صعبة منذ ألغيت الخلافة الإسلامية وانهارت دولتهم الكبرى التي كانت تربطهم برباط ما، على الأقل من الناحية الشكلية، وصاروا نهباً لأفكار ونظريات قومية ومحلية تعزف على أوتار العصبية والإقليمية والطائفية والعرقية والمذهبية، ويغذيها المستعمرون والطامعون، فتحقق الانقسام والتمزّق والتشرذم وسقطت فلسطين فريسة بأيدي الصهاينة الغزاة، وامتلأت أرجاء العالم العربي والإسلامي بالانقلابات العسكرية والفكرية والاقتصادية، وكان الضحية الأولى في كل ذلك هو الإسلام الذي كان- وربما ما زال- يشار إليه بالرجعية والجمود والتخلف، من جانب النخب الثقافية التي تشكلت على أعين الغزاة، ووجدت الرعاية والاهتمام من جانبهم، وصعد أفرادها إلى سدّة التوجيه وصناعة الأفكار!

جاء تطبيق الشريعة، أو الدعوة إليه، ليحدث صدْعاً في البناء الفكري السائد في الساحة العربية والإسلامية، ويخاطب الروح المسروقة من جانب وسائل الدعاية التي يقودها - ولما يزل - نخب متغرّبة متشبعة بتصوّرات غربية معادية لكل ما هو إسلامي وإنساني في غالب الأحيان!

بيد أن النخب الثقافية المتغربة لم تستسلم، وراحت تواجه الصدع الذي أصابها بوسائل شتى وتستعين في ذلك بالتحالف مع الغزاة السابقين أو الحاليين أو الطامعين في ثروات العرب والمسلمين من أصحاب الفلسفات المادية والاستعمارية التي أزعجها التوجه نحو الشريعة الإسلامية فكراً وتطبيقاً.

وكانت بداية المقاومة لتطبيق الشريعة في التركيز على جانب «الحدود» وهى العقوبات التي تنزل بالمجرمين أو المخالفين للنظام الاجتماعي الإسلامي، ورأى هؤلاء أن إعدام القاتل وجلد الزاني وقطع يد السارق وتعزير المنحرف... يتنافى مع الإنسانية، ويعدّ وحشية غير





مقبولة. وأذكر أن كاتباً شهيراً، كان يملأ نحو صفحة أسبوعيا في جريدة كبرى شهيرة وصف الدعوة إلى تطبيق الشريعة بأنها دعوة إلى حكم الساطور وهو السكين العريضة التي يستخدمها الجزارون (القصابون) في تقطيع الذبيحة، وخاصة الأجزاء الصلبة مثل العظام التي يصعب تقطيعها بالسكين العادية!

وللأسف، فإن بعض الدعاة أعطى الفرصة للنخب الثقافية المعادية بتركيزه أيضا على مسألة «الحدود» مما ألقى في روع الناس أن تطبيق الشريعة الإسلامية يعنى قطع الرقاب والأيدي والأرجل! ولو تأمل القوم في مفهوم تطبيق الشريعة لعلموا أن مسألة الحدود لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من الشريعة (أقل من ٥ في المائة)، ولا تطبق إلا على المجرمين والمنحرفين، وهم أقلية قليلة بطبيعة الحال، وعقابهم يحفظ بقية المجتمع من التعرض للفساد وضياع الحقوق، وإهدار الدماء بغير حق.

الشريعة حياة كاملة في العبادات والمعاملات والتربية والأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والدولية والسلوك الإنساني والعمل الإنتاجي فضلا عن العقيدة والتوحيد أو الإيمان في جانبيه الروحي والعملي.

الشريعة حياة كاملة في العبادات والمعاملات والتربية والأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والدولية

لقد أخذت الدول الاستعمارية من تطبيق الشريعة أو الدعوة إليها ذريعة لإشعال نيران الفتن والانقسامات داخل الأوطان والشعوب الإسلامية، وذلك بإثارة الطوائف غير المسلمة للتمرد على الأغلبية المسلمة، واتخذ هذا التمرد أشكالاً مسلحة أو عنيفة، فضلاً عن النفخ فيه إعلامياً وثقافياً عبر وسائل الإعلام الغربية واسعة الانتشار، مع قلب الحقائق وتشويه المفاهيم الإسلامية والتركيز على المناطق الشائكة والقضايا الخلافية وصب المزيد من الزيت على النار، وهو ما نرى آثاره اليوم في أكثر من بلد عربي وإسلامي حتى راجت مقولة لدى كثير من المسلمين فحواها أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو سبب مصائب المسلمين ومشكلاتهم، لدرجة أن بعض الجهات صارت لا تذكر الإسلام ولا تشير إليه في بياناتها أو خطاباتها إلا مقروناً بما هو غير طيب، وغير مفيد!

ولعل العقود الأربعة التي مضت تؤكد على النقاط الآتية:

- أن الشعوب الإسلامية لا ترضى بغير الإسلام بديلاً مهما كانت المقاومة لتطبيق الشريعة ضارية ووحشية وصاخبة.

- أن مفهوم تطبيق الشريعة يجب ألا يقتصر على الدعوة إلى تطبيق الحدود، فهذه مسألة جزئية يجب تجاوزها إلى المفهوم الكلى الشامل بتطبيق المفاهيم الإسلامية في التربية والتعليم والثقافة والعلاقات والسلوك والاقتصاد والتجارة والعمل والإنتاج...الخ.

- تطبيق الشريعة يبدأ من القاعدة قبل القمة.. صحيح أن السلطة تستطيع أن تقوم بدور كبير في هذا السياق ولكنه يظل دوراً سطحياً، ما لم تكن القاعدة مهيأة له، مستعدة لتنفيذه وحمايته والدفاع عنه، وتلك مهمة الدعاة وأصحاب الرأي والفكر وقادة الثقافة الإسلامية.

- ينبغي أن يظل مفهوماً أن خصوم الإسلام لن يتسامحوا مع الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية،أو التصوّر الإسلامي عموماً، لأنه يعنى أن يستقل المسلمون بأنفسهم، ويستغنوا عن غيرهم، ويحافظوا على ميراثهم الحضاري وثرواتهم الاقتصادية مما يفرض التنبه لأساليب الخصوم في المقاومة والتحريض والتشويه وتفويت الفرصة عليهم.

- هناك تجارب ناجحة في بعض الدول الإسلامية حيث يتحرك الدعاة مع الشعوب وفق سياسة النفس الطويل وفرض نجاحهم على الآخرين، مما يوجب الاستفادة من هذه التجارب وتطويعها وفقا لظروف كل بلد.

والله من وراء القصد.

العلامة ولد عدود في ذمة الله



فقدت الأمة الإسلامية يوم الأربعاء 2009/4/29 العالم الموريتاني البارز الشيخ محمد سالم محمد علي عدود عن عمر ناهز الثمانين عاماً، كان كله عطاء وعلماً وعملا... ويعتبر الشيخ محمد سالم المولود عام ١٩٢٩م من أبرز العلماء الموريتانيين حيث عرف بموسوعيته الفقهية واللغوية.

وينحدر الشيخ من أسرة علمية مشهورة ببلاد شنقيط تعرف بـ «آل عدود»، وقد درس العلامة على والده العالم الجليل محمد علي عدود العلوم اللغوية والشرعية الى ان أصبح استاذا في محظرة العائلة، بعدها انخرط في مهنة التدريس في المعهد النظامي في «أبي تلميت» ثم ابتعث العلامة في أوائل الستينات إلى تونس ضمن مجموعة من القضاة الشرعيين للتدريب، وتخرج بشهادة اللصانص عام ١٩٦٥م، التحق بسلك القضاة وتدرج في سلمه حتى عين على رأس المحكمة العليا عام ١٩٨٨ بعدها عين وزيراً للثقافة حتى سنة ١٩٩١م

عمل العلامة استاذا في جامعة نواكشوط والمعهد العالي وترأس المجلس الإسلامي الأعلى الموريتاني، وقد كان عضوا في منظمات اسلامية عدة مثل رابطة العالم الإسلامي ومجمع بحوث الحضارة الإسلامية والمجمع الفقهي، والمجلس الأعلى للأزهر والأكاديمية المغربية... الخ

شارك الفقيد في الكثير من المؤتمرات والندوات ممثلا لبلاده وقد زار الكويت للمشاركة في مؤتمر الأئمة والخطباء عام ٢٠٠٤ وعقد ندوات عدة ومحاضرات، له العديد من المؤلفات في شتى العلوم، منها نظم في العقيدة الاسلامية على طريقة السلف- نظم مختصر خليل في الفقه المالكي- نظم مصطلحات تبصرة الأحكام لابن فرحون- نظم العمدة لابن قدامة الحنبلي- له ديوان شعر ضخم لم يطبع بعد.

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل سائلين الله أن يرحمه ويعفو عنه إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قال الشيخ قصيدة في الكويت

إن الذين عتهم الصحراء
عرب عتهم قبلها صنعاء
منها ابن بَيِّ خطيبها وفقيهها
فلشهد الخطباء والفقهاء
والأهدلون لهم أسانيد الهدى
ولهم هنا الإنشاد والإنشاء
فنشاء ما شاؤوا ونمضي تحت ما
كتبوا وحسبك من رضى إمضاء
ونقول للبلد المضيف لحشدنا
ما قاله من قبلنا الخطباء
فهو الأمين على حضارتنا كم
هو للتراث النثرة الحصداء
صرح وثغر للرباط محصن
تندق فيه الصعدة السمراء

وبهذه الفاجعة الأليمة ولتناسب الحدث مع ما تجود به قرائح أولي الألسن يكون مسك الختام بهذه الرثائية للعلامة أبومئة محمد سعيد وهي بعنوان:

(تضعضع ركن الدين)

تضعضع ركن الدين وانهد قائمه
فقد مات راعيه الأمين وعالمه

فعاش بنوه في حداد ومأتم
فقد طمست أعلامه ومعالمه

تولى عن الدنيا محمد سالم
إلى جنة الفردوس فالله راحمه

فها كل عين تسكب الدمع عنْدما
وكل فؤاد دائب الحزن دائمه

به الحق يسمو في علو ورفعة
وما باطل إلا وتترى هزائمه

فمشرعة للذب عنه رماحه
ومسلولة للذب عنه صوارمه

أحق لنا حقا وأبطل باطلا
وأنصف مظلوماً يجور مخاصمه

وإن ندّ واستعصى من العلم شارد
فما في البرايا من نظير يزاحمه

وإن بحثوا فقه الهدى فهو مالك
أزمة الاستنباط فيه وخاتمه

وإن خاض في يوم من العلم لجة
فمستخرج در العلوم وناظمه

ففي كل علم كان صدراً مبرزاً
على رأسه تيجانه وعمائمه

فكان لنا الطرف المضمر عندما
تنوب من الهول الكبير عظائمه

فكم قام في جوف الدجا متهجداً
شكوراً إذا ما نام بالليل نائمه

فيدهشنا من ذاك ما هو ظاهر
ولم يدر إلا الله ما هو كاتمه

وكم حمد الجيران طول جواره
وكم ثم حيزت للفقير غنائمه

وكم فاز أبناء السبيل بنيله
وإن أقبل المعتر يلقاه حاتمه

فلو كان يفدى فالنفوس فداؤه
ومبذولة من كل مال كرائمه

ولكنها الأقدار تجري بسنة
وما أحد ريب المنون يسالمه

فيا رب فاجعل جنة الخلد نزله
يفوز برحمى لا تزال تلازمه

وما مات من أبقى كراما وسادة
تجمع فيهم علمه ومكارمه

فوفقهم يا رب واحب جميعهم
من العز والتمكين ما هو رائمه

وصلى على المختار أفضل مرسل
صلاة مع التسليم من هو عاصمه

دعوة إلى ترك الجفاء

يتعرض الكثير منا في حياته اليومية إلى بعض أجواء الحوار والنقاش الحاد التي تسبب اصابات خطيرة على: سلامة الصدر، صفاء العلاقات الأخوية، حسن الظن، حسن الخلق... وغيرها من الأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله، وكذلك نجد من يجفو ويهجر من له الفضل في هدايته وتربيته وصلاح أمره، ونجد الآخر يجفو اخوانه وأقرانه في الدعوة إلى الله الذين طالما جلس معهم فأفادوه وأفادهم، واذا سألته ما هذا الجفاء؟ رد عليك قائلا: الاخوة لا يقدرون.. أمضيت سنين في الدعوة ولا أحد يبادر معي.. إلى غيرها من الردود التي قد تصدر منا ويغلب عليها في كثير من الأحيان انتصار لأنفسنا وموافقة لطبائعنا.



عمر سالم المطوع

فمن الجميل أن يبدي الواحد منا وجهة نظره ورأيه في جلسات الحوار والمناقشة ولكن الأجمل من ذلك ان تكون له القدرة على ضبط انفعالاته في حالة النقاش، وأن يتحلى بحسن الخلق وحسن الظن باخوانه في الله، وألا يتجاوز حوارنا إلى حد الخصومة والجفاء الذي نهينا عنه شرعاً، فالألفة والتآلف والتآخي في الله من ثمار حسن الخلق، فقد قال النبي ﷺ «المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» (رواه ابن حبان).

وإليك أخي الكريم واختي الكريمة بعض الوسائل التي تساعدك في التغلب على الجفاء الذي قد يصيب علاقتنا الاخوية.

المناصحة والمصارحة

مصارحة اخوانك الذين تجد جفوة بينك وبينهم بالتصرفات التي تصدر منهم وتضايقك، واحرص أن تكون المصارحة والمناصحة خالصة لوجه الله تعالى وفي اطار أدب النصيحة، وأن تكون بأسلوب لطيف وفي وقت مناسب، واعلم أن ما نقوم به من النصيحة هو الطريق الصحيح الذي يجنبنا أجواء البغض والشحناء، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» (متفق عليه) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً.

العفو.. العفو

يا ليتنا نقرأ السيرة العطرة ونرى كم لاقى النبي ﷺ من إيذاء في نفسه وأهله وأصحابه من قبل قريش، وبعد هذا يصفح عنهم وهو في قمة انتصاره، فأسأل الله أن يجملنا بأخلاق النبوة.. لما فتح النبي ﷺ مكة سنة ثمان من الهجرة قال لقريش «ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فالعفو عن الزلات والهفوات من صفات إخوان الصدق، وما أجمل ما قاله الإمام أبوحامد الغزالي رحمه الله «وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حقك بتقصيره في الأخوة، أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم عوده ويجمع شمله ويعيده إلى الصلاح والورع، أما تقصيره في حقك فالأولى العفو والاحتمال، فقد قيل ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك

فتقول لقلبك: ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك»، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ولما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات

اختلاف الطبائع

يجب أن نعلم ان الناس أجناس وطبائع وأخلاق فتجد بعضهم طبيعته الشدة في التعامل والآخر كثير الكلام قليل العمل وغيرها من أصناف الناس التي قد نتعامل معهم، فلقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب» (سنن أبي داود) لذا يجب عليك أن تكون حذقاً فطناً تعرف التعامل معهم جميعاً وتكون محبوباً بينهم حتى تؤثر فيهم بما تحمله من خير، وإياك والمداهنة، وإن لم تصبر في تعاملك معهم فلا تقصر في حقوق الأخوة، ولا تنس طلاقة الوجه، وما أجمل ما تمثل به الشعراء في ذلك:

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم
لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته
وذاك ليس له طعم ولا ثمر

❖❖❖❖❖

الناس كالأرض ومنها هُمُ
فمن خشن الطبع ومن ليّن
فجندل تدمى به أرجل
وإثمد يُوضع في الأعين

التربية الإيمانية ورقي الإحساس

علينا أن نربي أنفسنا التربية الإيمانية التي تجعلنا ذوي إحساس راق نستشعر أثره في التعامل مع ما قاله الله عز وجل وما قاله النبي ﷺ، فلقد قال الله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات:١٠) وقال الله عز وجل في الحديث القدسي «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» (رواه الترمذي) وقال النبي ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم)، وقال في الحديث الآخر «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (رواه مسلم)، والآيات والأحاديث وأقوال الصالحين في ذلك كثيرة ولكن تريد من يتلقى للتنفيذ.

الدعاء بظهر الغيب

أن ندعو لاخواننا بظهر الغيب، وندعو لهم بالتوفيق والصلاح بدوام نعمة التآخي في الله وبما نحبه لأنفسنا، ودعاؤك أخي الحبيب لأخيك بظهر الغيب يؤكد محبتك الصادقة لأخيك واعلم أن الدعاء بظهر الغيب من أسرع الدعوات إجابة قال ﷺ «أسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب» (ضعيف الأدب المفرد)

وفي الختام هي دعوة إلى ترك الجفاء والشحناء مع إخواننا وأحبابنا وما أجمل ما قاله الشافعي رحمه الله:

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلا خير في خلٍ يجيء تكلفا
ولا خير في خلٍ يخون خليله
ويلقاه من بعد المودة بالجفا

من الجميل ابداء الرأي بحرية .. ولكن الأجمل ضبط الانفعالات في النقاش

انفلونزا القلوب أشد فتكا

د. يحيى إسماعيل

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ (المؤمنون: ٧٦) ما كان الله ليدع الظالم ينعم بظلمه كثيرا، أو يمهل الباغي في بغيه على الزمان بكرة وأصيلا، فما إن يظن كل ظالم أنه نجح في مغالبة الأقدار ومعاندة الحقائق حتى ينذره الله بسوء العاقبة قبل أن يستأصل ويستحصد ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب...﴾ (آل عمران: ١٧٩).

لا يكاد يمر على أهل الأرض يوم بغير نازلة آخذة، أو فاجعة في البر أو البحر حاصدة، أو كارثة لأشد منها ممهدة، وذلك من جراء ما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا، ففساد قلوب الناس وعقائدهم وأعمالهم يوقع الفساد في الأرض لا محالة، ويملؤها برا وبحرا بهذا الفساد، ويجعله مسيطرا على أقدارها، غالبا عليها، لا يتم ذلك عبثا، ولا يقع في الكون مصادفة، إنما هو من تدبير الله جل جلاله وسننه (ليذيقهم بعض الذي عملوا) من الشر والفساد، حينما يكتوون بناره، ويتألمون لما يصيبهم منه ﴿لعلهم يرجعون﴾ فيعزمون على مقاومة الفساد، ويرجعون إلى الله وإلى العمل الصالح والمنهج القويم. ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١).

وإن في لزوم داء الصمت أمام مظاهر الفساد ومعالم الإفساد إيذان بطول أجل الانحراف في الحياة وفي الأحياء، ومنهم المظلومون، حتى يحل بالجميع العذاب الأليم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، وتلك سنة من سننه جل جلاله الماضية في خلقه ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (الإسراء: ١٦) فإرادة الله تعالى قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج، فتنفذ إرادة الله وتتحقق كلمته ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ (الأنعام: ١١٥) ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (الإسراء: ٧) قاعدة لا تتغير لا في الدنيا ولا في الآخرة، قاعدة تجعل من عمل الإنسان قدرا مقدورا للنتائج المترتبة عليها.

إن الله تعالى يأمر بالطاعة فيعمل المترفون بالمعصية، ويأمر بالحق فيسير المترفون في الناس بالباطل لأنهم مترفون، لا يعرفون للحق حرمة، ويأمرهم بالعدل فيمشون في الحياة بالظلم لأنهم مترفون لم يألفوا الإنكار أو يعرفوا على باطلهم الاستهجان من العامة، التي أسلمت لها قيادها، وهابوهم أن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فحق عليهم جميعا القول فدمروا تدميرا. يقول ﷺ «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم» (مسند أحمد) وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها «... أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا ظهر الخبث» (سنن الترمذي) فوجود المترفين الناعمين الذين ترهلت بالدعة والفحشاء قلوبهم، وأسنت بالرفاهية نفوسهم هو في ذاته السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت العامة عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهاوية. فوجود هؤلاء في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا، فإن الإرادة الإلهية هنا ليست إرادة التوجيه القهري، ولكنها إرادة استقامة النتائج على وفق المقدمات..

وما أكثر صور الهلاك عند انتشار الخبث!

فمن الفيروسات المتلمظة، إلى الإيدز الماحق، والأوبئة اللاهثة، ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت: ٤٠).

ثم يأتي الوباء المقزز في طيه ونشره- أنفلونزا الخنازير المركبة- وكأن البشرية هانت على ربها جل جلاله الذي بارزته بكل أنواع البوائق في البر والبحر- المترفون بترفهم والجائعون بصمتهم- فسلط الله أخيرا على الجميع وأنزل بهم ما لم يكن منه جل جلاله في الظالمين المجرمين المتجبرين من قبل، أمثال فرعون

وجـنـوده، فلم يعذبهم بمثل ما عـذب بـه دول حضارات القرن الـواحـد والعشرين ونظمه التي اسـتـبـاحـت الـحـرمـات بـأقـبـح الصور، وطـاردت المكارم بأقبح الـوسـائـل، وحـاصـرت وأجـاعـت المغلوبين، وأحرقت المستضعفين، وطاردت الآمنين.

إن فرعون على جرائمه لم يبلغ في قبائحه ما بلغه أدعياء حقوق الإنسان اليوم الذين استباحوا كل محرم في المخدوعين، وانتهكوا كـل مـقـدس مـن دمـاء وشـرائـع وأعـراض الـغـافـلـين، لـقـد كـان فرعون في جرائمه واضحا ﴿إن فـرعـون عـلا فـي الأرض وجعل أهـلـهـا شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبنـاءهـم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص:٤) فعوقب وقومه أولا بمـا قـالـه الـلـه فيهم ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (الأعـراف: ١٣٣) ولما تمادى في بغيه عوقب بالتغريق ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كـيـف كـان عـاقـبـة الـظـالمـين﴾ (الـقـصـص: ٤٠) لـقـد كـان في جرائمه دون هؤلاء بكثير من رسل الديمقراطية الكاذبة، وأدعياء المدنية الخادعة الذين توسلوا للقبائح بكل جميل، وللجرائم بكل معسول من القول وزوره، فعذب ومن معه على وفق ذنبه وذنوبهم بغير هذا العذاب الذي لم يعذب الله به من قبل أحدا من العالمين (أنفلونزا الخنازير) فهذا هـو قدر فراعين الـيـوم مـن الله الذي يملي للظالم بغير غفلة منه ولا نسيان، حتى إذا أخذه فإنه لن يفلته ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ (هود: ١٠٢) وصدق الله العظيم ﴿...ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهـم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ (الرعد: ٣١).

إننا نرجو الجميع بعد أن نزل بـالأمـة أقـبـح نـازلـة (أنـفـلـونـزا الـخـنـازيـر) أن يـراجـعـوا على الحق أنفسهم، ويصححوا مع الـديـن مـواقـفهم، ومـع الشعوب سياساتهم، ويراجعوا- عند الله خـالـقـهـم- سـيـرهـم ونـشـاطـهـم، فـإن أنـفـلـونـزا خـنـازيـر القلوب التي نزلت بغيرنا من قبل لهي أشد فتكا من أنفلونزا خنازير الـحـظـائـر والـبـيـوت إن هـي نزلت واستحكمت، وقد ظهرت بـوادرهـا، واسـتـعـلـنـت مـعـالمـهـا، فساد في القوانين، وانحراف في الأخلاق، وميل في كل شأن عن الجادة، ولقد أمهلنا القدر العالي كثيرا فما سمعنا على المستويات العليا متضرعا ولا رأينا منيبا ناصحا ﴿فقلت استغفروا ربكم إنـه كـان غـفـارا. يـرسـل الـسـمـاء عليكم مـدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا. ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ (نوح: ١٠- ١٣).

إن ويــلات أنـفـلـونـزا خـنـازيـر القلوب التي يلبس أصحابها لنا لـبـوس الـضـأن وفـي صـدورهـم قـلـوب الـذئـاب لـهـي والـلـه أشـد فتكا، والناس عنها غافلون، فهي المؤسسة لكل نـازلـة، والـداعـيـة لكل ماحقة، والمثمرة لكل نبت خبيث في الأمة، ومع هذا لانزال مشغـولـين بـالـبـشـرة عـن الـدمـل، وبآثار المرض عن أسبابه، إنها- أنفلونزا خنازير القلوب- علة العلل، وهـي ليست غريبة عنا، فقد عوقب بها من قبل الكثير مـن المـلاعـين المـجـرمـين الـذيـن حادُّوا الله ورسوله من قبل- كما يفعل الكثيرون اليوم- فصارت أفـئـدتـهـم هـي أفـئـدة الـخـنـازيـر وقلوبها ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ (المائدة: ٦٠) وبذلك استوجبوا عقوبة الاستئصال بعد أن جعل الله منهم القردة والخـنـازيـر لأنـهـم أطـاعـوا في الـنـاس وفـي أنفسهم غير الله، فعبـدوا الـطـاغـوت الـذي يعني السلطات الطاغية، والشخصيات المتجبرة، والأوضاع الجائرة التي تجاوزت كل حد في كل ميدان من ميادين الحياة، عبدوها عبادة طاعة وخضوع، وحب وتوقير، بـدلا من شـرع الله الـذي بدلوه كفرا وأحلوا قومهم بذلك دار البوار ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها وبئس الـقـرار﴾ (إبـراهـيـم: ٢٨ - ٢٩) فالإثم والعدوان طابع كل مجتمع حـين يـفـسـد، والمـسـارعـة فيهما هو عمل هذه المجتمعات، إذ إن الإثـم والـعـدوان فـي المجتمعات الهابطة الـفـاسـدة لا يقتصران على الأقوياء وذوي النفوذ، بل إنه يرتكبهما كذلك الضعفاء الغافلون الـذيـن ينساقون فـي تـيـار الإثـم طلبا للمنفعة الرخيصة، وإيثارا للفاني على الباقي، فيعتدي بغير نكير بعضهم على بعض، ويعتدون مع غيرهم على حرمات الله التي هي في مثل تلك المجتمعات تمثل الحمى المستباح الذي لا حارس له من حاكم ولا محكوم، فيسارعون جميعا فـي انـتـهـاكـه والاعـتـداء عليه وهـم آمـنـون مـن مؤاخذة الحاكم أو نكير العلماء وغيرة الـفـقـهـاء الـقـائـمـين عـلـى حماية الشريعة ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ (المائدة: ٦٣).

سمة المجتمعات التي استبد فيها الفساد والأحكام الجائرة استرخاص الأرواح واستباحة الحرمات...وبذلك يؤذنها القدر الأعلى بالانهيار والسقوط

وتلك هـي سمة المجتمعات التي استبد بها الفساد بفعل القوانين الـفـاسـدة، والأحـكـام الـجـائـرة، والـسـيـاسـات المـاكـرة، الـتـي تسترخص فيها الأرواح، وتستباح عـنـدهـا الأقـدار، وتـبـذل لها الحرمات، وبذلك يؤذنها القدر الأعلى بالسقوط والانهيار..

أخـرج ابـن مـاجـة بسند حسن عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال «كيف يقدس الله أمـة لا يـؤخـذ لضعيفهم من شديدهم»، ولمسلم من حديث هشام بن حكيم بن حـزام «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فـي الـدنـيـا» وتـعـذيـب الـنـاس يكون بإضاعة حقوقهم، وإهدار آدميتهم، واسترخاص أقدارهم، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتُري، وبسطوا الجور حتى افتُدي»، وهـل بـعُـد شـيء من هذا عن زعماء الشر اليوم ومن لف لفهم قيد أنملة؟

أثر الإعلام التنموي على التربية والتعليم

تكاد تكون التنمية هي الحاجة الملحة لغالبية دول العالم الاسلامي، والتي يمكن ان تحقق من خلال استراتيجية واضحة ومتكاملة تحولا كبيراً في واقع المجتمعات الاسلامية وتتجه بها نحو المزيد من التقدم العلمي والاقتصادي والثقافي.

ولقد أفرد المفكرون والناشطون في الحقل التنموي أبواباً عديدة للتنمية الاقتصادية والتربوية والسياسية وغيرها ولكن ندرة منهم من تطرق لدور الاعلام في التنمية.

عند التحدث عن أهمية ودور الاعلام ومساهمته في التنمية، فإن ذلك لا يعني انه الوسيلة الوحيدة والاداة الفريدة التي تحقق هذه التنمية، بل توجد عناصر اخرى مهمة ايضاً لانجاح العملية التنموية، فالقيادة المخلصة المنبثقة من الشعب في جو من الشورى تساعد على تحقيق التنمية، وتحقيق العدالة والاحساس بالمسؤولية المدنية والشرعية عند تولي مناصب ومواقع القرار يساهم كذلك في تحقيق التنمية، كما ان تأمين الموارد البشرية المتخصصة ورؤوس الأموال الضخمة، كل ذلك مستلزمات لا بد من تواجدها الى جانب الدور الإعلامي التنموي.


د.رامز الطنبور

في البداية لا بد لنا من أن نتساءل: هل تستطيع وسائل الإعلام ان تواكب عملية التنمية وتطورها؟ والى أي مدى يمكن ان تصل آثارها؟ في الحقيقة ان الأمر يعود الى الجهة التي تمتلك تلك الوسائل الاعلامية وخلفياتها الفكرية والثقافية والسياسية، والكيفية التي تسير بها تلك الوسائل والهدف الذي تسعى إليه من خلال توجيهها نحو السيطرة على الجماهير والتأثير على توجهاتهم، أو العمل على تنمية مداركهم ومعارفهم وشخصيتهم في عملية جهد متواصل للتنمية المستدامة التي تحتاجها الأوطان وتسعى إليها.

والإعلام منذ القدم وحتى الآن فرض تأثيره الايجابي المتعاظم شيئاً فشيئاً فساهم في بناء العقول والنفوس، وظهرت القدرة الهائلة لدور الإعلام الايجابي على التنمية فنهضت المجتمعات وتعاظمت، وبالمقابل أثر الاعلام سلبياً ايضاً في العملية التنموية فكان الانحدار المتسارع والتقهقر المريع، كيف لا والمجالات التي يطرقها الإعلام باتت متنوعة حيث يتداخل الاعلامي بالتربوي وبالاقتصادي وبالثقافي.

وسائل الإعلام تحولت إلى أداة لنشر التربية والفكر الغريب بدلا من دعم العملية التنموية

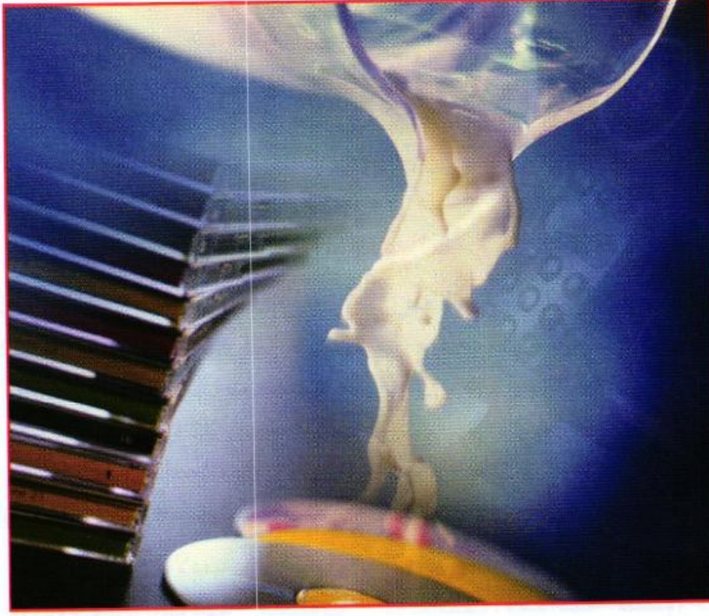
وتعاظم اثر الاعلام في المجال التربوي التعليمي، ذلك ان التربية والتعليم يعتبران المكون الحقيقي المكتسب لشخصية الفرد وافكاره وممارساته وتطلعاته، وتعتبر المؤسسات التربوية الضخمة من مدارس ومعاهد وجامعات العامل الاساسي في التنمية الاقتصادية الاجتماعية كونها تتولى اعداد وتنمية العنصر البشري، وقد تأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن تنمية المجتمعات الحديثة تحققت من وراء تأهيل الكوادر البشرية، هذا التأهيل التربوي والعلمي المطلوب ارتبط بشكل او بآخر مع دور الإعلام الذي باتت وسائله تقتحم كل البيوت وتشد إليها كل حواس الانسان، ومع تطور وسائل الاعلام واتساع رقعة انتشارها اصبحت تتدخل في عمق المؤسسات التربوية والتعليمية من خلال التعليم عن بعد واستخدام وسائل الايضاح ذات الطابع الاعلامي، والتي اصبح يعول عليها كثيراً في تنمية المستوى التربوي والتعليم للطلاب وتطوير مستوى الاداء للاساتذة، وتتميز وسائل الاعلام ويبرز اثرها في العملية التربوية في انها تتوجه الى كل اصناف واعمار الناس في محاولة دؤوبة لنشر المعرفة وكسر احتكارها والمساهمة في محو الأمية، تلك العقبة الكأداء في وجه اي مشروع تنموي، وقد نبه الاسلام الى خطورة الامية ودورها في تخلف الشعوب والأمم فحث بدوره على العلم ورفع طلب العلم الى درجة الفريضة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (صححه الألباني)

ووسائل الإعلام - الصحف والراديو والتلفزيون- بانتشارها الواسع والسريع اضافة الى امكانية حيازة الناس لها اضفى عليها طابعاً هاماً في عملية التربية والتعليم نظراً لالتصاقها اليومي بحياة الناس وتقاسمها لأوقاتهم، وأكثر ما يبرز في هذا المجال: التلفزيون كوسيلة تعليمية تثقيفية في البيوت ويستخدم أحياناً في المدارس فيساهم في تفتيح الأذهان وتنوير العقول من خلال البرامج التعليمية والتربوية الهادفة، ودخلت الأقمار الصناعية بقوة المضمار الاعلامي وبواسطتها أصبح يحول كم هائل من المعلومات من بلد الى آخر لكي لا يبقى العلم وبخاصة العلم الحديث حكراً على شعوب معينة.

ولكن هذه الوسائل الاعلامية، بقدر ما تحمله من إيجابيات في بناء التربية والتعليم المطلوبين لانجاح ودعم العملية التنموية، بقدر ما تحمله من مخاطر يتوجب على السلطات الراعية والجمعيات المهتمة ان تتنبه لها، ولعل اخطر ما في هذا الموضوع

ان تتحول وسائل الاعلام الى اداة لنشر التربية والفكر الأجنبي الغريب في معطياته وظروفه عن تاريخ وأصالة شعوب المنطقة، وغالباً ما يكون هذا النشر عبر إبراز مشاهير فنيين او رياضيين أو مثقفين والتركيز على مسلكيتهم وأفكارهم التي تعارض وتنافي قناعة والتزام الأمة، وهذا ما يشكل مدخلاً شيطانياً لوسائل الإعلام والذي نتج عنه في كثير من الأحيان مسلسلات وأفلام تشوه الإسلام وصورة المسلمين وتتجرأ بوقاحة على رسول الله ﷺ والرموز الاسلامية الكبرى من بعده.

ان سيطرة الدول المتقدمة على خزان المعلومات- الإخبارية والعلمية- جعلها تستغل هذا الواقع لتفرض على الدول النامية ومنها الدول الإسلامية نوعا من التبعية وقد أدى هذا الوضع الى الهيمنة على مصادر المعلومات والتحكم ببرامج التعليم الى حد كبير وتوجيهها بعيداً عن التجرد والموضوعية الى التبعية الإعلامية التي من الممكن أن تتحول الى تبعية شاملة إذا لم يتم التنبه لها والسيطرة عليها، ولكي لا نكون فريسة الإعلام المغاير يجب ان نصغي إلى هداية الإسلام وكيف نتعامل من خلالها مع هذه الحالة المستشرية وكيف نتجنب التهويل الإعلامي وذلك من خلال كيفية تلقف الخبر والتأكد من مصداقيته، وعدم البناء عليه قبل التحقق من صحة المعلومات ومصدرها، قال تعالى مخاطباً المؤمنين معلماً لهم ومدرباً ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات:٦) وذلك حفاظا على وحدة وتلاحم المجتمع، وكي لا تجد الشائعات الآذان المنصتة لها، باعتبارها أداة من أدوات التدمير الاجتماعي، وما أكثر انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة التي تهدم المجتمع وتعطل تنميته، لتشغل الناس وتثير الضغينة فيما بينه، ولتنال من رموزهم الوطنية والإسلامية على وجه الخصوص، وقد أرشدنا الإسلام إلى كيفية التعامل مع تلك الإشاعات وخاصة عندما تطال صفنا الداخلي حيث قال الغزالي: التمس لأخيك سبعين عذراً فإن لم تجد فالعيب فيك، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملا» فالإسلام يدعو ويتبنى الإعلام الايجابي الذي يبين الحقائق ويستنهض الهمم ويربي المواطن على ثقافة الإيمان بالله ووحدة الأمة والانتصار للمظلوم والأخذ على يد الظالم، وعلى العزة والتحرر والاقبال على العلم.



ونتساءل في ظل هذا الواقع أين يكمن دور الاعلام في تفعيل التنمية التربوية والتعليمية؟ إن ذلك مرتبط إلى حد كبير بسياسات ولاة الأمور والدولة على رأس القائمة والتي عليها وضع الخطط الاعلامية المتوازنة مع الخطط التربوية التعليمية ضمن برنامج تنموي شامل، مستفيدة من حث الإسلام على العلم والتعلم وربطه بالعبادة والخيرية، فمن الاسلام يجب أن تتشكل منظومتنا التعليمية وسياساتنا الإعلامية لكي نكون منسجمين مع أنفسنا، والإسلام وفقا لمبادئه وتوجهاته اهتم بكل أشكال العلوم المفيدة للإنسان في الدارين الدنيا والآخرة، ومن العقوق أن نحصر دوره بالعلوم الدينية البحتة رغم أهميتها، بل يتعدى ذلك إلى سائر العلوم الحياتية والاجتماعية والإنسانية، وعلى هذا المنوال سارت الحضارة الإسلامية عبر التاريخ والجغرافيا.

والإعلام يقدر على تقديم الدعم التربوي والتعليمي الايجابي من خلال رصد قنوات تعليمية من خلال التلفزيون والانترنت، وهذا ما بدأت به بعض الدول العربية والذي أخرج العلم من دائرة الحاجة المادية- العلم للأغنياء فقط!- الى العلم للجميع، وتلك خطوة تنموية جبارة في سبيل إيجاد مجتمع متعلم مثقف يعرف قيمة الحياة ويقدرها ويحافظ عليها على أحسن وجه لأنها هبة من الله تعالى لا يجوز العبث بها والتعاطي معها باستهتار.

لكننا في العالم الإسلامي غالباً ما نعاني من الواقع المتدني في مستوى التعليم والإعلام مما يوجب على المسؤولين الاعلاميين أن يبذلوا جهوداً مضاعفة لاستنهاض الوضع التربوي والتعليمي من خلال دورهم ومسؤولياتهم في بث العلم والثقافة، ومن جهة اخرى فإن نظم التربية والتعليم لا بد من تطويرها بشكل مستمر من حيث المضمون والأسلوب لتواكب علوم العصر الحديثة وفق رؤية إسلامية تفيض خيراً على المجتمع، ووفق تقنيات حديثة تتيح للطلبة أن يستفيدوا من مستجدات التكنولوجيا ووسائل التعليم كافة كأدوات لحسن توصيل الفكرة والمعلومة.

فالتكامل بين القطاعين الإعلامي والتربوي يفرض نفسه أمراً واقعاً، فبمقدار ما يكون الإعلام داعماً للعملية التربوية بمقدار ما تتسارع العملية التنموية، وهذا ما ينسجم مع النظرة الإسلامية للتنمية ذات الطابع الشمولي التكاملي المتوازن التي تنظر للإنسان كروح وجسد ولحياته كدنيا وآخرة.

ومهما قيل في الإعلام وعنه إلا أنه يبقى سلاحاً ماضياً فتاكاً، يقتحم البيوت ويتلاعب بالنفوس، تنموياً إلى أعلى درجة وهداماً بأقصى ما يمكن، وتبقى الحكمة كل الحكمة في أن يتولى هذا السلاح أصحاب الرؤية الإنسانية والعقل الناضج والقلب الصالح، ليفيض خيراً وبركات على سائر القطاعات، ولينمي معرفة الأجيال، وليتلاحم مع مقومات البناء التعليمية والتربوية.

مشروع «روافد» ورهانات الريادة والإبداع

د . محمد إقبال عروي

اعتادت المؤسسات الثقافية والعلمية أن تجعل لنفسها وسائل للتواصل مع الجمهور الداخلي والخارجي، وقد تتخذ تلك الوسائل صورة منشورات أو جرائد أو مجلات أو كتبا دورية أو شهرية أو قنوات فضائية. وبخصوص المؤسسات المعنية بالتوجيه الديني والثقافي، وخاصة مؤسسات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فقد بادرت العديد منها إلى اتخاذ وسائل للتواصل مع الجمهور، وفي مقدمتها المجلة، ثم الإصدارات الدورية، وإذا اقتصرنا على هذه الوسيلة الأخيرة، فتكفي الإشارة إلى «كتاب الأمة» الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية التابعة لوزارة الأوقاف بدولة قطر، وكتاب «دعوة الحق» الصادر عن الإدارة العامة للثقافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، وكتاب «دعوة الحق» الصادر عن مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، وغيرها.

وفي الآونة الأخيرة، أسست إدارة الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت مشروعا متكاملا، تمثل في إصدار شهري يحمل اسم «روافد» وهو مشروع متكامل يعنى بتنمية الشأن الفكري والثقافي والأدبي وفق رؤية ورسالة محددتين.

ويأتي هذا المشروع استجابة لقيم العمل التي اتخذتها الوزارة أساسا لأدائها التوجيهي والثقافي وعملها التربوي والمجتمعي العام، مما هو مدون في خطتها الاستراتيجية الخمسية العامة(٢٠٠٦-٢٠١١م)، وفي مقدمتها قيمتا الريادة والإبداع، بما يمثلان من معاني أخذ المبادرة، واعتماد مقاييس الجودة في الإنجاز، وانتهاج أساليب وطرق مبتكرة ومتميزة، مع السعي إلى تبني الأفكار الجديدة المتطورة، والاحتكام إلى الفعالية باعتبارها شرطا في تحقيق الغايات والأهداف المؤسسية للوزارة.

وتتمثل رؤية مشروع «روافد» في إثراء المحيط الفكري والثقافي والأدبي بإصدارت شهرية في ميادين الفكر الإسلامي والأدب والفنون والمراجعات التراثية بأسلوب إبداعي يتصف بالعمق وفق الرؤية الوسطية التي تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.

أما رسالته، فإنه يتغيا نشر الفكر والثقافة والأدب بهدف تصحيح الرؤى والمفاهيم وتنمية المواهب ورعايتها، ومواكبة التطورات الهائلة في الفكر الإنساني مواكبة فاحصة، وتحقيق الريادة والتجديد في ميادين الفكر والثقافة والأدب.

ومجالات إصدارات «روافد» تتوزع إلى ثلاثة حقول:

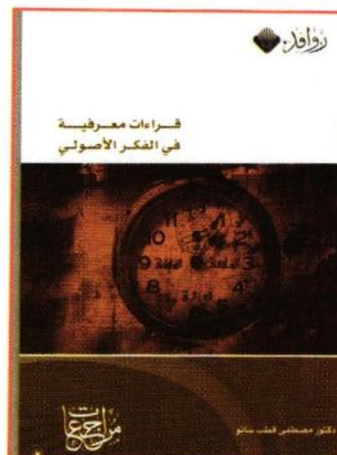
١- الإصدار الشهري في الفكر الإسلامي: تحت اسم «آفاق»، وهو إصدار يتناول بالتحليل والنقد مختلف القضايا الفكرية والإشكالات الحضارية في الحياة المعاصرة وفي ساحة الفكر الإسلامي والعالمي المعاصر من خلال الرؤية الوسطية، كما يهتم بترجمة أعمال المنصفين للإسلام والحضارة الإسلامية من أعلام الفكر الغربي وغيرهم.

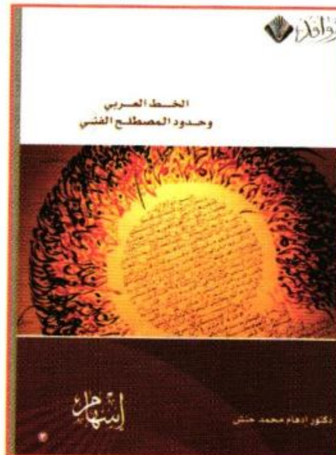
٢- الإصدار الشهري في الأدب والفنون: تحت اسم «إسهام»، وهو إصدار في ميدان الشعر والقصة والمسرح والرواية والدراسة الأدبية والنقدية والفنون الإسلامية مثل فن الخط والزخرفة والعمارة الإسلامية.

٣- الإصدار الشهري تحت اسم «مراجعات»، ويختص بالنظر في العديد من القضايا التراثية في الفكر والأدب من خلال رؤية منهجية تجديدية.

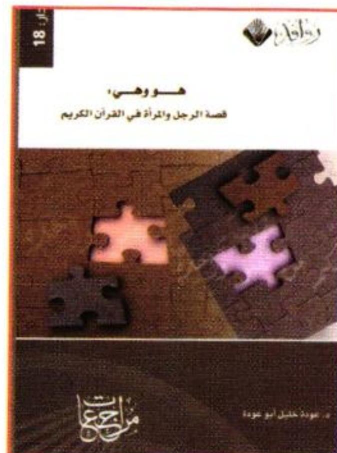
حصيلة متنامية

وقد تم إصدار تسعة عشر مؤلفا تنوعت مضامينها الفكرية والأدبية والتراثية، وتناولت قضايا في الشهود الحضاري.









المدارج الخمسة لتغيير النفس

حتى يغير الإنسان الآخرين، فلابد أن يبدأ بنفسه فيغيرها، ليكون صادقاً في زعمه، مؤثراً في دعواه، ولذلك يقول الله تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

من هذا المنطلق فإنني أقترح خمس خطوات رئيسية يمكن للمرء بها تغيير نفسه، وقد أسميتها «المدارج الخمسة»، وذلك لأنها خطوات متدرجة، يتدرج بها الإنسان في سيره لتغيير نفسه، وهذه المدارج أو الخطوات كالتالي:

١ - كن جاداً وقوم نفسك:

ذلك لأن أي تغيير لا يكون صاحبه جاداً فيه فهو تغيير هش لا قيمة له، وهذه الجدية ينبغي أن يتبعها تقويم لواقع النفس وذلك من عدة جوانب، لعل من أهمها:

أ - قدرات الفرد ومهاراته.

ب - رغبات الفرد وميوله وهواياته.

ج - الإمكانات المتاحة للفرد (مادياً ومعنوياً).

د - نقاط القوة ونقاط الضعف.

هـ - الفرص المتاحة والمخاطر المتوقعة.

يُروى أن ابن حزم الأندلسي الفقيه الظاهري اجتمع يومًا مع أبي الوليد الباجي الفقيه المالكي، وجرت بينهما مناظرة سنة ٤٤٠هـ، فلما انقضت المناظرة قال أبو الوليد الباجي لابن حزم: تعذرني فإن أكثر مطالعاتي كانت على سُرُج الحراس.. إن أبا الوليد الباجي كان فقيرًا لا يجد مالاً، لا يجد مصباحًا في بيته، فاعتذر لابن حزم لأن قراءته ومذاكرته وطلبه للعلم كان على مصابيح الحراس الذين يمشون في الليل بمشاعل لحماية البلاد من اللصوص، فكان هو يسير وراءهم يقرأ في الكتاب، ويذاكر على ضوء مصابيح الحراس.

٢ - تأمل المستقبل:

بعد تقويم واقع الذات، لا بد له بعد ذلك أن ينظر إلى الأمام، وأن يحدد ماذا يود أن يكون في المستقبل، ولذا فإن عليه القيام بالأمرين التاليين:

أ - تحديد الرؤية، فالرؤية هي الحلم بالمستقبل أو الصورة التي يرسمها الإنسان لنفسه وما يود أن يكون عليه بعد سنوات عديدة، ولتكن عشر سنوات مثلا.

ب - تشكيل الرسالة، فالرسالة هي عبارة أو أكثر تعبر عن غاية الفرد، وماهيته، والمجال الذي يود التميز فيه، والخدمة التي يرغب في تقديمها، والجمهور الذي سيتعامل معه.

٣ - خطط لنفسك:

بعد أن تتضح الرؤية ويتم تشكيل الرسالة، ويعرف الإنسان غايته وما يود الوصول إليه في المستقبل، فإنه يبدأ بالتخطيط للوصول إلى غايته تلك، وتحقيق آماله وطموحاته.. إن العقلاء والفطناء وأهل الخبرة والناجحين في الحياة لطالما أكّدوا على أهمية تحديد الأهداف في صناعة المستقبل، وأن الفشل في التخطيط هو في الحقيقة تخطيط للفشل، وأنه من غير المقبول أن يسير الإنسان في هذه الحياة دون غاية أو من غير هدى أو على غير بصيرة.

والذي يمشي في الحياة قدمًا لا يخطط لنفسه ولا يحدد اتجاهه أو يوجه بوصلة حياته، فسوف يتيه في دنياه، وتتشعب به المسالك، ويطول به الطريق، وربما يراوح في مكانه دون أن يشعر، وقد ينتهي بما بدأ به، وهنا ينبغي تحديد التالي:

أ - الأهداف المرحلية قصيرة المدى.

ب - الوسائل الموصلة إلى هذه الأهداف.

ج - الأنشطة مع برمجتها زمنياً.

د - السياسات الحافظة والضابطة للأهداف والبرامج.



د. علي الحمادي

٤ - ابدأ التغيير متوكلاً على الله:

إذ إن آفة كثير من الناس أنهم يترددون كثيراً في تنفيذ ما يخططونه لأنفسهم، لذا ينبغي أن يعزم الإنسان على بدء تنفيذ الخطة، وأن يتوكل على الله ولا يتردد، كما قال الله تعالى ﴿...فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وينبغي كذلك أن يهيئ المغيِّر لنفسه ويوفر كل ما تستلزمه الخطة من إمكانات بشرية أو مادية أو معنوية.

٥ - قوِّم وعالج واستمر:

حيث إن واقع التنفيذ قد لا يتطابق مع الخطط المرسومة، لذلك ينبغي أن يراقب الإنسان أداءه، ويُقوِّم واقعه بعد بدء التنفيذ، ثم يتعرف على الفجوة بين الواقع الحالي والأمل المنشود.

وبعد كل ذلك فإن على المُغيِّر لنفسه أن يُصلح كل اعوجاج، وأن يعالج كل انحراف، مع الاستمرار ومواصلة السير حتى يتم التغيير المنشود.

وقبل هذا وذاك ينبغي للإنسان أن يكثر الدعاء والاستعانة بالله تعالى ليرزقه التوفيق والسداد، ولييسر له طريق التغيير، فالموفَّق من وفقه الله، والخاسر من خذله الله.

قال بعض العُبّاد: إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح عليّ من مناجاته ومعرفته والتذلل له والتملق بين يديه ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال. (مدارج السالكين: ٢/٢٢٩).

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

مالاوي .. الشعب الحبيس

عبده دسوقي

في جنوب شرق إفريقيا حيث الطبيعة الساحرة تقع كثير من البلدان التي ينتشر فيها الإسلام، ولا يعرفها كثير من المسلمين أو يعرفونها لكن دون الاهتمام بها، ومن هذه البلاد دولة مالاوي التي يشكل فيها المسلمون ما يقرب من ٤٠ في المائة لكنهم يتعرضون للهجمات التبشيرية كل حين.

وتعد مالاوي جمهورية موحدة، عاصمتها ليلونجوى، وأهم المدن بلانتاير المدينة التجارية، ومساحة الدولة ١١٨,٥٠٠ كلم٢ وهي من الدول الحبيسة التي لا تطل على بحار أو محيطات، ويحدها شرقا وجنوبا وجنوب غرب دولة موزبيق، ومن الغرب دولة زامبيا، ومن الشمال الشرقي تنزانيا.

وتتميز مالاوي بالمناخ المعتدل بوجه عام، وفصل الصيف هو فصل هطول الأمطار الغزيرة ويمتد من أكتوبر حتى إبريل، أما فصل الشتاء فيمتد خلال الفترة من مايو حتى سبتمبر ويتميز بالبرودة والجفاف.

يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ١٢ مليون نسمة، واللغة المتداولة في البلاد هي الإنجليزية والشيشيفا وهما اللغتان الرسميتان، وتنتشر فيها ديانات مختلفة منها الإسلام والمسيحية ويبلغ عدد المسلمين ما يقرب من ٤٠ في المائة، والمسيحيون ٥٥ في المائة، ويشكل الوثنيون ما يقرب من ٤,٨ في المائة، والـ ٠,٢ في المائة بهائيون وهندوسيون.

ودولة مالاوي دولة حبيسة وبالتالي فإن تكاليف شحن البضائع إليها مرتفعة مما يجعل أسعار السلع فيها مرتفعة، فهي تعتمد على موانئ دار السلام وبيرة، وتتميز السوق المحلية فيها بوجه عام بالمحدودية وانخفاض القوة الشرائية للمواطن المالاوي، فهي دولة زراعية توجد بها صناعات محلية محدودة جداً.

ويمكن وصف الطرق الداخلية التي تصل بين المدن الرئيسية بأنها جيدة وآمنة بشكل عام إلا أن هذا لا يمنع من أن هناك حوادث سرقة من حين لآخر.

والقرب الجغرافي من جنوب إفريقيا يجعل منها المصدر الأساسي للسلع المستوردة من الخارج، خاصة أن نقل السلع من جنوب إفريقيا إلى مالاوي يمكن أن يتم برياً، كما أنها من أفقر عشر دول في العالم.

وتعتبر مالاوي من البلدان الأقل تقدما في العالم، حيث يعيش ما يقرب من ٥٠ في المائة من السكان تحت خط الفقر، حيث لا يملك أغلب سكان مالاوي الطاقة الكهربائية، كما أنهم يعانون سوء التغذية رغم أنها من البلدان الإفريقية القليلة التي تنتج فائضا غذائيا بشكل دوري، ويعود هذا التناقض إلى نظام إقطاعي لا يفيد إلا مالكي كبريات الأراضي الزراعية.

مالاوي تاريخيا

كانت مالاوي مستوطنة بريطانية منذ سنة ١٨٩١م وحصلت على استقلالها سنة ١٩٦٤م تحت حكم هاستينغز باندا، وكان عضوا في الكنيسة الكالفينية البروتستانتية الذي شجع نمو البروتستانتية وقاد سياسة تمييز عنصري ضد الأقلية المسلمة، وأسس نظام حزب واحد سنة ١٩٦٦م ومنع الحركات المعارضة ومارس السجن بدون محاكمة، والتعذيب لكل المعارضين السياسيين حتى علقت كل المساعدات الدولية والإنسانية الموجهة نحو مالاوي بشرط عودة الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان، وقد ساهم هذا الإجراء في تنظيم استفتاء سنة ١٩٩٣م أعاد التعددية للسلطة السياسية وانتصرت الجبهة الديموقراطية سنة ١٩٩٤م مع قدوم باكيلي مولوزي الذي وضع حدا لإحدى أطول الديكتاتوريات في العالم، والرئيس الحالي هو بينجو وا موثاريكا.

المسلمون في مالاوي

تعتبر مالاوي من أوائل البلدان الإفريقية التي وصلها الإسلام واعتنقه كثير من أهلها جراء احتكاكهم بالتجار المسلمين القادمين من الساحل الشرقي لقارة إفريقيا، لكن بسبب الاستعمار وبعثات التنصير انقلبت الصورة بحيث أصبح المسلمون أقلية في مالاوي.

لقد دخل الإسلام إلى مالاوي وانتشر فيها، غير أن الراويات مختلفة حول زمن دخوله، فرواية تقول: إن دخول الإسلام إلى مالاوي جاء في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك منذ عهد داود بن سليمان ١١١٨م - ١١٥٨م وهو أحد سلاطين إمبراطورية الزنج أو مملكة كلوة، حين توغلت قوافل كلوة التجارية إلى أراضي رواندا، وبروندي، وجنوب الحبشة وشرقي الكونغو ونياسالاند التي صارت مالاوي فيما بعد، غير أن هذه الرواية غير مؤكدة.

والرواية الثانية تقول: إن الإسلام دخل إلى مالاوي حوالي القرن السابع والثامن عشر من الميلاد على أيدي التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من دولة تنزانيا، وقد لقي هؤلاء الدعاة والتجار بيئة صالحة للنمو والانتشار الأمر الذي أدى إلى تأسيس مركز التجارة في الشمال والوسط، تحت رئاسة ملوزي في الشمال في منطقة كارونجا وجومبي، وفي الوسط بمنطقة كوتا.

وهذه الرواية أقرب إلى الصواب ويعضدها القول بأن تاريخ الإسلام في مالاوي يرجع أولاً إلى معرفة التاريخ الذي دخل فيه الإسلام إلى موزمبيق، ذلك

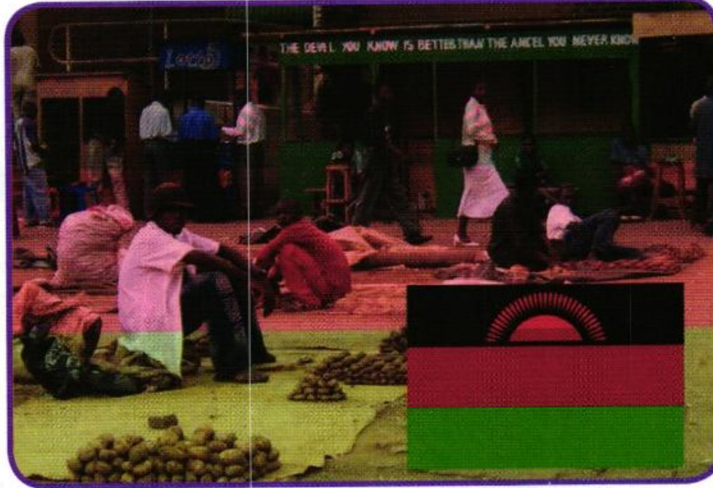
لأن القبيلة التي أدخلت الإسلام إلى مالاوي أصلها من موزمبيق وكان ذلك عام ١٨٥٠م . ١٨٧٠م وهي قبيلة الياو حيث اعتنقت هذه القبيلة الإسلام حوالي القرن الخامس عشر لما أسس تجار العرب من شرق إفريقيا مركزهم التجاري في موزمبيق عند منطقة تيتي.

وتعتبر مدينة منغوش من المدن الإسلامية الموجودة في مالاوي، غير أنها مهددة بالنشاطات التبشيرية من كل الجهات ومن كل صوب لتحويل المسلمين عن دينهم الحنيف إلى الكفر.

الجمعيات الإسلامية

توجد الآن في مالاوي جمعيات إسلامية عدة تقوم بحمل لواء الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية، ومنها جمعية مسلمي مالاوي وقد تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٥٦م كمظلة رابطة بين المسلمين في مالاوي، فجميع الاتحادات والجمعيات المحلية الإسلامية تعمل تحت إشراف هذه الجمعية، فقد قامت الجمعية منذ تأسيسها بالعمل على نشر الإسلام وتعميق العقيدة السمحاء والثقافة الإسلامية في ربوع البلاد وتوسيعها لدى العاملين في مجال الدعوة الإسلامية، وقد قامت ببناء المساجد، والمراكز الإسلامية، ودور الأيتام في جميع أنحاء البلاد، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الجمعية من أعمال أخرى كالدورات التدريبية لإعداد المعلمين والدعاة وإقامة المؤتمرات.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الجمعية منذ الثمانينات كانت تتلقى المساعدات المالية من دولة



الكويت عن طريق لجنة مسلمي إفريقيا الكويتية المشهورة التي قامت بمجهودات فعالة وجبارة في بناء المساجد وتأسيس المراكز الإسلامية وإقامة دور الأيتام في جميع أنحاء البلاد تحت إشراف الشيخ سعد الطالب الذي كان أول مندوب للجنة مسلمي إفريقيا في البلاد، وهي اللجنة التي كان يقودها د.عبدالرحمن السميط.

ولما تم احتلال الكويت من قبل العراق توقفت المساعدات والمعونات مما كان عاملا قويا في تقليص نشاط الجمعية، فالمساجد التي شيدت، ودور الأيتام التي بنيت، والمراكز الإسلامية التي تم تأسيسها، أغلبها في حاجة إلى صيانة وإصلاح، وذلك لأن الجمعية لا تملك المصادر الحقيقية لمشاريعها الإسلامية المختلفة سوى ما تبرع به بعض التجار المسلمين من الإخوة الآسيويين، وقليل من إيرادات استثمارات العقارات التي تمتلكها الجمعية.

لقد تغير حال المسلمين في مالاوي خلال ٢٠ سنة وارتفعت نسبة المسلمين من ١٧ في المائة إلى أكثر من ٤٥ في المائة من مجموع السكان، وخلال هذه الفترة انتخب لأول مرة في تاريخ مالاوي رئيس جمهورية مسلم، وتخرج العشرات من أبناء المسلمين أطباء، ومهندسين، ومحاسبين، وأساتذة جامعيين وغيرهم، بينما لم يكن أي خريج مسلم من الجامعة حتى عام ١٩٨٤م.

ويواجه المسلمون هناك صعوبات في الحج إلى بيت الله الحرام بسبب أن الحكومة لا تقدم الدعم للحجاج، ومن ثم أصبح القطاع الخاص هو المسيطر على هذه الشعيرة.

التنصير في مالاوي

على الناحية الأخرى يتعرض المسلمون لضغوط التبشير حتى إن هيئة الإغاثة العالمية وجهت نداء إلى جميع المسلمين في العالم أن يتعاونوا لإنقاذ إفريقيا المسلمة من خطر التنصير، ويذكر النداء أن نسبة المسلمين في مالاوي قد انخفضت من ٧٠ في المائة إلى ٣٠ في المائة نتيجة الحملات التبشيرية، وأن مركز التبشير في داكار عاصمة السنغال وحدها يعمل به ٢٥,٠٠٠ قسيس وراهب، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم في إفريقيا معرضون للارتداد عن الدين الإسلامي، بسبب المجاعات والأمراض، وغيبة الدعاة، وغيبة الإعلام الإسلامي.

وازدادت تلك الحملات بعد قيام لجنة مسلمي إفريقيا - جمعية العون المباشر - ببناء مركز إسلامي بتكلفة ٧٠ ألف دولار أمريكي قبل ٢٠ سنة، فجن جنون الكنيسة الكاثوليكية التي كلفت أسقف منغوشي بمقابلة البابا ليحصل منه على ٩ ملايين دولار أمريكي لتنصير المنطقة، ثم ما لبثت أن توالت التبرعات للكنيسة من أوروبا وأستراليا وشمال أمريكا لدعم بناء مدارس وكنائس في المنطقة، ولا تكاد تجد قرية حتى لو كان جميع سكانها مسلمين بدون كنيسة، ومن نشاطات هذه الكنائس إعطاء آلاف المنح الدراسية لأبناء المسلمين، ليس فقط للدراسات العامة، بل ليتخرج عدد منهم من مركز الدراسات اللاهوتية بصفتهم رهباناً ينشرون المسيحية وسط أهاليهم.

المصادر

١- صحيفة عكاظ: العدد: ٢٣٨٠ الأحد ١٣ذو الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٣ ديسمبر٢٠٠٧م.

٢- مجلة المجتمع الكويتية: العدد: ١٧٩٨، ١٩/ ٤/ ٢٠٠٨م الموافق السبت ١٣ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ.

٣- مجلة الكوثر: العدد ٤٤: ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق يونيو ٢٠٠٣م.

٤- موقع إسلام أون لاين: ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م الموافق ٩ رمضان ١٤٢٧ هـ.

٥- موقع arabic. xinhuanet: الصيني يوم ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٩م الموافق ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ.

٦- موقع أبناء الصحراء الغربية: ٢/ ٢/ ٢٠٠٨م الموافق ٢٤ محرم ١٤٢٩ هـ.

٧- أطلس العالم.

٨- موقع ويكيبيديا.

من تراث الوعي

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

العدد 14
السنة الثانية
صفر 1386 هـ
مايو 1966م

الأسس والآثار الحضارية فى نظرة الإسلام العامّة

للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من ابرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارست للحضارة اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

١ ــ ففى مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولها : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .

وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانسان ضميره ، فاصبح له من نفسه حارس عليه .

وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الأساس الأول وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطغى على مصالح الاخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التي يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد انه اذا اردنا أن نحفظ على الانسان انسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد ان نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الافراد في تقديم الخير لانفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس فى ظل الاسلام وتحت اشرافه الا تنافسا خيرا يرعى حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع ان نطبق هذا المبدا القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه فى ميدان الفكر كما نطبقه فى ميدان الاقتصاد ، وذلك بان نترك للافراد ان يفكروا كيف يشاؤون وان يكتبوا ما يشاؤون على الا يكون فى شيء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة فى تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيأ للعالم علماء افذاذا كابن سينا والغزالى وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم علماء الغرب انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم ((ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى)) ..

واما الأساس الثانى ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالاساس الاول اذ قد يجنح بعض الافراد او ينحرفون ، وتستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة كاحتكار القوت ، او يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب فكان الأساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارسا امينا او صمام امان يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا لان الله سبحانه مطلع عليه وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه .) . واما اذا صدىء هذا الضمير او قصر فى واجبه فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ويعيد الى المجتمع توازنه المطلوب .

واما الأساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ايا كان وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى الحياة الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك التى كانت تعيشها ، واوجد فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل المثمر والانتاج

النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع والوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسي ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحي وبيان قيمته في العلاج النفسي ، وحسبك ان تقرا كتاب « دع القلق وابدا الحياة » لديل كارلنجي وكتاب « العودة الى الايمان » لموريس كريسون .. فكارلنجي يقول « ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبي » ويقول الدكتور بريل « ان المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا . » والحقيقة انه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة في ميدان الخير تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما للصلة الانسان بربه من اثر في رفعة الخلق وسمو الغاية .

٢ — وفي مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعي اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات او اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام اوجب على المجتمع الاسلامي ان يكفي نفسه فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل اهل البلد آثمون ومعنى ذلك ان على المسلمين اليوم ان يسهموا في كل ميدان من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الاعباء والمغانم ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التي يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفي لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية في دراسة المجتمعات البشرية .

٣ — واما في ميدان الانسانية عامة فكان الاساس الذي ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا لون ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وامهم ورجالهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية ان التقت لاول مرة في تاريخ الانسانية امم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورقي حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من اثر هذه النظرة ايضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ — وفي ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على اساسين : ايماني وتجريبي . اما الايماني فخاص بما اخبر به الله تعالى وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحي وختمت النبوات . واما العلم التجريبي فهو الذي لفت القران اليه اذهان الناس وحثهم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد راينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر في الآيات الكونية فكان صوته اول نداء مزق في العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة اسراره .

وكان من اثر هذه النظرة ان نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والجاحظ والرازي .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء .

ولقد اثبت الاسلام — كما يقول غوستاف لوبون — انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم . بل ان لوبون يصرح بان المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الاول فيقول « لم يلبث العرب — وهو يعني المسلمين — بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ان ادركوا ان التجربة والترصد خير من افضل الكتب » ويقول : « ويعزى الى بيكون على العموم انه اول من اقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ ، ولكنه يجب ان يعترف اليوم بان ذلك كله من عمل العرب وحدهم .. » ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رايه هذا ثم يقول « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا اول من ادرك هذا المنهاج في العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا » .

٥ — واخيرا ، ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلم والسلام من اصل لغوي واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له فكان اول ما يذكر في اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام .) .

والحق ان الاسلام منح السلام للعقل الانساني الذي كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدي ، ومنح السلام للنفس الانسانية التي كانت مضطربة تعتقد انها في حرب دائمة مع الالهة والارواح الشريرة ، فهي دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بالله واحد ، وهو اله يحبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانهاء الخصومة والاستسلام له او الاسلام له (وانيبوا الى ربكم واسلموا له .) (ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن .) ومتى وجد السلام في النفس والعقل ، ومتى وجد في الارض بين بني البشر فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

٦ — على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة قد تضعف او تعصف بها شهوات النفوس الجامحة وانما دعمها بالقوة تحرسها وتسهر على تحقيقها ، انه يؤثر السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق الحق وتنصر له فامر باعداد القوة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وامر بقتال الفئة الباغية (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) .

وهكذا فقد هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ اوجد لها ظروفها الملائمة ، واية ظروف اجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشري الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟ واي دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحي الذي يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعي . وشهد انه بفضلها اخصبت الحياة وازدهرت في ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفي ان نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامي — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم وما بلغت الحياة فيها من رقي ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد ان تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم او يبدعه الخيال كما هو الامر في اكثر الدعوات وما تزخرفه للناس او تغري به السذج ، وانما هي اسس عرفها واقع الحياة الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : (لم يفتح الاسلام العالم ، ولكنه غزاه بحضارته .) وكان منهم من قال : (الحق ان اتباع محمد ظلوا اشد من عرفته اوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما لا يرهبوننا باسلحتهم كما في زمن الحروب الصليبية كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة .) وقال (ان للحضارة الاسلامية تاثيرا عظيما في العالم . وان اوربا مدينة بحضارتها للعرب) .

ونختتم بحثنا هذا بالتاكيد على ان هذه الاسس التي وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها اسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية فهي تمتاز :

اولا : بالنزعة الانسانية التي لا تعرف حدود الارض او القوم او اللغة ، ولا تقبل بتفرقة الجنس او اللون او غيرهما من العصبيات .

ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التي تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب او يخدع او يخون او يعتدي من اجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة او من الدولة من اجل القوم او الوطن او سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات اساس ايماني ، لان الايمان بالله هو الاساس الاول الذي ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهي حضارة تنبعث كما راينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التي تعطي كل شيء في الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد احدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل او تعيق الانتاج .

على انه يجدر بنا ان نشير الى ان الاسلام نظام شامل ، وانه اذا اردنا له ان يقوم نظاما حضاريا ، وان يؤتي ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التي نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك ان ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من اديان السماء جاء كالاسلام بانيا للحضارة في كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو في حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها في الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو في نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك امر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة في الارض .

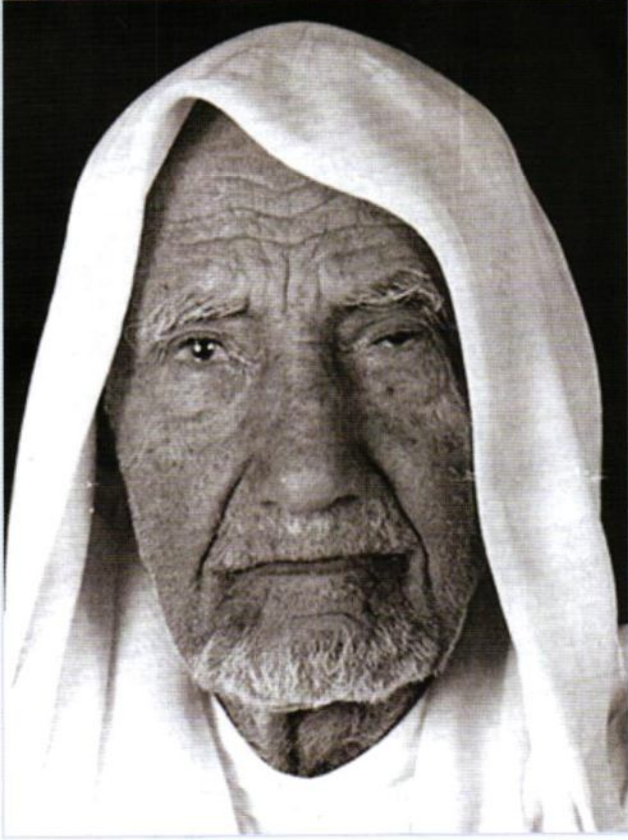
هذا هو الاسلام ، وتلك هي نظرته ، فما احوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبني على اساسها حضارته الجديدة .

ما احوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التي تحرره من اخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رعناء ، وعصبيات ضيقة . ما احوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلي العظيم .

وما احوجه الى النظرة الاسلامية التي تتفرد بانها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما في الدين من سمو روحي الى ما في العقل من طموح علمي الى ما في العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله في سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسالني سائل بعد الذي ذكرت اين هي اليوم اسس الاسلام في حياة المسلمين ؟ ولا اين هي حضارة الاسلام في واقع المسلمين ؟ فما اصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

إبراهيم الجراح.. الشيخ الشاعر



لم يُعرف إبراهيم سليمان الجراح على نطاق واسع في الكويت، ولكن الناس بدأت تتساءل عنه بعد وفاته نظراً لما كتب عنه من رثاء بيّن مآثره، وأوضح إمكاناته العلمية والأدبية، وألقى الضوء على شعره الجميل.

هو شاعر أديب، له دراية باللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، وله اطلاع واسع، ومتابعة لشتى فنون التراث الإسلامي، وقد ظل يوالي هذه المتابعة حتى تقدم به العمر، وحانت وفاته، لم يتكاسل عن المتابعة المعرفية، ولم تكل همته عن الاطلاع، وحين توفي في يوم الثامن من شهر ديسمبر لسنة ٢٠٠١م كان قد بلغ المائة سنة من عمره، ومع ذلك فقد كان ذا ذاكرة قوية، يسترجع أحداث التاريخ الإسلامي، ويتذكر تاريخ الكويت، ولا تفوته صغيرة ولا كبيرة من تاريخ وطنه، ولقد كان مرجعاً في التاريخ الكويتي، وفي ذكر الأماكن وما مر عليها من أحداث.

وعلى الرغم من أنه لم يتصدر للتدريس، فقد كان يستقبل من يأتيه سائلا، ويرد عليه بالرد الشافي، وكان عدد من الشعراء يأتون إليه عارضين عليه شعرهم ليطلع عليه، ويبدي لهم رأيه فيه، فكان يهتم بذلك، ويرد عليه دون تجريح، وكان شعره جميلاً معبراً قوي اللغة، وقد كانت القصيدة التي رثى بها شقيقه الشيخ محمد سليمان الجراح من أفضل قصائده، فهي قد صدرت عن قلب محب، وفيها أبدى إحساسه بدنو أجله، بعد وفاة شقيقه الذي عاش معه زمنا طويلاً، وتقاسم وإياه أفراح الحياة وأتراحها، ومما يدل على ذلك قوله فيها:

ما كنت أحسب أن تطول حياتي
حتى أراك سبقتني بممات
قد كنت أرجو أن أفوز بدعوة
مبرورة لي منك أو بصلاة
فسبقتني ضيفا لربك للذي
يُقري النزيل لديه بالجنات

وفي هذه القصيدة بيت يدل على ما ذكرناه من أنه أحس بدنو أجله عندما توفي أخوه محمد، حيث يقول:

شقّي لأنت ومن تَسَاقط شقُّهُ
كان الرَّدى منه على خطوات

وبالفعل فإن حياة الشيخ إبراهيم لم تطل كثيراً بعد ذلك.

لقد انتقل الشيخ إبراهيم سليمان الجراح إلى رحمة الله في صباح يوم السبت الموافق للثامن من شهر ديسمبر سنة ٢٠٠١م.

وهو عالم من علماء الكويت في اللغة والأدب والفقه، وشاعر من شعرائها الذين عبروا بشعرهم عن أحاسيس الحب تجاهها، يحس من يجلس إليه بمقدار ما حصل عليه من علم، ويرى عنده الرغبة في إيصال ما عنده الى من يتطلع الى الاستفادة منه، وعلى الرغم من أنه محب للعزلة، راغب عن الاتصال بالناس بشكل عام إلا أنه كان يستقبل في مصلاه في أحد مساجد الكويت عدداً من طلاب العلم الذين يأتون إليه للسؤال عن أمر من الأمور التي أشكلت عليهم فيجدون عنده الجواب الشافي، فيعرفون بذلك

مقدار علمه، وتمكنه من الإحاطة بكثير من المسائل العلمية التي يسعى هؤلاء إلى معرفتها، وهذا هو ما أشرنا إليه قبل قليل.

درس الشيخ إبراهيم العلم مع أخويه داود ومحمد عند عدد من علماء عصرهم، واشتهر بالتواضع والزهد، وعدم الرغبة في الاختلاط بالناس، غير أن من يتصل به - كما أشرنا قبلا- يدرك غزارة علمه ليس في مجال اللغة العربية والفقه والتاريخ فحسب، بل وفي مجال المعرفة بالكويت وكل ما يتعلق بتاريخها وبأهلها ومواضعها المختلفة.

وإذا أردنا الحديث عن شعره، فإن له شعراً رقيقا، لم يكن - في حياته- قد جمع في ديوان، ولكنه كان متداولاً يحفظ عدد من ملازميه بعضا منه، ويستمتعون بما يتميز به من جمال وصفاء، ومن تنوع في الأغراض التي كان من أهمها الإخوانيات ووصف الأشياء.

أحد أبرز علماء الكويت في اللغة والأدب والفقه .. وعرف بالعزلة والزهد

طلب العلم

اللغة العربية: درس اللغة العربية على الشيخ عبدالعزيز بن قاسم حمادة مع شقيقه داود حيث قرأ عليه الآجرومية، ثم متممة الآجرومية وذلك مدة سنتين، وكانت دروسهم في الصباح الباكر قبل الذهاب إلى الدكان في السوق.

ثم درس على الشيخ أحمد الحرمي وفي تلك الفترة تزوج شقيقه داود فلم يحضر معه الدرس وانقطع، ثم درس عند محمد الحرمي مع شقيقه محمد الجراح قطر الندى، وكتاب ابن هشام (لعله الشذرات أو شرح الألفية).

ثم بعد ذلك تدارس الشيخ إبراهيم العربية مع أخيه محمد.

دراسة الفقه

درس الفقه أولا عند الشيخ عبدالله الخلف وقرأ عليه دليل الطالب. قال الشيخ إبراهيم: وكان شقيقي داود قد قرأه، قال جراح ولما سألته عن النسخة التي قرأتها قال كانت أصلا لخلف المخزيم، وقد أعادها داود إليه، ثم درس الفقه على عبدالوهاب العبدالله الفارس وكان يحضر معنا القاضي عبدالمحسن البابطين ودرسنا الاقناع والمنتهى وذلك عقب صلاة العشاء، وكذلك كانت الدروس عند الشيخ عبدالله الخلف عقب العشاء.

قال الشيخ إبراهيم وبعد ذلك تدارست الفقه مع محمد شقيقي.

سئل عنه الشيخ محمد الجراح فقال: قرأ معي على المشايخ الذين قرأت عليهم وقرأ على أحمد الحرمي في النحو.

الشاعر الغزير

إن قريض هذا الشاعر موفور وغزير، وما جاءنا منه إنما هو أقل القليل، فهذا المتمكن من ناصية الشعر، الذي يطرق عدداً كبيراً من الأبواب، لا بد وأن يكون له اسهام في كثير من المجالات على اختلاف تطور الحياة من حوله، ولكن ما نستطيع أن نقوله هنا هو أن ما وصلنا من شعره معبر عن إمكاناته الشعرية، وقدرته على الإسهام في الحياة الأدبية لعصره، وقد تأتي لنا الأيام بقصائد أخرى له لم تصل إلى أيدينا الآن.

ومن الملاحظ أنه حرص على وضع تواريخ انجازه للاشعار الواردة في هذا الديوان، كما أن من الملاحظ أن بعضها قديم يدل على أنه قال الشعر مبكراً بدليل أننا نجد له قصيدة قالها في رثاء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان سنة ١٩٣١م، وأنه استمر في قول الشعر في السنوات التي تلت هذه السنة، ولم يكف عن الشدو به خلال العقود التي لحقت إلى أن وصل إلى آخر قصيدة من القصائد التي قالها، وهي التي احتوت على رثائه لأخيه الشيخ محمد سليمان الجراح، وكانت قصيدة تدل على عظم الجرح الذي أحس به، بل لقد كانت تلك الفاجعة سبباً في تدهور حالة فظل مكتئباً إلى أن توفي في التاريخ الذي ذكرناه، ثم قصيدته الى الاستاذ عبدالحميد البسيوني، رداً على أبيات أرسل بها إليه، كما نجد ان شعره قد تنوع في مجالات عدة هي: المجال السياسي، والاخوانيات، والمداعبات، والوصف، والحنين إلى الماضي.

وقد بدت آثار دراسته هذه في شعره، ففي بعض قصائده إشارة إلى شيء من قواعد النحو، وفي أخرى إشارة إلى بعض فنون العروض، ومن هذا ما ورد في قصيدته المسماة «اعتذار عن عدم عيادة» حيث يقول:

فلذا نظمت عيادتي بقصيدة
سلمت قوافيها من الإقواء
ما عابها خرم ولا حذف ولا
شيء من الإيطاء والإكفاء

فالإقواء والخرم والحذف والإيطاء والاكفاء من الأمور التي ترد من فنون العرض على بعض قصائد الشعراء.

مصادر الترجمة :
د. يعقوب يوسف الغنيم وجراح داود الجراح

جوامع «تمبكتو» في مالي

د. معتز ياسين

لقد قامت مجموعة جوامع في مدينة تمبكتو أو (تنبكت) التاريخية بغرب إفريقيا، فيما يعرف حاليا بدولة مالي، وكانت هذه المساجد منارات تعليمية وجامعات عامة ازدهرت الحياة الثقافية فيها، وتبودلت المعارف والعلوم بينها وبين مراكز العلم في العالم العربي الإسلامي. وأشهر هذه الجوامع جامع تمبكتو الكبير الذي يعد من أقدم مساجد تمبكتو وأكبرها، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشييد الأول له، ولكن المعروف أنه كان هناك مسجد أقيم على موقعه في القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي، والراجح أن بناءه قد تم أول مرة في مطلع القرن السادس الهجري- الثاني عشر الميلادي على وجه التقريب، أي في الفترة التي نشأت فيها مدينة تمبكتو، لأن المسلمين جروا على عادة بناء المساجد الجامعة متى استقر بهم المقام في مكان، ولو وسط المجتمعات الوثنية.

وكان بناؤه الأول على صورة متواضعة تتناسب مع حجم سكان المدينة في تلك الفترة، وفي القرن الثامن الهجري جدده السلطان المالي الحاج مَنْسا موسى(١) (٧٠٧- ٧٣٢هـ- ١٣٠٧- ١٣٣٢م)، وبنى صومعته بعد عودته من الحج عام ٧٢٤هـ- ١٣٢٤م، وهو الوقت الذي ضم فيه مدينة تمبكتو إلى مملكته، ومن المرجح أن الذي قام ببناء هذا الجامع هو المهندس الشاعر الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحيلي المعروف بابن الطويجن، الذي قدم مع السلطان موسى من الشرق عند عودته من الحج.

وظل هذا المسجد موضع عناية كثير من السلاطين والحكام الذين تعاقبوا على حكم مدينة تمبكتو، فقد مر بإصلاحات وترميمات وتحسينات وتوسعات تقتضيها الظروف وزيادة السكان والثروات المتوافرة وتطور العمران، شأنه في ذلك شأن كل المساجد العريقة في العالم العربي الإسلامي، لما حرص المسلمون على جعل مساجدهم أجمل البقاع وعلى أحدث فنون المعمار.

ومن هذه الإصلاحات التي عرفها الجامع الكبير في تمبكتو، قيام الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (٩١٣- ٩٩١هـ- ١٥٠٧- ١٥٨٣م) بزيادة كبيرة فيه، بأن ضم إليه المساحة التي كانت تشغلها القبور المجاورة له، وكان ذلك عام (٩٧٦هـ- ١٥٧٠م)، في عصر السلطان آسكيا داود (٩٦٥- ٩٩٠هـ- ١٥٥٧- ١٥٨٢م)، عاهل دولة صنغي الإسلامية، ولم يكن الشيخ وحده الذي قام بالإنفاق على بناء المسجد، بل اشترك معه- بعد إلحاح- علماء آخرون، مثل الحاج أمين، ولكن لم يتعد إنفاقه ثلاثة أيام، وتعد مساهمته هذه رمزية مقارنة بما أنفقه الشيخ العاقب في البناء، الذي كان يكلف يومياً سبعة وستين مثقالاً (ستة غرامات إلا ثلثا) من الذهب، واستمر في ذلك قرابة ثلاثة أعوام.

وكذلك أدخلت عليه بعض الإصلاحات في الأعوام ١٠٨٩هـ- ١٦٧٨م و١١٢١هـ- ١٧٠٩م و١١٤٩هـ- ١٧٣٦م، وبناء على ذلك يمكن القول بأن المسجد القائم اليوم لا يشمل أي أجزاء يمكن نسبتها إلى ما قبل عام ١٥٧١م، وهو التاريخ الذي أعاد فيه القاضي العاقب بناء الجامع.

كانت معاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية مهمة لجمعها بين التخصص والثقافة التربوية

ويشتمل المسجد- من الداخل- على خمسة وعشرين صفاً من العُمُد، تمتد من شمال المسجد إلى جنوبه، وعلى ثمانية صفوف ممتدة من شرقه إلى غربه، وشيدت أهم أجزاء المسجد بالحجر، كالعقود، وشيد الجانب الغربي والمحراب وبعض أجزاء الكساء الخارجي والسُّقُف من الخشب المتين، وللمسجد صحنان أحدهما واسع والآخر صغير متصل بالمئذنة، ويعتبر هذا الجامع من المعالم الأثرية البارزة لمدينة تمبكتو الإسلامية التاريخية.

مسجد سنكري

لم يبين لنا عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان والقاضي محمود كعت صاحب كتاب الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس- وهما المصدران الرئيسيان لتاريخ الإسلام وحضارته في غرب إفريقيا قبل الاستعمار الغربي- تاريخاً محدداً لبناء المسجد، بل إن النصوص الواردة في هذا الخصوص مضطربة.

وبحسب قول صاحب الفتاش فإنه: «في عام تسع وثمانين وتسعمائة شرع في بناء مسجد سنكري»، ولعل المتأمل لهذا النص يفهم أن بناء هذا المسجد قد تم أيضا على يد القاضي العاقب.

ولكن هذا المفهوم لا يستقيم مع مفهوم بعض النصوص للسعدي، التي جاء في أولها: «وأما مسجد سنكري فقد بنته امرأة.. ذات مال كثير، ولكن لم نجد لبنائها تاريخاً»، وثانيها يلقي ضوءاً على نص الفتاش المذكور آنفاً، ويشير بصراحة إلى أن القاضي العاقب كان مجدداً لبناء مسجد سنكري، ولم يكن المشيد الأول له، وهو في قوله: «وفي يوم الخميس الثاني عشر من محرم عام ست وثمانين بعد تسعمائة، شرع القاضي العاقب في تجديد بناء مسجد سنكري»، ويزيد ثالثهما الأمر

وضوحاً، ويفيد بقدم مسجد سنكري، وبأنه شيد بعد المسجد الجامع، وأن تكامل البناء عامة كان في أواسط القرن العاشر الهجري في عهد السلطان داود.

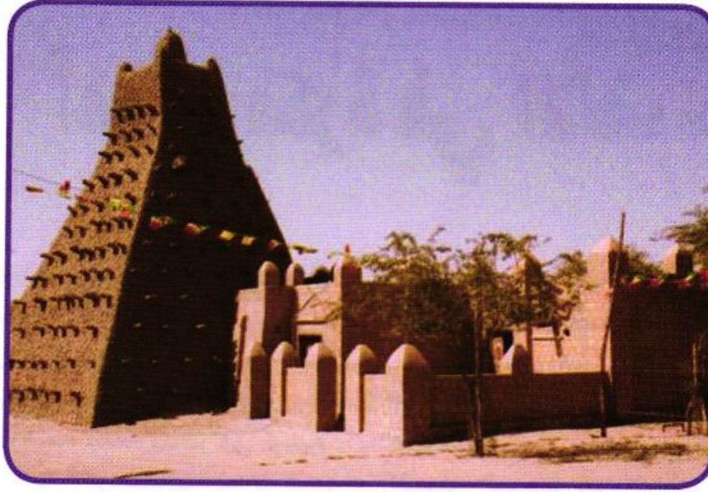
ونرى- في ضوء نصوص السعدي- أن بناء هذا المسجد أول مرة كان قبل عهد القاضي العاقب، على يد امرأة ثرية، ثم كان تجديده على يد القاضي العاقب في عهد السلطان آسكيا داود.

وأما فيما يتعلق بالاسم سنكري، فمن الملاحظ- على ضوء معلومات السعدي- أنه اسم حي من أحياء تمبكتو، كان به المسجد الذي عرف باسم هذا الحي.

مسجد سيدي يحيى التادليسي

شيده محمد نقي، من قبيلة آجر الصنهاجية، وهو حاكم تمبكتو التابع للسلطان آكل، سلطان الطوارق (أو التوارق) حينذاك، ولا نعرف تاريخاً محدداً لإنشائه، ولكن المحتمل أن يكون قد شيد في حوالي منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف القرن الخامس عشر الميلادي)، لأن حكم الطوارق لهذه المدينة كان في الفترة ما بين عامي ٨٣٧- ٨٧٦هـ- ١٤٣٣- ١٤٧١م، وظل حكام هذه المدينة بصفة خاصة والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم مالي بصفة عامة يجددونه ويوسعونه بين فترة وأخرى، بما يتناسب وكثافة السكان وإمكانات البلاد، ولقد وصف الرحالة الفرنسي كابيه هذا المسجد، عندما مر بمدينة تمبكتو عام ١٢٤٤هـ- ١٨٢٨م.

ولم تكن تمبكتو تضم فقط هذه المساجد الثلاثة المشهورة، بل ضمت مساجد أخرى، ولكنها لم تصل إلى شهرة هذه الثلاثة ومكانتها في التاريخ الحضاري الإسلامي لغرب إفريقيا، وقد أوصل المؤرخون عددها إلى أكثر من تسعة مساجد.



التعليم والمعلمون

كانت هذه المساجد الثلاثة- بصفة خاصة- معاهد تعليمية كبرى، ومراكز ثقافية مهمة، مثل: الجامع الأزهر بالقاهرة، والجامع الأموي بدمشق، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع قرطبة بالأندلس، وجامع القرويين بفاس، وغيرها من المساجد الإسلامية الكبرى.

فكانت المرحلة العليا من التعليم- في هذه المساجد التمبكتوية- تشبه ما كان بالأزهر قديماً، وما هو كائن اليوم، إذ إن حلقات الدراسة مازالت تعقد في جامع تمبكتو، وينتظم فيها طلبة الدراسات الإسلامية، الذين يمنحون شهادة الإجازة (الليسانس)، تماماً كزملائهم الذين يتخرجون في الكليات المختلفة في جامع الأزهر.

ويسمي بعض المؤرخين هذا النوع من التعليم المسجدي بالجامعات العامة، لأنه يجمع بين فكرة التخصص الدقيق وفكرة الثقافة التربوية العامة، وهو تعليم إسلامي أصيل، وضعت بذرته الدعوة الإسلامية وما تحت ظلالها.

وكذلك من الملاحظ أن الكتب- التي كانت متداولة للدراسة في هذه المساجد- تكاد تكون بعينها الكتب المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى.

ومن تلك الكتب التي ورد ذكرها في برامج التدريس في تمبكتو: الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي.. وهي في السيرة النبوية والشمائل المحمدية، مدونة القاضي سحنون، مختصر ابن الحاجب الفرعي، الرسالة، مختصر الشيخ خليل، تهذيب البراذعي، جمع الجوامع، القرطبية، جامع المعيار، وكلها في الفقه المالكي، مختصر ابن الحاجب الأصلي في أصول الفقه، موطأ الإمام مالك في الحديث والفقه، ألفية ابن مالك في النحو، وتلخيصها للسيوطي، ألفية السيوطي، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سيرة ابن إسحاق (أو سيرة ابن هشام)، تفسير الجلالين، مقامات الحريري في الأدب العربي، الخزرجية في العروض.

التبادل التعليمي

كان ثمة تبادل علمي بين معاهد تمبكتو ومعاهد البلدان الإسلامية الأخرى في المغرب والصحراء الكبرى والأندلس، وكانت معاهد المغرب التعليمية أعرق من معاهد غرب إفريقيا. ولذا، حرص طلبة العلم من غرب إفريقيا على النهل من علمها.

وأسهم السلاطين في إرسال البعوث العلمية إلى هذه المعاهد، فتشير الكتب إلى أن السلطان المالي منسا موسى أرسل العالم كاتب موسى- الإمام والمدرس بجامع تمبكتو- إلى فاس، ليتلقى مزيداً من العلوم الإسلامية، وعندما اشتهرت هذه المعاهد، وفد عليها كثير من الطلبة من بقاع شتى في غرب إفريقيا لتلقي العلم على مشايخها، ومنهم الفقيه مخلوف بن علي البلبالي، وكذلك عُرف العلماء الودانيون (من إقليم وَدان) في معاهد تمبكتو، منهم سيدي أحمد الغزالي بن محمد بن محمد بن يعقوب الحاجي اليعقوبي الوداني، الذي تتلمذ على والد أحمد بابا التمبكتوي.

وعندما زار ابن بطوطة دولة مالي- في حوالي منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)- التقى عددا من علماء شمال إفريقيا المقيمين بمدنها، مثل تمبكتو، ومنهم محمد بن الفقيه الجزولي، وصهره الفقيه المقرئ عبد الواحد.

وجذبت الحركة التعليمية في مساجد تمبكتو- في العهد المالي- بعض علماء الأندلس، أمثال: علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الوادي آشي (ت ٧٢٤هـ- ١٣٢٣م)، والد ابن الملقن التكروري (ت ٨٠٤هـ- ١٤٠١م) صاحب كتاب طبقات الأولياء، ومارس عليّ التدريس، لاسيما اللغة العربية، ثم ارتحل إلى القاهرة، وأنجب فيها ابنه المعروف باسم ابن الملقن.

وذكرت المصادر أن أهم بعثة تعليمية جاءت من تمبكتو المالية إلى بلاد الهوسا والبرنو، هي البعثة الونغارية، وكان أفرادها من ركائز معاهد تمبكتو، وأخذ العلماء التمبكتويون- منذ ذلك الحين- يتوافدون على بلاد الهوسا والبرنو، أمثال الفقيه مخلوف البلبالي والتاذخني، ومنهم من أسس معاهد تعليمية في هذه المنطقة، مثل معهد الحنبليين في كاتسينا.



أفضل فكرة في الألف سنة الماضية

سرعة القفزات العلمية وكثرة منتجات العلم والحضارة الغربية تنسينا أننا كنا يوما ما أساتذة للعلم وللحضارة، خاصة بعدما صرنا مستهلكين لهذه المنتجات، وليس لنا فيها إلا معرفة كيفية استخدامها، وكيفية الاستفادة منها، وقد كرس الغربيون الجهد والوقت للاستفادة من حضارتنا، وفي الآن نفسه أنفقوا الوقت لكي ننسى أننا كنا أصحاب جهد في هذا المجال، وأقنعنا الغربُ لنسير في دربه الجديد لدرجة أن الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- يذكر في كتابه «الطريق من هنا» أن أحد أساتذة الفيزياء في الجزائر كان يدِّرس لطلابه فكرة عظيمة لعالم غربي في العصور الوسطى هو «الهازن»، فلما نبهه الطلاب بأن الهازن هذا هو الحسن بن الهيثم العربي المسلم طمر الفكرة، وما عاد يشيد بها، وكل هذا ليطوي النسيان علماءنا، ولتخمد في نفوسنا القدرةُ على الإبداع والإنتاج، ولنظل مستهلكين، حيث يراد لنا أن نشعر أننا غير أكفاء لصنع العلم والحضارة.



د. محمود مسعود

لكن هناك من الغربيين اليوم من عاد ليعترف بأن للمسلمين مساهمات جليلة في العلم والحضارة، ولهذا نقدم هنا لمقال صدر بمناسبة نهاية الألفية الماضية في مجلة نيويورك تايمز، وعنوان المقال هو«Best Idea: Eyes Wide Open» ففي هذا المقال الرائع يقدم كاتبهRichard Powers العالم المسلم الكبير الحسن بن الهيثم على أنه هو صاحب أفضل فكرة قام عليها صرح العلم الحديث في الغرب.

ذكر الكاتب في بداية مقاله أن الألف سنة تعد أطول وحدة زمنية للقياس، ففي بداية الألفية الماضية وفي فترات متعددة انتظر الغربيون عودة المسيح ليحكم سماء وأرضًا جديدة في مملكة ستستمر ألف سنة جديدة، لكن قرب نهاية الألفية قام النازيون بتحديد مفهوم آخر للألفية تنبأوا فيه أن يقيموا مملكة سوف تستمر ألف سنة قادمة، بيد أن تلك الفكرة ماتت عام ١٩٨٨ مع انهيار سور برلين، أما مع بداية الألفية الجديدة (أي الثالثة) فلم يعد هناك حدود جغرافية تفصل بين القارات، فأصبح العالم قرية صغيرة يمكن تحديد أي موقع وأي شخص على ظهرها بواسطة القمر الصناعي.

ونظرا للتطورات والطفرات الكبيرة التي شهدها العالم، خاصة في القرن الأخير من الألفية فإن محاولة تحديد أهم فكرة في الألف سنة الماضية أمر يبدو من الصعوبة بمكان، فقد يتبادر إلى الذهن كثير من هذه المفاهيم على أنه الأعظم مثل: الديمقراطية البرلمانية، الدولة القومية، الأسواق الحرة، التأمين، الجامعة، التعليم الإلزامي، الاشتراكية، تحرير المرأة، الانتخاب العام الحر، حقوق الإنسان...الخ، بيد أن التغير في المؤسسات الاجتماعية السابق ذكرها كان يتطلب ثورة فكرية وعلمية مماثلة، فعلى سبيل المثال فإن كثيرا من النظريات العلمية مثل نظرية التطور والنسبية، واللاوعي، ومثل القوانين العلمية وأدواتها، مثل الطفو والجاذبية والتليسكوب قد أحدثت وثبة في مفاهيم الإنسان، ففكرة التطور يمكن عدها أهم فكرة في العشرة القرون الماضية، لكن في الحقيقة ما هي إلا عَرَضٌ لفكرة مفاهيمية أوسع تكمن في نشأة المنهج التجريبي، ولما كان واضع هذا المنهج التجريبي هو أبوالعلي الحسن بن الهيثم، المولود بالبصرة سنة خمس وستين وتسعمائة ميلادية (٩٦٥م)، فإن هذا العالم المسلم يعد بحق صاحب أعظم فكرة (وتجدر الإشارة إلى أن الغربيين في تاريخهم الفكري لم ينسبوا هذا المنهج لعالمنا العربي المسلم قصدا وعمدا) ففكرة ابن الهيثم رسخت فينا- كما يقول الكاتب- مع الزمن حتى ظننا أنها ليست فكرة مبتكرة، فابن الهيثم نجح في أن يفتح جدلا علميا لمسألة ظلت مغلقة لمدة تزيد عن ثمانمائة سنة، فقبل ابن الهيثم تنافست نظريتان متناقضتان في تفسير كيفية الإبصار، إحداها تنسب لعلماء رياضيات معروفين مثل أوسلد Euclid وبتلومي Ptolemy وغيرهم، الذين قالوا إن الضوء ينتقل بالضرورة من العين إلى الشيء الملاحظ، أما النظرية الثانية فكانت لأرسطو والمذهب الذري وقد افترضوا العكس، فالنظريتان كلتاهما كانتا ذواتي حجج قوية ومتكافئة ولا يوجد ما يرجح إحداهما على الأخرى، لكن ابن الهيثم قام بإجراء بعض الملاحظات والتجارب المهمة مع بساطتها، منها أنه دعا ملاحظين أن يحدقوا في الشمس، فأثبت من خلال هذه الملاحظة أنه حين يتم النظر لشيء مضيء بشدة تحترق العين، ومن هنا هدم النظريات السابقة معتمدا على تجربته تلك، وأثبت من خلال هذه التجربة أن الضوء يبدأ خارج العين ثم ينعكس عليها، ولم يوجد تفسير متماسك يدعمه الدليل من التجربة كهذه الفرضية، فإذا كان بتولمي لجأ

● أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

للرياضيات والعقل وأرسطو اعتمد على الحدس، فإن ابن الهيثم قد احتكم إلى التجربة التي كانت بحق سببًا للثورة العلمية، والتي انتشر تأثيرها بلا حدود، فقد تبدو تلك الفكرة بسيطة لكنها غيرت كثيرا من المفاهيم.

ليس هذا كل ما عمله ابن الهيثم، فقد قدم ابن الهيثم عدة مساهمات في مجال البصريات والفيزياء أكدت دور العرب والمسلمين في التطور العلمي، فبينما كان العرب يوقدون جذوة العلم لم يكن لأوروبا منه إلا حظ ضئيل يمكن ذكره «part of a surge of Arab science at a time when Europe possessed little science to speak of»، فمعاصرو ابن الهيثم مثل البيروني وابن سينا وابن رشد قاموا بإحياء الفكر اليوناني وتوسيعه، فرغم أنه لم يعد أحد من هؤلاء العلماء العرب تجريبيًا بالمعنى الحديث فإن كل واحد من هؤلاء ساهم في فتح احتمالية إدراك العالم من خلال جزئياته ومن خلال الملاحظة المباشرة وهذا هو أصل المنهج التجريبي، ومن هنا يمكننا أن نقول: إنه في الوقت الذي تمتع العلماء العرب بحرية مطلقة في البحث العلمي كانت نظرية القديس أوغسطين تقف حائلا بين المسيحيين والبحث العلمي الحر، نظرية كانت ترى أن العالم لغز غامض أنشأه الله ليقودنا إلى عالم آخر بعيد وهو »عصر المسيح.

انتقال فكر ابن الهيثم إلى أوروبا

عندما سقطت المدن العربية بجنوب إسبانيا في أواخر القرن الحادي عشر غمرت الكتب العربية أوروبا المسيحية فترجمت أعمال ابن الهيثم في مجال البصريات إلى اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر فأضاءت الطريق أمام روجر بيكون أبو التجربة الغربية، فبيكون كان خليطا بين عقل قديم وجديد، فهو ابن الفلسفة الفرنسيسكانية وفي الوقت ذاته هو عالم تجريبي ضد المذهب الفلسفي النظري، حارب ليدخل العلمَ في المناهج الجامعية ثم أصبح أول أوروبي يكتب وصفة لصناعة البارود، وقدم أفكارا لصناعة الطائرات والسفن والسيارات، وعلى ذلك فكل تلك المخترعات العلمية هي ثمرة للفكرة التي أفادها من ابن الهيثم، فنظرية ابن الهيثم البصرية قد اشتملت على اختراع كاميرا بدائية

ريتشارد : أفضل فكرة قام عليها صرح العلم الحديث في الغرب كانت للعالم المسلم ابن الهيثم

قادت بيكون إلى العديد من الأفكار في مجال البصر، لكن ما أخذه بيكون يفوق مجرد مجال البصريات، فكان يقول «إن الجدل لا يزيل الشك، فقد يؤمن العقل بحقيقة ما حتى تأتي التجربة فتغير إيمانه بها، فأي إنسان لم يرَ النار لن يقتنع بأن النار تحرق إلا بالتجربة» في حين كان أرسطو لا يرى قيمة للتجريب مؤمنا بأن الطبيعة يمكن أن تُفْهَمَ جملةً دون تجزيء، آمن بيكون بقيمة الاختبار أو التجريب من خلال الجزئيات للوصول إلى الحقيقة.

فقد مرت ثلاثة قرون أخرى قبل أن ينشأ العلم بجذور الفلسفة الطبيعية التجريبية، لأن فكرة الرؤية عند ابن الهيثم بدأت تهز أساسيات النظرية التي كان يقوم عليها الفكر الإنساني، سبفلم يعد العلماء



يعتقدون أن الضوء يأتي من العين بل ينعكس عليها، فكثير من العلماء الغربيين في العصور الوسطى اتخذوا من تلك الفكرة طريقا للتجريب الذي أثار عقل القرون الوسطى في الغرب ليعجل بدخوله العصر الحديث. فقد بدأ الأوروبيون من خلال فكر ابن الهيثم يرون العالم من حولهم، فقد اكتشفوا وضع خرائط جديدة للعالم وتلك الخرائط مكنت كولومبس من اكتشاف العالم الجديد، ومن ثم بدأت بيانات التجريب بلا انقطاع موقظة وموقدة لحركة الإصلاح البروتستانتي التي آمنت بقيمة الإنسان، ومن ثم ظهر مذهب الشك متحديا فكرة أن الحكمة- أي العلم- تأتي من السماء، وانتشرت في جميع البقاع، وكل ذلك من آثار علم البصريات لابن الهيثم، فمفهوم انحراف الضوء والعدسات أدى إلى تطوير التلسكوب والميكروسكوب وقد ساعدت تلك الأجهزة للتعرف على غير المرئيات والتي دفعت بالتقدم العلمي خطوات للأمام، فظهر علماء كبار في الفلك مثل كبلر وجاليليو ومن هنا ظهرت فلسفة جديدة جعلت كل شيء مثارا للشك وأصبح الشك محركا لإبداع جديد.

وتساءل المؤلف في نهاية مقاله عن ما هي الفكرة الأعظم في الألف سنة القادمة؟ هذا إذا كنا سنستطيع رأسا أن نحيا في ظل ما أحدثته الثورة التجريبية في القرن الماضي والزيادة الهائلة في القدرات التكنولوجية وما قد تسببه من مخاطر، فإذا لم يصاحب هذا التطور الهائل زيادة في النضج الاجتماعي والأخلاقي قد يكون الأمر كارثيا.

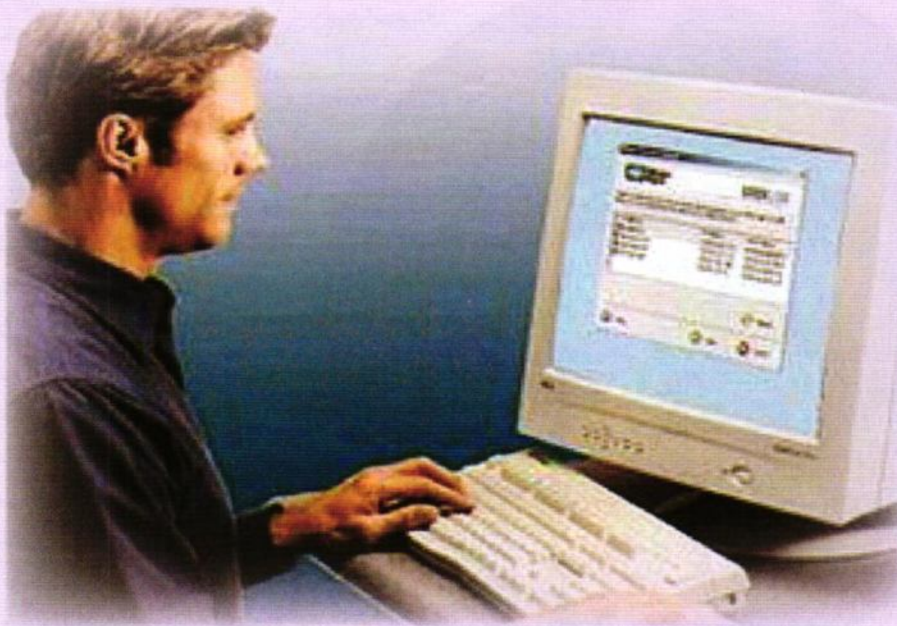
إعداد : علي الحربي

تحديث المتصفح يحمي من خطر قراصنة الإنترنت



رغم أن برنامج متصفح الانترنت القديم يؤدي العمل المطلوب منه بكفاءة تامة فإن هناك أسبابا تدعو المستخدم إلى المداومة على تحديث نسخته من برنامج المتصفح باستمرار ومن أهم هذه الأسباب أن الإصدارات الحديثة من المتصفح تتضمن تطبيقات معينة تجعل تصفح الشبكة الدولية أكثر أمانا ومن بين هذه التطبيقات مرشحات خاصة لحماية المستخدم من التعرض لعمليات الاحتيال الإلكتروني حيث إن هذه المرشحات تمنع سرقة البيانات الشخصية من الكمبيوتر ومن مزايا النسخ الحديثة من برامج المتصفح كذلك أنها تحتوي على وظيفة لتحذير المستخدم في حالة دخوله عرضا موقعا يحتوي على برامج مؤذية ولا يحتاج المستخدم إلى تنزيل النسخ التجريبية من برامج المتصفح الجديدة التي تتوافر على الانترنت بل يمكنه الاكتفاء بتحميل أحدث إصدارات المتصفح الذي يستخدمه بالفعل.

موقع يقدم معلومات عن أمراض المعاقين



يعرض موقع سعودي شخصي لأمراض المعاقين عقلياً وجسدياً بقدر جيد من التوسع ويقدم معلومات غنية تعرف بالمرض وتبين أسبابه وأعراضه وكل ما يتعلق به من شؤون، وتعمل فيه مؤسسه، بتعاون ودعم كبيرين من مجموعة من المتخصصين قدموا الأفكار والمراجعة العلمية، ويعرّف الموقع بعدد من المجلات والكتب المتخصصة ذات الصلة وفيه قسم «ديوانية» الذي يمثل مكانا للتواصل والتحاور وتبادل الخبرات بين العائلات التي لديها أطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة ويمكن زيارة الموقع على العنوان التالي www.dr-soby.com

موقع للتعرف على أجزاء الحاسب الآلي

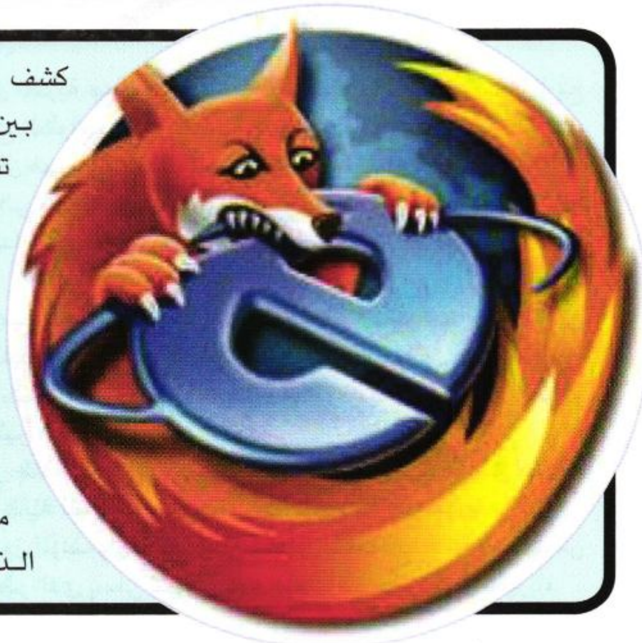
ظهر اخيراً على شبكة الانترنت موقع جديد يتيح للمتصفح التعرف على المكونات الرئيسية لجهاز الكمبيوتر، مثل اللوحة الأم والمعالج الرئيسي فضلا عن الذاكرة الاليكترونيةRAM ويمكن أيضا أن تتعرف على الأنواع المختلفة من وحدات ادخال البيانات وكيفية عملها مع الحاسب، والشرح في هذا الموقع مدعم بالصور والرسوم التوضيحية عالية النقاء كما يحتوي الموقع على قاموس لمصطلحات الكمبيوتر الأساسية لمزيد من التفاصيل يمكن زيارة الموقع على العنوان التالى .www .pctechguide.com

موقع ترفيهي وتعليمي للأطفال عبر الإنترنت

يعد موقعgeocities من المواقع التعليمية المميزة للأطفال يهدف إلى المتعة مع التعلم حيث يقوم بعرض المواد التعليمية المختلفة بنسب متماثلة مع المواد الترفيهية كما أنه في بعض الأحيان يعرض المواد التعليمية في شكل ترفيهي حتى يتمكن الأطفال من التعلم بطريقة سهلة ولكي يحصل طفلك على هذه المتعة الحقيقية، ويمكن زيارة الموقع على العنوان التالي www.geocities.com



مواقع الشات تؤدي إلى الإصابة بالأمراض



كشف بحث علمي أن للاتصال المباشر بين الأفراد فوائد صحية كثيرة لا تتوافر في الاتصال من خلال مواقع المحادثة الالكترونية (الشات) والمواقع الاخرى المماثلة كما أشار البحث الى أن عدم الاتصال المباشر بين البشر يؤثر من الناحية البيولوجية على الانسان ويؤدي إلى تغير في مستوى الهرمونات ووظائف منظومة العلاقات الإنسانية الأمر الذي يؤدي الى الاصابة بأمراض السرطان وأمراض القلب وانخفاض في مستوى أداء العقل لوظائفه، أضاف البحث أن أهم المشاكل التي يواجهها مستخدمو هذه المواقع تتمثل في خلق أوهام اجتماعية يستحيل معها التكيف مع الواقع ومع البيئة المحيطة ما يؤدي الى حالة من عدم التوازن في السلوك مؤكدا أن المواقع الالكترونية تسبب العزلة للبشر أكثر من أي وقت مضى حيث أظهرت الاحصاءات تزايد أعداد الذين لا يتحدثون مع غيرهم في الامور الحياتية خلال السنوات الماضية بمعدل ثلاثة أضعاف.

إعداد : هالة محمد

تلسكوب يبحث عن الحياة في الفضاء



قال علماء في جامعة «جون هوبكنز» بمدينة «بالتيمور» الاميركية ان الكواكب الموجودة قرب نجوم اكثر برودة من الشمس القريبة من كوكب الأرض، قد تفتقر للمواد التي تساهم في نشوء الحياة.

وافادت صحيفة «لوس انجلوس تايمز» بان العلماء استخدموا تلسكوب «سبيتزر» الذي يستخدم الاشعة ما فوق الحمراء للبحث عن مادة سيانيد الهيدروجين في ٦١ نجمة صغيرة، ذاك ان هذه المادة تعتبر عنصراً من حمض نووي موجود في كل كائن حي على الأرض.

وبحسب المسؤول عن البحث إلاريا «باسكوتشي» فقد وجد الباحثون سيانيد الهيدروجين في ٣٠ في المائة من النجوم الصفراء التي تشبه الشمس، لكن أياً من الكواكب الموجودة قرب نجوم باردة وصغيرة لم تكن تحتوي على هذه المادة.

وقال «باسكوتشي»: لا يبدو أن سيانيد الهيدروجين موجود في محيط النجوم الاكثر برودة من أجل اطلاق التفاعلات الكيميائية الضرورية لنشوء الحياة.

وذكرت الصحيفة ان هذا البحث يدحض نظرية بعض العلماء الذين يركزون على النجوم الباردة والمعتمة للبحث عن حياة خارج الأرض.

كشف علمي لوق

توصل علماء بريطانيون الى اكتشاف خلايا وراثية رجحوا إمكانية ان تساهم في وقف انتشار الأمراض الفتاكة مثل السرطان والتصلب العصبي المتعدد.

وهذا الاختراق الذي توصل اليه الباحثون في معهد روزلين التابع الجامعة ادنبره الاسكتلندية، يمكن أن يقود الى علاجات جديدة قادرة على شفاء الامراض المؤثرة على نظام المناعة في جسم الانسان، بعد ان اكتشفوا وجود مئات الجينات تتفاعل مع بعضها بطريقة اكثر تعقيداً مما كان يعتقد من قبل، بأن هناك جينات مسيطرة مسؤولة تتحكم بنمو الخلايا المسببة للسرطان والأمراض العصبية.

ومن جهة أخرى فان مرض التصلب المتعدد الذي يمكن ان يقود الى الشلل والعمى يعاني منه واحد من بين كل ٥٠٠ شخص في اسكتلندا، وهي أكبر نسبة من نوعها في العالم ونحو ١٠٠ ألف شخص في المملكة المتحدة.

ويعتقد العلماء ان الاختلاف في عمل شبكة

نظرية جديدة لتوليد الكهرباء دون تكاليف

توصل المهندس السوري ابراهيم محمد جبر من مدينة داعل بدرعا بعد خمسة عشر عاما من البحوث الفيزيائية والدراسات المعمقة الى نظرية استرداد الطاقة «اكتشاف الكون النظير» وهو يستعد لطباعة كتابه حولها.

ونقل عن م. جبر قوله ان لكل نظرية فيزيائية زمان ومكان تصلح فيه وتكون كل نظرية صحيحة صحة تكفي لبقائها، حيث يثبت التاريخ والعلم أنه لا وجود لنظرية فيزيائية صحيحة صحة مطلقة وتكفي لتفسير جميع الظواهر الفيزيائية، مضيفا ان ذلك ليس عيبا في تلك النظريات لأنه من المستحيل ان تجيب نظرية واحدة او اكثر على تساؤلات الانسان مهما كانت تلك النظريات من الاتساع والشمول.

وأشار الى انه قام بالبحث ضمن مناقشات عميقة في الكون والطاقة، ليخلص الى نظرية ذات مبادئ وقوانين فيزيائية نستطيع ان نشتق منها قوانين المبادئ والنسبية ايضا فأي نظرية جديدة يجب أن تحوي ما قبلها ولا تكون معزولة عنها.



وأكد جبر ان نظرية الاسترداد تجيب عن الاسئلة التي عجزت عنها النظريات السابقة في مجال علم الفيزياء والميكانيك التقليدي، مؤكدا ان التطبيقات العملية والقوانين لهذه النظرية ستساهم في حل مشكلة الكهرباء بشكل كامل ويتم من خلالها توفير كميات كبيرة من الطاقة قابلة للتصدير وبالتالي توفير الكثير من الأموال على الدولة.

وقال جبر: إن اختراعاته في مجال طاقة الكهرباء ستسهم في حل مشكلة الطلب على الطاقة دون تكاليف تذكر وبكميات كبيرة قابلة للتصدير، وهو مستعد لتنفيذها في سورية.

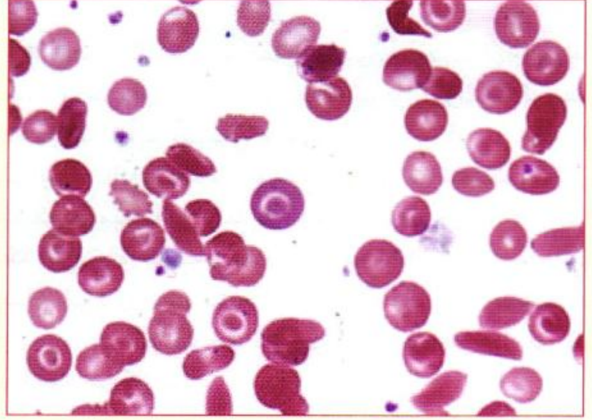
مشيرا الى انه حصل على موافقة حقوق المؤلف والحماية في دولة قطر الشقيقة بالتعاون مع المهندس هزاع الهاجري مدير ادارة الجودة بقطر الذي يسعى لترشيح هذا البحث الى جائزة نوبل للفيزياء.

170 مليار نسمة عاشوا على الأرض

حوالي ١٧٠ مليار إنسان عاشوا على الكرة الأرضية منذ ١٦٢ ألف عام وهي المدة المقدرة لوجود الإنسان على الكوكب.
هذا الرقم توصل اليه خبير الاحصاء «بيتر غرونوالد» الباحث في المركز الهولندي للرياضيات.
وحسب الدراسات التي اجراها يعتقد «غرونوالد» ان عدد البشرية الآن وهو ٦.٧ مليارات نسمة يشكل ستة في المائة من مجموع اعداد البشر الذين تناوبوا على الأرض.
ويوضح ان الرقم ١٧٠ مليارا لا ينبغي ان يكون دقيقا كليا، لأن المعلومات عن سكان كوكب الأرض في التاريخ الغابر قليلة جدا او انها غير موجودة اطلاقا.

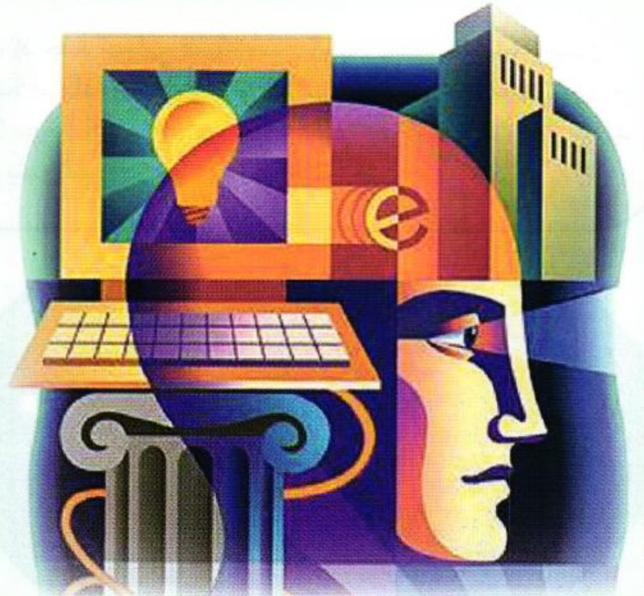


...ف انتشار الأمراض الفتاكة



الجينات يفسر اسباب اصابة الناس بالأمراض الفتاكة بطرق مختلفة، ويأملون من خلال تحديد المواقع الضعيفة في بنية الجينات ان يتمكنوا من وقف نمو الاورام الخبيثة والمساعدة على نمو خلايا صحية وان يقود الاكتشاف الجديد الى تطوير علاجات لسرطان الدم والتهاب المفاصل.
ويرى العلماء البريطانيون ايضاً أن النتائج التي خلصوا إليها تسلط الاضواء على معلومات كانت مخفية من قبل حول عمل نظام المناعة، يمكن ان تساهم في مساعدة الاطباء على فهم اسباب استجابة بعض المرضى الى علاج نظام المناعة، وفشل مرضى اخرين في الاستجابة لهذا العلاج.

التطور التكنولوجي يزيد المخاوف الأمنية



بعد أن مكن التقدم السريع في مجال التكنولوجيا الحيوية من تسهيل تطوير وانتاج مواد عضوية قاتلة يطالب الخبراء برقابة افضل على الصناعة لمنع هذا التطور من افادة المجرمين والارهابيين.
وظهرت مئات من معامل البحوث في مختلف أرجاء العالم مع تراجع التكاليف وانخفاض الفترات الزمنية المطلوبة للبحث، ويتنافس العلماء على انتاج منتجات ذات قيمة تجارية في مجالات الدواء والمواد الغذائية.
ففي عام ٢٠٠٢م تطلب الأمر خمس سنوات لتطوير التسلسل الجيني لفيروس شلل الاطفال، ولكن بعد ثلاث سنوات احتاج فريق عمل الى اسبوع واحد للتوصل الى التسلسل الجيني لفيروس مماثل.
ومثل هذا التطور الكبير اثار تساؤلات صناع القرار بشأن كيفية ضمان تحقيق الامان في هذه الصناعة التي لا تحظى برقابة كافية.

إعداد: محمد شفيق

وقع عن الله خمسين سنة

■ لما أدركت الوفاة الإمام ابن عقيل واحتضر، بكت النساء: فقال: قد وقعت عن الله خمسين سنة (يعني أنه كان يوقع الفتاوى التي يبين فيها أحكام الله في الوقائع والحوادث التي تقع للناس، فكان يوقع فيها نيابة عن الله تعالى) فدعوني أهنأ بلقائه.

ألف شك

■ احتشد الناس لاستقبال فيلسوف، فمرت بهم امرأة فسألت أحدهم، بم استحق هذا الرجل تكريمكم له: فقيل لها: ويحك!! ألم تسمعي بالفيلسوف الذي أوجد ألف دليل على وجود الله؟! فقالت: ويلكم!! لو عقلتم لعاقبتموه فلو لم يقم في ضميره ألف شك في وجود الله لما اجتهد في تقديم ألف دليل على صحة وجوده سبحانه وتعالى! متى غاب حتى يحتاج الى دليل يدل عليه؟! سبحانه وتعالى هو الظاهر على كل شيء، هو الظاهر في كل شيء، هو الظاهر قبل كل شيء هو أظهر من كل شيء.

من قاموس اللاءات

■ لاكنز أنفع من العلم، لامال أربح من الحلم، لا شرف أعز من التقوى، لاكرم أو فى من ترك الهوى، لا عمل أفضل من الفكر، لا سيئة أخزى من الكبر، لا دواء ألين من الرفق، لا عبادة أحسن من الخشوع، لا زهر خير من القنوع، لا خير في المال إلا مع الجود، لا خير في الفقه إلا مع الورع، لا خير في الصدق إلا مع الوفاء.

خفت أن أكون ابتدعت

■ خرج بهلول القيرداني (أحد العباد) يوما على أصحابه وقد غطى خنصره بيده وكان أهله قد سألوه حاجة فربط في خنصره خيطا ليذكرها، ثم قال: خفت أن أكون ابتدعت، فغطى إصبعه لكي لا يراه أحد فيقتدي به.. وقد سأل أحد أصحابه عن هذا الأمر فأخبره أن عبدالله بن عمر كان يفعل ذلك، فنحى بهلول كفه عن خنصره وقال: الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدع بدرعة في الإسلام.

أردت أن أختبر حلمك!

■ بينما كان الإمام حسن بن علي جالسا عند باب داره في الكوفة، إذ جاءه أعرابي فسبّه وسب أبويه، فنهض الإمام الحسن قائلاً: أيها الأعرابي: أجوعان أنت حتى أطعمك؟ أم ظمآن حتى أرويك؟ أم ماذا بك؟ فلم يلتفت الأعرابي إليه بل استمر في سبابه. فأمر الحسن عبده أن يأتي بكيس من الفضة، ثم أعطاه للرجل قائلاً «عفوا أيها الاعرابي، فليس لدي غيره، ولو كان لدي المزيد لأعطيتك» عندما سمع منه الأعرابي هذا القول صاح «أشهد أنك ابن بنت النبي ﷺ، فقد جئت اختبر حلمك».

غاية الزهد التواضع

■ سئل يوسف بن أسباط: ما غاية الزهد؟ فأجاب قائلاً: لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر، فسئل: فما غاية التواضع؟ فقال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت أنه خير منك.

من الشقي؟

■ قيل لم أر أشقى من البخل بما له، لأنه في الدنيا يشقى بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه.

مؤتمرات وندوات

سلوى محمد

مؤتمر فلسطين أوروبا السابع «العودة حق، لا تفريط ولا تنازل»

شهدت أوروبا حدثًا كبيرًا، حيث شارك آلاف الفلسطينيين من كافة أرجاء أوروبا في فعاليات مؤتمرهم السابع على التوالي، والذي ينظمه مركز العودة الفلسطيني في لندن والتجمع الفلسطيني في إيطاليا، وقد رفعوا شعار: «العودة حق، لا تفريط ولا تنازل»، وذلك يوم السبت الموافق ٢-٥-٢٠٠٩م، وقد زحفت هذه الجموع إلى مدينة ميلانو الواقعة شمال إيطاليا.

وكان مؤتمر فلسطين أوروبا قد عقد دورته الأولى في لندن عام ٢٠٠٣، وشهدت مدن برلين الألمانية وفيينا النمساوية ومالمو السويدية وروتردام الهولندية وكوبنهاجن الدانمركية الدورات الخمس التالية.

وقد شارك في المؤتمر نخبة من الشخصيات الفلسطينية والعربية والأوروبية الداعمة للحق الفلسطيني، وممن شارك فيه البارونة جيني تونغ عضو مجلس اللوردات البريطاني، والشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، ود زينات أبو شاويش باحثة في شؤون اللاجئين، ود سلمان أبو ستة رئيس هيئة أرض فلسطين والأكاديمي الفلسطيني المختص في شؤون اللاجئين، ود أسامة الأشقر رئيس الحملة الأهلية للقدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، والسيد غسان بن جدو رئيس مكتب قناة الجزيرة بلبنان، والمخرج وليد سيف الذي اشتهر بإخراجه مسلسل «التغريبة الفلسطينية»، والسيدة لويزا مورغانتيني نائب رئيس البرلمان الأوروبي، ولكنها اعتذرت في اللحظات الأخيرة لسفر عارض إلى أميركا، والأب مانويل مسلّم راعي كنيسة الروم الكاثوليك في غزة، والسيد محمد سالم رئيس تجمع الأطباء الفلسطينيين في أوروبا، ود.مصطفى البرغوثي رئيس المبادرة الوطنية الفلسطينية.

المؤتمر الدولي السادس للمخطوطات (النشر التراثي) بمكتبة الإسكندرية

على مدى خمس عشرة جلسة في ثلاثة أيام من الخامس إلى السابع من مايو الماضي جرت فعاليات المؤتمر الدولي السادس للمخطوطات (النشر التراثي) بمكتبة الإسكندرية، وقد شارك فيه أكثر من أربعين باحثًا من دول عربيّة وأجنبيّة، يمثلون مراكز علمية ومعاهد تقوم على خدمة المخطوطات حول العالم.

وإذا كانت المخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في المكتبات الخاصة والعامة حول العالم تمثل التراث الثقافي للأمة الإسلامية على مدى قرون، وتكشف عن مدى تقدمه في شتى الفنون والعلوم، فقد نادى المشاركون في المؤتمر وأكدوا على أهمية تحقيق هذا التراث الضخم، وإخراجه بصورة علمية دقيقة، وفي ذلك إثراء للثقافة والآداب في العالم بمختلف لغاته ومعاهده.

وإن أشد ما يعاني منه التراث المخطوط هو دخول غير المختصين في هذا المجال، مما أدى لخروج بعض الأعمال في صورة لا تناسب القيمة العلمية لها، هذا إلى جانب وجود ظاهرة تكرار نشر النصوص المحققة لا من باب الإثراء العلمي، ولكن من باب التجارة البحتة، وهذا ما دفع المشاركين للمطالبة بوضع معايير ببلوغرافية لنشر المخطوط والكتاب العربي عمومًا تنص على ضرورة تحقيق وتكشيف النصوص على يد متخصصين، مع التحذير من انتشار ظاهرة تكرار نشر النصوص المحققة.

وقد تم خلال المؤتمر محاضرات لمتخصصين تناولت النشر التراثي في مجالات تاريخ العلوم ودراسات الأديان واللغات الشرقية.

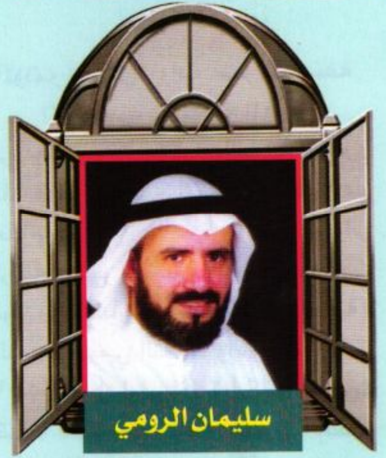
المؤتمر الدولي الرابع عشر للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم

على مدى يومين حافلين بالنشاط الفكري أقام قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة مؤتمره الدولي الرابع عشر للفلسفة الإسلامية تحت عنوان: (الإنسان في الفلسفة الإسلامية)، وذلك في يومي الثلاثاء والأربعاء الموافق ١٤ و١٥ أبريل لعام ٢٠٠٩، وكانت البحوث المقدمة تدور حول ثلاثة محاور: الإنسان وقضايا الألوهية، الإنسان وقضايا المجتمع المعاصر، الإنسان وتحديات العلم الحديث.

وقد أكد المشاركون في المؤتمر على الأهمية العظمى التي أعطاها الإسلام للإنسان من خلال مصدريه الرئيسين: القرآن والسنة، وأنه هو محور هذا الكون الذي من أجله خُلق وسُخر له، وبأخلاقه يتحضر التاريخ وتتحضر الحياة.

وتكلم د. عبدالحميد مدكور أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم عن «الفعل الإنساني في ضوء النصوص القرآنية»، وأكد على أن موضوع الفعل الإنساني نوقش على نطاق واسع منذ عهد الرسول ﷺ، وبرز في عهد الخلفاء في قضية طاعون عمواس، وكان الفصل فيه كلمة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»، وأن هذه المسألة يوجد فيها أربعة عشر رأيًا بينهم اختلافات دقيقة جدًا، ولكنه أشار إلى أن نقطة البداية في التحدث في موضوع القدر هو القرآن الكريم، وأنه يجب النظر إلى أسماء الله وصفاته جملة واحدة، فننظر إلى العلم الإلهي والقدرة مع نظرنا إلى العدل والحكمة والرحمة الإلهية، ويجب أن نجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالأمر كلها جملة واحدة لا مجزأة، وأنه يجب معرفة السياق الذي ذكرت فيه الآيات، وأن الإسلام ليس فيه جبرية مطلقة ولا حرية مطلقة.

مسك الختام


سليمان الرومي

همجية الأزواج

من المعلوم أن الأسرة نواة المجتمع وأصل الإستقرار الإنساني ، ولكن هناك منغصات وظواهر سلبية دخيلة على القواعدالحاكمة للحياة الأسرية ، ولعل ظاهرة ضرب الرجال لزوجاتهم الأبرز لما تدل على همجية الأزواج وضيق أفق تفكيرهم فلا يجدون تعبيرا لهم إلا الضرب، وهي ظاهرة بدأت تتفشى بشكل واضح من خلال الصحف اليومية ومنها ملحق الجريمة، وكذلك أروقة قصر العدل، والأسباب التي تقف وراء ذلك كثيرة منها:

١- عدم تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية ليكونوا أزواجا صالحين، فقد لا تهتم الأسرة بتوفير الاحتياجات الاساسية للولد ويغيب عنها كيف تجعل منه رجلا محبا ومحترما ومقدرا لأهله ومن يعيش معه، وكذلك الحال للبنت التي أغفلنا دورها المهم في بيت المستقبل من إعداد وترتيب وحسن تبعل بما يمكنها من جعل البيت جنة لها ولزوجها ومن يعيش معهما من أبناء وأقارب.

٢- غياب الفهم الحقيقي للزواج ، إذ هو تكليف اجتماعي نحو علاقات كثيرة منها العشرة ورعاية وتربية الأبناء وغيرها، فقد قال المصطفى ﷺ «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» (رواه البخاري) فكثير من الناس يعتقد أن الزواج متعة وما عداها ففضل ومنة على زوجته وهو الخطأ بعينه.

٣- الفهم الخاطئ للقوامة ، التي ميز بها الله تعالى الرجال على النساء ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ (النساء: ٣٤)، هي ميزة تكليف لا تسلط وتخويف، فيفهمها بعض الرجال أنها للصراخ والسب والشتم ومعاملة المرأة بأوحش الصور وأفظعها.

٤- الفهم الخاطئ للضرب الوارد في القرآن الكريم قال تعالى ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ (النساء: ٣٤) في حالة النشوز وهي عصيان المرأة لزوجها، يفهمه البعض ان الضرب هو أول المراحل للعلاج والعكس صحيح فهي آخر الوسائل فيسبقه النصح اللطيف والتعنيف بالتي هي أحسن ثم هجر المرأة بمضجعهما بإدارة الظهر والإعراض وعدم مغادرة الفراش، حتى لا ينتشر الخبر وتتسع دائرة الخلاف، ثم الضرب ولايكون الا كما وضحه الفقهاء بعود سواك بحجم وسمك القلم المعتاد، ليعلن الزوج لزوجته بأنه قد بلغ السيل عنده ذروته، ولنفهم جيدا قول النبي ﷺ حين سئل عن حق الزوجة: «تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» (صححه الألباني).

٥- وقد يتأثر الرجل بماضيه حين كان ابنا في أسرته حيث كان يرى فيها دائما والده يضرب أمه ويعنفها بالسب والشتم، فلا يرى غضاضة في ضرب زوجته، خاصة اذا كان يرى صمود حياتهم حينذاك وعدم مغادرة امه للبيت، أو اعجابه بشخص والده فيحب تقليده، ويطالب زوجته ان تكون كشخص امه التي يحبها، وكما نعرف ونرى أن المتأثر الأول بعد الزوجين هم الأبناء فهم النتاج الطبيعي لأي زواج فقد قال الله تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ (النحل: ٧٢)، فبدلا من ان يجد الأولاد السكن والأمن، في البيت مع الوالدين نجدهم يهربون منه خوفا من أبيهم المتهور والمتسلط على أمهم التي في الغالب هي الحضن الرحيم للأبناء في جميع مراحل العمر، وحينها سيبحثون عمن يفهم ويخفف عنهم مايشعرون به ويقلقهم، فيجدون محاضن كثيرة منها الصالحة ومنها السيئة، التي تجعل راحتهم بتدخين السيجارة أو بشم المواد الطيارة أو بأخذ المهدئ أو بتعلم الوسائل الهدامة والمضيعة للمستقبل والوقت، وهذه هي الطامة التي نخشاها.

فينبغي أن نذكر الآباء بالأثر «وما أكرمهن الا كريم وما أهانهن إلا لئيم» ونقول للأزواج «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» (قال الترمذي حسن صحيح) وأما النساء فنقف لهن وقفة تقدير واحترام، ونقول لهن كن كأمهات المؤمنين ونساء الإسلام لتكن كقوله ﷺ «إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» (حسنه الألباني)

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

جديد مشروع « روافد »

(خطاب الحداثة : قراءة نقدية

د . حميد سمير



(العودة إلى الصفصاف: مجموعة قصصية لليافعين)

فريد محمد معوض



ص. ب : 13 الصفاة ، رمز بريدي : 13001 دولة الكويت

هاتف 22487106 (00965) - فاكس : 22468134(00965)

البريد الإلكتروني rawafed@islam.gov.kw

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

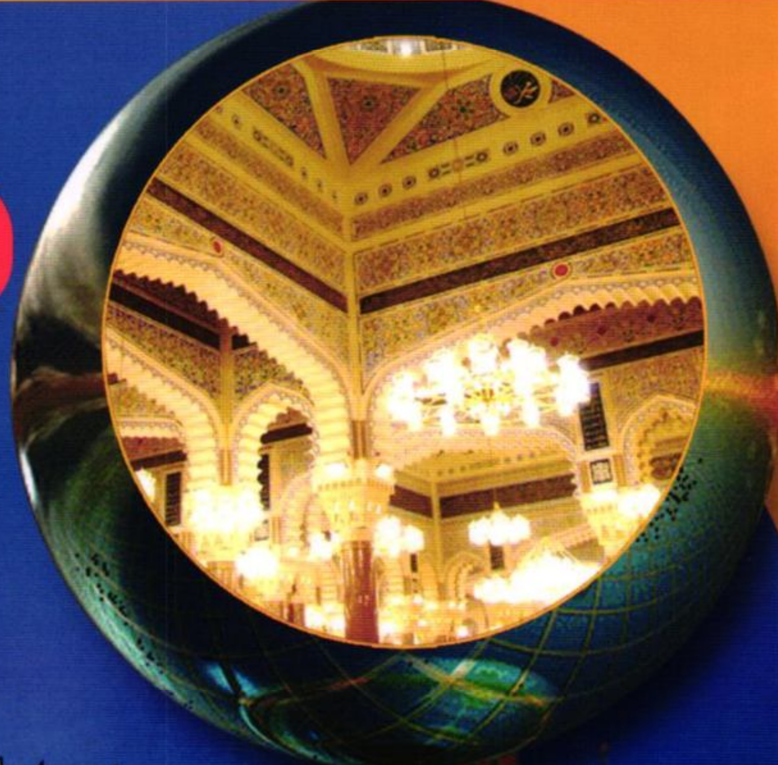
الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



المستشار راشد الحماد يقود مسيرة وزارة الأوقاف للتنمية



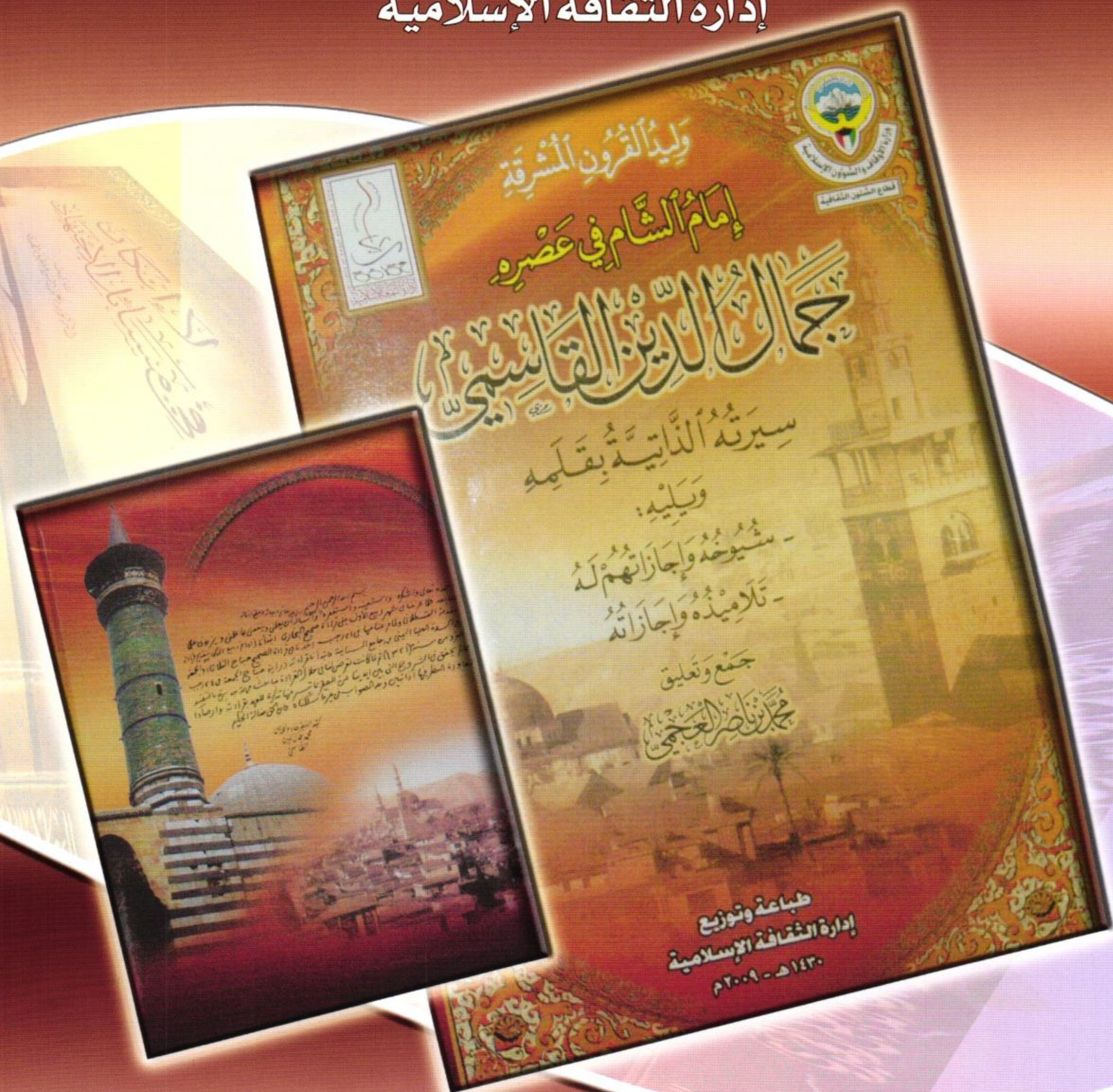
معاجم علم المخطوط العربي

رحلة السماء

مسجد الصالح.. منارة ثقافية

من إصدارات وزارة الأوقاف

إدارة الثقافة الإسلامية



ضمن اهتمام ادارة الثقافة بتراث الأمة وتراجم علمائها تقدم السيرة الذاتية للعلامة القاسمي صاحب المؤلفات المفيدة في مطلع حياته العلمية وترجمته لشيوخه واجازاتهم له وذكر جملة من تلاميذه وفوائده العلمية.

الافتتاحية

رحلة السماء

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

كان الناس قبل البعثة النبوية يعيشون في جاهلية عمياء، فالوضع الديني والأخلاقي والاجتماعي في المجتمع الجاهلي كان في انحطاط ، حيث قتل النفس ووأد البنات والزنا والخمر والميسر والربا وعبادة الأصنام وتسيب السوائب. وكانت الأمم الكبيرة تستعمر الشعوب الصغيرة وتستذلها، ويستعبد القوي الضعيف.

وينزل الله الغيث بعدما قنطوا، ببعثة الرسول الكريم بالدين القويم كما قال الشاعر:

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم

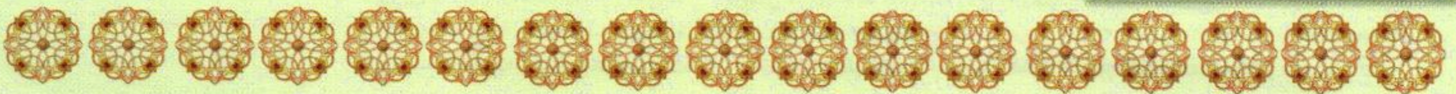
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمي

وإذا كان الفضل بما شهد به الأعداء، فقد شهد كثير من المستشرقين بصحة المنهج الإسلامي في كتابة السنة النبوية وسلامتها من التغيير والتبديل والتحريف، وهذا هو منهج رجال خير القرون في كتابة سنة الرسول ﷺ، وفي رسم القواعد والضوابط التي تعرف من خلالها أقوال الرواة وأخلاقهم.

وهذه شبهات العقلانيين وبعض المستشرقين تتهاوى واحدة تلو الأخرى، وقد ظهر لكل منصف بطلان أقوالهم وفساد نواياهم، واعترافات عدد من المستشرقين بسلامة المنهج الذي سار عليه علماء المسلمين في كتابة السنة النبوية تؤكد ذلك، وقد ألجأتهم الحقائق المذهلة إلى تسجيل هذه الاعترافات دون أن يعلن أحد منهم إسلامه، ومن هذه الأخبار التي دل عليها صريح الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث النبوية أنه صلوات الله وسلامه عليه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكان ذلك يقظة لا مناما، وجمع له الأنبياء فصلى بهم إماما، ثم عرج به إلى السموات سماء بعد سماء، ووصل إلى ما لا يعلمه إلا العليم العلام، وانقطعت الأصوات وسمع صريف الأقلام، وفاز بالرؤية والكلام، وفي هذه الرحلة حكم وفوائد، منها أن رسالة الأنبياء والرسل واحدة، وهي الإسلام، وأن رسولنا أرسل للعالمين ورسالته ليست لها حدود، وإمامة نبينا للأنبياء كرامة له.

وتقدمت للصلاة فصلوا
كلهم مقتد وأنت الإمام

والمسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، ومكانته في الإسلام معلومة، واختيار الفطرة تؤكد أن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفي هذا المعراج مثول بين يدي الله ليري نبيه من الآيات، ويفرض عليه أهم الأحكام وهي الصلوات، ففرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة على طول المدى، ثم طلب التخفيف فجعلها خمس صلوات ولها أجر خمسين كما قدره وقضى، وفي هذا اعتبار عظيم بشرف الصلوات وعلو شأنها ومكانتها عند الله، وقد جاءت أوامر الله في القرآن بإقامتها والمحافظة عليها في أوقاتها والوعيد الشديد على تركها وإضاعتها، وإخبار النبي ﷺ قومه بما منّ الله عليه بهذا الإكرام مع توقع التكذيب والبهتان لهو درس واضح على المضي في سبيل الله، فلابد أن نجلّي حقائق هذا الدين للناس، لأن إخفاء الحقائق انحراف عن المنهج الرباني، حتى تكون المرحلة الجديدة والانطلاقة لبناء الدولة سليمة قوية متراصة متماسكة، فهذا هو الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف والمترددين والذين في قلوبهم مرض، ويثبت الأقوياء والمخلصين، وقد فاز أبوبكر بلقب الصديق، فهو صديق هذه الأمة وهو الذي علمنا كيف يكون التعامل مع ما جاء به الله ورسوله ﷺ.



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٧

العام السادس والأربعون

رجب ١٤٣٠ هـ

يوليو ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



يعد جامع الصالح أكبر جوامع اليمن في العصر الحديث فكرة وتصميماً وتخطيطاً وتنفيذاً.

داخل العدد

كلمة العدد

المسلم العاقل

مما لا ريب فيه أن حماسة بعض الشباب المسلم اليوم ثائرة وغير منضبطة في ظل الانحطاط الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في المجالات كافة.

ولكن الواقع لا يتحمل التصادم والثورية والخروج على الحاكم وتوتير الأجواء لاسيما أن جميع التجارب السابقة أثبتت بالأدلة القاطعة فشلها لأن الطريق غير سالك.

إن الإنسانية في أمس الحاجة للمسلم العاقل متين الفكر والأخلاق والثقافة لانتشالها من مستنقع المادية المجحفة الى عالم السعادة الدنيوية.

فالحماسة حقيقية وصحيحة ولكن تحتاج الى ضبط وتوجيه وتهذيب وترويض لتعديل الوجهة الصالحة لمجتمعاتنا في الوقت الراهن.

وكل زمان ومكان له وسائل تتماشى مع المحيط والبيئة مع الحفاظ على الأصول والثوابت والأدبيات.

وهذا الأمر يتطلب تكاتف العلماء والمفكرين وطلبة العلم والدعاة لإبراز هذه الرؤية المتزنة والسعي الى تعليم الناس فقه الواقع والأولويات وإرساء قواعد المصالح المرسلة والحاجة والعلة والضروريات.

الوعي الإسلامي

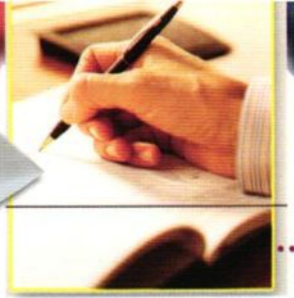
الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتركات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



تهنئة



تتقدم أسرة التحرير بأسمى التهاني والتبريكات إلى معالي المستشار راشد الحماد نائب رئيس الوزراء للشئون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بمناسبة توليه المنصب الجديد سائلين الله أن يسدد عمله إلى خير العباد والبلاد.

طلب العلم في التخصصات كافة فرض كفاية على الأمة



إن الدعوة الإسلامية ليست كلاماً ولكنها قدوة وسلوك وبناء ومشاركة ووجدان وحركة، سواء كانت هذه الدعوة من فوق المنبر أو من خلال الكلمة المسموعة أو المكتوبة أو المقروءة، وهذه الدعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة من خلال سلوكهما وعملهما في مجتمعهما ومشاركتهما في بناء المجتمع والارتقاء به الى مكانة عالية بين الأمة، والواجب على الداعية إلى الله تعالى أن تكون عنده قناعة ذاتية بالإسلام وأن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى ويقصد بعمله وجه الله ويكون حريصا على مصالح الناس معتدلا وسطا ويدعو إلى الله بالوسطية لقوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾ (البقرة:١٤٣)، وتكون دعوتهم للشباب ألا يتلقوا علوم الدين إلا من أهل التخصص، فنحن في عصر التخصصات فعلى الشباب ألا يأخذوا العلوم الإسلامية إلا من متخصصين أخذوا العلم من منابعه ودرسوا القرآن الكريم والسنة العطرة والفقه وتاريخ الإسلام وغير ذلك، والدين الإسلامي سبق جميع الأديان والعالم كله في طلب العلم وفروعه في كل ألوان المعرفة وجعله فرض كفاية على الأمة، وإذا قصّرت في طلبه فإنها تقصر في واجب وفرض وتأثم لتركها ذلك الفرض، ولذلك كانت أول برقية من السماء إلى الأرض حملها جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ ﴿اقرأ﴾ والعلم واجب ليكون فينا الفقهاء والأطباء والمهندسون ، فإذا كنا نؤمن بالعلم طريقا فلا بد أن نأخذ العلم من أصوله وعن أصله ولا نلجأ إلى من لا يعلم ولا يفهم حتى يفتي لنا، وللأسف الشديد يتجه بعض الناس في السؤال عن أمور دينهم إلى بعض الأشخاص الذين لهم قراءات محدودة وربما تكون أفكارهم غير مستقيمة فيفتون بغير علم، ونحن علينا أن نتناصح فيما بيننا دون أن يفتي أحد دون علم، وننبه اليوم إلى ما نسبح فيه من أفكار وتيارات فكرية وافدة من كل مكان في الأرض ولا تستقيم مع ديننا وقيمنا فإنه تغزونا ثقافات تتلاعب بأفكار تموج من حولنا والناس في حيرة من الأمر، وإذا أراد الناس أن يعصموا أنفسهم من كل هذا فعليهم بالإسلام وحده لأن الرسول ﷺ أمرنا في مثل هذه الأمور أن نتمسك بالإسلام، فقال ﷺ «قل آمنت بالله ثم استقم».. ونحذر شبابنا مما يأخذونه من الغرب من أفكار هادمة تجعل الشباب في حيرة من أمرهم! ولكن علينا أن نأخذ ما يفيدنا في حياتنا وآخرتنا، لأن كل مسلم له شخصيته المميزة وعليه ألا يكون إمعة إذا أحسن الناس أحسن وإذا أساءوا أساء، ولكن عليه أن يوطن نفسه ويدعو إلى الله تعالى وإلى الإسلام بالحسنى، كما وضح علام الغيوب بقوله تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل:١٢٥).

ومن ثم يجب أن نبدأ بأنفسنا نحن لنكون قدوة ومنبع خير.

روشتة ربانية

الدنيا مزرعة الآخرة، لم يخلقها الله لنجمع كنوزها ولا لنسكن قصورها فتنفعنا يوم لا ظل إلا ظله، فالدين كل لا يتجزأ فنأخذ مانأخذ ونترك ما نترك ما لا يوافق هوانا.
لذا علينا التسليم المطلق لله مع الأخذ بالأسباب لأنها سنة واجبة، وحينئذ لاتتوطن فيروسات الأوبئة في الأحياء ولا في الضمائر فلا نجد (H١N١) وهو مايطلق على أنفلونزا الخنازير ولا غيرها.
ذات يوم سأل الربيع الشافعي عن التسليم لله فقال: هو نصف الإيمان، فقال الربيع: بل الإيمان كله يا امام..!! فقال الشافعي: الحق معك ياربيع.
ودخل بعض الرجال على أحد العارفين في مرضه فقال له عافاك الله ياسيدي، فقال الشيخ: إن العافية هي كما يريدها الله لا كما نريدها نحن، لقد سأل العافية رسول الله ﷺ ومات مسموما من أكلة خيبر التي كانت تعاوده، وسأل العافية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومات من طعنة مجوسي له في المسجد، وسأل العافية عثمان بن عفان رضي الله عنه ومات مقتولا في بيته من الفئة الباغية وهو يقرأ القرآن، وسأل العافية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومات مقتولا وهو في طريقه إلى المسجد.
فالعافية هي ما أراده الله. عز وجل في قوله تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك:٢).
فهذا تراثنا الاسلامي غني بما يوقظ الضمائر ويزكي النفوس فأين نحن منه ؟ فلو تمسكنا به أصبحنا أمة تعيسة مستنزفة الوعي لاتنتفع من الأمم حولها ولكن فقط يضرها ما يضرهم، وأين التمسك بقرآننا الذي شغل أعداءنا أكثر من الكثير منا ليجدوا فيه ما يحاربونا به عن علم أحيانا أو جهل أحيانا اخرى؟
ولكن جعل الله كيدهم في نحرهم، فعلماؤهم يعملون فيثبتون صدق قرآننا فيزدادون علما ونزداد نحن تثبيتا وتصديقا حتى يوفقنا الله ويصلح حالنا فنسبقهم أيضا في العلم كما سبقناهم سالفا، فلقد اكتشف بعض العلماء البريطانيين بأجهزتهم الدقيقة الالكترونية أن لأمة النمل لغة خطاب يمكن سماعها وفهم معناها مستجيبا لقيادتة متحركا وفقا لأصوات خاصة به، وهو الذي جاء به قرآننا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا في سورة النمل وفهم سيدنا سليمان لتلك اللغة قال تعالى ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ (النمل: ١٩-١٨).

هدى الكاشف

لماذا القدس للمسلمين؟

مدينة القدس هي قبلة المسلمين الأولى قبل التوجه للكعبة المشرفة، ومسجدها الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا إليها، وهي مسرى رسول الله ﷺ ومنها معراجه وبها رفات عدد من أصحاب رسول الله ﷺ والمجاهدين والشهداء الأبرار الذين جاهدوا في سبيل الله وفي سبيل إسلاميتها والحفاظ عليها.
ان تدويل مدينة القدس أو عدم ضمها للمسلمين يعرض مدينة الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ ومدينة السلام للقلاقل والحروب والفساد التي تكتنف البقاع المدولة كما اتضح ذلك في المدن التي أصابتها محنة التدويل مما دعا إلى العدول عنه.
ومدينة القدس في وضعها العربي الإسلامي تكون مفتوحة لكل زائر ومقدسة لكل ذي دين وتدويلها يجعلها عرضة لكل منحرف يريد أن تكون مقدساتها بلا عقيدة سماوية.
إن المسلمين هم المؤهلون بحكم عقيدتهم التي يدينون بها لحكم القدس وليصونوا مقدسات المسلمين وغير المسلمين، وكل حل يخرج عن نطاق هذه الدائرة لا نقره ولا نعترف به لأنه يعرض المنطقة كلها لخطر عظيم واضطراب كبير فلا يكون هناك سلام حتى ولو صدق عليه الغرب كله.

محمد عامر

بعد ماذا؟

نظرا لضعف المسلمين وإهمالهم لدينهم واتخاذ قرآنهم مهجورا وعدم الدفاع عنه بقوة الحق ونظرا لخضوعهم لأعدائهم وانبهارهم واعجابهم بما عند غيرهم من حضارة زائفة ودنيا زائلة والركون للحياة الخاملة، نظرا لكل هذا واكثر منه فإن بعض المسؤولين بالعالم ينقضون على الإسلام والمسلمين لأنهم في نظرهم الحلقة الأضعف ينفثون سمومهم في المسلمين وفي ديار الإسلام وخصوصا بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، حيث اتخذت أميركا من الإسلام وأهله عدوا حسب وصف ريجان، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فيعترف بعض هؤلاء بفضل الإسلام وينصفونه ولو بالكلام، وهذا ماحدث من مادلين أولبرايت وزيرة خارجية أميركا سابقا حيث أعلنت في مؤتمر عقد بواشنطن بمناسبة صدور تقرير «تغيير المسار» أن الإسلام هو أكثر الأديان ديموقراطية، ويأتي هذا الاعتراف بعد خراب البصرة وبعد أن عاثوا في ديار المسلمين فساداً وصار لهم بكل ركن أوغاد وهدموا صوامع وبيعا وقتلوا عباداً.

الحسن محمد حميد

في لجنة التعريف بالإسلام صاحبة التجربة الطويلة

مركز الرحمة يقيم المنتدى الطبي للعمالة الوافدة

يسعى مركز الرحمة للخدمات الطبية التابع للجنة التعريف بالإسلام في جمعية النجاة الخيرية، إلى إبراز دور الكويت الريادي في مجال حقوق الإنسان من خلال إقامة منتدى طبي لفحص العمالة الوافدة وتوفير الأدوية بالمجان لما يقارب من 500 مريض، وكان نائب المفوضية الإقليمية الدولية للصليب الأحمر في دول مجلس التعاون الخليجي أحد شهود العيان على ما تقدمه الكويت لأبنائها في الرعاية الصحية قائلا: سعدنا جداً بما رأينا من أعمال تثلج الصدور، فما يقوم به المركز من خدمات طبية جيدة للعمالة الوافدة دون النظر إلى الديانة أو الجنسية يؤكد دور الكويت الحيوي في حماية حقوق الإنسان وحقوق العمالة الوافدة، ويحرص المركز على التواصل مع المؤسسات المعنية بالعمالة الوافدة للاهتمام بصحتهم باعتبار أنهم يعملون على مساعدة الكويت في التقدم والرقي، وقد أقام المركز أخيراً برعاية رئيسة مركز العمل التطوعي الشيخة أمثال الأحمد المنتدى الطبي للعمالة الوافدة من ذوي الدخل المتدني، للتخفيف من معاناتهم الحياتية جراء عدم اكتراث أرباب الشركات بتسديد رواتبهم.

وقالت أمثال الأحمد: نشيد بجهود أبناء الكويت القائمين على مركز الرحمة للخدمات الطبية في خدمة العمالة الوافدة من مختلف الجنسيات، موضحة أن هذه العمالة تسهم في نهضة الكويت ورفعتها فكل يقوم بدوره المنوط به لذلك فإن الكويت لا تنسى من يقدم لها يد الخير، فهذه أخلاق أهل الكويت الذين جبلوا منذ القدم عليها، وثمنت الشيخة أمثال جهود الكادر الطبي المشارك في المنتدى معتبرة أنهم من أمهر وأكفأ الأطباء العاملين في الكويت منوهة إلى ضرورة إقامة مثل هذه المنتديات للسيدات حتى نساعدهن في الوقاية من الأمراض ومساعدة الأسر الفقيرة في الكشف والعلاج، وبينت الاحمد أن هذه رسالة واضحة وصريحة ورد عملي على الاتهامات التي وجهت إلى الكويت بشأن انتهاك حقوق الإنسان، فليأت المدعون والمفترون ويروا ما يقدمه مركز الرحمة وما تقدمه الكويت من خدمات جليلة للعمالة الوافدة حتى يتراجعوا عن افتراءاتهم للكويت بانتهاك حقوق الإنسان، من جانبه أشاد ممثل وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية سعد الحجي بأنشطة المنتدى الطبي الذي أقامه مركز الرحمة قائلا: إن الكويت تعطي اهتماماً خاصاً للعمالة الوافدة، فالكويت وصلت في دعمها إلى أدغال افريقيا، فكيف تنسى من يعيش على أرضها وإننا حريصون كل الحرص على احترام إنسانية وآدمية الإنسان أيا كانت جنسيته ودينه لأن هذه هي تعاليم ديننا السامي والتي تربينا عليها،

وثمن المنتدى الطبي جهود المركز معتبرا أنه نشاط صحي من الدرجة الأولى متمنيا من مركز الرحمة أن يقيم العديد من المنتديات الصحية لفائدتها العظيمة التي تعود على الصحة والتي بدورها تساعد في الوقاية من الأمراض.

جدير بالذكر أن لجنة التعريف بالإسلام هي إحدى اللجان التابعة لجمعية النجاة الخيرية وقد تأسست عام (١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م)، وفي هذا العام بدأ تأسيس اللجنة بفكرة عدد من الشباب الغيورين على دينهم حين وجدوا أن أمامهم أرضاً خصبة للدعوة، وبدأ هؤلاء الفتية في تطبيق الفكرة بتعليم الوافدين بمختلف جنسياتهم، فبدأوا بتعليمهم اللغة العربية وكيفية النطق بها، ومن ثم تعريفهم بمبادئ الإسلام وقيمه وأركانه.

وتقدم اللجنة خدمات اجتماعية وتربوية ودينية وتثقيفية عديدة للمسلمين الجدد وكذلك لأبناء الجاليات المسلمة ممن يعيشون على أرض الكويت وذلك من خلال إقامة خطبة الجمعة بمختلف اللغات، وتنظيم مشروع إفطار الصائم سنوياً والذي يقدم من خلاله أكثر من ١٠٠ألف وجبة، إلى جانب تنظيم المحاضرات والندوات والملتقيات لغير المسلمين حيث يتم فيها شرح مبادئ الإسلام شرحاً مبسطاً وسطياً واضحاً، كذلك



٤٤ ألف مهتد أشهروا إسلامهم في اللجنة منذ العام ١٩٧٨م

تقيم اللجنة العديد من الأنشطة الترفيهية والترويحية لغير المسلمين، ناهيك عن إقامة دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها بمختلف أفرع اللجنة؛ وللوصول إلى ذلك الهدف تقوم اللجنة بطباعة وتوفير جميع الوسائل الدعوية من كتب وأشرطة ونشرات للمسلمين ولغير المسلمين بمختلف اللغات.

كذلك تقوم اللجنة بدعم ومد المراكز الخارجية الإسلامية بالدعم المادي والمعنوي، وكذلك بالخبرات الدعوية، والتعاون في سبيل خدمة هذا الدين، كما أن اللجنة أصبحت أول مؤسسة خيرية لديها معهد للتدريب الأهلي، لتدريب العاملين والمتطوعين في العمل الخيري وهو «معهد كامز للتدريب الأهلي» الذي يعمل تحت مظلة جمعية النجاة الخيرية.

وقد أصدرت اللجنة منذ ٦ سنوات مجلة البشرى وهي مجلة شهرية متخصصة في الدعوة، وأصبح لها بصمة واضحة في الكويت خاصة في تثقيف المجتمع المسلم، وتوعيته بواجباته نحو الدعوة وأهميتها.

وتتخذ «رحمة للعالمين» شعارا لها باعتبار أن غاية ما جاء به الإسلام للعالمين هو إخراج البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الجهل إلى العلم، وبه عمت الرحمة الكون وما فيه، ويتجلى منهجها في قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...﴾ (النحل: ١٢٥)، وقول الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (متفق عليه).

وتتمثل رسالتها في دعوة غير المسلمين والجاليات الإسلامية بأسلوب حضاري وتقني يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة وتأهيلهم للدعوة في بلادهم، وتركز رؤيتها في السعي إلى أن تكون اللجنة الرائدة في التعريف بالإسلام ورعاية المسلمين الجدد والجاليات على المستوى المحلي والدولي.

وتتمحور غايتها حول:

- زيادة الانتشار والتوسع المحلي والدولي للتعريف بالإسلام.
- تدريب وتخريج جيل دعاة متميز من المهتدين والجاليات.
- التميز في النظم المالية والإدارية والتدريب.
- تأهيل الشباب الكويتي للعمل في المجال الدعوي.

إدارة الشؤون الدعوية

إدارة الشؤون الدعوية هي الإدارة التي تقوم في خدمتها باقي الإدارات من أجل تحقيق أهدافها، وهي تقوم بالتعريف بالإسلام لغير المسلمين، والاهتمام بالمهتدين الجدد والتنسيق بين الجاليات الإسلامية الموجودة في البلاد، وتشرف على الفصول الدراسية في اللجنة، وتتكون هذه الإدارة من أربعة أقسام:

١ - قسم الدعوة والإرشاد

ويقوم بتعريف غير المسلمين بالإسلام ودعوتهم إليه مستخدماً الوسائل السمعية والبصرية والمرئية فيما يخص الدعوة، ويعمل على توفير المواد والوسائل الدعوية بجميع أنواعها، كما يعمل على إعداد الدعاة ورعايتهم.

٢ - قسم المهتدين الجدد

ويقوم بإشهار الإسلام ومتابعة المهتدي ورعايته من يوم إسلامه والإشراف على تثقيفه وتوفير الرعاية الاجتماعية التي يحتاج إليها ودمجه مع الجالية التي ينتمي إليها لتنمية الرابط الديني والاجتماعي معهم، لاسيما وهم من أهل بلده ويتكلمون بلسانه، كما يقوم بإحصاء عدد المهتدين سنوياً.

٣ - قسم الجاليات

ودوره الاهتمام بأبناء الجاليات والإشراف على تعليم العمالة والخدم، والإشراف على المساجد التابعة للجنة وخطب الجمعة، ويعمل على تطوير وتثقيف الدعاة من مختلف الجاليات الإسلامية وغير الإسلامية لمتابعة وتثقيف بني وطنهم من النواحي الشرعية والإدارية، وإقامة مسابقات ومهرجانات رياضية وترفيهية ورحلات لأبناء الجاليات.

٤ - قسم الفصول الدراسية

ويقوم بتثقيف المهتدين الجدد إسلامياً في العلوم الشرعية، وتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها لمختلف الجنسيات، وتنظيم دورات ومسابقات في حفظ القرآن الكريم للمهتدين والجاليات.

إدارة الشؤون النسائية

إدارة الشؤون النسائية تقوم بالتعريف بالإسلام لغير المسلمات، والاهتمام بالمهتديات الجديدات ورعايتهن ومدهن بالعلوم الشرعية، ودعوتهن إليه بما تملك من طاقات ووسائل دعوية، ولها نفس أقسام اللجنة، وما تقوم به الإدارات والأقسام تقوم به الإدارة النسائية فيما يخص الجانب النسائي.

أهداف قسم الدعوة

- دعوة غير المسلمات وتعريفهن بالإسلام.
- إنتاج وتوفير المواد والوسائل الدعوية بجميع أنواعها.
- خدمة الداعيات ورعايتهن.

قسم المهتديات الجديدات

يقوم بعمليات إشهار الإسلام ومتابعة المهتدية من يوم إسلامها والإشراف على تثقيفها وتوفير الرعاية الاجتماعية التي تحتاج إليها.

إنجازاتها

١- ٤٤ ألف مهتد أشهروا إسلامهم في اللجنة منذ عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨م.

٢- ٣٥١٥ مهتد أشهروا إسلامهم عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣- تسيير ١٦ رحلة للحج للمسلمين الجدد تضم الرحلة أكثر من ١٥٠ حاجا سنوياً.

٤- تسيير ٢٨ رحلة عمرة للمسلمين الجدد تضم الرحلة أكثر من ٢٠٠ معتمر.

٥- توزيع مليون نسخة من النشرات الدعوية بلغات مختلفة.

٦- توزيع ٤٠٠٠٠٠ كتيب دعوي من إصدارات اللجنة سنوياً.

٧- توزيع ١٠٠٠٠٠ شريط كاسيت دعوي سنوياً بلغات مختلفة (١٢ لغة).

٨- يتم تخريج ٢٠٠٠ دارس للغة العربية في كل عام.

٩- يتم رعاية ٢٠٠٠ مهتد سنوياً من خلال «مشروع رعاية المهتدين».

١٠- تنظيم مسابقات حفظ القرآن الكريم ٧ مرات تضم كل مرة ٥٠٠ مشارك.

١١- إقامة مشروع المخيم الطبي للكشف على العمالة الفقيرة ٤ مرات في كل عام بأمغرة وخيطان والجليب والأحمدي أماكن تجمع العمالة (١٠٠٠ شخص في كل مرة).

١٢ - افتتاح فرع سلوى حيث وصل عدد الأفرع إلى ١٥ فرعاً.

شيخ الخطاطين حسن جلبي في حوار خاص:

الخط العربي يتماشى مع نهضوية الإنسان

حوار: عبادة نوح - ترجمة: نسيم أوغلو

عندما نتجول في مساجدنا نجد العديد من الكتابات والمخطوطات الرائعة التي تزين بيوت الله سواء في قبابها أو محاريبها أو جدرانها، فالكتابات الموجودة في جامع «جيلية خان» في اسطنبول ومسجد الطب الإسلامي في الكويت والحرم النبوي ومسجد قباء ومسجد أبي بكر الصديق في المدينة المنورة والمسجد الجامع في كازاخستان وجامع يونس أمره في بلجيكا وجامع الفاتح في ألمانيا ومسجد نذير أغا في البوسنة، هذه الكتابات خطت بأنامل شيخ الخطاطين في العالم الإسلامي الفنان حسن جلبي الذي أبدع في ابراز معالم الحضارة الإسلامية من خلال الخط العربي.



«الوعي الإسلامي» رافقت جلبي في معرضه الذي أقيم في الكويت أخيراً للتعرف على جانب من ابداعاته الفنية.

يقول الفنان حسن جلبي «المعرفة تابعة للالتفات» و«المتاع بدون المشتري ضائع» مبينا أن الخط لم يوجد إلا لخدمة الإسلام بحفظه اللغة ولكن هذا الفن لا يلقى قبولاً أو رواجاً في أوساط المجتمعات المسلمة دون أسباب معتبرة في الوقت الذي نجد إقبالا شديدا على المنتجات الغربية المسروقة معتبراً أن معظم هذه اللوحات الفنية مغشوشة ومأخوذة من الانترنت ومن جهود الآخرين ما شأنه تشجيع السارقين على التمادي في ضلالهم.

وقال جلبي إن الكثير من المهتمين بالخط يتوافدون على تركيا لتعلم الفن الإسلامي في الأصل ولكن ضعف الدعم والاهتمام وعدم توافر البيئة المناسبة للتعليم لم يبرز فنانين جدا على الساحة.

وأشار جلبي إلى أن المراحل التي مرت بها الخطوط العربية تتفرع إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى، وهي من حين ما ابتدأ نزول الوحي على النبي ﷺ بالقرآن الكريم وأمره عليه الصلاة والسلام بكتابته على الجلود والأكتاف ونحوها من الآلات التي كانت في ذاك الوقت إلى عهد العباسيين، ففي هذه المرحلة تطور استعمال الخط الكوفي في أغلب أحيانه، وبما أنه لم يف بجميع أغراض الخط العربي وحاجاته، ولطبيعة الإنسان في حياته في التقدم والبحث عن أفضل ما يستطيع في حياته فقد تقدم الخط العربي في آخر عهد الأمويين وبداية عهد العباسيين بالبحث عن خط بديل للكوفي، عندها رأينا اشتهار الخطاط علي بن هلال بن البواب في كشف وتأسيس الخط الريحاني والقلم المحقق.

وقال جلبي بداية المرحلة الثانية تتلخص مما ابتدأ به الخطاط ابن البواب ومما نرى في ذلك من استفادة ياقوت المستعصي منه ورفع شأن الخط العربي في عهدهم، وهناك تجارب في زمن ما بين ابن البواب وياقوت، لكن لم ترفع من شأن الخط العربي، ومن هذه التجارب القلم المحقق والريحاني وابتداء الثلث الذي تولد منهما وهو الذي وقف عند ياقوت، وياقوت هو الذي اعتنى به وقام بتطويره حتى بلغ غايته وذلك بتوفيق الله له لقوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت:٦٩) وهو بمجاهدته لهذا الأمر هداه الله لهذا التطوير، ومنه ابتداء الثلث ومعرفة كيفية قطع القلم وبحثه عن إمكانات تطويره وتأهيله للخطوط حتى انتهى من تصميم وهيكلة الحروف، وهذا الفكر استمر إلى بداية العهد العثماني وهو نهاية المرحلة الثانية.

وأضاف أن المرحلة الثالثة تبدأ مما انتهى منه ياقوت إلى تصفية الحروف ووضع القواعد لها وأساليب جديدة في فنون الخط وهي التي كانت في عهد الخطاط الشيخ حمدالله من بداية القرن التاسع الهجري، وبه ابتدأت المرحلة الثالثة بالشيخ حمدالله والذي عاش ما بين (١٤٢٦ إلى ١٥٣٠م) وهو الذي لقب

الخطوط العربية استخدمت في الكتب والمؤلفات في العلوم الشرعية

بإمام الخطاطين المعروف بابن الشيخ، وذلك أن والده كان يعرف بالعلم والصلاح حتى أصبح له هذا اللقب، وفي عهد بايزيد الثاني الذي كان والياً على أماسية إحدى مدن الدولة العثمانية والذي عرف بها نبوغ هذا الخطاط، ولما أصبح سلطاناً على الدولة العثمانية ابتدأ حكمه باستدعاء الخطاط حمدالله إلى مقر الحكم في الدولة العثمانية اسطنبول وطلب منه أن يضع كل ما اخترعه ووصل إليه من العلم بالخط العربي وما اشتهر عنه، وبعدها اعتكف الخطاط حمدالله مدة من الزمن بلغت أربعين يوماً وذلك لكي يستخير ربه ويرى ما يسترشد له في مستقبل أمره، ومما توصل إليه بعد هذه المدة، قواعد الخط العربي والأشكال والفنون لأنواع الخطوط وأساسات هذه الخطوط التي تكتب بها الآن.

وقال جلبي: بعده أتى كثير من الخطاطين، وأضافوا الكثير من أساليب الخطوط ورغم ذلك كله لم يأتوا بما سبقهم به، حسنوا شيئا من الخطوط، لكنهم في القواعد والأسس لم يغيروا شيئا، ثم أتى بعض الخطاطين واستعملوا في أماكن متعددة خطوطاً مختلفة وحسنوا فيها حيث استخدموها في كتابة الكتب والمؤلفات في العلوم الشرعية مثل الفقه والحديث والتفسير ونحوها من العلوم التي كتبت فيها المخطوطات بخط النسخ.

وبين جلبي أنه استخدم جلي الثلث في أقسام التزيين الداخلي لدور العبادة من المساجد ونحوها، وبعد الجلي استخدم خط التعليق في نفس الأماكن والمتاحف ونحوها، وهو الذي يكتب في مداخل المباني الرسمية ودور العبادة والمتاحف والبيوت، موضحاً أنه في العهود الأولى للدولة العثمانية جرب القلم المحقق لكن لم يُر فيه جودة الخط المطلوب وعليه تم اختيار خط التعليق في تلك الأيام، واستمر على هذا الحال إلى الانقلاب الذي مرت به تركيا، وفي خارج تركيا في دور العبادة انتشر خط النسخ لكنه غير لائق بهذا المكان لأن سن قلم النسخ إذا جاوز الواحد مللي يفقدُ حلاوة كتابته وجمال منظره.

وأكد أن الثلث الجلي في المساجد هو الخط الذي يصلح لهذه الأماكن من ناحية التوسع به ومن الناحية الجمالية أيضا، وسمي جليا لأنه قابل للتوسع أكثر من الخطوط الأخرى في جميع النواحي.

وأشار جلبي إلى أنه حقق الكثير من الانجازات على المستوى الشخصي لاسيما أنه خرج جيلاً من الخطاطين المتميزين ليحملوا الراية من بعده في مختلف أمصار الأرض متمنياً وجود مؤسسة أو مدرسة لتعلم علوم الفنون الإسلامية في العالم ولن يتحقق ذلك إلا بدعم المؤسسات أو الدول أو الأمراء لحفظ تراثنا الفني من الاندثار.

البطاقة الشخصية

ولد الأستاذ حسن جلبي في قرية أنجي التابعة لمحافظة أرضروم- تركيا في العام ١٩٣٨، في تلك الأيام القاسية التي شهدت الحرب العالمية الثانية، ولما بلغ سن الدراسة الابتدائية لم تكن قرى الأناضول قد عرفت المدارس الرسمية بعد، إلا أن رجلا متعلما من أفراد هذه القرية قد دأب على إحضار الصحف إلى القرية وتعليقها في مكان عام بحيث يقرؤها الجميع، ومن تلك الصحف تعلم حسن جلبي القراءة.

أنشئ في قريته كتاب لتحفيظ القرآن الكريم وحفظه وأقيم لهذه المناسبة حفل أثار اعجاب حسن جلبي (وقد كان طفلا آنذاك) فاتجه الى حفظ القرآن الكريم على يد خاله وأتم حفظه.

في عام ١٩٤٥ انتقل إلى اسطنبول لتلقي المزيد من علوم القرآن الكريم وهناك استقر في مدرسة «اوج باش» في غرفة رتب أمرها أحد أبناء قريته الوافدين إلى أسطنبول.

درس هناك العربية والعلوم الدينية الأخرى وبعد انقضاء ستة أشهر تم نقله إلى مدرسة «جينلي» في حي اسكدار في اسطنبول وتم تعيينه مؤذناً في جامع مهرماه سلطان في ١٥/٥/١٩٥٦.

أدى الخدمة العسكرية سنة ١٩٥٧- ١٩٥٨ ثم لما فرغ منها عين إماماً في مسجد «محمد نصوحي» ثم نقل في ٢٧/٥/١٩٦٠ ليعمل مؤذنا خارج اسطنبول في إحدى المناطق شمال شرق تركيا، وهناك التقى بالمفتي الحافظ بكر الذي عمل على إعادته إلى إسطنبول مجدداً ومن ثم ترقيته لوظيفة إمام بعد أن كان مؤذناً وذلك في ١٥/٨/١٩٦٣.

عمل إماماً لجامع «الشيخ» منذ ١٩٦٤ ثم انتقل إلى جامع «سلامي علي».عرض عليه في عام ١٩٧٤ أن يقوم ببعض الأعمال المتعلقة بالخط إلا أنه لم يكن مستعداً لتلبية تلك العروض لالتزامه بوظيفته الرسمية.

تقاعد في سنة ١٩٧٨ ليتفرغ للعمل في مجال الخط وهو يمارس الخط الآن ويعلمه في إسطنبول.

بدأ الأستاذ حسن جلبي في تعليم الخط بعد أن حصل على الإجازة ١٩٧٥ في «مسجد سلامي علي» حيث كان يعمل إماماً لهذا المسجد وذلك في يوم السبت من كل أسبوع، ويعد مخلص أوصلو، برأت كولن، داوود بكتاش من أوائل طلبته.

شارك في الكثير من المعارض داخل تركيا وخارجها نذكر منها:

١- المعرض الشخصي الأول (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية- إرسيكا) اسطنبول.

٢- ماليزيا ١٩٨٤.

٣- الأردن (دعوة من الأسرة الهاشمية) ١٩٨٥.

٤- معرض شخصي (كوالالمبور- ماليزيا) ١٩٩٢.

٥- معرض خيري.

٦- مهرجان فن الخط (إرسيكا- اسطنبول) ١٩٩٤.

٧- مهرجان كاظمة للفنون الإسلامية (الكويت)١٩٩٨.

٨- إلى جانب العديد من المعارض التي يضيق المجال عن ذكرها.

٩- عضو هيئة التحكيم في مسابقة الخط التي ينظمها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) اسطنبول.

١٠- كتب العديد من الأعمال للمجموعات الخاصة منها.

١١- مجموعة السيد عبدالرشيد حسن - ماليزيا.

١٢- مجموعة الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي - حاكم الشارقة

- كما كتب ما يزيد على ١٨٠ حلية شريفة.

الحرية في عبودية الله عز وجل

زبير سلطان

هي حالة فريدة لا تتكرر، ولا يمكن استنساخها، لأنها علاقة قائمة بين الخالق والمخلوق، بين الصانع والمصنوع، بين الله عز وجل وعبده، تكونت من حالة ادراك واع من الانسان المؤمن، مؤسسة على اليقين الثابت، وعلى إرادة بعيدة عن كل شكل من اشكال القسر، او القهر، او الفرض، ارادة وجدت بأن الممارسة للحرية الحقيقية، لا تتم الا في مناخ العبودية لله عز وجل وطاعته، والسلوك فيما أمر، والانتهاء عما نهى، فكيف وصل الانسان المؤمن الى هذه الحقيقة؟

اثبت التاريخ للإنسانية بعد البحث الطويل عن الحرية الحقيقية منذ بدء العصر الحجري وصولا الى العصر الحالي، ان الحرية الحقيقية لا يمكن ممارستها الا بعد ان يتوافر لصاحبها الامن الداخلي بعيدا عن كل خوف، ولن يتوافر هذا الامن الداخلي الا من خلال عبودية الله عز وجل، الذي يعطيه الراحة والاحساس بالطمأنينة في كل اموره الحياتية، في حين يجد انها مفقودة في بقية الدعوات الاخرى والعقائد والفلسفات المادية والعلمانية التي ظهرت عبر مراحل التاريخ.

ووجد الانسان المؤمن في عبادة الله عز وجل نفسه محررا من قيود واغلال طغيان الهوى الشيطاني، الذي يدفعه بشكل جنوني الى اشباع الغرائز الجنسية والنفسية بدون النظر الى ضحايا هذه الغرائز المادية والبشرية، حتى ولو كان هو من ضمنهم، فيدمر نفسه وغيره بالامراض المختلفة والوهن وتدمير اسرته واحتقار الآخرين له. وتبين له ان الحرية التي تطلقه ليمارس الجشع والطمع والاحتكار والاستبداد والطغيان ما هي الا اكذوبة مدمرة له ولأسرته ومجتمعه، واثبتت له وقائع التاريخ ان الحرية المطلقة التي لا حدود ولا قيم اخلاقية لها، قد جلبت الرق والعبودية لدول ومجتمعات، واحلت في بلادها الكوارث والأسقام والجوع والفقر والموت، وتضررت منها المجتمعات البشرية جمعاء. وحين ينظر الانسان بعقله لا بغريزته ما فعلت تلك الحرية المطلقة بالبشرية، يعرف معنى الحرية الحقيقية في عبادة الله عز وجل.

عواقب الحرية المطلقة

ومن عواقب الحرية المطلقة النتائج المأساوية لتلك الاكذوبة الكبرى المسماة بالحرية المطلقة على المجتمع الانساني، فتحت مظلتها رأينا كيف تمارس كل اشكال القاذورات المقززة للنفس البشرية، فقد أباحت اللواط تحت مسمى الزواج المثلي الذي شرع زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، وفتحت ابواب الاباحية العلنية لتمارس في الطرقات والاماكن العامة والحدائق وغيرها، وسرت شرورها الى المجتمعات النظيفة اليوم، كما تسري النار في الهشيم، فالفاحشة بأشكالها علنية في المواخير والحانات، وتجارة الرقيق علنية، وتجارة الاطفال الجنسية في مواقع الانترنت واسواق النخاسة على عينك يا تاجر، ودمرت البناء الاسري الذي دعت له الأديان السماوية ويتفاخر اليوم علية القوم في بلاد الحرية المطلقة، بأن لهم ذرية من دون زواج شرعي، او سيدة تتبوأ مكانة عالية في مجتمعها تتفاخر بأن لها اولادا غير شرعيين.

ومن اخطر نتائجها ظاهرة اولاد الشوارع التي اصبحت همّا يوميا للحكومات بسبب تزايد اعدادهم، حتى بلغ الامر ان سمح للشرطة في بلاد اميركا اللاتينية ان تقتلهم كما تقتل الكلاب الشاردة.

وتحت راية الحرية المطلقة ارتكبت ابشع الجرائم الاقتصادية، فمورس الاحتكار البشع، ورفعت الاسعار كيفما يشاء صاحبها، فاحتكرت الاغذية والمياه والادوية والالبسة، وبقوانينها القيت آلاف الاطنان من المواد الغذائية في البحار حتى تبقى على اسعارها العالية، في وقت يتساقط الملايين من البشر جوعا في كثير من انحاء العالم، وتحت سقفها تحول الغذاء الى وقود حيوي لسيارات المترفين في العالم وبيعت قطع من اجساد الفقراء لترميم اجسام الاغنياء.

وها هو العالم اليوم يريد حلا لمأساة صنعتها الحرية المطلقة وهو الاحتباس الحراري الذي بدأ يخل بالموازين الكونية، فيعلن العلماء ان ثلوج محيطات المتجمد الشمالي ستذوب بعد سنين، وهي التي كونها الله عز وجل للبشرية منذ ملايين السنين خدمة لها وللتوازن الكوني، كما تختل موازين المناخات الكونية، وتتساقط الامطار الحمضية لتقتل الارض والزرع، وتتزايد الاعاصير، وترتفع درجات الحرارة، والله عز وجل حذر من اختلال موازين الكون في قرآنه الكريم حين قال: ﴿ألا تطغو في الميزان﴾ (الرحمن -٨).

ألا يعلم من خلق؟

وحذر العزيز القدير من نتائج الحرية المطلقة لأنها مفسدة للناس والبشرية ستكون نتائجها كارثية للجميع واولها الانسان، قال عز وجل ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم - ٤١).

هذه هي الحرية المطلقة التي ليس لها حدوده فعلت ما فعلت بالبشرية والكون، اما الحرية الحقيقية في ظلال عبودية الله عز وجل فإنها دعت الى الثوابت القيمية التي امر بها الله عز وجل، ومنها المحافظة على النواميس الكونية، والعدل، والرحمة، والطهارة وتحريم الاحتكار، والتمسك بقيم الاسرة، وأكدت على الرعاية الكاملة للوالدين والمحافظة على شعورهما حتى من كلمة أف، في وقت يلقى الوالدان في ظل الحرية المطلقة في دور العجزة تذمرا من رعايتهما.

فالانسان الواعي اختار الحرية في العبودية لله عز وجل بعد ان وجد فيها الحرية الحقيقية، واختار الايمان بوحدانية الله عز وجل بعد محاكاة علمية ارادية عقلية، واختار تطبيق سننه وما امر وما نهى، من بين مجموعة خيارات

متعددة الطرق والاتجاهات والعقائد والافكار والتجارب، التي تشكلت عبر آلاف السنين، حين وجد ان عبودية الله عز وجل هي الطريق المستقيم الذي يوصله الى الحرية التي ينشدها، وسعى اليها سنين، وحين مارسها وجد فيها السعادة الروحية والمادية.

ما مقومات الحرية في عبودية الله عز وجل؟ واسسها الموضوعية؟

- الطمأنينة: وهي اولى متطلبات الحرية الحقيقية كما اشرنا من قبل والمرتكز الاساسي لممارستها، فلا حرية الا اذا توافر الامن، فالخوف لا يؤمن الحرية، لأن القلوب الخائفة، والعقول المضطربة، والايدي والارجل المرتجفة لا تمارس الحرية، وان ادعت فهي كاذبة، فالأمن لا توفره اية قوة بالعالم للنفس القلقة، الخائفة على مصيرها، بل توفره عبودية الله عز وجل. قال عز وجل ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون. وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الانعام- ٨٠:٨٢).

- انعتاق النفس من قيود كثيرة: واول تلك القيود التي تحطمها عبادة الله عز وجل هو قيد الخوف من الماضي والحاضر والمستقبل وما بعد الحياة، هذا الخوف الذي يسيطر على القلوب والمشاعر من المصير الذي سنؤول اليه بعد الموت.

كما تحرر حرية العبودية لله عز وجل العديد من اشكال الخوف ومنها:

- **الخوف من المجهول.**
- **الخوف من المرض.**
- **الخوف من الطغاة.**
- **الخوف من الفقر.**
- **الخوف من المحيط الاجتماعي.**

حرية العبودية لله عز وجل اختيار ارادي ان الانسان العاقل بعد ان يصل الى الايمان الكامل بالله عز وجل ويقتنع بإرادته وبوعيه الكامل وبحرية مطلقة دون حالة قسر أوإكراه، سيقبل الى عبادة الله عز وجل بشعور غامر بالفرح، فقد وجد الهدف الذي حلم به كثيرا، وسعى طويلا للوصول اليه، وما ان يبدأ في العبادة حتى يحس بتحطيم اغلال كثيرة، تبدأ بتفكك قيود الالحاد ثم يتبعها تحطم قيود الشهوة الشيطانية والجشع، والانانية الفردية، والشر والطمع والتعالي والتكبر وحب الذات والمكر والخداع، وكل السلوكيات الخبيثة التي تلتف حول جسده وفي داخله، تتحطم وتزول لأنها تتصادم مع فلسفة العبادة واركانها وسننها وواجباتها.

العبادة الحقيقية ليست صلاة وزكاة وفرائض فقط بل هي الحياة الكاملة لله من عمل وعلاقات ومعاملات

العبادة لله عز وجل ليست كما يتصور البعض صلاة وصيام وزكاة فقط، بل العبادة هي الحياة الكاملة للإنسان في عمله، وراحته، في يقظته، ومنامه، في حله وترحاله، في كلامه مع اهله والناس، وفي علاقاته الاسرية والاجتماعية، عبادة تدعوه للخروج من كل المفاسد، والدخول الى نور الايمان. قال عز وجل ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾ (البقرة: -٢٥٧).

العبادة ايضا هي الاستقامة في الحياة وهي لب العبادة لله عز وجل وسلوكها، وهي هدف الدعوة بعد التوحيد لله عز وجل ﴿واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم﴾ (الشورى:- ١٥)، وكما امر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ ﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه﴾ (فصلت: - ٦)، وكما قال عز وجل له ولمن اتبع الدين الاسلامي ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (هود: - ١١٢).

الشعور بالارتقاء والسمو في عبادته عز وجل وليعرف من لم يذق جمالية ولذة عبادة الرحمن عز وجل بأنها ليست فقط حرية، بل هي شرف عظيم للانسان، ومرتبة عليا، فقد وصف رسوله ﷺ بالعبد حين قال عز وجل ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾(الإسراء: ١)، وقال عز وجل ﴿فأوحى الى عبده ما أوحى﴾ (النجم: -١٠) لأن هذا الخالق العظيم الذي سخر للانسان ما سخر في الارض ليعيش عيشة حرة هنية، وانزل له الكتب النورانية وارسل الرسل عليهم الصلاة والسلام لهدايته، وايصاله الى الحرية الحقيقية، فمن الشرف العظيم ان يدخل في عبوديته، قال القاضي عياض:

ومما زادني شرفا وتيها
وكدت باخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي
وان صيرت احمد لي نبيا

وقال القرطبي: وصف تعالى عبادالرحمن بإحدى عشرة خصلة هي اوصافهم الحميدة من التحلي، والتخلي، وهي التواضع والحلم والتهجد، والخوف وترك الاسراف والاقتار والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال الى الله.

الحرية في العبودية لله عز وجل هي الحرية الحقيقية التي بحث عنها الانسان منذ فجر التاريخ، ووجد فيها النعيم الروحي فمن اضلها وذهب الى غيرها تاه وغرق في مستنقع الظلمات والفساد، ومن وجدها نجا وتنعم بطيب العيش في الدنيا والآخرة.



مفهوم العمل التطوعي ومكانته في الكتاب والسنة



محمد علي الخطيب

في النفس خطان متقابلان متجاوران لا تناقض بينهما، لأن كل واحد منهما يكمل الآخر، وهذان الخطان المزدوجان هما الالتزام، والتطوع، والإسلام دين الاعتدال والتوازن يجمع بينهما في نظام واحد، ويتجه بهما إلى تحقيق حكمة الحياة وغايتها (1).

فالإنسان يميل بفطرته إلى الالتزام، ويؤيد ذلك الحس والعقل، إذ إنه لا يمكن أن يستقر نظام الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة إلا بالالتزام وأداء الواجب، ومن أجل ذلك شرع الإسلام قدرا ضروريا من الالتزام (أوامر ونواه وحدود) تصلح به حياة المجتمع، وتحفظ نظامه من الفساد، إلا أن الالتزام في الإسلام -وهذه مزيته وخصوصية له- هو التزام لله تعالى وحده، ومن ثم لا يقع في عبودية طاغوت أو نظام أو هوى من الأهواء.

وينبغي العلم بأن الإسلام لا يحصر تشريعه في الالتزام بالواجب أو الفرائض والحدود، ولكنه يرتفع عن خط الالتزام إلى خط التطوع، بحيث يؤدي الإنسان الأعمال الصالحة، ووجوه البر المتعددة برغبة ذاتية خالصة، تظهر فيها ثمرة الإيمان الحقيقية، وتتجلى قوته وعمقه؛ لذا يفتح الإسلام باب التطوع على مصراعيه، ليفجر ينابيع الخير في النفس البشرية، ويستثمر طاقات الإنسان المسلم في خدمة مجتمعه، متطوعا متبرعا دون فرض أوإكراه، وهذا ينمي حب عمل الخير والرغبة فيه، ويقوي رابطة المجتمع وتماسكه، إلى منافع أخرى كثيرة وجليلة، تنطوي في ظلال قوله تعالى ﴿... فمن تطوع خيرا فهو خير له...﴾ (البقرة:١٨٤)، وقوله تعالى ﴿... ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (البقرة:١٥٨).

ومن يتأمل كتاب الله تعالى يجد دعوة قوية دائمة إلى التطوع بفعل الخير والتسابق إليه والمسارعة فيه والتعاون عليه، وكذلك حياة رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام تراها زاخرة بالعمل الصالح والبر بمفهومه العام والتطوع بالخير والتنافس فيه.



التطوع في اللغة والاصطلاح

التطوع بالشيء: التبرع به. والمطوعة: الذين يتطوعون بالجهاد. ومنه قوله تعالى ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات...﴾ (التوبة:٧٩)، وأصله المتطوعين فأدغم. والمتطوع هو الذي يفعل الشيء تبرعا من نفسه، وهو تفعل من الطاعة. والطوع: نقيض الكره. والاستطاعة: الطاقة والقدرة على الشيء. وفي التنزيل: ﴿فمن تطوع خيرا فهو خير له﴾ (البقرة:١٨٤). والتطوع في الاصطلاح: ما تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه(٢). ويسمى التطوع نفلا ونافلة، وتجمع على نوافل، والنفل (بالسكون): الزيادة. وسميت النوافل في العبادات، لأنها زائدة على الفرائض، ومنه الحديث: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل...» (رواه البخاري)، وفي كل عبادة فرض ونفل، وسميت صلاة التطوع ونحوها نافلة ونفلا، لأنها زيادة على الفرض وزيادة أجر لهم على ما كتب من ثواب ما فرض عليهم(٣).

مفهوم العمل التطوعي

التطوع في العبادات: هو الزيادة على الفرض، وفي كل عبادة فرض وتطوع. كما جاء في صحيح البخاري عن طلحة بن عبيد الله أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ «خمس صلوات فى اليوم والليلة» فقال هل علي غيرها قال «لا، إلا أن تطوع» قال رسول الله ﷺ «وصيام رمضان» قال هل علي غيره قال «لا، إلا أن تطوع» قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة. قال هل علي غيرها قال «لا، إلا أن تطوع» قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ «أفلح إن صدق». أما العمل التطوعي الإغاثي، فهو «كل عمل

مدرس تربية إسلامية في الكويت



من أعمال البر، يتطوع به فرد أو مجموعة من الأفراد أو مؤسسة ما أو الدولة؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وبهدف خدمة المجتمع وتنميته، دون غرض ربحي أو سياسي» (٤). فقوله «كل عمل من أعمال البر»، يشمل كل عمل صالح، ويستوعب جميع مجالات البر والإحسان. وقوله «يتطوع به» خرج بهذا القيد الفرض والواجب، وما أكره عليه، لأن العمل التطوعي يقوم به العامل على وجه التبرع، طائعا غير مكره. وقوله «فرد أو مجموعة من الأفراد أو مؤسسة ما أو الدولة» يبين الجهات التي تتطوع بالعمل. وقوله «بهدف خدمة المجتمع...الخ»، يحدد أغراض العمل التطوعي، وهو خدمة المجتمع، وطلب الأجر والمثوبة من الله وحده، دون غرض ربحي بالمفهوم النفعي الضيق أو غرض سياسي كالمبشرين النصارى الذين يقدمون العمل الخيري والإغاثي للمحتاجين مقابل تنصيرهم.

مكانة العمل التطوعي في الإسلام

إن الإيمان الذي يدعو إليه الدين الإسلامي ليس إيمانا ذهنيا مجردا ولا إيمانا خاملا سلبيا، ولذلك تجد القرآن يقرن دائما الإيمان بالعمل الصالح، لأنه ثمرته اللازمة ونتيجته التي لا تنفك عنه، فإذا تخلف عنه انتفت عنه حقيقة الإيمان، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدا، كقوله تعالى ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ التي تتكرر في القرآن، وتقرن دوما الإيمان بالعمل الصالح. و﴿الصالحات﴾: «كلمة جامعة من جوامع القرآن تشمل كل ما تصلح به الدنيا والدين، وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصلح به الحياة المادية والحياة الروحية معا» (٥). فالإيمان عمل وجهد وحركة وإنتاج، وبهذا التعريف جاءت السنة المطهرة، ففي الصحيحين واللفظ للبخاري: «الإيمان بضع وستون شعبة...»، وشعب الإيمان هذه تشتمل على جماع ما فيه صلاح الدنيا والآخرة.

ومما يدل على مكانة العمل الصالح أنه ذكر في القرآن الكريم قريبا من مائة مرة، يدعو إليه، ويرغب به، ويحض عليه، ويثني على أهله العاملين المجدين، وكذلك السنة دعت إلى العمل الصالح، وهو بمعناه العام يشمل شرع الله كله، أمرا ونهيا وإرشادا، وقد ورد مفهوم العمل الصالح في كتاب الله بأسماء وألفاظ شتى من أشهرها: البر، والتقوى، والخير، والطاعة، والإحسان، والحسنة، والهدى، والعبادة، والخيرات، والاستقامة وغيرها، وجميعها بمعنى العمل الصالح (٦)، فالبر على سبيل المثال عرفه الله تعالى وعدد مجالاته، فقال ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (البقرة: ١٧٧).

والعمل التطوعي هو جانب مهم وأساسي من العمل الصالح، أما من حيث دلالته ودرجته من الإيمان، فهو ذروته السامقة، لأن صاحبه يتطوع به من تلقاء نفسه دون إلزام أو إجبار، والتطوع هو ميدان السبق الذي يظهر السابقين، ويميزهم عن أصحاب اليمين.

العمل الصالح قسمان

والحاصل أن العمل الصالح قسمان: التزام وتطوع، ويدخل في الالتزام الفرائض التي فرضها الله تعالى، وتشمل العبادات وسائر الأعمال الصالحة المفروضة فرضا عينيا أو كفائيا، مثل طلب العلم، وبر الوالدين، وكل ما تحتاجه الأمة في أمر دينها وأمر دنياها، ويدخل في دائرة الالتزام ترك المحرمات وحفظ حدود الله تعالى كما جاء في حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه: «أن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» (رواه الدارقطني مرفوعا).

أما القسم الثاني من العمل الصالح، فهو التطوع، ودائرته أوسع بكثير من دائرة الالتزام، لأنها كما ذكرنا آنفا مضمار المسابقة والمسارعة والمبادرة التي رغب فيها الكتاب والسنة. نعم الاقتصار على الفرائض مع الكف عن المحرمات، يدخل الجنة، ولكن

الجنة درجات، كما قال الله تعالى: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ (الإسراء: ٢١)، فبم يكون التفاضل بين أهل الجنة؟ وما سلم الارتقاء في درجاتها؟ وما السبيل إلى الظفر بالفردوس الأعلى في الجنة؟ أم نجعل المقتصد كالسابق؟ كلا، فقد صنف الله تعالى العاملين ثلاثة أصناف، فقال ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (فاطر: ٣٢)، فالظالم لنفسه هو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، والمقتصد هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، أما السابق بالخيرات فهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات (٧)، وهذه الأقسام الثلاثة كالفرق الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة، وينجو منهما فريقان، والمقتصد وإن كان ناجيا، إلا أن نجاته مرهونة بتمام أداء الفرائض، والإتيان بها على أكمل وجه، وهذا لا يتأتى لأكثر الناس، وبالتالي يقع النقص والتقصير في الفرائض، فكيف يجبر النقص؟ وهنا تظهر فائدة النوافل وأعمال التطوع إذ تسد الخلة وتجبر النقص.

وأنبه هنا إلى أمر أراه في غاية الأهمية، وهو أن المؤمن يستجيب لأمر الله من غير نظر إلى التصنيف الفقهي للتكاليف الشرعية إلى فرض وتطوع، فهو يمتثل أمر الله مطلقا سواء كان فرضا أو واجبا أو سنة، ويجتنب ما نهى الله تعالى عنه سواء كان حراما أو مكروها أو حتى خلاف الأولى؛ عبودية لله، وتعظيما لأمره، ولأن التطوع سياج للفرض، فإذا فرط فيه، فإنه لا يأمن من التقصير في الفرض، وتقع الطامة المردية، وهذا من تلبيس إبليس على كثير من المكلفين.

كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه ويدربهم على أعمال التطوع وينتدبهم إلى المهمات الخيرية الجليلة

صور من العمل التطوعي في حياة الرسول ﷺ

حياة الصحابة وإمامهم رسول الله ﷺ زاخرة بالبذل والعطاء وفعل الخير والتضحية في سبيل الله، إذ كانوا إذا دعاهم الله ورسوله ﷺ إلى أمر، سارعوا في تنفيذه، وتباروا فيه، وما أجمل المسابقة التي كانت تجري بين الشيخين أبي بكر وعمر في طاعة الله ورسوله! روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: أبقيت لهم مثله، فأتاه أبو بكر بكل ما عنده، فقال له: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله! فقلت: لا أسابقك إلى شيء بعده أبدا» (رواه أبو داود والترمذي وغيرهما)، وأعجب بالتنافس الذي كان يجري بين فقراء الصحابة وأغنيائهم، فقد روى أبو ذر «أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة...» (رواه مسلم).

ومن أروع صور التضحية والبذل والإيثار المؤاخاة التي أقامها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فقاسموهم أموالهم ودورهم ومتاعهم، روى الإمام أحمد عن أنس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال النبي ﷺ لا! ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم بالأجر عليهم» (سنن الترمذي). وفي الأنصار نزل قوله تعالى ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر:٩). والإيثار ليس فرضا، بل تطوع وتصدق



وإحسان، خاصة عندما يؤثر من كان به خصاصة كالأنصار الذين أثنى الله عز وجل عليهم، وقصة ضيف رسول الله ﷺ المشهورة من غرائب هذا الباب.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه ويدربهم على أعمال التطوع، وينتدبهم إلى فعل الخيرات، والمهمات الجليلة، وكثر في كلامه ﷺ قوله «ألا رجل» «ألا من رجل» «هل من رجل» «من رجل»، مثل «ألا رجل يضيف هذه الليلة يرحمه الله» (رواه البخاري ومسلم)، ومثل «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعس وتروح بعس إن أجرها لعظيم» (رواه مسلم وأحمد)، ومثل «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» (رواه مسلم)، «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه» (رواه أبو داود وأحمد)، وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال «ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» (رواه أبو داود والترمذي)، وفي مسند أحمد من حديث يأجوج ومأجوج «فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه قد أوطنها على أنه مقتول» وفي صحيح البخاري من حديث الإفك «...فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي...»، وفي غزوة ذات الرقاع «...فنزل النبي ﷺ منزلا فقال: من رجل يكلؤنا؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار...»...الخ، والأمثلة والشواهد في ندب الصحابة لأعمال التطوع كثيرة جدا.

حياة الصحابة وإمامهم رسول الله ﷺ زاخرة بالبذل والعطاء وفعل الخير والتضحية في سبيل الله

هذا وصور العمل التطوعي التعاوني أيضا في السيرة النبوية كثيرة جدا، لا حصر لها، كبناء المسجد، وحفر الخندق، وإنفاق المال في تجهيز الجيش، والجدير بالذكر هنا دور أغنياء الصحابة كعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف في الدعم المالي للعمل التطوعي، ومن أعجب العجب تطوع المعاقين، وأصحاب الأعذار للجهاد في سبيل الله كعمير بن أبي وقاص أخو سعد، وكان صبيا صغيرا، فخرج إلى بدر، وقتل فيها، وعبد الله بن أم مكتوم الرجل الأعمى الذي خرج في يوم القادسية، وكان يحمل اللواء، واستشهد فيها، وعمرو بن الجموح الأعرج الذي خرج في أحد، واستشهد فيها، والأمثلة كثيرة.

مجالات العمل التطوعي

دائرة التطوع أوسع من دائرة الالتزام التي تعتبر الحد الأدنى الضروري من التكاليف الشرعية، ومجالات العمل التطوعي وصوره كثيرة جدا ومتنوعة، ويأتي على رأسها العبادات التطوعية، وليست هي المقصودة هنا، ولكن الغرض الأعمال التي تدخل في إطار العمل التطوعي والإغاثي، وتهدف إلى خدمة المجتمع وتنميته، كما سبق ذكره في تحديد مفهوم العمل التطوعي.

ومن أهم هذه الأعمال المساهمة في خدمة المجتمع أيام الأزمات والشدائد، وبناء المساجد وإعمارها ماديا ومعنويا، ونظافة البيئة، والتودد إلى الناس، وقضاء حوائجهم، وإصلاح ذات بينهم، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب، والعفو عن المعسر، وقضاء حاجات المحتاجين، والشفاعة لأصحاب الحقوق وبذل الجاه في سبيلهم، ونشر العلم، والدعوة إلى الله سبحانه.

القاعدة الاقتصادية للعمل التطوعي

وإنفاق المال في سبيل الله من أعظم أعمال التطوع، لأنه القاعدة الاقتصادية لمعظم أعمال التطوع التي ذكرناها، فهي لا تقوم إلا بالمال حتى الدعوة إلى الله تعالى في عصرنا الحاضر لا تنجح ولا تستمر إذا لم يكن لها دعم مالي؛ لتتمكن من سد الباب أمام المؤسسات التنصيرية التي تستغل الفقر والحاجة بما لديها من أموال طائلة وإمكانيات ضخمة؛ لنشر الفساد والإلحاد (٨)، وإنفاق المال في سبيل الله له وجوه عديدة يصرف فيها، أعلاها وأزكاها في ميدان الجهاد في سبيل الله، قال تعالى ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم





الإسلام يفتح باب التطوع على مصراعيه ليفجر ينابيع الخير في النفس البشرية ويستثمر طاقات الفرد المسلم في خدمة مجتمعه

خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (التوبة:٤١)، ومفهوم الجهاد هنا لا يقتصر على ميدان القتال بل يشمل المجالات والميادين شتى، ويدخل فيه تشييد المساجد والمدارس والمراكز العلمية، والإنفاق على الدعاة إلى الله تعالى، ومعلمي القرآن.

ومن ميادين العمل التطوعي أيضا أعمال الصدقة الجارية، كمصحف يوقف، أو كتاب ينشر، أو غرس شجرة تثمر، أو ماء سبيل ونحوه، وسقي الماء وحفر الآبار، وإجراء الأنهار، وكفالة الأيتام ورعايتهم وتعليمهم وتدريبهم على حرفة تضمن معيشتهم وتحفظ كرامتهم، وهذا ميدان ينبغي أن يشارك فيه الموسرون وغير الموسرين، لأن رعاية اليتيم لها جانبان: مادي يقدر عليه الأغنياء، ومعنوي يطيقه الجميع.

ما الحكمة من كثرة أعمال الخير وتنوعها؟

تتجلى الحكمة في أمور، منها:

- ترغيب العاملين فيها، لأن الإنسان خلق ضعيفا، فإذا أصابه الملل من عمل انتقل إلى عمل غيره يحبه وينشط فيه.

- تنوع قدرات الناس وتفاوتها من شخص لآخر، فنوع الله العبادات والأعمال الصالحة حتى لا يحرم أحد منها فإن عجز عن إنفاق المال لفقر، فإنه يعمل بيده فيكتب له صدقة، فإن حبسه عن فعل الخير حابس فإنه يدل عليه والدال على الخير كفاعله، عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال ﷺ «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم)، فإنك لا تجد فردا في المجتمع المسلم إلا ويساهم في بناء مجتمعه ونهضته وتطويره بما يملكه وبما يقدر عليه، وبهذا يتحقق التكافل الاجتماعي ويتحقق التكامل أيضا، فهذا يعمل بيده، وذاك ينفق من ماله، وهذا يعلم الناس، وذلك يعمل بفنه وموهبته، وبهذا يتم توظيف جميع الطاقات والمواهب والميول المتنوعة، ويتحقق التكامل والتكافل بين الأفراد -رغم الفروق الفردية بينهم- في خدمة المجتمع.

- زيادة الأجر والثواب، والتقرب إلى الله سبحانه، ولذلك فإن أعمال التطوع هي ميدان التنافس والمسابقة بين العاملين المجدين، وهي التي ترفع رتبة المؤمن من مقتصد إلى سابق بالخيرات، وتنقله من زمرة أصحاب اليمين إلى زمرة السابقين.

وفي الختام، فإن من حق العمل التطوعي والإغاثي أن تجتمع عليه جهود الأمة وطاقاتها، وتتضافر لمناصرته ومؤازرته وحماية منجزاته، لأهمية دوره في المحافظة على الهوية الإسلامية التي حاولت بعض الاتجاهات المشبوهة طمس معالمها وتشويه صورتها وتغريب أبناء هذه الأمة وإبعادهم عن دينهم وتاريخهم وجذورهم، فاضطلع العمل التطوعي بمهمة الدفاع عنها وإحياء روح الإسلام وتجديد أمره.

الحواشي

١ - انظر: منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - الالتزام والتطوع.
٢ - انظر: لسان العرب، القاموس المحيط، ومختار الصحاح، مادة طوع.
٣ - انظر: النهاية في غريب الأثر، باب النون مع الفاء - نفل.
٤ - مفهوم العمل التطوعي وأثره في بناء المجتمع من منظور إسلامي، والمؤسسات الخيرية الكويتية نموذجا - محمد علي الخطيب - ص ٠١.
٥ - الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٩٨٠م، ص ٦٥٢.
٦ - العمل الصالح، أحمد عز الدين البيانوني، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م، ص١٣.
٧ - تفسير ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ج ٣، ص ٥٥٥.
٨ - - مسيرة الخير، جمعية إحياء التراث الإسلامي، جمع وإعداد لجنة العلاقات العامة والإعلان، دار الوطن - الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص ٣٥.

عصام سيسالم في ذمة الله

بهيج بهجت سكيك

ودعت فلسطين - بعد ظهر الاثنين ٢٠ ابريل ٢٠٠٩ م - د.عصام سيسالم رئيس مجلس أمناء جامعة فلسطين بغزة، ومدرس التاريخ بجامعة الكويت حتى عام ١٩٩٥م، وقد نعته فضائيات فلسطين والأقصى والقدس وقطر، كما كتبت وكالة «قدس نت للأنباء» أنه أحد أهم رموز التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي... أما مجلس الوزراء الفلسطيني المقال فقال رئيسه إسماعيل هنية: إن المؤرخ سيسالم أفنى زهرة عمره في حب فلسطين وخدمتها والعمل من أجلها والتأريخ لنضال أبنائها.

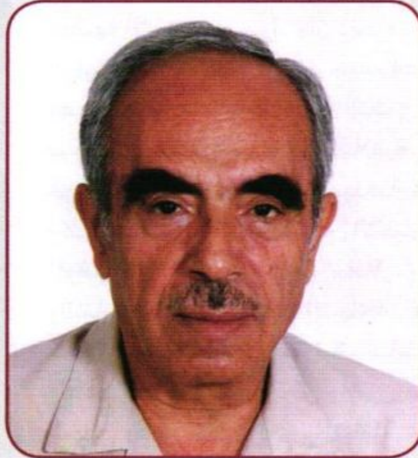
المولد والنشأة

ولد د.سيسالم في مدينة غزة عام ١٩٣١م وتربى ودرس في مدارسها وحصل على شهادة «المترك» الإنجليزية عام ١٩٤٨م قبل النكبة بشهرين فقط. وهو ينتمي لأسرة من أصول مغربية (سيدي سالم) وذاق طعم اليتم مبكراً بفقدانه والده وهو في سن العاشرة. وقد بعث اليتم فيه طاقات كامنة وأظهر تفوقا دراسياً على كل أقرانه، وشارك في العمل الوطني الفلسطيني والتحق بكتائب المقاومة لمحاربة العصابات الصهيونية وكان ضمن مجموعة الشهيد «مدحت الوحيدي» الذي استشهد قبل النكبة بأيام.

رحل د.عصام إلى السعودية وعمل في شركة الزيت العربية الأميركية «أرامكو» ولم يطل به المقام هناك فغادرها إلى سورية وعمل في مدارسها في «دمشق» و«صافيتا» و«مشتل الحلو» وغيرها. وهناك حصل على ليسانس الحقوق من جامعة دمشق عام ١٩٥٥م ودبلوم في الاقتصاد عام ١٩٥٧م وقد عاصر حركة المد الثوري القومي العربي والوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨م وسجن مع الشباب الوطني في سجن «المزة» الشهير ثم تم ترحيله إلى الأردن التي أعادته فوراً إلى سورية ولم تقبل مصر العربية مروره عبر أراضيها إلى غزة!! وكانت غزة وقطاعها تحت الإدارة المصرية حتى عام ١٩٦٧م، وقد وصل إلى غزة عن طريق البحر على ظهر مركب تجاري يحمل بضاعة من سورية في أوائل الستينيات، وهناك أودع السجن فور وصوله عصر أحد أيام رمضان المبارك.

الحقبة الكويتية

تعتبر هده الحقبة (١٩٦٩-١٩٩١) من أهم الحقب وأثراها في حياة د.عصام، حيث أتيح له الاستقرار النفسي والوفرة المالية مما ساعده على أن يحقق طموحه وآماله، وقد عمل مترجماً في الجيش ثم رئيساً بهذا المكتب ونال «نوط» الشجاعة العسكري البرونزي ثم الفضي، تقديراً لخدماته.



حصل على درجة الليسانس في التاريخ من جامعة بيروت العربية عام ١٩٧٧م ثم نال درجة الماجستير من جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية، وكانت عن الحملات الصليبية على دول المغرب العربي ثم حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٨٢م وكانت عن «جزر الأندلس المنسية - جزر البليار» قدم لها د.شاكر مصطفى- رحمه الله- وزير التربية السوري الاسبق واستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة دمشق ثم جامعة الكويت والعالم المعروف فوصف هذا العمل بأنه: بناء تاريخي واسع ومكمل للملحمة الاندلسية، لم يقم بمثله مؤرخونا القدامى ولا مؤرخونا الأواخر.. واستند المؤلف إلى ٢٦٠ مصدراً ومرجعاً في مختلف اللغات بالاضافة إلى محفوظات ووثائق وارشيف جزر البليار نفسها التي زارها ثلاث مرات.

انتدب د.عصام ليحاضر في جامعة الكويت إلى جانب عمله في مكتب الترجمة في الجيش الكويتي، وهناك في الجامعة التقى بأعلام وعلماء التاريخ الاسلامي، د. حسين مؤنس- رحمه الله، ثم د.سعيد عبدالفتاح عاشور، و.د محمود مكي وأخيراً د.شاكر مصطفى- رحمه الله- وكان الخمسة بحق نجوم قسم التاريخ في جامعة الكويت- يرحمهم الله. وبعد تحرير دولة الكويت من الغزو العراقي عام ١٩٩١م لحق د.عصام بأستاذه ثم رفيقه د.حسين مؤنس إلى اسبانيا حيث عمل معه في المركز الاسلامي في مدريد في تحقيق المخطوطات الاسلامية التي تزخر بها اسبانيا.

المحطة الأخيرة

مع قيام السلطة الفلسطينية وصل إلى غزة عام ١٩٩٥م- حلم عمره- وعمل محاضراً في الجامعة الاسلامية- جامعة الأقصى بغزة- وأشرف على العديد من الدراسات العليا في التاريخ في الجامعات الفلسطينية وترك العديد من الكتب والابحاث منها: «جزر الأندلس المنسية» و«تاريخ الدويلات الإسلامية» و«تاريخ بيت المقدس» و«تاريخ فلسطين أواسط العصر العثماني» و«لواء غزة في العصر العثماني الأول» و«لواء غزة في العصر العثماني الثاني» وغيرها.

السياحة الإسلامية.. أين مـ

قل سيروا في الأرض..

المتتبع لحركة السياحة في العالم ودورها المتنامي في حركة الاقتصاد العالمي وتحولها من حركة ثانوية محدودة الأثر الى صناعة متكاملة خاضعة لميزان الربح والخسارة تعقد لها الندوات والمؤتمرات اقليمياً وعالمياً وتسن لها القوانين وتقعد لها القواعد المناسبة، لاشك أنه سيجد الجواب الشافي عن جملة من التساؤلات التي دفعت الدول في عصرنا الحاضر لاعطاء الحركة السياحية كل انواع الرعاية والاهتمام من حيث صيانة وابراز المعالم الحضارية فيها وتحسين الخدمات الفندقية وطباعة النشرات والكتيبات التي تسلط الضوء على اماكن السياحة والترفيه والمواقع الأثرية والتاريخية وتدريب المرشدين السياحيين وتحسين طرق المواصلات وغيرها من الأمور المتعلقة بالسياحة والترفيه.

ان السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما موقف الإسلام من قضية السياحة والترفيه وهل العلاقة بينهما علاقة تجاذب أم تنافر؟ وهل من واجب المسلمين المشاركة والمساهمة الايجابية في المؤتمرات والندوات السياحية للاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المضمار؟ وهل من واجب المسلمين ايجاد صناعة سياحية وترفيهية وفق الضوابط والأسس الشرعية حتى لا تنقلب الى صناعة مدمرة للقيم والاخلاق والمثل العليا؟ أليس من حق المسلمين إنشاء منظمة سياحية إسلامية متميزة عن غيرها من المنظمات السياحية العالمية تعمل على تشجيع السياحة البينية بين بلدان المسلمين، خصوصاً وان بلداننا تملك اعظم ثروة حضارية في العالم، فهي مهد الديانات السماوية وموطن الحضارات القديمة الأمر الذي جعل منها قبلة السياح من شتى أرجاء العالم.

هذه الامور وغيرها طرحناها على بساط البحث من خلال هذا الملف الذي نضعه بين ايدي القراء والقارئات مساهمة منا في اثراء المفهوم السياحي الإسلامي في عالمنا المعاصر. والله الهادي الى سواء السبيل.

إعداد: تمام الصباغ

أين موقع السياحة الإسلامية؟ هذا السؤال أخذ في الآونة الأخيرة يتردد في ذهني كثيراً، فبعد ما يزيد على ثلاث سنوات من العمل الجاد والمرهق، وبعد صدور عشرة أعداد من مجلة السياحة الإسلامية، وبعد تكوين الموقع الالكتروني ونشرته الأسبوعية «الأخبار السياحية»، وبعد حضور عشرات المعارض الدولية السياحية في الأقطار الأوروبية والعربية والإسلامية وغيرها والقيام بتوزيع المجلة خلالها ومقابلة الشخصيات المهمة التي تعنى بالسياحة، وبعد الاستثمار في أفضل الأجهزة الالكترونية المتطورة، وكذلك مشاركة الكثير من الكفاءات في التحرير والإنتاج باللغتين العربية والإنجليزية والمتابعات وغيرها من التفاصيل التي لا مجال لشرحها، بعد كل ذلك لابد أن نعود إلى السؤال الذي بدأنا به:

ما المقصود من هذا السؤال؟ هل المقصود هو موقع السياحة الإسلامية من عالم الإعلام كمجلة وموقع على شبكة المعلومات الالكترونية؟ أم المقصود الحركة السياحية على اختلاف أشكالها وآفاقها باعتبارها منتجات سياحية تدور مع دوران عجلة الصناعة السياحية عبر العالم؟ الإجابة على الشق الأول من السؤال لا تتطلب أي جهد حيث إن المجلة وموقعها الإخباري يتحدثان عن نفسيهما في كل إصدار وفي كل نشرة إخبارية الكترونية وفي كل صفحة من موقعها الالكتروني، سواء كان ذلك في صفحتها الرئيسية الإخبارية، أو في صفحات البلدان، وهي الصفحات الآخذة في التطور يوما بعد يوم. لقد سعت السياحة الإسلامية للمشاركة في الكثير من النشاطات السياحية في العالم وكتبت عنها، والمراجع للنشرتين الإخباريتين على الموقع الالكتروني يجد كمّا هائلا من الأخبار والتقارير، لقد أصبحت السياحة الإسلامية، كمجلة وموقع، معروفة للأوساط العربية والإسلامية والعالمية، ونحن واثقون من واقعها الحالي ونأمل الكثير من مستقبلها.

والمشكلة تكمن في الشق الثاني من سؤال «أين موقع السياحة الإسلامية؟» وهو المعني في بحثنا هذا. كان حضور مجلة السياحة الإسلامية في معارض السفر والسياحة العالمية حدثا لا يستهان به من حيث طبيعة هذه الصناعة المتعارف عليها عالميا، خصوصا في ظلّ الظروف الأمنية التي تمر بالعالم والتي تحاول بعض الأجهزة الإعلامية لصقها بالإسلام، ونتيجة لهذا الحضور المكثف برز ألف سؤال وسؤال حول السياحة الإسلامية التي فتحت آفاقاجديدة في عوالم السياحة النوعية حيث صناع السياحة يبحثون عن كل منتج سياحي جديد لغرض تطوير وتوسيع أعمالهم، والأمر لا يتعلق بالمجلة وإنما بمشروع سياحة إسلامية قادرة على طرح البرامج والمنافسة في سوق عالمي مزدحم بالبرامج والمشاريع، وهذا الجانب يبدو مخيّبا للآمال، فمن المؤسف أن تكون المنتجات السياحية الإسلامية غائبة عن الساحة الدولية، وتكاد لا تجد لها حضورا في المعارض التي تبرز فيها كل أنواع المنتجات السياحية، والمعارض السياحية تزدحم بكل أنواع السياحة، حتى الغريب منها، حتى تلك التي لا يوجد تأييد أخلاقي أو ديني لها، وقد نظمت لها برامج خاصة.

أما السياحة الإسلامية التي يدور فيها ملايين



ـــوقعها من خارطة السياحة العالمية؟

المسلمين حول العالم والمتمثلة في الحج والعمرة وزيارات العتبات المقدسة في العراق، مثل كربلاء والنجف وبقية المدن العراقية، وغيرها من المدن الأخرى في العالم الإسلامي والتي يحتفل بها الملايين من المسلمين فإن مما يؤلم النفس هو تخلفها عن سياق السياحة العالمية، فهي تفتقر إلى الخطط السياحية والبرامج والوسائل الإعلامية الواضحة، مثل النشرات الإعلامية، الحضور على شبكة الإنترنت، تنظيم الرحلات المختصة والمتضمنة لكلف محدودة، وتحويلها من الطابع الفردي إلى الطابع المؤسسي، ولابد لمسؤولي السياحة الإسلامية والعاملين في حقول السياحة من وقفة تأمل للإجابة على الأسئلة التالية:

١- أين موقع السياحة الإسلامية من خارطة السياحة العالمية؟

٢- أين المنتجات السياحية الإسلامية المنظمة والمبرمجة والتي تلبي متطلبات ملايين المسلمين في العالم لعرضها وتسويقها في المعارض الدولية لتنتقل بدورها إلى الشركات السياحية ومكاتب السفر والسياحة؟

٣- ما المنتجات السياحية النابعة من تراثنا ومعتقداتنا وتوجهات شعوبنا؟

٤- أين شركات ومكاتب ومنظمو سفرات الحج والعمرة وزيارات العتبات المقدسة المنتشرون في أنحاء المعمورة؟ لماذا لم يبرمجوا سفراتهم ولماذا لم يعلنوا عن أنفسهم ويكون لهم حضورهم الفعال في المعارض الدولية والإعلام الدولي؟

٥-ولماذا لا يتوجه وزراء السياحة ومسؤولوها لمساعدة ودعم جهود المبادرين في تسويق البرامج السياحية الإسلامية الكثيرة والجديدة في سوق السياحة والسفر العالمية بدلا من الذهاب إلى المعارض الدولية لتسويق منتجات مقلدة عن منتجات غربية وهم في ذلك كالذي يبيع الماء في حارة السقائين؟

إن زيارة سريعة إلى وكالة من وكالات السفر الغربية، أو في الدول المتقدمة عموما، تطلعك على عشرات السفرات المنظمة التي يطلق عليها في الغرب «باكج ديل» تكون السفرة ذات برنامج منظم ومحسوب بالأيام والساعات، ويكون السائح عارفا بما يصبو إليه ومدى تحقيق البرنامج لطموحاته، ومواعيد حلّه وترحاله، وتنشر هذه البرامج على الجمهور في شكل نشرات جميلة توزع مجانا في الوكالة ذاتها وفي أسواق السفر العالمية والمعارض السياحية.

فلابد إذن من القيام بتوفير البرامج السياحية الإسلامية، وتوفير الأدلاء المثقفين ممن يعرفون المواقع الأثرية جغرافية وتاريخا، ومن القادرين على التخاطب بأكثر من لغة، ومن الضروري الدعاية لهذه البرامج عن طريق الوسائل الحديثة، مثل الإنترنت، والمعارض السياحية العالمية.

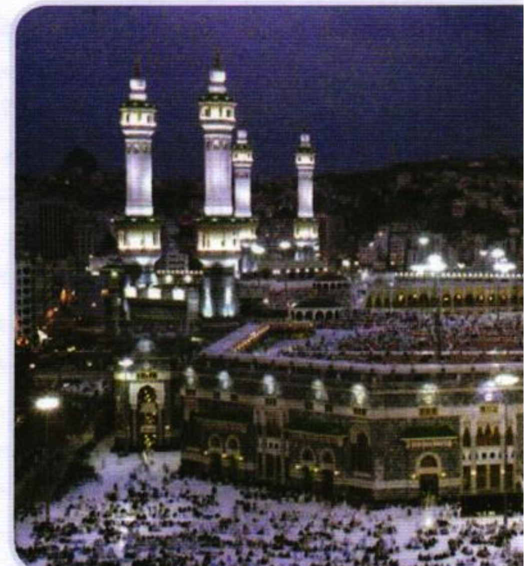
ونحن واثقون أنه إذا لم تبادر الجهات المعنية ببلورة ما جاء أعلاه وتنهض بإبراز المنتجات السياحية الإسلامية بصورة منظمة ومتطورة، فسوف تأتي شركات السياحة العالمية لأخذها والانطلاق بها، بالفعل بدأ الكثير من البنوك العالمية يسوق منتجاته في حقول التعامل بأموال المسلمين بدون ربا، وكذلك الشركات الكبرى ذات الأقسام المتعددة التي تعمل على تسويق المواد الغذائية بالإعلان عن تلبية طلبات زبائنها من اللحم الحلال، وغيرها من المنتجات التي تتوافر فيها الشروط الإسلامية كمنتج مستقل جنبا إلى جنب مع المنتجات الأخرى التي تسوقها لعموم الناس.

ورب قائل يقول: كيف نسوّق منتجاتنا السياحية الإسلامية ونحن نواجه هذه الحملة التخريبية من قبل جهات متطرفة وهي حملة مرفوضة وفق كل المعايير والقيم الإنسانية والإسلامية وكذلك نواجه حملة إعلامية تضخم هذه الأحداث، والهدف هو شل حركة الواقع والحياة، ولكن الحياة تسير بكل همة ونشاط ولا يعيق تحركها أي حادث مهما بلغت درجة بشاعته، ولابد للحكومات من أن تتخذ كافة الاحتياطات لمنع حدوث عمليات التخريب مثل ما حدث أخيراً في كل من كربلاء وبغداد يوم عاشوراء وما حدث في مدريد في أسبانيا بشرط ألا تكون هذه الاحتياطات قرارات عامة تشل حركة السياحة والسفر بين الدول، وخاصة المتجاورة منها، أو منع سفر مواطنيها إلى دولة أو دول معينة، أو فرض قيود مشددة على السفر، مثل الحصول على «الفيزا» والإجراءات الأخرى التي تحد من السفر بين الدول ذات المصالح المشتركة، ومنها السياحة.

وعلى الحكومات أن تتمثل بشعوبها، وكيف أنها استطاعت تجاوز المحن والاستمرار في حياتها اليومية العادية بالرغم مما يواجهها من أنواع الكوارث والمحن، وذلك باجتناب اتخاذ القرارات الزجرية العامة، وإلغائها إن حصلت، لتدع الشعوب تتعايش مع بعضها حتى وإن حدث ما يعكّر أمنها وصفاء حياتها من قبل أفراد أو مجموعات خارجة عن القانون.

فلنجعل أرقام السفر والسياحة بين شعوب المعمورة هي المقياس الذي تتبارى الشعوب وحكوماتها على نيل أفضلها.

وأخيرا لابد من الإشارة في مجال الإجابة على السؤال الذي طرح في بداية هذا المقال إلى أن مجلة السياحة الإسلامية وموقعها على الانترنت قادران ومؤهلان للقيام بالمساعدة في بلورة برامج السياحة الإسلامية وفق ما ورد أعلاه، فبادر بالاتصال بها لتنسيق الجهود لإخراج المنتجات السياحية الإسلامية المنظمة وعرضها في الأسواق العالمية عبر المعارض والشركات السياحية ومكاتب السفر المنتشرة في أنحاء المعمورة.



الزينة في الإسلام

عبدالهادي دحاني



يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

حرص التشريع الإسلامي على ما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة، ماينفعه في دينه، في عقله، في صحته وبدنه، في نفسه وماله ومتاعه، في عرضه وكرامته، في كل شأنه.. وتزداد أهمية التشريع الإسلامي إذا قارناه بالتشريعات الأخرى، حيث تبدو سعادة المرء في ظل الإسلام واضحة في الدارين.

وإذا جلعنا مجال هذه المقارنة ما أحله الله من الزينة وما حرمه، حيث التشريع الإسلامي جعل لكل شيء قدراً، ولكل قدر منفعة، ولكل منفعة أجرا، وجدنا التشريعات الوضعية التي شرعها الإنسان لا تخدم إلا المصلحة المادية ولو كلفها ذلك التضحية بالعرض والكرامة.

فهانحن نرى النفوس والعقول التي لا تحتكم الى شرع الله، تلهث وراء الشهوات، ولا تبالي بارتكاب المحرمات، إذ أكثر الناس في سكراتهم يعمهون، وفي غفلاتهم ساهون، ويوما بعد يوم تزداد المنكرات تنوعا، وتتسع المجالات للمزيد من التمرد والعصيان والفسوق والهذيان.

لقد خلق الله في مخلوقاته غرائز، وجعل هذه الغرائز تخدم بقاء الإنسان ومصلحته في الوجود، ومنها الغريزة الجنسية، جعلها الله في الإنسان بهدف الحفاظ على النسل، وقد جعلها في الحيوان كذلك للغرض نفسه، إلا أنها ترتبط في الحيوان بمواسم التكاثر، وهذا هو الفرق بين الحيوان والإنسان الذي خلق الله فيه الغريزة الجنسية من دون ارتباط بموسم أو وقت معين، وجعلها بذلك مرتبطة بحكمة الحفاظ على النسل وتكاثره.

ولقد صان الإسلام هذه الغريزة من الزيغ والضلال والانحراف والفساد، وهذبها بتعاليمه، حتى صارت ثوابا يؤجر الإنسان على اتيانها في الحلال وحفظها من الحرام، وجاءت الآيات بل سورة بكاملها مثل سورة النور تحث على صيانة هذه الغريزة الإنسانية من الفساد، وجاءت الأحاديث النبوية الكثيرة، تعزز هذه الصيانة في الحفاظ على النسل من العبث، وعلى النسل من الاختلاط، وعلى المجتمع من الجريمة والرذيلة.

ولو أردنا أن نعرف أهمية الإسلام في الحفاظ على الغريزة الجنسية من الفساد، فلننظر إلى المجتمعات الغربية حيث ترتفع نسبة جرائم الاغتصاب جهاراً وعلى مرأى ومسمع، إضافة إلى الوحشية في ارتكاب هذه الجرائم، والتي تنتهي في أغلبها بقتل الضحايا، من فرط الشذوذ وشدة الانحراف.

فلماذا يحدث هذا في بلدان الغرب، حيث الحريات والحقوق، وعلى رأسها الحرية الجنسية؟ ولماذا شاعت في هذه البلدان الشيوعية الجنسية، حتى صار من السهولة بمكان الحصول على المتعة الجنسية الحرام، وتنوعت أشكال هذه المتعة المشاعة حتى أورثت في النفوس الملل، مما دفع بها إلى الممارسات الشاذة والسادية والحيوانية وأقبح من ذلك مما يتنافى مع فطرة الإنسان؟!

هذا حال المجتمعات الغربية، ولكن ما هو حال المجتمعات الإسلامية التي دأبت تتبع سنن هذه المجتمعات الضالة والمنحرفة شبرا بشبر وذراعاً بذراع، حتى دخلت من ورائها أوكار الفساد وأوحال الرذيلة، فلقد تلبس كثير من الضالين في المجتمعات الإسلامية والعربية بما تلبس به أهل المجتمعات الغربية المنحرفة، يقلدونهم، حتى صاروا كالأنعام بل أضل، لقد كثر دعاة الإباحية من داخل هذه المجتمعات، ممن

فتنوا بحضارة العري والفسوق، وتجاهلوا التشريع الإسلامي الذي ينظم جميع العلاقات الإنسانية، ومنها العلاقة الجنسية.

ومن المعلوم أن الإسلام يعتمد في تشريعه النظافة في كل شيء.. النظافة في الفكر، في السلوك، في الباطن والظاهر، في القلب والجوارح، وهذه النظافة أساسها الوقاية، لأن الإسلام لا يحارب الغرائز الفطرية، وإنما ينميها ويضمن لها الجو النظيف الذي تحيا فيه وتنمو، وهو الجو الخالي من الفساد والانحراف عن الصواب وعن الصراط المستقيم.

ولقد توصلت أحدث المناهج التربوية اليوم إلى أسلوب الوقاية الذي أقره الإسلام منذ جاء، ونهج معه تضييق الفرص على أسباب الغواية، وإبعاد أسباب الفتن وعواملها، وقطع دابر الإثارة والتهييج، مع إزالة العوائق التي تحول دون الإشباع الفطري والطبيعي بوسائله النظيفة والمشروعه.

ومن هنا نزلت الآيات القرآنية تحدد التعامل الصحيح والنظيف داخل البيوت وخارجها، والحفاظ على الحرمات، فلا يجوز المساس بها، ولا يفاجأ الناس في بيوتهم بدخول الغرباء عليهم إلا بعد الاستئذان، مع غض البصر من الرجال والنساء، وعدم التبرج لإثارة الشهوات.

ومن هنا أيضاً حث الإسلام على الزواج لأن الإحصان هو الضمان الحقيقي لمحاربة الزنا والفاحشة، فقال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، ذلك خير لكم لعلكم

الآيات القرآنية حددت التعامل الصحيح والنظيف داخل البيوت وخارجها

تذكرون﴾ (النور:٢٧).

وقال تعالى أيضاً في الوقاية من فساد الزنا والتبرج ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ (النور:٣٠-٣١).

وما الزينة التي يجوز للمرأة أن تبديها؟

إن المرأة لا تلام على حب الزينة والتزين، بل إن ذلك مطلوب منها شرعاً، وهي مأمورة به بمثل قول النبي ﷺ «إن نظر إليها سرته» (رواه بن ماجة)، ولولا الزينة لما رغب رجل في امرأته، ولكن المطلوب في الزينة هو عدم المبالغة، والتوازن بين الاهتمام بالظاهر والاهتمام بالباطن، إلا أن كثيرا من نساء اليوم غلبن جانب الاهتمام بالمظهر على سواه، لقد شرع الإسلام للمرأة أن تتزين بالثياب والحلى والطيب والخضاب والكحل والدهن والصبغ، ولكنه جعل لهذه الزينة شروطا تحافظ على سرها وهدفها، وهذا ما بينته الأحاديث الصحيحة بمفهوم المخالفة، من مثل الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله»، وفي الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة»، فلعنة الله ورسوله تحل بالواشمة التي ترسم الأشكال على الجلد، والمستوشمة التي تطلب الوشم، والمتنمصة التي تغير حواجبها بترقيق الشعر أو نتفه، إلا أن يكون ذلك غير طبيعي، فهذا جائز، والمتفلجة التي تباعد بين فلجات الأسنان قليلا للإغراء والإثارة، والواصلة التي تصل شعر الرأس بشعر آدمي آخر، لأن فيه تغيير لخلق الله.

فلماذا تتزين المرأة، وتكلف نفسها ومالها وصحتها ووقتها هذا العناء؟! إن كان للزوج، فلا أظن أن زوجا كريما يريد أن يشق على زوجته حتى تتكلف ما لا تطيقه من الزينة لتسعده، بل السعادة الزوجية كامنة في حسن الخلق، والزينة الحقيقية هي ما لم يكن فيها تكلف، وكانت بطريقة فطرية وطبيعية.

ومع ذلك فالإسلام يبيح للمرأة أن تتزين، وأن تظهر زينتها لمن ذكرهم الله في القرآن، حيث قال ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ (النور: ٣١).

وما أظهرت المرأة زينتها لغير هؤلاء الذين ذكرهم القرآن الكريم إلا ولعنتها الملائكة، وكانت زانية ومرتكبة لمعصية التبرج، لأنها تريد بزينتها هدفا لاأخلاقيا أو هدفا غير نبيل، فلا تظهرها لمن أحل الله، بل لمن حرم الله، وهذا هو الهدف الذي يرمي الى الزنا والفاحشة، وكل ذلك يوجب غضب الله ومقته، سواء على من قام به أو رغب فيه أو سهل له سبيلاً أو ساعد عليه من زوج أو أب أو أخ أو أم أو معين، وسواء أكان فرداً أم جماعة أم مؤسسة أم هيأة أم إعلاماً أم برنامجاً سمعياً وبصرياً.

ولهذه الأسباب حذر الله تعالى من إظهار الزينة في غير ما أحل الله لأنها بريد الزنا وتهدف إلى إشاعة الفاحشة والترغيب فيها، فقال تعالى ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقال رسول الله ﷺ «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس كذا وكذا زانية» وهو الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وفي رواية النسائي وابن خزيمة وابن حيان في صحيحيهما «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية»، والعين الزانية هي الداعية إلى الزنا، فهي فاسقة عاصية بفعلها هذا، وكل نظر إلى ما لا يحل من عورات النساء فهو معصية، لأنه نظر محرم داع إلى الزنا والفاحشة ومهيج لشهوة الحرام.

السياحة البيئية.. ترويح في مناطق غير ملوثة

محمد الفقي



تعَدُّ صناعة السياحة من أسرع القطاعات الاقتصادية نمواً، وهي تشكل نحو ٢٠ في المائة من الدخل العالمي. ووفقاً لتقديرات منظمة السياحة العالمية في سنة ٢٠٠٠م، فإن نصيب السياحة البيئية ecotourism من تلك الصناعة يتراوح من ١٥ إلى ٢٠ في المائة. وقد بدأ الاهتمام بالسياحة البيئية على المستوى الدولي منذ عام ١٩٨٠، وتمثل ذلك في إعلان «مانيلا» الذي أكد في أحد بنوده على أن السياحة بكل أنواعها يجب ألا تلحق الضرر بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق السياحية، أو بالبيئة والموارد الطبيعية والمواقع التاريخية والثقافية، كما شدد هذا الإعلان على أن تلك الموارد جزء من تراث البشرية الطبيعي، وأنه يجب على المجتمعات المحلية الوطنية والمجتمع الدولي بأكمله القيام بالخطوات اللازمة التي تكفل الحفاظ عليها وحمايتها وتنميتها، وأكدت الجمعية العامة لمنظمة السياحة العالمية على هذا التوجه الجديد في مدينة صوفيا البلغارية عام ١٩٨٥ عندما تبنت ما عرف بقانون الحقوق السياحية أو واجبات السياح والتزاماتهم، واتخذت قراراً بضرورة تبني الدول لسياسات سياحية تقوم على أساس حماية الطبيعة واحترامها وتنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الناس نحو مكونات البيئة الحية وغير الحية، كما أكدت على واجبات السائح والتزاماته تجاه المواقع السياحية التي يقوم بزيارتها، ثم بعد ذلك جاءت المؤتمرات الأخرى لتدعم هذه النظرة وهذا التوجه الجديد نحو تنمية السياحة البيئية.

كان من التعاريف الأولى لمصطلح السياحة البيئية ذلك التعريف الذي اقترحه الباحث سيبالوس لاسكورين Ceballos-Lascurain في عام ١٩٨٥، والذي ينص على أن السياحة البيئية هي السياحة التي تتطلب السفر إلى مواقع طبيعية فطرية غير ملوثة، بهدف دراسة الموقع وتقديره، والتمتع به، إضافة إلى الاستفادة من التراث الثقافي للمنطقة.

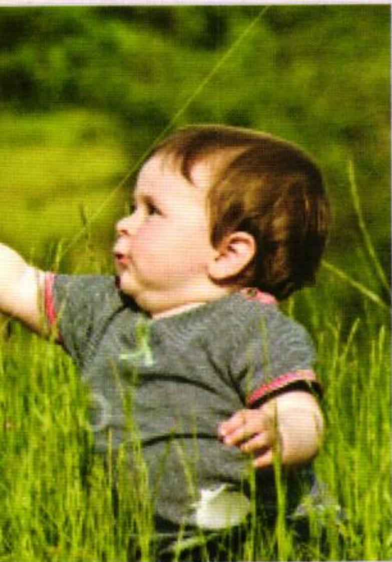
ومن التعريفات الأخرى للسياحة البيئية أنها ذلك النوع الترويحي من السياحة الذي يرتبط بالبيئة، أو بمعنى آخر هي توظيف البيئة لكي تمثل نمطاً من أنماط السياحة التى يلجأ إليها الفرد للاستمتاع بجمال الطبيعة، وبكل ما حوله في البيئة البرية والبحرية.

وقد عرف الاتحاد العالمي لصون الطبيعة السياحة البيئية بأنها الترحال المسؤول بيئياً، والزيارة إلى مناطق مازالت نسبياً محتفظة بحالتها الطبيعية، وذلك من أجل الاستمتاع بالطبيعة وحمايتها وتقدير قيمتها، والاستمتاع بالمظاهر الثقافية الأخرى المرتبطة بها، إضافة إلى دعم الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان المحليين. وبتعبير آخر فإن السياحة البيئية هي لون من ألوان الترويح يهدف إلى الاطلاع على معالم الموروثات السياحية الحضارية والأثرية والدينية والصحية والطبيعية بكل عناصرها (مصادر المياه المعدنية، والنباتات، والحيوانات، والطيور، والجبال، والغابات، والصحراء)، مع المحافظة عليها وفقا لخطة إستراتيجية بعيدة المدى تستهدف إيجاد سياحة شاملة رفيقة بالبيئة.

أما السائح البيئي فهو السائح المسؤول الذي يحمي ويحافظ على الحياة الفطرية ومواطنها الطبيعية ويحترم عادات وثقافات المنطقة المزورة.

أهداف السياحة البيئية

تهدف السياحة البيئية إلى استثمار مقومات الحياة الفطرية وموائلها الطبيعية في الكثير من الدول، وهي تسهم في الوقت نفسه في تنشيط



الاقتصاد الوطني، إضافة إلى دورها الملموس في حماية الحياة الفطرية وموائلها الطبيعية، ولهذا، فإن أهم عنصر تقوم عليه السياحة البيئية هو عدم إحداث إخلال بالتوازن البيئي الناتج عن تصرفات الإنسان والتى تكون متمثلة فى تصرفات السائح وما قد يحدثه من تلوث فيها.

وتتمثل الأنشطة التى ترتبط بالسياحة البيئية فيما يلي:

- تسلق الجبال واستكشاف الوديان.
- تأمل الطبيعة واستكشاف ما فيها.
- الرحلات في الغابات ومراقبة الطيور والحيوانات.
- إقامة المعسكرات.
- رحلات الصحراء.
- تصوير الطبيعة.
- التجول في المناطق الأثرية.

وثمة نوع خاص من السياحة البيئية يسمى: السياحة البحرية والساحلية، وهذا النوع يعد من أكثر الأنواع نمواً وازدهاراً، ويعرف بالسفر المسؤول إلى المناطق البحرية الطبيعية التي تحمي البيئة وتدعم حياة السكان المحليين. والمناطق البحرية التي تصلح للسياحة البيئية البحرية هي الشعاب المرجانية، ومناطق غابات القرم (Mangroves)، ومناطق المد والجزر التي بها حظائر تقليدية لصيد الأسماك، والبيئات الساحلية الرملية البكر والنظيفة، أما الأنشطة التي يمكن القيام بها ضمن هذا النوع من السياحة، فتشمل مشاهدة الحياة الفطرية البحرية، مثل: الحيتان والدلافين وبقر البحر والسلاحف وغيرها، وصيد الأسماك بالطرق التقليدية، والغوص ومشاهدة الشعاب المرجانية والأسماك الملونة التي تحوم حولها.



السياحة البيئية هي السياحة التي تتطلب السفر إلى مواقع طبيعية فطرية غير ملوثة

الفنادق البيئية

بدأت منذ أكثر من عقدين من الزمن فكرة إنشاء فنادق أو أكواخ خاصة للسياح في مناطق الحياة الفطرية الطبيعية، بحيث تكون منسجمة مع مباني المواقع وتراثها الثقافي والمعماري والبيئي، وتكون مصممة بشكل متجانس مع طبيعة المنطقة، ومتوافقة مع الاعتبارات البيئية، وتكون هذه الفنادق قريبة جداً من المناطق التي تزدهر بها الحياة الفطرية، أو في المواقع التي تعيش فيها الحيوانات والطيور المختلفة.

وقد حددت بعض المعايير والمواصفات التي يجب الالتزام بها لكي يطلق على الفندق اسم «الفندق البيئي»، وهي:

- أن يحمى الفندق وتنمى المنطقة المحيطة به من ناحية الحفاظ على الحياة الفطرية والتراث الثقافي والمعماري الذي تتميز به المنطقة.
- أن يكون له تأثيرات سلبية محدودة على تراث المنطقة الطبيعي والثقافي أثناء البناء والتشغيل.
- أن يكون بناؤه متجانساً ومنسجماً مع العمارة المحلية التقليدية ويعكس تراثها الثقافي، وتستخدم في بنائه مواد بناء محلية، وتوضع فيها مواد وأجهزة تقلل من استهلاك الموارد الطبيعية وتخفض من إنتاجها للمخلفات الصلبة والسائلة والغازية.
- أن يصمم بأسلوب بيئي مستديم، من ناحية حماية الثروات الطبيعية الحية وغير الحية، وترشيد استهلاك الموارد مثل الماء والكهرباء والطاقة بشكل عام.
- وضع خطة متكاملة للإدارة المستديمة للمخلفات الصلبة والسائلة، مع التركيز على سياسة المنع والوقاية.
- توظيف السكان المحليين في الفندق.
- تدريب العاملين على اتباع الممارسات السليمة التي من شأنها حماية الموارد والثروات الفطرية، والمحافظة على استدامتها.
- نشر المعلومات للزوار وتوعيتهم بأهمية المحافظة على المنطقة بشكل عام.
- الإسهام في التنمية المستديمة للمنطقة من خلال البحث العلمي والتدريب المستمر.

مميزات مناطق السياحة البيئية

هناك خصائص ومميزات عدة تجعل المنطقة مؤهلة لجذب السياحة البيئية، وتشجيع السياح على زيارتها، وقد حددت المنظمات المعنية بالسياحة بعض المعايير لهذه المناطق، ومنها:

- المنطقة التي احتفظت بهويتها الطبيعية التي خلقها الله عليها دون تدخل بشري مباشر.
- منطقة ذات كثافة تنموية قليلة، وتغلب عليها صفات الحياة الفطرية.
- المناطق ذات التأثير والتدخل البشري البسيط، مثل موائل الحياة الفطرية والسواحل الرملية.
- المناطق التي يقطنها السكان المحليون، والمعروفة بعاداتهم وتقاليدهم الفطرية الفريدة من نوعها، ومهنهم وحرفهم التقليدية الغريبة على المجتمعات الأخرى.
- توافر مناطق ترفيهية وترويحية محمية للزوار والسكان، مثل الخطوط الخاصة بالدراجات أو مسارات المشي والجري في الغابات وعلى السواحل الصخرية.
- وجود فنادق بيئية سياحية متجانسة ومتوافقة مع التراث الهندسي والثقافي والبيئي للمنطقة، إضافة إلى توافر مراكز للهدايا الشعبية والتقليدية.
- المناطق التي تكثر فيها الاحتفالات التقليدية الموسمية للسكان المحليين.
- المناطق التي تتوافر فيها مرافق صحية ونظيفة للزوار.



الخضرة والماء والوجه الحسن .. مقومات السياحة البيئة

السياحة البيئية في المجتمعات القديمة

لا تعني حداثة مصطلح «السياحة البيئية» أن هذا اللون من السياحة لم يكن معروفا من قبل، فالواقع أن السياحة البيئية قديمة قدَم وجود الإنسان على الأرض، لأن الترويح عن النفس أمر فُطر الإنسان عليه، والعبارة المأثورة «ثلاث من السعادة: الخضرة، والماء، والوجه الحسن» تنطبق على مقومات السياحة البيئية التي كان ومايزال الإنسان حريصا عليها في تنقلاته، وربما مارس الإنسان القديم السياحة البيئية دون أن يدري، وذلك في أثناء انتقالاته من مكان إلى آخر سعيا وراء العشب والماء، أو هربا من خطر الحيوانات المفترسة، أو لاستكشاف المناطق المحيطة به، أو في سياحته في الأرض لأغراض التجارة أو العبادة.

وكان عرب الجاهلية يقومون بالسياحة البيئية، ولكن دون أن يعرفوا هذا المصطلح، فالممارسات اليومية لهم، وأساليب حياتهم، تؤكد على أنهم كانوا يمارسون هذه السياحة بشكل تقليدي وطبيعي، فليس بالأمر الجديد عليهم ارتياد الصحاري والاستمتاع بأجوائها النظيفة وهوائها النقي، والحياة الفطرية التي تزدهر فيها، وبخاصة في مواسم الربيع حين تتزين الرمال الصفراء بالأزهار والأنوار والنباتات الجميلة ذات الألوان الزاهية.

كانت بلاد اليمن السعيد من البلدان التي يؤمها سكان الجزيرة العربية للسياحة، ولدينا شاهد على ذلك يورده زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد»، إذ يصف رحلة سياحية لأحد أبناء الملوك كان يدعى ذا حرث مع مجموعة من رفاقه. يقول القزويني: «قال هشام بن محمد الكلبي: كان ذو حرث من أهل بيت الملك يعجبه سياحة البلاد فأوغل في بعض أوقاته في بلاد اليمن فهجم على أرض فيحاء كثيرة الرياض، فأمر أصحابه بالنزول وقال: يا قوم إن لهذه الأرض شأناً، لما رأى من مياهها ورياضها، ولم ير بها أنيساً فأوغل فيها حتى هجم على عين عظيمة نظيفة بها غاب ويكتنفها ثلاث آكام عظام...».

السياحة البيئية في الإسلام

الشائع لدى أهل العلم أن سياحة التفرج والتنزه سفر مباح، وليس هذا بالأمر الغريب في شريعة الإسلام، لأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص يوجب التحريم. وقد صرّح الشّافعيّة والحنابلة بأنّ السّفر لرؤية البلاد والتّنزّه فيها مباح، على نحو ما هو موضح في «الموسوعة الفقهية» في مادة «سفر» وإذا كان الأمر كذلك، فإن السياحة البيئية مباحة أيضا، للاتفاق في المقصد، ولعدم وجود مانع شرعي يقتضي التحريم، لاسيما أن القرآن الكريم يحفل بالعديد من الآيات التي تحث الإنسان على السير في الأرض والسياحة فيها لمشاهدة بدائع خلق الله قال تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق...﴾ (العنكبوت: ٢٠) وقال عز وجل: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون...﴾ (يونس: ١٠١) وقال جلت حكمته: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة...﴾ (لقمان:٢٠) وقال: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ (الروم: ٥٠).

وقد عرف المسلمون السياحة البيئية، واستقراء النثر والشعر العربي يدلنا على ذلك، فقد قيل لأعرابي: أي شيء رأيت أحسن؟ فقال الأعرابي: ظباء رائعة، في رياض يانعة، والشمس طالعة. وهي مقولة تنم عن نفس تعشق الجمال البيئي وتقدره، وتفتتن به. وكان للفتوحات الإسلامية أثرها في فتح آفاق السياحة البيئية وإطلاع العرب الذين جاءوا من البادية على بيئات جديدة لم يعهدوها في جزيرتهم، فالفرزدق، الشاعر الأموي

المعروف، يصور لنا، مثلاً، الثلوج وهو في بعض رحلاته إلى دمشق. وفي العصر العباسي، يتحول الشعراء عن وصف البداوة والصحراء إلى وصف مظاهر الحضارة، كالرياض وبرك الماء. وينصرف الشاعر العباسي عن وصف الظباء والغزلان في بيئاتها الصحراوية، إلى وصفها في بيئات متحضرة كالقصور والبساتين.



وتحفل كتب التراث الإسلامي بأسماء المواضع التي كان يقصدها الناس للترويح عن أنفسهم.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في «صبح الأعشى»: «منتزهات الأرض أربعة مواضع وهي: سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الأبلة وغوطة دمشق». وكانت منطقة «الهدا» الجبلية في الطائف مقصد أمراء مكة وأغنيائها، يفدون إليها في فصل الصيف للاستمتاع بجوها الجميل، كما كانت مدينة الطائف نفسها مقصد أولئك الذين يرغبون في الاصطياف في منطقة بيئية ذات مناخ مناسب. قال الأصمعي: «دخلت الطائف فكأني كنت أبشر، وكان قلبي ينضح بالسرور، وما أجد لذلك علة إلا انفساح جوها وطيب نسيمها». وحظيت بعض الأقاليم بشهرة كبيرة في مجال السياحة البيئية لتوافر كل مقومات السياحة البيئية الناجحة، ولعل ما قاله المسعودي في وصف إقليم العراق خير دليل على ذلك، فهو يتسم بـ «اعتدال أرضه وغضارة عيشه، وعموم الأمن فيه، وبعد الخوف عنه».

وقد أبدع لسان الدين بن الخطيب في وصف بساتين غرناطة وجناتها التي تحيط بها، والتي كان يؤمها سكان المدن الأندلسية للتنزه والتريض، يقول في «الإحاطة في أخبار غرناطة»: «ويحف بسور هذه المدينة، المعصومة بدفاع الله تعالى، البساتين العريضة، والأدواح الملتفة، واختصت جنات غرناطة من أشجار العاريات ما قصرت عنه الأقطار، ولأهل الحضرة بهذه الجنات كلف، وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقا مرقوما، يتصل بما وراءها من الجبال، فنعم الربى والوهاد، وأما ما استند إلى الجبل فبساتين رائقة، وجنات لا نظير لها في اعتدال الهواء، وعذوبة الماء، والإشراف على الأرجاء والرياحين النضيرة».

ومما يسترعي انتباهنا في النص السابق قول الكاتب: «ولأهل الحضرة بهذه الجنات كلف»، فهو يعني أن سكان المدن المجاورة لهذه البساتين والجنات كانوا يقصدونها كنوع من السياحة البيئية الداخلية.

وتحدثنا كتب التاريخ أن «نور الدين زنكي» أنشأ قصرا للفقراء بالربوة في الشام، تحف به الحدائق ذات الأشجار الباسقة ليصطاف فيه الفقراء كما يصطاف الأغنياء في مصايفهم وحدائقهم الخاصة بهم، وقد جعل لهذا القصر وما يحيط به من حدائق موارد مالية، وأوقف عليه قرية «داريا» من قرى غوطة دمشق.

ومن الطريف أن نجد نصا في التراث يتحدث عن تخصيص يوم كامل في الأسبوع لممارسة السياحة البيئية الداخلية، فقد كان مما استرعى انتباه ابن بطوطة حين زار «دمشق» أن أهاليها يقضون كل «سبت» في التنزه والتريض بين البساتين والأنهار. يقول: «وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا، إنما يخرجون إلى المتنزهات وشطوط الأنهار ودوحات الأشجار، بين البساتين النضرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم إلى الليل».

وكانت بعض الشخصيات البارزة في المجتمع الإسلامي تتوجه إلى المناطق الجبلية للاصطياف فيها لبرودة جوها ونظافة هوائها، بل إن بعض الشخصيات العامة كانت تقلد هؤلاء، فهذا أبو الحسن المسعودي يحدثنا في مروجه عن أهل المروءات في الإسلام كأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وغيره، فيذكر أنهم كانوا يشتون في الحرور (وهو العراق) ويصيفون في الصرود (وهي الجبال)، وفي ذلك يقول أبو دلف:

وإني امرؤ كسروي الفعال
أصيف الجبال وأشتو العراقا

والشاهد أن فعل السياحة البيئية هاهنا منسوب إلى أهل المروءات في الإسلام.

وأخيرا، فإنه يمكن تحويل السياحة البيئية إلى سياحة دينية إذا قصد المرء من ممارستها التدبر والتأمل في البيئة للتعرف من ذلك على الخالق عز وجل.

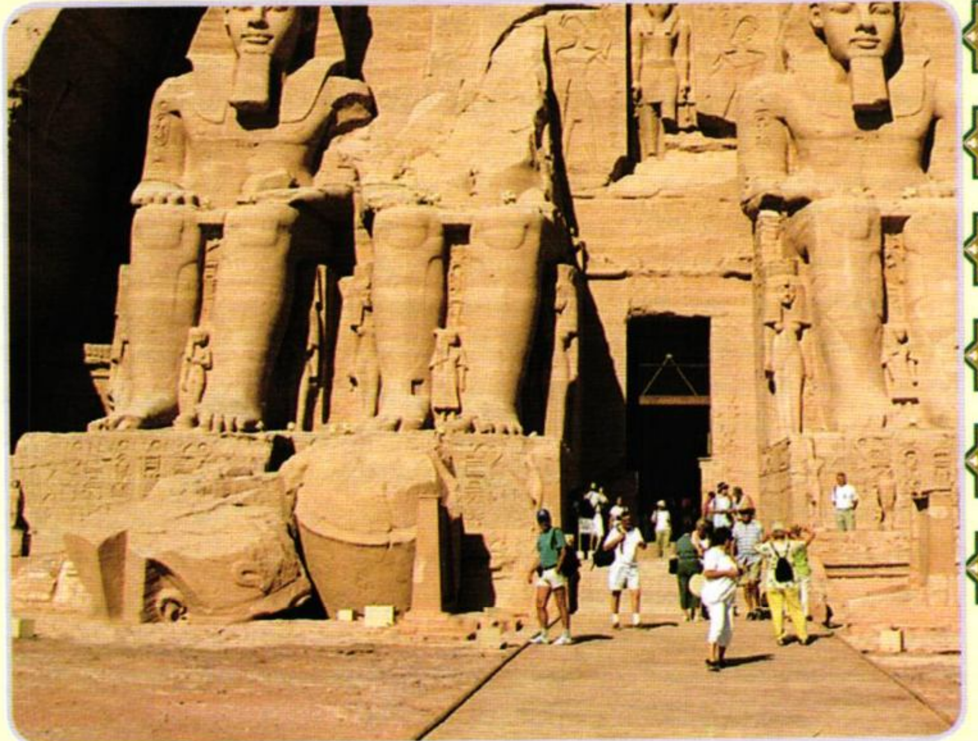
الآثار .. دعوة للتأمل

أشرف شعبان

قال تعالى في سورة (آل عمران: ١٣٧-١٣٨) ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ حيث أمر الله تعالى بالسير في الأرض والنظر في عاقبة من سبق من الأمم المكذبة، وقد وردت آيات كثيرة قريبة في المعنى من هذه الآية وتبلغ ست آيات بلفظ الأمر وسبع آيات بلفظ المضارع، والسير في الأرض إما حسي بالترحال والانتقال، وإما معنوي بالنظر في كتب التاريخ وتحصيل أحوال الأمم، وللمَشاهد أثر أقوى من السماع والقراءة.. (١) والغرض من السير في الأرض والنظر في عاقبة من سبق من الأمم المكذبة، هو الاتعاظ بما آل إليه حال هذه الأمم بسبب تكذيبهم لأنبياء الله وإنكارهم لوحدانيته سبحانه وتعالى، وقد قص القرآن الكريم عن أمم مكنت في الأرض بأن أعطيت ما لم يعط لغيرها، من مال وجاه وقوة وعدة وعتاد، وما أن ازدادت ذنوبهم، حتى دمر كل شيء عليهم وأهلكوا على آخرهم، قال تعالى ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ (الأنعام:٦)، والسير في الأرض وتأمل ما كانت عليه الأمم السابقة وما صارت إليه، يوجه الحس إلى قوة الله الكبرى، هذه القوة التي لا يغلبها شيء ولا يعجزها شيء والتي كما أخذت الغابرين فهي قادرة على أخذ كل المكذبين في كل زمان ومكان، قال تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ (فاطر:٤٤)، وكما أنها دعوة للتأمل في مصائر الغابرين، فهي أيضا دعوة لإدراك حقيقة هذه الحياة، وحقيقة هذه الإنسانية الموحدة المنشأ والمصير، والتي تحكمها السنن والنواميس نفسها، كي لا ينعزل جيل من الناس بنفسه وحياته وقيمه وتصوراته، ويظن واهماً بقدرته على اخضاع هذه السنن والنواميس لأهوائه، فعندما تنطبق عليهم مشيئة الله وإرادته فلن تنفعهم قوتهم ولن يغني عنهم علمهم ولا حضارتهم (٢) ومن أجل هذه الحكمة أمر الله تعالى البحر أن يلقي بجسد فرعون سوياً بلا روح، وعليه درعه المعروفة على مكان مرتفع من الأرض ليتحقق بنو إسرائيل من موته وهلاكه بعد أن شكك بعضهم في موته وليكون لهم ولغيرهم عبرة وعظة، قال تعالى ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ (يونس: ٩٢)، (٣)، وعلى الرغم من أن التقدم العلمي والتكنولوجي في سائر مجالات الحياة في عصرنا هذا يفوق ما وصل إليه الفراعنة فإننا لم نصل إلى ما وصلوا إليه في علم أو فن التحنيط، وقد هداهم المولى عز وجل لذلك ليحافظوا على جثثهم في شكل يقارب شكلها أثناء الحياة لتكون لنا ولغيرنا شاهدة عليهم.

فكما كان كل ماسبق دليلا على جواز السفر في فجاج الأرض للاعتبار بالنظر فيما حوت من عجائب مخلوقات الله فإنه لدليل على عدم التعدي على الآثار والحفاظ عليها لنا ولغيرنا، وعلى أهمية وجودها لدلالاتها على عاقبة المكذبين، وبالنظر فيها يحصل التحقيق مما بلغ عن أخبارهم، والسؤال عن أسباب هلاكهم وكيف كانوا وإلى أين صاروا،

السير في الأرض وتأمل ما كانت عليه الأمم السابقة وما صارت إليه يوجه الحس إلى قوة الله الكبرى



فإن حصلت هذه المعرفة بغير السير في الأرض كان المقصود حاصلا. (٤).

ومن الثابت تاريخياً أن الملوك والخلفاء المسلمين كانت ترعى بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها وإن كانوا أعداء لأربابها، وكانوا يفعلون ذلك لمصالح وأهداف، منها لتبقى تاريخا يتنبه به على الاحقاب، ومنها أنها مذكرة بالمصير ومنبهة على المآل، ومنها أنها تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم وصفاء فكرهم، وفي رؤيتها تصديق لماجاء بالكتب المنزلة. (٥)، ووجود كثير من الآثار على حالها دليل على أن هذه الآثار لم تمس بسوء من جانب المسلمين، وأكبر شاهد على ذلك المسلات الفرعونية التي ظلت على حالاتها كما هي إلى أن سرقت في عهد الاحتلال الإنجليزي لمصر، بل وقد أفاض كثير من المؤرخين المسلمين في وصف الآثار الفرعونية وانبهارهم بها، كما ثبت أيضا أن معابد الكنهة استخدمت ككنائس، ولما كان المسلمون لا يعتدون على الكنائس فقد تركت المعابد الفرعونية التي اتخذها الأقباط كنائس لهم كما هي، فعند انتشار المسيحية في مصر قبيل الفتح الإسلامي لها، حولت بعض معابد مدينة الأقصر إلى كنائس وتعرضت نقوش المعابد للتشويه سواء لأنها من آثار الوثنية، أو لإخفاء الصور الفاضحة للنساء العاريات والأعضاء الجنسية للرجال التي كانت منقوشة على جدران هذه المعابد، وذلك إما بالطمس أو بالتغطية باستخدام مواد جصية «إسمنتية»، ولكن عوامل التعرية والظروف الجوية ومرور الزمن أسقط بعض هذه التغطيات وظهرت الرسوم الفرعونية القديمة من تحتها. (٦).

المراجع

١- الصيحة الحزينة في البلد اللعينة محمد بن رزق بن الطرهوني ص ٣٧ وص ٤٢.

٢- في ظلال القرآن سيد قطب ج ٥ ص ٢٧٦٠ وص ٢٩٥٠ بتصرف.

٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص ٤١٣.

٤-الصيحة الحزينة في البلد اللعينة محمد بن رزق بن الطرهوني ص ٤٤ وص ١٢.

٥- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوارات المعاينة بأرض مصر عبداللطيف البغدادي ص ٣٤.

٦- الموسوعة المصرية بتاريخ مصر القديم وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول ص ١١٥.

الابتسامة.. سر السعادة

أميرة سليمان أبوجبة

«كثرة الضحك تميت القلب» هذه المقولة قديمة ولكننا لا نستعلمها اليوم، لأن الابتسامة وليس الضحك أصبحت شحيحة في أيامنا الحالية بسبب الضغوط والتوتر والأمراض العصرية، ولكننا نقدم لك «اضحك تضحك الدنيا لك» فالابتسامة على وجه المرأة تشبع الحب والدفء والمودة في قلوب الآخرين، وتجعل صاحبتها قادرة على الاستمرار في ظل الظروف الراهنة.

اتركي عزيزتي كل شيء وقفي أمام المرآة وتطلعي إلى وجهك فإذا وجدت وجهك عبوساً حاولي أن ترسمي ابتسامة ولو خفيفة، وهناك تجدين ملامح وجهك تغيرت إلى الأجمل والأفضل وتألق حالك وستشعرين بالاسترخاء وإشراقة وجهك وانك أكثر ثقة بنفسك، وخصوصا اذا كنت تعلمين فما ذنب الآخرين ان يشاهدوا هذا العبوس، وهناك مثل صيني يقول «إن الذي لا يحسن الابتسامة لا ينبغي أن يفتح دكانا» فالأفضل أن تتحلى المرأة بالابتسامة حتى ولو كان هذا من وراء قلبها، ومع مرور الوقت يصبح التمثيل في الابتسامة واضحاً وملموساً يشع من القلب بالرضا والسرور للوضع القائم.

إن لقلة الابتسامة والضحك انشأ موقع على الانترنت لمتحف خاص فريد من نوعه يضم المتحف بين أرجائه ابتسامات مختلفة لنجوم العالم، بالاضافة إلى مشاهير السينما والسياسيين في صور وأوضاع تثير الضحك لمحاولة اقتناص الضحك من المشاهد لأنه عملة غير موجودة، ولاقبال المشاهدين على هذا الموقع ثم عمل استفتاء أو مسابقة لأفضل ابتسامة وضحكة على الانترنت والتصويت لمشاهدي الموقع، إن الفتيات اللاتي يتمتعن بالابتسامة يتمتعن بزواج سعيد وبصديقات أكثر، أما المشاكل الصحية فقد تكون عندهن أقل من زميلاتهن، وكذلك بالنسبة للأمراض العقلية فقد تكون أقل، والملاحظ لهؤلاء الفتيات إنهن يتمتعن بنجاح مهني ويحصلن على فرص عمل أفضل، يقول مدير أحد مصانع الصلب في أميركا وكان يتقاضى مليون دولار سنوياً «لقد أكسبتني ابتسامتي مليون دولار» أما إذا كانت سيدة فهي محبوبة بين زميلاتها وقادرة على سير العمل مهما كانت الظروف وتتمتع بحياة أسرية سعيدة والتفاف اطفالها من حولها، إن الابتسامة تؤثر على عضلات الوجه للأفضل فعند الابتسامة نستخدم العضلة التي بالوجه (العضلة الوجنية) وهذه تؤثر على شكل الفم، أما إذا كانت الابتسامة ضحكة فهي تؤثر على الخدود وتقبض العضلة المدارية حول العين، وفي النهاية تعتبر الابتسامة لغة دولية في السلام والتعاون بين الشعوب، ورغم كل ما فينا من الهموم والمعاناة فمشاكلنا نضعها في تعليق ظريف.. فحولي مأساتك إلى نكتة واضحكي عليها لتضحك لك الدنيا، ومن هنا سيدتي يجب أن تتحلي بالابتسامة المشرقة في كل الظروف لما لذلك من تأثير جيد وفعال في عدم الاصابة بضغط الدم وتنظم ضربات القلب، وعلى الاحساس الداخلي بالرضا والاقبال على الحياة في شباب دائم يتفاؤل وربيع ممتد لشبابك ونجاحك.

وقالوا عن الابتسامة:

الابتسامة علامة صامتة يفهم منها الآخرون أنك تحبهم.

الابتسامة جميلة حين تفرح لكنها أجمل حين تحزن.

الابتسامة جميلة حين تربح لكنها أجمل حين تخسر.

الابتسامة جميلة حين تأخذ لكنها أجمل حين تعطي.

الابتسامة هي اللغة التي لا تحتاج إلى ترجمة.

الإسراء والمعراج

.. دلائل وحقائق



رحلة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ ذات دلالات تستحق منا أن نقف عندها ونستهدي بهديها ونعيش في ظلالها.. من هذه الدلالات:

١- أن الإسراء برسول الله ﷺ بيّن أن رسالة الله واحدة إلى خلقه وهي الإسلام ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩) وبه جاء الأنبياء من لدن آم ونوح إلى محمد ﷺ، فهو يصلي إماما بالأنبياء، ويؤم بيت المقدس، الذي أقيم للناس ليعبدوا الله تعالى فيه بعد بيت الله الحرام، وهو القبلة الأولى للمسلمين، وأهميته بالنسبة للمسلمين وثيقة مثل أهمية بيت الله الحرام، ولو تحولت القبلة عنه، فمحمد ﷺ خاتم النبيين وإمامهم.

٢- وشرب رسول الله ﷺ اللبن حين خيّر بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام: هديت للفطرة. تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية الذي ينسجم معها فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يلبي نوازعها واحتياجاتها ويحقق طموحاتها، ويكبح جموحها ﴿... فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم: ٣٠)، وحين نرى الناس يجنحون عن هذا الدين، فلا شك أن فطرتهم قد فسدت، ومهمة الداعية أن يعالج فساد هذه الفطرة بما حوت من ركام، ويزيل تلك الأقفال عن القلوب، ويعالج تلك القشرة القاسية الجاسية، ليصل إلى القلب قبل الران عليه، فينشرح صدرا بالإسلام، ويرفع رأسا به.

٣- وحِرص رسول الله ﷺ على إخبار قومه بما منّ الله تعالى عليه بهذا الإكرام رغم توقع التكذيب درس واضح كذلك أن علينا أن نمضي في سبيل الله، لا نعبأ بمن يحارب أو يستعد للمحاربة، لأننا ماضون على خطى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (المائدة: ٦٧).

لقد اهتبلها أبو جهل فرصة لكيد النبي ﷺ حتى يكذبه الناس، فما عبأ عليه الصلاة والسلام بما يلاقي رغم إشفاق أم هانئ عليه ألا يحدث به الناس حتى لا يكذبوه.

لابد أن تجلى حقائق هذا الدين للناس جميعا، وإخفاء الحقائق حرصا على إرضاء نزوات الناس انحراف عن منهج الله وكتمان لما أمر الله تعالى بتبليغه، لكن اختيار الوقت والطريقة الأنسب للتبليغ موضوع آخر.

فلم يبلغ رسول الله ﷺ بما رأى في المعراج من آيات ربه إلا بعد لأي، وبدأ بإبلاغهم ما يعرفون، وما يقدر على إثباته لهم، حيث رفع الله تعالى له بيت المقدس ليصفه للناس رأي عين، وجاء بدلائل من الوقائع الحسيه لتصديق خبره.

وما يفعله الدعاة اليوم، بالاستشهاد بحقائق العلم التي جاءت مصداقا لما جاء به الله تعالى ورسوله، وتحقيقا لقوله الله عز وجل ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...﴾ (فصلت: ٥٧)، هو منطلق سليم وطيب، لكن الفرق كبير بين إثبات حقائق الدين من خلال الإيمان المطلق بحقائق العلم، وكأنما الدين مفتقر لذلك حتى يصح، وبين اليقين بأن الله تعالى الذي أنزل الدين هو الذي علم الناس ما يجهلون، وفقههم في دينه من خلال تجلية آياته في الأنفس وفي الآفاق.

٤-﴿... وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنه للناس...﴾ (الإسراء:٦٠) فالرسول ﷺ مقدم على مرحلة جديدة، مرحلة الهجرة، والانطلاق لبناء الدولة، ويريد الله تعالى للّبنات الأولى في البناء أن تكون سليمة قوية متراصة متماسكة.

وجعل الله تعالى هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين والذين في قلوبهم مرض، ويثبت المؤمنين الأقوياء والخلَّص، فارتد كثير من المسلمين،



بينما وقف في الصف المقابل، الصديق أبو بكر رضي الله عنه كالطود الشامخ في كلمته الخالدة التي حددت منهج الإيمان: «إن كان قالها فقد صدق» و «فوالله إنه ليخبرني الخبر يأتيه من السماء ساعة من ليل أو نهار فأصدق».

٥- لقد كان افتتاح الإسراء والمعراج بشق صدره عليه الصلاة والسلام، وبملئه بالإيمان، وغسل القلب كذلك، وهو أمر من معجزاته ﷺ، تقتضيه تلك الرحلة إلى الحضرة الإلهية، والاطلاع على عوالم من عوالم الغيب لن يستطيعها بشر ولن يطيقها مخلوق، ومن أجل هذا هيئ قلبه عليه الصلاة والسلام لمثل هذا المعراج، وهذا الأمر يعفينا من كثير من الخواطر حول إمكانية رؤية رسول الله لربه، والأمر كله أكبر من قياسه على العقل البشري والطاقة البشرية الضعيفة، ومَن مِن خلق الله تعالى أعد هذا الإعداد لمثل هذه المواجهات غير رسول الله ﷺ.

منذ طفولته وهو ابن الرابعة حين شق صدره لأول مرة، وانتزع منه العلقة السوداء، حظ الشيطان منه، وعند بعثته ليكون مهيئا لتلقي كلام رب العالمين، حيث شق صدره وملئ قلبه بالإيمان، وهذه المرة الثالثة التي أعد للقاء مع الأنبياء والملائكة، والمثول بين يدي رب العالمين.

٦- ثم كان افتتاح السموات العلا، واحدة إثر الأخرى بعد الاستئذان من جبريل عليه الصلاة والسلام، وإعلامهم بمصاحبة النبي ﷺ له، ثم لقاؤه مع النبي المقرر اللقاء معه في هذه السماء، هو إشعار النبي ﷺ أن حدوده ليست مكة وقريشا وثقيفا.. إنه نبي هذا الوجود كله الذي يستبشر بقدومه ملائكة السماء وحفظتها، وينتظرون بعثته، ويتهيؤون لاستقباله، والأنبياء هم مستبشرون به، وعارفون لفضله، ومقرون بنبوته وفضله، إنه هو العبد الذي يسير بصحبة جبريل عليه الصلاة والسلام إلى أماكن لم تخطر على خلد بشر، يرى عليه الصلاة والسلام هذه الآفاق وهذا الملكوت وحدوده قبل هذه الرحلة، بصرى في الشام والطائف في الحجاز.

٧- وإذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذي يجوب بمحمد ﷺ آفاق السموات والأرض، ويقدمه للملائكة والنبيين، فلجبريل نفسه حدود لا يتجاوزها، فعند سدرة المنتهى رأى رسول الله ﷺ جبريل للمرة الثالثة كذلك على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، فلئن رآه قبل في حراء وفي الأبطح وهو الفرد العادي.. إنه يراه الآن، حيث يقف جبريل ويتقدم النبي ﷺ إلى المثول بين يدي الرب الأعلى، يتلقى منه مباشرة دون واسطة، ودون رسول.. يسمع من ربه، ويحفل به الله تعالى، فيريه من الآيات ما لا يستطيع أحد وصفه، وتتجلى أنوار الحضرة الإلهية عليه، فأنى التفت وأنى سار يرى النور.

وفي هذا اللقاء المنفرد شاء رب العزة، من كل أحكام هذه الشريعة، أن يتلقى رسوله أمر الصلوات الخمس هناك، وكأنما الهدف من هذا اللقاء هو هذا التلقي، وكيف كانت خمسين صلاة ابتداء.

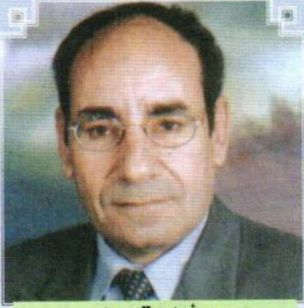
٨- وما هيأه الله تعالى لنبيه ﷺ من أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام على طريق عودته، ويتذاكر معه فيما فرض عليه ربه، فيلح موسى على محمد ﷺ العودة إلى ربه ومناجاته، وطلب التخفيف على أمته وكيف كان يمضي ثم يعود، فيُسقط الله تعالى عنه عشرا، وكيف وقف عند الخمس بعد ذلك، ويستحي من ربه عز وجل العودة، فيسمع نداء ربه: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي.

«... وكذلك قال في آخر الحديث: «هي خمس، وهي خمسون، والحسنة بعشر أمثالها» (البخاري) فتأوّل رسول الله ﷺ على أنها خمسون بالفعل، فلم يزل يراجع ربه حتى بيّن له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل، فإذا قيل: فما معنى نقصها عشرا بعد عشر، قلنا: ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه منها، وأن العبد يصلي الصلاة فيكتب له نصفها وربعها حتى انتهى إلى عشرها، ووقف، فهي خمس في حق من كتب له عشرها، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك، وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها، وكمال سجودها وركوعها» (١).

وحيث بقيت الصلاة خمسا من حيث الأداء، فلم يعد من عذر لمسلم بترك واحدة منها، وفوات صلاة واحدة من غير نسيان، ذنب لا يعادله ذنب، لأنها تخل عن مناجاة الرب جل وعلا، والوقوف والمثول بين يديه.

من كتاب فقه السيرة لمنير الغضبان

الإسراء.. شبهات وردود


د.أمان قحيف

نعتقد أنه لم تتعرض معجزة من معجزات الرسول الكريم ﷺ للنقد ومحاولة التشكيك مثل معجزة الإسراء والمعراج، فكثيرا ما حاولت بعض الأصوات ترديد عديد من التساؤلات والاستفهامات التي تتناول هذه المعجزة الكبرى وتدور حولها، ليس هذا فحسب، بل تجاوز البعض هذا الحد، فحاول ان يجعل من هذه التساؤلات شبهات يمكن إلصاقها بالمعجزة موضوع الحديث، وظن هؤلاء أن بإمكانهم تعجيز العقل المسلم عن تناول هذه التساؤلات والاستفهامات بالاجابة أو بالتحليل والتفنيد، وكان بعض المستشرقين ومعهم جماعة من أبناء جلدتنا هم من أثاروا مثل هذه التساؤلات وتحدثوا في تلك الشبهات، فسجلوها في كتبهم وأذاعوها في مجالسهم، ولما كان الإسلام هو دين الإقناع والاقتناع فلا مانع من إثارة مثل هذه التساؤلات أو تلك الاستفسارات مادامت تدور في فلك الرغبة في الفهم أو محاولة البحث عن اليقين والمعرفة، ولا تحمل روح الإنكار والرفض او التمرد والاستهانة، ولم تعمل على تزييف الحقائق أو الافتئات عليها للتشكيك في صدقها وسلامتها بهدف زعزعة إيمان المؤمنين بها وادخال الحيرة إلى عقولهم وقلوبهم، والاسلام لا يكتفي بأن يفتح ذراعيه لطلاب الحقيقة وللباحثين عن اليقين، بل يحترم فيهم وعيهم العقلي وتطلعهم إلى الفهم والإدراك، كي ما يبني إيمانهم على ركيزة من الاقتناع والفهم تجعلهم في منأى عن التردد وفي مناعة من أن تؤثر فيهم تطاولات المتطاولين أو تشكيكات المتشككين، فهو لا يدينهم ولا يقول بكفرهم أو ارتدادهم ماداموا جادين في طلب العلم الحقيقي والمعرفة اليقينية السليمة.

ولقد اختار هذا المقال لنفسه مهمة سيحاول الاضطلاع بها، ألا وهي تناول التساؤلات أو الاستفسارات التي أثارها أو يثيرها العقل البشري عندما تطرح عليه قضية الإسراء والمعراج، لعله يسهم بذلك في دحض بعض الشبهات التي يحاول بعضهم إثارتها حول هذه المعجزة الكبرى والعظيمة، ولعله يساهم من جهة أخرى في طمأنة قلوب المؤمنين إلى أن الشبهات أو الترهات التي يحاول بعضهم إثارتها حول الإسلام يسهل للإنسان المسلم- إذا أحسن التفكير- الرد عليها! ودحضها وبيان تهافت العقول التي تقع في شراكها، وتجعل منها حائلا يحول بينها وبين اليقين القلبي والاقتناع العقلي بقضايا ومسائل هذا الدين الحنيف.

ويمكن الإشارة إلى أن الشبهات أو التساؤلات التي أثارها القوم حول معجزة الإسراء تتلخص في هذه الأسئلة، لماذا كان الإسراء ليلاً ولم يكن نهاراً حتى يراه الناس؟ وهل كان الإسراء بالروح أم بالجسد، أم كان رؤيا منامية رآها رسول الله ﷺ؟ ولماذا احتاج الإسراء زمنا بينما الله تعالى قادر على أن ينجز أي أمر يريده بالكاف والنون، أي في لا زمن؟

تلك هي النقاط أو التساؤلات التي أثارها هؤلاء الناس حول معجزة الإسراء، والحق أنه يمكن للعقل المسلم مواجهة هذه القضايا وتفنيدها في هدوء وعقلانية وسكينة على النحو التالي:

لماذا كان الإسراء ليلاً ولم يكن نهاراً حتى يراه الناس؟

المقصود من هذا السؤال هو لماذا كان الإسراء غيبا؟ ولماذا لم يكن محسوسا، أي يقع بالنهار ليراه الناس رؤية مباشرة؟ والحق ان هناك معجزات وقعت للأنبياء السابقين على رسول الله ﷺ في وضح النهار، وكانت معجزات حسية ورآها الناس بعيونهم، وذلك مثل معجزة إبراهيم عليه السلام الذي ألقاه قومه في النار وخرج منها سالما معافى، ومعجزة عصا موسى وانفلاق البحر، ومعجزات عيسى عليه السلام كإبرائه للأكمه والأبرص وإحيائه لبعض الموتى بإذن الله، أما معجزة الإسراء فكانت ليلا ولم يرها أحد بعينه! الأمر الذي أتاح لهؤلاء الناس طرح سؤالهم المذكور، وجوابنا على هذا التساؤل يتبلور فيما يلي:

أ - ليست المسألة أن تقع المعجزة بشكل حسي فيصدق بها الناس، فالرسول ﷺ قد وقعت على يديه معجزات حسية عدة- شأنه شأن إخوانه من الأنبياء السابقين عليه- كتظليل الغمام له أثناء سفره، الأمر الذي لاحظه من كان معه في السفر، وكنبع الماء من بين أصابعه ﷺ، والبركة التي حدثت للطعام القليل بين يديه الشريفتين، حتى ان كمية الطعام القليلة أطعمت جيشا بأكمله، الأمر الذي جعل الصحابة يثقون في نبوته وبركته، ومن معجزاته الحسية ايضا انشقاق القمر، عندما طلب منه بعض الناس ان يدعوا الله أن ينشق القمر ففعل، وحدثت المعجزة ورآها القاصي والداني وتحدث بها الناس في كل مكان، بل وأثبتها العلم الحديث الآن، وغيرها الكثير من المعجزات الحسية التي رآها الناس رؤية مباشرة.

والسؤال الآن هو: هل أدت المعجزات الحسية التي وقعت للرسول ﷺ ولإخوانه من الأنبياء الكرام إلى إيمان المعترضين والمشككين؟ الحق أنها لم تزد الظالمين إلا عنادا وكفرا ورفضا وتشكيكا! لذلك قال الله تعالى ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (الإسراء: من الآية ٥٩)

ب - إن المعجزة المادية المحسوسة تعد دليلا لمن رآها بنفسه، وتحقق منها بعينه، ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن تكون معجزة الإسراء دليلا إيمانيا يبقى إلى يوم القيامة، لأن رسالة رسول الله ﷺ باقية الى يوم القيامة، فجعلها غيبا عليه دليل مادي حتى تناقش بالعقل وتكون مدخلا للإيمان، لأن الإيمان ليست أداته الرؤية، فليس بعد العين أين، ولكنه يتم بالدليل العقلي (١).. ولا يجب أن ننسى أن الله تعالى يريد لهذا الدين أن ينتشر بالإقناع والاقتناع، لذا لم يشأ سبحانه وتعالى أن يجعل المعجزات الحسية وحدها هي سبيل الإيمان، لأنه تعالى يريد قلوبا مطمئنة وعقولا مقتنعة ولا يريد أعناقا خاضعة مجبرة، قال تعالى: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (الشعراء: ٤)

ج- إن حدوث الإسراء ليلا حقق هدفين لم يكن لهما أن يتحققا لو وقع الإسراء نهارا أو بشكل علني، وهما تطهير الإسلام من ضعاف الإيمان ومن المنافقين، لأن هؤلاء وهؤلاء ارتدوا عن الدين بمجرد أن أعلن الرسول أن الله تعالى أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، الأمر الذي يؤكد أنهم كانوا غير مطمئني الأفئدة وكانوا ضعاف الإيمان ولم تستقر العقيدة في قلوبهم، وهؤلاء لا يمكن أن يقوم الدين على أكتافهم، خاصة أن الرسالة كانت في ذلك الوقت غضة طرية تحتاج إلى مؤمنين صادقين لديهم الاستعداد للدفاع عنها وحمايتها وتحمل الإيذاء في سبيلها.

٢- لما سأل الناس الرسول عن صفات المسجد الأقصى لتعجيزه، أمد الله تعالى رسوله بصورة المسجد فرآه كأنه أمامه، فجعل يذكر أوصافه بدقة بالغة، الأمر الذي جعل أبا بكر يقول- وكان قد أتى المسجد الاقصى- صدقت أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئا، وكررها حتى اذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر «وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق»(٢)

أيضا طلب الناس من الرسول ﷺ بعد أن أخبرهم بالإسراء أن يمدهم بآية أخرى تثبت صدقه، وقالوا: ما آية ذلك يا محمد فإنا لم نسمع بمثل هذا قط؟ قال: «آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة، فند لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا متوجه الى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان (جبل يبعد عن مكة حوالي ٤٠ كيلومترا)، مررت بعير بني فلان، فوجدت القوم نياما، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء (بمعنى تنزل من البيضاء، وهو مكان قريب من مكة) ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق، عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء (قال ابن هشام: البرقاء: أي التي فيها سواد وبياض)» (٣)

وكان من الطبيعي أن ينتظر الناس نتيجة هذا الموقف، الأمر الذي عبرت عنه السيدة أم هانئ في حديثها عن الإسراء حيث قالت «فابتدر الناس الثنية، فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه، ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وند لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه» (٤).



وهكذا ندرك أن وقوع الإسراء ليلا قد طهر الإسلام من ضعاف الإيمان ومن المترددين، الذين لم يكن من الصواب الاعتماد عليهم في حمل لواء الدعوة، خاصة أنها كانت في بدايتها، وكانت غضة طرية تحتاج إلى من لديه الاستعداد للدفاع عنها وتحمل مشاق القيام بها وتأديتها بقناعة وإخلاص، وندرك أيضا أن حدوث الإسراء ليلا ساهم في الكشف عن صدق الرسول ﷺ، ولا يجب أن يفوتنا في هذا السياق التذكير بأن جبابرة قريش كان من الممكن أن يتهموا الرسول الكريم بالسحر، إذا رأوا الإسراء يقع أمام أعينهم في وضح النهار.

ولعل إدراكنا لهذه الأمور يجعلنا نقول: لقد كان من الضروري أن يقع الإسراء ليلا، ولو لم يقع ليلا لقلنا ليته وقع ليلا ليساهم في تطهير الإسلام من ضعاف الإيمان ويثبت صدق الرسول ﷺ فيما يخبر به.

هل كان الإسراء بالروح والجسد؟

أثار بعضهم إشكالية في الإسراء والمعراج، آلا وهي: هل حدث الاسراء بالروح والجسد معا أم حدث بالروح دون الجسد؟ ولقد استغرقت هذه الإشكالية جهودا كبيرة من الباحثين والعلماء لدرجة أنه لم يخل بحث أو دراسة كتبت عن الإسراء والمعراج من الحديث عن هذه

جملة التساؤلات التي أثارها بعض المستشرقين لم تصعب على العقل الإسلامي أن يفندها ويرد عليها

الإشكالية، وشأن كل القضايا المهمة، فقد انقسم الكتاب في موقفهم من هذه المسألة إلى فريقين، الأول قال: إن الإسراء وقع بالروح والجسد، بينما قال الثاني: إن الإسراء وقع بالروح دون الجسد، وحاول كل فريق البرهنة على صدق رؤيته وسلامة موقفه.

والحق أننا لسنا ممن يدين أحد الفريقين أو يقول بانحرافه عن الطريق المستقيم لسببين، الأول أنهم اجتهدوا جميعا ولكل مجتهد أجره حتى وإن أخطأ في اجتهاده مادام قد توافر فيه حسن النية والإخلاص في القول والعمل، أما الثاني فهو لأن أكثر الذين قالوا إن الإسراء كان بالروح دون الجسد، كان هدفهم الدفاع عن الاسلام، والرد على المنتقدين والمتشككين.

غير أن تأمل القضية وبحثها أثبتا لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الاسراء كان بالروح والجسد معا، بل ما كان له أن يكون بغير ذلك، ولقد بنينا موقفنا هذا على الحقائق الآتية:

١- لو كان الإسراء بالروح أو بالرؤيا لما ناقش الناس الرسول في ذلك، ولما اعترض بعضهم عليه، ولما كان لهم أن يطلبوا منه أدلة على صدق حديثه، لأن الرؤيا لا تناقش ولا يمكن الاعتراض عليها بأي حال من الأحوال، فأي إنسان يمكن أن يرى في نومه أنه دار حول العالم كله في ليلة واحدة ولا يكون من حق أحد أن يطلب منه دليلا على صدق حديثه، لأن الرؤيا لا تبرر ولا يمكن البرهنة عليها، إذ ليس لها منطق، ولا يمكن التدليل عليها بالعقل، فمطالبة الناس للرسول بالإتيان بأدلة تثبت صدقه يؤكد لنا أنه ﷺ أبلغهم أن الإسراء كان بالروح والجسد ولم يكن بالروح فقط ولم يكن رؤيا منامية.

٢- لو أن الإسراء حدث بالروح دون الجسد لما كان النبي ﷺ قد شرب من مياه عير قوم، ولما دلهم على الجمل الذي ند منهم، الى غير ذلك من هذه الأمور التي أخبر بها الرسول وثبت صدقه فيها، وتحتاج إلى الحضور الجسدي المباشر.

٣- لنا مع القرآن الكريم تجربة، وهي أنه عبر عن رؤى الأنبياء في أكثر من موضع تعبيرا واضحا ومباشرا، مثلما قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ (الصافات- من الآية ١٠٢) وقال في قصة يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (يوسف:٤) وقال تعالى في حقه ﷺ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ (الفتح: من الآية ٢٧) أي أن القرآن الكريم تحدث في أكثر من موضع عن رؤى الأنبياء بشكل واضح وصريح، ومن ثم فلو كان الإسراء بالروح دون الجسد أو كان رؤيا في المنام لذكر القرآن الكريم ذلك صراحة كما فعل في المواطن التي أشرنا إليها سابقا.

والحق أن هذه الأمور لا تثبت لنا أن الإسراء حدث بالجسد فحسب، بل تؤكد أن المرء لا يستطيع أن يفهم المعنى الحقيقي للإسراء إلا في ضوء الاعتقاد أنه كان بالروح والجسد معا.

لماذا أخذ الإسراء زمنا؟

أيضا من التساؤلات التي أثارها القوم في هذا السياق مسألة أن الله تبارك وتعالى قادر على أن يفعل أي حدث في لا زمن، أي بالكاف والنون، ومن ثم لا يحتاج إلى زمن، فلماذا أخذت معجزة الإسراء والمعراج زمنا؟ ونقول: إن الله تبارك وتعالى يعلم بعلمه الأزلي أن قريشا ستندهش من حديث الرسول ﷺ عن الإسراء وستعترض عليه، وأن جماعة من قريش سيحاولون تعجيز النبي ﷺ عن طريق مطالبته بأن يخبرهم بما رأى، وأن يحدثهم بأمور يمكن لهم أن يتحققوا منها بعد أن يذكرها لهم الرسول ﷺ الأمر الذي اقتضى أن يرى النبي بنفسه بعض الأمور التي تعينه على مواجهة تساؤلاتهم واستفساراتهم، ومن ثم كان لابد له ﷺ من أن يشرب بطبيعته البشرية من ماء إحدى القوافل التي مر عليها، وأن يرى بطبيعته البشرية جملهم الذي ند منهم وأن يخبرهم بمكان هذا الجمل، ولاشك أن فعل الرسول لهذه المسائل بطبيعته البشرية يقتضي أن ينطبق علية قانون البشر، وقانون البشر يؤكد أنه لا يمكن للإنسان أن يفعل فعلا معينا دون أن يقع هذا الفعل في زمن محدد، من هنا كان لابد أن يستغرق الإسراء زمنا، ولقد عبر المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٩٩٨م) عن هذا المعنى بقوله «ولقد اقتضت بشرية الأحداث التي سيراها رسول الله ﷺ في الطريق بين مكة وبيت المقدس أن يتم الإسراء في زمن وأن يستغرق وقتا ولو أن الحق سبحانه وتعالى لم يرد من رسول الله ﷺ أن يقيم الدليل المادي والعقلي على صدق معجزة الإسراء لتمت المعجزة في لا زمن ولكن لأنه جل جلاله أراد أن يعطي رسوله ﷺ للناس الدليل المادي والعقلي على صدق المعجزة جعل المعجزة تتم في ليلة لتستوعب الأحداث البشرية فيها وكان هذا الوقت الذي استغرقه الإسراء هو من تمام المعجزة وكمالها» (٥).

الخلاصة

نستطيع أن نخلص في هذا السياق إلى أن جملة التساؤلات التي أثارها بعض المستشرقين ومعهم بعض الماديين حول معجزة الإسراء والمعراج لم تكن من الصعوبة بمكان بحيث يصعب على العقل الإسلامي المفكر أن يتناولها بالرد والتفنيد، ولعل مجموعة الإجابات التي سقناها في هذا المقال تساهم في إقناع بعض طلاب اليقين ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ (المدثر: ٣١)، وتأخذ بأيديهم تجاه الاقتناع العقلي والاطمئنان القلبي، أما أولئك الذين لا يقنعهم حديث ولا يؤثر فيهم برهان فلا حاجة بالمرء الى الدخول معهم في جدل قد يطول بحيث لا يكون له انتهاء.

الهوامش

١- محمد متولي الشعراوي، المعجزة الكبرى.. الإسراء والمعراج، كتاب الأخبار، القاهرة، ١٩٩٠م ص ٤٥.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، تخريج وتحقيق وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن حمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، المجلد الاول، الجزء الاول، ص ٢٣.

٣- المصدر نفسه. ص ٤٣.

٤- الموضع نفسه.

٥- الشعراوي، المرجع السابق، ص ٢٦

العفة..

كان مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، فيستنقذ الذين قال الله تعالى فيهم ﴿.. والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾(النساء- 75)، وكانت امرأة بغي (تعمل في الدعارة) بمكة يقال لها عناق، وكانت صديقة له، أيام الجاهلية، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال مرثد: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، فجاءت عناق، فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط، فلما انتهت إلي، قالت: مرثد؟!



محمد مسعد ياقوت

فقلت: مرثدٌ.

فقالت: مرحبًا وأهلاً، هلم فبت عندنا الليلة.

قلت: يا عناق.. حرم الله الزنا.

قالت: يا أهل الخيام.. هذا الرجل يحمل أسراكم!

قال مرثد: فتبعني ثمانيةٌ، وسلكت الخندمة، فانتهيت إلى كهف أو غار، فدخلت، فجاءوا، حتى قاموا على رأسي، فبالوا! فظل بولهم على رأسي وأعماهم الله عني! ثم رجعوا، ورجعت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه كبله، فجعلت أحمله ويعييني حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عناقًا؟

فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد علي شيئًا، حتى نزلت: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ وحرم ذلك على المؤمنين﴾(النور: ٣) فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد ﴿الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ﴾ فلا تنكحها» (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

غار العفة لا دار الفسقة

لقد رفض مرثد أن ينصاع لطلب هذه الداعرة، رغم ظلمة الليل، وشدة الموقف، وهو في أمس الحاجة إلى مخبأ يواري فيه نفسه وصاحبه الأسير، ولكنه رضي الله عنه قالها صريحة لطالبة المتعة: يا عناق.. حرم الله الزنا ولعله استحضر في نفسه آيات بينات تربى عليها في تلك المجموعات المكية الإيمانية: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً﴾(الإسراء٣٢)، ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾(الشورى٣٧) ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف٣٣).

بخ.. بخ! لقد نجا مرثد من فعلة شنعاء، ووكسة صلعاء، لو كان قد واقعها، لا قدر الله، لتأففت من ريح الركس الطيور في وكناتها، والوحوش في أوكارها، والإبل في معاطنها، والشاء في مراتعها.

عدل إلهي

ويأبى الله أن يذوق المؤمن عسيلة الفاجرة، أو يذوق العربيد عسيلة العفيفة ﴿الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ وحرم ذلك على المؤمنين﴾(النور- ٣) ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ﴾(النور- ٢٦).

وصايا عملية

١- أن تحرص على نشر قيمة العفة والحجاب، من خلال الكتيبات والأشرطة والملصقات وغيرها من الوسائل.

٢- أن تحذر أهلك وجيرانك من عواقب التبرج والعري والعشق المحرم والاختلاط والانحلال الأخلاقي، لاسيما مع ما تقوم به بعض وسائل الإعلام من نشر الميوعة والفجور والعهر والفجر، في إطار مسلسل تلفزيوني هابط، أو فيلم سينمائي ساقط، ومقاطع استعراضية (فيديو كليب) تظهر فيها امرأة متهتكة متمايلة، تكشف أكثر مما تستر، وقد قال أعداء هذا الدين: كأس وغانية يفعلان بالأمة المحمدية ما لا تفعله المدافع والصواريخ.

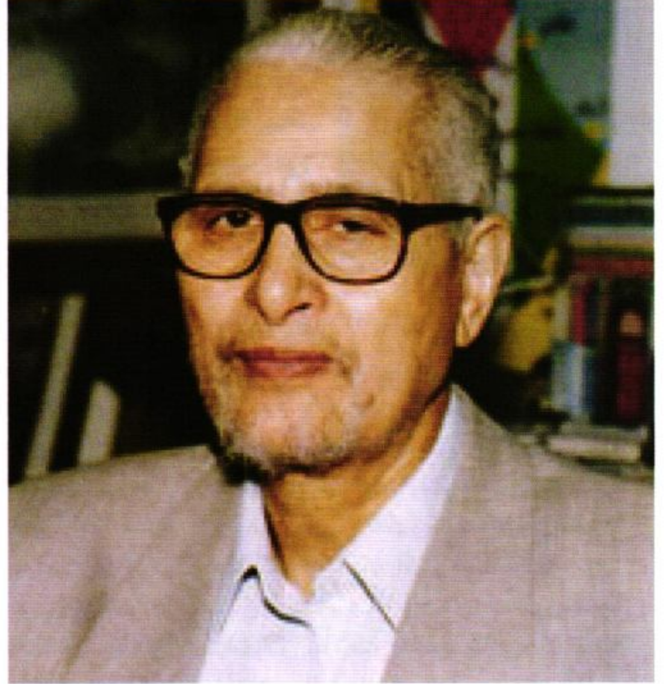
٣- أن تحذر الشباب من إطلاق البصر ومن العادة السرية، فمن فعل الأولى أوشك أن يقع في الثانية، ومن ملك خطراته ملك بصره ومن ملك بصره ملك زمام نفسه.

٤- أن تحرص على الزواج أو الصوم بنية الاستعفاف، لقول النبي ﷺ: «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاءٌ»(البخاري).

٥- وأخيراً، إذا أردت أن يصطفيك الله لمهمة، وإذا أردت أن يجتبيك الله لرسالة، فاحرص على العفة - كما اصطفى الله عثمان بن طلحة - وتعلم فضائلها، وتعرف على فوائدها وثمراتها، والتي من أهمها: النجاة من الأمراض الجنسية، والظفر بالصحة وسلامة الجسم، وطهارة النفس والمجتمع، وقوة الإرادة والعزيمة، والسعادة الزوجية، وصيانة البيوت، والطمأنينة وراحة البال، وفوق كل هذا الفوز برضا الله وجنته.

مستشار الجامعة الإسلامية العالمية د.أحمد العسال لـ «الوعي الإسلامي»:

الإنسانية اليوم أشد تعطشاً للنموذج الإسلامي الصحيح



عزة إبراهيم

دعا العلامة الكبير د.أحمد العسال مستشار الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد إلى إعادة النموذج الذي أقامه الرسول ﷺ وصحابته الكرام في ميادين العبادات والمعاملات والأخلاق، وتحويل المواعظ إلى سلوك، والفكر إلى أعمال حية.

وأكد- في حوار مع مجلة «الوعي الإسلامي» ضرورة الاهتمام بإبراز القدوة الحقيقية والتركيز على إعادة بنائها لدى أفراد المجتمع، محذرا من القدوات الفاسدة وما تمثله من أخلاقيات سلبية وقيم غرائزية زائفة، مشيرا الى واقع العالم الذي حاد عن منهج الله عز وجل، فشرع للربا في دساتيره وغرق إلى آذانه في أوحاله لأكثر من قرنين من الزمان، حتى وصل إلى الأزمة المالية الطاحنة التي تجتاح عالم اليوم وانتقد واقع المنظمات الإسلامية ومواقفها أمام كوارث وحروب ومحن المسلمين في كل مكان... واليكم نص الحوار:

كيف نعيد النموذج الاجتماعي الذي أقامه الرسول الأعظم محمد ﷺ هو وصحابته الكرام في صدر الإسلام؟

- إذا أردنا شرف الاقتداء برسول الله محمد ﷺ وإعادة النموذج الذي أقامه هو وصحابته الغر الميامين في ميادين العبادات والمعاملات والأخلاق، وإذا أردنا السعادة بصحبته يوم نلقى الله، فعلينا أن نحول المواعظ إلى سلوك، والفكر إلى أعمال، والنظريات إلى ممارسات، لنكون على طريق الذين قال الله لهم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١) وحتى لا نكون ممن قال الله فيهم: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف : ٢-٣).

لقد كانت سيرة الرسول الكريم ﷺ تجسيدا حيا وعمليا لكل عقائد الإسلام ومبادئه وأركانه وقيمه وواجباته وسننه ومستحباته، كما جاء في الحديث الشريف عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن» (رواه مسلم).

وأقول: إذا كان الإسلام هو الطاعة والانقياد، وإذا كانت الطاعة هي ثمرة المحبة، فإن الاقتداء برسول الله ﷺ في تجسيد الإيمان والفكر في الواقع والتطبيق هو السبيل إلى الدخول في ظلال من يحبهم الله سبحانه وتعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (آل عمران : ٣١).

ومازلت أتذكر ما كان يقوله لنا الشيخ الجليل محمد الغزالي رحمه الله عن نبينا محمد ﷺ وكيف أنه تفرد بتطبيق وتنفيذ وتجسيد الدعوة التي جاء بها في أرض الواقع، بينما وقف الآخرون وفيهم أنبياء ومرسلون عند حدود الدعوة فلم يقيموا مدنية ولم يصنعوا حضارة ولم ينشئوا دولة، وبذلك يتضح لنا طريق النهوض والتقدم كما رسمه لنا رسول الله ﷺ ألا وهو تحويل الفكر الصحيح إلى عمل صريح.

طريق النهوض

«تحويل الفكر الصحيح إلى عمل صريح» نريد توضيحا أكثر لهذه العبارة؟

يجد المسلم الصحيح الحقيقة الإسلامية في مجموعها، متجسدة في حياته ﷺ، التي تقدم إلينا نماذج سامية للشاب المستقيم في سلوكه، الأمين مع قومه وأصحابه، كما تقدم النموذج الرائع للمسلم الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، الباذل منتهى الطاقة في سبيل إبلاغ رسالته، ولرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحذق وحكمة بالغة، وللزوج المثالي في حسن معاملته، وللأب في حنو عاطفته، وللقائد الحربي الماهر والسياسي الصادق المحنك، وللمسلم الجامع - في دقة وعدل - بين واجب التعبد والتبتل لربه، والمعاشرة والفكاهة اللطيفة مع أهله وأصحابه.

إن المسلم يتعلم من المنهاج النبوي كل فنون إدارة الصراع والبراعة في إدارة كل مرحلة، وفي الانتقال من مستوى إلى آخر، وكيف واجه القوى المضادة من اليهود والمنافقين والكفار والنصارى، وكيف تغلب عليها كلها بسبب

توفيق الله تعالى والالتزام بشروط النصر وأسبابه، التي أرشد إليها المولى عز وجل في كتابه الكريم.
لقد كان فقه النبي ﷺ في تربية الأمة وإقامة الدولة شاملا ومتكاملا ومتوازنا وخاضعا لسنن الله في المجتمعات وإحياء الشعوب وبناء الدول، فتعامل ﷺ مع هذه السنن في غاية الحكمة وقمة الذكاء، كسنن التدرج والتدافع والابتلاء والأخذ بالأسباب وتغيير النفوس، وغرس ﷺ في نفوس أصحابه المنهج الرباني، وما يحمله من مفاهيم وقيم وعقائد وتصورات صحيحة عن الله والإنسان والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر.

عقبات على الطريق

لكن من التحديات الداخلية التي ربما تقف عائقا أمام «تطبيق الفكر الصحيح» موروثات القيم السلبية التي أصبحت تسود حياة مجتمعاتنا العربية.. والسؤال كيف نصل إلى إعداد البيئة الصالحة لهذا التطبيق؟

- نقطة البدء في تقديري لابد أن تكون من خلال إعداد برامج إعلامية وتعليمية وتربوية جديدة تركز على القيم الإسلامية التي يراد إكسابها للناس مرة أخرى، لقد كانت كلمة «اقرأ» هي أول ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، وكانت رسالته عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ لابد أن تنزل عليه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب حتى لا يشكك فيها أحد، لأن المعجزة الخالدة فيها هي القرآن الكريم، ومع ذلك أدبه ربه وعلمه وأعلى من قيمة العلم والتعليم في منهجه ورسالته الخالدة، ولك أن تعلم أن كلمة «علم» بمشتقاتها ورد ذكرها في أكثر من ٩٠٠ موضع في القرآن الكريم، وهناك ١٠٢ من الأحاديث الصحيحة تحث على العلم والتعلم.

وهنا تبرز الخطوة الثانية فبعد الاهتمام بدور الاعلام والتعليم في هذا المجال، يأتي الاهتمام بإبراز القدوة الحقيقية والتركيز على إعادة بنائها لدى أفراد المجتمع فلا شك أن القدوة الحقيقية قد غابت عن مجتمعنا منذ فترة طويلة، لدرجة أصبحت معها قدوة شبابنا الآن هم لاعبو الكرة والفنانون والفنانات المستهترون والمستهترات، وأصبحوا هم قادة الرأي والضيوف الأكثر حظوة والأهم في فقرات أجهزة الإعلام المختلفة، ومن ثم لدى الشباب والأجيال في مجتمعنا.

ضـرورة إعـداد بـرامج إعلاميـة وتعليمية وتربوية تركز على القيم الإسلامية وتبرز القدوة الحقيقية

والحقيقة التي غابت عنا طوال الفترة الطويلة الماضية، هي أن تغيير القدوة أصبح ضرورة ملحة ولابد أن نقصد إلى ذلك قصدا، فإذا ما أردنا تغيير البيئة الاجتماعية كي تعود كسابق عهدها صالحة لتقدير قيم الإسلام وجميع القيم الإنسانية على العموم، ومن ثم تنفيذها وتطبيقها على مستوى الأفراد وعلى مستوى الحكومات والدول، فلابد أن يكون ضيوف برامجنا الإذاعية والتلفزيونية والشخصيات التي نحاورها في الصحف والمجلات هم العلماء الأكفاء، في معاملهم وداخل معاهدهم العلمية، والمفكرون ودعاة الإصلاح والتغيير الذين يفعلون ما يقولون ويضحون في سبيل ما يعتقدون.

واقع المنظمات الإسلامية

كيف ترون واقع المنظمات الإسلامية الآن ومواقفها أمام كوارث وحروب ومحن المسلمين في كل مكان؟

قبل أن أحلل واقع المنظمات الإسلامية أشير إلى أن البعض منها رسمي مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والآخر غير رسمي يعمل في المجال التطوعي والإغاثي، وأرى أن غياب الإرادة السياسية يقف حائلا دون تحقيق أهداف هذه المنظمات، فلا نجد تعاونا بينيا مع الدول الإسلامية، ولا تضامنا سياسيا أو اقتصاديا أو حتى إعلاميا، ولا جهودا ومواقف جادة لحل قضايا المسلمين في فلسطين والعراق والصومال والسودان وأفغانستان وكشمير وغيرها.. لا نرى أو نقرأ سوى بيانات الشجب والإدانة.. بل ربما اختفت هذه البيانات الآن! والكثير من المنظمات يعمل في مجالات العمل الإغاثي، لكن جهودها غير ملموسة وتقف أمام العاملين فيها معوقات كثيرة خاصة أنها منظمات غير حكومية وتعتمد على التبرعات والعمل التطوعي، ومن هذه المعوقات:

- ضعف الوعي بقيمة التطوع وعزوف الشباب العربي عامة عن الانخراط في العمل المنظم.
- خضوع هذه المنظمات لرقابة أمنية صريحة أو ضمنية، وأحيانا ما يسود جو من عدم الثقة بين المنظمات والحكومات.
- موقف التشريعات التي تقيد وتحد من نشاط هذه المنظمات وتكرس هيمنة الدولة عليها مما يؤدي إلى تحجيم المبادرات الأهلية والشعبية.
- قضية التمويل وجمع التبرعات، وهي قضية خطيرة حيث إنه بلا مصادر مالية لا معنى لوجود المنظمات، وتعتمد المنظمات الإسلامية على التبرعات الأهلية والزكاة وإيرادات الأوقاف.
- التضييق والغلق، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١حيث شن الغرب حملة شعواء على الهيئات والمؤسسات والمنظمات الإسلامية واعتبرها المصدر الرئيس لتمويل الإرهاب بحسب زعمه، واستولى على أموالها في البنوك الغربية ووضعها على قائمة الإرهاب.
- غياب الدور الإعلامي، حيث لا تهتم وسائل الإعلام بإبراز نشاط وأعمال المؤسسات الدعوية والإغاثية، وإبراز الدور المهم والنبيل الذي تقوم به.

أخلاقيات الحرب في الإسلام

■ مع توالي انتصارات المقاومة، كيف تنظر إلى المستقبل؟

- عندنا نحن المسلمين أخلاقيات سامية للحروب أمرنا بها رب العالمين ونظمها رسوله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (السلسلة الصحيحة للألباني) وأخلاقيات الحرب لا تختلف عن الأخلاق بشكل عام، وعندنا في عقيدتنا يحكمنا قول الله عز وجل: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة: ٨) وعندنا قول الله عز وجل ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ (التوبة:٦) وجاءت تعاليم الإسلام لضبط سلوك المقاتلين والتعامل مع ضحايا الحرب، وفي المقابل شاهد العالم أجمع سلوك الكفار من أهل الكتاب، الذين أدمنوا سفك الدماء وجعلوا من سفك دماء الفلسطينيين، كما يقول حاخاماتهم طريقا إلى الجنة.

غزائر الأدب

د. وهيب خوج

أخرج ابن السمعاني بسند فيه مقال عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، وأخرج الشيرازي في فوائده وابن النجار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه» . وكم نحن إلى قليل من الأدب أحوج إلى كثير من العلم، فالعقل يحتاج إلى مادة الأدب كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام، والأدب كنز عند الحاجة عون على المروءة، صاحب في المجلس، أنيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية، وتحيا به الألباب الميتة، وينال به الطالبون ما حاولوا. وقد قيل: علم بلا أدب كشجاع بلا سلاح، فالأدب إذا تطمعتَ به نجع، وإن تعطرتَ به سطع، وإن ترديتَ به نفع، ومن اكتسب أدبا اكتسب نسبا، والأدب سبب لنيل الأرب، ولقطات الأدب قرضات الذهب كما قالوا. وان حليَ الرجال فيما يحسنونه، وحلي النساء فيما يلبسونه.

تكلم رجل بين يدي المأمون، فأحسن، فقال له: ابن من أنت ؟ قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين، قال: نِعم النسب انتسبتَ إليه، ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد. فخير ما استفاد المرء بعد الإيمان بالله ورسوله أدبا يتحلى به، لأنه مسك الأنبياء، وخلقهم وسمتهم عليهم السلام، والأدب هو الدين كله، وحقيقته: استعمال الخلق الجميل، واستخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل، ولقد خص الله بالفلاح من زكى نفسه فنماها وعلاها، ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأولياءه. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(التحريم:٦) قال ابن عباس رضي الله عنه أدبوهم وعلموهم، وهذه اللفظة مؤذنة بالاجتماع، فالأدب: اجتماع خصال الخير في العبد.

فبالأدب يفهم العلم، وبالعلم يصح العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة يقام الزهد، وبالزهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا يرغب في الآخرة، وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى. فيا ليت طلاب العلم اليوم عملوا على تزكية العقل بالأدب، كما تزكي النار الذهب، فالأدب أقرب الطرق إلى الله، فلله طرائق بعدد الأنفاس، وأقرب الطرق إليه طرق الذل والانكسار، وهما من أجل خصال الأدب.

وأنفع طرق الأدب: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك. حقا: إن أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب الشؤم والحرمان بمثل سوء الأدب والخلق، وتأملوا أيها الكرام: أحوال كل شقي ومغتر ومدبر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان. قال شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك: «من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن، عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض، عوقب بحرمان المعرفة».

وكما قال أنس بن مالك رضي الله عنه الأدب في العمل علامة قبول العمل.

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وقال ابن عطاء: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، والنفس تجري بطباعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده إلى حسن المطالبة، فمن أعرض عن الجهد، فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية، ومهما أعانها فهو شريكها.

وإذا ترقت به عزائمه إلى الثريا رسا به الأدب، واعلم أخي المؤمن أن محصل الأدب من تحققت فيه أنواع الأدب، وبلغ الكمال فيها، ومن ترقى في درجات الأدب من درجة إلى درجة.



لغة وأدب

الأدب والذوق العام

تربية الذوق العام رسالة من رسائل الأدب وغاية من غاياته، وهي مؤشر إلى رقيه وانحطاطه، والأديب أو الشاعر الماهر هو الذي يستطيع أن يمتع الناس بما يريد لا بما يريدون، ولا يرضخ لما يطلبه القارئون أو المتلقون بدعوى أن هذا هو اللون السائد الذي يلقى رواجاً، فيلجأ إليه خوفا من كساد نتاجه وانصراف الناس عنه.

وانصراف الناس عن الأدب الراقي ليس عيباً فيه، إنما هو عيب في أذواقهم التي لوثتها آداب هابطة - إن جاز لنا أن نطلق عليها آدابا أصلا- والجناية الكبرى التي يرتكبها المشتغلون بالأدب الاستسلام لأهواء الجمهور وإرضاء أمزجتهم فيضفون بذلك الشرعية على ما تأباه الأذواق السليمة فيضحي من المألوف ويبيت غيره غريباً وإن كان صاحب البيت.

فالتمسك بالأدب الراقي في حد ذاته أدب، وهو صون لكرامة الأدب، وإن انصرف الناس عنه فإنهم حتما إليه راجعون وإن طال الأمد، لأن هذا من سنة الله في الخلق ﴿... فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ...﴾ (الرعد: 17)، وبذلك يكون المتأدبون قد أخذو بأيدي الناس إلى الرشاد وانتشلوهم من الآداب الآسنة بدلاً من أن يقعوا فيها معهم، فليروج إعلامنا مقروءاً ومسموعاً ومرئياً لكل ما هو راق من الأدب وغيره، وليتجنب الإسفاف والهبوط حفاظاً على الذوق العام.

المحرر





د. عبد القدوس أبو صالح في حوار خاص:

النتاج الأدبي المعاصر يقوم على مهاجمة العقيدة



فاروق الدسوقي

أكد الأديب الإسلامي د. عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية أن الدعوة للأدب الإسلامي هي الوسيلة لتصحيح علاقة الأديب المسلم بعطائه الأدبي وعقيدته، وإيجاد الانسجام بينهما، وتكامل شخصيته، خاصة أن الإسلام ينظم حياة الفرد من أصغر شؤونه إلى أكبرها.

وحذر من أن أعداء الإسلام يرون في الأدب الإسلامي خطرا يهدد ما يؤمنون به من مذاهب أدبية رخيصة، وقال: إن الذين يعارضون الأدب الإسلامي هم فئة أصابهم الوهن.

وأضاف أبو صالح في حوار مع «الوعي الإسلامي» أن العصر الذي كان فيه الأدب إلهاء فنيا وترفا فكريا قد انتهى.. وأصبح الأدب الإسلامي اليوم سلاحا للدفاع عن الإسلام والمسلمين ودحض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام بين الحين والآخر.

وقال: للأدب الإسلامي أصوله وقواعده المستخلصة من مسيرته وأعلامه البارزين ونماذجه الرفيعة، فليس للأديب خصوصية تبيح له أن يخرج عن الإسلام بحجة الموهبة الأدبية، التي لا تستلزم في الحقيقة الخروج عن تعاليم الإسلام.. في الحوار التالي نتعرف على المزيد من آرائه وأفكاره.. وإليكم نص الحوار:

■ هل لنا - بداية - أن نتعرف منكم على أهم أسباب الدعوة للأدب الإسلامي؟

- إن الدعوة للأدب الإسلامي هي الوسيلة لتصحيح العلاقة بين الأدب والعقيدة وإيجاد الانسجام بين عقيدة المسلم وعطائه الأدبي، وتكامل شخصيته، فالإسلام ينظم حياة الفرد من أصغر شؤونه إلى أكبرها، والأدب الإسلامي إحساس بالجمال وتعبير عنه، والحياة كلها يحكمها الإسلام، والمسلم أديبا أو غير أديب ينبغي أن تكون حياته مشمولة بالإسلام، وإذا ظن الأديب أنه يمكن- بعد أداء فرائضه- أن يسرح كما يشاء، أو يقول كل ما تسول له النفس الأمارة بالسوء، فهو بذلك يقع في خطأ كبير.

إن الأدب الإسلامي- في أحد جوانبه- يمثل ردة فعل ضد تيار التغريب الذي تناول شعوب العالم الإسلامي بأسرها، وبلغ من خطورته أنه مضى يدعو إلى الأخذ بكل ما في الحضارة الغربية، وقد تصدى لهذا التيار عدد كبير من الأدباء المسلمين، خاصة أن الأدب الإسلامي يستطيع أن ينقذ الأدب العربي من وهدة التقليد والتبعية، فبعض الأدب العربي مزيف ويعيش بلا غاية أوذاتية أو قواعد أو منهج، ولقد أصبح كثير من النتاج الأدبي المعاصر يقوم على مهاجمة العقيدة الإسلامية صراحة، بل على التهجم على مقام الألوهية- والعياذ بالله - وتصوير الإسلام مرادفا للتخلف، فلا نجد في الأدب العربي المزيف أن الحياة مرسومة من خلال العقيدة، بل نجد تعمدا في إغفال العقيدة، وعدم ذكرها، إلا أن يكون الأمر سخرية بالدين والمتدينين، ولم يدرك كثير من المشتغلين بالأدب العربي أن تغريب الحياة الفنية الأدبية لا يختلف عن تغريب الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

إن واقع الأدب في العالم الإسلامي يختلف عما هو عليه في العالم العربي من حيث سيطرة الاتجاهات المنحرفة وغياب الهوية الإسلامية، مع الدعوة إلى الشعر الحر ليحل محل شعر التراث، ومع غلبة موجة الجنس على القصة والرواية، ومع الفتنة بالحداثة الفكرية الشاملة التي تجسد مسارها في الشعر والأدب..

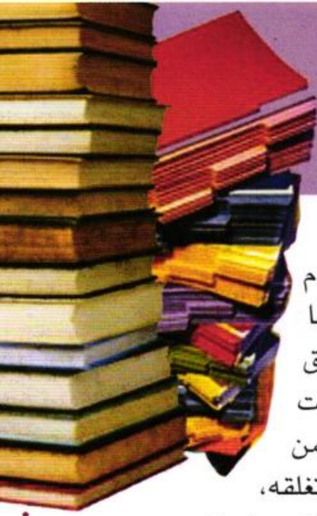
والأدب الإسلامي لابد منه لصياغة الوجدان الإسلامي دون انفصال بين الوجدان والعقل أو بين الدين والأدب، كما أنه ضرورة لتنشئة جيل ملتزم بالإسلام يعتز بتراثه، يثق في نفسه، ينفتح على عصره دون شعور بالنقص أو فقدان للهوية والأصالة، والإسلام عقيدة مميزة يؤمن بها أكثر من مليار و٢٠٠ مليون مسلم، وينبثق عن هذه العقيدة التصور الصحيح للكون والحياة والإنسان، فلماذا لا يكون لنا مذهب أدبي مميز؟

ولا يفوتني أن أؤكد أن الأدب الإسلامي ضروري لدفع الأمة الإسلامية إلى معركة المصير التي لا ينتصر فيها الضعفاء والمقلدون، فالمعارك الإسلامية عبر التاريخ واكبها الشعر والنثر، والمسلم المؤيد من السماء يتخذ الشعر سلاحا في المعركة، ويتخذ الخطابة أداة في الدعوة، خاصة أن كل الدعوات الإصلاحية والفكرية والاجتماعية والسياسية عبر القديم والحديث اتخذت من الكلمة الطيبة وسيلة مؤثرة في القلوب والعقول.

كلمة أصيلة

■ ولماذا يواجه الأدب الإسلامي حربا شديدة من قبل أعدائه؟

- ينبغي أن ندرك أن الذين يعارضون الأدب الإسلامي هم فئة أصابهم الوهن، وأخذوا يرددون: لماذا تدخلون الإسلام وتقحمونه



في كل شيء؟ وهو منطلق يصدر عن فئة لا تدين بالإسلام أصلا، وإن كان بعضهم مسلما بالهوية والاسم فقط، وهم يرون في الأدب الإسلامي خطرا يهدد ما يؤمنون به من مذاهب الأدب الرخيص من أدب ماركسي أو وجودي أو عبثي، لذا أقول لهم إن الأدب الإسلامي منسوب إلى المضمون، وهو أدب معتدل يقف أمام المذاهب الأدبية العالمية شاهدا عليها ومقوما لها في العالم العربي والإسلامي.

والأدب الإسلامي لا يقسم الأدباء على أنهم مسلمون وغير مسلمين، وإنما يصنفهم على أنهم ملتزمون أو غير ملتزمين، ولكن الناس لايزالون منذ عقود يطلقون على المفكر الذي يكتب عن الإسلام لقب مفكر إسلامي، ولم يقل أحد إن إطلاق هذا اللقب أو الوصف نوع من التخصص الذي يدل على انقطاع المفكر أوالأديب إلى هذا النوع من النتاج أو غلبة هذا النتاج على إبداعاته الأدبية والفكرية.

إن الأديب المسلم الملتزم يساهم بلا شك في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتكامل الشخصية المسلمة، وقد انتهى الآن العصر الذي كان فيه الأدب إلهاء فنيا وترفا فكريا، وذلك بانقضاء عصور التكسب بالشعر، وهي عهود قديمة، وأصبح الأدب الإسلامي اليوم كما كان في عهد الرسول ﷺ سلاحا للدفاع عن الإسلام والحض على الجهاد وصياغة الوجدان ورفع مستوى المسلمين رجالا ونساء وأطفالا بما تملكه الكلمة الأدبية الأصيلة في القلوب والعقول.

عطاء الأدب

■ في رأيك.. ما المنهج الذي تستطيع من خلاله رابطة الأدب الإسلامي العالمية الدفاع عن الإسلام وقضاياه؟

إن رابطة الأدب الإسلامي العالمية تمثل الأدباء المسلمين الملتزمين، وتتخذ منهجا موضوعيا للتصدي لخصوم الإسلام، يقوم على الموضوعية والمجادلة بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف ونبذ العنف في مقالاتهم وإبداعاتهم وندواتهم حتى تنطفئ نار الفتن، ويعم الأمن والاستقرار، وحتى تبقى الأمة صفا واحدا كالبنيان المرصوص، سواء في مضمار التنمية والتطوير، أو مواجهة الأخطار التي تحيط بالعالم العربي والإسلامي.

إن رابطة الأدب الإسلامي تبث الدعوة إلى مذهب الأدب الإسلامي ونظريته لمواجهة التحديات التي تحيط بالأمة، وتقف أمام المذاهب الأدبية الأخرى التي تهدم ولا تبني، وقد ساعدها في ذلك توافر الأسس التي لابد منها لقيام المذهب الأدبي، فقد أتيح لها وجود التصور الإسلامي، وكذلك توافر النصوص، فلا يملك مذهب من المذاهب العالمية أو أمة من أمم الأرض من النصوص ما يملكه الأدب الإسلامي، فطوال خمسة عشر قرنا لم ينقطع عطاء الأدب الإسلامي، حتى في عصور الانحطاط لم ينقطع دوره في الدفاع عن قضايا الأمة والمسلمين.

الـدعـوات الإصـلاحـيـة والـفـكـريـة اتـخـذت مـن الكلمـة الطـيـبـة وسـيـلـة مـؤثـرة فـي الـقـلـوب والـعـقـول

ثوابت القيم

■ وهل هناك قواعد وأصول للأدب الإسلامي يجب الالتزام بها؟

- نعم، فالأدب الإسلامي له أصوله وقواعده المستخلصة من مسيرته ومن أعلامه البارزين ونماذجه الرفيعة، من الأدباء الذين يعبرون عن منظومات مختلفة، وموازين الأدب تعطيهم حق الانتماء إلى عالم الأدب، والأديب الإسلامي لابد أن يكون أديبا أولا، أما مصطلح إسلامي فهو مصطلح عقدي يضم بين جناحيه أبعادا حضارية ورؤية للحياة والإنسان والكون، فهو مصطلح له أبعاده الإنسانية التي تمتد إلى رؤية كل العلوم الإنسانية ومجالات الإبداع، والنظرة التقويمية لكل مجالات الحياة الفردية والاجتماعية وفقا لقيم الإسلام.. وهذا يجعل ارتباطها بالأدب بعيدا عن أن يكون تكبيلا، أو حجرا على الإبداع عبر ساحة الحياة والكون، مادام هذا الإبداع ملتزما بثوابت القيم والحق والخير، وهي ثوابت تفتح الطريق وتضمن السير الرشيد، ولا تغلقه، وتضمن البناء وتكبح نوازع الهدم.

إن الأدب الإسلامي هو التعبير الفني لما يقع تحت حس الأديب ويستقر في وجدانه نتيجة رؤيته الإسلامية للواقع وما ينشأ عنها، وهذا يعني أن الأدب الإسلامي خطاب إنساني خالص الفطرة بلغة فنية خالصة من التكدير، فالأدب الإسلامي يوصف بالعالمية إذا كان الأديب قد خرج إلى الشمولية ولم يقف عند الخصوصية البيئية، وهذه الشمولية إنما تناط بالموضوع أو القيمة، أما الشكل أو القالب المادي أو الأسلوب التعبيري فيخضع للبيئة الخاصة بالأديب.

وليس للأديب خصوصية تبيح له أن يخرج عن الإسلام بحجة الموهبة الأدبية، التي لا تستلزم في الحقيقة الخروج عن تعاليم الإسلام، ومقتضيات الفن الصحيح لا تستدعي الخروج عن حدود الدين، والأديب المسلم مدعو كالمفكر المسلم إلى الإسهام بقلمه في رفع مكانة الأمة إلى معركة المصير الحضاري، فهي معركة متنوعة الأبعاد بكل ما في الحضارة من فكر واجتماع واقتصاد وعلوم تقنية وأدب وفنون حتى تعود هذه الأمة إلى حمل مشعل الحضارة من جديد، وهي لن تستطيع ذلك بالعلم الذي تفنيه العقول، إلا إذا تمت مقارنته بالأدب الإسلامي الذي يسوغ الوجدان ويشحذ الإيمان ويبني الإنسان.

والأدباء الإسلاميون في مشارق الأرض ومغاربها مدعوون إلى تقديم أدب هادف ملتزم بتعاليم الإسلام، ليس فيه العقائد المنحرفة ولا سعار الجنس الهابط ليمثل الساحة الأدبية بجدارة الإبداع وصدق الشعور وجمالية العطاء مع شرف المضمون وسموه وإنسانيته.



قواعد منهجية لتأسيس ملامح مدرسية في الأدب الإسلامي

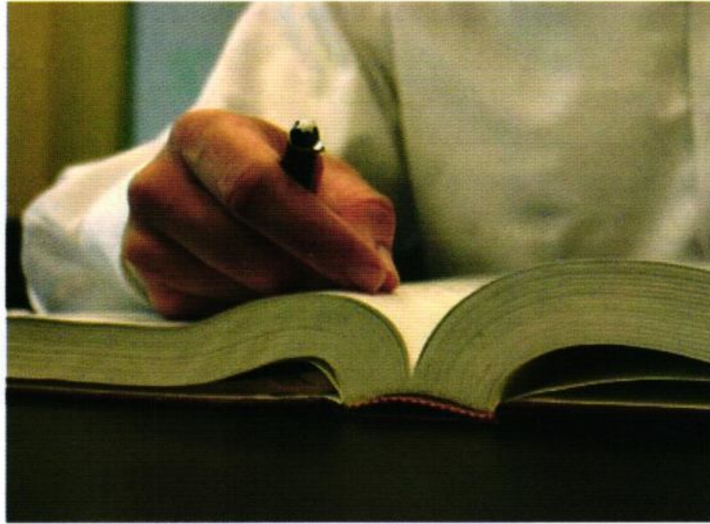
(٢/١)

د. محمد إقبال عروي

تعني المدرسية في أوضح دلالاتها أن تتشكل داخل اتجاه أدبي معين منازع ومدارس فنية تستمد الأسس والمبادئ الكبرى فنيا وفكريا من الاتجاه الأم، لكنها تمتد، كل في حدود طاقته وخبرته وحساسيته الجمالية، لتشكل تيارات أدبية، والمدرسية بهذا المعنى تعني مؤسسة معرفية ونقدية وجمالية، تنميها وتقودها روافد عديدة، منها البيئة والمحيط الاجتماعي والتكوين الثقافي والتشكيل النفسي والذوق الفني واحتياجات المتلقي.

ولا يجادل أحد في دور تلك الروافد، فللبيئة تأثيرها القوي على شخصية الأديب، ولم يكن النقد العربي القديم مجافيا للواقع حين صاغ مقولة في هذا الإطار مفادها أن الشاعر ابن بيئته، فبيئة الصحراء غير بيئة السواحل، والمحيط الاجتماعي في قلب الجزيرة العربية غيره في شمال إفريقيا، والتكوين الثقافي إن لم يتباين، فهو يتنوع ويتعدد بتنوع المؤسسات الثقافية، أما التشكيل النفسي فللأسرة والمدرسة دور كبير في تنميته وفق اتجاه معين، ولا شك أن مقروء المرء ومعارفه تساهم إلى حد كبير، في تشكيل ذوقه الفني، كما أن احتياجات الجمهور وتطلعاته تمارس دورها في التأثير في أولويات الأديب فنيا ومضمونيا.

والهدف من صياغة هذه الملحوظات أن تتحول إلى قاعدة مجمع عليها في ساحة التنظير للأدب الإسلامي، بالمعنى التقريبي للاجماع لدى الأصوليين، وأن يتراجع بموجب احكامها خطاب آخذ في الانتشار والهيمنة والتأثير داخل بعض المؤسسات المعنية بالشأن الأدبي الإسلامي والمجلات المختصة، خطاب يستنكر كل مظهر من مظاهر



التنويع والتغيير في التشكيل الأدبي والفني والدلالي فيما يصدر عن الأدباء داخل الدائرة الإسلامية، من دواوين وقصص وروايات... باعتبار أن ذلك التنويع والتغيير مظنة الوقوع في تمييع بناء الأدب الإسلامي وجعله كيانا هلاميا هجين الهوية، فاقدا سمات الأصالة والتميز والذاتية الإسلامية النقية.

إن الوضع النقدي داخل الدائرة الإسلامية محتاج إلى الوقوف بعمق نظري ووعي تأصيلي على المعطيات الآتية:

- التنوع والاختلاف سنة كونية واجتماعية، وأصل الأصول في ذلك قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم..﴾ (الروم: ٢٢)، فأن يجعل الاختلاف هنا آية من آيات الله فهو دعوة إلى أن ينبه إليه ويبرز جليا بين يدي الإنسانية، فهو في كون الحياة الإنسانية مثل الشمس والقمر والأرض والجبال في كون الطبيعة كلها آيات بينات.

واختلاف الألسن هو من باب أولى اختلاف النفسيات والأذواق والمشاعر والأحاسيس وطرق تمثلها وأساليب التعبير عنها، لأن الألسن لا تعبر عن الفراغ بالفراغ، وإنما تعبر عن مكنون كامن ببيان كائن.

وهذا يعني أن تحتل المشاعر والوجدان أوسع مجال في تحديد هوية الإنسان، فلا تحدد هويته بعلمه وعقله، وإنما بمشاعره ووجدانه، يقول د.ياسر العيتي: «إن مشاعرنا هي هويتنا، فالإنسان يتميز عن غيره بمشاعره، وبمقدار ما يذلل الإنسان مشاعره وينميها ويهتم بها بمقدار ما يشعر بذاته واستقلاله» (١).

ومن ثم فإن مراعاة التنوع والاختلاف ورعايتهما سبيلان إلى احتلال مواقع الريادة والتأثير، والأمل معقود على البرامج التربوية والمقررات الدراسية لإبراز قيمة الاختلاف والتنوع لا الفرقة والتصدع في الأبعاد الحياتية والجمالية.

إن الدارس ليرتاح إلى ما انتهى إليه كبار النقاد في الدائرة الإسلامية من تعين سلوك طريق الاختبار والتجريب والإضافة النوعية باعتبارها مسالك وتجليات لفلسفة رعاية التنوع والاختلاف وفق مقاصدها المنتجة. يقول د.عماد الدين خليل: «ما من شك أننا مازلنا في مرحلة التكوين الذي ينطوي بالضرورة على الاختبار والتجريب، والبحث الجاد عن الإضافات النوعية التي تزيد أدبنا أصالة وتميزا... وبالتالي وبقدر تعلق الأمر بالخصائص المذهبية فإن على أدبائنا الإسلاميين أن يجربوا ويكتشفوا» (٢).

مع التذكير بأن الاختبار والتجريب والإضافات النوعية

- تقوية بناء الأدب الإسلامي



بعض مؤسسات الأدب الإسلامي تستنكر مظاهر التنوع والتغيير في التشكيل الأدبي والفني والدلالي فيما يصدر عن الأدباء داخل الدائرة الإسلامية

يستدعي التمثل لا التقليد.

والمقصود بالتمثل الاستيعاب الدقيق للقواعد التي يرسمها رواد الأدب الإسلامي، سواء على مستوى الشكل أو المضمون، استنادا إلى اختمار التجربة لديهم، وإدراكهم لمقومات الإبداع الأدبي وضوابطه الشرعية والقيمية، بشرط ألا يكون ذلك التمثل محاكاة صرفة ونقلا آليا فهو حينئذ، يتحول إلى تقليد.

وإذا كان التقليد بصفة عامة، مذموما في البيئة العقائدية والدينية إسلاميا فإنه أكثر ذما في البيئة الإبداعية القائمة على الذاتية والتجربة الشعورية الفردية.

إن الخطاب الأدبي الإسلامي المعاصر مرهون في قطاع عريض منه بمقولة: «الاتباع ضمان سلامة البناء»، بينما الأصل أن التمثل لا الاتباع هو ضامن سلامة بناء صرح الأدب الإسلامي، لأن التمثل يعطي الأصالة إمكانية البروز والنمو والاختمار بوضعها في سياق الحوار المستمر مع قيم التمثل، بينما يكون الاتباع طريق التقليد والجمود، ولم يثبت في نص واقع أن أمة ارتقت بفعل التقليد والجمود أو أنها ارتكست بفعل التجديد وتنمية الأصالة.

- الوصاية على الأدباء موقف سلبي قائم على توهم الخوف على مصير الأدب الإسلامي.

يشعر العديد من شباب الأدب الإسلامي أن هناك وصاية شبه خفية تفرض عليهم باسم رعاية الوحدة العقائدية ونقاء الالتزام الأدبي، وأن هناك رقابة من مؤسسات أدبية تعنى بالأدب الإسلامي، تتمثل في قبول إنتاج من يساير الأنماط الموجودة وإقصاء أو تهميش كل إنتاج تلمس فيه مظاهر الخروج عن الأنماط المألوفة، صياغة وإيقاعا ودلالة، وقد انتهت هذه المراقبة العرفية إن صح التعبير إلى أوضاع سلبية من مثل هيمنة نمط مخصوص في الكتابة الأدبية، ونشر الأعمال المساوقة لإيديولوجية الثبات على الثوابت والخوف على مصير الأدب الإسلامي من أن تميع ذاته وتتلاشى في أجواء الإبداعية والتجديد والتغيير، وانكفاء الطاقات الشابة على نفسها مما يؤول بها إلى الجمود والضياع والموت، أو التمرد غير الموزون والكفر بمختلف القيود والقوالب والمؤسسات.

- الأصل في الأشكال الإباحة.

صراع مرير ونقاش طويل يروج في ساحة الأدب الإسلامي حول رتبة الأشكال الفنية في سلمية الجواز والإباحة والحرمة، وغلب على رواده استجابة لثقافة سد الذرائع والأخذ بالأحوط، توهما لأمن أدبي في سياق تتفاعل فيه الثقافات والقيم والتجارب سلوك الإنكار على من أخذ بالشعرالحر أو ابتكر أساليب لم ينزل التراث بها من سلطان.

وتحرير القول في هذه الإشكالية يقتضي التذكير بالآتي:

- الشكل الخليلي كان هو الإمكانية الوحيدة المتاحة في العصر الإسلامي الأول.

- الأشكال تتطور بتطور الثقافات والأذواق الأدبية والاتجاهات النقدية ومن ثم فمن المباح للأديب أن يختار الشكل الذي يراه ملائما لأن يصب فيه تجاربه الإبداعية ولم يكن الإسلام ليقف في وجه اجتهاد بشري ما في حقل هو أصلا من إنتاج بشر «يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق».

- احتضان الإسلام للشكل الفني القديم تمثل فني وليس دينا متبعا منذ انتقادات الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- للشعر الحديث (الحر) وكلام د.عمر فروخ في هذه «البدعة» الأدبية وانتهاء إلى مقالات ودراسات لنقاد الأدب الإسلامي مرورا باللقاءات والندوات والمؤتمرات يزداد الإحساس بأن رواد الأدب الإسلامي يعتقدون في وجود علاقة ما بين الإسلام والشكل الخليلي في الشعر، علاقة ما تصل إلى درجة التبني والدفاع.

وهذا ما يفسر نفورهم من الشكل الشعري الحر أوالمنثور، أوما شابهه فهو، عندهم «البدعة» التي يجب محاربتها ويتم استنفار أقلام النقد للربط بين هاته «البدعة» والعلمانية والحداثة، والاستعمار الثقافي.

بينما الأصل أن يفك هذا الارتباط القدسي بين الإسلام والشكل الخليلي وذلك لأن الشكل الخليلي سابق تاريخيا على الإسلام، ولم يكن للدين فضل في تأسيسه كي يكون حارسا له ومدافعا، وما استناد شعراء الإسلام عليه إلا لأنه النمط الوحيد الذي أتاحه لهم واقع الإبداع الأدبي في عصرهم، فهم قد تمثلوه، فنيا لا عقديا، وليس في مصلحة الدين أو الشعر الخليلي أن يُتعسف في تأسيس «قران» ديني بينهما.

وينتج عن هذا حقيقة أن موقف الإسلام من الإيقاع العروضي القديم هو موقف التمثل لا التدين، وإذا كان تغير الأعراف يقتضي تغير الأحكام والفتاوى فمن باب أولى أن تتغير الأعراف الفنية، إذ «العرف محكم»، و«الثابت بالعرف كالثابت بالنص».

يقول المرحوم نجيب الكيلاني: «الأدب الإسلامي ليس مجانبا للقيم الفنية الجمالية، فهو يحرص عليها أشد الحرص، بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها، والتراث الجمالي العالمي ملكية شائعة كالدين والفلسفة والعلوم لا يحتكرها شعب دون آخر» (٣)، ويضيف مؤكدا لخصائص الانفتاح الفني والتجديد التشكيلي: «والأدب الإسلامي ليس قواعد جامدة أو صيغا معزولة عن الحياة والواقع، أو خطبا وعظية تثقلها النصوص والأحكام ولكنه صور جميلة نامية متطورة، تتزين بما يزيدها جمالا وجلالا» (٤). وهذا يقتضي التحذير من بعض الأحكام والمواقف من مثل ما سيرد في القاعدة الموالية في الجزء الثاني من الدراسة.

هوامش

١ -د. ياسر العيتي: «الذكاء العاطفي»، دار الفكر، دمشق، ط:٤، ٢٠٠٦، ص: ٦٥.

٢- د.عماد الدين خليل: «حول مذهبية الأدب الإسلامي»، مقال بمجلة: «الأدب الإسلامي»، الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، عدد:٦٢، ٢٠٠٩، ص: ٦٠

٣- نجيب الكيلاني: «مدخل إلى الأدب الإسلامي» ص: ٣٣.

٤- المرجع نفسه: ص: ٣٥.



معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي

د.خالد فهمي

مازال التقدم العلمي- حتى وهو يرتاد آفاقا جديدة- يكشف عن أبعاد جديدة لحقيقة ثابتة راسخة هي الأثر الجبار الذي أحدثه الإسلام في الحضارة الإنسانية، وخصائص مختلفة في غاياتها عن غيرها من الحضارات التي عرفها البشر في الأزمنة والأمكنة المختلفة. ولقد كشف العصر الحديث عن علم جديد، وإن بدت بعض إشارات قديمة إلى بعض قضاياه ومسائله- وهو علم المخطوط العربي، يقول د.عبدالستار الحلوجي «إن التراث العربي المخطوط أطول عمرا وأضخم عددا وأشد تنوعا وأقوى انتشارا وأكثر أصالة من التراث المخطوط لأية أمة أخرى» (1) وقد تأسس هذا الحكم على معايير زمانية ومكانية وحضارية «أضفت عليه قيمة لا نظير لها، فهو الذاكرة الحية لأمة امتد تاريخها على خمسة عشر قرنا من الزمان، ووضعت أقدامها في مشارق الأرض ومغاربها، وأمدت الحضارة الإنسانية بزاد ثري في مختلف فروع المعرفة، وتفرد تراثها بعلوم لم يسبقوا إليها، ولم يلحقوا فيها».

ويعرف علم المخطوط بأنه «الدراسة المختصة بتناول جميع جوانب المخطوط باستثناء محتواها، كما يوصف بأنه ذلك العلم الذي يركز كليا على الخصائص المادية للكتاب المخطوط باليد».

ويستنبط د.الحلوجي (٢) في غير ما مصدر من مؤلفاته أن علم المخطوط العربي يتناول بالدرس ستة محاور أساسية هي:

١- تاريخ المخطوط. ٢- دراسة المخطوط كوعاء من أوعية المعلومات. ٣- تقييم المخطوط. ٤- الحفظ والصيانة.

٥- الفهرسة والضبط الببليوجرافي.

٦- التحقيق والنشر.

وبعيدا عن الجدل الذي قد يثور حول هذا المفهوم فإننا نرى أن جمع مصطلحية علم المخطوط العربي، أي مجموعة المصطلحات المعبرة عن مفاهيم هذا العلم وتصوراته- أمر حديث جدا من جانب، وأمر مهم جدا لاعتبارات متعددة، وهو أمر يكشف عن العناية الفائقة التي أولتها الحضارة العربية الاسلامية للكتاب المخطوط للدرجة التي نستطيع أن نقرر معها أن قراءة المنجز الحضاري للأمة العربية الاسلامية في مجال المخطوطات تقود إلى تقرير الحقيقة التي تقول إن علم المخطوطات كان التطبيق العملي لمثل قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ (العلق:١-٤)، وبإمكاننا أن نقرر أن تلاوة مثل قوله تعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم:١)، حق التلاوة قاد إلى هذا الذي كان من أمر هذا العلم، إذ كان لهذا القسم الإلهي أثر ظاهر في عناية العرب بمظاهر هذا العلم.

مصادر مصطلحية علم المخطوط عند العرب

لاشك أن علم المخطوط العربي بني جهازه الاصطلاحي عن طريق ما نسميه المصطلحات الرحالة، أي بنقل عدد من ألفاظ العلوم المختلفة التي أسهمت في بناء هيكل هذا العلم المعرفي، وهي على جهة التعيين ماثلة في المحاور الستة التي اقترحها د.عبدالستار الحلوجي.

ومن ثم فإننا نستطيع أن نقرر أن بناء معجم لمصطلحات هذا العلم ينبغي أن يعتمد على المصادر التالية:

أولا- ما حفظ لنا عبر التاريخ الطويل من مخطوطات، بأشكالها وخطوطها المختلفة.

ثانيا- مصنفات الفهارس والبرامج المختلفة التي احتفظ بها لنا التاريخ العلمي العربي.

ثالثا- مصنفات علم الرسم والكتابة وآلاتها.

رابعا- مصنفات المحدِّثين المسلمين، ولاسيما في أبواب الكتابة عن الشيوخ إثباتا وكشطا وتضبيبا وتصحيحا وطمسا... الخ.

خامسا- مصنفات صناعة الإنشاء، وديوان الكتابة وديوان الخراج لعنايتها في بنائها العلمي بما يلزم الكاتب من أدوات كتابته، وطرق البري وأنواع المداد، وصنوف الخطوط... الخ.

من مثل مصنفات: القلقشندي وابن فضل الله العمري والنويرى وغيرهم.

سادسا- المصنفات المعاصرة في أثر الحضارة العربية وتاريخها من مثل ما كتبه آدم متيز وجوستاف لوبون، والعقاد وغيرهم.

سابعا- المؤلفات المعاصرة في علم الكتاب العربي، من مثل ما ألفه محمد محمد أمان وأيمن فؤاد سيد وجورج عطية وعبدالله الحبشي ومحمد ماهر حمودة وغيرهم.

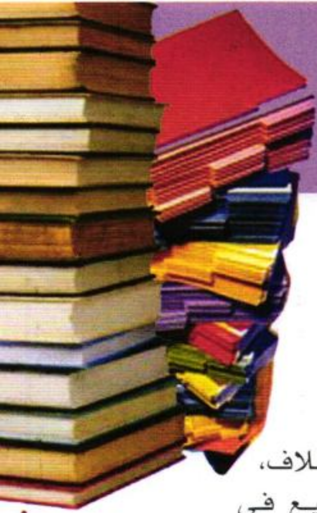
ثامنا- المؤلفات المعاصرة في علم المخطوط العربي من مثل ما كتبه عبدالستار الحلوجي وأحمد شوقي بنبين وغيرهما.

تاسعا- المؤلفات المعاصرة في تحقيق النصوص العربية، من مثل ما كتبه برجشتراسر وعبدالسلام هارون ورمضان عبدالتواب وغيرهم.

عاشرا- المعاجم المعاصرة في علوم التأليف والبحث العلمي والتوثيق وعلم المكتبات.

حادي عشر- المصنفات المعاصرة التي تدرس قضايا الترميم والصيانة للمخطوطات القديمة وعلم الخط.

ثاني عشر- مجموعة معاجم المصطلحات المتعددة للعلوم عند العرب، كمفاتيح العلوم



للخوارزمي والتعريفات للجرجاني وغيرهما.

فهذه المصادر الموزعة على اثنتي عشرة مجموعة هي في تصورنا المادة اللازمة لصناعة معجمات لمصطلحية علم المخطوط، وهي مجموعة قابلة للزيادة، ولاشك، عند التفصيل الذي لا يناسب المقام هنا.

معاجم مصطلحات المخطوط العربي المعاصرة

كان لتطور علم المخطوط العربي في العصر الحديث، وظهور تخصص مستقل يناقش مسائله، ويدرس قضاياه- الأثر في ظهور الحاجة إلى معجمية مختصة بمصطلحاته، تعنى بجمعها وترتيبها وضبطها وتحريرها وتدقيق مفاهيمها وتصوراتها.

ومن الحق أن نقرر أن ظهور معاجم لمصطلحات هذا العلم سبق إليه العلماء في الغرب، ثم تبعهم العلماء العرب على إقلال لا يناسب قيمة هذا العلم والتفوق العربي فيه.

وقد عرف التصنيف المعجمي المختص في العصر الحديث ثلاثة معاجم اعتنت بجمع مصطلحات علم المخطوط العربي وشرحها وتعريفها هي كما يلي:

أ- مصطلحات علم المخطوط، لدينيس موتزيريل Denis Muzerelle الذي أصدره في باريس سنة ١٩٨٥م، وهو معجم فرنسي عنوانه: vocabulaire codicologique.

يقول عنه د.أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبى أراد له صانعه «أن يكون موجزا يقتصر على شرح الكلمة شرحا مختصرا على غرار شروح الألفاظ في القواميس اللغوية، وهو أول معجم ظهر في التراث الإنساني في هذا المجال».

ب- تقاليد المخطوط العربي وهو معجم مصطلحات فنية مع ببليوجرافيا، للمستشرق البولوني آدم جاسيكAdam Gacek ، طبعة بريل بلين وبوستون وكولن سنة ٢٠٠١م وهو معجم عربي انجليزي.

ج- معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) للدكتور أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبى، الخزانة الحسنية بالرباط، صدرت آخر طبعاته وهي الثالثة سنة ٢٠٠٥م

وهناك محاولة معجمية أخرى يبدو أنها صنعت على سبيل التجريب، صنعها محمد شبوح بعنوان «نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص صناعة المخطوط العربي».

وظائف معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي

أولا - الوظيفة الحضارية

المقصود بها أن يكون المعجم هنا أداة كاشفة عن مدى ما قدمته الثقافة الاسلامية المتلبسة باللسان العربي من عطاء خاص متعلق بتراث الأمة العربية المخطوط، وأن امتداد تاريخهم في كتابة علومهم ومعارفهم أصاب أنواع المادة المكتوب عليها، وأنواع الخطوط المستعملة، وأنواع الأحبار وألوانها، والرسوم والجداول التوضيحية، والتزيين والزخرفة وأنواع القلم وكيفية بريه، وصناعة التجليد، وحفظ المخطوط وصيانته إلى غير ذلك من موضوعات كانت مشغلة لأمة معرفية أنتجت ابتكارات وعلوما سعدت بها الإنسانية.

جهاد بعض العلماء ساهم في كشف وجه حضاري رائع طالما أعطى للإنسانية وحنا عليها

ثانيا- الوظيفة الاصطلاحية/ المعرفية

بجانب ما تقوم به معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي من كشف عن الوجه الحضاري الرائع لهذه الأمة العربية الاسلامية فإننا لا يمكن أن ننكر أن أي معجمات مختصة تتمثل وظيفتها الكبرى في ضبط مصطلحات العلم وتحريرها وشرحها وتعريفها والعناية بمفاهيمها وتقريب تصوراتها للإدراك.

وهذه الوظيفة الاصطلاحية هي الأساس، ولا شك، وهو ما لمسه صانعو هذه المعجمات ونصوا عليه، يقول د.مصطفى طوبى في مقدمته لمعجم مصطلحات المخطوط العربي (ص ١٨) «أصبح وضع معجم في علم المخطوطات ضربة لازب في الوقت الراهن» وهذه الوظيفة من الظهور والمنطقية بحيث لا تحتاج إلى التوقف كثيرا أمامها.

ثالثا- طلب استقرار علم المخطوط العربي

هذه وظيفة تبدو مثيرة للغرابة إلى حد كبير، ذلك أن المعجمات المختصة عموما تعكس وجها من وجوه النضج والاستقرار للعلم الذي تقوم بجمع مصطلحاته وترتيبها وتحريرها وتعريفها، ولكن الأمر هنا يعتريه شيء من الاختلاف، إذ يشيع في الأدبيات المعنية بدراسة علم المخطوط العربي والتعريف به جدل لم يحسم إلى الآن حول طبيعة هذا العلم، ومحاوره، وما ينضوي تحته وما لا ينضوي، بصورة فيها تفاوت ملموس بين الدارسين، ولذلك سعت بعض المعجمات المصنفة في العناية بمصطلحات هذا العلم إلى أن تصنع دورا في استقرار مفاهيم هذا العلم ونضجه وترسيخ المحاور التي تدخل في نطاقه، وهو ما يعبر عنه تعبيرا واضحا د.أحمد شوقي بنبين (ص ١٢) قائلا «والإقدام على إنجاز هذا المعجم يعتبر نوعا من المخاطرة، لأن علم المخطوطات بمفهومه العلمي الحديث الذي يمكنه أن يمدنا بما نحتاج إليه من ألفاظ ومصطلحات هو علم جديد لم يتبلور بعد، بل مازال في مرحلة الطفولة»، ولست أشك في أن هذه المعجمات ستحقق خطوة ملموسة في استقرار مفاهيم هذا العلم الحديث.

رابعا- الوظيفة التاريخية

يعرف المهتمون بالمخطوطات العربية أنها خضعت لتطورات كثيرة على امتداد تاريخ مزدهر من العناية بالكتاب، وهو ما يشير إلى تنامي ظهور مصطلحات مع مرحلة تطورية خضع لها المخطوط العربي، بمعنى أن عددا من مصطلحات التجليد مثلا لم تكن موجودة إلى أن بدأت مرحلة تجليد المخطوطات.



وهو ما يعكس من جانب مهم مرونة اللسان العربي الذي استطاع باعتراف المعجميين المختصين أن يمد الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط بما يحتاج إليه في كل مرحلة من مراحل تطوره.

ومع هذه الوظائف المهمة جدا فإن ثمة عددا آخر من الوظائف الصغرى التي عنيت بها هذه المعجمات من مثل:

أ - بيان معلومات الضبط والهجاء.

ب- بيان معلومات البنية (المعلومات الصرفية)

منهجية الترتيب

غلب المنهج الألفبائي على أنظمة ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي، والعلة المذكورة- وهي صادقة- هي التيسير على المستعملين.

والحق أن ترتيب المصطلحات ألفبائيا وفق شكلها النهائي في الاستعمال من غير اعتبار الرد إلى الجذور أو الأصول أرقى في باب التيسير على المستعملين، وهو ما فعله د.أحمد شوقي بنبين ود.مصطفى طوبى، ونبها عليه في مقدمات معجمهما.

أما آدم جاسيك وإن رتب المصطلحات ألفبائيا فإنه راعى أصول المصطلحات أو جذورها التي انحدرت منها وهو ما قلل من التيسير ولم يراع طبيعة بعض المصطلحات المركبة والأعجمية، وهو ما انتقده فيه معجم مصطلحات علم المخطوط العربي.

استدراكات

لاشك أن ظهور هذه المعجمات دليل في يد دارسي العربية على مرونتها وقدرتها على مواجهة التطورات المعرفية، ولاشك أننا نقدر الجهد الرائع الذي اضطلع به أصحاب هذه المعجمات لاسيما معجم مصطلحات علم المخطوط العربي، وهو ما يدعونا إلى التنبيه إلى عدد غير قليل من المصطلحات، ومن المعلومات التي يرجى أن يستدركها الفاضلان د.أحمد شوقي بنبين ود.مصطفى طوبى، وفيما يلي مجموعة من الملاحظات الاستدراكية.

١- خلو المعجم من السمة الموسوعية، بمعنى أنه خلا من إيراد أي من المعلومات الموسوعية المتعلقة بالأعلام أو المؤلفات الشديدة الارتباط بمصطلحات علم المخطوط، من مثل ابن درستويه وابن البواب والسمعاني والقلقشندي... الخ، ومن مثل أدب الكاتب وصبح الأعشى... الخ.

٢- خلو المعجم من مصطلحات الضبط في العربية من مثل الشدة/ الضمة/ الفتحة/ الكسرة.

٣- خلو المعجم من مصطلحات كثيرة لها علاقة بمادة علم المخطوط العربي من مثل «مرتبة على منهج المعجم»، «أما بعد» «فصل الخطاب» وهي العبارة التي ينتقل فيها الكاتب إلى موضوع كتابه بعد انتهاء صدر الكتاب، البري (بري القلم) وهو إعداد القلم وتجهيزه للكتابة عن طريق ضبط سنه بسكين بطريقة معروفة، سجية الرسم (طبيعة الكاتب في كتابته) وهي تفيد في فحص الكتب المزورة، ويمكن أن تضاف كوسيلة لبيان توثيق نسبة المخطوطات إلى أصحابها إن ذكر أنهم كتبوها بخطوطهم، فصل الخطاب (انظر: أما بعد)، فقر منتخبة، وهي نصوص مقتبسة من نص آخر، قطع الكلمة، وهو توزيعها على سطرين وهو مما يستقبح في عرف الكتاب، المنظومة، وهي نوع من التأليف يدون المعارف في صورة نظمية يغلب أن تكون رجزا، النسخة المجددة، وهي النسخة الناقصة التي يكتبها ناسخ معين ثم يأتي ناسخ آخر فيكملها، ومما أقترح زيادته كذلك، النسخة المورثة والنسخة اليتيمة، ومما يصح زيادته على بعض تعريفاته ما يلي: زيادة ما يلي في آخر مدخل التعليقة (ص٩٤) «وهي آخر كلمة في الصفحة توضع أسفل الصفحة وهي هي التي تبدأ بها الصفحة اليسرى من أعلى لغرض ترتيب أوراق المخطوط، وهي شكل قديم يقوم مقام الترقيم»، وأقترح زيادة ما يلي في آخر التعليق على المعنى التوقيع (ص١٠٦)، «وهو رد مركز دال على معنى كثير بلفظ قليل، يمثل إجابة على الكتاب»، وأقترح زيادة ما يلي في آخر التعليق على معنى الخاتم ص ١٣٩ «وأول من ختم الكتب النبي ﷺ حين علم أن الملوك لا تقبل إلا إن كانت الكتب مختومة» (عن الرسالة العذراء ١٣٩)، ويضاف معنى آخر هو: خاتم الكتاب: ربط الكتاب منعا من اطلاع حامله.

كما وقع بعض الملاحظات المتعلقة ببعض علامات الاضطراب المعجمي من مثل:

- تعريف البيكار (ص ٦٤) بأنه أداة تستعمل في رسم الأشكال الهندسية في الكتاب ويقال له البركار، ويقول في تعريف البركار (ص ٥٨) «آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر»، وهما تعريفان مختلفان بعض الاختلاف.

وأصول الصناعة كانت تقتضي أن يعرفها عند أول مرة ترد ثم يذكرها في صورتها الثانية من غير شرح ويستعمل نظام الإحالة المعجمية في الموضع الأول إلى الموضع الثاني، وفي الموضع الثاني لا يشرح ويحيل إلى الموضع الأول.

ويعلق على معنى التحبيس بما يشعر أنه خاص بالغرب الإسلامي فيقول: هو المصطلح الذي استعمل في الغرب الإسلامي للتعبير عن الوقف، وهذا غير دقيق، إذ الحبس (بضمتين) مستعمل في معنى الوقف عند المشارقة هذه، ظن؟ ففي الأم للشافعي باب للحبس أي للأوقاف!

لا يستعمل المعجم العربي التصلية مصدرا في الصلاة مطلقا وإنما يستعمل اسم المصدر (الصلاة) في هذا المعنى دفعا لتوهم المعنى المتعلق بتصلية النيران، وهم يستعملون الصلاة اسما ومصدرا منعا للبس، ومن ثم فالصواب بدلا من مدخل التصلية ص ٩٠ أن يكون المدخل (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) ويرد في باب الصاد!

أقترح أن يزيد في التعليق على مدخل الطين ص ٢٣٧ «ويستعمل في ختم الكتب وربطها»، وقع اضطراب في ترتيب المداخل التالية (٣٦٠) «النسخة العلمية/ النسخة المفككة/ النسخة المنصورية/ النسخة العالية» وحسبنا هنا أن نثمن جهاد هؤلاء العلماء الكبار في الكشف عن وجه حضاري رائع طالما أعطى الإنسانية وحنا عليها.

المراجع

١- نحو علم مخطوطات عربي، للدكتور عبدالستار الحلوجي، دار القاهرة سنة ٢٠٠٤م ص ٥١.

٢- نحو علم مخطوطات عربي ص ١٧ وانظر تطبيقه لهذا المفهوم في المخطوط العربي له، الدار المصرية اللبنانية، والقاهرة سنة ٢٠٠٢م.



وتبقى لنا دائما صحبتك...

د.عبدالمنعم حسن

تعددت وسائل نشر الفكر ويسرت مصادره، وأصبح الطريق معبداً أمام الوصول الى المعلومة والإلمام بكل ما يتعلق بها بجهد أيسر، ووقت أقصر، وأصبح اقتناء مكتبة ضخمة تحوي كماً هائلاً من الكتب والمراجع والمصادر في حقيبة محمولة في اليد أمراً متداولاً.
فهل يغني ذلك عن اقتناء الكتاب المطبوع، والرجوع إليه والاستعانة به، والبحث فيه؟
وهل تغني هذه المكتبات المحمولة في حقيبة تحملها اليد الواحدة عن هذه الأرفف التي تحمل الكتاب، وصالات الاطلاع الواسعة، وقاعات القراءة الفسيحة التي تُجمّل بها المكتبات العامة، وهذه الخزائن التي تحوي الكتاب في المكتبات الخاصة بدور العلماء والمفكرين والباحثين وطلاب العلم؟
وهل يغني التجوال في الحاسوب أو «اللاب توب» أو «النت» عن التجوال بين صفحات الكتاب، والتمتع بالتجوال بين أوراقه ومتابعة سطورة، وملاحقة فقراته؟

إن التعامل مع الكتاب المطبوع يتيح رحلة للنفس في تناغم رائع، وتلاحم حميم، وتعانق دافئ، وتناغم مطرب، وتناج هامس، وصور من المتعة متعددة، تبدأ من صورة الغلاف، تصميمه وهندسته، شكله ولونه، حجمه ومساحته، ظلاله وجماله، مما يبدع فيه الملهمون، وللنفس ارتباط عميق بهذه الملامح الفنية التي يحتويها الغلاف، ان لها في ضمير الوعي قراراً، وفي عميق النفس استقراراً، وفي الذهن ارتباطاً وثيقاً، إذا ذكر اسم الكتاب استحضر الذهن صورته وملامحه ولونه، وفنيات غلافه، واستدعى شكله، وحجمه، وصورته، ولونه.

ثم، إن ملاصقة الأصابع لأطراف الكتاب تمسك به، وملامسة الأنامل لصفحاته لمتابعة قراءته حركات تحدث في عفوية لكن لها ايقاعاً عجيباً، وهمساً حبيباً يفوق كل ايقاع، وكأني بالزمخشري- صاحب الكشاف- وهو يقول:

وألذ من نقر الفتاة لدفّها
نقري لألقي الرمل عن أوراقي

وإرسال النظر فيما قرئ من الكتاب فرح بما أنجز، وفيما بقي منه تطلع لما تبقّى، والنفس بين هذا وذاك في إبحار رائع، وتجديف شائق، ومسيرة على طريق معبد، ودرب ممهد، وسبيل قويم.

فلتتعدد ما شاء الله أن تتعدد وسائل نشر الفكر.. ويبقى الكتاب، سوقه رائجة، ومحبوه كثر، والمقبلون عليه من شتى الأنحاء أمواج متدفقة، متعطشة الى مناهل الفكر، ومعين المعرفة، والمصدر الأول للوعي والتنوير.

إن ما يقام للكتاب من معارض، وما يعنى بنشره من دور، وما تحفل به من هيئات، وما تهتم به من مؤسسات لدليل صادق على ان المطابع ستظل تدور، والمكتبات ستبقى ذاخرة بما يطبع، والأيدي ستبقى محتضنة له، والعيون ستظل محدقة فيه، وسيبقى على المكاتب مفتوحاً، وفي القاعات مقروءاً، وستبقى القراءة متعة النفس وغذاء الروح، وأنيس الوحدة، ولذة الوجدان.

ولست أقلل من شأن هذه الثورة العلمية الجبارة التي قربت البعيد، وأوجدت المفقود، وتجاوزت الحدود، وتخطت السدود، وجمعت المتناثر، ودلت الحائر، وأسعفت الباحث، وآزرت الدارس، وعاونت الطالب، ونهضت بالبحث العلمي، وغذت شجرته، وأدنت ثمرته، وذللت عقباته، وباركت خطواته، ومثلت طاقات ذللت الصعاب، وحققت الرغاب.

بيد أني أردت أن ألفت إلى واقع ملموس، يؤكد أن الضوء المشع من سطور الكتب لن يخبو، مهما تعددت مصادر الاشعاع، ومنابع النور، لتبقى القراءة في الكتب، وتبقى أرفف المكاتب عامرة، والمطابع دائرة، وتبقى لنا دائما- يا كتاب - الرفيق والصديق، وتبقى لنا دائماً صحبتك.

كتابي.. تدوي بنا صيحتك
وتسني على دربنا شعلتك
تنير الطريق وأنت الضيا
وتحلو لنا دائما رفقتك
وكم ينشر العلم بين الورى
دعاة.. وترقى بنا دعوتك
وكم ثروة بيننا بددت
وتثرى لنا دائماً ثروتك
ستبقى لنا المجد والمرتقى
وتبقى لنا دائما صحبتك

زهرة على الجدار

أبوفراس النطافي

رائحة لا أستطيع وصفها
تطوق المكان
هنا.. هناك
في الساحة الكبيرة
في الشارع الطويل
أسابق الخطى
أبحث عن جذورها
وكل ما رأيته
لمسته.. شممته
فلم أجد دلالة
على مكانها هنا
هناك في أي مكان!
وزهرة على الجدار
تبهجني رؤيتها
تسحرني بسمتها
توشح الأنوار في عيني بالدرر
تملأ قلبي بالنجوم والصور
ضممتها.. قبلتها
لعلها تودع الكرى
وتنثر الشذا
ومن ضراوة الأسى
وقسوة الألم
صرخت في سمع الزمن
حذار من زهر الدِّمن
حذار من زهر الدِّمن

د. محمود عمارة في دراسة تدعو لمحاربة البطالة:

التسوّل مرض اجتماعي يصيب النشاط الاقتصادي

سهير حسنين

أكد د. محمود عمارة الأستاذ بجامعة القاهرة أن التسول مرض إجتماعي يوقف النشاط الإقتصادي وأن العمل في الإسلام عبادة تستهدف حماية الفرد والمجتمعات من آفات البطالة. وأوضح في دراسة له بعنوان «كرامة الإنسان في ميزان الإسلام» أن الرسول ﷺ قد أرسى قاعدة العمل وتصدى للتسول لأن العمل هو ركيزة الإنتاج والنهوض بالمجتمعات البشرية، حيث شرع النبي ﷺ للأجيال المسلمة أن تخطط لمستقبل حياتها.



وأشار إلى أن الإسلام في الوقت الذي يدعو فيه إلى العمل يعتبر الإحسان إلى ذوي الحاجات والبر فضيلة من أشرف فضائل الإنسانية التي تقرب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى. وقد تناولت الدراسة بعض القضايا الإسلامية المهمة.

قصة متسول

يقول د. محمود عمارة: جاء فقير يسأل النبي ﷺ، فقال له «أما لك مال؟» قال: لا، فأعاد عليه السؤال مؤكدا فقال: عندي «حلس» - أي سجادة - نجلس على بعضه ونتغطى ببعضه، وقدح نشرب به. فقال رسول الله ﷺ «ائتني بهما» فجاء بهما فعرضهما رسول الله ﷺ على من كان عنده قائلا: «من يشتري مني هذين؟» إلى أن باعهما بدرهمين، فأعطاه إياهما وقال «اشتر بأحدهما طعاما لعيالك واشتر بالآخر فأسا» وامره بأن يعود إليه فعاد إليه فوضع له خشبة في الفاس فقال «اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوما» فذهب ثم عاد إلى رسول الله ﷺ بعد خمسة عشر يوما ومعه دراهم، فقال: يا رسول الله بارك الله في ما أمرتني به، فقال ﷺ «هذا خير من أن تأتي يوم القيامة وفي وجهك نكتة المسألة» (رواه الترمذي).

وأضاف: وأول ما يلفت النظر في هذا المشهد الذي دار في المعهد النبوي الشريف هو تكرار السؤال الذي وجهه الرسول ﷺ إلى الرجل الفقير «أما لك مال؟» فما دام الإنسان قد استخلف في الأرض، وما دامت في جسده قوة تعينه على السعي في طلب الرزق فلابد أن يكون له بعض المال، فالرجل الفقير الذي تحرك لسانه بالسؤال في مجلس رسول الله ﷺ كان يتمتع بصحة يجب أن يستثمرها في العمل والاكتساب من الرزق المستطاب، وقد أحس الرسول ﷺ من هيئة الرجل أن مثله في صحته لابد أن يرتفع فوق السؤال.

التسول مرض اجتماعي

يضيف د. محمود عمارة في دراسته: غير طبيعي أن تبتذل طاقة الإنسان وتختزن في جسد خامل ويظل البيت خاويا خاليا من حاجاته الضرورية. انتظارا لصدقة من هنا وهناك، فالتسول في هذه الحالة مأساة إنسان يبدد مع الأيام إنسانيته، ومع كل ما يأخذه - تسولا أو صدقة - تموت في صدره الحوافز الفردية نحو العمل نتيجة الارتزاق من التسول الذي لا يكلفه أكثر من كلمة استجداء.

العمل في الإسلام عبادة وحماية للمجتمعات من آفة البطالة

تحويل الطاقات العاطلة إلى منتجة.. منهج نبوي أصيل

فلو ترك الإسلام لهذه الظاهرة أن تأخذ مجراها لتوقف النشاط الاقتصاي على قدر شيوع ذلك المرض الاجتماعي وهو الأمر الذي حدا به ﷺ ليعالج الأمر على نحو يحقق للرجل الكسب الحلال، ثم يصون في الوقت نفسه كرامة الإنسان. من أجل ذلك طالبه النبي ﷺ بإحضار ما تبقى في بيته رغم حاجته إليه. فالقضية قضية كرامة في المقام الأول، كرامة الرجل ذاتها، لقد كان من السهل استخراج الدرهمين ابتداء من جيب واحد فقط من الصحابة الحاضرين رضوان الله عليهم.

المنهج النبوي الشريف

ويقول: إن الخطة النبوية الشريفة تصر على أن يبدأ الرجل مشروعه التجاري برأسماله هو. وهذا كسب كبير للرجل.. فبيع المتاح الضروري أمر ضروري مادام ذلك طريقا إلى المستقبل، يحافظ به الإنسان على كرامته. والجدير بالتأمل في هذا المجال أن الرسول ﷺ يتدخل طرفا في الموضوع في قوله فيما رواه الترمذي «من يشتري مني هذين؟» فالذي يبيع هو النبي ﷺ لا الرجل الفقير، فيضفي على الأمر أهمية تدفع التسابق إلى خير ويرفع ذلك من معنويات الرجل الذي استبشر بوجوده كعضو في جماعة مشغولة ومسؤولة بمستقبله.

وأضاف د.محمود عمارة: تتجلى عظمة الحاكم النبي ﷺ الذي لا يفرض السلعة فرضا ولكنه يعرضها أمام اختيار الناس، ولو أنه فرضها فربما جاء ثمنها صدقة مقنعة. يا لها من عظمة تساند الفقير ولا تستذله. ويرسو المزاد على بعض الصحابة فيشتري المتاع بدرهمين، ووفق توجيه النبي ﷺ يشتري الرجل بدرهم فأسا وبالآخر طعاما.

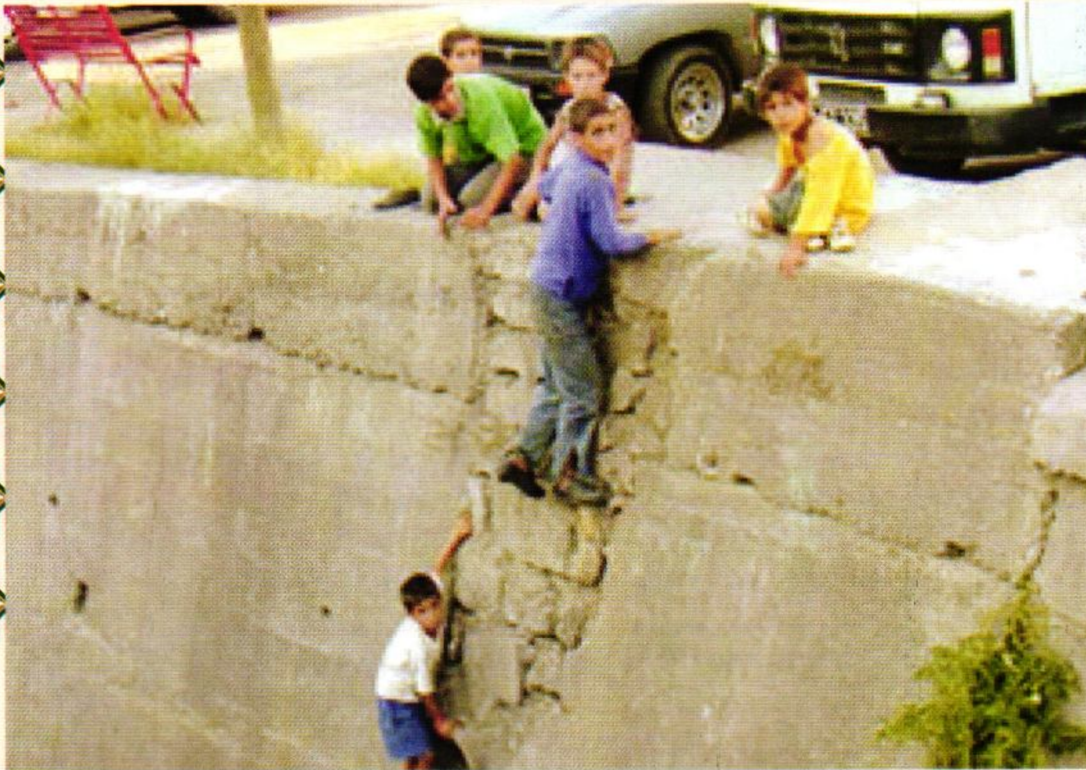
الإنسان والتخطيط

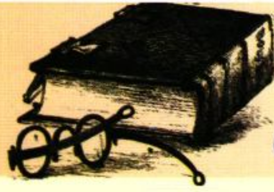
ويلتقط د.عمارة من هذا الحدث باكورة فكرة التخطيط للمستقبل فيقول: إن الرسول ﷺ يشرع للأجيال المقبلة، ويضع لها أسس الحياة ومنهجية العمل الحلال والبعد عن سؤال الناس. وعلى هذا فإن الدولة المسلمة تتدخل في الوقت المناسب لتعين الشباب على إيجاد فرص العمل. فقد أعطى الرسول ﷺ للرجل خشبة الفأس رمزا لذلك العون من قبل الدولة. وتتيح للشباب دورا في إرساء دعائم مستقبله ليظل إحساسه بمسؤوليته حاضرا. وإنه لشعور طيب أن يتذكر الرجل أن فأسه - أي أداة عمله - من ماله الخاص وأن طعام أهل بيته وطعامه من جيبه وماله الخاص الذي توفر له بالعمل الحلال.

وأضاف: إن الرسول ﷺ لا يترك الرجل في تجربته وحيدا، فقد أمره بالسير في المشروع أولا، وجاء التوجيه النبوي الشريف «لا أرينك خمسة عشر يوما» فأراد النبي ﷺ أن تسفر التجربة عن نتائجها، وعاد الرجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام ينهي إليه نجاح التجربة وما حقق من بركة حيث استجاب لتوجيه وأمر النبي ﷺ.

وتابع: بعد نجاح التجربة وتحصيل عائدها المادي والمعنوي يأتي دور الموعظة فيقول ﷺ للرجل «هذا خير من أن تأتي يوم القيامة وفي وجهك نكتة المسألة»، لقد جاءت الموعظة بعد التجربة الناجحة فكان للموعظة أثر طيب لا يغيب عن الوعي أبدا.

ويورد في هذا المجال المثل الصيني القائل «بدل أن تعطيه سمكة علمه كيف يصطاد السمك» والهدف دائما هو تفضيل العمل والاحتراف على السؤال. والإسلام يرتفع بالعمل ليجعل منه عبادة يحمي الإنسان بها نفسه من ذل السؤال في الدنيا والهوان في الآخرة. يقول تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ (البينة:٧).





إصدارات

إعداد: مصطفى عاشور

■ «المسلمون والديموقراطية.. دراسة ميدانية» تأليف د.معتزبالله عبدالفتاح، وصادر عن دار الشروق بالقاهرة ٢٠٠٨ في ٣٠٠ صفحة، وهو في الأصل رسالة دكتوراه تتناول وعي المسلمين بالديموقراطية من خلال تحليل مجموعة من الاستبيانات التي قام بها الباحث في مناطق مختلفة في العالم الإسلامي ليطرح تساؤلا يسعى الكتاب للإجابة عليه وهو «هل هناك عداء حقيقي بين المسلمين والقيم الديموقراطية؟» وتأتي أهمية هذا الطرح في المقولات التي تؤكد أن المسلمين لم يعرفوا الديموقراطية إلا من خلال بعض التنظيرات، أما في الواقع فلا توجد تجربة تؤكدها في ظل أن الغالبية العظمى من الحكومات في الدول الإسلامية حكومات وأنظمة غير ديموقراطية.

■ «نحو تيار أساسي للأمة» للمستشار والمؤرخ طارق البشري، وهو صادر عن مركز الجزيرة للدراسات (٢٠٠٨م)، ويقع في ٨٨ صفحة ويتناول الكتاب المعوقات التي تحول دون بناء وتبلور تيار أساسي للأمة، ومن أبرزها التناقضات في الحياة الفكرية والثقافية، والتناقض بين الدولة والأمة، والتيار الأساسي الذي يتناوله المستشار البشري هو الاستناد إلى أكبر القواسم المشتركة بين التيارات السياسية والاجتماعية والثقافية في بلد ما، وتجليات هذا القاسم المشترك في أطروحات التيارات المتنوعة.

■ «حركة محمد عبده وعبدالحميد بن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية» تأليف د.عبد الكريم أبو صفصاف، وهو كتاب من جزأين ويقع في حوالي (١٤٠٠) صفحة، وصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨، وهو في الأصل رسالة دكتوراه تتناول مقارنة بين المصلحين الكبيرين المصري الإمام «محمد عبده» والجزائري الشيخ «عبد الحميد بن باديس» من خلال حياتيهما وعلاقتيهما بالسلطة والاستعمار، وأهم آرائهما الإصلاحية وجهودهما في التعليم وإصلاح العقل المسلم، والمعروف أن كلا المصلحين الكبيرين لعب دورا مؤثرا وممتدا في إنقاذ مجتمعيهما خاصة من حالة الانحطاط التي أصابت الحياة العامة بكل تنويعاتها، والتدهور الذي أصاب مؤسسات الدولة في ظل الاستعمار، ولذا قاومت رؤيتهما حالة الجمود والتخلف والتراجع التي كانت من أهم الأسباب التي أوجدت قابليات للاستعمار في البلاد العربية، ولذا كان هناك تقاطع كبير بين رؤيتيهما في أن النهوض بالذات المسلمة حضاريا وفكريا وماديا هو سبيل لإنهاء حالة الاستعمار، أي أن مقاومتهما للاستعمار كانت من خلال بناء الذات.

هل نحتاج لحداثة إسلامية؟

هل نحتاج لحداثة إسلامية تجمع بين المادة والروح، فلا تقف عند حد التطور المادي ولكن تعمقه برؤى روحية ومعنوية، وفي هذه الحال تصبح الحداثة داخلة في صلب المشروع الإصلاحي الإسلامي، لأنها قضية ذات أهمية في تجديد العقل المسلم من خلال تمكينه من قدرات تفتح إمكانات الروح على المادة، وقدرات المادة في خدمة القيم والروح، وبالتالي يصبح الانشغال بالحداثة وما تثيره من قضايا واهتمامات ضرورة حضارية إسلامية لمواجهة مقولات من مثل «قطع الصلة بالتراث» و«محو القدسية من العالم» والتي تتحكم في مفردات التيار الحداثي.

الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن يرى أن واقع المسلمين في حاجة ضرورية للحداثة، نظرا لأن المسلمين يكابدون التحديات المعنوية مثلما يكابدون التحديات المادية، وأبرز هذه التحديات المعنوية «الفتنة المفهومية الكبرى»، وهو ما يفرض عليهم حضاريا أن يتعاملوا مع الحداثة وروحها على أنها منتج بشري وأن يوجدوا تفاهما معها بدلا من حالة التحفز والممانعة والتعامي عن هذا المنجز الإنساني، وأن يسعوا إلى الاندماج الطوعي في هذا الفضاء لأن مقابلة المفاهيم بالهجران والنكران ليست مجدية، كما أن اللجوء إلى الاحتماء بالمفاهيم التراثية قد لا يفي بالحاجة التي يفرضها العصر، فالمفروض على المسلمين أن يتلقوا المفاهيم المخترعة متفاعلين معها.

كما أن التطبيق الإسلامي لروح الحداثة له خصوصيته التي تحتاج إليها البشرية، فالبشرية تحتاج إلى حداثة ذات شق معنوي توسع العقل وتفتحه على الوجدان ومجال القيم الإنسانية بحيث يكون متطلعا إلى الروح، وهذه الحداثة ترفض التقابلات الثنائية الحادة والتعريفات القاطعة والحدود الصلبة التي يرشحها التطبيق الحداثي، كما أن الحداثة الإسلامية ترفض ما تطرحه ما بعد الحداثة من تمييع للفواصل والحدود، فهي ترى أن الفواصل من الضروري أن تقود إلى أسباب التواصل، وليس إلى تمييع الحدود، فالإبداع الحداثي يجب أن يكون موصولا بالتراث وليس متخاصما مقاطعا له.

فالحداثة الحالية لا تحتاج إلى شيء حاجتها إلى ملء فراغها الروحي الذي يأخذ شكل فقدان المعنى، والمرجعية والمقصدية، والتوجه، ومن ثم يصبح «تعقيل الحداثة» ضرورة لأن العقل لا يستطيع أن يعقل نفسه ويحتاج إلى الروح التي هي من غير

التعارف.. ثقافة

التعارف في حقيقته قيمة إنسانية كبرى، وقيمة فطرية مستودعة داخل الإنسان، لكن درجة تعمقها في كل إنسان أو مجتمع تختلف نظرا لاعتبارات متعددة، غير أن الاختلاف لا ينفي أننا نتعامل مع قيمة إنسانية موجودة وتحتاج إلى الكشف عنها باستمرار وتنقيتها، حتى لا تكون قيمة إنسانية مهجورة.

والتعارف قيمة حثت عليها الأديان والثقافات، فلا يوجد من دعا الإنسان إلى أن يجهل أخاه الإنسان، وحتى إذا احتفظ التاريخ ببعض الدعوات للتدابر والتناحر بين البشر، فإنها كانت دعوات شاذة لم تصمد أمام أصالة قيمة التعارف داخل المركب الإنساني.

والرؤية الإسلامية العامة لا تنظر إلى التعارف على أنه قيمة مجردة أو نظرة فلسفية للأمور، ولكنه وسيلة للتعايش والتفاعل بين البشر، حتى إن المتعمق في الرؤية الإسلامية في التعارف سيلحظ أن التعارف تعدى الإنسان ليشمل الحيوان والجماد، هذه القيمة ذكرتها أحاديث في العلاقة بين المسلمين وجبل أحد.

والتعارف هو المفتاح الأول والأهم لأي تواصل إنساني ولأي علاقات إنسانية سوية، والطريف أن التاريخ يؤكد أن التعارف والتواصل الإنساني كقيمة مغروسة في النفس البشرية كانت تجد مساحة للتعبير عن نفسها حتى في لحظات الحروب، وتجلى ذلك إبان الحروب الصليبية حيث تواصل المسلمون والصليبيون وتعارفوا أثناء الحصار في بعض المناطق.

وثقافة التعارف والتواصل مادامت قيمة إنسانية فهي تحتاج إلى التفعيل وإعادة الاكتشاف باستمرار، والنضال ضد من يعيقون التعارف بين البشر ويخلقون الحواجز بين الإنسان وأخيه الإنسان، وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «الناس صنفان أخ لك في الدين، ونظير لك في الخلق».

وتحتاج ثقافة التعارف ألا تبقى أسيرة عملية التعارف فقط، بل تتعداها لبناء منظومة للتعارف والمعرفة تستند إلى المعروف والعرف وصولا إلى العرفان، ويتخلل تلك المنظومة قيم مهمة منها التعايش والتعاون والتناصر والتناصح، وصولا لبناء «حلف فضول إنساني» يلتف حول قيم إنسانية كبرى تتفق عليها غالبية الأديان والثقافات.

ومن هنا فثقافة التعارف من أجل التعايش تفرض تنمية المشتركات بين الأديان والشعوب والثقافات، وهذه المشتركات كثيرة ومن الممكن زحزحتها بعيدا عن جمود الايديولوجيات وعن الإرث التاريخي وعن ضغوط السياسة، ومن هذه المشتركات المهمة قضايا الحريات وكرامة الإنسان، كذلك تدفع هذه الفلسفة إلى تبني شعار «ثقافة السفينة» والنجاة للبشرية وهذه الثقافة ترتكز على تنمية المشترك بين البشر، وهناك الكثير من الروابط التي تدعم هذه الفلسفة منها وحدة الخلق ووحدة المصير بين البشر جميعا، والتأكيد على أن الأديان إنما جاءت لسعادة البشر وليس لكي يقتل الإنسان أخاه الإنسان.

جنسه، كذلك يحتاج العالم إلى الحداثة الإسلامية في تعامله مع الطبيعة لأن العقل الحداثي الغربي يرى أن الإنسان في حالة صراع مع الطبيعة لكي يسودها أما الحداثة الإسلامية فتخاطب الطبيعة وتخطب ودها وتراحمها، لأن الطبيعة للإنسان بمنزلة الأم لولدها.

ومن ثم فالحداثة تحتاج إلى مساهمة المسلمين في روحها حتى يطوروا تطبيقاتها نظرا لما يمتلكه المسلمون من إمكانات روحية ورؤية للكون تستطيع تخفيف حدة النهم المادي في الحداثة الغربية، وتربط المنفعة بالقيمة وصولا إلى منطق التزكية الذي يجمع في طياته الروح والمادة معا.

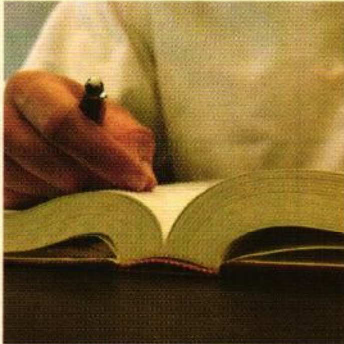
فالحداثة الإسلامية ترتبط بالأصول الأخلاقية على اعتبار أن القيمة الأخلاقية أسبق من غيرها من القيم، وأن ماهية الإنسان تحددها الأخلاق وليس العقل، تلك الأخلاق المستمدة من الدين، ولأن حال التدين لا يستطيع الإنسان أن يتجرد منه حتى وإن ابتغى إلى ذلك سبيلا.

والحداثة ليست ملكا لأمة بعينها، وإنما هي ملك لكل أمة متحضرة تنهض بمقومي الحضارة الأساسيين، العمراني والتاريخي، وهو ما يفرض ألا تنقلب الوسائل إلى غايات، وألا يطغى التقليد على الإبداع، لأن الحداثة تطبيق ابتكاري إبداعي وليست تطبيقا اتباعيا، فالحداثة تنبع من الداخل المبدع، والإبداع هنا يخترع الحاجة كما أنه يشبعها.

التدوين الأدبي

تؤكد إحصاءات أن هناك حوالي ١٠٠ مليون مدونة على الانترنت وان هذا العدد يتزايد كل ساعة، وان المدونات في العالم العربي تتزايد بصورة ملحوظة، وأن بعض المدونات في العالم العربي، تحقق عشرات الآلاف من الزيارات وصل بعضها إلى نصف مليون، ويلاحظ أن الفضاء الأدبي في عالم المدونات آخذ في الاتساع، حتى إن بعض الأدباء سعى لأن ينشئ مدونة يتواصل من خلالها مع جمهوره مثل الأديب علاء الأسواني الذي أنشاء مدونة له بلغ عدد زوارها أكثر من ستة آلاف.

فالمدونات الأدبية أصبحت متنفسا للشباب للتعبير عن مكبوتهم الأدبي الذي لا يجد مجالا للنشر، في ظل تحول المدونات إلى فضاء للإبداع ومساحة للبوح، خاصة مع سهولة إنشاء المدونة مقارنة بإنشاء موقع على الانترنت، ومع رغبة الكثير من الشباب في البحث عن مكان للنشر، ويلاحظ أن الشباب المغربي هم أكثر الشباب العربي في التدوين الأدبي.



الطابور الرابع

عبادة السيد نوح
nooh22@hotmail.com

تزخر سلطتنا الرابعة اليوم بالغث الكثير الذي ساهم في تراجع دورها الرقابي والناقد لمؤسسات المجتمع والدولة بهدف التقويم والتسديد والبناء، ودورها التوعوي للرأي العام بغرض تشكيل الرؤى والأفكار، ولعل تواجد الطابور الخامس في وسائل إعلامنا ساهم في إيجاد مفهوم واقعي للتطبيع مع الصهاينة ما شأنه تهويل قدرة العدو وتهوين شأن الأمة، وهؤلاء المنافقون من الانتهازيين لا يشغلهم سوى مصالحهم الخاصة، ويقومون بطريقة أو بأخرى بكتم أصوات كل من يفكر في نفي التهم والأكاذيب الإعلامية، ليتم اتهامه بالعمالة والإرهاب والتخلف بحكم سيطرتهم الأخطبوطية على معظم مقدرات إعلامنا الرسمي والشعبي في ظل تعاظم الرقابة والوصاية الحكومية عليه.

المتأمل في واقعنا اليوم يجد أن التطبيع جارٍ على قدم وساق لاسيما على المستوى الإعلامي، بما في ذلك ما يخالف العقيدة والمبدأ بداية من تبرير مصافحة شيخ أعلى جبهة سنية في العالم الإسلامي للمجرم شيمون بيريز، والتنديد بموقف الفلسطينيين الأخير من الحرب الصهيونية على غزة والمطالبة بالاعتراف بالدولة اليهودية.

وينبغي الأخذ في الاعتبار أن ما يحدث على الساحة الإعلامية سيخرج أجيالا منفصلة عن حقيقة الأمة وعن قضاياها فضلا عن شعورهم بأفضلية الغرب وثقافته على الأمة وإسلامها.

والواقع المشوَّم للميديا- كما ينادي به المتأمركون والمتصهينون- يستغفل الشعوب ويستخف بعقولها بتقديم قشور الإسلام التي لا تقدم ولا تؤخر باعتبار هذا هو الدين فقط وكأن الإسلام انزوى في جزئية ضيقة لا تتعدى الجانب الروحاني، فالإعلام المنحرف يعمل في خندق واحد وهو هدم الإسلام من الداخل واقتلاعه من قلوب المسلمين مع اختلاف الأساليب بالرغم من ازدياد الإعلام المحافظ أو المسؤول الذي مازال في خطواته الأولى.

فمن صور هذا التطبيع استفحال ظاهرة البرامج المشوشة والمغلوطة التي تنشر أفكار التنازل والقبول بالحلول الواقعية المخدِّرة من خلال إيهام المتلقي وحصره في الخيارات الموضوعة والترويج لأفكار معينة يُراد فرضها على المسلمين وصرف الأنظار عن الحل الجذري الذي يفرضه الإسلام في كل قضية من قضايا الأمة الإسلامية، كذلك تبادُل الزيارات والعلاقات بين الصحافيين العرب ونُظَرائهم الصهاينة، إلى جانب التلاعب بالألفاظ المستخدَمة في القاموس الإعلامي من خلال تجريدها من مفهومها الإسلامي، وتسرب بعض المصطلحات المريبة، التي تخلط بين الحقوق، بالإضافة إلى هرولة بعض القنوات التلفزيونية نحو استضافة الصهاينة لرَبْط المضمون الإعلامي بالمُتَغَيِّر السياسي واستقطاب أقلام متصهينة (من فصَيلة فريدمان) الذي أصبح مصدر اعتزاز وتفاخر لدى وسائل الإعلام.. الخ.

ويبرر بعض المحللين هرولة العرب للتطبيع الإعلامي مع الصهاينة بأن أولي الأمر طبعوا مع إسرائيل واعترفوا بها، وأيضا «إسرائيل» أصبحت أمرا واقعا وجزءا من المنطقة إلى جانب نقطة في غاية الأهمية وتعد مربط الفرس وهي التمويل الصهيواميركي لكثير من المؤسسات الإعلامية في ديارنا لتنفيذ مخططاتها الخبيثة ومشاريعها المتعفنة، فيبث الإعلام الحرية الشخصية وحرية الرأي بإعتبارها حريات مقدسة خالية فيجب الحرص عليها، وأن الديموقراطية هي الدين الجديد للبشرية!

إن هدف التطبيع الصهيوني هو تجنيب الكيان استمرار العداء العربي والإسلامي ولقبولها كدولة عادية من دول المنطقة، مع العلم أن «إسرائيل» قد تنتصر عسكريا على العرب مرارا، لكن ذلك لا يكفي لضمان أمنها.

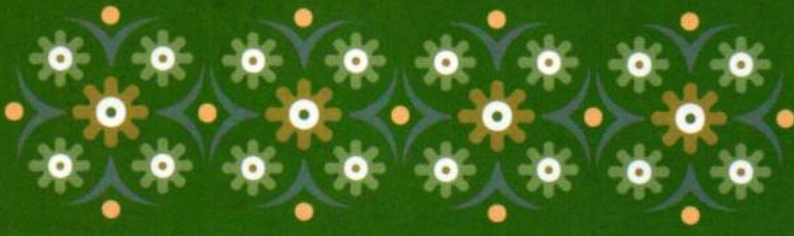
والطابور الخامس من بني جلدتنا ينفذ السياسة الصهيونية القائلة: «كأسٌ وغانية تفعلان في أمة محمد ما لا يفعله ألف مدفع»، ولهذا فهم يركزون على المرأة وعلى إفسادها.

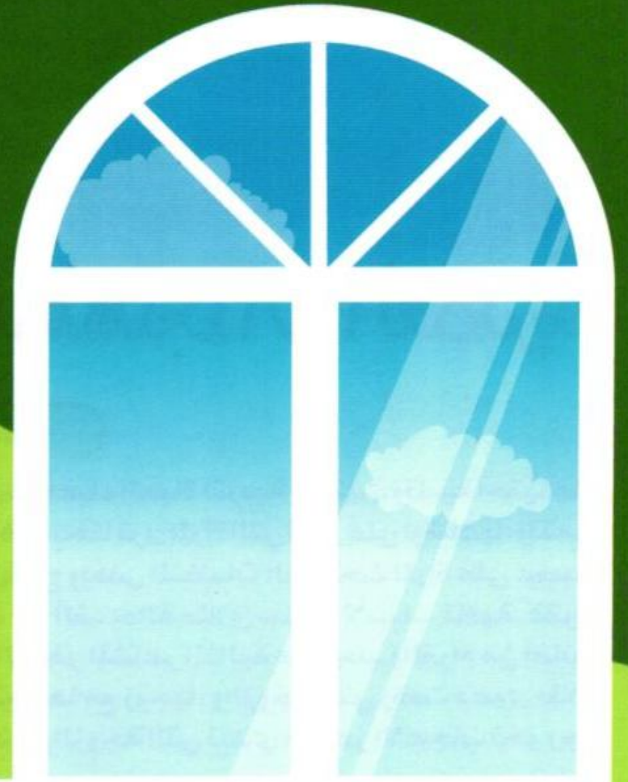
أخيرا ينبغي على المؤسسات الإعلامية إظهار الحقيقة للرأي العام، وكشف الشرذمة أصحاب التوجّهات المشبوهة، والأفكار المضلّلة من الطابور الخامس التي تمارس أبشع صور التشويه والإقصاء والهدم.

ومطلوب من الإعلاميين الشرفاء أن يتصدوا لمثل هذه المخططات قبل حُدُوثها، وتشكيل اتحاد قوي في الإعلام الغربي، والدخول في منافسة مع الإعلام الصهيوني الساعي إلى التزييف، والانطلاق نحو تصحيح القضايا التي يعمل بنو صهيون على تشويهها.

لفتة

- تمر القضية الفلسطينية الآن بفترة عصيبة سيترتب عليها مستقبل الأمة... نسأل الله أن يثبت المخلصين من بني جلدتنا.
- مجلة «حراء» التركية ثمرة طيبة في عالم الصحافة الملوث بأنفلونزا التسطيح.. تستحق الاهتمام بها.
- قضايا الأمة في أمس الحاجة إلى أصولييها من العلماء الأجلاء لتأصيل القضايا الشائكة.





أسرتي



حوار مع كاميليا حلمي

أزمة المرأة العربية

أهمية الأم في تربية الطفل








أزمة المرأة العربية والمستجدات العصرية

د. محي الدين عبدالحليم

لا تزال الكثير من النساء يتمسكن بدينهن ويحافظن على بيوتهن، ويتحملن أعباء الحياة لتربية أبنائهن، وتلبية احتياجات أزواجهن، إلا أننا نرى الآن ارتفاع معدلات التمرد والمعصية وعصيان الزوج، فأصبحنا نرى المرأة التي تثور على أوضاعها، وتتمرد على زوجها، وقد شجعها على ذلك القنوات الفضائية والبث الوافد من الخارج وبعض المنظمات التي تحث المرأة على عصيان زوجها حتى زادت حالات الطلاق بصورة كبيرة، ففي مصر وحدها بلغت ٧٠ ألف حالة طلاق سنويا لأسباب تافهة، فقرأنا عن الزوجة التي طلبت الطلاق من زوجها لأنها وجدت في المطرب كاظم الساهر المشاعر المثالية في الحب والغرام من أغانيه وإلقائه لعبارات كان لها أكبر الأثر في إثارة مشاعر عميقة بداخلها لم تجدها مع زوجها، والزوجة التي رفعت دعوى طلاق ضد زوجها الأستاذ الجامعي بسبب انشغاله بأبحاثه ومحاضراته وتلاميذه، والزوجة التي تبدي مشاعر الاعجاب نحو رجل آخر أمام زوجها.

وتتجبر المرأة حين تكفر العشير وتثير المشاكل، وتفتعل الأزمـات، وتكيل الشتائم لزوجها، وتقذفه بكل ما تعرفه من ألفاظ جارحة يعف عنها لسان المرأة التقية الصالحة، ومن النساء من لا يجدن غضاضة في استقبال ضيوف أزواجهن في المنزل وحدهن، ما يشير الى انحسار فضيلة الحياء، وتظن هذه النوعية من النساء ان طاعة الزوج فيها إذلال للمرأة، وهذا يعني أن المرأة المسلمة بدأت تخطو مسرعة نحو إلغاء هذه الفضيلة، هذه النوعية من النساء ستخسر أقوى سلاح لأن الحفاظ على الحياء يحصن المرأة من تيار الفجور، والقرآن الكريم وكذلك السنة النبوية قد عرضا لنا نماذج من أهل الجنة، ونماذج من أهل النار، وكما أخبرنا النبي ﷺ أن أكثر أهل النار من النساء لأن المرأة إذا لم يعصمها دين وخلق تحولت الى معول هدم يجد الشيطان فيها غايته فيوسوس لها، ويغريها بالمعصية سواء بالقول او بالفعل.

وفي الحقيقة اننا نعيش الآن في عصر غاب منه الحياء وافسدت الاهواء كثيرا من النساء، وظهرت صور كريهة لم يعرفها صدر الاسلام الاول وغرقت هؤلاء النساء في امور أفسدت عليهن دينهن وانتشر النفاق بينهن، والمرأة المنافقة هي التي ترفض الفضائل وتقبل على الرذائل، والمرأة المنافقة حاسدة لنعمة الغير لا تهدأ إلا إذا زالت هذه النعمة، والمرأة المنافقة قد تبدو جميلة في مظهرها، ناعمة في أقوالها ولكنها تتحول الى سكين تطعن به الأخريات ولا تكف عن الأذى، وكانت ام جميل زوجة أبي لهب تؤذي النبي ﷺ وتكاد أن تحرقه بنظراتها الحاقدة وتؤذيه بأقوالها وسلاطة لسانها.

وتتجبر النساء حين يطالبني بإبطال تعدد الزوجات، حتى ان بعض الدول العربية سنت القوانين التي تحرم التعدد، وعاقبت بالسجن والغرامة كل من تسول له نفسه أن يتزوج بأخرى، حيث يعتبرون ذلك اعتداء صارخا على كرامة المرأة، وتفكيكا لأواصر العلاقة بين أفراد الأسرة وتشويها لصورة المسلمين في العالم، وهدما لكيان المجتمع، وإذا كان البعض يسيء استخدام هذا الحق، فإن هذا لا يعني ان نتجاوز حدود ما أنزل الله ونبطل واحدة من شرائعه التي استهدفت خير الإنسان في كل زمان ومكان انطلاقا من ان الشريعة الإسلامية جاءت متوافقة مع الطبيعة الإنسانية، وتنسجم مع فطرة الانسان وتسد حاجاته وتهذب غرائزه وترتقي برغباته.

وحين أعطى الاسلام الرجل حق الزواج بأكثر من واحدة فقد اشترط عليه اقامة العدل بينهن لأن العدل هو قيمة من القيم الانسانيه الكبرى اكد الله على اشاعتها بين الناس ولو كان بينهم عداوة أو بغضاء أو ضغينة أو كراهية وفي ذلك يقول عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ (المائدة: ٨).

وأكد على ذلك بقوله ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ (الانعام: ١٥٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لهؤلاء الذين يطالبون بسن قوانين تمنع تعدد الزوجات، هو هل لديهم حل لأزمة العنوسة التي تفشت في البلاد العربية والإسلامية التي اصبحت تنذر بأخطار محدقة؟ وهل لديهم حل لامرأة تقطعت بها الأسباب، ولم يعد لديها القدرة على تلبية احتياجات الزوج النفسية والجنسية والوجدانية في الوقت الذي لا يزال يحتفظ فيه الرجل بقدرته وفحولته؟ فهل من الأوفق أن يحافظ عليها زوجها، ويوفر لها أسباب الحياة الكريمة، وتظل تحت رعايته، أو يقذف



بها في عرض الطريق للكلاب الضالة تنهش لحمها، والذئاب المتوحشة تهتك عرضها؟
والسؤال الآخر الذي يفرض نفسه هو هل يجوز أن تتحول قوانين السماء الى قضايا للجدل والخلاف؟ أو أنها يجب أن تترجم الى أوامر على الناس طاعتها والعمل بما حملته من أحكام، طالما ارتضى هؤلاء الناس الإسلام دينا لهم، وإلا فسوف نجد من ينادي بإبطال فريضة الصوم لأنها تعطل العمل والانتاج، ومن يطالب بإبطال فريضة الحج، أو إلغاء عقوبة الإعدام، أو اطلاق العلاقة بين الرجل والمرأة دون ضابط أو رابط.
وتتجبر النساء حين تحول بين الأب الذي انفصل عن زوجته وبين أبنائه، فتمنع زيارتهم له، ولقاءهم به، ورؤيته لهم، انتقاما منه، وكراهية له، على الرغم من أن الشريعة الاسلامية تؤكد على حق الأب في ذلك، فليس من حق الأم الحاضنة أن تمنعه من زيارته لأبنائه واستضافته لهم، فقد منع الله تعالى أن يضار أحد بولده حيث قال سبحانه وتعالى ﴿...لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده...﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وهنا يجب ألا يحرم الأجداد وذوو الأرحام من رؤية أحفادهم أو أبناء أولادهم أو أبناء إخوتهم على الا يتم ذلك في أماكن تضر بالأطفال كأقسام الشرطة أو أجهزة الدولة الرسمية وما إلى ذلك، ولكن يجب ان يصحب الأب أبناءه معه الى منزله تحقيقا لصلة الارحام التي أمر بها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى ﴿... وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...﴾ (الاحزاب: ٦).



إلا أن القانون المصري رقم ٣٥ الذي صدر عام ١٩٢٩ يرسخ الجفوة بين الآباء وأبنائهم وجاء تعديل هذا القانون ليزيد الطين بلة حين قصر حق رؤية الآباء لأبنائهم على ثلاث ساعات كل اسبوع فقط ويتم ترتيب اللقاء بين الأب والأم حسب الوقت المحدد من قبل المحكمة مما يعرض الأطفال لأمراض نفسية وعصبية ويصيبهم بحال من العجز لأن الطرف الحاضن، وهي الأم، في معظم الأحوال تحرمه من التعبير عن حبه لوالده تجنبا لعقابها له أو غضبها عليه، ويصاحب هذا شعور بالقهر والاحباط وهو بداية للمشاعر العدائية، ويكمن الحل هنا في نظام يقتسم فيه الوالدان الحضانة حيث يقضي الطفل وقتا متساويا مع كل منهما بحيث يشارك كل من الأب والأم مشاركة كاملة في رعاية الأطفال، ويكون لكل منهما الحق في اصطحابه والاشراف على تعليمه واتخاذ القرارات الخاصة به ومشاركته في المناسبات الاجتماعية مما يتيح علاقة حميمة بأبيه وأمه وبأرحامه من أسرة الأب غير الحاضن الذي يحرمه منها نظام الحاضنة المنفردة الذي يؤدي الى انفراد الام وحدها بحضانة الاطفال حتى سن ١٥ سنة، وهو ما يعرض الطفل لليأس والخوف والاحباط حين يجد ان السلوك الذي يقربه من احد الوالدين يبعده عن الأخر، كما يعرضه لآثار سلبية حيث الاتهامات المتبادلة بين الوالدين، كما يحرمه من نصائح ابيه الذي لا يراه الا مرة كل اسبوع.
وفي الحقيقة اننا نعيش بين تيارين متناقضين، التيار الأول الذي يقوده غلاة العلمانيين، ولا يجدون الا النموذج الغربي سبيلا لتحرير المرأة وتمكينها من انتزاع حقوقها من انياب الرجال المتوحشين في الشرق الاسلامي، وهؤلاء يسعون الى تمزيق الأسرة وبث الضغينة والفرقة بين المرأة وزوجها ويبثون السموم في البيت المسلم سواء بأقلامهم أو بحناجرهم، دون ان يعنيهم ارتفاع نسبة المطلقات بصورة مخيفة في عالمنا العربي والإسلامي، كما لا يعنيهم زيادة نسبة العوانس وضياع الأبناء، المهم لديهم أن يكون لدى المرأة السيطرة على البيت، وعدم امتثالها لطاعة زوجها، وحثها على التمرد ورفض الحياة أسيرة في منزله، ولو أدى ذلك الى هدم البيت من أساسه فهي التي سوف تربح من وراء ذلك حين تضم الأطفال الى حضانتها، وتحصل على نفقة العدة، ونفقة المتعة، وأجر الرضاعة، ومسكن الزوجية، وبعد ذلك فليذهب الزوج الى الجحيم.
أما الفريق الثاني فهم غلاة المتشددين من أهل الجمود والتحجر، هؤلاء الذين ربطوا بين الدين والعادات البالية، فنراهم يدعون الى تجريد المرأة من كل دور لها في الحياة العامة وحرمانها من حق التعليم والعمل وإبداء رأيها في قضايا المجتمع متناسين أن الإسلام هو الذي حرر المرأة كما حرر الرجل منذ بزوغ نور الدعوة الإسلامية، فهي التي أسهمت في بيعة العقبة قبل هجرة الرسول الى المدينة المنورة، وهي التي قاتلت معه في العديد من الغزوات، فبرزت من بين صحابة رسول الله ﷺ أكثر من ألف امرأة من بين ثمانية آلاف صحابي، وجاء القرآن الكريم صريحا في اشراك المرأة في تحمل المسؤولية، يؤكد ذلك قول الحق جل وعلا في سورة التوبة ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...﴾ (التوبة: ٧١).
وحين جاءت عصور التراجع الحضاري للأمة ظهرت المقولات الكاذبة وعادت القيم الجاهلية التي دعت الى حجب النساء عن ميادين العمل العام والى مخالفة آرائهن دوما، وهنا كان لابد من تنقية التراث الإسلامي من الدخيل الذي علق به وتقديم البديل الإسلامي الذي ينطلق من منابعه الجوهرية والفقهية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية لكي تملأ الفضاء الإسلامي بهذا البديل، الذي يؤكد على مكانة المرأة واحترام رأيها شأنها في ذلك شأن الرجل سواء بسواء وإذا كان الإسلام قد اهتم بآراء الرجال، فقد اهتم أيضاً بآراء النساء، يؤكد ذلك حين جمع رأي المرأة والرجل في خطاب واحد حين قال عز وجل في سورة المجادلة ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (المجادلة: ١)، وهو في هذا قرر رأيها وجعله تشريعا عاما خالدا على مر العصور، وهذا يعني أن الإسلام لم يجعل المرأة مجرد وعاء تحمل وتلد، وإنما هي مخلوق عاقل ليس هناك فارق في التكليف بينها وبين الرجل.





كاميليا حلمي في حوار خاص لـ «الوعي الإسلامي»:

الأمم المتحدة تطالب الدول الإسلامية بإلغاء القوامة والولي والتساوي في التعدد والميراث

أميرة إبراهيم



تحقيق المساواة التامة والتطابقية بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، بما في ذلك إلغاء طاعة الزوجة لزوجها، وإلغاء الولي، والتساوي التام عند عقد الزواج، والطلاق، وفي التعدد والميراث، أخطر ما طالبت الأمم المتحدة الدول الإسلامية بسرعة العمل على تحقيقه من خلال سن التشريعات، جاء ذلك خلال الجلسة الثالثة والخمسين للجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة التي انعقدت في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، تحت عنوان: «التقاسم المتساوي للمسؤوليات بين النساء والرجال، بما في ذلك تقديم الرعاية في سياق مرض الإيدز» حيث دارت فعاليات الجلسة حول إلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة، واقتسام رعاية الأسرة والأبناء والمرضى والعمل غير المدفوع الأجر بين المرأة والرجل، و إشكالات أخرى، ولقد رصد ائتلاف المنظمات الإسلامية عددا من البنود الحرجة التي تمثل خطورة حقيقية على الأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي، حول تلك البنود وما تحتويه ومدى خطورتها حاورت «الوعي الاسلامي» المهندسة كاميليا حلمي رئيس اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل ومنسق ائتلاف المنظمات الإسلامية.. وإليكم نص الحوار:

خلال الجلسة قام الائتلاف برصد عدد من النقاط الحرجة الموجودة في المسودة للوثيقة التي سيتم التوقيع عليها والتي تمثل خطورة شديدة على الأسرة والمجتمع، فما هي هذه النقاط؟

بالفعل هناك نقاط وبنود غاية في الخطورة، فلقد تم التأكيد على الالتزام بما ورد في الاتفاقيات السابقة كوثيقة بكين والسيداو واعتبارها الإطار القانوني لتعزيز المساواة في التقاسم التام للمسؤوليات بين المرأة والرجل، ويضع هذا البند ضغوطا على الحكومات التي وقعت على تلك الاتفاقيات لكي تسحب كل تحفظاتها التي وضعتها عند التوقيع، وهناك مادة أخرى تعمل على تكثيف الجهود من أجل التنفيذ الكامل لمنهاج بكين ووثائق المؤتمر الدولي للسكان، التي تطالب، دون أي تحفظات، بتيسير وسائل منع الحمل للمراهقين، وتدريبهم على استخدامها، وإباحة الإجهاض ومساواة الجندر Gender Equality، بمعنى إلغاء كل الفوارق بين الرجل والمرأة وإعطاء كل الحقوق للشواذ، وغيرها من المخالفات الشرعية، كما توجد مادة تدعو إلى التصديق دون تحفظات على الاتفاقيات، والمطالبة بالمساواة التامة والتطابقية بين المرأة والرجل داخل الأسرة، بما في ذلك إلغاء طاعة الزوجة لزوجها، وإلغاء الولي، والتساوي التام عند عقد الزواج والطلاق والتعدد والميراث، وكذلك إلزام المرأة بتقاسم الإنفاق مع الرجل، وحرية السكن والتنقل دون إذن الزوج، وهو ما يعني إلغاء قوامة الرجل في الأسرة، و يجب أن ندرك أن التصديق على تلك الاتفاقيات يلزم الدول بتعديل كل القوانين والتشريعات وتغيير المعايير الاجتماعية والثقافية، وهناك مادة أخرى تطالب بحماية الفتيات اللواتي يقمن بمهام منزلية داخل أسرهن من الاستغلال، واعتبار أن عمل البنت داخل بيت أهلها عمل تستحق عليه الأجر، وتطالب بالضغط باتجاه استصدار قوانين تجرم ذلك باعتباره من أسوأ أشكال عمالة الأطفال!

كما تناولت مجموعة من البنود موضوع تقاسم الرعاية في سياق فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) وقد طالبت بتيسير حصول الأفراد على خدمات الوقاية من الإيدز وتتركز في الحصول على العازل الطبي Condom الذكري والأنثوي والتدريب على استخدامهما.

أخطر إشكاليات «سيداو»

المطالبة بالمساواة التامة والتطابقية بين المرأة والرجل كانت مطلبا رئيسا لاتفاقية السيداو والتي يعدها الائتلاف أخطر الاتفاقيات على كيان الأسرة المسلمة.. ففيم يتمثل خطرها؟

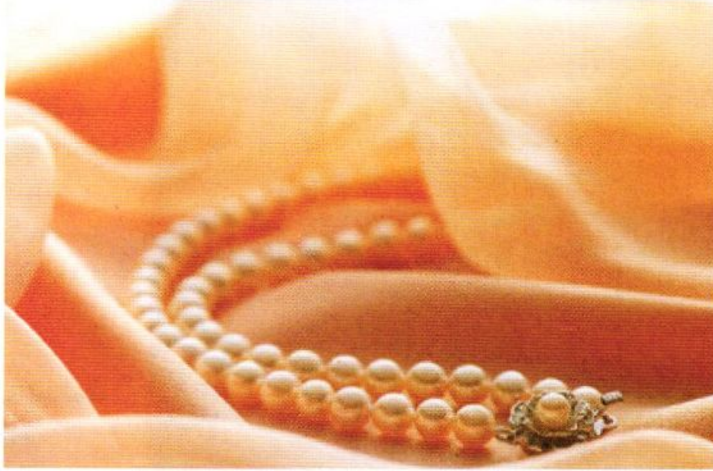
بالفعل «السيداو» تمثل خطرا حقيقيا على كيان الأسرة المسلمة، فهي تطالب بالتساوي المطلق والتماثل التام بين الرجل والمرأة، وأي فوارق بينهما تعتبره عنفا يجب رفعه عن المرأة، وترى الأمر يتطلب أولا: فصل

الـدور عـن الجـنس، بمعنى توحيد الأدوار بهدف تقاسمها بين الرجل والمرأة وعدم إلصاق الأمومة ورعاية الأسـرة بـالمـرأة «الأمـومـة وظيفة اجتماعية» بمعنى أن تلك لا تتعلق بطبيعة وتركيب المرأة، كذلك لابد من تعديل الأنمـاط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة، وإزالــة الـفـوارق أمـام القـانـون، بحيث تمنح الدول الأطراف المرأة المساواة مع الرجل أمام القانون، من خلال ذلك يتم التساوي في الشهادة وفي العقوبة والتساوي في الإرث، والحق نفسه في عقد الزواج حيث التساوي في التعدد، وكذلك السماح بزواج المسلمة بغير المسلم، مثلها مثل الرجل، وإلغاء المهر، وكذلك إلغاء ولاية الأب على الابنة البكر.

جريمة الاغتصاب الزوجي

وتطالب بالحقوق والمسؤوليات نفسها أثناء الزواج (إلغاء القوامة) وبالتالي إلغاء طاعة الزوجة للزوج، والمطالبة بتجريم وطء الـزوجـة بغير كامل رضاهـا، واستحداث جـريمـة اسـمهـا «الاغـتـصـاب الـزوجـي»، وتجـريم تـأديب الـزوجـة الـنـاشـز، و تجريم تأديب الأبناء، ورفع ولاية الأب على البنت في الـزواج، وإلغاء الإذن بالخروج والسفر للزوجة، وإلزام الزوجة بالتشارك مع الزوج في الإنفاق على المنزل، ولتحقيق التساوي المطلق تطالب الاتفاقية بـ«نفس الحقوق والمسؤوليات نفسها أثـنـاء الـزواج وعند فسخه» حيث يتم إلغاء عدة الطلاق والوفاة، وإلغاء الطلاق بإرادة الزوج المنفردة، وإلغاء النفقة الشرعية، والبديل تقاسم الممتلكات، وتطبيق الحقوق نفسها للرجل والمرأة فيما يتعلق بالقانون المتصل بحركة الأشخاص وحرية اختيار محل سكناهم ويترتب على هذه المادة: حق المرأة (ابنة- أخت- زوجة) في الاستقلال بالسكن وإلغاء النص القرآني ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم...﴾ (الطلاق: ٦)، والسماح بسفر المرأة دون إذن زوجها، كما تفترض «السيداو» حتمية الصراع بين الرجل والمرأة، وذلك بسبب الثقافة التعاقدية

رؤيـتـهـم لـلـتـصـدي لـلإيـدز تـتـمـثـل فـي نـشـر ثـقـافـة الـعـازل الـطـبـي وكـسـر حـاجـز الـصـمـت وإزالـــة وصـمـة الـعـار



التي تقوم عليها، فأي مكسب لطرف يعد خسارة للطرف الآخر.

وتطالب أيضا بنشر الإباحية بتوفير خدمات تنظيم الأسـرة للمراهقين ضمن الخدمات الـصـحـيـة، والـقـضـاء عـلـى أي مـفـهـوم عن دور الرجل ودور المرأة في جميع مستويات التعليم عن طريق تشجيع التعليم المختلط، والتشجيع على استرجال المـرأة بمنحها الـفـرص نفسها للـمـشـاركـة النشطة في الألعاب الرياضية والتربية البدنية، أيضا تعمل على تمرير مصطلح «الجندر» الذي يقوم على تصنيف الأفـراد وفقًا لميولهم الجنسية، وهو منظور فكري أحادي الجانب يتم طرحه كحل أوحد لتشخيص وضع المرأة وحل مشاكلها، ويطالبون الرجال بفتح النوافذ أثناء تغييرهم حفاظات أطفالهم، وقيامهم بالأعمال المنزلية، فهم يزعمون أنه كما أن لدينا مهندسا متميزاً وطبيبا متميزاً وجراحا، وكما أن هناك محاربا وفدائيا يجب أن يكون لدى الدول العربية رجال فدائيون لا يخجلون من القيام بالأعمال المنزلية، حيث إن المطلوب هو تغيير الأنماط الحياتية التي اعتاد عليها الـرجـال والنساء لان الإنسان يولد «نوع» والأنماط الاجتماعية التي يربى عليها هـي التي تجعل هناك ذكـرا وأنثى، وهذا الأمر يجب أن ينتهي من وجهة نظرهم ويكون هناك فقط «جندر».

لـدى الأمم المتحدة رؤيـة تطرحها لمواجهـة مرض الإيـدز.. فعلام تقوم تلك الرؤية؟

تعتمد سياساتها على توظيف الخطاب الديني لإزالة الوصمة عن المصاب، والبداية عندهم دائـمـا تـكـون بـالـلـغـة بمعنى تطبيع المصطلحات، قل «تعدد شركاء الجنس» لا تقل «زنـا»، قل «رجـال يمـارسـون الجنس مـع الـرجـال» ولا تقل «شـواذ»، قـل «المـتـاجـرات فـي الجنس التجاري» ولا تقل «داعـرات»، و تعتمد كذلك على نشر ثقافة العازل الطبي، وتدريب الأطفال والمراهقين على استخدامه في المدارس، وكذلك إدماج المريض فـي المجتمع، وفـرض الالـتـزام السياسي من قبل دول العالم برؤية وخطط الأمم المتحدة فـي مـواجـهـة المـرض، هـذا الفرض إما من خلال التمويل أو الترهيب والضغوط السياسية.

وسبل الوقاية مـن الإيـدز كما تـراهـا الأمم المتحدة تعرف بـ (A ، B ، C) حيث A إشـارة إلىAbstinence أي «الامـتـنـاع»، والـذي يختلف تماما عن العفة في المفهوم الإسلامي، ثمB إشارة إلى Be Faithful to your partner، أي (كن مخلصا للشريك) وذلك حتى تنحصر العلاقة بين اثنين فقط، أيا كان نوعيهما، ثمC إشارة إلى العازل الطبي Condom، حيث يتم ترويج ثقافة العازل الطبي كوسيلة آمنة Condom=Safe sex، وبالتالي إعطاء الضوء الأخضر لمن يرغب في ممارسة الفاحشة، ولكن يمنعه الخوف من المرض، إنه باستخدامه للعازل سيكون في مأمن من الإصابة، كما أنه من توجهات الأمم المتحدة ضرورة نشر العازل على مستوى عالمي، إما مجانا أو بسعر رمزي، وبشكل يتجاوز كلا من العقبات الشخصية والاجتماعية، والحل الأمثل لذلك هو ماكينات العازل الطبي Condom Machines، رغم أن معظم الأطباء قرروا أن العوازل الطبية لا يمكن أن تمنع وصول فيروس الإيدز إلى الطرف الآخر، ولكنها تمنع الحمل،





ولم يقتصر أمر نشر ثقافة العازل الطبي على الدول الغربية، بل بدأ يتجاوزها إلى الدول الشرقية، فهناك محافظ إحدى الولايات في الهند معروف بأنه ذو ثقافة محافظة افتتح مشروع «ماكينة للعازل»، والحقيقة المؤلمة أن هذا الأمر ليس ببعيد عن مجتمعاتنا مادامت هناك استجابة لكل ما يفرض علينا من الخارج تحت مسمى الاتفاقات الدولية.

إزالة وصمة العار

لكن هذا الأمر لن تقبله الشعوب المسلمة حتى إن وافقت بعض حكوماتها؟

نحن نأمل أن تهب الحكومات للرفض والتصدي، ونعقد الأمل على شعوبنا المسلمة، لكن أحب أن أوضح أن ثقافة نشر العازل الطبي كوسيلة لمحاربة الإيدز سوف تكون عبر ترويج المعادلة المخيفة، وهي معادلة تطرحها برامج الأمم المتحدة عن السبب الرئيسي لانتشار مرض الإيدز، ومفادها هو أن السبب في انتشار المرض هو حاجز الصمت، أي التزام المريض الصمت عند الإصابة، بسب وصمة العار التي تلاحقه نتيجة القيم والثقافات التي تجرم الزنا والشذوذ وسائر الفواحش المؤدية للإصابة، لذا ينبغي تغيير تلك القيم والثقافات، كي لا يوصم مرتكب الفاحشة بأي وصمة، وما هذا المرض إلا كسائر الأمراض، وهدفهم ليس إزالة الوصمة عن المرض أو المريض، وإنما عن الفعل المسبب للمرض، أي أن نتعامل مع الزنا والشذوذ على أنها أمور عادية، تدخل في نطاق حقوق الإنسان، ولقد أكد علماء الدين أن وجود أي وصمة أو تمييز للمذنب هو أمر مقصود شرعا لتنفير المجتمع من السلوكيات المنافية للشرع، بل إن القرآن يدعو أن يكون عقاب الزناة أمام طائفة من الناس ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ (النور:٢) حتى يرتدع من تسوِّل له نفسه اقتراف المعاصي، بل إن هذه الوصمة تعدّ من حقوق الإنسان لأنها تحافظ على المجتمع ككل.

آثار إسراف الطفل في استخدام الإنترنت

د. محمد عيسوي الفيومي

هل يجلس طفلك أمام شاشات الكمبيوتر ويستخدم الانترنت ساعات طويلة؟ هل يصل ذلك الى درجة الإدمان؟ نؤكد أن الانترنت إحدى وسائل الاتصال الحديثة التي يتعرض لها الاطفال دون مشاركة من الكبار، على عكس وسائل الإعلام التقليدية الأخرى مثل التلفزيون، لذا ننبه إلى أهمية الحوار الودي والتفاهم بين الآباء والأبناء وتعريفهم بما يمكن أن يصلهم من محتوى غير لائق، وربما غزو فكري لا يتفق مع ثقافاتنا وقيمنا الراسخة، وتحذيرهم من ذكر أي معلومات شخصية عن أسمائهم الحقيقية أو أرقام تلفوناتهم أو حتى البريد الالكتروني لأي شخص على الشبكة دون علم الوالدين مسبقا، كما ينصح بوضع جهاز الكمبيوتر في مكان غير معزول حتى تمكن مراقبته بسهولة وملاحظة قائمة العناوين المخزنة به وفتح موقع الذاكرة الذي يحتوي على مواقع الانترنت لمعرفة ما اذا كان الطفل يزور بعض المواقع الضارة لما تحتويه من معلومات ربما تكون خارجة عن اللياقة الأدبية وغريبة على قيمنا الدينية أولا، وذلك بشرط عدم الإخلال بحقوق الابناء في الخصوصية التي من شأنها تدعيم الثقة المتبادلة بين أفراد العائلة والتأكد من تفهم الأبناء كذلك من خلال المناقشة الموضوعية أن الانترنت له ايجابياته مثل البحث عن المعلومات والتعرف على الاشخاص والثقافات والفنون وكذلك له سلبياته.

أما السلبيات فأهمها الإدمان الذي يعني استخدامه لأكثر من ساعتين والتعرض لفيروسات الانترنت التي تدمر المعلومات الخاصة بالأسرة وتقتحم الخصوصية عن طريق قراصنة الانترنت، وإدمان الطفل للانترنت قد يؤثر على أشياء اخرى في حياته مثل الانشطة الرياضية والعادات الغذائية الصحية وفقد القدرة على التواصل مع العالم من حوله ما يعزز من احساس الطفل بالوحدة التي تصل الى حد العزلة الاجتماعية، وننصح لمواجهة هذه السلبيات بعدم اتباع سياسة المنع لانها تعوق النمو المعرفي وانما بتوعية الطفل بالجوانب السلبية والايجابية لاستخدام الانترنت وتدريبه على كيفية السيطرة على النفس مع حرص اولياء الامور على احصاء عدد ساعات الاستخدام لترشيدها.

كما يؤكد الخبراء على اهمية التنشئة الدينية والقدوة الصالحة وتوفير البرامج الأمنية التي تمنع دخول الصغار الى المواقع الضارة، وننبه الى ضرورة ملاحظة ما يطرأ على اطفالنا من تغير في سلوكياتهم، ونوضح ان اعراض ادمان الانترنت تتمثل في الانطواء والعزلة والنسيان والسهو وفقدان التركيز وزغللة النظر وفقدان الشهية والتأخر الدراسي الى جانب الاضطرابات التي تحدث نتيجة لتعرض الطفل للاشعاع اذا ظل امام الجهاز لمدة طويلة.

لذا يجب تشجيع الابناء على ممارسة الانشطة الرياضية والثقافية وعلى الخروج الى الهواء الطلق ومع الاصدقاء حتى لا يعانوا من العزلة الاجتماعية، ونضيف انه من الضروري استخدام اسلوب المدح وحسن معاملة اطفالنا والتأثير على عواطفهم والتواضع اثناء الحوار معهم وعدم تصيد اخطائهم او تضخيم عيوبهم والإصغاء اليهم وتوسيع معارفهم وعلاقاتهم الاجتماعية وتحديد اصدقاء الطفل عبر الانترنت في اقل الحدود وتعريف الطفل بأنه في حالة تعرضه لاي جريمة من جرائم الانترنت فإنه يجب عليه الاتصال هاتفيا بالمسؤولين عن مكافحة جرائم الحاسبات المعلوماتية، ومن المفضل الاستعانة بجهاز الكمبيوتر في المساعدة في عملية التحصيل الدراسي ومعرفة معاني بعض الكلمات واستخدامه في كل الاغراض المفيدة كوسائل للايضاح وحفظ المعلومات. بهذا يكون العلم والتكنولوجيا الحديثة وسيلتنا الى تقدم ورقي المجتمع ورفع شأن الطفولة وتكوين البناء المعرفي السليم لدى الطفل، فهو أمل الغد والعناية بالطفولة أحد مؤشرات التقدم.

أحمد وأخواته البنات «٢»

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الالكتروني suad119@hotmail.com

قلت له: يا أحمد لا تنس قوله تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (القصص:٥٦) فأنت بدورك قمت بحماية أخواتك من الفتن وذلك بنصحهن بالمحافظة على اللبس الشرعي، ولكنهن لم يطعن أمرك، وللأسف لم يساعدك الداك في ذلك مما أدى لعدم التزامهن بما تقول، ولكن ألا تعتقد يا بني أنه يجب أن تغير طريقة حوارك معهن.. فنظر إلي وقال مندفعا: والله يا دكتورة لقد حاولت بشتى الطرق، وكل ما يخطر على بالك من أساليب حوارية استخدمتها معهن دون فائدة، فقد كنت أتقرب لهن تارة بالهدايا، وتارة بالتودد، ولكن دون جدوى.. ثم طأطأ رأسه ونظر نظرة يأس وكأنه قد انهزم في معركة كان هو قائدها.

نظرت له وقلت بنبرة تدل على التفاؤل: ارفع رأسك يا بني ولا تنس أن الحياة دار اختبار ولا يشعر بهذا الاختبار إلا المؤمن حتى يرى اللهُ أيصبر ويحتسب أم ينهزم ويتشاءم، كما أود أن أقول لك: عليك قبل كل شيء أن تؤسس بينك وبين أخواتك علاقة أخوية خالصة بحب غير مشروط فتقول لهن: أخواتي العزيزات يشهد الله بحبي لكنّ من غير شرط ولا قيد، وستبقين كذلك مهما حدث بيننا ومهما كبرنا أو تفرقنا فتأكدن من ذلك، ثم: حاول أن تبرهن على شعورك هذا بالفعل كأن تصحبهن معك في نزهة خارجية أو بتقديم هدايا معينة، أظهِر ثقتك بهن من خلال إشراكهن معك في اختيار لون ملابسك وقصة شعرك، حاول أن تبين لهن أنك مهتم بذوقهن، كما أن ذلك يزيد من أواصر المشاركة الفعالة بين الإخوة، استمر على ذلك فترة ولا تنس أنهن قد لا يتغيرن كما تريد بسرعة، فأذكرك بالصبر وآخر خطوة حاول ترتيب موعد معهن على العشاء أو على البحر ثم افتح معهن مواضيع عامة وخاصة حتى تدخل معهن في رأيهن في البنات اللاتي يلبسن ملابس ضيقة (اجعل أسلوبك في الحوار ونبرة صوتك كأنها ليست موجهة لهن) بمعنى اجعل الأمر عاما وليس موجها لهن، تجاذب أطراف الحديث معهن واسمع رأيهن دون أن تبدي رأيك، وانتظر، ثم كرر مرة أخرى الرحلة نفسها وافتح مواضيع شبيهة واسمع رأيهن ثم تحدث حول رأي الشباب في الفتيات اللاتي يتصرفن ويلبسن بهذه الطريقة، اسمع وراقب ردود أفعالهن ولا تقل أنا رأيي كشاب أن هذه المناظر لا تعجبني.. انتبه لذلك، لا تتكلم بصيغة المتكلم، تكلم عن رأي الشباب.

فمن خلال الحوار الهادف ومن تكرار العلاقة الطيبة معهن سوف يبدأن بالتغيير بإذن الله، أنت تحاول جاهدا أن تغير من طباعك تجاههن وستنجح بإذن الله، ولكن لن تستطيع تغيير سلوكياتهن لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فنحن ننتظر التغيير من أنفسهن ومن نفسك، فكلما تغيرت نظرتك تجاههن وغيرت إدراكك للأمور تجاههن فسوف تكون أكثر هدوءا وأكثر تفهما، وأكرر الصبر الصبر لأن التغيرات الإنسانية تحتاج إلى الصبر وتغير الإدراك والتفسيرات والمعتقدات التي تكونت حول المشكلة أو العلاقة مع الآخرين تحتاج إلى زمن معين.

وأخيرا سيكون الله معك يا بني لأنك تريد التغيير وتريد الإصلاح والخير، فالمعين هو الله فعسى الله أن يبدل حالكم جميعا إلى أفضل حال.

فنظر إلي بابتسامة أمل ونظرات تفاؤل وقال: سوف أفعل ما قلت بالحرف وسأعود نفسي الصبر والتحمل، وأسأل الله أن يعينني على ذلك، وقام من مكانه مودعا لي على أمل اللقاء به بعد التغيير المنشود في حياتهم جميعا للأفضل.

انتهت قصة أحمد الذي كان متضايقا جدا من لبس وطريقة تعامل أخواته البنات.

أسأل الله العلي العظيم أن يبارك لكل شاب يسعى لنشر الخير ويحافظ على أهل بيته وأن يلهم نفسه الصبر ويعينه على تحمل ردود أفعال المحيطين، وأن يؤلف الله بين قلوبهم وقلوب أسرهم، اللهم آمين.







فتاتي



هدفٌ معلق في السماء

فجر الكوس

في إحدى لقاءاتي مع فتياتي الغاليات أحببت أن يكون حديثي عن الأهداف وتحقيقها، فقمت بتوزيع أوراق وطلبت منهن أن يكتبن أهدافهن، وأخذت الفتيات يكتبن.

وبعدها قمت بقراءة الأهداف والتعليق عليها، وتنوعت الأهداف باختلاف البيئات والثقافات والهموم، تلك تريد أن تقود سيارة، وتلك تريد أن تكون سائقة طيارة، وتلك تريد أن تكون مصممة أزياء... لا يهم فلكل منا هدف يعبر عما في أعماقه من هموم ورغبات!

ومن بين تلك الأوراق أمسكت ورقة ورأيت النور يكسوها ولمعت عيناي وأنا أقرأها بصوت مرتفع، إنها فتاة قد كتبت «هدفي أتم حفظ القرآن الكريم، قولوا آمين».

فصرخت الفتيات آمييييين،

يالله من هذه التي سخر لها الرحمن هذه الجموع لكي تؤمن على أمنيتها؟

من هذه التي أبت الشهرة في الأرض وطمعت في شهرة في السماء؟

من هذه التي تميزت في هدفها؟

هنا شعرت بشيء يهز أوصالي وفضول شديد لمعرفتها.

التفت عن يميني فإذا بفتاة أرغمها حياؤها على أن تطأطئ رأسها من بين الحضور، يالله لقد أيقنت أنها ضالتي المنشودة! إنها فتاة لم يتجاوز عمرها ١٥عاماً.

وينتهي اللقاء لكن المشاعر التي تكونت داخلي لم تنته، وقررت أن أتواصل معها بدعواتي فهذا هو الوصل الأخوي الحقيقي.

وبعد أشهر رزقني الله زيارة بيته الحرام، وإذ بي أراها في الحرم، وجاءت للسلام علي ثم قالت لي: غاليتي اقتربي مني أود أن أقول لك أمراً ما، احتضنتها بقلبي وعينيَ قبل جسدي وتذكرت لقاء الأهداف وشعوري أنها ضالتي المنشودة!

قالت: هل تذكرين لقاء الأهداف؟ قلت نعم، كيف لا أذكره؟

ثم قالت: هل تذكرين صاحبة هدف إتمام حفظ القرآن كاملاً؟

قلت: نعم

قالت بابتسامة: إنها أنا، لقد وفقني الله اليوم في بيته أن أتم حفظ كتابه ويسعدني أن أبشرك بهذا الأمر.

سارعت باحتضانها وتقبيلها وانهمرت دموع قلبي قبل عيني، فلحفظة كتاب الله تقدير عظيم في قلبي.

قالت: لن أنسى ذلك اللقاء وتأمين الأخوات على أمنيتي، في تلك اللحظة أيقنت أن الله قد سخر لي جنود الأرض ليدعوا لي ويؤمنوا على دعوتي!

هنيئاً لك يافتاتنا الغالية على هذا الشرف العظيم، شرف حفظ كتاب الله كاملاً، فلقد قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأَنْبِيَاء:١٠)

يقول الشيخ السعدي:

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم ...»

ومن وقت ذلك اللقاء إلى هذه اللحظة وأنا أرى هذه الفتاة في ارتقاء دائم وتعلق بالقرآن، لقد اختلفت عن مثيلاتها بهدفها وبارتباطها بكتاب الله وبتخلقها الواضح به، فبارك الله فيها وجعلها قرة عين لوالديها ورزقنا مثيلاتها.

وأنت يا قارئتي العزيزة هل تريدين العزة والشرف؟ لاشك أن هذا طموحك ومبلغ رجائك، فسارعي بحفظ كتاب الله والتخلق به كي تنالي الشرف الحقيقي الذي يبدأ في الدنيا ويتصل إلى الآخرة.

تفقهي

- فتاوى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -

منيرة الرشيدي

تقول: ما حكم سفر المرأة لدولة مجاورة لإكمال دراستها أو أخذ دورة تدريبية؟

الحكم: إذا كانت المسافة للمرأة المسافرة بين بلدها والبلد المسافرة إليه ٨٥ كيلو متراً، فلا يجوز سفر المرأة إليها بغير زوج أو محرم، وذهب بعض متأخري المالكية إلى جواز سفر المرأة بدون محرم إذا كانت مع رفقة مأمونة.

تقول: ماحكم استخدام المرأة للعطور خارج بيتها؟

الحكم: حرام وغير جائز لقول الرسول ﷺ «... والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية» (رواه الترمذي).

تقول: ماحكم ذهاب المرأة للحج بدون محرم؟

الحكم: رأي الشافعية والمالكية أن الحج فرض على المرأة حتى إذا تعذر المحرم، وهذا المرجح.

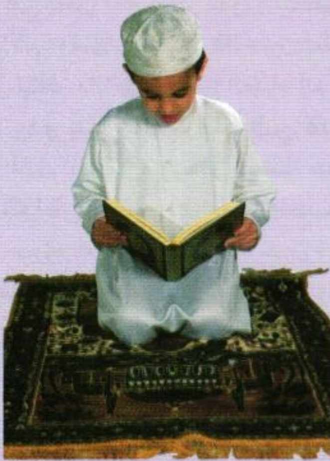


تقول: ما حكم إمامة المرأة للنساء؟ وإن كان جائزا فما الحالات والشروط لذلك؟

الحكم: إمامة المرأة للنساء جائزة، وقد استدلوا على ذلك بحديث أم ورقة أن النبي ﷺ أذن لها أن تؤم نساء أهل دارها، ولكن يكره لهن الأذان والإقامة، ويكره تقدم المرأة الإمام عليهن، فإذا صلت النساء جماعة وقفت المرأة الإمام في وسطهن.

تقول: عندما أقرأ القرآن أجد في كثير من الآيات القرآنية أن الله يبشر عباده المؤمنين بالحور العين الباهرات الجمال.. فهل المرأة ليس لها في الآخرة بديل عن زوجها، كما أن الخطاب عن النعيم معظمه موجه للرجال المؤمنين فهل المرأة المؤمنة نعيمها أقل من الرجل؟

الجواب: للرجال والنساء من المؤمنين المتقين إن شاء الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم والخيرات، ولا يبعد أن يكون للمرأة مثل ما للرجل من الملاذ المحببة في الجنة إذا حسن العمل وخلصت النية، وكل ما ينبغي للمرأة أو الرجل المسلم أن يفكر فيه هو العمل الصالح وأن يترك الجزاء عليه إلى رحمة الله تعالى وكرمه، والله تعالى أعلم.



تقول: ما حكم تغسيل الزوج لزوجته والزوجة لزوجها بعد الوفاة؟

الحكم: اتفق الفقهاء على جواز تغسيل الزوجة لزوجها بعد موته ما دامت في زوجيته ولم يطلقها قبل وفاته لأنها بموته تصبح معتدة والمعتدة لها حكم الزوجة في ذلك ولحديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه» تقصد رسول الله ﷺ (رواه أبو داود) واختلفوا في تغسيل الزوج لزوجته بعد وفاتها فذهب البعض إلى منعه ومنهم الحنفية لأن الزوجية بينهم قد انقضت بالموت من غير عدة على الزوج، وذهب البعض إلى جواز التغسيل ومنهم الشافعية قياسا على الزوجة إذا مات زوجها.





أهمية الأم في تربية الطفل

بدور العوض

تحتل الأم مكانة مهمة وأساسية في التربية باعتبارها الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية، وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات في المجتمع، فهو حينما يغدو إلى المدرسة ينظر إلى أستاذه نظرةً من خلال ما تلقاه في البيت من تربية، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشأته عليه أسرته، ويقيِّم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة، من خلال ما غرسته لديه الأسرة، وهنا يكمن دور الأسرة وأهميتها وخطرها في الميدان التربوي.

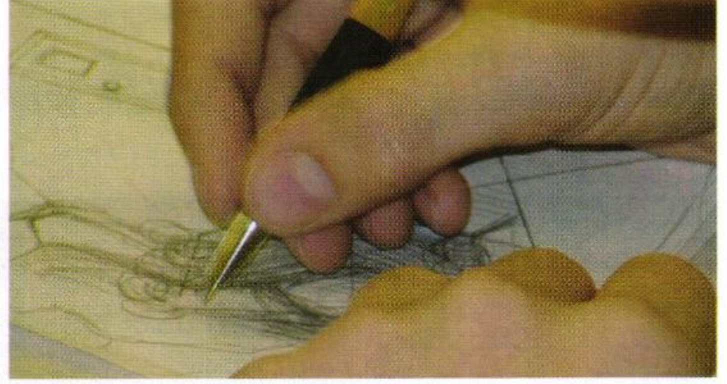
وتنفرد الأم بمرحلة لا يشاركها فيها غيرها وهي مرحلة مهمة ولها دور في التربية قد نغفل عنه ألا وهي مرحلة الحمل، فإن الجنين وهو في بطن أمه يتأثر بمؤثرات كثيرة تعود إلى الأم، ومنها التغذية فالجنين على سبيل المثال يتأثر بالتغذية ونوع الغذاء الذي تتلقاه الأم، وهو يتأثر بالأمراض التي قد تصيب أمه أثناء الحمل، ويتأثر أيضاً حين تكون أمه تتعاطى المخدرات، وربما أصبح مدمناً عند خروجه من بطن أمه حين تكون أمه مدمنة للمخدرات، ومن ذلك التدخين، فحين تكون المرأة مدخنة فإن ذلك يترك أثراً على جنينها، ومن العوامل المؤثرة أيضاً العقاقير الطبية التي تتناولها المرأة الحامل، ولهذا يسأل الطبيب المرأة كثيراً حين يصف لها بعض الأدوية عن كونها حاملا أو ليست كذلك.

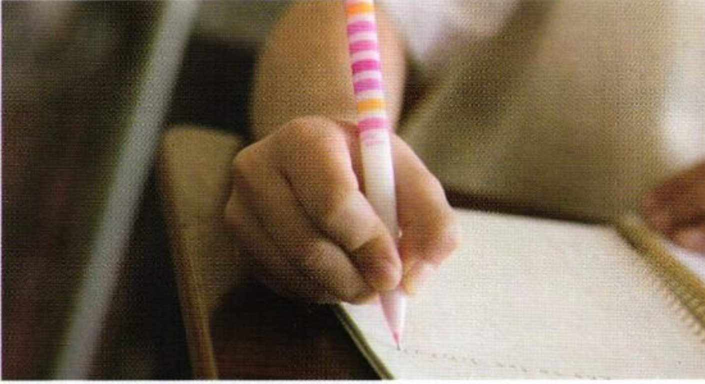
وصورة أخرى من الأمور المؤثرة وقد لا تتصور الأمهات والآباء خطورة هذه القضية، وهي حالة الأم الانفعالية أثناء الحمل، فقد يخرج الطفل وهو كثير الصراخ في أوائل طفولته، وقد يخرج الطفل وهو يتخوف كثيراً، وذلك كله بسبب مؤثرات تلقاها من حالة أمه الانفعالية التي كانت تعيشها وهي في حال الحمل، وحين تزيد الانفعالات الحادة عند المرأة وتتكرر فإن هذا يؤثر في الهرمونات التي تفرزها الأم وتنتقل إلى الجنين، وإذا طالت هذه الحالة فإنها لا بد أن تؤثر على نفسيته وانفعالاته وعلى صحته، ولهذا ينبغي أن يحرص الزوج على أن يهيئ لها جواً ومناخاً مناسباً، وأن تحرص هي على أن تتجنب الحالات التي تؤدي بها إلى حدة الانفعال.

أمر آخر أيضاً له دور وتأثير على الجنين وهو اتجاه الأم نحو حملها أو نظرتها نحو حملها فهي حين تكون مسرورة مستبشرة بهذا الحمل لا بد أن يتأثر الحمل بذلك، وحين تكون غير راضية عن هذا الحمل فإن هذا سيؤثر على هذا الجنين، ومن هنا وجه الشرع الناس إلى تصحيح النظر حول الولد ذكر وأنثى، قال سبحانه وتعالى ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ (الشورى: ٤٩) فهو سبحانه وتعالى له ما يشاء وله الحكم سبحانه وتعالى، فيقرر للناس أنه عز وجل صاحب الحكم والأمر، وما يختار الله سبحانه وتعالى أمراً إلا لحكمة، لذا فالزوجة والزوج جميعاً ينبغي أن يرضوا بما قسم الله، ويعلما أن ما قسم الله عز وجل خير لهما، سواءً كان ذكراً أو أنثى، وحين تفقد المرأة هذا الشعور، فيكشف لها التقرير الطبي أن الجنين الذي في بطنها أنثى، فتبدأ تغير نظرتها ومشاعرها نحو هذا الحمل أو العكس فإن هذا لا بد أن يؤثر على الحمل، ونحن هنا لسنا في عيادة طبية حتى نوجه المرأة الحامل أو نتحدث عن هذه الآثار التي يمكن أن تخلقها حالة الأم على الحمل، إنما المقصود من هذا كله أن دور المرأة يبدأ من حين حملها وأنها تعيش مرحلة تؤثر على مستقبل هذا المولود لا يشاركها غيرها فيها.

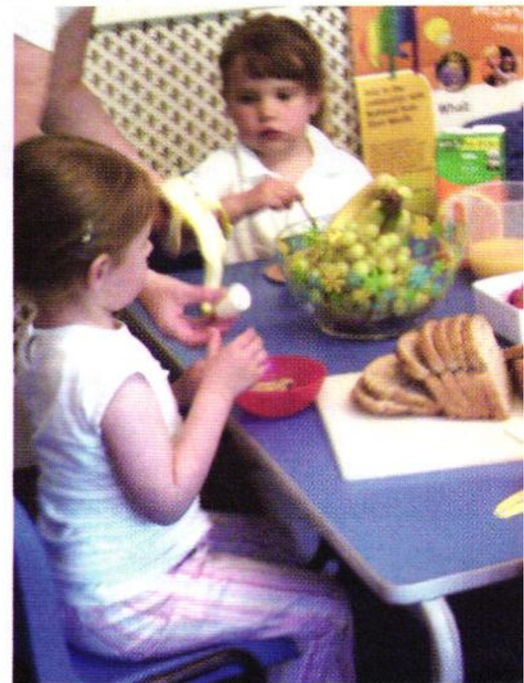
والطفولة المبكرة مرحلة مهمة لتنشئة الطفل، ودور الأم فيها أكبر من غيرها، فهي في مرحلة الرضاعة أكثر من يتعامل مع الطفل، ولحكمة عظيمة يريدها الله سبحانه وتعالى يكون طعام الرضيع في هذه المرحلة من ثدي أمه وليس الأمر فقط تأثيراً طبيًّا أو صحيًّا، وإنما له آثار نفسية أهمها إشعار الطفل بالحنان والقرب الذي يحتاج إليه، ولهذا يوصي الأطباء الأم أن تحرص على إرضاع الطفل، وأن تحرص على أن تعتني به وتقترب منه ولو لم ترضعه.







وهنا ندرك فداحة الخطر الذي ترتكبه المرأة حين في هذه المرحلة للمربية والخادمة، فهي التي تقوم بتنظيفه وتهيئة اللباس له وإعداد طعامه، وحين يستعمل الرضاعة الصناعية فهي التي تهيئها له، وهذا يفقد الطفل قدراً من الرعاية النفسية هو بأمس الحاجة إليها. وإذا ابتليت الأم بالخادمة- والأصل الاستغناء عنها- فينبغي أن تحرص في المراحل الأولية على أن تباشر هي رعاية الطفل، وتترك للخادمة إعداد الطعام في المنزل أو تنظيفه أو غير ذلك من الأعمال، فلن يجد الطفل الحنان والرعاية من الخادمة كما يجدها من الأم، وهذا له دور كبير في نفسية الطفل واتجاهاته في المستقبل، وخاصة أن كثيراً من الخادمات والمربيات في العالم الإسلامي لسن من المسلمات، وحتى المسلمات غالبهن



من غير المتدينات، وهذا لايخفى أثره، والحديث عن هذا الجانب يطول، ولعلي أكتفي بهذه الإشارة، فالمقصود أن الأم كما قلنا تتعامل مع هذه المرحلة مع الطفل أكثر مما يتعامل معه الأب، وفي هذه المرحلة سوف يكتسب العديد من العادات والمعايير، ويكتسب الخلق والسلوك الذي يصعب تغييره في المستقبل، وهنا تكمن خطورة دور الأم فهي البوابة على هذه المرحلة الخطرة من حياة الطفل فيما بعد، حتى إن بعض الناس يكون مستقيماً صالحاً متديناً لكنه لم ينشأ من الصغر على المعايير المنضبطة في السلوك والأخلاق، فتجد منه نوعاً من سوء الخلق وعدم الانضباط السلوكي، والسبب أنه لم يتدرب على ذلك من صغره، ولئن كانت الأم أكثر التصاقاً بالأولاد عموماً في الطفولة المبكرة، فهذا القرب يزداد ويبقى مع البنات، ولعل من أسباب ما نعانيه اليوم من مشكلات لدى الفتيات يعود إلى تخلف دور الأم التربوي، فالفتاة تعيش مرحلة المراهقة والفتن والشهوات والمجتمع من حولها يدعوها إلى الفساد وتشعر بفراغ عاطفي لديها، وقد لا يشبع هذا الفراغ إلا في الأجواء المنحرفة، أما أمها فهي مشغولة عنها بشؤونها الخاصة، وبالجلوس مع جاراتها وزميلاتها، فالفتاة في عالم والأم في عالم آخر.

إنه من المهم أن تعيش الأم مع بناتها وتكون قريبة منهن، ذلك أن الفتاة تجرؤ أن تصارح الأم أكثر من أن تصارح الأب، وأن تقترب منها وتملأ الفراغ العاطفي لديها.

ويزداد هذا الفراغ الذي تعاني منه الفتاة في البيت الذي فيه خادمة، فهي تتحمل عنها أعباء المنزل، والأسرة ترى تفريغ هذه البنت للدراسة لأنها مشغولة في الدراسة، وحين تنهي أعباءها الدراسية يتبقى عندها وقت فراغ، فكيف تقضي هذا الفراغ؟

وبين الأم وبين الفتاة هوة سحيقة، تشعر الفتاة أن أمها لا توافقها في ثقافتها وتوجهاتها، ولا في تفكيرها، وتشعر بفجوة ثقافية وفجوة حضارية بينها وبين الأم، فتجد البنت ضالتها في مجلة تتحدث عن الأزياء وعن تنظيم المنزل، وتتحدث عن الحب والغرام، وكيف تكسبين الآخرين فتثير عندها هذه العاطفة، وقد تجد ضالتها في أفلام الفيديو، أو قد تجد ضالتها من خلال الاتصال مع الشباب في الهاتف، أو إن عدمت هذا وذاك ففي المدرسة تتعلم من بعض زميلاتها مثل هذا السلوك، وتتعامل الأم مع ملابس الأولاد ومع الأثاث وترتيبه، ومع أحوال الطفل الخاصة فتكتشف مشكلات عند الطفل أكثر مما يكتشفه الأب، وخاصة في وقتنا الذي انشغل الأب فيه عن أبنائه، فتدرك الأم من قضايا الأولاد أكثر مما يدركه الأب.

هذه الأمور تؤكد لنا دور الأم في التربية وأهميته، ويكفي أن نعرف أن الأم تمثل نصف المنزل تماماً ولا يمكن أبداً أن يقوم بالدور التربوي الأب وحده، أو أن تقوم به المدرسة وحدها، فيجب أن تتضافر جهود الجميع في خط واحد.

لكن الواقع أن الطفل يتربى على قيم في المدرسة يهدمه المنزل، ويتربى على قيم في المنزل مناقضة لما يلقاه في الشارع، فيعيش ازدواجية وتناقضا، المقصود هو يجب أن يكون البيت وحدة متكاملة.

والحق أنه لا يمكن أن أتحدث في هذه العجالة عن الدور الذي ننتظره من الأم في التربية، إنما هي فقط مقترحات أردت أن أسجلها.

الخطاب الإسلامي والثقافات السائدة لدى الشعوب

يتفاعل الإسلام مع التقاليد والعادات المتوارثة فيصبح جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع، وتصير بعض طقوسه وتعاليمه وشفراته ولغته وكلماته وتعبيراته أمراً متعارفاً عليه حتى لدى غير المتدينين، ويتصرف كثيرون على هذا الأساس من دون أن يدروا أو يحيطوا علماً بالجذور الدينية لهذه التصرفات.
ومن هنا نقول إن المسيحيين في العالم العربي هم جزء من الحضارة الإسلامية، لأن مفرداتها تغلغلت في نفوسهم وعقولهم إلى درجة يصعب عليهم التخلص منها، مهما أوتيت للبعض منهم رغبة في الانعزال أو القطيعة أو التمرد على الرؤية الحضارية للإسلام، والأمر نفسه ينطبق على الأقليات المسلمة التي تعيش في كنف حضارات وديانات أخرى في أوروبا وآسيا.



د.عمار علي حسن



ونظرا لأهمية هذه النقطة فسنتعمق في تناولها وشرحها، من منطلق الركائز الأربع الرئيسية التي يدور حولها أغلب الفكر الإسلامي، والتي تتصل اتصالا مباشرا، وترتبط ارتباطا عضويا بكل ما يجود به الإسلام في مجالات العقيدة والعبادات والمعاملات، أو في الدعامتين الأساسيتين اللتين يقوم عليهما الإسلام وهما: عبادة الله سبحانه وتعالى، والاستخلاف في الأرض.

وهذه الركائز هي:

١- الثوابت: وأقصد بها الثوابت العقدية، أي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدر، خيره وشره. وهناك اتفاق وإجماع حول هذه الثوابت، والخلاف حول التفاصيل المرتبطة بالوصف والماهية والمعاني اللغوية لا ينال من هذا الإجماع الذي هو شرط أساسي كي يكون الإنسان «مؤمنا»، ليس كما تقر الرسالة الخاتمة التي حملها الرسول محمد ﷺ فحسب، بل ما تقره الرسالات السماوية التي سبقتها، حيث وحدة الأصل والمنبع، ووحدة الهدف والمقصد.

٢- النظم: وهي الشريعة التي تحدد علاقة الإنسان بالناس والمجتمع، وترسم له حدود «الحق» و«الواجب» ومعالم «الحلال» و«الحرام» و«المكروه»، وهي كذلك جملة التشريعات المنبثقة من هذه الشريعة، والتي تتأسس على مبادئ ترى أن الإسلام «دين ودولة» وأن القرآن الكريم «دستور». وهذه الفكرة ليست محل إجماع بين فقهاء ومفكري الإسلام، فبينما تتمسك أفكار وآراء وتخريجات رجال «الحركة الإسلامية» بمختلف ألوانهم بالنظم بوصفها جزءا أصيلا من الإسلام، لا يكتمل الدين إلا به، يرى آخرون أن الإسلام دين لا يضع نظاما معينا للحكم، مثلما ذهب الشيخ علي عبدالرازق في كتابه الشهير «الإسلام وأصول الحكم»، وجمال البنا في كتابه «الإسلام دين وأمة وليس دينا ودولة».

وبين هذين الرأيين تأتي آراء متعددة، تقترب من هذا أو من ذاك، أو تقف في المنتصف تماما.

٣ - القيم: وهي تتجلى حين يعبر المرء عن حبه لشيء وموافقته عليه أو نفوره منه، قياسا إلى شيء آخر. ويختلف مفهوم القيم في الفكر المثالي، الذي ينظر إليها على أنها مسألة مطلقة، عنه في الفكر البراجماتي، الذي يتعامل معها على أنها مسألة نسبية، مرورا بالفكر الواقعي الذي يزاوج بين المفهومين السابقين. لكن هناك أساس عام لتعريف هذا المفهوم، ينظر إليه على أنه مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة

بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، على أن تنال هذه الأحكام قبولا من فئة اجتماعية معينة، حتى تتجسد في تعبير الفرد عن شخصيته سلوكيا أو لفظيا، أو من خلال اتجاهاته واهتماماته.

والقيم جزء أصيل من رسالة الأديان، التي تمد الإنسان بمعيار ديني للحكم على الأشياء والأفعال، فيصبح كلام الله هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والشرعي والمجّرم، فيكون الحسن هو ما وافق الشرع، ويستوجب الثواب، والقبيح ما يخالف الشرع، ويستلزم العقاب.

وإذا كان هناك من يفرق بين القيم والمعتقد باعتبار أن الأولى تشير إلى الحسن Good مقابل الرديء Bad والثانية تشير إلى الحقيقة True مقابل الزيف False فإن هناك من يؤكد وجود ارتباط قوي بين الاثنين. فالمعتقدات تنقسم إلى ثلاثة أنواع، الوصفي والتقييمي والآمر الناهي، والقيمة من النوع الثالث، حيث تبدو معتقدا ثابتا نسبيا، يحمل في فحواه تفضيلا شخصيا أو اجتماعيا لغاية من غايات الوجود، أو لشكل من أشكال السلوك الموصلة إلى هذه الغاية. والقيم شأنها شأن المعتقدات تحتوي على ثلاثة عناصر، الأول معرفي يتمثل في إدراك الإنسان لما يريده ويرغب فيه، والثاني وجداني يتعلق بشعور الإنسان حيال الأشياء والأعمال، والثالث سلوكي يرتبط بحركة الإنسان حيال الواقع المعيش.

وإذا كانت القيمة المحورية في الليبرالية هي «الحرية»، وفي الاشتراكية هي «المساواة» فإن القيمة الأكبر في الإسلام هي «العدالة»، التي لا تقر المساواة الحسابية في قتلها الحافز الفردي المشجع للإبداع والترقي، وتمنع الحرية من أن تجنح إلى التفلت، فتصبح حرية «غير مسؤولة»، أو لا تحدها كوابح من دين أو تقاليد اجتماعية، أو حتى مراعاة حدود حريات الآخرين وحقوقهم.

٤- الذات والعالم: وهذا جزء رئيسي في الدين الإسلامي، أسسته آيات بينات من القرآن الكريم، وأكدته الممارسة في عهد النبوة، وفرضه الواقع المتجدد والمتغير، في أيام قوة المسلمين وتمكنهم، وفي ليالي ضعفهم وتأخرهم. والعلاقة مع الآخر عولجت في ثنايا الفكر والفقه الإسلامي المعاصر كثيرا في الحديث الذي دار حول الهوية والانتماء، وحوار الحضارات، وموقف غير المسلمين في البلدان الإسلامية، والذي وصل إلى أعلى مراحله حين أقرت بعض الجماعات والتنظيمات السياسية ذات الإسناد الإسلامي بمبدأ «المواطنة» حسب إجراءاته المعمول بها وتصوراته المعهودة في الدول الديمقراطية، بعد أن كانت تكتفي في الماضي بإعلان مبدأ إيجابي مجمل يقول: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

وهذه تعتبر المباحث الأربعة الرئيسية التي تظهر فيها خصوصية الإسلام بشكل عام.

أما بالنسبة للخصوصية الثقافية التي يدور حولها هذا البحث، فهي وإن كان لها نصيب من الاعتقاد والنظم والقيم والعلاقة مع الآخر، فإن هذا النصيب ينتظم في أربع ركائز، تدور حولها الثقافة بشكل عام في معناها ومبناها، وهي:

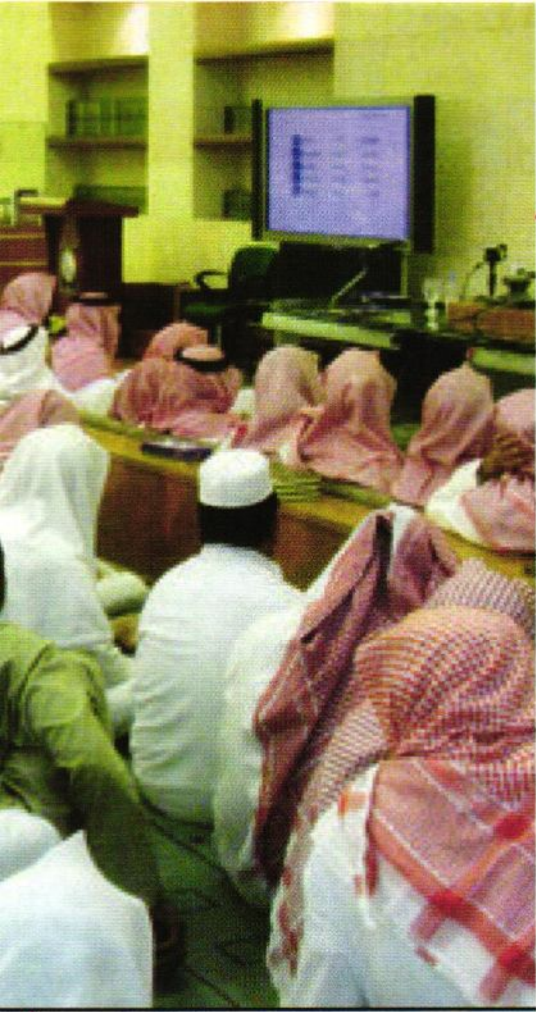
-المعرفة: التي تعني تحصيل المعلومات من مختلف المصادر المتاحة، وإدراك وجودها وأهميتها.

-القيم: التي ترسخ في الذهن والنفس بفعل التراكم المعرفي الشفهي، والتعلم مما يجري في البيئة المحيطة، أو في الواقع المعيش.

- الاتجاهات: التي تولد من تمسك الإنسان بقيمة أو قيم معينة والذي يقوده إلى الميل لأيديولوجية محددة، أو طريقة حياة ما، أو مذهب اجتماعي، أو انضمامه لجماعة منظمة، معتدلة أو متطرفة، سياسية أو دعوية أو خيرية...الخ.

- السلوك: فهذا الميل يقود الإنسان إلى إنتاج نمط معين من السلوك، نابع من القيم التي يؤمن بها، أو يتبناها، والاتجاه الذي ينحاز إليه، ويستخدم فيها ما أمكنه من المعارف التي حصلها طيلة عمره.

وهذه المحاور الأربعة توجد الثقافة بوصفها أسلوب الحياة السائد في أي مجتمع بشري، بما يميزه عن مختلف التجمعات الحيوانية. وهذا الأسلوب منه المادي الذي تمثله الأشياء كالآلات والأسلحة والملابس...الخ، ومنه غير المادي الذي تكونه الأفكار والعادات والتقاليد التي تمثل تراثا اجتماعيا ينتقل من جيل إلى



جيل، إما عبر اللغة أو بواسطة السلوك.

وفي جانب منه يبدو الدين بالنسبة للبعض «أحد مظاهر السلوك الثقافي» ليعيش جنبا إلى جنب مع مظاهر أخرى، توجدها التقاليد والموروثات تارة، والاحتكاك بالعالم الخارجي المعتنق لدين آخر أو اللاديني تارة أخرى، لكنه عند آخرين أعمق بكثير من السلوك، وهو إما مكتمل بذاته، أو مكتف بما لديه، أو أن لديه القدرة على هضم أي «وافد» عليه من دين أو حضارة أو تقاليد أخرى، بحيث يستفاد من السمين فيه ويلفظ الغث، من دون أن يتأثر جوهر الدين، أو يتكدر نبعه الصافي، الذي كان عليه وقت نزول الرسالة وتبليغها.

وبالنسبة للمسلمين فهناك من يرى ضرورة أن تكون هناك قطيعة مع الثقافات الأخرى، وخصاما مع أي تقاليد أو موروثات، لأن هذه تشكل «جاهلية» جديدة يجب التصدي لها ومحاربتها، إما بالدعوة التي تنقي ما تعكر، وتصوب ما أصابه الزلل، أو حتى بالقوة التي تغير المجتمع وتبدله تبديلا، وهناك من يتسامح مع المجتمع، ويرفق به، فيثني على النافع ويثبته، ويذم الضار ويخلعه، ويحاور صاحب أي رأي مختلف بالحكمة والموعظة الحسنة.

أما على المستوى العملي فإن الصفاء والنقاء يوجد في «العقيدة» في منبعها وأصلها، وقبل أن تشوبها أي شائبة، أو يختلط بها أي اعتقاد أو ميل مخالف، ويوجد كذلك في «الخطاب القرآني» في ألوهيته، وليس في «الخطاب الديني» في شقه البشري. أما وجود «خطاب ثقافي إسلامي» صاف أو يدعي النقاء المعرفي والقيمي والسلوكي الكامل فضرب من المستحيل، لأسباب عديدة منها:

١- أن الإسلام انفتح على الثقافات الأخرى منذ بدء دعوة الرسول ﷺ، فثبت كل الفضائل والسلوكيات الحميدة التي كان يفعلها عرب الجاهلية، وقاطع وزعزع كل الرذائل والسلوكيات السيئة التي كانوا يقترفونها، واستمر العمل بهذه القاعدة «الواقعية» عند المسلمين المعتدلين المدركين لروح الإسلام وطرق الدعوة السلمية في كل زمان ومكان.

٢ . تعقد مفهوم الخطاب، فهو من ناحية الشكل يشمل أعمال الاتصال كافة، المكتوب منها والشفهي، المادي والرمزي، المنطوق والسيميائي، ومن ناحية المضمون يبدو بناء معقدا يحوي داخله العديد من الأفكار والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية...الخ. ومثل هذا البناء المركب والمعقد لا يمكنه أن يحال إلى معين واحد، أو مرجعية واحدة، إلا بالمعنى الواسع، الذي يتفاعل فيه الخاص مع العام، وتتحاور فيه الذات الحضارية مع الإرث الإنساني المشترك.

٣- عدم وجود خطاب ثقافي إسلامي واحد في الزمان نفسه، نظرا لعدم تواجد المسلمين في «منطقة ثقافية» واحدة، فهم موزعون جغرافيا على كل قارات الدنيا، بعضهم يسكن الوديان الخصبة وآخرون يعتلون قمم الجبال أو يعيشون في الصحاري القاحلة، وهم موزعون على كل ثقافات الدنيا، الأنجلوسكسونية والفرانكوفونية والثقافات الآسيوية والإفريقية، المتعددة والمعقدة.

٤- عدم وجود خطاب ثقافي إسلامي واحد في المكان نفسه. ففي البلد الواحد يمكن أن نجد الخطاب الديني الرسمي وغير الرسمي، والمنغلق والمنفتح، والخطاب المعتدل والمتطرف، والخطاب السلفي والآخر الصوفي...الخ. علاوة على ذلك توجد دول إسلامية عدة، تضم الواحدة منها أشتاتا من البشر، مختلفين في الأعراق واللغات واللهجات، أي أنهم مختلفون في الثقافة الفرعية، التي يظل لها حضورها، ولها بصمتها على الثقافة الأصلية المستمدة من الإسلام، ومن ثم يكون لدينا في البلد الواحد تجاور لأكثر من خطاب ثقافي إسلامي، باستثناء الذوبان الكامل الذي يمكن أن يحدث في جماعات وتنظيمات إسلامية صغيرة عابرة للإثنيات واللغات واللهجات.

٥- اتساع مفهوم الخطاب الإسلامي عند الكثير من المفكرين والفقهاء المسلمين إلى درجة أن د.يوسف القرضاوي يرى في كتابه «خطابنا الإسلامي في عصر العولمة» أن الخطاب هو: «البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس، مسلمين وغير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكرا وسلوكا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية...وهو خطاب يتميز بالسعة والشمول، بقدر سعة الإسلام وشموله، فهو يشمل الفرد بجسمه وعقله وروحه ووجدانه، ويشمل الأسرة بعلاقاتها الزوجية والأبوية والأخوية والرحمية، ويشمل المجتمع بكل طبقاته وتكويناته الدينية والعرقية واللغوية والاقتصادية وغيرها، ويشمل الأمة بكل شعوبها وأوطانها، ويشمل الدولة التي تحرس الدين وتسوس الدنيا، ويشمل العالم كله، فهو يوجه الدعوة إليه، ويقيم العلاقة معه، متعاونا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، متضامنا في مواجهة الطغيان والاستكبار في الأرض، مساندا للمظلومين والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان».

ومن المستحيل مع هذا الاتساع ألا يلتقي الخطاب الإسلامي في بعده المرتبط بالنظم والقيم والعلاقة بالآخر مع غيره من الخطابات المطروحة داخل أي جماعة بشرية، في أي زمان أو مكان.

٦- رحابة الإسلام نفسه في المعنى والأصل، إذ إنه يعني «إسلام الوجه لله سبحانه وتعالى»، بما يجعل الإنسان عبدا مطيعا مخلصا لربه، مؤمنا به وبوحدانيته، ومتوكلا عليه، يراعي وجوده في كل قول يتلفظ به، وفي كل فعل يبدر عنه، كما أنه وبنص القرآن دين يسبق دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، فأبوالأنبياء سيدنا إبراهيم «أول المسلمين»، بل إن الإسلام بمعناه المذكور سلفا، هو الدين منذ المنشأ، الذي نزل مع آدم إلى الأرض، بغض النظر عن الأسماء التي أطلقها البشر على الرسالات والدعوات، مثل الإبراهيمية واليهودية والمسيحية.

٧- وجود ثنائية متعايشة بين الخاص والعام في الأديان من دون تفرقة أو تمييز. فالمبشرون بالدعوات الدينية، يقولون في مرحلة التمكن إن لديهم «منظومة قيمية» تنطبق على كل شعوب الأرض. أما في أوقات الضعف، وحين يكون أصحاب هذه الدعوات مستهدفين من قبل الأغيار الأقوياء، فإنهم يطلبون من هؤلاء ألا يدسوا أنوفهم في شؤونهم، وألا يفرضوا عليهم ثقافة بعينها، ويحترموا خصوصيتهم، ويقروا بتعددية تسمح للجميع بأن يتمسكوا بمعتقداتهم، ويمارسوا طقوسهم الدينية والثقافية. وهذا لا يعني أن عالمية الدعوة أمر غير واقعي أو مرتبطة بمرحلة التمكين فقط، بل يعني في المقام الأول أن هذه العالمية الرامية إلى هداية البشر أجمعين، يجب أن تكون في بناء العقيدة وتعلم العبادات أو أركان الدين، ولا يجب أن تتغول لتفرض نمطا ثقافيا محددا، فهذا فوق طاقتها، ولا طائل كبير من ورائه، إنما الجدوى تتحقق حين تركز الدعوة على منح الثقافات السائدة إطارا أخلاقيا عاما، لا يجور على التعدد والتنوع، ولا يقطع جذور مجموعة بشرية في أي مكان.

لكن ما يجب التأكيد عليه في هذا المقام أن هذه التحولات الخمسة للأديان لا يمكنها أن تمحو أصولها وجواهرها، وليس بوسعها أن تجفف المعين الصافي الذي ينهل منه أولئك الباحثون دوماً عن الدين المكتمل بنعمته التامة وصورته التي تجلى بها للناس في زمن البداية. والله حافظ لذكره إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

قطعة لحم ودبوس تعري الكيان الصهيوني

جاك صبري شماس

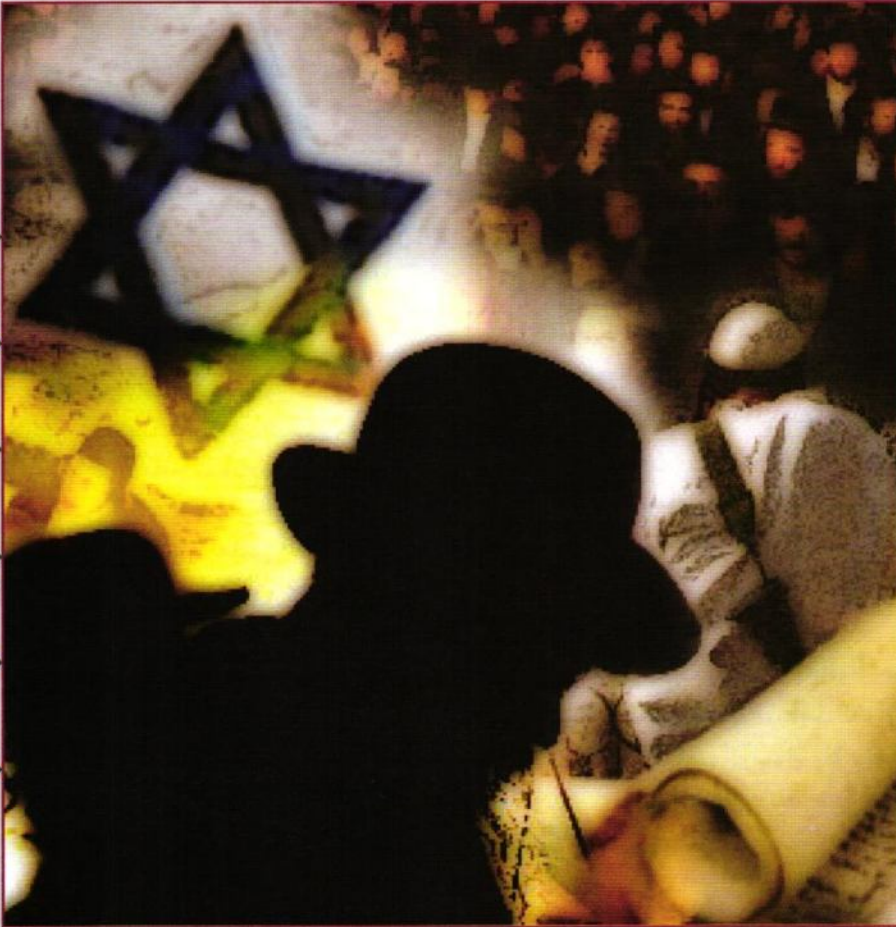
عزيزي قارئ هذه المقالة لا تستغرب مما جاء بها من مفردات نألفها بها العنصرية الصهيونية وتستيغ سماعها والتمسك بحذافيرها، مهما كان الثمن فليس هناك عرف اجتماعي رادع في المشروع الصهيوني، وإن ما أرويه ليس من صنع الخيال، وليس من كوكب آخر.

فقد اعتاد الحاخام اليهوي أن يدعو شباب وشابات اليهود الى قاعة المحاضرات، وحشو أدمغتهم بما تمثله إسرائيل من دولة ديموقراطية تزخر بالعلماء والمفكرين والجهابذة، والصناعة العسكرية المتطورة على الصعيد العالمي، فالحاخام يملي عليهم كل ما له صلة بالحقد والكره والضغينة ضد العرب والمسلمين، وإلباس الإسلام رداء التعصب والتطرف، وعرض جميع المفردات الصهيونية التي تحاول النيل من سمعة العروبة والإسلام مستخدمة في ذلك إعلاماً موجهاً مبرمجاً ومركزاً عبر التلفاز والصحف والمجلات، ضاربين بكل القيم النبيلة عرض الحائط، ومشوهين الحقائق، عابرين فوق كل قوانين الحضارة البشرية.

عزيزي القارئ أينما كنت في المحيط أو في الخليج، ما يهمنا في ذلك «قطعة لحم ودبوس» وهذا بيت القصيد ومربط الفرس.

إن الحاخام لا يبالي بكل قوانين العالم وهو يقول نحن شعب الله المختار، وهكذا سنبقى، ثم يعرض عليهم قطعة لحم طازجة ويغرس الدبوس في قطعة اللحم قائلاً: ماذا حدث؟ إن ماحدث هو سقوط كمية قليلة من الدماء ويردف قائلا: «إن نزف قليل من الدم من الأنثى البكر لا يشكل خطراً على «إسرائيل» بل على العكس تماماً إن ذلك شيء طبيعي من أجل وجود «إسرائيل» مهما كان الثمن»، وهنا يتجلى كيف أن هذا الكيان لا يقيم للشرف أي مكانة مادام مساهماً في بقاء الكيان الصهيوني وكيف أن ما يقدمون عليه هو لصالح الكيان، حيث تتساقط أوراق التوت وتتضح الحقيقة، ويبرز المعنى المراد من هذه التوجهات التي يقولها الحاخام للناشئة، فالعفة لا مكان لها في قاموس الكيان الصهيوني.

ومن خلال اطلاعي على عادات وتقاليد وثقافات العالم لم أقرأ ولم أسمع على الاطلاق بأن أية أمة من أمم الأرض تخالف قوانين الشرع الإلهي وتتجاوز المألوف وتفعل المنكر مثلما تفعل العنصرية الصهيونية، لقد سقط القناع وظهرت حقيقة الكيان الصهيوني الذي لا يعرف إلا الغدر والخزي والبهتان، هذا هو الكيان العنصري الذي يتشدق بالديمقراطية، ويحاصر، غزة والمستوطنون يمارسون الإرهاب ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، هذه هي حقيقة الكيان الصهيوني.



المرجفون وقداسة مرجعيتنا!

محمد مكين صافي

ما يزال المرجفون على دأبهم في التصدي لدراسة مصادر مرجعيتنا، لا ليستقوا منها أو يستفيدوا، إنما ليعملوا فيها معاول التشكيك، فمنذ العهد النبوي وهم لا يألون جهداً في البحث عن ثغرات في النصوص ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ (الفرقان: 5)، أو في ناقل النصوص عليه الصلاة والسلام ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ (الفرقان:7) وذلك في سلسلة لا تنتهي من المحاولات البائسة للولوج إلى صلابة هذا الدين، كي يعملوا فيه - خسئوا- بالتحطيم.

كثيرة هي الشبهات التي أطلقوها، وكثيرة هي الفتن التي أثاروها، وما يزالون! وهم في كل مرحلة يتفننون في اختلاق شبهات جديدة متى شعروا أن السابقات قد فنيت وبطلت فاعليتها، متخذين مما يستجد من أفكار ومسودات أساسا يبنون عليه أباطيلهم الخبيثة!

سمعناهم كثيرا يقولون- وقبل عقود مضت- أن الدين تخلف ورجعية وارتداد إلى وضع عفى عليه الزمن، وأن المتدين ليس أكثر من نموذج خارج عن حدود الزمان والمكان، ناهيك عن أن الدعوة الى إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية كمنهج حياة ما هو - بزعمهم- إلا ضرب من العودة بالناس إلى حياة البداوة بعد أن انعتقوا منها.. وسمعناهم كثيراً يقولون أن الحجاب ظلم وإجحاف وتكبيل.. تماما كما سمعناهم يقولون إن الالتزام بالمنظومة الأخلاقية الإسلامية هو مظهر من مظاهر الغفلة أو الدروشة.

سمعناهم يقولون أن الدعوة إلى نظام يحتكم إلى الإسلام بدعة ابتدعها مغرضون ليتخذوها سلماً يصلون به إلى مآرب ذاتية.. وعلمنا منهم أن النظام الاقتصادي الإسلامي نظام ساذج مسكين، إن صلح «للأعاريب» في بلاد القحط فلا يصلح بحال لمثل النظام العالمي الحالي، إذ كيف يمكن لنظام اقتصادي أن يقوم بدون ربا!

سمعنا هذا منهم، وسمعنا غيره كثير، ثم هبت علينا فتوحاتهم، في فترة تمكنوا فيها (لا ندري كيف) أن يتسلقوا فيقودوا الناس، وما قادوهم إلا إلى خراب!

لكن صحوة مباركة شاءها الله لهذه الأمة وهيأ لها رجالاً صدقوا الله فصدقهم الله، وأثبتوا (والتجارب أيدتهم، وكذا الكوارث التي مرت بنا والنكبات) أن كل ما يهرف به المرجفون هباء، وان الشريعة التي أتم بها المولى العليم النعمة على هذه الأمة هي الأصح، وهي الأبقى، وأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

شبهات اليوم

إن استقطاب الدين للشريحة الأوسع من المسلمين تم من خلال ما لمسوه فيه من صدق وعقلانية وتوافق لهذا الدين مع الفطرة، ومن خلال ما جربوه في المناهج المناهضة من عكس ذلك تماماً.. ولم يكن ضرورياً ولا ممكنا لكل من يلتزم بالاسلام كمنهج حياة أن يدرس كل تفاصيله، ويدرك خفايا تراثه، ويحفظ تاريخه من يوم نزل.. هذا أمر لايدركه إلا المتخصصون، والمتخصصون في كل علم لا يشكلون النسبة الظاهرة من الناس، نقول هذا لنبين كيف استفاد المرجفون من هذه الثغرة فأمكنهم أن يتحدثوا في مصادر مرجعيتنا وهم مطمئنون أن كثيرا من المسلمين غير متخصصين، ولن يكون في امكانهم الرد الفوري على أباطيلهم.

وانطلقوا من جديد يرجفون.. قالوا: حسنا.. مرجعيتكم القرآن والسنة.. أما القرآن فهو الكلام الموحى به الى الرسول ولا سبيل الى انكاره (من قبل حاولوا ذلك فما أفلحوا)، ولكن لا تنسوا- يقول المرجفون - ان القرآن حمال أوجه، بهذا قال علماؤكم الأقدمون أنفسهم، وإذن فإن ما يفهم هذا المفسر أو ذاك ليس بالضرورة هو الحق الأوحد، وعليه- يتابع المرجفون - فإن كل ماجاء به المفسرون لا يلزمنا في شيء لانه انعكاس لفهمهم للنصوص، هذا الفهم الذي يمكن أن يخالفهم فيه كل أحد يكون له الحق المطلق في تأمل تلك النصوص ودراستها وفقا لما يكون قد وصل إليه علماً وثقافة وإعمال فكر، ووفقا لمعطيات الزمن الذي هو فيه والتي تتغير وتتطور جذرياً عما كانته في عصور أولئك الذين فسروا الكتاب من قبل، وعليه فإن الدعوة إلى قيام نظام على أساس من تلك التفاسير المشكوك في مطابقتها للحق، دعوة يقال فيها ويعاد، وليست تبرأ من الغلط، ولا تؤدي بالضرورة إلى خير.

وإذ انتهوا من المصدر الأول - والأقوى- لمرجعية المسلمين، ونسفوا- دفعة واحدة- كل ما تتالى عليه من تفاسير وأحكام قالها الأئمة الأولون، وشككوا في مطابقتها للحق الذي يجدر بكل نظام إسلامي أن يقوم عليه، إذا فعلوا هذا فإنهم قد التفتوا بعدها إلى المصدر الثاني وهو السنة المطهرة ليعملوا فيها معاول هدمهم، وكان الأمر هيناً عليهم، أو هكذا حسبوا.

(وما ينطق عن الهوى) حسنا- قال المرجفون- وإنما أين هو النص المسند الثابت الصحيح عن صاحب الرسالة.. لا تعتمدوا على «حدثنا» تلك التي تمتلئ بها كتب الأحاديث، فما نص أضعف منها سندا

من هذا الحديث، وما يجدر لمصدر موثوق أن يقال في بدايته «حدثنا»، وكأن الأمر قصة تروى، لا علم ولا دين.

ثم إن الباحث المنصف - يتابعون بعدها- لن يجد من الأحاديث غير أخبار الآحاد التي لا يمكن ان يقوم عليها نظام دقيق يراد له أن يشمل الدينا بأسرها، ولا يبقى بعد هذين الصنفين من الأحاديث المتوافرة إلا بضعة أحاديث متفرقة يمكن أن يصح فيها السند وصولا الى صاحب الرسالة.. واذن فلتبحثوا- قبل الحديث عن مشروع حضاري يقود الأمة- عن دقة وصحة وثبوت في الألوف المؤلفة من الأحاديث قبل أن تعتمدوها كمصدر أساسي للتشريع ولأن المستمعين أغلبهم من غير ذوي الاختصاص- كما ذكرنا- فقد حسب المرجفون أن تمرير مثل هذه الشبهة سهل سريع الوصول.

أمر التاريخ أسهل

وإذا كان هذا هو الشأن مع المصدر الأساسي الثاني من مرجعيتنا، فإن الشأن في السيرة النبوية سيكون أسهل من حيث التشكيك فيها بل ونسفها إذا لزم الأمر، سيما أن فيها من الأخبار ما يعارض بعضها بعضا، بل ويناقض- زعموا- بعضها بعضا، بل فيها من الحكايات التي لا يجدر أن تروى إلا للتسلية أو لإرواء ظمأ العامة من القصص الخيالي كا قال يوما طه حسين في كتابه «على هامش السيرة».

كانت جهودا مضنية- بحق- تلك التي بذلها أولئك المرجفون ليفتحوا العيون الى عدم ثبات أو دقة المرجعية التي يعتمدها المسلمون في دعوتهم الى إعادة تطبيق الشريعة كمنهج حياة، وإذن فلم يعد الدين تخلفا ولا رجعية هذه المرة.. وإذن فيمكن ان يقوم نظام- بل حضارة - على هدى آخر الأديان- فهم لا يمانعون- ولكن.. أين هي المصادر الموثوقة للمرجعية الإسلامية التي تبنى عليها هذه الحضارة؟

والمدهش من هؤلاء المرجفين أنهم مجدبون من أي مشروع يوازي أو يقارب على الأقل المشروع الحضاري الذي يتقدم به الدعاة المسلمون لإنقاذ هذه الأمة وإعادة بعثها، إنهم يفتقرون الى أي منهج يكون بديلاً عن الخراب الذي حل بنا يوم قادوا الأمة كرهاً وتسلطاً، ومع هذا الفقر المزري فإنهم لا يخجلون، ولا ينفكون يعملون في جهود المخلصين هدما وتشكيكاً كأنهم مبرمجون خصيصاً لمهمة الهدم بعدما أعجزهم أن يشمروا لعملية البناء، والعلة في دورهم الذي ارتضوه لأنفسهم علة نفسية أساسها كره بذوره من المنشأ لهذا الدين، ولكل ما يتعلق به، ولكنا لسنا بوارد أن نعالج أدواءهم النفسية الآن!

شرذمة برمجة خصيصاً للهدم بعدما أعجزهم البناء لعلة نفسية أساسها كره هذا الدين

مرجعية مصونة

إن ما يهمنا التأكيد عليه هنا هو أننا مطمئنون إلى مرجعيتنا بمصدريها الأساسيين، وبما تعلق بهما من تفاسير وشروح وما قام عليهما من علوم، وما تم استخراجه منهما من أحكام، مطمئنون نحن إلى ذلك كله، لا بدافع من محبتنا لهذا الدين فحسب، بل من اليقين المنبثق من وعد ربنا ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر:٩)، هذا الحفظ الذي لا يكتمل إلا بحفظ السنة المطهرة لأنها البيان والشارح للمصدر الأول وطمأنينتنا نابعة أيضا من الثقة والقناعة بنفاسة الجهود التي قام بها الأئمة الأعلام على مدار تاريخنا الإسلامي المجيد، وبضخامة أثر هذه الجهود التي أثمرت من العلوم جديدها وأثمرت من هذا الجديد تراثا ضخماً ما يزال يثير الدهشة ويحني الرقاب له تجلة واحتراماً.

في التفسير نشأ علم خاص يتعلق بأصوله وقواعده وأسسه التي يقوم عليها، كما نشأت عن التفسير عناية بالغة باللغة العربية ذاتها، نحوها وصرفها، بلاغتها وبيانها، كي تدعم علم التفسير وتسانده، ولكي يأتي التفسير مطابقاً للفهم الصحيح الذي يفهمه أهل الاختصاص للغة التي نزل الكتاب المجيد بها، فنحن مطمئنون إلى أن ما افتراه المرجفون من أن التفاسير ما هي إلا انعكاس لفهم المفسر ذاته، أو أن كل أحد يفسر كما يحلو له، هو محض هباء، ولا يقوم على أساس من المنهجية العلمية التي يحترم أصحابها، وليس ضروريا أن نكون من أصحاب الاختصاص لنقول هذا ونطمئن إليه، يسندنا في هذه الطمأنينة ما قرأنا في تاريخنا الزاخر كيف أن اي فئة قامت تفسر النصوص حسب منطلقاتها المغلوطة، يتم دحرها وبيان تهافتها على يد جهابذة العلماء المخلصين، وما حكاية المعتزلة ومناداتهم بخلق القرآن عنا ببعيد.

وكذلك الحديث

نحن مطمئنون إلى ثبات مرجعيتنا وصحة ما وصلنا من أحاديث نبينا الكريم، مثلما أننا مطمئنون إلى إلزامية أن يقوم على هذه الأحاديث بنيان نظام متين تقوم عليه دولة، يسندنا في هذه الطمأنينة، بالاضافة إلى محبتنا لرسولنا الكريم ولكل كلمة نطق بها.

طمأنينة علمية

مطمئنون نحن -بعد- إلى تلك الحصيلة الفقهية الضخمة التي خلفها لنا أئمة مجتهدون مخلصون يخافون الله، ونفخر بهذه الذخيرة الضخمة على باقي الأمم، لن يأتي المرجفون بعد تلك القرون - ليفتحوا عيوننا على أن هذه الأحكام التي خضعت للفحص والتمحيص من كبار الأئمة في زمانها مشكوك في صحتها أو في انعكاسها التام عن الحق الذي أراد المشرع سبحانه أن تقوم عليه حياتنا، سيما ونحن نقرأ ونلمس كيف أن أي حكم أو اجتهاد جديد يصدر في عصرنا هذا لا يمر قبل أن يخضع لدراسة العشرات من المجتهدين المخلصين الأفذاذ، فإما قبلوه وإما ردوه، فكيف بذلك الجيل الغابر من علمائنا الأماجد؟

وأخيراً

فإننا مطمئنون واثقون إلى أن ما أتى به المرجفون ما هو إلا حلقة في سلسلة لن تنتهي من المحاولة البائسة لصد الناس عن الحق الذي ارتضاه المولى للناس، وانه ليس أقل تهافتا من إرجافهم يوم قاموا ليقولوا إن هذا الدين متخلف، وأن التدين بضاعة الضعفاء، فالأقوياء لا يتدينون كما صرح نجيب محفوظ في إحدى رواياته، وأن الملتزمين بديهم جماعة من «الدراويش».

في حياتنا

نلتقي ونقابل الكثير من الأشخاص الذين لهم أثر إيجابي علينا فنستفيد منهم غاية الاستفادة بل دائما ما نقوم بنشر ما استفدناه وتعلمناه منهم الى من نحب كأبنائنا واهلينا وإخواننا ومن هو قريب الى قلوبنا، ويكتمل ذلك الاثر الإيجابي عندما نتسم بالوفاء لمن علمنا او هيأ الاجواء المناسبة لاستفادتنا، فنقوم بشكر من احسن إلينا وأفادنا ونتواصل معه ونسأل عن احواله وإن شغلتنا الدنيا عن وصلهم فلا نبخل بالدعاء لهم «فالحر من راعى وداد لحظة وانتمى لمن أفاده لفظة».

في حياتنا

أستغرب عندما لانقبل صوت الحق والحكمة والرأي الحسن إذا أتانا من شخص عادي لا يؤبه له وباسلوب هادىء فدائما تكون ردة فعلنا الداخلية (وإيش عرف هالمسكين) وسبحان الله بعدها بقليل يأتي شخص ذو صوت عال وأسلوب منمق فيطرح نفس الفكرة ونفس الرأي الذي طرحه الشخص العادي فنقوم لنصفق له ونمجده ونثني عليه، فنصيحتي أن نوطن انفسنا لقبول النصيحة وقبول الحق ولو ممن نظن أنه دون مستوانا فليس كل ما نظنه صحيح فلنحذر سوء الظن والعجب وعلينا ان نتذكر دائما قول النبي ﷺ «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (رواه مسلم)، ولازلت أذكر أحد الاخوة عندما قال لنا خاطرة حول هذا الحديث الشريف وأثر فينا فلقد كان يكرر كلمة (ذرة... ذرة) ويقول: لنا هل نحن متأكدين من عدم وجود مثقال ذرة في قلوبنا فالموضوع ليس ببسيط ويحتاج الى مجاهدة كبيرة.

في حياتنا

نسمع ونقرأ ونشاهد الكثير من الوقائع والقصص الحقيقية والخيالية ذات المغزى التربوي والإرشادي فيا حبذا لو كان لكل واحد منا مفكرة صغيرة يدون فيها مثل تلك القصص والمواقف التي نحتاج لاستخدامها في الكثير من الاحداث التي تعترض حياتنا فيكون لها الأثر الإيجابي الذي يساعدنا في دعوة الناس إلى الله، ومن جميل تلك القصص التي تتحدث عن





عمر المطوع

أثر الغضب والتي أخبرني بها أحد الاخوة عندما ذهبت إليه أريد الاستشارة فرد علي بتلك القصة الخيالية التي أثرت في كثيرا، يقول صاحب القصة «كان هناك ولد عصبيّ المزاج وكان يفقد صوابه بشكل مستمر فأحضر له والده كيساً مملوء بالمسامير وقال: يا بني أريدك أن تدق مسماراً في سياج حديقتنا الخشبي كلما اجتاحتك موجة غضب وفقدت أعصابك، وهكذا بدأ الولد بتنفيذ نصيحة والده فدق في اليوم الأول مسامير عديدة تتجاوز الأربعين مسماراً ولكن إدخال المسمار في السياج لم يكن سهلا فبدأ يحاول تمالك نفسه عند الغضب، وبعدها

وبعد مرور أيام كان يدق مسامير أقل، وفي أسابيع تمكن من ضبط نفسه، وتوقف عن الغضب وعن دق المسامير، فجاء والده وأخبره بإنجازه ففرح الأب بهذا التحول، وقال له: ولكن عليك الآن يا بني استخراج مسمار لكل يوم يمر عليك لم تغضب فيه، وبدأ الولد من جديد بخلع المسامير في اليوم الذي لا يغضب فيه حتى انتهى من المسامير في السياج فجاء إلى والده وأخبره بإنجازه مرة أخرى، فأخذه والده إلى السياج وقال له «يا بني أحسنت صنعاً، ولكن انظر الآن إلى تلك الثقوب في السياج، هذا السياج لن يكون كما كان أبداً، وأضاف عندما تقول أشياء في حالة الغضب فإنها تترك آثاراً مثل هذه الثقوب في نفوس الآخرين» عندها تذكرت قول الشاعر:

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتام ما جرح اللسان

في الختام ماهي إلا تأملات في حياتنا



أسأل الله بفضله وجوده أن يوفقنا الى مايحبه ويرضاه.

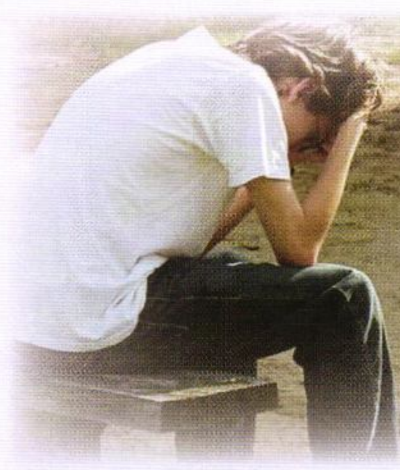
في حياتنا

نتعامل مع أطفالنا أو إخواننا الصغار وقد يغلب علينا في كثير من الأحيان التمسك بصورة ذهنية ذات طبيعة متشددة نرسمها في عقولهم، تجعلنا نتعب في حفاظنا عليها وتجردنا من التلقائية البسيطة يقول د.مصطفى أبوسعد «فكلما كان الإنسان متشددا في مواقفه كلما تخلى عن إنسانيته أمام الأبناء وتحول بالنسبة إليهم إلى آلة لإصدار الاوامر والنواهي..». وفي بعض الأحيان كذلك نستعجل في حل المشكلة عن طريق العقاب أو الحرمان او العتاب الشديد، وأعتقد والله أعلم أننا لو فكرنا بمسببات المشكلة لاستطعنا حلها بطريقة حكيمة ولاستطعنا المساهمة في تغيير سلوك صغارنا والارتقاء بهم

في حياتنا

تصيبنا الابتلاءات فتحزننا وتبكينا ونعيش أجواء الفرحة فتبهج نفوسنا وترسم البسمة على وجوهنا، والموفق منا الذي يستشعر نعم الله فيشكرها، ويصبر ويحتسب في الشدة والملمات فينال أعلى الدرجات، ورحم الله الفضيل بن عياض حين قال: «الناس ما داموا في عافية مستوون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه» فلنتواص فيما بيننا فنذكر أنفسنا وأهلينا وإخواننا بتلك المعاني السامية فنتعلم سلوك وأخلاق المؤمنين في السراء والضراء، وأن



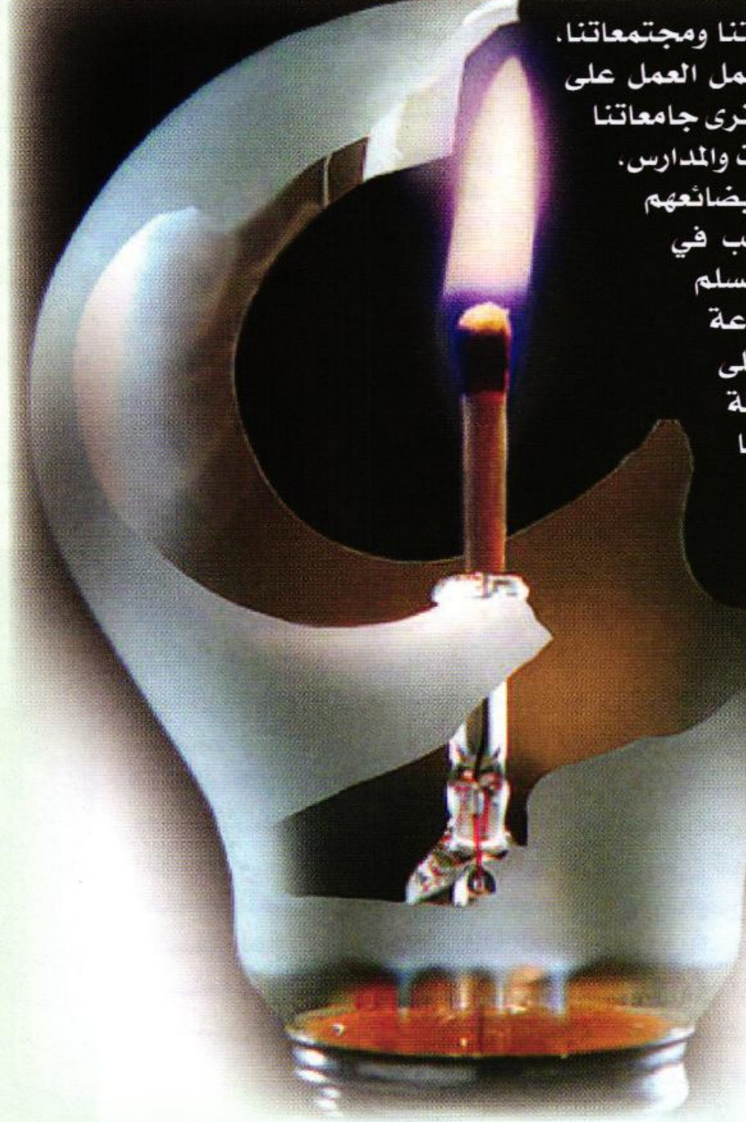


نرضى بالقضاء والقدر خيره وشره فقد قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له». (رواه مسلم).

في حياتنا

أفرح عندما أجلس مع إخواننا في الله فنتذاكر ونتناصح بجو تملأه المودة والسكينه، فإلى كل مَن أحب اقول لهم: عليكم بمجالسة الصالحين واجتنبوا مجالس البطالين فوالله كم فكرة خير نبتت بذورها في مثل تلك المجالس، وكم من سرور ملأ قلوبنا وحزن انقشع عنا بمصاحبة الاخوة الصالحين، فقد قال النبي ﷺ «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما ان تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة» (رواه مسلم) كذا علينا ان نتعاهد ونجتهد ونتعاون فيما بيننا على أن تكون مجالسنا نظيفة من الغيبة والنميمة والسخرية وجميع آفات اللسان التي ما إن تتفشى في مجالس الصالحين إلا وتذهب بركتها ولنا في الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مايكفينا بأن نرتدع عن تلك الآفات الذميمة.

ثقافة الإتقان



هناك ثقافة غائبة عن أمتنا ومجتمعاتنا، وهي ثقافة الإتقان، أن نعمل العمل على أحسن وجه، وأتم ما يكون، نرى جامعاتنا ومدارسنا في ذيل الجامعات والمدارس، ونرى صناعات المسلمين وبضائعهم من أردأ الصناعات، والسبب في ذلك: عدم إتقان العامل المسلم لصنعته، مما أدى إلى إشاعة ثقافة عدم الإتقان، على الرغم من أن الإتقان ثقافة إسلامية أصيلة، دعا إليها القرآن والسنة، وحث عليها علماء الإسلام، فالإتقان ثقافة قرآنية نبوية، كما سنرى في مقالنا بإذن الله.



عصام تليمة

لقد خلق الله عز وجل كونه بما فيه خلقا قام على الإتقان الذي لا يباريه شيء في الخلق والإبداع، سبحانه وتعالى، فقد بنى السماء وما فيها من أجرام، وكواكب ونجوم فقال ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسوعون﴾ (الذاريات: ٤٧)، ويقول عن إتقان خلقه سبحانه وتعالى، وأن المرء مهما قلب بصره في خلق الله لا يجد شيئا غير متقن، أو شيئا معيبا سبحانه وتعالى ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾ (الملك: ٣-٤) ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل: ٨٨).

الإتقان فريضة إسلامية

وليس غريبا إذن أن يكون الإتقان فريضة يوجبها الإسلام على المسلم، في كل عمل يؤديه، سواء كان العمل عبادة أم معاملة، دنيويا أو أخرويا، فإتقان العمل فريضة يوجبها الشرع الإسلامي الحنيف، يقول الله تعالى مبينا غاية الخلق في هذه الحياة ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (الملك: ١-٢) فقوله: ليبلوكم: أي ليختبركم، ثم يسألكم بعد الابتلاء والاختبار، أيكم أحسن عملا: أي أيكم أفضل عملا، من حيث العمل الصالح، وجودة ما عمل، وإتقان الإنسان لما عمل من الخير، ويشمل هذا الاختبار في العمل: عمل الدنيا والآخرة. ويقول ﷺ «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» (رواه مسلم) وكتب: أي فرض، والإحسان: الإتقان، ويقول ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه». (صححه الألباني) فالله عز وجل يحب من المرء إذا قام بعمل ما أن يقوم به على أكمل وجه، وأفضل صورة، وليس مجرد العمل.

كما رأينا في الإسلام علما ليس في أمة من الأمم سوى الأمة الإسلامية، وهو علم «مصطلح الحديث»، فنرى العلماء يدققون دقة شديدة في مدى إتقان الراوي لما يرويه عن رسول الله

ﷺ، فقد وضع العلماء خمسة شروط لصحة الحديث، منها شرط «الضبط»، وهو أن يكون الراوي ضابطا للحديث الذي يرويه، فقد يكون الراوي صادقا، وليس متهما في عدالته وحسن خلقه، ولكنه قد يعتريه ضعف في الذاكرة، أو عدم ضبط لما يقول من الأحاديث، فعندئذ تنزل درجته من حيث التوثيق والتضعيف، فقد وضع العلماء تعريفا للحديث الصحيح كما يلي «هو ما اتصل سنده، بنقل العدل الضابط عن مثله، مع السلامة من الشذوذ والعلل».(١)

مجالات الإتقان في الإسلام

هناك عدة أمور في عباداتنا ومعاملاتنا ودينننا هي في حقيقتها مظاهر للإتقان، ودعوة للمسلم لممارسة الإتقان في حياته كلها، ففي العبادة مطلوب منا عند الوضوء: إسباغ الوضوء، يقول ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط» (صحيح مسلم) وإسباغ الوضوء هو: إعطاء كل عضو حقه من الطهارة والعناية والغسل.

وفي الصلاة: مطلوب من المسلم الخشوع التام، وإقامة كل ركن من أركان الصلاة كما أمر به الإسلام، على أكمل وأتم وجه، فمن نقر صلاته كنقر الديكة، فليس له من أجره شيء، كما يوضح ذلك حديث المسيء في صلاته، والذي صلاها صلاة بلا إتقان، فقد دخل رجل المسجد فصلى، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد، فجاء فسلم عليه، فقال له «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع فصلى ثم سلم، فقال «وعليك، ارجع فصل فإنك لم تصل» قال في الثالثة: فأعلمني، قال «إذا قمت إلى الصلاة، فَأَسْبِغ الوضوء، ثم اسْتقبل القبلة، فكبر واقرأ بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تستوي قائما، ثم افعل ذلك في صلاتِك كلها». (متفق عليه)

والصوم مطلوب فيه الإتقان، وذلك بأن تصوم الجوارح عن المعاصي الظاهرة، والقلوب عن الأعمال الباطنة، ولا يستقيم صوم بدون الأمرين، وإلا كان صوما مردودا، أو منقوص الأجر، وليس كاملا متقنا، وعن مثل هؤلاء الصائمين الذين يصومون صوما ظاهريا بلا اكتمال الصوم وإتقان صوم الجوارح والقلوب يقول ﷺ «رُب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (رواه أحمد وابن ماجة والحاكم).

وفي تلاوة القرآن، مطلوب من المسلم أن يرتقي دوما في قراءته، من الضعف إلى القوة، إلى المهارة في تلاوته، ولا يقف عند حد من إتقانه لتلاوة كتاب الله، فالمتقن لتلاوته لاشك في أعلى درجات الأجر، يقول ﷺ «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران» (صحيح مسلم).

ثمرات إتقان العمل

ولإتقان العمل ثمرات تعود على المسلم في دنياه وأخراه، نقف عليها، فمنها:

رضا الله والأجر الجزيل، فمن أهم ثمرات إتقان العمل أن ينال المسلم رضا الله عز وجل، فلاشك أنه لا يستوي الغافل والنابه، ولا يستوي العامل والخامل؟ بل رأينا أن كثيرا من الأجر في الإسلام مرتبط بحسن العمل، ومرتبط بإتقان العمل، يقول ﷺ عن قتل الوزغ، وتفاوت الأجر فيه بناء على دقة من يصوب الضربة له «من قتل وزغا لأول ضربة، فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الثانية: فله كذا وكذا أدنى من الأولى، ومن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة أدنى من الذي ذكره في المرة الثانية» (صحيح مسلم). فهذه الحسنات المتفاوتة كل مرة عن الأخرى، هي مكافأة على حسب دقة وإتقان من يقوم بالعمل.

آثار عدم الإتقان

- تأخر النصر، فمن أهم آثار عدم إتقان العمل، تأخر نصر الله، فكيف تنتصر أمة في ذيل الأمم، وفي مؤخرة الركب، عالة على غيرها، سلاحها من صنع عدوها، بل يستذلها عدوها بما يمن به عليها من الفتات مما يفضل عنه، تخلف الأمة.

- الإساءة إلى الدين وتشويه صورته، وليت عدم الإتقان يقف بنا عند تخلفنا فقط، بل ينسب هذا التخلف - للأسف- إلى المسلمين، وأن السبب في تخلفهم الناتج عن عدم إتقانهم لأنهم مسلمون، فلماذا الغربيون . وهم ملاحدة وكفار . متقدمون، والمسلمون . وهم موحدون ومؤمنون . متأخرون، ويستغل عدم النهوض الإسلامي كذريعة للإساءة للإسلام، ولحملته من المسلمين، ولا يعلم هؤلاء أن سبب تخلف المسلمين وعدم إتقانهم هو بعدهم عن الإسلام، والتمسك به، فالإسلام يأبى أن يأكل مسلم حراما بعدم إتقانه للعمل، والإسلام من أهم أخلاقه الأمانة، والأمانة تقتضي من العامل أن يقوم بعمله على أكمل وجه، وأفضل حال.

- تجويد العمل وتحسينه، ومما يساعد المسلم على إتقانه للعمل: سعيه الدائم والدؤوب لتجويد العمل، وتحسينه، والبحث عن كل وسيلة نافعة تعينه على إتقان هذا العمل، سواء كانت هذه الوسيلة دنيوية، بالتعلم، وزيادة الخبرات، والبحث عن كل جديد في عالم تخصصه، أوالاستعانة بالله عز وجل على ذلك، فالتوفيق في بداية الأمر ونهايته من الله عز وجل ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله﴾ (هود:٨٨).

الإبداع والتجديد فيه، وهو أمر لا ينبع من داخل المسلم إلا إذا أحب عمله الذي يعمله، وملك عليه شغاف قلبه، فمن أحب شيئا جدد فيه وأبدع وأتقن، وأخرجه في أبهى حلة، وفي أفضل ما يمكن، ولذلك فإن من أهم المبادئ التي حث عليها الإسلام هو الاجتهاد والتجديد.

التفاني في العمل، ومما يعين على الإتقان: تفاني المرء في عمله الذي يقوم به، وأن يكون رسالة يتقرب بها إلى الله عز وجل، وليس مجرد وسيلة للارتزاق.

الحواشي:

١- انظر الباعث الحثيث ص٣٠، وغيره من كتب مصطلح الحديث.

الرؤية الإسلامية لحماية البيئة

د. جمال الدين الفاروقي

إن أخطر شيء يهدد البشرية اليوم هو المشاكل البيئية التي تنتج عن اعتداء الإنسان على نظام البيئة، ولذلك حظيت علوم البيئة باهتمام بالغ في الأوساط العلمية والثقافية والاجتماعية، يدل على ذلك نهوض الهيئات المحلية والوطنية والدولية بتوعية الشعوب بصورة مستمرة، ومنها أنهم يحتفلون باليوم الخامس من يونيو كل عام باعتباره يوماً عالمياً للبيئة وعلى الرغم من كل هذا، فإنه ما زالت هذه المشكلات قائمة وقد صارت أضعاف ما كانت عليه من قبل، والحلول المطروحة لها تخلق مشاكل اخرى أصعب من الأولى، وهي لا تعالج جوهر المشاكل، وانما تعالجها اذا كانت الدراسات جارية في ضوء الارشادات الإلهية التي تنسج لحمة الموضوع وسداه بالحقائق الموصلة الى الحق الثابت.

ولقد اهتم القرآن بهذا الموضوع اهتمامه بسائر المواضيع الدينية، وجعل الإلمام به ضرورة ينبغي أن يعرفها الإنسان لأجل بقاء الأرض وما عليها، فتسير الحياة مسيرتها فوق الكرة الأرضية بصورة أكثر أمناً وسلامة حتى يستفيد من خيراتها بنو البشر كلهم، والبيئة الأصلية والأساسية هي من صنع الله، والقرآن هو الوحيد الذي وضع معالم ثابتة أساسية لدراسة علوم البيئة، وقد رتب الله نظم ووظائف البيئة نظراً لمصلحة الإنسان الذي كرمه وفضله على غيره، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الإنسان هو النقطة المركزية في التصميمات البيئية والله يقول ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ (البقرة:٣٠)، وما من نعمة أودعها الله في البيئة إلا ونسبهاإلى الإنسان ومصلحته الفردية والاجتماعية، ولانجد أي علوم مادية تنظر إلى الإنسان بهذه الكرامة والتقدير.

ومفهوم الاستفادة من البيئة يزيد من حجم المسؤولية التي يتحملها الإنسان، وأهمها سعيه لصلاحها وسلامتها والبعد عن العبث بمكوناتها والفساد في أنظمتها، ولذلك ينهى القرآن عن الفساد في الأرض قائلا ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف :٥٦)، كما نهى عن الإسراف والتبذير فيما يتعلق بمتطلبات الحياة وهو يقول ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف:٣١)، وكل ما ينفقه الإنسان لحاجته فإنه حاصل من موارد البيئة، فالاسراف في الإنفاق يقضي على هذه الموارد.



التصور الإسلامي للبيئة

التصور الإسلامي للبيئة مبني على الموقف السلوكي الذي ينبغي أن يرتكز على أساس من العقيدة الصحيحة، وعليها بنيت الأنظمة الكونية والبيئية، والله يقول ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾(الأنبياء:٢٢)، فصلاح الكون بما فيه البيئة مرتبط ارتباطاً شديداً بوحدانية الله يقول تعالى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ (المؤمنون:٧١)، فمن واجب الإنسان العاقل اتباع الحق المنزل من الله، وفهم الحقائق الكونية التي يتنعم بها في حياته، وإن أبى إلا الإصرار في عناده فالحق هو الحق، ولو كان الحق تبعاً لطموحاته لإنتهى ذلك إلى فساد الكون.

التوازن الإلهي في مكونات البيئة

إن أهم خصائص البيئة أن جعل الله فيها التوازن بين كل مكوناتها وجعل بقاء الحياة والحيوانات موقوفا على هذا التوازن، وإذا اختل فإنه يؤثر سلبياً على جميع الأحياء، والتوازن الإلهي بين مكونات البيئة منطلق من قوله تعالى ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ (طه:٦)

وما من شيء من مكونات البيئة إلا وقد تضمنته هذه الآية من حيث شمولتيه وحصره.

ومن هذه المكونات المياه التي يقول تعالى عنها ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الانبياء:٣٠) ولأن الماء فيه قوام الحياة وبقاؤها، فقد جعل الله لتوزيعه نظاما متوازناً، وهو يقول ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ (المؤمنون:١٨)، والثروة المائية في البيئة متوزعة في المسطحات المائية العذبة كالأنهار والبحيرات، والمسطحات المالحة كالمحيطات والبحار، ومنها الثروات النباتية فقد جاء ذكرها في القرآن مقترناً بالثروة المائية حيث يقول تعالى ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (النحل:١١)، وتم هذا التوزيع النباتي أيضا على توازن دقيق محكم مصداقاً لقوله تعالى ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ (الحجر:١٩).

ومن التوازن الإلهي في مكونات البيئة أنه وزع أصناف الأشجار والنباتات ذات النوعية الخاصة في أماكن تختص بها، وليس كل صنف منها يوجد في كل مكان، ومن هذا القبيل شجيرات القرام، وهي من أصناف الأشجار الاستوائية التي تنمو في المستنقعات وفي شواطئ البحار ومصبات الأنهار، كما توجد في المناطق ذات الأملاح المعدنية، وهي قصيرة الساق وكثيفة الجذور تحت الماء، وتعد من العناصر ذات التنوع المتميز الذي يساهم في النظام البيئي، كما أنها ملجأ الحيوانات اللافقارية ومنبت النباتات من مختلف الفصائل ومأوى الأسماك النادرة.

التنوع الحيوي في البيئة

إن الله رتب مكونات البيئة بحيث يبقي على تنوعها الحيوي (Bio diversity) وهو عبارة عن الخصوصية التي ينفرد بها كل كائن في البيئة، وهذه الظاهرة موجودة في الجمادات السائلة والصلبة والنباتات والحيوانات، كما أن هناك تنوع بين الوظائف التي يقوم بها كل واحد منها، ويتوقف هذا على تنوع طبائع المواد البيئية، وهذا التنوع أيضا يدل على الصنعة الإلهية المحكمة، وليس في وسع الإنسان أن يتنوع في ابتكاراته وصنائعة متجنبنا كل النقائص والتعارض، وهي وإن كانت صالحة لفترة من الزمن وجارية حسب الأنظمة الموضوعة لها، فإنها على مرّ الأيام تتلف وتتعطل، لا يستثنى من ذلك حتى جهاز الكمبيوتر العملاق.

وفي هذا التنوع يقول تعالى ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه﴾ (الأنعام:١٤١)، والتنوع في النباتات يستغرق كل مراحلها، في طبيعة نشوئها وفي طعم ثمارها، كما يشير القرآن إلى ظاهرة اليخضور التي تحفظ على النباتات حيويتها والتي فيها أيضا يوجد هذا التنوع، والله يقول ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا﴾ (الأنعام: ٩٩) ويوضح القرآن أن الحبوب التي هي الشظية المسجلة فيها كل ما يتعلق بطبيعة الأشجار أو النباتات، مولدة من مادة اليخضور.

المصائب البيئية في المنظور القرآني

إذا أهمل الإنسان مقتضيات حماية البيئة فإن ذلك انحلال في نظامه وبالتالي تستحيل الحياة في احضانها، فأعماله تكون وبالا عليه، والآيات القرآنية التي تشير الى الاخطار البيئية كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ (فاطر: ٤٥).

التعاليم السماوية لحماية البيئة

إن الدستور القرآني يضمن للبيئة ومكوناتها تمام الأمن في وظيفتها واستفادة الإنسان منها، وتعاليمه منطلقة من نظرية خاصة، وهي أن كل ما فيها يقوم على ترابط وتضامن كما ينبغي ان يكون عليه المجتمع البشري، والله يقول ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ (الأنعام:٣٨)، والقرآن ينكر أفعال الذين يدوسون القيم والتوجيهات الدينية ويقول عنهم ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة:٢٠٥). فقد عد النبي ﷺ غرس الأشجار وصيانتها عملا صالحاً يثاب عليه، ومنه قوله «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة الا كان له به صدقة» (رواه مسلم)، وقد عمل الصحابة في هذا الصدد اقتداءً بسنته، ونرى الخليفة الأول أبابكر رضي الله عنه وهو أمام الجنود المسلمين ناصحاً لهم يأمرهم بالمحافظة على الموارد البيئية، ويقول «لا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً ولا تحرقوا زرعاً» (١) وتعتبر هذه التعليمات قانونا أمنيا يحمي مكونات البيئة، كما أنها تبلور ثقافة الفتوحات الإسلامية التي لا يكاد يوجد مثيلها لدى الفاتحين في تاريخ العالم.

ومن التعاليم النبوية بهذا الخصوص ما يتعلق بتعمير الأرض، ولا يجوز أن تترك بدون زراعة فيها، لأن ذلك تعطيل لما تهيأ في البيئة من مرافق التنمية، والنبي ﷺ يقول «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه» (البخاري) وقال أيضا «من أحيا أرضاً ميتة فهي له» (الترمذي).

والدين الإسلامي يدعو المجتمع البشري إلى حياة أليفة، قانعاً منها بقدر الحاجة وبدون اعتداء على نظامها ومكوناتها، ملتزما بحراستها واحتضانها فتعود عليه خيراتها ومنافعها، وإذا كان سلوكه سلوك طغيان وأنانية فجزاء سيئة بمثلها.

الإسلام يدعو المجتمع البشري إلى حياة أليفة قانعاً منها بقدر الحاجة وبدون اعتداء على مكوناتها ملتزما باحتضانها

الهوامش

١-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د.حسن إبراهيم حسن ٢١٣/١

مستقبل سياسات الحماية التجارية في ظل الأزمة المالية العالمية


عبد الحافظ الصاوي

الدعوة إلى حرية التجارة كانت أبرز معالم مشروع العولمة الاقتصادية الذي انطلق مع مطلع التسعينيات، وفي إطاره أنشئت منظمة التجارة العالمية في يناير عام 1995، وانتظم في عضويتها غالبية دول العالم المتقدمة والنامية.
ومع حلول الأزمة المالية العالمية وما ينتظره الاقتصاد العالمي من تباطؤ في معدلات النمو وركود في حركة التجارة الدولية أخذت بعض الدول المتقدمة - على رأسها أميركا- خطوات على طريق الحماية التجارية، ومن هنا تخوفت العديد من الدول من تبني سياسات حماية من شأنها أن تعمق من حجم الأزمة المالية العالمية، ومن أجل معرفة دوافع من تبنوا سياسات الحماية، وكذلك معرفة مخاوف البعض منها، نتناول النقاط الآتية:

تعددت مظاهر الحماية داخل العديد من الدول المتقدمة والنامية على السواء، ولم يكن ذلك على سبيل التمسك بالحماية في حد ذاتها، ولكن خوفا من تفاقم الآثار السلبية للأزمة العالمية في هذه البلدان حيث ارتفعت معدلات البطالة، وتراجعت معدلات النمو، وتخوف الكثير من إفلاس الشركات القائمة على أمر الصناعات المحلية، فلجأت الدول كافة لممارسة صور متعددة للحماية، ومن ذلك ما يلي:

زيادة الرسوم الجمركية

حيث قامت بعض الدول بزيادة الرسوم الجمركية على بعض السلع، ففي روسيا تم زيادة الرسوم الجمركية على السيارات المستوردة في نهاية نوفمبر ٢٠٠٨، وكذلك فعلت الهند في نفس التاريخ بزيادة الرسوم الجمركية على واردات الصلب، كما منعت البلدان استيراد بعض السلع بحجة الشروط الصحية، ففي الهند تم حظر استيراد لعب الأطفال من الصين التي تستحوذ على نسبة ٦٠ ٪ من سوق لعب الأطفال في الهند بحجة مخالفتها للشروط الصحية، وامتنعت روسيا عن استيراد اللحوم من بولندا للدواعي الصحية أيضا، وردت المكسيك على منع أميركا للشحنات المكسيكية من عبور أراضيها بفرض رسوم جمركية على نحو ٩٠ سلعة أميركية تدخل السوق المكسيكية، ومعلوم أن اتفاقية النافتا أرست مبدأ حرية التجارة بين البلدين منذ عام ٢٠٠٠م

دعم الصادرات

يمثل دعم الصادرات احدى القضايا المثيرة للجدل في اتفاقيات منظمة التجارة العالمية، فهو بصورته الحالية يجرم إجراءات الدول النامية في دعم صادراتها، والتي قد تأخذ شكلاً مباشراً في إعفاء ضريبي أو مزايا تمويلية، أو مبالغ نقدية، بينما يعفي الدعم المقدم من قبل الدول المتقدمة لصادراتها، حيث يأخذ شكل دعم البحوث والتطوير، وقد شهدت العديد من البلدان وجود هذا الدعم مثل الصين ومصر والسعودية والهند، وفي أميركا والاتحاد الأوروبي يمثل دعم القطاع الزراعي بهما الصورة الصارخة لدعم الصادرات، بل ويمثل حجر عثرة في نجاح المؤتمر الوزاري



لمنظمة التجارة العالمية، حيث تصر كلا الجهتين على بقاء دعمهما لقطاع الزراعة، بينما تطالب الدول النامية بالمساواة بأن تقوم أميركا والاتحاد الأوروبي بإلغاء هذا الدعم.

شبكة المصالح للدول والقوى الإقتصادية الجديدة ستحدد مستقبل السياسات التجارية السائدة في التجارة الدولية

تخفيض سعر العملات الوطنية

من أقدم وسائل دعم الحماية للصناعات المحلية تخفيض قيمة العملات الوطنية، حتى تتمكن من التصدير بكميات أكبر للسوق الخارجي، ولا يخفى لجوء أميركا إلى هذه الوسيلة في الفترة الأخيرة من أجل مواجهة العجز الموجود لديها في الميزان التجاري، وبخاصة مع الصين، حيث وصل هذا العجز لصالح الصين بنحو ٢٥٤ مليار دولار في ٢٠٠٧، وتحاول كل من أميركا والاتحاد الأوروبي إجبار الصين على رفع عملتها الوطنية للحد من توسعها في الصادرات إلى سوقيهما.

خطط التحفيز للاقتصادات الوطنية

كانت الولايات المتحدة الأميركية من أوائل الدول التي أعلنت عن تبني خطط لتحفيز اقتصادها، ثم تبعها بعد ذلك دول الاتحاد الأوروبي، ثم الدول الصاعدة والنامية، فكانت خطة أميركا البالغة زهاء ٨٠٠ مليار دولار هي الأكبر، والتي تحدثت بشكل مباشر عن إجراءات تأتي في إطار الحماية وبخاصة البند الذي ينص «اشتر منتجا أميركيا» حيث ستكون الأولوية لإنفاق ميزانية خطة التحفيز على شراء منتجات محلية من أجل انعاش الاقتصاد الأميركي، الذي شهد ارتفاعاً ملحوظاً في معدلات البطالة (بلغ معدل البطالة في يناير ٢٠٠٩ في أميركا ٧,٦ ٪) كما أعلن عن أكبر عجز في تاريخ الموازنة العامة لأميركا والبالغ تريليون و٧٥ مليار دولار، وإن كانت هناك اعتراضات على أميركا بهذا الخصوص، بأنه دعوة لتقويض حرية التجارة، ومن شأن هذا أن يعمق من الآثار السلبية للأزمة المالية.

التوجهات غير المكتوبة

ثمة دول عدة تحرص على عدم الوقوع في شرك الإعلان عن تبني إجراءات من شأنها أن تدعو للحماية، ومن أجل ذلك تركز على التعليمات غير المكتوبة التي توجه للجهات الإدارية المعنية بالاستيراد، أو الجهاز المصرفي، لعدم تمويل الاستيراد سواء بشكل كلي أو جزئي، بل في بعض الأحيان هناك ثقافة لدى بعض الشعوب بتبني المنتجات الوطنية، كما هو الحال في اليابان، حيث يعد من أصعب الأسواق أمام المنتجات الأجنبية، حتى ولو كانت أرخص من السلع اليابانية المنتجة في الداخل.

مستقبل الحماية في ظل الأزمة المالية العالمية

يتوقف مستقبل الحماية في السياسات التجارية في المحيط العالمي على مجموعة من العوامل، هي:

١- **الخروج من موجة تراجع معدلات النمو في الاقتصاد العالمي بشكل عام ومن تراجع معدلات التجارة الدولية بشكل خاص،** ففي تقرير لصندوق النقد الدولي هناك توقع أن يتراجع معدل النمو في الناتج المحلي العالمي ليصل إلى ٠,٥٪ - وفق أسعار تعادل القوة الشرائية، وفي حالة اعتماد أسعار السوق فسوف تكون المعدلات سالبة - أما عن معدلات نمو التجارة العالمية، فقد توقع تقرير آخر للصندوق أيضا أن تتراجع التجارة العالمية بمعدل ٢,٨٪ بعد أن كانت تنمو بمعدل ٤,١٪ في عام ٢٠٠٨، و٧,٢ ٪ في عام ٢٠٠٧ وحسب هذه التقديرات فإن مؤشرات الاتجاه نحو إجراءات الحماية في التجارة الدولية واردة بمعدلات كبيرة، إذ إن التراجع سيصيب الجميع، ولن يكون هناك ما يدفع لحرية التجارة.

٢- **الضغوط الداخلية التي تتعرض لها كل دولة فيما يتعلق بتأثرها بالأزمة المالية،** ليست هناك دولة بمنأى عن الآثار السلبية للأزمة المالية العالمية، وتعتبر أميركا من أكبر البلدان تضرراً بالأزمة، حيث إن الأزمة انطلقت منها، وتشعبت آثارها، وأعداد العاطلين في تزايد مستمر، كما أن حجم حركة الإفلاس في المؤسسات الاقتصادية في تزايد منذ وقوع الأزمة، ولا يتصور أن تلتفت أميركا إلى الأصوات المطالبة لها بالتراجع عن الإجراءات الحمائية التي تضمنتها خطة التحفيز، في الوقت الذي تتزايد عليها فيه الأعباء الاجتماعية. فالقبول بحرية التجارة لصالح هذه الدول التي تعتمد في صادراتها بشكل كبير على أميركا يعني مزيدا من البطالة والفقر، في الوقت الذي تستهدف فيه خطة التحفيز رفع مستوى حياة هؤلاء العاطلين والفقراء، حيث وعدتهم بإعفاءات ضريبية ومزيد من الدعم في التأمين الصحي، فبند «اشتر منتجا أميركيا» حدد أولوية شراء المنتجات المحلية، وخص منها العديد من السلع وعلى رأسها الحديد، إلا إذا زادت تكلفة مشروعات خطة التحفيز بنسبة أكبر من ٢٥٪ في حالة استخدام المنتجات المحلية، وسوف ينسحب الأمر على بقية الدول حسب حجم تأثرها بالأزمة المالية، فمن كان موقفه في صالح حرية التجارة فسيدعو لها، ومن كانت مصالحه مع الحماية فسيؤيدها.

٣- **طبيعة خريطة القوى الاقتصادية العالمية الجديدة المنتظر تشكيلها بعد الأزمة،** فمن أهم نتائج الأزمة المالية العالمية إعادة تشكيل خريطة القوى الاقتصادية الدولية، فالوضع السائد قبل الأزمة كان هو سيطرة أميركا على مقدرات العالم الاقتصادية من خلال آليات العولمة، أما الآن فلم يعد وضعاً مقبولاً، حيث أصبح هناك شركاء جدد وفاعلون في تشكيل هذه الخريطة، ويدلل على ذلك ارتفاع نصيب الدول الناشئة من الناتج المحلي الإجمالي على مدار السنوات السابقة على حساب التراجع الأميركي، فلم يعد تراجع الاقتصاد الأميركي وحده هو المثير للتخوف، فهناك من وضع شرطا للخروج من الأزمة المالية العالمية هو ألا يقل الناتج المحلي في الصين عن ٦ ٪.

والدرس هنا أن شبكة المصالح للدول أو القوى الاقتصادية الجديدة هي التي ستحدد مستقبل السياسات التجارية السائدة في مجال التجارة الدولية سواء تجاه الحرية أو الحماية.

الإعجاز القرآني في عالم الطيــور



د.خالد محروس

عالم الحيوان عالم كبير، يتشابه في أمور كثيرة مع عالم الإنسان، فهو يحتوي على أمم وجماعات متعددة، فليس هناك حيوان يعيش في باطن الأرض أو ظاهرها، ولا طائر يطير بجناحيه إلا خلقه الله ضمن جماعات وأمم ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨)، ولكل أمة ميزاتها وخصائصها ونظام حياتها ما يجعلها تختلف عن غيرها، وهذا ما أثبته وأكده العلم الحديث، فالله سبحانه وتعالى خلق لنا الإبل والبقر والضأن والماعز لنتخذ من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما نستدفئ به، ومن لحومها ما نأكله، وخلق الله الخيل والبغال والحمير لنركبها ونتخذ منها زينة، وخلق لنا الطيور على مختلف صورها، فمنها ما لديه القدرة على الطيران في الهواء، ومنها ما لا يستطيع الطيران مثل النعام، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى العديد من الحيوانات في كتابه الكريم، بل إن بعض السور قد سميت بأسماء بعض الحيوانات مثل سور البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل، وقد أوضحت الآيات القرآنية أن خضوع هذه الأنعام للإنسان إنما هو بتسخير لها من الله عز وجل لنا وليس بقدرتنا.

سبق القرآن الكريم وسائل العلم الحديثة كافة في الكشف عن حقائق علمية تتعلق بعملية الطيران، وألقى الضوء على الأجهزة والأنظمة التي خلقها الله سبحانه في جسم الطائر، وكيف استفادت الطيور من الجو المسخر بأمر خالقها، قال الله سبحانه وتعالى ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾ (الملك: ١٩) وقال سبحانه ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ (النحل: ٧٩).

تدل الآيات الكريمة على كمال قدرة الله تعالى وبديع صنعه وحكمته في خلق المخلوقات، فالله سبحانه وتعالى خلق الطير وزوده بالأدوات والعضلات التي تمكنه من الطيران، فجعل له جناحين يبسطهما ويقبضهما، ليتغلب بذلك على مقاومة الهواء والجاذبية الأرضية، وميزه عن غيره بالجسم والشكل والوزن، ليستفيد مما سخر الله سبحانه من طبيعة الجو فيسهل عليه خرقه ونفاذه فيه، فقال سبحانه ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾ (الملك:١٩)، ونجد هنا مثلا في غاية الروعة والوصف الفني لنتفكر في خلق الطيور وندرسها دراسة نستفيد منها ونستدل من خلالها على خالق الكون ومدبره، فسبحان الذي يأمرنا بالتفكر والتدبر، ودراسة الأشياء بتبصر، فعندما ننظر إلى الطير في جو السماء نجدها تارة باسطة أجنحتها، وتارة نراها تقبضها، وقبض الجناح ضمه، والصف هو أن يبسط الطائر جناحيه دون أن يحركهما، وفي طيران الطيور آيات معجزات لم يفهم بعضها إلا بعد تقدم علوم الطيران ونظريات الحركة الهوائية، فكلمة ﴿صافات﴾ جاءت اسما لأنه يدل على الدوام والثبوت، ولأن أصل الحركة في الطيران صف الجناح (التحليق)، وهي تدل على سكون الأجنحة وعدم حركتها، فلا يكون الطيران بفعل الطير ذاته، بل بفعل التيارات الهوائية التي تحمله، وأكثر ما يثير العجب هو أن يمضي الطير في الجو بجناحين ساكنين حتى يغيب عن الأبصار، وقد كشف العلم عن أن الطيور الصافة تركب متن التيارات الهوائية المساعدة التي تنشأ إما من اصطدام الهواء بعائق ما أو من ارتفاع أعمدة من الهواء الساخن، فإذا كانت الريح هينة ظلت الأعمدة قائمة وصفت الطيور في أشكال حلزونية، أما إذا اشتدت الريح فتنقلب الأعمدة أفقيا وحينئذ تصف الطيور في خطوط مستقيمة بعيدة الرؤية، أما الفعل (يقبضن) فيدل على الحركة والتجدد، لأن القبض متجدد،

❖ مدرس إنتاج الدواجن- كلية الزراعة- جامعة الزقازيق- مصر.

فعبر عنه بالفعل، لأن الفعل يعبر عن التجدد والحدوث، فعندما يبسط الطير جناحيه ويقبضهما بشكل مستمر، تسمى هذه الحركات بالرفرفة، وبما أن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، قال الله عز وجل ﴿صافات ويقبضن﴾ فمن رحمة الله تعالى أنه ألهم الطير كيفية البسط والقبض لتنفعها، ولنربط السبب بالمسبب.

الهبات الإلهية للطيور

لكي يقوم الطائر بعملية الطيران عليه أن يتغلب على قوة جذب الأرض، وأن تتحقق له عناصر مهمة منها خفة الوزن، ومتانة البناء، والعمل على زيادة قوته واندفاعه، وزيادة سطحه، ويتطلب الطيران أيضا وجود جناحين يدعمانه ويرفعانه في الهواء، مع علو كفاءة القلب ودورة الدم وجهازه التنفسي ودقة اتزانه وانسياب جسمه، وفيما يلي نعرض موجزا لهذه الهبات الإلهية:

١- شكل الطائر: وهب الخالق سبحانه وتعالى بناء تشريحيا وتكوينا هندسيا فريدا للطيور بأنواعها كافة، وذلك لمساعدتها على الطيران وحفظ توازنها وتوجيه أجسامها أثناء الطيران، إن الشكل الانسيابي لأجسام الطيور يحدده الهيكل العظمي الذي يلعب دورا مميزا في اختراق الهواء بأقل مقاومة ممكنة، فنجد أن عظم القص Breastbone أكبر حجما وأكثر بروزا في الطيور النشطة للطيران، ويسهم الريش إلى درجة كبيرة في زيادة سطح الطائر، وللجناحين شكل انسيابي في المقطع العرضي، ويمتاز السطح العلوي للجناح بكونه محدبا، بينما السطح السفلي مقعر، وهذا الاختلاف في الشكل يؤدي إلى زيادة الضغط أسفل الجناح مما يؤدي إلى دفع الطائر إلى الأعلى، وبما أن الطيران يتطلب جسما متماسكا فإن العظام تكون متصلة اتصالا تاما وثابتا، وتكون أغلب الفقرات ملتحمة.

٢-خفة الوزن: وهي صفة هامة تحققت للطيور عن طريق عدة سمات منها:

أ - وجود الريش: الذي يخفف الوزن النوعي للطائر، حيث يمتاز الريش بخفة وزنه وقوته ومرونته وقدرته على ضرب الهواء بكفاءة عالية، كما يساهم في المحافظة على درجة حرارة الجسم، والريش ينبت من طبقة الجلد الداخلية، ويبدأ تكوين الريش في الطيور أثناء النمو الجنيني داخل البيضة، ونمو الريشة يبدأ من الخارج إلى الداخل، ومن أعلى إلى أسفل، أي أن طرف الريش والشعيرات تنمو قبل قاعدة الريشة.

ب - الهيكل العظمي: تمتاز العظام بخفة وزنها، خاصة في الطيور الكبيرة، وهذه مسألة مهمة وضرورية لتخفيف الوزن النوعي ومن ثم تمكينها من الطيران، يضاف إلى ذلك أن العظام الطويلة الكبيرة تمتاز بوجود فراغات هوائية أي مجوفة.

ج - ضمور بعض الأعضاء الداخلية في بعض الطيور ووجود بعض العضلات القوية، فمثلا نجد اختفاء المثانة البولية في الجهاز البولي، ليتم التخلص من الفضلات البولية على صورة حامض البوليك، مما يقلل من كمية الماء اللازمة للإخراج، وعليه فالطائر ليس بحاجة إلى حمل كمية كبيرة من الماء، ولا يوجد في الأنثى سوى مبيض واحد فقط هو المبيض الأيسر، وتكوين البيض لا يحتاج إلى فترة زمنية طويلة فهي غير ملزمة بحملها.

د - الجهاز التنفسي: خلق الله سبحانه وتعالى الطيور وزود جهازها التنفسي بتسعة أكياس هوائية تؤدي إلى زيادة الحجم وبالتالي تخفيف الوزن النوعي، ويعمل الجهاز التنفسي عند الطيور بشكل مختلف تماما عن الثدييات لأسباب منها الحاجة المفرطة للأوكسجين الذي يستهلكه الطائر، فعلى سبيل المثال تبلغ كمية الأوكسجين التي يحتاجها الطائر عشرين ضعفا بالنسبة للكمية التي يحتاجها الإنسان.



كيفية التغلب على قوى الجاذبية وتسخير الجو المناسب والدقة في الألفاظ القرآنية .. أوجه الإعجاز

كيف يزيد الطائر من قوته؟

الطيور تملك كمية كافية من الطاقة تساعدها على الطيران، حيث تتحول الطاقة المخزنة في الجسم إلى حركة، ولهذا السبب تتمتع الطيور بقوة كبيرة تساعدها على ارتياد الآفاق، من خلال ما سخر الله سبحانه وتعالى لها من الأعضاء لتتكيف مع ظروف الجو وطبيعته، وبما أن الطيران يستهلك الكثير من الطاقة، فقد خلقت الطيور بعضلات صدر قوية وقلوب كبيرة وعظام خفيفة.

ولا تقف معجزة خلق الطيور عند أجسامها، فقد أوحى الخالق إلى كثير من الطيور اتباع طريقة معينة في الطيران تجعلها تخفض من الطاقة اللازمة لها، فمنها على سبيل المثال أن عظم القص الزورقي يهيئ لها سطحا كبيرا يساعد في وجود عضلات صدرية كبيرة وهي أساسية في عملية الطيران، كما يتمتع الطائر بجهاز عصبي يمتاز بتطورات خاصة في المخ والمخيخ الذي يلعب دورا مهما في تنسيق عمل العضلات المهمة بدورها لعملية الطيران وتأمين التوازن للطائر.

أما جهاز التنفس عند الطيور فيكون أكفأ منه عند الثدييات، لأنه يرتفع في الجو، وكلما ارتفع عن سطح الأرض تقل نسبة الأوكسجين، الغاز الذي يتنفسه الطائر، وتقل درجة الحرارة، قال الله سبحانه وتعالى

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ (الأنعام:١٢٥).

فزودها الله تبارك وتعالى بأكياس هوائية تعمل على تشتيت كمية كبيرة من الحرارة الناتجة عن النشاط العضلي، فتبقى درجة حرارة الأعضاء الداخلية ضمن المعدل الطبيعي، مما يخفف من استهلاك الأوكسجين، كما جعلها سبحانه من ذوات الدم الحار لتحافظ على درجة حرارة ثابتة لأجسامها مما يجعلها قادرة على الاستمرار في نشاطها الحيوي لتتأقلم مع حرارة الوسط في أعالي الجو، والدورة الدموية سريعة وذات كفاءة عالية، كما زود دم الطيور بنسبة عالية من الجلوكوز للتزود بالطاقة المطلوبة، أما القلب فيتألف من أربع حجرات تفصل الدم المحمل بالأوكسجين (المؤكسد) عن الدم الذي لا يحمله (غير المؤكسد).

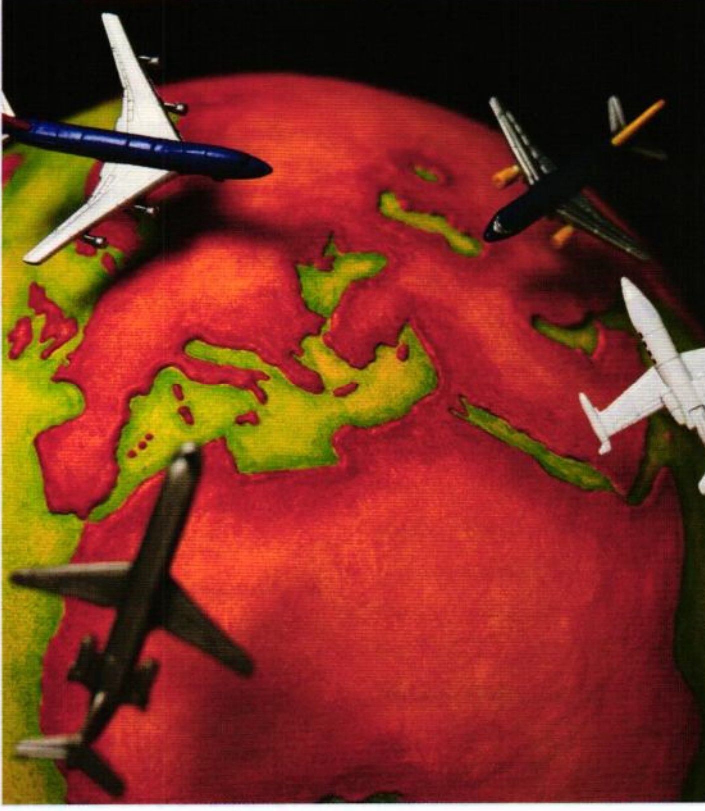
مم تتكون عملية الطيران؟

تتكون عملية الطيران من شكلين أساسيين هما:

الأول: التحليق، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ (النور:٤١).

هذه العملية أخبر عنها القرآن الكريم في كلمة ﴿صافات﴾ التي تدل على سكون الأجنحة، لأنها جاءت اسما، والاسم يدل على الثبات والدوام كما ذكرنا سابقا، ولا تصرف الطيور كثيرا من طاقتها هباء، لأنها تستفيد مما سخر لها من التيارات الهوائية، فكذلك التحليق، فالطيور المحلقة لفترات طويلة مثل الطيور المهاجرة تكون ذات حجم كبير، وتتصف أجنحتها بسطح كبير وطول مناسب، لأن القدرة على التحليق تتناسب طرديا مع حجم الطائر، فكلما زاد الحجم زادت القدرة، وتحلق عادة هذه الطيور عندما تنشط التيارات الهوائية الصاعدة، وتستطيع أن ترتفع دون قبض جناحيها بركوبها، وعلى هذا فيطلق على استخدام الطائر التيارات الهوائية لتوفير الطاقة أثناء طيرانه التحليق، والعوسق هو أحد الطيور التي تتمتع بهذه القدرة، وللتحليق فائدتان، الأولى أنه يوفر الطاقة اللازمة للبقاء في الهواء أثناء البحث عن الطعام أو الانقضاض على فريسة أرضية، والثانية أنه يسمح للطائر بزيادة مسافة الطيران.

الثاني: الرفرفة والتحليق، عملية الرفرفة تتم ببسط الجناح وقبضه كما جاء وصفها في قول الله تعالى ﴿صافات ويقبضن﴾ وغالبا ما تكون الطيور المرفرفة ذات حجم صغير، لأن سرعة الرفرفة تتناسب تناسبا عكسيا مع حجم الجسم، فكلما زاد الحجم قلت السرعة، فالطيور الكبيرة كالنسور مثلا ترفرف أجنحتها مرة كل ثانية تقريبا، والطيور متوسطة الحجم كالحمام تضرب بأجنحتها ثلاث مرات في الثانية، وفي الطيور الصغيرة كبعض العصافير الدورية تصل الرفرفة إلى ٣٠ ضربة في الثانية، وتبلغ الرفرفة ذروتها في الطيور المغردة



الصغيرة والتي لا يزيد حجم بعضها عن حجم الفراشة مثل الطنان لتصل ضربات الجناح إلى ما يزيد عن مائة ضربة في الثانية، وتصرف هذه العملية طاقة كبيرة، وللإنصاف العلمي نذكر هنا العالم المسلم عباس بن فرناس الذي فهم معنى الآية الكريمة وحاول التطبيق، فدرس الطير، وعلم كيفية الطيران، وكان أول من حاول الطيران عندما غطى جسمه بالريش وصنع له جناحين كبيرين وطويلين، وعندما ألقى بنفسه من أعلى الجبل طار قليلا ثم سقط لأنه لم يضع الذيل الذي من شأنه حفظ التوازن، وكان مصرعه بعد هذه المحاولة.

أوجه الإعجاز

١ - الدقة في اللفظ القرآني من خلال التعبير عن التحليق بكلمة ﴿صافات﴾ وعن الرفرفة بقول الله تعالى ﴿صافات ويقبضن﴾.

٢ - تسخير الجو المناسب، وتزويد الطيور بأجهزة خاصة تمكنها من عملية الطيران، وهذا واضح في قول الله تعالى ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء﴾.

٣ - كيفية التغلب على قوى الجاذبية التي تحاول إسقاط الطيور، التي لا يمسكها أن تقع إلا الله كما قال سبحانه ﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾.

٤- حث الإنسان على ابتكار آلات تساعد على الطيران وارتياد أعالي الجو، مثل الطائرات بأنواعها، كل واحدة منها تمثل نوعا من الطيور التي زودت بأشكال مختلفة، عندما نبهنا الله الخالق المصور سبحانه بقوله ﴿ألم يروا إلى الطير...﴾ وأن عملية الطيران آية من آياته سبحانه وتعالى التي تدل على أنه واحد لا إله غيره.

التغيير بالموعظة

الموعظة كانت ولا تزال ذات أثر فاعل في تغيير الناس، لاسيما المسلمين، فكم من ضال هداه الله بالموعظة، وكم من منحرف استقام بالموعظة، وكم من مقاوم للتغيير تغير بالموعظة.

الموعظة هي لغة العاطفة التي لها سحرها وبريقها، وقد أثبت التاريخ أنها إحدى طرق التغيير الرئيسية التي كان يتبعها المصلحون والمغيرون في كل زمان ومكان.

يروي الإمام ابن الجوزي أن سليمان بن عبدالملك حج ومعه عمر بن عبدالعزيز، فلما أشرف على عقبة عسفان، نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته فقال: كيف ترى ما ها هنا يا عمر؟ قال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً، أنت المسؤول عنها، والمأخوذ بما فيها. فطار غراب من حجرة سليمان ينعق، في منقاره كسرة، فقال سليمان: ما ترى هذا الغراب يقول؟ قال: أظنه يقول: من أين دخلت هذه الكسرة؟ وكيف خرجت؟ فقال سليمان: إنك لتجيء بالعجب يا عمر.

ويروي عمر بن مدرك قال: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: كنا عند عبدالعزيز بن أبي رواد في المسجد، فارتفعت سحابة، فجاءت برعد وبرق وصواعق، ففزع القوم، فتفرقنا، فلما سكنت عدنا، فقال عبدالعزيز: خرج سليمان بن عبدالملك يوماً إلى بعض الوادي، فأصابهم نحو من هذا، ففزع سليمان ونادى: يا عمر! يا عمر! وكانوا - يعني بني أمية - إذا أصابتهم شدة فزعوا إلى عمر بن عبدالعزيز، فإذا عمر ينادي: هأنذا. فقال سليمان: ألا ترى؟ قال عمر: يا أميرالمؤمنين إنما هذا صوت نعمة، فكيف لو سمعت صوت عذاب؟ فقال: خذ المائة ألف درهم وتصدق بها، قال عمر: أوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين، فقال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، قال: فجلس سليمان فرد المظالم. (١)

ويروي الإمام ابن كثير في البداية والنهاية أن نورالدين محمود زنكي فرض الضرائب على المسلمين، فشق ذلك عليهم، فجاءه الواعظ أبوعثمان المنتخب بن أبي محمد الواسطي فقال له:

مثل وقوفك أيها المغرور
يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نورالدين رحت مسلماً
فاحذر بأن تبقى وما لك نور
أنهيت عن شرب الخمور وأنت في
كأس المظالم طائش مخمور
عطلت كاسات المدام تعففاً
وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى
فرداً وجاءك منكر ونكير؟
ماذا تقول إذا وقفت بموقف
فرداً ذليلاً والحساب عسير؟
وتعلقت فيك الخصوم وأنت في
يوم الحساب مسلسل مجرور
وتفرقت عنك الجنود وأنت في
ضيق القبور موسد مقبور
ووددت أنك ما وليت ولاية
يوماً ولا قال الأنام أمير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة
في عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عرياناً حزيناً باكياً
قلقاً وما لك في الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارس
عافي الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه
أبداً وأنت معذب مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها
يوم المعاد ويوم تبدو العور

فلما سمع نورالدين محمود زنكي هذه الأبيات بكى بكاءً شديداً وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد. (٢)

وفي ختام الحديث عن هذه الطريقة نود التنبيه إلى عدة ملاحظات متعلقة بها ومكملة لها وهي:

١- هذه الطريقة يمكن أن يكون لها مفعول تغييري كبير مع أصحاب القلوب الحية، أما أصحاب القلوب القاسية والميتة فغالباً لا تنفع معهم، لذا وعظ نوح عليه السلام ابنه فلم تنفعه الموعظة، يقول الله تعالى ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بنيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ (هود: ٤٢-٤٣)


د.علي الحمادي

٢- ينبغي أن تخاطب الموعظة القلب بأسلوب رقيق رفيق حسن مؤثر حتى تؤتي ثمارها.

٣- لا بأس أن تتناول الموعظة بعض الأمور المنطقية والعقلية والعلمية بالإضافة إلى العاطفية.

٤ - ينبغي للواعظ أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ومستوياتهم ومكانتهم ومقاماتهم.

٥- ينبغي اختيار الموعظة المناسبة في المكان والوقت المناسبين.

٦- يعظم أثر الموعظة كلما خرجت من قلب صادق مخلص محب للخير.

٧- يحسن أن تتضمن الموعظة العلاج التغييري الواضح.

٨- يحسن الاعتدال بالمواعظ، فلا إفراط ولا إسراف يقودان إلى السآمة والملل، ولا تفريط و لا تقتير يؤديان إلى النسيان والغفلة.

الهوامش

١-عبدالرحمن بن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤، ص: ٤٧-٥٣.

٢- الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص: ٣٠١-٣٠٢.

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

أوجادين.. الشهيد الإفريقي

عبده دسوقي

مازالت إفريقيا تستحوذ على اهتمام وعناية شعوب العالم لأنها تعتبر قارة بها الكثير من مقومات الحياة التي لا يستطيع أهلها استغلالها بسبب ضعف إمكاناتهم وجهلهم، ومن ثم أصبحت مطمع الدول الكبرى للحصول على الموارد الطبيعية، وينتشر التنصير وسط هذه الشعوب التي لا يدين بعضها بدين، وبعضها يدين بالدين الإسلامي، وفي ظل غياب الوعي والشعور بالمسؤولية لدى الدول الإسلامية انتشرت هذه الحملات التبشيرية وسط هذه الشعوب بدعوى نشر الحرية والقضاء على الفقر والمرض الذي يعيشون فيه، وبطريقة خفية ينشرون سمومهم التنصيرية.



وتعتبر قبائل أوجادين إحدى بطون قبيلة الطارود (دارود) وهي قبيلة كبيرة تقطن في إقليم أوجادين والإقليم الشمالي الشرقي من كينيا وكذلك في الأجزاء الجنوبية من الصومال، وهي قبيلة ثرية، وتنقسم قبيلة أوجادين إلى بطنين كبيرين هما «مقابل وميرولال»، وتعتبر الأخيرة من أكبر البطون في هذه القبيلة.

وقبيلة الدارود من أكبر القبائل عددا، وهي قبيلة عربية يتصل نسبها إلى قبيلة بني هاشم، ودارود اسمه الحقيقي عبدالرحمن.

وتعتبر هذه القبيلة حاملة لواء الشعر والفروسية والكرم والشجاعة في المجتمع الصومالي ولا ينازعها أحد، ولقد تحملت هذه القبيلة عبء الدفاع عن تماسك الصومال مرارا وتكرارا، وأنقذت نظام «زياد بري» من القلاقل والانقلابات على أمل أن يكون سببا لتحرير بقية الأراضي الصومالية وكانت سنده الرئيسي، إلا أنها تخلت عنه جزئيا في نهاية المطاف، عندما رأت أن الشعب الصومالي لفظ هذا النظام، وأن نجمه قد أفل، وعندما يئست من إصلاحه أو تغييره، مما أسرع بسقوطه.

وهذه القبيلة هي حجر أساس ووقود ومحرك فكرة الصومال الكبير، وكانت العمود الفقري في كل الجبهات النضالية الصومالية في العصر الحديث وفي كل الأنشطة القومية أو الإسلامية البنّاءة للمجتمع الصومالي منذ حركة السيد محمد عبدالله حسن (١٨٩٩-١٩٢١)، ورابطة الشباب الصومالي (١٩٤٣-١٩٦٠)، إلى جبهة تحرير أوجادين (١٩٨٤م) حتى الآن، ولقد ضحّت هذه القبيلة ووقفت أمام التوسع الإثيوبي، في محاولة منها لبعثرة أوراق العدو للسيطرة على الصومال، وواصلت الأنشطة النضالية التي تهدف إلى بناء الصومال الكبير في هذه الظروف الحالكة.

طبيعة موقعها

تحد أوجادين من الشمال إثيوبيا، ومن الشمال الشرقي جيبوتي، ومن الجنوب والشرق جمهوريتا الصومال وكينيا.

وتعتبر أرض الأوجادين وأوروميا إقليما يتميز بملامحه التضاريسية فيتكون من الهضبة الصومالية، وترتفع بعض قممها أكثر من أربعة آلاف متر مثل جبل حونا ٤٥٣٢م، وتنحدر هذه الهضبة بشدة نحو الشمال والغرب حيث الحافة الأخدودية، أما الانحدار الطبيعي فنحو الصومال جنوباً وشرقاً، وتشكل الهضبة الصومالية المنابع العليا للأنهار الرئيسية بالصومال مثل نهر شيللي الذي ينتهي مصبه باندماجه في نهر جوبا قرب المحيط الهندي، كما ينبع من الهضبة أيضا نهر جوبا وروافده العديدة، وتنتهي هضبة الصومال أو أوجادين في الشمال الشرقي، والجنوب الغربي، وبها عدد من البحيرات العذبة، أبرزها بحيرة أبابا، وبحيرة أبيتا، وبحيرة شامو، وبحيرة شالا، ثم نهر هواش.

ويبلغ عدد السكان حوالي ثمانية ملايين نسمة تقريباً، والإسلام دين الأغلبية من جميع هذه العناصر، ووصل الإسلام إلى المنطقة عن طريق العناصر العربية التي تعمل بالتجارة ومعظمهم من المهاجرين من اليمن وحضرموت، ويتكلم سكان أوجادين اللغة الصومالية بجانب اللغة العربية التي هي لغة التعليم في المساجد والحلقات العلمية.

أوجادين ورحلة الاستقلال

سلمت بريطانيا إقليم أوجادين إلى إثيوبيا في عام ١٩٥٤م، وحسب قول المؤرخ الأوجاديني

محمد عبدي فإن القرن الإفريقي كان مطمعا لقوات الاحتلال الأوروبية حيث نجحت بريطانيا في إقامة محمية عسكرية عام ١٨٣٩ لحماية مصالحها في خليج عدن وفرضت سيطرتها على المنطقة حتى زاحمتها فرنسا عام ١٨٦٠م ثم إيطاليا سنة ١٨٨٩م، ونجحت كل هذه الأطراف في تقسيم منطقة القرن الإفريقي إلى دويلات وإقامة تحالفات علنية وسرية مع بعض القبائل هناك، لضمان مصالحها سيما أثناء النزاع البريطاني الإيطالي في فترة الحرب العالمية الثانية.

ويضيف عبدي: إنه كعادة الاحتلال في كل زمان ومكان كان شغل البريطانيين الأهم هو تفتيت المنطقة بأي شكل، وقد استقطعت بريطانيا منطقة أوجادين- التي كانت من قبل تسمى الصومال الغربي- وضمتها إلى إثيوبيا مكافأة لها على دعمها الدائم لها حيث تقلص النفوذ الفرنسي واكتفى بجيبوتي، بينما تركز النفوذ الإيطالي جنوب الصومال حتى أعلن انسحابه عام ١٩٦٠م.

بعد أن استولت إثيوبيا على أراضي أوجادين بمساعدة الدول الأوروبية ما زالت تمارس كل صنوف الاضطهاد طوال أكثر من قرن ضد الأبرياء من قتل وتعذيب، وتشريد وتهجير، وتجويع وتجهيل، وإبادة جماعية، وتصفية عنصرية، وتطهير عرقي، وكل هذه الأساليب الوحشية لا تزال مستمرة إلى اليوم، لذا يحاول شعب أوجادين أن يدافع عن نفسه أمام ممارسات الحكومات الإثيوبية الاستئصالية ضد هذا الشعب البائس.

لا يجد أبناء صومال أوجادين تعليما، ولا خدمة صحية، ولا وظائف، ولا يسمح لهم بالتجارة مما يضطرهم لتهريب بعض البضائع الضرورية من الصومال، ولا يستطيعون أن يزرعوا أرضهم بطريقة تنتج لهم شيئا معقولا، حيث لا يسمح بالزراعة إلا بطرق تقليدية لا تسمن ولا تغني من جوع، كما لا توجد مؤسسات خيرية، والجمعيات الخيرية الإثيوبية لا تعمل أبدا في الإقليم، والإسلامية العربية ممنوعة، والمحلية محدودة عددا إن وجدت، ومحصورة نشاطا، ويضغط عليها حتى لا تتحرك، والأجنبية تملي شروطها وتستغل منحتها سياسيا، كما لا يوجد صحافة أو غيرها من وسائل الإعلام، وأقرب شاهد هو زيارة قناة الجزيرة للمنطقة وبثها صورا من المعاناة، ومن بعدها قطعت إثيوبيا فورا العلاقات الدبلوماسية مع دولة قطر.

لقد استباحت القوات الإثيوبية شعب أوجادين، وفرضت عليه حصارا كاملا مايزال جاثما حتى اللحظة، وقتلت الآلاف من الأبرياء شنقا أو حرقا أو رميا بالقنابل، ولا يسمحون بدفن الموتى، بل يجمعون الجثث في الشوارع إمعانا في الإذلال، وأحرقوا عشرات القرى مع ما فيها من ممتلكات.

وتعد قضية إقليم أوجادين الصومالي نموذجًا حاضرًا وشاهدًا على صدق ذلك، فالإقليم رغم عروبته وإسلامه يرزح تحت الاحتلال الإثيوبي منذ عشرات السنين.

وبحسب شهادات العديد من أبناء أوجادين ونشطاء المنظمات الإغاثية الدولية، فإن القوات الإثيوبية تقتحم المستشفيات لتجنيد الأطباء والممرضين والعاملين فيها، كما تجبر الموظفين المهنيين والحراس والسائقين في المصالح الحكومية بالإقليم، فضلاً عن الموظفين بمشروعات مُمَوَّلة من قبل مانحين أوروبيين كالبنك الدولي، على الذهاب إلى مناطق المواجهة في أوجادين، وهو ما دفع الآلاف من أبناء الإقليم إلى الفرار والنزوح إلى الدول المجاورة، مخافة التعرض لمصير المتخلفين عن الانضمام للقوات الإثيوبية من قتل أو تعذيب أو سجن مدى الحياة.

وعلى الرغم من أن الاستفتاءات الشعبية في الإقليمين الكيني والإثيوبي جاءت لصالح الاستقلال والانضمام إلى الصومال، فإنهما بقيا في نضال ضد الحكومات المركزية حتى سقوط نظام الرئيس الصومالي سياد بري عام ١٩٩٠م.

وقد أكدت تقارير منظمات إثيوبية رسمية ما يلي:

١- أن الإقليم يعد من أهم المناطق المهمة في القرن الإفريقي، وذلك لموقعه الاستراتيجي ولكونه محل الصراع بين الكنيسة والمسجد عبر التاريخ.

٢- وكذلك باعتباره حلقة الوصل بين دول القرن الإفريقي، وهي جيبوتي وإثيوبيا والصومال وكينيا، كما يمر فيه نهرا شيللي وجوبا وبذلك يمكن التأثير على سياسة الصومال من قبل إثيوبيا باستخدام سياسة حبس الماء عن الصومال.

٣- احتواء الإقليم على مخزون كبير من المعادن والغاز الطبيعي والنفط، والذي لم يُستغل بعدُ، في حين تعاني المنطقة برمتها من نقص حاد في هذه المواد.

٤- أوجادين أكبر الأجزاء الصومالية المقسمة مساحة.

٥- توجد فيه المراعي الطبيعية لقطعان الماشية للأقسام الصومالية الأربعة خاصة في فصول الجفاف.

كلمة أخيرة

بشأن العمل الإغاثي فإن التقارير تكشف عن مساهمات ومشاركات من قبل هيئات ومنظمات دولية في إغاثة ومكافحة المجاعة المنتشرة في أوجادين منها هيئة رعاية الطفولة الأميركية والصليب الأحمر وهيئات فرنسية ومنظمة S.S.M الإيطالية، ومنظمة اليونيسيف، وهيئة أطباء بلا حدود، في مقابل غياب شبه كامل للعمل الإغاثي العربي والإسلامي بالإقليم، ليكون أبناء أوجادين فريسة سهلة وسائغة للتنصير.



الشيخ عبدالوهاب الفارس .. الفقيه التقي

(١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)

الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالعزيز بن الشيخ محمد بن عبدالله الفارس ينتمي نسبه الى عائلتين كريمتين، فجده لأبيه هو الشيخ محمد الفارس العالم التقي الورع الحنبلي شيخ فقهاء الكويت، وجده لأمه هو محمد السميط من العائلة المعروفة في الكويت والزبير.

مولده ونشأته

ولد رحمه الله تعالى في أواخر عام ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠١م في الكويت، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره توفي والده تاركا٦ أبناء أربعة ذكور وابنتين، فرعى إخوته وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وكان مع رعايته لهم يختلف إلى علماء عصره، وكان أكثرهم اتصالا به هو الشيخ عبدالله خلف الدحيان الذي لم يأل جهدا في تعليمه، وكان يحبه حبا شديدا، لأنه يرى فيه مثال الإخلاص في طلب العلم والتفاني في رعاية القصر من إخوته، فقام على تربيته وتعليمه.

تكوينه العلمي الشرعي

مر تكوينه الشرعي بثلاث مراحل.

المرحلة الأولى

بدأ تكوينه العلمي الشرعي في وقت مبكر، وذلك منذ صباه حينما أخذ أساسيات العلم من حفظ كتاب الله وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في دور القرآن الأولى (الكتاتيب) وكان ذلك في حياة والده.

المرحلة الثانية

أما حياته العلمية فبدأت بعد وفاة والده عام ١٣٣٨هـ، حيث اتصل بالشيخ المربي عبدالله خلف الدحيان الذي قام على رعايته وتربيته قبل تعليمه، فكان له أبا وشيخا، فدرس عليه فقه الإمام أحمد بن حنبل.

المرحلة الثالثة

أما المرحلة الثالثة من مراحل حياته العلمية فبدأت من عام ١٣٥٠هـ- الموافق ١٩٣١م حينما عزم على أداء فريضة الحج، فذهب حاجا على ظهور الجمال، وهناك في مدن الحجاز العلمية، لقي الكثير من العلماء، وجلس في حلقاتهم، واستفاد من دروسهم العلمية، فكان يمضي نهاره متنقلا من حلقة الى حلقة يعي من مشايخها كل ما يسمع.

شخصيته وأخلاقه

كانت أخلاقه أخلاق السلف الصالح، قال تلميذه عبدالله النوري يصف أخلاقه:

«كان رحمه الله تعالى على جانب كبير من الورع والتقى، متخلقا بخلاق السلف الصالح، فقيها في مذهبه (الحنبلي) شديد التمسك بالشرع، لا يحابي ولايجامل، ولا يداهن، ولا يبيع الدين بالدنيا، ولا تأخذه في كلمة الحق لومة لائم، كان جوادا رحيما بالضعفاء كريما عليهم، وكان على جانب كبير من الرجولة، وإنكار الذات، والتفاني في سبيل الغير... وتمثل ذلك في رعايته لإخوته بعد وفاة أبيه» وكان حسن المظهر نظيفا دائما، قليل الكلام، لكنه إذا سئل أجاب إجابة شافية.

أما ورعه فتمثل عندما عرض عليه رئيس المحاكم يومئذ- عام ١٣٦٤هـ الموافق١٩٤٤م منصب القضاء فاعتذر بشدة، وكأني أراه وقد جمع ثيابه وهو يستغفر الله ويستعيذ به ويرد على الرئيس قائلا: لا يا شيخ لا يا شيخ.. أرجوك أعفني من هذا المنصب، فأنا غير لائق به، لأني سريع الغضب وكان دافعه لهذا الرفض هو رغبته في البعد عن هذه المسؤولية تورعا وخوفا من الله.

صفاته الخلقية

كان رحمه الله مربوع القامة، ممتلئ الجسم، حنطي اللون، طويل اللحية، أبيض الشعر، سريع المشية، لا يلتفت إذا مشى.

رحلاته

كانت له رحلتان، الأولى رحلة الحج عام ١٣٥٠هـ، والثانية كانت في أواخر رجب سنة ١٣٨٠هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٦١م، إلى بيت المقدس، حيث وصلها عن طريق الجو، وكان معه في هذه الرحلة الشيخ عبدالله النوري والحاج سليمان الحميد الرميح، وكانت رحلة عبادة.



أعماله

أولا: الإمامة في مسجد الفهد

توفي الشيخ سليمان بن مانع إمام مسجد الفهد في سنة ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٣٦م فأجمع جماعة المسجد على تولية الإمامة للشيخ عبدالوهاب الفارس، وبقي في هذا المسجد إماما قرابة خمسين عاما إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وكان له دور كبير في المسجد يتمثل في الوعظ والخطابة للعامة، والتدريس لطلبة العلم، وهو الدور المفقود للإمام في وقتنا الحاضر.

ثانيا: في مجال التدريس

كان له دور بارز في هذا المجال، وتمثل ذلك في تدريسه عام ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م لتلميذه الشيخ عبدالله النوري كتاب «نيل المآرب في شرح دليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ عبدالقادر الشيباني وكان مع الشيخ عبدالله في درسه لهذا الكتاب الشيخ محمد الشياجي الذي لم يواصل الدرس معه، ثم توسعت هذه الحلقة العلمية حتى أصبحت من الحلقات المشهورة.

وفاته

أحس بوعكة خفيفة قبل صلاة الجمعة فلم تمنعه من أدائها ولا أداء الفرائض بعدها، وقبل شروق شمس يوم السبت الـ ١٧ من رجب سنة ١٣٩٥هـ الموافق الـ٢٦ من يوليو سنة ١٩٧٥م انتقل الى رحمة الله تعالى، وشيع ضحى ذلك اليوم تشييعا يليق بصلاحه وتقواه.

المرجع: علماء الكويت - عدنان الرومي

باحث مسلم يكشف طلاسم مثلث برمودا من القرآن والسنة

منير أديب

صدق مجمع البحوث الإسلامية أخيرا على علمية بحث فلكي يكشف طلاسم مثلث برمودا وبحر الشيطان، اعتمد الباحث فيه على تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة حتى وصل لتأكيد هذه الظاهرة فيما عرف علميا بكائنات «الأطباق الطائرة».

وافق المجمع على صدور كتاب «خوزا وكرمان» سكان مثلث برمودا للباحث، والذي يصور فيه الظاهرة العلمية والفلكية، حيث أكد من خلال دراساته للظاهرة واستشهاده ببعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث وجود أمم من بني البشر على سطح الأرض بمنطقة مثلث برمودا بجوار المحيط الأطلنطي لم تكتشف إلى الآن، واصفا تلك الشعوب بصفات قال إنها وردت في السنة النبوية.

يقول الباحث محمود صلاح الدين، الذي يعمل ضمن مختبر للأسمدة العضوية بدولة الإمارات العربية المتحدة: إن الظواهر الكونية الغريبة حيرت العلم والعلماء على مدى أكثر من مائة عام، وهذا ما استفزه للبحث عن أسبابها ومسبباتها من خلال النصوص القرآنية.

من أهم الأحاديث التي أوردها الباحث وتؤكد وجود أمم بشرية ضمن كواكب أخرى، الوارد في المستدرك «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض الوجوه، كأن أعينهم حدق الجراد، وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، ويتخذون الدرق حتى يرتبطوا خيولهم بالنخل»، وخلص الباحث إلى أن هؤلاء القوم وردت أسماؤهم في الحديث الشريف بنفس الصفات التي تم التحفظ عليها ضمن الطبق الطائر، وضرب مثالا لذلك من خلال حادثة نيومكسيكو الشهيرة والمشاهدات العينية.

مثلث برمودا

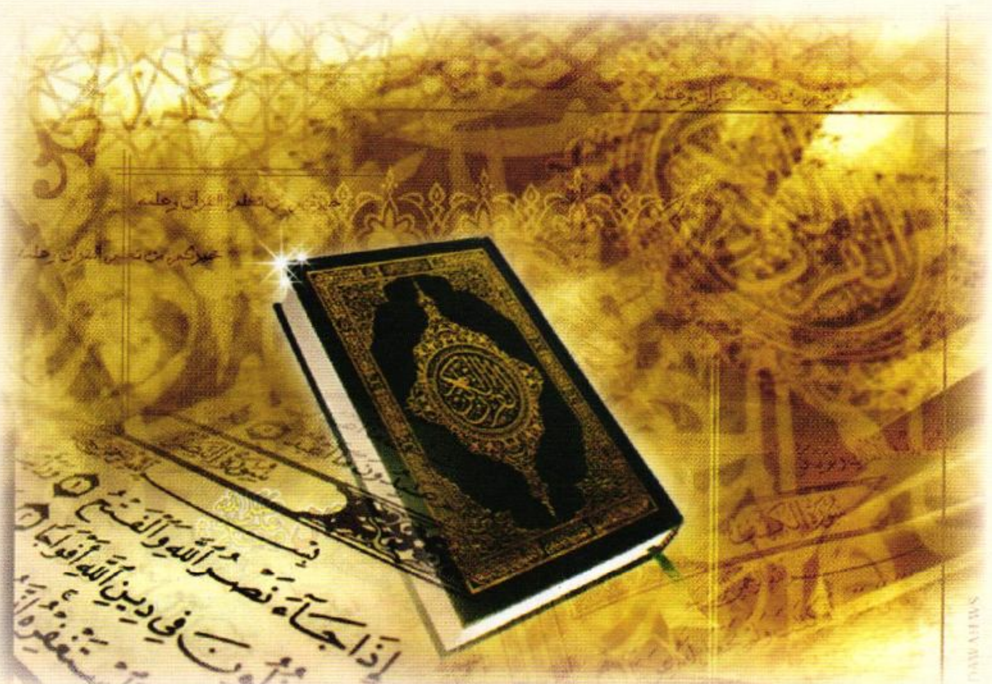
منذ زمن حيرتنا ظاهرة اختفاء السفن والأفراد عند مرورها في منطقة مثلث برمودا، وفي الماضي القريب ازدادت الظاهرة إثارة وغموضا باختفاء الطائرات والملاحين فوق منطقة المثلث، وقد اشتهرت بعدة أسماء منها «المثلث الدموي - مثلث الرعب - منطقة الكوارث».

ما هو مثلث برمودا؟

مثلث برمودا مثلث وهمي يمتد في المحيط الأطلسي، مساحته ما يقارب ٠٠٠ و ٧٧٠ كم٢، أما ما يحيط به: فيقع رأسه الشمالي في جزيرة برمودا، ورأسه الجنوبي الشرقي في بورتوريكو، ورأسه الجنوبي الغربي في ميامي - فلوريدا.

قال تعالى ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا، إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا، فأتبع سببا، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ (الكهف:٨٣-٨٦).

وقد وصفهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث قتال العجم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان قوم من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر» (المستدرك للحاكم النيسابوري جزء ٤ ص ٤٧٦).



مسجد الصالح .. منارة ثقافية

يلعب مسجد الصالح دوراً بارزاً في الجانب الديني والتوعوي والتربوي إلى جانب المساجد الأخرى في اليمن كمؤسسة دينية وحضارية وثقافية مستنيرة تضطلع بدورها في خدمة الدين الإسلامي الحنيف، عقيدة وشريعة وتعاليم ربانية سامية، ونشر المعرفة الحقيقية لعلوم القرآن الكريم واللغة العربية والمساهمة في بناء تنمية ثقافية شاملة محصنة بالعقيدة الصحيحة وفهم الإسلام الوسطي المعتدل وغرس قيم التوحيد والفضيلة ومكارم الأخلاق ومواجهة أفكار الغلو والتطرف وترسيخ قيم المساواة والتعاون والتراحم والتسامح والتكامل والتصدي للمفاهيم الضالة والمغلوطة، وشرح العلوم الشرعية والفقهية من خلال المختصين من العلماء والمستنيرين، والمساهمة في خلق روح الاجتهاد وربط التوعية الدينية والوطنية بحقيقة الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة التي تغرس في النفوس الولاء لله والدين الإسلامي الحنيف والتمسك بالثوابت الوطنية والمبادئ والقيم الأخلاقية الفاضلة.

ويعد جامع الصالح، أكبر جوامع اليمن في العصر الحديث، فكرة وتصميما وتخطيطا وتنفيذا ومتابعة.

الفكرة

تعود فكرة إنشاء الجامع إلى عام ١٩٩٨م حينما كانت نية الرئيس اليمني القيام بتوسعة الجامع الكبير بمدينة «صنعاء» ونظرا لصعوبة التوسعة، تحول اهتمامه إلى بناء وتشييد أكبر معلم إسلامي في اليمن يمزج بين عراقة الأصالة وروعة المعاصرة مع إنشاء كلية للقرآن الكريم والعلوم الإسلامية واستمر إنجاز المشروع قرابة ثماني سنوات منذ مطلع ٢٠٠١م حتى ٢٠٠٨م.

التصميم

أسهم في تصميمه مجموعة من أشهر دور الهندسة المعمارية والمدنية في الداخل والخارج، وتم التركيز على أن يكون تنفيذ هذا الصرح بأيد يمنية ومواد محلية وأجريت تعديلات عديدة كان الهدف منها اختيار التصميم الأفضل، وتم اتباع أدق المواصفات في عملية اختيار المواد وضبط الجودة في تنفيذ جميع أعمال الجامع ومكوناته.

مساحة المشروع الكلية

مساحة المشروع الكلية ٢٢٤,٨١٣م٢ شاملة الطرق والحدائق وممرات المشاة ومواقف السيارات.

مكونات الجامع

قاعة الصلاة.
صالة استقبال الضيوف.
مصلى النساء وملحقاته.
الفناء المكشوف والأروقة الداخلية.
الأصواح الخارجية والرواقان.
المنارات.
الحمامات والمواضئ الداخلية والخارجية.
البدروم.
مبنى كلية الصالح للقرآن الكريم والعلوم الإسلامية وملحقاتها العلمية والإدارية.
مباني الخدمات.
مواقف السيارات.
البوابات والأسوار وغرف الحراسة.
المناطق الخضراء والساحات المكشوفة وممرات المشاة.
خزانات المياه والمولدات الكهربائية.
الآبار الارتوازية.

مساحات قاعة الصلاة (الجامع)

الطول ١٤٧,٤م والعرض ٨٧,٤







أكبر معلم إسلامي في اليمن .. تمتد مساحته إلى أكثر من ٢٠٠ ألف متر ويسع أكثر من ٥٠ ألف مصلٍ

م من الداخل.
الطول ١٥٠م والعرض ٩٠،٤م من الخارج (مباني) المساحة الداخلية ١٢،٨٨٣م ٢
السعة نحو ١٩،٨١١ مصل بعد خصم مساحة قواعد الأعمدة. الأسقف

الأبواب

عدد الأبواب ١٥ بابا وهي كالتالي:
خمس بوابات شرقية.
خمس بوابات غربية.
خمسة أبواب جنوبية.
عرض الباب ٣،٤٠ م
ارتفاع الأبواب ٥،٦م

القباب

إجمالي عدد القباب (٢٣) قبة وهي كالتالي:
القبة الكبرى ترتفع ٥٤،٥ م عن أرضية الجامع.
قطر القبة ٢٨،٠م تغطي مربعا أبعاده (٣٧،٥×٣٧،٥م) ومساحة نحو (١٤٠٠م٢). يعلوها هلال بارتفاع ٩،٥م
القباب المتوسطة: عددها ٤ قباب تقع على أركان سقف المستوى الثاني.
القباب الصغرى: عددها (٤) على زوايا الجامع الأربع.
قبة مصلى النساء قطرها (٥،٤٠م). ترتفع ١٢،٠٠م عن أرضية مصلى النساء
تغطي مربعا أبعاده (٥،٩م-٥،٩م) وبمساحة نحو ٣٤،٨٠م٢
قبة المدخل الجنوبي
قطرها (٥،٤٠م). ترتفع (٢٢،٥٠م) عن أرضية المدخل.
قباب المداخل الشرقية والغربية عددها عشر قباب، خمس في كل مدخل، قطر القبة الواحدة ٥،٧٥م وترتفع ١٨م عن الأرضية.
القباب أعلى مداخل المواضئ عددها قبتان: (قبة لكل مدخل).

الأقواس داخل الجامع

عددها (١٤٢) قوسا مفصصا وسط الجامع وعلى جدرانه.
الأقواس الكبرى طولها (٢٢،٥م).
عددها (٣٦) قوسا (١٦) منها تشكل (٨) أقواس مزدوجة.
الأقواس المتوسطة طولها ٧،٥م عددها (٥٤) قوسا (٢٤) منها تشكل (١٢) قوسا مزدوجا.
عدد الفصوص في جميع الأقواس (٣٢٦٢) فصا (قطعة).

الرواق الخلفي للجامع (المصلى اليومي)

طوله (٨٦،٥٠م) وعرضه (١٣،٥٠م) من الداخل. مساحته (١١٧٠) مترا مربعا. سعته نحو (١٨٠٠) مصل.
ارتفاعه ٨،٤٠م عدد العمدان فيه (١٢) عمودا جداريا بشكل نصف دائرة بالإضافة إلى (٦) أعمدة متصلة بالفناء المكشوف مكسوة بالحجر البلق المجلي.

الفناء المكشوف

(الصوح الداخلي) والأروقة حوله طوله ٥٨م مع الرواق. عرضه ٢٧م. مساحته ٢١٠٠ متر مربع بما في ذلك الرواق. سعته ٣٠٠٠ مصل بما في ذلك الرواق. يحيط به ٢٢ عمودا دائريا قطر كل منها ١،٢٠م وارتفاع العمود ٧،٢٠م شاملا القاعدة والتاج تم تكسيتها بالحجر البلق المجلي.

مصلى النساء

طوله (٨٦،٧٥م) وعرضه (١٤،٨٥م) من الداخل. مساحته ١٢٨٨ مترا مربعا.
السعة نحو ٢٥٠٠ مصلية.
ارتفاعه ٥،٢٠م
عدد المداخل الخاصة بمصلى النساء (٢) شرقي وغربي. بكل مدخل مصعد سعة ٢١ شخصا.
عدد الحمامات ٣٠ حماما على الجانبين، منها حمامان لذوات الاحتياجات الخاصة.

الآيات القرآنية

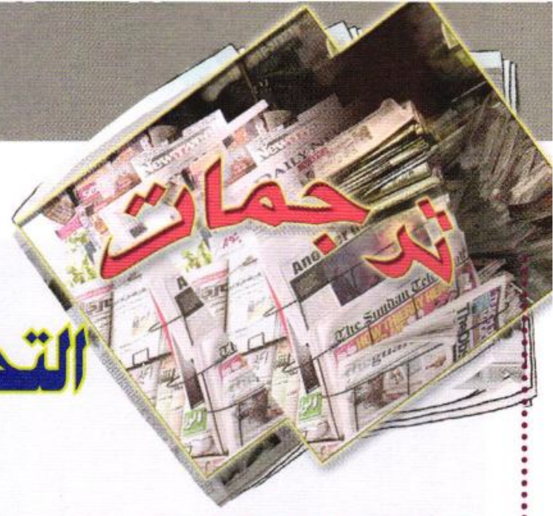
القبة الكبرى عدد الآيات ٧٣٠ آية. عدد السور المكتملة في الجامع والكلية ٨ سور (يس، الرحمن، الإخلاص، الناس، العصر، الفلق، القدر، الفاتحة). عدد السور التي أخذت منها الآيات ٦٢ سورة.

المنارات

المنارات (٦) منها (٤) بارتفاع ١٠٠م (٢) بارتفاع ٨٠ م
المنارات ارتفاع ١٠٠ م

مبنى كلية الصالح للقرآن الكريم والعلوم الإسلامية

يتكون من ٣ أدوار الدور الأرضي مساحته ٧٧٥٩ م٢ بما في ذلك مساحة الفناء المكشوف وهى ٢١٠٠م٢



التحديات التي تواجه المسلم الأوروبي



د. محمود مسعود

نقدم في مقالنا هذا كتابا لمفكر مسلم غربي أدرك منذ نعومة أظفاره التحديات التي تواجه الإسلام كدين، والمسلمين كجماعة ذات هوية مستقلة، وتلك التحديات بعضها أمر طبيعي تفرضه سنة التغيير التي أوجبها الله في الكون، وبعضها خارج إرادة الأمة كالاحتلال، والغزو الثقافي، والتبشير... الخ،وبعضها موروث من العصور السالفة مثل الجهل، والفقر، والدكتاتورية... وقد عاش مفكرنا بنفسه تلك التحديات منذ طفولته حيث ولد لأب داعية وهو د.سعيد رمضان، ولأم يُعد أبوها مجدد القرن الرابع عشر الهجري، فهي بنت الإمام الشهيد حسن البنا، ونتيجة محنة الإخوان والوطن في مصر اضطرت تلك الأسرة أن تهجر البلاد في عام 1954، واستقر بها الحال في سويسرا وأسس رب الأسرة أول مركز إسلامي في الغرب عام1961، هذا المفكر هو طارق رمضان، حاصل على دكتوراه في الفلسفة حول موضوع «الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث»، ويشغل الآن وظيفة أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة جنيف.. انطلق طارق رمضان في التأليف والمحاضرات والندوات منذ وقت مبكر من شبابه واستمر يجدد في أسلوبه ومعالجته لقضايا المسلم الغربي حتى بلغت شهرته الآفاق، ويعد هو نفسه مصلحا ومجددا كبيرا حيث وصفته بعض الأوساط الغربية بأنه «مارتن لوثر» المسلم، واختارته الصحافة السويسرية عام1990 كواحد من أهم عشرة أشخاص في مدينة جنيف التي يقطنها، وذكرت مجلة نيويورك تايمز أنه واحد من بين أهم مائة شخص على مستوى العالم في القرن الحادي والعشرين، وقد طبع الكتاب أول مرة بالإنجليزية ثم طبع بعدها بعامين بالفرنسية ونقدم نحن الكتاب من خلال تلك الطبعة الفرنسية وهي بعنوانEtremusulman européenوترجمته: أن تكون مسلما أوروبيا.

وتكمن قيمة هذا الكتاب في أنه يشرح إمكانية أن يجمع المسلم الأوروبي اليوم بين إسلامه وظروف ومعطيات العصر الذي يعيشه، خاصة في مجتمع أوروبي يقدم العلم والعقل على كل شيء، كما يعد هذا الكتاب محاولة جادة في رسم الملامح التي تمكن المسلم من اجتياز تلك العقبات التي تواجهه عن طريق إعادة فهمه للدين وللعصر معا، ويصدّر المؤلف كتابه بشكره لأناس كثر، لكنه يخص بالشكر والده الذي يدين له بالفضل في فهم معطيات الواقع وفهم أسس الدين، ثم يسرد تاريخ وجود الجالية الإسلامية في أوروبا الغربية منذ البدايات الأولى حتى اليوم مرورا بنتائج الحرب العالمية الثانية وغيرها من الأزمات التي حلت بالعالم الإسلامي مما جعل عددا ليس بالقليل يهجر موطنه إلى بلاد الغرب سعيا وراء الرزق أو الأمن، ومن هنا تشكلت الجالية المسلمة في أوروبا الغربية وظهرت كجالية مستقلة لها خصوصيتها العقدية وعاطفتها الدينية، وهي تعيش كأقلية في مجتمع له -أيضا- سماته وعقائده وعواطفه وتقدمه التكنولوجي، فإذا أرادت تلك الجالية المسلمة أن تعيش في وئام مع غيرها عليها أن تفكر في معطيات البيئة الجديدة ومعطيات دينها وتحسن فهمهما ليتقاربا، وإن كان هذا ليس بجديد على المسلمين فقد عاشوا من قبل تلك الحالة في بيئات أخرى ونجحوا في أن يتكيفوا معها، كما حدث في إفريقيا وفي آسيا لكن ليس هناك وجهة للمقارنة من حيث التحديات بين حياة المسلمين كأقلية في الماضي وحياتهم كأقلية في أوروبا اليوم، فالمعطيات الجديدة أكثر تعقيدا، حيث أظهرت الحضارة الغربية قيمها الجديدة من صحافة وثقافة شعبية وموسيقى وسينما وحريات وغيرها، فاكتشف المسلمون الأوروبيون -خاصة الجيل الثاني والثالث منهم- أنه من المستحيل الجمع بسهولة بين فهم آبائهم للدين وبين المجتمع الغربي، فأخذ المسلمون الجدد يبحثون عن مخرج، ويتساءلون من نحن؟ هل نحن أوروبيون أم مسلمون؟ أم الاثنان معا؟ وهل هناك تعارض بين الهويتين؟ وكيف تحل هذه المعضلة؟ وهل نضحي بأحدهما على حساب الآخر؟ فمن ناحيته بيّن المؤلف أن الإسلام كدين وثقافة يحل تلك المعضلة، لكن يجب على المسلمين أن يبذلوا الجهد لفهمه وفهم الواقع، ولا يركنوا للحلول الجاهزة التي قدمها السلف الصالح لعصرهم، فقد لا يخدم بعض منها مسلمي اليوم، وبعضها ربما لم يفهم جيدا، فلابد إذن من إعادة فهم الإسلام من خلال مصادره الأصلية، ثم يعاد فهم تلك المصادر في ضوء معطيات العصر الحديثة، لهذا أخذ الكاتب يشرح في الباب الأول من كتابه المفاهيم الأساسية لمعرفة الله والخلق والعبادة والأخلاق والمعاملات، وكيفية استنباط الأحكام بواسطة علم

● أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

أصول الفقه، وكيف يمكن اليوم للمسلمين الغربيين بصفة خاصة أن يستفيدوا من هذا العلم -علم أصول الفقه- في محاولتهم لحل كثير من معضلاتهم اليوم.. لكن دون إسقاط أحكام الماضي على الحاضر، إنما الاستفادة العميقة تكمن في محاولة إحياء منهج السلف في ربط الإسلام بقضايا أي عصر، ومن هنا بدأ المؤلف يطرح عدة قواعد ومسلمات مثل: الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ثم محاولة علماء أصول الفقه تقديم مجموعة من المفاهيم التي تؤكد تلك الصلاحية، مثل مفهوم المصلحة والاجتهاد والفتوى، فالمسلم لابد أن يعتقد بالله في قلبه وفي روحه، ويؤمن بالوحي القرآني وبرسول الله ﷺ، وأن يجمع بين أحكام الشريعة وبين الممارسة الروحية للشعائر، ومن هنا فالشريعة ليست كالقانون الذي نحتكم إليه اليوم، لكنها هي ذاتها فلسفة حياة، وأخذ يفرق بين كلمة شريعة وكلمة فقه وأنهما ليستا مترادفتين، حيث إن الفقه ما هو إلا اجتهاد العلماء في فهم أدلة الشريعة، وهذا الفهم أي الفقه يمكن أن يتجدد حسب العصر، مؤكدا على أن الإخلاص الحقيقي لرسالة القرآن لا تعني أن يحفظ المسلم المصادر الإسلامية وشروحها إنما يعني تمرين العقل المسلم لإيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية والسياسية التي تواجه المسلمين سواء كانوا أفرادا أو جماعة لكي يظلوا يؤمنون برسالتهم، محذرا مسلمي اليوم من التسرع في فهم مسائل الحلال والحرام دون فهم مقتضيات الشريعة.

تحقيق الذات وإثبات الهوية والاندماج والمواطنة .. أبرز المشكلات التي تواجه المسلم الأوروبي

واجتهد المؤلف في الباب الثاني والثالث لعرض بعض المشكلات التي تواجه المسلم الأوروبي ومحاولة إيجاد حلول لها تتوافق مع الإسلام مثل: تحقيق الذات، وإثبات الهوية، والاندماج والمواطنة وغيرها، وبدأ بالتساؤل أين نحن؟ يعني أين تقف الجالية المسلمة من التطور الهائل الأوروبي الذي حدث بعد الحرب العالمية الثانية، هل ترفض هذا التطور أم تنسجم معه؟ هل يؤثر أم لا يؤثر في طريقة تدينها والتزامها بدينها؟ وغير ذلك كثير من الأسئلة التي يمكننا أن نفهمها من هذا السؤال المهم، خاصة وأن آباء الجالية الحالية قد أتوا برغبة الأوروبيين أنفسهم لبناء ما هدمته الحرب، وقد ساهموا مع العمال الايطاليين والأسبان في بناء هذا التطور الحضاري الغربي، وخلال ربع قرن تضاعفت أعداد الجالية المسلمة ما بين ١٥ إلى ١٧ مليون مسلم، وتجنس الكثير منهم ومن أبنائهم بالجنسية الأوروبية، وغدوا ملتحمين بالحياة الاجتماعية الأوروبية، ورغم أن ٨٠ في المائة من هذه الجالية لا يصلون و٤٠ في المائة منهم فقط يصلون الجمعة و٧٠ في المائة منهم يصومون رمضان فإنهم جميعا متعلقون بالإسلام وجدانا وعاطفة، وهو محرك لردود فعلهم السياسية والحياتية، ويعيش أغلبهم في سلام وأمان، ولا ينشغل كثير منهم بحقوقه المشروعة لاعتقاده أنه مضطهد من قبل المؤسسات الأوروبية مع أن معظم تلك المؤسسات ليست ضد الإسلام كدين، ولو طالب المسلمون بحقوقهم التي كفلها لهم الدستور ربما حصلوا عليها، ويجب أن نذكر أنه لامكان للدين في المجتمع الغربي الحديث، فقد يؤمن كثير من الأوروبيين بالله لكنه إيمان غير فعال وليس له دور في الحياة العملية التي أصبحت تتحكم فيها آليات السوق والتطور التكنولوجي من كل جوانبها، وهذا ما جعل المسلمين يخافون أن ينجروا وراء هذه الحياة فيفقدون روحانياتهم فأخذوا يبحثون عن مخرج وأخذوا يعودون لتراثهم الفقهي فوجد بعضهم بغيته فيما كان يسمى دار الإسلام ودار الحرب، وتلك القسمة منحت فئة الفرصة لتطبيق أحكام دار الحرب على أنفسها فضيقت واسعا مع أن الجالية المسلمة لا تعيش في دار حرب بل تعيش في سلام، ويمكنها أن تعرف إسلامها وتمارس عبادتها بحرية ويمكنها أن تؤسس الجمعيات وتنفتح على العالم من حولها وهذا الانفتاح هو جوهر الحياة الأوروبية، فبدلا من الانغلاق والهروب بمسائل فقهية قديمة يجب أن يحافظ المسلمون على روحانياتهم وممارستهم شعائرهم وأن يتمسكوا بحريتهم وقدرتهم على الفعل.

ثم يعيد المؤلف في الباب الأخير التساؤل عمن نحن؟ ويقصد ما يمكن أن نفعله في تلك البيئة الجديدة كمسلمين، فهو يبحث عن تحقيق الذاتية المسلمة التي تشارك في صنع الحضارة وتستفيد من منجزاتها وتوائم بين دينها وهذا المنجز الحضاري دون أن تتخلى عن ثوابتها ودون أن تتقاعس في أداء دورها، وهذا يفتح الطريق لمجابهة التحديات الكثيرة التي يواجهها المسلمون، مثل إثبات هويتهم، وتحقيق خصوصيتهم، ومزاولة شعائرهم، والحفاظ على حقوقهم المشروعة، ومنحهم الحرية كغيرهم في الإبداع والابتكار وفي مشاركة إخوانهم المواطنين من غير المسلمين في صنع المنجز الحضاري فلا يقفل عليهم باب العمل، ولا يضيق عليهم تحصيل العلم وأداؤه، ولا يحرموا من ممارستهم العمل الاجتماعي والسياسي، وتلك هي مفاهيم المواطنة التي يسعى المسلمون الغربيون لتحقيقها.

لذا يجب على المسلمين الأوروبيين أن يعيشوا في وطنهم جسدا وروحا ويمارسوا حياتهم بحرية مسؤولة، ومن هنا عليهم أن يعيدوا فهم تراثهم وأن يشاركوا غيرهم الحياة، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال تعقل المسلمين للإسلام وفهم معانيه ومعرفة التحولات الحياتية من حولهم، ولا يتأتى ذلك إلا بنقد الذات، وإحياء الشعور بالعزة كمسلمين وكأوروبيين وأن يفهموا حقوقهم وواجباتهم كمواطنين وأن يقيموا الحوار بينهم وبين غيرهم من المواطنين، ويسلكوا في ذلك كل الطرق المشروعة.

إعداد : علي الحربي

شاهد مجتمع مكة الإسلامي على الإنترنت



يسعى موقع مكة دوت كوم الاجتماعي إلى خدمة وتواصل الشباب العربي في جميع أنحاء العالم. ويعمل الموقع على معرفة كل ما يجري من أحداث اجتماعية للمجتمع الإسلامي بأسره و تذكير المسلمين الذين يعيشون في الغرب بأعيادهم، وإشعارهم بأنهم على تواصل أكثر مع مجتمعاتهم في مواطنهم الأصلية.

ويقدم الموقع الثنائي اللغة (عربي- إنجليزي) بريدا إلكترونيا مجانيا يعكس الهوية الإسلامية، كما توجد مساحة مجانية لرفع وتخزين الملفات والبرامج.

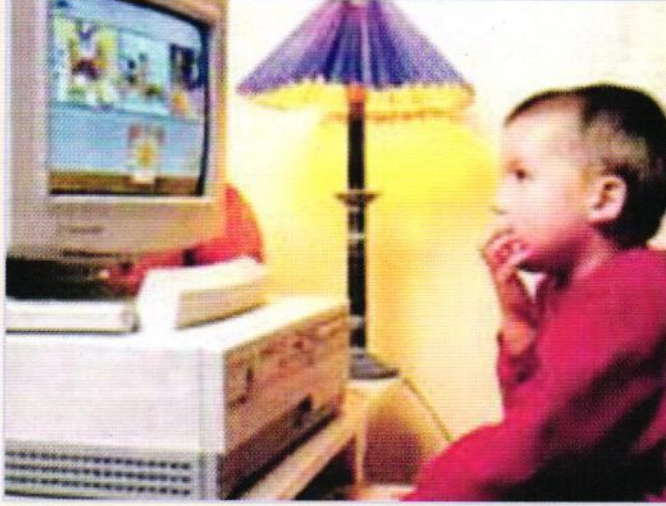
ويمكنكم زيارة الموقع من خلال الرابط التالي www.mecca.com

خطوات بسيطة لإطالة عمر بطارية اللاب توب



أكد روبرت بيرينز مدير قطاع تصنيع أجهزة الكمبيوتر الدفترية في شركة إيسر للإليكترونيات أنه من أجل إطالة عمر البطارية لأطول فترة يتعين تعديل درجة إضاءة الشاشة يدويا إلى أقل درجة ممكنة، ومن الوسائل الأخرى التي يمكن الاستعانة بها لإطالة فترة عمل الكمبيوتر دون الحاجة لإعادة شحنه إغلاق خاصية الاتصال بالشبكات اللاسلكية المحلية، وتقنية البلوتوث لتبادل البيانات لأن هاتين الوظيفتين تستهلكان كمية كبيرة من الطاقة.

موقع لتعليم اللغة الإنجليزية بالصوت والصورة



يقدم موقعlearn-en.com معلومات مفيدة وقيمة للباحثين عن تعلم اللغة الإنجليزية بسهولة ويسر وبشكل مجاني وذلك بالصوت والصورة، ما عليك سوى زيارة الموقع والتسجيل المجاني فقط، ولا يتطلب تفعيل اشتراك بل إنه فور تسجيلك يمكنك استخدام اسم المستخدم وكلمة المرور للدخول للموقع ثم النقر على قائمة الدروس والمستويات للبدء، ويقدم الموقع دروسه في مستويات مختلفة من الأول للخامس تناسب جميع الأشخاص.

ويمكن زيارة الموقع على العنوان التالي
www.learn-en.com/news.php

٤٠٪ من الشباب لا يمكنهم الاستغناء عن الكمبيوتر والإنترنت



كشفت دراسة حديثة أن ٤٠ في المائة من الشباب لا يمكنهم الاستغناء عن الكمبيوتر والانترنت وأن ٣٠ في المائة منهم يعتبرون الهاتف المحمول ضروريا وهي النسبة التي ترتفع إلى ٤٠ في المائة في حالة الفتيات.

وأكدت الدراسة التي أجرتها مؤسسة الأبحاث العالمية سينوفيت أن الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٨ و٢٤ عاما يقضون ساعتين ونصف في المتوسط من أوقات فراغهم في تصفح صفحات الانترنت وأن ٩٣ في المائة منهم يستخدمون الهواتف الجوالة بشكل يومي.

وتشير الدراسة التي شارك فيها ما يزيد على ١٢,٦٠٠ شاب من ٢٦ دولة حول العالم إلى أن أكثر الأنشطة التي يقوم بها الشباب بشكل معتاد عبر الانترنت هي الاطلاع على البريد الالكتروني بنسبة ٩٤ في المائة، وتوضح الدراسة أن الشباب حول العالم يقضون في المتوسط ست ساعات أسبوعيا في تصفح الشبكات الالكترونية الاجتماعية ويشار إلى أن ٣٨ في المائة من الشباب يشاهدون التلفاز عبر أجهزة الكمبيوتر المحمول، فيما يستمع ٥٠ في المائة منهم للراديو ما بين ساعة وساعتين يوميا في أثناء قيامهم بأنشطة آخرى وفقا للدراسة.

إعداد : هالة محمد

هل هناك مخلوقات خارج كوكب الأرض؟

أكد رائد فضاء أميركي سابق انه لا يشك في وجود مخلوقات غير أرضية.

كما عبر ايدغار ميتشل الذي صعد إلى احدى رحلات ابوللو الفضائية الأميركية عن قناعته بأن الحكومة الأميركية تعلم بوجود هذه المخلوقات غير الأرضية وتتعمد اخفاء ذلك عن شعبها، مضيفا: «لسنا بمفردنا».

وبحسب «سي. إن.إن» الاخبارية فان ميتشل دعا الحكومة الأميركية بقيادة الرئيس باراك أوباما الى كشف ما تعرفه بشأن المخلوقات غير الأرضية وبشأن ما يعرف بالاطباق الطائرة.

ونشأ ميتشل في مدينة روسويل بولاية نيومكسيكو الأميركية التي شهدت- حسب الذين يعتقدون بوجود اطباق فضائية طائرة- سقوط طبق طائر يقل مخلوقات غير أرضية وتحطمه عام ١٩٧٤.

وذهب ميتشل في حديثه مع القناة الى ان الجيش الأميركي بذل آنذاك كل ما يستطيع من جهد للتكتم على هذا الحدث ومنع شهود العيان من الادلاء بشهادتهم حول هذا الأمر، وأنه أحد المطلعين على هذه الحقيقة وهو يتمتع في الوقت نفسه بمصداقية خاصة تسمح له بسرد هذه الواقعة ونقل حقيقتها للآخرين.

وحسب ميتشل فانه استطاع قبل عشر سنوات العثور على آذان صاغية لروايته في البنتاغون وتحدث مع ادميرال لم يسمه، وقال إن هذا القائد البحري أكد له حقيقة ما حدث في مدينة روسويل ثم قام الأدميرال فيما بعد بمحاولات لاكتشاف المزيد من التفاصيل في هذا الشأن قبل أن توقف جهة أخرى هذه المحاولات، وأشار رائد الفضاء السابق الى ان هذا الأدميرال أصبح ينكر الأمر برمته.

وأكد متحدث باسم وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) أن الوكالة غير معنية بالمشاركة في أي محاولة للتعتيم في هذا الصدد كما نقلت «سي.إن.إن» عن المتحدث قوله ان «ناسا» غير معنية بالاطباق الطائرة وكان الرئيس الأميركي قد رد على سؤال وجه إليه عما إذا كان يعتقد بوجود مخلوقات غير أرضية قائلاً: «الأمر يتوقف على ما اذا كانت هذه المخلوقات ديموقراطية أو جمهورية».

هذا ونقل موقع صحيفة نورثرن تيريتوري الاسترالية عن ربة منزل انها تمكنت من التقاط صور لجسم مشبوه يعتقد انه صحن طائر.

وقالت السيدة، واسمها كيم: انها كانت تصور السحب والأمطار بهاتفها المحمول الشهر الماضي في منطقة بالمرسون، حيث تقيم لكنها لم تنتبه للأضواء الغريبة التي ظهرت بين الغيوم الداكنة على شكل أقراص إلا بعد تحميل الصور على جهاز الكمبيوتر.

وأشارت كيم إلى أنها التقطت في ذلك اليوم أكثر من صورة وسجلت شريط فيديو، لكن الجسم المشبوه الذي يعتقد أنه صحن طائر لم يظهر إلا في لقطة واحدة.

وأضافت «من الصعب تحديد ما هو، الأمر غريب للغاية كان هناك برق، ولكن الشكل الذي ظهر في الصورة لا يشبه البرق لأنه مستدير ثم ظننت انه قد يكون انعكاساً لضوء الشارع في شاشة الهاتف الجوال، ولكن ليس هناك من مصابيح».

وهذه هي القصة الثانية من هذا النوع التي تنشرها الصحيفة، بعدما أشارت إلى مشاهدة آلن فيرغوسن من منطقة اكاسيا هيل جسما غريباً في السماء يشتبه بأنه صحن طائر.

وقال فيرغوسن إن هذه الصحون لا تظهر إلا عندما يكون الطقس حاراً، مضيفاً «لا بد أن للكائنات الفضائية نظام تكييف جيداً».

الأنهار تنخفض.. والعطش آت

قال باحثون إن الأنهار في بعض أكثر مناطق العالم سكانا بدأت مياهها تنخفض وان ذلك يحدث في كثير منها بسبب التغيرات المناخية.

ومن الأنهار المتضررة النهر الأصفر في شمال الصين وجانجيز في الهند والنيجر في غرب افريقيا وكولورادو في شمال غرب الولايات المتحدة.

وقال الباحثون ان هذه التغيرات اذا اضيفت الى الآثار الناتجة عن اقامة السدود والري والاستخدامات الاخرى للمياه فقد تزيد التهديد الذي تتعرض له امدادات المياه والغذاء في المستقبل.

وقال ايجيو داي من المركز الوطني للأبحاث الجوية في بولدر في كولورادو الذي قاد الدراسة في بيان «نقص مياه الامطار يزيد الضغط على موارد مياه الانهار في كثير من مناطق العالم خصوصا مع زيادة الطلب على المياه مع زيادة السكان»: «كون مياه الانهار مصدرا حيويا فان اتجاهها نحو الانحسار يمثل مبعث قلق كبير».

وفحص فريق داي سجلات تدفقات المياه في ٩٢٥ نهرا كبيرا على مدى الفترة ما بين عامي ١٩٤٨ و٢٠٠٤ فوجدوا تغيرات كبيرة في نحو ثلث أكبر أنهار العالم.

وفاق عدد الانهار التي شهدت تراجعا في تدفقات المياه تلك التي زادت التدفقات فيها بنسبة ٢,٥ الى ١.

الدلفين يُطفئ نصف دماغه فقط عندما ينام!

عندما ينام الدلفين فإن نصف دماغه فقط هو الذي يغفو، فيما يظل النصف الآخر مستيقظا، وهذا ما يساعده على الراحة والصعود من وقت الى آخر الى سطح الماء من أجل التنفس وحماية نفسه من الحيوانات البحرية الاخرى التي قد تهاجمه خلال نومه، ويقول العلماء إن باستطاعة الدلفين البقاء يقظا في أعماق البحر والمحيطات على مدار ٢٤ ساعة يوميا، ولمدة لا تقل عن خمسة أيام من دون أن تظهر عليه بوادر التعب والارهاق.

وكان خبراء من «برنامج الثدييات البحرية قد قاموا بتدريب دلفينين اثنين على التجاوب مع صوت صفارة تنطلق من دون انتظام لمدة ثانية ونصف فقط، ثم صفارة اخرى تنطلق كل ٣٠ ثانية تكاد لا تسمع خلال سباحة الدلافين في المياه، وتبين أن حدة سمع هذه الحيوانات البحرية ظلت عالية خلال فترة التجربة التي دامت خمسة أيام، كما كان الأمر خلال البدء بالتجربة.

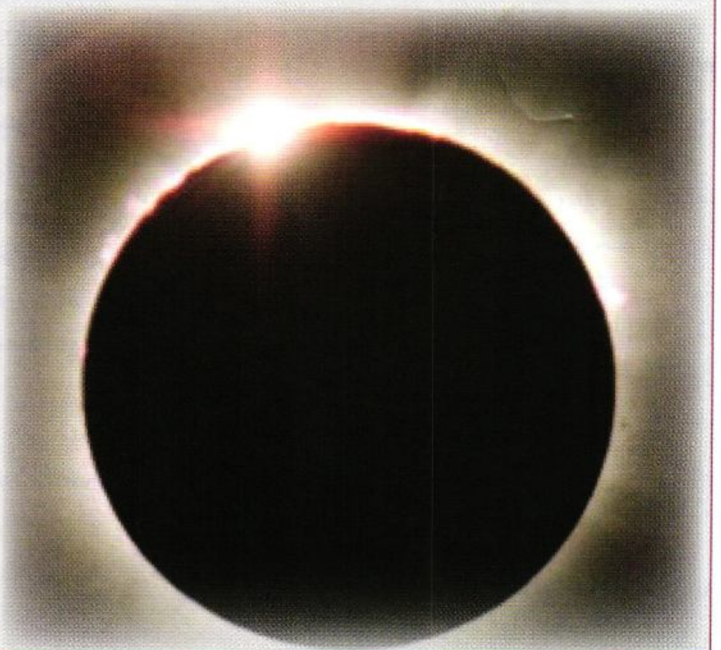
كما بينت الدراسة أن النصف الواعي من الدماغ يتيح للنصف الثاني منه الاغفاء، وهكذا فإن الدلفين يكون في وضع مثالي من أجل الراحة، وفي الوقت نفسه اليقظة لمواجهة أي خطر



يمكن أن يهدده.

وقال العلماء: إن التجارب التي أجروها على دم الدلافين أظهرت أنها لا تعاني عوارض الحرمان من النوم كما هو الحال بالنسبة إلى بعض الحيوانات الأخرى.

عتمة الشمس لن تخفض حرارتنا

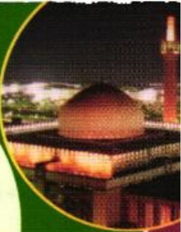


قال علماء فلك إن الشمس في أكثر أيامها عتمة منذ نحو قرن من الزمن وأن هذا الكوكب لم يكن بهذا الهدوء، منذ فترة طويلة.

ونقلت صحيفة دايلي تلغراف عن علماء قولهم إن الشمس في ذروة نشاطها تمر بحلقة من النشاط القوي لحوالي ١١ سنة، حيث تصل درجة حرارتها إلى حد الغليان وتقذف أجساماً مشتعلة وغازات حارة جداً قبل أن تعقب ذلك فترة من الهدوء، وتوقع العلماء العام الماضي أن تزداد حرارة الشمس بعد فترة هدوء، ولكن بدلا من ذلك انخفضت إلى مستويات متدنية جداً من حيث ضغط الرياح الشمسية.

وتشير دراسات أجريت أخيراً على جذوع أشجار ومناطق جليدية إلى أن نشاط الشمس بدأ يخف بعد نشاط غير اعتيادي في السابق.

وقال الأستاذ مايك لوكوود من جامعة سارث هامبتون ان العتمة الخفيفة للشمس الآن لن تؤدي إلى تراجع درجة حرارة العالم الذي يسببه الوقود الاحفوري، وأضاف سان «ما نراه الآن هو تزايد في درجة حرارة العالم»، مضيفاً: «كنت آمل أن تهرع الشمس لنجدتنا ولكن لسوء الحظ فإن المعطيات تشير إلى أن ذلك ليس هو واقع الحال».



فتاوى الوعي

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

٥٢٣٧ جمع وقصر الصلاة للمقيم للدراسة

أنا أحد أبناء دول الخليج العربية، طالب في المملكة المتحدة (بريطانيا)، لي سؤال يحيرني كثيرا جدا بشأن كيفية تأدية الصلاة، وهو:

هل من الممكن لي أن أقوم بتأدية صلاتي قصرا وجمعا لفريضتي الظهر والعصر، وكذلك المغرب والعشاء؟ أرجو إفادتي وإسداء النصح لي.

الإجابة

مادام المستفتي مسافرا إلى بريطانيا، ودخلها ناوياً المقام فيها أكثر من خمسة عشر يوما، فإن عليه أداء كل صلاة في وقتها كاملة، ولا يجوز له الجمع بين الصلوات تقديماً ولا تأخيراً ولا قصرها.

٥٢٣٩ جمع وقصر الصلاة عند الخروج للبر أو الشاليهات

ما المسافة التي يجوز الجمع بها بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء؟ وهل يجوز القصر؟ علماً بأنا لم ننو السفر ولكن خرجنا للبر أو للشاليه، مع العلم بان المسافة المقطوعة أكثر من (٨٠) كم.

وهل في حالة النية تطبق نفس النصوص التي سبق ذكرها؟ وهل تعتبر رخصة من الرسول ﷺ؟ مع إفادتنا ببيان المدة التي يمكن تطبيق القصر والجمع عليها، وهل هي محدودة أو مفتوحة بحسب طلبنا لما تقدم، يرجى التكرم بإفادتنا.. جزاكم الله خيراً.

الإجابة

للقصر والجمع في الصلاة للمسافر شروط لابد من توافرها، وهي:

١- نية السفر: وهي قصد موضع معين خارج مدينته.

٢- طول المسافة، وقد اختلف الفقهاء في مسافة السفر التي تثبت بها الرخص المتعلقة بالسفر، مثل القصر والجمع في الصلاة، فذهب الجمهور إلى أنها تقدر بـ (٨٠) كيلو مترا تقريباً.

٣- مغادرة البلد فعلا، فلا يعد المسافر مسافرا سفرا تثبت له فيه الرخص الشرعية بمجرد نية السفر، ولكن بعد مغادرته لحدود مدينته.

٤- عدم نية الإقامة في بلد معين مدة خمسة عشر يوما فأكثر عند الحنفية، وأربعة أيام سوى يومي الدخول والخروج عند جمهور الفقهاء.

٥- عدم العودة إلى وطنه، فإذا عاد إلى وطنه انقطع سفره فور وصوله إلى بلده، فإذا وصل المسافر إلى بلد معين، ونوى الإقامة فيها المدة المشار إليها انقطع سفره، ومنع من الاستفادة من الرخص المناطة بالسفر بمجرد نية الإقامة هذه، ومن الرخص المناطة بالسفر عند الجمهور قصر الصلاة، والجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وكذا بين المغرب والعشاء، أما الحنفية فقالوا: لا جمع في السفر.

٥٢٤٤ إلقاء الدروس قبل خطبة الجمعة

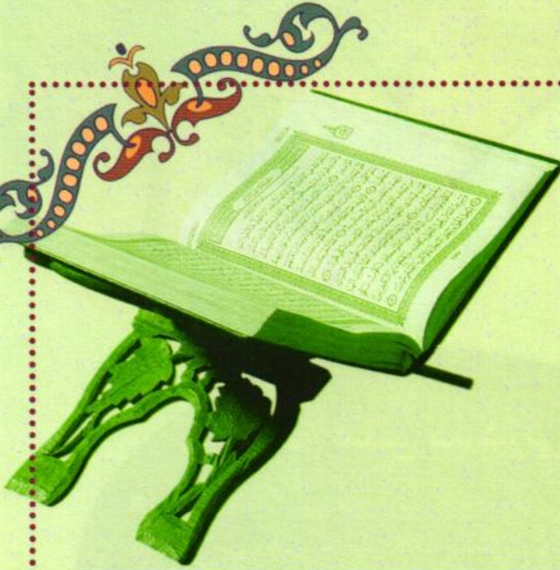
الإجابة

هذا الموضوع داخل في باب الكفالة، والفقهاء متفقون على عدم جواز أخذ الأجر على الكفالة، لأن الكفالة من عقود التبرع، فلا يجوز أخذ الأجر عليها، ثم إذا كان الكفيل قد تعاقد مع المكفول على تأمين عمل له في دولة الكويت فيجب عليه الوفاء له بهذا العقد لقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود...﴾ (المائدة: ١).

٥٣٢٩ تأجير مبنى لبنك ربوي

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم

من عدنان، ونصه:
تقدم لنا أحد البنوك المحلية غير الإسلامية بعرض لإقامة فرع له على أرض الجمعية على أن يدفع مبلغاً كبيراً دعماً للجمعية، وإيجارا شهرياً قدره ألفا دينار.
والسؤال هو: هل يجوز للجمعية الموافقة على هذا العرض، خاصة أن هذه الأموال تدخل في الأرباح التي ستوزع على المساهمين؟ نرجو التكرم بالإفادة.



الإجابة

إذا كان البنك الذي تسأل عنه يتعامل بالربا فلا يجوز للجمعية الموافقة على تأجير المبنى الجديد له ولا يغير الحكم عرضه دعما ماليا للجمعية، وإن كان لا يتعامل بالربا أو المحرمات الأخرى فلا بأس بالموافقة على تأجير المبنى الجديد له وأخذ الأجرة منه على ذلك مع الدعم المذكور.

من القواعد الفقهية

١- الحكمُ على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّره.
٢- مَا كان ثوابه أكثر كان طلبه آكد.
٣- طلب الأفضل أكمل من طلب المفضول.
٤- ما كان عقابه أعظم كان النهي عنه أوكد.
٥- الفعل إذا كان مندوبًا بالجزء كان واجبًا بالكلِّ.
٦- المستحبُّ مقدِّمةٌ للواجب.
٧- ترك سُنة من السنن المؤكّدة مكروه.
٨- المشتبهات عمومًا من جنس المكروه.
٩- المكروه متفاوت في كراهته، وإنما تتبين درجة الكراهة بحسب الصّيغة والقرائن، وأشدُّ أنواع المكروه: المشتبهات؛ لدلالة النصِّ على خطرها، وكونها برزخًا بين الحلال والحرام. وأدنى درجات المكروه: ما اختلف في جوازه وكراهته.
١٠- المكروه بالجزء محرَّم بالكلِّ.
١١- المكروه مقدِّمةٌ للحرام.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

من فتاوى مجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)

رقم القرار: ١ رقم الدورة: ١٦ بشأن موضوع بيع الدين

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في المدة من٢١- ٢٦/١٠/١٤٢٢هـ الذي يوافقه: ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، قد نظر في موضوع: «بيع الدين» وبعد استعراض البحوث التي قدمت، والمناقشات المستفيضة حول الموضوع، وما تقرر في فقه المعاملات من أن البيع في أصله حلال، لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (البقرة: ٢٧٥). ولكن البيع له أركان وشروط لابد من تحقق وجودها، فإذا تحققت الأركان والشروط وانتفت الموانع كان البيع صحيحًا، وقد اتضح من البحوث المقدمة أن بيع الدين له صور عديدة؛ منها ما هو جائز، ومنها ما هو ممنوع، ويجمع الصور الممنوعة وجود أحد نوعي الربا: ربا الفضل، وربا النَّساء، في صورة مَا، مثل بيع الدين الربوي بجنسه، أو وجود الغرر الذي يفسد البيع، كما إذا ترتب على بيع الدين عدم القدرة على التسليم ونحوه، لنهيه ﷺ عن بيع الكالئ بالكالئ. وهناك تطبيقات معاصرة في مجال الديون تتعامل بها بعض المصارف والمؤسسات المالية، بعض منها لا يجوز التعامل به؛ لمخالفته للشروط والضوابط الشرعية الواجبة في البيوع.

وبناء على ذلك قرر المجمع ما يلي:

أولاً: من صور بيع الدين الجائزة بيع الدين للمدين نفسه بثمن حَالٍ، لأن شرط التسليم متحقق؛ حيث إن ما في ذمته مقبوض حكمًا، فانتفى المانع من بيع الدين، الذي هو عدم القدرة على التسليم.

ثانيًا: من صور بيع الدين غير الجائزة:
أ - بيع الدين للمدين بثمن مؤجل أكثر من مقدار الدين؛ لأنه صورة من صور الربا، وهو ممنوع شرعًا، وهو ما يطلق عليه «جدولة الدين».
ب - بيع الدين لغير المدين بثمن مؤجل من جنسه، أو من غير جنسه؛ لأنها من صور بيع الكالئ بالكالئ (أي الدين بالدين) الممنوع شرعًا.

ثالثًا: بعض التطبيقات المعاصرة في التصرف في الديون:
أ- لا يجوز حسم الأوراق التجارية (الشيكات، السندات الإذنية، الكمبيالات)، لما فيه من بيع الدين لغير المدين على وجه يشتمل على الربا.
ب- لا يجوز التعامل بالسندات الربوية إصدارًا، أو تداولاً، أو بيعًا؛ لاشتمالها على الفوائد الربوية.
ج- لا يجوز توريق (تصكيك) الديون بحيث تكون قابلة للتداول في سوق ثانوية؛ لأنه في معنى حسم الأوراق التجارية المشار لحكمه في الفقرة (أ).

رابعـًا: يرى المجمع أن البديل الشرعي لحسم الأوراق التجارية، وبيع السندات، هو بيعها بالعروض (السلع) شريطة تسلم البائع إياها عند العقد، ولو كان ثمن السلعة أقل من قيمة الورقة التجارية؛ لأنه لا مانع شرعًا من شراء الشخص سلعة بثمن مؤجل أكثر من ثمنها الحالي.

خامسًا: يوصي المجمع بإعداد دراسة عن طبيعة موجودات المؤسسات المالية الإسلامية، من حيث نسبة الديون فيها، وما يترتب على ذلك من جواز التداول أو عدمه.

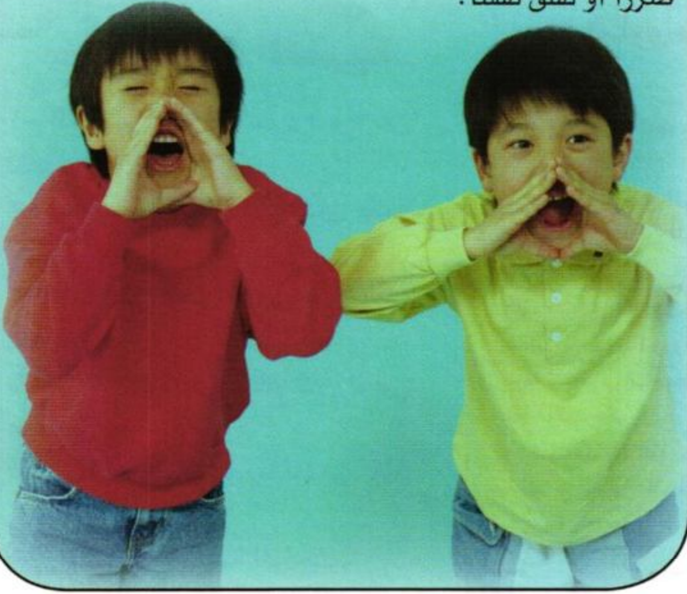
والله ولي التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ﷺ.

واحة الإيمان

إعداد : محمد شفيق

لسان الإنسان

■ عقل الإنسان مخبوء تحت لسانه، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن صواب، ويسرع إلى جواب، والكلمة عندما ينطق بها الإنسان تحكم عليه أكثر مما يحكم هو عليها، وهي حين تكون محكومة معتدلة فإنها تجيء لتوضح حقا أو تدحض باطلاً أو تنشر حكمة أو تذكر نعمة، أما اذا كانت هوجاء طائشة فإنها تكشف عن جهل صاحبها فتسبب ضرراً أو تقلق نفساً.



أعلم متى يذكرني ربي

■ قال أحد الصالحين يوما لجلسائه: إني أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا من ذلك وقالوا: تعلم متى يذكرك ربك؟ قال نعم، إذا ذكرته ذكرني أليس هو القائل ﴿اذكروني أذكركم﴾ وأعلم متى يستجيب دعائي، فقالوا وكيف تعلم؟ قال: إذا وجل قلبي، واقشعر جلدي، وفاضت عيناي بالدموع وفتح لي في الدعاء.

من أقوال الإمام الشافعي

علي ثياب لو تباع جميعها
بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها
نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

لا يشغل عن قول الحق!

■ يروي لنا التاريخ العربي أن عدداً من الحراس قد جاءوا لعبدالملك بن مروان برجل من الخوارج فأراد قتله، فدخل على عبدالملك ابن له صغير يبكي: فقال الخارجي «دعه يا عبدالله فإن البكاء أرحب بشدقيه، وأصلح لدماغه، وأذهب لصوته وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حفزته طاعة الله فاستدعى عبرتها، فأعجب عبدالملك بقوله، وقال له متعجباً: أما يشغلك ما أنت فيه ياهذا؟ قال: ما ينبغي أن يشغل بال المؤمن عن قول الحق شيء، فأمر عبدالملك بحبسه وصفح عن قتله!

ما هذا الضحك؟

■ مر الحسن البصري بشاب مستغرق في ضحكه، وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن: يا فتى، هل مررت على الصراط؟ قال: لا، قال: هل تدري الى الجنة تصير أم الى النار؟ قال: لا، قال الحسن: فما هذا الضحك؟

احرص على أشياء أربعة

■ احرص على أشياء أربعة ربما تحدث أمامك ولا تعود: احرص على الكلمة قبل أن ينطقها لسانك، واحرص على الفرصة التي تلوح لك، واحرص على الصديق قبل أن تفقده، واحرص على العمر قبل أن يمضي بك.

الشقي المحروم

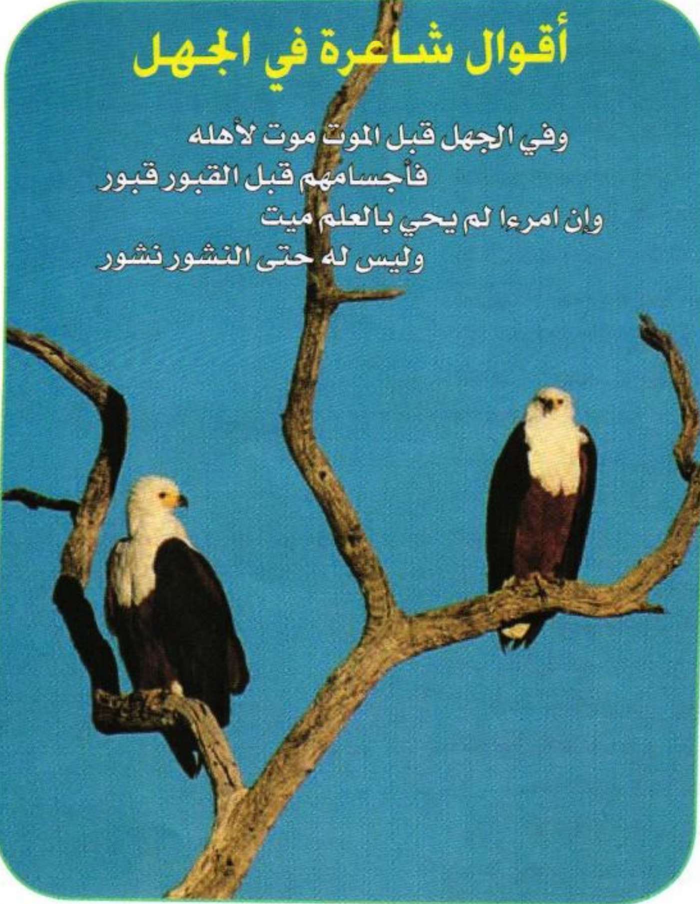
■ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال يوما لأصحابه «قولوا اللهم لا تجعل فينا شقيا أو محروماً، ثم قال: أتدرون من الشقي المحروم؟ قالوا من يارسول الله؟ قال: تارك الصلاة».

صغيراً وكبيراً

■ قال نصر بن سيار: كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، وكل شيء إذ كثر يرخص إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا.



أقوال شاعرة في الجهل



وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءا لم يحي بالعلم ميت
وليس له حتى النشور نشور

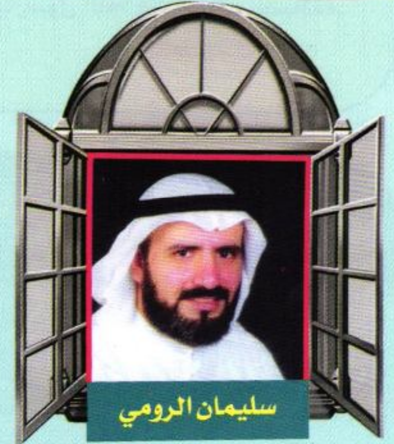
التواضع

■ قال بعض الحكماء لابنه «يابني التمس الرفعة بالتواضع، والشرف بالدين والعفو من الله تعالى بالعفو عن الناس».

أقوال حكيمة



من يدعي حب النبي ولم يفد
من هديه فسفاهة وهراء
الحب أول شرطه وفروضه
إن كان صدقا طاعة ووفاء



التربية الحديثة

نعيش اليوم في مجتمع نجد فيه أن بعض الآباء لا يفقه من تربية الأبناء إلا اسم كلمة تربية فقط، بل إن بعضهم قد لا يدري أن هناك شيئا يقال له تربية على الإطلاق. فالتربية باتت اليوم سلاح أي بيت ينشد الاستقرار وبناء الشخصية السوية، باعتبارها أساس إرساء القواعد الحاكمة للنظام الحياتي في الاسرة، وللتربية أصولها وغاياتها، وأهدافها، وفوائدها، متى وفق الأب والأم في تقديم تربية نموذجية لأبنائهما، فقد روى البخاري في الأدب المفرد «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» وروى السيوطي «عرفوا ولا تعنفوا» وروى مسلم أن النبي ﷺ بعثه ومعاذا إلى اليمن وقال لهما «يسرا ولا تعسرا وعلما ولا تنفرا» وروى الحارث والطيالسي والبيهقي «علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف»... فهذه الأحاديث تؤكد أن المعاملة بالرفق واللين هي الأصل.

كذلك هناك فروق فرديه بين الأبناء وأمزجتهما مختلفة، فمنهم صاحب المزاج الهادئ المسالم، ومنهم صاحب المزاج المعتدل، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد، وذلك يعود الى العوامل الوراثية ومؤثرات البيئة والتربية، فمنهم من تنفع معه النظرة العابسة، ومنهم من يحتاج إلى استعمال التوبيخ والعنف في عقوبته، بيد ان كثيرا من علماء التربية الإسلاميين ومنهم ابن سينا والعبدري وا بن خلدون ذهبوا إلى أنه لا يجوز للمربي أن يلجأ إلى العقوبة إلا عند الضرورة القصوى، وأن لايلجأ إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل وتكوينه خلقيا ونفسيا.

إن المربي كالطبيب كما يقول الإمام الغزالي، فلا يستطيع أن يعالج المرضى بعلاج واحد مخافة الضرر، كذلك المربي لايجوز أن يعالج مشاكل الأولاد ويقوّم اعوجاجهم بعلاج التوبيخ وحده مخافة ازدياد الانحراف عند البعض أو الشذوذ عند الآخرين، فنلاحظ هنا أن يعامل كل طفل المعاملة التي تلائمه.

وهناك طرق فتحها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام للعلاج وهي:

أ - التنبيه إلى الخطأ بالتوجيه

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ - أي تحت رعايته - وكانت يدي تطيش في الصفحة - أي تتحرك هنا وهناك في القصعة - فقال لي رسول الله ﷺ: «ياغلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك» (رواه البخاري ومسلم)، فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أرشد عمر بن أبي سلمة إلى الخطأ بالموعظة الحسنة والتوجيه المؤثر المختصر البليغ.

ب-التنبيه إلى الخطأ بالملاطفة

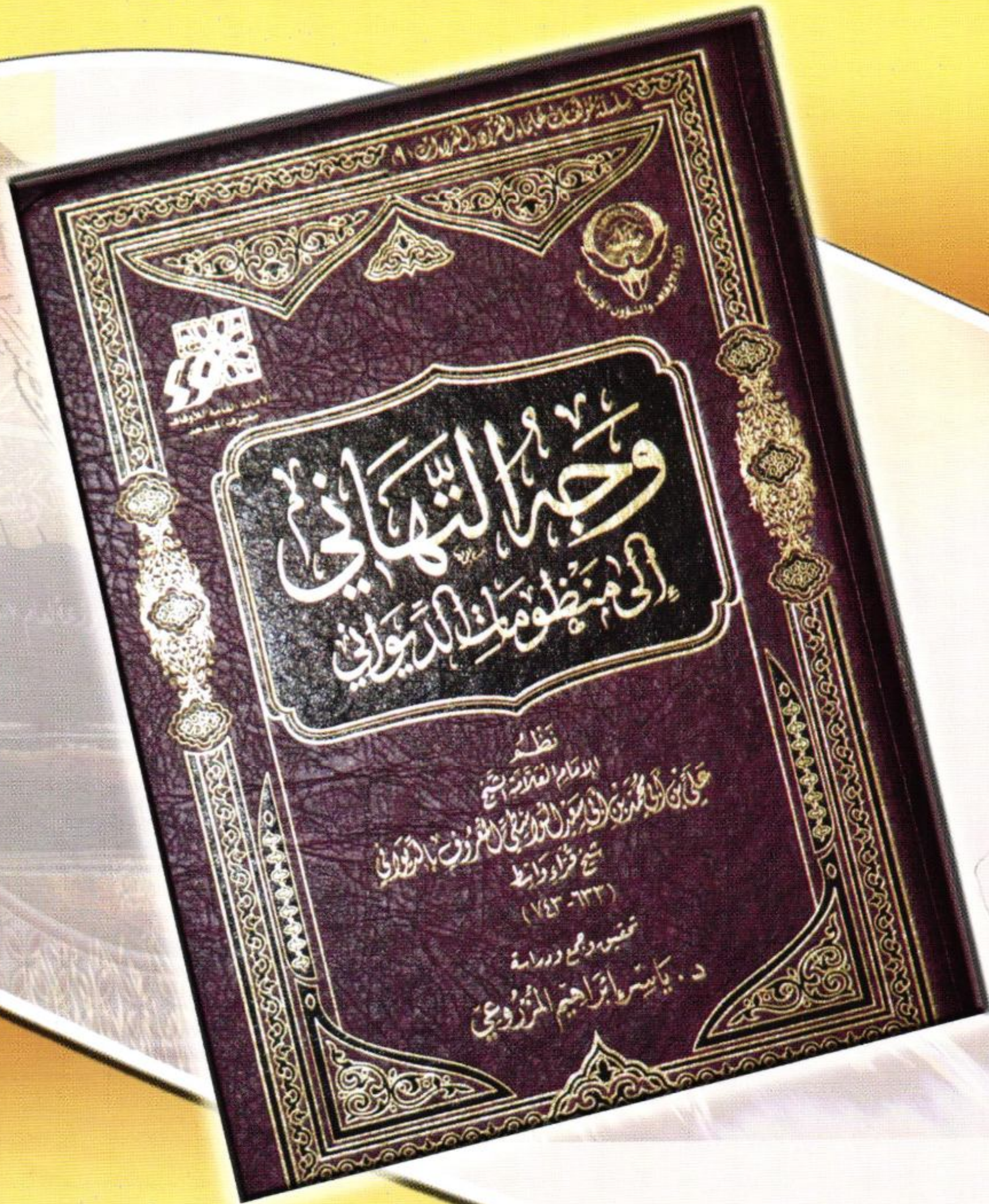
«عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال الرسول ﷺ للغلام: أتأذن أن أعطي هؤلاء؟، فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا فتله رسول الله ﷺ في يده» (رواه البخاري ومسلم)، ومعنى تله أي وضع الشراب في يده وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس. فلقد رأيت أنه ﷺ أراد أن يعلم الغلام التأدب مع الكبار في إيثار حقه في الشراب، وهذا هو أفضل أسلوب في مجال التأديب، وقد قال مستأذنا وملاطفا وموجها: (أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟).

د - الإرشاد إلى الخطأ بالهجر

وروى البخاري أن كعب بن مالك حين تخلف عن النبي ﷺ في (تبوك) قال: نهي النبي ﷺ عن كلامنا وذكر خمسين ليلة حتى أنزل الله توبتهم في القرآن الكريم. والرعيل الأول من أصحابه كانوا يعاقبون بالهجر في إصلاح الخطإ، وتقويم الاعوجاج، حتى يرجع المنحرف إلى جادة الصواب.

من إصدارات وزارة الأوقاف

قطاع المساجد - مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد



ضمن سلسلة مؤلفات علماء القرآن والقراءات كتاب (وجه التهاني إلى منظومات الديواني) ، وهي أربع منظومات في القراءات للإمام الديواني شيخ قراء واسط وهي من تراث مكتبة العلامة عبدالله خلف الدحيان الكويتي رحمه الله تعالى.

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

الديوانية الكويتية
ملتقى ثقافي ومنتدى اجتماعي

فتح الله كولن
يكتب لـ «الوعي الإسلامي»:

العشاق المتيَّمون في هذا الزمان



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

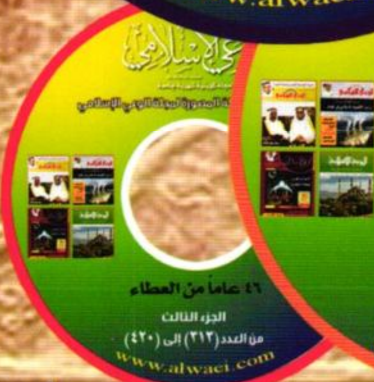
الوعي الإسلامي على C.D

بشرى سارة

قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما







info@alwaei.com - www.alwaei.com الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩

المجالس والجلساء

المجلس والديوان والنادي والمنتدى أماكن اجتماع القوم ومتحدثهم فالإنسان أكثر حاجة للاجتماع من جميع المخلوقات، لأن من المخلوقات ما يستقل بنفسه عن جنسه، والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته به صفة لازمة لطبعه، والله خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره، خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين، وجعل لنيل حاجة الإنسان أسبابا، فهو مدني بطبيعته، والدنيا لم تكن قط لجميع أهلها مسعدة، ولا عن ذويها كافة معرضة، لأن إعراضها عن جميعهم عطب، وإسعادها لكافتهم فساد، لائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساوى جميعهم لم يسلك أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً، وفي هذه المجالس تراعى المصالح من تعاهد بعضهم بعضا، ومذاكرتهم في أمور الدين ومصالح الدنيا وترويح النفوس بالمحادثة في المباح ودلهم على ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة، ولكل من هذه الآداب والمصالح وترك المفاسد شواهد من الشريعة، لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، ويسلم من التعرض للفتنة، وذلك بكف الأذى، وحتى يسلم من الاحتقار والغيبة والنميمة ونحوها، واستعمال جميع ما يشرع من الآداب الشرعية والعرفية، وترك جميع ما لا يشرع من مساوئ الأخلاق، وسد الذرائع لطلب السلامة، والتخلق بكل خلق كريم، وترك طاعة كل هماز مشاء بنميم، ومن خير المجالس المؤاخاة بالمودة، لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصاً ومصافاة، وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة، لذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه لتزيد ألفتهم ويقوى تضافرهم وتناصرهم، وقيل: الجلساء ثلاث طبقات، طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً، وإياك من صحبة ومجالسة الأشرار والثقلاء والسفهاء، فإنها تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار، فمجالسة الثقيل حُمّى الروح.

ومجالسة السفيه سفاه رأي
ومن عَقْلِ مجالسة الحكيم
فإنك والقرين معاً سواء
كما قُدَّ الأديم من الأديم

«فالمجالس بالأمانة وهي عن الخيانة مصانة»

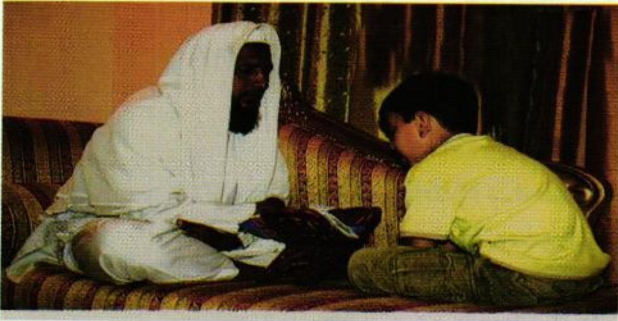
رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد













الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٨

العام السادس والأربعون

شعبان ١٤٣٠ هـ

أغسطس ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• **السودان** . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •**اليمن** - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •**لبنان** - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •**سوريا** - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •**الأردن** - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •**مملكة البحرين** - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •**الإمارات العربية المتحدة** - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •**مصر** - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •**المملكة العربية السعودية** - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •**المغرب** - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •**سلطنة عُمان** - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •**قطر** - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



المفكر التركي فتح الله كولن يجول بالقراء في الآفاق الفكرية ليقدم رؤية ثاقبة لمعالم الشخصية الإسلامية التي تمثل الإسلام بحق في ربوع الإنسانية للوصول إلى عالم السعادة الدنيوية.

داخل العدد

كلمة العدد

الإعلام.. بيد من؟

من المعلوم أن وسائل الإعلام اليوم باتت من أخطر أسلحة الرأي العام، حتى إن بعض المراقبين وصفها بأنها القوة الأولى للسيطرة على العالم.

وتعد الصحافة أقوى قنوات الاتصال الجماهيري، لما تمثله من دور استراتيجي في تشكيل الرؤى وصناعة القرار وتوجيه الرأي العام.

ولكن هذه الوسيلة تعاني هجرة العقول العربية والإسلامية الكفؤة لقيادتها، حتى تؤدي رسالتها النبيلة والرصينة في خدمة الإنسانية علميا وفكريا وثقافيا.

وهذه الوسيلة تحتاج إلى تربية النشء تربية إعلامية صحيحة، بالإضافة إلى زرع القيم والمبادئ الوطنية والإسلامية، والحرص على قيادة المجتمعات بطريقة علمية فيها حكمة وموعظة حسنة.

والأمة العربية والإسلامية في أمسّ الحاجة إلى أن تملك وسيلة قادرة على إنارة عقول الشعوب و«غسل دماغ» الرأي العام العالمي حول الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين، فلم يعد لدينا الظلامي الرجعي، المتخلف، بل أصبحنا علماء ومخترعين وشجعانا نسعى لقيادة البشرية إلى بر الأمان والاطمئنان.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

•الكويت: ٥٠٠ فلسا •السعودية: ٧ ريالات •البحرين: ٥٠٠ فلس •قطر: ٧ ريالات •الإمارات: ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن: دينار واحد •مصر: ٢ جنيه •السودان: ٥٠٠ جنيه •موريتانيا: ٢٠٠ أوقية •تونس: ٢ دينار •الجزائر: ١٠ دنانير •اليمن: ٧٠ ريالاً •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة •سورية: ٣٠ ليرة •المغرب: ١٠دراهم •ليبيا: دينار واحد •اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

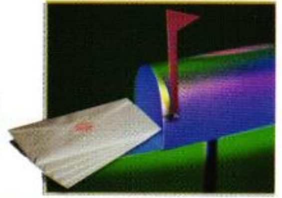
• داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيا

• الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (أو ما يعادلها).

• للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



لماذا لا يكون الإنسان متسامحًا؟

لماذا لا يكون الإنسان متسامحا مبتسما؟ علمتني الحياة أن أكون شجاعا، إذا أسأت إلى الناس أعتذر لهم عما بدر مني عن طيب خاطر، وإن أساء إلي الناس أعفو عنهم وأسامحهم، وهذا من شيم الكرام، وتعلمت من الحياة أن القناعة بالقليل تحقق لي السعادة، وتشعرني دائما بالرضا والطمأنينة.

إن الخوف من المجهول، ومفاجآت القدر، ومعارك الحياة يصيبني بالقلق واليأس، والانتصار عليه لا يكون إلا بالثقة في النفس، والإيمان الصادق والبذل والتضحية، والعيش بالأمل، ما أروع أن نعيش مع كل أمل يولد من رحم نفوسنا، وما أجمل أن نستنشق مع كل زهرة عطر الأمل، وأن ننفض غبار الكسل، وأن نصر على أن نستيقظ مع نسمات الفجر لننسج من خيوط الشمس للحياة ألف أمل، وكالحلم الجميل دائما في رقته يأتي الأمل كالنسيم، وأينما وجد الأمل أشاع في النفوس والأرواح بهجة، وفي القلوب فرحة، وفي العقول نشوة كأعذب ما غرد به طائر من ألحان الحب والأمل، لماذا لا يكون الإنسان رقيقا عطوفا، حنونا رؤوفا يصنع البسمة على الوجوه الحزينة، ويمنع الدمعة من العيون الباكية، يشارك الناس أفراحهم وأطراحهم على رصيف الحياة؟ لماذا لا يكون الإنسان عونا للملهوف، مساندا للمحتاج؟ إن كان كذلك وجد الجميع من حوله يسعدون لرؤياه، ويتمنون لقاءه، ويتسابقون من أجل أن يظفروا بمودته وصداقته، ولماذا لا يبتسم الإنسان؟ فالبسمة ومضة أمل على جبين النهار، والأمل واحة وارفة الظلال.. أشجارها مساكن لهذه الحياة، إن نبض الكون داخلنا يحملنا إلى كل غاية نبيله، ابتسم يا أخي للشر يذهب، وللدهر يصفو، وللشدائد تضحك أمامك، حاول يا أخي أن تمسح دموع الباكين، وتخفف شكوى المتاعين، وتضع البسمة على وجوه العابسين فتنال رضا رب العالمين!

■ **محمد شفيق سليمان**

المعالجة الانعكاسية



يرجع أصل المعالجة الانعكاسية الى نفس تاريخ المعالجة بالإبر الصينية، أي قبل ٥٠٠٠ سنة على الأقل.

يعتمد تقسيم الجسم الى مناطق (zones) على ما وضعه د.فترجيرالد، حيث قسم الجسم الى عشر مناطق طولية، بحيث تقع كل خمسة على أحد جانبي الجسم بتناظر على جانبي الخط الوهمي الذي يقسم الجسم طوليا الى قسمين متساويين، وهذا التقسيم ليس كخطوط الابر الصينية، بل هو مقاطع بعرض متساو وعلى عمق الجسم، وهناك نقاط في القدم تنعكس بالتأثير على أعضاء الجسم بحيث تقع النقطة أو النقاط الخاصة بعضو ما في نفس المنطقة الطولية التي يقع فيها هذا العضو.

وإذا الموءودة سئلت!

إلى أبناء صهيون. هل يجيبون عندما يسألو إذا الموءودة في فلسطين سُئلت بأي ذنب على يد هؤلاء الزبانية قتلت؟ ولم النساء رملت، والأمهات مزقت، والأجساد الطاهرة هتكت، والبيوت دكت، والمساجد خربت، والمدارس أزيلت، والحوامل أجهضت، والزروع دمرت، والجموع أسرت؟

بل ما الداعي أيها الوحوش لأن تقدموا الى ما أقدمتم عليه من مجازر بشرية باستخدام الأسلحة المحرمة دوليا؟

هل لأنكم أهل الوحشية وتاريخكم هو الحافل بكل رزية، أم لأنكم لا تؤمنون إلا بعنصر القوة وتتلاعبون بالمبادئ الإنسانية وتستهينون بكل ما يمت للعربية؟ وأحيطكم علما بأن الله سيأخذكم من حيث لا تحتسبون بالصبح أو العشية، وانظروا إلى أطفال غزة، لا قبل لكم بهم يا أبناء الصهيونية، فقد خرج الأطفال من ركام الموت يصفعونكم بالإدانة بأعمالكم المخزية، ويصرون على إزالتكم على الفورية.

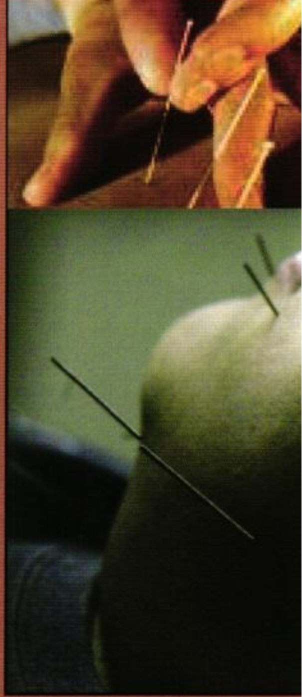
■ **ناهد السيد شعبان**

المثالية الواقعية

الواقعية تعني أن الاسلام يعمل على بلوغ الدرجات الممكنة من الحياد في التعامل مع الواقع، فلا يضع غشاءً من الفكر المسبق على عقل الإنسان وهو يدرك الواقع، ولكن المسألة ليست بهذه البساطة، لأن تجريد النظر الى الواقع من الفكر المسبق ليس كافياً لتحديد ما يمكن اعتباره واقعياً مما يمكن إدراكه من هذا الواقع، فالماديون يحاولون اختزال الادراك الواقعي للحقائق في المدركات المادية فقط، مع أن الموضوعية تقتضي اعتبار كل ما يمكن ادراكه من الحقائق الفاعلة في الواقع حقائق واقعية، فكما ان الحقائق المادية واقع فإن الحقائق الروحية ايضا واقع، وكما ان قوى الانسان وامكاناته وغرائزه واقع فإن مشاعره وطموحاته وارتقاءه واقع أيضاً، والواقعية الحقيقة هي التي تعني وضع كل هذه المدركات في الإطار التصوري للفنان.

لكن الواقعية لا تعني الوقوف عند حد الإدراك السلبي للواقع، فإن جاز هذا في الواقع الطبيعي، فإنه لا يجوز في إدراك العلاقات السائدة بين البشر، فإدراك وجود الحق أو الباطل في الواقع لا يقوم على أسس كمية، بل يستند في الضرورة الى قيم

ولقد قدمت نظريات عدة في تفسير كيفية عمل المعالجة الانعكاسية، وتم اثبات تأثيرها على الدورة الدموية والاعصاب، حيث ان الدورة الدموية الصحية مهمة جداً لأداء الوظائف بالشكل الصحيح لكل اعضاء الجسم، فالدم هو ناقل المواد الغذائية الى كل الانسجة، وهو الذي يحمل منها الفضلات لطردها، أما الجهاز العصبي، فإن ٧٠ في المائة من المشاكل سببها شد عصبي في مناطق الجسم المختلفة، والمعالجة الانعكاسية مفيدة جداً في تقليل هذا الشد، مما يجعل هذه المناطق المختلفة في حالة استرخاء وبالتالي تستطيع أن تؤدي وظائفها بشكل أفضل.



وباختصار فإن المعالجة الانعكاسية تساعد القوة الشفائية الموجودة في الجسم على العمل دون اللجوء الى الأدوية الخارجية.

د.أسماء رجب الطناني

مستقلة، تستطيع التمييز بين الحق والباطل، مهما حوصر الأول أو شاع الثاني.

كما أن إدراك الواقع لا يعني إقراره، فتلك هي الواقعية التي لا يفهمها سوى الضعفاء والانهزاميين، والتي لا تعني الواقعية بالنسبة لهم سوى الاستسلام للأمر الواقع، فالواقعية الإسلامية تعني اقتحام الواقع، والتصارع مع الباطل، وعدم الاستسلام لمعطياته، حتى لو نجح في فرض نفسه أمراً واقعاً بالفعل، ما دامت هناك الإمكانات لتغييره.

ووجود الامكانات الدائمة لتغيير الباطل من مقتضيات العقائد الإسلامية.

قارئ غيور

تعزية

تتقدم أسرة التحرير بأحر التعازي لأسرة مدير المساجد السابق في وزارة الأوقاف خالد حمد الجيران سائلين الله أن يرحمه ويعفو عنه وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

التخصص باب للإبداع الدعوي



هناك دعاة متميزون حباهم الله مواهب كثيرة وملكات متعددة، وأمثال هؤلاء يحملون من أعباء الدعوة وأعمالها أكثر من غيرهم، ولكن الخطأ يقع عندما تسند إليهم معظم المهمات وتحال عليهم أكثر الواجبات دون مراعاة لقدراتهم وطاقاتهم ونفسياتهم، ودون ملاحظة جانب التخصص والاتقان، اذ قد يكون الواحد من هؤلاء متعدد المواهب في الاتصال بالناس وتأليف قلوبهم وكسب ثقتهم والتأثير في سلوكياتهم، وهو في هذا مبدع ظاهر التميز لكنه ليس بالضرورة جيداً في ميدان الكتابة أو التخطيط أو الخطابة، فتكليفه حينئذ بشيء من ذلك وضع للأمر في غير موضعه وإسناد له لغير أهله، وفيه إرهاق قد يفتر معه حماس الداعية أو ينقطع عمله، كما أنه يلغي وجود الدعاة الآخرين من حوله فيعيشون في فراغ قاتل، وتضعف ثقتهم بأنفسهم.

إن مبدأ التخصص لابد أن يحترم في العمل الدعوي، فلا مجال للمبالغة في تقدير الموهوبين واعتبار أنهم صالحون لكل عمل وناجحون في كل مهمة، وأن الواحد منهم يمكن أن يكون المربي الناجح والسياسي المحنك والاجتماعي المحبوب والكاتب الموهوب والخطيب المفوه، وهذا مع فرض امكانية كونه موهبة، فغير ممكن من حيث الطاقة والامكانية الواقعية.

وعندما يراعى التخصص والرغبة، فإن ذلك يؤدي الى نمو القدرات والمهارات لدى الداعية في هذا الجانب، فيكون هو الذي يسد الثغرة في كل جانب من جوانب الحياة.

محمد عامر

واحدة من كبرى المؤسسات الإنسانية الناشطة في ٩٠ دولة

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.. ٢٥ عاما من العطاء

رجب الدمنهوري

نشاط الهيئة تجلى في إغاثة المنكوبين وتقديم المساعدات الإنسانية للأيتام والفقراء وإقامة المشاريع التنموية والإنتاجية والتعليمية والصحية

مع ارتفاع معدلات الفقر وتراجع عملية التنمية ووقوع العديد من الكوارث والنوازل في دول العالم الإسلامي، نشط العمل الخيري الكويتي ليكون همزة الوصل الفعالة بين المانحين والمستفيدين، متلمسا احتياجات المعوزين والمساكين والمنكوبين، وساعيا إلى العمل على تلبيتها من خلال إنشاء المشاريع الإنسانية والبرامج الاغاثية والإنتاجية التي ترعاها المؤسسات والجمعيات الخيرية المنتشرة في أنحاء البلاد.

وتعد الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي تتخذ من الكويت مقرا لها واحدة من كبريات المؤسسات العاملة في الحقل الإنساني على مستوى العالم الإسلامي، ويعود تأسيسها إلى عام ١٩٨٤م، عندما نادى العلامة د.يوسف القرضاوي في مطلع العام نفسه خلال مؤتمر للمصارف الإسلامية- كان منعقدا في الكويت- بضرورة جمع مليار دولار لاستثمارها والانفاق من عائدها لمقاومة ثالوث الخطر الذي يعاني منه المسلمون والمتمثل في الفقر والجهل والمرض، عبر مؤسسة خيرية عالمية يكون شعارها «ادفع دولارا تنقذ مسلما».

وجاء هذا النداء ردا على قيام عدد من الجمعيات التنصيرية بجمع مليون دولار في مؤتمر كلورادو الشهير للإنفاق على الأنشطة التنصيرية تحت شعار «ادفع دولارا تنصر مسلما»، وعندئذ استحسن المفكرون والعلماء المجتمعون في المؤتمر الفكرة، وأخذوا يتحركون في اتجاه إنشاء الهيئة الخيرية وجلب الدعم لها من جميع الدول العربية والإسلامية لتقوم بهذا الدور في خدمة الإسلام والمسلمين، وكان لكوكبة من رجالات الكويت بصمات واضحة في اقامة هذا الصرح، ومن بينهم العم الراحل عبدالله المطوع رحمه الله، ورئيس الهيئة الحالي يوسف الحجي، والاقتصادي المعروف العم أحمد بزيع الياسين، ورئيس جمعية النجاة الخيرية أحمد سعد الجاسر وغيرهم، حيث تبنوا هذا المشروع بهمة عالية، وعرضوا فكرته على القيادة السياسية التي رحبت بالمشروع، وكانت خير داعم له، وعندئذ صدر مرسوم أميري بنشأتها عام ١٩٨٦م.

وعلى مدى ٢٥ عاما انطلقت الهيئة الخيرية كمؤسسة عالمية في الفضاء الخيري والإنساني، تجمع التبرعات، وتقيم المشاريع، وتنفق من عائد استثمارها، على العديد من الأنشطة التي اضطلعت بها في نحو ٩٠ دولة، وتجلت جهودها في إغاثة المنكوبين من جراء الكوارث، وتقديم المساعدات الإنسانية للأيتام والفقراء، وإقامة المشاريع التنموية والانتاجية في المجتمعات الفقيرة، وإنشاء المدارس النموذجية العصرية والجامعات وكفالة معلميها وأساتذتها، وإقامة المستشفيات والمراكز الصحية وتسيير القوافل الطبية في المناطق الفقيرة وتقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية وحفر الآبار وبناء المراكز الإسلامية ودعم الأقليات المسلمة وتنظيم مشاريع موسمية مثل إفطار الصائم ومشروع الأضاحي وكسوة العيد وحقيبة المدارس.

لجان متخصصة

وفي سياق عملها المؤسسي وسعيا إلى تنفيذ هذه الأنشطة بمستوى عال من المهنية تبنت الهيئة فلسفة التخصص في العمل الخيري سواء على المستوى المحلي أو العالمي فأسست لهذا الغرض لجانا



عدة، واحدة تختص بالعمل في منطقة جغرافية محددة وأخرى في مجال معين، وثالثة تكرس جهدها في رعاية شريحة بذاتها، وتسهم هذه اللجان في تقديم نموذج متكامل للعمل الخيري الإسلامي بهدف دعم جميع شرائح المجتمع، وقد نجحت في اقامة عشرات الآلاف من المشاريع الخيرية.

لجنة مسلمي آسيا

تعتبر لجنة مسلمي آسيا التي أسست في ١٩٨٩م من أكبر لجان الهيئة حيث تقدم خدماتها إلى ما يزيد على ٨٢٥ مليون نسمة في القارة الآسيوية أي ما يقارب ثلاثة أرباع تعداد المسلمين في العالم، وتهدف إقامة المشروعات الإنسانية والتعليمية والاجتماعية في القارة الآسيوية لخدمة الطبقات الفقيرة والتنسيق والتعاون مع الجهات العاملة في اختصاصات

اللجنة نفسها في سبيل تحقيق الأهداف الإنسانية التي تسعى إليها الهيئة، وقد نجحت اللجنة في تقديم مساعدات مادية ومعنوية لأكثر من ٤٠ قومية يتحدثون ٤٥ لغة من الجمهوريات الإسلامية في مجالات بناء مساجد جديدة وترميم القديم منها وإقامة المدارس، خاصة تلك التي تهتم بالتعليم الإسلامي وتكثيف النشاط الثقافي في التلفزيون والإذاعة.

لجنة فلسطين

أسست لجنة فلسطين عام ١٩٨٨م بهدف إغاثة الشعب الفلسطيني المتضرر من الاحتلال وتعزيز روح التضامن الإسلامي للشعب الفلسطيني في معاناته المعيشية وتنفيذ المشاريع الإنتاجية وبرامج التنمية الاجتماعية والصحية وتقديم العون الأكاديمي والمادي لطلبة العلم والاهتمام بالتراث والمقدسات الإسلامية والمعالم التاريخية لأرض القدس الشريف، وحرصت اللجنة على دعم الجانب التعليمي من خلال إنشاء صندوق الطالب الفلسطيني لمساعدة الطلبة المحتاجين والأيتام، وكذلك كفالة طلاب في مراحل التعليم الجامعي والماجستير والدكتوراه.

اللجنة النسائية

أسست اللجنة النسائية عام ١٩٩٨م بهدف زيادة الوعي بالعمل الخيري التطوعي لدى شريحة النساء ودعوتهن الى المشاركة في الأنشطة الخيرية وإعداد فريق نسائي قيادي من السيدات النشيطات في مجال العمل الخيري والبرامج التطوعية وجمع التبرعات للهيئة الخيرية وإنشاء خدمات خيرية متخصصة من خلال إعداد برامج تدعم مشاركة النساء والفتيات والشباب والأسرة في مجال العمل الخيري.

القرضاوي دعا إلى تأسيس الهيئة عام ١٩٨٤ لمواجهة الفقر والجهل والمرض في العالم الإسلامي



لجنة الشروق

تسعى لجنة شروق للعناية بالشباب وتهيئة الفرص لهم للنمو الروحي والفكري والاجتماعي ليكونوا أعضاء صالحين في مجتمعاتهم ومثلا عليا للآخرين، وتقوم اللجنة بأنشطة متنوعة لتوفير الجو المناسب للشباب لكي يشبوا أفرادا صالحين نابغين يتمتعون بروح المسؤولية والإقدام ويكونوا قادرين على مواجهة تحديات العصر، ومن أهدافها تدعيم التوجهات الصحيحة والعادات الحسنة في شخصية الشباب بنشر الثقافة الدينية وتقديم النماذج السلوكية الصحيحة.

ساعد أخاك المسلم

تسعى لجنة «ساعد أخاك المسلم في كل مكان» ذات النشاط الثقافي والتعليمي التي أسست في عام ١٩٨٣م الى تركيز عملها داخل الكويت، ومن خلالها تسهم مجموعة من السيدات الناشطات في دعم أنشطة الهيئة، ومن مشاريع اللجنة انشاء مدرسة تحفيظ القرآن الكريم ومشروع كفالة طالب العلم في الكويت وخارجها والدورات العلمية والتربوية (النهج التربوي في ظل الإسلام) ودورات تربوية اجتماعية ثقافية ودورة الأم والطفل ومشاريع اليوم العائلي والنادي الصيفي والإعداد التربوي للشابات والتعاون مع جمعيات النفع العام، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات على مدار العام وإنشاء مدرسة الرؤية ثنائية اللغة.

العمل الخيري المشترك

تحتضن الهيئة اللجنة الكويتية المشتركة التي أسست في أواخر الثمانينيات على اثر الفيضانات العارمة التي ضربت بنجلاديش، في تلك الحقبة وراح ضحيتها آلاف الموتى وأسفرت عن تشريد أكثر من ٣٠ مليون مسلم، وتدمير محاصيلهم الزراعية ومئات الآلاف من المساكن، وانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات.

وتجسد اللجنة نموذجًا متميزًا للعمل الخيري الإسلامي ومظلة تنسيقية للعمل المشترك؛ حيث لا تتوانى عن نداء الأخوة الإسلامية والواجب الإنساني.

معًا لا يعود السائل إلى السؤال

ترفع الهيئة ضمن برامجها ومشاريعها الخيرية شعار «معًا لا يعود السائل إلى السؤال»، وقد نجحت في تحويل هذا الشعار إلى مشاريع إنتاجية في اطار سياسة التمكين التي تنتهجها، وهي مشاريع ذات طابع تدريبي وتأهيلي، يعود بالفائدة على الفقير والمحتاج، ويحول السائل إلى عنصر منتج وفعّال في مجتمعه ووطنه من خلال تعليمه حرفة أو تدريبه على مهنة أو تمليكه مشروعًا إنتاجيًا صغيرًا زراعيًا أو حيوانيًا أو مهنيًا.

ابن مدرسة تحي أمة

التعليم يعد في فكر واستراتيجية الهيئة أحد الروافد المهمة في تنمية المجتمعات الفقيرة عبر القضاء على الأمية ومكافحة الجهل والتخلف والحفاظ على هوية الأمة الإسلامية، لذا أولت الهيئة القضية التعليمية اهتماما خاصا بدعمها إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الثقافية الاجتماعية لما تقوم به هذه المؤسسات من دور مهم في محاربة الفقر وتهيئة الفرص لأبناء تلك المجتمعات للمشاركة الفعالة في تحسين أوضاع مجتمعاتهم.

برنامج التعاون مع الإيسيسكو

برز نشاط الهيئة واضحا على **الصعيد الإقليمي من خلال تفعيل بروتوكول التعاون مع منظمة الايسيسكو عبر اقامة الندوات والبرامج والمشاريع الإنمائية في تونس والمغرب وايران، وتنظيم لقاءات مع رؤساء المراكز الإسلامية في آسيا، وإقامة ورش عمل في السودان لإعداد مناهج المدارس القرآنية، وعقد ندوة عن دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام ومعالجة ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وإقامة دورات تدريبية للأئمة والخطباء والمعلمين لتنويرهم بطبيعة التحديات وكيفية** مواجهتها.

المشرف العام على مجلة «حراء» التركية د. نوزاد صواش في حوار خاص:

الإنسانية في أمسّ الحاجة إلى الإسلام.. والإسلام في أمسّ الحاجة إلى من يمثلونه بحق

قلبنا ينبض من أجل الرسالة التي انطلقت من «حراء» وانتشرت في العالم



الإنسان اليوم يعاني من فراغ في القلب والعقل والسلوك

حوار: سليمان الرومي وعبادة نوح

مجلة «حراء» التركية الناطقة باللغة العربية بادرة طيبة للعمل في خدمة الثقافة والفكر والحضارة والإنسانية بلغة وسطية عنوانها الإسلام. فمن ضفاف البسفور تفتحت زهرة في برعمها، زهرة يريد القائمون على سقيها ورعايتها أن يصل عبيرها إلى دمشق والقاهرة والرباط والقدس والمدينة ومكة المكرمة.

ولعل حرصها على أن تكون ملتقى للتواصل والتقارب، وجسراً للمحبة والتعارف والتفاهم لتستوحي المعاني في رسم الطريق المستقيم، يفرض علينا حسن الاستقبال والتفاعل، ففي «حراء» تلتقي الجوهرية العظيمة للانسان مع عمق أعماق الحياة ولباب الإسلام.. «الوعي الإسلامي» زارت «حراء» في اسطنبول مدينة القباب والمآذن التي يفوح منها عطر التاريخ للتعرف على هذه التجربة الفريدة، والتقت المشرف العام على المجلة ورئيس التحرير د. نوزاد صواش لتقدم صورة عن قرب للقارئ.. فإليكم نص الحوار.

■ **في البداية نرحب بالأستاذ نوزاد صواش رئيس تحرير -أو المشرف العام على- مجلة «حراء»، ونود أن تقدموا أنفسكم كمجلة «حراء» للجمهور العربي والإسلامي.**

- مجلة «حراء» هي أول مجلة تركية تصدر باللغة العربية، وكما ترون ف «حراء» هي قلب العالم العربي وقلب العالم الإسلامي، فمعناها ورسالتها متضمنان في اسمها، نحن قلبنا ينبض في «حراء»، وينبض من أجل الرسالة التي انطلقت من «حراء» وانتشرت في كل أنحاء العالم نورا.

ومجلة «حراء» ثقافية علمية شاملة، فيها دراسات إسلامية وبحوث علمية وقضايا فنية وأدب وكل ما يهم الإنسان، فهي مجلة فكرية وليست سياسية، لكنها تنظر الى كل هذه القضايا من منظور إيماني، وتركز على الفكر الوسطي والاعتدال وتتحدث باللغة العربية، لأن الوحي السماوي نزل على «حراء» باللغة العربية، وانطلق الى كل الارجاء باللغة العربية، فنحن نحاول أن يكون كل ما ننشره موافقا للروح التي انبثقت من غار «حراء» الى كل العالم.

■ **ما أهداف المجلة؟**

- عندما تنظر الى مجلة «حراء» تجد أنها تحولت الى منتدى، فيه مفكرون وعلماء من تركيا وأوروبا وأوراسيا، ومن الشرق الأقصى من المغرب ومن الجزائر والأردن ومن سورية ومن مصر ومن كل العالم العربي، فنحن نؤمن أن هذه المنتديات ينبغي أن تقول للإنسان هذا هو الإسلام الجميل.

فـ «حراء» قربت المثقف التركي إلى العالم العربي لاسيما أن القطيعة كانت موجودة ومصطنعة ما بين العالمين التركي والعربي، فينبغي ان نزيل هذه الصورة.

إن أحد أهداف «حراء» مد الجسور وإنشاء ساحة يلتقي فيها علماء ومفكرو الأمة الذين يحملون همَّ المسلمين، ويؤمنون أن المستقبل يقوم على البناء والانشاء والعمل الايجابي، وأن هذا هو الطريق الصحيح.

■ **ما رؤيتكم؟**

- بشكل عام نتناول القضايا التي تتعلق بالانسان، لكن نتناولها بصورة متكاملة، تأخذ في الحسبان شعور القارئ، فعندما يقرأ مادة عندنا يتغذى عقله وقلبه في الوقت نفسه، ونحاول عند تناول القضايا المتعلقة بالعلوم أو الأدب أو الدراسات الإسلامية أن نقدم فيها نصيب القلب ونصيب


رئيس التحرير يكرم د. نوزاد


وفد المجلة في ضيافة رئيس جامعة الفاتح

البشرية تحتاج إلى رؤية الإسلام لتعيش ربيعاً جديداً
الإعلام العربي مطالب باحترام الآخر والتركيز على المضمون العلمي وتقديم الطرح العقلاني والثقة بالقيم التي ينتمي إليها

العقل، ومن خلال هذه المقالات التي تنشر يمكن أن نقترب من الخطاب الذي يجمع بين العقلانية والروحانية، ما بين العقلي والقلبي، ما بين الفكري والواقعي، وكل ما يقدم مبادرات وإضافات جديدة.

وأول مبادرة ربما هي هذه اللقاءات والجسور التي بدأت تمتد بين المفكر العربي والمفكر التركي.. هذا التقارب الذي بدأ يزيل السلبيات التي كانت مغروسة في الأذهان.

■ **من الواضح أن هناك كثيراً من الردود الإيجابية في الشارع العربي الإسلامي تجاه «حراء».. كيف ترون هذه الردود؟**

- «حراء» عندما ولدت لم تكن المبادرة منها مباشرة، فهي ولدت ولادة طبيعية، فسياسة «حراء» تواصل فكري وعلمي بيننا وبين العالم العربي، خاصة علماء مصر والمغرب، فهم قالوا: لماذا لا تصدرون مجلة باللغة العربية تكون ملتقى للفكر الوسطي المعتدل، الأمر الذي دفعنا للبدء فعلاً، وكانت مشاركة كبيرة جداً من المشرق العربي وعلى رأسه مصر والمغرب، ثم بدأنا نعقد ندوات تعريفية في العواصم العربية، وقد رأينا ان هناك شوقاً كبيراً الى النفس والروح الآتية من تركيا، هذه النفس عندما توافق أنفاس العالم العربي يكون هناك التقاء طبيعي، فوجدنا ترحيباً كبيراً جداً يفوق الخيال، هذا إذن يدل على أن الأمة بكل شعوبها تعلمت بعض الأشياء من تجربتها المريرة أوصلتها الى مستوى الوعي.

لذلك «حراء» عندما صدرت متناسبة مع ما يفكر فيه الشارع العربي والمفكر العربي وجدت إقبالاً كبيراً، وهذا ما تؤكده المبيعات خلال السنوات القليلة، فرغم المتاعب التي يعانيها التوزيع في العالم العربي فإن المبيعات تجاوزت ٣٠ ألف نسخة.

ونحن الآن في السنة الرابعة ومع ذلك وجدنا إقبالا في المعارض التي تشارك فيها «حراء»، وبالفعل نجحنا في إيجاد اللغة المناسبة للتفاهم، لأن الناس عاشوا فترة إحباط.

■ **ما الشريحة المخاطبة من «المجلة»؟**

- المثقف المتوسط، ومع أن أغلبية من يكتب في «حراء» أكاديميون، فإنهم يكتبون بأسلوب يتناسب مع المثقف المتوسط، لكن أحيانا نستهدف شريحة فنجد أن شريحة أخرى استفادت.

■ **ينسب البعض كل ما هو إسلامي آت من تركيا الى التصوف، كيف ترون هذا الأمر؟**

- المجلة موجودة بين الأيدي، فالإسلام فيه كل شيء وعندما تنظر الى العهد الأول تجد فيه تشريعا وروحا، وهذا ما تمثله «حراء»، وغار «حراء» ورمزيات «حراء» موجودة في المجلة، نحن مثلا عندما يكتب الأكاديمي نطلب منه أن يكون المضمون أكاديميا محققا علمياً، لكن يقدم في ثوب روحاني من حيث الصياغة الأدبية، وتجد فيها تحقيق العلماء وحرارة العاشقين، هذا ما نطلبه، كل عدد فيه ثلاثة أو أربعة مقالات تكون من المفكرين الاتراك، ولا تجد فيها بحوثا صوفية بالمعنى الشائع، لكن «حراء» عندما تقرأها تجد فيها العلم المحقق والابعاد الروحية.

■ **عندكم تجربة كبيرة اعلاميا في تركيا، كيف تقيّمون هذه التجربة؟ وهل استفدتم منها في مجلة «حراء»؟**

- «حراء» هي ثمرة من شجرة طيبة لها تجربتها المحلية ولها تجربتها العالمية، لذلك اي شيء يصاغ في «حراء» تجد فيه هذه التجربة العالمية.

ولذلك نحن نحرص على ان يكون هناك انسجام في كل ما ينشر في «حراء» من

الموضوعات، فلا تجد تضاربا بين موضوعات العدد الواحد، ولا تجد تضاربا بين العدد الأول والعدد الأخير، فالخطاب ناضج لأن الشجرة التي أنبتت ثمرات كثيرة في تركيا، ومنها «حراء» لن تجد فيها عدم النضوج الفكري.

■ ما القيم التي تحكم عمل المجلة؟

- نحن نؤمن أن الكاتب أو المحرر أو المصمم لابد للفكرة التي تجول في ذهنه والروح التي تجول في داخله أن تسري الى المجلة مباشرة، فالمحرر أو الكاتب عندما لا يكتب بحرارة ايمانية لا يتأثر القارئ به، فمثلاً مصمم مجلتنا لا يجيد اللغة العربية ولكن عندما يصمم يصمم بروحه، وهذا ما لمسنا أثره مع الكثير من القراء، لأنه يضع روحه في هذا العمل ويبتغي مرضاة الله.

فنحن هنا نتحدث عن «حراء» عن روح «حراء»، عن روح الإسلام، روح القرآن، فإن لم يكن هناك اخلاص فلن يكون هناك صدق ولن يكون هناك تفان، لأن الاخلاص في العمل هو الاساس لذلك فالاقبال الذي تجده «حراء» أحمله على هذا الجانب.

■ كيف ترى التجربة الإعلامية في العالم العربي؟

- العالم الإسلامي منذ مائة عام يعيش تقلبات كثيرة ويمر بتجارب مختلفة، ويستفيد من هذه التجارب، وعندنا أمل كبير في العالم العربي والعالم الإسلامي لأننا نرى أن اليوم أفضل من أمس.

فالمجلات والشرائط لابد أن تراجع نفسها وتصحح نهجها لأن الزمن يعلمنا أن العقلاء في العالم الإسلامي بدأوا يظهرون بقوة أكثر، لذلك نحن نستبشر بالإعلام العربي خاصة إذا قام على احترام الآخر وقدم طرحا عقلانيا وركز على المضامين العلمية المعقولة والمركزة، وانفتح على العالم كله ليتحاور مع الثقافات والشعوب، ويثق بنفسه وبالقيم التي ينتمي إليها ويمد الجسور مع الآخر.

■ ما الحل الجوهري لمعالجة القضايا التي تعاني منها الأمة اليوم؟

- مشكلة الأمة اليوم مشكلة هوية، فنحن أنشأنا حضارة عظيمة في التاريخ نتحرى آثارها اليوم وهذه الحضارة لم تنشأ من فراغ فالإسلام كوّن إنسانا صنع هذه الحضارة، لذا عندما فقدنا هذا الانسان وصلنا لهذه الحالة.

فهذا الانسان وجد في المدرسة ووجد في المعسكر ووجد في السوق ووجد في كل مكان، عندما وجد هذا الانسان في كل مكان قامت الحضارة، لذا فمشكلتنا أننا فقدنا هذا الانسان، لأن الانسان اليوم ناقص في القلب أو العقل أو السلوك، فإذا استطعنا تخريج الانسان الكامل الشامل الذي يجمع بين العقل والسلوك في الوقت نفسه تغير حال الأمة، وهناك كلمة للأستاذ فتح الله كولن تلخص الوضع، حيث يقول: الإنسانية اليوم في أمس الحاجة الى الإسلام، والإسلام في أمس الحاجة الى من يمثلونه بحق.

فالآذان شبعت والعيون جائعة أن ترى الإسلام على أرض الواقع، خاصة أن الرسول ﷺ كان يبلغ بسلوكه وأفعاله أكثر من تبليغه بأقواله وكلامه ﷺ وفي كل خير.

■ من وراء مجلة «حراء»؟ هل هي مجلة حكومية أم مجلة قطاع خاص؟

- «حراء» مجلة قطاع خاص، وطبيعة تركيا، أنه لا توجد جرائد حكومية إلا قليلا والقطاع الخاص هو الذي يصدر المجلات وهناك حرية اعلامية واسعة، ونحن ضمن مجموعة «قاينق» للنشر الثقافي، وهي من مجموعات النشر القوية والكبيرة في تركيا وتضم عشرين دار نشر وثماني مجلات مختلفة.



وفد المجلة يتوسطه نائب رئيس تحرير جريدة زمان



العلي والرومي مع د. نوزاد

■ من هو نوزاد صواش؟

- خريج كلية الإلهيات في جامعة مرمرة.
- ماجستير في الفقه الإسلامي من جامعة مرمرة.
- دكتوراه في الأدب العربي من جامعة مرمرة.
- رئيس القسم العربي في أكاديمية العلوم والمشرف العام على «حراء».

حول المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي

د. صلاح عبد المتعال

تمكنت فضيلة التطوع لأعمال البر والخيرات أن تنتشر فى ربوع المجتمع الإسلامى منذ فجر تأسيسه وذلك فى كل نواحى الحياة، ثم تجسّدت بعد ذلك فى نظام الوقف الذي كان الركيزة الأساسية والانجاز المبهر في الثقافة والحضارة الإسلامية، حيث حمل العبء الأكبر لتنمية المجتمع في بنيته وهيكله ووظائفه بالقياس إلى الدور والعبء الذي لعبته الدولة، وكان ذلك على سبيل المثال فى مجالات الصحة والتعليم وإعاشة الفقراء والمساكين وكبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة واستضافة عابر السبيل في «المسافرخانات» حتى رصدت بعض الأوقاف لإطعام الطيور ورعاية الحيوانات الضالة وغير ذلك من الإنفاق على أبواب متنوعة للخير. وعلى ذلك فقد كان دور الدولة محدودا إذا قورن بمجهودات اعمال وأفعال البر والخير التي يقوم بها الأفراد والجماعات والهيئات الأهلية، خاصة عندما اتخذت الأوقاف أشكالا تنظيمية في المجتمعات الإسلامية كافة على مدى العصور حتى في فترات الانحدار الحضاري والضعف السياسي للدولة.

لقد كان العمل الاجتماعي التطوعي أسلوب حياة في المجتمع الإسلامي، والذي عبر الحدود الى أوروبا منذ عصر نهضتها، ثم تنامت أبعاده في الغرب بدون حدود فحقق التقدم في مجالي الرعاية الصحية والتعليم من خلال نظام الوقف أو الحبوس أي حبس الأملاك لإنفاق عائدها على أعمال البر والخيرات، وكان ذلك أحد العوامل الأساسية لتقدم العالم الغربى في الحياة فضلا عن تقدمه في العلم والتكنولوجيا.

لقد تقدم الغربيون في ذلك وطوروا المناهج والأساليب في الوقت الذي عانى فيه العالم الإسلامي من تحلل مكوناته والتفريط في مبررات دعوته الى الإسلام فأصبح فى ذيل المدنية الحديثة بسبب وطأة الوهن السياسي والاقتصادي والاجتماعي وقابليته للاستعمار ووقوعه ضحية له، وتبعيته في العصر الراهن للنظام العالمي الجديد وانجذابه إلى منظومة العولمة.

ولقد أصبحت تنظيمات الأوقاف في بعض الدول ذات أدوار وتأثيرات محدودة للغاية، رغم كثرتها العددية وذلك لمواجهتها العديد من العقبات والصعوبات في إجراءات تأسيسها لأسباب بيروقراطية وسياسية.

وقد واجهت المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي منذ عصور عدة الكثير من العقبات المحلية والضغوط الخارجية ذات العلاقة بالأزمات الساخنة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م وأزمات العراق وأفغانستان من قبل، مما أدى الى إبطاء مسار تقدمها.

ومن المعلوم جيدا أن الأنظمة الأوتوقراطية التسلطية ونظم الإنتاج التابعة لها هي من الأسباب الرئيسية في إعاقة العمل الاجتماعي في العالم الإسلامي المعاصر، حيث يمكن للنظام التسلطي أن يراوغ ويناور لتهميش المجتمع المدني والعمل الاجتماعي بإصدار تشريعات وقوانين تحد من أنشطته وتزيد من قيوده التي تحد من حركته خشية اختلاط العمل الاجتماعي بالسياسي، مستخدما قوانين قيد الحريات كقانون الطوارئ، مما يبيح له حل"أي منظمة أهلية أو مدنية بدعوى الحفاظ على الصالح العام وضمان السلام الاجتماعي.

إن هذا الوضع المأساوي يعطل قدرات المجتمعات الإسلامية من المضي قدما نحو التنمية المستدامة والتقدم وذلك بسبب منع الأنظمة التسلطية لمواطنيها ومؤسساتها الأهلية من المشاركة في التغيير الاجتماعي المنشود، فحق صنع القرار يتفرد به الحاكم دون المواطنين، على عكس تمتعهم في الأنظمة الديمقراطية بالمشاركة الحقيقية لا المزعومة في صنع القرار والأنشطة السياسية الفاعلة، حيث إن هذا كله هو حجر الزاوية في التنمية الديمقراطية، ومن ثم فإن فاعلية العمل الاجتماعي الأهلي وانتعاش مؤسساته غير الحكومية يشترط توافر مناخ الحرية والعدالة الاجتماعية والاقتصادية.

إن الإيمان الديني ودوافعه هو عماد تأسيس المجتمعات الإسلامية منذ فجر التاريخ الإسلامي، ورغم الوهن الحضاري الذي أصاب كيان الأمة الإسلامية لقرون عدة فإن الصحوة الإسلامية قد بدأت تعلي من قدرها، خاصة بعد نيل الاستقلال من بين أنياب الاستعمار الغربي، وتأسيس مئات بل آلاف من المنظمات الأهلية مما ادى إلى تعزيز عملية التحرر والاستقلال، واستنهاض روح الهوية الإسلامية وتدعيم المبادرات الجادة فى المشاركة الأهلية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وتتميز المنظمات الطوعية الإسلامية بكفاءتها القائمة على قيمة الإخلاص وكذلك بقدرتها على التمويل اعتمادا على أموال الزكاة والهبات والتبرعات وعلى اجتذاب المتطوعين للعمل الاجتماعي وفعل الخيرات. إن أغلب هذه المنظمات تتميز ايضا بحسن الإدارة، واستقطاب الفئات المتعلمة والمتخصصين وأبناء الفئة العليا من الطبقة المتوسطة. وتمثل مثل هذه المؤسسات الأهلية الإسلامية القنوات السالكة التي تصل خدماتها الى فئات عريضة من السكان. وتتضح دلالة الزيادة لهذه الخدمات في الأقطار التي تتضاءل فيها الخدمات الحكومية أو تقل فيها كفاءتها.

وقد تلعب مثل هذه المنظمات دورا له تأثيره في تدعيم الصحوة الإسلامية.

قراءة في فصول المشهد الثقافي الجزائري

د. أحمد عيساوي

تميزت الحركة الوطنية الجزائرية غداة سنين الاحتلال الفرنسي الأولى ١٢٤٥هـ ١٨٣٠م، ببروز نخبة جزائرية أصيلة ومثقفة وواعية، تفكر وتعبر باللغتين العربية والفرنسية أمثال: حمدان خوجة، وأحمد بوضربة، ومحمد الكبابطي، ومحمد بن العنابي، وقد تمحورت جل قراءاتها ونشاطاتها حول هدف رئيس، تمثل في محاولة اقناع الساسة والقادة الفرنسيين بضرورة منح الجزائريين حكم انفسهم بأنفسهم، بعد ان حررتهم من سلطة وهيمنة الانكشارية التركية كما كانت تدعي.

وقد استطاعت هذه النخبة المثقفة -رغم محيطها وظروف القهر الاستعمارية القاسية، وعدم إدراكها لأبعاد السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية الى الاستيطان الأدبي في الجزائر- ان تحافظ على التواجد الثقافي والادبي والديني واللغوي العربي الإسلامي المحتشم في الجزائر، ضامنة له الجرعة الكافية لبعث الحياة في الخارطة الثقافية والفكرية الجزائرية متى توفرت أسبابها ودوافعها القادمة.

وفي الوقت الذي عملت فيه هذه النخبة الأصيلة على الاتصال بالفرنسيين بهدف منح الجزائريين حكم أنفسهم، نجدها قد تحركت باتجاه آخر لتقدم ما في وسعها لإبقاء المشهد الثقافي والفكري العربي الإسلامي قائما في الجزائر، عبر تحركها الحثيث نحو الطبقات الشعبية، حاثة إياها على مواصلة تعليم أبنائها الدين واللغة، وعلى ضرورة تمسكها بأرضهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم وآدابهم وأعيادهم، وعلى ضرورة الحفاظ على تمايزهم الفكري والأدبي واللغوي والثقافي الذي يميزهم ويحفظهم من الذوبان في ثقافة المحتلين.

وقد سعت النخبة المثقفة يومها بكل ما أوتيت من طاقة واقعية وعملية لتحقيق المطلبين معا، ومحاولة تجسيدهما في واقع القضاء الثقافي الجزائري بسائر مشاهده الأصيلة والدخيلة، ولكن سرعان ما تبين لهم نية الفرنسيين في البقاء الأبدي في الجزائر، وجعلها مستعمرة فرنسية إلى الأبد، الأمر الذي جعلهم يتواضعون في مطالبهم ويتنازلون عن هدفهم الرئيس مقتصرين على مطلبهم الثقافي الثاني، المتمثل أساسا في الحفاظ على المقومات الفكرية والثقافية والدينية للشعب الجزائري تحت سلطة الفرنسيين.

ومع واقعيتهم ومنطقيتهم في تقدير قدراتهم وامكاناتهم المحدودة من جهة، وفي تقدير نية وهدف وقوة الفرنسيين من جهة ثانية، فإنهم قد عملوا ما في وسعهم لبقاء الأجيال الجزائرية اللاحقة موصولة الشعور والوجدان بينبوع الثقافة العربية الإسلامية، وبدا ذلك واضحا في حصون الممانعة العربية الإسلامية في الجزائر البشرية والمؤسساتية التي حاولوا تحصينها ومدها بالمنشطات الحيوية لتضمن استمرارية الوجود العربي والإسلامي حيا في أبنائها لحين تواتي الفرصة المناسبة للاستقلال.

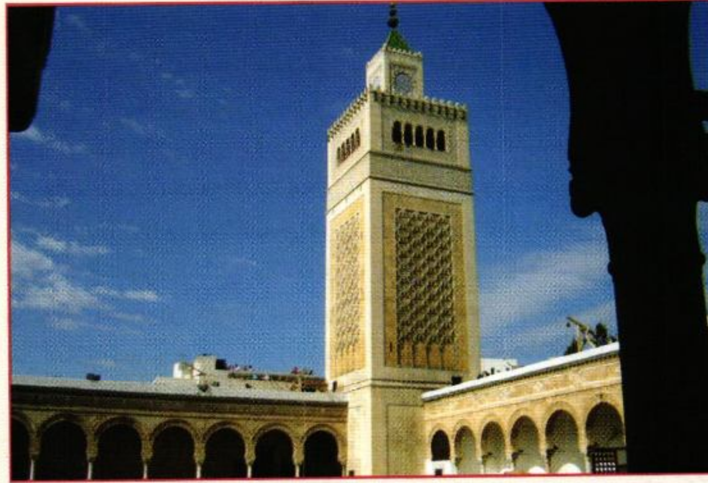
> **النخبة المثقفة ساهمت في بقاء المشهد الثقافي والفكري العربي والإسلامي قائماً من خلال مواصلة التعليم والحفاظ على التراث الأدبي واللغوي**

تسليم الرسالة للوارثين

وظلت تلك النخب تعمل وتحاول إحياء قيم الشعب الجزائري العربية والإسلامية، متحدية كل الظروف القاسية التي أحاطتهم بها القوانين والسلطة الاستعمارية الجائرة، وفي الوقت الذي ظن الفرنسيون فيه بداية الأفول الحضاري العربي الإسلامي من الجزائر سنة ١٩٠٣م تحت سلسلة الضربات الاستعمارية القوية العسكرية والسياسية والقانونية والإدارية والثقافية والدينية واللغوية، تحركت كوكبة من العلماء والفقهاء والشيوخ وطلبة العلم في أحد المساجد الخمسة المتبقية في الجزائر العاصمة، وليجلسوا متحلقين ومعجبين إلى جوار حلقة علمية صغيرة للشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م) القادم لزيارة الجزائر ونشر الدعوة والوعي الإسلامي فيها، وبث دعوته الإصلاحية والتربوية الاجتماعية البعيدة عن العمل السياسي - يستمعون الى تفسيره العصري لسورة العصر ولجزء عم، وعلى رأسهم الشيخ المصلح عبدالحليم بن سماية (ت ١٩٣٣م) ومصطفى بن الخوجة (ت ١٩٣٢م) وغيرهم.. وليقدم لهم تجربة مدرسة المنار في تجاوز الحاجز الاستعماري والنفوذ الى روح الشعوب ومدها بالقيم الدينية والتوعوية الصالحة، وبعد ثمانين عاماً من الاستذلال ومحاربة الإسلام والعربية في الجزائر ١٨٣٠ - ١٩٠٣م بدأ بعث الروح الفاعلة في تعاليم الدين الإسلامي التي جمدتها ضربات الاستعمار الفرنسي، وكذلك تجديد الأمل في المشهد الثقافي العربي

الإسلامي في الجزائر.

وقد سعت هذه النخبة المثقفة التي تباينت مشاربها واتجاهاتها وأدواتها الثقافية لتعيد بارقة الأمل الى الينبوع الثقافي الجاف الذي يربط الجزائر بالعمق العربي الإسلامي بعد ان أعفت عليه سنون القهر والقمع الاستكباري، وما عاد أحد يستطيع القول ببقاء أية علاقة بين الشعب الجزائري وقيمه العربية الإسلامية، واستيقن غلاة الاستعمار أن الجزائر العربية الإسلامية قد انمحت ولم يبق لها وجود، وغدت كأنها أندلس ثانية، وها هي جزائر فرنسية أمامهم، ولعل وصف الزعيم المصري الأستاذ محمد فريد وجدي الذي زار الجزائر سنة ١٩٠١م، ووصف لنا حال أهلها المستضعفين، وحالة التربية والتعليم ومؤسساتهما التعليمية والثقافية خير وصف، وأرخ لها خير تأريخ، إذ يقول في مقال كتبه عن التعليم والمدارس في الجزائر في جريدة اللواء المصرية عدد ٦١٢ المنشور يوم ١٠٩١/٠١/٣١م: «.. فالتعليم الديني لا وجود له تقريبا، ولولا من يتكبد مشقة طلب العلم من جامعنا الأزهر لأصبح نسيا منسيا، أما ما أتفق على تسميته بالتعليم العصري فلا وجود له بالنسبة للمسلمين بالمرة، نعم يوجد بالقطر الجزائري مئات من المدارس الابتدائية الفرنساوية على طراز مدارس فرنسا لكنها كلها مخصصة لأولاد الفرنساويين، ولا تفيد من يدخلها من العرب لعدم تعليم اللغة العربية بها، وباختصار فحالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنساوية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس اللغة العربية بالمرة، فلا الحكومة الفرنسية تسعى في حفظها، ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس، لأن الاجتماع ممنوع خوفا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية». إذ تبين لنا هذه الشهادة الحية واقع التربية والتعليم في الجزائر مع مطلع القرن العشرين، ذلك الواقع التربوي المنهار، الذي استمر على وضعه المزري الى بعيد استقلال الجزائر لأكثر من عقد.



واندفعت هذه النخبة المخلصة نحو القواعد تبنيها وتؤسسها، وتبعث فيها روح العروبة والإسلامية الغائبتين عن سماء الجزائر، وبفضل التضحيات الجسام لهذه النخبة الأصيلة الوارثة صار المشهد الثقافي واللغوي والأدبي والديني الجزائري حافلا بعناصر الصمود والممانعة الفكرية والثقافية الجزائرية الأصيلة، لينتقل بعدها بفاعلية الى تطوير ادواته الدفاعية من التحصين والمغالبة والرد، ومنها الى صياغة الذات الاصيلة، وتأكيد قدرتها على المواجهة، وتفعيل محاولات الصمود والشهود الحضاري لديها.

وعندما قررت آلة التكفير الاستكباري اعلان نهاية الوجود العربي الإسلامي في الجزائر بعد قرن من الاستكبار السياسي، وقرن من الاستخراب الروحي والوجداني والثقافي، قررت - بمقابل ذلك - أقدار معالم التنزيل الحافظة بحفظ ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ نسخ ما قررته يد الوثنية الصليبية في الجزائر مؤذنة - على يد ثلة من العلماء الباديسيين الأصليين - بدأ بعث الحياة في المشهد الثقافي العربي الإسلامي في الجزائر بالرغم من أنف قوى الاستكبار.

هذا الزخم الروحي والثقافي واللغوي الذي بدا حيا في إعادة بعث الروح في الجسد الثقافي الجزائري الميت، فانبعث الشعر الجزائري الوطني الثائر مع الشاعر (رمضان حمود ت ١٩٢٥م) والشاعر (مفدي زكريا ت ١٩٧٧م)، والشاعر (محمد العيد آل خليفة ت ١٩٧٩م)، والشاعر (الربيع بوشامة ت ١٩٥٨م)، والشاعر (أحمد سحنون ت ٢٠٠٤م)، والصحافي الأديب الشاعر (محمد أبو اليقظان ت ١٩٧٣م) وغيرهم، عبر قصائدهم الحية، التي استطاعت بث روح الحياة والنهضة في الأمة الجزائرية الميتة.

فيما تدفق النثر الجزائري الهادر عبر الصحف الحرة المستقلة كالبصائر والشريعة والسنة والصراط والشهاب، مع كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٩٦٥م)، والأديب الصحافي الكاتب الشهيد أحمد رضا حوحو (ت ١٩٥٦م)، والأديب الخطيب الكاتب الفضيل الورتلاني (ت ١٩٥٩م)، والصحافي الأديب الكاتب الشهيد حمزة بوكوشة (ت ١٩٦١م)، وتحرك الفقه والعلم الشرعي مع رجال الجمعية المخلصين لينقي العقيدة والدين من خرافات الطرقيين، وسموم المستعمرين واعوانهم، مع رائد النهضة الاصلاحية الإسلامية في الجزائر الشيخ (عبدالحميد بن باديس ت ١٩٤٠م)، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ (مبارك الميلي ت ١٩٤٥م)، والشيخ الشهيد (العربي التبسي ت ١٩٥٧م)، والشيخ (محمد خير الدين ت ١٩٨٨م)، والشيخ (الطيب العقبي ت ١٩٦٠م)... وغيرهم، ليرتقي وليهذب وليعلم وليحل وليجيب على سائر مشكلات وتطلعات الأمة الجزائرية التي بدأت تتطلع للانعتاق والاستقلال.

رسالة المثقف الثوري الأصيل

وكانت الثورة الجزائرية العربية الإسلامية (١٣٧٤ - ١٣٨٣هـ) (١٩٥٤ - ١٩٦٢م) التي زرع بذورها في الشعب الجزائري مثقفو معالم التنزيل، الذين اندفعوا إليها بروحهم،

وفدوها بدمائهم الغالية، فكانوا شهداء الفكر والقلم والعلم، بدءا من الشهيد الأديب الكاتب أحمد رضا حوحو، والشهيد الشيخ العربي التبسي، والشهيد (الأمين العمودي ت ١٩٥٧م)، وغيرهم، من تلامذة وشيوخ ومعلمي مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وطلاب المعهد الباديسي الذين شكلوا وقودا معتبرا للثورة التحريرية.

ومع أولئك المخلصين من رجال الجمعية وحماة العربية والإسلام في الجزائر اندفع ايضا متسولو نفايات الفكر الشيوعي، ومتسولو نفايات الفكر الليبرالي، ليشكلوا خلسة المشهد الثقافي للثورة الجزائرية، التي تحولت عن مسيرتها العربية الإسلامية الأولى بعد أن سرقها خلسة مثقفو اليسار المحترفون.

اندفع هذا الطابور الثقافي اليساري، ومعه الطابور الثقافي الاستعماري ممن تدرب وتكون وتأدب في المدارس الاستعمارية الفرنسية، وتخرج من دفعتي (ديغول ولاكوست) الاستعماريتين، ليصنعا معا وقائع المشهد الثقافي في الجزائر الى اليوم، فكان بأيديهم وبتدميرهم الداخلي أن تحولت الثورة عن خط سيرها الأول، وكان بأيديهم وبتآمرهم أن خرج التيار العربي الإسلامي منها متراجعا الى الصفوف الدنيا، وكان بأيديهم وبكيدهم أن وقعت القطيعة بين رجال الثورة وعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان بأيديهم أن مزقت الحركة الإسلامية كل ممزق وأجهض معها مشروع النهضة الباديسي العربي الإسلامي في الجزائر بعيد الاستقلال وإلى اليوم.

وانطلقوا بعيد الاستقلال (١٣٨٣هـ ١٩٦٢م) معشعشين في دواليب التأثير الثقافي والفكري والفني، مسخرين كل ما يملكون من أقلام لتضليل الأمة الجزائرية المنهكة ثقافيا، وذلك بترويجهم لنفايات الفكر الشيوعي الضال، وفي محاربة المشروع النهضوي العربي الإسلامي تحت شعارات أدبيات الفكر الشيوعي كالتقدمية والرجعية والثورية والتحررية، التي دأب عليها مثقفو نفايات فكر اليسار، ولفيفهم من تيار العلمنة والفرنسة في الجزائر، وبفعل حملاتهم التضليلية فقد الشعب الجزائري توازنه الثقافي، ووحدته اللغوية، بعد ان كاد يستعيد بعضه مع جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخمسينيات والستينيات.

وقد دفعت الثورة الجزائرية الى واجهة المشهد الثقافي مجموعة من الواجهات الثقافية بهدف تعميق البعد الثوري لها في المجال الفكري والثقافي والأدبي والفني، فكان أن تسرب إليها غلاة اليساريين ليحكموا سيطرتهم على مؤسستي الاذاعة والتلفزيون، تحت زعامة اليساري المتعصب «الهاشمي الشريف»، وصناعة السينما تحت زعامة غلاة الفرنكوفونيين أمثال «لخضر حامينا، وعمار العسكري»، وصناعة الأدب والفكر تحت زعامة اليساري المتلون «عبدالحميد بن هدوقة»، واليساري الثوري المتعصب «الطاهر وطار»، مستخدمين أبشع وسائل التدمير اللغوي والعقدي والقيمي والأخلاقي، ضد مقومات الأمة الجزائرية العربية المسلمة.

وظل مثقفوا التيار اليساري بمعية مثقفي التيار اليميني المتطرف يسيطرون على الحدث الثقافي في الجزائر طيلة العقود الأربعة التالية للاستقلال، وكان أدب التوقح والفجور (اللاز . عرس بغل - الذي أهداه الى احسان طبري الزعيم الشيوعي الايراني لحزب تودة اليساري - العشق والموت في الزمن الحراشي) الذي تزعمه الطاهر وطار المتخفي تحت شعار الثورية والتقدمية والتحررية يشكل الواجهة الثقافية للجزائر عموما وللمثقف الجزائري خصوصا.

وكان أدب التحلل الذي دشنه «عبدالحميد بن هدوقة ت ١٩٨٨م» بروايته «ريح الجنوب» مثالا على التحرر والتقدمية في وجه الرجعية الدينية.

وتحت شعارات الأدبيات الشيوعية تربى أدباء جيل الستينيات والسبعينيات، الذين احتلوا الجرائد الناطقة باللغة العربية في الجزائر (الشعب، النصر، المجاهد، الجمهورية)، فكان أن ظهر منهم من سيطر على الساحة الأدبية مثل: حمري بحري، وأحمد حمدي، ومرزاق بقطاش، وعبدالعالي رزاقي، وسليمان جوادي، ومحمد زتيلي، وأحمد شريبط، والأخضر عيكوس، وبين أحضانهم نشأ النقد الأدبي الشيوعي الجزائري، الذي برز فيه جروة علاوة وهبي، وعمار بلحسن، والأمين الزاوي.

وبالفعل فقد استبعدت السلطة الجزائرية أثناء إعدادها لأهم مشروعين سياسيين وثقافيين وحضاريين الإسلام والعربية من أن يكونا إطارين مرجعيين رئيسين لتوجيه المشهد الحضاري الجزائري ككل في العشريات القادمة، وقد برز ذلك واضحا في مناقشات ميثاق الجزائر الصادر في شهر أبريل ١٩٦٤م، وفي ميثاق الجزائر ١٩٧٦م، ذي الاتجاه اليساري.

وعلى الرغم من بروز بعض

متسولو الفكر الليبرالي سرقوا المشهد الثقافي خلسة أثناء الثورة الجزائرية



الاسماء والعناوين الفكرية العربية الإسلامية على الساحة الإعلامية والثقافية الجزائرية كمجلة الفكر والقبس الصادرتين عن وزارة الشؤون الدينية ثم مجلة الأصالة، ثم بروز المفكر الجزائري مالك بن نبي (ت ١٩٧٣م) وتنظيمه لملتقى الفكر الإسلامي السنوي بدءا من سنة ١٩٨٦م، ثم البداية الفعلية لانطلاق الحركة الإسلامية في الجزائر، إلا أن الاتجاه العربي الإسلامي ظل محتشما ومتواريا ومحاربا من قبل العديد من الجهات الخفية في السلطة، ومن قبل الجهات البارزة على الساحتين الثقافية والإعلامية.

ودلف هؤلاء وأولئك الى التموقع ضمن هيكلة ما يسمى باتحاد الكتاب الجزائريين، الذي تحول الى مؤسسة يعشعش فيها مثقفو النظام التبريريين، والتسويغيين، والانتفاعيين، وصار الانتماء الى اتحاد الكتاب بقصيدتين هزيلتين من خواطر الشعر الحر، الذي ظن الكثير القدرة على التعبير والابداع به، الى أن تحول في أخريات أيامه الى مجرد هيكل يضم في أحشائه سبعمائة شاعر وقصاص وروائي جزائري؟ لا أدري متى؟ وأين؟ وكيف؟ وبم؟ تمهروا عالم الإبداع الرحب، وصاروا من المبدعين؟

وتطور هذا المشهد الثقافي بعيد بروز بعض الأسماء الأدبية الأصيلة على الساحة الثقافية والفكرية والأدبية في الثمانينيات، في مجال الكتابة والابداع والنقد، وبروز بعض المنابر الاعلامية والثقافية كمجلة العصر والرسالة والعقيدة والنور والبيان، وصار مشهدا ثنائيا تعزز بسقوط جدار برلين وزوال الخلفية الإيديولوجية لتيار اليسار المتعصب، ولتيار العلمنة المفلس، اللذين اضطرا تحت نورانية الحق الى التلون بشتى الألوان، والتواري تحت الكثير من الشعارات البراقة، أو حتى إلى تغيير الجلدة كما هو حال ممثلي الثقافة الجزائرية الرسميين على الساحة العربية والإسلامية.

وفي ظل هذه الوضعية السياسوية التي أحكمت القبضة على الحركة الثقافية والأدبية والفنية الجزائرية الأصيلة، كان نتاج الثقافة الجزائرية هزيلا وهشا، إذا ما قورن بغيره من نتاج ونوعية ومستوى إنتاج جيراننا الثقافي والفكري والإبداعي والفني في المغرب وتونس فقط، وبمثل هذه الممارسات التشويهية التي جسدها مثقفوا الزيف والانتفاع في العقود الثالثة الماضية فقد المثقف الجزائري الأصيل مصداقيته ومكانته بين غيره من المثقفين العرب والمسلمين.

وبمثل ممارسات هؤلاء وأولئك يكون المشهد الثقافي الجزائري قد أطال أمد غيبوبته التوعوية، وأطال أمد ضياعه، منذ أن شكل قادة الاحتلال دوره المسرحي الشكلاني الهزيل، وأقصوا رجاله، وطاردوا مؤسساته، وحاربوا مواطن المقاومة فيه.

والحالة الابداعية الهزيلة تلك، التي عليها المشهد الثقافي والفكري والأدبي والفني والإبداعي الجزائري اليوم، والتي سببها تمكين غلاة اليمين الاستعماري وغلاة اليسار الانتفاعي في التحكم بعناصر ومقومات ومؤسسات العمل الثقافي والفكري يتحتم على المثقف الجزائري الأصيل، المثقف الجزائري الحقيقي، أن يحسم الأمر أولاً في مسألة الأطر المرجعية المشكلة للخلفية العقدية للإبداع الثقافي عموماً، وفي ضبط محدداته الثقافية والفكرية والفنية العامة، وفي رسم خططه المنهجية والمرحلية لمعالجة فساد وخواء السنين العجاف ثقافيا وأدبيا وفنيا وفكريا، ثم المبادرة الفعلية للنزول الى الساحة الثقافية الجزائرية الفارغة، في ظل هامش التسامح والحرية والديموقراطية الذي يناسب اختيار الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة ٢٠٠٧م.

اتحاد الكتاب الجزائريين تحول إلى مؤسسة يعشش فيها مثقفو النظام التبريريون والتسويغيون والانتفاعيون

واعتقادي أنه بمجرد أن يلملم المثقف الجزائري الأصيل أدواته ويعيد ترتيبها ونقدها وبرمجتها.. فإنه حتماً سيجد نفسه أمام حشد من المسائل والقضايا التي تنتظر قلمه وفكره وابداعه، كما سيجد نفسه وطرحه قادرا وقويا بمحدداته وأطره المقدمة أمام هشاشة طروحات وأدبيات مثقفي اليسار المتهاون بعد سقوط جدار برلين، وصعود المارد العلولمي، وبمقدار قوته ومبادرته وسرعته وأصالته في تهشيم وإزالة ما تبقى من صمود أدباء اليسار الصرعى، فإنه سيكون قويا وفاعلا في الرد على أدباء ومفكري التيار العلماني المفلسين، المعترفين بفشلهم عن إيجاد الحلول لمعضلات الإنسانية عامة والفرد الغربي المفلس خاصة.

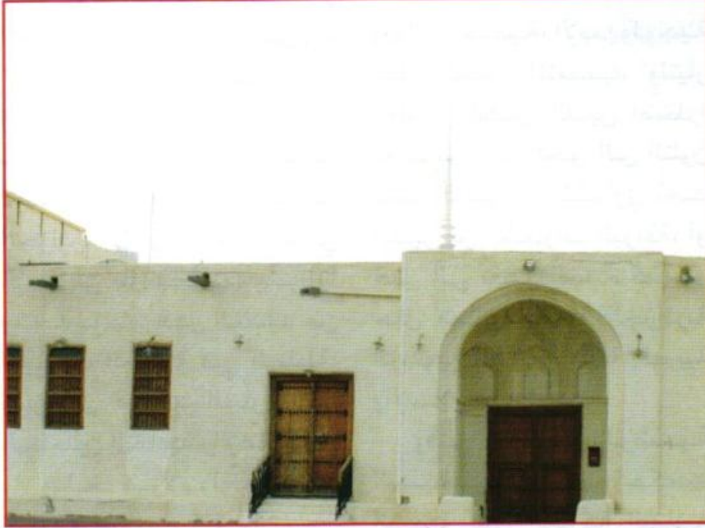
ولعله من المفيد يومئذ للساحة الثقافية الجزائرية التخلص من دوائر الصراع الذاتية بين حدودي الأصالة والمعاصرة، لدى المبدعين الحقيقيين أنفسهم، وعلى مستوى مؤسسات الإبداع الرسمية التي دلف إليها خلسة لفيف من أصحاب التوجهات الثقافية المشبوهة، ممن يريد إبقاءها فسحة رطبة للانتفاع الرخيص والدس المسموم، وفسح مجالها لمثقفي الظل من أصحاب معالم التنزيل ليصنعوا بصدق أحداث المشهد الثقافي الجزائري الأصيل، بعيدا عن كل مستورد ودخيل.

وفي اعتقادي أن النخب المثقفة لن تستطيع وصول ذلك المستوى الراقي من التنافس والإبداع، الا بدخول جميع المبدعين في تنافس ثقافي وفكري شريف وعادل، تشهده مؤسسات الابداع المختلفة لعقد قام على أقل تقدير، وساعتها سيتبوأ المبدع الحقيقي مكانته في المشهد الثقافي، وتلفظ الساحة أشباه المبدعين والمزيفين ممن دلفوا وقت الزحف العمي، وستكون أمام النخب الأصيلة مهمة عظيمة جدا، لن يتمكنوا من الوصول إليها، إلا من بعد أن يصلحوا أذواق المجتمع التي أفسدت بغثائيات أدبيات غلاة اليسار واليمين الوثني طيلة أكثر من قرن ونصف القرن من العبث الأدبي والفني والتربوي والتعليمي والتثقيفي واللغوي.

الديوانية الكويتية.. ملتقى ثقافي ومنتدى اجتماعي

إعداد: التحرير

تلعب الديوانية دورا مهما في حياة المجتمع الكويتي، فهي إحدى أدوات الدعم الاجتماعي والثقافي والفكري لأبناء الشعب، وتعتبر عادة متوارثة بين أبناء هذا البلد من خلالها توصل الأرحام ويتقابل الأصدقاء والأقارب، كما أنها نافذة يطلون من خلالها على ما يستجد من أخبار في ساحة المجتمع الكويتي.



يرتبط اسم الديوانية غالبا في الوقت الراهن بهذه البقعة من الأرض، فهي تقليد جلبه أهل هذا البلد من أسفارهم وطوروه بما يناسب ظروفهم، وقد بدأت الدواوين على أنها مكان لقاء أبناء «الفريج»، كما أنها تضم عددا من «الفرجان» الأخرى في عملية تزاور مستمرة، يتحدثون فيها ويتبادلون الأخبار والآراء، وقد ينتقل المرء إلى أكثر من ديوانية في اليوم الواحد، فيما يحضر البعض أبناءهم إلى هذه المجالس ليكتسبوا الخبرة ممن هم أكبر منهم سنا، وتطورت الديوانية بعد ذلك لتصبح محلا لحل النزاعات، ووسيلة لنشر الخبر وتشكيل الآراء، وبلغت من الأهمية أن قادة الرأي وأصحاب القرار والمسؤولين يزورون تلك الدواوين بين الفينة والأخرى.

أصل الديوانية

اختلف الباحثون في أصل كلمة «ديوان»، فمنهم من ردها لموضوع التدوين (التسجيل) ويقولون إن أصلها عربي، ومنهم من يقول إن التدوين نفسه نشأ بعد نشأة الديوان الذي أصله فارسي.

والأصل اللغوي لكلمة «ديوان» تعني «مجتمع الصحف، أو الكتاب الذي تجمع فيه قصائد الشعراء» كما جاء في «المنجد»، أما دائرة المعارف الإسلامية فتقول إن كلمة «ديوان» مشتقة من كلمة فارسية نشأت حين نظر كسرى إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يتحادثون فقال «ديوانية» أي مجانين بلغة الفرس، فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان.

ويرى بعض المؤرخين أن ديوان الإنشاء هو أول ديوان أنشئ في عهد الرسول ﷺ، إذ كان يملي على بعض الكتبة من الصحابة رسائله إلى المعنيين من الملوك، كما كانت تصاغ فيه نصوص المعاهدات.

فيما يرى آخرون أن الديوان بمفهومه المتعارف عليه نشأ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسبب ذلك هو كثرة الأموال الواردة من البلاد المفتوحة ورغبة الخليفة الثاني في تنظيم توزيعها.

وقد كان الديوان الأول في عهده هو ديوان الجند لينظم توزيع أعطياتهم (ما يعادل الراتب أو الجزء من الغنيمة).

ولم تقتصر فكرة الديوان على توزيع الأموال وتدوينها، بل أصبح أوسع من ذلك فشمل مناحي كثيرة، مثل البريد والشرطة والتوقيع، حتى غدا الديوان يفهم من عنوانه أنه إدارة شؤون الدولة بشكل كامل.

وتعمد بعض الدول في الوقت الراهن إلى إطلاق اسم الديوان على بعض دوائرها، كما في حالة ديوان المحاسبة وديوان الخدمة المدنية في الكويت والأردن، حتى إن بعض الناس في الوقت الحاضر يطلق على المكان الذي يجتمع فيه الناس اسم ديوان أو ديوانية.

ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن الدواوين كانت في بداية العهد الأموي تنحصر في أربعة أنواع، الخراج والرسائل والإيرادات المنوعة وديوان الخاتم، وتوقف الباحثون عند ديوان الخاتم.

وورث العباسيون هذا التراث عن الأمويين فطوروه حسب تطور ظروفهم، حيث أضافوا ديوان «الأحشام» وهو على ما يبدو من اسمه يعنى بشؤون خدمة البلاط، هذا في عصر المنصور، كما أضافوا ديوان المصادرة الذي ينظر في شؤون من صودرت أموالهم، واستحدثوا ديوان الزمان في عهد المهدي، وهو ديوان يعنى بالأزمات، وقد خصص لكل أزمة أو مشكلة ديوان يترأسه رجل مختص في حل تلك الأزمة، وقد انتشر هذا النوع من الدواوين في كل الولايات.

وقد استحدث الرشيد ديوان الصوافي، وهو يعنى بأراضي الدولة الإسلامية وبصفته خليفة للمسلمين فهي أراض تابعة لإدارته، كما استحدث ديوان الضياع لإدارة أملاك الخليفة وأسرته.

أما المأمون فقد أنشأ ديوان

الجهابذة، وهو ديوان يدقق في شؤون عمل الدواوين الأخرى، يجلس فيه أقوى الرياضيين (المحاسبين) ويتتبعون الأموال من قبضها حتى صرفها، وهو يشبه هيئة التدقيق المالي في بعض الدول الراهنة، أما المتوكل فأنشأ ديوان الجند والشاكرية، وهو ديوان ينظم عمل الجند والشاكرية، وهم الأتراك الذين دخلوا على الخط في عهده.

أهمية الدواوين

تبرز أهمية الديوانية في المجتمع الكويتي، حيث تجتمع مجموعة من الرجال في ديوانية أحد الأشخاص المرموقين والمعروفين في المنطقة السكنية التي يقطنها ويتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث حول مجمل القضايا الاجتماعية والاقتصادية وأيضا السياسية والدينية، وكذلك يتم حل بعض القضايا المتعلقة ببعض الأشخاص من خلال المعارف والأصدقاء، وعادة ما يكون الحوار فيها صادقا وصريحا وبعفوية تامة، وفي الغالب تضم الديوانية أناسا متقاربين في السن والفهم والمزاج والمستوى التعليمي، وهي إحدى سمات شعب الكويت التي تميزه عن سائر الشعوب.

شكل الديوانية

يتكون البيت الكويتي عادة من ساحة واحدة، إلا أن الأسر المقتدرة تقوم بتشييد ساحة منفصلة أو تحديد غرفة في جانب من البيت يطلق عليها ديوانية، هذه الغرفة أو الساحة تكون منعزلة أو منفصلة، وهي عبارة عن مكان عام لاستقبال الضيوف والتقاء الجيران والأصدقاء والأقارب لمناقشة الأحداث وتبادل الأحاديث والآراء في وقت الفراغ.

وتبقى أبواب الديوانية الرئيسية مفتوحة طوال اليوم لاستقبال الرواد، وتقود إلى ممر على جانبيه مقاعد للاستراحة والانتظار، كما تضم أحيانا مكانا لضيافة الزوار ممن يحتاجون لقضاء ليلة أو أكثر في البلاد، كما توجد خارج البوابات مقاعد أخرى يستريح عليها المارة ويستمتع فيها الضيوف بنسيم البحر- إذا كانت الديوانية واقعة على الساحل- خاصة في فصل الصيف، وما تزال بعض هذه الديوانيات التي تنتشر على طول شارع الخليج تستقبل الزوار كما كانت في الماضي تماما.

وتطل بوابات المجلس الرئيسي في الديوانية ويسمى «ديوان» على الساحة الداخلية، ويحتوي الديوان على فرش يوفر أكبر قدر من الراحة للزوار، فتنتشر في أنحائه الوسائد التي تصف بطريقة مميزة لتستخدم كمقاعد ومساند للأذرع، وعلى الأرضية تمتد قطع من السجاد الفارسي المعقود والمغزول، وتعد أدوات تحضير القهوة التي تعبق بعبير وطعم الهيل من أبرز الأدوات التي تضمها الديوانية، ويتم تحضير القهوة على موقد مخصص لهذا الغرض في جانب بعيد من الديوان أو في غرفة صغيرة ملحقة به، ويقوم صاحب الديوانية بنفسه بتحضير القهوة للضيوف، أو يعين عاملا مختصا للقيام بهذه المهمة.



الدواوين القديمة

لم يعد في الكويت حاليا من الدواوين القديمة سوى ستة دواوين فقط على ساحل البحر وهي: ديوان الخالد في القبلة شرقي متحف الكويت، وخمسة دواوين في الشرق بجوار مبنى وزارة الصحة، وهي على الترتيب: ديوان الشملان، ديوان العسعوسي، ديوان النصف، ديوان الروضان، ديوان ملا صالح.

ويعود الفضل في المحافظة على هذه الدواوين القديمة للأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح- يرحمه الله- حيث إنه في أول مارس ١٩٧٨ أرسلت البلدية إنذارات لأصحاب هذه الدواوين بأنها سوف تقطع التيار الكهربائي عنها تمهيدا لهدمها، فكتب المؤرخ سيف مرزوق الشملان عريضة تاريخية لصاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ووقعها أصحاب الدواوين، وقابله بمكتبه في قصر السيف، وسلّم لسموه العريضة وطلب منه المحافظة على هذه الدواوين القديمة لأنها تعبر عن تاريخ الكويت الأصيل.

الديوانية الحديثة

مع تطور الحياة المعيشية في الكويت جاء عصر تثمين المنازل واتسعت دائرة العمران وأصبحت هناك عدة أحياء سكنية خارج سور الكويت، وبالتالي أدى ذلك إلى ازدياد عدد الديوانيات في الكويت نظرا لالتصاق المواطن الكويتي بالمفهوم الاجتماعي والتراث المتأصل في وجدانه، فأصبح لكل أسرة ديوانية مستقلة يستقبل فيها صاحب الأسرة أصدقاءه (الربع) ليتسامروا ويتبادلوا أطراف الحديث، وأيضا تغير أثاث الديوانية من المساند العادية إلى الجلسات العربية والكنبات أو المقاعد الثمينة التي توضع على شكل مربع أو دائرة يتوسطها جهاز التلفزيون والفيديو، وقد اختفى «الوياق» تماما من الديوانية.

وأصبحت هناك دواوين خاصة بالصيادين والمهندسين والأطباء والطيارين، وغيرها من المهن، وهناك دواوين تجمع روادها عوامل مشتركة مثل الجيرة والقرابة والصداقة، وأصبح الجو العام للديوانية أقرب إلى أجواء النوادي الاجتماعية والمنتديات الثقافية والأدبية وصالونات السياسة، ويمكن القول بأنها باتت واحدة من مؤسسات المجتمع المدني الذي يلعب دورا بارزا في الحياة الديمقراطية والنيابية، وأصبحت المحرك والمؤشر المرجعي للكثير

من القرارات، وأدخلت هذه الديوانيات العصرية التلفزيونات وأجهزة الراديو والمحطات الفضائية وأجهزة الكمبيوتر والتلفونات، كما صار لبعضها أهداف محددة (رياضية، اقتصادية، سياسية...) وجداول ومواقيت، وبعضها صار يعلن عن الموضوعات التي ستطرح للنقاش قبل أيام من موعد الاستقبال، كما تحول بعضها الآخر إلى صالونات للأدب والثقافة، وأطرف تطور للديوانية هو ظهور الديوانيات النسائية التي تستقبل الزائرات ممن لهم اهتمامات وأنشطة مشتركة.

دورها الاجتماعي والعلمي

للديوانية أثرها الاجتماعي والعلمي في المجتمع الكويتي، فإن جلب صاحب الديوانية فقيها أو عالما توافد إليها الفقهاء والعلماء والمهتمين بهذه الجوانب، وغلبت هذه السمة على الحوار داخل الديوانية، وإذا كان صاحب الديوانية من التجار كان معظم جلسائه منهم وانساق الحديث بالطبع إلى التجارة والاقتصاد، وإن كان صاحب الديوانية أديبا كان النقاش كذلك، وهكذا لو كان سياسيا أو وزيرا أو برلمانيا فالنقاش يدور حول السياسة والأحداث السياسية المحلية والعالمية، والتوجه السياسي يطغى على نقاش معظم هذه الديوانيات خاصة في أوقات الانتخابات أو الأزمات السياسية التي تمر بها البلاد في ظل عدم وجود أحزاب سياسية في الكويت.

ويمكن تقسيم الديوانية في الكويت إلى مجموعتين رئيسيتين، الأولى مرتبطة بجماعات الأصدقاء وأفراد العائلة الواحدة، في حين ترتبط الثانية بعلاقات الأعمال والتحالفات والعلاقات السياسية، وتعد المجموعة الثانية هي الأكثر انتشارا في الآونة الأخيرة، وهي فرصة لتداول المعلومات والأخبار السياسية قبل نشرها في الجرائد بأيام، كما أنها فرصة لإبرام الاتفاقيات والعقود بين رجال الأعمال، وحل الخلافات الشخصية.

وتلعب الديوانية دورا بارزا لشريحة مهمة هي فئة كبار السن من الذكور داخل المجتمع الكويتي.



دورها الموسمي

الديوانية في شهر رمضان المبارك تعد مكانا يجتمع فيه الأهل والأقرباء والأصدقاء للتسلية والترفيه مما يجعل لها طابعا خاصا، حيث تتقارب النفوس وتتآلف الأرواح ويحلو الحوار في الديوانيات التي تظل مفتوحة حتى ساعات متأخرة من الليل.

وتأخذ الديوانية الكويتية طابعا آخر في هذا الشهر، حيث تتميز بإقامة المآدب يوميا لجميع من يريد الإفطار أو السحور، وتبقى مشرعة الأبواب من ساعة الإفطار وحتى موعد السحور.

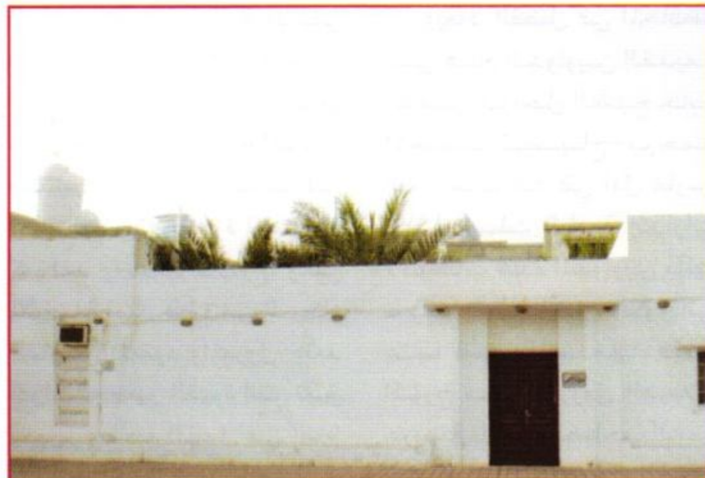
وما يميز الديوانية في الكويت هي «الغبقة» الرمضانية التي يكون موعدها عادة بين فترتي الإفطار والسحور، وبالتحديد بعد صلاة العشاء، حيث يتخللها تناول وجبة خفيفة وحلوى شعبية منوعة، ويتناول الرواد فيها الأحاديث في مختلف الموضوعات الدينية والاجتماعية والثقافية، مما يضفي على الديوانية مزيدا من البهجة والسرور.

إن ما يراه الإنسان في شهر رمضان المبارك في ديوانيات الكويت وفي جمعياتها الخيرية الكثيرة ومؤسساتها العامة شيء يصعب ترجمته، إلا انك تخرج بنتيجة مبهرة وهي أن ظاهرة الأعمال الخيرية هي فعلا مبدأ رئيسي للحياة في هذا البلد.

وهناك من ينوه في بعض الأحيان في مجالس أهل الكويت بأن المجتمع الكويتي أصابه بعض التغيير، ربما يكون في هذا القول شيء من الحقيقة إلا أن التغيير لم يقترب من إنسانية وأخلاقيات هذا الشعب ولم يأخذ منها شيئا.

اهتمام ولاة الأمر

هناك تقليد درج عليه حكام الكويت من آل الصباح منذ قديم الزمان، وهو أن يقوم الحاكم بزيارة معظم ديوانيات الكويت القديمة وتهنئة عائلاتها بشهر رمضان، وهذا ما يحرص عليه أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح منذ أن اعتلى سدة الحكم في البلاد، حيث يقوم بجولة خلال الأيام العشرة الأولى من شهر رمضان يزور فيها العديد من الديوانيات، ولكن هناك ديوانية لها وقع خاص في نفوس أهل الكويت وخاصة عند الأمير وهي ديوانية كبار السن التي تروي جزءا من تاريخ الكويت القديم.



زهرة المدائن بين أنياب الوحش!

أكثر من ستين عاماً مضت على القدس العتيقة وهي أسيرة بين أنياب الوحش النازي اليهودي الغاصب.. استولى الصهاينة على نصفها الغربي بعد قيام كيانهم الاستعماري، وبعد عشرين عاماً تقريباً (١٩٦٧م) سيطروا على ما تبقى منها في الشرق مع الضفة والقطاع، وتحقق حلم الصهيوني الأول هيرتزل، وصارت المدينة العربية الإسلامية المقدسة رهينة في قبضة الغزاة، يغيرون ملامحها وبنيتها وسكانها ومقدساتها، والعالم يتفرج على ما يجري دون أن يحرك ساكناً.



د. حلمي القاعود

يحكي الكاتب الصهيوني عوزي بنزمان في صحيفة معاريف ١٢/٥/٢٠٠٩م عن القدس الشرقية بمناسبة مرور ٤٢ عاما على ضمها فيقول: إن الإعلان عن ضم شرقي القدس لم يؤد بشكل حقيقي إلى توحيد المدينة، هذه المسألة تواصل الإثقال على العلاقات الدولية للكيان الصهيوني، وهي العقبة الكأداء الكبرى في مساعيه للوصول إلى مصالحة مع جيرانه، فضلا عن ذلك فإن الخوف من الإعلان على الملأ عن ضم شرقي المدينة عكس وضعا نفسيا ونهجا يرافقان موقف الكيان من القدس حتى اليوم، فالكيان يسلم بأن عرب المدينة ليسوا مواطنيه، وأنهم يقيمون علاقات وثيقة بالضفة الغربية والسلطة الفلسطينية، وأن الحرم يخضع لحكم سلطات الدين الإسلامي في شرقي المدينة، وأن قوانين الإسلام التي تسري في هذا الجزء من القدس لا تتشابه وتلك التي تنفذ في الوسط الإسلامي في الكيان، وأن جهاز التعليم الفلسطيني في القدس يختلف عن ذاك القائم في القرى والمدن العربية في الكيان، وأنه في مجالات الحياة الأخرى، ليست شرقي القدس جزءا منه.. القدس مثال على الفجوة بين الرؤيا والواقع، بين الأمل والقدرة على تحقيقه.

الكاتب الصهيوني يعترف بإخفاق الإجراءات التي قام بها الغزاة النازيون اليهود في المدينة المقدسة، وأنها مع كل ممارسات القهر مازالت مستعصية على الاستسلام والتهويد والموت. مازال فيها عرق ينبض ويقض مضاجع الوحش النازي اليهودي.

إن ثلثي الفلسطينيين في المدينة يعيشون تحت خط الفقر، وأكثر من ثلث أراضيهم صودرت منذ عام ١٩٦٧، وفقا لما أعلنته جمعية حقوق المواطن الصهيونية، كما أن ستين ومائة ألف منهم يسكنون في بيوت بنيت «دون تراخيص» وتنتظر أوامر الهدم والإخلاء.. عشرات الألوف يعيشون دون شبكة مجار، ودون توريد منتظم للمياه الصالحة للشرب.. خدمات الصحة العامة متردية، لا يسأل عنهم إلا قليل من العاملين الاجتماعيين، بينما يتولى أمرهم أكبر عدد من شرطة حرس الحدود! نصف الأطفال الفلسطينيين في القدس في عمر المدرسة لا علاقة لهم بجهاز التعليم الرسمي، وتسعة آلاف منهم لا يتعلمون في أية مدرسة، وتشجع المؤسسة الصهيونية جمعيات ما يسمى باليمين المتطرف على دق وتد الخلاف في قلب الأحياء العربية، مما يؤدي إلى طرد مزيد من العائلات الفلسطينية من منازلها (ها آرتس ٢١/٥/٢٠٠٩م).

كان الصهيوني هيرتزل يحلم بإخلاء المدينة المقدسة من الأسواق وتحويلها إلى مدينة سياحية تعج بالناس، كثيرة البهاء، فيها مجلس النواب، والأكاديمية اليهودية، وما يسميه قصر السلام! لتسوية النزاعات الدولية! ولم ير غضاضة- وهو اليهودي العلماني- في إقامة «الهيكل» إذا حان الوقت!

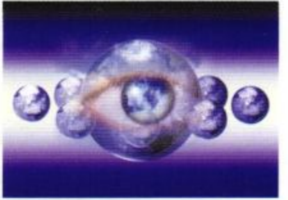
وبالتأكيد فإن معظم أحلام هيرتزل تحققت اليوم بقوة السلاح وبالوحشية النازية اليهودية التي استغلت ضعف العرب والمسلمين، وأطاحت بالقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، ومضت في تهويد المدينة وفلسطين، وما استولت عليه من أراض عربية خارج فلسطين.

يدب اليأس في نفوس بعض العرب والمسلمين، ويدفع بعض من يعنيهم أمر القدس إلى ما يشبه الاستسلام لإرادة الغزو النازي اليهودي، إلى درجة أن يسخر البعض من كون القدس عاصمة للثقافة العربية! ويأخذنا العجب عندما نقرأ عن مخططات للاتفاق يتنازل بمقتضاها العدو عن الحي الفلاني في القدس من أجل السلام، أو يتنازل عن السيادة اليهودية تحت الأرض لتبقى فوق الأرض، أو يقبل بالإشراف الإسلامي على جانب من المسجد الأقصى دون بقية الجوانب... إلى آخره، وينسى العالم أن فلسطين كلها وقف إسلامي لا يجوز التنازل عنه أو التفريط فيه، ناهيك عن القدس- زهرة المدائن- ولكن سطوة القوة الوحشية التي يعبر عنها الغازي النازي اليهودي، وتواطؤ المؤسسة الاستعمارية الغربية من خلال المنظمات الدولية، والانهيار العربي الإسلامي، تزرع اليأس في بعض النفوس، وتهيئ لأوهام الذلة والخضوع.

وكما استطاع صلاح الدين الأيوبي بهذا التصور أن ينقذ القدس العتيقة قبل ثمانية قرون تقريبا من قبضة الصليبيين الهمج، فإنه يمكن للعرب والمسلمين المعاصرين أن يقتدوا به.

وحتى ذلك الحين فإن دعم سكان القدس العرب، والتضامن معهم، وتقديم المساعدات الممكنة لهم باتت أمورا ضرورية لتثبيت وجودهم، وتقوية أواصر العلاقة معهم، ليواجهوا الوحش النازي اليهودي.





الطفولة الإسلامية في عصر العولمة

يجتاح العالم اليوم وهو يعيش عصر العولمة وثورة الاتصالات الكبرى المتلاحقة طوفان من البرامج الإعلامية والثقافية والفكرية والعلمية، وتحاول هذه البرامج صياغة الرأي العام الإقليمي والعالمي حسب هواها وحسب مصالح الدول المصدرة لها والتي تحمل في طياتها الغث والسمين، محاولة التأثير في قيم وسلوكات وعادات الأمم والشعوب الأخرى.

هذا الواقع يطرح جملة من التساؤلات على بساط البحث من أبرزها:

ما وضع الطفل المسلم وسط هذا الطوفان الثقافي الوافد؟ وما الاحتياطات التي اتخذناها لحماية أبنائنا وبناتنا من سلبياته وتبعاته وتأثيراته؟ وماذا قدمنا لهم من برامج وأنشطة بديلة تغذي عقولهم وتصوغ شخصياتهم وتعدهم إعداداً صحيحاً ليكونوا بناة مستقبل أمتهم وبلدانهم؟ ومن جانب آخر وحتى تكون اجابتنا ورؤيتنا لهذه التساؤلات السابقة صحيحة وواضحة ومبنية على أسس وقواعد متينة لابد أن نشير إلى أن قضايا الطفولة اليوم ليست بالقضايا الهامشية التي لايؤبه لها ولا يحسب لها أي حساب بل هي قضايا محورية وأساسية ويعتبرها المربون اليوم أساس البناء المجتمعي وأساس العملية التنموية في عالم يتسيد فيه العلم والثقافة والعقل المنهجي العلمي لذا لابد من تغذية ثقافة اطفالنا بمناهج علمية تمنحهم القدرة على الوقوف على حقائق الأشياء، آخذين من روح التراث الإسلامي خلفية ثقافية ثرية يستمد منها أطفالنا أصالتهم وهويتهم في مواجهة عصر سريع التغير يجتاح كل القيم ويعصف بكل التقاليد.

هذه الرؤية الإسلامية لثقافة الطفل المسلم في عصر العولمة حاولنا تأصيلها من خلال هذا الملف الذ ينضعه بين أيدي الإخوة القراء

إعداد : تمام الصباغ

طفل القرن الحادي والعشرين
بين التفكير الناقد والتفكير الابتكاري

د. السيد نجم

تؤكد الدراسات اليوم أن الطفل يحمل من الأفكار والمعلومات والآراء ما يماثل مرحلة من مراحل الانجاز الفكري والعلمي.. وربما الفلسفي لرحلة الإنسان على الأرض، أي ربما يحمل من المعلومات ما يفوق معلومات فيلسوف إغريقي قديم.

لعل فكرة «العلية» أو «السيدية» الآن عند الطفل لم تصل الى تفكير الإنسان إلا في مرحلة متقدمة، بينما أصبحت تلقائية - الى أن وصفها البعض بالفطرية - عند طفل اليوم، وقد يرجع ذلك الى كمّ المعلومات المنتظمة أو المنظمة- بمعنى ما- حول شتى الظواهر والمدركات للإنسان ومن حوله، وهو ما يشير الى الفهم أو العلم الفلسفي لدى طفل اليوم، إذا ما كانت الفلسفة هي تلك المعرفة المنظمة.

وتوضح الدراسات أن الطفل في المرحلة الجنينية، له قدرة استجابية مع العالم الخارجي سواء بحركة أو زحزحة، إلا أن فتوحات الطفل الحقيقية تبدأ بعد الولادة، حيث يبدأ في اكتشاف العالم من حوله من خلال أربعة مجالات هي:

■ مجال الزمن والفضاء، العين تلعب دوراً مهماً هنا، فالوليد في يومه الأول قد يُثبّت بصورة بدائية إحدى مقلتيه على شيء قريب، وبعد أسبوع يبدو قادراً أكثر على التثبيت، فإذا أتم شهره الأول استطاع أن يحدق النظر في كل ما سبق بإحدى مقلتيه، أما بعد شهر آخر فقد ينجح في توظيف كلتا الحدقتين في غزو الفضاء من حوله.

ثم تأتي يداه لغزو الفضاء وعلى المسافات القريبة، لتأتي مرحلة مهمة من بعد وهي «الحبو» وغزو المسافات القريبة.

وتأتي مرحلة اكتشاف البعد الثالث بيده والعبث بالأوعية والمحتويات، أو الملء والتفريغ والعبث بالرمل وتشكيل الطين وهكذا، (هذه المرحلة سماها أفلاطون: إن الفطرة تهندس).

وفي الخامسة يستطيع الصغير أن يرسم خريطة (طرقا موصلة الى مكان)، أما في السادسة فيبدأ في الابتعاد عن كونه مركز العالم، ويبدأ النظر الى الشمس والكواكب، وفي السابعة ينتبه الى وجود أماكن أخرى في العالم المحيط به، حتى إذا بلغ الثامنة عرف معنى الدول الأجنبية البعيدة عن بلده، وفي العاشرة يدرك الاتجاهات الأربعة والعالم الكبير البعيد والقريب.



الطفل في المرحلة الجنينية له قدرة استجابية مع العالم الخارجي

أما عن الزمن، فلا يدرك الصغير إلا «هنا والآن»، ومع النضج تبدو التوقعات المستقبلية من الأمور المحتملة، فتراه في السادسة يهتم بالتعرف على الأعمار والحديث عن مراحل الرضاعة التي هي- بمعنى ما - امتداد زمني، ويبدو التعرف على الزمن الآتي لافتا لانتباه الصغير حتى يدرك العلاقة بين الزمن والتاريخ في العاشرة، فيتعرف على أيام الأسبوع وعلى علاقة اليوم بالأحداث.. وهكذا.

■ مجال «الأنا» والمجتمع، «الأنا» تعني النفس أو الذات المتصلة بشخص ما (أي ذلك الفرد الذي يزداد استقلالية عمن حوله) ويقولون إن وجود أشخاص آخرين يساعد الرضيع على إدراك وضعه هو، والتعرف على مكانته (المكانة النفسية).

فعندما يبلغ عمره ٣٢ أسبوعا يحس بالغرباء وإن لم يكن قد تعرف على نفسه، وفي عمر السنتين يبدأ في التعرف على نفسه واسمه، وكل الرجال «بابا» وكل السيدات «ماما»، وفي الثالثة تزداد قدرة الطفل على المساومة، أما في الخامسة فيبدأ التعبير عما يشير إلى أنه كبر، كأن يتساءل إذا كان أخوه الرضيع قادراً على فعل كذا.

وفي السادسة يكثر السؤال عن ذاته وتركيبه التشريحي مع رغبته في المشاركة بالعالم الخارجي، وفي السابعة يتسع العالم من حوله فيطلب له مكانا على المائدة أو في السيارة، وفي الثامنة يصبح التعرف على العالم الخارجي والبلدان الأجنبية والثقافات الأخرى من أهم اهتمامات الصغير، حتى إذا بلغ العاشرة يسعى لأن يقرأ مجلات الكبار وتحديد المهنة التي سيعملها ويحبها.

وفي دراسة عن الطفل الأميركي، حول الاجابة عن السؤال: ماذا يصنع الجنود؟

يجيب طفل الثالثة بأنهم «يمشون في طابور»، وفي الرابعة يقول «بأنهم يحاربون بالبنادق»، وفي الخامسة يتحدث عن اليابانيين «حلوهم وسيئهم»، وفي العاشرة يسخر من «هتلر» وأنه لا يجيد هجاء كلمة قطة!.

واضح هنا الفروق العمرية، مع فروق الثقافة الخاصة الملقنة للطفل.

■ الحياة والموت: هما المجال الثالث في حياة الطفل الفكرية، فالمزج بين فكرة الحياة والموت أشبه بالتطابق، وفي الخامسة يعلم أن الميت لا يتحرك لكنه لا يحزن، على اعتقاد بإمكانية عودة الروح (تلك الفكرة الفلسفية التي هي في الأديان بشكل ما).

عموما طفل الثالثة لا يفهم كلمة الموت، بينما ابن الرابعة فقليل الفهم للكلمة، ويهتم أكثر بقضية «أصل الحياة» وكيف خلقنا؟ ومن أين أتى الطفل؟ ثم تظهر عليه بوادر الاهتمام بالتوالد في عالم الحيوان.

وابن الثامنة متفتح في هذا المجال، حيث يرى أن فترة النمو في رحم الأم من المراحل المهمة، بينما يفكر ابن العاشرة في القوة الخارجية وراء كل ما يراه، بينما يرى ابن السابعة أن الموت يمس شخصه، وأنه هو نفسه سيموت.

■ مجال الكون والله، يقول «ثورو»: «يصح أن نقول إن الرضيع ينفصل عن الطبيعة أو الفطرة، وينأى عنها كما يرتحل الرجل الكبير عنها ويغادرها، وعلى هذا يكون الطفل أثناء صغره وقصوره مطابقا للطبيعة أو الفطرة مندمجا فيها كأنما هو جزء منها».

إن رحلة الطفل (الإنسان) طويلة حتى يستطيع تأمل الكون الذي منح له ليعْمره، فتكون الأسئلة: ما هذا؟ ولماذا؟ فتكون الفتوحات من خلال العلوم والديانات.

غالبا ما يكون الفضاء هو أشياؤه التي ينام عليها ويأكل فيها وغيره، وربما شجرة يراها على الأفق، يزداد الفضاء اتساعا مع بداية الحركة بعد أن يحبو ثم يسير ويجري، فيتعرف على المزيد والمزيد.

لذا قد ينجز في الخامسة ما يعبر عن اتصال العالم به، بتخطيط مكان معين من حوله، حتى إذا بلغ السادسة والسابعة تصير مهماته أبعد من شخصه، ويتلمس الكتب المصورة، كما أنه يتساءل عن السموات الفلكية والجنة والنار، ومكان الله، ثم الطقس ودلالة ما يراه من حوله في الشتاء والصيف.

كما تصبح الاسئلة: من أين أتيت؟ أين عثرت عليّ يا أمي؟ أين كنت أيام كنت أنت في المدرسة يا أمي؟ وهل يصنع السوبر مان رجالا من صنفه؟ (وهو سؤال خاص بالطفل الأوروبي أو الأميركي حيث ثقافة أخرى)، أما الأسئلة: من خلق الله؟ وهل ولد الله؟ فهي من الاسئلة التي راودت هذه المرحلة السنية في بقاع العالم.

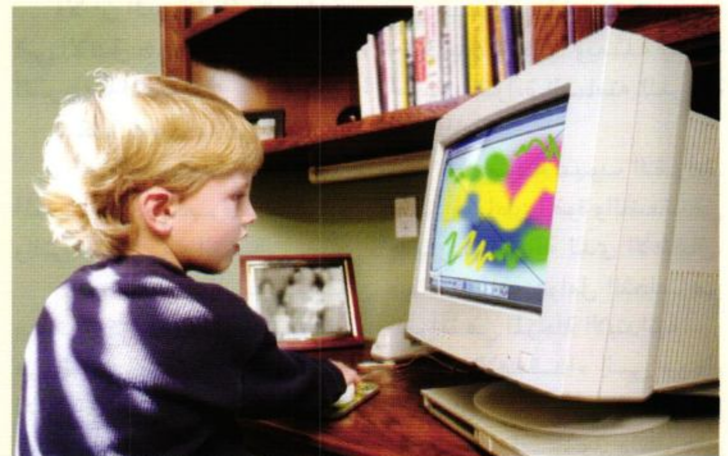
لذا يجب على الوالدين:

■ عدم السخرية من الطفل.

■ التساؤل بالتشكك والتعبير عن الحيرة من الأمور الايجابية في نضج الطفل العقلي.

■ إن الثقة الشائعة في بيت الطفل تلعب دوراً مهما في تشكيله خلال تلك المرحلة المبكرة.

والآن.. هل من المبالغة القول بأن الطفل مخلوق مفكر؟ وهذه الإطلالة ربما تشي بالتاريخ الفكري للإنسان منذ الأزل، ليبقى السؤال، وماذا بعد أن نضج الطفل، ماذا نقول ونكتب له إضافة لفكره؟





كيف نبني شخصية أطفالنا ثقافياً؟

ليلى محمد محمد

عندما نطرح مثل هذا السؤال: كيف نبني شخصية أطفالنا ثقافيا؟ فلابد من أن ندرك نقطتين أساسيتين وهما:

الأولى: ماذا يمكن أن نقدم لهم من ثقافة البلدان المتقدمة؟

الثانية: ما العوامل التي تساعد على تنمية ثقافة الطفل وتسهم في بناء قيمه؟



يجب إعطاء الطفل الفرصة الكافية وتوفير جميع المستلزمات التي تساعد في بناء قيم معقولة

مما لاشك فيه، أن الثقافة ضرورة للطفل كالطعام والماء والهواء، بل يجدر القول إن تقدم المجتمع مرهون بثقافة أطفاله، وبقدرتهم على اكتساب المعارف الجديدة والقيم الأخلاقية والاجتماعية والتربوية الأصيلة، وقد جاء على لسان كبير خبراء التربية ورعاية الطفولة في الاتحاد السوفييتي السابق قوله «إن في بلادنا قيصرا واحدا سيظل يتمتع بكل الامتيازات والتقدير ذلك هو الطفل»، وفي الولايات المتحدة الأميركية، يقوم رئيس الجمهورية بزيارة رياض الأطفال وملاعبهم والاطمئنان على حسن رعايتهم، وفي بريطانيا، ثار أحد علمائها وحمل على الحكومة حملة شعواء لأنها رفعت أسعار «الشوكولاتة».

أما الشعوب التي تهمل أطفالها وتتركهم يعيشون غرباء عن أمتهم، فإنهم يشبون دون أن يشعروا بأي رباط بأمتهم، إن هذه الشعوب تحفر قبرها بيدها.

وفي ضوء هذا الفهم، نجد أن الطفولة هي أساس الأمة وعليها يقوم بنيانها، وأصبح معروفا لدى الجميع، أن السبب الحقيقي لازدهار حضارة الأمة أو ضياعها، هم أطفالها، ولهذا السبب اهتمت الأمم بالاطفال وعنيت بالطفولة وجعلتها همها الدائم وشغلها الشاغل، كي تبني شخصية الطفل ثقافيا، لأنها أصعب ملايين المرات من بناء السدود العالية والمركبات الفضائية، والأهم من ذلك أن شخصية الطفل لن تكون متزنة وتامة، إلا إذا أولينا فكره وعقله من العناية مقدار ما نولي جسمه حتى ينشأ متكاملا معافى متزنا.

إن مرحلة ما قبل القراءة، هي مرحلة مهمة في حياة الطفل، وهي الأساس في بناء القارئ وإعداده، ولابد أن يبدأ ذلك في مرحلة ما قبل القراءة هذه، أي منذ بداية نمو الطفل.

إن مرحلة الإعداد للقراءة، هي المرحلة التمهيدية التي تصلح للطفل قبل بلوغه السادسة من عمره، فإذا أعددنا الكتاب المناسب لنمو الطفل وحاجاته وخبراته، فإننا نساهم مساهمة كبيرة في إعداد القارئ.

ألا يصح القول بأن كثيراً من بلدان العالم الثالث لا تعرف شيئا عن الطفل! من هو؟ ماذا يريد؟ وماذا يجب أن يعملوا من أجله؟

إن معظم القصص الصادرة غير مدروسة، لأن الهدف من عرضها وبيعها هو الربح فقط، ناهيك أن كتب الأطفال المترجمة تحتل حيزاً مهما، وتنافس الإنتاج المحلي في البلاد النامية، وهذه المواد المترجمة مثل قصص «غريم باندرسون» و«استيفنس»، وقصص أقل شهرة، وغالبا ما تحتوي على قصص علمية، وقد تكون مجلات مصورة، وقد تتفاوت مستوياتها جودة ورداءة، وتأثيرها مختلف، من انبعاث الرغبة في الإبداع الى الخمول والاتكالية.

إلا أن السؤال الذي يلوح في الأفق هو: ما هي صفات الترجمة المفيدة؟

يمكننا تلخيصها في الآتي:

- أن تنحصر في المؤلفات المختارة والجديرة بالترجمة والتي تتماشى مع التربية.

- أن تمتاز بالإتقان، وتبلغ مستوى كلاسيكياً، وهذا نادر في الكتب التي تترجم للأطفال، لذلك فمن الأفضل قراءة هذه الكتب بلغاتها الأصلية أو بلغات أجنبية أتقنت ترجمتها عن لغاتها الأصلية، وهذا ما يقودنا الى المطالبة بإحداث ما يمكن تسميته «مركز الدراسات للأطفال» في البلدان النامية بغية توفير كتاب الطفل في العالم الثالث، ولكي يتسنى لها ذلك يجب التعرف على الطفل أولاً ومن خلال دراسات أساسية تتناول:

١- معرفة مستوى الطفل، للأخذ بيده، وتقديم المادة التي تشبع حاجة القارئ الموهوب الى التفكير التأملي، وتوجيه الطفل العادي الى مجالات أخرى في القراءة، لإخصاب معرفته وتوسيع آفاقه، ويمثله بطاقة اختبار القراءة الصامته للمرحلة الابتدائية.

٢- معرفة عيوب القراءة، لتلمس مواطن القوة والضعف في المهارات اللغوية لدى الأطفال، ويمثله بطاقة عوامل التخلف في القراءة في المرحلة الابتدائية.

٣- الاهتداء إلى ميول الأطفال القرائية بغية توجيهها وتنميتها، ليساعد ذلك على

تحسين الخدمات المكتبية التي تقدم للأطفال.

٤- معرفة الكتب والقصص التي يقرأها الأطفال أكثر من غيرها في مراحل العمر المختلفة.

ولكن كيف يمكننا الاهتداء الى الكتب التي يقبل الأطفال على قراءتها؟

- يكون ذلك من خلال الأسئلة التي يلقيها الأطفال لزيادة خبرتهم (الاستقصاء)، كذلك التواد والتعاطف، وهما من أقوى الأنماط السلوكية التي تتجلى في تماسك الأسرة والأصدقاء والجماعات، وللإقبال عليها يجب توجيهها التوجيه الصحيح، فضلاً عن أن القصص المفضلة للأطفال هي ذات الصفة الخيالية التي تروى عن الحيوانات والطيور، والمحتوية على الألفاظ والجمل البسيطة السهلة التناول، بالقصص ذات الغلاف الجذاب والصورة التي تناسب صورها موضوعاتها.

والإرشاد وظيفة تسبق المطالعة وتمهد لها، بل هو خطوة ضرورية تفرض على القائمين بها أن يعرفوا خصائص الأدب الجيد، الموضوع للأطفال، مثلاً: كيف تختلف قصة للصغار عن قصة للبالغين في أسلوبها وفي مضمونها؟ ألا يتطلب الأمر مطالعة القصص المختلفة، الجيدة والرديئة، في سبيل المقارنة والحكم ومراجعة لوائح الكتب المصحوبة بشروح وتعليقات تساعد على الاختيار، والاستعانة بمصادر أجنبية تنير لنا الطريق؟ وإلا فسنظل نواجه تلك المعضلة (الحلقة المفرغة) من يضطلع بوظيفة الإرشاد الى الجيد من الكتب؟ ولأنه في حالة توافر كتب المطالعة، قد لا تتوافر وسائل الإرشاد، والأمر نفسه يصدق على أنشطة أخرى غير المطالعة.

يجب أن نعامل الطفل على أنه كائن مفكر، ويحتاج الى المعرفة، للوقوف في وجه العقبات التي تقف في طريقه، وبغية تعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم، وبيان فوائد الثقافة والعلم ودورهما في تكوين القيم، ومن العوامل التي تساهم في ذلك:

١- إعطاء الطفل الفرصة الكافية، وتوفير جميع المستلزمات التي تساعد على بناء قيم معقولة، يستطيع أن يفخر بها ويدافع عنها ويضحي في سبيلها، بعد أن توفر له المحبة والاحترام والشعور بالثقة والطمأنينة.

٢- فتح حوارات وندوات مع الآباء والمربين، بغية مناقشة الموضوعات التي تهم الأطفال، وتساعدهم على المنافسة والانطلاق وتبعدهم عن العقد النفسية.

٣- تعليم الطفل الجمل الايجابية التي تؤثر في مشاعره، بغية معرفة العلاقة بين المشاعر والأهداف.

٤- تدريب الأطفال على كيفية الإفصاح، والقيام برحلات وعرض المشكلات والاشتراك في وضع الحلول المناسبة لها، وتنفيذ الألعاب الهادفة التي تساعد على تنمية المدارك.

٥- اللجوء إلى استخدام أساليب تربوية مؤثرة وجذابة من ثناء ومكافأة.

المراجع

- الأطفال وقراءتهم- الكويت - شركة الربيعان للنشر والتوزيع ٦٧٩١/ م. ص ١٦٠ للأستاذ محمد بن السيد فراج.
- تقرير حول أدب الأطفال في الغرب- دمشق - ١٩٧٩ م. ص ١٧ للأستاذ إبراهيم الخطيب.
- أطفالنا كيف نفهمهم؟ جيروم كاغار - ترجمة: عبدالكريم ناصيف.

منهج الإمام أبي حامد الغزالي في تربية الأطفال

محمد عرابي

أورد الإمام الغزالي - يرحمه الله- في كتابه القيم «إحياء علوم الدين» آراء كثيرة فيما يختص بتربية الصبيان منها:

١- أن يُشغل وقت فراغه حتى يبتعد الصبي عن العبث والمجون، وخير طريق لشغل هذه الأوقات تعويد الولد القراءة، وخاصة قراءة القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار.

٢- يتهذب الصبي عن طريق تعليمه الدين وقيامه بالعبادات اللازمة، ومعرفته علوم الشرع، وتخويفه من السرقة وأكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش.

٣- ينصح الغزالي بمراعاة التوسط والاعتدال في تهذيب أخلاق الصبية، وينصح بإبعاد الصبي عن قرناء السوء، وبعدم تعويده على التراخي والكسل أو التساهل في التعامل معه، ويصر على إبعاده عن التدليل والتنعم.

٤- يهتم الغزالي بموضوع اللعب بالنسبة للصغار، فهو وسيلة يعبرون بها عن فطرتهم، وينصح بأن يلعب الصبي لعباً جميلاً بعد انصرافه من الكتّاب، ولا يرى الغزالي أن اللعب مجرد نشاط تلقائي يقوم به الصغار فحسب ولكن له ثلاث وظائف أساسية: فاللعب يساعد على ترويض جسم الصغير وتنمية عضلاته وتقويتها، كما أنه يساعد في إدخال السرور على قلب الصغار، وثالثا: فهو مريح للصبية من تعب الدروس في الكتّاب.

٥- ينصح الغزالي بعدم التمادي في عقاب الصبي، وبالإقلال من التأنيب والتشهير بمساوئ الصغار.

٦- طالب الغزالي بتهذيب الفطرة وتعديل الغرائز ومراعاة الفروق بين الأفراد.

ويضيف الغزالي عدداً من النصائح في تربية الطفل تتعلق بخصائص نموه وتنشئته منها:

١- ألا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة.

٢- يجب عليه لبس الثياب البيض دون الملونة.

٣- أن يمنع من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل.

٤- أن يُعلّم الولد آداب الأكل.

٥- أن يُعود ألا يكشف أطرافه، ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه.

٦- أن يُمنع الفخر على أقرانه بشيء يملكه والده.

٧- إذا ضربه المعلم فلا يكثر من الصراخ والشغب، ولا يستشفع بأحد.




أسئلة الأطفال الدينية والإجابة عنها

أحمد حسن الخميسي

الأسئلة مفتاح من مفاتيح المعرفة، يطرحها الكبار والصغار على من هم أعلى وأكثر خبرة في شؤون الحياة.
وتكثر هذه الاسئلة عند الصغار، لاسيما في مراحلهم الأولى من الحياة، ويوجهون هذه الاسئلة الى أقرب الناس إليهم كالوالدين والإخوة والأقارب والمعلمين والمشرفين.
وتشكل الأسئلة الدينية النسبة الكبيرة من أسئلة الأطفال، ويكون بعضها محرجاً.



تأتي الإجابات من أفراد الاسرة وغيرهم متفاوتة، وقسم منها لا يكون مناسباً للطفل، ومن الآباء من يتهرب من الإجابة أو لا يحسن الإجابة، مما يؤثر على الطفل.

هذا ما دفعنا للوقوف على أسئلة الأطفال الدينية والاجابة الناجعة عنها، لكي نساعد أطفالنا على التعرف على دينهم، ونقدم لهم ما يشفي غليلهم من حب للمعرفة والاطلاع.

لماذا يسأل الأطفال أسئلة دينية؟

يولد الأطفال على الفطرة، فما إن تنطلق ألسنتهم بالكلام، حتى يبدأوا بالأسئلة والاستفسار عن حياتهم وعن خالقهم وعما يسمعونه من أهليهم ورفاقهم ومن وسائل الاعلام عن الملائكة والجان، وعن العبادة كالصلاة والصيام وعن رسول الله والأنبياء عليهم السلام، وعن المعاملات... إلخ، كل ذلك ليشبعوا حب الاستطلاع والمعرفة التي فطروا عليها، فالله -سبحانه وتعالى- جعل هذا الدافع للسؤال في داخل الطفل ليزداد معرفة، فمن واجب الوالدين - وهما اللذان سير بيان الطفل على مبادئ الدين وتعاليمه - أن يجيبا عن أسئلته إجابات واضحة ومقنعة تريحه وتزيد ثقته بنفسه وبوالديه وبمعلمه إن كان له معلم.

فما الطريقة المناسبة للإجابة عن أسئلة الأطفال الدينية؟

إن الرد على تساؤلات الأطفال، يجب أن يتصف بالصحة والدقة والوضوح والإقناع، فلا نقدم للطفل إجابة خاطئة أو غامضة أو غير مقنعة، وهذا لا يعني أن نطيل في الإجابة حتى تتحقق الصفات السابقة، بل نقدمها بشكل مناسب بين الإيجاز والإطالة، وتلائم عمر الطفل، فالاجابة على أسئلة ابن السادسة يجب أن تكون أقصر من الاجابة عن اسئلة ابن العاشرة وهكذا، هذا في الاسئلة التي يحتاج الجواب فيها الى افاضة وتوسع وتقديم أدلة وبراهين كما في الاسئلة عن الغيبيات، والأسئلة الحرجة، أما بعض الاسئلة فتكون الاجابة عنها محدودة تقدم لأعمار الاطفال جميعها كسؤال: كم هي عدد ركعات الفرض في صلاة الظهر؟ فالاجابة واحدة: أربع ركعات.

ويستحسن ان نفتح آفاقاً واسعة للطفل كي يسأل، ونشجعه على ذلك، ونمنحه مزيداً من الثقة والمحبة، ونجيبه عن جميع أسئلته حتى الحرجة منها فوراً، وإذا كان الأمر يتطلب مراجعة الكتب أو سؤال أهل العلم، فعلينا أن نمهله الى وقت آخر للاجابة على سؤاله، ونحرص على إجابته ولو بعد حين، لكيلا يبقى في حيرة وشك، فالمماطلة في الإجابة، تثير لدى الطفل أسئلة أخرى، وربما يبحث عن الاجابة من مصادر ثانية، قد لا تقدم له الاجابة الصحيحة الشافية، بل تقدم له الاجابة المشوشة الخاطئة، فيزداد حيرة وشكاً.

وكي نوسع وسائل المعرفة والتعامل والاتصال عند الأطفال، نطلب منهم أن يراسلوا وسائل الاعلام كبرامج الأطفال في التلفزيون وصحافة الأطفال







التي تخصص في برامجها مكاناً للإجابة على أسئلة الأطفال.

هذا في الأسرة، أما في المدرسة فالمعلم الواعي هو الذي يترك للأطفال فرصاً ليسألوا عما يخطر ببالهم عن الأمور الدينية، فيجيبهم بشكل مناسب ومقنع، ويبدي لهم سروره بأسئلتهم ويشجعهم على ذلك.

وعندما يتلقى الأطفال أجوبة شافية كافية عن تساؤلاتهم الدينية، ولا يجدون لدى معلمهم غضاضة في الإجابة عنها، يزدادون في طرح الأسئلة ويسألونه اسئلة حرجة قد يترددون في طرحها على أهليهم وذويهم.

ولن أذهب بعيداً عن هذا الميدان، وسأقدم إليكم ما جرى معي خلال قيامي بتأدية رسالة التربية لعدة عقود خلت، ليطلع الآباء والأمهات والمعلمون على نماذج من أجوبتي عن أسئلة الأطفال التلاميذ الدينية.

نماذج من الأجوبة عن أسئلة التلاميذ الدينية

١- في درس من دروس التربية الاسلامية، قال أحد التلاميذ: لقد حدثتنا عن الله تعالى فأحببناه، فلماذا لا نراه كي نتكلم معه؟

يستحسن أن نفتح آفاقاً واسعة للطفل كي يسأل ونشجعه على ذلك

فقلت للسائل: اخرج وقف عند باب الغرفة، وانظر الى الشمس وهي في رابعة النهار، وحدق النظر فيها دون أن تغمض عينيك، ففعل ما أمرته به، وبعد قليل ارتد بصره، ووضع يده على عينيه وقال: لم أعد أحتمل النظر الى الشمس فنورها شديد.

فقلت: إذا كنا لا نستطيع ان ننظر الى أشعة الشمس، فكيف نستطيع أن نرى نور الله إذا تجلى لنا.

فاقتنع التلميذ ورفاقه، وعززت اجابتي بالحديث عن سيدنا موسى عليه السلام، عندما طلب من ربه أن يراه، فلما تجلى الله للجبل خر موسى صعقاً (مغشياً عليه) وهو القوي الأمين.

٢- سألني أحد التلاميذ وهو في العاشرة من عمره: أنت تقول: إن الله على كل شيء قدير، فلماذا يأمر الملائكة بالقيام بأعمال كثيرة؟ لماذا لا يفعلها هو بنفسه؟

قلت للطفل ابن العاشرة: انظر للثلاجة - وكانت على بعد أمتار من مجلسنا - إذا عطشت أنا، فإما أن أطلب منك أن تحضر لي منها كوباً من الماء البارد (وأنت تفعل ذلك بكل سرور) وإما أن أقوم بنفسي فأشرب، هل احضارك للماء لي يدل على عجز مني؟

قال: لا. قلت (ولله المثل الأعلى) كذلك الله تعالى عندما يطلب من جنوده القيام ببعض الأعمال، لايعني ذلك أنه لا يقدر على القيام بها، بل هم بعونه وقدرته يتحركون ويعملون، فاقتنع التلميذ والسامعون.

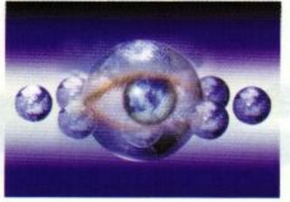
٣- سأل تلميذ في الثامنة من عمره، لماذا لا نرى الشياطين؟ فقلت: تصور أنك عندما تريد أن تنام على السرير تبدأ الشياطين تقفز حولك في غرفة نومك وأنت تراها أو تدخل عليك من الباب أو من أسفلك أو من أعلاك وهي حرة الحركة طليقة ومنظرها مخيف، فصرخ التلميذ ومن معه «يا ويلي!» لا لا.. لايمكن أن أنام، هذا شيء يخيف ويرعب، قلت: فهل عرفت لماذا لم يظهر الله لنا الشياطين؟

الخلاصة

مما سبق، تبين لنا أن الأجوبة على أسئلة التلاميذ من الأطفال لم تكن أجوبة مباشرة، بل تضمنت قصة منها جواب عن السؤال أو مثلاً موضحاً للجواب، أو ربطاً بين حادثة وحادثة وجواب وجواب، ويمكن لنا كذلك أن نربط بين عالم الغيب وعالم الشهادة، لأن الطفل يقتنع بالمحسوسات أكثر، فالربط التقريبي بينها في الإجابة على أسئلة الأطفال الدينية مطلوب ومناسب، وعلينا ألا نهمل الإجابة عن أسئلة الأطفال بل نوليها الاهتمام البالغ.

إن ما قلناه - فيما سبق - لا يعني كل شيء، بل هو نافذة نطل منها على أسئلة الأطفال الدينية والإجابة الحكيمة عنها.

وللمربي المسؤول حرية الإجابة بشرط أن تكون إجاباته فيها من الحكمة والروية والوضوح، ما يجعل الطفل يقتنع ويطمئن، ولا يجد حرجاً في طرح أي سؤال يخطر بباله.

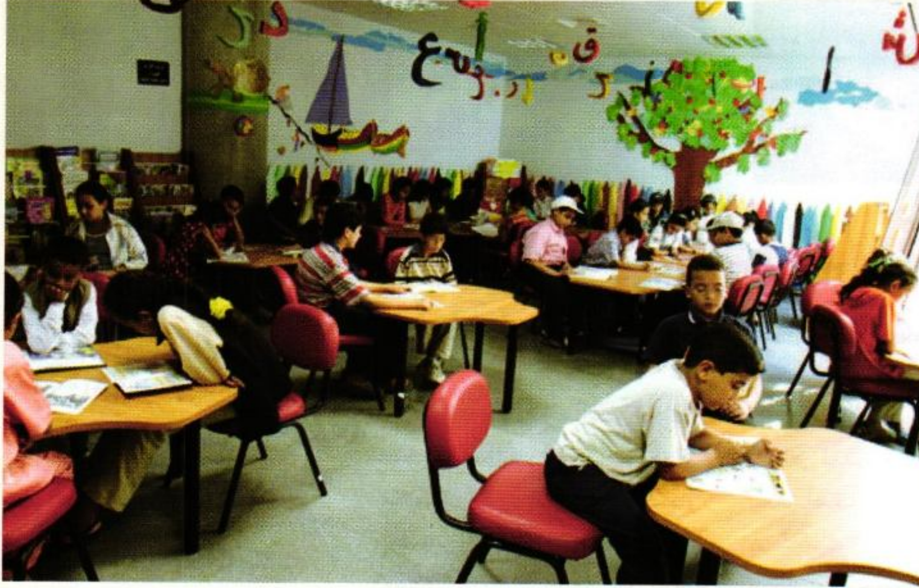




بعد أن تفاقمت الأزمة وظهرت المحنة

كيف ننمي الموهبة الأدبية لدى أطفالنا؟

فاروق الدسوقي



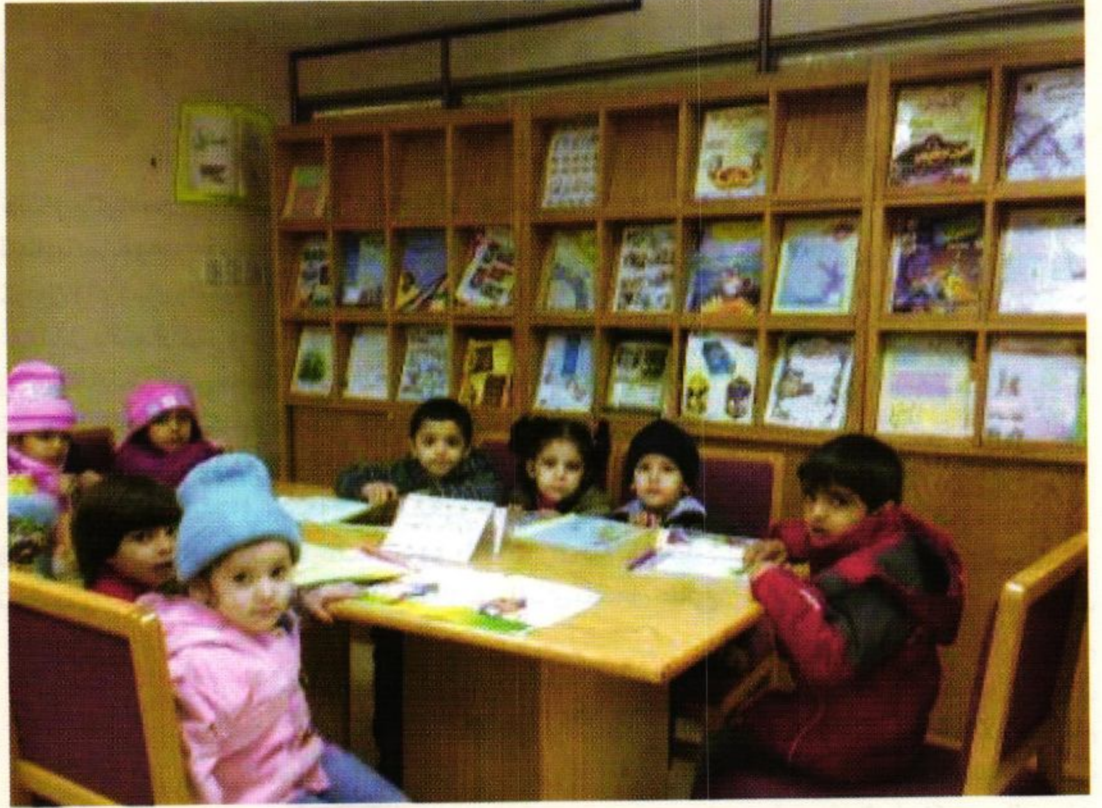
للطفولة في نظر الإسلام معنى كبير، فالأطفال نعمة كبرى من نعم الله التي أنعم بها على الإنسان، ومن هنا كانت هذه النعمة جديرة بأن تراعى حق رعايتها، ولم يكن غريباً أن تتحرك الأبوة والأمومة تجاه أطفالهم بالحفاظ عليهم، والحرص على سلامتهم حتى ينشأوا ويقبلوا على الحياة بالأمل المشرق، والعمل الخلاق، وإذا كان التشريع الإسلامي قد أرسى الأسس القويمة التي ترعى هذه الطفولة منذ نشأتها، بل وترعاها قبل أن تخرج إلى الحياة، فإن الأدب الإسلامي لم يفته، وهو الفن المعبر عن الحياة، أن يعطي الطفولة أيضا حقها تصورا وتصويرا، وتأثراً وتأثيراً بما يجعل هؤلاء الأطفال يشعرون منذ نعومة أظفارهم بأنهم كيان يحس، وينفعل ويتفاعل مع كل ما يدور حولهم في هذه الحياة، فهي إذن طفولة مؤثرة ومتأثرة، ومن هنا كانت العناية واضحة بأدب الأطفال منذ القديم.

ويؤكد ذلك ما حفلت به كتب التراث في أدبنا العربي والإسلامي، ولعلنا نتذكر ما كان يعرف بأشعار الترقيص، والغناء، وأغاني المهد، حيث كان الفن الأدبي الذي يخاطب به الصغار مجالا لتصوير عاطفة الأبوة والأمومة تجاه أطفالهم، وفلذات أكبادهم، وانطلاقاً من هذه القيم الرفيعة التي تناقلناها عبر الأجيال، والتي حفلت بها أمهات الكتب من تراثنا العظيم، واستمرت مسيرة الأدب الإسلامي على مر السنين، ثم تلقف الراية أدبنا العربي والإسلامي في العصر الحديث، فوجد أمامه كنزا لا ينفد، ومعينا لا ينضب من أسمى القيم وأعلاها، وأرفع المثل وأغلاها، تمثلت في كتاب الله الخالد المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بما فيه من عقائد، وتشريعات وحكم وأحكام وقصص وأخلاقيات، وعبر وعظات وعلم وعمل، ثم تمثلت بعد ذلك في القدوة الطيبة التي أهداها الله لأمة الإسلام والرحمة التي أرسلها الله للعالمين، وكانت هذه الرحمة المهداة ببعثة محمد رسول الله ﷺ، وكان سيدنا محمد بحق القدوة، لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الاحزاب:٢١)، وكان النبي ﷺ بحق كما قال ربه في شأنه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم:٤).

ورغم ذلك لم تحظ موهبة الطفل الأدبية بما تستحقه من عناية الآباء، ودارسي الأدب، والمسؤولين عن رعاية الإبداع، فغالبا ما ننتظر حتى يتجاوز الطفل عتبات الطفولة لنلحقه بالمؤسسات التعليمية، لا لننمي موهبته ليصبح أديبا، على الرغم من ان ديننا الإسلامي يهذب الأطفال منذ نشأتهم بآداب سامية، فظهرت محنة الموهبة الأدبية في عصر ظهرت فيه معارف ومواهب جديدة زحزحت الأدب عن أولويته التي كان يحظى بها في المجتمع، فلم تعد النظرة إلى التنشئة الأدبية تخلو من هاجس الازدراء.

فطرة سليمة

والإسلام يهذب الطفل منذ مراحله المبكرة بأدب سام، يوقظ فيه كل حين الفطرة السليمة، والخليقة الخالصة النقية، التي تفضل بها الله (عز وجل) على خلقه حين يتلو أو يسمع قول الله



لم تحظ موهبة الطفل الأدبية بما تستحقه من عناية الآباء ودارسي الأدب والمسؤولين عن رعاية الإبداع

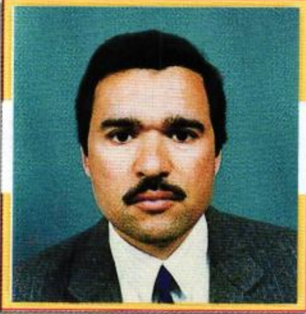
سبحانه وتعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم:٣٠)، فيسلك المنهج القويم، ويميز بين الطيب والخبيث، والهدى والفجور، قال تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس:١٠) يقول د.صلاح عبدالتواب إن القرآن الكريم يحث في أدبه المعجز العباد على الطريق المستقيم، والهدى، والوقاية من الضلال والعذاب، ويحثنا النبي ﷺ في أدب بليغ يتردد صداه في جوانب النفس والوجدان - على النظر إلى الفطرة بقوله «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه البخاري)، كما رغب في مخالطة الأخيار، ونهى عن مجالسة الأشرار، في قوله ﷺ «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» (سنن أبي داود)، وإذا نشأ الطفل في مجتمع رحيم عطوف عليه، ووسط أسرة تضمه بالحنان والحب والرحمة يصير متأدباً بآداب الرحمة، متذوقاً لمعاني الحب والجمال والخير والحق، في قوله، ومنهجه وسلوكه، لأن أدب الإسلام حث عليها من الصغر على أنها عبادة، وطاعة، ومنهج، وسلوك، ومن القيم الخلقية في الأدب الإسلامي أدب العدالة بين الأطفال، فلا يضارون بصورة من صور الظلم، من الأسرة أو المجتمع، مما يترك أثرا بناء في تهذيب نفس الطفل، ورقة مشاعره، وعمارة وجدانه، فيشب على المحبة، والمودة، والتعاطف، والتعاون، لقوله عز وجل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل:٩) وهذا ما يجب على المجتمع من رفع الظلم عن المسلم وعن الطفل الضعيف، وإرساء العدالة الاجتماعية بين الجميع.

واقع وخيال

يقول د.صبح أستاذ الأدب بجامعة الأزهر: إن الإسلام أوجب على الوالدين أن يرعيا أولادهما الأطفال منذ سبع سنين على سبيل الوجوب، والإلزام بتعليمهم الصلاة، واعانتهم على أدائها، وأن يضربوهم عليها إذا ما بلغو عشر سنين وانصرفوا عنها، لقوله تعالى ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ (طه:١٣٢)، وقول رسولنا الكريم ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبنا عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» (سنن أبي داود)، وجاء الأمر لأن اعتياد الصلاة وتكرارها في اليوم خمس مرات يعودهم على قيم وأخلاق كثيرة، والطفل يعتمد في تفكيره على الخيال لا الواقع، وهي ظاهرة تتصل بالشعر، ويمكن للمسرح التعليمي أن يشبع لديه هذه الناحية، خصوصا أن قوة مخيلته تتناسب عكسياً مع عمره، وأي تمثيل أو لعب يكسبه الحس المعرفي، والدرامي، ولهذا تعد مرحلة الطفولة بمثابة نقطة الالتقاء الفنية التي تتيح له أن يلتقي باللغة الأدبية ليعرفها، ويتعود عليها، ويكسب الرونق والديباجة، ويتعرف على مناهج الشعراء، حتى يوشك أن يكون شاعراً مثلهم.




حول خطورة وحساسية الكتابة للطفل المسلم



ابراهيم نويري

مما لاريب فيه أن الكتابة للأطفال واليافعين والمراهقين في كل أقطار الوطن العربي والعالم الإسلامي أخذت تنداح وتزداد اتساعاً سنة بعد أخرى، أو شهراً بعد شهر، بل يوماً بعد يوم، مما يشي بحق أن هناك وعياً لدى المربين والأدباء والكُتّاب العرب إزاء أهمية وخطورة وحساسية الكتابة في هذا الحقل المعرفي، أو لنقل بكلمة أكثر وضوحاً: إن مبعث هذا الموقف وهذا الوعي يكمن في الشعور بالتخوّف على هُويّة النشء في مجتمعاتنا العربية المسلمة، لاسيما خلال هذه المرحلة التاريخية التي تتسم بالانفتاح الكبير وشدة التقارب بين الثقافات والأفكار والأنماط الاجتماعية الحياتية والاتجاهات والمنازع المختلفة، فكان من الطبيعي أن يُثار سؤال الخصوصية الثقافية وما يقتضيه ذلك السؤال المركزي من تفكير في الوسائل والمناهج والمهارات التي من شأنها على أقل تقدير المساهمة في عملية تعزيز الذات والمحافظة على الخصوصية بمنأى عن دوافع التعصب والجمود والانغلاق، أو كراهية الآخر الذي يحمل طابع المغايرة الثقافية والحضارية.



لاشكّ عندي أن هذه المسألة الحيوية ينبغي أن تأخذ حقها من العناية والاهتمام والرعاية، وأن تحظى بمزيد تفكير وتنظير على كلّ المستويات، لاسيما على مستوى أدب الأطفال واليافعين، باعتبار أن الناشئة هم الفئة التي سوف تجد نفسها بحاجة ماسة لفهم طبيعة العصر الذي تعيش فيه، وما يفرضه ذلك من إعداد وتأهيل فكري وثقافي يمكّن الجيل الجديد من أبنائنا وبناتنا من التعامل الصحيح مع العصر الذي قد يحمّلهم من المطالب والمقتضيات ما لا نستشعره نحن الآن أو نفكر فيه خلال هذه المرحلة من تاريخنا.

إن الكتابة للأطفال واليافعين في أوطاننا العربية وعالمنا الإسلامي الكبير ينبغي أن تنمو وتتطور بشكل أو وتيرة ممنهجة وفاعلة يمكّنها بحق من الاستجابة السليمة الواعية المستبصرة، لتبنّي ومعالجة اهتمامات الطفل معالجة شاملة عميقة، والإجابة على جميع تساؤلاته ورغائبه وخيالاته وتطلعاته بأسلوب مطابق للعلمية، أو متّسق مع ثوابت وحقائق العلم ومناهج التربية والتأهيل، إذ لا مكان مطلقاً- في هذا المنهج- للتعامل مع أفكار أو معارف من شأنها ترسيخ الخرافات والأساطير والأوهام في ذهن ووجدان الناشئة، ولنا أن نقرر هنا أن أيّ كاتب أو ناشر يسعى لترويج ونشر هذا اللون من المعرفة- أي اللون الخرافي- فهو غاش للأمة ودينها وقيمها ومواريثها الثقافية والحضارية، خاصة إذا استحضرنا في وعينا البون الشاسع بين المستوى الذي عليه أمتنا في هذه المرحلة من تاريخها، وبين الآفاق التي بلغها العالم من حولنا.

أعرف سلفا بأن هذا الأمر قد يفضي بنا، أو قل يحيلنا للحديث عن مساحة الحرية المتاحة للكلمة والإبداع الفكري في أقطارنا العربية، بيد أن هذا الأمر موغل في النسبية، فضلاً عن كونه يختلف من قطر لآخر، مما لا يترك أمامنا أية فرصة للمماحكة أو للتقول بما يخالف الحقيقة، و إصدار أحكام نمطية، قد لا تزيد عن أن تكون شهادة زور، ثم إن الأفق العام في سائر بلداننا يتجه بصورة طبيعية باتجاه تكريس الحريات العامة، لاسيما في مجال الكلمة والفكر والرأي.

إننا الآن نشهد تحولاً يشبه القفزة النوعية فيما يتعلق بالكتابة للأطفال في سائر أمصار وأقطار الوطن العربي، حتى بات هناك أكثر من جيل واحد يُنسب لأجيال كُتّاب الأطفال واليافعين، فمن أبرز أسماء الجيل الماضي ممن اهتموا بأدب الطفل، نذكر مثلا أحمد محرم ومحمد الهواري وسيد قطب وأحمد شوقي وبهيجة صدقي ومحمد سعيد العريان وكامل كيلاني ومحمود أبوالوفا ومحمد زهران وأمين دويدار وحسن توفيق وحامد القصبي وعلي فكري وتوفيق بكر ومحمد عبدالمطلب ومحمد الأخضر السائحي وعبدالحميد جودة السحار...الخ، ثم جاء بعده جيل آخر ربما من أشهر أسمائه زكريا تامر وعادل



أبوشنب ودلال حاتم وعزيز نصار وإسكندر نعمة وعبدالله عيد ونزار نجار وطالب عمران وعبدالرزاق جعفر وأيوب منصور ومصطفى عكرمة ولينا منصور وعبدالتواب يوسف... والقائمة طويلة لا يستوعبها فضاء هذا المقال، إذ إن مكانها الطبيعي دراسة مستفيضة تتناول تاريخ أدب الطفل في العالم العربي.

وهناك أيضا جيل جديد دفعه وعيه الذاتي واشتغاله في الحقل التربوي والتعليمي والإعلامي إلى استشعار أهمية وخطورة مجال الكتابة للأطفال والناشئة عموماً، وهذا الجيل أصبح فوق الحصر، ولعل أحسن وسيلة للوقوف على كلّ الأسماء، تأليف عمل ببليوجرافي موسوعي يشمل جميع كتاب أدب الطفل في كل الأقطار العربية، وحسبنا أن نشير هنا في عجالة إلى بعض الأسماء المشهورة، مثل سامي محمود طه، والحبيب دربال، وزهير رسام، وعارف الخطيب، وخير الدين عبيد، وصبحي سعيد، ونورالدين الهاشمي، وكمال قداوين، ومحمود مفلح، وآمال يوسف، ويعقوب الشاروني...الخ.

كما يمكن التنويه إلى أن ما زاد في وتيرة العناية والاهتمام بأدب الطفل انتشار مجلات الأطفال، وظهور القنوات التلفزية والفضائيات الموجهة للأطفال، ولا يخفى على النابهين وجود بعض البرامج وحصص الصور المتحركة (أفلام الكرتون) ذات الخلفية الفكرية والسلوكية الغربية التي من شأنها تشكيك الطفل العربي المسلم في عقيدته أو زعزعة إيمانه وإضعاف انتمائه لوطنه ومحبته لأهله وأمته وهويته الحضارية، ولعل ما أثاره مسلسل «البوكيمون» الشهير من جدال وسجال خير مثال يمكن استحضاره في هذا السياق.

عدم العثور على مصطلح أدب الطفل في أدبيات التراث العربي القديم لا يعني غياب قضايا الطفل وشؤونه المختلفة

إن الكتابة للأطفال أساليب وألوان شتى، منها ما يُعرِّف الطفل بالطبيعة ومناظر جبالها وسهولها وبحارها وأنهارها وبراكينها وعواصفها وتقلبات فصولها، ومنها ما يهتمّ بالتعريف بالكون وأفلاكه وكواكبه ونجومه، ومنها ما يسعى للتعريف بالحيوانات المختلفة من أليفة ومفترسة ومنقرضة كالتنين والديناصور...الخ، ومنها ما يُقدِّم للناشئة جرعات من الخيال العلمي تخدم وتدعِّم رصيدهم من الثقافة العلمية الضرورية، ومنها ما يُعرِّف النشء ببعض الأحداث التاريخية من خلال تقديم أعلام وشخصيات تصلح مواقفها وسلوكياتها للتمثل والاقتداء، ومنها كذلك لون آخر يتّجه لتعزيز القيم والخِلال الحسنة، وغرس الفضائل والأخلاق الحميدة في نفسية الطفل وفكره وسلوكه.

وإذا كان بعض خبراء أدب الطفل قد عرّفوا هذا الأدب بأنه التعبير الأدبي الجميل المؤثر، الصادق في إيحاءاته ودلالاته، الذي يستلهم القيم الرفيعة والمبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقلياً ونفسياً وسلوكياً ووجدانياً وبدنياً وفنياً، ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية وقدراته المختلفة فإن الكثير من الكتابات العربية التي دبّجها مؤلفون مسلمون قدامى يطولها هذا التعريف حتما.

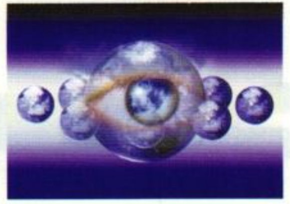
فليس بالضرورة ابتداء، ولا من العدل أن نحكم على وجود شيء ما من خلال اسمه وإلاّ انتفى وجوده، بل العبرة بالمضمون، أي بوجود الشيء نفسه في الواقع الماثل، وهذا الذي نقرره ينطبق على حقيقة «أدب الطفل» في تاريخ الكتابة العربية والإسلامية، فالكتّاب العرب والمسلمون لم يُطلقوا مصطلح «أدب الطفل» في كتاباتهم، لكنهم تناولوا مختلف قضايا الطفل، بدءاً بالجانب التربوي التأهيلي، ووصولاً إلى الجانب الترويحي الترفيهي.



فنحن إذا عدنا لتقصي هذه الكتابات وجدناها تتناول عدة جوانب أهمها: العقيدة الدينية والالتزامات الأخلاقية والجوانب التربوية والسلوكية، وتنمية المواهب والمهارات الإبداعية والرياضية والفنية، وجوانب التثقيف والترفيه، ولا شكّ في أن هذه الجوانب عولجت من خلال توظيف القيم التربوية الإسلامية المستوحاة من القصص القرآني والحديث النبوي، وقصص المغازي والسير وبعض الملاحم وتواريخ الشعوب التي فتحت صدرها وقلبها للإسلام.

وفي ذلك يقول د. نجيب الكيلاني- رحمه الله- «وجد القصاصون في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للأطفال، فكانت تُروى لهم بصورة مبسطة، وكذلك بعض ما ورد في الأحاديث النبوية ومغازي رسول الله ﷺ وحروب الصحابة ومَنْ أتى بعدهم، وجهاد المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وأخبار العلماء والصالحين والرحالة والمسافرين للتجارة، وأخبار الأمم الأخرى كذلك» (أدب الأطفال في ضوء الإسلام ص ٢٧).

فعدم العثور على مصطلح «أدب الطفل» في أدبيات التراث العربي القديم لا يعني بحال غياب قضايا الطفل وشؤونه المختلفة، بل إننا لنعثر على عدة

نماذج في العطاء الثقافي العربي العتيق، تمثل أشكالاً وأجناساً لأدب الطفل، مثل كتابات أبي عبدالله محمد ابن ظفر الصقلي المكي (ت ٥٦٧ هـ) خاصة كتابه «أنباء نجباء الأبناء»، وابن سعيد الغرناطي الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابيه «مختصر العجائب» و «القدح المعلى» بل هناك نماذج كثيرة يمكن إدراجها ضمن أدب الطفل، موجودة في كتابات مؤلفين أقدم زمنياً من هذين المؤلفين، مثل عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٦ هـ) وأبوحيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) ونحوهم.

ناهيك عما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والسيرة العطرة وكلام الخلفاء الراشدين والتابعين والفقهاء من توجيهات وآراء وتصورات وإرشادات تشكل خلفية نظرية أو قاعدة لصياغة أدب الطفل، ومثال ذلك «قصة النُّغير» وملخصها أن رسول الله ﷺ مرّ ذات يوم على طفل يُدعى عُميرا، شقيق أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وفي يده عصفور فيسأل الطفل عن اسم العصفور، ويجيبه الطفل بأن اسمه النغير، فكان رسول الله كلما مرّ بطريق هذا الصبي يقول له مداعبا: يا أبا عمير كيف هو النُّغير؟ فيقول: بخير يا رسول الله، وذات يوم يمر ﷺ فيجد الطفل عميراً يبكي، فيقول له: ما يبكيك يا عمير؟ ويجيب عمير يا رسول الله لقد مات النُّغير!! فأخذ رسول الهدى ﷺ يصبّره ويخفف عنه، وفي اليوم الثاني يجيء رسول الله ﷺ بنفسه إلى بيت الطفل عمير لتعزيته في موت العصفور، فهذه الحادثة الطريفة- المسطرة في السيرة العطرة- مادة رائعة حقا في تأصيل أدب الطفل في الإسلام.

ومثال ذلك أيضا قول الخليفة عمر بن الخطاب «علموا أولادكم السباحة والفروسية، ورَووهم ما سار من المثل، وما حسُن من الشعر»، وقول هشام بن عبدالملك لمعلم ولده «... وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روِّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصِّره بطرف من الحلال والحرام والخطب والمغازي»، ويقول حجة الإسلام أبوحامد الغزالي «إن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كلّ نقش وصورة، وهو قابل لكلّ ما يُنقش عليه، ومائل لكلّ ما يُمال إليه، فإنْ عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة... فعليه أن يتعلّم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار».

وصفوة القول أن أدب الطفل أصيل في الإسلام والكتابة العربية القديمة، على خلاف الحضارة الغربية التي لم تعرف شيئا يُذكر عن الطفولة وأدبها إلا بداية القرن السابع عشر الميلادي، وهذا ما يجب أن يعلمه المثقفون من أبناء أمتنا، وعياً وإدراكاً لخطورة وأهمية حقل ثقافة الطفل، بوصفها المرتكز الأول في عملية إعادة بناء فكر الأمة وتأهيل إنسانها تأهيلاً صحيحاً فاعلاً، يعود بالخير والنفع على ديننا وأوطاننا وهُويتنا.

رعاية وحماية الطفـ



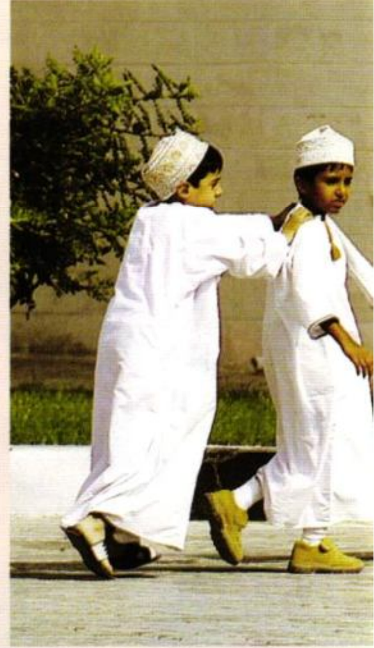
سهام مهران عبدالله

بتمويل من منظمة «اليونسيف» نشرت جريدة «تشرين» عام ٢٠٠٥ ملفاً متعلقاً بهذا الشأن، ونحن في هذا الصدد نحاول التركيز في موضوعنا هذا «على العالم العربي» ونقتطف بعض العبارات لنقاد ودارسين ومحللين استيفاء للغرض النبيل وهو رعاية وحماية الطفولة من العمالة في عالمنا العربي.

والطفولة معرضة لأبشع الانتهاكات التي عرفتها البشرية، فالطفل أضحى الدجاجة التي تبيض ذهباً للمرابين والمتاجرين بدم وقوت الشعوب كما أصبح الطفل كبش فداء في معارك لا ناقة له فيها ولا جمل، والطفل هو ذلك المخلوق الرقيق الذي يختطف من حضن أمه وأبيه ليزج به في الشوارع ويعمل في الدعارة ومصانع الصلب والحديد والمناجم والحقول والشوارع وتجارة المخدرات وغيرها.

ويشير د.أحمد عبدالله مدير مركز الجيل في القاهرة إلى أن ظاهرة عمل الأطفال تعتبر حديثة العهد في عالمنا العربي ولا تخرج ظاهرة عمل الأطفال في الإطار العربي عن قوام الظاهرة في إطارها العالمي سواء من حيث أسبابها «الفقر- تدني التعليم - القيم القابلة واللامبالاة» أو من حيث ظروف المعيشة للأطفال العاملين في أسرهم الفقيرة أو من حيث شروط وبيئة العمل «الاستغلال- تدني الأجور- الإيذاء- المخاطر».

ــولة من العمالة في العالم العربي



يضاف إلى ذلك تأخر الاهتمام بمجرد الدراسة للظاهرة التي لولا الضغط الدولي لكان من المشكوك فيه الاهتمام بها أصلا في الإطار العربي.

ومما يزيد الطين بلة تخلف أجهزة الإحصاء الرسمي عن توفير المعلومات الأساسية عنها، فمن المفارقة اللافتة أن الإحصاء الرسمي اللبناني يجعل نصيب الأطفال من قوة العمل مجرد نصف في المائة تقريباً، هذا رغم ما هو مرئي ومعلوم من اضطرار الأسر اللبنانية الفقيرة - وهي الضحية الأولى للحروب الأهلية والإقليمية- لإرسال أطفالها للعمل بدلاً من المدرسة.

على أن المفارقة الأكثر إيلاماً في الإطار العربي هي هذا الانتشار المشهود لظاهرة عمل الأطفال في منطقة تحتوي على قطاع الدول الصغيرة للنفط، وإذ تستدعي ظاهرة عمل الأطفال المزيد من الدراسة على المستوى العربي كما يستدعي التصدي الجاد لها إحراز تقدم حقيقي على صعيد التنمية الاقتصادية ومحاربة الفقر وتطوير التعليم فإن هذين الأمرين يمثلان المدخل (الدراسة) والمخرج (التنمية) للتعامل الجاد مع الظاهرة على أمل القضاء عليها على المدى الطويل، ويأتي في المنتصف ما بين هذا وذاك ما يمكن أن نسميه الإطار الوسيط سواء على المدى الزمني أو على مستوى العمليات الجارية والمستحدثة على هذا المدى، وهنا تأتي عملية العمل (LABOUR PROCESS) من حيث تنظيمها القانوني على مستوى الدول العربية المنفردة وعلى المستوى الجمعي العربي، وبما تحتويه هذه العملية من عمال بالغين وعمال صغار، وفي حالة العمال الصغار ينقسم الأمر ما بين منعهم أصلا من العمل كأطفال مكانهم المدرسة لا الورشة أو المزرعة، وبين تحديد القواعد الملزمة لمعاملتهم كعمال فعليين يعبرون عن حقائق الأمر الواقع، ويتعلق هذا بالتنظيم القانوني الذي يتعلق بأولئك الصغار الذين يعملون بدءاً من الحد الأدنى لسن العمل بين ١٢-١٦ سنة في الدول العربية كل على حدة، وتبقى المشكلة في إمكانية التنظيم القانوني لما هو محظور قانوناً لكنه موجود كأمر واقع، فالطفل الذي يعمل دون الحد الأدنى لسن العمل يفعل ذلك بالمخالفة للقانون، وعلى كل حال فإن الإطار القانوني لتنظيم عملية العمل في الدول العربية المنفردة وفي العالم العربي ككل - خاصة في هذا الإطار الجمعي- إنما يمثل نقطة ضعف في المواجهة العربية لظاهرة عمل الأطفال.

ويأتي هذا الضعف نتيجة ضعف أصلي في الاهتمام بالظاهرة، فاهتمام الدول العربية بها جاء تحت الضغط الدولي في السنوات الأخيرة، كما أن اهتمام التنظيم الاقليمي العربي الرئيسي (جامعة الدول العربية) لم يتعد حتى الآن بصورة رئيسية مستوى إعلان النوايا الحسنة وإبداء الرغبة وبداية المناقشة، وذلك من خلال ما يمكن أن نسميه التنازل العابر في مواثيق وأطر تنظيمية مثل ميثاق حقوق الطفل العربي ١٩٨٢، الخطة العربية لرعاية الطفولة وتنميتها ١٩٩٢، اللجنة الفنية العليا لشؤون الطفولة العربية ١٩٩٨، ورغم تقدير الأمر برمته كنقطة ضعف في الاهتمام العربي بظاهرة عمل الأطفال فإنه من الإنصاف الإشارة لتطورات ايجابية ثلاثة حدثت على جبهة تعظيم الاهتمام هي:

١- اتجاه عدد من الدول العربية لرفع الحد الأدنى لسن العمل في تشريعاتها الوطنية في السنوات الأخيرة محدثة في بعض الحالات التلازم بين سن انتهاء التعليم الإلزامي وسن بدء العمل ومقتربة من المعايير والاتفاقيات الدولية الخاصة بالحد الأدنى لسن العمل خصوصا الاتفاقية ١٣٨ لسنة ١٩٧٣ التي صدقت عليها الدول العربية تونس، الجزائر، ليبيا، والعراق.

٢- التنمية المبكرة لضرورة استبعاد الأطفال دون سن ١٦-١٨ من بعض الأعمال الخطرة مثل المناجم والكيماويات والدوام الليلي في التشريعات الوطنية واللوائح الادارية لعدد من الدول العربية حتى مع بقاء الحد الأدنى لسن العمل منخفضاً في هذه التشريعات.

٣- قيام منظمة العمل العربية باصدار الاتفاقية العربية رقم ١٨ لعام ١٩٩٦ بشأن عمل الأحداث وتمثل هذه الاتفاقية أساساً معيارياً اقليمياً جامعاً يصوغ الموقف القانوني من الظاهرة بصورة مجملة بعد أن كان تناولها يأتي جزئيا.

إن جميع الأشكال المنصوص عليها في الاتفاقية ١٨٢ «العمل العبودي والجبري، الصراعات المسلحة، الدعارة، المخدرات، بقية الأعمال الخطرة» موجودة في العالم العربي، ويستخدم فيها الأطفال بصور ودرجات مختلفة على اتساع الإقليم العربي، وتكفي الإشارة لظاهرة خادمات المنازل الصغيرات وما يكتنفها من انتهاكات هي الأسوأ ليس فقط من حيث الشكل بل أيضا من حيث الجوهر اللاإنساني.

والعلاج لهذه الظاهرة يكمن في تطبيق القرارات المنصوص عليها من الجامعة العربية ومؤتمرات القمة العربية، والمواظبة على تنظيم الاحتفال السنوي بيوم الطفل العربي الذي تقيمه الأمانة العامة في الأول من أكتوبر مع إمكانية تداوله بين الدول العربية لتأكيد الروابط والتعارف بين اليافعين العرب في مختلف بلدان الوطن العربي.

العشاق المتيَّمون في هذا الزمان

محمد فتح الله كولن *

لا يستطيع تحقيق الأفكار السامية والغايات العُلا والمشاريع العالمية إلاّ من يستطيع التحليق عاليا، ويملك نفَسا طويلا، الذي لا يبطئ من سرعة مسيره، الذي يقف بثبات ورباطة جأش، المملوء بتطلعات الآخرة وأذواقها ممن وهبوا قلوبهم لمبادئهم وأصبحوا عشاقا ولهانين لها. لا نحتاج اليوم إلى هذا أو ذاك، بل نحتاج إلى هذا النمط من الأفراد الذين نذروا أرواحهم للحقيقة ويسعون لتطبيق أفكارهم التي يعتقدونها في الواقع وإلى الأخذ بيد أمتهم أولا، ثم بيد الإنسانية ليخرجوها من الظلمات إلى النور ويؤمِّنون رسم طريق لها نحو الحق تعالى، كل فرد من هؤلاء يفكر فيما يجب عليه أن يفكر فيه ويعرف ما يجب معرفته؛ فيجعل ما يعرفه واقعا، يجوس خلال الأمكنة وكأن على فمه صور إسرافيل تمهيدا لبعث جديد بعد الموت، ينفخ الحياة في كل مكان وفي كل شيء، بقوة البيان إن كان يملك سحر البيان وفنّه، وبقلمه إن كان من أصحاب القلم، وبفنه ورسمه وخطوطه إن كان من أرباب الإبداع، وبسحر الشعر إن كان شاعرا، وبعذوبة نغمات ألحانه إن كان موسيقيا، يهتف على الدوام بإلهامات روحه، ويُظهر في كل فرصة أحاسيس أعماقه، لسانه مرتبط بأعماق فؤاده، وفؤاده مرتبط بكل إخلاص بذوي الأرواح النابضة بالحقيقة.

الصورة الحالية للدنيا ستتغير بفضل هؤلاء الذين نذروا أنفسهم لإقامة صرح القيم الإنسانية وفتحوا قلوبهم للمحبة

إن قمنا بتقويم هؤلاء الأبطال بالنماذج الموجودة على مسرح الحياة، نرى أنهم يسيحون في أرجاء الأرض وكأنهم ذاهبون إلى الحج، ويُتوِّجون سياحتهم هذه بروح الهجرة، ويهمسون بأذن مَن يقابلونهم بلسان حالهم ووجدانهم، بالحب يتحدثون، وبالحب يحاورون، ويقيمون سرادقا للحب في كل قلب، بهم تحيا الأرواح الظامئة للحب، وتستمع إليهم جميع القلوب التي بُعثت من جديد، ترى سمة الإخلاص وبصْمته عند الذين هاجروا بهذه المشاعر ورحلوا، وكذلك عند الذين قبلوهم واحتضنوهم، لن تجد مصلحة أو منفعة شخصية بين مَن يتحدث ومن يصيخ إليه بسمعه، بين من يعرض ما في ذاته من معنى وروح ومَن يتطلع إليه، بين من يمسك بقدح إكسير الخلود ومن أفاق ورجع إلى نفسه، بين من يقدم التأييد والنصرة ومن يؤيَّد وينصَر، كما ليس ثَمَّةَ مدار بحث عما هو خارج رضا الله تعالى، فهذه العلاقات العميقة والنابعة من القلوب تستند كليا إلى قيم إنسانية عالمية، وتنبع من التوقير والاحترام المشترك لهذه القيم.

لقد بدأنا- منذ عهدنا القريب- نظهر كأننا قد نسينا تماما أننا أمة لها جذور روحية سليمة وقوية، وأننا أنشأنا على مدار التاريخ حضارات متعددة ورفيعة المستوى، وبدأنا نتصرف كأمة لا تملك ماضيا، والأنكى من هذا أننا نتيجة عقدة من الشعور بالنقص، بدأنا ننكر أنفسنا وننكر ماضينا، بل أصبح بعضنا يخجل حتى من هويتنا كأمة لها شخصيتها، وهكذا أصبحنا يوما بعد يوم مبتعدين عن أنفسنا، متلبسين بالقيم الأجنبية، وكم هو محزن أن أُمتنا التي كانت في ماضيها المجيد أمة تفكر وتتحدث معبرة عن نفسها، فشيدت معابد في كل مكان تعكس عقيدتها ومعايير الحسن والجمال، فغدت ذكرى طيبة للتاريخ، فما أفجع أن تهبط هذه الأمة من علياء المجد والشهامة والشهرة إلى حضيض النسيان، فلا صيت لها ولا شهرة ولا توقير.

* مفكر تركي





فـلا تـسـتـحـق هــذه الأمــة ذلك المصير الحزين، وما كان له أن يستمر إلـى الأبـد، فقد استطاعت مـرات ومـرات أن تحول حفر الموت ووهداته- بإذن الله- إلى مسالك واسعة للحياة، وحولت الأوضاع التي كانت تبدو كعلامات انقراض وهـلاك إلى وسائل تجديد وتطوير، مبدية كفاءة عالية ومطورة في كل مرة وأساليب جديدة للسير نحو مستقبل زاهر رغم أنف بعض أصحاب المصالح الشخصية الذين لا يعرفون سوى منافعهم الذاتية، ورغـم أنف المتعصبين من الملاحدة الذين ينكرون القيم الدينية وقيم الأمـة، وهـي على الـدوام تجمع شتات نفسها في كل مـرة تتعرض فيها للهزات وتقف على رجليها من جديد، منطلقة إلى العالم أجمع حاملة معهـا مـشـاعـرهـا وأفـكـارهـا ورسـالـتـهـا، أصـحـاب الحـمـيـة هــؤلاء بـعـيـدون كـل الـبـعـد عن أي رغبة في الشهرة والصيت، لا يـهـتـمـون بـالمـظـاهـر الـكـاذبـة، اتخذوا التواضع خلة، والإخلاص خصلة، والـوفـاء شيمة، أقـويـاء أمام إغراءات النفس وشهواتها، انقلبوا -بحس التاريخ الذي ورثوه عـن أجـدادهـم- إلـى حـواريّين مبشرين بقيمنا الملّية والدينية لـلـدنـيـا كـلـهـا، اخـتـاروا ركـوب الـصـعـاب عـلـى الـدعـة والـراحـة قائلين «قد ولجنا طريق الحب، فنحن والـهـون»، فحققوا لهذا العصر أعلى منارات القيم.

أبطال النور الآن انقلبوا إلى سحابة غيث وأنشودة فرح وبسمة أمل لتشفي غليل الأرواح الظامئة للمحبة والود والمسامحة

الـورود فـي أرجـاء الـعـالـم اليوم استمدت نضرتها وحمرتها ورونقها من جهود هـؤلاء ذوي الوجوه النيرة، ومن المعاني التي تحملها أرواحـهـم، والجغرافية الاجتماعية بـدأت تُنسج على جـمـال أفـكـارهـم مـثـل قـمـاش مطرز، وبـدأت الإنسانية تترنم بأنغامهم القديمة التي لا تشيخ ولا تـبـلـى، ومـع أن مشاعرهم وأفكارهم النقية تبدو في بدايتها كقطرات صغيرة، فـإن الـذيـن يـدركـون روح المـوضـوع ومعناه يعلمون بأنها تحمل ماهية بحار واسـعـة تتماوج بـأمـواج مختلفة من الهبات الإلهية.

وبسبب طبيعة هـذا الأمـر فإن أبطال النور هؤلاء وفرسانه اضـطـروا فـي بـدايـة الأمـر إلى تنوير محيطهم القريب منهم، أما الآن فقد ظهروا بمظهرهم الحقيقي من العمق وقوة الروح وانقلبوا إلى سحابة غيث، وإلى أنـشـودة فـرح، وإلـى بسمة أمل انهمرت على كل طرف وجانب لتشفي غليل الأرواح الظامئة للمحبة والقلوب المشتاقة للود والمسامحة وتحيلها إلـى جنان ضاحكة مزهرة، يصح القول بأن الأرض اليوم تتهيأ من أقصاها لأقصاها لربيع جديد ولـولادة جـديـدة نـتـيـجـة لـلـبـذور الـتـي بذرها هؤلاء في كل مكان، وأن الإنسانية بكاملها- بشعور من حدس مسبق- مقبلة على فرحة تلقي نسائم بشارات هذه الولادة وهـذا التحول الجـديـد، ومهما اختلفت الأصـوات والأنغام فإن المعنى الذي ينعكس في القلوب ويستقر في الصدور هو المعنى نفسه، أما النسائم التي تهب في أوقـات السحر فصوت رقـراق من جدول ماء الحياة الموهوب إلى أيوب عليه السلام، وعطر إبـراهـيـمـي مـن عـطـر يـوسـف ليعقوب عليهم السلام.

وكما أن هذا عودة منا إلى موقعنا الحقيقي مـرة أخـرى، فهو أيضا رسـالـة إحـيـاء بديلة للإنسانية جمعاء، والحقيقة أن الأمم المختلفة التي تعيش أزمـات حـادة وتتلوى من آلامها في حاجة إلى مثل هذا النسيم، فطوبى لـلـروّاد السعداء الذين حركوا هذه النسائم! وطوبى لمن فتحوا قلوبهم لها!

إنـنـا نـؤمـن بـأن الـصـورة الحالية للدنيا ستتغير في يوم من الأيام بفضل هؤلاء الأبطال الذين نذروا أنفسهم لإقامة صرح القيم الإنسانية وفتحوا قلوبهم للمحبة، وستتنفّس الإنسانية الصعداء، ولعل الفكر الإنساني في عالم المستقبل سيسطع نورا بهم للمرة الأخـيـرة، وستتحقق بهم الآمـال الإنسانية وأحـلام المدن الفاضلة والعديد من آمالنا وأمانينا. أجل! لابدّ أن يأتي ذلك اليوم الذي يتحقق فيه كل هذا، وعنده سيجثو أصحاب القلوب الفارغة والحظوظ النكدة أمام هؤلاء الربانيين طالبين الصفح والغفران ساكبين دموع الندم،

ولكنهم لا يستطيعون أبدا تلافي ما أضاعوا من فرص، وكم يتمنى المرء لو أن هؤلاء- من أصحاب القلوب الفجة والمشاعر الدنيئة والأفكار المتمردة والمظلمة والتصرفات الرعناء والخشنة- رجعوا في مستقبل قريب إلى أنفسهم واتبعوا طريق الحق والإنصاف ولم يلوّثوا غدهم قبل أن يأتي يوم يتلوون فيه من عذاب الضمير.

إن هؤلاء الأبطال الأسطوريين المضحّين تضحية الصحابة الكرام، الساعين للوصول إلى أرجاء الأرض كافة، الذين يهمهم إيصال ماء الحياة إلى الآخرين، الذين لم يلتفتوا إلى مغريات حياتهم الشخصية، النابذين كل مظاهر التباهي والفخر والعجب، الذين يظهر التواضع ونكران الذات في كل حال من أحوالهم، لا يهدأ حماسهم وشوقهم حتى في أحلك الظروف والأوقات على الرغم من جميع السلبيات والعوائق، أصبحوا بهذا الحماس الذي لا يفتر ولا يهمد وبإقبالهم على خدمة الإنسانية بهذه الهمة العالية أنموذجا نادرا في التاريخ من ناحية الشهامة والإخلاص والتضحية، تراهم يهمسون لكل من يلقونه بشيء من أعماق قلوبهم، ويزرعون في كل مكان شتلة ليحولوا كل جانب إلى بساتين خضراء زاهرة، تراهم على الدوام في حيوية ونشاط، وفي حركة دائبة ويعبرون عن أنفسهم بكفاءة عالية يدعون الناس إلى الحياة الأبدية بعزم وإيمان وثبات وبأمل كبير في المستقبل، قد يبدو الطريق الذي يمشون عليه طريقا متعذر السلوك، علما أنهم أدرى به مسبقا. أجل! يعلمون أن الطريق سيتحول في يوم من الأيام إلى طريق وعر وشائك، ويعلمون أن جميع الجسور ستتهدم، لقد أخذوا هذا في حسبانهم منذ البداية، وأدركوا منذ اليوم الأول بأن العفاريت والأبالسة ستظهر أمامهم ليقطعوا الطريق عليهم، وأن أعاصير من العداء والكراهية والحقد ستثار من حولهم. أجل! هم على يقين بأن طريقهم طريق الحق، ولكنهم لم يسقطوا من حسابهم أن عراقيل كبيرة لا تخطر على البال ستظهر أمامهم، وتراهم يعدون كل ما ظهر وكل ما سيظهر من مشقات ضريبة طريق الحق تعالى؛ لذا لا يفقدون من حماسهم شيئا ويستمرون في طريقهم مسرعين لا يلوون على شيء.

وكما أنه ليس بمقدور أحد أن يحرف هؤلاء الدعاة - الذين يعيشون في وحدة العقل والقلب- المستقيمي السلوك عن قيمهم التي آمنوا بها حتى الآن، فليس بمقدور أحد كذلك أن يحول طريقهم الذي جعلوا محوره «الحصول على رضا الله تعالى، وتعريف العالم كله بالخالق تقدست أسماؤه». لقد نذروا كل حياتهم في سبيل هذه القضية ولأداء هذه المهمة وصمدوا كالجبال الشُّمِّ لا يزحزحهم عن هذا الأمر شيء، ويَتَحَدَّونَ الأعاصير والزلازل، والرعود والبروق، واكتشفوا سر استثمار كل موسم من المواسم، فسقَوا وأنبتوا الورود والأزهار، وعلى شفاههم أناشيد أفراحها وحبورها.

تراهم في حركاتهم وسكناتهم كالساعة نظاما ودقة، وتستشف في أحاديثهم وكلامهم استقامة وعواطف جياشة ونضرة، لا تجد اضطرابا في حركاتهم، ولا مرارة في أقوالهم، قلوبهم طاهرة ونقية كقلوب الملائكة، وألسنتهم ترجمان صادق لأعماق قلوبهم؛ لذا غدوا بسلوكهم وتصرفاتهم محط غبطة، وبكلامهم وأحاديثهم مثار عواطف جياشة، لا تجد في عوالم قلوبهم سوى رغبة الحصول على رضا الله تعالى، ولا في كلامهم سوى عشق عميق لله تعالى، وحب للوجود، ومحبة للإنسان، وإشفاقا عليه، ومعاملته بالسماحة والعطف. وعندما يعبِّر هؤلاء بعشقهم العميق عن محبّتهم لله تعالى يستطيعون بسر مفتاح المحبة أن يلينوا الطبائع القاسية حتى تغدو كالشمع ليونة ويفتحوا القلوب الصدئة والعفنة، وبذلك يؤدون حق ما حظوا به من تكريم رباني، فيُحَبّون ويُحِبُّون، لا يهتزون تجاه أقسى الهجمات ولا يتزلزلون، بل يثبتون في أماكنهم كالجبال الشم بعزم يقارب عزم الأنبياء، وعندما ينظرون إلى ما حواليهم ينظرون بنظرة سماوية، لا يسقطون ولا يتهاوون أمام العواصف الهوجاء، ولا



يهتزون أمام الزلازل الشديدة، ويفتحون صدورهم للأمواج العاتية وللرياح العاصفة، ولا يبخلون عليها بقبضة من تراب هذه الشواطئ عندما ترتد هذه الأمواج عن شواطئ قلوبهم.

هؤلاء الرجال أصحاب الشهامة مدركون أن قلوبهم متعلقة بأجَلِّ مهمة وأنبلها- تلك هي رضا الله تعالى- وهم عازمون على التصدي لأي شيء للوصول إلى غايتهم، عندما تنظر إليهم كأشخاص تراهم في منتهى التواضع، يحترقون كالشموع لينيروا ما حواليهم، ومع أنهم يظهرون عدم المباهاة، فهم مستعدون في كل آن للتحليق كالطيور في السماء والتسابق مع الربانيين، وحتى عندما يبدون دون حراك في الظاهر، فإنهم بفعاليتهم الداخلية في حيوية مستمرة، وعزم راسخ، وفي حمى من الحركة الدائبة، هم كالبحار تسقي سواحلها بأمواجها، وأحيانا تخفف بأمطارها حرارة أماكن بعيدة عنها، وهم يقدمون ماء الحياة للجميع، للقريب والبعيد، وينفخون روح الحياة في الأجساد التي فقدت معنى الحياة وأصبحت ميتة قبل سنين وأعوام، يقصون لمن حولهم على الدوام بلسان الروح قصص

القلب، ولا يشاركون في أي إشاعة أو نقاش يؤدي إلى زرع أي نوع من أنواع الكره والحقد في المجتمع، يعيشون على الدوام على أمل أن يكونوا نافعين للناس جميعا، ويحسون في أعماق أرواحهم بآلام الإنسانية جراء مشاكلها المختلفة وأزماتها المعنوية، يفتحون صدورهم لكل من يقترب منهم، يستمعون للشكاوى ويئنّون لها، ويبحثون عن أصحاب القلوب المكلومة ويضعون أيديهم في أيديهم لكي يعالجوا آلام البائسين، ويمسحوا الدموع عن أعينهم، وعندما يأتي الوقت المناسب يتصدون لإخماد نيران الفتن وشرارات الفساد، ولا يزرعون غير الأزهار والورود حتى بين الأشـــواك، وعلى شفاههم أناشيدها وبهجتها.

تتحول أحيانا قسماتهم الوردية- التي تشبه البراعم المتفتحة- إلى حمرة قانية نتيجة ما يجابهونه من آلام وأشجان، وتصل بهم الحال أحيانا إلى درجة يحسون معها أن قلوبهم ستتفطر كمدا وحزنا، وتتحول النغمات التي يترنمون بها إلى ما يشبه الصراخ، وعلى الرغم من كل هذا فإنهم يسيرون نحو أهدافهم راضين، يشيعون حولهم الابتسامات وإن كانت صدورهم تحترق نارا، فتخضر الأماكن التي يمرون بها، وتنقلب إلى بساتين وحدائق خضر كجنان الجنة، والذين يمسكون بأيديهم ويعاونونهم يُبعثون كمن شرب من ماء الحياة، الخدمات التي يقدمونها تكون كاليد البيضاء لموسى عليه السلام تبهر العيون، جهودهم ونشاطهم يفضح حيل جميع السحرة، وتتهاوى وتفلس الأفكار الفرعونية عند كل بلد يحلّون فيه.

يملك هـــؤلاء غنى في الأفضال والهبات الإلهية النابعة من الإيمان، بحيث أن ما كان يملكه قارون من خزائن وأموال يعد بجانب هذا الغنى وهذه الثروة فُتاتا ومن سقط المتاع، بل يستطيعون بهذه الثروة الإلهية وبهذا الغنى أن يشتروا العوالم، كفة أعمارهم- ربحا ومواهب- مملوءة على الدوام، أما كفة الخسارة عندهم فهي فارغة إلى درجة تدفع الشياطين إلى غضب مجنون.

يعرف هـؤلاء جيدا أين يستثمرون رأس مال حياتهم، وكيف يشرون بكل مهارة الحقائق الباقية والخالدة بالأشياء الفانية والزائلة، لا يصرفون أوقاتهم هباء وفي أمور لا تنفع، ولا يستسيغون أبدا التأخر عن أداء الخدمات الإيمانية، همّتهم عالية، إرادتهم صلبة، عزمهم دائم، الإيمان والحركة والنشاط من أهم مميزات قلوبهم ومزايا سلوكهم، لا يخافون أحدا إلا الله، ولا يخشون غيره، يقفون أبدا منتصبي القامة، مرفوعي الـــرأس، ويمضون مرفوعي الهامة لتنوير العالم بكل تواضع، تراهم على الدوام متواضعين قد خفضوا أنظارهم إلى الأرض.

لو لم يبق فوق سطح المعمورة إنسان حقيقي ولو غطت السحب والدخان الآفاق لثبت هؤلاء في مكانهم بكل رسوخ مرددين «لقد وهبنا الله أقداماً وقبضتين لكي نعمل وايماناً لا يخترقه عدو»

لو لم يبق فوق سطح المعمورة إنسان حقيقي، ولو غطت السحب والدخان الآفاق من جهاتها الأربع، ولو غرقت الطرق والأزقة بسيول من الأوحال، ولو حاصرت الأشـواك كل مكان، واستولت أشجار الزقّوم على أماكن الورود والزهور، ولو استولت الغربان ونعيقها على الميادين والساحات، وطغت على تغريد البلابل، وتزاحمت الزنابير حول أقداح العسل، وسادَتْ وحشة الغابات المرعبة طرقنا وأزقتنا، ولم تبق للعلم حرمة ولا توقير، وطردت المعرفة من كل الديار، وأصبحت الإنسانية ضحية للغدر وقلة الوفاء، وزالت الصداقات وانقلب الأصدقاء إلى أعداء، لو حدث كل هذا، لثبت هؤلاء في مكانهم بكل رسوخ دون أن تزل أقدامهم وكل منهم يقول «يجوز أن ينقلب كل شيء رأسا على عقب، ولكن المهم أنني واقف على قدمي بثبات، قد تتحول كل ناحية إلى صحراء جرداء، ولكن المهم أنني أملك نبعا من الدموع، لقد وهبني الله زوجا من الأقدام لكي أمشي، وقبضتين لكي أعمل، وأملك إيمانا هو رأس مالي وقلبا حصينا لا يخترقه العدوّ، هناك فرص تكفي لإعمار العوالم تنتظر استثمارها، وأنا أستطيع- استنادا إلى عون من ربي- أن أقلب العالم بهذه الملكات إلى جنان وارفة الظلال، ومادامت كل بذرة تنبت سنابل عدة، فلمَ اليأس من المستقبل، ولِمَ هذا الغم والهم؟! لاسيما إن كان الله تعالى يعد بمضاعفة كل خير آلاف الأضعاف في العالم الآخر...الخ». يقولون هذا وهم يسيرون في طريقهم نحو أهدافهم رغم الطرق الخربة والجسور المتهدمة، يسيرون وهم ينشرون الحياة حولهم كالنهر المتدفق، ويطفئون حرقة وغليل وظمأ كل واحد، وهم كالنار تضطرم للحفاظ على الآخرين من البرد والقر، وكالشمعة تحترق وتذوب بعد أن يسيل النور إلى آلاف العيون، أحيانا يترصدون في الكمائن- كأرباب الليل- فيفتحون صدورهم لاستقبال نسائم الرحمة، وأحيانا يئنّون في الأوقات والساعات المباركة ويتأوهون ويتوجهون لنيل عناية إلهية فائقة.

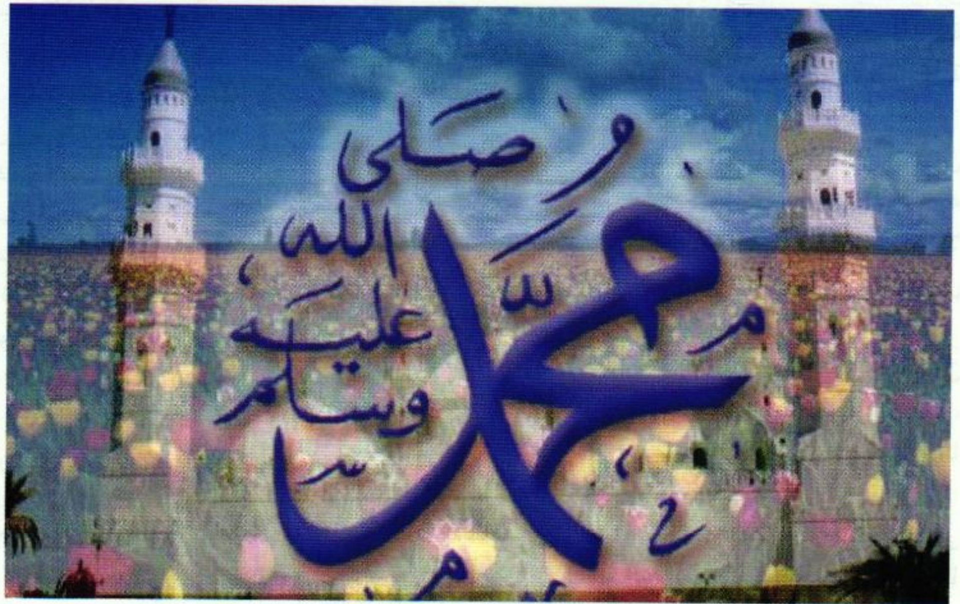
هذا الطريق الذي يمشون عليه هو الطريق الذي سلكه ويسلكه أرباب القلوب؛ لذا لا تجد أحدا يضيع فيه، أو لا يصل إلى مبتغاه.

ترى هؤلاء مترعين بالإيمان والأمل والحماسة على الدوام، كرماء إلى درجة التضحية بما يملكون في سبيل الحق تعالى، يقضون أعمارهم في حمى البذل رجاء نيلهم عمّا فعلوه هنا أضعافا مضاعفة من الثواب، فقد وقر في أنفسهم أنه لا توجد هناك مرتبة أرفع ولا أسمى من مرتبة من ينذر حياته في صيانة الدين ورعايته وتمثله في أرجاء المعمورة بمستوى لائق ورفيع، وهم يعدون الوصول إلى هذه المرتبة الغاية الوحيدة لحياتهم، وأن حكمة وجودهم في هذه الحياة هي تحقيق هذا الهدف ليس إلا، يتنفسون على الدوام هذه المشاعر والأحاسيس، فيجتمعون لتخطيط أفكارهم، ويعمقون اجتماعاتهم بربطها في سبيل الله، حتى إن سكّان الملأ الأعلى يباركونها ويهنّئون أصحابها ويدعون لهم بالنجاح والتوفيق.

مآثر الإسلام

جاك صبري شماس

لكل أمة من أمم الأرض خصوصية تنفرد بها، وتتميز عن الآخرين وهكذا كانت الأمة العربية التي انفردت بحرف الضاد وأصبحت درة فريدة بين لغات العالم، وقد تجلى ذلك في القرآن الكريم ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا...﴾ (يوسف:٢) وليس من باب المبالغة القول بأن ما من لغة غنية ثرية وحيوية كاللغة العربية.



ولعلنا لا نخطئ الظن بأن أول صيحة في العالم كله تجلت في قول الخليفة عمر بن الخطاب متجاوزاً كل المفكرين الأجانب في أهم جانب إنساني على الإطلاق يدعو إلى التحرير من الرق والعبودية بقوله «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» إن القارئ يعرف أن الحديث عن مآثر العروبة والإسلام يحتاج إلى كثير من المجلدات، ونحن هنا في هذه المقالة ننشر الدرر النفيسة المتسمة بالنبل والسمو والرفعة والإنسانية والخلق والآداب، وهذه السمات كانت محوراً مهماً لثقافة عربية اتضحت، لتشكل عادات وأعراف وتقاليد هذه الأمة، التي استهلها القرآن الكريم في عدد من سوره مبرزاً الجانب الإنساني الرفيع المتوج بالمحبة والنخوة والعدل والإباء، وروح التسامح التي برزت جلية وهي تكرم عيسى بن مريم وأمه العذراء، ولا يمكن لأي مسيحي عربي يملك أبجدية الوعي تجاهل هذه الحقيقة الناصعة كما في قوله تعالى ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (النساء:١٧١).

إن الإسلام فتح نوافذ المحبة للبشرية حاملاً مشاعل الطهر والعفاف، وكان لابد للمسيحيين العرب من أن يتأثروا بالثقافة العربية الإسلامية في عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، وأن يتقاسموا السراء والضراء مع أشقائهم العرب المسلمين.

والقرآن الكريم أولى السيدة مريم منزلة خاصة، ولا توجد سورة من سور القرآن الكريم تحمل اسم أنثى إلا السيدة مريم، وجاء في قوله تعالى ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ (آل عمران: ٤٥).

وهل هناك أسمى وأنبل من قول الرسول ﷺ «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (حسنه الألباني)، وهل هناك شيء يوازي هذا النبل ورحابة هذا الصدر الطاهر الذي يفيض محبة وإخاء وإنسانية وتسامحاً ويعكس بجلاء جوهر الدين الإسلامي إذ تتوالى الأحاديث وما أرقاها وأصفاها وأعذبها في قول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه مسلم)

ومن يستطيع أن ينسى ذاك المشهد الإنساني حين وقف الرسول ﷺ احتراماً لجنازة ميت فقال له الصحابة: لماذا تقوم إنه يهودي؟ فأجاب الرسول ﷺ «أليست نفساً» (متفق عليه).

إن ما أذكره هو غيض من فيض لأن أنهار المحبة والتسامح والأخوة مازالت تسيل ماء عذباً في فم الإنسانية، ومما يثلج صدري أن أختتم هذه المقالة بقولي:

إني مسيحي أُجلُّ (محمداً)
وأجل ضاداً مهده الإسلام
أودعت روحي في هيام (محمد)
دانت له الأعراب والأعجام
كحّلت شعري بالعروبة والهوى
ولأجل (طه) تفخر الأقلام
وأجل أصحاب الرسول وأهله
حيث الصحابة صفوة ومقام

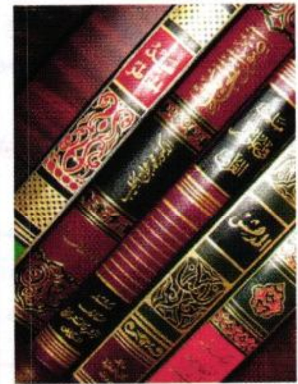
لغة وأدب

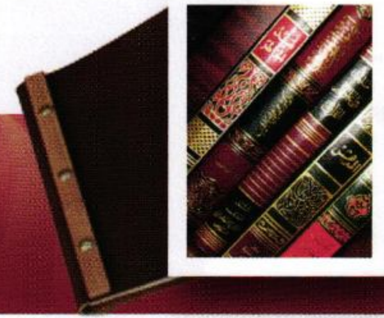
دائرة الأدب الإسلامي

لقد شاءت إرادة الله أن تكون لدينه كلمة في كل شأن من شؤون الحياة وتدبير من تدابيرها، معلماً وموجهاً، مقوماً ومصححاً، مشجعاً ومحذراً، منمياً ومستأصلاً، محللاً ومحرماً، فما وافق منهجه الذي ارتضاه للخلق والذي يصلح به أمرهم حض عليه وأثاب، وما سوى ذلك نهى عنه واستتاب. ولما كان الأدب مقود حياة الأمم، أو هكذا ينبغي أن يكون، كان لابد للإسلام أن تكون له كلمة فيه، ولا يعني ذلك أن يفرض عليه القيود والأغلال، إنما يلجم ما شرد منه وشذ، ويهذب ما قد يتجاوز منه الحد، غير أن ذلك لم يرق لكثير ممن تعلقوا بأستار الأدب، فراحوا يجردونه عن ماهيته الإسلامية في كل ساحة وميدان، كما لو كانت سبة أو وسمة عار فوق جبينه، وذلك بدعوى أن الأدب إنما هو أدب، لا يرتبط بلون ولا جنس ولا دين، وهم بذلك قد أساءوا فهم كنه «الأدب الإسلامي»، بل أساءوا فهم الدين كله، وساروا في طريق لا ينتهي إلا بعزله عن الحياة.

ولعلنا نرفع غمامة، أو نجلي صورة، هي في أصلها بينة، إذا قلنا إن الأدب الإسلامي ليس مقتصراً على سرد سيرة، أو ترسيخ مبدأ إسلامي، أو ترويج فكرة، أو بيان منهج، وإن كانت هذه ضمن الغايات، بل إن دائرة الأدب الإسلامي تتسع لتشمل كل أدب محافظ، يهذب ويربي... ويؤدي دور الأدب الحق خير أداء، وهو، بطبيعة الحال، يلفظ كل ما يهيج الغرائز ويشعلها، فلا يمكن لمريد إصلاح أن يسمي ذلك أدبا أو يحض عليه.

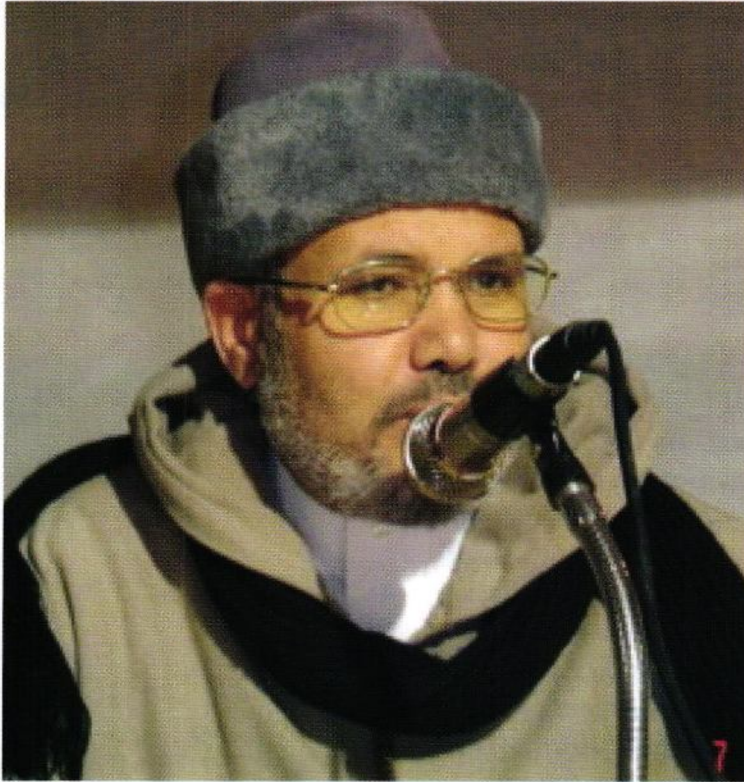
كما أن الأدب الإسلامي قديم النشأة، وليس وليد العصر الحديث كما يدعي البعض، فلقد ولد في فجر الإسلام ونما وترعرع في ضحاه، وهو اليوم يافع في نهاره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تشكلت معالمه وخصائصه مذ بواكيره الأولى، وإن تأخر تدوينها، فلقد كانت واضحة جلية في أذهان الأدباء والمتأدبين والمتلقين على حد سواء.





الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي د. حسن الأمراني لـ «الوعي الإسلامي»:

رسالة الأديب الدعوة إلى الصورة المثلى للإنسانية



فاروق الدسوقي

أكد د. حسن الأمراني الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية أن خطب الرسول ﷺ وأحاديثه جاءت مؤصلة لأدب الدعوة، وموضحة لمنهجه، ومبينة لخصائصه العلمية.

وقال: إن الرسول ﷺ اتخذ لنفسه شعراء يواجهون المناوئين للدعوة من أهل الكتاب والمشركين، وقد أبلى الشعراء الذين انتدبهم رسول الله ﷺ بلاء حسنا، وأثنى عليهم الرسول ﷺ ثناء طيبا.

وأوضح د. الأمراني- في حوار مع «الوعي الإسلامي»- أن أدب الدعوة في جوهره أدب رسالي، ورسالة الأديب المسلم هي رسالة الإنسان الكامل، وهي الدعوة إلى الله عز وجل.

وقال: إن أدب الدعوة يتضمن خصائص كان الأنبياء- عليهم السلام- أول من أمر بها، وتحلى بها، منها مراعاة اللين في القول، والرفق في الأمر كله، ولقد كان رسول الله ﷺ أشد رفقا على قومه في دعوتهم إلى كلمة التوحيد.. وإليكم نص الحوار:

لا نقبل أدباً يطعن في مقومات الأمة أو فناً يعمل على تدميرها بدعوى الحرية

■ **بداية هل لنا نتعرف على أهمية أدب الدعوة؟**

- ينبغي أن ندرك أنه حين نتحدث عن أدب الدعوة يجب أن نستحضر الصورة المثلى لهذا الأدب، وهذه الصورة- في شقيها الخلقي والجمالي- تتمثل في أدب رسول الله ﷺ أولا، ثم في ذلك الأدب الذي صدر عن الصحابة رضوان الله عليهم وسمعه رسول الله ﷺ وأقره، وأثاب عليه، فهذا هو الأدب الذي يجب أن نأخذ به في تحديد المنطلقات والمقاصد، معرضين عن أقوال السفهاء.

ولاشك في أن أدب الدعوة في جوهره أدب رسالي، ورسالة الأديب المسلم هي رسالة الإنسان الكامل، وهي الدعوة إلى الله عز وجل، لقوله تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: ٣٣)، ولقد جلّى القرآن الكريم، وجلت سيرة رسول الله ﷺ أدب الدعوة بهذا المفهوم الشامل.

■ **وما خصائص أدب الدعوة؟**

- أدب الدعوة يتضمن خصائص كان أول من أمر بها، وتحلى بها وعاشها هم الأنبياء، ومن تلك الخصائص مراعاة مقام المخاطبين، ومراعاة خصائص الخطاب نفسه، تبعا لذلك.

ومن خصائص أدب الدعوة أيضا مراعاة اللين في القول، والرفق في الأمر كله، ولقد كان رسول الله ﷺ أشد رفقا بقومه في دعوتهم إلى كلمة التوحيد، هذا على كثرة ما لقي منهم من الأذى المادي والمعنوي، وكان القرآن الكريم يثني على خلق رسول الله ﷺ، وقد خاطب الله



تعالى نبيه الكريم فقال ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥) وقال عز وجل ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٩) وقال تعالى أيضا ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣) كما أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالجمال في الهجر أيضا، فقال عز من قائل ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ (المزمل: ١٠).

وإذا عدنا للوراء، فسنجد أن قيم الجاهلية كانت ترى العنف دليل القوة، والعدوان رمز الغلبة، وقد سجل الشعراء ذلك في أشعارهم، حتى كان شعارا لهم قول حكيمهم زهير بن أبي سلمى «ومن لا يظلم الناس يظلم...» وكان قد شاع على ألسنة العرب «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»، ولكن رسول الله ﷺ هذب الأخلاق، وشذب القيم، ووجه تلك النصوص توجيها جديدا، حين سئل: ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ فقال عليه السلام: «... تكفه عن الظلم فذلك نصرك إياه» (الترمذي).

■ فهمت من حديثكم أن المسلم عليه ألا يرضى الدنية في دينه، سواء كانت قولا أو فعلا، وأنه لا يجوز السكوت على الباطل؟

- هذا حق، لأن السكوت على الباطل شبيه بالإقرار به، ولهذا كله نشأ إلى جانب الأدب بمعناه الخلقي، أدب بمعناه الجمالي، نشأ قول فني رفيع يخالف القول الذي كان شائعا في الجاهلية.. وكان الذي أصّل هذا الأدب كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، فالقرآن الكريم كما هو معروف معجزة بيانية أولا، ولذلك كان يزلزل المشركين حين يسمعونه، وكانت هذه المعجزة القرآنية البيانية تحمل من تهيأت قلوبهم من المشركين للهداية إلى الإسلام، وتزيد الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رجسا إلى رجسهم وضلالة إلى ضلالتهم.

ولقد كان من دواعي تصحيح مسيرة الأدب في العهد الأول ما شهدته الساحة من أحداث جعلت المشركين يجندون أنفسهم، ويجردون ألسنة شعرائهم للنيل من الإسلام ومن المسلمين، فكان أن تصدى الشعراء المؤمنون، بإذن من رسول الله ﷺ لتلك الحملات وردوها على أعقابها وخلفوا لنا أدبا غزيرا ورفيعا من أدب الدعوة.

وكانت قصيدة حسان بن ثابت بحق ممثلة للقصيدة الإسلامية الأولى، ولولا ذلك لما نال تلك المنزلة التي نالها عند رسول الله ﷺ.

■ البعض ينظر إلى أدب الدعوة على أنه أدب خطب ومواعظ، ويهاجمونه بالوسائل والسبل كافة، فكيف تنظرون إلى هؤلاء؟

- لاشك أن أمتنا تشهد انسلاخا وعدوانا من دعاة الأدب الرقيع، وبذلك يصير لزاما على حراس الكلمة المؤمنة أن يتصدوا لتلك الحملات بأدب رفيع هو أدب الدعوة، كما تصدى الجيل الأول من الشعراء على عهد رسول الله ﷺ.

ولا يصرفنا عن أداء الرسالة ما يردده أهل الباطل من زخرف القول، وما يدّعونه من حياد الفن، وتحرره من قيود العقيدة، فكثير من الناس يقدمون أدبا سخيفا وفنا مدمرا للأخلاق ومدمرا للشعور، فإذا اعترض عليهم معترض قالوا: وما شأن الدين بالأدب؟ الأدب يتحرر من كل شيء.. كلا!

الأدب له منهاج واضح، وله أسس مكينة، ولا يمكن أن يُقبل أدب يطعن في مقومات هذه الأمة، ولا يمكن أن يقبل فن يعمل على تدمير هذه الأمة من الداخل، بدعوى الحرية، وليس هناك من نظام في العالم إطلاقا يمكن أن يسمح بشيء يتجاوز مقدساته، فلكل أمة قيمها ومقدساتها.

إن الأدب في يد هؤلاء سلاح آثم، ولأدب الدعوة مسلكان: الهدم والبناء، وهما متلازمان، فأما الهدم فيراد به هدم قيم الباطل، والتصدي لجحافله والرد على مفتريات المرجفين، وأما البناء فهو رفع أعمدة قيم الحق والخير والجمال، ولا يكون ذلك كله ذا أثر إلا إذا جمع الأدب بين عنصريه في انسجام تام، وتناسق كامل، هذان العنصران هما الحق والجمال، فنحن قد نجد قولا يراد أن يسمى أدبا، وفيه حق، ولكنه لا يلجأ إلى الأدوات الجمالية فيفقد تأثيره، كما أننا قد نجد أدبا جميلا، ولكنه أدب يدعو إلى الباطل، فهو من زخرف القول، ولذلك فهو أدب مرفوض.

هذا الأدب الذي هو من زخرف القول كما سماه القرآن الكريم يسعى به أصحابه إلى صرف الناس عن الحق، وتزيين الغواية، فيفتن الناس، كما فتن العجل الذهبي الذي أخرجه السامري بني إسرائيل، فالتفنن في صنعة العجل لا يجعل منه حقا، فهو باطل وإن فتن الناس بجمال صنعته.

وأدب الدعوة يعتمد عنصري الهدم والبناء، انه أدب المواجهة والتحدي، كما أنه أدب الاستعلاء على شهوات النفس والدنيا، وله أن يتخذ من الأشكال الفنية، ويطوع من الأجناس الأدبية ما هو كفيل بتحقيق الغايات وإدراك المقاصد.



معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة



د. خالد فهمي

كان لهيمنة الاقتصاد الغربي الذي حرك وسار في خلفية حملات الغزو للبلدان الإسلامية في العصر الحديث أثر كبير في سيادة قضاياه وتطبيقاته، وهو جزء مهم لازم في إطار قراءة بعض أوجه الاضطراب والخراب الذي أصاب البنية الاجتماعية في البلدان الإسلامية.

وهو ما قاد كثيرا من أعلام الثقافة الإسلامية إلى أن يروا في غلبة النموذج الاقتصادي الغربي وجها من وجوه التبعية، وأن الحركة نحو الاستقلال الحضاري تبدأ من بيان مواز للاختلاف بين الاقتصاد الإسلامي وغيره، وأن يروا في صنع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي خطوة لابد منها في «السبيل إلى وضع لبنة في صرح الاستقلال الحضاري لأمتنا، عندما يصنع وييسر للعقل العربي والمسلم سبل إدراك ما لحضارتنا من خصوصية في المعاني والمضامين والمفاهيم في حقل الاقتصاد، فيسهم بذلك في تحرير العقل الاقتصادي من إسار التبعية وأسر التغريب»(١).

وهذه الرؤية ليست رؤية فردية دعا إليها إحساس مبهم بالخطر بل كان إحساسا مجمعا عليه، يدل على ذلك توصيات المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في ٢١-١٣٩٦/٢/٢٦هـ = ٢١-١٩٧٦/٢/٢٦م الذي حرص على بيان أنه من المهم ترسيخ مفاهيم الإسلام الاقتصادية التي ترى أن الكون كله لله وأن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف على ما تحته من نعم الله. وأن واحدا من سبل ترسيخ هذه المفاهيم «وضع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي بمختلف اللغات» (٢).

الإسهام المعاصر في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامي

برز في هذا السياق ثلاثة معاجم هي كما يلي (مرتبة وفق تاريخ صدورها):

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، القاهرة - بيروت، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م في ٦٣٦ص مع فهارس للمصطلحات.

٢- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، د. نزيه حماد، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجينيا، سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م في ٣٠٨ص مع تقديم د. طه جابر العلواني مع فهارس للمصطلحات والمراجع.

٣- مصطلحات الفقه المالي المعاصر: معاملات السوق، بتحرير وإشراف يوسف كمال محمد، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م في ٢٨٥ص، مع كشافات موضوعية، وفهارس هجائية وتقديم.

أهداف معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة

يدرك من يفحص مادة هذه المعاجم الاقتصادية أنها ظهرت لتحقيق عدد معين من الأهداف المعرفية والعملية والحضارية، وهو ما ظهر من ثلاثة الأسماء الذين صنعوها، فهم جميعا أبناء بررة للفكرة الإسلامية، وأبناء بررة للاقتصاد الإسلامي.

وفيما يلي رصد لمجموعة من الأهداف التي حرصت هذه المعاجم على الوفاء بها، هي على الإجمال:

أ- العناية بإظهار فارق ما بين طغيان البعد المادي على الحياة المعاصرة الذي ترسخه مفاهيم الاقتصاد الوضعي وبين النظر إلى المال باعتباره مال الله الذي استخلف عبيده في إدارته، وهذه العناية محاولة للانتصاف للاقتصاد الإسلامي ودعوة للتحول إليه في التطبيقات المعاصرة.

ب- إعادة تقديم مفاهيم الاقتصاد الإسلامي عبر مصطلحاته للجماهير المعاصرة بعد أن غيبتها أنظمة كثيرة تبنت نظريات اقتصادية غير إسلامية حتى غدت مبادئ الاقتصاد الإسلامي تعاني الغربة في الأوطان المسلمة، ذلك أن المعاجم «في منظور إسلامية المعرفة تعتبر من الأدوات الأساسية المساعدة في بناء النسق المفاهيمي في العلوم التي تؤلف في مجالها» على تعبير د. طه جابر العلواني في تقديمه لمعجم المصطلحات الاقتصادية للدكتور نزيه حماد (ص ١٦).

ج- إعادة بناء الجسور بين العلوم المعاصرة وامتداداتها التراثية بعد عمر من القطيعة المعرفية أو شبهها التي حاول الغزو الغربي صنعها في تاريخ الأمة الإسلامية المعاصرة عندما حرص في أنظمته التعليمية وأنظمته الحاكمة التنفيذية على فصل الأمة عن تاريخها المعرفي بخصائصها المائزة وهو ما نجح



معجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي السبيل لوضع لبنة في صرح الإستقلال الحضاري لأمتنا والتحرر من التبعية والتغريب الإقتصادي

في كثير من المواطن في تحقيقه حتى غدا القول بحاجتنا إلى إعادة الكشف عن هويتنا أمرا صحيحا إلى أبعد الحدود.

د- تقديم نماذج عملية يمكن احتذاؤها والنسج على منوالها في كثير من الميادين المعرفية التي عانت من مثل ما عانى منه الاقتصاد الإسلامي من التغريب والتشويه.

هـ- كسر حالة التبعية الحضارية في الميدان الاقتصادي عن طريق بيان استقلال النظرية الاقتصادية الإسلامية.

و- إعادة تقديم المفاهيم الاقتصادية الإسلامية في صورة عصرية تيسر الإفادة من الأدبيات الاقتصادية الإسلامية التراثية، وهو واحد من أهم أهداف المعجمية الإسلامية المختصة المعاصرة في الميادين المختلفة.

ز- المساعدة في تقديم تصور مترابط للحقول التي تشكل ميدان علم الاقتصاد عند المسلمين بحيث تترابط هذه الحقول بفلسفة الإسلام الكبرى في تعبيد الكون لله، وبيان أن الإنسان مستخلف في أرض الله سبحانه، وأن المال من ضمن ما لله سبحانه في الكون وأن الإنسان مستخلف في هذا المال، وعليه أن يديره وفق الضوابط التي شرعها الله سبحانه.

ح- المساعدة - على المدى الطويل - في بناء مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي ولاسيما بعد تقديم معاجم ترتيب مداخلها ومصطلحاتها وفق منهج موضوع دلالي، وليس هجائيا على ما سوف نرى في معجم د.يوسف كمال رحمه الله تعالى.

ولا يصح هنا الاستشهاد بالجزء الذي تضمنه مكنز الفيصل (١٤١٥هـ= ١٩٩٤م) عن مصطلحات الاقتصاد الإسلامي، حيث ضم ثلاثمئة مصطلح فقط، وهو عدد قليل جدا عما يتوقع أن يضمه مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامي، على ما يقرر د.هانئ محيي الدين عطية (٣).

ط- المساعدة في دراسة شمول الشريعة الإسلامية عن طريق فحص المصطلحات الرحالة المنتقلة إلى الاقتصاد الإسلامي من حقول معرفية مختلفة عقدية وعبادية وأخلاقية واجتماعية وغيرها، لتتضافر الأدلة على استحالة نجاح العلمانية الشاملة أو الجزئية في البلدان الإسلامية.

ك- تقديم المفاهيم الاقتصادية المعاصرة في ضوء المعرفة الاقتصادية الإسلامية، لبيان حجم المخاطر القائمة والمتوقعة ومحاصرتها، من جانب، والإفادة من الجديد واستثماره إن أمكن بعد فحص عدم معارضته لأصول النظر الاقتصادي الإسلامي من جانب آخر.

ل- إيجاد مصطلحات جديدة لمفاهيم اقتصادية إسلامية تراثية تعين على طرح المفاهيم هذه في صورة عصرية واضحة من جانب، والتغلب على الفجوات المعجمية لما يظهر من مفاهيم اقتصادية معاصرة بوضع مصطلحات ملائمة تعين على تأمل أمرها من شكل المصطلح الخارجي، ثم الحكم عليه برده أو قبوله.

م- المساعدة في بناء تراكم معرفي أو قاعدة علمية تعين على إعادة تقديم الاقتصاد الإسلامي وتيسر عملية تعلمه بين المشتغلين به تعلما وتعلما.

فهذه مجموعة من الأهداف الأساسية التي تسعى مجموعة المعاجم هذه إلى تحقيقها.

منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة

وقد حكمت هذه الأهداف السابقة منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة، فظهر منهجان حكما هذا الترتيب هما:

أ- منهج الترتيب الألفبائي الهجائي غير التجريدي.

ب- منهج الترتيب الموضوعي.

و قد جاء على المنهج الألفبائي معجمان هما:

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، د.محمد عمارة.

٢- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، د.نزيه حماد.

وقد كان الوعي بأهمية هذا المنهج حاضرا في هذين المعجمين، حيث حرصا على توفير التيسير للمستعملين انطلاقا من وعي معجمي يرعى ما يسمى في المعجمية المعاصرة بمنظور المستعمل، ويرعى من جانب آخر مهم جدا خلقا إسلاميا يتمثل في التيسير على الخلق، واستثمار تطبيقاته في هذا الميدان.

وقد ظهر هذا الوعي بفوائد هذا المنهج الألفبائي غير التجريدي في بعض ما قدم به بين يدي بعض المعاجم التي طبقته، يقول د.محمد عمارة في مقدمة معجمه (ص٢١) «فلقد آثرنا ترتيب مواده على النحو الذي ييسر الاستفادة منه والانتفاع به لأوسع جمهرة من الباحثين والقراء».

ثم يعود فيقرر (ص٢٢) «ولعل في هذا التيسير ما يعين على أن ينهض هذا القاموس بالرسالة الفكرية والحضارية التي ابتغيناها من وراء وضعه إن شاء الله».



أما الاتجاه الثاني (ب) فقد رتبت المصطلحات فيه ترتيبا راعى بناء نظرية اقتصادية إسلامية بمجموعة المصطلحات التي تصرفت وهو منهج قديم في المعجمية العربية، سمي أحيانا باسم معاجم المعاني وأحيانا باسم معاجم الموضوعات.

وقد رتبت المصطلحات وفق حقول أو موضوعات أربعة كما يلي:

١- مصطلحات الخلافة (المشكلة الاقتصادية): النعم = الموارد/ والحاجات.

٢- مصطلحات الإعمار (الإنتاج): أقسام المال/ العروض.

٣- مصطلحات الرزق (توزيع الدخل).

٤- مصطلحات السوق (نظرية القيمة).

وقيمة هذا المنهج أنه يعطي المستعمل صورة هيكلية للنظام الاقتصادي تظهر الصلة العضوية بين المصطلحات المختلفة.

ولم يُضَح المعجم بالتزام هذا المنهج في الترتيب بالمبدأ العام الحاكم في المعجمية الإسلامية المختصة المعاصرة وهو ما سميناه بمبدأ التيسير على الخلق، حيث حرص صانع المعجم ومحرره د.يوسف كمال رحمه الله على أن يذيله بفهرس للمصطلحات مرتبة على الترتيب الهجائي غير التجريدي.

وقد حرصت المعاجم الثلاثة مَشغلة مقالنا هذا على استعمال طريقة شائعة مفيدة في تعريف المصطلحات، تسمى في أدبيات علم المعجم باسم طريقة التعريف المحكم، أي تعريف المصطلح بذكر السمات الدلالية المميزة له، والقسمات الفارقة بينه وبين غيره، مع العناية في أحيان كثيرة بجانب ذلك باستعمال طريقة الشرح بالأمثلة مع العناية ببعض المعلومات الموسوعية التي تعين على أداء هذه المعاجم أهدافها.

ومن الأمثلة التي تجلي ذلك:

يقول د.محمد عمارة في تعريف مصطلح «الاحتكار» ص ٣٣ «الاحتكار: لغة: الجمع والإمساك والاحتباس، والحكرة: اسم للاحتكار، والاحتكار شرعا: اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه انتظارا لغلاء سعره. ولقد اختلف في المدة التي إذا بلغها الاحتكار استوجب المحتكر عقاب الاحتكار الدنيوي، فقيل: إنها أربعون يوما، وقيل: هي شهر، وقيل هي أكثر من سنة. أما الإثم الأخروي فغير متوقف على مدة بعينها إذ تكفي فيه نية الاحتكار.

ففي هذا التعريف حرص الشارح على بيان ما يلي:

١- السمات الدلالية المائزة التي تبين عين الاحتكار بما في ذلك المدة المعتبرة التي يصير فيها حابس الطعام محتكرا.

٢- المعنى اللغوي في مفتتح التعريف للإعانة على إدراك المعنى الاصطلاحي بعدما تخصص من المعنى اللغوي العام.

وقد قام أصحاب معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي على توثيق مادة معاجمهم فرجعوا إلى عدد كبير من المصادر الأصيلة التي توزعت على أربعة أنواع هي:

١- معاجم مصطلحات تراثية (كالتعريفات للجرجاني ومفاتيح العلوم للخوارزمي، والمصباح المنير للفيومي وتحرير التنبيه للنووي والتوقيف للمناوي...الخ).

٢- المصنفات الفقهية المختلفة تراثية وغير تراثية موزعة على المذاهب الفقهية المتعددة بما فيها الموسوعات وأعمال المؤتمرات الفقهية... الخ.

٣- المعاجم العامة اللغوية القديمة والحديثة.

حاجة الاقتصاد الإسلامي إلى معاجم جديدة وإلى تطوير معاجمه الموجودة

والحق يقتضي أن نقرر أن الاقتصاد الإسلامي بما يواجهه من تحديات في حاجة إلى معاجم تعنى بمصطلحاته تعريفا وشرحا وتمثيلا وفي حاجة إلى تطوير ما هو موجود منها بزيادة مداخله ومراجعة مادته، وتحديثها، وخدمته بما هو مستقر في المعجمية المعاصرة، لتيسير استعمالها.

وقد كان لغياب عدد من المصادر التراثية المعنية بالمصطلح الاقتصادي الإسلامي أثره في غياب عدد كبير من هذه المعاجم المعاصرة، وفيما يلي أمثلة لها:

■ الاستيفاء، أخل به عمارة، وهو العلم بقوانين يعرف بها ضبط مداخل أموال الديوان وإخراجاتها لكيفيات المحاسبات وكمياتها.

■ التلجئة، أخل به عمارة، وهو تسليم الضعيف ضيعته إلى قوي ليحامي عليها.

■ الحشري، أخل به عمارة ونزيه حماد، وهو ميراث من لا وارث له.

■ العريضة، أخل به عمارة ونزيه حماد، وهو شبيه بالتأريخ.

وهذه أمثلة أردنا من وراء إيرادها بيان الحاجة الماسة إلى استمرار التطوير والتحديث من جانب والحاجة إلى إيجاد معاجم جديدة ترعى مطالب المصطلح الاقتصادي الإسلامي، لتبرهن على وضاءة وجه طالما غبرته رياح الهيمنة الغربية المخاصمة لديننا وأمتنا وأوطاننا.

المراجع

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، د.محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة وبيروت ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م (ص ١٧)

٢- انظر هذه التوصيات في: النظام الاقتصادي في الإسلام: مبادئه وأهدافه د.أحمد العسال ود.فتحي أحمد عبدالكريم، مكتبة وهبة ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م (ص ١٦٧-١٦٨)

٣- نحو منهج لتنظيم المصطلح الشرعي: مدخل معرفي معلوماتي، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالقاهرة سنة ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م (ص ١٧٠).

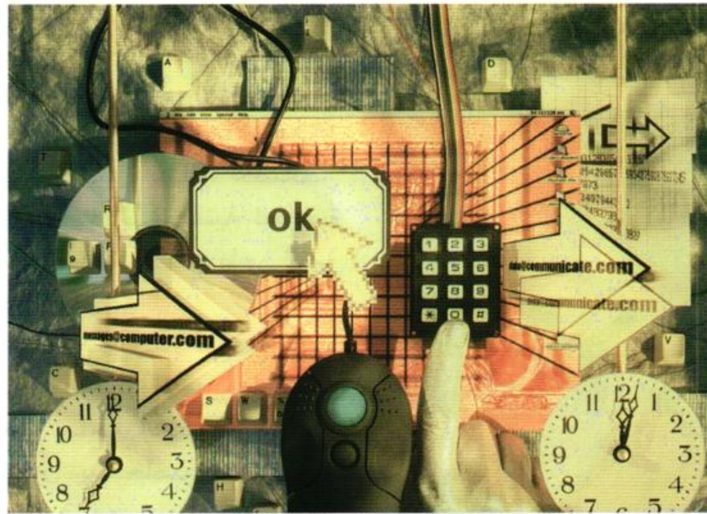


في الألفية الجديدة..

هل أضحى الكتاب الإلكتروني ضرورة تربوية؟

صلاح حسن رشيد

في ظل شيوع ظاهرة «الدروس الخصوصية» بات «من الصعب تأليف كتاب مدرسي تتوافر فيه الشروط التربوية والعلمية اللازمة، بحيث يستجيب للاحتياجات المختلفة لتلاميذ الفصل الواحد، ويراعي خلفياتهم البيئية والثقافية والاجتماعية، ويتناسب مع الفروق الفردية بينهم» على حد قول د. علي القاسمي خبير التربية والتعليم في بحثه «دعوة لإلغاء الكتاب المدرسي» الذي ألقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية (الخالدين) بالقاهرة أخيرا، حيث أكد أن «الكتاب المدرسي هو نموذج من نماذج التعليم في العالم القديم، فلم يعد قادرا على مواجهة تحديات العالم المعلوماتي الجديد... إن الفرق بين الكتاب المدرسي والتعلم الإلكتروني هو فرق بين رؤية ماضوية قديمة، وبين رؤية مستقبلية مُسلحة بالعلم والتكنولوجيا»! فما الحل إذن في هذه القضية الشائكة التي اكتوى بنيرانها صغارُنا التلاميذ في المراحل الابتدائية والإعدادية (المتوسطة) والثانوية؟



الحوار التقني الفاعل

يجيب التربوي علي القاسمي قائلاً «لقد وفّرت تقنيات الاتصال والمعلومات الحديثة وسائل بديلة للكتاب المدرسي، في مقدمتها: التعلم الإلكتروني الذي يستثمر إمكانات الإنترنت الهائلة التي تتيح للتلميذ التوسع في المادة العلمية، والاطلاع على المراجع المختلفة، وتبادل الرأي والحوار مع أساتذته، ومع مستعملي الإنترنت».

وبعملية مسحية شاملة للكتب المدرسية المعنية بتعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية العربية قام بها د. القاسمي، لم يجد كتاباً واحداً تتوافر فيه الشروط والمواصفات المتعلقة بالأنشطة والتدريبات لتنمية المهارات اللغوية بصورة متوازنة من خلال الاستماع والقراءة والإملاء والتعبير، وتشجيع الانفتاح على الآخر والاحتفاء بالتعدد، وأهم القضايا المناسبة لعمر التلميذ.

مزايا الكتاب الإلكتروني

ولأن عصر الإنترنت التعليمي صار هو الأساس والقاعدة، والتعليم عن بُعد هو المنطلق للنهضة.. لخّص د. القاسمي مزايا الكتاب الإلكتروني لتلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية بقوله «يتسم التعلم الإلكتروني بالشمولية، فالشبكة تشتمل على ملايين الموضوعات التي يعجز الكتاب المطبوع عن احتوائها، وسهولة تحديث مواقع الكتاب الإلكتروني يومياً، بعكس الكتاب المدرسي المتسم بالقدم، وعدم مواكبة التطورات العلمية المتلاحقة، وترابط المعلومات على الشبكة العنكبوتية، والتدرج العمري لهم، ومناسبة ذلك لميولهم وقدراتهم الاستعابية، كما أن الكتاب الإلكتروني يضم الآراء المتباينة حول القضية الواحدة، في حين أن الكتاب المدرسي يحمل وجهة نظر واحدة».

ومن حسنات استخدام الإنترنت في العملية التعليمية بالمدارس. «إتاحة الشبكة للتلميذ التعلّم التفاعلي، بحيث يستطيع التحاور مع معلمه أو زميله وهو في منزله، باستخدام برنامج «سكايب» أو ما يماثله من البرامج الحاسوبية، وتضر أيضا الكتب المدرسية بالبيئة، حيث تتسبب عملية طباعتها في قطع أعداد كبيرة من الأشجار لصناعة الورق، بعكس الإنترنت الذي لا يضر بالبيئة!».

وفي النهاية يرى د. القاسمي أن التعليم الإلكتروني «يطور من أداء الطالب الإيجابي، عن طريق المشاركة في العملية التعليمية خطوة خطوة، في حين أن أداءه التعليمي الحالي سلبي»!



قواعد منهجية لتأسيس ملامح مدرسية في الأدب الإسلامي

(٢-٢)

د. محمد إقبال عروي

تناول الجزء الأول من هذه الدراسة مجموعة من المبادئ التي يراها الكاتب ضرورة منهجية للانتقال بنظرية الأدب الإسلامي من الارتجال والتعميم والأحكام الانطباعية إلى مستوى التناول المنهجي المساوق لمقاصد عمارة الحياة في جمالياتها الفنية، من مثل: التنوع والاختلاف سنة كونية واجتماعية، وتقوية بناء الأدب الإسلامي يستدعي التمثل لا التقليد، والوصاية على الأدباء موقف سلبي قائم على توهم الخوف على مصير الأدب الإسلامي، والأصل في الأشكال الإباحة، واحتضان الإسلام للشكل الفني القديم تمثل فني وليس دينا متبعا. وفي هذا الجزء الثاني من الدراسة عرض لبقية المبادئ.

الاحتكام إلى ثوابت فنية في سياق تشكل الظاهرة الأدبية الإسلامية جناية في حق الظاهرة نفسها

يميل بعض رواد الأدب الإسلامي إلى الشروع في التأصيل لخصائص الأدب الإسلامي، ومنهم من عمل، وتحت تأثير منطق قياسي مخالف لجوهر العلة، باعتبارها من الشروط العلمية والمنهجية اللازمة للقيام بالقياس، على إسقاط خصائص التصور الإسلامي على خصائص الأدب الإسلامي.

ومعلوم أن عملية استخلاص الخصائص محتاجة إلى عمل استقرائي كبير، مهما كان حجمه فلن يكون إلا استقراء ناقصا، إذ الاستقراء الكامل مستحيل بين يدي ظاهرة أدبية تتخلق حينا بعد حين، وتتشكل عقدا بعد آخر، مما يحتم تأجيل أي اعتقاد بأن خصائص الأدب الإسلامي قد كملت، دلاليا وفنيا، وعلى الأجيال الجديدة أن تبدع على وزان ما حققه جيل الرواد.

إن هذا الإجراء يعد قتلا لنمو الأدب الإسلامي، فمعلوم أن ظاهرة الأدب الإسلامي الحديث مازالت فتية في الزمان والمكان، ومهما اعتبرنا بداياتها الأولى، فلن تتجاوز ٦٠ سنة، ومن ثم، فالأرجح أن يتم تأجيل «سك» خصائص أدبية ودلالية وفنية لظاهرة هي ما تزال في طور النمو والتشكل.

ومما يزيد الوضع تأزما أن بعض الرواد من أهل النقد في ساحة الأدب الإسلامي، حين يستخلصون خصيصة ما، فإنهم يردون، بموجبها، خصائص أخرى قد تبدو لهم مخالفة لما استخلصوه من خصائص، فيقع إشكال لا مخرج ولا ملجأ منه إلا التخلق بأخلاق الرصد المتأني، وتأجيل عمليات التقعيد والتوصيف الجازم، والصبر على الظاهرة الأدبية الإسلامية، في امتدادها الدلالي والفني والجغرافي.

القيم الفنية والدلالية في الأدب الإسلامي متنوعة ومتعددة كتنوع المذاهب الفقهية

هناك ملاحظة يتعين الالتفات إليها جيدا، بين يدي التأصيل لأصول الأدب الإسلامي وقواعده ومبادئه، فكثيرا ما يميل المؤصلون إلى التعامل مع القواعد في ثبوتية وحسم، رغبة منهم في أن تعرف حركة الأدب الإسلامي أكبر قدر من الوحدة والانسجام، وفي ألا يكون الاختلاف





بداخلها شبهة يتمسك بها «الخصوم» و«المعارضون» بين يدي تقويضهم لأركان نظرية الأدب الإسلامي.

والغريب أن بين أيدينا درسا حكيما من تراث الفقه الإسلامي، فمعلوم أن العبادات جاءت لتنظم علاقة الإنسان بربه سبحانه وتعالى، والتنظيم يعني الانضباط والامتثال، مما يعطي الشرعية للتنميط والتوحد، ومع ذلك فإن الاختلاف والتنوع الموجود في ساحة الفقه الإسلامي بخصوص تلك العبادات حقيقة مجمع عليها، وهو يكشف مجموعة من الأمور، أهمها أنه يستحيل «قولبة» أفعال الناس في نمط واحد صارم، فالصلاة، وهي أظهر أركان الإسلام، تعرف عمليا في تفاصيلها الأدائية تنوعا واختلافا بين الفقهاء وفق المذهب الفقهي لكل واحد منهم، وكل يعمل برأيه، ولا أحد يطعن في الآخر أو يضعف مذهبه.

وإذا كان هذا يحدث مع الصلاة، مع أنها رمز الانضباط والأداء الصارم، فكيف بالإبداع الأدبي والفني، وهو المرتكز على أركان الذوق والإحساس والوجدان، وهي أركان تتعدد وتتنوع وتختلف بتعدد بني آدم وتنوعهم واختلافهم.

كثيرا ما يميل المؤصلون إلى التعامل مع القواعد في ثبوتية وحسم رغبة منهم في أن تعرف حركة الأدب الإسلامي أكبر قدر من الوحدة والانسجام

وهذا يفرض استخلاص القاعدة المدرسية الآتية «القيم الفنية والدلالية في منظور الأدب الإسلامي متنوعة ومتعددة».

والتنصيص على التعدد قيد للتحرز من كل أحادية، أما التنوع فهو قيد للتحرز من كل نزوع نحو التنميط والاستنساخ، وفتح الطريق، في المقابل، في وجه الثراء الذي تزخر به الحياة الفنية والأدبية، مما يتيح فرصا غنية تحتاج من إنسان الإسلام أن تكون له الإرادة والقدرة والرغبة، إضافة إلى الوعي المقاصدي في اقتناصها وتوظيفها واستيعابها لصالح الارتقاء بأدب القيم وقيم الأدب على حد سواء، وولوج عوالم العالمية تحقيقا لا تمنيا أو شعارا.

خطأ الاجتهاد الفني مقبول، وهو أهون من خطأ التقليد والمحاكاة لأنماط فنية معينة

في ميدان الأدب الإسلامي هامش الاجتهاد أفسح، لأن الاشتغال، أصلا، إنما يتم في فضاء إنساني يكفيه أنه يستروح القيم والتوجيهات من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعطاء الحضارة الإسلامية، لكن ليس لتكبيل طاقاته وطموحاته، بل لشحذها وتقويتها وضخ دماء جديدة فيها.

ولأن تعرف ساحة الأدب الإسلامي حركات إبداعية واتجاهات تجديدية، مهما كانت الأخطاء، خير من أن تعرف جمودا قاتلا، وثباتا يرتد بها إلى المواقع الخلفية، فتظل الساحة فارغة لاتجاهات أخرى تأسر العقول والمشاعر، وتستأثر بالأقلام والمواهب، وتزداد هيمنتها إذ عرفت كيف تتسلل إلى عقول الناس.

إن الشعار الذي يتعين رفعه في هذا المقام، هو: «يأيها الأدباء.. اجتهدوا.. وابتكروا، فإن اجتهادكم موفور الجزاء حتى في حال الخطأ».

العبرة بعموم المبدأ القائم على التنوع والاختلاف لا بخصوص إخفاق التجارب الفردية.

إذ يعتقد العديد من رواد الأدب الإسلامي أن مختلف التجارب التي انطلقت لتؤسس لنفسها طريقا خاصا في ساحة الإبداع آلت إلى الجمود أو الفشل، ولم تبق إلا طريق الأخذ بالنمط الشعري الذي عرف منذ بداية عصر النهضة على يد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعلال الفاسي وغيرهم من رواد شعر النهضة



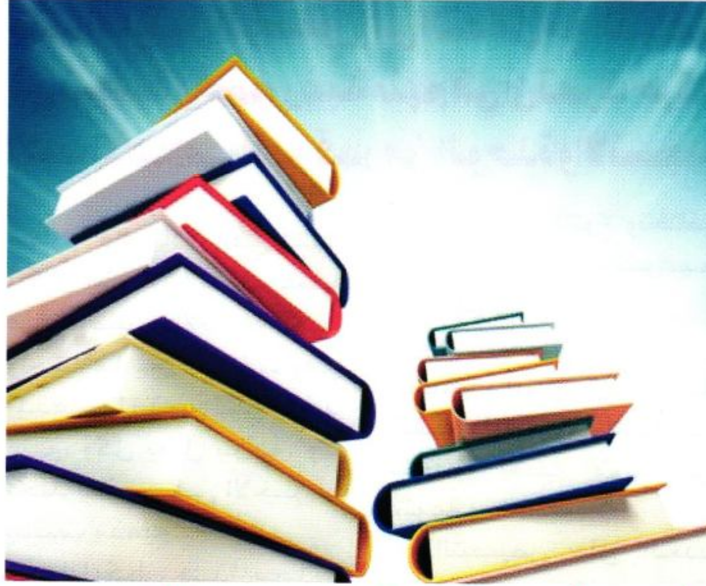


العربية. والحقيقة أن هذا الملحظ، رغم صحته في بعض الجوانب، إلا أنه لا يقوم حجة لدفع كل اجتهاد أو تجريمه، فأن تفشل هذه التجربة الفردية أو تلك، فهذا واقع لا يرتفع، لكن ليس من الحكمة في شيء أن يتخذ وصلة وذريعة إلى رفض أي تنوع أو اختلاف أو تجديد، فالعبرة بعموم التنوع والاختلاف والتجديد لا بخصوص إخفاق تجربة هنا أو هناك.

حاكمية تغير أشكال الخطاب الأدبي بتغير أحوال المتلقين

ظن العديد من الاتجاهات الأدبية أنه لابد من فرض نمط معين في الإبداع الأدبي يكون محط إعجاب وتقدير من قبل المؤسسات الرسمية والإيديولوجيات السائدة، وقد غاب عنها أن عنصر اختلاف المتلقين يفرض اختلافا في أنماط الإبداع وأساليبه، وقد صار المتلقي عنصرا فاعلا في النظرية النقدية المعاصرة، يسهم في بناء معنى النص، ويوجه الذوق الأدبي، ويفرض على المبدع أن ينصت، بعمق، إلى حاجياته وطموحه ورؤيته، وهذا كله يؤدي إلى تطوير الأنماط الإبداعية والأساليب الفنية.

لقد كان يظن أن الحاكم والمؤثر في الإبداع هو نفسية الأديب أو رؤيته، وقد آن الآوان لإدراك أن المتلقي يمارس دورا في الإبداع، طبيعة ودلالة، وهذا يعني أن النظرية الأدبية المحتفية بدور المتلقي إنما هي نظرية في مشروعية الاختلاف والتغيير والتطوير والتجديد.



يأيها الأدباء.. اجتهدوا.. وابتكروا فإن اجتهادكم موفور الجزاء حتى في حال الخطأ

عالمية الإسلام نقض لمفاهيم الاستقلالية الفئوية وعقلية الأقلية المستضعفة

فشعار العالمية يمثل تحديا معرفيا وفنيا في وجه دعاة الأدب الإسلامي، لأنه شعار يستدعي القدرة على استيعاب مختلف الأشكال الأدبية وتبنيها والحرص على استثمارها لمخاطبة «العالمين»، ولكن.. كيف يمكن أن يتحقق ذلك، والأدب الإسلامي لم يستطع، لحد الساعة وقد مر على حركته المعاصرة أزيد من نصف قرن، أن يقنع حتى المنضوين تحت شعاره بفعالية مقولاته النقدية المتعلقة بالإبداع والاتباع والأصالة والمعاصرة وحدود مشروعية التجديد والموقف «الشرعي» من الأجناس الأدبية وأشكالها، فضلا عن أن يقنع ما يصنفون عادة تحت لواء «العلمانية» و«الحداثة».

إن العالمية، التي جعلتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية أحد أهدافها، تتحول إلى وهم وجداني إن لم يدرك أصحاب نظرية الأدب الإسلامي العوامل الفاعلة في تلك العالمية والموجهة لها والضامنة لتحققها والمحافظة على ديمومتها وامتدادها، فليس الأمر متروكا لعوامل غيبية خارقة تحقق العالمية الإسلامية، بل الأمر كله جد واجتهاد وتجديد واقتحام، وقد آن الأوان ليتحرر الإبداع الإسلامي من كوابح ذاتية وعوائق نفسية اكتسبت هيمنتها من سوء تقدير للوضع، وخوف، غير مسوغ، على الخطاب الأدبي الإسلامي من التمييع والتسيب.

إن الثقة في الذات، وإدراك فريضة الوقت، والتسلح بالشروط العلمية والفنية اللازمة هي مفاتيح العالمية المنشودة.

وهذا يستدعي مراجعات منهجية شاملة ومتواصلة لأبجديات التفكير الأدبي الإسلامي، مراجعة تمتد من طبيعة الأدب الإسلامي نفسه لتشمل علاقة هذا الأدب بغيره من الآداب والحضارات والتقاليد الفنية والأعراف الجمالية ومناطق الثبات والتجديد. فهل تشرع مؤسسات الأدب الإسلامي ومنابره وبرامجه في إنجاز هذه المهام التي تعود بالنفع على إنسان الإسلام وحضارة الإنسان؟

ومن المؤسف القول إن ثقافة التحذير من الاقتحام والمشاركة، وغرس قيم الحيطة والحذر والانكفاء على الذات، في سياق هيمنة مفاهيم سلبية عن غربة الدين، تسوق، حتما، إلى فكر العزلة وإبداع العزلة وإنسان العزلة، ولن تكون أي «طوبى» لهذا الفكر وإبداعه وإنسانه.

رسالة الشعر

د. عبدالمنعم حسن

قد يُظن أن دور الشعر مقصور على الترف، يتغنى به.. يصور الحب والغزل.. يصف الحسن والشكل.. واللقاء والفراق وغير ذلك، فإذا ما أدى الشعر دور النصح والإرشاد والتوجيه رموه بأنه تحول إلى الخطابة.. وما ضره أن يكون خطاباً موجهاً، وصيحة داعية؟ دار بخاطري ذلك.. فكانت هذه القصيدة

وقالوا الشعر قد أضحى عجيبا
وغُيّر وجهه، فبدا غريباً
لقد جافى طباع الشعر حتى
وجدناه وقد هجر الحبيبا
وقد ترك التلاقي والتداني
وقد هجر التغزل والنسيبا
وقالوا عن قصيدته نراها
تبدت خطبة، وغدا خطيباً
وما أسمى إذا ما الشعر أضحى
نداء الحق صداحاً طروباً!
يؤذن للعلا في كل صوب
لعل أذانه يلقى مجيبا
وما ضر القصيدة حين تغدو
خطاباً داعياً حلوا رطيبا
ترَنَم بالفضائل والمعالي
وجاب بشدوه الأفق الرحيبا
يغرد، صادقاً لله يدعو
وقد ملأ المسالك والدروبا
فللشعر الصدوق صدى يدوي
يهز بوقعه الشادي قلوباً
وحين ترى القصائد داعيات
ترى الحب الطهور شذى وطيباً
وتلقى الطهر فاض بكل قول
فيأبى أن يسيء وأن يعيبا
فلا يهجو، ولا يهذي بفحش
ولا تلقاه في أمر كذوباً
نعم .. خُطَباً قصيد الحق يبدو
وتلقى وقعه صوتاً نجيباً
يحلق في السما بدراً بعيداً
ونلقى ضوءه فينا قريبا
فغرّدْ يا قصيد الحق واخطب
سلتقانا ضميراً مستجيباً

قراءة في كتاب

نظرية الحرب في الإسلام.. هل تحرض على العنف؟

أهمية هذا الكتاب «نظرية الحرب في الإسلام» تكمن في موضوعه، تهمة العنف، التي لطالما ألصقت بالإسلام، وقد التزم فيه الإمام محمد أبو زهرة الصدق مع النفس في معالجة هذه الشبهة، حيث كان باحثا عن الحقيقة، لا مجرد «رفا» يداري الثقوب! إذ لم يكن مستعدا لأن يدافع بالباطل عن أخطاء ارتكبت في التاريخ الاسلامي، مفرقا بجلاء بين مبادئ الدين وتصرفات الأتباع، ومقررا بوضوح أنه ليس كل ما يفعله ملوك الإسلام إسلاميا، فمنهم من كان يتسربل باسم الإسلام وكل همه بسط سلطانه، ومنهم من كان ينتمي إلى شعوب اشتهرت بالغلظة مثل التتار، فلما حاربوا في ظل الإسلام غلبت عليهم طبائعهم، المهم أن يكون المبدأ واضحا: إذا كان بعض قواد المسلمين في الزمن الغابر قد انحرفوا عن تعاليمه العالية فهذا ليس من الإسلام في شيء، ومهما كانت وحشية القرون الوسطى، أو غلظة أعداء المسلمين التي كانت تدفع قواد الجيوش الإسلامية إلى مجاراتهم فذاك ليس مبررا لمخالفة تعاليم الرسول ﷺ، فأعمالهم ليست حاكمة على القواعد الدينية المقررة.



د.أيمن الجندي



إن رسولنا هو نبي الرحمة بنص القرآن ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ولقوله ﷺ «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(صححه الألباني)، «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (حسنه الألباني) ولكن، أولا ما هو تعريف الرحمة؟ هل هي الرحمة مع الجناة الذين يفزعون الآمنين؟!، أم أن الرحمة الحقيقية أن تمنع الظلم وتغلظ على المعتدين، ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾(البقرة: ١٧٩) فإذا اعتدى الشر وجب على أهل الخير أن يدفعوه ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله، واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (البقرة:١٩٤)،

والسلام هو أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين بنص القرآن ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (الأنفال:٦١)، ووقائع السيرة النبوية تؤكد أن رسول الله ﷺ لم يرفع سيفا على مخالفيه إلا بعد أن وقع منهم الاعتداء، فمكث بين كفار قريش ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد ونبذ الأوثان، ما ترك بابا من أبواب الدعوة بالموعظة الحسنة إلا دخله ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل:١٢٥)، وما اتجه الرسول إلى حربهم إلا بعد التعذيب والمصادرة ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ (الحج:٣٩-٤٠)، وكان القتال مقصورا على قريش لا يعدوهم حتى تضافر العرب جميعهم على المسلمين في غزوة الأحزاب فكان لا بد من قتالهم كافة ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ (التوبة:٣٦)، ولم يستبح

دماء اليهود بل سالمهم وجعل له ما لهم وعليه ما عليهم، ولم يفكر في نقض حلفهم حتى حدثت خيانتهم في غزوة الأحزاب بما يهدد وجود المسلمين من الأساس.

ولم يبدأ قتال الفرس إلا بعد أن اختار كسرى من قومه من يأتيه برأس النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يقاتل الروم بوصفهم نصارى بل حاربهم لكونهم معتدين على المؤمنين الذين دخلوا الإسلام من أهل الشام، وكان على أتم وفاق مع نصارى العرب الذين جاء القرآن بالثناء عليهم ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ (المائدة:٨٢).

وبهذا الاستقراء التاريخي نجد النبي الكريم ﷺ ما حارب أحدا لم يعتد عليه أو يدبر الأمر ضده أو لم يتآمر على الإسلام مع أعدائه، وقرر أنه من سالم المسلمين لا يحل لهم أن يقاتلوه، ومن اعتدى عليهم لا يحل لهم أن يتركوه.

حرية الاعتقاد

والثابت أن حرية الاعتقاد في الإسلام مكفولة، فالحرب لا تجوز لفرض الإسلام دينا على المخالفين، والقتل للكفر ليس بجائز في شريعة الإسلام ﴿لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة:٢٥٦)، هذه من المبادئ غير القابلة للنسخ، ولقد منع الرسول رجلا يريد أن يكره ابنه على الإسلام، وحينما جاءت امرأة عجوز إلى عمر بن الخطاب في حاجة لها، دعاها للإسلام فأبت وانصرفت، فخشي أن يكون في قوله -وهو أمير المؤمنين- إكراه، فاتجه إلى ربه ضارعا: اللهم قد أرشدت، ولم أكره.

المهم أن تكفل حرية الاعتقاد، ويزال الحجز بين الدعوة والمستضعفين، بعدها من شاء آمن، ومن شاء كفر.

فإذا وقع الاعتداء فالصبر خير، والقرآن لم يأمر بالقتال عند أول اعتداء ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل:١٢٦).

فإذا كانت الحرب فلا بد من الإعلان قبل الهجوم، لأنهم ببساطة لا يريدون الاستيلاء على أرض أو التحكم في مصير ناس، بل أن يأمنوا جانبهم، بالعهد يعقدونه أو بالإسلام يعتنقونه، فإن لم يقبلوا واحدا من الأمرين كانت نية الاعتداء واضحة فلا بد أن يقوا أنفسهم منه، ومن عجائب التاريخ الإسلامي أن عمر بن عبدالعزيز أمر جيش المسلمين بالانسحاب من سمرقند بعد أن استولوا عليها لأنهم لم يؤذنوهم بالحرب، ويخيروهم بين الصلح والإسلام والقتال، ولعلها المرة الأولى في التاريخ أن يتخلى المنتصر عن أرضه من غير قوة تخرجه بل استجابة لداعي العدالة، ثم يعرض عليهم من جديد الصلح أو الإسلام أو الحرب فيختاروا العافية والحق والسلام، والدخول في الإسلام أفواجا.

فإذا وقع القتال والتحمت الجيوش فإن ضوابط القتال كثيرة، جوهرها أن الحرب للمقاتلين لا للشعوب، إذ كان الشعب المحارب قبل الإسلام يستبيح من الشعب الآخر كل الحرمات، في الميدان وخارج الميدان، أثناء المعركة وبعدها، واستمر الحال هكذا حتى جاء محمد ﷺ بحروبه، فأعلن بلسان الفعال، لا بلسان المقال وحده، أن القتل في الحروب لا يتجاوز الميدان، وأن الحرب ليست بين الشعوب.

من جملة الضوابط

١ - منع قتل الشيوخ والنساء والأطفال والعمال ورجال الدين منعا مطلقا.

٢ - منع التخريب والهدم والإتلاف لأن الأساس في القتال هو رد الاعتداء وليس الانتقام.

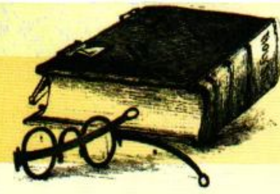
٣ - منع التمثيل بالجثث منعا مطلقا، وحتى جثث أعدائه في غزوة بدر أمر بوضعها في القليب حماية لها من الذئاب والسباع، وعندما مثلوا بجثة عمه حمزة في أحد لم يفكر في أن يمثل بأحد من قتلاهم.

٤ - إن قعدت قوة المجروح به عن المقاومة لا يسوغ قتله بل يبقى ويؤسر، لأن القصد من القتال هو منع الاعتداء.

٥ - المعاملة الكريمة للأسرى، فحينما كان الأعداء يقتلون الشيوخ والضعفاء، ويعذبون أسرى المسلمين بالجوع والعطش لم يبح لهم الصنيع نفسه، وبالغ الإسلام في إكرام الأسرى حتى اعتبره من أكرم البر، فكانوا يكرمونهم ولا يجيعونهم، وقد سجل التاريخ لصلاح الدين الأيوبي أنه أطلق جيشا ضخما من أسرى الفرنج حينما لم يجد لهم طعاما، فيما قتل قائد الفرنجة جماعة من المسلمين استسلموا له بشرط عدم قتلهم، والمعاملة بالمثل مبدأ موجود في الإسلام، ولكن بضوابطه.. إذا انتهك جيش الأعداء الأعراض فإن جيش المسلمين لا يباح له المثل، وإذا عذبوا الجرحى لا يباح للمسلمين المثل.

٦ - ومن عجب العجاب أن الإسلام يحفظ لرعايا الدولة المقاتلة الموجودين في بلاد المسلمين أمنهم وأموالهم ماداموا دخلوها مستأمنين، فإذا ماتوا انتقلت الأموال إلى ورثتهم (في الدولة المعادية!).

٧ - والأعجب أنه لا يستحب كثرة القتل بين الأعداء، وقد امتدح عمر بن الخطاب قتال عمرو بن العاص في مصر حين قال «تعجبني حرب بن العاص، إنها حرب رفيقة سهلة» وكان ذلك تأسيا بسنة النبي ﷺ الذي كان يسير على سياسة التأليف حتى في القتال، هي إذن حرب رفيقة تتسم بالتأليف والمحافظة على الأعداء، وأحب إلى محمد ﷺ أن يأتوه بهم سالمين قد عمر الإيمان قلوبهم، فإذا انتهى القتال لم يبق إلا المعاملة بالعدل، وقد أمر الإسلام بالعدل مع الأعداء كالعدل مع الأولياء ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ (المائدة:٨)، وحينما دخل النبي مكة صاح أحد قواده: اليوم يوم الملحمة، اليوم أذل الله قريشا، فعزله النبي ﷺ وقال «اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشا». وجمعهم الرسول وقال لهم - وهم الذين قاتلوه وآذوه- «ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا في ذلة المغلوب: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم أقول لكم ما قاله أخي يوسف «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».



إصدارات

إعداد: مصطفى عاشور

■ «كونية الإسلام.. رؤية للوجود والمعرفة والآخر» للكاتب الصحافي صلاح سالم، والصادر عن مكتبة الشروق الدولية في طبعته الأولى عام ٢٠٠٨م في ٦١٠ صفحة، وهو كتاب يتناول فلسفة الإسلام ورؤيته للوجود والعلاقة مع الآخر، ورؤيته للمعرفة التي تتأسس على نقاء التوحيد، ويؤكد الكاتب أن «كونية» الإسلام طابع أصيل في عقيدته، وبنيوي في شريعته، فالإسلام يقيم بنيانه على المبادئ الكلية للعقل الإنساني، ويتوجه إلى البشر جميعا، كما يسعى لإنشاء صورة متكاملة للحياة، وشمول الإسلام هو ضرورة وجودية لا غاية سياسية.

■ «نحو تجديد الخطاب الديني: تأسيس البنية الحوارية وحق الاختلاف» للكاتب المغربي سعيد الكرواني، والصادر عن وزارة الأوقاف المغربية في طبعته الأولى ٢٠٠٧، في ٣٢٤٩ صفحة، وهذا الكتاب حصل على جائزة محمد السادس للفكر والدراسات الإسلامية، ويحرر الكتاب مفهوم الإرهاب في السياق الغربي والإسلامي، وعددا من المصطلحات المتداولة في الوقت الحاضر، والمشروع المنشود للخطاب الإسلامي.

■ «تأملات قرآنية في الإصلاح والنهضة» للدكتور مجدي سعيد، والصادر عن «الحضاري للدراسات المستقبلية» في القاهرة في ٢٠٠٩ في طبعته الأولى في ١٢٠ صفحة، ويتناول خواطر حول عدد من الآيات والسور القرآنية التي تتناول قضية الإصلاح سواء للفرد أو المجتمع أو الدولة، وما أشار إليه القرآن الكريم من سنة التدافع بين البشر والحضارات، وهو ما يولد الاستمرار للحياة والحضارة.

■ «الإمام محمد عبده: مائة عام على رحيله» تحرير د.إبراهيم البيومي غانم ود.صلاح الدين الجوهري، والصادر عن دار الكتاب اللبناني بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية، في طبعته الأولى ٢٠٠٩م في ٩٨٦ صفحة، ويتناول أعمال الندوة التي نظمتها مكتبة الإسكندرية عام ٢٠٠٥ وتناولت موضوعات شتى عن حياة وآثار الأستاذ الإمام وتلاميذه وتأثيره في الحياة السياسية والفكرية والتعليمية سواء في مصر أو في العالم العربي والإسلامي، وكذلك جهوده في التجديد الفقهي والفكري والإصلاحي.

الكتاب.. ذلك المظلوم

أصبح للأنشطة الإنسانية أيام عالمية يحتفل بها العالم تشجيعا لها، فهناك يوم الرياضة العالمي، ويوم المرأة العالمي، ويوم الطفل، وقد اختارت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يوم ٢٣ ابريل من كل عام ليكون اليوم العالمي للكتاب وحقوق النشر، وبدأ هذا الاختيار سنة ١٩٩٥م، ويرجع اختيار ذلك اليوم تحديدا إلى أنه يصادف مولد وموت عدد من الكتاب والمبدعين مثل «وليم شكسبير»، ولاشك أن الكتاب يعد أهم حامل للثقافة والفكر في تاريخ البشرية حتى الآن.

والحضارة الإسلامية كانت تعطي الكتاب أهمية كبرى، فكانت المكتبات العربية عامرة في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومراكش والأندلس وغالبية الحواضر الإسلامية، بل كانت بعض الكتب توزن بالذهب ويعطى وزنها لمؤلفيها، وعرفت الحضارة الإسلامية الكثير من المهن المرتبطة بالكتاب منها ما يتعلق بالتجليد، والنسخ، والتذهيب، وطبع أول كتاب في العالم العربي سنة ١٧٠٦م، لكن العربية عرفت طريقها للطباعة قبل ذلك التاريخ بما يقارب القرنين، حيث طبع أول كتاب باللغة العربية سنة ١٥١٤م في إيطاليا حيث كانت العلوم العربية في الفلسفة والمنطق والطب ذات أهمية كبرى في مرحلة البناء والتأسيس للفكر والحضارة الغربية.

وعرفت حركة النشر في العالم العربي نهضة في القرن ١٨م تواكبت مع حركة تعليمية في عدد من البلدان العربية، وحركة في إنشاء المدارس والجامعات في مصر ولبنان، وكان ذلك يستدعي وجود وانتشار الكتاب المطبوع، وتوج ذلك حاكم مصر محمد علي باشا بإنشاء مطبعة بولاق سنة ١٨٢٢م التي استطاعت أن تنشر خلال ما يقرب من عشرين عاما حوالي ٢٤٠ كتابا في مختلف الفنون والعلوم، ثم توالى إنشاء المكتبات التي اعتنت بالكتاب وحرصت على إصداره وإخراجه بصورة تليق به وقتها، ومع نهاية القرن ١٩م كان ما نشر في مصر فقط من الكتب حوالي ١٠ آلاف كتاب في الدين والأدب والرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة.

ويشهد الكتاب العربي- حاليا- أزمة مركبة ومعقدة ومتشابكة سواء على المستوى الاقتصادي أو التعليمي أو السياسي، وهو ما انعكس في الكتاب باعتباره وعاء الثقافة، فوجدنا أن أعلى نسب من المبيعات في الكتب في الساحة العربية ما ارتبط بالخرافات والسحر والتنجيم والفضائح، والكتب التي لا تبني فكرا ولا تحصن عقلا.

وتشير المعلومات والأرقام التي أوردتها بعض التقارير أن واقع الكتاب في العالم العربي يعاني من أزمة كبيرة، فأرقام تقرير التنمية الإنسانية لعام ٢٠٠٣م تؤكد أن المعرفة هي الفريضة الغائبة في العالم العربي، ومن الأرقام التي أوردها التقرير والتي تثير الفزع والقلق أن متوسط نصيب الفرد من القراءة سنويا لا يتعدى ١٠ دقائق، وأن نسبة توزيع الصحف هي ٥٣ صحيفة لكل ألف شخص، في حين أن الرقم في الدول المتقدمة هو ٢٨٥، وأن متوسط الكتب المترجمة في السنة هو كتاب واحد فقط لكل مليون نسمة، كما أن حجم المشاركة العربية في إنتاج الكتاب في العالم تقل عن ١ في المائة، مقارنة بأوروبا التي تساهم بحوالي ٥٣ في المائة من الكتب في العالم.

كما أن الكتاب في الغرب قد يحقق لصاحبه ثروة كبيرة، ومثال ذلك سلسلة روايات «هاري بوتر» للكاتبة البريطانية «رولينغ» التي باعت حوالي ٢٧٠ مليون نسخة، وحققت من ورائها ثروة تزيد على البليون دولار، ووفقا لما ذكرته مجلة «فوربيس»، وترجمت إلى حوالي ٦٢ لغة، وهو ما جعل سعر الكلمة الواحدة فيها يصل إلى ٢٤٥٠ دولار.

ويلاحظ في العالم العربي وجود تراجع ملحوظ في دور الدولة في مساندة الكتاب ودعم الثقافة مقارنة بفترة الخمسينيات والستينيات- حيث كانت الدولة تقف بقوة ملحوظة وراء صناعة الكتاب- باستثناء وقوف الكويت وراء السلسلة الشهرية الشهيرة «عالم المعرفة».

الأمن الثقافي

يعرف أدمون هريو الثقافة بأنها «الشيء الذي يتبقى بعد أن ننسى كل شيء»، والأمن الثقافي من المفاهيم التي نشأت في بداية السبعينيات في منطقتنا العربية، وهذا المفهوم في عمقه يؤكد على وجود حاجة إستراتيجية لتوفير قدر من الأمن أمام حالة الانكشاف الثقافي للخارج، وأمام رغبة الآخر في التدجين والاستئصال الثقافي أو القيام بعملية تمييع مفاهيمي وذاتي وثقافي للعرب والمسلمين، وبالتالي تصبح الحاجة ملحة إلى تحقيق قدر من الأمن الثقافي يحمي الثقافة ومقومات الهوية ومكونات الذات الحضارية، بل نمط الحياة الذي يعبر عن الثقافة، لأن غياب قدر معتبر من التحصن الثقافي يجعل الذات ينتقل مركزها إلى الآخر، وهو ما يقود تدريجيا إلى حالة من الاستتباع واللحاق الثقافي بالآخر، ويجعل الذات أو بالأحرى بقايا الذات تتحول إلى آخر، فتجد قدرا من التنصل من التراث والماضي، واعتبار الاستناد إلى التاريخ في مسيرة الحياة والتفاعل مع المستقبل وصناعته نوعا من نبش القبور ومحاولة بائسة لإحياء الموتى، وفي المقابل فالأمن الثقافي لا يعني بحال من الأحوال الانغلاق على الذات وعدم رؤية الآخرين والتحوصل داخل مقولات الهوية الدفاعية، والإحساس الدائم بوجود مؤامرة، واعتبار أن العلاقة مع الآخر هي علاقة صراعية، ومباراة صفرية أي خسارة فيها تعني أنها مكسب للآخر.

فالأمن الثقافي يجب أن يدرك على أنه حالة طبيعية تتسم بنوع من العقلانية والرشاد، وأن دائرته التي يتحرك فيها هي دائرة الوجود والوعي والتفاعل البناء والخلاق مع الآخر، وبالتالي فالأمن الثقافي يحتاج إلى رؤية وحركة سياسية تفعّل وجوده وحضوره في المجال العام، لكن الجرعة السياسية من الضروري ألا تفرض بطريقة حمائية ووصائية تفقد الثقافة قدرتها على التفاعل والتواصل والتلاقح، بل المواجهة أيضا.

ولاشك أن كل ثقافة تخلق أدوات أمنها وحمايتها في كل المستويات، كما أن التطور الذي يحدث في الثقافة يتأثر بعوامل عدة، منها طبيعة الثقافة وما تتسم به من درجة انفتاح وتحصن ومناعة ذاتية أمام محاولات الاستلاب، ومدى قشريتها أو تعمقها في نفوس أبنائها، ومدى تجسدها في سلوكيات يومية وفي فلكلور وفن وعمارة...الخ، كذلك الجماعة أو الطبقة أو السلطة التي تحمل تلك الثقافة، وفي التجربة الإسلامية فإن الأمة بمجموعها مطالبة بأن تكون حاملة لثقافتها ومجسدة لها، وهو ما يمنحها قدرا هائلا من الإمكانات في الحفاظ على ثقافتها بحالة من الخصوصية المنفتحة، بخلاف ثقافات أخرى كان من يحملها طبقة من رجال الدين أو ذوي الثروات أو طبقة حزبية، يضاف إلى ذلك سرعة استقبال الجماهير، فكلما استقبلت الجماهير الثقافة بسرعة وتمثلت تعاليمها كان ذلك أدعى لتوفير بيئة حمائية للثقافة تغنيها عن أي أدوات سياسية وسلطوية أو عنفية.

وهنا يجب التأكيد على أن مشاريع التنمية تحتاج دائما إلى قدر من الأمن الثقافي، فاستنفاد الموارد الطبيعية بطريقة عبثية وفي مظاهر ومنتجات استهلاكية يكشف عن غياب ثقافة ترغب في تحقيق تنمية مستدامة، ولذا نجد في تلك المجتمعات من يغذي الثقافة الاستهلاكية ويشجعها ويغير معيار التقدم من القدرة على الإنتاج ومواكبة العصر لتصبح إنسانيتك بقدر ما تستهلك ونوعية ما تستهلك، وهو ما يخلق حالة من الانفصال بين الثروة والقيمة، ويجعل القيم تتحرك في إطار من المادية الاستهلاكية.

التراث والإنسان

التراث كلمة واسعة الدلالة، وكما يؤكد د.علي جمعه في كتابه «الطريق إلى التراث الإسلامي» فإن الموروث عبارة عن مكونين: نتاج فكري، وواقع تاريخي، وقد لعب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة- كمصدرين للمعرفة للمسلمين- دورا في تجلية ذلك التراث، حيث إن غالبية العلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية كانت خادمة لهما أو مستخرجة منهما ما يقوي الإطار المرجعي للمسلمين، ويخلق معيارا للتقويم، فالمسلم عندما قرأ النص راح يبحث عن وسائل لفهمه، فظهرت بعض العلوم مثل البلاغة والنحو والصرف، وهذا الإبداع كان من باب خدمة النص، فالنص كان محركا للعلوم والآداب والفنون، وعندما أخذ العقل المسلم يبتعد عن النص، ويقتصر تفاعله مع ما أنتجه السابقون من علوم حول النص لخدمته وفهمه أخذت حالة من الجمود تصيب العقلية المسلمة، ولم يكن السابقون يطلقون على موروث سابقيهم كلمة تراث فقد كانوا ينظرون إلى هذا الموروث باعتباره ممتدا فيهم، وهو الامتداد الجاري عبر اللغة والمفاهيم والتصورات العامة، ومن هنا توالت حلقات تاريخنا الثقافي والعلمي لزمن طويل حتى جاءت الحملة الفرنسية، ومن بعدها احتلال الأوروبيين لأرجاء العالم العربي والإسلامي، فكانت عملية الانقطاع عن التواصل- على مستوى الوعي العام- بحيث صارت أجيالنا الحالية، بفعل عمليات التغريب الدائمة، تنظر إلى الآثار الباقية عن الأجيال الخالية، باعتبارها أمرًا مستقلاً عنا، يكاد يبدو وكأنه يخص غيرنا!

ولقد استخدم البيروني تعبير «الآثار الباقية عن القرون الخالية» كعنوان لأحد أهم كتبه، لكن البيروني لم يقصد بذلك ما تركه سابقوه من أهل الحضارة العربية الإسلامية، وإنما كان يستعرض تراث فارس والهند والأمم الأخرى السابقة على حضارتنا العربية الإسلامية والمختلفة عنها.

والواقع أن الغرض من النظر إلى الماضي والموروث هو محاولة استقراء ما فيه من معان يمكن إعادة صياغتها بمضامين وأشكال فعالة، حتى يوجد اتساق بين العقيدة والسلوك، وبين الرؤية والنظام السائد، والحضارة يصيبها العقم عندما يتقدم البنيان على الإنسان، وتصاب بالمشكلات عندما ينعزل إنسانها المالك للنموذج المعرفي عن مشكلات الواقع وينفصل عن الغيب الذي يلهمه القوة والبصيرة، فيغيب الاتساق بين الداخل والخارج في الإنسان، وبين مظهر الحضارة وبين جوهرها.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com



رحلة «حراء»

على سفوح التلال الخضراء، وأمام بحر مرمرة الساحر يعتقد البعض أن إسطنبول عاصمة تركيا باعتبارها أهم مركز تجاري وبشري في البلاد، فالقصور والقلاع القديمة المنتشرة في كل مكان والمساجد العتيقة التي بنيت في عهد الفتوحات الإسلامية تثبت أنها رأس المال الفكري والثقافي لتركيا.

بدعوة كريمة من مجلة «حراء» التركية الناطقة باللغة العربية زارت «الوعي الإسلامي» هذه المدينة الخلابة لمدة خمسة أيام، وكانت مترسخة لدينا صورة ذهنية سلبية عن تركيا العلمانية، فكانت المفاجأة مذهلة، والوقائع تقلع القلوب اندهاشا وتعجبا لما بصرته العيون من تركيا العثمانية.. تركيا الخلافة.. تركيا الفاتح.. تركيا السلاطين.

فلم نسمع عن أناس وهبوا أنفسهم وأموالهم منذ أربعين عاما لله وينكرون ذواتهم ولا يعترفون بذلك.. أناس اتخذوا العمل منهاجا لخدمة الإنسانية.. أناس آثروا البذل والعطاء عن التنظير والشخصانية والتغني بالشعارات، ولم نكن نعرف مؤسس أكبر تجمع إسلامي في تركيا (محمد فتح الله كولن) أمد الله في عمره ونفع به وجعله زخرا للإسلام والمسلمين، بالرغم من اهتمامنا بشؤون المسلمين في الخارج.

رجال في سن الشباب، وتجار شعارهم البذل، وعلامة ملهم.. ثالوث النهضة الفكرية والثقافية والعلمية في تركيا الجريحة منذ سقوط الخلافة على يد أتاتورك أوائل القرن الماضي، فما رأيناه حقا يجعلنا نتيقن أن الخلافة ستعود من بلاد الأناضول مرة أخرى بإذن الله بالرغم من سيطرة صناديد العلمانية المتمصلحون على المقدرات الرئيسة في البلد ، ذلك أنهم استلهموا من السيرة النبوية كيفية تغيير الواقع المزري بالتدريج من خلال التربية والبناء والتعليم بعيدا عن السياسة ورفع الشعارات الإسلامية والتغني بالصور الخارجية والمظاهر دونما النظر لحجم الإنتاج العملي.

وعلى الرغم من إيمان هؤلاء بأن المبادئ الإسلامية ثابتة لا تتغير كما أُنزلت في القرآن، فإنهم على قناعة أنها لا بد أن تتكيف مع ظروف كل عصر، وأن يتم تفسيرها من جديد لملاءمة ذلك العصر، كما يرون أن توافر العلوم الحديثة هو السبيل لفهم الذات الإلهية بالعقل عن طريق البحث في المخلوقات، ويقولون إن المجتمع لا يمكن أن يتغير إلا إذا تغير الفرد، والسبيل إلى ذلك هو العلم، لذا فشعار كولن في ذلك هو «ابنوا مدارس جديدة بدلا من المساجد».

وترى هذه المجموعة الربانية أن العمل مفتاح «الشفرة» للتغيير الإيجابي، فيقول كولن في كتاب «أركان الدين الإسلامي»: «سوف نُثَاب بالنجاح على جَلدنا وصبرنا، وسنعاقب على كَسلنا بقلة ذات اليد».

كرم الضيافة وحرارة الاستقبال كانا موجودين منذ أن وطئت أقدامنا تركيا، حتى إننا أحرجنا من التمادي في الضيافة، خاصة من المربي مصطفى أوزجان، ورئيس تحرير «حراء» نوزاد صواش، بالإضافة إلى جمال تُرك مدير أكاديمية العلوم.

بدأنا الرحلة بزيارة مجلة «حراء» التي تتبع أكاديمية «قايناق للعلوم» التي أتاحت لنا الفرصة للتعرف على ثمرة مباركة ذات رسالة إسلامية ترتفع فوق القواطع والفواصل، وتخاطب كل المسلمين وتعتني بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، وراقنا أنها قرآنية الصبغة، عَصْريَّة الصياغة، جامعة بين الأصالة والمعاصرة بمنهجية وسطية تجاهد في سبيل التكامل، بعيدا عن الإفراط والتفريط.

وقد بهرتنا إحدى مدارس «الفاتح» بجمعها ما بين حداثة البنيان والإبداع التربوي والتعليمي بأسلوب فريد من نوعه، قلما تجده في مجتمعاتنا العربية، ما يدفعنا إلى التفكير في مراجعة منظومتنا التعليمية مرة أخرى، فأوائل الثانوية دائما من هذه المدارس، حتى باتت معلما ثقافيا وتعليميا تتهافت عليه الأسر التركية لتعليم أبنائها من مختلف الأطياف، مع الأخذ في الاعتبار أنه يوجد على شاكلة هذه المدارس أكثر من ١٠٠٠ مدرسة موزعة في محافظات البلد المختلفة، وفي دول البلقان.

وتعرفنا على «وقف الصحافيين والكتاب» الذي أنشئ عام ١٩٩٤ ليقدم تجربة جديدة في جمع النخبة السياسية والثقافية والدينية من مختلف المشارب والأطياف على طاولة الحوار، لمناقشة القضايا الحساسة والخطيرة للوصول إلى رؤى توافقية.

كذلك تعرفنا على مؤسسة صحافية عملاقة تعتبر الأولى في الصحافة اليومية هناك، تسمى «زمان»، بالإضافة إلى أخواتها مثل وكالة «جيهان» للأنباء ومجلة «إكسيون» الإخبارية، فالجدية في العمل والتضحية في البذل والإدارة الحديثة والبسيطة والالتزام أبرز معالم هذا الصرح العجيب!

إن أبرز ما يمكن أن نستفيده من هذه التجربة الرائعة هو الجدية والتضحية في العمل، وضرورة توافر الكوادر المؤهلة علميا وروحانيا، والعمل المؤسسي المنظم، وتقديم ثقافة العمل على التنظير.. لتؤكد تركيا مرة أخرى للعالم أنها عائدة بقوة لإحياء روح الإسلام في ربوع الإنسانية.. والله ولي التوفيق.

ندوات ومؤتمرات

سلوى طلعت

شهدت الساحة العربية والإسلامية نشاطا ثقافيا وسياسيا ملحوظا من خلال المؤتمرات والاحتفاليات التي أكدت كلها على ثوابت هذه الأمة، وإظهار هويتها، والسير بها في النهج الوسطي حيث لا إفراط ولا تفريط، وقد أردنا أن نلقي الضوء على بعض منها.

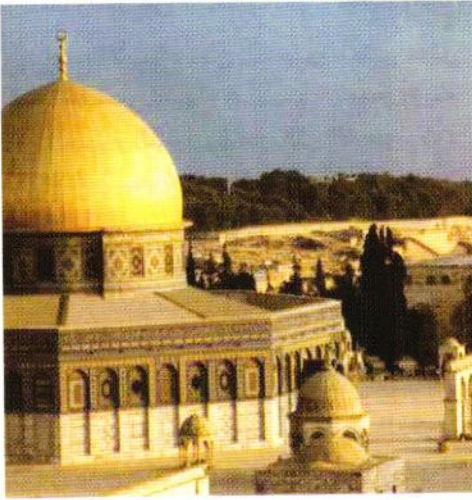
المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

نظمت جامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري - في يومي الأحد والاثنين ٢٣ و٢٤ جمادى الأولى١٤٣٠هـ الموافق ١٧ و١٨ مايو ٢٠٠٩م - المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، تحت عنوان: «الأمن الفكري.. المفاهيم والتحديات»، حضره أكثر من ٨٥ أكاديميا ومتخصصا وباحثا في مجال الأمن الفكري بمفهومه الشامل، وناقش ٦٦ بحثا على مدى إحدى عشرة جلسة.

وقد ناقشت جلسات المؤتمر الأوراق البحثية التي تناولت المحاور التي تخدم الهدف العام للمؤتمر، ومن هذه الأوراق: الأمن الفكري بين المفهوم والتطورات والإشكاليات، ومفهوم الأمن الفكري بين المحددات العلمية والإشكاليات المنهجية المعاصرة، ومكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، والأمن الفكري وأسسه في السنّة النبوية المطهرة، والأمن الفكري في ضوء متغيرات العولمة، وموقع الأمن الفكري في أنظمة الدولة، ودور حرية التعبير في حماية الفكر والتفكير وتعزيز الحصانة الذاتية في الأمن الفكري.

وقد تقدم الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس بورقة طالب فيها بـ «ضرورة إنشاء هيئة عليا تعنى بإعداد الخطط والاستراتيجيات الشاملة التي تحفظ الأمن الفكري للمجتمع، وترصد كل المستجدات التي تهدد كيان الأمة، إلى جانب تشكيل مجالس تنسيقية بين القطاعات الحكومية والأهلية في هذا الإطار».

المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين



شهدت مدينة اسطنبول التركية يومي الجمعة والسبت ٢٨ و٢٩ من جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ٢٢ و٢٣ مايو ٢٠٠٩م افتتاح المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين بحضور مئات الشخصيات وممثلي مؤسسات المجتمع المدني.

وقد اشتمل برنامج المؤتمر على عشر حلقات بحث وعمل متخصصة، وثلاث ندوات عامة تحدثت فيها شخصيات بارزة متخصصة على المستوى الإسلامي والعالمي، إضافة إلى جلسة للافتتاح وأخرى للختام شارك فيها عدد آخر من المتحدثين، كما كانت هناك كلمات رمزية تعبر عن قارات العالم وتضامنها مع فلسطين.

ودعا العلامة القرضاوي إلى جمع كل من يناصر القضية الفلسطينية في العالم من الشرق والغرب، وقال: «وهذا هو الذي يقوم به هذا المؤتمر في حشد الجهود وتعبئة القوى المختلفة، وكلها تصب في نصرة الحق في هذه القضية»، وقد تحدث عن التهديدات الصهيونية المتزايدة بحق مدينة القدس ومقدساتها، وأكد أن المطلوب هو «نصرة دائمة لفلسطين» حتى لا تكون هناك هبات متقطعة وغير متواصلة، مؤكدًا أن نصرة فلسطين «ليست تبرعًا ولا تطوعًا، بل هي فرض عين علينا»، ودعا إلى شد أزر المقاومة وحماية ظهرها.

ودعا البيان الختامي لأعمال المؤتمر إلى أهمية الانتقال إلى التواصل الفعلي المستمر مع فلسطين وشعبها، وترجم ذلك من خلال ورش العمل التي وضعت لبنة التنسيق والتكامل بين شتى المؤسسات والمنظمات، وحددت مجموعة من المشروعات والمبادرات العملية لنصرة فلسطين.

المؤتمر الدولي الرابع عشر والاستثنائي للدراسات الموريسكية الأندلسية

نظمت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات واللجنة العالمية للدراسات الموريسكية بتونس على مدار ثلاثة أيام من ٢٠-٢٢ مايو ٢٠٠٩م مؤتمرا دوليا استثنائيا بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة على طرد الموريسكيين من بلادهم الأندلس (١٦٠٩-٢٠٠٩).

ودار هذا المؤتمر حول محورين أساسيين هما:

أولا: الانعكاسات الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لطرد الموريسكيين الأندلسيين (١٦٠٩-٢٠٠٩)

أ - عمليات الطرد القسرية واللاإنسانية وملابساتها الرهيبة.

ب - الوزن الديمغرافي والاقتصادي للموريسكيين الأندلسيين بالنسبة لإسبانيا وتداعيات الطرد.

ت - الإسهامات المهنية والحضارية للموريسكيين في بلدان الاستقبال.

ثانيًا: استخلاص الدروس من مأساة طرد الموريسكيين الأندلسيين

أ- قطع الصلة تمامًا مع محاكم التفتيش القديمة والحديثة.

ب- تنمية قيم التسامح والتعايش والاعتراف بالآخر.

ج- مواجهة الأزمات الإنسانية مستقبلاً، وتبني منظومة جديدة من الأنسنة والتعايش والشراكة الحضارية.

وقال المشاركون في البيان الختامي: إنهم «مقرّون العزم على تناول ملف الطرد ومواصلة السعي لدى السلطات الإسبانية العليا للإقرار بتلك المأساة»، واعتبروا أن مبادرة «تحالف الحضارات والثقافات» التي تديرها إسبانيا بالشراكة مع تركيا تتنافى مع رفض السلطات الإسبانية المطلق الإقرار بحصول مأساة الطرد الجماعي والاعتذار عنها.



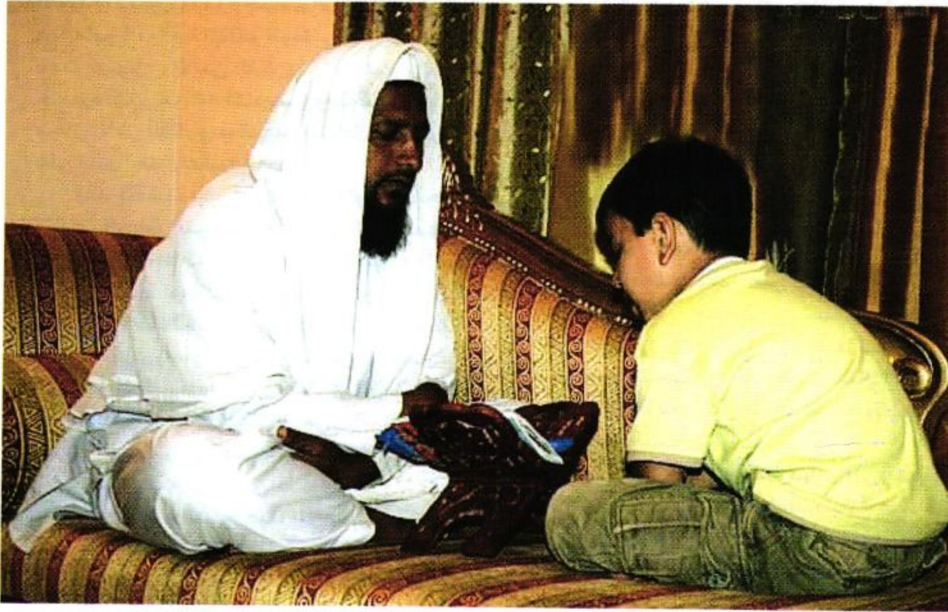

حينما تجتمع الأبوة مع النبوة

أسماء سلام

من كمال نعم الله سبحانه وتعالى أن جعل الأنبياء بشرا مثلنا لهم من القلوب والمشاعر وحب الزوجة والأبناء واشتهاء الذرية والحب الشديد لهم، بل الخوف عليهم ما يجعلهم قدوة لنا في الحرص على الأسرة ومكوناتها، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب﴾ (الرعد: ٣٨).

حب الأبناء من الفطرة التى فطر الله الناس عليها؛ فالأبناء نعمة وزينة في الحياة الدنيا وذخر في الآخرة كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف: ٤٦) فهي هبة من الله سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه العزيز ﴿لله مُلْكُ السموات والأرض يخلق ما يشاء يهبُ لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاءُ الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ (الشورى:٤٩-٥٠) ومن المعلوم من هذه الآية الكريمة أن الذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء من الله سبحانه وتعالى للبشر وحين يمنح الله سبحانه وتعالى فهذا المنح لابد أن يعقبه شكر على عطاء الله وعند المنع لابد أن يلازم المنع الدعاء والصبر، والمنع والعطاء في الذرية كان أحد الجوانب الإنسانية في حياة الانبياء التى عايشوها وظهرت مشاعرهم وأحاسيسهم في هذا الشأن، فكانوا آباء يتحملون أعباء أبنائهم ومشقة دعوتهم.

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره «إن أهل الأنبياء ليسوا من جاءوا من نسلهم، إنما أهل الأنبياء هم من جاءوا على منهجهم، إذن فنسبة الأبناء للآباء من الأنبياء نسبة عمل لا نسبة دم ولا نسبة عن زواج أو إنجاب، وعاطفة الأبوة عاطفة محمودة، والحق سبحانه يشحن بها قلب الأب على قدْر حاجة البنوة، ولو لم تكن



تلك العاطفة موجودة، لما تحمل أي أب أو أي أم متاعب تربية الأبناء».

نداء الرحمة

قال تعالى ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ (هود: ٤٢).

السماء تسقط أمطارا غزيرة حتى أصبح الموج كالجبال العظيمة ونوح عليه السلام بنفسية الوالد الملهوف على ابنه في أحلك اللحظات خوفا عليه يناديه يا بنى اركب معنا طلبا لنجاته وأمنه فرد الولد المغرور الذي لا يرى أبعد من تحت قدميه ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ (هود: ٤٣).

وكانت الفرصة الأخيرة للنجاة فحال الموج بين الوالد والولد فأصبح الولد من الغارقين.

وبعد الهدوء استوت السفينة على الجودي فلم تكن نفس الوالد الحاني قد هدأت بعد، فقد حاول ثانية محاولة الأب المشفق الحريص على نجاة ابنه قائلا ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ (هود: ٤٥).

يقول صاحب التحرير والتنوير «إن نداء نوح عليه السلام هذا كان بعد استواء السفينة على الجودي، نداء دعاه إليه

داعي الشفقة فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، فنجاة الأبناء في الدنيا والآخرة مطلب لأب واع باستمرار الحياة في الآخرة بعد الدنيا».

طلب الذرية لابد أن تصحبه أهداف تقيم الدين وتحافظ على حدوده

هبة منتظرة وفرحة مرجوة

إبراهيم خليل الله خرج مهاجرا من بلده، هاجراً الوطن والأهل ذاهبا إلى الله ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ (الصافات: ٩٩)

وبعد الهجرة يجد إبراهيم عليه السلام نفسه تتوق للذرية فيدعو ربه أن يرزقه غلاما صالحا يكون مؤمنا حقا وبداية لأهل وأسرة مؤمنة عوضا عن أهله الذين تركهم في بلده ﴿ربِ هبْ لِي مِن الصالِحِين﴾ (الصافات: ١٠٠).

وكان الدعاء بالذرية من إبراهيم عليه السلام دعاء مخصصا أن تكون ذرية صالحة، وهكذا يجب أن يكون حال كل مسلم يدعو الله عز وجل بالذرية، فعليه أن يقرنها بأن تكون صالحة، فكم من آباء تمنوا أنهم ما رزقوا بالأبناء من سوء أخلاقهم، فمن أجل الإصلاح والإعمار تطلب الذرية الصالحة، والله سبحانه مجيب الدعاء، يستجيب دعاء الداعي إذا دعاه ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ (الصافات: ١٠١).

قال صاحب الكشاف في البشرى: إن البشارة انطوت على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما. فهذا إبراهيم عليه السلام يرزق بالغلام الحليم، فيا لها من فرحة وسعادة بشرى بغلام متصف بصفات يحبها الأب إنها نعمة عظيمة من الله، وتزداد فرحة الوالد بولده حينما يشتد عوده ويبلغ السعي مع والده ويشاركه فتزداد فرحة إبراهيم عليه السلام بغلامه الحليم، حقا لقد تحققت الفرحة وزادت السعادة بإسماعيل. والآباء عادة ما يحبون أن يفدوا أولادهم من المصائب فهم فلذات الأكباد وفرحة الروح والفؤاد. ومع الفرحة العارمة بمجيء إسماعيل واكتمال السعادة ببلوغ إسماعيل السعي يأتي الاختبار العظيم.. اختبار العاطفة واختبار الطاعة والاستسلام برؤيا إبراهيم بذبح إسماعيل، فكان التسليم لأمر الله ولو كان تلميحا وليس تصريحا، كانت استجابة من شيخ كبير رزق بغلام حليم في غربة عن الأوطان، فلم يشأ إبراهيم أن يباغت إسماعيل بتحقيق أمر الله دون مشاركة من الابن الصالح ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢).

وعند التسليم والاستسلام من الأب المحب لابنه، والطاعة من الابن الصالح ظهرت نتيجة الاختبار فجاء النداء لإبراهيم وإسماعيل بالفداء العظيم لعظمة الاختبار والنتيجة، فهي رحمة الله بعباده، فماذا يسفر الذبح والدم بعد الطاعة والاستسلام دون تهاون أو تأخير أو تضجر، ومع رحمة الأب بابنه وعاطفته العارمة إلا إن هذه العاطفة والرحمة هي أقل من رحمة الله بعباده، فهو الرحمن الرحيم، رحمن الدنيا والآخرة، فكان من عظيم نعم الله علينا أن جعل رحمته مائة ضعف من رحمة الآباء، ومهما كانت رحمة الأب بابنه فرحمة الله أعظم ومهما كان لطف الآباء بأبنائهم فلطف الله أكبر ﴿وفديناه بذبح عظيم. وتركنا عليه في الآخرين. سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين﴾ (الصافات: ١٠٧-١١١).

وامتن الله على إبراهيم لا بإسماعيل فقط بل بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أيضاً، وفوق ذلك قال ﴿كلا هدينا﴾ (الأنعام: ٨٤) أي أنهما كانا من أهل الهداية.

ميراث النبوة

رحمة الله بعباده الصالحين وبأنبيائه عليهم السلام عظيمة وقد تجلت في إحدى صورها في القصص القرآني، وكانت من رحمة الله سبحانه وتعالى استجابة دعاء نبي الله زكريا الرجل الكبير الذي ليس له ولد وانقطعت عنه أسباب الإنجاب فلم يجد إلا الله فناداه نداء خفيا ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ (مريم: ٢-٣).

قال بعض المفسرين: إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره.

وقال آخرون: إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله. كما قال قتادة في هذه الآية ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾: إن الله يعلم القلب التقي ويسمع الصوت الخفي.

وقال بعض السلف: قام من الليل، عليه السلام، وقد نام أصحابه، فجعل يهتف بربه يقول خفية: يا رب، يا رب، يا رب، فقال الله: لبيك، لبيك، لبيك.

فجاء نموذج نبي الله زكريا في اللجوء إلى الله والتضرع إليه حتى ولو انقطعت الأسباب الأرضية ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا. وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليا﴾ (مريم: ٤-٥).

ومن المعلوم أن طلب زكريا للذرية لتثبيت منهج الله في الأرض.

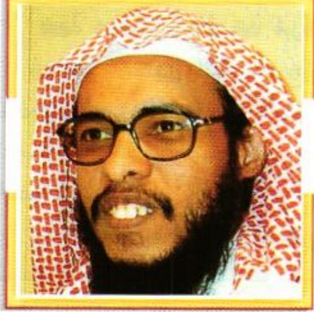
فقد قال رسول الله ﷺ كما في ابن كثير «رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول: فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرث من آل يعقوب».

ويقول الشيخ سيد طنطاوي: زكريا يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده (عز وجل).

وهكذا يتعلم الآباء أن طلب الذرية لابد أن تصحبه أهداف تقيم الدين وتحافظ على حدوده، فكم من مولود لا يعلم أبواه معنى لوجوده ولا يفطن الوليد لغاية حياته، يقول السعدي: ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم.




الداعيات وتحطيم القدرات


د.زيد الروماني

إن للمرأة دوراً عظيما ووظيفة جليلة في ممارسة العمل الدعوي، بمختلف صوره وأشكاله، وذلك بما تمتاز به من قدرات وإمكانات وسمات شخصية ونفسية وعاطفية.

وأهم ما تتميز به المرأة ويمكن استثماره في العمل الدعوي هو قدرتها العاطفية وسرعة استجابتها، فقد أثبتت البحوث العلمية والملاحظات الفردية أن القدرة العاطفية هي السمة الأساسية التي تتسم بها المرأة.

ويمكن توظيف واستثمار هذه السمة في مجال العمل الدعوي بين بنات جنسها، لقدرتها على التأثير والإقناع واستثارة ميولهن وعواطفهن.

ونذكر في هذا المقام بفخر واعتزاز ما قامت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من دور دعوي وتحفيز ومساندة لرسول الله ﷺ، فهي، بحق، تعد الداعية الأولى في الإسلام، ولاغرو فهي أول من أسلم من النساء. وأمهات المؤمنين ونساء الصحابة التابعين نماذج رائعة للداعيات في مختلف العصور والدهور.

ونظراً لما تواجهه بعض الداعيات من مشكلات وعقبات أثناء عملهن الدعوي، فإننا نقدم إليهن هذه النصيحة ليكون لهن في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والأسوة الصالحة، فقد مورست سياسات تحطيم القدرات تجاهه ﷺ، من خلال الغمز واللمز والتهكم والاتهام والتحقير والأذى والملاحقة والتشهير والحصار والتجويع، ألم يوضع سلا الجزور على ظهره الشريف؟ ألم يقل له عمه تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ ألم يوضع في طريقه الشوك؟ ألم يحاصر هو وأصحابه في الشعب؟، وهكذا كان أصحابه، فقد عانوا من تحطيم القدرات، تعذيباً وتكذيباً وتشهيراً وتحقيراً وإحباطاً وإهانة.

ولكن رسول الله ﷺ وأصحابه صبروا وكانت نيتهم خالصة لوجهه الكريم، وكان هدف الدعوة الى دين الله بالتي هي أحسن وتحمل الأذى في سبيل ذلك الغاية والمقصد.

ولقد ورد في الحديث «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (صححه الألباني).

والنصوص الهادية والدلائل البينة والعلامات المميزة لمسيرة العمل الدعوي كثيرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الأنفال:٣٠) وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ (فاطر:٤٣) وقوله ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (الإسراء:٨١) ذلك أن الحق أحق أن يتبع.

ثم لتتذكر الداعيات مَنْ كان سبباً في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما هي أخته، الداعية المباركة التي تحملت الصفعة والكلام الغليظ والتهديد من أخيها ودعت إلى دين الله بالتي هي أحسن، فكانت سبباً بحمد الله لإسلام عمر الفاروق رضي الله عنه.

ومن هنا فإنني أقترح إنشاء جمعية تحمل اسم جمعية الدعوة النسائية (الدور النسائية، مدارس تحفيظ القرآن، المكاتب التعاونية، الجاليات، مكاتب الدعوة، جمعيات البر، جمعيات تحفيظ القرآن، الندوة العالمية للشباب الإسلامي)، وذلك من أجل تحفيز همم الداعيات وتبادل الخبرات والمساهمة الفاعلة.

وهنا أمر مهم ينبغي التنبه والتنبيه إليه، ويتمثل في أهمية وضرورة مراعاة خصوصية كل أسرة في المجتمع من حيث تقبل بعض أولياء الأمور مشاركة ابنته أو زوجته أو أخته في العمل الدعوي، إذ لدى بعض الأسر والمجتمعات عادات وطباع وسلوكيات وتقاليد وثقافة قد تمنعهم من المشاركة والمساهمة الفاعلة، ويبقى دورنا في تبيان الأسس الصحيحة والأهداف الرشيدة والآثار الحميدة لأولئك بالتي هي أحسن، ودعوتهم شخصيا للاطلاع عن كثب على الأنشطة الدعوية النسائية، وتزويدهم بالخطابات الخاصة وشكرهم وتحفيزهم لمزيد من المساهمة والمشاركة.

أما أبرز الوسائل والآليات المعينة للداعية على الاستمرار في دعوتها بنجاح فأهمها:



١- وضع الهدف وسلامة النية والإخلاص.

٢١- تحديد البرنامج الدعوي والتخطيط له بإحكام.

٣- العمل تحت مظلة رسمية.

٤- الاهتمام بفقه الأولويات.

٥- القيام بالواجبات الأسرية والدعوة الأسرية.

٦- التفقه وزيادة الوعي والفهم وتطوير الذات.

٧- الالتحاق ببعض البرامج التدريبية الدعوية.

٨- حضور بعض المحاضرات والملتقيات النسائية.

٩- المشاركة الفاعلة بين الزوجين في مجالات العمل الدعوي.

١٠- التقويم المستمر لبرامج المرأة وعملها الدعوي.

ختاماً أقول: إننا في مؤسساتنا ومحاضننا الدعوية أولى بتشجيع وتحفيز المرأة الداعية على العمل الدعوي وتوفير ما تحتاج إليه من دعم مادي ومعنوي، وإطلاق قدراتها وطاقاتها الفكرية والاجتماعية والإبداعية، مع توفير المناخ العفيف للمرأة الداعية.

إن العمل الدعوي النسائي في بلادنا يحتاج إلى جهود وقدرات وطاقات الجميع.



بيوت الثلج

رباب ربيع

الأصل أن الحياة الزوجية تسير على وتيرة واحدة، وبين هذا وذاك فترات عصيبة تمر بالحياة الزوجية، لكن يبقى الملل «فيروسا» يضرب الحياة الزوجية بعنف، وقد يصيبها في مقتل إن لم يتم علاجه بشكل صحيح، فالملل الزوجي آفة تتعرض لها العلاقة الزوجية، خاصة في ظل طول الفترة التي يرتبط فيها الطرفان، والمحصلة النهائية للواقع الأسري هي الإحساس بالملل الذي يقود إلى التعاسة الزوجية، وفي الحقيقة ليست المشكلة في الإحساس بذلك الملل الزوجي، فهذا من طبيعة الحياة، وإنما تبقى الإشكالية في عدم قدرة البعض على التغلب على هذا الملل الذي يضرب أواصر الحياة الزوجية؛ فيصل بها إلى هاوية الطلاق الصامت غالبا، بل الطلاق الصريح أحيانا.

الطريق إلى بيوت الثلج

الاعتياد والرتابة قد يقتلان الشوق إلى الزوجة في نفس الزوج، والذكي هو الساعي إلى التجديد والتغيير حتى لا تضعف العلاقات بمرور الأيام، ويبدأ الشعور بأنه فقط يؤدي واجبا لابد من أدائه، وهنا لابد من التوقف وتدبر أهمية عدم المبالغة في الحديث عن الملل في العلاقة الحميمة، فالحياة الزوجية يمكن أن تزدهر وتتجدد، ولا بأس بفترات من الملل المؤقت والعابر، أما إذا زاد الملل وأوشك أن يصبح ظاهرة، فلا مفرّ من التغيير في كل شيء حتى لا تصير بيوتنا بيوتا من ثلج. (من كتاب أسرار الزواج الناجح، نجلاء محفوظ).

أين نحن من هذا الرقي؟

يقول الداعية جاسم المطوع: إنَّ رسالةَ الإسلام هي رسالة حب، والمتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث المسلم على إشاعة الحب واستمراره كثيرة جدًا، ألا نذكر نبينا محمدا ﷺ حينما عاش مع السيدة خديجة- رضي الله عنها- خمسة وعشرين عامًا كلها محبة وسعادة، فلما ماتت لم ينسَ هذه السنوات واستمرَّ يذكرها بالخير ويهدي أصحابها الهدايا ويتابع أخبار صديقاتها حبًا ووفاءً لها، وفي ذلك دليل على أنَّ الحب يمكن أن يستمر إلى ما بعد الخمسين، على الرغم من أن بعض الدراسات الغربية ومنها دراسة العالم الكيميائي «روبسون» أكدت أن كيمياء المخ المسيطرة على عملية الحب تظل تولد شحنات لمدة ثلاث سنوات فقط، فتعريف الحب عندنا يختلف عن تعريفه عند الغربيين، فمن قيمنا المرتبطة بالحب الإخلاص والوفاء والتضحية، بل إنَّ الأصل في الحب أن يكون في الله ولله حتى ولو كان بين الزوجين، وهذا مفهوم راقٍ من مفاهيم الحب، ولهذا أوصانا حبيبنا محمد ﷺ بأن نرتبط بـ «الحبيبة» عندما قال «تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة» (سنن أبي داود)، وذكر صفة الودود (أي الحبيبة) التي تشعُّ الحب إلى حبيبها.

أفكار جديدة للتغيير

■ اجعلي بيتك كل يوم كأنه بيت جديد فغيري وبدلي وانشري فيه البهجة والسرور، وداعبي الزوج ومازحيه عند عودته من عمله، وحبذا لو ذكرته بمزاح ولطف بتلك المواقف المضحكة التي مرت بكما في حياتكما، وقد قالوا: إذا أردت أن تنال حُب من أمامك فحدثه عما يحب لا عما تحب.

■ كوني ذكية ولبقة وماهرة في إدارة الحوار بينك وبين زوجك، وليكن كل الحوار عنه وله، وعما يحب ويعشق وينجذب إليه.

■ ما أجمل أن تدلليه وتلاطفيه كما كنت في سابق العهد.

يحكى أن زوجا يبلغ من العمر ٦٠ عاماً وزوجته تبلغ ٥٥ عاماً فكرا يوماً في التجديد في حياتهما الزوجية، فقال الزوج لزوجته: تعالي نتقابل اليوم في الحديقة في الساعة الحادية عشرة مساء.




أثر النعوت السلبية في شخصية الطفل

كمال عبدالمنعم

يرتكب بعض الآباء والأمهات خطأ فادحاً عندما يسهل لديهم وصف أبنائهم بأوصاف لا تليق بأي إنسان فضلاً عن أن تليق بأبنائهم، هذه الأوصاف وتلك النعوت السلبية تتزامن غالباً مع صدور سلوك غير مرغوب فيه، أو اخفاق في مهمة ما، أو عصيان لأمر من الأوامر التي تصدر لهؤلاء الأبناء.

لك أن تعلم أيها الأب الكريم وأيتها الأم الفاضلة أن الإبن- رغم نبوغة وذكائه- ربما يقتنع بأن فيه هذه الصفات السلبية التي اعتادت أذناه سماعها، وعندها يتحول من الأحسن إلى الأسوأ، ومن الذكاء والفطنة إلى الغباء والبلادة، وغير ذلك، ولعل أكثر الأوصاف والنعوت التي نسمعها من الآباء والمربين والمعلمين وصفهم الأبناء والدارسين بأنهم أغبياء، فتجد هذه الكلمات دارجة على الألسنة، بل وينادى بها الأبناء، وكلها ألفاظ لا تليق بأن ينادى بها إنسان، فهي من ناحية تحطم الأبناء بوصفهم أنهم كذا وكذا مما لايعقل من المخلوقات، ومن ناحية أخرى - وهي الأهم- تعد مخالفة شرعية يقع فيها من يرتكبونها، فالله تعالى كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه بهذا العقل الذي يميز به، فكيف ينعت بهذه النعوت، قال الله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء:٧٠).

إن كل بشر سواء كان صغيراً أو كبيراً، عالماً أو متعلماً، معرض للخطأ والنسيان، والنجاح والفشل، والتوفيق والإخفاق، والإحسان والإساءة، فهي طبيعته وفطرته، ولا يعصم من الخطأ إلا الأنبياء، فكيف أسم ابني بهذه السمة؟ بل وأجعلها بديلاً لاسمه في كل نداء له؟ لا شك أن هذا خطأ فادح، ومخالفة كبيرة.

إن أبناءنا - خاصة في سن الطفولة- منتظر أن يصدر من بعضهم السلوك غير المقبول، فإذا أردنا أن نقومهم فلا نعيرهم به، أو نلقبهم به، فمثلا، قد يأخذ الابن حاجة زميله في المدرسة بقصد حب تملكها لا بدافع السرقة، فإذا اكتشف الأب أو الأم أن الابن فعل هذا الفعل، تنهال عليه الشتائم، وتلقى عليه التهم بأنه لص يسرق حاجة غيره، ويلقب بأنه «حرامي» ينادى عليه بهذا الوصف في غدوه ورواحه، وكلما أخطأ خطأ، أو عصى أمراً، فهل هذا من التربية في شيء؟

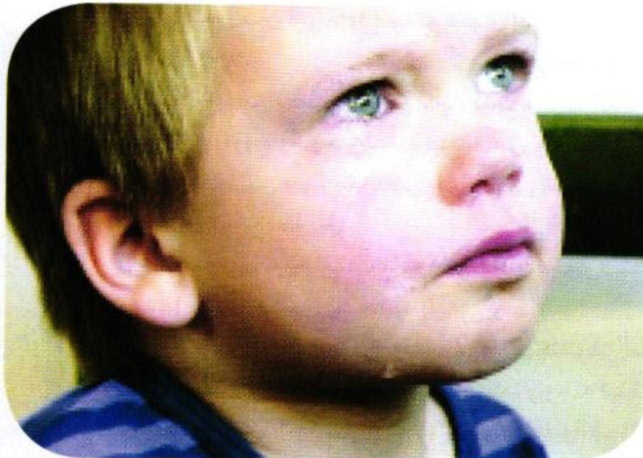
إننا إذا أردنا أن نقوم سلوكاً مثل فلنجلس معه وبهدوء نسأله عن سبب أخذه لحاجة غيره، فربما يستعملها بإذن صاحبها أو نسيها في حقيبته، وربما أعطاها له زميله في الفصل، وربما أحبها وأراد أن يتملكها فلم يجد وسيلة إلا هذه الوسيلة، وبعد أن نتعرف على سبب أخذه لهذا الشيء، نعرفه بأن هذا سلوك لا يليق، وأن الله يراه ومطلع عليه، وأن أخذه لحاجة غيره أمر يبغضه الله ورسوله، وأن عقاب من يفعل ذلك أليم، ثم ننصحه بأن يفصح عن رغباته في تملك مايريد، وتحقيق ما يمكن تحقيقه له من رغبات، وصرفه بالحسنى عن رغباته التي لا يمكن تحقيقها.

كذلك إذا فشل مرة في اختبار مادة دراسية ما فلا نتهمه بالغباء والفشل، وأنه كذا وكذا، لأن نجاح الطالب أو فشله في مادة ما يتوقف على عوامل كثيرة، ربما لا يكون للطالب دخل في كثير منها، فلا يصح أن أجعل من فشله عنوانا له في كل أموره، أعيره به، وأصفه به بين أقرانه، وأحكيه للزوار من الأصدقاء والجيران، وكل هذا يربي لدى الطفل عقدة من هذه المادة، وربما من التعليم كله، فأكون قد جنيت عليه بدلاً من الوقوف بجواره.

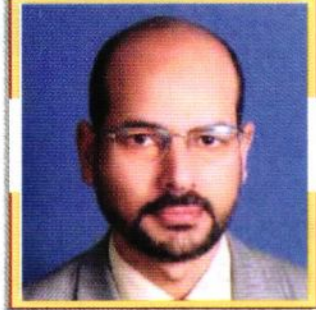
إن من الواجب على الوالدين المربين ان يقتربوا من الأبناء، ويتعرفوا على أساليب تقصيرهم الدراسي، ويحاولوا حل المشكلات التي تحول دون تحصيلهم لتلك المادة وغيرها من المواد، وهذا خير من الاكتفاء بالنعوت السلبية والاتهامات المتكررة التي - لاشك- سيكون مردودها سيئاً على هؤلاء الأبناء حاضرا ومستقبلا.

وإذا كذب الابن مرة فيجب نصحه وتحذيره من عاقبة الكذب، وتبغيض هذا الفعل إليه، حتى لا يعود إليه مرة اخرى، وليكن شعارك أيها المربي الفاضل «يابني» هذه الكلمة التي لها فعل السحر في قلوب الأبناء، فقد استعملها نبي الله إبراهيم حينما، أراد أن ينفذ أمر ربه له بذبح ابنه إسماعيل فقال له ﴿يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾، فكان الرد من الابن البار ﴿قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢)، واستعملها لقمان عليه السلام حينما أراد النصح والتوجيه لابنه قائلا ﴿يابني لا تشرك بالله... يا بني إنها إن تك مثقال حبه... يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان: ١٣-١٩).

فحذار أيها الآباء والمربون من النعوت السلبية للأبناء، لأنها لا تقوم سلوكاً ولا تربي شخصية سوية.



حديث القرآن عن الزواج



وصفي عاشور أبوزيد

تحتل الأم مكانة مهمة وأساسية في التربية باعتبارها الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية، وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات في المجتمع، فهو حينما يغدو إلى المدرسة ينظر إلى أستاذه نظرةً من خلال ما تلقاه في البيت من تربية، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشأته عليه أسرته، ويقيِّم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة، من خلال ما غرسته لديه الأسرة، وهنا يكمن دور الأسرة وأهميتها وخطرها في الميدان التربوي.

وقد وجدت في القرآن مذاقا خاصا وطعما حلوا ومعاني متفردة حين تحدث عن الزواج، ذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ، وتلك العلاقة العجيبة.. فكيف تحدث القرآن عنها؟

١- الزواج آية من آيات الله تستحق التفكر، قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...﴾ (الروم: ٢١)، فهل هناك أسمى من أن يجعل الله الزواج آية من آياته تستحق التفكر والتدبر والتأمل لما فيها من عجائب وغرائب يلحظها كل سليم الفطرة عميق الفكر بعيد النظر؟! أما أصحاب الفطر المطموسة المنكوسة فليسوا من ذلك في شيء؛ ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

٢- الزوجة مخلوقة من نفس الزوج، كما في آية سورة الروم السابقة ﴿من أنفسكم﴾ وكما في قوله تعالى ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (النساء: ١) وقوله ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة...﴾ (الأنعام: ٩٨) فانظر إلى دلالة: ﴿منها﴾ فهي توحي بأن الزوجة جزء من الزوج، والزوج جزء من الزوجة، فكأن الأصل أن هذه العلاقة غير قابلة للانفصال إلا إذا انفصل الجزء عن الكل، أو انبتر العضو من البدن، وهو ما لا يتصور إلا بمرض خبيث، نسأل الله العافية.

وأيضا فيها دلالة أخرى، وهي أن المرأة من طينة الرجل، فيها ما فيه من ضعف ونقص وخطأ، فلا ينبغي أن يفترض فيها الكمال، والأمر كذلك بالنسبة له، إنهما من الطينة نفسها.

٣- الزواج سكن للزوجين، كما في قوله تعالى ﴿... وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف: ١٨٩) وقوله ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ (الروم: ٢١) وجعل هذا من آيات الله تعالى، وهذا محسوس ومشاهد في الحياة العملية للأزواج الأسوياء.

وفي كون الزواج سكنا للطرفين يجعل كلا منهما متمسكا بهذا السكن، وهل يفرط في السكن عاقل أو سوي؟! إضافة إلى ما في بنية الكلمة ﴿لتسكنوا﴾ من راحة وروح واطمئنان وهدوء تسكبها في النفس حروف الهمس في الكلمة.

٤- المودة والرحمة بين الزوجين فعل إلهي، قال تعالى ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) وما دلالة هذا؟

إن من دلالاته أن الله تعالى يريد لهذه العلاقة أن تقوم، وأن تستمر؛ سكنا للزوج، وسكنا للزوجة، ورحمة ومودة متبادلة، ومراعاة للحقوق، وتحقيقا للوفاء.

٥- الزوج لباس للزوجة والزوجة لباس للزوج، قال تعالى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) هل في هذا التعبير من جمال أو فوائد؟! الجواب: نعم، بلا شك، فهو تعبير يوحي بأن كلا منهما حريص على الآخر كما يحرص المرء على لباسه، ولنا أن نسأل هنا: ما وظيفة اللباس؟ إذا تدبرنا وجدنا أن وظيفته تتلخص في ثلاثة أمور: الحماية، والستر، وإبراز الحسن. فكأن القرآن يريد أن يقول لنا: إن الرجل حماية لزوجته من الرياح الهوج، ومن أتربة الحياة، وزعازع الدهر، وأنواء الزمان، وكذلك المرأة حماية لزوجها في أسراره وماله وأولاده وعرضه وشرفه، وإن كلا منهما يجب أن يكون سترا على الآخر، فلا يبرز عيوبه إلا على سبيل الإصلاح والتجويد والتحسين، لا من باب التشهير والتجريح والإساءة، فإن هذا يتعارض مع هذا التعبير اللطيف.

٦- الزوجات حرث للأزواج، قال تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم...﴾ (البقرة: ٢٢٣) فكلمة الحرث تجعل الزواج رمزا للنماء والبركة لا وسيلة للفقر كما يصوره المفلسون، وهو معنى صرح به القرآن، واستخدام القرآن لكلمة الحرث تعبيرا عن الزواج استخدام بديع غير مسبوق، يجعل الخير المتوقع من الزواج كالخير المنتظر من الأرض التي لا قوام للحياة إلا بما تخرجه من زرع.

٧- الزواج ميثاق غليظ، قال تعالى ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء: ٢٠-٢١).

ولم أجد في الإسلام عقدا سمي ميثاقا، ثم وصفته النصوص بأنه غليظ سوى ميثاق الزواج، وكان كافيا أن يصف القرآن عقد الزواج بأنه ميثاق وعهد، فالميثاق كلمة فيها من القوة والتشابك ما يحول بينها وبين التفكك أو التحلل.





المسنون والتكيف الاجتماعي

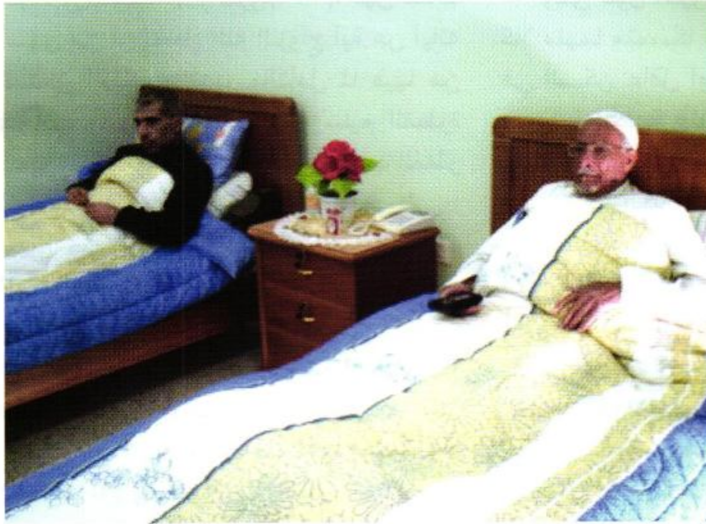
لينة أحمد جلبط

أوجب الإسلام على الأولاد بر الوالدين والإحسان إليهم ورسخه في نفوس المجتمع، فكبار السن هم آباؤنا وأجدادنا، وقد حرص الإسلام على تكريمهم واحترامهم والعناية بهم، والتركيز على ذلك يساعد في الوقاية من بعض المشاكل النفسية للكبير، ولاشك أن رعاية المسنين مسؤولية مشتركة بين أفراد المجتمع، والإنسان في مرحلة الشيخوخة بين الضعف والوهن والعناية به مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام. قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (الإسراء: ٢٣- ٢٤) وفي الثقافة الإسلامية أعطى الإسلام نماذج لقدرة المسنين على العطاء ولم يربط ذلك بسن معينة، فلقد أشار القرآن الكريم إلى أنبياء تقدمت بهم السن كإبراهيم وزكريا ونوح عليهم السلام، وأشار التاريخ لعدد من الصحابة الذين ظلوا في حالة عطاء حتى آخر لحظة أمثال أنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر وغيرهما، ومما يؤثر في نفوسنا جميعا اعتماد بعض الأسر على المؤسسات الاجتماعية لرعاية المسنين من أفراد الأسرة، وقد يكون هذا البديل مفيدا لبعضهم إلا انه مؤلم للغاية بالنسبة للمسنين الذين ما زالوا يتمتعون بقدرات عقلية عالية مع أن كل ما يحتاج إليه المسنون هو فقط دليل حب من أولادهم واهتمام وإخلاص، فبين دار العجزة والدفء الأسري مسافات تحزن المسن، فهل هذه الدار المكافأة المنتظرة بعد رحلة الشقاء وفناء العمر؟

وقد نصت المادة (٢٥) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه «لكل إنسان الحق في مستوى معيشي ملائم لصحته ورفاهية أسرته، بما في ذلك المأكل والملبس والمسكن، والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية، والحق في الأمان عندما يتقدم به السن» وتأكيدا على تغير النظرة للمسنين وما شابها من مفاهيم مغلوطة، من تلازم الإقعاد والمرض والاعتماد على الغير ومن تقدم العمر وعدم قدرة المسنين على التعلم أو العمل وظهور مفاهيم جديدة تؤكد على النظرة الإيجابية لهم وإلى قدرة المسنين على المشاركة النشطة في مجتمع من شتى الأعمار وأنهم شركاء في التنمية ومساهمون نشطاء فيها ومستفيدون منها، وأنه ينبغي النظر للشيخوخة على أنها ليست حالة من المرض والعجز وإنما هي حالة من الصحة واللياقة، ولأن الكائن البشري ينمو جسميا ونفسيا وعقليا عبر مراحل مختلفة لكل منها ما يميزها عن غيرها، كانت أوجه ومجالات الرعاية الاجتماعية متنوعة الأشكال والأساليب تبعا لخصائص كل مرحلة، فهناك الرعاية الاجتماعية المقدمة لفئة الشباب، وهناك الرعاية الاجتماعية المقدمة للأسرة، وهناك الرعاية الاجتماعية المقدمة لكبار السن.

وقد كان من حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن جعل الإنسان يمر بمراحل متعددة، فيبدأ وليدا ضعيفا ثم شابا قويا وأخيرا شيخا ضعيفا قال تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (الروم: ٥٤).

ولابد من معرفة أهم جوانب حياة المسن



ومميزاتها، فالحياة النفسية للمسن كما يراها د.محمد أيمن محمد خير عرقسوسي استشاري ورئيس قسم الصحة النفسية هي:

١- قد تمتد فترة الشيخوخة عشرات السنين ولذلك أثره في حياة الفرد ومن حوله من معارف وأصدقاء وأهل، فقد روي أن رجلا قال: «يا رسول الله ﷺ أي الناس

خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله» (رواه الترمذي).

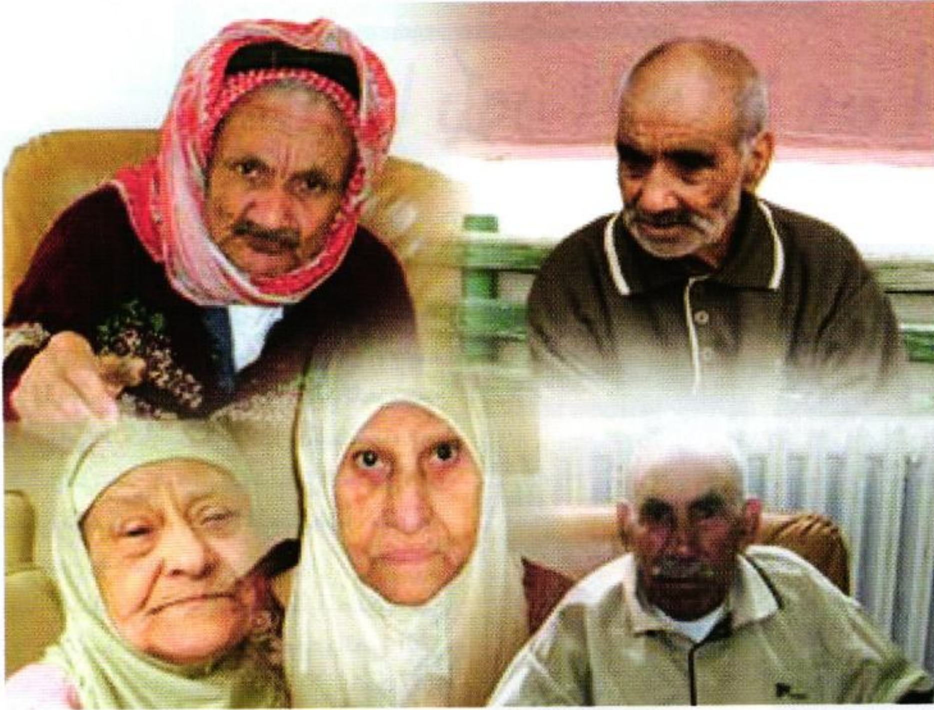
٢- يعاني المسن من ضعف جسمي عام في الإحساس والعضلات والعظام والنشاط الجسمي الداخلي (هضمي وبولي ودموي وجلدي) وضعف عام في النظر، وبدء ظهور الترهلات وأعراض الشيخوخة هذه تظهر على كل إنسان.

٣- نضوج علمي وغزارة وثراء فكري، حيث إن أكابر العلماء خير إنتاجهم الفكري في هذه المرحلة (ما بعد الستين) ويكون لدى المسن أيضا ثراء شخصي بالخبرة الذاتية مع الآخرين حيث يفهم الحياة فهما واقعيا ويدرك الحياة بعيدا عن الخيال وبواقعية عملية، حيث إن سن الستين الذي حددته الحكومات والمؤسسات ليكون سنا للشيخوخة أو سنا للمعاش هو في واقع الحياة وخبراتها يختلف عن ذلك، إذ هناك أشياء كثيرة تؤثر في سن الشخص فنجد بعض الناس ربما يكون مسنا وهو لم يتجاوز ٣٥ سنة وهناك البعض الآخر يعيش حياة منتجة وبناءة بعد مجاوزة المائة عام، ففي بعض الأماكن لا يحدد الشخص عمره بالسنين التي عاشها بل بما أنجزه من أعمال.

٤- معاناة صحية في تناوب مع المتاعب المرضية، ويتطلب ذلك عناية صحية متواصلة ودقيقة.

٥- صلابة نفسية واجتماعية في الاتجاهات، يصعب معها التكيف والتوافق النفسي للمسن مع مستجدات الحياة وما تتطلبه من علاقات وأنماط سلوكية جديدة مع عدة أجيال مما يجعله يعاني من صعوبات التوافق الضروري للحياة الهادئة. قال تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون((يس: ٦٨).

٦- يرى المسن نفسه إما متخوفا من الوصول للشيخوخة أو منكرا لها ولا يعطي لها بالا في تصرفاته، وكلما تقدم به السن ازداد شعوره بالعجز، ويحدث ذلك في المجتمعات الغربية حيث يرى المسن نفسه قد وصل لمرحلة سلبية في حياته، وذلك نتيجة لطبيعة العلاقات الاجتماعية المفككة.



وإذا كانت هذه هي ميزات المسنين فإن لديهم بعض المشكلات التي يجب مراعاتها، والمشكلات نفسها متنوعة منها البسيط العابر أو الطارئ الذي يزول بالعلاج.

■ والمشكلات يمكن أن تكون انفعالية وجدانية كالشعور بالفشل أو الإحباط مما يؤدي إلى أن تغلب على هؤلاء روح التشاؤم، وقد يصل ببعضهم إلى الشك بأقرب المقربين إليهم، ويكون سلوكهم متسماً بالشك والحذر والحساسية والتأثر الانفعالي.

■ وهناك مشكلات ذهنية فكرية، وذلك نتيجة لضعف الحواس وضعف الانتباه وعدم القدرة على التركيز، مما يضعف المدركات بالإضافة إلى ضيق الاهتمام وإلى ضعف الذاكرة وتشتتها وسرعة النسيان مما يجعل الفرد يتمركز بشكل محوري في تفكيره حول شيء مما يبدو شبيها بالوسوسة أو الهلوسة، قال تعالى ﴿... ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا...﴾ (الحج: ٥).

■ وأما المشكلات الصحية فإن أمراض الشيخوخة تعتبر أكثر خطورة؛ لضعف مقاومة الجسم لدى المسن وشدة تأثره وضعفه مما يقلل فرص إجراء جراحات ضرورية لصحته.

■ وهناك مشكلات اقتصادية يعاني منها المسنون لنقص مواردهم المالية، ولضعف الأداء لديهم، أو للتقاعد، أو لترك العمل، وهذا في حد ذاته مشكلة نفسية واجتماعية وصحية واقتصادية بأبعادها المؤثرة والمتأثرة.

■ وأما المشكلات الاجتماعية فإن ازدياد العمر يقلل من الأصدقاء بسبب تفرقهم إما بالبعد أو الوفاة أو السفر، وكذلك الأولاد لانشغالهم بشؤون الحياة، وأما شريك الحياة فقد يُتوفى، وبالتالي يظل المسن يعاني من الوحدة وآثارها النفسية، وهناك عدد غير قليل من المسنين يعاني من الصلابة الاجتماعية لصعوبة تكيفه وتبنيه لأنماط جديدة في السلوك والتفكير.

ولكل هذه المشكلات طرق للوقاية والعلاج، وهو ما سبق إليه الإسلام بوضع الإجراءات الوقائية من مشكلات الشيخوخة وأولاها بالاهتمام ما قاله رسول الله ﷺ «اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (البيهقي).

ومما سبق يتضح أهمية التعاون بين الأسرة والمجتمع وأجهزة الإعلام، فرعاية المسن وحمايته مسؤولية اجتماعية مشتركة.




عندما يكون الزواج من أجل راتب الزوجة!

سميرة بنصديق



جعل الله الزواج سكنا ومودة ورحمة، يستظل بظلاله الرجل والمرأة وفق عقد شرعي يجمع بينهما من أجل إنشاء أسرة تستجيب لتعاليم الإسلام السمحة وتوجهاته السامية من أجل المساهمة في الحفاظ على قوام المجتمع الإسلامي الذي تشكل الأسرة المسلمة لبناته وعناصر لحمته.

ومما لاشك فيه أن الشروط المطلوبة في الزواج الإسلامي الفاضل والخصائص التي ذكرها القرآن والسنة النبوية لا تلتفت إلى الموارد المادية التي تكفل التمويل الكافي لمتطلبات الأسرة وحاجياتها إلا في حدود الحديث عن قوامة الرجل الذي يدخل في إطارها قدرة الزوج على الإنفاق، لكن هذه الأيام وفي ظل الأزمة الاقتصادية التي غشت جميع دول العالم ومن ضمنها الدول الإسلامية وفي ظل الغلاء الفاحش الذي أصاب كل الموارد والمنتجات الضرورية أصبح الشبان ينظرون إلى الزواج بريبة وتوجس وكأنه عقبة كؤود لا يمكن تجاوزها إلا برفقة زوجة موظفة تقاسمه بفضل راتبها مصاعب الحياة الزوجية وضروراتها.

وهكذا يبدو انحراف بعض المقبلين على الزواج حيث راحوا يبحثون عن زوجات أبرز ما يتميزن به كونهن موظفات، فتغدو بذلك الحياة الأسرية حياة مادية مؤسسة على طمع الزوج في راتب الزوجة وقائمة على المصلحة الدنيوية، حيث يتحول عقد الزواج الذي يفترض أن يكون مبنيا على المودة والرحمة والمحبة إلى عقد تجاري مبني على مصالح مادية، وأذكر في هذا السياق أنه طلب مني مرة التوسط لأحد الأشخاص من أجل البحث عن أستاذة جامعية حيث تم التأكيد على وظيفتها بالجامعة دون غيرها من الشروط والمواصفات.

وإذا كان الرسول ﷺ قد أكد في الحديث النبوي الشريف أن المرأة تنكح لأربع لحسبها ومالها ودينها وجمالها فقد حض وحث على اختيار ذات الدين ولم ينصح بذات المال، لأن تدين المرأة وصلاحها هو أساس نجاح الأسرة وبركتها، أما مال المرأة أو وظيفتها فقد يكون أحيانا وبالا على مستقبل الأسرة وسببا في تفككها وحدوث مشاكل، خاصة عندما ينظر الزوج إلى زوجته الموظفة وكأنها بقرة حلوب تدر على الأسرة موردا ماليا ذا بال دون أن يكون للزوجة أحيانا أدنى حق في مالها الذي اكتسبته يداها ناسيا أو متناسيا أن قوامة الرجل في بيته تفرض عليه الإنفاق على زوجته ولا تسمح له بالاستعانة براتبها إلا في حدود رضاها وأريحيتها.

وإذا كان بعض الفقهاء قد اختلفوا في مسألة عمل المرأة خارج بيتها وحصولها على راتب مادي مقابل تفريطها النسبي في رعاية المنزل والأبناء، فإن الذين يرون أن الأمر يترتب عليه مساهمتها المادية في نفقات الأسرة لا يميلون إلى اشتراط وإلزام الزوج زوجته بدفع قسط من راتبها، لأن موافقته لها بالخروج للعمل هي في مقام الهبة منه، إلا أن تكون موافقة مشروطة.

وإذا كنا لا نناقش مسألة عمل المرأة سواء حصل قبل الزواج أو بعده فإن الذي يلزم التأكيد عليه أن الحياة الأسرية ليست شركة تجارية يتم التفاوض من خلالها بين الزوجين بشأن الموارد المالية لكل منهما أو مجالا لأن يشترط الزوج كون زوجته موظفة.

إن الإنسان السوي الذي يقبل على الزواج ينبغي أن لا يستسيغ الخلط بين مفهوم وظيفة البيت للمرأة ومفهوم وظيفتها خارج البيت، إذ يعلم الجميع أن البيت هو الحرم الذي تصنع فيه فضائل الحياة كلها، فإذا ما تسلطت المقاييس والنزعات المادية على هذا الحرم تضاءلت مهمته وقد تنتهي أحيانا عندما تكون وظيفة الزوجة سببا في ضياع الأبناء وتعرضهم للخلل الاجتماعي.

ختاما يكفي أن ننظر من حولنا إلى أزواج تزوجوا من أجل وظائف زوجاتهم وبنية الاستفادة من رواتبهن هل استطاعوا بلوغ آمالهم؟ أم أنهم نكسوا في ظل مشاكل ونزاعات أسرية لا تكاد تنتهي يكون سببها التنازع المستمر بشأن راتب المرأة؟

معًا لحياة أفضل

بإشراف: د. سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معًا لمناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الالكتروني suad119@hotmail.com

١- سيدة في الخمسين من عمرها، تعيش حياة سعيدة مستقرة مع أبنائها وبناتها وزوجها، لها حياة وظيفية ناجحة، كونت خلال سنوات عملها مبلغا من المال ليكون لها ولأسرتها سندا في المستقبل ولمواجهة أي ظرف طارئ، كبر الأبناء وتزوجت البنات وذهب الأولاد بحثا عن عمل ودراسة، فانشغل الكل عنها وبقيت وحيدة، عانت الوحدة والفراغ، وفقدت بعدها زوجها فأصبحت وحيدة حزينة لا أنيس ولا رفيق، وبعد انقضاء فترة العدة قامت تتردد على جارتها الصغيرة التي تقارب ابنتها بالعمر فأحبتها كثيرا وأصبحت لها كالأم وكان زوجها مثالا للأخلاق الرفيعة، فكان يتعامل معها بكل احترام وتقدير، وأطفالهم كانوا يسعدون بقدومها وكأنها جدتهم، بدأت تستعيد حيويتها ونشاطاتها وأحست بأن الحياة دبت في عروقها مرة أخرى، وبعد فترة، طلب منها زوج جارتها مبلغا من المال بعد أن عرف الكثير عن أسرارها وعلاقتها شبه المقطوعة بأبنائها، وفعلا أقرضته ما يقارب ٢٠ ألف دولار، على أن يدخل في تجارة وتكون هي شريكة معه، غير أن كل ذلك تم من دون توثيق أو كتاب رسمي، مرت الأيام والشهور وبدأ زوج الجارة يتهرب من مقابلة هذه السيدة حتى لا تفتح معه موضوع التجارة والمال الذي أقرضته، أحست هذه السيدة المسكينة بأنها استغلت وأن هذه العائلة لم تكن تحبها ولم تفتح بيتها لها إلا لنقودها، تقول: أخاف أن اكرر طلبي لزوج جارتي فأخسر هذه العائلة التي تعلقت بها كثيرا، وفي نفس الوقت اشعر بالاستغلال ودنو الذات بسبب عدم قدرتي على المواجهة.

الإجابة: طبيعي أنك تشعرين بالضياع والضيق، خصوصا أن الأمر لا يعلم به أحد، واعلمي بأن شعور الفرد بالظلم أو سوء الاستغلال من الآخرين أقسى على النفس من أي شيء آخر، أنت حاولت تعويض حياتك السابقة بعد ابتعاد الأبناء وفقدان الزوج بهذه العائلة التي وجدت نفسك معهم، وبعد فترة وجيزة حصل ما حصل من اقتراض للمال ثم الشعور بالخيانة وبان هذا الجار لن يعيد المبلغ، إضافة إلى انك لا تريدين فقدان صلة التواصل بينك وبينهم خوفا من «الزعل» أو من البقاء لوحدك والعودة للعزلة التي كنت فيها سابقا، ولكن الصراع الذي داخلك يقتلك، غير أننا مسلمون ويجب علينا اتباع ما أنزل علينا في القرآن، حاولي أن تستعيدي قواك ونشاطك وتتفاءلي بالخير. ثانيا، أعيدي الصلة بأبنائك وبادري بذلك، وتأكدي أن الخير سيأتي وان الله سيكون معك. ثالثا، استضيفي جارك في بيتك بعد أن تقومي بكتابة نسخة من كتاب الدين بالمبلغ والتوقيع كما جاء بالآية السابقة، وقولي له: أنا أقرضتك مبلغا لتقوم بتجارة رابحة نستفيد منها وحددت أنت فترة زمنية ولم أر شيئا، فأنا اليوم أشكرك على كل شيء، ولأنني احبك وأقدرك فأرجو منك أن توقع على هذه الورقة، كذلك قولي له: أنا أريد فض الشراكة وأريد استرجاع نقودي وسوف أعطيك مهلة ستة شهور إضافية وأريد منك أن تعيد نقودي ولو بالأقساط، فإن وقع على الورقة فهو بذلك سيزيد من ثقتك فيه وسيطمئنك، وإن رفض فحاولي معه مرة أخرى وبطريقة أكثر حزما ورفقا في الوقت نفسه، وإن شاء الله بعدها ستنزاح عنك هموم الظلم والاستغلال.

ثم بعد ذلك قنني زيارتك لهم ولا تقطعيهم، واسألي الله أن يعينك، وعليك بالدعاء ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

٢- آنسة في الخامسة والعشرين من عمرها، غير محجبة ولكنها ملتزمة بالصلاة والصيام كما أنها تذهب للعمرة كثيرا، تعاني من كثرة الوضوء وتقول: أنا أريد أن يكون وضوئي متميزا وصحيحا مائة بالمائة، كما أتمنى أن يقبله الله مني، وهذا الخوف من عدم قبول وضوئي يجعلني أكون دقيقة جدا وهذا الأمر يأخذ مني وقتا طويلا يستغرق تقريبا أكثر من ساعتين لكل صلاة مما جعلني أحاول الاحتفاظ بوضوئي لأكثر من صلاة فلم أعد أشرب أو آكل شيئا ففقدت وزنا كثيرا، تقول: دكتورة أنا تعبانة جدا، أنا أكرر الوضوء وأحيانا أخرج من الحمام وأعود لأنني أعتقد أنني نسيت أن أغسل رأسي، فكيف أعمل؟

الإجابة: تعاني هذه الآنسة من اضطراب الوسواس القهري في الوضوء فقط، واعتقادها أن وضوءها لن يقبل إن لم يكن صحيحا سبب لها هاجس الاستطالة وقضاء وقت طويل حتى تتم العمل على أكمل وجه، على الرغم من أنها تعلم بأنها لو غسلت كل عضو مرة واحده لأجزأ ذلك عنها.

ما تم معها محاولة إقناعها بأن قبول ورفض الوضوء ليس مهمتها ولكنه بيد الله، فالعبد يعمل ما تعلمه وما وصل إليه من الكتاب والسنة والباقي على الله، وأن الدين يسر وليس عسرا، وقد طلبت منها الآتي: إحضار ساعة منبه وتحديد وقت الوضوء ومن ثم تقليل الوقت شيئا فشيئا إلى أن يصبح كل الوقت الذي تستغرقه في الوضوء دقيقتين فقط، وأن عليها أن تغسل العضو مرة واحدة ذهابا وإيابا وليس تكرارا، وأن عليها عدم الرجوع للوراء مهما حصل، وقد قلت لها: إن خرجت من الحمام وشعرت بأنك لم تغسلي رأسك فلا تعودي أبدا، فأنت بحاجة لعدم طاعة الوسوسة ومحاولة بترها، ولكن إن أطعت الفكرة وقمت بالغسل فانك لن تنتهي أبدا، كرري ما قلت لك والتزمي وإن شاء الله سيتغير حالك.

التقدم العلمي وتداعياته السلبية على صحة الإنسان

د. محيي الدين عبدالحليم

أسفرت الإنجازات العلمية التي تحققت أخيراً عن العديد من المخاطر الأخلاقية والاختلالات الاجتماعية والتداعيات السلبية، أي أن النتائج التي أفرزتها هذه الانجازات لم تقتصر على النتائج التي حققتها، ولكن تأثيراتها اصبحت تلعب دوراً فاعلاً في تشكيل مجمل الحياة المعاصرة، وتسهم في بناء حضارة إنسانية مختلفة، وهذا يعني أنه لابد من وضع حد لتلافي الانفلات في مجال البحوث العلمية، والالتزام بمواثيق الشرف وقوانين السماء للوقوف في وجه هؤلاء الذين ينادون بتمجيد العقل الإنساني، فهو المرجع الأساسي لتنظيم السلوك والأخلاق، فهو الذي ابتكر الانتصارات العلمية، وهؤلاء يتنكرون لأية أفكار من صنع الله، فيرتكبون بذلك الفواحش وينتهكون الحرمات.

وقد ظهر في العقدين الأخيرين مصطلح «التلوث الإلكتروني» إنعكاساً لما يشهده العالم بفعل الثورة العلمية الحديثة لاسيما في حقل المعلومات والاتصالات، والهواتف النقالة وأجهزة الميكروويف الى الحد الذي جعل من مكونات هذه الأجهزة مصدراً مؤكداً للأخطار، وهذه الأجهزة يتم انتاجها بصورة يومية وبكميات خيالية، حيث تتحول بعد ذلك الى نفايات الكترونية تضر بالبيئة وبصحة الإنسان، ويكفي أن نعرف أن عدد الحواسيب الشخصية التي يتم انتاجها قد تجاوز المليون ونصف المليون حاسوب، وكذلك أجهزة الفاكس أو الهواتف التي لم يتم دفنها في مطامير النفايات العادية.

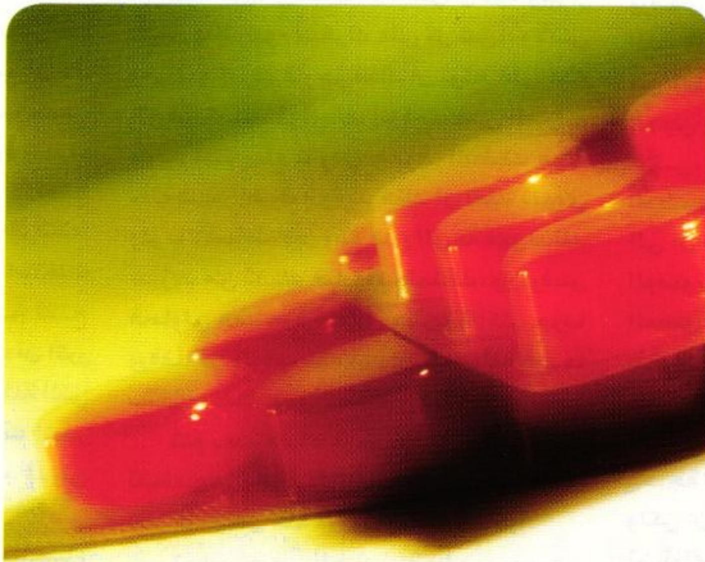
كما يتم استخدام المواد السامة في صناعة الإلكترونيات مما يضر بصحة المقيمين بالقرب من مراكز صناعتها وكذلك العاملين فيها، ولايزال استخدام مادة الرصاص ومواد أخرى غير نظيفة قائماً في مجال صناعة الحاسبات، كما يتم استخدام الكروم المعروف بتأثيره السام، اضافة الى استخدام النحاس والنيكل والزرنيخ والانتيمون والمنجنيز في عملية التصنيع، وقد تبين أن الحاسوب يتألف من نحو ١٠٠٠ مادة مختلفة، حيث تحتوي شريحة الذاكرة وحدها على أكثر من ٣٥٠ مادة لها تأثيرات سامة قد تؤدي الى الإصابة بالسرطان.

وقد كشفت البيانات الاحصائية ان الدول الصناعية الكبرى تتخلص من هذه النفايات الالكترونية بتصديرها لدول العالم الثالث بثمن بخس بدعوي مساعدتها في التنمية، لأن قوانين الدول الصناعية المتقدمة تمنع التخلص العشوائي منها أو تركها حتى لا تحدث أضراراً بيئية، وبهذا تحولت دول العالم الثالث الى مقبرة للفضلات الالكترونية، مما دفع الحكومة الهندية الى اصدار قرار يحظر استخدام هذه الفضلات.

وقد كشفت إحدى الجامعات الأميركية في احصائية لها مؤخراً أن الشركات الأميركية تتخلص من حوالي ٥٠ مليون جهاز حاسوب قديم سنوياً عن طريق تصديرها الى دول آسيوية، وما يزيد من خطورة هذه الظاهرة عدم وجود قوانين تحمي العاملين في هذا المجال من النفايات النووية التي تظهر آثارها على المدى البعيد، ففي دراسة أجرتها «شبكة بازل» ظهر أن ما لا يقل عن مائة ألف حاسوب تدخل شهرياً ميناء لاجوس النيجيري، وأجهزة أخرى لا تعمل تحولت إلى قمامة إلكترونية.

وتشير نتائج الأبحاث الجارية في مجال الموجات الكهرومغناطيسية الى التأثير السيء لهذه الأبحاث على صحة الإنسان وخاصة ما يتعلق منها بعمل مخ الانسان وأداء الجهاز العصبي، حيث كشف عدد من الدراسات التي أجريت على الإنسان عن وجود آثار ضارة على معدلات ضربات القلب، كما كشفت هذه الدراسات كذلك عن التأثيرات الخطيرة على صحة الإنسان والناجمة عن أشعة الميكروويف والتي تظهر أعراضها في صورة صداع وأرق وقلق نفسي وعدم قدرة على التركيز وشعور بالإعياء، كما ثبت أن التعرض لأشعة الميكروويف تؤدي إلى إصابة العين بالمياه البيضاء (كتراكت) إذا تعرضت لهذه الأشعة بكثافة عالية، ونبهت بعض الأبحاث الى مخاطر إصابة الحمض النووي أو الدماغ أو العصب السمعي بالسرطان.

وهكذا تؤكد لنا الأبحاث العلمية الحديثة خطورة الإكثار من استخدام أجهزة الاتصالات اللاسلكية



والموجات الكهرومغناطيسية الناجمة عن الأجهزة الإلكترونية والكهربائية المنتشرة في الأحياء السكنية، وهذا يعني أن صناعة التقنيات الإلكترونية والكهربائية الحديثة بعيدة كل البعد عن الصورة النظيفة التي تحاول أن ترسمها لنا، مما يتطلب ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لإيجاد حلول تضع حدا لهذه الأخطار التي تجلبها هذه الأجهزة ونفاياتها وإشعاعاتها علينا، وهذا يوضح أهمية الدور الذي يجب أن تضطلع به الأجهزة التعليمية والثقافية والإعلامية والاجتماعية لتوعية المواطنين في الوطن العربي بهذه المخاطر للعمل على تجنب الأضرار الناجمة عنها، لأن المرء عدو لما يجهله.

وقد أفادت الدراسة التي أجرتها الدكتورة حنان فتحي من جامعة القاهرة أن استجابة الفرد لأضرار التكنولوجيا الحديثة تزداد مع تزايد تعرضه للإشعاعات الكهرومغناطيسية، وتتسبب في الاختلال الوظيفي والتركيبي لخلايا الجسم الحي مما قد يترتب على ذلك استحداث أورام سرطانية وتشوهات خلقية وأمراض وراثية تظهر في الأجيال التالية.

وقد حددت اللجان الدولية الحد الأقصى للتعرض للإشعاع الكهرومغناطيسي عند الأطفال في المدارس والنوادي ورياض الأطفال، حيث اوضحت الدراسات العلمية في هذا الصدد أن الاطفال لديهم معدلات امتصاص لتلك الإشاعات بمعدل يفوق الكبار، وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية W. H. O أفاد باحتمال تزايد اللوكيميا عند تعرض الأطفال لمجالات كهرومغناطيسية مما يستوجب الأخذ بمبدأ الوقاية والتجنب الحذر product avoidance، وهو ما يعني اتخاذ اجراءات يمكن تحقيقها بسهولة وبتكلفة منخفضة وذلك درءاً لخطر محقق، والعمل على تقليل المخاطر المفترض وجودها عن طريق توعيته الجماهير للإقلال بقدر الإمكان من استعمال بعض الأجهزة الكهربائية.

وأكدت الدراسة التي أجراها د.حامد رشدي رئيس مؤسسة الطاقة الذرية في مصر أن التأثيرات الحادة للتعرض والتلوث الإشعاعي تظهر في صورة اختلالات وظيفية بأعضاء الجسم المختلفة لولا أن منح الله الإنسان آلية عالية لتلافي الأضرار التي تلحق بخلاياه وأنسجته الحية.

ضرورة توعية الجماهير بمخاطر الاستخدام المفرط للأجهزة الكهرومغناطيسية والكهربائية بعدما كشفت الأبحاث الحديثة آثارها الكارثية على البيئة والانسان

وقد شهد الإنسان انفجار ثورة صناعية عارمة واكبتها برامج تصنيع ثقيلة وتوسع هائل في التنقيب واستخلاص الخامات الطبيعية، وتنويع مصادر الطاقة، وإطلاق الطاقة النووية من عقالها، وفي استخدام الكيماويات الدوائية لأغراض التشخيص والعلاج دون أن يدري أنه يدمر مكونات البيئة التي تدعم وجوده وحياته، حيث واكبت النهضة التكنولوجية زيادة مطردة في تركيز الملوثات الكيميائية والإشعاعية في محيطه الجوي، وهذه الملوثات يتم تخزينها في أعضاء الجسم الحساسة، والتي قد تؤدي الى الإخلال بالاتزان الطبيعي داخل أنسجة وخلايا الجسم الحي، ومن ثم فإنه في غيبة الضوابط المنظمة للملوثات الإشعاعية والكيميائية يتم التعدي الصارخ على حقوق الإنسان، الأمر الذي يوجب على دولنا العربية الدفاع عن حقوقها التي تكفل تأمين حاضره ومستقبله.

وهكذا نرى أن العالم أصبح يشهد في عصرنا الحاضر العديد من الكوارث التي نجمت عن الاكتشافات العلمية الحديثة، وهذه الكوارث تتفاقم يوماً بعد يوم، ففي الوقت الذي تنفق فيه الدول المختلفة ما يزيد على ألف مليون دولار سنوياً في هذا المجال فإنه يوجد ملايين من الأطفال الجياع الذين تقزمت أجسامهم وتأثرت عقولهم بسوء التغذية ونقص الرعاية الصحية، هذا في الوقت الذي تبلغ فيه تكلفة عشرة أيام من الإنفاق على التسليح الكفاية لإزالة الفقر من على كوكب الأرض.

وهذا يعني أن الثورة الصناعية والتقدم العلمي الحديث قد فرض تداعياته على مختلف أوجه النشاط الإنساني، مما يتطلب ضرورة سن قوانين رادعة وإيجاد حلول عملية لتخفيف النتائج المدمرة والآثار الضارة على صحة الإنسان، وتوعية الجماهير بمخاطر الاستخدام المفرط للأجهزة الكهرومغناطيسية والكهربائية بعد أن كشفت الأبحاث العلمية الآثار الضارة لهذه الأجهزة على البيئة وعلى الإنسان.

وهكذا نرى أن الإنجازات العلمية التي تحققت مؤخراً قد تسببت في العديد من المخاطر الصحية بعد أن تحولت هذه الانجازات الى قوة فاعلة في خلق عالم جديد وبناء حضارة إنسانية مختلفة، كما أسفرت عن تغيير شامل في منظومة المفاهيم والأخلاقيات، ولعل من آثارها الضارة غياب الوازع الديني لحساب المكاسب المادية، واتهام الأديان بأنها أفكار موضوعة لتخدير العقول، والطمس على القلوب، وأنها أفيون الشعوب، وأن الأنبياء قد عملوا على خداع الناس واغرائهم بدخول الجنة، وترهيبهم من دخول النار، وهذا يعني التنكر لأية معتقدات من صنع الله، ويضربون المثل على ذلك بهؤلاء الذين يحملون شعارات دينية ثم ينتهكون الحرمات، ويرتكبون الفواحش، ويكذبون، ويرهبون الناس.

ويدحض العلماء المنصفون هذه الدعاوى، حيث يؤكدون أن منهج مكارم الأخلاق في الدين يتوافق مع فطرة الإنسان، وليس فيه ما يحمل الإنسان فوق طاقته، ولكنه يسعى الى تصحيح الأخطاء وتقويم السلوك، وانطلاقاً من هذا يؤكد هؤلاء العلماء أن الأخلاق والقانون شيء واحد في القرآن الكريم الذي له الفضل في رفع المستوى الأخلاقي والفكر للإنسان على أسس صحيحة، وهو الذي أسس الدين على قواعد النظام الاجتماعي الصحيح، وحرر البشرية من الأوهام والخرافات، كما حرر النفوس من الظلم والقهر والاستبداد، لأن الأصل في الاسلام هو مراعاة مصالح الناس ودفع الضرر عنهم، والحفاظ على البيئة وصون الموارد بالتعامل معها تعاملاً رشيداً لأن تدهور البيئة يشكل تهديداً رئيسياً لأمن الإنسان، ومما يؤسف له أن هؤلاء الذين يدمرون حياة الإنسان غير قادرين على إيجاد آليات منظمة تؤدي إلى التوزان والسيطرة على العوامل الضارة بصحة الإنسان.

مشروع السياسة العامة للإرشاد الإسلامي

إن الدعوة الى الله عز وجل من أهم وسائل الاتصال الجماهيري وأقدرها تأثيراً على توجهات الرأي العام من خلال الوعظ والإرشاد واحياء المبادئ والمفاهيم المشتركة بين أفراد المجتمع، نظرا لما تمتاز به من بساطة في الطرح وملامسة لهموم الناس ومشكلاتهم، وما تحمله طبيعة الدعوة الى الله تعالى في الوعظ والإرشاد من مفردات تتركز حول القضايا العقدية والأخلاقية ومسائل الحلال والحرام والاستقامة في السلوك والعلم والتعامل الإيجابي مع المجتمع، فضلاً عن اتساع مجالاتها وميادينها لتشمل بناء أسس ومقومات شخصية الفرد وهويته ونمط سلوكه ومنظومته القيمية والأخلاقية، بالإضافة الى قضايا التطور والبناء الاقتصادي والاجتماعي وحشد طاقات الأمة نحو البرامج والخطط التنموية والمشاريع الحضارية، ولتتحقق من خلاله أعظم فوائد الإرشاد المتمثلة بنشر تعاليم الإسلام وبناء الاستقرار والسعادة في المجتمع، وتحقيق التعاون والتكافل بين أفراده ومساعدتهم على الاندماج مع بعضهم، وتنمية روح المسؤولية الفردية والجماعية واحترام الأنظمة والقوانين والعمل بها، الأمر الذي يكون له الأثر في صياغة المواقف والتوجهات للمجتمع للوصول الى شريحة واسعة من أبناء المجتمع.



القاضي حمود الهيتار*

عملية الإرشاد لم تعد قاصرة على التذكير بفضائل الإسلام وآدابه، بل أصبحت مهاماً علمية وعملية تتميز بوضوح أهدافها ونقاء مصادرها وتقوم على أسس علمية تحكمها ضوابط شرعية تستلزم بذل قصارى الجهود لاختيار أقوم المناهج وأفضل الوسائل لتنفيذها مع الالتزام بالنصوص الشرعية والقوانين المستمدة منها والسياسة العامة للدولة وصولاً إلى الأهداف المنشودة في بناء المجتمعات بناء سليماً، ومن هذا المنطلق فإن السياسة العامة للإرشاد تقوم على المرتكزات الآتية:

١- الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٢- تعميق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٣- التربية الربانية القائمة على أساس الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، وتعميق شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة مع مراعاة فقه تنزيل النص.

٤- ترسيخ الثوابت الدينية والوطنية ومنها:

أ- الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً.

ب- تجسيد الولاء الإسلامي والوطني باعتبار ذلك واجباً شرعياً ووطنياً يقتضي:

■ حب الوطن والدفاع عنه.

■ الحفاظ على سيادة الوطن وأمنه واستقلاله ومكتسباته.

٥- تعزيز احترام حقوق الإنسان وحرياته المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

٦- إحياء رسالة المسجد الايمانية والثقافية والتعليمية والاجتماعية.

٧- الاعتناء بالمرأة والاهتمام بها وإيجاد خطاب دعوي يتناسب معها وتفعيل دورها في الدعوة الى الله، وأن تأخذ مكانتها التي كفلها الإسلام لها.

٨- الاهتمام بالطفولة والشباب تربية وتعليماً.

٩- تشخيص الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي لتحديد أولويات الخطاب الإسلامي ومضامينه ومجالاته بما يلبي حاجة المجتمع الروحية والمعرفية ويعالج المشكلات ويواكب التطورات التي شهدها المجتمع.

١٠- تحصين المجتمع بمختلف فئاته من الدعوات الهدامة والأفكار المنحرفة وترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة في حياة أفراد المجتمع.

١١- الالتزام بآداب الدعوة الى الله وحرية الرأي المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين المستمدة منها.

١٢- الالتزام بمنهج الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي وتجنب الغلو والتطرف.

١٣- إبعاد المساجد عن الصراعات الحزبية والمذهبية والقبلية.

١٤- تعميق مبدأ الاخوة الاسلامية وإشاعة روح الألفة والمودة والتكافل والتراحم بين أبناء الأمة على ضوء قواسمها المشتركة.

١٥- الحث على العمل والكسب المشروع وترشيد الانفاق على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع.

١٦- علاقة المسلمين مع غيرهم تقوم على العدل والإحسان إليهم اذا لم يقاتلونا في ديننا او يخرجونا من ديارنا.

١٧- الاهتمام بموضوعات الصحة والسكان والنظافة والبيئة.

١٨- الاعتماد على الدراسات العلمية والحقائق الثابتة بعيداً عن الشائعات.

* وزير أوقاف الجمهورية اليمنية

١٩- توسيع نطاق العمل الدعوي والإرشادي وتأمين السبل لتحقيق التواصل المستمر والمؤثر للخطاب الإرشادي في عقل ووجدان المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه.

٢٠- تزويد الخطباء بالمعلومات الصحيحة والكتب والمراجع المتخصصة والموثوق بصحتها للاستفاده منها في أداء رسالتهم.

٢١- إنشاء مكتبات متخصصة بالإرشاد في إدارات الأوقاف والإرشاد بالمحافظات والمساجد الكبرى.

٢٢- تعدد وسائل الخطاب الإرشادي بتعدد وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري.

٢٣- تأهيل الخطباء والمرشدين من خلال تزويدهم بالمهارات المطلوبة والخبرات النافعة.

٢٤- العناية بفقه الأولويات في الفهم والأولويات في الطرح لدى الداعية.

٢٥- تحديث أدوات وأساليب الخطاب الإرشادي وتطويرها وصياغته في إطار ثوابت الإسلام وأصوله مع المواكبة المستمرة لمستجدات العصر وتقنياته وثورة المعلومات ومعطياتها.

٢٦- إحياء حلقات العلم في المساجد لإقامة الدروس العلمية والتربوية والروحية.

٢٧- مواكبة مسيرة التنيمة وخططها وبرامجها في المجالات (التربوية، الصحية، الاجتماعية، الأمنية، العدلية، الخدمية... وغيرها) والهيئات والمجالس والمنظمات المختلفة في سياق استخلاص الدور المناسب وتحقيق الحضور الفاعل والمتميز للخطاب الإرشادي في توعية وحث المجتمع على المشاركة والقيام بالواجب المنوط به في خدمة مصالحه وتحقيق التنمية.

٢٨- تأكيد المشاركة الواسعة للعلماء والخطباء والمرشدين والمؤسسات الإرشادية الأهلية ومختلف الأجهزة والمؤسسات ذات العلاقة.

٢٩- التوظيف الأمثل لدور الإعلام الدعوي وكافة وسائل النشر، وتوصيل مضامين الخطاب الإرشادي وفقاً لخاصية كل وسيلة ودورها وتأثيرها، وانتهاج السبل والأساليب المتطورة لتأمين وسهولة ويسر استيعابها.

٣٠- التأثير على توجهات الرأي العام وتأسيس ثقافة مشتركة بين الأفراد والمجتمع.

٣١- السعي الى حشد طاقات الأمة من أجل تنفيذ البرامج والخطط الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

٣٢- إحياء لغة الحوار ومراعاة آداب الخلاف في المسائل المعتبرة شرعاً.

٣٣- اجتناب المحظورات في الخطاب الإسلامي ومنها:

أ- المساس بالثوابت الإسلامية والوطنية.

ب- الإنكار في المسائل الخلافية المعتبرة شرعاً.

ج- إثارة الفتن والنعرات المذهبية والاجتماعية وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى التنافر أو يكدر السلم الاجتماعي.

د- توظيف الخطاب الدعوي والإرشادي لتحقيق أغراض شخصية أو حزبية أو طائفية أو سلالية أو مذهبية.

هـ- الإساءة الى الأشخاص أو الهيئات بذكر أسمائهم أو صفاتهم.

و- التعصب لأي من الآراء أو الاتجاهات الفكرية السياسية في المسائل الخلافية.

ز- الإساءة إلى آل بيت النبي ﷺ وزوجاته وصحابته الكرام.

ح- المساس بكرامة الأشخاص وحرياتهم التي كفلتها الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

ط- التحريض على مخالفة الدستور والقوانين النافذة.

ي- التحريض على أعمال العنف والإرهاب والاعتداء على الأشخاص أو الهيئات أو الأموال العامة أو الخاصة.

ك- استخدام المساجد للدعاية أو التحريض مع أو ضد شخص أو حزب أو جماعة أو طائفة.

ضرورة حشد طاقات الأمة نحو البرامج والخطط التنموية والمشاريع الحضارية لبناء الاستقرار في مجتمعاتنا



ملامح الانفصام الحضاري في واقعنا الإسلامي المعاصر

د. مصطفى محمد طه

يعد الخلل المشاهد الآن في واقعنا الإسلامي المعاصر من أبرز ملامح الانفصام الحضاري الذي استشرى بين مسلمي اليوم. وقد أفرز هذا الوضع المؤسف تساؤلاً حائراً فرض نفسه على الساحة الإسلامية، ألا وهو: كيف يمكن لنا أن نتخلص من تداعيات هذا الانفصام في واقعنا المعاصر حتى يتسنى لنا تحقيق الوعي الحضاري المأمول؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، فإنه لابد من اعتماد الرؤية الإسلامية لبلورة أبرز ملامح الإشكاليات المصيرية التي تعاني منها الأمة الإسلامية في واقعها المعيش. ولعل ذلك راجع إلى أن مثل هذه المعالجة الدقيقة إنما هي بمنزلة تجسيد حقيقي لجس نبض الأمة، فضلاً عن رصد أبعاد همومها الحضارية، وذلك حتى يتسنى لنا تقديم العلاج الناجع لكل إشكاليات هذه الهموم.

ومن هنا فإنه ينبغي أن تكون هذه المعالجة المبتغاة في مستوى اللحظات الحرجة التي تمر بها أمتنا الآن، مما يحتم على المسلمين الذين يعيشون في القرن الحادي والعشرين الميلادي (الخامس عشر الهجري) الذي يعد ولا ريب قرن التحولات الكونية أن يشعروا شعوراً واعياً بالبصمات المنعكسة لهذا الانفصام النكد على واقع حياتهم الإسلامية.

نظراً لتعدد ملامح الانفصام الحضاري، لدى المسلم المعاصر، فإنه يمكن تسليط الأضواء الكاشفة على أبرز هذه الملامح السلبية حتى يتسنى للأمة تلافيها فيما يستقبلها من أيام مقبلة لاسيما بعد أن يضع المنظرون والمفكرون التصورات والرؤى التي من شأنها أن تسهم إسهاماً حيوياً في صياغة الواقع الإسلامي المعاصر حضارياً في ضوء نسق حياتي متناغم مع روح الإسلام، التي تهدف- ضمن ما تهدف - إلى تحقيق تلافي سلبيات الانفصام الحضاري، الذي يسهم في عدم تحقيق الشمولية والتوازن، وبالتالي يتم إضفاء طابع سلبي على حياة المسلمين من خلال الخلل في كثير من أنشطتهم الحياتية. وللتخلص من تداعيات كل ذلك، لابد من وجود النماء الحضاري الذي يجعلهم في مستوى الانتماء الحقيقي لهذا الدين الخالد، فالإسلام الحق قد جاء لإرساء معالم حضارة، هي بحق حضارة ربانية تسمو بالإنسان إلى الذروة السامقة من الكرامة والسمو الاخلاقي، حتى يكون فعلاً جديراً بتأدية مبدأ الخلافة الحضارية في الأرض.

إن تحقيق مثل هذه الأهداف السامية في الواقع المعيش، لن يكون حقيقة معيشة إلا بوجود وعي حضاري بكل إشكاليات وجودنا، وبالتالي التخلص نهائياً من الانفصام الحضاري الذي عم كل مناحي حياتنا.

عدم الوعي بأهمية الحوار الحضاري

ولعل من أبرز ملامح الانفصام الحضاري بين المسلمين ولاسيما في هذه الايام، هو عدم وعي بعض منهم بأهمية الحوار الحضاري البناء، الذي يشكل- وفقاً للمنظور الإسلامي- ضرورة حياتية، تساعدنا على تشكيل الهيكل العام للحضارة الإسلامية المعاصرة. ولكي تكون هذه الحضارة المنشورة معبرة فعلاً عن نزوعات هذه الأمة في الوجود، فإنه لابد أن تكون مستندة إلى أسس الإسلام الراسخة رسوخ الطود الشامخ، وخصوصاً في جانبها المعنوي (الثقافة)، أي ثوابتها المرتبطة بعطاء السماء، أما جانبها المادي (المدنية) فإنه لا غضاضة البتة في الاقتباس الحضاري من الغير، ولو كان مخالفاً لنا في التصور العقدي، وذلك عبر الحوار الفاعل معه وحتى يؤتي هذا الاقتباس فعاليته، وثماره المرجوة، فإنه لابد أن يكون اقتباساً لأسس المعطيات المدنية للعصر، وليس لقشورها، أو بمعنى آخر فإنه يحتم علينا كمسلمين، العمل الجاد على استنبات التكنولوجيا المعاصرة، بدلاً من استيرادها.

ضرورة بلورة ملامح الإشكالات المصيرية في الأمة لاعتماد الرؤية الإسلامية

ولقد أشار إلى مدى انعكاس مثل هذا الموقف السلبي من المسلمين تجاه العصر على حياتهم الحاضرة، المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي (١٢٢٣-١٣٩٣هـ = ١٩٠٥-١٩٧٣م)، ضارباً المثل على ذلك باليابان، التي اقتبست أسس المدنية الغربية في إطار «الموتور والحركة»، دون التخلي ولو قيد أنملة، عن التراث والأصالة اليابانية بينما العالم الإسلامي، أخذ يستورد الأشياء ولايزال يغرق أسواقه بمنتجات هذه المدنية مكتفياً بذلك، ولعل الذي زاد الطين بلة، هو أن المسلمين ما زالوا غارقين في حمأة الاستهلاك المادي والتكدس الشيئي، رغم الوثبات الهائلة لهذه الحضارة في المضمار المادي، يضاف إلى ذلك تدني مستوى إنتاجية الفرد المسلم عن نظيره الغربي بفوارق كبيرة، مما حدا بالمنظرين الغربيين على وصف البيئة الحضارية التي يعيش فيها الغربي بالعالم الأول، في حين وصفت بيئتنا

الإسلامية بالعالم المتخلف أو تأدباً العالم النامي وأحياناً العالم الثالث، وكلها سمات تدل دلالة أكيدة على تراجعنا الحضاري الذريع.

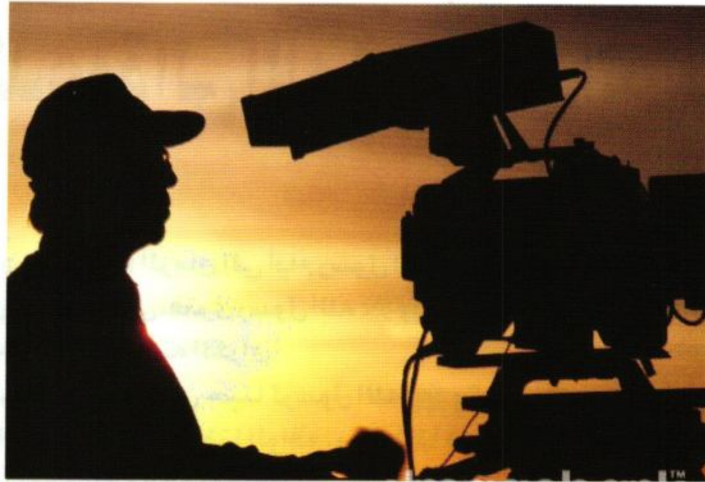
وهكذا نرى أن مسلمي اليوم، قد أصبحوا مستلبين مدنياً أمام نتاج الحضارة المعاصرة- سواء كان مصدرها الغرب أو الشرق على حد سواء- مما جعلهم يضحون بإمكانياتهم المالية في سبيل استيراد الأشياء الاستهلاكية فضلاً عن تكديسها، ولقد انعكس ذلك صوراً سلبية على حياتهم عبر استنزاف أموالهم الطائلة في سبيل اقتناء ولو منتج واحد من منتجات هذه المدنية وأصبحنا نرى الفرد في عالمنا الإسلامي المعاصر يكد ويتعب الأيام الطوال، من أجل شراء آلة من آلات هذه المدنية، التي ربما ذهبت به في نهاية المطاف إلى القبر.

التأزم الأخلاقي والاستلاب السلوكي لدى المسلمة المعاصرة

أما ثاني ملمح من ملامح الانفصام الحضاري لدى مسلمي اليوم، فهو هذا التأزم الأخلاقي والاستلاب السلوكي الذي تعاني منه المسلمة المعاصرة في الواقع الراهن للمسلمين على المستوى الحضاري، فهذه المسلمة تقف الآن حائرة بين قطبين متنافرين هما الأصالة القرآنية والنبوية، التي تدعوها إلى الالتزام الحق بمنهجية الدين الإسلامي من جهة، وبين معطيات العصر السلبية التي تدعوها في نفس الحين إلى الانسلاخ من ربقة القيم المشعة التي في مقدورها صياغة كيان إنساني أمثل، ولعل الذي يؤكد حتمية التزام المرأة بالمنطلقات الإيمانية للإسلام، هو أن هذا الدين الحق قد جاء من عند خالق الكون وبارئه ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك-١٤).

وذلك من أجل صياغة امرأة ناضجة فعالة، ذات دور حيوي في بناء الحضارة الإسلامية الباسقة، وهذا من منطلق أن المرأة هي وعاء الحضارة الحاني، والخدر الآمن لصناعة الأجيال، وذلك بعد مساهمتها الحيوية مع الرجل شريكها الأوحد على درب الحياة -عبر الزواج الشرعي- في صياغة واقع إسلامي زاهر.

وإذا كان بريق الحضارة المعاصرة الخاطف يشدها على الطرف الآخر، بما يقدم لها من أضواء خادعة وزائفة تخدعها وتنسيها أبعاد رسالتها الحضارية في الوجود، وفقاً للنسق الإسلامي، وذلك من خلال بعض الممارسات السلبية التي يزينها لها بعض الموتورين في واقعنا الثقافي المعاصر، وذلك من خلال محاولاتهم اليائسة لطمس معالم كل القيم المشعة التي صاغت يوماً ما خير حضارة تفطر عنها قلب التاريخ البشري، ولولا المرأة ومساهمتها الفعالة في تشكيلها منذ انبثاقها من رحم التاريخ، لما وصلت إلى هذه الذروة السامقة في الإبداع.



عدم إدراك قيمة الوقت

وثالث ملمح من ملامح الانفصام الحضاري لدى المسلمين المعاصرين، هو عدم إدراكهم الإدراك الواعي لقيمة الزمن (الوقت) ودوره الحيوي في تحقيق أو إنجاز البناء الحضاري الشامل وعدم وعينا كمسلمين بمدى أهمية العناصر البارزة، التي تتشكل منها الحضارة في هيكلها العام والخاص، إنما هو ظاهرة غير صحية إطلاقاً، ولعل الذي يشي بذلك جهلنا التام بالمفهوم الحضاري للوقت، فلقد أصبحنا أمة تتفنن في قتل الوقت فضلا عن إضاعته سدى، دون الاستفادة الموضوعية منه، ناسين أو متناسين أن الزمن (الوقت) هو عمر الإنسان، وطريقه حتى يكون لنا قدم صدق في الدنيا والآخرة، ولذلك لم يخطئ مالك بن نبي، عندما ذهب الى ان الوقت والتراب والإنسان هذه العناصر الثلاثة هي المكونات الأساسية للحضارة، وفي هذا السياق جاءت معادلته الرياضية التالية، وقت+ تراب + إنسان= حضارة.

الفجوة بين النظرية والتطبيق في حياتنا المعاصرة

وفي هذا السياق الاستلابي، يبدو أن رابع ملامح الانفصام الحضاري لدى المسلمين المعاصرين هو تلك الفجوة السحيقة بين النظرية والتطبيق في حياتنا المعاصرة، ولا سيما في الإطار التعاملي - أو إذا شئنا الدقة قلنا بين القول والفعل - ولعل مرجع هذا هو أن القول الأجوف غير المقرون بالفعل لا يمكن أن يؤدي بأي حال من الأحوال الى تحقيق الوضع الامثل للمجتمع الاسلامي الفاضل الذي جاء الإسلام لبنائه، إن هذا هو حالنا اليوم، ولعل هذا هو سبب سقوطنا الحضاري بكل المقاييس.

أما يوم أن كان المسلمون مدركين تمام الادراك لمدى ضرورة اقتران القول بالفعل انطلاقا من الفقه الحضاري الواعي للآية القرآنية الكريمة، التي يقول فيها تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف:٢-٣).

وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول: إن التخلص الفاعل من الانفصام الحضاري المستفحل بين مسلمي اليوم، إنما يعتمد اعتماداً أساسياً على مدى نجاحهم في تحقيق انسجامهم مع معطيات دينهم، فضلا عن أن يجعلوا من ذلك الهم الهاجس الحضاري الأول لهم، وذلك حتى يتسنى لهم ردم هذه الفجوة الحضارية السحيقة التي تفصلهم عن الحضارة المعاصرة.

الدعوة إلى الله في الزمن الصعب

د. نبيل فولي

كثيرا ما تداعبنا الأحلام بأن يرجع بنا الزمان إلى أيام رسول الله ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - ونكون من أهل ذاك الدهر الذي انصرم، وذلك الزمان الذي انقضى، فنرى رسول الله ﷺ ويرانا، ونصحبه ويعلّمنا، ونشهد معه المشاهد، ونروي للناس من سيرته وسنته كما روى الأماجد من صحابته الكرام.

وما أرانا في هذا من زاوية أولى إلا معبرين عن حبنا لرسول الله ﷺ وشوقنا إليه، لكننا من زاوية أخرى نهرب بهذه الأحلام من واقعنا الصعب، ونلتجئ إلى الخيال إذ لم يسعفنا الواقع، وما مثلنا في هذا إلا كالذي يتخيل نفسه «سوبر مان» أو صاحب «طاقية الإخفاء» كي يحل بها مشكلات الأمة العويصة!!

وأخشى أن أقول إن مثل هذه الأحلام تعني أننا غير راضين عن الأقدار الإلهية التي شاءت أن تكون لحظات هذا الزمان هي مسرح حياتنا ومرتع أعمارنا.

لقد سبقنا إلى مثل هذه الأحلام آخرون من التابعين رأوا الصحابة ولم يروا رسول الله ﷺ وكان زمانهم متاخما لزمان النبوة، لا بعيدين عنه بعدنا، كما كان قرنهم قرن مجد وعزّ لا هزيمة وانكسار، فأوقفهم الصحابة على حقيقة الأمر، وردوهم إلى جادة الصواب في هذه الأماني، «فعن جبير بن نفير قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما، فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت!! فاستغْضب، فجعلت أعجب؛ ما قال إلا خيرا! ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرا غيّبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟! والله، لقد حضر رسول الله ﷺ أقوامٌ أكبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدّقوه. أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدِّقين لما جاء به نبيكم، قد كفيتم البلاء بغيركم...».(مسند أحمد).

معادلة الحياة والبقاء والفناء والموت لا تقع إلا في يد واحدة

إن مقولة الرجل لتعكس أمنية دفينة في نفسه، هي هذا الحلم المستحيل الذي حلمناه نحن أيضا، ولكن الصحابي الفقيه رده إلى المعنى الإسلامي العميق، وهو أن الإنسان بعمله وليس بزمانه؛ إذ إن المطلوب من المسلم أن يعيش بإيمانه وتدينه في الزمان الذي قدّره الله له.

ولقد أعلمنا الله تعالى أنه غضب على أهل أعمال بعينها، وما غضب على أهل زمان بعينه لأجل الزمان نفسه، فغضب على قوم نوح عليه السلام لشركهم الذي لم يسبقهم إليه سابق وإعراضهم الطويل عن الهدى الذي جاءهم به نبيهم.

وغضب على عاد قوم هود عليه السلام لكفرهم وجبروتهم وتحديهم لنبيهم أن يأتيهم بما يعدهم به من العذاب.

وأما ثمود قوم صالح عليه السلام فقد كان دليل الهدى معجزةً ناطقةً أقرب إليهم من شراك نعالهم، فاستهانوا بآيات الله، فطردهم الغضب الإلهي من ساحة الحياة كلها.

وأما قوم لوط وقوم شعيب- عليهما السلام- فخلطوا الخلق السيئ بالعقيدة الفاسدة، وطاردوا من يدعوهم إلى الهدى، فحقت عليهم كلمة العذاب، وهكذا فرعون وهامان وقارون...

﴿فكلاً أخذْنا بذنبِه فمنْهم مّنْ أرْسلْنا عليْه حاصبًا ومنْهم مّنْ أخذتْه الصّيْحة ومنْهم مّنْ خسفْنا به الأرْض ومنْهم مّنْ أغْرقْنا وما كان اللّه ليظْلمهمْ ولكن كانوا أنفسهمْ يظْلمون﴾ (العنكبوت:٤٠).

إن الزمان مظلة إلهية عجيبة؛ تبدو قاهرة لجميع الخلق، ولكنها - مع ذلك - تنقذنا من المطلق الذي لا تطيقه عقولنا، حيث إن مجرد تصور أن نعيش بلا زمان يدخل الإنسان في غيبوبة إدراك. وحتى المعاني الثابتة في عقولنا - كالقوانين الكونية العامة والمعاني الذهنية المجردة - لا تعيش بلا زمان،



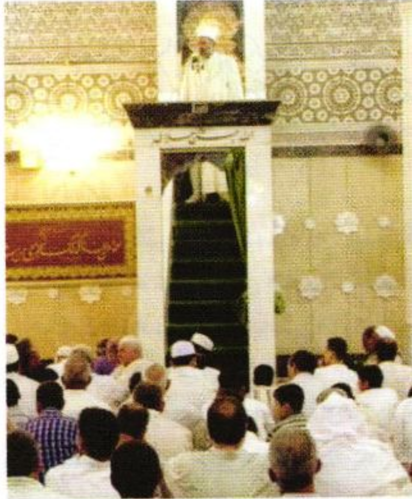
وإنما نعيش صورة واحدة لها في أزمنة مختلفة، فيراها البعض لا زمانية، ولكنها في حقيقتها تشبه الصورة الثابتة أمام العين تراها في كل لحظة كما هي.

مهما يكن، فإن الإسلام حين يدعونا إلى الإيمان بالقدر الإلهي يفرض علينا أن نؤدي مهمة الخلافة في أرض الله في الزمان الذي نحيا فيه، وبالقدرات التي منحنا إياها، وهذا المعنى ينطوي عليه حديث الاغتنام الشهير؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (صححه الحاكم ووافقه الذهبي).

الزمن الصعب

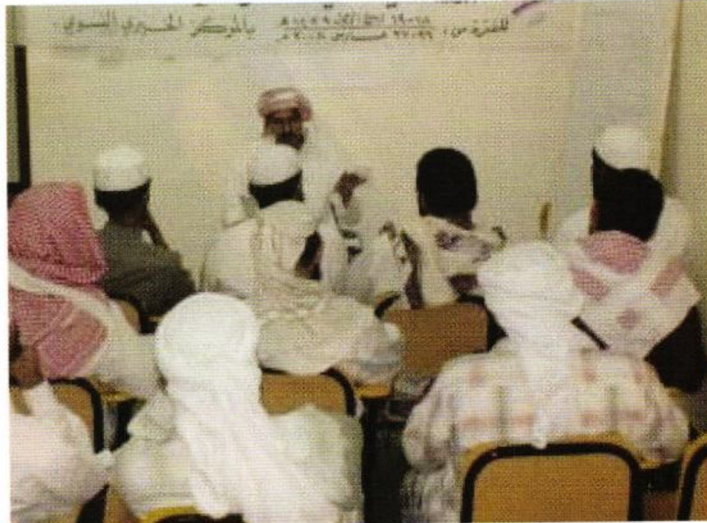
حقا قد تبدو بعض مراحل التاريخ عصيبة، وبعض أدوار الزمان شديدة الوطأة على قلب المؤمن ونفسه ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا...﴾ (يوسف: ١١٠)، إلا أن معادلة الحياة والبقاء والفناء والموت لا تقع إلا في يد واحدة ﴿وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا. وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى. وأن عليه النشأة الأخرى. وأنه هو أغنى وأقنى. وأنه هو رب الشعرى. وأنه أهلك عادًا الأولى. وثمود فما أبقى. وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى. والمؤتفكة أهوى. فغشاها ما غشى. فبأي آلاء ربك تتمارى﴾ (النجم: ٤٣ - ٥٥).

الأزمنة الصعبة تحتاج إلى نفوس إيمانها أعمق وهمتها أرفع وعزيمتها أرسخ لأن مسرح العمل واسع



ولهذا لا يبدو القلق من الأقدار في وقت الخطوب طبيعيا بالنسبة للمؤمن؛ لأن الأحداث إن كانت تتحول أمام عينيه، فإن له مستمسكا يستمسك به، وإن له بابا يلجأ إليه؛ إذ ترك المؤمن للكافر والكافر للمؤمن يبتلى بعضهم ببعض ﴿ولوْ يشاء الله لانتصر منْهمْ ولكن ليبْلو بعْضكم ببعْض﴾ (محمد: ٤)، فليس معنى ذلك أنه تعالى خرج من المعادلة، بل المعادلة وكل أطرافها في يده تعالى وتحت قهره وسلطانه الغالب، ولكنه الناموس الإلهي الذي أقام الحياة على الابتلاء بالخير والشر؛ كي يثبت المؤمن إيمانه، وينال الكافر والطاغي فرصته كاملة «إن الله - عز وجل - يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليمٌ شديدٌ». (رواه مسلم)

وزماننا الذي نحياه لا يخلو من صعوبات ضخمة، وعقبات كؤود، غير أنها- في مرحلتنا الراهنة على الأقل- ليست أصعب ما تعرض له المسلمون في تاريخهم على الإطلاق، فمنذ قليل زمان كانت المصائب تنزل تترى على الأمة دون أن يرى المسلمون فجر أمل يقترب، أو دون أن يبدو في الأفق ما يبشر بانقشاع ظلام المصائب؛ كما هو الحال عندما أقبلت جحافل الاستعمار الأوروبي منذ حوالي قرنين تقضم أطراف العالم الإسلامي، ثم تتسلل إلى قلبه لتتعشى عليه عشاءها المخمور!



الفرصة السانحة

على أي حال، فإن الظرف التاريخي الذي يمر به العالم الإسلامي في مرحلته الحالية ظرف دقيق وصعب جدًا، وإذا كان بعض الناس قد ينظر إلى هذا بنقمة، فإن المؤمن بنظره الدقيق قد يرى ذلك فرصته لترتفع عند الله أسهمه؛ فالأزمنة الصعبة تحتاج إلى نفوس إيمانها أعمق، وهمتها أرفع، وعزيمتها أرسخ؛ لأن مسرح العمل أوسع، ومجالات النقص التي تحتاج إلى استكمال أكثر.

وهذا أمر يدركه الداعية المسلم بحسه السليم وشعوره المرهف، وهو ما سجله أحد دعاة الإسلام المعاصرين حين قال «قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة، قوي سلطانها، واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير، وقد ينشأ في أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشؤونها خصمها، فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة، والأمجاد الرفيعة، والمثل العالية. وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه. وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله».

حرية الاشتراط في العقود



د. عبدالفتاح إدريس

بعد انحسار الوازع الديني في نفوس كثير من المسلمين، يتشكك كثير من المتعاملين في الوصول إلى حقوقهم، وفقاً لما تعاقدوا عليه، ولذا فان هذا الشك قد يدفعهم الى وضع المزيد من الشروط، التي يضمنون بها وفاء الطرف الآخر بالتزاماته في العقود والتصرفات، وقد يرغب العاقد في الحصول على فائدة او تحقيق مصلحة من خلال اشتراطه شرطاً في العقد يحقق له ذلك، ولذا كانت هذه المعالجة السريعة لبيان مدى حرية العاقد في الاشتراط في العقد بحسبانه مؤثراً في تنفيذ العاقدين لا التزاماتهما فيه، او محققاً مصلحة اي منهما فيه، او مؤثراً في ترتب احكام بعض العقود عليه، ومن ثم فإني أبين آراء الفقهاء في حكمه.

معنى الشرط

الشرط: والشريطة: إلزام الشيء في البيع ونحوه، والجمع شروط وشرائط، وقد اشرط له وعليه كذا يشرط ويشرُط شرطاً واشترط عليه، وشرط له في ضيعته يشرط ويشترط (١)، وعرفه الآمدي بأنه: «ما يلزم من نفيه نفي أمر ما، على وجه لا يكون سبباً لوجوده ولا داخلاً في السبب» (٢)، وعرفه الشوكاني بأنه «وصف ظاهر منضبط يستلزم عدم الحكم، او يستلزم عدم السبب لحكمة في عدمه تنافي حكمة الحكم او السبب» (٣).

وقد اختلف الفقهاء في مدى حرية الاشتراط في العقود، ولهم في هذا مذهبان:

المذهب الأول

يرى اصحابه ان الاصل في الشروط الحظر، الى ان يرد الدليل الشرعي الدال على اباحتها، وهو ما ذهب اليه الظاهرية الذي لا يبيحون شرطاً الا اذا ثبتت مشروعيته بنص او اجماع (٤).

المذهب الثاني

يرى من ذهب اليه ان الاصل في الشروط الاباحة، الا ما دل دليل شرعي على تحريمه او ابطاله، وهو مذهب جمهور الفقهاء، الا انهم في ذلك فريقان، فريق يرى ان كل شرط لم يرد باشتراطه دليل، فهو مشروع وان كان لا يقتضيه العقد، ولا يحرم من الشروط الا ما خالف الشرع، وهو ما ذهب اليه الحنابلة، وفريق آخر يرى ان المشروع من الشروط ما لا يخالف الشرع او مقتضى العقد، وهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية(٥).

أدلة هذين المذهبين

استدل اصحاب المذهب الاول على ان الاصل في الشروط الحظر، الا ما ورد بإباحته دليل شرعي، بما يلي:

أولاً: الكتاب الكريم: آيات منها:

١- قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (٦).

٢ - قال سبحانه: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾ (٧).

٣ - قال جل شأنه: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (٨).

وجه الدلالة من الآيات

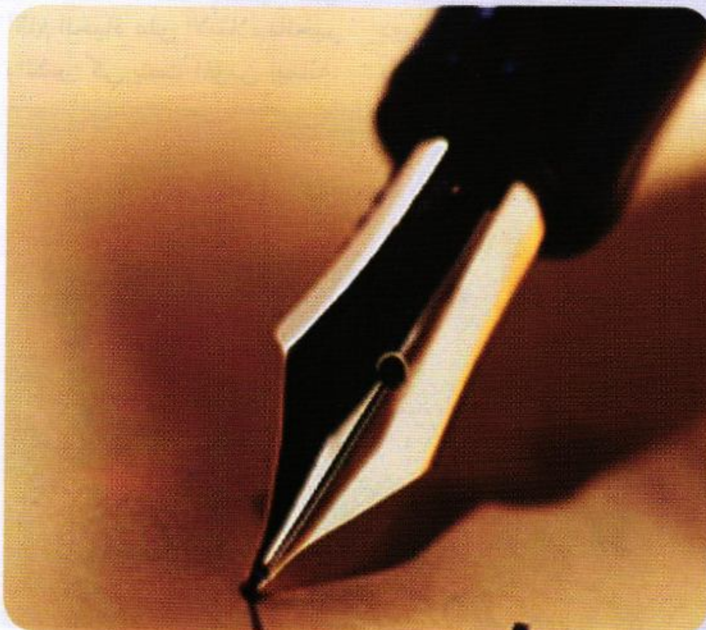
أفادت هذه الايات ان الشروط هي حدود الله تعالى، وقد اكمل بنيان هذا الدين، وشرع للناس ما يحقق مصالحهم من الشروط ونحوها، فمن أتى بما لم يشرعه الله تعالى من الشروط فهو متعد لحدود الله تعالى، وكان ما اتى به مردوداً عليه.

ثانياً: السنة النبوية المطهرة ومنها:

١ - روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٩).

أفاد الحديث بطلان كل شيء لم يرد دليل شرعي معتبر بإباحته.

٢- روي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليّ بريرة فقالت: ان اهلي كاتبوني على تسع اوراق في تسع سنين في كل سنة اوقية فأعينيني، فقالت لها: ان شاء اهلك ان اعدها لها عدة واحدة واعتقك ويكون الولاء لي فعلت، فذكرت ذلك لاهلها فأبوا الا ان



يكون الولاء لهم، فأتتني فذكرت ذلك فانتهرتها، فقالت: لاها الله اذا قالت، فسمع رسول الله ﷺ، فسألني فأخبرته، فقال: اشتريها واعتقيها واشترطي لهم الولاء فان الولاء لمن اعتق، ففعلت، ثم خطب رسول الله ﷺ عشية فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، ثم قال: اما بعد فما بال اقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل هو باطل وان كان مائة شرط، كتاب الله احق وشرط الله اوثق» (١٠).

وجه الدلالة منه

أفاد هذا الحديث بطلان كل شيء لم يرد نص كتاب او سنة يدل على اباحته، ولم تثبت مشروعيته باجماع المسلمين، وهذا دليل على ان الاصل فيها هو الحظر حتى يرد الدليل الشرعي المبيح.

اعترض على الاستدلال به بما يلي

قال ابن تيمية: ان الشرط يراد به المصدر تارة والمشروط أخرى، والمراد بالشرط في الحديث المشروط، بدلالة قول رسول الله ﷺ «وان كان مائة شرط»، فليس المراد تعديد التكلم بالشرط بل تعديد المشروط، وقول ﷺ: «كتاب الله احق وشرط الله اوثق»، مقصود به كتاب الله احق من هذه الشروط وشرطه اوثق منها، وهذا انما يكون عند مخالفة المشروط لكتاب الله تعالى وشرطه، حيث يكون محرماً، أما إذا كان غير محرم فلم يخالف كتاب الله تعالى وشرطه، حتى يقال كتاب الله أحق وشرط الله أوثق، فيكون المعنى: منها اشترط ما ليس في حكم الله تعالى او كتابه فهو باطل، لان المشروط يجب ان يكون مباحاً فعله بدون الشرط، حتى يصح اشتراطه ويلزم بالشرط، وايضاً فان النبي ﷺ لم يرد من الحديث ان الشروط التي لم يبحها الشارع لا يلزم بها شيء، لان هذا يخالف الكتاب والسنة، اذ قد يلزم بها بعض الاحكام، ولان عمومات الكتاب والسنة والآثار الدالة على وجوب الوفاء بالشروط عموماً تقتضي اباحتها، لان قوله ﷺ: «ليست في كتاب الله»، انما يشمل ما ليس في كتاب الله بعمومه وخصوصه، فان دل الكتاب على اباحته بعمومه فهو في

الأصل في الشروط هو الحظر حتى يرد الدليل الشرعي المبيح لها .. والوفاء بالعقود والنهي عن الخيانة مقيد بما شرع منها

كتاب الله، والشرط الذي بينا جوازه بالسنة والاجماع صحيح باتفاق، فيجب ان يكون في كتاب الله لا بخصوصه، بل بالامر باتباع السنة واتباع سبيل المؤمنين (١١).

قال ابن القيم: ان المراد بكتاب الله تعالى في قول رسول الله ﷺ: «ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل»، هو حكم الله، وكل شرط خالف حكم الله فهو باطل، الا انه ليس في الحديث ما يدل على ان ما سكت عن تحريمه من الشروط يكون باطلاً محرماً، لان تعدي حدود الله تعالى ليس باباحة ما سكت عنه، وانما بتحريم ما احل الله او اباحة ما حرمه اواسقاط ما اوجبه (١٢).

٣ - روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم ان رسول الله ﷺ «نهى عن بيع وشرط» (١٣).

٤ - روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم ان رسول الله ﷺ قال: «لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربح ما لم يضمن، ولا بيع ما ليس عندك» (١٤).

وجه الدلالة من الحديثين

أفاد الحديثان نهي رسول الله ﷺ عن انماط من البيوع والشروط التي كان الناس يتعاملون بها في الجاهلية، مما يدل على ان الاصل في الشروط هو الحظر، وانه ليس لاحد ان يعتبر شرطاً الا اذا قام دليل من الشرع باباحته.

المعقول

ان استحداث شرط لم يرد بشرعيته نص في القرآن الكريم او السنة المطهرة، لا يخلو ان يكون قد التزم فيه اباحة محرم او تحريم مباح، او ايجاب ما لم يجب بالشرع او اسقاط ما وجب به، وذلك مما لا يقره الشرع، فكذا ما يتوسل به اليه (١٥).

استدل اصحاب المذهب الثاني على ان الاصل في الشروط الاباحة، حتى يرد الدليل الشرعي بالحظر، بما يلي:

أولا: الكتاب الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (١٦).

وجه الدلالة منها

امر الله تعالى بالوفاء بمقتضى العقود، والامر يقتضي الفرضية لانه حقيقته عند عدم القرائن الصارفة عنه الى غيره، والوفاء بها المأمور به هو الوفاء بالالتزامات الناشئة عنها، وهذا الوفاء المأمور بغير مشروط بقيام الدليل على شرعيتها، حيث ورد الامر مطلقاً عن ذلك، والشروط والعهود من العقود، ولذا فإن الآية دليل على ان الاصل في الشروط الاباحة.

٢ - قال سبحانه: ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ (١٧).

٣- قال جل شأنه: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾ (١٨).

وجه الدلالة منهما

أفادت الآيتان وجوب الوفاء بالعهود، ومن العهود ما قطعه الانسان على نفسه بالشرط المشروع، فانه يجب الوفاء به، وهذا دليل على انه يجب الوفاء بالشرط مطلقاً حتى قبل ورود النص الدال على شرعيتها.

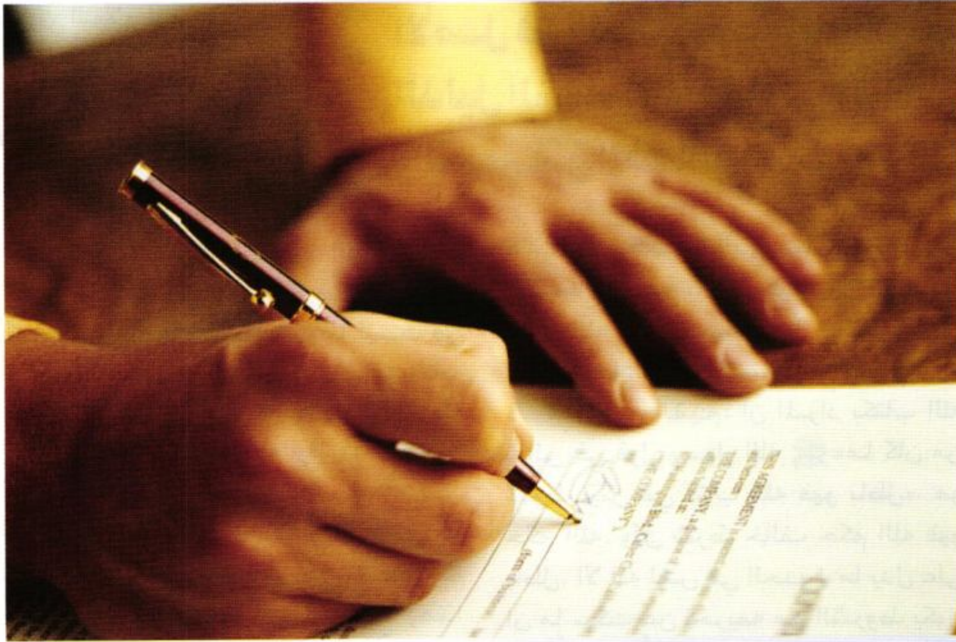
٤ -قال تعالى: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (١٩).

٥ - وقال سبحانه: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (٢٠).

وجه الدلالة من الآيتين

أفادت الآيتان وجوب الوفاء بالعهود والمواثق وحرمة نقضها او عدم الوفاء بها، بما اوردته من المدح والوعد الحسن لمن امتثل ذلك، والذم والوعيد الشديد لمن تنكب على ما ورد فيها من اوامر ونواه، ووجوب الوفاء بها ورد مطلقاً عن قيد ورود نص بشرعيتها او عدمه، ولو كان الاصل في الشروط الحظر الا ما ابيح بدليل شرعي، لما ورد الأمر بالوفاء بالشروط مطلقاً.

اعترض على الاستدلال بالآيات بما



يلي:

قال ابن حزم: لا خلاف في أن امر الله تعالى بالوفاء بالعقود ليس على عمومه او ظاهره، فقد جاء في القرآن الكريم الامر باجتناب النواهي، فمن عقد على معصية حرم عليه الوفاء بها، وكل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل ويحرم الوفاء به كذلك، وعهد الله ما ورد به نص، وكل عهد منهي عنه فلا يحل الوفاء به، لانه ليس عهداً لله تعالى (٢١).

قال صاحب المنار: ان العقود التي اوجب الله تعالى الوفاء بها في قوله سبحانه: ﴿أوفوا بالعقود﴾،لا يتعين ان يكون المراد منها ما يلتزم به الناس بمتقتضاها لبعضهم ، فقد يكون المراد منها ما اخذه الله تعالى على عباده من الايمان به وطاعته في كل ما امر به ونهى عنه، وقد يكون المراد منها العقود الخاصة بين الناس من نصرة المظلوم ومعاونة الضعيف وهو ما يطلق عليه الحلف، ولذا فلا تعد الآية دليلاً على ان الاصل في الشروط الاباحة (٢٢).

ثانياً: السنة النبوية المطهرة

١ - روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: «اربع من كنت فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: اذا حدث كذب، واذا عاهد غدر، واذا وعد اخلف، واذا خاصم فجر» (٢٣).

٢ - روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» (٢٤).

٣ - روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «قال الله: ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة: رجل اعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر اجيراً فاستوفى منه ولم يعطه اجره» (٢٥).

وجه الدلالة من الاحاديث

أفادت هذه الاحاديث ذم الغدر وعدم الوفاء بالعهد، وهذا دليل على وجوب الوفاء بالعهد مطلقاً، ومنه ما شرط في العقد وان لم يرد نص شرعي بإباحته.

٤ - روي عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «الصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حرم حلالا او احل حراماً، والمسلمون على شروطهم الا شرطاً حرم حلالاً او احل حراماً» (٢٦).

٥ - روي عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «المسلمون عند شروطهم ما وافق الحق من ذلك» (٢٧).

وجه الدلالة منهما

افاد الحديثان ان المسلمين ملتزمون بما الزموا انفسهم به من شروط، لما لم يترتب على اعتبارها اباحة محرم او تحريم مباح، وهذا دليل على ان الاصل في الشروط الاباحة الا ما خالف منها الشرع.

اعتراض على الاستدلال

قال ابن حزم ان حديث «المسلمون على شروطهم»، لم يخل طريق من طرقه من كذاب او ضعيف، ولذا فلا يصلح حجة لاثبات حكم شرعي، وعلى فرض صحته فانه لا يصلح مستمسكاً لم احتج به على ان الاباحة هي الاصل في الشروط، لان الشروط فيه اضيفت الى المسلمين، وشروطهم هي ما ودر عن الشارع نص باباحتها، ولذا أبطل رسول الله ﷺ في حديث بريرة كل شرط لم ينص عليه في كتاب الله تعالى، وما ورد في بعض روايات الحديث من قول الرسول ﷺ: «الا شرطا احل حراما او حرم حلالا»، او «ما وافق الحق من ذلك»، فان ذلك ليس بحجة لمن استدل به، بل هو حجة عليه، لانه يدل على بطلان كل شرط يحل المحرم او يحرم الحلال، او لا يوافق الحق، ولا يعلم ان الشرط بهذه المنزلة الا من قبل الشرع، فكانت الشروط المعتبرة شرعاً والتي لا يترتب عليها ذلك هي ما ورد بشرعيتها الدليل (٢٨).

ثالثاً: الاجماع

انعقد اجماع الفقهاء على صحة عقود المسلمين، اذا تعاقدوا عقوداً لم يعلموا عند عقدها حكمها، ولم يقيد احد صحة العقد بلزوم كون العاقد يعتقد مشروعيته بالنص على حله، ومن ثم فلا دلالة على ان اذن الشارع الخاص لا يشترط لصحة العقود والشروط، لانه لو كان معتبراً لما صح عقد ولا شرط الا بعد ثبوت الاذن فيه من قبل الشارع وذلك ممنوع فلم يبق الا القول بحلها (٢٩).

رابعاً: دليل الأصل

١ - ان الشروط من باب الافعال المعتادة، والاصل فيها الاباحة، فيستصحب عدم التحريم حتى يرد الدليل المحرم، واذا انتفى التحريم لم تكن فاسدة فتصح، لان منشأ الفساد من التحريم.

لم يرد عن الشارع ما يدل على تحريم

الشروط في الجملة، الا ما ثبت تحريمه بعينه، وانتفاء الدليل المحرم دليل عدم حرمة الشروط بحسب الاصل (٣٠).

خامساً: القياس

ان الشروط في حق المكلفين كالنذور في حق رب العالمين، فكل طاعة جاز فعلها قبل النذر لزمت به، وكذلك كل ما جاز بذله بدون اشتراط لزم بالشرط، بل ان الشروط في حق العباد اوسع من النذور في حق الله تعالى، والالتزام به اوفى من الالتزام بالنذر، فمقاطع الحقوق عندالشروط (٣١).

سادساً: المعقول

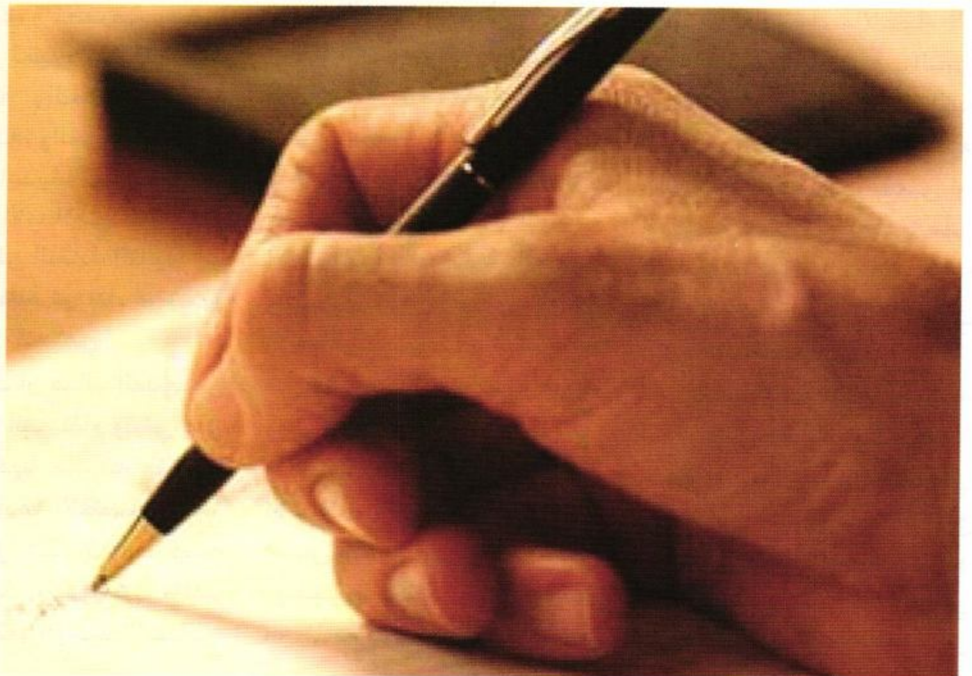
١- ان مدار العقود على تراضي العاقدين، لقول الله تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (٣٢)، وقوله سبحانه: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ (٣٣)، وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «انما البيع عن تراض» (٣٤)، حيث رتب الشارع حل اكل مال الغير على رضاه وطيب نفسه بذلك، وفي هذا تنبيه الى إن ما تراضى عليه العاقدان، فانه يصلح سبباً للحل وترتب الحقوق بمقتضاه، ما لم يترتب عليه اباحة محرم او تحريم مباح.

٢- ان الشروط من الافعال المقصودة للناس لتحقيق حاجاتهم، بحسبانها وسيلة لجعل العقود محققة مصلحة العاقدين منها، ولما لم يثبت تحريمها ابيحت رفعا للحرج والضيق عن الناس، لان منع الالتزام بها في موضع الحاجة اليها حرج وضيق من غير نص او مصلحة تسوغه.

٣ - ان الشروط في العقود من قبيل الافعال العادية التي الاصل فيها عدم التحريم، لانه يلتفت فيها الى المعاني، بخلاف العبادات فان الاصل فيها التزام النص، وما يلتفت فيه الى المعاني لا يقف المكلف فيه عند النص، بل كل ما تحقق فيه المعنى تعدى الحكم اليه (٣٥).

المناقشة والترجيح

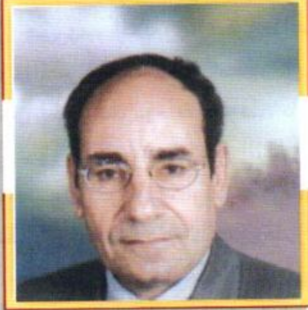
والذي يرجح في النظر من المذهبين- بعد استعراض ادلتهما، والاعتراضات الواردة على بعضها- هو ما ذهب اليه القائلون بأن الاصل في الشروط هو الحظر حتى يرد الدليل الشرعي المبيح لها، لما استدلوا به على مذهبهم، ولان الامر بالوفاء بالعقود والعهود والشروط والنهي عن الخيانة فيها، لم يكن مطلقاً بل مقيداً بما شرع منها، وهذا وان لم يرد في النصوص الآمرة بالوفاء او الناهية عن الغدر والخيانة، الا انه ورد في نصوص اخرى، من مثل حديث بريرة، وقول رسول الله ﷺ فيه :« ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط».



الهوامش

(١) لسان العرب ٧/٣٢٩، مختار الصحاح ١/١٤١ .
(٢) الاحكام في اصول الاحكام ٢/٣٣٢ .
(٣) ارشاد الفحول ١/٢٥ .
(٤) المحلى ٧/٣١٩، الاحكام في اصول الاحكام ٥/١٣، ١٤ .
(٥) فتح القدير ٦/٤٤٢، رد المحتار ٥/٨٥، تبيين الحقائق ٤/٥٧، بداية المجتهد ٢/١٢٠، حلي المعاصم ٢/٨، روضة الطالبين ٣/٤٠٥، مغني المحتاج ٢/٣٢، المنثور ٢/٢٣٩، المغني ٤/٣٠٨، فتاوى ابن تيمية ٣/٤٧٤، اعلام الموقعين ١/٣٤٤ .
(٦) من الآية ٣ من سورة المائدة.
(٧) الآية ١٤ من سورة النساء.
(٨) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.
(٩) اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، (فتح الباري ٥/٨٩، صحيح مسلم ٣/١٣٤٣).
(١٠) اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، (فتح الباري ٥/١١٦، صحيح مسلم ٢/١١٤٢).
(١١) القواعد النورانية ١٤٣-١٤٥ .
(١٢) اعلام الموقعين ٢/٢٦٢ .
(١٣) اخرجه الطبراني في الاوسط، والحاكم في علوم الحديث، وأبو حنيفة في مسنده من طريق عتاب بن اسيد يرفعه، وفيه راو مجهول.
(١٤) اخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وأبو داود في سننهم، وقال الترمذي: حسن صحيح، وسكت عنه ابو داود والنسائي (مسند أحمد ٢/٥٩٥، سنن الترمذي ٢/٥٣٥، سنن ابي داود ٣/٧٦٩، سنن النسائي ٧/٢٩٥).
(١٥) الاحكام في اصول الاحكام ٥/١٥-١٦ .
(١٦) من الآية الاولى من سورة المائدة.
(١٧) من الآية ١٥٢ من سورة الانعام.
(١٨) من الآية ٣٤ من سورة الاسراء.
(١٩) الآيتان ٢٧،٢٨ من سورة البقرة.
(٢٠) من الآية ٢٥ من سورة الرعد.
(٢١) المحلى ٧/٣٢٠ .
(٢٢) تفسير المنار ٦/١١٨ .
(٢٣) متفق عليه، (صحيح البخاري ١/٢١، صحيح مسلم ١/٧٨).
(٢٤) اخرجه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ٣/١١٦٤، صحيح مسلم ٣/١٣٥٩).
(٢٥) اخرجه البخاري في صحيحه ٢/٧٧٦ .
(٢٦) اخرجه الحاكم في المستدرك، وسكت عنه، واخرجه الترمذي والبهيقي وابو داود وابن ماجه والدارقطنى في سننهم وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢٧) اخرجه الحاكم في المستدرك، والدارقطنى في سننه وسكتا عنه، وقال ابن حجر، اسناد هذا الحديث واه.
(٢٨) الاحكام في اصول الاحكام ٥/١٤ .
(٢٩) ابن تيمية: القواعد النورانية ١٤٣ .
(٣٠) المصدر السابق.
(٣١) اعلام الموقعين ٣/٣٠٢ .
(٣٢) من الآية ٢٩ من سورة النساء.
(٣٣) من الآية ٤ من سورة النساء.
(٣٤) اخرجه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي وابن ماجة في سننهما، وقال الكناني في مصباح الزجاجة، هذا اسناد صحيح ورجاله ثقات.
(٣٥) فتاوى ابن تيمية ٣/٤٨٦-٤٨٨ .
(٣٦) اخرجه الحاكم في المستدرك وصحح اسناده، واخرجه الترمذي والبهيقي وابن ماجة في سننهم، والديلمي في مسند الفردوس، والطبراني في الكبير.

الوسطية في الاقتصاد الإسلامي



د. أمان قحيف

لا تنشغل الأوساط العالمية على مختلف صعدها السياسية والثقافية والاجتماعية بشيء في اللحظة الراهنة كانشغالها بالأزمة المالية والاقتصادية التي تهدد الميزانيات المالية للبنوك والدول في الوقت الحالي، ومازالت الندوات تقام والمؤتمرات تعقد في مشارق الأرض ومغاربها من أجل دراسة المشكلة والوقوف على اسبابها وتداعياتها، وبالتالي محاولة التعامل معها بصورة صحيحة وشكل ايجابي.

الملاحظ في العقود الأخيرة أنه كلما ظهرت أزمة مالية او اقتصادية تهدد البشرية في مستوى رفاهيتها أو في استقرارها المالي تتعالى بعض الاصوات الغربية - ولا نقول العربية - مطالبة بوجوب التعاطي مع النظرية الاقتصادية في الاسلام بصورة محايدة وشكل ايجابي من اجل فهمها والانتفاع بأطروحاتها اذا كان الى ذلك من سبيل، ويكفي ان نشير في هذا السياق الى ان روسيا عندما مرت بأزمة مالية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي ارسلت في مطلع التسعينيات من القرن الماضي محافظ بنك الدولة ومحافظ موسكو مع مجموعة من الخبراء الاقتصاديين الى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف للتعرف على النظرية الاقتصادية في الإسلام، فشرح لهم أساتذة الاقتصاد فلسفة النظام الاقتصادي الإسلامي، وموقف الإسلام من الملكية وحركة الأسواق، والسياسات النقدية ، ونظام مالية الدولية.. وبعد هذا اللقاء قال محافظ بنك الدولة الروسي لعلماء الاقتصاد بالازهر الشريف: كيف تكونون على هذه الحالة من التخلف ولديكم هذا النظام التنموي الفاعل؟! ومع ظهور بوادر الأزمة المالية الراهنة عقد مجلس الشيوخ الفرنسي في مايو ٢٠٠٨م ندوة خاصة لدراسة «التمويل الإسلامي» وانتهوا الى أنه من الضروري أن تنظر المصارف الأوروبية والأميركية نظرة إيجابية الى ما جاء من حديث عن الاقتصاد في القرآن الكريم وتحترمه.

والحق أن ما يلفت نظر الغربيين والشرقيين على السواء في الاقتصاد الإسلامي هي الروح الوسطية التي يتمتع بها وتسود مختلف جنباته، فهو نظام يحقق الوسطية في بعديه الاقتصادي والمصرفي بصورة لا تتوافر لغيره من المذاهب الاقتصادية والنظم المصرفية المغايرة له، والحق انه يمكن ان نضع ايدينا على وسطية الاقتصاد الاسلامي من خلال الوقوف على النقاط التالية:

الروح الوسطية في بناء المجتمع الإسلامي

معروف ان هناك العديد من المجتمعات التي تقام وتبنى على أسس مادية صرفة فقوامها المادة وعمادها الاقتصاد، الأمر الذي جعل الفلسفة الماركسية ترى أنه يمكن تفسير كل مظاهر تطور وارتقاء الوجود الانساني، وكذلك حركة التاريخ البشري في ضوء المادة والاقتصاد، وهذا ما يسمى بالتفسير المادي للتاريخ.. في حين نجد النظام الاقتصادي الاسلامي يسعى الى تأكيد أن «الهدف من بناء هذا المجتمع الإسلامي لم يكن مادياً، اي انه لم يكن اقتصادياً، بالرغم من ان الاقتصاد عصب الحياة، ولكنه كان هدفاً شمولياً، هو تكوين الأمة الإسلامية، ولو بني المجتمع على أساس اقتصادي صرف لكان في الإمكان إيجاد مجتمعات ووحدات اقتصادية متفرقة لا تخدم الفكرة الاسلامية، كان من الممكن مثلا ألا تجد بعض القبائل العربية مصلحتها في وحدة عربية، فالذين يتاجرون - مثلا - مع الفرس قد يجدون مصلحتهم في تدعيم الوحدة الاقتصادية الفارسية العربية، والذين يتاجرون مع الروم أو مع الأحباش قد يجدون مصلحتهم في إقامة وحدة اقتصادية عربية رومية أو عربية حبشية» (١).

وهكذا ندرك ان المجتمع الاسلامي لم يكن ليقام على اسس مادية صرفة ولا اسس روحية صرفة، بل لقد اخذ من المادة بنصيب باعتبارها من اساسيات الحياة، وعني بالجانب الروحي الذي تفقد الحياة قيمتها ومعناها من دونه، وتلك وسطية تضمن وتكفل للمجتمع البقاء والنجاح والازدهار.

بين الملكية الفردية والملكية العامة

معلوم أن المذاهب الاقتصادية المادية التي تتنازع الساحة العالمية الآن تنقسم الى مذهبين، أحدهما رأسمالي يسمح للإنسان أن يمتلك من الثروة ما يشاء، ولا يعنى بردم الهوة بين الفقراء والأغنياء الا في حدود ضيقة، والمذهب الثاني شيوعي أو اشتراكي يؤكد ملكية الدولة للمؤسسات الصناعية والمالية والتجارية، بمعنى ان الدولة هي المسيطرة على السلطة والثروة والسلاح، وفيه يتم -تقريبا - تجريد الانسان الفرد من الملكية الخاصة.

غير ان للإسلام موقفه الوسطي الخاص في هذا السياق، وللإلمام به يقتضي الأمر أن ندرك ان «المنهج الاسلامي وسط لأنه لم يصادر حرية الانسان في الملكية او في اختيار العمل الذي يلائمه، بل

أكاديمي مصري

أباح الملكية لكنه وضع حدوداً وتشريعات للمالك في ملكيته، وجعل للمجتمع حقوقاً في ملك الأفراد، وأمر بالعمل وجعله حقا وواجبا، وأباحه وأمر به زراعة وتجارة وصناعة وحرفاً في الوقت نفسه، وحدد له حدوداً، فكل عمل من زراعة او تجارة أو صناعة حرام ما أضر بالمجتمع، فزراعة المخدرات او التجارة في الخمر حرام... وهكذا» (٢).

فالإسلام أحل الملكية الفردية وجعل لها حرمة، مادام طريق كسبها مشروعاً ولا يتعارض مع مصلحة المجتمع ولا تضره حسبما يرى التشريع الحنيف.. غير ان حرمة الملكية الخاصة في الاسلام مشروطة بأن يتوفر لكل فرد حد الكفاف، أي الحد الأدنى اللازم لمعيشته، بمعنى انه ان وجد في المجتمع الاسلامي جائع واحد او عار واحد، فان حق الملكية لأي فرد من أفراد هذا المجتمع لا يجب احترامه ولا تجوز حمايته، ومؤدى ذلك ان هذا الجائع الواحد، او المضيع الواحد يسقط شرعية حدود الملكية الى ان يشبع.. وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ «...ايما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى» (رواه أحمد).

وسطية توزيع الثروة

وتقتضي الوسطية في الملكية الفردية والعامة أن يعتمد الإسلام الوسطية كمنهج وأسلوب في توزيع الثروة، و«من هنا يختلف الاقتصاد الاسلامي عن الاقتصادات الوضعية السائدة، فهو لا يقر التفاوت الشديد أو تسلط أقلية على مقدرات الجماعة كما هو شأن المذهب الفردي والنظم المتفرعة عنه كالرأسمالية، كما لا يقر إذابة أو إزالة الفوارق واقامة المساواة الفعلية أو المطلقة كما هو شأن المذهب الجماعي والنظم المتفرعة عنه كالاشتراكية والشيوعية، وإنما هو يحترم التباين والتفاوت تبعاً لاختلاف المواهب والقدرات، مع تقريب الفوارق أو الفجوة بين افراد المجتمع أو دول العالم، بما يحقق لها التعاون والتكامل لا السيطرة والاستغلال» (٣).

هكذا يدرك المرء أن الإسلام لا يرفض التفاوت في الحصول على الثروة لكن يرفض ان يجتمع المال - كله أو أغلبه - في يد فئة قليلة من المجتمع، «فالتفاوت في توزيع الثروات والدخول هو أمر طبيعي يقره الإسلام تبعاً لاختلاف المواهب والقدرات، بل يعتبره ضرورة لخلق الحوافز وتحقيق التعاون والتكامل سواء على المستوى المحلي أو العالمي، ولكن الذي رفضه الإسلام بشدة هو التفاوت الفاحش في توزيع الثروات والدخول، والذي تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد أو دول معينة بالخير كله، مما يؤدي الى تهميش marginilijation الأغلبية أو اغترابها alienation وإثارة حقدها وثورتها» (٤) لذا نرى الدول الإسلامية النفطية تمد يد العون والمساعدة للشعوب



الاسلامية غير النفطية عندما تتعرض الاخيرة الى ازمات أو عندما يكون لديها طلبات ملحة وعاجلة.

واذا كان الاسلام يبيح امتلاك المال فان منهجه يتميز عن الرأسمالية بكونه يرفض اتساع الشقة بين الاغنياء والفقراء، ففي مجتمع المدينة «كانت مهمة ولي أمر المسلمين - النبي ﷺ - ان يحاول بسياسته المالية تقريب الشقة بين الفقراء (وهم المهاجرون في الغالب) والاغنياء (وهم الانصار في الغالب)، وكان ذلك متيسراً بما أفاء الله عليه من أموال بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة وخيبر بعد ذلك»(٥).. وتلك هي سنة النبي ﷺ في هذا السياق واتبعها الخلفاء الراشدون من بعده.

وسطية النظام المصرفي الاسلامي

معلوم أن لكل مذهب من مذاهب الاقتصاد نظامه المصرفي الذي يتحرك وفقاً لخدمة الايديولوجية السائدة في المجتمع، فهناك بعض الاختلافات والفروق بين النظم المصرفية المعمول بها في الدول التي يسود فيها الفكر الاشتراكي وبين النظم السائدة في الدول ذات التوجه الرأسمالي، وهنا نتوقف لنوضح ان النظام المصرفي الاسلامي يتباين في العديد من النقاط عن النظم الاقتصادية الوضعية، سواء كانت رأسمالية ام اشتراكية، فاذا امعنا النظر في النظام المصرفي الوضعي فإننا نجده تجارة بالمال «أخذاً وعطاءً واستخداماً للمال في المصلحة الشخصية لاصحابه دون إعمال للمصلحة العامة ونتيجة ذلك ان يزداد الفقير فقراً، وهنا يظهر جلياً مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» والغاية هنا هي تحقيق اكبر نسبة عائد بغض النظر عن الوسيلة الى تحقيق هذا العائد. تلك هي طبيعة النظام المصرفي الوضعي وتلك هي النتائج التي انتهى اليها، أما النظام المصرفي الاسلامي فنجده ينطلق من «الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الإسلامي وهو «أن المال مال الله» استخلف عليه الإنسان لاشباع حاجاته المشروعة دون اسراف او تبذير، وعليه استخدامه في إعمار الأرض والالتزام بعدم الإضرار بالآخرين عند تنميته لهذا المال والانتفاع به، فهو وسيلة لا غاية في حد ذاته.

الهوامش

١- عبدالكريم غلاب، الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ص ٨١.

٢- طاهر عبدالمحسن سليمان، علاج المشكلة الاقتصادية في الإسلام، دار البيان، القاهرة، ١٤٠١هـ -١٩٨١م، ص٤١، بتصرف.

٣- المصدر نفسه، ص١٩، ٢٠.

٤- المصدر نفسه، ص٢٠.

٥- طاهر عبدالمحسن سليمان مرجع سابق، ٣٤٢.

٦- د. رضا أحمد مغاوري، النظم المصرفية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ذو القعدة ٧٢٤١ هـ، نوفمبر ٢٠٠٦م، ص١١.

الخبر الصحافي في القرآن والسنة



د. عبدالله بدران

شاءت إرادة الباري عز وجل أن يرضى الإسلام ديناً للبشر كافة، وأن ينزل عليهم كتاباً هادياً منيراً يبين لهم الحقائق، ويرشدهم إلى طريق النور والهدى، ويهديهم إلى جادة الحق والصواب، ويحذرهم من السير في دروب المعاصي والفساد، وأنزل سبحانه وتعالى فيه جملة من المعاملات التي تنظم للناس أمور حياتهم، وشؤون معيشتهم، ودعمها بالأوامر التي تحضهم على التحلي بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وبين لهم فيه ما يهمهم من أمور دينهم وعقيدتهم، حتى يصبح ارتباطهم بهذه العقيدة ارتباطاً قوياً متيناً لا تزول أواصره ولا تفك عراه.

والقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وتربية وتعليم ودعوة إلى الطريق القويم، لكننا لا نعدم وجود إشارات مهمة في البيان الإلهي تناولت جوانب إعلامية مختلفة، وأدت وظائف وغايات ذات أهمية بالغة، وعلى الرغم من أنه اتفق مع وسائل الإعلام في التوجيه للإنسان واتخاذه ميداناً للعمل، فإنه يختلف عنها في سعة مساحة العمل، ودائرة التوجيه، وهي قبل ذلك لا تدانيه في الغاية والنتيجة، كما يختلف عنها في المصدر والمضمون (١).

ويعد الخبر الصحافي حجر الأساس في الصحافة، ومنه تتفرع جميع الفنون الصحافية الأخرى، كالتحليل الإخباري، والتقرير الإخباري، والمقال، كما يعد الأساس الذي قام عليه كل من الخبر الإذاعي والخبر التلفزيوني.

والخبر قديم قدم البشرية، فمنذ أن وجد البشر على ظهر البسيطة وهم يتناقلون الأخبار فيما بينهم، ويتداولون في لقاءاتهم واجتماعاتهم أخبار كل منهم، عن صيده، ورزقه، وعمله، وأسرته، وشؤونه، وقد تطور هذا الشكل البسيط من الأخبار شيئاً فشيئاً، فصار الإنسان ينقل أخبار الآخرين إلى مجتمعه، كما ينقل أخبار مجتمعه إلى من يلتقيهم خارج إطار هذا المجتمع، وبذلك انتقلت الأخبار من المحيط المحلي إلى المحيط الإقليمي وهكذا بدأت الأخبار تنتشر شيئاً فشيئاً، وتتسع دائرة الناقلين لها، والمستمعين إليها.

وعرف العرب قبل الإسلام الكتابة ودونوا بها، وكان أهم ما دونوه، لحسن الحظ، هو ذلك الذي يحمل مضموناً إعلامياً أرادوا بتدوينه أن يكون بذلك شبه وثيقة، وهي هنا وثيقة سياسية أو عسكرية تعني وقف العدوان أو الحرب، أو التعهد بالحماية، أو إبرام حلف بين قبيلة وأخرى.

ولم تكن الدولة الإسلامية عندما قامت في المدينة المنورة في أوائل القرن السابع الميلادي بعيدة عن استخدام الأخبار المطبوعة، فقد استخدم الرسول ﷺ الكتابة الخطية، وما الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة، والمعروف تاريخياً باسم الصحيفة، بالإضافة إلى رسائله الشريفة إلى ملوك وأمراء عصره إلا نماذج تاريخية لذلك الاستخدام.

وكما كانت هذه الصحيفة دستور مؤاخاة ونظام حياة للدولة الإسلامية الجديدة فإنها أيضاً كانت بمنزلة الإعلام المكتوب عن هذه الدولة، والذي يقوي جبهتها ضد أي خروج عليها (٢) كما كان للرسائل المرسلة إلى الأفراد والملوك وزعماء القبائل رجع الصدى المناسب، مما يؤكد نجاحها في الإعلام عن الدين الإسلامي (٣).

ومع توسع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار الفتوحات ازدادت الرسائل بين الخلفاء المسلمين والملوك والرؤساء، وتم في العصر الأموي إنشاء ديوان الرسائل، وديوان الجند، وكان هذا الأخير يتولى ختم الرسالة المرسلة من الخليفة حتى لا يطلع أحد عليها غير المستقبل لضمان أن الرسالة تسير في اتجاه واحد من المرسل إلى المستقبل دون تغييرات، أو تحريفات، أو تشويش (٤).

بين الخبر والنبأ في الكتاب الكريم

وردت مادة خبر ومشتقاتها في سبعة

• صحافي في وكالة الأنباء الكويتية

مواضع من القرآن الكريم، في حين وردت مادة (نبأ) ومشتقاتها في ٧٩ موضوعاً.

من ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل: ٧).

وتتحدث الآية الكريمة عن رحلة موسى عليه السلام مع زوجته من مدين إلى مصر في ليلة ظلماء، حيث رأى من بعيد ناراً تتأجج وتضطرم فقال لأهله مستبشراً بمعرفة الطريق والاصطلاء بالنار: إني أبصرت ناراً سآتيكم منها بخبر عن الطريق أو آتيكم منها بشعلة نار، تستدفئون بها في هذه الليلة الباردة، وكان الأمر كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم هو النبوة، واقتبس منها نوراً عظيماً لا ناراً، هو نور الرسالة (٥).

ومن أمثلة النبأ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

وهذه الآية نزلت في عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل من الكنعانيين، وروي عن ابن عباس أنه رجل من اليمن اسمه بلعم بن باعوراء، أوتي علم بعض كتب الله، فانسلخ منها، وكفر بآيات الله ونبذها وراء ظهره.

والخطاب الإلهي موجه إلى رسول الله ﷺ أن اقرأ على المسلمين خبر الذي علمناه آياتنا، ولكنه لم يعمل بها، وتركها وراءه، وتجرد منها إلى الأبد، فلحقه الشيطان وأدركه وصار له قريناً، وتمكن من الوسوسة له، فأصغى إليه، فصار من الضالين الكافرين، لميله إلى الدنيا واتباع الهوى والشيطان (٨).

وهذا المثال أخبر به الباري عز وجل عن حدث وقع في الماضي، وهو حدث معروف لدى اليهود، ليتذكر اليهود ما حدث لذلك الرجل، ويعتبروا بنهايته، ويعلموا أن من أوتي علماً من الكتاب وجب عليه تطبيقه، والالتزام به والعمل بأحكامه، وعدم نبذه وراء الظهور، وإلا فإن العاقبة ستكون وخيمة.

إن الأمثلة التي وردت تبين اهتمام البيان الإلهي بالقصة الإخبارية، وإعطاءها مساحات كبيرة في مواطن شتى من القرآن الكريم. وقد أتت هذه القصص بصيغ متعددة، حاملة أساليب الإعجاز القرآني الخالد، مخبرة تارة عن الأقوام والأمم السابقة، وأخرى عن أحداث آنية تقع في عهد النبي ﷺ، وأحياناً عن أخبار مستقبلية تعد من الغيبيات التي استأثر الباري عز وجل بعلمها، أو أخبر بعضها رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام.

الخبر في الإعلام الإسلامي يتمتع بالأسس الفنية المتعارف عليها اليوم كالدقة والصدق والموضوعية والمرونة والشمولية

ويرى أحد الباحثين (١٠) ضرورة عدم إدخال الأخبار الغيبية مثل يوم القيامة وما شابهها في سياق المقارنة بالمصطلح الإعلامي للخبر للأسباب التالية:

١- الغيبيات التي يؤمن بها المسلم هي حقائق ربانية المصدر، ولا تحتمل الخطأ بتاتاً للمسلم، أما الأخبار التي يجمعها البشر فهي تحتمل الخطأ من حيث صدق الخبر كله أو بعض تفاصيله.

٢ - في مجال الاتصال البشري ما يعنينا هو الأخبار البشرية المصدر، أما الأخبار الغيبية عند المسلمين فهي خاصة بالمسلمين، ويقابلها في الديانات الأخرى غيبيات مثلها.

٣ - إن دراسة الأخبار في الإعلام الإسلامي تهدف إلى تصور عالمي السمة، رغم كونها مستنتجة من المصادر الإسلامية التي يؤمن بمصداقيتها المسلمون فقط.

وكما اهتم القرآن الكريم بالخبر الإعلامي لفظاً وأسلوباً ومعنى وتحريراً وصياغة اهتم النبي ﷺ أيضاً بالخبر الإعلامي، ومارسه بطريقة يجب أن يتعلم منها رجال الإعلام الإسلامي إلى يوم القيامة، فقد أخبر النبي ﷺ عن أشياء وصفات لبعض الناس، كما أخبر عن أشياء ستحدث فيما بعد وصدقها الواقع، هذا فضلاً عن اهتمامه بالأسلوب الإخباري، الذي يبرز في حسن اختياره للألفاظ المناسبة للمستمع أو المستقبل (١٠).

وقد استفاد الرسول الكريم ﷺ من وسائل الإعلام المتاحة في عصره فقام باقتباس بعضها أو تعديل مسارها وتطويرها وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية، بعد أن كانت موظفة لبث الخلافات وإثارة القلاقل والفتن بين القبائل العربية.

ومارس الرسول الكريم ﷺ العملية الإخبارية بنفسه فكان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، ويذهب إلى المناطق المجاورة لمكة ليعرض على أهلها رسالة السماء، ويجمع الناس ويخطب فيهم، ويرسل الرسائل إلى الملوك والزعماء، ويبعث أصحابه إلى القبائل والمدن ليأتوه بالأخبار الصادقة عن سكانها وأحوالهم.

إن ما ذكر عن الأساليب الخبرية في كتاب الله عز وجل، وممارسة النبي ﷺ للعملية الإخبارية، وما ورد عنه من أحاديث نبوية شريفة، يدل على تمتع الخبر في الإعلام الإسلامي بالأسس الفنية المتعارف عليها في الخبر الصحافي حالياً، كالدقة، والصدق، والموضوعية، والمرونة، والشمولية.

وفي ضوء ذلك فإنه يمكن تعريف الخبر في الإعلام الإسلامي بأنه تزويد الجماهير بالحقائق الموضوعية المتعلقة بالأمور الهامة وغير المعروفة مسبقاً بهدف الإفادة الدينية والدنيوية، وذلك باستعمال مختلف الوسائل الحديثة المتطورة والمناسبة (١٢).

أو هو من وجهة نظر أخرى المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف أو تشرح واقعة جرت وتهم فئة من الفئات أو جماعة من الجماعات التي تعرفها للمرة الأولى (١٢)

الهوامش

١- سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م، ص٤٣.

٢- مرعي مدكور: الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية في إفريقية، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت دار الشروق، جدة، ط١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨م ص ٣٧.

٣- المرجع نفسه، ص ٣٧.

٤- المرجع نفسه، ص ٤٣.

٥- وهبة الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١١ هـ. ١٩٩١، ج١٩، ص٢٦٣.

٦- الزحيلي، ج١١، ص ٩.

٧-- سيد محمد ساداتي الشنقيطي: أصول الإعلام الإسلامي وأسسه، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٦م ، ص ٧.

٨- الزحيلي: ج ٩، ص ١٦٢.

٩- سعيد إسماعيل صيني: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، المفهوم والخصائص، دار المسلم، الرياض، ١٤١٦ هـ. ١٩٩١م، ص ٢٠٥.

١٠- صيني: ص ٢٠٥.

١١- عبدالوهاب كحيل، الأسس العملية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، مكتبة القدسي، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م ص ١١٣.

١٢- كحيل: ص ١١٧.

١٣- كرم شلبي: الخبر الصحافي وضوابطه الإسلامية، دار الشروق، جدة، ط١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨م ص ٥١.

المسلمون في ميانمار والحفاظ على الهوية

عبده دسوقي

ميانمار هي ما كان يطلق عليها قديما دولة «بورما»، وهي اسم لما يطلق عليهم أيضا مسلمو «أراكان»، وقد تعارفت الشعوب على تسميتها بورما (ميانمار أو أراكان)، وهذه الدولة غنية بالثروات، وتقع بين الهند والصين ومن ثم تبذل أميركا جهودا كبيرة لكسبها في صفها.

تقع دولة ميانمار في الجنوب الشرقي لقارة آسيا، ويحدها من الشمال الصين والهند، ومن الجنوب خليج البنغال وتايلاند، ومن الشرق الصين ولاوس وتايلاند، ومن الغرب خليج البنغال والهند وبنجلاديش، ويقع إقليم أراكان في الجنوب الغربي لبورما على ساحل خليج البنغال والشريط الحدودي مع بنجلاديش. وتقدر مساحتها بأكثر من ٢٦١,٠٠٠ ميل مربع، وتقدر مساحة إقليم أراكان قرابة ٢٠,٠٠٠ ميل مربع، ويفصله عن بورما حد طبيعي هو سلسلة جبال «أراكان يوما» الممتدة من جبال الهملايا، ويبلغ عدد سكان ميانمار ما يقرب من ٥٠ مليون نسمة، وتقدر نسبة المسلمين بـ ١٥٪ من مجموع السكان، نصفُهم في إقليم أراكان، ذي الأغلبية المسلمة، حيث تصل نسبة المسلمين فيه إلى أكثر من ٧٠٪ والباقون من البوذيين الماغ وطوائف أخرى. ويتكون اتحاد بورما من عرقيات كثيرة جداً تصل إلى أكثر من ١٤٠ عرقية، وأهمها من حيث الكثرة «البورمان» وهم الطائفة الحاكمة، وشان وكشين وكارين وشين وكايا وركهاين الماغ، والمسلمون ويعرفون بالروهينغا، وهم الطائفة الثانية بعد البورمان، ويصل عددهم إلى قرابة ٥ ملايين نسمة.

وميانمار بلد زراعي يعيش ثلاثة أرباع أهله على الزراعة، وأبرز حاصلاتهم الأرز وهو الغذاء الأساسي لمعظم سكانها، وتصدر منه كميات كبيرة، وتحتل المكانة الرابعة في تصدير الأرز بين دول العالم، وإلى جانبه تزرع الذرة والبذور الزيتية، ثم المطاط وقصب السكر والشاي، وتشغل الغابات مساحة واسعة تزيد على نصف مساحة البلاد، ولهذا يعتبر الخشب الجيد من أهم صادراتها، هذا إلى جانب بعض المعادن مثل: الرصاص والأنتيمون والبترول.

ميانمار والإسلام

يذكر المؤرخون أن الإسلام وصل إلى ميانمار في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد في القرن السابع الميلادي عن طريق التجار العرب، وتمركز المسلمون في إقليم أراكان الذي حكمه ما يقرب من ٤٨ ملكاً مسلماً على التوالي، وذلك لأكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن، أي ما بين عامي ١٤٣٠م - ١٧٨٤م (٨٣٣ -١١٩٨هـ)، وقد شُكّلت أول دولة إسلامية في عام ١٤٣٠م بقيادة الملك سليمان شاه، وقد تركوا آثاراً إسلامية من مساجد ومدارس وأربطة مثل: مسجد بدر المقام في أراكان، ومسجد سندي خان الذي بني في عام ١٤٣٠م وغيرهما.

ويتركز المسلمون في ولاية أراكان المتاخمة لدولة بنجلاديش، وينتمون إلى شعب روهينغا، ويقول زعماء الجالية المسلمة في العاصمة رانجون: إن الإسلام دخل بورما منذ القرن الأول الهجري على أيدي التجار العرب، في حين تقول السلطات إنه دخل مع الاحتلال البريطاني للبلاد عام ١٨٢٤م، ومن هذا المنطلق يتم حرمان كل مسلم لا يستطيع إثبات جذوره في البلاد قبل هذا العام من الجنسية.

بين أنياب المحنة

في عام ١٧٨٤م احتل إقليم أراكان الملك البوذي البورمي «بوداباي»، وضم الإقليم إلى بورما خوفاً من انتشار الإسلام في المنطقة، وعاث في الأرض فسادا، حيث دمر كثيراً من الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس، وقتل العلماء والدعاة، واستمر البوذيون البورميون في اضطهاد المسلمين ونهب خيراتهم، وتشجيع البوذيين الماغ على ذلك خلال فترة احتلالهم أربعين سنة، والتي انتهت بمجيء الاستعمار البريطاني، وفي عام ١٨٢٤م احتلت بريطانيا بورما، وضمتها إلى حكومة الهند البريطانية الاستعمارية.

في ١ أبريل ١٩٣٧م انفصلت بورما عن الإدارة البريطانية للهند نتيجة اقتراع بشأن بقائها مع مستعمرة الهند أو استقلالها لتكون مستعمرة بريطانية منفصلة، وفي عام ١٩٤٠م كونت ميليشيا «الرفاق الثلاثون» جيش الاستقلال البورمي (وهو قوة مسلحة معنية بطرد الاحتلال البريطاني)، وقد نال قادته (الرفاق الثلاثون) التدريب العسكري في اليابان، وعادوا مع الغزو الياباني في عام ١٩٤١هـ مما جعل ميانمار بؤرة خطوط المواجهة في الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا واليابان، وفي يوليو ١٩٤٥م- وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء- أعادت بريطانيا ضمها كمستعمرة.

وفي عام ١٩٤٢م تعرض المسلمون لمذبحة وحشية كبرى من قِبَل البوذيين الماغ بعد حصولهم على الأسلحة والإمداد من قِبَل إخوانهم البوذيين البورمان والمستعمرين وغيرهم، والتي راح ضحيتها أكثر من مائة ألف مسلم وأغلبهم من النساء والشيوخ والأطفال، وشرد مئات الآلاف خارج الوطن، ومن شدة قسوتها وفظاعتها لا يزال الناس - وخاصة كبار السن- يذكرون مآسيها حتى الآن، ويؤرخون بها، ورجحت بذلك كفة البوذيين الماغ.

وفي عام ١٩٤٧م وقبيل استقلال بورما عقد مؤتمر عام

في مدينة بنغ لونغ للتحضير للاستقلال، ودعيت إليه جميع الفئات والعرقيات إلا المسلمين الروهينغا لإبعادهم عن سير الأحداث وتقرير مصيرهم.

وفي يوم ٤ يناير عام ١٩٤٨م منحت بريطانيا الاستقلال لبورما، شريطة أن تمنح لكل العرقيات الاستقلال عنها بعد عشر سنوات إذا رغبت في ذلك، ولكن ما أن حصل البورمان على الاستقلال حتى نقضوا عهودهم، ونكثوا على أعقابهم، حيث استمروا في احتلال أراكان بدون رغبة سكانها من المسلمين الروهينغا والبوذيين الماغ أيضاً، وقاموا بالممارسات البشعة ضد المسلمين.

وأوضاع المسلمين في البلاد قد تدهورت منذ الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال ني وين عام ١٩٦٢م حيث اتجهت الدولة منذ ذلك الحين إلى طرد المسلمين من الوظائف الحكومية والجيش.

حيث قامت السلطات في ميانمار خلال السبعينيات والثمانينيات بطرد مئات الآلاف من مسلمي الروهينغا إلى بنجلاديش المجاورة.

أهم مآسي المسلمين في ميانمار

١- التطهير العرقي، منذ أن استولى العسكريون على الحكم في بورما بعد الانقلاب العسكري بواسطة الجنرال (نيوين) المتعصب عام ١٩٦٢م تعرض المسلمون في أراكان لكل أنواع الظلم والاضطهاد من القتل والتهجير والتشريد والتضييق الاقتصادي والثقافي ومصادرة أراضيهم، بل مصادرة مواطنتهم بزعم مشابهتهم للبنغاليين في الدين واللغة والشكل.



٢- طمس الهوية والآثار الإسلامية، وذلك بتدمير الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس تاريخية، ومنع المدارس الإسلامية من التطوير أو الاعتراف الحكومي والمصادقة على شهاداتها أو خريجيها.

٣- المحاولات المستميتة لـ «برمنة» الثقافة الإسلامية وتذويب المسلمين في المجتمع البوذي البورمي قسراً.

٤ - التهجير الجماعي من قرى المسلمين وأراضيهم الزراعية، وتوطين البوذيين فيها داخل قرى نموذجية تبنى بأموال وأيدي المسلمين جبراً، أو شق طرق كبيرة أو ثكنات عسكرية دون أي تعويض، ومن يرفض فمصيره الموت في المعتقلات الفاشية التي لا تعرف الرحمة.

٥-الطرد الجماعي المتكرر خارج الوطن مثلما حصل في عام ١٩٦٢م عقب الانقلاب العسكري الفاشي حيث طرد أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مسلم إلى بنغلاديش.

وفي عام ١٩٧٨م طرد أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ (نصف مليون) مسلم، في أوضاع قاسية جداً، مات منهم قرابة ٤٠,٠٠٠ من الشيوخ والنساء والأطفال- حسب إحصائية وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة-، وفي عام ١٩٨٨م تم طرد أكثر من ١٥٠,٠٠٠ مسلم، وفي عام ١٩٩١م تم طرد قرابة ٥٠٠,٠٠٠ مسلم.

٦- حرمان أبناء المسلمين من مواصلة التعليم في الكليات والجامعات، ومن يذهب للخارج يُطوى قيده من سجلات القرية، ومن ثم يعتقل عند عودته، ويرمى به في غياهب السجون.

٧- فرض الضرائب الباهظة عليهم في كل شيء، والغرامات المالية، ومنع بيع المحاصيل إلا للعسكر أو من يمثلهم بسعر زهيد لإبقائهم فقراء، أو لإجبارهم على ترك الديار.

وإزاء هذه الأوضاع المأساوية التي تتم في غفلة من العالم الإسلامي الذي اكتفى- حتى الآن- ببعض المساعدات المادية (كمشروع إفطار الصائم ولحوم الأضاحي الذي تنفذه الندوة العالمية للشباب الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والجمعيات الإسلامية في البحرين وجمعية الشارقة الخيرية وغيرهم) لم ييأس مسلمو أراكان، ونجحوا في صياغة موقف دولي داعم لهم في إطار رفض المجتمع الدولي لسياسات النظام العسكري المستبد في بورما، ويطالبها بالانتقال إلى الحكم المدني.

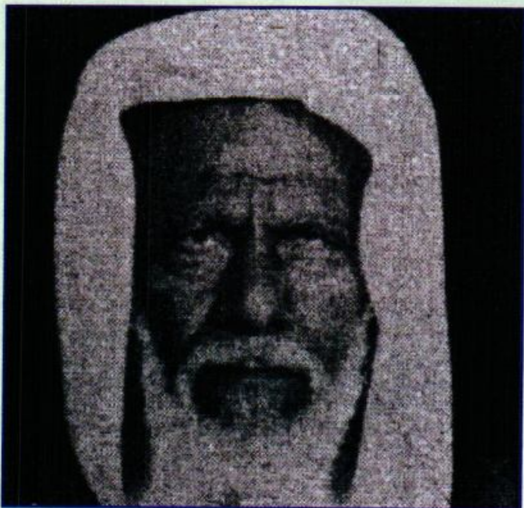
كما أنهم أنشأوا منظمة سميت «تضامن الروهنجيا» عام ١٩٨٢م، وهي المنظمة الرئيسية التي تدافع عن حقوق أبناء أراكان، وقبلها كانت توجد منظمة أربيف (جبهة الشعب الروهنجي) التي ضعفت وتضاءل دورها.

ولقد تأسست منظمة «تضامن» على يد مجموعة من العلماء والدعاة من أبناء أراكان، مثل د.محمود يونس (أول رئيس للمنظمة)، وشيخ الدين محمد نائبه وقتها، ورئيس المنظمة حالياً، والشيخ سيف الله خالد، والبروفيسور محمد زكريا، ونالت تضامن عضوية الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتعترف بها المنظمات الإسلامية الدولية الأخرى.

وتتركز أنشطة «تضامن» في أوساط لاجئي الروهنجيا المسلمين في البلاد الموجودين فيها خاصة بنجلاديش وباكستان، ولها أنشطتها داخل أراكان -وإن كان بطريقة غير علنية- حيث يمنع النظام الشيوعي العسكري الحاكم أي عمل خيري أو ثقافي أو تعليمي إسلامي، بل إنه يضع المسلمين في سجن كبير يضطرهم الى الهجرة خارج بورما، حيث يحظر النظام على أي مسلم الانتقال من قرية إلى أخرى؛ فأصبحت كل قرية سجناً بالنسبة لسكانها المسلمين. وفي ظل عدم وجود دولة إسلامية مجاورة قوية تتبنى قضية مسلمي أراكان يستغل النظام البورمي الفرصة بين الحين والآخر لتشريد المسلمين، ونهب ثرواتهم وممتلكاتهم في أراكان مما يضطرهم للهجرة.

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخلف

(١٨٩٦-١٩٨٦م)



هو الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخلف السبيعي نسبا، والكويتي بلداً، والشافعي مذهباً، وينتهي نسبه إلى قبيلة السبيعي ولقد ولد والده في مدينة الحريج في نجد وجاء يتيماً مع القافلة إلى الكويت وفي الكويت تزوج عائشة بنت عبدالله المقبل وسكن في سكة عبدالرزاق.

في سكة عبدالرزاق ولد الشيخ سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، ونشأ في حضانة والدته، حيث إن والده ترك الكويت بسبب سوء المعيشة طالباً الرزق في أرض الفاو.

وفي هذه المرحلة نشأ الشيخ في بيت اشتهر بالصلاح والتقوى فترعرع في أحضان الفضيلة، وتلقى أصول العلوم الشرعية ومبادئها فتلا كتاب الله العزيز صغيراً وحفظه، فاستقام لسانه، ووعى قلبه كتاب الله فاستضاء به، كما علمه والده القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

مصادر علمه الشرعي

ارتقى الشيخ محمد مدارج العلم.. مرحلة بعد مرحلة حتى صار علماً من أعلام المنطقة، وتولى منصب الإفتاء وهو ما يزال فتى، وقد رحل في سبيل طلب العلم إلى منابعه، ويمكن أن نجمل ذلك فيما يلي:

أولاً- المرحلة الأولى:

وفي هذه المرحلة أرسله والده إلى الكويت عندما فتحت المدرسة المباركية أبوابها في أول المحرم سنة ١٣٣٠هـ - الموافق ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩١١م، وكان عمره آنذاك أربعة عشر عاماً تقريباً.

ولكنه لم يكمل دراسته بها- على ما نعتقد- وذلك راجع لأحد سببين:

- إما لأن المدرسة المباركية قد هبت عليها رياح التجديد، وقد تزعم حركة التجديد فيها عدد من رواده، وقد كان والد فتانا من المحافظين على القديم فلم تعد المباركية مدرسة صالحة لولده.

- وإما لأن الفتى أو والد الشيخ لم يجدا في المدرسة المباركية ما يحقق طموحهما إلى طلب المزيد من العلم.. فلم تضف المدرسة جديداً إلى ما تعلمه الفتى من والده، لهذا غادرها إلى البحرين.

ثانيا- المرحلة الثانية: الرحلة إلى البحرين

انتقل فتانا من الكويت إلى البحرين سعياً وراء طلب العلم.. علّه يجد هناك ما يروي غلته، ويحقق طموحه وطموح والده، واختار البحرين لقربها وبإيعاز من والده.. وهبط محمد البحرين، وتلقى العلم فيها على يد قاضيها وعالمها الأوحد- في زمانه- الشيخ قاسم بن مهزع الذي طبقت شهرته آفاق الخليج كله.

ثالثاً- المرحلة الثالثة: الرحلة إلى الإحساء

وبعد أن روى ظمأه من علم شيخه قاسم في البحرين، وحقق مأربه، يمم وجهه شطر الإحساء، حيث «الهفوف» مدينة العلم والعلماء، وهناك أناخ مطيته بباب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الملا والشيخ أحمد العلي العرفج والشيخ محمد العثمان الشافعي وغيرهم، وعلى هؤلاء العلماء الأفذاذ درس علوم الشريعة صافية من كل شائبة.

رابعاً- المرحلة الرابعة: الرحلة إلى بر فارس

ولما كان فتانا طالب العلم من الصنف النهم الذي لا يعرف الشبع من العلم كانت رحلته الرابعة إلى بر فارس، حيث علماء المذهب الشافعي ومدارسه الشرعية، فحط الفتى رحله في إحدى مدارس المذهب، وبالأخص المدرسة الأحمدية في بلدة «لنجة»، وفيها درس على يد الشيخ محمد بن حسن القنبري (ت: ١٣٣٣ هـ)، الذي يعتبر من أبرز تلاميذ الشيخ أحمد بن محمد الصديق، المعروف بالقصاب، وربما درس- أيضا- على الشيخ أمان الحبشي، حيث كان معاصرا للشيخ محمد القنبري، ومدرساً في مدرسة الأحمدية.

ثم درس فتانا الشيخ في مدرسة الشيخ سلطان العلماء، التي بناها في سنة (١٣٣٢ هـ -١٩١٤م) الشيخ القدوة،

المربي الفاضل عبدالرحمن بن يوسف الخالدي، وتولى التدريس فيها بنفسه، فأحسن وأجاد، ونشر علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو، وقد أكرم الله فتانا الشيخ بتلقيه العلم على الشيخ عبدالرحمن في مدرسته.

خامساً- المرحلة الخامسة:

رحلته إلى بغداد

ما يزال الفتى الشيخ قادراً على الترحال، وكلما ازداد علماً ازداد نهمه وطلب المزيد، فارتحل إلى بغداد.

ومع هذا فإننا نميل، بعد تحديد السنة التي طلب فيها صاحبنا العلم ببغداد وهي (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣م)، الى ترجيح أن الذين درس عليهم هم:

١- الشيخ يوسف أفندي بن السيد محمد نجيب بن السيد أحمد بن السيد خليل.

٢- الشيخ نجم الدين) بن ملا عبدالله الدسوقي، الشهير بالواعظ.

٣- الشيخ عبدالسلام بن السيد أحمد بن السيد عبدالله بن عبدالحافظ الهيني.

أعماله

أولا: الإفتاء

بعد أن اشتد الفتى واستوى، وآتاه الله حكمة وعلما، عاد الى موطنه، وألقى عصا التسيار في «الفاو» عام (١٣٤١ هـ- ١٩٢٣م)، وكان عمره إذ ذاك خمسا وعشرين سنة، وفي هذه السن المبكرة قلده والده منصب الإفتاء، بعدما عرف ما عند ولده من علم وفقه حصله من رحلاته في دول الخليج العربي، وتزوده من مدارس العلم الشرعي في الأمصار التي ارتحل إليها.. وظل الفتى الشيخ متقلداً منصب الإفتاء حتى وافاه الأجل المحتوم.

ثانيا- الإمامة

لم يعرف شيخنا الاستقرار طويلاً، فقد ألف الانتقال من مكان إلى آخر، ولذا عاد إلى الكويت وطنه عالماً، وقد صار الفتى شيخاً، فتولى مهمة الإمامة

الشيخ ارتقى مدارج العلم.. حتى صار علماً من أعلام المنطقة وتولى الإفتاء وهو فتى

والخطابة والوعظ في أحد مساجد جزيرة «فيلكا» التي نزلها عام ١٩٤٥م، إلى جانب أنه كان يفتي الناس في أمور الدين، وما يجد لهم من أقضية، وانتقل من فيلكا إلى مدينة الكويت، واتخذ له بيتا في الشرق بقرب مسجد العوضي، وصار إماماً للمسجد وخطيباً وواعظاً.

ثم انتقل من الشرق إلى حي القادسية واتخذ له بيتا فيه، كما بنى له مسجداً كان هو إمامه وخطيبه وواعظه إلى أن مات.

ثالثا: مستشارا

كانت ترد عليه بعض المسائل من المحكمة الشرعية في الكويت بخطاب رسمي- من باب المشاورة- وكان يرد عليها.

رابعا: الدعوة إلى الله

قام الشيخ بواجب الدعوة إلى الله على بصيرة.. فسلك طريق الأنبياء والصالحين، والعلماء العاملين، ما وسعه الجهد، وكان في وعظه حريصا على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وحارب المفاسد التي أصابت المجتمع الإسلامي من التعري، والتبرج، والمجون، والفسق عن طريق وسائل الإعلام المتعددة، وكان- رحمه الله- يشدد علي مضار التلفاز على الأسرة المسلمة.

ولقد أسلم على يديه خمسة من الكفار.

الأول: هندوسي، سماه عبدالله.

والثاني: بانياني هندي أيضا، سماه محمد الصادق.

والثالث: كان صابئيا من العراق، ختنه، وسماه عبدالله موزان.

والرابع: كان أوروبياً لا يحسن العربية، رئيسا في المركب، ومعه الترجمان، ولما علم الشيخ أن ليس لهذا الرئيس أي غرض شخصي في إسلامه، أخذ ييسر له الطريق حتى أسلم على يده وحسن إسلامه، وسماه زياد سليم.

والخامس: يدعى عبدالمسيح، وكان شابا من الأناضول، جيء به فأسلم، فختنه، وعلمه أمور الدين، ولم يزل عنده في مكانة الابن.

أخلاقه وعبادته

تخلق الشيخ بأخلاق السلف الصالح، فكان- رحمه الله- عابداً، زاهداً في الدنيا وزخارفها، منقطعاً عن الناس ومجالسهم الفارغة، وكان يشغل يومه في المطالعة أو العبادة، فكان كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، كثير الحج، وكان في حجه يقضي معظم وقته في بيت الله الحرام بالصلاة حتى ليقال: إنه لا يفتر عن الصلاة فيه.

وكان شيخنا لا يترك صلاة التسابيح في ليلة الجمعة ما بين المغرب والعشاء، يصليها جماعة مع إخوانه من الصالحين.

مؤلفاته

لم يكن شيخنا مؤلفا بالمعنى المعروف، ولكنه كان واعظاً ومرشداً، وخطيبا، وقد غلب ذلك على كتاباته، فلم يكن همه منصباً على التأليف نظراً لانشغاله بالعبادة وبوعظ العامة.

١- كتاب «لسان الحال» في المواعظ والأمثال.

٢- «جواب السائل ودليل العاقل»، أورد فيه كثيراً من الخطب والأحاديث ومجالس الوعظ.

٣- ديوان شعر.. طبع في ذيل كتاب جواب السائل.

٤- كتاب «إرشاد المسلم»، يغلب على هذا الكتاب الإرشادات الفقهية وجاءت على هيئة سؤال وجواب.

وفاته

انتقل إلى رحمة الله في ١٠ من محرم سنة ١٤٠٦هـ - الموافق ١٤ من سبتمبر ١٩٨٦ غفر الله له وجزاه على ما قدم جنات تجري من تحتها الأنهار.

• المصدر: علماء الكويت وأعلامها - عدنان الرومي

مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية

عمارة السلطان قايتباي وعصر المماليك الذهبي للعمارة الإسلامية

جادالله فرحات

بدأت العمارة الإسلامية بهجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث كان أول عمل قام به ﷺ هو بناء المسجد، وكان هذا المسجد في غاية البساطة، جدره من اللبن (الطين غير المحروق) وسقفه من الجريد وعمده من جذوع النخل.

ومن المعلوم أن المسلمين في بدء الدعوة الإسلامية انصرفوا بجميع قواهم إلى الفتوحات والحروب ولم يكن هناك من مجال للاهتمام بالنواحي الفنية والإعمار. وقد أوجب تأسيس دولتهم الجديدة تجنيد جميع القوى والطاقات لتثبيت كيان ودعائم هذه الدولة حتى استقام عودها وتبوأت المقام اللائق بها بين الدول المعروفة في ذلك الوقت، فإذا ما تحقق للمسلمين ذلك انصرفوا إلى الإعمار والبناء والتفنن في الريادة والزخرفة وقد أخذ هذا الاتجاه والميل يتبلور عبر العصور الإسلامية الزاهية التي تلت عصر التقشف الذي نهجه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فصارت عمارات المسلمين ومدنهم العامرة ظاهرة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي كانت قائمة قبل الفتوحات الإسلامية.

ويعتبر عصر المماليك العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية، حيث الإقبال على تشييد المساجد والمدارس والأضرحة وغيرها والتنوع والإتقان في شتى العناصر المعمارية من منارات وقباب وزخارف كما روعي في بناء المساجد بناء المدارس والأضرحة إلى جانب المساجد ذات الإيوانات والأعمدة والأكتاف، ونحن سنتكلم عن عمارة السلطان قايتباي كمثال للعمارة الملوكية.

مسجد ومدرسة السلطان قايتباي

السلطان قايتباي هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي الجركسي، ولد في سنة ٨٣٦ هـ- ١٤٢٣م، وبويع بالسلطنة في سنة ٨٤٢هـ- ١٤٦٨م وقد ظل ملكاً لمصر نحو ٢٩ سنة وأقام كثيراً من المنشآت المعمارية من مساجد ومدارس ووكالات ومنازل وأسبلة وقناطر للمياه كما عني بالعمارة الحربية وبالحصون فأنشأ قلعة بالاسكندرية وأخرى برشيد وقد توفي في سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٦م ويُنسب إليه ما يزيد على سبعين أثراً إسلامياً ما بين إنشاء وتجديد.

مجموعة قايتباي الفنية من أبدع المجموعات المعمارية في العالم بجمال التنسيق والنسب القيم

وتعتبر مجموعة قايتباي بالقرافة الشرقية من أبدع وأجمل المجموعات المعمارية في مصر الإسلامية، وترجع أهميتها إلى جمال تنسيق المجموعة مع بعضها، وهي تتكون من مدرسة ومسجد وسبيل وكتّاب وضريح ومئذنة وقد لعبت دقة الصناعة وكذا جمال النسب دوراً مهماً في إبراز جمال هذا الأثر المعماري القيم.

ويتكون المسقط الأفقي من صحن مربع محاط بأربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذي يشرف على الصحن بواسطة عقد مدبب من طراز نعل الفرس كما هو الحال في إيوان القبلة بمدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين، وتكتنف المحراب من جهتيه نافذتان شكلهما من الخارج داخل تجويف مستطيل الشكل ومن الداخل تظهران معقودتان وتعلوهما نوافذ مدببة تملأها أجزاء من الزجاج الملون، وأسقف الإيوان الرئيسي من الخشب المزخرف والمحلى بنقوش مذهبة، وقد كان الصحن في بادئ الأمر بسقف من الخشب يعلوه منور مثمن، وبجوار إيوان الصلاة الضريح الذي يبرز قليلاً عن الواجهة الجانبية ومغطى من أعلاه بقبة حجرية محمولة على مقرنصات مزخرفة من الخارج بزخارف نباتية داخل مناطق هندسية محفورة على الحجر، والمدخل الرئيسي معقود بعقد ذي ثلاثة فصوص، وإلى يمين المدخل ترى المئذنة وتعتبر من أجمل المآذن المصرية المعروفة بنسبها الجميلة وجمال زخرفتها، وإلى يسار المدخل يوجد السبيل ويعلوه الكتاب ويعلو الواجهة افريز من الشرفات النباتية.

مدرسة الأشرفية في القدس

وتسمى المدرسة السلطانية أو المدرسة الأشرفية السلطانية نسبة إلى السلطان الأشرف قايتباي، وكان الأمير حسن الظاهري ناظر الحرمين قد قدمها سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م إلى السلطان الذي رتب أمورها وعين لها أوقافاً، ثم قام السلطان عام ٨٨٠هـ - ١٤٧٥م بهدمها وإعادة بنائها وانتهى بعد سبع سنوات وأصبحت من روائع المباني القدسية.

وتتكون المدرسة من طبقتين ومدخل جميل يمتاز بالزخارف والكتابات ويؤدي إلى دركاه فيه سلم حجري، وفي شماليها مسجد للحنابلة تشغله مكتبة المسجد الأقصى وتشكل الطبقة العليا منه مدرسة للبنات وفيه صحن وأربعة أواوين.

سبيل السلطان قايتباي بالقدس

من أشهر السبل في القدس الشريف سبيل قايتباي وقد أنشئ في عهد سيف الدين غينال وأعاد بناءه السلطان قايتباي بالحجر

الملون وفرش أرضيته بالرخام ثم جدد في عهد السلطان عبدالحميد سنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م، وهو مؤلف من بناء مربع مفتوح الجدران بنوافذ مستطيلة كبيرة ذات شباك معدني، وفي أعلى الجدران الخارجية كتابة رائعة، وتعلو هذا البناء قبة مملوكية مزخرفة بعروق نافرة فوقها رقبة ذات أركان أربعة وفتحات أربع، وينهض هذا البناء فوق بئر تعلوها خرزة والبئر محفورة في الأرض لتخزين مياه الأمطار وفوق البئر مزملة لتفريق الماء.

قلعة قايتباي بالاسكندرية

قلعة قايتباي التي مازالت بحالة جيدة منذ العهد المملوكي أبرز وأشهر أثر إسلامي في الإسكندرية وكان الملك الأشرف قايتباي آخر السلاطين المماليك قد أنشأها في وقت كانت فيه مصر تعاني اضطرابات واختلافاً مع الدولة العثمانية.

والقلعة هي برج مربع الشكل يدعم كل ركن من أركانه برج أصغر مستدير ويضم البرج عدة أبنية فيها مسجد وطاحونة وفرن ومقعد يطل على البحر الأبيض المتوسط.

عمارة السلطان قايتباي بالمسجد النبوي

احتاج المسجد النبوي الشريف في بداية عهد قايتباي إلى كثير من أعمال الصيانة والتجديد، فأسند أمرها إلى الأمير المملوكي شمس الدين ابن الزمزمي، فجدد في سنة ٨٧٩هـ سقف الظلة المحيطة بصحن المسجد من الشرق لوجود خلل في بعض أعمدتها وعقودها وجعلها بسقف واحد في مستوى السقف الأسفل لمقدم المسجد كما جدد في السنة نفسها الجزء الأمامي من جدار المسجد الشرقي مما يلي المنارة الواقعة في الركن الشمالي الشرقي والمعروفة بالنجارية ورمم ما بها من شقوق، ثم توقفت الأعمال حولا كاملا لاختلاف الآراء حول تجديد الحجرة الشريفة، ولكنهم عادوا في أوائل سنة ٨٨١ هـ فشرعوا بإشراف ابن الزمزمي أيضا في تجديد سقف الروضة المطهرة لوجود خلل فى أخشابه من نداوة الأمطار فقرروا بناء عقود من الآجر يحمل عليها سقف المسجد الأعلى عوضا عن الأخشاب التى كانت توضع من قبل بشكل أفقي فوق تيجان الأعمدة.

وقد تهيأت الظروف في المدينة المنورة بعد اكتمال الأعمال المذكورة سنة ٨٨١ هـ لاستقبال سلطان مصر الأشرف قايتباي لأداء مناسك الحج فكان قدومه إلى المدينة المنورة في موسم ٨٨٤ هـ قدوم المؤمنين الأتقياء فترجل عند دخوله المدينة المنورة وامتنع عن دخول الحجرة الشريفة وقال: لو أمكنني الوقوف للزيارة في أبعد من هذا الموضع لفعلت.

بقي المسجد النبوي الشريف محتفظا بالعمارة التي جددها ابن الزمزمي لقايتباي في نهاية ٨٨١ هـ حتى تسببت صواعق حدثت قبل صلاة الصبح في الثالث عشر من شهر رمضان المبارك ٨٨٦ هـ في إصابة أعلى المنارة الرئيسة بشرر تساقطت منه الأحجار على سطح مقدم المسجد، وعلقت فيه النار بسقوف المسجد المجاورة لتلك المنارة وامتدت منها إلى سائر أجزاء المسجد الشريف في وقت قل فيه الحضور في المسجد إلا من بعض المؤذنين والفراشين، وقد اخفقت جهودهم مع من هب لمساعدتهم في إيقاف النار التي دمرت في وقت قصير جميع سقوف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب النفيسة.

وقد هال الأمر سلطان مصر الذي أمر في الشهر ذاته بتنظيف المسجد وأوقف الأعمال التي بدأ تنفيذها في الحرم المكي الشريف آنذاك وسيرت آلات العمارة الخاصة بها مع القائمين عليها إلى المدينة المنورة، وجمع البنائين البارزين في حرف البناء الأخرى من مختلف أنحاء مصر وبلاد الشام وأسند الإشراف على البناء إلى ناظر العمارة الأولى شمس الدين بن الزمن، وقد وافق بعد التشاور مع المهندسين على هدم المنارة الرئيسة إلى أساسها ثم أعيد بناؤها على هيئة المآذن المملوكية، وشرعوا بعد ذلك في



هدم جدار القبلة بأكمله لاحتياجه إلى تعريض الأسس وتقوية البناء وكذلك سور المسجد الغربي من ركن المنارة النجارية المجاورة لباب السلام إلى باب الرحمة.

وعندما شرع البناؤون في إعادة بناء القبة الشرقية اقتضى رأيهم استحداث عدد من الأكتاف حول الحجرة الشريفة ونتيجة لضخامة هذه الأكتاف وكثرتها وتباين أحجامها فقد ضاق المسجد من هذا الجانب مما حدا بالمهندسين على هدم الجدار الشرقي من المنارة الرئيسة إلى باب جبريل وخرجوا به إلى الشرق بنحو ١٢٠م٢ ثم بنوا القبة بالآجر خلافا للخشب المستخدم فيها من قبل وقد جاءت قبة ضخمة ذات رقبة طويلة كحال قباب العصر المملوكي مما أدى إلى اختصارها أكثر من مرة.

بيد أن فرحة السلطان قايتباي بإنجاز هذا العمل لم تدم طويلا فقد فأجأته الأخبار في أوائل سنة ٨٩١ هـ بتشقق القبة الشريفة وميلان المئذنة الرئيسة فانتدب لاصلاحها الأمير شاهين الجمالي وأسند له نظارة الحرم ومشيخته وبدأ في العمل في أوائل سنة ٨٩٢ هـ فأصلح الجزء العلوي من القبة وجدد المنارة وزاد في ارتفاعها عشرون ذراعا بحيث أصبحت ١٢٠ ذراعا أي ٦٠ مترا تقريبا، ولاتزال تحتفظ حتى الوقت الحاضر بخصائص هذا التجديد بيد أن صاعقة أصابت جانبا منها في سنة ٨٩٨ هـ وسقط منها بعض الأحجار وسلم المسجد من الضرر، فقام الأمير المذكور باصلاح الخلل على وجه السرعة.



مستقبل العلم



د. مسعود صبري

تطلع الغربيون في نهاية عصر النهضة إلى أهمية العلم، وأملوا فيه أن يكون مخرجا وملاذا من الجوع والمرض ومن الحروب والدمار وغير ذلك من أسباب الهلاك الذي كانوا يعيشون فيه حينئذ، فحاولوا أن يفلتوا من أي شيء يعيقهم عن ارتقاء سلم العلم حتى ولو كان الموروث الديني. ثم أخذ الأوروبيون في بدايات القرن التاسع عشر يدركون أن العلم ليس سلما فقط للهروب من الصراعات الداخلية ومن المهلكات بل هو مفتاح لكنوز الأرض. ومن هنا آمنوا به إلها من دون الله في نهايات القرن التاسع عشر، لأنه سيحل لهم ليس فقط مشاكلهم الاقتصادية والصحية بل مشكلاتهم الدينية والنفسية وسيمنحهم الحياة السعيدة والخالدة على الأرض كما كانوا يتوهمون. ومن هنا سطر كبار فلاسفة أوروبا كتبهم حول ذلك الموضوع ومن أهم هؤلاء الفلاسفة الذين خصوا الموضوع بالكتابة أوجست كونت وارنست رينان، ولما كان الأخير قد كتب كتابا مطولا في الموضوع أردنا أن نعرض كتابه هنا لسببين: الأول، لنستبين هل نجح العلم بعد قرنين من الزمان أن يحل كل المشكلات الإنسانية رغم أنه فتح تقريبا كل مخازن الأرض؟ أما الثاني، فهو هل اكتشف الغرب حقا بعد هذا الشوط الطويل مع العلم أن الدين مجرد موروث ثقافي خرافي لا فائدة منه؟ أم أن الدين كان ولا يزال حاجة ضرورية للإنسان قدم له من لدن إله حقيقي مسيطر وفاعل بغية أن يستفيد من الكون ويعمره؟!

ومؤلف الكتاب «ارنست رينان» أديب وفيلسوف فرنسي عاش معظم القرن التاسع عشر حيث ولد عام ١٨٢٣ ومات عام ١٨٩٢ وهو في الوقت ذاته مستشرق معروف في العالم العربي والإسلامي، حيث درس ابن رشد في رسالته للدكتوراه وكتب عنه وعن الفلسفة الإسلامية كثيرا وكتب أيضا عن تاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وخص نبينا محمدا ﷺ بمقال مهم. ويُعد رينان واحدًا من كبار ناقدي الدين المسيحي بصفة عامة والكتاب المقدس بصفة خاصة، فقد قام بدراسة الأناجيل دراسة نقدية، كما كتب عن تاريخ اليهود وتاريخ الكنيسة. ويعد كتابه «حياة المسيح» أهم كتبه على الإطلاق، حيث وصف المسيح بأنه إنسان غير مقارن مما أثار عليه رجال الكنيسة، وهو صاحب فكرة الاتحاد الأوروبي بين ألمانيا وفرنسا التي ظهرت بعده بقرن تقريبا حيث كتب مقالة شهيرة في هذا الشأن وهي: ما هي الأمة؟ وكان يرى في هذا المقال أن اتحاد كل من ألمانيا وفرنسا سيؤدي لإعادة تكوين الإمبراطورية الرومانية العظيمة التي كان يحلم بها.

أما كتابه «مستقبل العلم» فلم يطبع إلا قبل موته بعامين مع أنه ذكر في مقدمته أنه ألف كتابه هذا في بدايات شبابه، ويبدو من خلال معرفتنا بتطور أسلوب المؤلف أن هذا الكتاب أعيدت صياغته بالكامل قبيل طباعته حيث لا يحمل النص أي دلالة على تسرع الشباب، بل يحمل خبرة السنين وحنكة الفيلسوف ورشاقة الأديب. وجاء الكتاب في ثلاثة وعشرين فصلا ومقدمة طويلة أشبه بفصل من فصوله، وكان الغرض منه إثبات أن العلم هو مستقبل الإنسانية وليس الدين؛ بمعنى أن العلم سيصبح بديلا عن الدين في كل شيء أو سيصبح هو ذاته دين المستقبل. فقد بشر الدين الإنسان بالسعادة في الدار الآخرة أو حين عودة المسيح عند البعض، إلا أنه يبدو أن الآخرة ما هي إلا خرافة قدمها رجال الدين ليتصبر الناس وليتحملوا الآلام والمتاعب في سبيل سعادة أبدية آتية، كما يبدو أن المسيح لن يأتي إلى الأرض أبدا، فهو إنسان عظيم ومميز مات كغيره من البشر، وما عودته إلا تسلية عن الصعاب والشقاء لمن يؤمن بذلك. أما العلم فسوف يحل كل المشكلات التي تواجهها الإنسانية وربما يحل مشكلة الموت نفسها.

ركز المؤلف في الفصل الأول على مبدأ يراه غاية كل دين، بل هو دون سواه الجزء الذي لا يمكن إهماله من أي دين؛ ألا وهو الجانب الأخلاقي، حيث يعد هذا الجانب مبدأ كل شيء نبيل في تلك الحياة. ثم حمل المؤلف على مذهب التقشف المسيحي (الرهبانية) الذي أدى -في رأيه- إلى أن ترسف الإنسانية في أغلال الجهل، فبدلا من الانغماس في الحياة واكتشاف معانيها أبعد التقشف المسيحيين عنها، وبالتالي أصبح التطور العقلي بلا جدوى. ثم يذكر أن قيمة الإنسان ترتفع عن الحيوان بالمعرفة، حيث إن أفضل المشاعر هي تلك التي تأتي من أفضل فكرة، وأفضل فكرة تؤدي لأفضل عمل، كما أن الإنسان الكامل هو ذلك الذي يكون شاعرا أو فيلسوفا أو عالما. فهذا هو الإنسان الفاضل وليس ذلك المتقشف المنسحب من الحياة. ومن هنا فالمؤلف ظل يحمل على التقشف والزهد الذين دعت إليهما المسيحية، لأنه كان من نتيجته البعد عن الأخذ بمنهج العقل والعلم مما أخر أوروبا قرونا كما حدث في العصور الوسطى. لهذا يجب أن تكون الأخلاق مفتاحا للعلم

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

والمعرفة وليس للتقشف، ويجب أن يكون القديس الحقيقي هو ذلك الذي يضحي بحياته من أجل الحياة النموذجية والمفيدة، وليس ذلك المنعزل عن الدنيا. ولهذا يرى رينان أن باسكال أحد علماء الرياضيات في عصر النهضة هو القديس الحقيقي، لأنه خدم الإنسانية بعلمه.

ثم جاء الفصل الثاني ليؤكد فيه المؤلف على أهمية المعرفة وكيف أنها يجب أن تكون أولى قواعد الدين، فبدونها لن يفهم الإنسان الألوهية، ولن يعرف نفسه، وبواسطة المعرفة والحب يعرف الإنسان كيف يرتبط بالأشياء، وبالعلم وحده يشكل الإنسان الحقائق الضرورية لحياته ويحل صعابها ويكتشف أسرارها، فبالعلم يمشي الإنسان رافعا رأسه بدون خوف من الحياة، ليفعل كل ما يراه خيرًا من أجل نفسه ومن أجل الإنسانية. ولا يجب أن ينتظر الإنسان عمل التاريخ والزمن فيه كما كان في الماضي، بل يجب أن يعمل هو فيهما، فحركة التاريخ هي نتاج عمل ذلك الإنسان. ويجب أن يتحول العلم إلى عقيدة يُبحث عنها بأي ثمن فهي التي ستحقق رسالة العقل ليصلح المجتمع، ولا يجب أن نعتمد على مجرد التفاؤل المقدم بواسطة الدين فلن يقدم التفاؤل أي شيء بدون جهد وعمل. ويجب أن نواصل ثورتنا ضد الظلم وضد الجهل لإصلاح مجتمعنا بأنفسنا وبلا واسطة لنسيطر على الكون ولا ننتظر الآخرة..

ثم تتابعت فصول الكتاب الثلاثة والعشرون لتؤكد على أن العلم يمكنه أن يكون بديلا حقيقيا عن الدين في المستقبل.

فيلسوف القرن التاسع عشر كان يحلم باختفاء الإسلام وبروز العلم كدين القرن العشرين .. فهل تحققت أمنيته؟

فالعلم وحده هو الذي يقدم الحقيقة الحيوية والضرورية للإنسان، ومن غيره لا تطاق الحياة ولا يستقر المجتمع، وأخذ يبين أن العلم قبل عصر النهضة الأوروبية لم ينجز شيئا ذا بال، إنما العلم الذي كان يتطلع إليه المؤلف هو ما جاء بعد عصر النهضة الأوروبية، حيث أخذ العقل مكانه الحقيقي. ثم حمل المؤلف على الذين انتظروا شيئا من الدين، فحتى الإسلام الذي يقدر العلم فهو -من وجهة نظره- متناقض ولم يقدم تطورا علميا حقيقيا، فرغم أن مصادره أكثر مصداقية تاريخية فإنه الأضعف والأكثر سذاجة كما يقول المؤلف. ومع أن معظم مؤسسي العلم الحديث مؤمنون مثل كيبلر ونيوتن وديكارت فقد بقيت الروح الدينية أكبر عائق للتطور العقلي والعلمي. وذلك لأن هناك تناقضا أصلا بين العلم والوحي؛ لأنه مع الوحي يصبح دور العلم ثانويًا لا يستحق التضحية، فلا يمكن للإنسان أن يخدم سيدين في وقت واحد: الله والعلم.

ولن ينجز العلم مهامه إلا إذا تخلص تماما من الغيب، فالإيمان بالمعجزات يعني أن نستسلم لحكم الخيال ولا نعتد بقوانين الكون الصارمة. ثم بعد أن يبلغ العلم مداه في المستقبل لن يكون هناك غيب أصلا، فكل شيء سيصبح شهادة وواقع يمكن التحكم فيه. والعلم التجريبي سيعطي الإنسان الشعور بالحياة الحقيقية. والأعمال العلمية الحديثة التي تقوم على النقد ستهدم كل النظم العقائدية المرتبطة بالغيب. والإسلام الذي أبدى صلابة في هذا الجانب سيختفي بواسطة العلم الأوروبي في القرن العشرين. وينسب رأيا غير صحيح لرفاعة الطهطاوي ويبني عليه حكما بأنه ربما يأتي اليوم الذي تصبح فيه تلك الآراء المنحرفة عن الإسلام أقوى من القرآن! وليؤكد المؤلف فكرته تلك ذهب إلى أن تفسير الكتب المقدسة والتراثية ما هو إلا ثورة على تلك الكتب ومحاولة للإفلات من طوقها. ولم يثبت على الدين إلا المتمسكون بحرفية التراث lorthodoxe الذين يحاولون صنع المستحيل وهو الجمع بين العلم والدين. لأن الحقائق لا تناقض نفسها، ولما كان العلم يناقض الوحي، فإذن الدين هو من اختراع البشر أنفسهم وليس حقيقة يقينية.

ثم حاول رينان في الفصل الرابع بالذات أن يحمل على الملحدين والذين يعيشون بلا دين ووصفهم بأنهم أشخاص لا قيمة لهم، ومن هنا فلابد للإنسان أن يكون مؤمنا، لكن هذا الإيمان لابد أن يتحول عن الدين الموحى به إلى الدين الجديد الذي أنتجه الإنسان، ألا وهو العلم. فيجب أن يتطور المجتمع ليفهم العلم وليضع القواعد التي تساعد الضعفاء والفقراء ولا تترك الأغنياء وحدهم يجنون ثمار هذا العلم.

ثم حاول رينان أن يُقَوّم الدين من خلال العلم ويحدد مستقبله من خلال رؤيته للعلم. فيقول في الفصل الخامس: فإذا كنا نقصد بكلمة دين: العقائد والتقاليد التي تظهر في مسوح التصوف والشعائر التي كانت في الماضي فيجب القول: إن الدين مثّل تراثا بشريا لكنه سيختفي. أما إذا قصدنا من الدين أن يكون عقيدة مليئة بالحماس والعمل ومتوجة بالتطور والتضحية من أجل الآخرين فستظل الإنسانية متدينة. وهكذا يربط رينان استمرار الدين بمفهومه هو له، حيث لو كان المقصود من الدين الوحي والتراث فهو إلى زوال. أما إذا كان المقصود به طاقة روحية يستشعرها الإنسان وينتجها خدمة لنفسه وللآخرين فسوف تستمر تلك الطاقة. وأخذ رينان يعدد أهمية العلوم وتصنيفها والتي جعل على رأسها الفلسفة التي لا تعدو أن تكون علما في حد ذاتها، إنما هي إطار كل العلوم. ثم يأتي بعد الفلسفة علم السياسة، ثم العلوم التجريبية والتطبيقية، وكل فرع من فروع العلوم التطبيقية لابد أن يخدم التطور ويحل المشكلات. وتمنى المؤلف أن يتقدم علم النفس ليكون أكثر مما هو عليه في عصره ليكتشف جوهر الإنسان ويحلل دواخل النفس الإنسانية ودوافعها وكيفية تربيتها على أحسن وجه. ويجب دراسة لغات الإنسان وتاريخه. ويعد هذا الفن هو الوحيد من بين المعارف التي يرتبط فيها القديم مع الحديث ومع المستقبل.

هكذا كان يحلم رينان فيلسوف القرن التاسع عشر. ونحن من جانبنا نتساءل بعد أن انتهى القرن العشرون وآمن الإنسان بالعلم كما كان يحلم فلاسفة التنوير وبلغ العلم ما بلغ، هل استراح الإنسان؟ وهل تخليه عن الدين أوصله للطمأنينة التي كان ينشدها؟!

إعداد : علي الحربي

ديل تنتج نظام GPS يتلاءم مع الحاسب المحمول

أعلنت شركة ديل الرائدة في صناعة الحواسيب المحمولة إصدار نسخة من النظام العالمي لتحديد المواقع GPS وبطاقة Wi-Fi التي تتلاءم مع أجهزة الحاسب المحمول التي تنتجها الشركة، وأكدت الشركة أنه في حالة تركيب النظام الجديد فإن صاحب الحاسب المحمول يستطيع استخدامه بديلاً لأنظمة التوجيه المنتشرة حالياً مثل Garmin و Tom Tom، وأشار مدير المنتجات اللاسلكية في شركة ديل إلى أن الهواتف الذكية تحتوي علىGPS ونحن الآن ننوي إضافتها لأجهزتنا الحاسوبية المحمولة لتكون قادرة على تحديد مكان صاحبها وإرشاده إلى المكان الذي يريد.

وسيكون المنتج الجديد من ديل قادراً على تزويد المستخدم بصور ثنائية الأبعاد وأخرى ثلاثية الأبعاد، كما سيحتوي على الإمكانات التي تتوافر في أغلب المنتجات المنافسة، كالقدرة على حفظ طريق رحلة مثلاً بالإضافة إلى القدرة على إعطاء الإرشادات الصحيحة للطريق، ويعاب على هذا المنتج أنه يجب على المستخدم اصطحاب جهازه المحمول إذا ما أراد استخدام الجهاز الملاحي لمعرفة الطريق، في الوقت الذي يستطيع الشخص فيه الاستغناء عن الحاسوب واستخدام منتجات أخرى كالهاتف النقال الذي يحوي الخدمة نفسها، وتخطط ديل كغيرها من الشركات لتقديم عدد من الإكسسوارات الخاصة بالمنتج كالمثبت في السيارة والشاحن وغيرهما.

كمبيوتر يُجري ألف تريليون عملية في الثانية

بدأ أسرع كمبيوتر في أوروبا عمله في مدينة يوليش الألمانية، حيث يستطيع الكمبيوتر العملاق يوجينه إجراء ألف تريليون عملية حسابية في الثانية، ويصبح هذا الكمبيوتر بذلك الأول في أوروبا الذي تبلغ قدرته الحاسوبية «واحد بيتا فلوب»، وسيستخدم هذا الجهاز الفائق القدرة في المحاكاة العلمية للظواهر الطبيعية مثل ظاهرة التغير المناخي على سبيل المثال أو معرفة كيفية عمل ما يعرف بأشباه الموصلات.





تعطيل المؤثرات البصرية للويندوز يرفع أداء الكمبيوتر



المؤثرات البصرية أو الـAnimation تضفي مظهراً جذاباً على واجهة استخدام نظام التشغيل الذي نقوم باستعماله، ويتميز نظام تشغيل شركة مايكروسوفت ويندوز بالعديد من المؤثرات البصرية، إلا أن تلك المؤثرات غالباً ما تؤثر في سرعة أداء الكمبيوتر، ولذلك يلجأ العديد من المستخدمين إلى إلغاء المؤثرات البصرية إذا وجد أنها تؤثر على سرعته، وأوضح الباحثون: لكي نقوم بعمل ذلك في نظام ويندوز XP نبدأ من My Computer ونضغط عليه بزر الفارة الأيمن ثم نختار Properties من القائمة الفرعية التي سوف تظهر لتفتح لنا نافذة System Properties ثم نختار Advanced وعن طريق Performance نضغط على Settings لتفتح لنا نافذة Performance Options وعن طريق النافذة السابقة نختارAdjust For Best Performance لتعطيل كل المؤثرات الحركية وبالتالي تحقيق أعلى أداء للجهاز، أما لو كنت من مستخدمي نظام ويندوز Vista فالخطوات تقريباً واحدة مع اختلاف المسميات بعض الشيء، فبعد اختيار Properties من خطوة My Computer نختار Advanced System Settings ونتبع الخطوات نفسها حتى النهاية كما في نظام ويندوز اكس بي.

ارتفاع كبير في حوادث أجهزة الكمبيوتر

سجلت دراسة حديثة ارتفاعاً كبيرًا في عدد الحوادث الناجمة عن أجهزة الكمبيوتر منذ أن أصبح الكمبيوتر متاحاً في المنازل، وكشفت الدراسة التي أجراها باحثون من جامعة أوهايو الأميركية ومركزين أميركيين لأبحاث الحوادث أن عدد حالات الإصابة التي تسببت فيها الكابلات وأجهزة الكمبيوتر والأجهزة الملحقة بها تضاعف سبع مرات في الفترة بين ١٩٩٤ و٢٠٠٨، وأظهرت الدراسة أن أكثر الأشخاص المعرضين للإصابة من جراء اصطدامهم بهذه الأجهزة أو التعثر بها أو حملها لتغيير وضعها هم الأطفال دون ٥ سنوات وكبار السن فوق ٦٠ عاما.



موقع رسول الله ﷺ

الهدف من موقع رسول الله ﷺ ليس مجرد سرد السيرة فقط من منظور تاريخي، إنما الهدف هو أن نجدد حبنا للمصطفى ﷺ، فهذا هو الغرَض الأول ثم أن نتأسّى بالمصطفى ﷺ، وهذا هو الهدف الثاني وصدق الله إذ قال ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) أما الهدف الثالث فأن نجعل من الأخلاق التي أكرم الله عز وجل بها رسوله محمداً ﷺ منهج دعوتنا إلى الله وأساسَ حوارنا مع عباد الله سبحانه وتعالى، والمشرف على هذا الموقع هو الداعية المشهور الشيخ محمد حسان.



إعداد : هالة محمد

أردني يخترع جهازاً كهروميكانيكيا لتشحيم الآليات



اخترع شاب أردني جهازاً كهروميكانيكيا لتشحيم الآليات وسحب الزيوت المحروقة منها وتزويدها بالزيوت بكفاءة وسرعة عالية في أي موقع تتواجد فيه.

وقد حصل الشاب محمد العويرات على براءة لاختراعه من وزارة الصناعة والتجارة الأردنية مؤخراً، يذكر أن للجهاز استخدامات عدة أبرزها تشحيم الآلات الثقيلة كالجرافات والقلابات والمعدات العسكرية الثقيلة كالدبابات وناقلات الجنود عبر شبك تايمرات كهربائية مع صمامات كهرومغناطيسية تقوم بتزويد الأجزاء المستهدفة بالتشحيم بصورة تلقائية، مما يوفر الوقت والجهد والأيدي العاملة وزيادة مرونة المحركات.

ونقل عن العويرات قوله إنه بإمكان هذا الجهاز تزويد الآلات الثقيلة بخمسة أنواع من الزيوت، كما أنه يقوم بسحب الزيوت المحروقة من الآلات الثقيلة في أي مكان من دون الحاجة إلى نقل هذه الآلات إلى أماكن تغيير الزيوت.

الرضع يجمعون المعلومات طوال الوقت



توصل علماء أميركيون إلى أن الأطفال الرضع أكثر ذكاء مما كان يعتقد في السابق.

ووجدت دراسة حديثة نشرت في مجلة «العلوم النفسية» أن بإمكان الطفل الرضيع في الشهر الخامس من العمر التمييز بين كوب ماء وبين كتلة زرقاء تشبهه تماماً.

وفي هذا السياق، قال الباحثون في جامعة نورث وسترن الأميركية إن قدرة الأطفال على التمييز بين المواد السائلة والصلبة في هذا العمر تعني أن لديهم معرفة فطرية، وليسوا بحاجة إلى مساعدة الآخرين لاكتساب المعرفة.

وقالت الباحثة سوزان هسبوس: «أظهر البحث أن الأطفال يجمعون المعلومات كل الوقت وهذا أمر مدهش».

نبات عشبي بماليزيا يك

توصل فريق علمي مشترك من الولايات المتحدة الأميركية وماليزيا، إلى اكتشاف مادة فعالة في نبات عشبي يعرف باسم «عكازة علي» يمكن استخدامها بشكل موسع في مكافحة أمراض السرطان ونقص المناعة المكتسبة «الايدز».

وأكدت وزارة العلوم والتكنولوجيا والإبداع الماليزية أن النبات الذي يستخدم في انتاج مشروبات صحية تبين أنه يحتوي علي مواد لها القدرة على أداء وظيفة اخرى كمضادات للسرطان والملاريا إلى جانب قدرتها على مكافحة الايدز.

وذكرت الوزارة في بيان لها أخيراً أن هذا الاكتشاف جاء نتيجة

تأثيرات بيئية للاحتباس الحراري

أظهرت دراسة لنشطاء مهتمين بالطبيعة لاحظوا بناء الطيور اعشاشها مبكراً، وتفتح أزهار النباتات مبكراً، أن الربيع حل مبكراً أكثر من أي وقت مضى هذا العام في بريطانيا، وذلك نتيجة للتغيرات المناخية.

فعلى الرغم من مرور بريطانيا بواحد من أكثر مواسم الشتاء برودة في التاريخ الحديث فإنه قد برزت ثمة أدلة على أن الحياة البرية تستجيب للموسم الجديد في وقت أبكر بثلاثة أسابيع.



فلا يبدأ فصل الربيع رسمياً إلا بعد تساوي الليل مع النهار (أي النصف الثاني من مارس من كل عام) وبالفعل فقد أبدى آلاف الناس ملاحظاتهم للجمعية البريطانية للطبيعة حول التغيرات الطبيعية والمناخية.

ويقول المشرف على الدراسة شون نيكسون ان «توقيت الأحداث الطبيعية هو أحد أبرز الاستجابات الطبيعية للاحتباس الحراري، ولذلك فإنه مؤشر مهم على التغيير، اننا نشهد ما يشبه العودة إلى شتاءات الماضي».

وعبرت الجمعية عن مخاوفها من ان يتم استغلال مختلف الكائنات لبدء نشاطها مبكراً بسبب دفء الطقس، وبذلك تصبح عرضة لنوبات البرد، وكذلك من أن يصبح هناك المزيد من الضغوط على المواد الغذائية.

ويقول نيكسون إنه «ستكون ثمة تغيرات عاماً بعد عام، ولكن إذا عدنا الى الوراء ثلاثين عاماً يمكن أن نرى تقدماً ملحوظاً في موسم الربيع يصل إلى إسبوعين للحشرات وأسبوع واحد للمزروعات».

وأصدر هذا العام أكثر من ٢٥٠٠ عالم بيئي تحذيراً للسياسيين من تأثيرات الاحتباس الحراري اذا فشلت الحكومات في الحد من انبعاث الغازات.

وفي هذه الأثناء، يقول العلماء إن قدوم فصل الربيع قد يرفع معنويات الناس، ولكن قد يسبب الصداع النصفي فقد أشارت دراسة إلى أن ارتفاع درجات الحرارة يزيد اعداد الناس المصابين بالصداع بأنواعه.

...افح الإيدز والسرطان

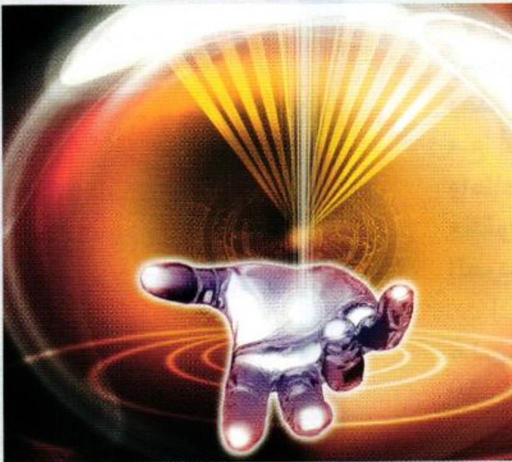
برنامج الأبحاث المشتركة بين ماليزيا ومعهد «ماساتشوستس» الأميركي للتكنولوجيا والتي تركز على مجال التكنولوجيا الحيوية.

ولفت البيان الى أن المواد النشطة التي تحتويها نبتة «عكازة علي» التي تم تطويرها لإنتاج أدوية طبية على شكل كبسولات أثبتت فعاليتها وأثرها على وظائف الأعضاء وقدرتها على الوقاية من العديد من الأمراض الخطرة، حسب وكالة الأنباء الإسلامية.

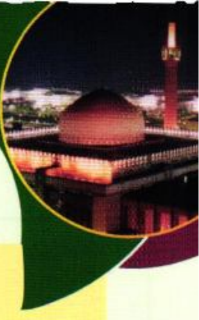
وتعتبر نبتة عكازة علي من الأعشاب الثرية بالمواد المنبهة والمنشطة في جسم الإنسان على الرغم من احتوائها على نسب صغيرة جداً من الكافيين.

وتقوم شركات عدة في ماليزيا بتصنيع هذه النبتة من خلال استخلاص عصارتها واستخدامها في انتاج مشروبات صحية تلقى رواجاً في ماليزيا، ونجحت اخيراً في دخول السوق الياباني.

تيارات كهربائية لتقوية الذاكرة



قال علماء ألمان إن تحفيز الدماغ بتعريضه لتيارات كهربائية خفيفة أثناء النوم يساعد على تقوية الذاكرة، وعندما قام العلماء بتعريض طلاب يدرسون الطب لعدة تيارات كهربائية تشبه الموجات الطبيعية المتذبذبة في الدماغ أثناء النوم، فإنهم نجحوا في تقوية ذاكرة الطلبة ويعتقد العلماء الذين نشرت نتائج دراستهم أن تحفيز المخ قد يساعد الذين يعانون من متاعب تتعلق بالذاكرة ومرض الزهايمر.



لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

لا شك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



مشاركة المرأة بمسابقة القرآن الكريم أمام الرجال

(٥٥١٧) تعتزم وزارة التربية إقامة مسابقة في تلاوة القرآن الكريم لطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية وبثها عبر التلفزيون على الهواء مباشرة، فهل يجوز شرعاً أن تبث وقائع المسابقة عبر شاشة التلفاز؟

الأصل أن صوت المرأة ليس بعورة، وأن لها شرعاً أن تقرأ القرآن حسب قواعد التجويد، وأنه لا مانع من إقامة هذه المسابقة لتلاوة القرآن الكريم للطالبات لما فيها من الحث على حفظ كتاب الله وتلاوته، وذلك بشرط أن يلتزمن بالضوابط الشرعية، سواء من حيث التلاوة أو اللباس أو غيرهما، وأما بثها عن طريق التلفاز فليس هناك ضرورة أو حاجة تدعو لذلك. والله أعلم.

كتابة اسم الله على غلاف البضاعة

(٥٥٢٢) هل يجوز ترويج البضاعة وجعل شعارها لفظ الجلالة، حيث إنها بعد استعمالها غالباً ترمى بالزبالة مع أنها تباع بالجمعيات التعاونية؟ واطلعت اللجنة على غلاف كرتوني مكتوب عليه كلمة «فرج الله» باللغتين العربية والإنجليزية.

إذا كانت جملة «فرج الله» المكتوبة على علبة الحلوى المرفقة هي اسم للشركة المنتجة لها، أو اسم للصانع، أو اسم للمصنوع، فلا مانع منها للحاجة إلى ذلك، ويجب في هذه الحال على مشتريها ومتداولها ألا يلقي بها بعد استهلاك ما فيها في القمامة، ولكن يحرقها أو يقطعها أو يتلفها بأي طريقة أخرى لا تدل على احتقارها أو التهاون فيها. والله أعلم.

غسل المرأة بعد التلقيح الصناعي

(٥٥٣٥) هل يجب على المرأة الغسل بعد أن استدخلت البويضة الملقحة بمني زوجها؟

لا يجب الغسل على المرأة بإدخال النطفة الملقحة إلى رحمها. والله أعلم.

الصلاة في الطائرة

يرجى التكرم بإفادتنا عن جواز الصلاة في مقعد الطائرة خلال رحلة السفر، حيث قد يصعب على الركاب أداء الصلاة واقفين في الطائرة خلال الرحلة بسبب وجود مطبات هوائية مفاجئة، هذا بالإضافة إلى أن الأماكن الفسيحة تكون عادة ممرات خدمة.

إن الصلاة إذا حلت على المسافر بالطائرة، فيلزمه أن يصلي قبل خروج الوقت، إلا إذا كان يجوز له جمع التأخير فيجوز له أن يؤخر إلى الوقت الذي يليه، وإذا لم يتمكن أن يصلي بالوضوء فليتيمم، ويتوجه إلى القبلة إن كان هناك متسع لذلك، فإن لم يتمكن جاز له أن يصلي إلى الجهة المتيسرة له ويصلي بالإيماء إن لم يتمكن من أداء الصلاة على وجهها.

استخدام الخطيب الحاسب الآلي على المنبر

(٥٥٤٧) شاهدنا قبل أيام في أحد المساجد عندنا خطيباً قد أدى خطبة الجمعة مستعيناً بالحاسب الآلي (المحمول) على المنبر، حيث إنه وضع المحمول على طاولة صغيرة أمامه على المنبر، وكان يخطب ارتجالاً، ولكنه عند ذكر الأدلة في خطبته كان يقرأ هذه الأدلة من الجهاز ذاكراً مصدر



الدليل وكذلك مخرجاً الآيات، وقد اختلف الناس بعد الخطبة بين مؤيد ومعارض. أفيدونا.

لا مانع من استعمال الحاسب الآلي على الصورة الواردة في السؤال، مادام مقتصراً على الخطبة دون الصلاة. والله أعلم.

وتوصي اللجنة الخطباء بأن يجتهدوا في حفظ ما يستشهدون به من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإن ذلك أوقع أثراً، وأبلغ تأثيراً في نفوس المصلين، فضلاً عما يناله من أجر بإذن الله تعالى. والله أعلم.

القراءة من الكمبيوتر في النافلة

(٥٥٥٠) هل يجوز لأئمة المساجد وضع جهاز كمبيوتر أمامهم في صلاة التراويح والقيام بديلاً عن المصحف، حيث إنه يوجد برنامج على الإنترنت يعرض المصحف كاملاً، ويتم التحكم بتقليب صفحات المصحف عن طريق الريموت (جهاز صغير يدوي).

تكره القراءة من المصحف على الصورة الواردة في السؤال، بأن يظهر المصحف على شاشة الكمبيوتر أمام نظر الإمام في المحراب، وذلك لما فيه من كثرة الانشغال من الإعراض أو التهاون في حفظ القرآن الكريم، ولقد جاء في الحديث الصحيح «يؤم القوم أقرؤهم» أي أحفظهم للقرآن، ومع القول بالكراهة فالصلاة صحيحة، والأولى تجنيب صلاة المأمومين المكروهات حتى تقع صلاتهم موقعاً يطمئنون معه إلى خلوها من كل موجب للتقصير فيها، ولأن ذلك قد يؤدي إلى عدم الخشوع. والله أعلم.

من القواعد الفقهية

١- الأصلُ براءةُ الذِّمَّة من الواجبات، ومن حقوق الخلق حتى يقوم الدليلُ على خلاف ذلك.

٢- الأصلُ بقاءُ ما اشتغلت به الذِّممُ من حقوق الله، وحقوق عباده حتى يُتيقنَ البراءةُ والأداءُ.

٣- كلُّ ما فيه عدد من العبادات: فإنّ المُتيقَّن هو الأقلّ، والزّيادةُ من الشّكّ.

٤- المشقَّةُ تجلبُ التيسيرُ.

٥- ضابطُ المشقّة: المشقّة الزائدة التي لا يمكن للمكلّف أن يستمرَّ على تحمّلها عادةً إلا ببذل أقصى الجهد، ولا يُمكن المداومة عليها؛ بحيث تؤدّي إلى وقوع الضّرر، أو الأذى في النفس، أو المال.

٦- لا واجبَ مع العجزِ، ولا محرَّمَ مع الضّرورة.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية
عبدالرحمن السعدي

من قرارات هيئة كبار العلماء (الدورة الثالثة)

تمثيل الصحابة

١- إن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة، وبَيَّنَ منزلتهم العالية، ومكانتهم الرفيعة. وفي إخراج حياة أي منهم على شكل مسرحية أو فيلم سينمائي منافاة لهذا الثناء الذي أثنى الله تعالى عليهم به وتنزيل لهم من المكانة العالية التي جعلها الله لهم وأكرمهم بها.

٢- إن تمثيل أي واحد منهم سيكون موضعاً للسخرية والاستهزاء به، ويتولاه أناس غالباً ليس للصلاح والتقوى مكان في حياتهم العامة، والأخلاق الإسلامية، مع ما يقصده أرباب المسارح من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي، وأنه مهما حصل من التحفظ فسيشتمل على الكذب والغيبة، كما يضع تمثيل الصحابة رضوان الله عليهم في أنفس الناس وضعاً مزرياً، فتتزعزع الثقة بأصحاب الرسول ﷺ وتخف الهيبة التي في نفوس المسلمين من المشاهدين، وينفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، والجدل والمناقشة في أصحاب محمد ﷺ ويتضمن ضرورة أن يقف أحد المثلين موقف أبي جهل وأمثاله، ويجري على لسانه سب بلال وسب الرسول ﷺ وما جاء به من الإسلام، ولاشك أن هذا منكر، وكما يتخذ هدفاً لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ.

٣- ما يقال من وجود مصلحة، وهي: إظهار مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، مع التحري للحقيقة، وضبط السيرة، وعدم الإخلال بشيء من ذلك بوجه من الوجوه؛ رغبة في العبرة والاتعاظ- فهذا مجرد فرض وتقدير، فإن من عرف حال المثلين وما يهدفون إليه عرف أن هذا النوع من التمثيل يأباه واقع المثلين، ورواد التمثيل، وما هو شأنهم في حياتهم وأعمالهم.

٤- من القواعد المقررة في الشريعة: أن ما كان مفسدة محضة أو راجحة فإنه محرم، وتمثيل الصحابة على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته راجحة؛ فرعايةً للمصلحة، وسداً للذريعة، وحفاظاً على كرامة أصحاب محمد ﷺ يجب منع ذلك.

وقد لفت نظر الهيئة ما قيل من أن محمداً ﷺ وخلفاءه الراشدين هم أرفع من أن يظهروا صورة أو صوتاً في هذا الفيلم- لفت نظرهم إلى أن جرأة أرباب المسارح على تصوير «بلال» وأمثاله من الصحابة إنما كان لضعف مكانتهم، ونزول درجتهم في الأفضلية عن الخلفاء الأربعة، فليس لهم من الحصانة والوجاهة ما يمنع من تمثيلهم وتعريضهم للسخرية والاستهزاء في نظرهم، فهذا غير صحيح؛ لأن لكل صحابي فضلاً يخصه وهم مشتركون جميعاً في فضل الصحبة وإن كانوا متفاوتين في منازلهم عند الله جل وعلا، وهذا القدر المشترك بينهم وهو فضل الصحبة يمنع من الاستهانة بهم.

واحة الإيمان

إعداد : محمد شفيق

من روائع الحكمة

■ إذا أوتيت علما فلا تطفئ نوره بظلمة الذنوب.
■ لا ينال ما عند الله إلا بعين شاهدة ونفس مجاهدة.
■ الكريم من كف أذاه والقوي من غلب هواه.
■ الناس من خوف الذل في ذل.
■ كلما زاد عدد الجهلاء ارتفعت قيمة الأذكياء.
■ اعرف قيمة ساعاتك، واحرص على دقائقك وثوانيك.

من أعطي أربعا لم يمنع أربعا

■ قال حكيم: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.

أعظم جرعة

■ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله» رواه ابن ماجه.

السيدة والمتسول

■ أعطت سيدة متسولاً أتقن تمثيل العرج بعض المال، ثم قالت تواسيه: من المؤلم حقا أن يفقد المرء إحدى ساقيه، ولكن عليه أن يحمد الله على أنه أحسن ممن فقدوا نعمة البصر، فقال المتسول: صدقت يا سيدتي فحينما كنت أعمى كانت الهبات التي أحصل عليها من النقود المزيفة!

النفس

■ وقال سهل بن عبدالله: الجاهل ميت والناسي نائم، والعاصي سكران والمصر هالك، والإصرار هو التسويف، والتسويف أن يقول: أتوب غداً، وهذه الدعوى النفس، كيف يتوب غداً، وغد لا يمكنه!

القلوب كالقدور

■ القلوب كالقدور في الصدر تغلي بما فيها، ومعارفها ألسنتها، فانتظر الرجل حتى يتكلم فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض، وعذب وأجاج.

كلمات ومعان

الخاتون: هي المرأة الشريفة.
الضعضعة: الخضوع والتذلل.
الغيهب: شدة سواد الليل.
أبو البهلول: القمر ليلة البدر.
القهرمانة: هي مديرة البيت ومتولية شؤونه.
العرندسة: الناقة القوية.
مازن: بيض النحل.
صرصر: شديد البرد.
البث: الحزن الشديد.
الدوسر: الضخم من الإبل.
الأنف: الجديد من كل شيء.

نعم الله

■ على كل عاقل أن يفطن إلى نعم الله عليه بالإحسان، ومحاسبة النفس ورقابة الضمير، ورحم الله من قال:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح مات من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

من كتب السنة

■ صحيح البخاري: ٧٥٩٣ حديثاً ■ صحيح مسلم: ٣٠٣٣ حديثا ■ سنن الترمذي: ٣٩٥٦ حديثا ■ سنن النسائي: ٥٧٥٨ حديثاً ■ سنن أبي داود: ٥٢٧٤ حديثاً ■ سنن ابن ماجه: ٤٣٤١ حديثاً ■ سنن الدارمي: ٣٥٠٣ حديثاً ■ موطأ مالك: ١٨٩١ حديثاً ■ مسند أحمد: ٢٧٧٤٦ حديثا.

اليقين هو العين الثاقبة

■ اليقين هو العين الثاقبة التي تريك الأعمال على حقيقتها، فما كان لك في الآخرة أمضيته، وما كان عليك في الآخرة أعرضت عنه وطرحته، كم من عين مبصرة وبصيرتها عمياء، وقلب ينبض ولا روح فيه، وأناس يمشون على الأرض وهم في القبور منذ زمن، وما أصدق قول الشاعر يصف الموقن بقوله:

متيقظ العزمات ما نهضت به
عزماته نحو العلا لم يقعد
يكاد من نور البصيرة أن يرى
في يومه فعل العواقب في غد

أصوات الأشياء

■ صوت الريح: هزير، صوت الرعد: هزيم، صوت الجن: عزيف، صوت الشجر: حفيف، صوت الرحى: جعجعة، وصوت الحلي: وسواس، صوت القلم: صرير، صوت المفتاح: قلقلة، صوت الطبل: درداب، صوت الأوتار: طنطنة، صوت الحجام: ضغيل، صوت النحل: دوي.

أوصاف الرجل السيد

■ الحُلاحل: السيد الشجاع، الهمام: السيد البعيد الهمة، القمقام: السيد الجواد، الغطريف: السيد الكريم، الصنديد: السيد الشريف، الأروع: السيد الذي له جسم وجهارة، الكوثر: السيد الكثير الخير، البهلول: السيد الحسن البشر، المعمم: الرجل المسود في قومه.

ألا موت يباع فأشتريه

■ كان لمحمد المهلبي قبل أن يترقى وزيراً حال ضعيف، فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث إلا أنه من أهل الأدب، فأنشد يقول:

ألا موت يباع فأشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على أخيه

قال: فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد رمقه، وحفظ الأبيات وتفرقا، ثم ترقى المهلبي إلى الوزارة وأحنى الدهر على رفيق سفره، فتوصل الى إيصال رقعة إليه مكتوب فيها:

ألا قل للوزير فدته نفسي
مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيش
ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها المهلبي تذكر وأمر له بسبعمائة درهم، وكتب تحت رقعته قول الله تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ (البقرة:٢٦١)، ثم قلده عملا يرتزق منه.

سموه بالأمين

■ سمى أهل قريش الرسول ﷺ بالأمين، لأنه كان أمينا في كل شيء، أمينا في كلامه، أمينا في عمله، أمينا في تعامله مع الناس، لم تمتد يده قط إلى دينار ليس له، فاحتفظ كثيرون بأموالهم عنده، وائتمنوه على تجارتهم ثقة فيه واطمئناناً إلى أمانته.

الحجاج والشعبي

■ دخل الشعبي على الحجاج، فقال له: كم «عطاءك»؟ قال: «ألفين»، قال: ويحك! كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال: فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك؟! قال: لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربت، ولم يكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالمقرع له بلحنه، والمستطيل عليه فضل القول قبله، فأعجبه ذلك منه، ووهبه مالاً.

من سالم الناس

كل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جبران
ويا حريصاً على الأموال تجمعها
أقصد فإن سرور المال أحزان
اشدد يدك بحبل الله معتصماً
فإنه الركن إن خانتك أركان
من استعان بغير الله في طلب
فإن ناصره عجز وخذلان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم
وعاش وهو قرير العين جذلان

قطوف من التراث العربي

■ يروى أن معن بن زائدة دخل على الخليفة أبي جعفر المنصور، فقال له: كبرت يا معن. فقال له: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

ما تشتهي؟

■ قيل لحكيم ما تشتهي؟ قال: عافية يوم. فقيل له: ألست في عافية سائر الأيام؟ قال: العافية أن يمر بك اليوم بلا ذنب.

مسك الختام



د.محمد حسان الطيان

فن الخطابة

ما جرت بي عادتي أن أعتلي المنابر، أو أتكلم بين حشود الناس، أو أقوم خطيبا في مناسبة. ولا يغرنكم مني بضاعة مزجاة في علوم العربية وما إليها، فهذا شأن واعتلاء المنابر شأن آخر، إنه شأن يحتاج إلى تمرس وتدريب، وطول معاناة وخبرة وتجريب، وإلى ذلك كله لسان فصيح، وجنان قوي، وبديهة مواتية، وحس مرهف، وفقه بقضايا العصر ومشكلات المجتمع، وإلا فما فائدة الكلام في أمور نجترها في كل وقت وحين، وتلوكها بعض الألسنة معادة مكرورة دون أن تمس حاجة من حوائج الناس، أو مشكلة من مشاكلهم، أو معاناة مما يعاني منه المجتمع.

إن الخطيب كالشاعر يهتز لحادث حدث أو طارئ طرأ فيهز الناس من حوله، يحس بما يعاني الناس من خطوب الدهر وما يواجهون من أخطار وما يحيق بهم من مكر؛ فيتلمس لكل ذلك الحلول الناجعة، ويبث في صفوف الناس الأمل المشرق، ويحذر من الأخطار المحدقة، ويتصدى للأفكار الملوثة، إنه يحلل أدواء المجتمع وآفاته وأمراضه ويشخصها ليحاول معالجتها واصفًا أنجع الأدوية للخلاص منها.

إنه عند التبصر والتدبر لسان أمته، المعبر عن آلامها، الماسح لأحزانها، المنبه على أي خطر يحدق بها، والساعي إلى مواجهة كل خطب يلم بها.

ولعمري إن هذا لا يتأتى لكل خطيب حتى يكون له من ورائه عقل واعٍ، وفكر سديد، واطلاع واسع، وثقافة متطاولة متقادمة ترفده في كل أمر يتصدى له، دع عنك سلامة اللغة، ونصاعة العبارة، واستحضار الشواهد، وحسن التمثيل، وعلو البيان، وجودة الإلقاء، إنه كما قال الشاعر:

طَبِيبٌ بداء فُنُونِ الكلام ... لَمْ يَعْيَ يوماً ولم يَهْذُرِ

فإنْ هو أَطْنَبَ في خُطْبَةٍ ... قَضَى للمُطِيلِ على المُنْزِرِ

وإن هو أَوْجَزَ في خُطْبَةٍ ... قَضَى للمُقِلِّ على المُكْثِرِ

على أني لا أرى الإطناب والإكثار والتطويل لائقا بخطيب مهما بلغ من أمره، لأنه مدعاة للملل وإلى انصراف السامع وانشغال فكره، ولأن الكلام الطويل ينسي آخره أوله، ويعجز المرء عن استيعاب مجمله، فضلا عن تفصيلاته ودقائقه. وما أحسن هدي رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول فيما رواه عنه عمار بن ياسر في هذا: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه» (رواه مسلم) قال الجاحظ: مئنة كقولك: مخلقة ومجدرة ومحراة، قال الأصمعي: مئنة: علامة. وقد اتبع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هدي النبي ﷺ في هذا، جاء في صحيح مسلم: قال أبووائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان، لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفَّست (أي أطلت) قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا» (رواه مسلم)

وأنت لا تكاد تقف على خطبة من خطب البلغاء والفصحاء والأَبْيِنَاء تتجاوز الصفحات ذوات العدد، بل إن كثيرا من الخطب العصماء التي اشتهرت في دنيا الخطابة لا تتجاوز الصفحة الواحدة، مع أنها اشتملت على معان وقيم وشمائل وحكم صلح عليها أمر الناس وأصبحت مضرب المثل في البلاغة والفصاحة والبيان. ودونك جمهرة خطب العرب، ونهج البلاغة، والبيان والتبيين وقد جمع فيه الجاحظ أجمل الخطب وأبدعها، وأفصحها وأبينها، وأوجزها وأقصرها.

إنها الفصاحة في أبهى صورها! وهي لعمري تذكر بتلك العبارة الجامعة التي قالها شُبة بن عقال التميمي للخليفة المنصور تعليقا على خطبة سمعها في مجلسه «لله درّ خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين: ما أفصح لسانه، وأحسن بيانه، وأمضى جنانه، وأبلّ ريقه، وأسهل طريقه!».

إن الخطابة فن وعلم، موهبة واكتساب، سليقة ومهارة. وإن لها أصولا ينبغي أن تتبع، وشروطا يجب أن تتوفر، ولعل خير من أوجز تلك الأصول الجاحظ فيما نقله في بيانه وتبيينه عن أبي داود بن حريز حيث قال «رأس الخَطابة الطبْع، وعَمُودُها الدُّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيُها الإعراب، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ، والمحبَّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه».

على أن أسوأ ما منيت به الخطابة في أيامنا هذه كثرة اللحن، واللحن قبيح مستنكر حتى لو جاء عرَضا، فكيف إذا فشا وانتشر؟! إنه يحيل الخطبة إلى ضرب من العقوبة يستعجل السامع انقضاءها، ويتنفس الصعداء عند انتهائها! فقل لي بربك أليس عدمها خيرا منها ومن تتبع أخطائها؟!

من إصدارات وزارة الأوقاف

قطاع المساجد - مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد



ضمن سلسلة مؤلفات علماء القرآن والقراءات صدر كتاب «شرح تنقيح فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم» للعلامة أحمد عبد العزيز الزيات - رحمه الله - وهو بحث للاختصاصيين في فنون القراءات.

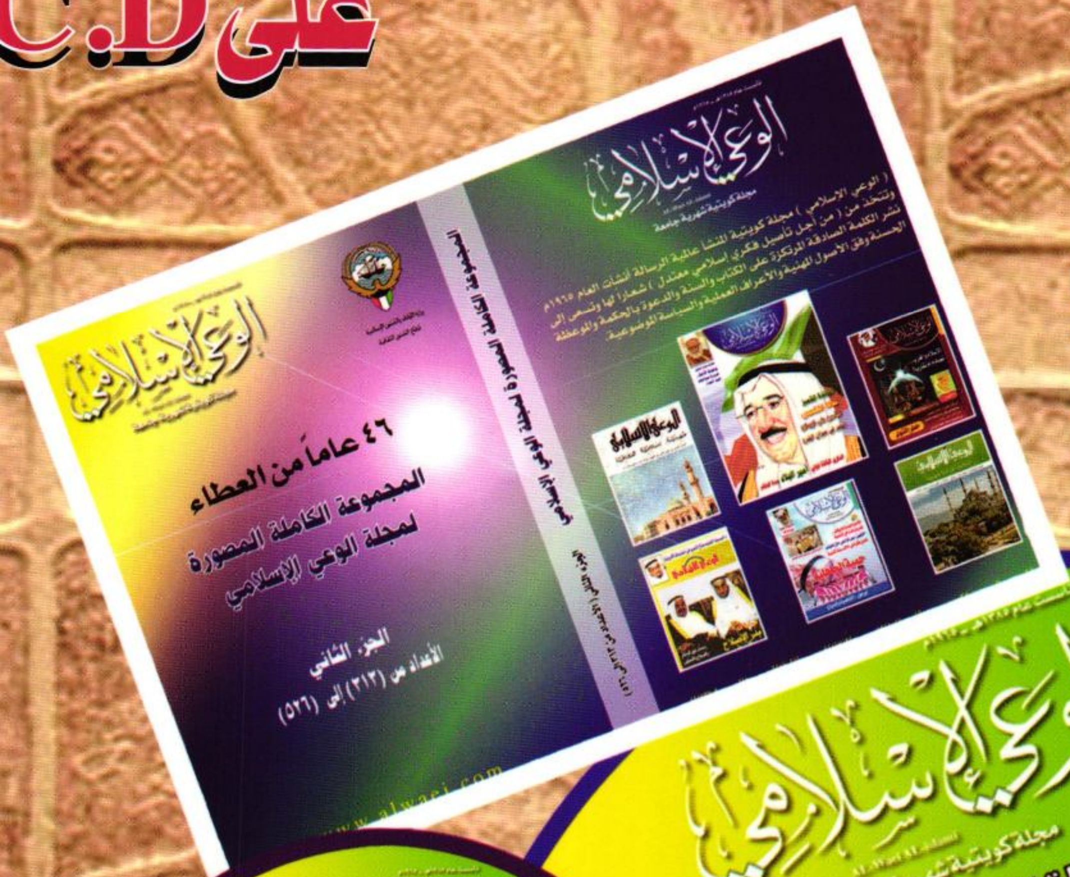


الوعي الإسلامي على C.D

بشرى سارة

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما





الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي

احصل على نسختك الآن عند الإشتراك في المجلة

٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الأول
الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)
www.alwaei.com

٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الثاني
من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)
www.alwaei.com

٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الثالث
من العدد (٣١٣) إلى (٤٢٠)
www.alwaei.com

info@alwaei.com - www.alwaei.com الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



وفاة العلامة الشيخ ابن جبرين

مواسم العمر

رمضان منحة ربانية

أسرة تحرير

الوعي الإسلامي

تهنئكم بحلول





كلمة العدد

رمضان.. عبرة دائمة

تستقبل الأمة الإسلامية شهر العزة والنصر.. شهر الفتوحات الإسلامية ونحن على أمل أن نستقي الزاد المعين من هذا النبع الرباني والمنحة الإلهية لنسلك طريق الأنبياء والصالحين ونقود البشرية إلى بر النجاة.

ففي مثل هذه الأيام كانت غزوة بدر، وفتح الأندلس، ومعركة «بلاط الشهداء»، وأول نصر للمسلمين على الصليبيين، وافتتاح الجامع الأزهر وغيرها من الأحداث المؤثرة في تاريخنا الحضاري.

ولكن كم من عام يمضي فيه رمضان ولا تتغير أحوالنا ونبقى على المعاصي عاكفين مؤجلين التوبة إلى الله، فلماذا لا نفر إلى الله في هذا الشهر المبارك؟ وإلى متى تظل قلوبنا أقسى من الحجر ونحن نصلي خلف الإمام في الصلاة؟

إن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة إلى دراسة فاحصة للتاريخ الإسلامي في رمضان للعظة والعبرة والاستفادة من التجارب السابقة، وهذا يتمثل في الاستمرارية على التقرب إلى الله، والعمل الدائم على التربية الشخصية الشاملة، والتفكر والتأمل في الذات وتصحيح الاعوجاج، والمراجعة الدائمة وفق مقاييس رمضان، والاجتهاد في طلب العلم للتعبد بوعي، والتربية العملية ومجاهدة النفس.

وليكن شعارنا هذا العام «العبرة الدائمة» لنحقق الأمل المنشود في إرساء قواعد النهضة الشاملة في مجالات حياتنا لنقود البشرية إلى عالم الصلاح الدنيوي والفلاح الأخروي.

«الوعي الإسلامي»

موضوع الغلاف



شهر رمضان فيه من الإشراق والهيمنة والسلطان على النفوس ما فيه، ترى ذلك في الحنين الدائم إلى أجوائه، والأمل الجميل الذي يسكن ذكرياته، وعشق العاشقين لنسماته وللريح العطرة التي تعانق النفوس والقلوب.

داخل العدد

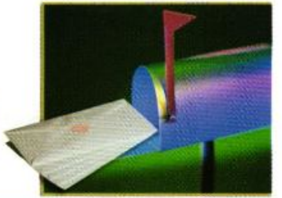
الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



سيناء أرض الأنبياء

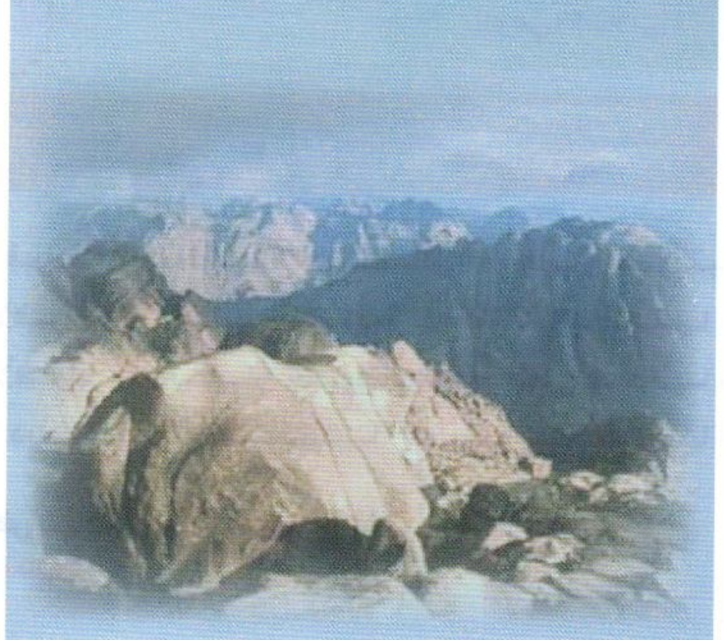
شرفت سيناء بكونها معبرا لأنبياء الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وعيسى وأمه البتول.

فلها مكانة عالية عند المولى عز وجل حيث أقسم بها في كتابه بقوله تعالى ﴿والتين والزيتون. وطور سينين﴾ (التين:١-٢) فـ «سينين» هي أرض سيناء وبها «جبل الطور» الذي أكرمه الله بأن ناجاه موسى عليه، كما أن من خصائص هذا الجبل أن رفعه الله عز وجل فوق اليهود عندما خانوا العهد ولم يؤمنوا فكان تخويفا وإرهابا لهم فآمنوا ثم أعرضوا كعادتهم فقال فيهم عز وجل ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ (البقرة:٦٣).

وفيها الوادي المقدس «طوى» وهو البقعة الغالية التي قدسها الله تعالى فنادى فيها موسى قائلا: ﴿هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ (النازعات: ١٥-١٦)، ذلك الوادي الكريم الطاهر الذي قال فيه الله عز وجل لموسى ﷺ ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ (طه: ١٢).

كما أمر الله موسى أن يرحل ببني اسرائيل لقتال قوم ظالمين جبارين فلما وصلوا إلى «وادي التيه» بسيناء مكثوا فيه أربعين سنة تائهين فكان الله يظلهم بسحاب كالغمام ليقيهم حرارة الشمس وأنزل عليهم المن (طعام حلو) والسلوى (نوع من الطير) ليأكلوا وقال تعالى ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ (البقرة:٥٧)، فلما اصابهم الظمأ ولم يجدوا ماء طلبوا من موسى أن يدعو ربه ليرزقهم الماء ليرتووا فقال في ذلك عز وجل ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (البقرة:٦٠)، فهذه هي سيناء المباركة التي أنعم الله بها علينا.

هدى الكاشف



عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين

استنادا إلى أحدث البحوث الطبية العالمية اليوم فقد اقر علماء الطب الحديث في العالم اخيرا الاكتشاف العلمي الجديد الذي أظهر أن النوم العميق لساعات طويلة يسبب ترسيب المادة الخطيرة «الكوليسترول» في جدران شرايين عضلة القلب وشرايين تلافيف المخ والمراكز العصبية مسببة تصلب وتلف جدران الشرايين ومؤدية إلى الإصابة بالذبحة القلبية والسكتة القلبية نتيجة تلف أنسجة العضلة القلبية، والأمراض الدماغية الخطيرة، مثل انفجار شرايين المخ وحدوث النزيف الدموي المؤدي إلى الجلطة الدماغية الذي يعقبه إما الموت الدماغي أو الشلل النصفي.

ويوصي علماء الطب الحديث اليوم بقطع النوم العميق بعد منتصف الليل والنهوض بنشاط لايقاف سلسلة الرحلة السباتية وهجر الفراش والخروج لأداء ممارسات للحركات الرياضية كصعود السلالم أو الجري الموقعي أو التمارين السويدية ثم العودة الى النوم ثانية.

أما قيام الليل فمن خلاله يتم النهوض من الفراش وهجر النوم واعادة النشاط الجسدي والنفسي والروحي بإسباغ الوضوء الذي يطرد النعاس ويجدد نشاط الدورة الدموية والتنفس ثم القيام بصلاة الليل ركوعا وسجودا ونهوضا، حيث ان الصلاة تنشط ٣٦٠ مفصلا في الجسم البشري و٣٠٠٠ عضلة جسدية، ويتم

شكر وتقدير

تتقدم أسرة التحرير بالشكر والتقدير لصاحب ومدير عام دار النوادر في دمشق نور الدين طالب على جهوده الكبيرة وسعيه الحثيث في المساهمة لاصدار المجموعة الكاملة المصورة لمجلة «الوعي الإسلامي» خلال مسيرتها التاريخية والثقافية في خدمة الإعلام الهادف والمسؤول في ٤٦ عاماً.



وقد ساهمت الدار بشكل واضح في انجاز هذا المشروع التوثيقي الضخم بالتعاون مع إدارة المجلة.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٩

العام السادس والأربعون

رمضان ١٤٣٠ هـ

سبتمبر ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

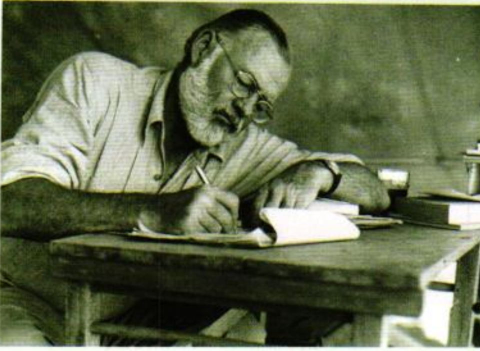
البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

في هذا العدد

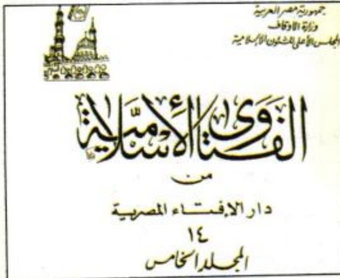












التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

مواسم العمر

جعل الله للأعمار مواسم، يربح فيها ممتثل المراسم، ويخسر فيها مضيّع الخير الحاسم، فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل، وما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته، فالطريق إليه واضح للقاصدين، والدليل عليه لائح للناظرين، فإن العبد ضعيف، والزمان صعب، والمعين قليل، والشغل كثير، والعمر قصير، وفي العمل تقصير، والناقد بصير، والأجل قريب، والسفر بعيد، والطاعة هي الزاد، فلابد منها، والعبادة ثمرة العلم وفائدة العمر، وبضاعة الأولياء، وطريق الأقوياء، وبهذا العمر اليسير يشترى الخلود الدائم في الجنان والبقاء الذي لا ينقطع عند الرحمن، ومن فرط في العمر وقع في الخسران، فواخيبة المفرط الحيران، وان مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها شرف المكان، المعمول فيه ذلك العمل، ومنها شرف الزمان كشهر رمضان، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة الى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفا على سائر الصيام، لشرف زمانه، فإن الله خص الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال لأن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها، لله عز وجل، ولا يوجد في عبادة أخرى غير الصيام، ولأن الصيام سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك للشهوات التي يستخفى بتناولها في العادة، وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها كسر النفس، وتخلي القلب للفكر والذكر، وأن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب، وأن الصيام يضيق مجاري الدم، والصوم نصف الصبر، والصبر ثلاثة أنواع، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبرا على طاعة الله، وصبرا عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، وربما حصل بتضييعه هلاكه، فإن العمر بضاعة يسيرة يسافر بها إلى البقاء الدائم.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذر

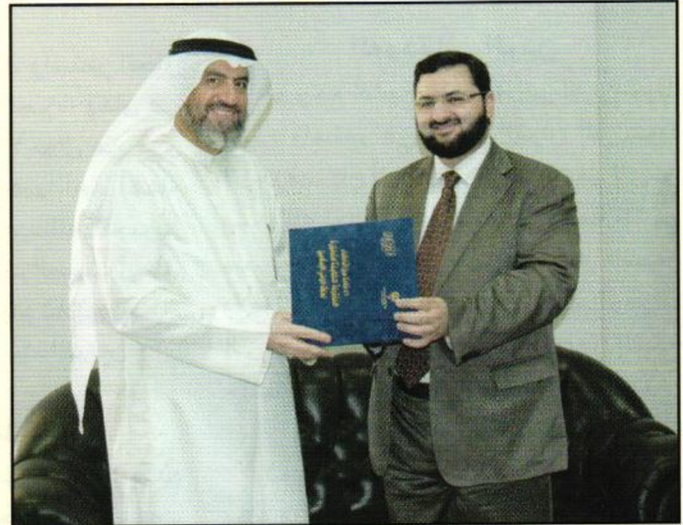
فمن عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرط في لحظة منه، فلينظر الشاب في حراسة بضاعته، وليحفظ الكهل بقدر استطاعته، وليتزود الشيخ للحاق بجماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ في ساعته فالزمان يذهب والصحائف تختم.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

هذا الاجراء الطبي الرائع في جو هادئ من الصفاء الذهني والجسماني، ونيل أعلى رتب الإيمان، ما يبين الفارق بين إنسان الدنيا الباحث عن الفوائد المادية للجسم وإنسان الدنيا والآخرة الذي يسعى للفوز بالصحة في الدنيا ورضاء الله في الآخرة ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ (النساء: ١٣٤).

د. إبراهيم الراوي





وكرم الزميل رئيس التحرير فيصل العلي مدير الدار وقدم له نسخة نهائية من المشروع مشيداً بدوره الكبير وحرصه على خدمة الثقافة والفكر والحضارة

ومن النقد ما ظلم

سعى النقاد ومؤرخو الأدب في العصر الحديث إلى إنكار دور الأدب العربي في إنشاء فن القصة القديم، وهذا إجحاف وظلم، وسارعوا لإنكار فن القصة من أدبنا وتراثنا وما كان ذلك الإنكار إلا لأننا وضعنا نصب أعيننا القصة الغربية في صياغتها الخاصة بها وإطارها المرسوم لها أصبحنا نتخذها المقياس والمعيار والميزان وفتشنا عن أمثالها في أدبنا العربي فإذا هو قد خلا منها أو يكاد، وما أعظم خطأنا في هذا المقياس.

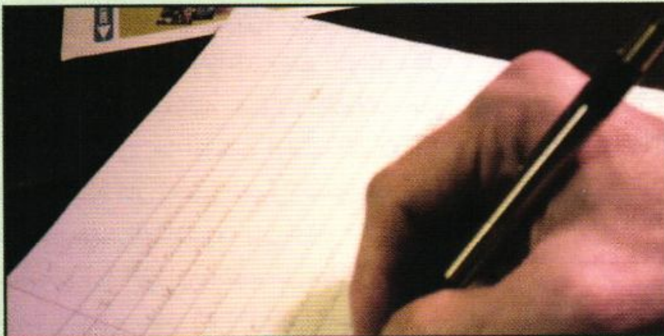
فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به وإطار مرسوم له إذ هو يصور نفسية المجتمع العربي.

وكان الأولى أن نفتش ونبحث في تراثنا عن فن الحكاية وفق مقاييس نقدية عربية تتلاءم مع روح العصر القديم، فالظلم هنا أننا حكمنا بمقاييس نقدية حديثة وعصرية تتماشى مع روح العصر الحاضر إذ لكل عصر مقاييسه الخاصة به.

أرأيت كم كان النقد ظالما؟ وفي الأخير أقول لماذا لا نعترف بأن العرب في واقعهم القصصي يمثلون مرحلة الميلاد والنشأة لهذا الفن وعادة ما تكون هذه المرحلة ضبابية المعالم ثم تطورت الظروف وأخذت أوروبا وروسيا وأميركا ترسم الملامح الواضحة والمعالم الأساسية لهذا الفن الأصيل وأبدعت من روح ثقافتها ومجتمعاتها فأنتجت لنا قصصا فنيا من الدرجة الممتازة ذا إحكام دقيق وصياغة فنية عالية وصاحب ذلك بروز أعلام في كتابة هذا الفن أصلوا له على المستوى العالمي أمثال دي موسيه ولامارتين وجاي دي موباسان وتشيخوف.

إذن العرب أمة قد شاركت ولو بنسبة ضئيلة في الصياغة العالمية للقصة الفنية بأنواعها المختلفة، والنظرة المتوازنة في الرؤية النقدية تتيح للعقل الإنساني مجالا واسعا في حرية التفكير والإبداع على جميع المستويات وخاصة عندما يتلاشى شرط الاضطهاد والظلم والازدراء لكل ما هو عربي حتى لو كان أصيلا شهد الجميع بأصالته، والأصل في الرؤية النقدية أنها موضوعية لا تحابي أحدا.

محمد أبوعيد





[redacted]

وفاة العلامة الشيخ عبدالله الجبرين

(١٣٤٩ - ١٤٣٠هـ)

أ. د. وليد عبدالله المنيس

تلقى العالم الإسلامي بعامة، ومنطقة إقليم الجزيرة والخليج العربي بخاصة خبر وفاة العلامة العامل الفقيه المتقن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين بعد ظهر يوم الاثنين ٢٠ رجب ١٤٣٠هـ (١٣/ ٧ /٢٠٠٩هـ)، وكان وقع خبر وفاته كبيرا ومؤثرا على عموم المسلمين، لأن فقد عالم بهذا المستوى من الفهم والعلم والحفظ والإتقان لا يعوض، وهو من علامات الساعة كما جاء في الحديث، ولابد أن نتحدث ولو قليلا عن سيرته الحافلة التي قضى أكثرها وجلها في الدعوة وتدريس العلم ونفع المسلمين.



اسمه ونسبه وبلدته

هو العلامة الشيخ د.عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم الجبرين، من قبيلة بني زيد، موطنهم شقراء في الأصل، ثم انتقلوا إلى القويعية حيث الجد عبدالله بن إبراهيم الجبرين الذي انتقل مع أبيه إبراهيم بن فهد بن حمد الجبرين إلى قرب قرية اسمها «مزعل» لأنها بلاد أخواله العرافة، ووالده ولد في قرية عرافة عام ١٣٢٠هـ.

طلبه للعلم في أوائل حياته

تعلم على أبيه وأخيه - أي أخي أبيه محمد بن عبدالله - بدايات العلم ومداخله، ثم تعلم القراءة والكتابة، ثم سافر إلى قطر عام ١٣٤٤هـ ودرس فيها مدة ثم عاد إلى مكة عام ١٣٤٧هـ، وبعد سنتين ولد الشيخ عبدالله أي عام ١٣٤٩هـ. وفي هذه الأثناء رغب الشيخ عبدالعزيز أبوحبيب من والد الشيخ أن ينتقل إلى «الرَّين» للإمامة والتعلم حوالي عام ١٣٥٠هـ، وأخذ يعلم الأولاد وقد أدرك الشيخ عبدالله هؤلاء الأولاد عام ١٣٥٢هـ وقال: ما أدركت أولئك الأولاد إلا كالحلم، لأنه كان له من العمر ٣ سنين آنذاك. وقد كان عدد الطلاب ما بين ٢٥- ٣٠ طالبا، منهم من قرأ القران ومنهم من حفظ إلى أن توقف التعليم عام ١٣٥٩وقد جلس الشيخ مع الذين يدرسون مع أخيه الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن وكذلك زملاؤه الذين بلغ عددهم ما بين ٢٠- ٢٥ يدرسون أولا سوراً قصيرة حفظا من الفاتحة إلى المعوذات إلى إتمام سورة الضحى كلها ثم تعلموا حروف الهجاء في ألواح ثم القراءة في الألواح ثم القراءة في المصحف وهكذا. واستمر الحال إلى أن قرأ جزءا ونصف الجزء، وكان في كل صيف ينتقل إلى بلدة الأخوال في قرى القويعية واسمها محيرقة وفيها أحد أعمام الشيخ، واسمه سعد بن عبدالله الجبرين وكان عمه سعد يعلم في وقت الصيف أيضاً، فقرأ الشيخ عليه إلى تمام ثلاثة أجزاء ونصف وكان عمر الشيخ حينذاك بين ١٠- ١١ سنة.

المدارس والمصاحف

لم يكن حينذاك مدارس إلا هذه الجماعات والحلقات حول المدرسين، يعلمونهم حروف الهجاء ثم قراءة القرآن في أجزاء ثم بالتالي في المصاحف. أما المصاحف فكانت طبعات هندية قديمة وطبعات مصرية وتركية والأخيرة قليلة.

العودة الى الرين

ثم رجع الشيخ عبدالله إلى الرين حيث والده واستمر في قراءة القرآن إلى سورة الزخرف، كان الوالد يقرئه ثم ينشغل إلى أن يسر الله تعالى أحد المعلمين واسمه الشيخ سعيد بن عبدالله بن الأجهر، قال الشيخ: ولايزال حيا، وقرأ عليه من وسط الزخرف إلى قرب سورة الكهف وكان عمر الشيخ حينها ١١ سنة عام ١٣٦٠هـ.

العودة إلى المحيرقة

ثم رجع الشيخ عبدالله إلى محيرقة وكان فيها أحد أقاربه وهو الشيخ عبدالعزيز الرشيد وكان يدرس وهو معوق يجتمع عليه كثير من الطلبة يدرسون عليه.

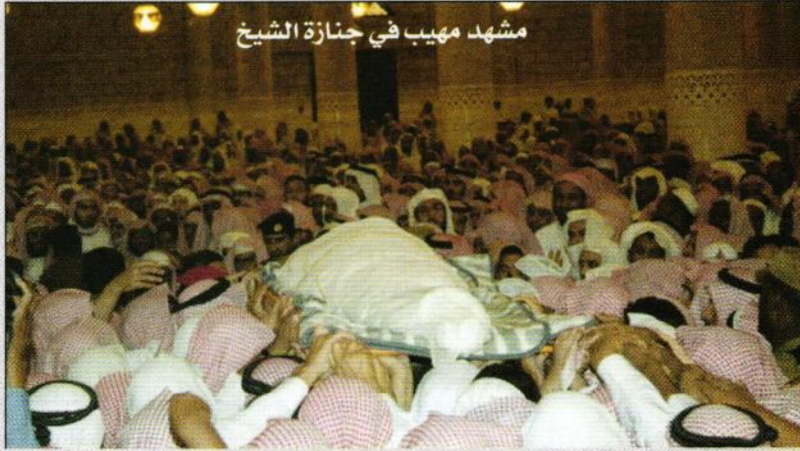
وواصل الشيخ القراءة عليه من البقرة إلى سورة يونس، وكان الوالد يحث الشيخ

أستاذ في جامعة الكويت

على التعلم خاصة تعلم القرآن والكتابة وكتابة الرسائل، ثم إن الشيخ عاد إلى الرين وأكمل بقية القرآن الكريم من يونس إلى الإسراء قراءة نظرية.

حفظ القرآن

شرع الشيخ عبدالله في حفظ القرآن بإشراف والده الشيخ عبدالرحمن الذي أمره بالحفظ من آخر القرآن فواصل الحفظ في عام ١٣٦١ كان عمره ١٢ عاما إلى عام ١٣٦٢ فحفظ ١٢ جزءا إلى سورة الشعراء. ثم فتر العزم فترة لعدم وجود من يقرئ القرآن لكنه عام ١٣٦٧ عزم من جديد على حفظ القرآن مع طلب العلم.



من أقواله : على طالب العلم أن يأخذ العلم من أهله ولا يقدح بالعلماء ويحسن الظن بالآخرين إذا علم حسن معتقدهم ولا يعيب أحداً بقلة علم أو غفلة

الشيخ عبدالعزيز أبوحبيب الشثري

كان الشيخ عبدالعزيز الشثري قاضيا للبلد وكان يشترط على طلبته تكميل القرآن قبل طلب العلم، وتيسر حفظه بحمد الله.

قراءة كتب العلم وفهمها على المشايخ

جلس الشيخ عبدالله إلى والده الشيخ عبدالرحمن يقرأ عليه أولا في النحو «الآجرومية» وكان يعلمه ويأمره بالإعراب فعرف بذلك مبادئ النحو، ثم شرع في الرسائل العلمية وكتب العلم مثل الرحبية في الفرائض، وعمدة الأحكام، والأربعين النووية. ثم إن الشيخ عبدالله قرأ الزاد على الشيخ عبدالعزيز الشثري وألفية ابن مالك، وقرأ كتب التاريخ، ثم الصحيحين وبعض كتب السنن عليه وكان الشيخ الشثري ضريرا رحمه الله، ثم قرأ الشيخ عبدالله على شيخ آخر هو الشيخ صالح بن مطلق إمام أحد مساجد الرين وكان عمر الشيخ ما بين ٢٠- ٢٤ سنة عام ١٣٧٤هـ.

الانتقال إلى الرياض والقراءة على الشيخ محمد بن إبراهيم

انتقل الشيخ عبدالله الجبرين إلى الرياض وهناك التقى بالعلامة البحر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فقرأ عليه القرآن، وفتح المجيد ومتن التوحيد والروض المربع والحموية، والواسطية. وبلوغ المرام، بعد العصر وبعد المغرب.

القراءة على الشيخ عبدالعزيز بن باز

كما قرأ الشيخ عبدالله على العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز وهو أيضا تلميذ الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان يقرأ عليه المطولات وكان الشيخ عبدالعزيز يعلق ويشرح ويبين مدلولاتها له، وبعد المغرب يجلس للفرائض والنحو.

القراءة على الشيخ عبداللطيف ابن إبراهيم آل الشيخ

كما درس على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ وهو شقيق العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعد الفجر وبعد المغرب يقرأ عليه في النحو والفرائض والعلامة الشيخ عبدالله بن حميد وغيرهم.

الاستفادة من الزملاء في الطلب

كما استفاد الشيخ عبدالله من زملائه في طلب العلم وأشهرهم الشيخ عبدالرحمن الفريان، وعبدالرحمن بن مقرن، وفهد بن حميم وكانوا يجتمعون في غرفة الشيخ محمد بن إبراهيم بعد العشاء لمراجعة بعض الكتب كمتن البلوغ والزاد والروض مع قراءة الشرح.

أول مؤلف للشيخ

كان أول مؤلف للشيخ عبدالله في عام ١٣٦٨ هـ ومناسبته أنه كان يدرس في جامعة الإمام ثم عقد مؤتمر حول المدمنين ومكافحة المخدرات، فألف كتابا عن التدخين وعنوانه «التدخين وحكمه في الإسلام» وهو أول مؤلفاته.

الماجستير والدكتوراه

أكمل الشيخ عبدالله دراسة الجامعة، ثم شرع في الدراسات العليا، الماجستير وعنوانها الأخبار الآحاد في الحديث النبوي وأشرف على رسالته الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ثم الدكتوراه وأشرف عليه د.عبدالله الركبان وذلك في كتاب الزركشي وشرحه على مختصر الخرقي، ثم إن الشيخ أتم الكتاب بأكمله في ٧ مجلدات وهو مطبوع ومتداول وقد انتفع به العلماء وطلبة العلم وعموم الناس وطبعته الأولى عام ١٤١٠هـ.

دروسه اليومية

كان الشيخ عبدالله الجبرين رحمه الله حتى أواخر أيامه يدرس بهمة ونشاط ويبدأ برنامجه من بعد الفجر إلى ما بعد الشروق ثم يرتاح قليلا، ثم يغادر إلى عمله في الإفتاء والجامعة ثم يواصل بعد العصر للإجابة على أسئلة المستفتين، ودروسه مستمرة ربما بعد العصر وبعد المغرب ٥ أيام في الاسبوع وتصل إلى اكثر من ١٧ درسا وبعض الناس يقول إنها تصل أحيانا إلى ٤٠ درسا في الأسبوع ولا يستغرب ذلك على الشيخ ابن جبرين رحمه الله.

تفرغ الشيخ للتعليم

تفرغ الشيخ للتدريس ونشر العلم بعد ان أحيل إلى التقاعد منذ عام ١٤١٨هـ بعد أن عمل كعضو في الإفتاء منذ عام ١٤٠٢ هـ، فازدادت دروسه وانتفع الخلق به كثيرا وتنوعت فوائده ما بين إفتاء وشروح وتعليق ودورات علميه وبحوث، ونتج عن ذلك أن قام بعض تلامذته بتفريغ اشرطته وتعليقاته

[redacted]

وظهرت كشروح لمتون علمية مهمة من شرحه «لأخصر المختصرات» و«تعليقاته على منار السبيل» و«شرح منهج السالكين» و«كتاب التوحيد» و«الواسطية» كما شرح «أصول الاعتقاد للالكائي» و«الكافي»، كما أنه يستدعى لمناقشة الرسائل العلمية من ماجستير ودكتوراه في الجامعات، وكان يكلف من قبل ولاة الأمر ومن المشايخ بأداء ما ينفع المسلمين، وكانت له رحلات إلى أقاليم المملكة للدعوة والتدريس وإقامة الدورات العلمية المكثفة في الطائف والقصيم والشمال والجنوب.

قربه من الناس

مما عرف عن الشيخ عبدالله الجبرين انه كان قريبا من الناس يتودد إليهم يزورهم ويقضي حاجاتهم وينزل عند طلباتهم فتجده يكتب مقدمة لرسالة صغيرة يعدها طالب علم رغم بساطتها ويقول: استفدت منها ويشجع القراء والطلاب على ذلك وكان يزور المرضى ويعزي المصابين كما امتازت ردوده واجاباته بأنها وافية معززة بالأدلة وتصل إلى القلب مباشرة.

لقاؤه العلامة ابن عقيل

كانت آخر مرة رأيت فيها الشيخ العلامة عبدالله الجبرين في جمادى الثانية عام ١٤٣٠هـ حيث شاهدته يصلي في مسجد الشيخ عبدالله بن عقيل في الهدا الغربي في الرياض وكنا في زيارة لشيخنا العلامة عبدالله بن عقيل ولما قضيت الصلاة وكانت صلاة العشاء قام الشيخ عبدالله الجبرين بالذهاب الى الشيخ عبدالله العقيل وسلم عليه، ثم سلمت على الشيخ الجبرين وقبلت رأسه وعرض عليه الشيخ عبدالله العقيل أن يصاحبه إلى منزله حيث مجلس الأربعاء الموسع للشيخ عبدالله العقيل فاعتذر الشيخ عبدالله الجبرين وقال أنا ذاهب لأعزي أحد الإخوة ثم قال للشيخ ابن عقيل: هل ستذهب إلى مكة؟ فقال الشيخ ابن عقيل: نعم، على عادة الشيخ حيث يذهب في الايام البيض للعمرة ولصيامها في مكة.

مرضه ووفاته

تعرض الشيخ للمرض بدءا من صفر ١٤٣٠ هـ حيث أصيب رحمه الله بانسداد في الشرايين وتم إجراء عملية له لاستبدالها ثم إنه بعد العملية تعرض لمضاعفات استدعت نقله إلى ألمانيا ثم رتبت له العلاجات والأدوية ونقل إلى الرياض وبقي في المستشفى فترة إلى أن وافاه الأجل المحتوم بعد ظهر الاثنين ٢٠ رجب، ١٤٣٠هـ رحمه الله تعالى.

تواريخ في حياته

- عام ١٣٨١ هـ اختير مدرسا في معهد إمام الدعوة واستمر في التدريس فيه أكثر من ١٠سنوات.
- عام ١٣٨٩ هـ عين إماما في مسجد آل حماد في الرياض.
- عام ١٣٩٥ انتقل الى كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.
- عام ١٤٠٢ انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء كعضو افتاء.
- عام ١٤٠٢ هـ ابتدأ التدريس النظامي في الجامعة بعد الدكتوراه.
- عام ١٤١٨ هـ احيل على التقاعد في لجنة الافتاء وتبنى نشر علمه بتوسع في المساجد والمنتديات الشرعية والدورات العلمية.

أبرز سماته وشخصيته العلمية

سمعت كثيرا عن الشيخ ابن جبرين من أخص تلامذته وهو الأخ الشيخ د.عبدالعزيز السدحان الذي سعى في نشر علم شيخه مثل تعليقاته على «منار السبيل» ولعل ابرز ما عرف عن الشيخ العلامة ابن جبرين.

أولا: عنايته بمذهب الإمام أحمد واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية ويظهر هذا واضحا جليا في إجاباته وكتاباته انظر مقدمته لشرح الزركشي ج ١ ص ١٥- ٢١ في الوقت الذي يتبع فيه ما ظهر له من دليل نظرا لمكانته القادرة على الاستنباط والترجيح وهو القائل في إحدى مقدماته «إن الذي يلزم العامي بالاستنباط كالذي يلزم العالم بالتقليد» مع أخذه بمذهب أحمد عموما.

ثانيا: اتصاله المستمر بالناس على جميع طبقاتهم ودرجاتهم فيجيب على أسئلتهم ويزور مرضاهم ويسعى في حل مشاكلهم ويشفع لهم عند المسؤولين مع زهد وتبسط.

ثالثا: شجاعته في الفتوى وقوته، ظهر هذا جليا في وقفته الشجاعة مع الحق الكويتي في فترة الغزو العراقي الغاشم، وفي كثير من المواقف الحرجة.

رابعا: قوة حفظه وحسن استدلاله بالآيات والأحاديث بما يشفي السامع حين يسمع ردوده وإجاباته الوافية.

خامسا: نصحه لطالب العلم، ومن أقواله: على طالب العلم أن يأخذ العلم من أهله، ولا يقدح بالعلماء ويحسن الظن بالآخرين إذا علم حسن معتقدهم ولا يعيب أحدا بقلة علم او غفلة.

وقد زاره خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في المستشفى، مما يدل على مكانته في البلاد رحمه الله.

جنازته والطلب من الشيخ العلامة ابن عقيل الصلاة عليه

نعاه الديوان الملكي يوم وفاته رسمياً، أما جنازته فقد شهدت تزاحما كبيرا من الناس قدره البعض بالآلاف وتزاحم الناس للصلاة عليه في مسجد الإمام تركي في الرياض وحضر جنازته نائب أمير الرياض الأمير سلطان بن عبدالعزيز وقد طلب ابن الشيخ عبدالله د. عبدالرحمن الجبرين من الشيخ العلامة عبدالله العقيل أن يتقدم للصلاة عليه، غير انه لما جاءت جنازة أخرى لإحدى نساء آل الشيخ آثر الشيخ ابن عقيل أن يصلي ابن المفتي على الجنازتين فتم ذلك.

استفتاء العلامة عبدالله العقيل في أمر الجنازة

لما أراد ابناء الشيخ ابن جبرين ومحبوه حمله على الأعناق والأكتاف إلى المقبرة سألوا الشيخ العلامة ابن عقيل أيهما افضل المشي أم ينقل بالسيارة؟ فقال الشيخ ابن عقيل: السنة الإسراع في الجنازة، والسيارة أسرع، فيحمل بالسيارة، فعملوا بقول الشيخ السديد حفظه الله.

نسأل الله تعالى أن يرحم الشيخ ويجعله في عليين وأن يجعل فيما خلفه نفعا كبيرا من علم وطلاب للسير على طريقته رحمه الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية واتزانها

(٣/١)

د.أحمد بن معمَر شرشال

قد اعتنى علماء التربية والتعليم في الكليات والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين بقواعد التربية وعلم النفس اعتناء كبيرا، فكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وأبحاثا جمة.

وإن مما يدعو للدهشة والاستغراب أنهم نقلوا فيها عن علماء التربية الغربية كل طارف وتالد، واقتبسوا أصولهم وفروعهم وتجاربهم وإذا كنا نقدر مدى أهمية الاستفادة من عمل الآخرين بعد تصفيته وغربلته مما يتعارض مع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم، ومع مبادئنا وقيمنا الحضارية، فإن الذي نعيبه على كثير من علماء التربية وأساتذتها ومدرسيها هو تغافلهم، وعدم التفاتهم إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولا وفروعا.

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد الأخلاقية والأصول التربوية والتشريعية ما يجعلنا نستغنى به عن النظريات البشرية القاصرة ولتعلم غير المسلمين من المسلمين.

ومن ثم اتجهت إلى المصدر الأصلي لفنون التربية والتعليم والكتاب الأم لأصول التربية والتعليم فقد رسم معالمها الكبرى، وبينتها السنة، وكل من اتجه إلى هذا المصدر يجد ضالته ويدرك بغيته.

وقد أسعفني في هذا التوجه قول الإمام الشاطبي: «لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا» وشد من أزري قول الشيخ الشنقيطي: قد اشتمل كتاب الله علي كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها.

إن صفة منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم قد رسم القرآن الكريم معالمها الكبرى واستقل ببيانها وفصلتها السنة النبوية.

قال تعالى- في بيان صفه صفه هذا المعلم وأصوله - في سورة البقرة: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة:١٥١).

وقال في سورة آل عمران ﴿لقد من الله على المؤمنين إذا بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

فقد صرحت هذه الآيات بالمنهج العام لأصول التربية والتعليم الذي لا منهج سواه، والذي لا ينبغي أن يتغير أو يتبدل، وهو منهج أصيل يسعد الإنسان في دنياه وأخراه، لأن منزله هو الخالق لهذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها.

وبهذه الطريقة والأصول التربوية أنقذ الله هذه الأمة من الضلال المبين، ولا ينقذها مما هي فيه من الهوان إلا برجوعها إلى ذكرها الذي يرفع شأنها.

وقد ذكر الله في هذه الآيات التي استخرجنا منها أصولا تربوية وجوها من نعمه تعالى على عباده.



علم الخط والرسم

إن القرآن الكريم، وهو المصدر لأصول التربية والتعليم نفى أن يكون ﷺ على دراية بعلم الخط ونفى عنه تلاوة أي كتاب قبل نزول القرآن، وكان هذا قطعا للارتياب ودفعا للشبهة، لو كان يكتب ويقرأ لقال المبطلون: إن هذا القرآن تعلمه وكتبه، فنفى عنه كل ذلك فقال: ﴿وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت:٤٨).

ولذلك وصفه الله في كتب الأولين ونعته بالأمي وهو وصف كمال في حقه قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (الأعراف: ١٥٧).

علم التلاوة والترتيل

بدأت جميع الآيات القرآنية بهذا الأصل وهو التلاوة والترتيل وقد جاء ترتيب هذه الأصول في الذكر على حسب ترتيب وجودها لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه، ثم قال ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم

إن علينا بيانه﴾ (القيامة:١٨-١٩).
ثم العلم تحصل به التزكية، وهي العمل بإرشادات القرآن، كما سيأتي.

أول صفات هذا المعلم أنه يتلو عليهم آياته: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته﴾، ومعناها القراءة المتتابعة المرتلة التي يكون بعضها تلو بعض والتلاوة المرتلة لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء على وجه من وجوه القراءات.

وأصل التلاوة من الاتباع، ومنه قولهم: تلاه: إذا تبعه، وهي ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظم تأليف القرآن وترتيبه ومنه قال تعالى: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ (الشمس:٢).

والتلاوة وحدها كافية لإقامة الحجة، فهي الحجة، وهو المحجة فلا يعذر أحد بعد التلاوة بالجهل، فالقرآن يقيم بالتلاوة الحجة القاطعة على الخلق قال تعالى في بيان ذلك: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ (القصص:٥٩)، ومثلها في قوله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ (العنكبوت:٥١).

وهكذا يجب على طالب العلم أن يهتدي ويقتدي بهذا الأدب، وينصت ويستمع ويتأنى في تلقي العلم، وألا يحمله الحرص على مبادرة المعلم بالأخذ منه قبل فراغه من كلامه ويجب عليه أن يحاكيه في التلاوة بعد الاستماع له.

التجويد أصل كلام العرب

اشتهر عند الناس جميعا أن موضوع علم التجويد هو القرآن الكريم فقط، وزاد بعضهم الحديث الشريف، ثم يصححون قول الجمهور، وهو أن موضوع التجويد القرآن الكريم فقط لا غير.

وكل من ألف في علم التجويد يرددون هذا الادعاء حتى اشتهر عند جميع الناس واستقر في آذانهم أن مباحث علم التجويد لا تكون إلا في القرآن فقط وصار هذا من المسلمات.

وهذا تناقض عجيب وتنافر معيب وخطأ كبير، ووجه تناقضه أنه إذا كان علم التجويد موضوعه القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم هو لب كلام العرب.

قال الراغب الأصفهاني: «فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء، والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم...»، ثم قال: «وما عداها.. كالقشور».

إذا كان- كما قالوا- التجويد موضوعه القرآن الكريم، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فإن النتيجة أن التجويد موضوعه لسان العرب.

قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف:٢) وقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل:١٠٣)، وقال: ﴿نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥).

أثبتت هذه الآيات وغيرها أن القرآن نزل بلغات العرب، وحينئذ تكون مباحث علم التجويد وموضوعه لغات العرب.

تفسير القرآن وبيانه

تعليم الكتاب منصوص عليه في هذه الأصول في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ عطفا على قوله ﴿يتلو عليهم آياته﴾، عطف جملة، وكما أن غاية علم الترتيل النطق الصحيح الفصيح لألفاظ القرآن الكريم، فإن غاية تعليم الكتاب وتفسيره وبيانه الفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم، ومن ثم عطف على التلاوة فكان ترتيبه في المحل الثاني في جميع الآيات القرآنية التي بنينا عليها هذه الأصول.

والارتباط بين هذا الأصل تعليم الكتاب، والأصل الذي عطف عليه وهو التلاوة واضح جلي، فلا يستقيم المعنى إلا إذا استقام اللفظ.

فمبنى الكلمة ومعناه مطلوبان ومتلازمان، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، بل مبناها هو الأصل والأساس الذي يقوم عليه المعنى، بل لا وجود للمعنى إلا بإقامة المبنى، ومن ثم وجب تصحيح النطق بألفاظ القرآن أولا محافظة على المعنى ثم يجب علينا أن نفهم ونتفقه بعد التلاوة الصحيحة في المعنى الذي يحمله اللفظ.

فيكون المعنى أن هذا المعلم ﷺ يتلو عليهم القرآن ويبين لهم معاني هذا الكتاب وما خفي عليهم من أسراره وأحكامه وحكمه وهذا من وظائفه ﷺ أن يبين ويعلم معاني الكتاب ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل:٤٤) فكان مبلغا لكتاب الله العزيز، ومبينا لأحكام القرآن الكريم، وموضحا لآياته البينات.

ومما لاشك فيه ولا خلاف عند جميع المسلمين أن القرآن الكريم حوى بين دفتيه أنواعا من العلوم والمعارف يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وتضمن أحكاما وحكما وأخبارا بها يحقق الإنسان سعادته في الدنيا والآخرة.

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد الأخلاقية والأصول التربوية والتشريعية ما يجعلنا نستغني به عن النظريات البشرية القاصرة

ولا سبيل إلى معرفة هذه العلوم، وهذا التشريع وهذه الهدايات والوقوف عليها والعمل بها، والاتعاظ بها إلا بفهم القرآن، وتفسيره وتدبره والتفقه فيه، والاستغناء به عن غيره. كيف يتعظ الإنسان بما لا يفهم، لأن ملكة الفهم دخلها الفساد، فصار الناس لا يفهمون القرآن، ولا يفقهون ما فيه، وبدون فهم للقرآن وتفسيره لا يمكن الوصول إلى كنوزه ومعارفه مهما رددنا تلاوته وأقمنا حروفه.

الناس لم يعودوا يتأثرون بالقرآن الكريم، كما كان الجيل الأول يتأثرون به فقد حالت بينهم وبينه غيوم كثيفة وحجب وموانع ومن أشدها كثافة عدم فقه اللغة العربية التي هي وعاؤه، لأن اللسان العربي وملكة البيان دخلها الفساد.

إن القرآن الكريم فيه الكفاية وزيادة على ذلك، فجميع العلوم الإسلامية قد استقل ببيانها، وقد أدرك هذا المعنى الإمام القرطبي- رحمه الله- فقال: «فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع... رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه قوتي».

وأضرب لذلك أمثلة واقعية لم يخالف فيها أحد على أننا نستطيع أن نستغنى بالقرآن الكريم عن جميع المقررات.

أولا: مقرر التوحيد

من أبرز العلوم التي يتعلمها الناس في تفسير القرآن الكريم هو علم العقيدة، وهي رأس العلوم الإسلامية وقد أخذت حيزا كبيرا من كتاب الله تعالى.

قال ابن القيم: «وغالب سور القرآن متضمنه لأنواع التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادة الله فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته».

ثانيا: مقرر الحديث

وإذا انتقلنا إلى الحديث النبوي الشريف نجد أنه نوع من التفسير، فإنه المبين لمراد الله تعالى من الآية ويشهد بما شهد به القرآن، وهو التطبيق العملي لمعنى الآية النظري، فالطالب في تفسير القرآن يتعلم الحديث، وأضافه عبدالعظيم الزرقاني إلى علوم القرآن فقال: «إذا أضفت إلى علوم القرآن ما جاء في الحديث النبوي الشريف وعلومه وكتبه وبحوثه باعتبارها من علوم القرآن نظرا إلى أن الحديث شارح للقرآن يبين مبهماته ويفصل مجملاته ويخصص عامه».

ثالثا: مقرر الفقه

وإذا عرجنا إلى مادة الفقه، ومقرراته نجد أن مقرر الفقه يندرج في علم التفسير، وهو جزء ضئيل جدا من التفسير، ولا يزال هناك في القرآن فقه ضخم لا يعرف إلا في التفسير.

قال رشيد رضا: «الأحكام العملية التي جرى الاصطلاح على تسميتها فقها هي أقل ما جاء في القرآن، وأن ما بقي فيه من التهذيب والتربية والفقه والأخلاق والآداب والعلوم والمعارف ما لا يستغنى عنه، وما هو أجدر بالدخول في الفقه الحقيقي».

ومن سلبيات عرض مادة الفقه بالطريقة المستقلة عن القرآن وتفسيره انها لا تؤدي الغرض المطلوب حيث يؤدي مدرس المادة عرضه بذكر المسألة والتعريف بها ثم بأقوال العلماء فيها ثم يورد الدليل من القرآن أو السنة أو هما معا، فيقول: دليل هذه المسألة كذا ودليل هذا القول كذا، ودليل المخالفين كذا ويسرد الدليل، هذا إذا كان يذكر الدليل، وهو أحسن أحواله.

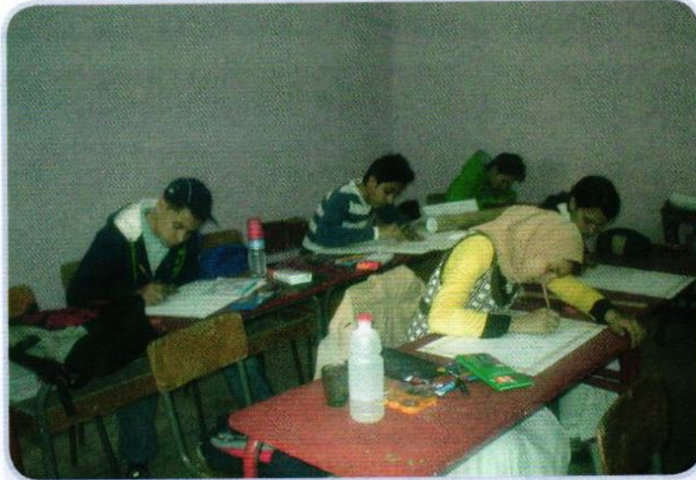
بهذه الطريقة والأصول التربوية أنقذ الله هذه الأمة من الضلال المبين

تعليم الحكمة

الأصل الرابع من هذا المنهج الدراسي الكامل تعليم الحكمة فهي في المرتبة الرابعة بعد تعليم الكتابة والخط وتلاوة القرآن وتعليم الكتاب ثم تعليم الحكمة، فمن صفات هذا المعلم ﷺ أنه يتلو عليهم الآيات القرآنية، ويعلمهم معاني الكتاب، وهو تفسيره وبيانه ثم يعلمهم الحكمة، وتأمل أخي هذا التركيب العجيب، وهذا الأسلوب البديع حيث أفرد لتلاوة الآيات فعلا، وهو ﴿يتلو﴾ وجاء بفعل آخر لتعليم الكتاب للدلالة على التباين بيهما، فان تعليم الكتاب غير التلاوة، فإن التلاوة تكون بقصد حفظ الحروف، وتعليم الكتاب يكون بقصد حفظ المعاني، وأشرك الحكمة في نسق التعليم بفعل واحد: ﴿ويعلمهم لأنها مربوطة بتعليم الكتاب، وتعلم كما يعلم الكتاب، فهما كالشيء الواحد، وحذف كل ذلك من التزكية لأن التزكية لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى، وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة، فإذا لم تثمر هذه الأصول الدراسية التزكية فهي كالعدو فإنما هي محض سلوك وعمل يظهر بعد التلاوة وبعد تعليم الكتاب وبعد تعليم الحكمة.

ونحن الآن نقوم بعملنا هذا بتعليم التزكية كالصناعة والحرفة التي يحتاجها الإنسان، ويقوم بها عند الحاجة لتدر عليه نفعا ما.. هذه حالنا ورب حال أفصح من لسان. من صفات هذا المعلم أن يعلمهم الكتاب والحكمة كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾.

والقرآن الكريم يبين لنا أن الله أنزل الحكمة كما أنزل القرآن، وأنها تتلى فقال: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (النساء: ١١٣).



وقال: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ (البقرة:٢٣١).

وأمر الله أزواج النبي ﷺ أن يتذكروا ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة فقال: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (الأحزاب:٣٤).

ودل الاستقراء والتتبع لكلمة «الحكمة» في القرآن الكريم أنها وردت في كتاب الله على نوعين: مفردة، ومقترنة بالكتاب.

أولا المفردة: فقد وقعت في تسعة مواضع.. وقد فسرت بالنبوة.. والفهم والقرآن وتفسير القرآن.

وفسرت الحكمة بعلوم القرآن وفقه ما فيه من علوم، ذكر ابن الجوزي أن من معاني الحكمة علوم القرآن.

ثانيا: الحكمة المقرونة بالكتاب

وكلمة الحكمة عادة تأتي بعد كتاب منزل، وجاءت في اختيارنا لهذه الأصول كلها مقترنة بالكتاب ومتصلة به، ومن ثم اشتركت الحكمة في نسق تعليم الكتاب: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وارتبطت به ارتباطا وثيقا فشاركت الكتاب في التعليم فيجب أن تعلم كما يعلم الكتاب.

واتفق علماء التفسير على أن الحكمة المتصلة بالكتاب هي السنة وفسرها بذلك الحافظ ابن كثير وعزاه إلى غير واحد من السلف وهي ما أخذ عن الرسول ﷺ سوى القرآن: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» ومصداق ذلك في كتابه الكريم: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى﴾ (النجم:٣- ٥).

«التكافل لرعاية السجناء» .. تجربة إسلامية ناجحة في إغاثة الفقراء الجدد

رجب الدمنهوري

لم يعد العمل الخيري الكويتي محصورا في النطاق الإغاثي التقليدي المتعارف عليه منذ قديم الزمان، والمتمثل في تقديم العون والمساعدة للفقراء والمعوزين الذين انقطعت بهم السبل فقط، فقد تجاوزت أنشطته هذا الاطار إلى آفاق أوسع وفضاءات أرحب جمعية التكافل لرعاية السجناء واحدة من المؤسسات الخيرية الكويتية التي امتثلت قول الرسول الكريم «خير الناس أنفعهم للناس» (رواه ابن حبان) حيث نشطت في مجال لم يكن مألوفا في السابق، ألا وهو رعاية الفقراء الجدد الذين أفقروا أنفسهم بأنفسهم، وتورطوا في قضايا مالية، وانتهى بهم المآل إلى السجون، وتركوا وراءهم أسرهم دون عائل أو معين، وبهذا المسعى تقدم الجمعية تجربة إسلامية جديرة بالتأمل والرصد لدورها المشهود في رعاية شريحة من السجناء والعمل على إصلاحهم وإعادة تأهيلهم، وإعالة أسرهم في إطار دعم الجهود الرامية إلى تماسك المجتمع والحيلولة دون انفراط عقده، وبالتعاون مع وزارات الأوقاف والداخلية والشؤون والعدل ومؤسسات خيرية واستثمارية مجسدة صورة رائعة من الحرص المشترك على معالجة تداعيات هذه الجرائم.

النشأة والأهداف الإنسانية

أسسها الشيخ مساعد مندني عام ٢٠٠٠م في صورة صندوق تكافل قبل أن تتحول الى جمعية، فعندما عنت له الفكرة أخذ يصول ويجول بها في أوساط الخيرين، وقابله فريق من الناس باستغراب حينما علموا أنه سيعمل في أوساط المسجونين على ذمة قضايا مالية، وبلغ الأمر ببعضهم أنهم قالوا له «إما أنك ستصبح أكبر مجرم على وجه الأرض لأنك ستحتك بالمجرمين، أو أن في عقلك شيئا غير طبيعي». لكن الشيخ مندني- الذي يترأس الجمعية حتى الآن- لم يعبأ بهذا الخطاب المحبط، ومضى في مشروعه بإصرار وكانت الفكرة واضحة في ذهنه، إذ يرى أن السجين ليس مجرما، حتى لو قتل أو شرب الخمر أو تعاطى المخدرات، ولكنه إنسان مريض، والمريض يحتاج إلى علاج ومساعدة.

وفي مقابل هذا الفريق المتحفظ على هذا النشاط وجد فريقا آخر يعينه على الخير، ويقدم له الدعم والمساعدة، ومن أبرزهم العم الراحل عبدالله المطوع صاحب السجل الوافر بالعطاء.

الشريحة المستهدفة

وليس كل السجناء في سلة واحدة- من منظور الجمعية- وحتى لا تتهم بأنها تحض على الإجرام، فقد حددت شريحة معينة، تمثل قرابة ٣٥ ٪ من السجناء، وهي شريحة المحتجزين الذين دخلوا السجن بسبب جريمة آخرين كالكفيل أو من يعمل توكيلا لوكيله، حيث يصبح الموكل مدانا بجميع تصرفات الوكيل، أو الذي دخل السجن بسبب ضعف راتبه وعدم قدرته على الوفاء بأقساطه والتزاماته، وهنا يظهر دور الجمعية حيث تدرس ظروف المدين، وإذا ثبت أنه يدخل ضمن الاشخاص الذين تنطبق عليهم شروط المساعدة كالكفلاء أو الموكلين أو أصحاب الدخل المحدود او النساء اللاتي دخلن السجن بسبب ازواجهن أو أبنائهن، أو كبار السن والمرضى وغيرهم فلا تتردد في تقديم العون لهم لمساعدتهم على الخروج من هذه الأزمة.



جانب من أنشطة الجمعية

التعاطي المنهجي

وعن طبيعة تعاطي الجمعية مع هذا الملف وضمان حصول المتورطين في هذه القضايا دون إرادتهم على المساعدات تبدأ الجمعية أولى خطواتها وضمن إطار منهجي بالتحقق من أن قضية هذا السجين او ذاك تدخل فعليا ضمن الشريحة المستهدفة حتى تمد له يد العون، ثم تأتي الخطوة الثانية وتتصل بالدائن لتسأله عن خلفيات القضية، وحجم الدين المستحق له على المدين، ونوعية النشاط الذي انعقد عنه هذا الدين، وعندما يثبت لها أنه عمل تجاري صحيح ولا ريب فيه، وقد جاء بناء على عمل شرعي صحيح أيضا، وأن

الجمعية نجحت في الإفراج عن أكثر من خمسة آلاف سجين بفضل مساعدة العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية

هذا الدين جاء عن طريق اتفاق صحيح مائة بالمائة، هنا تقوم الجمعية بدراسة هذه الحالة وتعمل على سداد الدين من التبرعات التي تجلبها من أهل الخير، وإذا كان المبلغ كبيرا والجمعية لا تقدر على سداده فإنها لا ترفع شعار العجز بل تقوم بعمل تسوية مع الدائن، وتطلب منه أن يتنازل عن جزء من المبلغ، كما تطلب من أهل السجين أن يسهموا في تدبير جزء آخر، وتقوم هي بدفع الجزء المتبقي، وإذا عجزت عن الوفاء به تطلب من القاضي و برضا الدائن ان يقسط هذا المبلغ المتبقي على المدين، ومن ثم يخرج السجين إلى المجتمع، وقد استفاد من التجربة ليبدأ حياة جديدة كعضو نافع ومنتج

توسيع مفهوم الفقر

والجمعية بهذا النشاط المؤسسي الجديد نجحت في توسيع مفهوم الفقر انطلاقا من أن الأسر الكويتية التي وقعت ضحية هذا النوع من الإجرام قد أفقرت نفسها بنفسها بسبب القروض والديون وعدم التخطيط الصحيح الذي جاءت نتائجه سلبية على الأسرة واقتصادياتها، فمؤسسات الإقراض- كما يقول الشيخ مندني- تشجع على النشاط الاستهلاكي الأمر الذي أدى إلى أن مؤسسات «التكييش» والتي وصفها بغير القانونية قد أودعت أسرا كويتية كثيرة في السجن، وأوقعت أخرى في شراك الديون التي تمتد إلى عقود من الزمن بمبالغ تفوق دخلها الشهري، ومن هنا فإن أي مواطن- في تقدير الجمعية- عليه أمر ضبط وإحضار من قبل السلطات نتيجة مطالبات مالية، يمكن تصنيفه على أنه فقير، لاسيما أن نسبة هؤلاء تتراوح ما بين ٨ إلى ١٠٪ من المواطنين، كما تشير الإحصاءات الصادرة عن وزارة العدل إلى أن عدد المطلوبين للقضاء في قضايا مالية والصادر بحقهم ضبط وإحضار يزيد على الـ ٩٠ ألف مواطن كويتي، وهو رقم كبير قياسا على عدد السكان.

سر النجاح

ولعل سر نجاح الجمعية في رسالتها من خلال رصد دورها المجتمعي أنها لم تنظر إلى مساعدة السجناء من زاوية الجرم المرتكب، بل من زاوية المرض الذي دفع الضحية إلى ارتكاب الجرم، في إشارة مهمة تكشف عن عزمها اقتلاعه من جذوره، والأكثر من ذلك أنها لم تتعامل بشكل عفوي مع الشريحة المستهدفة، وإنما أعدت الدراسات والأبحاث ونظرت إلى الحالة المرضية لهذه الفئة من ثلاث زوايا، الأولى هي المرض، والثانية هي تفاعل المرض والدافعية إلى ارتكاب الجريمة، أما الثالثة فهي تداعيات المرض وآثار الجرم الذي يرتكبه في تلك المرحلة، الأمر الذي تطلب من- وجهة نظر الجمعية- عدم الخلط وإصدار أحكام مسبقة على السجناء بأنهم مجرمون وبالتالي لا يستحقون المساعدة كما قد يرى البعض.

وقد حالف النجاح الجمعية بإفراجها حتى الآن عن أكثر من خمسة آلاف سجين وسجينة بفضل الله أولا، ثم مساعدة العديد من الشركات والوزارات والمؤسسات الحكومية والأهلية، ومن بينها بيت التمويل الكويتي، ودار الاستثمار، وشركة أعيان، والأمانة العامة للأوقاف، وبيت الزكاة وهو من أكبر الجهات الداعمة للجمعية بحوالي ٢٠٠ ألف دينار سنويا، فضلا عن أن الجمعية تحصل مثل هذا المبلغ من تبرعات أهل الخير.

جهود دعوية

ولم يقتصر هذا النشاط على مسار تقديم الدعم المالي وحسب، فهناك أيضا جهد كبير تبذله الجمعية دعويا لكي ترفع من همة السجين وإيمانه وتنمي وعيه بقضيته وتداعياتها وتؤكد له أن السجن ليس نهاية المطاف، وإنما هو كبوة من الكبوات التي يمكن تجاوزها إلى فتح صفحة جديدة مع المجتمع، ووسائل الجمعية في ذلك كثيرة، منها دروس الوعظ والمحاضرات والدورات الإيمانية ومسابقات حفظ القرآن الكريم والثقافة الإسلامية والبرامج الإيمانية والترفيهية والدورات النفسية والاجتماعية، وتهدف هذه الأنشطة إلى تنمية الثقة في نفس السجين وإصلاحه وتأهيله ومساعدته على تجاوز محنته، كما تسعى الدورات النفسية والاجتماعية تحديدا إلى مساعدة السجين على التواصل مع أولاده وزوجته من داخل السجن وكأنه هو الذي يدير شؤونهم الأسرية والحياتية.

النشاط المتزايد في رمضان

ولأن شهر رمضان المبارك هو شهر الخيرات والجود والإقبال على الأعمال الصالحة ومضاعفة الحسنات، فإن نشاط رعاية السجناء يتزايد في هذا الشهر الفضيل أكثر من أي وقت آخر خلال العام، ويعود ذلك إلى الانتفاضة الإيمانية التي تشهدها مساجد الكويت ومبادرات أهل الخير وتسابق المحسنين والمؤسسات إلى إخراج الصدقات والزكوات والتبرعات كما أن كثيرا من المحسنين يجعلون من الشهر الكريم موعدا لإخراج الزكاة، ولهذا فقد دأبت الجمعية على تنظيم المؤتمرات الصحافية والاحتفالات للإعلان عن نشاطها وعدد السجناء الذين سيخرجون من ظلمة السجن إلى نور الحياة من خلال حملة «فرحة رمضان» فضلا عن تقديم المساعدات لأسر السجناء، فقد قدمت في رمضان الماضي مساعدات لألف أسرة حيث حصلت كل أسرة على ٥٠٠ دينار ليبلغ إجمالي المبلغ المصروف على هذا النشاط وحده نحو نصف مليون دينار.

التجربة تحظى بقبول خليجي

وبهذا النشاط النوعي تعتبر الكويت سباقة في مجال رعاية السجناء ومساعدة أسرهم، بل ومصدرة لمثل هذه التجارب الناجحة إلى دول الخليج، فقد كانت مملكة البحرين من أوائل الدول التي شرعت في تطبيق هذه التجربة بعد لقاء جمع بين الشيخ مندني وعدد من رجال الأعمال في المملكة، وقد أبدوا إعجابهم بدور العمل الخيري في رعاية السجناء وشرعوا في تنظيم عمل مؤسسي مشابه، ولتعميم الفائدة نقل الشيخ مندني خبرة الجمعية إلى قطر وعمان والإمارات والسعودية واليمن، وهي التجربة التي لاقت قبولا واستحسانا واسعين من جانب الجهات المعنية في هذه الدول.

إعداد: سلوى طلعت

المؤتمر الثالث للوحدة الإسلامية



بدأ المؤتمر الثالث للوحدة الإسلامية الذي افتتح في العاصمة البريطانية لندن، يوم الجمعة الموافق ١٢/ ٦/ ٢٠٠٩م بحضور علماء ومفكرين من مختلف الدول الإسلامية، تحت عنوان: «دور الأمة الإسلامية الواحدة في بناء حضارة إنسانية عادلة»، وقد افتتح المؤتمر بكلمات ترحيبية من الأمانة العامة لمنتدى الوحدة الإسلامية، حيث رحب د.كمال الهلباوي بالحضور وبضيوف المؤتمر من دول العالم المختلفة.

وشدد د.الهلباوي على أهمية هذا المؤتمر، وخاصة أنه يأتي في ظروف صعبة تمر بها الأمة الإسلامية، بسبب الضعف والوهن الذي أصيبت به الأمة.

بعد ذلك تحدث د.سعيد الشهابي، وبين بدوره أن منتدى الوحدة الإسلامية حريص على نشر ثقافة الوحدة بين صفوف الأمة، حتى تقوم الأمة بدورها تجاه العالم.

وقد حذر أئمة وعلماء دين وممثلو الحركات الإسلامية المشاركون في المؤتمر الثالث للوحدة الإسلامية الذي يقيمه منتدى الوحدة الإسلامية، من ظاهرة التطرف الديني (العنف) التي سادت العالم، موجهين اللوم إلى علماء المسلمين ممن قصروا في التصدي لمن يستبيح دماء المسلمين تحت دعوى الجهاد.

ولفت المشاركون في المؤتمر الأنظار إلى ضرورة البحث عن وسائل عملية لتطبيق الوحدة الإسلامية علي أرض الواقع، لمواجهة ما أسموه بالخطر المحدق من الخارج، والذي يهدف إلى تمزيق وحدة العالم الإسلامي لمحاولة استعماره مرة ثانية، والاستفادة من ضعفه.

وقال الشيخ عبد الهادي أوانج من ماليزيا: «من المهم مناقشة قضية الوحدة الإسلامية والبحث عن وسائل الاتصال الداخلي لجمع الشمل الإسلامي وسط عدد من التحديات والأزمات التي تعترض العالم أجمع، بداية من الأزمة الاقتصادية ومن قبلها الأزمات الأخرى في العقيدة والأخلاق والبناء الاجتماعي».

الملتقى العالمي الرابع لخريجي جامعة الأزهر: الأزهر والغرب.. ضوابط الحوار وحدوده

جرت في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ يونيو ٢٠٠٩م على مدى ثلاثة أيام فعاليات الملتقى العالمي الرابع لخريجي جامعة الأزهر تحت رعاية شيخ الأزهر د.محمد سيد طنطاوي، وتحت عنوان: «الأزهر والغرب.. ضوابط الحوار وحدوده»، وقال رئيس جامعة الأزهر د.أحمد الطيب: إن الملتقى يهدف إلى استطلاع آراء أكثر من ٩٣ شخصية من نخبة المفكرين ورجال الدين والثقافة من غير المسلمين الغربيين في الخطاب الإسلامي، لتأصيل قضية الحوار والتواصل بين الشعوب على مستوى العالم، خاصة العالم الغربي.

وقد استضاف الملتقى العالمي لخريجي الأزهر حوالي ١٠٠ عالم ومثقف وأكاديمي ورجل دين معظمهم من غير المسلمين، وناقش ٦٠ بحثًا وورقة عمل، وتناول قضايا الصراع والمواجهة بين الغرب والعالم والإسلامي.

الهيئة العربية الدولية لإعمار غزة
معًا لإعمار غزة

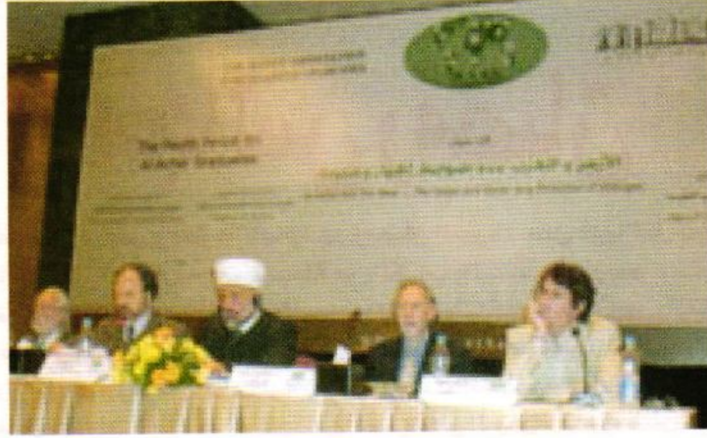
عقد في مدينة اسطنبول التركية في يومي الأربعاء والخميس ١٨و١٩ يونيو الماضي أكبر ملتقى دولي لرجال الأعمال تنظمه «الهيئة العربية الدولية لإعمار غزة» برعاية تركية رسمية.

وشارك في هذه الفعالية أكثر من ألف رجل أعمال، وشخصيات نقابية وحقوقية من مختلف الدول العربية والإسلامية والأوروبية، بالإضافة إلى ممثل عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

ويحمل الملتقى شعار «معا لإعمار غزة».

وقد اعترف جون أسبوزيتو بتطرف اللوبي الصهيوني في أميركا، معتبرًا إياه خطرا على السياسة الأميركية، مشيرًا إلى أن أكثر التحديات التي تواجه أميركا هي بسبب إسرائيل، وهو ما يتطلب رفض أي استثناءات، فلا تستثنى إسرائيل من القانون الدولي.

وأكد د.أحمد الطيب -رئيس جامعة الأزهر ورئيس مجلس إدارة الرابطة- أنه كُتب علينا نحن المسلمين في الآونة الأخيرة أن نوضع جميعًا في قفص الاتهام بإسلامنا ونبينا الكريم -عليه أفضل الصلاة والسلام- من قبل مؤسسات غربية سياسية ودينية، واتهم الإسلام -زورًا وبهتانًا أو جهلاً- بأنه دين العنف والتطرف والسيف والحرب، وهي تهم قديمة بالية، كنا نظن أن العقل الغربي المعاصر قد تخطاها وضرب عنها صفحًا بعدما توفرت لديه الحقائق والوثائق العلمية والتاريخية عن زيف هذه الادعاءات.



وقد بذلت جهود ومحاولات من أجل توضيح الحقيقة على الجانبين: الغربي والإسلامي، لكنها لم تؤت ثمارها المرجوة، وحالت دون ذلك عقبات كثيرة أهمها: أن كثيرًا ممن يملكون صنع القرار في الغرب غير منصفين ولاجادين في فهم الإسلام وحضارته الإنسانية العالمية فهمًا صحيحًا، إنهم يتعاملون معه بألف مكيال ومكيال، بينما يتعاملون مع سائر الديانات والعقائد الأخرى بمكيال واحد، وقد صنعوا منه في الآونة الأخيرة عدوًا مشتركًا أو قربانًا يقدم على مذبح وحدة الغرب وتماسكه.

وقال د.أبو لبابة الطاهر-رئيس جامعة الزيتونة بتونس سابقًا ومدير مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان: «إنه من الفروض الواجبة أن تمتلك الأمة الإسلامية الأسلحة التي يمتلكها أعداؤها، ومنها النووية، وتابع الطاهر: لدى الأمة الإسلامية من الواقعية والرحمة ما يمنعها من استخدام هذه الأسلحة في المواقع التي لايجوز استخدامها فيها».

وفي بيانه الختامي اعتبر الملتقى أن حوار الحضارات مازال مجرد شعارات تتردد في المنتديات والمؤتمرات دون أن يتحول إلى منهج علمي يقود إلى التقارب، ودعا إلى وضع ميثاق للحوار يقوم على الاعتراف المتبادل بين الأديان السماوية، والبحث عن القواسم المشتركة وأوجه الاتفاق من أجل استثمارها في التقريب بين الأمم. ورأى البيان أن أكبر العوائق أمام نجاح الحوار بين الحضارات هو سياسة الظلم التي يمارسها الغرب ضد المجتمعات الإسلامية، وهو ما يضع على عاتق المجتمعات المسيحية مسؤولية دعوة ساستها إلى رفع هذا الظلم، والسعي إلى تحقيق العدالة التي تمثل روح الإيمان في رسالات السماء.

ال المنظمون: إن الغاية من تنظيمه هي ادة إعمار قطاع غزة الذي دمرته الحرب سرائيلية الأخيرة، وكذلك التعريف لهيئة العربية الدولية لإعمار غزة ورها في هذه العملية، وتحديد وحصر تياجات القطاع من الأبنية والبنى حتية والخدمات الهندسية، وأكدوا أن حرك سيبدأ بغزة على أن يمتد إلى باقي راضي الفلسطينية.

وقال المنسق الإعلامي للملتقى زياد الول: إن هذه الفعالية تحظى برعاية كية رسمية ممثلة في حضور وزير سكان، إضافة لرئيس بلدية اسطنبول، رلمانيين. وأوضح أن الملتقى يسعى إلى لاق صندوق «الإعمار الأهلي» بحضور ظمات والشركات الهندسية، ومنتديات ورجال الأعمال والمهندسين والمقاولين والشركات الكبرى وغيرها من المؤسسات الأهلية.

وأضاف المنسق الإعلامي أن الملتقى يسعى إلى تسويق مشاريع الإعمار والمساهمة المباشرة في تمويلها، وتقديم الخدمات الهندسية اللازمة لها، وتشجيع الاستثمار في فلسطين، والاطلاع على الواقع الهندسي في القطاع، ووضع الآليات والأطر المناسبة لتشغيل وتدريب وتأهيل الكوادر الهندسية والفنية فيه.

وأشار العالول إلى أن الملتقى يسعى كذلك-وعبر التنسيق مع مكتب الهيئة العربية الدولية في قطاع غزة-إلى إصدار دليل الإعمار الذي يحتوي على معلومات وبيانات تخص مشاريع مقترحة لإعمار



غزة، منها مشاريع إعادة بناء أو تأهيل مبان أو بنى تحتية دمرها العدوان الإسرائيلي، وأخرى مشاريع يحتاجها قطاع غزة في مختلف مجالات الإعمار، وهدف الدليل توفير عدد كبير من المشاريع لإعطاء فرصة للراغبين في تبني مشروعات محددة لإعمارها بالتنسيق مع الهيئة.



مجالس رمضان

هناك الكثير من الكتب التي ألفت في دروس وعظية لأيام شهر رمضان البهية، جعل فيها لكل يوم وعظ، وذكر فيها ما يناسب الحال والمقام، بعبارات سهلة قريبة، وألفاظ سلسة مطلوبة، مستنبطة من الكتاب والسنة، وهذا سمت سار عليه كثير ممن ألفوا في مجالس رمضان وفوائد الصيام، مؤلفات تستوعب كثيرا من أحكام الصيام والقيام والزكاة، وما يناسب المقام من ذكر الأحكام والآداب لحاجة الناس الى ذلك في هذا الشهر الفاضل، وحتى ينتفع بها الأئمة في المساجد، ألف في مجالس رمضان من علماء الكويت: العلامة الشيخ عبدالله خلف الدحيان (ت ١٣٤٩ هـ) «مجالس رمضان الوعظية»، والشيخ عبدالله عبدالرحمن السند (ت ١٣٩٧ هـ) «مجالس رمضان فيها تذكرة وبيان»، والشيخ محمد أحمد الخلف (ت١٤٠٦ هـ) «المجالس السنية في البيان لأيام رمضان البهية»، والشيخ عبدالرحمن الكمالي «المواعظ السنية لأيام شهر رمضان البهية»، كذلك ألف ثلة من العلماء أمثال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ضمن كتابه القيم «لطائف المعارف»، والشيخ فيصل المبارك (ت ١٣٧٦ هـ) والشيخ أبو بكر الملا الأحسائي، والشيخ العلامة محمد صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) وهنا نورد باختصار المجلس الأول من «مجالس رمضان الوعظية» للعلامة عبدالله خلف الدحيان.

قال رحمه الله تعالى: عباد الله، اعلموا أن هذا الشهر مبارك الليالي والأيام، وصيامه سبب لمحو الذنوب والآثام، وقد فرض الله عليكم صيامه، وأوجب عليكم تعظيمه واحترامه، قال الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، هذا بيان من الله تعالى لحكم من الأحكام الشرعية، وهو فريضة الصوم وما فيها من الحكم المرعية، خاطب الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، الذين آمنوا به وبرسوله، تصديقا بقلوبهم، وإقرارا بألسنتهم، وناداهم بالنداء الآكد الأبلغ، تحريكا لهم، وبعثا لهممهم، وتنشيطا لاهتمامهم بما أمرهم به من فرائض دينه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، فيجب عليهم أن يتيقظوا لخطاب الله ويستجيبوا لندائه.

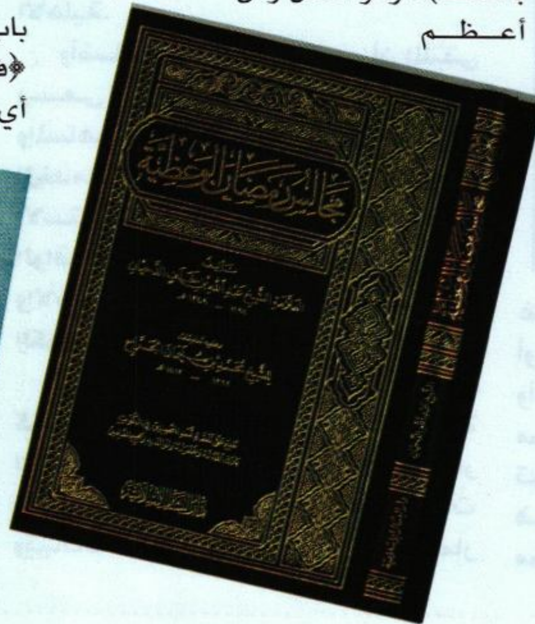
إن الله تعالى أكرم عباده بالتكليف، وخاطبهم بخطاب التشريف، وبشرهم بوعده وأنذرهم بوعيده، وقد قال تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾، أي: هملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟ كلا بل إنه مأمور منهي، مجازى على الطاعة، معاقب على المعصية.

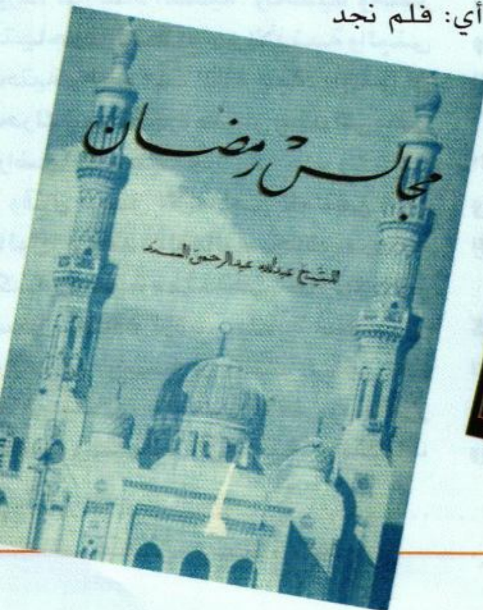
وقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويوحدوه، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، فما أرسل تعالى رسله، وأنزل كتبه، وخلق السموات والأرض، إلا ليعرف ويوحد ويعبد، ويكون الدين كله له، والطاعة كلها له، والدعوة له.

قال تعالى ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾، وقال تعالى ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾، وقال تعالى ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾، فأخبر سبحانه وتعالى أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا شريك له، وأن يقوم الناس بالقسط في جميع ما كلفهم الشرع، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾، وهو العدل ومن أعظم العدل التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه، كما أن الشرك أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

وقد جعل الله الإنسان- بما وهبه له من الحياة والعقل- أهلا للتكليف، ومحلا لتشريفه بالأمر والنهي، قال تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾، ففي هذه الآية دليل على فضل الحياة والعقل، وأن الإنسان إنما صار صالحا للتكليف بسببهما، وأن السموات والأرض والجبال، وإن كانت أعظم جثة وأشد قوة منه، لكنها لما كانت خالية من الحياة والعقل لم تصلح للتكليف.

فإن قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ من باب التمثيل، أي: قابلنا بين حالها والتكليف، ﴿فأبين أن يحملنها﴾، مع عظمها، أي: فلم نجد






كتاب المجالس السنية في البيان
لايام رمضان البهية
الجزء الاول
لمؤلفه
الشيخ محمد ابن احمد الخلف المفتى
ثوابه
لوالدة يوسف احمد جمال
وجدته عائشة سليمان
طبع على نفقة
الحاج يوسف أحمد جمال
غفر الله له جميع ذنوبه ولوالديه
ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات الأحياء منهم والأموات
انه سميع قريب مجيب الدعوات
برحمتك يا أرحم الراحمين آمين
وقف لوجه الله تعالى
يهدى ولا يباع بثمن
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ومن يخالفها
يحاكم بموجب القانون
الطبعة الثانية
سنة ١٣٩٠ هـ الموافق سنة ١٩٧١ م


المواعظ السنية
لأيام شهر رمضان البهية
في إرشاد البرية
جامعها المفتقر إلى الله الكبير المتعال
عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن يحيى الكلي
غفر الله لهم الذنوب وكشف عنهم المكروب
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
طبعت على نفقة جماعة من المحسنين جزاهم الله خيرا
يوزع مجانا
الطبعة الثالثة
١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

فيها محلا له، ﴿وأشفقن منها﴾، أي: وكن أضعف من ذلك، وأبعد من الصلاح له، لأن خلوها من الحياة والعقل يوجب خلوها من الاختيار، فلا يكون الفعل منها على سبيل التخيير، وقوله تعالى ﴿وحملها الإنسان﴾، أي: كان فيه محل للأمر والنهي، لوجود العقل والحياة فيه، وقوله تعالى: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾، لم يرد به أنه حملها لأنه كان ظلوما جهولا، لأنه لم يخير في حمل أمانة التكليف، بل ألزمها، وإنما معنى ذلك، أي إنه بعد حملها يجهل موضع حظه، ويظلم نفسه، فيخالف الأمر، ويرتكب النهي، ويعرض نفسه للعقاب، ويحرمها الثواب.

وقد قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن البصري، وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض، وقال مالك، وزيد بن أسلم: الأمانة ثلاثة: الصلاة، الصوم، والاغتسال من الجنابة، وكل ما جاء في تفسير الأمانة، فإنه يرجع إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي.

وإن صوم رمضان من فرائض دين الله المحتمة، وأمانته التي ائتمن عباده عليها، وأمرهم برعايتها، وهو سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، وقد اختار الله تعالى من الشهور شهر رمضان، وجعل صيامه أفضل الصيام، وهو أحد أركان الإسلام، وفي حديث مرفوع أخرجه ابن أبي الدنيا: «لو يعلم العباد ما في رمضان من الأجر والخير، لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها».

وكان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، كما أخرجه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه، يقول «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان .

قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال يحيى بن كثير: كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا.

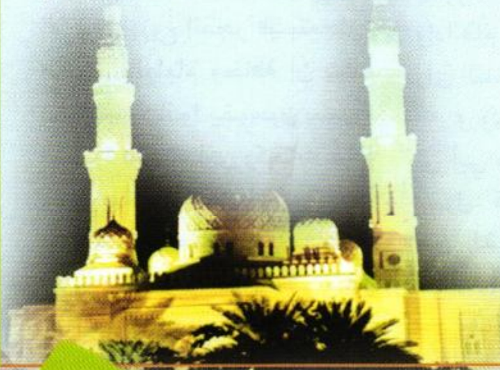
واعلموا أن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه، ويدل عليه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من بلي، وهي من قضاعة، أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما، وأخر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: رأيت الجنة، فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجبت من ذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «أليس صام من بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة صلاة سنة».

وأخرج أحمد والترمذي وصححه، والحاكم عن أبي بكرة رضي الله عنه عنه: أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله». فيستفاد من هذا فضل الحياة في طاعة الله وأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا.

أتى رمضان مزرعة العباد
لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا
وزادك فاتخذه إلى المعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها
تأوه نادما يوم الحصاد

من رحم في رمضان فهو المرحوم، ومن لم يتزود لمعاده فهو ملوم.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب
حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما
فلا تصيره أيضا شهر عصيان
واتل القران وسبح فيه مجتهدا
فإنه شهر تسبيح وقرآن
واحمل على جسد ترجو النجاة له
فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنتَ تعرف ممن صام في سلف
ما بين أهل وجيران وإخوانِ
أفناهمُ الموتُ واستبقاك بعدهُم
حيًا فما أقربَ القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها
فأصبحت في غد أثوابَ أكفانِ
حتى متى يعمر الإنسانُ مسكنه
مصيرُ مسكنه قبر لإنسانِ



القراءة في صلاة التراويح

جاد الله فرحات

ما إن يأتي شهر رمضان المبارك حتى نبدأ في التساؤل كيف نصلي التراويح والتهجد؟ وماذا نقرأ فيهما؟ هل نقرأ من قصار السور أو من بداية القرآن من سورة البقرة؟ وهل نقرأ من المصحف أو من الحفظ؟ ويثور الخلاف حول الأفضلية.

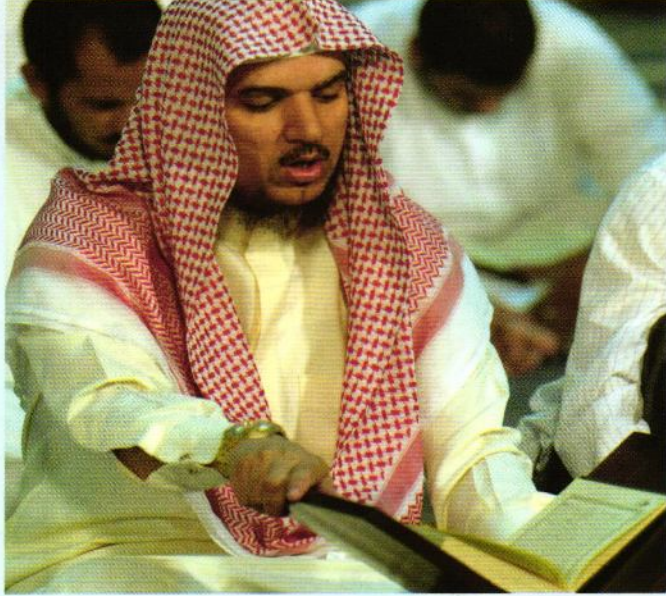
وهذا البحث يجيب عن هذه التساؤلات:

أولا: هل يجب ختم القرآن في صلاة التراويح في رمضان؟

ثانيا: هل يجوز القراءة من المصحف في الصلاة؟

ثالثا: هل الأفضل للإمام أن يقرأ من حفظه أو من المصحف؟

رابعا: هل يجوز للمأموم متابعة الإمام من المصحف؟



ختم القرآن

في رمضان في صلاة التراويح، فإنه مستحب فقط وليس واجبا وقد اعتاد أئمة الحرمين الشريفين ختم القرآن في صلاة التراويح وكان منذ سنوات عدة يتم ختم القرآن في التهجد في العشر الأواخر وحالياً يكتفي بنصف القرآن في التهجد في العشر الأواخر، ويجوز القراءة بأي قدر من القرآن تصح به الصلاة، وقد ورد في فقه السنة «ليس في القراءة في قيام رمضان شيء مسنون وورد عن السلف انهم كانوا يقرأون بالمائتين ويعتمدون على العصي من طول القيام، ولا ينصرفون إلا قبيل بزوغ الفجر فيستعجلون الخدم بالطعام مخافة أن يطلع عليهم، وكانوا يقومون بسورة البقرة في ثماني ركعات فإذا قرئ بها في اثنتي عشرة ركعة عد ذلك تخفيفاً، قال ابن قدامة: قال أحمد «يقرأ بالقوم في شهر رمضان ما يخف على الناس ولا يشق عليهم، ولاسيما في الليالي القصار» وقال القاضي: لا يستحب النقصان من ختمة في الشهر ليسمع الناس جميع القرآن، ولا يزيد على ختمه كراهية المشقة على من خلفه، والتقدير بحال الناس أولى، فإنه لو اتفق جماعة يرضون بالتطويل كان أفضل، كما قال أبوذر: «قمنا مع النبي ﷺ حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، يعني السحور، وكان القارئ يقرأ بالمئتين».

وروى الإمام مالك في كتابه الموطأ عن داود بن الحصين عن عبدالرحمن الأعرج قال: ما أدركت الناس الا وهم يلعنون الكفر في رمضان قال: وكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثماني ركعات، وإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف.

وروى مالك أيضا عن عبدالله بن أبي بكر أنه قال: سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام فنستعجل بالسحور مخافة الفجر.

وقال الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير لسيدي أحمد الدردير: يندب للإمام ختم جميع القرآن في التراويح في الشهر كله ليسمعهم جميعه.

وتجزئ سورة في التراويح جميع الشهر، وكذا قراءة سورة في كل ركعة أو كل ركعتين من التراويح كل ليلة في جميع الشهر.

أما اذا كان يحفظ غيرها، أو كان هناك من يحفظ القرآن غيره فهو أحق بالامامة.

قال ابن عرفة فيها لمالك: وليس الختم بسنة، ولربيعة: لو أقيم بسورة أجزأ، وقيل: الختم أحسن، قال أبوالحسن: معناه إذا لم يكن يحفظ إلا هذه السورة، ولم يكن هناك من يحفظ القرآن، أو كان ولا يرضى حاله.

وقال ابن عابدين في حاشيته الدر المختار:

ختم القرآن مرة واحدة سنة، ومرتين فضيلة، وثلاثا أفضل، ولا يترك الختم لكسل القوم.

والأفضل في زماننا هذا قدر ما لا يثقل عليهم.

ففي فضائل رمضان للزاهدي:

أفتى أبو الفضل الكرماني والوبري: أنه اذا قرأ في التراويح الفاتحة وآية أو آيتين لا يكره.

وقال الجزيري- رحمه الله- في كتابه «الفقه على المذاهب الأربعة»: تسن قراءة القرآن بتمامه فيها بحيث يختمه آخر ليلة من الشهر إلا إذا تضرر المقتدون به، فالأفضل أن يراعي حالهم، بشرط ألا يسرع إسراعاً مخلاً بالصلاة، وهذا متفق عليه.

هل يجوز القراءة من المصحف في الصلاة؟

ورد في فقه السنة «باب ما يباح في الصلاة» القراءة من المصحف: فإن ذكوان مولى عائشة كان يؤمها في رمضان

من المصحف، رواه مالك، وهذا مذهب الشافعية - قال النووي: ولو قلب أوراقه أحياناً في صلاته لم تبطل ولو نظر في مكتوب غير القرآن وردد ما فيه في نفسه لم تبطل صلاته وإن طال، لكن يكره. نص عليه الشافعي في الإملاء.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في كتاب الأذان:

«باب إمامة العبد والمولى، وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان من المصحف» ا. هـ.

هكذا ساقه الإمام البخاري رحمه الله معلقاً (أي دون ذكر سنده فيه).

وقد بوب الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في كتابه العظيم «المصنف» بابا «في الرجل يؤم القوم وهو يقرأ في المصحف» وساق فيه الآثار الآتية:

٧٢١٤- عن أيوب قال: كان لا يرى بأسا أن يؤم الرجل القوم يقرأ في المصحف.

٧٢١٥- عن القاسم يقول: كان يؤم عائشة عبد يقرأ في المصحف.

٧٢١٦- أثر هشام بن عروة عن أبي بكر بن أبي مليكة، وقد تقدم.

٧٢١٧- أثر ابن سيرين عن عائشة بنة طلحة أنها كانت تأمر غلاما أو إنساناً يقرأ في المصحف يؤمها في رمضان.

٧٢١٨- أثر شعبة عن الحكم في الرجل يؤم في رمضان يقرأ في المصحف: رخص فيه.

٧٢١٩- عن الحسن ومحمد قالا: لا بأس به.

٧٢٢٠- عن عطاء قال: لا بأس به.

٧٢٢١- عن الحسن قال: لا بأس أن يؤم في المصحف إذا لم يجد، يعني من يقرأ ظاهراً.

٧٢٢٢- أثر ثابت البناني قال: كان أنس يصلي وغلامه يمسك المصحف خلفه، فإذا تعايا في آية فتح عليه.

ثم بوب رحمه الله بابا في «من كرهه» وساق فيه:

٧٢٢٣- أثر سليمان بن حنظلة البكري أنه مر على رجل يؤم قوما في المصحف فضربه برجله.

٧٢٢٤- أثر عطاء عن أبي عبد الرحمن أنه كره أن يؤم في المصحف.

٧٢٢٥- أثر الأعمش عن إبراهيم أنه كره أن يؤم الرجل في المصحف، كراهة أن يتشبهوا بأهل الكتاب.

٧٢٢٦- أثر إبراهيم أيضاً، قال: كانوا يكرهون أن يؤم الرجل وهو يقرأ في المصحف.

٧٢٢٧- أثر ليث عن مجاهد أنه كان يكره أن يؤم الرجل في المصحف.

٧٢٢٨- أثر قتادة عن سعيد بن المسيب قال: إذا كان معه من يقرأ رددوه ولم يؤم في المصحف.

٧٢٢٩- أثر الحسن أنه كرهه، وقال: هكذا يفعل النصارى.

٧٢٣٠- أثر شعبة عن حماد وقتادة في رجل يؤم القوم في رمضان في المصحف فكرهه.

٧٢٣١- أثر إسرائيل عن جابر عن عامر، قال لا يؤم في المصحف.

مذاهب الأئمة وأقوال العلماء

■ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في فتح الباري: وإلى صحة إمامة العبد ذهب الجمهور، وخالف مالك فقال: لا يؤم الأحرار إلا إن كان قارئا وهم لا يقرأون فيؤمهم، إلا في الجمعة لأنها لا تجب عليه وخالفه أشهب، واحتج بأنها تجزئه إذا حضرها.

ثم قال الحافظ:

قوله «في المصحف، استدل به على جواز قراءة المصلي من المصحف، ومنع منه آخرون، لكونه عملاً كثيراً في الصلاة» أ هـ.

■ وعلق العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز على هذا بقوله: «الصواب: الجواز، كما فعلت عائشة رضي الله عنها، لأن الحاجة قد تدعو إليه، والعمل الكثير إذا كان لحاجة ولم يتوال لم يضر الصلاة: لحمله ﷺ أمامة بنت زينب في الصلاة، وتقدمه وتأخره في صلاة الكسوف، ولأدلة مدونة في موضوعها والله أعلم» أ هـ.

تنبيه

عائشة كانت تفعل هذا بحضور عدد من الصحابة معها، ولم ينقل لنا- فيما اطلعت عليه- أن أحدا أنكر عليها أو عليهم، فاحفظ هذا.

■ وقد قال بجواز القراءة من المصحف في الصلاة جمع من الأئمة، منهم ابن سيرين، والحسن البصري في رواية عنه، والحكم وعطاء، وشيخ المحدثين والتابعين ابن شهاب الزهري.

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي وغلام خلفه يمسك المصحف، وإذا تعايا في آية فتح عليه من المصحف.

■ وأجاز الإمام مالك القراءة من المصحف في قيام رمضان، وفي «المدونة» قال ابن وهب: قال ابن شهاب «كان خيارنا يقرأون في المصاحف في رمضان، وقال مالك والليث مثله» أ هـ.

الشافعي وأحمد جوّزا القراءة في المصحف مطلقاً فرضاً ونفلاً

■ وجوز الإمام الشافعي والإمام أحمد- في رواية عنه- القراءة في المصحف مطلقاً فرضاً ونفلاً.

■ وأما الإمام مالك، والإمام أحمد- في رواية اخرى- فقد جوزا ذلك في النوافل فقط.

■ وأما الإمام أبوحنيفة - رحمه الله تعالى- فقد منع من القراءة في المصحف في الصلاة: فرضاً أو نفلاً، لأنه عمل كثير عنده، وتفصيل مذهبه تجده في «بدائع الصنائع» للإمام الكاساني رحمه الله تعالى.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بالآتي:

١- العمل الكثير في الصلاة، إذا كان لحاجة جاز ما لم يتوال، كما تقدم عن الشيخ ابن باز.

٢- العمل اذا كان لصالح الصلاة جاز، كإتمام الصفوف إذا تخللها فراغ ونحو ذلك.



٣- كان هذا في السابق قبل اختراع المطابع وطبع المصاحف الصغيرة الحجم، الخفيفة الوزن مما سهل حملها والقراءة منها، دون تكلف، أو كثرة حركة. والله أعلم.

وللفقهاء في مسألتنا هذه ثلاثة أقوال:

الأول: المنع مطلقا في الفرض والنفل، وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وابن حزم الظاهري.

الثاني: الجواز مطلقا في الفرض والنفل، وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى، وابن حامد، من الحنابلة.

الثالث: الجواز في النوافل، والكراهية في الفرض، وهو قول الإمام مالك، ورواية عن الإمام أحمد.

ولعل القول الثالث هو الأولى والأصلح، لأن الفرض لا يحتاج- عادة- الى ذلك، كما قال الشيخ الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى، بخلاف النوافل حيث يحتاج الناس فيها الى القيام الطويل، وسماع القرآن، وقد لا يتيسر لهم وجود الحافظ المجود.

والنوافل يتجاوز فيها ما لا يتجاوز في الفرائض، كما هو مقرر ومعروف

- فصلاة النافلة يجوز أداؤها من قعود مع القدرة على القيام، ويجوز أن نصلي ركعة قياما وركعة قعودا.

- ويجوز أن يصلي على الدابة من غير عذر مطر أو حاجة، بل كان ﷺ يصلي النوافل في السفر على راحلته حيث توجهت به، أي دون اشتراط استقبال القبلة، وهذا- وما تقدم كله- لا يجوز في صلاة الفريضة الا بأعذار مشروطة.

■ ومن أمثلة ذلك في غير الصلاة، تبييت النية قبل الفجر في صيام الفريضة، واجب لا يصح الصوم الا به، وفي صوم التطوع ليس بواجب، وصائم التطوع يجوز له أن يفطر متى شاء ولا يتم صومه، ولا إثم عليه ولا قضاء، وأما صائم الفرض فليس له ذلك، وإن أفطر أثم وعليه القضاء.

وكل هذا ثابت في موضعه بالأحاديث الصحيحة المشهورة.

■ فيعلم مما تقدم- ومن غيره- أن الشارع الحكيم تساهل في شروط النوافل، وكيفيات أدائها، تيسيرا للمؤمنين، وتشجيعا وتسهيلا لهم، للمواظبة عليها والسعي الدائم إليها.

وقراءة القرآن في المصحف في النوافل - ومنها التراويح والقيام- من هذا الباب، وهذا واضح والحمد لله.

لا خلاف أن الأفضل القراءة من الحفظ

ولنعلم جميعا أن المؤمنين تتفاوت درجاتهم يوم القيامة في الجنة- علوا ورفعة- على قدر حفظهم لكتاب الله، يقال للحافظ: «اقرأ وارق» فلا يزال يرقى حتى يقف عند منتهى حفظه، كما ثبت في الحديث الصحيح.

■ ومما يؤسف له، ويضيق به الصدر، ترك شباب المسلمين حفظ كتاب الله تعالى، وعدم اهتمامهم به ورغبتهم عنه، وإهمال ذلك في المدارس الرسمية، الا قليلا لا يروي الغليل، ولا يشفي العليل! مع أن الحفظ- كما هو معلوم- لا يثبت ولا يرسخ الا في الصغر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مما يؤسف له ويضيق به الصدر ترك شباب المسلمين حفظ كتاب الله تعالى وعدم اهتمامهم به ورغبتهم عنه

■ ومن العار أن يعرض العرب، وهم أهل اللسان القرآني العربي المبين، عن حفظ كتاب الله، بينما يحفظه أطفال غير العرب من المسلمين، ويكابدون المشاق في النطق العربي، دون أن يعرفوا معناه!! ولاشك أن هذا من حفظ الله تعالى لكتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وقال تعالى ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد: ٣٨).

وأقول: ومع ذلك فقد نحتاج أحياناً الى القراءة من المصاحف في صلاة التراويح ونحوها من النوافل لأسباب متعددة، منها: عدم وجود الحافظ، فلا نضيع أجر القيام والتلاوة، وما لا يدرك كله لا يترك جله، وقد يوجد الحافظ ولكنه غير متقن للتلاوة وأصول التجويد، وغيره أتقن أداء، وأصح ضبطا وأفصح وأعذب صوتا، وأخشع صلاة، فيجوز في هذه الحالة- تقديمه على الحافظ- لمصلحة الصلاة والمصلين، والعبرة بالخشوع والخضوع، قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون: ١ -٢).

هل يجوز للمأموم متابعة الإمام من المصحف في صلاة التراويح؟

سئل الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عن ذلك فأجاب بقوله: «لا أعلم لهذا أصلا والأظهر: أن يخشع ويطمئن ولا يأخذ مصحفا بل يضع يمينه على شماله كما هي السنة (يضع يده اليمنى على كفه اليسرى الرسغ والساعد ويضعهما على صدره) هذا هو الأرجح والأفضل وأخذ المصحف يشغله عن هذه السنن، ثم قد يشغل قلبه وبصره في مراجعة الصفحات والآيات عن سماع الإمام، فالذي أرى أن ترك ذلك هو السنة وأن يستمع وينصت ولا يستعمل المصحف فإن كان عنده علم فتح على إمامه وإلا فتح غيره من الناس، ثم لو قدر أن الإمام غلط ولم يفتح عليه ما ضر ذلك في غير الفاتحة إنما يضر في الفاتحة خاصة لأن الفاتحة ركن لابد منها أما لو ترك بعض الآيات من غير الفاتحة ما ضره ذلك اذا لم يكن وراءه من ينبهه ولو كان واحد يحمل المصحف ويفتح على الإمام عند الحاجة فلعل هذا لا بأس به أما أن كل واحد يأخذ مصحفا فهذا خلاف السنة».

المراجع

١- فقه السنة للشيخ سيد سابق.

٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن ابي شيبة، طبعة دار الكتب العلمية ج٢.

٣- فقه الصوم وفضل رمضان، د. سيد العفاني، ج٣.

٤- الفقه على المذاهب الأربعة.

٥- رسالة في حكم القراءة من المصحف في الصلاة للشيخ نظام بن محمد بن صالح يعقوبي.

شهر القرآن

د. ياسر إبراهيم المزروعي

كان الناس في الأزمنة القديمة يجلون الأشهر الهجرية ويحرصون على تحري دخولها ليغنموا ما في الأيام والليالي التي ورد فيها من الفضائل التي وردت في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ومن هذه الأشهر شهر رمضان المكرم الذي كانوا يستعدون لاستقباله ويعدون الأيام والليالي التي قبله حتى يغنموا ما فيه من الأجر وقبل أن يأتيهم يكونون له على أتم استعداد ولأعمالهم الصالحة متهيئون، فما إن يدخل الشهر إلا وتجد كلا منهم مغتنما لهذه الفرصة ومداوما على طاعة، ويكثر من الطاعات اغتناما لرحمة ومغفرة وعتق رب العالمين له، فليس للغوي عندهم مجال، ولا للغيبة عندهم مكان، بل كلهم حرص على اغتنام هذه الأوقات الثمينة، والتي يعدونها مضمار التزود للآخرة، وتحصيلا لثواب الدنيا قبل الآخرة، ورمضان محطة السنة التي يتزود فيها استعدادا لأعباء السنة بأكملها.

أما الآن فأصبح شهر رمضان مثله كمثل أي شهر آخر، لا يتغير فيه إلا أوقات الوجبات بالنسبة للبعض، وأصبح الناس في غفلة عما خلقوا له، من عبادة ربهم والإخلاص له، وكثرة التزود له بالعبادة، وشكره على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وبسبب بعد الناس وهجرهم لكتاب الله ظهرت في وقتنا الحالي أمراض لم يكن يسمع بها فيما مضى من الأزمنة، وكثرت عندنا العيادات النفسية التي يتكرر عليها الناس لعلاج أنفسهم، وعلاجهم بين أيديهم وهو كتاب الله تعالى، ومفهوم ما قلناه في كتاب الله هو قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾، وقال تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾، وقال تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ وقال تعالى ﴿نسوا الله فنسيهم﴾.

إن الإعراض والتخلي عن كتاب الله وقراءته يعرض الشخص المسلم إلى هجر القرآن له، فإن أتى يقرأه يجد نفسه تضيق ولا يرتاح، ويود أن يقف عن القراءة، وهذا شيء مجرب، فمن يحصل له هذا الأمر فليعلم أن القرآن قد هجره، وعلاجه مداومته على قراءته والصلاة مع الجماعة لاستماع القرآن يتلى، والتفكر فيما يتلى عليه وتطبيقه قدر المستطاع، والابتعاد عن ملهيات الدنيا والتزود للآخرة التي هي دار القرار.

وندعو أهل القرآن وكل مسلم يعتز بدينه إلى أن يلتفتوا نحو كتاب ربهم الذي هو خطاب الله لنا، وبين أيدينا، ويرجعوا إليه، لتكون ثمرة هذا الشهر رجوعنا إليه للتفكر فيما منحنا الله من هدية وهداية في أمور دنيانا وآخرتنا، فمن أراد منا الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالقرآن.

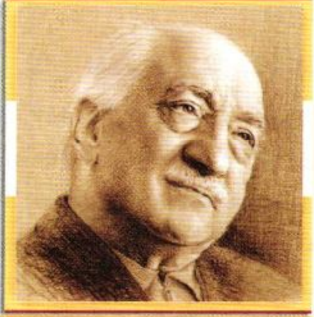
وللقرآن آداب ينبغي التحلي بها وهي الطهارة معه على كل حال، ولا بأس بقراءة القرآن عن ظهر قلب من غير طهارة الأعضاء، بحيث لا يكون جنبا ولا تكون حائضا أو نفساء، وأن يحرص على أن ينظف فمه قبل القراءة، وأن يستقبل القبلة أثناء قراءته، وأن يكون ساتر العورة، وألا يمد رجله إلى القبلة أو إلى المصحف حال جلوسه مستقبل القبلة، فإن كانت به علة مدهما لكن عليه أن يشرق أو يغرب في مد رجليه، وألا يضع المصحف على الأرض، بل يحاول قدر المستطاع أن يجله ويرفع قدره، وإذا مرت به آية سجدة سن السجود لها على الكيفية المعروفة، إن لم يكن وقت نهي، فإن كان وقت نهي أو لم يرد السجود لها قال «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وألا يكثر الكلام الدنيوي أثناء قراءته للقرآن، وكذا الكلام الجانبي، ولا بأس إن أراد أن يثوب هذه القراءة لحي أو ميت من أقاربه أو صديقه، بحيث ينوي الثواب له عند ابتداء القراءة ليصل له كل حرف يقرأه له، كما يسن له عند الابتداء الاستعاذة والبسملة إن كان ابتداؤه من أول السورة، وإن كان من منتصفها استعاذ وابتدأ القراءة، وله الخيار في أن يبسمل في منتصفها أو لا، وإذا انتهى من القراءة صدق عليها كما ابتدأ بالبسملة، حيث يقول «صدق الله العظيم»، كما يسن له عند ختم القرآن أن يدعو الله بأحب الدعاء له ويطلب منه ما يتمناه لأنه موضع إجابة للدعاء، لما نص عليه حديث النبي ﷺ «عند كل ختمة دعوة مستجابة».

وما أحسن ما قاله إمامنا العلامة إبراهيم علي شحاتة السمنودي رحمه الله في شهر الصوم:

أهلا بشهر الإنابة
والدعوة المستجابة
أهلا بخير طبيب
يشفي النفوس المصابة
أهلا بأكرم ضيف
قد استطلنا غيابه
قد أنزل الله فيه
على العباد كتابه
هديا ونورا أمانا
لذي الحنون صوابه
أهلا بأفضل شهر
لسنا نحد ثوابه
ما فيك عيب ولكن
في مفطريك الكآبة
ما فيك جوع ولكن
عطف وشبه قرابة
إن جاع فيك غني
أعطى الفقير طلابه

رئيس لجنة مراجعة المصاحف بوزارة الأوقاف

الشهر الماثل بالمغفرة


فتح الله كولن

إن كان هناك شهر لا تنتهي نشوته، ولا تنفد بهجته، ولا يبلى الوجد عنده فهو شهر رمضان.. إن أيام شهر رمضان ولياليها التي تقدّم لنا بأعذب لغة لُباب وجوهر جميع المواسم والشهور العطرة للسنة وروحها ومعناها الحقيقي، وما يترشح منها من عصارة، تحيط كل لحظة القلوب بعذوبة وسعادة وبهجة لا مثيل لها، وتحتضنها بحنان وشفقة، وتربت عليها بكل محبة، وتستجيشها بأشواق الحياة.



إن أيام رمضان في كل أرجاء العالم ولاسيما في البلدان الإسلامية وبين المسلمين، وبالأخص في دنيانا وفي جونا وعالمنا تكون مركزا لكل الاهتمامات، وميدانا لجميع الأذواق الروحية، ومسرحا لجميع العواطف الجياشة، وعمودا حلزونيا من النور للتسامي، وفرصة لتطوير كل الخصائص الإنسانية وتوسعتها وتطوير مزاياها.

إن أيام شهر رمضان الذي يطلع كل نهار فيه وكل ليل بمشاعر مختلفة تمس القلوب بروح جديدة، وبرفق قبل الرحيل، وتجمع أشتات المجتمع وتلملمها في بوتقة واحدة، وتفتح طريق الجماعة أمام المنزوين، وتزيل الغربة عن قلوبهم، وتقدم للجميع وليمة فكر ومشاعر مختلفة الأبعاد، وتهيئهم للحياة من جديد.

يتضمخ كل شيء في شهر رمضان بالعطر والنور.. بدءا من الكتابات بين مآذن الجوامع (١) إلى القناديل الموجودة على يمين وعلى يسار الطرق المؤدية إلى المساجد، إلى مصابيح بيوتنا، إلى الطهر البادي في وجوه المؤمنين، إلى النور في القلوب، أما أوقات السحور التي تهب عليها نسائم السحر في هذه

لا يوجد شهر آخر مليء بالقرآن، يكون ليله بهذا النور ونهاره بهذا الضياء المضمخ بالعطر

الأيام التي يسترجع فيها الدين شبابه، والإفطار الذي يكون مظهرا لألطاف سرية، فهي أوقات ذات طعم وذات ضياء خاص ولهجة خاصة تخالط القلوب، ولا يصل إلى مرتبة هذه السعادة سوى العاشق الذي يطير بأجنحة أمل الوصال، كأنه كان هناك ستار بين الإنسان وبين شوقه إلى اللانهاية حتى مجيء شهر رمضان، وكأن هذا الستار ينفرج بالصوم، وكأن العشق والشوق اللذين كانا في غفوة في ركن من أركان القلب حتى تلك اللحظة يستيقظان فجأة، ويفوران ويستوليان على كيان الإنسان، وينقلبان إلى رغبة لا تقاوم في الوصال، وفي سبيل تحقيق هذه الرغبة المقدسة يحاول الإنسان اغتنام التجليات التي تهب في أوقات السحر، وتقييم أوقات الصلوات التي هي منافذ تنتظر الإنسان لمشاهدة آفاق وراء أفق هذه الدنيا، وفي صلوات التراويح تفور المشاعر وتتصاعد بالروح والريحان، وتعب الأرواح من النفحات الإلهية كؤوسا بعد كؤوس، فإذا بكل واحد- كل حسب درجته - قد انقلب إلى شخص أخروي، واقترب من طهر الملائكة.

ونظرا لكون شهر رمضان شهر القرآن يجد الإنسان- حتى الذي ابتعد عن القرآن طوال السنة- نفسه الظامئة في الجو النوراني للقرآن.. عند ذلك تنهمر عليه المعاني والأسرار القرآنية وألطافها، وتسقي كل وديان نفسه وروحه التي أوشكت أن تجف وتيبس، وتقلب عالم قلوبهم من أدناها إلى أقصاها إلى بساتين وحدائق زهور وورود، وتبعث فيهم فرحة الوجود، وتجعلهم يسمعون بالقرآن كل عالم الوجود ويحسون به، فيرتفعون بهذه الأحاسيس والأفكار ويسمون.. يحسون بأن الوجود كله والخلق كله يتنفس بالقرآن، فيرتجفون ويرتعشون ويكادون يغيبون عن أنفسهم، وفي أحيان كثيرة تنهمر دموعهم على خدودهم، ويشعرون بأن الستار يرتفع، وأنهم أصبحوا أقرب إلى مولاهم وخالقهم من كل قريب، فيحسون بلذة لا يستطيعون وصفها.

إن فهم المحتويات اللدنية للقرآن لا يتيسر إلا لمن يسمع في القرآن صوت الوجود كله، ويستمع في أعماقه إلى كل موسيقى روح الإنسان من خوف وأمل، ومن حزن وفرح، ومن غم وبهجة، والأرواح السامية

المتجاوزة للزمن التي تستمع إلى القرآن وكأنه أنزل عليها تجد فيه لذة فواكه الجنة وألوان وجمال حدائق الفردوس، وأنهار وشلالات سفوح الريّان ومناظرها، فتتوحد وتنساب معها، وأصحاب القلوب الصافية الذين ينكبون على القرآن في الأيام الشفافة لشهر رمضان، وبمقاييس القلب المملوء توقيرا واحتراما، وينزلون إلى أعماقه، يصلون كل لحظة إلى قيمة مختلفة من قيم الآخرة، ويتعرفون في كل آن على بعد آخر من أبعاد البقاء.. المادة في فكر هؤلاء وفي حياتهم تكمل ما وراء المادة، ويكون المعنى هو المحتوى الحقيقي للمادة وقيمتها، ويظهر كل شيء بقيمته المتخفية وراء الأستار.. ترى في أوجه هؤلاء- لكونهم متهيئين لاستقبال تجليات الأسماء الإلهية وصفاتها- قابلية خفية للحدس، وفهما متميزا وفريدا، ونضجا وكمالا متأتيا من امتزاجه بالقرآن والبكاء عند تلاوته، وارتباطه بالآخرة، وصفاءً وغنى وصدقا وإخلاصا ولطافة مزينة بالأذواق الذهبية للإيمان، وجاذبية وسحرا ومروءة وشهامة، وحتى لو لم ينطق هؤلاء أو يتكلموا فإن هذه المعاني تبدو وتظهر وتطفح على السطح من سلوكهم وتصرفاتهم وأطوارهم ونظراتهم وتنعكس وتجد صداها فيما حواليهم.

لا يوجد شهر آخر مليء بالقرآن، يكون ليله بهذا النور، ونهاره بهذا الضياء المضمخ بعطر القرآن، والإنسان في كل شهر رمضان جديد يرى من جديد نضارة القرآن ونبعه الآتي من وراء السموات، وما يحويه من



جمال شهر رمضان ونورانيته في العيون المتفتحة يجدان صداهما ضمن أطياف معينة وبدرجات مختلفة

زينة المعارف الإلهية، وإشاراته المنبثة في أرجاء الكون وأرجاء المكان، فيفور عنده العشق الإلهي، ويرى ويسمع ويحدث آثاره التي تبرق في وجوه المؤمنين به. أجل! ففي شهر رمضان يبرق القرآن ويلتمع في هذه الوجوه المضيئة التي نحتها القدر، وفي هذه العيون التي تبرق بأعمق المعاني المتعلقة بالآخرة، ونرى الجميع رجالا ونساء.. شيوخا وشبابا.. فقراء وأغنياء.. عامة الناس وخاصتهم.. علماء وأميين.. نراهم وقد أخذوا- من ناحية طراز المعيشة والحياة- نصيبهم من هذا الجزء من الشريط الزمني فامتزجوا بشهر رمضان وتشربوه وتنفسوا به.

أجل! كل إنسان- حسب قابليته واستعداده- يصعد به إلى بعد آخر، ويتخلص من العديد من الرذائل التي تحط من قيمة الإنسان، ويتطهر من الأدناس والأوساخ المعنوية، ويزداد نورا ويكون أهلا للجنة.. إن شهر رمضان بيُمْنه وبركته غنيّ إلى درجة أن كل من يلتجئ إلى ظله يستفيد من ثروته وغناه، ويستطيع الوصول إلى سلطنة الآخرة شابا كان أم شيخا.. مؤمنا قويا كان أم واهنا.. ذكيا كان أم أحمق.. عاقلا كان أم مجنونا.. عارفا بما وراء الأستار أم جاهلا به.. مؤهلا كان للعمل أم غير مؤهل.. مُوَسوِسا كان أم مقداما لا يبالي بشيء.. مخلوقا لكي يكون حاكما وزعيما، أم مخلوقا تابعا ومحكوما.. صامدا كان أمام جميع المصاعب، أم فَرِقاً يسقط من أول هزة.. متشائما يئنّ طوال حياته أم محتفظا بأمله حتى وهو في جهنم.. طُفيْليا كان ومعتمدا على الآخرين طوال عمره أم صاحب إرادة لا يفلّها الحديد أمام جميع المصاعب والهموم.. أم إنسانا خطط حياته للأكل والشرب والنوم والراحة والكسل فقط. أجل! كل هذه الأصناف المختلفة بعضها عن بعض لابد أن يستفيدوا من الجو النوراني لشهر رمضان، وإن كانت الاستفادة بمقاييس ودرجات مختلفة، ويتغير شيء فيهم كل حسب حاله ويتميزوا، حتى يصلوا إلى حال وإلى مرتبة أخرى.

إن جمال شهر رمضان ونورانيته في العيون المتفتحة لهذا النور، وعظمة معنى الوجود التي يحتويها، تجد صداها السري ضمن أطياف معينة وبدرجات مختلفة على هذه المجموعات المختلفة، بروح وطعم وجو ومعنى خاص بهذا الشهر، وتسري في القلوب سريانا لا تستطيع أكثر الرؤوس عنادا أن تقاومه، بل تستسلم له.

ليالي شهر رمضان التي تلف بأسرارها كل شيء تكون مؤنسة وحلوة، ونهاره الذي يحتضن مشاعر الإنسان وأفكاره بلطف وحلاوة يكون دافئا وحريري الملمس.. تكون الصدور المؤمنة فوارة بالمشاعر العميقة.. والأصوات الداعية إلى الله تنضح بالحنان.. والمعاني التي تعبر عن كل هذا مؤثرة إلى درجة أن الذين يستطيعون فتح صدورهم وقلوبهم لشهر الغفران هذا يبتعدون- ولو بشكل مؤقت- عن القلق والهموم ويشعرون بسعادة الجنة.

(١) في أيام شهر رمضان يقوم كل جامع في المدن الكبرى في تركيا بكتابة عبارات الترحيب بالمصابيح الملونة بهذا الشهر بين المآذن. (المترجم).





الصيام.. مدرسة التغيير للمجتمع

د. صلاح سلطان

إن مشوار الإصلاح والتغيير يبدأ بالنفس لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) والحق أنها هي الأصعب حيث استطاع إنسان القرن الحادي والعشرين أن يملك ما حوله لكنه فقد السيطرة على نفسه، يضغط على زر فتفتح له الأبواب للبيوت والسيارات، أو تفتح عينه على الفضائيات والبلاد والعباد عبر البحار والمحيطات على الإنترنت والتلفونات، لكنه ينهار أمام الشره على الطعام أو السعار على الجنس أو الحماقة في الغضب، أو البذاءة والثرثرة في اللسان، والصيام يعين الفرد على تجاوز هذا الضعف أمام هوى النفس التي قال عنها ربنا سبحانه ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٣) أو التي قال عنها سفيان الثوري «ما عالجت أمراً أشد عليَّ من نفسي»، وقال عنها الحسن البصري «ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام من نفسك».

إن كبسولة الصيام تعالج في الفرد الروح والخلق والعقل والجسد في آن واحد على النحو التالي:

كبسولة الصيام وعلاج قسوة القلوب وجفاف الروح

إن التجرد بالصيام لله سر بين العبد وربه، ويعلمه أن يكون باطنه خيرا من ظاهره، وقراءة القرآن وطول الصلاة والقيام، ومضاعفة الحسنات، فالفريضة فيه بسبعين فريضة والنافلة بأجر الفريضة، والأذكارَ والدعاء والقنوت في أجواء مهيأة من تقييد مردة الشياطين، ونزول الرحمات، وتجول الملائكة، ووجود المسلم بين إخوانه، أو المسلمة بين أخواتها، الذين تنبع منهم كل أفعال الخير، هذا كله يجعل الروح تأخذ قسطها الوافي من العلاج الشافي من أمراض قسوة القلوب، وجفاف الروح، وجمود العين عن البكاء، وقصور اليد عن التضرع والدعاء، وخمول اللسان عن الذكر والثناء، ليتحول الفرد شابا وفتاة، رجلا وامرأة، حاكما ومحكوما، صغيرا وكبيرا إلى أشباه الملائكة في نورانية القلب بحب الله، وخشيته في السر والعلن، والتلذذ بذكره في الليل والنهار والأسحار، وهذه مفاتيح طمأنينة القلب وهدوء النفس، وانشراح الصدر لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

كبسولة الصيام وعلاج دنايا الأخلاق

إن الشهوات الأربع في كل إنسان هي لعمارة الأرض، واستمرار النسل، وبقاء القيم لكن بشرط الاعتدال في استعمالها، لكن ثوران شهوات البطن والفرج والغضب والكلام كفيلة بتحطيم الإنسان لنفسه وأسرته ومجتمعه وعالمه، والصيام مدرسة تربوية رائعة تضع لجاما اختياريا على هذه الشهوات الأربع في وقت واحد، فالصيام من الفجر إلى المغرب يخرج بالإنسان عن عادات الإسراف في الحلال، أو الولوغ في الحرام مثل التدخين والسكر والإدمان إلى الاعتدال في الطعام والشراب، والتوقف عن الحرام والشبهات كما يكسر من غلو شهوة الجنس التي تهتك الأعراض، وتدمر الأخلاق، وتفشي الرذائل والأمراض، ليكون الصيام وجاء لهذه الشهوات الجامحة، ويرفع الإنسان من خسة الحرام إلى عفة الحلال، كما تنقل الإنسان من ثورة الغضب على النقير والقطمير فيفقد الأصدقاء، ويقطع الأرحام، ويعق الآباء والأمهات، ويوقع الطلاق والشقاق، ليكون بالصيام الحليمَ الصبور، والهادئ الوقور، فإن استفزه أحدٌ قال «إني صائم» مرتين، ليوفر غضبه لله تعالى، والغيرة على محارمه ومقدساته، وليس انتقاما للنفس وانتصارا لشهواته، كما يضبط الصيام لسان كل إنسان صائم للرحمن فيشغله بالذكر والقرآن عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، فيعرف المسلم بين الناس بطيب الكلام ورفيع المقال، ويكون أهلا لرضى الله والجنة لما رواه مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت أن النبي (قال «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، أوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واصدقوا إذا حدثتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيدكم».

الصيام يضبط اللسان فيشغله بالذكر والقرآن عن الغيبة والبهتان

كبسولة الصيام وعلاج جمود العقل

حقا «إن البطنة تذهب الفطنة» فكثرة الطعام تستوجب ذهاب أكثر الدم من الدماغ إلى البطن لتهضم الفضل من الطعام الزائد، وهنا يسترخي العقل أو ينام، فيحرم الإنسان من حب العلم والتعلم، والفكر والتدبر، والاختراع والإبداع، وما الحضارات الفذة إلا أفكار رائدة من عقل راشدٍ لا هامدٍ، يعمل

المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالبحرين

ولا يكسل، ويفكر ولا يفتر، هكذا العقل هو مناط التكليف كما أن القلب مناط التكريم، ولذا روي عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله «إن أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: فبعزتي وجلالي بك أعاقب وبك أثيب».

كبسولة الصيام وعلاج أمراض الجسد

إن شهوة الطعام بغير لجام الصيام يجعل الفرد يصاب بأخطر الأمراض ومنها الجلطة وضغط الدم والسكري والسرطان وقرحة المعدة والأمعاء والتهاب القولون والمرارة والمفاصل والحصوات والبروستاتا والنقرس والأملاح والحساسية والحكة والغازات الكريهة كما أن عادات التدخين والشيشة التي ابتلي بها الملايين تحرم هؤلاء من طيب الفم، وصحة الجسم، فهي أكبر مسببات السرطان والسل والالتهاب الرئوي والضعف الجنسي كما تؤثر سلباً على الإنتاج والاقتصاد، وشهوة الجنس بغير لجام الصيام تصيب الجسد بالإيدز والسل والسيلان والتقيح في الفروج والأبدان، وشهوة الغضب تؤدي إلى التوتر العصبي، والاعتداء على الغير فتجرح أو تبتر بعض الجسد أو تنتهي بالقتل العمد أو العدوان، لكن كبسولة الصيام وقاية وحماية وعلاج وشفاء من كل هذه الأمراض التي تحول الإنسان إلى العفيف الشريف، القوي الفتي، الهمام النشيط وليس الكسول الرخيّ أو الخسيس الدنيّ، ولعل صيام رمضان فرصة لاستعادة الثقة في أننا نحمل فطرة نقية وعزيمة قوية على ترك عادات الأكل الكثير أو التدخين، فمن صبر اثنتي عشرة ساعة يمكنه بلا شك الصبر بقية الليل إن استحضر في هذا الشهر الكريم ثقته في نفسه، ودعا ربه أن يعينه على نفسه قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وهكذا تصنع مدرسة الصيام المسلم والمسلمة صاحب القلب التقي، والخلق النقي، والعقل الذكي، والجسد الفتي، وهذا لعمري مفتاح كل رقيّ.

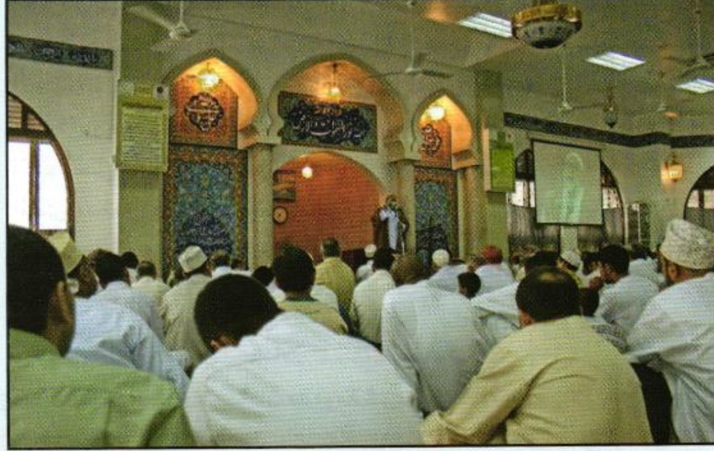
الصيام مدرسة التغيير لإصلاح المجتمع

يحدث الصيام سلاما اجتماعيا كبيرا لا نظير له في أي مجتمع آخر، ويتجلى ذلك فيما يلي:

١- في رمضان تصفد مردة الشياطين، وتنادي ملائكة الرحمن «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر» كما ورد عن النبي ﷺ، فتجد المساجد ملأى، والصدقات تتزايد، والأرحام تتزاور، ومع الصيام والقيام والذكر والدعاء تهدأ النفوس ويشيع الهدوء والسلام والعفو والتسامح والغفران بين أبناء المجتمع الإسلامي، فإن ظهر مستفز يقابله جاره أو صديقه أو قريبه بقوله «إني صائم» مرتين، لأنه مشغول بالله عن الخصام، هذب الصيام شهوة الغضب فلم تعد هادرة فتاكة لبنيان المجتمع.

٢- في رمضان يرغب كل مسلم في إطعام الطعام وإفشاء السلام، هذا مع شعيرة القيام، وهي السلالم إلى الجنان كما أخبر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وإطعام الطعام يتنوع بين دعوة ذوي الأرحام والأهل والأقارب والأصدقاء والجيران مسلمين وغير مسلمين كي يتناولوا جميعا طعام الإفطار مما يساهم بقوة في توثيق الأواصر الإنسانية والروابط الاجتماعية والوحدة الوطنية بين أبناء المجتمع الواحد، وتظل آيات القرآن تحث على الإطعام حبا للرحمن لكل إنسان مسكينا ويتيما وأسيرا مما يؤكد على أهمية الإطعام بصرف النظر عن لون ودين وجنس هذا الإنسان، وكما يكثر الإطعام على سبيل التهادي، فإنه يزيد كثيرا أيضا على سبيل التصدق والبر والصلة للفقراء والأيتام، وهذه الكفارات العديدة، وإفطار الصائمين مما يجلب مغفرة الذنب والعتق من النار، وكذلك حقائب رمضان لكفالة المحتاجين مما ينزع فتيل الأحقاد والأغلال بين الأغنياء والفقراء، فلا يحقر غنيٌّ فقيرا، ولا يحسد فقير غنيا بل هما معا ابتلاهم الله بالمال كثرة وقلة ليجزي الكريم قربًا من الله والجنة والناس وبعدًا عن النار، ويجزي الفقير خيرا على صبره ورضاه بقدر الله مع بذله لقصارى جهده، فأي سلام أعظم من هذا الحب والانسجام بين أبناء المجتمع الواحد؟!

٣- في رمضان، ومع معايشة آثار الصيام تكون أعظم فرصة لإنهاء الخصام، وجمع المسلمين الذين فرقهم الشيطان، وأحدث فجوة بين الإخوان أو الأهل والخلان، أو الأقارب والجيران، فهنا تكون أعظم فرصة مع هدوء النفس، وعظم الأجر، وانتشار الخير أن يتسامح كل مع الآخر، وهنا يأتي دور المصلحين الذين يدركون عظمة أجرهم.. هؤلاء



مدرسة الصيام تصنع المسلم والمسلمة صاحب القلب التقي والخلق النقي والعقل الذكي والجسد الفتي





المصلحون بين المتخاصمين لو اضطروا إلى دفع مال لإنهاء نزاع كبير بين عائلتين أو فريقين، فيحل لهم شرعا أن يأخذوا من أموال الزكاة أو الصدقات لأنهم تحملوا حمالة أي تحملوا مسؤولية مالية في الإصلاح فحلت لهم المسألة حتى يصيبوا قواما من عيش كما أخبرنا النبي ﷺ، هذا بالطبع إن كان لا يستطيع القيام بها ابتغاء الاحتفاظ بكامل الأجر.

٤- مما يؤكد أهمية هذا التواصل والسلام الاجتماعي الذي يصدر عن حب ورغبة في الخير والأجر أن هذا التواصل ليس فقط بين الأحياء، بل إذا مات المسلم في مجتمع إسلامي فإنهم لا يودّعونه ليتخلصوا منه، بل يحرصون على آخرته، ومنه ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود بسندهم أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، وذكر ابن حجر العسقلاني «من مات وعليه صومٌ ثلاثون يوما فجمع له ثلاثون رجلا صاموا عنه يوما واحداً أجزأ عنه»، هذه صورة من أعظم صور التراحم بين المسلمين أحياء وأمواتا حتى يلقوا الله جميعا فيكون أملهم أن يكونوا في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ﴿...في ظلال على الأرائك متكئون﴾ (يس: ٥٦)، ﴿... إخوانا

واجبات عملية للنجاح

وهذا برنامج عملي بعدد أيام شهر رمضان فيه تخلية عن صفات أو عادات مذمومة شرعا وخلقا، وتحلية بالآداب والمكارم الرفيعة، ثم حكمة تعينك على تغيير نفسك.

الرقم	تخلية	تحلية	حكمة تعينك على تغيير نفسك
١	العادة	العبادة (استحضار النية)	«إنما الأعمال بالنيات»، «لا عمل (أي بأجر) إلا بنية»
٢	الرياء وحب السمعة	الإخلاص والتجرد لله تعالى	﴿وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ (البينة: ٥)
٣	الإسراف في الطعام	الاقتصاد في الطعام	﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ (الأعراف: ٣١) «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه»
٤	الإسفاف في الكلام	طيب الكلام	«الكلمة الطيبة صدقة»
٥	الإجحاف في الغضب للنفس	الاعتدال والغضبة لله فقط	كان ﷺ: لا يغضب لنفسه قط فإذا انتهكت حرمات الله غضب.
٦	الخصومة والشحناء	العفو والتسامح والصفاء	«ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور»
٧	اليأس والكسل	الأمل والعمل	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥- ٦) لا تلعن الظلام، أضئ شمعة
٨	الجحود والإنكار لنعم الخلاق	الشكر والذكر لنعم الرزاق	﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧)
٩	الخسة والاختلاس والبغاء	العفة والطهارة والنقاء	لو كنت حراً من سلالة طاهر ما كنت هتاكا لحرمة مسلم
١٠	التمادي في الذنوب والمعاصي	التوبة والإنابة لرب الأرباب	﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)
١١	الاستغراق في المنام	اليقظة والقنوت والقيام	«شرف المؤمن قيام الليل» لا يقوم الليل إلا من له عزم وجدُّ
١٢	الشح والبخل	البذل والعطاء	﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩) «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا»
١٣	الذلة والمهانة والاستخذاء	العزة والكرامة والإباء	«من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا» «أحب للرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه: لا»
١٤	الأنانية والاعتزال	المروءة والاعتدال	المروءات النادرة في الأثواب الطاهرة
١٥	نسيان الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والنيران	ذكر الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والاستعداد لدخول الجنان	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)
١٦	الغفلة عن الذكر والشكر	كثرة الذكر في الليل والنهار	﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الأحزاب: ٤١-٤٢) «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»
١٧	عشوائية قراءة القرآن	الانتظام في الورد القرآني من أول القرآن إلى آخره	﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ...﴾ (النمل: ٩١-٩٢)
١٨	الجولة كثيرا في الأسواق «شر بقاع الأرض»	الخلوة مع الله في المساجد «خير بقاع الأرض»	«تكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والريحان والجواز على الصراط يوم القيامة»
١٩	سؤال الناس	الدعاء وسؤال رب الناس	«الدعاء مخ العبادة» الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيُّ آدم حين يسأل يغضب «استغن عما في يد الناس يحبك الناس»

على سرر متقابلين﴾ (الحجر: ٢٨).

٥- من المكارم الأخلاقية للمجتمع المسلم أنه إذا كان المسلم صائما صوم تطوع ونزل به ضيف أو نزل الضيف صائما على قوم فإن الأصل أن يفطر الصائم إكراما لضيفه أو عدم إحراج لمضيفه، ومشاركة له في الطعام، وفي هذا يروي الترمذي وابن ماجه بسندهما أن النبي ﷺ قال «إذا نزل الرجل بالقوم فلا يصوم إلا بإذنهم»، ومنه وصية النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص «...إن لزَوْرك عليك حقا...» (البخاري) حيث كان يصوم كل يوم فلفت النبي ﷺ نظره ونظرنا معه إلى أن هذا الصوم المتواصل يضعف كثيرا من الحقوق ومنها حق الضيف. وهذا ما لا نجده في أي مجتمع في عالمنا المعاصر، وهو خلق أصيل في مجتمعنا الإسلامي جديرٌ أن نفخر ونعتز ونتمسك به.



٦- الأصل أن كثيرا من المسلمين يحرصون على الاعتكاف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، وهذا يشيع الروح الإيمانية المتدفقة طوال الشهر في الغدوّ والرواح إلى بيوت الله تعالى، لكن هذا الاعتكاف لا يعطل المروءات الاجتماعية، وقد روى مالك في موطئه عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ «كان يترك الاعتكاف ويخرج لحاجة الإنسان في البيوت»، قال ابن قدامة المقدسي: يخرج المعتكف من المسجد لإنقاذ غريق أو إطفاء حريق أو أداء شهادة. وقال أحمد: يشهد الجنازة ويعود المريض ولا يجلس. وهذا من الأحكام التي تدفع بكل مسلم أن يكون له حضور وذكاء اجتماعي لا ينسلخ عن الاجتماعيات التي تساهم في بناء جسور قوية من التلاحم الاجتماعي.

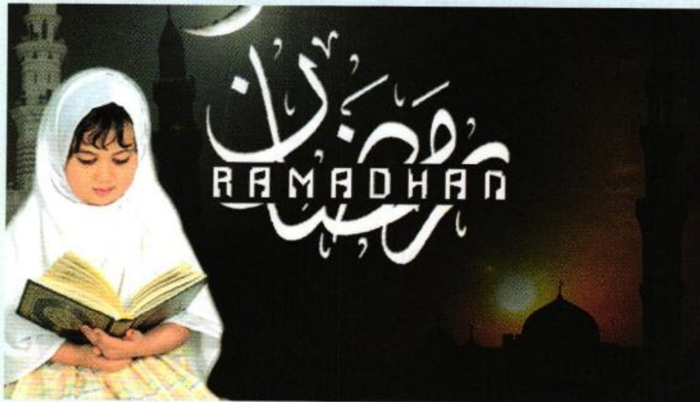
وهكذا يصنع الصيام سلاما اجتماعيا قائما على الحب والتعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان.

الرقم	تخلية	تحلية	حكمة تعينك على تغيير نفسك
٢٠	السلبية	الإيجابية في فعل الخير ونفع الغير	إذا القوم قالوا من فتى خلت نني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
٢١	الكذب	الصدق	أيكون المؤمن كذابا قال: لا» «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا»
٢٢	الاجتراء	الحياء	«إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء» «الحياء لا يأتي إلا بخير»
٢٣	نقض العهد	الوفاء بالعهد	﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) «أوفوا إذا وعدتم»
٢٤	التنعم والترف والرفاه	التقشف والاخشوشان لمواجهة تغير الحياة	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (الإسراء: ١٦) «اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم»
٢٥	قطيعة الأرحام	صلة الأرحام	«صلة الأرحام تزيد في الرزق وتطيل العمر» «من وصلها وصله الله تعالى»
٢٦	العبوس في وجوه الأهل والإخوان	الابتسامة وإدخال السرور على الأهل والإخوان	«وتبسمك في وجه أخيك صدقة» الابتسامة دواء وشفاء
٢٧	سرعة الانفلات	الصبر ودقة الانضباط	«إنما الصبر عند الصدمة الأولى» «وما أوتي عبدٌ عطاء خيرا وأوسع من الصبر» لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر
٢٨	الإهمال والنقصان	الدقة والإتقان	«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» وفي رواية أن يتممه
٢٩	الظلم والعدوان	العدل والإحسان	﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨) «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»
٣٠	التقليد والاتباع لغير ما أنزل الله	الاجتهاد والإبداع مع التزام شرع الله	﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣) «لا يكن أحدكم إمعة»

أثر الصيام في تجديد الفكر التربوي

علاء الدين رمضان

عندما يُظلّنا شهر رمضان المبارك ينطلق كل منا إلى ما يدعم به صومه ويزيد به أجره، ويجعله أكثر قربا من الله عز وجل، ويجلب لنفسه به رضوانه تعالى، فينبري من بيننا نفر إلى ما منَّ الله به عليهم من علم تصلح به شؤون البلاد والعباد، فيحاولون أن يستخلصوا منه أثر الصوم فيه، ومن هؤلاء التربويون الذين يجدون في الصوم مادة ثرية للعبادة والعمل معا، لما في الصوم من بُعد تربوي زاخر فيَّاض، فهو تربية للنفس وإصلاح للسلوك ورد للعبد إلى سبيل ربه ردا جميلا؛ فيه المقياس الأمثل لتربية الروح والبدن، وفيه كذلك مَنعَة من الانزلاق في السوء، فيه التسامح واعتياد الصلاح؛ فيه تهذيب لأنواع السلوك كافة ولاسيما سلوك البطنة والجنس، بل إن الصوم له دور كبير في هذا الجانب، وهناك نوع من الصوم من غير الفريضة لهذا الهدف التربوي الكبير، وهو صوم الوجاء؛ والحديث حول فضل هذا الشهر الكريم لا ينقطع ولا ينتهي ولا ينفد، والكلام فيه ذائع مستفيض؛ لكن الكلمة لا تعطي مدلولها الحق إلا لمن ألقى لها سمعا، وفتح لها قلبا، وسأل الله همة فألهمه رشدا وأخذ بيده إلى طريق الفقه والوعي فصرفه عن الوهم والعي.



وعلى هذا الطريق تسير مجموعة من خيرة علمائنا وأساتذتنا الفضلاء بما لديهم من معارف وعلوم تبني مجتمعنا الإنساني وتنبع أنهارها من أصل الدين الحنيف، وتتنوع تلك المعارف والعلوم وتتشعب طرقها، غير أن التربية الاجتماعية والمجتمعية والفردية تعد الأصل والأساس والركن الرئيس فيها، لأنها تربي المسلمين الذين يفترض فيهم أن يشحذوا الهمة ويشمروا عن سواعد الجد، فهم المعنيون أصلا بالتربية القرآنية.

وعلى هذا الدرب تأتي تلك النظرات التي أرصد جانبا منها هنا فيما يتعلق بالجانب التربوي لفريضة الصوم في الإسلام، بوصفها محاولة لاستنباط المضمون والأثر التربوي لتلك الفريضة التي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة، مفصلا كيفية الإفادة منها في سياقها التربوي، والعمل على تحويلها إلى خلق مؤثر لدى ما يطلق عليهم تربويا اليوم المسلمون الجدد، وهم فئة الشباب الذين دخلوا إلى مرحلة المراهقة المتأخرة أوالذين خرجوا منها توا، لاسيما أن النشء هم عماد الأمم فهم من يحملون أفكارها ومعتقداتها ويقيمون شعائر دينها، فهم الامتداد الحقيقي للنوع البشري بكل ما يحمله من نوازع ومعتقدات وخُلُق.

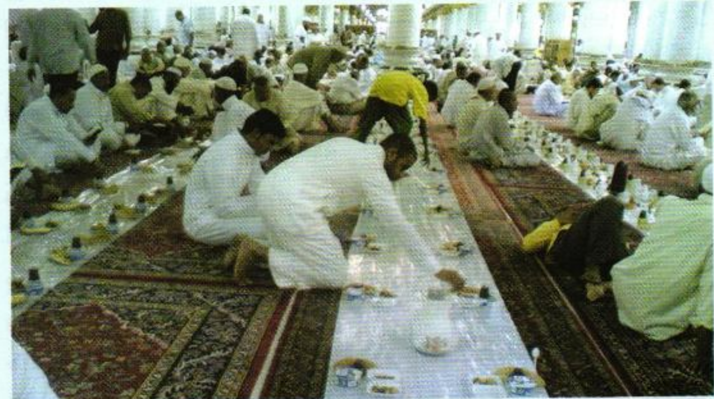
وقد حاولت جهدي الوصول إلى جوهر التجربة التربوية للصوم خاصة وأبعاد التربية الإسلامية في الفكر الشرعي الإسلامي، واستنهضت همم الإخوة الباحثين في هذا السبيل، حتى نستكشف أبعاد التربية الإسلامية للفرد ومن ثم المجتمع كما وردت في القرآن الكريم، وبها يحق لنا البحث عما يمكن تسميته بتجديد الفكر التربوي في المجتمعات الإسلامية، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وبذلك يمكننا بلورة وتحقيق عدد من الأفكار التي كنت أطرحها على فئة من الزملاء العاملين في حقل التعليم والتربية، رغبة مني في الأخذ بها والعمل على تطبيقها والإفادة منها، فيما يتعلق بالفكر التربوي في الإسلام بعامة، نظرا لما لهذا الجانب من الفكر الإسلامي من أهمية قصوى في معالجة أدواء مجتمعاتنا التي صارت متداعية الأركان، وقد رجوت من وراء تلك الدعوة عدة أهداف، منها:

أولا: دعم الأصوات المنادية بتأصيل العلوم السلوكية واستخلاص نماذجها وأطرها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، طموحا إلى التحول صوب الاتجاه الإيجابي لمفهوم الفكر التربوي في الإسلام، الذي يعتمد على استخلاص نماذج سلوكية مُثلى وقواعد تربوية محددة ومرنة، بعيدا عن الصور الوعظية العشوائية التي نتعامل بأسلوبها إلى الآن في حقل الفكر التربوي الإسلامي، إلا من رحم ربي.

ثانيا: حفز الفكر البحثي للتربويين المسلمين لارتياد حقل التربية بعامة والتربية السلوكية بخاصة بمنظورها الإسلامي، والتأكيد على تقديم

الفكر الإسلامي على النظريات الغربية؛ بوصفه فكرا مستخلصا من الشرع الإلهي الذي يتسم بالتوازن واطراد الصلاحية لكل زمان ومكان بما ينطوي عليه من مرونة وفاعلية، وخوض هذا الحقل بأسلوب علمي واضح بعيد عن العصبية التي يأباها الإسلام ويؤكد على نبذها ورفضها، ثم نقارن بين النظريات التربوية والفكر السلوكي في الإسلام، مع الأخذ في الحسبان مدى أهمية مراجعة تلك النظريات التربوية والبحث وراء أسباب نجاح ما نجح منها وفشل ما فشل، ودعوة علمائنا لنبذ طالحها والاستمداد من صالحها، ما دام لا يعارض شرعا في الكتاب أو السنة.

ولسنا نعني بالتربية الإسلامية هنا تدريس تلك الموضوعات المحددة من نصوص القرآن الكريم والسنة والسيرة والتوجيهات الخلقية.. إن التربية الإسلامية التي نقصدها هنا هي تربية الفرد بالتوجيه المباشر بواسطة نموذج سلوكي يؤمر باتباعه أو منهج شرعي يسير وفقه، أو عبادة سلوكية يؤديها ويتبع خطواتها، فهذا النوع من التربية هو الذي عرفه أساتذتنا بأنه مجموعة من:



التغيير في حياة الشعوب لن يكون إلا بالتربية وتحديد الممارسات السلوكية لدى الأفراد

«المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد، يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العلمية، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام» هذه المبادئ والقيم والقواعد التي أشار إليها د.سعيد إسماعيل علي في تعريفه السابق تدفعنا للتفكير في مصادر التربية الإسلامية فنجد أنها تتميز عن التفكير التربوي العام بأنها ترتكز على قواعد أصولية ثابتة وتدعمها متغيرات مقبولة، بل إن دورها قائم فعلا وتدعمه القواعد الثابتة نفسها، فالثابت هو القرآن الكريم والسنة، والمتغير هو رؤية علماء التربية والفقهاء.

ويُعد الصوم من أبرز جوانب التربية السلوكية في الإسلام، وتجهيل الإثابة عليه ينقله من باب العبادة المجردة إلى باب التنافس السلوكي، فالإسلام لا يعتمد في فرض نظامه وقانونه على السلطة الخارجية المتمثلة في العقوبة والجزاء المادي فحسب، بل إنه يعتمد أولا على تربية النفس الإنسانية بتعميق معاني الخير فيها وتنفيرها من معاني الشر والفساد، ثم التدخل الفعلي المادي بتغيير السلوك وتنميته وتطويره، معتمدا في كل ذلك على ربط الإنسان بالله تعالى وإيقاظ ضميره وتذكيره بربه دائما، وقد نظم الإسلام للمجتمع قواعد خلقية توفر له سياجا متينا يحفظه من الانحرافات ويقيه من المهلكات ويعالج له ما قد يعتريه من مشكلات.

وقد بُني هذا الأساس الخلقي لرسالة الإسلام الحضارية من خلال بُعدين اثنين متوازنين هما البعد الداخلي، والبعد الخارجي (١)، ففي التربية الدينية إيقاظ للإحساس الفطري الذي يرزح تحت وطأة المادية والوثنية، ومن ثمَّ خلط السلوك المادي البحت بآثار روحية نابعة من أعماق القلب الذي يقع فيه قبس الإيمان من أول يوم جاء فيه الإنسان إلى الوجود، حين نفخ الله فيه من روحه، وهذه النفخة الروحية هي بلا شك شيء من نور الله تصحو آثارها بالتربية الدينية فتطفو على السطح تزاحم النزعة المادية أو تردعها، حين لا ترعوي أو ترتدع ذاتيا(٢)، وهذه سمة من أبرز سمات الإسلام لكونها تجعله شرعا يأخذ في الحسبان الشق المادي متطلباته ونوازعه، إلى جانب الشق الروحي للعباد، وهو سبيل الإسلام في الوقت ذاته لاستعادة الخارجين على شرعه المتنكبين طريقه ودربه، إذ جعل لنا فواصل تستوقفنا جميعا الصالح منا والطالح، المحسن والآثم، ثم يضع الإسلام منهجا دوريا لاستعادة المسلمين إلى الارتباط بالقيم المثلى للإسلام، ويعد المثل البارز في ذلك الصدد هو الصوم، وبه يتضح لنا مدى سبق التربية الإسلامية للتربية الحديثة في تقرير حقيقة أن التغيير والتبديل في حياة الأفراد والأمم والشعوب لا يكون إلا بالتربية والتعهد الخلقي وتجديد الممارسات السلوكية لدى الأفراد، وأيضا نلمس من خلال ذلك مدى حاجتنا اليوم لإدراك وجوب العودة إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها والعمل بمقتضاها كما أمرنا الله تعالى؛ لنعود كما كنا خير أمة أخرجت للناس.

الهوامش

١- د.عبد القادر طاش، بناء المجتمع الراشد، في «الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي».

٢ - زيدان عبد الفتاح قعدان «أجهزة الضبط في الشخصية القرآنية.. جهاز المناعة الروحي والمكتسب»، مجلة رسالة الجهاد(العدد ١٩٨٧/٥٨م).

سلطان الصيام!

لا أحسب أحدا ينازعني فيما لرمضان من الإشراق والهيمنة والسلطان على النفوس، تراه في هذا الحنين الدائم إلى أجوائه، وتراه في الأمل الجميل الذي يسكن ذكرياته، وتراه في هذا الذي يشبه عشق العاشقين له ولنسماته وللريح الحانية العطرة التي تعانق النفوس والقلوب على أثره.وهو في كل هذا أشبه شيء بحبيبة يصح فيها وفي انجذاب القلب والنفس نحوها قول الشاعر: فمالك كلما ذكرت تذوب! قراءة سلطان شهر رمضان من خلال فحص عددٍ مهم من المداخل التي تسكنه، وتستطيع أن تكون دستور نهضة للأمة.



د.خالد فهمي

وهذه الورقة طامحة إلى وهي تحاول في المحاور التالية أن تستثمر عددا متواترا من المعلومات المرتبطة ارتباطا ظاهرا وعضويا بالشهر الكريم، مما يخفف من آثار المقاومة لها عند دعوة الناس إلى تفعيلها، وإدامة استحضارها، لأن الناس عمليا واقعون في تعاطيها، وممارستها من غير إكراه، ومن غير رفض أو نزوع نفس نحو مقاومتها، وهو الأمر الذي لا يتوافر لأية أمة في عمليات تحديثها؛ ذلك أن علماء الاجتماع يقررون مبدأ جامعا متمثلا في ضرورة وضع برامج وآليات لامتصاص المقاومة الشعبية والجماهيرية لعمليات التحديث، وهو الأمر الذي يتلاشى تماما في أوساط الأمة الإسلامية نظرا للتأثير الهائل الذي تمارسه أجواء شهر رمضان المعظم بما يحققه من أجواء التهيئة النفسية والاجتماعية نظرا لهذا الارتباط البديع بالأفكار الراقية المستمدة من الصيام، والدائرة حول القرآن الكريم مما ينزل بمخاطر المقاومة للنهضة ولأعباء التحديث إلى ما يشبه العدم.

وفيما يلي قراءة لعدد من مداخل النهضة الظاهرة والمستقرة في النظر العام لشهر رمضان الكريم كما يلي:

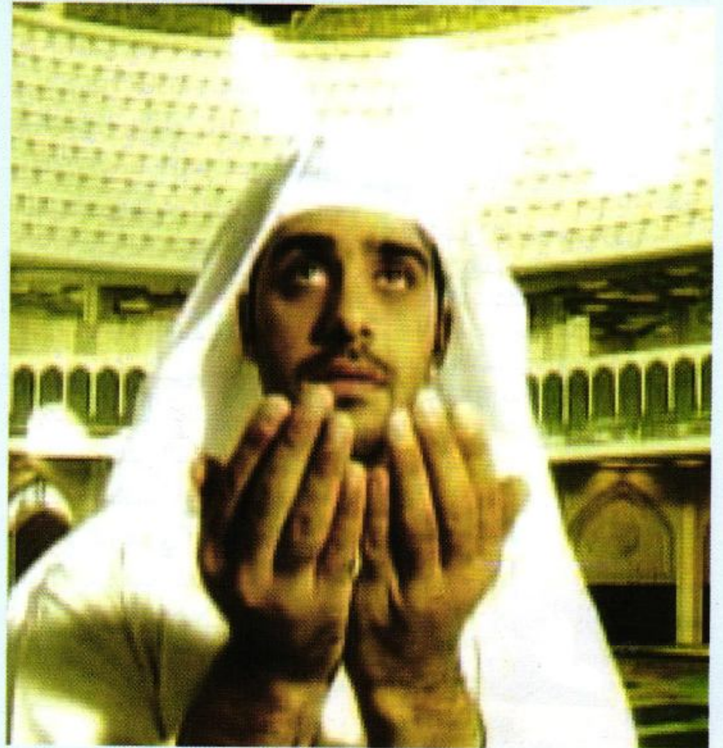
القرآن الكريم أصل أصول النهضة

وفي هذا السياق ينبغي أن يكون واضحا مستقرا أن أية نهضة مرجوة للأمة لا يسع الداعين إليها إلا أن يروموها ويتطلعوا إليها عبر بوابات القرآن الكريم.

ولعل بعض المستفاد من هذا النص على إنزال الذكر الحكيم في شهر رمضان، وفي ليلة مخصوصة منه هو استثمار هذا الربط المهم بين الشهر العظيم وبين تنزل القرآن الكريم ابتداء، وفي ذلك إشارة غير خافية إلى ضرورة انطلاق النهضة، وافتتاح أمرها من بوابة القرآن الكريم مهتدية بقوانينه وتشريعاته وآدابه وأخلاقه، ومن هنا فإن بالإمكان أن نقرر أن ارتباط نزول القرآن بهذا الشهر على ما جاء في آيات الذكر الحكيم في قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾ (سورة البقرة: ١٨٥) يشير إلى الدعوة إلى نهضة الأمة ويلزمها تهيئة نفسية للشعوب الإسلامية على هدى من هذا التاريخ المضيء الذي استثمر فيه اعتكاف النبي ﷺ قبل بعثته لنزول الذكر الحكيم عليه.

إن أول خطوة يوحي بها ذلك الارتباط بين الشهر الكريم ونزول الذكر العزيز فيه هي ضرورة أن تتعلم الأمة أن تكون انطلاقة الدعوة إلى نهضتها من شهر رمضان استثمارا لأجواء التهيئة التي يحققها في الجماهير المسلمة على أحسن ما تكون التهيئة.

والالتفات إلى المبدأ القائل بأن القرآن الكريم هو أصل أصول النهضة أمر ثابت مستقر



لمسه غير عالم في المجالات المختلفة على ما ترى أثرا له في اعتباره أصل أصول النظرية الأخلاقية الإسلامية كما قرر د.محمد عبدالله دراز رحمه الله في كتابه الفذ «دستور الأخلاق في القرآن الكريم»، وعلى ما ترى أثرا له كذلك في النظرية التربوية الإسلامية على ما يقرره د.أحمد فؤاد الأهواني في كتابه المهم «التربية في الإسلام».

المعرفة قوة (رمضان شهر المعرفة)

مما تواتر وترجح في أدبيات علوم القرآن الكريم في مبحث «أول ما نزل من الذكر الحكيم» الإقرار بأن قوله تعالى ﴿اقرأ﴾ (سورة العلق:١) كان أول ما نزل، وهو ما يقود إلى إمكان الإقرار بأن شهر رمضان في ارتباطه العضوي والمحوري بافتتاح التنزيل بهذا الأمر الخطير وهو الأمر بالقراءة في مستوياتها المختلفة؛ قراءة المسطور (العلم) وقراءة المنظور (الكون) يرشح لضرورة افتتاح طريق النهضة، وتأسيسها على عماد أساسي متمثل في اعتبار القوة الحقيقية ماثلة في تحصيل المعرفة عبر طريقيها الأعليين:

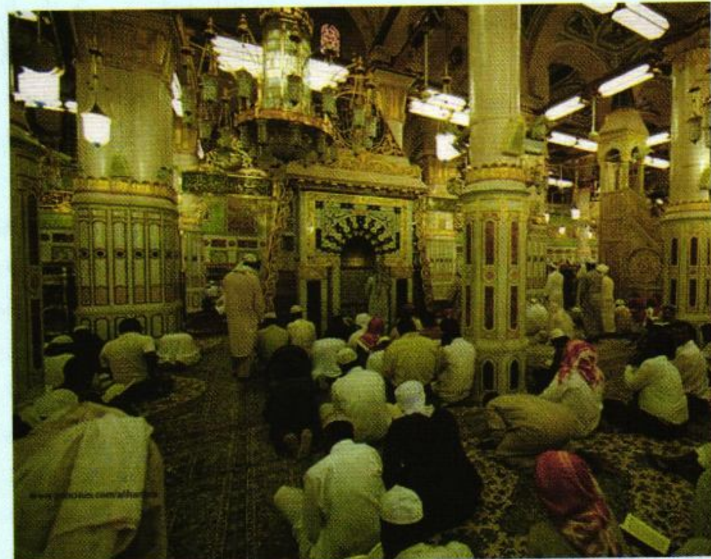
أ - طريق العلم، وهو ما يمثل رمزا واضحا للتأليف والكتابة والتعليم والبحث العلمي الموصول بالله سبحانه، والمسترشد بهديه أوليس هو القائل سبحانه ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ (سورة العلق: ٣-٤).

ب- طريق النظر في الكون، وهو يمثل أمرا صريحا باكتشاف أسرار الخلق، والتكوين، ولإتقان هذا النوع من المعرفة العلمية التجريبية بوحي من قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق﴾ (سورة العلق: ١-٢) وهما أمران جديران بالتأمل في سياق افتتاح التنزيل الكريم بهما من جانب، وفي افتتاح هذا التنزيل في هذا الشهر المكرم تعيينا بهما من جانب آخر.

رمضان مدخل تتجلى فيه علامة تنامي تغذية الوعي المجتمعي والفردي بأن القرآن هو الدستور والقانون الحاكم للأمة الإسلامية

ومما يدعم هذا النظر في هذا المحور ما تواتر من الأجر البالغ المترتب على الارتباط العظيم بالقرآن الكريم في هذا الشهر الكريم حتى صار علما مشهودا على العناية البالغة بتلاوة الذكر الحكيم، وتنامي هذه العناية في تنافس أفراد المجتمع الإسلامي فيما يسمى بالتنافس في الختمات، وهو ما يرجى تطويره إلى أبعد من ذلك لينتج تنافسا في تدبره وترجمته إلى سلوكيات وممارسات ومشاريع للنهضة في المجالات المختلفة.

وافتتاح نزول القرآن بهذا الأمر المبدع ﴿اقرأ﴾ متزامنا بالقرآن الكريم قاد إلى مسألة مهمة جدا قل الالتفات إليها في دراسات التعليم والإدراك وهي أن التهيئة النفسية، وتحقق التقوى المترتبة على الالتزام بآداب رمضان، وحرمته طريق من طرق تحقيق الإدراك، وهو ما قاد واحدا كالإمام الزمخشري في مقدمة تفسيره «الكشاف» أن يقرر أن ثمة طريقا مهما لتحصيل العلم لا سبيل إليه إلا بتحقيق التقوى وهو بعض المفهوم من قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة:).



ان ارتباط الأمر الإلهي ﴿اقرأ﴾ بأجواء رمضان في ابتداء نزول الوحي يحمل دلالة مهمة يمكن استثمارها في أمر الله سبحانه وتعالى عبر هذا الارتباط يدعو الأمة أن تقيم نهضتها تأسيسا على المعرفة بتنوعها بما هي سبيل القوة التي يريدها الله سبحانه للأمة الإسلامية.

بناء الشخصية (رمضان شهر التقوى)

وفي هذا المحور أو المدخل تتداعى أمامنا بوحي من الارتباط بين الصيام فريضة الشهر الكريم وغاياته التي يرمي إلى تحقيقها وهي التقوى، وهي كلمة جامعة للاستقامة، وهي الغاية المنصوص عليها في قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة: ١٨٣).

والتقوى هنا كلمة لا يصح قصرها على الدلالة الروحية التى تعادل قمة الارتقاء الروحي والنفسي التهذيبي، وإنما ينبغي أن تترجم وتفسر لتكون معادلا ومكافئا لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، بمعنى أن الصيام يسعى إلى بناء شخصية تقية بالمعنى الأخلاقي التهذيبي، كما يرمي إلى بناء شخصية قوية من الناحية البدنية ومن الناحية



الإرادية، أي أن رمضان يخلق بدنا قويا بما هو ثابت من آثار الصيام البدنية في تنقية البدن من السموم المتراكمة، وإراحة الأعضاء الداخلية من ضغوط الطعام من جانب، ويخلق نفسا قوية لها عزيمة وإرادة متعالية على المطالب المادية ولو كانت ضرورية فترة طويلة، وهو ما يصح تدعيمه بالنظر إلى أن رمضان بما فيه من فرضية الصيام كانت الخطوة الأولى قبل إقرار الأمر بالقتال في منظومة تراتب التشريعات في التاريخ التشريعي عند المسلمين.

معني ذلك أن الله عز وجل جعل الصيام تمهيدا وإعدادا بدنيا ونفسيا للجهاد، وهو ما ترجمته الأمة على امتداد تاريخها في جعل رمضان والنظر إليه باعتباره شهر الانتصارات، فكان عماد النظر إليه من كل عام أنه شهر النصر المتولد عن الطاقة الهائلة ماديا ومعنويا التي يحققها الصيام، وبات الاحتفال بانتصارات الإسلام في رمضان واحدا من أكثر المفردات ظهورا في الإعلام الرمضاني من كل عام.

المدخل الاقتصادي (رمضان شهر التدبير والادخار)

إن الناظر إلى رمضان من منظور اقتصادي يلمس مجموعة من المعايير الحاكمة في أسس النهضة المرجوة من مدخل اقتصادي، ذلك أن اختزال القوة الإنفاقية بمقدار الثلث أو النصف أحيانا تبعا لبعض الأعراف والتقاليد التي تتناول ثلاث وجبات أو أربع في بعض الأقاليم يفتح الباب على مفردة مهمة وأثيرة في النظرية الاقتصادية تتعلق بتربية الأمة على ترشيد الإنفاق، وإذا كان المدخل الترشيدي هنا يتعلق بالضرورات فإن الدعوة إلى ترشيد الإنفاق في المجالات غير الضرورية تصبح مسألة وجيهة بعدما استطاع القرآن الكريم عبر منظومة رمضان أن يعود المسلمين في النظام اليومي لمدة شهر كامل على ترشيد الإنفاق في الحاجات الضرورية المتعلقة بالطعام والشراب.

وهو ما يؤازره ويدعمه فرضية نوع خاص من الزكاة التي هي زكاة الفطر التي شرعها الله سبحانه وأحد الجناحين اللذين تحققانها كامن في أنها طعمة (إطعام) للفقراء، وهو ما يوجه الأمة إلى الاستثمار في الصناعات الضرورية بما هي العماد الحقيقي للاقتصاديات الوطنية، وصناعة الغذاء من أولى الصناعات فى هذا الباب الخطير المهم المؤثر فى إدارة الدولة، وعلاقاتها الدولية.

ومع ذلك تتجلى ما تسميه مجموعة من النصوص المشرقة من أحاديث المصطفى ﷺ باسم البركة المقترنة بنسك هذا الشهر الفضيل، وهو ما يظهر في قول النبي ﷺ المتفق عليه: «تسحروا فإن في السحور بركة» وفي الحديث الحسن الذي يقول فيه المصطفى ﷺ: «إن الله جعل البركة في السحور».

وهذه البركة أثر من الممكن استثماره واستدامته في ارتباط المسلمين بطاعة الله سبحانه في هذا الشهر الكريم.

المدخل الاجتماعي (رمضان شهر الرحمة)

من المبادئ المقررة في النظرية التربوية الإسلامية على ما يقرر أحمد فؤاد الأهواني تأسيسا على اثنين من أشهر علماء التربية المسلمين القدماء وهما القابس ت ٤٠٣هـ، وسحنون ٢٥٦هـ أن الطاعة من صلاة وصيام تحقق لصاحبها نوع كرامة إنسانية، وهو الأمر المشاهد الملحوظ عيانا في الأوساط المجتمعية الإسلامية، بحيدة نستطيع معها أن نقرر أن واحدا من علامات القبول والتقدير والارتقاء الاجتماعي في الأوساط الإسلامية متمثل في ارتباط هذه العلامات بالأشخاص المعلوم عنهم التدين والصيام في مقدمة العبادات التي تنتج لأصحابها هذا القبول المجتمعي.

ومن ثم فبالإمكان أن يكون شهر رمضان عبر فرضية الصيام مدخلا اجتماعيا يسهم في تحقيق الكرامة الإنسانية لأفراد المجتمع مدعوما بعدد من الأسس الاجتماعية الأخرى التي تصنع المجتمع بخصائص النهضة، وهذا الشهر أعلى نموذج تتجلى فيه سمات التكافل (إطعام- زكاة فطر...) والتراحم، والتنظيم.

وعلى الرغم من ضعف الحديث الذي أورده ابن خزيمة في صحيحه تحت ترجمة (عنوان) «باب فضائل شهر رمضان» إن صح الخبر

١٩١/٣ حديث رقم ١٨٨٧: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك...من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء» فإنه مدخل مهم من الناحية الاجتماعية لصناعة نهضة عبر بوابة شهر رمضان، قادر على دعم عناصر التماسك المجتمعي، ودعم ركن مهم سمي في الأدبيات الاجتماعية المعاصرة باسم السلام الاجتماعي.

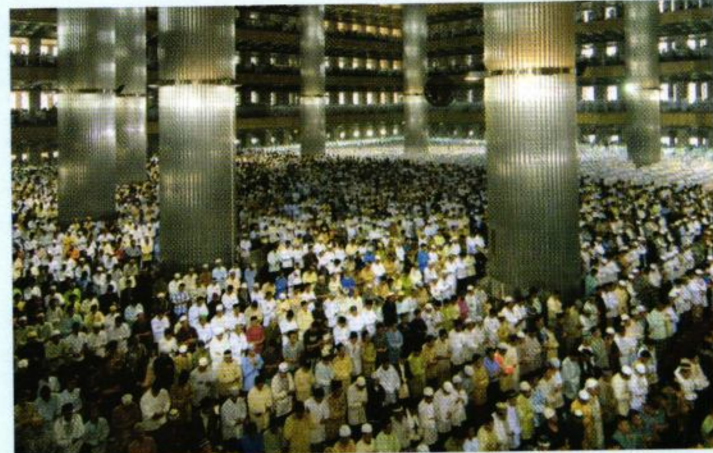
المدخل السياسي (رمضان شهر النصر)

وفي شهر رمضان ونظرا لارتباطه تاريخيا بأعلى نصر في التاريخ الإسلامي- وهو ما تحقق بفضل الله تعالى للإسلام في أول مواجهة مع الشرك في غزوة بدر الكبرى- تجلت علامة مهمة جعلت منه شهر النصر.

وهذا المدخل السياسي كان قراءة رمضان من بوابة كونه أعلى نموذج لتحقيق الوحدة بين أفراده، ماديا في توحيد مواقيت إفطارهم، وفي اجتماعهم جميعا مدة طويلة هي مدة النهار وهم صائمون تجمعهم حالة نفسية واحدة، وفي افتتاح صومهم تبعا لتوقيت واحد وهو المتمثل في وظائف الرؤية (رؤية الهلال) من الناحية السياسية.

ورمضان من جهة أخرى مدخل تتجلى فيه علامة تنامي تغذية الوعي المجتمعي والفردي بأن القرآن هو الدستور والقانون الحاكم للأمة الإسلامية بالمعنى التشريعي والقانوني، وهو بعض نتائج الارتباط بالذكر الحكيم في هذا الشهر من جانب الأفراد، وهو ما ينبغي دعمه في دروس التراويح للإسراع بمشروع النهضة المنبثق من الكتاب الكريم.

كما يمثل رمضان من هذا المنظور وجها مهما يقدره علماء الاجتماع السياسي فيما يسمى بمجدد الأمل، وهو الذي يتحقق في أعلى تجلياته وصوره في هذا الشهر الكريم، وهو الأمر الذي يتبدى بوضوح في الآمال التي ترتبط بها الأمة عبر أفرادها فيما ترجوه من رحمة وغفران وعتق من النيران وفرصة عاجلة متمثلة في انتظار العيد الذي هو ملمح مهم أيضا يدعم أجواء الوحدة الاجتماعية والسياسية، وهو ما التفت إليه السياسة المعاصرة في النظر إلى هذه الأيام باعتبارها دعامات تقوي الشعور الوطني، وتقوي روافد الشخصية القومية.



رمضان أعلى توقيت يمكن التخطيط انطلاقاً منه.. ليكون مفتتحاً بديعاً لنهضة المسلمين في هذا العصر

وهذا كله أمر لازم للنهضة الإسلامية المرجوة، وهو الأمر الذي يمكن استثماره في دعم مخططات التنمية التي قد يتولد عنها أزمات على المستوى الشعبي مما يستلزم استثمار كون شهر رمضان شهر الصبر لتخطي الأزمات المتوقعة للسير أو التحول إلى طريق النهضة.

المدخل الحضاري

ويأتي هذا المدخل الأخير من مداخل النهضة المستمرة والمستنبطة من جانب تأسيسا على إعادة قراءة شهر رمضان بما فيه من فضائل وخصائص يحمل في طياته إمكان تأسيس النهضة الإسلامية عبر مدخل حضاري يرعى اتصال الأمة حضاريا وتاريخيا لتستشعر الأمة عبر أفرادها أن لها تاريخا عريقا في التقدم والتحضر والارتباط بالسماء وهو بعض ما يمكن فهمه من قوله تعالى ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ في هذا الجزء الأخير من الآية الكريمة (كما كتب على الذين من قبلكم) مدخل حضاري يرعى أننا امتداد لتاريخ عريق مقبل على الله تعالى.

وهو الأمر الذي ييسر أن نفتش في طريق إقامة النهضة على ما سكن في تاريخ هذه الأمة القديم على عناصر يمكن التقاطها لدعم مشروعات النهضة الإسلامية المعاصرة؛ ذلك أننا أمة ليست يتيمة أو معزولة أو لقيطة.

من مجموع هذه المداخل المرتبطة بهذا الشهر الفضيل نستطيع أن نقرر أن شهر رمضان هو أعلى توقيت يمكن التخطيط انطلاقا منه زمنا، ومما يتجلى فيه من علامات ومداخل وتهيئة لكي يكون مفتتحا بديعا لنهضة المسلمين في هذا العصر الذي نحيا فيه.

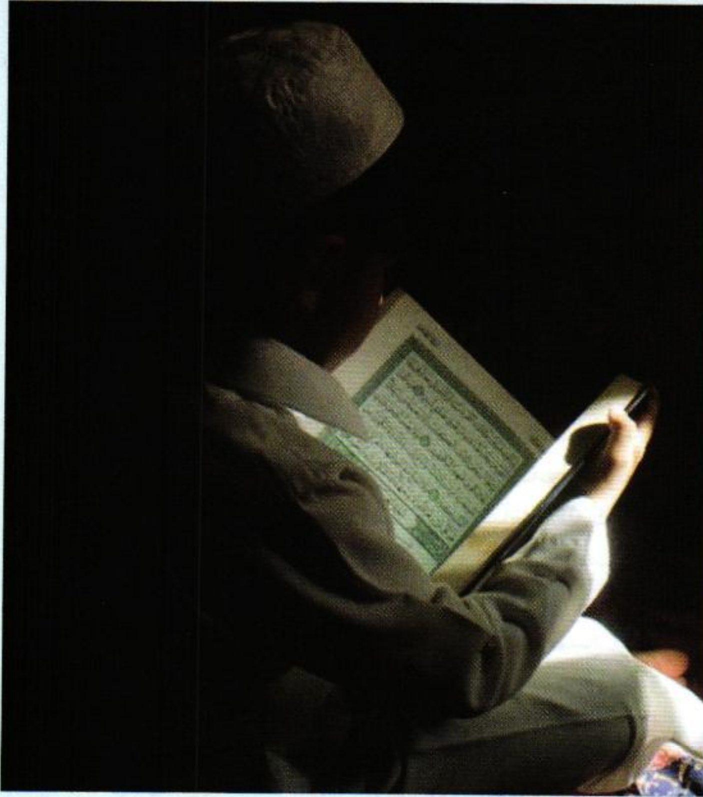
فباسم رمضان وباستلهام فريضته، وبالاستظلال بأجوائه تقدم المسلمون قديما، وباسمه وباسم فريضته الكبرى وباسم الأجواء البديعة التي تشيعها فينا يمكننا أن نستعيد تقدمنا من جديد.



شهر رمضان بين المفترض والموجود

د. عمار علي حسن

رغم تعاظم المؤشرات والمظاهر والدلائل التي تبين تعزز دور الدين في الحياة الاجتماعية العربية واعتماده إطارا أو مرجعية لأغلب السلوكيات والتصرفات والرؤى فإن الأغلبية الكاسحة من العرب المعاصرين لا تزال غافلة عن اكتشاف جوهر شهر رمضان، وإدراك مقصده وتلمس حكمته، والالتزم بما يوجبه من تعبير وتدبير، والتصرف بما يليق بهذا الشهر الفضيل.



وهذه الصعوبة لا يمكن أن نعزوها، من بعيد أو قريب، إلى التباس أو غموض في فقه الصوم المستمد مما ورد عنه في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ، بل في مدى قدرة هؤلاء المسلمين على الإلمام بعبادة الصوم وحكمته، أو الالتزام بأداء هذه الفريضة في أجلى صورها، وبما يتفق مع فطرة الإسلام، الناصعة الواضحة الساطعة كشمس ظهيرة صيف صاف.

فمن يدقق النظر في الممارسات المرتبطة بالصوم أو الناجمة عنه يجد أن هناك فارقا كبيرا بين رمضان الذي ينطوي عليه النص الإسلامي المؤسس وهو القرآن الكريم وكذلك المستقى من سنة النبي ﷺ والقائم في أفعال الرعيل الأول أو «الجيل الفريد» الذي تحلق حول الرسول الكريم وبين رمضان الذي يحييه المسلمون الآن قولا وعملا. وهذا الفارق يتسع كل سنة عن الأخرى، ويهرول في الاتجاه الذي سيجعل الأول غير الأخير، ليتحول الشهر الفضيل إلى مجموعة من الطقوس الدنيوية المادية البحتة، المغلفة بروحانيات سطحية، وتدبر عابر، وافتقاد للحكمة التي من أجلها فرض الله سبحانه وتعالى الصيام على أمة محمد ﷺ والأمم التي سبقتها.

فالله فرض الصوم، لا ليعذب الناس بالجوع والعطش والامتناع عن أداء الغريزة الجنسية، بل ليسمو بأرواحهم إلى أقصى حد، ويرتقي بمشاعرهم إلى أبعد غاية، ويدفع غنيهم إلى الإحساس بما عليه فقيرهم، وصحيحهم بما عليه مريضهم، وقويهم بما عليه ضعيفهم، وفرض الله الصوم ليجد الإنسان فرصة قوية لتدريب نفسه على السلوك الصحيح، فيبني ما تهدم، ويعدل ما مال، ويقوّم ما اعوج وانكسر، فإن كان من سريعي الغضب فليدرب نفسه على الحلم والصبر والتريث، وإن كان من محبي النميمة والجدل فليعلم نفسه السكوت الحكيم الذي هو من ذهب، وليتعود على أن يقول خيرا أو يصمت، وإن كان من المنساقين بعمى وقلة بصيرة وراء غرائزهم فليقوي ذاته في مواجهة شهواته، ولا يرهن نفسه بخدمة جسمه، وليدرك أنه بالنفس لا بالجسم إنسان.

آن أوان انتهاء الغفلة إلى غير رجعة وذوبان النسيان بلا عودة ورجوع المسلمين إلى طريقة الصوم التي تتفق مع النص المؤسس والفعل الأمثل

وحتى لو أخذنا بالرأي الآخر الذي يرى أن الصيام فرض لذاته، كنوع من عبادة الله، فإن ما تفعله الأغلبية الكاسحة من المسلمين يتنافى مع هذا المنطق، الذي يرتكن إلى أن عبادة الله غاية في حد ذاتها، ولا يقصد منها أي شئ أو رمز غير ذلك، وإن ترتب عليها مثل هذا الشيء أو ذلك الرمز، فإن هذا من قبل العوارض وليس الجواهر. فالصوم ركن من أركان الإسلام، وهذا ثابت لا جدال فيه، ولم يختلف عليه المسلمون منذ البداية وحتى اللحظة الراهنة، بينما اختلفوا حول حكمة الصوم وأهدافه.



وفي حال الميل إلى العبادة المحضة في رمضان، فإن هذا يتطلب سلوكا مغايرا لما يبدر عن عوام المسلمين، الذين لا يؤدون حق هذه العبادة، ولا يتمسكون بمتطلباتها ومقتضياتها أو شروطها حتى تخرج سليمة معافاة من كل ما يجرحها، أو ينال من سلامتها، ويجعلها عبادة منقوصة، أو بمعنى أصح يخدش هذا الركن من أركان الإسلام الخمسة. وسواء تحدثنا عن العبادة لذاتها أو العبادة المرفقة بحكم وعبر وعظات فإن شهر رمضان يعطينا في كل الأحوال فرصة لتجديد حياتنا، وليصبح كل واحد منا، إن صدقت عزيمته وسلمت نيته، إنسانا جديدا، لا يعبد الله على حرف، ولا يكتفي من الدين بطقوسه وقشوره، بل يلج إلى جوهره الأصيل وحكمته العميقة، فيصبح بحق المسلم الذي تنطبق عليه الآية الكريمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران:١١٠)، ويصير المسلم الذي يباهي به الرسول الأمم يوم القيامة، وليس المسلم الذي لا يمثل سوى قطرة ضائعة في غثاء السيل، فتتداعى الأمم عليه كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

لكن ما يجري في الواقع شيء آخر، فأغلب المسلمين المعاصرين حولوا رمضان إلى شهر دعة وراحة وكسل، ونسوا أن الصحابة خاضوا معركة بدر في رمضان، وأن صلاح الدين قد هزم الصليبيين في رمضان، وأن العرب قد هزموا اليهود في رمضان. كما حولوا رمضان إلى شهر تسلية تتسابق على إشباعها شاشات الفضائيات، المتخمة بالمسلسلات والأفلام والمسرحيات وبرامج المسابقات التافهة واللقاءات السطحية مع أهل الفن، إلى الدرجة التي أصبح عندها الممثلون والمخرجون والمنتجون من العلامات المميزة لهذا الشهر، أكثر من علاماته الأصيلة التي شرع الله من أجلها الصوم.

وبات أغلب المسلمين يستهلكون في رمضان أضعاف أضعاف ما يأتون عليه في الشهور التي تسبقه وتليه، ليحولوه من شهر الصوم إلى شهر الأكل، وصارت لرمضان صورتان عند النسبة الكاسحة من العوام، صورة في النهار، حيث الامتناع عن الأكل والشرب وخلافه من الخدمات التي تقدم للجسد، وصورة في الليل حيث يصبح الجسم سيدا، بخلاياه وغرائزه وأشواقه، وتتوارى الروح في ركن من النسيان والإهمال.

وهذا الفصام المزمن، الذي طالما رصدته أقلام وعدسات في أقصى الشرق والغرب، أضر بصورة المسلمين إلى حد كبير، وجعلهم عبئا على دينهم الذي ينطوي على قيم روحية سامية من دون أن يهمل الجسد ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق﴾ (الأعراف:٣٢)، ويجعل للآخرة الأولوية من دون أن يغفل الدنيا ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص: ٧٧) لكننا جرنا على هذا التوازن، وخرجنا عن تلك الوسطية، فأعطينا للأدنى أولوية على الأعلى، ودسنا بأقدامنا المعاني الكبرى التي من أجلها شرع الله الصوم.

لقد بح صوت من ينادون كل عام في أمة محمد لتعود إلى رشدها وتتوب عن غيها، ولتتعامل مع رمضان بنزاهة وعدل يليق بما ورد عن الشهر الفضيل في محكم التنزيل، وفي ما كان يفعله الرسول الكريم ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، لكن الناس آفتهم النسيان، وهذه ليست آفة المسلمين وحدهم، بل آفة البشرية جمعاء، التي تحول أغلبها إلى آلة استهلاكية نهمة، فصار الإنسان سلعة، تباع وتشترى، مع أنه خليفة الله في أرضه.

وقد آن الأوان أن تنتهي هذه الغفلة إلى غير رجعة، ويذوب هذا النسيان بلا عودة، ويؤوب المسلمون عن بكرة أبيهم إلى طريقة الصوم التي تتفق مع النص المؤسس والفعل الأمثل، وفي هذا خير لنا مثلما كان خيرا عميما للرعيل الأول الذي تحلق حول الرسول ﷺ، حيث شهد زمانهم رجالا أدركوا كنه رمضان ومعناه، وحكمة الصوم ومراميها، فقاموا بها على أفضل وجه، فانعكست إيجابيا على سائر حياتهم، التي زاوجوا فيها بين العبادة والعمل، وأدوا كل ما هو مطلوب بإتقان.

ولا تَكُونُوا كَالَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا

د. محمد اقصري

يقول الله عز وجل ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢)، ذكر الطبري في تفسيره (١) أن المرأة المقصودة من الآية الكريمة تدعى خَرْقاءُ وهي امرأة حمقاء معروفة بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته. قال قتادة: لو سمعتم أن امرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه!... وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده ونقضه تشبيها له بالمرأة التي تفعل ذلك.

كان هذا المدخل ضروريا لقياس ما كان الناس عليه في رمضان، وما يكونون عليه بعد خروج رمضان على ما كانت عليه خرقاء الحمقاء.

كم من شخص غزل غزلا خلال شهر رمضان وسرعان ما نقضه عند بزوغ فجر يوم عيد الفطر.

فشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، هو شهر الصيام والقيام، وهو شهر الذكر والدعاء والاستغفار، وهو الشهر الذي يلتزم فيه المسلم بتعاليم دينه أكثر من غيره من الشهور وفاء لبعض عهده مع ربه الذي أمره بالتقوى والصلاح، والابتعاد عن قول الزور والعمل به، وتجنب الرفث والصخب أثناء الصيام، والتعفف عن أموال الناس ومحارمهم، وغير ذلك من الطاعات التي تقرب إلى رب السماوات وتجني الكثير من الحسنات، وتُنجي من المهلكات.

لكن ماذا بعد خروج رمضان؟ هل يستمر العبد متمسكا بعهده مع الله أم ينكث عهده كالحمقاء المكية التي تنقض غزلها؟ هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب لأن الناس يرى بعضهم البعض كيف يكونون خلال شهر رمضان، كما يعرفون أنفسهم وأحوالهم كيف تتغير وتتبدل بعد خروج الشهر الفضيل، إلا القليل منهم، والصابرون الثابتون أقل من ذلك القليل.

فالمسلمون - معظمهم - خلال شهر رمضان يحرصون على الطاعات وفعل الخيرات، وكأن هذا خاص برمضان، صحيح ميز الله رمضان عن غيره من الشهور بعدة أمور، منها أن الصوم الواجب لا يكون إلا فيه فإن صام المكلف صوما واجبا في غيره يكون على سبيل النذر أو القضاء، ومنها أن الشياطين تصفد فيه، ومنها أن ليلة القدر تصادف ليلة من لياليه، وعمل الخير فيها يفضل عمل الخير في ألف شهر، وغير ذلك من المزايا التي يعرفها المسلم. إلا أن المكلف عليه أن يعرف أن رمضان مدرسة لتربية النفس وترويضها وتعويدها على فعل الخير، بحيث يستمر ولا ينقطع، فيعم كل الشهور ولا يخص رمضان، لأن الشارع الحكيم يأمر بفعل الخير على العموم والإطلاق دون تقييد أو تخصيص، لكن من غير غلو أو تنطع بل بالتوسط والاعتدال الذي هو الصراط المستقيم.

وفيما يلي بعض النماذج من الأعمال الصالحة أذكر بها المسلمين ليستمروا على الوفاء بعهدهم مع الله، إنماء لغزلهم وزيادة فيه فلا ينتقض ويبطل.

الصوم: واجب في رمضان مستحب في غيره، ومن الصوم المستحب صيام ستة أيام من شوال لقوله ﷺ «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فقد صام الدهر» (رواه الترمذي)، والحسنة بعشر أمثالها، فشهر رمضان بعشرة أشهر وستة أيام بشهرين، فهو عام كامل. ولكيلا يتخرم الدهر فإن المكلف الذي صام ستة أيام من شوال بعد رمضان، ينبغي عليه أن يستمر في صيام ستة أيام من شوال عقب كل رمضان ليكتمل الأجر لكل حلقات السنين دون انقطاع، وإذا وجد المكلف في نفسه قوة وعزيمة على حصد المزيد من حسنات الصيام فيندب له أن يصوم الاثنين والخميس، والأيام البيض من كل شهر، وعاشوراء، وعرفة إن لم يكن واقفا عليه.

الصلاة: الواجب منها خمس فرائض بين اليوم والليلة، وفي رمضان يحرص المسلم على أدائها في وقتها ومع الجماعة، كما يحرص على صلاة التراويح، وبعد خروج رمضان نجده يسهو عنها بحيث لا يؤديها في وقتها بل يقضيها، كما لا يصلي

كم من شخص غزل غزلاً خلال شهر رمضان وسرعان ما نقضه عند بزوغ فجر عيد الفطر

نوافلها ويتهاون عن قيام الليل، وأحرى أن يصلي ركعتي الفجر مع أن الرسول ﷺ رغب فيهما في قوله «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» (رواه مسلم)، وهو بتقاعسه وإهماله «ينقض غزله» ويضيع حب الله له، لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه «... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ...» (رواه البخاري).

البذل والعطاء: يقول الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الاحزاب: ٢١)، وجاء في الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل في كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (رواه البخاري)، والمسلمون كرام في رمضان يكثرون من الصدقات وإعانة المحتاجين، حيث يساعدون بالمال وطعام الإفطار والسحور طوال الشهر، وتنشط جمعيات كثيرة في هذا المجال على امتداد الكرة الأرضية، بل في البلاد غير الإسلامية يأكل مع المسلمين غيرُ المسلمين من هذه الوجبات، وفي هذا الكثير من الدلالات، إلا أنه بعد ذلك تفتر روح التضامن مع المحتاجين والفقراء، وكأن آخر عمل تضامني مالي يقدمه المسلم لأخيه المسلم الضعيف، زكاة الفطر، لهذا يجب على المسلم أن يتفطن ويفهم أن الفقراء موجودون طوال السنة، كما يجب عليه أن يعرف أن الله أودع في الصدقات خيرا عميما قَلّتْ أم كثرت، في رمضان



وبعده، فيكفي المتصدق شرفا أن صدقته قرض لله عز وجل، ويكفيه شرفا أن الله يأخذها بيمينه فيربيها، حتى تصبح مثل الجبل، ويكفيه شرفا أنه إن أخفاها بحيث لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، أصبح من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

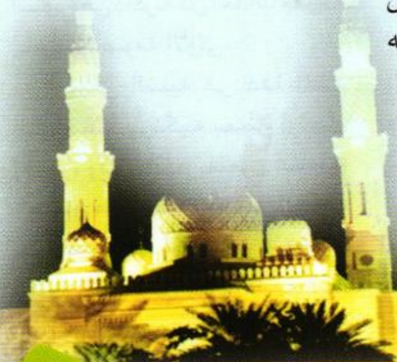
التوبة: شهر رمضان شهر التوبة والغفران، وهو مناسبة روحانية تشجع الغافلين على الرجوع إلى الله والتوبة إليه، بالإقلاع عن فعل المعاصي مع توطيد النفس على عدم الرجوع إليها، ولعل المرحلة الصعبة في كل ذلك هي مرحلة البداية، وهذا الشهر الفضيل يقدمها لأن المكلف يصبر على شهوتي البطن والفرج من جوع وعطش وجماع، كما يصبر عن العادات السيئة من تدخين وسهر في أماكن اللهو وغيرها، فإذا أقلع المكلف عن ذلك في رمضان فكيف تطاوعه نفسه على الرجوع إليها بعد خروجه، هذا لأن رمضان مدرسة لتربية النفس وترويضها على فعل الخير، لذلك فإن المكلف التائب إلى الله توبة نصوحا عليه أن يستمر على عهده مع الله، فلا ينقض ما غزله في رمضان من طاعات.

وهكذا فإن كل مكلف منا يعرف الأمور التي يجتهد فيها خلال شهر رمضان، تقربا إلى الله عز وجل، كما يعلم ما يقصر فيه بعد خروجه، وقدمت نماذج على سبيل المثال لا الحصر لأن أعمال الخير كثيرة، فقد يكون مكلف مقصر في البر بوالديه، وقد يكون آخر مقصر في صلة رحمه وزيارة أقاربه، وقد يكون آخر مقصر بعدم الاهتمام بالصلاة مع الجماعة، وقد يكون آخر مقصر بعدم استغلال وقته فيما يرضي الله .. وهكذا.

في الختام أعود فأقول بأن شهر رمضان مدرسة لتربية النفس وترويضها على الطاعات. والمسلم يجب عليه الوفاء بعهده مع الله بحيث يستمر بل يجتهد ويثابر في المداومة على الطاعات لينفع نفسه في دنياه وعقباه، ويساهم في تطور أمته ومجتمعه. والمهم أن يداوم ويستمر، ولا يبالي أن يكون عمله قليلا، لأن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع وقد قال رسول الله ﷺ «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (رواه البخاري)، فداوم على الخيرات وفقك الله.

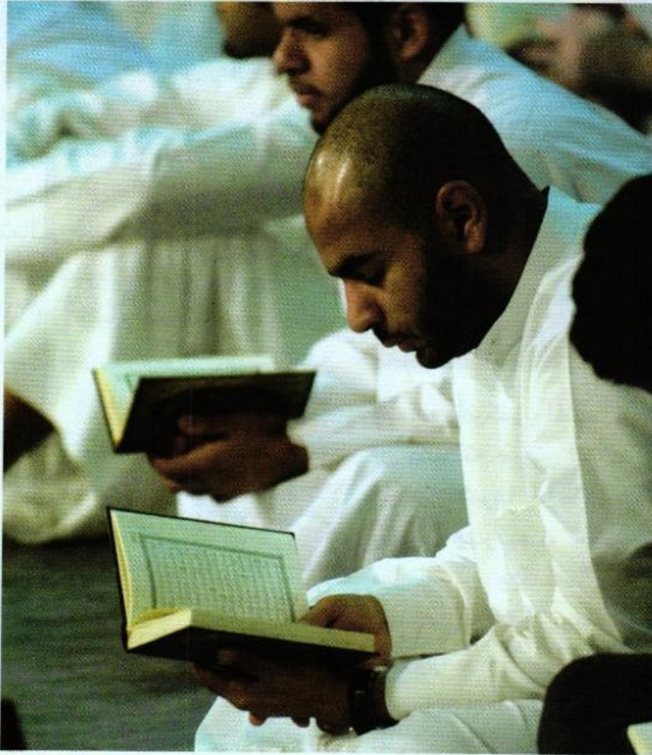
الفهرس

١- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري: ج ١٧ ص ٢٨٤.



شهر رمضان وفوائده التربوية

فاطمة الدعي



إذا كانت الأمم تهتم بإعداد الأطفال وتأهيلهم وفق ما تراه من مبادئ وقيم، فحري بالمسلمين أن يهتموا بأبنائهم أشد الاهتمام تربية وإعداداً، تربية تؤهلهم لحمل رسالة هذه الأمة، وإعداداً يُعدهم لدخول مدرسة الحياة بكل آمالها وآلامها.. لذلك كان من أهم ما ينبغي الاهتمام به والحرص عليه تعويد الأبناء على أداء فرائض دينهم، وتربيتهم عليها منذ وقت مبكر، كيلا يَشق الأمر عليهم حين البلوغ، ولهذا وجدنا رسول الله ﷺ يَحُث أولياء الأمور على تربية الأبناء على تعاليم دينهم منذ وقت مبكر من أعمارهم، فيقول «مُروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أبوداود) وتدريب الأبناء وتعويدهم على صيام شهر رمضان يندرج تحت هذا الأمر النبوي.

لا شك أن هذا الشهر يعد فرصة عظيمة، ومناسبة فريدة يستطيع الأهل من خلالها أن يعودوا أبناءهم على أداء الصيام خاصة، وتعاليم الإسلام عامة، كالصلاة، وقراءة القرآن، وحسن الخلق، واحترام الوقت والنظام، ونحو ذلك من الأحكام والآداب الإسلامية التي ربما لا يُسعف الوقت في غير رمضان لتعليمها وتلقينها.

ومن المهم أن يقترن الصوم في حياة الناشئة بذكريات مفرحة وسارة، ما يشجع الطفل ويحفزه على انتظار شهر الصوم بتلهف وترقب، لما استودع في ذاكرته من أحداث مفرحة إبان فترة صومه الأولى.

وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى خطأ يرتكبه بعض أولياء الأمور، وذلك أنهم يمنعون أبناءهم الصغار من الصوم بحجة الخوف على صحتهم، أو بحجة أنهم لم يبلغوا السن التي يجب عليهم فيها الصوم، وفي هذا السلوك إساءة للأبناء من حيث إرادة الإحسان إليهم.

فعلى الأهل أن يتنبهوا لمثل هذه الأمور، وأن يستثمروا إقبال أبنائهم على الصوم، وذلك بتشجيعهم والأخذ بأيديهم على نهج هذا الدرب الذي يحتاج السير فيه إلى دعم معنوي من الأهل قبل كل شيء. ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام أسوة حسنة، إذ إنهم كانوا يُعودون أبناءهم منذ نعومة أظفارهم على الصيام، وكانوا يصنعون لهم الألعاب المسلية، يتلهون بها وقت الصيام، ريثما يحين وقت الإفطار، كما ثبت ذلك في الصحيحين.

لذلك فمن الأهمية تعويد الأطفال على الصيام منذ الصغر وذلك بتهيئتهم نفسياً للصيام من خلال:

- التدريج في الصيام، حيث يتم التغاضي عن أخطاء الأطفال في الصيام في أول مرحلة، فلو شرب مثلا لا يتم تعنيفه بشدة وإنما حثه على إكمال الصيام شيئا فشيئا وهكذا.

- التشجيع المستمر فإنه حافز قوي للكبار فضلا عن الأطفال.

- مدح الطفل الصائم أمام الآخرين، أو الإخبار بأنه استطاع أن يصوم هذا اليوم، أو تكريمه عند الإفطار بالجلوس مع الكبار الصائمين وإظهار الاهتمام به، أو إعداد الأطعمة التي يحبها، لأنه صائم.

- إذا كان في البيت أكثر من طفل فلتحي الأم بينهم روح التنافس على الصوم والعمل الصالح وتعدهم بالهدايا لمن أتم صيام رمضان كاملا، ثم لتنفذ ما وعدتهم به بعد ذلك.

- استخدام الإيحاء الإيجابي في تربية الطفل وأنه يستطيع أن يمتلك إرادة قوية من خلال صبره على الصيام وسيثبت لنفسه وللآخرين أن همته عالية عندما يستطيع إكمال صيامه كالكبار.

ويعتبر شهر رمضان مدرسة إيمانية كبرى تستطيع الأم إذا أحسنت استغلالها أن تخرج بدروس كثيرة في تربية النفس وتعويدها على طاعة خالقها.

وتذكري قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

ثم توجهي إلى الله بالدعاء والتضرع بين يدي الله بأن يبارك لك ولأبنائك الوقت وأن يصلحهم ويهديهم لأحسن الأخلاق.

من مدارس رمضان

فجر الكوس

إن لرمضان مدارس عديدة تعلم النفس الفضيلة وتزين لها الطاعة وتحفزها على العبادة وتجعلها ترقى وتتقدم فيه، ولقد أردت أن أذكر نفسي وإياكم بهذه المدارس.

١- رمضان مدرسة القرآن.

لنا في رسول الله وصحابته وأتباعهم قدوة حسنة في قراءة القرآن والإكثار منه في رمضان، فلنوقد رواقد الهمم في أنفسنا ولنقودها إلى ختمه مرات عديدة ولا نجعل أنفسنا ترضى بختمه مرة واحدة اغتناما لشرف رمضان.

٢- رمضان مدرسة الجود والصدقة

قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة صدقة في رمضان» (أخرجه الترمذي) فلنر الله من أنفسنا خيرا ولنعود أيدينا على السخاء والبذل دون خشية الفقر، ومن أبواب الصدقة المساهمة في الأعمال الخيرية وإفطار الصائم وإطعام الطعام والتصدق على الفقراء والمساكين.

٣- رمضان مدرسة الدعاء

إن لم نكثر الدعاء في رمضان ففي أي شهر سنكثر منه؟

ففيه القلوب المنكسرة والأنفس الذليلة لله والبطون الفارغة، وفيه نزول الملائكة وفتح أبواب الجنان، فليغتنم كل منا هذا الشهر بمضاعفة الدعاء وسؤال الله عز وجل من كل ما يرضاه.

٤ - رمضان مدرسة القيام

إن صلاة التراويح في رمضان تعودنا على القيام والاجتهاد فيه فلنعاهد أنفسنا ألا يمر رمضان إلا وقد أكثرنا من القيام في جميع لياليه، وليكن نصب أعيننا قول رسول الله ﷺ من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" فما منا من أحد إلا ويرغب في غفران ذنوبه السابقة.

٥- رمضان مدرسة الحلم

قال رسول الله ﷺ «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم»

وهذا الحديث مدرسة لنا في اكتساب صفة الحلم في رمضان وعدم مقابلة الإساءة بمثلها والترفع عن سباب الآخرين أو مضايقتهم بالكلام الساقط وتذكيرهم بحرمة هذه الأقوال في رمضان.

أوقاتنا في رمضان

نوف الرشيدي

ها قد أتانا شهر رمضان الكريم رائعا كما هو دائما، ناشرا أواصر المودة والرحمة فيما بيننا، مشعلا حرارة الإيمان في قلوبنا ومخرجا أجمل ما لدينا من أخلاق وقيم لتهدأ بها نفوسنا وتستكين من عناء سنة كاملة مثقلة بهموم حياتنا المزدحمة وبمشاكلنا الاقتصادية وحروبنا التي لا تنتهي.

شهر رمضان مدرسة إيمانية عظيمة تدربنا على الصبر وعلى السيطرة على شهواتنا في جو يعبق بالقرآن الكريم مدويا في جنبات بيوتنا سالكا بنا طرق الصلاح والهداية.

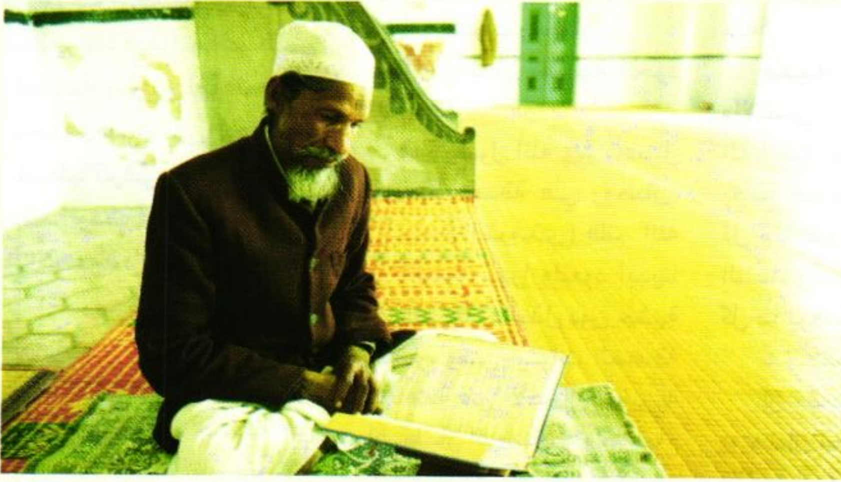
والمرأه المسلمة لا تختلف عن الرجل فيما له وما عليه من واجبات في هذا الشهر المبارك، فهو شهر واحد فيه ثلاثون يوما أو قد تنقص، يعرض الله فيه سبحانه وتعالى فرصة عظيمة القيمة وهي فرصة العتق من النيران، مما يلزمنا تنظيم أوقاتنا فيه حتى لا تمضي هدرا دون أن نستزيد من خيره ونكون من المحرومين.

وكم من نسوة أضعن أوقاتهن في الجلسات الرمضانية المسائية يتنافسن في عرض ثياب جهزت خصوصا لتلبس في ليالي رمضان، أو كما تسمى في منطقة الخليج «الدراريع» وأيضا في السعي جاهدات لترتيب أشهى السفر وأفضلها تميزا حتى يغظن بها قريناتهن، بينما كان من الأجدر بهن أن يرتبن تجمعات نسائية لإقامة صلاة التراويح والقيام في منزل إحداهن على سبيل المثال، أو الاتفاق على إقامتها في المساجد إن قدرن على ذلك.

وسبحان الله! من أكثر الشهور التي يكثر فيها الإسراف والتبذير شهر رمضان الكريم، حيث تتسابق النساء في نهار رمضان في طبخ أحلى الأطباق وأغربها إلا من رحم ربي، بينما من المفروض أن يبادرن إلى قراءة القرآن وتدبره، فشهر رمضان هو شهر القرآن أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة، قال رسول الله ﷺ «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة...».

أدعياء الصوم

د. محمد حسان الطيان



ثمة أناس من أدعياء الصوم يحلو لهم أن يجعلوا من رمضان مشجبًا يعلقون عليه أخطاءهم وممارساتهم غير المرضية، بل سوء خلقهم وفظاظة تعاملهم مع الآخرين، فترى أحدهم كالقنبلة الموقوتة يجمع في صدره كل مقت الحاقدين وحنق المغيظين، فما أن يبادره مبادر بكلمة حتى ينفجر في وجهه مخرجا كل غله وضغينة قلبه، والأنكى من ذلك أنه يسوغ سوء فعله هذا بصومه أو «بأن الدنيا رمضان».

من قال لك يا هذا إن رمضان شهر سوء الخلق، وضيق الصدر والعطن، وانطلاق اللسان بما لا يحسن ذكره، ولا يحلو نطقه، ولا يجمل سمعه؟ أتُراك إن فعلت هذا مسوغا فعلتك التي فعلت بأنك صائم قبل الناس ذلك منك؟! أو رضي الله في هذا عنك؟! أم ترى شيطانك زيّن لك سوء فعلك وصدك عن السبيل ثم أمعن في إغوائك حين جعلك تتعلل لكل هذا بأن الدنيا رمضان؟!

ربنا سبحانه يقول ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ وأنت تفهمها: لعلكم تفجرون أو تسيئون!

ونبينا محمد ﷺ يقول «... والصيام جُنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن سابّه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم» (البخاري) وأنت تفهم الصوم إباحة للشتم والسب وعلة لسوء الخلق وضيق الصدر، وحجة تحتج بها لما ينطلق به لسانك من نابي القول وجارح الكلم!

أين أنت من هدي المصطفى ﷺ حين قال «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب»؟!

بل أين أنت من قوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

إن الصوم يا أخي مدرسة يتعلم فيها الصائم كيف يتخلق بأخلاق الصالحين ويرتقي في مدارج السالكين، فتصفو نفسه، ويتسع صدره، ويحلو نطقه، ويدع كل ما من شأنه أن يشوب صومه من سيئ الخلق أو فاسد العمل.

من تسول له نفسه الفساد والإفساد في وقت صفدت فيه الشياطين فهو الشيطان بعينه

وإذا كان سوء الخلق وسلاطة اللسان أمرا مذموما في سائر أيام العام، فلا شك أنه أشد ذمًّا في رمضان، إذ تصفّد الشياطين، ويذوي الشر، ويعم الخير.

ولعمري إن من تسول له نفسه الفساد والإفساد ،والسب واللعن، وسوء الخلق، في وقت صفدت فيه الشياطين، لهو الشيطان بعينه.

جاء في كلام لقمان لابنه وهو يعظه «إذا كان خازنك حفيظا وخزانتك أمينة رشدت في أمريك: دنياك وآخرتك» يعني: القلب واللسان.

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزّان

وإن زعم زاعم أنه مجبول على ضيق الصدر، وسرعة الغضب، وسلاطة اللسان فليعلم أن الصوم ينبغي أن يهذب من طباعه، ويحسّن من أخلاقه، لأنه إن لم يفعل ذلك ضاع صومه، وفسدت طاعته. ولا ريب أن مثل هذا لا يتأتّى للمرء دون كظم للغيظ، وتجمل بالصبر، وتحلم وتعلم، ولقد دلنا رسولنا ﷺ على طريق ذلك بقوله «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتوخَّ الخير يعطَه، ومن يتوقّ الشر يوقَه» (الألباني في السلسلة الصحيحة).

أسأل الله سبحانه أن يُخلِّقنا بخلق الصائمين الصادقين.

رمضان.. معاً في شهر الرحمة

أحمد زايدة

هـا هـي نسمـات رمضـان الإصلاحية المباركة تأتي برقة، وأشعـة الفجـر تطل فتطهر القلوب بنور الطاعة من ظلمة المعصية، تظهر براقةً لتضيء أنحاء الأرض بنور الإيمان الذي يملأ النفوس قُربًا إلى الرحمن و مسارعةً إلى الإحسان وتوسلا إلى المنّان بأن يمُنّ علينا ويبلغنا الجنـان وأن يعتق رقابنـا من النيران.

يأتي رمضان ليوقظ الهمم بعد أن تراخت، يوفر لها الزاد، ويجهز لها الراحلة حتى تواصل المسير وتكمل الطريق دون ملل أو نصب، يأتي ليحفز القلوب كي تجد السواعد في مسيرة البناء والإصلاح التي تتجدد في هذا الشهر الكريم فتبدأ بإصلاح القلوب والنفوس والهمم لبناء الإنسان، وتنطلق بتضامن المجتمع وتراحمه لبناء المجتمع.

رمضان هو شهر جعله الله لعباده جميعا مجددا للأمل ومحييا للعزائم، حالنا مع رمضان كحال رجال سار في صحراء قاحلة جدباء لا زرع فيها ولا ماء حرارتها وشمسها حارقة حتى أضناه التعب وأيقن الهلاك، رأى من بعيد بئر ماء بارد تحوم حوله طيور بيضاء ترفرف بجناحيها وسط بستان مزهر تفوح منه رائحة الزهور العطرة، حتى إذا ما رآه عجز لسانه عن النطق من شدة الفرح، فأسرع شاربا من مائه البارد، مستنشقا عطر بستانه المنعش، ناعما بالظل الوفير.

هو شهر يناديك يا من يئست من مرارة المعصية.. أقدم علي تنعم بحلاوة الطاعة، أنا جوهرة مضيئة مشرقة وسط عِقد الشهور، أنا لؤلؤة تتلألأ في سماء الشهور فلا تُضيعني فتضيع، يا من احمرت عيناه ساهرا في معصية ربه.. تعال وأقدم فهنا المخرج، هنا بين ليالي وأيامي تجد حلاوة الطاعة ولذة الخشوع ومعاني القرب.

هل الهدف والعبرة أن نربط الأحزمة ونستعد للانطلاق، فإذا كان أول يوم أو ليلة بدأنا بقراءة القرآن لنتسابق أينا يختم القرآن ثلاث أو أربع أو ست مرات، وأينا يكثر من النوافل والسنن؟ هل الهدف أن نقف ثلاثين ليلة نصلي القيام ونبكي خلالها، وبعد انتهائها كأن شيئا لم يحدث؟ إنها لمصيبة فعلا أن تكون كل هذه الفضائل العظيمة في هذا الشهر العظيم ونجهل ما هو الهدف السامي من وراء هذا الشهر، والله ما ضيعنا وأخرنا إلا أننا نسينا أهداف وغايات ما نقوم به من عبادات وأعمال.. إن هذا الشهر فضله الله تعالى بكل هذه الفضائل ليكون محور انطلاق لهذه الأمة؛ ليكون شهرا تتربى فيه الأمة وتنهض؛ ليزداد إيمانها وتفهم مكنون هذا الشهر فتتزود منه وتنطلق معمرة في كل أرض الله بناة مصلحة لتكون بحق خير أمة أخرجت للناس وتتحمل مهمة الاستخلاف في أرض الله، فما الفائدة من أن نقف نصلي ونبكي بحرقة وعندما ينتهي رمضان ننسى كل شيء ولا يترك هذا الشهر الكريم بصماته علينا في كل شيء من أخلاقنا وأعمالنا وتصرفاتنا ومعاملاتنا.

هذا الشهر يقول لنا: أنا مدرسة من تخرج منها بتفوق ونجاح سلك الطريق الصحيح المستقيم الذي يوصله إلى بر الأمان.. هذا الشهر يعلمك قيما غالية وأسسا متينة على أساسها ينشأ المؤمن وعلى أركانها يبنى المجتمع السليم، يعلمك الإخلاص والحرية ومشاركة الآخرين في مجتمعك والعمل على إصلاحه، يعلمك أن تكون عبدًا لله تعالى فتأنف أن تكون عبدًا لأي أحد سواه، سواء لظلم أو شهوة أو جاه أو منصب وسلطان، فتتخرج من هذه المدرسة بشحنة إيمانية تنطلق من خلالها فرداً مسلما مُؤمنا مستقيما صالحا في نفسك، تراقب ربك، مخلصاً في عملك، رافضا للخطأ، تقول الحق، متضامنا مع مجتمعك مصلحا له، وتعمل على نهضته، هذا الشهر هو شهر إعداد الأمة لتقود سفينة الإصلاح وسط الأمواج العاتية التي تُلاقيها يمنةً ويسرةً وأماماً وخلفاً، هذا الشهر يشرق منه النور الذي يلامس قلوب العباد فيجعلها قلوبا نورانية، ويملأ نفوس المؤمنين فيجعلها كذلك نفوسا ربانية.

من عظمة الإسلام وجمال فرائضه وأركانه أنه لم يشرعها لتكون فائدتها مقصورة على ذات المتعبد وشخصه، بل إنه ربط قبولها وإتمامها بظهور نتائجها وأثرها على الشخص وأخلاقه وسلوكه بحيث يتعدى نفعها إلى المجتمع ومن حوله من الناس، فيكون تعبده إصلاحا لنفسه وإصلاحا للمُجتمع كذلك من حوله.

فالفرائض والعبادات ومن بينها الصوم مدرسة عملية تُهذب الأخلاق وتُحسن السلوك، فعلينا أن نجتهد في أن نستشعر هذه المعاني في عباداتنا لنعبد الله بحق كما أراد، بقلوبنا وأرواحنا قبل أجسادنا.

قليل من التدبر في هذا الشهر الكريم يشعرنا أنه بحق شهر الإنسانية؛ فالجميع يجتمع حول موائد الإفطار في الشوارع والطرقات، والجميع يشعر بشيء من الفرحة والسرور بداخله بالتناسب مع تلك الأجواء الرمضانية والبهجة التي ترتسم على وجوه الجميع، والزينات التي تُعلق في جميع الأماكن، والصوم في الأصل هو قاسم مشترك بين جميع الأديان السماوية، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).



آفاق من الإعجاز العلمي في الصيام

أ.د. عبد القادر الحبيطي*

فرض الله سبحانه وتعالى صيام شهر رمضان، كما شرع الرسول الكريم ﷺ الصيام تطوعا في بعض الأيام من السنة، وقد اجتهد العلماء في بيان الحكمة من الصيام، علما بأنها واردة بنص الآية الكريمة التي فرض فيها الصوم في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة:١٨٣). ففرضية الصيام معللة في هذه الآية الكريمة بأنه يرجى عن طريقه التوصل إلى منزلة التقوى، وللعلماء كلام مستفيض في بيان منطويات كلمة (التقوى).

وقد ثبت حديثا أن للصيام فوائد صحية متعددة لجهاز المناعة وللجهاز الدوري والقلب وللجهاز الهضمي وللجهاز البولي، كما أن فيه الوقاية من أمراض اخرى يعاني منها الكثير من الناس، وقد سجلت هذه التأثيرات المفيدة للصيام على المستوى الوظيفي للخلايا والأنسجة، وقد تأكدت بالدراسات الكيميائية والعملية.

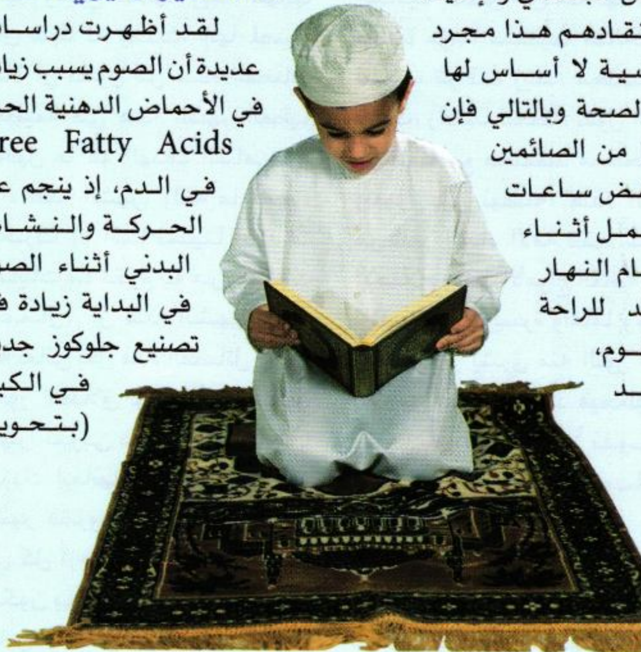
كيمياء جسم الإنسان

للتعرف على بعض الفوائد الصحية للصيام لا بد من ذكر العمليتين الكيميائيتين اللتين تحدثان داخل أجسامنا وهما:

عملية الهدم Catabolism

عملية البناء Anabolism

وتجري كلتا العمليتين باستمرار في أجسامنا تحت مظلة ما يعرف بالاستقلاب (Metabolism)، وفي أثناء فترة الصيام تنشط عملية الهدم حيث يقوم الجسم باستهلاك وتدمير الخلايا القديمة (الهرمة والمريضة) في الأعضاء المختلفة، واستهلاك الدهون المختزنة في أنسجة الجسم وأعضائه التي ثبتت أضرارها وأخطارها الصحية، ثم تنشط بعدها عملية البناء بعد الإفطار، ولهذا فإن نظام الصوم في الإسلام المتمثل في الامتناع عن الطعام والشراب لمدة تقارب الأربع عشرة ساعة أو أكثر ثم تتبعه بضع ساعات من السماح بتناول الطعام إنما هو نظام مثالي لتنشيط عمليتي الهدم والبناء لصالح ازدهار صحة الإنسان في أعماق خلاياه وأنسجته وأعضائه، والموقف الإيجابي لدى المسلم تنجم عنه فوائد نفسية وروحية للصائم كالزيادة في هرمونات الجسم الداخلية مثل مجموعة الأندروفينات، والتي يعزى إليها تحسن قدرة الصائم على بذل الجهد البدني، وكذلك قلة الشعور بالإعياء والتعب خلافا لما يعتقده بعض الناس من أن الصيام يسبب الوهن الجسدي والإعياء، واعتقادهم هذا مجرد فرضية لا أساس لها من الصحة وبالتالي فإن كثيرا من الصائمين يخفض ساعات العمل أثناء صيام النهار ويخلد للراحة والنوم، وقد ثبت علميا أن الصيام ليس له أي تأثير سلبي على الأداء العضلي أو تحمل الجهد البدني كما أنه لا يؤدي إلى أي من مظاهر الإرهاق والإجهاد، بل العكس هو الصحيح، لأن نتائج البحوث أظهرت تحسنا في القدرة على تحمل الجهد البدني وفي كفاءة الأداء العضلي أثناء الصيام، كما ظهر تحسن في درجة الشعور بالإرهاق.



ما التفسير الحيوي لذلك؟

لقد أظهرت دراسات عديدة أن الصوم يسبب زيادة في الأحماض الدهنية الحرة Free Fatty Acids في الدم، إذ ينجم عن الحركة والنشاط البدني أثناء الصوم في البداية زيادة في تصنيع جلوكوز جديد في الكبد (بتحويل الجلايكوجين فيه إلى جلوكوز) ويزداد إنتاج الجلوكوز بازدياد الجهد العضلي، وبعد استهلاك الجلوكوز القادم من الكبد يتجه الجسم إلى الدهون (المخزون الشحمي) في النسج المختلفة للحصول على الطاقة، فيقوم بتحرير الأحماض الدهنية من هذه النسج مثل منطقة البطن والأرداف والأحشاء ثم بأكسدة وحرق هذه الدهون لتوليد الطاقة، ولهذا فإن الحركة والنشاط أثناء الصيام إنما هي عمل إيجابي وحيوي يزيد من نشاط عمل الكبد والعضلات، ويخلص الجسم من تراكم الشحوم (السمنة) ومن السموم المختزنة في هذه الشحوم والتي تشكل عبئا على القلب وتسبب أضراراً صحية عديدة وخاصة على الجهاز الدوري والقلب وعلى البنكرياس، مما قد يسبب ظهور مرض السكري لدى البدناء أكثر من غيرهم.

وبشكل عام فإن الحركة والنشاط أثناء الصيام يقومان بدور تنشيط الكبد خلال النهار، فتتحرك كمية الطاقة المختزنة فيه مما يؤدي بعد ذلك إلى تحرير

* أستاذ في جامعة أم القرى سابقا

الأحماض الدهنية في مجرى الدم حيث يجري حرقها والاستفادة منها في توليد الطاقة، وكذلك فإنها تنظف الأعضاء من السموم المتراكمة في الأنسجة وخصوصا الأنسجة المختزنة للدهون، وهذه الوظيفة هي أساسا من وظائف الكبد، أما كثرة النوم والكسل والخمول أثناء النهار فتعطل هذه الفوائد كما تعطل عمليات الهدم الإيجابي المفيد للتخلص من الخلايا الهرمة ومن الشحوم والسموم فيبقى المخزون الدهني والسموم الكامنة فيه كما هي في الجسم، وهكذا يتضح أن الصوم يسبب زيادة الأحماض الدهنية الحرة في الدم فتصبح المصدر الرئيسي للطاقة بدلا من الجلوكوز، وهذا يساعد أيضا في حماية مستوى الجلوكوز في الدم، أي أن الصيام يجعل الجسم يتجه إلى استخدام المصادر الداخلية للطاقة بدلا من المصادر الخارجية التي تستخدم في الظروف الاعتيادية في الأيام التي لا صيام فيها.

أدلة تاريخية

ولعلنا في هذا السياق نتذكر أن معركة بدر الكبرى كانت في السابع عشر من رمضان والمسلمون صائمون، وقد كان أداؤهم أثناء القتال متميزا، ونصرهم الله تعالى نصرا عزيزا، مما يؤكد بالدليل الواقعي العملي قوة تحمل الأشخاص للجهد البدني والنفسي أثناء الصوم، وأمثال ذلك كثير.

اضطرابات الساعة البيولوجية

وثمة خطأ يقع فيه كثير من الناس، إذ ينامون كثيرا أثناء النهار ويسهرون طوال الليل أثناء رمضان، ما يؤدي إلى اضطراب الساعة البيولوجية للحركة والنشاط المرتبطة بإفراز هرمونات معينة تساعد على النشاط نهارا (مثل الكورتيزون) والنوم ليلاً (مثل هرمون الميلاتونين)، وليس هذا من أهداف الصوم وينبغي تجنبه.

الصوم أفضل وسيلة لمعالجة السمنة

تبين مما سبق ومن دراسات كثيرة أن الصيام الذي يتبعه إفطار معتدل متوازن يساعد على خفض الوزن لدى المصابين بالسمنة، ولكنه لا يؤثر في الأشخاص ذوي الوزن المعتدل، والدراسات العلمية تؤكد أن السمنة ذات آثار ضارة على الصحة فهي تسبب أمراضا كثيرة كارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة الكوليسترول والإصابة بمرض السكري (النوع الثاني)، وتشجع على الإصابة بأمراض القلب والأوعية.

فنسبة الإصابة بارتفاع ضغط الدم عند البدينين ثلاثة أضعاف نظرائهم من ذوي الوزن المثالي، علما بأن الضغط يؤدي إلى الاصابة بأمراض القلب وتصلب الشرايين وفشل عضلة القلب، والخثرات في الدماغ (الذي يتبعه الشلل) وغير ذلك، كما أن ارتفاع نسبة الكوليسترول تؤدي إلى تصلب الشرايين والذبحة الصدرية، وكذلك فإن زيادة الوزن تؤدي إلى الاصابة بمرض السكري بمقدار ضعفين إلى عشرة أضعاف مقارنة بذوي الوزن المثالي، وتتوقف نسبة هذه الزيادة على مقدار الزيادة في الوزن.

ولمرض السكري تأثيرات خطرة تتمثل في أمراض القلب والأوعية واعتلال شبكية العين والفشل الكلوي واعتلال الأعصاب.

للصوم فوائد جمة للإنسان منها ما هو متصل بسموه الخلقي والروحي ومنها ما هو متصل بإضفاء الصحة على جسمه

الصوم يؤخر الشيخوخة ويقي من الأمراض

تبين من دراسات أجراها معهد الصحة العالمي (IHI) في أميركا أن تخفيض نسبة السعرات الحرارية المتناولة يوميا يؤخر ظهور أعراض الشيخوخة ويقوي جهاز المناعة وفقا لأبحاث أجريت في جامعة ويسكنس (Wisconsin University)، شريطة أن يكون الغذاء صحيا ومتوازنا، كما أجريت أبحاث اخرى في جامعة ميرلاند الأميركية تبين فيها أن الإقلال من الطعام أدى إلى انخفاض نسبة الإصابة بأمراض السكري والقلب والسرطان.

الصوم والهدوء النفسي

من توجيهات الرسول الكريم ﷺ للصائم أن يلتزم بالسكينة والهدوء، وأن يبتعد بنفسه عن انفعالات الغضب والتوتر والشدة النفسية، وذلك لما لها من آثار ضارة على مستوى حياة الإنسان وسلامته، وعلى مستوى استفادته من صيامه أيضا.

أما وقد انتصر الصائم على نفسه بالإمساك عن الطعام والشراب وغيره من الشهوات ولو كان مبذولا وحلالا، فعليه أن ينتصر على نفسه ويملك زمامها في مجال العلاقات الإنسانية، فيتصف بالحلم والسكينة والهدوء والحكمة في معالجة المواقف المثيرة للغضب والشدة النفسية، قال ﷺ «إذاكان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم» (متفق عليه).

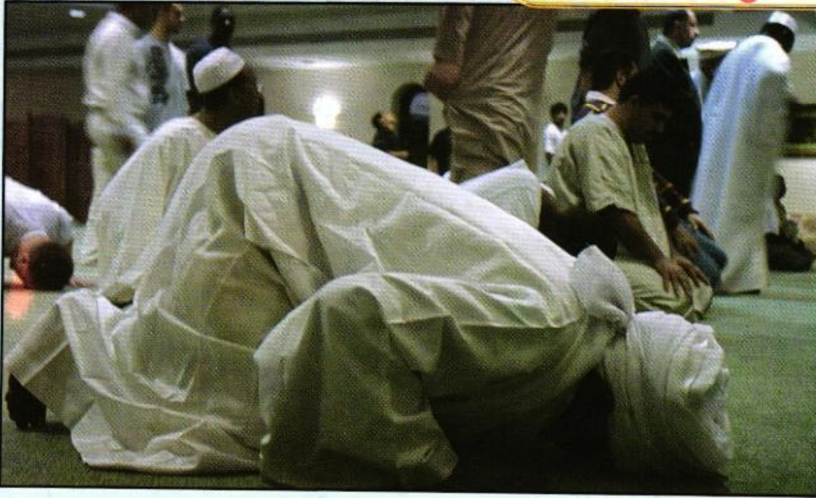
ويجب التعلم من مواقف بعض العلماء الأعلام الذين أعطونا دروسا سامية في كيفية معالجة مثل هذه المواقف بالحكمة، والترفع عن النزول إلى مستوى السفهاء من الناس، فأحد هؤلاء العلماء الأفاضل أغلظ أحدهم له بالقول فما كان منه إلا أن واجهه بهدوء قائلاً: إنما هي صحيفتك فاملأها بماتشاء، فأسقط في يد المهاجم وانصرف.

مسك الختام

لقد تبين من هذا البحث الوجيز أن في الصوم فوائد جمة للإنسان، منها ما هو متصل بسموه النفسي والخلقي والروحي، ومنها ما هو متصل بإضفاء الصحة والعافية على جسمه وتخليصه من السمنة وما يتصل بها من أمراض، وتنقية جسمه من السموم والآفات، كما يعيد بناء أنسجته وخلاياه ويجددها فيطلق طاقاته وحيويته بما يعود عليه بأفضل النتائج في صحته وسلامته ووقايته من الأمراض الوبيلة، وصدق ربنا عز وجل اذ يقول ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ (البقرة:١٨٤) وكما قيل «صوموا تصحوا» (ضعيف الجامع) والحمد لله على ما هدانا إليه وأحاطنا به من الرعاية والعناية ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ (النحل:٧).

ماذا يقرأ المفكرون والأدباء في رمضان؟

صلاح رشيد



يجيء شهر رمضان لتجديد الفكر وضخ شرايين الحيوية، وإصلاح الرؤية وتعمير القلوب والعقول بزاد روحي خصب، فهو المدرسة الإيمانية والروحية التي يتعلم فيها المرء الدروس والعبر، وهو- أيضاً- البطارية التي تشحن النفوس وتصقل الأرواح، وتنقي الأجساد لتعود إلى نقائها النفس المؤمنة، ولتبتعد عن أوشاب الأرض وبهرجها الأفئدة المتوضئة.

في الاستطلاع التالي، يقص علينا المفكرون والأدباء يومياتهم الرمضانية، وكيف يقضون أوقاتهم في هذا الشهر، وما هي أحب الكتب التي يحرصون على مطالعتها.. ولماذا هذه الكتب بالذات؟

خطة رمضانية للقراءة

في البدء يحرص فضيلة د.عبدالصبور شاهين- المفكر الإسلامي الكبير- على مراجعة القرآن الكريم كل خمسة أيام في رمضان، ويبدأ بعد صلاة الفجر في القراءة والمراجعة إلى وقت الضحى، وبعدها يخلد للراحة، ثم بعد صلاة العصر، يأخذ في القراءة المنهجية التي وضعها لنفسه هذا العام، وهي تتضمن كتاب «المقاصد الشرعية» للعلامة يوسف القرضاوي، الصادر مؤخراً، وبعض كتب فضيلة الشيخ الغزالي، وهي (فقه السيرة، وجدد حياتك، وعلل وأدوية) وكذلك الرجوع إلى تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب، وبعض كتب السلف الصالح كابن تيمية وابن القيم، إلى جانب كتب الأدب واللغة والنحو والرقائق.

إسلاميات العقاد

أما الأديب الإسلامي والناقد محمد عبدالشافي القوصي فيؤكد أنه خصص هذا الشهر لتدبر كتاب الله أولاً، ولإعادة قراءة «إسلاميات العقاد»، وهي العبقريات التي بعنوان (عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، عبقرية الصديق، عبقرية عمر، عبقرية الإمام، وعبقرية خالد بن الوليد) لأنها سياحة فكرية ودينية وحضارية عظيمة، بقلم عملاق الأدب والفكر في العصر الحديث عباس محمود العقاد، وهي تحمل رؤية جديدة لتاريخنا الأصيل، ومناقشة عقلية ومنطقية للأمور والقضايا الشائكة في تراثنا، ولقد جلاها قلم العقاد وحللها وشرحها، وردها إلى حلول لم تتأت لغيره من المفكرين! مؤكداً أن العقاد كان يكتب للغربيين وللآخر في عرضه العلمي والمنهجي للإسلام ورجاله.

مع علماء الأندلس

ويقرأ د.الطاهر أحمد مكي- المفكر الكبير- في شهر رمضان، إلى جانب القرآن الكريم وكتب السنة المطهرة، كتابات علماء الأندلس الزاهرة، من قبيل ابن حزم وابن عربي، وابن سبعين وموسى بن عزرا وابن طفيل وابن مسرة، علاوة على أنه عاكف الآن، وخلال شهر الصيام، على كتابة سيرته الذاتية، وهي تجربة حياة مديدة عاصر فيها أجيالا عدة، وكان شاهداً على عصور الملكية والجمهورية، وعايش فترة الازدهار الأدبي والفكري في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وهي بعنوان «صعيدي في القاهرة»، وهي قصة حياة لناقد أدبي فذ استطاع أن يكتب اسمه في سجل الكبار، عربياً وأكاديمياً، بفضل كتاباته المتميزة، وترجماته الرائعة، وتحقيقاته الرصينة، ونقده الأمين، وآرائه غير المسبوقة، و ستكون كاشفة عن خبايا وخفايا أمور كثيرة.

ويستعد أستاذنا د.الطاهر مكي لإصدار أحدث مؤلفاته في الأدب الإسلامي المقارن وهو بعنوان «الحب بين ابن حزم ودانتي».

الموازنة بين المفسرين

ويخصص د.محمود محمد عبدالقادر- أستاذ التاريخ والحضارة بجامعة حلوان- أجواء رمضان لمعايشة القرآن الكريم قراءة وتدبراً واستيعاباً وتفسيراً وشرحاً، حيث يطالع أمهات كتب التفسير، وهي (ابن كثير، والطبري، والقرطبي، والرازي، والزمخشري، والشعراوي، ومحمد عبده، وقطب، وطنطاوي جوهري، وشوقي ضيف، والطاهر ابن عاشور، وسيد طنطاوي) ويوازن بينها، وهي دراسة لأساليب وطرائق ومناهج المفسرين، بدأها منذ ثماني

د. الطاهر مكي: مع القرآن وعلماء الأندلس أعيش روحانيات الصيام

سنوات، ومايزال يحرص على إكمالها، وهو الآن في الجزء الخامس عشر، ويقول: «وهي دراسة طويلة وصعبة وشاقة، لكنها جميلة وممتعة، ومحببة إلى النفس، وأرجو من الله أن يمد في عمري حتى أكملها».

حب آل البيت

ويشير الأديب والشاعر سيد سليم إلى أنه يكتفي في هذا الشهر العظيم بكتاب الله المقروء، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقراءة المدائح النبوية، وما قيل في حب آل البيت عليهم رضوان الله وسلامه، كما أنه يستعد لإصدار كتاب جديد في الأدب الإسلامي عن آل البيت وشعرائهم منذ القديم وحتى الآن.

مراجعة التراث

ويؤكد الشاعر والباحث ياسر محمد غريب على أنه يستغل روحانيات شهر رمضان وفيوضاته الإيمانية في مراجعة تراثنا، لاسيما في الفقه والحديث الشريف، وأنه بصدد قراءة كتب الصحاح الستة وغيرها من دواوين الحديث، وذلك للوصول إلى غربلة تراثنا الفكري والفقهي، مما علق به من أشياء وأمور لابد من تصحيحها! وأن هذا المشروع ابتدأه منذ سنين، وأنه يواصل البحث فيه أملاً في عرض صورة صحيحة ونقية عن الإسلام الحضاري الإنساني.

العقاد مرة أخرى

أما الشاعر العراقي وجدي أبوالريحة فيقول: إنني أقضي هذا الشهر الفضيل في العبادة والطاعة، وتدبر القرآن الكريم، وقراءة عبقريات عباس محمود العقاد، هذا الرجل الذي أخلص في كتابته، وعايش التاريخ الإسلامي عن حب، فكتب خير وأجمل وأعظم كتابة، فيها الحب وعلم النفس والمنطق والتحليل العميق للشخصيات والمواقف والفلسفة والأدب الجم، بأسلوب فريد وعجيب.

مدرسة الأزهر الشريف

ويذهب الداعية الإسلامي المعتصم بالله أكرم إلى أنه يستثمر أوقات رمضان الندية والبهية في الإفادة من كتابات الدعاة الكبار من أمثال: الشيخ محمد الغزالي، ود. يوسف القرضاوي، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ الباقوري، والشيخ المراغي، والشيخ محمد عبده، والشيخ عبدالودود شلبي، والشيخ عبدالعظيم المطعني، ود. عبدالله شحاتة وغيرهم، في تقريب الإسلام وعرضه بصور جذابة ومقنعة ومنطقية للعوام والصغار.

وهو المنهج الفريد الذي اتبعه شيخنا الجليل الشعراوي في خواطره، التي كانت للكبار والصغار، للخاصة والعامة في آن معاً!

ولاشك أن مدرسة الأزهر المستنيرة الوسطية السمحة هي الزاد الذي نعيش في ظلاله، ونمتاح منه، ونتعرف أكثر على إسلامنا الحضاري المتجدد من خلاله.

شهر الدعاء والغفران

جاك صبري شماس

رمضانُ إني شاعرٌ نصرَاني
روحي العروبةُ والنخيلُ كيَاني
وإذا خَدشَتْ مسامَ جلدي في الحمى
سالت دماءُ الضاد في شرياني
يمّمت طُهرك والودادُ يشدني
لمناهل الإحسان والعرفان
أصطافُ في جُزر النخيل مولّها
ومقبّلا وجه النبيّ الباني
وأفيءُ في حَرَم الصلاة مرتلا
أيَ الدعاء و«سورةَ الإنسان»
فيَ ليلةِ القدْر المبارك وحيها
يهمي غمام الشرع في القرآن
ومآثرٌ عربيَّة يسمو بها
بِرُ الزكاةِ وقبلَةِ الإيمان
وبشائرُ الإسلام تَغدق بالمنى
وتفيضُ شهدا في ربى الوجدان
والمرء يجثو خاشعًا متضرعا
للّه ينشقُ نَفْحة الغفران
رمضانُ جئتك والجراحُ على فمي
ودم يسيلُ بمقلتي وجنَاني
والجامع الأقصى يداهمُ صلبه
غزوٌ يقوّضُ بنية العمران
والقدس يلسعُ جلدها سوط الغوى
وتباحُ بالتهديدِ واستيطانِ
والنخلُ أدمت جسمه طعن المدى
واهتز وجدُ الريح والصوان
رمضانُ أين خيولنا وسيوفنا؟
أينَ الكماةُ ونخوة الفرسان
ناجيت أحفاد الرسول وشاوه
جيشا يقضُ مضاجعَ العُدوان
وترفرفُ الرايات في ألق الحمى
وتظلُ فخرا راية الفرسان
والعيدُ في الفطر المجيد مُبجّل
والقدسُ تشمخ في فَمِ الأزمان



زوجك في رمضان يحتاج إلى رعاية خاصة جداً

منى السعيد

يتميز شهر رمضان المبارك بنظام خاص تتغير فيه الأوقات والعادات والطباع، تتغير مواعيد النوم والعمل، وتتغير أصناف الطعام، وتتغير شخصية المرء وطباعه وما اعتاد عليه، وهذا أمر شاق يحتاج من الزوجين إلى جهود مضاعفة تعين على ترتيب الوقت والعادات، والاستفادة من الزمن الثمين دون تقصير في حقوق الله ثم حقوق النفس والزوج والأسرة.

ومن هذه الجهود الاهتمام بإظهار مشاعر المحبة والمودة والتقارب للزوج، ومحاولة إزالة أي سوء تفاهم حتى لايعكر جو العبادة في رمضان، وتذكري قول الحبيب محمد ﷺ «إذا كان يوم صيام أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم» (السنن الكبرى للنسائي)، فامنحي زوجك رمضان مختلفاً، وعلاقة زوجية مختلفة بل ورائعة في هذا الشهر الكريم، ولاتبخلي عليه بإظهار محبتك له يوميًا، كما تقدمين له وجبات الطعام اليومية الشهية.

وكذلك إظهار التغيير في البيت بمناسبة رمضان، وخاصة في الأسبوع الأخير من شعبان، كتغيير نظام أثاث المنزل والاعتناء بالنظافة، ويمكن تعليق الزينات الجميلة والبالونات في الحجرات، وخاصة حجرة الأطفال؛ لإشعار أهل البيت بالاهتمام بالزائر الحبيب، وإدخال البهجة على كل أفراد الأسرة.

ومن مراعاة الزوجة لزوجها أن تحرص على تهيئة جو العبادة المناسب له في البيت، وأن تعينه على العبادة في ذلك الشهر الفضيل، بتجنيبه نفسها في نهار رمضان، حرصا على سلامة صومه وصومها، فالزوجة مسؤولة عن التحرز من الأحوال التي تجعل الزوج يقترب منها أثناء اليوم في رمضان، وكذلك عليها أن تتجنب التزين له مثلاً، والاقتراب منه إذا كانت تعلم أن زوجها لا يملك نفسه.

إن الخبرة وطول العشرة تعلمان الزوجة الحصيفة ما يحب زوجها وما يكره، فهو مثلاً لايحب أن يحادثه أحد بعد عودته من العمل في رمضان، ويفضل النوم بعيدًا عن ضوضاء الصغار، ويحب صنفا من أصناف الطعام ويكره آخر، ويحب وجبة السحور في ساعة معينة، فقومي بحقه على أكمل وجه، ووفري له- قدر إمكانك- السعادة والراحة.

ويجب تحمل انفعالات الزوج في رمضان التي تنتج عن التعب والعمل والصيام، مع أنه يجب عليه أن يضبط نفسه، لكن تحمل هذه الأمور التي تصدر عنه مثل العصبية الزائدة مثلاً أمر يرجى ثوابه من الكريم الوهاب، لكل زوجة تصبر على زوجها.

وعلى الزوجة أن تنصح زوجها بعدم الإكثار من ألوان الطعام والشراب في هذا الشهر، ولابد من تحديد ميزانية تتناسب مع الدخل في رمضان، حتى لا ترهق الزوجة زوجها بكثرة المشتريات في هذا الشهر الكريم.

انشري روح الإيثار على المائدة، وأطعمي أولادك وزوجك بيدك وليفعل الباقون ذلك.

منزلك هو مناط توجيهك الأول، فاحرصي أولاً على أخذ نفسك وتربيتها على الخير، ثم احرصي على من حولك من زوج وأبناء بتذكيرهم بعظم هذا الشهر، وحثهم على المحافظة على الصلاة وكثرة قراءة القرآن، وكوني آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر في منزلك بالقول الطيب، والكلمة الصادقة، وأتبعي ذلك كله بالدعاء لهم بالهداية، فهذا الشهر فرصة لمراجعة ومناصحة المقصرين والمفرطين، لعل الله عز وجل أن يهدي من حولك، فقد قال رسول الله ﷺ «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم).

اتفقي مع زوجك على أن تجلسا في الليلة الأولى من رمضان لتتذكرا المعاني السامية حول فضائل رمضان، والذكريات الجميلة المتعلقة بهذا الشهر، وليكن للأولاد نصيب في هذا اللقاء.

لابد من مراعاة إيقاظ زوجك للصلوات، خصوصاً صلاة العصر، وكذلك الفجر لمن ينام متأخراً، ففي رمضان يفوت الناس غالبا صلاة العصر والفجر جماعة أكثر من أي صلاة أخرى، فينبغي عليك أن تراعي أهل بيتك من الرجال الذين تجب عليهم صلاة الجماعة في المسجد، فإنك راعية في بيت زوجك ومسؤولة عن رعيتك، ومن المسؤولية حثهم على الصلاة وإيقاظهم لها.

عاوني زوجك وأولادك على الاعتكاف، فأعدي لكل واحد حاجاته، وتناقشي معهم في ماهية وسيلة إطعامهم.

أخيرا لا يفوتك صلة الرحم وخاصة الوالدين، والاهتمام بزيارة والدي الزوج وأسرته، وودهم والبر بهم ، ولا مانع من أخذ هدية أوغيرها مثلاً؛ فالهدايا من أعظم ما يوطد العلاقة الأسرية ويغني عن كثرة التزاور، لأن ظروف رمضان في الوقت قد لاتساعد على كثرة التزاور فيه، وحتى لا يكون كثرة التزاور فيه على حساب العبادة المقصودة في هذا الشهر الكريم.

ترويح تربوي للأبناء في شهر رمضان


سليمان الرومي

من مقاصد الإسلام تدريب الأطفال على الطاعات والفروض لأن التدريب ترويض للنفس وتعويد للنشء على تحمل المسؤولية واحترامها فلنغتنم رمضان فإنه فرصة تربوية لأبنائنا، لأن الخلق والتدين غرس وعمل أكثر منهما موعظة وكلاما.

والترويح في هذا الشهر دور مهم في التربية الخلقية والروحية، فشهر رمضان المبارك شهر الخيرات والبركات قال تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٥) والأسرة محتاجة إلى الترويح عن النفس حاجة أساسية مثل الطعام والشراب، إلا أن الترويح المطلوب يبقى غامضا في أحيان كثيرة، ولذا لابد من تحديد هذا الترويح المطلوب منعا لما قد يحصل من لبس.

ولابد أن يضع رب الأسرة أهدافا للمساهمة في تهيئة جو مناسب في هذا الشهر، لتعليم أفراد الأسرة الواجبات والتوجهات الشرعية وتربيتهم على التطبيق العلمي لها، وتهيئة الجو المناسب لإكساب الأطفال الأخلاق الحميدة والسلوك الجيد وإعطائهم القيم الاجتماعية والعقائدية الضرورية لتنشئتهم تنشئة دينية، وضرورة الاهتمام بقراءة القران الكريم وختمه في هذا الشهر، واستغلال أوقات الفراغ المنزلية بشكل مثمر وبناء، وتحويله إلى قنوات تربوية مهمة، فرمضان فرصة ليجلس الآباء مع الأبناء ويتحدثوا معهم، خاصة أثناء الطعام معا، حيث لا يتكرر ذلك طوال العام، لانشغال الأب، مما يؤدي إلى افتقاد القدوة والنصيحة، فاجتماع الأسرة واستعادة الروابط المفقودة يؤديان إلى ممارسة الوالدين دورهما في دعم العلاقات الأسرية مما يكون فرصة للتقارب والمصارحة بين الآباء والأبناء.

مجالات الترويح

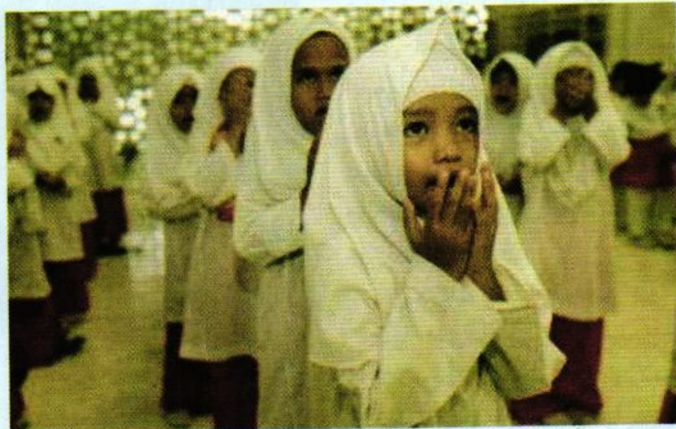
إن المداعبة والمزاح يؤديان دورا مهما في الترويح الأسري، فهما يبعثان الارتياح ويثيران النشاط والمرح ويكونان مقبولين إذا جاءا من غير تكلف، وإذا كانا متنوعين متجددين، وإذا روعي فيهما الأدب والاحترام الضروري، والمزاح مع الأب يكون بلطف الكلام دون الفعل، حفظا لمكانته من الابتذال.

رحلات أسرية

إن من الألوان المحببة لدى الجميع الرحلات والزيارات والسفر إلى الأماكن الأخرى للعبادة أو السياحة أو الاستجمام والراحة أو لغير ذلك، فيجب على رب الأسرة أن يستغل هذا الشهر في السفر لأداء العمرة، إذ يقول الرسول ﷺ «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما».

البرامج العائلية في رمضان

يفضل قضاء يوم العائلة فيما يفيد وإقامة جلسات يومية للأب مع أبنائه وفق برنامج يومي، ويوضع لكل يوم شعار مناسب، ويتكلم الأب عن معنى الصيام وفائدته ومدفع الإفطار ومعناه، ويحاول أن يسمع أطفاله مدفع الإفطار خارج البيت أو في المذياع، فإذا كان عند رب الأسرة صغار يشجعهم على الصيام حتى لو نصف يوم، ويحدث أبناءه عن فضل قراءة القران في رمضان، ويجعل الابن يسمع قراءة الأب للقرآن ويصلي معه في المسجد صلاة التراويح ويعرفها له ويعرف للابن معنى الاعتكاف ووقت الإمساك والأذان، وكذلك الدعاء عند الإفطار، ويشرح الأب لأبنائه فائدة الإفطار على التمر أسوة برسولنا الكريم، ويحكي لهم طفولته (الأب) في رمضان وعن الألعاب الشعبية، ويشرح لهم المناسبات المتعددة والانتصارات التي حدثت في هذا الشهر الكريم، مثل غزوة بدر وأسبابها وكيف سارت المعركة بين المسلمين والكفار، ويبين لهم فضل ليلة القدر، ونزول القرآن الكريم فيها، وما الزكاة وما الصدقة، كما يقوم الأب بعمل «غبقة» حتى يعرف الابن التكافل الاجتماعي، ويرى المأكولات الشعبية مثل النهى- الباجلا- الزلابية- وغير ذلك، ويشكر الله على نعمه الكثيرة، وهذا يساعد في تعويد أبنائنا على عمل الخير وفعل الطاعات ومعرفة فضل شهر رمضان، لينشأ الصغار نشأة صالحة من غير إفراط ولا تفريط.



الهدي الإسلامي في مكافحة الفساد والنهي عنه

د.عبدالرحمن محمد العيسوي

من ظواهر العصر المؤسفة والسالبة تفشي ظاهرة الفساد، وتعدد أشكاله وتنوعها وامتداده ليشمل جميع جوانب الحياة العصرية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية والسياحية والعسكرية، وأصبح الفساد قادراً على أن ينال من سلوك الفرد والجماعة أو المجتمعات، ومن الغريب أنه أصبح يصيب جميع مجتمعات العالم، الثري منها والفقير والنامي والمتخلف، الأمر المثير للدهشة والاستغراب من جراء تفشي هذه الظاهرة بصورة وحشية وطاغية وشاملة لأكثر المجتمعات ثراء.

مثل هذا التفشي يجعل من الواجب على كل مفكر مسلم أن يتصدى لهذه الظاهرة بتوضيح طبيتعها وأسبابها أو دوافعها ومحركاتها وإظهار آثارها السلبية والمدمرة للمجتمع أفراداً وجماعات، وخطرها على انهيار القيم والمثل والمعايير ولذلك لابد أن يهب الجميع طالبين العون والنجدة من خلال الهدي الإسلامي المبارك والدعوة لحظيرة الدين الإسلامي الحنيف والتمسك بقيمه ومثله ومعاييره وأخلاقياته وقواعده وفضائله، فالإسلام يبني المجتمع الصالح ويكون المواطن المؤمن صاحب الضمير الحي والواعي بالفساد وسائر المعاصي والآثام فيبتعد عنها، فالإسلام مدرسة جامعة في الطهر والطهارة والعفة والصدق والأمانة، ودعوة للإصلاح والبناء والتشييد وهو يدعو الناس للسلوك القويم والبعد عن كل مظاهر الفساد ذلك الفساد، الذي بات وباء شديد الوطأة وسريع الانتشار في الوقت الراهن.

من صور الهدي القرآني

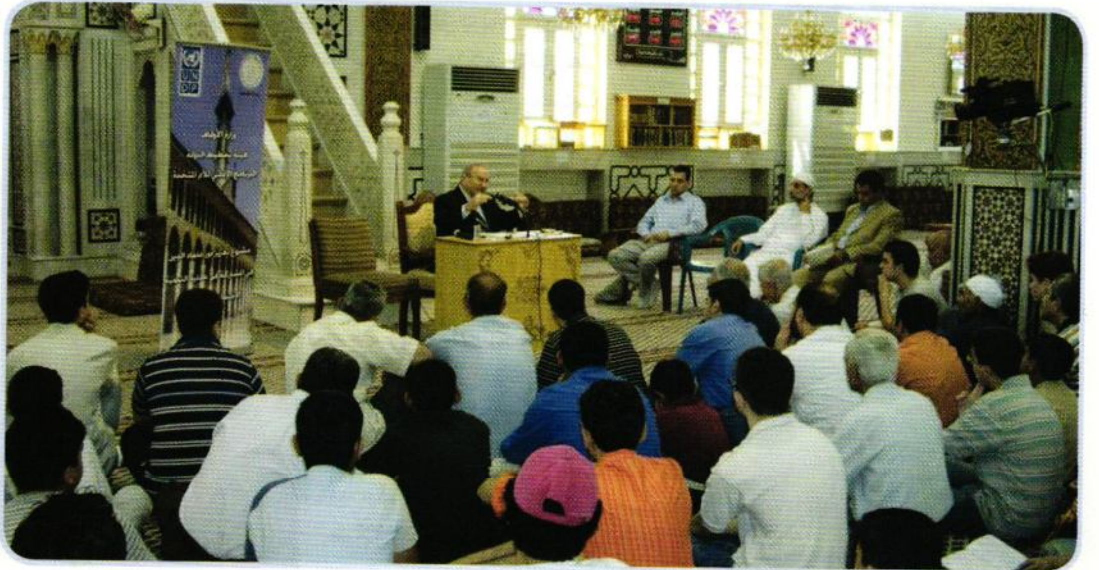
قال الله عز وجل ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ (النمل: ٤٨).

وجاء في شرح هذه الآية أن الرهط من ثلاثة إلى عشرة أفراد. ويقول كثير من المفسرين إنهم تسعة أنفس بإضافة تسعة على تمييزها وهو رهط، وقال بعضهم إنه من إضافة الجزء إلى الكل توسعاً، إذ كانوا عتاة قومهم وهم الذين سعوا في عقر ناقه صالح وكانوا من أشرافهم، أي شأنهم الإفساد البحت وتعاهدوا وتحالفوا ليأتونه ليلاً فجأة ويقتلونه هو وأهله.

وقول الله تعالى ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: ٢٠٥) أي الزرع والنسل والإنسان والحيوان، «والله لا يحب الفساد» يبغضه أشد البغض.

وقال تعالى ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ (المائدة: ٣٢)، تبين الآية الكريمة أن قتل النفس بغير حق من قصاص، أو فساد كقتل قابيل لهابيل جرم شنيع كشناعة قتل الناس جميعاً، وجاء ذلك في تحريم القتل أو سفك الدماء بدون وجه حق، ويجيء الفساد هنا مرادفاً للقتل بمعنى أن القتل أحد مظاهر أو جوانب الفساد والذي هو ظاهرة عامة ومتعددة الأبعاد ويتخذ أشكالاً عدة منها القتل والكفر والشرك والظلم والطغيان والاستبداد والبطش بالناس.

وكذلك قوله تعالى ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة:٦٠)، ومضمون الآية الكريمة أنه لا تقابلوا هذه



النعمة والنعم قبلها بالإفساد والعصيان، فتسلب منكم، وفي ذلك أبلغ التوجيه والإرشاد والتوعية والهدى والنصح للناس بالبعد عن الفساد وعدم نشره أو السكوت عليه أو تشجيعه، ذلك لأن المسلم بطبعه إنسان إيجابي فاعل وفعال في وطنه وعليه التصدي للفساد ومنعه وتوعية غيره للابتعاد عن الفساد أو نشره أو التستر عليه، خصوصا في هذه الأيام التي انتشر فيها الفساد في العالم.

وقال الله عز وجل تعبيراً عن عدم حبه للفساد ﴿ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ (المائدة: ٦٤)، وتبين الآية الكريمة أنهم كلما فكروا في حرب أطفأها الله ورد كيدهم في نحورهم وأنهم ليفسدون في الأرض، والله تعالى لا يحب الفساد ولا يحب الظلم، ولقد حرمه على نفسه، وعلى عباده، وفي ذلك دعوة كريمة وجليلة للصلاح والتقوى والورع والخشوع، وإصلاح أحوال البلاد والعباد.

وفي الدعوة للنظر والتأمل والتدبر والملاحظة والاستقراء فيما يحدث للمفسدين من عقاب يقول الله تعالى ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (الأعراف: ٨٦)، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أذلة مستضعفين لقلتكم فأصبحتم أعزة لكثرتكم وانظروا عاقبة المفسدين العاصين من الأمم الماضية، وفي ذلك عبرة وعظة وتأمل وتدبر في تاريخ الظلمة والمفسدين والطغاة، وكيف أن الله تعالى يقضي عليهم مهما طال الزمن، فالآية دعوة للمسلمين للتأمل والنظر والتقاط العظات والعبر.

الفساد يقود إلى حدوث الفتن والصراعات والنزاعات العرقية والطائفية والمذهبية فيعكر صفاء الوحدة الإسلامية

وقال الله تعالى في الدعوة للوفاء بالكيل والميزان في سائر المعاملات التجارية ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (هود: ٥٨)، أي لا تنقصوا الأشياء سواء كانت مكيلة أو موزونة وانتهوا عن فسادكم الشديد فالغش في الكيل أو في الميزان من ضرورة الفساد في النشاط التجاري، وأعطوا الناس حقوقهم بأمانة ووفوا الكيل والميزان، وذلك من أخلاقيات الإسلام في الحقل التجاري وفي سائر حقول الحياة، وكم نحن في مسيس الحاجة في هذه الأيام إلى التمسك بهذه القيم في تعاملاتنا الاقتصادية.

وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ (البقرة: ١١)، وعلى حد شرح د.شوقي ضيف: لا تفسدوا في الأرض بمعصيتكم ونفاقكم، قالوا إننا على الهدى وليس ما نحن فيه بفساد، فالفساد قد لا يعترف بفساده أو ظلمه أو جوره أو اعتدائه، بل قد يعتقد أنه مصلح وأن ما يقوم به من أعمال إنما هي من قبيل الإصلاح، قد يذهب إلى ذلك من باب التضليل وقد يتوهم ذلك فعلاً من جراء قصر بصيرته ووعيه وإدراكه.

ويقول الله تعالى ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ (الأعراف:٥٦)، وذلك إشارة إلى أن الأرض مخلوقة بنظام تام، يكفل لها صلاحها، والإنسان هو الذي يفسدها، كما يلاحظ اليوم في مشكلة تلويث البيئة الطبيعية، إنما يحدث التلوث المائي أو الهوائي أو الأرضي على يد الإنسان المعاصر بما يطلقه فيها من سموم وأبخرة وأتربة وغبار ودخان وغازات سامة وجراثيم وما يقوم به من اعتداءات على البيئة فيصيبها بالتصحر والجفاف، ويقوم بتجريف الأرض الزراعية، ويلقي بمخلفاته في مجاري المياه العذبة.

وقوله تعالى ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض﴾ (محمد: ٢٢)، ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى «توليتم» في الآية إن أصبحتم ولاة وحكاما، وما كان الله ليذكر للمنافقين ذلك وقد لعنهم الله.

وفي الهدي الإسلامي الخالد تحذير من ممارسة الفساد على يد من يتولون الحكم أو الإدارة أو السيطرة على المجتمع، وكما نلاحظ اليوم أن بعض الأشخاص قد يظلون على قيم حتى إذا ما تولو السلطة تحولوا إلى ظلمة وطغاة وجبابرة وعدوانيين وسادهم الطمع والجشع والغرور والتعالي حتى مع الذين ساعدوهم في تولي السلطة.

تعريف عملية التنشئة الاجتماعية

يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية التطبيع الاجتماعي أو تهيئة الفرد للبيئة الاجتماعية، بحيث يصبح عضواً كفؤاً متعاوناً معترفاً به (١) في وسط الجماعة أو المجتمع، فهي عملية إعداد الفرد وتكوينه وتأهيله وتربيته، والمأمول أن نربي أبناءنا على قيم الإسلام الحنيف.

والتنشئة الاجتماعية أو التثقيف الاجتماعي اصطلاح يستخدم لوصف عملية التفاعل الاجتماعي التي يتم من خلالها تلوين الوليد البشري وتشكيله، وتزويده بالمعايير الاجتماعية، بحيث يتخذ مكاناً معيناً في «نظام الأدوار الاجتماعية» ويكتسب شخصية، أو هي العملية التي يتم من خلالها تكييف الفرد مع بيئته الاجتماعية، بحيث يصبح عضواً معترفاً به ومتعاوناً مع الآخرين.

فالتطبيع يتيح للأفراد أن يكتسبوا عادات اجتماعية مقبولة بحيث يصبحون قادرين على العيش كأعضاء في المجتمع (٢).

والتنشئة الإسلامية تتعهد الطفل منذ نعومة أظافره وتغرس فيه قيم الحق والعدل والمساواة والواجب وتحمل المسؤولية والإيمان بالله العظيم ورسوله الكريم وبالآخرة، والصدق والأمانة والعفة والتمسك بالشرف والشجاعة والرجولة والكرم والجود والكفاح والنضال والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، والدفاع عن الأمة الإسلامية، وحب الإسلام والتمسك به قولاً وفعلاً أو عقيدة وسلوكا.

قال الله عز وجل ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص: ٤)، «يذبح أبناءهم، المقصود هنا

اتباع الهوى والنفس والشيطان والطمع والجشع والأنانية يقود إلى الفساد

الذكورة، ويستحيي أي يستبقي نساءهم أي بناتهم، إنه كان من المفسدين أي من الراسخين في الفساد.

فالقتل من أبشع صور الفساد خصوصا إذا كان قتلا جماعياً أو إبادة جماعية كما فعلت إسرائيل بأهلنا في غزة الشقيقة.

وقوله تعالى ﴿وارجو اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (العنكبوت: ٣٦) ارجو اليوم الآخر أي خافوه واخشوا حساب الله فيه وعقابه العاصين ولا تعثوا في الأرض مفسدين أي لا تسعوا في الأرض بالفساد، إذ كانوا ينقصون المكيال والميزان مع اشراكهم بالله وتكذيبهم لشعيب عليه السلام.

فمن أشكال الفساد الغش في الكيل والميزان، فالإسلام يدرك أن الفساد آفة اجتماعية، وعلة نفسية قد تلحق بكل مظاهر الحياة فتلوثها وتؤدي في النهاية إلى انهيارها، نقول ذلك لمن يستمرئون الفساد ويجدون فيه لذة ومتعة ومنفعة وإشباعاً لأطماعهم وحاجاتهم وغرائزهم وشهواتهم وعللهم المرضية، إن الفساد سوف يقضي عليهم في النهاية وإنه لا حياة إلا في ظل الطهر والطهارة والعفة والقناعة والأمانة والصدق والتمسك بالذمة وبالضمير الحي وما يمليه على صاحبه من حب العدل والإنصاف والحق والتمسك به.

وقوله تعالى ﴿نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولافساداً﴾ (القصص: ٨٣). أي تعاظما وتسلطاً وتجبراً، و«لا فساداً» أي ظلما للناس أو معصية الله، فالرغبة في العلو في الحياة الدنيا الزائدة عن الحد تعد من مظاهر الفساد في المجتمع، ذلك الفساد الذي أصبح يتخذ أشكالا عدة منها الفساد الاداري والسياسي والاقتصادي والمالي والاجتماعي والأسري والتربوي والإعلامي وما إلى وذلك.

وقال الله تعالى ﴿إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ (الكهف: ٩٤)، قال بعض المفسرين في تفسيرهم إنهم المغول والتتار.

وقال الله تعالى ﴿فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين﴾ (آل عمران:٦٣)، وكما يقول د.شوقي ضيف في شرح هذه الآية الكريمة «فإن تولوا» أي إن أعرضوا «فإن الله عليم بالمفسدين» أي عليم بفساد المفسدين الذين يعدلون عن الحق إلى الباطل أي الذين يبتعدون عن الحق ويلجأون إلى الباطل والباطل من مظاهر الفساد الشائعة الآن.

قال الله عز وجل ﴿ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ (يونس:٤٠).

ووصف كلمة «ومنهم» أي من المكذبين «من يؤمن به» أي بالقرآن الكريم ويكتم إيمانه عناداً ومنهم من لا يصدق به عنادا أيضا، «وربك أعلم بالمفسدين» أي إن الله أعلم بالمعاندين أو المفسدين.

وقوله تعالى ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (يونس: ٩١).

«الآن» استفهام إنكاري أي الآن تؤمن حيث أيقنت مفارقة الحياة وكنت قبل ذلك عاصياً ومن المفسدين الظالمين.

ولعل القرآن الكريم يعبر هنا عن حقيقة عامة لدى كثير من الطغاة والظلمة والذين يبطشون بشعوبهم وهم في شبابهم وفي عنفوان قوتهم ولما يعتريهم الضعف والهزال والمرض ويقتربون من الموت يعودون إلى رشدهم ويندمون على فسادهم وعصيانهم وأفكارهم لقيم الدين الروحية الخالدة.

ويقول عز وجل ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ (الأعراف:١٢٧)، إن الملأ حاولوا أن يثيروا حمية فرعون ضد موسى وبني إسرائيل فقالوا له أتدع موسى وقومه يفسدون في الأرض بنهيهم للناس عن دينك وعبادة آلهتك؟

النهي عن اتباع الدين الحنيف والشك فيه كان مظهراً من مظاهر الفساد الديني في مطلع الدعوة الإسلامية أما الآن فلقد تعددت أشكال الفساد واتسع مداها وأصبحت تشمل كل جوانب الحياة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية والدولية.

وظائف الضمير الأخلاقي

الضمير الأخلاقي moral conscience من أهم عناصر الشخصية، والإسلام الحنيف يحرص على تكوين ضمائر أبنائه على حب قيم الحق والخير والجمال والعفة والفضيلة والتقوى والأمانة والصدق والولاء والكرم والجود، وعن طريق الضمير الحي يستطيع الإنسان أن يميز بين الصواب والخطأ بالنسبة لسلوكه هو والسلوك الصواب.

ويقوم الضمير الخلقي في الإنسان بما تقوم به الذات العليا superego في الفكر التحليلي الحديث.

والضمير هو القوة الرادعة داخل الإنسان وهو مستودع القيم والمثل والمعايير والمبادئ الأخلاقية والمثالية والفضائل والسمات الحميدة، ويتكون أحسن ما يتكون عن طريق التربية الإسلامية، ومن وظائفه محاسبة صاحبه أو معاقبته على ما يرتكب من الآثام والمعاصي، بل إنه يمنع إغراءات الشيطان ويحول بين الإنسان وبين ارتكاب المعاصي قبل أن يرتكبها «٤».

تعريف الضمير الأخلاقي conscience

هو القوة الداخلية في الإنسان المسؤولة عن الأداء المتكامل لما لدى الفرد من معايير خلقية ترضى عما يقوم أو يود القيام به من أفعال أو تنكرها، والضمير هو الجانب الشعوري للوظيفة التي يقوم فيها بالحكم على ما يقوم به صاحبها أو ما يعتزم القيام به من فعل والتي تتمثل في «الأنا الأعلى» (٥) ووفقا لنظرية التحليل النفسي للمضير وظيفتان هما:

أ- الردع والمحاسبة والعقاب عن طريق لوم الذات أو تأنيب الضمير.

ب- المنع أي منع صاحبه من القيام بالأعمال الخاطئة قبل القيام بها.

الضمير كناية عن نظام

الإسلامية.

- الله تعالى يحسن إلى خلقه وعليهم أن يحسنوا بدورهم إليه سبحانه وتعالى.

- الفساد يعم البر والبحر، كناية عن أن الفساد قد يلحق بالعالم كله وجميع جوانب الحياة الفردية والجماعية.

- الفساد إنما هو عمل الناس ومن صنع أيديهم وليس أمراً مفروضاً عليهم من أي قوى خارج ذواتهم فهم المسؤولون عنه وحدهم.

- تبديل الدين أو الكفر أو الإلحاد من مظاهر الفساد الديني ويتبعه الفساد الأخلاقي أو الروحي وزعزعة الإيمان.



الفرد في المبادئ الأخلاقية المقبولة والمسلم بها أو قواعد السلوك والتصرف، فالضمير هو الذي يوجه سلوك الفرد وهو الذي يحكم على هذا السلوك.

ويشير الضمير عادة إلى مماسة هذا النظام لوظائفه بالنسبة لفعل قيد الدرس أو تمت تأديته وهو فعل يتهدد بانتهاك المبادئ وخرقها، وينطوي على عوامل عاطفية وفكرية، إن مفهوم الأنا الأعلى في نظرية فرويد هو محاولة سيكولوجية لتفسير نشأة الضمير وطبيعته، وتعليل تطوره وكيفية عمله، ونحن أبناء الأمة الإسلامية نسعى لتكوين الضمير الإسلامي في نفوس النشء (٦).

الخلاصة

- فساد الأرض أي فساد المجتمع أو العالم كله.

- اتباع الهوى والنفس والشيطان والطمع والجشع والأنانية كل هذا يقود إلى الفساد.

- الحكام قد يفسدون بلادهم وبلاد غيرهم إذا ابتعدوا عن الإيمان.

- إن الفساد قد يتكرر مرات كثيرة ويصبح ظاهرة مستمرة وليس قاصراً على واقعة واحدة.

- كراهية الله سبحانه وتعالى للفساد والمفسدين وهو عز وجل ينهى عنه ويتوعد مرتكبيه والمشجعين عليه والساكتين عنه.

- المؤمن يدعو الله أن ينصره على الفساد والمفسدين، وأن يرشده إلى طريق الحق والرشاد والصواب.

- النهي عن اتباع طريق المفسدين كالحاشية السيئة التي تحيط بالحكام وغيرهم من أرباب السوء.

- يقارن القرآن الكريم بين الذين يعملون الصالحات والمفسدين، ولا يساوي بينهم كما تحدث التفرقة بين أهل الخير والعدل والرحمة وأهل الشر والفساد.

- ربط الفساد بكثير من الظواهر السلبية أو السيئة أو المعاصي والآثام مثل القتل وسفك الدماء والبطش والظلم والغش والضلال والكفر والشرك.

- قطع صلة الأرحام من مظاهر الفساد، وذلك لأن قطع صلة الأرحام تقضي على ما أوجبه إسلامنا الحنيف من التماسك الأسري وبر الوالدين والمعروف والإحسان إليهما.

- للمفسدين عذاب فوق عذاب في الآخرة وذلك للنهي عن الفساد.

- يجيء «الفساد» في مقابل «الإصلاح» أو «الصلاح» والزرع والنبات وكل ما في هذه الحياة وقد يصبح الفساد شاملاً وطاغياً ومتفشيا في جميع جوانب حياة الإنسان.

- القتل يرتبط بظاهرة الفساد ويعد جزءا منها.

- الفساد قد يقود إلى حدوث الفتن والصراعات والنزاعات العرقية والطائفية والمذهبية فيعكر صفاء الوحدة

الهوامش

١- عبدالمنعم الحفني (١٩٩٤) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة ص ٨١٢.

٢- أسعد رزوق (١٩٧٧)، موسوعة علم النفس، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان، ص ٦٦.

٣- شوقي ضيف (١٩٩٤) الوجيز في تفسير القرآن دار المعارف.

٤- Reber, A. S (١٩٩٥) Penguin dictionnary of psychology, Penguin Book, Lonndon, p ١٥٣.

٥- أحمد زكي بدوي، (١٩٨٦)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ص ٩٨٠.

٦- أسعد رزوق (١٩٧٧) موسوعة علم النفس ص ١٧٩.



دلالة الصورة الفنية في الرواية العربية

«الظل الأسود» نموذجاً (١)

عبد اللطيف خروبة

لقد اعتاد الدارسون للاعمال السردية في الادب العربي الحديث والمعاصر النظر إلى الرواية من جوانب محددة تتمثل في الاحداث وبنائها، والقوى الفاعلة (الشخصيات والعلاقات فيما بينها) والفضاء الزماني والمكاني وخصائصهما، وزاوية النظر التي يتموقع فيها السارد ليروي الاحداث. أما الجانب المتعلق بالصورة الفنية وما تحمل من دلالات فإنهم يتغافلون عنه في الغالب الأعم، رغم ما تحظى به من أهمية بالغة في كل مكونات العمل السردي، وكأن الدارسين العرب - على حد قول احدهم- مفطورون على التعامل مع الصورة في الشعر حصرا وليس في النثر، بحكم ثوابت ثقافية مترسخة على مر العصور (٢). وقبل البدء في عرض تجليات الصورة في هذه الرواية وأهميتها، لابد من تحديد المفهوم أولا.

يعترف العديد من الدارسين في هذا المجال أن تحديد مفهوم الصورة تحديدا دقيقا صعب للغاية، الشيء الذي أدى بهم إلى الاختلاف فالصورة الفنية أو الأدبية عند غاستون باشلار تعني إنتاج الخيال المطلق، وأن كل كيانها يقوم على أساس الخيال (٣) وفي نظر ريتشاردز سايس إن الصورة «ليست بالضرورة استبدال شيء بشيء آخر، أو تشبيه شيء بشيء آخر، وإنما قد تكون أية كلمة حسية تستدعي استجابة الحواس» (٤).أما مصطلح الصورة عند د.صلاح فضل فيرتبط بما هو مدرك بالحواس، بصرية أو سمعية أو لمسية أو شمية أو ذوقية، ويحرك خيال المتلقي، باستدعاء معلومات ترجع إلى الذاكرة، فيثير تصوره الحسي للاشياء، وأن الادوات البلاغية من استعارة وتشبيه وغيرهما هي آليات الصورة (٥).

إن مفهوم الصورة الفنية يشمل كل المحسنات القائمة على عناصر المشابهة والاستعارة والمجاز والكناية والرمز، وكل الانماط التي تعتمد للكشف عن المشابهات، وسيتم الاقتصار في هذا المقام على الصورة الفنية القائمة على اساس التشبيه في هذه الرواية.

مضمون الرواية

تدور احداث الرواية على أرض الحبشة، وتحكي قصة اغتصاب الكنيسة عرش امبراطور الحبشة «اياسو» بمساعدة الاستعمار الاوروبي، وما خلفه هذا من دمار وخراب في الارواح والاموال، ومن استذلال للشعب واستعباده، وتنتهي الرواية بتحول الامبراطور «إياسو» إلى رمز للحرية والمحبة والتعايش السلمي بين كل الديانات، يتردد على ألسنة الناس دائما، ويلحق اللعن رجال الكنيسة وعلى رأسهم «هيلا سيلاسي» الذي نسي مع مرور الزمن.

أهمية الصورة

تلعب الصورة الفنية دورا مهما في العمل السردي، فهي تكشف عن أحوال التحول في وضع معين لشخصية أو لمجموعة من الشخصيات، من الحسن إلى السيئ، أو من السيئ إلى الحسن، كما تعكس الاحوال النفسية للشخصيات، من طمأنينة أو اضطراب، والظروف السياسية والاجتماعية المخلتفة، من سلم او حرب، وحرية او عبودية، ومحبة او كراهية وحقد، كما تسهم في ابراز تطلعات الشخصيات، ورؤية الكاتب إلى العالم من حوله.

الصورة الفنية تلعب دوراً مهماً في العمل السردي من خلال الكشف عن أحوال التحول من الحسن إلى السيئ أو العكس

أ- الصورة تعكس التحول

لقد وجد الكاتب التشبيه آلية مناسبة للتعبير عن التحول الرهيب بكل أبعاده ومعانيه، وما يرتبط به من التوقعات المستقبلية.

فالصورة تؤشر على الفصل بين مرحلتين متباينتين في الرواية، مرحلة الرفاهية والتسامح والحرية والسلام في ظل عرش الإمبراطور «إياسو»، وبين مرحلة الانقلاب على العرش، ومباغتته أثناء إعداد الجيش لمساعدة دولة إسلامية أخرى تحارب هي بدورها الاستعمار الأجنبي الذي بدأ ينقض على أمة الإسلام من كل ناحية في الشرق العربي، فتتحول الأرض إلى دمار وخراب لا عهد لها به، ويعم الرعب والهلع السكان الذين كانوا آمنين مطمئنين، وهذا يبدو واضحا من خلال المقاطع الآتية «الفلاحون في القرى مسلمين ومسيحيين ينحرون تحت أقدامه الذبائح، والهتاف باسمه ينطلق كالرعد. وتطلع الشيوخ والاطفال والنساء والشباب في هيام وتقدير للامبراطور الشاب الذي لم يسفك دماء، ولم يرهقهم بضرائب، أو يستولي على أراضيهم ليهبها إلى الكنيسة» (٦).

إن تشبيه الهتاف القوي بالرعد، يعكس الدرجة الكبيرة لتعلق الناس بأميرهم العادل المتسامح الذي لم يستعبدهم ولم ينهب أموالهم باسم الدين. «ثلاث سنوات حكمت فيها الحبشة، مرت كالحلم الجميل، أشرقت فيها الوجوه بالحب، وفاضت الأنهر بالخيرات، وابتسمت السماء للورود الندية، أما أعداؤك أعداء السلام، فقد تستروا وراء الظلام،



وأظهروا خلاف ما يبطنون، مسكين يا إياسو، يا نجم الأمل في ليل الحبشة الحالك السواد» (٧).

ب- الكشف عن روح الغدر والخيانة

كما تعكس الصورة القائمة على التشبيه الدرجة الكبيرة للغدر والخيانة التي يضمرها رجال الكنيسة وأنصارهم في الداخل والخارج للإسلام وللحق والسلم. «ليس هذا غريبا على تفري الملعون، ألا تأتي الضربة الغدارة من يدك أيها الذئب، يا زوج شقيقة الامبراطور، لماذا يفعلون ذلك يا إياسو؟ ألأنه دعا إلى المحبة والتسامح والحرية؟ ألأنه قد وقف في وجه أطماع رجال الدين وتعصب الكنيسة» (٨).

كما تروم الصورة البلاغية المعتمدة على هذه الأداة توضيح الرؤية التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، وهي روح الغدر والخيانة التي تطبع رجال الكنيسة، وأنها لا تحب أن يعيش الناس آمنين مطمئنين في ظل الإسلام، الدين الذي يقبل التعايش بلا شروط، فتتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق.

لقد كان الاصرار على تشبيه الانسان بالحيوان في العديد من المواقع، خاصة الذئب والثعلب، ولعل في ذلك تنبيه إلى الانحدار القيمي والاخلاقي الذي اصبح يميز سلوك الانسان، فصار مقززا منفرا، وبهذا فان الصورة تساهم في خلق عالم منحط مليء بالتناقضات والمفارقات الغريبة، وتفتح المجال واسعا أمام الخيال ليتصور غدر هذه الكائنات «هذه ليست حياة، انها غابة للذئاب» (٩). «كانت جموع غفيرة مغبرة السحنات، تزحف كالذئاب الجائعة» (١٠). «عادت إلى حجرتها دامعة العينين، جريحة الفؤاد، مثلومة الكرامة، عالم عاص متمرد تملأه الثعالب والذئاب والثعابين» (١١).

ج- الصورة تعكس روح السخرية والحقد

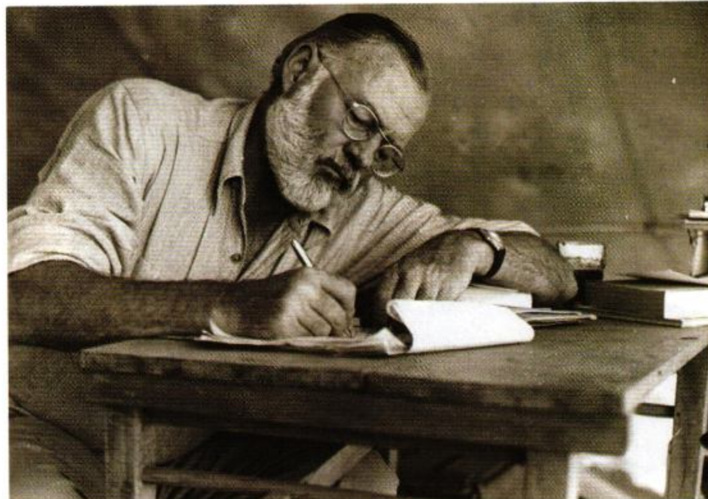
إن الصورة الفنية في هذه الرواية تكشف عن السخرية التي يواجه بها بعض الناس بعضهم الآخر، خاصة إذا كانوا مجرد أدوات يحركها الغير، كما هو الحال بالنسبة «لزوديتو» الامبراطورة، أو «تيفري» الذين يسخرهما رهبان الكنيسة. أو إذا كانت الغلبة لفئة على أخرى. وهذا ما يظهر من خلال الأمثلة التالية «ماذا جرى لك يا تفري؟ هذا أمر درسناه ووصلنا إلى رأي نهائي بشأنه، إن زوديتو لا تعدو عن كونها لعبة نضحك بها على الشعب» (١٢). «وتفري مهماكانت انتصاراته مخلوق ضعيف، إنه ألعوبة في الأيدي» (١٣). كما يظهر التشبيه قسوة العذاب الذي يعاني منه الشرفاء، من سجن وإهانة وغيرها كتشبيه إياسو باللص بعد الانقلاب عليه، ومالفن بالخادمة بعدما كانت زوجة محترمة.

د- الحنين إلى الماضي ورفض الحاضر

إن الرواية تبين حنين الشعب إلى الماضي الجميل حيث السلام والأمن والحرية والمساواة، ورفض الحاضر البئيس الذي يميزه الرعب والخوف والصراع والحقد. «بدت لها الذكريات القديمة وكأنها جنة وارفة الظلال، تنبض بأحلى أماني الثمر وأناشيده، كانت هي وإياسو يلعبان كعصفورين بريئين في رحبة القصر، ويجريان في رشاقة، لقد ضاع كل شيء، ضاع الأمان، وهذا أتعس ما يصاب به الانسان الحر» (١٤) كما يكشف التشبيه قساوة المنقلبين على العرش، الحاقدين على الشعب، وعلى الحق، وأن قلوبهم لا تعرف الاشفاق حتى على زوجاتهم وهن أقرب الناس إليهم. «لكنك كالصخرة التي لا تنبض بقطرة واحدة» (١٥)

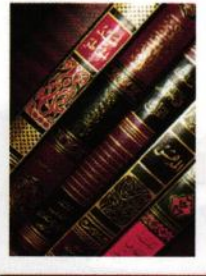
إن أعماقه تبدو كعالم أسود غامض» (١٦). كما أن ذكر الأداة في التشبيه يوحي بنوع من المقارنة بين واقعين مختلفين، واقع ماض يميزه الأمن والحب والهدوء، وواقع جديد يطبعه العنف والقساوة والصعوبة.

إن الكاتب يبدو حذرا ومقتصدا في توظيف التشبيه إلى حد ما، وإن أسلوبه من هذه الناحية يبدو بسيطا أو كما يسمى عند رولان بارت «درجة الصفر في الكتابة». ولكن رغم ذلك فإن الصورة الفنية في «الظل الأسود» جريئة وموحية ومؤثرة، ومرتبطة أشد الارتباط بالموضوع الرئيسي، وقد اتخذت من حقل الانسان والحيوان غالبا مصدرا رئيسيا لها. وبهذا تكون الصورة الفنية القائمة على أساس التشبيه في هذه الرواية قد أسهمت إلى حد كبير في بناء رؤية السارد (الكاتب) المأساوية تجاه عالم يسوده الحقد والغدر والخداع.



هوامش

١- الظل الأسود - نجيب الكيلاني - المختار الإسلامي - القاهرة.
٢- مجلة «مجرة» عدد صيف ٢٠٠٧ ص ٦٨.
٣- البلاغة مدخل لدراسة الصورة البيانية ص ١٥- فرونسوا مورو- ترجمة محمد الوالي وعائشة جرير- ٢٠٠٣ إفريقيا الشرق المغرب.
٤-نفسه ص ٦١.
- نفسه ص ٩١.
٥- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته - ص ٢٧٩- د.صلاح فضل- ط ١ دار الآفاق الجديدة ١٩٨٥ بيروت.
٦- الظل الأسود ص ٢٥.
٧- نفسه ٩٣١.
٨- نفسه ٧٢١.
٩- نفسه ٧١١ - ٨١١.
١٠- نفسه ٩٢١.
١١- نفسه ٨٣١.
١٢- نفسه ٧٤١.
١٣- نفسه ٥٥١.
١٤- نفسه ٧٥١.
١٥- نفسه ٨٧١.
١٦- نفسه ٢١١.



أثر النحو في اختلافات الفقهاء

هاني إسماعيل

انبثقت العلوم اللغوية كلها من مشكاة واحدة هي القرآن الكريم، تدور في فلكه تبيانا لأحكامه، وضبطا لألفاظه، واتجهت كل جماعة وجهة في تفقهه، فباتت طائفة عاكفة على تصحيح متنه في عناية فائقة وإتقان بارع في الأخذ والأداء والتلقين والتلقي، وبرع من هؤلاء في الدراسات اللغوية جم غفير بفضلهم نشأ علم العربية (١) الذي أطلق عليه فيما بعد اسم النحو العربي.

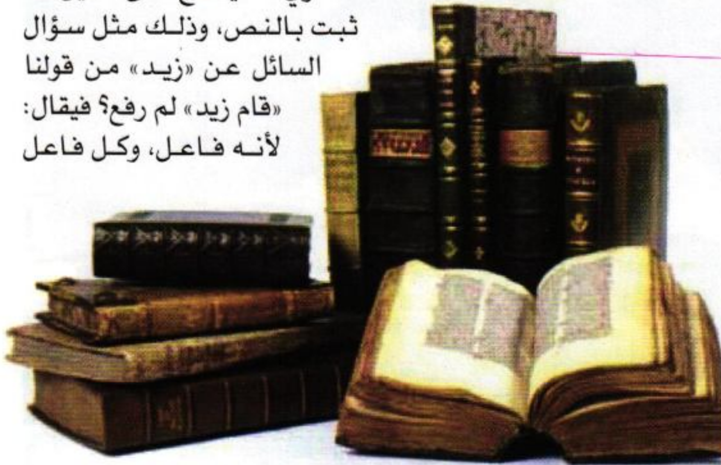
«وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبوالأسود الدؤلي» (٢)حرصا على القرآن الكريم من التحريف بعد أن تفشى اللحن، وصار المسلمون يلحنون في قراءة القرآن الكريم فأخطأ قارئ فقرأ ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ (التوبة-٣) بجر لفظة «رسوله» بدلا من رفعها.

ولم يكن الهدف من ذلك العمل حفظ النص القرآني من اللحن فحسب، بل كان بهدف إلى غاية أبعد وأسمى تتمثل في أن يقرأوا القرآن وأن يفهموا معانيه ومقاصدة، لأنه هو الذي ينظم لهم شؤون حياتهم، و«من ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم، فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني (٣).

ولما كان الفقه يسعى الى حصول «العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية» (٤) ولن يتحقق له هذا إلا بفهم معاني ومقاصد النصوص الشرعية- كان اقتران النحو بالفقه قرانا لا انفصام فيه، ففي كتاب رياضة المتعلمين لأبي نعيم الحافظ «ذكر فيه مراتب أنواع العلوم وما ينبغي أن يقدم تعلمه منها، فذكر الفقه، وأورد عليه ما أورد، ثم قال: ثم يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو، لأنه آلة لجميع العلوم، لا يجد أحد منه بدا، ليقيم به تلاوة كتاب الله، ورواية كلام رسول الله، لكي لا يخرجه جهل الإعراب إلى إسقاط المعاني» (٥)، وجعل علماء الاصول ذلك شرطا من الشروط الأساسية لمن يخوض غمار الفقه والافتاء، فلا يتصدر فقيه أو مفت للفتيا إلا بعد اتقان النحو واللغة (٦).

من ثم كان لكل من الخلافات الفقهية والنحوية أثرها البالغ ففي بعضها، حتى إننا نجد ابن مضاء القرطبي قاضي القضاة في دولة الموحدين لما أراد أن ينصر مذهبه الظاهري ويدعم ثورة الموحدين على مذاهب الفقه - خاصة الفقه المالكي- تصدى إلى النحو العربي بكتابه الرد على النحاة رغبة في هدم النحو المشرقي، وإن لم يكن يقصد هدم النحو لذاته، وإنما كان يهدف الى هدمه باعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي.

ينفي ابن مضاء من النحو كل ما لا يستقيم ومذهب الظاهرية، فينفي من النحو العلل الثواني والثوالث مثلما تنفي الظاهرية العلل من الشرع الحنيف، فالفقيه في المذهب الظاهري لا يحتاج الى تعليل ما حرم بالنص، كذلك النحوي لا يحتاج الى تعليل ما ثبت بالنص، وذلك مثل سؤال السائل عن «زيد» من قولنا «قام زيد» لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر، ولا فرق بين ذلك وبين من عرف شيئا ما حرام بالنص، ولا يحتاج فيه الى استنباط علة، لينقل حكمه إلى غيره، فسأل لم حرم؟ فإن الجواب على ذلك غير واجب على الفقيه» (٧).



ولأن المذهب الظاهري أيضا لا يعتد بالقياس في الفقه، فقد دعا ابن مضاء القرطبي إلى إلغاء القياس من النحو أيضا، وضرب لذلك مثالا بقياس إعراب الفعل المضارع على إعراب الاسم، فالاسم عند النحاة أصل والفعل المضارع فرع اكتسب إعرابه لعلتين: أولاهما كونه صالحا للدلالة على الحال والاستقبال كالفعل يقوم، فإذا قلت: سوف يقوم تخصص للاستقبال بعد أن كان شائعا.

وثانيهما دخول لام الابتداء عليه كما تدخل على الاسم كقولك: إن زيداً لقائم في الاسم وقولك: إن زيدا ليقوم في الفعل المضارع.

رفض ابن مضاء هذا القياس لإعراب الفعل المضارع، وحكم بأن الإعراب في الفعل المضارع أصل كما هو أصل في الاسم (٨).

إذن ليس من العجب أن نرى



خلافات في الأحكام الفقهية تخرج من عباءة المسائل النحوية، والأمثلة على ذلك عديدة، حتى إن عالمين من علماء الشريعة يفردان كتابين كاملين في تخريج المسائل الفقهية على النحو، أولهما الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للإمام الطوفي.

وثانيهما الكوكب الدري فيمايتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية لجمال الدين الإسنوي.

وسأكتفي بإعطاء مثال واحد لأثر النحو في الخلاف الفقهي.

يقول تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ (المائدة: ٦).

اتفق الفقهاء على وجوب مسح الرأس ولكنهم اختلفوا في القدر الواجب، قال الشافعية: يجزئ مسح بعض الرأس، وقال الحنابلة، لا يجزئ إلا مسح جميع الرأس.

ومنشأ الخلاف الباء في قوله تعالى ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ فالباء عند الشافعي للتبعيض، كأنه قال امسحوا بعض رؤوسكم، «فقال الشافعي يجزئ مسح ما يقع عليه الاسم وأقله ثلاث شعرات وحكي عنه لو مسح ثلاث شعرات - وحكي عنه لو مسح شعرة- أجزأه لوقوع الاسم عليها» (٩) وعند الحنابلة الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، «فروي عن أحمد وجوب مسح جميع الرأس في حق كل أحد» (١٠).

اقتران النحو بالفقه له أساس لفهم معاني ومقاصد النصوص الشرعية

كما اتفق الفقهاء على وجوب غسل اليدين ولكنهم اختلفوا في وجوب دخول المرفقين في الغسل، فعند الجمهور واجب، أما عند زفر من الحنفية، وداود الظاهري، وبعض المالكية فإنه لا يجب لأن معنى «إلى» في قوله ﴿إلى المرافق﴾ لانتهاء الغاية، فلا يدخل ما بعدها فيما قبلها كعدم دخول الليل في قوله ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾، أما الجمهور فيرون أن إلى كما ترد للغاية فإنها ترد بمعنى «مع» نحو قوله تعالى ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ أي مع قوتكم (١١).

وهذا ينطبق على الكعبين في قوله ﴿إلى الكعبين﴾ إلا أن الفقهاء اختلفوا في غسل الرجلين، هل هو الواجب أم مسحهما؟ فعند الجمهور الواجب هو الغسل، وعند الإمامية الواجب هو المسح، بينما الطبري خير بين الغسل والمسح.

وسبب الخلاف أن لفظة «أرجلكم» وردت في قراءة ابن كثير وحمزة وغيرهما بكسر اللام، فعطفها من قال بوجوب المسح على رؤوسكم معمول امسحوا، وتأول قراءة النصب على محل برؤوسكم، في حين من قال بوجوب الغسل فأخذ بقراءة نافع وحفص عن عاصم وغيرهما بنصب أرجلكم، على أنها معطوفة على الوجوه والأيدي معمولين اغسلوا، وتأول قراءة الجر على مجاورة «أرجلكم» لـ «برؤسكم»، ومن قال بالتخيير جمع بين القراءتين بلا تأويل (١٢).

أما الترتب بين الأعضاء في الآية السابقة فقال الشافعي وأحمد بوجوبه، وقال مالك وأبوحنيفة بأنه مسنون، تمسك من أوجب الترتيب، بأن الله تعالى أمر بالغسل بعد القيام الى الصلاة بالفاء فقال ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ والفاء تفيد الترتيب والتعقيب وإذا وجب الترتيب في غسل الوجه وجب في غيره.

بالإضافة أنه أدخل ممسوحا بين مغسولات وقطع النظير عن نظيره، وكأن نظم الكلام كان يقتضي أن يقول فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم، والعرب لا تقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة، ولا فائدة هنا إلا الترتيب، كما قال من نصر هذا الرأي بأن الواو تفيد الترتيب.

ومن قال بسنية الترتيب أجاب بأن الواو في اللغة للجمع مطلقا وليست للترتيب، واتفق على أن العرب لا تقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة، ولكن الفائدة هنا ليست وجوب الترتيب بل هي فائدة بلاغية تتمثل في اعتدال نظم الكلام في صدر الآية إذ قوله ﴿اغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ يقابل قوله ﴿امسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾ من حيث الزنة واشتمال كل منهما على فعل، ولو اختل من هذا الترتيب شيء لاختل النظم وزال كماله.

هذا قطرة من غيث الخلافات الفقهية التي كان للنحو أثر فيها، وأرى أن الأمر يستحق المزيد من الدراسة والبحث.

هوامش

١- مقدمة في علوم اللغة: د.البدراوي زهران، الطبعة السابعة ١٩٩٩م، ص ١٧.

٢- طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة، ج ١ ص ١٢.

٣- دروس في كتب النحو: د.عبده الراجحي، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٠.

٤- الفقه الإسلامي وأدلته: د.وهبة الزحيلي، دار الفكر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص١٦.

٥- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، لأبي الربيع نجم الدين سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي، دراسة وتحقيق د.محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٢٤١.

٦- انظر: علم أصول الفقه، لمحمد الخضري، دار الحديث- القاهرة، طبعة ٢٠٠٣، ص ٣٥٩، وكذلك الجامع لأحكام وأصول الفقه المسمى حصول المأمول من علم الأصول للعلامة محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق ودراسة أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة- مصر (د.ت) ص ٣٦٦.

٧- الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، الطبعة الثانية، ص ١٣٠.

٨- انظر الرد على النحاة، ص ١٣٤.

٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ج١ ص ١٤٢.

١٠- المغني لابن قدامة: ج ١ ص ١٤١.

١١- انظر الصعقة الغضبية للطوفي: ص ٤٠٧.

١٢- انظر الصعقة الغضبية للطوفي: ص ٤٣٢.





مصطلح العنف الأسري في الوثائق الدولية

كاميليا حلمي



تصاعدت أخيرا نبرة المطالبة بضرورة وضع عقوبات رادعة على ما أطلق عليه العنف الأسري، بدون أن يتم تعريف هذا المصطلح تعريفا قانونيا واضح الأبعاد والمعالم.. الأمر الذي أوجب ضرورة تحديد المفهوم الحقيقي لذلك المصطلح، لاسيما أنه مصطلح مطاط، يحوي مفردات عدة تؤدي في مجملها إلى تدخل سافر في شؤون الأسرة، بحجة حماية إناثها وأطفالها من الإساءة، بما يرفع أي قوامة للزوج على زوجته، أو ولاية للأبوين على الأبناء، بل وإدراج أي نوع من التربية يمارسها الآباء نحو الأبناء ضمن هذا المصطلح.

أولقد تم إدراج المصطلح ضمن مجموعة من الاتفاقيات والوثائق الدولية، تم طرحها عن طريق هيئة الأمم المتحدة على الحكومات للتوقيع عليها، على أن تضع هذه الحكومات ما تشاء من التحفظات عنها في حال تعارض أي من بنودها مع المرجعيات الثقافية أو التشريعية لها، ولم يخطر ببال الحكومات أثناء توقيعها على تلك الاتفاقيات أن لجان الأمم المتحدة ستتجرأ وتطالبهم برفع تحفظاتهم التي وضعوها أثناء التوقيع، وهاهي الضغوط الدولية تمارس عليهم من تلك اللجان لرفع تحفظاتهم والالتزام الكلي بالتطبيق الكامل لتلك الاتفاقيات، في تجاهل شديد للمرجعيات الدينية والثقافية المختلفة السائدة في مختلف بلاد العالم.

التعريف الفعلي لمصطلح العنف الأسري وفقًا للوثائق الدولية

العنف الأسري هو كل ما اعتبرته الوثائق الدولية عنفا ضد المرأة داخل نطاق الأسرة، ومن ثم تعد الاتفاقيات الدولية كل ما يلي عنفا أسريا:

(١) عدم إعطاء الحرية الجسدية للنساء والفتيات، والتمسك بعذرية الفتاة حتى الزواج (والذي اسمته الوثائق بالكبت الجنسي للفتيات)، وإجبارها على أن تظل أنثى، وإجبارها على أن ترتبط بذكر، أما «اللاعنف» فهو ترك المجال أمام الفتاة للاحتفاظ بجنسها، أو تحويل جنسها إلى جنس آخر (أي أن تصبح شاذة وتترك لها الحرية في ممارسة الشذوذ الجنسي).

(٢) الزواج تحت سن الثامنة عشر، حيث تعده الوثائق قمة العنف الأسري ضد الفتاة، بينما لا تعد ممارسة العلاقة الجنسية خارج نطاق الزواج عنفا، بل العنف كل العنف في منع الفتاة من اختيار الوقت الذي تكون فيه «ناشطة جنسيا».

(٣) الختان، وذلك بتجريم ختان الإناث (بكل أشكاله، رغم أن بعض هذه الأشكال أقرتها الأحاديث النبوية الشريفة).

(٤) مهر العروس، حيث تعتبره الوثائق ثمنًا للعروس (Bride Price) يحط من قدرها ويعطي للزوج الحق في تملكها، ومن ثم الحق في معاشرتها، ومن ثم تطالب الوثائق بإلغاء المهر، كما تطالب باقتسام الممتلكات بعد الطلاق (أسوة بالنظام المعمول به في الغرب).

(٥) عمل الفتاة في بيت أهلها.. تحاول لجنة المرأة بالأمم المتحدة جاهدة الضغط على منظمة العمل الدولية كي تدرج عمل الفتاة في بيت أهلها ضمن أسوأ أشكال عمالة الأطفال، وبالتالي يتم تجريمه دوليًا.

(٦) وجود فوارق بين الرجل والمرأة في الميراث، والمطالبة بتساويهما في الميراث بحجة أن المرأة صارت تعمل الآن مثلها مثل

الرجل، وبالتالي يجب أن تتساوى معه في الميراث، وذلك في تحد واضح للشريعة الإسلامية.

(٧) الأدوار الفطرية لكل من الرجل والمرأة داخل الأسرة، وتعتبر الاتفاقيات اختصاص كل من الرجل والمرأة بأدوار معينة داخل الأسرة تمييزا ضد المرأة وعنفا ضدها، من ذلك:

■ قيام الرجل بمسؤوليات القوامة من الإنفاق والرعاية والحماية، وما يستتبعه من وجوب طاعة الزوجة للزوج، واستئذانه في الخروج والعمل والسفر، ومشاركته للزوجة في قرار الإنجاب، وحقه في تأديب الزوجة الناشز، وحقه في تأديب أبنائه.

■ قيام المرأة بدور الأمومة، ورعاية الأسرة، حيث تعده الاتفاقيات تمييزا وعنفا ضدها، وتم استبدال مفهوم الأدوار الفطرية لكل من الرجل والمرأة، بالأدوار النمطية، ثم جاءت المطالبة بضرورة القضاء على تلك الأدوار النمطية، بمعنى توحيد الأدوار داخل الأسرة ليتم اقتسامها مناصفة بين الرجل والمرأة.

(٨) حق الزوج في معاشرة زوجته، إذا لم يكن بتمام رضا الزوجة، تعده الاتفاقيات اغتصابا زوجيا، وتنادي بتوقيع عقوبة ينص عليه القانون تتراوح بين السجن والغرامة المالية وأي عقوبة أخرى يتم تحديدها لمثل هذا الأمر.

(٩) الولاية على الابنة البكر في الزواج، وتطالب الوثائق برفع تلك الولاية، وإعطاء الفتاة مطلق الحرية في الزواج بمن تشاء دون أي ولاية من أي فرد، بدعوة المساواة بينها وبين أخيها الذكر.

(١٠) التطليق بالإرادة المنفردة للزوج، والتطليق الغيابي، ومن ثم المطالبة بإلغاء حق الرجل في إيقاع الطلاق، وإنما يصير الطلاق بيد القاضي.

(١١) التعدد، يعتبر إعطاء الزوج الحق في التعدد وحرمان الزوجة منه عنفا أسريا ضد الزوجة، وبالتالي إما أن تعطى الزوجة هذا الحق، أو يحرم الزوج منه، وذلك في تحد واضح للأديان والأعراف، والمطالبة الصريحة بالاستبدال بتلك المرجعيات المرجعية الدولية التي تطرحها لجان الأمم المتحدة المتخصصة

هذه الرؤية تعد البوابة الذهبية لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية

كلجنتي المرأة والطفل.

يبنى على التصديق على تلك الاتفاقيات إلزام الحكومات بإجراء التعديلات الفورية في قوانينها الوطنية لتتوافق معها، وبالتالي وفي التوقيت نفسه، وعلى مستوى كل دول العالم، بدأ العمل على إجراء التعديلات في قوانين الأسرة والأحوال الشخصية، لتتوافق مع ما تم التوقيع عليه من الاتفاقيات الدولية، ومن ذلك على سبيل المثال أن أعدت إحدى الجمعيات النسوية في مصر مسودة لقانون يستحدث عقوبة جديدة تسمى عقوبة «الاغتصاب الزوجي» حيث ينص على عقاب الزوج إذا جامع زوجته بغير إرادتها بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بغرامة لا تقل عن ١٠٠٠ جنيه، كما تقدم المجلس القومي للمرأة بمشروع قانون للأحوال الشخصية الجديد إلى وزارة العدل يدور حول وضع ضوابط تقيد حق تعدد الزوجات، ويعمل مشروع القانون على إعطاء المشروعية للاقتران السري (الذي يطلق عليه مجازا الزواج العرفي) وذلك بمنح العديد من الحقوق للمرأة داخل هذا الزواج من أبرزها الحق في النفقة، ونسب أولادها تلقائيا لأبيهم وإلغاء الطلاق الغيابي.

وفي المغرب أوصت لجنة المرأة بالأمم المتحدة جميع الدول بتعديل قوانينها لتصير مثل القانون المغربي الذي تم تعديله عام ٢٠٠٤، وبعض تلك التعديلات:

■ إلغاء طاعة الزوجة لزوجها وإلغاء رب الأسرة، وبالتالي المساواة بينهما في اتخاذ القرارات.

■ إلزام الزوجة بالإنفاق مناصفة مع الزوج داخل الأسرة، وفي المقابل إلزام الزوج باقتسام كل أدوار الرعاية داخل الأسرة مع الزوجة، بما يؤدي إلى إجبار النساء على النزول لسوق العمل وما في ذلك من خطر شديد على مستوى التربية للأجيال الناشئة.

■ رفع سن الزواج حتى الثامنة عشرة.

■ إلغاء الولاية على الفتاة البكر الراشدة. تقييد التعدد.

■ تقليص إرادة الزوج في إنهاء الرابطة الزوجية.

■ توسيع حق المرأة في طلب التطليق.

■ إثبات النسب وإلحاق ابن المخطوبة بأبيه في حالة عدم توثيق عقد الزوجية.

■ تخويل الحفيدة والحفيد من جهة الأم، على غرار أبناء الابن، حقهم في حصتهم من تركة جدهم.

إن مصطلح العنف الأسري يعد البوابة الذهبية لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح الطرف الأقوى، والعالم الإسلامي على رأس المستهدفين، ذلك لأن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة الإسلامية مستمدة بالأساس من دينها العظيم، ومن ثم فإن استهداف الثقافة يعني بشكل مباشر استهداف الدين، لأنهما ليس مفصولين.

وهذا يلقي عبئا ثقيلا وعظيما على علماء هذه الأمة، فالعلماء هم المسؤولون عن إصلاح الأمة، وحماية ثوابتها فهم ورثة الأنبياء، فأمام هذا الخطر المحدق، الذي يهدد الأمة وهويتها، يأتي دور العلماء في التصدي له، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ ولهم في رسول الله (ص) أسوة حسنة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وإن كانت هناك بعض الصور السلبية بحق المرأة فلا ارتباط بينها وبين الشريعة الإسلامية، بل هي مرتبطة بالأساس بسلوكيات فردية غير سوية لأفراد ابتعدوا فهما وتطبيقا عن روح الإسلام وتعاليمه.. ولم يدع الفقه الإسلامي تلك السلوكيات بلا علاج ولكن ليس الحل في الاتفاقيات الدولية، خاصة بعدما اتضح لنا ما تحويه من بنود تمثل في جوهرها ثقافة لادينية لا تتفق بأي حال من الأحوال مع تعاليم ديننا الحنيف، ولا تحمل حلا حقيقيا للمشاكل التي تعانيها المرأة في عالمنا الإسلامي.. إن حل تلك المشاكل جميعا لن يكون إلا في العودة لنبع الإسلام الصافي.. نبع المودة والرحمة والسكينة، ورفض كل ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها من تشريعات وقوانين تؤدي الى هدم الأسرة وتفكيكها.





الطلاق وخبرة الألم

إيمان القدوسي

في رحلة الحياة كثيرا ما نصطدم بخبرة الألم، الألم جزء من التجربة الإنسانية، أغلب المحن تبدأ كبيرة ثم تصغر تدريجيا ويجرفها التيار، وحده «الطلاق» بالنسبة للمرأة يظل هو الألم الذي يتزايد ويتجذر في النفس يوما بعد يوم.

مشكلات الحياة التي نواجهها هي بمنزلة محفزات النمو التي تدفعنا للمزيد من النضج وهي الخبرة الواقعية التي تعمق نفوسنا وتفتح نوافذ جديدة للخصوبة والثراء، لكن «الطلاق» تحديدا يتفرد بطعمه اللاذع الحار، ذلك لأنه ضربة توجه للأساس.

أساس الحياة الزوجية التي عاشت المرأة في ظلها وأثمرت خلالها البنين والبنات، وأساس هويتها الخاصة، فالجميع يعرفها بأنها «زوجة الأستاذ»، كانت هي وهو وجهان لعملة واحدة إذا فصلناهما صارت العملة بلا قيمة، كانت هي وهو سقف الحماية للأبناء وانهار السقف على رؤوسهم، كانت ذمتهما المالية واحدة، كانت تقول «أنا وأنت واحد وكله للبيت وللأولاد» الآن صارا اثنين، ندين، متخاصمين، وصار الأبناء هم ساحة الصراع والنزاع بينهما، إذ يحاول كلاهما جذبهم في اتجاهه.

في كل يوم تسجل خسارة جديدة وشكلا من أشكال الألم، لم يعد الاصدقاء المشتركون يرحبون بها وحدها، وصار الجيران أكثر تحفظا معها، كانت تجيب عن وضعها الاجتماعي بثقة وشيء من الفخر «متزوجة» الآن تتجاهل السؤال واذا اضطرت لتسجيله في أوراق رسمية فهي- لدهشتها- تخفي الورقة وتسلمها للموظف مطوية، ولم تعد تجد بسهولة شخصا يشاركها أفراحها وأحزانها، سواء يوم نجاح ابنها بتفوق أو يوم إجراء ابنتها لجراحة عاجلة، اتصلت بكل الأحباب وجدتهم جميعا مشغولين بأحوالهم ولم تجد من يهتم حقا ومن قلبه سواها.

ما كان يؤرقها أكثر من كل شيء هو الذكريات، أين تذهب بذكرياتها؟ لقد اكتشفت أنها تقريبا نسيت حياتها قبل الزواج، أما ما بعد الزواج فكلها مواقف تجمعها به، دائما معا على الحلوة والمرة، لم تفهم تماما ما ترمي إليه تلك الكلمات إلا اليوم، فهمتها بخبرة الألم، تلك الخبرة التي تخترق اللحم والعظام وتصب عصارتها في الدم.

نجهد أنفسنا ونعكر صفو حياتنا كثيرا بإصرارنا على التقييم، فلان أخطأ في كذا يجب أن نعاقبه ونقص درجاته وكأننا مازلنا في المدرسة، يحاسبنا الخالق عز وجل على السيئة بمثلها أما الحسنة فبعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولله المثل الأعلى، لماذا لا ننقص درجة مقابل الإساءة ونعطي على الأقل درجتين مقابل الإحسان؟

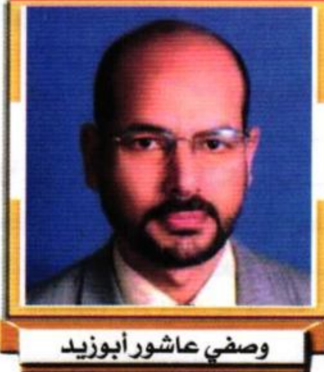
لماذا لا نترك التقييم والحساب لله سبحانه ونكتفي بالتعامل العادل المتسامح معا كبشر نخطئ جميعاً ونصيب؟ لماذا عندما نقرر الطلاق نحسب نقاط الضعف ونحصي العيوب فقط ونعتبر صفقتنا على هذا الأساس خاسرة؟ المفروض أن نحسبها بالعكس، فنحدد نقاط القوة والمزايا وغالبا سنجدها هي الكفة الراجحة.

نتسرع ونتجاهل سؤالا رئيسا يقول: وماذا بعد؟ وما البديل؟ لو كان البديل رجلا آخر فكيف تضمنين تجربتك الجديدة معه؟ ولو كان البديل هو الوحدة، فأنت بلا شك خاسرة، وإذا كان ما يتعبك في حياتك الزوجية هو بعض الألم على الرغم من الحفاظ على تماسك الأسرة واستقرار الأبناء، فإن ما بعد الطلاق هو تفكك الأسرة وتشتت الأبناء والمزيد من الألم، يتفرد زوجك وحده بميزة تجعله هو الأنسب والأفضل من بين كل الرجال، هذه الميزة الفريدة أنه هو أبو أولادك، ضعي تحتها خطوطا كثيرة، ولا تتخذي قرارا في لحظات الغضب، واذا كنت تفكرين فعليا في الطلاق فأعيدي قراءة هذا الموضوع.



حديث القرآن عن العلاقة الزوجية .. إعجاز وبيان

ورد في العدد الماضي خطأ في مقدمة هذا المقال نظراً لتداخل مقالين لذا نعيد نشره كاملاً مرة أخرى ومعذرة للقراء


وصفي عاشور أبوزيد

للفقهاء والأصوليين حديث عن الزواج تغلب عليه اللغة القانونية؛ لغة الحقوق والواجبات، ولغة الأحكام الشرعية، حيث الوصف بالحل والحرمة ونحو ذلك، وللدعاة حديث أيضا تغلب عليه روح الإصلاح، واستدامة الحياة، واستبقاؤها بين الزوجين، في غير نسيان للتذكير بالحقوق المتبادلة بينهما، وسبل تفعيلها.

وقد وجدت في القرآن مذاقا خاصا وطعما حلوا ومعاني متفردة حين تحدث عن الزواج، ذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ، وتلك العلاقة العجيبة.. فكيف تحدث القرآن عنها؟

١- الزواج آية من آيات الله تستحق التفكر، قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...﴾ (الروم: ٢١)، فهل هناك أسمى من أن يجعل الله الزواج آية من آياته تستحق التفكر والتدبر والتأمل لما فيها من عجائب وغرائب يلحظها كل سليم الفطرة عميق الفكر بعيد النظر؟! أما أصحاب الفطر المطموسة المنكوسة فليسوا من ذلك في شيء؛ ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

٢- الزوجة مخلوقة من نفس الزوج، كما في آية سورة الروم السابقة ﴿من أنفسكم﴾ وكما في قوله تعالى ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (النساء: ١) وقوله ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة...﴾ (الأنعام: ٩٨) فانظر إلى دلالة: ﴿منها﴾ فهي توحي بأن الزوجة جزء من الزوج، والزوج جزء من الزوجة، فكأن الأصل أن هذه العلاقة غير قابلة للانفصال إلا إذا انفصل الجزء عن الكل، أو انبتر العضو من البدن، وهو ما لا يتصور إلا بمرض خبيث، نسأل الله العافية.

وأيضا فيها دلالة أخرى، وهي أن المرأة من طينة الرجل، فيها ما فيه من ضعف ونقص وخطأ، فلا ينبغي أن يفترض فيها الكمال، والأمر كذلك بالنسبة له، إنهما من الطينة نفسها.

٣- الزواج سكن للزوجين، كما في قوله تعالى ﴿... وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف: ١٨٩) وقوله ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ (الروم: ٢١) وجعل هذا من آيات الله تعالى، وهذا محسوس ومشاهد في الحياة العملية للأزواج الأسوياء.

وفي كون الزواج سكنا للطرفين يجعل كلا منهما متمسكا بهذا السكن، وهل يفرط في السكن عاقل أو سوي؟! إضافة إلى ما في بنية الكلمة ﴿لتسكنوا﴾ من راحة وروح واطمئنان وهدوء تسكبها في النفس حروف الهمس في الكلمة.

٤- المودة والرحمة بين الزوجين فعل إلهي، قال تعالى ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) وما دلالة هذا؟

إن من دلالاته أن الله تعالى يريد لهذه العلاقة أن تقوم، وأن تستمر؛ سكنا للزوج، وسكنا للزوجة، ورحمة ومودة متبادلة، ومراعاة للحقوق، وتحقيقا للوفاء لذلك تولاها الله بنفسه وأنشأها جعلاً إلهياً خالصا.

٥- الزوج لباس للزوجة والزوجة لباس للزوج، قال تعالى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) هل في هذا التعبير من جمال أو فوائد؟! الجواب: نعم، بلا شك، فهو تعبير يوحي بأن كلا منهما حريص على الآخر كما يحرص المرء على لباسه، ولنا أن نسأل هنا: ما وظيفة اللباس؟ إذا تدبرنا وجدنا أن وظيفته تتلخص في ثلاثة أمور: الحماية، والستر، وإبراز الحسن. فكأن القرآن يريد أن يقول لنا: إن الرجل حماية لزوجته من الرياح الهوج، ومن أتربة الحياة، وزعازع الدهر، وأنواء الزمان، وكذلك المرأة حماية لزوجها في أسراره وماله وأولاده وعرضه وشرفه، وإن كلا منهما يجب أن يكون سترا على الآخر، فلا يبرز عيوبه إلا على سبيل الإصلاح والتجويد والتحسين، لا من باب التشهير والتجريح والإساءة، فإن هذا يتعارض مع هذا التعبير اللطيف.

٦- الزوجات حرث للأزواج، قال تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم...﴾ (البقرة: ٢٢٣) فكلمة الحرث تجعل الزواج رمزا للنماء والبركة لا وسيلة للفقر كما يصوره المفلسون، وهو معنى صرح به القرآن، واستخدام القرآن لكلمة الحرث تعبيرا عن الزواج استخدام بديع غير مسبوق، يجعل الخير المتوقع من الزواج كالخير المنتظر من الأرض التي لا قوام للحياة إلا بما تخرجه من زرع.

٧- الزواج ميثاق غليظ، قال تعالى ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء: ٢٠-٢١).

ولم أجد في الإسلام عقدا سمي ميثاقا، ثم وصفته النصوص بأنه غليظ سوى ميثاق الزواج، وكان كافيا أن يصف القرآن عقد الزواج بأنه ميثاق وعهد، فالميثاق كلمة فيها من القوة والتشابك ما يحول بينها وبين التفكك أو التحلل.

هكذا تحدث القرآن عن الزواج ، فهل هناك كتاب إلهي أو قانون بشري تحدث بهذا البيان؟!





الإعلامية كريمان حمزة :

تفسير القرآن بلغة سهلة وميسرة .. هديتنا للطبقة المنسية

منير أديب

لم يسبق أن قدمت سيدة تفسيرا كاملا لأجزاء القرآن الكريم في العصر الحديث أو حتى القديم، غير أن كريمان حمزة، الإعلامية المصرية، لها السبق في ذلك حيث يظهر تفسيرها «الواضح في تفسير القرآن الكريم للشبيبة والشباب» ، فيكون لها السبق أولا في دخول غمار هذه التجربة والتي لم تسبقها إليها امرأة على مر التاريخ، ثم تقديم تفسير سهل ومبسط للشباب من جهة أخرى، وهو ما تفتقده المكتبة الإسلامية، «الوعي الإسلامي» حاورت الإعلامية كريمان حمزة صاحبة الـ(٢٦) مؤلفا في المكتبة الإسلامية، أبرزها موسوعة سيد الخلق، عبارة عن خمسة أجزاء قدمتها للتعريف بالرسول الكريم للأطفال، وكتابها «تجربتي من السفور إلى الحجاب» وحول تفسيرها الجديد الذي تقدمه للأطفال وقضايا أخرى مثلت فيها كريمان تساؤلات عدة للقارئ العربي .. وإليكم نص الحوار، الذي استغرق أكثر من ثلاث ساعات.

■ **في البداية سألناها عن التفسير وماذا قدمت فيه من جديد؟**

فئة الشباب من أهم الفئات في المجتمع بشكل عام، لما لهذه الفئة من أهمية في بناء المجتمع، فهي تشكل الحاضر والمستقبل في آن واحد، هذا بخلاف أنه لا يوجد بالمكتبة الإسلامية تفسير للقرآن الكريم يقدم للشباب بلغة سهلة وميسرة، فالشباب الطبقة المنسية دائما، رغم أهميتها كما ذكرت سابقا، وهناك كثير من القضايا التي لابد أن يوجه إليها الشباب من خلال القرآن الكريم وتظل معقدة ولم يعالجها كثير من المفسرين بالطريقة التي يجب أن تعالج بها، مثل قضية الحب بين الشباب والعلاقات المحرمة وقضية الشذوذ الجنسي، فضلا عن الجهاد وقيمة هذه الفضيلة ومدى اقتناع الشباب بها، حاولت من خلال هذا التفسير أن أكون متميزة من خلال اللغة المقدمة أولا للشباب ومن خلال المضمون، وبفضل الله وفقت في تقديم مادة جديدة ومختلفة، وهذه كلها فتوحات، لدرجة أنني لم أجد وقتا لمراجعة ما كنت أكتبه من كثرة الفيوضات والفتوحات التي منّ الله بها عليّ.

■ **بماذا تميز تفسيرك عن غيره من التفاسير الموجودة بالفعل في المكتبة الإسلامية، خاصة وأن هناك تفاسير تميزت بالبساطة والوضوح؟**

– أنا لا أختلف معك مطلقا فيما تقول، فكل التفاسير الموجودة على الساحة تفاسير ميسرة، وبذل القائمون عليها مجهودا كبيرا ومشكورا في ذات الوقت، ولا شك أن الجميع مستفيد منها، وأنها سوف تظل نبراسا إلى يوم القيامة يهتدي بها الناس، ولكن التفسير الذي أقدمه مختلف بعض الشيء حيث يتميز بأسلوب ميسر فهو تيسير التيسير وبلغة يفهمها الشباب الآن في ظل تطورات الحياة المتلاحقة.

■ **كم يبلغ عدد صفحات التفسير، وهل سيخرج في شكل أجزاء، أم يكون جزء واحدا؟**

– التفسير وصل عدد ورقاته أكثر من ألف ورقة، راعيت ألا يكون طويلا وان تكون الخواطر فيه موجزة على غير ما هو موجود في تفسير مثل ظلال القرآن مثلا، حتى يناسب الشباب ويستفيدوا

منـه، ولعلمك هـذا التفسير لا يقدم للشباب فقط، وإنما يقدم للشبيبة أيضا، ومعروف أن الشبيبة هم المرحلة التي بين الصبا «الطفولة» والشباب «مرحلة انتصاف العمر»، والتفسير سيخرج خلال أيام للسوق، سوف يكون في جزء واحد كبير، ثم تخرج الطبعات التالية في أجزاء يجمعها مجلدات عدة.

■ كم أخذ التفسير منك من الوقت، وهل هناك أدوات اعتمدت عليها ساعدتك على إنجاز هذه المهمة التي يرنو إليها كثير من العلماء؟

- التفسير أخذ مني ثلاث سنوات انقطعت فيهم نهائيا لإنجازه، غير أنني في رحلة حياتي كنت أتعرض لهذه المادة من خلال القراءة، حيث قمت بتجهيز نفسي على مدار السنوات العشرين الأخيرة، أما عن الأدوات التي اعتمدت عليها فقد كانت كثيرة، وأغلبها كان في التفاسير السابقة مثل تفسير الوجيز للدكتور شوقي ضيف، والمنتخب الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي، ومختصر القاسمي لصلاح الدين أرقدان، والمختصر للشيخ حسنين مخلوف المفتي الأسبق للديار المصرية هذا بخلاف ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، وتفسير ابن كثير، والحلية، والبيضاوي.

■ هل هناك من لغة استخدمتيها في التفسير أو نمط كتابة كان غالبا على تفسير أغلب الأجزاء القرآنية؟

- أنا كتبت هذا التفسير بروح الأمومة، خاصة وأنني أكتب لشباب وأطفال، فكان الخط الفاصل بين التفسير والمعلومة، لغة يشم منها الحنان حيث كنت أميل كثيرا الى الحكاية والحدوتة، مع الاستعانة كثيرا بالأحاديث النبوية لتعضيد ما أقوم به، كما راعيت الناحية التربوية بأسلوب رشيق يستمتع به الشباب قبل أن يستفيدوا منه حتى يكون الإقبال عليه كبيرا.

روح الأمومة والحنان تغلب على أسلوب التفسير لتتماشى مع الطريقة الرشيقة والمقبولة لدى الشباب

■ قمت بتفسير القرآن الكريم، رغم أنك لست أزهرية وغير متخصصة في الدراسات الإسلامية؟

- بالفعل أنا خريجة كلية الآداب قسم الصحافة، ولست أزهرية، ولم أنل شرف أن أكون طالبة للدراسات الإسلامية، غير أنني أمارس الدعوة الإسلامية منذ (٣٨) عاما على يد أساتذة كبار وعلماء لهم وزن وقدر، فقد تلقيت على يد الشيخ العلامة د.يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبدالحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق، عليهما رحمة من الله، وغيرهم من العلماء الكبار، وأنا لم يخطر ببالي مطلقا أثناء عزمي على إتمام هذا التفسير كوني أزهرية من عدمه، ويكفيني شرفا إقدامي على مثل هذا المشروع الذي أراه شرفا يعلق في رقبتي في الدنيا والآخرة.

■ سوف تكونين أول سيدة تفسر القرآن الكريم، ألا تشعرين بالرهبة من جراء هذا السبق؟

- لا أخفيك سرا أنني بالفعل كنت أشعر برهبة غير عادية، فليس من السهل أن يتصدى المرء لتفسير القرآن الكريم، ولكنني أولا استحضرت النية بعد الاستخارة، وطلب العون من الله عز وجل، حتى كان التوفيق منه، وما فات يمكن إدراجه في الطبعات التالية، حتى يرضى الله عني ويكون هذا العمل نافعا لكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

■ هل من قيم خاصة ركزت عليها كريمان حمزة في تفسيرها وأرادت أن تصل للشباب؟

- بلا شك، قيم كثيرة، فقد كان تركيزي أكثر على القيم والأخلاق، فمجتمعنا اليوم يحتاج أكثر إلى إبراز هذا الجانب والتعامل معه بما يفيد، وقد كان تركيزي أكثر على بعض المعاني منها الحب في الله، الذي يشكل عصب العلاقة في المجتمع المسلم، حيث كان محور عمل كل الرسل، وقد حاولت التعامل كثيرا مع بعض المفاهيم المنتشرة بين بعض الشباب من خلال آيات القرآن الكريم، وقد ركزت كثيرا علي معاني الجهاد وغيرها، مثل بخس الناس أشياءهم والذي انتشر في العصر الحديث بين كافة قطاعات المجتمع.

■ هل لك من مشاريع جديدة بعد هذا التفسير، تقدمينها للأطفال والشباب؟

- هناك حلم بأن أقوم ببناء مسجد ملحق به بناية لعلاج الأطفال أصحاب مرض «التوحد»، ويكون علاج هؤلاء الأطفال من خلال الألوان، خاصة أنه لا يوجد في مصر مكان لعلاج هؤلاء الأطفال فتزداد حالتهم سوءا ويزداد أباؤهم سوءا بتدهور حالة أبنائهم، والألوان مع المسجد تعطي نوعا من الرحمة التي لابد أن يكون بابها مفتوحا لكل الناس وبخاصة من أصيب أبناؤهم بهذا المرض، فادعوا لي أن يعطني الله العافية، وأن يلهمني المقدرة، وأن يمكن لي من يساعدني في هذا المشروع الذي يخدم قطاعات كبيرة من الناس المحتاجة.

■ سمعنا أنك أرسلت خطابا لجاك شيراك عندما منع طالبتين مسلمتين من دخول الجامعة بسبب ارتدائهما الحجاب؟

- بالفعل أرسلت خطابا لجاك شيراك وقتها أوجه له اللوم أولا، وأوضح مدى التناقض الذي تنطلي عليه إدارته في محاربتها للحجاب، وكان مجمل خطابي ردا على تساؤل طرحته، كيف تمنعون الحجاب؟ والسيدة مريم البتول هي أول من ارتدته، وأنتم تعترفون ذلك من خلال ما ترسمونه من صور، رغم أننا لا نسلم بهذه الصور، هذا والقرآن الكريم يقول ان الله فضل مريم على نساء العالمين.

معالم المنهج الإسلامي

بدر محمد بدر

يقدم لنا المفكر الإسلامي د.محمد عمارة في هذا الكتاب تصورا أوليا لإنتاج مشروع فكري حضاري، يحتاج إلى حوار علمي وفكري وأصولي من المفكرين والفقهاء، بهدف الوصول إلى رؤية أوضح وصياغة أشمل وتصوير أدق لمعالم «المنهج الإسلامي» الحقيقي، لأن فهم معالم هذا المنهج هو المدخل الحاكم الذي يفضي إلى إمكانية صياغة «الإسلام» كمشروع حضاري بديل، وهو- أيضا- الذي يهيئ للعاملين بالحقل الإسلامي أسباب وضع البرامج الإسلامية في الميادين المختلفة.

يرى المؤلف أننا في الفكر الإسلامي لسنا بإزاء منهج واحد، بل «مناهج إسلامية عديدة» تشترك في إسلاميتها، لكنها تتمايز دون أن تتغاير أو تتناقض، بتمايز العلوم والفنون والآداب الإسلامية، المصطبغة بصبغة الإسلام.. هو إذن منهج «فكر» الحياة الإسلامية، الرباني المصدر، الإنساني الموضوع، الذي يمثل معيار الإسلامية للحياة، بما فيها من علوم وفنون وآداب مختلفة.

وقد اختار د.عمارة فترة خلافة الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كحقبة تاريخية وبيئة واقعية، كي يستخلص منها معالم تطبيقات هذا المنهج الإسلامي، مع الاستئناس بامتداداتها، فكرة ونصوصا ومواقف، لأن تطبيقاتها للمنهج الإسلامي لم تكن تحت قيادة المعصوم ﷺ، حتى لا يقول قائل إنها لا تصلح للقياس، وأيضا بسبب خصوصية الالتزام بالمنهج في تلك الفترة قبل أن تطرأ عليه الطوارئ، وكذلك بسبب خصوصية اكتمال بناء الدولة الإسلامية في أرض الواقع في تلك المرحلة من نشأتها.

التوحيد أبرز سمة

ويقول المؤلف إن «التوحيد» هو أبرز سمات المنهج الإسلامي، التي تنهض بالدور الأول في صياغة الإنسان المسلم كي يكون حرا، وتشكل شهادة «لا إله إلا الله» ونداء «الله أكبر» الطاقة العظمى والدائمة الفعل في تحرير الإنسان، وإطلاق طاقاته الفاعلة من أسر الغرائز والشهوات والماديات.. لقد كان التوحيد- ومازال- هو سبيل هوية الأمة، ومن ثم توحيد موقفها الفكري في العقائد والشرائع وفي الثوابت والأصول والأركان.

وموقع «الإنسان» من هذا المنهج الإسلامي هو مكان «الخليفة» عن الله سبحانه، المحكوم بإطار تكليفه بعد الاستخلاف، الذي هو- أي التكليف- في الجوهر والحقيقة المنهج الإسلامي، فالإنسان ليس هو محور الكون، ولكنه خليفة لله، وهنا تتجلى وسطية الإسلام، و«الإنسان» في المنهج الإسلامي هو أفضل المخلوقات، لكنه أيضا واحد منها، تحكمه السنن والقوانين التي أودعها الله في الطبيعة، وهذه السنن والنواميس تحكم العالم منذ ما قبل وجود الإنسان على الأرض.

وتتعدد وتتسع وتتنوع سبل الوعي والمعرفة ضمن منهج الإسلام وشموله لكل ميادين المعرفة، فلا يقف عند النزعة المادية أو الباطنية، لكنه يستنفر العقل كي يعمل في تحصيل الوعي والمعرفة، من خلال سبل وأدوات منها: النظر والتدبر والتعقل والبينة والبرهان... الخ، وبهذا المنهج كان العلم في الإسلام سبيلا لتنمية مخافة الله وخشيته وتقواه، وبالتالي كان صادق الثمرات والنتائج.

ويرى المؤلف أن «الوسطية» هي المعلم الثاني من معالم المنهج الإسلامي، ويقول إنها تعد بحق أخص ما يختص به المنهج الإسلامي عن المناهج الأخرى، وبها انطبعت الحضارة الإسلامية، في كل القيم والمعايير والأصول والمعالم.. إن الوسطية الإسلامية هي الفطرة الإنسانية السليمة، في بساطتها وبداهتها وعمقها، إنها صبغة الله، أراد سبحانه لها أن تكون صبغة أمة الإسلام، وأخص خصوصيات منهج هذا الدين.

وبهذه الوسطية لم يعرف الفكر الإسلامي التناقض، الذي لم يجد حلا بين الروح والجسد أو بين الدنيا والآخرة، أو بين الدين والدولة، أو بين المادية والمثالية...الخ، لقد مثلت هذه الوسطية عند من التزموا بها في الفكر الإسلامي طوق النجاة من هذه الثنائية وتمزقها.

ويستعرض د.محمد عمارة في إطار معلم «الوسطية الإسلامية» الكثير من القضايا والعناوين، التي شغلت المفكرين والفلاسفة في الغرب والشرق، بينما كانت واضحة في المنهج الإسلامي، مثل قضايا: الفكر والمادة والعلاقة بينهما، وكذلك الجبر والاختيار، واكتمال الدين وتجديده، والعلاقة بين النص والاجتهاد، وكذلك بين الدين والدولة، وبين الشورى البشرية والشريعة الإلهية، وأيضا العلاقة بين الرجل والمرأة وبين الفرد والطبقة والأمة، ليصل في النهاية إلى تأكيد «تمايز» الإسلام عن الفلسفات الأخرى، برؤيته «الوسطية» التي حلت الكثير من الإشكالات، التي عانى منها الفلاسفة والمفكرون عبر الزمان.

التربية الجمالية

ويتناول المؤلف معلما آخر من معالم «المنهج الإسلامي» وهو «التربية الجمالية» فيقول: إن «الجمال» الذي يظن البعض مخاصمة الإسلام إياه، هو بعض من آيات الله سبحانه

وتعالى التي أبدعها في هذا الكون، وأودعها فيه، وأينما يمم الإنسان بصره أو بصيرته أو عقله أو قلبه فإنه واجد آيات الله التي خلقها «زينة» للوجود، فليست المنفعة المادية فقط هي غاية خلقها وتسخيرها للإنسان، إذ الجمال والزينة كذلك منفعة محققة ولازمة أيضا للإنسان.

وإذا كانت «الحضارة» هي جماع إبداع الأمة في عالمي «الفكر» و«الأشياء»، أي في «الثقافة» التي تهذب الإنسان وترتقي به، وفي «التمدن» الذي يجسد ثمرات الفكر- في التطبيق والتقنية- أشياء وأدوات يستمتع بها الإنسان المتحضر، إذا كانت هذه هي «الحضارة» فإنها- كإبداع بشري- في المنظور الإسلامي وفي التجربة الإسلامية وثيقة الصلة بدين الإسلام، الذي هو «الطاقة» التي أثمرت توحيد الأمة وقيام الدولة والإبداع في كل ميادين العلوم والفنون والآداب.

وتنمية الإحساس الجمالي لدى الإنسان المؤمن هو تنمية للملكات والطاقات التي أنعم الله بها عليه، وإن في استخدام هذه الملكات سبلا للاستمتاع بما خلق الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال والشكر على نعمة خلقه لهذه الزينة ولهذا الجمال، فالمسلم إذن مدعو إلى الاتصال بالجمال، الذي هو البهاء والحسن في الفعل وفي الخلق، وإلى تنمية إحساسه بالجمال الذي أودعه الله في الكون، جمال الصور وجمال المعنى على حد سواء.

ويرى المؤلف أن حديث البعض عن «خصام» المنهج الإسلامي مع «فنون التشكيل» رسما ونحتا وتصويرا هو وهم من الأوهام، ويستعرض أدلته من القرآن والسنة وآراء الفقهاء، التي تجيز الحلال منها، ويقول: إن الإسلام لا يخاصم الجمال ولا يعادي فنونه، والمسلم الأمثل لا يمكن أن يكون ذلك المتجهم، الذي ينزع عن جماليات الحياة «مباركة الإسلام»، ولكن هناك المعايير الإسلامية، الاعتقادية والأخلاقية، التي يجب أن تحكم موقف المسلم تجاه هذه الفنون، حتى تظل مصدرا حقيقيا للخير والجمال في حياة الإنسان.

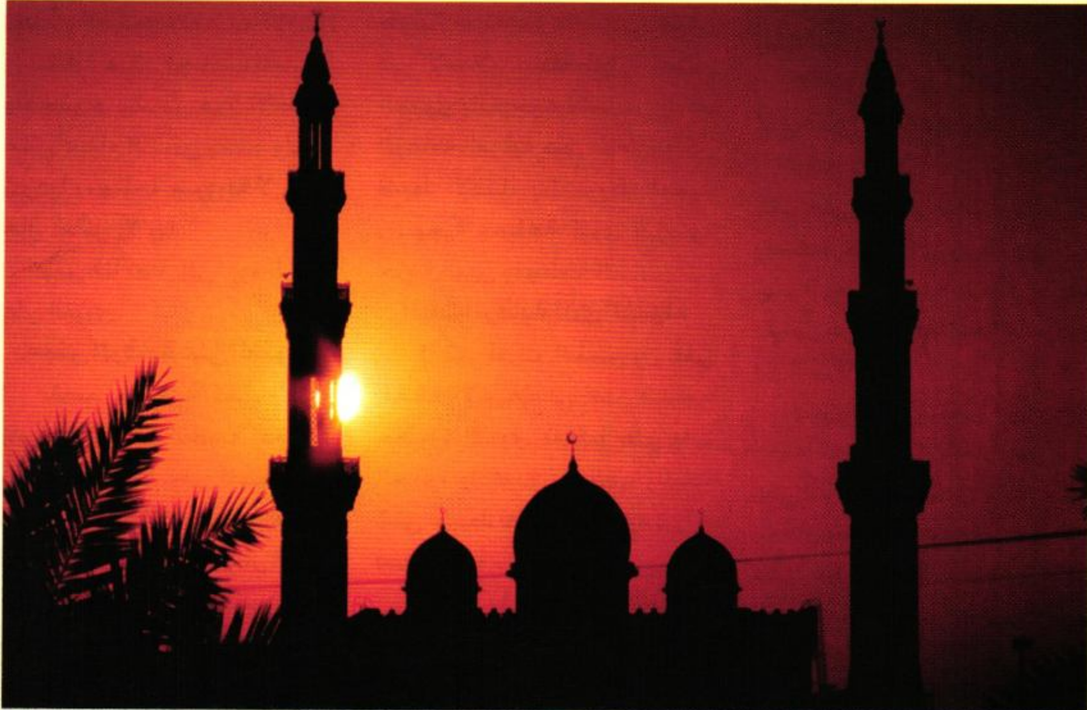
وإذا كانت المهمة الأولى للفنون الجميلة في حياة الإنسان، هي الارتقاء بروحه على درب الإدراك والاستمتاع بآيات الجمال الإلهي في هذا الكون، فإن الإسلام يتقدم على هذا الدرب خطوات أبعد، ليجعل من هذه الفنون سبيلا من السبل التي تصوغ «الإنسان الرباني» الذي يدرك معنى أن الله «جميل»، وأن «ربانية الإنسان» رهن بشوقه وتعلقه وسعيه على درب التخلق بالأخلاقيات الجميلة.. درب الوعي بالجمال الإلهي المبثوث في هذا الوجود، وأيضا الاستمتاع بلذات هذا الجمال!

الجهاد في سبيل الله

أما المعلم الأخير من معالم «المنهج الإسلامي» فهو «الجهاد في سبيل الله» لتطبيق منهج الإسلام، ذلك أن هذا الدين ليس نحلة فكرية أو مذهبا نظريا، وإنما هو عقيدة وشريعة يكتمل عندما يتحول إلى حياة معيشة وبناء قائم وحضارة متميزة في الممارسة والتطبيق، إنه رهن باللحظة التي لا نقف فيها مع القرآن عند مرحلة «التلاوة» وإنما يصبح بالجهاد حياة يحياها المسلمون.

ويقول د.محمد عمارة: إن مقام الجهاد- في رسالة الإسلام وتكاليف الأمة ومعالم المنهج- في الذروة، وكما قال ﷺ «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد، وإذا كانت بعض الأمم قد اتخذت من «الرهبانية» النشاط العملي الذي جسدت به الدين، فانحصر بذلك، دينها في الأديرة والمغارات والرهبنة والرهبان، وماعدا ذلك دنيا لا علاقة لها بالدين، فلقد علمنا رسول الله ﷺ أن النشاط العالمي لأمة الإسلام هو الجهاد الإسلامي في مختلف ميادين الحياة، بل إن رهبانية هذه الأمة الجهاد، كما قال عليه الصلاة والسلام.

والجهاد، ككل معالم المنهج الإسلامي، فريضة طلائع هذه الأمة، عليها أن تستفرغ الجهد وتبذل الوسع في استخلاص معالم هذا المنهج (بالجهاد الفكري)، وأن تستفرغ الجهد وتبذل الوسع (جهادا) يضع معالم هذا المنهج في الممارسة والتطبيق، ولا يجب أن نقف عند حدود «التفقه» أي الفكر النظري، بل علينا أن نمارس الجهاد لتطبيق منهج الإسلام العظيم.



الرقابة على الفتوى وواجب المرجعيات الفقهية المعاصرة

الذوادي بن بخوش قوميدي

«الفتوى ركن عظيم في الشريعة»(١)، و«المفتي قائم في الأمة مقام النبي ﷺ»(٢)، وهو «نائب عنه في تبليغ الأحكام»(٣). والإفتاء هو التأطير الشرعي لأفعال العباد في كل زمان ومكان، وهو واجب كفائي منوط بذوي الأهلية الاجتهادية والكفاءة العلمية، ولا حق فيه ولا حظ للدخلاء والغرباء والمتطفلين. ولقد فُتح باب الاجتهاد في عصرنا الحاضر على مصراعيه، بعد أن جَهدَت أجيالٌ من العلماء المجددين في الدعوة إلى تنشيط حركة الاجتهاد الفقهي، ليستوعب الحاجة الفقهية الملحة في واقعنا المعاصر، بيد أن انفتاح باب الاجتهاد أمام المتأهلين له لم يمنع من دخول كثير من المتطفلين الجرآء، المسارعين إلى اقتحام ما لا يحسنون وقول ما لا يدركون، إن بجهل أو هوى، فنتج عن ذلك نتائج سلبية كثيرة

وعلى خلاف كل الصنائع والعلوم والفنون التي لا يقوم عليها إلا المتأهلون، ولا يدخل أبوابها إلا المتخصصون، فإن علوم الدين- ومنها مجال الفقه والفتوى- بقيت دون حراسة من قانون ولا رقابة من سلطان.

ومن هنا تجرأ كل من عَنَّ له رأيٌ أو ظهرَ له نظرٌ في فهم الدين أو تفسير نصوصه، فجهر به، أو سوَّد به الصحائف، غير آبه للمسؤولية المترتبة على رأيه أو فتَوَاه، ومن غير احترام للتخصص الذي أصبح اليوم من مسلمات المنهج العلمي المقبول.

وقد نبتت في واقعنا نوابت شتى لا ترعى للفتوى حرمة، ولا للعلماء مقاما، تسارع في الإفتاء، وتسابق فيه الفقهاء، ولا تبني فرعا على أصل، ولا تتهيب من تحريم ولا تحليل، وتخبط خبط العشواء، فتميل ذات اليمين وذات الشمال، على غير هدى ولا ميزان اعتدال، ولا تبالي أن توقع الغرِّيرينَ والسُّذَّج من الناس في تشديد وإفراط أو تسيُّب وانفراط.

وإن عصرنا- كما لا يخفى- هو عصر التنظيم والتقنين الذي يضبط كل مناحي الحياة، تحقيقا لمصالح الأفراد والمجتمعات، وإن لاستقرار الجانب التشريعي بالغَ الأثر في استقرار سائر جوانب الحياة في المجتمع، وعليه فإن تقعيد الفتوى وتنظيم الإفتاء وإحاطة هذا الجانب الحيوي بالاحترام، وفرض هذا الاحترام على عوام الناس يغدو واجبا شرعيا ومصلحة ضرورية لا يصلح حال الناس إلا بها.

ومن هنا نصل إلى لزوم الرقابة على الفتوى.

المتطفلون ساهموا في الجراءة على أهل العلم والتشويش على عوام الناس ومناقضة سلم الأولويات وإثارة التفرق المذموم

معنى الرقابة على الفتوى

نقصد بالرقابة على الفتوى إشراف الهيئات الفقهية المختصة محليا وعالميا على الممارسات الاجتهادية لكل من يتصدى للإفتاء، من أجل ضمان السير المنتظم لحركة الفتوى، لتسير على سنن الحق والاعتدال، ومن أجل منع المتطفلين الذين لم يُحصِّلوا أهلية الاجتهاد حتى لا تُتَّخَذَ الفتوى هواية لكل أحد.

وفرض الرقابة على الفتوى لا يعني احتكارها من طرف طبقة معينة من الناس، فليس في الإسلام سلطة بابوية تحتكر الفتوى والتوجيه لتمارس بذلك الزعامة الفوقية على الناس، ولكن ضبط الإفتاء بالشروط العلمية والمنهجية مصلحة كبرى تفرضها حرمة الدين ومصلحة العباد.

آليات الرقابة لدى الفقهاء

ولقد أدرك الغيورون على الفقه الإسلامي- من قديم- خطورة الفتوى فوقفوا على باب الحذر، واعتمدوا أساليب وآليات شتى لضبط نظام الإفتاء، يمكن أن نسجل منها ما يأتي:

١- اختيار المفتي للاطمئنان إلى كمال أهليته

كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من كان في طريق التأهل للفتيا، حتى إذا حصل الاطمئنان على أهليته لهذا المنصب من كل الجوانب الخلقية والعلمية والمنهجية أذنوا له بمباشرة الإفتاء.

ذكر الإمام أبو الحسن الماوردي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر بالحسن البصري وهو يتكلم على الناس، فاختبره فقال له: ما عماد الدين؟ فقال: الورع. قال: فما آفته؟ قال: الطمع، قال: تكلم الآن إن شئت(٥).

وكان من موازين انتقاء أهل الإفتاء ملاحظةُ اجتهاد المفتي وآرائه وتقويمها من أهل الخبرة الممارسين، فإذا قلت أخطاؤه، أذن له في الإفتاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا كثرت إصابة المفتي وأفتى في عدة مسائل بخلاف السنة لم يمنع من الفتوى مطلقا»(٦).

٢- الإنكار على المفتي الذي لا يحسن الفتوى

وقد شدَّد العلماء النكير على من يتولّى الإفتاء وهو لا يحسنه، حتى قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن- شيخ الإمام مالك: «لَبَعْضُ من يفتي ههنا أحقُّ بالسجن من السُّرَّاق»(٧).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شديد الإنكار على من يفتي الناس وليس بأهل لذلك، حتى إنه كان يحتسب عليهم ويَزَعُهُم عن هذا التكلف لما لا يحسنون، فلما قال له أحدهم: «أَجُعِلْتَ محتسبا على الفتوى؟ قال له: يكون على الخبازين والطباخين محتسبٌ ولا

يكون على الفتوى محتسب؟!»(٨).

وصدق الإمام ابن تيمية في هذه الموازنة، فإن شأن الفتوى ليس بأهون من شأن الخبز والطبيخ، وإن سلامة الأديان لاشك أولى من سلامة الأبدان.

وفي مقارنة الإمام الكاساني الحنفي بين ضرر المفتي الماجن وضرر الطبيب الجاهل شاهد آخر لموازنة الإمام ابن تيمية السابقة، يقول الكاساني رحمه الله: «المفتي الماجن يفسد أديان المسلمين، والطبيب الجاهل يفسد أبدان المسلمين»(٩).

والمفتي الماجن «هو الذي يعلم الناس الحيل الباطلة، وقيل: الجاهل الذي يفتي عن جهل ولا يبالي أن يحرم حلالا أو يحل حراما، والماجن هو الذي لا يبالي ما صنع»(١٠).

ومُعتمد المفتي الماجن في ذلك الشُّبَهُ الباطلة والتأويلات الفاسدة، وغرضه إرضاء الناس بما يشتهون.

والمفتي الجاهل والمفتي الماجن كلاهما لا يصلح لمنصب الإفتاء، ومن لا يصلح للإفتاء يجب منعه منه(١١).

٣- الاحتساب على المفتين

ويبدو أن التطفل على الفتيا لم يسلم منه زمان، ولهذا استدعى تدابير وإجراءات احتياطية وعلاجية، فنجد ذلك عند أوائل المنظرين لنظام الإفتاء من قديم، إذ لم تقف جهود العلماء عند الإنكار والزجر باللسان، بل تعدت ذلك إلى تدخل الدولة بالتشريع الملزم والعقاب الملجم، من خلال نظام الحسبة(١٢).

ونظام الحسبة هو الإنكار الرسمي لما يقع من انحرافات في شتى مجالات الحياة، والاحتساب على المفتين فرع من الاحتساب العام، وهو النظام الذي يظهر فيه التعاون بين جهود العلماء وسلطة الحكام، حراسة لمقاصد الشرع ومصالح الخلق.

والاحتساب على المفتين يبدأ بإنكار أهل العلم، وينتهي بتأديب السلطان.

٤- تضمين المفتي الضرر الحاصل من فتياه

لقد نص المنظرون لنظام الإفتاء من قديم أن المستفتي (وهو العامي) إذا عمل بفتيا المفتي فحصل منه تلف أو ضرر، فإن المفتي يتحمل مسؤولية التعويض عن الضرر، إذا ظهر أن خطأه كان من قبيل المخالفة للأدلة والأحكام القطعية، هذا إذا كان المفتي أهلا للفتوى أما إذا لم يكن أهلا لها فإن البعض يحمل المسؤولية للمستفتي لتقصيره في تقليد من لم يكن أهلا للإفتاء، والبعض الآخر يحمل المسؤولية للمفتي ويكلف ضمان ما أتلف بفتواه «لأنه تصدى لما ليس له بأهل، وغر من استفتاه بتصديه لذلك»(١٣).

٥- التعزير البليغ والزجر الشديد

ومع الضمان نَصَّ الفقهاءُ أيضا على أن من تَسَوَّرَ منصب الإفتاء دون أهلية فإنه يلزمه التعزير البليغ والزجر الشديد

مسؤولية الجماهير

ومع أن الرقابة الواعية من جماهير المسلمين لها في أغلب الأحيان الحكم العادل على من يتصدى للإفتاء وتمييز من هو أعلم وأقوم إلا أن سهولة انخداعهم تجعلنا نخاف على مسار الإفتاء والتوجيه، وقد شهد واقعنا المعاصر- شهادة عدل- على وقوع كثير من الانحراف بسبب فتوى، دون أن يفطن عوام الناس إلى مآلاتها الضارة.

مسؤولية العلماء

والتعويل الأكبر يقع على العلماء، لأن الحكام والعوام- في واقعنا المعاصر- قليلو العلم، ضعيفو الفهم، لا يضطلعون بما يضطلع به العلماء، في مجال الفقه والإفتاء، ولا يدركون حيثيات المنهج السليم الذي ينبغي الاحتكام إليه في ضبط الفتوى وتمحيص الصواب من الخطأ.

وبالنظر إلى انشغال الحكام وسهولة انخداع العوام فإن التعويل الأكبر يبقى على المرجعيات الفقهية، ممثلة في المجالس والمجامع الفقهية العالمية والمحلية، فهي من ينبغي أن تراقب الفتوى فتنظر في ممارسة المفتين أفرادا وجماعات، بما لها من سلطة معنوية، وإذا أضفنا إلى ذلك سلطة الإلزام القانوني والقضائي التي يكفلها الحاكم أمكن أن نجنب الفتوى الكثير من المزالق والانحرافات، سواء بالتنبيه للغافلين والجاهلين، أو الزجر للسفهاء والمتماجنين، أو الردع للجرآء المغرورين.



هوامش

(١) المنخول من تعليقات الأصول، لأبي حامد الغزالي، ص٤٦٢ . تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر - دمشق ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) الموافقات في أصول الفقه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ج٤، ص٢٤٤، تحقيق الأستاذ عبد الله دراز، طبعة دار المعرفة - بيروت.

(٣) السابق، ج٤ ، ص٢٤٥.

(٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت٤٢٠هـ)، ص ٩٦٢. تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية . بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، ج٢٧، ص٣١١، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية- الرياض.

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم، ج٤، ص ٢٦٢، حققه وعلق عليه وعمل فهارسه عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه حسان عبد المنان دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٧) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت٥٨٧هـ)، ج٧، ص ٩٦١. دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

(٨) المبسوط، لشمس الدين السرخسي (ت٤٩٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - ج٢٤، ص١٥٧، بتصرف يسير.

(٩) انظر: نظام الإفتاء، د. عبد الكريم زيدان، ص ٨٥. دار البعث - قسنطينة - الجزائر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥هـ.

(١٠) الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. انظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لأبي الحسن الماوردي، ص ٠٦٢.

(١١) صفة الفتوى، لابن حمدان الحنبلي، ص٣١ .

(١٢) قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الحنفي، ص٦٦٥. الصدف ببلشرز - كراتشي - باكستان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(١٣) الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، ج٣، ص١٥٤، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

(١٤) السابق، ج٣، ص ٥٥١.

الظواهر تؤكد قرب نفاد صبر كوكبنا على سوء معاملة البشر له

الأرض تغرق!

صالح محمد صالح



هكذا بدت الصورة على كوكب الأرض اعتبارا من عام ٢٠٠١ بسبب التغيرات الجذرية التي حدثت في المناخ منذ ذلك الوقت... تسارع في ذوبان القطبين الشمالي والجنوبي، فيضانات عارمة، حرائق مهولة، جفاف ومجاعات قاتلة، أعاصير مدمرة وأمواج عاتية، بيوت مهدمة وأسر مشردة، دموع ومآس وأحزان، وللمرة الأولى في تاريخ هذا الكوكب يتفق علماء كثيرون وسياسيون على أن السبب في هذا التردي المتزايد في الحياة على ظهر الأرض هو تسارع ظاهرة الاحتباس الحراري، خاصة بعد اكتشاف أن التيارات البحرية التي تلطف الأجواء في نصف الكرة الأرضية الشمالي بدأت تتباطأ وقد تتوقف مما قد يؤدي إلى دخول نصف الكرة الشمالي في عصر جليدي مصغر فيما يعاني النصف الجنوبي من ارتفاع كبير في درجات الحرارة، مما يحمل إنذارا لكل سكان هذه الأرض لتدارك الوضع أو مواجهة مستقبل مجهول.

من شنغهاي في الصين أطلقت هيئة مستشاري تغيرات المناخ IPCC التابعة للأمم المتحدة تحذيرا حادا حول احتمالات زيادة التغيرات المناخية الناتجة عن ظاهرة الاحتباس الحراري بصورة أسرع بكثير من المتوقع، وقد أثار هذا التحذير جدلا واسعًا، ليس فقط في الأوساط العلمية، بل أيضاً في الأوساط السياسية، حيث أصدر الاجتماع الذي حضره أكثر من ١٥٠ عالمًا و٨٠ عضوًا لجماعات البيئة من ٩٩ دولة تقريرًا يؤكد أن المتسبب الرئيسي في زيادة درجة الحرارة على سطح الكوكب هو التلوث الهوائي الناتج عن الأنشطة الإنسانية المختلفة وأن استمرار معدلات انبعاث غازات الصوبة الخضراءGreenhouse gases وعلى رأسها ثاني أكسيد الكربون في مستواها الحالي قد يعني كارثة محققة، حيث يحتمل زيادة درجة الحرارة ١٠,٥ درجات مئوية عن معدلها الحالي مع نهاية هذا القرن، مما يعني النقص الشديد في موارد المياه العذبة نتيجة لتبخرها وارتفاع مستوى المياه في البحار والمحيطات، نتيجة لذوبان الثلج في الأقطاب المتجمدة بمعدل قد يصل إلى عشرة أقدام مما سيؤدي إلى غرق معظم الدول الساحلية.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١) وربما نعجب عندما نعلم أن هذه النتائج التي وصل إليها ١٥٠عالما من مختلف الاختصاصات تحدّث عنها القرآن في آية واحدة، فتأملوا معي هذه الآية الإلهية الرائعة، يقول تبارك وتعالى:

١- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الحديث عن ظاهرة الاحتباس الحراري وقد سماها القرآن بالفساد لأنها فعلاً أفسدت البيئة والتربة والنبات والإنسان والحيوان في البر والبحر.

٢- ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ هذا إخبار بأن الناس هم المسؤولون عن هذا الفساد وهذا الاحتباس.

٣- ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ وهنا حديث عن نوع من أنواع العذاب ليعتبر الناس ويعودوا إلى بارئهم ورازقهم ليرفع عنهم هذا العذاب. فعندما تجف المياه وتقل مصادر المياه العذبة بسبب هذا التلوث وعندما تكثر الكوارث الطبيعية وأهمها الأعاصير مثلاً، وعندما تتلوث الرياح تصبح الأمطار حمضية، محملة بغاز الكبريت غير صالحة لا للسقاية ولا للشرب فجميع هذه الأشياء هي نوع من العقاب من

الله تبارك وتعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا.

٤- ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وهنا البشارة من الله تعالى أن هناك إمكانية لأن يعود الغلاف الجوي للأرض كما كان، وهناك إمكانية لتنظيفه وإعادة التوازن إليه، وهذا ما ينادي به علماء البيئة اليوم.

أسباب الظاهرة

ويمكن تعريف ظاهرة الاحتباس الحراري Global Warming على أنها الزيادة التدريجية في درجة حرارة أدنى طبقات الغلاف الجوي المحيط بالأرض، كنتيجة لزيادة انبعاثات غازات الصوبة الخضراء greenhouse gases منذ بداية الثورة الصناعية، والتي يتكون معظمها من بخار الماء، وثاني أكسيد الكربون، والميثان، وأكسيد النيتروز والأوزون، وهي غازات طبيعية تلعب دورا مهما في تدفئة سطح الأرض حتى تمكن الحياة عليه، فبدونها قد تصل درجة حرارة سطح الأرض ما بين ١٩ درجة و١٥ درجة مئوية تحت الصفر، حيث تقوم تلك الغازات بامتصاص جزء من الأشعة تحت الحمراء التي تنبعث من سطح الأرض كانعكاس للأشعة الساقطة على سطح الأرض من الشمس، وتحتفظ بها في الغلاف الجوي للأرض، لتحافظ على درجة حرارة الأرض في معدلها الطبيعي.

ومن المؤكد أن نظام المناخ على كوكبنا أكثر تعقيدًا من أن تحدث الزيادة في درجة حرارة سطحه بهذه الصورة وبهذه السرعة، فهناك العديد من العوامل الأخرى التي تؤثر في درجة حرارته؛ لذلك كان هذا الجدل الواسع بين العلماء حول هذه الظاهرة وسرعة حدوثها، لكن مع تزايد انبعاثات تلك الغازات وتراكمها في الغلاف الجوي ومع مرور الزمن بدأت تظهر بعض الآثار السلبية لتلك الظاهرة؛ لتؤكد وجودها وتعلن عن قرب نفاد صبر هذا الكوكب على معاملتنا السيئة له.

إن بعض المناطق على سطح الأرض بدأت تلمس ظاهرة الاحتباس الحراري بشكل درامي، فبعض الجهات في النصف الشمالي تشهد أعاصير مدمرة وفيضانات عارمة أو موجات برد وعواصف ثلجية غير مسبوقة، في حين تضرب موجات جفاف طويلة جدا ونقصا فادحا في مصادر المياه في النصف الجنوبي من الأرض، ويتفق العلماء على أن الوضع سوف يزداد سوءا في السنوات القليلة المقبلة خاصة في بعض

الدول الصناعية مطالبة بالحد من انبعاثات الكربون بنسبة كبيرة بحلول منتصف القرن الحالي وعلى الدول النامية التكيف مع التغير المناخي

المناطق الجافة أصلا والفقيرة، خاصة في إفريقيا على سبيل المثال التي سوف تشهد ارتفاع موجات الهجرة البشرية من اللاجئين بسبب مجاعات تأكل الأخضر واليابس، كما يؤكدون على أننا لو واصلنا السير على النهج الحالي ولم نتخذ إجراءات صارمة لخفض انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون فإننا لن نستطيع الحياة على هذا الكوكب مع نهاية القرن الحالي.

اتفاق كيوتو

وفي سياق المساعي التي جرت والمعالجات التي اقترحت خلال المؤتمرات الدولية المنعقدة لهذا الغرض وقعت ١٩٥ دولة عام ١٩٩٧على الاتفاقية التي عرفت فيما بعد باسم مدينة كيوتو اليابانية على خفض جماعي لانبعاث الغازات الضارة بالبيئة بمعدل يزيد على خمسة بالمائة، لكي تكون التغيرات التي تطرأ على المناخ ضمن حدود يمكن تحملها والتأقلم معها.

يذكر أن العديد من العلماء يرون أن اتفاقية كيوتو بداية متواضعة وأنه يفترض أن يبلغ الخفض خلال خمسين سنة نسبة ستين بالمائة لكي تبقى التغيرات المناخية ضمن الحدود المقبولة، وقد أعلن الرئيس الأميركي باراك أوباما اخيراً إنشاء منتدى للطاقة والمناخ يضم ١٧ من أبرز القوى الاقتصادية في العالم، يهدف إلى معالجة قضية الاحتباس الحراري الناجمة عن الانبعاثات الصناعية السامة التي تهدد البيئة العالمية، في إطار الأمم المتحدة. كما يسعى نائب الرئيس الأميركي الأسبق آل غور لحض البرلمانيين الأميركيين على إعادة القيادة الأميركية في مكافحة التغيرات المناخية.

بداية فكرة جديدة

توجد الآن حركة جديدة ترى بأن السبب الرئيسي في زيادة درجة حرارة الأرض هو الرياح الشمسية، حيث تؤدي تلك الرياح بمساعدة المجال المغناطيسي للشمس إلى الحد من كمية الأشعة الكونية التي تخترق الغلاف الجوي للأرض، والتي تحتوي على جزيئات عالية الطاقة تقوم بالاصطدام بجزيئات الهواء، لتنتج جزيئات جديدة تعد النواة لأنواع معينة من السحب التي تساعد على تبريد سطح الأرض، وبالتالي فإن وجود هذا النشاط الشمسي يعني نقص كمية الأشعة الكونية، أي نقص السحب التي تساعد على تبريد سطح الأرض وبالتالي ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض.

ويرى أصحاب هذا الفكر أنه أكثر منطقية وأبسط تبريرًا لارتفاع درجة حرارة الأرض، وأنه عند انخفاض هذا النشاط الشمسي المؤقت ستعود درجة حرارة الأرض إلى طبيعتها، بالتالي يرون ضرورة توفير المبالغ الطائلة التي تُنفق على البحث عن وسائل لتخفيض نسب انبعاث ثاني أكسيد الكربون؛ حيث إنهم مهما قاموا بتخفيض نسبه فلن يغير هذا من الأمر شيئا طالما استمر النشاط الشمسي؛ حيث إن الإنسان مهما زاد نشاطه على سطح هذا الكوكب فلن يكون ذا تأثير على النظام الكوني الضخم الذي يتضمن النظام المناخي للأرض؛ لذلك من الأفضل استخدام تلك الأموال في تنقية هواء المدن المزدحمة من الغازات السامة، أو تنقية مياه الشرب لشعوب العالم الثالث.

تحذير

حذر خبراء في برنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة من احتمال أن يؤدي التغير المناخي إلى نزاعات داخلية جديدة واضطرابات إقليمية وحروب تضرب بشكل أساسي بلدان المغرب العربي وجنوب آسيا والساحل الشرقي الإفريقي، ويقول التقرير إن التغير المناخي قد يؤدي إلى مخاطر أمنية تضرب مناطق عديدة في العالم. ومن أهم هذه المناطق منطقة الشمال الأفريقي (المغرب العربي) حيث يمكن أن يؤدي نقص المياه والمحاصيل الزراعية مع الارتفاع المستمر في أعداد السكان وضعف الحلول السياسية والقدرة على حل المشاكل إلى زيادة احتمالات حدوث أزمة سياسية، وضغوط تدفع إلى مزيد من الهجرة للخارج، ويشير التقرير أيضا إلى أن ارتفاع درجة الحرارة قد يؤدي إلى ارتفاع منسوب مياه البحر المتوسط وإغراق دلتا وادي النيل في مصر بالمياه المالحة التي تفسد الأرض الزراعية، أما منطقة جنوب آسيا التي تشمل الهند وباكستان وبنجلاديش فهي عرضة لمخاطر نقص المياه الذي يمكن أن يهدد حياة ملايين البشر.

معاني البناء في قصص شهداء أُحُد

د. نبيل فولي

منح الله الإنسان حريته في أن يختار بين الهدى والضلال، وقد اختار كثير من الناس- وإن لم يكونوا أكثر البشرية- جانب الهدى، ووُفقوا بفضل من الله للسير عليه، وهؤلاء الذين اختاروا الهدى طريقًا تفاوتت درجات تمسكهم به، وتباينت عطاءاتهم العملية في خدمته والتضحية من أجله، ولعل الشهيد في سبيل الله هو من الواقفين في الصفوف الأوَل من أهل الله عطاءً وتضحية.

لأجل هذا لا يُعَد الشهيد في سبيل الله خسارة تخسرها الأمة المسلمة، مع ما في الموت من مُصاب وفَقْد، فالشهيد رابح، وأمته التي تنتفع بتضحيته رابحة أيضًا، لكن لن يكون دم الشهيد ذا ثمن عند أمته إلا بأن يفهموا المغزى العميق لتضحيته، فالذي يبيع راحته، ويكابد الأهوال، ويعرّض نفسه لأسباب الهلاك، بل يفقد بالفعل ما يُعَد فقده مانعًا من التمتع بأي نعيم مما في الدنيا، وهو الحياة نفسها.. هذا الإنسان يشير بعطائه هذا إلى أن ما ضحى في سبيله هو شيء عظيم، ويستحق أن يُضحَّى من أجله، وهو دين الله وشريعته، ويشير أيضًا إلى أن الفوز الحقيقي للإنسان ليس في أن تطول حياته في الدنيا، ويمر من طفولته إلى شبابه وكهولته ثم شيخوخته المتقدمة والمتأخرة، وإن بقي أثناء ذلك قوي البنية موفور الصحة، ولكن الفوز هو في ربح الآخرة والظفر برضا مَن خَلق الحياتين: الأولى والآخرة، الفوز هو في قيمة ما نأتيه من العمل فوق ظهر الأرض، لا في طول أيامنا وسنواتنا فيها.

والموت في سبيل الله ليس حادثًا متهورًا يرتكبه إنسان يطلب الموت لمجرد الموت، بل هو نوع من البناء في طول الحياة وعرضها، هو نشاطٌ مادته الخام روح الشهيد، وحياةٌ خيوط نسجها من دم الشهادة.

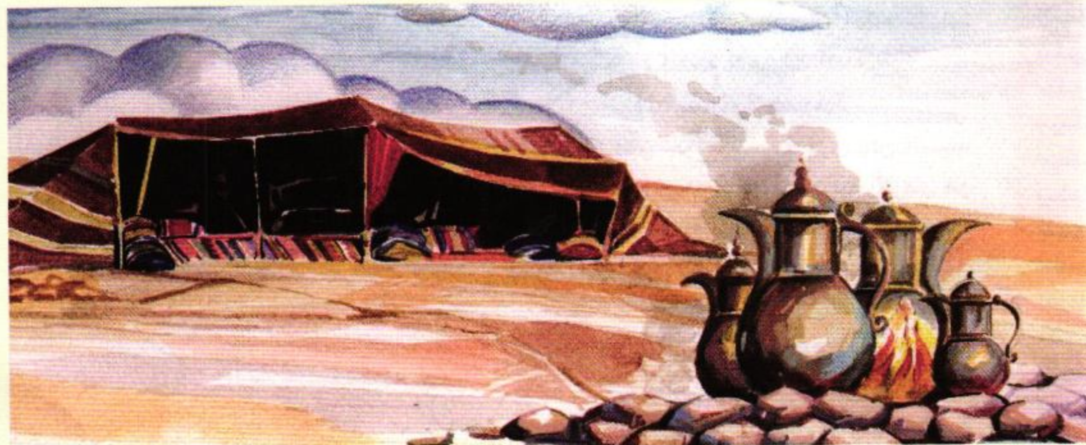
الشهادة في سبيل الله موت ظاهري تُصنَع به الحياة الحقيقية، لا لصاحبه فقط، ولكن له ولأمته على السواء.

وما دامت الشهادة في سبيل الله مساهمة من صاحبها في البناء، فلابد أن يكون للبناء هنا معنى أوسع من المعنى المادي المتداوَل له، فيصير نشر العلم النافع- حسب هذه الرؤية- بناءً، وتربية النفوس على الاستقامة بناء، وترك الأثر الصالح ينتفع الخلق به بناء، كما يمسي تقديم الإنسان من نفسه أسوة صالحة للسائرين في دروب الحياة ومتاهاتها المُضِلّة من أروع أنواع البناء، فربما تشجع به الجبان، وعلت به همة الخامل، وتنبه به إيمان الغافل.

ومن هنا فإن معاني البناء التي قدمها شهداء عهد النبوة، وأُقيمت عليها أعمدة الدولة الإسلامية الأولى، تنوعت وتعددت، وأسهمت بشكل عملي في تشييد هذه الدولة وتقوية شوكتها، ومن هذه المعاني الرائعة- التي لا يكفي لاستقصائها مثل هذا المقال القصير- ما يلي:

١- لم ير كثير من شهداء الصحابة هذا العز الباذخ الذي بلغه الإسلام بعد حوالي عشرين عامًا من الهجرة مثلاً، ولم يروا الإسلام يشرِّق ويغرِّب في قوة وعزّ، وتصبح لغته وتشريعاته وعلومه هي الأنضج والأنضر في دنيا الناس، وأبناؤه هم الأوفر نصيبًا من العلم والخُلُق القويم والثروة. لقد عاش هؤلاء الأصحاب أصعب لحظات الإسلام دون أن يمهلهم الأجل حتى يروا دينهم ودعوتهم وأوطانهم وأمتهم في مقدمة الأديان والدعوات والأوطان والأمم شكلاً ومضمونًا، فعلّمونا بذلك أن المضحِّي الصادق لا ينظر إلى الغنيمة الدنيوية للنصر، بل ينتظر الأجرة على تضحيته من الله- عز وجل- ويحب الخير للناس وإن لم يستمتع به على الأرض.

هذا مصعب بن عمير يضرب لنا في ذلك مثلاً رائعًا، حيث مات



في أول الإسلام شهيدًا في غزوة أحد سنة ٣هـ، فكان من أحواله ما يُدهش ويُبهر، خاصة حين تُقارن بين حاله عند استشهاده وحاله قبل إسلامه، فهو في مكة الشاب المعْطار المرفَّه، الذي يُعرَف من طيب رائحته قبل أن يبدو مَرْآه للعيون، فما بالكم بثيابه ومتاعه وطعامه وشرابه؟! هذا العبد الصالح مات على هيأة أخرى لا تتفق مع حاله الأولى، عن خَبَّاب بن الأرتّ- رضي الله عنه- قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا (يجنيها ويقطفها)، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً، إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ (اسم نبات، مفرده إذخرة)»(١).

٢- والقيمة الثانية من قيم البناء التي قدمها شهداء غزوة أحد- رضي الله عنهم- هي إخلاص الشهيد في سبيل الله إلى آخر أنفاس الحياة، وهذا الإخلاص هو الذي يدعو صاحبه إلى أن يقدم أرقى ما عنده من الأداء الحياتي، وأثمن ما في حوزته من متاع الدنيا، يُصلح وقلبه يعشق الصلاح، ينشر الخير في جنبات الحياة منفعلاً به حريصًا على أن ينتفع به الخلق. وأمامنا نماذج متعددة من شهداء الصحابة في العهد النبوي لهذا الأمر:

وهؤلاء شهداء غزوة أحد جملة، يلقون ربهم، وتنتهي مهمتهم الدنيوية، لكنهم يأبون إلا

الموت في سبيل الله .. مادته الخام روح الشهيد وحياة خيوط نسجها من دم الشهادة

تجميل سيرتهم أكثر، فيقدمون لأهل الدنيا درسًا في الثبات والاستمرار، وعدم النكول عن الحق.

٣- ومن قيم البناء العظيمة التي تركها لنا شهداء غزوة أحد أن حياة المبادئ هي الأهم ولو متنا، ولهذا ذاعت بينهم هذه العبارة في غزوة أحد «موتوا على ما مات عليه رسول الله»، فحين أشاع المشركون في الغزوة



أنه ﷺ قُتل، انتهى أنس بن النضر- عم أنس بن مالك- إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل محمد رسول الله! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا كراما على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل(٢). وكأن الرجل العظيم أراد أن يَقْدُم على الله ومعه حُجّته بعدما ظن أن النبي ﷺ قد مات، وقضى أنس

بن النضر نَحْبَه دون أن يعرف أن رسول الله قد بقي بعده، وأنه استمر يتقدم بدعوته في طريق جللته تضحيات ابن النضر وإخوانه- رضي الله عنهم- تلك التي صنعت سياجًا حمى الدعوة الإسلامية حتى بلغ صوتها العرب والعجم.

٤- أما موت المستمسك الذي لا يتزحزح عن موقعه مهما جللته المخاطر وأحاطت به الأهوال،

فهو معنى آخر وقيمة بنائية أخرى سطّرها شهداء الصحابة في غزوة أحد، بل سجلها أكثر رجال هذا القرن المبارك، حتى من مات منهم على فراشه، وذلك أن حب الشهادة والبحث عنها كان روحًا عامة في هذا الجيل، وإن نالها بالفعل بعضهم دون بعضهم الآخر. ولأجل هذا لابد من التأكيد على أن الشهادة كانت «عشقًا» خاصًا لهم، لكنهم حرصوا على أن يفيدوا بهذا العشق أمتهم كأقصى ما يمكن الإفادة.

٥- ومن معاني البناء التي سُطِّرت بلغة الشهادة في غزوة أحد الإقدام على أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات، وعدم التردد في ذلك، فكان إقدامهم على تحمل أهوال الحرب والتنافس على ذلك أشد من تنافس أهل الدنيا على دنياهم، وهو ما تحكيه قصص كثيرة شهدتها ساحة «أُحُد».

لقد مثلت هذه المعاني الراقية أسسًا للنجاة الأخروية، وعمدًا لبناء النموذج الإسلامي في السياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع، وشتى جوانب الحضارة والحياة، وهي أمور موصولة في الإسلام بالأصل والاعتقاد الذي يسري في كل جزء من حياة المؤمن سريان الدم في عروق الإنسان.

وبعد، فقد بقي للشهادة في سبيل الله موضعها في الوجدان المسلم منذ وقعت هذه التضحيات المبكرة في عهد النبي ﷺ وبعده، وغدت ذلك نصوص رائعة من القرآن والسنة، ترفع قدر الشهيد، وتُعلي من قيمة الشهادة، إلا أن إحياء معاني الشهادة لا ينبغي أن يكون بمعزل عن هذه القيم التي ارتبطت باستشهاد هذه الكوكبة من الجيل الأول الذي رافق النبي ﷺ حتى تظهر الوظيفة الحضارية والبنائية للشهادة في سبيل الله، ويؤصَّل لها بصورة تزيدها إشراقًا، وتحول دون تشويهها.

هوامش

(١) صحيح البخاري: كتاب ٢٣ الجنائز، باب إذا لم يجد كفنا إلا ما يواري رأسه أو قدميه غطى رأسه.

(٢) الطبري: التاريخ ٢/ ٦٦.

العرب وهجرة العقول

أحمد إبراهيم

أكثر من ٢٠٠٠ مليار دولار خسرتها الدول العربية بسبب هجرة العقول والكفاءات النادرة في الوقت الذي تستعين فيه بخبراء من الدول الأجنبية في مختلف المجالات، فيما يعد خسارة مزدوجة فادحة لا زالت تداعياتها مستمرة حتى الآن، في الوقت الذي جنى فيه الغرب من وراء ذلك الكثير بينما يرفض تعويض ما يعرف بدول الجنوب عن استنزاف أبرز عقوله ومواهبه وكفاءاته.

هذا التقرير يرصد بالإحصاءات والأرقام والدراسات الرسمية أوجه وحجم الخسارة الفادحة التي تكبدتها ولازالت الدول العربية جراء استمرار تعرضها لنزيف حاد في العقول لم يتوقف حتى يومنا هذا، وللأسف لا يبدو في الأفق أي إمكانية لتوقيفه!

التسمية ذاتها للقضية تغيرت بما له مغزاه ودلالته، فقد كانت الظاهرة تعرف خلال الستينات باسم نزف العقول brain drain= وأصبحت اليوم تعرف باسم النقل العكسي للتكنولوجيا Reverse Transfer of Techin تعبيراً عن الخسارة في الكفاءات البشرية وما لها من مضمون تكنولوجي وانتقالها إلى العالم الصناعي المتقدم.

وباعتبار أن النقل العكسي للتكنولوجيا هو واحد من ثلاثة مظاهر لتدفق الموارد الاقتصادية بين الدول وهي (رؤوس الأموال، السلع، المهارات الإنسانية)، فإن الدول الفقيرة والنامية تخسر أهم عناصر التطور وهو الإنسان مع العجز عن وقف ذلك نظراً لخضوعها للعرض والطلب وتزايد حاجة الدول المتقدمة إلى هذا العنصر صاحب الجودة المطلوبة.

وحسب ما ذكره تقرير صادر عن أكاديمية البحث العلمي المصرية فقد تزايدت ظاهرة هجرة العقول والكفاءات بشكل لافت للانتباه بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت وما زالت لدول الشمال سياسة خاصة لاجتذاب الخبرات المهاجرة من مختلف الدول على أساس انتقائي وبتخطيط واع حتى بلغ الأمر خلال النصف الأول من السّتينات في الولايات المتحدة على سبيل المثال أن الأطباء والجراحين القادمين من الدول النامية كانوا يمثلون ٥٠٪ والمهندسين ٢٦٪ من مجمل القوة البشرية المضافة إلى الرصيد القومي من هذه التخصصات.

الغرب يحصل على أبرز كفاءات الدول الفقيرة مقابل المعونات التي يقدمها!

وتشير التقديرات حسب ما جاء بتقارير الأمم المتحدة إلى أن ثلاث دول من دول الشمال هي الولايات المتحدة الأميركية، وكندا، والمملكة المتحدة تستأثر بالنسبة الكبرى والتي تصل إلى ٧٥ ٪ من جملة التدفق في العقول والكفاءات المهاجرة من دول العالم النامي.

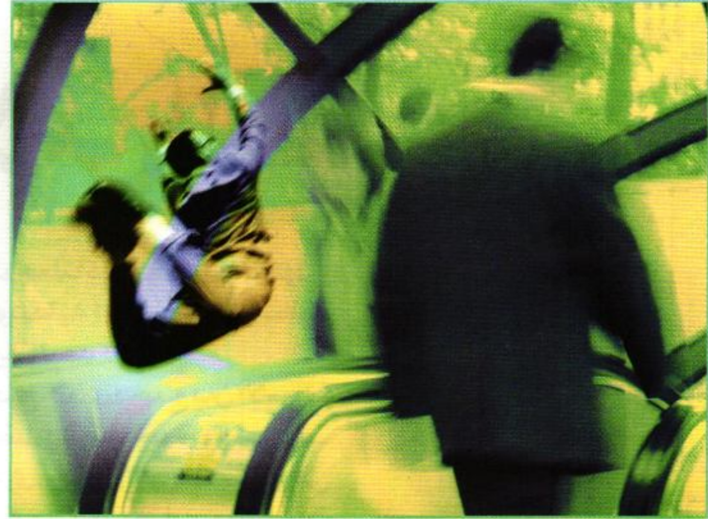
وتشير تقديرات مهمة توصلت إليها لجنة العلاقات الخارجية لمجلس النواب الأميركي إلى أن متوسط الوفر في نفقات التعليم والتدريب في الولايات المتحدة الأميركية نتيجة لهجرة كفاءات الدول النامية إليها يبلغ نحو بليون دولار سنوياً (أوائل السبعينات)، وقالت اللجنة إن هذه العملية تكاد تكون صورة عكسية للمعونة الأجنبية التي تتدفق من الدول الغنية إلى الدول النامية.

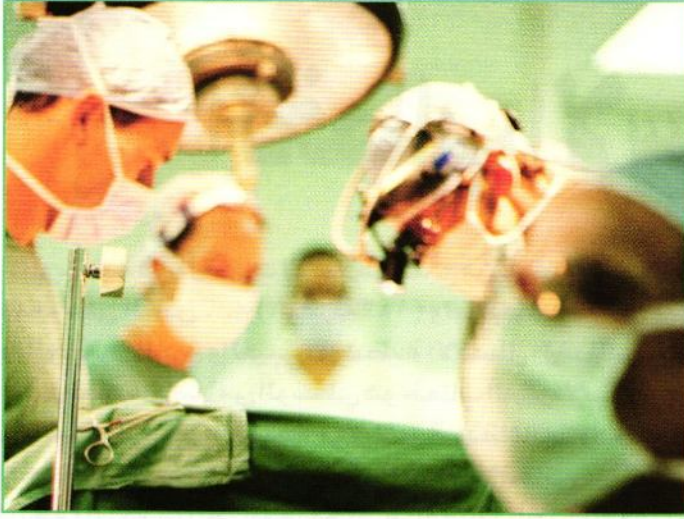
وتقول الحسابات التي توصلت إليها الأمم المتحدة إن حجم هذا التدفق لصالح الدول المتقدمة، فبالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، وكندا، والمملكة المتحدة على وجه الخصوص يكاد يتساوى في قيمته حوالي (٣,٥٠ بليون دولار سنوياً في الستينات وأوائل السبعينات) مع حجم المعونة الرسمية للتنمية التي تقدمها هذه الدول الثلاث مجتمعة إلى العالم النامي خلال نفس الفترة.

وتعتبر الخسارة الاقتصادية التي تتحملها البلدان المورّدة للكفاءات من أفدح الآثار المباشرة التي تترتب على هجرة الكوادر المتفوقة، وقد كشفت دراسة أميركية رسمية أن الولايات المتحدة الأميركية وفرت في عام ١٩٨٢ مبلغ ٨٨٣ مليون دولار في كلفة التعليم مقابل خسارة قدرها ٣٣٠ مليون دولار تحملتها الدول النامية وهو المبلغ الذي تم إنفاقه على تعليم تلك الكوادر العلمية والفنية المهاجرة.

أما فيما يتعلق بحجم خسائر دول العالم الثالث فقد قدرت منظمة (اليونكتاد) أنها خسرت في الفترة ما بين (١٩٦١- ١٩٧٢) ما مقداره ٥٠ مليار دولار نتيجة هجرة كفاءاتها للدول المتقدمة أي ما يعادل جميع مساعدات التنمية الرسمية الممنوحة لهذه الدول خلال الفترة نفسها من قبل الدول المتطورة.

بمعنى آخر فإن هجرة الكفاءات تمثل قوة معوضة للمساعدات الأجنبية وقد بلغت القيمة الاستثمارية المقدرة للأدمغة المهاجرة من الدول النامية إلى الدول المتقدمة ٥٠ مليار دولار كانت حصة الولايات المتحدة منها(٣٠ مليار دولار) فيما استحوذت كندا على(١٠ مليارات) منها.





ثلاث دول فقط تستنزف ٧٥٪ من جملة العقول المهاجرة من العالم الثالث

حرب استنزاف

وتشير أرقام إلى هجرة ما يقرب من ٧٥٠ ألفا من ذوي الكفاءات سنويًا إلى الخارج حيث تسود أوروبا موجة مقصودة من اجتذاب العقول، حيث تشير دراسات إلى أن القارة ستشهد انخفاضا في عدد السكان ومن هم في سن العمل والإنتاج وبالتالي فهي في حاجة لتعويض النقص المتوقع خلال الخمسين عامًا القادمة حيث تقول التقارير إن أوروبا بشكل عام تبحث عن مليون ونصف مليون متخصص لسد احتياجات مؤسساتها بينما يقدر العجز في العقول المتخصصة في الولايات المتحدة بـ ٣٤٦ ألف شخص.

وقد قرر الكونجرس الأميركي زيادة تصريحات الحصول على بطاقات الإقامة للمتخرجين الأجانب في مجال التكنولوجيا المتطورة من ٩٠ ألفا في السنة إلى ١٥٠ ألفا ثم إلى ٢١٠ آلاف في عام ٢٠٠١ وذلك بهدف تشجيعهم على البقاء في الولايات المتحدة وعدم الذهاب إلى بلادهم بعد حصولهم على خبرات كبيرة.

وتشير الإحصاءات إلى أن ٦٠٪ ممن درسوا في أميركا خلال العقود الثلاث الأخيرة لم يعودوا إلى بلادهم وكذلك الحال بالنسبة لأكثر من ٥٠٪ ممن درسوا في فرنسا.

وقد قامت بعض بلدان العالم الثالث بمبادرات في السبعينات في إطار الأمم المتحدة بغرض التوصل إلى إبرام اتفاقات دولية لتحجيم حركة الطاقة البشرية والمتخصصة المتدفقة منها إلى البلدان الصناعية الغربية والحصول على تعويضات مالية من الأخيرة لتغطية ما يلحق بالبلدان النامية من خسائر نتيجة هذه الهجرة إلا أن هذه المبادرات باءت بالفشل ورفضتها البلدان الصناعية.

كارثة عربية

وقد كشفت جامعة الدول العربية عن كارثة تهدد مستقبل الشعوب العربية حيث طالبت تقارير صدرت عنها اخيراً باستعادة علمائنا العرب في الخارج مشيرة إلى أن «إسرائيل» تفوقت في السباق العلمي مع العرب عن طريق إغراء العلماء الأوروبيين والأميركيين وتوطينهم داخل «إسرائيل» في الوقت الذي تتزايد فيه هجرة العلماء العرب للخارج وفشلت الدول العربية في استعادتهم حتى الآن.

وحذر تقرير صادر عن الجامعة في وقت سابق من خطورة الظاهرة على مستقبل الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية للدول العربية حيث بلغت خسارتها من جراء هجرة عقولها العلمية للخارج أكثر من ٢٠٠٠ مليار دولار، وذكر التقرير أن الدول الغربية هي المستفيد الأكبر من احتضان أكثر من ٤٥٠ ألف عربي من حملة الشهادات والمؤهلات العليا.

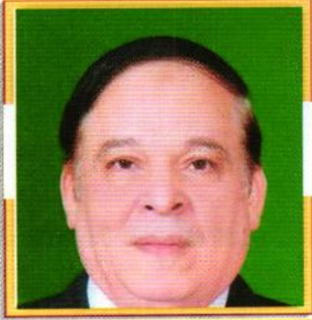
ومما يلفت النظر في الوطن العربي أنه في مواكبة ازدياد معدلات هجرة الكفاءات العربية إلى الغرب يزداد اعتماد غالبية البلدان العربية على الكفاءات الغربية في ميادين شتى، أي أن الدول العربية تتحمل بسبب ظاهرة هجرة العقول خسارة مزدوجة بضياع ما أنفقته على تعليم وإعداد تلك الكفاءات من ناحية واستيراد الكفاءات الغربية من ناحية أخرى.

وقد تنبهت دول عديدة إلى قيمة تجمعات مواطنيها المغتربين في دول الغرب ونجحت دول مثل الصين عبر تهيئة البيئة العلمية بها في استعادة الكثير من علمائها في الخارج، وكذلك تايوان التي أعادت حوالي ٧٥٪ من علمائها المهاجرين من خلال مشروع حديقة العلم التي أنشأتها عام ١٩٨٠، وهناك أيضًا الهند وتركيا وكوريا الجنوبية وباكستان وماليزيا وإندونيسيا وكلها دول نجحت في استقطاب كفاءاتها المهاجرة وحققت من ورائهم الكثير من المكاسب العلمية والتكنولوجية إلا أن الدول العربية بسبب تناثر جهودها وغياب خطة عربية واضحة تشجع علماءها المهاجرين على العودة إلى وطنهم الأمر الذي يمثل تحديًا خطيرًا أمامها لابد من تجاوزه إذا أرادت اللحاق بركب التقدم في القرن الحادي والعشرين .

الخطاب الإسلامي الصحيح

الوسطية في الخطاب الإسلامي تنبع من قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ...﴾ (البقرة-١٤٣) ولها أبعاد عديدة، منها الوسطية الفكرية، والوسطية بين الجانبين المادي والغيبي، ووسطية الاتصال الخطابي، ووسطية البعد الزمني.

فالخطاب الإسلامي الوسطي هو خطاب الفكر الإسلامي الصحيح، الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أي بين العقيدة الإسلامية وثقافاتها وأبعادها الحضارية من جهة وإيجابيات الإنجازات الحديثة والمعاصرة في الفكر الإنساني من جهة اخرى، ويميل إلى التيسير في معالجة المشكلات الحياتية، وخاصة القضايا الجديدة وما تتطلبه من آراء وفتاوى ومعالجات فقهية، ويدعو إلى فهم واستيعاب الإنجازات الفكرية الغربية الإيجابية لما لها من منافع، مثل: آليات الديموقراطية والمؤسسات المدنية، والتداول السلمي للسلطة، وينفتح على فكر الآخر من خلال المجادلة بالتي هي أحسن أو الحوار، ورفض استخدام العنف والاقتتال داخل الأوطان الإسلامية، ويرفض العنف ضد غير المسلمين ما لم يكونوا محتلين للأوطان، ويهتم بالفنون والآداب والجمال في إطار الضوابط الأخلاقية الإسلامية، قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾ (النساء ٦٩-٧٠).



د.محمد حجاب

وتنعكس الوسطية الفكرية على كل من الجانب النفسي والبعد الاجتماعي للفرد والمجتمع، فالخطاب الإسلامي يتوجه إلى الفرد باعتباره كيانا مستقلا له ذاتيته وإدراكه المتميز للأمور، حتى في العقيدة له الحرية الكاملة في الاختيار بين الإيمان وعدمه، وبين الخير والشر، وله القدرة على تهيئة الطرق لإنماء القوى الموجودة لديه وتوجيهها نحو الخير قال تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس:٧-٨).

وجاءت العبادات في فلسفتها لتقوية هذا الجانب في الإنسان، ولذلك يقول الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» البخاري ومسلم وغيرهما، لأن الصوم ينمي الإرادة الذاتية والخوف من الله، ويجعل للإنسان القدرة على السيطرة على شهواته ودوافعه الحيوانية، وذلك لحث الشباب على تنظيم غريزة الطعام، التي تعد أقوى الغرائز، ومن ثم السيطرة على الغرائز الأخرى وخاصة الغريزة الجنسية، وفي حديث الرسول ﷺ للشباب ما يوضح هذه الحقيقة، «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (رواه البخاري ومسلم وغيرها) وهذه المقاومة للغرائز هي نفسها الجهاد الأكبر الذي كان الصحابة يتحدثون عنه عقب عودتهم من الغزوات.

ولذلك، في ظل هذا الإطار أخذ الإسلام بمبدأ التكامل الوجداني بين جميع أفراد المجتمع لتحقيق الوسطية بين الفرد والمجتمع، من خلال صلة القلب بالقلب والعقل بالعقل والروح بالروح، لتسود في المجتمع الإسلامي روح المودة والمحبة، وبذلك تتحول الكثرة العددية إلى كيان واحد متكامل عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (رواه مسلم وغيره) وقال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات -١٠).



المادي والغيبي

استهدف الخطاب الإسلامي من خلال التوازن بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين مجتمعه، تحقيق الاخوة الإنسانية بين البشر جميعا، بهدف دفع البشر إلى التعامل مع بعضهم وفقا للقيم الأخلاقية كالعدل والتراحم والصدق والتعاون، بهدف إقامة مجتمع إنساني يشعر كل من فيه بالأمن على نفسه وماله وعرضه وأسرته.

ولأهمية الجانبين المادي والغيبي في تحقيق الاخوة باعتبارهما الإطار الذي يتعايش البشر جميعا من خلاله، فقد تضمن الخطاب الإسلامي الحقائق الآتية:

- العالم المادي بكل محتوياته من حياة نباتية وحيوانية ومادية كالجبال والأنهار والبحار والسهول والشمس والقمر، قد خلقه الله للإنسان ليكون في خدمته، وجعله مسخرا له ومجالا لبحثه ودراسته من أجل تمهيد الكون كله لما فيه خير الإنسان وسعادته قال تعالى

﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الجاثية-١٣).

- الإنسان خلقه الله من طين، أي من مادة، ومن عنصر آخر هو الروح التي كرمه الله لأجلها، وطلب من ملائكته عند خلقه أن يسجدوا له، ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر-٢٩)، ومن منطلق هذا التكريم حمله الله مسؤولية الاستخلاف في الأرض ليكون خليفة الله في الأرض ليعمرها وينشر فيها الخير ويصنع الحضارة قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾(هود-٦١).

والعمارة هنا لا تقتصر فقط على العمارة المادية أي الحضارة، وإنما عمارة الآخرة، ولهذا دعا القرآن الكريم إلى الاهتمام بعمارة كل من الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص-٧٧)، أي التوازن بين المطالب المادية والمطالب الروحية، ولهذا فإن الإنسان مطالب بالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر بكل ما فيه من الأمور الغيبية التي لا نعرف عنها شيئاً كالجنة والنار والحساب والثواب والعقاب، ولكننا علمناها مما جاء به الوحي وما أوضحه لنا الرسول ﷺ عن جوانب العالم الغيبى المختلفة.

وتتركز فلسفة الخطاب الإسلامي في تعميق الإيمان بالعالم الغيبي وموازنته بالعالم المادي حول تأكيد الجانب الخلقي الإسلامي، لوضع الفرد المسلم في أقصى درجة من الإثارة النفسية.

الاتصال الخطابي

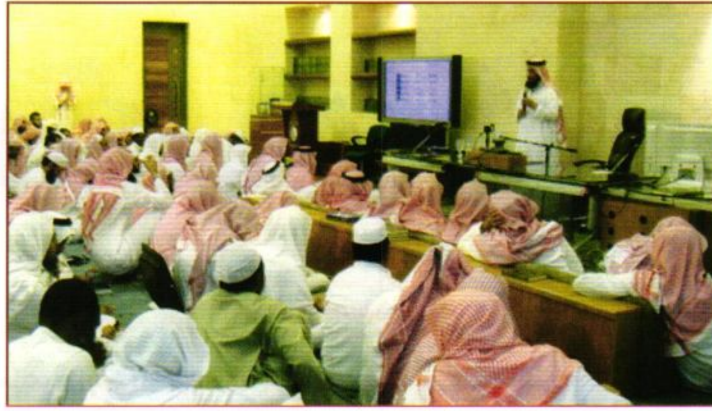
يوازن الخطاب الإسلامي في التعامل مع البشر بين طاقاتهم وقدراتهم الأساسية، وتتمثل الطاقة في كل ما خص به الإنسان من إمكانات لممارسة أنواع معينة من السلوك، أما القدرة فتعني الأفعال والتصرفات التي يستطيع الإنسان القيام بها، مثال ذلك أن الإنسان لديه طاقة لتعلم القراءة والكتابة، أما القدرة فتعني استطاعة القراءة والكتابة فعلا.

وقد راعى الخطاب الإسلامي في التكليف هذا التوازن بين القدرات والطاقات المختلفة، فجعل التكليف على قدرة الاستطاعة، قال تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (البقرة-٢٨٦).

وقد اهتم الخطاب الإسلامي بمبدأ الطاقات والقدرات الأساسية أي بمراعاة مقتضى الحال، فالقدرة على الفهم والاستيعاب لدى الناس تختلف من فرد إلى آخر، فالإسلام يأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي أن أوازن بين لغة الخطاب ومحتواه وأساليبه وبين القدرات المختلفة للناس على الفهم والاستيعاب، لأن الفرد في نطاق الخطاب الإسلامي كيان مستقل متكامل عليه مسؤوليات، ولكن له حقوق، ومنها حق المعرفة والعلم والدعوة بالقدر الذي يتفق مع إمكانياته وطاقاته وقدراته المنطقية والعاطفية والروحية.

كما تعني الوسطية في الاتصال الخطابي الإسلامي الموازنة بين عنصري عملية الاتصال المرسل والمستقبل أو الداعية والجمهور، فالقائم بالاتصال وهو يعد شروحه وتفسيره لقواعد الدين أو وهو يقدم تحليلات لمشاكل الحياة، أو وهو يحدد أهدافه محكوم في الكفة الأخرى بجمهور يقف أمامه، يتسم باليقظة والوعي لكل ما يقدم له، ومتنبه لأي خروج عن إطار الدلالة الإسلامية من قبل القائم بالاتصال ليوجهه ويرده، وهو الأمر الذي اتضح في المحاولة الأخيرة للدكتورة آمنة داود في أميركا، عندما أعلنت عن عزمها إمامة المسلمين في صلاة الجمعة، أذاعت وكالات الأنباء والفضائيات ذلك الخبر، فانبرى الجمهور، عامة ومتخصصين لمواجهة هذه البدعة لدرجة جعلتها لا تجد مكانا للصلاة إلا فى كنيسة وتحت الحراسة المسلحة.

فبهذه الوسطية أو التوازن الإعلامي الذين ضمنهما الإسلام لخطابه تتحقق وظائف الإعلام الإسلامي في المجتمع، فيزود القائم بالاتصال الجمهور بالمعلومات الصحيحة والحقائق السامية وفقا لمتطلبات الدين الإسلامي، لا وفقا لأهوائه، وميول المؤسسات الإعلامية التي يعمل بها، ويتحدد



الموازنة بين الماضي السحيق للبشرية والمستقبل البعيد للإنسان .. ضرورة للمعالجة الزمنية

هدفه في الموضوعية الهادفة التي تحقق الاستقرار للمجتمع.

كما أنه في إطار هذا التوازن الإعلامي يتحقق اهتمام شعور الإنسان بذاته كعقل ووعي مستقل، فلا يفرض القائم بالاتصال عليه فكره وآراءه ويسوقه إليها سوقا كما تفعل الدعاية وكما تفعل وسائل الإعلام الحديثة، أو تستغل غرائزه وعواطفه لفرض الإقناع عليه، لأن شعار الخطاب الإسلامي في التعامل مع الفرد المسلم نابع من قوله تعالى «لا إكراه فى الدين» (البقرة-٢٥٦).

وبهذا يصبح للجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية حق المراجعة وحق الضغط الاجتماعي على القائمين بالاتصال إذا خرجوا عن الأهداف السامية المعلنة التي أقرها الإسلام، ولذلك كان لإجماع الجمهور في الإسلام حق الحصانة لأنه الأمة تجمع على باطل.

البعد الزمني

وتحقق الوسطية هنا فى الخطاب الإسلامي بالموازنة بين الماضي السحيق للبشرية والمستقبل البعيد للإنسان ليرسم خطاه فى الحياة على هدي الاستفادة من تجارب الذين سبقوه من الأمم والأجيال، فيتعرف على المسيئين وعلى عاقبة أمرهم، فيتلافى أخطاءهم، وعلى جزاء المحسنين ليترسم هداهم، وليحدد لنفسه مستقبله المشرق، مدفوعا دائما إلى الأمام في كل عمل يقدمه، والمتأمل في تراثنا الإسلامي يجد مصداقا لهذه المعالجة الزمنية التي بدأت بنشأة الكون وخلق آدم والاستخلاف في الأرض ثم ما حكاه القرآن الكريم عن الأمم السابقة، الذين كذبوا الرسل وهؤلاء الذين اهتدوا بهداهم في كثير من الآيات، التي دعت المسلمين إلى التفكير والتدبر والسياحة في الأرض للتعرف على جوانب الماضي للعظة والعبرة، والعودة إلى النهج القويم.

العقوبات الجماعية في الفكر «الإسرائيلي»

د. رفيق حسن الحليمي

تشكل ظاهرة العقوبات الجماعية إبان الحروب والنزاعات حالة مرضية أقرب ما تكون إلى «الشذوذ» والانفلات من كل قيد، والخروج على مختلف الشرائع السماوية والقيم والأخلاقية والمواثيق الدولية وحقوق الإنسان في الحياة الكريمة، ولا تكاد تسلم أمة عبر تاريخ البشرية من مغبة الوقوع في هذه الجرائم «المحرمة»، باستثناء من أظلتهم العقائد الدينية السمحة وعملوا بها وامتثلوا لأوامرها ونواهيها، وتزودوا من معينها الصافي بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، والمثل العليا التي تحول دون الوقوع في تلك الجرائم إلى حد بعيد، إذ تعمل على كبح جماح المحارب وتقيده بقيود محددة وتمنعه من غلواء التطرف والتنكيل بالخصوم والمبالغة في العقاب الفردي والجماعي، حتى يسلم البشر والحجر، ولا يطال الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ والمتعبدين في بيعهم وصوامعهم ودور عبادتهم.

تتجلى هذه الأخلاقيات والقيم الإنسانية أو ما يسمى بـ «آداب الحروب» أكثر ما تتجلى في العقيدة الإسلامية بشكل واضح، ففي القرآن الكريم آيات بينات بهذا الخصوص، كقوله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل:١٢٦)، وقد حدد الأمر الإلهي في هذه الآية وغيرها بأن تكون العقوبة بمثلها فقط ولا زيادة فيها، وجعل في الصبر والعفو عند المقدرة مندوحة عن العقوبة، حتى للأسير في إساره وللمقاتل إذا استسلم، وفي الأحاديث النبوية ووصايا الخلفاء للقادة والمحاربين سلسلة من المبادئ والضوابط التي تشكل في مجموعها «آداب الحروب» وأخلاقياتها في الإسلام، وهي من الأمور التي تعلي من عظمة هذا الدين وتزيد من رفعته وشأنه، ولا يقدح في شأن هذه الآداب ولا يغض من قيمها الإنسانية بعض الحالات النادرة التي حدثت في بعض المواطن والمعارك، إذ لا تقاس الأمور «الكليات» بالمسائل النادرة والحالات القليلة الشاذة.

التوراة والعقوبة الجماعية

في التوراة- وتحديداً في الأسفار الخمسة التي تشكل الأساس للكتاب المقدس - حكاية بل حكايات لا يملك المرء إزاءها إلا الاقتناع بوضعها والزيادة فيها على الطريقة الإسرائيلية، إحدى هذه الحكايات تزعم أن تشكيم ابن أحد أمراء كنعان (وهو حمور أمير نابلس) وقع في حب «دينا» ابنة يعقوب عليه السلام، وكانت بينهما علاقة- كما جاءت في التوراة - يعف القلم عن سردها فطلب من أبيه أن يخطبها له، فعرض الأمر على يعقوب كما عرض عليه فكرة الزواج الجماعي من كلا الجانبين مقابل حياة كريمة مستقرة بدلا من حياة التنقل والترحال، وتعللوا بأن الكنعانيين لا يطهرون أولادهم وطالبوهم بالطهور الجماعي لأبناء الإمارة كلها... وقد تمت عمليات الطهور مع المبالغة في الحف عن عمد، فمرض أبناء الإمارة وأصبحوا مجهودين، وفي اليوم التالي دخل اثنان من أبناء يعقوب (ليفي وسيمون) وأعملا السيف في رقاب رجال الإمارة كلهم بمن فيهم شكيم ووالده، ونهبا ما وجداه من الموجودات والمقتنيات ثم فرا في جنح الظلام، وقد عاتبهما أبوهما على ذلك قائلا: لقد أحرجتماني (سفر التكوين عدد ٣٤).

قد تكون أحداث هذه الحكاية الأساسية حقيقية، رغم ما يلفها من تزييف واتهام لابنة نبيّ لكن تفسيرها على الطريقة الإسرائيلية واستنباط حكم معيّن تبنى عليه جرائم القتل الجماعي وتسوغ النهب والسلب هو المثير للغرابة، فهنا وهناك من الأحبار والمرجعيات الدينية اليهودية من وجدوا فيها مسوغاً للقتل الجماعي ونهب الأغيار، وبمعنى آخر: شرعنوا العقاب الجماعي دينياً، وهو ما يتنافى مع أخلاقيات الحروب وآدابها، مع جوهر التوراة أصلا التي تنص على عدم القتل: «لا تقتل لا تقتل»، وهل من ذنب اقترفه شكيم بن حمور إلا أنه أراد الزواج من ابنه يعقوب، وهو ما لا يرتضيه الأسباط لأنهم كانوا يرون أن الكنعانيين «أنجاس» كما جاء وصفهم في التوراة مرات عدة! وقد جاء العقاب الفحش والجرائم والقتل الجماعي بغطاء من «المعتقد الديني» لما لهذا الغطاء من تأثير روحي كبير في النفوس.

التاريخ يعيد ذاته

هاهو التاريخ يعيد ذاته، فأعلى مرجع ديني قومي لدى اليهود (موردخاي إلياهو) يبعث في أثناء الحرب على قطاع غزة برسالة إلى رئيس وزراء إسرائيل إيهود أولمرت، ولكل قادة إسرائيل يذكرهم بقصة المجزرة التي تعرض لها شكيم بن حمور، وفكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقاً لأخلاقيات الحرب، يقول «طبقاً لما ورد في التوراة فإن مدينة بأكلمها تحملت المسؤولية الجماعية عن السلوك غير الأخلاقي لأحد أفرادها»، ويضيف في رسالته «هذا المعيار

نفسه يمكن تطبيقه على ما حدث في غزة حيث يتحمل جميع سكانها المسؤولية لأنهم لم يفعلوا شيئا من شأنه أن يوقف إطلاق الصواريخ» (جريدة الراي 2009/1/18م)، وهو بذلك يسّوغ القتل الجماعي والسلب والنهب ويرده إلى أساس ديني توراتي، ليعطيه شرعنة مطلقة وسنداً قويا من الاعتقاد وهو بذلك يطللق يد اليهود لمزيد من التدمير وسفك الدماء، وما ذنب البشرية إذا كانت التوراة التي بين أيديهم الآن، ويستنبطون منها الأحكام وفق أهوائهم غير التوراة الحقيقية التي لم يمسسها التحريف المتعمد؟!.

انظر: كيف يشرعن الأحبار أخلاقيات الحروب، وكيف يسوغون العقاب الجماعي، وكيف يفترون على كتاب الله (التوراة) جملة من الأكاذيب والافتراءات؟! لاشك أن لهم في ذلك مآرب أخرى بادية للعيان.

الترويج للأساطير دينيا: أكثر من ذلك مازال أحبارهم ومرجعياتهم الدينية يروجون للأساطير والأباطيل على أساس من التوراة ونسوا أن

شرعنة العقاب الجماعي تتنافى مع جوهر التوراة وأخلاقيات الحروب وآدابها

العالم قد تغير وأننا في عصر الفضائيات، ولم تعد الأساطير التي يروجون لها تنطلي على أحد إلا على البسطاء والبلهاء، فالزعيم الروحي لحزب شاس وأبرز الحاخامات (الحكماء) الشرقيين عوفاديا يوسف يزعم أن امرأة حسناء ظهرت أمام جنود إسرائيليين في غزة وكانت تساعدهم في حربهم وإرشادهم إلى مكان ناشطي حركة حماس، ويقول: إن الأم راحيل والدة النبي يوسف (عليه السلام) جاءت لمساعدة جنود إسرائيل في غزة، ويقول: ظهرت امرأة جميلة شابة أمام الجنود الذين أرادوا أن يقتحموا منزلاً فيه ثلاثة من «الإرهابيين» وحذرتهم من الدخول، وسألها الجنود: من أنت؟ فردت: ولماذا الاهتمام بمن أكون، وهمست أنا راحيل، قيل: ولاحقاً تبين فعلاً وجود مقاتلين من حماس في المنزل!

هكذا أصبح ظهور حسناء تساعد الجنود وتحذرهم من متفجرات وكمائن بين أبرز الإشاعات التي انتشرت في إسرائيل بعد وقف الحرب، قيل: وسئل موردخاي إلياهو الحاخام الأكبر عن الاشاعة وظهور راحيل، فقال: هذا صحيح أنا أرسلتها!! (جريدة الراي 2009/1/27م).

هذه الإشاعة رغم سخفها تستند إلى فكر توراتي، فراحيل هي زوجة النبي يعقوب ووالدة النبي يوسف عليهما السلام ولها مكانتها في التراث الديني، وغالباً ما يذهب صانعوا الإشاعات إلى الدين، أو إلى بعض مظاهره ورموزه حتى يعززوا من شأن الإشاعة، وليتقبلها الناس من دون نقاش وليعتقدوا أنها حقيقة واقعة لا مراء فيها، فالجندي القاتل للطفل وللمرأة وللشيخ بحاجة ماسة إلى مسوغ أو سند يؤازره في جرائمه ويهون عليه ما يقوم به من تدمير وتقتيل وليس هنا أقوى من السند الديني كورقة رابحة وغطاء يستغله الأحبار لإيقاع العقوبات الجماعية ضد الأغيار، ويأتي اختيار سيدة «حسناء» ترشد الجنود وتساعدهم في حربهم للضرب على وتر حساس، حيث يكون الجندي في فراغ نفسي فيجد في الحسن متعة وفي الجمال متنفساً وفي المرأة تشوقاً وقد سمعنا أن بعض الجنود العرب كانوا يحملون في جيوبهم صوراً لبعض الممثلات والمغنيات، وكان الناس يطلقون على جيشهم جيش «فلانة» الممثلة.

قد يخطر على الفكر سؤال: لماذا لم ترشدهم تلك المرأة الحسناء إلى مكان الجندي الأسير وتحريره، وهذا أحد أهداف الحرب على غزة، ولماذا لم ترشدهم إلى منصات الصواريخ، ولماذا ولماذا؟ أسئلة كثيرة تطرح نفسها مع القناعة بأن الإشاعة كالأكذوبة قد تحقق الهدف المنشود في لحظة عابرة، ولكن عندما تتكشف الحقيقة وينجلي غبار المعركة لا يبقى للإشاعة ذكر ولا أثر، وغالباً ما يكون لها فعل سلبي وأثر عكسي، فينقلب السحر على الساحر ويرتد الكذب على الكاذب، تذكرنا هذه بإشاعة مماثلة سرت في أواخر السبعينيات وتحديداً بعد هزيمة ١٩٦٧م من القرن الماضي، وهي ظهور السيدة مريم العذراء وتجليها في بعض كنائس القاهرة والاسكندرية وقد انشغل الناس بهذه الاشاعة كثيراً، وسألت أستاذا جامعياً عنها فقال: نحن قوم مهزومون وقد وجدوا في ترويج هذه الإشاعة ما يشغل الناس عن التفكير في الهزيمة والواقع المؤلم.



صناعة الفقيه الاقتصادي بالمصارف الإسلامية

في ظل اتساع المعاملات الاقتصادية بين الأفراد، أو بين المؤسسات والدول، فإن المسلمين ليسوا بمعزل عن هذا الواقع، ولكنهم يخوضون غمار هذا العالم، وهم يستشعرون أن المعاملات المالية لها خصوصية في الشريعة الإسلامية تجعلهم حريصين على الحلال والحرام، ومن هنا انتشرت المصارف الإسلامية لتحقق أمرين: الأول، تلبية ضرورة عصرية لتسهيل تعاملات الناس المالية والاقتصادية، والثاني، أن تتسم هذه التعاملات المالية والاقتصادية بموافقة الشرع الإسلامي وعدم مخالفته، سواء فيما يتعلق بالبعد عن الربا أو صحة العقود والبيوع، أو تحقيق مقاصد الشريعة في المال.



عبدالحافظ الصاوي

نظرا لأهمية البعد الشرعي في عمل المصارف الإسلامية، وما يستتبعه الأمر من وجود اجتهاد في النوازل الاقتصادية الحديثة، التي فرضتها التجربة، أتت الدراسة الهامة للدكتور قطب الريسوني، أستاذ الفقه وأصوله بجامعة الشارقة لتعالج قضية تأهيل أعضاء الرقابة الشرعية بهذه المصارف للاجتهاد، فحملت الدراسة عنوان «نحو تأهيل اجتهادي لأعضاء هيئة الفتوى بالمصارف الإسلامية.. رؤية في تفعيل الممارسة الشرعية»، والدراسة بمباحثها الخمس، تقدم لنا ما يمكن أن نطلق عليه صناعة الفقيه بالمصارف الإسلامية.

ضرورة وجود الفقيه الاقتصادي

أشارت الدراسة إلى أن تجربة المصارف الإسلامية ليست حديثة عهد، ولكنها اكتسبت زخما جعلها ملء السمع والبصر، سواء في عالمنا العربي والإسلامي أو حتى في البلدان غير الإسلامية، ومن هنا كثرت الدراسات والأبحاث التي ترصد الظاهرة وتقومها، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الأبحاث والدراسات، وجود قصور في الناحية الشرعية الخاصة بالتعاملات المالية، وطالبت هذه الدراسات والأبحاث في معظمها بأهمية توافر الفقهاء المتخصصين في النواحي المالية من حيث العدد والكيف، بحيث يمكن تلبية حاجة المصارف الإسلامية من هذا التخصص، فضلا عن باقي المؤسسات المالية الإسلامية الأخرى مثل أسواق المال الإسلامية (البورصات) أو شركات التأمين التكافلي، أو الفنادق الإسلامية. ويؤكد الريسوني على أن حاجة المصارف الإسلامية- وغيرها من المؤسسات المالية والاقتصادية- تنبع من كون العديد من تعاملات هذه المؤسسات حديثة، وتطلب معرفة فقهاء الشريعة بمكوناتها الفنية حتى يمكنهم إصدار الفتاوى الخاصة بها، ومن هنا فتعامل الفقيه في قضايا المصارف الإسلامية يتطلب تمتعه بالحس الاجتهادي، وألا يكون فقيها تقليديا، يحفظ النصوص، ويسرد الأدلة، ولكن ينبغي أن يتصف بالقدرة على الإفتاء المبني على قواعد أصولية سليمة، تأخذ الواقع المعيش بعين الاعتبار، إذ



اشترط الأصوليون من علمائنا أن يلم المفتي بعلمين حتى تتوافر شروط الصحة في فتواه، وهما العلم بالنص الشرعي والدراية بالواقع، ولذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله «لا يصح لفقيه أن يقول في ثمن الدرهم ولا خبرة له بسوقه»، وكان من أهم أسباب تضارب الفتوى بين الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية في المسألة الواحدة، ذلك الغياب للمعرفة الاقتصادية والمالية، والاعتماد على ما يقدمه الآخرون للمفتين من تعريف أو توصيف للمعاملات المالية والاقتصادية، وبطبيعة الحال فإن التكوين العلمي لمفتي المصارف الإسلامية أتى من خلال مناهج وبرامج مؤسستنا التعلمية المعنية بالنواحي الشرعية، حيث يغلب عليها هذا الفصل بين العلوم الشرعية وباقي العلوم العصرية، وبخاصة الاقتصادية منها، وهو ما يجعل الفقيه المعني بالفتوى للمصارف الإسلامية يعتمد على إعادة تكوين خلفياته المالية والاقتصادية بعد أن ينهي تخرجه من المؤسسات التعليمية،

ويجد نفسه أمام واقع يُفرض عليه، ومما يشار إليه في هذا المضمار، أن من أكبر التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية، تلك الهشاشة في الإطار الحاكم على المعاملات المالية بالمصارف الإسلامية، ولاشك أن وجود هؤلاء المفتين الشرعيين في المصارف الإسلامية، هو مبعث ثقة الأفراد في شرعية تعاملات هذه المصارف، فعلى الرغم من تعدد التعريفات حول المصرف الإسلامي فإن مضمون هذه التعريفات ينصرف إلى أنه «مؤسسة تلتزم في معاملاتها المالية، ونشاطاتها الاستثمارية، بالشريعة الإسلامية أحكاما ومقاصدا، مع الالتفاف إلى تطلعات المجتمع الإسلامي إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية»، ومن هنا فالحاجة ملحة وضرورية لوجود الفقية الاقتصادي.

شروط الصنعة

ثمة اتفاق على أن من يعمل بالإفتاء بالمصارف الإسلامية، هو في حكم المجتهد، بسبب مستجدات التعامل المالي والاقتصادي، ولذلك فلابد أن تتوافر فيمن يتصدى لهذه المهمة امتلاك الأدوات المؤهلة للاجتهاد، والتي بلورتها دراسة الريسوني في الشروط الآتية:

١- اللغة العربية، لا يشترط فيمن يعمل بالإفتاء بالمصارف الإسلامية أن يكون إماما في اللغة العربية، ولكن يكفيه أن يكون ملما بما يسعفه في فهم النصوص الشرعية ومدلولاتها.

٢- أصول الحديث، وينبغي للمفتي أن يكون متقنا لهذا العلم، لمعرفة رتبة الحديث، من حيث الصحة والضعف، ليحسن الاستدلال في فتواه، فالأمر يتعلق بالحلال والحرام في المعاملات، وليس فضائل الأعمال من الترغيب والترهيب أو الأخلاق والآداب.

٣- أصول الفقه، وعلم الأصول من أساسيات الإفتاء في المصارف الإسلامية، لأن معظم القضايا هي من المستجدات التي لا يرجع فيها لنص، ولكن يعتمد المفتي بشكل كبير على القواعد الفقهية.

٤- علم المقاصد، وهو مما يصون النظرة الاجتهادية، ويساعد المفتي في تحقيق مراد الله عز وجل في حياة الناس، ويحقق مصالحهم العاجلة والآجلة.

٥- فقه المعاملات المالية، وهذا الفرع من الفقه لابد أن يتقنه من يتصدى للإفتاء في المصارف الإسلامية، فهو مجال النوازل المالية والاقتصادية، ووجود خلل أو نقص لدى المفتي في هذا التخصص يؤدي إلى خطأ الفتوى وعدم دقتها.

٦- علم الخلاف، وهذا الفن يعين المفتي على معرفة مناهج الاستنباط وأصول الاستدلال التي جرى عليها الأئمة المجتهدون في فهم مراد الله من الوحي، والاستفادة من التراث الفقهي الثري والضخم.

٧- فقه الدعوة، ويعد هذا الأمر من المستجدات التي لم تدركها من قبل الكتابات المعنية بالاجتهاد، ومن خلال هذا الفقه يعمل المفتي على ترشيد العاملين بالمصارف الإسلامية من حيث السلوك المهني الإسلامي، وتعميق معرفتهم بالتعاملات المالية الشرعية، وكذلك طمأنة جمهور المتعاملين بسلامة تعاملاتهم من الناحية الشرعية.

المؤسسية تتيح إمكانية سد العجز الكبير الذي تعاني منه المصارف الإسلامية لغياب المفتين

٨- أدب الجدل والمناظرة، وتأتي أهمية هذا الجانب من خلال قراءة ما تعرضت له المصارف الإسلامية من انتقادات، سواء بالحق أو الباطل، ومهمة المفتي أن يدافع عن التجربة في ضوء الممارسات الصحيحة والسليمة شرعيا، فكم من المسائل الفقهية كان محل خلاف، ولكنْ سيئ الحوار والجدل حولها، مثل الوعد الآمر بالشراء في بيع المرابحة، والبيع بالتقسط، وقاعدة ضع وتعجل.

٩- المعرفة الاقتصادية والقانونية، ولذلك ذهب ابن القيم- رحمه الله- إلى أن المفتي لا يتأتى له الحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن، والأمارات، والعلامات، حتى يحيط به علما.

المؤسسية الطريق الصحيح

تخلص دراسة الريسوني إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات المهمة، من أجل صناعة وتأهيل الفقيه المجتهد في مجال المصارف الإسلامية، ومن أهم ما أشارت إليه الدراسة ما يلي:

■ في الوقت الذي تعج فيه دنيا المال والاقتصاد بالمؤسسية، ينبغي أن تكون مهمة صناعة المفتين بالمصارف الإسلامية مهمة مؤسسية، بدءا بالدراسات الجامعية المتخصصة، أو إنشاء شعب للإفتاء الاقتصادي بكلية الشريعة، أو وجود لون من الدراسات العليا، يؤهل المفتي بالشكل الذي يجعله قادرا على التعامل مع المسائل المالية بنفس الدرجة من الإتقان للنواحي الشرعية.

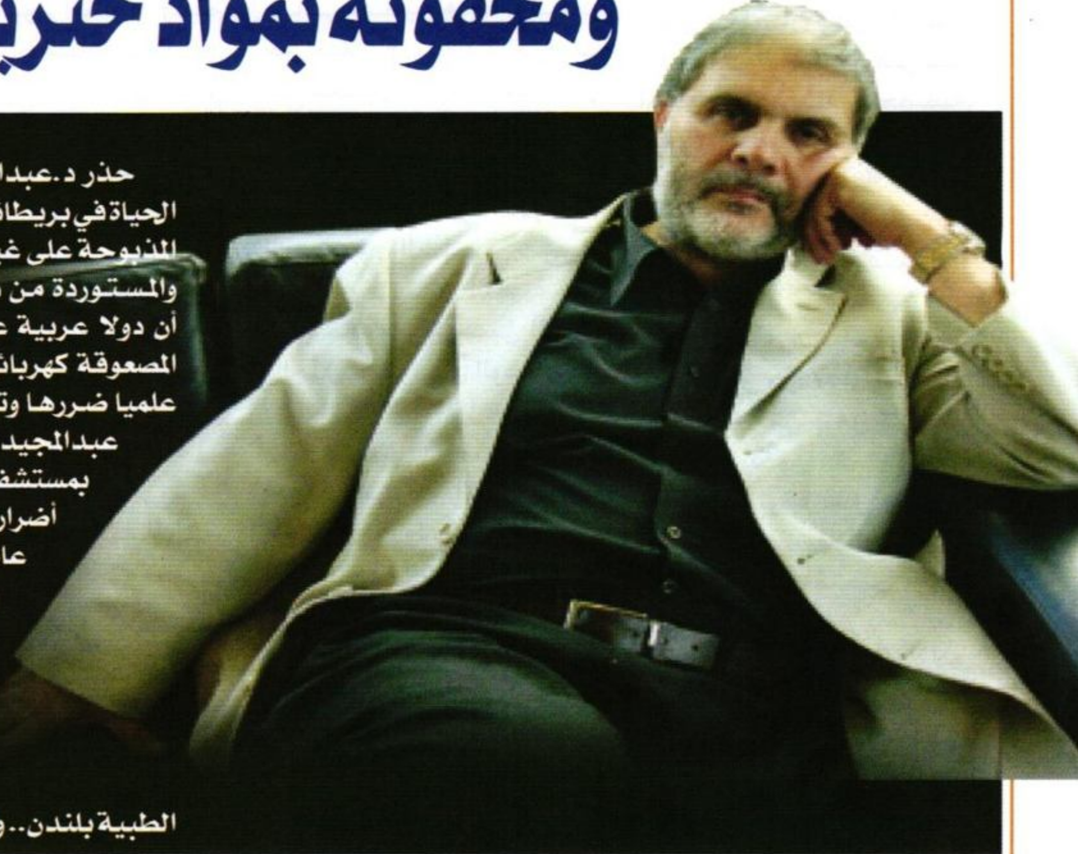
■ المؤسسية تتيح لنا إمكانية سد العجز الكبير الذي تعاني منه المصارف الإسلامية من غياب المفتين. على أن يكون القائمون على أمر التدريس في هذه المعاهد والأقسام المتخصصة، علماء أكفاء، تتوافر فيهم شروط تأهيل وصناعة المجتهد، سواء كان هؤلاء المختصون من علماء الشريعة أو الاقتصاد أو القانون.

■ أن يحسن اختيار من يلتحقون بهذه المؤسسات والمعاهد، فمن يؤهل للاجتهاد لابد أن يكون متمتعا بسعة الأفق، ومستوفيا لشروط علمية ونفسية، تؤهله للالتحاق بهذه الصنعة، ولا يقتصر التعليم والتدريب على التخرج من هذه المؤسسات أو المعاهد، ولكن لابد من التدريب المستمر بعد التخرج، وإقامة ورش العمل والندوات والمؤتمرات المتخصصة، وأن يستفيد المفتي من جهود المجامع الفقهية والإصدارات العلمية الرصينة، والفتاوى المعاصرة للعلماء المتخصصين.

■ ثمة أمر هام يعاني من جوانب القصور في مجال الإفتاء المالي والاقتصادي، وهو قلة عدد الإصدارات العلمية الدورية، وكذلك ندرة الجمعيات العلمية المتخصصة في مجال الإفتاء المالي والاقتصادي، ولا يخفى على أحد أن مهمة رعاية هذه الأعمال- من وجهة نظر المحرر- من وجود الإصدارات المتخصصة أو الجمعيات العلمية، يجب أن تقوم بها المصارف الإسلامية، باعتبارها المستفيد الأول من مخرجاتها.

رئيس جمعية الحفاظ على الحياة في بريطانيا والأمم المتحدة د.عبدالمجيد قطمة:

دول إسلامية تستورد حيوانات مصعوقة كهربائياً ومحقونة بمواد خنزيرية



لندن - خاص

حذر د.عبدالمجيد قطمة، رئيس جميعة الحفاظ على الحياة في بريطانيا والأمم المتحدة، من تناول لحوم الحيوانات المذبوحة على غير الطريقة الاسلامية والمصعوقة كهربائيا، والمستوردة من دول أوروبية كنيوزلندا والبرازيل، مؤكدا أن دولا عربية على قائمة الدول التي تستورد الحيوانات المصعوقة كهربائيا، والمحقونة بمواد خنزيرية، والتي ثبت علميا ضررها وتأثيرها على صحة الإنسان.تخصص د. عبدالمجيد قطمة، في الطب العقلي والنفسي، وعمل بمستشفيات بريطانيا، وتفرغ أخيرا للكشف عن أضرار الحيوانات المصعوقة كهربائيا على مدار ٣٥ عاما، والمصدرة لدول عربية واسلامية، له ٢٠٠ بحث ومحاضرة، قدم بعضها كتقارير دولية للحكومة البريطانية، تتعرض للأضرار الصحية جراء أكل هذه الحيوانات المصعوقة كهربائيا.

«الوعي الإسلامي» حاورت د.عبدالمجيد قطمة، بمقر جمعيته الطبية بلندن.. واليكم نص الحوار:

الهدف من حقن بعض الحيوانات بمواد خنزيرية تجاري والمسلمون مسؤولون عن هذه المصيبة

■ **في البداية، ما حقيقة التحذيرات التي تطلقها من جراء استيراد دول عربية كبرى لدجاج مصعوق كهربائيا؟ وهل هناك دليل على صعق هذه الحيوانات وعدم خضوعها للذبح على الطريقة الشرعية؟**

- بعض الدول في العالم الإسلامي المترامية أطرافه تأكل حيوانات غير مذبوحة، وصعقت بالكهرباء بزعم أن الذبح طريقة وحشية يتم التعامل بها مع الحيوانات، وكثير من هذه الحيوانات تحقن بمواد خنزيرية، والدليل على ذلك دراسات وأبحاث وتحليلات لعينات عشوائية من الدجاج، سواء المكتوب عليها «حلال» والمنتشرة في بريطانيا ذاتها أو دول أوروبا، أو المصدرة للدول العربية ومنطقة الخليج، ويا ليت الأمر مقتصر على الدجاج، بل يشمل البقر المشكوك فيه، وهناك دول عربية تمثل حقلا لمثل هذه اللحوم، فكثير من هذه الدول تستورد ذبائح مصعوقة ومخالفة للشرائع السماوية.. وهناك بعض الدول الأوروبية تعترف بالصعق، إذن فالطامة كبرى.

■ **وما الفائدة الصحية للحم المذكى أو المذبوح على طريقة الشرائع السماوية دون الصعق الكهربائي؟**

- اللحم المذكى لحم صحي، فضلا عن أن الذبيحة لا تشعر بوجع أو ألم، وقد أثبتت الطريقة السماوية في الذبح فائدتها الصحية من خلال نقاء اللحم وخلوه من البكتيريا والجراثيم، التي تبقى في الذبيحة المصعوقة نتيجة بقاء الدماء في عروق هذه الذبيحة، مما يتسبب في قيء وإسهال يؤديان إلى تسمم حقيقي ووفاة.

والعلم الحديث أكد فوائد كثيرة للحيوانات المذبوحة على الطريقة الشرعية. المخاطر الصحية والأضرار الطبية

للحيوانات المصعوقة كهربائيا، أو تناول الحيوانات المتبقي في عروقها الدم من خلال شعيراتها الدموية كثيرة، لأن هذا الدم يتجمد وينقل إلى الإنسان الإفرازات الضارة والسموم، والدول غير الإسلامية لا تبغي من وراء ذلك- غالبا- سوى تحقيق أكبر عائد من الأرباح التجارية، إذ يزن دم كل ذبيحة كيلوجرامات عدة، إذ تمثل كمية الدم ١/١٣ من وزن الحيوان تقريبا، فلو كان وزن الحيوان ٤٠٠ كيلوجرام مثلا، فإن الجهة المصدرة ستربح (٤٠٠ × ١/١٣) ٣٠ كيلوجراما، تقريبا، إذا صدرت الذبيحة بدمها، وإذا ذبح الحيوان بالطريقة الإسلامية فإنه يفقد ٢/ ٣ دمه، تقريبا، ويتبقى الثلث الأخير، وهو في الغالب غير ضار.. والذبح غير الإسلامي يؤدي إلى استنزاف ٨ كيلوجرامات على الأكثر من كل ذبيحة، فالذبح الإسلامي إذن سيؤدي إلى خسارة تجارية قدرها ١٢ كيلوجرامات للمتعهد، فإذا احتوى الطن الواحد على ٨ حيوانات بعظامها، فإن المتعهد سيخسر (٨ ×١٢) ٩٦ كيلوجراما، وإذا صدّر صفقة قوامها ٥٠٠ طن مثلا، فإنه سيخسر (٥٠٠٠ × ٩٦) ٤٨٠٠٠٠ كيلوجراما.

ولك بعد ذلك أن تتصور حجم الخسارة بالدولار، حسب سعر اللحوم العالمي، إذا طبق النظام الإسلامي في المذابح والمسالخ في الدول المصدرة للحوم، وكثير منها دول غير إسلامية، لا يهم المصدرون فيها سوى تحقيق الأرباح التجارية، ولذلك فإنهم يتعمدون حبس الدم في الذبائح، وذلك دون اعتبار لأي أضرار ستلحق بالناس، المهم هو المكاسب المالية، وليمرض المستهلكون، أو يموتوا..لا يهم!

■ **ولكن طريقة الصعق ليست جديدة، وكل دول أوروبا تستعملها مع حيواناتها دون الشعور بوجود أزمة.**

- حقيقي أن دول أوروبا تستخدم الصعق بالكهرباء، ولكن غير حقيقي عدم وجود أزمة، فأمراض الدنيا تصيب الإنسان الذي يأكل الذبائح المصعوقة، فهناك دراسة أكدت أن ٣٠ في المائة من الدجاج، على سبيل المثال، تموت قبل صعقها بالكهرباء فتؤكل وهي ميتة، والشرائع السماوية أكدت حرمة أكل الميتة والدم وما ذبح لغير الله، والأمراض المنتشرة في عالمنا الحالي نتيجة أكل هذه الأطعمة بهذه الطريقة تسبب حالة من التسمم.

■ **ما أشهر الدول التي تتعامل بهذه الطريقة المحرمة من قبل الشرائع السماوية والمؤذية طبيا؟**

- يأتي على رأس القائمة ثلاث دول ألمانيا ثم سويسرا واسبانيا، وهي تجارة رائجة في أوروبا، الهدف منها الغش، وإطعام المسلمين والمسيحيين واليهود كذلك أطعمة محرمة من قبل شرائعهم السماوية، فضلا عن تحقيق مكاسب مادية طائلة من جراء تصدير هذه الحيوانات إلى دول العالم.

■ **وما الهدف من حقن هذا الدجاج بمواد خنزيرية؟**

- الهدف في البداية رفع وزن الدجاج، ولذلك يراد تثبيت المياه عن طريق المواد الخنزيرية، حيث تحتاج المياه المحقونة بجسم الحيوان للمواد الخنزيرية لتثبيتها.

■ **وكيف اكتشفتم ذلك؟**

- عرفنا ذلك قدرا عندما قمنا بتحليل عينات من المواد المصدرة للدول العربية، وتحليل ما هو موجود في الأسواق الأوروبية وتحديدا العاصمة البريطانية لندن.



الحيوانات التي تصعق كهربائيًا تتسبب في عشرات الأمراض للإنسان فضلًا عن وحشية التعامل معها

■ **ما الأمراض التي تترتب على تناول أطعمة مصعوقة؟**

- أثبتت بعض الدراسات العلمية أن تناول هذه الأطعمة يؤدي إلى أمراض كثيرة، منها الفشل الكلوي، لأن هذه الحيوانات عندما تصعق يتوقف الدم بداخلها، وهذه الدماء تؤدي إلى حالات تسمم، فضلا عن موت الكثير من هذا الدجاج قبل الذبح.. فبقاء الدماء في شرايين الدجاج وموت بعضه قبل الذبح، والحالة التي يبقى عليها هذا الدجاج أثناء الصعق تحول من طبيعة شرائح اللحم وتركيبته، وتؤدي إلى التسمم.

ونستطيع أن نقول إن الحلال فقط من نسبة المصدر أو الموجود في بريطانيا- من المعروض والمكتوب عليه «حلال»- ٥ في المائة فقط، والخطر والخوف على كل بلاد العرب والمسلمين، والانخداع بكلمة «حلال».

■ **وما المخرج للحفاظ على طعام المسلمين سواء في بلادهم أو في البلاد الأجنبية؟**

- نحتاج إلى رقابة شديدة في حالات الاستيراد، ووجود منظمات عالمية قوية على الساحة لمراقبة المذبوحات في بريطانيا وغيرها، ومنع أي مذبوحات ذبحت مخالفة للشرائع السماوية من دخول البلاد.

■ **من المسؤول عن هذه الفوضى؟**

- المسؤول الأول عن هذه الفوضى هم المسلمون أنفسهم، فرغم أن عدد المسلمين ٢ مليون في بريطانيا فإن أغلب ذبائحهم مخالفة للشريعة، ورغم أن تعداد اليهود لا يصل إلى ٤٠٠ ألف فإن رقابتهم أكثر صرامة، ويشددون على ذبائحهم، فضلا عن عدم وجود رقابة على الذبائح المستوردة من الخارج إلى الدول العربية والإسلامية.

د. البرقوني مدير العلاقات الخارجية بالرئاسة الإسلامية في مقدونيا لـ «الوعي الإسلامي»:

مسلمو مقدونيا ينفضون غبار الشيوعية ويسعون لاستعادة هويتهم الإسلامية



همام عبدالمعبود

أكد د. علي البرقوني، مدير العلاقات الإسلامية والخارجية بالرئاسة الإسلامية العليا في مقدونيا، وممثل البنك الإسلامي للتنمية، أن أوضاع المسلمين في مقدونيا قد تحسنت بشكل مطرد منذ توقيع اتفاق أوهريد عام ٢٠٠١م، حيث حصل ألبان مقدونيا بموجبه على العديد من الحقوق التي حرموا منها لعقود، وعوملوا خلالها كمواطنين من الدرجة الثالثة، مشيرًا إلى أن وصول المسلمين لمناصب رفيعة في الحكومة والبرلمان والسلك الدبلوماسي قد أنهى عقودا من التمييز.

وأبدى د. البرقوني في حوار خاص لمجلة «الوعي الإسلامي» تخوفه الشديد من أن الخلافات بين الأحزاب الألبانية تعرقل مساعي المسلمين للحصول على حقوقهم كافة، مطالبًا هذه الأحزاب بنبذ الخلافات، والتوحد خلف هدف واحد يتمثل في حصول الألبان على ما يليق بهم كأغلبية داخل مقدونيا.

وإليكم نص الحوار:

■ **في بداية الحوار، نود أن تخبرنا عن الطريقة التي وصل بها الإسلام إلى مقدونيا؟ وهل ارتبط دخول الإسلام للبلاد بالفتح العثماني لمنطقة البلقان؟**

– تدل العديد من الوثائق على أن معرفة الشعب المقدوني بالإسلام كانت سابقة للفتح العثماني لمنطقة البلقان في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث نجح السلطان مراد في إخضاع مقدونيا، شأنها شأن أكبر مناطق البلقان، ولعب الجوار الجغرافي مع تركيا دورًا مهما في تعريف المقدونيين بالإسلام، حيث تفاعلوا معه بشكل إيجابي، فأسلم آلاف المقدونيين، ثم جاءت الانفراجة الكبرى غداة الفتح العثماني للمنطقة، حيث اعتنق الإسلامَ عدد كبير من مواطني مقدونيا، التي تحولت إلى حاضرة للدين الحنيف في منطقة البلقان، وشيدت مئات المساجد والمراكز الإسلامية، لدرجة أن عدد حافظي القرآن في مقدونيا يشكل العدد الأكبر بالنسبة لجميع الولايات الخاضعة للدولة العثمانية.

واستمرت أوضاع المسلمين في تحسن وازدهار ما يقرب من خمسة قرون، إلى أن خرج العثمانيون من البلقان، وتسلم الشيوعيون مقاليد السلطة لأكثر من سبعين عاما، حاربوا فيها الدين بطرق شتى، وأغلقوا المساجد والمدارس الإسلامية، وحولوها إلى مخازن للغلال وإسطبلات للخيل، وذهبوا بمن يتمسكون بدينهم إلى المعتقلات، ومع هذا فقد حافظ الشيوخ على دينهم، وتمسكوا بتعليمه لأبنائهم في السراديب والأقبية، رغبة في الحفاظ على هويتهم.

■ **لكن الأوضاع في يوغوسلافيا السابقة كانت تبدو أقل وطأة من نظيرتها في بلدان حلف وارسو السابقة؟**

– بالفعل.. فبعد مؤتمر بريوني في منتصف ستينيات القرن الماضي أُقِرَّتْ العديد من الحقوق المدنية لأصحاب الديانات الأخرى، وتمتع البعض بنوع من الحكم الذاتي، وخففت بذلك القيود التي كانت مفروضة على الأديان، وسمح لألبان مقدونيا باستقدام مدرسين ألبان، لتعليم أبنائهم اللغة الأم، وكذلك إمدادهم بمعلومات عن دينهم وهويتهم، وهو ما أسهم في وجود روابط بين مسلمي مقدونيا وهويتهم الإسلامية، بشكل خلق نوعا من التفاؤل لدى الألبان باستعادة هويتهم بعد بدء تهاوي جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية، وحصول البلاد على الاستقلال.

ولكن ما حدث بعد عام ١٩٩٢م، كان بمثابة الصدمة لهم، حيث استمرت سياسات التهميش والتمييز ضدهم من قبل حكومات مقدونيا المتعاقبة، واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثالثة! وهو ما مهد الأجواء لاندلاع حالة من التمرد في صفوفهم، وتشكيل جيش التحرير الوطني لتحسين هذه الأوضاع، واستعادة حقوق مسلمي مقدونيا.

■ **هلا تفضلتم بتعريف القراء بطبيعة الوجود الإسلامي في مقدونيا حاليا؟**

– يشكل مسلمو مقدونيا حاليًا ما يزيد على ٧٠ بالمائة من سكان البلاد، حيث يتجاوز تعدادهم مليون

مسلمو مقدونيا يتطلعون لاسترداد سبعة ملايين متر مربع مسلوبة منذ العهد الشيوعي

و٤٠٠ ألف نسمة، من مجمل تعداد السكان البالغ ٢,٦ مليون نسمة، وتزيد هذه النسبة إذا وضعنا في الاعتبار أن هناك أكثر من مليوني مقدوني يعيشون في المهجر، الغالبية الساحقة منهم مسلمون، ويعيش المسلمون في معظم مدن مقدونيا، وعلى رأسها العاصمة سكوبيا، وتيتوفو، وتستوفا، وكموتا، وغوستيفار.

ويمتلك مسلمو مقدونيا عددا كبيرا من المساجد والمراكز الإسلامية، يصل عددها إلى ٧٥٠ مسجدا، بينها عدد كبير من المساجد الأثرية المقامة على الطراز التركي، وعلى رأسها مسجد مصطفى باشا، في العاصمة سكوبيا، والذي تجري له حاليا عملية ترميم شاملة، بتكلفة تزيد على مليون ونصف المليون يورو، وهو رقم ضخم جدا يكشف عظمة وضخامة المسجد، إذا وضعنا في الاعتبار أن تكلفة إنشاء مسجد كبير في مقدونيا حاليًا لا تزيد على ٤٠٠ ألف يورو.

■ ذكرت في السطور السابقة أن ألبان مقدونيا حرموا طويلا من حقوقهم، وعوملوا لسنوات طويلة كمواطنين من الدرجة الثالثة، فهلا أوضحت لنا الموضوع بشيء من التفصيل؟

- عانى ألبان مقدونيا لعقود طويلة من ألوان الظلم والاضطهاد كافة؛ فحرموا من التعلم بلغتهم الأم، ومنعوا من تبوؤ مناصب رفيعة في المؤسسات الحكومية، أو حتى الحصول على جواز سفر، وهي الأوضاع التي حاولنا تغييرها بشكل سلمي، ولكن محاولاتنا باءت بالفشل، مما حتم تشكيل جيش التحرير الوطني، والدخول في معارك شرسة مع حكومة سكوبيا،



امتلاء المساجد بالمصلين وانتشار الحجاب وزيادة الحجيج مظاهر للصحوة الإسلامية

استدعت تدخل جهات دولية، مما أفضى إلى توقيع اتفاقية «أوهريد» في ١٣ أغسطس ٢٠٠١م.

وقد حصل الألبان بموجب هذه الاتفاقية على العديد من الحقوق منها التعلم بلغتهم المحلية، والحصول على الجنسية، والحصول على جواز السفر، وإنشاء جامعات خاصة بهم، وشهدت أوضاع المسلمين تحسنًا مطردًا كدخول البرلمان والحصول على وظائف في الجيش والشرطة والسلك الدبلوماسي، حتى وصل عدد النواب المسلمين في البرلمان المقدوني إلى ٢٨ نائبا، رغم أن نسبتهم من السكان تؤهلهم للحصول على ما يزيد عن ٥٠ نائبا.

■ لديكم طموحات عديدة، فهل تمتلكون مؤسسات دينية تساعد على تلبية هذه الطموحات، لا سيما على الصعيد الشرعي؟

- تعد الرئاسة الإسلامية العليا بقيادة الشيخ سليمان أفندي رجبي، أهم المؤسسات الإسلامية في مقدونيا؛ حيث لا تقتصر أنشطتها على الجانب الشرعي، من تعيين الأئمة، والعناية بالمساجد، وتسيير قوافل الدعوة، وتحديد الأعياد الإسلامية، وإرسال الطلاب للدراسة في الجامعات الإسلامية الكبرى، بل تتدخل في مسائل عديدة للمحافظة على حقوق مسلمي مقدونيا، وكانت آخر النجاحات التي حققتها انتزاع موافقة السلطات الحكومية على تدريس العلوم الإسلامية في مناهج التعليم العام.

وتتبع الرئاسة الإسلامية ١٣ دارا للإفتاء، تنتشر في أغلب المناطق ذات الأغلبية المسلمة، وتقوم هذه الفروع بدور كبير في تنمية الوعي الديني لمسلمي مقدونيا، وربطهم بدينهم، والإشراف على المئات من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، المنتشرة في أغلب التجمعات المسلمة، وهي الكتاتيب التي جعلت مسلمي مقدونيا يتصدرون قائمة الدول الأكثر حفظا للقرآن في جميع بقاع منطقة البلقان.

■ ما تتحدثون عنه يشير لنوع من الصحوة الإسلامية في مقدونيا، نود أن توضح لنا مظاهرها؟

- نعم.. هي صحوة إسلامية، ومظاهرها متعددة، فلا يستغرب المارة في المدن المقدونية من الإقبال الشديد على المساجد لأداء الصلوات، وكذلك ينتشر اللباس الشرعي للفتيات والسيدات (الحجاب)، فضلا عن الارتفاع المطرد في عدد الصائمين خلال شهر رمضان، والمقبلين على أداء فريضة الحج، حيث يقوم ما يقرب من ٣٥٠٠ حاج سنويًا بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج، وهو عدد مناسب إذا قيس بعدد مسلمي مقدونيا، وهو ما يقدم دليلا على ارتفاع مستوى الوعي الديني لدى ألبان مقدونيا، والمحافظة على التراث الإسلامي.

■ تعد مشكلة الأوقاف الإسلامية من أهم المشكلات التي تواجه مسلمي البلقان، فكيف تعاملتم معها في مقدونيا؟

- تعمل الرئاسة العليا للمسلمين في مقدونيا بكل جهد لاسترداد هذه الأوقاف المسلوبة منذ العهد الشيوعي، والبالغ مساحتها ما يقرب من سبعة ملايين متر مربع، وتحظى في هذا الإطار بدعم من الاتحاد الأوروبي، والذي اشترط التزام حكومة سكوبيا بإعادتها للألبان، لبدء مفاوضات الشراكة معها.

وقد بدأت الحكومة بالفعل في إعادة بعض المساحات، وتقوم الرئاسة العليا للمسلمين باستخدام ريعها للإنفاق على البعثات الخارجية للطلاب، المولة من صندوق الوقف الطلابي لدعم مئات الطلاب المبتعثين للدراسة في الجامعات الإسلامية في تركيا ومصر والمملكة العربية السعودية، وهي بعثات تجاوز عدد خريجيها ١٤٠٠ خريج.

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

(١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)

هو مصلح الكويت الكبير الشيخ يوسف بن عيسى بن محمد بن حسين بن سلمان بن علي بن محمد بن سري القناعي.

وينتسب - رحمه الله تعالى - إلى أسرة عربية كبيرة من أسر الكويت، وهي «أسرة القناعات»، والأسرة ينتهي نسبها إلى بطن الزقاعين من قبيلة «السهول».

مولده ونشأته

ولد الشيخ يوسف بن عيسى في مدينة الكويت سنة ١٢٩٦هـ - الموافق ١٨٧٦م، في عهد الشيخ عبدالله الصباح.

تكوينه العلمي

المرحلة الأولى

بدأ الشيخ في سن السابعة من عمره حفظ القرآن الكريم، على يد الملا دخيل الجسار، وبعد الانتهاء من حفظ القرآن الكريم وختم قراءته أخذ يستكمل مبادئ العلوم السائدة في مجتمعه، فتعلم الخط ومبادئ الحساب عند السيد عبدالوهاب بن السيد يوسف الرفاعي، وعند الشيخ عبدالوهاب الحنيان في سنة ١٨٩٣م، وكان الشيخ يوسف في بعض الأحيان ينوب عنه في إعطاء الدروس، ولم يكن الشيخ عبدالوهاب يأخذ منه شيئاً مقابل الدروس التي كان يتلقاها.

المرحلة الثانية

وهذه المرحلة تبدأ بعد أن استكمل دراسة مبادئ العلوم الأولى التي كان يتلقاها أقرانه من أطفال الكويتيين، وهذه العلوم كانت تخدم تطلعاتهم المتواضعة واحتياجاتهم العصرية، ولكن الشيخ لم يقنع بهذه العلوم الأولية، فاشتاقت نفسه الى الافضل، فبدأ بدراسة الفقه والنحو، فقرأ على الشيخ عبدالله بن خالد العدساني قاضي الكويت، في وقته متن الآجرومية، ومتن أبي شجاع في الفقه الشافعي ثم تطلع إلى التوسع في العلم فدرس على شيخ الكويت في وقته عبدالله خلف الدحيان مبادئ الفقه ومتن الآجرومية أيضاً.

المرحلة الثالثة

أ- رحلته إلى الأحساء

كانت الأحساء في ذلك العصر إحدى حواضر العلم الشرعي التي تزخر بعلماء الفقه على المذاهب الأربعة، وعلوم العربية، فتاقت نفسه الى طلب العلم في مدارس الأحساء فرحل إليها، وكان ذلك في سنة ١٣٢١هـ - الموافق (١٩٠٣).

ولقد وصف الشيخ هذه الرحلة قائلاً: في سنة ١٣٢١هـ - سافرت إلى الأحساء لطلب العلم ومعي المرحوم أحمد بن الشيخ خالد العدساني، وداود بن صالح المطوع، وبصحبتنا كتاب من الشيخ عبدالله العدساني إلى شيخنا المرحوم عبدالله بن عبدالقادر مضمونه التوجيه لنا.

وقد قرأ الشيخ على شيخه الأحسائي هذا ألفية ابن مالك مع شرحها لابنِ عقيل، وقد حفظها حفظاً متقناً، وشرح التيسير في الفقه للعمريطي، وهو عبارة عن منظومة في الفقه الشافعي فحفظها الشيخ وأتقن فهمها.

كما قرأ على الشيخ عبدالرحمن بن صالح آل عبدالقادر كتاب «متن المنهاج» للإمام النووي في الفقه الشافعي.

وبقي الشيخ على هذه الحالة في الأحساء تسعة أشهر، قضاها في طلب العلم، وَحَصَّل في هذا الزمن القصير ما كان يُحَصَّل في عامين، ثم غادر الأحساء عائداً إلى الكويت سنة ١٣٢٢هـ - الموافق (١٩٠٣م).

عودته إلى الكويت

أقام الشيخ بعد عودته من الأحساء في الكويت عاماً كاملاً، درس فيه على بعض العلماء المتواجدين في الكويت أمثال الشيخ أحمد نور الفارسي.



مصلح الكويت ساهم في فتح أول مدرسة لتعليم القرآن ومبادئ الحساب والكتابة .. وأول من نادى بتأسيس مدرسة عصرية في البلاد

رحلته إلى البصرة

كانت رحلته إلى البصرة سنة ١٣٢٣هـ - الموافق (١٩٠٤م). وأقام بها عدة أشهر في ضيافة خاله سالم البدر استعداداً لرحلته إلى البلد الحرام بمكة المكرمة، واتصل فيها بمجموعة من العلماء وأخذ عنهم بعض العلوم. نذكر منهم

١- الشيخ علي الحمداني، وقرأ عليه كتاب شرح الجوهر المكنون.

٢- الشيخ السيد عبدالعزيز الناصري.

٣- الشيخ عبدالعزيز التكريتي، قرأ عليه الشافية لابن الحاجب.

٤- الشيخ مصطفى الحافظ، درس عليه شرح السيوطي على الألفيه.

رحلته إلى مكة المكرمة

كانت نفسه تتوق إلى مكة المكرمة حيث مركز العلم، ومجمع العلماء، فقرر السفر إليها حاجاً في ٢٣ من رجب ١٣٢٣هـ - الموافق ٢٣ من سبتمبر (٥٠٩١).

وقد وفق الله شيخنا في مقصوده فالتقى بمجموعة من العلماء الأجلاء الذين كان لهم الفضل في بناء شخصيته العلمية. ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم

١- الشيخ شعيب المغربي، وهو من كبار علماء مكة المكرمة، وقد أدرك الشيخ يوسف معه شرح البخاري كما درس معه متن الفية ابن مالك، ودرس على يده شرح السلم في المنطق إلى أن أكمله.

٢- الشيخ يوسف الأفغاني، قرأ عليه كتاب شرح الجوهر المكنون، وشرح السيوطي على ألفية ابن مالك في النحو.

٣- الشيخ عمر باجنيد قرأ عليه شرح المنهاج.

٤- الشيخ عبدالكريم الداغستاني، وقرأ عليه جمع الجوامع، وتفسير البيضاوي.

٥- الشيخ عبدالله السناري، أخذ عنه علم التجويد.

٦- الشيخ سعيد اليماني، قرأ عليه شرح الروض، وشرح جمع الجوامع.

مرحلة القراءة والاطلاع

لقد ساعدته القراءة والاطلاع الواسع في شتى محاور المعرفة، على إنارة الطريق له، ولقد أثرت فيه مؤلفات ابن تيمية وابن القيم الجوزية، ومجلة المنار الغراء أكبر أثر في إنارة السبيل أمامه.

أعماله

أولا: في مجال الإصلاح التعليمي

عاد شيخنا سنة ١٣٢٥هـ - الموافق (١٩٠٧م)، من مكة المكرمة وكله أمل في إصلاح التعليم في الكويت، ذلك التعليم المتواضع القائم على كتاتيب تجاوزها الزمن، فتطلع الى دفع عجلة التعليم الى الأمام، والعمل على إدخال الكويت في مرحلة التعليم النظامي، فكان له ما أراد في المدرسة المباركية، ومن بعدها المدرسة الأحمدية، حينما أراد إدخال اللغة الإنجليزية في مواد التدريس.

ويتمثل إصلاحه التعليمي في المجالات التالية:

أ- المدرسة المتواضعة

بمجرد عودته الى الكويت فتح أول مدرسة صغيرة لتعليم القرآن الكريم، ومبادئ الحساب والكتابة، واستمر في مدرسته الصغيرة بضعة أعوام يدرس فيها وحده.

ب- دوره في إنشاء المدرسة المباركية (١٣٢٨هـ - ١٩١٠م).

يعتبر الشيخ يوسف أول من نادى بتأسيس مدرسة عصرية في الكويت ويرجع الفضل في إنشاء هذه المدرسة إلى ثلاثة من الفضلاء في الكويت وهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، الشيخ ناصر المبارك الصباح، والسيد ياسين الطبطبائي، فهم أول من حث على تأسيسها، وأول من رغب الجمهور في الإنفاق في سبيلها، وقد كان لآل خالد الكرام أيضاً أياد بيضاء عليها، لا تقل عن أيادي من سواهم، وله الفضل في الإشراف على بنائها، ووضع مناهجها وإدارتها والتدريس فيها، وكان يدرس فيها علوم التجويد والصرف والحديث.

جـ- دوره في إنشاء المدرسة الأحمدية (١٣٣٩هـ - ١٩٢١م).

أراد الشيخ يوسف إدخال تعليم اللغة الإنجليزية ومادة الجغرافيا والعلوم العصرية في المدرسة المباركية، وعد ذلك من إصلاح التعليم الذي ينشده هو وزميله مؤرخ الكويت عبدالعزيز الرشيد، وقيل: إن حاكم الكويت في وقته الشيخ أحمد الجابر الصباح حثه على ذلك.

د- دوره في البعثات العلمية (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م).

سعى الشيخ جاهداً من أجل إرسال الشباب الكويتي لاستكمال دراسته في بعثات علمية خارج الكويت لإيمانه أن الشباب المؤمن الواعي هو ذخيرة المجتمع وحصن المستقبل الناهض، وتحققت مساعيه بإيفاد أول بعثة تعليمية إلى العراق سنة ١٣٤٣هـ - الموافق ١٩٢٤م، وكانت مكونة من ستة طلاب هم:

الشيخ فهد السالم الصباح، وسليمان محمد العنزي، ومحمود عبدالرزاق الدوسري، وخالد سليمان العدساني، وأحمد عمر العلي، وعبدالكريم محمد البدر.

هـ - دوره في تأسيس مجلس معارف

وفي أكتوبر ١٩٣٦ أصدر الشيخ أحمد الجابر أمرا بتشكيل مجلس للمعارف يتولى شؤون التعليم، فأجريت الانتخابات، وتكون المجلس من اثني عشر عضوا برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وانتخب الشيخ يوسف بن عيسى مديراً فخرياً للتعليم، وعبدالملك الصالح سكرتيراً وأميناً للصندوق.

و- دوره في تأسيس المكتبة الأهلية

في أعقاب تأسيس المدرسة الأحمدية سنة ١٩٢١م، رأى مجموعة من أبناء الكويت ومن بينهم الشيخ يوسف ضرورة إنشاء مكتبة أهلية عامة تضم بين

كان للقناعي دور بارز في تأسيس المكتبة الأهلية لتهذيب العقول وإنارة الأذهان

جنباتها من الكتب النافعة العديدة ما يهذب العقول وينير الأذهان، وبفضل جهود الشيخ ومن معه من رجال الكويت فتحت المكتبة أبوابها للقراء سنة ١٣٤١هـ - الموافق ١٩٢٣م، فتبرع لها كثير من الأهالي بالكتب والأموال، كما تم نقل كتب الجمعية الخيرية إليها.

دوره في الحياة النيابية والسياسية

أ- سعيه إلى تأسيس مجلس الشورى ١٩٢١

انطلاقاً من مبدأ الشورى الذي هو أساس التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية، وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه بالمشاورة وهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى تعليماً لأمته كي يقتدى بسنته، ولما كانت الكويت تسير في سلم التطور السياسي، طالب الشيخ يوسف الذي آمن بالشورى وأهميتها في استقرار البلاد، ومن معه من خيار أهل الكويت، بمبدأ الشورى وتأسيس مجلس خاص بها، وتنظيم الحكم في البلاد، وقد عرض الأمر على الشيخ أحمد الجابر أمير البلاد سنة ١٩٢٢م فوافق على ما طلبوا وعاهدهم على ألا يبرم أو ينقض أمراً إلا بعد موافقة المجلس الشوري، وقد تشكل المجلس من اثني عشر عضوا منهم الشيخ يوسف.

ب- دوه في إنشاء المجلس البلدي

لقد كانت فكرة إنشاء البلدية فكرة رائدة نحو التطوير في الخدمات والتخطيط المدني المنظم، ولا عجب إذا كانت هذه المؤسسة هي من أفكار شيخنا رحمه الله تعالى، حيث يرجع الفضل بعد الله تعالى إلى مساعيه الحميدة في إنشائها ووقوفها لتأدية دور البناء والإصلاح.

توليه القضاء

بعد وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان طلب الشيخ أحمد الجابر الصباح من الشيخ يوسف أن يتولى منصب القضاء لأنه تعين عليه ذلك، وتعذر الشيخ بالتجارة التي جعلها حجة لعدم توليه القضاء ولمعرفته بخطورة هذا المنصب، ونتيجة لإصرار الشيخ أحمد الجابر قبل المنصب ولكن بشرط أن يكون ذلك لفترة مؤقتة إلى حين العثور على قاضٍ آخر وعلى ألا يأخذ عليه أجرا.

مجلسه (ديوانيته)

عرف المجتمع الكويتي منذ القدم الديوانيات التي أصبحت سمة من سماته، والديوانية تتشكل بتشكل صاحبها وروادها، ولقد تأثرت ديوانية الشيخ يوسف به فأصبحت ديوانية علمية تعليمية ثقافية، واتسمت بهذه الاتجاهات في جميع أطوار حياة صاحبها.

فقد كان مجلسه (ديوانيته) في أول حياته يغلب عليه الطابع التعليمي، حيث كان روادها تلاميذ يأخذون من الشيخ الدروس الفقهية.

إنتاجه العلمي

أولاً: مؤلفاته المطبوعة

١- المذكرة الفقهية في الأحكام الشرعية.

٢- الملتقطات (حكم وفقه وأدب وطرائف).

٣- صفحات من تاريخ الكويت.

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة

ذكر الشيخ أحمد الشرباصي في تاريخه عن الكويت نقلاً عن مقابلة مجلة الرائد مع الشيخ يوسف: أنه ذكر في المقابلة معه أن له «رسالة في حكم النوط»، و«رسالة في التحكيم بين الشيخين عبدالله خلف ومحمد عبدالقادر الهلالي، في مسائل فقهية حصل فيها نزاع بين الاثنين».

إنتاجه الشعري

لم يكن الشيخ يوسف شاعراً بالمعنى الحرفي، وإنما كان نظمه للشعر لا يتجاوز الأبيات والمقطوعات منه، بما يعبر بها عن أحاسيسه تجاه قضايا المجتمع، أو بما يبث من آرائه عن طريقها. وسوف نعرض نموذجاً من شعره ومن خلاله نتعرف على شخصية الشيخ، وآرائه.

مدح للرسول ﷺ

يارحمة للعالمين ويامنارا للهدى
ياصاحب الخلق العظيم وبحر جود بالندى
ماذا يقول الواصفون بوصف حسنك مذ بدا
وبما يقول المادحون بشعرهم إذ اشدا
فالله زادك بالثنا وكفى بربك مسعدا
أهدي اليك فريدة ويعوقها طول المدى
فعسى الأثير بحملها يكون عني منشدا
وعسى القبول يزفها إليك ياعلم الهدى
شوق إليك يهزني مامر ذكرك بالندى
ويصدني عن هجرتي ألَمُ ألَمَّ فأقعدا

من تلاميذه

١- الشيخ سالم بن مبارك الصباح، حاكم الكويت من (١٩١٧ - ١٩٢١م) فقد قرأ عليه النحو.

٢- الشيخ عبدالله السالم الصباح، حاكم الكويت (١٩٥٠ - ١٩٦٤م)، الذي قرأ عليه النحو.

٣- الشيخ محمد بن محمد صالح التركيت.

وفاته

فجعت به الكويت ظهر يوم الخميس ٥ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ الموافق السادس من يوليو سنة ١٩٧٣م عن عمر يناهز ٩٦ عاماً وهو في جلال الشيخوخة، بعد أن قدم الكثير من صحته ووقته وماله من أجل وطنه وأمته، وقد خرجت الكويت عن بكرة أبيها تشيعه إلى مثواه الأخير رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنته.

المنتج الثقافي.. كيف يسوّق؟

د. فاتح ممدوح عبدالحليم

قد يشاطرني القارئ الكريم الرأي حول المادة الثقافية التي يتعامل معها سواء كانت صحافية أو أدبية أو فنية أو غيرها، وذلك من حيث مقومات نجاحها وركائز تسويقها، البداية مع صانع المادة، فهذا الركن المهم سواء كان فرداً أو فريق عمل، في جميع الأحوال يجب أن ينظر نحوه بموضوعية وحيادية، أعني ضرورة التركيز على كفاءته ومهاراته وإبداعاته.

صناع كثيرون استطاعوا أن يقدموا نتاجهم الثقافي بإحدى بطريقتين، الأولى من خلال أساليب وطرائق ملتوية، وهذه تحمل في الظاهر صفة أعمال، لكنها في حقيقتها مجرد أوهام لا علاقة لها بالمجال المطروق، فهي أصلاً أقحمت فيه، لأن أساسها الذي ارتكزت إليه رخو وهش، ولا يستطيع أن يواكب العصر وتبدلاته، أما الطريقة الثانية فهي السبيل الصحيح الذي تسلكه أي مادة إبداعية من بدايتها إلى نهايتها.

أشير أيضا هنا إلى مهمة تتعلق بتفاعل المتعامل مع المنتج، فيجب ألا يتابع صانع المنتج الثقافي مديحه وإطراءه فقط، لأنه قد يكون مفروضاً عليه القيام بذلك، بل يجب أيضا أن يتابع نظرات عينيه وتفاعله وهمساته.

الركن المهم الآخر هو المتعامل.. وهذا الطرف تعلق عليه آمال كبيرة في تسويق المنتج الثقافي، خاصة إذا كان على مستوى متميز من الوعي والثقافة، حقيقة لن تثمن أي مادة بشكل صحيح ما لم يكن لهذا الطرف الحضور اللافت، فهو القادر على الإسهام في نجاح المادة السليمة، فالكثير من الأعمال الثقافية أدت رسالتها وحققت هدفها في ظروف كان لهذا العامل الأثر الفاعل والمهم فيها، في وقت هبطت أعمال رغم الترويج القوي لها، لأن أصحابها أو من خلفهم لم يستطيعوا أن يفرضوها عليه، وهو بالتأكيد يعرف كيف يتصرف مع الصحيفة التي تبنتها، ولن يتحكم أحد في طريقة تعامله مع وسيلة الإعلام التي تبثها أو بالأحرى التي تنشرها وتروج سمومها.

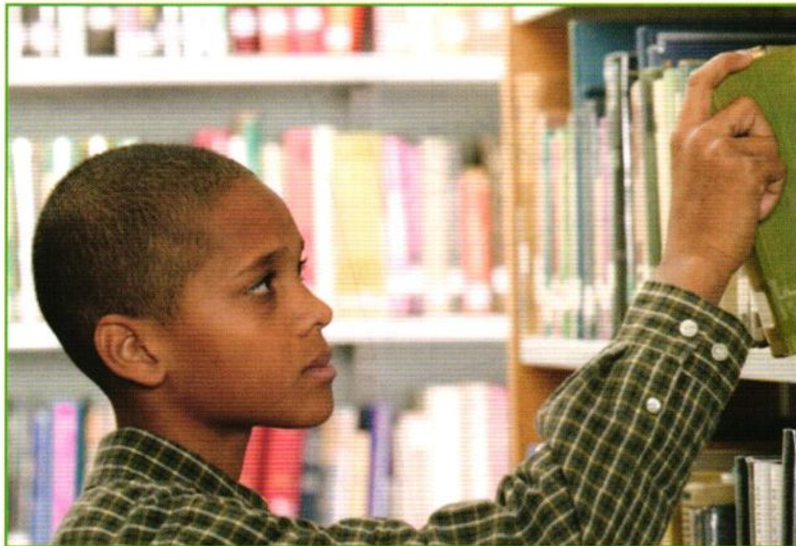
ركن مهم آخر، وربما يكون الأهم في تلك المعادلة، إنه جودة المنتج الثقافي، فالمادة التي تتحدث بلغة الجمهور، وتنطلق من طموحاتهم وأحلامهم وتلامس همومهم ومشكلاتهم لابد أن تحظى بثقة المتعاملين وسيتابعونها باشتياق كبير، يدخل أيضا الإبداع في سياق الحديث عن نوعية المنتج الثقافي، فهو المحرك الأساس لأي عمل جاد ومتفرد، كذلك تدخل مقدرة صانعه على تطوير نفسه والارتقاء بمادته حتى يستطيع أن يسوقها كمنتج ثقافي يهدف إلى تقديم الجديد الممتع والمفيد لا العبث بمشاعر وأحاسيس المتعاملين.

وإذا كان لمضمون المادة وجوهرها الأثر المهم فإن لطباعة المادة أو طريقة عرضها وتقديمها الدور الفاعل أيضاً، ما أريده من هذا الأمر هو أن يقدر المنتج على إبراز المنتج وإعطائه بعده الحقيقي، لا أن يكتفي بتلميعه بغض النظر عن محتواه.

ولا يمكن تجاهل دور الإعلام في تسويق المنتج الثقافي، فالإعلام الخارج عن حدود العصر لا يمكنه أن يؤدي دوره في تسويق المنتج الحقيقي، وهو يبرع فقط في تسويق المنتج المعتوه أو المشوه، وبصراحة أقول آن الأوان للتفكير في الترويج الصحيح لمنتج ثقافي سليم، ولتتكاتف جميع وسائل الإعلام في الكشف عنه والبحث في أدق تفاصيله.

إذن لا تقتصر عملية التسويق على قطبي المنتج (صانع المادة والمتعامل) بل تمت لتشمل الأسواق من حيث متابعتها ومراقبة حركاتها ومتطلباتها وإقامة الفعاليات والأنشطة الثقافية والمعارض والندوات وتبني مشروعات لاحتضان الأعمال الثقافية الإبداعية، وكذلك السياسة التسويقية من ناحية نظامها والقائمين عليها، فهؤلاء إن تعاملوا مع المنتج الثقافي الإبداعي على أساس أنه ثروة وطنية فإن العملية التسويقية سوف تنجح.

وختاماً عزيزي القارئ فإن ما أريد الوصول إليه هو احترام المتعامل للمنتج، ولن يتحقق ذلك ما لم يقدم صاحب المنتج الثقافي.



دار الإفتاء المصرية

إنشاء دار الإفتاء المصرية كان في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٣هـ الموافق لشهر نوفمبر سنة ١٨٩٥م.

ويبدو أن وظيفة الإفتاء كانت في أول الأمر من اختصاص شيخ الأزهر ثم صارت بعد ذلك وظيفة مستقلة منذ تعيين فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيها.

ثم تتابع بعد ذلك تعيين المفتين باسم «مفتي الديار المصرية» بقرار من رئيس الدولة، فصار المفتي الرسمي للدولة يعين بقرار من رئيس الجمهورية، وتحت مسمى «مفتي جمهورية مصر العربية» ويكون بدرجة وزير.

مهام دار الإفتاء المصرية

لدار الإفتاء المصرية وظائف محددة، من أهمها ما يأتي:

أ- الاجابة عن أسئلة السائلين على اختلاف أجناسهم وصفاتهم وأوطانهم فيما يتعلق بالحكم الشرعي عما يسألون عنه.

ب- بيان الحكم الشرعي فيما يرد إليها من قضايا محكمة الجنايات الخاصة بعقوبة الإعدام.

ج- تدريب المبعوثين بدار الافتاء.

د- إصدار البيانات الخاصة بتحديد أول وآخر كل شهر عربي.

هـ- طبع الفتاوى الإسلامية التي تصدر عنها، وقد صدر حتى الآن اثنان وعشرون مجلدا عن دار الإفتاء المصرية اشتملت على آلاف الفتاوى.

وهذه المجلدات توزع مجانا على دور المحاكم على اختلاف درجاتها، حتى يطلع عليها السادة القضاة والمستشارون وغيرهم.

ماذا يقصد بالإفتاء؟

يقصد بالإفتاء هنا، الإفتاء الشرعي الذي يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والآداب، وغير ذلك من المسائل التي لها أحكامها المستقرة في شريعة الإسلام، إذ وظيفة المفتي الشرعي، بيان الحكم الديني في مسألة من المسائل من حيث كونها من الأمور المباحة، أو المندوبة، أو المكروهة، أو الواجبة، أو المحرمة.

ولفظ الإفتاء وما اشتق منه من حيث اللغة، معناه الكشف والبيان والإيضاح.

والمفتي، من يتصدى للفتوى بين الناس وهو فقيه تعينه الدولة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية.

والخلاصة، أن وظيفة المفتي، بيان الحكم الشرعي في مسألة من المسائل، على حسب الظاهر من السؤال، وبمقتضى الأدلة الشرعية.

منزلة الإفتاء في الإسلام

والإفتاء في الأمور الشرعية بصفة خاصة، وفي غيرها بصفة عامة، أمانة كبيرة، وتبعة عظيمة، لأن المفتي في مسألة ما، مسؤول أمام الله - تعالى - عما أفتى به، فإن أفتى بالحق والصواب كان له أجره، وإن أفتى بالخطأ والجهل والهوى كان أمره فرطا، وكان عقابه لا يعلم شدته إلا الله تعالى.

سؤال أهل العلم واجب

والناس منذ أن أوجدهم الله- تعالى- متفاوتون في عقولهم وفي عملهم، وقد أوجب- سبحانه- على من يجهل شيئا من أمور دينه أو من أمور دنياه، أن يسأل أهل العلم الأمناء وأن يستفتي أهل الفتوى الذين يوثق بدينهم وعلمهم وخلقهم ونزاهتهم، امتثالا لقول الله- تعالى- ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (الأنبياء: ٧).

والمقصود بأهل الذكر هنا، كل عالم في مجال تخصصه، ففي مجال الفقه نسأل الفقهاء، وفي مجال الطب نسأل الأطباء، وهكذا.

من صفات المفتي وآدابه

١- يقصد بالمفتي هنا، المفتي الشرعي والرسمي للدولة بصفة خاصة، وغيره ممن يتصدى لهذه المهمة الخطيرة - متطوعا- بصفة عامة.



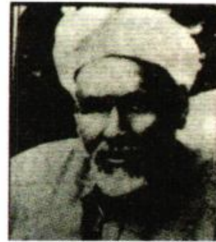
كما أننا نعني بالافتاء ما يتعلق بالمسائل الشرعية الهامة والعامة بصفة خاصة، وما يتعلق بغير ذلك من المسائل الشرعية العادية بصفة عامة، إذ الفتاوى أنواع، منها ما يستطيع الإجابة عنها المستنيرون من طلبة العلم الشرعي في المراحل المتوسطة أو العالية، كمعظم أحكام الطهارة والعبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج، ومنها ما يستطيع الاجابة عنها العلماء المتخصصون كمسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ووصية، وما يشبه ذلك من الاحكام الشرعية التي تحتاج إلى دقة في الفهم، وسعة في العلم.

ومنها ما لا يستطيع الاجابة عنها الا الراسخون في العلم، كالمسائل الشرعية التي لها آثارها في رسم سياسة الدولة، وفي تنظيم أمورها، كحقوق وواجبات الحكام والمحكومين، وكأمهات المسائل المعقدة من جوانب متعددة كبعض المعاملات المالية.

٢- ومن صفات من يتصدى للإفتاء أن يكون في ذاته سليم العقيدة، نقي السريرة، محمود السيرة نظيف اليد واللسان، شجاع القلب، لا يثنيه عن النطق بكلمة الحق ترغيب أو ترهيب، ولا يمنعه تواضعه مع عامة الناس وأوساطهم من أن يكون متعاليا على المغرورين والفاسقين والمنافقين، والظالمين، واضعا نصب عينيه دائما تقديم المصلحة


حسونة النواوي


محمد عبده


بكري الصدفي


محمد المطيعي

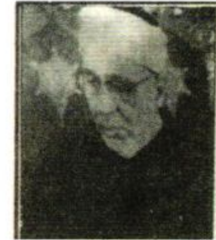

محمد البرديسي


عبدالرحمن قراعة


عبدالمجيد سليم


حسنين مخلوف


علام نصار


حسن مأمون


أحمد هريدي


محمد خاطر

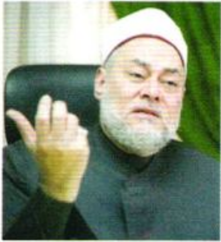

جاد الحق علي


عبداللطيف حمزة


محمد طنطاوي


نصر فريد واصل


أحمد الطيب


علي جمعة

العامة، في حدود شريعة الله، على المصالح الخاصة.

هذه بعض الصفات الذاتية والنفسية للمفتي الرسمي للدولة بصفة خاصة، ولغيره ممن يتصدون للفتوى بصفة عامة.

أما صفاته العلمية فمن أهمها، الحفظ التام للقرآن الكريم، مع الفهم السديد لمعاني ألفاظه ولسمو هداياته، والاطلاع الواسع على السنة النبوية الشريفة وشروحها، والإحاطة الواعية بروح التشريع، واختلاف الآراء، وتطور الزمان والعادات، إلى غير ذلك من العلوم التي لا غنى لكل راسخ في العلم عنها.

والخلاصة أن على رأس صفات المفتي الشرعي أن يكون في ذاته ورعا تقيا نقيا عفيفا محافظا على الفرائض والسنن، وأن يكون في علمه حافظا لكتاب الله تعالى، مدركا لمعانيه، واعيا لسنة رسول الله ﷺ، ملما بالفقه وأصوله متمكنا من الترجيح بين الآراء بعقلية بصيرة سليمة من الاضطراب، خبيرا بتراكيب اللغة العربية وعلومها وأساليبها.

٣- وأما آداب المفتي فمن أهمها، عدم التسرع في الفتوى ولاسيما في الأمور الهامة التي تحتاج إلى دراسة متأنية واعية، كما تحتاج إلى استشارة أهل الخبرة كل في مجال تخصصه، ومن الأمانة والاستقامة أن يقول لا أدري في كل مسألة ليس مدركا لحكمها الشرعي.

والخلاصة أن الفتوى في الأمور التي تقبل الاجتهاد تختلف من شخص الى آخر ومن حالة الى حالة.

من تولى هذا المنصب؟

١- فضيلة الشيخ حسونة النواوي (١٨٩٥ - ١٨٩٩م).

٢- فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده (١٨٩٩ - ١٩٠٥ م).

٣- فضيلة الشيخ بكري الصدفي (١٩٠٥- ١٩١٥م).

٤- فضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي (١٩١٥ - ١٩٢٠م).

٥- فضيلة الشيخ محمد إسماعيل البرديسي (ستة أشهر عام ١٩٢٠م).

٦- فضيلة الشيخ عبدالرحمن قراعة (١٩٢١ - ١٩٢٨م).

٧- فضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم (١٩٢٨ - ١٩٤٦م).

٨- فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف (١٩٤٦ - ١٩٥٠م).

٩- فضيلة الشيخ علام نصار (١٩٥٠ - ١٩٥٢م).

١٠- فضيلة الشيخ حسن مأمون (١٩٥٥ - ١٩٦٤م).

١١- فضيلة الشيخ أحمد محمد عبدالعال هريدي (١٩٦٠ - ١٩٧٠م).

١٢- فضيلة الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ (١٩٧٠ - ١٩٧٨م).

١٣- فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (١٩٧٨ - ١٩٨٢م).

١٤- فضيلة الشيخ عبداللطيف عبدالغني حمزة (١٩٨٢ - ١٩٨٥م).

١٥- فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي (١٩٨٦ - ١٩٩٦م).

١٦- نصر فريد واصل (١٩٩٦ -٢٠٠٢م).

١٧- أحمد الطيب (٢٠٠٢ -٢٠٠٣م).

١٨- الدكتور علي جمعة (٢٠٠٣ - وحتى الآن).

إعداد : علي الحربي

طراز جديد من أجهزة نوت بوك



طرحت شركة أسوس طرازا جديدا من الأجهزة المحمولة صغيرة الحجم من نوع «نت بوك» إيي بي.سي تي ٩١ ينتمي إلى فئة الحاسبات اللوحية التي تعمل باللمس وزودت أسوس التايوانية حاسبها الجديد بشاشة مقاسها ٨,٩ بوصة ومعالج طراز أتوم زد ٥٢٠ تبلغ سرعته ١,٣٣ جيجاهرتز من إنتاج شركة إنتل الأميركية ويدخل في تركيب الجهاز الجديد قرص صلب ثابت الأجزاء من نوع سوليد ستيت درايف تبلغ سعته التخزينية ١٦جيجابايت وتقدم أسوس لمشتري الجهاز الجديد مساحة تخزينية عبر الإنترنت تبلغ سعتها٢٠ جيجابايت ويعمل حاسب إيي بي.سي تي ٩١ اللوحي الجديد الذي ينتمي إلى فئة أجهزة نت بوك وفق نظام التشغيل ويندوز إكس بي.

١٨ مليار رسالة غير مرغوبة بالبريد الإلكتروني يوميا

أوضحت الشركات المعنية بالأمن الإليكتروني أن هناك زيادة في نشاط مجرمي الإنترنت في العمل، وكشفت أن حجم رسائل البريد الإلكترونية من نوع سبام التي يتم إرسالها يومياً وصل إلى نحو ١٨٠ مليار رسالة أي نحو ٩٠ في المائة من إجمالي حجم البريد الإلكتروني المرسل في أرجاء العالم كافة، وكان تقرير سابق عن الأمن الإلكتروني لشركة مايكروسوفت الأميركية قد كشف أن ٩٧ في المائة من البريد الإلكتروني رسائل غير مرغوب فيها مشيرا إلى أن معظم البريد الإلكتروني عبارة عن إعلانات متطفلة عن عقاقير ومنتجات خردة وغالبا ما تكون مصحوبة بملفات ضارة وأوضح إدجيبسون كبير مستشاري الأمن الإلكتروني بمايكروسوفت أن ارتفاع معدلات البريد الإلكتروني غير المرغوب فيه بهذا الشكل هو بفعل تطور خدمات الإنترنت وسرعة تدفقها.



موقع جامع للأحاديث النبوية الشريفة

يعتبر موقعsonnaonline.com بوابة تضم في قاعدة بياناتها أكثر من أربعمائة كتاب مسند من الأحاديث النبوية والسنن والآثار وتحمل بين طياتها أكثر من عشرين وخمسمائة ألف حديث وأثر مسند بدءا من الصحاح والسنن والمسانيد ومرورا بالمستدركات والمعاجم والمشيخات وانتهاء بالمنتخبات والأجزاء ويعرف بأكثر من ثلاثة ملايين موضع للرواة ويشرح الموقع أكثر من خمسمائة ألف كلمة ويقسم الأحاديث والآثار تقسيما موضوعيا لأكثر من عشرين ألف ترجمة تم التنسيق بينها حتى تبدو كأنها كتاب واحد للسنة وذلك وفقا لمناهج علماء الفقه والحديث، ويضم الموقع الأقسام التالية: مدخل لدراسة السنة - تعريفات - عرض - ملتقى الحديث - تقسيم موضوعي- الناسخ والمنسوخ - الفهارس.

ويمكنكم زيارة الموقع على العنوان التالي:

www.sonnaonline.com



جامع الحديث النبوي

أشمل موسوعة لكتب السنة المطبوعة

خدمة من جوجل تعطي المعلومة بلمسة زر

أطلقت جوجل نسخة تجريبية عن وظيفة جديدة لمحرك البحث التابع لها باسم جوجل سكويرد تسمح بإظهار نتائج البحث وتنظيمها على شكل جداول، وخلافا لعملية البحث التقليدية عبر محرك جوجل فان الخدمة الجديدة لا تعطي وصلات إلى مواقع انترنت بل تظهر مباشرة المعلومات المطلوبة في جدول مؤلف من عدة أعمدة مع صور إذا كانت متوافرة، ووفقا لما ذكرته الشركة فهذه الأعمدة التي تعطي معلومات ذات طبيعة مختلفة حول البحث نفسه تتضمن معلومات وفقا لمعايير محددة مسبقا من قبل جوجل والتي يمكن تعديلها أو استكمالها من قبل المستخدمين وفي حال شمل البحث شخصية ما فإن النتيجة ستتضمن على سبيل المثال عمودا حول تاريخ ولادته وآخر حول مهنته وعرض النتيجة على شكل جدول يسمح كذلك بعمليات مقارنة ويمكن للمستخدمين إضافة معلومات على البحث الأساسي.



طراز جديد من الهواتف الذكية

بدأت شركة إيه تي آند تي الأميركية للاتصالات في تسويق طراز جديد من الهواتف المحمولة الذكية التي تنتجها شركة نوكيا الفنلندية

ويعمل الجهاز الذي ينتمي إلى فئة الهواتف المنزلقة وفق نظام التشغيل سيمبيان إس ٦٠ ويدعم تشغيل عدد من الخدمات التي تقدمها إيه تي آند تي ومنها تحويل الجهاز إلى مودم للاتصال بالإنترنت ودعم استقبال رسائل الوسائط المتعددة وإرسالها، وزودت نوكيا الجهاز بلوحة مفاتيح كاملة وكاميرا تصل درجة وضوح الصور التي تلتقطها إلى ٢ ميجابكسل يمكنها تصوير الفيديو بالإضافة إلى شاشة مقاسها ٢,٤ بوصة، ويتميز الجهاز الجديد باحتوائه على تكنولوجيا بلوتوث ونظام تحديد المواقع العالمي GPS.

ويحتوي هاتف نوكيا سيرج على ذاكرة داخلية سعتها ١٢٨ ميجابايت بالإضافة إلى منفذ لبطاقات الذاكرة الإلكترونية نوع مايكرو إس دي التي يمكن أن تصل سعتها التخزينية إلى ٨ جيجابايت.



إعداد : هالة محمد

عدم الإفطار يؤدي إلى مزيد من الدهون

حذرت دراسة طبية حديثة من إهمال وجبة الإفطار لما تمثله من آثار سلبية على صحة الإنسان لأنه يكتسب بذلك مزيدا من الوزن والدهون نظرا لشعوره بالجوع الشديد مع حلول وجبة الغداء ولأنه يستهلك كميات هائلة من السعرات الحرارية ليعوض ما لم يتناوله في الإفطار، وتوضح الأبحاث أن إهمال وجبة الإفطار بمنزلة إعطاء إشارات خادعة للمخ برغبة الشخص في تناول سعرات حرارية أعلى خاصة الأطعمة الغنية بها التي تزيد مخاطر ومعدلات بدانته.

وكانت الأبحاث قد اعتمدت على صور أشعة الرنين المغناطيسي لدراسة كيفية تأثير السلوكيات والعادات الغذائية على آلية عمل مركز «الشعور بالمكافأة» بالمخ الذي يلعب دورا مهما في الاحساس بالسعادة واللذة ومدى استجابة واستمتاع الجسم بهما، وأتاحت صور الأشعة بالرنين المغناطيسي مراقبة آلية زيادة تدفق الدم كرد فعل لنشاط المخ.



أجريت الدراسة على أكثر من عشرين شخصا من زائدي الوزن ممن اعتادوا على إهمال وجبة الإفطار، إذ تم عرض مجموعتين من الصور عليهم ضمت الأولى صورا للأطعمة مرتفعة السعرات الحرارية كالحلوم والبيتزا والشيكولاته في الوقت الذي احتوت فيه المجموعة الثانية صور أطعمة وعناصر صحية كالخضراوات والسلطة والأسماك، وكان قد لوحظ ازدياد نشاط المخ خاصة «مركز الشعور بالمكافأة» عند رؤية صور الأطعمة المرتفعة بالسعرات الحرارية بالمقارنة بصور الأطعمة الصحية في الوقت الذي تم إعادة الاختبار نفسه بين المتطوعين بعد مرور٩٠ دقيقة من تناولهم وجبة الإفطار إلا أن صور الأشعة لم تكشف عن نشاط ملحوظ لمراكز المكافأة بالمخ.

كما جاءت صور الأطعمة الغنية بالسعرات الحرارية في مقدمة اختبارات الأشخاص الذين اعتادوا إهمال وجبة الإفطار.

الأمومة تقلل نسبة الإصابة بالأمراض

أكدت دراسة فرنسية حديثة أن الأمومة تفيد صحة المرأة بصفة عامة، وتمنع عنها الإصابة بالعديد من الأمراض.



وأثبتت الدراسة التي أجراها فريق طبي بقيادة البروفيسور «ايانور شوارز» أن النساء اللاتي أرضعن اطفالهن على الأقل لمدة عام تتضاءل لديهن مخاطر الإصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم ومستوى الكوليسترول مقارنة بالأخريات، كما تقل لدى السيدة التي ترضع طفلها نسبة الإصابة بأمراض القلب والشرايين بصفة عامة.

مغارة الجليد الشفافة مـ

تعتبر مغارة الجليد الشفافة القاطنة جبال الالب جوهرة سياحية وتاريخية، إذ يقصدها أكثر من ٣٠٠ ألف زائر سنويا منذ أكثر من نصف قرن.

وبسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض في السنوات الأخيرة، تعرضت الكتلة الجليدية «مير دو جلاس» (بحر الجليد) للذوبان وفقدت منذ عام ١٩٩٤ من أربعة الى خمسة أمتار من ارتفاعها سنويا، مما أدى إلى انخفاض مستوى مدخل المغارة التي تقع عند السفح الغربي للجبل على ارتفاع ١٧٠٠ متر.

وأعرب جان ماري كلاري المشرف على المغارة لمجلة «باري ماتش» عن

علماء فضاء يكتشفون كوكبًا جديدًا



قال علماء فضاء في الولايات المتحدة إنهم اكتشفوا كوكبا جديدا يبعد ٤١ سنة ضوئية عن الأرض ويدور في فلك نجم كانكري ٥٥، ويعد الخامس الذي يتم اكتشافه، ما يجعل من كانكري ٥٥ النظام الشمسي الوحيد المعروف خارج النظام الذي نعيش فيه والذي يدور في فلكه هذا العدد من الكواكب.

وقد اكتشف علماء الفضاء أكثر من ٢٥٠ كوكبا حتى الآن خارج النظام الشمسي، ولكن الفريق الذي اكتشف النجم الأخير هو الذي حقق أعلى رقم من الاكتشافات.

والكوكب الجديد هو كوكب غازي يفوق وزنه وزن الأرض ٤٥ مرة، ويقع داخل مجموعة نجوم السرطان الثابتة.

ويعتقد العلماء أن الكوكب الجديد الذي يتمتع سطحه بحرارة معتدلة والذي يملك قمرا أو أقمارا صخرية قد يحتوي نظريا على المياه.

ويملك الكوكب الجديد أوجه شبه كثيرة مع الأرض، فهو يدور في مجال نجم عمره ووزنه عمر ووزن الشمس نفسه والنظام الذي يدور فيه هذا النجم لديه كوكبه الغازي الشبيه بالمشتري، وهو النجم الخامس في النظام الشمسي، كما أن موقعه في المجموعة شبيه بموقع المشتري في مجموعتنا الشمسية.

ـهددة بالانـهيار

قلقه إزاء سلامة الموقع، مشيرا إلى أن المغارة قد فقدت ٨٠ مترا من ارتفاعها.

يذكر أن مقدمة كتلة بحر الجليد قد تراجعت في السنوات الـ ١٤ الأخيرة ٤٠٠ متر بسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض، ويتوقع الخبراء أن تتراجع هذه المقدمة مسافة تتراوح ما بين ٦٠٠ و٩٠٠ متر في السنوات العشرين المقبلة.



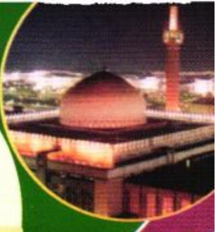
بروتين في أدمغة الذبابة يكافح السرطان



قال علماء أميركيون وسنغافوريون إن بورتين بي بي تو أي PP٢A الموجود في دماغ ذبابة الفاكهة يكبح عملية نمو الأورام في دماغ الإنسان ويمنع تشكلها، ويسيطر على الخلايا العصبية فيه.

وقال الباحثون «إذا نظرنا إلى آليات انشطار الخلايا الجذعية عند الذباب والثدييات نرى أن هناك تشابها فيها».

وهذ الدراسة عن بروتين بي بي تو أي PP٢A في ذباب الفاكهة وبعض الثدييات قد تكون مفيدة في البحث عن بعض أنواع الأورام السرطانية عند البشر وربما عن عدد آخر كبير منها.



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



(٢٠٤٠) فدية الصيام

يتقدم أحيانا أشخاص بفدية صيام شهر رمضان وذلك لعجزهم عن الصيام، وبما أن اللجنة لديها مشروع العون الغذائي وهو مشروع يعنى بشراء المواد الغذائية وتوزيعها على الأسر المحتاجة، لأن اللجنة بأمس الحاجة لشراء المواد الغذائية، فهل يجوز وضع هذه الفدية في حساب المشروع والتصرف بها على مدار السنة.

يجوز تقديم الفدية عن الصيام إلى إحدى الجهات الموثوقة المعنية بتوفير الغذاء للفقراء، سواء تم صرف ذلك في رمضان أو غيره، على أن يلتزم بصرف ذلك على الفقراء دون غيرهم من وجوه الخير أو مصارف الزكاة.

إفطار الطلبة في رمضان

هل يجوز للطلبة الإفطار في رمضان بحجة الدراسة والامتحانات وأن الصيام يؤثر على النتائج؟ أرجو الإفتاء في ذلك.

من كان عمله شاقا ويجهده الصوم معه أو طرأت عليه أعمال زائدة في رمضان كمذاكرة الطلبة للامتحانات، فليس لأحد من هؤلاء أن يصبح مفطرا بل عليه أن ينوي الصيام من الليل ويظلّ صائما ما لم تشق عليه متابعة الصيام مشقة شديدة فله عندئذ أن يفطر، وذلك متروك لدينه وتقديره واستطاعته فإن بلغ الأمر به إلى هذا الحال فأفطر فعليه القضاء فقط.

(٢٠٤٢) الحقن المجهري في نهار رمضان

هل يجوز حقن رحم المرأة بمني زوجها الشرعي أثناء الصيام؟

حقن رحم المرأة بمني زوجها أثناء الصيام مفطر ويفسد صومها وعليها القضاء دون الكفارة، ولذا ينبغي تأخير ذلك إلى الليل أو في غير شهر رمضان.

(١٧٣١) صوم طاقم الطائرة

أيهما أفضل بالسفر الصيام أم الإفطار في شهر رمضان وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بطاقم الطائرة؟

الأفضل للمسافر في رمضان أن يفعل ما هو أيسر عليه من الصوم في رمضان أو الإفطار فيه مع القضاء، فإن كان إفطار الطيار فيه مزيد سلامةٍ وبعد عن الخطر له وللطائرة والركاب فيكون الإفطار أفضل وإن كان في صومه خطورة ولو بنسبة قليلة وجب عليه الإفطار.

(١٧٣٥) بقاء الطيارين خارج البلد أكثر من ثلاثة أيام

طبيعة العمل تتطلب أحيانا بقاء طاقم الطائرة خارج الكويت لمدة ثلاثة أيام، فهل يجب الصيام في هذه الأيام؟ مع العلم أن الفترة أحيانا تكون أكثر من ثلاثة أيام وأحيانا أقل من ذلك.

يجوز الأخذ برخصة الإفطار للمسافر مادام لم يعزم على الإقامة في بلد خمسة عشر يوما فأكثر، أما إذا عزم على الإقامة ما لا يزيد على خمسة عشر يوما فيجوز له الإفطار وقصر الصلاة وذلك لما ورد من أحاديث وآثار منها قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما «إذا قدمت بلدة وأنت مسافر وفي نفسك أن تقيم خمس عشرة ليلة فأكمل الصلاة بها وإن كنت لا تدري متى تظعن فاقصرها».



(١٤٣٢) تناول المرأة لحبوب منع الحمل

ما حكم الشرع في تناول المرأة الحبوب المانعة لنزيف الدم أثناء العادة الشهرية وذلك من أجل أن تصوم المرأة كل أيام رمضان؟

بقاء دم الحيض وعدم خروجه يسبب أمراضا لجسم المرأة، وقد يسبب أيضا منع الحمل، وبقاء دم الحيض مخالف لسنة الله الكونية في المرأة فكأننا ننازع القدر، وثبت عن السيدة عائشة أنها كانت تقول كنا نحيض في رمضان ونقضي أيام الحيض بعد رمضان، وإن أجاز البعض ذلك بناء على الحج فالحج فيه دليل، ولأن الحملة لا تستطيع انتظار المرأة صاحبة العادة الشهرية فأجازوا لها شرب ماء الأراك وهذا ليس بضار بالصحة.

وأيضا قال الرسول ﷺ لعائشة عندما جاءتها العادة الشهرية: «فاقضي ما يقضي الحاج غير أنك لا تطوفي بالبيت» فلم يؤيد ﷺ تناول شيء لإيقاف الدم.

(١٤٣٣) بيع الطعام لمن يتناوله

هل يجوز بيع الطعام لمن يتناوله بالنهار في رمضان للمسلمين أو غير المسلمين؟

لا يجوز بيع الطعام لمن يعلم أنه يتناوله في نهار رمضان من المسلمين إلا أن يكون له عذر يبيح له الفطر كأن يكون مسافرا أو مريضا، أما بيعه لغير المسلمين فجائز.

من القواعد الفقهية

إذا نفى الشارعُ عبادة أو معاملة فهو لفسادها، أو نفى بعضَ ما يَلزمُ فيها فلا تُنفى لنفي بعض مستحبّاتها.

- إذا نفى الشّارع عبادة أو معاملة فهو إما لفسادها من أصلها، أو لانتفاء بعض ما يلزَم فيها من واجبات، أو غيرها.

- العملُ إذا فُعِلَ كما أوجَبَه الله تعالى فإنّه لا يصحُّ نفيه لانتفاء شيء من مستحبّاته التي ليست بواجبة.

النفيُ: قد يكون نفيا للوجود مثل: لا خالقَ إلا اللهُ.

وقد يكون نفيا للصحّة مثل: لا صلاةَ إلا بطُهور.

وقد يكونُ نفياً للكمال مثل: لا صلاةَ بحضْرَة الطّعام - على أحد القولين الأصلُ في نفي الشّرع أن يكونَ نفيا للصحّة لا نفيا للكمال إلا بدليل.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية- عبدالرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)

قرار ٩٣ (١٠/١) بشأن المفطرات في مجال التداوي

أولا: الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات

١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٣- ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

٤- إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥- ما يدخل الإحليل، أي مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى، من قسطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق ٨- الحُقن العلاجية الجلدية، أو العضلية، أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩- غاز الأكسوجين.

١٠- غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصا من الجلد كالدهونات، والمراهم، واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢- إدخال قسطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء، أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦- دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة).

ثانيا: ينبغي على الطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكورة فيما سبق.

واحة الإيمان

إعداد : محمد شفيق

الانشغال بالله عن الصحبة

■ سئل إبراهيم بن أدهم: لم لا تخالط الناس؟ فقال: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملل، ولا في وصله انقطاع، ولا في الأنس به وحشة.

ثلاثيات

■ قال عبدالله بن محمد: ثلاث من كن فيه حوى الفضل وإن كان راغباً عن سواها، صحة العقل، والتمسك بالعدل، وتنزيه نفسه عن سواها.

■ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أخافه عليكم ثلاثة: شح مطاع، وهوى متبع، إعجاب المرء بنفسه.

■ ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان المرض.

■ كن حاضراً عند ثلاثة: عند صاحب حاجة، وعند ضال طريق، وعند منكوب دهر.

أخشى ما أخشاه

■ قال أحد الصالحين: أخشى ما أخشاه يوم القيامة أن يقال لي هل علمت؟ فأقول نعم، فيقال: وماذا عملت بما علمت؟

قيل للطمع

■ قال بعضهم: لو قيل للطمع من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل له: ما حرفتك؟ قال: الحرمان، وقيل: الطمع يذل الأمير، واليأس يعز الفقير.

بين

■ بين الشقاء والسعادة تذكر عواقب الأمور.

■ بين الجنة والنار تذكر الحياة والموت.

■ بين السبق والتأخر تذكر الغاية والهدف.

■ بين الصلاح والفساد يقظة الضمير.

■ بين الخطأ والصواب يقظة العقل.

الحوار مع الشيطان

قال حاتم: كل صباح يقول لي الشيطان: أي شيء تأكل اليوم؟ فأقول الموت! فيقول: أي شيء تلبس؟ فأقول: الكفن! فيقول أين ترقد؟ فأقول في القبر!

يا دنيا ما أطيبك!

■ روى أن عبدالملك بن مروان لما أحس بالموت قال: «ارفعوني على شرف فكان ذلك، فتنسم الروح، ثم قال: يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك قصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور، وتمثل بهذه البيتين من الشعر:

إن تناقش يكن نقاشك يارب
عذاباً ولا طوق لي بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب صفوح
عن مسيء ذنوبه كالتراب

دوام النعمة

إذا شئت أن تبقى من الله نعمة
عليك فسارع في حوائج خلقه

ولا تعصين الله ما نلت ثروة
فينزع عنك الله واسع رزقه

الجنة بيت المؤمنين

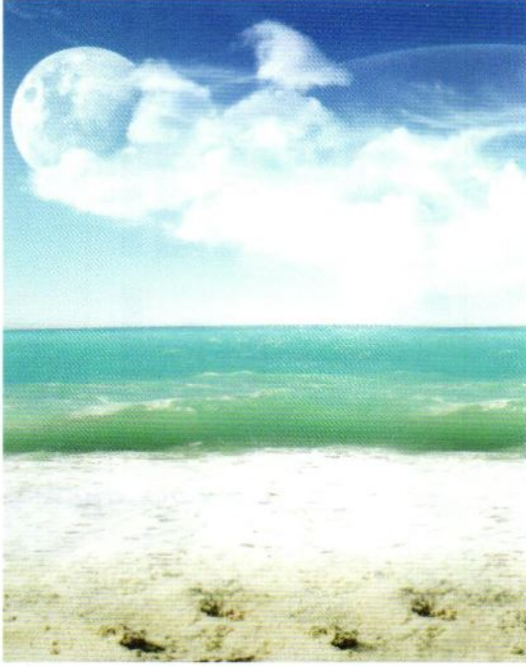
■ قال الإمام محمد عبده: إن كان اليهود سيدخلون الجنة، فإننا داخلوها لأننا آمنا بموسى، وإن كان النصارى سيدخلون الجنة فنحن داخلوها لأننا آمنا بعيسى، فإذا كنا داخليها فلن يدخلها اليهود ولا النصارى لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

جعل حبه كله لربه

■ كان لابن عباد ولد شغفه حبا فضمه مرة إلى صدره وقبله، فقال له الغلام: أتحبني يا أبتاه؟ فأجاب والده: نعم أحبك يا بني، فقال الغلام: أتحب الله يا أبتاه؟ فأجاب الأب: نعم أحب الله يا بني، فقال الغلام: كم قلبا لك يا أبتاه؟ فأجابه أبوه: قلب واحد يا بني، قال الغلام: وكيف يجتمع اثنان في قلب واحد يا أبتاه؟ هنا أدرك ابن عباد أن كلام ولده إلهام من الله، فندم علي ما فعله، وجعل حبه كله لربه!

آيات الخالق

■ بينما كانت امرأة عجوز تمشي الهوينى إذ مر أعرابي يقود بعيراً محملاً، فقالت: إلى من تحمل الهدية؟ فقال: ليست هذه هدية، وإنما هي هدى، قالت وما هداك؟ قال: كتاب في الدليل على وجود الله، فضحكت العجوز، فاستغرب الاعرابي وقال: ألم أنبئك بالصريح؟ فما هذا الضحك يا أماه؟ قالت: يا بني أنا لست أضحك منك، وإنما أضحك ممن لا يقر بوجود مولاه بعد مشاهدة هذا الكون وما فيه من الآيات ثم هو يقنع بحمل بعير، فقال لها: أما علمت أنه إذا عميت البصائر فلتقرأ النواظر؟ قالت: صدقت يا بني.





الخروج عرياناً

■ قيل لمعروف الكرخي في علته: أوصّ فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً، كما دخلت اليها عرياناً!



خصال الحق الثلاث

■ أنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شعر زهير بن أبي سلمى ، فلما بلغ قوله

فإن الحق مقطعه ثلاث

يمين أو نفار أو جلاء

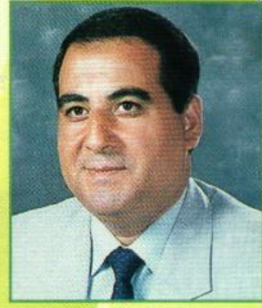
فجعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفضيله بينها ويقول: لا يخرج الحق إلا من إحدى ثلاث: إما يمين أو محاكمة أو حجة!

كلام حكيم

■ سئل حكيم عن أحمق الناس فقال: الفقير المحتال، والضعيف الصوال، والغني القوال. وسئل عن أجدر الناس بالاحترام، فقال: من إذا أعطي شكر، إذا منع عذر، وإذا موطل صبر، وإذا قرب منح، وإذا بعد مدح، وإذا ظلم صفح.

دعاء

■اللهم إني استغفرك لما تبت منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي وأخلفتك، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقويت بها على معصيتك، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها!



مسك الختام

د. عبدالمنعم عبدالله حسن

ويبقى للمظلوم أقوى سلاح

لايزال الصراع بين الحق والباطل قائما ما قامت الحياة، مستمرا ما استمرت الدنيا، ولايزال الخلاف بين الناس مشتعلا، والخصومات محتدمة، والصراعات متقدة، ولاتزال القلوب مختلفة والنفوس متباينة والطبائع متغايرة، إلا من رحم ربي.

ومع نصوع الحق، وإشراق شمسه، وقوة ضيائه، فإن ضباب العناد يحاول أن يحجب ضوء الحق، وغيوم اللدد تحاول أن تخفي سنا الحقيقة، وعتمة الخصومة تحاول أن تواري نور الصدق.

وللباطل أساليبه الملتوية، وطرقه المعوجة، ودروبه العنيدة، ومتاهاته المحيرة، واتهاماته الجائرة، وتلفيقاته الكاذبة، وحججه الملفقة، وأقواله المنمقة، وجداله المدافع، ولسانه اللاذع، لتضيع بين هذه المتاهات الحقائق، وتتوه الوثائق، ويخرج الباطل من ساحة الحكم منتصرا، ويفوز الظالم، ويقهر المظلوم، وتطوى ملفات القضايا، ويسدل الستار، فهل ينتهي الأمر عند ذلك؟

لا... إن هذه الملفات ستفتح مرة ثانية، ويستأنف الحكم فيها، وتبسط الحقائق من جديد، وتناقش الوقائع في عدل مطلق، وإنصاف محقق، وميزان بالقسط، وفصل بالعدل، والموعد الآخرة، والحاكم رب العالمين الذي يقول ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (السجدة: ٢٥).

ولا يفرح الظالم بما حققه من نصر ظلما، وإن أصر على أن يفرح فليفرح ولكن بقطعة من النار اقتطعها كما قال النبي ﷺ فيما روته أم سلمة رضي الله عنها «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار» (متفق عليه) ولا يحزن المظلوم، فإن شهرت في وجهه أسلحة الباطل، فلم يزل بين يديه أقوى سلاح وهو الدعاء، فالدعاء سلاح المؤمن، يتسلح به المظلوم ليضرع وقت السحر - والظالم يغط في نوم عميق - ليناجي الحق الذي لا تضيع عنده الحقوق، فتسري دعوته الى آفاق بعيدة، محتمية بأقوى الأقوياء، مستجيرة بجبار الأرض والسماء، مستغيثة بالقاهر فوق عباده، فتخترق دعوة المظلوم الحجب، وتفتح لها أبواب القبول، حيث قال النبي ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» (رواه الترمذي).

دعوة المظلوم.. سلاحه الذي يأخذ به حقه وافيا، حين يهدر حقه بين البشر.. ويا له من سلاح، يهابه من يعرف قدره، ويتقيه من يدرك خطره، ويخافه من يخشى أثره.

ومن ثم قال الرسول ﷺ لمعاذ لما بعثه «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (متفق عليه).

ولما كان المسافر يمتلكه الرجاء ليسلم في سفره متحصناً بكل أسباب النجاة، كان من دعاء المسافر التعوذ من دعوة المظلوم، فلقد كان النبي ﷺ إذا خرج في سفره قال «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال» (رواه مسلم).

قد تضيع الحقوق، وتبرق أسلحة الظالم ولكن يبقى للمظلوم أقوى سلاح يبقى له الدعاء.



تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



الحياة العلمية في الكويت



مسجد الحسن الثاني
معلم طريق الخلاص

تأملات حول العيد

مسابقة (نزهة العقول ١١

الافتتاحية

العلم والعقل

العلم والعقل سعادة وإقبال، وإن قل معهما المال، وضاقت معهما الحال، والجهل والحمق حرمان وإدبار، وإن كثر معهما المال، واتسعت معهما الحال، لأن السعادة ليست بكثرة المال. ولكل أدب وفضيلة أساس وينبوع هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلًا، وللدنيا عمادًا، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مُدبَّرة بأحكامه، فالعقل دواء القلوب، ومكارم الأخلاق، ومؤنس الغربة، وسلوك الصواب، واجتناب الخطأ، وعُدَّة في النوائب، فبالعقل تعمر القلوب، والذي يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله، والتباعد عن أضداده، فالواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته أن يثنِّي بطلب العلم والمداومة عليه، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم فيه، وأول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل به، ثم النشر، فطلب العلم أفضل المطالب، وكسبه أشرف المكاسب، وهو أرفع المعالي والمفاخر، واستضاءت ببهائه الأسرار والضمائر، فهو سراج يستضاء به في الظُلَم، ومفتاح المقفلات البُهم، فتعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرَّاء، والمعين على الضراء، فينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيِّعن منه لحظة في غير قربة، بل يقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٠

العام السادس والأربعون

شوال ١٤٣٠ هـ

أكتوبر ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

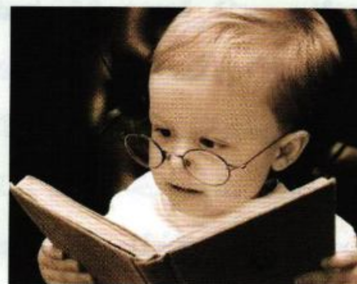
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

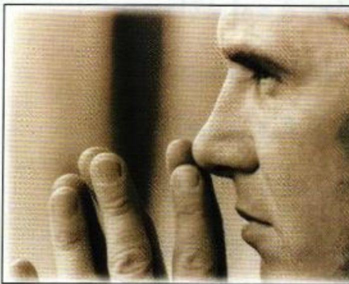












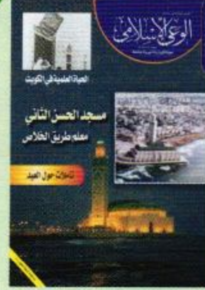
التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



مسجد الحسن الثاني بالمغرب.. صرح عظيم على حافة البحر، تهدي مئذنته جميع السفن القادمة إلى طريق الخلاص، شارك في تشييده جميع أفراد الشعب المغربي.

داخل العدد

كلمة العدد

طريق الحياة

تعتبر التربية طريقة الحياة باعتبارها إنسانية النزعة، ذاتية المنطلق، اجتماعية المحتوى، فهي تنقل الوليد من مجرد كائن عضوي إلى إنسان ذي شخصية متمايزة.

فالتربية والتعليم أساس كل نهضة وتقدم، وعنوان كل تغيير واصلاح، وطريق بناء العقول والأمم.

ولعل حاجة الأمم إلى التربية لا تقل أهمية عن حاجتها للمال والقوة، ذلك أن الأمة لا تنال مجدها إلا إذا نالت نصيبًا وافرًا من التربية السليمة.

وللتربية الإسلامية دور رئيسي في تطبيق النظام الإسلامي، فليس من المعقول تطبيق النظام دونما الاعتقاد به عن بصيرة واقتناع. ويظهر هذا في تكوين الرسول ﷺ رجالا عظامًا تكونت منهم أمة قوية استطاعت أن تطبق المنهج الإسلامي بأنصع وجوهه.

وبالتالي فإن أي نهضة إسلامية تستوجب بناء جيل رباني فريد أعد إعدادا تربويا خاصا على المبادئ التي قررها رب العزة وطبقها رسوله الأمين ﷺ، ومثلها كلمات الصحابي ربعي بن عامر رضي الله عنه حين سأله رستم قائد الفرس: ماذا جاء بكم؟

فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلسا ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريال ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

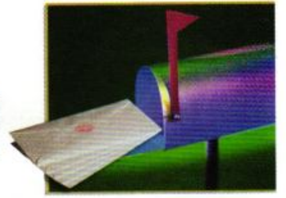
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



التربية والتعليم

يرى بعض الباحثين أن التربية والتعليم واحد لافرق بينهما ويرى آخرون أن التعليم أعم وأشمل من التربية ، وفي الرأي الحديث أن التربية في مفهومها أعم وأشمل من التعليم لأنها تشمل جوانب شخصية الفرد من السلوك والعاطفة والاتجاهات الأخلاقية، أما التعليم فقد يكون مقصورا على المعرفة بجانبيها النظري والتطبيقي وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن الكريم سنجد نصوصا تتحدث عن عملية التربية كقوله تعالى ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (الإسراء:٢٤)، وقوله تعالى ﴿قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمري سنين﴾ (الشعراء:١٨) ونصوصا أخرى تتحدث عن العمليتين معا التعليم والتربية مما دل على أن العمليتين مرتبطتان ومتلازمتان معا، يقول الله تعالى ﴿ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (البقرة:١٢٩) وقوله تعالى ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: ١٥١)، يرى المربون المسلمون ومنهم (الغزالي) أن الدين أساس التربية الخلقية في الإسلام وهذا واضح في قول الغزالي «أيها الولد ... كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث فيه، إن كان مثل عرض الدنيا وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهات على الأقران والأمثال، فويل لك ثم ويل لك، وإن كان قصدك فيه شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الامارة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى لك) وذلك يرجع أن العلم بالله عند المسلمين هو أصل كل علم، وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادتهم إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

■ **محمد شفيق سليمان**



كيف نعيد تأهيل الدعاة؟

إن أهم خطوة على طريق تصحيح الخطاب الديني هي وضع منهج متكامل يحتوي على العناصر التي تؤهل الداعية للقيام بواجبه في مجال الدعوة الإسلامية على الوجه الأكمل في المجتمع المعاصر بحيث يكون قادراً على فهم التيارات الفكرية الدينية وغير الدينية الموجودة في المجتمعات الأوروبية والإسلامية وتشتمل على دراسة مناهج الرسل في الدعوة إلى الله التي اختلفت بين مجتمع وآخر بسبب التفاوت الثقافي والبيئي والزمني للمدعوين.

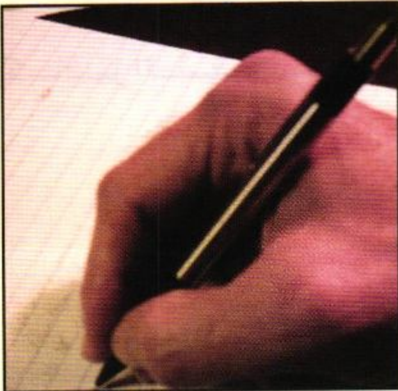
ودراسة المناهج المعاصرة والاستفادة منها على قدر الإمكان.

إلى جانب ذلك تجب دراسة منهج القرآن في الدعوة الإسلامية الذي يقوم على استخدام الحكمة وهي تعني استخدام الأدلة العقلية مع غير المسلمين مع الاستشهاد بأحداث التاريخ ومناهج البحوث الاجتماعية والعلمية في مجالات الكون والطبيعة والإنسان.

واستخدام الأدلة العقلية مطلوب أيضا مع المسلمين عند تناول القضايا التي تهم حضاهرهم ومستقبلهم.

فمنهج القرآن يجب أن يدرس للدعاة بما يشمل عليه من حكمة وموعظة حسنة ومجالة بالتي هي أحسن أيضا يجب أن يدرس الدعاة القضايا الفكرية المعاصرة التي لها صلة بالدعوة والتي ترتبط بأفكار مثل الأصولي والطرف والإرهاب والتكفير والهجرة والتعصب للرأي والتقليد الأعمى للآخرين وقبول الرأي الآخر.

وجهة نظر



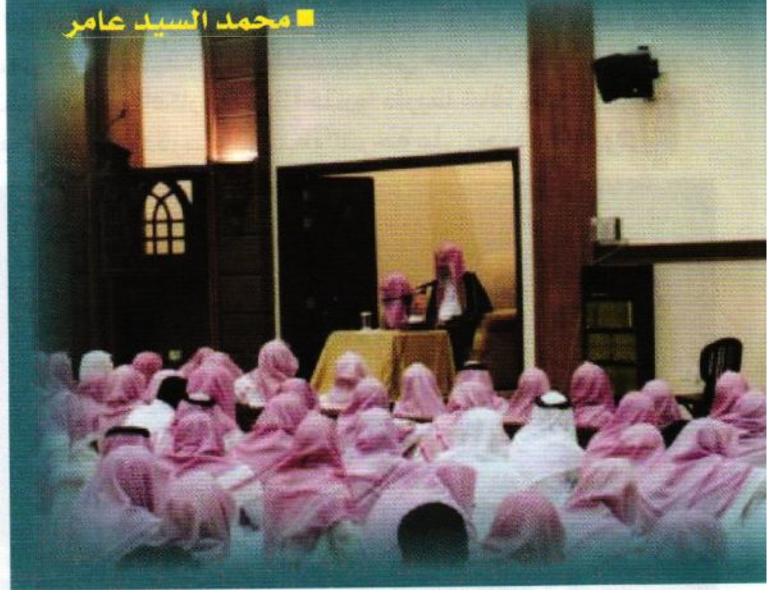
أطمع في كرمكك مخاطبة وسائل الإعلام المقروءة والمرئية كافة لوقف كتابة الأرقام الحسابية بغير العربية وكتابتها بالأرقام العربية، والعودة إلى اصالتنا في كتابة (العناوين والأسماء بخط النسخ أو الرقعة) بدلا من الخطوط الدخيلة عليها التي نراها في وسائل الإعلام المقروء والمرئية.

وأخشى ما أخشاه، أن يكتب (القرآن الكريم والأحاديث القدسية والنبوية) بهذه الخطوط الوافدة بحجة التجديد والتيسير.

■ **محمد السحرتي**

كذلك يجب دراسة الآليات والوسائل المعاصرة التي يستخدمها الدعاة في مجال المواجهة وذلك بتبصيرهم بالإتهامات التي توجه للإسلام من جانب الأميركان والأوروبيين وبيان مفهوم العولمة وأثاره على المجتمعات الإسلامية، كما يجب التركيز في الدعوة على السماحة والتيسير واحترام الآخر والبعد عن الخرافات وعدم الانفصال عن الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفني والإعلامي.

■ محمد السيد عامر



مضار الاختلاط

عندما تصلنا الأخبار عن مدى ما وصلت إليه حالة المجتمعات الغربية الجاهلية من ترد في القيم، وانحطاط في الأخلاق، وتحلل في روابط الأسرة، وعندما نقرأ في الصحف عن نتائج الاختلاط، وعواقب الفوضى الجنسية التي انزلقت إليها تلك المجتمعات، حتى بلغ القوم في الانحطاط مستوى تتعفف عنه كثير من البهائم، ندرك عظمة الإسلام وأنه صنعة الله عز وجل، وفطرته التي فطر الناس عليها.

والواقع المتردي في كل المجتمعات التي اعتمدت الاختلاط يؤيد هذه الحقيقة، ويكذب كل مزاعم دعاة الاختلاط، ويبطل دعاواهم، ويبين زيف حججهم، فمرة يزعمون أنهم يريدون الاختلاط البريء، الذي يقف عند حدود التحادث والتخاطب والمشاركة في النقاش وحل المشكلات، ومرة أخرى يزعمون أن اختلاط الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات أدى إلى التنافس في الدراسة، والجد في التحصيل العلمي، وكل ذلك كذب بيّن وافتراء مفضوح يظهر الواقع المشاهد زيفه وبطلانه، فهذه المجتمعات التي اعتمدت الاختلاط.. أين الاختلاط البريء فيها؟

أما اختلاط الطلاب والطالبات، فليسألوا عنه نتائج الإحصاءات هناك، حيث تثبت انخفاض مستوى التحصيل الدراسي في المدارس المختلطة.

وقد حرص الإسلام على عدم الاختلاط بين الرجال والنساء واستطاع أن يبني مجتمعا نظيفا طاهرا سليما مستقيما من خلال الفصل بين الذكور والإناث، والحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان.

■ فؤاد الغريب



أمي.. أريد أن أقرأ

عزيزتي الأم..

إن القراءة مهمة لكل إنسان وكل عمر وكل زمان، مهما تطورت أساليب الحياة، ومهما كانت المقومات لكسب المعلومات كثيرة، فإن القراءة السبيل الأكثر جاذبية للحصول على كل ما هو مفيد، حتى داخل أجهزة الحاسوب أصبح لدينا كتب لقراءتها (الكتب الالكترونية)، فلا تدعي طفلك ينمو بدون القراءة الجيدة.

أنت أيتها الأم وحدك قادرة على تنمية موهبة القراءة لطفلك، قبل أن تتطفل عليه المصاعب.

وإن أعظم قراءة يتعلمها الطفل هي قراءة القرآن الكريم، فما أجمل أن يتعلم الطفل قواعد لغته الأم من القرآن! وما أجمل أن يطلع طفلك على الأسلوب البديع للقرآن الكريم لكي تنمو موهبة الإنشاء عنده!

■ أحمد عبدالمنعم



٨٠٪ نسبة نجاحها بينما لا تتجاوز في أعرق المصحات العالمية ١٣,٢٪

«بشائر الخير»: بالإيمان نقضي على الإدمان

رجب الدمنهوري

«بالإيمان نقضي على الإدمان».. شعار ترفعه جمعية بشائر الخير الكويتية التي أنشئت في عام ١٩٩٣م في مسعى حثيث - كلجنة خيرية متخصصة- لعلاج مدمني المخدرات وتأهيلهم، حيث قيض الله لها ثلة من رجالات الكويت وشبابها المتطوعين التقت إرادتهم بعد تحرير الكويت من الاحتلال العراقي الغاشم على ضرورة العمل من أجل تخفيف الآثار النفسية التي خلفها الاحتلال في نفوس الشباب، وحشد الجهود لمكافحة الظواهر السلبية الوافدة إلى المجتمع، ومن بين أفكار عديدة اختاروا طريقا شاقا وشائكا وهو إعادة تأهيل الشباب الذي وقع فريسة المخدرات، وانتشاله من هذا المستنقع الآسن، وإعادة رسم البسمة والفرحة على وجوه أبنائه وذويه.



مع تنامي أنشطة جمعية بشائر الخير وتعاظم أدوارها المجتمعية والتوعوية والعلاجية بعد إشهارها في ٢٠٠٥م وتحولها إلى جمعية نفع عام، نجحت الجمعية في صناعة تجربة فريدة ليس على الصعيد المحلي فقط، بل على المستويين العربي والإسلامي، وأحدثت نتائج مذهلة في علاج الإدمان من خلال النظرية الإيمانية التي أثبتت- بشهادة خبراء الطب النفسي وعلاج الإدمان - تفوقها على كثير من النظريات النفسية الغربية، فضلا عن نجاعة العلاج النفسي المبني على الزاد الروحي من القرآن الكريم وتعاليم الإسلام، إذ بلغت نسبة إقلاع المدمنين عن المخدرات ٨٠ في المائة، بينما لا تتجاوز نسبة النجاح في أعرق المصحات العالمية ١٣,٢ في المائة، يضاف إلى ذلك أنه في الوقت الذي تصل فيه نسبة انتكاسة المدمنين في العالم إلى ٩٥ في المائة، نجدها لا تتجاوز الـ٢٠ في المائة في جمعية البشائر، وهذا يؤكد تفوق المنهج الإيماني وتميزه وفاعليته في مواجهة هذه الآفة، ولعل هذا النجاح الملحوظ هو ما دفع وزارة الداخلية إلى رفد الجمعية بمائة حالة سنويا لمعالجتها.

مهندس تجربة البشائر منذ تأسيسها وحتى الآن هو الداعية الإسلامي والطبيب النفسي الشيخ عبدالحميد البلالي الذي اخذ على عاتقه -مع فريق من المخلصين - مسؤولية بناء منظومة العلاج الإيماني لإعادة تأهيل التائبين إسلاميا ونفسيا وصحيا واجتماعيا، بل مساعدتهم في الانخراط في المجتمع كأعضاء صالحين ومنتجين وفاعلين، وناجحين في رعاية أسرهم بعد فترة من التيه والضياع في عالم المخدرات.

مكافحة الإدمان وتحدي الصعاب

هذه الثلة من أبناء الكويت الأخيار تحدت الصعاب، إذ لم يكن المجتمع مدركا أهمية العمل في هذا المجال بسبب قلة الوعي وعدم إدراك أهمية هذا العمل الخيري الجديد، اذ كان البعض ينظر شذرا واشمئزازا لمثل هذا العمل ومقترفي جريمة التعاطي، اذ يقول الشيخ البلالي: عندما كنا نذهب إلى أحد التجار ونطلب منه أن يساعدنا للعمل مع المدمنين، يقول لنا: أنا لا أضع أموالي في عمل له علاقة بالمدمنين، والأفضل أن

صحافي مقيم في الكويت

أضعها في بناء مسجد أو حفر بئر، ولكن- والكلام للبلالي- أمام إصرارنا على المضي في طريقنا، وتوعية الناس بأهمية مساعدة هؤلاء المتخبطين في عالم المخدرات وسوقه الرائجة في الكويت، اقتنعوا بنهجنا وأصبحوا أكثر وعيا بخطورة المشكلة، ثم انهالت علينا المساعدات من جهات عدة.

وفي غضون سنوات استطاعت اللجنة أن تنجح في إنجاز العديد من أهدافها بصورة كبيرة، وأن تستقطب المئات من التائبين الذين عجز الطب النفسي عن معالجتهم من الإدمان، وذلك عبر النزول إلى الميدان والاحتكاك المباشر بالمدمنين عن طريق مستشفى الطب النفسي وعدم الاكتفاء بالتنظير، انطلاقا من أن طبيعة المنهج الإيماني في علاج النفوس لا تقبل القول من دون العمل، كما أنه لا توجد آية في القرآن الكريم ذكرت الإيمان إلا وقرنته بالعمل.

النظرية الإيمانية

ويبدأ دور الجمعية في تطبيق النظرية الإيمانية بعد انتهاء فترة العلاج الإكلينكي وخروج المدمن من السجن أو المستشفى، وتتجلى أهم ملامح هذه النظرية في التعامل مع المدمن بلغة مفعمة بالعطف والحنان والرعاية والرحمة، وإشعاره بالاهتمام والحرص على بلوغه العافية والسلامة، خاصة أنه في تلك المرحلة يتشكل لديه إحساس باحتقار المجتمع له وقسوته عليه ورفضه له، ثم يأتي بعد ذلك العمل على إشعاره بثقته بنفسه وثقة الآخرين به من خلال تكليفه ببعض الواجبات، خاصة أن المدمن لا يمكن أن تتكون لديه القدرة على الخروج من مستنقع الإدمان من غير إرادة، ولا يمكن بناء إرادته من غير تعزيز الجوانب الإيمانية والسلوكية والوجدانية، ودعم ثقته بنفسه وتنمية روح الأمل لديه.

أساليب وقائية

وإلى جانب انشغالها بمعالجة المدمنين، حيث تقول الإحصاءات إن ١٤ في المائة من شباب الكويت خاضوا تجربة المخدرات، فإن ٨٠ في المائة من نشاط الجمعية ينصب على الشريحة التي لم تسقط في الإدمان من خلال وسائل وأساليب وقائية عدة منها ترتيب ندوات ومحاضرات وأسابيع ثقافية للتوعية بخطورة المخدرات وطباعة مطويات شهرية وكتيبات مع التنسيق مع الجهات المعنية وتنظيم زيارات أسبوعية ميدانية للمدمنين في مستشفى الطب النفسي والمنازل والسجن المركزي، وإقامة محاضرات توعوية في المدارس الثانوية وتوزيع أشرطة «كاسيت - فيديو» تتعلق بقضية المخدرات.

دور الجمعية يبدأ بعد انتهاء العلاج الإكلينكي ..وتخلي المجتمع عن المدمنين شكّل عقبة كبرى

كما تحرص على تدشين مسرحيات لمعالجة هذه القضية وإعداد معارض متنقلة في جميع أنحاء الكويت ودراسات متخصصة في قضايا المخدرات وسبل مواجهتها، وتنظيم دورات توعية لأسر المدمنين وزيارات مفتوحة لجميع الديوانيات الشعبية لزيادة الوعي ومتابعة المدمنين التائبين بعد خروجهم من المستشفى وحل مشكلاتهم المالية والاجتماعية والنفسية، وعمل ديوانية أسبوعية للتائبين وإفطار جماعي كل خميس تعقبه مسابقة، وأداء عمرة سنوية وفريضة الحج، وتنظيم رحلات بحرية وبرية وتكريم المتعافين، وإقامة اعتكاف خلال العشر الأواخر من رمضان.

أسس النظرية الإيمانية لعلاج الإدمان

١- الإدمان معصية لله، وقع فيها المدمن باختياره، وعليه التوبة منها.

٢- معاملة المدمن كمريض بحاجة الى المساعدة، لا كمجرم يستحق العقاب.

٣- مد يد العون له للنهوض من جديد وإشغال وقت فراغه بما هو مفيد.

٤- التعامل الإنساني مع المدمن وإشباع حاجته إلى التقدير والاحترام.

٥- التعامل مع جميع المدمنين دون تمييز أو تفرقة.

٦- مشاركة التائبين أفراحهم وآلامهم وعدم الاكتفاء بالتنظير.

٧- تقوية الجانب الإيماني لدى المدمنين وتعزيز الثقة بالنفس وبث روح الأمل لديهم.

٨- توفير البيئة الصالحة للتائب.

٩- حل المشكلات المادية والنفسية التي يعاني منها التائب.

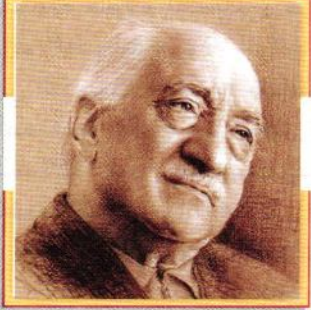
١٠- التعاون مع كل الجهات الرسمية والأهلية التي تعمل في المجال نفسه.

اعتراف دولي بالنظرية الإيمانية

يسعى القائمون على «بشائر الخير» إلى الانتقال بنشاطها إلى العالمية والاعتراف الدولي بالنظرية الإيمانية لإعادة تأهيل المدمنين، وكذلك إشهار «الهيئة العالمية للبشائر» وتأسيس فروع لها في جميع دول العالم، كما يأملون إطلاق محطة فضائية من خلال مقر كبير يحتوي على معاهد تدريب واستديو وصالات عرض سينمائي عملاقة ومكان للتسلية.

تأملات حول العيد

الأشهر المباركة التي تتقدم على رمضان وتبشرنا بإشراقه هي بمنزلة مؤشرات وعلامات صامتة وهادئة على قدوم أيام مباركة وظهور بشائرها في الأفق، أيام مليئة بفيوضات تقبل كالسيل الهادر يحتضن القلوب، ومع اليوم الأول من هذه الأشهر المباركة يحس صاحب كل قلب مؤمن أنه مغمور في جو رمضان، فتجده من اليوم الأول مستعرضًا جميع مشاعره المتعلقة بعبوديته، مدققًا لها لكي يستفيد من بركة الشهر الكريم- الذي أصبح منه قاب قوسين أو أدنى- حق الاستفادة، ويستثمره حق الاستثمار، فكأنه نهض من غفوة وأثر النعاس لا يزال في عينيه، وكلمات من بقايا حلم على لسانه، فيستجمع جهده لتركيز انتباهه وتجميعه حول هذا الموضوع، وتصيّد النغمة القدسية المتآلفة مع هذا التوجه ومع هذا القصد.



فتح الله كولن

الأعياد ترانيم الأمجاد .. والتهليل والتكبير والصدقة لسان الأمة الخاص

عندما تمتلئ القلوب بالمشاعر، وتبلغ الأرواح قوامها، يولد شهر رمضان من رحم الهلال، ولكن بقوة ضياء البدر من خلف البشائر المتعاقبة لهذه الأيام، ويهبّ كألطف نسيم، ويحيط بقلوبنا ويلاطف أرواحنا وأجسادنا برقّة الحرير، ويملأ أعيننا بصور الجمال الشبيهة بجمال سفوح الربيع، ويثير في أفئدتنا رغبة التسامي، ويدع في صدورنا انتفاضة حلوة كانتفاضة عصفور بلّله القطر.

وأخيرا تنتهي هذه الضيافة التي تدوم شهرا، ويودعنا شهر رمضان الذي قدم بعطاياه الكثيرة، يودعنا.. لكن الأرواح التي وصلت إلى حياة جديدة، والتي اقتبست من نوره، والقلوب التي استغرقت خلاله في التأمل والتفكر فارتجفت من خشية الله، تلك القلوب الهائمة التي خرجت تبحث عن مسالك وطرق الوصال، تحتضن بدفء أيام العيد هذه المرة. وكما يرى الإنسان المبحر بعد قليل أن المياه تحيط به من كل الجوانب، نجد أنفسنا في العيد في جو من الاطمئنان والسكينة، نحس هذا في أعماقنا، وبكل كياننا، وبكل ماهيتنا الإنسانية.

تبدو صلاة العيد وأصوات التهليل والتكبير، وصدقات الفطر لأصحاب القلوب المؤمنة كمنافذ إلى عالم خيالي رائع، فينطلقون كقوارب أطلقت أشرعتها للرياح، أجل، إن الجو العام في العيد، والسحر الذي يحيط به وبكل التصرفات والأصوات والحديث يجعلان الإنسان يشعر وكأنه يرتفع نحو السماء ببطء، ويبتعد عن محله ومكانه الذي انطلق منه، ويعيش في مثل هذا الجو الساحر الذي تنهمر فيه الأضواء والأنوار.

في العيد نعيش الماضي والحاضر والمستقبل معا، وكأن هناك سحرا غريبا في الأصوات المرتفعة من المساجد، وفي المنازل التي نزورها، وفي الأيدي المباركة التي نقبلها.. سحر ما إن نلمسه حتى تتفتح أمامنا منافذ عديدة للماضي، فنجد أنفسنا داخل مسجد قديم نجلس في صف واحد مع أجدادنا وأجداد أجدادنا، وحينما تلتقي شفاهنا بالأيدي الطاهرة نشعر وكأننا قد قبّلنا مئات الأيادي المباركة، نهنئ أصدقاءنا وأحبابنا ونضمهم إلى صدورنا نحس وكأننا نضم أحبابنا الذين عاشوا قبلنا وقبل هؤلاء في عهود سابقة، كل حركة في العيد وكل فكر وكل تصور وكل كلمة أو حديث وكل تصرف يبعث شريطا زمنيا من أشرطة الماضي، ليحيا ويحيط بكياننا، ويملأ أفقنا، ويصبح ملكنا، ويهب -حسب درجة وسعة خيال كل منا- أنموذجا للبعث بعد الموت.

الأعياد في الحقيقة ترانيم قادمة إلينا من أمجاد أجدادنا ومن جذورنا المباركة، بسحر هذه الترانيم نصل في كثير من الأحيان إلى عوالم ما كنا لنصل إليها من قبل، إذ ندخل إلى كل مكان بسهولة الأحلام، ونتجول في كل الأماكن بسرعة الخيال، طاوين الزمان الذي نعيشه بأزمنة متداخلة بعضها في بعض.

أجل.. إن الماضي يعود إلينا بكل مجده السابق بدرجة تعايشنا مع سحر شهر رمضان، ويعود كل ما فقدناه من قبل، ونتنفس من جديد رائحة تلك الأيام النقية، ونستنشقها بعشق لتمتلئ بها صدورنا، ونرتشف من الينابيع الفياضة الماضية، فنحسب أنفسنا في عالم آخر. وقد يبلغ



مفكر تركي

بنا الاستغراق مبلغًا نخال وكأن جميع من في القبور قد بُعثوا، وكل شيء ممزق ومبعثر هنا وهناك كأنه أشلاء قد تجمعت وتوحدت من جديد، ويرجع شتات الزمن الذي انقضى من أعمارنا ليحتضن أرواحنا، ونعيش- بجانب ما نعيشه اليوم وما عشناه بالأمس في أعمق الأذواق وأوسعها- في ذكريات روحية ساحرة، حتى إن عناصر اللذة والأذواق في هذه النقطة -كما هي في الأحلام- تكون متغيرة على الدوام حسب نياتنا وأفكارنا وميولنا، وتتجدد على الدوام حسب رغباتنا، وتلبس الحال التي نريدها، وبينما كانت هناك رغبة واحدة إذا بها تنقلب إلى ألف، فكل ما شاهدناه وكل ما سمعناه وكل ما أحسسنا به نراه يتغير- بفضل سحر خارق- من شكل إلى شكل،، وبذلك نديم حياتنا بتلونات عديدة من حس لحس، ومن فكر لفكر، ومن لذة للذة أخرى.

عندما ينشق فجر يوم العيد تنطلق أصوات التسبيح والتمجيد من المآذن، وفي الدقائق التي يبلغ الجو الروحاني فيها الذروة في كل مكان نشعر بأحاسيس غامضة وسرية تثير خيالنا وتأخذنا إلى الأعماق، بل إلى أعماق الأعماق، وتهمس لقلوبنا بمشاعر لم يفصح عنها من قبل، ولا يمكن بحال من الأحوال التعبير عنها بأي كلمات ولا بأي لغة.

أجل.. إن نغمة وصوت الأذان عندنا، وأصوات التكبير والتمجيد والتهليل وأسلوبها وطعمها وجمالها، هي اللسان الخاص لهذه الأمة، ولغتها ذات الأبعاد المتنوعة الكثيرة السارية في عروقها، هذه الموسيقى التي تهز عواطفنا وتعبر عن مشاعرنا كأنها نغمات تهبّ على أرواحنا من آفاق ما وراء الزمن.

المؤذن بهتافه المتلاحق وكأنه يصدر أوامر، والإمام الذي يرتجف صوته ويئن بكلمات سماوية، وجماعة المصلين الذين يهدرون معا.. كل هذا يجري بدرجة من الأصالة والمهابة، ويبعث القشعريرة في الأجساد، وعندما نتمتم بهذه الأصوات المرتفعة من المساجد ونهمس بها نحس من جديد بماض طويل مجيد، بل أكثر من هذا بحقيقة عالمية شاملة، ونظرة تمتد من الأزل إلى الأبد، فنغرق في جو من السعادة.

إن المسجد- لاسيما في أيام العيد- يمثل بجوّه الرقيق الناعم كالحرير، والدافئ دفء عش الطير، والمملوء حيوية.. يمثل صفاء المشاعر، وراحة الوجود والاطمئنان، وغاية العيش، ومغامرة الحياة، وجذور المعاني لأمّتنا، وأسس ثقافتنا وخلود ديننا، وموسيقى لغتنا، ونظرتنا للحياة، ورأينا في الدنيا وأسلوبنا ولهجتنا، ويهمس لنا ليرينا الطرق المؤدية إلى الإنسان الحقيقي.

إننا نشعر على الدوام بهذه الأصوات التي تتردد في جوانب المعبد، ونجد في هذه الأصوات الدافئة انحناء السماء نحو الأرض، وتكامل الأرض مع السماء، وغمز النجوم لزهور الأرض وورودها، وبسمة الورود لأهل السماء، ونحس بالتواصل السري والسحري الدائم بين السماء والأرض ونكاد نراه رأي العين.

هذا الصوت وهذا المنظر وهذا الهمس الذي ينقل كل شخص- حسب قابلية روحه وعمق خياله- إلى عالم آخر تبعث في القلوب المؤمنة صورًا رائعة من الجمال ترتعش لها الأفئدة وترق لها العواطف، وعندما تنتهي الصلاة وتختتم السياحة السماوية، ويودع المسجد مؤقتا، يعود الإنسان إلى الناس من جديد كأنه آت من ضيافة الرحمن بعد أن اكتَسب بُعدا وعمقا جديدين، ويحتضنهم ويبادلهم التهاني، ويتقاسم مع كل من يصادفه في السوق والشارع، في البيت ومكان العمل، في المدرسة والمعسكر هذه الهبات والأعطيات التي أخذها واستلمها وامتلأ بها.. وهكذا تكتسب أجزاء الزمان المحدودة ضمن بضع ساعات، بدرجة سعة القلب وعلو الروح، صفة فوق الزمان، فكأنه اكتسب خلودًا. ويتضح لدى الإنسان كيف أنه وهو في الدنيا قد أسس علاقات عميقة مع الأبدية وما وراء هذا العالم.



ولا أدري كيف كان ممكنا؟ وما الزمان المطلوب أو النظام الذي يمكن الاستعانة به لكي يحس المسلمون صغيرهم وكبيرهم بكل هذه المشاعر وهذه الأحاسيس والخيالات، أو تنعكس كل هذه الأصداء في أرواحهم، لو استعانوا بطرق أخرى أو سبل غير هذه السبيل؟ وأنا لا أعتقد إمكانية هذا الأمر ولا نجاحه في الوصول إلى كل هذه الروحانية الشفافة، لأن بهجة الأعياد وفرحتها وسعادتها ولذّتها لا تنبع فقط من هذه الحياة المعيشة، بل من أبعاد الحياة التي سوف نحياها في دار العقبى، فكل من يعش في خيال البرج العاجي لقلبه، يلقه هناك سحر سيحسّه وسيذوقه في المستقبل إلى جانب ما ذاقه اليوم، ويتجول في عالم رؤى المستقبل الأكيدة التي تبدو لعالمه الداخلي أكثر ملاءمة ودفئا ونعومة، والإنسان في الحقيقة مجبول على التطلع والانتظار، يقضي معظم عمره في انتظار عوالم الأمل وأخيلته، ومعظمنا في انتظار جنة مرتبطة بمعنى لصيق بماهيتنا وذاتنا، وليس هذا الانتظار نابعًا من عدم استحساننا أو عدم قبولنا ورضانا عن الحياة التي نعيشها، بل انتظار لمفاجآت إلهية لا تستوعبها خيالاتنا كبَشَر، ولا خطرت ببالنا، ولا على أسماعنا، ولم نذقها، والأعياد ألسنةٌ بليغة تهمس بصواب هذا الأمر من منافذ قلوبنا إلى أعماق أرواحنا.

من أجل فهم عميق لمفهوم الثقافة الإسلامية الأصيلة

د. عبدالعزيز انميرات *

تشهد المرحلة الراهنة تحولات ومنعطفات دقيقة، وخطيرة في الوقت نفسه، أملتها طبيعة المسار الحضاري الذي تقطعه الإنسانية جمعاء بموازاة التقدم الكبير الذي تعرفه المعارف والعلوم، خاصة تلك المتعلقة بالوسائل المعلوماتية من جهة، وما لحق بالنظام العالمي من تبدلات على مستوى الزعامات والقيادات، باندثار علاقات الأقطاب وتمركز السيادة والقوة في قطب الليبرالية الجديدة، التي أخذت على عاتقها تحويل مسار الأمم والشعوب في اتجاه محدد يصهر الحضارات والثقافات ويعبّد الطريق، بكل الوسائل، لتحقيق المفهوم الليبرالي- الإمبريالي للعولمة، باعتبارها الوسيلة الجديدة لتصفية كل ما من شأنه الحفاظ على الهوية وتمكين الأمم من اكتساب شروط الممانعة المطلوبة، من جهة أخرى.

لقد استطاعت سياسة العولمة الجديدة اختراق الحصون وترسيخ المفهوم الجديد للعلاقات الدولية وقتل العديد من الشعوب الرافضة لسياسة الهيمنة، ومن ثم تذويب وصهر كل أشكال الانتماء والإحساس بالهوية والذاتية، فأسهمت بذلك في تحقيق نوعين من الأزمات الخطيرة التي تعاني منها الشعوب المستضعفة والمغلوبة على أمرها، والمقصود بذلك، الاستلاب والاغتراب.

وقد تمكنت من تحقيق هذه النتيجة- التي نلمسها في حياة كثير من الناس- بفعل عوامل عدة، أسهم في تكوينها ضعف الأمة وتخاذلها وتواطؤ قيادات سياسية مع المشروع الكبير للعولمة والتغريب، فلولا قابليتها لتبني واحتضان الاستلاب والاغتراب ما استطاعت المنظمات الاستعمارية الجديدة تحقيق ما حققته اليوم من نتائج كرست من تقسيم الجغرافية البشرية والاقتصادية، وجددت من استنزاف خيرات الشعوب، التي طالما جاهدت من أجل الحرية والديموقراطية والكرامة والآدمية.

في ظل هذه التحولات تشهد الجغرافية الإسلامية نهضة ملحوظة للثقافة الإسلامية، نهضة تعكس رغبة جيل جديد من الأمة في نفض غبار مخلفات مرحلة الغفوة التي أضعفت فاعليتها وإنتاجيتها وقدرتها على التعاطي مع تطورات الواقع ومستجداته بالشكل الذي يجعلها غير قادرة على ممارسة وظيفتها في الشهود والإمكان الحضاريين، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تعرفه المجتمعات الراهنة من تقلبات وتحولات سريعة، تحتم علينا أن نكون في مستوى التفاعلات الحضارية الراهنة، وفي مستوى الإسهام في صناعة أحداث التاريخ ومنجزاته، بل صنع القرارات الدولية المطلوبة.

من هنا يأتي حديثنا عن الثقافة الإسلامية وأثرها في تشكيل الحياة الإسلامية المطلوبة، ذلك أنه حينما تفقد الأمة الإسلامية مقومات هذه الثقافة، تتعرض لكثير من المحن الحضارية وتتلاشى فيها كل القدرات على الإبداع والإنتاج المطلوبين على المستويات كافة، بل تتعرض للجمود الفكري والثقافي والتحولات النفسية السلبية، من جراء ما يحدث في نفسية المسلم من صراع ينتج باستمرار من تدافع الأصالة والاستلاب، وما يلحق به من معاناة بسبب ما يحس به من ازدواجية في شخصيته الحضارية، التي تحاول التوفيق بين هويته الأصيلة ومتطلبات الحياة المعاصرة التي تتحكم في رسم تفاصيلها السياسة الدولية.

تدافع الأصالة والاستلاب ازدواجية في الشخصية الحضارية للمسلم .. وهكذا يكون الخلاص

إن السؤال الذي يمكن طرحه هنا، ونحن نتداول واقع الصحوة هو هل نحن فعلا نعيش الثقافة الإسلامية الأصيلة؟ وهل باستطاعة المسلم المعاصر التغلب على المعيقات والعقبات، حتى تحل ثقافته الإسلامية محل الثقافة التغريبية؟ بل إلى أي حد يمكننا الحديث عن ثقافة إسلامية أصيلة معاصرة قادرة على تبني خيار المواجهة والممانعة من جهة، وخيار الشهود الحضاري والإمكان العمراني من جهة أخرى؟ خاصة أن الأمة الإسلامية أمة مكلفة شرعا، بتحقيق الخيرية والشهود على الناس كافة.

إن الحديث عن الثقافة الإسلامية الأصيلة حديث بالأساس عن الثقافة التي صاغها الإسلام، قرآنا وسنة، وذلك لما يتميز به، عقيدة وشريعة، من ميزات وخصائص تجعله قادرا على صياغة وتشكيل حياة المسلم على جميع المستويات، ولا أدل على ذلك مما تعكسه حياة المسلمين في الصدر الأول من الإسلام، الشيء الذي يجعلنا نجزم بأن المفهوم الحقيقي للثقافة الأصيلة لا يتحدد إلا من خلال الرؤية العامة لمنهجية الإسلام

* أكاديمي مغربي

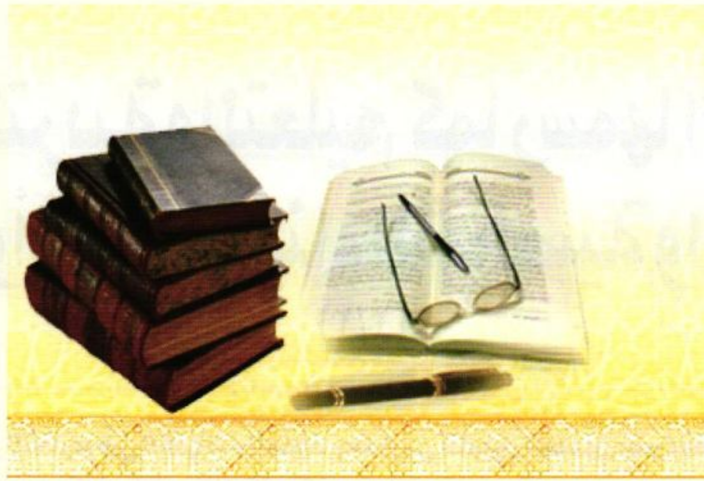
في بناء الإنسان والمجتمع معا، بناء يستطيع من خلاله الإنسان امتلاك الأدوات والوسائل المطلوبة لتسخير مكونات الكون من أجل بناء المجتمع الذي يتمثل أفراده مقاصد الشريعة الربانية والقيادة، والذي كان خير مثال على قدرة الإسلام على بناء حياة الإنسان المادية والمعنوية، وتقديم سلوكه وترشيده إلى المسار الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه في حياته الخاصة والعامة.

إن حديثنا عن الثقافة التي بصرت الناس بحقيقة الرسالة الإسلامية ومقاصدها، وكونت لديهم القناعة بأحقية الأمة الإسلامية في قيادة الناس كافة، في عصر التيه والاستبداد والفساد الحضاري، قيادة تمكن الناس من العودة إلى الفطرة السليمة التي فطرهم الله تعالى عليها أول مرة، ومن ثم التخلص من كل ما يشدهم إلى عبادة الأوثان والأهواء، ويقربهم من فضاء الفهم العميق لوظيفتهم في الحياة، ومقاصد خلقهم وسبل تحقيق ماهيتهم باعتبارهم أشرف مخلوقات الله جل جلاله، ومن ثم معرفة سبل تحقيق وأداء أمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها العمارة الربانية التي تحفظ آدمية الإنسان وكرامته وتميزه عن باقي المخلوقات الأخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار ما للعلاقة الوطيدة بين العقيدة والعمل الصالح من أثر في تحقيق هذه المهمة التكليفية، وإبراز المفهوم الصحيح للمسؤولية التي تعتبر من مكونات الشخصية المسلمة.

من هنا تتبين العلاقة الموجودة بين الإسلام، عقيدة وشريعة، وبين الثقافة الإسلامية، حيث تستمد هذه الأخيرة مقوماتها الأساسية من الإسلام نفسه، ومن السلوك النبوي المتميز، الشيء الذي يبين كذلك سمة العالمية التي تتميز بها الثقافة الإسلامية كونها خطاب الله عز وجل إلى الناس كافة، مما يعطي للثقافة الإسلامية تميزها عن باقي الأنماط الثقافية الأخرى التي تخص أجناسا محددة وأزمنة محددة وجغرافيات محددة، ولعل في ربانية الشريعة الإسلامية ما يجعل من الثقافة الإسلامية نفسها ربانية المصدر والمنهج والغاية، متى خولت لها القوة على صهر كل الثقافات الإنسانية الوضعية وجعلها ثقافة واحدة، الكل فيها سواسية إلا بالتقوى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات:١٣).

فالفهم العميق لمفهوم الثقافة الإسلامية لا يتضح بالشكل المطلوب إلا إذا نظرنا إليه من خلال الأهداف العامة للإسلام، عقيدة وشريعة، والتي يمكن تلخيصها وتجميعها في سعي الشريعة الإسلامية إلى تحقيق إعداد الإنسان وتربيته وتهيئته لتحقيق وتمثل المعنى الصحيح لمفهوم الخلافة والاستخلاف في الأرض، حيث تتضح مقاصد هذه الخلافة في عمارة الأرض بالوسائل التي أوضحها وبيّنها الشرع القويم، لتكون معينا على التفكر في خلق الله تعالى كمدخل لمعرفة حقيقة الوجود ومقاصده التي تجمعها الآية الكريمة ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

إلى جانب ما سبق تستمد الثقافة الإسلامية الأصيلة مقوماتها- على مستوى السلوك- من المنهج الإسلامي العام الذي حدد لتزكية النفس وتربية الذات، وتقويم السلوك والنيات، كلما أصابهما الانحراف والزيغ، ذلك أن الإسلام شرع لبناء الأخلاق بتفاصيلها، فاستوعب بذلك حياة الإنسان، وقدم نموذجا كاملا لحياته وسلوكه، على مستوى التفكير والتعبير والتدبير، لم تعرفه الفلسفات الإنسانية قط، ولن تعرفه، لأنها حياة وضع منهجها الله جل جلاله وبيّن تفاصيلها الرسول ﷺ، وتمثلها الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت بذلك مستجيبة لمقتضيات الفطرة السليمة والمتوائمة قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء: ٨٢).



وإذا كان الفهم العميق للمفهوم الصحيح للثقافة الإسلامية لا يتجلى إلا من خلال الفهم العميق للإسلام، جملة وتفصيلا، فإلى أي حد نستطيع تمثل هذا الفهم، في زمن نعيش فيه على وتيرة الغلبة للثقافة الغربية، رغم جهادنا ضد كل أشكالها من جهة، وسعينا بكل ما نملك من قوة نفسية ومادية إلى تمثل قيم الإسلام وتعاليمه من جهة ثانية؟

ذلك أن قولنا إننا أمة إسلامية يقتضي منا البرهنة فعليا على تمثلنا للإسلام، عقيدة وشريعة، فالانتماء إلى الإسلام ومصداقية الحديث عن الثقافة الإسلامية الأصيلة يقتضيان موافقة القول للعمل، ولن يتأتى هذا إلا بتصحيح مفهومنا للإسلام، وإلا فإن صحوة الجيل الجديد من هذه الأمة وتمسكه بالثقافة الإسلامية لن يوصلا إلى الغاية المطلوبة، عناية ببناء الفرد المسلم الذي يكون قادرا على بناء المجتمع المسلم الذي سيكون، بالضرورة نموذجا لبناء مجتمع الإنسان الذي سيتمثل فعلا حقيقة ومقاصد الاستخلاف وعمارة الأرض.

إننا في حاجة إلى تجديد فهمنا للمسار وتبصر العوائق وتصحيح النيات وتقويم السلوك، حتى يكون فهمنا للإسلام مؤسسا على نية الإخلاص لله جل جلاله، وإلا فإننا سنسقط فيما سقط فيه أصحاب الكتب السابقة الذين قال الله تعالى فيهم ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض...﴾ (البقرة: ٨٥).

أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية واتزانها

(٣/٢)

د. أحمد بن معمّر شرشال

قد اعتنى علماء التربية والتعليم في الكليات والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين بقواعد التربية وعلم النفس اعتناء كبيرا، فكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وأبحاثا جمة.

وإن مما يدعو للدهشة والاستغراب أنهم نقلوا فيها عن علماء التربية الغربية كل طارف وتالد، واقتبسوا أصولهم وفروعهم وتجاربهم وإذا كنا نقدر مدى أهمية الاستفادة من عمل الآخرين بعد تصفيته وغربلته مما يتعارض مع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم، ومع مبادئنا وقيمنا الحضارية، فإن الذي نعيبه على كثير من علماء التربية وأساتذتها ومدرسيها هو تغافلهم، وعدم التفاتهم إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولا وفروعا.

نص القرآن على هذا الأصل في قوله تعالى ﴿يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾، كما تقدم، فتضمنت هذه الأصول التربوية تلاوة للآيات وتعليما للكتاب وتعليما للحكمة، وتزكية بمعنى التطهير والتنقية من السوء والقبائح والمنكرات، فهي ثمرة عملية لتطبيق الأصول التربوية الأولى، وهي ثمرة لتلاوة القرآن، وثمرة لفقه القرآن، والتفقه فيه، وثمرة لفهم السنة، وثمرة للعمل بما علم من التلاوة والكتاب والسنة.

التزكية: تطهير الإنسان حسيا ومعنويا ظاهرا وباطنا من دنس الذنوب والمعاصي، وفيها معنى النمو والزيادة والتعهد بالرعاية نحو الكمال.

وتأمل هذا التركيب العجيب وهذا الأسلوب الفريد حيث أفرد لتلاوة الآيات فعلا، وهو «يتلو» ثم جاء بفعل آخر لتعليم الكتاب وهو «ويعلمهم» ليدل بذلك على المباينة بين التلاوة وتعليم الكتاب، وأشرك «الحكمة» في نسق التعليم، لأنها مربوطة بتعليم الكتاب، وحذف كل ذلك من التزكية، ولم يقل ويعلمهم التزكية، كالأصول السابقة، لأن التزكية لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى كما هو الشأن في مناهجنا الحالية، وإنما هي إحساس فانفعال فسلوك وعمل بعد ذلك، وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة، فإذا لم تثمر هذه الأصول التربوية التزكية فهي كالعدم، فهي محض سلوك وعمل يظهر بعد التلاوة وبعد فقه التلاوة وبعد فقه السنة.

قال تعالى ﴿قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى﴾ (الأعلى:١٤-١٥)، وقال ﴿قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾ (الشمس: ٩-١٠)، فقد فاز بكل مرغوب وظفر بكل محبوب من زكى نفسه وهذبها ونماها بالعلم، وزكاها بالتلاوة وفقه القرآن وعلومه وعمل بها، ومادة التفعل للتكلف وبذل الجهد أي بذل جهده في تطهير نفسه بالأعمال الصالحة.



بيان بأثر هذه الأصول التربوية وثمراتها

ولما كان التأثير يتم بمقدار عظمة المؤثر ظهر تأثير هذه الأصول التربوية والتفقه فيها في بناء شخصية الإنسان قويا وفعالاً وكاملا يصعب علينا حصر جميع جوانب هذا التأثير في بناء شخصية الإنسان واتزانها واعتدالها، ولسوف أقتصر على بعض الجوانب فقط، لأن مصدر هذه الأصول هو القرآن الكريم، وموضوع القرآن الكريم هو الإنسان نفسه، ولقد استلهمت هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾ (الرحمن: ١-٤)، فقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان، وهو متأخر عنه في الوجود لأن تعليم القرآن هو

السبب في إيجاده، فبتعليم القرآن يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان، كما قدمنا في قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال:٢٤)، دلت الآية على أن الاستجابة للقرآن حياة أخرى من نوع آخر، ولا يمكن حمل الحياة هاهنا على نفس الحياة لأن إحياء الحي محال فوجب حمله على حياة أخرى من نوع آخر، الاستجابة لأوامر القرآن واجتناب نواهيه، والعمل به هو الحياة الحقيقية.

ولسوف -بإذن الله- أسوق أمثلة ونماذج حية أبرهن فيها على هذه الحياة في عرف القرآن وأثره في بناء الإنسان.

أولا: طريقة القرآن في الخطاب لتربية الأخوة

قال تعالى في سياق أخبار بني اسرائيل ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون. ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ (البقرة:٨٤-٨٥).

قال ابن كثير: إن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحد وقد بين القرآن أن من قتل نفسا بغير حق، فكأنما قتل الناس جميعا فقال: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (المائدة:٣٢)

ومن تعبيرات القرآن بالنفس وإرادة الأخ في الدين

طعام الجسد من التراب وغذاء الروح من الوحي .. ولهذه الأسباب كان أهل القرآن إخوة متماسكين

قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ (المائدة: ١٠٥).

ومن تعبيرات القرآن بالنفس وإرادة الغير، قال تعالى ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (النور: ٦١).

ومن تعبيرات القرآن وإرادة الأخ في الدين قوله تعالى ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ (الحجرات:١١).

ومن تعبيرات القرآن عن الغير بالنفس وإردة الغير لأن الإنسان أخو الإنسان قوله تعالى ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ (النور:١٢).

ثانيا: حصول الطمأنينة والسكينة

إن الاشتغال بفهم القرآن والتفقه فيه يكون سببا للطمأنينة والسكينة ويحصل لصاحبه عز الدنيا وسعادة الآخرة كما أخبر بذلك المعلم الأول ﷺ «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده» .

ومصداق ذلك في كتاب الله ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ .

ثالثا: الجهاد بالقرآن الكريم

نجد الترجمة العملية له عند الأئمة والمصلحين ورجال الدعوة والإرشاد فقد اقتصروا على معاني القرآن وتفسيره في دعوتهم الشاملة، ابتداء بتحقيق التوحيد وحقوقه إلى محاربة الاستعمار، فأثمرت دعوتهم ونالت قبولا، وأقبل عليها الناس من جميع الأصناف والطبقات وأحدثت دعوتهم تغييرا إصلاحيا في العقيدة والسلوك وانتشرت في الشرق والغرب.

وبما أن ميلاد هذا البحث كان في بلاد الكويت، فمن البر بأهلها وإحسانا إلى علمائها وأعلامها، رأيت أن أبتدئ بهم، فراجعت كتاب علماء الكويت وأعلامها، فكان ممن اثار أعجابي الشيخ عبدالعزيز العتيقي، فكان تواقا لطلب العلم، فاقتنى كتبا كثيرة من كتب الحنابلة، ودرس على الشيخ محمد رشيد رضا، وتوثقت الصلة بينهما فكان مستودع أسراره، وكان مجاهدا داعيا سخيا في سبيل نشر الدعوة، وانتقل إلى الهند وأندونيسيا في سبيل نشر الدين ثم عاد إلى وطنه في الكويت، وانقطع للتعليم رحمه الله .

وإذا أردنا أن نتجول مع هذا الأثر الحميد فسنجد من بين هؤلاء المبرزين الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) قد اعتمد في دعوته نشر التوحيد والإصلاح في ربوع نجد على تفسير القرآن الكريم، فكان ذا عناية فائقة بالتفسير وفنونه، وبرع فيه، فألف ثلاثة كتب في التفسير وحده، هي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة القرآن، والقواعد الحسان لتفسير القرآن .

وإذا انتقلنا غربا الى مصر نجد الإمام محمد عبده يعتمد في دعوته على التفسير، فقد ألح عليه تلميذه رشيد رضا أن يلقي دروسا في التفسير ويعلل ذلك بقوله: «إن الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء، ثم واصل مسيرة التفسير بعده رشيد رضا إلا أن أجله حال دون إكمال التفسير، رحم الله الجميع.

وإذا انتقلنا قليلا إلى ليبيا نجد ثلة من العلماء الذين قاموا بحق القرآن الكريم، وكانوا ترجمة عملية للذكر الحكيم، من أبرزهم شيخ الشيوخ علي الغرياني التاجوري الليبي.

وإذا انتقلنا غربا إلى تونس نجد الإمام الطاهر بن عاشور يتأثر بمدرسة رشيد رضا في التفسير، وألف تفسيرا كاملا سماه التحرير والتنوير، فحرر الناس من الجهل والظلمات، ونور به البلاد التونسية.

واذا انتقلنا قليلا إلى الغرب في الجزائر نجد الترجمة العملية المتمثلة في الإمام عبدالحميد بن باديس، فقد اقتصر على التفسير ومعاني القرآن في دعوته الإصلاحية الشاملة في الجزائر، ابتداء بتحقيق التوحيد وحقوقه إلى

محاربة الشرك والاستعمار.

وإذا عرجنا جنوبا إلى بلاد شنقيط نجد خاتمة المحققين وإمامهم محمد الأمين الشنقيطي يفسر القرآن بالقرآن ويسميه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

هؤلاء الأئمة وغيرهم ممن لم أذكرهم كانوا مجاهدين بالقرآن بتفسيره وبيانه والتفقه فيه ودعوة الناس إليه، وقد سمى القرآن مثل عملهم ذاك بالجهاد الكبير فقال جل وعلا ﴿وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ (الفرقان:٥٢). أي بالقرآن كما فسره به ابن عباس، وفي هذا منقبة عظيمة لمن يدعو إلى الله بالقرآن وتفسيره وبيانه للناس فهو مجاهد، اقتداء بالمصطفى ﷺ حيث أمره الله أن ينذر قومه بالقرآن ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ (الأنبياء: ٤٥) وقال ﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ (الأنعام:١٩)، فكل من أنذر الناس بغير الوحي والقرآن وما يستفاد منه فقد أخطأ الطريق.

رابعا: زوال التعصب

من أهم ما تثمره هذه الأصول التربوية في شخصية الإنسان والطالب التخلص من التعصب والتقليد، بل إذا ابتدأ الطالب بعد حفظ القرآن بعلم تفسيره وبيانه والتفقه فيه كما رتبه الله، لم يجد هذا الهاجس إلى نفسه سبيلا، وما وجد التعصب والتقليد إلا بمخالفة المنهج الذي رسمه القرآن في التربية والتعليم، وهو تعليم الخط والكتابة، ثم التلاوة ثم التفسير والحكمة والتزكية وهي العمل بما علم كما قدمنا في قوله تعالى ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾ (البقرة:١٢٩).

فبمخالفتنا لمنهج التربية والتعليم كما رسمه القرآن نعلم الطلاب التعصب والتقليد من حيث لا ندري.

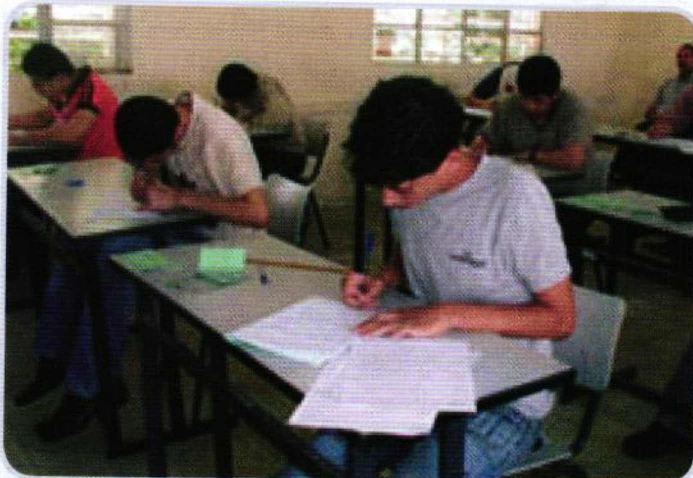
كلما زاد صفاء النفوس اشتد تأثرها بالقرآن ومن يسترشد به يكن سويًا معتدلا

خامسا: الاستقلال في الأخذ والترجيح

من ثمرات هذه الأصول التربوية على شخصية الطالب أنها تعلمه الاستقلال في الأخذ والترجيح، وعدم التبعية والتقليد، فهذا ابن العربي المالكي في أحكام القرآن كثيرا ما يتعصب لمذهبه ويحمل على المخالفين، إلا أن أسلوب القرآن وروعة بيانه أرغمه في بعض المواضع من أحكامه على عدم التعصب، ونسي نفسه ورجح بقوة مذهب المخالفين لمذهبه، مبينا الوجه والسبب فقال عند قوله تعالى ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ (الأنعام:١٤١).

وقال أبو حنيفة: تجب الزكاة في كل ما تنبته الأرض من المأكولات» .ثم تعرض لذكر بقية المذاهب وصرح بما يخالف مذهبه المعتاد وقال كلمة بليغة تكتب بماء الذهب فقال: «وأما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق».

قال القرطبي: «وأخذ يعضد مذهب الحنفي ويقويه» ، هذا هو حال من يطلب فقه القرآن، لا فقه الفقه، وهكذا حال كل من يجعل القرآن مرآته فإنه يبصر الحق كما أبصره الإمام أبوحنيفة، وابن العربي، وجميع الأئمة. ما أحوجنا اليوم إلى أن نجعل القرآن مرآتنا لنبصر الحق والهدى والرشاد في هذه الظلمات المتراكمة علينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



سادسا: الاتزان والاعتدال

من ثمرات هذه الأصول التربوية وفوائدها وأثرها أنها تكسب شخصية الطالب اتزانا واعتدالا وتكاملا، فلا ينحاز ولا يميل، لأن المصدر الذي يتلقى منه علومه ومعارفه واحد، فلا يطغى عليه جانب دون جانب، فهو عند آيات الأسماء والصفات، يتعلم أسماء الله وصفاته بدون تعطيل ولا تمثيل، وإذا جاء إلى آيات الجهاد - وما أكثرها- تعلم وتفقه في أحكام الجهاد، وإذا جاء إلى آيات الأحكام تعلم الفقه والأحكام الشرعية والحدود، وإذا مر على آيات الفرائض تعلم ذلك ولاشك، وإذا مر على الآيات المتعلقة بالبر والإحسان تعلم ذلك وتطبع وعمل به، وإذا مر على الآيات التي تذكر فيها الأمم السابقة وأحوالهم، وما آل إليه أمرهم اعتبر بذلك واتعظ، وتعلم قصص الأنبياء والرسل وما لاقوه في سبيل الدعوة، وعلم طرق الدعوة ووسائلها وأهدافها.

ولما كانت الوسطية من مزايا هذه الأمة، حث عليها الشرع وقررها القرآن ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة:١٤٣).

كان لتفسير القرآن وفهمه والتفقه فيه أثر قوي لا ينكر في تحقيق صفة اعتدال الشخصية واتزانها.

العالم الإسلامي وقضايا التربية والتعليم

أبناؤنا وبناتنا فلذات أكبادنا، ومن حقهم علينا- كآباء وامهات ومربين ومربيات- إحاطتهم بالرعاية والاهتمام والتربية الصحيحة منذ الصغر حتى ينشأوا نشأة سليمة سوية يقدمون الخير لأنفسهم ولأمتهم، ويكونوا لبنة صالحة في بنيان الوطن، وقد أولى الإسلام قضية التربية والتعليم عناية فائقة منذ نزول الوحي على الرسول محمد ﷺ الذي يعد بحق المربي الأول لأتباعه، بل للبشرية جمعاء ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء:١٠٧) وكانت كلمة اقرأ، وهي اهم مفردات العملية التعليمية، أول ما نزل من الوحي، لقد ادبه ربه فأحسن تأديبه وانزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما.

إن الجهات المسؤولة عن التربية والتعليم، بدءا من الأسرة ومرورا بالمدرسة ومن ثم الجامعة، مطالبة بالاستفادة من منهج الرسول الكريم ﷺ في العملية التربوية والتعليمية من أجل بناء الإنسان المسلم بناء صحيحا متوازنا، وتطوير كفاءاته وتنمية مهاراته وتزويده بشتى أنواع العلوم والمعارف، لأن العلم والتعليم سبيلنا إلى التنمية التي نسعى من خلالها إلى تحقيق سعادة الانسان المسلم المادية والمعنوية، بما ينسجم مع مقاصد الشريعة في استخلاف الانسان على سطح الأرض.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي الإخوة القراء والأخوات القارئات تسليط الضوء على قضية التربية والتعليم في عالمنا الإسلامي، وتحديد مواضع القوة والخلل فيها، وصولا إلى نظرة إيجابية لها.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد : تمام الصباغ

تعليم المتعلم طريق التعلم

التحرير

العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجدَّ فيه الطالب، وهو من أنفس ما قضيت فيه الساعات، ومن أغلى ما صرفت فيه الأوقات، قال الله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر:٢٩)، وقال سبحانه ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت:٤٣).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة».

وكان عبدالله بن مطرف، رحمه الله، يقول: «إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوما وصلاة وصدقة، والآخر أفضل منه بونا بعيدا»، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: «هو أشدّهما ورعا لله عن محارمه»، وما ذاك إلا بسبب العلم، فإنه الهادي بإذن الله إلى البصيرة في الدين.

طريق التعلم

لمّا كان طلب العلم بهذه الأهمية، كان لابد من مراتب يجدر التنبيه إليها لمن سلك طريقه، وذلك أن كثيرا من طلبة العلم في هذا الزمان يجدُّون إلى العلم ولا يصلون، ومن منافعه وثمراته يحرمون، لِما أنهم أخطأوا طرائقه وتركوا شرائطه، وكلٍ من أخطأ الطريق ضل، فلا ينال المقصود قلّ أو جلّ.. وهذه المراتب بعد إخلاص النية لله تعالى، هي:

المرتبة الأولى: الأدب

ذلك أن العلم شرف لا قدر له، والأدب مال لا خوف عليه، وكما قيل: لأنت إلى باب من الأدب أحوج منك إلى سبعين بابا من الفقه.

ولقد كان أئمة الهدى في الصدر الأول، كما قال ابن سيرين رحمه الله: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»، وكما قال الحسن رحمه الله: «إن كان الرجل ليخرج في أدب يكسبه السنين ثم السنين».

وهذا أحد العقلاء يوصي بعض بنيه بقوله «يا بني.. لأن تعلّم بابًا من أبواب الأدب أحب إليّ من أن تتعلّم سبعين بابا من العلم».

ولقد أدرك العلماء أهمية هذه المرتبة حتى قال مخلد بن الحسين للإمام عبدالله بن المبارك: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث».

وقد لخّص بعض الحكماء هذا الأمر بقوله: «اطلبوا الأدب، فإنه عون على المروءة،







وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة، وحلية في المجالس».

وهناك آداب لابد أن يتحلى بها طالب العلم في نفسه، منها:

- دوام مراقبة الله تعالى.

- صون العلم كما صانه علماء السلف.

- التخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها.

- تنزيه العلم عن جعله سلّما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو تقدم على أقرانه.

- تنزيه العلم عن دنيء المكاسب ورذيلها طبعا، وعن مكروهها عادة وشرعا.

- المحافظة على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام.

- المحافظة على المندوبات الشرعية، القولية والفعلية.

- معاملة الناس بمكارم الأخلاق.

- تطهير الباطن والظاهر من الأخلاق الرديّة وتعميره بالأخلاق الرضيّة.

- دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد، والمواظبة على وظائف الأوراد.

المرتبة الثانية: التدرج في طلب العلم

قال ابن خلدون رحمه الله: «اعلم أن تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج».

وقال الغزالي رحمه الله: «لا يخوض في فن حتى يستوفي الذي قبله، فإن العلوم مُرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، فالموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج».

وقال الماوردي رحمه الله: «اعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها لتفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل».



وقال الحافظ ابن حجر: «تعليم العلم يجب أن يكون بالتدريج».

وقالوا: من رام العلم جملة ذهب عنه جملة، لأن ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم.

وقال الإمام ابن شهاب ليونس بن يزيد رحمه الله: «يا يونس، لا تكابر العلم! فإن العلم أودية، بأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة، ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي».

المرتبة الثالثة: التلقي من العلماء الربانيين

فلا بدّ من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وينبغي على الطالب المجد أن يختار من العلماء الأعلم والأورع والأسن، وأن يشاور الناصحين حتى لا يحتاج إلى تركه والاعراض عنه، وعليه أن يثبت عنده حتى يكون التعلم مباركا منتفعا به.

قال الشاعر:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

ولابد في العلم من الشيخ والإسناد، لأن من لم يشافه عالما بأصوله، فيقينه في المشكلات ظنون، ومن دخل في العلم وحده خرج منه وحده.

قال العلماء: من كان شيخه في العلم كتابه، كثر خطؤه وقل صوابه.

وقالوا: لا تأخذ العلم من صُحفيٍّ، ولا القرآن من مصحفي.

قال الشاعر:

إذا رمت العلوم بغير شيخ
ضللت عن الصراط المستقيم

وقال الشيخ العلامة محمد بن سليمان الجراح رحمه الله:

فلابد من شيخ يريك رموزها
وإلا فنصف العلم دونك غائب

المرتبة الرابعة: حفظ العلم

العلم هو الحفظ، والجهابذة يقولون: «احفظ فكل حافظ إمام» لأنه لايكون المرء راسخا في العلم بدون حفظ أصول العلم، وكما قال بعض العلماء «حرف في القلب خير من عشرة في كتبك».

يقول أهل العلم: «من حفظ المتون حاز الفنون».

وقال آخرون «ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر».

ولا خير في علم لا يعبر الوادي ولا يعمر بك النادي.

وخير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه وقاد إلى الله تعالى.

قال الشاعر:

إذا لم تكن حافظا واعيا
فجمعك للكتب لا ينفع

وهذا الإمام الشافعي رحمه الله يقول:

علمي معي حيثما يممت يتبعني
قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقيل:

أُخَيَّ لا تكسل ولا تهمل الدرس
ولا تترك التكرار فيما حفظته
فمن ترك التكرار لابد أن ينسى

المرتبة الخامسة: الفهم

«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

قال العلماء: «من لم يتقن الأصول حرم الوصول»، وإنما يكون الإتقان بالفهم، فهو مطية الاجتهاد وطريق السداد في تحصيل العلم ونشره، ومن تنكب جادة الفهم لم ينتفع بما يحفظ، ولعل محفوظاته تكون وبالا عليه!

وقال الإمام أحمد رحمه الله:

«يعجبني أن يكون الرجل فهما في الفقه»

الفقه أساس العلوم

ليس علم من العلوم اعتنى به العلماء عناية تامة على توالي القرون مثل الفقه الإسلامي، فقد كان العلماء يطلبونه بروية وصبر وفق منهج معين.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «يعجبني أن يكون الرجل فهما في الفقه»، وقال «معرفة الحديث والفقه فيه أعجب إليّ من حَفظه»، وعنه رحمه الله أنه عاب على محدِّث لا يتفقه.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «بضاعة الفقه أربح البضائع»، وعنه: «الفقه عمدة العلوم»، وقال رحمه الله: «الفقه عليه مدار العلوم»، وعنه: «إن اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن من الفقه فإنه الأنفع».

والعلماء يأخذون من كل فن من العلم مهمَّه، ثم يجعلون جلّ اشتغالهم بالفقه لأنه سيد العلوم.

طريق تعلم الفقه

الطريقة المثلى في طلب الفقه هي ما كان عليه الأئمة- رحمة الله عليهم- حيث كانوا يتفقهون على أحد المذاهب الفقهية الأربعة المتبوعة المعتبرة، وإنما كانت طريقة دراسة الفقه وفق المذاهب الفقهية المعتبرة هي أمثل الطرق:

- لأن المذاهب الأربعة هي التي حفظت العلم، ونقلته صحيحا مرتبا، بعد أن استوفت النظر في نصوص الكتاب والسنة.

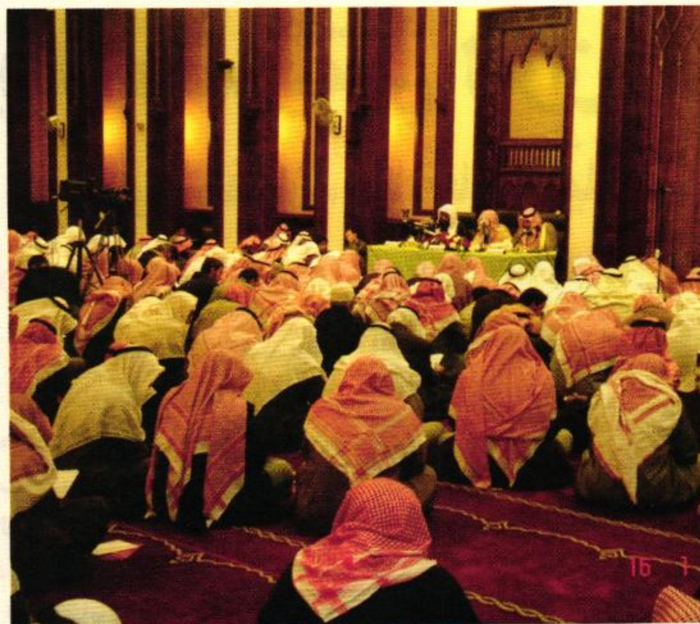
- ولأنها كذلك الطريقة التي يؤول سالكها بعد عون الله تعالى له إلى باب الاجتهاد بعد أن يكون حصل آلته واستجمع أدواته، إذ باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة، ويتفضل الله به على من شاء من أهل العلم الربانيين.

- ولأن هذا السبيل يؤصل لفكرة طالما نادى بها الأئمة، وهي سعة الخلاف، وأن ما اشتهر من تعارض بعض الاجتهادات إنما هو من الرحمة التي بثها الله تعالى في هذه الأمة، وأن ذلك لم ينشأ بين الأئمة لهوى بينهم، وانما هو من تفاوت نظراتهم وتنوع فهومهم للنصوص.

هذه الطريقة هي التي تقدم التوجيهات النافعة التي تنير الطريق وتكشف الحقائق، وتسهم في علاج الأمراض، فتهدي إلى الحق، وتدل على الرشد، وتطهر القلب وتزكيه.

وهي الكفيلة بالقضاء على المعضلة والآفة التي طالما صدت عن العلم الصحيح، وانحرفت بطلاب العلم عن الطريق المستقيم، فقطعوا الأوقات وأضاعوا الأعمار فيما لا طائل منه، فكانوا كالمنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

إذن فثمرة هذه الطريقة مواجهة تلك الظاهرة التي مازالت تلقي بظلالها في قلوب بعض الناشئة، وتتجدد على مر العصور، ليكون طلاب العلم على



بصيرة من أمرهم، وليدفعوا هذه الأخطار عن أنفسهم.

ولا ريب أن الله تعالى حفظ هذا الدين للأمة حفظا لم يكن لدين قبله، ذلك أن هذه الأمة ليس لها نبي بعد نبيها ﷺ يجدد ما دثر من دينها كما كان للأمم الأخرى ممن كانوا قبلنا، فتكفل الله سبحانه بحفظ هذا الدين، وأقام له في كل عصر حملة ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

فاقتضت حكمته جل وعلا ضبط الدين وحفظه، فنصب للناس أئمة مجتمعا على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية القصوى في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى، فصار الناس كلهم يعوِّلون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم.

وأقام الله تعالى من يضبط مذاهبهم، ويحرر قواعدهم، فضبط مذهب كل إمام من حيث أصوله وقواعده وفصوله، حتى ترد إلى ذلك الأحكام، ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لطف الله بعباده المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين.

ولولا ذلك لرأى الناس العجب العجاب، من كل متكلف معجب برأيه جريء على الناس وثاب.

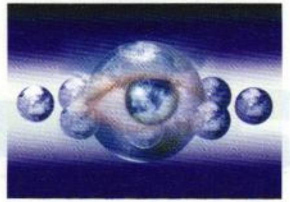
فلا تقضي المصلحة غير ما قدره الله وقضاه من جمع الناس على مذاهب هؤلاء الأئمة المشهورين، رضي الله عنهم أجمعين.

وعلة المنع من ذلك أن مذاهب غير هؤلاء لم تشتهر ولم تنضبط، فربما نسب إليهم ما لم يقولوه، أو فهم عنهم ما لم يريدوه، وليس لمذاهبهم من يذب عنها، وينبه على ما يقع من الخلل فيها، بخلاف هذه المذاهب المشهورة.

ذم التعصب

كل هذا مع الأخذ في الحسبان أن التعصب المذموم للمذاهب أمر منهي عنه شرعا وعقلا، ولذلك لا يفهم من هذه الطريقة المقررة مناصرة التعصب المشؤوم، وإنما غاية ما ترمي إليه اقتفاء سبيل العلماء في أخذ العلم على منهاج المدارس الفقهية الأربعة المشتهرة.

فمن يدعو الناس إلى نبذ التمذهب للأئمة الأربعة المتبوعين فإنما يدعوهم في حقيقة الأمر إلى فوضى العلم وضياع الفقه، والذي يدعوهم إلى التفقه دون نظر إلى كلام الأئمة الفقهاء، ودون اعتبار لمدارسهم الفقهية، زعما أنه لا حاجة إلى ذلك، وحسب طالب العلم أن يطالع النصوص الواردة في الكتاب والسنة وسيستفيد منها الأحكام مباشرة وبلا واسطة أحد.. هذا الداعية على خطأ واضح، لأن دعواه تؤدي إلى اختلال نظام الدين، في ظل ضعف العلم وانحسار المعرفة وغلبة الهوى وقلة الدين والورع.



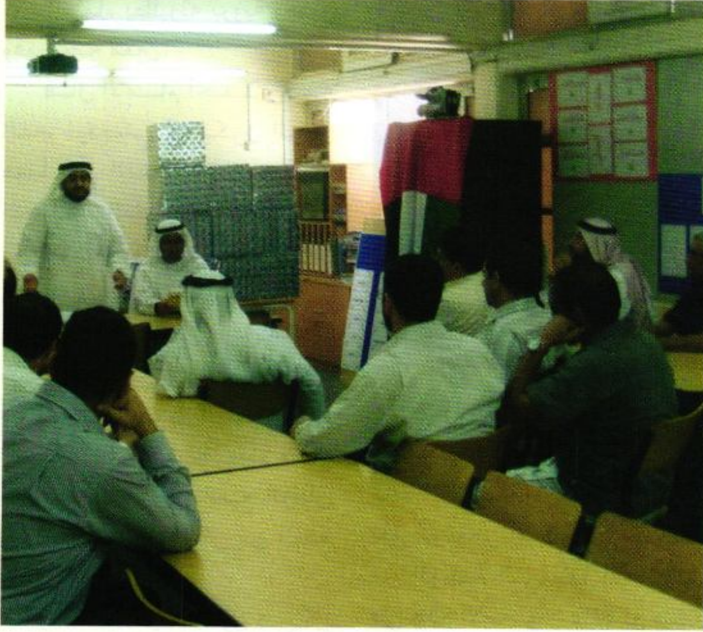


التربية الحضارية في القرآن الكريم

سورة «لقمان» نموذجًا تمثيليًا

فيصل سليمان حسن

يقصد بالتربية الحضارية تلك الإجراءات والتدابير المتخذة من أجل بناء شخصية الإنسان العاقل المنفتح على الذات والعالم والثقافة بشكل حضاري ناضج، يرتقي على نحو متكامل بجوانبه الخلقية والوجدانية والعقلية والجسمانية، ويحرره من سيطرة الشهوات والطبيعة والانفعالات السلبية الهائجة، من أجل تمكينه من أداء دوره الريادي المنشود منه حيال مجتمعه، والعمل الواعي للارتقاء به نحو حياة أفضل تحقق إنسانية الإنسان ورقيه الوجداني والروحي والحياتي معا، باعتبار أن الإنسان- وفق هذا التصور- هو منطلق الحضارة وغايتها في آن واحد.



ويعد هذا النمط الحديث من التربية أهم الأنماط التربوية التي دارت حولها النظريات والفلسفات التربوية المعاصرة، وباتت أهميته على جانب كبير من الحساسية والخطورة في الحقل التربوي المعاصر للمجتمعات الإنسانية التي قطعت شوطا كبيرا في الرقي الحضاري والمعرفي، ذلك لأن هذا النمط يتأسس على جانبين متكاملين متداخلين يشكلان معا أساسا لا غنى عنه في بناء الشخصية الحضارية المنشودة للأبناء، تتمع بالتأصيل الأخلاقي والمعرفي والاجتماعي، بالإضافة إلى التوجه العقلاني العلمي المنتج، وهذان الجانبان هما:

١- الجانب الروحاني المعرفي، بما يشمله من جملة القيم الأخلاقية والوجدانية ومنظومة المعارف العقلية والمبادئ الفكرية التي تحرك الشخصية الإنسانية ضمن محيطها الحيوي تحريكا فعالا قائما على النفع المتبادل، وتضمن دوام التلاؤم الإيجابي مع الطبيعة المتجددة والمتغيرة للحضارة الإنسانية.

٢- الجانب السلوكي، بما يشمله من جملة السلوكات والتصرفات التي تحكم أسلوب الأداء الفاعل والمنتج للشخصية الإنسانية في محيطها الحيوي، ويحدد مجموعة الطرائق والأساليب العملية التي تضمن حسن التعامل مع الذات والعالم من منظور حضاري قائم على الغنى والنفع والسمو.

التربية الحضارية في القرآن الكريم

إن الإنسان العاقل الناضج في تفكيره وآليات سلوكه، يشكل محور الخطاب القرآني الشريف من حيث الرقي بمنظومته الفكرية، وقيمه الخلقية، والسمو بجوانبه الروحانية والوجدانية، وضبط جملة الانفعالات والسلوكات التي تحكمه في محيطة الحيوي والحياتي معا، بما يحقق له التطور والتعايش النافع والبناء مع بني جنسه وسائر مخلوقات الله تعالى، وصولا لتحقيق ذاته العارفة العابدة بأبعادها الخلقية والروحية والاجتماعية والحياتية كلها، كأساس لابد منه للوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته وتوحيده وتنزيهه عن الشك والشرك.

وإذا كان هذا هو جوهر التربية الحضارية المعاصرة، فإن هذا الجوهر لم يكن بعيدا عن محور القرآن الكريم في خطابه الشريف، بل لقد كانت التربية الحضارية ذاتها حقيقة تسكن جوهر الخطاب القرآني الشريف وتختزن مقولاتها الأخلاقية والمعرفية والإنسانية السامية لأن الخطاب القرآني الشريف كان يهدف في جملة ما يهدف إلى بناء الإنسان الراقي في خلقه ومعرفته وتصرفاته، وحسن علاقته بالإنسان والمجتمع والثقافة، من أجل إنتاج الحضارة الإنسانية المتجددة المنشودة، التي تضمن إنسانية الإنسان الآمن المنتج الناضج في وعيه وعلاقاته بالأشياء.

والحقيقة أن نظرة علمية متأنية نسلطها على الخطاب الشريف بعد تمثل المقولات الفكرية والتربوية والفلسفية للتربية الحضارية وأسلوب تعاطيها مع تربية الأبناء تجلو لنا بوضوح لا لبس فيه حقيقة مفادها أن التربية الحضارية تتبدى على نحو واسع في الخطاب القرآني كله من خلال مجموعة من الحوارات

والقصص التي تتوزع في رحاب الذكر الشريف، ولعلنا نستطيع أن نتخذ من سورة لقمان الحكيم عليه السلام نموذجا تمثيليا يبين صحة ما نقول، ولا سيما الجزء الذي يخاطب فيه لقمان الحكيم عليه السلام ابنه واعظا.

في الحقيقة إننا نستطيع- على حد كبير- أن نعتبر سورة «لقمان» سورة تربوية بامتياز، قبل أن تكون شيئا آخر، ذلك لأنها تصدت لتربية الإنسان الواعي المؤمن المنفتح على الذات والعالم والثقافة والمجتمع والحضارة والإله من منظور حضاري رائد للمعاني الحضارية الراقية التي تضمها هذه السورة الشريفة.

والواقع أن نظرة متأنية نسلطها على الخطاب الفكري والثقافي والتربوي الذي تجسده هذه السورة، لاسيما المشهد الحواري الذي يجمع سيدنا لقمان عليه السلام مع ابنه وهو يعظه، تمكننا من أن نتمثل المنظور الحضاري التربوي في القرآن الكريم من خلال سياقات معرفية وجوانب توعوية تمتزج فيها الأبعاد الوجدانية والمعرفية والأخلاقية والنفسية والمهارية امتزاجا حضاريا لافتا للنظر، ولعل أبرز هذه السياقات:

١- تربية العلاقة الحضارية الناضجة التي تربط الإنسان بالخالق على أساس من الوعي والمعرفة:

ينفتح المشهد القرآني الحواري على شخصيتين رئيستين هما «لقمان الحكيم» وابنه، ونظرا لأن شخصية لقمان الحكيم تمثل الشخصية الرئيسة في هذا الحوار، والتي تنطلق منها العملية التربوية الحضارية

إحساس الجيل التربوي بالخالق ووجوده يخلق الشعور بالأمن النفسي والاجتماعي

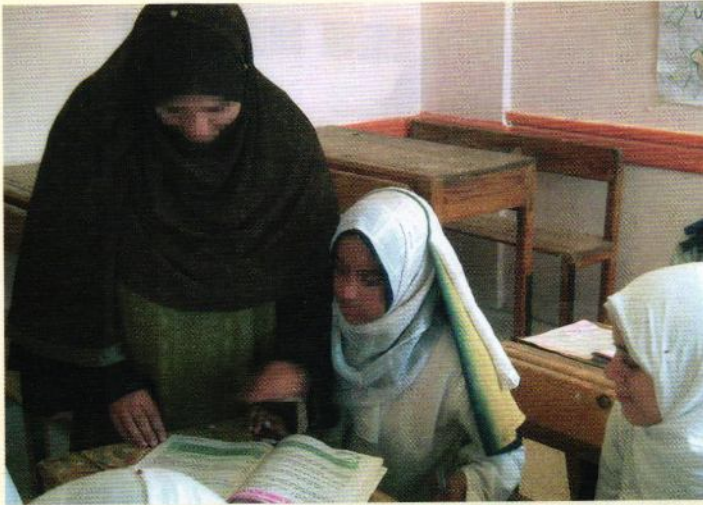
فإن القرآن الكريم قد أحسن بناءها من كل الجوانب الخلقية والفكرية والتربوية والإيمانية، وذلك من خلال ربطها بـ «الحكمة الإلهية» المقبلة من الله سبحانه وتعالى، يقول عز وجل: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾ (لقمان:١٢)، وهذا معناه أن شخصية «لقمان الحكيم» تختزن المعرفة الصافية القادمة من الله سبحانه وتعالى، فلا يكدرها الشك ولا الخطأ المعرفي، وبالتالي تنطوي على الفلسفة التربوية الحضارية التي ترتقي بالإنسان نحو مستويات سامية من الرقي المعرفي والأخلاقي، وهي بذلك تمثل النموذج المحتذى في الأداء التربوي المنشود.

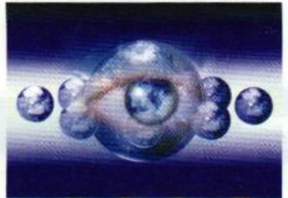
ولعل بناء شخصية «لقمان الحكيم» على هذا النحو من الرقي المعرفي القائم على «الحكمة الإلهية» القادمة من الله سبحانه وتعالى، يشكل الأساس الموضوعي لكل مقولات التربية الحضارية القائمة على الوعي الحضاري الراقي بكل أبعاده، ومن الملاحظ أن توعية الجيل المتلقي (يمثله ابن لقمان هنا) بأهمية العلاقة الحضارية الناضجة التي تربط الإنسان بالخالق على أساس من الوعي والمعرفة تمثل أهم مقولات التربية الحضارية في القرآن الكريم، لذلك تقع في المقام الأول في بداية المشهد الحواري، وتقوم أساسا على حسن العبادة المتمثل

في الشكر، فالشكر ينطوي على اعتقاد التوحيد والإيمان ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان:١٣)، فالعلاقة القائمة بين الخالق (الله) والمخلوق (الإنسان) تقضي أن يشكر المخلوق الخالق لأنه خلقه ولم يكن شيئا، وخلق له سبل الحياة الكريمة، وجعل بين يديه النعم التي لا تعد ولا تحصى، بعد ذلك يقر له بالتوحيد وعدم الشرك، وبهذا ترتقي العلاقة إلى درجات عليا من النضج والسمو الذي ينعكس تلقائيا في جملة السلوكات والتصرفات التي تحكم السلوك الإنساني المنشود للمخلوق، على اعتبار أن «رأس الحكمة مخافة الله»، وهكذا يتحول التوحيد الواعي، إلى أرضية صلبة للفلسفة التربوية الحضارية الراقية، تقوم عليها كل المبادئ والأخلاقيات الإنسانية السامية، فالجيل التربوي هنا يرتقي

بسلوكه وفكره لأنه يشعر بالقوة الغيبية الخيرة المطلقة (الله) ترقبه، وعليه أن يسعى في سبيل الإقرار لها بالتوحيد والعمل التلقائي لتجسيد الشكر والإيمان.

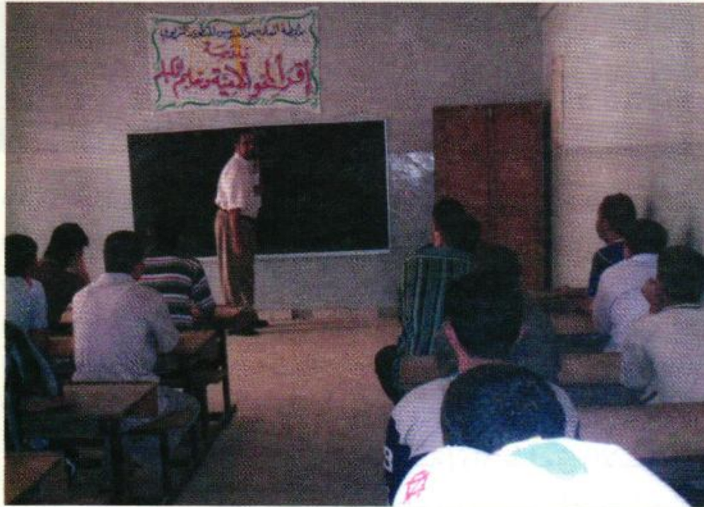
إذن فالعلاقة الحضارية الناضجة التي تجمع المخلوق بالخالق تسمو بجوانب الشخصية الإنسانية كلها للمخلوق، نحو مزيد من الوعي والمعرفة من جهة، ومن جهة أخرى تعمل على حفر ملكات الإبداع بكل جوانبه الحياتية والحضارية كلها، وهنا لابد من التذكير بتأكيد الباحثين النفسيين علي أن النسبة الكبرى من المنحرفين سلوكيا واجتماعيا ودينيا إنما ينتمون إلى الفئة التي تعاني فراغا روحيا قاتلا، وما توجه مجموعة من الشباب نحو عبادة الشيطان إلا تعبيرا نفسيا ووجدانيا عن هذا الفراغ، وهم أنفسهم يشكلون طاقة إنسانية مهدرة مفرغة من دورها المنشود في بناء الحضارة الحديثة والسعي لمواكبة تطلعاتها، إذن فإحساس الجيل التربوي بالخالق ووجوده في الذات الإنسانية والوجدان المعرفي



هو بالضبط الذي يخلق الشعور بالأمن النفسي والاجتماعي، ويحفز ملكات الإبداع في الذات الإنسانية، وهذا أس الأسس في التربية الإنسانية على الإطلاق.

ويعد ربط الآثار الإيجابية للشكر بالنفع الذاتي قيمة تربوية عظيمة، فهي من جانب تؤكد تفرد الله عز وجل وتنزهه عن الانتفاع من الآخر، فهو الغني الحميد الذي لا تنفعه عبادة العابدين شيئا، ولا يضره جحود الجاحدين شيئا، ويخلق في النفس الإنسانية هاجس الجد والنشاط الذاتي البناء، لأن النفس الانسانية مفطورة على محبة الذات والعمل على تطورها ورقيها، فهو يشحذ كل القدرات والامكانات نحو التطور المتنامي مع الحياة المتطورة المتجددة، وعندما يدرك الإنسان من الجيل التربوي أن نتيجة سعيه الخاص تصب في صالحه الخاص سوف يستغل كل الطاقات المادية والمعنوية في سبيل بناء حضارته ومجده، وهذا يتلاءم من حيث المبدأ مع التأكيد على أهمية العنصر الذاتي والمبادرة الفردية في حفز النشاط الإنساني في التربية الحضارية المعاصرة، فما يجد الإنسان في تحصيله يحصد نتيجته رقيا في نفسه هو، واغناء لنفسه هو، دون غيره من سائر الأشياء.



والحقيقة أن ربط هذا المبدأ التربوي الحضاري (ربط الآثار الإيجابية للتحصيل بالبعد الذاتي الشخصي) بالمشروع المعرفي والتوعوي ينطوي على أهمية كبرى لأنه يفتح المجال واسعا أمام القدرات والإمكانات العقلية والوجدانية والانفعالية والجسمية للتحرك والإبداع النشط، لاسيما وأن هذه الأجيال تعيش الحضارة المعاصرة المفتوحة بكل وسائطها وتقنياتها.

٢- تربية العلاقة الحضارية الناضجة التي تربط الإنسان بأسرته على أساس التآلف:

بعد أن وضع الذكر القرآني الأرضية الصلبة لانطلاق فلسفة التربية الحضارية، يقوم بتوسيع دائرة الرؤية، فيقدم النموذج الأمثل لتربية العلاقة الحضارية الناضجة التي تجمع الإنسان بأسرته، على اعتبار أن الأسرة هي الخلية الأساسية الأولى في المجتمع، وصلاح المجتمع مقرون بصلاحها، وكلما كان المنظور التربوي للعلاقة التي تجمع الإنسان بأسرته حضاريا ناضجا انعكس بالرقي الحياتي والاجتماعي والانتاجي على المجتمع ككل.

وإذا كان الوالدان يشكلان الأصل الذي تتفرع عنه الأسرة الإنسانية، فإن الذكر القرآني يدرك على جانب راق أهمية أن يتربى الجيل المنشود على علاقة حضارية أصيلة تجمعه مع هذا الأصل، لذلك يرسم المشهد القرآني ملامح هذه العلاقة الناضجة من خلال إلقاء مفهوم الوصية الإلهية على الجيل التربوي، والتي توصي بحسن العلاقة ورقيها مع الوالدين ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (لقمان :١٤-١٥).

من الواضح ان الخطاب القرآني يربي العلاقة الحضارية التي تجمع الإنسان مع أسرته من خلال التركيز على المحاور الأساسية التالية:

أ- إن إقامة حياة راقية ناضجة مع الوالدين، قائمة على دوام شكرهما والثناء عليهما ومصاحبتهما بالإحسان والمعروف تمثل وصية إلهية أساسية لا يمكن للأسرة الإنسانية السليمة أن تتجاوزها أبدا، كما لا يمكن لأي منظور تربوي حديث أن يتغافل عن لزوم الانطلاق منها في سبيل الحصول على علاقات أسرية تتصف بالاحترام والهدوء الفاعل، والإنتاج المثمر، ولذلك يعزو كثير من الباحثين المعاصرين الصراع الأسري السلبي، والفشل الهدام في العلاقات الأسرية، الى غياب هذا النوع من العلاقة في أذهان الأبناء، وفقدانه في سلوكاتهم اليومية مع ذويهم، مما يؤدي إلى سقوط الأبناء في مهاوي العقوق والرذيلة، والبعد عن السلوك الحضاري النافع والمثمر.

ب- فصل مبدأ «إقامة العلاقة الإنسانية الراقية مع الوالدين» عن قضية الاختلافات المتعددة التي يمكن أن تحصل بين الأجيال، فهذا المبدأ يشكل



وصية إلهية كما ذكرنا، لا يمكن تجاوزها، والخطاب القرآني يلزم الإنسان بها مهما بلغت درجة اختلافاته مع والديه، بل لو كان الوالدان على النقيض الفكري والعقدي، فالإنسان مدعو- وفق التربية الحضارية للقرآن- إلى عدم مجاراتهما فيما يخص الإخلال بأركان العقيدة، وذلك بأسلوب راقٍ، فهو يرفض بأدب- دعوتهما له إلى الشرك مثلا، كما هو مدعو إلى تجاوز الاختلاف العقديّ والفكري، وشكرهما والثناء عليهما ومصاحبتهما بالإحسان والمعروف، وهذا يجسد بحد ذاته أرقى أنواع العلاقات الأسرية، لأنه ينزع فتيل الصراع الأسري السلبي الهدام، ويقر بوجود الاختلاف وحريته، على مبدأ رباني حكيم يجسده الخطاب القرآني ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (القصص:٥٦)، ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ (الانعام:١٦٤).

ج - جعل الحكم الإلهي هو المعيار الرباني العادل الثابت، الذي يحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، فغياب المعيار المناسب العادل الذي يتوافق عليه الناس في اختلافاتهم، يشكل أحد أهم المشكلات التي تواجه الجنس البشري على مر العصور، ووجود مثل هذا المعيار ضمن منظومة التفكير الأسري إنما يمثل صونًا للعلاقات الأسرية من الصراع السلبي الهدام، ويحكم عليها بالنضج والغنى والإنتاج، ويؤمن الجو النفسي والفكري للتربية السليمة، فالفرد من الأسرة يتصرف-في حال الاختلافات الأسرية- بوحي من فكره وقناعته التي شكلها عبر مسيرته الحياتية، في جو من الاطمئنان النفسي والوجداني والفكري نظرا لأن مرجعه إلى الحكم الرباني موضع الأمن والأمان والعدل، والحكم المنشود السديد الذي لا يمكن أن يقربه أي نوع من أنواع الخطأ، وهو العارف والخبير بالسرائر وما تنطوي عليه القلوب والعقول ﴿ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون﴾ (لقمان: ١٥).

ولكي يزيد الخطاب القرآني النفوس أمنا واطمئنانا حيال المرجع الإلهي، يضيء «لقمان الحكيم» في حواره مع ابنه جوانب القدرة المطلقة التي يمتلكها المرجع الإلهي، وهي قدرة تكفل له التأثير النافذ في جوانب السموات والأرض، ونفاذ مشيئته إلى كل ذرة من ذرات الوجود الكوني بحيث يستحيل مع ذلك أن تخفى عليه خافية في السموات والأرض مهما صغرت ومهما قل شأنها، وهذا يفسد على الناس إمكانية اللجوء إلى الخداع أو النفاق ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ (لقمان:١٦).

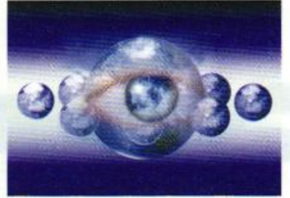
٣- تربية العلاقة الحضارية الناضجة التي تربط الإنسان بالمجتمع:

إن المجتمع الإنساني الذي يعيش حياة الرقي والنضج الانفعالي والوجداني والفكري والسلوكي يقوم أساسا على مقتضيات الحياة الأخلاقية السامية وما تفرضه من جملة السلوكات الحسنة التي تراعي في أبسط الأحوال الآداب العامة والقواعد المرعية الجانب، ولعل هذه الحقيقة تعد بديهة انطلق منها الخطاب القرآني في تربية العلاقة الحضارية الناضجة التي تربط الإنسان - أي إنسان - بالمجتمع الذي يحيا فيه، بكل أطيافه الثقافية والفكرية والعرقية والاجتماعية، وتتمثل التربية الحضارية في هذه الآيات التي يخاطب بها لقمان ابنه ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المُنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (لقمان: ١٧-١٩).



فمن الملاحظ أن لقمان الحكيم يدعو ابنه في هذه الآيات إلى تأصيل العلاقة التي تربط الإنسان بالمجتمع الحيوي المحيط ربطا سليما قائما على اسس اخلاقية اجتماعية سليمة ترقى بالفرد الى مستويات عليا من النضج السلوكي والمعرفي، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذه العلاقة تمثل بيت القصيد في البناء التربوي كله، نظرا لضرورتها الملحة في إقامة المجتمع الإنساني الناضج المنشود على أسس أخلاقية تربوية سليمة، ويمكن أن نلاحظ تأكيد «لقمان الحكيم» هنا على جانبين متكاملين متداخلين هما:

١- إقامة العبادات بصورتها الإنسانية السمحة لترتقي بالمجتمع، نظرا لما تختزنه هذه العبادات من جملة الحدود الوجدانية الراقية التي تقف حائلا أمام فوران الشهوات السلبية في النفس البشرية، فتأكيد إقامة الصلاة في سلوك الجيل التربوي، والميل التلقائي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحلي بقيم الصبر في الشدائد التي تخرج على الإنسان من حين لآخر لها دور ريادي في تشكيل اللاوعي الجمعي القائم على مجموعة من الكوابح الإيمانية المنغرسة في السلوك التربوي العميق للجيل، فالصلاة مثلا مطلوبة في سلوك الجيل الإنساني داخل الأسرة والمجتمع، ليس فقط لأنها تقرب العبد (الإنسان) من المعبود (الله)، بل إنها تحفظ الشخصية الإنسانية للجيل التربوي من الوقوع في الرذائل والفواحش، ومن هنا يمكننا أن نفهم المعنى الحقيقي البعيد للخطاب القرآني



﴿أَقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وهذا معناه بالضرورة أن «العبادات مدار منافع العباد» وهي أشبه ما تكون بـ «فيزا حافظة» تحفظ الأبناء والجيل التربوي من أي تطورات ذات تأثيرات سلبية على الشخصية التربوية للحضارة الحديثة المعاصرة.

٢- الالتزام بالآداب العامة في التعاطي مع المجتمع المحيط بما يرتقي بالسلوك التربوي الناضج: فمما لا شك فيه أن المجتمع الإنساني الناضج قائم على جملة من الآداب الأخلاقية والاجتماعية الراقية التي تنزع فتيل الصراعات السلبية الهدامة بين أبنائه، وتيسر سبيل الناس في السعي نحو العيش الكريم، ويبدو أن لقمان الحكيم يدرك بحكمته هذا الجانب لذلك يدعو ابنه (الجيل التربوي) إلى هذا الالتزام التلقائي الذي يربط الآداب العامة للمجتمع الإنساني بالعلاقة الراقية بين المخلوق والخالق، فإذا كان الإنسان الذي يسعى للنضج والسمو يدرك أن يتوجه بحاجته إلى الخالق عزّ وجل لأنه يملك أمره وبيده الأمر، فإنه يشعر بالعزة والأنفة مما يمنعه من سلوك سبل الذل والصغار مع الناس، ولكن هذه العزة ذات مستوى إنساني ناقص يجب أن تلتزمه فلا تتعداه إلى المباهاة والغرور، (السير بغرور والتحدث بصوت عالٍ خالٍ من اللياقة كالحمير!) لأن الخالق حكر على نفسه الكبرياء وزرع في نفس المخلوقين الأسوياء النفور من التكبر والغرور والتكلم مع الآخرين بصوت عالٍ، لأن ذلك ينطوي على إثارة الغرائز السلبية إلى حيز الوجود الإنساني وإشعال الصراعات السلبية الهدامة بين أبنائه، مما يقوض الحركة النافعة في المجتمع الإنساني ويودي به إلى مهاوي التناحر والسقوط، بدلا من التعاون والتآزر والتنمية المستدامة التي تشكل هاجس التربية الإنسانية المتكاملة في الخطاب القرآني.

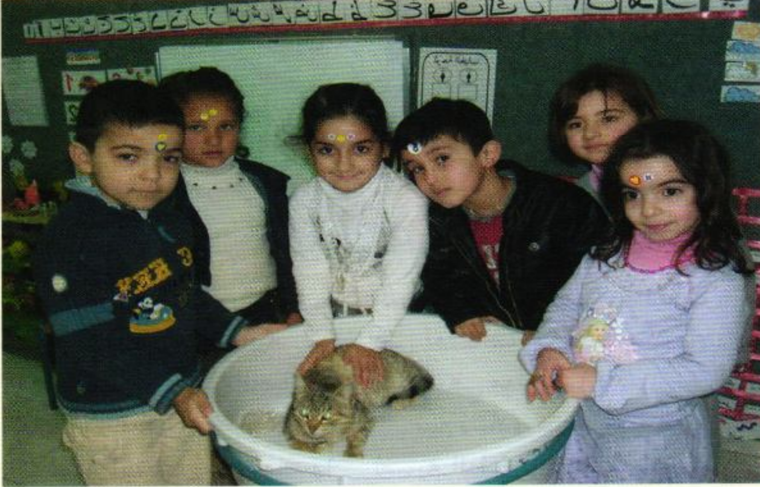
إذا إن الدعوة التي يوجهها لقمان الحكيم لابنه إلى إقامة العبادات بصورة إنسانية وجدانية سمحة والتزام الآداب العامة في التعاطي الراقي مع المجتمع المحيط تشكل ركنا اساسيا في التربية الحضارية الإنسانية المنشودة، لأنها تعمل على الكبح التلقائي لجماح الصراعات السلبية الهدامة وتنقية السلوك التربوي للأبناء من كل الشوائب التي تسعر نيران الصراعات الاجتماعية وتحرف العلاقات الإنسانية الناضجة عن مسارها التنموي المتجدد، وكأن لقمان الحكيم أدرك أهمية هذين الجانبين في تكاملهما وتداخلهما في نزع فتيل العلاقات المجتمعية الهدامة وتأصيل العلاقات الإنسانية الناضجة التي تحفز قيم التعاضد والتعاون في سبيل نهضة مجتمعية منشودة ترتقي بالعلاقات الوجدانية السامية للإنسان مع الخالق والعلاقة المجتمعية الناضجة مع المخلوقين في الأسرة (المجتمع الأصغر) والمحيط الحيوي (المجتمع الأكبر).

ولعل اللافت للنظر هنا الحوار الهادئ والمتزن المليء بالحكمة والموعظة الحسنة الذي يعتمده «لقمان الحكيم» في إرسال الرسالة التربوية الحضارية إلى ذهن ابنه ووعيه وإدراكه السلوكي والفكري والتربوي أيضا، وهذا له أهميته القصوى في التأثير النافذ الذي يمكن أن تتركه الرسالة التربوية في وعي الابن (الجيل التربوي) وادراكه العاطفي والوجداني والفكري كله، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأهمية الكبرى التي يجب أن يوليها الآباء لوضع آليات الحوار الوجداني الهادئ المتزن القائم على مقولات النصيحة والحضارة والرقي في التعامل مع المنظور التربوي للأبناء وفق مقولات التربية الحضارية، بعيدا عن سياسة النفي السلبي الهدام الذي تتسم به علاقات الشريحة الأوسع من الآباء في مجتمعاتنا التقليدية، فغالبا ما يؤدي حضور الأب إلى نفي الحضور الوجودي والوجداني الهادئ والمتزن للأبناء، وهذا يترك تأثيرا سلبيا هداما على إيصال فحوى الرسالة التربوية المنشودة.

على هذا النحو تتبدى لنا جليا بعض ملامح التربية الحضارية للأبناء في القرآن الكريم، ممثلة بالرسالة التربوية الراقية التي يقدمها «لقمان الحكيم» ولنا فيها عبرة تنتظر المزيد من التأمل والبحث والتقصي لاكتشاف الكنوز الحقيقية التي نحن في أمس حاجة لها في تعاطينا مع جوانب الحضارة الحديثة ومفرزاتها من خلال منظور إنساني حضاري راقٍ يعمل على البناء النوعي للشخصية الإنسانية وفق منحيين متكاملين متداخلين (المنحى الروحاني المعرفي، والمنحى الأدائي السلوكي) وهذا في حد ذاته هو غاية ما تطلبه النظريات التربوية المعاصرة.

نمط السلوك التربوي في المؤسسات الغربية

د. أحمد نصري



في زمن الحرب الباردة بين طرفي الثقافة الغربية الحديثة (أميركا الرأسمالية والاتحاد السوفييتي سابقا)، ارتفعت الأصوات من داخل الولايات المتحدة الأميركية مطالبة بضرورة إعادة النظر في المناهج التربوية والسياسة التعليمية السائدة لأنها لم تحقق أهدافها، وأجريت بحوث كثيرة تحت شعار «أمة في خطر»، وخطر هذه الأمة آنذاك السبق السوفييتي إلى غزو الفضاء، فتم تعديل النظام والرؤية التربويين، ولكن بعد أقل من أربعين سنة من ذلك ثبت عدم جدوى هذه الرؤية المعدلة وذلك النظام، فتكونت لجنة «الإشراف وتطوير المناهج» سنة ١٩٨٠م، وشرعت في تطوير أهداف تربوية تكون أساسا للتربية في ولايات أميركا الخمسين، وقد تنعقد هذه اللجنة بعد سنوات أخرى لإعادة النظر في الفلسفة التربوية العامة لهذا البلد قبل المناهج والأهداف، ويتكرر هذا الأمر في الدول ذات الثقافة الغربية، وبغض النظر عن التفوق الذي تحقق تربويا على مستوى الفاعلية والإنتاج المادي، تبقى مشكلة تحديد الأهداف التربوية العامة التي تتجسد في التساؤلات التالية:

- ما أنماط السلوك العقلي والاجتماعي والشخصي المرغوبة في الأفراد الذين يجتازون المراحل العلمية التربوية؟

- هل بعض أهداف التربية التي ترغب التربية المدرسية في تحقيقها تتناقض فطريا مع مبادئ التربية الإنسانية؟

- كيف يحدد ما هو إنساني وغير انساني من أهداف التربية؟

- هل تتصف أية قائمة أهداف تربوية بالشمول والطابع الإنساني؟

ورغم التفوق، فإن هذا لا يمنع من القول: إن البحث التربوي في الثقافة الغربية لم يصل بعد إلى حل جذري لأزمة الأهداف التربوية، وإن مضاعفات هذه الأزمة مازالت تتفاعل في أماكن التطبيق التربوي والمجتمعي.

وقد لا يكون مجازفة فكرية أو جنوحا عاطفيا، للنقد قبل النضج، أملته النظرية التآمرية، نسب هذه الأزمة إلى إحدى هذه العوامل أو كلها مجتمعة:

أ- طبيعة الإنسان الغربي المتحولة وغير الثابتة والناتجة عن حركة العلمنة الشاملة للحياة، وتصاعد معدلات الحلول والتفكك الفكري الذي بدأ نهاية القرن الماضي، فكانت الحلولية الكونية الذاتية (١)، التي تعني أن المبدأ الوحيد المنظم للكون ليس مفارقا أو متجاوزا له، وإنما هو كائن كامن حال فيه لا ينفصل عنه، فهي فلسفة تعتبر الكون (الإنسان والطبيعة) مرجعية بذاته، فكانت قاصمة الفكر الغربي الذي انتهى في نهاية المطاف إلى التفكير في تعدد المراكز وتغييب اليقينيات والمسلمات وسيطرة النسبية وإسقاط كل شيء في قبضة الصيرورة، الأمر الذي أفضى إلى التفكك واللامركزية في الكون وهو ما أفرز عقيدة «كل شيء خاضع للتجريب»، حيث تعبتر التفسير المعرفي والمنهجي الوحيد للحركة الفكرية الغربية بتضاربها ولإثباتها، حتى لو كان الأمر يتعلق بالتربية والتعليم كما هما صناعة للإنسان، فنظرة الإنسان الغربي لنفسه وللآخر هي التي جعلته يتخبط هذا التخبط في رسم التوجهات والأهداف التربوية لمجتمعه.

ب- إن الأزمة الشديدة في الميدان التربوي التي أدت إلى الخلاف والاختلاف الحادين حول أهداف عامة للتربية- ضرورتها وماهيتها- سببها غياب فلسفة تربوية محددة تنبثق منها أهداف محددة كذلك (٢)، وفي غياب هذه الفلسفة التي تعتبر أرضية مشتركة للبحث التربوي، يصعب الاتفاق على منظومة مشتركة للأهداف التربوية، وغياب تلك الفلسفة التربوية راجع إلى غياب فلسفة كلية للحياة والإنسان والكون والمنشأ والمصير، أو على الأقل في حالة وجود هذه الفلسفة أو إفلاسها وفشلها في تحديد رؤية معرفية وأرضية فلسفية تناسب الإنسان كما هو إنسان، وليس كما هو إنسان أوروبي، وهذه الأرضية المعرفية هي التي أنتجت النموذج التربوي الغربي، الذي يعيش



أزمة الأهداف المتجلية أساسا في تخريج نماذج إنسانية آلية لا أهداف عليا لها في الحياة إلا الإنتاج والاستهلاك، أو نماذج إنسانية منقسمة على نفسها أو مغتربة عن الحياة كلها، دون أن نتحدث هنا عن مشكلة الفكر التربوي الغربي على مستوى صياغة كل من الأهداف التربوية العامة والأهداف التعليمية السلوكية بشكل يحقق التوافق المنطقي بينهما لتشكل جميعها قائمة أهداف تبدأ بالفرد وتنتهي بالانسانية لتشمل المهارات العملية والأخلاق الفردية ولا تضيق بالأخلاق الاجتماعية والقيم والتطلعات العليا للإنسانية مادامت مجرد أعراض عملية واقعية لتلك الأزمة الفلسفية.

وهذا العقم الذي أصيبت به التربية الغربية في توفير هذه الأصول الفلسفية المعرفية جعلت «جون وايت» يقول: «إن فلاسفة التربية منذ قرون يعملون للوصول إلى تعريف محدد شامل للتربية وأهدافها، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى شيء، والسبب أن البحث نحو تحديد معنى التربية يتضمن كذلك البحث في أهدافها، والبحث في أهداف التربية يتضمن البحث في معناها» (٣).

ثم نادى بضرورة فهم نفسية الطفل وأكد على أهمية الانطلاق منها، فأهداف التربية عنده كامنة في النفس، والذين يستطيعون كشف هذه الأهداف هم الخبراء بهذه النفس، ولو انطلقنا من هذا المقياس لوصلنا إلى وضع الأصبع على جذور الأزمة المنهجية والفكرية، وهو الجهل المركب بخيوط النفس البشرية وتكويناتها وبآليات اشتغالها، وإن المرجع الأول لمعرفة النفس الإنسانية هو الله الذي خلقها وأودع قدراتها وخصائصها، وإلى هذا المنهج يوجه القرآن الكريم في أول آية ابتدأ بها الوحي: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١-٥).

وبناء عليه، فإن مشكلة التربية في الغرب على مستوى الأهداف والغايات تتحدد في أمرين:

الأول: اقتصار الأهداف على مستوى الأثر المادي الذي يسهم في تقدم الحضارة المادية أو وسائل الحياة وأدواتها ومعارفها، ولا يرتقي إلى مستوى اليقين المفضي إلى شكر الله وعبادته، والسبب هو افتقار التربية الحديثة إلى الذكر الإلهي الصحيح الذي يرشد المسيرة التربوية إلى مقاصد الحياة وغاياتها، ويتجسد هذا النقص في الأزمة الروحية والخواء النفسي الذي يعاني منه الإنسان الغربي بشكل عام، وفي تصور هذا الإنسان للإنسان وأدواره وطبيعة العلاقات معه سواء داخل المجتمع أو خارجه.

الثاني: ميدان البحث العلمي في موضوعات الفلسفة التربوية بصفة خاصة، الذي يعتمد على الانتقائية أي اصطفاء حسنات النموذج الأميركي والتركيز على سلبيات ما عند غيرهم دون إيجابياته مما يحول دون البحث الموضوعي والرؤية الصحيحة وتجعل الخبرات المتكونة غير نافعة (٤).

يضاف إلى هذا وذاك مما ذكر لشرح وفهم أصول الأزمة التربوية في الغرب، أن قيام المؤسسات والأنظمة التربوية الغربية في البدء كان رد فعل انفعالي لقطع الصلة مع التفكير الكنسي والعقائد الدينية بصفة عامة «التي تعالج (المنظومة الفكرية) لا باعتبارها خبرات رفيعة مهمتها الإسهام في رقي الإنسان وتصويب مسيرته عبر الحياة نحو المصير، وإنما باعتبارها معرفة من أجل القوة، فالدراسات الإسلامية مثلا، (بهذا المنطق) تعالج على أنها دراسة استراتيجية رافدة للسياسات الخارجية من أجل السيطرة والهيمنة على تمزيق الأمة الإسلامية المعاصرة» (٥)، فجاءت الاجتهادات الفكرية التربوية في هذا الباب مطبوعة بالطابع المادي العلماني الشمولي، نافضة يديها من أي نظرة دينية، ترفض إقحام التفسيرات الغيبية على البرامج والأهداف والتطبيقات التربوية، وهو ما يفسر عزل المؤسسات التربوية عن المدنية في كل شيء، إن لم نقل- بدون مجازفة- ان الأولى اخترقها للتخفيف من حدة ارتباط الدين بالحياة المدنية العلمية.

ومع تزايد نسب التقدم المادي المبهر للغرب، تتزايد معدلات العلمنة التربوية



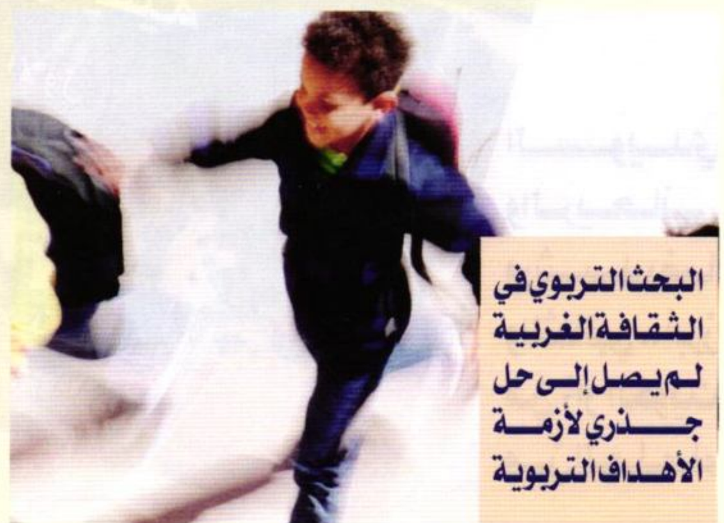
وتحسر العمل التربوي- تنظيرا وتطبيقا- عن ميادين الأخلاق والقيم والعقيدة، مما أدى إلى ضعف انتماء الخريج الحديث لتاريخه وحضارته، وإلى إهمال الأهــداف العـامـة (الـغـايـات والمـرامـي) لصالح الأهـداف التعليمية (أي العناية بالوسائل دون الغايات) وكل ذلك يتم باسم التربية الحرة، والتي تترك الحبل على الغارب في تربية الطفل اعتمادا على أن النمو الطبيعي وحـده سيوصله إلى الخير فقط، فإذا بها تخرج أجيالا فيها من الخير بقدر ما فيها من الشر، «بل أصبحت المدرسة التي تطلق لتلاميذها الحرية بدون قيود مزرعة للشرور، فيها يتدرج التلميذ في التعرف على الموبقات التي تميل إليها شهواته، وبتشجيع من رفاقه بدءا بالتدخين إلى الإدمان على المخدرات إلى الحرية الجنسية، وما جرته من الأمراض الجسدية والاجـتـمـاعـيـة... إلـخ» (٦)، ولأن هـذه النظم التربوية رغم تسميتها بالحرة فإن ابتغائها «التطبيع الاجتماعي» وسعيها إلـى «الانـدمـاج الاجـتـمـاعـي» اعـتـمـادا على إكـراه الناشئة على السير في الطريق الذي يرسمه المتجمع من جهة، ثم من جهة تجاهلها للميولات المتناقضة المبتوتة في النفس البشرية وجهلها لدور التربية في التزكية، وإعطاء كل نزعة من نزعات النفس حقها دون زيادة أو نقصان، أدى ذلك إلى الفشل الذريع لهذا النوع من التربية، «وكان من ذلك انفجار المعسكرات الشيوعية على نفسها باعتمادها على الضغط الاجتماعي وتأليه الجماعة» (٧)، ثم تخريج أفواج من المنشطرين نفسيا والممزقين اجتماعيا رغم قوتهم على مستوى الفاعلية المادية والاستهلاكية، فوجدت أجيال الغرب نفسها تعيش في تجمعات وأكوام بشرية مجردة من الروابط والانتماءات، إلا ما كان من روابط المصالح المتذبذبة والآنية الموقوتة، والطامة الكبرى أنه يعيش في اغتراب حضاري متوحش غذته الفلسفات

جـون وايـت: فـلاسفـة الـتـربـيـة منذ قـرون يـعـمـلـون لـلـوصـول إلـى تـعـريـف مـحـدد شـامـل لـهـا لـكـن دون جـدوى!

المعروفة أرضيتها المعرفية والمنهجية، من أمثال الداروينية الاجتماعية القائمة على «البقاء للأقوى»، والتي بررت عمليات القتل للآخر (الإنسان غير الأبيض)، بل أدت إلى التطاحن حتى داخل دول الغرب نفسها، ولعل من أعراض هذه الأزمة الفكرية والتربوية المتجذرة في فكر ومؤسسات الغرب، الانهيار الكلي لنظم الثقافة، والقيم الإنسانية المعنوية، فصار إنسان الغرب يعيش ما يسميه علماء النفس والاجتماع بالاغتراب والشعور بالضعف والاحساس بالاحباط وخيبة الأمل والمعاناة من عدم الانسجام التي أدت إلى الشذوذ في الحياة والسلوك.

وبعد، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هذه النتائج تصويرا تآمريا للمجتمعات الغربية على أنها مستودعات للانهيارات الفكرية والهزات الأخلاقية والازمات التربوية والأمـراض النفسية، كما لا نسمح لانفسنا أن نعتبرها مقدمة للتبشير بانهيار الحضارة الغربية القائمة كبداية للتخلص من النفوذ الغربي المتعدد الجبهات (الفكرية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية) بقدر ما يعتبر ذلك وصفا لواقع الغرب التربوي يتحرى ما أمكن الدقة في الاستقراء والموضوعية في الوصف، فالنتائج السالفة الذكر، أفرزها الواقع الغربي ولكنها تنطبق بشكل كامل على الواقع التربوي العربي والمسلم المعاصر جراء التبعية الفكرية والمنهجية والتقليد التربوي، فغالب النظم التربوية ومؤسسات التعليم في بلدان العالم الإسلامي أنشئت على النمط الأوروبي والأميركي، ولذلك مازالت مغتربة ثقافيا وتربويا عن واقعها ومازالت عاجزة عن تخريج أفواج تتعامل مع واقعها وتقدم الحلول لحضارتهما فكيف لحضارة الآخرين، هذا إن لم تكن تعيش انفصاما نفسيا وانشطارا ثقافيا.

لذلك نبادر إلى القول: إن غياب وحدة المرجعية الصلبة في الثقافة والفكر الغربي بالاضافة إلى ما سبق ذكره، هو الذي يفسر هذا التضارب في أهداف التربية، وابراز مثل هذه الأهداف يحتاج إلى اصول محددة تتمثل في فلسفة تربوية شاملة وواضحة تنبثق من فلسفة كلية للإنسان والكون والحياة والمنشأ والمصير.



البحث التربوي في الثقافة الغربية لم يصل إلى حل جذري لأزمة الأهداف التربوية

المراجع

- أهداف التربية الإسلامية للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، ط. الثانية ١٩٩٧م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- مجلة المنعطف، ع. ١٥-١٦، س٢٠٠٠م.
- مجلة الهدى، ع. ٣٤ - ٥٣.

هوامش

١- انظر: التمركز حول الأنثى للدكتور عبدالوهاب المسيري، ص٧٢، مجلة المنعطف، عدد مزدوج ١٥-١٦، س٢٠٠٠م.
٢- أهداف التربية الإسلامية للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، ص٨٣.
٣- المرجع نفسه، ص٩٣.
٤- انظر: ماجد العرسان، المرجع السابق، ص٤٣١.
٥- المرجع نفسه، ص٤٣١.
٦- التربية الإسلامية للدكتور محمد عرقسوسي، ص٤، مجلة الهدى، ع. ٣٤ - ٥٤.
٧- المرجع نفسه، ص٥.

الحياة العلمية في الكويت

من صور الحياة العلمية في الكويت

الشيخ محمد بن ناصر العجمي*

لقد كانت الكويت عامرة بالسكان على مر السنين، وورد ذكر كثير من الأماكن المتناثرة على ثراها في كتب التاريخ ودواوين الشعر، ومرت على ذلك الثرى أحداث وأحداث، وعاش عليه رجال منهم الصحابي سعد بن إياس رضي الله عنه، والشاعر الفرزدق، والراوية الأصمعي، وفي أواخر القرن السابع عشر بدأ التعليم خطواته الأولى في الكويت، وبدأ يزداد ويتسع وينضج، ولعل عدم انقطاع حركة العلماء الذين كانوا يقدمون إليها للتدريس أوجد بيئة مناسبة للنهضة التعليمية والعلمية، فقد تعددت زيارات كبار العلماء العرب والمسلمين للكويت، هذه البقعة الصغيرة من الوطن العربي، وكانت محط أنظار العديد من المتنورين والاصلاحيين، وجلس إليهم كثيرون فاستفادوا منهم، وعلموا أن العلم مجاله واسع لا ينتهي الى طرفهون أحد، كما أيقنوا أنه لا تقدم ولا ارتقاء للوطن إلا به، خاصة ان الامم تتقدم بمعارفها، وتنوير أفكار الناشئة بالمعارف اساس تقوم عليه نهضة الأمم.

وكان من هؤلاء العلماء الشيخ المؤرخ العراقي عبدالرحمن السويدي عام ١١٨٦هـ الموافق ١٧٧٢م، والسيد محمد رشيد رضا الذي زار الكويت عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) وأحدث تأثيرا عظيما بين أهلها بخطبه وبفكره الديني المتفتح، ما زاد رغبتهم في التعليم.

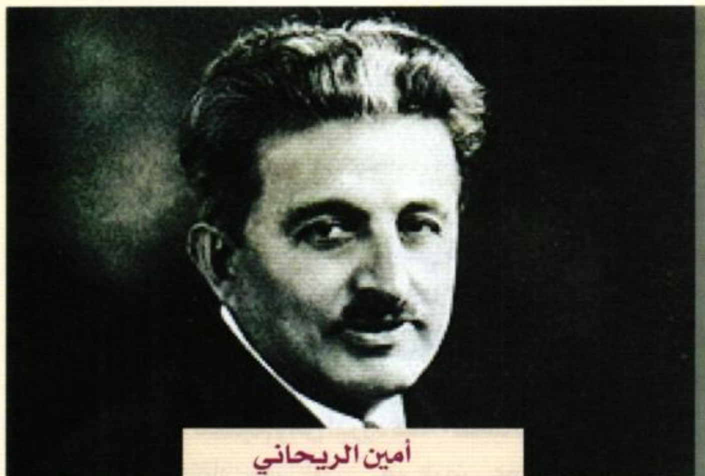
وكذلك أمين الريحاني الذي زار الكويت وكتب عنها في كتابه الشهير «ملوك العرب» واصفا شعبها وحكامها ونشاطاتها الثقافية وسفنها التجارية، والشيخ محمد الشنقيطي المغربي الذي زار الكويت عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤) وترك آثارا لا تنسى، بالاضافة الى الشيخ حافظ وهبة المصري

السويدي والريحاني ورشيد رضا والثعالبي.. أبرز من زار الكويت من العلماء

* باحث كويتي




الكتاب قديمًا


أمين الريحاني

الذي ساهم في العملية التعليمية في الكويت حين تولى التدريس في المدرسة المباركية والمدرسة الاحمدية، وعبدالعزيز الثعالبي التونسي الذي دفع الناس إلى الاهتمام بالعلم والتعليم عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م.

ومن جاء الى الكويت وترك أثره في التعليم كذلك الشيخ محمود


رشيد رضا


حافظ وهبة


عبدالعزيز الثعالبي

الهيتي، ومحمد الخراشي المنفلوطي، وعبدالقادر البغدادي الذي جاء به الشيخ يوسف القناعي من بغداد وأنزله عنده معلما في المدرسة المباركية.

فلفت النظر إلى الحياة العلمية في الكويت يؤكد أن هناك اعتناء واحتفاء بالعلم ودراسته مما يصلح أن يكون نواة لدراسة متكاملة عن هذه البيئة، والله أعلم.

هذه البقعة كانت محط أنظار المتنورين والإصلاحيين لاعتناء شعبها بالعلوم والمعارف


المدرسة المباركية

صفات المعلم الجيد

كمال عبد المنعم خليل

إن صفات المعلم لها أكبر الأثر في تشكيل عقلية الدارس والمتعلم، وقد يستجيب الدارس- وخصوصا في المراحل الأولى من التعليم- بدرجة كبيرة لمعلمه قد لا يستجيب بمثلها لغيره، لأنه يعتبر المعلم هو القدوة في القول والفعل، لذلك اتجهت الدراسات والبحوث إلى التعمق في شخصية المعلم، وما ينبغي أن يكون عليه من الناحية الشخصية والمهنية، وهذه محاولة منا لإلقاء الضوء على ما يجب أن يكون عليه المعلم من صفات تؤهله لأداء مهمته، لأنه - وقبل كل شيء- مرب، والتربية مهمة أخطر وأدق من التعليم ومن أبرزه هذا الصفات:

١- حسن الاعتقاد: وهي أول صفة يجب أن يتحلى بها المعلم، ومعناها السير على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون والسلف الصالح، فيعتقد المعلم أن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت، وهو توحيد الربوبية، ويعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن يفرده- سبحانه وتعالى- بالعبادة، وهو توحيد الألوهية، كذلك يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه من اسماء وصفات، وأن ينزهه عن كل نقص، وهو توحيد الأسماء والصفات، والمعلم إذا حسن اعتقاده ينعكس ذلك بالايجاب على من يعلمهم، أما إذا ساء اعتقاده، وانحرف إلى أفكار الفرق الضالة فإن مردود ذلك سيئ على كل المتعلمين عنده، فحسن اعتقاد المعلم وسلامته من كل مظاهر الشرك يصل ان بتلامذته إلى مرتبة الإحسان التي هي أرقى مراتب الإيمان بالله تعالى.

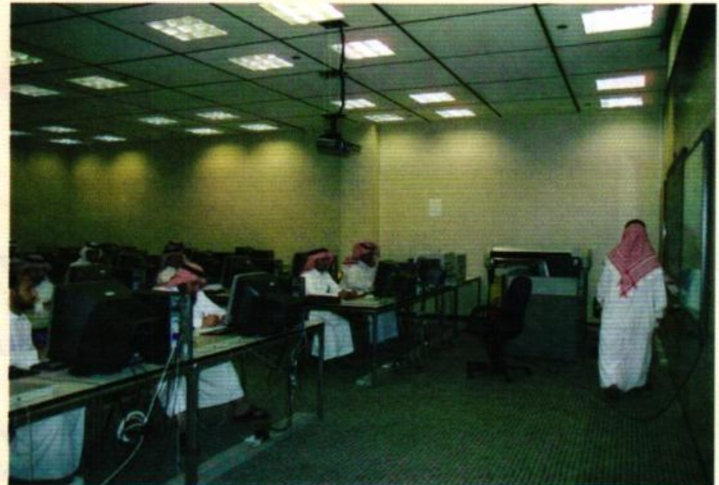
٢- المعرفة بأمور الدين والتمسك بها: وهي صفة لازمة لكل معلم حتى يستطيع أن يربط تلاميذه بالله تعالى وأن يجيب عن التساؤلات الموجهة إليه من قبل المتعلمين، وهذا يفرض عليه الاطلاع على قدر كاف من العلوم الدينية يمكنه من أداء مهمته، وقد أجمع علماء الشريعة الإسلامية على أن العلم المطلوب تعلمه نوعان: الأول، ما هو فرض عين، وهو واجب على كل مكلف، ولا يعذر أحد بالجهل به، وهو العلم الذي يحتاج إليه المسلم في إقامة دينه، وقبول عمله عند الله تعالى، واستقامة معاملته ومعاشرته للناس وفق تعاليم الإسلام، يدخل في ذلك علوم العقيدة والعبادات وأحكام المعاملات، والثاني: ما هو فرض كفاية، وهو علم ما يحتاج إليه المجتمع من غير نظر إلى شخص بعينه، إذا قام به فرد أو أفراد من الأمة أجزأ عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثموا جميعا، كصلاة الجنازة، وإقامة القضاء، ودور العلم، ومنه ما هو دنيوي، كتعلم الصناعات والحرف التي تحتاج إليها الدولة، والمعلم يجب أن يكون على بينة من كل هذا.

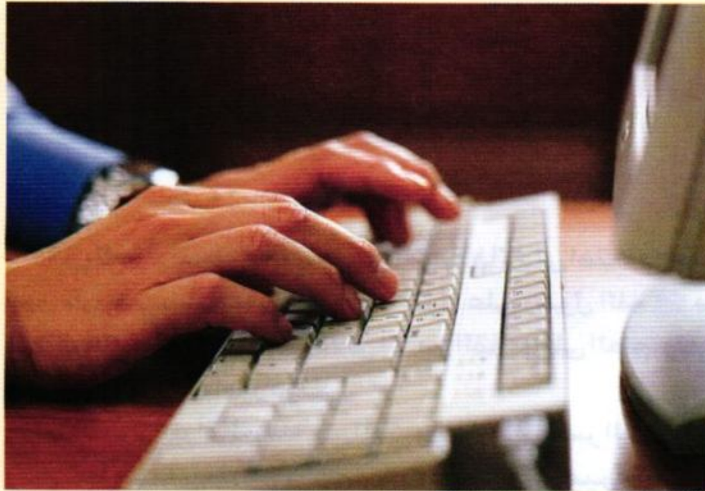
٣- حب الطفولة والأطفال: لأن المعلم أكثر تعامله مع هذه الشريحة من المجتمع، فلابد أن يكون ذا صدر رحب، يتفهم عقلية التلاميذ، وليكن الرسول ﷺ قدوته في ذلك، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: «قبَّل رسول الله ﷺالحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر رسول الله ﷺ وقال: «من لا يرحم لايرحم»، وفي حديث آخر «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا» (رواه أبو داود والترمذي)، فالمعلم يجب أن يكون رحيما بتلاميذه، فذلك أدعى أن تقبل منه النصيحة، وأن يكون لتدريسه نتيجة مرجوة.

٤- حب مهنة التعليم: مدح الله تعالى العلم والعلماء فقال سبحانه ﴿... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١)، وكان أول ما نزل من القرآن الكريم يحث على العلم والتعلم ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق:١)، وقد أثنى الرسول ﷺ على كل من يعلم الخير للناس، فقد روى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير»، وقد حظي المعلم بتقدير رسول الله ﷺ حيث أمر بإطلاق سراح الأسير من أسرى الكفار في غزوة بدر إذا علم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، فلابد للمعلم أن يعي كل ذلك، ويعلم انه يؤدي مهمة الأنبياء، ففي الحديث الشريف «إنما بعثت معلما» (السلسلة الضعيفة) وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ «...إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم...» (سنن الترمذي) وإذا أحب المعلم مهنته جد فيها واجتهد، وعلم تلاميذه ودارسيه جهد استطاعته، فحب مهنة التعليم من حب الدين.

٥-سعة الإطلاع: ويعني ذلك ان يكون المعلم مثقفا ثقافة عامة بحكم كونه مربيا. وثقافة المعلم عامل مؤثر في نضوج شخصيته، واتساع أفقه، وسعة مداركه، حتى ينجح في مهمته التربوية والاجتماعية مع الأبناء والآباء والزملاء، وأهم ثقافة يجب أن يلم بها المعلم إلماما جيدا هي الثقافة النفسية للأطفال ومن يعلمهم، كذلك العلم بمواهبهم واستعداداتهم وقدراتهم الذهنية، كذلك معرفة قدر من العلوم الإنسانية، كالتاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة والأدب، بالإضافة إلى إجادة اللغة العربية والتحدث بها للتلاميذ، كل ذلك في إطار من العلوم النافعة الدالة على الله عز وجل، كما يجب على المعلم أن يبتعد عن كل ما يشوه الفكر ويتعارض مع الشرع الإسلامي، كالأفكار العلمانية، والشيوعية وغيرها من الأفكار غير السوية، حتى ينجح في تجنب تلامذته تلك الأفكار، ويدلهم- فقط- على العلم النافع الذي دائما ماكان يطلبه الرسول ﷺ من ربه قائلا: «اللهم إني أسألك علما نافعا».

٦- الصحة النفسية والاتزان الانفعالي: هي صفة ضرورية





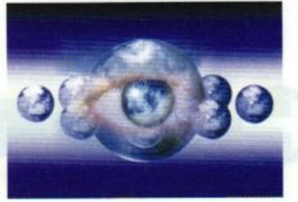
الاتزان الانفعالي صفة ضرورية لمن يتعامل مع عقول متفاوتة في التفكير والفهم

ومطلوبة لمن يتعامل مع عقول متفاوتة في التفكير والفهم، حيث إنه يتعرض للغضب مرة، وللإثارة أخرى مما قد يصدر من المتعلمين، لذلك مدح الله تعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وعدهم من المتقين المحسنين، كما أمر بمقابلة السيئة بالحسنة فقال سبحانه ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة...﴾ (المؤمنون:٩٦)، فالمعلم الجيد يتعامل مع المواقف المغضبة بروية وتؤدة ووسطية، فلا إفراط ولا تفريط في انفعالاته، ولو تدبرنا سيرة الرسول ﷺ لعلمنا أنه كان يتعامل بالحكمة في جميع مواقفه، فقد كان أحلم الناس وأحسنهم خلقا، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «بال أعرابي في المسجد، والرسول ﷺ جالس، فقام الناس إليه ليقعوا به، أي ليعنفوه ويضربوه، فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلا (دلوا) من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»، فانظر- رحمك الله- كيف تعامل أفضل معلم مع الموقف المثير المغضب؟ وهكذا يجب أن يكون كل معلم.

٧- صحة البدن وحيويته: القوة مطلوبة وضرورية لكل مسلم أيا كان عمله، وهي للمعلم أشد طلبا فقد اختار الله تعالى أنبياءه من ذوي الصحة والقوة، قال الله سبحانه مخبرا عن طالوت- عليه السلام- مخاطبا بني إسرائيل ﴿... إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة:٢٤٧)، وقال سبحانه مخبرا عن موسى عليه السلام على لسان ابنة شعيب ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(القصص:٢٦)، وفي السنة الشريفة مدح الرسول ﷺ المؤمن القوي فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير...» وقوة المعلم ضرورية له، لا ليضرب أو يثور، ولكن ليشرح ويكرر، ويجيب عن كل تساؤل، ويقف أمام دارسيه كالأسد، مع الرفق واللين، فقوة المعلم مع رفقه ولينه تكسبه احترام المتعلمين.

٨- التواضع وحسن الهندام: لقد أمر الله تعالى خير معلم وهو الرسول ﷺ أن يتواضع للمؤمنين فقال سبحانه ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر:٨٨)، وأمر الناس جميعا- ومنهم المعلم- بالقول الحسن ﴿... وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة:٨٣)، وقد رأى الرسول ﷺ رجلا يدخل عليه في مسجده، ترتعد فرائصه، فطمأنه الرسول ﷺ بقوله «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد» (سنن ابن ماجه) ورغم مكانة الرسول ﷺ، إلا أنه كان يقول عن نفسه «كنت أرعاها (أي الغنم) على قراريط لأهل مكة» (البخاري)، وكان ﷺ يعلم الصغير والكبير، ويجالس الجاهل والمتعلم، ويربي الرجال والنساء، ويخاطب الجميع في تواضع وأدب جم، بعيدا عن كل مظهر من مظاهر الكبر والغرور، ومع هذا التواضع يجب أن يكون المعلم ذا مظهر حسن، لأنه قدوة في المظهر والمخبر، فالله تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة، ودخل رجل على النبي ﷺ فأشار إليه، كأنه يأمره باصلاح شعره، ففعل الرجل ثم رجع، فقال الرسول ﷺ «هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان» (البيهقي) وليس معنى حسن الهندام تقليد هذا وذاك، أو الإسراف في الملبس، ولكن المقصود بذلك هو أن يظهر المعلم في أحسن هيئة في إطار من القصد والاعتدال.

٩- الفصاحة والذكاء: أكثر حاسة يستخدمها المعلم هي حاسة النطق والكلام، فالفصاحة لازمة له، وعليه أن يجتهد في تعلم لغته، وقد علل موسى عليه السلام استعانته بهارون عليه السلام بأنه أفصح لسانا، قال الله تعالى ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني﴾ (القصص:٣٤)، وبجانب فصاحة المعلم، يجب أن يكون فطنا ذكيا، لأنه سيتعرض لمواقف لا يخرجه منها إلا فطنته وذكاؤه، والأمثلة على ذلك كثيرة في السيرة النبوية الشريفة، ففي غزوة بدر رد الرسول ﷺ على الرجل الذي سأله ممن أنتما؟ قائلا له: «من ماء»، كما أجاب أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تساؤل المشركين عن الرسول ﷺ وهما في طريق الهجرة، وكانوا لا يعرفون الرسول ﷺ فقال له: «إنه يهديني الطريق» فنعمت الفصاحة والفطنة.

دور المرأة في العلم والتعليم عبر العصور الإسلامية

محمد عويس

كان للمرأة المسلمة منذ عصور الإسلام الأولى اهتمام واضح في تلقي العلم، فقد عُرف عن أمهات المؤمنين، وعن نساء المؤمنين أنهن كن حريصات على تلقي ما يتنزل على رسول الله ﷺ من آي الذكر الحكيم، وما يوجه به عليه السلام من آداب وأحكام تتعلق بالدين، وأسهمن في تلقي الدين القائم على العلم، ولم يترددن في ذلك فكن يستفتين رسول الله ﷺ في كثير من المسائل الفقهية المتعلقة بأمور دينهن.

واستمرت المرأة المسلمة في العصور التالية لعصر النبي ﷺ على صلة قوية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم عليه السلام وما يتصل بهما ويخدمهما، كما كانت على جانب كبير من الاهتمام بالعلم، والدراية، فيما ينفعها في دينها ويهيئها لحياة كريمة هانئة، وتزخر كتب التاريخ والتراجم والطبقات بأسماء كثير من النساء اللواتي تعلمن الكتابة والقراءة، وروين الحديث وبرعن في الفقه والإفتاء، وكان منهن الأديبات والشاعرات، بل وبرز من النساء من أتقن علوما إنسانية أخرى كالرياضيات والفلك والطب والصيدلة، وغير ذلك من العلوم التي تناسب المرأة، وكن مثالا في التعلم ونشر العلم بمختلف الوسائل المتاحة لهن.

وقد نتج عن ذلك الاهتمام بتعليم المرأة منذ العصور الإسلامية الأولى أن نبغ في ديار الإسلام عدد كبير من النساء العالمات في مختلف علوم العصر، وكان لهن أثر واضح في إثراء الحركة العلمية في تاريخنا الإسلامي على مر عصوره، وفي دراسته حول «دور المرأة في العلم والتعليم عبر العصور الإسلامية» يشير د.إبراهيم بن محمد المزيني- عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى أن مما عنيت به المرأة المسلمة من العلوم: علم الطب الذي لم يقتصر النبوغ فيه على الرجال، بل كان لعديد من نساء المسلمين أثر واضح فيه، فقد نبغ عدد منهن في صناعة الطب وممارسته عمليا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصلت المرأة المسلمة في علم الطب وصناعته إلى مرتبة الرئاسة، وقد أشار إلى ذلك أحمد عيسى بك في كتابه: «تاريخ البيمارستانات في الإسلام» حينما قال: «فقد تخطى الاهتمام بالطب الرجال إلى النساء، فكان منهن طبيبات بارعات، بل كان منهن من تولت مشيخة الطب في حاضرة من اعظم حواضر الإسلام»، وهو يقصد بذلك: بنت الطبيب شهاب الدين أحمد بن الصائغ الذي توفي سنة (١٠٣٦ هـ - ١٦٢٦م) عن مشيخة دار الشفاء المنصوري بالقاهرة، ولم يخلف إلا بنتا تولت مكانه مشيخة الطب.



وعن أماكن تعليم النساء يذكر المزيني أنه يمكن حصر الطرق التي كان يتم بها تعليم المرأة في:

١- منازل العلماء

يمثل المنزل المدرسة الأولى التي تلقت المرأة فيها تعليمها إذ يلاحظ أن كثيرا من النساء اللاتي اشتهرن بالعلم في عدد من العصور الإسلامية نشأن في بيوت العلماء، ودرسن على آبائهن او احد ذويهن من اولى العلم، او انهن كن يستفدن من الدروس التي كانت تعقد في بيوتهن لتعليم الطلاب حيث كن يستمعن إلى ما كان يلقى في منازلهن من دروس.

فالتعليم في عهد النبوة كان منطلقا من بيوت رسول الله ﷺ وهذا ظاهر من التوجيه الرباني الكريم لامهات المؤمنين بأن يبلغن ما كن يتعلمنه في بيوتهن اذ يقول تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا﴾.

فأصبحت منازل أمهات المؤمنين مراكز تعليمية خرجت العديد من الصحابيات والتابعيات بالرواية عنهن، وأخذ العلم منهن والتردد عليهن، وكن- رضي الله عنهن أجمعين- مرجعا للناس في مختلف الاحكام الفقهية المتعلقة بالنساء.

واستمرت المنازل ودور العلماء في العصور الإسلامية التالية لعصر النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، تؤدي دورا تعليميا رائدا لتوافر فرص التعليم بين الأهل مما أهَّل بدوره نخبة من النساء العالمات في مختلف ميادين العلوم وفروعها.

٢- المساجد

كانت أبواب المساجد في كثير من الأقطار الإسلامية مفتوحة لمن أراد أن يتلقى تعليمه من النساء إذ إن التعليم داخل المنازل- وبين

الآباء والأزواج أو غيرهم من ذوي المحارم- إن تيسر لبعض الإناث، فإنه قد لا يتيسر لشريحة أخرى من النساء، ما يثير تساؤلا آخر هو انه اذا لم تكن المرأة قد شبت في بيت علم، وقدر لها التعليم على أحد محارمها، فأين يمكن أن تتعلم؟ وللاجابة على ذلك يمكن القول: إنهن كن يترددن لحضور الحلق التي كانت تعقد في المساجد في اماكن مخصصة لهن، ومعزولة عن اماكن الرجال حتى لا يكون هناك سبيل للاختلاط، الأمر الذي يمكن معه القول بأن ما ذكره بعض الباحثين من أن حضور النساء لمجالس العلم في المساجد كان يتم جنبا إلى جنب مع الرجال، وان هذا الامر كان مألوفا في جميع المجتمعات الإسلامية في العصور الوسطى، امر مخالف للحقيقة لان الاصل في المرأة المسلمة الالتزام التام بالحجاب الإسلامي الكامل، ولم يظهر عبر حركة التعليم على مر العصور الإسلامية ما يخالف ذلك، بل يتأكد ذلك من خلال سير عديد من العالمات في اكثر من موقع وعصر في تاريخنا الإسلامي.

من ذلك ما صرح به زوج حليمة ابنة علي المزملاتي التي برعت في العلم في العصر المملوكي في مصر فذكر «أنها سمعت من وراء حجاب، وأجاز لها جماعة».

٣- تعلم المرأة على امرأة مثلها

ومعنى هذا أن العملية التعليمية طرفاها النساء تعليما وتعلما، وهذا النوع من التعليم انتشر في مختلف أقطار العالم الإسلامي، فقد أشار الحافظ ابن عساكر في ترجمته لفاطمة بنت سهل بن بشر المدعوة «ست العجم» إلى أنها: «كانت تعظ النساء في المساجد».

للنساء مشاركات فعالة في تشجيع حركة التعليم في بعض عصور الإسلام عن طريق إنشاء المدارس

٤- تعلم المرأة على الرجل الضرير

تشير كتب التراجم إلى أنه عند الضرورة قد تأخذ النساء تعليمهن عن الرجال من غير ذوي المحارم في حال أن يكون العالم ضريرا ومعروفا بالعفة، فقد أمر المنصور الموحدي في الأندلس (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ -١١٩٨م) العالم عاليا بن محمد الفهمي القرطبي (ت٦١٧هـ -١٢٢٠م) - وكان ضريرا- بتعليم بناته، لما عرف من صونه وعفافه وصدق نصحه.

أما عن رحلات النساء في سبيل طلب العلم فقد عرف عن كثير من النساء المسلمات الارتحال والتنقل بين الأقاليم الإسلامية طلبا للعلم على أكابر العلماء والمحدثين، فكانت المرأة اذا اكملت تعليمها في بلدها، ووجدت ان الظروف مهيأة لها لتلقي العلم خارج بلدها سارعت إلى شد الرحال رغبة في طلب المزيد، إلا أن ذلك كان لا يتم إلا مع محارمهن، وقد تواترت تراجم النساء في ذكر أسماء عديد من النساء اللواتي رحلن، وحصلن على إجازات علمية من كبار مشايخ العصر في مختلف المدن، من ذلك ما يرويه الحافظ الكبير ابن عساكر في ترجمته لفاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي من أنها ولدت في البحرين، ورحل بها أبوها إلى أصفهان، فسمعت بها من العالمة فاطمة بنت عبدالله الجوزادنية، ثم قدم بها بغداد، فسمعت من جماعة من كبار العلماء، ثم قدمت دمشق مع زوجها علي بن نجا الحنبلي، وسمع منها بعض طلبة الحديث.

أثر النساء في إجازة العلماء

ويضيف المزيني أنه لم يقتصر دور المرأة على التعلم فقط بل كان لها أيضا أثر واضح في نشر ما تعلمته، وان لم تتسلم وظيفة التدريس في المدارس التخصصية بالشكل الذي نراه اليوم.

فمن خلال دراسة سير عديد من النساء العالمات يتضح أن الأقربين للمرأة- رجالا ونساء- كانوا هم أول من يستفيد من علمها، ثم هي لا تبخل بعلمها على طلبة العلم الآخرين، فتمارس التعليم بمختلف الوسائل التي لا تتعارض والتزامها بأوامر دينها، فتدرّس خلف الستر وتجيز لمن أخذ عنها.

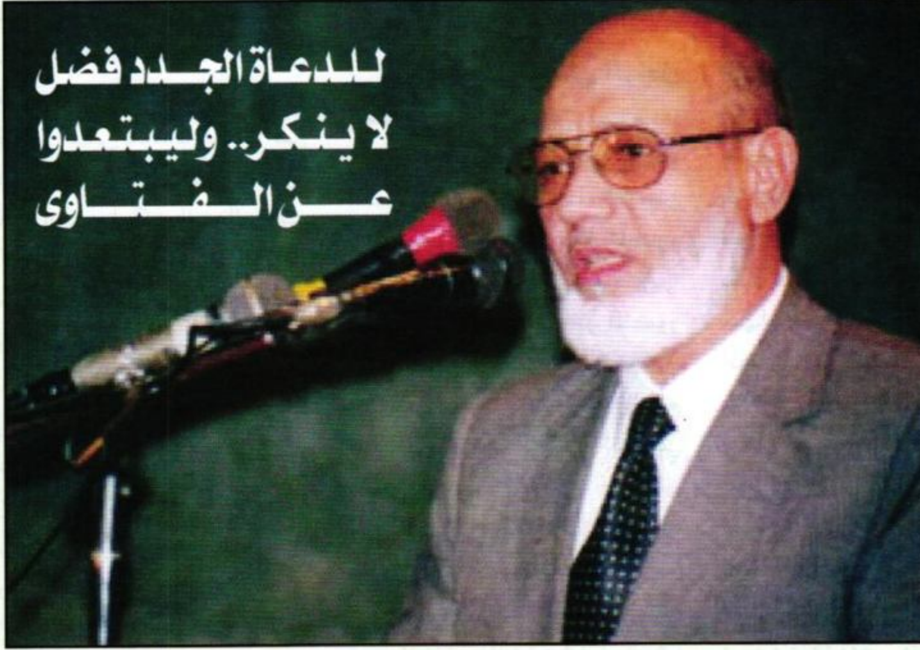


وقد تكرر ذكر العلماء الأعلام لعديد من النساء العالمات اللائي تلقوا على أيديهن، أو أنهن أجزنهم في علم من العلوم، فتكرر لديهم عبارات: «أخبرتنا فلانة» أو «سمعنا من فلانة» كثيرا من خلال ترجمة إحدى النساء العالمات، أو سرد حديث من الأحاديث الشريفة، كان من هؤلاء الخطيب البغدادي، والحافظ ابن عساكر، وابن حجر، وتقي الدين الفاسي، وغيرهم من العلماء الذين لم يأنفوا من الاعتراف بأنهم درسوا على أيدي أمثال هؤلاء الشيخات، بل على العكس افتخروا بذلك وكرروا ذكرهن في مسانيدهم.

وكان للنساء أيضا مشاركة فعالة في تشجيع حركة التعليم في بعض عصور الإسلام عن طريق الإسهام بانشاء المدارس ودور التعليم على اختلافها، ووقف الأوقاف القائمة بها، وليس أدل على ذلك الدور وأهميته منذ عهود مبكرة أن ثالث مدرسة أنشئت ببغداد في العصر العباسي كانت من إنشاء تركان بنت طراج الجلالية زوجة السلطان السلجوقي ملكشاه (ت٤٨٧هـ - ١٠٩٤م)، كما أكد ذلك ابن جبير الذي زار بلاد الشام في العصر الأيوبي فقال: «ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار ممن تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف».

الشيخ د.عبدالحي الفرماوي في حوار لـ «الوعي الإسلامي»:

أمتنا بخير.. ولننظر إلى ثلثي الكأس المملوءين!



للدعاة الجدد فضل لا ينكر.. وليبتعدوا عن الفتاوى

حوار: محمد نبيل

فضيلة الشيخ د.عبدالحي الفرماوي علم من أعلام العلم والدعوة الإسلامية، قضى سنين عمره في الدعوة إلى الله ونشر العلم والإرشاد، وهو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعتي الأزهر وأم القرى، والمشرف على موقع هدى الإسلام.. استضاف (الوعي الإسلامي) في مكتبه بالقاهرة فكان هذا الحوار عن القرآن والدعوة والدعاة.. واليكم نص الحوار:

■ **فضيلتكم من العلماء الذين تخصصوا في القرآن وعلومه .. وقد ظهرت في الفترة الأخيرة أصوات تدعو الى إعادة النظر في القرآن الكريم، والنظرة إليه نظرة عصرية وربطه بالعلم الحديث.. ما تقييمكم لهذه الدعوات؟**

دعوة النظرة إلى القرآن نظرة عصرية لا يؤمن جانبها ولا يسلم من مخاطرها، خاصة أن القرآن كتاب كل العصور وليس لعصر دون آخر، لذلك هو ليس بحاجة إلى دعوات جديدة بأسماء جديدة، وقد حاول ذلك من قبل أناس مثل صاحب «القرآن.. محاولة لفهم عصري» فركب الشطط ووقع في الخطأ.

أما عن ربط العلم الحديث بالقرآن، ولا أقول ربط القرآن بالعلم الحديث، فلا مانع من ذلك بشرطين، أن تكون مواد العلم الحديث حقائق ثابتة وليست نظريات مفترضة، وأن يكون العرض لها على أن القرآن يؤيدها وليس على أنها تؤيد القرآن.

■ **إذن انتم مع من يقولون بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم.**

نعم.. حقائق العلم الحديث من فنون التفسير، ما يسمى التفسير الموضوعي، ولذلك هذه الدعوات ينبغي ألا يختلط فيه الحابل بالنابل، إنما تحكمها جميعا ضوابط التعامل مع القرآن.

■ **وما هذه الضوابط التي تحكم التعامل مع القرآن الكريم؟**

هناك ضوابط كثيرة تحكم تعاملنا مع القرآن الكريم منها العلم باللغة العربية وقواعدها وخصائصها وفنونها، لأنها اللغة التي نزل بها، وبها يفهم، هذا هو الضابط الأول والأهم، ثم العلم بأسباب النزول، والعلم بالناسخ والمنسوخ، والعلم بالعام والخاص، والمطلق والمقيد... إلى غير ذلك من العلوم التي يلزم العلم بها قبل الخوض في غمار القرآن بغير هدى، ويجب أن يزين كل هذا ويسبقه الإخلاص لله عز وجل.

■ **حال الأمة الإسلامية اليوم.. ماذا يرى فيها د.عبدالحي من مبشرات وأمور تحمل على التفاؤل؟**

الأمة الإسلامية اليوم فيها متناقضات كثيرة، ولكن فيها الكثير من المبشرات ومن ذلك مقاومة المستعمر والمحتل المغتصب، هذه المقاومة التي انتشرت في أرجاء العالم الاسلامي في كل مكان من أماكن الظلم والطغيان والتي تشهد بأن الامة حية، وفيها من يدافع عن عزتها وكرامتها، ومن المبشرات كذلك عودة المرأة المسلمة الى حجابها الشرعي الذي مزقته في بداية القرن الماضي صفية زغلول حينما عادت من أوروبا، فهو الحجاب نفسه الذي استشهدت من أجله مروة الشربيني على صخرة العنصرية الاوروبية، والحجاب ظاهرة صحية لا ينبغي أن يقلل من شأنها من في عيونهم رمد حبيبي من هذا الحجاب الناصع البياض، ومن المبشرات أيضا الإقبال على الطاعة وامتلاء المساجد بالشباب بعد أن كان روادها هم العجائز والمحالين إلى التقاعد، ومن البشائر كذلك تلك الروح التي تسري في جسد الامة تريد عزتها ونهضتها ومجدها، وقريبا ما سيتحقق ذلك على أيدي المخلصين من أبنائها.

■ ولكن البعض يرى أن هذه النظرة غير واقعية.

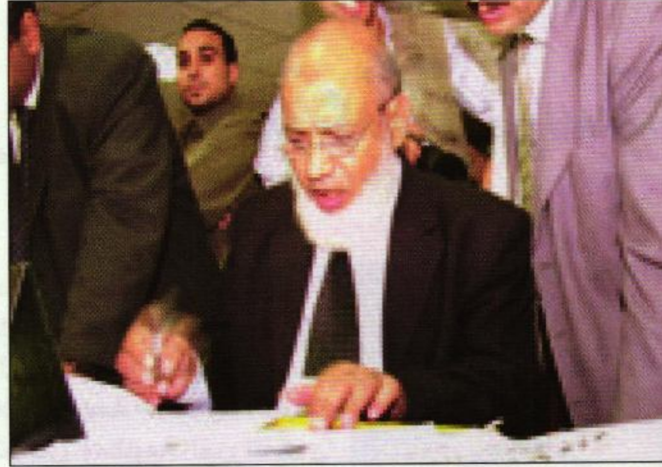
أقول لهم لا تنظروا إلى الثلث الفارغ من الكأس بل انظروا إلى الثلثين المملوءين بماء الزلال.

فضيلتكم ممن استفادوا من مستجدات العصر وتعاملوا معها تعاملا فعالا (أنشأتم موقعا إسلاميا متميزا يخدم جماهير المسلمين ويقدم لهم ما يريدون بأسلوب سهل مبسط) حدثنا عن هذه التجربة؟

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يصحح فيه مسيرتنا وأن يرزقنا القبول.. هذا الأمر في الحقيقة جاء بتوفيق، أولا وأخيرا، من الله عز وجل، فقد كنت في أحد الدروس أتحدث، متوجها الى الشباب، عن ضرورة استغلال الوسائل الحديثة كمنابر للدعوة والإرشاد مثل المواقع الالكترونية والمدونات، وبعد الدرس عرض أحدهم علي أن يكون لي موقع الكتروني، ومن هنا بدأت الفكرة وبدأ التنفيذ والعمل، فبدأ الأمر صغيرا متواضعا ومع الوقت أخذ ينمو حتى أصبح على صورته الحالية موقعا إسلاميا يقدم خدماته لما يقرب من ١٢٠٠٠ زائر يوميا، بأربع لغات حية هي العربية والانجليزية والألمانية والاندونيسية، ولابد أن يستفيد المسلمون من هذه المستجدات الحديثة ولاسيما العلماء، فنحن مطالبون باستخدام كل جديد من الوسائل في الدعوة لدين الله عزوجل.

■ ظاهرة الدعاة الجدد.. هل فضيلتكم من المؤيدين لها أم من المعارضين؟ وما تقييمكم لها؟

في رأيي ظاهرة الدعاة الجدد صحية، ولهم فضائل لا تنكر، وهي أكثر من المثالب التي عليهم، فلقد يسروا المعلومات الدينية على العامة وجمعوا الناس على الدروس الدينية وذهبوا للناس في كل مكان هم فيه.. لكن يعاب على بعضهم أنهم ينزلون



احذروا اختلاط الحابل بالنابل في دعوات التفسير العلمي للقرآن

بلغة الحوار إلى العامية المسفة، ولو تحدثوا بالفصحى السلسة لكان افضل، كما أن عليهم أن يدققوا في الأحاديث النبوية فلا يجمعوا بين الصحيح والسقيم والضعيف والموضوع، خاصة إذا كانت هذه الاحاديث تبنى عليها أحكام شرعية، وعليهم كذلك أن يبتعدوا ابتعادا تاما عن مجال الفتوى، وليس عيبا أن يقول أحدهم فيما لا يعرف: لا أعرف، فالإمام مالك، رضي الله عنه، سئل في أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين منها لا أدري، ولم ينقص ذلك من قدره شيئا.

■ ظهرت في الفترة الأخيرة طائفة تجرح العلماء وتنال منهم ولا تراعي في ذلك حرمة ولا تردهم عن ذلك مكانة، ولا يصاحبهم فيما يذهبون إليه أدب.. ماذا تقول لهم وبماذا تنصحهم؟

هذه الطائفة معذورة بقلة العلم وقلة الفقه وقلة الوعي، ألا فليعلموا أن القاضي عياض يقول «لحوم العلماء مسمومة»، لذا لا ينبغي الخوض في سيرتهم ولا التشكيك في علمهم، وإذا لزم الأمر فلا بد أن تكون المنافشة جادة مهذبة يبتغى بها وجه الله، ثم إن الاختلاف قديم وهو سنة من سنن الله في خلقه، فالصحابة اختلفوا ولم يتنازعوا، والإمام الشافعي يقول: «رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»، وهذا احترام لرأي الغير إلى أبعد مدى، وكتب الفقه مليئة بقولهم «قلنا، قالوا، قيل ...» الرأي والرأي الآخر، وفي هذا دلالة على سماحة التشريع واحتوائه على الكثير من الآراء، أما أن يأتي أحد الناس ويخطئ الآراء الأخرى لمجرد أنها لا تتفق مع رأيه فهو المخطئ بلا شك.. وكلمتي لهؤلاء أن ينشغلوا بالعلم النافع ولا ينشغلوا بتجريح العلماء دون نقد بناء.

■ ما آخر أعمالكم العلمية؟

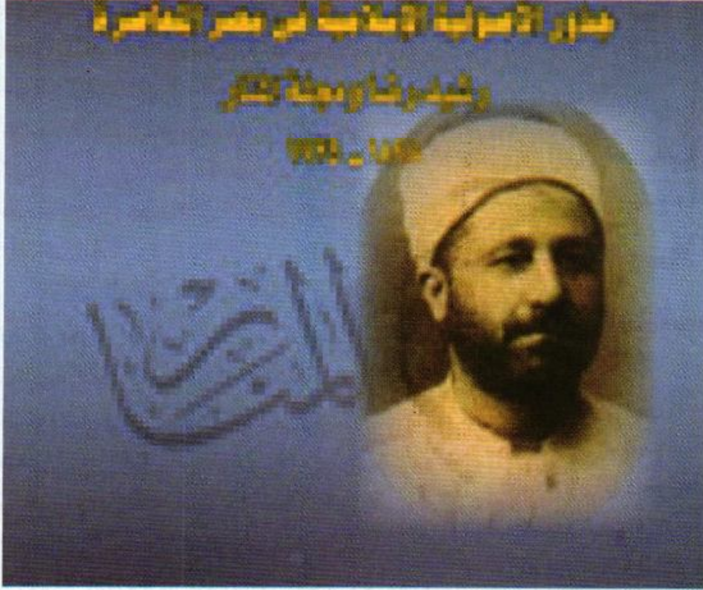
آخر الأعمال كتاب «السهل المفيد في تفسير القرآن» ويقع في أربعة أجزاء وتقوم على طباعته دار المعرفة ببيروت.

■ نريد منكم وصية للمسلمين لنصرة هذا الدين.

أقول لهم «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»، وليعلموا أن هذا الدين منصور، والله تعهد بذلك، قلّب صفحات القرآن تجد فيه «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» و«إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا...» و «وما النصر إلا من عند الله...»، والله سبحانه وتعالى أرشدنا في كتابه إلى ما ينبغي عمله لنصرة هذا الدين فقال «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم...»، هذه الآيات قد احتوت على ثلاثة مطالب ونبهتنا إلى ثلاثة محاذير ووعدتنا بثلاث نتائج.. فقد طالبتنا بالإيمان والعمل الصالح والإخلاص لله في العبادة، وحذرتنا من الانخداع بالفسقة والكارهين لهذا الدين، كما حذرتنا من الغرور إذا أحرزنا نصرا، وحذرتنا من الشك في هذا الدين وصلاحيته لقيادة البشرية، ووعدتنا بالخلافة في الارض (الاستخلاف) والتمكين لهذا الدين والأمن بعد الخوف، هذه هي الوصفة الإلهية- إن جاز التعبير- لنصرة هذا الدين.

مشروع النهضة عند مدرسة المنار

السيد شعيب



احتلت مجلة المنار منزلة رفيعة في العالم الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين، وأصبحت المجلة الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي، وموئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والعصر، حيث انتهت إليها زعامة الفكر الإسلامي ومهمة التجديد الديني والإصلاح السياسي والفكري والاجتماعي، ومقاومة الغزو الفكري في فترة هي من أشد فترات الأمة الإسلامية ظلمة وانحطاطا. يقول الشيخ رشيد رضا في مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار «إن هذا المنار حاجة من الحاجات الطبيعية للمسلمين في هذا العصر، لا يستغني عنه بيت من البيوت، فإن لم يفقهوه هذا اليوم فسيفقهونه في يوم ما، وقد اتفق رجلان من غير المسلمين في كلمة حددا بها الأجل لذلك اليوم المجهول، أحدهما إنكليزي كان يقرأ له المنار محمود سامي باشا البارودي والآخر سوري من قرائه، قالا كلمتهما التي تواردت عليها خواطرهما، ولا تعارف بينهما، قالا: إن المسلمين سيبحثون عن هذا المنار ويعنون بإعادة طبعه بعد خمسين سنة».وفي العصر الحديث كثرت الكتب والرسائل العلمية التي تناولت جهود مدرسة المنار في الإصلاح الإسلامي، وأقبل القراء من كل مكان على قراءة مجلة المنار وأعمال الشيخ رشيد رضا بشغف شديد حتى ظهرت في الأفق مجلة المنار الجديد التي تعد امتدادا فكريا لمجلة المنار، فالأولى صدرت في شتاء ١٨٩٨م والجديدة تصدر في شتاء ١٩٩٨م، فكان أن تم اختيار اسم «المنار الجديد» تيمنا بالقدرة على ممارسة الدور التنويري والنهضوي الذي مارسته المنار الأولى.

ولقد عمدت المنار إلى البحث في أسباب انحطاط المسلمين وتعثر خطواتهم في اللحوق بالأمم المتحضرة ومواكبة العصر، واستكتبت صفوة العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، وقدمت مشروعا للنهضة يوازن بين العقل والنقل والمادة والروح والتراث والمعاصرة والسلفية والتجديد على نحو متميز.

أسباب انحطاط المسلمين

١- الجهل بالدين

والجهل- كما هو معلوم- آفة الآفات وعلة العلل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله: وجماع الشر الجهل والظلم قَالَ الله تعالَى ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، وما أصاب أمة إلا أتى عليها، وما ضلت الإنسانية وشقيت إلا بجهلها.

ويقول تعالى ﴿هو الذِي ينزل على عبده آيات بينات لِيخرجكم مِن الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾ (الحديد: ٩) يقول ابن كثير: يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين.

أما الطريق إلى دفع الجهل فهو ولاشك العلم.. يقول الشيخ محمد توفيق البكري:... العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على أمة، والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق، وان سبب انحطاط الأمم الإسلامية هو الجهل وينقل عن ديدرو الفيلسوف والكاتب الفرنسي قوله: علة العلل في ارتقاء أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل، وما عدا ذلك فأسباب ثانوية وعلل جزئية ترجع إلى تلك العلة الأصلية (المنار ٦٠١/٥).

> **ضرورة الموازنة بين العقل والنقل والمادة والروح والتراث والمعاصرة والسلفية والتجديد على نحو متميز**

٢- شيوع التقليد والجمود

والتقليد كما قال علماء الأصول: هو قبول قول القائل وهو لا يدري مستنده، وذهب بعضهم إلى أن التقليد: قبول قول القائل بلا حجة. وهو بمعنى آخر محاكاة الآخر سواء في فكره ومعتقده أو سلوكه وخلقه أو عاداته وأعرافه بلا تعقل.

ولقد انتشر التقليد بهذا

* باحث دراسات إسلامية

المعنى بين المسلمين انتشار النار في الهشيم، فلم يقف عند حد ولم يكتف بميدان، بل اكتسح حياة الشرق قاطبة، حتى أصبح التقليد والمحاكاة سمة الشرقيين وعنوانهم، حتى شمل العقائد والأفكار والسلوك والأخلاق والمعاملات والآداب والعوائد والأعراف...الخ

يقول الشيخ رشيد رضا: يعلم الناظرون فيما نكتب أن التشبه بالأوروبيين في أزيائهم وعاداتهم قد جرى في الشرق جريان الدم في العروق، فأبناء الدنيا يرون في ذلك شرفا ورفعة، والمنتصرون للدين يرونه ذنبا وبدعة، وغلوا في ذلك حتى ذموا تقليد المخالف في كل شيء وإن كان نافعا مفيدا، ولكن لما كان الأمراء والكبراء يتفاخرون ويتبارون في التشبه بالإفرنج، وهم موضع إجلال الدهماء وتعظيمهم، صار سائر الناس يقلدهم في ذلك؛ لأن ناموس التقليد مطرد باحتذاء لهازم الناس وأدنائهم مثال عليتهم وكبرائهم، وسرت العدوى في ذلك لبيوت العلماء ورجال الدين. (المنار١/٥٥١).

ضرورة التجديد

ولقد أهاب أصحاب المنار بالأمة إلى التجديد في كل أمور الحياة الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والتربوية...الخ. فالتجديد سنة من سنن الاجتماع، كما أن التجديد من مقتضى الفطرة والطباع.

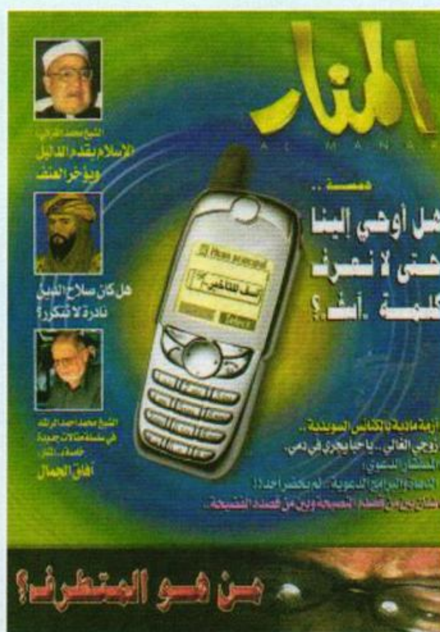
أنواع التجديد والحاجة إليه

بيّن الشيخ رشيد رضا فقال: التجديد الاجتماعي والسياسي والمدني والديني كل منها حاجة من حاجات الجماعات البشرية بمقتضى غرائزها واستعداد نوعها به يرتقون في مدارج العمران ويصعدون في معارج العلم والعرفان، حتى إن الدين الإلهي الذي يستند إلى وحي الرب الحكيم بمحض فضله، لبعض من أعدَّ أرواحهم القدسية لذلك من أصفياء خلقه قد سار مع غرائز الجماعات البشرية في ترقيها من طور إلى طور حتى أكمله تعالى لهم بالإسلام، عندما وصل مجموعهم إلى سن الرشد والاستقلال.

ومع هذا الإكمال يروي لنا المحدثون عن خاتم النبيين- صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين- أنه قال: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (رواه أبو داود في سننه) والمراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته.

هذه حقيقة معنى التجدد والتجديد، وهي تهدينا إلى أن لكل من الجديد والقديم محلا، وأن من الجهل تفضيل أحدهما على الآخر مطلقا. (المنار٣٢/٤٩).

ويعني التجديد الديني الرجوع بالدين إلى سهولته وهدايته كما كان في الصدر الأول، وجمع كلمة المسلمين على



ما أجمعوا عليه قبل التفرق والاختلاف، وجعل ما عدا القطعي منه مما يعذر فيه كل فرد باجتهاده وكل مقلد باتباع المذهب أو العالم الذي وثق بعلمه، من غير تعصب يفرق الأمة الواحدة إلى شيع وفرق يعادي بعضها بعضا.

من وسائل التجديد

إحياء اللغة العربية بالكلام والكتابة والخطابة وتأليف الكتب بالأساليب العصرية السهلة وتعميم التعليم والتربية على القواعد الفنية، ونشر الدعاية الإسلامية في العالم.

التجديد الدنيوي

وإذا كانت الأمة تحتاج إلى التجديد في إقامة أمر دينها وقد أكمله الله تعالى لها وحظر عليها الابتداع فيه، فهي أحوج إلى التجديد في أمور الدنيا التي تختلف مصالحها باختلاف الزمان والمكان وعرف الناس، والشرع يراعي ذلك كله كما هو مقرر في كتب الفقه.

والتجديد فيها نوعان: نوع يتعلق بالمصالح العامة وما تحتاج إليه من التشريع، وقد حث الشارع على التجديد في هذا النوع بقوله ﷺ «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء» (رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله).

والنوع الثاني ما هو من أمور المعايش كالزراعة والصناعة والتجارة وأمور العادات التي ليس فيها مفسدة، وقد وكله الشارع إلى تجارب الناس، وفي هذا قال ﷺ «أنتم أعلم بأمر دنياكم» (رواه مسلم من حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما) وقال «إذا كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم، وإذا كان شيء من أمر دينكم فإليّ» (صحيح ابن حبان).

وجملة القول أن التجديد المشروع يشمل كل ما تعتز به الأمة والدولة من العلوم والفنون والصناعات والنظم المالية والإدارية والعسكرية والمنشآت البرية والبحرية والجوية، فكل ذلك يعد في الإسلام من فروض الكفايات التي تأثم الأمة كلها بتركها، والشرع لا يقيدها فيها إلا باجتناب الضرر والضرار والظلم، ومنه استغلال حاجة المعسر بأخذ الربا منه، مع قواعد إباحة الضرورات للمحظورات وتقديرها بقدرها، ومراعاة الحق والعدل. (المنار٣٢/٢٢٦).

٣- آفة الاتكالية

كما رد بعض كتاب المنار أسباب الانحطاط والتخلف بين المسلمين إلى آفة الاتكال

والاعتماد على الآخر.

ولقد قسم محمد كرد الدمشقي الأمم من حيث كيانها إلى قسمين: استقلالية واتكالية، فالأمة الاستقلالية هي التي طُبعت على حب الانفراد، يعتمد كل فرد منها على نفسه لا على حكومة ولا جمعية ولا حزب ولا عشيرة ولا أسرة. ومثالها الشعوب الإنكليزية السكسونية.

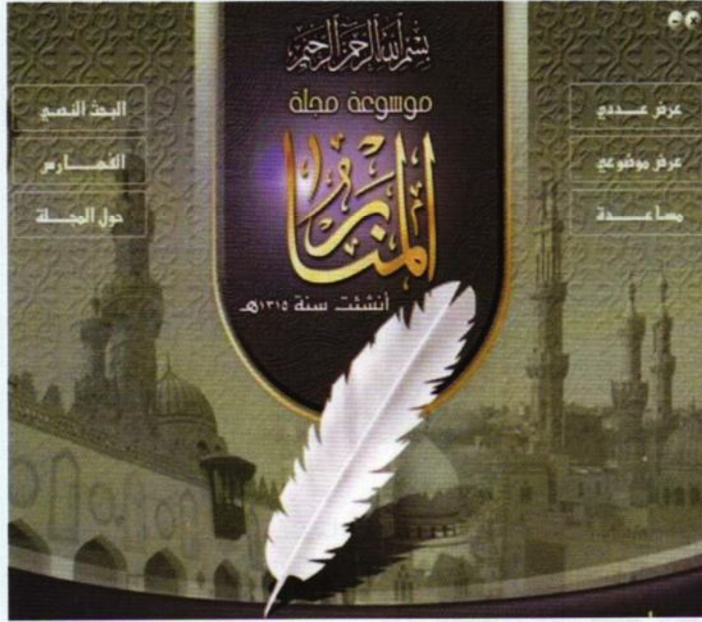
والأمم الاتكالية هي التي يعتمد أفرادها على مجموعها من الأمة أو الدولة، فيتوكأ كل فرد على غيره، وأعظم مثال لها الأمم الشرقية حاشا سيدتها الأمة اليابانية العظيمة؛ فإن التربية الاستقلالية عندها على ما يبلغنا قائمة على أعظم هياكلها، وأبناؤها أبعد المشارقة عن النشأة الاتكالية. (المنار المجلد ٤- الجزء ١٦- الصفحة٦٠١).

أصول النهضة الإسلامية

على قدر استعداد الأمم نفسيا وفكريا واجتماعيا ودينيا لقبول الزعماء والمصلحين تكون الثمرة والنتيجة. يقول الإمام محمد عبده: إذا وجد الاستعداد والزعيم معا لنهضت الأمة من كَبْوتها وحيت حياتها الطيبة ولفارقها الشقاء، وزال عنها ما نزل بها من البلاء، لم تفقد الأمة الإسلامية استعدادها للعمل فقدا تاما؛ إذ هي لا تخلو من استعداد لقبول دعوة الخير إلى حد ما وإلا لكانت شرا محضا. ولا يوجد في الكون محض شر، وإلا لزال على الفور.

وإنما ترفض الأمة الضعيفة الاستعداد لدعوة الحق ولا تلبيها في وقتها لقصر في النظر وقلة في الفهم، وضعف في القلب، وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم، فإن ذلك الضعف، وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتهما كما تلد الأم ولدها. ألا إن الاستعداد لا يوجد في الأمة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع، ولكن الأمة هي التي توجده بتمهيد الأسباب له كما أن وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها، فهم أبناؤها، وهي التي تلدهم، فالأمة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها، وقد يكون الزعيم موجودًا وهي لا تراه لعلة في باصرتها أو بصيرتها، فإذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للإصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينيها. (المنار١٩/٢٢٤).

لا شقاء للمرء أعظم من سقوطه في الظنون والريب.. وإذا تربَّى سعد بالآخرين وأفرحهم



التضحية

لاشك أن التضحية بالمال والنفس وما دونهما هو طريق النهضة الحقة، فلا نهوض إلا بدماء وأشلاء وبذل الغالي والنفيس في سبيل المبدأ. وهذه هي سنة اجتماعية كائنة وباقية في كل زمان ومكان، بل في كل أمة. يقول شكيب أرسلان: إن الواجب على المسلمين لينهضوا ويتقدموا ويعرجوا في مصاعد المجد ويترقوا كما ترقى غيرهم من الأمم هو الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مرارا عديدة وهو ما يسمونه اليوم بالتضحية، فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الأمم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية. (المنار٣١/٥٢٩).

أهمية التربية

لا يختلف اثنان على أن التربية الصحيحة من أهم مقومات النهضة لأي أمة فبدونها لا تستطيع الأمة البقاء والصمود طويلا إذ سرعان ما تنهار قواها وتفقد هويتها ومناعتها أمام كل وافد أو جديد، وهذا هو ما حدث للأمة الإسلامية في العصر الحديث حيث أصبحت مرتعا خصبا لكل التيارات الوافدة بلا تمييز بين الغث والسمين يقول الأستاذ الإمام: إن الإنسان لا يكون إنسانًا حقيقيًّا إلا بالتربية، وليست هي إلا عبارة عن اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحِكَم والتعاليم، وهي عبارة عن السعادة الحقيقية، تعلم الإنسان الصدق والأمانة ومحبة نفسه، فإذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه.

إذا تربى الإنسان أحس في نفسه أنه سعيد بوجود الآخر معه، ولكن نحن في وسط لا يحس فيه أحدنا إلا بأنه شقي بوجود غيره، وقد ذهبت الثقة بيننا أدراج الرياح، وخلفتها الشكوك والريب والظنون الأثيمة المولدة للوسواس والأوهام، ولا شقاء للمرء أعظم من وجود ضميره في مثل هذا الشقاء والحسبان.

المراجع
القرآن الكريم
موسوعة مجلة المنار
ابن تيمية: فتاوى ابن تيمية ٢٨٣/١
ابن كثير: تفسير ابن كثير ٤٤٦/٦
مجلة المنار الجديد رحلة البحث عن جسور للحوار والنهضة
www.almanaraljadeed.com

لغة وأدب

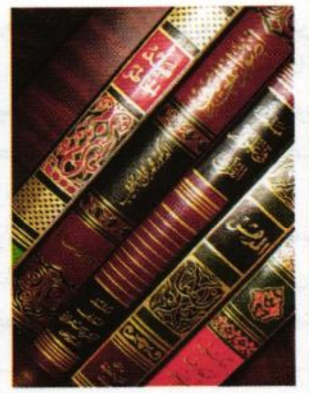
لغة الرسالة.. ورسالة اللغة

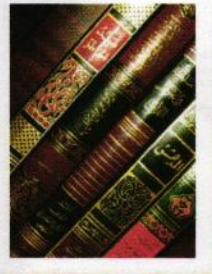
لما أراد الله عز وجل أن ينعم على العرب بإنزال خاتمة رسالات السماء إلى الأرض عليهم، بعد أن كانت في بني إسرائيل الذين لم يقدروها حق قدرها، ولم يرعوها حق رعايتها، بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.. ذلك الكتاب وتلك الحكمة (وهي السنة النبوية وفق كثير من أقوال أهل العلم) اقتضى تعلمهما تعلم اللغة التي اختارها الله تبارك وتعالى لتكون لهما وعاء، وخادع مخدوع من ظن أن بمقدوره أن يسلك إليهما سبيلاً غيرها، وإن قيل: قد تكون الترجمات.. فهيهات هيهات! فما الترجمة والنص الأصلي إلا كصورة شمسية لبشرٍ، فهل تسمع لها ركزًا أو ترى لها حركة؟ وإن وجدا، فهل ترى فيها روحًا؟ وذاك هو بيت القصيد.

ولما كان تعلم الكتاب والحكمة، أو حتى شيء منهما، فرض عين على كل من اتخذ الإسلام دينًا، وكان ذلك مستحيلاً بغير سبر أسرار اللغة، والإبحار في علومها، ولا أقول تعلمها فحسب، انسحبت تلك الأحكام على الوعاء الذي اختاره الله لدينه.

وكما أن الله عز وجل حمّل العرب أمانة حفظ شرعه وتبليغه للبشرية جمعاء، وإن كانوا قد قصروا في ذلك، فإنهم مكلفون كذلك بتعليم اللسان العربي المبين لسائر البشر على وجه الأرض، وإن كانوا في ذلك أشد تقصيرًا.

المحرر

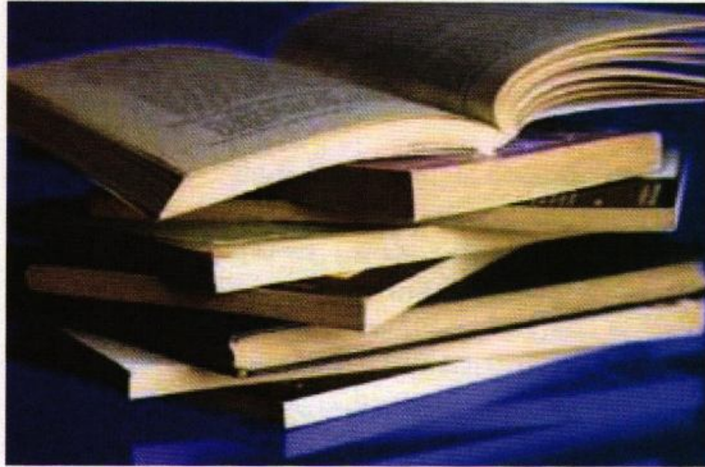




الأدب الإسلامي في مواجهة رياح التغريب والعلمنة والحداثة

محمد عبدالشافي القوصي

منذ أن ظهرت الدعوة إلى تقديم «الأدب الإسلامي» كبديل لما هو موجود على الساحة، لم تتوقف الحرب ضد هذه الدعوة لحظة واحدة، وقد استخدم العلمانيون والحداثيون وإخوانهم كل الأسلحة لمحاربة فكرة الأدب الإسلامي، وعزله عن الوجود لتخلو الساحة لتيارات ومذاهب مستوردة تسرح وتمرح في حياتنا الثقافية، وراحوا يتساءلون، ما علاقة الأدب بالدين؟ ولماذا نقحم الإسلام في كل شيء؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الخبيثة والماكرة والمستهجنة، لأنهم يرون أن الإسلام لابد أن يعزل مكانيًا في زوايا المساجد، وأن يحصر زمانيًا في يوم الجمعة وشهر رمضان، وما عدا ذلك فهو لأنصار العلمانية والحداثة والتنوير!



من أسف، أن العقيدة الإسلامية متهمة عند المغرضين والمشككين بأنها لا تشجع الأدب؛ لأنه يعتمد على الخيال، والخيال في فهم القاصرين نوع من الكذب لا يرضاه الدين.

ولاشك أن هذه الاستنتاجات خطأ من ألفها إلى يائها، فالعقيدة الإسلامية تهيئ أرضًا خصبة للتجارب الأدبية، وتذكي المشاعر وتكرم الأديب، ولست في مجال الاحتجاج لهذه المقولة، لأن التاريخ الإسلامي حجة وشاهد لها، ويكفي أن نشير إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنّ من البيان لسحرًا» (صحيح البخاري)، «وإنّ من الشعر لحكمة»ش (صحيح ابن ماجة للألباني) فضلًا عن استماعه للشعر، بل وشهادته لبعضه، وتشجيعه لحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره من الشعراء، لذلك عندما تكون للمسلمين نظرية صريحة تعلن على الملأ موقف الإسلام من الأدب، وتبين مدى احتضانه له، فإنها تقطع دابر الشبهات وتنير الدروب أمام الذين لا يعلمون.

إذْ لا يمكن أن يكون ربط الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون بالعقيدة أمرًا يشكل خروجًا عن طبيعة الأدب- كما يزعم دعاة الخروج- بل إنه يصحح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة، فيربطه بأصدق عقيدة، ويهيئ له أوسع مجال للتصور وأدقه وأكثره تلاؤمًا مع الفطرة البشرية.

إن الأدب لابد أن يستند إلى معتقد، وأن يصدر عن تصور يكون خلف التعبير، وقد أدى الارتباط الخطأ وفساد التصور إلى زيادة قلق الإنسان وزيادة آلامه المضنية، فإذا أحسنا ووثقنا رابطته بالعقيدة الإسلامية صححنا مساره، وهيأنا له فرص إبداع عظيمة للغاية.

جيل الصحوة الإسلامية

قد استطاع جيل الصحوة الإسلامية في الوطن العربي أن يستعيد هوية الأمة، فهؤلاء الأدباء يملكون وعيًا حادا بالواقع والتاريخ، ويستشرفون المستقبل، ويواجهون تحديات الهيمنة العلمانية واليسارية والطائفية التي تترصد التوجه الإسلامي وتحاربه بضراوة، خاصة في مجالات الفكر والأدب، وكان في طليعة هؤلاء الرجال محمد قطب، ونجيب الكيلاني، وعبدالرحمن رأفت الباشا، وعماد الدين خليل، وأنور الجندي، ومحمد مصطفى هدارة،... بالإضافة إلى عدد آخر تولوا تحويل الدعوة النظرية للأدب الإسلامي إلى واقع عملي يعبر عن نفسه في تطبيقات ميدانية وأدبية، جعلت الأدب الإسلامي أمرًا واقعًا يتحدى المعارضين له، ويرغمهم على الاعتراف بوجوده وكيانه، ومن هؤلاء عبدالقدوس أبوصالح، وعبدالباسط بدر، وعبده بدوي، وحسن بن فهد الهويمل، وصابر عبدالدايم، وغيرهم.

كيف نتعامل مع التراث؟

وقام الأدباء الإسلاميون بالاتكاء على التراث العربي والإسلامي، ردًا على الهجمة الشرسة التي يقودها الآخرون على تراث الأمة ومطالبتهم بالتخلص منه وعزله عن الوجود.

نعم، فالتراث- عند الأدباء الإسلاميين- هو كل ما يرفد الفن القولي من كتابات إنسانية



تثري الفكر وتهذب العقل وتشكل الوجدان وتوسّع آفاق الخيال، ومن ذلك الآثار الاجتماعية والتاريخية وما شابه هذه وتلك من كتب الرحلات والبلدان والشخصيات.

والحقيقة أن استيعاب التراث الأدبي ضرورة فنية لإنتاج أدب أصيل، والأصالة إحدى دعامتين أساسيتين يقوم عليهما أي أدب عظيم، والدعامة الثانية هي «المعاصرة»، إذ لابد لكل أدب حي صادق جيد من أن يمثل حلقة قوية من سلسلة متينة متصلة، تبدأ من ماضي هذا الأدب وتمتد إلى حاضره لتسلمه إلى مستقبله، ولابد في الوقت نفسه لهذا الأدب الحي الصادق الجيد أن يعكس نبض عصره الذي نتج فيه وروح زمانه الذي خرج منه، وبهذا يضيف المعاصرة إلى الأصالة، ويقوم فعلا على دعامتي الأدب العظيم.

وجدير بالذكر أن نذكر أصالة أخرى، وهي الأصالة الخاصة، أو أصالة الأديب نفسه، وهي تلك السمات الذاتية الفردية التي يعرف بها ويتميز عن الآخرين، والتي تشبه في كثير من الأحيان قسمات وجهه، بل بصمات أصابعه، وهذه الأصالة الخاصة المرتبطة بالفرد لا تغني عن الأصالة العامة المتصلة بالأمة؛ لأن الأصالة الكلية هي التي تحقق الأصالة الفرعية، أو هي التي تمهد لها وتخلقها، فنحن

حرية الفكر ليست شعارات ترفع.. إنما واقع ملموس وسلوك عملي

لا نتصور أديبا ينبتّ عن ماضي أمته، ويقطع صلته بجذور شعبه، وينتج كلامًا لا شيء فيه من قيم الأدباء أو مثل الأجداد، ولا روح فيه من عبق تلك الحضارة العربية العريقة، لا نتصور أديبًا كهذا إلا وقد أنتج كلامًا بعيدًا عن كل أصالة، مهما أوتي حظًا من سمات صاحبه، لأن أصالة الفرد امتداد لأصالة شعبه، أو هي في حقيقتها فرع من تلك الدوحة الكبرى التي هي الأصالة القومية، فلا أصالة فردية ما لم توجد أصالة كلية، ولا أصالة ذاتية دون أصالة قومية.

كيفية توظيف التراث؟

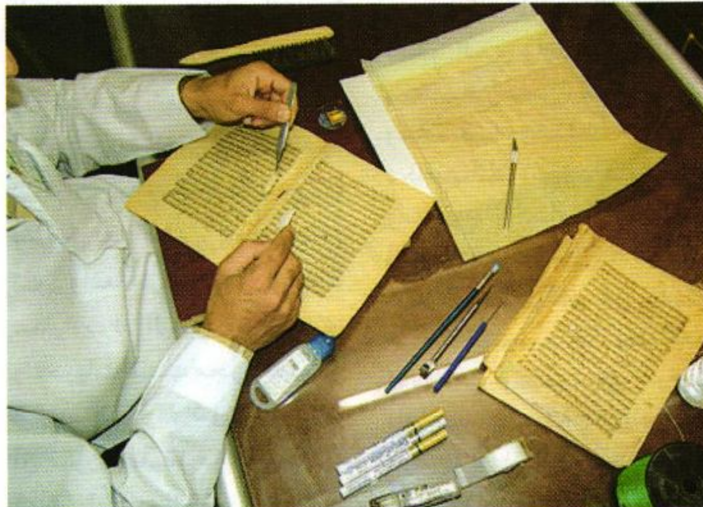
أعتقد أننا لو استطعنا أولا أن نستوعب هذا التراث كله، ونستله ونوظف ما فيه من حكايات ونوازع وشخصيات وأماكن ومدائن، توظيفًا أدبيًا فنيًا واعيًا، يثري الحاضر بتجارب الماضي، ويربط اليوم بالأمس، ويجعل تاريخنا وأدبنا متصل الحلقات، واضح السمات، متميز الشخصية، محق الأصالة، ثم بعد ذلك نتشبث بالمعاصرة؛ فلا نقف عند الماضي، وإنما نتجاوزه إلى كل منجزات الحاضر.. لو فعلنا ذلك لحققنا القصد، وبلغنا الهدف النبيل للأمة كلها.

ومن هنا ندرك ببساطة شديدة أن ارتباط الأدب بالتراث من وجوه عدة، الأول هو الحفاظ على تلك القيم الرفيعة والمبادئ الكريمة التي حواها هذا التراث، وهي القيم التي عرف بها الشعب العربي المسلم، وعاشت عليها أمتنا، وضمنت بها بقاءها، كقيم الشرف والنبل والوفاء والكرم والإيثار والنجدة والتضحية والعفة والصدق، وما إلى ذلك مما استوعبه تراثنا العظيم.

ونحن- دعاة الأدب الإسلامي- نعد التراث الأدبي كله من عصر الجاهلية إلى أعتاب العصر الحديث منجمًا غنيًا بالكنوز، نحتاج منه إلى النصوص التي تتحقق فيها وصية عمر للمسلمين، فتتميز محاسن الشعر ومحاسن النثر، لتكون جزءا من منهجنا التربوي.

فتراثنا الأدبي نشاط إبداعي يتضمن تجارب إنسانية مختلفة لمبدعيها، في بيئاتهم الزمانية والمكانية، تتصل بتجارب الإنسان في كل عصر، وتحمل سمات حياته، وقيمه المعنوية والجمالية، كما أننا في تعاملنا معه ننطلق من ركائز ثابتة، هي الاهتمام به والحرص عليه، والاستفادة منه في المحاور الثلاثة، محور المعرفة، ومحور الذوق، ومحور التربية، وفق مقتضيات كل منها.

وأعتقد أننا ننطلق في هذا الموقف من قاعدة إسلامية ثابتة، ومن تطبيق الأسلاف لها، ومن اقتناعنا الكامل بها، وهي قاعدة لا نفرط في تقدير التراث فنقدسه ونستسلم لكل ما جاء فيه استسلامًا كاملا، ولا نفرط في شيء منه، لأننا في حاجة إليه في إحدى محاور التوظيف الثلاثة، وهذه المحاور تضع كل نص من التراث موضعه





لغة وأدب

حتى لو كان فيه شيء قليل من التجاوز، وأرى أن هذا الموقف من التراث، هو الذي ينبغي أن يقفه دعاة الأدب الإسلامي ونقاده ومناصروه.

كما تجدر الإشارة إلى حقيقة هامة، مؤداها أن الأديب المسلم مطالب بالوعي التام، والحذر الشديد وهو يقرأ التراث الإنساني، ولعل الدعوة إلى معرفة النقيض أو اكتشاف معالم الوجه المضاد تفتح أمام المفكر المسلم والأديب المسلم أبوابًا متعددة للدخول منها إلى عوالم الثقافة القديمة والحديثة، فالأديب المسلم ليس بمعزل عن التيارات السائدة، بل عليه أن يتحصن ضد المعرفة بالمعرفة، فيصفي ويحلل ويفحص ما يقدم إليه، ويقبل ما يتوافق مع فطرته الإنسانية، ورؤاه الفنية، ويكشف زيف الفكر الدخيل والرؤى الهدامة.

إشكالية «الحرية» و«الالتزام»

لابد أن نعرف وأن نفهم أن الحرية في الإسلام ليست نقيضًا للالتزام، فالحرية معدن الوجود وجمال الكون، وهي صفة الفطرة السوية، لكن الحرية التي نقصدها ليست الحرية التي تحدثت عنها الثورة الفرنسية، ولا التي تحدث عنها سارتر، ولا التي دعت إليها الليبرالية وزيفتها الدكتاتورية.

فالحرية هي التي تهب الأدب جمال الصدق والعزة في حسن البيان، إن هذه الدعوة إلى الحرية أعلى وأطهر وأنقى من دعوات فلسفة أوروبا كلها، وقد خرجت دعوتها من قصص الجنس الفاضح المدمر، فهذا «بودلير» الفرنسي يخرج شعره وفكره ومبادئه من بين أفعاله المنحلة، وافتتانه بفتاته «وزولا» في قصته «الأرض» حيث يعرض لنا واقعًا وقحًا.

وحريّ بنا أن نعلم أيضًا أن جوانب الانحراف ليست إلا صورًا ضئيلة في حياة المجتمع، وأعتقد أن رسم هذه الصور على نحو مكشوف صارخ فيه تجاوز للحق والصدق، وهو يعطي صورة توحي بغير الواقع نفسه، ولذلك فهي تنزع عن الكاتب أولى صفات الحرية وهي الأمانة والموضوعية والإخلاص.

إن حرية الفكر ليست مجرد شعارات ترفع، أو كلمات جوفاء يتشدق بها الناس، إنما لابد أن تكون واقعًا حيًا ملموسًا، وسلوكًا عمليًا يراه الناس ويمارسونه، والحريات ليست مجرد نصوص في دساتير ومواثيق، إنما لابد أن تكون تطبيقًا مؤثرًا، ودافعًا قويًا للإبداع والخلق.

مهمة إعادة الأدب الأسلامي ليس بتقديم النماذج الإسلامية فحسب وإنما بتقديم التصور الإسلامي والكشف عن زيف التصور القائم

أما ما يزعمه دعاة التمرد أو دعاة الخروج وأدعياء الحرية، فكل ذلك بمثابة «بدعة» يتشبث بها الضائعون والتائهون، تارة يسمونها فلسفة، وتارة أخرى يسمونها موقفًا وتعبيرًا عن الذات، بل ويحاولون أن يضعوا لها القواعد والأصول، وقد تكون لهذه البدع الفكرية في الغرب ما يبررها، لكن في الشرق المستعبد الممزق التائه، كيف يلتقطونها ويروجون لها، ويتخذونها دينًا جديدًا؟ فيسقطون في خطر داهم، وفناء محتم، وهو الخراب الفكري والعقدي.

مستقبل الأدب الإسلامي

الأدب الأسلامي الآن يقف على قاعدة صلبة، بفضل رجال آمنوا بأسلمة الأدب، وكشفوا عن أخطاء المناهج الغربية على النحو الذى رأيناه فى كتابات د.عبدالرحمن رأفت الباشا وتلامذته، وكذلك ما قدمه د.نجيب الكيلاني إبداعًا وتنظيرًا، واستطاع الأدباء الإسلاميون- الذين قادوا حركة اليقظة الإسلامية منذ أكثر من خمسين عامًا- ترسم خيوط الأدب الإسلامي وتصوره فى مواجهة المفاهيم المسمومة والزائفة التي فرضها دعاة التغريب والحداثة على الأدب العربي، وقد نبه إلى ذلك منذ الستينيات، وكشف عن فساد نظريات النقد الأدبي الوافدة، ومذاهب تاريخ الأدب وخاصة فيما يتعلق بأخلاقية الأدب، وأسلوب الشك والاعتماد على المصادر الزائفة وإقليمية الأدب، وجرت أحاديث عن أثر الاستشراق في الأدب العربى، وأثر الترجمة وأثر الأدب الإغريقي والمسرحية اليونانية وغير ذلك.

وحري بالعاقل أن يتساءل: لماذا لا تكون لنا مدرسة خاصة؟ ولماذا نكون تابعين لمدارس معينة في النقد الأدبى ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة، ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا؟ ولماذا نأقلم نحن نظريات الآخرين وهي غريبة عنا، ولا تكون لنا مناهجنا المستمدة من أدبنا؟!

وأكرر القول بأن مهمة إعادة الأدب الأسلامي ليس بتقديم النماذج الإسلامية فحسب، وإنما بتقديم التصور الإسلامي والكشف عن زيف التصور القائم في الجامعات والمعاهد اليوم، وأبرز أشكاله هو أدب العبث الذي تقدمه نظرية الوجودية، ونظرية الحداثة التي تجد لها تجمعات كارهة للإسلام والفصحى والقرآن، وتهدف أساسًا إلى قطع الحاضر عن الماضي، وتشويه البيان العربي على نحو ماكر خبيث (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الشعراء:٢٢٧).



ضفاف الذكريات

م.وحيد حامد الدهشان

أعوامك الخمسون في دنيا الورى
مرت كبرق مثل أحلام الكرى
وعلى ضفاف الذكريات رأيتها
طيفًا على متن التوهم قد سرى
حبات مسبحة توالى عدها
بيد وقلب ما استبان وما درى
وكأن عمرك للنواظر طائر
في لحظة الميلاد نال تحررًا
فمضى يرف بلا وقوف كادحًا
مهما سجى ليل وصبح نورا
فرس جموح بل براق عابر
وقع الحوافر لا يرام ولا يرى
ومن العجائب أن ما أدركته
في برهة قد جل عن أن يحصرا
ماذا أسطر والمنى مقهورة
ولطالما أمّلت ألا تقهرا
والله لو تجدي سطور مشاعري
لنظمت عشقا بالدماء الأسطرا
والله لو يجدي البكاء على الذي
قد ضاع لانسكبت دموعي أنهرا
مازلت أذكر جهد أيام الصبا
والعمر يخترق الطريق الأوعرا
والصبر كان مطية أسعى بها
ولكم تجاوزت النباهة معبرا
شهد الذين تفرسوا بنجابتي
وعرفت أخلاق الرجال مبكرا
قالوا أنال بإذن ربي رفعة
ويكون شأني دون شك مبهرا
وشربت من نبع المحبة شهده
ونهلت من روض المحبة كوثرا
وشببت في حلل الفضائل يزدهي
بي والدي ويطير في أعلى الذرا
كانت له قيم تزين ثوبه
بالفخر إيمانا وليس تكبرا
مازال يلهج بالثناء على أبي
من ذاق طعم لقائه وتذكرا
عشت الحياة مدللا ما أفسدت
فتن التدلل مظهرًا أو مخبرا
لا لم يكن يومًا تدلل مترف
بل كان حبًا صادقًا مستشعرا
ولكم يهون الصعب بين أحبة
ولكم نرى في الفقر بيتًا أخضرا
كابدت أيامًا شدادا أشبهت
أيام يوسف أو أشد وأعسرا
والفقر قطعًا ليس عيبًا إنما
هو قيد عجز نشتهي أن يُكسرا
أنهيت أعوام الدراسة بعدما
نال الضنى مني وأجهدني السرى
وسعيت كي ألقى الحفاوة والندى
من بعد ما جف الزمان وأقفرا
ووجدتني بعد الوساطة في لظى
كم من رفيق فر منه وأدبرا
حد الكفاف رضيته مترقبًا
لكن ميعاد الرجاء تأخرا
ذبلت على غصن الحياة براعمي
والحظ في دربي كبا وتعثرا
ورأيتني وأنا الثريا وجهتي
أحلام أيامي تمرغ في الثرى
عشرون عامًا ضرعها متيبس
وتجود بالنزر اليسير معفرا
«ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت» وصالحني الزمان وأزهرا
ورزقت من حقل عشقت ترابه
وسقيته عمري فجاد وأثمرا
أيقنت أن الرزق ليس بفطنة
قطعًا ولا دومًا لعبد شمرا
لكنها الأسباب نسعى حسبما
أمر الإله ونجتني ما قدرا
أما همومك أمتي فتقبلي
عذري إذا دمعي عليك تحجرا
كل البلاد إلى الأمام مسيرها
وبلادنا عشقت تسير القهقرى
ولكم نزفت مشاعري مشبوبة
وأنا أرى ذممًا تباع وتشترى
يا أمتي، يا قادتي، يا إخوتي،
ماذا أقول؟ أما كفاكم ما جرى؟!



د. ماهر صالح: الدين محكم ومتشابه.. واللغة حجر الزاوية

مدير «اللسان العربي المبين»: العربية الحقة دين وتوقيف

حوار: عامر أحمد عامر



تعليم اللغة العربية، سواء للعجم أو للعرب، ليس مشروعًا وليدًا، بل هو قديم قدم اللغة نفسها، والمؤسسات القائمة على ذلك أكثر من أن تحصى، الرسمي منها وغير الرسمي، لكن مركز «اللسان العربي المبين» الذي أسسه متخصص في تعليم اللغة العربية للعجم بغير لغة وسيطة له نهج مغاير وأسلوب منفرد وطرح جديد يقوم على تعليم ما يسميه «اللغة العربية الحقة»، وهي عنده اللغة التي يقوم عليها دليل علمي بسند صحيح، في مواجهة اللغة العربية المفتعلة التي يروج لها خصوم الإسلام وعلى رأسهم الاستشراق وأعوانه، كما يرى، فهو يدعو إلى أن تعامل اللغة كما عومل الحديث النبوي الشريف، فلا يقبل منها إلا ما قامت الأدلة العلمية والشرعية على صحته، لأن اللغة، وفق رؤيته، دين وتوقيف.. «الوعي الإسلامي» حاورت صاحب مركز «اللسان العربي المبين» ومديره د. ماهر رمضان صالح الحاصل على درجة الدكتوراه في تعليم اللغة العربية للعجم ومعلم اللغة العربية بالاتحاد العالمي للمدارس الإسلامية العربية ووزارة التربية والتعليم المصرية، وصاحب الخبرة الميدانية في تعليم العربية للطلبة الوافدين بجامعة الأزهر في مصر وغيرها، ومعد المنهج العالمي لتعليم العربية للعجم بالمقاييس العلمية، نظام «تويفل»، للوقوف على منهجية المركز ورؤيته الجديدة.. وإليكم نص الحوار:

بداية يستوقفنا هذا الاسم «اللسان العربي المبين»، فهل كانت لهذه التسمية ملابسات أو دواع معينة؟

نعم، هذا الاسم مقصود، وجاء بعد تفكير طويل وعميق، واختياره لم يكن سهلا، فرب العزة جل وعلا يؤكد في أكثر من موضع في كتابه أنه، أي القرآن، جاء بلسان عربي مبين، ونريد بهذه التسمية أن يكون هذا اللسان العربي المبين هو الدائرة التي يتطلع إليها متعلم العربية، فهو العربية الحقة وهو مراد الله لكتابه، فلا يجوز أن يقوم مقامه لسان آخر.

ذكرت في كلامك «العربية الحقة» واستخدمت لفظة «الدائرة»، فهل لهذا مدلول معين يمكن أن نقف أمامه؟

يجب أن نفرق بين العربية الحقة والعربية المدعاة، أما المدعاة فهي لغة استخدمها وروّج لها المستشرقون وأعوانهم لتزاحم العربية الحقة، وأما الحقة فهي التي يقوم عليها الدليل العلمي أو الشرعي، أو تنقل إلينا بسند صحيح، كسند علم الحديث، فالإمام السيوطي، مثلا، في المزهر يشير في أبواب كثيرة إلى أن راوي اللغة لابد أن تتوافر فيه الشروط التي تتوافر في راوي الحديث تماما، وأنت تجد في معاجمنا الأصيلة، وليس المعاجم الاستشراقية التي أغرقت الأسواق وتزيت بأزياء خادعة قل من يميزها، أن علماءنا يوردون المعلومة مقيدة بسند صحيح، ولك أن تعجب من مرويات ابن سيدة، فقد كان حريصا على أن يذكر المعلومة بسندها تاما، رغم أنه كان أعمى، رحمه الله.

وبتعبير آخر يمكننا أن نقول إن العربية الحقة دين وتوقيف علمًا وتعلمًا وتعليمًا، ولا نريد أن ترسل الدعوات أننا نعلّم اللغة العربية، بلا تحديد، بل يجب أن نحدد بالضبط ماذا نتعلم، وماذا نعني بالعربية.

أما كلمة الدائرة، فقد استخدمتها لأنها توحي بأن هذا اللسان هو الحصن الأمين الذي لا نزيغ عنه ولا نضل، كما توحي بالتيسير والسهولة، وفي الوقت نفسه تدل على الدقة والضبط، فإن العربية لغة التيسير، وأينما كان التيسير فثم وجه العربية، لكنه التيسير الذي يسير وفق ضوابط شرعية علمية.

كيف تولدت لديك هذه الفكرة؟

هذه الفكرة ليست وليدة يومها، بل إنها تجول بخاطري منذ ست سنوات تقريبا، وكان ذلك عندما لاحظت أن هناك هجمات على العربية، باسم التيسير وغيره، تحذف من



حقائقها وتعمل على تزييفها بما ليس فيها، ومعظم ذلك يدور في خدمة الاستشراق اللغوي وتفويت الفرصة على اللسان العربي المبين، فهناك من يعلّمون العربية، وهم كثير، لكن اهتمامهم بها شكلي، ويعمل على إحياء لهجات محلية ليست هي العربية الحقة، وبعض الجمعيات الخيرية التي تقوم على تعليم العربية مصابة بضعف التعليم فيها بسبب فشلها الإداري والتسلط البغيض ممن ليسوا أهلا لهذه الإدارة أصلا، فتعليم اللغة لا يستقيم إلا بمعلم حر مستقل، نزيه الطوية، قوي أمين، إذ إنه من الظلم لهذا الدين ولسانه أن يتحملا أخطاء معلم لم يتفقه قبل أن يسود ولا من قبل، ولا من بعد ولا بعد، حتى وصل الأمر لأن سمعت بعض الطلاب بكلية الحضارة العربية في جامعة وسط آسيا يقول «إنني ندمان على ضياع خمس سنوات قضيتها في تعلم العربية دون أن أتعلم، بسبب ضعف المعلم وفشل الإدارة» وقد ساد بين العجم أن العربية لغة لا يمكن تعلمها.

وعلماؤنا القدامى حينما ألفوا في اللغة، كانت مؤلفاتهم تعليمية، ولم تكن ترفًا من الفكر، وكان طلاب العربية في مسيس الحاجة إليها، فجاءت تحقق حاجاتهم، ومع ذلك فلسنا عبادًا لهذه المؤلفات، بل ندرسها بعقولنا، نأخذ الصواب وندع غيره، مع شكرهم على جهدهم وجهادهم في هذا الميدان المقدس الذي لم يغيبوا عنه ولم يتنكروا لشيء من حقوقه ولا حقائقه.

ما طبيعة الدراسة في المركز؟

لدينا دورات في أسس إتقان القراءة والكتابة بمقاييس المنهج العلمي، ودورات في تنمية اللغة العربية لدى النشء، ودورات في تجويد الأداء الفني بالمنهج العلمي، ودورات في علوم القرآن، مبنى ومعنى ودورات في تربية التذوق الفني للنص العربي وقواعد فهمه وفض النزاع عند تداخل الكلام، ودورات في حل معضلات النحو العربي، ودورات في قواعد ترجيح وتأويل اختلاف العلماء في استنباط الأحكام من النصوص الشرعية، ودورات في تأهيل معلمي العربية للعجم، ودورات في أسس البحث العلمي في العربية ومطالعة كتبها، ودورات في تأويل اختلاف القراءات القرآنية، ودورات في بيان دلالات الرسم العثماني في المصحف الشريف، مبنى ومعنى، ودورات في الرد على الشبهات الميدانية لتعليم العربية الحقة وبيان مكانتها وخواصها، كما أن لدينا منهجية في التدرج العلمي، حسب طبيعة الدارس نفسه، فيسير المركز مع الدارسين وفق مراحل خمس، علم الحروف صوتا وصورة، ثم علم المفردات مبنى ومعنى، مع دراسة الفروق اللغوية والترادف والتضاد، ومعالجة ما يطرأ من إعلال وإبدال، ثم علم الكلمة، وأقصد به ما يعرف بـ«الجملة»، ثم علم الكلم، وأقصد به الأساليب، ثم علم الكلام، وأقصد به المقال الواحد في مقام واحد، كالسورة القرآنية مثلا، مع ملاحظة أن البلاغة قرين النحو في هذا.

هل يتبع المركز جهة معينة أو يتبنى فكرة محددة؟

المركز لا يتبع أي جهة رسمية أو غير رسمية، وفكرته قائمة على تعليم اللغة الحقة، ولا يتبع أي تيار فكري ولا يستمد الدعم من أحد، وأرجو أن أجد من يتحمس لهذه الفكرة ويوليها عناية، وكنت أرجو أن تعتمد شهاداتنا من جهة رسمية لكنني وجدت من الأفضل أن يأتي الناس إلى المركز من أجل العلم ودراسة كلام الله، لا من أجل الشهادات، إذ يكفي أن يشهد لنا الله بأننا درسنا كتابه، وأدركنا مراده، سعيا لأن نعمل صالحا يرضاه.

هل تواجهكم صعوبات أو عراقيل؟

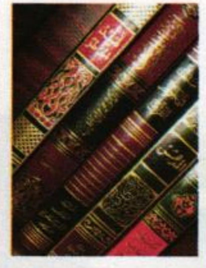
نعم، وأبرز هذه العراقيل قلة الإمكانات المادية المتاحة لأنني أطمح أن يكون هذا المركز رائدا لتوعية الأمة بقيمة لسانها الشرعي، والتصدي للوازم العملية التعليمية التي تتلخص في قوة المنهج التعليمي، وقوة المعلم، وقوة الدافع الذاتي لدى المتعلم، كما أعاني انصراف كثير من الناس عن هذه الفريضة الإسلامية الكبرى، وهي دراسة الكتاب الذي نزله الله لهم، ورحم الله أبا عمرو بن العلاء إذ قال: «لعلم العربية هو الدين بعينه» ورحم الله السيوطي، كذلك إذ روى في مزهره «حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة».

ماذا عن آمالكم وطموحاتكم المستقبلية؟

أرجو أن يكون لدينا بث فضائي نخاطب عبره الناس على الهواء مباشرة، فلدينا القدرة، بفضل الله، على تعليم العربية للعجم بغير لغة وسيطة، ولنبين للناس أن هذا اللسان العربي المبين آية من آيات الله، وأن يكون لدينا موقع على الإنترنت، تتداول الرؤى والأبحاث العلمية خلاله..

كيف تقيّمون خريج المركز وتتيقنون أنه بلغ المراد؟

عندما يتقن العربية الحقة يكون قد بلغ المراد، ولعل من مقاييس ذلك أنه حينما يقرأ القرآن يفهمه دون الحاجة إلى تفسير، فيعلم مراد الله من النص الشرعي بنفسه، ولا ضير أن نتعامل، من أجل الوصول إلى هذه المنزلة، مع النصوص البشرية، وننقدها لبيان عجزها وتقصيرها أمام النصوص الشرعية، فالفرق بين كلام الله وكلام الناس كالفرق بين الله والناس، وإن كان بعض الناس قد بلغ درجة من الإجادة، فإن إجادته وتقصيره يكونان حسب قربه أو بعده من هذه النصوص الشرعية، فنحن ندرس النصوص البشرية في وقت معين، وبكيف معين، لنرقى من خلالها إلى فهم النص الشرعي الذي ندرسه دراسة كلية لا دراسة تجزئة، والأمة كثير منها يعاني فقدان البصيرة في التعامل الصحيح مع النص، والدين قائم على المحكم والمتشابه وإتقان اللغة هو حجر الزاوية في هذا، ويرغب المركز أن يكون عونا لمحبي العربية الحقة ودارسيها وأن يكون سلاحا للحق في وجه الخصم، وأن ينجح في إقناع الناس بإعادة النظر فيما يشاع عن العربية زورا.



خواطر مؤمنة

ميسون صافي



تحدثني أخت مؤمنة فتقول: صدقيني.. لقد تقدم كثيرون لخطبتي.. ولكن أمامي قرار لن أحيد عنه، لن أتزوج، لن أتزوج فالزواج يلهي!

سألتها: يلهي؟ عن أي شيء؟

أجابت في يقين: عن طاعة الله.. عن بلوغ الجنة.. عن العمل للآخرة!

هززت رأسي .. ثم مضيت

وتسير حياة أختي المؤمنة دون زواج.. وتستمتع بما وهبها الله من جَلَد على العمل لدينه، ومن صبر على الوحدة وعلى كلام الناس!

لم يكن نهارها ولا ليلها يسمح باقتحام رجل دوحة عبوديتها لله.. كانت تكره أن يقاسمها أحد عالمها السامي ذلك.. وحين تأذن لي- أنا صديقتها الحميمة- بدخوله، وأشتم منه عبق التقوى، تأسرني الصرامة والدقة مع من حولها، بل مع نفسها، بما وضعته من برنامج يومي جاد ربما وسمها بطابع حزن إلا قليلاً!

ولا أنسى أنها عرفتني على كثير من أخواتنا الداعيات، الطامحات الى التميز والارتقاء! وأنني كنت أتقصد أن أفاتحهن في موضوع «العنوسة» التي بالغ الناس- ولا شك- في وصف صعوبتها على الفتاة.. بل وربطت «خبيرات النساء» سعادة المرأة بكونها المتزوجة فحسب.. ألم يقل الرسول الكريم ﷺ «خير نسائكم الودود الولود؟ (صححه الألباني) صلى الله عليك يا رسول الله! متى نخضع لتعاليمك خضوع الفهم الشامل والعميق؟!

وتصر أختي المؤمنة فتقول: الفتاة العانس لا يجب أن تكون تلك الحزينة البائسة التي انقطعت بها سبل السعادة.. تدرين لماذا؟.. لأن الله لم يكن ليخلق للسعادة بابا واحداً متى أوصدته العنوسة فقدت المؤمنة كل رجاء، ولأن السعادة- باعتراف الجميع- شعور ينبع من الداخل.. من معطيات الذات من فرحها بانجازاتها المتلاحقة، لا بما يمنحه لها الآخرون ولو كانوا أزواجاً!



سمعت هذا فأعجبني.. لكنني تذكرت قريبة لي «عانس» مازالت تنصحني بأن أتزوج! فالزواج سكن - كما قالت - ومنه يهبنا الله أطفالاً كأنهم لؤلؤ مكنون، وضحكاتهم كأنها شدو العصافير، ومشاجراتهم



تحاكي سخف الكبار حين يختصمون!

لم تكن نصائح الكبيرات لتغيب عني حين كنت أنصت إلى أختي المؤمنة تلك وهي تتابع: اسمعن مني، الزوج الذي يحترم المؤمنة الداعية لم يوجد بعد! وإن وُجد فإنه سرعان ما يدركه الضجر، ويعود لأصله!

لكن أخي يضحك حين أخبره بهذا ويقول: لو كان حقا ما تقول، لما تزوج من قبلنا الرسول ﷺ وفهمت عن أخي ما أراد.. فالرسول إذن تزوج ليعلمنا أن ديننا دين الفطرة، والفطرة ترغب بالزواج، وقد قال خير الخلق ﷺ «يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج...» (متفق عليه)، فليس للأخت المؤمنة أن تحمل نفسها قراراً بأنها لن تتزوج.

ولكن ماذا عن التي لم تستطع؟! لا شيء عليها، فليست العنوسة كارثة كما تصورها تلك الخبيرات، وليست نهاية العالم، ولا توصد أبواب السعادة، ولن تحيل الفتاة المؤمنة إلى شخصية محبطة، بائسة، نهبا للوساوس وتعليق المغفلات.. بل إن أبواب الفاعلية والحركة والبهجة مفتوحة لها على اتساعها، وعلى اتساع ما خلق الله من حياة وزينة وجمال!

العنوسة ليست نهاية العالم .. وأبواب السعادة والفاعلية مفتحة على مصاريعها



من حياء المرأة إخفاء محاسنها.. والحجاب نداء الفطرة

إن من حياء الأنثى الفطري إخفاء محاسنها إلا عمن يطلبها بحقها، ومن يدخل البيوت من أبوابها، وحجبها عن كل متطفل، أو عابث، أو لا يتقي فيها رباً ولا خلقاً.

وديننا دين الفطرة.. والحجاب جاء تماماً كما تنادي به الفطرة السليمة.. وليس من فطرة المرأة أبداً حب الاستعراض، إلا أن تكون وراء هذا نفسية مريضة أو مغرضة!

الحجاب قبل أي شيء هو من حرية المرأة .. أليسوا ينادون بالحرية الشخصية؟ فحجابنا من حريتنا.. وليس لأحد أن يتدخل في شأن المحجبة وشكل حجابها.

ومن التخلف الخوض في خصوصيات النساء، ومن الافتراء جعل الأنثى وسيلة إرضاء للشهوة متاحة في أي وقت، وكل مكان، أو سلعة يرتفع سعرها في سن معينة، ويهوي بعد انتهاء عمرها الافتراضي.

لكننا نقول للمشككين: لنفترض أن الشريعة لم تلزمنا بالحجاب فماذا كنا -نحن المؤمنات- لنفعل؟ نتعرى؟! نستعرض؟! نشتري بأجسادنا ونبيع؟! ثم- بعد هذا - نطمع أن يدخلنا الله في رحمته، وأن يجمعنا بالحبيب المصطفى ﷺ ونحن هكذا! معاذ الله.

حجاب

كثرت الأحاديث والحوارات في القنوات الفضائية حول الحجاب، حجاب المرأة المسلمة، وأحسب هذا من مظاهر الاهتمام الكبير بالمرأة المسلمة بشكل خاص وبالمرأة بشكل عام، لكن الحجاب قضية لا يستطيع أن يتكلم فيها أي أحد.

لأنها قضية تخص المرأة في أدق مكوناتها النفسية، أعني المرأة التقية!

إنهم يملكون أن يتحدثوا عن الحكم الفقهي فيها.. عن رأيهم هم ورؤيتهم.. عن عقاب المخالفات.. لكن القضية أعمق من هذا، ولا تعرفها إلا المرأة ذاتها، وحين ينقلب الحوار جدلاً فالأجدر الصمت وترك الحوار لمن وهبه الله الجلد عليه ونحن لسنا منهم!

وما أكثر ما أتعرض - وأخواتي المؤمنات- إلى السؤال المتكرر: هل الحجاب فرض؟ وهل الصحابيات في زمن الرسول ﷺ لبسن الحجاب الذي نراه اليوم؟ وهل غطاء الوجه فرض؟

وكعادتي أحيل السائلات إلى مراجعة آيات الحجاب في القرآن الكريم وإلى تفسيرها في الكتب الموثوقة، ثم أقول وجهة نظري.

نهاية المطلب في دراية المذهب

أحمد العلاونة

نهاية المطلب في دراية المذهب للإمام الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ ذخيرة ثمينة من ذخائر التراث الفقهي الزاخر، وموسوعة من موسوعات الفقه الشافعي، ومن أركان المذهب، يعرفه المشتغلون بهذا الفقه والمذهب، ويدركون قيمته، فهو أحد الأعمدة التي يستند إليها ويعول عليها، وهو الخطوة الأولى في تحرير المذهب قبل الرافعي والنووي، يقول فيه ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» نقلاً عن عبدالغافر الفارسي «ما صنف في الإسلام قبله مثله»، ويقول فيه ابن حجر الهيتمي «استفاض بين الأصحاب وأئمة المذهب قولهم: منذ صنَّف الإمام «نهاية المطلب» لم يشتغل الناس إلا بكلام الإمام». وهو عمل يقول عنه مؤلفه: إن هذا العمل هو على التحقيق نتيجة عمري، وثمرة فكري في دهري.

ونهاية المطلب هو شرح لـ «مختصر المزني»، والمراد بالشرح ليس حل الألفاظ، وبيان غوامض التراكيب، إنما شرح إمام الحرمين هو جعل نص الشافعي أصلا تستنبط منه الأحكام، ويدور حوله التبويب والتفصيل، والمسائل والفروع.

وقد ألفه إمام الحرمين في سنواته الأخيرة، أي بعد أن اكتمل نضجه وأخرج زرعه شطأه، واستغلظ واستوى على سوقه، وأراد أن ينهض بمهمة في المذهب لا يقوم بها غيره، من تهذيب المذهب بكتاب يحوي تقرير القواعد، وتحرير الضوابط والمعاقد، في تعليل الأصول، وتبيين مآخذ الفروع، وترتيب المفصَّل منه والمجموع، ويشتمل على حل المشكلات، وإبانة المعضلات.

وكان الكتاب ثمرة صحبة المحقق الطويلة


د. عبد العظيم الديب

لإمام الحرمين التي أربت على الأربعين عاما- ولم تكن هذه الصحبة عن اختيار منه أو تدبير، بل كانت بتوجيه من أستاذه د. مصطفى زيد- عاش معه في نيسابور حيث نشأ، ورآه في بيته حيث درج، وصحبه إلى مجالس شيوخه ومدارس أساتذته، ثم جلس إليه مع تلاميذه وسمع له، وأصاخ إليه وهو يخطب بالجامع المنيعي (أكبر جوامع نيسابور) ورآه والناس حوله يبكون ببكائه في مجالس وعظه وتذكيره، ثم رآه يصول ويجول في ميدان المناظرة يقمع دعاة الفتنة، ويرد شبهات الزائغين، ثم رآه يُصلى بنار المحنة ولهيبها، فيضطر للهجرة، ويصابر ويصبر ويحتسب، من غير أن يتزعزع أو يتلجلج، ثم تبع آثاره ومصنفاته الكثيرة، خاصة كتابه الأكبر «نهاية المطلب» وكان من ثمرة هذه الصحبة البحث الذي قدمه المحقق للحصول على درجة الدكتوراه «فقه إمام الحرمين.. خصائصه.. أثره.. منزلته».

> **مؤلفه: هذا العمل على التحقيق نتيجة عمري وثمرة فكري في دهري**

ثم انقطع محققه العلامة د. عبدالعظيم الديب لتحقيق هذا الكتاب عن دنيا الناس، واهباً له وقته وجهده وسرّه وعلانيته، وصبره وتأنيه، وحبه وعشقه وشغفه وهيامه، وأعطاه الكتاب كل يوم جديدا، يمنحه فرائد من الفقه، ودقائق من الأصول، وأوابد من النحو، ونوادر من اللغة، وشوارد من الحديث.

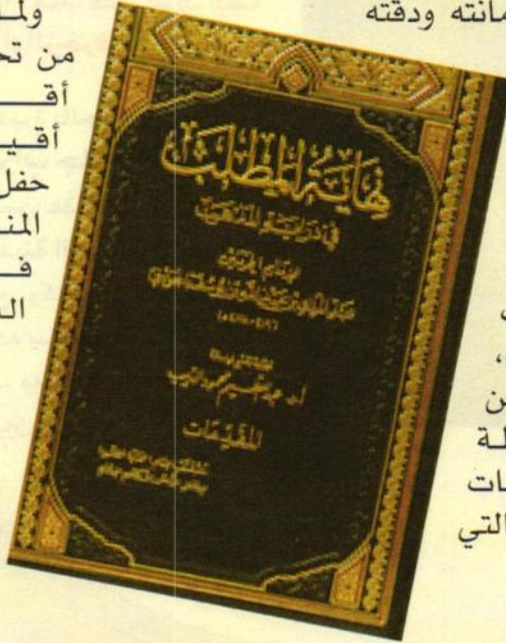
أما مؤلف الكتاب، فهو إمام الحرمين، عبدالملك بن عبدالله الجويني، أعلم المتأخرين من أتباع الإمام الشافعي، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) عام٤١٩هـ، ورحل إلى بغداد فمكة، حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعاً طرق المذهب، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك «المدرسة النظامية» فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، قال الباخرزي في «دمية القصر» يصفه «الفقه فقه الشافعي، والأدب أدب الأصمعي، وفي الوعظ الحسن البصري»، توفي عام٤٧٨هـ. انظر الأعلام ٤/١٦٠.

هـــذا ويطـلـق لقب «الإمام» على إمام الحرمين مطلقاً بدون تقييد في كتب الشافعية، فإمام الحرمين ما صار «الإمام» بعد الإمام الشافعي إلا لأن كتابه «نهاية المطلب» صار معتمد المذهب ومرجعه، فهذه «إمامته للمذهب»، انظر مقدمة المحقق ص٢٣٥-٦٣٢.

وأمـا محقق الكتاب فهو العالم الفقيه المؤرخ المحقق الأديب الداعية د.عبدالعظيم الديب، الذي له خصوصية بآثار الجويني، وأنسٌ بمنهجه في التأليف والتصنيف، بذل في تحقيقه ما وسعه من جهد، ومن يعرف عمله وتعبه في التحقيق فإنه سيقول عنه: لقد أهلك نفسه، وحسبك أن تقرأ مقدمته للكتاب، وهي في مجلد، وأن تقرأ مقدمة العلامة د.يوسف القرضاوي للكتاب، وأنقل هنا عبارات من مقدمة المحقق دالة على ما أقول، «...من أجل هذا لم أكن أضنّ على الكلمة أصوّب تصحيفها، أو الجملة أقيم خللها، أو الفقرة أتبيّن مغزاها ومرماها، باليوم واليومين، بل بالأسبوع والأسبوعين، بل أحيانا تظل الكلمة أو الجملة تراوحني وتغاديني إلى ما شاء الله، حتى يفتح الله لنا فيها وجها، وكم من ليال قضيتها وصورة الكلمة تلازمني في فراشي، وتشاركني وسادي، وكم من مرة أهب من فراشي فرحاً مسروراً، مكبراً مهللاً، فقد انكشفت صورة الكلمة الصحيحة، أو استقام لي بناء الجملة، وأسجل ذلك حامداً شاكراً، عادًا ذلك آية على رضا الله وقبوله وتوفيقه». مقدمة المحقق ص ٥٢.

شرح إمام الحرمين جعل نص الشافعي أصلا تستنبط منه الأحكام ويدور حوله التبويب والتفصيل و المسائل والفروع

ومن أمانته ودقته في التحقيق أنه أثبت في نهاية أغلب الأجزاء، الألفاظ (من المخطوطة بإثبات صورتها) التي تعذر عليه قراءتها، آملاً أن ينكشف وجهها لبعض الباحثين.



أما فهارس الكتاب التي خصص لها المجلد الأخير (٢٠) فكانت تطبيقا لحديثه في مقدمته عن قيمة الفهارس وضرورتها.

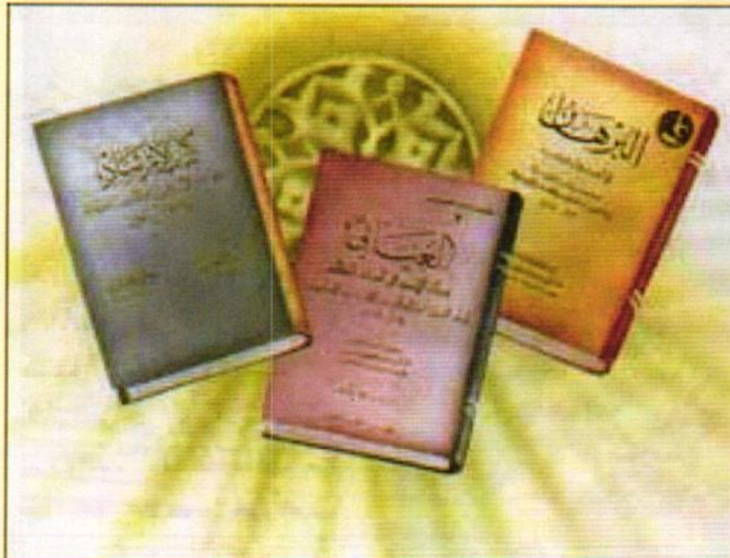
ولما فرغ من تحقيقه أقام أو أقيم له حفل بهذه المناسبة في الدوحة عاصمة قطر، حيث يقيم في الثاني عشر من ذي القعدة ١٤٢٣هـ، الذي وافق ٢٠٠٣/١/١٥م، جمع فيه العلماء، كما هي عادة بعض أهل العلم عندما يفرغون من تأليف كتاب ضخم، أخذ منهم سنوات طوالا، كالذي فعله الزبيدي عندما فرغ من تأليف معجمه «تاج العروس» حيث أولم الولائم، وجمع العلماء والوجهاء، وكما فعلت وزارة الإعلام الكويتية حين أقامت احتفالا ضخما بمناسبة انتهائها من تحقيق «تاج العروس» وقد شارك في تحقيقه خمسة وعشرون عالما مدة سبع وثلاثين عاما، وممن حضر الحفل في الدوحة الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ الحبيب بلخوجة الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي سابقا، ود.محمد عبداللطيف صالح الفرفور، ود.خالد المذكور رئيس لجنة استكمال تطبيق الشريعة بالكويت، والشيخ إبراهيم عبدالله الأنصاري، والمهندس عبدالله النعمة المدير العام لجمعية قطر الخيرية، والشاعر عبدالسلام البسيوني الذي أنشد قصيدة طويلة مطلعها:

شوقي وعشقي للجمال عجيب

يُومي فأهرع نحوه وأجيب

للناس قلب واحد حاروا به

وجميع جسمي صبوةٌ وقلوب



الزخرفة
من روائع التراث المعماري والفني الإسلامي

محمد عيد الخربوطلي *

بذل العرب والمسلمون جهودهم في جميع العهود والأقاليم لإعمار المدن، وإشادة البنيان، ولم يدخروا وسعا في تزيين العمائر وتجميلها، وتوفير أسباب الراحة والرفاهية، معبرين عن فطرة الإنسان في ميله للزينة وحبه للفن، ومما اعتنى المسلمون بزخرفته المساجد، خاصة القباب والمحاريب والأعمدة.
أما المحراب الذي يعرف في اللغة بأنه صدر البيت أو المجلس، وفي الاصطلاح بأنه قبلة المسجد ومقام الإمام، فقد عرف أيضا في الهندسة المعمارية بالعنصر التزييني أو الزخرفي.



المحراب الذي جُعل مكانا للإمام، ومن أجل تحديد اتجاه القبلة، تطور مع الزمن بشكل ملحوظ، وأصبح موضوع الإبداع والابتكار والتفنن من حيث التصحيح والزخرفة، وهو جزء من الفن الإسلامي، هذا الفن الحضاري الغني بقيمه، والذي انتشر على مساحة واسعة من الأرض، لم تبلغها أية حضارة أخرى، وعلى مدى فترة زمنية بلغت أربعة عشر قرنا أو تزيد، إنه فن وتراث يعد موطن فخر واعتزاز لأهله، وموضع إعجاب وتقدير واهتمام من الأمم الأخرى، لاسيما المنصفين من أهل العلم والاختصاص، فقد صنف كثير منهم مؤلفات وأبحاثا حول تراثنا الفني والمعماري، فهذا «لامارتين» يقول في خواطر رحلته إلى دمشق سنة ١٨٣٣ عندما وقف يتأمل بعض العمائر المليئة بالفن والزخرفة «إن أمة فيها مهندسون يصممون مثل هذا البنيان، وعمال يجيدون تنفيذه، لهي جديرة بالحياة والفن».

محراب جامع القيروان

أسس عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ مدينة القيروان ومسجدها الجامع، وكان الجامع بسيطا، وجدده يزيد الأموي سنة ١٠٢هـ، ومن بعده جدده والي العباسيين يزيد بن حاتم سنة



* فنان تشكيلي

١٥٧هـ، فهدمه كله إلا المئذنة الأموية ومحراب عقبة، وفي أيام ثالث حاكم من أسرة الأغالبة زيادة الله بن إبراهيم في سنة ٢٢١هـ جدد المسجد كاملا وفق مخطط جديد وهندسة حديثة، ومع ذلك أبقي على محراب عقبة، ولكنه حجب بمحراب جديد عرف بالمحراب الأغلبي، والمحراب الحالي يعود تجميله على هذا الشكل إلى أيام الأمير الأغلبي أحمد أبو إبراهيم في سنة ٢٤٨هـ، ويعد المحراب مع القبة التي أقيمت أمامه تحفة نادرة ورائعة من روائع الفن الإسلامي، فتجويف المحراب النصف الدائري مكسو بألواح من الرخام المنقوش بالزخارف والأشكال الهندسية، والأوراق والعروق النباتية، والكتابات الكوفية، والحفر فيها غائر، وتتخلله أجزاء مُخرَّقة، كما كُسيت طاسة المحراب بالخشب المزخرف بالأصبغة والعروق النباتية، وقد كُسيت واجهة المحراب بألواح مربعة (ضلعها ١٢ سنتيمترا) من الخزف ذي البريق المعدني، في كل منها موضوع زخرفي يختلف عن الآخر، وتعتبر هذه المجموعة النادرة من الخزف أقدم ما عرف في العمائر الإسلامية، كما يحمل عقد المحراب عمودين من الرخام الأحمر.

لامارتين: أمة فيها مهندسون يصممون مثل هذا البنيان وعمال يجيدون تنفيذه جديرة بالاحترام

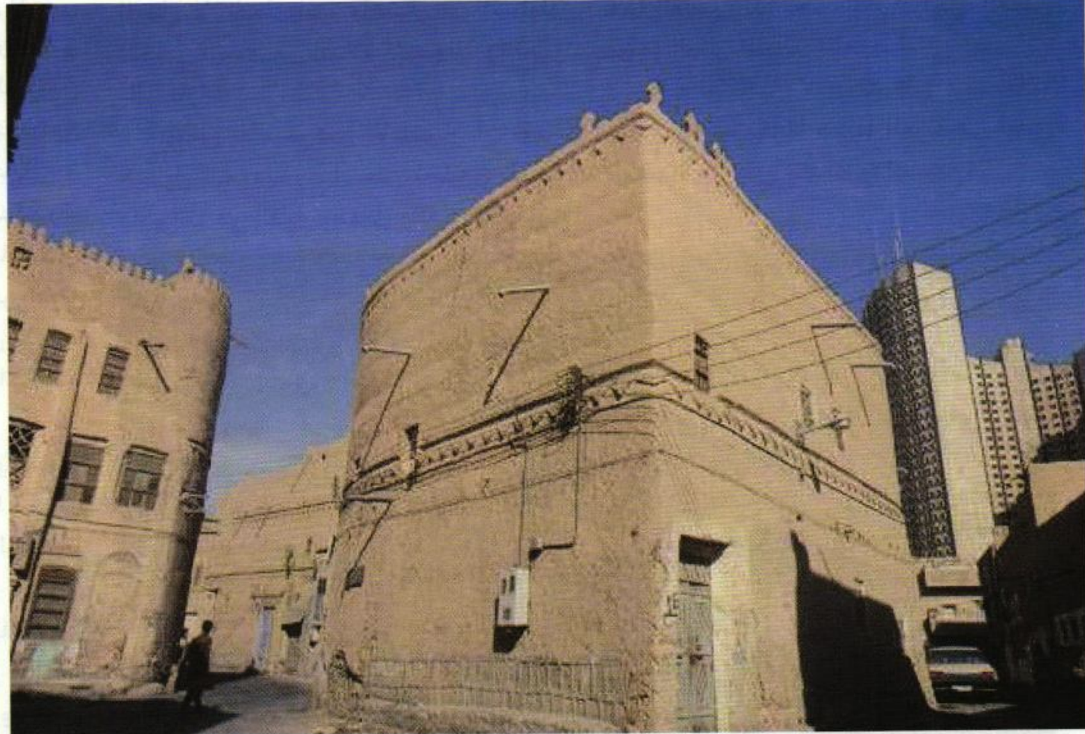
محراب جامع سامراء

بُني المسجد الجامع في سامراء في عهد المعتصم سنة ٢٢١هـ، ثم أعاد بناءه المتوكل سنة ٢٣٧هـ، وهو اليوم مجرد أطلال، ولم يبق منه إلا أسواره ومئذنته الملوية المبنية من الآجر، وتبلغ أطواله ٢٤٠ × ٥٦ مترا، فهو مستطيل الشكل، ويعد من أوسع مساجد العالم، ويقول الباحث عبدالقادر الريحاوي عن محرابه «كان محراب القبلة يشبه الإيوان، مسقطه الأفقي مستطيل، عرضه ٢,٥٩ متر، وعمقه ١,٧٥ متر، ويعلوه عقدان متراكبان يستند كل منهما إلى سويريتين من الرخام الوردي اللون، ويحيط بالمحراب إطار مستطيل، عثر في زواياه العليا على آثار فسيفساء ذهبية، ويبدو أن الفسيفساء كانت موجودة في أماكن أخرى، بدليل رواية المقدسي عن أن جدران المسجد مزينة بالمينا، وكذلك ما عثر عليه الباحث الأثري «هيرتسفيلد» من الفصوص الزجاجية خلال أعمال التنقيب».

محراب مدرسة الفردوس

اشتهرت المدرسة المشيدة سنة ٦٣٢هـ في حلب بسبب تصميمها الفريد، حيث لم يبن قبلها أو بعدها مثلها من المدارس، إنها مدرسة الفردوس التي تعد واحدة من روائع التراث المعماري والفني الإسلامي، لكثرة ما فيها من عناصر إنشائية وزخرفية تتفرد بها، أنشأتها ضيفة خاتون زوجة ملك حلب الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، ومكانها عند حي المقامات بالقرب من عمائر أيوبية أخرى، وما تزال المدرسة تحافظ على وضعها الأصلي، فقد كانت العمائر في العصر الأيوبي تتميز بالقوة وإتقان التخطيط والبناء ودقة النسب، وجودة العناصر المعمارية والزخرفية، فعناصر الزخرفة، بالرغم من عدم الإسراف فيها، متقنة الصنع، رصينة في موضوعها، وتنحصر في بوابات المباني أو في المحاريب والمنابر.

ونال محراب المدرسة شهرة عالمية بسبب عناصره الزخرفية النادرة التي تغطي باطن المحراب وواجهته، وتتكون الزخارف فيه من أشكال هندسية متداخلة مرصعة بالرخام الملون، ويبدو أن هذا التصميم الزخرفي كان موضع إعجاب في ذلك العصر، فقد قلد في عدة عمائر أخرى.



المصادر

١- قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية- د.عبدالقادر الريحاوي.
٢- زخارف العمارة الإسلامية في دمشق- د.قتيبة الشهابي.
٣- الفنون الإسلامية- د.سعاد ماهر.
٤- مدارس أنشأتها نساء- محمد عيد الخريبوطلي.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

الخطوة الأولى



تعد الحياة مدرسة الإنسان في الأرض، ومزرعة الأحياء في الكون، ومركز الاختبار للبشرية، كل من يعيش في فلكها يمارس دوره في المنظومة الدنيوية وفق امكاناته وقدراته التي وهبها الله لكل كائن على حده.

فكل دقيقة يحياها الإنسان تضاف الى رصيده الحياتي سواء كان شخصيا او علميا أو عمليا، ولكن كيف يعيش المسلم وفق القواعد والأسس المادية؟

سؤال يجيب عنه واقعنا السلبي الذي تجد فيه المسلم يجري في فلك المادية الدنيوية متناسيا رسالته في الأرض وهدفه في الحياة، فصبغ بالمحسوس والملموس المادي وجرد من الروحانية الربانية.

المتابع لأحوال المسلمين من أقصى الشرق الى أقصى الغرب يجد أن تأثير المال والسلطة والحياة بات ديدن الكثيرين في سبيل المعيشة ولو على حساب دينهم الذي ارتضوه لأنفسهم أو ورثوه فطريا.

التفكير مشتت، والعقول مخدرة، والنفوس مريضة، والجوارح باطشة، والقلوب قاسية.. ذلك لبعدنا عن نبعنا الالهي وزادنا الرباني وانغماسنا في ملذات الدنيا وزخارفها حتى صرنا لا نمثل الإسلام خير تمثيل.

إن الإسلام ليس قواعد وأسسا وأدبيات وأحكاما فحسب، وإنما تطبيق عملي وسلوك ايجابي ومنهج قابل للتطبيق في أي مكان وزمان.

فالمسلم محور أي نجاح حضاري إذا استوعب الاساسيات والتزم الأطر المعنية، ولكن- للأسف- نجد أن المسلمين يعيشون في حالة من التيه والغفلة حتى صاروا أشباه مسلمين.

ويعتقد البعض أن تطبيق الشريعة والالتزام بالأوامر والنواهي الربانية يعيق التنمية والتقدم التكنولوجي لاسيما أن واقع مجتمعاتنا العربية والإسلامية في مصاف الدول النامية أو دول العالم الثالث.

غير أن الحقيقة اليقينية تفند ذلك لما يمثله الإسلام من قيم ومبادئ إنسانية راقية قادرة على تنمية الشعوب قبل تنمية العمران، وتهيئة الناس للتعايش السلمي والتلاقي البشري في ظل أخلاقيات تهذب السلوكات والمعتقدات والأفكار الخاطئة.

إن نشر مثل هذه القيم والمبادئ والتخلق بها في حياتنا اليومية يضعنا على أول خطوة في طريق استعادة الهوية الضائعة والمجد الزائل خاصة أننا صرنا في عصر العمل لا النظريات، باعتبار أن السلوك الحسن أجدى من الكلام المستهلك والتغني بالشعارات.

ينبغي الأخذ في الاعتبار أن تقدم الدول الغربية جاء من تحليهم بقيمنا وأدبياتنا في القول والعمل والفكر وقدرتهم على تطويرها بما يناسب الإنسان، فتراهم يزرعون أهدافا نبيلة وأساسيات حسنة في مجالات الحياة المختلفة حتى إن الواحد منهم بات يعادل العشرات ممن تخلوا عن أبسط مقومات النهضة.

أخيرا الحياة تعد تجربة انسانية يمر بها كل إنسان، ولكن آثار هذه التجربة تحدد من يستحق أن يكون انسانا اسما ومن يستحق أن يكون مسلما فعلا. والله ولي التوفيق.

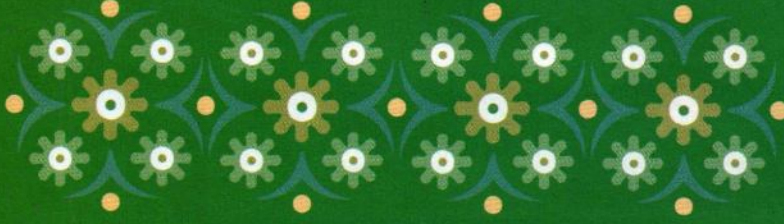
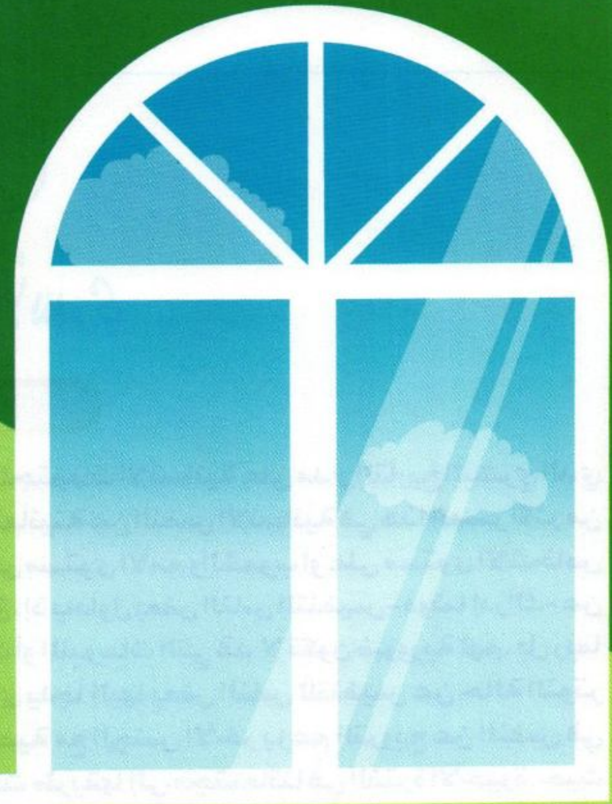
لفتة

■ قناة «دليل» الفضائية تسير في الطريق الصحيح في تقديم الإسلام بصورة راقية بعيدا عن التشدد والتفريط.

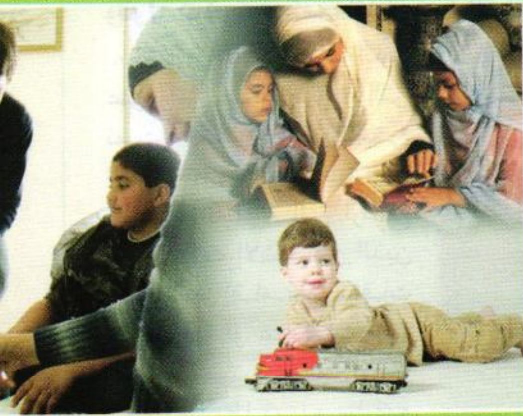
■ قطف ثمار أي عمل ليس سهلا في هذا العصر، لذا يجب أداء الواجب العملي دونما النظر للنتائج الملموسة.

■ «الطائفية» تتحرك في مجتمعاتنا بشكل مريب وكأننا صرنا ألعوبة في أيدي السفهاء من بني جلدتنا وداعميهم.



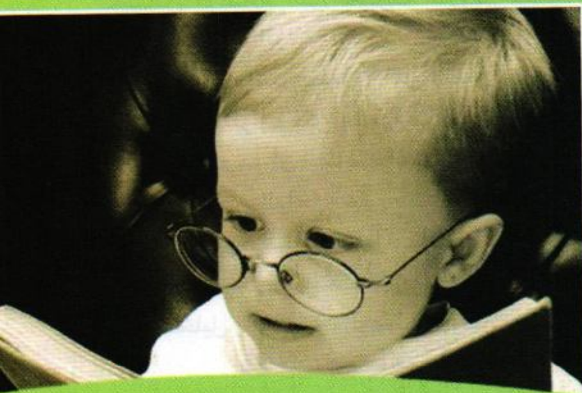
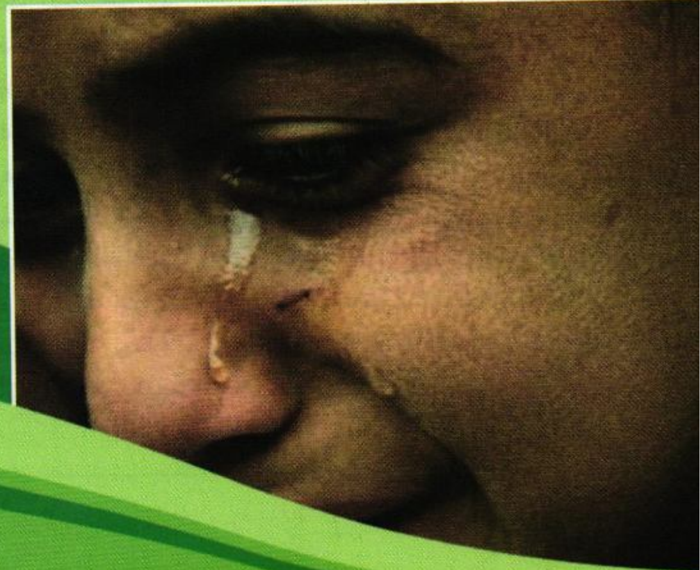
أسرتي



العفة والاستقرار الأسري

العنف ضد الأطفال

الموهوب..كيف نصنعه؟

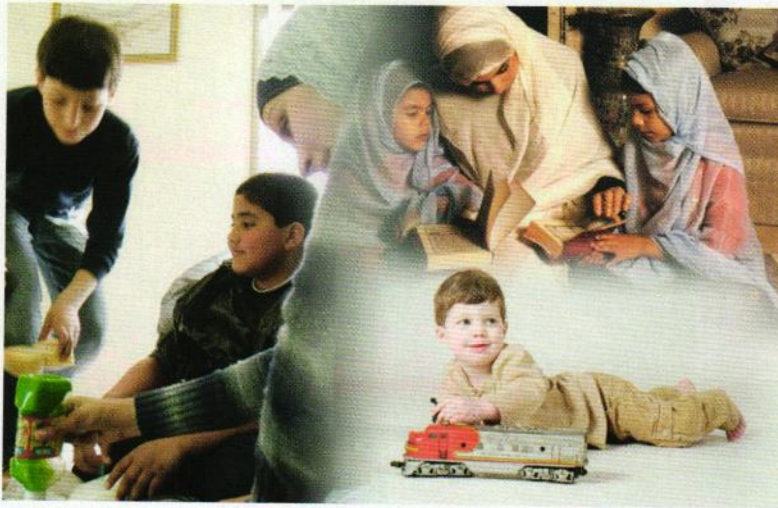



العفة والاستقرار الأسري

د. أمان قحيف

للمشهد المجتمعي المعاصر العديد من الملامح التي تميزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية على مدار التاريخ البشري الذي لم يكن يعرف شيئا اسمه عصر العولمة، ولعل من أبرز تلك الملامح غياب الطمأنينة عن النفس الإنسانية في هذا العصر أكثر من غيره من العصور، ومنها أيضا حالة التوتر في العلاقات سواء كان الأمر على مستوى الأمم والشعوب أو على مستوى الأشخاص والأفراد، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على حالة الاستهلاك والانفاق، إذ يحاول بعض الناس التنفيس - دونما إدراك - عن حالة التوتر الكامنة بداخلهم عن طريق شراء بعض المقتنيات أو المأكولات أو الملبوسات التي قد لا تكون ضرورية لهم، بل ربما لا تكون مطلوبة بالمرة، لكنه كما قلنا نوع من التنفيس، وثمة وسيلة أخرى يلجأ إليها بعض الناس للتنفيس عن حالة التوتر الكامنة داخل نفوسهم تتمثل في محاولة إقامة أو نسج علاقات غير شرعية مع الجنس الآخر بزعم الترويح عن النفس في زمن كثرت مشكلاته وتعددت أزماته، ومما يؤسف له أن هذه الظاهرة عرفت طريقها إلى مجتمعاتنا في الفترة الأخيرة، حيث أضحت بعض الأسر العربية والإسلامية تعاني في وقتنا الراهن من ظواهر جديدة أفرزت مشكلات مستحدثة ظهرت في حياتنا وتولدت في مجتمعاتنا نتيجة لتراكم التوترات والإغراءات المصاحبة للتطور الاتصالي والإعلامي في العصر الحديث.

وتأتي ظاهرة غياب العفة على رأس هذه الظواهر التي نمت وانتشرت في الفترة الأخيرة، إذ تشير الدراسات الميدانية الحديثة الى ارتفاع في معدلات الأشخاص الذين يحاولون إقامة صداقات مشبوهة أو علاقات غير شرعية مستترين خلف أوهام يحاولون بها تبرير سلوكهم الخاطئ، والأمر الذي لا لغط فيه ولا جدال هو أن هذا السلوك يعد تعبيرا صارخا عن غياب العفة عن تصرفات بعض الأفراد متأثرين في ذلك بما تطرحه بعض وسائل الإعلام التي تحترف الترويج لثقافة الجسد والمتعة الزائفة.



ولست أقصد قطعا أن كل الناس أضحوا على هذا المنوال، لكن ما نهدف الى توضيحه والتنبيه إليه هو أن الظاهرة انتشرت لدرجة أنه قد أصبح من الواجب على فضلاء هذه الأمة من المفكرين والباحثين والدعاة التصدي لها وتناولها بمزيد من الاهتمام إيلائها قدرا كبيرا من التحليل والدراسة والوعظ والإرشاد.

دلالات غياب العفة

يرتبط الاهتمام بقضية ما - إلى حد كبير - بمدى خطورتها وكثرة أضرارها، ولا شك أن الظاهرة التي نتحدث عنها من الخطورة بمكان، لأن لها العديد من الدلالات التي نذكر منها:

أولا أنها تظهر مدى رغبة بعض المسلمين في تقليد الانماط السلوكية غير المنضبطة التي تنتشر في المجتمعات التي تحتويها الفوضوية وتغلب عليها السلوكيات اللاأخلاقية.. ويتم التقليد هنا مدفوعا بتوهم التفريج عن متاعب الحياة وصعوبتها أو التوهم بأن تلك هي المدنية، غير أن التحليل الأخير للقضية يؤكد أن الخضوع لسلطان الشهوة والإغراء والسير وراء الأهواء كانا من الدوافع الرئيسية الكامنة خلف سلوكيات من سلكوا هذا الطريق وساروا في هذا الدرب، ومن أسف أن هناك فضائيات عربية تغذي هذا الاتجاه وتحترف الترويج لسلوكيات الإغراء والإغواء من خلال برامجها التي تخاطب الغريزة وتعمل على تغييب العقل والروح والوجدان.

ثانيا أنها تكشف عن اللامبالاة في سلوكيات بعض الأفراد، لأنها تأتي في صدارة العوامل التي تساهم في خلق الأزمات داخل بيوتنا وتتسبب في إشعال اللهيب داخل مجتمعاتنا.. وكثيرا ما عصفت ظاهرة غياب العفة بحياة أسرة كانت هادئة مطمئنة فدمرتها وأجهضت سبل استقرارها وعوامل تماسكها وارتباطها، ولست أذكر موقفا يصعب معالجته بين الزوجين من ظهور هذا السلوك المرفوض دينيا والمستهجن أخلاقيا واجتماعيا لدى شريكه الذي يقاسمه الارتباط الزوجي ويشاطره البناء الأسري.

مظاهر الظاهرة

لقد أضحى غياب العفة عن سلوك نفر من أبناء جلدتنا ومجتمعاتنا ظاهرة يلحظها أقل الناس قدرة على رصد الواقع وملاحظة سلوك الأفراد، حيث تنوعت المظاهر المعبرة عن شيوع هذه الظاهرة وانتشارها لدى هؤلاء الأشخاص على النحو التالي:

١- انتشرت حفلات الرقص الماجن المشترك بين النساء والرجال، ولا يغيب عن أكثرنا الحالة الفوضوية والعبثية التي تحتويها مثل تلك الحفلات لما يكثر فيها من شراب محرم وتصرفات ماجنة وألفاظ تخدش الحياء.

٢- انتشر الفيديو كليب المتحرر من كل القيود الأخلاقية والضوابط المجتمعية والدينية، الأمر الذي ساهم بشكل فاعل في صياغة سلوكيات بعض الشباب وتشكيلها على نحو يتعارض مع قيم الأمة وخصائص الهوية العربية التي تتسم بالنبل والدماثة والرجولة وحميد الصفات.

٣- غاب عن الكثيرين الالتزام بآداب الطريق التي حددها الإسلام وأكد عليها مثل: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك كثيرا ما نسمع في الطريق غريب الألفاظ ومستهجنها، ونلاحظ العديد من السلوكيات الشاذة وغير اللائقة بأمتنا وتاريخنا وثقافتنا.

أنواع العفة

سيكون من الخطأ أو التسطيح أن نحصر قضية العفة في علاقة الإنسان بالجنس الآخر فحسب، ذلك لأن العفة لها أنواع عديدة وأشكال مختلفة كما وضحها القرآن الكريم وأشارت إليها السنة النبوية المطهرة، وما من شك في أن حديث الكتاب والسنة عن تلك الأنواع جاء بهدف التنبيه إلى أهميتها وتوضيح خطورة التخلي عنها.. ويطيب لنا الإشارة إلى تلك الأنواع على النحو التالي:

أولا: عفة الجوارح والحواس: يتبين للمرء هنا أن الإسلام أوصى المسلمين بأن تكون حياتهم نظيفة خالية من الأمراض الاجتماعية التي تفسد الاجتماع البشري وتذهب باستقراره في الوقت الذي يريد الدين الحنيف لأبنائه أن يتمتعوا بهدوء الحياة وجمالها ونظافتها.. ومن أجل تحقيق هذا الأمر أوصى التنزيل الحكيم بما يلي:

أ- غض البصر وحفظ الفرج: ولقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا المعنى مباشرة ويدعو الى الالتزام به، فقد بينت سورة «النور» دستور غض البصر وحفظ الفرج واخفاء الزينة- عن غير المحارم- التي تسبب الفتنة حال كشفها، وذلك في قول الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم. وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ (النور ٣٠-٣٣).

وخلاصة الأمر في هذا السياق أن القرآن الكريم يضع التوجيهات والتعليمات للمجتمع الإسلامي كي تتحقق العفة لأفراده عبر سبل عدة هي:

١- أمر المؤمنين والمؤمنات بالغض عن أبصارهم وأن يحفظوا فروجهم.

٢- مساعدة الآخرين على العفة بأن تتحرز المرأة المسلمة من كشف زينتها إلا لزوجها أو محارمها أو من لا يدرك عورات النساء، ولكل مرحلة ضوابطها الشرعية.

٣-وإمعانا في التركيز على عفة المجتمع ينهى القرآن الكريم المرأة عن السير بطريقة تلفت النظر أو تشد الانتباه كأن تبدي زينتها عن طريق تقصير ثيابها أو الضرب برجلها أو جسدها.

٤- يدعو القرآن الكريم إلى الزواج لكي تتحقق العفة ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾، وعلى الجميع أن يلتزموا العفة بما فيهم غير القادرين ماديا حتى يغنيهم الله من فضله ويتيسر لهم أمر الزواج.

غياب العفة عن الاجتماع البشري لا تجني الأمة من ورائه إلا حصادًا مرا ومشكلات يصعب التحكم فيها

ونتوقف هنيهة لنذكر المسلمين بضرورة الأخذ بمبدأ التيسير في المهور ومتطلبات الزواج دعما للمحافظة على العفة وأخذا بأسباب الاستقرار المجتمعي.

ولقد اشار ابن كثير رحمه الله (٧٧٤ هـ) في تفسيره لهذه الآيات إلى أمر الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا (١)، ولقد أكدت السنة المطهرة المعنى نفسه في وضوح شديد، حيث ورد عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرني أن اصرف بصرك» (٢) أو أطرق بصرك، أي انظر الى الأرض.. ومعلوم أن السنة أكدت هذا المعنى كثيرا لكن المجال يضيق عن الاسترسال.

ب- عفة اللسان: ومن أهم أشكال العفة التي دعى الاسلام إليها وأمر بها عفة اللسان، فقد أكدت السنة المطهرة أنه لا يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.. وهناك عبادات تتطلب من المسلم ضرورة الحرص على عفة لسانه بأن يمنعه عن الكذب أو الغيبة أو النميمة أو النفاق، فلقد قال الرسول الكريم ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٣).

والإسلام إذ يدعو إلى عفة اللسان فانه يحرص بذلك على سلامة المجتمع وهدوئه، إذ كثيرا ما تؤدي بضع كلمات يقولها بعض الناس- دونما وعي أو إدراك- الى العديد من المشكلات والقضايا التي تستهلك وقت المسلمين وجهدهم في حين أراد الشارع من الأمة التركيز على العبادة والانتاج من أجل بناء حضارة قوية وصياغة أمة ناهضة تتوافر لها الشروط والمقومات التي تعينها على التدافع الحضاري خصوصا في زمننا هذا الذي أضحت القوة فيه هي المبرر الوحيد للبقاء.




ج- عفة السمع: ليس من شك في أن السمع من الجوارح التي أمر الإسلام بضرورة الالتزام بعفتها وعدم استخدامها إلا فيما خلقت له من أدوار ووظائف خيرية تساهم في الارتقاء بالأمة وتجميل حياة المسلمين، لذلك كان السمع مسؤولية شأنه شأن البصر سواء بسواء بل انه جاء قبله في كثير من الآيات القرآنية، منها قول الله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (الإسراء:٣٦)، من ثم فقد وجب على المسلم الالتزام بعفة حاسة السمع، فلا يسمع إلا خيرا ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويجب عليه أيضا ألا يقحم سمعه فيما لا حاجة له بالاستماع إليه، وعليه في الوقت نفسه عدم تعطيل آلة السمع عن تأدية دورها المنوط بها في إدراك الحقائق ومعرفة الأمور «ولقد عاب القرآن الكريم على الكفار عدم استخدام ملكاتهم التي أمدهم الله بها، قال سبحانه ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف: ١٧٩) (٤).

د- عفة البطن: حاز مأكل الإنسان ومشربه أهمية كبرى في المرجعية الإسلامية، إذ اولى كل من القرآن الكريم والسنة المطهرة هذا الأمر عناية خاصة، وكان أبرز ما أكد عليه ديننا الحنيف في هذا السياق هو ان يكون المأكل حلالا والمشرب حلالا، فالنار أولى بالجسم الذي ينبت من الحرام، وآكل الحرام لا يستجاب له دعاء مهما حاول التقرب الى الله بالطاعات والعبادات إلا أن يتوب إلى الله ويقلع عن أفعاله تلك، بعد أن يرد المظالم الى أهلها.. ولقد أمر الإسلام بتناول الحلال الطيب دون غيره من المأكولات والمشروبات، قال تعالى ﴿يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا...﴾ (البقرة-١٦٨).

نتائج غياب العفة

لم تغب فضيلة من الفضائل عن مجتمع من المجتمعات إلا وحلت محلها الرذائل والآفات الاجتماعية الضارة والمؤلمة للمجتمع والأمة.. والحق أن غياب العفة عن الاجتماع البشري يؤدي الى العديد من النتائج التي لا تجني الأمة من ورائها الا حصادا مراً ومشكلات لا تنتهي يصعب التحكم فيها أو تجاوز نتائجها إلا بعد بذل الكثير من الجهد.. ويمكن الإشارة الى النتائج المرة والسلبيات المرذولة التي يعاني منها المجتمع في حالة غياب العفة على النحو التالي:

أولا: شيوع الفاحشة: وتلك مسألة وقف منها الإسلام الحنيف موقفا صريحا وقويا، ويعلم أقل الناس معرفة بأمر هذا الدين أنه يرفض الفواحش ما ظهر منها وما بطن، حيث أكد القرآن أن من خصائص المؤمنين وصفاتهم ترك كبائر الإثم والفواحش، قال تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش...﴾ (الشورى-٣٧)، ولم يقف الإسلام عند محاربة الفاحشة فحسب ، بل ذهب إلى إنكار موقف من يرضيهم أن تشيع الفاحشة في المجتمع الإسلامي، وبشر هذا الفريق من الناس بأن لهم عذابا أليما في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (النور: ١٩).

ثانيا: ارتفاع معدلات الطلاق: إن غياب العفة وانتشار الفاحشة يؤدي لا محالة إلى ارتفاع معدلات الطلاق بين الأزواج، ذلك لأنه يدخل في باب كفر العشير وخيانة الأسرة مما ينزع الثقة بين الطرفين ويقضي على روح المودة والرحمة التي يجب أن تكون موجودة ومتحققة بين الزوجين، ولا يتحقق هذا إلا بدوام الاخلاص واستمرارية المودة بينهما.

إن هناك الكثير من الأسر التي تعاني من مشكلات لا سبيل إلى حلها نتيجة لموقف غاب فيه وعي أحد الزوجين فارتكب فعلا وأقدم على تصرف يتعارض مع العفة الدينية والنيل الاخلاقي، وكثيرا ما تؤدي تلك المشكلات إلى انهيار الأسر والقضاء على الحياة الزوجية، ومن هنا تبدو أهمية توافر العفة كشرط ضروري ومهم لبقاء الاستقرار الأسري في مجتمعاتنا العربية المسلمة.

ثالثا: انتشار الأمراض الموجعة التي تستعصي على العلاج: تعاني مجتمعات إنسانية معاصرة من انتشار الأمراض التي نشأت وتوطنت لديها نتيجة لغياب العفة، والحمد لله أن نسبة انتشار تلك الأمراض في وطننا العربي وديارنا الإسلامية أقل بكثير من الشعوب الاخرى، ونعزو السبب في ذلك بالدرجة الأولى إلى انتشار العفة والالتزام الديني والانضباط الخلقي لدى المسلمين، حيث تتوجه تحركاتهم وتتشكل سلوكياتهم وفقا لتعاليم الدين وتوجيهات القرآن الكريم التي ما تنفك تدعو إلى القيم النبيلة والأخلاق الحميدة في كل آيات القرآن وسوره.

رابعا: ارتفاع معدلات الجريمة: تؤكد الدراسات والإحصاءات الاجتماعية أن التحرش الجنسي الناتج عن غياب العفة- يعد أحد الأسباب الرئيسة لانتشار الجريمة في المجتمعات التي تنتشر فيها مثل تلك الظواهر الشاذة حيث تختفي العفة وتحل الرذيلة.. كما يتسبب غياب عفة اللسان وعفة البطن في العديد من المشكلات التي تؤدي بعد تطورها الى إثارة الكثير من المشكلات التي تنتهي بارتكاب جرائم ليس من مصلحة المجتمع ولا الأفراد الوقوع فيها.

خامسا: خلق حالة من التوتر المجتمعي: لا يخفى على كل ذي لب أن غياب العفة عن المجتمع يؤدي إلى إيجاد حالة من التوتر المجتمعي يكون من شأنها تقليل مساحة الهدوء العصبي والاطمئنان النفسي لدى أفراد الأمة، فيصبح الناس في شغل على أنفسهم وعلى بيوتهم وأعراضهم وأموالهم تلك الأمور التي قرر العلماء أن من مقاصد الشريعة المحافظة عليها.

الهوامش

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي للطباعة والنشر- القاهرة، ج ٣، ص ٢٨١.
٢- رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي، وقال الترمذي حسن صحيح.
٣- رواه الترمذي.
٤- د.أمان عبدالمؤمن قحيف، إشكالية المعرفة.. دراسة منهجية في القرآن الكريم، تحت الطبع ص ٢٦.

أبناؤنا والشتائم

نسمع الشتائم في كل مكان وفي أحوال مختلفة بين الوالدين وأبنائهما، حيث تنتشر في البيئات البعيدة عن هدي القرآن، وتربية الإسلام، وإنني أرى كما يرى مختصون ومراقبون غيري أن من الأسباب التي تقود إلى ذلك:



سليمان الرومي

■ غياب القدوة الحسنة، فتربية الأولاد تربية إسلامية جيدة، لن يتم إلا بأن يكون الأب والأم قدوة حسنة لأبنائهما وبناتهما، وذلك بالتحلي بأخلاق القرآن والسنة، والسير على النهج النبوي القويم، قال تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...﴾ (الأحزاب:٢١)، فالأبوان هما أساس التربية ووجهة القدوة عند الأبناء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه... » (رواه البخاري)، لهذا كله وجب علينا- كآباء ومربين- أن نعطي الأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير. ومن حسن القدوة مثلا ألا يبتسم الوالدان إذا نطق الصغير بكلمة خارجة أو بعيدة عن الأدب، وتمرير مثل هذه الكلمة مرة يجعل الصغير يعيدها، بل وأشد منها، فيجب أن نحذره ونعاتبه، ونعلّمه أن الولد المحترم لا يقول مثل هذه الكلمات، ولا يعاقب الطفل أول مرة عقابا شديدا، لأنه كلام جديد في حياته، فإذا تكرر هذا الكلام فعلى الوالدين أن يتريثا ويتمهلا، فالعلاج يجب أن يكون بالرفق واللين بعد أن يعاد عليه الكلام من غير الثورة العارمة التي نراها من الوالدين، فنشعره بالألفة والحنان حتى وهو مخطئ، كما علمنا نبي الرحمة- صلى الله عليه وسلم- بقوله «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (رواه مسلم).

■ رفقاء السوء، فالولد الذي يلقى للشارع ويترك لقرناء السوء، ورفقاء الفساد، من البديهي أن يتلقى منهم لغة اللعن والسباب والشتم، لذا وجب على الوالدين أن يحفظا أبنائهما، وأن يتابعا دائما من يصادقونهم ويتعاملون معهم، فالمرء على دين خليله.

■ دور المعلم والمعلمة، فيجب عليهما أن يراقبا الصغار، فمن وجد منهم طفلا ينطق بكلمة سيئة أو غير حسنة قومه بطريقة لينة مهذبة، وعلّمه أن هذا لا يليق به كمسلم ولا بعائلته المحترمة، ويجب على الوالدين أن يتواصلا مع معلمي أبنائهما في المدرسة.

المعالجة الخاطئة للسلوكات المنحرفة

كثيرا ما نجد الأبناء يخطئون بقصد أو بغير قصد، فيبادر الوالدان بكيل الشتائم والكلمات التي تريح نفسية الوالدين، لكنها تؤرق الأبناء وتزعج مزاجهم وتشعرهم بالحقارة، والصحيح أن نقابل التصرف الخاطئ بكلمات توجيهية ودعائية لتصحيح المسار مثل «جعلك الله من الصالحين»، «بارك الله فيك» وغير ذلك من العبارات المهذبة التي تُحرج الطفل وتجعله يعيد التفكير في أفعاله، لا العناد والاستمرار عليها.

و يجب على المربين أن يلقنوا أولادهم من القرآن والسنة ما يعلمهم حسن الخلق وجزاء السب والشتم، وأن يُبيِّنوا لهم ما أعد الله للمتفحشين واللاعنين من إثم كبير وعذاب أليم عسى ان يكون ذلك زاجرا لهم.

ومن الأحاديث التي تنهى عن السباب وتحذر من الشتائم

«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» (رواه البخاري وأحمد).

«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (البخاري ومسلم وغيرهما).

«إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» (البخاري).



«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (رواه الترمذي).

ومن القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ (إبراهيم ٢٤-٢٥)

ثم نشرح للأبناء أن الكلمة المؤذية شجرة خبيثة ينفثها الشيطان في أذن قائلها، فتؤذي من يسمعها، ولا يقدر أن يعالج ما فعل، والشاعر العربي يقول:

جراحات السنام لها التئام
ولا يلتئم ما جرح اللسان

وجراح السنام هي جراح السهام والرماح في الحروب، قد يشفى الإنسان منها، وقد يستمع إلى كلمة تؤذيه طيلة عمره فلا يستطيع ان ينساها، أو ينسى أثرها ما بقي.

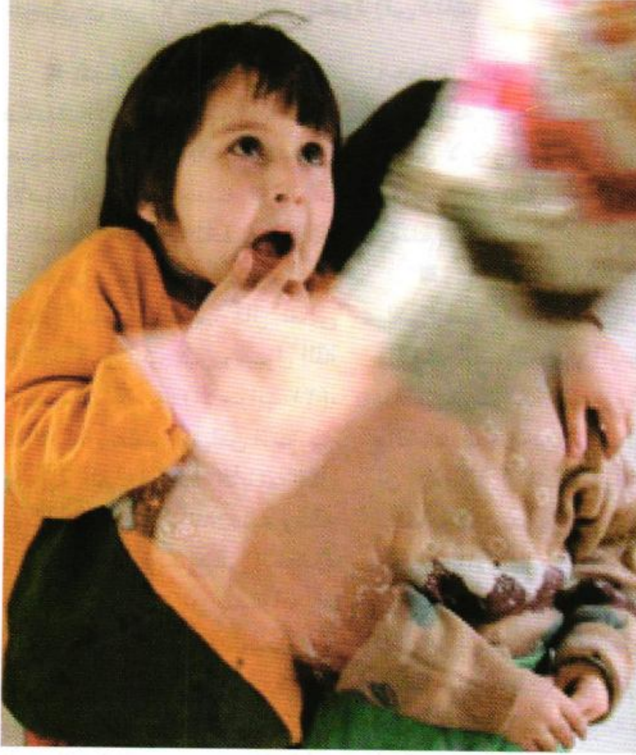
وأخيرا فإنه تجب متابعة الأولاد ومعرفة رفاقهم، والاطلاع على ما يتلقونه من مبادئ، ومتابعة ما يفعلونه، فإن وجد خيرا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليتحمل المسؤولية، وليقم بدوره كولي أمر.





كيف ومتى يتوقف مسلسل العنف ضد الأطفال؟

سعيد سعد الغامدي



أصبح العنف الآن جزءا من ثقافة المجتمع، بل لقد ثبت أنه يحدث داخل الأسرة في المقام الأول وليس في الشارع أو في أي مؤسسة أخرى، وثبت أيضا أن الأطفال هم أكثر الفئات تعرضا لهذا العنف الأسري، حيث أصبحت وسائل الإعلام تطالعنا بصفة مستمرة بأحداث مسلسل العنف المتواصل والانتهاك البدني الصارخ الواقع من آباء وأمهات وأشقاء وأقارب على أطفال أبرياء لا ذنب لهم سوى أن صلة الدم والقرابة أوقعتهم في براثن نفوس مريضة ووحوش آدمية تمارس عليهم فنون التعذيب والقهر والاغتصاب والقتل.

هذه الحقيقة المؤسفة نبهت إليها نتائج دراسة بحثية متميزة أعدتها د.سماح خالد عبدالقوي زهران أستاذ علم النفس المساعد بقسم تربية الطفل بكلية البنات، جامعة عين شمس بعنوان «المسؤولية المجتمعية إزاء أشكال العنف ضد الأطفال»، وعرضت خلال فعاليات المؤتمر السنوي الحادي عشر للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية الذي عقد اخيرًا، حيث ناقشت الدراسة أشكال العنف بوجه عام دون أن تخص فئة معينة بما في ذلك أطفال الأسر العادية، والمنتظمون بالدراسة، وأطفال المؤسسات، وأطفال الشوارع، وذلك في فترة العامين الماضيين تقريبا كما أجريت الدراسة على أطفال من الجنسين من ١٥عاما وحتى ١٨عاما)، وفيما يلي أهم نتائج هذه الدراسة

تبين أن القتل يتصدر جرائم العنف ضد الأطفال سواء كان ذلك عرضا، أو بسبب إهمال أو عن عمد، ويبدأ داخل الأسرة، ثم المدرسة أو خارجهما أو في الشارع، ثم يليه العنف بالضرب وشتى فنون التعذيب والحرق، بينما يأتي الاتجار بالأطفال في المرتبة الثالثة، وبعده الاعتداءات الجنسية والاغتصاب ثم الخطف، وأخيرا العنف الناتج عن الممارسات التقليدية وتتمثل هنا في صورة الختان للإناث إلا أن نسبته في انخفاض.

أما بخصوص مصدر العنف ومكان حدوثه فإن البيت هو المكان الأول لذلك لذلك، حتى إن العنف الأسري تصدر الآن وقوع العنف على الأطفال باستخدام جميع فنون التعذيب، حيث يشكل ٧٦٪ تقريبا من مجموع الجرائم الكلية، وهي نسبة تقترب من نسبة دراسة سابقة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ٢٠٠٨ أشارت إلى أن ٧٨٪ من جرائم العنف ضد الأطفال سببها أسري.

الجناة أقارب من الدرجتين الأولى والثانية .. وأكثر الضحايا إناث

وبالنسبة لأشكال العنف الواقع على الطفل داخل الأسرة فهي تبدأ بالقتل بالاعتداء الجسدي كالخنق والإلقاء من الشرفات والضرب بآلة حادة حتى الموت، والإلقاء في المصارف والترع والنيل، وتحت عجلات القطار، والحرق والكي، والطعن بالسكين، والطرد من المنزل.

كما بينت نتائج الدراسة أن الإناث هن أكثر تعرضا للعنف الأسري من الذكور.

واللافت للانتباه في نتائج هذه الدراسة أنه قد تبين أن فئات الجناة مرتكبي العنف ضد الأطفال المجني عليهم هم الآباء، والأمهات، وزوجات الأب، والأخوات، والإخوة، وأزواج الأم، ثم العشيق للزوجات.

استخدام العنف الأسري ضد الأطفال كانت مسبباته كما ذكرتها نتائج الدراسة أنه أسلوب تأديب للطفل بسبب التبول اللاإرادي، ورفض الطفل الذهاب إلى العمل، وإرضاء للزوجة الثانية، وإرضاء للزوج الجديد وكذلك قد يكون بسبب مرض الطفل أو يقع على طفل الخطيئة أو من أجل الانتقام لخلافات عائلية، أو بسبب المشكلات المادية والغيرة والرغبة في إنجاب ولد وكره البنات، والانتقام من الطفل لجريمة ارتكبها، والمرض



النفسي وبيع الأطفال والإدمان والبطالة، والمشاجرات، وتقليد أحد الأفلام والاتجار في الأطفال، وطلب الفدية، واستخدام الأطفال في جرائم كالسرقة والدعارة والترويج للمخدرات، وأحيانا اسباب واهية مثل رفض الطفل تناول الطعام!

وبخصوص الانتهاكات الجنسية للبنات والأولاد التي تتمثل في الاغتصاب والاتجار، فالقائمون بالاعتداء والجناة هم من الذكور الأقارب كالأب، أو الأب بالتبني، أو زوج الأم، أو الخال.. وأسباب هذه الاعتداءات الإدمان والانتقام وأسباب اقتصادية واجتماعية ونفسية وشخصية.

ظاهرة أخرى نبهت إليها د.سماح في دراستها هي ارتفاع نسبة العنف في كل من الأسرة والشارع والمدرسة أيضا، فالعنف يقع على جميع الأطفال سواء الطفل العادي داخل أسرته أو الطفل المنتظم بمدرسته الذي بدأ يتعرض أيضا لأشكال أخرى من العنف المدرسي متمثلة في العقاب البدني والاعتداء الجنسي، والتلوث الغذائي والإهمال بصوره المختلفة.. إلى جانب ما يتعرض له أيضا طفل الشارع من أصناف العنف المختلفة.

وقد يتساءل البعض: ما فئات هؤلاء الجناة القائمين بالعنف على الأطفال؟ وتجيب نتائج هذه الدراسة بأنه على الرغم من ظهور مهن عليا ومعدل عمري مرتفع في بعض شرائح مرتكبي الجرائم ضد الأطفال، فإن الحرفيين وأصحاب المهن الدنيا والعاطلين هم الغالبية، وحتى بالنسبة للنساء فإن معظمهن من ربات البيوت، والسبب في ذلك، كما تشير د.سماح، هو أن هذه الفئات من بيئات مولدة للعنف بطبيعتها، حيث الضوضاء والزيادة السكانية والعشوائية والتلوث، يضاف إلى هذا ضغوط الحياة وتناقضات العصر ووسائل الاتصال والدش وقنوات العنف، والإباحية التي وصلت للمقاهي، حيث العمال والعاطلون .. يضاف إلى ذلك عدم قدرة الفرد على تحمل كل هذه الضغوط، مع عدم وجود نواح مقبولة لتصريف الطاقة العدوانية. وهكذا تصبح هذه العناصر كلها سواء بالأسرة أو بالشارع مرتعًا للعنف، فتكون وبالا وخطرا على المجتمع، إذ يعتاد الجاني على جرائمه كوسيلة لإشباع حاجاته وتحقيق رغباته غير الممكنة.. وبدلا من أن يرى نفسه جانيا ظالما، يرى فيما ارتكبه الحق وكل الحق.

هذه النتائج المفزعة تتطلب تكاتف المجتمع كله لمواجهة هذه الظاهرة التي طرأت على نسيجه، فجعلت الآباء والأمهات وذوي الأرحام قتلة لأطفالهم.. هذا التكاتف يبدأ- كما جاء في توصيات الدراسة- بأن تعتبر الدولة قضية العنف ضد الأطفال- خاصة العنف الأسري- قضيتها الأولى فتهتم بها كل وزاراتها وتعدل في تشريعاتها لتجرم كل أشكال العنف ضد الأطفال، وأن يغلظ القضاء العقوبة نحو أي شكل من أشكال العنف أيا كان مصدره، وأن تتعاون الجمعيات الأهلية والقطاع الخاص مع الدولة لإيجاد فرص عمل مناسبة لحماية الأفراد من البطالة والحرمان، ومساعدتهم في تحقيق ذواتهم وإشباع حاجاتهم بطريقة سوية، كما يجب على الأطفال أنفسهم التبليغ عن جرائم العنف خاصة في الأسرة والشارع.

الضوضاء.. الزيادة السكانية.. التلوث.. تناقضات العصر وقنوات العنف صانع الجرائم الأول






المرأة ومعضلة الطلاق

بريهان فارس عيسى

كلمة يمكن أن تقال في موقف انفعالي يؤدي إلى إلحاق الضرر ببيت قائم، فيلحق الأذى بالرجل، والمرأة، وبالأولاد، ثم بأقرباء الزوج والزوجة معا سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة، ولكن الضرر البالغ في الطلاق يقع على شخصية المرأة فحسب، أعني المرأة المطلقة، فنحن غالبا ما نرثي لحال النساء اللاتي يتعرضن للطلاق، ونوصي بأن الصبر في الحياة الزوجية مع تقدم السنوات يؤتي أكله بالنسبة للمرأة المسلمة الصابرة.



الحلال البغيض

الطلاق يعني انفصال زوجين عن بعضهما، وانفصال أطفال عن نعمة العيش في كنف أبويهما، وكذلك انفصال عائلتين عن بعضهما.

لقد منّ الله تبارك وتعالى على الإنسان المسلم بنعمة السّلم حتى في ذروة الخلافات الحادة، فالقطيعة والعداوة والبغضاء أمور غير مقبولة بأي حال من الأحوال، ونحن نعلم كيف يحض الإسلام على صلة الرحم، وعلى محبة الناس أجمعين، والتواصل فيما بين أهل الأرض.

أُحِل الطلاق في الإسلام، لكنه قيد بشروط، فلا يجوز الإقدام عليه دون تحقيقها وكفرصة للعودة عن الطلاق فقد منَّ الله على الزوجين برحمة الرجوع عنه والعودة إلى الحياة الزوجية وكأن شيئا لم يكن، لأن الأصل في الإسلام بقاء الحياة الزوجية، والعيش بسلام ومودة حتى يتمكن الزوجان من ممارسة حياتهما الاجتماعية والأسرية والتربوية.

الطلاق فعل مذموم سواء في الشرع الإلهي، أو في القانون المدني، أو في العرف الاجتماعي، ولذلك فقد رخص الله تبارك وتعالي الرجوع في كلمة الطلاق إذا لفظها رجل في وضع نفسي انفعالي أو ما شابه ذلك، وهو الطلاق الرجعي.

صدمة الطلاق

وبقدر ما نراه من أن أهل الفتاة يعبرون عن مشاعر الفرح والارتياح عندما تخرج فتاتهم من بيتها يوم الزفاف، فإنهم يُصابون بالفجيعة الكبرى اذا عادت إليهم ابنتهم مطلقة ولو بعد خمسين سنة ومهما كانت الدوافع والأسباب، وعلى الأخص في مجتمعاتنا التقليدية المحافظة.

إن من الممكن أن يوثر هذا الطلاق سلبا حتى على أخوات هذه المرأة المطلقة، بل وعلى خالاتها وعماتها، وسائر الفتيات اللواتي تربطهن بها صلة قربى، فعندما يتقدم خاطب إلى فتاة سيقال له أول ما يقال: لها أخت مطلقة!

وهذا ليس كلاما، على قدر ما هو إشارة إلى أن البنت يمكن أن تنحو منحى أختها، فينظر الخاطب في أمره بشيء



الحياة الزوجية شبيهة بالحديقة الممتلئة بالزهور والأشواك .. ولا تكون كذلك إلا بهذين العنصرين

من التريث حتى يتخذ قرارا مصيريا كهذا، بل حتى عندما يتزوجها يمكن له أن يوبخها ويوصمها بأختها لأقل الخلافات، بل إنه يهددها بأن يجعلها مطلقة لتحذو حذو صنوتها لأن هذه العائلة على ما يبدو اعتادت على طلاق فتياتها، والطلاق لديها كشربة ماء.

وقد يحدث لدى بعض الأزواج أن يكون حذرا في تعامل زوجته بأختها المطلقة حتى إنه يضع معوقات حتى لا تلتقيها، بل حتى زياراتها إلى بيته تكون زيارات غير محمودة لأنها قد تفسد أختها بفكرة الطلاق، وتحرضها على عصيان زوجها.

إنها امرأة مدينة أينما ولت وجهها، بل حتى في البيت، يمكن لأخيها أن يوصمها قائلا: لو كان فيك الخير لما أخرجك الرجل من بيته، إنك امرأة صعبة المعاشرة، في إشارة واضحة إلى أنها غير مرغوب فيها، وكان عليها أن تحتمل الحلو والمر في بيتها الزوجي.

ويمكن أن يحدث شيء من التلميح من قبل أبيها أيضا إذ قد يشير ولو من خلال نظراته لأمها إلى أنها فشلت في تربية ابنتها تربية زوجية حسنة، وكان عليها أن تعظها وتوجهها نحو ثقافة قويمة للعلاقة الزوجية، وأن تحثها على الصبر والتعامل الطيب مع زوجها حتى وهو منفعل أو مستاء بسبب ظرف خارجي ما أثناء عمله، أو في سعيه لتأمين لقمة العيش ومستلزمات المعيشة اليومية، فالواجب عليها ان تستوعب زوجها بدل ان تصطدم معه في كل شاردة وواردة، حتى رأى «المسكين» أنها باتت تسبب إزعاجا يوميا له فقرر أن يريح نفسه، ويستبدل بها زوجة هادئة مستوعبة ناضجة حكيمة، صبورة، فها هو الرجل الطيب قد ظفر بتلك الزوجة بعد ستة أشهر من طرد هذه الزوجة غير المرنة في علاقتها ببيتها وزوجها، هذه الزوجة التي تتسم بالمزاجية والانفعالية والنوبات العصبية، هذه المطلقة التي سوف تبقى عبئا حتى يومها الأخير على أهلها، فتنتقل مع مرور الزمن من دار أخ الى دار أخت حتى تعيش، وتمضي حياتها دخيلة ومتطفلة على أبواب الأهل والأقرباء.

وحتى لو كانت محظوظة وظفرت بفرصة زواج اخرى فلن يكون على الأغلب إلا على حساب زوجه أخرى، أو أنها ترى رجلا أرمل يبحث عن زوجة أخرى لتربية أولاده، فتفجع بأن هذا الزوج أيضا يقدم لها التهديد والوعيد كل هنيهة بأنه سوف يطلقها ويعيدها الى أهلها كما فعل زوجها الأول إذا ما تمردت على طاعته لأنها على ما يبدو ليست أهلا لتكون زوجة معتبرة في المجتمع.. إنه بيت تعيش فيه امرأة مطلقة، وهو أخ لامرأة مطلقة، وهو أب لابنة مطلقة، وهي أم لابنة مطلقة، وهي ابنة اخت لامرأة مطلقة.

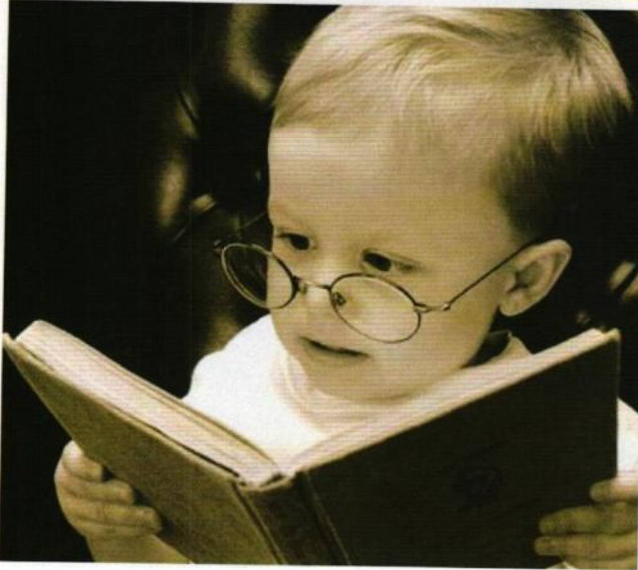
قال الله تعالى ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ (البقرة:٢٣١).

إن انتهاج منهج الصبر والتقوى مع الزوج على الأغلب يؤدي إلى نتائج إيجابية، فالحياة الزوجية ليست عسلا كلها كما تظن الفتاة المقبلة على الزواج، إنها شبيهة بالحديقة التي تمتلئ بالزهور والرياحين، وكذلك بالأشواك والنباتات المرة، لأن الحديقة لا تكون حديقة إلا بتوافر هذه العناصر، كذلك فإن الحياة الزوجية لا تكون حياة زوجية إذا خلت من الزهور والأشواك.



الموهوب.. كيف نصنعه؟

عصام ضاهر



الناس مواهب وطاقات، والبعض مفضل بما أمده الله تعالى من عنده واختصه به، كما قال تعالى ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق...﴾ (النحل: ٧١).

وليس الرزق مقصورا فقط على المال، كما يظن البعض، بل هو أعم وأشمل من ذلك كما قال الشوكاني في تعقيبه على الآية السابقة «وكما جعل التفاوت بين عباده في المال، جعله بينهم في العقل والعلم والفهم وقوة البدن وضعفه، والحسن والقبح، والصحة والسقم، وغير ذلك من الأحوال».

ولقد أثبتت البحوث والدراسات العلمية أن هناك نسبة ما بين ٢ - ٥٪ من الناس يمثلون الموهوبين والمتفوقين حيث يبرز منهم صفوة العلماء والمفكرين والقادة والمبتكرين والمخترعين، الذين اعتمدت الإنسانية منذ أقدم عصورها في تقدمها الحضاري على ما تنتجه أفكارهم وعقولهم من اختراعات وإبداعات وإصلاحات.

تفاعل ديناميكي بين العوامل البيئية والوراثية .. والأسرة هي الحضن الأول

ومن الأمور المتفق عليها تربويا أن الطفل تتبلور سلوكياته، ويكتسب عاداته وقيمه، وتتكون شخصيته، وتنمى مهاراته في المراحل الأولى من حياته، أي منذ الطفولة المبكرة، وبالتالي تكون الأسرة هي المنبع التربوي الأول الذي يستقي منه الطفل صفاته الشخصية وعاداته وقيمه، ومهاراته الاجتماعية، وسلوكياته الحياتية.

ولم لا؟ والأسرة هي المحضن التربوي الأول الذي يرعى البذرة الإنسانية منذ ولادتها، ومنها يكتسب الكثير من الخبرات والمعلومات والمهارات والسلوكيات والقدرات التي تؤثر في نموه النفسي- إيجابا وسلبا- وهي التي تشكل شخصيته بعد ذلك، كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا
على ما كان عوده أبوه

وظاهرة الموهبة والموهوبين ووجود أفراد يتميزون بقدرات غير عادية يتفوقون بها على الغالبية العظمى من الناس ليس من مكتشفات القرن الحالي، وإنما هي ظاهرة استرعت اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ أقدم العصور وحاولوا أن يقدموا لها تفسيرات مختلفة، ولكن الذي يحسب لعلماء هذا القرن أنهم حاولوا تفسير ظاهرة الموهبة تفسيرا علميا أرجع فيه المواهب والقدرات غير العادية إلى استعدادات وإمكانات في التكوين الذهني للفرد وفي بنية جهازه العصبي وفي خصائصه وسماته الشخصية.

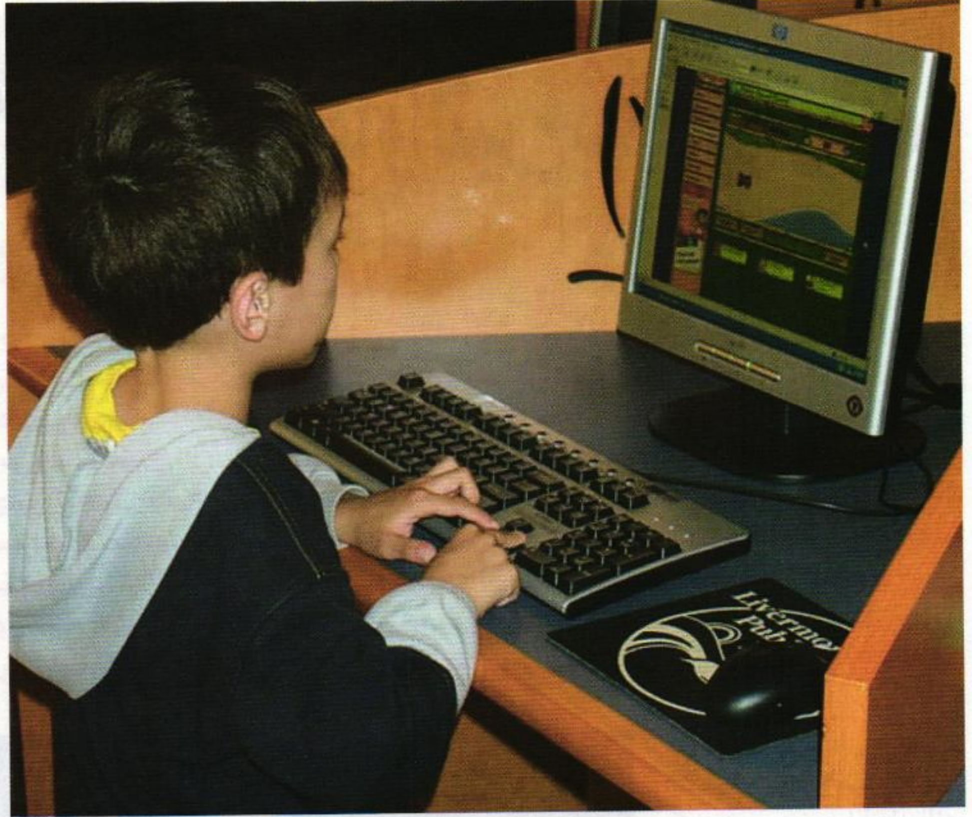
تعريف الموهبة

لا يوجد اتفاق بين الباحثين والمختصين على فهوم الموهبة والموهوبين، وإنما توجد العديد من المفاهيم والتعريفات التي نمت وتطورت مع نمو وتطور البحوث والدراسات العلمية في مجال التكوين الذهني والقياس العقلي وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتقنية خلال الأعوام المائة الأخيرة.

هل هناك علاقة بين الموهبة والوراثة؟

إن قدرات الموهوبين تعتمد بشكل أساسي على الأنماط الوراثية «الجينية» والبناء التشريحي للفرد الموهوب، بيد أن الوراثة ليست هي العامل الوحيد في إنتاج الموهوب، بل إن الظروف والعوامل البيئية تساهم أيضا بشكل كبير في تنمية تلك الموهبة وازدهارها، فالموهوب هو الفرد الذي يملك استعدادا فطريا وتصقله البيئة الملائمة، حيث يرتبط النمو العقلي والوجداني للطفل الصغير بكثير من العوامل بعضها موروث والبعض الآخر تشكله البيئة التي يعيش فيها الطفل بمن في ذلك الأسرة والأصدقاء، ثم الاهتمام بالتعليم واكتشاف الموهبة التي تحتاج إلى رعاية، وربما ولد الإنسان موهوبا، ونتيجة تعرضه لعوامل بيئية قاسية مثل الحرمان والفقر وعدم اكتشاف موهبته مبكرا وما شابه ذلك، قتلت موهبة الإنسان، وقضي عليها.

ويمكن القول: إن الموهبة هي نتاج تفاعل ديناميكي بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية، ولا يمكن إهمال دور أحدهما.



موقف الإسلام من الموهبة والموهوبين

لقد عني الإسلام أشد العناية بالموهوبين، واكتشاف مواهبهم وقدراتهم، ولم يقف عند ذلك، بل اهتم أيضا بتنمية مهارات الموهوبين وعمل على استخدامها فيما يعود على الأمة الإسلامية بالنفع، بل أفسح المجال لانطلاق تلك المواهب والقدرات الكامنة لدى أتباعه.

القرآن الكريم والموهوبون

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن أصحاب المواهب والقدرات الخاصة، ومن ذلك:

١) الثناء على صاحب الموهبة وأمر نبي الله موسى عليه السلام بأن يتعلم منه، قال تعالى ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ (الكهف:٦٥).

٢) اختيار واصطفاء أصحاب المواهب والقدرات الخاصة ليكونوا في موضع القيادة، ومن ذلك اصطفاء طالوت على سائر بني إسرائيل لعلمه وقوته، قال تعالى ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة:٢٤٧).

عناية الرسول ﷺ بأصحاب المواهب

ومن صور اكتشاف النبي ﷺ لمواهب الصحابة وقدراتهم ما يرويه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» (رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين).

وكذلك اكتشافه ﷺ لمواهب أهل اليمن، وما يمتازون به عن غيرهم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة. الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية» (رواه مسلم).

السلف الصالح والتعامل مع الموهوبين

إن الناظر في سيرة السلف الصالح يرى الكثير من النماذج التي ظهر فيها تقديرهم لأصحاب المواهب والقدرات الخاصة، وتقديمهم على غيرهم من الناس حتى وإن كانوا أسن منهم كما يقول الشاعر:

إن الحداثة لا تقصر
بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تذكي عقله
فيفوق أكبر منه سنا

وهناك نماذج في تعامل السلف الصالح مع أصحاب المواهب، ومن تلك النماذج:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون في ﴿إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ حتى ختم السورة. فقال: بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا. فقال لي يا ابن عباس أكذلك قولك؟ قلت: لا. قال فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ قال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم». (صحيح البخاري).

وهناك الكثير من النماذج سواء في القرآن الكريم أو السنة المطهرة وكذلك سيرة السلف الصالح يتضح من خلالها الاهتمام بأصحاب القدرات والمواهب الخاصة لو أردنا أن نحصيها لطال بنا المقام، بل ربما استعصى وشق ذلك علينا.

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- السنة النبوية المطهرة.
٣- فتح القدير للشوكاني.
٤- رؤية مستقبلية للتربية والتعليم في المملكة العربية السعودية.
٥- برنامج الكشف عن الموهوبين ورعايتهم- د.عبدالله النافع، وآخرون.
٦- لسان العرب.
٧- المعجم الوجيز.
٨- مهارات الموهوبين ووسائل تنمية قدراتهم الإبداعية- د.ماهر صالح.
٩- مقدمة في الموهبة والإبداع- د.يوسف قطامي.

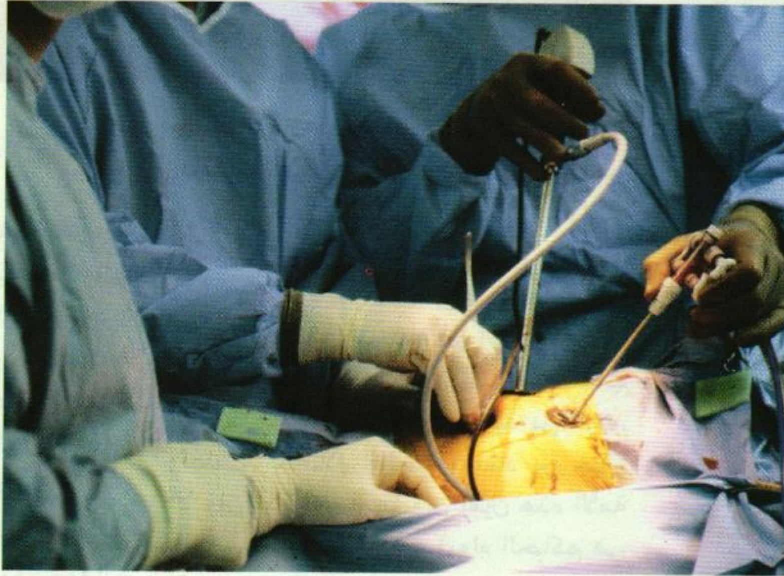
رغم إجازة مجمع البحوث الإسلامية

الخلاف حول نقل الأعضاء وزراعتها والتبرع بها لا يزال قائماً

عبدالرشيد راشد - أميرة إبراهيم

أجاز المشاركون في المؤتمر الثالث عشر لمجمع البحوث الإسلامية الذي عقد بالقاهرة تحت عنوان «نقل وزراعة الأعضاء» التبرع ونقل الأعضاء وزراعتها في جسد إنسان آخر بضوابط معينة، وذلك في حال نقل عضو لا تتوقف عليه الحياة كالقلب من إنسان إلى آخر للضرورة أو للحاجة العلاجية التي تنزل منزلة الضرورة أحيانا، لأن «الضرورات تبيح المحظورات»، و«الحاجة تنزل منزلة الضرورة»، ولأن أخلاق الإيثار والتضحية والتعاون على الخير من جملة أخلاق الإسلام ومبادئه العامة التي جاء بها للبشرية، ولأن مصلحة الحي مقدمة على مصلحة الميت.. وعلى الرغم من حسم مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف الجدل حول قضية «موت جذع المخ»، حيث أعلن المشاركون في فعاليات المؤتمر اعترافهم صراحة باعتبار «موت جذع المخ» أو ما يسمى بـ«الموت الإكلينيكي» موتا حقيقيا يجوز بعده انتزاع أعضاء الشخص الميت ونقلها لإنسان آخر مريض، فإن الجدل لم ينته حتى الآن بين الفقهاء أنفسهم، ولا حتى بين الأطباء- الذين يحاربون من عشر سنوات من أجل إصدار قانون يبيح نقل وزراعة الأعضاء من شخص فارق الحياة إلى شخص حي- حول شرعية ذلك، وحول الوقت المناسب لانتزاع أعضاء الشخص الميت لنقلها لآخر، بل إن الخلاف بين الفقهاء وصل إلى حد رفض نقل الأعضاء أساسا من شخص لآخر.

يقول د.محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف، الذي أوصى بالتبرع بكل أعضاء جسده بعد وفاته لما ينفع الناس ليذهب المرض والألم عن أي مسلم، وذلك وفق ما يراه الأطباء صالحا لغيره من المسلمين: إن عملية نقل الأعضاء من الميت للحي جائزة بشرط تحقق موته، وتمسَّك بتعريف الميت بأنه من فارق الحياة تماما، على أن يحكم بذلك الأطباء، وقال: لن نرجح موت جذع المخ إلى أن يتفق الأطباء على ذلك، ونحن عندما نتدبر آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ نراها قد كرمت ذات الإنسان التي تشمل روحه وجسده تكريما عظيما، واعتبرت جسده أمانة ائتمنه الله عليها، فلا يجوز لأحد أن يتصرف فيه بما يضره أو يرديه حتى ولو كان هذا التصرف صادرا من صاحب هذا الجسم نفسه، وقد اتفق المحققون من الفقهاء على أنه لا يجوز للإنسان أن يبيع عضوا من أعضاء جسده، أيا كان هذا العضو، وذلك لأسباب متعددة أهمها:



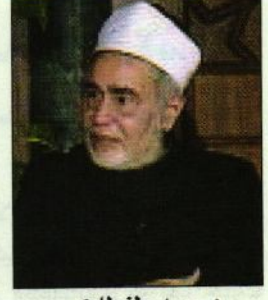
أولا: إن جسد الإنسان وما يتكون منه من أعضاء ليس محلا للبيع والشراء، وليس سلعة من السلع التي يصح فيها التبادل التجاري.

ثانيا: إن الإنسان أمين على هذا الجسد، ومأمور بأن يتصرف في هذه الأمانة بما يصلحها لا بما يفسدها، فإذا تجاوز هذه الحدود وتصرف في جسده بما يتعارض مع إصلاحه كان خائنا للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وكان تصرفه محرما وباطلا.

ثالثا: لا يقال إن من القواعد الشرعية قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، وبناء على ذلك يجوز للإنسان أن يتصرف في جسده عند الضرورة، لأننا نقول في الرد على هذا: إن التصرف عند الضرورة إنما يكون في حدود ما أحله الله، وفضلا عن ذلك فإن هذه القاعدة مقيدة بقواعد أخرى تضبطها، ومن هذه القواعد «الضرر لا يُزال بالضرر».

الحكم بالموت على المحتضر

وفيما يتعلق بموت جذع المخ، والذي بناء علي حدوثه يقرر الأطباء التدخل لانتزاع الأعضاء من الميت، يبين د.محمد رأفت عثمان- العميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون وعضو مجمع البحوث الإسلامية - أن موت «جذع المخ» اصطلاح مستجد، وكان الدافع إليه تفكير بعض العلماء في إمكان إجراء عمليات نقل الأعضاء مثل الكبد والقلب، ويقول: لما كان من الضروري لكي تنجح هذه العمليات أن يتم نقل العضو المراد زرعه من جسم شخص آخر لا يزال محتفظا بقلب ينبض ودورة دموية


د. سيد طنطاوي


د. فريد واصل


د. خالد المذكور


د. عجيل النشمي

النشمي: نقل الأعضاء حسم القول بجوازه .. لكن بشروط وضوابط

واصل: القول بـ«موت جذع المخ» التفاف حول الأحكام ويجب أن تكون الوفاة يقينية

مازالت تعمل بكفاءة، فقد وجد هؤلاء ضالتهم في الأشخاص الذين حدثت لهم الإصابات المخية التي تؤدي إلى تدهور حالة الوعي لفترات متفاوتة، مع أن القلب لا يزال حيا، والدورة الدموية ما زالت تعمل بكفاءة، وبه من مظاهر الحياة الأخرى الكثير، وقالوا: إن من حدثت له هذه الحالة فهو في غيبوبة لا رجوع فيها، أو في حالة ميئوس منها.

ويرى د.رأفت أنه لا يجوز أخذ عضو من أعضاء الشخص الذي حدثت له حالة «موت جذع المخ» لأمور متعددة منها، أولا: أن الموت الحقيقي الذي تبنى عليه الأحكام الشرعية لا يتحقق إلا بمفارقة الروح للجسد، وبهذه المفارقة تتوقف جميع أجهزة الجسد وتنتهي كل مظاهر الحياة، ولا يعتبر الإنسان ميتا إذا كانت الحياة قد توقفت فقط في بعض أجزائه.

ثانيا: أنه لا يزال من الأطباء بل من الدول من لا يعترف بأن الشخص الذي حدثت له حالة «موت جذع المخ» أصبح يعامل باعتباره ميتا، فمع أن القوانين في معظم الدول في عالمنا الآن تعتبر أن الشخص الذي مات «جذع المخ» عنده أصبح ميتا حتى لو كان قلبه مازال ينبض، فإنه لا تزال كثير من الدول لا تعده كذلك.

ثالثا: لو جاز انتزاع أعضاء من الشخص الذي مات فيه «جذع المخ»، لأنه سيموت على وجه التأكيد لجاز ذلك أيضا في حالة كل شخص ميئوس من شفائه ويتوقع الأطباء وفاته بين لحظة وأخرى، وهذا ما سمعنا أحدا ولا قرأنا لأحد قال به، ولا يجوز أن يقال هذا الكلام.

رابعا: أن حالة الشك تمنعنا من انتزاع أي عضو من أعضاء شخص لا يزال الشك موجودا في موته وحياته بعد موت «جذع المخ»، لأنه معرض لضرر من أبلغ الضرر إن لم يكن أبلغه وهو الموت بعد أخذ عضو من أعضائه مع احتمال أن حياته مازالت باقية، ومن المعلوم أن الضرر لا يجوز في الشريعة ولا في القوانين الوضعية.

خامسا: مع تسليمنا بما توصل إليه العلم الآن بموت «جذع المخ» وأن موت «جذع المخ» يؤدي إلى وفاة صاحبه، فإننا نقول أن هذا الشخص لم يمت الآن وإنما هو في سبيله إلى الموت، وهي حالة الاحتضار، ولا يجوز أن نحكم بالموت على المحتضر.

مصر الدولة الوحيدة

وعلى الجانب المؤيد لنقل الأعضاء والساعي لاستصدار قانون يجيز ذلك، يوضح د.حمدي السيد، نقيب الأطباء المصريين، أن مصر هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي تُعطَّل فيها تشريعٌ يسمح بنقل الأعضاء من الأموات إلى الأحياء حتى الآن، وأن هناك معاناة شديدة لعدد كبير من المرضى، خاصة لمرضى الكبد في مصر، ويقول: إن وجود مثل هذا التشريع سيحل مشكلة البيع التي تتم في غفلة ودون رقابة، والفيصل في قضية الوفاة يكون من خلال القيام بإجراء ما يسمى باختبار التنفس، أما استمرار النبض فهذا يحدث في تجارب كثيرة بعد موت جذع المخ ووضع الجسد على جهاز التنفس.

ويقول: إن هناك فتاوى كثيرة بشأن نقل الأعضاء والتبرع بها للمرضى، لكننا لسنا في حاجة إلى فتوى، بل لقانون يجيز نقل الأعضاء، وحقيقة إن القرار الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بشأن اعتبار موت الدماغ، المعروف بالموت الإكلينيكي، موتا حقيقيا، وبالتالي أجاز المجمع شرعا نقل الأعضاء البشرية، يعتبر قرارا تاريخيا، أزال أكبر عقبة تجاه إقرار قانون نقل الأعضاء الذي تسعى نقابة الأطباء منذ سنوات للاعتراف به، وهو خطوة كبيرة، وانتصار طبي كان ينتظره غالبية أطباء مصر، حيث إن موت جذع المخ هو موت كامل، لأن الإنسان لا يرجع بعده إلى الحياة مرة أخرى، وفي هذه الحالة يمكن نقل الأعضاء من هذا الشخص إلى آخر حي يحتاج إليها لإنقاذ حياته.

ويشير د.حمدي إلى أن أصحاب الرأي المخالف لذلك هم قلة، والعبرة إنما تكون برأي الأغلبية.

ويقول: في كل النظم العالمية توجد قوانين وضوابط لعملية نقل الأعضاء التي لا تتم بشكل عشوائي، بل بعد التأكد تماما من أن المخ توقف عن العمل، وأن الشخص الذي سيأخذ منه العضو قد فارق الحياة تماما، والقانون في هذه البلدان يشترط وجود لجنة طبية من المتخصصين الذين يقررون عملية النقل، أما نحن في مصر، كلما تقدمنا خطوة في قانون نقل الأعضاء نرجع خطوات للخلف، ويجب أن ندرك أنه إذا كان الأزهر أباح نقل الأعضاء فهناك الكثير من الفرق الدينية ترفض ذلك وتعتبره حراما.

مصلحة الحي والميت

ويوضح أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية

المذكور: احترام الإنسان والمحافظة على نفسه وأعضائه وعدم الإضرار بها أصول لا يجوز العدول عنها إلا بدليل شرعي يقتضي الاستثناء

بجامعة الكويت ورئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية د. خالد المذكور أن عملية استقطاع الأعضاء ونقلها من إنسان إلى آخر تستدعي الإجابة عن ثلاثة أسئلة، أولا: هل الإنسان يملك نفسه، أم أن نفسه ملك لله فقط؟ وعلى كلا التقديرين، هل يجوز له التصرف في نفسه فيسمح بنقل عضو منها إلى جسم آخر إذا كان ذلك لمصلحة غيره دون ضرر على المتبرع؟ ثانيا: إذا قيل يجوز إيثار الإنسان لأخيه المسلم بما تتوقف عليه حياته مثل القليل من الماء ونحو ذلك، فهل يقاس عليه جواز نقل ما تتوقف عليه حياة المريض من بدن إنسان آخر إليه مثل الكلية ونحوها بدون ضرر محقق يلحق المتبرع؟ ثالثا: إذا قيل إن إذن الإنسان بأخذ جزء من جسده لمصلحة جسده جائز شرعا، فهل يقاس على ذلك إذنه بأخذ جزء من جسده لمصلحة أخيه المسلم بدون ضرر يلحق المتبرع؟ وإجابة السؤال الأول تتبينها بما ثبت في نصوص القرآن والسنة بما هو صريح في أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا مالك سواه، يتصرف فيه كيف يشاء ويحكم فيه بما يريد، يقول تعالى ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السموات والأرض﴾ (الزمر: ٦٢-٦٣) ويقول تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ (آل عمران: ٢٦) وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

ويضيف د. المذكور: ويعتبر احترام الإنسان والمحافظة على نفسه وأعضائه وعدم الإضرار بها أصلا لا يجوز العدول عنه إلا بدليل شرعي يقتضي الاستثناء منه والخروج عنه، ولم يرد نص شرعي من قول أو فعل أو تقرير يبيح نقل عضو من إنسان إلى غيره، أو يعطي الحق لإنسان بنقل ذلك منه إلى غيره في حال اختيار أو اضطرار، وغاية ما يرجع إليه في معرفة حكم نقل الأعضاء مقاصد الشريعة العامة وقواعدها الكلية والقياس على النظائر، والقاعدة الكلية الشرعية في نقل الأعضاء من إنسان إلى آخر تقول «إذا تعارضت مصلحتان قدمت أقواهما تحقيقا لزيادة المنفعة، وإذا تعارضت مفسدتان ارتكبت أخفهما تفاديا لأشدهما».

وتطبيقا لهذه القاعدة فإن مصلحة كل من الحي السليم والميت قد تعارضت مع مصلحة إنقاذ من أصيب في عضو من أعضائه، وقد حث الشرع على تخليص النفوس من الأمراض وعلى التداوي مما أصابها، ولاشك أن في هذا مصلحة للمصاب أولا، وجبر لنقصه ومصلحة للأمة ثانيا، وسيرا مع ما قضت به سنة الله شرعا وقدرا، وإذا تعارضت مصلحتان نظر أيتهما أرجح ليبنى الحكم عليها منعا أو إباحة، ويكفي في ترجيح المصلحة غلبة الظن بما توصل إليه الطب، أما بالنسبة لأخذ عضو من ميت كالعين والكلية لزرعه في جسم حي إبقاء على حياته أو رغبة في نفعه وانتفاع الأمة به فقد يكون واجبا إذا رجي نجاح عملية زرعه في الحي ولم تخش فتنة ولا حدوث خطر من جانب أهل الميت، إيثارا لحق الحي على الميت وإبقاء لحياة شخص أو تحقيقا لمنفعة عضو، وهذه المصلحة أرجح من مصلحة المحافظة على حرمة الميت.

القيود المقصودة

أما الأستاذ بكلية الشريعة ورئيس رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي د. عجيل النشمي فيرى أنه لابد أن نعرف في البداية أن المقصود بزرع أو غرس الأعضاء نقل عضو سليم أو مجموعة من الأنسجة من متبرع سليم إلى آخر مريض يحتاج إلى هذا العضو حاجة ضرورية ليقوم مقام العضو المريض أو التالف، وأكثر هذه الأنواع شيوعا نقل الدم، ثم نقل الجلد. ويكمل د. النشمي: وانتشر في العالم اليوم نقل الكلى وأنشئت مستشفيات ومراكز في معظم بلدان العالم، كذلك انتشر نقل القرنية، وانتشر بأقل من ذلك نقل الكبد والرئتين والبنكرياس، وكذلك نقل العظام، وهناك موضوع غرس الأعضاء التناسلية والغدد التناسلية، وكذلك غرس الأجنة المجمدة، ولعل آخر مستجدات نقل الأعضاء هو تنمية الأجنة في المختبرات واستخدام أنسجتها للنقل والغرس في مختلف الأمراض، وهذا الموضوع من حيث الأصل لا محظور فيه مادام لا يترتب على المنقول منه ضرر كبير ويستفيد منه الطرف الآخر، ويستأنس له بما حدث لقتادة بن النعمان رضي الله عنه الذي فقد عينه في معركة أحد، وفي رواية في معركة بدر، ثم أعادها النبي ﷺ فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما بصرا، وما جاء من حديث عرفجة الذي رواه الترمذي وصححه ابن حبان «أنه قطعت أنفه فاتخذ أنفا من فضة، فأنتن عليه، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذه من ذهب». والفقه الإسلامي زاخر بالكلام على هذا الموضوع، ومنه قول الإمام النووي في منهاج الطالبين «ولو وصل عظمه بنجس لفَقْد الطاهر فمعذور، وإلا وجب نزعه».

ويضيف د. النشمي: كما اتفق الفقهاء على جواز اتخاذ سن أو أنملة أو أنف من ذهب، إن اقتضت الضرورة أن يكون ذهبا، وعلى خلاف فيما بينهم في جواز اتخاذه من الذهب إن قامت الفضة أو نحوها مقامه، فأجاز الشافعية والمالكية الذهب مطلقا، ومنعه الحنفية عند عدم الضرورة. أما الأطراف، كاليد والرجل، فقد ذهب الحنفية والشافعية، في المعتمد عندهم، إلى عدم جواز اتخاذها من ذهب أو فضة، نظرا إلى أنها لن تكون أعضاء عاملة، بل لمجرد الزينة فلا ضرورة في تركيبها إذن، ولا ضرورة في ارتكاب المحظور. كما اتفقوا على أن وصل الجسد بعظم من حيوان طاهر، للتداوي به، أو للاستعاضة به عن عضو أو عظم فقده صاحبه جائز،

وإن وصل بعظم نجس مع وجود الطاهر، أو بدون ضرورة تدعو إلى ذلك، فهو غير جائز، ويجب نزعه عند الجمهور في هذه الحالة، إلا إن خيف من هلاك أو عطب. ويكمل: وقد تضافرت الفتاوى التي أجازت نقل الأعضاء من كبار العلماء المعاصرين ومن المجامع الفقهية، وقد جاء في فتوى لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية رقم ٣٢/ ٧٩ بتاريخ ٥ صفر ١٤٠٠هـ - ١٢/٢٤/ ١٩٧٩م جواز نقل الأعضاء من المتبرع الحي بشرط ألا يفضي العضو المنقول إلى موت المتبرع كالقلب والرئتين مثلا، أو فيه تعطيل له عن واجب كاليدين أو الرجلين معا، أما نقل إحدى الكليتين أو العينين أو إحدى الأسنان أو بعض الدم فهو جائز بشرط الحصول على إذن المنقول منه.

ومن كل ما سبق يتبين أن قضية نقل الأعضاء قد حسم القول فيها بالجواز بقيود مقصودها حفظ النفوس ورفع الضرر عن المريض وعدم تضرر من ينقل منه العضو ضررا بليغا، وأن الإنسان لا يملك جسده حتى يتبرع منه بما شاء. وتبقى بعض المسائل الخلافية التي لي رأي فيها، من مثل القضايا الآتية، أولا: أخذ العضو من الشخص مجهول الهوية بأن يتوفى في بلد غير بلده أو في بلده ولم يتعرف عليه أحد، فهذا في تقديرنا لا يجوز أخذ عضو منه احتراما لآدميته، فلا تنتهك حرمته لمجرد أنه غير معروف الهوية، ولا يترك أمره لولي الأمر فإنه لا ولاية له على أجساد العباد بل هي ملك لمالكها.

ثانيا: من حكم عليه بالإعدام، نرى عدم جواز أخذ عضو من أعضائه لمجرد صدور حكم عليه، فإهدار دمه لا يعني إهدار كرامته، لعموم قوله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الإسراء: ٧٠) فاللفظ عام يشمل المسلم وغير المسلم، الرجل والمرأة والصغير والكبير والعاقل والمجنون، من سلبت إرادته بالحكم عليه بالإعدام أو لم تسلب.

ثالثا: من مات ولم يوص بالتبرع بعضو أو أكثر لا يحق لورثته أن يتبرعوا بأعضائه لأنه تصرف فيما لا يملكون، ولا لولي الأمر.

رابعا: أن من لم يجد من يتبرع له من أهله أو من غير أهله فعليه وجوبا أن يشتري كلية من باذل لها بشرط دفع المال لأن في ذلك إنقاذ نفسه، وحفظ النفس من الضرورات، ومن باع يتحمل تبعة تصرفه شرعا، آخذين في الاعتبار أن نقل الكلية لن يتم إلا تحت إشراف الأطباء بحيث لا يتضرر من تؤخذ منه تضررا كبيرا.

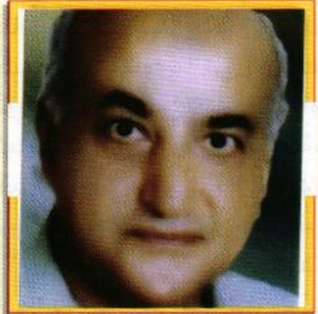
الضرورة

ومن جانبه يبين رئيس قسم الشريعة بكلية الشريعة جامعة الكويت ورئيس تحرير مجلة الفرقان والكاتب الصحفي د.بسام الشطي بعض الأمور قبل الدخول في التفاصيل ويبدأها بقوله: لابد أن نفرق بين الآتي في حكم زراعة الأعضاء ونقلها، إذا كانت من إنسان إلى إنسان آخر، أو من ميت إلى إنسان حي، أو من حيوان إلى إنسان، أو من عضو مصنوع من البلاستيك إلى إنسان، فيقول: لقد تقدم الطب بشكل واضح وكله في خدمة البشر ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ٥) ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ (يوسف: ٧٦) وأصبح من الضرورات إحياء الإنسان كما قال تعالى ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (المائدة: ٣٢) وقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، وقاعدة «الحاجة تنزل منزلة الضرورة»، فهناك قسم كبير من العلماء يرون عدم جواز نقل الأعضاء من جسم إلى آخر، واستدلوا لذلك بأن الإنسان لا يملك جسده حيا أو ميتا حتى يهبه ويعطيه للآخرين، فكيف يعطي ويتبرع بما لا يملكه؟! وقال بعضهم: فيه تشويه لجسد الإنسان وتقطيع أعضائه، أو برر بعضهم أنه قد يحدث عند نقله تعطل إحدى الكليتين مثلا فيحتاج المتبرع إلى كليته التي تبرع بها، والثانية قد لا تصلح لمن تبرع بها إليه ويرفضها جسده، ونكون قد تسببنا في هلاكه، وقال بعضهم: سدا للذرائع حيث هناك طوابير ينتظرون من يشتري منهم حتى يستطيعون القضاء على ديونهم أو يتغلبوا على متطلبات الحياة، ويضيف: وكم من إنسان نقل إليه عضو من إنسان آخر وبعد فترة لفظه ولم يقبله، ناهيك أنه يستخدم الأدوية التي تضعفه وتؤدي به إلى التهلكة ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة:١٩٥) و«لا ضرر ولا ضرار» (حسنه الألباني) و«درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» وأيضا هذا فيه إلحاق أذى بمن تبرع، وحرم الله سبحانه وتعالى الإيذاء قائلا ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ (الأحزاب:٥٨) وبعض أهل العلم يرى أن هذا تمثيل بالميت، ولقد جاء النهي المحرم بهذا العمل لحديث «لا تمثلوا» (صحيح مسلم)، وبعضهم قال: هذا يمس كرامة الإنسان حيا أو ميتا ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الإسراء: ٧٠)، وبعضهم حرم نقل الأعضاء حتى عن الميت لحديث «كسر عظم الميت ككسره حيا» في الإثم.

وأما الذين أجازوا نقل الأعضاء فكانت إجازتهم بأدلة الضرورات ورجوح المصلحة الراجحة، والمشاركة لإحياء النفس بعد رحمة الله تبارك وتعالى، وهذا علم يستفاد منه ومن بابه ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ (يوسف: ٧٦) وردوا على القائلين بالتمثيل بأن المحرم بعد وفاة الشخص أما في حياته فلا يعتبر تمثيلا بجثة الميت لاسيما إذا تمت مراعاة القواعد الطبية. والذي أراه أنه جائز بشروط منها: عدم الشراء، وأن يتم بموافقة الشخص السليم المتبرع كتطوع واحتساب للأجر عند الله عز وجل، واتخاذ الإجراءات الكفيلة للاطمئنان على صحته وصحة من تبرع له، واذا كان من متبرع فعلى سبيل الإحسان أو الوفاء بالمعروف دون تحديد مبلغ معين «ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه» (الترغيب والترهيب)، ولابد من إخضاعهما لفحوصات دقيقة حتى يحصل النفع ويكون ذلك كله في اطار محدود مثل زراعة الكلى وقرنية العين من الميت والأمور التي لا تنقل الصفات الوراثية.

ويحرم نقل عضو تتوقف عليه الحياة كالقلب، ونقل القرنية من الحي، وأما الأعضاء البلاستيكية أو القطع الصناعية فلا حرج فيها إذا كان ذلك نافعا للإنسان، ولا أعرف عالما تردد في ذلك، أما بالنسبة للحيوان فحسب المقاصد الشرعية، بحيث لا يحدث تشويه في

محمد طلعت حرب.. ماذا تعني معركته ضد السفور؟


علاء الدين وحيد

لقد انتفضت غضبة الشعب المصري على مستعمريه وظالميه، التي لم تعد تحتمل، ووصلت إلى مداها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في ثورة شعبية حقيقية، وليست انقلابا عسكريا، يتنكر تحت قناع ثورية مزعومة، وهي ثورة سنة ١٩١٩م.

ولم تكن الثورة، كما يظن كثيرون، تقتصر على المجال السياسي وحده، بل انعكست روحها، على كل تنفس مصري في مختلف الميادين، وخلقت زعماءها في كل موقع، وبلورت في الناحية الاقتصادية شخصية محمد طلعت حرب الوطني الذي استطاع، وسط حياة اقتصادية مكتظة بالماليين والتجار الأجانب الذين يسيطرون عليها تماما، إنشاء أول بنك مصري وطني، لحما ودما، بأموال مصرية صميمة، وكان هذا انتصارا عظيما للإرادة المصرية الوطنية، ضد الاستعمار والاجانب والقيم البالية والجمود جميعا.

كان وراء الزعامة الاقتصادية لطلعت حرب فكر متكامل، يستطيع أن يعبر عن نفسه بالقلم، ساعد على ذلك أن طلعت حرب كان بجانب تملكه لبيان عربي قوي، يجيد الانجليزية والفرنسية ويقرأ بهما، ويخطب بالأخيرة.

وهذا يعني ان الزعيم الاقتصادي العربي الأول، في العصر الحديث، كان يحمل رؤية شاملة، لكل ما تعج به الحياة المصرية، تتميز بطابع تقدمي مجدد، وهكذا جاءت مشاركته في كثير من القضايا التي مرت بمصر.

هذا الرجل المثقف، الذي كان يستشهد في كتاباته وخطبه بأدباء عرب ومصريين وأجانب، كان منفتحا في تكوينه الفكري والسلوكي لا يعرف الانغلاق، ولذا كان صديقا شخصيا لحملة الأقلام ورجال التربية، العرب والأجانب، ومن الآخرين، رجال «الجامعة الأميركية» بالقاهرة، يدعى ليخطب في حفلات خريجيها السنوية، ولا تكون خطبه مجرد كلمات تقليدية، بل هي أشبه بالدراسة السريعة العميقة، التي تتناول أدق الأشياء في الفكر والثقافة والتعليم وغيرها، وكان طلعت حرب من أوائل المفكرين العرب الذين درسوا عقليات الأمم الغربية.

هذه السطور مقدمة ضرورية لأكثر من فريق، الأول، يظن أن طلعت حرب لم يكن إلا رجلا غير مثقف، لا يفهم إلا في الاقتصاد، والثاني، بسبب عقد النقص، يقلل من شأن روادنا الأصلاء، ويجعلهم أدنى دائما من نظرائهم الأجانب، والفريق الثالث، لباعث سياسي غبي او ساذج، يريد أن نستمر في تجاهل زعماء ثورة سنة ١٩١٩، الثورة الحقيقية الأم، في مصر والبلدان العربية، أما الفريق الرابع، فيكره من طلعت حرب اتجاهه الإسلامي المعروف، فيريد ان يشوه الرجل حيا وميتا، واتجاه خامس، هو توكيد تفتح زعيمنا الاقتصادي، الذي يعمل المتفرنجون ودعاة التغريب والملحدون، لدعوته إلى الحجاب، ومضادته لدعوة قاسم أمين للسفور، على اتهامه بالرجعية والجمود والرجوع بنا إلى عهد الجاهلية!

الدين والعقل بريئان من هذا الحجاب .. والأسباب معروفة

كانت المعركة بين الحجاب والسفور على أشدها منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بعد أن أصدر قاسم أمين كتابه المعروف «تحرير المرأة» سنة ١٨٩٩، كان المصري أو العربي قد بدأ يقظته بعد أن وصل مد الضعف ببلاده إلى أقصى درجاته، وأدرك أنه إما أن يحيا بالفعل أو يموت بالفعل، لأن حالة الـ«بين بين» لا يمكن أن تستمر إلى الأبد، فهي ضد طبائع الأشياء من جهة، وفي نفس الوقت، تعمل على المزيد من تحطيم نفسية الشعب من جهة أخرى.

ومن الطبيعي في هذا المناخ، أن يكون إصلاح حال المرأة واحدا من أهم القضايا التي تستحق الاهتمام.

ولما كان السفور هو المطلب الأول لدى المنادين بحقوق المرأة المظلومة، فقد تداعوا لما تلقى حواء من معاناة قاسية، وبالغ البعض وتجاوز منطقة المسموح به إسلاميا، من الوجه والكفين. مع أن آخرين كثيرين دقوا ناقوس الخطر لما يجره ذلك من اندفاع وأخطار تصيب المجتمع في الصميم، وجوبهت دعوة السفور بعداء شديد وهجوم مضاد وحملات قاسية من المؤمنين بالحجاب الداعين إليه، واختلطت في الدفاع عنه الأقلام العالمة الناضجة والجاهلة والمتزمتة، ومن الصنف الأول زعيم مصر الاقتصادي محمد طلعت حرب.

ولما كان التاريخ يعيد نفسه، فإن معركة السفور والحجاب تعيد نفسها هي الأخرى هذه الأيام، بعد مرور حوالي مائة سنة على المرة الأولى، ومعركة اليوم تبدو أكثر ضراوة، لأنها من وجهة نظر الكثيرين تدين تجربة طويلة، بينما يرى آخرون أن التجربة ناجحة، وأن السفور سفور الوجه لا العري والابتذال والإثارة، مكن للقضية وجعل القاعدة العريضة لا تخرج عما أمر به الدين.

كان طلعت حرب شديد الحفاظ على الأخلاق، وعلى الصالح من تقاليد الشعب،

التي تؤصل هذه الأخلاق، يهمه في المقام الأول، الإبقاء على القيم العريقة، التي هي بمنزلة طوق إنقاذ، تعيد للجماهير قوتها وعافيتها، وتشد أزرها في الملمات، ولذلك حارب كل ما من شأنه المساس بهذه القيم والتقاليد، وتشجيع الأمة على مخالفة تعاليم الإسلام، والوقوع في هوة الانحلال أو ما يسميه الابتذال.

ويتخذ طلعت حرب من القرية المصرية المثال الشعبي المعيش، المتسم بالإسلامية، للحفاظ على الشرف، بمعناه العام والخاص، أي الكرامة والعرض.

وعدم السفور ليس مجرد مظهر، بل يتقدمه عناصر أخرى أساسية، وهكذا تتصل قضية الحجاب، في رأى طلعت حرب، بعدة مبادئ تشكل قواعد إسلامية لا يمكن التخفف من تبعاتها، أولها مبدأ العفة، والعفة ليست كما يظن البعض جانبا واحدا يقتصر على الجنس، بل هو أبعد من ذلك وأشمل في حياة المرء، لأنه يستوعب الانسان المسلم كله في طهارة فكره وموقفه على السواء، فالعفة كما يقول اقتصادينا: عصمة معنوية، وهي أساس روابط الجمعية البشرية.

ويرى مفكرنا في الحياء روح العفة، خاصة أن الإسلام يؤكد كثيرا على الحياء، فمن أقوال الرسول الكريم ﷺ: «إن لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء» «إن الله يحب الحليم ويبغض الفاجر البذيء» «إن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء» «الحياء حسن ولكنه من النساء أحسن».

ولا يفوت مفكرنا أن يفرق بين نوعين من الحجاب يخلط الكثير بينهما، الأول هو الحقيقي، أو كما يطلق عليه البعض «الشرعي»، الذي يغطي ما أمر الله أن يستر، صونا للجسد وحفاظا على مكارم الأخلاق، والثاني هو الحجاب «الموضة»، الذي تلجأ إليه بعض بنات حواء، لا ليخفين مواطن الاثارة في أجسادهن، بل ليبرزنها أكثر!

ويفضح طلعت حرب هذه اللعبة، ويكشف الخلط المقصود، مستنكرا ان يكون الحجاب المشوه أو الموضة، هو الذي يضرب به المثل وينادي به، ويعقب بغضب: إن الدين والحياء والعقل ومكارم الأخلاق والأدب، كل ذلك بريء من هذا الحجاب ومن هذا الابتذال ومن هذه الحال!

ولاشك أن التدهور الذي أصاب العالم المصري والعربي في الصميم، بعد أن أضاع الاستعمار الأوروبي استقلاله قرونا، وشل كل نواحي حياته، بجانب احتذاء أسوأ ما يظهر في الغرب، جرف في سبيل مجتمعه الكثير من القيم الإسلامية التي كانت تعصمه فيما سبق من السقوط، يقول طلعت حرب: ما أسرع سريان الفساد في شرايين العباد.. أصبح كتاب الله بين أيدينا وما من عامل به! أصبح الحق ينادينا بأننا قد خنا أنفسنا وأهلينا وبلادنا وما من سامع!



كما يقول في موضع آخر: أصبحنا لا همّ لنا إلا أن نفتخر بتقليد الفرنج تقليدا أعمى في كل ما فيه ضررنا ويا ليتنا كنا نقلدهم في فضيلة تفيد وخصلة حميدة تنفع، فصرنا لا نتقدم خطوة إلى المدنية الغربية ولا تترقى حاجياتنا إلا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل.

كان طلعت حرب كثير الإشارة إلى ان لكل أمة ظروفها وتقاليدها، وأن نجاح تجربة ما في بلد ما، لا يلزم نجاحها في بلد آخر، لاختلاف التربة والمناخ والناس أيضا، وكذلك الأمر فيما يصدر إلينا الغرب من أفكار وقيم.

إن طلعت حرب لم يكن زعيما اقتصاديا فحسب، بل كان أيضا في الحقيقة مصلحا اجتماعيا من الطراز الأول، يريد أن يطبق ما أمكن، بلا افتعال أو رفع لافتات، القيم الإسلامية، وكان في تناوله للقضية يريد الإصلاح الحقيقي، لا مجرد الدفاع عن رأي يؤمن به، أو دحض لحجج الخصوم، ولذا فهو يلتمس أغوار الأشياء معالجا إياها بواقعية شديدة، ولا غرابة إذن أن يكتب عن الغيرة التي يساعد الاختلاط على بعثها، ويقع فريستها، كل من الرجل والمرأة على السواء!

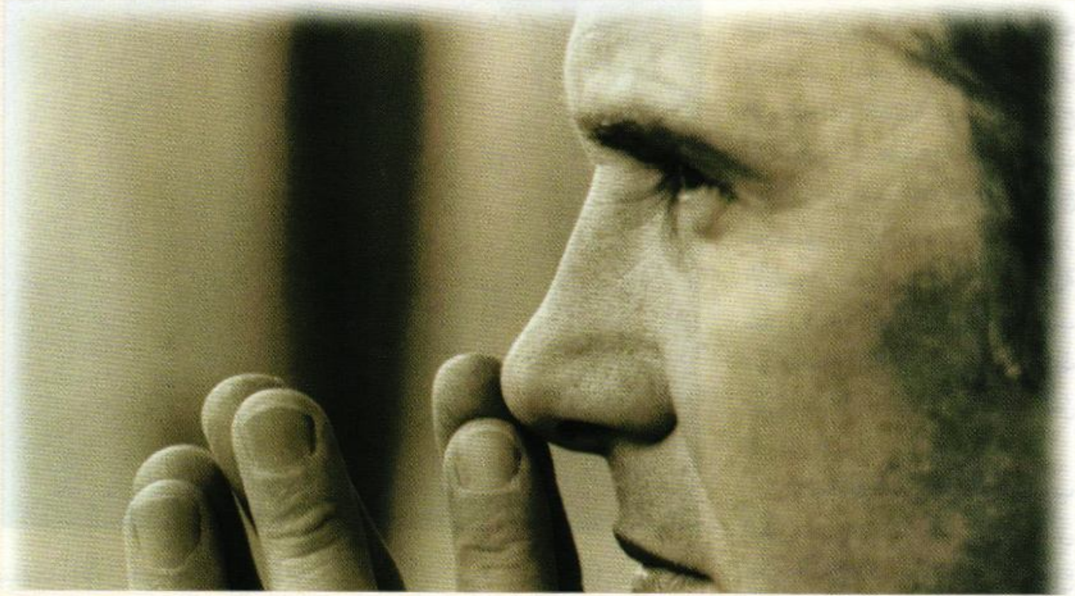
شوه خصوم طلعت حرب الكثير من مضامين دعوته إلى عدم الاختلاط، ولما كان الصراع بين المبادئ أو الرجال في بلادنا العربية يصطبغ دائما بالعداء الذي يدفع إليه عدم الموضوعية، فإن المحصلة هي تشويه المبادئ والرجال!

وهذا ما حدث لدعوة طلعت حرب إلى الحجاب، ففي خلال الشد والجذب، والمغالاة في الخصومة، والدفاع المتعصب عن الذات، ومع مرور السنين، ضاع الكثير من مواقف طلعت حرب، ووصلت الأجيال التالية على غير حقيقتها.

ويكفي أن نذكر أن الرجل العظيم لم يكن ضد الاختلاط على طول الخط، فهو يقول أكثر من مرة بصريح العبارة: «إن اشتراك النساء مع الرجال للضرورة لم تحظره الشريعة الغراء»، وهذا ما يتخذ الإنسان العاقل، وإن كان مفكرنا يشترط لهذا الاختلاط: عدم الابتذال والحجاب.

الإسلام وحرية الإبداع

محمد فتحي النادي



بما أن العقل هو مصدر الإبداع، فقد كرم الإسلام العقل، ودعاه إلى الانطلاق في هذا الكون الفسيح، متحررا من أي قيد يقيده. وقد جعل الإسلام العقل هو مناط التكليف، وعليه تقوم الأهلية، ومن فقد العقل سقط عنه التكليف.

ولقد مُيز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى بالعقل، فمن استعمله فيما هو له فقد استحق التكريم، ومن عمل غير ذلك سقط من درجة الإنسانية، وتدنى إلى درجة الحيوانية، ولم يستحق التكريم من الله عز وجل. ولكن العقل في الإسلام له حدوده التي لا يتخطاها، حيث إنه لو خرج عن تلك الحدود لسقط في مهاو من الجهل والخرافات لا يعلم حدودها إلا الله تعالى.

والعقل محتاج لمن ينير له الطريق، ويكشف له عن معالمه، فكان من عون الله أن جعل الشريعة هي الحاكمة على العقل، توضح له ما غاب عنه، وتقنن له عملية التفكير، ومتى يجوز، ومتى يحرم... إلى غير ذلك من الأمور.

والإسلام قد أطلق للعقل العنان في التفكير في هذا الكون من حيث التأمل في نظامه، واكتناه أسراره، والبحث في علله وأسبابه، وكذلك التأمل في عالم النفس وسبر أغوارها.

والقرآن في كثير من آياته يحث على التأمل والتعقل والتدبر في ملكوت السموات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(آل عمران: ١٩٠).

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾(فصلت: ٥٣).

وإذا عدنا لسالف الكلام عن حدود العقل، نجد أنه قد حُرّم عليه مجال معلوم محدود، ألا وهو مجال المغيبات، حيث لا دخل للعقل بهذا العالم، فالعقل له عالم يتجول فيه كيف يشاء، ألا وهو عالم الشهادة، أما عالم الغيب فلا علم له به إلا عن طريق ما جاء به الخبر الصادق، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾ (الإسراء: ٣٦).

وذلك مثل الحديث عن الله وصفاته وأفعاله، والحديث عن الجنة والنار وما يحدث فيهما من نعيم أو عذاب، وكذلك يوم القيامة وما فيه من أخبار... إلخ.

فالعقل غير مطالب بالتفكير في هذه الأمور، لأنها مغيبة عنه، ولم تقع تحت حسه، وإقحام العقل في هذه الأمور ضرب من الهزء بالعقل وقدراته، وفتح لباب من الجهل والأوهام.

وليس معنى أن العقل يبحث فيما هو بين يديه، أن ينكر ما لا مجال له فيه، لأنه غير واقع تحت حسه، فهذا غير صحيح، لأن العقل ليس مقياس الوجود والعدم، فعدم العلم ليس علما بالعدم، ولكنه يكون في مقام المتلقي لهذه الأمور.

وبذلك يسير العقل والشرع معا، وينصهران في بوتقة واحدة، فيعرف كل واحد منهما ما له وما عليه، وهذا هو المنهج الإسلامي الرشيد.

والإسلام باحترامه للعقل وتقديره له يحارب الجهل والخرافة، فهما آفة العقول، حيث يُغيّب العقل ويُسلب منه أعز ما يملك وهو النظر والتفكير، لذا جاء المنهج الإسلامي هادما للخرافة والوهم والتقليد، ومنبها العقل للتأمل والتفكير، «فتسقط كل ضروب الأساطير وأنواع الخرافات مهما اختلفت في مظاهرها وصورها، وتعددت أشكالها، ثم لا يسمح لها بعد ذلك أن تحيا في المجتمع الإسلامي الذي يحرر العقل ويحترمه، ويدعو إلى البحث الدقيق، ويحث على التفكير العميق، ويدفع إلى تقصي الحقائق، ويصون الكيان الفكري من آفات الجهل والخرافات،

والوهم والانحراف»(١).

ولقد بلغ الإسلام في الدعوة إلى حرية التفكير حدا ينعى فيه على الإيمان التقليدي، الإيمان الذي يقوم على تقليد الآباء والأجداد، لأن مثل هذا الإيمان لا يقف أمام الأعاصير، ولا يستطيع أن يكون إيجابيا، والشيء الوحيد الذي منع الإسلام التفكير فيه هو التأمل في ذات الله، وذلك لأن ذات الله لا تحيط بها عقول الإنسان القاصرة، وأي توجيه للطاقة الفكرية نحو هذا الموضوع يعتبر مضيعة للطاقات الإنسانية في غير جدوى، وللعقل في آثار الله تعالى في الكون ما يغنيه عن التفكير في ذاته تعالى»(٢).

وهذا الكلام السابق كان لابد منه لمعرفة حدود العقل ومجالاته، ومتى يكون حرًا؟ ومتى يتقيد في تفكيره؟

والإسلام على ما سبق لم يحرم العقل من عملية الإبداع، ولكنه الإبداع المقنن، وليس الإبداع المطلق الذي يصول ويجول في كل مكان بلا ضابط.

وكنتيجة للتغريب، ومحاولة طمس هويتنا الإسلامية ظهر جيل من مدعي العلم يحمل شعارات مثل: حرية الإبداع والخلق وغيرها، وكأنها الستار الذي يتوارى به هؤلاء القوم، ليهدموا من خلالها ما يستطيعون هدمه من التقاليد والقيم والأعراف التي حافظت عليها الشعوب، واعتبرتها جزءا منها، ومن تكوينها الثقافي.

وقد عرّف بعض المتغربين حرية الإبداع بقوله: «إنها القدرة على اقتحام المحرمات الثلاث: الدين والسياسة والجنس، فهي المجال الحيوي الذي يتحرك فيه الإبداع.

ومعنى هذا أن حرية الفنان في الإبداع هي التي تتيح له تجاوز الضوابط والحدود والمحرمات وإهانة المقدسات، والاستهانة برموز الإسلام، وتخريب الأخلاق، وهي التي أدخلت في بيوت المسلمين كل معاني الفحش والرذيلة بدعوة الضرورة الفنية وحل مشاكل المجتمع»(٣).

نماذج من حرية الاجتهاد (الطعن في الدين) القمني نموذجا

لم تكن فرية حرية الإبداع من المنظور العلماني وقفا فقط على الأدب، ولكنها طالت المجال العلمي الذي يعتمد على التحليل والاستنباط والتركيب، ولكن كان لها اسم جديد ألا وهو حرية الاجتهاد، وكأن هؤلاء هم القوَمة على الدين، الذين يريدون إفهام الدين الصحيح -من وجهة نظرهم- للناس، والدفع بهم نحو التقدم والحضارة.

١- الإسلام عامل تخلف المسلمين: بعد البحث العميق اكتشف القمني أن حجر العثرة نحو التقدم يكمن في الإسلام ذاته، وليس في أفعال المسلمين، فيقول: «الإسلام بحالته الراهنة، وبما يحمله من قواعد فقهية بل واعتقادية، هو عامل تخلف عظيم، بل إنه القاطرة التي تحملها إلى الخروج ليس من التاريخ فقط، بل ربما من الوجود ذاته».

٢- النبي ﷺ حقق حلم بني هاشم: يرى القمني أن النبي ﷺ لم يكن مرسلا بشريعة سماوية بقدر ما كان ينفذ حلم التمكين لبني هاشم من السيادة على العرب، وخصوصا حلم جده عبد المطلب، الذي تربى في يثرب حيث التاريخ الديني يتواتر في مقدسات اليهود، فقد أتى من يثرب إلى مكة بالمشروع اليهودي لتحقيق أهداف حزبه الهاشمي الذي يهدف لتحقيق وحدة سياسية بين عرب الجزيرة تكون عاصمتها مكة، وقائدها نبي من البيت الهاشمي كداود عليه السلام الذي أسس دولة بني إسرائيل، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى قامت بالفعل في جزيرة العرب دولة واحدة قوية جمعت كل القبائل العربية تحت كيان سياسي واحد، واستطاعت أن تطوي بين جناحيها وفي زمن قياسي ممالك الروم والعجم بعد أن أعلن حفيد عبد المطلب بن هاشم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أنه النبي المنتظر(٤).

٣- الجهاد فولكلور في الديانات السابقة للإسلام: يرى القمني أن الجهاد حرب دائمة بتبرير إلهي، حيث تصبح معه جريمة العدوان على الآمنين ليست بجريمة، لأن من أمر بها هو الله، بدعوى التمكين لدين الله في الأرض.. وسمي الجهاد بعملية قتل جماعي، وهي تسير على نهج مجازر يشوع، وحروب داود، ولكنه يرى فرقا هنا أن ما جاء بالعهد القديم وغيره من كتب الأديان الأخرى، قد أصبح قديما وانتهى بنهاية زمنه، وأصبح مجرد فولكلور للمؤمن به، بينما هو في الإسلام حيّ قائم فاعل مستمر حتى اليوم.

٤- ليس الطعن في الإسلام وحده: العلمانية تعادي الأديان كلها، فهي تحاول جاهدة نبذ الأديان، أو جعلها تابعة لها، وحصرها في دائرة لا تتعداها، فلا عجب عندئذ إن وجدنا القمني يسيء للمسيحية في كتابه «الأسطورة والتراث»، حيث قال بالحرف الواحد: «مريم كانت منذورا للبغاء المقدس، والعهر مع الآلهة، فبين الآلهة والجنس علاقة وطيدة لا يمكن أن تنجب بدون رجل».

هذا كله غيض من فيض، وإلا فالنصوص كثيرة، والهوى طاغ، والتدليس على أشده، ونفرغ من هذا الموضوع الشائك بأن نقول: إن الإسلام أباح حرية التفكير فيما للعقل فيه مجال، أما أ ن يخوض في غمار لجج ليس له حظ أو نصيب فيها هو ضرب من التعته أو التحذلق غير المفيد، بل والضار في ذات الوقت.

وليست الحرية والإبداع أن تحطم جميع العقائد والأعراف والموروثات، أو أن تهزأ بالأديان، أو تحقر من تعاليمها.

وليست حرية الإبداع أن تمزق برقع الحياء، وتأخذ في التلاعب بالأعراض، واستخدام الجنس بطريقه فجة مخزية.

فنعم للإبداع .. لا للابتداع.
نعم للاجتهاد العلمي الصحيح.. لا للتخبط والتهويم.
نعم للرأي الحر السليم لمناصرة الحق .. لا للرأي الهادم للحقائق.

الخبر الصادق هو المصدر الأوحد لمعرفة الغيبيات والعقل ليس مقياس الوجود والعدم

الهوامش

(١) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٦١٢ بتصرف.
(٢) عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية، ص ٤٦.
(٣) أنور الجندي، أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب، ص ٤٠٢.
(٤) انظر كتابه: الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية.

موقف الفقه من أعمال السمسرة



د.عبدالفتاح إدريس

السمسرة: لفظة فارسية على معان عدة، منها: القيم بالأمر، والحافظ له، وتطلق في باب البيوع علي من يتوسط بين البائع والمشتري لإتمام البيع، والسمسار: لفظة فارسية أصلها (سيب سار)، ومعناها: المتوسط بين البائع والمشتري والساعي للواحد منهما، يعني من يعمل للغير بالأجرة بيعًا وشراء (١).

معنى السمسرة في عرف الفقهاء

معناها عند بعض الفقهاء: «اسم لمن يعمل للغير بالأجر بيعًا أو شراء»، أو هي «الطواف في الأسواق بالسلع أو المناداة عليها بالمزايدة»، وقد جاء في «نوازل البرزلي» مسميات عدة للسماسرة، منها: النخاسون، والصاحة،والدلالون،والطوافون، والوكلاء، وأطلق عليهم النووي: المتوسطون، وأطلق عليهم العز بن عبدالسلام: الجلاس، وأطلق عليهم البعلي: المنادون، وقال المجددي: هو الدلال، وذكر ابن عابدين فرقا بين السمسار والدلال، فقال: إن الدلال هو الذي يحمل السلعة إلى المشتري ويخبر بالثمن ويبيع، بخلاف السمسار فإنه تجلب إليه السلع والحيوانات ليبيعها بأجر (٢).

تكييف أعمال السمسرة

ورد لفظ السمسرة في السنة النبوية في حديث النهي عن بيع الحضري سلعة البدوي، ذلك ما رواه طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تلقوا الركبان، ولا يبع حاضر لباد»، فقلت لابن عباس: ما قوله: «ولا يبع حاضر لباد؟ قال: لا يكون له سمسار» (٣)، وموضوع النهي كما قال الحلواني هو أن يمنع السمسار الحاضر القروي من البيع، ويقول له: لا تبع أنت، أنا أعلم بذلك، فيتوكل له ويبيع ويغالي، ولو تركه يبيع بنفسه لرخص على الناس (٤).

وأورد الفقهاد لفظ السمسرة في أبواب عدة من كتبهم، كأبواب البيع والإجارة والجعالة، والقضاء، والوقف، ونحوها، وقد اعتبر الفقهاء أعمال السمسرة اجارة على اتمام ما يتوسط السمسار لإتمامه، من بيع أو اجارة أو نحوهما، فقد جاء في رد المحتار: «اجارة السمسار والمنادي والحمامي والصكاك وما لا يقدر فيه الوقت ولا العمل تجوز، لما كان للناس به حاجة، ويطيب الأجر المأخوذ لو قدر أجر المثل» (٥)، وقال في التاترضاية: «وفي الدلال والسمسار يجب أجر المثل، وما تواضعوا عليه: أن في كل عشرة دنانير كذا فذاك حرام عليهم» وفي الحاوي سئل محمد بن سلامة عن أجرة السمسار، فقال: أرجو أنه لا بأس به وإن كان في الأصل فاسدا، لكثرة التامل، وكثيرة العلماء جوزوه لحاجة الناس إليه كدخول الحمام» (٦).

حكم السمسرة

لا خلاف بين جمهور الفقهاء على أن ما يقوم به السمسار، من التوسط بين المتعاقدين على الأمور التي يشرع التعامل فيها، أمر مشروع (٧)، روي هذا عن ابن عباس وهو قول ابن سيرين وعطاء والنخعي وأبو ثور وابن المنذر، وإليه ذهب المالكية والشافعية وغيرهم (٨).

ومما يدل على مشروعية ذلك ما يلي:

أولا: الكتاب الكريم

قال الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (المائدة: ٢).

وجه الدلالة من الآية

إن ما يقوم به السمسار من التوسط بين المتعاملين إذا كان على عمل مشروع، فإن ما يقوم به يعد منفعة مباحة، ويتحقق بها بيع أو ابتياع سلعة أو الحصول على منفعة مباحة، ومن ثم فإن ما يقوم به هو من قبيل التعاون على البر والتقوى، فيدل لمشروعيته هذه الآية وغيرها من الأدلة الدالة على مشروعية ذلك.

ثانيا: السنة النبوية المطهرة

١- روي عن قيس بن أبي غرزة الكناني قال: «كنا نبتاع الأوساق بالمدينة، ونسمي أنفسنا السماسرة، فخرج علينا رسول الله ﷺ فسمانا باسم هو أحسن من اسمنا، قال ﷺ: «يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة» (٩).

٢- روي عن قيس الجهني رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتبايع بالسوق، وكنا ندعى بالسماسرة، فقال: «يا معشر التجار إن الشيطان والإثم يحضران البيع، فشوبوا بيعكم بالصدقة» (١٠).

وجه الدلالة منهما

أفاد الحديث أن رسول الله ﷺ أقر السماسرة على ما يقومون به، وأطلق عليهم اسما غير الذي كانوا يطلقونه على أنفسهم ويطلقه الناس عليهم، فسماهم التجار، وقد بين الخطابي وجه الحسن في تسمية السمسار تاجرا، فقال: إن السمسار أعجمي، وكان أكثر من يعالج البيع والشراء فيهم عجما، فتلقوا هذا الاسم عنهم، فغيره رسول الله ﷺ إلى التجارة، التي هي من الأسماء العربية، وذلك معنى قوله: «فسمانا باسم هو أحسن منه»، وقال السرخسي في بيان وجه الحسن في هذه التسمية: «وإنما كان اسم التجار أحسن لأن ذلك يطلق في العبادات، قال الله

أستاذ الفقه في جامعة الأزهر

تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ (الصف:١٠)، وفي حديث قيس الجهني دليل على أن التاجر يندب له أن يستكثر من الصدقة، لما أشار إليه رسول الله ﷺ في قوله: «إن البيع يحضره اللغو والحلف»، ومعناه: أن السمسار قد يبالغ في وصفه السلعة التي يتوسط لبيعها، حتى إنه ليتكلم بما هو لغو، وقد يجازف في الحلف لترويج سلعته، فندب إلى الصدقة ليمحو أثر ذلك (١١)، كما قال الله تعالى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ (هود: ١١٤)، وما روي عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١٢).

ثالثا: قول الصحابي

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لابأس بأن يقول: بع هذا الثوب، فما زاد على كذا وكذا فهو لك» (١٣).

وجه الدلالة منه

يحتاج الناس إلى السمسرة كثيرًا، فكثير منهم لا يعرفون طرق المساومة في البيع والشراء، وآخرون ليس عندهم قدرة على تمحيص ما يشترون ومعرفة عيوبه، وآخرون ليس لديهم من الوقت ما يسع مباشرة البيع والشراء بأنفسهم، ومن هنا كانت السمسرة عملا نافعا، ينتفع به البائع والمشتري والسمسار، ولذا كان عملها وأخذ الأجرة عليها مشروعًا، قال البهوتي: «ويجوز أن يستأجر سمسارا ليشتري له ثيابًا ، لأنه منفعة مباحة كالبناء، فإن عين العمل دون الزمان فجعل له من كل ألف درهم شيئا معلوما صح



النبي ﷺ أقرها لكن غيّر اسمها.. فسماها باسم أحسن منه

العقد، وإن قال كلما اشتريت ثوبا فلك درهم وكانت الثياب معلومة أو مقدرة بثمن جاز، وإلا فلا للجهالة، ويجوز أن يستأجره ليبيع له ثيابا بعينها، لأنه نفع مباح تجوز النيابة فيه وهو معلوم، فجازت الإجارة عليه، كشراء الثياب ونحوه من المنافع المباحة المقصودة المعلومة» (١٤).

أجرة السمسار

اتفق القائلون بمشروعية أعمال السمسرة على أن السمسار يستحق الأجر لقاء ما قام به من عمل، سواء كان ما قام به بيعا أو شراء أو إجارة أو مناداة أو ترويجا لسلعة أو نحو ذلك، فقد قال ابن سيرين وإبراهيم النخعي: «لا بأس بأجرة السمسار إذا اشترى يدا بيد» (١٥).

قال السرخسي: «وإذا دفع الرجل إلى سمسار ألف درهم وقال: اشتر بها زطيا لي بأجر عشرة دراهم، فهذا فاسد، لأنه استأجره لعمل مجهول، فالشراء قد يتم بكلمة واحدة وقد لا يتم بعشر كلمات، ثم استأجره على عمل لا يقدر على إقامته بنفسه، فإن الشراء لا يتم ما لم يساعده البائع على البيع، وكذلك إن سمى له عدد الثياب، أو استأجره لبيع مطعم أو شراء طعام، وجعل أجره على ذلك من النقود أو غيرها، فهذا كله فاسد، وكذلك لو شرط له على كل ثوب يشتريه درهما أو على كر من حنطة يبيعه درهما فهو فاسد، لما بينا، وإن استأجره يوما إلى الليل بأجر معلوم ليبيع له أو ليشتري له فهذا جائز، لأن العقد يتناول منافعه هنا، وهو معلوم ببيان المدة، والأجير قادر على إيفاء المعقود عليه، ألا ترى أنه لو سلم إليه نفسه في جميع اليوم استوجب الأجر وإن لم يتفق له بيع أو شراء، بخلاف الأول فالمعقود عليه هناك البيع والشراء حتى لا يجب الأجر بتسليم النفس إذا لم يعمل به، ثم فيما كان من ذلك فاسدا إذا اشترى وباع فله أجر مثله، ولا يجاوز به ما سمي له لأنه استوفى المعقود عليه بحكم اجارة فاسدة، وقال أبو يوسف ومحمد: إن شاء أمره بالبيع والشراء ولم يشترط له أجرا، فيكون وكيلا معينا له ثم يعوضه من العمل مثل الأجر، وأبو حنيفة رحمه الله في هذا لا يخالفهما، فإن التعويض في هبة الأعيان مندوب إليه عند الكل، فكذلك في هبة المنافع، وقد أحسن إليه بالإعانة، وإنما جزاء الإحسان الإحسان، وإن قال: بع المتاع ولك الدرهم أو اشتر لي هذا المتاع ولك الدرهم، ففعل فله أجر مثله، ولا يجاوز به ما سمي لأنه استأجره للعمل الذي سماه بدرهم، فإن جواب الأمر بحرف الواو كجواب الشرط بحرف الفاء، ولو قال: إن نظير هذا المتاع لي فلك درهم كان استئجارا، فكذلك إذا قال: بعه ولك درهم ثم استوفى المعقود عليه بحكم إجارة فاسدة، فيلزمه أجر مثله (١٦).

وقال ابن قدامة: «ويجوز أن يستأجر سمسارا يشتري له ثيابا، ورخص فيه ابن سيرين وعطاء والنخعي، لأنها منفعة مباحة تجوز النيابة فيها، فجاز الاستئجار عليها كالبناء ويجوز على مدة معلومة مثل: أن يستأجره عشرة أيام يشتري له فيها، لأن المدة معلومة والعمل معلوم، فأشبه الخياط والقصار، فإن عين العمل دون الزمان فجعل له من كل ألف درهم شيئا معلوما صح أيضا، وإن قال: كلما اشتريت ثوبا فلك درهم أجرا، وكانت الثياب معلومة بصفة أو مقدرة بثمن جاز، وإن لم يكن كذلك فظاهر كلام أحمد أنه لا يجوز، لأن الثياب تختلف باختلاف أثمانها والأجر يختلف باختلافها، فإن اشترى

فله أجر مثله وهذا قول أبي ثور وابن المنذر، لأنه عمل عملا بعوض لم يسلم له، فكان له أجر المثل كسائر الإجارات الفاسدة، وإن استأجره ليبيع له ثيابا بعينها صح وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: لا يصح، لأن ذلك يتعذر عليه فأشبه ضراب الفحل وحمل الحجر الكبير، ولنا أنه عمل مباح تجوز النيابة فيه وهو معلوم فجاز الاستئجار عليه كشراء الثياب، ولأنه يجوز عقد الإجارة عليه مقدرا بزمن، فجاز مقدرا بالعمل، ومعناه كالخياطة، وقولهم: ممكن لا يصح، فإن الثياب لا تنفك عن راغب فيها ولذلك صحت المضاربة بها، ولا تكون إلا بالبيع والشراء، بخلاف ما قاسوا عليه، فإنه متعذر، وإن استأجره على شراء ثياب معينة احتمل ألا يصح، لأن ذلك لا يكون إلا من واحد، وقد لا يبيع فيتعذر تحصيل العمل بحكم الظاهر، بخلاف البيع، وإن استأجره في البيع لرجل بعينه فهو كما لو استأجره لشراء ثياب بعينها، ويحتمل أن يصح لأنه ممكن في الجملة، فإن حصل من ذلك شيء استحق الأجر، وإلا بطلت الإجارة (١٧).

ومقتضى ما ذكر أن أجرة السمسار تتقدر بمقدار المنفعة التي يبذلها والتي يحصلها ويفيد منها من استأجره، ولذا فقد يؤجره على عمل مدة بأجر معلوم، وقد يؤجره على عمل في مقابل نسبة معينة من قيمة ما يتوسط في بيعه أو شرائه أو إجارته أو نحو ذلك، وقد يحدد أجره بمبلغ معين عن مدة لم يعمل بها، إلا أنه يكون خلالها مستعدا للعمل وتنفيذ أوامر من استعمله، حيث جعل منافعه محتبسة لمن استأجره خلال هذه المدة، وإن لم يبذل أثناءها عملا ذا بال، وقد يستحق أجرة مقتطعة محددة عن كل عملية يقوم بها، وقد يستحق أجرة مثله عن المدة التي عمل فيها أو العمل الذي قام به، إذا كانت إجارته على ما قام به فاسدة.

تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة من قيمة ما يعقده

وقد اختلف الفقهاء في تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة من قيمة ما قام بالتوسط فيه، على مذهبين:

المذهب الأول

يرى من ذهب إليه جواز تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة مما يقوم بالتوسط أو العمل فيه، وهو قول بعض المالكية، واليه ذهب الحنابلة (١٨).

المذهب الثاني

يرى أصحابه أنه لا يجوز تحديد أجرة السمسار لنسبة معينة مما يقوم بالتوسط فيه بيعا كان أو شراء أو إجارة أو نحوها، وهو ما ذهب إليه الحنفية وجمهور المالكية وهو مذهب الشافعية (١٩).

أدلة المذهبين

استدل أصحاب المذهب الأول على جواز تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة مما يتعامل فيه، بما يلي:

أولا: السنة النبوية المطهرة

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ، عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع» (٢٠).

وجه الدلالة منه

أفاد هذا الحديث أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر على أرضها، على أن يكون لهم نسبة معينة لقاء عملهم بها، وهو شطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع، سواء كان الخارج منها كثيرا أو قليلا، فدل على جواز جعل عوض العمل في الإجارة ونحوها نسبة معينة مما يحصل من الشيء المؤجر فيه.

ثانيا: القياس

١- إنه عمل مباح تجوز النيابة فيه، وهو معلوم، فجاز الاستئجار عليه كشراء الثياب.

٢- ولأنه يجوز عقد الإجارة عليه مقدرا بزمن، فجاز مقدرا بالعمل، كالإجارة على الخياطة (٢١).

استدل أصحاب المذهب الثاني على عدم جواز تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة مما يتوسط فيه، بما يلي:

المعقول

إن المستأجر قد استأجر السمسار على عمل مجهول، فالشراء قد يتم بكلمة واحدة وقد لا يتم بعشر كلمات، والجهالة مفسدة للعقد الذي شابته، فتكون السمسرة فاسدة، ويجب للسمسار أجر مثله لما عمل (٢٢).

المناقشة والترجيح

والذي يبدو لي رجحانه من المذهبين- بعد الوقوف على أدلتهما- هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول، من جواز تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة من قيمة ما يتوسط في إتمامه، من بيع أو ابتياع أو إجارة أو نحوها، لما استدلوا به على مذهبهم، ولأن الفقهاء إنما شرطوا في الأجر في الإجارة أو الجعل في الجعالة، أن يكون معلوما علما نافيا للجهالة، بقدره وجنسه وصفته.

تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين عن كل صفقة يعقدها

اختلف الفقهاء في تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين مقطوع على كل صفقة يتوسط في إتمامها، ولهم فيه مذهبان:

المذهب الأول

يرى أصحابه جواز تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين عن كل صفقة يتوسط في إتمامها، وهو ما ذهب إليه المالكية والشافعية والحنابلة (٢٣).

المذهب الثاني:

يرى من ذهب إليه عدم جواز تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين على كل صفقة يتوسط في إتمامها، وهو ما ذهب إليه فقهاء الحنفية (٢٤).

أدلة المذهبين:

استدل أصحاب المذهب الأول على جواز تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين عن كل صفقة يتوسط في إتمامها بما يلي:

المعقول

إن السمسار قام بعمل لمثله أجرة، وتحديدها بمقدار معين من المال أو نحوه عن كل عمل يقوم به يجعلها معلومة، وما كان بهذه المنزلة جاز جعله عوضا.

استدل أصحاب المذهب الثاني على عدم جواز تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين عن كل صفقة يتوسط في إتمامها بما يلي:

المعقول

لأنه استأجره على عمل مجهول، فالشراء قد يتم بكلمة

واحدة وقد لا يتم بعشر كلمات، ثم إنه استأجره على عمل لا يقدر على إقامته بنفسه، لأنه قد يحتاج إلى من يعاونه على إتمامه، فاشتمل على جهالة، وهي مفسدة للأجرة في السمسرة، ولذا فإنه يستحق أجرة المثل لما عمل (٢٥).

المناقشة والترجيح:

والذي يبدو لي رجحانه من المذهبين- بعد الوقوف على ما استدل به لهما- هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول، من جواز تحديد أجرة السمسار بمبلغ معين مقطوع من المال عن كل صفقة يتوسط في إتمامها، لما وجهوا به مذهبهم، ولأن أجرة السمسار معتبرة بالجعل في الجعالة أو الأجرة في الإجارة، وتحديد هذه أو تلك بمبلغ معين أو شيء يكون عوضا فيهما جائز شرعا، إذا كان معلوم الجنس والقدر والصفة بما ينفي الجهالة عنه، فكذا أجرة السمسار تكون كذلك، ولا تتصور الجهالة فيها إذا قدرت بمبلغ معين: كمائة أو ألف جنيه عن كل صفقة يعقدها أو يتوسط في إتمامها، أو قدرت بعين معلومة أو نحوها، فإن ذلك كله سائغ شرعا كأجرة لما يقوم به السمسار من عمل.

شروط السمسار

الشرط الأول: أهلية التصرف

إذ إن السمسار إذا اعتبر وسيطا أو نائبا أو تاجرا، فإنه يعتبر فيه أهلية الأداء، التي بمقتضاها يبرم العقود والتصرفات على ما أذن له في التوسط لبيعه أو ابتياعه أو إجارته أو نحو ذلك، بحسبان أن هذه الأهلية معتبرة لصحة

تحديد أجرة السمسار بنسبة معينة مما يتوسط فيه جائز .. وهذه صفاته

التصرفات ممن يباشرها دون توقف على اجازة أحد، وبدون هذه الأهلية تكون عبارته ملغاة لا اعتداد بها إن كان عديم هذه الأهلية، أو يعتد بها إلى أن تجاز من صاحب المصلحة التعاقد إن كان السمسار ناقص هذه الأهلية، فأهلية الأداء الكاملة: يقصد بها صلاحية الإنسان لصدور جميع التصرفات منه على وجه يعتد به الشارع، دون أن يتوقف نفاذها على اجازة أحد، وهي تثبت لمن بلغ عاقلا رشيدا، اذا لم يحجر عليه لسبب من الأسباب المقتضية لذلك (٢٦).

الشرط الثاني: الولاية على ما يتصرف فيه

فالولاية الذاتية على المال تقوم على أن المال مملوك لمن يباشر العقد المالي، أو يباشر تصرفا واردا على هذا المال، وأما الولاية على مال الغير فإنها تقوم على أن العاقد أو المتصرف فيه ولي شرعي على مالكه أو وصي عليه أو وكيل عنه، أو قيم عليه، فإن لم تكن له ولاية مباشرة العقد أو التصرف على محلهما، كان فضوليا فيهما.

الشرط الثالث: الخبرة فيما يتصرف فيه

وإنما اعتبرت الخبرة فيه، حتى لا يضر واحدا من المتعاقدين بدعواه العلم والخبرة بما يتوسط فيه، وهو ليس كذلك، ولأن إدخاله في العلاقة بين المتعاقدين لتقديم خبرته فيما يتعاقد عليه، وقيمة أمثاله السوقية، ومدى توافره أو ندرته واشتداد الطلب عليه، ولن يكون بمقدوره إقناع عاقد بالتعاقد أو الإحجام عنه إلا إذا كان ذا خبرة بما يتم التعاقد عليه.

الشرط الرابع: الأمانة والصدق

أعتبر في السمسار أن يكون أمينا فيما يتوسط فيه بين العاقدين، فلا يكون غاشا أو مدلسا لأحدهما أو كليهما، ولذا قال رسول الله ﷺ للسماسرة: «يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة».

الشرط الخامس: التعيين

وهو أن يكون السمسار معيناً بشخصه أو بصفته للتوسط بين العاقدين، فلا يجوز اختيار أحد ثلاثة أو أربعة، للجهالة فيه.

الشرط السادس: الإسلام إن كان من وسطه مسلما

اعتبر المالكية في السمسار أن يكون مسلما، إن كان الذي وسطه في التصرف مسلما، وذلك خشية وقوعه في محرم شرعا إن كان غير مسلم، ولم يشترط سائر الفقهاء هذا الشرط فيمن يكون سمسارا، فكل من صح تصرفه في الشيء بنفسه جاز أن يفوض فيه غيره، رجلا كان أو امرأة، مسلما كان أو كافرا (٢٧).

الهوامش

١- لسان العرب ٤/٣٨٠، القاموس المحيط ٧٠٣.
٢- المبسوط ١٥/١١٥، بدائع الصنائع ٥/١٥، رد المحتار ٥/١٣٦، التراتيب الإدارية ٢/٥٧، مغني المحتاج ٢/٥٣٣.
٣- أخرجه البخاري في صحيحه، (فتح الباري ٤/١٥٤).
٤- رد المحتار ٥/٦٣١.
٥- المصدر السابق ٦/٧٤.
٦- المصدر السابق ٦/٣٦.
٧- كره حماد بن أبي سليمان أجر السمسار، إلا أن يكون معلوما، وكره سفيان الثوري السمسرة مطلقا، ولا يعلم له دليل على القول بكراهتها، (مصنف ابن أبي شيبة ٤/٤٥٤، المغني ٥/٠٦٢).
٨- البحر الرائق ٧/٠٧٢، التاج والإكليل ٦/٥٧٣، المجموع ٩/٠٩١، المغني ٥/٠٧٢.
٩- أخرجه النسائي والبيهقي في سننيهما، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (سنن النسائي ٣/٢٣١، سنن البيهقي ٥/٦٦٢، المستدرك ٢/٥).
١٠- أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي في سننهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ٣/٤١٥، سنن أبي داود ٣/٢٤٢، سنن النسائي ٧/١٤، تحفة الأحوذي ٤/٥٣٣).
١١- المبسوط ٥١/٥١١.
١٢- أخرجه الترمذي والدارمي في سننيهما، وقال الترمذي: حسن صحيح (سنن الترمذي ٤/٥٥٣، سنن الدارمي ٢/٥١٤).
١٣- أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٤٩٧.
١٤- كشاف القناع ٤/١١.
١٥- فتح الباري ٤/١٥٤.
١٦- المبسوط ٥١/٥١١ -٦١١.
١٧- المغني ٥/٠٧٢.
١٨- ابن جزي: القوانين الفقهية ٢٨٢، المغني ٥/٠٧٢.
١٩- المبسوط ١٥/١١٤، ١١٥، المدونة الكبرى ٥/٤٥٧، المجموع ٤١/٨٦١.
٢٠- أخرجه مسلم في صحيحه (شرح النووي على مسلم ٠١/٨٠٢).
٢١- المغني ٥/٠٧٢.
٢٢- المبسوط ٥١/٥١١.
٢٣- المدونة ٥/٧٥٤، المجموع ١٤/١٦٨، المغنى ٥/٢٧٠، مطالب أولي النهى ٣/٢١٦.
٢٤- المبسوط ٥١/٥١١.
٢٥- المبسوط ٥١/٥١١.
٢٦- كشف الأسرار ٤/٤١١، ابن نجيم: فتح الغفار ٣/٨٢، أ. د. عبدالفتاح إدريس: نظرية العقد في الفقه الإسلامي ٦٨.
٢٧- تبيين الحقائق ٤/٢٥٤، بدائع الصنائع ٥/١٥، نهاية المحتاج ٥/٩، الماوردي: الحاوي الكبير ٨/٧٩١، المغني ٥/٢٠٢.

المسؤولية الاجتماعية للشركات

فايز الشعلان

مما لاشك فيه أن الشركات التجارية والاقتصادية والمالية- الوطنية والدولية على حد سواء- ليست شركات خيرية، وأن هاجسها الأول هو تحقيق أكبر عائد من الربح لأصحابها، من هنا استوجب الأمر ضرورة تذكير تلك الشركات بمسؤولياتها الاجتماعية والأخلاقية، حتى لا يكون تحقيق الربح عن طريق أمور غير مقبولة أخلاقيا أو قانونيا كتشغيل الأطفال والإخلال بالمساواة في الأجور وظروف وشروط العمل والحرمان من الحقوق الأساسية للفرد، علاوة على ذلك فإن الدور الرئيسي الذي تلعبه الشركات كونها المصدر الرئيسي للثروة وتوليد فرص العمل يحتم عليها القيام بواجباتها الاجتماعية وفقا للمفاهيم الحديثة، ولم يعد تقييم شركات القطاع الخاص يعتمد على ربحيتها فحسب ولم تعد تلك الشركات تعتمد في بناء سمعتها على مراكزها المالية فقط، فقد ظهرت مفاهيم حديثة تساعد في خلق بيئة عمل قادرة على التعامل مع التطورات المتسارعة في الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية والإدارية عبر أنحاء العالم، ومن ابرز هذه المفاهيم مفهوم المسؤولية الاجتماعية للشركات والمؤسسات الذي جعل شركات القطاع الخاص غير معزولة عن المجتمع.



بدأت عبارة «المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات» تتردد على مسامعنا ونطالعها في الإعلام المطبوع كثيرا في السنوات الأخيرة، ولكن ملامح هذا المفهوم لم تتحدد بعد بشكل واضح، خاصة بالنسبة لمؤسسات المنطقة التي لم يحالفها الحظ حتى الآن لتنطلق نحو الأسواق الإقليمية والدولية، وفي أحسن الأحوال فإن معظم مبادرات المسؤولية الاجتماعية، إن لم نقل جميعها، لا تزال في حدود الإعراب عن النوايا الحسنة للمؤسسات تجاه المجتمع الذي تزاول نشاطها فيه، ومن هنا ظهر مفهوم المسؤولية الاجتماعية وإن اختُلف في تعريفه باختلاف وجهات النظر في تحديد شكل هذه المسؤولية، بين من يراها بمنزلة تذكير للشركات بمسؤولياتها وواجباتها إزاء مجتمعها، ومن يرون أن مقتضى هذه المسؤولية لا يتجاوز مبادرات اختيارية تقوم بها الشركات بإرادتها المنفردة تجاه المجتمع، وفريق ثالث يعتبرها صورة من صور الملاءمة الاجتماعية الواجبة على الشركات.

وحتى وقتنا الراهن لم يتم تعريف مفهوم المسؤولية الاجتماعية تعريفا يكتسب قوة إلزام قانونية وطنية أو دولية رغم الحاجة لذلك، ولا تزال هذه المسؤولية في جوهرها أدبية ومعنوية، أي أنها تستمد قوتها وقبولها وانتشارها من طبيعتها الطوعية الاختيارية، وقد اكتسب الدور الاجتماعي للشركات والقطاع الخاص أهمية متزايدة بعد تخلي الحكومات عن كثير من أدوارها الاقتصادية والخدمية التي وازتها بطبيعة الحال برامج اجتماعية كان ينظر إليها على أنها أمر طبيعي ومتوقع في ظل انتفاء الهدف الربحي للمؤسسات الاقتصادية التي تديرها الحكومات، وإن كانت في كثير من الأحيان تحقق إيرادات وأرباحا طائلة، ومع هذا التوجه العالمي كثر الجدل بين الخبراء والأكاديميين والباحثين من مؤيدين ومعارضين، إذ يشير البعض إلى أن المسؤولية الاجتماعية تفيد الشركة على المدى البعيد من عدة طرق لا تحسب بحساب الربح والخسارة السريع.

ويرى فريق ثان أن المسؤولية الاجتماعية لا تدخل ضمن حساب الربح والخسارة، وعليه يجب ألا تدخل ضمن المسؤوليات التجارية، فيما يعتقد البعض أن الموضوع مجرد تجميل زائف للشركة، وآخرون يرونه تخفيفا للعبء واللوم عن الحكومة التي يجب أن تقوم بهذه الأعمال والمسؤوليات، فالمسؤولية الاجتماعية هي مسؤولية الحكومة، حيث إنها تجني الضرائب والرسوم من القطاع التجاري لتقوم بهذا الدور.

أهمية المسؤولية الاجتماعية

نجاح قيام الشركات بدورها في المسؤولية الاجتماعية يعتمد أساسا على التزامها بثلاثة معايير هي: الاحترام والمسؤولية

● معد برامج في تلفزيون الكويت

تجاه العاملين وأفراد المجتمع، دعم المجتمع ومساندته، حماية البيئة سواء من حيث الالتزام بتوافق المنتج الذي تقدمه الشركة للمجتمع مع البيئة أو من حيث المبادرة بتقديم ما يخدم البيئة ويحسن من الظروف البيئية في المجتمع ومعالجة المشاكل البيئية المختلفة. ومن هذا المنطلق تبنى الاتحاد الأوروبي استراتيجية وأصدر قوانين تزاوج بين الاقتصاد والمجتمع والبيئة والتنمية المستدامة، إلى جانب تنوير العميل لكي يساعد الشركات التي تلتزم بتلك المعايير، وتبنى شعار الوردة لكي ترسخ الصورة في أذهان السكان.

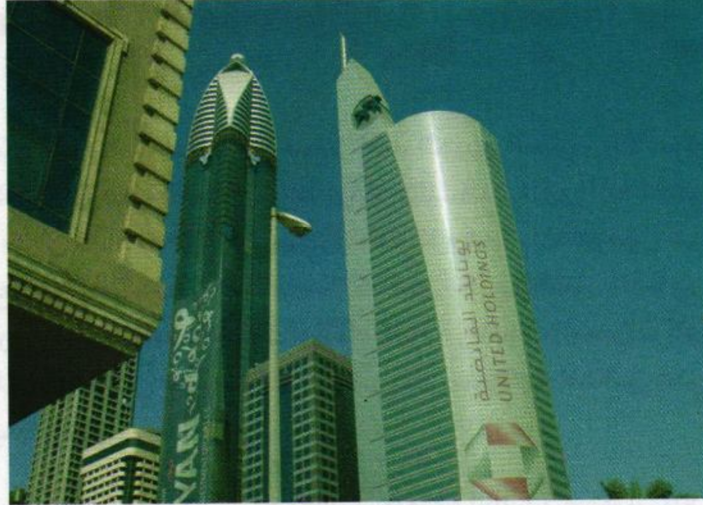
ولا نجافي الواقع إذا قلنا إن البون شاسع بيننا وبين الدول المتقدمة فيما يتعلق بممارسة الشركات الوطنية مسؤوليتها نحو المجتمع ونحو موظفيها وتبنيها كاستراتيجية تصب في خدمة الاقتصاد الوطني، فشركات وطنية كثيرة تعتمد في إنفاقها تجاه المسؤولية الاجتماعية على أريحية مديرها أو صاحبها وهي لا تعين نسبة من أرباحها لتبني المسؤولية الاجتماعية مما يجعل إسهامها فرديا وفي معظم الأحيان وفق مناسبات معينة، وبالتالي يتدنى إسهام الموظف في تفعيل عملية التنمية الوطنية الشاملة والمستدامة، ويتأخر دور الشركات والمؤسسات الوطنية عما تقوم به نظيراتها في الدول المتقدمة، ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال تشكل الجمعيات غير الربحية عاملا فاعلا في خدمة الناتج المحلي للاقتصاد الأميركي.

المسؤولية الاجتماعية في الكويت

كان المجتمع الكويتي مجتمعا تكافليا متعاونا بطبعه، وقد اكتسب هذه السمة المتميزة من علاقات العمل والإنتاج التي سادت المجتمع قبل عصر النفط، والتي كانت قائمة بالدرجة الأولى على السفر والتجارة البحرية، حيث الانقطاع عن الوطن لشهور طويلة، وترك الأسرة وأفرادها في رعاية الآخرين من الأقارب والمعارف والجيران حتى العودة، وكان هؤلاء الرجال الذين ركبوا الصعاب يشكلون- في الأغلب- حوالي ٩٥٪ من إجمالي قوة العمل الوطنية.

وقد تجلت صور ذلك التعاون والإخاء والترابط في أحداث ووقائع عديدة، لكننا نستطيع حصرها في أمرين يعتبران ركيزتين أساسيتين لانطلاقة العمل الاجتماعي الكويتي، أولهما: ما أكده الإسلام في محكم كتاب الله والسنة النبوية من مبادئ وقيم مثلى، وثانيهما: ما حمله التراث الكويتي، ومأثوراته الشعبية، ووقائعه التاريخية من عادات وتقاليد وممارسات تؤكد جميعها أن أهل الكويت يميلون- بطبعهم- نحو عمل الخير، والتنادي لمساعدة بعضهم البعض، مما يثير الإعجاب لدى دارسي العلوم الاجتماعية والإنسانية.

الاحترام والمسؤولية.. مساندة المجتمع ودعمه.. حماية البيئة.. معايير نجاح القطاع الخاص



نستطيع أن نستشف من الأحداث والوقائع التاريخية أن الكويتيين كانوا منذ النشأة الأولى للمجتمع أسرة واحدة، فقد أورد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» عددا من تلك الوقائع نذكر منها:

١- سنة الطاعون

لقد فتك هذا المرض بأهل الكويت عام ١٢٤٧هـ الموافق ١٨٣١م لدرجة أن الناس أصابهم العجز واليأس حتى من دفن موتاهم في المقابر، فأخذوا يدفنونهم في بيوتهم ولولا تضامنهم وتعاونهم في تلك المحنة لهب الجميع تاركين الوطن يواجه مصيره المجهول.

٢- سنة الطبعة

الطبعة واحدة من مفردات اللهجة الكويتية، وتعني الغرق، فقد غرق عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧١م عدد كبير من سفن الكويتيين بسبب طوفان عظيم حدث في طريق عودتهم بين الهند ومسقط، ولم يسلم من ذلك إلا القليل من السفن، وقد أصيبت بيوت كويتية عديدة في هذه المأساة، وكان عزاؤهم الوحيد هو التفاف شعب الكويت حولهم، ومدهم بما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة.

ختاما

لكي يتم تفعيل دور الشركات يجب أن تعطى تلك الشركات الحرية في إعطاء جزء من زكاتها أو ضرائبها أو الحق في توزيعها وصرفها بحسب قائمة المستفيدين المعتمدة من قبل الدولة، وهذا مطبق في العديد من الدول، فالقانون المصري على سبيل المثال بحسب المادة ٢٣ من قانون الضرائب الحالي ينص على الحق في خصم التبرعات والمنح بحد أقصى ١٠٪ من إجمالي الدخل الخاضع للضريبة.

ومن الضروري لتعميق وتأصيل مفهوم المسؤولية الاجتماعية وتحفيز قطاع الأعمال لتبني برامج منظمة في خدمة المجتمع، تبني مشروع وطني لخدمة المجتمع يقوم بتنفيذه القطاع الخاص، إضافة إلى تحديد المعايير والجمعيات والهيئات والجامعات التي ستستفيد من حق الانتفاع لتفعيل العمل في مجال خدمة المجتمع، وإعطاء كل شركة أو مؤسسة تجارية الحرية في اختيار من تدفع إليه زكاتها، لكي يتم التفاعل الاجتماعي، شريطة أن تتقيد بقائمة موافق عليها من وزارة المالية للمؤسسات والجامعات.

الخليفة هشام بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر


بهيج بهجت سكيك

في جلسة جمعتنا بالدكتور شاكر مصطفى يرحمه الله، الوزير السوري الاسبق واستاذ مادة التاريخ في جامعة دمشق ثم جامعة الكويت وكان ذلك قبل الغزو الصدامي للكويت.. كان موضوع اللقاء حول كتابيه اللذين صدرا حديثاً وهما «المظلومون في التاريخ» و«المنسيون في التاريخ» وقد قال انه بصدد اصدار كتابين آخرين هما: «اليتامى في التاريخ» و«المرضى في التاريخ» وهو يقصد بذلك اولئك القادة والملوك الذين تركوا اثرا في شعوبهم وربما في العالم كله وكان لليتم أو المرض اثر على سلوكهم انعكس على حياة ومصير كثير من الشعوب والدول.

وانا أقرأ تاريخ الدولة الاموية في الاندلس طالعت سيرة الخليفة الاموي الاندلسي هشام المؤيد بن الحكم.. وما رافق سيرته من غرائب وعجائب سواء في وصف طباعه واخلاقه وتصرفاته ونشأته ووفاته، او لما ناله من ظلم على ايدي مؤرخي عصره، وقد سطا على الحكم في عهده شخص له طموح كبير هو «محمد بن عبدالله بن عامر بن أبي عامر» فصار عهد هشام هو عهد ابن أبي عامر، بل إن هشاماً نفسه عرف بـ«هشام آل عامر» لذلك فهشام هو أشهر هؤلاء «المظلومون في التاريخ».

مولد هشام ونشأته

ولد هشام بن الحكم عام ٣٥٤ هـ في قرطبة، وكان والده الخليفة الحكم المستنصر يتطلع الى ولي عهده بعد ان تقدمت به السنون، وبعد وفاة ابنه الاول.. لذا كانت فرحته بميلاد هشام كبيرة جداً (١) نشأ هشام وترعرع كبقية أمراء بني أمية في جو قرطبة وضاحيتها الزهراء الحافلة بفنون المتعة والرفاهية وتعلق به والده الحكم لانه لم يعش له من الولد غيره (٢) وقد خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة (٣) وكان الحكم المستنصر- والد هشام - كما يصفه ابن الخطيب عالماً فقيهاً بالمذاهب، إماماً في معرفة الانساب حافظاً للتاريخ جماعاً للكتب مميزاً للرجال.

اختار الحكم لابنه هشام افضل المؤدبين من الذين كانت تزخر بهم قرطبة وسائر بلاد الاندلس ومن هؤلاء: ابو القاسم أحمد بن محمد بن يوسف المعافري، وأحمد بن نصر بن خالد الذي قرأ على هشام الموطأ وعلم الحديث، كما أدبه في النحو وعلوم اللغة العربية أبوبكر محمد بن حسن بن الزبيدي وغيرهم.

وعلى الرغم مما بذله علماء الأندلس في تأديب هشام وما أولاه والده من عنايته الفائقة في تعليمه فإنه كان بليد الحس، ضعيف الاستيعاب عديم القدرة غريب الأطوار! (٤).

محمد بن أبي عامر

هو محمد بن عبدالله بن عامر بن أبي عامر.. عربي معافري دخل جده عبدالملك مع طارق بن زياد، اقتعد ابن أبي عامر دكاناً عند باب القصر يكتب للمرافقين للسلطان، ثم كتب الى «صبح» فاستحسنته ونبهت اليه الخليفة الحكم وتقرب من صبح واستمالها بالهدايا والتحف.

بينما ابن أبي عامر يتدرج في السلطة ويترقى في المناصب بويع هشام بن الحكم ولياً للعهد سنة ٣٦٥ هـ قبيل وفاة والده الحكم بعام واحد وبذلك تعززت مكانة ابن أبي عامر، وأخذت لهشام البيعة الخاصة والعامة في قرطبة وسائر كور الاندلس وذكر في الخطب على المنابر ايام الجمع والأعياد.

هشام خليفة

توفي الخليفة الحكم في صفر سنة ٣٦٦ هـ وتولى هشام الخلافة وهو في الثانية عشرة من عمره وقد مضى على ابن أبي عامر في خدمته وخدمة والدته سبع سنوات، فلما كان سبت السادس من جلوس هشام وهو العاشر من صفر سنة ٣٦٦ هـ قلد هشام صحابته وزير أبيه الأخص «أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي» وفي هذا اليوم أعطى الخليفة هشام محمد بن أبي عامر منصب الوزارة بتوصية من أمه «صبح» بعد ان كان وكيله وصاحب الشرطة والسكة والمواريث..!!

لم يكن الطريق سهلاً أمام ابن أبي عامر، فتخلص من كل معارضيه والطامعين الذين يقفون في طريقه، بل استخدم بعضهم في قتل البعض الآخر ومنهم الوزير المصحفي وجؤذر وفائق الذين استخدمهم في قتل المغيرة عم هشام.. حتى «صبح» والدة هشام لفق لها التهم وجردها من أموالها وحجزها في أحد القصور وماتت قبل وفاته بسنتين ٣٩٠ هـ - ١٠٠٠م، ولم يبق يداً يحظر بطشها إلا شلها ولا عيناً يريبه نظرها إلا فقأها (٥).

خاض ابن أبي عامر (٥٢) حملة على القوات المسيحية التي كانت تهاجم الثغور الاسلامية.. لم يهزم في أي منها، أولها حملة قادها الى «جليقية» سنة ٣٦٦ هـ وآخرها الى قشتالة عام ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢م.

حكم ابن أبي عامر نحو ٢٧

سنة.. حجر خلالها على الخليفة هشام المؤيد وبنى لنفسه مدينة الزاهرة.. المواجهة لمدينة الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر، جد الخليفة هشام، ونقل اليها جميع دوائر الدولة ليأمن دسائس خصومه، وصلت الأندلس الى أوج عزها وتحضرها وتقدمها في عهده وتلقب بعدة ألقاب أهمها «الحاجب» و«المنصور» واعتنى بالجيش وقام بحملات كثيرة على الممالك المسيحية في الأندلس منها «ليون - قشتالة - اشتوريش - جليقية - ارجون - نبرة - قطلونية».

خلع الخليفة والميتة الأولى

قسا المؤرخون على الخليفة هشام فقد وصفه الحجاري «انه كلما زاد سناً نقص عقلاً» بقي الخليفة على هذه الحال حتى وفاة الحاجب المنصور ابن ابي عامر سنة ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢م.

وتولى امر الدولة والحجابة عبدالملك بن محمد بن أبي عامر ولقب بالمظفر وسيف الدولة (٦) توفي عبدالملك بن أبي عامر سنة ٣٩٩ هـ بالذبحة ويقال انه مات مسموماً.. وتولى الحجابة اخوه عبدالرحمن بن أبي عامر الملقب بـ «شنجول» واستمر في حجره على الخليفة هشام إلا أنه تهافت على مرضاته، وكان عهد عبدالرحمن «شنجول» بداية انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس.

قامت ثورة على عبدالرحمن تولاها «محمد بن هاشم عبدالجبار» وقتل شنجولا وحكم البلاد وخلع الخليفة هشام المؤيد بن الحكم بعد ان حكم ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصف الشهر (٧).

أخفي هشام عن أعين الناس «وفي تلك الفترة مات نصراني يشبه المؤيد الى حد كبير والبعض

هشام ظلم يوم بويع وليًا للعهد ويوم بويع بالخلافة ويوم حجر عليه ويوم مات ويوم ادعوا أنه بعث حيا وظلمت معه دولة الإسلام في الأندلس

يقول إنه يهودي فأبرزه للناس في شعبان من هذه السنة وذكر لهم أنه المؤيد هشام فلم يشكوا في موته وصلوا عليه ودفنوه في مقابر المسلمين» (٨).

الميتة الثانية لهشام

كانت سيرة ابن عبدالجبار سيئة وبدأت الفتنة في الأندلس وهزم أمام البربر الذين اساء معاملتهم فاضطر الى إظهار الخليفة هشام وأقعده حيث يراه الناس وبعث للبربر رسالة يقول فيها: إنما أنا قائم دون هشام بن الحكم ونائب عنه كالخليفة والحاجب وهو أمير المؤمنين، فرد البربر عليه: سبحان الله: يموت هشام بالأمس وتصلي عليه أنت وغيرك.. واليوم يعيش وترجع الخلافة إليه! وجعلوا يتضاحكون منه.

انتهى الأمر بقتل ابن عبدالجبار، وجزت رأسه أمام الخليفة هشام بعد ان عددت أفعاله السيئة، واعيد هشام للخلافة مرة ثانية وبدأ صراع على السلطة استعان فيه المتنافسون بالنصارى الاسبان على بعض، وارتكب الخليفة هشام حماقة كبرى، فقد عرض جميع ما في خزائن القصر من كتب وذخائر للبيع لما كانت تعانيه الخزانة من إفلاس، وبذلك اندثرت مكتبة والده وجده العظيمين وتبعثرت في شتى أرجاء الأندلس (٩).

وتمكن البربر بقيادة سليمان المستعين بالله، بعد هجمات متلاحقة من الاستيلاء على قرطبة في شوال (٤٠٣ هـ)، وتنازل هشام عن الخلافة مرة ثانية لسليمان واعتذر عما بدر منه، وادعى سليمان ان الخليفة قد فر من بين يديه، ولكن واقع الامر أن سليمان قد قام بخنقه واستعان في ذلك ببعض رجاله وذلك في الخامس من ذي القعدة سنة ٤٠٣ هـ، وكانت هذه الميتة الثانية لهشام هي الميتة الحقيقية، ولأن الأمر تم سرا فقد ظل اسم هشام المؤيد بين الناس واعتقد الكثيرون ببقائه حياً.. وأنه فر لوجهه مأذوناً له فتعيش زماناً سقاء للماء.

بداية عهد الطوائف وظهور هشام الدعيّ

زاد النزاع بين أمراء الطوائف في الأندلس وظهر منهم بني حمود الأدارسة، وفي شرق الاندلس العبيد الصقالبة من بني عامر وعلى رأسهم مجاهد العامري، وادعى علي بن حمود أن هشام المؤيد ولاه عهده والخلافة من بعده وانه كان مرتقباً لظهوره!

في سنة (٤٢٧ هـ) استغل محمد بن اسماعيل بن عباد - أمير أشبيلية - هذا الادعاء من أجل اسباغ الشرعية على حكمه في مواجهة آل حمود فانتهز وجود «حصري» يعمل مؤذناً في احد مساجد أشبيلية وزعم أنه هشام المؤيد - بعد اثنتين وعشرين سنة من ميتة هشام الثانية الحقيقية، وشهد له خصيان ونسوة!! ونودي وخطب له على المنابر وبعث ابن عباد كتباً الى ملوك الطوائف يطلب منهم البيعة لهشام وقد بايعه كثيرون منهم مجاهد العامري صاحب ثغر دانية والجزر الشرقية، وأنكر عليه كثيرون، ونودي بهذا الدعي خليفة في شرق الأندلس وقرطبة وأشبيلية ونواحيهما وسكت النقود باسمه، واستمر محمد بن إسماعيل- المعتضد بالله- على دعوته لشبيه هشام وظل اسم هشام يتردد على منابر الأندلس ويقاتل ابن عباد باسمه الى أن ثبت دعائم ملكه.

وفي سنة (٥٤١ هـ) قطع المعتضد بن عباد بموت هشام بزعمه وصارت هذه الميتة لحامل هذا الاسم الميتة الثالثة، وعساها أن تكون الصادقة! (١١).

فلكم قتل الخليفة هشام وكم مات ثم انتفض التراب عنه وعاد حيا.

قامت دول ودالت دول ويدعى له على المنابر نحو (١٠٠ عام).

لقد ظلم هشام يوم بويع ولياً للعهد، وظلم يوم بويع بالخلافة وهناك من هو أحق منه، وظلم يوم حجر عليه، وظلم يوم مات وظلم يوم ادعوا أنه بعث حياً، وظلمت معه دولة الاسلام في الأندلس.

ذاك الذي مات مرارا ودفن
فانتفض الترب ومزق الكفن

الهوامش

١- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت ص٢٤.
٢- ابن عذاري: البيان المغرب جزء ٣.
٣- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج١ ص١٧٥.
٤- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلل المغرب جزء ١ ص ٤٩٩١.
٥- ابن الخطيب: مرجع سابق.
٦- ابن القاضي: جذوة الاقتباس ص٤، ١٤٤.
٧- ابن عذاري: مرجع سابق.
٨- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج الثاني ص٩٧١.
٩- ابن الخطيب مرجع سابق ص٧١١، ص٠٢١.
١٠- ابن عذاري: مرجع سابق.
١١- ابن القطان: نظم الجمان.

الوقاية من الأمراض المُعدية



د. عبدالرحمن النمر

تتبنى أكثر بلاد العالم برامج للتحصين ضد الأمراض المُعْدية، تتمثل في إعطاء لقاحات (أو أمصال) للأطفال، وأحيانًا للبالغين، تقيهم شر الإصابة بالأمراض الفتاكة.

ما اللقاحات؟ وكيف تقي الإنسان شر الإصابة بالمرض؟ وهل هناك مضاعفات أو آثار جانبية تنشأ عن تعاطيها؟ ولماذا يثور الجدل حول بعض اللقاحات من حين إلى آخر؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه في السطور التالية.

ابتكر كلمة لقَاح أو مَصْل «Vaccine» الطبيب البريطاني إدوارد جينر (١٧٤٩- ١٨٢٣هـ) وبيان ذلك أنه لاحظ أن الناس الذين يصابون بمرض «جُدَري البقر»، لا يصابون بالمرض الأكثر خطورة منه وهو مرض «الجُدَري»، وجدري البقر، كما هو واضح من التسمية، مرض يصيب الماشية، فيؤدي إلى تكوين بثور على جسم الحيوان المصاب إلا أن الفيروس المسبب للمرض يمكن أن ينتقل إلى الإنسان أثناء تعامله مع الحيوان المصاب، إذ يكون الفيروس موجودا في السائل (الإفرازات) الذي تحتوي عليه البثور، وعلى ذلك فإن جدري البقر من الأمراض المُعْدية.

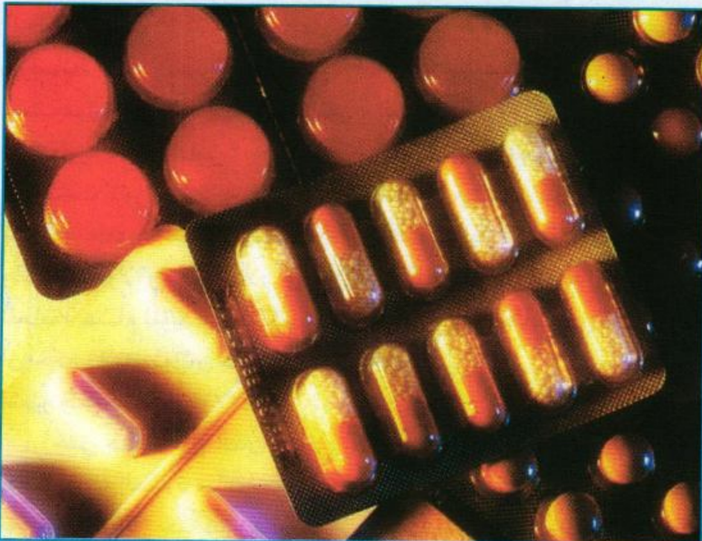
أما الجدري فإنه كذلك مرض فيروسي ولكنه يصيب الإنسان فقط، وهو مرض مُعْد بشدة، وتؤدي الإصابة بفيروس الجدري إلى شعور المصاب بإعياء وصداع شديدين مع ارتفاع درجة حرارة الجسم، ويتبع ذلك ظهور بثور على الجلد، تتهرأ (أي تنفجر) ويتخلف في مكان التئامها ندبة تبقى على مَرِّ الزمن، وبسبب الضعف العام الناجم عن المرض، غالبا ما يصاب المريض بعدوى بكتيرية تكون قاتلة في أكثر الأحيان!

أراد الطبيب البريطاني إدوارد جينر أن يتحقق من صدق ملاحظته، فطَعَّم (أو لقَّح) صبيا بسائل استخرجه من بثور أبقار مصابة بجدري البقر، وبعد أسبوعين عاد فطعم الصبي نفسه بسائل مستخرج من بثور جلد إنسان مصاب بالجدري، فلم تظهر على الصبي أعراض وعلامات مرض الجدري! وكان جينر قد أجرى تلك التجربة في عام ١٧٩٦م ثم كرر التجربة بعد نجاحها على متطوعين آخرين على مدى عامين كاملين، وفي عام ١٧٩٨م نشرت الصحافة الطبية نتائج تجارب جينر في التحصين ضد الجدري التي كانت بداية طبية لوسيلة فعالة في مكافحة المرض، وأدخل جينر كلمة «تحصين أو تطعيم أو تلقيح» إلى معجم المصطلحات الطبية.

ما اللقاح؟

عند دخول واحد من الكائنات الحية الدقيقة (الميكروبات) المسببة للمرض إلى جسم الإنسان، يتصدى جهاز المناعة في الجسم لذلك الكائن الغريب للقضاء عليه، ومن أمضى أسلحة جهاز المناعة في صراعه مع الكائنات الغريبة التي تغزو الجسم تكوين ما يسمى «الأجسام المضادة» وفضلا عن أن الأجسام المضادة تتكفل بالقضاء على الكائن الغريب بدقة وحساسية تفوق دقة وحساسية أحدث الصواريخ الموجهة التي صنعها الإنسان، فإن جهاز المناعة يحتفظ في ذاكرته بنموذج لذلك الكائن الغريب، بحيث إذا عاد ذلك الكائن نفسه إلى التطفل على الجسم مرة ثانية، تكونت في الحال مئات الآلاف من الأجسام المضادة لذلك الكائن بعينه، وفق النموذج المختزن في الذاكرة، وهذا شأن في الخلق عجيب، فسبحان المبدع العليم!

وتكوُّن أجسام مضادة لكائن حي دقيق معين نتيجة إصابة الإنسان به، يسمى «مناعة مكتسبة»، إذْ تحُول أو تمنع تلك الأجسام المضادة دون إصابة الإنسان بالكائن الحي الدقيق نفسه مرة أخرى، وبذا يكون جسم الإنسان منيعا ضد غزو ذلك الكائن بعينه. أما الصفة «مكتسبة» فتدل من ناحية على أن الإنسان اكتسب المناعة نتيجة صراع دار بين جهاز المناعة في جسمه وبين كائن حي غريب أو السم الذي يفرزه ذلك الكائن عند دخوله إلى الجسم، ومن



ناحية ثانية تفيد كلمة «مكتسبة» في تمييز هذا النوع من المناعة عن المناعة الخِلقية أو الفطرية التي يولد بها الإنسان، والتي تنجم عن مرور أجسام مضادة من الأم إلى جنينها أثناء الحمل عبر الدم.

السؤال الآن هو: هل يمكن اكتساب مناعة ضد كائن حي دقيق معين دون أن يصاب الإنسان بالمرض الذي يسببه ذلك الكائن الحي الدقيق؟ الجواب: نعم، وهذا هو مفتاح استخدام التلقيح لاكتساب مناعة دون إصابة حقيقية بالمرض المراد اكتساب مناعة ضده، إذ يمكن حث جهاز المناعة في جسم الإنسان لإنتاج أجسام مضادة لكائن حي دقيق (ميكروب) بعينه، بإدخال عدد قليل من أفراد ذلك الكائن، أو مقدار يسير من السم الذي يفرزه إلى جسم الإنسان إما بالحقن وإما بالتعاطي بالفم وإما بالامتصاص من على سطح الجلد.

أنواع اللقاح

١- لقاح يحتوي على كائن حي دقيق (ميكروب حي) ويسمى اللقاح الحي أو المصل الحي، ومن أمثلة ذلك اللقاحات التي تعطى للوقاية من الأمراض التالية:

- الحصبة
- السُّل (الدَّرَن)
- الحصبة الألمانية
- شلل الأطفال
- الأنفلونزا
- الحمى الصفراء

تعطى هذه الأمصال بطريق الحقن تحت الجلد أو في العضل، باستثناء لقاح شلل الأطفال الذي يعطى وحده عن طريق الفم.

ونلاحظ أن جهاز المناعة يمكنه التصدي لأي عدد من الكائنات الغريبة التي تدخل إلى الجسم في أي وقت من الأوقات، وتكون الأجسام المضادة المكونة ضد كائن دقيق بعينه متخصصة في القضاء على ذلك الكائن دون غيره، وهذا كذلك شأن في الخلق عجيب، فتأمل إبداع الصنعة!

٢- لقاح يحتوي على كائن دقيق ميت، ويسمى «اللقاح الميت» أو المصل الميت ومن أمثلة ذلك اللقاح الذي يعطى للوقاية من الأمراض التالية:

- الكوليرا
- التيفود
- السعال الديكي
- الأنفلونزا
- الجمرة الخبيثة
- داء الكَلَب (بفتح الكاف واللام).

٣- لقاح يحتوي على سُم ينتجه كائن حي دقيق معين، ويسمى «السُّم المُوَهَّن» أو «السم الضعيف»، ومن أمثلة ذلك ما يعطى للوقاية من الأمراض التالية:

- الدفتيريا
- التيتانوس

اللقاح جرعة من المرض حُضرت بمعايير وضوابط لاستثارة جهاز المناعة وتكوين أجسام مضادة

وتسمى المناعة الناشئة عن تعاطي أي نوع من أنواع اللقاح الثلاثة «مناعة إيجابية» Active Immunity أو «مناعة نشطة» وتدوم لسنوات طويلة، لكن في أحوال معينة يستعان بأجسام مضادة يجري تحصيلها من أجسام بشر وأحيانا حيوانات لديها مناعة ضد مرض يراد التحصن منه لاكتساب مناعة فورية ضد مرض معين، وتسمى المناعة المكتسبة في هذه الحالة «مناعة سلبية» Passive Immunity أو «مناعة غير نشطة» وتدوم لأشهر قليلة فقط.

تعاطي لقاح للوقاية من مرض معين يؤدي إلى حدوث ما يسمى «تفاعل الجسم»، وهذا التفاعل ليس إلا مظهرا للصراع الدائر بين جهاز المناعة وبين الكائن الدقيق أو سُمِّه الذي أدخل إلى الجسم في صورة لقاح، ويكون التفاعل معتدلا في أغلب الأحيان، ويتمثل في حدوث تهيج موضعي في الأنسجة حول موضع حقن اللقاح مع ارتفاع معتدل في درجة حرارة الجسم، وشعور بسيط بالتعب يستمر من يوم إلى ثلاثة أيام.

وفي أحيان قليلة يكون تفاعل الجسم شبيها بصورة المرض المراد الوقاية منه، ويحدث ذلك بوجه خاص عند تعاطي لقاح الوقاية من الحصبة، فقد يحدث مرض شبيه بمرض الحصبة لكن أقل وطأة منه، بعد حوالي أسبوع من تعاطي اللقاح، وقد يحدث موقف مشابه بعد حوالي تسعة أيام من تعاطي اللقاح المضاد للحصبة الألمانية.

أما الآثار الجانبية لتعاطي الأمصال فهي نادرة الحدوث في الجملة، ولكنها قد تكون خطيرة جدا إذا حدثت بالفعل، فقد ينشأ تلف في المخ نتيجة تعاطي اللقاح الثلاثي، إلا أن نسبة حدوث ذلك لا تتجاوز حالة واحدة بين كل ثلاثمائة ألف شخص يتعاطون اللقاح الثلاثي (اللقاح الثلاثي Triple Vaccine، لقاح يدمج الدفتيريا والتيتانوس والسعال الديكي معا)، وقد يحدث تلف في المخ كذلك نتيجة تعاطي مصل الحصبة، وتقدر نسبة الحدوث في هذه الحالة بواحد من كل سبعة وثمانين ألف شخص يتعاطون اللقاح.

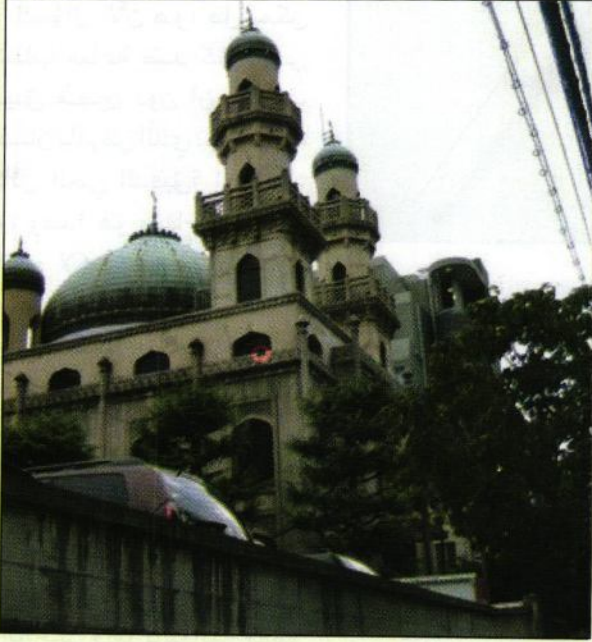
وعلى ذلك يمكن القول بثقة: إن التلقيح وسيلة ممتازة للوقاية من الأمراض المعدية، وسلاح فعال في حرب الإنسان ضد المرض.



د. أمين كيمياكي توكوماسو رئيس جمعية مسلمي اليابان:

حظر التعليم الديني ومنع الصلاة بالعمل.. أبرز تحدياتنا

همام عبدالمعبود



أكد د. أمين كيمياكي توكوماسو، رئيس جمعية مسلمي اليابان، أن المسلمين هناك لم يواجهوا أدنى قيود في المجتمع الياباني في السنوات التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وما أطلق عليه الحرب على الإرهاب، فهم يمارسون عباداتهم وأنشطتهم بحرية تامة ودون أدنى قيود.

وأضاف كيمياكي في حوار خاص لمجلة «الوعي الإسلامي»: أن غياب القيود لا ينفي معاناة مسلمي اليابان من حزمة من المشاكل، أهمها أن القانون الياباني ذو الطابع العلماني يحظر كافة أشكال التعليم الديني، وهو ما أوجد صعوبات أمام أبناء المسلمين للاطلاع على تعاليم دينهم، فضلاً عن أن نظام العمل في اليابان صارم جدًا، ولا يسمح للمسلمين بالتمتع بإجازات في أيام الجمع والأعياد، أو حتى الحصول على إذن لأداء الصلاة أثناء ساعات الدوام الرسمي.

وأشار رئيس جمعية مسلمي اليابان إلى أن العلاقات الوثيقة بين واشنطن وطوكيو لم تؤثر سلبيًا على تأييد اليابان للحقوق العربية، فما زالت اليابان تؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة، تتمتع بسيادة وحدود آمنة، وهو موقف لم يتغير منذ خمسين عامًا. ولفت كيمياكي الانتباه إلى أن جمعية مسلمي اليابان تلعب دورًا مهمًا في تعريف المجتمع الياباني بالصورة الحقيقية للإسلام، عبر مشاركتها بقوة في جولات حوار الأديان، وتنظيمها لما يطلق عليه المعسكر الإسلامي، والذي يشارك فيه مواطنون غير مسلمين، وهو ما كان له أثر إيجابي على إطلاعهم على الصورة الحقيقية للإسلام، بعيدًا عن الصورة التي كرستها وسائل الإعلام المشبوهة. وإليكم نص الحوار

■ **في البداية نرجو أن توضح لنا الطريقة التي دخل بها الإسلام اليابان؟**

- أولاً الإسلام في اليابان عمره قصير جدًا، بالمقارنة مع البوذية التي دخلت اليابان منذ أكثر من ١٥ قرنًا، والمسيحية التي اعتنقها بعض اليابانيين؛ حيث يعود تاريخ دخول الإسلام للأراضي اليابانية إلى ١٠٠ عام تقريبًا، عبر الطلاب القادمين من دول آسيا الإسلامية، من إندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش وغيرها من الدول التي وفدت إلى الجامعات اليابانية، والذين احتكوا بالمجتمع الياباني فتأثر البعض بأخلاقهم، وكان ذلك دافعًا لاعتناقهم الإسلام، وكانت هذه هي المرحلة الأولى.

أما السنوات التي شهدت إقبالاً على اعتناق الإسلام، فكانت في السنوات التالية للحرب العالمية الثانية، حيث توسعت الحكومة اليابانية في افتتاح العديد من الكليات والمعاهد المتخصصة في شؤون المنطقة العربية والإسلامية، لمعرفة طبيعة وثقافة وعقيدة هذه المنطقة، واستعانت بأكاديميين من دول إسلامية وعربية، وقد أسهم هذا الأمر في اعتناق آلاف من اليابانيين للإسلام عبر اندماجهم مع القائمين على العملية التعليمية.

ما بين ٥ إلى ٥٠ شخصا يعتنقون الإسلام شهريًا.. وننتظر المزيد

ومن المهم أن أؤكد لك أن الإقبال على اعتناق الإسلام قد تضاعف في السنوات الأخيرة، خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث أقبل اليابانيون على القراءة عن الإسلام، حتى وصل عدد المسلمين في اليابان حاليًا إلى ١٠٠ ألف مسلم، منهم ١٠٪ من أصول يابانية.

حرية ولكن.. ضعيفة جدا!

■ **عانى المسلمون من التضييق على أنشطتهم وعباداتهم في العديد من دول العالم، فهل ينسحب ذلك على اليابان أيضًا؟**

- لم يواجه المسلمون في اليابان أي تعقيدات سواء قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو بعدها، فالطابع العلماني للدولة كفل الحرية لجميع معتنقي الديانات، في مساجدهم وكنائسهم ومعابدهم، غير أن

المشكلة الوحيدة التي تواجه المسلمين في المجتمع الياباني أن قانون العمل لا يسمح لهم بأجازات في الأعياد والمناسبات الدينية، وكذلك يجد المسلمون العاملون في المصانع والشركات صعوبات في أداء الصلوات الخمس أثناء دوامهم.

هذا بالإضافة إلى أن الدستور الياباني يمنع وجود التعليم الديني بكافة أشكاله، مما يوجد صعوبات شديدة أمام أبناء المسلمين لمعرفة تعاليم دينهم.

■ **هذه المشاكل تنقلنا إلى الحديث عن وزن المسلمين في المجتمع الياباني؟**

- على المستوى السياسي، لم يستطع المسلمون في اليابان اقتحام هذا المعقل، حيث لم يصل مسلم ياباني مثلا إلى عضوية البرلمان، رغم أن الكثير من أعضاء البرلمان من غير المسلمين يهتمون بشؤون المسلمين، ويتبنون مشاكلهم، ويتفاعلون معهم في الأعياد والمناسبات الرسمية، خصوصًا في شهر رمضان الكريم.

■ **يتحدث كثيرون عن سياسة «التبعية» التي تسيطر على علاقة الولايات المتحدة باليابان؟**

- الكل يعلم أن علاقتنا بواشنطن علاقة وثيقة جدًا على المستويين السياسي والاقتصادي، وأنا لا أحب أن أطلق عليها علاقة التبعية، بل علاقة تحالف وتعاون، وترتبط هذه العلاقات برؤية رئيس الوزراء، فمثلاً كويزومي- رئيس الوزراء السابق- والحالي سينزواي، يفضلان التطابق التام بين علاقات البلدين، وهناك رؤساء وزراء لا يفضلون هذا النسق.

■ **في الوقت الذي تتحدث عن علاقات تحالف وتعاون بين واشنطن وطوكيو نجد أن هناك انحسارًا أو تراجعًا في العلاقات اليابانية مع الدول العربية والإسلامية؟**

- علاقات اليابان بالدول العربية والإسلامية قوية، فيكفي أن ٨٠٪ من استهلاك اليابان النفطي من دول المنطقة، لذا فهناك اهتمام ياباني بتطوير العلاقات مع الدول الإسلامية، ونحن مهتمون جدًا بالتوصل إلى تسوية للمشكلات التي تعاني منها المنطقة، وعلى رأسها قضيتا العراق وفلسطين، واللتان تحظيان باهتمام كبير من وزير الخارجية الياباني، الذي دعا مسؤولين فلسطينيين رفيعي المستوى لزيارة اليابان، فنحن مهتمون بهذه العلاقات، ونسعد لتطويرها بما يخدم مصالح اليابان ومصالح دول المنطقة.

الإسلام دخل إلى اليابان منذ ١٠٠ عام فقط عبر طلاب آسيا الإسلامية

نشاط ملحوظ وحوار أديان

■ **تترأسون جمعية مسلمي اليابان، نرجو أن تعطينا معلومات عن نشأتها وأهدافها؟**

- جمعية مسلمي اليابان هيئة دينية تأسست سنة ١٩٥٢م، لتكون بذلك أول جمعية إسلامية في اليابان، وقد نالت الاعتراف الرسمي عام ١٩٦٨م، ويقع مقرها الرسمي في ضاحية بويوغي في طوكيو العاصمة.

وتستهدف الجمعية في المقام الأول تقديم يد العون للمسلمين الذين يمثلون أقلية في اليابان، وتدعو إلى ممارسة شعائر الإسلام وتعاليمه السمحة، بما يتماشى مع تقاليد المجتمع الياباني، وتعريف اليابانيين بالإسلام، حتى يصير مألوفًا لديهم، وتقوية عقيدة المسلمين ورفع مستوى إلمامهم بتعاليم دينهم.

كما تستهدف الجمعية تقديم الخدمات المتبادلة، فضلاً عن دعم أواصر المحبة والصداقة مع المسلمين خارج اليابان، وفي إطار هذا الهدف قامت الجمعية بإرسال الطلاب إلى البلدان الإسلامية حتى يعودوا لليابان حاملين معهم ما تعلموه من معارف وعلوم إسلامية ودراسات دينية.

وقد نجحت هذه البعثات في دعم عمل الجمعية التي أصدرت عددًا من المطبوعات الإسلامية؛ من أهمها ترجمة معاني القرآن الكريم للغة اليابانية، وكذلك ترجمة الأجزاء الكاملة لصحيح مسلم.

■ **هل تقتصر أنشطة الجمعية على هذا الأمر؟**

- لا طبعًا، بل تقوم الجمعية في نفس الوقت بإيجاد نوع من التواصل مع وسائل الإعلام اليابانية، بناء على طلبات من المؤسسات والمعاهد التعليمية، إضافة إلى أنها تنشط كثيرًا في مجال حوار الأديان، في سبيل تقديم صورة طيبة للمسلمين داخل المجتمع الياباني.

كما أن الجمعية تدير فصولا عدة لتعليم اللغة العربية، بالمزج بين فصول الدارسين المبتدئين وفصول الدارسين المتقدمين، إضافة إلى عقد محاضرات عامة للجمهور عن موضوعات إسلامية متنوعة، وعقد حلقات لتلاوة القرآن الكريم.

ولا تكتفي الجمعية بالطابع المحلي، بل إنها تعقد ندوات بالتعاون بين المعهد العربي الإسلامي مع رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، لتوثيق الصلات مع هذه المؤسسات الإسلامية.

■ **تقدم الجمعية تجربة فريدة فيما يطلق عليه المعسكر الإسلامي، فهل تشرح لنا طبيعة هذا المعسكر؟**

- تدعم الجمعية من خلال هذا المعسكر المساعي لدمج المسلمين في المجتمع الياباني، ولإيجاد صلات وتواصل مع شباب قادمين من العالم الإسلامي، ويشارك في هذا المعسكر مواطنون يابانيون غير مسلمين.

وقد نجح هذا المعسكر الذي يستمر يومين في إثراء المناقشات عن الإسلام وتعاليمه، ويتخلله أداء الصلاة جماعة لأعضاء المعسكر من الفجر للعشاء، أما غير المسلمين ممن يهتمون بالإسلام فيمكنهم أيضًا المشاركة بهذا المعسكر الفريد، لمعايشة الحياة الإسلامية مع المسلمين اليابانيين.

ويعقد هذا المعسكر الذي يشارك فيه ١٠٠ شخص من ثمانية بلاد في نهاية أكتوبر من كل عام، متضمنًا إرشادات عن كيفية تلاوة القرآن الكريم وأداء الصلاة، كما تعرض شرائط فيديو عن الإسلام، وتجرى مسابقات عن المعلومات الإسلامية، ويختتم المعسكر بإقامة حفل شواء على الطريقة العربية يلقى عادة اهتمام المشاركين ويجلب عليهم الفرح والسرور.

■ **بشكل عام كيف تنظر إلى مستقبل الإسلام في اليابان؟**

- مستقبل الإسلام في اليابان يبشر بالخير، حيث تقدر بعض الإحصائيات أن هناك ما بين خمسة إلى خمسين شخصًا يعتنقون الإسلام شهريا، وهذا عدد ليس قليلاً في دولة كاليابان، ونحن من جانبنا نستقبل يوميًا عددًا كبيرًا من اليابانيين الراغبين في التعرف على الإسلام.

الشيخ أحمد الفارسي.. واعظ الكويت الأول

(١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م)

هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن محمود زين الدين القلعة، الفارسي مولدا، والكويتي موطنا، والشافعي مذهبا، والقرشي نسبا.

ولد الشيخ في سنة ١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م في مدينة خنّج من مدن البر الفارسي التي تقع في الجنوب الشرقي من بلاد فارس.

ولهذا لقب بالفارسي منذ قدومه مع والده إلى الكويت من بلاد فارس سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) جريا على عادة أهل الكويت أن من يأتي من «بر فارس» يلقب بالفارسي.

مصادر علمه الشرعي

نشأ الشيخ أحمد في أسرة غالب أفرادها علماء، أو لهم صلة بالعلم الشرعي: أئمة مساجد، ومعلمون، فجده الشيخ أحمد بن حسن زين القلعة، قد درس على يديه عدد من علماء مدينة لنجة، ووالده من طلاب العلم، وإمام مسجد «ابن نومان» في الكويت، وإخوانه أيضا علماء، فأخوه الشيخ عبدالرحمن يعتبر من علماء الآلة والفقه، وكذلك أخوه الشيخ عقيل طالب علم وإمام من أئمة مساجد الكويت.

هذا وقد قطع الشيخ المراحل في طلب العلم الشرعي، فأولى هذه المراحل مرحلة «الكتّاب»، حيث تلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، ولما بلغ شيئا من العمل قرأ كتاب الله كله وحفظه، وبهذا بلغ الدرجة في هذه المرحلة، ولا ننسى أن والده الشيخ محمد كان معلمه الأول في هذه المرحلة.

وفي الكويت واصل الشيخ تعلمه على يد والده.

ثم رحل الشيخ في طلب العلم، وبهذا تبدأ المرحلة الثانية من مراحل طلبه العلم الشرعي، ويمكننا أن نطلق على هذه المرحلة مرحلة «الرحلة في طلب العلم»، فكانت أولى رحلاته إلى مدينة كوهج في بر فارس، حيث كانت هذه المدينة آنذاك مركزا من مراكز العلم الشرعي في بر فارس، ففيها المدارس الشرعية متوافرة، يدرس فيها علماء في المذهب الشافعي، والحنفي، ومن أهم مدارسها مدرسة الشيخ عبدالله الكوهجي، إذ كان نشطا في التدريس صاحب دأب وجلادة.

تلقى مبادئ التعليم الأولى في الكتّاب ووالده كان معلمه الأول

وأخيرا رحل الشيخ إلى مدينة العلم والعلماء إلى مصر، إلى الأزهر الشريف، ونال بها الشهادة العالية كما يذكر الاستاذ أحمد البشر الرومي، وبعد مضي سبع سنين عاد إلى الكويت.

مكانته العلمية

يعتبر الشيخ أحمد من مشايخ الكويت القلائل الذين يمكن أن نطلق عليهم لفظ «عالم» بما تحمله هذه الكلمة من معنى.

فالشيخ أحمد جدّ واجتهد في طلب العلم، ورحل وتغرب في سبيله، وطلبه من مظانه في فارس والإحساء ومسقط، ونال في نهاية المطاف الشهادة العالية من الأزهر الشريف، وكفاه ذلك فخرا، ولقد أشاد بعلمه وفضله أهل الفضل والمعرفة.

فقد أثنى على علمه وفضله الشيخ يوسف بن عيسى في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» بقوله: «كان آية في الذكاء والحفظ، فصيح اللسان لا يتطرق إلى لسانه اللحن، حسن الصوت، متوغلا في علم الأدب، يحفظ الكثير من الشعر».

أعماله

أولا: دروسه الوعظية

لقد كان الشيخ واعظا من الدرجة الأولى، فكان إذا وعظ ملك قلوب سامعيه الذين يكتظ بهم المسجد، لشدة حرصهم على سماع وعظه، فإن الكويت لم تعهد في تاريخها واعظا من أهلها مثله.

ثانيا: الإمامة

أمَّ الشيخ في مسجد الخليفة زمنا، ثم ترك الإمامة لأسباب لم يفصح التاريخ عنها.

ثالثا: نشره للعلم

كانت له مجالس لتدريس العلم وتدارسه، على قلتها، نذكر منها:

مجلسه في ديوان حمود الجراح- الواقع في براحة البودي- فكان يدرس في هذا المجلس علوم اللغة العربية.

ومنها مجلسه في ديوان ملا حسين التركيت- الواقع في محلة الشرق في كل يوم جمعة عصرا من كل أسبوع، وكان يحضره طلاب العلم الشرعي وشيوخهم أمثال الشيخ عبدالله الخلف،

يوسف بن عيسى عنه: آية في الذكاء والحفظ ... فصيح اللسان .. حسن الصوت .. لا يعرف اللحن

وسيد يعقوب سيد عبدالوهاب، والحاج سليمان الحداد، والشيخ يوسف بن حمود، والشيخ البصير محمد بن جنيدل والشيخ عبدالله بن خالد العدساني، والشيخ عبدالعزيز حمادة، والشيخ مساعد العازمي، والشيخ عطية الأثري، والشيخ أحمد الفارس، والوجيه بشر بن يوسف الرومي، وكان لا يحضر مجلسهم أحد من الناس لعلمهم أن عصر ذلك اليوم مخصص لهؤلاء الرجال.

وتخرج في هذا المجالس تلاميذه من أمثال: الشيخ عبدالله السالم الصباح، والوجيه حمد المناعي، والشيخ محمد جنيدل، والشيخ عبدالعزيز حمادة، والشيخ عطية الأثري، والشيخ عبدالله خالد، والشيخ يوسف حمود، والشيخ مساعد العازمي وغيرهم، ولم يدخر الشيخ جهدا في نشر العلم، ولو عن طريق الوعظ والإرشاد، وإلا لما كان عالم الكويت الأول، ولما شهد له بذلك الطلاب والعلماء المعاصرون له، وقد كانت للشيخ مجالس علم - كما أسلفنا- وتأثر به الشيخ سالم المبارك وابنه عبدالله السالم، وغيرهما من أهل الكويت واستفتي في أمور شرعية فأجاب فيها.

أخلاقه وسلوكه

امتاز الشيخ بالمستوى الإيماني الرفيع على نمط السلف الصالح من الانقطاع لله تعالى عبادة وتبتلا وبعدا عن الدنيا وزخرفها، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وإرشادا لعباد الله تعالى بما ينفعهم.

وفاته

توفي الشيخ – يرحمه الله– الفاضل في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ الموافق ٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٣م، ودفن بالمقبرة القبلية بالكويت الواقعة خلف نايف.

وكانت وصيته الوحيدة أن يصلي على جنازته السيد عمر عاصم الأزميري رحمهما الله جميعا.



مسجد الخليفة



الإصلاح العقلي والأخلاقي



د. محمود مسعود ◆

لا يمكن أن تكون هناك نهضة علمية أو تقنية إلا إذا وجدت نهضة فكرية تسبقها أو تسير معها جنبا إلى جنب، لهذا تتطلع الأمم والشعوب للإصلاح الفكري الذي تنشد من خلاله التقدم والتطور العلمي، أملا أن يمنحها هذا التقدم العلمي والحضاري سعادة تعود على أفرادها، وأمنا يسود شعوبها، وتسود به الأمم الأخرى.. وكانت أوروبا في عصر النهضة تحلم بهذا، ثم طورت هذا الحلم إلى عمل بقيامها بثورات حية ومثمرة في جميع أطرها الحياتية، الثقافية والفكرية والعلمية، لكنها وجدت أن هذه الثورات وحدها لا تكفي، خاصة أن تلك الثورات صُبغت بأفكار عامة الشعب، مما أدى إلى انحدار بعض مفاهيمها نحو الغوغائية والعشوائية والمادية، وإلى عدم وجود قيم راسخة تساعد في استمرار نجاحاتها واستثمار فوائدها، وبعث الروح المتجددة فيها، فنشأت من هنا الدعوة للإصلاح العقلي والأخلاقي ليتمكن رجال الفكر من قيادة دفة الأمة وتوجيهها نحو الخير والرقي الدائم، وهذا هو عماد دعوة الإصلاحيين الغربيين منذ عصر النهضة، ومن هؤلاء الفيلسوف والأديب الفرنسي ارنست رينان الذي عاش في القرن التاسع عشر، وقد كتبنا في العدد ٥٢٨ (قبل الماضي) من مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء مقالا عن كتابه «مستقبل العلم» وعرفنا بالمؤلف، أما كتابه الذي نقدمه اليوم فهو «الإصلاح العقلي والأخلاقي»، الذي نشر كمقالات في الصحف، ثم ككتاب مستقل فيما بعد، وكان غرض المؤلف منه أن يدفع أوروبا عامة وفرنسا خاصة نحو فهم متطلبات العصر بعقل ووعي كبيرين، بعيدا عن الجري وراء أحلام العامة من الشعب التي غالبا ما تصب في الهراء والبعد عن الجادة، كما كان يرى هذا الفيلسوف.

في تقديمنا لهذا الكتاب سوف نسرد قضاياه الرئيسية ونحاول أن نعلق عليها بما يفيد أمتنا في انطلاقة نهضتها الجديدة، خاصة أن بعض تلك القضايا مازالت قيد البحث والدراسة في منتدياتنا الفكرية وبحوثنا الأكاديمية كأمة آخذة في النهوض وتبحث عن وسائل له، فهل الثورة على النظم الحاكمة مفتاح سحري مضمون لذلك؟ أم من الأفضل التعاون المثمر مع السلطات القائمة بغية الوصول لأهداف الأمة دون تجزيء موقفها وتقسيم إرادتها بين السعي للإصلاح ومقاومة الحكام؟ ثم هل الإصلاح هدف في حد ذاته، أم هو مجرد وسيلة لرقي الأمم والشعوب؟ وما هو الإصلاح الذي كان ينشده الغربيون قبل نهضتهم وحينها؟ وماذا أنجزوا منه؟ وهل ننشد نحن كمسلمين طرق الإصلاح الغربية ذاتها؟ أم تكون لنا خصوصياتنا مع حسن الإفادة من الآخر؟ تلك هي أهدافنا من تقديم هذا الكتاب والتعليق عليه.

والكتاب يدور في قسمين هما المشكلة والعلاج، والمشكلة يقسمها إلى أربعة فصول، والعلاج يجعله في خمسة، أما المشكلة فهي الأزمات التي تواجه أوروبا بصفة عامة وفرنسا- بلد المؤلف- بصفة خاصة، والتي جعلت فرنسا بعيدة عن استكمال أدوات الإصلاح العقلي والأخلاقي وهذه المشكلات هي: أولا: أخطاء الثورة حينما حاولت القضاء على التراث السياسي وعلى طبقة النبلاء، فالبلد الذي يريد أن يلعب دورا مهما لا يمكن أن يحصر نفسه في رغبات الطبقة البرجوازية (العمال)، لأن كل هم وانشغال تلك الطبقة ينصب على الاستمتاع بالملذات المادية المكتسبة دون النظر لدورها في إصلاح الأمم والشعوب الأخرى، أي دون أن تكون لها رسالة تحملها للآخرين، والمؤلف يمدح النظام الإنجليزي بصفة خاصة لكونه لم ينقطع بعد ثورته الكبرى عن تراثه السياسي، حيث ظلت انجلترا بعد ثورتها ذات علاقة قوية بالملكية والنبلاء والمجتمع والدين والجامعة الذين كانوا فاعلين فيما قبل الثورة، ومع ذلك فالحرية فيها أفضل والوطنية عندها أعظم من جارتها فرنسا، وذلك لأن النبلاء غالبا ما يكونون متعلمين تعليما حسنا ومدركين قيمة الوطن أفضل من عامة الشعب.

ثانيا: الانتخاب العام الحر، أي الانتخاب الديموقراطي وما جره من مشكلات، فهو الذي جعل العامة يسيطرون على مجريات الأمور، فاختفت ملامح التطلع لسيادة أمتهم على الأمم، وأصبح همهم المصلحة الخاصة القريبة، لأن هؤلاء الفلاحين والعمال لا يفهمون المصالح العليا للبلاد، إنما يفهمون مصالحهم الذاتية، ومن هنا اختفى الشعور بعظمة الوطن لتحل محلها المصلحة الخاصة للأفراد، وهذا أدى بدوره إلى اختفاء روح الجندية،

◆ أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

وتلك الروح هي التي تمنح الأمم القوة والمنعة والعزة، ولما اختفت روح الجندية لم يعد الالتحاق بالقوات المسلحة شرفا كما كان في السابق، وتسابق الناس في المتع المادية الآنية، وغدت هموم الأمة الفرنسية هي المشكلات الاجتماعية وجمع المال وتطوير الصناعة وبعض الفنون والآداب، وغابت روح الجندية وأهملت الوطنية.

ثالثا: إن الأمة الأوروبية أخذت تفقد التقاليد الأخلاقية بعد الثورات الكبرى، فقد تفشى في أرجائها الفساد الأخلاقي والإداري وانعدام الضمير بصورة كبيرة، وأصبح الأحرار الجدد لا يحبون أن يتدخل القانون الإلهي في السياسة، كما لا يحب مفكرو عصر التنوير أن يكون الغيب من عناصر الدين، ولم يعد القانون العقلي هو المسيطر، بل غدت شهوات البرجوازيين من طعام وشراب ونكاح أهم من حب الوطنية والتضحية من أجلها، والمؤلف يريد أن يقتصر الانتخاب على طبقة النبلاء والعسكريين، لأنهم هم الذين يقدمون مجد الوطن فوق كل اعتبار.

رابعا: ظهور الأنانية المادية عند الطبقة البرجوازية التي تغلبت على الحكم، وغياب الإصلاح العقلي والأخلاقي، لأن الأنانية هي أصل الاشتراكية، فكل فرد له أن يشترك في ثروة البلاد وليس في إظهار مجدها وعزها، كما أن الغيرة هي أصل الديموقراطية.

أما العلاج، الذي جاء في خمسة فصول، فكل فصل فيه يعالج خللا يراه، فقد حاول الكاتب في البداية إذكاء روح الوطنية، وذلك بالمحافظة على الأسر الحاكمة وطبقة النبلاء، لكونهم لن يفرطوا في الوطن بسهولة، كما أن صدور الخيانة منهم أبعد من صدورها من العوام، حيث إن هؤلاء النبلاء هم المنتفعون منذ زمن طويل بثروات البلاد، فأجدر بهم أن يحافظوا على عزهم بعز بلادهم، ثم يجب على فرنسا كأمة أن تقوم بدورها، وتسعى لاتحادها مع جيرانها لتتوحد أوروبا كلها في فيدرالية واحدة، ولهذا يجب عليها أن تعتزم العودة إلى سالف عهدها في جمع شمل أخواتها الأوروبيات، وظل المؤلف يحمل على الديموقراطية طوال هذا الفصل قائلا: يجب أن تتخلى فرنسا عن الديموقراطية التي أضعفتها عسكريا وسياسيا وأخلاقيا، ثم أخذ يدعو لإحياء التراث العقلي لسالف الأمة وعدم هجره والنفور منه، واستخدام العقل في إعادة قراءته، وعدم التسرع في تركه، لأن من خلاله يمكنها أن تُحيي الجانب الروحي بالنظر إلى تاريخها، أما الانتخاب الذي يقترحه الكاتب فهو انتخاب الصفوة ليمثلوا الأمة، وليس الانتخاب الديموقراطي العام، حيث إن هذا الانتخاب يختار أفضل العناصر المثقفة القادرة على فهم متطلبات الوطنية، لكونها مشغولة بعظمة الوطن وصون كرامته وليست منغمسة في مصالحها الأنانية الضيقة كالعوام من الشعب، ثم أخذ يحث الأمة على بعث الكفاح العقلي وحرية التفكير فمن خلالهما يمكن إصلاح المؤسسات والمعاهد العلمية والدينية وبناء المعاهد والجامعات في جميع أنحاء البلاد لبعث حرية الضمير وحرية العقيدة وحرية الفكر.. حرية قائمة على العلم وليست قائمة على ديموقراطية العوام.

بقي أن نقف وقفة نقدية مع بعض النقاط التي طرحها المؤلف، فقد كان المؤلف يؤمن بأن استقرار الأمة الأوروبية لن يتأتى إلا من خلال المحافظة أولا على تراثها العقلي والأخلاقي، ولما كان الدين من أهم مكونات هذا التراث فيجب الحفاظ عليه، لهذا يجب الدفاع عن دين الأمة وحمايته لكونه يمثل الجانب الروحي للشعب، ويمثل الأساس الذي يستقر به المجتمع، هذا رغم أننا قدمنا رينان في مقال سابق على أنه ضد الكنيسة وضد المسيحية، بل ضد كل الديانات، لكنه مع ذلك كله يفهم ويقدر أهمية الدين بالنسبة للمجتمع، فهو، وإن كان يحارب هيمنة رجال الدين على قلوب الناس وعقولهم، يريد من الشعب الأوروبي أن يظل متدينا ولا يسير في طريق الإلحاد، وهذا ما لا نختلف معه فيه، أما اختلافنا معه هنا فلأنه، كما نص في هذا المقال، ضد الجانب الغيبي من الدين وليس ضد الدين، حيث إن الغربيين

الإصلاح العقلي هو التفكير الدائم في رسالة الأمة.. والأخلاقي المعين الروحي الذي تستمر به الرسالة

بعد بحثهم الطويل في التاريخ وجدوا أن معظم الدين من اختراع البشر، فظنوا أن جميع الديانات من صنع المجتمع، فهم يحمدون الدين والاعتقاد لا لكونه سماويا، ولكن لكونه أعظم اختراع بشري، وهذا فارق جوهري بيننا وبين الغرب في فهم الدين.

أما النقطة الثانية، فالمؤلف يوجب تعليم الشعب بالإكراه مراد الأمة وعظمتها والدفاع عنها، ليصبح مذهبها السياسي والحياتي عقيدة راسخة لا تقبل نقاشا، ثم بعد هذا التعليم المذهبي «الدجماتي» dogmatique يتاح لعامة الناس الحرية، فهل يخلو ذلك من تعصب مذهبي؟!

أما النقطة الثالثة، وهي مبنية على سابقتها، فهي إصرار المؤلف على جعل الانتخاب بين طبقة الحكماء والسياسيين النبلاء وحدهم، وهم ما نسميهم نحن المسلمين أهل الحل والعقد، لكن الفرق هنا أن من واجبات أهل الحل والعقد عند المسلمين أن يبينوا لجمهور الأمة ما يجب فعله ويقربونه لأفهامهم، أما كاتبنا فيذهب إلى عكس ذلك، فهو يريد أن يبعد العامة عن دائرة الاختيار أصلا.

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الإصلاح العقلي والأخلاقي لأي أمة من الأمم وفي أي وقت من الأوقات، فالإصلاح العقلي هو التفكير الدائم في رسالة الأمة واستمرارها، أما الأخلاقي فهو المعين الروحي الذي تستمر به تلك الرسالة.

مسجد الحسن الثاني.. معلم طريق الخلاص

بشرى شاكر

كان بناء مسجد الحسن الثاني الذي أصبح معلما إسلاميا وسياحيا مهما تشتهر به مدينة الدار البيضاء المغربية، فكرة الملك الراحل الحسن الثاني، المغفور له بإذن الله، وكانت رغبته في بناء ثاني أكبر مسجد في العالم بعد الحرمين أكبر من مجرد فكرة، فقد أراد منح الفرصة لكل فرد من أفراد المملكة المغربية ليكون له نصيب في صدقة جارية في حياته وبعد مماته، حتى أعوز الناس ممن لا يمكن أن يدور بخلدهم أن يكونوا أصحاب صدقة جارية يوما ما.. كيف ذلك؟

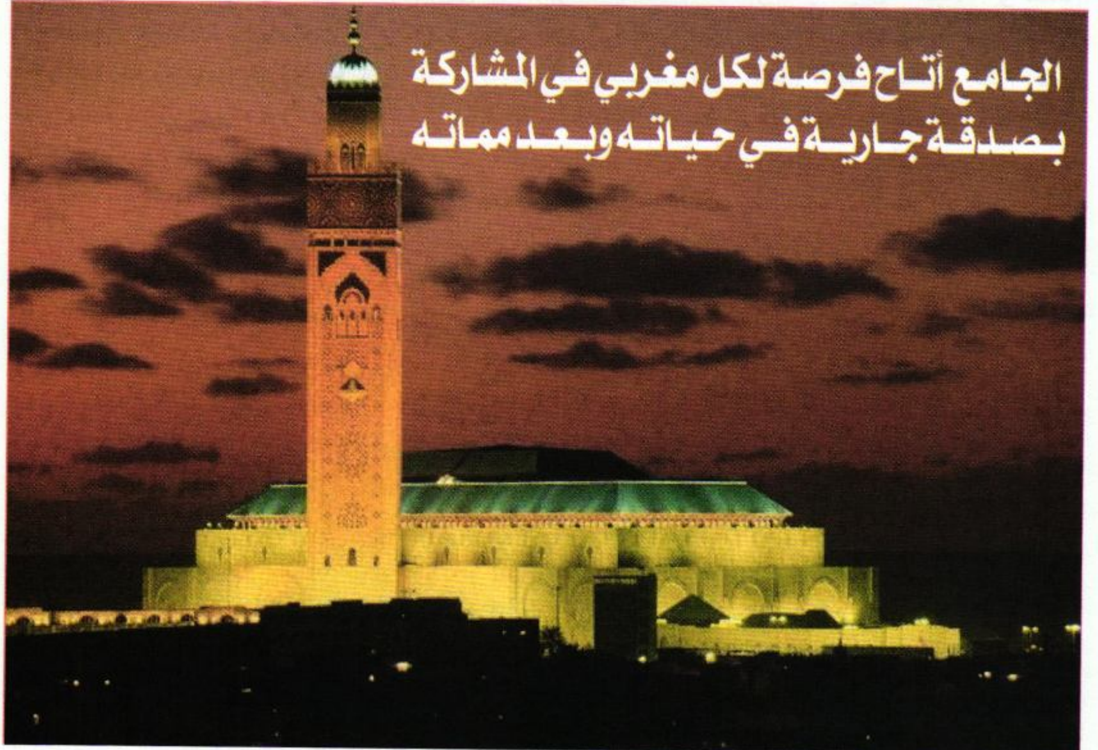
لقد ألقى الملك، رحمه الله، خطابا يدعو فيه كل المغاربة إلى أن يشاركوا في بناء هذا المسجد، وأن يتركوا ولو لبنة فيه تشهد لهم على صدقة جارية، وكان كل من دفع درهما واحدا يحصل على شهادة تذكارية عليها صورة المسجد، وذلك تذكيرا بوجوب حسن العمل، فأي عمل أفضل من صدقة جارية لا ينقطع معها عمل ابن آدم حتى بعد وفاته؟ وقد كانت كلماته الحكيمة «أريد أن يشيد على حافة البحر صرح عظيم لعبادة الله، مسجد تهدي مئذنته جميع السفن القادمة إلى الغرب إلى طريق الخلاص، الذي هو طريق الله.. أريد أن أبني المسجد على الماء، كما أردت أن يكون المصلي فيه، والداعي والذاكر والشاكر والراكع والساجد، محمولا على الأرض، ولكنه أينما نظر يجد سماء ربه وبحر ربه...».

وهكذا بدأ بناء مسجد الحسن الثاني سنة ١٩٨٦م، ولم ينته بناؤه إلا ليلة الميلاد النبوي الشريف من سنة ١٤١٤هـ، التي توافق ١٩٩٣م، وأصبح معلما دينيا معماريا يبهر الزوار والوافدين، المسلمين وغير المسلمين، ممن يأتون لمشاهدة براعة الهندسة وحرفية الصناعة المغربية المنفردة (من زليج وتدلكات ورخام وجبس وغيرها) وكذلك سعة مساحة المسجد والبناء الشاهق الذي يبهر من ينظر إليه.

وشُيد أكثر من نصف هذا المعلم فوق مياه البحر- المحيط الأطلسي- والمسجد موجود بمنطقة «العنق» بالدار البيضاء، ويعد أكبر مسجد في العالم بعد الحرمين، وبه أطول صومعة في العالم، إذ يبلغ ارتفاعها٢١٠ أمتار، وشيدت على غرار الهندسة العربية الأندلسية التي تستقي منها بيوت مغربية كثيرة أشكالا زخرفية لجدرانها، وتمتاز بكثرة الأقواس، كما أنها تمتاز بالرخام الذي يكسوها، وبه أيضا «جامور» ومنارة (والجامور مصطلح معماري مغربي، وجاء ذكره في كتب رحلات ابن بطوطة، وهو مجموعة زخرفيه تتكون من عمود تنتظم فيه ثلاث كرات، تكون في الأغلب من الذهب الخالص، أو من معدن مموه بالذهب، أو من فضة).

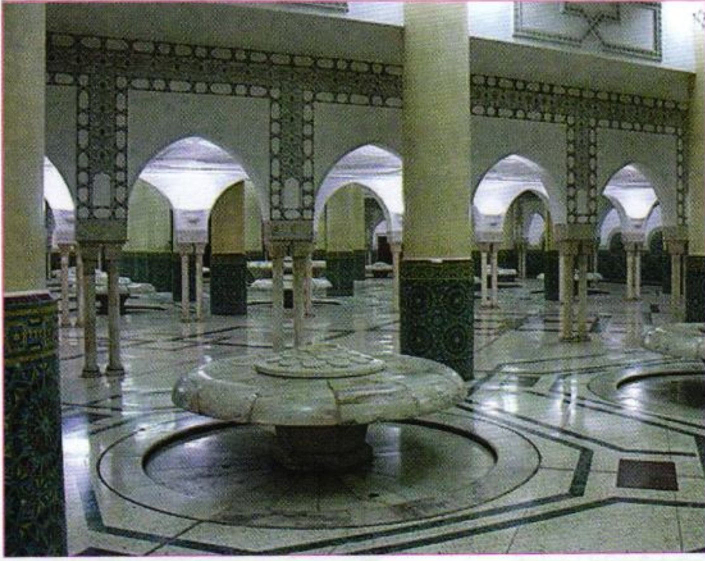
وتحوي القبة التي تعلو الصومعة، للفت انتباه الزائر ليلا، شعاع ليزر موجَها نحو الكعبة الشريفة لإظهار اتجاه القبلة، ويصل محيطه إلى ٣٠ كلم.

وفي مسجد الحسن الثاني خزانة، وهذا يجعل



الجامع أتاح فرصة لكل مغربي في المشاركة بصدقة جارية في حياته وبعد مماته





المسجد يجمع بين أصالة جامع القرويين، الذي يبلغ من العمر قرابة ألف سنة، ويعد من أولى الجامعات العلمية والدينية في العالم، وجمالية المساجد التي شيدت على يد يعقوب المنصور الموحدي ورونقها، مثل صومعة حسان بالرباط والكتبية بمراكش والخيرالدا بإشبيلية بالأندلس.

وكذلك تسترعي الانتباه ألواح الزليج التي تزين جهة الصومعة، فقد اتخذ لها مزيج بين اللونين الأبيض والأخضر، وهما اللونان المعروفان في كل المساجد المغربية، وهما لونان يجعلانك تحس بسِلْم داخلي وسكينة وراحة.

وكما هو معروف في معظم المساجد المغربية، فإن المسجد، أو الجامع كما يسميه المغاربة، له دور كبير في الدراسة الدينية، إذ إن المسجد ليس للصلاة فقط، وإنما يتجاوز ذلك لتأدية دوره العلمي، إذ يحتوي على مدرسة دينية قرآنية تأخذ شكل نصف دائرة، أنشئت باتجاه القبلة وتمتد على مساحة ٤٨٤٠ مترا مربعا، وقد وضعت رهن إشارة طلبة العلم الديني وسائل تربوية معاصرة.

والجزء الذي يعد أكثر إثارة للزائر هو قاعة الصلاة التي تتسع لأكثر من ٢٥٠٠٠ مصل، إذ إن مساحتها تبلغ ٢٠٠٠٠ متر مربع، ويمكن أيضا لأكثر من ٨٠٠٠٠ شخص الصلاة في باحة المسجد الذي يغطيه سقف يتحرك آليا، وفي غير أوقات الصلاة هناك ساعات مخصصة لزيارة المعلم برفقة دليل للتمكن من الاستمتاع بجمالية قاعات الصلاة وسحرها، وكذلك قاعات الوضوء.

والذي يزيد من توافد المصلين على هذا المسجد العظيم هو كون الشيخ عمر القزابري، الذي يعد أحد مزامير التلاوة وأحد شباب المغرب الصالحين، إماما له، فالزائر لهذا الجامع أيام رمضان لأداء التراويح يذهل أمام الكم الهائل من المصلين الذين يبحثون عن مكان للاستماع إلى هذا الشاب الجليل.

إمام المسجد في سطور

هو عمر القزابري، من مواليد مراكش سنة ١٩٧٤م، حفظ القرآن وختمه قبل سن الحادية عشرة، وهو ما يسمى بالعامية المغربية إخراج السلكة، على يد أبيه أحمد القزابري الذي كان من العلماء المشاهير بمراكش، وبعد حصوله على البكالوريا (الثانوية العامة) من ثانوية ابن يوسف للتعليم الأصيل اختار أن يرحل إلى السعودية، طلبا للعلم، حيث درس بالمعهد الإسلامي بمكة ليصير فيما بعد إماما لمسجد الجامعة بجدة، حيث اشتهر بحلاوة تلاوته وبإخلاصه لدينه، فلقب بـ«إمام جدة» ولم يتوقف عن طلب العلم لحظة، وإنما كان يتلقى القرآن على يد كبار المشايخ كالشيخ إسماعيل محمود، وعاد بعد ذلك إلى المغرب وأصبح خطيبا لمسجد الريان بحي الألفة بمدينة الدار البيضاء، فكان يستقطب بأسلوبه آلاف المصلين، ولكنه كان يحس دائما بالحاجة للعلم، فانتقل إلى القاهرة وعمق دراسته القرآنية والإسلامية، وختم القراءات العشر على يد الشيخ أحمد عيسى، وعاد من جديد إلى المملكة المغربية وأصبح إمام مسجد الحسن الثاني، واشتهر أكثر بأدائه الرائع في تراويح رمضان، ولما سئل من قبل قنوات تلفزيونية وجرائد عن وصيته لشباب الأمة، أجاب بأنه يدعوهم إلى الحفاظ على كتاب الله، والعكوف عليه تلاوة وفهما وتدبرا، وإلى أن يعكفوا كذلك على سنة رسول الله ﷺ تعلما وتأسيا، وأن ينبذوا الخلاف والفرقة، وأن يتجنبوا الحكم على المقاصد والنيات، ويتجنبوا التجرؤ على الفتوى، لأن هذا من شأنه نشر الفوضى والتشويش.

إعداد: علي الحربي

العالم يستقبل أول كمبيوتر محمول بشاشتين



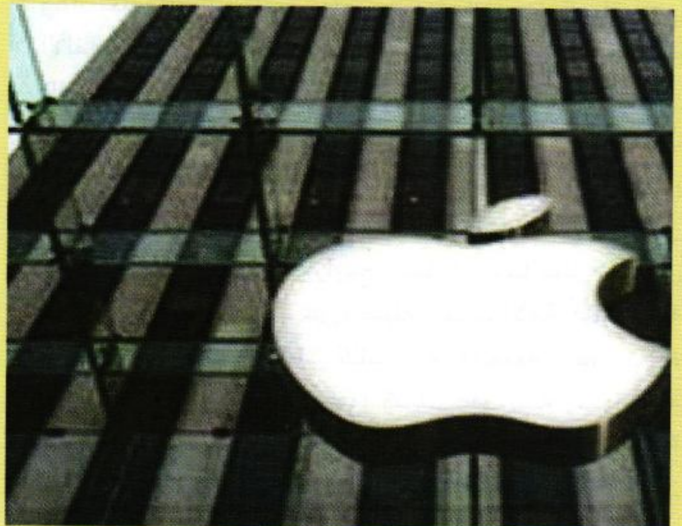
بحلول نهاية العام الجاري ينطلق أول كمبيوتر محمول مزدوج الشاشة في العالم Spacebook حيث عملت على تصميمه شركة gScreen الأمريكية المتخصصة في مجال التكنولوجيا، حيث إن التقنية الرائدة ستتيح لمستخدميها إجراء مهمات متعددة من خلال التحرك بين الشاشتين اللتين يصل اتساعهما إلى ١٥,٤ بوصة، ولم تصدر معلومات حتى الآن بشأن وزن الجهاز ومواصفات بطاريته لتلبية احتياجات طاقة تشغيل شاشتين، وقال جوردون ستيوارت مؤسس الشركة: إنه من المتوقع إطلاق الجهاز على موقع أمازون بحلول شهر ديسمبر من العام الجاري، وأضاف: صممنا الجهاز ونحن على دراية بأن كثيرين ربما لن يحتاجوا إلى شاشة إضافية في جميع الأوقات.

الإفراط في استخدام الإنترنت يعرضك للبدانة

أكدت دراسة حديثة أن طلبة الجامعات الذين يقضون ساعات عديدة يوميا أمام شبكات الإنترنت عرضة لزيادة الوزن والمشكلات الصحية، وأوضحت الدراسة التي أجريت داخل الجامعات العربية أن نحو ١٥ بالمائة من طلبة الفرقة الأولى يقضون أكثر من أربع ساعات على الإنترنت يوميا، وأضافت الدراسة التي شملت أكثر من ألفي طالب أن ٨,٥ بالمائة من مستخدمي الإنترنت لساعات طويلة يعانون زيادة الوزن مقابل أقل من ٤ بالمائة بين الأقل استخداما، واعترف عدد كبير من الطلبة الذين يستخدمون الإنترنت بأنهم ينامون فترات طويلة ويتخلفون عن حضور الحصص الدراسية.



أبل تطلق نظام سنوليوبارد



طرحت شركة آبل الأميركية الجيل الجديد من نظام تشغيل أجهزة الكمبيوتر التي تنتجها وأطلقت عليه سنوليوبارد، وهو نظام تشغيل تم تصميمه خصوصا ليعمل مع أجهزة الـ«ماكنتوش»، وذكر نائب رئيس شركة آبل لقطاع تصميم برامج الكمبيوتر برتراند سيرليت أن نظام التشغيل الجديد صُمم ليكون أكثر برامج التشغيل نجاحا على الاطلاق، معربا عن سعادة الشركة بطرحه للمستخدمين قبل الموعد المحدد لذلك سلفا، وتتيح النسخة الجديدة من نظام التشغيل لأجهزة الـ«ماكنتوش» للمستخدمين الذين لديهم نظام التشغيل «ماك» أو «اكس ليوبارد» القديم تحديث النظام إلى نظام سنوليوبارد من دون أي مشاكل في التشغيل.

نصائح في استخدام محركات البحث

نقدم لك عزيزي القارئ مجموعة من النصائح التي تساعدك في استخدام محركات البحثgoogle بكفاءة تامة وبسرعة وبمنتهى الدقة، ضع ما تبحث عنه بين علامتي التنصيص إذا كان أكثر من كلمة مثل «الأهرامات الثلاثة» أو «البيت الأبيض»، استخدم علامة الجمع إذا كنت تبحث عن أكثر من كلمة وتريد أن تحتوي الصفحة التي تظهر لك على هذه الكلمات، فمثلا حينما نريد أن نبحث عن نصائح عن نظام التشغيلXP فيمكن أن نكتب «نصائح»XP وعلينا أن نتجنب استخدام و، أو (or -and) مع كلمات البحث، لأنهما يؤثران في نتائج البحث.



برنامج يتعقب موقع الكمبيوتر المحمول

طرحت شركةAbsolute للبرمجيات برنامجComputrace LoJack وهو عبارة عن برنامج متعقب لموقع الـ«لابتوب»، فعن طريق الإنترنت يقوم البرنامج بعمل كود معين للجهاز في خوادم الشركة، وفي حالة سرقة الجهاز أو فقدانه يتم الاتصال بالشركة هاتفيا أو عن طريق موقع الشركة على الإنترنت للإبلاغ، لتقوم الشركة بتتبع الجهاز فور اتصاله بالإنترنت، وأهم ما يميز البرنامج أنه لا يُحذف من الجهاز لأي سبب من الأسباب، حتى لو أجريت له عمليةFormat للقرص الصلب بالكامل، وذلك لأنه مصمم على أن يتم تثبيته في الـ Bios، بحيث يعيد تثبيت نفسه تلقائيا كلما حاول أحد أن يقوم بحذفه من قائمة البرامج، أو إعادة تهيئة القرص من جديد، إلا إذا قام من يريد حذف البرنامج بإدخال كلمة السر التي ابُتكرت عند تثبيت البرنامج أول مرة، والميزة الأخرى التي يوفرها البرنامج هي إمكانية التحكم في مسح البيانات عن طريقRemote Data Delete التي تسمح بطلب مسح بيانات معينة من جهازك في حالة سرقته، وذلك عن طريق تسجيل البيانات التي تريد حذفها على خوادم الشركة، وعند دخول جهازك على الإنترنت يتم الاتصال بالجهاز لحذفها بدون علم السارق، ويعمل برنامج Computrace LoJack وفق إصدارات نظام تشغيل الويندوز مثل XP. و Vista كما يعمل على أنظمة .Mac

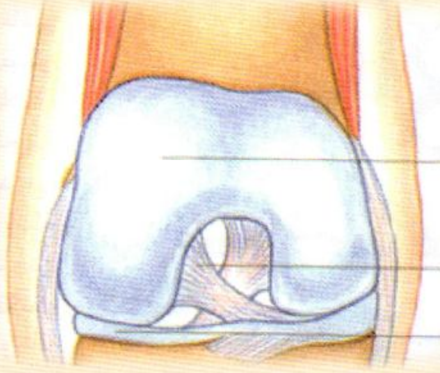


إعداد: هالة محمد

علاج متطور لغضروف الركبة

ذكر فريق من مستشفى الجامعة الوطنية في سنغافورة أخيرا أن جراحة في أنسجة الركبة، طورت في سنغافورة، تجلب راحة على المدى الطويل للمرضى الذين يعانون من مشكلات في غضروف الركبة.

وقال رئيس المشروع الخاص بتلك العمليات الجراحية «كيلفين لي»: ان تلك الخلايا التي تملأ بشكل طبيعي الفراغ داخل نخاع العظام، وتكون غضروفا وخلايا عظيمة عادة ما تساعد على إعادة تكوين الغضروف، وخلال العملية نفسها يجري ثقب فتحات يبلغ قطر الواحدة منها ثلاثة ميليمترات في ركبة المريض، وبعد ذلك بثلاثة أسابيع في المرحلة الثانية من العلاج يجري حقن الخلايا الجذعية في الركبة.



ونقل عن «كيليدفين» قوله: إن الثقوب التي تحاكي حدوث ضرر في المفصل تجذب الخلايا الجذعية للمنطقة المصابة حيث تبدأ في النمو إلى غضروف جديد، وتلك الجراحة الثانوية تمثل الاختلاف الرئيسي عن العلاج التقليدي، حيث كان المرضى يخضعون لعمليتين، إحداهما لاستخراج الخلايا الجذعية للنسيج اللحمي المتوسطي، والأخرى الإصلاح الغضروف المصاب.

تحذير من مخاطر الوقود الحيوي البيئية



تتجه الدول الغربية الكبرى إلى التوسع في إنتاج الوقود الحيوي كبديل للبترول التي جاوزت أسعاره مائة دولار خلال الربع الأول من العام الماضي، وعلى الرغم من انخفاض الانبعاثات الحرارية والأكاسيد الكربونية التي ينتجها الوقود الحيوي عند احتراقه فإن العديد من المنظمات الحقوقية الدولية حذرت من حدوث مجاعات سوف يشهدها العالم خلال السنوات المقبلة جراء التوسع في انتاج الوقود الحيوي من المحاصيل الاستراتيجية، مثل القمح والذرة وفول الصويا وقصب السكر، هذا إلى جانب حدوث اختلالات في التوازن البيئي نتيجة إزالة مساحات واسعة من الغابات لإحلال تلك المحاصيل محلها.

الزئبق في لحوم الدلافين

نجح الزئبق فيما لم ينجح فيه نشطاء الحفاظ على البيئة لوقف عمليات صيد الدولفين في اليابان، فقد أصاب الشلل عمليات الصيد والذبح في مدينة تايجي بعد أن اثبتت دراسات علمية أن الدلافين في هذه المنطقة تحوي نسبة كبيرة من الزئبق لا تصيبها بأضرار فحسب، بل انها تصيب من يتناول لحومها بمخاطر جسيمة.

واكدت الدراسات أن نسبة الزئبق في الدلافين الموجودة بهذه المنطقة تتعدى ٠,٤ جزء من المليون، وهي النسبة التي تسمح الحكومة اليابانية بها في أنواع عدة من الأسماك، ولكن النسبة وصلت إلى ١٠٠ جزء في المليون في الدولفين المسمى بـ «عنق الزجاجة» وهو من أكثر الأنواع التي يتم الاستفادة من لحومها في تايجي. كما ذكر العالم «تيتسويا إندو»، الباحث في جامعة هوكايدو بشمال «اليابان»، وكان إندو قد حذر مرارا من خطورة الأمر ودعا المسؤولين المحليين إلى ضرورة تحذير المواطنين من أكل لحوم الدلافين التي تلاقي لحومها رواجا كبيرا في ذلك الاقليم.

لماذا يتفوق الكينيون في العَدْو؟!



اكتشف باحثون ألمان ما رأوه سببا لتفوق العدائين الكينيين على رياضيي العالم في العدو، وهو حسن ترشيد أجسادهم لاستخدام الأوكسجين أثناء الجري، وكان العلماء قد قدموا في السابق تفسيرات اخرى لهذا التفوق، حيث كانوا يعتقدون أن الكينيين يتمتعون بقلب ذي حجم أكبر وبكمية أكبر من الدم في أجسامهم وبانتقال أفضل للأكسجين للعضلات، مقارنة بأقرانهم من الرياضيين مما يمكنهم من تقديم أداء رياضي غير عادي.

وأشارت جامعة بايرويت الألمانية في بيان إلى أن باحثيها اكتشفوا الآن أن حجم عضلات العدائين الكينيين المتوافق بالشكل الأمثل مع الجهد الذي يتطلبه العدو هو السبب وراء النجاح الذي يحققه الكينيون في العدو، وكان الباحثون ينتظرون من وراء دراستهم التي اجروها على عشرة عدائين كينيين تأكيد هذه الافتراضات السابقة، غير أنهم فوجئوا بأن كمية الهوموغلوبين في الصفائح الدموية للكينيين تراجعت إلى كمية الهوموغلوبين نفسها في دم أقرانهم الألمان عندما تدرب رياضيون من غرب كينيا الذي يتميز بالارتفاع ٢١٠٠ متر عن سطح البحر على مدى ستة أسابيع في مدينة بايرويت جنوب ألمانيا والتي لا يرتفع منسوبها عن سطح البحر سوى ٣٥٠ مترا، بل إن نسبة الهوموغلوبين تدنت لأقل من ذلك مع مرور الوقت مع أن حجم القلب لدى الكينيين كان أقل نسبيا منه لدى الألمان.

وفي تعليق على الدراسة قالت الباحثة الألمانية نيكوله برومر من فريق الباحثين الذي أجرى الدراسة «وجدنا أن الكينيين يجرون بشكل أكثر ترشيدا للاكسجين عندما يعدون بسرعة أكثر من ١٨ كيلو مترا في الساعة» مضيفة «الأفريقيون تحتاج عضلاتهم إلى اكسوجين أقل عندما يعدون بسرعة معينة».

مضغ التبغ مضر مثل تدخينه



ظن الذين يمضغون التبغ انه لن يصيبهم أى ضرر من جراء ذلك، ولكن تبين أن مضع التبغ ليس أقل ضررا من التدخين، فقد بينت دراسة للجمعية الاميركية الكيميائية أن الضرر الذي يسببه مضغ كمية صغيرة من التبغ يفوق الذى يسببه تدخين خمس سجائر بسبب احتوائه على مادة من الملوثات البيئية التي تتشكل نتيجة احتراق الخشب والفحم واللحوم الدهنية أو المواد العضوية.

وذكرت وكالة «يو بي أي» انه من المقرر أن تناقش هذه الدراسة خلال الاجتماع السنوي للجمعية في واشنطن قريبا، حيث اكدت العالمة ايرينا ستبانوف، التي قادت فريق البحث، أن التبغ يحتوي أكثر من غيره على المواد المسببة لسرطان الفم والبنكرياس، مضيفة «بينت النتائج التي حصلنا عليها انه بالإمكان وضع السعوط في لائحة المصادر الرئيسية للتعرض للملوثات البيئية».



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



دفع الضرائب من الفوائد الربوية

(٢٠٧٨) يرجى من سيادتكم إفادتنا بشرعية التالي: توجد لدينا عقارات في بعض الدول الأوروبية ندفع عنها ضرائب سنوية لهذه الدول، فهل يجوز سداد هذه الضرائب من أموال ربوية ناتجة عن فوائد بنكية؟

لا يجوز إيداع الأموال في البنوك مقابل فائدة ربوية، وبالتالي لا يجوز تسديد الضرائب من هذه الأموال لأنها خبيثة لا يجوز الانتفاع بها بحال من الأحوال، وإنما تصرف في المصالح العامة عدا المساجد والمصاحف، ولا تحتسب من الزكاة، ولا يقضى بها دين.

شراء أدوات وآلات للجنة خيرية من الفوائد الربوية

(٢٠٨٢) تبرع شخص للجنتنا بمبلغ ٢٠٠٠ د.ك، وهي عبارة عن فوائد بنكية، فهل يجوز للجنة التصرف بالمبلغ لشراء مستلزماتها من ثلاجة ومكيف وماكينة تصوير؟ علما بأن اللجنة بحاجة ماسة إلى الأموال نظرا للأعداد الكبيرة من الأسر التي ترعاها بالرغم من حداثة إنشائها.

بما أن هذه الأموال سبيلها الصرف في وجوه الخيرات فلا مانع من شراء الأدوات التي تسهل عمل اللجنة، مع التنبيه إلى أنها ليست زكاة ولا تجزئ عن الزكاة الواجبة في أصل المال.

عمل النساء في صالونات التجميل

(٢٠٩٨) ما حكم عمل الموظفات غير المسلمات (الكتابيات فقط) في صالونات تجميل السيدات؟ وهل يجوز استقبال السافرات وتزيينهن؟ علما بأنهن سيخرجن بهذه الزينة دون إخفائها عن الأجانب؟

لابد أولا من مراعاة القواعد الآتية في الأماكن التي تقدم فيها خدمات تزيين النساء:

أ- أن يمنع حضور الرجال، سواء كانوا من العاملين في هذه الأماكن، أو من الرجال المرافقين للراغبات في التزين، ولو كانوا أزواجا أو محارم.

ب - التحرز من استخدام المواد النجسة في التزيين.

جـ - تجنب أي زينة تحدث تشبها بالرجال.

د . تجنب النظر أو اللمس لما هو عورة من المرأة على المرأة، وهو ما بين السرة إلى الركبة.

هـ - ألا تستخدم في هذه الأماكن عاملات عرفن بترويج الفساد، أو كشف أسرار المترددات للتزين.

كما تجب ملاحظة أن المرأة التي تأتي للتزين، إن كان معلوما أنها ستخرج بتلك الزينة متبرجة فإن قيام الصالون بتزيينها حرام لا يحل، لأنه إعانة لها على معصية الله تعالى.

ويجوز استخدام غير المسلمات في أعمال التجميل والتزيين على ألا تطلع من المرأة على عورتها إلا ما تحتاج إلى كشفه حال المهنة، وهو كشف الرأس والعنق والذراعين والساقين، بشرط أن تكون مأمونة لا تصفها للرجال الأجانب، والأولى عدم استخدام غير المسلمات في مثل هذه الأعمال وغيرها، والاستغناء بالمسلمات عنهن.

وقف الزكاة

(٢١٠٥) يرجى الإفادة بالرأي الشرعي حول صحة وقف أموال الزكاة، أو بمعنى آخر، هل يجوز للشخص أن يتبرع بزكاة ماله لوقف خيري؟ علما بأن أموال الزكاة ستكون جزءا من الوقف المتبرع له ويكون حكمها كحكمه.

لا يجوز أن يتبرع شخص بزكاة ماله



لوقف خيري بحيث تكون أموال الزكاة جزءا من الوقف المتبرع له ويكون حكمها كحكمه للأسباب الآتية:

١- أن الأصل في مال الزكاة أن يصرف فور إخراجه إلى الأصناف الثمانية مع قيام الحاجة الماسة.

٢- أن هذه الأموال ستكون جزءا من أموال الوقف، ولا يجوز التصرف فيه بالبيع والهبة، وبالتالي لا يمكن تسبيل أموال الزكاة.

استعمال الموسيقى الحماسية في التمارين الرياضية

(٢٢٣٥) ما الحكم في الصدح بالموسيقى الغربية الحماسية الخالية من الغناء أثناء التمرينات الرياضية، والتي تستخدم في المعاهد الرياضية؟

الغناء والموسيقى يكونان حراما إن صاحبهما كشف للعورة، أو الزينة المحرم إظهارها، أو رقص ماجن، أو إثارة للشهوات المحرمة، أو إثارة للفتنة بين المسلمين، أو إلهاء عن واجب شرعي.

وأما استعمال المعازف (الآلات الموسيقية) فقد اختلفت فيه أقوال العلماء ما بين متشدد في التحريم وبين مبيح له على الإطلاق، وذلك لاختلاف الأحاديث الواردة فيه، فهو من باب المشتبه، وعلى هذا يكون استعمال الموسيقى الحماسية أثناء ممارسة التمارين الرياضية جائزا، والأولى تركه.

ترك الزوج الصلاة

(٦٢٤١) ما حكم بقاء المرأة متزوجة من زوج لا يصلي وله أولاد منها؟ وما حكم تزويج من لا يصلي؟

هناك فرق بين من ترك الصلاة جاحدا بها، ومن تركها كسلا، فمن تركها جاحدا بها فهو كافر بالإجماع، ومن تركها كسلا فهو فاسق، أي هو مسلم عاص وليس كافرا، وعلى ذلك فلا تبين منه زوجته، ولا ينفسخ عقد النكاح، وتطبق عليه أحكام الإسلام، ويستتاب، ويصح تزويج من لا يصلي تكاسلا مع اعتقاده بوجوب الصلاة، ولكن إذا تقدم من يؤدي الفرائض فهو الأولى لقوله ﷺ «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

من القواعد الفقهية

القرعة

وهي أن كل أمر يشتبه فيه ولا يتميز إلا بالقرعة فإنه يُقرع، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله في آخر القواعد الفقهية قاعدة «القرعة»، ودليل ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ «كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها».(متفق عليه)، أما مع التمييز والترجيح فنأخذ بما ترجح وتميز بدون قرعة.

من سقطت عنه العقوبة لمانع ضوعف عليه الغرم

نص على هذه القاعدة ابن رجب رحمه الله في القواعد الفقهية.

مثل: من سرق من غير حرز فإنه يضاعف عليه الغرم كما جاء في ذلك حديث عن رسول الله ﷺ، وإنما يضاعف الغرم لأنه سرق من غير حرز، فوجود المانع وهو كون المال غير محروز منع من القطع.

(ملخص القواعد الفقهية، محمد بن صالح العثيمين)

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)

الرخص الشرعية

١- الرخصة الشرعية هي ما شُرع من الأحكام لعذر، تخفيفا عن المكلفين، مع قيام السبب الموجب للحكم الأصلي.

ولا خلاف في مشروعية الأخذ بالرخص الشرعية إذا وجدت أسبابها، بشرط التحقق من دواعيها، والاقتصار على مواضعها، مع مراعاة الضوابط الشرعية المقررة للأخذ بها.

٢- المراد بالرخص الفقهية ما جاء من الاجتهادات المذهبية مبيحا لأمر في مقابل اجتهادات أخرى تحظره.

والأخذ برخص الفقهاء، بمعنى اتباع ما هو أخف من أقوالهم، جائز شرعا بالضوابط الآتية في البند(٤).

٣- الرخص في القضايا العامة تُعامل معاملة المسائل الفقهية الأصلية إذا كانت مُحققة لمصلحة معتبرَة شرعا، وصادرة عن اجتهاد جماعي ممن تتوافر فيهم أهلية الاختيار ويتصفون بالتقوى والأمانة العلمية.

٤- لا يجوز الأخذ برخص المذاهب الفقهية لمجرد الهوى، لأن ذلك يؤدي إلى التحلل من التكليف، وانما يجوز الأخذ بالرخص بمراعاة الضوابط التالية:

أ- أن تكون أقوال الفقهاء التي يترخص بها مُعتبرة شرعا، ولم توصف بأنها من شواذ الأقوال.

ب- أن تقوم الحاجة إلى الأخذ بالرخصة، كدفع المشقة، سواء أكانت حاجة عامة للمجتمع أم خاصة أم فردية.

ج - أن يكون الآخذ بالرخص ذا قدرة على الاختيار، أو أن يعتمد على من هو أهل لذلك.

د - ألا يترتب على الأخذ بالرخص الوقوع في التلفيق الممنوع الآتي بيانه في البند(٦).

هـ - ألا يكون الأخذ بذلك القول ذريعة للوصول إلى غرض غير مشروع.

و- أن تطمئن نفس المترخص للأخذ بالرخصة.

٥- حقيقة التلفيق في تقليد المذاهب، وهي أن يأتي المقلد في مسألة واحدة ذات فرعين مترابطين فأكثر بكيفية لا يقول بها مجتهد ممن قلدهم في تلك المسألة.

٦- يكون التلفيق ممنوعا في الأحوال التالية:

أ- إذا أدى إلى الأخذ بالرخص لمجرد الهوى، أو الإخلال بأحد الضوابط المبينة في مسألة الأخذ بالرخص.

ب - إذا أدى إلى نقض حكم القضاء.

ج - إذا أدى إلى نقض ما عُمل به تقليدا في واقعة واحدة.

د - إذا أدى إلى مخالفة الإجماع أو ما يستلزمه.

هـ - إذا أدى إلى حالة مركَّبة لا يقرها أحد من المجتهدين.

والله أعلم.

واحة الإيمان

إعداد: محمد شفيق

الحب في الله

■ روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «زار رجل أخا له في قرية فأرصد الله على مدرجته (طريقه) ملكا، فقال له أين تريد؟ قال أريد أخا لي في هذه القرية، فقال الملك له: هل له عليك من نعم تربها؟ (تريدها) قال: لا، إني أحببته، قال: فإني رسول الله إليك. إن الله أحبك كما أحببته».

من أسماء العقل

■ سمي.. عقلا لأنه يعقل صاحبه عن ركوب شهواته.

■ سمي.. لبّا لأنه صفوة الشيء ولب كل شيء، وجمعه ألباب.

■ سمي.. حجة لإصابته الحجة فيقال حاججته بحجته.

■ سمي.. حجْرا لأنه يحجر عن ركوب المناهي.

■ سمي.. نُهَى لأن الذكاء والمعرفة والنظر تنتهي إليه.

هذه هي النعمة!

■ قيل لخزيم المري: ما النعمة؟ فقال: الأمن، فإنه ليس لخائف عيش، والغنى، فإنه ليس لفقير عيش، والصحة، فإنه ليس لسقيم عيش، قيل: ثم ماذا؟ قال: لا نريد بعد هذا.

دعوة للتعلم

■ هذه دعوة للتعلم من مخلوقات الله تعالى، تعلم من النملة أصول الكسب، وتعلم من الجمل الصبر، وتعلم من الحمام الوداعة، وتعلم من الأسد الشجاعة، وتعلم من الكلب الوفاء، وتعلم من الطفل البراءة، وتعلم من الزهرة البشاشة.

آثار قدرة الله

■ يرى المؤمن آثار قدرة الله في شفاء الجسد العليل بعد ما طال الداء وعز الدواء، وفي إخراج الوليد من رحم أمه، وفي إخراج الثمرات من أرض كانت بالأمس جدباء، وفي تسبيح الكائنات، وفي رفع السماء بلا عمد، وفي شروق الشمس وغروبها، سبحانك يا من رآك قلبي واحدا قديرا.

صفة الزاهد

■ سئل يحيى بن معاذ عن صفة الزاهد، فقال: الزاهد قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر عورته، والدنيا سجنه، والفقر ضجيعه، والخلوة مجلسه، والشيطان عدوه، والقرآن أنسه، ولله همته، والذكر رفيقه، والحكمة سلاحه، والصبر وسادته، والتوكل كسبه، والعمل شغله، واليقين صاحبه، والعبادة حرفته والتقوى زاده، والحياة سفره، والأيام مراحله، والجنة منزله، والله عز وجل معتمده.

نصائح غالية

■ أوصى الأشعث بن قيس بنيه فقال: يا بني لا تقلوا في أعراضكم، وانخدعوا في أموالكم، ولتخف بطونكم من أموال الناس، وظهوركم من دمائهم، فإنما لكل امرئ تبعة، وإياكم وما يعتذر منه أو يستحيا، فإنما يعتذر من ذنب ويستحيا من عيب!

زينة المرأة المؤمنة

■ سئلت امرأة مؤمنة عن أدوات تجميلها، فقالت: أستخدم الصدق لشفتيّ، والقرآن لصوتي، والرحمة والشفقة لعينيّ، والإحسان ليدي، والاستقامة لقوامي، والإخلاص لله لقلبي.

الجنة بيت المؤمنين

■ قال الإمام محمد عبده: إن كان اليهود سيدخلون الجنة، فإننا داخلوها لأننا آمنا بموسى، وإن كان النصارى سيدخلون الجنة فنحن داخلوها لأننا آمنا بعيسى، فإذا كنا داخليها فلن يدخلها اليهود ولا النصارى لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

خمس في خمس

■ قال شقيق البلخي رضي الله عنه: طلبنا خمسا فوجدناها في خمس..

- طلبنا بركة القوت فوجدناها في صلاة الضحى.
- وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل.
- وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن.
- وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة.
- وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

وفمي أعطره بذكرك

■ ماذا أقول وأنت تعلم يا إلهي ما بقلبي؟
ولمن بحقك أشتكي يا خالقي همي وكربي؟
وبمن إلهي أهتدى هل لي سواك ينير دربي؟
يا رب إنك في حياتي كل ما لي وكل حبي
إن وسوس الشيطان يوما فاغفر يا رب ذنبي

التفاؤل بالأسماء

■ رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل، فسأله عن اسمه واسم أبيه، فقال: ظالم، فقال ابن من؟ قال ابن سراقة، فقال تظلم أنت ويسرق أبوك؟ ولم يستعن به في شيء. ثم رأى رجلا آخر وسأله: ما اسمك؟ فقال شهاب بن حرقة، قال: ممن؟ قال الرجل: من أهل حرة النار، قال: وأين مسكنك؟ قال: بذات اللظى، قال له: اذهب فإن أهلك قد احترقوا، فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

وصايا الأنبياء

■ روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام يا بني لا تستقل عدوا واحدا، ولا تستكثر ألف صديق، ولا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك.

محبة الله

الحب إن ملك النفوس أعزها
والعاشقون بربهم علماء
والأمل في الدنيا المحبة والهدى
لولا الهدى لم تخلق الأشياء
فإذا اتقينا الله جل جلاله
قضيت حوائجنا وسال الماء
كونوا على هدي الطريق يعزكم
رب الورى هذا هو الإهداء.

المؤمن والكافر

■ المؤمن يتقلب في خمسة من النور: كلامه نور، وعمله نور، ومدخله في نور، ومخرجه في نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة.

■ والكافر يتقلب في خمس من الظلم: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه في ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة.

نصائح أبوية

قال حكيم ينصح ابنه: يا بني كن في جميع أمورك في أوسطها، فإن خير الأمور أوسطها، قلل الكلام، وأفش السلام، وامش متمكنا قصيدا، ولا تسحب ذيلك، ولا تلو عنقك، ولا تقف على الجماعات، ولا تكثر الالتفات، ولا تنازع السفهاء، فإن تكلمت فاختصر، وإذا جلست فتربع، ولا تعبث بلحيتك وخاتمك وأشباه ذلك مما يستخفه الناس!

الشاب والعجوز

■ مر أحد الشباب بكهل يزرع نخلة، فقال له الشاب: أتظن أنك تعيش حتى تأكل من ثمار ما تزرع؟ فأجابه قائلا: عجبا لمنطقك اليائس أيها الشاب، إن من سبقونا زرعوا لنأكل، وعلينا أن نزرع ليأكل من يأتي بعدنا.

عمرات الرسول ﷺ

■ عمرات الرسول ﷺ أربع وكانت كلها في شهر ذي القعدة وهي:
١- عمرة الحديبية في ذي القعدة ٦هـ (٢) عمرة القضاء في ذي القعدة ٧هـ (٣) عمرة الجعرانة في ذي القعدة ٧هـ (٤) عمرة مع حجة في ذي القعدة ١٠هـ.



مسك الختام

أ.د. حلمي محمد القاعود

ركائز الثقافة الإسلامية

تقوم الثقافة الإسلامية على مجموعة من الركائز تمنح الفرد المسلم، وغير المسلم، مساحة من الأمل والعمل لإسعاده وإسعاد الإنسانية كلها في الدنيا والآخرة، وتشعره بالكرامة وهو يخوض صعوبات الحياة وعقباتها، فيبذل عن طواعية أقصى ما يملك من طاقات وإمكانات ليكون مع مجتمعه الإسلامي والمجتمعات الأخرى في حالة تناغم أو توافق تحقق التعايش الخلاق الذي يضيف ويبدع ويثري البناء الحضاري الإنساني بصفة عامة.

ومن أبرز الركائز في الثقافة الإسلامية ثلاث ركائز يمكن أن نضعها تحت العناوين الثلاثة التالية.. الحرية، الجهاد، التفاعل.

أولا: الحرية، وترتبط بقضية التوحيد والإيمان بالوحي، وهو ما تحمله الشهادتان من دلالات، وعندما يؤمن الشخص بـ«لا إله إلا الله محمد رسول الله» فهو يتحرر من كل قيد يربطه بالعالم الأرضي، إنسانا أو متعلقا بالإنسان، ليكون ولاؤه لخالقه وحده دون حاجة للمخلوق في مجالات الرزق أو الأجل أو معطيات الحياة الأخرى.. ثم يؤمن بما جاء به القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم من ثوابت وقيم وأخلاق.

يمكننا أن نلاحظ أن القرون الخمسة الأولى من حياة الأمة الإسلامية حتى مجيء الإعصار الصليبي الكاسح من الغرب، والإعصار التتري من الشرق، كانت حافلة بحركة ثقافية نامية ومتطورة باستمرار، لعب فيها العقل مع النقل دورا أساسيا في التأسيس للحضارة الإنسانية عامة، في شتى مجالات العلم والمعرفة، والتقى التراث الإنساني بتنوعه وتعدده من خلال العقل المسلم الذي صهره وأسس به لرؤية إنسانية رحبة تسع الناس جميعا، وتؤسس لمفهوم عالمي متسامح (وليس عولميا مهيمنا وقاهرا!) يجد فيه البشر على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ومذاهبهم مساحة عريضة من الحرية والسماحة التي تنبذ التعصب والكزازة والأنانية والقهر، وهو ما جعل الدولة في ذروة قوتها ونهوضها لا ترى غضاضة في إقامة المناظرات التي يحضرها علماء الإسلام في مواجهة الملاحدة والزنادقة والمجوس والباطنية وغيرهم، ويتم ذلك في حضرة الخليفة (المأمون على سبيل المثال)، بل إن أعدادا غفيرة من غير المسلمين كان لهم وجود رئيسي وفعال في مرافق الدولة الإسلامية، تعظيما لقدرتهم على خدمة المجتمع الإسلامي والثقافة الإسلامية.

لا ريب أن قوة الدولة الإسلامية كانت من وراء هذه السماحة المفرطة إن صح التعبير، فضلا عن أن المخالفين في الرأي والرؤية كانوا يتحركون في الغالب بدوافع فردية، خاصة في التعبير عن آرائهم وأفكارهم، ولم يكن من ورائهم قوى شريرة تدفع وتخطط وتعمل لتشويه العقيدة أو تغليب فكر على آخر، أو مذهب دون سواه، اللهم إلا إذا كان استخدام السلاح هو الأداة الوحيدة التي يحتكم إليها المتنافسون على السلطة السياسية.

وفي كل الأحوال فقد كانت هناك قاعدة صلبة يقودها علماء الدين الإسلامي، وهم الذين تناط بهم واقعيا عملية الاجتهاد وفقا لأصوله العلمية وأسسه المعرفية بحكم ما كانوا يتمتعون به من حرية في مواجهة الاستبداد والانحراف، وهو ما خلق تيارا ثقافيا مازال ممتدا حتى الآن، يحمي نواة الثقافة الإسلامية ويضيف إليها، انطلاقا من موسوعية هؤلاء العلماء وتفوقهم غالبا في شتى فروع الوعي المعرفي الإنساني.

ثانيا: الجهاد، وينصرف مفهوم الجهاد في الثقافة الإنسانية إلى إعمار الأرض وتجميلها وتيسير الحياة فوقها، فإذا كان الجهاد الأصغر يرتفق السلاح بحثا عن حماية النفس والوطن وردعا للعدوان وجلبا للسلام، فإن الجهاد الأكبر هو العمل المنتج الذي يقوم على الإتقان والدقة والمعرفة العميقة التي تتجاوز السطحية والأمر الواقع إلى خلق واقع أفضل يقوم على الصبر والتحمل والدأب والكشف.

إن الجهاد في المفهوم الثقافي الإسلامي عبادة ممزوجة بالعمل والتضحية من أجل الدين والمجتمع وفقا لثقافة المدافعة والمداولة، ويتحرك المسلم من خلال الجهاد بحثا عن رضا الله قبل رضا المجتمع، لذا يكون العطاء الإسلامي في ميدان الجهاد عبادة في صورته الشاملة، ولو لم تكن هذه العبادة مقرونة بالركوع والسجود، إنها عبادة رفع الحرج عن الأمة أو المجتمع الإسلامي بصفة عامة، ولعل هذا بعض ما تكشف عنه الآية الكريمة في آخر سورة الحج «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير».

ثالثا: التفاعل الحي الخلاق مع ثقافات العالم الأخرى، وهو تفاعل هاضم ومبتكر ومضيف، بما يجعل المعرفة والخبرة المستفادة حكمة ضالة يبحث عنها المؤمن حيثما كانت، والتفاعل في الثقافة الإسلامية يرتكز على الثوابت التي اتفق عليها المسلمون منذ مطلع الرسالة حتى اليوم، وتتعلق بعباداتهم ومعاملاتهم، فهذه الثوابت ليست تقديسا للماضي وليست جمودا على أخطائه.. إنها ثوابت في مفهومها الأصيل تدفع الحركة نحو المستقبل وصناعة الغد بما يعزز قوة الفرد المسلم والأمة الإسلامية.إن الثقافة الإسلامية ترفض الاستبداد والقهر والظلم والتعصب والأنانية والجهل والتخلف والتبعية والعيش عالة على الآخرين.. وهو ما ينبغي أن نضعه في حسباننا من أجل مستقبل أفضل وحياة أجمل.

الوعي الإسلامي

مسابقة نزهة العقول

11

■ صلاة يجب أداؤها ولا يجب قضاؤها بل ولا يجزئ لكن يلزمه صلاة غيرها.. ما هي؟

١- صلاة الجنازة ٢- صلاة الجمعة ٣- صلاة الكسوف

■ أم ورثت السدس وليس لها ولد ولا ولد ابن ولا اثنان من الإخوة والأخوات.

١- الأكدرية ٢- المشرّكة ٣- إحدى العمريتين

■ شخص لبس خفا في رجل واحدة وجاز له المسح عليه.. كيف ذلك؟

١- المسافر ٢- مبتور الرجل ٣- النائم

■ صلاة مفروضة لا تصح دون جماعة.

١- صلاة العيد ٢- صلاة الصبح ٣- صلاة الجمعة

■ عين لا يجوز بيعها ويجوز هبتها والصدقة بها.. ما هي؟

١- المصحف ٢- الأضحية ٣- ماء زمزم

■ شخص زال عقله وجب غسله على غيره

١- الميت ٢- المجنون ٣- الجنب

■ ما الفرق بين صيام الفرض وصيام النفل؟

١- النية ٢- النسيان ٣- الجهل

■ مجلة «الوعي الإسلامي» تصدر عن وزارة الأوقاف الكويتية وقد صدر العدد الأول عام ١٣٨٥هـ في شهر:

١- محرم ٢- رمضان ٣- ذو الحجة

■ كتاب «كفاية الناسك لأداء المناسك» كتاب ألفه عالم كويتي هو:

١- محمد سليمان الجراح

٢- عبدالله الدحيان

٣- عبدالعزيز الرشيد

■ بيت الزكاة بدولة الكويت مؤسسة حكومية مستقلة تساهم في عملية التنمية المجتمعية داخل وخارج الكويت وقد تأسس العام؟

١- ١٩٨٢م ٢- ١٩٩٦م ٣- ٢٠٠٦م

الكويت - المسجد الكبير بدالة: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

مجلة الوعي الإسلامي الكويت صندوق بريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧

Al-Waei Al-islami P.o. Box ٢٣٦٦٧ Safat ١٣٠٩٧ Kuwai

www.alwaei.com:info@alwaei.com

الوعي الإسلامي

قسيمة إجابة المسابقة (١١)

الإسم: ....

العنوان: ....

الجواب الأول :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب الثاني :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب الثالث :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب الرابع :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب الخامس :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب السادس :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب السابع :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب الثامن :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب التاسع :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐
الجواب العاشر :	١- ☐	٢- ☐	٣- ☐

آخر موعد لاستلام المشاركة
١ ذو الحجة ١٤٣٠هـ



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

بشرى سارة

الوعي الإسلامي على C.D

قراءنا الأعزاء نزف إليكم بشرى صدور C.D بصيغة pdf لتوثيق مسيرة المجلة التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة خلال ٤٦ عاما











أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



الصالح يكرِّم المشاركين في العشر الأواخر

الأدب الكويتي في ذاكرة التاريخ



الفكر الإسلامي وخطاب التجديد



الوعي الإسلامي

بشرى سارة

على C.D

قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما



الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي

احصل على نسختك الآن عند الاشتراك في المجلة

٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الأول
الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)
www.alwaei.com











٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الثاني
من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)
www.alwaei.com

info@alwaei.com - www.alwaei.com الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩

الافتتاحية

الإختلاف

الخلاف بين الناس سُنَّة إلهية كونية، اقتضتها الحكمة الربانية، قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (هود: ١١٨- ١١٩)

ودعوى عدم وجود خلاف هي حلم يتمناه كل مسلم، والتأليف بين الأمة والسعي في التوفيق بينها وجمع شملها على الحق والتقريب بين فئاتها المختلفة والمتنازعة هي من أعظم الأمور وأفضل أبواب الخير، ولقد كان الأعداء يؤججون هذا الصراع ويحصدون نتائجه، والمسلمون لا يحصدون سوى الخيبة والفشل، ولاشك أن الإسلام رسم للأمة طريق وحدتها واجتماعها، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وما حصل ما نراه من التفرق والخلاف إلا بالبعد عن المنهج الرباني الذي بيَّنه- سبحانه- في كتابه الكريم الذي يلجأ إليه المسلمون عند الاختلاف والنزاع، فالتفرق يتحول بالضرورة إلى خصام فعداء، ويبعدنا عن الحصول على ثرواتنا والاستفادة منها، وهي موجودة، ويبعدنا كذلك عن الاستفادة من القوة والعطاء، والاستهانة والتجرؤ على الأمة.

والبغي والتنافس على الدنيا ورئاستها، والوجاهة وسائر الشهوات، والتعصب المذموم للأسماء والأشخاص، من أعظم أسباب الخلاف والاستطالة، ومن تأمل التاريخ عرف هذا، وهناك جهود خفية مستمرة منذ زمن طويل تبذل لتفريق المسلمين وتفريغ قوتهم، والقضاء على حضارتهم الأصيلة، فالأفكار والانتماءات الدخيلة فتكت بالأمة، وزرعت فيها المشاعر العصبية والأنانية الاجتماعية.

فلابد من دراسة علمية منهجية توضح الرؤية، وتبيِّن الطريق، ليكون التقريب والتوفيق، إن أمكن، على بيِّنة ومنهج واضح، ومن الضروري أن تتكاتف جهود الباحثين لكشف أسباب الخلاف وأصوله التي وضعها أعداء الإسلام، وأن يُسد الفراغ في حياتنا بقاعدة راسخة من المبادئ التي تشكل قاسما مشتركا يؤمن به ويخضع له الجميع، فتصبح في حياتنا كالميزان الذي يحتكم إليه الطرفان كلما اختلفا على أمر، فلا تدع شيئا من الخلافات، وأن تذاب الآراء والجهات المتخالفة حتى يقضى على آفاتها ونذر الشقاق فيها، فالجهد الجماعي لا يثمر إلا إذا كان في وحدة حقيقية مترابطة.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣١

العام السادس والأربعون

ذو القعدة ١٤٣٠ هـ

نوفمبر ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



الخطاب الإسلامي المعاصر في حاجة ماسة إلى رؤية فلسفية مرتبطة بالماضي ومستشرفة المستقبل لتقديم صورة ذهنية إيجابية عن حقيقة الإسلام الناصعة، وما يقدمه من أجل سعادة البشرية.

داخل العدد

كلمة العدد

الكتابة الناقدة

يقول حكيم: لا درس أحق بالعناية ولا عادة أجدر بالاكتساب من ملكة الحكم الصحيح على الأشياء ووضع لذتنا في الأخلاق العظيمة والأعمال النبيلة.. هذه المقولة تؤكد ضرورة النظر بعين شاملة قبل إبداء الآراء وعرض الأفكار، خاصة أن مجتمعاتنا في زماننا الحالي غصت بالغث والسمين من الكتابات غير المسؤولة تحت مسمى «حرية الرأي».

فقد لوحظ ازدياد حركة النقد الهدام الموجه لكل ما هو ناجح باستخدام وسائل الإعلام المختلفة الصادرة بأسماء وهمية أو حقيقية لدرجة تصل إلى حد التشهير الفاضح والقذف الواضح.

ونحن لا نختلف على أن النقد والنصح مطلوبان، باعتبار أنه لا تقوم قائمة لأي أمة بغير نصح، ولا يمكن لمجتمع أن يسير سيراً سليماً بدون نقد، وكلاهما يعتبر «صافرة» إنذار تنبئ بالخطر قبل قدومه، وتنذر بسوء النتائج، والقرآن شخص طبيعة هذه التجربة بطلبه من الناس تضييق نطاق الخطأ، وطلبه من الناقدين أن يختاروا أسلوب التجريد غير المخصص الذي كان يستعمله الرسول ﷺ في قوله «ما بال أقوام...» والبعيد عن التعميم المطلق.

وينبغي الأخذ في الاعتبار سهولة القول في مجتمعاتنا، وصعوبة العمل والفهم، فلو عملنا بمقدار كلامنا لما كان هذا حال الأمة العربية والإسلامية، لذا تجد كثرة في الصحف والكتب والأقلام، ولكن أكثرها كغثاء السيل، لا يقدم وإنما يؤخر بإيهامنا بأننا أنظمة القوانين والتشريعات، والحقيقة تكشف زيف خيالنا الأعمى.

إن الإسلام بمفهومه وشموله سائر في طريقه الصحيح ومنهجه القويم، سواء نقده المناوئون أو نشروا سلبيات أتباعه بأسلوب التعميم المطلق، لأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولن يفلح كيد الكائدين ولو طال الزمان.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلسا ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريال ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

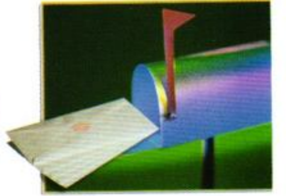
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



الصالح يكرم الجهات المشاركة في العشر الأواخر

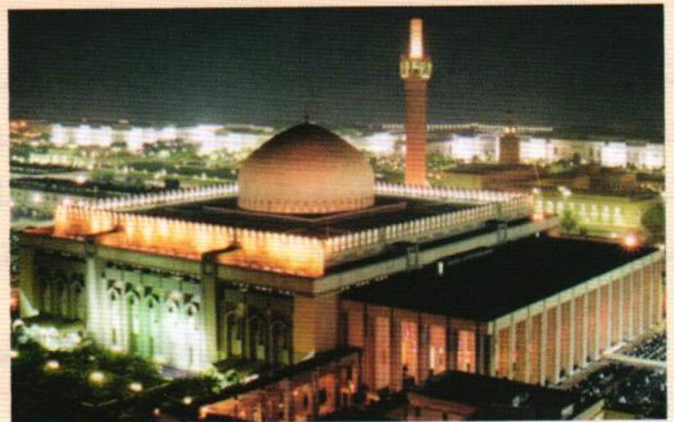


كرم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية وكيل التطوير والتدريب المساعد إبراهيم الصالح الجهات المشاركة في فعاليات العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك في المسجد الكبير.

وأكد الصالح أن الله اختص بعض الأزمنة بخصوصيات ربانية، ومنها شهر رمضان خاصة العشر الأواخر منه، ومن تلك الخصوصيات ليلة القدر التي تزيد في عمر المسلم ٨٣ عاما عبادة خالصة، فمن حرم خيرها فهو المحروم، معتبرا أن العشر الأواخر من رمضان هبة منحها الله للأمة الإسلامية.

وبين أن شهر رمضان هو رسالة عظيمة من الله سبحانه وتعالى للأمة الإسلامية، ففي أيام هذا الشهر المبارك يتغير سلوك الإنسان المسلم إلى الأحسن حتى يصبح قريبا بطاعته من الله، موضحا أن الأمة الإسلامية بشعوبها وأفرادها وحكامها مطالبة بأن تستثمر الأجواء العبادية النورانية التي تمنحها الطاعات في رمضان للإنسان طوال العام حتى تعم الرحمة والتواضع واللين وحسن التعامل في معاملات المسلمين.

وأشاد الصالح بالجهات المشاركة في المسجد الكبير لاسيما جميع الوزارات التي ساهمت في نجاح هذا العرس الإيماني في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك.



حول تجارة البشر

«إسرائيل وجهة أساسية لتهريب النساء والرجال لتجارة السخرة والاستغلال الجنسي» إلى هذا أشار التقرير الأخير الصادر عن وزارة الخارجية الأميركية حول تجارة البشر.

أي إن إسرائيل ليست واحة سلام كما يزعم مسؤولوها، بل هي بؤرة فساد.

بل إن بعض الضحايا من العمال من الصين ورومانيا وتركيا وتايلند والفلبين وسيرلانكا والهند الذين يهاجرون الى اسرائيل بشكل قانوني للعمل في مجال البناء والزراعة والخدمات الصحية يتعرضون لأشد أنواع التنكيل، فقد يتم الاستيلاء على جوازات سفرهم ومنعهم من التنقل، ويحرمون من الرواتب ويتعرضون للإرهاب الجسدي والتهديد المستمر، هذه حقيقة الدولة العبرية كما وصفها تقرير الخارجية الأميركية ومكتب الأمم المتحدة.

ولكن ماذا بعد؟ هل يجرأ أحد على محاسبتها أو فرض عقوبات عليها؟ بالطبع لا.. فالدولة العبرية تعيث في الأرض فسادا، تقتل الفلسطينيين وتسرق الأراضي وتهرب النساء من الاتحاد السوفييتي السابق والصين لاستخدامهن في البغاء، كل هذا ولا تعير اهتماما لأحد، لا النقد ولا العتاب ولا الكلمات المتضمنة تهديدا، هكذا تفعل إسرائيل بفعل التأييد المستمر من دول العالم «الحر» ولتسقط الشعارات حول حرية الإنسان ومنع السخرة ومحاربة البغاء، إلا إسرائيل.. فهي إسرائيل.. وهذا يكفي.

■ **محمد السيد عامر**

فن الاستماع عند المستمع الجيد

الاستماع هو أحد المهارات الأربع الرئيسية للاتصال الإنساني، بالإضافة للتكلم، والقراءة، والكتابة، فأنت وأنا نكون في مشكلة حقيقية لو أن نظرية النصف هذه صحيحة!! لأن معنى ذلك أن نسبة ما نتذكره مما نسمعه تكاد تنعدم!

وهذه المشكلة الحقيقية تأتي نتيجة لأن الفرد لا ينصت جيدا لاستيعاب ما يسمع، فيفقد القدرة على فهم ما يسمع، وبالتالي يفقد القدرة على الحوار والتعامل مع المحيطين به في أي مجال من مجالات الحياة، ومنها الدراسة والعمل والأسرة والأصدقاء... إلخ.

لقد منحنا الله سبحانه هبات متعددة، والاستماع منها، ولكن مشكلة غالبية الناس هي رغبتهم في التكلم أكثر من الاستماع، مفترضين أن على الآخرين أن يستمعوا إليهم دائما، وهم يواصلون الكلام دون توقف!

يتصور بعض الناس أنهم مشغولون جدا، ولا وقت عندهم للاستماع، وأن كل وقتهم يجب أن يكون في التحدث فقط! فليس واجبا محتما على الآخرين الاستماع إليهم، حتى لو كانوا مرءوسيهم أو طلبة عندهم، فيمكن للمستمع أن يبدو وكأنه ينصت باهتمام شديد، في الوقت الذي يسرح بخياله بعيدا عن

الأمانة في العمل الإداري

لقد تطور علم وفن الإدارة في السنوات الأخيرة تطورا ملحوظا وهائلا، بما استوجب أن يلم كل مسؤول في موقعه، ولو إلماما مجملا، بهذا العلم، أصوله وقواعده، نظرياته ومناهجه، وبهذا الفن وكل ما يحويه من وسائل وطرائق وأدوات وتقنيات، وأن يحاول دائما معرفة وتطبيق كل ما هو جديد، مما يخدم العملية الادارية ويجعلها تسير في انسياب وتناسق وبالتالي يمكن أن يحقق الأهداف المرجوة.

لكنه يجب علينا، نحن المسلمين، ان نعظم قيمة الأمانة في العمل الإداري على كافة المستويات وفي جميع المراحل، انها السلاح العظيم والذخيرة القوية التي تجعل العضو الإداري أمينا دائما مع الجميع، أمينا لا يغش ولا يسرق ولا يفشي سرا، أمينا في عرض القضايا وحل المشكلات ومواجهة الأزمات، مخلصا في كل اعماله محافظا على مواعيده، موفيا بالتزاماته، متفانيا في عمله لدرجة الذوبان حتى إن لم يحصل على الأجر المجزي، وحتى لو اضطر أن يعيش حياة الكفاف، تلك الأمانة التي تجعل القائد أو المدير مسؤولاً عن رعيته موجها لطاقاتهم، شاحذا لهممهم، متفقدا لشؤونهم، متعاملا مع قضاياهم، يعيش بينهم كواحد منهم، محبا لهم ومربيا لهم، يعالج منهم المريض، ويصلح منهم الفاسد، ويقوم منهم المعَوّج، ويهدي منهم التائه، ويقوي منهم الضعيف، وهذه الأمانة لا تتجزأ أبدا، وكيف تتجزأ وباعثها هو الإيمان الذي يصنع الأبطال ويحقق المعجزات والخوارق.

إنها الأمانة التي ذكرها المولى سبحانه وتعالى في سورة القصص

﴿يأبت استئجره إن خير من استئجرت القوي الأمين﴾.

■ **محمد علي الشريف**

المتحدث المتسلط، الذي يضيع وقته ووقت المستمعين إليه، وكأن ذلك المتكلم دائما يظن أنه يعرف كل شيء، وأن اهتمامه الأول هو أن يقول، وأن يظل يقول، على أن يستمع له الآخر، الذي يتمنى أن يصمت الأول ويستمع إليه بدوره، فيكون هناك حوار حقيقي.

ويقاس تحضر الفرد بمدى استماعه للآخر، وليس بقدرته الكلامية التي لا تتوقف! والإنسان الذي يدرب نفسه على الاستماع، هو أكثر رقيا واحتراما لنفسه، وله أصدقاء أكثر من الذي «بلع راديو»! كما أن فرص النجاح أمامه أكثر على المدى الأطول، حتى لو نجح «بالع الراديو» بشكل أسرع ولكن لمدة اقصر، فسينفض عنه الناس بعد امتعاضهم منه!

فالشخص الحكيم يزداد معرفة بالاستماع، والمستمع الجيد شخص قادر على التحدث مع الآخرين، وليس مجرد شخص يتحدث إلى الآخرين، والفارق بين مع والى هو الفارق بين الإنسان الناجح والإنسان غير الناجح!

- فنحن نسمع نصف ما يقال لنا!
- ونحن نفهم نصف ما نسمع!
- ونحن نصدق نصف ما نفهم!
- ونحن نتذكر نصف ما نصدق!

■ **أميرة سليمان أبوجبة**

تنويه

وصلتنا ملاحظات عدة حول قيام بعض الإخوة الكتاب والقراء باجتزاء نصوص أو أشعار من الآخرين، ومن ثم ينسبونها إلى أنفسهم دون وجه حق، وهذا بالتالي إخلال بالأمانة وسرقة فكرية لا تجوز، ومن يضبط متلبسا بذلك سيحرم من النشر على صفحات المجلة، فنرجو من الجميع الالتزام بضوابط النشر.

مفتاح خلاصك

يرى الإمام الشافعي أن خلاصة الحياة وحكمتها ومفتاح سعادتها تكمن في «سورة العصر».

ثراء حياتك

أن تلج رياض القرآن
بستان الروح، ضيا الوجدان
حسبك إيناسا، ريّا
أن يضحى دستور حياتك سورة
من أنجى سور القرآن
تسمى «العصر».. ما آلقها!
في معناها بناء عقدي راسخ
ما أسماها.. في مبناها
تقويم روحي سامق.
حصن لحياتك أمنع
عيش في الوُجد الأمتع
مفتاح سعادتك الأنصع
صون حياتك، جوهر ذاتك
أن تظفر بهني المطلع
عمرك.. عصرك
أيام.. أيام.. أيام
أن تهدر يوما من عمرك
معناه.. أذهبت ببعضك
لا تدع الزمن.. الوقت.. العصر
يتفلت من بين يديك
فمن المقت، ضياع الوقت

■ **محمد السعيد**

من صور الحياة العلمية في الكويت

الأدب الكويتي في ذاكرة التاريخ

إعداد: التحرير

كغيره من الآداب والفنون مر الأدب الكويتي بمراحل شهدت ولادته وحبوه وطفولته وترعرعه وبلوغه أشده، غير أن المهتمين بالتأريخ له كانوا قلة، مع أن تأريخ الأدب لا يقل أهمية عن صناعته، وكذلك لا يمكن التهاون بدور نقلة تلك الآداب ورواتها فلولاهم لما عرفنا كثيرا من آدابنا ولاندثرت وضاعت في طي النسيان، كما أنه لا يمكننا أن نغفل أننا أمة السند والرواية، وهؤلاء الرواة قدموا للأمة الكثير الجم.

وقد ظلت المكتبة العربية تعاني فراغ أرففها المكتوب عليها «تاريخ الأدب الكويتي» إلى أن رأى النور كتاب «أدباء الكويت في قرنين» لمؤلفه خالد مسعود الزيد ليكون الكلمة الأولى في الأدب الكويتي، على حد تعبير الكاتب سليمان الشطي في مجلة البيان العدد الثالث عشر.

ولم يكن الشطي وحده هو الذي كتب مشيدا بهذا العمل غير المسبوق، فقد كتب طارق عبدالله في مجلة الكويت العدد ١٠٥ يقول: «وأصدق خدمة يمكن أن تؤدى لدارس الأدب هي تمهيد الطريق له وتسهيل مهمته، ولقد قام مؤلف هذا الكتاب بهذه الخدمة خير قيام، فوجه بطاقة الدعوة، وفتح سجلاته»، كما أن الجزء الأول من الكتاب يضم في صفحاته الأولى بعض المقالات التي جاءت صدى له.

وكما هو واضح من عنوان الكتاب فإنه يترجم لأدباء الكويت في القرنين الماضيين، ويورد أعمالهم، ما يمكن الباحث من الوقوف على سمات كل واحد منهم وأبرز ما يمتاز به، غير أن الكاتب صدَّر كتابه بتتبع الحركة الفكرية الكويتية تحت عنوان «تاريخ الحركة الفكرية في الكويت»، وذلك التصدير جاء غاية في الأهمية، إذ يعد باكورة التأريخ للأدب الكويتي أو الفكر الكويتي بصفة عامة، يقول المؤلف: «يستطيع دارسو الأدب ومتتبعو تاريخ الحركة الفكرية في الكويت أن يقفوا عند أربع مراحل هي كل ما استطاع الأدب والفكر في الكويت ان يسيره عبر ممراته في تاريخ هذا البلد»، مشيرا إلى بعض الأسماء البارزة في تلك المراحل مثل أحمد بن عبدالجليل الطبطبائي، وتلميذه الشيخ خالد بن عبدالله العدساني، والأخير شخصية مرموقة في عصره، عين إماما وخطيبا في جامع السوق، وهذا منصب عظيم لا يناله إلا كل ذي قدر لدى الناس ومكانة علم، وأحمد العدواني وفهد العسكر وأحمد زين السقاف وغيرهم، ومؤكدا دور الشاعر الأديب عبدالجليل الطبطبائي (والد أحمد بن عبدالجليل) الذي يقول عنه: ولم تكن الكويت قبل أن يحل فيها قد تعرفت على أي لون من ألوان الأدب أو مارسته.

ويشير المؤلف إلى المجلات التي صدرت في تلك الفترة مثل «كاظمة»، وهي أول مجلة طبعت في الكويت، و«الكويت» و«الرائد» و«الإيمان»، ثم يختم بالإشادة بدور مجلة «العربي».

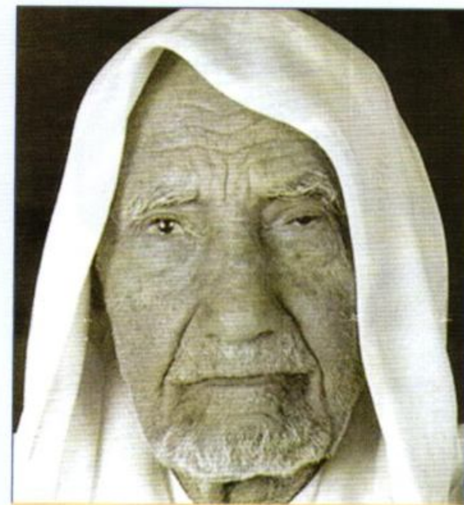
على آية حال فإن من البيّن أن الأدب الكويتي اليوم جنح عن الشعر الفصيح، الا فيما ندر، حتى الفصيح الموجود ليس له انتشار كما كان في السابق، وللأمانة فإن هذا ليس مقتصرا على الأدب الكويتي وحده، بل هو متفش في كل الآداب العربية تقريبا، الا أن الشعر العامي الكويتي يتميز بعلو صوته في الجرائد والمجلات والفضائيات، بل وجدنا من هذه الوسائل ما تخصص فيه وحده، فضلا عن المساحات التي يحتلها في الوسائل الإعلامية غير المتخصصة.

كما ان الحركة النقدية في الأدب الكويتي اليوم تكاد تكون معدومة، ونعني بالطبع تلك التي تقوم على أسس علمية صحيحة، إذ إن ما دونها منتشر لكنه غثاء كغثاء السيل.

أما الشعر الكويتي الفصيح فقد عرف ألوان الشعر وفنونه كلها تقريبا، ففي الرثاء يقول الشيخ إبراهيم سليمان الجراح في رثاء أخيه محمد الذي توفي عام ١٩٩٦

ما كنت أحسب أن تطول حياتي
حتى أراك سبقتني بممات
قد كنت أرجو أن أفوز بدعوة
مبرورة لي منك أو بصلاة
فسبقتني ضيفا لربك للذي
يقري النزيل لديه بالجنات


صقر الشبيب


إبراهيم الجراح

الشبيب والجراح والعسكر والطبطبائي وعبد الجليل والرفاعي .. أبرز الشعراء في القرنين الماضيين

عشنا جميعا مذ ولدنا لم نكن
نخشى التفرق أو نرع بشتات

الى ان يقول في أبيات تشي بشعوره بدنو أجله

فـإذا ذكرتـك راثيـا فكأنني
أرثي بذا نفسي لقرب وفاتي
بل مت غما بعد فقدك يا أخي
أسفا عليك فهل سمعت نعاتي؟
أتطيب لي بعد الحبيب إقامة
في غير وصل بيننا وصلات؟
صبرا لعل الله يجمع بيننا
فيما لديه بأرفع الدرجات
ويصفح عما ساء من هفواتنا
ويغفر إذ لابد من هفوات

وقد توفي الشاعر في الثامن من شهر ديسمبر من عام ٢٠٠١، أي بعد ذلك بخمس سنوات، ما يؤكد أنه لم يكن يعبأ بالدنيا وملذاتها، خصوصا بعد فقد أخيه.

ومنه ما قد سجل وقائع مر بها الشعب الكويتي وتركت انطباعا في شعرائه، يقول خالد العدساني:

الله أكبر كيف القمل الضعفا
آذى الأنام ومنه الزرع قد تلفا
وصير الأرض بيضا لا نبات بها
كأنه لم يكن فيها وما عرفا
قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعه
شيء فما مل من شيء ولا وقفا
حتى أتانا فعمتنا بليته
وقد كسا الأرض ثوبا من مختلفا
فلم نر طرقا الا وقد ملئت
ولا جدارا ولا سقفا ولا غرفا
وأصبحت جملة الآبار منتنة
كأن في جوفها من ريحه جيفا
وكل طفل له من أهله حرس
يحمونه يقظة منه وحين غفا
واشتد أمر الورى من عظم كثرته
ومن أذاه، وما ظنوه منصرفا
فقال كل «أما والله ذا سخط
قد أوجبته معاصينا فوا أسفا
أنى لعشر من الشهر الشريف خلت
مع ليلتين وبعد الضعف قد ضعفا؟
وكان في سنة السبع التي وقعت
بعد الثلاث التي قد جاوزت ألفا

ويبلغ الشاعر قمة في الايمان فيقول:

فالحمد لله والشكر الجميل له
في كل حال فمولانا بنا لطفا

ومنه ما جاء تضرعا الى الله ودعاء، يقول العدساني أيضا، بعد أن فقد بصره:

رجائي من المولى الجليل جميل
وفضل إله العالمين جزيل
ولي أمل في الله جل جلاله
فكيف أخاف الدهر وهو كفيل
ألوذ به في كل خطب ألم بي
وإن همَّ همٌ فالكريم مزيل
عليه اتكالي في الأمور جميعها
وحسبي إله العرش وهو وكيل
أتيت بفقري وانكساري وذلي
لديه وظهري بالذنوب ثقيل
هو الواهب المعطي فليس عطاؤه
يعد ولا يحصى وليس يزول

وفي الغزل يقول أحمد المشاري

أهلا بمؤنس وحشة المشتاق
زينِ الطليعة نيّرِ الاشواق
أهلا بغرتك التي كم أثلجت
قلبا وهاجت كامن الأشواق
يا بدر كم آنست أرباب الهوى
ورنوتَ في عطف إلى العشاق
أشبهت من يهوى فهجت لواعجا
من وجده فبكى من الإحراق
سامرته حتى الصباح تعلة
وسترت ما قد باح من أشواق

ولقد ساهم الشعر في الكويت، كما هي حاله دائما، في إصلاح المجتمع وإسداء النصح له، يقول صقر الشبيب:

تفرقنا الجهالة كيف شاءت
وتفعل ما تريد بنا البطالة
يزندق بعضنا بعضا سفاها
مطيعين العمائم في الضلالة
أدين يا أولى العمات ألا
يلين لبعضنا بعض مقاله
وأن تجفو الرجال مواطنيها
وتشهر من تخالفها نصاله

ويلعن بعضنا بعضا لأمر

علينا مكركم فرض امتثاله؟

علمتم باتحاد القوم فوتا

لما فيه لمطمعكم علالة

فأبدلتم وئام القوم خلفا

لتحظوا بالدقيق وبالنخالة

وألبسم خداعكم لثاما

من اسم الدين مسبلة غلاله

أعند أولي العمائم من كتاب

به قد خصهم رب الجلالة

فهم يتلون دون الناس آيا

إلى قبح الشقاق به سمالة

لتوقد من جحيم الخلف ما لا

يخاف سوى الألباء اشتعاله

وتوهم أن في التفريق رشدا

إذا فالرشد هلك لا محالة

أيودي بالشعوب سوى اختلاف

يصول على تجمعهم مصاله

سلوا عنه أولي الالباب ترفع

لكم عن سوء عقباه حجاله

ومن الواضح أنه ينتقد فئة من رجال الدين ناكبين عن جادة الصواب، وعن الصراط المستقيم، يجرون وراء مجد دنيوي زائف زائل، ويسعون إلى تفريق الأمة.

أما الشعر الوطني الكويتي فهو كثير، منه قول الشاعر عبداللطيف الديين بمناسبة العيد الوطني للبلاد:

تيهي وجري للفخار ذيولا

إذ عاد عيدك يا كويت جميلا

فيه البلابل في الرياض تبادلت

بلغاتها التكبير والتهليلا

وبه الهواتف هنأتك مرنة

والبرق صداح يصل صليلا


عبدالله الفرج


فهد العسكر

الحركة النقدية العلمية للأدب معدومة.. والشعر العامي يعلو صوته في وسائل الإعلام

وبه تصافحت القلوب فأكدت

أن التعاطف لم يزل مبذولا

وبه نظمت من القريض هدية

عقدا من الدر الثمين طويلا

كما عرف الشعر الكويتي التشطير والتخميس، فمن التشطير مع أبي فراس الحمداني يقول إبراهيم سليمان الجراح:

رعا الله الصبا لو كان آبا
«لتم لنا السرور به وطابا»
لقد ولى وخلف ذكريات
«إذا خطرت لنا كانت عذابا»
أتاح لنا المنى حتى جنينا
«قطوف الأنس يانعة رطابا»

ومن التخميس مع أبي فراس الحمداني أيضا في قصيدته المشهورة «أراك عصي الدمع» يقول فهد صالح العسكر:

ألمت بنا وهنا كما نزل القطر ... وأبدت محيا دونه الشمس والبدر
فقالت ومن أخلاقها التيه والكبر ... «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهي عليك ولا أمر؟»

فكيف عصتك النفس وهي مطيعة؟ ... ولست مشوقا والدموع منيعة
أملك في وصل الملاح طبيعة ... «بلى أنا مشتاق وعندى لوعة
ولكن مثلي لايذاع له سر»

أغالط عذالي إذا ذكر الجوى ... وأكتم مابي حيث لا أجد الدوا
أما تعلمي أني ومن فلق النوى ... «إذا الليل أضواني مددت يد الهوى
وأذللت دمعا من خلائقه الكبر»

إرشاد الغافل وتنبيه الناسي إلى حكم الصلاة على الكراسي

د. ياسر إبراهيم المزروعي *

كثر في مساجدنا هذه الأيام المصلون على الكراسي لعذر ولغير عذر، في الفرائض والنوافل، فاضطرب الأمر على البعض وأصبح مما يحتاج إلى بيان.

وقد أجاز الشارع الحكيم لمن لا يستطيع الصلاة قائما أن يصلي قاعدا.

لما روي بالسند إلى ابن بريدة قال حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان مبسورا قال: «سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدا، فقال: إن صلى قائما فهو أفضل، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد» (رواه البخاري).

وفي شرح الغاية: «وكيف قعد جاز» وهي من الرخص في هذا الدين للذي لا يستطيع أن يصلي قائما، بأن يصلي جالسا على أي هيئة كانت، سواء كان على كرسي أو على الأرض أو نحوهما.

لكن هناك بعض الأحكام لصلاة الفرض، ينبغي مراعاتها ومعرفتها لمن يصلي على هذه الكيفية من ناحية المصلي، إن كان منفردا أو مع الجماعة، فنذكرها لعموم الفائدة، وبالله التوفيق:

أولا: الأحكام التي يجب معرفتها ومراعاتها للمصلين على الكراسي:

هناك بعض الملحوظات والأخطاء يفعلها بعض من يصلي على كرسي منها:

١- يجب على المصلي أن يأتي بتكبيرة الإحرام وهو واقف، إن كان عذره في عدم القدرة على السجود أو الركوع أو طول القيام، أما إن كان العذر في عدم مقدرته على القيام أصلا فيجوز له أن يكبر جالسا ونحوه، لأن من المعلوم أن القيام في الفرض ركن من أركان الصلاة، ولا يسقط إلا لعلة أو عذر.

٢- ومن أركان الفريضة القيام في حال القراءة ويسقط للعذر، فمن صلى الفرض جالسا لغير عذر بطلت صلاته، ومن المعروف في النافلة أن أجر القاعد غير المعذور نصف أجر القائم كما تقدم في الحديث- على خلاف عند بعضهم- سواء كان القاعد على الأرض أو على كرسي أو كيفما قعد، ويأتي قريبا.

٣- على المصلي على كرسي ألا يراوح برجليه أو أحدهما على الأخرى، وليعتمد في جلوسه عليهما لا على ظهره كما يأتي.

٤- ألا يحرك الكرسي الذي هو جالس عليه في حالة الإيماء للركوع أو السجود، وهذا لا يحدث إلا ممن يبالغ في طريقة الإيماء، وهي غير صحيحة.

٥- ألا يستند على ظهر الكرسي استنادا قويا، بحيث لو أزيل ما استند إليه وقع، لأنه أجيز له القعود لعذر، لا الاستناد لغير حاجة، أما لو استند استنادا شديدا لغير حاجة أو عذر بحيث يقع لو أزيل ما استند إليه بطلت صلاته، لأنه خالف هيئة من هيئات الصلاة.

٦- أن يفرق بين الركوع والسجود بطريقة الإيماء، بحيث يكون إيماء السجود أخفض من الركوع.

٧- ألا يسجد على شيء يوضع له، أو يرفع له، كأن يكون متصلا بالكرسي أو غيره، أو يضع له مخدة ونحوها، كما يفعل بعض المسافرين بالطائرات، بحيث يجعل طاولة الطعام الملحقة بالكرسي الأمامي، أو في كرسيه موضعا لسجوده ويسجد عليها، بل يكفيه الإيماء، لأنه إذا عدم السجود والركوع على أصلها- وهي الأرض- فلا يقوم مقامها شيء، وعليه أن يسجد ويركع في محله إيماء، لكن يجعل السجود أخفض إيماء من الركوع.

٨- إن كانت علته عدم المقدرة على الجلوس في السجود والركوع أن يصلي قائما، ويركع ويعتدل بعد الركوع، ثم إذا أراد أن يهوي للسجود جلس، والذي يقدر هذا هو المصلي نفسه، لأنه أعلم بنفسه.

٩- إن كان جالسا فعليه أن يضع يديه على ركبتيه في حال الركوع، وأما في حال السجود فعليه أن يغاير مكان وضعهما بحيث لا تكون على ركبتيه فيشتبه الركوع بالسجود، فعليه إما أن تكون بجانبي فخذيه على الهواء أو حذاءهما يمينا أو شمالا، وإن كان جالسا على كرسي له أن يمسك بطرف مقعد الكرسي (١)، وذلك لكي يفرق بين الركوع والسجود وهي أبعد من السهو واختلاط الأفعال عليه بين الركوع والسجود لمن يضع يديه على ركبتيه في حال الركوع والسجود.

١٠- ألا يكون إماما(٢)، لمأمومين قائمين من غير كراسي أو معذورين، أما إن كانوا كلهم أصحاب أعذار يصلون على كراسي أو على الأرض، جاز أن يكون إمامهم جالسا مثلهم، وألا

* باحث في وزارة الأوقاف الكويتية



يأتم بهم غيرهم.

١١- إن كانت علته مؤقتة غير دائمة- أي ممن يرجى زوالها- فمتى أحس بمقدرة على أن يصلي كالصحيح صلى، إي: إن كان جالسا وأحس بذهاب علته قام ، وإن كان قائما وأحس بزوالها قعد، وكذا العكس إن كان صحيحا وأحس بعلة جلس.

هذا بالنسبة لصلاة المنفرد وقد يشترك بها المأموم مع الجماعة.

ثانيا: الأمور التي يجب له أن يراعيها في الجماعة، منها:

١- أن يكون موضع الكرسي في جوانب الصفوف من ناحية اليمين أو الشمال، وألا يكون في منتصف الصف أو خلف الإمام مباشرة، لئلا يقطع استقامة الصف من خلفه أو الصف الذي يليه، وقد يحدث للإمام شيء وهو خلفه فلا يستطيع أن يتقدم، ولأنه مخالف لما أمر به النبي ﷺ مما روي عن أبي مسعود بالسند إليه، قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (رواه مسلم) يعني أصحاب العقول والبالغين من غير أصحاب الأعذار أو المعذورين.

٢- إن كانت علته عدم المقدرة على الجلوس بالأرض والسجود والركوع، ويقدر على القيام، أن يكون واقفا بمحاذاة الصف الذي يقف به، ولا يتقدم على من بجواره، وأما إن كانت علته عدم القيام بحيث تكون صلاته كلها وهو جالس، كأنه جالس على الأرض في حال التشهد- أي يعتد في قيامه مكان جلوسه- فلا يضر لو تقدم عن صفه بتقدم رجليه عن أصل صفه، لأنه يراعي عدم تقدمه في حال جلوسه معهم، ولا يضر لو تقدم عليهم بمقدار نصف ذراع ونحوه، لأنه على كل الأحوال معذور فلا يؤاخذ كالصحيح، والله أعلم.

بيان كيفية صلاة القاعد المعذور في الفريضة

وأذكر هنا حكم صلاة النافلة للقاعد غير المعذور:

قال الإمام البخاري في صحيحه وبسنده إلى الصحابي الجليل عمران بن الحصين قال: «سألت النبي ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعد فقال: من صلى قاعدا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد» قال أبو عبدالله- يعني البخاري: نائما عندي مضطجعا هاهنا.

وفي فتح الباري: «قال ابن رشيد: مطابقة الحديث للترجمة من جهة أن من صلى على جنب فقد احتاج إلى الإيماء. انتهى. وليس ذلك بلازم، نعم يمكن أن يكون الإمام البخاري يختار جواز ذلك، ومستنده ترك التفصيل فيه من الشارع، وهو أحد الوجهين للشافعية وعليه شرح الكرماني».

حكاه ابن رشيد ووجهه بأن معناه من صلى قاعدا أومأ للركوع وللسجود، وهذا موافق للمشهور عند السادة المالكية من أنه يجوز له الإيماء إذا صلى نفلا قاعدا مع القدرة على الركوع والسجود وهو الذي يتبين من اختيار الإمام البخاري.

وفي صحيح الإمام مسلم: فبالسند إليه: عن عبدالله بن عمرو قال: حدثت أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة».

وقد بوب الإمام الترمذي باباً فيمن يتطوع جالسا، وذكر حديث حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحة قاعدا حتى كان قبل وفاته ﷺ بعام، فإنه كان يصلي في سبحته قاعدا، ويقرأ بالسورة ويرتلها حتى تكون أطول من أطول منها».

وقد نقل الترمذي بإسناده إلى الحسن البصري، قال: «إن شاء الرجل صلى صلاة التطوع قائما وجالسا ومضطجعا» وقال به جماعة من أهل العلم، وهو أحد الوجهين للشافعية، وصححه المتأخرون، وحكاه القاضي عياض وجها عند المالكية أيضا.

وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن إلى أن من يتطوع جاز له أن يجلس كما شاء متربعا وغيره إلا في القعدة فإنه يجلس فيها كهيئة القعدة، وما تعامل به أهل العصر من الجلوس على هيئة

القعدة في القيام فهو مذهب زفر رحمه الله.

وفي المنتقى لشرح الموطأ: «فأما من كان في الأرض فتنفل فيجوز أن يومئ في النافلة لغير عذر، وروى عيسى عن ابن القاسم: لا يومئ الجالس من غير عذر، قال عيسى في النوافل وغيرها، قال ابن حبيب: له أن يومىء في النوافل من غير عذر، كما له أن يدع القيام في النوافل من غير علة، وقد روى عيسى عن ابن القاسم أنه إن أومأ في النوافل أجزأه وكأنه ذهب إلى الكراهية، وظاهر قول عيسى المنع، ووجهه أن الإيماء ليس بهيئة من هيئات الصلاة، فجاز أن يكون بدلا من القيام في النافلة».

وفي مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز قال: الواجب على من صلى جالسا على الأرض، أو على الكرسي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه، والسنة له أن يجعل يديه على ركبتيه في حال الركوع، أما في حال السجود فالواجب أن يجعلهما على الأرض إن استطاع، فإن لم يستطع جعلهما على ركبتيه، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم «الجبهة، وأشار إلى أنفه، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين».

قال في الجامع لأحكام الصلاة: وحيث إن الجلوس على ظهر الدابة والجلوس على الكرسي شيء واحد وفعل واحد، لأن كلا الفعلين جلوس للمرء على مقعدته وترك رجليه تتدليان إلى أسفل، فإن هذين الفعلين يشتركان في حكم شرعي واحد، وأن ما ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر، وهذا الحكم الشرعي هو الجواز والإباحة في صلاة التطوع فحسب، فمن أراد أن يصلي تطوعا ونافلة جاز له ذلك، وهو جالس على الكرسي، كما جاز له ذلك وهو جالس على ظهر دابة سواء بسواء، وتكون صلاته صحيحة متقبلة.

وعند السادة المالكية قال في كتاب النوادر والزيادات:

قال ابن حبيب: ومعنى ما جاء من أن صلاة الجالس على النصف من صلاة القائم، فيمن يقدر أن يقوم في النوافل، فأما من أقعده مرض أو ضعف عن أن يقوم، فهو في ثوابه كالقائم في الفرض والنافلة، ومن شاء في تنفله قام في ركعة وقعد في ثانية، أو قام بعد قعود، أو قعد بعد قيام فقرأ، ثم عاد للقيام، تداول ذلك كيف شاء، وإن شاء سجد، وإن شاء أومأ به من غير علة، وله أن يمد إحدى رجليه إذا عيي، وكذلك في المحمل، وله أن يقعد بين التربع والاحتباء...».

قال ابن القاسم عن مالك في تنفل المتربع: إنه يثني رجليه في السجود، ويرفع يديه عن ركبتيه إذا رفع من الركوع والسجود، وإذا تم تشهده الأول كبر ينوي القيام- يريد أنه يتربع- وجلوسه في موضع الجلوس كجلوس القيام.

وقال ابن القاسم: لا يومئ الجالس للسجود إلا من علة، وإن أومأ من غير علة في النوافل أجزأه... وقال أيضا: والمصلي في المحمل متربعا إن لم يشق عليه أن يثني رجليه عند سجوده فليفعل ذلك.

صلاة النافلة للقاعد جائزة .. والأفضل القيام مع القدرة في الرواتب

وقال السادة الشافعية كما في حاشيتي القليوبي وعميرة: «وللقادر» على القيام «التنفل قاعدا وكذا مضطجعا في الأصح» لحديث البخاري: «من صلى قائما فهو أفضل، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد» والمراد بالنائم المضطجع، واليمين أفضل من اليسار كما قال في شرح مسلم، ويقعد للركوع والسجود، وقيل يومىء بهما.

مما تقدم يتلخص ما يلي:

أن صلاة النافلة للقاعد جائزة على أي حالة كانت، سواء على كرسي أو على الأرض، وتكون في النوافل لا الرواتب، لأن الرواتب تأتي بعد الفرائض فالأفضل لمن يصليها أن يصليها عن قيام مع القدرة، وإن صلى عن جلوس فله نصف أجر القائم إن كان صحيحا كما تقدم.

أما النوافل مثل صلاة التراويح والتهجد ونحوها من النوافل، فللمصلي أن يصليها جالسا على كرسي أو على الأرض، وله أن يبدأ الصلاة قائما ثم يجلس أو العكس، وله أن يصلي ركعة جالسا وركعة قائما، وله أن يومىء بالركوع والسجود أو يركع ويسجد على الأرض، ونحوها من صور الصلاة.

لكن عليه إن صلى على أي هيئة كانت أن يراعي صفتها المعروفة، وذلك في صورة الصلاة.

وفي الختام، هذه عبارات أسوقها لمن يصلي على الكرسي ليراعي منها ما يستطيع:

١- أن يعود نفسه ألا يدوم في الصلاة على كرسي بعد تحسن أحواله الصحية.

٢- ألا يتحرى الكراسي الفارهة التي تحدث انتباها وتباينا بين المصلين.

٣- يحرص على ألا يصلي خلف الإمام مباشرة، مهما قل المصلون في المسجد.

٤- ألا يحجز مكانا دائما له يمنع الناس منه، إلا إذا كان المسجد فيه سعة.

٥- ألا يستشعر مهما طال الأمر معه أنه أقل حظا من المصلين، لكونه يصلي على كرسي، بل هذا مما لا يأباه الشرع.

٦- مراعاة الآداب العامة حين الجلوس.

الهوامش

(١) وبأحد هذه الصور يتجنب مشاركة الركوع والسجود في وضع اليدين، أو التصاق بطنه بفخذيه فيما لو جعلها في الهواء وجعل مرفقيه على ركبتيه كحالة السجود، وبه يقع في المحظور وهو افتراش يديه المنهي عنه في حال السجود، كذا أفاد به شيخنا العلامة عبدالله العقيل أمد الله بعمره في طاعته.

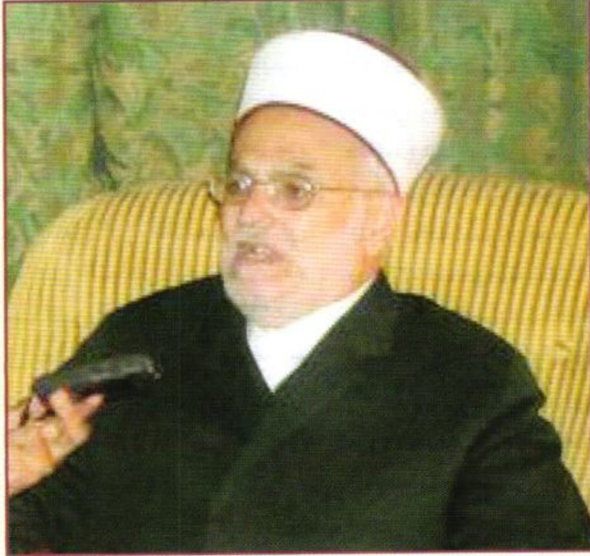
(٢) إلا الإمام الراتب ذا علة يرجى زوالها، فإنه يصلي جالسا وهم مخيرون بين الجلوس والقيام، والجلوس أولى لمتابعته، مطالب أولى النهي (١/٤٥٥).

د.عكرمة صبري مفتي القدس الأسبق وخطيب المسجد الأقصى لـ«الوعي الإسلامي»:

تقارير «اليونسكو» تتخذ موقف المتآمر مع الصهاينة

فلسطين - خاص

أكد سماحة الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس الأسبق وخطيب المسجد الأقصى أن هناك محاولات عديدة وجادة من قبل السلطات الإسرائيلية من أجل تنفيذ مخططها الاستعماري في القدس، لأنها تريد أن تعطي طابعا يهوديا لهذه المنطقة، وناشد صبري العالم الإسلامي إنقاذ الأقصى المبارك، واتخاذ خطوات جادة لدعم الشعب الفلسطيني ونصرته في ظل المحنة التي عاناها على مدى سنوات طوال، وشكك في دور المنظمات الإسلامية المنوط بها الحفاظ على التراث الفلسطيني وعلى رأسها منظمة اليونسكو، داعيا المسلمين سنة وشيعة إلى أن يفطنوا للمخطط الخطير الذي يستهدف تفريق الأمة الإسلامية، ويقفوا صفا واحدا لإحباط هذه المحاولات، ويعملوا على بث روح الوحدة بين أبناء المسلمين، واعتبر صبري أن الأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية ما هي إلا رسائل إيقاظ لها من سباتها.. «الوعي الإسلامي» التقته فكان هذا الحوار:



الإسلام طالب بترسيخ ثقافة التعايش في كل عصر

■ **في البداية ماذا عن الوضع الراهن في المسجد الأقصى؟**

- هناك محاولات عديدة بين الحين والآخر من قبل السلطات الإسرائيلية لتنفيذ مخططها الاستعماري في القدس، والقيام بالحفر حول المسجد الأقصى وإزالة المعالم الإسلامية الحضارية في باب المغاربة، وهذه المنطقة تعد من أهم المناطق الأثرية والحضارية في مدينة القدس، والآن إسرائيل تزيل ما تبقى من الغرف الملاصقة للسور الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق) لتقوم بتوسعة ساحة البراق حتى تعطي طابعا يهوديًا لهذه المنطقة، ولا يخفى على أحد أن هذه الحفريات الصهيونية هدفها هدم المسجد الأقصى المبارك، فالتشققات ظهرت في الجدار الخارجي للأقصى من الجهتين الشرقية والجنوبية نتيجة لهذه الحفريات التي يقوم بها الاحتلال، ونناشد الأمة الإسلامية حكاما وشعوبا لإنقاذ الأقصى المبارك، واتخاذ موقف حاسم من العالم الإسلامي لدعم الشعب الفلسطيني.

■ **ما تقديركم لدور المنظمات المنوطة بالحفاظ على التراث الفلسطيني وفي مقدمتها منظمة اليونسكو المعنية بالحفاظ على التراث الإنساني في المدينة المقدسة، وكذلك منظمة الإيسيسكو؟**

- منظمة اليونسكو - للأسف الشديد - لا تقوم بدورها الكافي ولم تتعاون مع الأوقاف الإسلامية، بل إنها أقرت المخططات الإسرائيلية بشأن مشروع باب المغاربة، وأرادت أن تشرك الأردن في ذلك من أجل إضفاء روح الشرعية على ممارسات الاحتلال، لكن الأردن رفض بشدة، وتقارير هذه المنظمة لا تصب في صالحنا أبدا، وموقفها موقف المتآمر مع الصهاينة، أما المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) فهي منظمة إسلامية عالمية تقوم بدور إيجابي في حدود المتاح لها، لأن إسرائيل تضع العقبات أمامها، وتقف سدًا منيعا ضد دعمها للمؤسسات الفلسطينية.

■ **فضيلتكم رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس، فماذا عن الدور المنوط بها لحماية المقدسات الإسلامية؟**

- الهيئة الإسلامية العليا تعدُّ أعلى هيئة دينية في القدس، وهي التي حافظت على المسجد الأقصى والأوقاف والمحاكم الشرعية والشؤون الدينية بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام ١٩٦٧م، وهي بمنزلة الشخصية الاعتبارية والقانونية التي منعت إسرائيل من وضع يدها على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية، وهذه الهيئة كانت تشرف على كل المقدسات الفلسطينية، ولكن بعد مجيء السلطة الفلسطينية تركز نشاطها على المؤسسات الإسلامية في القدس بصفة خاصة والمناطق التابعة لها، ومن أهم الأدوار التي تقوم بها حماية المقدسات والدفاع عن الأقصى، وهي تتكون من ستين عضوا من

العلماء ورجال السياسة، وأشغل حاليا منصب الرئيس المنتخب لها، ومقرها «القدس القديمة» بالقرب من المسجد الأقصى، كما أشغل منصب رئيس استشاري لكلية القرآن ورئيس مجلس مدارس رياض الأقصى الإسلامية، بالإضافة إلى أنني خطيب المسجد الأقصى المبارك، وأنشطة أخرى كثيرة أتمنى أن يوفقني الله للقيام بواجباتها.

■ **هناك محاولات حثيثة من أعداء الإسلام لإثارة نعرات الفتنة بين السنة والشيعة من أجل إضعاف الأمة الإسلامية، فما واجب علماء الأمة الإسلامية للتصدي لهذه الفتنة؟**

- لاشك أن الدول المعادية للمسلمين تريد إثارة الفتنة بين السنة والشيعة بهدف إضعاف الأمة الإسلامية وتفجيرها من الداخل، فعلى المسلمين سنة وشيعة أن يفطنوا لهذا المخطط الخطير الذي يستهدف الجميع، وأن يكونوا صفًّا واحدا لإحباط هذه المحاولات، وعلى جانب آخر فإن هناك محاولات محمودة من قبل علماء السنة والشيعة للتقريب بين وجهات النظر ونبذ الخلافات وأسباب الفرقة بين الجانبين، فالتصدي لهذه المحاولات لا يقتصر على العلماء فقط، بل لابد من أن تكون هناك وقفة حاسمة من قبل الشعوب أنفسها للتقريب بين وجهات النظر وبث روح الوحدة بين أبناء المسلمين سنة وشيعة حتى يندحر العدو الذي يتربص بالأمة بأكملها.

■ **الخطاب الإعلامي الإسلامي.. كيف تقيمونه مقارنة بالخطاب الغربي الموجه إلينا؟**

- بكل أسف، خطابنا الإعلامي الإسلامي يعاني القصور والإهمال، ففي الوقت الذي نرى فيه الإعلام الغربي يصل إلى كل مكان ويخاطب الجميع، فيحقق أهدافه من الداخل والخارج، نجد أن الإعلام الإسلامي يوجه للمسلمين وللعرب في بلادهم، وليس لغيرهم، وقد نجح الإعلام الغربي في تشويه صورة المسلمين، فألصق بهم الإرهاب، والإسلام منه براء، ولو كان لدينا إعلام يقوم على دراسة وعلم، يخاطب الغرب بطريقة يفهمها ما كانت هذه الصورة المشوهة لدى الكثيرين عن الإسلام والمسلمين، ولذلك فنحن بحاجة إلى خطاب إعلامي يوجه للغرب ويخاطبهم بلغتهم وبأسلوب يفهمونه بدلا من إلقاء اللوم على الغرب، فالإسلام يبدأ بنا وليس بغيرنا.

■ **كيف ترى مستقبل الصراع العربي - الصهيوني في ضوء فشل الغزو الأميركي للعراق ونجاح المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان في كسر غرور وغطرسة الجيش الصهيوني بأسلحتها المتواضعة؟**

- ما حدث في الحرب بين المقاومة وإسرائيل في جنوب لبنان يؤكد قضية مهمة جدًا، هي أن الحق لا يضيع إذا كان هدفا وقضية، فلأول مرة في التاريخ الحديث تضرب إسرائيل في عمقها ويدخل مواطنوها المخابئ ويقتل منهم عدد كبير قتلا مباشرا، وهذه معانٍ مستحدثة لم نكن نعهدها من قبل، فكل معارك المسلمين مع أعدائهم لم يتوافر فيها عنصر القوة الغالبة لقوة العدد بقدر توافر قوة العقيدة وصدق الإيمان، ففي كل مراحل التاريخ كان هناك صدق الإيمان، وصدق العقيدة، وصدق مع الله ومنهجه سبحانه وتعالى، وهذا ما نحرص عليه في علاقتنا مع أعدائنا اليوم.



نحذر من مخططات تفريق الأمة.. وندعو إلى بث روح الوحدة بين أبناء المسلمين

■ **يواجه العالم الإسلامي العديد من التحديات في العصر الحالي ومن أهمها العولمة وإشكالية الحفاظ على الهوية.. ما رؤيتكم في هذا؟**

- الأصل في كل ذلك أن نحافظ على خصوصيتنا وتراثنا ومقومات ثقافتنا، ولا مانع من أن نتعامل مع الشعوب والأمم الأخرى، لأن كل أمة لها تراثها وثقافتها الخاصة بها، والأمة الإسلامية غنية بتراثها الخاص، ولذلك فلابد من عدم التنازل عن تراثنا وثوابتنا الإيمانية والحضارية، أما فيما عدا ذلك فعلينا أن نتعاون مع جميع الأمم والشعوب الآخرى.

■ **شاركتم أخيرا في مؤتمر للرابطة العالمية لخريجي الأزهر بالقاهرة بعنوان «الأزهر والغرب.. ضوابط الحوار وحدوده» فما تعليق فضيلتكم على قضية حوار الحضارات؟**

- نحن في الحقيقة نقوم بحوار الحضارات وننادي به وندعو له، ولكن الذين قالوا إن هناك صدام حضارات هم الغربيون الذين يشنون حملات وهجمات شرسة ضدنا دون أي مبرر حقيقي، ولذلك فالغرب هم أصحاب نظرية صراع الحضارات.

■ **وأخيرا.. هل يمكن اعتبار الأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية والعربية وسائل إيقاظ لها من سباتها أم أنها تجسيد لواقع مهزوم؟**

- لاشك أن أول أثر للأزمات هو أن تكون إنذارا من عند الله لتوقظ الغافلين، فإن لم يستيقظوا ويتبعوا سبيل الإيمان ويحملوا دعوة الله إلى الناس كافة تصبح الأزمات عقابا من الله، قال تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ (السجدة :٢١).

رسالة ماجستير عن صورة «الذات والآخر» تؤكد أن

خطاب مجلة «الوعي الإسلامي» مارس النقد الذاتي.. والغرب ليس كتلة واحدة

السنوسي محمد السنوسي

أصبحت عبارة «الإسلام والغرب» مشحونة بدلالات غامضة تجمع بين قلق الحاضر والخوف من المستقبل، وتحمل في كثير من الأحيان تصورات وأحكاما يستند فيها الطرفان - الغربي والإسلامي - إلى جملة من الحوادث التاريخية، وهذه التصورات تمتزج فيها الحقيقة بالوهم، والواقع بالمتخيل، وتغذيها وتروج لها جهات سياسية وأيديولوجية ذات أهداف خاصة.

ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لتضع العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي على المحك، كما أن الربط الضمني بين الإسلام والإرهاب أوجد نوعا من السخط والريبة بين المسلمين، خاصة تجاه الولايات المتحدة التي قادت الحملة العسكرية المفتوحة فيما أسمته: «الحرب على الإرهاب» منتهكة القانون الدولي وخصوصيات بعض الدول الإسلامية، وهو ما أثار انقسامات في الرؤى والمدركات حول وضع العامل الحضاري والثقافي - وفي قلبه العامل الديني - بين أسباب اندلاع هذه الحروب ونمط إدارتها وعواقبها.

وفي هذا السياق تبرز أهمية رسالة الماجستير التي نوقشت أخيرا عن «صورة الذات والآخر» في مجلة «الوعي الإسلامي» بالإضافة إلى ثلاث مجلات أخرى «المجتمع، منبر الإسلام، التبيان» تحت عنوان: «صورة الذات والآخر في الخطاب الديني في الصحافة العربية: دراسة تحليلية مقارنة» للباحث حسين محمد ربيع عثمان (كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر) بإشراف أ.د.محمد سعد إبراهيم، وبمناقشة أ.د.حسن علي محمد وأ.د.هشام عطية عبد المقصود، ومُنح الباحث تقدير «ممتاز».

فقد سعت الدراسة إلى رصد أساليب تقديم صورة «الذات» المتمثلة في الذات العربية والإسلامية، وصورة «الآخر» المتمثل في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية في الخطاب الديني في المجلات الإسلامية، بهدف الكشف عن طبيعة الصورة المقدمة عن الذات وعن الآخر بشكل يؤدي إلى التعرف على الأطر المرجعية لهذا الخطاب بشقيه الرسمي وغير الرسمي.

محاور الدراسة

تكونت الدراسة فيما يتصل بتحليل خطاب «الوعي الإسلامي» بالنسبة لصورة الذات والآخر من محورين رئيسيين، ثم جاءت النتائج التي خلصت إليها الدراسة كما يلي:

المحور الأول: صورة (الذات) في خطاب «الوعي الإسلامي»

بين الباحث من خلال رصد وتصنيف المقولات والمفردات الواردة في خطاب «الوعي الإسلامي» أنه احتشد بأوصاف ودلالات سلبية تمثل في مجموعها إدانة للذات وعدم الرضا عن هذه الحالة على جميع المستويات، وقد أوضح التحليل أن الصورة التي قدمها الخطاب للذات اعتمدت على ثلاثة مكونات رئيسية، أولها إيجابي، ويتعلق بصورة دولة الكويت، والثاني سلبي، ويتعلق بالأمة الإسلامية، أما المكون الثالث فيتعلق بالحكام والمسؤولين.

التصور الخاص بدولة الكويت

خلص الباحث من خلال التحليل أن التصورات الخاصة بدولة الكويت لم تمثل حضورا بارزا في خطاب «الوعي الإسلامي» مقارنة بحجم ونوع التصورات التي قدمها الخطاب حول الأمة الإسلامية بشكل عام، ويرجع ذلك - بحسب الباحث - إلى أن معظم كتاب المجلة ليسوا من الكويت، وقد كشف التحليل أن التصورات الخاصة بالكويت في هذا الخطاب تركزت في المقالات الافتتاحية التي يحررها رئيس تحرير المجلة، وبصفة عامة اتسمت هذه التصورات بالإيجابية.

التصور الخاص بالمسلمين

رصد الباحث أن التصورات الخاصة بالأمة الإسلامية مثلت حضورا ملحوظا في أطروحات خطاب «الوعي الإسلامي»، وقد قدمت هذه الأطروحات صورة مجملة اتسمت بالسلبية للمسلمين، إذ تذهب الأطروحات إلى أن كل الدلائل الواقعية والقرائن الرقمية والإحصائية تجمع على أن حال العرب والمسلمين من أواخر القرن الماضي إلى اليوم لا يبشر بخير ولا يبعث على التفاؤل مطلقا في سائر مجالات التسابق والتدافع الحضاري بين الأمم، الأمر الذي يجعل من التكهن بمستقبل زاهر ومبشر للأجيال العربية والإسلامية أمرا بعيد المنال على المستوى القريب.

ثم رصد الباحث انتقال الخطاب من التعميم إلى التحديد



في أعراض أزمة الذات المسلمة التي وصفها بالمحنة المتمثلة في ذوبان الهوية، والتخلف المادي، والضعف الفكري، والهزائم العسكرية التي تحاصر المجتمعات المسلمة، وقد أفرزت هذه الحالة المرضية كثيرا من القضايا الشائكة والأفكار المتطرفة والعنف، وجعلت من المسلمين صيدا سهلا لقوى الشر الخارجية التي تحاول، منذ زمن بعيد، النيل من ثروات هذه الأمة وعقيدتها وتراثها وحضارتها.

ويقدم الخطاب مثالا على ذلك باستقراء أوضاع المسلمين اليوم بعد ستين عاما من النكبة الفلسطينية، ثم ينطلق الخطاب ليؤكد أن المسلمين هم الذين يشكلون صورتهم السلبية لدى الآخر بأنفسهم من خلال مشاهد التخمة والبؤس المجتمعية في العالم العربي والإسلامي، بما فيها من مظاهر التخلف والتفكك والفساد.

المحور الثاني: صورة الآخر في خطاب «الوعي الإسلامي»

أوضح الباحث أن خطاب «الوعي الإسلامي» فيما يتعلق بتصوراته حول الآخر، حرص على ألا ينظر إليه باعتباره كتلة واحدة، بل نظر إلى غير المسلمين على أنهم ليسوا سواء من حيث العلاقات والمصالح والسياسة بحسب مواقفهم ومواقعهم، ومن ثم دعا إلى ضرورة الاستفادة من أهل العدل والإنصاف منهم واستمالتهم إلى صفنا واستعمالهم في نصرة قضايانا.

وفي هذا الصدد يرى الخطاب- كما يبين الباحث- أن التسوية بين أهل الكفر في الدنيا لا تقبل عقلا ولا حسا ولا شرعا، بل إن منهم العدو والصديق، ومنهم المسيء الجائر الذي بسط يده ولسانه إلينا بالسوء والأذى، والمسالم المحايد الذي كف الأذى واعتزل فلم يضر ولم ينفع وأمسك عن الشر.

ورصد الباحث أن خطاب «الوعي الإسلامي»، في تقديمه للتصورات الخاصة بالآخر، جاءت مفرداته مركزة على فاعلين رئيسيين، هما الولايات المتحدة- وكانت الأكثر كثافة في الحضور في معالجات الخطاب- والغرب بصفة عامة.

الولايات المتحدة حظيت بنسبة حضور كبيرة في خطاب «الوعي الإسلامي» بعد أحداث ١١ سبتمبر

أ- صورة الولايات المتحدة

كشف التحليل الكمي حسب الدراسة أن الولايات المتحدة حظيت بنسبة حضور كبيرة في خطاب «الوعي الإسلامي»، كما كشف أن هذا الخطاب قدم مجموعة من الصفات والملامح غلب عليها طابع السلبية فيما يتعلق بالولايات المتحدة، وهذه الصفات لم تأت من فراغ، حيث أورد الخطاب جملة من الوقائع والممارسات التي تتعلق بعلاقة الولايات المتحدة بالإسلام والعالم الإسلامي، ومن ثم يشير الخطاب إلى أن أميركا تتسامح مع أي دين إلا إذا كان هذا الدين هو الإسلام، حيث تشعر بالخطر الإسلامي ولذلك أصدرت أوامرها لعدد من الحكومات العربية والإسلامية بتغيير مناهج التعليم الديني، لتقف فقط عند الشعائر والعبادات مع إلغاء كل ما يتعلق بالسياسة والاجتماع والجهاد وتاريخ الغزوات والفتوحات.

وتذهب الدراسة إلى أن الحملة الأميركية المسماة «الحرب على الإرهاب» التي أطلقتها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تمثل بعدا آخر في ملامح الصورة التي يقدمها الخطاب للولايات المتحدة، إذ تذهب إحدى أطروحاته إلى أن معركة «الحرب على الإرهاب» تبوأت قمة الكراهية والتخوف والهلع من الإسلام، وقد سبقتها مؤشرات عدائية ضد الجاليات العربية والإسلامية في ربوع أوروبا والولايات المتحدة منطلقة من منظومة التمييز العنصري، وهو المرض الاجتماعي المزمن الذي استقر في ضمير حضارة «الرجل الأبيض»، كما قررت الدراسة.

ب- صورة الغرب

من خلال تحليل الباحث لخطاب «الوعي الإسلامي» بالنسبة للغرب ذهب إلى أن الغرب حظي بنسبة حضور كبيرة في الخطاب، سواء فيما يتعلق بوصف هوية الآخر، أو فيما يتعلق بالغرب كقوى فاعلة في الخطاب، كما كشف التحليل أن هذا الخطاب قدم مجموعة من الصفات والملامح غلب عليها طابع السلبية فيما يتعلق بالغرب ببعديه التاريخي والمعاصر، حيث اعتمد في بنائه لصورة الغرب في بعدها التاريخي على استدعاء الاعتداءات الغربية على العالم الإسلامي وعلى رأسها «الحروب الصليبية» التي يرى الخطاب أنها مثلت المقدمات الأولية لظاهرة «الإسلاموفوبيا».

ولكي يؤكد الخطاب أن روح العداء للآخر وعدم الاعتراف بوجوده متأصلة في الفكر الغربي ولا تقتصر على المسلمين فقط، قام أيضا باستدعاء عملية الإبادة الغربية لسكان الأميركتين الأصليين، وفي هذا الصدد وصفها بأنها أكبر عملية إبادة في التاريخ قام فيها المستوطنون الأوروبيون الزاحفون من أوروبا بإبادة أكثر من ١٨,٥ مليون من الهنود الحمر الذين قتلوهم بدم بارد وبطرق لا إنسانية، مثل «زرع الجراثيم والميكروبات» في الملابس التي كانوا يوزعونها عليهم.

الشعوب الغربية بدورها- كما أشارت الدراسة- لم تغب عن أطروحات الخطاب الذي أسند إليها صفات لا تقل سلبية، فهي في نظر الخطاب تعاني من انحطاط اجتماعي تسببت عنه العديد من المشكلات في مقدمتها المشكلات النفسية، مثل حالات الاكتئاب الناتج عن الوحدة والعزلة الطويلة التي يحياها العزاب بعد انتشار ظاهرة «العزاب الجدد» في كبريات المدن الأوروبية والتي تقوم على تقديس الاستقلالية والحرية، إضافة إلى التشوهات النفسية الناتجة عن الحرمان من الأمومة أو الأبوة، أو العيش في ظل «أمومة شاذة» كتلك التي يقدمها الشواذ لأطفال التبني.

نتائج تحليل «الوعي الإسلامي»

من خلال تحليل مضمون مجلة «الوعي الإسلامي» بالنسبة لصورة الذات والآخر خلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، فقد أشار الباحث إلى أن طبيعة الإصدار الشهري للمجلة لم تؤثر على درجة اهتمامها بالأشكال الإخبارية وفي مقدمتها فن الخبر الصحفي، حيث بلغ عدد

تكرار استخدام هذه الأشكال مجتمعة (الخبر، القصة الإخبارية، التقرير الإخباري) ٢٢٠ مرة بنسبة ٣٠،٦ في المائة، وهي نسبة كبيرة بالنظر إلى طبيعة الإصدار الشهري.

وأشاد الباحث باهتمام «الوعي الإسلامي» بتقديم مواد الرأي والمواد التفسيرية في معالجة موضوعات صورة الذات والآخر، حيث بلغت نسبتها مجتمعة ٦٩،٤ في المئة بواقع ٤٩٨ مادة، والمجلة بذلك تسهم في تقديم الشرح والتأثير في المعرفة والسلوك لدى القراء.

ترسيخ الهوية الإسلامية

كما أكد الباحث أن غلبة نبرة الحديث عن الهوية الإسلامية داخل خطاب «الوعي الإسلامي» لا تعني انسلاخ منتجي الخطاب في المجلة من الهوية العربية، ولكن ربما يأتي ذلك محاولة من الخطاب للاتساق مع طبيعة تخصص المجلة في الشؤون الإسلامية.

من ناحية أخرى رصد الباحث عدم تغييب هوية الذات أو هوية الآخر في خطاب «الوعي الإسلامي»، ما يؤكد- حسب رأيه- حرص المجلة على ربط القارئ بالأفكار والتصورات التي يطرحها الخطاب حول الموضوعات المتعلقة بصورة الذات أو الآخر من خلال تحديد الهوية أو الإشارة إليها.

وكشف التحليل تأكيد خطاب «الوعي الإسلامي» على ضرورة التواصل مع الآخر وعدم الصدام معه، حيث رأى الخطاب أن التصادم بين الحضارات والأمم عواقبه مدمرة لا تخفى على أحد، ولا يسعى إليه عاقل.

وسجلت الدراسة ارتفاع نسبة اهتمام خطاب مجلة «الوعي الإسلامي» بتناول الموضوعات الاجتماعية التي تتعلق بالأسرة المسلمة والشباب، ومقارنتها بالقضايا المماثلة في المجتمعات الغربية بهدف التأكيد على حرص الإسلام على رعاية حقوق المرأة وحماية الشباب من الانحلال وغيره من الظواهر الاجتماعية السلبية التي انتشرت في المجتمعات الغربية.

تأسيس المستقبل على الماضي

ذهبت الدراسة إلى أن غلبة الموضوعات ذات الصبغة التاريخية على حساب الموضوعات المتعلقة بالمستقبل ربما تعكس إدراك منتجي الخطاب بمجلة «الوعي الإسلامي» لواقع الأمة الحالي وما يتسم به من أزمات، ومن ثم انطلق الخطاب إلى الماضي بحثا عما يشحذ همم أبناء



الأمة ويؤثر فيهم من خلال استحضار سيرة المسلمين الأوائل ومساهمتهم في الحضارة والعلوم ووقوفهم في وجه أعداء الإسلام والانتصار عليهم وحماية المقدسات.

ولذلك أشادت الدراسة بحرص خطاب «الوعي الإسلامي» على الاشتباك مع الأحداث الحالية التي تمر بها الأمة الإسلامية مما يعد مؤشرا على «ديناميكية» خطاب المجلة.

الاعتزاز بالذات في مقابل الدونية

في إطار سيطرة مفهوم «الصراع» على العلاقة بين الذات والآخر، وفقا لما طرحه خطاب «الوعي الإسلامي»، رصد الباحث غياب إطار «الدونية» عند الحديث عن الذات، بل على العكس يرى أن نبرة تقدير الذات ارتفعت، وقد كشف التحليل أن نبرة تقدير الذات اقتصرت على الموضوعات التاريخية فقط من خلال الاحتماء بالماضي والركون إليه للمقارنة بماضي الآخر المليء بالدماء، لإثبات أن تاريخ الذات خير دليل على دحض ادعاءات الآخر بانغلاق الذات وتقوقعها على نفسها.

الغرب ليس كتلة صماء

بيَن التحليل حرص الخطاب على ألا يضع الآخر (الغرب) كله في سلة واحدة، ففي الوقت الذي أثيرت فيه قضية الرسوم المسيئة ووصف الخطاب الذين قاموا بذلك بصفات بالغة السلبية إلا أنه حرص على تأكيد أن هذا ليس هو الرأي الحقيقي السائد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الغرب، وأشار الخطاب إلى أن كثيرا من مفكري الغرب وقفوا إجلالا للإسلام وأنصفوه، مثل: توماس أرنولد، وبرناردشو، وزيجريد هونكة، وآن ماری شميل، ومايكل هارت وغيرهم.

ملاحظات الدراسة

إضافة إلى الإيجابيات التي أشارت إليها الدراسة في معالجة خطاب «الوعي الإسلامي» لصورة الذات والآخر، فقد ذكرت بعض الملاحظات على الخطاب، منها أن الباحث أشار إلى تراجع اهتمام خطاب «الوعي الإسلامي» بالموضوعات الخاصة بقضايا الإصلاح والديموقراطية في إطار الحديث عن الموضوعات المتعلقة بصورة «الذات»، رغم غلبة هذه القضايا في الخطابات السياسية والثقافية في الدول العربية.

ورصد انخفاض نسبة حضور السمات الإيجابية للآخر في خطاب «الوعي الإسلامي»، وأرجع الباحث ذلك إلى سيطرة نبرة «الصراع» كإطار إعلامي بارز على معالجات خطاب المجلة للمضامين المتعلقة بصورة الآخر.

وأخذ الباحث على «الوعي الإسلامي» عدم اهتمامها بفن الكاريكاتير رغم أهميته في مجال الصحافة المعاصرة كفن ذي تأثير قوي على القارئ من خلال تخطي حاجز اللغة والمستوى التعليمي للقارئ فضلا عن سرعة تأثيره، ويذكر أنه لم تنشر المجلة أي كاريكاتير طوال فترة الدراسة (ثلاث سنوات) رغم أنها شهدت أحداثا ساخنة على المستويين العربي والإسلامي.

الخطاب الإسلامي المعاصر بين التجديد والجمود

التجديد الحضاري سنة كونية فطر الله، سبحانه وتعالى، الكون عليها منذ زمن الخليقة الأولى، وهو جوهر الرسالات السماوية جميعا وسبيل نهضة الأمم والشعوب ومقياس نهضتها ورقيها، والأمم التي تجري في عروق أبنائها دماء التغيير والتجديد أمم فاعلة مؤثرة في سلم الحضارة الانسانية مهما كانت هويتها أو جنسيتها، وأما الأمم التي سمحت لنفسها بأن تعيش في شرنقة التحجر والجمود والانغلاق فقد كتبت على نفسها التخلف والتبعية والعيش في مؤخرة الركب الحضاري.

إن أمتنا المسلمة التي صنعت في الماضي حضارة متكاملة جمعت بين علوم الدين والدنيا وبلغت ما بلغت من تقدم ورفعة ومنعة على مدار قرون عديدة، بحاجة ماسة إلى تجديد حضاري في كل شأن من شؤون حياتها، في الفكر والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها، بحيث تجعله رائدها وهدفها الأول، وهذا لن يتحقق إلا من خلال رسم معالم التجديد القائمة على ثوابتها الأصيلة، ومتغيرات العصر والواقع، لتزاوج بين الجانبين وفق أطر واضحة المعالم لا لبس فيها مما سيسمح لطائر التجديد الحضاري بأن ينطلق نحو هدفه بكل سلام وطمأنينة مستشرفا المستقبل، بعيدا عن دائرة الجمود والتقليد.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين ايدي إخوتنا القراء وأخواتنا القارئات أن نسلط الضوء على قضية التخلف الحضاري ومدى حاجة أمتنا للتجديد والنهوض من خلال عدد من الموضوعات، والقضية بحاجة الى مزيد من البحث والتمحيص، والله الهادي الى سواء السبيل.

إعداد : تمام الصباغ

الوسطية هي الحل

سيد عبدالحليم الشوربجي

تعدد الخطاب الإسلامي ليس عيبا في حد ذاته لكن العيب في رفض كل خطاب للآخر.

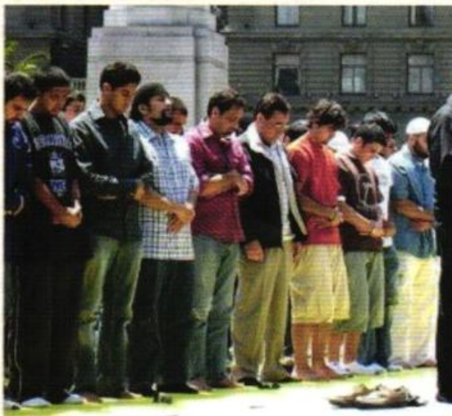
حينما رفعت تيارات الصحوة شعار الإسلام هو الحل.. كان الهدف من الشعار هو مواجهة الأفكار التي تنادي بالتخلي عن الدين كمحرك لعجلة الحياة، واللجوء إلى الأفكار الغربية المعاصرة كحل للقضايا والمشكلات التي تعاني منها البلدان العربية والإسلامية- على اعتبار أن الدين يمثل عائقا أمام نهضة الأمة في نظرها- لتلحق بركب المجتمع المعاصر الذي في مجموعه تخلى عن الدين، ويصبح العالم منظومة واحدة في التفكير والتوجه، ويحدث حالة من التوحد مع الواقع المعاصر.

رفع هذا الشعار حينها؛ ليوقف خطورة هذه الأفكار، وليبرز في نفس الوقت عظمة الإسلام وقيمته العقدية والتشريعية والفكرية، وقدرته على التأقلم مع الواقع دون التخلي عن الثوابت.

ولكن حدثت حالة من التجاذب والتصارع في الاستئثار بهذا الشعار، فظهرت تيارات متعددة وتنوعت وتشعبت، بل إنها تصارعت وتقاتلت من أجل الفوز بهذا الشعار والاستئثار به دون سواها من التيارات العاملة في الحقل الإسلامي، مما أوقع الأمة بأكملها في مأزق، والغريب في الأمر هو ظهور تيارات حسبت على الإسلام وحملت الشعار وأحدثت أضرارا كثيرة باستئثارها به، فلجأت بعض التيارات إلى تبني منهج العنف الذي تسبب في إرباك الأمة بمجموعها ووضع الحل الإسلامي في مأزق، وأخرى فرضت حصارا على تراثنا الإسلامي وأوقفته عند فترة زمنية لا ينبغي تعديها، بل أغلقت باب الاجتهاد حتى صار الاجتهاد في نظرها نوعا من الابتداع، وثالثة ورابعة.. الخ، فأصبحت الأمة بمجموعها أمام إشكالية كبرى، من هو المتحدث الرسمي باسم الإسلام؟ وكل طرف يحسب في نفسه أنه الأولى دون غيره بحمل الإسلام والتحدث باسمه حتى تعددد المتحدثون باسم الإسلام، ومن ثم تعدد الخطاب الإسلامي، والتعدد في حد ذاته ليس عيبا، ولكن العيب والمشكلة في أن كل خطاب من هؤلاء يرفض الخطاب الآخر، ولا يعترف به أساسا، فضلا عن محاربته ومحاولة إقصائه، ويقف المسلم العادي حائرا بين تيارات متصارعة متجاذبة، كما يقف العدو منها موقف تشفٍّ، بل تشجيع في أحيان كثيرة، وهذه إشكالية كبرى وقعت فيها الأمة في حاجة ماسة إلى الوحدة العضوية والفكرية في آن واحد.

فالأمة لم تجن من هذا التجاذب والتصارع الحاصل إلا مزيدا من التشتت والتمزق، وعدم السير في طريق موحد تصل فيه إلى نهاية، أو على الأقل تجد نفسها قد قطعت شوطا فيه.

من هنا كان شعار الوسطية هو الحل.. هو الذي ينبغي أن يرفع ليوحد الأمة على كلمة سواء، وينطوي تحت لواء الوسطية كل الأطراف والأطياف الإسلامية، ليلتقي الجميع عند نقطة الوسط لحل هذه الإشكالات والمشكلات الكثيرة التي تواجه الأمة، فالأمة تحتاج إلى وسطية المنهج، ووسطية الفكرة، ووسطية العمل، ووسطية التعامل مع مجريات الأحداث الجارية.







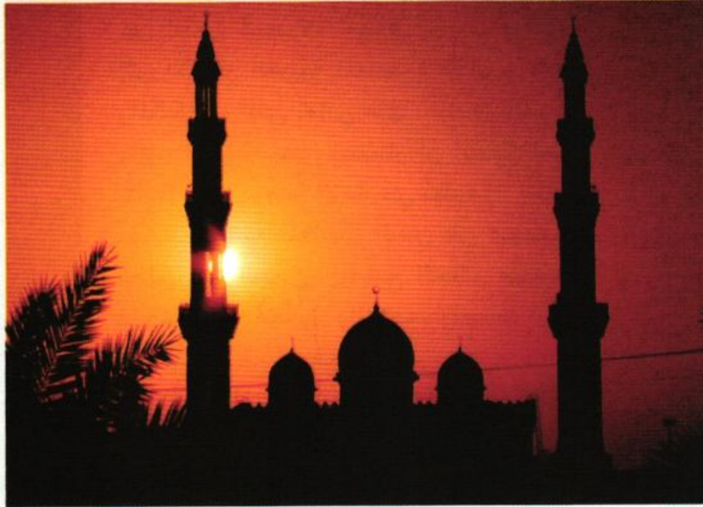
نحو حوار بنَّاء بين الحضارات

مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر في التعامل مع الحضارة الغربية

فهمي هويدي

مهم للغاية أن نسعى لإنجاح حوار الحضارات والإسهام فيه، ومهم بذات القدر أن نتفق على مبادئ الخطاب الإسلامي التي ننطلق منها في التعامل مع الحضارة الغربية، لكن الأمر ليس سهلا ولا الطريق معبدا، ذلك أن ثمة ملاحظات سبع يتعين الانتباه إليها قبل الدخول في الموضوع وطرق ذلك الباب، وهذه الملاحظات هي:

■ **الأولى:** إن اعترافنا بأهمية الحوار بين الحضارات، لا ينبغي أن يتجاهل حقيقة أن الملف الخاص بذلك الحوار تراجع على نحو ملحوظ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كما أنه مرشح لأن يواصل تراجعه، ذلك أن التطورات التي أعقبت ما جرى في سبتمبر، خاصة ما تعلق منها بإعادة النظر في الاستراتيجية الأميركية وتنامي قوة التيار الداعي إلى بسط هيمنة الامبراطورية الأميركية، الأمر الذي استصحب تراجعًا نسبيًّا للدور الأوروبي في دائرة القرار، ذلك كله أسهم في تغيير أجندة المجتمع الدولي، حيث لم تعد الولايات المتحدة تعنى بمسألة حوار الحضارات ولا بالتعددية، وإنما أصبح عنوان «الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب» يحتل الأولوية القصوى، بل إن الميزانية التي خصصت لحوار الحضارات في الولايات المتحدة حولت إلى ما يسمى بمشروع «الدبلوماسية الشعبية ومبادرة الديموقراطية والتنمية»، الذي استهدفت به الولايات المتحدة تحسين صورتها في العالم العربي والإسلامي، ومعالجة بذور الكراهية المفترضة



للسياسة الأميركية، وهو المجرى الذي يصب في النهاية في وعاء تجفيف منابع الإرهاب، ولعلي لا أبالغ اذا قلت إن حوار الحضارات في المفهوم الأميركي أصبح عنوانًا لتطلعات مرحلة ما بعد انهيار سور برلين ونهاية الحرب الباردة، أما مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر فلها عناوين جديدة، ليس الحوار بينها، وإنما الإملاء جوهرها، بحيث أصبح المطروح الآن بقوة هو كيفية تطويع الأفكار في العالم العربي والإسلامي، لكي تصبح أكثر تجاوبًا وملاءمة للتصورات الغربية والأميركية بوجه أخص.

■ **الثانية:** إنني ألحظ في خطابنا العام اهتماما كبيرا بالحضارة الغربية دون الشرقية، ولست هنا بصدد الإقلال من شأن الأولى، التي لست بحاجة لأن أعدد إنجازاتها، لكنني ادعو إلى موقف متوازن لا يتجاهل الحضارات الشرقية أو الآسيوية، وفي المقدمة منها الهندية والصينية، التي هي حافلة بالقيم الإيجابية التي نحن أحوج ما نكون إلى الإفادة منها وتمثلها، وأذكر بأن الحضارة الغربية بالنسبة لنا هي جهد إنساني رائع في التقدم، لا هو نموذج أو مثل أعلى لنا، ولا هو الوحيد في الكرة الأرضية، وإنما هو أحد النماذج- أهمها في الواقع- لكنه ككل تجربة انسانية، لها نجاحاتها واخفاقاتها.

■ **الملاحظة الثالثة:** إنني اسجل تحفظا شديدا عن فكرة ان ما يحتاج إلى تصويب ومراجعة كله في الجانب المتعلق بنا، ولا شيء مطلوبا، في المقابل، من الطرف الغربي، ذلك اننا ونحن نعترف بأن لدينا سلبيات كثيرة تستدعي المراجعة وتوجبها، إلا ان الطرف الغربي يحتاج بدوره لأن يراجع سياساته، فضلا عن حساباته ومنظومة قيمه، إذن ليس صحيحا ان الغربيين يقفون منا موقف المعلم الذي يوجه تلاميذه، وما على الآخرين إلا السمع والطاعة، لكن الصحيح اننا جميعًا تلاميذ في ذات الصف، وكل ما حدث انهم تفوقوا وصاروا الأوائل، ونحن تخلفنا، كثيرًا حقًّا، لكننا لم نشهر إفلاسنا، ولدينا الكثير الذي يمكن ان نقدمه لهم، على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي والإيماني على الأقل.

■ **الملاحظة الرابعة:** إنه من الخطأ البيِّن ان يظن أن مجتمعاتنا وحدها هي التي تعاني من التطرف والأصولية، وإنما ازعم أن أمثال تلك الآفات موجودة في كل مجتمع انساني، وانها في العالم العربي والإسلامي اضعف منها في أقطار أخرى، ورغم الصدمة التي حدثت من جراء احداث

سبتمبر، إلا انني اذكر بأن في اسرائيل حكومة أصولية فعلت بالفلسطينيين أضعاف ما فعلته أحداث سبتمبر بالأميركيين، من حيث عدد الضحايا وكمية الدمار على الأقل، كما أن الأصولية المسيحية المتحالفة مع الصهيونية تتحكم الآن في القرار السياسي الأميركي، وتقف وراء مخططات هيمنة الامبراطورية الأميركية، وتفكيك وإعادة تركيب خريطة الشرق الأوسط، وهو ما يدعونا إلى القول بأن أفعال تلك الأصوليات أشد وطأة وأبعد أثرا وأشد خطرا، على الاقل من حيث إنها هناك في موقع اتخاذ القرار، وهو ما لم تبلغه الأصولية في عالمنا العربي والإسلامي، خصوصا بعد انهيار نظام «طالبان» في افغانستان.

■ **الملاحظة الخامسة:** إنني أرجو ألا تغيب عنا حقيقة ان النموذج الذي نقدمه في ممارساتنا وحياتنا العملية سيظل وحده الذي يمكن ان يقنع الآخرين برقي مشروعنا وايجابية تعاليمنا وسمو شريعتنا، ويجب ان ندرك اننا مهما قلنا في مديح الإسلام وتبيان تفوق تعاليمه وانجازات حضارته، فإن الذين يتلقون ما نقوله سيضربون صفحا عن كل ذلك، ثم ينظرون إلى أحوالنا ويصدرون في ضوئها حكمهم النهائي، فإذا وجدوا في أحوالنا ما يؤيد كلامنا قبلوه، واذا وجدوا تفاوتا بين الاثنين أو تناقضًا، صدقوا أحوالنا وكذبوا كلامنا.

■ **الملاحظة السادسة:** لا ينبغي ولا يعقل ان نجري حوارا مع الحضارات الأخرى بينما حوارنا مقطوع مع أهلنا وبني جلدتنا وأبناء حضارتنا، ولعلي لا أبالغ اذا قلت إن حوارنا مع الحوارات الأخرى لن يكلل بالنجاح إلا اذا حققنا نجاحًا، ولو نسبيًا، في حوارنا مع أنفسنا وإخوتنا، ومع كل الساكنين في بيتنا العربي والإسلامي الكبير.

لا يعقل أن نجري حواراً مع الحضارات الأخرى وحوارنا مع أبناء جلدتنا مقطوع

■ **الملاحظة السابعة** والأخيرة: أهم ما يعنينا في الأمر كله ان نكون أوفياء لديننا وصادقين مع أنفسنا ومع الله، فنحن لا نسعى ولا نتجمل في عيون الغرب، ورضا الله عندنا أهم من رضا الغرب وأهله ومن لف لفهم، وحين نحاول أن نستخلص المبادئ التي تعيننا على التعايش والتفاعل الإيجابي مع الغرب، فسعينا يستهدف إزالة التشوهات التي لحقت بصورة الإسلام وتعاليمه وروجت لها دوائر تعددت أهدافها، بأكثر مما يستهدف نيل ذلك الرضا من الغربيين، اننا نوضح التباسًا ولا نطلب عفوا أو اجازة من أي أحد، كما اننا بذات القدر لا نقدم اعتذارا لأحد.

اننا إذا أردنا أن ندخل إلى صلب موضوعنا فأرجو أن نتفق في البداية على أن القيم الدينية يمكن أن توظف لتحقيق الأهداف النبيلة والخيّرة، كما يمكن ان توظف في خدمة الأهداف الشريرة، ويصبح السؤال المهم للغاية هو: لماذا يتجه الناس حينا إلى الأهداف الأولى؟ ولماذا يتجمعون في حين آخر إلى الأهداف الثانية؟ وكلمة «لماذا» هنا تنصب على مجمل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أفرزت هذا الموقف أو ذاك.

في القرن التاسع عشر كان الاعتقاد الشائع بين المثقفين الأوروبيين أن الكاثوليكية والديموقراطية لا يجتمعان، وتبين لاحقًا ان ذلك اعتقاد خاطئ، لأن الديموقراطية الغربية تعايشت مع الكاثوليكية على النحو الذي يلمسه الجميع، في حين خرجت «محاكم التفتيش» من عباءة الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر، وفي أوائل القرن الماضي أشاع بعض الاقتصاديين إلى أن النجاح الاقتصادي الذي حققته دول شمال أوروبا راجع إلى الأخلاق البروتستانتية، في حين تنبأوا بأن الجنوب الكاثوليكي سيظل فقيرا، لكن ما ان انتصف القرن حتى تبين خطأ ذلك الادعاء، حيث نمت ايطاليا وفرنسا- في الجنوب- بوتيرة أوسع من أوروبا البروتستانتية، وفي وقت لاحق أرجع بعض الباحثين الازدهار الذي عاشت في ظله دول جنوب شرق آسيا إلى كون «الكنفوشية» تساعد على الحيوية الاقتصادية، لكن الأزمات التي واجهتها بعض تلك الدول دعت زعماء تلك الدول إلى القول بأن القيم الآسيوية تنطوي على خصائص سلبية.

بوسعنا والأمر كذلك، ان نضيف أن المجتمعات الإسلامية التي تعاني من التخلف الآن هي ذاتها التي عاشت في ظل نهضة عظيمة في طور سابق، الأمر الذي يبرئ ساحة التعاليم من المسؤولية عن الأوضاع البائسة التي يعيش في ظلها العالم العربي الإسلامي.

لقد استشهد كاتب اسرائيلي ببعض المعلومات التي ذكرتها توا لكي يدحض المقولة التي يروجها البعض عن تعذر اجتماع الديموقراطية مع الإسلام، وكان الكاتب شلومو افنيري، استاذ العلوم السياسية بالجامعة العبرية، يعلق بما كتبه على نتائج الانتخابات التركية الأخيرة التي نجح فيها حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية، وخلص في مقالته المنشورة في ٢٢/١٢ إلى ان المشكلة ليست

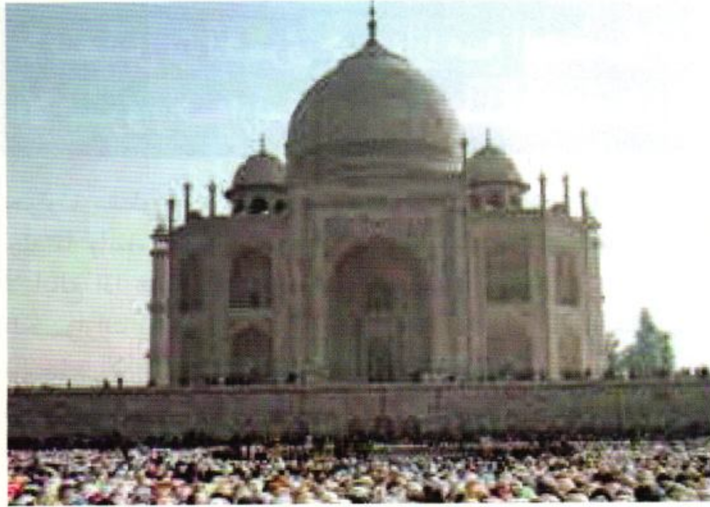





في الإسلام ولكنها في غيبة الديموقراطية، التي إذا توافرت فإن الإسلام سوف يتعايش معها، كما تعايشت أوروبا مع الديموقراطية.

هذا المعنى ردده أيضا فريد ذكريا، رئيس تحرير مجلة «نيوزويك» الأميركية، الذي كتب مقالة نشرتها مجلة السياسة الخارجية (فورين بوليسي عدد نوفمبر وديسمبر)، الذي خلص فيه إلى تخطئة الباحثين والكتاب الغربيين الذين ذهبوا في تشهيرهم بالإسلام إلى حد اعتباره عدوا للتقدم، ومن ثم استسهلوا اتهامه بالمسؤولية عن تدهور الأوضاع في الدول الإسلامية، متجاهلين مسؤولية الخرائط السياسية والأداء السيئ في العالم الإسلامي عن تدهور تلك الأوضاع، وقال في هذا الصدد: إن الذين يروجون لفكرة تعارض الإسلام مع الحداثة يقفون في ذات المربع الذي يقوده المتطرفون الذين يرفضون الحداثة والديموقراطية بحجة تعارضها مع الإسلام.

ما ذكره الكاتبان صحيح من حيث المبدأ، لكن أحد المشكلات التي تثار في هذا الصدد ان النخبة الغربية لا تكتفي بموقف التلاقي بين الإسلام والحداثة، ولكنها تريده تعاطيا مع الحداثة كما يفهمها الغربيون، وهو ما يمكن ان يعبر عنه بالحداثة «المستنسخة»، الأمر الذي يضعنا أمام مفارقة لها تأثيرها البالغ على العلاقة بين الإسلام والغرب، وتتمثل تلك المفارقة في ان الغربيين الذين يتبنون شعارات الليبرالية والتعددية والتعايش مع الآخر، يقبلون بهذه القيم على الصعيد الوطني



ويرفضونها على المستوى العالمي، بمعنى أنهم إذا قبلوا بالتعددية الحزبية والسياسية فإنهم يرفضونها على الصعيد الحضاري، ويقبلون بالآخر المختلف سياسيًا وفكريًا، لكنهم غير قادرين على استيعاب فكرة ان يختلف الآخر حضاريا، وتلك اشكالية لا سبيل إلى حلها في الجانب المتعلق بالمسلمين، الذين من حقهم ان يكون لهم نموذجهم الحضاري الذي يختلف في مقاصده ومنظومة قيمه، وليس هناك ما يجبرهم على الالتحاق أو الانسحاق أمام النموذج الحضاري الغربي، ولا مفر هنا من الإشارة إلى ان شعور الغربيين بتفوقهم، وبكونهم الجنس الحضاري الغربي، وعدم وجود أي منافس لهم على وجه البسيطة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

إن بعضًا مما يعتبره الغربيون عداء من جانب المسلمين للحداثة، هو في حقيقة الأمر «اختلاف» لم يحتملوه ويرفضون استمراره، انطلاقًا من تحفظهم عن مبدأ «المغايرة» واصرارا من جانبهم على ان يكون الآخرون استنساخًا لهم ، آية ذلك ان الحقل الاجتماعي، وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية وعلاقة الجنسين ببعضهما، اصبحت تتخلله اختلافات كثيرة بين النموذجين الغربي والإسلامي، ولعلي أشير هنا إلى ما طرأ على مفهوم الأسرة من تطور، والمحاولات اللحوحة من جانب المنظمات الغربية لإدخال زواج المثليّين، مثلا، ضمن نطاق الأسر الجديدة، واعتبار ذلك من قبيل «الحداثة» التي بلغتها بعض المجتمعات الغربية، وهو ما يؤدي إلى اتهام المجتمعات الإسلامية بالتخلف ورفض الحداثة في تجلياتها المختلفة.

يجرنا الحديث عن الاختلاف في النموذج الحضاري والمفارقة في تعاطي قيمه التعددية إلى حديث آخر عن مفارقة أخرى تتهم السلوك الغربي بالكيل بمكيالين فيما يخص حقوق الإنسان، وحق تقرير المصير بوجه أخص، وما الحاصل من قهر يومي للفلسطينيين إلا نموذج لذلك السلوك الذي يفتقد إلى العدل والانصاف، ويتعارض مع ابسط مبادئ حقوق الانسان، ومن أسف أن الموقف الغربي بشكل عام والأميركي بوجه أخص يقف في هذه القضية في صف المعتدي والغاصب، والمنكر على المظلوم حقه في أن يدافع عن نفسه.

إن السجل حافل بالملفات التي تندرج تحت ذات العنوان، وليس غائبا عن أذهاننا الدور الذي لعبته الدول الغربية في الدفاع عن حق سكان تيمور الشرقية في الاستقلال عن اندونيسيا، ثم انكار تلك الدول ذات الحق على الشيشانيين والكوسوف يين في البلقان، وتجاهلهم لتطلعات مسلمي كشمير في الهند وسينكيانج في الصين وزنزبار في تنزانيا.

إذا أضفت إلى ما سبق تلك المعاملة التي تتسم بالتمييز والتعسف التي يلقاها المسلمون في الولايات المتحدة وفي بعض الدول الغربية، التي اصبحت تنظر إلى المسلمين جميعا باعتبارهم مشبوهين أو متهمين، فإن المشهد في جملته يستدعي السؤال التالي: هل يمكن أن يتعامل المسلم باطمئنان وثقة مع السلوك الغربي في حين تثقل ضميره تلك الهموم والأحزان، التي يرى الغرب إما ضالعا فيها أو مسؤولا عنها؟

ثمة سؤآل آخر متصل بما سبق هو: ألا يعد ذلك السلوك الغربي تطرفا من شأنه ان يعبئ المشاعر الإسلامية بالغضب، الأمر الذي يهيئ الفرصة لتفريخ تطرف آخر على الجانب المقابل، يمثل رد فعل تصعب السيطرة عليه؟

إن حقائق الواقع لها تأثيرها القوي في تشكيل المواقف، على نحو ينعكس سلبا على مفعول التعاليم، واذا كان قد قيل «ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع



بالقرآن»، فتلك اشارة إلى أن التعاليم وحدها لا تكفي في صياغة سلوك الناس، اللهم إلا إذا كانوا قد ربوا عليها منذ نعومة أظفارهم وعاشوا في ظلالها طول الوقت، بحيث تظل الظروف مواتية لها، وهذه الاوضاع النموذجية تشكل استثناء في الواقع المعاش، من ثم فإن التعاليم تظل حدا أقصى لما يجب ان يكون عليه السلوك، يحتذيه الناس قدر الإمكان ويتطلعون إلى بلوغ مرتبته، فضلا عن انها تظل المرجعية التي يسترشد بها ويحتكم إليها في تقييم سلوك الأفراد أو المجتمعات.

إن الموقف الفكري الإسلامي من الآخر، غربيًّا كان أم شرقيًّا، تحدده الضوابط التالية:

■ فالناس في المفهوم الإسلامي خلقوا من نفس واحدة، من أب واحد وأم واحدة، من ثم فعلاقة النسب تربط بينهم: ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء -١).

■ ليس ذلك فحسب، وإنما في كل انسان نفخة من روح الله: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر-٢٩)، من ثم فلكل انسان كرامته التي ينبغي ان تصان، بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو دينه، بمعنى ان استحقاق الكرامة مترتب على حقيقة واحدة، أنه انسان: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء- ٧٠).

■ ثم إن الاختلاف بين الناس شأن أراده الله لحكمة قدرها، وهو الخالق القدير الذي كان

إن الذين يروّجون لفكرة تعارض الإسلام مع الحداثة يقفون في ذات المربع الذي يقوده المتطرفون

بوسعه ان يخلق الناس أمة واحدة، كما اطلقهم من نفس واحدة: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ (هود-١١٨)، ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس -٩٩).

■ والأصل أن يتعاون الناس في البر والخير، وذلك أحد مبررات الاختلاف الذي هو سنة من سنن الله في الكون: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات-١٣).

■ وطالما ان الآخر له شرعيته في المفهوم الإسلامي، وأن المطلوب هو التعارف والتعاون في البر والخير، فمن الطبيعي ان تكون المسالمة هي الأصل الذي يتيح للتعاون المنشود ان يحقق المراد منه، وفي النداء القرآني: ﴿ يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ (البقرة-٢٠٨)، و﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ (الممتحنة-٨)، ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة -١٩٠).

هذه الآيات التي أوردناها تحث على مسالمة الجميع وتنهى عن العدوان عليهم، لكنها تعلق ذلك على شرط واحد هو رعاية حقوق المسلمين والكف عن مقاتلتهم أو فتنتهم في دينهم، أي ان المسلمين في منظومتهم الفكرية لا يبدأون أحدا بعدوان، ولكنهم يمدون يد التعايش والتعاون مع الجميع، إلا إذا اعتدى اولئك على كرامة المسلمين وحرماتهم، وفي هذه الحالة فمن حقهم ان يردوا العدوان وان يذودوا عن كرامتهم، في هذه الحالة وحدها تصبح الجبهة المعتدية (دار حرب)، يجري عليها ما يجري على دار الحرب من احكام، ويظل مصطلح دار الحرب عنوانًا استثنائيًّا لحالة يعتدي فيها



الآخرون على المسلمين، في حين ان العنوان الأصلي لعلاقة المسلمين بالعالم الخارجي أنه دار السلام أو أمة الدعوة.

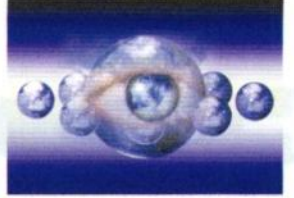
هل يتعامل المسلمون مع الآخر انطلاقا من هذه المفاهيم؟

ردي على السؤال في شقين: الأول، اننا يجب ان نعترف بأن ثمة اتجاهات في العالم العربي والإسلامي التبست عليها المفاهيم فأساءت التعبير عن الرؤية الإسلامية، وكان سوء التعبير مقدمة لسوء التصرف، الأمر الذي يدعونا إلى ضرورة ترشيد تلك الاتجاهات وتصويب موقفها الفكري.

أما الشق الثاني فيتمثل في أن الانحرافات الفكرية التي نعاني منها هي من تجليات خلل في البيئة السياسية والثقافية في الداخل، وقهر وظلم يمارس من الخارج، فالطغاة والمستبدون يهيئون أجواء مواتية لغيبة التسامح وانطلاق العنف، ولا ينبغي ان نتوقع من الذين يجلدون الناس ويذلونهم، أن يستقبلهم الناس بالبشاشة والورود، أما القوى الكبرى التي تمارس العدوان على بلاد المسلمين أو تتضامن مع المعتدين وتزودهم بالمال والسلاح فينبغي ألا تفاجأ إذا رد الناس على ظلمهم بتصنيفهم ضمن دار الحرب، وتعددت اجتهاداتهم في صد تلك الحرب وردع المعتدين.

والأمر كذلك، فإنني أحسب ان المشكلة ليست في اعتدال المسلمين أو تطرفهم، وإنما هي- بالدرجة الأولى- في وطأة الظلم الذي يقلص تلقائيًّا من مساحة الاعتدال، ويغذي طاقات التطرف بغير حدود.



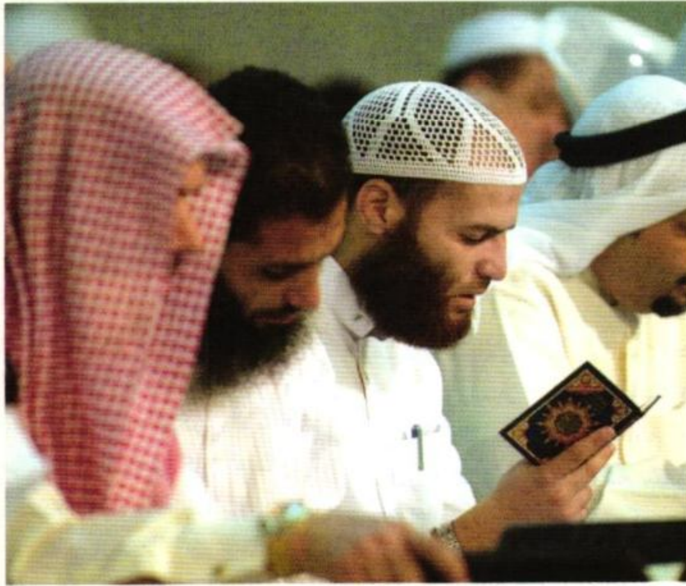


تجديد الفقه والفكر الإسلامي

المنشأ والمسار والمآل

د. عمار علي حسن

ينحدر التجديد لغة من الجديد وهو ما لا عهد لنا به؛ لأنه خلاف القديم الذي نعرفه، أما اصطلاحا فإنه أمر مرتبط بالاجتهاد والتحديث والإبداع، يقوم على مزاولة نشاط ذهني ونفسي وميداني خلاق، من أجل التصدي للأمور العظيمة والمهمة من النوازل والحوادث، وقد ولد هذا الاصطلاح من رحم الفقه والفكر الإسلامي حتى بات مقرونا بهما.



لكن درجة التجديد ومستواه تفاوتت من مفكر إلى آخر، ومن فقيه إلى نظيره، وتدرجت حسب تصور كل من هؤلاء عن مدى التجديد وجدواه، فهناك من شدد على أن التجديد يكون في المسلمين لا في الإسلام، وهناك من ضيق في المفهوم والقائمين عليه وحصرهم في رموز إسلامية خالصة، وعلى العكس هناك من تحدث عن «تجديد الإسلام» وتوسع في ذكر من جددوه، حتى ضم إليهم بعض من يعتبرهم السلفيون مجدفين بالدين أو حتى أعداء للإسلام.

وفي كتابه «التجديد في المسلمين لا في الإسلام» يطرح عمر فروخ تصورا محافظا إلى درجة أن يبدأ بالقول: الجديد من كل شيء هو القديم الذي يظل على الدهر جديدا»، ثم يؤكد أن التغير يطرأ على فروع الأحكام ولا يمتد إلى أصولها، وأن عمل المصلحين يقتصر على تقريب تعاليم الدين من أذهان الناس، على طبقاتهم، لا أن يجعل من الدين نفسه حقل اختبار، كأنه بذلك ينشر على الناس في كل يوم دينا جديدا. وهذا يعني أن التجديد ينصب على المعاملات والصلات الاجتماعية بين البشر التي تتغير بتغير الزمان والمكان، أما العبادات فإن الدين نفسه قد جعل لها نطاقا من الرُّخص التي يلجأ إليها المؤمن بحسب الأحوال التي نص عليها الدين نفسه، أما العقائد فهي الأسس التي تجعل من كل دين مختلفا عن الدين الآخر من حيث أصوله وانطباقه على الحياة.

ويعزز الباحث التونسي نور الدين الخادمي هذه الرؤية بقوله: «تجديد الدين معناه تقديم الإسلام كما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ أيام نزول الرسالة، ومن مقتضيات هذا التجديد إرجاع الفهم والتطبيق الإسلاميين إلى الأصول والمصادر الشرعية المعتبرة، ونفي ما علق بالدين من زوائد وإخلال وبدع وحيل وأساطير وغير ذلك. ولا ينبغي أن يفهم من تجديد الدين استبدال الإسلام بدين آخر، أو تغيير بعض الأحكام القطعية الثابتة، أو إحداث أمور في الفهم أو التطبيق مخالفة للدين وقواعده ومقاصده... وبذلك يبقى التجديد هو نفي ما ليس من الإسلام في شيء، والرد إلى الله والرسول عند الفهم والاستنباط، وعند الاختلاف والتنازع، والاستجابة لمستلزمات المسايرة والمعاصرة بإرادة قوية، وعلم نافع، واجتهاد أصيل... ومن هنا يتحدد التجديد حسب المحتوى والمضمون، فإن كان المراد به الإحياء والتفعيل والإعمال والدفع فلا بأس، أما إذا كان يراد بالتجديد لدى البعض التغيير والتبديل والتبطيل فمن المحتمل أن يصرف هذا إلى دعوى تبديل الأصول والقواطع، وتعطيل الثوابت والروابط، وتبطيل الإسلام جملة وتفصيلا تحت هذه التعلة والدعوى».

وهناك من يحرك هذا التصور خطوة قليلة إلى الأمام فينتقد من أساءوا فهم التجديد على أنه مجرد إظهار أضابير الكتب والمخطوطات الإسلامية التي أخرجتها عقول الفقهاء والمفكرين الإسلاميين في الزمن القديم من دون أي محاولة للاستفادة منها في أحوال معاشنا الراهن بصورة أو بأخرى، وكأنهم يكتفون بأن يكون إحياء التراث هو عامل استنفار انفعالي- فحسب- يحفزنا إلى العمل، كالأغاني القومية وموسيقى المناسبات.

ثم يدفع أمين الخولي المفهوم خطوات أوسع بحديثه عن أسس التطور في الإسلام، منطلقا من أن الرسالة الخاتمة هي دين ونظام اجتماعي عملي، تحمل أسسا للتطور



تهيئه لذلك، وتعدُّه لتحقيقه في يسر ومن دون مصادمة لشيء من تطور الدنيا حوله نظريا وعمليا ليحدد هذه الأسس في:

١- امتداد دعوة الإسلام وحياته رأسيا في الأزمنة، وأفقيا في الأمكنة، لتستهدف شعوبا وقبائل وأجيالا متعاقبة وأصحاب ثقافات متنوعة وأجناس شتى.

٢- اقتصاد دعوة الإسلام في الغيبيات وإجماله لها وتحديده للإيمان بها ونهيه عن التفكير في دقائقها، وهذا جعل العقيدة الإسلامية تصرف ما توفر لها من طاقة كبيرة إلى التفكير الحر الملائم لكل جديد من خفايا الكون تعرفه الحياة ويقدره العلم على مدى الأيام من دون أن تحتاج إلى تفاصيل أو بيانات جزئية لم تعد تناسب الحياة.

٣ - بعد تيسيره الحياة الاعتقادية اقتصر الإسلام في شؤون العبادات على الأمور الكلية والأصول العامة الشاملة، ليفتح الباب أمام اجتهادات حول الصلاة والزكاة والصيام والحج، يتغير بعضها بتغير الأحوال، وهي مسألة ظاهرة في تاريخ الفقه الإسلامي ومحتواه.

٤- عدم ذكر الإسلام في نصه المؤسس (القرآن الكريم) تفاصيل حول نشأة الكون والحياة والإنسان وعمر وجوده على الأرض، ومساره ومصيره، وذات الله وصفاته، وهذا لم يجعل الإسلام في مواجهة أبدا مع الاكتشافات العلمية للكون، كما حدث مع أديان أخرى، لكن المسلمين شغلوا أنفسهم بهذه القضايا وبحثوا عما يجيب عن أسئلتهم حولها في الإسرائيليات، ونحتاج في الوقت الحالي إلى التخلص من هذه الدخائل الأجنبية، التي تسربت إلى أحاديث منسوبة إلى الرسول الكريم ﷺ من مرويات الآحاد، وإلى بعض تفاسير القرآن.

٥ - عدم التوسع في شيء من التفاصيل حول تاريخ الأمم والرسل التي عرض القرآن أحوالها جملة أو مع بعض التفصيل، بيانا لسنن الاجتماع في حياة الرسل، ومن هنا لا يخشى الإسلام من الرواية المادية للتاريخ التي يقصها علينا العلم عبر علم الحفريات والآثار، بل يستطيع أن يطور عرضه لتدينه مع هذا العلم المتقدم.

٦- جعل الإسلام الاجتهاد أساسا للحياة بما يفي بحاجاتها المتغيرة والمتقدمة، ومن هنا أقر الفقهاء أن الحياة لا تخلو من مجتهد، وطلبوا بأن يتوفر للناس في كل عصر من المجتهدين عدد التواتر.

وهذه الأسس الستة جعلت الخولي يدخل بجرأة إلى الحديث عن تطوير العقائد والعبادات والمعاملات، قاصدا بهذا التطوير طبيعة الخلافات التي نشأت طيلة التاريخ الإسلامي حول هذه الأعمدة الثلاثة، فالخلاف حول العقائد امتد إلى ذات الله وصفاته، وطبيعة القرآن، مخلوق أم لا، وتنازع أهل السنة والمعتزلة حول السببية وأفعال العباد، أما العبادات فإن اختلاف المذاهب الفقهية العملية لا يخفى على المتابعين والتابعين، وهناك اجتهادات لا تنتهي حول أركان الإسلام العملية الأربعة، الصلاة والزكاة والصيام والحج، بما يلائم احتياجات الواقع المتطور بلا هوادة، والأمر في المعاملات أهون وأيسر، وتطور العرض فيها واضح عيانا بيانا.

وينتهي الخولي من هذا إلى القول: «التجديد الديني هو تطور، والتطور الديني هو نهاية الاجتهاد الحقيقي»، لكنه لا يعني بالتطور مفارقة أصل الدين، وإيجاد دين جديد، بل يربط التجديد بالعودة إلى الأصل، لأن كل ما دخل على العقائد من جدل لا ينتهي إلا إذا نحيناه جانبا، ورجعنا لإيمان الفطرة، وتجنبنا الخوض في مسائل الغيب التي لا يمكن لعقل أن يبلغها، ولا طائل من الاحتراب حولها، أما العبادات فأحكامها وتفاصيلها عرضة لتطور دائم، ويتسع النطاق في المعاملات، وهذا من صميم الإسلام. لكن الخولي في رؤيته هذه يفكك الكثير من التركيبات التراثية المغلقة بفعل جمود الفقه، ويشكك في العديد من المسلَّمات التي ركدت في أذهان المسلمين جراء غلق باب الاجتهاد أو تضييقه حتى صار مجرد ثقب إبرة.

لكن عبد المتعال الصعيدي حاول أن يثبت في كتابه «المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر» أن التجديد لا يجب إن يقتصر على الأمور المعنوية والرمزية بل يمتد إلى المسائل المادية، أي أن من الإجحاف أن تقتصر نظرتنا إلى المجددين على أنهم العلماء والفقهاء والمصلحون الاجتماعيون فقط، بل يجب أن تشمل الحركيين، ممن سعوا إلى تطبيق الإسلام، وتطوير الشرع، وإيجاد إجراءات تواكب الواقع المتغير باستمرار. ومن هنا فإن تاريخ التجديد في الإسلام بالنسبة له هو «تاريخ نهوض المسلمين في أمور دنياهم، قبل أن يكون تاريخ



الإسلام جعل الإجتهاد أساساً للحياة بما يفي بحاجاتها المتغيرة والمتقدمة

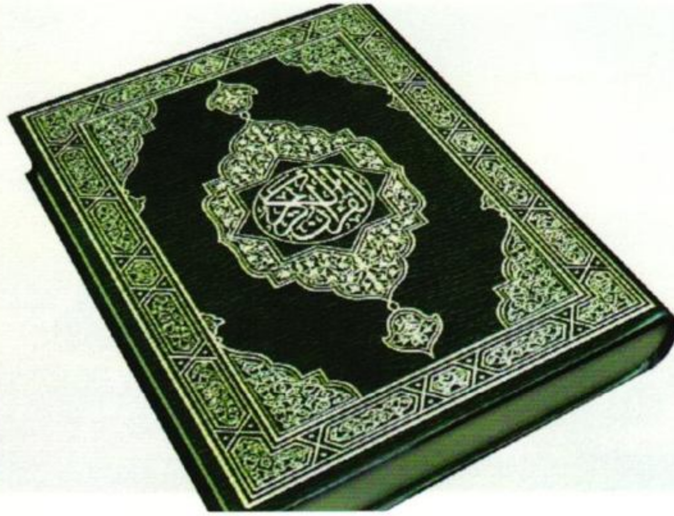



نهوضهم في أمور أخراهم، ولا يجب أن نذكر فيه من المجددين إلا من يعمل لهذه الغاية، ولا نكتفي فيهم بما اكتفوا به فيهم من مجرد الشهرة في العلم».

ولا يعني هذا أن الصعيدي يتفق مع كل هؤلاء في جميع ما قالوه وفعلوه، بل هو يحرص على تخصيص مواضع ينتقد فيها بعضهم، ويفند فيها آراءهم ومواقفهم، لكنه اعتبر كل هؤلاء من المجددين باعتبار أن ما طرحوه، سواء وافق رأي جمهور العلماء أو خالفه، لاقى هوى الأغلبية الكاسحة من الناس أو خالفه، فإنه كان بمثابة الحجر الذي ألقي في بحيرة الفقه الراكد فمنعها من التعفن، وجعل باب الاجتهاد مفتوحا، وخلق حالة من التحدي أمام العقل المسلم جعلته يتوقد ويتفوق على نفسه أحيانا في سبيل تحصيل إجابات على الأسئلة التي طرحها المجددون.

ويشدد الصعيدي على أن التجديد عملية مستمرة لا نهاية لها إلا بقيام الساعة، ثم يدعو إلى إنهاء الأسباب التي حالت دون تدفق عملية التجديد واستقوائها، وقدرتها على مواكبة واقع يتغير باستمرار، ومنها الاستبداد السياسي، وعدم تشجيع الحكام لحركات الإصلاح، وقلة عدد المصلحين، وميل أغلب الناس إلى المقلدين والجامدين، ومحاربة أعداء الإسلام لحركة التجديد، حتى يصعب على المسلمين أن يستعيدوا مجدهم الضائع.

ولم يقتصر الحديث عن التجديد على المنتجين للمعرفة الإسلامية وخطابها، بل كان شغلا لكثير من الكتاب والمفكرين العرب، قوميين وليبراليين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، هاهو زكي نجيب محمود ينشغل بقضية «تجديد الفكر العربي» ويتحدث عن «قيم من التراث» و«المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري» بعد سنوات أمضاها في التتيم بالفكر والفلسفة الغربية، وكان يعتقد أن سواها لا يستحق النظر أو التقدير، فلما أتيح له أن يطلع على قسط وافر من التراث العربي-الإسلامي، وجد أن فيه ما يجب الالتفات إليه، والعناية به، بغية تجديده ليكون ملائما لواقعنا المعيش، وراح يدلي بدلوه في هذا الأمر، ويعطيه ما يكافئه من التفكير والإنتاج المعرفي.



مصطلح التجديد عاد إلى الخلف خطوات عديدة ليرتكز حول «تجديد الخطاب الديني»

لكن مصطلح التجديد عاد في تجليه الأخير إلى الخلف خطوات عديدة ليرتكز حول «تجديد الخطاب الديني»، وإن كان هذا الرجوع لا يخص إلا فريقا، ولا يغلق الباب أبدا أمام من يرفعون سقف التجديد إلى مستويات أعلى، كما فعل الخولي والصعيدي والبنا، وقد نشطت المؤسسات الدينية الرسمية إثر تبني السلطات العربية لهذه القضية استجابة لضغوط الولايات المتحدة عقب حدث ١١ سبتمبر، وصدرت كتب عدة في وقت قصير منها «تجديد الخطاب الديني» لسالم عبدالجليل، و«تجديد الخطاب الديني الفكري والدعوي» للسعيد محمد علي، و«دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني» لعدد من العلماء والشيوخ والباحثين.

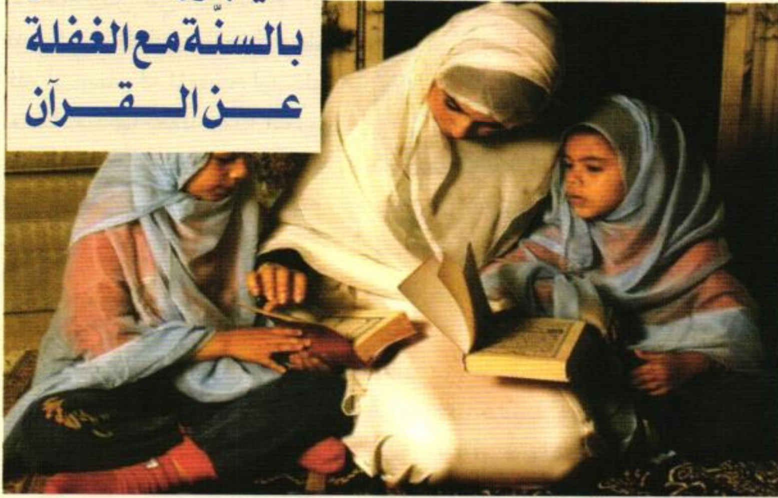
وحسب وجهة نظر محمد عمارة فإن الأهداف المعلنة لهذا التوجه كانت تتمثل في إعادة تشكيل وعي المسلم وفهمه وتصوراته ورؤاه وفق الوحي والعقل معا لإعادة بعث النموذج الإسلامي المفقود وفق مقتضيات الحاضر ومتطلبات الأمة، واستلهام سنن التغير والتطور من التاريخ الإسلامي، وإنزال الفقه على الواقع، وإفساح مجال الاجتهاد، وتعليم الناس جوهر الدين وحقيقته بعد أن حادوا عنه، واختلت لديهم الموازين فجعلوا الفرض نافلة، والنافلة واجبا، وإبراز الوسطية الإسلامية، وتنقية التراث.

مع هذا فإن تلك العودة إلى الوراء لم تكن سلبية خالصة لأمرين أساسيين، الأول أن من طالبوا بالتجديد وقفوا إما عند المفاتيح أو المبادئ الأولية، وإما أخفقوا في إعادة تركيب ما فككوه، وتقديم بناء نظري متماسك يكافئ الطموحات التي طرحوها حول التجديد، ولذا أعطوا فرصة لمنتقديهم أن يطلقوا عليهم لقب «المبددين» وليس «المجددين». والثاني أن الطور الأخير للتجديد بدا واسعا ومتنوعا وشاركت فيه جماعات علمية ومجموعات بحثية متنوعة المشارب والمناهل والتوجهات العلمية، حيث لم تقف عند حدود المهتمين بعلوم الدين، بل امتدت إلى علماء الاجتماع والسياسة والفلسفة والتربية والأدب والتاريخ، سواء كانوا مسلمين أم مستشرقين. لكن هذا الجهد لا يزال يقع تحت طائلة رد الفعل على مطالبة الغرب لنا بتجديد خطابنا، ما ينال من قوته وتأثيره كثيرا، ويفتح الباب أمام التشكيك في مقصده ومآله.

أخطاء فهم السنّة بمعزل عن القرآن في رؤية الشيخ محمّد الغزالي

د. عبدالكريم واحدي

لا يجوز الاشتغال بالسنّة مع الغفلة عن القرآن



من القضايا التي شغلت بال الفقهاء والمحدّثين قديما وحديثا، السنّة النبوية الشريفة من خلال تدوينها وجمعها وشرحها وبيان صحيحها من سقيمها، واستخراج ما فيها من أحكام عقدية وخلقية وفقهية، ومع الكمّ الهائل من الكتب والمؤلفات التي عالجت موضوع السنّة إلا أنّ سوء الفهم، وأخطاء التأويل، وقصر النّظر، بقيت ملازمة له إلى اليوم، ويرجع ذلك إلى غياب المنهج السليم في التعامل مع السنّة، ومن أكثر الأخطاء شيوعا التعامل مع السنّة بمعزل عن معاني القرآن وروحه ومقاصده، مما يؤدي إلى سوء الفهم إلى حدّ التناقض بين معاني القرآن والسنّة، ومن العلماء الذي أدركوا هذا التناقض الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- إذ عالج هذا الوضع بدقة متناهية، وبفطنة بالغة، وبمنهج علمي سليم، أرشد جمهور المسلمين عامة، والمختصيّن خاصّة، بما يترتب على فهم السنّة مقطوعة عن القرآن من انحراف في التأويل، وسوء في الفهم والتنزيل.

وفي هذا الموضع بيان لتلك المعالم والضوابط التي لابدّ منها للتعامل مع السنّة وفق روح القرآن ومعانيه وهداياته.

ومن آثار علمه بالقرآن وتأثّره به، نطق بالسنن الرّاشدة والأحاديث الهادية فكانت هي الأخرى حكما ينفع بها الناس، وهدى يشدّهم إلى الصراط المستقيم، وقد امتّن الله عليه بهذا الوحي المبارك فقال: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (١) ومع احترامنا للحشد الكبير من السنن المروية عن رسول اللّه، وحفاوتنا بالدّراسات الحسنة التي تناولتها في القديم والحديث، فنحن نلفت النّظر أنّ السنة منزلة ثانوية بعد القرآن نفسه، وأنّ العالم الأصيل بالإسلام إنما تقوم ثروته العلمية أوّلا بمدى فقهه في الكتاب العزيز، وبصره بمعانيه ومغازيه، ولمحه لدلالته القريبة والبعيدة، وأن الصورة المتقنة للإسلام إنما تعرف أبعادها وملامحها البارزة من القرآن أوّلا، ثم يجئ دور السنّة في الإيضاح والتفصيل بعد أن تمهدت الحدود وعرفت الضوابط، ولذلك نحن نرفض أن يشتغل بالسنة رجل فقير في القرآن، ونرفض أن يستخرج أحكامها رجل قصير الباع في فقه الكتاب واستظهار أحكامه، فإنّ ذلك قلب للأوضاع، ومزلفة للخطأ في تصورّ حقائق الدين، وفي ترتيب صغراها وكبراها».

السنّة تالية للقرآن

يؤكد الشيخ محمد الغزالي على ضرورة فهم الكتاب أولا والاستفادة منه، واستنباط أحكامه ومعرفة معانيه ودلالاته، ثم تأتي السنّة تالية له ومكملة، فلا يجوز لرجل قصير الباع في معاني القرآني ودلالاته الاشتغال بالسنة والغفلة عن القرآن، فإن ذلك يجر إلى أخطاء كثيرة، يقول: «لاخلاف بين المسلمين في أن القرآن الكريم أساس الإسلام، ولُباب دعوته، ومناط تشريعه، وأنه الينبوع الأول لشتى تعاليمه في أحوال المعاش والمعاد جميعا، وأنه برهان النبوة، ودليل صدقها، ومعجزتها الكبرى، وأنه مجلي الوحي الأعلى، وملتقى الحقائق السماوية التي نزلت من عند الله خالصة من كل شائبة، مبرأة من كل لبس، إنه- بهذا القرآن- أصبح محمد ﷺ مبلغا عن الله، مبينا عنه مراده، وقد انتقل هو به انتقالا نفسيا عاليا وصعد به في مرقى الكمال البشري إلى أوج بعيد، فكانت كل آية تهبط عليه نورا يتألق به باطنه، وكشفا تشرب به بصيرته.

لا تعارض بين القرآن والسنة

ويؤكد الشيخ التكامل بين نصوص الوحي قرآنا وسنة، وأن ما يبدو من تعارض ناشئ من سوء الفهم، فقال: «لا يتعارض حديث مع كتاب الله أبدا، وما يبدو حينا من تعارض هو من سوء الفهم، لا من طبيعة الواقع، وذلك مثل حديث : «لن يدخل أحد الجنّة بعمله» (البخاري) وقوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ (النحل : ٣٢) الفهم الصحيح للموضع كله، أنه لابد من عمل ينال به المرء رضا ربه ويستحق رحمته، فالجنة ليست للكسالى والأراذل، بيد أن العمل المقبول



هو المقرون بالتواضع لله وإنكار الذات، والقلق من أن يرفض رب العالمين العمل المتقرب به، لأن عيوبه لا تخفى عليه، أو لأنه دون حقه، أو لأي سبب آخر، فمن تقدم بعمل وهو شامخ الأنف، ليس في حسابه إلا أنه قدم العمل المطلوب للجنة، وعلى الله أن يسلم له المفاتيح ليدخلها بعدما امتلكها بعمله، هذا المغرور لا يقبل منه شيء، ولا مكان له في الجنة، أما من جاء خاشعا خفيض الجناح، شاعرا بالانكسار لأنه لم يقدّم ما الله أهل له، فإنه يدخل الجنّة بعمله، والدلائل على هذا المعنى كثيرة، وما يعقلها إلا العالمون» (١).

لا ترد السنّة اكتفاء بالقرآن

كما حذر الشيخ من رد السنة النبوية بدعوى أن ما في القرآن كاف في العمل والتشريع، بل يجب الأخذ بهما معا، وبيّن أن فهم الإسلام والعمل به لا يتم إلا بالجمع بين القرآن والسنة التي جاءت بيانا وتفسيرا له، وأن الاكتفاء بالقرآن وحده بدعة خطيرة، وليس لأحد حق تمحيص السنن ودراسة أسانيدها إلا من أهله، فالسنة جزء من الوحي ما تواتر منها وما لم يتواتر، يقول: «إذا صح أن رسول الله ﷺ أمر بشيء أو نهى عن شيء، فإن طاعته واجبة، وهي من طاعة الله، وما يجوز لمؤمن أن يستبيح لنفسه التجاوز عن أمر للرسول فيه حكم ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء :٨٠) ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾(الأحزاب: ٣٦).

وظيفة السنّة مع القرآن

ويبين الشيخ أن السنة لا تعارض القرآن، وإنما تأتي إما مقررة لأحكامه، أو مبينة وشارحة لمجمله، أو مخصصة لعمومه، أو مقيدة لمطلقه، وغير ذلك من طرق البيان (٢)، وأنه لا يوجد حديث واحد يعارض القرآن أو قواعده العامة، يقول: « لقد كنت عندما أحب الاستشهاد بالكتاب والسنة في موضوع ما، ألاحظ هذه الحقيقة وأجد طائفة كبيرة من الأحاديث تطابق في معانيها وأهدافها ما تضمن القرآن الكريم من معان وأهداف، وأن هذه الأحاديث قد تقرر المعنى نفسه، الذي احتوته الآية، أو تقرر معنى آخر يدور في فلكه وينتظم معه في اتجاه واحد، وإن بدا للعين المجردة أن الصلة بينهما بعيدة.

وقد جاءت السنّة بأحكام يسّرت بعض العزائم التي أمر الكتاب العزيز بها، فالقرآن مثلا يأمر بغسل القدمين، ويعد ذلك ركنا في الوضوء، وتنظيف الرجلين أمر لابد منه في صحة الصلاة ، وقد بّين رسول الله ﷺ أن الرجل إذا أدخل قدميه طاهرتين في خفيه أو جوربيه (البخاري ومسلم)، فليس بضروري أن يعيد غسلهما كلّما أراد الوضود، وبحسبه أن يمسح على ظاهرهما- فوق الحذاء أو الجوارب- إشارة إلي الركن الذي لحقته الرخصة. وهذا الذي صنعه الرسول ﷺ وأمر به ليس هوى جنح إليه: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى﴾(النجم: ٢-٣) إنما هو إرشاد الله له، وهو عمل يتسق مع قاعدة الإسلام الأولى من السماحة والتيسير، وليس فيه أي تناقض مع تعاليم القرآن، ونستطيع أن نقول: إنه ليست هناك سنة تعارض حكما قرآنيا ما، بل إنه من المستحيل أن يوجد حديث يعارض أحكام القرآن، أو قواعده العامة» (٣).



أسباب تقديم القرآن على السنة

ويوضح الشيخ أن تقديم القرآن على السنة ثابت بإجماع، وأن ذلك دعت إليه جملة من الأسباب الموضوعية والمعقولة، تأبى أن تقبل سنة بمعزل عن فهم كتاب الله أولا، من ذلك أن السنة تستمد شرعيتها وقوتها من القرآن، والقرآن كله قطعي الثبوت بخلاف السنة منها الظني وهو الغالب ومنها القطعي، والقرآن حفظ بكامله في السطور والصدور بخلاف السنة تأخر تدوينها ودخل فيها ما ليس منها، يقول: «وقد أجمع المسلمون على أن الكتاب هو الأصل الأول في التشريع (٤)، وأن السنة تجيء من بعده في المرتبة للأسباب الآتية:

– ذلك أن هذا السنن من أقوال وأفعال وأحكام وتقريرات إنما تبنى على الدّعائم الممهّدة من كلام الله جلّ شأنه، وتمتدّ في اتجاهها وترتكز عليها، فهي أشبه بالتوابع الفلكية مع أمهاتها من الكواكب الكبرى.

– أن السنّة اعتبرت أدلة شرعية بشهادة القرآن لها، فهي تستمد قوتها كمصدر للأحكام من أمر القرآن بذلك في مثل قوله عزّ وجل : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ (النساء: ٥٩) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء: ٨٠) وبهذا احتج ابن مسعود عندما جادلته امرأة في حديثه عن لعن النساء المتبّرجات بتزوير الخلقة، زاعمة أن ذلك ليس في القرآن، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقالت له امرأة في ذلك- أي اعترضته- فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله، وهو في كتاب الله؟ قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾» (الحشر: ٧) (البخاري).

– ثم إن القرآن يقيني الثبوت، فهو متواتر جملة وتفصيلا، أما السنة فإن منها المتواتر، وأكثرها أخبار آحاد، وروايات الآحاد تفيد الظن العلمي لا القطع الجازم، والأحكام الشرعية المهمة تعتمد على اليقينيات لا الظنيات.

– ومن المسلم أن القرآن الكريم وصل إلينا كاملا، لم ينقص منه حرف واحد، تظاهرت الكتابة والحفظ من أول يوم على صيانته وضبطه،



مما لم يؤثر ألبتة عن كتاب في الأولين والآخرين، أما السنن فقد تأخر تدوينها، والتحق بها ما ليس منها، فاجتهد الأئمة في غربلتها، ونقد طرقها ومتونها، واختلفت أنظارهم في ذلك بين التصحيح والتضعيف والقبول والرد، ولاشك أنهم وضعوا قواعد للنقد العلمي تستحق كل احترام، وجردوا تراث النبوة مما قد يعلق به من أوهام، بيد أن جملة السنن التي وصلت إلينا بعد ذلك الجهد لا يمكن القطع بأنها كل ما قاله رسول الله، وأن الرواة أحصوا في سجلاتهم كلام النبي ﷺ كله، لم يسقط منه شيء، وذلك على عكس القرآن الكريم، فإن ثبوته كله يجعل هيمنته على مصادر التشريع لا تقبل جدلا.

ومعاذ الله أن نغمط السنة حقها، فهي ضميمة إلى القرآن لابد منها، ونحن نعلم أن معالجة التطبيق العملي للمبادئ والأسس العامة تتطلب فيضا من التفصيلات والتفريعات المنوعة، وقد قامت السنة بهذه الوظيفة بالنسبة إلى القرآن، وعندما نلقي نظرة عجلى على مجتمعنا مثلا، نرى هذه التعليمات الفرعية تملأ كل أفق، فاللوائح الداخلية والتشريعات التجارية والمدنية والجنائية والاقتصادية تقوم بعملها الخطير في تنظيم الحياة العلمية، وهو عمل لا يمكن تجاهله، لكن لا يمكن أيضا الذهاب به فوق قدره بالنسبة إلى الدستور المشرف على كل شيء، والمهيمن على تقعيد القواعد وإنجاز الفروع، بل لذي تبطل القوانين إذا جافت صه أو روحه، وكذلك القرآن النسبة إلى السنن المروية كلها، نها تسير في هداه وتنطلق إلى مداه، وما يسوغ لفقيه مسلم أن يفهم غير هذا، ولا لمجتمع مسلم أن يحيا على غيرها، وقد رأيت نفرا من المتدينين يخوض في السنن وبضاعته في القرآن قليلة، وبصره إلى الآيات كليل، فأنكرت ذلك وأيقنت أن معالم الإسلام لن تكون صريحة في ذهنه» (٥).

أخطاء فهم السنن مقطوعة عن القرآن

ويؤكد الشيخ ضرورة الاهتمام بالقرآن وفهم معانيه، ثم تنزيل السنة وفق تلك المعاني، فإن القرآن هو المرجع الأعلى في فهم قوانين الكون وسنن الحياة، وهو مصدر الحقائق الكبرى، وما السنة إلا فهم للقرآن، فلا يجوز الإعراض عنه والاستمساك بالسنن، لأن ذلك قلب للموازين، قد يوقع صاحبه في ترك آيات من القرآن زعما أن الحديث جاء بخلافها، وكان الأولى ترك الحديث لأنه جاء مخالفا لما في القرآن، وقد وقع الكثير من الدارسين للسنة في أخطاء بسبب الاقتصار عليها دون الرّجوع إلى القرآن.

بطلان الحديث إذا خالف ظاهر القرآن

ويقرّر الشيخ بهذه القاعدة بطلان أيّ حديث يخالف القرآن نصّا ومعنى، والحكم ببطلانه آت من كون السنّة لا تأتي إلا بما يوافق القرآن، مؤكّدة ومقرّرة، أو مفسّرة وشارحة، أو مخصّصة ومقيّدة، أو مستقلة بأحكام وفق أغراضه ومعانيه، فكيف يقبل حديث يعارض القرآن؟ فإذا تحقّقت المعارضة وجب ترك الحديث، لأنّ المظنون لا يقوى على معارضة المقطوع، ولأنّ الحديث قد يكون معلول المتن ولو كان صحيح السنّد، يقول: «إن أيّ حديث يخالف روح القرآن أو نصّه فهو باطل من تلقاء نفسه».

والدّليل الظنّي متى خالف القطعي سقط اعتباره على الإطلاق، كما أورد البخاري وغيره من الحفّاظ حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: ﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدّواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، (ذكره البخاري في التاريخ الكبير ومسلم في المقدمة) ومع أن الحديث في صحيح مسلم قد أغفله الحفاظ لكونه مخالفا لما جاء في القرآن، من أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لا سبعة، فقالوا: هو من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ولا يمكن أن يكون من قول الرسول، لأن قوله ﷺ لا يتعارض مع القرآن بل يكون شارحا له، ومفسرا لآياته.. فالسنة هي الركن الثاني في الدين، ولكن السنة بحاجة إلى من يعرف أسانيدها ومتونها معرفة حسنة، ومن يعرف- قبل ذلك وبعده- الكتاب العزيز، ويقف على معانيه ومراميه» (٦).

ويؤكد الشيخ على وجوب عرض معاني الحديث على نصوص القرآن، حتى لا تتعارض فيما بينها، فلا يقبل حديث إذا عارض معناه ظاهر القرآن، ولو كان صحيح السند، وهو دأب الفقهاء كأبي حنيفة ومالك، إذ كانوا يتوقفون في أحاديث صحيحة لكونها مخالفة لظاهر القرآن.

ويؤكد على هذه المعاني بقوله: «كلّ ما نحرص نحن عليه شدّ الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرّب الوحي، والفقهاء المحقّقون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا كلّ ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع، وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة، أما اختطاف الحكم من حديث عابر، والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى فليس عمل العلماء، وقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقون للأمة، الذين أسلمت لهم زمامها عن رضا وطمأنينة، وقنع أهل الحديث بتقديم ما يتناقلون من آثار كما تقدّم مواد البناء للمهندس الذي يبني الدار، ويرفع الشرفات، والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر، فلا فقه بلا سنة، ولا سنة بلا فقه، وعظمة الإسلام تتم بهذا التعاون، والمحنة تقع في اغترار أحدهما بما عنده، وتزداد مع الإصرار وضعف البصيرة» (٧).

الهوامش

١- مائة سؤال عن الإسلام- مرجع سابق- ص:١٧٧

٢- انظر أنواع بيان السنة للقرآن في كتاب علم أصول الفقه لخلاف، ص:٣٩، وأصول الفقه الإسلامي لشلبي، ص:١٢٦ فما بعدها.

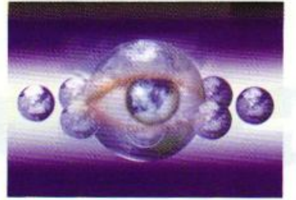
٣- ليس من الإسلام- ص: ٣٠،٣١،٣٢

٤- انظر: تقديم القرآن على السنة في كتاب أصول الفقه الإسلامي لمصطفى شلبي، ص:١٦٠

٥- نظرات في القرآن- ص: ١٦٧،١٦٨،١٦٩

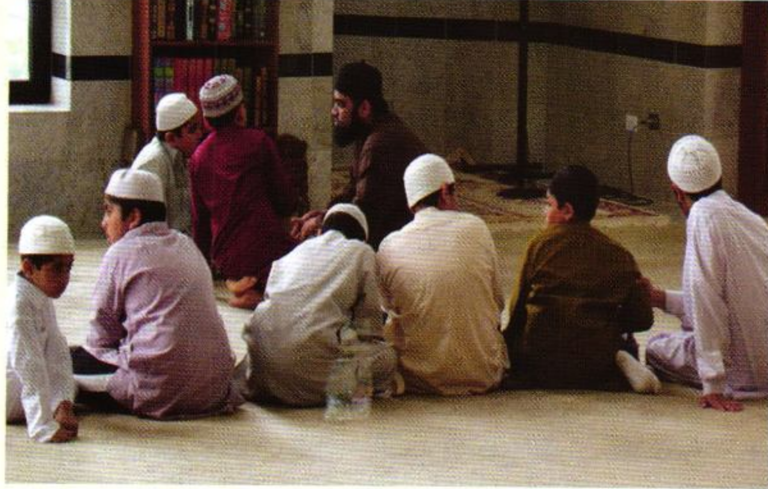
٦- هذا ديننا- ص: ٢١٢،٢١٣

٧- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- مرجع سابق - ص:٢٥

فلسفة الحضارة في التجديد لدى مالك بن نبي

د. مصطفى محمد طه



يعتبر مالك بن نبي (١٣٢٣-١٣٩٣هـ = ١٩٠٥-١٩٧٣م)، أبرز مجدد إسلامي عرفه العصر الحديث، وتأتي فرادة مالك بن نبي بين مجددي العصور من منطلق أنه قد ولد في نفس العام الذي مات فيه الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ= ١٨٤٩-١٩٠٥م).

وكأن الأقدار أرادت لسلسلة المجددين ألا تنقطع في عالم الإسلام المتراحب، هذا فضلًا عن أن مالك بن نبي قد بز جميع من سبقه من مجددي العصور الإسلامية وتفوق عليهم من حيث انفتاحه على حضارة العصر في مركز من أبرز مراكز إشعاعها، فجمع بذلك بين الأصالة الإسلامية والمدنية الغربية، واستطاع عبر طروحاته الفكرية الثرية، بشأن التجديد الحضاري الشامل، أن يساهم إسهامًا حيويًا في أن يقدم ملامح مشروع فكري على طريق حل هذه المعادلة الصعبة، التي مازال عالم الإسلام يسعى جاهدا إلى إيجاد الحل الامثل لها، وذلك حتى يتسنى له اللحاق بحضارة العصر، عبر المشاركة الفعلية فيها بنصيب وافر، بدلا من ان يكتفي بالاستيراد او «التكدس الشيئي» على حد تعبير مالك بن نبي.

وعند دراسة المعطيات التجديدية التي جعلت من مالك بن نبي فيلسوفا للحضارة الإسلامية المعاصرة، فضلا عن كونه رائدا من رواد التجديد الحضاري في واقعنا الثقافي المعاصر، فإنه لابد من دراسة المحاور التالية:

التقهقر والانحطاط

نظر مالك بن نبي إلى فلسفة الحضارة على أنها بمنزلة العامل الحيوي، الذي في إمكانه مساعدة مسلم اليوم الذي يترنح آيلا للسقوط حضاريا، ولاسيما منذ عصر ما بعد الموحدين - وفقا لتعبير مالك بن نبي- وذلك من منطلق نظرته لدورات الحضارة الإسلامية، التي مرت- وفقا لتصوره- بهذه الدورات الثلاث، الدورة الأولى هي دورة الروح، الدورة الثانية هي دورة العقل، الدورة الثالثة هي دورة السقوط (إنسان ما بعد الموحدين).

ويرى مالك بن نبي أن أهمية هذه النظرة تأتي من منطلق أنها تتيح لنا الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط، أي على قوى الجمود داخل الحضارة إلى جانب شرائط النمو والتقدم، فهي تتيح لنا أن نجمع كلا لا تتجزأ مراحله، ومن الملاحظ أن التعارض الداخلي بين أسباب الحياة والموت في أية عملية حيوية (بيولوجية)، هو الذي يؤدي بالكائن إلى قمة نموه ثم إلى نهاية تحلله، أما في المجال الاجتماعي فإن هذه الحتمية محدودة بل مشروطة، لأن اتجاه التطور وأجله يخضعان لعوامل نفسية زمنية، يمكن للمجتمع المنظم أن يعمل في نطاقها حين يعدل حياته، ويسعى نحو غاياته في صورة متجانسة منسجمة (١).

«إن هذه الملاحظات - يقول مالك بن نبي- هي التي تدفعنا إلى أن ننتقد مسلك بعض الباحثين حين ينظرون إلى ظاهرة الحضارة منفصلة عن ظاهرة الانحطاط، وإن العالم الإسلامي لفي مسيس الحاجة في هذه النقطة إلى أفكار واضحة تهدي سعيه نحو النهضة ولهذا فإن ما يهمنا في المقام الأول هو أن نتأمل الأسباب البعيدة التي حتمت تقهقره وانحطاطه» (٢).

وذلك حتى يتسنى له التخلص من تداعيات حقبة السقوط الحضاري التي طال أمدها، وينطلق بخطى وثابة نحو دورة تاريخية جديدة عنوانها التجديد الحضاري الشامل.

مشكلة حضارية

وعلى الرغم من أن مالك بن نبي قد تمثل فلسفات الحضارة الحديثة تمثلا عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين، فإن ابن خلدون (٧٣٢ -٨٠٨هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦م)، بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأكبر، وفيما يتصل بنظرة مالك بن نبي إلى فلسفة الحضارة، فإنه يذهب إلى «أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها» (٣).



التجديد عند مالك بن نبي عملية بنائية تستهدف إقامة حضارة على أسس اجتماعية



وإذا كان البحث في فلسفة الحضارة، يعني الوقوف على الأسباب والمقومات التي تحدد سبل نهضة المسلم المعاصر، وبالتالي يكون في مقدوره الخروج من كبوة التخلف الحضاري، الذي كان بمنزلة الإفراز النكد لحقبة السيطرة الاستعمارية والتغريبية بكل صورها العسكرية، والسياسية، والفكرية، والثقافية، فإن العقل المسلم قد ساهم بنصيب وافر وبجهد واضح في مسألة الحضارة وفقه التاريخ، وقوانين حركته، وذلك بأساليب منهجية تقترب أو تبتعد عن البحث في المسألة الحضارية بالشكل الاصطلاحي الدقيق، إلا أنها أكدت، وما زالت تؤكد، أن كل إسهام فكري في فلسفة الحضارة، من شأنه تأكيد الهوية الإسلامية لثقافة الأمة- هذا فضلا عن تقديمه الأسس النظرية للمشروع الحضاري الإسلامي البديل، وذلك مادام التزم قيم ومبادئ وأسس الإسلام الصحيح من خلال معطيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فالقضية لم تقف عند منظر يجعل القضية همه الأكبر مثل مالك بن نبي، أو عند تلامذته المتأثرين به تأثرا مباشرا، والمنتشرين على امتداد الساحة العربية- من الماء إلى الماء- نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عمار الطالبي (الجزائر)، محمود محمد سفر (السعودية)، عماد الدين خليل (العراق)، جودت سعيد، وجماعة «ندوة مالك بن نبي» في لبنان وسوريا (٤).

التمازج بين النظرية والتطبيق

ولعل أهم ملمح بارز يعطي مالك بن نبي دورا فريدا بين مجددي العصور في عالم الإسلام على مدار الأعصار المتطاولة، منذ انبثاق فجر الإسلام الخالد وحتى هذه اللحظة التاريخية الراهنة التي نحياها، هو أنه لم يكن فقط مجرد منظّر حضاري للتجديد، بل إنه قد جمع بين طرفي المعادلة اللازمة لأي نهوض أو تجديد، ونعني بها التمازج بين «النظرية والتطبيق». وفي هذا السياق التجديدي يقول: «وبالمثل نجد أن عوامل التعجيل بالحركة الطبيعية بدأت تؤدي دورها الكامل في دراسات الاجتماع، كما هو مشاهد في التجربة الخالدة لليابان، فمن عام ١٨٦٨م إلى ١٩٠٥م انتقلت اليابان من مرحلة العصور الوسطى- أو ما سبق أن أطلقت عليه «بادرة الحضارة»- إلى الحضارة الحديثة.

فالعالم الإسلامي يريد أن يجتاز المرحلة نفسها، بمعنى أنه يريد إنجاز مهمة تركيب الحضارة في زمن معين، ولذا يجب عليه أن يقتبس من الكيميائي طريقته، فهو يحلل أولا المنتجات التي يريد أن يجري عليها بعد ذلك عملية التركيب، فإذا سلكنا هنا هذا المسلك قررنا ان كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت، ففي المصباح مثلا يوجد الانسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعد المصباح ثمرتها، والتراب في عناصره من موصل وعازل، وهو يتدخل بعنصره الأول في نشأة الإنسان العضوية، والوقت «مناط» يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية، وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين: الإنسان والتراب» (٥).

ولم يكتف مالك بن نبي بما ذكر، وهو بصدد رسم معالم الطريق لمسلم اليوم، لتحقيق انطلاقة حضارية راشدة تساعده على انجاز البناء الحضاري المعاصر، فيواصل تحليله لهذه الصيغة الرياضية، فيقول: «فالصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة، فسننتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية: حضارة = إنسان +تراب + وقت. وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها» (٦).

الفكرة والواقع

إن من أبرز المحاور التي يمكن الدخول من خلالها إلى منهج البحث في فلسفة الحضارة- كمدخل للتجديد- عند مالك بن نبي، إنما هو صياغته للعلاقة بين الفكر والواقع، هذا فضلا عن دراسة علاقة الوسائل التي يملكها المجتمع بالغايات التي حددها هدفا له، وهو ما يمكن أن نعثر عليه عند مالك بن نبي، من خلال طرحه لمصطلح الفعالية الحضارية (او التجديد الحضاري) وهو بحث في العلاقة المتبادلة بين العناصر الثقافية التي تؤثر في البنية الحضارية، وفي مدى ملاءمة القيم والأفكار للغايات التي تسعى الحضارة لتأصيلها في محيط الإنسان الاجتماعي، وفي علاقات هذه الحضارة بالكيانات الحضارية الأخرى» (٧).

وفي هذا السياق يمكن القول بأن التجديد عند مالك بن نبي انما هو على الحقيقة بمنزلة عملية بنائية تستهدف اقامة حضارة بواسطة نظام من العلاقات الاجتماعية، أو هو تحويل الواقع الاجتماعي المتخلف إلى تركيب حضاري، عن طريق





ابن خلدون الملهم الأكبر لمالك بن نبي في تفسير فلسفة الحضارة

شبكة العلاقات الاجتماعية.

فالتغيير الاجتماعي بالضرورة هو من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا، ولابد من توفر صلات ضرورية بين هذه العناصر كي يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة، إن هذه الصلات هي شبكة العلاقات الاجتماعية، والأشياء التي تنشأ نتيجة التفاعل بني العناصر الثلاثة الأولى، الأشخاص والأشياء والأفكار، وترابطها في كيان عام من أجل عمل مشترك هو تحقيق الحضارة (٨).

التغيير الاجتماعي

وفي ضوء هذا المنظور النسقي للتجديد الحضاري المنبثق عن فلسفة حضارية واعية، يبدو مالك بن نبي - كمفكر اجتماعي ومجدد إسلامي أصيل- يقترب في كثير من موضوعاته ومنهجيته ومعالجاته من دائرة العلم الاجتماعي، فنراه يتعرض لظاهرة التغيير الاجتماعي- كما سبق أن ألمحنا- وحركة الحضارات، وتشغل نظريته في هذا الصدد جانبا هاما من أعماله، بما ينبثق عنها من أفكار ومعالجات، كتعريفه للمجتمع، وتمييزه بين أنواع المجتمعات، ومعالجاته لقضايا الثقافة والبناء الاجتماعي، وقد امتاز في كل ذلك برؤية سوسيولوجية خاصة، وخصوصية منهجية فرضها وعيه المتميز والمبكر، بضرورة أن يكون هناك علم اجتماع خاص بالعالم الإسلامي (٩).

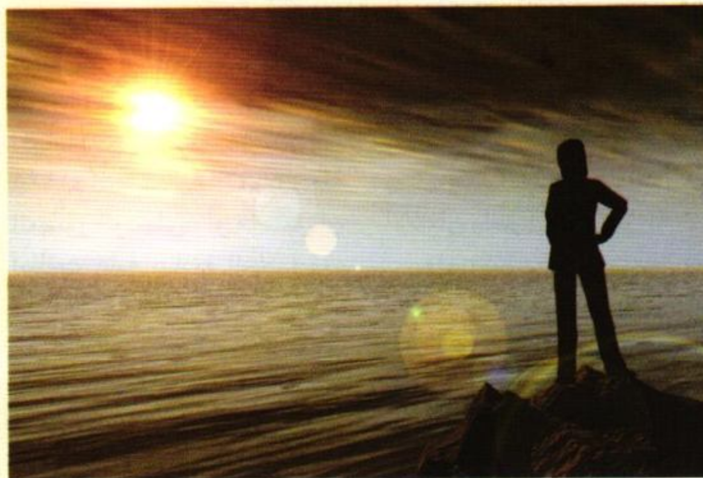
ولم يكتف مالك بن نبي بهذا التنظير حول ضرورة التجديد الحضاري في عالم الإسلام، بل إنه ينتقل بنا إلى رصد الواقع الحضاري العالمي، على المستويين الغربي ممثلا في الحضارة الغربية، والإسلامي ممثلا في العالم الإسلامي، وذلك من خلال تحليله لواقع الحضارة الغربية، لكي يبين لنا عناصر الأزمة التي يحياها الإنسان الغربي، وذلك لكي يوضح لنا أن أسباب أزمة التخلف الحضاري في عالم الإسلام، إنما هي ناتجة عن تخلي المسلمين عن قيمهم العقدية، وانبهارهم الأجوف بفلسفات ومذاهب الغرب التي بيَّن لنا مالك بن نبي مدى خوائها، هذا فضلا عن عناصر الأزمة الكامنة في الكيان الغربي، ويترتب على هذا الربط المنهجي بين واقع غربي متأزم، وبين عالم إسلامي متخلف، الضرورة التي يفرضها الفهم الصحيح للإسلام على أنه بجانب كونه عقيدة خالدة، فهو أيضا شريعة قادرة على احتواء الأزمة الحضارية للمسلم المعاصر، والعودة بمنحنيات الانكسار في الحضارة الإسلامية إلى مسارها الذي أراده لها الحق تبارك وتعالى كخير حضارة تفطر عنها قلب التاريخ، لأن أمتها هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهدي البشرية الحائرة إلى استقامة المنهج وصدق الرسالة، وفق قيم الجمال والحق والخير والعدل (١٠).

الانسان محور التغيير الحضاري

إن مسلم اليوم إذا كان فعلا جادا في تبني خيار التجديد الحضاري، فعليه أن يتلمس العودة لإشعال جذوة الإيمان من جديد، وتقوية تكوينه العقدي والأخلاقي، وذلك بنفس معيار الطاقة والفعالية التي اتسم بها مجتمع التوحيد الأول، وذلك لأن معركة الصراع الحضاري التي تدور رحاها في العالم المعاصر، سوف تأتي بنتائجها السيئة على البقية الباقية من الكيان الإسلامي المتدهور، والتاريخ الحضاري للبشرية يؤكد لنا بأن كل عملية تقدم لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ارتبطت بوجود قوى اجتاعية تصنع هذا التقدم- أو التجديد- وأهم هذه القوى- بل محورها- الإنسان الذي يعد محور الفعالية في حركة الحضارة، وذلك من خلال إمكانات التغييرالنفسي التي بمتقتضاها يتسطيع الإنسان أن يسهم في بناء الحضارة وإفراز التقدم، والحيوية الحضارية في شروطها الأولى، وعي بقضايا التخلف وإرادة صلبة لتجاوزه، والنهضة الحضارية هي اصطدام بعناصر ذلك التخلف (١١).

من هنا يمكن القول بأن التجديد الحضاري، كما يراه مالك بن نبي، لن يتحقق في أرض الواقع إلا بفعل ديناميكي يحركه، وتفسير ذلك هو أننا نجد في بداية كل حضارة ثمة الفكرة الفاعلة القادرة على تغيير ما بالنفس، ومن ثم تغيير ما بالعقل، وذلك من أجل الإقلاع الحضاري نحو التجديد، إنها الفكرة المشحونة بالرؤية الكونية وبالوقود العلوي وبالمسؤولية الإنسانية الشاملة، إنها الطريق الشرعي والفطري لصناعة الحضارة الإنسانية والتقدم (١٢).

وفي التحليل الأخير، فإن ثمة تساؤلًا حيويًا يفرض نفسه على الباحث، مفاده: ماذا يمكن للمفكر الإسلامي المعاصر أن يستفيد من مفهوم مالك بن نبي لفلسفة الحضارة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول إن المفهوم الإصلاحي للحضارة وفلسفتها عند مالك يؤكد على ضرورة الاتجاه إلى بناء المسلم المعاصر على أسس روحية مستمدة من مفاهيم الفكر الإسلامي الصحيح، كما يؤكد ايضا على ضرورة الإبداع الذاتي في عالم



الفكر وعدم الاعتماد على الفكر الغربي كلية، وذلك لأن هذا الفكر وليد بيئته الخاصة، ووليد روح انسانية لها سمتها الخاصة بها، كما ان هذا الإبداع سيساهم في التحرر بشكل او بآخر من سيطرة الغرب علينا.

كما يمكن أن نستفيد من هذا المفهوم في ضرورة استثمار التراب الإسلامي بفعالية، وذلك حتى يمكننا الاستفادة منه على أكمل وجه، وبالتالي لا نفرط فيه بسهولة، وغير خاف على أحد بأن أفضل استثمار لهذا التراب إنما يتم عن طريق العمل الدائم بتأثير مجموعة من التصورات الفكرية، التي تصور لنا كيف يتم استثمار هذا التراب لبناء حضارة جديدة، ولعل أهم عامل لبناء هذه الحضارة المنشودة بجانب التراب، هو الإنسان، ولن يكتمل ذلك إلا بالعمل على بث روح الإدراك الصحيح لأهمية الوقت ودوره في بناء الحضارة- كما سبق أن ألمحنا- ولاسيما بعد إعطاء هذا الوقت قيمة عظيمة بدلا من كونه عدما. إن ذلكم هو مفهوم مالك بن نبي لفلسفة الحضارة، ونحن نعتقد جازمين ان محاولته هذه تحوي الكثير من عناصر الابداع الفكري التي تجعله على قدم المساواة مع مفكرين غربيين في فلسفة التاريخ والحضارة، ولذا فإننا نتفق مع البعض الذي يذهب إلى القول بأن مالك بن نبي هو ابن خلدون القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) (١٣).

فلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ

تلك كانت هي أهم ملامح رؤية مالك بن نبي لفلسفة الحضارة ودورها البارز في تحقيق التجديد عبر رسم معالم المشروع الحضاري البديل، الذي يعتبر مالك بن نبي أحد أبرز منظريه في عالم الإسلام، ولا ريب في أن فلسفة الحضارة قد انبثقت من رحم فلسفة التاريخ، ولهذا فهي ترتبط بها ارتباطا عضويا حيا، ومن هنا يمكن اعتبارهما وجهين لعملة واحدة، هي الابداع الحضاري للانسان في كل زمان ومكان، وفي هذا ما لعله يجعل من مالك بن نبي واسطة العقد بين مجددي العصور على مستوى عالم الإسلام قاطبة، بل هو من أبرز مفكري الإسلام المعاصرين، الذين اهتموا بالفكر الحضاري منذ أن طويت آخر صفحات ابن خلدون راحلا عن عالمنا الزائل إلى العالم الآخر.



التجديد الحضاري لن يتحقق في أرض الواقع إلا بفعل ديناميكي

إن المعطيات الفكرية لمالك بن نبي في إطار فلسفة الحضارة، تجعله فيلسوفا ذا نزعة تقدمية، كما كان من قبل ابن خلدون، مما يعني أن الفكر الإسلامي قد شهد على مدار التاريخ من يقول بفلسفة الحضارة، وفقا للتصور الإسلامي الذي يؤكد على ان فلسفة الحضارة رافد اساسي للتجديد الحضاري الذي لابد أن يكون شاملا لجميع مناحي الحياة الإسلامية، سواء كانت بشرية أم مادية، والدليل الحيوي على مدى صحة ذلك التصور، هو ان فلسفة الحضارة كانت واضحة وضوح الشمس على خارطة النتاج الفكري لفيلسوفنا، وقد جاءت طروحاته في هذا السياق متباينة بطبيعة الحال عن طروحات مفكري الغرب، ومرجع هذا هو أن المنابع الفكرية التي امتاح منها مالك معطياته، انما هي مصادر الثقافة الإسلامية في الأساس- قبل ثقافة الغرب- ويأتي في مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعطاء التراث الحضاري الإسلامي.

وفي بداية التحليل ونهايته، يمكن تفسير مدى اهتمام مالك بن نبي بفلسفة الحضارة من خلال ذلك العنوان الدال الذي حملته جميع مؤلفاته ونعني به «مشكلات الحضارة»، وتشي القراءة العلمية الدقيقة لهذه المؤلفات جميعا بأن مالك بن نبي قد توصل إلى أن فلسفة الحضارة إنما تهدف ضمن مما تهدف إلى زرع بذور التقدم في التربة الإسلامية الخصبة، ما يعني ان مجددنا علامة فارقة ليس فقط في الفضاء الثقافي الإسلامي فحسب، بل في الفضاء الثقافي الكوني قاطبة.

الهوامش

١- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبدالصبور شاهين، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٨٢.

٢- مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص٨٢-٩٢.

٣- د. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩، ص٠١٤.

٤- د. سليمان الخطيب: المرجع السابق، ص ٤٦ -٧٤.

٥- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٩٤.

٦- مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص ٠٥.

٧- د. سلميان الخطيب: المرجع السابق، ص ١٥١.

٨- د. نورة خالد السعد: المرجع السابق، ص٦٠١.

٩- د. علي القريشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ص ٦٩٢.

١٠- د. سليمان الخطيب: المرجع السابق، ص ١٨٦-٧٨١.

١١- د. سليمان الخطيب: المرجع نفسه، ص٤٣٢.

١٢- د. عبدالحليم عويس: الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي، مجلة الفيصل، العدد ٩٦، دار الفيصل الثقافية، الرياض شوال ١٤١٣هـ - ابريل (نيسان) ١٩٩٣م، ص ٢٤.

١٣- د. أحمد محمد سالم البربري: نحو مفهوم جديد للحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الفكر العربي، العدد السادس والسبعون، معهد الإنماء العربي، بيروت، السنة الخامسة عشرة (٢)، ربيع ١٩٩٤م، ص ١١٨ -٩١١.

كلمات في نهاية كتاب

د. عبدالمنعم عبدالله حسن

تمثل الكلمات الأخيرة في فصول الكتاب- عند المبدعين- مشهد الختام ولقطة النهاية، بما يحمل هذا المشهد، وتحوي هذه اللقطة دفقات شعورية مكثفة، تجسم خلاصة الأحداث، وتجمع خيوط المواقف، وتصب عصارة العمل الإبداعي في حروف قصيرة أخيرة وكلمات قليلة يسيرة، ولكنها عند التأمل والتدبر، والنظر والتفكر، والتدقيق والتحقيق، مجمع لأفكار كثيرة، وصفحات غزيرة، تسع الكتاب المعروض كله.

ولست تشعر بذلك في أي كتاب، ولا عند أي كاتب، فإنها موهبة وإلهام، يذكيها صدق وإخلاص.

قرأت كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، وتجاوزت فصوله وسطوره، ووجدتني أمام آخر كلماته التي أعدت قراءتها مرات، ورأيت في حروفها مغزى الكتاب كله، وهدفه أجمعه، وخلاصته كاملة، وألفيتني أضعها أمام عيني، وفي نفسي تجاهها مشاعر أثارتها الكلمات، وأحاسيس أيقظتها الحروف، وخواطر بعثتها هذه الرسائل المختصرة التي تشبه لغة الإبراق العاجل التي تغني فيه الإشارة عن العبارة.

يقرأ القارئ كتابا في التاريخ المحمدي كهذا الكتاب فيحسب انه ألم بحياة صاحبه محمد ﷺ ووقف على جوانبها، وأقام من هذه المعرفة التاريخية صلة بهذا النبي الكامل ﷺ فإذا بهذه الكلمات تدفع هذا الظن، وتصحح هذا الفهم، وتقوم ذاك الزعم، ثم ترسم الطريق السوي لمن أراد فقها لسيرة النبي، أو صلة به ﷺ.

كلمات.. في نهاية كتاب «فقه السيرة» تحمل لقراءة التاريخ المحمدي أصولا، وتضع له منهجا، وتؤسس دعائم لتتحول القراءة إلى سلوك، وتترجم المعرفة الى عمل، وتغدو الثقافة نبلا وعطاء، وصلة وانتماء.

وبهذا تكون قراءة التاريخ وعيا، لا سردا، وإدراكا لا عرضا، واتباعا لا متابعة، وتكون فعلا فقها.

لقد جاءت الكلمات في نهاية الكتاب أعمدة سامقة تحمل مشاعل مشرقة على طريق قراء السيرة لتقول لمن يسير على هذا الدرب، بعد أن وصل الى نهايته: «قد تظن أنك درست حياة محمد ﷺ إذا تابعت تاريخه من المولد الى الوفاة، وهذا خطأ بالغ، إنك لن تفقه السيرة حقا، إلا إذا درست القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبقدر ما تنال من ذلك، تكون صلتك بنبي الإسلام» (١).

إن هناك إذن فرقا بين المتابعة والدراسة، فالمتابعة عرض سطحي، أما الدراسة فاستبطان وتعمق، واستنتاج وتبحر، ووعي واستضاءة، إنها فقه، بما تحمل هذه الكلمة من ظلال لغوية، وجلال شرعي.

ودراسة حياة محمد ﷺ وفقه سيرته بحق مقرونان بدراسة القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

القرآن منهج هذه الحياة، ونبراس تلك السيرة، وأصول هذه المسيرة، إنه مفتاح الشخصية لتاريخ النبي ﷺ .. القرآن الكريم بما حوى من تشريع وأحكام، وفروض وحدود وقيم ومثل، وأخلاق وآداب، وقصص وعبر، وآيات وبصائر، وأوامر ونواه.

إنه مصدر التأييد الإلهي، والدعم الرباني للنبي ﷺ ومن ثم كان سلوكه قرآنا، ونطقه قرآنا، وهديه قرآنا، وكان خلقه القرآن.

ثم السنة المطهرة.. التفصيل لما أجمله هذا الكتاب، والبيان، لما عممه، والتطبيق السلوكي لما حث عليه، والتوضيح لما أشار إليه.

وإن الاتباع الصادق لما جاء به الكتاب الكريم، والتحلي الحقيقي بما دعت إليه السنة المطهرة لهما الفقه الحق لتاريخ النبي محمد ﷺ الذي نزل عليه القرآن الكريم، وأكد هداه ونشر ضياه.

وإن هذا الاتباع لهو أمارة الصلة، وبرهان القرب، ودليل الانتماء، للنبي محمد ﷺ.

والتفاوت في درجات الاتباع، ومنازل التحلي، مواز لتفاوت الصلة والقرب من النبي ﷺ، فمن أراد أن يعرف موقعه من هذه الصلة، فلينظر موقعه من الاتباع والاقتداء والتحلي بما جاء به القرآن الكريم، ودعت إليه السنة النبوية المطهرة.

فإن مقدار النهل من هذين المعينين يحدد مكانة الناهل من هذا النور المحمدي.

وعندئذ تكون صلتك بنبي الإسلام، بقدر ما تنال من ذلك.



هوامش

(١) فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالي ص ٤٦٣.

صناعة المثقف

د. فاتح ممدوح عبد الحليم

حفزني لكتابة هذه المادة برنامج تبثه إحدى القنوات الفضائية.. إنه بعنوان «صناعة الموت»، مما جعلني أؤكد أن حياة الآخر مستهدفة من قبل بعضهم، بدليل إصرارهم على كل ما يسيء إليها أو يغتالها.

وكما أن الماء هو مصدر الحياة، وأن الصناعة هي عصبها، فبقناعتي أن الثقافة الإنسانية الحقيقية هي محركها ودماغها بكل تأكيد، ولو دققت بهذا المصطلح لوجدت أن نتاج الثقافة الحقيقية هو إنسان مثقف لا يقبل أبدا أن يستغله الآخرون ليصنع الموت، أو ليكرس ثقافته لأجل إحداثه والترويج له بأساليب عديدة خسيسة ودنيئة في أغلبها.

إذن هناك ثقافة عدوانية تكمن وراء تلك الصناعة، أعني صناعة الموت، ولا ننسى حقيقة أن هؤلاء الصناع تستقطبهم في أحيان كثيرة أنظمة قذرة لا تهدف إلا إلى الهيمنة والسيطرة، تدعمهم أيضا منظمات أو جهات لها أهداف وغايات مشبوهة.

أعود إلى الثقافة المنشودة وتحديدا إلى ثالوثها الذي يستند أو يرتكز عليه البرنامج الثقافي أو المادة الثقافية الحقيقية الإبداعية والسياسة الثقافية وصانع الثقافة، ولعل ما أريده هو التأكيد على نوعية المادة الثقافية، فالمادة الهابطة لا تصنع مثقفا، والسياسة الثقافية المشبوهة لها أثر كبير في احتضان مثقفين غير حقيقيين، واما صناع ثقافة الأنظمة التي تتبع ذلك النوع من السياسة الثقافية فهم في حقيقتهم ليسوا أكثر من أبواق لأنظمتهم، وتمكنوا من صناعة مثقفين سلطويين مؤطرين لا يمكن الاعتماد عليهم أبدا في التأسيس لصناعة المثقف الحقيقي، هذه الصناعة التي غدونا اليوم بأمس الحاجة إليها، وباتت مطلبا ملحا إذا كنا فعلا نريد الحياة أو العيش الآمن الهادئ البعيد عن العنف والظلم والقهر والاستبداد.

وحتى لا يعتقد بعضهم بأني أستهدف أو ألمح إلى شخص محدد أشير بصراحة ووضوح إلى الوجوه المألوفة لدينا، أعني تحديدا العابثة في ساحتنا الثقافية وأؤكد بأنه علينا الا نعلق على أصحابها الآمال فيما نرغب فيه من صناعة، وبالتالي هم القادرون على الإجابة عن سؤال أوجهه لهم «هل باستطاعتكم انتشال مركب ثقافتنا من مستنقعه الآسن إلى بحر حقيقي لا يستطيع أن يصل إلى شاطئه الآخر إلا المثقف المبدع الذي هو بالأساس صناعة ثقافة غير وهمية؟».

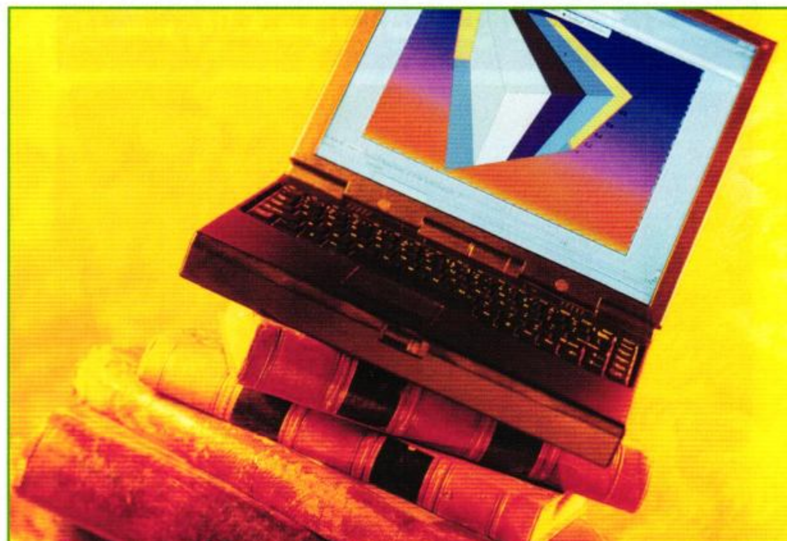
وطبعا مثل هذا السؤال محرج للكثيرين، وقد ينجح بعضهم في الهرب بحنكة من الإجابة عنه متذرعين بأن ذلك يحتاج إلى زلزال ثقافي، لابد من أن يحدث كي نصنع مثقفا حقيقيا، زلزال يطيح بمن يدّعون الثقافة، وبمن خادعوا أو أوهموا، زلزال يؤسس جيلا جديدا من المثقفين ننتظرهم بفارغ الصبر، لأنهم الوحيدون القادرون على تطوير ثقافتنا التي كثيرا ما بكينا، وربما رثينا حالها أو ما وصلت إليه اليوم.

مثل هذا الكلام بالتأكيد يغضب بعضهم، أو لا ينال منهم الرضا والاستحسان، متذرعين بعبارة «ثقافتنا بخير»، فلهؤلاء أقول: لقد سمعناها منذ عقود ولم تزدنا إلا تراجعا وتخلفا وانحطاطا، أي أنها ثقافة طغيان وعنجهية، ثقافة تدميرية أصلت فيكم الانتهازية والوصولية، واستهدفت كل طير يغرد، وكل زهرة تفوح عطرا متميزا، واجتثت جذور كل شجرة مكللة بثمار يانعة شهية.

حقا كنت أتمنى أن تصمتوا، فقد يقنعني صمتكم بشيء لا أستطيع ذكره أو البوح به الآن، أو على الأقل أن تستعدوا وتتهيأوا لمواجهة ذلك الزلزال الذي لن يبقي غير الصفوة التي وحدها ستكون الأمل بصناعة مثقف لوحته الإبداع، ورايته التفوق، لا الزيف والدجل والنفاق.

لا أخفي أني أشارك أولئك المثقفين المخدوعين حزنهم، وبالمناسبة أريد أن أخفف مصابهم، ولهذا حرصت على أن أقول لهم: لا أنكر أنكم بذلتم جهودا معينة، سهرتم وتعبتم، لكن كل ذلك في اتجاه لا يخدم الثقافة الحقيقية النوعية التي نتطلع إليها، وهي مناسبة فقط لصناعة المتخلف الصدئ المتعفن العقل والمشلول التفكير.

وختاما يقيني كبير أن هذه المكاشفة قد وضعت النقاط على الحروف لنقيم مسيرتنا الثقافية، ولنحدد بدقة الدرجة أو المرحلة التي وصلنا إليها، وإذا افترضنا أننا سنصل يوما إلى الثقافة الحلم فيتوجب علينا احتضان من خرجوا من رحمها، فهؤلاء نتاج صناعتهم من جهة، ومن جهة أخرى سيولدون مثقفين فاعلين، يبنون الوطن بكل الصدق والإخاء والرأفة والمحبة والتسامح.



أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية واتزانها

(٣/٣)

د. أحمد بن معمّر شرشال

اعتنى علماء التربية والتعليم في الكليات والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين بقواعد التربية وعلم النفس اعتناء كبيرا، فكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وأبحاثا جمة.

وإن مما يدعو للدهشة والاستغراب أنهم نقلوا فيها عن علماء التربية الغربية كل طارف وتالد، واقتبسوا أصولهم وفروعهم وتجاربهم وإذا كنا نقدر مدى أهمية الاستفادة من عمل الآخرين بعد تصفيته وغربلته مما يتعارض مع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم، ومع مبادئنا وقيمنا الحضارية، فإن الذي نعيبه على كثير من علماء التربية وأساتذتها ومدرسيها هو تغافلهم، وعدم التفاتهم إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولا وفروعا.

سابعا: من فوائد هذه الأصول وأثرها تكامل الموضوع

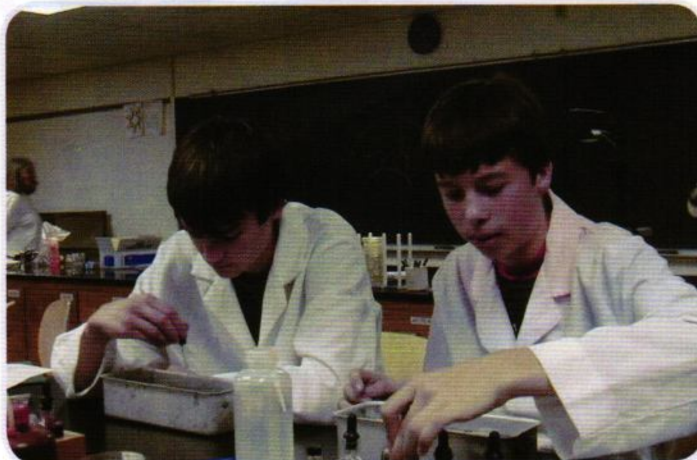
إن الطالب والدارس الذي يتفقه في القرآن وعلومه يمر على جميع الآيات القرآنية، فيكتمل الموضوع لديه، لأن موضوع الآيات ومقاصدها ليست منسقة ولا مجموعة في موضع واحد وليست في سياق واحد، فتجد أن الآية أو الآيات مفصولة عن الأولى بجملة من الآيات الأخرى وهي ليست في نفس الموضوع- في نظرنا القاصر- فقد يأتي ما يكملها أو يوضحها أو يبينها أو يقيدها أو ينسخها في آيات أخرى وفي سور أخرى، فيحتاج الأمر إلى جمع هذه الآيات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وهذا يحتاج إليه في التفسير التحليلي.

ثامنا: من فوائد وثمرات هذه الأصول التربوية وحدة التقارب

ومن أهم ما يثمره الاشتغال بالتفقه في القرآن وعلومه وتفسيره الوحدة بين جميع المسلمين، وحدة في الإحساس والشعور، ووحدة في الوجدان والتفكير ووحدة في السلوك والعمل، فتتقارب النفوس وتستقيم، وإن تعددت ونوازعها ومشاربها وتصوراتها وألوانها لصدورها عن أصل واحد ونبع واحد وهو التفقه في القرآن وعلومه، فيزدادون صلة وودا ومحبة ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ (مريم:٩٦).

ولذلك كان أهل القرون الفاضلة إخوة متماسكين يحب بعضهم بعضا، ولم يكن بينهم هذا التباعد وهذا الجفاء وهذا الانفصال الذي نراه اليوم بين الناس والعلماء فيما بينهم.

علم الكتاب والتفقه فيه وتعليمه للناس ونشره والعمل به يجعل الإنسان ربانيًا



تاسعا: من فوائد هذه الأصول تحقيق صفة الربانية

من أهم ما يثمره هذا المنهج التربوي الفريد الذي رسمه القرآن تحقيق صفة الربانية، وقد أخذنا هذا المعنى من قوله تعالى ﴿كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩).

الطالب الذي يلتزم بهذه الأصول التعليمية يكون ربانيا، والباء في الآية سببية فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة في كتاب الله توجب أن يكون الإنسان ربانيا.

فبعلم الكتاب والتفقه فيه،

وتعليمه للناس ونشره والعمل به يكون الإنسان ربانيا مرضيا عند الله.

الشذوذ الفكري عند بعض الناس وسببه

ومن السمات البارزة الظاهرة عند بعض الناس أنهم لا يفسرون القرآن كله، ولا يتتبعونه آية آية، لأنهم إن فعلوا يصطدمون بآياته المحكمات التي تناقض مذهبهم وهواهم، فيسلكون مسلك الانتقاء والاختيار، ومن فسر القرآن كله منهم - وهم قلة- فإنهم يوجهون الآيات التي تصادم مذهبهم بالتأويل، ويسلكون في سبيل ذلك كل مسلك انتصارا لمعتقداتهم.

والله عز وجل يخبر رسوله ﷺ أنه ليس من هؤلاء الذين يفرقون دين الله، قال تعالى ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾ (الأنعام:١٥٩).

قرأ الجماعة «فرَّقوا» من التفريق، وهو الفصل بين أجزاء الشيء الواحد وجعله فرقا، وأبعاضا، وقرأ حمزة والكسائي: «فارقوا» من المفارقة للشيء وهو تركه والانفصال عنه، وإن تفريق الدين قد يستلزم مفارقته، لأنه واحد لا يتجزأ. ومن التفريق الإيمان ببعض الكتاب دون بعض، ولو بالتأويل وترك العمل.

أهمية مادة القرآن الكريم في المراحل الابتدائية

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وصوره في أحسن

تعليم الصبيان القرآن .. أصل من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة والحكمة

صورة، وجعله من عنصرين: الجسد والروح.

وإن الجسد أصله من التراب، لذا كان غذاؤه كله يعود إلى التراب، وأما الروح فمن الله وحده ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ (السجدة: ٩).

وغذاء هذه الروح كله من وحي الله، وهو القرآن الكريم، فإذا مات الإنسان رجع ما كان من التراب إلى التراب، وصعدت الروح إلى بارئها ﴿يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨).

والله سبحانه وتعالى هيأ الغذاء النافع بتيسير أسبابه لكل من هذين العنصرين، فجعل غذاء الجسد من التراب، وجعل غداء الروح من الوحي، ونزل به الروح الأمين، فإذا أهمل الإنسان غذاء الروح أو غذاها بالغذاء البشري اعتلت وتردت وهلكت.

ولا غذاء للروح إلا بالقرآن، به تحيا، وبه قوام حياتها، اسمع ماذا يقول رب العزة والجلال ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال:٢٤)، هذا النداء وهذا الخطاب غريب وعجيب، كيف يدعوهم للاستجابة لما يحييهم وهم أحياء، فدل هذا الخطاب الرباني أن الاستجابة للقرآن حياة أخرى من نوع آخر.

قال الحافظ السيوطي: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة وتسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال».

وقال ابن خلدون: «تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات».

فائدة اختيار جزء «عم» من القرآن الكريم

إن اختيار الجزء الأخير الذي يبتدئ من سورة «عم يتساءلون» لمقرر مادة القرآن الكريم للمرحلة الابتدائية لينسجم تماما مع أطفال هذه المرحلة، فالقرآن الكريم بغناته ومدوده وصفات حروفه وتناسب مقاطع رؤوس آياته، له تأثير كبير على النفوس البشرية عامة يهزها ويجذبها، وكلما اشتدت النفس صفاء كلما ازدادت تأثرا، والأطفال أقوى الناس صفاء، وفطرتهم مازالت نقية فتسري روح القرآن في قلوبهم ونوره في مداركهم فيستقر في أفكارهم.



والأمر العجيب- وهو بيت القصيد- إذا تأملنا الآيات المكية والمقررة على المراحل الابتدائية وجدناها قصيرة تتناسب تماما مع نفس الأطفال القصيرة، وتنسجم معهم لفظا ومعنى في غير إرهاق، فهي قصيرة، وتقع في جمل قصيرة وتقع في المفصل، فلا تضيق بها نفس الطفل الصغير فيلتئم نظم القرآن على لسانه، وينساب انسياب الماء في الحدور، فلا يجد له جهدا ولا مشقة، فيثبت أثره في نفسه، وصدق الله وعده إذ يقول ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (القمر:١٧).

الله عز وجل يسر وسهل كل أسباب الحفظ والفهم والتلاوة لعباده، فيسر كتابه للذكر، ويسر ألفاظه للحفظ، ويسر معانيه للفهم، ويسر أوامره ونواهيه للامتثال.

التفقه في القرآن يثمر الوحدة في الإحساس والوجدان والتفكير والسلوك .. فتتقارب النفوس وتستقيم

الأهداف التربوية لمقرر جزء «عم» من القرآن الكريم

إن مقرر جزء «عم» يحقق أهدافا جمة وفوائد عظيمة، فضلا عن كونه مطلبا شرعيا لا تقوم العبادة إلا به، وقد تضمن أصولا شرعية، ويمكن أن نوجز الأهداف التربوية لتدريس الجزء الأخير من القرآن الكريم للمراحل الابتدائية على النحو التالي:

أولا: الجانب التربوي في الأداء

أثبتت التجارب العملية من ممارستنا لعملية التربية والتعليم أن تلاوة القرآن الكريم تساعد كثيرا على النطق السليم الصحيح، فإن تكرار تلاوة القرآن، تصقل مخارج الحروف وتمرنها وتروضها، فيستطيع الولد الصغير التالي لكتاب الله أن يتحكم في لسانه ويوجهه إلى أي مخرج أراد، فيكون لحروفه رونق وجمال.

ثانيا: الجانب التربوي في الوجدان والتأثير

إن تلاوة القرآن تمتاز عن تلاوة أي كلام آخر، فإن لها سلطانا عجيبا على القلوب، وتؤثر في نفوس الناس جميعا، حتى على الذين لا يعرفون العربية.

ثالثا: الجانب التربوي في المعرفة

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد التربوية والأخلاقية والأصول العلمية والتشريعية ما يجعلنا نستغني به عن جميع النظريات البشرية، قال الشيخ الشنقيطي: «قلت: لقد اشتمل كتاب الله على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها» (٣٠).

رابعا: الجانب التربوي في السلوك

لقد أثبت الله لكتابه الاستقامة والإحكام، ونفى عنه العوج، ولتأكيد هذين الوصفين جمع بينهما في قوله ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين ...﴾ (الكهف:١-٢).

وإذا كان شأن كتابه كما ذكر، وكانت صفة هذا الكتاب العزيز الاستقامة والإحكام في مبناه ومعناه، فإن من يسترشد به حفظا وعلما وتفقها وسلوكا يكون سويا معتدلا وعلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا فسوق ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء:٩).

يهدي القرآن لأقوم الطرق وأوضح السبل الموصلة إلى النجاة والفلاح. فيحدث القرآن في نفوس أطفال المدرسة الابتدائية والناس جميعا عظة وعبرة، ويكسبهم علما وشرفا واستواء واعتدالا ورقة في جميع الجوانب، ويزكيهم ظاهرا وباطنا ويدعوهم إلى العمل بالعلم.



لغة وأدب

النقد والتأريخ.. حياة الآداب والفنون

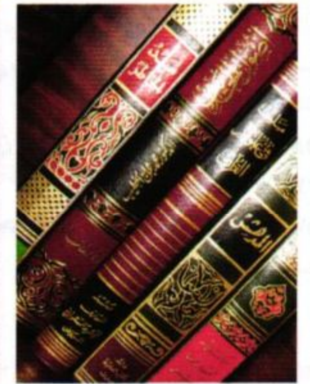
لا خلود لعلم من العلوم أو فن من الفنون أو أدب من الآداب إلا باثنتين، الأولى حركة نقدية تسايره، تصفيه وتهذبه، وتقوم عوجه، والأخرى حركة تأريخية تسجل بضبط وإتقان ما نتج عن هذه التصفية وذلك التهذيب، وتشير الى ما سقط منها من باب الوقوف على الأخطاء لتجاوزها والاتعاظ بها، ولا تلبث تلك الأعمال الركيكة الواهية أن تمحى من ذاكرة الأمم، وهذه هي سنة الله عز وجل في الأمور كلها ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

أما الأولى فإن الآداب العربية اليوم ظمئة لها، إلى الحد الذي دفع واحدا من الأكاديميين اللغويين والمهتمين بالأدب إلى أن يقول في لقاء على إحدى الفضائيات «النقاد الموجودون على الساحة الآن لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة» وقد صدق الرجل إلى حد كبير، فالمتتبع للحركة النقدية يلحظ أن كثيرا من نتاجها تحكمه أمور أخرى غير معايير الفن الأصيل، فضلا عن ميوله إلى الذاتية وانصرافه عن الموضوعية.

وأما الأخرى فإنها ليست بأحسن حالا من الأولى، فما يقال عن الذاتية والموضوعية في الأولى يقال في الأخرى، غير أن خطورة الأمر هنا تكمن في أن التأريخ للآداب الركيكة والساقطة والانصراف عن الآداب الرصينة قد يميت هذه الآداب، ومن ثم تسقط الأمة كلها، وكم من علوم ضاعت! وفنون تلاشت! وآداب مزقت! لمّا لم تجد من يصونها ويحفظها.

إننا بحاجة الى إذكاء روح النقد البناء القائم على أسس علمية بعيدة عن الذاتية، والنفخ في نار الآداب الرصينة والتأريخ لها، والا نفعل تكن طامة كبرى لا أحد، إلا الله، يعلم الى أين تسير بنا!

المحرر





النزعة الوحدوية في شعر شوقي

د.محمد عبدالهادي رمضان

لعبت الفصحى دورا بالغ الأهمية في تقريب وجهات النظر العربية ومن ثم توحيد الصف العربي عقب الحرب العظمى الأولى، وقد كان لشعر شوقي أثر كبير في ذلك. فقبل نهاية الحرب لم يكن يظهر على الأدب المصري أي اهتمام بالقضية العربية، بل يمكننا القول: إنه كان لا ينظر إليها بعين الرضا. وكانت مصر تتطلع إلى أن تنال بعد الحرب استقلالها التام، والتخلص من الاحتلال البريطاني، كما كان القائمون بالثورة العربية خارج الديار المصرية يعللون النفس بالتحرر من تركيا وتأسيس دولة أو دول عربية ذات سيادة، لكن الحرب لم تسفر إلا عن خيبة في الرجاء، فسلطة الاحتلال عززت إقامتها في وادي النيل، والثورة العربية لم تنل بعد الانفصال عن تركيا غير الانتداب الأجنبي البغيض، وهكذا نشأ في مصر وسائر بلدان الوطن العربي شعور مشترك بما أصابهم جميعا من إجحاف وبلاء، وبتأثير هذا الشعور أخذ الشعر المصري يتحول عن نفوره من القضية العربية، ويقترب أكثر فأكثر منها، مشاركا شعوبها في كل بلد في سرائهم وضرائهم وآمالهم وآلامهم، وقد عبر عن ذلك شوقي في قصيدته التي ألقاها على العرب يوم مهرجانه عام ١٩٢٧ إذ يقول:



رب جار تلفتت مصر توليه
سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتني معزيا بمآقي
وطني أو مهنئا بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشوق
وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح
وأن نلتقي على أشجانه
كلما أنّ بالعراق جريح لمس
الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث في قضبانه
نحن في الفقر بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانه

هذا الشعور العربي المشترك أهاج كوامن شاعرية أمير الشعراء فتدفقت من يراعه في بضع قصائد رائعة ومنها قصيدتاه في دمشق «النونية والقافية» قال الأولى عام ١٩٢٥ في المجمع العلمي اللغوي بدمشق ومطلعها:

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم أحداث وأزمان

وفيها يبرز دور دمشق وأثره في ازدهار طليطلة وبغداد حاضرة العباسيين وتأثره بتغيير مسجده الكبير الحزين:

لولا دمشق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلى أو المحراب «مروان»
تغير المسجد المحزون واختلفت
على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته
إذا تعالى، ولا الآذان آذان

ويختم القصيدة بنصيحة تتضمن نزعته الوحدوية بقوله:

نصيحة ملؤها الإخلاص، صادقة
والنصح خالصة دين وإيمان
والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة، فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام إخوان

أما القصيدة الثانية فقد ألقاها عقب ما أصاب دمشق من الفرنسيين إبان الثورة السورية عام ١٩٢٦ ومطلعها:

سلام من صبا بردى أرق
ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومنها:

لحاها الله أنباء توالت
على سمع الولي بما يشق
تكاد لروعة الأحداث فيه
اتخال من الخرافة وهي صدق

إلى قوله:

رباع الخلد ويحك ما دهاها
أحق أنها درست أحق؟
وللمستعمرين وإن ألانوا
قلوب كالحجارة لا ترق

ثم يلتفت إلى ساسة سورية محذرا إياهم من الاختلاف والتنازع طمعا في الحكم والسيادة فيقول:

بني سورية اطرحوا الأماني
وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغروا
بألقاب الإمارة وهي رق
نصحت ونحن مختلفون دارا
ولكن كلنا في الهم شرق

• أستاذ اللغة في جامعة قطر



ويجمعنا إذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

ولشوقي من هذا الباب قصيدة في ذكرى استقلال سورية وذكرى شهدائها في «ميسلون» ومطلعها:

حياة ما نريد لها زيالا
ودينا لا نود له انتقالا

وفيها يعزي سورية في شهدائها ويشيد بأبطالها ويقوي بشعره من الرابطة العربية فيقول:

بني البلد الشقيق، عزاء جار
أهاب بدمعه شجن فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقا
وأضحى اليوم بالشهداء غالى
يعظم كل جهد عبقري
أكان السلم أم كان القتالا
وما زلنا إذا دهت الرزايا
كأرحم ما يكون البيت آلا
وقد أنسى الإساءة من حسود
ولا أنسى الصنيعة والفعالا

ثم يقول مشجعا السوريين على المضي في تعاونهم والتحامهم والتئامهم كالبنيان المرصوص:

بني سورية، التئموا ليوم
خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عن
اوعنكم: هل أذاقتنا الوصالا؟
وهل نلنا كلانا اليوم إلا
عراقيب المواعد والمطالا؟
عرفتم مهرها فمهرتموها
دما صبغ السباسب والدغالا

ومن هذا القبيل رثاؤه الملك حسين (شريف مكة السابق وموقد الثورة العربية على الأتراك) وكان المصريون عموما إبان تلك الثورة يندددون بعمل الحسين ويعدون هذا العمل خيانة لأمير المؤمنين (السلطان العثماني)، وقد تدفق يراع شوقي قبيل الحرب العظمى الأولى بشعر يستصرخ فيه السلطان طالبا معاقبة الحسين لما يعتقده من سوء معاملته للحُجاج يقول فيه:

ضج الحجيج وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها في مكة الأمم
قد مسها في حماك الضر فاقض له
اخليفة الله- أنت السيد الحكم
لك الربوع التي ريع الحجيج بها
أللشريف عليها أم لك العلم
أدبه أدب أمير المؤمنين فما
في العفو عن فاسق فضل ولا كرم

على أن هذه اللهجة الساخنة على الشريف حسين لم تلبث أن خبت بعدئذ وحل محلها شعور بإخاء عربي عام، وهاهو شوقي نفسه يرثي الحسين بقصيدة في عام ١٩٣١ مطلعها:

لك في الأرض والسماء مآتم
قام فيها أبو الملائك هاشم

ومنها- ذاكرا الأسى الذي أصاب البلدان العربية جمعاء لفقده:

المناحات في ممالك أبنائك
بدرية العزاء قوائم

أي إن حزنهم عليك كحزن المسلمين أيام رسولنا الكريم على صرعى موقعة بدر الشهيرة:

تلك بغداد في الدموع وعمّان
وراء السواد والشامِ واجم
والحجاز النبيل ربع مُصَلٍ
من ربوع الهدى وآخر صائم
واشتركنا فمصر عبرى ولبنان
سكوب العيون باكي الحمائم

ويسأل الحسين في هذه المرثاة أن يحدث الناس عن نتائج الحرب التي اندفع فيها العرب بقيادته إلى مساعدة جيوش الحلفاء، أملا في الحصول على حرياتهم واستقلالهم، ولكن لم يكن منها سوى خيبة الأمل:

قد رجونا من المغانم حظًا
ووردنا الوغى فكنا المغانم
قد بعثت القضية اليوم ميتا
رب عظم أتى الأمور العظائم
أنت كالحق ألّف الناس يقظان
وزاد ائتلافهم وهو نائم

في نفس العام ١٩٣١ أعدم شيخ شهداء المسلمين والعرب، بطل طرابلس الغرب، عمر المختار، الذي قاتل الطليان قتالا مريرا ذودا عن حياض وطنه وقومه، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا، وأشيع حينذاك أنهم سلكوا في إعدامه سبلا بشعة، ولم يرحموا سنه التي نيفت على التسعين. في هذا الصدد نظم شوقي قصيدة مطلعها:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء

وفيها يقول منددًا بالحضارة الغربية التى جاوزت الحق فهدمته:

إنى رأيت يد الحضارة أولعت
بالحق هدمًا تارة وبناء
شرعت حقوق الناس فى أوطانهم
إلا أباة الضيم والضعفاء

وفيها يخاطب الشعب الليبي بقوله:

يأيها الشعب القريب، أسامع
فأصوغ من عمر الشهيد رثاء؟
أم ألجمت فاك الخطوب وصرحت
أذنيك حين تخاطب الإصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالد
فانقد رجالك، واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى
واحمل على فتيانك الأعباء

هذا الشعور بالظلم المشترك الذي أخذ عقب الحرب يتحرك في نفوس أبناء العربية على اختلاف أمصارهم وبيئاتهم كان من أهم العوامل النفسية التي قربت بعضهم من بعض، ودفعتهم إلى التآخي والتآلف في ظل جامعة قومية مهما كان وراء تكوين هذه الجامعة من مصالح سياسية خاصة، وإذا كانت المصالح الإقليمية والنزعات الشخصية قد أحدثت وهنا شديدا في بنيان الجامعة القومي، فإن الأدب العربي عموما- ولاسيما الشعر منه- ظل وفيًا لهدفها الرئيسي، ولما يدعو إليه من الإخاء والتعاون والتضامن.

اللغة الذبيحة

محمد فتحي النادي

قليل من لغات العالم تلك التي كُتب لها أن تكون لغة عالمية يتواصل بها الناس، وتكون لغة العلم والفنون والآداب. وهناك أسباب عديدة لذلك، منها أن يكون لأصحاب تلك اللغة سلطة سياسية وعسكرية نافذة على مستوى العالم مما يدفع الناس للسير في ركابهم، ويزيد من سلطة تلك اللغة أن يكون لها مشروع ثقافي مبهر يحوي دررًا من الإبداع تكون نموذجًا يحتذى، أو أن تفرض تلك اللغة فرضًا على الشعوب المغلوبة أو المتبوعة، أو يكون لتلك اللغة سلطة روحية كأن ينزل بها كتاب من عند الله، أو تكون لغة نبي من الأنبياء، مما يجعل لها قداسة عند مستخدميها.



ونتيجة للسلطة السياسية أو الروحية قد تستغني بعض الشعوب عن لغتها كليا، أو تبقي على لغتها من الناحية الصوتية والمعجمية ولكنها تكتبها بأحرف تلك اللغة المسودة، وقد تغير من بعض قواعدها على مقتضى قواعد اللغة الأخرى، أو تكثر من استخدام مفردات من اللغة الأخرى...الخ.

ومن أشهر اللغات التي انطبق عليها ما قدمنا به اللغة العربية التي اختيرت من لدن حكيم عليم لتكون اللغة الحاملة لكتاب الله، ولتكون لسان خاتم النبيين محمد ﷺ وهناك كثير من الآيات تدل على أن اللغة العربية لغة مختارة ومجتباة، وقد قمت بحصر الآيات التي جاء ذكر اللغة العربية فيها فجاءت على هذا النسق، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف: ٢)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (الرعد: ٣٧)، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥)، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (الزمر: ٢٨)، ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الشورى: ٧)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣)، ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ (الأحقاف: ١٢).

ونخرج مما سبق أن هذا إيذان من الله- جل وعلا- لتكون العربية لغة الإسلام(١)، فلم تعد العربية لغة العرب فحسب، بل استخدمتها الشعوب التي دخلت في الإسلام، وجعلتها لغتها الأولى قراءة وكتابة وحديثًا.

ورسول الله ﷺ هو الذي أخرج العربية من كونها عنوانًا على عرق وجنس معين إلى فضاء أوسع ونطاق أرحب، لتكون عنوانًا لأمة، فقال: ﴿يأيها الناس، إن الرب واحد والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أمّ وإنما هي اللسان؛ فمن تكلم بالعربية فهو عربي﴾(٢).

ولقد كانت اللغة العربية تحتل المكانة العظيمة في قلوب أبنائها على كل المستويات ساسة ومسوسين، حكاما ومحكومين، وقد كان من ثمار هذه المكانة أن قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بـ «تعريب الدواوين، فأصبحت اللغة العربية لغة الإدارة، إضافة إلى كونها لغة العلم والدين والسياسة، وكذلك قام بتعريب النقود محاولا صبغ الدولة بالصبغة العربية (٣)، وكان الحرص على سلامة اللغة العربية من العوامل المهمة التي أدت إلى تعريب الدواوين في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٤)، ولذلك يُعتبر «التعريب من الأحداث الكبيرة والإنجازات الضخمة في المجال الثقافي والسياسي، وقد تمّ وفق خطة مدروسة»(٥).

وقد كان اللحن في اللغة والخطأ فيها سوءة ما بعدها سوءة تقدح فيمن أتى بها، ومما يحكى في شناعة اللحن عند العرب الأوائل ما قيل: إن الحجاج بن يوسف قال ليحيى بن يعمر: أتجدني ألحن؟ قال: الأمير أفصح من ذاك، قال: عزمت عليك لتخبرني، وكانوا يعظمون عزائم الأمر، فقال يحيى بن يعمر: نعم في كتاب الله، قال: ذاك أشنع، ففي أي شيء من كتاب الله؟! قال: قرأت ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا



وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٢٤) فرفعتَ أحب وهو منصوب. قال: إذن لا تسمعني ألحن بعدها، فنفاه إلى خراسان (٦).

هذا كله جعل اللغة العربية لغة عالمية على مدار ما يزيد على ثمانية قرون، ولكن دوام الحال من المحال، فما لبثت اللغة العربية أن زالت عن مكانتها السامقة، ومنزلتها الرفيعة، وليت هذا عن قصور فيها وفي بنيتها وإمكانية تطورها، ولكن ضعف أبنائها وتخلفهم عن الركب الحضاري العالمي أورثها هذه الحال التي يرثى لها.

رَمَوني بِعُقم في الشَباب وَلَيتَني
عَقِمتُ فَلَم أَجزَع لِقَول عداتي
وَسِعتُ كِتابَ الله لَفظًا وَغايَةً
وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِه وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ
وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَرى لِرجالِ الغَربِ عِزًّا وَمَنعَةً
وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ
أَيُطرِبُكُم مِن جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ
يُنادي بِوَأدي في رَبيعِ حَياتي
أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللهُ عَنهُمُ
إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِل بِرُواةِ(٧)

وفيما تبقى سأقوم برصد بعض صور الانحدار اللغوي وفقدان الهوية على بعض المستويات والأصعدة، والتي تؤكد أننا جنينا على اللغة العربية أكثر مما جنى عليها أعداؤها:

١- الجانب السياسي

ذكرنا فيما سبق اهتمام ساسة المسلمين الأوائل باللغة، وكيف أن الحجاج ساءه أن يلحن في كتاب الله، ولم يطق أن يَرى من لاحظ ذلك، فنفاه إلى خراسان، ولكنّ بعض ساسة اليوم قد استعجم لسانهم، فصارت ثقافتهم أجنبية ولسانهم أجنبيا لا يستقيم على العربية لدقائق، وعند استخدامهم للإنجليزية- مثلا تراهم فصحاء.

من تحدث بالعربية فهو عربي .. ومن لم يفهم وزناً لها فقد أضاع هويته

٢- الجانب الإعلامي

للإعلام دور خطير في توجيه الرأي العام، ونشر الثقافة الموجهة لخدمة أغراض معينة تسعى إليها الحكومات أو الهيئات، وقد لاحظنا أن هناك ضعفًا في الأداء اللغوي بالنسبة للإعلاميين، رغم أن اللغة صنعتهم، ففي الإعلام المرئي- مثلا- نجد المحاور يعالج الحديث باللغة العربية، ويعاني من ذلك أشد المعاناة، ثم يفر هاربًا للحديث باللهجة العامية التي قد لا تكون مفهومة لكثير من المستمعين كونهم من بلدان عربية أخرى، فيترك ما يجتمع عليه الناس ويلجأ إلى ما يسهل على لسانه.

أما الإعلام المقروء فالخطب فيه جلل؛ وذلك لأن الكلمة المكتوبة أبقى أثرًا وأعمق تأثيرا وأطول بقاء، ورغم ذلك تجد أن الكتّاب يوغلون في استخدام لهجاتهم المحلية، بل في كثير من الأحيان يستخدمون العامية الهابطة لجذب الجمهور، فبدلا من رفع الذوق العام وتهذيبه وتقويمه تتم مسايرته على ما هو عليه.

والطامة الكبرى أن يحمل مشعل العامية رؤساء التحرير في الصحف والمجلات الذين يفترض فيهم أنهم تبوأوا أماكنهم نتيجة لحرفيتهم في العمل الصحافي والإعلامي القائم على الكلمة.

٣- الجانب الخدمي

يفترض في الحكومات أن تعمل على تأكيد الهوية الثقافية لشعوبها، والارتقاء بهم في جميع النواحي، وعلى الرغم من تأكيد القانون في بلداننا العربية على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية وهي التي تستخدم في المخاطبات الرسمية، فإننا نجد بعض الوزارات لا تلقي بالا لهذا الأمر، وتستخدم العامية الدارجة في دعاياتها.

ومن مظاهر إعطاء الظهر للغتنا ما يجري اليوم على الشبكة الدولية أثناء التواصل بين الأفراد العرب، حيث نجدهم في حديثهم أو مراسلاتهم يستحدثون لغة توافقية فيما بينهم يستخدمون فيها الحروف الإنجليزية مطعمة بأرقام، وتُقرأ باللغة العربية، فيقوم هؤلاء الشباب والفتيات بتحويل بعض الحروف باللغة العربية إلى رموز وأرقام، فمثلا يتحول حرف الحاء في اللغة العربية إلى الرقم ٧، وحرف العين إلى الرقم ٣، والهمزة إلى الرقم ٢، وتكتب الكلمات العربية بالأحرف الإنجليزية.

وفي هذا السياق يؤكد د.عبد الحميد الفلاح أمين عام مجمع اللغة العربية الأردني أن «لغة التفاهم الدارجة بين الشباب هذه الأيام في مراسلة بعضهم عبر الخلوي والإنترنت لغة هجينة باتت تؤرق أولياء الأمور وعلماء اللغة، وتحتاج إلى ضبط لغوي وسلوكي».

فلماذا لا يتم استخدام اللغة العربية ابتداء بدلا من هذه اللغة المسخ المشوهة؟!

وبعد تلك التطوافة ننادي بأعلى صوتنا في المثقفين وأصحاب القرار أن العربية محتاجة لدعمكم ومجهوداتكم؛ فاللغة هي الهوية، ومن لم يُقم وزناً للغته فقد أضاع هويته في زمن يؤكد فيه الجميع على هوياتهم.

الهوامش

(١) راجع مقالنا في مجلة «الوعي الإسلامي»: «العربية لغة الإسلام»، العدد (٤٠٧)، السنة السادسة والثلاثون، رجب ١٤٢٠هـ- نوفمبر ١٩٩٩م.

(٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، (٢٤/٢٢٤)، قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٢/٣٢٥): «ضعيف جدا». وقد ذكره ابن تيمية في «الاقتضاء»، من رواية السلفي، ثم قال: «هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه».

٣-انظر: مقالة للدكتور خالد إسماعيل نايف الحمداني بعنوان: «العلاقة بين أمويي الأندلس والخلافة العباسية»، مجلة التاريخ العربي.

٤- د.علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، (٣/٣٦).

٥- السابق، (٣/٣٨).

٦ - أبو طاهر المقرئ: أخبار النحويين، ص (١٠).

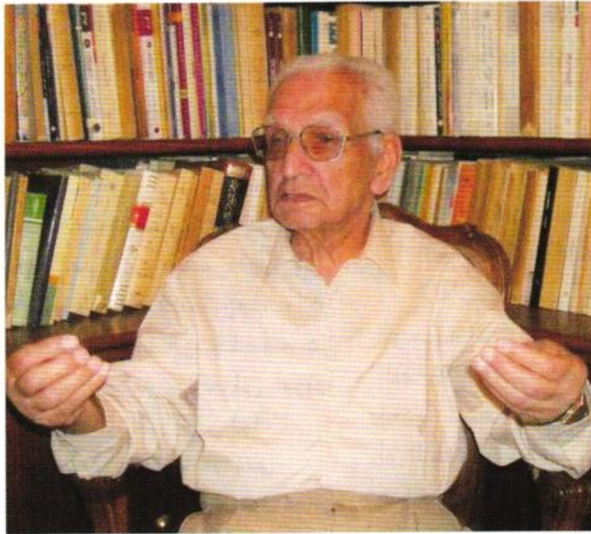
٧- الأبيات للشاعر حافظ إبراهيم من قصيدته المشهورة في وصف اللغة العربية.



د. حسين نصار لـ «الوعي الإسلامي»:

الصلة بالتراث قلّت.. والثقافة العربية في تراجع مستمر!

القاهرة - خاص



د. حسين نصار أستاذ اللغويات بآداب القاهرة، والمستشار السابق لكلية البنات بجامعة الرياض، والحائز جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية واللغة العربية لعام ٢٠٠٤، أحد الأصوات الثقافية المهمة على الساحة المصرية والعربية، حصل على جائزة الدولة التقديرية من مصر وجائزة مبارك، وتولى عمادة كلية الآداب، ثم أكاديمية الفنون، ويعمل مستشارًا لمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.. أعماله تشمل كل صنوف التأليف من دراسات أصيلة وترجمات لعدد من أبرز أعمال المستشرقين، تشهد بتمكنه من اللغة الإنجليزية، حيث نقل بعض ما كتب بها في عربية واضحة أنيقة مع الحرص على أمانة النقل، واشتغل بالترجمة في العديد من المؤلفات، إلا أنه لا يكتفي بالترجمة، وإنما يعلق على ما يترجم مضيفا أو مصححًا، في الهامش، من دون تدخل في النص نفسه، بالإضافة إلى تحقيقات لنصوص التزم فيها بالمنهج العقلي القويم، مما يلحقه بكبار المحققين للتراث العربي من أمثال محمود شاكر وعبدالسلام هارون ود. شوقي ضيف، إذ قام بتحقيق ما يربو على ٤٠ كتابًا في العربية أهمها «معجم تيمور» للغة العامية المصرية في ٦ مجلدات، وديوان «سرقة البارقي» وديوان «ظافر بن حداد» وديوان «ابن الرومي.. حياته وشعره» للمستشرق رفون جدت، ومن ثَمَّ كان لـ «الوعي الإسلامي» معه هذا الحوار:

■ **بداية ما رؤيتكم للمشهد الثقافي الحالي؟ وكيف يمكن رفع درجة الوعي الثقافي بشتى أنواعه لدى أبناء الأمة؟**

- أولًا الثقافة العربية في تراجع مستمر، فقد تأخرنا كثيرا، وقد سبب ذلك فجوة كبيرة بيننا وبين الآخرين، وقلت الصلة بالتراث القديم، والصلة بالتراث الأوروبي التي قلت في مصر على وجه الخصوص، لأن هناك بلادًا زادت صلتها بالأدب الأوروبي، أو على الأقل لم تقل، ولكن صلتها بالثقافة العربية القديمة هي التي قلت، والمفترض أن الاتصال بالقديم اتصال معرفة ثم اتصال تعرف على المواطن التي يمكن أن يستلهمها المفكر الحديث في إبداع جديد، ولا أقول تقليدًا وإنما استلهام أو انبعاث، وبالنسبة للمصريين فإن الاتصال بالتراث الأوروبي لديهم اتصال خفيف وسريع، ونرجو أن يكون أكثر عمقًا وأكثر فهمًا وتقديرًا لما يمكن أن ينقل أو لما يمكن أن يستلهم.

■ **بعض الدول الكبرى تحاول فرض ثقافتها على ثقافات الدول الصغيرة، فكيف يمكن التصدي لمثل هذه المحاولات للحفاظ على الهوية والثقافة العربية؟**

- لا يمكن.. فمن طبيعة الدول جميعا، خاصة في هذا العصر أن تحاول فرض ثقافتها، ونحن في القرنين التاسع عشر والعشرين بالذات جربنا فرض الثقافة الإنجليزية فرضًا كاملًا على العرب، وفرض الثقافة الفرنسية أيضًا، بل وصل الأمر بالفرنسيين إلى محاولة محو الثقافة العربية في المغرب والجزائر وتونس محوًا كاملًا، وليس فرض سلطة فقط، وهذا ديدن الدول القوية دائمًا، أنها تحاول أن تفرض ثقافتها، فأنت صاحب دولة غير قوية ماليا واقتصاديا، لكنها قوية بثقافتها وتستطيع أن تعي كل الثقافات الأخرى وتقدرها.

■ **هذا معناه أننا أغنى ثقافيا من أوروبا؟**

- نعم.. نحن أغنى ثقافيا من أوروبا أو كنا كذلك في الماضي، ومن الممكن إذا أحسنا التأثر بالثقافة الأوروبية وأحسنا الوعي بثقافتنا العربية أن نكون ندًا لها، لكن المهم أن نعي مواطن الإشراق والإلهام في ثقافتنا القديمة.

■ **هل ترون أن المفكر العربي غائب أو مغيب عن المواجهة الحضارية المعاصرة؟**

- ليس مغيبا، وإنما هو المقصود، فكل الدول والثقافات الأجنبية تحاول أن تستولي على هذا المثقف العربي، لكنه لا يدري أين مواطن القوة عنده، ولا أين المواطن التي تقبل من الأجنبي،



فنحن في العصر العباسي ما قبلنا الثقافات اليونانية والهندية والفارسية، ولم نبد ضعفاء أمامها، بل أحسنا فهمها واستخدامها واستثمارها، وهذا الذي أريده في العصر الحديث، وهو أن نحسن فهم الثقافات الأجنبية، لا نعاديها ولا نحاكيها، وإنما نستثمرها استثمار العربي الذي لا يفقد عروبته ولا ثقافته مقابل الثقافة الأجنبية.

■ لم تسلم اللغة العربية من الهجوم والاتهامات بالعجز عند استيعاب حركة العلم والنهضة والتقدم، فهل تعيش عصر انحطاطها؟

- مخطئ من يهاجم اللغة العربية، أو هو «عبيط» كما يقال باللهجة العامية، فليس للغة العربية وجود مجرد، فهي المتكلم العربي، فإذا كانت عاجزة، فسيكون هو نفسه العاجز، فليس هناك لغة موجودة خارج المتكلم، فهي فكر المتكلم، فإذا كان عاجزًا فستكون عاجزة، وإذا كان قادرًا فستكون قادرة، ولن تصلح اللغة إلا إذا صلح المتكلمون بها، وبلا شك فاللغة العربية تعيش عصر انحطاطها وأكبر صور انحطاطها أن أساتذتها بالجامعات لا يتكلمون لغة عربية سليمة في محاضراتهم، وكبار رجال مصر والدول العربية إذا ما ذهبوا للمحافل الدولية تكلموا بالإنجليزية على الرغم من أنهم يرون الإعلام من جميع الشعوب، يتكلم بلغاتهم، ورغم أن اللغة العربية معترف بها في الأمم المتحدة كخامس لغة بالعالم، وغالبية الشركات المصرية تتعامل مع الشركات الأجنبية باللغة الإنجليزية، والقانون يفرض أن تكون اللغة الأصلية هي اللغة العربية ثم معها الترجمة الإنجليزية، والبعض



مخطئ من يهاجم اللغة العربية.. وسلطاتنا ترى الإنفاق على البحث العلمي هدرًا للمال

يتكبر على الكلام بالعربية، ويرى هذا تخلفا، والتعليم ذاته انحط في تدريس العربية، والإذاعة صارت تتساهل في التحدث بها لدرجة الانحلال.

■ هل هناك تعارض بين الذاتية أو الخصوصية والانفتاح والحوار مع الآخر؟

- مادام هناك ثراء فليس هناك وقوف، فإذا وقفت على الثقافة الموجودة في ذهني فقط فسوف أتجمد عندها، وإذا لم أنمها فسوف تموت، والتنمية تكون عن طريق أشياء منها طريق الإبداع، ثم طريق الأخذ والعطاء، فهناك إبداعات عربية مصرية وسعودية ولبنانية وعراقية تترجم الآن، فلماذا تُترجم هذه الإبداعات؟ هل هي أحسن مما عند المترجمين، بالطبع لا.. فهي ليست أحسن مما عندهم، ولكنها غير ما عندهم، فنحن عندما نترجم نترجم غير ما عندنا، وليس أحسن مما عندنا.

■ لماذا تراجع الأدب العربي وتفوقت عليه الآداب العالمية الأخرى؟

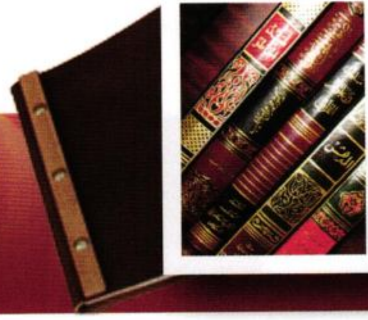
- لم نتأخر.. فنحن تأخرنا في العصر العثماني، لكننا، منذ بدأنا في العصر الحديث، مستمرون، صحيح أن هناك هبوطا وصعودا، وهما طبيعيان، فلا أستطيع القول إن بعض أدبائنا، بسبب الجوائز التي حصلوا عليها، أفضل من الذين لم يحصلوا على جوائز، مثل طه حسين والعقاد وأمثالهما، لأنه لم تكن هناك جوائز، ولم تكن هناك إلا جائزة «نوبل» التي كانت لها طبيعة خاصة، ولا يمكن أن يحصل عليها إلا واحد في السنة، والآن الجوائز مقياس، ففي القرن العشرين كان عندنا أدباء رواد، وفى القرن التاسع عشر كان عندنا رواد أيضا، فهناك استمرار في التصاعد.

■ ماذا عن واقع البحث العلمي في مصر والوطن العربي؟ وكيف تشخص المؤسسات التعليمية والمراكز البحثية بهما؟

- البحث العلمي داخل مصر والبلاد العربية، بصفة عامة، ضعيف لسببين أولهما أننا ليست لدينا الموارد المالية التي نستطيع إنفاقها على البحث العلمي، أو ليست لدينا السلطات التي ترى أن الإنفاق على البحث العلمي ليس هدرًا للمال، فلسنا فقراء، ولكن من يتولون السلطة يرون أن الإنفاق في نواح أخرى أهم من الإنفاق في البحث العلمي، والبحث العلمي لا يقوم إلا بأدوات، وهذه الأدوات تحتاج إلى المال، وثانيهما أنه ليس هناك بحث جماعي، فكل فرد يقوم بالبحث بمفرده، والآن الاكتشافات العالمية عمل جماعي في الأساس، فليس لدينا عمل جماعي، لكن لدينا قادرون يمكنهم النجاح والتفوق في شتى المجالات.

■ ما ردكم على بعض الأصوات الجاحدة التي تتهم الحضارة الإسلامية بأنها لم تقدم شيئا للبشرية سوى العنف والتطرف؟

- هل فهموها؟ هل قرأوها؟ هل وضعوا الدين اليهودي، وأركز على الدين ولا أقول الثقافة، وليس الدين التوراة وحدها، وإنما التوراة وما واكبها، هل وضعوه بجوار القرآن وكتب السنة ووازنوا بينهما ليقولوا من الذي يدعو إلى الإرهاب، ومن الذي يرفض الغير، ويدعو إلى استخدام الإرهاب معه؟ أما الدين المسيحي فله طبيعة خاصة فعلًا، ولكن على من يتهم العرب والمسلمين بأنهم أصحاب إرهاب، فليقرأ تاريخ الأديان وتاريخ اليهودية، وليعرف ماذا فعلت في أوروبا على الرغم من أنها لم تكن حاكمة.



لغة وأدب

القصة القصيرة.. رسالة إنسانية

أ.د. محمد سيد علي بلاسي

يعرف النقاد القصة القصيرة بأنها عرض حادثة، أو مجموعة من الحوادث المترابطة التي مر بها أديب، أو تأثر بها في محيط حياته، فسجلها بعد أن تفاعلت في نفسه، ليعرض من خلالها مشكلة اجتماعية، أو فكرة إنسانية يود أن يوصلها إلى الناس.

وتعد القصة القصيرة واحدة من أقدم الأشكال الأدبية، فقد كتبت قديما منذ نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م على هيئة قصص خيالية قصيرة في مصر، وتعد قصص «ألف ليلة وليلة» أمثلة أخرى للقصة القصيرة.

وفي الأدب العربي ولدت القصة القصيرة مع مطلع القرن العشرين، متأثرة بالقصة الغربية، خاصة قصص الكاتب الروسي تشيخوف والفرنسي جاي دي موباسان، ورغم ذلك فقد كانت تغلب عليها المسحة الرومانسية بحكم البداية والنشأة، إلا أنها تطورت بعد ذلك وأصبحت تعبيرا فنيا جديدا ومكثفا عن أحاسيس ومشاعر البسطاء وآمالهم (١).

ويعد محمد تيمور (١٨٩٢- ١٩٢١م) منشئ القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث، وتطورت ونضجت على أيدي محمود تيمور ويحيى حقي ويوسف إدريس، وفي العراق نشأت القصة القصيرة في العشرينيات على يد محمود أحمد السيد (١٩٠١- ١٩٣٧م) الملقب برائد القصة في العراق، واكتملت فنيا في أعمال عبدالملك نوري وفؤاد التكرلي وآخرين.

وخلال النصف الأول من القرن العشرين صدرت عشرات المجموعات القصصية، وجذبت القصة القصيرة إليها كتابا كثيرين، وكانت تنتقل بين الرومانسية والواقعية التصويرية، معتمدة على أسلوب السرد التقليدي، لكنها حققت بعد الخمسينيات- على يد كتاب مثل يوسف إدريس ويحيى حقي وزكريا تامر ومحمد زفزاف- تطورا ملموسا في تقنيات السرد والحوار والحبكة والبداية، واستطاعت أن تنفذ إلى الواقع وتعبر عنه بتركيز شديد ولغة قوية لفتت إليها الرأي العام، فأقبل عليها ووجد فيها ضالته التي لم يجدها أحيانا في الشعر بوصفه ديوان العرب والجنس الأدبي المتربع على عرش الثقافة والفنون (٢).

فالقصة اليوم تعد أهم الفنون النثرية وأشهرها، وهي منذ منتصف القرن العشرين أشهر الفنون الأدبية على الإطلاق، فقد تفوقت القصة النثرية على الشعر، بعد وفاة عمالقة الشعراء المحدثين أمثال شوقي، وحافظ إبراهيم وخليل مطران، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وغيرهم. ولم يستطع الشعر الحديث- حتى الآن- أن ينافس القصة في زعامة الفنون الأدبية، هذا، والقصة عادة ليست للتسلية كما يعتقد الكثيرون، لكنها جنس أدبي متميز يقدم رسالة اجتماعية إنسانية سامية.

ويؤكد هذا عظم حجم القصة في كتاب الله المجيد، فلو نظرنا إلى القرآن الكريم بأجزائه الثلاثين لوجدنا أن القصص فيه يبلغ قرابة الثمانية أجزاء، وقد كان القصص القرآني يهدف إلى تربية الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبوأ أفضل المدن والممالك، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك، وقد تميزت برونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة.

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (يوسف:١١١).

فالقصة كما قلنا تقدم رسالة اجتماعية إنسانية، لأنها تعالج مشكلة معينة يستمد الكاتب القصصي أحداثها من واقع الحياة، ومما يعانيه الإنسان في حياته اليومية المباشرة، ولهذا يشعر قارئ القصة بأنه يقرأ أحداثا مألوفة لديه، قريبة إلى نفسه، لأن القصة تصور أحداثا معقولة، محتملة الوقوع مع كل فرد من أفراد المجتمع.



المراجع

١- الموسوعة العربية العالمية: ١/١٩٧، ٣٧٧، الطبعة الثانية- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض، سنة ١٤١٩هـ.

٢- المرجع السابق: ١/١٩٧.



خضم المعاني

م. وحيد حامد الدهشان

ومن المعاني كم تجيء معان
إن الحياة حقائق وأمان

أحلامنا عمر جميل في المدى
والحلم للإنسان عمر ثان

بعيونه يصفو ويسمو عالمي
وأرى الذي قد لا يرى ويراني

ترسو على شط الخيال قواربي
وطيوف ما أصبو له تلقاني

تنجاب عن صدري سماجة واقع
أحتار هل أحياه أم يحياني؟

يا قصة صرنا وقود لهيبها
وتسيل منها أدمع الوجدان

والعقل يبحر في خضم حروفها
ويتيه بين الموج والشطآن

وفصولها عبرٌ تمرُّ كأنها
وهْمٌ يلوح لأعين العميان

لغة الضحية حين غاب بريقها
راج الظلام ومنطق القرصان

وأخو الأمانة لانَ عودًا فانبرى
يطويه كف الفاجر الخوان

ألواننا ولى زمان صفائها
ضر العيون تداخل الألوان

شب الصراع تأججت جمراته
والمشهد المنظور لا إنساني

في كل ناحية تحزَّب شلة
وتأهبوا لتراشق وطعان

سيل الهوى في كل آن جارف
تطفو عليه مراكب البهتان

والإفك ريح ليس يهدأ عصفها
تبغي اقتلاع فسائل البرهان

وثباتها في قلب أشرار الورى
غيظ يزيد ضراوة النيران

في كل ميدان تسيَّد مبغض
والحق عاشقه بلا ميدان

حرب على كل المحاور بينما
دعوى السلام تلوك كل لسان

فمتى يعود الناس صوب رشادهم
وتسود روح الحب لا الأضغان

ومتى نرى وجه الحياة وما به
لون الدما في سمته العدواني

ومتى يعم العدل آفاق الدنا
يسري سناه بسائر البلدان

وهناك وجه الحلم يشرق ناضرا
يرنو لآفاق من الإحسان

وتظل في سمع الزمان مقولتي
إن الحياة حقائق وأمان

فتح الرحمن في تفسير القرآن

إعداد: التحرير

اسم الكتاب: فتح الرحمن في تفسير القرآن
المؤلف: الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العُليمي المقدسي الحنبلي، المولود سنة ٨٦٠ هـ، والمتوفى سنة ٩٢٧هـ رحمه الله تعالى.
وهو من اصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (دولة قطر).
اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجاً: الاستاذ نور الدين طالب الدوماني.
وهو في ٧ مجلدات.

ولما كانت مقاصد القرآن ومعانيه ذات أفانين كثيرة، قصد كل واحد من المفسرين بعض تلك الأفنان، فنحا بعضهم إلى آيات الأحكام، وبعضهم إلى قصص القرآن التي اشتملت على أخبار الأمم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعضهم قصد نكات علوم العربية من البلاغة والأدب وغيرها.

والإمام مجير الدين العليمي الحنبلي، رحمه الله، في تفسير فتح الرحمن قد كان له حظ وافر في كل فن من تلك الأفنان المذكورة، فقد اعتنى فيه، رحمه الله، بذكر القراءات واختلاف القراء فيها وتوجيهها وذكر معانيها، وسرد فيه فقه الأئمة الأربعة وفق منهج قويم، بعيد عن التعصب، واعتمد على الصحيح الراجح من أقوال المفسرين.

المؤلف

هو الإمام المؤرخ المفسر الفقيه القاضي أبو اليمن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن يوسف العليمي العمري مجير الدين المقدسي الحنبلي.

ولد سنة ٨٦٠ هـ بالقدس الشريف.


نور الدين طالب

شيوخه: والده وأبو المعالي محمد بن أبي الشريف المقدسي الشافعي ومحمد السعدي وأبوبكر القرمشندي الشافعي وعلى بن إبراهيم البدرشي وغيرهم.

تصانيفه: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، والدر المنضد.

ثناء العلماء عليه

قال الحافظ السخاوي: أمثل قضاة القدس، حسن السيرة له شهرة بالفضل والإقبال على التاريخ مع خط حسن ونظم.

وقال الغزي: هو الإمام العلامة المسند المؤرخ الفقيه المتفنن في سائر العلوم المتحلي بقلائد المنطوق والمفهوم الخطيب الفقيه المحدث الأثري.

وكان قد توفي رحمه الله ببيت المقدس سنة ٩٢٨هـ.

وبالجملة فتفسير الإمام العليمي تفسير جليل يشبه تفسير القاضي البيضاوي، كما قال الغزي رحم الله الجميع.

ويصفه العلامة ابن بدران الحنبلي بأنه تفسير متوسط، يذكر فيه القراءات، واذا جاءت مسألة فرعية ذكر أقوال الأئمة الأربعة فيها، وفيه فوائد لطيفة، جزى الله مؤلفه خير الجزاء وأثابه أعظم النوال والعطاء.

وقد بين المحقق الاستاذ نورالدين طالب تحقيق اسم الكتاب وبيان صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

منهج المؤلف في الكتاب

فقد أبان المؤلف، رحمه

المؤلف اعتنى بالقراءات واختلاف القراء فيها وتوجيهها وذكر معانيها وسرد فقه الأئمة الأربعة وفق منهج قويم



تفسير العليمي يشبه تفسير البيضاوي ..وفيه فوائد لطيفة وأقوال نفيسة

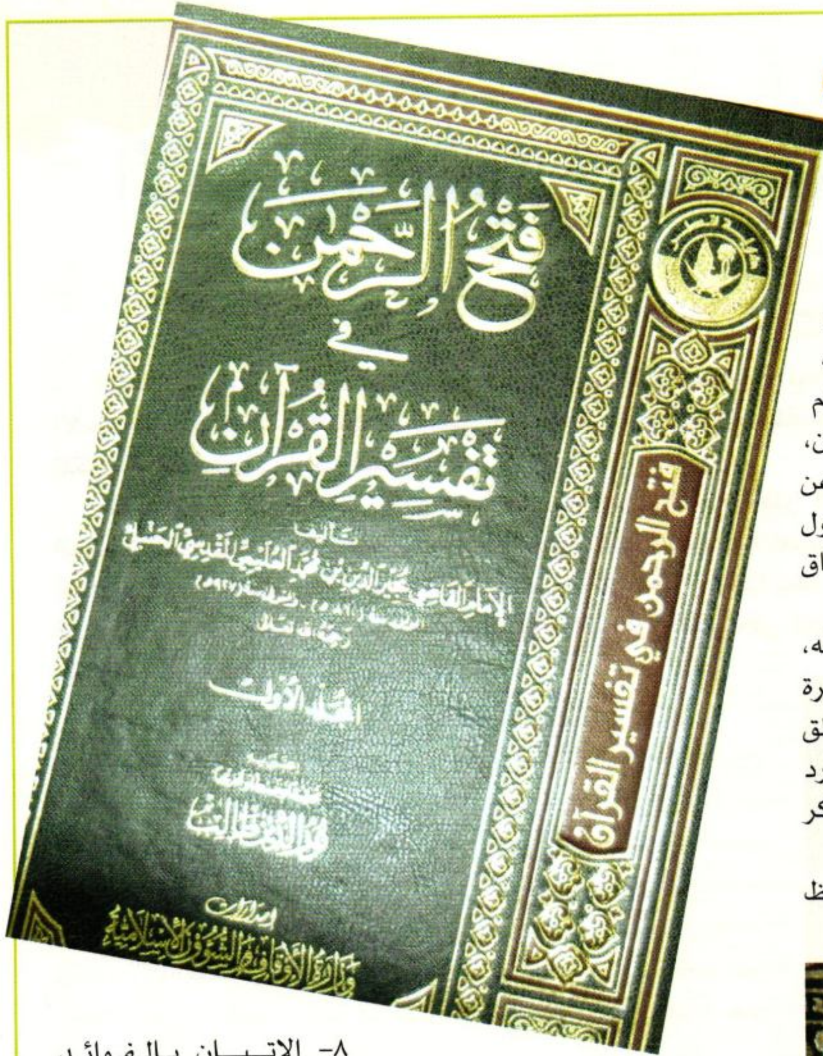
الله، في ديباجة كتابه هذا عن منهجه فيه وما قصد له من تأليفه، فقال: «هذا كتاب لخصته مختصرا، وهذبت لفظه محرراً، يتضمن نبذة من تفسير القرآن العظيم وتأويل ما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اعتمدت في نقله على كتب أئمة الاسلام، وانتقيته من فوائد العلماء الأعلام.

ثم قال: وذكرت فيه خلاف القراء العشرة المشهورين الذين تواترت قراءاتهم، واشتهرت روايتهم من طرق الرواة الثقات والأئمة الأثبات، وذكرت فيه أربعة وقوف، التام والكافي والحسن والقبيح».

ثم قال: «وإن كان في الآية الشريفة حكم متفق عليه أو مختلف فيه بين الأئمة الأربعة ذكرته ملخصا، ولم ألتزم استيعاب الأحكام بل أذكر المهم حسب الإمكان، ولم أتعرض لاختيار غيره عن الأئمة المتقدمين، وحيث أقول في الحكم بالاتفاق فالمراد اتفاق الأئمة الأربعة المشار إليهم».

وقد قدم المؤلف، رحمه الله، قبل الشروع في التفسير بعشرة فصول، ضمنها فوائد ما يتعلق بفضائل القرآن العظيم، وما ورد في تفسيره وجمعه وكتابته وذكر الأحرف السبعة وغير ذلك.

وفي تفاصيل الكتاب يلحظ المطالع أموراً عدة من ذلك





١- التزامه بذكر مكي السور ومدنيها، وعدد آيات السورة وكلماتها وحروفها في أول كل سورة يفسرها.

٢- ذكر أسباب النزول عند كل آية.

٣- سرد قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة.

٤- تفسير المفردات من حيث الوضع اللغوي والشرعي.

٥- إيراد الأمثلة الدائرة على ألسنة الناس مما يوافق معنى الآية التي يفسرها.

٦- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في القرآن العظيم.

٧- تلخيص الآية بعد تفسيرها.

٨- الإتيان بالفوائد واللطائف والإشارات الدقيقة.

موارد المؤلف في الكتاب

أولاً: التفسير وما يتصل به: تفسير ابن جرير الطبري، والبغوي، والزمخشري، والنسفي، وابن العربي، والرازي، وابن الجوزي، والثعلبي، والقرطبي، وابن عطية، والثعالبي، وابن حيان. والقراءات مثل: الشاطبية، والنشر، وايضاح الرموز، والتبيان، وغيرها.

ثانيا: الحديث وما يتصل به: كتب السنة والحديث وشروحها، والشفا، ومثير الغرام، ووفيات الأعيان.

ثالثا: الفقه: المغني، والفتاوى لابن تيمية، والإنصاف للمرداوي، وروضة الطالبين للنووي، ومختصر خليل وغيرها.

الأسواق والشوارع التجارية في العمارة الإسلامية

جادالله فرحات *

الأسواق في المدن الإسلامية تعتبر مظهرا مميزا في العمارة قديما لما تمتاز به من القبوات والعقود الضخمة، ولا تزال بعض المدن الإسلامية محتفظة بطابعها التاريخي القديم في أسواقها الجميلة، ومثال ذلك القاهرة ودمشق وحلب وتونس والمدينة المنورة ومكة المكرمة والكويت والإمارات والمغرب.

ولما كانت نسبة كبيرة من سكان المدن العربية تعمل بالتجارة نظرا لازدياد النشاط التجاري العابر في هذه المنطقة من العالم، فقد انعكست هذه الظاهرة على العناصر التخطيطية المكونة للمدينة العربية القديمة، فأقيمت الأسواق في مناطق خاصة من المدينة، كما امتد النشاط التجاري على طول الشوارع في مناطق أخرى، وهنا يجدر الفصل بين الأسواق التي تحوي النشاط التجاري الموسمي أو المتنقل، والشوارع التجارية التي تحوي النشاط التجاري الثابت في المحلات التجارية، وقد سميت هذه الأسواق بأسماء السلع التجارية التي كانت تباع فيها.

لقد كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالسكان في المدينة الإسلامية، إذ لم يتأثر هذا النوع من النشاط الجماعي كثيرا بالبصمات الشخصية التي تركها الحكام الذين تتابعوا عليها في العصور المختلفة، ومن هنا كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر المكونة للتراث الحضاري للمدينة الإسلامية القديمة، لما كان لها من صفة الاستمرار والنمو العضوي.

لقد كانت الأسواق العامة تقع عند ملتقى طرق النقل البرية أو النهرية، كما كان الحال في مدينة الفسطاط عندما ظهرت كثير من المحلات التجارية على ساحل النيل، بينما بنى عبدالعزيز بن مروان بعض المناطق التجارية داخل المدينة نفسها وكانت لها مسمياتها النوعية مثل قيسارية (أي الشارع التجاري) العسل، وقيسارية البز (المنسوجات)، وسوق القناديل.

في هذه الحقبة من التاريخ ازدهرت التجارة الوافدة من بحر الروم (البحر المتوسط) ومن بحر القلزم (البحر الأحمر)، واستمرت هذه الأسواق عامة حتى بناء مدينتي العسكر والقطائع، إذ ارتبطت بهما بعد ذلك.

وتكررت الصورة في مدينة العسكر، ثم في مدينة القطائع التي سميت أسواقها بمسميات شبه نوعية، مثل سوق العيارين، وكان به جميع العطارين والبزازين، وسوق الفاميين، وكان يجمع الجزارين والبقالين، وامتدت الصورة في العصر الفاطمي والعصر الأيوبي إلى أن زادت حركة التجارة الشرقية التي كانت تخترق مصر والشام في طريقها إلى أوروبا في عصر المماليك، الأمر الذي استدعى بناء الخانات أو الفنادق والأسواق، ففي الخانات والفنادق كان ينزل التجار القادمون من الشام بسلعهم

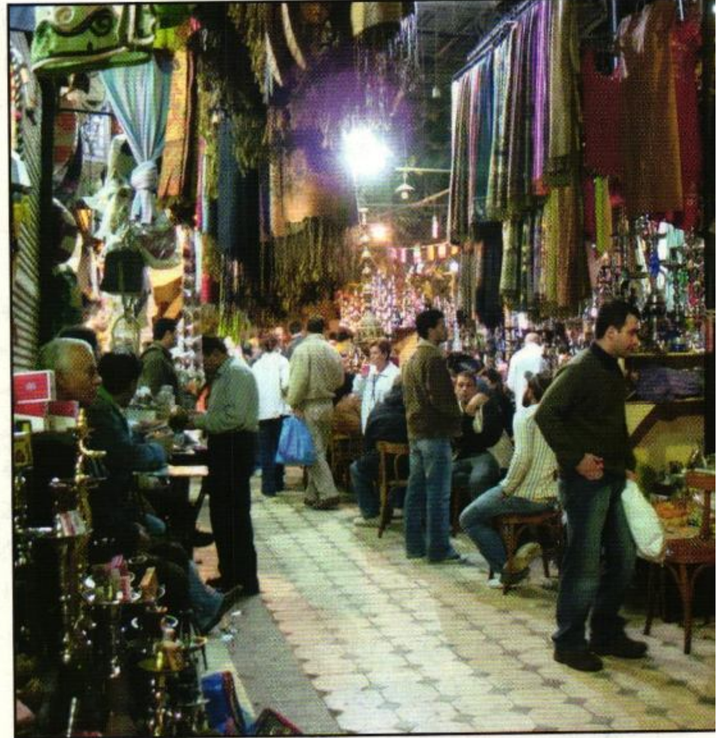


ودوابهم ويختزنون بضائعهم في المخازن والحواصل، وتؤدى لهم الأعمال المصرفية، واشتهرت هذه الفترة ببناء كثير من الوكالات والخانات مثل خان مسرور، وخان الخليلي الذي هدمه السلطان الغوري بعد ذلك ليبني مكانه مجموعة من الدكاكين والربوع والوكالات التي هدمت بدورها وأعيد بناء خان الخليلي مرة أخرى.

واستمرت الصورة الغالبة لأسواق القاهرة القديمة في الشوارع التجارية التخصصية التي سميت أسواقها بأسماء السلع والبضائع التي تحويها،

* مهندس معماري في وزارة الأوقاف الكويتية

ومن أهم الأسواق سوق القصبة على طول شارع القصبة الذي كان العمود الفقري لقاهرة المعز، ويمتد من باب الفتوح حتى باب زويلة مارا فيما بين القصرين، وقد سميت أجزاؤه المختلفة بأسماء السلع التي به، وتفرعت من هذا الشارع التجاري الرئيسي فروع من الشوارع التجارية التخصصية، مثل سوق الدواسين وسوق حارة برجوان، وكان من الأسواق النوعية سوق الشماعين وسوق الدجاجية وسوق السلاح وسوق القفصيات وسوق



الجوخيين وسوق الحلاويين وسوق السوابين الصاغة وسوق الصنادقيين وسوق الحريريين، ولا تزال آثار هذه الشوارع التجارية أو الأسواق قائمة في المناطق المختلفة من القاهرة القديمة وأهمها سوق الغورية، في أحد أجزاء شارع المعز لدين الله، أو ما كان يسمى بشارع القصبة.

وفي دمشق الأموية تكررت الصورة التي لا تزال آثارها قائمة في الشارع التجاري لسوق الحميدية، ثم تكررت الصورة في مدينة بغداد القديمة، وإن كان سوق بغداد الأول يقع في قرية صغيرة خارج مدينة المنصور، ثم التحم بعد ذلك بالهيكل العام للمدينة ولا تزال آثار الشوارع التجارية قائمة في بغداد في سوق الشرجة وهو مقسم نوعيا إلى شوارع تجارية عدة.

وتكررت صورة الشوارع التجارية النوعية بعد ذلك في مدينة القدس في العصر العثماني، فظهرت الأسواق المسقوفة والمرصوفة بالبلاط الحجري، مثل السوق الطويل وسوق الحلاجين وسوق الغلال وسوق الحرير وسوق البزازين وسوق العطارين وسوق المجوهرات، وتكررت الصورة كذلك في الأسواق القديمة في مدن المغرب مثل مراكش وفاس ومدن المشرق مثل أصفهان وشيراز بإيران.

وهكذا كان الشارع التجاري من أهم العناصر التخطيطية المشتركة في المدن الإسلامية القديمة في المشرق والمغرب، وارتبط بسكانها، وهو بذلك يعتبر مدخلا مهما في تخطيط المناطق التجارية كأحد العناصر المهمة لربط المدينة الإسلامية المعاصرة بتراثها الحضاري.

والقاهرة الفاطمية بوجه خاص تتميز عن سائر المدن الإسلامية ببعض الخصائص منها- كما سبق القول- شارع رئيسي طويل، معروف بالقصبة، يخترقها من الشمال إلى الجنوب، من باب الفتوح إلى باب زويلة، يبلغ عرض الجزء المخصص للمرور منه ثمانية أمتار وتتخلله دخلات تشغلها الأسواق التي تعقد في الشوارع والساحات، وتحف القصبة أبنية فخمة من قصور الخلفاء الفاطميين، تليها منشآت أخرى كالمساجد والمدارس ومدافن السلاطين من المماليك التي أضيفت فيما بعد، كما كانت تشمل أقساما خصص كل منها لنوع من أنواع التجارة كالخيامية والنحاسين والعطارين والمغربلين إلى غير ذلك.

الوكالة

الوكالة، أو الخان، عبارة عن فندق من نوع خاص، وتتكون من طابق أرضي يطل على فناء داخلي كبير مفتوح يحتوي على مخازن منفصلة، ومن طوابق علوية مخصصة للسكن، وتطل على الفناء الداخلي المفتوح، وكانت الوكالات تخصص لإقامة التجار الذين يفدون من مختلف البلاد مع عائلاتهم لقضاء موسم التجارة، حيث تخزن بضائعهم في المخازن لحين انتهائهم من تصريفها ثم يرحلون.

ومن المدهش أن أماكن الإقامة في الوكالة لم تكن مجرد حجرات، ولكنها كانت شققا صغيرة أو وحدات سكنية مستقلة تتكون من طابقين أو ثلاثة، وتتصل هذه الطوابق بسلم داخلي لكل وحدة، وقد نسب الغربيون هذه الفكرة الإسلامية الأصلية لأنفسهم باسم الوحدات السكنية المجمعة «الدوبلكس» «والتربلكس»، كما في عمارة مارسيليا ١٩٤٩/١٩٥١ للمعماري كوريزييه، واتخذت فيما بعد نظرية جديدة من نظريات العمارة الحديثة، ومن أشهر الوكالات وكالة الغوري ووكالة قايتباي.

الربع

وهو صورة مبسطة للوكالة، يخصص أصلا للصناع وأصحاب الحرف ويتكون من دور أرضي يضم ورَشًا ومحلات، وطابقين علويين عبارة عن شقق منفصلة مكونة من حجرة أو حجرتين، وصالة معيشة ومطبخ ودورة مياه لسكن عائلات الصناع أصحاب هذه المحلات.

وبالنسبة للأسواق حاليا فيوجد خان الخليلي بالقاهرة، والحميدية بدمشق، وأسواق الذهب والبشوت والتمور بالكويت، وسوق الأغذية بالشارقة، وسوق الشمغنة بدبي، وكلها أسواق على الطراز الإسلامي أو الخليجي.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

الدعوة الصامتة



تعيش مجتمعاتنا اليوم حالة من الغرابة في ممارساتها الحياتية ووسائلها المعيشية، فظاهر الصبغة المجتمعية إسلامي حتى النخاع، وواقع الحال سبات حتى الموت.. فأين أثر الدعاة الدائم على أفراد المجتمع المسلم؟ وهل المشكلة في الدعاة أم في العوام؟

المتأمل في حال الحراك الإسلامي يجد أن العمل الدعوي والخيري في ازدياد مطرد، والإقبال على المساجد والملتقيات والمؤتمرات يزداد، ومع ذلك نرى تأخر النصر الرباني في التمكين لشريعته في الأرض.

والحقيقة أن الناس لم يعودوا بحاجة إلى كثرة الكلام بقدر حاجتهم إلى رؤية قرآن يمشي على الأرض، وحاجتهم إلى أناس يعيشون مجتمعاتنا في رخاء وأمن اجتماعي بعيدًا عن النفاق والمكاسب الدنيوية والمصالح الشخصية.

ويمكن القول إن التجارة الرائجة في الوقت الحالي هي القدوة السلوكية الصالحة التي تحكي حقيقة الدين بعفوية وإخلاص، بعيدًا عن مظاهر الرياء، فالتوجيه المباشر إلى فعل ما بالحديث فقط غير مجد في عصر المعلوماتية والواقعية، وهذا ما نراه في آثار الخطب والدروس الدينية التي تُلقى على مسامعنا ويذهب تأثرنا بها بعد دقائق معدودة، وتنسى بين مفاتن الحياة.

فلتكن أنت ما تدعو إليه، واجعل من يراك يتمنى أن يكون مثلك، ولا تحدثه عن الإيمان، بل اجعله يستشعره من النور الذي يضيء وجهك، ولا تحثه على العبادة، بل دعه يراها أمام عينيه، ولا تدعه لمكارم الأخلاق، بل اجعله يحبها منك.

ويتعجب المرء عندما يسمع قول الصغار لماذا نصلي ولا نرى أحدا يصلي في المساجد؟ ويدلل هذا المفهوم على أن هناك خللا تربويا كبيرا في حياتنا السلوكية والروحانية، فهل تكون دعوتنا إلى الله صامتة أم نتكلم ونتكلم ولا يسمعنا أحد؟

ولعل المنهج الرباني في القدوة السلوكية، القائم على الآية الكريمة ﴿... وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩) يؤكد طريق الإصلاح والتغيير، ويعتبر تجاوزًا من الدعاة أن يتخطوا هذه الآية إذا انطبقت عليهم الظروف نفسها.

ويستدل أيضا على ذلك بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية التي استأسدت فيها قوى الكفار على جماعة الإيمان فأذاقوهم ألوانًا من العذاب، حتى لما هاجروا إلى الحبشة وكان المنهج آنئذ ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾، وقد قتلت سمية بحربة في قُبُلها، وكذا زوجها قد قتل شهيدا، ولم يكن يملك الرسول صلى الله عليه وسلم إلا القول «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إلى الْجَنَّة».

وما تحكيه تجربة تركيا الآن يثبت حقيقة الآثار الايجابية المترتبة على هذا المنهج النبوي الفريد، فالمؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية والدعوية الضخمة أبرز دليل على نجاح آثار هذه الدعوة الصامتة القائمة على السلوك الحسن، فلا شعارات رنانة، ولا أصوات عالية على المنابر، ولا مظاهرات تأجيجية، ولا صراعات مقيتة، وإنما عمل تنموي يترجم قيماً إسلامية في مجتمع غص بالإلحاد والعلمانية.



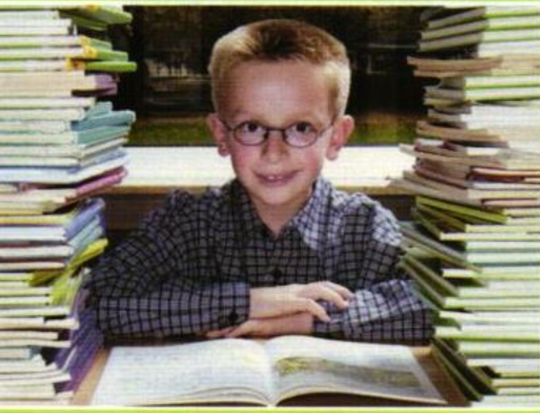
إن الإسلام انتشر في كثير من بلدان الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين، حيث كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على دين الحق، فالقدوة المتحلية بالفضائل العالية تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقَال.

لفتة

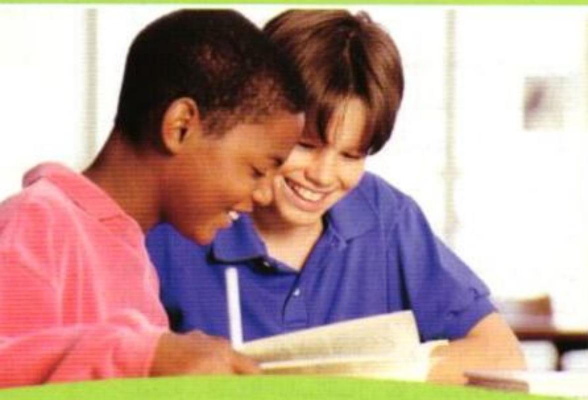
■ الروائي علاء الأسواني يقول: إن الفضيلة تؤتى من الأخلاق بعيدا عن التدين مثلما يحدث في دول شرق آسيا.. ونقول: لو كان الأمر كذلك لما حكم الإسلام الأرض قرونا عديدة.

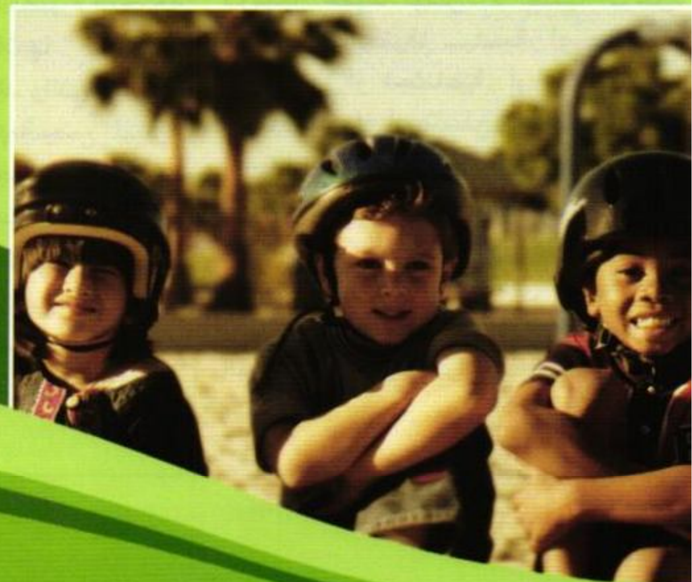


أسرتي



- الطفل والصور المتحركة
- الهدية اليومية
- التقمص سلاح ذو حدين









مديرة إدارة الشؤون النسائية في لجنة التعريف بالإسلام وضحة البليس:

تحرير المرأة يعني انسلاخها من إنسانيتها.. والإسلام يصون كرامتها

حوار: منيرة الرشيدي

أكدت مديرة إدارة الشؤون النسائية في لجنة التعريف بالإسلام وضحة البليس أن الفكر العالمي يتجه إلى تحرير المرأة وجعلها سلعة تجارية مجانية، ولكنها أيقنت أخيرا أن هذا يعتبر انسلاخا من إنسانيتها وليس تحريرا لها، فبدأت في البحث عن معنى يصون لها كرامتها.. فوجدت أن الإسلام يكفل ذلك.

وقالت البليس في حوار مع «الوعي الإسلامي» إن لجنة التعريف بالإسلام تساهم في تدريب الدعاة العاملين فيها من جميع الجنسيات على فتح مدونات خاصة على الانترنت حتى يتواصلوا مع أكبر شريحة ممكنة من غير المسلمين وخاصة الطبقة المثقفة والراغبة في التعرف على الإسلام بشكل موسع.

وبيَّنت أن وسائل الإعلام لا تغطي نشاط الفقيهات اليوم، ومن ثم يظهر، لمن لا يعرفهن، عدم تواجدهن، بالرغم من أن هناك كثيرا من الفقيهات المتميزات الحريصات على مناقشة كل ما يستجد من أمور المرأة والعصر مع المشايخ والعلماء وطرحه بين أوساط النساء.. واليكم نص الحوار:

■ **نود أن تحدثينا عن أنشطة وبرامج اللجان النسائية في اللجنة؟**

- تسعى لجنة التعريف بالإسلام لنشر الدين الإسلامي بين الجاليات غير المسلمة وتعريفها به، والاهتمام برعاية المهتدين الجدد، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتوعية الجاليات المسلمة، وهذا من منطلق قول الله عز وجل ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل:١٢٥) وقول الرسول ﷺ «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

وتبدأ أول خطوة بالدعوة خارج أسوار اللجنة، وذلك عن طريق نشر الداعيات من مختلف الجنسيات بالأماكن التي يكثر فيها وجود غير المسلمات من مستشفيات وسفارات وصالونات، وحتى المنازل، فيبدأن بتوزيع المنشورات والكتيبات البسيطة أو حتى إلقاء بعض المحاضرات التعريفية بالإسلام، أما الخطوة الثانية فتكون داخل أسوار اللجنة، فنبدأ باستقبال كل الزائرات من مختلف الجنسيات وتتوجه كل واحدة منهن إلى الداعية التي تتكلم بلغتها، وتناقشها وتسألها عن كل الشبهات التي في ذهنها، فإن اقتنعت وتأكدت الداعية من أن المفاهيم الإسلامية قد وصلت إليها بصورة صحيحة دلتها إلى كيفية إشهار إسلامها.

الخطوة المهمة بعد ذلك والتي تستغرق من ٤ إلى ٥ أشهر هي متابعة وضع المهتدية وتعليمها شعائر دينها الجديد من عقيدة وحفظ بعض الآيات البسيطة من القرآن الكريم، وتعليمها أحكام الطهارة والصلاة وسيرة نبيها ﷺ، وغير ذلك من الأمور التي تجعلها مسلمة عارفة بأساسيات دينها.

وإذا أحبت المهتدية بعد ذلك الاستزادة، تستطيع أن تدخل برنامج الفصول الدراسية الذي يقدم من ٦٠ -٧٠ دورة في الفصل الدراسي الواحد، وتتنوع الدورات فيه، حيث تُدرس اللغة العربية وفقا لـ ١٢ مستوى والعلوم القرآنية من حفظ وتلاوة وتفسير وتجويد، وأيضا الفقه والسيرة وغير ذلك.



■ **كيف ترين واقع المرأة المسلمة اليوم؟**

- أراه بين إفراط وتفريط، بين فئة رغباتها لا تتناسب مع آداب وتعاليم ديننا الحنيف، ولا مع عادات وتقاليد المجتمعات الشرقية.. يريدون حقوقا للمرأة لا يملكها الرجل، سواء كانت حقوقا سياسية، أو عسكرية، أو علمية، أو اجتماعية، أو حتى دينية.. يريدون للمرأة أن تنسلخ من لباسها الذي ألبسها إياه الله عز وجل وأن تلبس بدلا منه لباسا ينافي خلقتها، وفئة لا ترى حقوقا لها ألبتة، فهي مهضومة الحق اجتماعيا سواء من زوجها أو والدها أو حتى ابنائها، وفي بعض المجتمعات مازالت المرأة محرومة من التعليم ومن حق الميراث... إلخ، أما الفئة



المتوازنة التي بين هذه وتلك فنسبة وجودها قليلة في المجتمع.

■ من الملاحظ ازدياد دخول النساء في الإسلام في الآونة الأخيرة، فما أسباب ذلك؟

- توجُّه الفكر العالمي كله إلى تحرير المرأة جعلها سلعة تجارية مجانية، ولكنها أخيرا أيقنت أن هذا يعتبر انسلاخا من إنسانيتها وليس تحريرا لها، فبدأت في البحث عن معنى يصون لها كرامتها.. فوجدت أن الإسلام يكفل لها ذلك، وأيضا من الأسباب الاجتماعية التي من أجلها دخلت الكثيرات إلى الإسلام الزواج، فحينما تتزوج المرأة من رجل مسلم يكون قصدها مجرد الزواج في البداية، ولكن حين تلمس عن قرب الأسرة المسلمة توقن أن الحقوق والواجبات التي وضعها الإسلام بين أفراد الأسرة هي التي تحفظها وليس غيرها.

■ ما الوسائل الحديثة المطلوبة للدعوة إلى الله؟

- أصبح العالم الآن كالقرية الصغيرة عن طريق الفضائيات والإنترنت، حيث تستطيع الوصول لأكبر شريحة ممكنة من الناس ومن مختلف الأعمار، ولن يكلفك ذلك إلا مبالغ مادية قليلة لا تذكر، وقد حرصت لجنة التعريف بالإسلام على إنشاء موقع خاص لها على الشبكة حتى تنتشر أخبار وانجازات اللجنة حول العالم، وأيضا أضافت للموقع منتدى تطرح من خلاله المناقشات والحوارات بيننا وبين العالم الخارجي.

ومن جديد اللجنة أيضا، ومن منطلق حرصها على التواكب مع متطلبات هذا العصر السريع، تدريب الدعاة العاملين فيها من جميع الجنسيات على فتح مدونات خاصة لكل واحد منهم حتى يتواصلوا مع أكبر شريحة ممكنة من غير المسلمين وخاصة الطبقة المثقفة والراغبة في التعرف على الإسلام بشكل موسع.

■ أين قضية التربية الأسرية في أجندة الداعيات؟

- هي القضية الأولى فيها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.. وستجد أن معظم الداعيات المتميزات قد تربين في أسرة ملتزمة محافظة حرصت على غرس تعاليم الدين الإسلامي في أبنائها منذ الصغر، والداعية بدورها وَرَّثت هذه التعاليم والصفات لأبنائها.

■ أين الفقيهات اليوم من قضايا المرأة المعاصرة؟

- إذا كان الإعلام لا يغطي نشاط الفقيهات اليوم فلا يعني هذا عدم وجودهن، فهناك كثيرات من الفقيهات المتميزات الحريصات على مناقشة كل ما يستجد من أمور المرأة والعصر مع المشايخ والعلماء وطرحه بين أوساط النساء.

■ لماذا لا تستغل الداعيات الفضائيات في نشر الدعوة ومعالجة قضايا المرأة؟

- هذا الخطأ لا يقع على عاتق الداعيات، إنما على الفضائيات أنفسها، ففقد العنصر النسائي الملتزم في الفضائيات الإسلامية يرجع إلى رفض إدارة الفضائية حضور أي امرأة على شاشتها، ولذلك ترى أن القنوات الإسلامية التي ترحب بهذه الفكرة تزخر بالعديد من الداعيات الراغبات في نشر أفكارهن ودعوتهن.. وقد نجحن في ذلك.







ولا متخذات أخدان

منى السعيد الشريف



عالم الشات عالم جديد وغريب وعجيب، يرتاده البعض بدافع الفضول، حيث تطوى المسافات ونلتقي مع مختلف اللهجات والثقافات، والبعض يغوص في أعماقه اطراحا للملل والسأم، خاصة مع ضعف الروابط الأسرية والعائلية، وآخرون لبث الشكوى وتفريغ الأحزان والهروب من الضغوط، ومنهم من يجده فرصة لملء الفراغ العاطفي، خاصة مع الجنس الآخر الذي تحول التقاليد دون اللقاء معه.. فالكثيرون يتسلون بمجرد الحديث مع الجنس الآخر بغض النظر عن موضوع الحديث، فكل ما يهم الرجل أن يسمع صوت أنثى، خاصة إذا كان جميلا رقيقا، وكل ما يهم الأنثى مثل ذلك، فالنساء شقائق الرجال، وعلى أضعف الأحوال يهم كلا منهما أن يحادث الآخر ولو كتابة.

والغالب أننا ندخل هذا العالم بنية ساذجة أو صادقة، ولا يدور في خَلَدنا- ولو للحظة- أنه يمكن أن تنجرف العواطف، وتزل الأقدام، ونقدم على ارتكاب ما لا يمكن أن نتصور أننا قد نفعله في يوم من الأيام من أنواع الآثام، وربما الفواحش، خاصة أن الشيطان يسول لنا أن الإبحار في الإنترنت من البيت ومن الغرفة يجعل صاحبه في مأمن من عبث عابث أو تربُّص مُتربّص، لأنها علاقة مدارها علَى الكلام، لكن للأسف غالبا ما تتطور- وبدون وعي منا- إلى المواعدة واللقاء في الخفاء!

لذا يتحتم علينا أن نتعرف على طبيعة هذا العالم المثير، ونستكشف سلبياته وإيجابياته، وضوابط التعامل معه، كي نجني الثمرة ولا تحرقنا نار الغدرة والفجرة.

أوضحت إحدى الدراسات لبعض الشباب العربي المثقف من خلال زيارات ميدانية قاموا بها للعديد من برامج الشات والمحادثة أن ٥٪ فقط من غرف المحادثة تتناول موضوعات ذات قيمة فكرية وثقافية هادفة، وقضايا الأمة وأحوالها، يعبر بها الشباب العربي عن ذاته وطموحاته ووجوده، و٨٦٪ من هذه الغرف تعتبر أبواق هدم أخلاقي وثقافي يمارس بشكل منظم وممنهج، خاصة ضد الفتيات، في حين أن ٩٪ من هذه الغرف تتباين في حواراتها وآليات تناولها من جيد إلى سيئ.

إن ديننا العظيم حذرنا أشد تحذير من إقامة العلاقات بين الجنسين خارج نطاق الزواج، وأوصد الباب بشدة أمام مصيبة برامج التعارف التي ذاعت وانتشرت عبر الصحف والمجلات وشبكة الإنترنت، وما ذلك إلا درءًا للفتنة، ومنعًا لحوادث العشق والغرام التي تؤول بأصحابها غالبا إلى الفواحش الخطيرة، وانتهاك حرمات الله، أو تؤدي بهم إلى زيجات فاشلة محفوفة بالشك وفقدان الثقة.

من أفعال الجاهلية

اتخاذ الأخدان من أفعال الجاهلية، قال تعالى ﴿... مُحْصَنَات غَيْرَ مُسَافِحَات وَلا مُتَّخِذَات أَخْدَان...﴾ (النساء:٢٥)، قال الألوسي: والأخدان جمع خدن وهو الصاحب، والمراد به هنا من تتخذه المرأة صديقا يزني بها والجمع للمقابلة، والمعنى ولا مسرات الزنا، وكان الزنا في الجاهلية منقسمًا إلى سر وعلانية، وروي عن ابن عباس أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما ظهر منه ويقولون: إنه لؤم، ويستحلون ما خفي ويقولون: لا بأس به، ولتحريم القسمين نزل قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام:١٥١). (تفسير الألوسي ٢٢/٤).

لا لحرية الحب

لقد ارتبط في أذهان الكثير من الفتيات أن يمارسن الحب خارج البيوت، وأن ينسجن خيوط العشق وطرائق الغرام بعيدًا عن الزواج الحلال، من باب أن الممنوع مرغوب.. فهل نقبل بما يسمى «حرية الحب» في مجتمعنا الإسلامي؟

إن ما يسمى بالحب الذي تعيشه بعض الفتيات اليوم فيه من الشطط والمعابة ما يجعله لهوًا ولعبًا، فلا ترى له هدفًا، ولا تتلمس له ضوابط ومعايير، بل تراه خفيًا مستترًا أو بارزًا متبجحًا يلتقي مع السراب في كثير من الحالات، لأن حقيقة الإنترنت أنها وسيلة اتصال فقط لا غير، أي لا تواصل ولا تعارف حقيقيا يمكن أن ينبني عليه زواج أو أي علاقة طبيعية، وغالبا يترك هذا الحب جراحًا تدوم إلى الأبد، ونادرًا ما ينتهي بالزواج، وإذا تم الزواج فقد يحدث الطلاق بعد الزواج بسبب كثرة الشكوك بين الزوجين ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة: ١٠٩)، والحياة الزوجية إن كانت خالية من الثقة بين

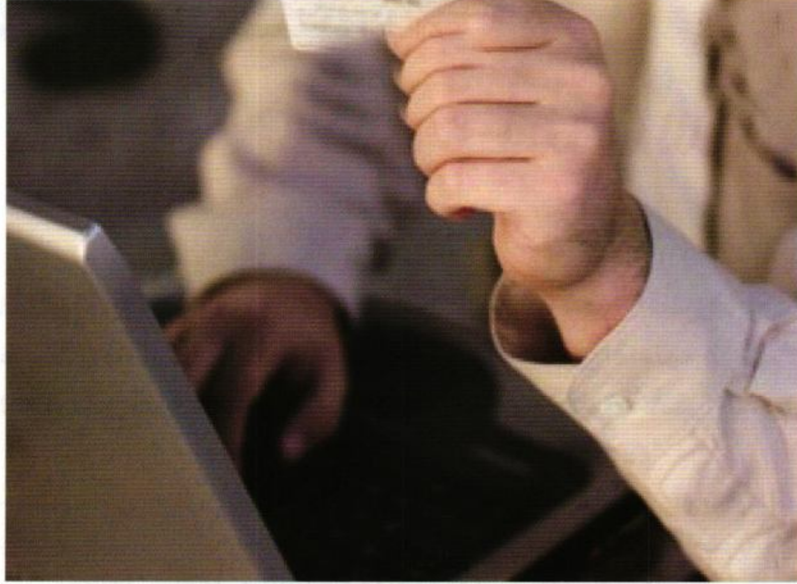
الطرفين فهي محكوم عليها بالفشل، ولا يزال الشيطان يعيد تلك الذكريات المحرمة في مخيلة كل واحد منهما، ولا يزال الشيطان يدفعهما لإعادة الكرة، وما المانع وقد فعلاها من قبل؟! هذا إن كان حبًا عفيفًا وعلاقة شريفة، فما بالك بالحب غير العفيف والعلاقات غير الشريفة.

عزيزتي الفتاة المسلمة: إن كنت فعلا تقعين تحت ضغوط في بيتك وتفتقدين الحب والعطف والحوار الهادئ مع الأهل، فهل هذا مسوغ ومبرر للبحث عن هذا المفقود خارج المنزل؟ يجيبنا الله تبارك وتعالى عن هذا بقوله في سورة النساء ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (النساء: ٢٥) قال ابن عباس: يعني أخلاء، وقال الحسن البصري: يعني الصديق (تفسير ابن كثير)، فأين أنت أختي من هذه الآية الصريحة في موضوع اتخاذ الأصحاب والأصدقاء من الرجال؟

إن وجود الصداقة بين الفتاة والشاب لا يخلو من الوقوع في براثن النظرة الحرام، والكلمة الحرام، واللمسة الحرام، والخطوة الحرام، والخلوة الحرام، قال الله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وأيضًا ميزان الله تعالى ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢)، وأيضًا زني حالك بميزان. ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣١)، وضعي علاقتك العاطفية على ميزان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حينما قال «لا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما» (رواه أحمد)، فانظري أين تضعين قدمك وأين تذهبين؟ وتأكدي أنه بعد انتهاء هذه العلاقة تذهب اللذات وتبقى الحسرات.

لو ترك الإنسان بلا قيود ولا ضوابط لكان حالنا كحال الحيوانات التي ليس لها ضوابط ولا قيود في علاقاتها، ولقد قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، والضابط والقيد الذي يحمينا حتى من أنفسنا هو ضابط الدين والخوف من الله، فإذا قال لنا الله تعالى ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ فهو أمر من الله بعدم اتخاذ الفتاة والمرأة عمومًا لصديق أو صاحب من غير المحارم، والذي أمرنا بذلك هو أعلم منا بحالنا، ولا يشرع لنا إلا ما يصلحنا وتصلح به حياتنا ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

تستطيعين أن تجلبي المحبة لنفسك بأسهل الطرق.. أخلصي في محبتك لعائلتك، أحبيهم بصدق واجعليهم يشعرون بهذه المحبة، قومي بخدمتهم واجعليهم يشعرون بسعادتك وأنت تخدمينهم..كوني مرحة وبشوشة معهم، وعيشي الحياة ببراءة وأنت حولهم.. احرصي على أن تكوني دائماً مع أهلك ولا تبتعدي عنهم، فوالله لن تجدي أصدق منهم مهما بلغت قسوتهم عليك، فهذا كله نابع من محبتهم لك.



رأي الدين

الإنترنت ولوازمه من المحادثة عبر الشات والماسنجر وسيلة قد تكون سببا في تحصيل الخير، من تبادل العلوم النافعة، والدعوة إلى الله، والتعرف على أحوال المسلمين، وقد تكون سببا للمفاسد والشرور، وذلك حينما تكون بين الرجل والمرأة، ولذلك لا يجوز تكوين صداقات بين الرجال والنساء عبر هذه الوسائل للأسباب التالية:

١- لأن هذا من اتخاذ الأخدان الذي نهى الله عز وجل عنه في كتابه الكريم.

٢- لأنه ذريعة إلى الوقوع في المحظورات بداية من اللغو في الكلام، ومرورا بالكلام في الأمور الجنسية وما شابهها، وختاما بتخريب البيوت، وانتهاك الأعراض، والواقع يشهد بذلك.

٣- لأنه موطن تنعدم فيه الرقابة، ولا توجد فيه متابعة ولا ملاحقة، فيفضي كلا الطرفين إلى صاحبه بما يشاء دون خوف من رقيب ولا حذر من عتيد.

٤- لأنه يستلزم الكذب إن عاجلا أو لاحقا، فإذا دخل الأب على ابنته، وسألها ماذا تصنع، فلا شك في أنها ستلوذ بالكذب، وتقول: إنني أحدث إحدى صديقاتي، وإذا سألها زوجها في المستقبل عما إذا كانت مرت بهذه التجربة فإنها لا شك ستكذب عليه.

٥- لأنه يدعو إلى تعلق القلوب بالخيال والمثالية، حيث يصور كل طرف لصاحبه أنه بصفة كذا وكذا، ويخفي عنه معايبه وقبائحه، حيث الجدران الكثيفة، والحجب المنيعة التي تحول دون معرفة الحقائق، فإذا بالرجل والمرأة وقد تعلق كل منهما بالوهم والخيال، ولا يزال يعقد المقارنات بين الصورة التي طبعت في ذهنه، وبين من يتقدم إلى الزواج بها، وفي هذا ما فيه.

وليس معنى هذا حرمة الحديث بين الجنسين مطلقا عبر هذه الوسائل، ولكننا نتكلم عن تكوين العلاقات والصداقات بين الجنسين، أما ما توجبه الضرورة، أو تستدعيه الحاجة، مثل الحديث بين المراسلين الإخباريين، وبين العالم والمربي ومن يقوم على تربيتهن أو دعوتهن، والحديث الذي تقتضيه دواعي العمل بين الجنسين فليس حراما مادام لم يخرج عن المعروف، ولم يدخل دائرة المنكر، ولم يخرج عما تقتضيه الحاجة وتفرضه الضرورة.





الأسرة المتماسكة

آمال عبدالرحمن محمد

تحرص كل أسرة على تماسك وتقارب أفرادها بعضهم بعضا، ولكن أحيانا تحول الظروف دون هذا التقارب فتتفكك الأسرة وتصبح عبارة عن مجموعة من الأشخاص كل منهم يعيش في واد على الرغم من اقامتهم في بيت واحد، في هذه الحالة تحتاج الأسرة إلى برنامج لإنعاش العلاقة بين أفرادها. وفي ما يلي بعض النصائح لأفراد الأسرة كما يقررها خبراء الصحة النفسية وخاصة المرأة.

- اجعلي لكل دقيقة في حياتك معنى وهدفا، فحتى الفترة التي توصلين فيها أولادك إلى المدرسة يمكنك أن تجعليها مرحلة تواصل وتقارب بينك وبينهم بدلا من اعتبارها مجرد واجب تؤدينه، كما تقول د.لين التي اكتشفت أن ابنتها تعتبر رحلتها إلى المدرسة كل صباح من أهم الفترات في يومها، حيث تنطلق في الحديث مع أمها كما تشاء.

- انتبهي لألفاظك مع أفراد عائلتك وحاولي أن تكون رقيقة وتتسم بالود والحنان، فالصرامة في الحديث والانتقاد المستمر يوجد جوا من عدم الوفاق، كما يرى د.باري كاكوب استاذ الطب النفسي ومؤلف كتاب «دليلك للعطاء العاطفي» الذي ينصح بضرورة الود والاحترام حتى عندما تكونين منزعجة، فالدراسات تؤكد أن هذا يدعم المشاعر بين أفراد العائلة في حين أن الاحتكاك المستمر قد يؤدي إلى التراشق بالألفاظ الذي يصل إلى حد الندم بعد ذلك على القول أو الفعل.

- التلامس بين أفراد الأسرة الواحدة دليل على التقارب العاطفي والحب، فانتهزي كل فرصة لاحتضان أبنائك والتعبير عن الحب لهم واقتربي من زوجك أيضا ولا تنسي أن تمسكي بيد أولادك وزوجك في المتاجر والطرق فكل هذه الوسائل تعبر عن حبك لهم.

- تمهلي قليلا وألقي نظرة على الأنشطة الفردية التي ينشغل بها أفراد أسرتك، ثم خذي قرارا بتقليصها إلى نشاط واحد أو اثنين لكل شخص حتى تستطيعوا مقابلة بعضكم بعضا، وبناء علاقات قوية، فكيف تقتربون بعضكم من بعض وأنتم لا تلتقون.

- خصصي وقتا لقضاء الاجازات أو زيارة الأهل والأصدقاء معا، لأن هذا يساعد على تولد مشاعر مشتركة بين جميع أفراد الأسرة وهي الطريقة المثلى، كما يقول د.جاكوب فيراري أستاذ علم النفس بجامعة شيكاغو لتوطيد العلاقات لأن العلاقات المتقاربة هي التي تبني لنفسها تاريخا وتجعل لنفسها مخزونا تسحب منه خلال الأوقات الصعبة ليعينها على تخطيها.

- خصصي وقتا تقضينه مع زوجك، حتى ولو كان لمجرد ساعات في الأسبوع وحافظي على هذا الوقت ودافعي عنه بشراسة فبدون زوج متقارب من الصعب وجود عائلة متقاربة ولا تتركي نفسك لتكوني ضحية لإيقاع الحياة السريع وخصصي يوما في الأسبوع للخروج مع زوجك للمنتزهات وأماكن الراحة ليزداد تقاربكما.

- خصصي وقتا لكل طفل من أطفالك، فكل واحد منهم في حاجة إلى وقت خاص به، خاصة في حالة وجود أكثر من طفل فهذا الوقت يجعل من كل واحد منهم يشعر بمكانته المتميزة وبالتالي لا يكون مضطرا لبذل الجهد من أجل الحصول على اهتمامك، فانفردي بكل طفل من أطفالك لمعرفة رغباته ومشاكله كما فعل أحد خبراء التربية الذي كان يسمح لكل واحد من أبنائه بالسهر معه مرة في الأسبوع ليتبادلا الحديث أو يمارسا بعض الألعاب معا ليشعر الصغير بأهميته في قلب والديه ويأنس بوالده.

- تقديم المساعدة والمساندة عند الحاجة من صفات العائلات المتماسكة والمترابطة.

- وليتحقق هذا في أسرتك كوني القدوة التي تحرص على مشاعر الجميع وتسأل دائما: هل أنت في حاجة إلى مساعدة؟

- اضحكوا معا وتجاذبوا أطراف الحديث، لأن روح الدعابة تقوي العلاقات الشخصية وتهدئ المواقف الصعبة، فالنكتة أو الدعابة يمكن أن تخفف حدة التوتر حتى في أحلك المواقف لأن الضحك له طريقة في ترميم النفوس الحزينة والمتعبة، وهو من أفضل الوسائل للترويح عن النفس، خاصة وسط ضغوط الحياة العصرية.

- التفوا حول المائدة، فاحرصي على تدبير وقت يمكن لجميع أفراد الأسرة فيه تناول وجبة في الأسبوع على الأقل معا لأن تناول الغذاء في جو أسري يفيد في تقوية العلاقات بين الأفراد، وأثبتت الدراسات أن الأطفال الذين يتناولون الغذاء مع العائلة بانتظام يكون لديهم القدرة على تحمل الضغوط الحياتية فيما بعد.

- تسلوا معا، فالمجتمع الذي نعيش فيه اليوم يشجع على الانفصال وليس الترابط، فكل شخص له حياته الخاصة حتى الأطفال كما تقول د.ليسبي، والنتيجة أننا نتجه لأصدقائنا للعب والتسلية بعيدا عن أفراد الأسرة، فاحرصي على توفير ألعاب جماعية يمكن لأفراد الأسرة المشاركة فيها.

- عيشي من أجل مبادئك، نحن نعرف المبادئ التي تريدين توريثها لأبنائك، لكنهم لن يدركوا قيمتها أو يستوعبوها جيدا إلا إذا قدمنا القدوة لهم فإذا كان الإيمان والدين مهمان بالنسبة لك فاحرصي على اصطحاب طفلتك لتصلي معك وإذا كانت مساعدة الآخرين أو التطوع للأعمال الخيرية من أهم أنشطة حياتك فليكن لأبنائك نصيب في هذا النشاط، فمثل هذه الخطوات يقوي العلاقات الأسرية ويولد المشاعر الجميلة بين أفراد الأسرة، ولقد ثبت أن القدوة أقوى أثرا في السلوك.

بهذا يمكن أن نحقق تماسك الأسرة المنشودة والذي يأتي بثمار طيبة يتمتع بها أفراد الأسرة كافة، وخصوصا الأبناء أمل المستقبل ونواة المجتمع الفاضل.

الحب الإلكتروني!

د.ناصر أحمد سنة

لا تكاد تدخل مقهى أو ناديا للإنترنت، فضلا عن الإنترنت المنزلي، دون أن تجد من هو مستغرق في الدردشة الإلكترونية، فعبر غرفها العديدة ثمة كلمة فصورة فموعد فلقاء، ففراق، فخيبة أمل وصدمة عاطفية، أو زواج ولو على أنقاض أسر كانت مستقرة.. إن لسان حال هؤلاء وأولئك يقول: «نحن في عصر العولمة والإنترنت، والتعرف على شخص من الجنس الآخر بواسطة الإنترنت أمسى أمرا عمليا وواقعيا، بل وأحيانا رومانسيا». ووراء تلك الأمور العملية والرومانسية تجد آخرين وقد تخطوا مرحلة التعارف والدردشة داخل غرفها إلى سرقة زوج أو زوجة من أسرتها، مما يتسبب في تشتتها بعد استقرار، وتعاستها بعد هناء، وتباغضها بعد وفاء.

هي:

بعد واحد وثلاثين عاما من زواجنا، أكاد أحصي أيامها ولياليها.. خريفها وشتاءها، وقلة ربيعها.. بدأنا معا.. وتحملت أيام الشدة والعسر والحرمان، وساندته، ورزقنا الله تعالى ثلاثة من البنين ومثلهم من الإناث.. وعانيت أيما معاناة في تربيتهم وتعليمهم، فكنت في كثير من الأحيان الأم والأب، وأسر اليوم تعاني من رعاية طفل أو اثنين، فضلا عن تحملي غربته خارج بلده شهورا وسنين.. كي يبني حياته ومستقبل أولادنا الستة، حتى تزوج نصفهم الآن وأنجبوا لنا حفدة فصرنا أجدادا.. نعم أجدادا، ومازلت أرعى نصفهم الآخر، حتى يصلوا إلى بر الأمان كما وصل إخوتهم من قبل.

لقد قدمت الكثير والكثير ليس له فقط، ولكن لأبويه أيضا، إرضاء له، فتحملتهما كبارا، ولسنوات عديدة حتى وفاتهما، وبعد أن أعادني إلى وطني من سنوات أربع، وليتني.. ليتني لم أعد، أحسست بتحوله عنا، كلما تنقل بيننا وبين عمله بالخارج، فقط كان يرسل إلينا نقودا وهدايا «رشوة» عن فراقه لنا، وأخيرا في إجازة له بسبب مرض أبيه الذي توفي فيه.. كدت أجن عندما عثرت على وثيقة زواجه.. نعم لقد تزوج.. تزوج من سيدة أخرى، عقد عليها عشية وفاة أبيه.. صورتها وصورته ماثلتان على الوثائق.. تكبره بثلاث سنوات.. هل كان سيقدم على زواج جديد لولا المال الكثير الذي بات في يده.. عثرت على ساعة ذهبية كان يخفيها، حسبتها هدية لي بعد سفرته الأخيرة، وانتظرتها ليالي لكنها كانت لها.. ولها أيضا اشترى ملبوسات يخجل ابنه الأصغر من ارتدائها.. كيف سيواجه ابنه الأكبر وبناته اللائي تزوجن هذا الأمر مع باقي الأهل؟ سيسرق سعادتهم الوليدة كما سرقت تلك السيدة زوجي.. سرقته مني ومن أولادي ومن أحفادي.. بل من أحلامي، ولم تترك لي سوى آلامي ومعاناتي وعذاباتي ودموعي طوال واحد وثلاثين عاما.

هو:

نعم تزوجنا عن حب ومودة.. ونعم لقد عانيت كثيرا في بداية زواجي بها من شظف العيش، وتقلبت في وظائف عدة، وأنجبنا ونحن في شدة من العيش، فلم أجد عملا لفترات طويلة، فوقفت بجانبي.. وأشكر لها ذلك، إلى أن ذهبت إلى بلد خليجي، وعملت ليل نهار كي أستقدمها وأولادي ليعيشوا معي، ومنّ الله علينا فأصبحنا ميسوري الحال، فلم أبخل عليهم بشيء يريدونه، وأعدتهم إلى الوطن لينتقلوا من شقة صغيرة كانت قد آوتنا لسنوات بداية زواجنا إلى أخرى أرحب في منطقة أفضل، ثم قمنا ببناء قصر منيف، ثم جاء حقي أن أسعد بحياتي الباقية بعدما تحملت كثيرا.. تحملت عدم اهتمامها بي، وتفضيلها للأولاد، وإهمالها في حق نفسها وحقي عليها.. نعم ذقت الحرمان، ومن حقي أن أعوض ذلك الحرمان.. تزوجت ممن تكبرني بسنوات، وأحببتها وأحبتني وتعرفت عليها عبر الإنترنت.. ولها أولاد كبار ومتزوجون أيضا.. ولكن أليس من حق مطلقة مثلها أن تعيش وتسعد بقية أيام حياتها، وفي كنف زوج لها؟، ومع ذلك فلن أطلق أم أولادي إلا إذا رغبت هي في ذلك!!

وبعد.. فكل دقيقتين تقريبا يتعارف شخصان عبر الإنترنت.. وأصبحت الفأرة بديلا عن الخاطبة، لتعدل المثل:«دردشة، فموعد، فلقاء، فزواج».. مثل ربما يصدق على زواج عادي بين شاب وفتاة، ولكن الأمر قد ذهب بزيجات استمرت سنوات عديدات، وأسر ممتدة وكانت مستقرة، وبات استقرارها أمرا في مهب الرياح.. رياح العولمة والإنترنت!





التقمص سلاح ذو حدين

د. محمد الفيومي

لا يقف السلوك الإنساني عند الأنماط التي يدرك الفرد دوافعها وبواعثها، بل يتجه إلى طائفة أخرى من العمليات التي تحدث في أغوار النفس البشرية وبالتحديد في النشاط اللاشعوري للفرد، ومن هذه العمليات التي تحدث في أغوار النفس وتظهر آثارها على السلوك الخارجي عملية التقمص، وهي واحدة من الحيل الدفاعية أو «الميكانيزمات» التي تلجأ إليها الذات لوقاية نفسها من الشعور بالقلق والتوتر والاهانات والتحقير.

عملية التقمص يمكن أن تكون ذات آثار سيئة على الشخصية والسلوك الإنساني، إذ انها قد تلغي هوية الفرد ويذوب في بوتقة من يتقمصه فيتخبط في سلوكه تخبطاً أعمى، فتارة تراه يشير بكلتا يديه رافعاً أحد حاجبيه إلى أعلى وتارة أخرى يشير بأكتافه ثم يحني الرأس وهكذا يتسم سلوكه بالعشوائية معتقداً انه يسير في الطريق الصحيح مادام يتقمص الشخصية التي أثارت اعجابه ويكون الأمر أكثر سوءا على السلوك إذا تقمص الفرد شخصية عدوانية ومن ثم يميل سلوكه الى العدوان ويصبح سلوكه مضادا للمجتمع، وربما دفعه ذلك الى هوة الإجرام ويجرفه تيار الجريمة إذا لم يتدارك أمره ويجد من يرده إلى جادة الصواب.

جوانب مشرقة

أما إذا تقمص الفرد شخصية قيادية أو علمية فان ذلك يدفعه إلى أن يسلك طريق العلم والمعرفة حتى يصبح شخصية نافعة تقدم الخير للمجتمع ويمد يد العون والمساعدة للوطن وبذلك يمكن القول إن عملية التقمص قد توجه الى النفع إذا أحسن توجيه الفرد منذ نعومة أظفاره ووجد القدوة الطيبة والمثل الذي يقتدي به أو يتقمصه ففي عملية التقمص يأخذ الفرد صفات بعض الأفراد الذين يثيرون إعجابه وينسبها إلى نفسه ويعتبرها جزءاً لا يتجزأ من كيانه الشخصي ومن صفاته وممتلكاته، وقد يعتقد البعض أن التقمص هو التقليد ولكنهما عمليتان مختلفتان، فالتقليد عملية شعورية لأن الفرد الذي يقوم بتقليد أصوات المطربين وحركات الممثلين يدرك انه يقلدهم في أصواتهم وفي حركاتهم وقد يتخذ الطفل من أحد أبويه مثالا ومن ثم يقلده في ارتداء ملابسه، فالطفل يقلد الشخص أو



الشخصية التي يحب صاحبها، أما في حالة التقمص فلا يقتصر الفرد على مجرد نسخ صورة من مثال محبب إليه بل يصبح- ان كان في الخيال والوهم أي في اللاشعور - الشخص نفسه الذي يتقمص شخصيته وتذوب الفوارق بينهما ويصبح وإياه شخصا واحداً، يسعد بسعادته ويسر لنجاحه ويحزن لفشله وفي حالة التوافق العاطفي يحدث اتفاق في الميول والاتجاهات والرغبات والعادات والتقاليد فيحب المتقمص ويكره ما يكره صاحبه، أما عن الأشخاص الذين يميل الطفل الى تقمص شخصيتهم فانه يبدأ حياته بالإعجاب ويتقمص شخصيات من داخل دائرة اسرته فيتقمص شخصية الأب أو الأم وبعد ذلك يتسع مجال تقمصه فيتقمص شخصيات بارزة من المجتمع العام، والشخصيات العامة وخير مجال للتقمص الجماعي هو توحد الفرد مع الوطن الذي يجعل حبنا يصل الى درجة الفداء والتضحية بالنفس في سبيل الذود عن حرمة الوطن ضد أي اعتداء عليه.

القدوة الحسنة

ومن ثم ينبغي على مؤسسات التربية الحديثة أن توفر لطلابها المثال الطيب الذي يحتذيه والقدوة الحسنة من بين معلميها ورجالها وذلك لان الوعظ والإرشاد اللفظي لا يجديان نفعاً إذا لم يؤيدهما الواقع الفعلي والعملي ولقد أشار القرآن الكريم الى ضرورة مطابقة القول للواقع في قوله: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾ (الصف:٢-٣).

ذلك لان عملية التقمص أو التوحد تلعب دوراً مهماً في تكوين هوية الفرد ورسم البنية النهائية للشخصية ومن هنا كانت أهمية توفير البيئة المحلية الصالحة للفرد والنماذج الطيبة حتى تجد عملية التقمص غذاء ثريا من بين أعضاء الأسرة ثم المحيطين بالفرد والقائمين على تربيته في المؤسسات التربوية، كما ينبغي أن تكون الخبرات والعناصر الثقافية التي تؤثر في شخصية الفرد متكاملة ومتناسقة ولا تكون متناثرة أو متعارضة أو متناقضة وان تتكامل كل هذه الخبرات فيما بينها حتى لا يكون الفرد جزءاً من أمه وفي وقت آخر جزءاً من أبيه وفي وقت ثالث جزءاً من معلمه، إذ إن عدم تجانس هذه النماذج يمزق الشخصية ويقسمها الى ادوار متباينة ويجعلها تعاني ما يطلق عليه علماء النفس فوضى الدور، فمثل هذا الخلط في الأدوار ان لم يواجه أو يعالج فإنه يؤدي الى اضطرابات خطيرة في الشخصة، وتشبه عملية التوحد أو التقمص عملية اخرى أطلق عليها فرويد عملية الامتصاص، حيث تتكون الذات العليا في الفرد أو الضمير عن طريق اخذ الطفل وامتصاصه للمعايير الخلقية من الأبوين وتنغمس الذات أو تندمج في الآخرين، كما ان لعملية التقمص أهمية كبرى في حقل التعلم، فإذا أردنا أن نتعرف على الطريقة التي يصل بها الإنسان الى القيام بسلوك معين بطريقة منظمة ودائمة وثابتة فلا بد أن نتعرف على عمليات مثل التقمص، تلك العملية التي يأخذ فيها الفرد سلوك شخص آخر وينسبه لنفسه.

أنماط سلوكية

فمن هذا الطريق يتعلم الطفل الأنماط الحضارية والقيم الأخلاقية في السلوك ويلم بأمهات الثقافة التي ينتمي إليها، وهكذا يصبح الطفل كائناً اجتماعياً يتمتع بقبول الآخرين ورضاهم عن سلوكه، وتساعد أيضا عملية التقمص في سهولة امتثال الفرد للقيم والمعايير السائدة في مجتمعه وتساعد الطفل على تحقيق الاشباع اللازم لدوافعه، فعندما يعتنق مبادئ الأب فإنه يأمن شر التمرد والعصيان على السلطة الأسرية، بالاضافة الى أن الفرد عن طريق التقمص تنمو شخصيته ويحدث تعديلا في السلوك مايساعد في عملية التعلم، وتشارك عملية التقمص كذلك في حدوث عملية تكيف الفرد مع ذاته ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يقتصر التقمص على الصغار فحسب، بل إن الكبار يمارسون عملية التقمص ايضا، ومن هنا يتبين أن عملية التقمص يمكن أن يكون لها آثار سلبية وأخرى ايجابية.

التقمص يلعب دوراً مهماً في تكوين هوية الفرد ورسم شخصيته .. والمؤسسات التربوية مطالبة بتوفير القدوة الحسنة

فالسلبية تحدث إذا لم يجد الطفل القدوة الطيبة التي يتخذ منها مثلا له، ومن ثم تكون الفرصة متاحة لأن ينحرف الصغير، وخصوصا وسط جماعة من رفاق السوء، إذ يتخلق بأخلاقهم ويعتنق سلوكياتهم غير الأخلاقية، أما الآثار الايجابية لعملية التقمص فهي المساعدة في تنشئة الفرد تنشئة صالحة وعلى التربية أن تراعي توفير المثل الطيب حتى يكتسب الطفل القيم الدينية والأخلاقية.

وأكثر الناس عرضة لتقمص شخصياتهم هم الشخصيات البارزة من القادة والعلماء ورجال الشرطة.

الأبحاث والدراسات أكدت أن هناك ميلا لدى الكثيرين لتقمص شخصيات أرباب السلطة حتى يشبعوا لدى أنفسهم شعورهم بأنهم من أرباب السلطة والجاه.

المراجع

١- حامد زهران- الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب- القاهرة ١٩٨٢.

١- سعد جلال- المرجع في علم النفس، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٨٤.

٣- أحمد زكي صالح - علم النفس التربوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥.

٤- عبدالعزيز القوصي - أسس الصحة النفسية، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٢.

٥- عبدالرحمن عيسوي- العلاج النفسي، دار الفكري الجامعي، اسكندرية ١٩٨٥.





من النذر الإلهية

هدى الكاشف

خلال العقد الزمني الأخير أطلت علينا بعض الأفكار والسلوكيات الغربية والجديدة على مجتمعاتنا، والتي تخالف تقاليدنا وعاداتنا وما تقتضيه طبائعنا، وتطمئن إليه نفوسنا، وتستريح له ضمائرنا.

لذلك كان طبيعيا ومنطقيا أن يصيبنا ما أصاب غيرنا من الذين لا يتبعون منهجنا أو شريعتنا الإسلامية التي بلغت حد الكمال في التشريع والتطبيق لحاجة كل عصر ومتطلباته.



فلقد حث الإسلام على الترابط الأسري والاجتماعي، والتراحم بين أفراد الأسرة المسلمة، وأعانها على ذلك المولى عز وجل، حينما فرض صيام شهر رمضان من كل عام لتجتمع الأسرة الواحدة على طعام واحد خلال وقتين محددين من كل يوم، وبمشاركة كل الأسر المسلمة، فتتحقق الأخوة الإسلامية، ويظهر التكافل والتعايش، وتفتح أبواب الخير والمودة بينهم.

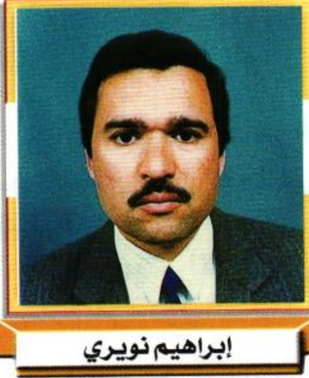
ولعل من بين الحكم الكثيرة لهذا الشهر اعتياد أفراد الأسرة اجتماعهم- ولو مرة واحدة يوميا- على الطعام طوال العام، ليس كما يحدث الآن لكثير من الأسر، فلا يرى أفرادها بعضهم إلا مصادفة، ولا يجتمعون أيضًا إلا مصادفة أخرى، وتمر بهم الأيام لا يعرف أحد منهم عن الآخر شيئا، مع انتشار سلوك جديد على مجتمعاتنا من طلب الوجبات الجاهزة بما يسمى (دلفري)، فيطلبها كل من أراد الطعام في وقته الخاص به، غير مبالٍ بظروف باقي أفراد الأسرة، فكان ذلك منٍ ضمن الأسباب القوية للتفكك والانعزال والتمزق النفسي لبعض الأسر، وأخيرا الهجوم الشرس للأمراض والأوبئة، فصدق الله العظيم القائل ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١).

لذلك يجب علينا أن نقف مع النفس وقفة حساب لنتخلص سريعًا من تلك السلوكات الغربية وعواقبها الوخيمة، حتى لا تنحرف فطرتنا عن المنهج الإلهي وحكمته، فلا نتخبط في الضلالات، ولا تتقاذفنا الأهواء فتغتال قيمنا ومبادئنا السامية، وتستأصل أخلاقيات وآداب أسرنا المسلمة، فيفتقد المسلمون العيش في كنف أسرة مترابطة متحابة، ويتسولون الحب والسعادة تسولا محرمًا خارج جدران بيوتهم، وهم مغيبون وغير مدركين لحكمة الخالق حين قال: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم:٢١)

ولنتعلم من تجارب الأمم السابقة والشعوب حولنا ولنعلم جيدًا، أنه علينا الثبات على شريعتنا وهويتنا حتى لا نتعرض لأزمات اجتماعية يطول علاجها، فنفقد توازننا أمام الأمواج العاتية المتلاحقة للعولمة وتبعاتها، بل حان الوقت لكي ننشر في العالم معالم الحياة الإسلامية، ونذيع ثقافتها في وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، مع التمسك بها دون تفريط أو غض الطرف عن أسسها السليمة المنجية من كل فساد أو أوبئة، والتي هي من النذر الإلهية لخلقه.

كما نتمنى من كل مسؤول كبير أو صغير أن يستشعر أنه مراقب من الله، فيتقيه في خلقه، ويراعي حقهم بكل أمانة وإخلاص، بمتابعة مستمرة مقرونة بعمل دءوب، وإشراف مباشر كل في موقعه، حتى يتم التعامل مع كل فساد أو وباء بفهم سوي، مع تعقب المتربصين والمفسدين المهددين لأمننا واقتصادنا متذكرين قول رسول الله ﷺ «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به».

الطفل وعلاقته الوطيدة بالصور المتحركة



إبراهيم نويري

مما لاريب فيه أن مجال إعلام الطفل، وحاجته إلى الصور المتحركة مجال لا تخفى خطورته على المربين والمراقبين- التعليميين والإعلاميين- وأصحاب المسؤولية والرأي والتوجيه، لصلته المباشرة بتشكيل عقلية الطفل ووجدانه، ومن ثم التأثير في سلوكه وتصرفاته، في نطاق أسرته ومحيطه الاجتماعي والتربوي، ويتضاعف الخطر إذا وضعنا في الحسبان عامل «المستقبل» أي أن الطفل سيكون في المستقبل مسؤولا في الوطن، وصاحب قرار وشأن.

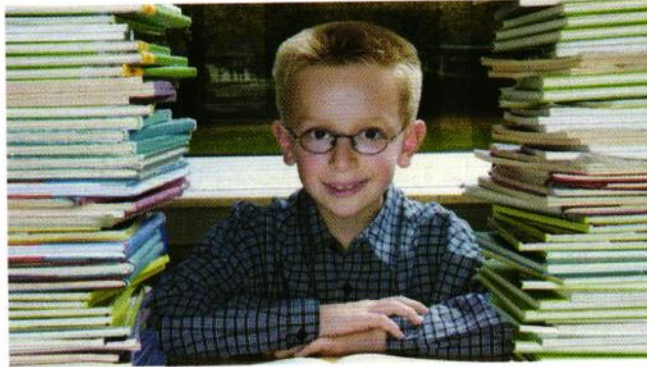
فإذا ما وقفنا على هذه الحقيقة الحساسة الساطعة، فلابد أن تنبثق من الأعماق فريضة التفكير بجد في وضع بديل «مضموني» في هذا المجال، يحل محل أفلام الرسوم المتحركة الغربية تأمينا لأطفالنا - عدّة المستقبل - من الغزو الثقافي الحضاري، والاستلاب الإعلامي والفكري الغربي.

وليس هناك من سبيل لتحقيق هذا الهدف إلاّ ربط الطفل برموز حضارته العربية والإسلامية، وبمضامين القيم في نطاق هذه المنظومة المعرفية والحضارية الإسلامية.. بل بنماذج معينة من هذه المنظومة، حتى يشبّ الطفل في مجتمعاتنا الإسلامية مرتبطا بأرومته الأولى وببني جلدته وأرضه، متمتعا بشخصيته القومية وهُويّته الحضارية.

وفي هذا الصدد يقول المفكر الإسلامي د.رشدي فكار. رحمه الله تعالى: «وأرى أن قضية الطفل حتى عمر الثانية عشرة، ينبغي أن تكون هي تحقيق انتمائه، وأتمنى أن يُمنع منعا باتا إعطاء أطفال هذه الأمة حتى تلك السن، أي انتماء أو نموذج أو قدوة، عدا انتمائه الحضاري كما تفعل ذلك الأمم الأخرى، والدول التي تواجهنا الآن في حلبة الصراع الحضاري».

ثم يضيف قائلاً: «كما أنه ليس من الحكمة أبدا أن نحدّث أطفالنا قبل هذه السن عن سقراط وجان جاك روسو وشكسبير وغوته وسارتر وغاريبالدي ونابليون وغيرهم من رجالات الفكر الغربي والسياسيين الغربيين... فهذا لا يكون إلاّ بعد أن تنضج كل مدارك الطفل، وتصبح المرجعية الإحالية، أو القيم المرجعية لديه واضحة وثابتة تماما، وبعد أن يفهم قيم رجالاتنا الذين رسّخوا دعائم الإسلام وصنعوا حضارته الباذخة».

وليس هناك من شك في أن مفكرينا، ورجالات التربية والتوجيه والقادة في العالم العربي والإسلامي يدركون أهمية هذه الرؤية كل الإدراك، بل إن أكثر هؤلاء يعمل جاهدا بإخلاص وتفان من أجل توفير الحصانة الفكرية والتربوية لأطفالنا، وإتاحة المناخ الملائم لبناء شخصياتهم الحضارية المتميزة، وسمتهم الفكري والسلوكي المتفرد.



بيد أن الأمر الذي نطمح له جميعا يتمثل في إعداد البدائل المتكاملة، ذات المستوى العلمي والمنهجي العالي والمدروس، في مجالات إعلام الأطفال، وتربية الأطفال، وأدب الأطفال وقراءات الأطفال...الخ.

ولعل نظرة فاحصة في أفلام الرسوم المتحركة المتوافرة لأطفالنا على الصعيد العربي تجعلنا ندرك للوهلة الأولى حقيقة ذلك التقصير في إطار تقديم ذلك الفن، فمن المؤسف أننا لا نزال نعتمد على استيراد الأفلام الكرتونية المقدمة لأطفالنا الواردة إلينا من الدول الغربية. ومن الطبيعي أن تكون هذه الأفلام غربية الهويّة مختلفة الطابع.. بمعنى أنها قد تجسد تلك الجوانب الاجتماعية والأخلاقية لمجتمعات دخيلة على حياتنا وأنساقنا. لذا وجب التعويل من جانبنا على تلك الأفلام النابعة من واقع البيئة العربية الأصيلة.

أما الكتاب والأدباء فينبغي أن يواصلوا أداء واجبهم الشرعي المتمثل في تنبيه المسؤولين وأصحاب القرار، إلى أهمية الميدان الإعلامي ومدى انعكاسات مضامينه على الطفل وسلوكه وفكره، كما ينبغي عليهم أيضا أن يفعّلوا إسهاماتهم في الكتابة للطفل المسلم في شتى المجالات، وتقديم البدائل المناسبة لمنازعه الفطرية، وتوجهاته الحضارية والمعرفية.

وبعد.. فهل ستكون هذه الصرخة ذات صدى مثمر طيّب؟ فقد تعلّمنا من توجيهات الإسلام وتعاليمه الراشدة، أن الكلمة الطيبة لابد أن تينع وتثمر ولو بعد حين، وهل ستكون هذه الكلمة الوجيزة حافزا يجعل المخلصين الواعين من هذه الأمة- وما أكثرهم- يسارعون لإقامة مؤسسات متخصصة في «حضانة» و«حصانة» الطفل المسلم، وإعداد البدائل المنهجية في كل المجالات والميادين، لبنائه بناءً علميا حضاريا، يؤهله لتحديد صورة المستقبل، المنسجم والمتناغم مع مطالب وطنه ومصالح أمته، وخصوصيات شخصيته القومية والحضارية؟ نأمل ذلك، ونصر على الأمل دوما، والله الموفق إلى النفع والخير.





الهدية اليومية



سليمان الرومي

إن أول سورة نزلت من القرآن على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم كانت سورة العلق، وأول كلمة في أول آية منها «اقرأ»، لذا فإن القراءة في الإسلام ضرورة حياتية.

وكان الجيش الإسلامي إذا فتح مدينة تحوَّل الجميع فيه إلى معلمين، وبالتالي محا الإسلام أمية دول العالم في وقت كانت فيه غارقة في الجهل.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يبشر كل من طلب القراءة واتجه إليها «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (سنن الترمذي)، أي إن عمله في تحصيل العلم والثقافة كالمجاهد في سبيل الله.

وللقراءة أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فهي للفرد النافذة التي يطل منها على الفكر الإنساني بمختلف تطلعاته، وهي أداة للثقافات المعاصرة والغابرة، لتعبر به آفاق الوجود الإنساني في ماضيه الحافل بالعبر، وحاضره المليء بالتغير في مجالات الحياة المختلفة، لتعطيه القدرة على التنبؤ بالمستقبل أملا وإشراقا وتطلعا إلى الأفضل.

والقراءة بالنسبة للمجتمع عامل مهم من عوامل التواصل الثقافي الذي يربطه المجتمع، والمجتمع ليؤدي هذا الدور الايجابي في حاجة إلى إنسان يدرك مفاهيم العصر، ويعرف ما عليه من حقوق وما له من واجبات، فالقراءة مهمة جدا في بناء شخصية الإنسان عن طريق تثقيف العقل، واكتساب المعرفة، وتهذيب العواطف والانفعالات.

فمجرد قولنا إننا نحب القراءة ونقدرها لا يجعل ذلك حقيقة، بل يجب أن نثبت ذلك بشكل عملي، فشراؤنا للكتب، وذهابنا إلى المكتبة العامة، وتخصيص وقت للقراءة والتحدث عن الكتب التي نحبها ونستمتع بقراءتها، وإشراك الأطفال في مناقشات حول الكتب، وممارسة بعض النشاطات المتعلقة بالكتب، وغيرها من الممارسات والأعمال، وسائل عملية تثبت لأطفالنا أننا نحب القراءة.

لماذا القراءة لأطفالنا؟

- القراءة لأطفالنا تمنحنا جميعا خبرة مشتركة فيها الكثير من المتعة والسعادة.
- القراءة لأطفالنا تجربة ينمو من خلالها الطفل بفرح وسعادة.
- القراءة لأطفالنا تزيد من حماسهم وحبهم للكتاب المدرسي والقراءة المستقلة.
- القراءة لأطفالنا تمنحهم القدرة على تنمية مهارات القراءة المستقلة.

ماذا نقرأ للأطفال؟

- كل ما يتوافر بين أيدينا من كتب أو قصص أو مجلات مختارة ومناسبة.
- الأناشيد وبعض الأشعار التي نجدها قريبة من مشاعر الأطفال وأفكارهم.
- لمرحلة الطفولة المبكرة، علينا اختيار القصص المصورة المصحوبة برسوم بسيطة واضحة وملونة بألوان مفرحة وجميلة.

مع مراعاة التنويع في القصص والكتب التي نقرأها لأطفالنا، بالإضافة إلى أهمية العودة إلى القصص القديمة، وإحضار قصص وكتب جديدة بين آونة وأخرى، وزيارة معارض الكتب واختيار الكتب المناسبة.

الرياضة والقراءة

- إن الطفل الرياضي يميل أكثر من غيره إلى الابتعاد عن القراءة، لذا علينا أن نفكر فيما يمكن فعله لتحبيب الطفل الرياضي في القراءة، فمثلا يمكننا أن نتبرع باشتراك في مجلة أو مجموعة كتب لفريق الطفل، حتى يجد شيئا يقرأه أثناء انتظاره اللعب، وكذلك نطلب من القائمين على الفريق تشجيع أعضاء الفريق على القراءة، ونوفر كتبا ومجلات عن الرياضة التي يمارسها الطفل، والفريق الذي يشجعه.

وفي الختام نقول: لنعمل معا على تنمية حب الكتاب والقراءة عند أطفالنا، لتكون نشاطا يجمع بين المتعة والفائدة.



همساتي

فجر الكوس

همسة:
افعلي الخير ولا تنتظري الشكر من البشر، بل انتظريه من الله الشاكر والشكور الذي يقبل العمل اليسير ويجزي عليه الثواب العظيم.

همسة:
لا تصحبي الفتاة العاقة والديها، فإن من كانت مع والديها جاحدة ستكون مع غيرهما جاحدة.

همسة:
راقبي تحركات قلبك كي تمسكي زمام ذاتك وتقوديها نحو ما يرضي الله عز وجل.

همسة:
توكلك على الله يثمر
عدم خوفك من المجهول.

همسة:
قولي لي ما همك؟
أقل لك من أنت!

همسة:
لا شيء يرفع الوضيع ويكرم الفقير ويرجح عقل الجاهل مثل صحبة كتاب الله عز وجل.

همسة:
كلما انشغلت بالأمور النافعة عادت عليك بالنفع في دينك ودنياك.

همسة:
استحقار الإنسان لغيره دليل قاطع على عجبه الشديد بنفسه.

همسة:
الغضب سيد الأخلاق الرذيلة فاحذري منه.

همسة:
من استكثر من العلم فقد استكثر من الأدب.

همسة:
تواضعك مع البشر هو السبيل لنيل الرفعة.

هجمة أهل النفاق على الإسلام

د. ربيع خليفة

لا تزال حلقات الكيد بالمسلمين تتتابع، ومكر المتربصين يتسارع، وقوى الحق والباطل تتصارع ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان:٣١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٢).



وتأتي على الأمة الفواجع والزوابع لتظهر دخيلة أهل النفاق والشقاق وسوء طويَّتهم، وتكشف رداء المدراة، وتمزق ثوب المراوغة، وصدق الله القائل ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ. وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٢٩-٣٠).

ويأتي الهجوم المعلن، والعداء المبطن على الإسلام وعلمائه وأهله وأسسه وثوابته ومناهجه وبلاده من ذوي الفكر المقبوح والتوجه المفضوح، ليؤكد بجلاء أن من بين صفوف الأمة أدعياء أخفياء، كاذبون في الولاء والانتماء، سلكوا مسالك عدائية، وطرحوا في تضاعيف الصحف أفكارا علمانية لا دينية، شمَخَ كلُّ واحد منهم بأنف من الجهل طويل، واحتسى من قيح الخُبث وقبيح الأباطيل، ونطق بالزور وافترى الأقاويل.

أفكار ضالة مضللة

قومٌ بُهت، دنَّسوا وجه ما كتبوا عليه من قرطاس، ولطخوه بعقائد الشك والجحود والوسواس، مقالات شوهاء، وكلمات عرجاء وحماقات خرقاء، تبت يدا من خطها وتب، ما أقبح فعله وما كسب، ألسنة شأنُها الإفك والخطل، وقلوب أفسدها سوء العمل، يريدونها فتنة عمياء، ويبغونها حياة عوجاء، نقد بلا علم، وحوار بلا حلم، ومعالجة بلا فهم، غث فارغ واستخفاف ماكر، أسافل قد علت، لم تعلُ من كرم، وأقزام تطاولت، وأقلام مأجورة تهافتت على الزور وتعاهدت، فكان حقًّا على كل مسلم أن يكشف ضلالهم، ويدفع باطلهم.

شرازم قاصرون، وشذاذ أفّاكون، جاءوا ببضاعة غريبة اسمها العلمانية، وحقيقتها اللادينية، وهدفها إزاحة الإسلام عن الحياة بالكلية، يدعون أمتهم إلى مذاهب الغرب في الحكم والإدارة، وسلوك مسالكهم في الوضع والتشريع، يعشقون حياة الفجور والفسوق والانحراف، ويبغضون حياة الطهر والعفاف.

ماذا يريدون من المرأة؟

يهاجمون الحجاب والجلباب، ويطالبون بالسفور والاختلاط، وينادون بمساواة الرجل بالمرأة وعمل المرأة وحرية المرأة، فأي مساواة يريدون؟! وأي عمل يقصدون؟ وأي حرية ينشدون؟ أهي المساواة التي تتوافق مع الفطرة وتتناسق مع طبيعة المرأة؟ أم هي مساواة الشذاذ؟

إن المساواة عندهم هي أن تكون المرأة سلعة في يد عباد المادة والمال، مستعبدة في يد الرجل، يستمتع بها ويستذلها ويدنسها ويهين كرامتها وينتهك عرضها وشرفها، ثم يلفظها لفظ النواة، المرأة عندهم عارضة في دور الأزياء، راقصة في دور البغاء، غانية في دور الدعارة والتمثيل، ندٌّ للرجل ومماثلة له ومتصارعة معه ومزاحمة له.. هذه هي المساواة عندهم، ثم هم يريدون أن تكون بيوت المسلمين خربة.

أما المساواة في الإسلام فأرع سمعَك لقول الله عز وجل ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة:٢٢٨)، ولقوله ﷺ «إنما النساء شقائق الرجال» (أخرجه أحمد والترمذي)، فالمرأة شقيقة الرجل، تكمّله ويكمّلها، هو رجلٌ برجولته وقوامته، وهي امرأة بأنوثتها وعفتها.

المرأة عندهم بغيٌّ من البغايا وأمة من الإماء، والمرأة عندنا أمٌّ رؤوم وزوجٌ حنون وأختٌ كريمة، طهرٌ وحشمة وعفاف، وحياء وشرف وإباء، مربِّية أجيال، وصانعة أبطال، وغارسة فضائل، ومرضعة مكارم، وبانية أمم وأمجاد.

هجمة على الولاء والبراء

وتمتدّ الهجمة الحاقدة من أهل العلمنة والنفاق لتُحارب عقيدة الولاء والبراء التي هي أوثق عُرى الإيمان، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

◆ أستاذ العقيدة في جامعة الأزهر

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «أيّ الإيمان أوثق؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله» (أخرجه الطبراني وله شواهد يقوى بها).

فلماذا يحاربون الولاء والبراء؟ ولمن يريدون أن يكون الولاء والبراء؟ نوالي من؟ ونعادي من؟ نحبُّ مَن؟ ونبغضُ من؟ إنهم يحاربون الولاء والبراء ليوقعونا في ولاء وبراء آخر، ولاءٌ لمن يحبون، وبراء ممن يكرهون، فلا ولاء حينئذ لمن يحبُّ الله ورسوله، ولا براء ممن يبغضه الله ورسوله، يريدون أن نبرأ من عقيدتنا وأخلاقنا وقيَمنا وتاريخنا وأمجادنا؛ لنوالي عقيدة الكفر والجحود وأخلاقها وقيمها وحياتها.

يلمزون العلماء والصلحاء، ويسخرون ويستهزئون، ويحاربون أهل الحسبة ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلفقون التهمَ ضدَّهم، ويضخِّمون أخطاءهم، وينتهكون أعراضهم، ويكتمون إنجازاتهم، ويسكتون عن حسناتهم، سلمت من ألسنتهم وأقلامهم القنواتُ الفضائية الخليعة والمجلات الهابطة ودور الأفلام والغناء مع أن عدد ضحاياها لا يحصى، وعدد قتلاها لا يستقصى، ولم تسلم منهم كتبُ التوحيد والعقيدة والمواد الشرعيّة، فطالبوا بتقليصها وتقليل نصابها، مع أنه لا يوجد على وجه الأرض مناهج ترعى الحقوق وتحقق الأمن والعدل كما تراه جليًا في مناهجنا المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

المنهزمون في أنفسهم

تخبُّطٌ ظاهر وظلمٌ جائر، وانتكاسة جليّة وحرب عقديّة، يدعون إلى التسامح وهم يسلكون مسالك عدائية، ويطرحون أفكارا تبعث على الإثارة والشحناء، ويكتمون الرأي الآخر ويعادونه ويصادرونه، ويدعون إلى الوسطية بأبشع ما ترى من تطرف وغلو وشذوذ وانحراف وشطط، ينظرون إلى أمتهم بازدراء، وإلى تاريخها باحتقار، وإلى قيمها وأخلاقها بإهانة واستصغار، وذلك يحكي واقعَ الذلّ والخنوع والانصهار والذوبان الذي يعيشونه مع الغرب، ويريدون أن تعيشه الأمّة مثلهم، يدَّعون الصدق والإصلاح والتجديد، ويرمون غيرهم بالرجعية والتعصب والجمود والتطرف والإرهاب ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾ (الكهف:٥)، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة:١٠٧)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١١-١٢).

أصولهم الخبيثة

لقد زُرعت هذه النّبتة الخبيثة والشّجرة الملعونة في بلاد الإسلام، وامتدّت أغصانها، فماذا كانت النتيجة؟ سوءٌ في الاقتصاد، وتخلّف في التكنولوجيا، وفسادٌ في الإدارة، وانحرافٌ في الإعلام والأجيال، وهزائم متتابعة في ميادين شتى.

من رام هدى في غير الإسلام ضلّ ومن رام إصلاحًا بغير الإسلام زلّ ومن رام عزًا في غير الإسلام ذلّ ومن أراد أمنًا بدون التوحيد ضاع أمنه واختل

هؤلاء هم العلمانيون، وهذه نتائجهم، وتلك ثمارهم، قومٌ مارقون، من جادَل عنهم فقد جادل عن الباطل، ومن أعانهم فقد أعان على هدم الإسلام، فاحذروهم ولا تقعوا في شراكهم وشباكهم، ولا يصدّونكم عن دينكم بشبههم وزخرف قولهم، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: نعم، قلت: هل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير شر؟ قال: نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يارسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» (أخرجه البخاري).

إنّ كلَّ من شذ عن دين الله تعالى أو بغى فيه بعناد أو سعى فيه بفساد فهو الشانئ الأبتر والعدو الأصغر والأحقر، أمره إلى وبال وفكرُه إلى سفال، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨)، ومن سب الله أو سب رسوله ﷺ أو تنقصه أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين، أو استهزأ بالقرآن أو أسقط حرمته فلا يجهل أحدٌ حكم الله فيه، ولا يُرجى منه لأمته خيرٌ ولا صلاح ولا إصلاح.

صلاح الأمة باتباع الكتاب والسنة

إنَّ أيَّ مشروع للإصلاح لا ينبع من عقيدة الأمة وكتاب ربها وسنة نبيها محمد ﷺ وتوجيه أهل العلم والصلاح فيها هو إصلاح موهوم وتغيير مذموم وإفساد معلوم، يقول أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى «إن الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ كان من المفسدين في الأرض».

من رام هدى في غير الإسلام ضل، ومن رام إصلاحًا بغير الإسلام زلّ، ومن رام عزًا في غير الإسلام ذلّ، ومن أراد أمنًا بدون التوحيد ضاع أمنه واختل، «نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزّة في غيره أذلّنا الله».

لن يكون للباطل نماء ولا لأهل الزيغ بقاءٌ ما دُمنا للحق دعاة وللعالم هداة وللخير بناة، ومتى كنّا آمرين بالمعروف صدقًا، ناهين عن المنكر حقًا فإن الباطل إلى انحدار، وأهله إلى اندثار، والحق إلى ظهور وانتشار ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١).

إن أعداء الإسلام يريدون إبعاد الأمة عن قيمها ومعتقداتها، ولن ينبه الأمة إلا العلماء، فيجب التأكيد على دور العلماء في التصدي للهجمة الشرسة التي تتعرض لها الأمة الإسلامية.

الحرب النفسية في العهد النبوي

عبدالرحمن حمادي



كانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة انطلاقة لفن حربي إسلامي بقيادته ﷺ، فقد توالت المعارك والغزوات ضد أعداء الإسلام الذين صاروا يشكلون أكثر من جبهة، إذ ظهرت جبهات قريش واليهود والقبائل العربية المتناثرة في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وجبهة الروم.

ومنذ معركة بدر حتى فتح مكة، قاد الرسول ﷺ الجيش الإسلامي على هذه الجبهات كلها محققا للإسلام والمسلمين النصر تلو النصر، بحكمة ومقدرة قيادية مازالت- حتى اليوم- تقدم الدروس العسكرية القيمة.

من هذه الدروس الحرب النفسية التي كانت من أهم الحروب التي خطط لها ونفذها عليه الصلاة والسلام، بل كانت محور عمله العسكري ضد أعدائه، واستطاع من خلال توظيفه للحرب النفسية توظيفا ممتازا أن يحقق النصر في كثير من المواجهات العسكرية التي كانت فيها قوات العدو تبلغ أضعاف قوات المسلمين، كما في غزوة بدر، حيث كان جيش المسلمين يتألف من ٣١٤ مقاتلا فقط، بينما بلغت قوات قريش ١٠٠٠مقاتل، ولكن المسلمين كانوا تحت قيادة حكيمة واعية، وأحد جوانب وعيها توظيف الحرب النفسية توظيفا مثاليا.

إن الحرب النفسية- كما تعرفها العسكرية الحديثة- هي الأعمال التي يقوم بها الخصم ضد الآخر للتأثير فيه، بهدف شل إرادته وتفكيره وقواه المادية والمعنوية. وتعتبر في المناهج العسكرية الحديثة اختصاصا له علمه وفنونه، وتوظف له الإمكانات المادية والتقنية والبشرية، بيد أن الرسول ﷺ سبق هذه المناهج كلها، ورسخ منهجه الذي لخصه بعبارة «نصرت بالرعب»، ويمكن استنتاج بعض الأساليب النفسية التي طبقها الرسول ﷺ في الحرب كما يلي:

إيهام الخصم

وذلك من خلال وضعه أمام تصورات غير واقعية، وخاصة فيما يتعلق بالعتاد والقوات، وإبقائه في حيرة حول الحجم الحقيقي.

وقد نجح هذا الأسلوب نجاحا كبيرا، فكان كثير من الأعداء يفرون قبل أن يلتقي جيشهم مع جيش المسلمين، كما في غزوة بني سليم، ومنهم من كان يطلب الصلح، وأما من كان يقاتل فكان يقاتل مملوءا بالخوف والرعب، كما حدث لقبائل هوازن وثقيف في غزوة حنين.

وبشكل عام.. كان إيهام الخصم يحطمه قبل المعركة التصادمية، والأمثلة كثيرة، فقد خرب بنو النضير منازلهم بأيديهم من الرعب الذي أصابهم، وهرب بنو لحيان عندما تحرك الرسول ﷺ نحوهم بجيشه، وعندما وجه الرسول ﷺ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه على رأس سرية إلى بني سعد ولوا الأدبار قبل وصول السرية، وقال رئيسهم وهو يهرب: «سارت إلينا جموع محمد ولا طاقة لنا به»، وقد ذكر الواقدي أن سرية علي بن أبي طالب لبني سعد كانت مما يقدر بنو سعد على مواجهته، لكن وهمهم هزمهم، فتصوروها «سرايا» بدليل قول رئيسهم ووصفه للسرية بأنها «جموع».

وفي غزوة الحديبية ندب الرسول ﷺ الجيش، وأمر أن توقد النيران الكثيرة؛ ليعلم العدو أن جيش المسلمين قوي.

ومن الأمثلة أمر الرسول ﷺ بتجهيز سرية إلى قبائل غطفان، لكنه لم يأمر بتسييرها رغم تجهيزها، بل أرسل من اختلط بقبائل غطفان ليوهمهم بالقوات الكبيرة التي وجهها الرسول ﷺ إليهم، ثم أمر بتوجه السرية بقيادة بشير بن سعد الأنصاري، وما إن سمع بنو غطفان بذلك حتى فروا، يتقدمهم قائدهم عيينة بن حصن، وقد استوقفه في فراره الحارث بن عوف

* باحث سوري

المري، وكان حليفا له، فأجاب عيينة وهو يهرب: «الطلب.. خلفي أصحاب محمد»، قال الحارث: «تنحيت عن سنن خيل محمد حتى أراهم ولايروني؛ فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل ما أرى أحدا، وما طلبوا إلا الرعب الذي دخله»، والأمثلة كثيرة.

الاستخبارات العسكرية

من الأمثلة السابقة وغيرها نستنتج أن الرسول ﷺ أعطى أهمية كبرى للاستخبارات العسكرية، وتكليفها بمهمة شن الحرب النفسية على العدو، فكان يرسل الاستخبارات والعيون إلى العدو فتنشر بينه ما يفت في عضده، ويحطم معنوياته، كإرساله معبد الخزاعي إلى قريش قبل غزوة حمراء الأسد، فتكلم بكثرة عن جيش المسلمين، ووفرة عتاده العسكري، وإصراره على الثأر والانتقام، فأثر ذلك في نفوسهم وانسحبوا.

وفي غزوة الخندق أرسل نعيم بن مسعود؛ فصار ينشر بين الأحزاب ما جعلهم يتفرقون، ثم صار يتحدث بما جعل معنويات الجيش المعادي تنهار، وفي المقابل كان الرسول ﷺ يقوم بإبطال مخابرات العدو، وذلك بتوعية الجماهير، والقبض على الجواسيس، كما في غزوة بني سليم، عندما قبض على الراعي يسار، وفي غزوة خيبر قبض على جاسوس وحقق معه بنفسه.

التلويح بالقوة

وهو مظهر آخر من مظاهر الحرب النفسية، ويعتبر نوعا من القتال غير المباشر هدفه إحباط معنويات العدو، ومنعه

النصرة بالرعب.. منهج رسخه الرسول ﷺ لشل إرادة وتفكير وقوى العدو المادية والمعنوية



من كثير من أعماله العسكرية، وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في الحرب النفسية حيثما قدر أنه بحاجة إليه، وهو ما فعله مثلا في غزوات حمراء الأسد، والخندق، والفتح، إذ أمر بإيقاد النيران الكثيرة موحيا للأعداء بكثرة عدد جيش المسلمين، وفي فتح مكة كانت كل المؤشرات تدل على أن قريشا قد تهيأت لمواجهة جيش المسلمين، والقيام بأعمال مقاومة بعد دخوله مكة، مما يعني إراقة دماء من الطرفين، فقام عليه الصلاة والسلام باستعراض كثرة قواته، ووفرة سلاحه أمام قائد جيشهم، وتوشح بالسيوف مع أصحابه، وطاف بالبيت وهو على راحلته، وأمر الجيش أن يصنع مثله ليظهر قوة الجيش، وأمره بالدخول إلى مكة من جهاتها الأربعة بعد أن وزع المهام القتالية على التشكيلات؛ مما أدخل في نفوس أهل مكة أنهم غير قادرين على الوقوف أمام هذا الجيش الكبير، أو مقاومته بأي شكل.

توقيت المطاردة

في كثير من المعارك التي خاضها الرسول ﷺ وانتصر فيها كان يترك العدو يهرب كيفما بدت له سبل الهرب، مع أن جيش المسلمين كان قادرا على مطاردة العدو وأسر أو قتل أفراده الهاربين، بينما في معارك أخرى سمح بالمطاردة، وبدراسة تسلسل المعارك والغزوات التي قادها نجد أنه في معظم المعارك الأولى منع المطاردة، مع أن المقاتلين المسلمين كانوا يستطيعون تحقيق نتائج مضمونة من جهة أسر الهاربين أو القضاء عليهم.

ومرة أخرى تتبدى روعة القيادة العسكرية للرسول ﷺ وتوظيفه المتكامل للحرب النفسية، فبعد إلحاق الهزيمة بجيش العدو كان يترك فلوله تلوذ بالفرار على كل الجهات، وهذه الفلول كانت أداة إعلامية قوية لصالح جيش المسلمين؛ فقد كان أفراد هذه الفلول يصلون منهوكي القوى للقبائل، فتخبر حالتهم عن قوة جيش الرسول ﷺ ويتحدثون هم عما لاقوه على يد جيش المسلمين، وبذلك ينشرون الرعب بين القبائل.

ونذكر- كمثال أيضا- غزوة السويق، إذ لم يسمح الرسول ﷺ بمطاردة جيش أبي سفيان، تاركا إياه يصل إلى قريش في مكة، وبعد أن انتصر الرسول ﷺ على بني محارب وبني ثعلبة لم يقم بمطاردة فلولهم؛ بل ترك هذه الفلول تصل إلى قبائل غطفان حيث شكل منظر أفراد هذه الفلول أداة نفسية حطمت معنويات غطفان.

وبعد.. فقد أعطى الرسول ﷺ للإدارة العسكرية مفهومها، وجعل منها علما مبتكرا، وفي هذا العلم استخدم الحرب النفسية، واعتبرها من أهم أساليب الحرب وتحقيق النصر، مما أتاح له النصر في معاركه الحاسمة بتوفيق الله عز وجل، فكان كما يقول مايكل هارت في كتابه «المائة الأوائل»: «الرجل الوحيد في التاريخ كله، الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي».

المصادر

١- العميد الركن محمد ضاهر وتر، فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول، دار الفكر دمشق ١٩٨٥م.

٢- تاريخ الطبري، تحقيق محمد العافي ويوسف مهمندار، دار التراث بيروت ١٩٨٠م.

٣- أبو حنيفة، كتاب المغازي، مخطوط قيد التحقيق في معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب.

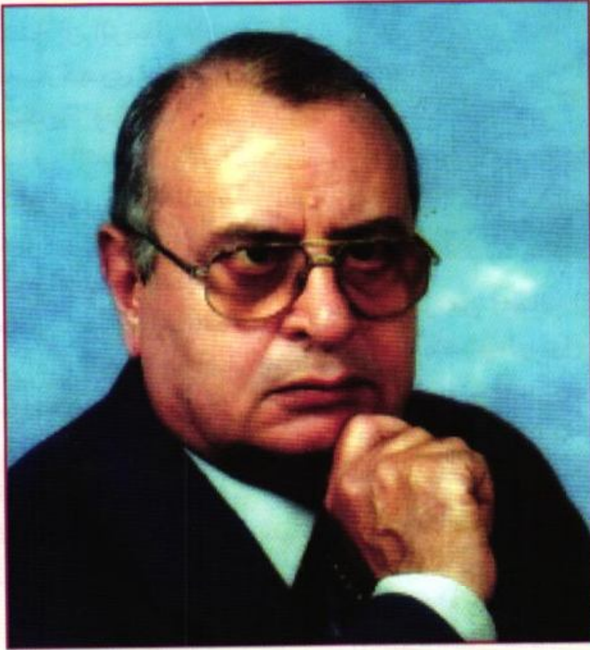
حوار

د. محمد الجليند مدير مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في جامعة القاهرة لـ «الوعي الإسلامي»:

الأصولية الإسلامية تنشد الحكمة والصواب من القديم والجديد..

صابر رمضان

الدكتور محمد السيد الجليند رئيس قسم الفلسفة في كلية دار العلوم واحدٌ من أبرز المفكرين في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر وعضو الجمعية الفلسفية المصرية، كرس حياته لمصارعة القوى المعادية للإسلام من الداخل والخارج من خلال لقاءاته وسفرياته وحضوره المؤتمرات التي تناقش قضايا الأمة الإسلامية، ورأى أن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية مؤلم ومحزن، ذلك أن الآخر قد حدد موقفه من الأمة الإسلامية وانكشف للعالم ما كان مستوراً، موضحاً أن كثيراً من المنتسبين إلى العمل الإسلامي قد أساءوا إلى الإسلام أكثر مما أحسنوا، وإن الحرية مرتبطة بالمسؤولية في الإسلام.. ولأن البكاء على الماضي لا فائدة منه، فالمطلوب اليوم من دول ومنظمات العالم الإسلامي أن تقدر حجم المأساة التي يعيشها العالم الإسلامي، وتسعى للخروج من كبوتها حتى تعود كما كانت قوية شامخة، وتوجه بنداء للعقل الغربي لكي يسمح للآخر بأن يتمتع بالحقوق التي ينادي بها لنفسه، من الحرية والديموقراطية والاستقلال فكرياً وسياسيا واقتصادياً.. «الوعي الإسلامي» التقت المفكر الإسلامي بمنزله في القاهرة.. واليكم نص الحوار:



■ **بداية.. كيف ترى واقع الأمة الإسلامية في الوقت الراهن؟**

-لاشك أن واقع الأمة الإسلامية يمثل نوعاً من التردي والهبوط الذي لم تشهده من قبل، فهو واقع مؤلم ومحزن في الوقت نفسه، ولعل الأسباب التي أدت لهذا الواقع تمتد جذورها في عمق التاريخ إلى ما يقرب من ثلاثة قرون، وأخذت هذه الأسباب تعمل عملها أحياناً فوق سطح التاريخ، وأحياناً بأسلوب تحتي، إلى أن وصل حال الأمة إلى ما هي عليه الآن من ترد وتخلف على مستوى الواقع الاجتماعي والعملي والسياسي، ومن أهم الأسباب التاريخية التي عطلت مسيرة الأمة في القرنين الأخيرين موقف الغرب الاستعماري من المنطقة، ذلك الاستعمار العسكري الذي ترتب عليه نهب الثروات واحتلال الأرض واستعمار العقل، وإذا كان هذا يمثل جناحاً للاستعمار فإن الجناح الثاني الأشد خطورة هو زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي ليكون بؤرة لعدم الاستقرار، ويضاف إلى ذلك ما قام به الاستعمار من تغيير في الخريطة الثقافية والتعليمية لكثير من بلاد المنطقة، حيث تغيرت فيها الأولويات وبذرت جذور الصراعات الأيديولوجية بين مثقفي العالم العربي، ونشأ صراع داخلي بين التوجهات الثقافية المختلفة، استنفد عقول الأمة وجهد أبنائها وأعمارهم مما شغلهم عن القضايا الكبرى للأمة، فأتاح ذلك للاستعمار أن يثبت أركانه ويزرع في المنطقة كثيراً من أصحاب العقول والأقلام التي تبنت كثيراً من قضايا الاستعمار، وجعلوا من أنفسهم سماسرة أو وكلاء للترويج لهذا الفكر الاستعماري في عالمنا العربي، ولكن ذلك كله ينبغي ألا يزرع فينا روح اليأس، لأن الأمة قد مرت بما هو أقسى من ذلك، وسرعان ما نفضت الغبار عن وجهها.

■ **بعد اتهام الدين الإسلامي بأنه ليس حضاريا.. ما ردكم على هذا الاتهام؟**

- إن هذه الفرية ليست جديدة على المشتغلين بالثقافة الإسلامية، فكثيراً ما رددها المستشرقون منذ القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلاديين، بل إن ظاهرة الاستشراق جعلت من هذا الاتهام عنصراً أساسياً للهجوم على الإسلام كشريعة

وعقيدة، وهذا الاتهام يحمل في طياته أمرين يدلان على ظاهرة التعصب والبعد عن الموضوعية في موقف المستشرقين من الإسلام، أما الأمر الأول فهو جهل المستشرقين بحقيقة الإسلام وخصائص حضارته، والعنصر الإنساني الأخلاقي الذي يغلف مفردات هذه الحضارة، والذي يتمثل في هذا التراث الهائل الذي خلفته في شكل مؤلفات مكتوبة أو معمار وفن، ويكفي للتدليل على حضارة هذا الدين وأهمية العنصر الإنساني فيه، ما تشاهده في شوارع المدن الإسلامية من انتشار ظاهرة «الأسبلة» التي كان ينظمها أبناء هذه الحضارة حكاماً كانوا أو محكومين ليشرب منها أبناء السبيل والمارة.. هذه الظاهرة الفريدة في التاريخ الإنساني تعتبر أكبر شاهد على تحضر هذا الدين، أضف إلى ذلك أنواع الوقف التي تميز بها أبناء هذا الدين، من وقف الأموال والعقارات على الفقراء وكبار السن والأرامل وحتى على الكلاب الضالة، هذه ظواهر حضارية لا نجد لها نظيراً في أي حضارة أخرى، أما الأمر الثاني فهو أن جماعة من أصحاب الأقلام في عالمنا العربي تبنوا هذا الاتهام دون علم بمصدره، ومن دون قراءة منهم لواقع هذه الحضارة الإسلامية، ويقيني أن هؤلاء وأولئك لو التزموا بالمنهج العلمي، وفرقوا بين الإسلام كدين (عقيدة وشريعة) وسلوك بعض المسلمين، لأراحوا واستراحوا، حتى لا يجعلوا من واقع المسلمين المعاصر حكماً على الإسلام كمبادئ، ومن المعلوم أن الخطأ في التطبيق لا يعني خطأ المبدأ في ذاته.



ظاهرة «الأسبلة» أكبر شاهد على تحضر هذا الدين في التاريخ الإنساني

■ **هموم الأمة الإسلامية متأججة، وتداعى عليها العلمانيون، فهل من سبيل للخروج من كبوتها؟**

-لاشك أن انتشار الفكر العلماني قد أثر إلى حد كبير في مسيرة الحركة الثقافية في العالم العربي، وقد ساعد في ذلك ان الفكر العلماني دخل إلى المنطقة متزامناً مع سقوط الخلافة الإسلامية ومع سطوة الاستعمار الإنجليزي على مصر وسائر البلاد العربية، فكان للاستعمار دوره الكبير في تغذية الفكر العلماني، ومهَّد لأصحابه الطريق لكي يتبوأوا أماكن قيادية في الوزارات التي تعنى بصياغة العقلية وتربية الوجدان وتوجيه الولاء، ولكن كانت الجبهة الإسلامية تقف أمام هذه المؤسسات وترد أباطيلها، وكان يناصرها في ذلك الشارع العربي، ولعل مؤسسات الإمام محمد عبده ورشيد رضا وجمال الدين الأفغاني قد أبلت في ذلك بلاء حسناً، ولاشك ان هذا قد أحدث شرخاً بين المثقفين في القرن العشرين، فبدلاً من أن يتوجهوا لمحاربة المستعمر صرفوا جهودهم في الصراع الداخلي ونشب كثير من المعارك بين أصحاب هذه الاتجاهات، ولعل القرن العشرين قد شهد كثيراً من هذه المعارك بين محمد عبده ومدرسته وبين نصارى الشام.

■ **هل تعتقد أن الإسلام سيواجه أعداءً جدداً في المرحلة المقبلة؟**

- إن تاريخ الإسلام عبارة عن سلسلة من المواجهات بينه وبين أعدائه، وهذه إحدى سنن الله في كونه، لأنه يجسد قصة الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر، حتى في داخل البلد الإسلامي نفسه ستجد أن ورثة الأنبياء وحملة العلم في كل عصر يتعرضون لكثير من الأذى والابتلاءات من دعاة الباطل ومن طواغيت كل عصر، ولعل القرآن الكريم قد أشار إلى قصة هذا الصراع في أكثر من آية، قال تعالى ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت:٢) وقال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ (آل عمران- ١٨٦).

■ **«الأصولية» مصطلح يلوح به العلمانيون في وجه المتمسكين بالدين.. ترى هل له أصل في ديننا؟**

- الأصولية مصطلح وافد إلينا ضمن المصطلحات الجديدة (علمانية، حداثة، ليبرالية، أصولية) وكان أول ظهورها في الغرب، وكانت تطلق على جماعة من المحافظين الذين يتمسكون بحرفية النصوص ضد الحداثة وتوابعها، وهي ترفض كل جديد لمجرد أنه جديد، وتتمسك بكل قديم لمجرد أنه قديم، وترفض الآخر وتنكفئ على الذات، وتتعصب لرأيها، والأصولية بهذا المفهوم لا أصل لها في الإسلام ولا مكان لها في الفكر الإسلامي، وقد حاول البعض أن ينقل هذا المصطلح- وهو محمل بهذه المفاهيم المرفوضة- وينسبه إلى الإسلام من قبيل التشنيع والتنفير والتخويف منه، والأصولية الإسلامية بريئة تماماً من هذه المفاهيم، رافضة تماماً لها، فالأصولية الإسلامية معناها التمسك بالأصول الإسلامية من الكتاب والسنة، وهي بهذا المعنى لا ترفض الآخر بل تفتح له ذراعيها وقلبها، وهي بهذا المعنى لا ترفض الجديد لأنه جديد، بل تقبل كل نافع ومفيد من كل جديد، وهي بهذا المعنى لا تتمسك بالقديم لأنه قديم، بل تقبل النافع والمفيد منه وتتمسك به وتدعو إليه، ولذلك فهي على النقيض من الأصولية التي ظهرت في الغرب، فالأصولية الإسلامية تنشد الحكمة والصواب من القديم والجديد.

اصطفاء المكان والزمان والإنسان.. ماذا يعني للمسلم؟

د.نبيل فولي

روى الإمام البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال «كان الله ولم يكن شيء غيره...»، فلقد تفرد الخالق سبحانه دون الموجودات كلها بالكمال والاستغناء من كل وجه، ولا يخلو أحد سواه من وجه من وجوه الحاجة والنقص أو أكثر، وهذا يعني أن كل ما سوى الله تعالى يقف دون مقام الكمال الذاتي، إذ لا يمكنه أن يبلغه أصلا، سواء تكلمنا عن العرش والكرسي والملائكة والنبيين، أو تكلمنا عن أدنى المخلوقات، أما الكمال النسبي فهو منحة يمنحها الله تعالى بعض خلقه، فإذا كانت الأماكن كلها، أرضيُّها وسماويُّها، متساوية في كونها مخلوقة لله تعالى، وإذا كانت الأزمنة حاضرها وماضيها ومستقبلها كذلك، وإذا كان الناس وبقية الخلق على هذه الشاكلة، فإن الله تعالى شاء أن يمنح بعض البقاع فضيلة تتقدم بها على سواها من البقاع، وبعض الأزمنة منزلة تفوق بها غيرها من الدهور، وبعض الناس درجة يرتفعون بها على أبناء نوعهم، وهكذا.

وليس هذا الذي سبق إلا محض فضل يمتن به الواحد- جل وعلا- من بحر جوده على بعض مخلوقاته كيف يشاء وكما يشاء، يقول تعالى﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٣)، ويضاف إلى هذا فضل عام مشاع في الخلق يعطيه الله جميع خلقه، كإيجاده لهم، وضمانه رزقهم، وإن تفاضلوا في شيء من ذلك كان التفاوت بينهم فيه من باب الابتلاء والاختبار، فيُمتحَن المحروم بالحرمان وذو النعمة بالنعمة، بل ويُمتَحن ذو النعمة بحرمان غيره منها، والمحروم من النعمة بوجودها في يد أخيه وجاره، قال الله تعالى﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

ومن الخلق من جمع الله له هذا الفضل العام، لكنه زاده على أقرانه وأبناء نوعه أو جنسه فضلا آخر خاصا لا يكون إلا في طائفة صغيرة من الخلق، تبقى عطايا الله لهم علامة على رحمته سبحانه، لأن الفضل الخاص الذي يعطاه بعض الخلق يُفتَح به مجال الانتفاع لكل مخلوق مكلف، فالخصوصية هنا في حيازة العطاء، لكن الانتفاع به عام، كما سنرى.

ولعل من المهم للمسلم- وفقا لهذه المعاني جملة- أن ينظر في ألوان الاصطفاء الإلهي لبعض الخلق نظرة من يستلهم منها معاني تدفعه إلى العمل، وتفتح أمامه آفاقا واسعة لتطبيق الإسلام ومبادئه الخالدة في دنيا الناس، وتهز أركان السكون والصمت والتواني عن الالتزام العملي بالدين الحنيف، وهي أكبر أزمة يعاني منها واقعنا الإسلامي المعاصر في كل مستوياته.

الصمت والتواني عن الالتزام بالدين أكبر أزمة يعاني منها واقعنا الإسلامي المعاصر

فماذا يمكننا أن نستلهم من معاني العمل خلال النظر في اصطفاء الله تعالى لبعض المكان وبعض الزمان وبعض الكائنات؟

اصطفاء المكان

من البديهي أن ندرك أن اصطفاء مخلوق ما وفقا للمعنى الإسلامي لا يعني أن الله تعالى رضي عنه وسخط على غيره، فإذا كان الله تعالى قد فضل المدن الثلاث (مكة والمدينة والقدس) ومساجدها الثلاثة (المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى)، وباركها وأشهدها أعظم مشاهد الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده، فقد بقي لغيرها من البقاع فضل عام، إلا أن تقوم بها صفة مؤقتة تحول دون ذلك، وهذا ما نفهمه من قول النبي، ﷺ «وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل» (رواه البخاري)، ومن النهي عن الصلاة في بعض الأماكن كالمقبرة، إلا إذا زالت صفتها هذه.

وإذا حل المسلم في إحدى البقاع الفاضلة لزمه- لكي ينتفع بتفضيل الله لها- أن يعرف ما ورد عن فضل العمل الصالح فيها، وأجر العامل في رحابها، وهي معرفة ألزم ما تكون لتشجيع النفس على الإقبال على ربها، والحرص على الظفر بالغنيمة التي ارتبطت بهذه البقعة أو تلك.

والمعرفة لا تكفي وحدها، إذ لابد من عزيمة تبعث صاحبها على العمل، وشعور مرهف بوجود الله يدفع إلى الحرص على صيانة الوقت والعمر من الضياع، وصدَق من قال «المعرفة تثمر الخُلُق، والفكر يثمر العزيمة، والمراقبة تثمر عمارة الوقت وحفظ الأيام» (١).

إلا أن استفاضة هذه المعاني وشهرتها في أوساط المسلمين لا ينبغي أن تغطي على مقاصدها، ولا أن تذهب ببهائها وجلالها، والحمد لله أن أكثر المسلمين لم تزل نفوسهم مقبلة على الأماكن المقدسة المباركة إقبال حب وشوق، إلا أن ثمة معاني مهمة ينبغي استصحابها في هذا الصدد.

المعنى الأول أنه لا ينبغي أن يحس بجلال البقاع المقدسة القاصي والداني من سكان المدن الأخرى، وينتفعوا بذلك عملا صالحا وقربى إلى الله، دون أن يكون لأهلها وسكانها نصيب وافر من هذا.

والثاني أنه من الواجب على

• أستاذ الدراسات الإسلامية في باكستان

المسلم إخلاص وجهة العبادة لله تعالى في كل مكان يحل فيه، وفي هذه الأماكن المباركة خاصة، وقد تحدث الشيخ العز بن عبدالسلام عن أصل مهم نقيم عليه هذا المعنى، فقال: «فضّل الله تعالى بعض الأماكن على بعض، وبعض الأزمان على بعض، وليس فضلهما براجع إلى أوصاف قائمة فيهما، إنما فضلهما بما يتفضل به الرب سبحانه فيهما من إحسانه وكثرة ثوابه على الطاعات ومغفرته الزلات» (٢).

ولا يعني هذا الكلام الانتقاصَ من قداسة هذه البقاع، ولكنه الميزان الدقيق الذي يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة، لا يزيد ولا ينقص، ورائدنا في هذا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قبّل الحجر الأسود «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبّلك ما قبّلتك» (رواه البخاري).

والثالث أن مغادرة هذه الأماكن لا يعني نهاية العهد بالطاعات والأعمال الصالحة، بل لابد من استصحاب المعاني التي تجعل الصلة القلبية بها لا تنقطع، خاصة أن كثيرا من العبادت التي نؤديها والمناسبات التي تمر بنا ذات صلة وثيقة بهذه الأماكن.

اصطفاء الزمان

وإذا كان المسلم يحتاج في أكثر الحالات إلى السفر والانتقال لكي تعانق عيناه وقلبه الأماكن المباركة، فإنه مع ما اصطفاه الله تعالى من الزمان في غنى عن السفر، حيث يأتيه الزمان المبارك وهو قابع في بيته.. يأتيه من ساعة إلى أخرى، ومن يوم إلى يوم، ومن أسبوع إلى آخر، وكذلك من شهر إلى آخر، فوقت السحر، والوقت بين الأذان والإقامة، ويوم الجمعة، والأيام الثلاثة البيض من كل شهر، وشهر رمضان، والعشرة الأُوَل من ذي الحجة.. هي من الأزمنة الفاضلة التي تُظل جميع الأحياء، ويبلغ فضلها الناسَ قاصيهم ودانيهم وهم في منازلهم وأعمالهم.

والحق أنه كثيرا ما يكون التجديد، تجديدُ الروح والقلب هو الهدف الملحوظ من وراء العبادات المرتبطة بالأزمنة الفاضلة، خاصة تلك التي تأتي مرة في العام، حيث التغلب على الإيقاع الرتيب للحياة، منعا لتسرب الرتابة والخمول إلى عبادة المسلم، وهذا ما يمكن فهمه بيُسر من أحاديث صريحة تناولت عبادات لها علاقة بأزمنة فاضلة ومحددة في الغالب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري)، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يَفْسُق رجع كيومَ ولدته أمه» (رواه البخاري).

فإذا كان الملحوظ في الصلاة أنها تديم في الأساس صلة العبد بمولاه، ولا تقطعه عنه بمشاغل الحياة مهما بلغت، فإن الحج والصيام مناسبتان للتجديد، حيث إن مغفرة ما تقدم من ذنب العبد، وكذلك عودته كيوم ولدته أمه، إنما هي إشارة إلى أن العبد قد محيت عنه خطيئاته، وأن هذا ليس مناسبة لاستئناف التقصير من جديد، ولكنه على العكس من ذلك- مناسبة لحفظ الواجبات والحرص على القربات وحفظ القلب من الانتكاس والارتكاس في حمأة الذنوب، ويشبه هذا حال الإنسان إذا أصلح سيارته المعطوبة، فليس استعماله لها ثانية لأجل العودة إلى تخريبها من جديد، ولكنها العزيمة على السير بها على النهج الذي يصونها ويحفظها.

اصطفاء الإنسان

فإذا جاء الحديث عن اصطفاء الإنسان، فكأننا سنتكلم عن ألوان الاصطفاء الإلهي كلها، لأنها جميعًا ذات علاقة وثقى بعمل المكلفين، حتى كأن تفضيل ما هو فاضل من المخلوقات ما هو إلا باب من أبواب ترغيب العباد في الإقبال على الله تعالى، وألا يقنطوا من رحمته أبدًا، إذ ليس في الإسلام فوات لفرصة التوبة ما لم تجن على المرء حماقته، فينتظرَ إلى اللحظة التي لا توبة بعدها.. «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغِر» (رواه الترمذي)، «إن الله- عز وجل- يبسُط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم).

واصطفاء الله لمن شاء من الناس قد يكون للأنبياء وقد يكون لغيرهم، وشاهد هذا العموم قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣).

وفي كل الأحوال تقوم بالاصطفاء حُجة للعاملين، تتمثل الدين، وتترجمه سلوكا ظاهرا أمام الأعين في واقع الحياة، مما يزيد من ثقة الناس في أن الدين تكليفات واقعية قابلة للوجود في هذا العالم، وليس صورة مثالية وأحلامًا في عالم لا يقبل الوجود فوق هذه الأرض.

وقد يترقى الإنسان المقتدي، فيرى أنه لا ينبغي أن يقف عند درجة التأسي، بل يحرص على أن يقيم للناس من نفسه قدوة صالحة في العمل قبل القول، تزيد العباد قربًا إلى الله تعالى، خاصة من يقعون في دائرة مسؤوليته من الأولاد والزوجة، أو دائرة احتكاكه اليومي المباشر كالجيران وأصدقاء العمل.



الهوامش

١- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ٢٨، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م (نسخة الموسوعة الشاملة - الإصدار ٣,١٥).

٢- العز بن عبد السلام: الفوائد في اختصار المقاصد ص ١٤٩، الطبعة الأولى، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق ١٤١٦هـ (نسخة الموسوعة الشاملة).

المنهج الإسلامي في معالجة الاختلالات التربوية





د. عبد الملك أحمادي

المراد بالخلل التربوي هو كل ما يتعلق بمظاهر الضعف في الالتزام بالإسلام عقيدة وأحكاما وأخلاقا، سواء على مستوى الفرد أو الأمة وليس ما ينتابهما من ضعف وقتي يمكن تداركه.

فالضعف في الجانب العقدي قد يكون ظاهرا في ضعف علاقة الأمة مع الله عز وجل وضعف توكلها عليه، قال سبحانه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (التغابن: ٣٢)، وقال سبحانه أيضا ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (محمد: ١٢).

وقد يكون الضعف في جانب الأحكام الشرعية في عدم الالتزام بها كمنهج حياة، ذلك أن الله عز وجل أنزل شرعه ليحكم وليتبع قال سبحانه ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف: ٢)، فكل تقصير في عدم الالتزام بشرع الله، سواء في العبادات أو المعاملات يعتبر خللا تربويا يجب علاجه.

وقد يكون الضعف في الجانب الأخلاقي بممارسات أخلاقية تغضب الخالق سبحانه وتعالى، وما مظاهر الانحلال والتفسخ في المجتمع إلا أثر من آثار الضعف الأخلاقي ينبغي على الأمة علاجه.

وقد قعّد الإسلام ثلاثة أساليب علمية لمعالجة الاختلالات التربوية وهي:

١- __الأسلوب الوقائي الاستباقي:__ ويهدف إلى تحصين الفرد والجماعة والأمة من الوقوع في الاختلالات بغرس أصول الإيمان في العقول والقلوب، ومعانيه ومشاعره في النفوس، وآدابه وأخلاقه في السلوك.

وهذا الأسلوب منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في معظم تشريعاتهما، فالإسلام وقائي في مجال العقيدة، فاطمئنان القلوب ثمرة من ثمرات معرفة الله تعالى وذكره، والقلوب المتصلة بالله الذاكرة له لا تعرف القلق الذي تعيشه المجتمعات غير الاسلامية، والذي أورثها الامراض العصبية المختلفة، ووضعها في طريق الجريمة والانتحار، وصدق الله تعالى حيث قال ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨).

وهو وقائي في مجال العبادة إذ ان الاستقامة والبعد عن الفحشاء والمنكر ثمرة من ثمرات الصلاة والصوم وغيرها، فالوقائية تبدو جلية في قول الله تعالى ﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وفي قوله ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

كما ان الإسلام وقائي في مجال التشريع الجنائي إذ ان الأحكام الجنائية من شأنها تنظيف المجتمع من الموبقات، والحفاظ على المجتمع سليما معافى، إذ لا شك «أن المجتمع الطاهر العفيف سيساعد كثيرا على منع الإجرام وقمع المجرمين، وسيقوي جانب الخير في النفوس ويسد منافذ الشر التي تطل منها النفوس الضعيفة، وفي هذا ضمان أيضا لتقوية النفوس وإعطائها مناعة ضد الإجرام» (١).

وقد كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يستحضر هذا الأسلوب - الاسلوب الوقائي - فقد قال رضي الله عنه «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إننا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم، قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن، قلت وما دخنه؟ قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من الشر؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها، قلت

صفهم لنا؟ قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» (البخاري).

٢- الأسلوب العلاجي الإصلاحي: ويكون عند ظهور الخلل حيث تكون النفوس اكثر قابلية للتفاعل مع التوجيه التربوي المباشر بعد حدوث الخلل.

وقد يمثل لهذا الاسلوب من السيرة بما حدث في صلح الحديبية من عدم طاعة الصحابة رضوان الله عليهم للرسول ﷺ لما أمرهم بنحر الهدي والحلق، حيث أحصروا عن العمرة، فقد قال لهم ﷺ «قوموا فانحروا» فما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ...» (البخاري).

كما يمثل له بما حدث في غزوة بدر، معركة النصر والفرقان التي كان لها ما لم يكن لغيرها من المعارك والانتصارات، ومنح اصحابها ما لم يمنحه احد من المسلمين (٢).

فقد ظن بعض الصحابة من الشباب ان النصر كان بمهارتهم

بهذه الأساليب الثلاثة يكون الإسلام سبق القوانين الوضعية في وضع التشريعات للحفاظ على الأمن العام

وشجاعتهم، وبعض الصحابة من الشيوخ انه كان بخطتهم وحكمتهم، فأنزل الله آياته تبين لهم أن النصر من عند الله (٣)، ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (الأنفال: ١٧)، ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ (الأنفال: ١٠).

أليس هذا أرقى أسلوب (العلاجي الاصلاحي) واقوى انواع التقويم ووضع الضوابط وتقويم النفوس والعقول وتعميرها بالايمان في حالات الظفر ونشوة الانتصار والحفاظ على قيم الاسلام الاصلية حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها.

لهذا فالنقد والمراجعة والتقويم تكليف شرعي لجميع المؤسسات والمجتمعات وقد استفادت الحضارة الغربية من هذا الأسلوب، حتى أصبح من أهم الخصائص التي تتمتع بها أنها تحاول أن تكشف أخطاءها بنفسها وتعالج نفسها بنفسها، وأن صيحات التحذير التي تبين الانحراف وتحذر منه لا تتوقف، وان دراسة الظواهر الاجتماعية والتوجهات الاجتماعية في مراكز البحوث واصدار الدراسات، التي تحاول معالجة الخطأ وتسديد المسيرة مستمرة ودائبة، بل هي اليوم جزء من جسم الأمة حتى إنها في كثير من الأحيان تتمتع بالاستقلالية الكاملة عن جسم مؤسسات المجتمع العاملة، حتى لا تتأثر بأخطائها وتمتلك القدرة على الرؤية من خارج النسق اليومي (٤).

٣- الأسلوب التأديبي في مواجهة الخلل ببعض العقوبات الزجرية، وتتماشى هذه المعالجة مع موقع ومقاصد نظام العقوبات في مجمل النظام الإسلامي الذي لم يشرع إلا لمعالجة الحالة الشاذة في المجتمع اي عند الاصرار على تحدي النظام العام.

والعقوبات في الإسلام جاءت للحفاظ على الأنفس والأموال والاعراض قال سبحانه ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٧٩).

فقد لا تنفع المواعظ والخطب في معالجة بعض الظواهر الاجتماعية لذا شرع لها العقوبات الزجرية للردع والزجر، ولهذا قيل «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وفي هذا استقرار للمجتمع واشاعة للطمأنينة فيه، وأظهر نموذج في السيرة النبوية للتمثيل لهذا الأسلوب التأديبي ما حدث في غزة تبوك لأولئك الثلاثة المخلفين هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، فبعدما قبل النبي ﷺ من المنافقين علانيتهم في أمر التخلف عن الجهاد ووكل سرائرهم الى الله جاء النفر الثلاثة من المؤمنين، فاختاروا الصدق، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة ألا يكلموهم، وجرت ضدهم المقاطعة الشديدة، وتغير لهم الناس حتى تنكرت لهم الأرض وضاقت عليهم بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم وبلغت بهم الشدة انهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم، حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة ثم أنزل الله توبتهم في قوله تعالى ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم. يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة:١١٨- ١١٩). قال كعب «فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد ان هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ ألا اكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا» (٥).

وبهذه الأساليب الثلاثة لمعالجة الاختلالات التربوية عند الفرد والمجتمع يكون الاسلام قد سبق القوانين الوضعية في وضع هذه الأساليب وتشريعها للحفاظ على الأمن العام.

والملاحظ أن الإسلام قد اهتم بالجانب الوقائي أكثر من أهتمامه بالجانب العلاجي، وهذا ما يجعل المنهج الإسلامي متفردا على سائر المناهج الوضعية.

الهوامش

١- انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص: ٢٧١، عن كتاب التربية الوقائية في الإسلام لفتحي يكن ١٤-٥١.

٣- فقد قال الرسول ﷺ لعمر عن حاطب بن أبي بلتعة: «ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». السيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٧، دار إحياء التراث العربي، ط ٢.

٤- تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب الأمة، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ص٣٢.

٥- سيرة ابن هشام، ١٩٠/٤-١٩١، وانظر الرحيق المختوم، ص: ٤٧٣.

السياسة ورجل الدين

خالد شبيب

قال تعالى في كتابه العزيز «إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين» (الأنعام: ٥٧)
ومن أحق من علماء الأمة بمعرفة حكم الله تعالى؟
لقد نشرت إحدى الصحف الكويتية المحترمة مقالا لأحد الكتاب المنتسبين للإسلام، يقول فيه بالحرف ما نصه «إيماني الراسخ بأن رجل الدين والمسلم بالذات لا يصلح للسياسة».

أليس غريبا على مسلم أن يكتب مثل هذا المقال؟!

خاصة وأن هذا المقال سيكون شاهدا عليه يوم القيامة، وحسرة وندامة، يقول الشاعر في هذا المضمار:

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

والآن دعونا نبحث في السياسة، لعلنا نجد للعلة دواء، وللحجة تفنيدا. ما السياسة؟

السياسة لغة، على ما جاء في الموسوعة الفقهية، هي القيام على الشيء بما يصلحه ويدبره ويرعاه، وساس الولي الرعية أي أمرهم ونهاهم وتولى قيادتهم.

أما السياسة اصطلاحا فهي إصلاح أمور الرعية وتدبير أمورهم، وهي مأخوذة من سائس الخيل الذي يعرف كيف يدبرها ويرعاها ويعرف خلالها، على ما جاء في مقدمة ابن خلدون في رسالة عبدالحميد الكاتب: «وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها، وإذا كانت شبوبا اتقاها من بين يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس».

وقد عرفها علماء



• باحث دراسات اسلامية في الكويت

الاجتماع بأنها فن حكم الدول والمجتمعات.

وقد أطلق العلماء على السياسة اسم «الأحكام السلطانية»، ولما كانت السياسة بهذا المعنى أساس الحكم، لذلك سميت أفعال رؤساء الدول وما يتصل بالسلطة «سياسة»، وقيل بأن الإمامة الكبرى- رئاسة الدولة- موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا.

لذلك فإن الفصل بين الشريعة الإسلامية والسياسة هو تقسيم فاسد، لأن الشريعة جاءت عامة مشتملة على كل ما يحتاج إليه العباد من معارفهم وأعمالهم وعلومهم.

أسس الشريعة

١- سيادة الشريعة، ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف: ٢).

٢- العدل، ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠).

٣- الشورى، ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨).

أنواع السياسات

١- السياسة الشرعية في الحكم، وهي الإمامة وتعيين الموظفين.

٢- السياسة الشرعية في المال، ويقصد بها إدارة أموال الخزانة العامة أو بيت المال.

٣- السياسة الشرعية في الولايات، كولاية القضاء وولاية الجند وولاية الصدقات.

٤- السياسة الشرعية في العقوبات، وهي العقوبات المقدرة شرعا كالحدود والقصاص، والعقوبات غير المقدرة وهي التعزير.

وقد عرف علماء الاجتماع السياسة بأنها فن حكم الدول والمجتمعات، وعلماء الدين الإسلامي في نظرنا هم أجدر الناس بالسياسة، على ما جاء في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧١).

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨).

وأمام هذه النصوص الواضحة جلاء الشمس في رابعة النهار، هل يستطيع مسلم إنكارها، وتحمل نتيجة ذلك، وخاصة إذا ما علم أن إنكار ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى «كفر»، وإنكار ما جاء في السنة النبوية «زندقة»، وما أظن أن الكاتب يتبرأ من دينه وعقيدته.

علماء الدين الإسلامي هم أجدر الناس بالسياسة

وأخشى ما أخشاه على المنكرين أن تصيبهم معرة ما جاء في الآية الكريمة ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا .. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (الكهف:١٠٣ - ١٠٤).

وما بال هؤلاء لا ينكرون السياسة على متديني اليهود والنصارى؟! وينكرونها على متديني المسلمين؟

ألم يترأس أكبر دولة في العالم رجل مسيحي متدين؟ وكان يقوم بمراسم القداس في البيت الأبيض؟ ألم يقل ذات مرة إن الرب يأمره بكذا وكذا؟!.

ألم تتول رأس دبلوماسيته سيدة مسيحية متدينة متخصصة بعلم اللاهوت؟

ألم تسس الحكم في ألمانيا انجيلا ميركل وهي سيدة مسيحية متدينة بنت القسيس ميركل؟

ألم يكن على رأس الدبلوماسية الصهيونية رجل دين يهودي، وهو وزير خارجية الكيان السيد ليبرمان؟

لماذا يعيب هؤلاء على المسلمين المتدينين العمل السياسي؟ أهو حلال على غيرنا، مع العلم أنهم لم يؤمروا (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، وحرام علينا؟! علما بأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا به. ثم تعال وانظر معي، ألم يكن سيدنا داود، عليه السلام، نبيا وفي الوقت نفسه رجل سياسة؟

ألم يكن سيدنا سليمان، عليه السلام، نبيا وفي الوقت نفسه رجل سياسة؟

ألم يكن سيدنا رسول الله ﷺ نبيا وفي الوقت نفسه رجل سياسة؟

ألم يخلفه، عليه السلام، خلفاء ملأوا الأرض عدلا، بعدما ملئت جورا، وكانوا متدينين ورجال سياسة؟

أما إذا كان تعريف السياسة أنها فن الكذب والمراوغة والخداع، وما دخلت شيئا إلا أفسدته، فإننا نربأ برجالنا المتدينين عن ممارستها، ونقول لمن يمارسونها لكم دينكم ولنا دين.

وأخيرا أقول للذين يحاولون هدم الدين بمعاولهم، إن بقصد وإن بغير قصد، إنكم لن تضروا الدين شيئا لأن الله تكفل بحفظه، ولن تضروا إلا أنفسكم، وأختم بقول الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ماذا فعلت وسائط الاتصال والإعلام الحديثة بقيم الشـ

محمد الفاتح حمدي

أدت وسائط الاتصال والإعلام بالفرد العربي إلى أن يعيش في بيئة جديدة تزخر بمتغيرات جديدة تختلف عما عاشه أجدادنا وآباؤنا في الماضي، سواء في العادات والتقاليد وأنماط المعيشة أو في طرق التربية والحوار وغيرها من السلوكات الجديدة التي جاءت بها هذه الوسائط الحديثة.

والملاحظ لواقعنا يدرك أن هذه التكنولوجيا في تطور سريع جدا، لا تعبأ بانتقاداتنا وتفنيدنا لسلبياتها ومخاطرها، كما أنها لا تقيم وزنا لما هو موجود من قيم وعادات وأنماط وتقاليد وثقافات وطقوس سائدة في المجتمعات الإسلامية والعربية بالخصوص، كما أن الفرد العربي أصبح عبدا لها، خاضعا لكل ما جاءت به من عادات وأنماط جديدة تحت شعار «الانفتاح على الآخر» أو «العصرنة والتقدم»، حيث أصبح الفرد المسلم يعيش في عالم مفتوح بدون رقيب ولا حسيب لما يحدث فيه، معرّضا لكل ما هو صالح وطالح في الوقت نفسه، مما يبث عبر هذه الوسائط الاتصالية والإعلامية الحديثة، مما جعله يعيش حالة من الاغتراب والعزلة داخل مجتمعه وأسرته، حيث أصبح لا يدرك ولا يفرق بين عالمه المعيش والعالم الذي تصوره له هذه الوسائط الإعلامية، مما ولّد لدى الفرد المسلم حالة من الإحباط والقلق والقنوط من واقعه المعيش.

لقد غيرت تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة البيئة التي يعيش فيها أولادنا عن تلك التي عشنا نحن فيها، فإذا كانت هذه الوسائل غيرت من أسلوب حياتنا وانتقالنا ووقت فراغنا وعلاقاتنا مع الأسرة والأصدقاء، فكيف ستكون الأجيال الجديدة التي ستعيش في بيئة من الوسائط المعلوماتية الأكثر تطورا بما لا يقاس بحاضرنا، وماذا سيحدث للخصوصيات والهويات المميزة بالصيغة التي نفكر فيها اليوم؟ (١)

خطر وسائط الاتصال

ينطوي الخوف من عواقب ثورة المعلومات والاتصال الحديثة على تيار عاطفي خفي وقوي يتمسك بثقافة وقيم ومفاهيم أخذت قاعدتها الاجتماعية والمادية والتربوية تتزعزع، وغدا للعيان أنها اليوم مهددة تحت وطأة قوى التكنولوجيا والمعلوماتية التي تلح علينا بالانفتاح بالمعرفة والصورة والصوت، وإذا كنا قد تغيرنا عن آبائنا دون ضجة كالحاصلة اليوم، فهل يمكن أن نتوقع غير ذلك بصدد أولادنا؟ إن الاحتمال الأكبر هو أن التغيير سيحصل عاجلا أو آجلا، وقد دهشنا بالتليفزيون وتخوفنا من آثاره على حياتنا لأول مرة، وتغيرنا رغم النقد والتردد فليس هناك ما يدعونا لاعتقاد غير ذلك بصدد هذه الثورة الاتصالية والإعلامية الحديثة الحاصلة اليوم.

سيعيش أولادنا في بيئة مختلفة تماما، تعج بالحواسيب والشاشات الذهبية والفضية والمعلومات والبث الفضائي المباشر، والشبكات العنكبوتية والهواتف المحمولة وغيرها من الوسائط المختلفة، وسيتغيرون وتتغير قيمهم دون شك، وليس في ذلك ما يدعو للقلق.(٢)

إن الفضائيات الوافدة إلينا عبر الأقمار الصناعية المختلفة والتي تلج إلى بيوتنا دون طلب الإذن منا، سلبت قيم أطفالنا وشبابنا ونحن نتفرج عليها دون أن نحرك ساكنا، بدواعي التحضر والانفتاح على ثقافات الآخرين، ومن دون أن نقوم بتوجيه وإرشاد أطفالنا وشبابنا فيما يختارونه

ماجستير في الإعلام بالجزائر

باب العربي؟



من أفلام ومسلسلات وأخبار وأفلام كارتونية تناسب مرحلة نموهم وأيضا مراعاة البيئة التي يعيشون فيها، كما أننا أصبحنا غير مهتمين كأولياء أمور بالحوار مع أبنائنا في العديد من القضايا التي أصبحت تشكل هاجسا داخل الأسرة العربية، والتي أصبح الحديث فيها مع الأبناء من الممنوعات، مثل العلاقات الجنسية والزواج، والصداقة والتعارف والحب وتبادل المعلومات، وهذا ما يدفع بالأطفال والشباب خلال مراحل نموهم لمعرفة هذه المسائل إلى اللجوء لوسائط الاتصال والإعلام المختلفة، وذلك من أجل إشباع رغباتهم وحاجاتهم، وخاصة في مرحلة المراهقة التي يميل فيها الشباب إلى محاولة اكتشاف ومعرفة العديد من القضايا المرتبطة بشخصيتهم ومراحل نموهم.

إن القنوات الفضائية وشبكة الانترنت وغيرهما من الوسائط الحديثة الوافدة إلينا قد أثرت على القيم التربوية بتغيير وتبديل مناهج التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب ومناهج متحررة جدا تناسب عصر العولمة، وجعلت من الذاتية بديلا عن كل قيم الضمير، وصيغت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس. (٣)

تراجع دور المؤسسات الاجتماعية

ولو عدنا إلى عقود سابقة لرأينا أن الأسرة والمدرسة والمسجد، لعبت الدور الأكبر في تكوين مدارك الإنسان وثقافته وتشكيل منظومة القيم التي يتمسك بها وما يفرزه ذلك من عادات وتقاليد في السلوك، أما اليوم فإن هذا الدور انتقل بشكل كبير جدا إلى التلفاز والإنترنت وألعاب الفيديو والكمبيوتر والهواتف المحمولة والإذاعة والسينما، لقد انتقل دور الإسهام في بناء معارف الإنسان وثقافته من وسط بشري ملتزم بقيم محددة إلى وسط «تكنو-اتصالي» لا يقيم وزنا لهذه القيم، بعد الأسرة كان الخروج من المنزل والتفاعل مع المحيط المباشر أساسا للمعرفة

تحت شعار «الانفتاح على الآخر» و«العصرنة والتقدم» أصبح الفرد المسلم يعيش في عالم مفتوح بدون رقيب ولا حسيب

والتعلم واكتساب الخبرات وبناء الذات وتنميتها وتطورها، أما اليوم فإن البقاء في المنزل أمام التلفاز وعلى الانترنت يتيح مدى أكبر للمعرفة والتعلم وسعة الإطلاع، لقد باتت خبرات المنزل أوسع من خبرات الشارع أو المدرسة أو المدينة في ضوء ما يتوافد إلينا من مضامين تحملها تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

ولأجل حماية قيمنا يجب اتباع الآتي:

■ التعليم المكثف للأبناء لكيفية استخدام وسائط الاتصال والمعرفة الحديثة، وعدم ترك مجال الجهل بأي منها.

■ إنشاء مؤسسات مجتمع مدني ضاغطة (أسرية، نسائية، شبابية،...إلخ) تحاكم أداء الإعلام المحلي والعربي وموزعي الكابل. (٤)

■ تحديد نسبة المواد الأجنبية في وسائلنا الإعلامية، ولا يعني ذلك المقاطعة الكاملة لكل ما هو أجنبي، بل الواجب اختيار المواد المناسبة التي لا تتعارض مع قيمنا ومبادئنا.

■ نشر ثقافة النقد والحوار لدى الأسرة من أجل القدرة على محاكمة الأمور وتمحيصها، ورفض التلقي السهل والتسليم السطحي بالأمور للحد من التأثير الضار لمضامين الرسائل الإعلامية السلبية.

■ التأكيد على دور الأسرة التربوي، بحيث تعد الأسرة هي الحاضنة الأولى لقيم وثقافة الأفراد والمجتمع.

■ التوعية الجنسية السليمة، فيقوم الآباء بتوجيه أبنائهم- خاصة المراهقين والشباب- بالتمسك بالقيم الدينية المستمدة من المبادئ الإسلامية.

■ التوعية الاستهلاكية السليمة للأبناء، فالأسرة تساهم بدور فعال في توجيه أبنائها وتربيتهم على أنماط وعادات استهلاكية تتماشى مع الطبيعة العربية والإسلامية التي تدعو أبناءها إلى ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف أو التبذير.(٥)

■ إعادة النظر في المناهج التعليمية وتحديثها بصورة مستمرة، بأن تكون قادرة على منح الطالب- خلال مراحل التعليم المتعددة- القدر المناسب من المعارف والقيم التي تؤهله لخوض معترك الحياة العملية بعد ذلك والقيام بدوره في الحياة على أكمل وجه، والاهتمام باللغة العربية.

الهوامش

١- محمد شطاح، التليفزيون والطفل، مجلة المعيار، قسنطينة، جامعة الأمير عبدالقادر، عدد ٧ ديسمبر ٢٠٠٣، ص: ١٩.

٢- انظر، نايف كريم، الأسرة العربية في وجه التحديات و المتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول، بيروت، دار ابن الحزم ٢٠٠٣، ص: ١٥٧- ٩٥١.

٣- سمير إبراهيم حسن، الثورة المعلوماتية عواقبها وآفاقها، مجلة جامعة دمشق للأداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١٨، العدد١، ٢٠٠٢، ص: ٧١٢.

٤- المرجع السابق، ص ١١٦: ١١٩بتصرف.

٥- عبدالرشيد عبدالحافظ، مرجع سابق، ص٩٦- ٧٩.

صيحات دولية تحذّر من عواقب ندرة المياه وتلوثها

أحمد أبوزيد *

الحديث عن المياه يعني في معظم الدول الأمن الغذائي، وهو ما يرادف الأمن القومي، ولقد تحولت المياه في ظل تزايد النمو السكاني ومعدلات الاستهلاك والندرة الملحوظة في مصادرها إلى محور من أهم محاور الصراع الدولي في الربع الأخير من القرن الماضي، وزاد الأمر حدة مع مطلع القرن الجديد، حتى إن البعض تنبأ بنشوب حروب بين الدول بسبب المياه خلال القرن الحالي، خاصة في ظل صدور تقارير دولية عديدة للبنك الدولي والمجلس العالمي للمياه تحذر من شح المياه وندرتها، وتبنيها لسياسات جديدة لترشيد استهلاك المياه، والمحافظة على مصادرها المختلفة من التلوث.

ولقد اهتمَّت معظم المنظمات الدولية بقضايا ندرة المياه واحتمالات تعرُّض العالم لأزمة مياه في المستقبل، ولذلك عقدت مؤتمرات دولية وإقليمية تحت رعاية هذه المنظمات لتدارس هذه القضية، وحدّدت الأمم المتحدة يوم ٢٢ مارس من كل عام يومًا عالميا للمياه لتلفت أنظار العالم إلى أهمية هذه المشكلة المتوقَّع حدوثها، وبدأت هذه المنظَّمات الدولية تُدخل قضايا المياه بطريقة جديدة في النظام العالمي، مما أدَّى في بعض الأحيان، إن لم يكن في معظمها، إلى زيادة حدة الصراع بين دول الشمال ودول الجنوب.

ولا غرابة في أن تمثل قضية المياه هذه الأهمية الكبيرة على المستوى الدولي، فالماء أساس كل حي، قال تعالى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء: ٣٠)، وقد نشأت الحياة منذ البداية، وستبقى إلى يوم القيامة، مرتبطة بالماء عصب الحياة وأهم مكون من مكوناتها، وارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض وازدهرت حضارته بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمواقع مائية، عرف بعضها بالمسمى المائي مثل حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم- عليه السلام- ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم:٣٧).

ندرة المياه

ولاشك أن تصرفات البشر من سوء استخدام المياه العذبة والإسراف فيها وتلويثها قد تكون سببا لندرة المياه وحدوث الفقر المائي في بعض المناطق، ولذلك فقد أصبحت مشكلة المياه تتصدر أولويات هموم سكان العالم خاصة أن هناك أكثر من بليون من سكان العالم لا يعرفون الماء النقي.

وكلمة الماء هي المرادف لكلمة الحياة، فالماء يعني الزراعة والغذاء والشراب والطاقة، ويصل الأمر إلى أن حجم الأراضي الزراعية يتحدد في كثير من دول العالم ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة ولكن بكميات المياه العذبة المتوافرة.

المياه في المنطقة العربية

وبالنظر إلى المنطقة العربية والإسلامية نجد بعض دولها يعاني من ندرة المياه والشح المائي، وتظهر الدراسات أن البلدان العربية مقبلة على موجة من الفقر المائي الذي يهدد مظاهر الحياة وخطوات التنمية، حيث إن الوطن العربي يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، وتقل فيه الموارد المائية المتجددة عن ١٪ من المياه المتجددة في العالم، حيث لا يصل نصيب الفرد العربي لأكثر من ١٧٤٤مترا مكعبا من الماء سنويا، في حين يصل المعدل العالمي إلى ١٢٩٠٠متر مكعب، كما أن معدل هطول الأمطار فيه يتراوح بين ٥ - ٤٥٠ ملم سنويا، في حين يصل هذا المعدل في أوروبا إلى ما بين ٢٠٠- ٣٠٠٠ ملم سنويا، وهذا الأمر يكتسب مزيدا من الدلالة والأهمية إذا علمنا أن نحو ٧٩٪ من الأراضي العربية المزروعة تروى بالأمطار، وأن الصحاري في الوطن العربي تحتل مساحة تبلغ ٦٠٠ مليون هكتار، وذلك بنسبة ٤٣٪ من المساحة الإجمالية، يضاف إلى ذلك معدل النمو السكاني الذي يصل إلى ٣٥٪ سنويا، وهذا المعدل من النمو من المقدر أن يتسبب في عجز الموارد المائية بحيث يصل هذا العجز إلى ١٧٦ مليار عام ٢٠٣٥م.

وقد حذرت الأمم المتحدة في السنوات الأخيرة من خطورة الموقف المائي في الشرق الأوسط، وأن المنطقة تعاني نقصا خطيرا في المياه خلال السنوات القادمة. كما صدر تقرير عن البنك

* كاتب وصحافي مصري

الدولي حول أزمة المياه جاء فيه: أن ٨٠٪ من أمراض مواطني العالم الثالث منشؤها المياه الملوثة، وإن عشرة ملايين شخص يموتون سنويا بالأسباب نفسها، وإن هناك مليار شخص في الدول النامية يعانون من نقص مياه الشرب.

وأوضح التقرير نفسه أن ٨٠ دولة في العالم، تضم ٤٠٪ من سكانه، مهددة بنقص المياه، وأن القرن الجديد، الذي هلّ علينا منذ تسع سنوات، سيشهد تفاقم الأزمة وتأثيرها على الزراعة والصناعة والصحة العامة، ويتوقع البنك الدولي في تقريره أن أزمة المياه ستؤدي إلى صدامات وصراعات تشمل نصف البشرية.

وتعتبر المنطقة العربية من أكثر المناطق تأثرا بمشكلة المياه بسبب عدم وجود استراتيجية عامة كافية للمياه تتعامل مع هذا النقص الحاد، وحسب دراسة أعدها البنك الدولي لا يوجد في المنطقة العربية سوى ١٪ فقط من إجمالي المياه المتوافرة في العالم، والأخطر من ذلك- كما تشير الدراسة- أن الدول العربية تستهلك أكثر من ١٠٠٪ من مصادر مياهها المتجددة، ورغم ذلك فإن هناك ٦٠ مليون شخص من مواطني العالم العربي لا تتوافر لديهم مياه صحية.

ولا تقتصر مشكلة المياه في الوطن العربي على الندرة، وإنما تمتد إلى نوعية المياه التي تتدنى وتتحول إلى مياه غير صالحة للاستخدام لأسباب متعددة، وتسري مشكلة المياه على كل المصادر المائية في الوطن العربي، فالأنهار العربية الكبرى مثل النيل والفرات تنبع من دول غير عربية وتجري وتصب في بلدان عربية مما يجعل لدول المنبع ميزة استراتيجية في مواجهة البلدان العربية، كما يتطلب الاستغلال الأمثل للمياه الجوفية ومياه الأمطار استثمارات ضخمة لإقامة التجهيزات والمشروعات اللازمة لهذا الاستغلال.

ترشيد استهلاك المياه

وفيما يتعلق باستهلاك المياه نجد أن الإسلام كان له السبق في إقرار مبادئ ترشيد الاستهلاك لكل ما في يد الإنسان من نعم وثروات، باعتبار أن الإسراف والتبذير من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله- سبحانه- للحياة والأحياء في هذا الكون.

وقد أقام الإسلام منهجه في هذا الصدد على الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان، وأقام بناءه كله على الوسطية والتوازن والقصد.

فالإسراف يعتبر سببا من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها، مما يؤدي إلى إهلاك الحرث والنسل، وتدمير البيئة.

وقد نهى القرآن الكريم عن الإسراف في أكثر من موضع، فقال تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

وقال تعالى ﴿كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأنعام: ١٤١).

ولأهمية الماء وضرورته للحياة وقفت الشريعة الإسلامية ضد الإسراف في استهلاكه، سواء في أغراض الشرب أو الزراعة أو الصناعة، أو حتى في أمور العبادات، ومن التعاليم والآداب الإسلامية التي وردت في هذا الشأن ما يلي:

١- دعا الإسلام إلى المحافظة على الماء وعدم الإسراف في استهلاكه، فقال الرسول ﷺ «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة» (رواه النسائي وابن ماجة).

٢- نهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في استعمال الماء حتى ولو كان من أجل الوضوء، فقد روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال «ما هذا الإسراف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال «نعم، وان كنت على نهر جار» (أخرجه ابن ماجة في سننه)، وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يتوضأ بالمُدّ ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد».

والإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية، كأن يزيد في الغسل على الثلاث، وقد اتفق العلماء على أن الزيادة في غسل الأعضاء للوضوء على الثلاث مكروه، وأنه إسراف في استعمال الماء.



المراجع

١- محمد عبدالقادر الفقي- البيئة.. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٩.

٢- د.علي محمد علي عبد الله- التلوث البيئي والهندسة الوراثية- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٩.

٣- مجدي شندي- المياه الصراع القادم في الشرق الأوسط- كتاب أكتوبر- دار المعارف- القاهرة ١٩٩٢.

٤- عبدالله عمر خياط- مشكلة المياه التي يشهدها العالم- المجلة العربية- العدد ٢٧٤- ذو القعدة ١٤٢٠هـ.

٥- محمود عبدالوهاب فايد- الإسلام والصحة- دار القلم والكتاب- الرياض ١٩٩٣.

٦- ابن القيم- زاد المعاد.

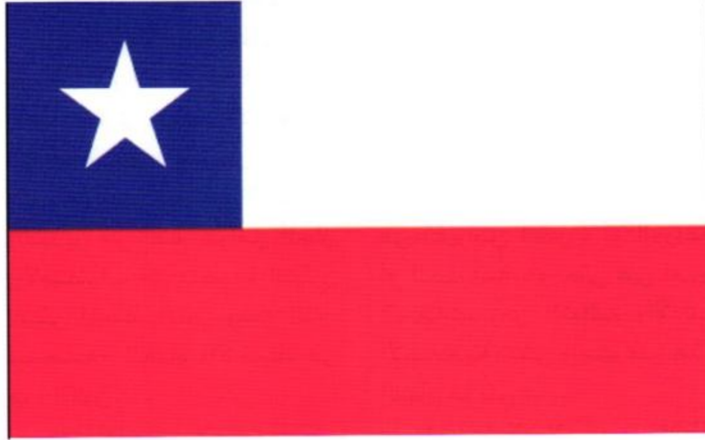
٧- علي راضي أبوزريق- الإنسان والبيئة.

٨- د.احمد فؤاد باشا- التشريعات الإسلامية لحماية البيئة- مجلة الأزهر- شوال ١٤١٧هـ- فبراير ١٩٩٧م.

المسلمون في تشيلي والذوبان في المجتمع

عبده مصطفى دسوقي •

الإسلام لا يزال غريبا رغم كونه الديانة الثانية في العالم، وغربته بسبب ما يحمله بين طياته من منهج أفزع الملحدين، وأرق أصحاب الديانات الأخرى، مما اضطرهم للاستنفار للتصدي لهذا الدين، ولذا أصبح المسلمون في هذا الزمان كالأيتام على موائد اللئام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (سنن أبي داود).



الدلائل الأثرية الموجودة في متاحف أمريكا اللاتينية تكشف أن المسلمين هم من اكتشفوا الأميركتين قبل كولومبس

لكن إذا عاد المسلمون إلى دينهم وتمسكوا بشريعة ربهم تحقق فيهم وعد الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

فهذه هي الرسالة التي وجد من أجلها المسلمون، وهي إصلاح وتعمير الأرض ونشر شريعة الله وسط الكون، غير أن كثيرا من المسلمين وجدوا في بلاد هم فيها أقلية، وبسبب ضعفهم اضطهدوا من حكومات تلك البلاد، بل من أصحاب الديانات الأخرى.

إن اختلاف أوضاع الأقليات من بلد إلى آخر لا يمكن النظر إليه بمنظار واحد، فبعضها قد نال كثيرا من حقوقه، وبعضها مازال يعمل لتأكيدها في المجتمعات التي تعيش فيها، وبعضها تهدد وجودها عمليات الاستئصال والتطهير العرقي، كما لا يخفى أن هناك تزايدا وتفاقما في العقبات والمخاطر التي تواجه الدعوة الإسلامية في كل مكان، خاصة خارج العالم الإسلامي، سواء كانت بين أهل تلك البلاد أنفسهم، أو بين أبناء المسلمين من الجاليات التي تتعايش مع تلك المجتمعات.

ومما لا ينكره كل ذي لب أن الدعوة الإسلامية خارج العالم الإسلامي هي في الغالب حصيلة جهود فردية ومن المستطاع ضربها من حكومات تلك البلاد، كما هو الحال في تشيلي.

الإسلام في تشيلي

ارتبط ظهور الإسلام في هذا البلد بالعرب المهاجرين، فبعد ضعف الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الاستعمار الفرنسي والبريطاني لمعظم دول العالم العربي والإسلامي، هاجر عرب مسلمون ونصارى، خاصة من سورية وفلسطين ولبنان، تجاه دول أميركا اللاتينية ومنها تشيلي بحثا عن لقمة الخبز وحياة أفضل مستقرة آمنة.

ومن خلال هذه الهجرات تشكلت نواة الأقلية المسلمة، حيث انطلق المهاجرون في دروب تشيلي وأزقتها وأسواقها كباعة متجولين، وبين عشية وضحاها حققوا تفوقا في مجالي التجارة والفلاحة، وبدأت هذه الهجرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد عام ١٨٥٦م، وازدادت في القرن العشرين، كما اعتنق الدين الإسلامي في بداية الثمانينيات الكثير من الهنود التشيليين.

ولكن هؤلاء المهاجرين المسلمين الذين قدموا إلى أميركا اللاتينية عقب الحربين العالميتين وجدوا صعوبة في الانخراط في المجتمع اللاتيني ما لم يتحولوا إلى المسيحية، ولقد كانت البيئة التي انخرطوا فيها بيئة قاسية غير متسامحة ضيقت عليهم الخناق فزعزعت إيمانهم بجذورهم الإسلامية وجرفتهم في تيارها، فرفضوا أصولهم الإسلامية.

وعلى الرغم من الصعوبات البالغة التي واجهها المسلمون الأوائل، غير كونهم أرقاء أو غرباء مهاجرين، فإن السنوات الأخيرة شهدت تقدما ملحوظا في الدعوة الإسلامية تتمثل في زيادة أعداد المسلمين.

وعدد المسلمين من أهل البلاد ٣١٩٦ مسلما، بالإضافة إلى ما بين ٣-٤ آلاف مسلم من العرب المهاجرين الذي يبلغ تعدادهم ١٥٠ألف عربي أغلبهم من المسيحيين.

وتكشف الدلائل الأثرية الموجودة الآن في كثير من متاحف دول أميركا اللاتينية، ومنها شيلي، أن المسلمين هم الذين اكتشفوا قارة أميركا قبل أن يكتشفها «كولومبس»، وذلك

• باحث مصري في التاريخ

عندما أبحر ثمانية من المسلمين من لشبونة في القرن العاشر الميلادي، محاولين اكتشاف ما وراء «بحر الظلمات»، وهو الاسم الذي كان يطلقه المسلمون على المحيط الأطلسي إلى أن نزلوا في أميركا الجنوبية.

يذكر كتاب «العرب في أميركا» أنه في سنة ١٥٣٩م اكتشف «فرامارکوس دي نايز» المناطق المعروفة اليوم باسم «نيومكسيكو» و«أريزونا»، وكان مرشده في ذلك بحار مسلم مغربي اسمه «أسطفان»، وقتل على يد أحد الهنود الحمر سكان أميركا الأصليين، الذين لم يكونوا قد رأوا أي رجل أبيض من قبل.

وتشير دراسات أخرى أن عددا من البحارة المسلمين من بقايا الممالك الأندلسية كانوا من أفراد البعثة الاستكشافية التي قادها كولومبس نحو الأميركتين في عام ١٤٩٢م، نظرا لتفوقهم في علوم الفلك والملاحة وصناعة السفن، إضافة إلى أن نسبة كبيرة من العبيد الأفارقة الذين أتى بهم إلى أميركا اللاتينية من شمال إفريقيا وشرقها كانوا من المسلمين.

وكشف الباحث والمؤرخ السوري د.شوقي أبوخليل في كتاب له بعنوان «دمشق ٩٣ للهجرة.. الشمس في ضحاها» الصادر عن دار الفكر بدمشق أن العرب في العهد الأموي الأندلسي اكتشفوا القارة الأميركية قبل كولومبس بثلاثة قرون على الأقل، ويستشهد بما ذكره المستشرق الروسي كراتشكوفسكي عن «مغامرة الفتية المخاطرين» والتي انطلقت في القرن التاسع الميلادي، أي في عهد حكم الأمراء الأمويين في قرطبة.

وفي عام ١٩٥٢م نشرت صحف البرازيل تصريحا للدكتور جغرز أستاذ العلوم الأثرية الاجتماعية في جامعة وايتوترستراند في جمهورية إفريقيا الجنوبية جاء فيه وفق «ارابيان بيزنس»: إن كتب التاريخ تخطئ حينما تنسب اكتشاف أميركا إلى كريستوف كولومبس، ذلك لأن العرب في الواقع هم الذين اكتشفوها، وبذلك دخل الإسلام هذه البلاد، واستمر فيها حتى ازداد بعدد الهجرات من الدول العربية إلى أميركا اللاتينية أثناء الاستعمار.



الحفاظ على الهوية

تعاني الأقلية المسلمة من الذوبان شبه الكامل في المجتمع الشيلي، وأحوالهم الاقتصادية متوسطة إذا ما قورنوا بالأقليات الأخرى، خاصة اليهودية التي تسيطر على جل المؤسسات البنكية وقطاع المحاماة والإعلام.

ومع أن المسلمين في تشيلي أسسوا جمعية إسلامية إبان الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م إلا أن هذه الجمعية تقلص نشاطها وتضاءل حتى إنه أصبح عديم الذكر بسبب ضعف إمكانات الأقلية المسلمة في شيلي على كل المستويات.

ويوجد في تشيلي الآن مسجدان أحدهما في العاصمة سنتياجو والآخر في مدينة إكيكي بشمال تشيلي، وقام ببنائه مجموعة من المسلمين من شبه القارة الهندية، وافتتح للصلاة عام ١٩٩٧م، كما أعطى ملك المغرب محمد السادس في عام ٢٠٠٤ أثناء زيارته لتشيلي أمرا ببناء مركز ثقافي ومسجد في التشيلي على نفقته الخاصة، وتعيش أغلب الجالية المسلمة في العاصمة سنتياجو ومدينة إكيكي، ومدن متفرقة أخرى.

وفي ظل قلة المساجد تواجه الجالية المسلمة في تشيلي تحديات خطر الذوبان في المجتمع، حيث تطالعنا بعض الصحف الصادرة لديهم بأسماء لأشخاص يجمعون بين الإسلام والنصرانية، فمثلا نجد (جون عبد الله- ومايكل محمد... وهكذا) وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على الهوة السحيقة بين أبناء الجيل الجديد وآبائهم ممن كانوا على دين الإسلام.

وهناك أسباب كثيرة أدت إلى بعد الأبناء عن الإسلام وجهلهم به، أهمها ضعف الإمكانات الدعوية، فكما ذكرنا من أنه لا يوجد سوى ٣ مساجد جامعة، وهي تمثل في نفس الوقت مراكز إسلامية، و٧ مصليات صغيرة تخدم كل مسلمي شيلي، ويحلم الكثير من المسلمين في هذا البلد بزيادة عدد المساجد لتربط بينهم وتعمق هويتهم.

ومن الصعوبات التي تواجه الأقلية المسلمة في تشيلي :

١- الضعف الشديد في التواصل بين المسلمين من جهة والعالم الإسلامي من جهة أخرى.

٢- لا تتلقى المراكز الإسلامية المنتشرة في أميركا اللاتينية أي دعم مادي من الخارج، ويكتفي معظمها بموارده الذاتية الداخلية المحدودة.

٣- التقصير من جانب المسلمين أنفسهم في عرض الإسلام، وإهمال المنظمات الدولية الإسلامية للأقليات المسلمة في أميركا الجنوبية.

٤- قلة عدد المساجد وانحسارها.

٥- كثرة زواج الشباب بغير المسلمات أو بالمسلمات اسما، وهذا يؤثر في مستوى التزام الشباب أنفسهم بالإسلام وأبنائهم بعد ذلك، ويزداد الأمر سوءا عندما ينفصل الزوجان وتتولى الأم حضانة أبنائها فتنشئهم بعيدا عن تعاليم الإسلام كما يحدث في جل الدول الغربية.

٦- جهل كثير من المسلمين بتعاليم الإسلام الأساسية، وكذلك قلة الاهتمام باللغة العربية.

وبذلك يحتاج المسلمون في شتى بقاع الأرض لمن يعرفهم دينهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على هويتهم الإسلامية من الذوبان في المجتمعات الغربية.

المصادر

١- العرب في أميركا.. صراع الغربة والاندماج: مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢- الوطن العربي وأميركا اللاتينية: مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م

الشيخ مساعد العازمي

(١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)

هو الشيخ مساعد بن عبدالله البريكي العازمي، ولد في بادية الكويت سنة ١٢٦٢هـ، الموافق ١٨٤٥م تقريبا.

نشأته

عاش أكثر طفولته في البادية، فتعلم الرجولة والاعتماد على النفس والصبر على الأذى، وهي صفات تصبغها بيئة البادية على أهلها، ثم جاء إلى الكويت بصحبة أهله، وسكن أهله في «فريج» العوازم، قرب «دروازة العبدالرزاق».

طلبه العلم وتعلمه

أ- طلبه مبادئ العلم الأولى في الكويت:

بعد قدومه إلى الكويت من البادية مع أهله، أخذ يتعلم مبادئ الكتابة والقراءة والحساب وما تيسر حفظه وقراءته من كتاب الله على المدرسين الموجودين، على قلتهم في الكويت، والعلوم المتاحة لمن في مثل سنه، وهي العلوم الأولية المذكورة آنفا، وتعتبر هذه العلوم مفتاحا لمعرفة الدين والدنيا.

ب- طلبه العلم في مصر وذهابه إليها:

عندما بلغ العشرين عاما، رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، وذلك عام ١٢٨٢هـ - الموافق ١٨٦٥م، وبدأت رحلته هذه بصورة مثيرة، فقد استأجر جملا ورافق أحد الدراويش الهنود الذين كثيرا ما كانوا يمرون بالكويت وهم في طريقهم إلى الحج.

ولما في الحج من منافع كثيرة للناس، فقد هيأ الله له مجموعة من طلبة العلم الأزهريين ممن وفدوا إلى مكة لأداء الفريضة، فتعرف عليهم وسمع منهم الكثير عن الأزهر الشريف فتشوق إلى طلب العلم في هذا المركز العظيم، فرحل إلى مصر بعد أدائه مناسك الحج وأقام بها زمنا طويلا، ملتحقا بالأزهر الشريف حتى نال شهادة علمية في شوال من عام ١٢٩٨هـ، الموافق ١٨٨٠م تقريبا.

شيوخه في مصر

استقر الشيخ في مصر سنة ١٢٨٢هـ- الموافق ١٨٦٥م - أو بعدها بسنة - فسكن في أحد أروقة الأزهر، وفيه درس الفقه، والأصول، وعلوم اللغة العربية، على شيوخ أفاضل حتى منح الشهادة الازهرية وعليها إمضاء شيوخه الذين نذكر منهم الشيخ داود العدوى المالكي الأزهري، والشيخ أحمد الجيزاوي المالكي، والشيخ علي الشامي الجيزاوي المالكي الأزهري، والشيخ علي كبوة العدوى المالكي، والشيخ محمد النجدي الشرقاوي الشافعي، والشيخ أحمد الرفاعي المالكي الأزهري، والشيخ مصطفى عز الشافعي، والشيخ محمد المعتوق المالكي، والشيخ أحمد الشبيني الشافعي الأزهري.

اتصل الشيخ في أثناء اقامته بمصر بشيخ الأزهر الذي نصحه بتعلم طريقة التلقيح ضد مرض الجدري، فتعلمه من أحد الأطباء الموجودين في القاهرة، وسبب اختياره هذه المهنة يعود لسهولة تعلمها بأقل التكاليف، ولكونها مصدرا مضمونا للرزق، ولحاجة منطقة الخليج العربي الشديدة لمثل هذا العمل، نظرا لانتشار وباء مرض الجدري وتهديده سكان منطقة الخليج كل عام.

ويرى الشيخ عبدالله النوري أن

الشيخ يمتاز بأخلاق إسلامية فاضلة وكان جريئا في قول الحق لا يهاب أحدا ويمتثل أمر رسول الله

هناك دوافع أخرى وراء تعلم الشيخ مساعد هذه الصنعة، وهي موت والده بسبب هذا المرض الوبائي.

ولقد سافر الشيخ مساعد من مصر إلى الهند لشراء بعض العقاقير والمواد اللازمة للتلقيح، ثم عاد من الهند فمر باليمن، وأقام بها عاما كاملا، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا أين نزل في اليمن، وهل التقى بأحد من العلماء أم لا، خصوصا أن اليمن كانت تزخر بالعلم والعلماء.

ثم غادر اليمن متوجها إلى الكويت فمر ببلدة رأس الخيمة، وهناك أخذ يشرح للناس فائدة التلقيح ضد مرض الجدري ويحذرهم من خطورة هذا المرض، ولجهل أهل هذه المنطقة بمثل تلك الأمور الطبية ظنوه من المشعوذين وانصرفوا عنه، فلما سمع به أمير رأس الخيمة ظنه من المشعوذين أو الدجالين الذين يغررون بالناس ويأخذون أموالهم بالدجل، ولما عرف أنه من العلماء حبب إليه المقام في بلده ليفيد الناس ويستفيد، وأقام برأس الخيمة سنوات تزوج خلالها من إحدى نساء رأس الخيمة، وأنجب منها أول مولودة له.

صورة من إجازة علماء الأزهر للشيخ محمد سعد بن عبد الله المعروف بالشيخ مساعد العازمي، وذلك سنة ١٢٩٨هـ.

ج- طلبه العلم في الأحساء

ذهب من رأس الخيمة إلى الأحساء على جمل وهبه له أميرها، وفي الأحساء أخذ يتلقى العلم على علمائها، ولا يخفى أن الأحساء كانت مليئة بالعلم والعلماء والأدباء، فهي مدينة العلم ومركز الأدب.

قدومه الكويت

وصل الشيخ إلى الكويت في سنة ١٣١٥هـ - الموافق ١٩٠٧م قادما من الأحساء التي كانت نهاية الرحلة الطويلة.

وأقام مدة في الكويت ثم سافر إلى البحرين ولا نعلم عن أهداف هذه الرحلة شيئا، وهل كانت رحلة علمية أم تجارية.

ثم عاد من البحرين وبقي في الكويت حتى سنة ١٣٤٧هـ - الموافق ١٩٢٧م، وغادرها إلى البحرين وظل فيها إلى أن توفي سنة ١٣٨٢هـ- الموافق ١٩٦٢م.

أعماله

تلقيحه أهل الكويت ضد الجدري:

لما وصل الشيخ إلى الكويت فتح له عيادة في منزله الواقع في «فريج العوازم» لتلقيح الناس، فأقبل عليه الناس بأولادهم لتلقيحهم ضد مرض الجدري الشائع في الكويت في تلك الأيام، ولقد ذاع صيته وعمت شهرته أنحاء الكويت فنفع الله به الكويت بهذا العمل الجليل الذي تعلمه في مصر.

تلاميذه

لم يهتم الشيخ بنشر العلم الذي حصل عليه في ترحاله الطويل، واعتبر الشيخ عبدالله النوري ذلك منه تقصيرا، ولهذا لم نجد له تلاميذ إلا ما كان من الشيخ يوسف بن حمود وابنه عبدالله الذي وصفه الشيخ النوري بأنه كان عالما بالشريعة الإسلامية فقيها باللغة العربية، حافظا لكثير من الشعر العربي.

شخصيته وأخلاقه

يمتاز الشيخ بأخلاق إسلامية فاضلة، وعلى ندرة المعلومات عنه استطعنا أن نلم ببعض جوانب شخصيته، فمن الصفات المهمة التي كان يتحلى بها أنه كان جريئا في قول الحق لا يهاب أحدا.

ومن صفات شخصيته امتثاله لأمر رسول الله ﷺ، وهذا يتمثل في الحادثة التالية أن الشيخ وجد بعد رجوعه من السفر أن أحد أبنائه رَفَعَ سطح منزله بحيث أصبح أعلى من سطح جاره، فما كان منه إلا أن أمر بهدم السطح حتى لا ينطبق عليه حديث التطاول في البنيان.

وقد كان يحب الأطفال ويعنى بهم ويكره بكاءهم، فإذا أتته امرأة بطفلها لعلاجه أو تلقيحه أخذه منها وأجلسه في حجره وأعطاه شيئا من الحلوى لتلهيه، وبسرعة خاطفة وضع الدواء له (الطعم) ثم استرضاه ثم سلمه لأمه.

وهناك صفات أخرى كان الشيخ يتحلى بها، منها أنه كان حاضر النكتة، يضحك منها غيره ولا يضحك، وكان يحفظ كثيرا من الشعر ويستشهد دائما بما يحفظ منه، وكان إذا أتى بالشاهد من الشعر أنشده بصوت غنائي يلذ للسامع إيقاعه ومعناه.

صفاته الخَلقية

كان، رحمه الله، رَبعة من الرجال، أقرب إلى القصر، أسمر اللون، سريع المشية، حتى بعد شيخوخته وحمله العصا.

وفاته

توفي الشيخ مساعد- رحمه الله- بعد أن أوى إلى فراشه في ليلة من الليالي في قرية اختارها له وطنا يقال لها «عسكر» في دولة البحرين، وذلك في عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.

الجامع الأموي.. درة دمشق

إعداد: التحرير

تبارى الواصفون والشعراء في ذكر محاسن المسجد الأموي بدمشق، فهو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه. يقول ابن بدران- في منادمة الأطلال- عنه: هو أعظم جوامع دمشق وللناس فيه قصائد وأقوال يضيق عنها الحصر. ويقول عنه ياقوت- في معجم البلدان- في مبالغة ظاهرة: لو أن الإنسان عاش ألف سنة، وجعل يتردد كل يوم من أيامه إلى الجامع الأموي، لكان يرى في اليوم ما لا يراه في أمسه.

ويقول الشاعر الإسلامي محمود غنيم في الجامع الأموي:

وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها

عمن بناه لعل الصخر ينعاه

ولقد توالت الدراسات والأبحاث عن الجامع الأموي في تأريخه ووصف بنائه وجماله وزخارفه وفنونه، منذ العصور الأولى بعد بنائه إلى أن جمع ذلك الحافظ ابن عساكر في تاريخه، وعنه تناقل الكثيرون تلك الأخبار وأضافوا إليها مشاهداتهم والتغييرات التي حدثت فيه من وصف للحلقات العلمية والتاريخية، كما تحدثوا عن مشاهير العلماء الذين درّسوا فيه أو خطبوا أو أمّوا أو عملوا، وتحدثوا أيضا عن أهم الأحداث التي أصابت الجامع من حرائق أو زلازل، ثم التجديدات الكثيرة التي نشأت فيه، وتتضمن كذلك وصفًا مفصلا لبنائه، وتعود أهمية هذه النصوص إلى أنها من وصف علماء معاصرين لتلك المرحلة.

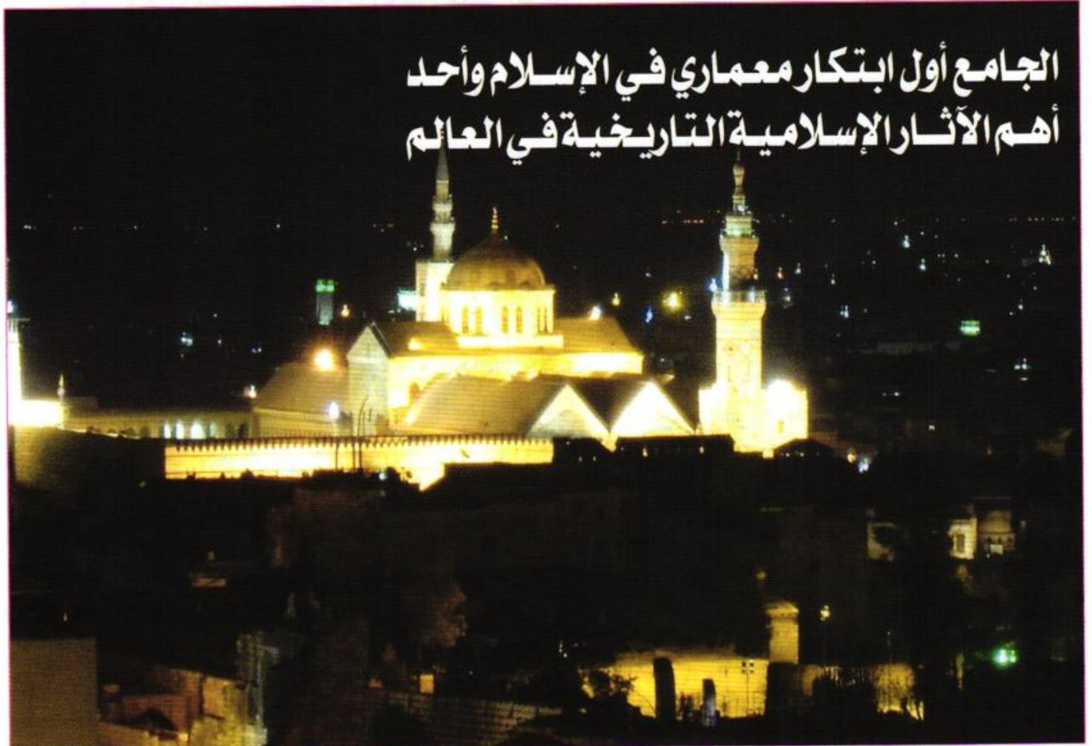
وهذه النصوص تكشف الحقائق التاريخية لبناء الجامع الأموي بعد حريقه، وتظهر المهارة الفنية والهندسية لمهندسي وفناني وعمال دمشق في تلك الفترة، كما تبين مدى التعاون الشامل في تنفيذ هذا العمل الكبير وكيف تمكن القائمون عليه من إعادته إلى ما كان عليه قبل الحريق، وربما فاق في حسنه وإتقانه وزخرفته وإبداعه عن ذي قبل.

فدمشق الشام تلك المدينة العظيمة في التاريخ والحاضر، والتي جمعت ما لم تجمع مثله مدينة في الدنيا.. ميراث ضخم من الماضي جعلها أقدم المدن المسكونة في الأرض بلا خلاف، فقد تجمّع فيها ما تفرّق في مدن الأرض من الجمال، فالجنان غوطتها والأنهار في ربوتها والبساتين التي يضل فيها النظر سكران من الفتون، والجبال من حولها إلى تلكم الأماكن الجميلة الهادئة النشطة التي يتخلل خرير مياه أنهارها المتدفقة من سهل الزبداني ووادي بردى، وكانت هذه الأنهار تغذي أحياء وجوامع ومشافي ومدارس وحمامات دمشق.

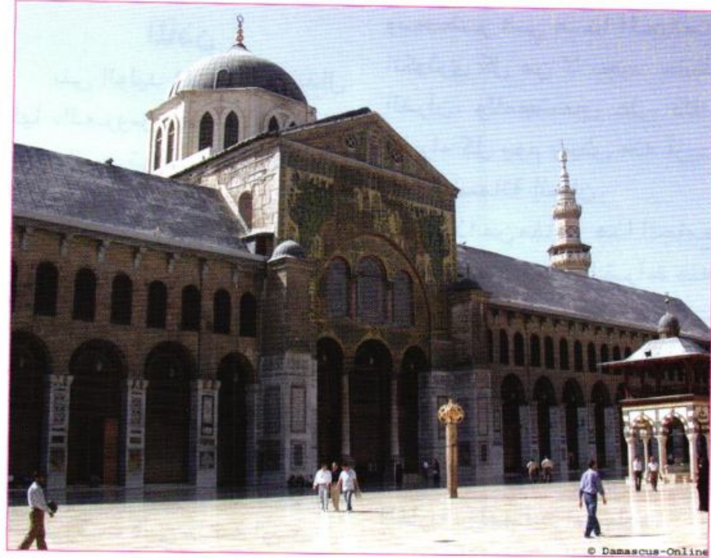
جامع بني أمية (الجامع الأموي)

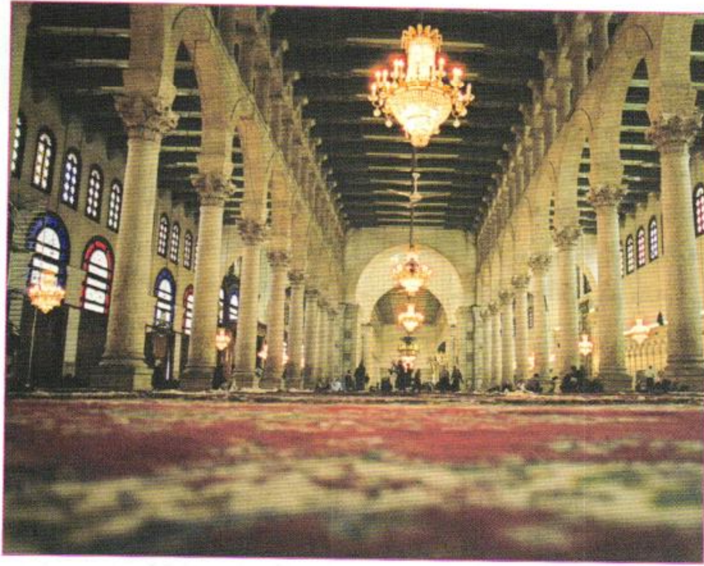
ويقال له الجامع المعمور وجامع دمشق، هو أهم معالم مدينة دمشق وأشهرها دينيا وفنيا وأثريا، وهو أول ابتكار معماري في الإسلام، بل أحد أهم الآثار الإسلامية التاريخية في العالم.. ناهيك عن أنه يقع في قلب أقدم مدينة في التاريخ.

وتعد زيارة الجامع الأموي بدمشق غاية ما يصبو إليه زائر هذه المدينة، وقبلة ما تهفو إليه نفسه، وتجيش به مشاعره، فصيت هذا الجامع ملأ الدنيا منذ أن شيده الخليفة الأموي



الجامع أول ابتكار معماري في الإسلام وأحد أهم الآثار الإسلامية التاريخية في العالم





الوليد بن عبدالملك في أوج عصر دمشق الذهبي، يوم كانت الدولة الأموية لا تغيب عنها الشمس، ولهذا لا تكتمل زيارة مدينة دمشق دون زيارة للجامع الأموي.

قال عنه أحد المؤرخين الأوروبيين المعاصرين:

«إنه لم يكن فقط أعظم أبدة قامت في أرض الإسلام حتى ذلك الوقت، بل إنه أحد ابتكارات فن البناء العالمي في كل الأزمان وفي كل البلاد».

فكان بناؤه تحفة فنية فريدة تمثل أبدع ما انتهت إليه عبقرية الفن العربي الإسلامي.

ولقد رأى الخلفاء الأمويون بناء مسجد يليق بعظمة حاضرتهم دمشق، فشيد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك بناء الجامع سنة ٧٠٥م، وجاء الجامع الأموي يليق فعلا بعظمة دمشق عاصمة الدولة الأموية الكبرى، وكان نموذجًا بديعًا لفن بناء المساجد الإسلامية تتجلى فيه روعة الفن، وتزينه بقايا فسيفساء، وثلاث مآذن، وثلاثة أبواب أعظمها باب جيرون، وأمام الباب الغربي «باب البريد» بقايا هيكل جوبيتير، وهي أعمدة محتفظة بتيجانها حتى الآن، وكانت قد حولت إلى بازيليكا في العهد البيزنطي.

والواقع أن بناء الجامع الأموي الكبير بدمشق يُعدُّ تحفةً فنية نادرة في فن العمارة الشرقية الإسلامية وزخارفها، وفي الجامع الأموي قبر النبي «يحيى» وفيه المحراب الكبير، ويعد كلاهما آية في فن الزخرفة الشرقية وهو معلم ديني وأثر من أهم الآثار الموجودة في مدينة دمشق الشام.

أبواب الجامع الأموي الداخلية

١- باب البرادة: أو باب السنجق أو الصنجق، باب البرادة هي التسمية القديمة للبوابة الرئيسية المنفذة من صحن الجامع إلى حرمه، أما السنجق أو الصنجق فهي الأحدث، وتنسب إلى الراية التي تحمل مع المحمل عند أداء فريضة الحج.

٢- باب مقصورة الخطابة: الباب المؤدي إلى مقصورة الخطابة داخل الحرم.

٣- باب الخطابة: انظر باب مقصورة الخطابة.

٤- باب السر «باب الخضراء»: ذكره ابن قاضي شهبة ولم يحدد موقعه، ويعتقد بأنه الباب المفضي إلى قصر الخضراء والذي يدخل منه الخلفاء الأمويون من وإلى الجامع دون أن يراهم أحد.

٥- باب الخضراء: انظر باب السر.

٦- واكتشف في الجدار الجنوبي للجامع الأموي باب من العهد البيزنطي كان مختفيا خلف النسق الشمالي لسوق القباقبية، وتعلوه كتابات كنسيّة يونانية تعود إلى أيام كنيسة يوحنا المعمدان، وقد أزيل هذا النسق في بداية الثمانينيات من القرن الماضي لحماية الجامع من الحريق، ولكشف جداره الأثري كما مر معنا في بحث أبواب الجامع الخارجية.

صحن الجامع

لقد ظهر الجامع الأموي بانطلاقة جديدة في الفن والعمارة الإسلامية، ولقد كان الجامع في هندسته مرآة للعصر الأموي بكل ما فيه من عناصر القوة والازدهار والتقدم، فقد وضع الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية مبادئهما الأولى فيه، يقول عنه العالم الفرنسي «سوفاجيه»: وروعة زخارفه، قرابة ثلاثة قرون ونصف، كان خلالها مثار إعجاب ودهشة كل من زاره وشاهد معالمه. وتذكر كتب التاريخ أن الخليفة العباسي المأمون زاره برفقة المعتصم، ويحيى بن أكثم، فقال لهما:

- **ما أعجب ما في هذا المسجد؟**

- **قال المعتصم: ذهبه وبقاؤه، فإنا نجعله في قصورنا فلا تمضي عليه عشرون سنة حتى يتغير.**

- **قال المأمون: ما ذاك الذي أعجبني منه.**

- **قال يحيى: تأليف رخامه، فإني رأيت شيئا ما رأيت مثله.**

- **قال المأمون: ما ذاك الذي أعجبني منه؟**

- **قالا: وما الذي أعجبك؟**

- **قال: بنيانه على غير مثال متقدم.**

وفي عام (٤٣٢ هـ) زاره أحد المؤرخين فقال عنه: إنه بكر الدهر ونادرة الوقت، وإن أمية أبقت به ذكرًا لا ينقطع.

القباب

وفي الصحن ثلاث قباب، أولاها: القبة الغربية (قبة المال)، أنشأها الفضل بن صالح بن علي العباسي (ابن عم المنصور) لما كان أمير دمشق سنة ١٧١ أيام المهدي، ويظهر أنها كانت مغلقة، والناس يتوهمون أن فيها مالا، ولم أجد خبرًا لفتحها إلا ما كان سنة ٩٢٢هـ، إذ فتحها «سيباي» فلم يجد فيها إلا أوراقًا ومصاحف بالخط الكوفي، وقد فتحت في سنة ١٣٠٦ فوجدت فيها مصاحف ومخطوطات نقلت إلى اسطنبول.

قبة الخزنة: وهي ما تعرف بقبة المال، أو بيت المال، وتقع في الجزء الغربي من الصحن ويعود إنشاؤها إلى عام «١٧١هـ» في عهد الخليفة العباسي المهدي، وبانيها هو الأمير فضل بن صالح بن علي وهي عبارة عن هيكل مثمن الشكل مغطى بالفسيفساء، يقوم على ثمانية أعمدة ذات تيجان من النمط الكرونثي، تقوم على تلك الأعمدة قبة رصاصية، ويبلغ ارتفاع القبة عن أرض الصحن ٢٠ متراً وقطرها نحو ٦ أمتار.

ثانيتهما: القبة الشرقية، بنيت كذلك أيام المهدي سنة ١٦٠ وتعرف بقبة زين العابدين، وكانت تسمى قبة يزيد، وتُسمى الآن قبة الساعات إذ كانت فيها ساعات المسجد.

والثالثة: القبة التي على بركة الماء، وقد كانت من الرخام، وأقيمت سنة ٣٦٩ .

الأروقة والفسيفساء

ومن الروائع التي ينفرد بها المسجد الأموي الكبير هو الذهب والعقود، وبه الفسيفساء الزجاجي المغطى بالرقائق الذهبية والفضية الشفافة، والتي مازالت أقسام منه في الدهليز الغربي ونهاية الدهليز الشرقي وواجهة المجاز المطلة على صحن المسجد وبعض تحف موزعة في داخل الحرم فوق الباب الشمالي.

وقد أكدت الدراسات الأثرية وعمليات المسح والتنقيب أن أكثر من اثني عشر ألف عامل قد اشتغلوا مدة سبعة عشر عاما في الأموي، وبلغت ساحة لوحات الفسيفساء ثلاثين ألف متر مربع، كما بلغت زينة الفسيفساء ثلاثمائة طن، ويكاد يجمع الباحثون في تاريخ الأموي الكبير بدمشق وجمالاته أن أعمال الفسيفساء هي تحفة وأرفع ما فيه من إبداع في كل العصور وفي جميع أصقاع الدنيا.

ولقد أمكن من تعداد تسعة وثلاثين لونا مختلفا بين مكعبات الفسيفساء، بما فيها ثلاث عشرة درجة من ظلال ودرجات اللون الأخضر وحده، وأربع درجات من اللون الأزرق والذهبي، وثلاث درجات من اللون الفضي.

وكانت لوحات الفسيفساء تغطي مصلى الجامع ودهاليز صحنه وواجهاته المطلة على الصحن وأرضياته، وكان يعلوها ألواح الرخام التي لا تزيد عن قامتين، وينهض نطاق الفسيفساء حتى يبلغ أربعة عشر مترًا.

المآذن

بنى الوليد المنارة التي يقال لها «العروس» وجعل عدة من المصابيح توقد عليها في كل ليلة، ورتب لها ثلاث نوب، كل نوبة أربعون مؤذنا، وهي باقية إلى يومنا هذا، وأما «الغربية» و«الشرقية» فهما على ما كانتا عليه من غير أدوار ودرابزين، وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب النواقيس والرصد، وقال بعض المؤرخين إن الشرقية احترقت في سنة أربعين وسبعمائة فنقضت وجددت من أموال النصارى لكونهم اتهموا بحرقها. وأقر بعضهم بذلك، فقامت على أحسن الأشكال، وقال بعض العلماء في المنارة الشرقية البيضاء أنها التي ينزل عليها بن مريم عليه السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان، والله أعلم.

ويقال إنه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة، فهدمهما الوليد، وجعل من بعض آلتهما قبتان على أعمدة في صحن الجامع، وجُعل فيهما خلوتان من فوق الأعمدة، وأودع بهما كتب أوقاف هذا الجامع ومصاريفه، ويقفل عليهما بالأقفال الحديدية المانعة.

مركز العلم والتعليم

والمسجد أيضا مقر لأهل العلم يدرسون فيه ويدرسون، وفيه اعتكف الغزالي وكتب بعض كتبه وقام بالتدريس، ويقول ابن جبير: وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم، كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءة سبع من القرآن دائما، ومثله إثر صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية، يقرأون فيها سورة الكوثر إلى الخاتمة، ويحضر في هذا المجتمع الكوثري كل من لا يجيد حفظ القرآن، وللمجتمعين على ذلك إجراء كل يوم يعيش منه أزيد من خمسمائة إنسان.

وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم، فلا تخلو القراءة منه صباحًا ولا مساء، وفيه حلقات التدريس للطلبة، وللمدرسين فيها إجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي، يجتمع فيها طلبة المغاربة، ولهم إجراء معلوم.

ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة، وأغرب ما يحدث به أن سارية من سواريه، هي بين المقصورتين القديمة والحديثة، لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس، أبصرنا بها فقيها من أهل اشبيلية يعرف بالمرادي، وعند فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحا يستند كل إنسان منهم إلى سارية ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن.

وقبة النسر في جامع بني امية في دمشق الشام درّس تحتها جملة من العلماء الأفاضل، وجم من الأعيان الأماثل قبل صيرورة درسها وظيفة رسمية مرتبا من الدولة بأجرة عملية، وأبرزهم العلامة محمد الميداني، والشيخ نجم الدين الغزي، والشيخ البطنيني، والعلامة العجلوني، والعلامة الداغستاني، والمحدث الكزبري.

المصادر

١- الجامع الأموي درة دمشق إعداد وترتيب : حسن زكي الصواف

٢- قبة النسر : العلامة عبدالرازق البيطار تحقيق محمد بن ناصر العجمي

في احتفالية اتحاد كتاب مصر عن «القدس وثقافة المقاومة»

بدر محمد بدر

أوصى المشاركون في احتفالية «القدس وثقافة المقاومة» بضرورة إحياء ثقافة المقاومة باعتبارها قاعدة الانطلاق لجميع الجهود الرامية إلى تخليص القدس مما تتعرض له من عدوان غاشم على المستويات العسكرية والسياسية والثقافية، كما وجهوا الدعوة لجميع الكتاب والمبدعين العرب في مختلف المجالات الأدبية والفنية للعمل على إبقاء قضية القدس حية في الضمير العربي والإنساني، من خلال الحرص على أن تظل موضوعاً لكتاباتهم، ومادة خصبة لأعمالهم الفنية.

وأكد المشاركون في الاحتفالية التي أقامها اتحاد كتاب مصر على مدى ثلاثة أيام في الفترة من ٨ إلى ١٠ من سبتمبر الماضي في قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وحضرها لفيف من الأدباء والشعراء والكتاب من السودان وفلسطين والكويت وسورية ولبنان والأردن وليبيا والإمارات والبحرين والجزائر، على ضرورة إيقاف جميع أعمال الاستيطان والتهويد في القدس وفي فلسطين عامة، والحفاظ على الطابع العربي لجميع الأراضي العربية المحتلة.

كما أوصى المؤتمر الذي يعقد بالتعاون مع الحملة الأهلية للاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية بضرورة توحيد الجهود العربية لنشر الوعي بما يحدث الآن في القدس، عبر الكتابة وعبر وسائل الإعلام، وبيان أن القدس مدينة عربية تحت الاحتلال، وأن كل ما يجري بها من انتهاكات مخالف للقانون الدولي ولقرارات المنظمات الدولية في هذا الشأن.

واقترح الكتاب والأدباء والشعراء عمل مشروع علمي ضخم يشمل ببليوجرافيا للأعمال الأدبية العربية والمترجمة التي تناولت مدينة القدس، وناشدوا المؤسسات الحكومية والأهلية ذات الخبرة بهذا الموضوع أن تشارك بالجهد العلمي والمالي لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي.

ودعا المجتمعون في توصيتهم إلى إنشاء جوائز للأعمال الأدبية والفنية التي تتخذ موضوعها من قضية القدس المصيرية، وذلك أسوة بجائزة القدس السنوية التي يمنحها الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، كما طالبوا بإقامة مهرجان ثقافي وأدبي عربي عن القدس، يقام سنويا في واحدة من العواصم العربية والإسلامية.

القدس هي الرمز

بدأت الاحتفالية بكلمة محمد سلماوي رئيس اتحاد كتاب مصر قال فيها: إن القدس هي الرمز القوي للمقاومة، كما أن الثقافة هي المعقل الأخير للمقاومة، وأكد د. أسامة الأشقر رئيس المكتب التنفيذي للحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩ على ضرورة استنفار الأمة لتخليص مدينة القدس من الاحتلال، وحماية تراثها الحضاري والثقافي والديني.

ويرى الباحث الفلسطيني المتوكل طه، في بحثه «مقاومة المكان المقدس: آليات التطبيع ونقيضه»، أن القدس الآن وباختصار مدينة تمزق وتخترق وتمحى وتهود وتغير وتبدل بوصة بوصة، وجدارا جدارا، ويعمل المحتل على محاصرة أهلها بالضرائب والألاعيب والتهديد بالطرد والتوقيف وعدم منح الأوراق الثبوتية وباقي أوراق المواطنة والبقاء، التي تكتسب أهمية كبرى للصمود اليومي واحتمال الحياة في القدس، ولا يكتفي المحتل بذلك فهو يسهل كل أنواع الجريمة والانفلات والانحلال والتفكك الأسري والأخلاقي.

أسوار الحصار

ويضيف الباحث أن المحتل استطاع أن يطرد أو يسهل طرد المؤسسات الفلسطينية ذات الصبغة السيادية أو الشبيهة بها، كما أغلق ويغلق كل المؤسسات الفلسطينية والعربية والأجنبية التي تعمل في مجال الثقافة أو الفن أو التربية والتعليم داخل مدينة القدس، واستطاع أن يسور المدينة المقدسة بعدد من الأسوار التي لم تشهدها مدينة في التاريخ من قبل، فهناك أسوار من الأسمنت، ومن الأسلاك الشائكة والمستوطنين والشوارع الالتفافية، والأهم من كل ذلك هناك أسوار من الصياغات الدبلوماسية والتواطؤ الدولي والدعم القريب والبعيد، تسمح للمحتل أن يستفرد بالقدس.

وينبه إلى أن التطبيع هو أسوأ من الاستسلام، وأن التكيف أو التعايش مع المحتل يعني عمليا العيش مع الحق والإرادة المنقوصة، ويترجم هذا المضمار من أنواع التطبيع في الاتفاقات السياسية العرجاء والمشوهة التي تنقص من الحقوق والثوابت ضد مصالح الشعوب، وأسوأ أنواع هذا التطبيع ما يحاك في الظلام من اتفاقات وتكتلات سرية، يكون المحتل هو مركزها والمستفيد الوحيد منها.





المستقبل السياسي للإسلام



د. محمود مسعود

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

عندما ثارت ثائرة الولايات المتحدة الأميركية ضد التيار الإسلامي بحجة أنه يساند الإرهاب، وحاولت ربط الإسلام نفسه بالعنف، كانت هناك كتابات أميركية تدعو للتروي والتفكير والتدبر حتى لا تنتج هذه الثورة ردود أفعال تؤدي إلى تغيير مفهوم السلم والأمن العالمي. وهذا ما أدركته أميركا بتغير نظامها السياسي، ثم بتحسين صورتها حين غيرت خطابها كما اتضح ذلك من خطاب باراك أوباما للعالم الإسلامي، لهذا نقدم في مقالنا هذا قراءة لكتاب حمل الدعوة المبكرة للأميركيين للتروي ومحاولة فهم ظاهرة الإسلام السياسي، وهذا الكتاب عنوانه: المستقبل السياسي للإسلام (The Future Of Political Islam) لجراهام فولر Graham E. Fuller ومؤلف الكتاب ذو خبرة واسعة بالعالم الإسلامي، حيث عاش أربعة عشر عاما في خمس دول إسلامية، وقام بزيارات متكررة ولفترات طويلة لمعظم البلاد الإسلامية، وقد شغل منصب نائب رئيس لأحد المجالس التابعة لمركز الاستخبارات الأميركية CIA في فترة الثمانينيات من القرن الماضي. وفي هذا الكتاب يكشف المؤلف الخطوط العامة لظاهرة الإسلام السياسي من خلال رؤية واسعة ومركزة، كما يؤكد على تأثير الإسلام في السياسات الحديثة. وقد كتب كتابه هذا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وكان يسير ضد السياسة الأميركية حينئذ، ومع ذلك فهو لا يقدم كتابه هذا كاعتذار للمسلمين إنما هو مجرد محاولة لفهم وتعقل ظاهرة الإسلام السياسي لخدمة وطنه الأميركي.

ونحاول هنا أن نطرح الأفكار الرئيسة ونعلق عليها من خلال إحدى عشرة نقطة:

الأولى: تتطرق لطرح المؤلف أسئلة عدة عادة ما يطرحها المهتم بهذا الشأن، من مثل ما الإسلام السياسي؟ وما تأثيراته في العالم؟ وما التحديات التي يفرضها؟ وما التحديات التي تواجهه؟ وأين مراكز ثقله؟ وانتهى في هذه النقطة إلى أن الغرب يجني ثمار أخطائه في التعامل مع المسلمين، حيث ساند منذ فترات طويلة حكومات ظالمة ومستبدة، فتفجرت براكين الكراهية والغضب ضده وهو ماسّهل على المعارضين الإسلاميين أن يسيطروا على الشارع المسلم، كما أن الظلم الاجتماعي سّهل للحركات الإرهابية أن تتقوى وتتمدد.

الثانية: تظهر دعوة المؤلف بأن يتاح للإسلاميين الفرصة للتعبير عن آرائهم وعرض برامجهم وتنفيذ بعض تلك البرامج ماداموا لا ينحرفون عن القواعد الأساسية للمجتمع الدولي المعاصر، وهو في ذات الوقت يشك في قدرتهم على مجابهة كل مشكلات مجتمعاتهم، وفي رأيه أن العديد من تلك الحركات قد انحرفت فعليا عن بعض قواعد المجتمع الدولي، لكنه يرى أيضا أن بعض الحركات الإسلامية مازالت تتطور وتستحق المراقبة، رغم أن السلطات المحلية تعمل على إبعادها.

الثالثة: تكشف فهم المؤلف العميق لدور تلك الحركات في مواجهة ودفع الظلم وحل المشكلات الاجتماعية والحياتية للشعوب، وفي ذات الوقت تبحث عن وسيلة للتعبير عن آرائها وتدعو لبرنامج عملي من خلال النظم الحاكمة ذاتها، ومن هنا أخذ الإسلام السياسي ينمو ويتسع ويتطور ويتنوع، بل سوف يصبح حتما صاحب سمة مسيطرة وغالبة لسياسة الحكم في العالم الإسلامي، ومع أن الإرهاب يمثل خيطا رفيعا من التيار العام للإسلام السياسي، فإنه يمكنه أن يكون ذا قوة مؤثرة على خريطة العلاقة السياسية بين الإسلام والغرب بصفة خاصة، كما ظهر من أقوال وأفعال أسامة بن لادن ورد الفعل الأميركي تجاهه.

الرابعة: تبين أن الإسلام كدين يختلف عن الممارسات الإسلامية التي نتجت عن فهم بعض المسلمين للإسلام، فكلمة «إسلامي» تعني الشخص الذي يعتقد أن الإسلام كدين له رؤية سياسية للمجتمع الإسلامي المعاصر، بل يبحث عن ممارسة هذه الفكرة بطريقة عصرية، أما مصطلح «الأصولية» فهو يختص بالذين يتبعون قراءة حرفية ضيقة للنصوص الإسلامية و يحتكرون فهما واحدا للإسلام، ويعدون فهمهم للإسلام هو الفهم الوحيد الصائب، كما يظهرون عدم تسامح تجاه من يختلف معهم.

الخامسة: تظهر دعوة الكاتب لإعادة النظر والبحث في ظاهرة الإسلام السياسي بغض النظر عن محاولة فهم الإرهاب، فالإسلام السياسي يمثل بالنسبة للغربيين عالما غريبا وبعيدا مرتبطا بكفاح القرن السابع الميلادي لنشأة الإسلام، لكن الحقيقة غير ذلك، فسياسات الإسلاميين لم تستطع أن تصبح مهمة أو مؤثرة في السياسة الحديثة أو في التطور الاجتماعي كما أثر الإسلام قديما في العالم وسياسته. فالإسلاميون اليوم يناضلون مثل بقية شعوب الدول النامية ضد مشكلاتهم المزمنة والمستعصية، مثل مشكلة الحداثة والتطور والمدنية والتفكك

الاجتماعي والأزمات، وتدهور القيم والتقاليد وتهديدات العولمة وغيرها، ومعظم الإسلاميين ينظرون إلى الأمام ويحاولون تأسيس قاعدة أخلاقية أفضل للمجتمع قادرة على مواجهة متطلبات الحياة المعاصرة والتغلب على صعوباتها.

السادسة: وهي تعد الفكرة الرئيسة للكتاب، فهي تحاول إثبات أن ظاهرة الإسلام السياسي ليس ظاهرة بعيدة وغريبة إنما هي مرتبطة بشكل جوهري بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المعاصرة ذات الاهتمام العالمي، فمع أن الغرب لا يستريح كثيرا لوجود الدين في المحيط الاجتماعي، إلا أن أي دراسة للدين توضح مدى أهميته في مناحي الحياة، فمحاولة الإنسان أن يجد معنى فلسفيا وروحيا للحياة يمثل المادة الخام لمعظم الآداب والأفكار والفلسفات والفنون والموسيقى، والدين هو محور أساسي لكل تلك القيم، فهو رؤية للحياة كما أن الخوف من الفناء والاهتمام بما هو صواب وخطأ والتطلع لاستلهام قيم أخلاقية للوصول لكمال روحي في مراحل الحياة اليومية، كل هذه الاهتمامات تشغل الناس جميعا سواء أكانوا متدينين أم غير متدينين، والإسلام السياسي في قلب هذه الاهتمامات شأنه شأن غيره من النظم السياسية العالمية، ورغم أن معظم الشعوب الصناعية يظهرون عدم التعاطف مع الدين خاصة الدين المنظم، معتقدين أنه غير متسامح ويتضمن بقايا بعض الخرافات التي لم تندثر مع التقدم العلمي، فإن القليل من هؤلاء لا يهتم بما تثيره القضايا الدينية، فسيظل الدين قوة دافعة للمجتمع الإنساني.

السابعة: يبرز فيها كاتبنا تدين الأميركيين وقوة صلتهم بالدين وأن الاتجاه الأميركي للعلمانية لا يعني أنهم ينكرون الدين ودوره في الحياة، بل العكس من ذلك هو الصحيح، حيث أراد الأميركيون بهذا التوجه أن يحافظوا على إيمانهم من بطش السلطة السياسية، فالأميركيون هم أكثر الدول الصناعية تدينا.

نجاح الحركات السياسية الإسلامية سيستمر مادام الظلم الإجتماعي موجوداً بين طبقات الشعوب

يؤمنون بالأهمية السياسية للدين، كما أنه يمكن رؤية وفهم بعض الملامح الأساسية والرئيسة في العالم الإسلامي من خلال الإسلاميين السياسيين أكثر من غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى كالاشتراكيين واليساريين والاجتماعيين والقوميين والديموقراطيين، وذلك لسبب بسيط وهو أن الإسلام يتخلل الحياة اليومية



الثامنة: تؤكد أنه من الواجب على من يدرس الظاهرة السياسية الإسلامية أن ينظر للظاهرة العالمية للدين والسياسة، فحتى لو تباينت وجهة نظر الغربيين والشرقيين لبعض القضايا مثل: حق الحياة وحق الموت (الإجهاض والموت الدماغي)، وفهم وتعليم الجنس، وقانون الطلاق، وغيرها من القضايا التي يرى الغربيون عدم صلتها بالدين، في حين يرى الإسلاميون أنها مرتبطة بالدين ارتباطا مباشرا، لكنهم جميعا

للمجتمع الإسلامي بشكل أعمق من أي نظرية أو أيديولوجية أخرى.

التاسعة: أخذ فيها المؤلف يتأمل متسائلا عن مستقبل ظاهرة الإسلامي السياسي، وهل سيمثل دور المقاومة للعولمة وآثارها؟ أم سوف يمثل صيغة جديدة يتواءم بها الإسلام مع العصر وتتمكن المجتمعات الإسلامية عن طريقه من الدخول في الألفية الجديدة

وهي أكثر ثقة بتراثها الحضاري؟ ثم هل الحركات الإسلامية قدمت أطروحات ثبت فشلها في النصف الثاني من القرن الماضي وانتهى الأمر، أم ستقبل تلك الأطروحات تعديلا وتغييرا يفيد الحركات الإسلامية لتنمو وتزداد ازدهارا؟

العاشرة: حملت بعض توقعات المؤلف لظاهرة الإسلام السياسي التي ستواجه متطلبات وضغوطا أكثر كلما زاد نجاحها، وأن نتائج الحرب على الإرهاب ستصير إلى غير جدوى وستفشل أميركا في القضاء على الإرهاب، وستتصاعد موجات الغضب الإسلامي مما قد يزيد العمليات الإرهابية ضد الأميركيين، وسيؤدي ذلك إلى توتر العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي، وكذلك سيحدث توتر بين الجالية المسلمة في الغرب والشعوب الغربية مما قد يصيب الحريات المدنية بنكسات كبيرة. وهذا سيؤدي إلى بُعد الحركات الإسلامية عن هدفها الأساسي وهو تقوية وبناء المجتمع الإسلامي، لأنها ستنشغل بالدفاع عن نفسها وربما الانتقام، لكن ليس كل الحركات ستقع في هذا الفخ.

أما النقطة **الحادية عشرة** والأخيرة فيظهر من خلالها كيف أن مستقبل الإسلام السياسي مرتبط بشكل وثيق بقضية الإصلاح، وسيستمر نجاح الحركات السياسية الإسلامية في العالم الإسلامي مادام الظلم الاجتماعي موجوداً بين طبقات الشعب، لكنه لو لم يتبنَ الإسلاميون تلك القضايا بشكل فعال ومحاولة إيجاد حلول لها، ستنشأ قوى وحركات أخرى تتبنى هذه القضايا، خاصة حركات اليسار.

إعداد: علي الحربي

«ياهو» و«إنتل» توفران محتوى الإنترنت في التلفزيون



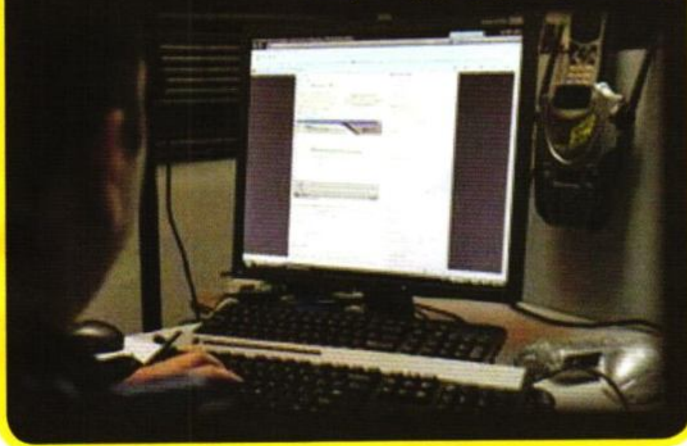
قامت شركتا ياهو وإنتل بتطوير برنامج يعرف باسم TV Widgets يسمح للمستخدمين بالوصول إلى صفحات الويب الشهيرة بجانب البرامج التي يشاهدونها، وتعمل شركة ياهو حاليا مع العديد من شركات تصنيع أجهزة التلفزيون مثل سامسونج وسوني وإل جي وفيزيو، بهدف توفير محتوى الإنترنت في أجهزة التلفزيون.

يذكر أن برنامج TV Widgets سيساعد المستخدمين على القيام بكثير من المهام بسهولة ويسر والاستمتاع بالوسائط المختلفة في جهاز واحد.

الإمارات تتصدر العالم في نمو الإنترنت

أعلن السكرتير العام للاتحاد الدولي للاتصالات في جنيف د.حمدون تورية أن دولة الإمارات العربية المتحدة باتت في صدارة دول العالم بعد أن حققت رقما قياسيا في معدل استخدام شبكة الإنترنت وتوفير تسهيلاتها بما تصل نسبته إلى ٢٠٠ بالمائة.

وأشار تورية إلى أن السوق العربي أصبح الأسرع على مستوى معدلات النمو التي يحققها في هذا القطاع، حيث وصلت نسبة زيادة معدل النمو فيه إلى ٣٠ بالمائة.



«نقاء تيوب» النسخة الإسلامية من موقع «يوتيوب»



في محاولة لإيجاد موقع مشابه لموقع «يوتيوب» المشهور أطلقت مجموعة من الإسلاميين السعوديين موقعا مشابها يحتوي على مضامين خالية من المحاذير الشرعية- على حد وصفهم- وأطلقوا على هذا الموقع اسم «اليوتيوب النقي»، وعرف الشباب السعوديون موقعهم بالقول: Naqatube هو موقع يهدف لنشر مقاطع اليوتيوب الخالية من المحاذير الشرعية وفق منهج أهل السنة والجماعة عن طريق نقل روابط المقاطع بطريقة النسخ واللصق من موقع يوتيوب إلى موقع اليوتيوب النقي، مما يمنح المتابع بيئة نظيفة ومشاهدة مفيدة، ويمكن للمستخدم التسجيل كعضو فاعل وإطلاق قناته عبر الموقع والمشاركة في مجموعات والتعليق على مقاطع فيديو منشورة عليه كما يحدث على موقع يوتيوب.

«جوجل» تضفي مزيدًا من الدقة على نتائج البحث



قررت شركة «جوجل» إضافة روابط فرعية جديدة إلى قطاعات مختلفة من صفحات الإنترنت لتحسين نتائج بحثها، حيث تظهر تلك الروابط بجوار وصلات المواقع الرئيسية التقليدية، وقالت «جوجل» في مدونتها الرسمية: إنه من الآن سيكون أمام المستخدمين خياران، إما أن يضغطوا على رابط الموقع الرئيسي للتوجه إلى أعلى الصفحة، وإما أن يتوجهوا مباشرة إلى جزء معين من الصفحة.

وأوضحت الشركة أن الروابط الفرعية ستظهر بجوار فقرات قصيرة من النصوص التي تقتنصها «جوجل» من فتحات مواقع الإنترنت، حيث تظهر أمثلة من الكلمة المستفسر عنها بين نص معين، وإذا كنت قد استفسرت عن شيء ضيق النطاق لا يمكن لجوجل استنتاجه وتحديد المعلومات التي تهتم به فلن يظهر في تلك الحالة إلا رابط واحد متعلق بالجزء المرتبط بالاستفسار من صفحة الإنترنت.

وأشارت جوجل إلى أن مسؤولي المواقع يمكنهم اتخاذ خطوات لزيادة فرص توصيل أجزاء من صفحاتهم على روابط جوجل الجديدة، إذ يجب عليهم أولا ترتيب صفحاتهم ترتيبا جيدا، ومن ثمّ تقسيمها إلى أجزاء منطقية مميزة.

هاتف لتصنيف رسائل البريد الإلكتروني

أعلنت الشركة العالمية الرائدة في مجال تطوير وتصميم الهواتف النقالة HTC عن إطلاق هاتفها الذكي الجديد «إتش تي سي سناب» في أسواق الشرق الأوسط، والجهاز مزود بلوحة مفاتيح «كويرتي»، وتم تصميمه ليضم مجموعة من الميزات المختارة لتوفير مختلف متطلبات المستخدمين، بالإضافة إلى تسهيل بقائهم على تواصل مع الأشخاص الذين يفضلون التواصل معهم، ويحل الجهاز المشكلة التي يشكو منها بعض مستخدمي المحمول من حجم رسائل البريد الالكتروني الكبير ة التي يتلقونها، حيث تتيح ميزة «إنر سيركل» المبتكرة من «إتش تي سي» لمستخدمي هذا الجهاز إمكانية ضغط الزر الخاص بهذه الميزة بهدف إظهار رسائل البريد الإلكتروني من مجموعة مختارة مسبقا من الأسماء في مقدمة البريد الوارد الخاص بهم، وهو ما يتيح قراءة الرسائل بشكل فوري، وأكد المدير العام لشركة «إتش تي سي» فرع الشرق الأوسط وإفريقية أن هذه الميزة تسهل على الناس ترتيب الرسائل الإلكترونية حسب أولوية وأهمية الأشخاص الذين يتعاملون معهم بلمسة زر واحدة، لأننا ندرك مدى انزعاج المستخدمين من حجم رسائل البريد الالكتروني التي يتلقونها كل يوم، ويتميز الجهاز الجديد بنحافته وشكله الأنيق، حيث لا يزيد سمكه عن نصف بوصة (١٢مم)، ويتيح إمكانية التحدث لمدة ثماني ساعات ونصف الساعة متواصلة، نظرا لوجود بطارية تعمل بطاقة ١٥٠٠ مللي أمبير، وقد تم تزويد لوحة المفاتيح من طراز «كويرتي» بأزرار بارزة ذات حجم كبير ودرجة تجاوب عالية عند اللمس من أجل تسهيل عملية كتابة رسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية براحة ودقة عالية، وتتيح تقنية الاتصال بواسطة الجيل الثالث لبروتوكول توصيل حزم البيانات عبر الاتصال فائق السرعة «إتش إس بي إيه» سرعة وسهولة كبيرة في عملية إرسال الصور والوصول إلى مواقع الشبكات أو تحميل الملفات خلال التنقل.



إعداد: هالة محمد

الجلطة القلبية كثيرة الحدوث عند الصباح



أظهرت دراسة طبية هي الأولى من نوعها في الأردن والوطن العربي أن ساعات الصباح الباكر تشهد أكثر الحالات الحادة للجلطة القلبية مقارنة مع بقية ساعات اليوم.

وجاءت النتيجة بناء على دراسة أجرتها مجموعة بحث مؤلفة من أطباء القلب الأردنيين، واشتملت حوالي ١٠٠٠ حالة من عمان أصيبوا بالجلطة القلبية الحادة وعولجوا بنجاح بلغت نسبته ٩٧ في المائة، بينما توفي ٣ في المائة فقط من الحالات خلال فترة الإدخال للمستشفى .

واوضحت الدراسة أن ٥٥ في المائة من حالات الجلطة القلبية الحادة حدثت في الساعات الأربع الأولى بعد الاستيقاظ من النوم، وهي عادة ساعات الصباح الباكر بين الساعتين الخامسة والتاسعة صباحا، وان الـ٤٥ في المائة الباقية من الحالات توزع حدوثها على العشرين ساعة الباقية من اليوم.

وبحسب القائمين على الدراسة، فان ذلك يعود إلى الساعة البيولوجية داخل جسم الإنسان، حيث ترتفع هرمونات الادرينالين والكورتيزون خلال أول ساعات الصباح وبعد الاستيقاظ مباشرة، إذ إن هذه الهرمونات تعمل على زيادة ضغط الدم ونبض القلب مما يزيد استهلاك القلب من الاوكسجين، ويؤدي أيضا إلى زيادة قوة احتكاك الدم بجدران الشرايين التاجية حيث ترسبات الكوليسترول وتكون في أطوارها الأولى، مما يتسبب في انسلاخ البطانة المغلفة للشرايين داخليا، وبالتالي تتكون خثرة تغلق الشريان تماما.

«FDA» توافق على أول دواء لسرطان خلايا «T» في الغدد الليمفاوية

أعلنت هيئة الدواء والغذاء الأميركية «FDA» موافقتها على أول عقار لعلاج سرطان الـ«تي سيل» في الغدد الليمفاوية.

وقالت الـ«FDA» ان العقار Folotyn الذي تنتجه شركة آلوس الأميركية أثبت من خلال التجارب السريرية قدرته على تقليص أحجام الأورام الموجودة في خلايا «تي سيل» في الغدد الليمفاوية بنسبة ٢٧٪.

وبينت ان هذا العقار سيساعد على إطالة أعمار المرضى الذين يعانون هذا النوع من السرطان.



الكحوليات تصيب جهاز المناعة بالضعف

تنقلب روح المرح التي تسود مع تناول الكحوليات خلال الحفلات الصاخبة، إلى معاناة في اليوم التالي من آثارها البغيضة، ولا يتوقف الامر عند هذا الحد، حيث يصيب الاسراف في احتساء الكحوليات الجهاز المناعي بالضعف، مما يزيد من فرص الاصابة بالامراض.

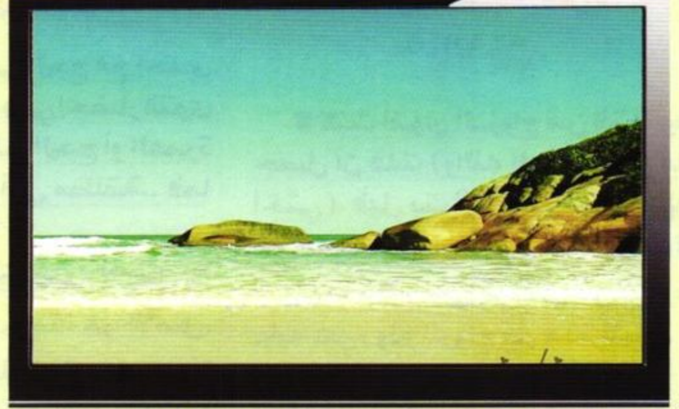
واظهرت نتائج ابحاث اجراها علماء اميركيون على فئران المعامل والخلايا ان الاسراف في تناول الكحوليات يعرقل اداء مكونين مهمين لجهاز المناعة لمدة ٢٤ ساعة أو أكثر.

ويعوق تناول الكحوليات مستقبلات بروتين «تي ال آر ٤» التي تحفز عادة استجابات جهاز المناعة، وفقا لما افاد به «ستيفن برويت» بقسم الطب البيطري بجامعة ميسيسيبي، و«روبنج فان» من جامعة لويزيانا في المجلة الأكاديمية لعلم المناعة.

بالاضافة إلى ذلك يحد الكحول من افراز مادة السيتوكين التي تحذر الجسم من عدوى وشيكة.

وافاد الباحثون ان تأثير الكحول يبقى لفترة طويلة بعد اختتام الحفل، إلى حد أن بعض السيتوكين لا يؤدي دوره بالكامل على مدى ٢٤ ساعة بعد الحفل الصاخب.

الصمام الضوئي.. تقنية جديدة



مع الانتشار الواسع المنتظر لأجهزة التلفزيون ذات الشاشة المسطحة قليلة استهلاك الكهرباء، سوف تظهر مجموعة من التعبيرات الفنية الجديدة التي تحتاج إلى الفهم، ولذا تعتقد أغلب شركات صناعة أجهزة التلفزيون أن أفضل وسيلة لخفض استهلاك الأجهزة الحديثة من الكهرباء هي تغيير نوع مصدر الأشعة الضوئية الموجود خلف الشاشة المسطحة، إلى جانب تطوير الجهاز لتقليل الفاقد من الأشعة الضوئية الصادرة منه، والتي تستخدم في تكوين الصورة المعروضة.

وأحدث التقنيات الجديدة في شاشات عرض البللور السائل «إل سي دي» هي تقنية الصمام الضوئي الثنائي الخلفي، التي تستخدم بديلا عن مصابيح أنبوب الفلورسنت التي كانت تصدر الأشعة الضوئية في الماضي.

وهنا بدأ الغموض، لأن صناعة الإلكترونيات كانت تحاول في الوقت نفسه، دون نجاح كبير «تطوير شاشات عرض بحجم التلفزيون»، حيث يتم استخدام مجموعة من الصمامات الضوئية الثنائية لتكوين الصورة، ولكن الصمام الضوئي الثنائي الخلفي لم يفد مع هذه التكنولوجيا، وكل ما تغير هو مصدر الضوء الذي يلمع على وجه شاشة البلور السائل.

وانتشرت كلمة الصمام الضوئي الثنائي خلال السنوات الماضية، باعتبارها تشير إلى جيل جديد من المصابيح وأنظمة الإضاءة الأكثر كفاءة في استهلاك الطاقة، لذلك لم يكن غريبا أن تتجه شركات صناعة التلفزيون إلى هذه التقنية لاستخدامها كمصدر ضوء في التلفزيون.

وعلى سبيل المثال تقول شركة «فيليبس» للإلكترونيات إنها طورت أجهزة تلفزيون أقل في استهلاك الكهرباء بنسبة ٤٠٪، ومن المؤكد أن الطرق المختلفة لاستخدام تكنولوجيا الإضاءة الخلفية في أجهزة التلفزيون ستضفي مزيدا من الغموض حول هذه التقنية.

في الوقت نفسه، فإن استخدام هذه التقنية سوف يتاح لرجال المبيعات في معارض الأجهزة الإلكترونية، لكي يؤكدوا للعملاء أن الشاشات الجديدة أقل سمكا، وأكثر كفاءة من سابقتها. ويقول بيتر كوش من فرع «إل جي» الكورية الجنوبية في ألمانيا إن إنتاج شاشة أكبر حجما يحتاج إلى ما يصل إلى ٥٠٠ صمام ضوئي ثنائي.

ضفدع آكل للطيور مهدد بالانقراض



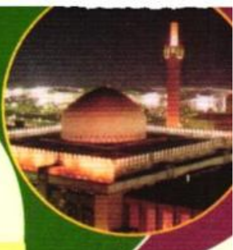
يهدد التغير المناخي بانقراض مخلوقات اكتشفت السنة الماضية في جنوب شرق آسيا، من ضمنها ضفدع آكل للطيور، وأبوبريص المتعدد الألوان، وطائر لا يطير.

ونقل موقع «لايف ساينس» المتخصص ان بعض الحيوانات المكتشفة حديثا معرضة لخطر الانقراض، ومن ضمنها ١٠٠ نوع نبات، و٢٨ نوع سمك، و١٨ نوع سحالي، و١٤ حيوانا برمائيا، واثنان من الثدييات، وطير واحد.

وتتمتع سحلية أبوبريص المكتشفة في شمال فيتنام بخطوط ملونة وعينين بنيتين مائلتين إلى البرتقالي مثل عيني القط.

ويتمتع الضفدع بمخالب حادة يقتل بها الطيور التي يترقبها في شلالات تايلند، بينما يمشي الطير المكتشف في احدى المحميات في فيتنام معظم الاوقات، ولا يطير الا حين يصاب بالخوف.

وتعتبر هذه الحيوانات المكتشفة حديثا أكثر عرضة لخطر الانقراض لأن مواطنها محدودة اصلا.



فتاوى اللجنة الدائمة بالوزارة

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



حج المرأة دون محرم

■ **أريد الذهاب إلى الحج مع إحدى الحملات، وقد طلبوا مني إحضار فتوى بجواز ذهاب المرأة إلى الحج أو العمرة دون محرم مع العلم أني مطلقة.. فما الحكم؟**

إن سفر المرأة مسافة قصر لا يحل إلا بصحبة زوج أو محرم، وهذا هو الأصل، ولكن أجاز بعض العلماء جواز سفر المرأة في الحج أوالعمرة للمرة الأولى (حجة الفرض أو العمرة الأولى) إذا كانت بصحبة نساء صالحات ورفقة جماعية مأمونة، والأخذ بهذا الرأي فيه تيسير على راغبات الحج أو العمرة، وهذا ما جرى عليه العرف متى أمنت الفتنة.

نصب لوحات تعريفية على كل قبر

■ **هل يجوز أن تقوم البلدية، وهي الجهة المسؤولة عن المقبرة، بتوفير لوحات معدنية للمقبرة بحيث توضع على كل قبر لوحة تعريفية تحتوي على اسم المتوفى ومعلومات عنه؟**

إن مبدأ إعلام الناس بالقبر وصاحبه أمر مشروع، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع بيده الشريفة حجرًا على قبر عثمان بن مظعون وقال: «أعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي» (رواه أبوداود).

وبناءً على ذلك يجوز أن يكون الإعلام بالكتابة بذكر صاحب القبر وتاريخ وفاته ونحو ذلك من البيانات الأساسية التي قد يحتاج إليها ولا يبالغ في ذلك، ويجب الحرص على ألا يكتب شيء من القرآن الكريم تنزيهًا للقرآن عن الابتذال.

الحلف على تشبيه امرأة أجنبية بالأخت

■ **كنت أنوي الزواج من فتاة وقد حصل أن قلت (والله العظيم هي مثل أختي)، فهل يترتب على هذه الطلقة شيء مع العلم بأن الزواج لم يتم بعد؟**

إن ما صدر من المستفتي لغو لا يترتب عليه شيء وله الزواج من هذه المرأة.

بيع المالك السلعة مرة أخرى بعد بيعها

■ **أردت شراء سيارة من شخص عن طريق بيت التمويل الكويتي، وقد اتفقنا على سعر معين على أن أعطيه ربع قيمة السيارة قبل الذهاب إلى البنك، وذلك حتى أقلل قيمة الأرباح، فهل تجوز هذه المعاملة بهذه الطريقة؟**

هذه المعاملة لا تجوز، لأن البيع تم بين مالك السيارة والمشتري، فلا يجوز للمالك أن يبيعها مرة أخرى لأنها خرجت من ملكه، فضلا عما في هذا التصرف من الاحتيال الباطل، ويمكن للسائل أن يعرض على بيت التمويل تخفيف نسبة الربح لأنه سيدفع جزءا من الثمن حالاً.

شروط بيع المرابحة

■ **يرجى التكرم بإجابتي عن شروط عمليات المرابحة.**

المرابحة هي مبادلة المبيع بما قام به على البائع مع زيادة ربح بمبلغ معّين أو بنسبة مئوية من التكلفة، ويشترط لصحتها ما يلي:

١- أن يكون المبيع قد دخل في ملك البائع وحازه إليه.

٢- علم المشتري بالثمن الذي قام به على البائع، ولا يحل للبائع أن يكذب



فيزيد في الثمن الذي يخبر به، فإن كذب وزاد استحق المشتري استرجاع الزيادة وما يقابلها من الربح، فلو لم يعلم الثمن الأول حتى افترق العاقدان عن المجلس بطل العقد لتقرير الفساد.

٣- العلم بالربح لأنه بعض الثمن، والعلم بالثمن شرط في صحة البيع.

٤- أن يكون العقد الأول الذي اشترى به البائع صحيحًا، فإن كان فاسدًا لم يجز أن يبيعه مرابحة.

الوصية بأكثر من نصيبه

■ **هل يجوز للمتوفى أن يوصي بتركته كلها لزوجته وابنته فقط ويحرم بقية الورثة؟**

الوصية للزوجة والبنت بأكثر من نصيبهما لا يجوز لأنه لا وصية لوارث.

تقديم التبغ والنارجيلة والشيشة

أريد أن أعمل في مطعم على شكل منتزه، يقدم وجبات الطعام بجميع أنواعها، وأريد أن أقدم للزبائن النارجيلة وذلك رغبة مني في كسب زبائن أكثر.. فهل مكسب النارجيلة حلال أم حرام؟ وإذا كان حرامًا وأردت تأجير النارجيلة لأي شخص لكي أروج وجبات الطعام على اختلاف أنواعها، فهل هذا الإيجار الذي أتقاضاه من الشخص حلال أم حرام؟

القول بحكم تجارة التبغ أو الدخان مبني على القول بحلّ تعاطيه أو بحرمته أو بكراهيته، وقد اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في هذا الحكم، وأعدل الأقوال أن تعاطيه مكروه تنزيهًا، وقد يكون حرامًا إذا تأكد أن تعاطيه مضر لمن يتعاطاه ضررًا بالغًا.. وبناء عليه تكون التجارة فيه مكروهة.

وتنصح اللجنة السائل بعدم الإقدام على ذلك تفاديًا لإحداث الضرر بالناس، سواء كان التقديم منه مباشرة أو ممن يتفق معه على التعهد بذلك.

من القواعد الفقهية

١- الأصل براءة الذمة من الواجبات، ومن حقوق الخلق حتى يقوم الدَليل على خلاَف ذلك.

٢- الأصل بقاء ما اشتغلت به الذمم من حقوق الله وحقوق عباده حتى يُتيقنَ من البراءة والأداء.

٣- كل ما فيه عدد من العبادات فإنّ المُتيقّن هو الأقل، والزيادة من الشك.

٤- المشقة تجلب التيسير.

٥- ضابط المشقة، المشقة الزائدة التي لا يمكن للمكلَّف أن يستمر في تحملها عادة إلا ببذل أقصى الجهد، ولا يمكن المداومة عليها، بحيث تؤدّي إلى وقوع الضّرر أو الأذى في النفس أو المال.

٦- لا واجب مع العجْزِ، ولا محرم مع الضرورة.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية
عبدالرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من ١-٦ جمادى الأول ١٤٠٩هـ- الموافق ١٠-١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨م.

بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تحديد أرباح التجار، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله قرر ما يلي:

أولا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارا في بيعهم وشرائهم وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملا بمطلق قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)(النساء٢٩).

ثانيا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق والقناعة والسماحة والتيسير.

ثالثا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته، كالغش والخديعة والتدليس والاستغفال وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة.

رابعا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلا إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ عن عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل، والغلاء والغبن الفاحش.



مسك الختام

د. محمد حسان الطيان

لعل له عذرًا وأنت تلومُ

من جميل الأخلاق التي خلَّقنا بها الإسلام أن نلتمسَ لأخينا الأعذار، فقد ورد في الأثر: التمس لأخيك عُذرًا، وما هذا العنوانُ الذي اخترناه لهذه الكلمة إلا شطرٌ تناهَبه الشعراء وضمَّنوه قصائدَهم، ولعل أقدمهم صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري (ت ٢٠٨هـ) حيثُ يقول:

لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ
وكم لائم قد لامَ وهوَ مُليمُ

وتبعه دعبل الخُزاعي (ت ٢٤٦هـ) حيثُ يقول:

تأنَّ ولا تعجَل بلومكَ صاحبا
لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ

ثم تلاه أبوالعلاء المعرِّي (ت ٤٢٩هـ) فقال:

لكَ اللهُ لا تذْعَر وليًا بغضبَة
لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ

إلى أن جاء أمير الشعراء فصاغه صياغة جديدة أسبغ فيها عليه من روحه، وأضفى عليه مسحة بديعة، إذ قال في رائعته الميمية «ريم على القاع بين البان والعلم»:

رُزِقتَ أسمَحَ ما في الناس من خُلُق
إذا رُزِقتَ التماسَ العُذرِ في الشيَم

والناظر في كتاب الله يقف على عشرات الآيات التي تدلُّ على سماحة الإسلام وسَعَة صدره حتى مع الكفار، بل مع الأعداء الذين يُناصبونه العداء.

اقرأ معي، إن شئتَ، خطابه للكفار في سورة «الكافرون»: ﴿قُل يأيها الكافرون، لا أعبُدُ ما تَعبُدون، ولا أنتُم عابدونَ ما أعبُد...﴾ فمَبلغُ ما وصل إليه التباعُد والتنافُر معهم أن قال لهم: ﴿لكُم دينُكُم وليَ دين﴾، واقرأ معي، إن شئتَ، قوله في سورة سبأ الآية الـ٢٤ ﴿وإنَّا أو إيَّاكُم لَعلى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبين﴾، تَعجَب لهذه السماحَة التي وصلت إلى حدِّ التسوية التامَّة والحيدة التامَّة في المناظرة والمناقشة والجدَل.

أليس عَجيبًا بعد ذلك أن يَضيقَ صدرُ المؤمن بأخيه المؤمن، فيُناصبَه العداء لأدنى ملابسة وأقلِّ مخالفة في الفرعيات والفرضيات والأمور الثانوية؟ مع أن أسلافَنا علَّمونا أن الخلافَ في الرأي لا يُفسد للودِّ قضية! ومع أن علماءنا ضربوا لنا أروعَ الأمثلة في التسامح والتوادُّ والتآلف، وكان رائدهم في ذلك تلك المقولةَ الرائعة: «لنتعاون فيما اتَّفقنا عليه وليَعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلَفنا فيه»، وقد أُثر عنهُم في ذلك الكثير من مثل قولهم: «خُذ ما صَفا ودَع ما كَدر»، وقول الشاعر:

خُذ من زَمانكَ ما صَفا
ودع الذي فيه الكدر

وقول ا لآخر:

لعَمرُكَ ما ضاقَت بلادٌ بأهلها
ولكنَّ أخلاق الرجال تضيق

والذي لا ينقضي منه العَجَب أن نختلفَ اليوم في أشياءَ انقضى عهدُها وطال الزمان بها، ولسنا مكلَّفين بأن نحمل تبعتها، فالله سبحانه يقول: ﴿تلكَ أمةٌ قد خلَت لها ما كَسَبَت ولكُم ما كَسَبتُم ولا تُسألونَ عمَّا كانوا يَعمَلون﴾(البقرة: ١٣٤)، فلمَ نختلف اليومَ في أُناس كانوا قد اختَلفوا، وقد أفضَوا إلى ربِّهم سبحانه، وهو الأعلمُ بهم؟ وماذا يَفيدنا أن ننتصر لزيد منهم أو عَمرو؟ أليست ﴿كلُّ نفس بما كَسَبَت رَهينَة﴾؟ أوَلَم يقُل ربنا سبحانه: ﴿ولا تَزرُ وازرَةٌ وزرَ أُخرى﴾ فلم نتحمَّل وزرَ الآخرين؟ أليست أوزارُنا ثَقيلةً؟ فلمَ نزيدُها ثقلًا؟

وإذا أصرَّ نفرٌ منَّا على تحمُّل أوزار الآخرين فلمَ نتحمَّل ذلك معهم؟ أليس الأجدر بنا أن ندعَهم وشأنَهم وأن نصونَ أنفسَنا ونترفَّعَ عما وقَعوا فيه، وأن نُحجمَ عما تورَّطوا فيه؟.

ورحم الله القائل في هذا: «تلك فتنةٌ عصمَ الله منها سُيوفَنا أفلا نَعصمُ منها ألسنَتَنا؟».

ومن المؤسف حقًا ألا يقتصرَ أمرُ التنافُر والتباعُد وضيق العَطَن على المَذاهب والطوائف والفئات، وإنما يعدوها ليفرِّق بين المرء وأخيه، والصديق وصديقه، والحبِّ وحبيبه، ولو رحنا نبحث عن علَّة ذلك كلِّه لوجدناها تكمُن في سوء الظنِّ وعدم التماس العُذر:

إذا ساءَ فعلُ المَرء ساءت ظُنونُه
وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى مُحبِّيه بقَول عُداته
وأصبح في ليل من الشك مظلم

والحق أن الخاسرَ الأكبر بين الأصدقاء والإخوان هو ذاكَ الذي لا يأخذُ نفسه بالتماس العُذر لأصدقائه وإخوانه وحسن الظنِّ بهم ، فأيها المسلمُ وسِّع من صدرك، وحسِّن من خلقك، مُؤتَسيًا بخير الخلق في سيرتك، و ليكُن شعارك دائمًا عندما تجد في صديقك ما لا يَروق لك: لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

جديد مشروع «روافد»

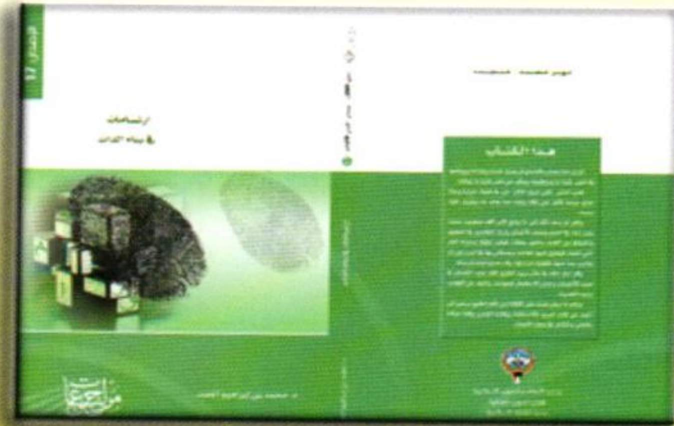


التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي

(د. ثرية أقصري)

ارتسامات في بناء الذات

(د. محمد بن إبراهيم الحمد)





هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم

(د. عودة خليل أبو عودة)

ص.ب: 13 الصفاة، رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

هاتف 22487106 (00965) - فاكس: 22468134 (00965)

البريد الإلكتروني rawafed@islam.gov.kw



الوعي الإسلامي على C.D

بشرى سارة

قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما











الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي

احصل على نسختك الآن عند الاشتراك في المجلة

٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الأول
الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)
www.alwaei.com



٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الثاني
من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)
www.alwaei.com

الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩
info@alwaei.com - www.alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٣٢) ذو الحجة ١٤٣٠هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٩م



الحماد: السماع والتلقي أساس العلم

حصاد القلم

مساجلات الأقران

إحساس آخر بالزمن











الافتتاحية

اغتنام الأوقات الفاضلة بالأعمال الصالحة

أيام أقسم الله بلياليها، وسماها بـ «أيام معلومات»، أيام تضاعفت فيها الحسنات وليال تجاب فيها الدعوات، هذه الأيام التي تترادف فيها الخيرات، وتهبط فيها الرحمات، ويعم فيها الإحسان والفضل على قاصدي البيت الحرام، هذه الأيام كشف الرسول ﷺ عن فضلها، وأعلن عن خيرها وشرفها، وهذه الأيام تذكرنا بمواقف الحجيج، فقد جاءوا من كل فج عميق، إنها نسمات إلهية غالية، ولمحات قوية سامية.

فالحج آخر ما فرض؛ لأنه يجمع بين العمل والمال، فجُعل فرضه بعد استقرار فروض الأبدان، وفروض الأموال، فكان في إيجابه تذكير بيوم الحشر في مفارقة المال والأهل، وخضوع العزيز والذليل، في الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى.

فرض الله على المسلمين حج بيته الحرام، وجعله ركنا من أركان الإسلام، فرضه لحكمة سامية، وغاية نبيلة، فيه تتضح المساواة الإنسانية في أبهى صورها وأجلى معانيها، وعلى من زاره أن يتخلق بالأخلاق الكريمة، ويتحلى بالفضيلة ويجتنب العادات السيئة والرذيلة، وحسب المؤمن أن يستشعر أنه في ضيافة ربه، ويعيش في رحابه ويلوذ بجنابه؛ فما أروع هذا البيت وأعظمه في تجميع الأمم والشعوب تحت راية واحدة! فهو رمز لتوحيد الألوهية، كما أنه رمز لاتحاد الأمة الإسلامية.

ولهذا البيت من المفاخر والمآثر، والآيات والمناظر ما يزيده في القلوب رفعة وتكريمًا، ومهابة وإجلالا لله وتعظيمًا، فهو بيتٌ مَن دخله كان آمنا، ومن أراده بسوء أو هَمَّ فيه بإلحاد بظلم قصمه الله وردَّ كيده في نحره، لأنه حمَى الله وبيتُه.

وفي هذا الموقف العظيم بلَّغ النبي الكريم ﷺ فيَ الخطبة الجامعة التي ألقاها في حجة الوداع أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأنهم لا يتفاضلون إلا بمقدار ما عملوا من الأعمال الصالحة، ما أروعها من كلمات يخاطب بها الأجيال والتاريخ، بعد أن أدى الأمانة ونصح الأمة وهو يلمّح بالرحيل، يلخص المبادئ التي من أجلها جاهد! وهي كلمات جامعة وبنود معدودة: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، فدماء الجاهلية وربا الجاهلية موضوع. وأوصى بالنساء خيرًا وأكَّد على القضاء على الظلم للمرأة في الجاهلية وضمان حقوقها وكرامتها، وأرشد الأمة، عند الاختلاف، إلى الرجوع للمصدرين الأساسيين، الكتاب والسنة، وبيَّن العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وختم الخطبة بمسؤولية تبليغ الدعوة، وبأن النعمة تمت والدين كمل والرسالة ختمت، وأن على المسلمين حَمْل نور الإسلام إلى الناس ودعوتهم إلى هداه والتحصُّن به لمواجهة الأعداء والمبادئ الهدامة.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٢

العام السادس والأربعون

ذو الحجة ١٤٣٠ هـ

ديسمبر ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. الطاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (٠٠٩٦٣ ١١) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

استمرارًا لمسيرة «الوعي الإسلامي» الفكرية والثقافية في تنوير الرأي العام أفردت المجلة ملفًا خاصًا عن أبرز المواضيع التي طرحت على صفحاتها خلال العام الماضي وكانت محط اهتمام ومتابعة قطاعات متنوعة، وذلك لتحفيز وتشجيع الكتاب المتميزين.



داخل العدد

كلمة العدد

المؤامرة الذاتية

تعتقد كثير من الشعوب العربية والإسلامية بحقيقة ظاهرة المؤامرة الغربية على مجتمعاتنا في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتتردد هذه الفكرة بين الفينة والأخرى في أوساط الحياة المجتمعية، حتى باتت مدعاة للكسل والسبات العميق وتعليق انحطاطنا وتراجعنا على الآخرين.

وإن كانت هذه الفكرة فيها جزء من الصحة إلا أن الحقيقة الغائبة عن أذهان الناس تتمثل في المؤامرة الذاتية على أنفسنا التي تظهر في نسيان ديننا.. نسيان قيمنا.. نسيان أخلاقنا.. نسيان أرواحنا، وهذا هو لب أزمة الأمة اليوم.

فما نراه من تكالب على المناصب، واحتكار للمراتب، وحرص على الشهرة، وإرضاء للشهوة، واتباع للشبهة يؤكد بعين الصراحة صدق هذه المؤامرة الدخيلة والتي تعد السبب الرئيسي فيما تعانيه مجتمعاتنا من تراجع وتباعد.

فهل غياب القيم الإنسانية لا الإسلامية سببه الغرب؟ وهل الصراع الشديد بين النفوس المريضة سببه الغرب؟ وهل عشق المال سببه الغرب؟!

ينبغي الأخذ في الاعتبار واقعية هذه الفكرة في مجالات حياتنا، لأننا بالفعل ننتقد ونندد ونستنكر ونطالب ونتناسى أنفسنا التي هي أساس انحطاطنا، فإذا أخذت هذه الفكرة باهتمام، وزدنا العناية بإصلاح أنفسنا ثم إصلاح أنفسنا ثم إصلاح أنفسنا لتغير حال وواقع الأمة الإسلامية إلى خدمة البشرية بما فيه صلاحها وإعمارها وفق نواميس الكون الإلهية.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلسا ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريال ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

معرض الفنون الإسلامية في المجر



برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية أقيم معرض الفنون الإسلامية في أحد القصور التاريخية في مدينة كاستهاي بجمهورية المجر أخيراً، بحضور وكيل الوزارة ومدير متحف قصر «هيليكون لاتسيو تسوما» وذلك تلبية لدعوة المتحف لإقامة فعاليات مماثلة لملتقى الفنون الإسلامية الذي يقام في الكويت كل سنتين. ويهدف المعرض إلى عرض المنهج الوسطي المعتدل للإسلام والذي تعزز وجوده في كافة جوانب الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى تقديم الفنون الإسلامية للجمهور المجري بصفتها أحد ركائز الهوية الحضارية الإسلامية، إلى جانب تعزيز التعاون بين الجانبين الكويتي والمجري لاسيما في المجال الثقافي.

وشهد الحفل توقيع الطرفين على بيان «كاستهاي» الذي أعلن فيه عن نية المجتمعين بنشر الوعي بحقيقة الإسلام وحضارته ومد جسور الصداقة والتعاون بين الشعوب الأوروبية والمسلمة.

وقدم الفنانون ورش عمل يومية جذبت اهتمام الجمهور المجري الذي كان حاضرا ومتفاعلا جدا مع ما يقدم من فنون إسلامية أصيلة.

وأكد وكيل وزارة الأوقاف الكويتية د.عادل الفلاح أن هناك العديد من الأوهام الرائجة حول الدين الإسلامي، والتي شهدت إقبالا من ممثلي الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبها إلى جانب ممثلي بقية الأقليات الدينية في المجر.

وشرح سفير المجر لدى الكويت يانوش هوفاري الروابط التي تصل المجر بالشرق والعلاقات القديمة مع الحضارة الإسلامية، والتي استطاع الشعب المجري الحفاظ عليها، وبها كان منفتحًا ومتفهمًا للقيم الإسلامية السمحة.

وقال مدير متحف قصر هيليكون: إن المجر بصدد إقامة متحف متخصص بالفن الإسلامي، يشمل مجموعة ضخمة من الأعمال الفنية الموزعة على مناطق مختلفة في البلد ضمن متاحف ومجموعات خاصة سيتم جمعها في قاعات المعرض الذي صمم بنيانه وفق الطراز الإسلامي، وقام بتصميمه مهندس بلجيكي فاز بمسابقة نظمت على مستوى الدول الأوروبية للقيام بهذه المهمة.

وقام الوفد المرافق لوكيل الوزارة بزيارة إلى البرلمان المجري واجتمع مع وزير التعليم والثقافة المجري وعدد من المسؤولين المعنيين، كذلك قام الوفد بجولة في عدد من الجمعيات الإسلامية في بودابست اطلع من خلالها على أوضاع الجالية المسلمة في المجر، ووقف على الدور الذي تقوم به هذه الجمعيات والخدمات التي تقدمها للمسلمين هناك.





برعاية كريمة من نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف

مبرة الآل والأصحاب تقيم مجلس سماع في فضائل آل البيت

أشاد نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد بالجهود المبذولة من قبل علماء وباحثين ودعاة لنشر العلم، والدعوة إلى الخير والسعي نحو نبذ الفرقة بين المسلمين والخلاف الحاصل بينهم، كما أمر الدين الحنيف.

جاء ذلك خلال كلمة له في الأمسية التي استضافها المسجد الكبير أخيرًا لقراءة وسماع كتاب «الأربعين في فضائل آل البيت الطاهرين» بالسند المتصل للعلامة الشيخ عبدالله بن صالح العبيد، من المملكة العربية السعودية، والتي نظمتها مبرة الآل والأصحاب.

وقال إن الخلافات التي ظهرت بين المسلمين في العهود الأولى أوجدت الكثير من البدع والخلافات التي ليس لها أصل بين الصحابة وآل البيت، رضي الله عنهم أجمعين، وهو الخلاف الذي لا يزال موجودا حتى الآن، وهو ما يوضح أهمية الجهود المخلصة المبذولة في هذا الجانب لنبذ هذا الخلاف، مضيفا أن ما فعله الشيخ عبدالله العبيد في كتابه هو جمع ما جاء مشتتا مبعثرًا في كتب الأحاديث، والذي يبين كيف كانت العلاقة بين الصحابة وآل البيت تغلفها الرحمة والمحبة والإخاء.

وأشار الحماد إلى أهمية التواتر والنقل عن طريق السماع في ديننا الحنيف من رجال يتميزون بالدقة في النقل والمصداقية والأمانة في رواية الحديث، حيث إن العلم أساسه السماع، أما الكتاب فهو وسيلة للمحافظة عليه، موضحا أن الرسول ﷺ عندما علَّم أصحابه القرآن لم يكن ذلك عن طريق الكتابة وإنما من خلال التلقين والنقل الشفوي.

وتابع: أنا طويلب علم، وأنا أحد إخوانكم الذين يسعون إلى العلم والمعرفة، وأرجو أن يوفقنا الله لهذا الأمر، وأن يجعلنا من خدّام العلم ومن الدعاة له ومن المبلغين لكل ما

العلم له مصادره وأهله وأوله التلقي من أفواه الرجال



حملناه من علم في هذه المدة التي ليست بقصيرة.

وأضاف: أنا سعيد بما صنفه الأستاذ عبدالله العبيد بما جمع من الشتات الموجود في كتب الحديث في كتاب واحد تسهل قراءته، وأرجو منه أن يجعل لهذا الكتاب شرحا واسعا ليطمئن أهل العلم لما روي فيه من روايات بسندها إلى أصحابها، فهذا مما تمتاز به شريعتنا الإسلامية، لأن الحديث إنما يؤخذ بالسماع وبالنقل عن الآل والأصحاب ومن تبعهم إلى يومنا هذا.

وبيَّن الحماد أنه «من الدقة ما مر علينا أثناء دراستنا من حديث بعض مشايخنا في كتاب السنن للإمام النسائي، مثلًا حينما تقرأ في إحدى الروايات: حدثهم وأنا أسمع، فكنا نتوقف عند هذه الكلمة فلما تتبعنا ذلك وجدنا أن النسائي طرده شيخه من مجلسه، وكان حريصًا على سماع الحديث وتلقيه من الشيخ، وكان يخشى الحضور فكان يختبئ وراء أحد أعمدة المسجد فيسمع، ومن أمانته لم يقل حدثني ولكن كان يقول: حدثهم وأنا أسمع، وهذا يقوي ثقتنا بعلمائنا ورواتنا السابقين، ويعلمنا أن تلقي العلم دائما يكون من الرجال».

وأكد أن العلم له مصادره وأهله، وأول مصادره التلقي من أفواه الرجال، ولنا فيهم أسوة.

السماع والتلقي أساس العلم.. والكتاب وسيلة المحافظة عليه

الخلافات أوجدت بدعاً ليس لها أصل بين الصحابة وآل البيت



من صور الحياة العلمية في الكويت

نساخ المخطوطات في الكويت

محمد بن ناصر العجمي

اهتم الكويتيون بالموروث الثقافي، وأولوا المخطوطات ونسخها عناية خاصة وكان من أهل الكويت نُسَّاخ، عكفوا على نسخ أمهات الكتب، فقاموا بنسخها وحفظوها إلى أن وصلت إلينا. ومن أقدم المخطوطات المنسوخة موطأ الامام مالك الذي قام بنسخه بخط أنيق مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن سالم في جزيرة فيلكا وذلك سنة ١٠٩٤هـ، الموافق ١٦٨٢م، وقد طبعه مركز البحوث والدراسات الكويتية بالتعاون مع الصندوق الوقفي للثقافة والفكر عام ٢٠٠٠م.

موطأ الامام مالك أشهر المخطوطات المنسوخة بأنامل نسَّاخ الكويت

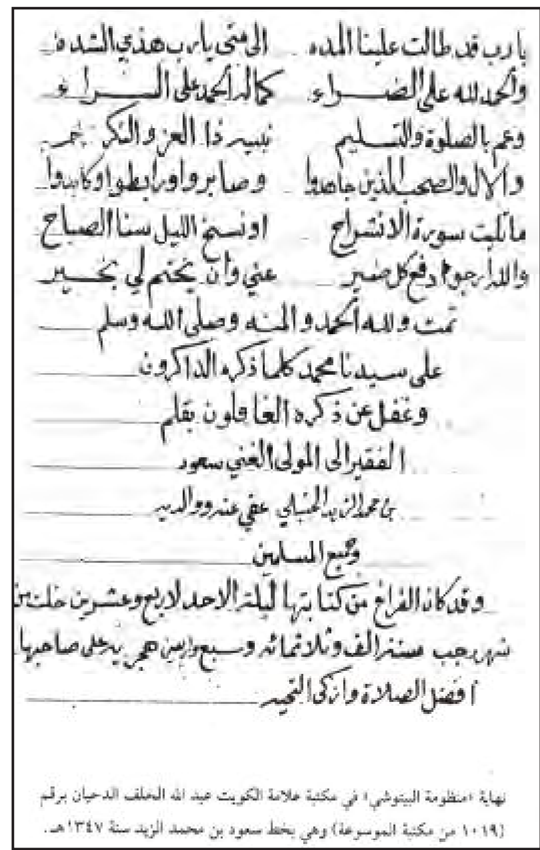


نهاية كتاب «أخصر المختصرات» للبلباني بخط الشيخ محمد نوري ولد الشيخ عبد الله النوري، وذلك في الكويت سنة ١٣٤٤هـ وهي محفوظة في مكتبة الكويت الوطنية برقم (٧١/ م ع)

ومن النساخ: عثمان بن علي بن محمد بن سري القناعي الذي نسخ كتاب التيسير على مذهب الإمام الشافعي- نظم العمريطي سنة ١٢١٣هـ، والشيخ العالم محمد بن عبدالله بن فارس الحنبلي وهو كثير الإنتاج في النسخ وذو خط جميل، وقد نسخ ديوان المتنبي في صفر سنة ١٢٦١هـ، وشقيقه الشيخ حمد بن عبدالله بن فارس، الذي نسخ كتاب نيل المآرب شرح دليل



الورقة الأخيرة من «موطأ مالك» نسخة المستشار عبد العزيز حسين وهي بخط علي بن مسيعيد بن أحمد بن ساعد بن عبد الله بن سالم نزيل فيلكا وذلك في سنة ١٠٩٤هـ، والصورة من مركز البحوث و الدراسات الكويتية


يارب قد طالت علينا المده / الى متى يارب هذي الشده
والحمد لله على الضراء / كالحمد لله على السراء
وعم بالصلوة والتسليم / نبيه ذا العز والتكريم
والآل والصحب الذين جاهدوا / وصابروا ورابطوا وكابدوا
ما تليت سورة الانشراح / او نسخ الليل سنا الصباح
والله ارجو دفع كل ضير / عني وان يختم لي بخير
تمت ولله الحمد والمنة وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون بقلم
الفقير الى المولى الغني سعود
بن محمد ال زيد الحنبلي عفى عنه ووالديه
وجميع المسلمين
وقد كان الفراغ من كتابتها ليلة الاحد لاربع وعشرين خلت من
شهر رجب سنة الف وثلاثمائة وسبع واربعين هجرية على صاحبها
افضل الصلاة وازكى التحيه

نهاية «منظومة البيتوشي» في مكتبة علامة الكويت عبد الله الخلف الدحيان برقم (١٠١٩ من مكتبة الموسوعة) وهي بخط سعود بن محمد الزيد سنة ١٣٤٧هـ.

القناعي وفارس ودحيان والعدساني .. أشهر نسَّاخ الكويت

الطالب للتغلبي في صفر سنة ١٢٨١هـ، وشرح الرحبية في علم الفرائض لابن حجر الهيتمي المكي سنة ١٢٧١هـ، والقاضي الشيخ عبدالله بن محمد العدساني وله إحدى عشرة رسالة نسخها بخطه ما بين ١٢٤٩هـ إلى سنة ١٢٦٨هـ، ومن النساخ الذين اشتهروا بحسن الخط عبداللطيف بن عبدالرحمن المطوع التميمي الحنبلي وقد نسخ كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي في ربيع الأول سنة ١٢٦٢هـ، وكتاب نيل المآرب شرح دليل الطالب للشيخ عبدالقادر التغلبي في رجب سنة ١٢٦٩هـ، وكان لهذا الكتاب أهمية خاصة عند أهالي الكويت، فقد طبع في المطبعة العامرية بالقاهرة سنة ١٢٨٨هـ، على نفقة المواطن الكويتي علي بن محمد بن إبراهيم، كما أن الناسخ سعود بن محمد الزيد الحنبلي وهو من تلاميذ الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، قد نسخ منظومة حديقة السرائر في نظم ما جاء من الكبائر، لعبدالله بن محمد البيتوشي في رجب سنة ١٣٤٧هـ.


على النبي المصطفى والآل / والصحب اهل العلم والكمال
والله سبحانه وتعالى اعلم
تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه على يد
الفقير عثمان ابن علي ابن محمد

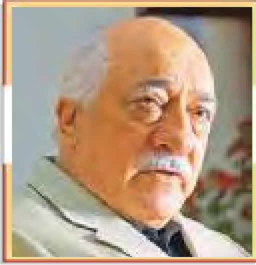
الورقة الأخيرة من «التيسير على مذهب الإمام الشافعي نظم العمريطي» بخط الناسخ عثمان بن علي القناعي سنة ١٣١٣هـ من كتاب «من هنا بدأت الكويت» لعبد الله الحاتم، ص ٦٠.

وأما الشيخ العلامة عبدالله بن خلف بن دحيان فقد كان حفيا بالمخطوطات ونسخها واستكمالها وما كان ناقصا منها أتمه بخطه النير وقد نسخ الكثير أيضا مما يراه المراجع لمكتبته المودعة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.


نهاية «مروج الذهب» للمسعودي، بخط الناسخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن المطوع، وعلى طرته تملك لعلي بن عبد الله البلر سنة ١٢٨٢هـ، وهي في مكتبة الشيخ عبد الله الخلف برقم (٤٠٥/١) ـ من مكتبة الموسوعة الفقهية).

إحساس آخر بالزمن

لكي نستطيع الإحساس بالشريط الزمني السعيد الذي نعيش فيه حق الإحساس، يجب أن تكون الأرواح والضمائر مستعدة لسماع مثل هذه الموسيقى والشعر الآتي من وراء آفاق السموات، أما الأرواح الفجة، من حيث عوالمها الداخلية وبيئاتها الخارجية وأنماط سلوكها الحياتية، فأصحاب مثل هذه الأرواح يحسبون أن الزمن عبارة عن تغير الأهلّة لا غير في صفحة السماء.



فتح الله كولن



الأيام والليالي المباركة لم تفقد بريقها في ذاكرتنا وقلوبنا

لقد تلوث الجو العام في أيامنا الحالية بأصوات محطات الإذاعة والتلفاز والطائرات والسيارات والبواخر...، وبضوضاء الصفارات وجلبة الدعايات والإعلانات، إلى درجة أننا أصبحنا بحاجة إلى عملية جراحية روحية وفكرية، وإذا لم تتم مثل هذه العملية الجراحية، ويتم التوجه الكامل للآخرة فلا يمكن فهم وإدراك سماوية هذه الأشهر المباركة، ويصعب جدا، بل ربما يستحيل، سماع الموسيقى الحالمة الآتية من وراء السماوات.

الأرواح النزيهة المتطهرة من الأرجاس المعنوية، المستعدة للتحليق في السماء، تتسامى أكثر في بعض الليالي في هذا الزمن المبارك، وتشعر بلذة أكثر، وتشم هذه الأيام مثلما تشم وردة عطرة، وتستمع إليها وكأنها تستمع إلى موسيقى عذبة، وتنهل منها وكأنها نبع كوثر. يستطيع أكثرنا، بقليل من الانتباه، مشاهدة بزوغ هذه الشهور المباركة على أفقنا في إطار من السحر والجمال، وكأننا نلج إلى غابة من غابات السماء، أو خليج أو ركن من عالم الآخرة، ويخيل إلينا أننا نسافر في عوالم أخرى، فتثور عندنا العواطف والمشاعر، وتفور حتى نكاد نمزق قالبنا البشري، وتكاد حدودنا البشرية لا تسعنا، والحقيقة أن هذه الحال كانت حالة الطبيعية في زمن من الأزمان.

لقد أصبحنا الآن غرباء عن الأشواق الأخروية ولذائذها اللدنية التي كنا ننهل منها نهلا في السابق في كل موسم من مواسم السنة تقريبا، لقد أصبح معظمنا في جوع وظمأ كبيرين من ناحية هذه المشاعر، ولكي نستطيع الاقتراب من تلك المشاعر العميقة السابقة يجب الانسلاخ من المشاعر اليومية المعتادة، وتطهير أفكارنا مما ألم بها من تلوث، وأن تتعمق آمالنا وتوقعاتنا المستقبلية..فإن نجحنا في تحقيق هذا الأمر استطعنا سماع العديد من الحقائق الدقيقة السحرية المخبوءة في ثنايا الوجود كل حين،والشعور بها، إذ ترقق قلوبنا وتصقلها، وتعيننا على تخطي وتجاوز حدودنا وقابلياتنا، لا سيما في الأيام المباركة التي تأخذ بيدنا إلى آفاق عالية.

نعم.. إن الذين يستطيعون الاستماع إلى الوجود من خلال منافذ قلوبهم تنقلب الأيام والليالي المباركة لديهم إلى شاعر يتكلم بلغة ما وراء هذا العالم، وإلى ملحّن لألحان موسيقى من عالم آخر، فيهمسان في قلوبنا أعذب الكلمات والألحان، وتقوم هذه النسائم التي تهب علينا بإزاحة الصور الأخرى المادية التي تحيط بكياننا المادي لتوصلنا –من خلال المنافذ والممرات الخاصة التي تفتحها في أعماق قلوبنا والمطلة على دار العقبى– إلى السفوح المجهولة للعالم، وللطرف الآخر منه، لنغرق في لجة من الوجد.

في مثل هذه الأوقات يكون الصباح كأنه سعادة الخطوة الأولى في دخول الجنة، والظهر كأنه أوان التخلص من تعب النهار، ولحظة الفرحة لرؤية الحبيب والتملي بحسنه، ويكون المغرب أوان سعادة المشي لوصال الحبيب عند إقبال الظلام،

* مفكر تركي

أما الليل فهو وقت لأنواع لا يستوعبها العقل والإدراك من ألوان جمال الخلوة، وكل وقت من هذه الأوقات يمر بطعم وبلذة مختلفة ثم يذهب ويغيب.

أما المناسبات المباركة، كليلة المعراج، أو ليلة القدر، فهي من الليالي التي تُعَدّ تيجانا على هام الزمن، وذروة الأيام القريبة من الله، أو هي الشواطئ والموانئ المفتوحة نحوه، ومنصات الانطلاق إليه، ففي هذه الأيام والليالي المباركة تبرق القلوب بشفافية غير عادية، وتتوجه الأرواح نحو اللانهاية، وتطير إليها بشوق آخر، ويشارك كل شيء في الشعر الأزلي لما وراء هذه الآفاق، ويغطي سحر جو العالم الآخر كل جانب، ويغطي كلَّ صدر إيقاعُ ونغمة ضراعة وتوسل لا يستطيع أي لسان التعبير عنه، ويتحول المكان إلى أبواب ومنافذ ونوافذ عالم وراء هذا العالم، ويقوم الزمان الذي يتبلور بتحول الآمال والتطلعات إلى ضراعات وتوسلات، ويبدو القرآن وكأنه نزل حديثا، فكل سورة وكل مقطع وكل آية وكل جملة منه كأنها شلال متدفق يدعو كل أناس إلى حياة جديدة، ويسقي قلوبنا الظامئة إكسير الحياة، ويسير بها في سفوح جبال خضر من جبال الجنة لا ترى إلا في الأحلام، وتهدي لأرواحنا منافع وإيجابيات الإيمان، وتظهر معاني تعجز الألسنة عن التلفظ بها أو التعبير عنها.

كأن مثل هذه السعة والغنى في الأرواح يطبع بطابعه كل شيء نراه ونحس به، ويطبعنا بطابع الآخرة، فنجد أنفسنا وكأننا في حلقة ذكر مهيبة من أصحاب دار الآخرة، أو كأننا نستمع إلى أناشيد من الحور والغلمان في ذلك الفضاء الواسع، بل يحس بعضنا في بعض الفترات أن هذه الحال من انطباع روحه بهذا الطابع الغني للآخرة يسحبه من النطاق الضيق لأبعاد الزمان، لتأخذ به إلى أبواب الجنة التي تتلهف إليها طوال حياتنا، وهنا يشعر وكأنه على شاطئ عالم سحري وسري لم يره أحد أو يسمع به من قبل، ولا يمكن التعبير عنه بأي كلمات، وفي مثل هذه الحالة الروحية يقوم العالم الموجود وراء عالمنا- حتى وإن لم نفكر أو نتكلم- بتقديم نغمات دون أي كلمات قائلا: «أنا على الدوام في أعماقكم، اهتزاز في آذانكم، وضوء في عيونكم، وسعادة في صدوركم.. أنا في أعماقكم وفي الشواطئ المفتوحة على مشاعركم، وفي منطلقاتكم للسمو والارتفاع، تستطيعون- إن أردتم- أن تمتلكوني»، ونعتقد أن هذه الأضواء تهال على قلوبنا من عالم الآخرة ضمن هذه المشاعر الفائرة والمتصاعدة إلى ما وراء هذه الآفاق، بل إلى ما وراء الوراء، ويموج هذا الجو المحيط بنا بالأحاسيس والضراعة والدعاء، وبالشموع وبالأضواء الزرقاء والوردية والصفراء الموجودة في الشوارع وفي قناديل الجوامع، وفي أضواء الزينات بين المآذن، ثم هناك هذه المعابد التي نهرع إليها مرة، على الأقل، كل يوم، وهؤلاء الناس الأطهار الذين نتشارك معهم المشاعر نفسها.



أجل.. فلكل هؤلاء تقريبا وجوده وروحه ومعناه ولذته الخاصة به وسحره، ونكاد نسمعها كلها، ونحس بها، وعندما ترجع أرواحنا إلى أنفسها بعد أن تمتلئ بهذه المعاني، تستغرق في تمعن وتأمل عوالمها الداخلية العميقة، وتبدأ النظر حولها نظرة مختلفة عن السابق.

نعم.. هذه الأيام المباركة التي يتم فيها الإحساس بالوجود وبالإنسان وبما وراء هذا الوجود إحساسا أفضل وأكمل، تُشعِل في أذهاننا أقوى الأفكار، وتهدهد أجمل الأشعار في أرواحنا، وتفتح أجمل أبواب الإلهام وأكثرها سحرًا في أفئدتنا، وتهيئ لنا إمكانية التعبير عن أخفى مشاعرنا.

أحيانا يفضل بعضنا التزام الصمت أمام المهابة التي تجلل هذه الأيام، ويرجع ليتحاسب مع نفسه ومع عالمه الداخلي، ومن يدري؟ فقد يكون هذا الصمت أبلغ من كل كلام في مجال الثقة والاطمئنان والحب وفتح الحضن للجميع، وأحيانًا يكون مثل هذا الصمت المهيب تعبيرًا عن المراقبة الداخلية والحس والمعرفة، وأعمق من كل ما يمكن أن يقال من كلام، ولعلنا نحتاج أكثر ما نحتاج إلى مثل هذا الصمت البليغ والطلق.

وباعتيادنا من قبلُ على تنفس أجواء مثل هذه الأيام المباركة من شريط الزمن، فقد نفذت إلى أرواحنا وامتزجت بها، حتى إنها ما إن تبدو في الأفق حتى تسري الفرحة والحلاوة في قلوبنا وعلى شفاه قلوبنا، وتسري إليها من ألحان المعاني أعذبها وأبلغها وأوسعها، ونرى أن الحبر يتقطر بأنفس الأفكار على صفحات الأوراق، وكأنها نقوش وزينات، وإلى جانب كياننا وأوضاعنا التي نعيشها حاليا نهذي كحالم بالأيام التي تتفتح كالبراعم من آمالنا ومن إيماننا، ونحسب أننا قد بسطنا أجنحة آمالنا ورغباتنا لنطير نحو عوالم جديدة.

لقد سكن حب هذه الأشهر المباركة والليالي المتميزة فيها، إذ ترقى إلى الذرى في قلوبنا المترعة بالإيمان، وأحببناها ونظرنا إليها على الدوام، وكأنها أطياف ضوء باهر، وحتى مع مرور السنوات والأعوام التي قد تتبدل فيها أفكار ومنطلقات الإنسان، فإن هذه الأيام والليالي المباركة لم تفقد بريقها في ذاكرتنا وقلوبنا، ولم تتغير مشاعرنا تجاهها، وبقيت مصدر إلهام لنا على الدوام.

المفكر الإسلامي د.محمد أبوليلة رئيس «التواصل الحضاري والحوار مع الآخر»:

العالم في حالة لا تحتمل مزيداً من العصبية والتطرف..

أميرة إبراهيم



سنوات طويلة نتحدث عن أهمية الحوار والتواصل مع الآخر لتصحيح صورة الإسلام، والتصدي للحملات الموجهة ضده، لكن المؤشرات تؤكد أننا فشلنا في تحقيق ذلك، والدليل هو استمرار الحملات المسيئة للإسلام ورسوله ﷺ، ووجود صورة مشوهة للإسلام وللمسلمين لدى الغرب.. الأمر الذي دفع مجموعة من أساتذة جامعة الأزهر والمتخصصين في الشؤون الإسلامية، المجيدين للغات الأجنبية وأصحاب الدراية بالثقافات المختلفة للشعوب، إلى إنشاء جمعية «التواصل الحضاري والحوار مع الآخر»، وذلك لاستثمار خبرات أعضائها وقدراتهم في وضع استراتيجية جديدة للحوار مع الآخر والتواصل معه، بما يحقق تصحيح صورة الإسلام والتصدي لكل ما يثار ضده، وقد أطلقت الجمعية مشروعها الأول لتدريب وإعداد كوادر من الشباب القادرين على المشاركة في حوار الحضارات والثقافات من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب ومد جسور التفاهم مع مختلف شعوب العالم.

وحول أهداف الجمعية وخطة عملها، وتفاصيل الاستراتيجية الجديدة التي تضعها للحوار مع الآخر، وكيف سيتم تغيير الصورة النمطية المشوهة للإسلام والمسلمين، الموجودة في الإعلام والفكر الغربي، التقت «الوعي الإسلامي» رئيس مجلس إدارة الجمعية وأستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في جامعة الأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية د.محمد أبوليلة..وإليكم نص الحوار:

■ **كيف تولدت فكرة إنشاء تلك الجمعية؟**

– بدأت فكرة الجمعية منذ عام ٢٠٠١، حيث كنت أقوم بعقد سلسلة من الدورات في الدعوة والدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في مركز صالح بجامعة الأزهر، وكان الإقبال كبيرا جدا من قبل الدارسين من الجنسين، ومن كل التخصصات، وكان من ضمن الدارسين أساتذة جامعة وخريجون وأئمة ومعلمون ورجال أعمال وغير ذلك، كما وجدت إقبالا كبيرا من قبل عدد من الأجانب، ولا تزال تلك الدورات تعقد حتى الآن، لكن في مقر مختلف، حيث تعقد في دار الأرقم.. هذه الدورات تمخضت عنها فكرة إنشاء الجمعية، نظرا لما يتعرض له الإسلام والمسلمون اليوم من حملات وإساءات منظمة وواسعة النطاق، وبعضها من وسائل الإعلام الغربية، ومن السياسيين في الغرب، هذا بخلاف حملات التنصير، ونشاط العلمانيين سواء في الغرب أو في داخل البلاد الإسلامية، كما أن الانفتاح الذي يتميز به هذا العصر، واختلاط الأمور، والنظام العولمي الذي يراد فرضه على العالم من أجل سيادة ثقافة بعينها هي الثقافة الأميركية على الشعوب– ونعني بالثقافة مجموعة النظم التي تؤثر في حياة الإنسان وتصوغ مواقفه من الأحداث من حوله– كانت وراء مولد فكرة المشروع الذي يعد الأول من نوعه، وهو امتداد لرسالة الأزهر النبيلة،

الهجمات الشرسة والمكثفة على الإسلام تستلزم الرد والتصدي وبيان الحقائق

■ **الفكرة تولدت عام ٢٠٠١ ونُفِّذت عام ٢٠٠٦ فما سبب هذا التأخير؟**

– تنفيذ الفكرة قد تأخر بالفعل نظرا للدراسة الطويلة التي خضعت لها لاستقصاء جميع جوانب الموضوع، ولقد وجدنا من خلال الدراسة أننا نحتاج إلى جهود ضخمة من أجل إيجاد الداعية المتسلح بالثقافة المعاصرة وعلوم الدين وعلوم اللغة، صاحب الخبرة التراكمية التي تمكنه من عرض الإسلام بالطريقة التي يعرض بها أعداء الإسلام أفكارهم، حيث وجدنا أن هناك عجزا شديدا لدى

و يعتبر التطبيق العملي للدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية.

الإسلام والتراث الإنساني

المسلمين في أعداد الكفاءات التي تجيد الحوار مع الأخر والمتسلحة بالعلم الديني والدنيوي، كما لاحظنا، بكل أسف، أن معظم كتبنا وكتاباتنا التي تترجم إلى اللغات الأجنبية إما ضعيفة في أصلها وإما ضعيفة في ترجمتها، وهي، وإن كانت تصدر وتكتب بنوايا حسنة طيبة، لا تخدم الإسلام، خاصة إذا كان العدو متسلحا بالمنهجية والدراسة والتخطيط، ويمتلك الثروة والإعلام الضخم وكل وسائل التأثير.

استراتيجية جديدة للحوار

■ **أكدتم أن الجمعية سوف تضع استراتيجية جديدة للحوار مع الآخر.. فما معالم تلك الاستراتيجية؟**

– الاستراتيجية التي يقوم عليها عمل الجمعية تقوم على:

أولا: جمع كل المعلومات والتصريحات والأقوال الخاصة بالإسلام والمسلمين التي تعلن عبر أجهزة الإعلام الغربية، وفي الأكاديميات ومؤسسات صناعة القرار.

ثانيا: تخزين هذه المواد التي جمعت في بنك للمعلومات، وتفنيدها وتصنيفها وفقا لمصادرها وأهميتها ودرجة تأثيرها، كي يستفيد منها الباحثون الذين سيتولون مهمة الرد عليها.

ثالثا: سيكون هناك مجلة خاصة تصمم طبقا للمواصفات الغربية، حيث إن الهدف الأول من صدورها الوصول للمواطن الغربي، سواء كان يعيش في وطنه أو بين المسلمين، أو في أي مكان في العالم.

رابعا: ستكون هناك أيضا دوريات ونشرات وكتب خاصة بالتواصل والحوار، نحاول من خلالها تأصيل العلاقة الإنسانية بين الشعوب تمهيدا لعلاقة أفضل بين الشعوب في هذا العصر الملتهب.

خامسا: يأتي في إطار استراتيجية عمل الجمعية إعداد أشخاص ذوي خبرات وقدرات خاصة في هذا المجال محليا ودوليا، وسوف يكون طلاب المعهد من الدارسين للغات والترجمة ومن خريجي أقسام اللغة الإنجليزية والفرنسية في مصر والعالم العربي.

سادسا: عمل زيارات متبادلة مع المواقع الثقافية والأكاديمية في الدول الغربية.. كما سوف يكون هناك تواصل مستمر مع المنصفين من العلماء والإعلاميين الغربيين.

سابعا: تشكيل قوافل من الأساتذة المصريين والعرب المتميزين والمتخصصين في اللغات والعلوم الشرعية للسفر إلى الخارج لنقل الصورة الصحيحة عن الإسلام للغرب.

إبراز سماحة الإسلام وأنه دين وسطية لا يعرف التشدد أو الغلو ضرورة ملحة

نموذج مشرف للإسلام

■ **عدد كبير من أعضاء الجمعية من النساء، فما الدور الذي ستقوم به المرأة المسلمة لتحقيق أهداف الجمعية؟**

– للمرأة دور مهم جدا، ومشاركة أساسية في تحقيق أهداف الجمعية، وذلك إيمانا من أعضاء الجمعية بأهمية دورها في بناء الإنسان وبناء المجتمع على قاعدة الأخلاق والقيم، فالإنسان يتعلم الكلام واللغة من أسرته أولا، وعلى وجه التحديد من الأم، لذلك فإنه يمكن أن يكون للأسرة دور إيجابي في تنشئة الطفل على حب الآخر، وحب الحوار، لا على الانعزالية والانطوائية، كما أن تربية الطفل على أسس إسلامية صحيحة تجعله نموذجا مشرفا للإسلام، ومن ثم لا يتخذ الغرب أخطاء وسلوكيات بعض المسلمين البعيدة عن الإسلام ذريعة للهجوم عليه.

ويجب ألا ننسى أن الغرب يتخذ من قضايا المرأة سبيلا أيضا للهجوم على الإسلام، فهو يزعم ظلم الإسلام لها، وسلبها حقوقها، وعزلها عن العالم، وحين يحاول الرجال الرد على تلك الاتهامات يكون ذلك تأكيدا لها، من وجهة نظر الغرب، فإذا كان الإسلام لم يعزلها فلماذا لا ترد هي؟ لهذا فهي القادرة وحدها على الرد على الافتراءات والأكاذيب التي تخصها.

دين وسطية

■ **إبراز وتوضيح سماحة الإسلام وأنه دين وسطية لا يعرف التشدد أو الغلو من أهم الأمور التي ستسعى لتحقيقها الجمعية.. فكيف سيتم ذلك؟**

– من خلال الجمعية سوف يمكننا أن نتواصل مع الآخر، سواء كانا مسلما أو غير مسلم، وذلك سيتم بفتح قنوات للاتصال والحوار معه، بهدف أن نفهمه ونوضح له صحيح الإسلام، فهناك خلط في المفاهيم عند كثير من الناس، لذلك فالآخر يجب أن يعرف أن الإسلام دين حضارة لا تنطوي على نفسها ولا تعزل ولا تنغلق، بل تقبل الحوار والتواصل، ولا ترفض الاعتراف بالآخر سواء كان ذا دين أو ليس له دين، فرسولنا ﷺ رسول للإنسانية جمعاء، والإسلام يحمل للإنسانية جميعها رسالة سامية تدعو إلى التسامح والتعايش وإقامة علاقة أفضل مع الآخر.

سرعة تصحيح الصورة

■ **الصورة النمطية المشوهة للإسلام وأتباعه.. كيف سيمكن إزالتها؟**

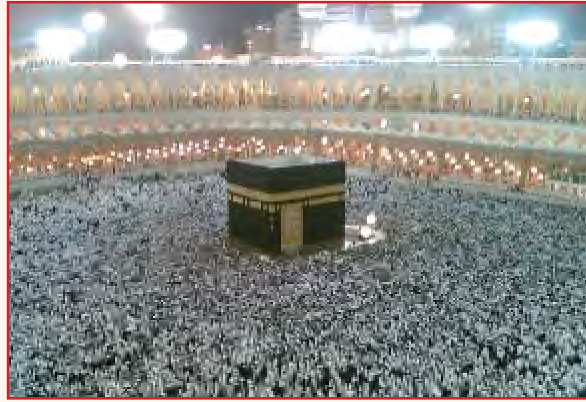
– الظروف العالمية الحالية والهجمات الشرسة والمكثفة ضد العرب والإسلام تستلزم الرد والتصدي وبيان حقيقة الإسلام وأسسه الصحيحة وإزالة كل ما هو مغلوط، سواء كان ذلك بسوء نية أو بحسن نية، وحين يكون الرد جماعيا ومن خلال عمل منظم له استراتيجية واضحة، تكون له نتائج أسرع و أكثر ايجابية، وهو الأمر الذي تسعى الجمعية إليه، ويجب أن ندرك أن الصورة النمطية المشوهة للإسلام والمسلمين ليست جديدة في الإعلام والفكر الغربي والأميركي، لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد ساهمت في إعادة بث هذه الصورة النمطية، كما ساهم في ذلك أيضا عدم قدرة المجتمعات المسلمة على تقديم الصورة الصحيحة.

مشاهد الحج وأثرُها في زيادة الإيمان

الشيخ محمد الحسن ولد الددو

الأعمال الصالحة تُكمل الإيمان وتزيدُه، ولا يمكن أن يتم ولا أن يرسخ ولا أن يثبُت في النفوس إلا بها؛ إذ بها تُذاق حلاوة الإيمان، وبها ترتفع درجاتُه في قلب الإنسان، والحج من أكثر هذه الأعمال تأثيرا في الإيمان، فإن كثيرا من أعماله تعبدية لا تعْليلية، ولا يُدرك الشخص حكمَها، ولكنها تنبهه إلى الموت وما بعده؛ فيزدادُ إيمانه بذلك ويتأكد، فما كان تعليليا من الأعمال قد يفعله الشخص بدافع المصلحة المترتِبة عليه، أما ما كان تعبديا مَحْضًا؛ فإنما يفعله الشخص من منطلق التسليم والاستسلام لأمر الله، ولا يخفى ما بين التسليم والإيمان من قوة الصلة، قال الله تعالى ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ (الأحزاب: ٢٢).

بداية الحج هي الخروج من الأوطان والبلدان، ثم بعد ذلك يغتسل الشخص كما تغسل الجنازة، ثم يلبس إحرامه كما يُدرَج في أكفانه، ثم يصلي كما يصلي المقرب للقتل، ثم يتهيأ بالتلبية لإجابة بارئه ومولاه، ويتذكر بذلك إجابته إذا دعاه حين الموت؛ فإن الله سبحانه وتعالى يُرسل ملك الموت ليقبض الأرواح فتستجيبُ الأرواح دون تقدم ولا تأخر؛ كما قال الله ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾(الأنعام: ٦١)؛ فيتذكر الإنسان هنا إجابة هذه النفس لبارئها إذا دعاها بتلبيتها دعاءَ الله الذي أمر به خليله في قوله تعالى ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (الحج: ٢٧)، ويتجرد الشخص من مهامه كلها، ومن أمور الدنيا كلها، حتى من ملابسه؛ ابتغاءَ مرضاة مولاه سبحانه وتعالى، وبذلك يتم الإقبال عليه، وأول ما ينادي بالتلبية يتذكر أن الناس في جواب الله تعالى لهم بهذه التلبية ينقسمون إلى قسمين:



القسم الأول: الذين كتب الله لهم الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة، وأراد أن يباهي بهم ملائكته، واختارهم ليكونوا من وَفْده الذي يَفِدُ إليه وهؤلاء مُشَرَّفون بحجهم؛ فهم ضيوفُ الرحمن المكرمون، وقد حُكِمَ لهم بقبول حجهم في بداية تلبيتهم، ولذلك إذا لبى أحدهم ناداه منادٍ من السماء: «لبيك وسعديك، حجك مبرورٌ، وزادك حلالٌ، وراحلتك حلال».

القسم الآخر: الذين يَرُدّ الله عليهم عَمَلَهم ولا يتقبله- أجارني الله وإياكم؛ إذا نادى أحدهم: لبيك؛ يناديه منادٍ من السماء: «لا لبيك ولا سعديك، زادك حرامٌ، وراحلتك حرامٌ، حجك غير مبرور، وسعيُك غير مشكور»(١)؛ فيرد ُالله عليه حجه ولا يَتقبله، ولذلك رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا كان عنده فرأى كثرة الحجيج الملبين؛ فقال: ما أكثر الحجاج! فقال ابن عمر: «بل ما أقل الحجاج، قل: ما أكثر الركب».

أما الحُجاج بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة فقليل؛ لأن الحج معناه القصد، ولا يقبل الله تعالى قصْدًا أَشْرَكَ فيه الشخص معه غيرَه؛ كما ثبت عن الرسول ﷺ في صحيح مسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(٢).

وإذا تجاوز الحاج نقطة البداية تذكر في مَسيرِه إلى البيت الحرام أنه يسلك طريق الأنبياء؛ فما من نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا حج هذا البيت، وهذه النقطة نبه إليها رسول الله ﷺ في طريق ذهابه إلى الحج مرتين؛ كما في حديث ابن عباس في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما مر بفج الرَوْحاء؛ سأل: «أي واد هذا؟» قالوا: وادي الأزرق. فقال: «كأني أنظر موسى واضعا إصبعيه في أذنيْه له جُؤارٌ إلى الله تعالى بالتلبية مارًا بهذا الوادي»، ثم مر بثنية فقال: «أي ثنية هذه؟» فقالوا: هرْشى أو لفْت(٣)؛ فقال: «كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء، خُطامُ ناقته ليفُ خَلْبَة، وعليه جبةٌ من صوف، مارا بهذا الوادي ملبيا»(٤).

فإذا رأيت كثرة القاصدين الوافدين معك من كل مكان كانَ هذا أيضًا داعيًا لتقوية الإيمان.

ثم يقرون لله بهذا المُلك الذي يجمع أهل مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها، لا تمر

◆ محاضرة للشيخ في أحد مواسم الحج - بتصرف-

في طريق إلا رأيتَ عجبًا، تجد عن يمينك حجاج أميركا، وعن يسارك حجاج اليابان، وبين يديك حجاج فرنسا، ومن خلفك حجاج استراليا، وهكذا... فيجتمع أهل هذه المشارق والمغارب في هذا الصعيد يلبون هذه الدعوة التي لو كانت من أحد من ملوك الأرض لَمَا استطاع أنْ يجمع هذا الجمع ولا قريبًا منه ولا أقل من ذلك.

ثم إذا رأيتهم جميعا يلبون بتلبية واحدة، ويقومون بشعائر موحّدة، ويقصدون بيتًا واحدًا ومشاعر موحدة، أيقنتَ ببقاء هذا الدين وخلوده وصلاحيته للتطبيق المستمر في كل زمان ومكان، وأنه الدين الحق، وأنه مهما تعالت الصيحات المناوئة له فإنها من صولات الباطل، وإن للباطل صولة فيضمحل، وإن الحق يعلو ولا يعلى عليه؛ لذلك تعلّم أن الناس لابد أن يعودوا إلى هذا المنهج الذي وصلوا به إلى ما وصلوا إليه، مهما ابتعدوا عنه، ومهما تفرقوا واختلفوا، ولذلك فإن تلبيتهم، ومجيئهم يبذلون أموالهم وأوقاتهم ويتعرضون لكثير من الأوبئة والأمراض وغيرها، ويصلون إلى هذه الأماكن المقدّسة، ومازالت تجمعهم نفس الشعائر في نفس المشاعر بنفس الزي، بنفس الكلمات التي يرددونها؛ تذكرهم بأنهم أمةٌ واحدةٌ ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (المؤمنون: ٥٢).

ثم إذا وصلتَ إلى مكة وقطعت التلبية، ودخلت هذا المسجد الحرام؛ تذكرتَ الآيات البينات التي فيه؛ فهن من العجب العجاب، فمنها هذا البيت الحرام العتيق الذي هو أول بيت وضع للناس، من هنا انطلقت حضارة العالم كله.



فإذا نظرت إلى البيت العتيق، قلتَ: من هنا بدأت الإنسانية كلها؛ فتنظر إلى انتشار الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وما سخر لهم من الأرزاق، وما نشر في مناكب الأرض من الخيرات، وبدايتهم من هذه الغرفة الواحدة التي هي بداية الحضارة في الأرض كلها ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾ (آل عمران: ٩٦).

ترى أنه مباركٌ كما وصفه الله بذلك، ولذلك كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود ويقبله(٥)، وقد رُوي أنه قال: «إنه يبعث وله لسان وعينان يشهد لمن استلمه بحق»(٦)، وقال فيه ابن عباس: «الحجر الأسود يمين الرحمن في الأرض فمَن قبله فكأنما قبل يمين الرحمن»(٧).

وكذلك من العجائب فيه أن هذا البيت العتيق عتيقٌ في الدنيا والآخرة.. عتيقٌ في الآخرة؛ فهو مشرَّفٌ عند الله تعالى معظم، وعتيق في الدنيا فلا تصل إليه سلطات السلاطين، فهو دائما بمنأى عن هذه الأمور؛ لأن الله تعالى جعله للناس كافة؛ كما قال تعالى ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ (الحج: ٢٥).

ولذلك تقول امرأةٌ في الجاهلية لولدها:

أَبُنَيَّ لا تظلمْ بمكةَ لا الصغيرَ
ولا الكبيرْ
أَبُنَيَّ قد جرَّبْتُها فوجدْتُ
ظالمَها يَبُورْ
اللهُ آمَنَها وما بُنِيَتْ بساحتها
القُصُورْ
ولقد غزاها تُبعٌ فكَسَى بَنِيّتَها
الحَرِيرْ (٨).

فنجد أن هذا التعظيم الذي هو في قلوب الناس لهذه الكعبة المشرفة ليس بسبب أن دولةً من الدول أرادت تعظيم هذا المكان، أو أرادت أن تجعله موقعًا سياحيا تدعو الناس إليه، بل هو تعظيمٌ من عند الله سبحانه وتعالى فَطَر الناس عليه، وهو تعظيمٌ قديم غير جديد، فهو منذ خُلقَت السموات والأرض.

وقال الرسول ﷺ في خطبته بعد يوم الفتح: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس؛ فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة، فإنْ أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أُذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادتْ حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ليبلغ الشاهد الغائب»(٩)، وعندما دخلها بالسلاح ألصق ذقنَه بصدره حياءً من الله سبحانه وتعالى أن يدخل مكة بالسلاح (١٠)، وهو يدخلها لإبطال الباطل وإحقاق الحق، ومع هذا فهو لهذا الاحترام يُلْصِقُ ذقنه بصدره حياءً من الله سبحانه وتعالى.

وأيضا: تشاهد أن هذا البيت من عتقه في الدنيا أن الله عز وجل لم يأذن للبشر- إذْنًا كونيا- بعبادة هذا البيت، فالبشر عندما تنتكس فطرتهم يعبدون كل شيء، يعبدون الأحجار والأشجار وغيرَ ذلك، وكل معظّم لديهم يُغالون في تعظيمه حتى يعبدونه من دون الله، وإذا لم يجدوا حجرًا جمع أحدهم ترابًا ثم احتلب عليه شاةً، فإذا ييس عَبَدَه من دون الله، لكنهم مع هذا كله حَالَ الله بينهم وبين أن يعبدوا البيتَ العتيق؛ لأن الله شرفه وعظمه فلم يكن لِيُعْبَدَ من دون الله، ومع هذا فإنهم جعلوا عليه الأصنام، فحين هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كان على البيت ثلاثُمئة وستون صنمًا.

وكذلك تجد هذا الحجر الذي هو آيةٌ من آيات الله أُنْزل من الجنة، ومازال من عهد آدم إلى وقتنا هذا موجودًا، تمر عليه قرون الدنيا المتطاولة وهو باقٍ في مكانه، وقد أخرجه القرامطة إلى الأحساء، ومكث عندهم عشرين سنة، وعندما نقلوه من مكة نقلوه على خمسين بعيرًا، يحملونه في الصباح على بعير، فإذا جاء وقت الزوال مات البعير، فيحملونه على آخر وهكذا، فمات تحته خمسون بعيرًا من مكة إلى الأحساء، فلما انتزعه منهم الخليفة العباسي، أعاده من الأحساء إلى مكة على بعير واحد هزيل فحمله حتى أوصله إلى مكانه.

وتجد أيضا هذا المقام- مقام إبراهيم- الذي فيه موطئ

قدميْه- عليه السلام- عندما كان يبني الكعبة، فيصعد به الحجر كلما تطاول البنيان؛ كأنه سلمٌ كهربائي، ومن عصر إبراهيم إلى عصرنا هذا وهو موجودٌ هنا.

وكذلك نجد من هذه الآيات البينات: هذا الأمْن والأمان الذي فطر الله عليه النفوس في هذا المكان، فالنفوس مطمئنةٌ إلى أمانها، ومرتاحة في هذا المكان راحةً لا تجدها فيما سواه، وهذا الأمن والطمأنينة أمرٌ مشاهَد حتى عند غير العاقل؛ كما قالت المرأة في أبياتها التي ذكرنا بعضها:

والله آمَن طيرها
والعُصْمُ تأمن في ثبير

وكذلك فإن هذه الطيور التي تعيش في هذا الحرم تأمنُ الناسَ وتألفُهم من عصر الجاهلية إلى عصرنا هذا، ويمر بها الناس ويمسحونها، ولا يُؤذونها، وهي تألفهم وتستقر في هذا المكان دليلا على هذا الأمن الذي وضعه الله فيه.

وكذلك من هذه الآيات البينات: أن الله أوجب حجه على الناس فيأتونه في كل سنة، فيقام فيه الموسم فيأتي الناس من مشارق الأرض ومغاربها.

ولذلك جاء في الخبر أنه ﷺ كان إذا دخل المسجد الحرام فرأى البيت العتيق قال: «اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا ومهابةً وبرا، اللهم زد من شرفه وكرمه وعظمه ممن حجه أو اعتمره تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا ومهابةً وبرا»(١١).

ولاشك أن المؤمن الذي يقفو أثر رسول الله ﷺ إذا علم أنه طاف سبعة أشواط بهذا البيت، وكل الأنبياء مِن قبله، وأنه كان يمسح هذا الركن اليماني بيده، ويقبِل نفس الحجر الأسود الذي تُقبِله أو تلمَسُه بيدك، وهو الذي لَمَسه آدم ومَن بعده من الأنبياء إلى رسولنا ﷺ، لاشك أن هذا مما يزيد الإيمان.

وكذلك إذا ذهب الشخص إلى الصفا والمروة فإنه يتذكر أنهما من شعائر الله، وشعائر الله معناها: التي أشعر الله فيها بحُكْم وعظمها، والله قال فيهما ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ (البقرة: ١٥٨)، ولذلك قال رسول الله ﷺ حين اقترب من الصفا «أبدأ بما بدأ الله به»(١٢).

فإذا صعدتَها تذكرْتَ أن رسول الله ﷺ كان محصورًا عليها في أربعين شخصًا هم المؤمنون على وجه الأرض في دار الأرقم، وأن الله وعدهم أن يُبلِغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وأن ينتشر حتى تخرج الظعينة من صنعاء إلى حضرموت لا تخاف أحدًا إلا الله.

فيذكر الشخص هذا الحصار الذي كان مضروبًا على رسول الله ﷺ وأصحابه، وهم نفر قليل مختفون بأمرهم، لا يستطيعون الظهور إلى الناس، ولا أن يطلع على أمورهم أحدٌ، وهم في دار واحدة تحصرهم جميعًا لا يتجاوزون أربعين نفسًا، ثم امتن الله عليهم بالإظهار والنصرة والانتشار؛ حيث قال تعالى ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ (الأنفال: ٢٦).

فتذكُر هذه النعمة كما أمرك الله بذلك؛ فتقول كما قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»(١٣).

أنجز وعده: وهو قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾(الفتح: ٢٧)، وقد حقق الله هذا الوعد لرسوله وللمؤمنين، وأنت داخل في جملة الموعودين بذلك، فلما وصلت إلى هذا المكان حقق الله لك وعده وأنجزه؛ فلذلك تحمده على ذلك فتقول: لا إله إلا الله وحده أنجز وعده.

ونصر عبده: أيْ نصر الله رسوله ﷺ فلم ينصره الناس، ولذلك قال الله تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾(التوبة: ٤٠).



وكذلك تقول: وهزم الأحزاب وحده: فتذْكُر أن الذين كانوا يعادون هذه الدعوة ويقفون في وجهها من صناديد قريش ومن سواهم لم تبق لهم باقيةٌ على هذه الأرض، ولا يُعْلَم مكان أحد منهم، إلا أنه عن يسار مَن دخل النار- نعوذ بالله.

أما محمد ﷺ وأصحابه الذين كانوا مستضعفين فهم الذين كتب الله البقاءَ لدعوتهم، وأيدهم بنصره، وأعلى منزلتهم في الأولين والآخرين؛ فلذلك تثْني على الله سبحانه وتعالى بهذا، فتقول: «وهزم الأحزاب وحده».

ثم إذا ذهبْتَ إلى المروة تذكرْتَ أن الصفا والمروة كان عليهما صنمان، كان على الصفا صنم اسمه إساف، وكان على المروة صنم اسمه نائلة، وكان الناس يترددون بينهما في الجاهلية ويعظمونهما، فلما كَسَر رسول الله ﷺ هذين الصنمين بعد الفتح تحرج أصحابه من الطواف بهما «الصفا والمروة»؛ لأنهم كانوا يروْن أن التعظيم ناشئٌ عن وجود هذين الصنمين، فرد الله عليهم هذا التحرج بقوله ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (البقرة: ١٥٨).

ثم إذا ذهبْتَ إلى منى رأيتَ هذا الوادي المبارك الضيق الذي كان فيه إبراهيم خليل الله، وكان يطرد الشيطان ويرجمه بالحجارة(١٤)، وفيه كانت قصة الذبيح، وفيه منزل رسول الله ﷺ في مسجد الخيف؛ حيث نَزَل ونظمَ الناسَ تنظيمًا عجيبًا، فجعل في مقدمة المسجد المهاجرين والأنصار، إشعارًا للناس بمنزلتهم في الإسلام؛ لئلا ينازعوهم، ثم

جعل وراءهم مُسْلِمَةَ الفتح، ثم وراءهم الأعراب، فجعلهم في مؤخرة المسجد، وترى أن رسول الله ﷺ عندما عُرض عليه أن يُبْنَى له بيتٌ بمنى يستظل فيه من الشمس قال: «لا؛ إنما منى مناخُ مَن سبق إليها»(١٥).

وتجد هذا التواضع العجيب من سيد خلق الله وأكرمهم على الله، وهو يمتنع أن يُبنى له بيتٌ في منى يستظل فيه من الشمس، ويصلي في مكان هذا المسجد إلى غير جدار؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، وتمر الأتان بين يدي بعض الصف وهو في صلاته (١٦)، فكل هذا يُشْعِرُك أن هذا الدين دينُ الفطرة، وأنه مَن تواضَعَ لله رفعه الله، وأن الرسول ﷺ لم يعزه الله بمعايير المادة الدنيوية، وإنما أعزه بمعيار نصر الله سبحانه وتعالى ورفْعِه الذي رَفَعَه به وأعلى منزلته.

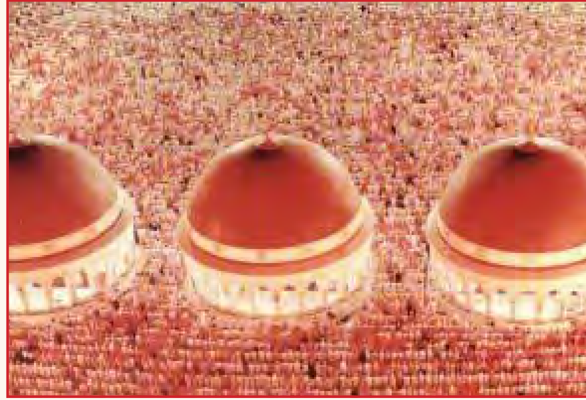
ثم عندما تنطلق إلى عرفات تستشعر أن هذا الوادي الذي يسمى بطن نعمان، وهو وادي عرفات، هو الذي مسح الله فيه ظهر آدم بيده الكريمة؛ فأخرج منه ذرية؛ فقال: أيْ رب مَن هؤلاء؟ قال: خلق من ذريتك خلقتهم للنار وبعمل أهل النار يعملون، ثم مسحه مرة أخرى فأخرج منه ذرية؛ فقال: أيْ رب مَن هؤلاء؟ فقال: خلق من ذريتك خلقتهم للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون (١٧)، ثم دعاهم أجمعين؛ فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى؛ جميعًا، هذا في عالم الذر.

أما المؤمنون فقد بقوا على هذا العهد الذي أَشْهدوا الله عليه، فما زالوا يجددون العهد في كل سنة يتوافدون إلى هذا المكان ليعلنوا أنهم يقرون لله تعالى أنه ربُهم، يتذكرون أنه خاطبهم في هذا المكان بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ (الأعراف: ١٧٢)؛ فلذلك يجددون هذا العهد مع الله، وهو العهد الذي تجددهُ أنتَ في كل صباح ومساء بما أمرك به رسول الله ﷺ في حديث سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت...»(١٨) الحديث.

وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، هو هذا العهد القديم الذي كان في عالم الذر الذي قال الله فيه ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف: ١٧٢).

ثم تتذكر هذا الموقف العظيم الذي هو أعظم يوم في السنة، ولم يمر على الشيطان يومٌ في السنة أخْزى فيه منه، ولا على العباد يومٌ أكثر مغفورًا لهم فيه من هذا اليوم.

تتذكر وقُوف رسول الله ﷺ في الناس وما خاطبهم به، وتتذكر تجلي الباري سبحانه وتعالى ليباهي بعباده ملائكتَه؛ فيقول: «هؤلاء عبادي أتوْني شعْثًا غبْرًا، أشهدكم أني قد غفرت لهم»(١٩).



من العجائب في البيت العتيق أنه عتيق في الدنيا والآخرة

تتذكر هذا الوادي المبارك، والذكرياتُ فيه كثيرةٌ، من خطبة رسول الله ﷺ يوم الجمعة فيه عندما خطب خطبة الحج، وتتذكر حال أصحابه معه في ذلك اليوم وهم يحيطون به من كل جانب، وأن رسول الله ﷺ عندما انطلق بعد غروب الشمس يهدئهم ويأمرهم أن ينصرفوا بهدوءٍ وسكينة؛ لأنهم في عبادة لله سبحانه وتعالى هي من أعظم القُرب.

ثم إذا وصلْتَ إلى المشعر الحرام مزدلفة، وأنت كنت في مشعر حلال؛ فتذكرت مبيتَ رسول الله ﷺ بها، ووقوفَه الموقف الذي ستَقِفُه أنت بعد طلوع الفجر، تكبر الله سبحانه وتعالى على ما هداك، وما وفقك إليه من الحج، وتذكُر أن أهل الجاهلية كانوا يذكرون آباءهم ويتفاخرون بأنسابهم في هذا المكان؛ فتذكر الله أكثر مما كانوا يذكرون آباءهم.

وبذلك يقْوى منسوبُ الإيمان لديك، حتى إذا أفضْتَ إلى منى، وأسرعْت في بطن محسر (وهو وادي النار) تذكَرْتَ أيضا أنه هو الذي انتقم الله فيه من أصحاب الفيل الذين كانوا يريدون هدم البيت العتيق ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾ (الفيل: ٣-٥).

ثم تصلُ إلى منى بحمد الله؛ فإذا وصلْتَ إليها ورميْتَ جمرة العقبة تذكرْتَ موقف رسول الله ﷺ عندها، وأنك تسلك أثَرَه، وهذا هو الموقف الذي قال فيه ابن مسعود «هذا موقف الذي أُنْزلت عليه سورة البقرة»(٢٠)، يقصد موقف رسول الله ﷺ.

ثم بعد ذلك إذا بدأْتَ التحلُل تذْكُر نعمة الله تعالى عليك؛ لأنك أُتيحَتْ لك فرصة جديدةٌ بعد هذه الرحلة إلى الآخرة التي تُذَكرك بالموت بكل ما فيه، وبالمحشر حيث جمع الناس في هذا المكان الضيق في عرفات، ورأيْتَ أنواع البشرية وأجناسهم يجتمعون من كل فج عميق، وتذكرْتَ أن الله سبحانهُ وتعالى لا يعجزه حشرهم جميعا في الساهرة؛ إذ أرانا من قدرته أنه حشر هذه الخلائق التي لا حصر لها، والتي يعْجَب الشخص إذا رآها كالسيول الهادرة في هذه الأماكن الضيقة، فرأيْتَ هذا العجب العجاب، وتذكرْتَ به النشأة الآخرة، وأن الله سيُناديهم فيخرجون من الأجداث سراعًا، ويجتمعون جميعًا في الساهرة، حينما يناديهم المنادي: «أيها الناس هلموا إلى ربكم» فيخرجون سراعًا يلتقي أولهم مع آخرهم، وينْسون كم لبثوا في قبورهم.

تذْكر ماذا ستكون عليه في ذلك اليوم الذي ينْظر الشخص من أمامه فلا يرى إلا عَمَلَه، وينظر من خلفه فلا يرى إلا عَمَلَه، وينْظر أيْمَن منه فلا يرى إلا عَمَلَه، وينظر أشْأم منه فلا

يرى إلا عمله.

تتذكر مرورك وعبورك على الصراط الذي هو جِسْرٌ منصوبٌ على متن جهنم، يمر الناس عليه وهو أَحَدُّ من السيف، وأَرَقُّ من الشَّعَر، وعليه كلاليب كشوك السَّعْدان، يمر الناس عليه بحسب أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل والإبل، ومنهم من يمر كالرجل يشتد عدْوًا، ومنهم من يزحف على مقعدته، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوشٌ مرْسَلٌ، ومُكَرْدَسٌ في نار جهنم.

فاخْتَرْ لنفسك وأنت ترى هذا بعينَيْ رأسك، ترى أنك الآن تسير على صراط أنت متحكِّم فيه، وأنت منه في سَعَة ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج: ٧٨)، تسير في صراط موافق للفطرة، ليس فيه كلاليبُ كشوكِ السعدان، بل كل أموره ميَسرة، ولله الحمد، كل أموره موافقةٌ لمرضاة الله، ولفطرة ابْن آدم التي فطَرَه الله عليها، وكلها لمصلحة ابن آدم وأنت تسير عليه.

واعلمْ أنه على قدر استقامتك عليه ستكون استقامتك على ذلك الصراط الأخروي الذي وصفْناه بأوصاف مناقضة لهذه؛ فهو بهذا الضيق والشدةِ والحدة، وعليه هذه الكلاليب التي هي كشوك السعدان.

ثم تتذكر أن هؤلاء القوم الذين يجتمعون في هذا الحج سيتفرقون تفرقًا لا لقاء بعده، فيا رُبّ واقف بعرفة لن يقف بعدها بعرفة أبدًا، ويا رُبَ حاج في هذه السنة لا يأتي عليه هذا اليوم إلا وهو تحت التراب، ولا تدري لعلك تكون منهم، فلذلك حاوِلْ أن تنتهز الفرصة التي نِلْتها؛ فإن يوم القيامة ليس فيه اهتبالٌ للفُرص، بل إن كل أحد يوم القيامة يتمنى أن يعود إلى الدنيا لعله يغير شيئًا مما كان يعمله، فالمحسن يندم على ألا يكون زاد، والمسيء يندم على أصْل إساءته.

فإذا نَفَرْتَ من منى كان على يمينك الشِّعْب الذي خلف الجمرة وهو الذي وقعَتْ فيه بيعة العقبة، حيث نظم رسول الله ﷺ الأنصار، وجعل عليهم اثني عشر نقيبًا، فكان ذلك أول لبنة وُضعت لبناء دولة الإسلام الكبرى، ولاشك أن تذكُّر هذه البيعة ومشاهدةَ مكانها مما يحرك مشاعر الإيمان وينفض عنه الغُبار.

فإذا لم تتعجل واستطعت أن تمر بمحصّب بني كنانة؛ حيث تحالفوا على حرب الله ورسوله؛ فإن رسول الله ﷺ أخبر الناس أنه نازل به، وصلى فيه أربعة أوقات؛ فإذا نزلْتَ فيه تذكرت ما باءت به مؤامرات أعداء الله ورسوله من الفشل الذريع، وما حققه الله لرسوله من النصر المبين.

وفي الأخير إذا دفع الناس من الحج وانصرفوا، فإن الشخص سيتذكر أن كثيرا من الناس الذين ربما صَبَر على أذاهُم، وربما كافأهم بالأذى- نعوذ بالله- قد افترق معهم فرْقةً لا اجتماع بعدها أبدًا؛ فهذه من العجائب العجيبة، فإنك تبيت هذه الليالي، ليالي منى، في جمع غفير من الناس يحيطون بك عن يمين وشمال، وربما أزعجوك، وربما ضايقوك في سيرك أو في استقرارك أو في غير ذلك؛ لكنك بعد ثلاث ليال لن ترى منهم أحدًا، وسينصرفون إلى وجهتهم، وربما لن تلتقي معهم بعد هذا الوقت أبدًا، فهذا من عجائب ما في هذه الدنيا.

وفي الختام أسأله سبحانه أنْ يجعلنا أجمعين ممن يعقلون أمثال هذا القرآن، ويفهمون ما ضُربت له هذه الأمثال؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت: ٤٣).

أعمال الحج تعبدية لا تعليلية ولا يدرك الشخص حكمها لكنها تنبهه إلى الموت



الهوامش

١- هذا اللفظ جزء من حديث أخرجه البزار في مسنده: كما في «كشف الأستار» (٦/٢) برقم (١٠٧٩)، وله شواهد تدل على أن للحديث أصْلا؛ لاسيما أنه يندرج تحت أصل عام تؤيده النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٢- صحيح مسلم: ج٨، ص: ٢٢٣.

٣- «لفت» ثنية تقع بين مكة والمدينة، واختُلف في ضبط الفاء، فسكنت وفتحَت، ومنهم من كسر اللام مع السكون. انظر النهاية: (٢٥٩/٤) مادة: لفت.

٤- صحيح مسلم: ج١، ص: ١٥٢ ح ١٦٦، وسنن ابن ماجه: ح ٣٨٩١، ومسند أحمد: ج١، ص: ٦١٢.

٥- راجع حديث عمر في صحيح البخاري، ح ١٥٩٧ . ويكفيه بركةً تقبيل رسول الله ﷺ له.

٦- أخرجه الترمذي: ج٣، ص ٢٩٤ وحسنه، وابن حبان: الموارد: ص ٢٤٨، والحاكم: ج١، ص: ٤٥٧ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: ج٥، ص: ٣٢.

٧- جاء هذا موقوفًا عن ابن عباس عند الأزرقي: ج١، ص: ٣٢٣، وصحح ابن تيمية وقْفه.

٨- راجع سيرة ابن هشام: ج٤، ص: ٢٢.

٩- صحيح البخاري، ج: ١٠٤، ومسلم ج: ٤٥٣١.

١٠- راجع سيرة ابن هشام: ج٤، ص: ٤٣.

١١- أخرجه الشافعي في المسند: ص (١٢٥) وفي الأم (١٦٩/٢) عن سعيد بن سالم عن ابن جريج مرفوعًا، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٣/٣) وقال: هذا منقطعٌ، وله شاهدٌ مرسلٌ عن سفيان الثوري عن أبي سعيد الشامي عن مكحول.

١٢- أخرجه مالك في الموطأ: ج١، ص ٣٧٢، ومسلم في الصحيح: ج٤، ص ٤٠ في حديث جابر.

١٣- أخرجه مسلم في الصحيح: ج٤، ص ٤٠ في حديث جابر في حجة الوداع.

١٤- أخرج ذلك البيهقي في «السنن الكبرى»: ج٥، ص ٤٥١.

١٥- أخرجه أبو داود برقم (٢١٩) والترمذي برقم (٨٨١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٣٠٠٦) وأحمد (٢٠٧/٦) عن عائشة رضي الله عنها.

١٦- أخرجه البخاري، ح ٧٦، ومسلم ح: ٤٠٥.

١٧- أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٧/٤) برقم: (٢٤٥٥)، وابن جرير في تفسيره (١١٠/٩-١١١)، والحاكم في المستدرك (٢٧/١) و (٥٤٤/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

١٨- أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، ح: ٦٠٣٦.

١٩- أخرج المباهاة مسلم في الصحيح: ج٣، ص١٠٧، والنسائي: ج٥، ص ٢٥١-٢٥٢، وأخرج الحديث بتمامه ابن حبان في صحيحه الموارد: ٢٤٠-٢٤٨، وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ج٣، ص ٣٥٢.

٢٠- صحيح البخاري: ٧٤٧١.



حصاد العام

فكرةُ الحصاد أَلَحَّتْ على القائمين على «الوعْي الإسلامي» وعلى قارئيها، وكان مصدر هذا الإلحاح ما وُجد من النّجاحات الطيّبة لكثير ممّا يُطرح على صفحات المجلّة بأقلام كتّابها أو مُحرّريها، من داخل الكويت ومن خارجها، وقد حازتْ دراساتٌ وتحقيقاتٌ وحواراتٌ ونكاتٌ علميّةٌ وقصص أدبيّة وغيرها، عنايةً خاصّة من طرف كثير من المتابعين؛ لذا جاءتْ فكرة الحصاد، ومُحصّلُها اختيار ثُلّة من الموضوعات التي مرّ عليها عام هجريّ كاملٌ، وكانت محطّ اهتمام ومتابَعة من قطاعات متنوّعة، أو كان فيها من الجهد العلميّ أو السّبق الصحافيّ أو الإبداع الأدبيّ أو غير ذلك من أنواع التفرّد وعموم النّفع ما يجعلها حَريّةً بأن يُعاد نشر ملخصات لَها على صفحات المجلة في عددها الأخير من العام في ملفّ خاصّ تحت عنوان «حصاد العام»، ولعلّها فكرةٌ ستكرّر عند نهاية كلّ عام هجريّ، ولاشكّ أنّ فيها من التحفيز والتشجيع للقُرّاء والكُتّاب المتميّزين، ما يدفع غيرهم للمثابرة وزيادة الإنتاج والارتقاء بمستوى الطّرح والمعالجة والمناقشة، وإنّنا لنرجو أن نكون وُفّقنا في الاختيار، وأَحْسَنّا النّقد الهادف البنّاء لجميع أعداد سَنَتنا المنصرمة.. والله الموفق لكلّ خير وصواب.

التحرير

المجالس والجلساء

رئيس التحرير

المجلس والديوان والنادي والمنتدى أماكن اجتماع القوم ومتحدثهم ، فالإنسان أكثر حاجة للاجتماع من جميع المخلوقات، لأن من المخلوقات ما يستقل بنفسه عن جنسه، والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته به صفة لازمة لطبعه، والله خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره، خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين، وجعل لنيل حاجة الإنسان أسباباً، فهو مدني بطبيعته، والدنيا لم تكن قط لجميع أهلها مسعدة، ولا عن ذويها كافة معرضة، لأن إعراضها عن جميعهم عطب، وإسعادها لكافتهم فساد، لائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساوى جميعهم لم يسلك أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً، وفي هذه المجالس تراعى المصالح من تعاهد بعضهم بعضاً، ومذاكرتهم في أمور الدين ومصالح الدنيا وترويح النفوس بالمحادثة في المباح ودلهم إلى ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة، ولكل من هذه الآداب والمصالح وترك المفاسد شواهد من الشريعة، لئلا يضعف المجالس عن أداء الحق الذي عليه، ويسلم من التعرض للفتنة، وذلك بكف الأذى، وحتى يسلم من الاحتقار والغيبة والنميمة ونحوها، واستعمال جميع ما يشرع من الآداب الشرعية والعرفية، وترك جميع ما لا يشرع من مساوئ الأخلاق، وسد الذرائع لطلب السلامة، والتخلق بكل خلق كريم، وترك طاعة كل هماز مشاء بنميم، ومن خير المجالس المؤاخاة بالمودة، لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصاً ومصافاة، وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة، لذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه لتزيد ألفتهم ويقوى تضافرهم وتناصرهم، وقيل: الجلساء ثلاث طبقات، طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً، وإياك من صحبة ومجالسة الأشرار والثقلاء والسفهاء، فإنها تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار، فمجالسة الثقيل حُمّى الروح.

ومجالسة السفيه سفاه رأي
ومن عَقْل مجالسة الحكيم
فإنك والقرين معاً سواء
كما قُدَّ الأديم من الأديم

«فالمجالس بالأمانة وهي عن الخيانة مصانة».





الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم *

الإعجاز معناه سبق الشيء لغيره سبقاً بالغاً، بحيث يصير المسبوق عاجزاً عن إدراكه لحاقاً به، أو سباقاً له، ومنه «معجزات» الأنبياء عليهم السلام، التي يظهرها الله تعالى بقدرته المطلقة، خارقة للعادة، فتعجز المخلوقات جميعا عن الإتيان بمثلها، فإذا تعلق الأمر بالتشريع أو اختيار المنهاج الصحيح للبشر كان الإعجاز أظهر وأغلب، رغم الجدل البشري العقيم طوال التاريخ! وهذا إجمال يحتاج إلى بيان، وقد فصله القرآن الكريم تفصيلاً بديعاً واسعاً، نذكر بعضه فيما يلي:.



د.عبد الستار سعيد

أولاً: الخلق والهداية الإلهية

فقد خلق الله عز وجل كل شيء وقدره تقديراً، وهدى كل مخلوق إلى وظيفته النوعية، وإلى غايته العامة، وجعل لذلك سبلاً كثيرة، منها الفطرة التي فطر الأشياء والأحياء عليها، ومنها الوحي الإلهي، ومنها التعليم والتجارب، قال تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذى خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾ (الأعلى:١-٣).

ولذلك كان الوحي الإلهي بالنسبة للإنسان ضرورة لازمة، ونعمة سابغة؛ لأنه يعلمه حكمة حياته، ومهمة وجوده، وغاية خلقه، ومنتهى مصيره، ويصونه عن عبثية الخلق، وبطلانه!

ثانياً: النبوة من البداية إلى النهاية

وقد جعل الله تعالى النبوة مفتاح الوحي الإلهي، وطريق البلاغ المبين لهذه النعمة الإلهية، منذ فجر التاريخ البشري، ثم في كل مراحله التالية، ثم في ختامه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وقد كانت النبوة الأولى مقترنة بخلق الإنسان، فاصطفى الله تعالى آدم عليه السلام لهذه النبوة، وعلمه الأسماء كلها، وبعثه بدينه وشريعته إلى أولاده وأحفاده، وجعل ذلك ناموس الحياة البشرية وقانونها الدائم.

ثم جاءت النبوة الوسيطة ابتداء من إبراهيم عليه السلام، لأن البشرية كانت قد تطورت إلى مرحلة الدولة والحكومات المنظمة في العراق، ومصر، والشام، وغيرها من أقطار الأرض، فبعث الله تعالى لهم الرسل.

ثم أتم الله الأمر لعباده بالنبوة الخاتمة على يد محمد ﷺ، لتمتد دعوته ورسالته إلى العالمين جميعاً، وإلى يوم القيامة.

ثالثاً: معجزات الأنبياء

النبوة: محض هبة من الله تعالى، لا تنال بالكسب الذاتي مهما اجتهد الإنسان، وهي حجة الله على الناس؛ ولذلك حماها الله عز وجل من الدجالين والكذابين، بأن جعل لكل نبي آية معجزة يظهرها على يديه، تصديقاً له في نبوته، وكأنه تعالى يقول حينئذ: «صدق عبدي فيما يبلغه عني».

والمعجزة لا تكون إلا من الله تعالى، ولا تكون قابلة للتكرار إلا بإذن الله تعالى وبأمره، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾ (الحديد- ٢٥).

وهذا يؤهلها لمعنى السبق الفائق الذي لا يلحق ولا يسبق في بابه، مما يؤدي إلى العجز التام عن مواجهتها، فيكون العجز أبلغ دليل على إعجازها.

رابعاً: المعجزات الحسية والمعنوية:

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بالكثير من معجزات الأنبياء عليهم السلام بأعيانها وأوصافها، وهي نوعان

١-المعجزات الحسية:

وهي الخوارق التي ترى بالأبصار، أو تلمس بالأيدي، أو تدرك بالحواس؛ لتكون بينة ظاهرة، لا يماري فيه إلا المبطلون المجادلون، وذلك مثل ناقة صالح ، وعصا موسى عليهما السلام.

٢ - المعجزات المعنوية

كالإخبار بالغيوب، وتعليم الشرائع الحكيمة التي لا يستطيعها البشر، وإقامة الحجج والبراهين القاطعة على صحة الحق، وإبطال الباطل، في مناقشة الأفكار، ومحاورة الناس... الخ.

وهذا لم يقع مجتمعاً في كتاب واحد - يتحدى الكفار، ويصدق الرسول ﷺ - إلا في القرآن العظيم، فهو الآية الكبرى، والمعجزة العظمى التي تحمل للناس جوامع الآيات والمعجزات، قال تعالى ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم...﴾ (العنكبوت: ٥٠-٥١)، ويقول سبحانه وتعالى ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾ (الرعد: ٣١) وجواب لو محذوف يدل عليه المقام، والمعنى: لكان هذا القرآن.

وقد كذّب الكفار الأولون والآخرون بالمعجزات الحسية جهلاً وعناداً، وجاءت معجزة القرآن كافية شافية فكان لها من الآثار والأسرار، والإقناع والإبلاغ، ما لا نظير له في العالمين.

سر الإعجاز في القرآن العظيم

لقد أدرك المسلمون الأولون ذلك بسليقتهم العربية، وفطرتهم الإيمانية، فآمنوا بذلك إيماناً وثيقاً بلغ بهم ذروة اليقين، حتى خرجوا بسبب هذا الإيمان جهاداً في سبيل الله، وابتغاء مرضاة الله، وبذلوا أرواحهم وأموالهم ليكون هذا الحق باطنهم

* المقال منشور بتمامه في العدد (٥٢٢)



وظاهرهم، وواقع حياتهم، ثم أنفق العلماء من بعدهم أعمارهم وجهودهم، ليستخرجوا للناس الجواب عن أسرار الإعجاز الجليل في القرآن العظيم، فقالوا خيراً كثيراً، وهو بإيجاز:

الوجه الأول: الإعجاز البلاغي البياني: ويدخل فيه فصاحة الألفاظ، وجودة المعاني، وبراعة الأسلوب، وسائر ما يتصل بهذا الباب.

الوجه الثاني: الإعجاز الخبري الغيبي: ويدخل فيه كل إخبار بالغيب ورد في القرآن الكريم.

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي: ومن أوضح إشاراته قول الإمام الخطابي (توفي ٣٨٨ هـ) في كتابه «بيان إعجاز القرآن»: «إن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف؛ مضمّنا أصح المعاني من توحيد الله تعالى، وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لمنهاج عبادته في تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يُرى في صورة العقل أمر أليق به منه...».

إعجاز الشريعة الإلهية في كل العصور

ويتضح مما سبق أن الإعجاز صفة ذاتية ثابتة لشريعة الله تعالى في كل العصور لأن الله تعالى هو الذي شرعها ابتداء، فهي كما قال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ (النمل- ٨٨).

ولأنه سبحانه وتعالى متصف بالعلم المحيط؛ لذلك يشرع على غاية الحكمة وحسن الاختيار، فهو لا يأمر فيها إلا بكل خير، ولا ينهى فيها إلا عن كل شر، ولا يحيط الشارعون من دون الله تعالى بهذه الأسرار، ومن ثم يتخبطون في الضلال.

الشريعة الإلهية للإنسان بمثابة الروح التي تحيي الموات وتهديه للصراط المستقيم

الفارق بين النبوة الخاتمة وما قبلها يتضح فيما يلي:

أن الرسل السابقين بعثوا بمعجزات حسية، وقع بها التحدي لإثبات دين الله وشريعته، ولم يقع التحدي بالكتب السابقة، ولا بالشريعة الهادية مع أنها معجزة في ذاتها.

وفي النبوة الخاتمة جمع الله تعالى بين الدليل والمدلول عليه، وجعل الشريعة في ذات الكتاب الذي هو معجزة التحدي وإثبات الرسالة، فصار الإعجاز مركّباً، ترادفت فيه معجزة الشريعة بمصدرها وبذاتها، ومعجزة القرآن بمصدره الأعلى، وفي ذاته، ومعجزة الرسول الأمي الذي جاء به، ومعجزة الحفظ والصيانة والاستمرار في حاضر نزوله، وفي مستقبل زمانه إلى يوم الدين.

خامساً: أسباب الإعجاز التشريعي القرآني

لهذه الشريعة القرآنية أسباب بالغة، وأسرار جامعة متعددة، جعلتها ذروة في الإعجاز والامتياز منها:

أولاً: الأسباب الخارجية

ويعنى بها الأسباب الخارجة عن ذوات النصوص التشريعية، وإن كان لها أبلغ التأثير في إعجازها.

وأولها: مصدر الشريعة وهو الله رب العالمين، المتصف بكل صفات الكمال والجلال، والمنزه عن كل نقص وقصور، الذي ليس كمثله شيء في ذاته، وصفاته وأفعاله، فمن بدهيات اليقين أن تكون شريعته على أوفى ذروة من الكمال، والموازنة، والصدق، والحق، والعدل، كما قال تعالى ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ (الأنعام- ١١٥) أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام.

وثانيها: رسولها المبلغ الذي بعث بها، وهو الرجل الأمي، في أمة أمية، لم يجلس إلى معلم، ولبث في قومه طويلاً ولم يشتهر بخطابة ولا شعر، فيكون بحاله ومقاله أبلغ دليل على هذا الإعجاز المبين.

ثانياً: الأسباب الذاتية الداخلية:

ونعني بها أسباب الإعجاز التي ترجع إلى ذات النصوص التشريعية، وتتصل بصميم ألفاظها ومعانيها، وإحاطتها وصياغتها، وتفردها بالسبق في كل موطن توضع فيه موضع المقارنة والموازنة، أو تقاس فيه بمقاييس الصلاحية، وجليل الآثار.

وهذا باب واسع جداً لم يعطه الباحثون حقه من التأصيل والتفصيل، ولا يتسع له مقال مهما طال، وحسبنا هنا أن نذكر بعض جوامعها التي هيأ الله تعالى بها هذه الشريعة للإعجاز والتفوق، خاصة في نسختها القرآنية الخاتمة، ومن ذلك:

الشمول التشريعي

والمراد بالشمول: العموم والاستيعاب والإحاطة، والمعنى: أن شريعة الله تعالى لعباده هي شريعة كلية، وليست قاصرة على جانب دون غيره من جوانب الحياة البشرية، بل تستوعب شؤون الحياة جميعاً، الظاهرة والباطنة، المادية والمعنوية، القولية والفعلية، بل تمتد إلى أغوار النفس البشرية؛ لتنظيم النيات والضمائر التي هي بواعث السلوك الإنساني العجيب.

وقد قام هذا الشمول التشريعي على أربع شعب رئيسية، تستوعب الوجود الإنساني من كل أطرافه، وهي:

أولا: شعبة الإيمان

ثانياً: شعبة الأخلاق

ثالثاً: شعبة العبادات

رابعاً: شعبة المعاملات

فإذا استصحبنا هذه الأصول دائماً وهي: ربانية المصدر، وشمول الشريعة التي أنزلها بشُعبها الجامعة، وشهادته سبحانه وتعالى في ختامها بإكمالها، وإتمامها، ورضاه عنها، لكان ذلك تأكيداً جامعاً، وبرهاناً قاطعاً، وحجة بالغة على تفرد هذه الشريعة بكل ضروب السبق، والامتياز، والإعجاز.

أعجوبة الدهر

تمتلأ الأرض بالعجائب، ولكن أم العجائب والغرائب جميعاً هو ما عليه المسلمون الآن، من إهدار لهذه المعجزة الربانية الباهرة، واتخاذهم القرآن المعجز مهجوراً، واستجلابهم قوانين الشرق والغرب المظلمة، التي جلبت عليهم خزي الدنيا وضنك الحياة:

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الخلاص وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

السرقات العلمية.. ظاهرة العصر*

انتشرت في الآونة الأخيرة عدة ظواهر غير صحية في مجال البحث العلمي، والمجال الدعوي الإسلامي، ومن هذه الظواهر ظاهرة السرقات العلمية بأشكالها وألوانها كافة، والعجيب في الأمر أن هذه الظاهرة استفحلت واستشرت في البلاد العربية الإسلامية، في مقابل أننا نرى الغرب في بحوثه ودراساته يحرص الدارس كل الحرص على إبراز المراجع، ويدون في مراجعه المقابلات الشخصية والوثائق، وتجد في كتب بعض الغربيين في مقدمة الدراسة شكرا خاصا لكل من ساهم، وليس شكرا عاما، بل يذكر كل من ساهم ولو بكلمة، وأحيانا تجد في المقدمة الشكر لعاملة الآلة الكاتبة التي طبعت له البحث، على الرغم من أن التي كتبت على الآلة الكاتبة أو على جهاز الحاسوب (الكمبيوتر) لم تقم بعمل فكري، إنما هو عمل عضلي محض، ليس فيه إعمال فكر ولا إبداع، وقد تقاضت أجرا على ما بذلت، ولكنه خلق الشكر لكل من أسدى له خدمة ساهمت في خروج بحثه.



عصام تليمة

وكم أكبر عالما كالشيخ عبدالفتاح أبي غدة رحمه الله، الذي عزا حديثا بالخطأ إلى الإمام مسلم، وقلده في ذلك الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف في تحقيقه لتدريب الراوي، حتى عبر الشيخ أبو غدة عن ذلك قائلا: وهذا من تقليد الساهي للساهي!! ودله أحد طلبة العلم على خطئه في عزو الحديث للإمام مسلم، وأنه في غير صحيح مسلم، ولم يكن الشيخ أبو غدة يعرف طالب العلم، ولم تسعفه ذاكرته في تذكره، فكتب يعترف في تحقيقه لأحد الكتب تصويب هذا الطالب له، هاتفا بطالب العلم أن يتعرف إليه، حتى يشير إلى نسبة الفضل له في التصويب.

صور للسرقات العلمية

وللسرقات العلمية صور مختلفة، كلها تصب في خانة واحدة، هي خانة اللصوصية العلمية، مهما كان المبرر مقبولا أو غير مقبول.

١- النقل بدون عزو إلى القائل.

٢- الاقتباس الكامل للفكرة دون الإشارة إلى صاحبها.

٣- النقل الكامل دون عزو.

٤- الكتابة الكاملة وشراء ما يُكتب: وهذه حالة استشرت عند أصحاب الثراء في عالمنا العربي والإسلامي، أو أصحاب النفوذ والمناصب العلمية، وقد يكون مقابل ما يكتب ماديا، أو معنويا، بالترغيب أو الترهيب، وكلاهما وسيلة من وسائل سرقة الجهود العلمية.

أسباب انتشارها

١- غياب الوازع الديني: فبلا ضمير حي يقظ، يجعل صاحبه يتذكر وقوفه بين يدي الله عز وجل يحدث ما يحدث، ويأتي الخلل الخلقي، الذي يؤدي بصاحبه إلى سرقة جهود الآخرين.

٢- العجز والتكاسل العلمي.

٣- حب التنافس في كثرة المؤلفات.

٤- عدم وجود رادع دنيوي.

٥- إحساس السارق بأنه لن يكشفه أحد بحكم موقعه ونفوذه.

٦- التناقض الشديد في السلوك: فهناك من الكتاب من تأتمنه على أموال الدنيا، ولا تستطيع أن تأتمنه على معلومة لك، أو فكرة انقدحت في ذهنك، وتخشى من البوح بها أمامه، وهذا من أكبر الدلالة على التناقض في السلوك، فهو أمين في الجانب المادي، غير مؤتمن على الجانب العلمي.

آثار هذه الظاهرة

١- تصيب الباحثين بالسلبية واليأس والإحباط.

٢- تقضي على ملكة البحث العلمي النزيه وتجعل الباحث لا يبالي من أين أتى بالمعلومة، ولا مصدرها، وتنشئ عقليات هشة علميا، متهرئة فكريا، ويكون نتاجها أن تكون الأمة فراغا من كل عقلية بحثية.

٣- تقتل موهبة الإبداع والتنافس، فمن ملك المال فقد ملك العلم أيضا، وإن كان بالشراء والبيع، مما يزهد الباحثين النابهين في التفوق والتنافس والإبداع.

٤- تجعل المجتمع يستمرئ السرقة ويتعود عليها.

حكمها الشرعي

هي بلا شك محرمة حرمة يقينية، وهي في الحقيقة جريمة دينية، وخلقية، كما أنها تجمع بين عدة جرائم معا، فهي:

١- سرقة: وإن كانت سرقة من نوع آخر، غير سرقة المال، إلا أنها أخطر، إذ المال يعوض، أما الفكرة التي سرقت، فقد صارت في حوزة لصها وسارقها بلا عودة لصاحبها.

٢- نسبة ما ليس له إلى نفسه: كما أنها تنسب فضلا ليس له فيه أدنى دور أو حق.

٣- استغلال حاجة طلبة العلم.

٤- خداع الناس والقراء: كما أن هذه الجريمة تجمع إليها جريمة خداع الناس وإيهامهم أن هذا الكاتب رجل مبرز، وكاتب همام.

واجبنا نحو هذه الظاهرة

١- واجب شرعي: ويكون ببيان موقف الشرع من أمثال هؤلاء، وأن نبدأ معهم بالنصح لهم، في سرية تامة، ملتزمين آداب النصيحة، فمن عاد عن غيه، وانتهى عن سرقته، ورد الحقوق لأهلها، وجب علينا الستر عليه، وإلا ففضحه بين الناس بما فعل وارتكب يصير أمرا شرعيا لا وزر فيه، وهذه هي وظيفة العلماء والمختصين، وكل ذي حس ديني وبصيرة.

٢- واجب قانوني: فلا بد من السعي لإصدار قانون يحاسب من يمارس السرقة العلمية.

٣- واجب شعبي: ويكون بمقاطعة كتابات من يعرف عنهم السرقة العلمية، ويثبت عليهم ذلك، ولفظ كل من بنى كتاباته على السطو العلمي من المجتمع العلمي والشعبي.

* المقال منشور بتمامه في العدد (٥٢٥)



قصة إسلام الكاتب الصحافي الألماني هنريك برودر

شهد العالم في القرن الماضي ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب بشكل ملحوظ وخاصة من قبل النخبة والصفوة وقادة الرأي العام والعلماء والفلاسفة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يعتنق الكثير من مفكري الغرب ومثقفيهم على اختلاف توجهاتهم الإسلام؟ هذا ما سنعرفه من خلال سلسلة روائع سير المهتدين التي ترويها لكم «الوعي الاسلامي» بألسنة أناس سعوا إلى الهداية والسعادة، أناس يرون أن الإسلام دين العقل والمنطق والحرية والرحمة والإحسان للإنسانية جمعاء.

حين أعلن الكاتب الألماني والصحافي الشهير هنريك م برودر، الذي تميز بنقده الجارح للإسلام والمسلمين خاصة في عام ٢٠٠٧، إسلامه بشكل مفاجئ وقال مطلقا صيحته الكبيرة: «هيا اسمعوني فقد أسلمت» وهو الذي كان يطعن في الإسلام، كان إعلانه هذا صدمة للألمان والأوربيين عموماً.

وقد جاء إعلان إسلامه هذا نتيجة صراع داخلي مرير مع نفسه لسنين طويلة، وفي مقابلة مع إمام مسجد رضا في نيوكولن في ألمانيا قال برودر «إنه ارتاح أخيرا للتخلص من كبت الحقيقة التي كانت تعصف بجوارحه» وقال معقبا على سؤال حول تخليه عن دينه اليهودي «إنه لم يدع دينا وإنما عاد إلى إسلامه، الذي هو دين كل الفطرة التي يولد عليها كل إنسان».

هذا وقد صار يدعى بعد أن أدى الشهادة أمام شاهدين بـ (محمد هنريك برودر)، وقال معقبا على ذلك بافتخار: «أنا الآن عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرضين للإهانة باستمرار، وتتجم عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الذي ولدت فيه».

قوبل إسلام هذا الكاتب بترحاب كبير من المسلمين، الذين كانوا يجدون فيه متهجما كبيرا على عقائدهم وتصرفاتهم، وإذا به ينقلب إلى رافض لتلك الجوائز الأدبية التي تمنح للمدافعين عن العقلية المعادية للسامية لدى اليهود أنفسهم، على حد قوله، أي أن اليهود هم الذين يعادون السامية الحقيقية (أو بالأحرى الحنيفية) وما كان عليه الأنبياء والمرسلون من توحيد وأخلاق ونور وهداية.

واستقبل الكثيرون من مثقفي الألمان إعلانه الإسلام بمرارة بعد حربه الطويلة على الإسلام، واعتبر بعضهم هذا بمنزلة صدمة للألمان الذين كانوا يقرأون بلهفة ما ينشره بغزارة.

هنريك برودر عمره ٦١ سنة، الصحفي اليهودي المخضرم في مجلة دير شبيجل الألمانية ذو الشعبية الكبيرة، صاحب أكثر الكتب مبيعاً في ألمانيا عام ٢٠٠٧ بعنوان «هاي.. أوروبا تستسلم» وحاصل على جائزة الكتاب الألماني للعام.

إن هنريك برودر كاتب اشتهر بهجومه الشديد على الإسلام، وكان يحذر دائما من خطر الإسلام على أوروبا، ومن أقوال هنريك برودر: لا أريد لأوروبا أن تستسلم للمسلمين، عندما يقول وزير العدل الألماني إنه من الممكن أن تكون الشريعة هي أساس القوانين، فعلى أوروبا السلام. وقوله: الإسلام أيديولوجية أصبحت أكثر وأكثر مرتبطة بالعداء للحياة العصرية الغربية، وقوله: أنصح الأوربيين الشباب بالهجرة، فأوروبا الآن لن تظل كذلك لأكثر من عشرين عاما قادمة.. أوروبا تتحول للإسلام الديموجرافي. وقوله: نحن نمارس بشكلٍ غريب نوعا من الاسترضاء، رداً على أفعال الأصوليين الإسلاميين.



إن هنريك برودر هذا العدو اللدود للإسلام والمسلمين والمدافع عن أوربا العصية على الإسلام، في نهاية فبراير ٢٠٠٨م أصبح مسلما وأصبح اسمه محمد هنريك برودر، وليس ذكر تلك القصة لإسلام هذا الرجل الإعلامي المعروف من باب الابتهاج بإسلامه، بقدر ما هي للتعرف على أسباب تحول هذا الكاتب بهذه الخلفية والفكر والتراث الكبير، وبعد هذا العمر إلى دين كان يهاجمه وينتقده طول مسيرة حياته.

يقول محمد برودر: لقد جاء إعلان إسلامي هذا نتيجة صراع داخلي مرير مع نفسي لسنين طويلة، فأنا لم أدع ديني ولكني عدت لديني وهو الإسلام دين الفطرة، أنا الآن أفتخر بأني عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرضين للإهانة بشكل دائم، وتتجم عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الذي ولدت فيه، لقد شاهدت العلاقات بين المسلمين وخصوصا من الناحية الجنسية، والطهارة والعفة والتواصل الاجتماعي الذي تفتقده أوربا، وكانت دافعاً كبيراً لي لكي أتحول إلى الإسلام دين رب العالمين، كما أن سياسة الكيل بمكيالين المتبعة في ألمانيا العلمانية، ليست بالأهمية بالنسبة لي.

وقد عدد الإعلامي الألماني هنريك برودر أسباباً كثيرة لإعلان إسلامه الذي فاجأ الألمان والأوربيين، في حديثه الحصري مع موقع العالم أون لاين تحت عنوان: صدمة الأسبوع.. هنريك برودر يتحول للإسلام.

المقال منشور بتمامه في العدد(٥٢٣)




قصة قشة

عبدالجواد حمام



في حياة الضياع، ووسط الفوضى العارمة حيث التيار يجرف كل شيء، وحيث الأمواج تضرب يميناً وشمالاً، فلم يبق ثابت أو متأصل إلا اختلعته أو ثنته، ولم يبق صاحب مبدأ أو عزيمة إلا شوّهت حقيقته، وأعملت مخالبها فيه نهشاً وتمزيقاً.

في غمرة هذا الصخب المقيت، تتشبث قشة ببقايا شجرة قفرة، تعزم على ألا تتجرف، وأن تكون الناجية في هذا الحطام المتحطم.

رَمَقت ما حولها فرأت الكبير والصغير، والعاقل والسفيه، والمتعلم والجاهل، رأتهم كلهم منجرفين، يظنون أنهم في نزهة أو مغامرة، ولا يدرون أن النهايةَ القريبة منهم، هي الفناءُ والهلاك.

نظرَتْ فرأت الكونَ كلَّه معتماً حالكاً، قد خبا فيه النور، وعشعشت الظلمة، ولم تجد ما تشد به أَزْرَها، أو يُحيي في قلبها الأمل.

نظرت القشة إلى هذا التيار العظيم برعونته وزُخْرفه وما يحتويه من كل فتنة وزينة ألهت الغارقين، وشغلت عقول التائهين.

تأملت في هؤلاء المغفلين فرحمتهم، وتأسفت عليهم، فهم مغشوشون مخدوعون، وليس هناك من يوقظهم.

في غمرة هذه الخطرات والتأملات والنظرات وجدت القشة نفسها وقد كادت أن تنفلت مما تشبثت به، وكادت أن تنجرف مع التيار، فانتبهت بسرعة، وعضت على غصن تلك الشجرة الهرمة بكل قوة وعزم.

نعم كادت أن تتجرف هي أيضاً؛ فالتيار قوي عنيد طاغ، لا يرحم أحداً حتى يسوق الجميع إلى مهلكهم.

ورغم ما في هذه القشة من الوعي والحكمة والنظرة الصائبة، فإن الأمواج قد أخذت تُكسِّرُ منها أجزاء، وتبتر منها أشلاء، وأحست بالوهن، وبدأ الضعف يسري في أوصالها حتى أوشك أن يصل إلى تفكيرها. أوشكت على الإغماء، لكن الإغماء يعني الاستسلام .. يعني الضياع.

لكن..أن تبقى متشبثة متماسكة فهذا صعب جداً، مرهق للغاية، وهي وحيدة غريبة، وربما لا تستطيع الصمود حتى ينجلي هذا التيار وهذا الابتلاء.

كل هذه الأفكار جالت في خاطر تلك القشة، وتراءت أمامها صورُ المنساقين مع التيار، ما بين لاهث وراء نزوة، وباحث عن شهوة، ومُتبطل لا يُكلِّفُ نفسه عناء الثبات، أو مخالفة محيطه، وبين ناعق وتابع لا يعرف من الحياة إلا حياة الذّيلية ومستوى الأذناب.

صُوَرٌ مَقيتة نفرت منها هذه القشة، وتأبَّتْ عليها نفسُها أن تصبغ بلون من ألوان الضياع والخنوع هذه، ورأت في نفسها- على ضعفها ووهنها وغربتها- أنها أرفع من ذلك، وأرقى من هاتيك المسخ والصور المشوهة.

ولكن.. ولكن التيار هادر، قوي، جارف، لم يُبقِ مُتَمَسِّكاً لأحد، ولم يَذَرْ ملجأ لهارب ولا فارّ، وليس ثمة من يأخذ بيدها.

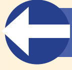
ولكن، برغم قوة التيار وهديره، وبرغم زُخْرُفه وبريقه، وبرغم كل من انجرف معه وانساق فيه.. برغم ذلك كله فإنها تمتلك الإرادة، تمتلك العزم.

أخيراً عزمت على الصمود والثبات فأغمضت عينيها، وأمسكت بالغصن بكل ما أوتيت من قوة، آملة النجاة، مستبشرة بالقادم الذي ستصنعه.

فهل تُكتَبُ لها النجاة يا تُرى؟ أم إن شدَّةَ العواصف العاتية سوف تجرفها لا محالة، وترمي بها بعيداً في منزلق الهلاك؟

التوقيع: قشة مذعورة.

المقال منشور بتمامه في العدد(٥٢٦)



ساحاتنا الأدبية وغياب الحراك الثقافي



د.أمان قحيف

إن متابعي المنتج الثقافي للقرن العشرين لا يمكنهم تناسي المعارك الأدبية والمحاورات الفكرية بزخمها الذي شهدته الساحة الثقافية آنذاك، ومن نافلة القول الإشارة الى أن العقاد وطه حسين والرافعي والمنفلوطي وأحمد أمين وزكي مبارك ومحمد حسين هيكل كانوا من أبرز الفرسان الذين اعتلوا صهوة الجواد في هذه المعارك وتلك المنازلات، ومن نافلة القول أيضا الإشارة إلى أن الباحثين الذين لم يشتبكوا بشكل مباشر في معارك أدبية أو فكرية آنذاك كانوا دائما- أو في الأغلب الأعم- من أنصار أحد طرفي النزال سواء أعلن بعضهم ذلك وأذاعه أم حاول الاحتفاظ برأيه ولم يجهر به على الإطلاق.

ومهما يكن الأمر فإن الساحة الفكرية بحاجة دائماً إلى الاحتكاك الفكري والتحاور الأدبي، ولا بأس من دعم هذه الظاهرة والسماح لها بالظهور والتنامي لأنها قادرة على تحريك العقول واستنفارها باتجاه التجويد في البحث والدراسة من أجل طرح الجديد والوصول إلى أفضل مستوى معرفي يتاح لطرفي التناظر إدراكه والوصول إليه.

القرآن الكريم والحراك الثقافي

ولنا أن نشير في هذا السياق الى أن القرآن الكريم أمر النبي ﷺ باتباع أسلوب الحوار والمجادلة مع الآخر من أجل الوصول للحقيقة، قال تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل- ١٢٥)، وقال تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت -٤٦)، ويمكننا التأريخ لظاهرة المجادلة في ثقافتنا منذ فترة نزول الوحي، حيث إن الدعوة التي جاء بها الإسلام لم تكن عملاً سكونياً، «بمعنى أنها أمر من السماء يجب أن يطاع بجبرية مطلقة وغيبية صارمة» بل كانت دعوة مصحوبة بالتفكير والجدل والمناقشة واستعمال العقل.. لذا نشأ صراع فكري بين الإيمان والكفر الوثني وبين الإيمان والنصرانية واليهودية والصراع نفسه أو أشد حدث بين الإيمان والنفاق، ولم يكن النفاق في صدر الإسلام ظاهرة نفسية أو اجتماعية فحسب، ولكنه كان إلى جانب ذلك حركة قوية لمعارضة أسس الإسلام ومحاولة القضاء عليه، فهو حركة فكرية وسياسية. وقد اهتم القرآن الكريم بمظاهر هذا الصراع وصورها في مئات الآيات، وجادل وناقش ودافع بالحجج المنطقية والفكرية والدينية والوعظية، وكان في كل ذلك يدعو إلى استعمال العقل والفكر والعلم والتدبر.



ضوابط وأخلاقيات

وإذا كنا نتحدث عن أهمية المعارك الأدبية والفكرية لثقافتنا المعاصرة من أجل تحريك الراكد وبث الوعي في نفوس المغيبين وضمائرهم فلا بد من التأكيد على حتمية أن يلتزم المتحاورون أو أطراف الاشتباك الثقافي بالأمور التالية:

أ- نبل الهدف وسلامة المقصد، كأن يكون الهدف المراد تحقيقه والوصول إليه هو تصحيح خطأ شائع أو إثبات حقيقة غير مدركة، أو البحث عن طريق لنهضة الفكر والثقافة غير الطريق المطروح على ساحة الثقافة وفضاء الفكر.

ب- ألا يحاول أهل فكر أو رأي الاستقواء بغير أهل الفكر والرأي لتحقيق الانتصار على من يخالفهم الرؤية والتصور،

ج- أن يدور الحوار حول قضايا أو أفكار تهم الواقع المعيش: بمعنى أن تكون المسألة المطروحة للنقاش لها نصيب من الأهمية الحياتية للناس والمجتمع، وإلا نظر القراء إلى الأمر على أنه يمثل ترفا فكريا لا حاجة لهم به.

المقال منشور بتمامه في العدد (٥٢١)




الكلمة المسمومة

عبادة نوح

جاء اعلان موقع وزارة الخارجية الصهيونية لقائمة الكتاب العرب الموالين لعدوانها الغاشم على غزة صدمة للشارع العربي والإسلامي ليكشف الأقنعة المستترة خلف الديموقراطية والأمن القومي والإنسانية.
هذه حلقة من مسلسل الاستسلام الذي يمثل بطولته اليوم الأمتان العربية والإسلامية بلا منازع، ولكن على المستوى القيادي فقط.
فالأقلام العربية المسمومة بدماء الفلسطينيين خذلت الرأي العام الإنساني المتعاطف والمتضامن مع الشعب الأعزل ضد الاجتياح الصهيوني، وتجاوز اخلاصهم للصهاينة أنفسهم الذين وجهوا سهامهم الى كيانهم وانتقدوا أعمال قادتهم البربرية حتى إن بعضهم ظهر على الشاشات وهو يبكي رأفة بهؤلاء الشهداء والجرحى.
لم يأت هؤلاء المرجفون بجديد على الساحة الاعلامية بمختلف تفريعاتها لما عرف عنهم بموالاتهم العمياء لفكرة التطبيع مع الكيان الصهيوني ومعارضتهم الشديدة للدين الإسلامي واتباعه في امصار الأرض، حتى يتماشوا مع معطيات القوة السائدة في العالم، لاسيما في الوطن العربي.
فأخذوا يحللون وفق أهوائهم المنسلخة، وينظرون بحسب نفوسهم العفنة، ويهاجمون المنتصرين الحقيقيين في الدنيا والآخرة، ويثيرون الشبهات واللغط حول رجال الأمة المخلصين، ويقللون من شأن الإسلام وشريعته الغراء، ويسخرون من دعاة الحق والنخوة والشجاعة ... فهذه هي أدوات مرتزقة الصحافة في عالمنا اليوم!
لم يفكر أحد منهم في الوطنية الحقة والقومية الحسنة والإسلام الصحيح عندما أخذ يجرح بقلمه قلوب الناس، ويقطِّر بحبره أموال العمالة، ويمسح بطرفه حقيقة الانتماء للمجتمع والوطن والأمة.
إن الإسلام بريء من هذه الشرذمة براءة الذئب من دم يوسف لما أقدموا عليه من تواطؤ رسمي وعلني مع أعداء الأمة، وبالخصوص أبناء القردة والخنازير مغتصبي القدس وأرض الإسراء والمعراج.
ولكن الأمة اليوم تعيش وعيا دنيويا عاليا، ولم يعد باستطاعة أتباع المدرسة الأتاتوركية والسكسونية دغدغة مشاعر الشعب والاستخفاف بالعقول النيرة والكذب على الجوارح المتشبعة بالإيمان الرباني والعروة الوثقى.
إن ما سطرته أقلام هؤلاء المتصهينين سيذهب الى زبالة التاريخ معهم، ولن يكون له أدنى أثر سواء في الوقت الحالي او المستقبل، لان مجتمعاتنا ادركت بحقيقة عملية معنى الإسلام الشمولي الحاكم في الأرض والمنقذ في السماء وكما قال الله تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف : ٨) . والله ولي التوفيق.

* المقال منشور بتمامه في العدد(٥٢٢)



يا عميان العالم..!

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ذلكم هو منطق المستعمر المستبد مذ كان الاستعمار في أرضنا، وهو هو لم يتغير منه شيء حتى يوم الناس هذا، منطق المكابرة والغطرسة، بل منطق العربدة و الطغيان، والكيل بأكثر من مكيال. منطق يتألم و يتوجع لرمي صاروخ لا حيلة له ولا قوة ولا أثر لمرماه على أرض بلقع لا حياة فيها و لا إنس، و يعمى عن تدمير شامل يدك فيها هذا هو العدو الماكر أرض غزة الطاهرة فيزرع الموت والدمار أينما حل وينشر الأشلاء والدماء أينما وقع.

والذي لا ينقضي منه العجب أن يتابع الواحد منا الحدث فيجلس أمام جهاز التلفاز، يقلب قنواته فلا يرى إلا هذا الموت يصبه اليهود على إخواننا في غزة الصامدة غير عابئين بمن يموت ومن يفوت.. ولا يهتز لهذا رمش أو يُحرَّك له ساكن! بل تسمع من خلال ذلك تصاريح يهتز لها أركان جسدك، ويقف لها شعر رأسك!.

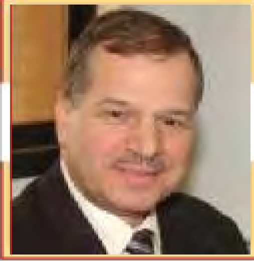
أطفال أربعة تخطفتهم يد اليهود الغادرة من مراقدهم فلم يبق منهم إلا أشلاء ودماء.. و أنّة أم ثكلى.. و أب مفجوع.. وأخت مكلومة.. ثم ماذا؟ تسمع من بين هذه الأنات وتلك الفجيعة صوت ناعق حقير يطالب بعدم إطلاق الصواريخ على المستوطنات الإسرائيلية! و آخر يقول من حق إسرائيل أن تدافع عن مواطنيها!

أي حق هذا وأي دفاع؟

أهو حق المغتصب أم المحتل؟

ومتى كان للسارق أو المجرم حق؟ يسرقني ويحتل أرضي ويشرد شعبي وينتهك أقدس حرماتي ثم يكون له بعد كل ذلك الحق؟

فما تملك إلا أن تبصق بصقةً تملأ شاشة التلفاز ليصل رشاشها إلى ذاك الوجه الأغبر، عساه يغسل عاره وما إخاله غاسله، وماذا نملك إلا البصقة أو الحذاء يرمى به هذا الكلب المسعور ومن ينعق معه ويعوي في ركابه.



د. محمد حسان الطيان

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً
لأصبح الصخر مثقالا بدينار

يا عميان العالم أما آن لكم أن تبصروا!

يا خرسان العالم أما آن لكم أن تتكلموا!

يا موتى العالم أما آن لكم أن تنبعثوا من مرقدكم!

أي ضمير تحملون؟

وبأي وجدان تدينون؟

وبأي كيل تكيلون؟

ألا تبت أياديكم!

وخسئت وخسرت أمانيكم!

وأذاقكم الله كأس البلاء التي تتعامون عن رؤيتها يتجرعها إخواننا صباح مساء لعلكم تستبصرون!.



♦ المقال منشور بتمامه في العدد (٥٢٢)





المشرف العام على مجلة «حراء» التركية د. نوزاد صواش في حوار خاص:

الإنسانية في أمسّ الحاجة إلى الإسلام.. والإسلام في أمسّ الحاجة إلى من يمثلونه بحق

حوار: سليمان الرومي وعبادة نوح

مجلة «حراء» التركية الناطقة باللغة العربية بادرة طيبة للعمل في خدمة الثقافة والفكر والحضارة والإنسانية بلغة وسطية عنوانها الإسلام. فمن ضفاف البسفور تفتحت زهرة في برعمها، زهرة يريد القائمون على سقيها ورعايتها أن يصل عبيرها إلى دمشق والقاهرة والرباط والقدس والمدينة ومكة المكرمة.

ولعل حرصها على أن تكون ملتقى للتواصل والتقارب، وجسراً للمحبة والتعارف والتفاهم لتستوحي المعاني في رسم الطريق المستقيم، يفرض علينا حسن الاستقبال والتفاعل، ففي «حراء» تلتقي الجوهرية العظيمة للانسان مع عمق أعماق الحياة ولباب الإسلام.. «الوعي الإسلامي» زارت «حراء» في اسطنبول مدينة القباب والمآذن التي يفوح منها عطر التاريخ للتعرف على هذه التجربة الفريدة، والتقت المشرف العام على المجلة ورئيس التحرير د. نوزاد صواش لتقدم صورة عن قرب للقارئ.. فإليكم نص الحوار.



■ **في البداية نرحب بالاستاذ نوزاد صواش رئيس تحرير -أو المشرف العام على- مجلة «حراء»، ونود أن تقدموا أنفسكم كمجلة «حراء» للجمهور العربي والإسلامي.**

- مجلة «حراء» هي أول مجلة تركية تصدر باللغة العربية، وكما ترون فـ «حراء» هي قلب العالم العربي وقلب العالم الإسلامي، فمعناها ورسالتها متضمنان في اسمها، نحن قلبنا ينبض في «حراء»، وينبض من أجل الرسالة التي انطلقت من «حراء» وانتشرت في كل أنحاء العالم نورا.

ومجلة «حراء» ثقافية علمية شاملة، فيها دراسات إسلامية وبحوث علمية وقضايا فنية وأدب وكل ما يهم الإنسان، فهي مجلة فكرية وليست سياسية، لكنها تنظر الى كل هذه القضايا من منظور إيماني، وتركز على الفكر الوسطي والاعتدال وتتحدث باللغة العربية، لأن الوحي السماوي نزل على «حراء» باللغة العربية، وانطلق الى كل الارجاء باللغة العربية، فنحن نحاول أن يكون كل ما ننشره موافقا للروح التي انبثقت من غار «حراء» الى كل العالم.

■ **ما أهداف المجلة؟**

- عندما تنظر الى مجلة «حراء» تجد أنها تحولت الى منتدى، فيه مفكرون وعلماء من تركيا وأوروبا وأوراسيا، ومن الشرق الأقصى من المغرب ومن الجزائر والأردن ومن سورية ومن مصر ومن كل العالم العربي، فنحن نؤمن أن هذه المنتديات ينبغي أن تقول للإنسان هذا هو الإسلام الجميل.

فـ «حراء» قربت المثقف التركي إلى العالم العربي لاسيما أن القطيعة كانت موجودة ومصطنعة ما بين العالمين التركي والعربي، فينبغي ان نزيل هذه الصورة.

إن أحد أهداف «حراء» مد الجسور وإنشاء ساحة يلتقي فيها علماء ومفكرو الأمة الذين يحملون همَّ المسلمين، ويؤمنون أن المستقبل يقوم على البناء والانشاء والعمل الايجابي، وأن هذا هو الطريق الصحيح.

■ **من الواضح أن هناك كثيراً من الردود الإيجابية في الشارع العربي الإسلامي تجاه «حراء».. كيف ترون هذه الردود؟**

- «حراء» عندما ولدت لم تكن المبادرة منها مباشرة، فهي ولدت ولادة طبيعية، فسياسة «حراء» تواصل فكري وعلمي بيننا وبين العالم العربي، خاصة علماء مصر والمغرب، فهم قالوا: لماذا لا تصدرون مجلة باللغة العربية تكون ملتقى للفكر الوسطي المعتدل، الأمر الذي دفعنا للبدء فعلاً، وكانت مشاركة كبيرة جداً من المشرق العربي وعلى رأسه مصر والمغرب، ثم بدأنا نعقد ندوات تعريفية في

◈ الحوار منشور بتمامه في العدد (٥٢٨)





رئيس التحرير يكرم د. نوذاد

العواصم العربية، وقد رأينا ان هناك شوقاً كبيراً الى النفس والروح الآتية من تركيا، هذه النفس عندما تتوافق أنفاس العالم العربي يكون هناك التقاء طبيعي، فوجدنا ترحيباً كبيراً جداً يفوق الخيال، هذا إذن يدل على أن الأمة بكل شعوبها تعلمت بعض الأشياء من تجربتها المريرة أوصلتها الى مستوى الوعي.

لذلك «حراء» عندما صدرت متناسبة مع ما يفكر فيه الشارع العربي والمفكر العربي وجدت إقبالاً كبيراً، وهذا ما تؤكده المبيعات خلال السنوات القليلة، فرغم المتاعب التي يعانيها التوزيع في العالم العربي فإن المبيعات تجاوزت ٣٠ ألف نسخة.

ونحن الآن في السنة الرابعة ومع ذلك وجدنا إقبالا في المعارض التي تشارك فيها «حراء»، وبالفعل نجحنا في إيجاد اللغة المناسبة للتفاهم، لأن الناس عاشوا فترة إحباط.

■ **عندكم تجربة كبيرة اعلاميا في تركيا، كيف تقيّمون هذه التجربة؟**

وهل استفدتم منها في مجلة «حراء»؟

- «حراء» هي ثمرة من شجرة طيبة لها تجربتها المحلية ولها تجربتها العالمية، لذلك اي شيء يصاغ في «حراء» تجد فيه هذه التجربة العالمية.

ولذلك نحن نحرص على ان يكون هناك انسجام في كل ما ينشر في «حراء» من الموضوعات، فلا تجد تضاربا بين موضوعات العدد الواحد، ولا تجد تضاربا بين العدد الأول والعدد الأخير، فالخطاب ناضج لأن الشجرة التي أنبتت ثمرات كثيرة في تركيا، ومنها «حراء» لن تجد فيها عدم النضوج الفكري.

■ **ما القيم التي تحكم عمل المجلة؟**

- نحن نؤمن أن الكاتب أو المحرر أو المصمم لابد للفكرة التي تجول في ذهنه والروح التي تجول في داخله أن تسري الى المجلة مباشرة، فالمحرر أو الكاتب عندما لا يكتب بحرارة ايمانية لا يتأثر القارئ به، فمثلاً مصمم مجلتنا لا يجيد اللغة العربية ولكن عندما يصمم يصمم بروحه، وهذا ما لمسنا أثره مع الكثير من القراء، لأنه يضع روحه في هذا العمل ويبتغي مرضاة الله.

فنحن هنا نتحدث عن «حراء» عن روح «حراء»، عن روح الإسلام، روح القرآن، فإن لم يكن هناك اخلاص فلن يكون هناك صدق ولن يكون هناك تفان، لأن الاخلاص في العمل هو الاساس لذلك فالاقبال الذي تجده «حراء» أحمله على هذا الجانب.

■ **كيف ترى التجربة الإعلامية في العالم العربي؟**

- العالم الإسلامي منذ مائة عام يعيش تقلبات كثيرة ويمر بتجارب مختلفة، ويستفيد من هذه التجارب، وعندنا أمل كبير في العالم العربي والعالم الإسلامي لأننا نرى أن اليوم أفضل من أمس.

فالمجلات والشرائط لابد أن تراجع نفسها وتصحح نهجها لأن الزمن يعلمنا أن العقلاء في العالم الإسلامي بدأوا يظهرون بقوة أكثر، لذلك نحن نستبشر بالإعلام العربي خاصة إذا قام على احترام الآخر وقدم طرحا عقلانيا وركز على المضامين العلمية المعقولة والمركزة، وانفتح على العالم كله ليتحاور مع الثقافات والشعوب، ويثق بنفسه وبالقيم التي ينتمي إليها ويمد الجسور مع الآخر.

■ **ما الحل الجوهري لمعالجة القضايا التي تعاني منها الأمة اليوم؟**

- مشكلة الأمة اليوم مشكلة هوية، فنحن أنشأنا حضارة عظيمة في التاريخ نتحرى آثارها اليوم وهذه الحضارة لم تنشأ من فراغ فالإسلام كوّن إنسانا صنع هذه الحضارة، لذا عندما فقدنا هذا الانسان وصلنا لهذه الحالة.

فهذا الانسان وجد في المدرسة ووجد في المعسكر ووجد في السوق ووجد في كل مكان، عندما وجد هذا الانسان في كل مكان قامت الحضارة، لذا فمشكلتنا أننا فقدنا هذا الانسان، لأن الانسان اليوم ناقص في القلب أو العقل أو السلوك، فإذا استطعنا تخريج الانسان الكامل الشامل الذي يجمع بين العقل والسلوك في الوقت نفسه تغير حال الأمة، وهناك كلمة للأستاذ فتح الله كولن تلخص الوضع، حيث يقول: الإنسانية اليوم في أمس الحاجة الى الإسلام، والإسلام في أمس الحاجة الى من يمثلونه بحق.

فالآذان شبعت والعيون جائعة أن ترى الإسلام على أرض الواقع، خاصة أن الرسول ﷺ كان يبلغ بسلوكه وأفعاله أكثر من تبليغه بأقواله وكلامه ﷺ وفي كل خير.

■ **من وراء مجلة «حراء»؟ هل هي مجلة حكومية أم مجلة قطاع خاص؟**

- «حراء» مجلة قطاع خاص، وطبيعة تركيا، أنه لا توجد جرائد حكومية إلا قليلا والقطاع الخاص هو الذي يصدر المجلات وهناك حرية اعلامية واسعة، ونحن ضمن مجموعة «قاينق» للنشر الثقافي، وهي من مجموعات النشر القوية والكبيرة في تركيا وتضم عشرين دار نشر وثماني مجلات مختلفة.





منتديات البدائل العالمية.. محاولات للاجتهاد في ظل غياب إسلامي ملحوظ

د.هبة رؤوف عزت

حين قامت مظاهرات سياتل الشهيرة أمام مبنى اجتماعات منظمة التجارة العالمية عام 2000 لمعارضة السياسات التجارية للنظام العالمي الجديد القديم وشروطه الرأسمالية المجحفة لدول العالم النامي، كان هذا بمنزلة انطلاقة شرارة ما سمي بحركة مناهضة العولمة، والتي برزت لتجمع شمل الحركات الاجتماعية المختلفة في أنحاء العالم، والتي تأتي معظمها من خلفية اليسار الذي لم يمت بسقوط الاتحاد السوفييتي، بل بقيت قواه الاجتماعية وأحزابه ناشطة في دول كثيرة من العالم، لكنها انصرفت لأجندتها الديمقراطية الداخلية، بل وفازت في العديد من الدول الغربية بالانتخابات خاصة في ظل استقرار تجربة الديمقراطية الاشتراكية ودولة الرفاهية في المنطقة الاسكندنافية شمال أوروبا، ولأن تلك الأحزاب أحزاب قديمة وناشطة في كل دول غرب أوروبا.

كان المنتدى الاقتصادي العالمي دوما محل انتقاد مختلف القوى سابقة الذكر، فهو مساحة صغيرة الحجم في دولة صغيرة هي سويسرا في مدينة جبلية هي منتجع شتوي للأغنياء أصلاً، نشأ بها في الثمانينيات- بشكل غير رسمي لكنه منظم- ذلك المنتدى ليجمع رؤساء الدول والحكومات مع رؤساء الشركات العابرة للقارات، ليفتح مجالا للقاءات وتحالفات وترتيبات ومصالحات ولقاءات دون أن تكون محسوبة على الدول بشكل رسمي.

قيل إن هذا المنتدى هو مركز من مراكز الرأسمالية العالمية، وأن الندوات التي تعقد فيه تعكس أجندة وعقل النظام العالمي للمرحلة الراهنة، مع الوقت بدأ المنتدى في دعوة مثقفين وفنانين وشباب من قادة العالم، بل ورجال دين كي يبدو أكثر تنوعاً، بل وسمح لبعض رؤساء النقابات الضخمة في الغرب ورؤساء بعض الجمعيات والكيانات الدولية الضخمة كمنظمة العفو الدولية وبرنامج الغذاء العالمي ومنظمة سيفيكوس وغيرها بالمشاركة ليبدو ديمقراطياً، وإن بقيت المشاركة رهينة دعوة من المنتدى، فالحضور محدود والإجراءات الأمنية عالية، إذ يستلم الجيش السويسري المدينة من الشرطة طوال فترة انعقاد المؤتمر التي لا يتجاوز المشاركون فيه ألفي مشارك، منهم نسبة من الصحفيين من أكبر الصحف ووكالات الأنباء العالمية للتغطية وعقد المقابلات وتغطية بعض الفعاليات المفتوحة مباشرة على أشهر الفضائيات العالمية.

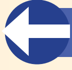
كان عام ٢٠٠١ التالي لمظاهرات سياتل الضخمة، والتي كشفت بصراحة في شعاراتها عن جبهة قوية لمعاداة الرأسمالية تنتشر بين الشباب في الغرب والشرق على حد سواء، هو عام إقامة أول منتدى اجتماعي عالمي ليكون موازياً في انعقاده مع المنتدى الاقتصادي العالمي، ليجمع الحركات الاجتماعية والمنظمات الأهلية والنشطاء في مساحة واحدة بمبادرة من البرازيل، وذلك في مدينة بورتو أليجري جنوبي البلاد، والتي استمر اللقاء بها كل عام لمدة ثلاث سنوات، ثم قرر المنظمون من نشطاء المنتدى أن يتحركوا لمكان آخر كي يتاح الحضور لجمعيات وحركات أخرى يمنعها بعد المسافة وقيود تكلفة السفر من المشاركة، فانتقلوا إلى الهند عام ٢٠٠٤ في مدينة مومباي، ثم عادوا لبورتو آليجري ٢٠٠٤، ثم انقسم عام ٢٠٠٥ لثلاثة منتديات للوصول الى أكبر مشاركة في ثلاث قارات بالتوازي، فانعقد في نفس توقيت دافوس في كاراكاس في فنزويلا بأميركا اللاتينية وباماكو في مالي بإفريقيا وكاراتشي في باكستان بآسيا، وهو مع قلة الحضور الذي كان لا يقل في السابق عن ١٥٠-٢٠٠ ألف مشارك في حدث ضخم إلا أنه أثمر تواصلاً حول الأهداف بين أبناء القارة الواحدة شارك فيه أقرب القارات لكل منتدى، فكانت استراليا من نصيب كراتشي، وكانت أوروبا من نصيب مالي في الغالب، وكانت فنزويلا قبلة كل نشطاء أميركا اللاتينية في ذاك العام، وفي عام ٢٠٠٧ اجتمع شمل المنتدى في كينيا لتجتمع كل الفعاليات على القارة الإفريقية في لحظة استقرار نسبي شهدتها كينيا(التي شهدت ترديا في أوضاعها السياسية للأسف في الشهور اللاحقة)، وعاد المنتدى الذي تقرر أن يعقد كل عامين لإتاحة الفرصة لتقويم النشاط وتطوير الأجندات لأميركا اللاتينية مجدداً ٢٠٠٩ في الفترة من ٢٧يناير إلى ٢ فبراير في مدينة بيليم شمال البرازيل كي يلفت الأنظار لقضايا البيئة والخطر الذي يهدد غابات الأمازون من الشركات عابرة القارات التي تهدف إلى الاستثمار في تجارة الأخشاب، وتهدد الرصيد الحيوي والبيئي للعالم كله الذي تمثل الغابات رئته الرئيسية.

الفرصة الذهبية.. أزمة الرأسمالية

كان من حق المنتدى أن يغمره شعور بالتفاؤل، فهو ينعقد هذا العام ليجمع ١٣٣ ألف ناشط من ١٤٢ دولة بأغلبية حضور من أميركا اللاتينية قرابة الـ ٨٠ في المئة في ظل أزمة طاحنة للنظام الرأسمالي نتيجة تردي أوضاعه المالية، وهو ما خلق فرصة للمنتدى لكي يسعى لمناقشة بدائل متنوعة في كل المجالات، في الوقت الذي كانت القوى العالمية والشركات الكبرى ورؤساء الحكومات الغربية يسعون للملمة أمورهم في دافوس في جو مشحون بالتوتر نتيجة إخفاق الرأسمالية والأزمة التي كادت تودي بالنظام المالي العالمي لولا تدخل الحكومات وضخ المليارات.

المنتدى الاجتماعي الدولي قام على مجموعة من المنطلقات أبرزها رفض قاطع للرأسمالية والإقطاعية، واتفاقات التجارة الحرة التي تجتاح أسواق الدول التي لا تملك منافسة السلع الأجنبية بما يجهض جهودها في التصنيع ويجهض القطاع الزراعي لصالح استيراد المواد الغذائية من خارج يمكنه الإنتاج

المقال منشور بتمامه في العدد(٥٢٣)



الأكبر والأرخص بفعل استخدام تقنيات الهندسة الوراثية في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني.

أيضا من أجندة المنتدى الاجتماعي الدولي في دورات انعقاده السنوية- ثم كل عامين- مناقشة أشكال الهيمنة الثقافية والعدالة الاجتماعية في مواجهة القمع الطبقي أو التقليدي، وخطر التشدد الديني، وتجميع جهود الجمعيات والحركات التي تتشارك في نفس الأهداف من حركات البيئة والمرأة والتحرر الوطني وحقوق الإنسان والسكان الأصليين وتشبيك الجهد عبر القارات، وتعبئة الحملات بما يضغط على المنظمات الدولية (مثل الأمم المتحدة) لتبني أهداف واضحة.

وقد يتساءل المرء عن الأثر الفعلي لتلك المنتديات، والحقيقة أن تبني الأمم المتحدة للأهداف الإنمائية للألفية كان نتاج ضغوط كثيرة من التحالفات الدولية التي كانت الشريك المؤسس للمنتدى الاجتماعي الدولي قبل أن يأخذ صيغته الدورية، وكثير منها تشارك في المنتدى الاقتصادي اليوم، كما ترسل وفودا للمنتدى الاجتماعي، أي تسعى للضغط على صناع القرار في الشمال وتنضم لزخم تحالفات ونقاشات وتظاهرات الجنوب في آن واحد.

ولا ينبغي أن ننسى أيضا أن كثيرا من القوى التي تحضر المنتدى الاجتماعي كانت خلف تأسيس المحكمة الجنائية الدولية التي قد نعترض على بعض قراراتها، لكن لا ينبغي إهدارها كمساحة للعدالة الدولية ستفيد أول ما تفيد جهودنا في محكمة مجرمي الحرب في الكيان الصهيوني في أحداث غزة، وفتح ملفات الكثير من القضايا التي تم فيها إبادة للمسلمين في البلقان.

تحالف عالمي وتحالف لاتيني..

منتدى هذا العام حظي بدعم واضح من حكومة البرازيل مجدداً، والتي خصصت له ٣٥ مليون دولار في بعض التقارير في حين رفعتها بعض التوقعات إلى ٥٠ مليون دولار لتغطية تكلفة الدعوات للأجانب والإقامة والتنظيم، والأمن الكثيف الذي تجاوز ٧ آلاف ضابط، وسيارات شرطة ومروحيات حلقت



طوال الأيام فوق رؤوس المشاركين، ليس فقط لحمايتهم بل لحماية خمس رؤساء دول من أميركا اللاتينية، هم رؤساء البرازيل وبوليفيا وفنزويلا والإكوادور وباراجواي، وهكذا فقد أرسل هؤلاء الرؤساء الخمسة رسالة واضحة بأن أميركا اللاتينية تسعى إلى تدعيم قوتها والتحالف بين أنظمتها لتشكيل كتلة جديدة تلعب دورا في الساحة الدولية بين دول الجنوب.

الحضور الديني وغياب المسلمين

قد يبدو لمن يتابع ما يبثه الإعلام من أخبار عن المنتدى الاجتماعي الدولي- الذي لا تهتم به صحافتنا العربية إلا في إشارات مقتضبة سريعة- أن المنتدى هو لقاء لبقايا يسار العالم من بلدان مختلفة، وهذا في الحقيقة غير صحيح، فرغم المزاج الاشتراكي الغالب والواضح، ومنحى التحرر الأخلاقي الغالب في حالة ما بعد الحداثة والسيولة التنظيمية والمرونة الفكرية السائدة فإن هناك حضورا أيضا لكثير من الكنائس، ويشهد المنتدى مشاركة قوية من مجلس الكنائس العالمي- الذي له موقف ممتاز من القضية الفسطينية طول الوقت -وفي كل ندوة أو لقاء شاركت فيه هذا العام في المنتدى وجدت أفرادا من الإرساليات التبشيرية من الكاثوليك والبروتستانت والكنائس الحرة المنتشرة في القارة.

ومما لفت نظري بشدة غياب الحضور العربي والإسلامي في المنتدى، حتى إنني أرسلت لصديق في الإغاثة الإسلامية أسأله لماذا أحجموا عن المشاركة فلم يصل منه رد!

لقد خرجت مسيرات كبيرة أثناء المنتدى هذا العام ضد مذبحة غزة، وأقام تحالف النساء الديمقراطيات العالمي وكذا اتحاد نساء البرازيل حملة توقيعات لتقديم مجرمي الحرب في غزة إلى المحاكمة الدولية، وشارك فيها عشرات الآلاف، وساهم وفد من الأرض المحتلة من الضفة والقدس في خيمة حركات التحرر وفعاليات منتدى تلك الحركات الذي رعته حركة الكاتالون الأسبانية، منهم نقابيون ونساء وقياديون للعمل المدني.

قد لا يدرك القارئ ن المظاهرات التي تخرج في العواصم الغربية لدعم نضال فلسطين أو المطالبة بخروج أميركا من العراق معظمها تكون من تنظيم هذه الحركات والجمعيات والشبكات لطبيعتها المعادية للرأسمالية والإمبريالية تاريخياً، وهكذا فإن مشاركة التنظيمات المدنية والأهلية العربية والإسلامية في هذا المنتدى من الضرورة بمكان، لكنه سيحتاج بالتأكيد للكثير من الإعداد والفهم لأهمية الحدث وأيضاً حدوده وقيوده وطبيعة الثقافة السائدة فيه، والتي يمكن أن يستوعبها خطاب اسلامي تحرري وطني ووسطي تجديدي، دون حاجة للاعتراف أو التفاعل بالإكراه مع تنظيمات حاضرة بيننا وبينها خلافات على أمور أخلاقية أساسية، لذا ذكرت أن المشاركة في هذه الفرصة السانحة للتأثير والتعبير والتغيير تحتاج إعداداً ووعيا وحكمة.

مناهضة أم بدائل؟

اليوم العالم كله يبحث عن بديل للحضارة الغربية التي تعاني أزمة تاريخية ومأزقاً فكرياً واجتماعياً، ويبحث عن بديل للرأسمالية التي فضحتها الأزمة الأخيرة، فهل ندرك أن هناك قارات أخرى في انتظار شراكة اجتماعية وعمل مدني وأهلي وإغاثي، وندية فكرية في البحث عن بدائل- وليس بديل واحد- للعولمة المهيمنة.

من البرازيل عدت بهذه الأسئلة، أحملها للأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأنا أدعو في طريق عودتي الطويل الذي استمر





صناعة الجمال

إيمان القدوسي

الوجه الحسن هو أفضل بطاقة تعارف تقدم صاحبه للناس، وحب الجمال من البديهيات المركوزة في نفوس البشر، وعندما ذكر رسول الله ﷺ الأسباب التي تدعو لاختيار الزوجة ذكر في مقدمتها «جمالها».

جمال المرأة تحديدا من المحاور الرئيسية الدافعة لسلوك البشر، تغنى به الشعراء، ورسمته ريشة الفنان، وقامت بسببه صراعات ونزاعات وحروب، والمرأة تعرف ذلك جيدا وتقدره، وأشد ما يسعدها أن يقال عنها حسناء ولو كان خداعا!!

يقول أمير الشعراء:

خدعوها بقولهم حسناء

والغواني يغرهن الثناء

ومنذ القدم فطن التجار لأهمية الجمال والتجميل بالنسبة للمرأة التي وصفها المولى عز وجل بقوله ﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ (الزخرف: ١٨)، وقامت صناعات كثيرة لاستثمار هذا الاهتمام، منها صناعة مساحيق التجميل والازياء وتصفيف الشعر وغيرها، وتعبر رسوم الفراعنة عن ولع المرأة بذلك منذ تلك العصور القديمة.

ولكن صناعة الجمال في العصر الحديث تخطت كل الحدود وفاقت كل التصورات، فلم يعد الامر قاصرا على ارتداء الحلي والملابس وبعض الزينة، ولكنها صارت صناعة حقيقية، تجعل القبيحة جميلة وتعيد العجوز صبية، فقد تطورت جراحات التجميل بشكل مذهل. وصار بامكانها اعادة تصميم الوجه الانساني واضفاء درجة عالية من التناسق والجاذبية عليها، وهكذا امتلأت الدنيا بالنجمات فائقات الجمال، حيث تبدو الواحدة منهن أجمل من رسم الفنان وأفضل من خيال الشاعر وأكثر شبابا وحيوية من أحفادها!

قد يكون هذا الأمر ليس من شأننا ولا يدخل في صميم اهتمامنا، ولكن الحقيقة أنه في عصر الاعلام الفضائي الذي جعل الدنيا كلها قرية صغيرة، لم يعد ممكنا أن نقول: هذا لا يعنينا، لأن كل ظاهرة لها تداعيات مباشرة وغير مباشرة وان بعدت بيننا وبينها المسافات.

فمن تداعيات ظاهرة «صناعة الجمال» ان ارتفع سقف ومعيار الجمال واصبحت غالبية النساء دونه، بالنسبة للفتيات يقلل ذلك فرصتهن للزواج، وبالنسبة للمتزوجات يكون هذا النموذج حائلا دون الانسجام الحقيقي بين الزوجين، فالرجل يريد نفس النموذج الذي يراه، ولذلك نلاحظ تزايد الإصرار على شرط الجمال بين الشباب وبين الرجال الذين يريدون الزواج مرة ثانية.

نلاحظ ايضا بالنسبة للمرأة انها صارت اكثر اقبالا على التجميل والتجمل بشكل غير مسبوق لانها تريد أن تحرز مكانا مناسبا في هذا السباق المحموم، بل ان النساء الثريات يسرن على خطى نجوم الاعلام في اجراء جراحات التجميل وتغيير خلق الله والبحث عن استعادة الشباب الضائع.

اتسع المجال امام التجار بأحلام البسطاء، فلا تكف الاعلانات عن الكريم الذي يجعل السمراء شقراء، والصابون الذي يحول الشعر الخشن الى نعومة الحرير وغير ذلك مما لا حصر له من برامج واعلانات ومجلات تحاصر الفتاة البسيطة والمرأة الكادحة وتستنزف قروشها القليلة جريا وراء وهم الحصول على الجمال الزائف.

قال أحد الشباب الذي تزوج شمطاء متصابية شهيرة: غرني شكلها الخارجي الرائع ولكن حين عشت معها وجدتها أولا وأخيراً امرأة عجوز. وهذا بديهي فلو صبغنا الشعر والوجه وأخفينا آثار السنين فكيف يمكن أن نعيد للمفاصل والعظام والقلب والأحشاء شبابها؟ وكيف يمكن أن نعيد للعين لمعتها؟ وللروح دهشتها الأولى؟ وللنفس براءتها وغفلتها وشغفها بالجديد؟

ليس الشباب فقط هو الذي لا يعوض ولكن ايضا الإحساس بالتفرد، التفرد أن يكون لي شكلي الخاص بي وحدي ولا يشبه أحدا، ولي شخصيتي التي أبنيها وفقا لعقيدتي، ولي اسلوبي الناجح في ادارة حياتي بشكل يجذب اهتمام شريكي لإعجابه بكل تلك المقومات وليس بالشكل فقط، وفي هذا الصدد يمكننا ان نزعم ان كل النساء جميلات بشكل ما.

أجمل الوجوه هو وجه امرأة نقية الفطرة، صادقة في التعبير عن نفسها، واثقة في تميزها وتفردها بما حباها الله من أسرار الجمال الطبيعي التي لا تمنح إلا لمثلها من البسطاء، والتي تغيب تماما عن تلك الوجوه المصبوغة المصنوعة، وجه حقيقي لا يشبه وجوه التماثيل ولا يفتقد اللمسة الإنسانية، ويمكنك بسهولة أن تتواصل معه وتحبه وكأنك تنظر في المرآة.





المقال منشور بتمامه في العدد (٥٢٥)



أوقاف النساء.. رؤية في الدور الحضاري *

فاطمة حافظ

هناك افتراض شائع مؤداه أن حالة من السلبية والتواكل والانكفاء حول الذات قد غلبت على مشاركة المرأة في التاريخ الإسلامي، وهو الافتراض الذي تحول إلى قناعة رسختها سلسلة من الأدبيات التاريخية مثل: ألف ليلة وليلة، والمؤلفات المبكرة للمستشرقين.. وهذه الحالة من السلبية لم يتم تجاوزها وصولا إلى العصر الراهن- وفقًا لرؤية الأمم المتحدة - التي تجمع تقاريرها أن المرأة المسلمة تعاني من التهميش التاريخي المتجذر في بنية الثقافة الإسلامية، وبفعل التهميش تم إقصاؤها من عملية التنمية واستبعادها من المشاركة في الموارد الاقتصادية، وإذا ما أريد النهوض بواقع المرأة ينبغي أن يتم دمجها في عملية التنمية إذ هي السبيل الوحيد للنهوض بأوضاعها.

وانطلاقًا من تلك الرؤية لم تشأ الأمم المتحدة النظر إلى التجربة الإسلامية في الوقف باعتبارها تجربة تنموية إسلامية، وخبرة تاريخية لم تعهدها الحضارة الغربية، وتجاهلتها بصورة كلية في إطار تقاريرها وبياناتها التي تصدرها والمعنية برصد واقع التنمية في البلاد الإسلامية وعلاقة المرأة بها، وهذا الإحجام له ما يبرره إذ إن الإتيان على دور المرأة في الوقف يبدد الادعاءات القائلة بتهميش المرأة وينفي سلبيتها ويبرز فاعليتها، وإزاء هذا التجاهل فإننا نجد أن هناك ضرورة ملحة للتعريف بماهية الوقف وإسهام النساء فيه.

المنشأ والوظيفة

الوقف لغة هو الحبس والمنع، وفي الاصطلاح حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح.

ويعود الأساس الديني للوقف إلى توجيه الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في كيفية التصرف في غنيمته من فتح خيبر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حبَّست أصلها وتصدقت بها. فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث، في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه». (صحيح البخاري، كتاب الوصايا باب الوقف كيف يُكتب).

ويُنظر إلى الوقف باعتباره المؤسسة الإسلامية الأكبر لرعاية الفئات والشرائح المجتمعية الأضعف في المجتمع (الفقراء، اليتامى، الأرامل) وهو يتسم بصفات خاصة تميزه عن غيره من تنظيمات المجتمع المدني الحديثة الوافدة من الغرب، ومن أهمها:

١- الوقف نظام عقدي اجتماعي، ارتبط بالقيم القرآنية مثل التراحم، التواد، والإحسان.

٢- انتشر الوقف في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد أسهمت فيه الشرائح الوسطى إلى جانب الأغنياء، كما انخرطت فيه النساء إلى جوار الرجال سواء بسواء.

٣- استطاع الوقف أن يقرر مفهوم التكامل الاجتماعي ويقلل من غلواء الفردية.

٤- وفر الوقف مساحة من الاستقلالية للمجتمع في مقابل الدولة.

الوقف واتساع قاعدة المشاركة النسائية

تعود الإسهامات الوقفية النسائية الأولى إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فهن أول من أوقف من النساء، على حين تؤول أول إدارة نسائية للوقف إلى أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها، التي عهد إليها الخليفة عمر بن الخطاب بمهمة الإشراف على بعض الأوقاف التي يملكها في حال وفاته، فدلل هذا على جواز ولاية المرأة للوقف، وقد توالت المشاركات الوقفية النسائية طوال التاريخ الإسلامي وحتى عصرنا الراهن ولم تعرف انقطاعا قط، إذ استطاعت مؤسسة الوقف أن تستقطب النساء على اختلاف مواقعهن الاجتماعية وتوزعهن ما بين نساء النخبة ونساء الطبقات الدنيا، وهكذا تراوحت الأوقاف النسائية بين الضخامة والضآلة تبعا للموقع الاجتماعي للمرأة الواقفة.

أنماط المشاركة النسائية

عُرف عن النساء أنّهن أوقفن في المجالات كافة ، فلم تكن إسهاماتهن قاصرة على مجال دون آخر، ولكننا نلمس أن هناك حضورًا نسائيًا مميزًا في مجالين:

الأول: تشييد الأربطة وهي أماكن أقيمت خصيصا لسكنى الأرامل والمطلقات والعجائز ومن لا عائل لهن، وقد سمح لهن بالإقامة الدائمة فيها مع تقديم الغذاء والكساء والرعاية الصحية، وإلى جانب تلك الوظائف الرعائية قدمت الأربطة لنزيلاتها دروسا دينية ووفرت لهن محفظات لتيسر عليهن مهمة إتمام حفظ كتاب الله فكانت بذلك مؤسسة متكاملة رعائية واجتماعية وإنسانية.

وأما المجال الثاني تشييد المنشآت العلمية بغرض نشر العلم.

حدود المشاركة وضوابطها

هناك من المؤشرات ما يرجح أن المشاركة الوقفية النسائية خلال التاريخ الإسلامي كانت مشاركة واسعة وضخمة، ومن هذه المؤشرات ما حفلت به المؤلفات التاريخية والفقهية من ذكر للوقفيات النسائية، ومنها أيضا كتب السير والتراجم التي أرّخت لحياة كثير من الواقفات والتي اتضح من خلالها أن نسبة منهن كن عالمات فضليات، أما في عصرنا الراهن فتتكفل الإحصاءات ببيان حجم المشاركة النسائية حين تذكر أنها تبلغ حوالي ٢٥ بالمائة من حجم الأوقاف الحالية في العالم الإسلامي، ويبدو أن هذه النسبة تمثل متوسط المشاركة النسائية، إذ ترتفع النسبة في الدول الخليجية حتى تصل إلى ٤٠ بالمائة، وهذا يدل على أن نساء الخليج لسن جميعا على تلك الصورة التي تروج لها وسائل الإعلام، حيث يشغلهن هاجس المشاركة الاجتماعية، وتخفيف العبء عن الشرائح الدنيا في المجتمع، ولكنه يظل بعدا مضمرا في ظل التركيز الإعلامي على الفعاليات السياسية والفنية والرياضية وعزوفه عن متابعة ما سواها.

* المقال منشور بتمامه في العدد (٥٢٣)

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجودة القريحة، وصفاء النّفْس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلم وحُسْن التّهدي، تدْعو من يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمّل وطول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنفوس من الخلل والتأثّر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفهم. جاء في لسان العرب: ١١/٣٢٥ «أصل المُساجَلة: أن يَسْتَقي ساقيان فيُخْرجُ كل واحد منهما في سَجْله مثل ما يُخرج الآخر، فأيُّهما نَكل فقد غلَبَ. فضربتْه العربُ مثلًا للمُفاخرة، فإذا قيل: فلان يُساجل فلانًا، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشّرف مثل ما يُخرجه الآخر، فأيُّهما نكل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تفاخروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجالٌ».

ولئن كانت الصّناعات المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشرَف المناصب، ومنها ما يضعُ المحترفين له أشدّ الضّعة، ويُخملُهُم أقبَحَ الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراء في منزلة، ولا أكْفاء في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعة العلم، وسَعَة الاطّلاع، وجودة المحفوظ، وتجدُّد الفائدة من أجمل ما يتباري فيه المتبارون، ويتمدّحُ به السّامعون، وينْهل منه المتلهّفون.

د. الطاهر خذيري

بين الإمامين مالك والليث - رحمهما الله -

(حول عمل أهل المدينة)



ولعلّ من ألَذّ ما نستفتح به مساجلاتنا الماتعة، ما وقع من مراسلة تاريخيّة علميّة بين الإمامين الجليلين، إمامُ دار الهجرة وفقيه مصر «مالك بن أنس والليث بن سعد» رحمهما الله تعالى، وسَكَب عليهما شآبيبَ رحمته ورضوانه.

ومالكٌ- رحمه الله- هو إمام دار الهجرة، أبو عبدالله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحيّ الحِمْيَريّ القحطانيّ، ولد سنة ثلاث وتسعين، ومات سنة مائة وتسع وسبعين من الهجرة.

يقول ابن تيميّة-رحمه الله- في مجموع الفتاوى: ٢٠/١٧٦ «لا ريب عند أحد أنّ مالكًا أقْوَمُ النّاس بمذهب أهل المدينة، رواية ورأيًا، فإنّه لم يكن في عصره ولا بعده أقْومُ بذلك منه، كان له من المكانة عند أهل الإسلام- الخاصّ منهم والعامِّ- ما لا يخفى على مَن له بالعلم أدنى إلْمام».

وقد اتّفق للإمام مالك- كما يقول الحافظ الذّهبيُّ- رحمه الله- في تذكرة الحفّاظ: ١/٢١٢ مناقبُ ما اجتمعتْ لغيره، منها: طولُ العمر، وعُلوُّ الرّواية، والذّهنُ الثّاقب، والفهمُ، وسَعَةُ العلم، واتّفاقُ الأئمّة على أنّه حُجّةٌ صحيحُ الرّواية، وإجماعُهُم على دينه وعدالته واتّباعه السُّنن، وتَقَدُّمُه في الفقه والفتوى، وصحّةُ قواعده.

وأمّا الليث بن سعد، فهو الإمام الحافظ عالم الدّيار المصريّة، ولد سنة أربع وتسعين، ومات سنة خمس وسبعين ومائة.

قال له أبو جعفر المنصور حين ودّعه ببيت المقدس: «أعجبني ما رأيتُ من شدّة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيّتي مثلك».

وقال ابنه شعيب: «يستغلّ أبي في السّنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألفًا، تأتي عليه السَّنَة وعليه دَيْنٌ»، وذلك من كَرَمه، وكثْرَة ما كان ينفقه على الإخوان والصّالحين.

وهو إمامٌ بلا مدافعة وفقيهٌ بالإجماع، ولكنّ الحظوة كانت لمالك رحمه الله.

ولأنّ فُهوم العلماء تختلف وتتفاوت، ويُسبغ الله تعالى على مَن شاء من العلماء من التّوفيق في الاختيار والصّواب في الرّأي، ما يكون سببًا لِسَعَة القَبول وعُمْق النّفع، وقد كان الإمامان محلَّ توفيق وخيريّة بالغة، لعلّ من أهمّ أسبابها ما كانا عليه من الخبيئة الصّالحة والطّينة الطّاهرة، وكان من لازم ذلك أن يجتهد كلّ واحد منهما في النّصْح للأمّة، وأقرَب من ذلك نصيحةُ بعضهما فيما تبدّى لأحدهما أنّ صاحبه خالفه الصّوابُ في مسألة أو مسائل، ولا جناحَ بعد ذلك ولا حرج على المُخطئ ولا على المُخطِّئ، لأنّ الكل صادرٌ من مشاعرَ أخويّة وأخلاق شريفة عربيّة، ومروءة نبيلة متأصّلة، وبهذه المعالم الرّائعة في الأخْذ والعطاء ينتفع النّاصح والمنصوح، ويتألّق القول الرّاجح ولا يُسَفّهُ الرّأي المرجوح.

وفي هذا المضمار بعث الإمام مالك-

رحمه الله- رسالته لأخيه ورفيق دربه الإمام الليث- رحمه الله- يُسلّم عليه، وينصح له بدَعَة ورفق بالغَيْن ما يراه هو أحقَّ بالصّواب والاتّباع، وأيًّا ما كان مذهب مالك أو الليث وقناعاتهما، رحمهما الله، فإنّ المقصود ليس هو فروع ما ورد في رسالة مالك ولا ردِّ الليث عليه، لأنّ ذلك استوفاه الفقهاء في مطوَّلاتهم ومدوَّناتهم مناقشةً ودرسًا، وإنما الغاية المتعة النظر في حصافة الخطاب، ورقّة التخطئة، والشّفقة المتناهية من كل واحد منهما على صاحبه وحبيب قلبه، لتدلّنا الرسالتان بحق على مبدأ «الخلاف لا يفسد للودّ قضيّة».

وإلى هاتين الرّسالتين العظيمتي النّفع أترك القارئ الكريم يتلمّس ما شاء من الفوائد التّربويّة والعلميّة والفقهيّة.

رسالة الإمام مالك- رحمه الله- إلى اللّيث بن سعد فقيه مصر- رحمه الله- (١)

«من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد..

سلامٌ عليكم، فإنّي أحمد اللّه إليك الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد:

عَصَمنا الله وإيّاك بطاعته في السّرّ والعلانية، وعافانا وإيّاك من كلّ مكروه.

اعلم- رَحمكَ اللّه- أنّه بلغني أنّك تُفتي النّاس بأشياءَ مخالفة لمَا عليه جماعةُ النّاس عندنا، وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجَة من قِبَلكَ إليك، واعتمادهم على ما جاءَهم منكَ، حقيقٌ بأن تخافَ على نفسك، وتتّبعَ ما ترجو النّجاة باتّباعه، فإنّ الله تعالى يقول في كتابه ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ الآية، وقال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الآية، فإنّما النّاس تَبَعٌ لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآنُ، وأُحلّ الحلالُ وحُرّم الحرامُ، إذ رسول اللّه ﷺ بين أظهُرهم، يحضرون الوحيَ والتنزيلَ، ويأمرُهُم فيطيعونَهُ، ويَسُنّ لهم فيتّبعونَهُ، حتى توفّاهُ اللّه، واختارَ له ما عندَهُ، صلوات اللّه عليه ورحمته وبركاته.

أرجو ألا يكون دعاني إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله وحده

ثمّ قام من بعده أتْبَعُ النّاس له من أُمّته ممّن وَلِيَ الأمرَ من بعده، فما نَزَل بهم ممّا علموا أنْفَذُوهُ، وما لم يكن عندهم فيه علمٌ سألوا عنه، ثمّ أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم، وإن خالفَهم مخالفٌ، أو قال امرؤٌ غيرُهُ أقوى منه أو أولى، تَرَك قولَه وعمل بغيره.

ثمّ كان التّابعون من بعدهم يسلُكون تلك السّبل ويتّبعون تلك السّنَن.

فإذا كان الأمْرُ بالمدينة ظاهرًا معمولاً به، لم أرَ لأحد خلافَهُ للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالُها ولا ادّعاؤُها، ولو ذَهَب أهلُ الأمصار يقولون هذا العمل ببلدنا، وهذا الذي مَضَى عليه مَن مضى منّا، لم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم من ذلك الذي جَازَ لهم.

فانظُر- رحمك الله- فيما كتبتُ إليك فيه لنفسك، واعلمْ أنّي أرجو أن لا يكون دعاني إلى ما كتبتُ به إليك إلاّ النّصيحة لله تعالى وحْدَه، والنّظر لك والضّنُّ بك، فأنْزِل كتابي منك منزلتَه، فإنّك إنْ فعلتَ تَعْلَمُ أنّي لم آلُكَ نُصْحًا.

وفّقنا الله وإيّاك لطاعته وطاعة رسوله ﷺ في كلّ أمْر، وعلى كلّ حالٍ، والسّلام عليك ورحمة الله».

بعض مستخلصات الرّسالة

- الاستفتاح والختم بالدّعاء لأخيه.
- الاعتراف له بالإمامة والفضل والمنزلة.
- الاعتراف له بحاجة النّاس إليه في العلم والفُتيا.
- النّصيحة له باتّباع ما يرجو به السّلامة والنّجاة في الآخرة.
- البراءة من حظ النفس وتشذيب القصْد من إرادة غير رضا الله تعالى.
- الشّفَقة الواضحةُ، والتّجرُّدُ الخالص من شوائب النّفس.

رسالة الإمام الليث بن سعد- رحمه الله- إلى الإمام مالك بن أنس-رحمه الله(٢).

«سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو، أمّا بعْد- عافانا الله وإياك، وأحْسن لنا العاقبة في الدّنيا والآخرة، فقد بلغني كتابُك تذكُر فيه من صلاح حالكم الذي يسرّني، فأدامَ الله ذلك لكم، وأتمّه بالعون على شكره والزّيادة من إحسانه.

وذكرْتَ نَظَرَكَ في الكتب التي بعثتُ بها إليك، وإقامتَك إيّاها، وختْمَك عليها بخاتمك، وقد أتتْنا، فجزاك الله عمّا قدّمْت منها خيرًا، فإنّها كُتُبٌ انتهتْ إلينا عنك، فأحببْتُ أنْ أُبلَغَ حقيقتَها بنَظَرِك فيها.

وذكرْتَ أنّه قد أنْشَطَك ما كتبْتُ إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنّصيحة، ورَجوْتَ أن يكون لها عندي موضعٌ، وأنّه لم يمنعْك من ذلك فيما خلا أن لا يكون رأيُك فينا جميلاً، إلاّ لأنّي لم أُذاكرْك مثل هذا.

وأنّه بلغك أنّي أُفتي بأشياءَ مخالفة لمَا عليه جماعةُ النّاس عندكم، وأنّي يَحِقُّ عليَّ الخوف على نفسي، لاعتماد مَن قِبَلي على ما أفْتَيْتُهم به، وأنّ النّاسَ تَبَعٌ لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن.

وقد أصَبْتَ بالذي كتبْتَ به من ذلك، إن شاء الله تعالى، ووقع منّي بالموقع الذي تحبّ، وما أعُدُّ أحدًا قد يُنْسَب إليه العلم أكْرَهَ لشواذّ الفُتيا، ولا أشدّ تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مَضَوْا، ولا آخَذ لفُتْيَاهُم فيما اتّفقوا عليه منّي، والحمد

لله ربِّ العالمين لا شريك له.

وأمّا ما ذكرْتَ من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهْريْ أصحابه، وما علّمهم الله منه، وأنّ النّاس صاروا به تبعاً لهم فيه، فكما ذكرْتَ.

وأمّا ما ذكرْتَ من قول الله عزّ وجلّ ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، فإنّ كثيراً من أولئكَ السّابقين الأوّلين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، ابتغاءَ مرضاة الله، فجنّدوا الأجنادَ، واجتمع إليهم النّاس، فأظهروا بين ظَهْرانيهمْ كتابَ الله وسنّةَ نبيِّه، ولم يكتموهم شيئًا عَلِموه.

وكان في كلِّ جنْد منهم طائفةٌ يُعلّمون لله كتابَ الله وسنّةَ نبيِّه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسّرْه لهم القرآن والسّنّة، ويقوِّمُهم عليه أبوبكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثّلاثةُ مضيِّعين لأجناد المسلمين، ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون لأجنادهم في الأمر اليسير لإقامة الدِّين، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنّة نبيِّه، فلم يتركوا أمرًا فَسَّرَه القرآن أو عمل به النبيُّ ﷺ، أو ائْتَمَرُوا فيه بعْدَه إلا أعْلَمُوهُمُوه.

فإذا جاء أمْرٌ عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشّام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قُبِضوا، لم يأمروهم بغيره، فلا نُراهُ يجوز لأجناد المسلمين أن يُحْدِثوا اليوم أمرًا لم يَعْمَل به سلفُهُم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، حين ذهب العلماء وبقيَ منهم مَن لا يُشْبِه مَن مَضى، مع أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعده في الفتيا في أشياءَ كثيرة، ولولا أنّي قد عرفْتُ أنْ قد علمْتَها، لكتبْتُ بها إليك.

عند ربيعة خيرٌ كثيرٌ وعقلٌ أصيلٌ ولسانٌ بليغٌ وطريقةٌ حسنةٌ في الإسلام

ثم اختلف التّابعون في أشياءَ بعد أصحاب رسول الله ﷺ- سعيدُ بن المسيّب ونظراؤه- أشَدَّ الاختلاف، ثم اختلف الذين كانوا بعدَهم فحضرْتُهم بالمدينة وغيرها، ورأسُهم يومئذ في الفُتيا ابنُ شهاب وربيعة بن أبي عبدالرحمن، فكان من خلاف ربيعة لبعْض ما قد مضى ما عرفْتَ وحضرْتَ، وسمعْتُ قولَك فيه وقولَ ذوي الرّأي من أهل المدينة- يحيى بن سعيد، وعبيد الله بن عمر، وكثير بن فرقد، وغير كثير ممّن هو أسَنُّ منه- حتى اضطرّك ما كرِهْتَ من ذلك إلى فراق مجلسه.

وذاكرْتُك أنْتَ وعبدَ العزيز بن عبدالله بعْضَ ما نَعيبُ على ربيعة من ذلك، فكنتما من الموافقين فيما أنْكرْتُ، تكرهان منه ما أكره، ومع ذلك- بحمد الله- عند ربيعة خيرٌ كثيرٌ، وعقلٌ أصيلٌ، ولسانٌ بليغٌ، وفضلٌ مستبينٌ، وطريقةٌ حسنةٌ في الإسلام، ومودّةٌ صادقةٌ لإخوانه عامّةً ولنا خاصّةً، رحمةُ الله عليه، وغفَرَ له، وجزاهُ بأحسن من عمله.

وكان يكون من ابن شهاب اختلافٌ كثيرٌ إذا لقيناه، وإذا كاتَبَهُ بعضُنا، فربّما كتب إليه في الشّيء الواحد- على فضل رأيِه وعِلمِه- بثلاثة أنواع ينْقُضُ بعضُها بعضاً، ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك، فهذا الذي يَدْعُوني إلى ترك ما أنكرْتَ تركي إيّاه.

وقد عرفْتُ ممّا عبْتَ إنكاري إياه أنْ يجْمَعَ أحدٌ من أجناد المسلمين بين الصّلاتين ليلةَ المطر، ومطر الشّام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله، لم يجمعْ منهم إمامٌ قطُّ في ليلة مَطر، وفيهم أبوعبيدة بن الجراح، وخالدُ بنُ الوليد، ويزيدُ بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذُ بن جبل- وقد بلغنا أنّ رسول الله ﷺ قال: «أعلمهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل»، وقال: «يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتْوة»- وشرحبيلُ بن حسنة، وأبوالدرداء، وبلالُ بن رباح.

وكان أبوذرّ بمصر، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وبحمص سبعون من أهل بدر، وبأجناد المسلمين كلِّها، وبالعراق ابنُ مسعود، وحذيفةُ بن اليمان، وعمرانُ بن حصين، ونَزَلها أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب سنين بمن كان معه من أصحاب رسول الله، فلم يجمعوا بين المَغرب والعشاء قطّ.

ومن ذلك: القضاءُ بشهادة شاهد ويمينِ صاحب الحقّ، وقد عرفْتَ أنّهُ لم يزَل يُقْضى بالمدينة به، ولم يقض به أصحابُ رسول الله ﷺ بالشّام، وبحمْص، ولا بمصر ولا بالعراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الرّاشدون أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ، ثم وَلِيَ عمر بن عبدالعزيز-وكان كما علمْتَ في إحْياء السُّنن، وقطع البدع، والجِدّ في إقامة الدِّين، والإصابة في الرّأي والعلْم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه زُرَيق بن حكيم: إنّك كنْتَ تقضي بالمدينة بشهادة الشّاهد الواحد ويمين صاحب الحقّ، فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز: إنّا كنّا نقضي بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشّام على غير ذلك، فلا نقضي إلاّ بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين. ولم يجمع بين العشاء والمغرب قطُّ ليلةَ المطر والسّماء تسكب عليه في منزله الذي كان فيه بخُناصرةَ سكْبًا.

ومن ذلك، أنّ أهل المدينة يقْضون في صَدُقات النّساء أنّه متى شاءت أن تتكلّم في مؤخّر صداقها تكلّمت فدُفع إليها، وقد وافق أهلُ العراق أهل المدينة على ذلك، وأهلُ الشام وأهل مصر، ولم يقْض أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ولا مَن بعدهم لامرأة بصداقها المؤخَّر إلاّ أنْ يفرِّق بينهما موتٌ أو طلاقٌ فتقوم على حقِّها.

ومن ذلك قولهم في الإيلاء، إنّه لا

يكون عليه طلاقٍ حتى يُوقَفَ وإنْ مرّت الأربعةُ أشهر، وقد حدثني نافعٌ عن عبدالله بن عمر- وهو الذي كان يروي عنه التوقيف بعد الأشهر- أنّه كان يقول في الإيلاء الذي ذكر الله في كتابه: لا يحلّ للمُولِي إذا بلغ الأجلَ إلاّ أن يفيء كما أمر الله أو يعزِمَ الطّلاق.

وأنتم تقولون: إنْ لبِثَ بعد الأربعة أشهر التي سَمَّى الله في كتابه، ولم يوقَفْ، لم يكن عليه طلاقٌ.

وقد بلغنا عن عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب، وأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، أنهم قالوا في الإيلاء: إذا مضَت الأربعةُ أشهرُ، فهي تطليقةٌ بائنةٌ، وقال سعيدُ بنُ المسيب، وأبوبكر بنُ عبدالرّحمن بن الحارث بن هشام، وابنُ شهاب: إذا مضت الأربعة أشهر فهي تطليقةٌ، وله الرَّجْعة في العدّة.

ومن ذلك، أنّ زيد بن ثابت كان يقول: إذا ملّك الرَّجُل امرأتَه أمْرَها، فاختارتْ زَوْجَها فهي تطليقةٌ، وإنْ طلّقتْ نفْسَها ثلاثًا فهي تطليقةٌ، وقضى بذلك عبدُ الملك بن مروان، وكان ربيعةُ بن أبي عبدالرّحمن يقوله، وقد كادَ النّاسُ يجتمعون على أنّها إن اختارت زوجَها لم يكن فيه طلاقٌ، وإن اختارتْ نفسها واحدةً أو اثنتين، كانت له عليها رَجْعَةٌ، وإنْ طلّقت نفسَها ثلاثًا بانتْ منه، ولم تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيرَه، فيدخل بها ثم يموت أو يطلّقها، إلاّ أن يردّ عليها في مجلسه، فيقول: إنّما ملّكتك واحدة، فيُسْتَحْلَف ويُخَلَّى بينه وبين امرأته.

ومن ذلك، أنّ عبدالله بن مسعود كان يقول: أيّما رجل تزوّج أَمَةً، ثم اشتراها زوجُها، فاشتراؤُهُ إياها ثلاثُ تطليقات، وكان ربيعة يقول ذلك، وإنْ تزوّجَت المرأةُ الحرّةُ عبدًا، فاشترته، فمثل ذلك.

وقد بَلَغَنا عنكم أشياءُ من الفتيا، فاستنكرتُها، وقد كنتُ كتبتُ إليك في بعضها، فلم تجبْني في كتابي، فتخوّفْتُ أن تكون استثقلتَ ذلك، فتركْتُ الكتاب إليك في شيء ممّا أنْكرْتُ، وفيما أردْتُ فيه علْمَ رأيك.

أحب توفيق الله إياك وطول بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة

وذلك أنّه بلغني أنك أَمَرْتَ زُفَرَ بن عاصم الهلاليّ- حين أراد أن يستقي- أنْ يُقدّمَ الصّلاة قبل الخطبة، فأعظمْتُ ذلك، لأنّ الخطبة والاستسقاء كهيئة يوم الجمعة، إلاّ أنّ الإمام إذا دنا فراغه من الخطبة حوّلَ وجهَهُ إلى القبلة فَدَعَا وحوّل رداءه، ثم نَزَل فصلّى، وقد استسقى عمرُ بن عبدالعزيز، وأبوبكر بنِ محمّد بن عمرو بن حزم، وغيرهما، فكلّهم يقدّم الخطبةَ والدّعاءَ قبل الصلاة، فاسْتَهْتَرَ النّاسُ كلّهم فعْلَ زُفَرَ بن عاصم مِن ذلك واستنكروه.

ومن ذلك، أنّه بلغني أنك تقول في الخليطين في المال: إنّه لا تجب عليهما الصّدقة، حتى يكونَ لكلّ واحد منهما ما تجب فيه الصّدقة، وفي كتابٍ عمر بن الخطاب أنّه يجب عليهما الصّدقة، ويترادّان بالسّوية، وقد كان ذلك يُعْمَل به في ولاية عمر بن عبدالعزيز قبلَكُم وغيره، والذي حدَّثنا به يحيى بن سعيد، ولم يكن بدون أفاضلِ العلماء في زمانه، فرحمه الله، وغفر له، وجعَل الجنة مصيرَه.

ومن ذلك، أنّه بلغني أنك تقول: إذا أفلس الرَّجُل وقد باعه رجُلٌ سلعةً، فتقاضى طائفةً من ثمنها، أو أنفق المشتري طائفةً منها أنّه يأخذ ما وَجَد من متاعه، وكان النّاسِ على أنّ البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئًا، أو أنفق المشتري منها، فليست بعينِها.

ومن ذلك، أنّك تذكر أنّ النبيّ ﷺ لم يعطِ الزبير بن العوام إلاّ بفرس واحد، والنّاسُ كلّهم يحدِّثون أنه أعطاه أربعة أسهُم بفرسين، ومَنَعَه الفرسَ الثّالث، والأمّةُ كلّهم على هذا الحديث، أهلُ الشّام، وأهل مصر، وأهل العراق، وأهل إفريقيّة، لا يختلف فيه اثنان، فلم يكن ينبغي لك- وإنْ كنتَ سمعْتَه من رجل مرضيّ- أن تخالف الأمّةَ أجمعين.

وقد تركْتُ أشياءَ كثيرةً من أشباه هذا، وأنا أحبّ توفيق الله إياك، وطول بقائك، لِمَا أرجو للنّاسِ في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضّيْعة إذا ذهب مثْلُك، مع استئناسي بمكانك، وإن نأت الدّار.

فهذه منزلتُك عندي، ورأيي فيك فاستيْقِنْه، ولا تترك الكتاب إلَيَّ بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك أو لأَحَدٍ يُوصَلُ بك، فإني أُسَرُّ بذلك.

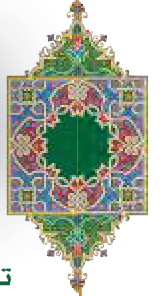
كتبْتُ إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكْر ما أولانا، وتمامَ ما أنعم به علينا، والسّلام عليك ورحمة الله».

بعض مستخلصات الرسالة

- الاستفتاح والختم بالدعاء للأخ.
- من الأدب وحسن الأخلاق وكرمها أنْ يكفّ الأخ عن اللّجاجة والوقوف عند شيء بعينه، والحقّ يحتمله كما يحتمل غيره.
- من ديانة الناصح خشيته من خلاف المنصوح لأمم العلماء، وأنّ الشقاق والتفرُّد بالرأي غير محمود.
- تعظيم جناب المنصوح، وأنّ الناس في عافية ما دام هو فيهم، ممّا يلزم منه تعاهُدُ نفْسِهِ حتى تكون عند الظّنّ الحَسَن بها.
- عرض المساعدة المادّيّة والمعنويّة، وأنّ ذلك دليل على تمام الصّدق من وراء النّصيحة.

(١)- أوردها القاضي عياض في ترتيب المدارك (٤١/١-٤٤)، وانظرها في: سير أعلام النبلاء (٩٠/٨). والديباج المذهب، ص (٧٥).

(٢) راجعها في «إعلام الموقعين» (٧٢/٣).



عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

إعلام المال

تتوالى آثار الثورة المعلوماتية على مجتمعاتنا تباعا بتفريخها قنوات فضائية ومواقع إلكترونية على كل شكل ولون، الأمر الذي جعلنا نعيش أحداث العالم ظاهرها وباطنها ونحن في بيوتنا.

ومن المعلوم أن الإعلام اليوم بات أحد الأنظمة الأساسية في بناء المجتمع، ينطلق من منطلقه ويتوجه بتوجهه ويستجيب لمتطلباته في الحياة، وهو في المجمل مؤثر ومتأثر بالأنظمة الأخرى.

وليس غريبا أن يقدم الإعلام بوسائله المختلفة رؤية شمولية ومتكاملة لبناء شعوب نقية عفيفة كريمة، تدين بشرع الله باعتباره مرجعية متكاملة لمتطلبات الحياة.

ولعل حيوية أي نظام إعلامي تتوقف على مدى الثقة به، ويظهر هذا في معايشة الحراك الاجتماعي، والتعرف على احتياجات الناس والاستجابة لرغباتهم في الخير والاستقامة والانسجام مع فطرتهم الطاهرة، والتعبير عما يجول في خواطرهم ونفوسهم بصدق وأمانة، وليس تزلفا وابتزازا ونفاقا من أجل التجارة المتربحة.

ومن الملاحظ انتشار الفضائيات المتخصصة بشكل غير مسبوق في مختلف المجالات، حتى باتت السوق مفتوحة لمن أراد الخير أو أراد الشر، ومع ذلك نجد ثلة من بني جلدتنا ممن يسمون «رواد الثقافة والفكر» يخوضون في القنوات الهادفة والنافعة بدعوى مذهبيتها وسلبيتها، في الوقت الذي يتناسون فيه خطورة الكلمة والقلم، وضرورة الجهاد الفكري والثقافي الحقيقي.

ويمكن القول إن معظم البرامج التلفزيونية تركز على القضايا المثيرة حتى وإن كانت سطحية ولا تعود بأي فائدة أو نفع، وبالتالي نتيقن أن وظيفة الإعلام انحرفت عن أهدافها الحقيقية وبات المال معيار التحكم في أي عمل في هذا المجال، باعتبار أن رغبات الجمهور الشهوانية هي التي تجلب الربح الوفير والمكسب الرخيص.

ما نراه على الساحة الإعلامية يتطلب التفكير جديا في كيفية دعم الأعمال الهادفة والمسؤولة، وإن كان فيها تقصير، إذ إن إصلاح الخلل أفضل من ترك المجال كله أمام من لا يراعون الله في توعية المجتمع بما لا يليق بقيمه وعاداته وتقاليده وأعرافه، وذلك من خلال إعداد الشباب المبدع والناضج فكريا وعلميا، إعدادا يجمع بين تراثنا وثقافة العصر ومتطلبات التقنية الحديثة.

وينبغي الأخذ في الاعتبار أن الجهاد نوعان: جهاد مدني، وجهاد عسكري، فالجهاد المدني يشمل المجالات: الإعلامي والعلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والتربوي والصحي والطبي والبيئي والحضاري.. وهو ما نحن في حاجة ماسة إليه اليوم.

وتتمحور فكرة هذا النوع من الجهاد في بذل الجهد من أجل تعليم الجاهل، وتهذيب السلوك، وتنوير العقول، وتشكيل الآراء وفق منهج الوسطية، باعتباره منهاجنا في الدعوة والتعليم والإفتاء والبحث والإصلاح والتجديد.

إن حراكنا الاجتماعي في حاجة ماسة للتجديد والإصلاح في المنظومة الإعلامية المترهلة بالفساد الأخلاقي الرهيب وفق مقتضيات الواقع، مع استشعار رسالة الكلمة الصادقة النابعة من القلب النقي إلى القلب الفطري، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كان هناك رجال مخلصون سخروا حياتهم لتقديم إعلام هادف مسؤول قادر على خدمة مجتمعاتنا بما يليق بمرجعية ديننا الحنيف.

فلنجتهد في خدمة عصرنا كما اجتهد غيرنا ممن لا دين لهم ولا ملة في البقاع الأخرى، ولنفهم نفوس شعوبنا واحتياجاتها، ولنشدد في الأصول ونيسر في الفروع، ولنتلمس الحكمة من أي وعاء خرجت.



لغة وأدب

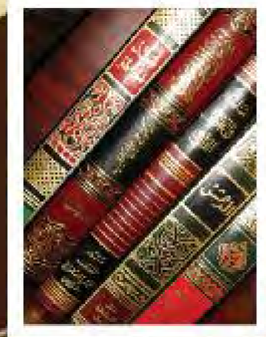
دواوين العرب

هل حقًا أن الشعر أُزيح عن عرش ديوان العرب، وأُلبست الرواية، أو غيرها من الفنون، تاج ذلك الديوان؟ وهل أدى الإعلام، لاسيما السينما والدراما التلفزيونية، دور البطولة في ذلك؟ هذا تساؤل دأبت ثلة من المتأدبين على طرحه بقوة على الساحة في الفترة الأخيرة، وبغض النظر عن نوايا هذا الطرح التي لا تخلو من شبهة الهجوم على كل ما هو تليد، والتسلسل الذي اتبعه هؤلاء الهاجمون في إقصاء الشعر الحقيقي الصادق عن الاحتكاك بوجدان الأمة، فإنه لا يختلف اثنان على مكانة الشعر عند العرب قديمًا، فقد مثَّل جهاز إعلامهم الذي تبث عبره أحداثهم ومساجلاتهم ووقائعهم، لتدون في سجل تتعاقب عليه الأجيال، وصوَّر بدقة عالية ما كان يختلج في صدور هؤلاء القوم، وأذاع بشفافية، ما كان يدور في أذهانهم، فكان متنفسا ينقلون خلاله تجاربهم، يبكون به تارة، ويلهون به ثانية، ويلهبون به مشاعر الحماس ثالثة، ويعرضون به حكمهم رابعة... إلخ.

وكذلك لا يخفى ما تبوأته الرواية في العصر الحديث من مكانة، إذ استطاعت أن تؤدي شيئا من دور الشعر في التعبير عن النفس، والتأريخ لملامح المجتمع وأحداثه، كما أنها امتازت بمخاطبة شرائح المجتمع التي انقطعت شبكات اتصالها بالشعر، لصعوبته وتعقيده الناتجين عن ضعف قائليه تارة، ولضعف دبَّ في لغة هذه الشرائح حجب معه تذوقهم له تارة، وللجهود الحثيثة الساعية إلى تقويضه تارة أخرى.

غير أن للشعر ميادينه التي لا يمكن للرواية أن تلج فيها، فهي إن نازعته في شيء، لا يمكن لها أن تحل محله، فلكل طعمه وميدانه، ولكل عشاقه ومتابعوه ورواده. والعرب قديمًا قد عرفوا الرواية ولم يحفلوا بها، فإذا ذاع صيتها اليوم وتسنمت وتطورت فلا ضير، لكن أن تقارن بما ليس من لونها، أو يُدَّعى أنها تحل محلا ليس لها.. فتلك إذن كرة خاسرة.

المحرر





الأديبة الإسلامية نوال مهني:

«حرية الإبداع» عند الحداثيين كلمة حق يراد بها باطل!

حوار: محمد القوصي

شاعرة مصرية مميزة، أو شاعرة الوادي - كما يلقبونها - وهي كاتبة ومعدّة برامج إذاعية وتلفزيونية، وعضو اتحاد كتاب مصر، وعضو رابطة الأدب الحديث وجماعة أبولّو الجديدة، ورئيسة لجنة الأديبات برابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة، أصدرت عددًا كبيرًا من المؤلفات والروائع الأدبية، شعرًا ونثرًا، مثل دواوين «نبع الوجدان»، «أغاريد الربيع»، «ذات مرة»، «فيض الأشجان»، ومسرحيات «الفارس والأميرة»، «الجميلة والعرّاف»، وقدمت للأطفال سلسلة «رحلات ابن بطوطة»، وسلسلة «أصل الحكاية»، وديوان «أغاني الطفولة» وغيرها من الأعمال الإبداعية الأخرى، إنها الكاتبة والأديبة الشاعرة نوال مهني التي التقيناها لاستلهام رأيها في بعض القضايا الأدبية المعاصرة، وإليكم نص الحوار:

■ باعتبارك شاعرة مبدعة.. ما مفهوم الشعر عندك؟ وماذا يمثل الشعر لك في رحلتك مع الحياة؟

لدينا عشرات التعريفات التي أوردها القدماء والمحدثون عن الشعر، وإن كنتُ أحسبها جميعًا غير جامعة مانعة - كما يقول المناطقة - ولست أزعم أنني سأقدم تعريفًا للشعر بحيث أقول هذا هو التعريف الجامع، فالشعر هو تعبير عن مشاعر البشر في صورة فنية مبدعة، يحيطها الخيال بجناحيه، ويرفرف عليها الحلم، ويزينها الجمال، وتضمها قوالب فنية خاصة استحسنها الناس وتعارفوا عليها.

ومن هنا فإن الشعر أو القدرة على الإبداع الفني - ذلك التعبير الراقي - اختص الله تعالى به فريقًا أو بعضًا من عباده دون غيرهم، ونحن الشعراء، لا نظن أن الإنسان منّا يكون إنسانًا سعيدًا دون مشاعر، فلولاها ما استطعنا أن نبدع فنًّا أصيلاً، لأن جميع الفنون تنتمي إلى عالم الوجدان، ذلك لأن المبدع ينتقل إلى عوالم بعيدة، ويرنو إلى آفاق جديدة فوق عالمه الواقعي، أي باستطاعة المبدع أن يصيغ عالمًا خاصًا به.



■ هل نحن - فعلاً - بحاجة إلى الأدب والفن؟

لاشك أن للشعر، وسائر الفنون الراقية، دورًا هامًّا في سعادة البشر، فهو يمنحنا الحلم الجميل والأمل الباسم، وحتى إذا لم يتحقق هذا الحلم أو ذلك الأمل في الواقع فيكفينا أننا سعدنا بهما زمنًا وعُمرًا جميلاً.

ولا أظن أن أحدًا من الناس ينكر ذلك الدور الكبير الذي يلعبه الفن في حياتنا، فالفن هو الذي يوقظ فينا الأحاسيس الجياشة، التي لولاها لأصبحت الحياة جافة عقيمة مجدبة، فالإنسان بعقله يستطيع أن يفكر ويقرر ويبني الحضارات ويسن القوانين، لكن كل هذا لا يشعره بالسعادة في الحياة، فهذا الشعور هو وظيفة الوجدان، وإذا كان ديكارت يقول: «أنا أفكر، إذن أنا موجود»، فأنا كأديبة وشاعرة يمكنني أن أقول: أنا أشعر.. إذن أنا أعيش، لأنه دون هذه المشاعر والأحاسيس الوجدانية لا يعيش الفرد كإنسان، وإن كان بمقدوره أن يحيا ككائن حي فقط.

وأنا، كشاعرة، أزعم أن الشعر يعطيني فرصة لتفريغ الانفعالات التي لو كبتها الإنسان فهي كفيلة بأن تدمره، كما أن الشعر له أثر بالغ في التقوي به على الهموم والمحن والأزمات، كذلك من الشعر نستمد الحكم ونستخلص الدروس والعبر.

■ بصفتك شاعرة.. كيف تنظرين إلى مكانة المرأة أو إلى بنات جنسك في العملية الإبداعية، وفي الشعر على وجه الخصوص؟



أعتقد أن هناك علاقة حميمة بين المرأة والإبداع، فالمرأة عنصر هام في العملية الإبداعية، لأنها تحتل محاور ثلاثة رئيسية، فهي إما «ملهمة» لعقل الفنان وقلبه، مما يجعله يفيض في تصويرها شعرًا أو نثرًا أو رسمًا، أو أنها «متذوقة» والتذوق هو جزء من الإبداع، فلو لم يكن المتلقي يملك حسًّا أدبيًّا مرهفًا، وقدرًا من الوعي الفني والثقافي لما استطاع أن يحس أو يفهم العمل الإبداعي، أو أنها «مبدعة» وقد برزت المرأة كمبدعة في جميع المجالات، فهي الشاعرة والكاتبة والعازفة والرسامة...، وقد تألقت أسماء كثيرة لنساء شهد لهن المجتمع بالإجادة، ففي مجال الشعر رأينا المرأة العربية في عصورها المختلفة قطعت شوطًا كبيرًا في هذا المجال، مثل الخنساء التي بلغت منزلة الريادة الشعرية في عصرها، ثم تتابعت الشاعرات بعد ذلك حتى أصبحن علامة مميزة في أدبنا العربي، وقد أصبح للمرأة في عصرنا هذا حضور قوي وفعّال في سائر المنتديات الأدبية، فضلًا عن مشاركتهن على صفحات الجرائد والمجلات.

■ **مع تقديرنا لرأيك هذا.. لماذا تأخرت المرأة كثيرًا عن الرجل في ميدان الشعر؟**

أتفق معك على أن عدد المبدعات أقل بكثير من عدد المبدعين في هذا المجال بالذات، وليس هذا مرجعه إلى قصور في طبيعتها، إنما يرجع إلى عوامل اجتماعية فُرضت عليها لا تغيب عن عاقل، وهنا يحضرني رأي الأستاذ عباس العقاد حين قال: «الاستعداد للشعر نادر، وهو بين النساء أندر»!

فالمرأة عندنا محاطة بقيود صارمة بعضها موروث، وبعضها بحكم ظروفها العائلية، وأغلب هذه القيود من صنع الرجل، فالرقابة على المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها، أي منعها حتى من التعبير عن أفكارها ومشاعرها، لدرجة محاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها، بل والبحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها!

فالمرأة -إذن- لا تملك من أمر نفسها ما يملك الرجل، فهي مثقلة بأعباء بيتها وأبنائها، وقلما تستطيع الفكاك من هذه المسؤولية لمتابعة شؤون إبداعها، كما أنها لا تملك حرية التحرك والحضور في المنتديات والمؤتمرات الأدبية والثقافية، هذا الحضور الذي من شأنه أن يحفزها على الاستمرار والتواصل مع غيرها من المبدعين، ومع الحياة الثقافية عامة.

ومع كل هذا، فإن ما حققته المرأة من مكاسب أو ما قطعته أخيرًا في مجال الإبداع يعد مؤشرًا حسنًا، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار عنصر الزمن، فالمرأة حديثة عهد بالتعليم والعمل والخروج لشؤون الحياة والطموح لتحقق ذاتها وإظهار مواهبها.

وإنني أدعو المرأة التي تأنس في نفسها موهبة إبداعية أن تنميها وتدافع عنها وتتعهدها بالرعاية حتى تورق وتزدهر وتثمر، وحينئذ سوف يشهد لها التاريخ بما هي أهل له.

■ **في رأيك لماذا فشل ما أطلق عليه «قصيدة النثر» برغم ما أتيح لأصحابها من قوى مادية وفسحة كبيرة من الزمن؟**

دائمًا البقاء للأصلح، والناموس الإلهي ينص على أن: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ (الرعد:١٧).

فهؤلاء، دعاة الشعر الحر أو ما سموه بقصيدة النثر، راحوا يهدمون كل القواعد والأعراف الأدبية التي رسخت في وجدان الأمة عبر ستة عشر قرنًا من الزمان، فالشعر شعر، والنثر نثر، ولم يقل أحد بخلاف ذلك، إلا نفر من دعاة التغريب والمجدفين وعديمي الموهبة، ممن زعموا أو توهموا أنهم شعراء.. فهؤلاء لا يدركون أو لا يفهمون ما يكتبون حتى هذه اللحظة.

ولعل من الآثار السلبية التي ترتبت على هذه الدعوى الباطلة انصراف الناس عن الشعر، وانعزال المبدعين الجادين، وتفشي الرموز المبهمة واللوغاريتمات والألغاز في الشعر، فضلًا عن سريان موجة الانحلال والإباحية، والسخرية من المعتقدات والمقدسات الدينية في أشعار الحداثيين بصورة مقززة وكريهة جدًا.

أي إبداع أو فكر لا يخالف التصور الإسلامي فهو من الإسلام

■ **من وجهة نظرك.. هل الأدباء يعانون من حرية الإبداع؟ وهل الالتزام نقيض للحرية؟**

حرية الإبداع ضرورة للمبدع حتى لا يقيد خياله أو تكبل أفكاره، ولكن ما مدى استخدام هذه الحرية؟ وهل هي مطلقة أم لها ضوابط؟ في تقديري أن «حرية الإبداع» عند هؤلاء الحداثيين ودعاة التحرر كلمة حق يراد بها باطل! ففي اعتقادي أنه لا يمكن أن توجد حرية مطلقة، لأنها بذلك ستصبح فوضى مطلقة، فكل مجتمع له قوانين وأعراف تحكمه، ولا يجوز تخطيها أو تجاوزها بحال من الأحوال، ولنعلم أن الأديب أو المبدع لابد أن يعلم أنه صاحب قضية، وصاحب رسالة تجاه نفسه ومجتمعه، فلابد أن يكون قدوة لأمته بما وهبه الله من موهبة، وحباه بقدرة على التعبير والابتكار، لكي يقود مجتمعه إلى الأفضل والأقوم، لا أن يجرهم إلى مواطن الفساد وبؤر الرذيلة، أو يلقي بهم إلى التهلكة.



استثمار اللغة في البناء المعرفي لعلم مقارنة الأديان.. كيف غاب هذا الوجه؟!



د.خالد فهمي

كان أمرًا عجيبا أن تغيب أو تكاد دراسات استثمار اللغة وما قامت به من أثر جبار في دعم بناء واحد من أمس العلوم رحما بالدعوة الإسلامية بمعناها الواسع، ألا وهو علم مقارنة الأديان.

كان عجيبا أن يغيب هذا الوجه في غالب دراسات هذا العلم في العصر الحديث مع ظهوره واستعلانه في أدبيات هذا العلم عند مؤسسيه من عباقرة الإسلام الأوائل من مثل ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) وأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وغيرهما.

صحيح أن مداخل أخرى مهمة تجلت في أدبيات هذا العلم في العصر الحديث وتنامت أشكال العناية بها.

انشغل أهل العلم في هذا الباب ببيان مراحل نشأته وتطوره، وكان مما ظهر النص على أن ابتكار هذا العلم من مفاخر المسلمين على حد تعبير د.أحمد شلبي- رحمه الله- في كتابه: مقارنة الأديان والاستشراق (ص١٠).

وقد كان من شأن هذا المدخل الكشف عن موقفين متوازيين من النظر الإسلامي للملل الأخرى يسيران جنبا إلى جنب في غير تعارض ولا تناقض، كان أولهما نظريا يهدف إلى تأسيس الإيمان الإسلامي في قلوب من آمن بالإسلام عن طريق استجماع الأدلة المفضية إلى الحكم بأن الإسلام هو الدين الحق، وهو الدين الخاتم، وهو الدين الوريث، وهو الدين المهيمن على غيره، وهو من هذا المنظور الدين الذي لا دين سواه على ما جاء وصرح به الذكر الحكيم في غير موضع من مثل قوله تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩) ومن مثل قوله جل وعلا ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ (آل عمران: ٨٥).

وكان آخر الموقفين عمليا وواقعياً مبدأ حاكما عاما تمثل في كفالة الحريات العامة والخاصة وعلى رأسها حرية الاعتقاد، وهو المتمثل في الاعتراف بالوجود لغير المسلمين ممن عرفوا تاريخيا تحت اسم جامع هو أهل الذمة، وهذان الجانبان العلمي (النظري) والعملي (الواقعي) غير متناقضين؛ ذلك أن تأسيس الإيمان في قلوب من اختار الإسلام شيء، وترك الآخر وما اختاره لنفسه شيء آخر.

صحيح أن ثمة حوارا ممكنا حول كثير من نقاط الخلاف المعرفية والعقدية ربما تفرضه طبيعة الحوار بين المسلمين وغيرهم في البقعة الواحدة، وهذا الممكن هو بعض الذي رشح ظهور علم مقارنة الأديان بدعم قرآني واضح في قوله تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ والنهي هنا متوجه إلى طريقة المجادلة، وهو بعض ما يثبت قاعدة المجادلة ولا ينفيها.

المدخل المنهجي

وفي هذا السياق انشغل أئمة هذا العلم حديثا، وبعض هذا الانشغال تأسيس على ما تواردعليه أئمته قديما- فظهرت العناية بالأصول المنهجية التي يلزم السير في طريقها، وتكاد أن تكون مباحث المنهج والمصادر هي المهيمنة على إرشادات هذا المدخل، بحيث يهتم هذا المدخل ببيان أنواع المناهج والمعالجات بشكل يجعل الموضوع المفرد هو عصب الموضوع مشكل الدراسة، بمعنى أنه من الممكن مثلا إفراد موضوع كرؤية الأديان المختلفة لموضوع «الله» والخروج بنتائج تضع الأمور في نصابها إنصافا لما يستحق الإنصاف من أفكار الملل المختلفة بإزائه من مثل ما صنع العقاد مثلا، أو من مثل ما صنع موريس بوكاي عندما أفرد للعلم مؤلفه المهم بالدراسة في الأديان الثلاثة عبر كتبها المعروفة، الأمر الذي قاده إلى إقرار التميز اللانهائي للنص القرآني العزيز من حيث أصالة مصدره، ومن حيث أصالة تفرده، ومن حيث بقائه مصانا محفوظا، ومن حيث كونه الكتاب الوحيد الذي يعلن عن علم الله سبحانه من غير تدخل بشري!

وقد أفاضت أدبيات هذا العلم نظريا وتطبيقيا قديما وحديثا في إلزام المقارنين بضرورة العودة إلى المصادر الأصيلة لأديان محل المقارنة والدراسة وهو أمر- وإن بدا بديهيا وطبيعيا- يلزم النص عليه وتأكيده.

وليس هذا الوجه هو الوجه الوحيد الممكن في دراسات الأديان المقارنة وإن كان أجداها وأكثرها ملاءمة للذائقة العلمية المعاصرة.

المدخل الموضوعي (العلمي)

وهو عصب هذا العلم الإسلامي الفريد الذي تجلت في كل أدبياته عبر تاريخ المسلمين قديما وجديدا مجموعة من غاياته المهمة يمكن إجمال بعضها فيما يلي:

١- الغاية الدينية، وتتمثل في بيان الحق الذي انحرفت



به أيد بشرية بسبب من عوامل كثيرة في مناطق مختلفة من ديانات العالم، وهو الأمر الذي أثبتت نتائجه التفوق الظاهر لدين الإسلام باعتباره الدين الخاتم الحق المصون بالقدرة الإلهية، وهي غاية تعريفية دعوية من جانب ودفاعية جهادية بسلام العلم من جانب آخر.

٢- الغاية الهدائية: وتكشف هذه الغاية في استثمار نتائج الغاية السابقة بمعنى أنه ترتب على إثبات كون الدين الإسلامي هو كلمة الله العليا المصونة من التحريف، والفساد أمر مهم جدا هو تفتح عدد من القلوب والعقول على هذه النتيجة فقادت خطاها نحو طريق الإقبال على الله، والإيمان به وفق المنظور الإسلامي، وهو المشهد المتكرر في حياة العقيدة الإسلامية إلى الآن.

٣- الغاية العلمية: وقد تجلت هذه الغاية في التطوير الذي استمر في داخل أروقة هذا العلم في الحواضر الإسلامية المختلفة، وهو بعض ما قاد إلى تنوع في الموضوعات المدروسة تبعا لاختلاف الأقاليم، حيث ظهرت في العراق والشام مثلا دراسات تتعلق بمقارنة الملل والفرق بالإسلام وبيان ما في أفكارها من تهافت وانحراف، على حين تجلت دراسات علم مقارنة الأديان في الأندلس على يد ابن حزم مثلا في عنايتها بمقارنة اليهودية والرد عليها في ضوء المعرفة الإسلامية.



٤- الغاية الحضارية: كان من أهم دراسات علم الأديان المقارن في العصر الحديث الكشف عن وجه حضاري مائز في البيئة الإسلامية تمثل في القدرة الظاهرة للمعرفة الإسلامية على إنتاج علوم لم يكن للعالم سبق عهد بها، وهو الأمر الذي يدل على مثال له علم الأديان المقارن، وهو ما قاد كثيرًا من دارسي الحضارات في الشرق والغرب إلى الاعتراف بأن هذا العلم واحد من مبتكرات العقل الإسلامي في اهتدائه بالنسق القرآني.

وثمة غايات أخرى يمكن أن تنضاف إلى ما سبق مع حسن العناية بمقررات هذا العلم في الأكاديميات المختلفة عالميا تسهم في تقدم علوم كثيرة، ولاسيما في مجالات دراسة ثقافات الشعوب، وولاءاتها، وتوجهاتها وفي مجالات دراسة العلاقات الخارجية بين الدول، وفي دراسات التفاوض السياسي، وفي دراسات التجارة الخارجية، وحوارات الحضارات وغيرها.

المدخل اللغوي

في هذا المضمار استثمرت أدبيات هذا العلم صنوفا متنوعة من المعرفة المنتمية لتخصصات مختلفة كان أكثرها بروزا، ولاشك، العلوم التالية:

١- العلوم الشرعية، ولاسيما ما تعلق منها بالقرآن الكريم بما هو المصدر الأصيل الذي انبنت عليه هذه الشريعة الإسلامية السمحة بحيث صارت المعرفة بالتفسير وبعلومه المحيطة به أمرًا أكثر من واجب!

وقد كان لعلم الاعتقاد (العقيدة) في مناهجه وأطواره المختلفة أثر مهم في تطوير علم مقارنة الأديان بشكل حاسم وفائق في الوقت نفسه.

ينضاف إلى ذلك إسهامات علم الحديث النبوي الشريف (الرواية) وهو المتمثل في المدونات النصوصية الشارحة والمفصلة لما ورد في الكتاب العزيز، أو الدراسة المتمثلة في المعرفة التفصيلية بأحوال النصوص صحة وضعفا وبأحوال الرواة كذلك.

٢- العلوم العقلية المتمثلة في استثمار عدد من إسهامات علوم من مثل الفلسفة والمنطق والرياضيات في بيان ما انطوت عليه كثير من الأديان السابقة في مواجهة الإسلام من تناقضات واضطرابات واختلافات، ولعل من أكثر العلوم إسهاما في بناء صرح هذا العلم ما نراه من إسهام علوم المنطق والفلسفة والجدل والمناظرة، وفرع النقد الخارجي من علوم التاريخ والطبقات والرجال؛ ذلك أن مبحثا مهما جدا من مباحث علم الأديان المقارن انصب على بيان ما امتاز به القرآن الكريم في مواجهة غيره من كتب الملل السابقة فيما يتعلق بطريق وصوله إلينا، وهو الأمر المفقود في وصول الكتب السابقة إلى الناس بطريق غير موصول بمن تنزلت عليهم.

وقد تبدت بعد هذين النوعين من العلوم إسهامات غاية في الأهمية للمعرفة اللغوية يصح أن نقرر في ضوئها أن كثيرا من تماسك هذا العلم كان سيتعرض للخطر الحقيقي لو لم تظهر اللغة بإسهاماتها المختلفة في أجوائه.

وبالإمكان أن نقرر أن المعرفة اللغوية تجلت تجليا واضحا عبر مستويات أساسية كان أثرها الفاعل في تشكيل بناء هذا العلم، ويمكن اختصارها في المحاور التالية:

أ- مستوى المعجم (إسهام



المعرفة بالمعجم في خدمة علم الأديان المقارن)

ب- مستوى النحو (إسهام المعرفة بالنحو في خدمة علم الأديان المقارن) وفي فحص أثر هذين المحورين بما أمدّاه لهذا العلم من معارف يظهر أثر غير منكور لهما في بناء هيكله وتشكيل صرحه.

ومن الأمثلة الواضحة لاستثمار المعرفة بالمعجم (متن اللغة) في دراسات علم الأديان المقارن ما يواجهنا به ابن حزم في رسالة «الرد على ابن النغريلة اليهودي» (ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق د.إحسان عباس- رحمه الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ببيروت ١٩٨١م ٣-٤٣): من أن اللجوء إلى بادي الألفاظ قبل تطلب وجوه التأويل قد يكون طريقا حاسما في بيان الأخطاء الكثيرة في كثير من الاتهامات التي وجهها هذا اليهودي إلى القرآن الكريم.

وفي اتجاه آخر يكشف ابن حزم- رحمه الله- عن الأهمية القصوى للمعرفة النحوية في بناء علم مقارنة الأديان، فيقرر في الرد على ابن النغريلة الذي يدعي أن محمدًا- صلى الله عليه وسلم- كان في شك من أمره اعتمادًا على حمل إن في قوله تعالى ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك﴾ (يونس: ٩٤) فيقول (٣/٥٣) «كان يلزم هذا... ألا يتكلم في لغة لا يحسنها... وليعلم أن إن في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط... وإنما معنى إن هاهنا الجحد فهي هنا بمعنى «ما» وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية»!

ويتضح من هذا المثال كيف أن استثمار المعرفة اللسانية أو اللغوية هي الباب أو المفتتح الأول الواجب استثماره في دراسات الأديان المقارنة، وبيان انحرافات أهل الملل والنحل والفرق في قياس أفكارها المدعومة بتأويلات أهلها للنصوص القرآنية، وفي هذا السياق تقترح الورقة مما تبدى من عناية مؤلفات الأديان المقارنة والردود على أهل الملل في التراث الإسلامي- ما يلي:

- ضرورة صناعة معجم يرصد الدلالات التي وضعها أهل هذه الفرق والملل والديانات بإزاء عدد ضخم من المفردات حتى صح أن نقرر أن لأهل هذه الاتجاهات معجما خاصا، وهو ما يدعونا إلى جمع مادته وتحريره وتوثيق نقوله، وفيما يلي نموذج مصغر لبعض مادة هذا المعجم المقترح مستخرج من كتاب فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، مرتبة هجائية على منطوقها:

■ التلبية = إجابة الداعي إلى مذهبهم.

■ الجنابة = مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل وصوله إلى مرتبة استحقاقه لهذا.

الإسلام هو الدين المصحح لمسيرة الحياة الإنسانية في سعيها على هذه الأرض

■ الزنا = إلقاء نطفة العلم الباطنة في نفس من لم يسبق معه عقد العهد.

■ الصيام = الإمساك عن كشف الأسرار.

■ الطهور = التنظف من كل معتقد سوى معتقدات الباطنية.

■ الغسل = تجديد العهد على من أفشى سرًا إلى من لا يستحقه.

وتأمل هذه المفردات التي وُضعت لها معان خاصة في أدبيات قطاع كبير من مؤلفات الملل والنحل والأديان الأخرى قائد إلى استنباط الغايات الصريحة من ورائها وهي إسقاط التشريع، وإسقاط التكاليف، والتحرر من كل قوانين الشريعة، وإشاعة الانحلال الأخلاقي، هذا جانب، ومن جانب آخر فإن كشف ما أصاب هذه الدلالات من تحريف وفساد لن يتم إلا بمعرفة عميقة بتاريخ المعجمية العربية قبل الإسلام وفي ظلاله الكريمة.

واستمداد معلومات المعجمية واستثمارها في هذا التراث أمر ظاهر فاش في أدبياته المختلفة وهو ما نرى مثالا واضحا عليه في الملل والنحل للشهرستاني وهو يتتبع تاريخ تطور كلمتي (الأب/ الابن) في اعتقاد النصرانية حيث بيّن أن الكلمتين كانتا تستعملان استعمالا مجازيا، أي على غير الحقيقة، يقول (٢٣٧) «وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح... ولعل ذلك من مجاز اللغة، كما يقال لطلاب الدنيا: أبناء الدنيا، ولطلاب الآخرة: أبناء الآخرة». وظل هذا المعنى مستقرا حتى المؤتمر الذي تزعمه آريوس.

وفي هذا الذي نقلته دليل على العناية البالغة بمعلومات المعجم إلى حد مثير للدهشة والإعجاب معًا.

وقد استمر أمر استثمار المعرفة اللغوية في غير ما مستوى حتى العصر الحديث على ما نرى من اللجوء إلى دراسات تتعلق بمبحث العلم الإنساني فيما فعله مونتي مثلا في إثبات مصرية العلم النبوي موسى على ما نقل موريس بوكاي في كتابه الشهير عن العلم في الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والإنجيل.

وفحص هذا المنجز المعرفي في هذا الباب المهم جدًا من أبواب العلم ولاسيما في هذا العصر النكد الذي يتهم فيه الإسلام في غير موطن من مواطن العالم قائد إلى الكشف عن جهد ضخم، وعن معلومات لغوية تتعلق بالمعجم والدلالة، وبالصرف وبالأبنية ودلالاتها وخصائصها وبالتراكيب وبوظائف المواقع النحوية المختلفة وخصائص الأساليب اللغوية- أسهمت في بيان أن القرآن هو كلمة الله العليا، وأنه كلمة الحق، وأن الإسلام هو دينه الخاتم المهيمن الوارث المصحح لمسيرة الحياة الإنسانية في سعيها على هذه الأرض مهتدية بمنهج السماء.



الكرة فنون.. وحبها جنون

(قصة واقعية)

د. محمد عبدالهادي

أسرة عبدالرازق وأسرة صالح أسرتان متحابتان تسكنان شقتين متقابلتين في إحدى العمارات.. إن غاب عبدالرازق سأل عنه صالح، وإن مرض صالح أو أحد أفراد أسرته أسرع عبدالرازق لعيادته، وإن استعان عبدالرازق بصالح كان خير معين.

الأسرتان تتزاوران وتتناولان أخبار المجتمع، وهما عضوان في ناد اجتماعي ثقافي واحد، والأسرتان تشجعان نادي «...» لكرة القدم.

وفي أحد أيام الصيف كانت هناك مباراة بين ناديهم ونادي «وست هام» الإنجليزي، وقد استضافت أسرة صالح أسرة عبدالرازق التي حضرت بكل أفرادها، ما عدا الابن الأصغر عبدالله (٦ سنوات) الذي كان يستمتع بالاستحمام في «البانيو» في ذلك الوقت، وقد طلبت زوجة عبدالرازق من الخادمة أن تظل في الشقة حتى ينتهي عبدالله من الاستحمام ويرتدي ملابسه وتحضره إلى شقة أسرة صالح خلال ربع الساعة.

بدأت المباراة، وكان كل أفراد الأسرتين سعداء بمشاهدة ناديهم ورشاقة لاعبيه وسرعتهم في الأداء، ومما زاد في سعادة الأسرتين إحراز ناديهم هدفا على النادي الإنجليزي خلال عشرين دقيقة، وبعد أقل من نصف ساعة سجل النادي الهدف الثاني، وعلى الفور قامت زوجة عبدالرازق بعد انشغالها بنشوة الانتصار لإحضار عبدالله بنفسها ليشاهد هذه المباراة الساخنة، فقد كان رغم صغر سنه شغوفا بكرة القدم.



دقت أم عبدالله الباب بيدها مرة واحدة ثم فتحت الباب بالمفتاح فوجدت الخادمة جالسة على «الكنبة» ولكنها نائمة، فتوجهت مباشرة إلى الحمام، وفجأة صدرت منها صرخة مدوية سمعها كل سكان العمارة والعمارة المجاورة، ولكن، للأسف، كان الجميع في شغل شاغل بمباراة الكرة، وأسرع عبدالرازق وبناته الثلاث، وأسرة صالح بكل أفرادها، وأسقط في يد الجميع عندما وجدوا عبدالله في «البانيو» جثة لا حراك لها، فقد مات غريقا، وعلى جبهته ورم من أثر ارتطام، وكانت الأم مغمى عليها وممددة على الأرض.

أسرع الجميع لاستخراج الماء من جوف الغريق، وحضر طبيب الصحة الذي قرر أنه مات غريقا عقب دوار حدث له من جراء ارتطام رأسه بحافة «البانيو» فوقع عقب الدوار في «البانيو» وفارق الحياة غريقا.

وأمام وكيل النيابة، أخذت أقوال الخادمة التي قالت إنها كانت في انتظار عبدالله حتى يخرج من الحمام، ولكنها من فرط التعب نامت ولم تصح إلا على صرخة مخدومتها (أم عبدالله).

وسأل وكيل النيابة أبا عبدالله (عبدالرازق): هل كان عبدالله معتادا القفز من فوق حافة «البانيو»؟ فقال نعم، وكان دائما يسر بالقفز في داخل «البانيو» وكانت أمه تنصحه بتجنب الارتطام «بالبانيو».

ووجه وكيل النيابة السؤال الآتي لأم عبدالله: ما ظروف غرق ابنك؟ فقالت: ابني لم يغرق! ابني عبدالله فرحه يوم الخميس القادم.. وسيتزوج بنت خالته.. بنت أختي.. ووالده حاجز له صالة الزفاف منذ أسبوعين.

عند سماع كلام أم عبدالله أمر وكيل النيابة بإحالتها إلى مستشفى الأمراض العقلية التي قررت حجزها إلى أجل غير مسمى.



لغة وأدب

الشعراء الأجواد

أحمد إبراهيم المحمد ◆

اعتاد الناس أن يسمعوا أو يقرأوا أخبار الشعراء، وهم يتكسبون بشعرهم، فيمدحون ويقدحون، طمعًا في العطاء، وتشوقًا للجوائز، فأردت أن أحدثكم اليوم عن شاعر جواد سمح اليدين، لا ينتظر عطاء أحد، بل ينتظر الناس عطاءه، إنه الشاعر الكريم الجواد حاتم الطائي، وهل يجهل عربي حاتمًا؟ سأحدثكم عن حياته وأسرته، وعن جوده وسماحته، وأذكر عصره و نماذج من شعره، قبل أن أختم بذكر وفاته.

حياته

هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج من طيئ، وأمه غنية، وقيل: عتبة بنت عفيف من طيىء.

وينتسب حاتم إلى قبيلة طيىء القحطانية، والتي نزلت- بعد هجرتها من أرض اليمن-جبلي أجأ وسلمى، ثم توزعت بعد ذلك في مناطق كثيرة.

ولا يوجد تاريخ مؤكد لولادته، لكن بعض المحققين رجح أن يكون ميلاد حاتم في أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادي (حوالي ٥٤٤م)، وذلك من خلال متابعة الحوادث التي مرت به، أو أشار إليها في شعره.

وتتكون أسرة حاتم من زوجتيه: ماوية، والنوار، وأولاده: سفانة، وعدي، وعبدالله، وهناك أخبار تفيد بزواجه من امرأة أخرى سواهما، ووجود ولد رابع له، واختلفت الروايات في أم أولاده من تكون؟ والراجح أن أم أولاده هي النوار لا ماوية.

و ماوية بنت حجر بن النعمان الغساني، وفي روايات أخرى هي ماوية بنت عفزر، كانت ملكةً في الحيرة من أرض العراق.

وبنت ثرملة بن برعل البحترية، من أحد بطون طيئ، وامرأةٌ نوار أي: نافرةٌ من الشر عفيفةٌ، ولقد ورد ذكرها في شعر حاتم حين قال:

مهلًا- نوار- أقلي اللوم والعذلا
ولا تقولي لشيء فات ما فعلا

عدي بن حاتم

صحابي جليل أسلم سنة تسع وقيل: سنة عشر للهجرة، وشهد فتح العراق، ثم



◆ إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



سكن الكوفة، وهو من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام رضي الله عنه.

سفانة

أسلمت قبل أخيها عدي وحسن إسلامها، وأتي بها إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي مَنّ الله عليك.

عبد الله بن حاتم

قال د.عادل سليمان جمال-وهو من أنبغ تلاميذ العلامة محمود شاكر-في دراسته لديوان حاتم عند الحديث عن أولاد حاتم: «أما عبد الله بن حاتم، فلم أجد عنه شيئًا ذا غناء، ولعله لم يدرك الإسلام».

لكنني وجدت خلال بحثي عنه شيئًا جديرًا بالذكر، فقد جاء في تاريخ دمشق:«عبدالله بن حاتم الطائي ذكر أنه كان أميرًا على طيئ ولخم وجذام في الجيش الذي توجه من دمشق مَع مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية».

وذكروا أن لا عقب لحاتم إلا من قبل ابنه عبدالله بن حاتم فقط.

جوده وسماحته

سارت بذكر كرم حاتم الركبان، وضربت في سخائه الأمثال، فقالت العرب:«أجود من حاتم».

وَقالوا عنه : كان جوادًا شجاعًا شاعرًا مظفرًا إذا قاتل غلب، وإذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق، وإذا أثرى أنفق.

وذكروا أنه ممن انتهى إليهم الجود في الجاهلية، وأنه كان إذا اشتد البرد، أمر غلامه يسارًا، فأوقد نارًا في بقاع من الأرض، لينظر إليها من ضل عن الطريق، وفي ذلك يقول:

أوقد فإن الليل ليلٌ قر
والريح يا موقد ريحٌ صر
عسى يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفًا فأنت حر

وذكروا أنه لم يك يمسك غير سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه في سنة أزمة.

سارت بذكر حاتم الطائي الركبان وضربت في سخائه الأمثال

عصره

عاش حاتم في الفترة التي سبقت البعثة، وهو ما اصطلح على تسميته بالعصر الجاهلي، ويمتد هذا العصر لقرن ونصف قبل البعثة، ويعتبر النقاد الشعر ًالجاهلي من أقوى الشعر وأجزله.

شعره

الكلام عن شعر حاتم يتناول:

أ- سماته

تنطبق على شعره السمات العامة للشعر الجاهلي، من وضوح المعاني، والبعد عن التعقيد، واستخدام رقيق الألفاظ في الغزل، والخشن منها في الحماسة، واستعمال الصور والتشبيهات والكنايات، وهذا مثال على الوضوح من شعر حاتم، وهو قوله :

يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصد
وما كنت، لولا ما تقولون، سيدًا

ومثال رقته في الغزل قوله:

يضيء لها البيت الظليل خصاصه
إذا هي ليلًا حاولت أن تبسما

وخصاصه: نوافذه، والمعنى أن البيت معتم،

وأما قوته في الحماسة فتظهر في قوله:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

واستخدم للكناية عن الكرم عدم نباح كلابه على الأضياف حين قال:

وإن كلابي قد أقرت وعودت
قليل، على من يعتريني، هريرها

ونهج في شعره نهج شعراء الجاهلية، فابتدأ بعض قصائده بالغزل والوقوف على الأطلال فقال:

لم ينسني أطلال ماوية ناسي
ولا أكثر الماضي الذي مثله ينسي

ثم يأتي على وصف الناقة أو الفرس قبل الانتقال إلى الغرض الأساسي.

ب- أغراضه

تطرق حاتم في شعره للأغراض التي كان يتغنى بها شعراء الجاهلية كالفخر، والمديح، والحماسة، والوصف، والهجاء، والغزل، والاعتذار، وبدا الفخر بالجود وذم البخل، والاعتذار لكل من يلومه على جوده غرضًا واضحًا كل الوضوح في أشعاره، سواء أكان العذال من خاصته كزوجته-وهو الغالب-أو من عامة الناس.

ج- أشهر أشعاره

لحاتم أبيات ذائعة تدل على نبله وحكمته، سأختار منها قوله:

وإنك مهما تعط بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقوله:

يرى البخيل سبيل المال واحدةً
إن الجواد يرى في ماله سبلا
يسعى الفتى وحمام الموت يدركه
وكل يومٍ يدني للفتى الأجلا

وقوله:

فنفسك أكرمها، فإنك إن تهن
عليك، فلن تلقى لك الدهر مكرما

د- رأي النقاد في شعره

اعتبر نقاد الشعر حاتمًا من شعراء الجاهلية المجيدين، فقال ابن الأعرابي:«كان حاتم من شعراء العرب، وكان جوادًا يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله» .

وجاء في كتاب الشعر والشعراء:«حاتم بن عبدالله...كان جوادًا شاعرًا جيد الشعر»

وفاته

حاول المؤرخون ضبط تاريخ وفاته، وتحديد مكان قبره، وخلص المحققون إلى أنه مات بعد مولد النبي ﷺ وقبل البعثة، قال الزركلي: وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ.

أقول: وذكروا أماكن عدة لقبره منها: أظايف، وتنغة، وتوارن، وعوارض، وكلها تقع في منطقة حائل شمال غرب المملكة.

«ماذا قدم المسلمون للعالم».. تحفة تاريخية

منير أديب

قدم المسلمون صورة ناضجة للعالم من خلال نضج مبادئهم وأفكارهم ومعتقداتهم في الوقت الذي أطلق فيه الغربيون مبادئهم التي استقوها من الطبيعة والتي ترى أن الحضارة هدف في حد ذاته، وبالتالي لابد من بنائها حتى وإن كان ذلك على جماجم البشر والأقوام الأخرى.

المفكر الإسلامي د.راغب السرجاني يقدم كتاب «ماذا قدم المسلمون للعالم» الحاصل على جائزة مبارك في الدراسات الإسلامية أخيرا، والذي بدأ به طرحه الجديد حول عدم إمكانية استيعاب ما وصلت إليه البشرية من تَقدُّم في أي مجال من مجالات الحياة إلا بدراسة الحضارة الإسلامية، متسائلا: ماذا عسانا فاعلين بعد هذه المعرفة؟

يقع كتاب «ماذا قدم المسلمون للعالم» في ٨٤٧ صفحة من القطع الكبير.
الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة - مصر
الطبعة: الأولى مايو ٢٠٠٩م. جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

يأتي الباب الأول بعنوان «الحضارة الإسلامية بين الحضارات السابقة» وفيه يستعرض المؤلف بإيجاز - الفصل الأول- ما وصلت إليه حضارات اليونان والهند وفارس والروم، وكذلك حال العرب قبل الإسلام، وهي تلك الأحوال التي يلخصها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» (رواه مسلم).

روافد الحضارة الإسلامية

ويأتي الفصل الثاني متحدثا عن «أصول وروافد الحضارة الإسلامية»، حيث يقول بأن التميز الذي يجعل حضارة الإسلام تختلف عن غيرها من الحضارات ثلاثة أشياء:

الأول: تأسُّسها على القرآن والسنّة، حيث منهما انطلقت ومنهما انبثقت التصورات والأفكار، وكذلك النظم والمناهج والأعراف وطريقة الحياة. والثاني: هو أن الشعوب الإسلامية كانت مزيجا فريدا من كل الأعراق والألوان والأجناس، بما جعل الحضارة الإسلامية كمصبٍّ كبير وضعت فيه كل تلك الشعوب خلاصتها وخبراتها ورحيق حضاراتها بعد أن تهذبت بالإسلام.

والثالث: هو الانفتاح على جميع الحضارات والأخذ منها دون تأنف أو تكبر أو استغناء، بما جعل الأمر لا يستغرق وقتا طويلا حتى تتم ترجمة الكتب والموسوعات العلمية من لغاتها الأصلية إلى العربية، بما جعل «عاصمة الإسلام» بعد بضعة أجيال هي عاصمة العلم والثقافة العالمية بلا منافس.

الحضارة الغربية تركت العنان لطبيعتها السافرة وسارت على جماجم البشر

ثم يتحدث الفصل الثالث عن خصائص الحضارة الإسلامية، ويراها المؤلف في أربعة أمور:

أولها: العالمية، إذ إن رسالة الإسلام لا تفرق بين جنس وجنس ولا بين عرق وعرق ولا تتوقف عند حدود، بل تتأسس على أن الإنسان هو خير المخلوقات على هذه الأرض، وأن جميع الكون مسخّر له، وأن مصلحته ورفاهيته هي غاية الشريعة. ومن هذا المنطلق كانت المساواة بين البشر أساسا معلنا منذ أول يوم.

وثانيها: الوحدانية، تلك الخصيصة التي سمت بالإنسان فوق عبادة أي شيء، وفوق الخوف من أي شيء، بل ليعرف أن كل شيء في هذا الكون مسخّر له هو، وبوقوف حضارة الإسلام على مبدأ التوحيد تحققت المساواة بين البشر بشكل عملي.

وثالثها: التوازن والوسطية، بين الروح والجسد، بين علوم الشرع وعلوم الحياة، بين الدنيا والآخرة، بين المثالية والواقعية، بين الحقوق والواجبات.

ورابعها: أن خصائص حضارة الإسلام هي: الصبغة الأخلاقية، فالأخلاق هي غاية الرسالة، كما قال -صلى الله عليه وسلم- «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ» (صححه الألباني)، وهكذا روعي الجانب الأخلاقي في العلم والحكم والتشريع بل حتى في الحرب وضع الإسلام «أخلاق الحروب».

إسهامات المسلمين

يناقش الباب الثاني من الكتاب «إسهامات المسلمين في مجال الأخلاق والقيم»، وذلك من خلال خمسة فصول «الحقوق - الواجبات - الأسرة - المجتمع - العلاقات الدولية».

وقد غاص المؤلف مستعرضا بما أمكنه من إيجاز غير مخل فيما شرعه الإسلام من حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وحقوق الخدم والعُمَّال، وحقوق المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، وحقوق اليتامى والمساكين والأرامل، وحقوق الأقليات، وحقوق الحيوان، وحقوق البيئة، في فصل يثبت القفزة الهائلة وغير المسبوقة بل وغير الملحوقة التي أتت بها شريعة الإسلام.

حصن المجتمع

وفي فصل الأسرة يركز المؤلف على أن الأسرة «حصن هذا المجتمع وقلعته وصمام أمنه وأمانه»، ولهذا اهتم الإسلام بها حيث شرع الزواج وجعله الأصل، وأعلن أن لا رهبانية في الإسلام، واهتم بعقد الزواج وأوصى الزوجين بحسن الاختيار، وجعل لكل منهما على الآخر حقوقا وواجبات، ثم جعل عليهما حقوقا نحو الأبناء منذ تسمية الله قبل اجتماعهما في الفراش، مرورا

المؤلف يعرّف الحضارة بقدرة الإنسان على إقامة علاقة سوية مع ربه ومع البشر والبيئة التي تحوي الثروات

بحمله إذ يصبح حينئذ كائنا له حق الحياة ولا يجوز إجهاضه، وولادته والاستبشار به وتحنيكه والأذان في أذنه، وإحسان تسميته، وإعطائه حقه من الرضاعة الطبيعية.

وفي جانب المجتمع أقام الإسلام مجتمعا يرتكز على أربع ركائز: المؤاخاة، والتكافل، والعدل، والرحمة. وفي الفصل الخامس والأخير الذي يتحدث عن الإسهام الأخلاقي من خلال العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية وغيرها، يركز المؤلف على أن السلام هو الأصل بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، وبالتالي «فالمعاهدات تكون إمَّا لإنهاء حربٍ عارضة والعود إلى حال السلمِ الدائم، أو إنها تقرير للسلم وتثبيت لدعائمه».

المؤسسة العلمية في الإسلام

الباب الثالث عن المؤسسة العلمية في الإسلام، وهو خمسة فصول:

الأول عن الرؤية الجديدة التي أتى بها الإسلام بشأن العلم، حيث لا نزاع ولا مشكلة بالأساس بين العلم والدين، وحيث أصبحت قضية العلم عامة لكل الناس، وطلبه فريضة على كل المسلمين، وبهذا تطورت الحركة العلمية بعد اكتسابها القوة الشعبية لتكثر المكتبات وتتكاثر وتتضخم حلقات العلم في المجتمع الإسلامي.

والفصل الثاني عن التغيير الإسلامي لتفكير العلماء، إذ بدأ في الحضارة الإسلامية استخدام المنهج العلمي التجريبي، وتطور العلم ليكون عمليا يخدم واقع الحياة ويبتعد عن القضايا غير ذات الصلة بالفائدة الفعلية.

والفصل الثالث كان حديثا عن المؤسسة التعليمية الإسلامية، والتي تبدأ بالكتاتيب التي تشبه في عصرنا الآن المدارس الابتدائية، وفي المرحلة الثانية كانت حلقات المساجد هي أبرز قطاعات المؤسسة التعليمية الإسلامية، ثم وبعد أن غصت المساجد بحلقات العلم بدأ إنشاء المدارس التي يُنفق عليها من أموال الأوقاف، فمنذ القرن الرابع الهجري وُجدت المدارس الكبرى في الحضارة الإسلامية.

وفي الفصل الرابع يتحدث المؤلف عن المكتبات في الحضارة الإسلامية وأنواعها، ثم يركز الحديث على مكتبة بغداد التي اعتبرها «جامعة إسلامية متطورة»، وفي الفصل الخامس تابع حياة العلماء، منذ تنشئة العالم، ثم المكانة التي كانت للعلماء في الدولة الإسلامية، ثم ابتكار فكرة «الإجازة»، وهي الشهادة التي تُجيز لطالب العلم في هذا الفن أن يمارسه، فهذه الإجازة هي اختراع إسلامي أضيف للحضارة الإنسانية.

الإسهامات الإسلامية

وفي الباب الرابع جولة مع الإسهامات الإسلامية في علوم الحياة، وهو ينقسم إلى فصلين: الأول عن تطوير العلوم الموجودة مثل الطب والفيزياء والبصريات والهندسة والجغرافيا والفلك، أما الثاني فعن العلوم التي ابتكرها المسلمون، وهي الكيمياء والصيدلة والجيولوجيا والجبر والميكانيكا، وأفرد المؤلف مبحثا لكل علم من هذا وضح فيه الإضافة الإسلامية أو الابتكار الإسلامي وأسماء العلماء الرواد فيه.

وفي الباب الخامس جولة عن الإسهامات الإسلامية في جانب العلوم الإنسانية، وبنفس المنهج في تطوير العلوم الموجودة وهي علم الفلسفة والتاريخ والأدب، ثم الابتكارات الإسلامية لعلوم جديدة مثل علم الاجتماع وعلوم الشريعة «علم أصول الحديث- علم الجرح والتعديل - علم أصول الفقه» وعلوم اللغة «علم النحو - علم العروض - علم المعاجم».

النظم الحضارية في الإسلام

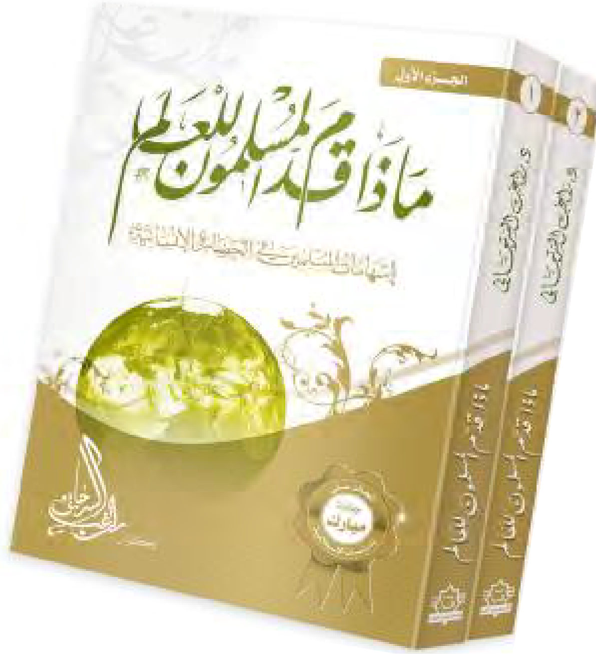
تحدث الباب السادس عن المؤسسات والنظم في الحضارة الإسلامية، فتحدث عن مؤسسة الخلافة والإمارة: شروط الخلافة في الإسلام، وكيفية اختيار الخلفاء، وما هي البيعة وولاية العهد، وكيف كانت علاقة الحاكم بعموم الناس من خلال تعاليم الإسلام.

جمال الحضارة الإسلامية

وفي الباب السابع يكون القارئ مع رحلة ممتعة في باب يتحدث عن الجمال في الحضارة الإسلامية، الجمال فقط، وعبر سبعة فصول يحاول المؤلف لمَّ جوانب الجمال الذي زخرت به حضارة الإسلام..

خاتمة

إن هذا الكتاب يقترب من أن يكون موسوعة كأروع ما يكون في الحضارة الإسلامية، وسيكون موسوعة ضافية إذا توفر على أبوابه وفصوله من يتوسع فيه -وهو المكتنز بالنصوص- بالشرح والتحليل، وإضافة تعليقات العلماء والفقهاء والإكثار من الأمثلة التاريخية لعصور الحضارة الإسلامية.



من فنون القول

التوقيعات

د. رفيق حسن الحليمي

لكلمة وقّع في اللغة عدة معان، يهمنا منها ما يتصل بموضوعنا، ففي اللسان «التوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه، وقيل: أن يجمل الكاتب بين تضاعيف سطور الكتاب مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، وقيل التوقيع: ما يوقع في الكتاب» (١)، ويفهم من هذا التعريف أن القائم بالتوقيع قد يلحق شيئاً في الكتاب (الرسالة) بعد الانتهاء من الكتابة، وقد يجمل (يوجز) القصد من الكتاب، وقد يحذف ما يراه من الزيادات، وفي المعجم الوسيط: وقع العقد أو الصك: «كتب في أسفله اسمه إمضاء له أو إقرارا به» (٢)، وفي المنجد: وقع العهد أو الفرمان رسم عليه طغراء السلطان (٣).

ويستنتج مما سبق أن التوقيع يأتي عادة بعد الانتهاء من الكتابة بإضافة شيء ما عليها.. فيا ترى ما هذا الشيء الذي يضاف؟ ومن الذي يضيفه؟

ما يضاف قد يكون اسم صاحب الشأن أو إمضاءه أو ختمه أو بصمته بما يدل ويشهد على إقراره بما جاء فيه، وقد يكون بتعديل شيء مما ورد في الكتاب أو بحذف ما يراه غير مناسب فيه، وأما الذي يضيفه فقد يكون الكاتب نفسه، وقد يكون رئيسه إذا كان الكاتب مستكتباً بأجر يتقاضاه مقابل عمله.

المفهوم الأدبي: على الرغم من عدم ورود كلمة «التوقيعات» بلفظها الجمعي ولا بمفهومها الأدبي في المعاجم القديمة والحديثة - كما رأينا- فهي تظل في دائرة هذا المعنى اللغوي الذي أوردته المعاجم، ولا تخرج عنه في شيء، اللهم إلا في بعض التفاصيل التي آثرتها كتب الأدب ولم تؤثرها كتب اللغة، وأصبح مفهومها بين الأدباء عبارة عن رأي أو تعليق أو تعقيب، يكتبه الحاكم نفسه أو يمليه إملاء- وهذا هو الغالب- على كاتب الديوان تعليقا على ما يعرض عليه من شؤون الدولة ومن شكاوى ومظالم، أو أخبار أو بريد وارد لتوه من الولاة في مختلف أنحاء البلاد (٤)، ثم ترد ثانية إلى الولاة حاملة هذا «التوقيع» بمفهومه الأدبي، بمعنى آخر: حاملة «عبارة مختصرة» هي رأي المسؤول وتعليقه على ما ورد إليه من بريد مكتوب «وهي أشبه بما يسمى اليوم «تأشيرات» المسؤولين (٥)، ومن هنا اكتسب هذا اللون من العبارات اسم التوقيعات، ودخل عالم الكتابة الفنية تحت هذا الاسم.

انتشار التوقيعات

انتشر فن التوقيعات في العصر العباسي- عصر التدوين- انتشارا واسعا فاق ما كان عليه الحال في العصور السابقة، فقد روي بعض من التوقيعات عن حكام ومسؤولين سابقين، وفي العصر العباسي انتشرت الكتابة وتيسر لها من الورق والأدوات والأقلام والوسائل ما تيسر، وظهرت طبقة من الكتاب والوراقين المتخصصين الذين يعمل بعض منهم في ديوان الحكم (الخلافة)، وتحركت المشاعر والمطامح لدى جيل من الشباب والناشئة إلى تبوؤ مكانة مرموقة من خلال فنون الكتابة، وفي أعلاها مكانة صاحب الديوان أو كتاب الديوان، وأخذت مصالح الناس تتشابك وتتعقد في ظل دولة اتسعت رقعتها وتعددت أجناسها وأعراقها وثقافاتها، واتسمت بالتسامح الذي يعد مزية من مزايا الإسلام وهو ما شجع على رفع المظالم والشكاوى الى المسؤولين، اضافة الى ما يستجد من أمور في أنحاء الدولة وأطرافها يحتاج الولاة الى رأي الحكام فيها، وقد دعا ذلك الى ضرورة الرد بما يقتضيه المقام من آراء وأفكار واقترحات وأوامر وتوجيهات في عبارات موجزة قد تطول وقد تقصر، معبرة عن موقف هذا الحاكم أو ذاك لاتخاذ ما يلزم لتنفيذ ما جاء في التوقيع، ولعل ما وصلنا منها لا يمثل الا جزءا يسيرا مما تشير اليه الاخبار في كتب تاريخ الأدب وكتب السير والمغازي والفتوحات.

التوقيعات بين المشافهة والتدوين

ارتبطت التوقيعات أصلا بالكتابة والتدوين، فهي تعد من فنون الرسائل الديوانية القصيرة (٦)، حيث يدون التوقيع أو يكتب في أعقاب الرسائل أو المكاتبات الواردة إلى مقر الحكم، ومن هنا جاءت هذه التسمية، وقد يصادف الباحث كثيراً من العبارات التي تتشابه وتتماثل مع التوقيعات في أسلوبها ومعناها ومبناها من حيث الهدف والغاية، والجرس الموسيقي والايجاز وجودة السبك، غير أن المؤرخين لم يعدوا هذا اللون من الأقوال من فنون التوقيعات لسبب واحد، وهي انها صدرت عن صاحبها مشافهة، ولم تدون في حينها في أعقاب رسالة أو رد مكتوب، من ذلك على سبيل المثال: ما روي أن الرسول ﷺ قال لأبي تميمة الهجمي: إياك والمخيلة، فقال يا رسول الله: نحن قوم عرب، فما المخيلة؟ قال رسول الله ﷺ سبل الإزار (٧)، فقوله: سبل الإزار أقرب الى فن التوقيعات، غير أنها قيلت في حينها مشافهة ولم تدون في أعقاب رسالة، ومن ذلك أيضا ما روي أن رجلا

باحث أكاديمي

ودوائر العمل والدراسة بصفة يومية دون الخوف من العقاب مما أسهم في تفشي هذه الظاهرة على نطاق واسع يهدد كيان المجتمع ومرجعياته الدينية والفكرية، وهكذا يصبح من الأهمية بمكان العمل على مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة بكل جدية من خلال حملات توعية تشارك فيها وسائل الإعلام ومنابر الفكر والمساجد وكذلك المؤسسات الأمنية والقانونية حرصا على مستقبل جيل بأكمله من الشباب والصبية.

ومن المهم أيضا إعداد الخطط الطويلة المدى لتحويل طاقات هؤلاء الشباب والصبية من خلال تفعيل الأنشطة الرياضية والثقافية بالمدارس والجامعات حتى يشعر الشباب أنه قادر على أن يحقق احتياجاته المعيشية وآماله في حياة كريمة من خلال فرص العمل وحقوق السكن والزواج والمشاركة في حاضر وطنه ومستقبله.

وهنا يشار إلى أن الشارع العربي قد تغير كثيرا بفعل الاجتياح الكاسح للقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة والمعاني السامية حتى أصبحت هذه المفردات أو كادت تصبح نسيا منسيا، وبهذا يتحول هذا الشارع إلى غابة تكتسحها السلبيات والسلوكيات الشاذة والهمجية المفرطة بعد أن كانت الأخلاقيات العربية تعني النخوة والشهامة والمودة والتعاطف، وقد حدث هذا التحول بفعل الغزو الفكري الوافد الذي استهدف الإطاحة بقيمنا وأخلاقنا وديننا ومرجعيتنا ليحل محلها الابتذال والسفه والسوقية والتنطع والانحطاط والتوحش والغلظة، وبهذا أصبح الشارع العربي في أحيان كثيرة مرتعا للسفه والابتذال والانحطاط.

ومما يزيد الطين بلة أن الأعمال الفنية من أفلام ومسلسلات دأبت في الآونة الأخيرة على ممارسة هذه الممارسات، فتأصلت بين الناس، وأصبحت من كلماتهم العادية في حديثهم اليومي دون خجل أو حياء، بل إن معظم الأعمال المسرحية والسينمائية لم تعد تخلو من هذه المفردات والإيحاءات والإيماءات الشاذة والخارجة عن حدود الآداب والأخلاق بصورة سافرة، وتفشت بين شباب الجامعات وتلاميذ المدارس.



وقد انحدرت لغة الحوار في الشارع العربي بشكل لافت، وهبطت إلى مستوى سحيق بين الرجال والنساء، والكبار والصغار، ونسمع كل يوم ما يصم آذاننا من مفردات الشتائم والسباب، وأصبحت هذه المفردات هي السائدة في لغة الشارع والحوار والمناقشة، مفردات تجرح الأحاسيس، وتخدش الحياء، تصدر من أناس لا يعرفون العيب، يعف القلم عن كتابتها، واللسان عن ذكرها، والأدهى والأمر أن الأبناء يسمعون هذه المفردات من آبائهم ومدرسيهم.

ولم تقتصر هذه السلوكيات على المفردات وحدها فثمة نماذج من الجرائم المهنية التي تتفاقم حدتها عاما بعد آخر، وهي سلوكيات شائنة لها أبعادها الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية وتأثيراتها الخطيرة على سلامة المجتمع، فقرأنا عن الطبيب الذي يجري عملية لمريض ليس في حاجة إليها، والمهندس الذي يقبل الرشوة لإصدار تصاريح بناء في أرض الدولة، والمحامي الذي يخون موكله ويبيعه لخصمه، والمدرس الذي يجبر تلاميذه على تلقي الدروس الخصوصية، والصحفي الذي يكتب لمصلحة من يدفع له.

إلا أن ما يثير الدهشة هنا هو أن مرتكبي هذه الجرائم والسلوكيات المعيبة لم يعودوا ملفوظين من المجتمع على نحو ما كانت الحال عليه حتى سنوات خلت، وهو ما يتطلب التصدي الحاسم لهذه الجرائم التي تفت من عزيمة الشرفاء، وتشجع المفسدين على تعبئة الناس لنشر الفساد، وهذا الأمر يتطلب إستراتيجية محددة تشترك فيها الجهات الأمنية والإعلامية والتعليمية والثقافية لإعادة الانضباط إلى الشارع العربي، وإطلاق حملة توعية مكثفة ضد القائمين على هذه الجرائم قبل أن تستشري هذه الجرائم وتتحول إلى ظاهرة وكابوس يجثم على صدورنا وينهش قلوبنا، تنشره الصحف وتبثه الفضائيات، فأصبحنا نرى على شاشة التلفزيون سلاسل من البذاءات والحوارات الهابطة، والأقلام المسمومة في الصحف الصفراء، وتحولت هذه الممارسات إلى مرض ينخر في جسد المجتمع تمت ترجمته إلى عمليات اغتصاب وتجارة مخدرات ورشاوى...الخ.

مقامة في الحج

د.محمد هشام طاهري

إنّ السّفر سَبَبٌ للسَّفر، وَظُهور الأخْلاق وَالْمَخْبَر، ويُنتِجُ الظّفَرَ، ويُقَوِّي الشَّكيمَةَ وَالْبأس والخبَرَ، وَيَعْظمُ أثَرُه إذا كان في عِبادَةَ، وَيَجِلُّ خَطْبُه إذا كانَ مع صَحْبَ سَادَة؛ فَعَجِّل بالاسْتِشارَة، وَقَدِّم الاسْتِخارَةَ، وَقَاوِمْ الحرارَةَ، وَبَادِرْ بالزِّيارَة، وَأَسْرِعْ بنيَّةً الحَجِّ، وَلا تُسَوِّفْ بالعَجِّ، واحْمل عَصَا التِّرْحَال، وَبَادِرْ باخْتيَار الصَّحْب في الحَال، وَشُدَّ الرِّحَال، وتَوَجَّهْ إلِى أمِّ الْقرَى، ودَع السُّدَى، وَبَادِرْ قَبْلَ الْمَلا، وَأَظْهِرْ التَّوْبَةَ في الجهرِ والخلا، هَيِّجْ فِي قَلْبِك الْغَرَام، وشَوِّقْهُ لِلْبَيْتِ الحَرَام:

وقلت للائمي أَقْصِرْ فَإِنِّي...سأَخْتارُ «الْمقَامَ» عَلى الْمُقَام

وَأُنفقُ مَا جَمَعْتُ بأَرْضِ جمْعٍ...وَأَسْلُو بِـ«الْحطيم» عنِ الْحُطام

وَسِرْ كَنُجُوم لَيْل، وَجَرْيَة سَيْل، وَوجْهتُك لِلْخَيْرِ جَرْيُ خَيْل، وكُنْ فِي إدْلاجٍ وَتَأْوِيب، وَإِيجَاف وَتَقْرِيب، إلى أنْ تَصِلَ الْمَطايَا الرَّاحِلاَت، إلَى حَيْثُ الْمَوَاقيتُ الْمَكَانيَّات؛ فَأَحْرَمْ بـ«الإحْرَام»، وَتَبَاشَرْ بإدْرَاك الْمَرَام.

يَا مَعْشَرَ الحُجَّاج، الْمُقْبلينَ من الْفجَاج، أَتَدْرُونَ مَا تُواجهُونَ، وَعَلَى مَنْ تَقْدَمُونَ؟ لا تَظنُّوا الحجَّ اخْتِيَارَ الرَّوَاحل، وَقَطعَ الْمَرَاحل، وَاتِّخاذَ الْمَحَامل، وَإِيقَارَ الزَّوَامل! ولا تَخَالُوا النُسْك هُوَ مُفَارَقَةُ الأَوْطَانِ، وَإِنْضَاءُ الأَبْدَان، وَمُفارَقَةُ الْولْدَان!

بَل الحجُّ اجْتنَابُ الخطيّة، وإخلاصُ النّيّة، وَإظهَارُ الطَّاعَة، وَالاهْتمَامُ بإِصْلاح الْمُعَامَلاتَ، وَإحْسَانُ التَّحَوُّلات، وإنَّمَا شُرِعَ «المَناسك»، وَأُرشِدَ السّالِك، غَسْلاً لِلذُّنوبِ، وَتَقَرُّبًا للْمَحْبُوب.

وَلا تُغْنِي لِبْسَةُ الإحْرام، عَنِ الْمُتَلِّبس بالحرامِ، وَانْزَعْ عنْ تَلْبِيسَك، قَبْلَ نَزْع مَلْبُوسك، ولا يُجْدِي لُبْسُ «الإزَار»، مع الإصْرَارِ عَلَى الأوْزَار، وَلا يَنْفَعُ «الرِّدَاءُ»، مَعَ وُجُود الْجفَاء، وَلا تُسْمِنُ «التَّلْبِيَة»، إلا مع طهَارَة الألْسَنة.

أَظْهِرْ مَعَ «الطَّوَاف»، عَظيمَ التَّوْبَة والاسْتعْطَاف، وَفي شِدَّة «الرَّمَل»، زِدْ فِي رجاءِ الأمِل، وَعنْدَ إظْهَار «الاضْطِبَاع»، عَاهِدْ بالْجودِ فِي الْبَاعَ، وَفي مُلامَسَة «الرُّكْنِ الْيَمَانِي»، تَذَكَّرِ اتّبَاعَ نبيِّك مُحَمَّدٍ ﷺ الْعَدْناني، وَلَدَى تَقبيلكَ «الحجَرَ الأَسْوَد»، أَوْ مُلامَسَته باليَد، تَذَكَّرْ شُهُودا لَك يَوْمَ الذُّلِّ وَالسُّؤدُد، وَعنْدَ شُرْبك لـ«زَمْزَم»، ادْعُ بالتَّوْبَة وَالنَّدَم، وَأَظْهِر الالْتِزَامَ بالشَّرِيعَة الْمُتَمَّم، قَبْلَ الشُّروع في «زَمْزَم»، وَفي شدَّة سَعْيك «الْمَسْعَى»، تَذَكَّر السَّعيَ إلَى الحشْرِ فِي الأُخْرَى.

وَلا يُرْجَى للتّقَرّب بـ«الحلق»، مع ظُلْم الخلق، وَلا يُرامُ التَّنَسُّكُ في «التَّقْصير»، مَعَ الرِّضَا بالتَّقْصير، وَلا يَسْعَدُ بـ«عَرَفَة»، غَيْرُ أهْلِ الْمعرِفَة، وَلا تُنَالُ الرَّحمَاتُ فِي «عَرَفَات»، إلا بالطَّاعَة وَالدَّعوَات، وَفَضْلٍ مِنْ رَبِّ الْبَرِيَّات، وَفَضٍ بمعْرُوفك، قَبْلَ «الإفَاضَة» مِنْ تعريفك.

وَلا يَزْكُو بـ«الخَيْف»، مَنْ يرغَبُ في الحيْف، وَلا يَشْهَدُ «الْمَقَامَ»، إلا مَن استَقَامَ، وَلا يَحْظَى بقَبُول «الْحَجة»، مَنْ زَاغَ عَن الْمَحجّة؛ فَرَحِمَ اللّه امْرَءًا صَفا، قَبْلَ مَسْعَاهُ إلَى «الصَّفَا»، وحرص على الأوبة، قبل مجيئه إلى «المزدلفة»، وعاهد نفسه على معصية الشيطان جهرًا وفي الخلوات، قبل مجيئه إلى «الجمرات»، وعقر من نفسه حظ الدنيا، قبل نحره «الأضحية» في الملا، واستقرارك في «منَى» تذكير لك ببلوغ المُنَى، مع القر على الطاعة كَقَرِّ أهل النفرة الأخرى، ووداعك بـ«الطواف»، تذكير بنهاية المطاف، فجاهد نفسك، حتى تبلغ جِدك، وترفع شأنك، وتبلغ رضا ربك.



إمام وخطيب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية

أسـرتي

مزيداً من الاهتمام بقضايا الطفولة

معالجة قضايا الطفولة منذ بداياتها الأولى معالجة متأنية حكيمة من خلال إعطائها الاهتمام اللازم من قبل الأبوين أولًا ومن قبل المسؤولين عن العملية التربوية أمر في غاية الأهمية من أجل بناء أسرة متماسكة ومجتمع متطور، ولاشك أن هذه المعالجة يجب أن تتم بناء على ثوابتنا وقيمنا الإسلامية، فهي الحصن الحصين الذي يحمي أبناءنا وبناتنا من سلبيات الغزو الثقافي الوافد الذي يتعرضون له عبر وسائل الإعلام المختلفة، ومن ناحية أخرى لابد أن تكون هذه القيم نماذج سلوكية يتمثلها الآباء والأمهات والمربون حتى لا تكون العملية التربوية عملية معكوسة نتيجة فقدان المربي القدوة.

المحرر

مسرح الطفل ورسالته القيمية

د.ناصر أحمد سنة

للأطفال مكانهم ومكانتهم، فلذات أكبادنا تمشي على الأرض، هم يمثلون ديمومة الحياة، ويمنحون حيواتنا معاني وإشارات غنية الدلالة، ومن ثمَّ فالحاجة ماسة والسعي دؤوب لتوفير أفضل الفرص لحياة إنسانية سليمة تلبي احتياجات نموهم، وتوفرّ أجواء صحية تحيط بهم؛ لذا ينبغي- خلال رحلة تنشئتهم- مراعاة تنوع وثراء وفاعلية وسائل إيصال الرسائل التعليمية والتربوية لهم، ومن ثم إثارتها لانتباههم ووجدانهم، وملائمتها لأحوالهم، ومخاطبتهم بلسانهم، وتلبيتها لاحتياجاتهم، ومساهمتها الفاعلة في تطوير سلوكاتهم، وفي بناء شخصيتهم، وإكسابهم القدرات والمهارات المتنوعة، وإعدادهم ليكونوا طاقة منتجة.

ومسرح الطفل قديم حديث في آن معا، فقد ظهر مسرح العرائس عند قدماء المصريين والصينيين واليابانيين وبلاد ما بين النهرين، وقد برع فيه اليابانيون حتى أصبح إحدى أدواتهم التعليمية والتربوية المؤثرة، وكان فتية الإغريق يتعلمون «الرقص التعبيري» ضمن برنامجهم الدراسي، وفي «جمهورية أفلاطون» ثمة ضرورة لتلقين الجند فن المحاكاة، وتمثيل أدوار درامية تتعلق بالمروءة والفضيلة والشجاعة دون غيرها من الأدوار المشهدية.

ويذهب مارك توين الكاتب الأميركي إلى أن مسرح الطفل حديث نسبيا، فهو- برأيه - لم يظهر إلا في القرن العشرين، ويعدّه «من أعظم الاختراعات التي اهتدت إليها عبقرية الإنسان، ولسوف تتجلى قيمته بمرور الوقت، فسيكون أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع للسلوك الطيب، حيث دروسه لا تُلقن بطريقة مُرهقة أو مملة، بل بإبداع يبعث الحماسة، وبرسائل تصل مباشرة إلى قلوب وعقول أطفالنا».

مسرح الطفل العربي

عربيًا.. ثمة جدل يدور حول نشأة المسرح العربي على وجه العموم، وهل هو منقول أم أصيل الجذور؟ يؤيد أنصار الرأي الأخير مذهبهم بظهور فن «تمثيليات خيال الظل» الذي ارتحل عبر الصين والهند وفارس والشرق الأوسط ليستقر في الوطن العربي على يد الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال بن الخزاعي الموصلي، والشيخ مسعود، وعلي النحلة، وداود العطار الزجال.

وقد استوطن هذا الفن مصر والعراق، ويذكر أن صلاح الدين الأيوبي حضر عرضا لخيال الظل مع وزيره القاضي الفاضل عام ٥٦٧هـ، ثم انتقل إلى تركيا عام ١٥١٧م على يد السلطان سليم الأول، ثم انتشر منها في أوروبا، ثم تطور الأمر بظهور «فن القراقوز» في مصر.

وقد تأخر ظهور مسرح الأطفال لدينا كما هو الحال في أدب الأطفال بوجه عام، وذلك لصعوبة اختيار موضوعاته وقلة المهتمين به، وعدم الاهتمام الكافي بثقافة الطفل عامة وآدابه من جهة أخرى، ولذلك ظلت نسبة المسرحيات المكتوبة للأطفال حتى الآن تتراوح ما بين (١-٢)٪ مما يكتب وينشر من أدب الأطفال على مستوى الوطن العربي، وإن اختلفت هذه النسبة من بلد عربي إلى بلد آخر.



مسارح عدة

لعل مسرح الطفل يتميز بثرائه وتنوعاته، فهناك مسرح تلقائي أو فطري يتكون معه بالغريزة، يستند فيه إلى الارتجال والتعبير الحر التلقائي والتمثيل اللعبي واللعب الشخصي والإسقاطي والواقعي والخيالي.

وهناك مسرح العرائس (الدمى)، حيث الدمى تُحرك بخيوط أمام الجمهور مباشرة، أو بأيدي اللاعبين أنفسهم، ولهذا النوع من المسرح تأثير كبير على الأطفال والكبار، حيث يبهرهم ويدهشهم بقصصه وجمالياته التي تحمل رسائل ترفيهية وتعليمية وتثقيفية رائعة (أوبريت «الليلة الكبيرة»، و«عالم سمسم»... الخ).

وهناك مسرح تمثيلي ترفيهي يقوم الأطفال فيه بدور تمثيلي لبعض الأعمال الأدبية التي تحتوي على مضامين ثقافية، وتنمي الوعي لدى الأطفال، وتكسبهم كثيرا من العادات السلوكية من خلال معايشة مضمون المسرحية، وهناك مسرح قائم على الأطفال، ويقومون هم به، حيث الاشتراك في كتابة الموضوع، وتجسيده وإخراجه، وهو في معظم الأحيان مسرح تعليمي.

وعندما يُعد المسرح ليكون معينا تعليميا Theater as Teaching Tools فإنه يستند إلى أسس من علوم التربية وعلم النفس والاجتماع... الخ. ويهدف لتبسيط المحتوى التعليمي المقدم للأطفال تبعا لمراحلهم العمرية (طفل ما قبل المدرسة، رياض الأطفال، أطفال المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية).

ففي مسرح التعليم الأوليّ يمثل التلاميذ مجموعة من الأدوار المسرحية التي يقترحها المربون، كما يمكن لهذا المسرح أن يُقدم المناهج التعليمية في سياق درامي غنائي، يشترك فيه الأطفال من أول لحظة، ويشاركهم العمل المعلمون وبعض المهتمين بالفن المسرحي من

• كاتب وأكاديمي

مخرجين وممثلين.

أما المسرح التعليمي للمراحل اللاحقة (الابتدائي والإعدادي والثانوي) فيعد التمثيل فيه بمنزلة تقنية لتحقيق الأهداف العامة والخاصة، وتنمية الجوانب الفكرية والوجدانية والحسية الحركية للأطفال، كما يُحتفى من خلاله بالمناسبات الرسمية (الأعياد الدينية والوطنية)، وغير الرسمية (إعلان النتائج، وتوزيع الشهادات في نهاية العام).

وثمة مسرح إذاعي تنافسي بين الأقسام لتقديم إذاعة متميزة، إذاعة تهدف إلى تكوين خليط من المرح والجدية والمعايشة اليومية للأحداث والمناسبات المهمة، وجذب الانتباه، واستثمار طاقة الطلاب الموهوبين مسرحيا، والتجديد والابتكار في إيصال الرسائل المرادة، ومعالجة بعض السلبيات بطريقة ماتعة.

أما المسرح الجامعي فيعد امتدادا للمدرسي وجمالياته، بدءا من النص الدرامي، وتحضيرات العرض وتشكّله، وعناصر إنتاجه، وتقمص شخوصه، تقليدا ومحاكاة تارة، وتفردا وإبداعا تارة أخرى، تتم تحت إشراف أساتذة مختصين.

مسرح حقيقي

مسرح الطفل- الذي يفوق في تأثيره على الأطفال وسائل ثقافية أخرى- يهدف لخدمة الطفولة، إمتاعا وترفيها وإثارة وتنمية، وهو مسرح حقيقي بكل مفرداته وعناصره وأدواته وتقنياته وجمالياته سواء قام به- تأليفًا وتمثيلا وإخراجًا- الصغار أو الكبار أو كلاهما معًا.

إن عناصر هذا المسرح، وطرائق التشويق والشد والجذب والإبهار والتلوينات وما يماثلها، تتوجه للأطفال بطريقة توائم تفاصيل حركاتهم ولعبهم اليومي بغية ملئهم بالمرح والكوميديا والنشاط المتزامن مع الرغبة في تغذيتهم بالعلوم والمعارف.

وما يميز مسرح الطفل كصنف درامي يأخذ طابعه الخاص وهويته وغاياته من وظيفته التي تتحدد بطبيعة الجمهور المستهدف، ومن ثمّ ما يفرضه ذلك من آليات الخطاب الخاص، فالجمهور المباشر الرئيسي ما بين (٥- ١٨) سنة، وهذا لا ينفي وجود جمهور غير مباشر من الكبار المعنيين بالتقاط رسائل هذا المسرح وطرائق تعاملها ومعالجاتها لأدائها في البيوت والمدارس والنوادي والجمعيات... الخ.

إن كتابة الدراما المسرحية للأطفال عمل ليس بالهيّن اليسير، فهو يحتاج إلى مقدرة



أدبية وفنية خاصة، فلغة هذا المسرح ينبغي أن تتناسب والثروة المعجمية له، والتي تقف من خلفها مقدرته النامية لاكتساب حصيلة جديدة، وفي هذا الإطار (الإدراكي- اللغوي) للطفل يراعى حبه للأصوات وتقسيمه إياها إلى إيقاعات وأوزان؛ لذا فالإيقاعات الموسيقية المصاحبة للعرض تهدف لإثارة وترتيب أو إعادة ترتيب عمل الدماغ لدى الأطفال، كما أن إبداع المفردة ونحت العبارة وبناءها صوريًا تكون لديهم بآلية الرسم لا بآلية القواعد اللغوية المتعارف عليها، فضلا عن أن الأداء الصوتي للحروف ومخارجها، وللألفاظ وسلامتها، وللعبارات وصوابها، له خصوصيته في مسرح الطفل.

فوائد متعددة

- تعزيز الانتماء وحب الأوطان في نفوس الأطفال، وترسيخ القيم الأصيلة في المجتمع .
- تنمية مشاعرهم الإنسانية، ومشاركتهم الوجدانية، وإثراء حاسة تذوقهم الفني، وقدراتهم على التخيل وتطويعها عند الحاجة.
- تحبيبهم في لغتهم العربية، وتدريبهم على حسن النطق بها واستعمالها في حياتهم اليومية.
- وسيلة طيبة للترويح عن نفوس الأطفال، والتنفيس عن رغباتهم، وتنمية الحس الفكاهي لديهم.
- تبسيط المواد الدراسية عن طريق مسرحتها (تحويل المقررات الدراسية إلى ألعاب معرفية) بأسلوب مشوق، وبالتالي الإقبال على التعلم.
- اكتشاف الموهوبين وتنميتهم، والإفادة منهم، وإذكاء روح المنافسة الشريفة بينهم.
- نشر القيم الأخلاقية بوسيلة محببة، وعلاج المشاكل الاجتماعية بأسلوب شائق.

■ هل من مزيد؟

- إن مسرحًا هذا شأنه، وتلك فوائده، وعلى الرغم من أنه- في هذا البلد أو ذاك- محاط بهالة إعلامية من الاحتضان والرعاية والتواصل فإننا ما زلنا بحاجة إلى:
- ترسيخ حب هذا الفن الراقي وتحويل المقررات الدراسية إلى ألعاب معرفية يتداولها الأطفال فيما بينهم
- تفعيل مؤسسات الإبداع المسرحي عبر ديمومة ورش العمل المختصة، واعتبار مادة «مسرح الطفل» إحدى المواد التي تدرس في كليات التربية والآداب وإعداد المعلمين ورياض الأطفال ومعهد الفنون الجميلة.
- تقديم مسرحيات وفق رؤية استراتيجية، ومن خلفها كوادر فنية وإبداعية، وتوفير الدعم والمساعدات المطلوبة لإنجاحها.
- الاهتمام المؤسسي بتدوين وتوثيق وأرشفة مسرح الطفل.

جملة القول: التأسيس لشخصية الإنسان تنطلق من الاستجابة لحاجاته وتلبيتها لتحقيق نمو صحي وسليم، ولا يغيب عن البال أن الإنسان البالغ هو حصيلة تراكم الخبرات والمهارات والمعارف الناجمة عن نشاط الطفولة ومن ذلك اللعب، والمسرح يعكس جانبا كبيرا منه، إنَّ بيتًا ومدرسة ومجتمعًا بلا دراية أو ممارسة لمسرح الطفل، هي جميعا مؤسسات غير مكتملة في أداء مهامها لبناء شخصية الإنسان السوية.

الشيخ شاكر السيد في حوار خاص لـ«الوعي الإسلامي»:

تمسُّك بعض الشباب بمظاهر الالتزام لا ينم عن تديّن حقيقي

حوار: تسنيم الريدي

كان شابًا لعوبًا لهته الدنيا بمتاعها الكاذب، وسار في طريق مظلم حتى تألم قلبه بحثًا عن النور، إلى أن وجد شعاع أمل في حلقة ذكر في أحد المساجد المجاورة لبيته، ومن هنا كانت بداية طريق التدين إلى قلبه، والذي لم يعرف إلا معاني القسوة في الأحكام الشرعية، وتكفير كل من لا يتفق معه في الآراء الفقهية.

هو نموذج لبعض الشباب الذين وجدوا ضبابًا فكريًا خلال رحلتهم إلى الالتزام الحقيقي، فضلوا الطريق، وتخبطوا بين معاني الإسلام الحقيقية، وبين التطرف والغلو، حتى وصل بعضهم إلى طريق مسدود عبر تدين مغشوش أجوف.

التقينا إمام وخطيب مركز دار الهجرة الإسلامي بولاية فرجينيا، والأمين العام للجمعية الإسلامية الأميركية الشيخ شاكر السيد، وكان معه هذا الحوار:

■ **ما الحد الفارق بين الالتزام بشرع الله والتطرف المذموم؟**

بداية.. يجب أن يعرف الشباب ما هو الالتزام، فمفهوم الالتزام أو التدين في الإسلام هو اتباع ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، والالتزام بما أحله وحرمه شرعنا الحنيف في الحياة العامة والخاصة، وفي الظاهر والباطن، في الأخلاق والمعاملات.

ويجب ألا يكون مصطلح التطرف مطاطيًا، لكن لا تأخذ الآراء العامة، أو الأعراف الاجتماعية أو حتى قانون بعض الدول معيارا لتحديد مفهوم التطرف، فلا تصلح أعراف الجماعة ولا قوانينها أن تكون معيارًا صادقًا للحكم الشرعي، إلا بالقدر الذي يتطابق فيه سلوك الجماعة وقانونها مع الشرع ومصادره، فقد تكون هذه الآراء والقوانين مغالطة تتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه، فقد رأينا مَن يطلق على ارتداء الحجاب، وتحريم الاختلاط والمصادقة بين الجنسين، وتحريم الربا والخمر، والامتناع عنها بأنها من مظاهر التطرف وتقييد الحريات.

■ **متى يكون المفهوم الخاطئ للالتزام عند الشباب سببًا للتطرف؟**

يحدث هذا بالفعل إذا كان الشباب عنده ميول أصلاً للتطرف، بحيث تكون سلوكياته العامة في الحياة تميل إلى التطرف، فمثلاً نجد رجلا يعتقد أن الطعام مفيد لصحته فيسرف فيه ويأكل بشراهة شديدة، وآخر يجد أن الطعام يسبب البدانة فيجوّع نفسه لدرجة المرض والأنيميا، فكلاهما نوع من أنواع التطرف البعيدة عن الوسطية ولا علاقة للإسلام به، إنما هو راجع لتفكير الشخصية نفسها.

وعندما نطبق مثل هذه الشخصيات على الالتزام، نجده يعتقد أن رضا الله- عز وجل- يكون في تأديته لشيء معين، يعتبر كما وضحنا تطرفًا، وهذا يؤدي إلى الانحراف عن هدي السنة، وبالتالي فلا علاقة للإسلام بمثل هذا التفكير، لأن الإسلام لا يدعو إلى التطرف.



وللأسف بعض الشباب- ممن يحملون هذه الميول للتطرف- عندما يبدأون في الالتزام يعتقدون أن التدين هو الشكل الظاهري، فيسرف في إطلاق اللحية، وتقصير الثوب، والالتزام بلبس الجلباب، أو الفتيات اللاتي يعتقدن أن الالتزام فقط النقاب واللباس الأسود، ولا يُعطى نفس الحجم من الأهمية لرعاية نفسه من الداخل، فلا يهتم بالإيمانيات وإصلاح القلوب، ولا يهتم ببر والديه وصلة رحمه، فهو يهتم بكل ما هو ظاهر في الالتزام، ويترك الفرائض الأخلاقية الأخرى الواجبة، والتي سيسأله الله عنها، وهذا يعتبر نوعًا من انعدام التوازن في الفهم والتصور، بل ويعتبر مصدرًا من مصادر التطرف بعد ذلك.

■ **يعتقد البعض أن الالتزام والتدين الوراثي أقل ثباتا في القلب من الالتزام المكتسب.. ما رأيكم؟**

الالتزام المكتسب هو نتاج بحث من الشخص عن الحق، فهو يقرأ كثيرًا، ويحضر المناظرات الدينية، ثم يتخذ الطريق الصحيح ويجاهد نفسه في كل معصية، حتى يثبت الإيمان في قلبه، أما الالتزام الوراثي فهو كشاب أو فتاة نشآ في بيئة ملتزمة، وبالتالي وجد كل منهما نفسه قد تربى على التعاليم الإسلامية، لكن الالتزام الوراثي يجب

أن يكون نابعًا من قناعة داخلية، فمثلاً اتخاذ الرسول- عليه الصلاة والسلام- قدوة يجب أن يكون عن قناعة داخلية بأنه نبي مرسل لا ينطق عن الهوى، وبالتالي فهو يقيم التزام الأهل، إن كان صحيحًا وفق الكتاب والسنة، يسير معهم على نفس الطريق، وإن كان فيه ما يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله فيجب أن يتركه، وبالتالي فالالتزام الوراثي لا يكون إتباعًا أعمى للأهل.

ومن الأفضل لكل مسلم أن يحافظ على التزامه باتباع شيخ مشهود له، يتبعه أناس عقلاء معتدلون متوازنون ناجحون في الحياة، أخلاقهم تدل على حسن الخلق، ثم يصبح تلميذًا له.

■ ما هي مسؤولية الدعاة لتوعية الشباب للتفريق بين الالتزام والتطرف؟

مسؤولية الدعاة عظيمة جدًا تجاه شباب الأمة، خاصة في الوقت الحالي، فقد نجد بعض الدعاة عند الحديث عن موضوع ما، يتناول بعض الآيات والأحاديث وآراء الأئمة التي تدعم رأيه الخاص ووجهة نظره الشخصية، دون عرض بقية الآيات والأحاديث التي تتعلق بنفس الموضوع، وكذلك آراء باقي الأئمة، والتي قد تعرض وجهة نظر أخرى، أو حكم آخر، إذا كان يتحدث عن حكم فقهي، وهذا التصرف بحد ذاته يعتبر تطرفًا، ويؤدي إلى تربية الشباب المستمع على التطرف في السلوك والتصرفات، وتربيتهم على عرض وجهة نظر واحدة والتمسك بها وإلغاء الرأي الآخر، وبالتالي على الدعاة إذا عرضوا موضوعًا أن يعرضوه كاملاً متوازنًا بكل جوانبه، وبكل ما يحمله من آراء مختلفة، دون اقتضاب، فالداعية عندما ينتسب لرأي واحد ولا يعرض إلا هو، فهو بذلك يدفع الشباب إلى التحيز لهذا الرأي دون الاستماع لما قد يكون أنفع منه.

كما أن الدعاة أو المشايخ الذين يدعون إلى آراء تؤدي بالشباب إلى التطرف مهما اشتهروا، ومهما التف حولهم بعض الشباب، فلن يسمع لهم، فالرجال يُعرفون بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال، وبالتالي نعرف الرجل بارتباطه بالحق، لكن لا نعرف الحق عندما نربطه بشخص معين، سواء كان أبًا أو عالمًا أو داعية أو غير ذلك.

وبالتالي فليست كل القنوات الإسلامية صالحة لأن يستقي منها الشباب التزامهم، ويجب ألا يكون مصدر ثقافتهم الدينية عبر الانترنت بشكل عام، لما تحمله بعض المواقع من مغالطات وتطرف.

شبكة الإنترنت والفضائيات ليستا دائمًا مصدر ثقافة دينية عميقة

■ يعاني بعض الشباب من تناقض واضح بين التزامهم الظاهري أمام الناس وبعض أفعالهم المخالفة في الخفاء.. بماذا تفسرون ذلك؟

الالتزام الظاهري إذا صحبته معصية في الخفاء فهذا يدل على ضعف إيمان الشاب، بل يدل على ضعف في الشخصية ذاتها، وضعف في الإرادة ومجاهدة النفس، فالإنسان الجبان يجاهد نفسه للوصول لدرجة أفضل مما هو عليه، وقد ينجح أمام الناس في الظهور بهذا الشكل، لكنه يفشل بينه وبين نفسه، وذلك عندما يكون هدفه الحصول على تقدير الناس واحترامهم، لكن علاقته أصلا بالله ضعيفة، وفي هذه الحالة فهو يحتاج إلى التذكير بأن هذا يعتبر من الرياء أو النفاق، ويكون من مظاهر ضعف الإيمان عنده التعلق الشديد بالناس، والتكاسل عن أداء الطاعات بالكيفية المطلوبة، فتراه يتأخر عن صلاة الجماعة، وفي أثنائها تتزاحم عليه الخواطر والأفكار الدنيوية، ولا يفيق منها إلا والإمام ينهي صلاته، وقد تفوته صلاة الفجر كثيرًا، ويترك الكثير من السنن بحجة أنها ليست فرضًا، ولا حساب على تركها، فلا تراه يصلي الرواتب، ولا الضحى، ولا التوبة، ونادرًا ما يصلي قيام الليل.

■ ما نتائج هذا الالتزام المغشوش وتأثيره السلبي على صاحبه؟

يؤدي ذلك إلى قلة الورع، وعدم تحري الحلال والحرام في الأقوال والمعاملات، كما يؤدي إلى ضعف شعور صاحبه بالمسؤولية تجاه هذا الدين، فلا يقوم بواجب الدعوة إليه بالشكل المطلوب، بل ولا يؤثر فيمن حوله، ويضعف سلطان الدين في قلبه، ويبدأ في التنازل شيئًا فشيئًا عن كثير من ثوابت الإسلام، وتضعف مقاومته للمعاصي، فتجده عندما يختلي بنفسه يرتكب معاصي شديدة، والواجب على المسلم أن يحذر من ذنوب الخلوات، فالله تعالى قد ذم من يستخفي بذنبه من الناس، ولا يستخفي من الله.

■ يعتقد بعض الشباب أن الالتزام يكمن في الصلاة والصيام والاعتكاف في المسجد وغيرها من أشكال العبادة، دون الاكتراث بقضايا الأمة.. ما رأيكم في ذلك؟

يجب أن ندرك أن مسألة الاهتمام بقضايا الأمة، والدعوة إلى الله بشكلها الصحيح لا تأتي إلا بعد أن ينجح الشخص في بداية طريق التزامه في تطوير نفسه وتحسين علاقته بالله عز وجل، ولا يجب أن ننتظر من هذا الشخص التغيير الفوري والكلي في وقت واحد، فطريق الصعود درجات، والصعود الصحيح يكون خطوة خطوة، ومن يحاول القفز درجات مرة واحدة بالتأكيد سيسقط، كما أن تغير عادات الشخص وأعرافه وأفكاره بعد الالتزام عما كانت عليها قبل التدين ليس سهلا، بل سيظل طوال حياته في جهاد نفسه للوصول لأفضل المراحل.

وهنا علينا ألا نصر على الحكم على الآخرين وانتقادهم، بل علينا أن ننتبه إلى أن هذه هي المراحل الطبيعية للالتزام، ولا يمكن أن نعتبر ذلك التزامًا أجوف أو التزامًا مغشوشًا، خاصة عند صغار الشباب، فهم دائمًا ما يحاولون تطبيق الإسلام وتعاليمه على جميع جوانب حياتهم، وبطبيعة المرحلة السنية لهم، وكذلك بداية مراحل الالتزام، فقد ينجحون أحيانًا ويفشلون أحيانًا أخرى، وهنا يجب أن نكون نحن عونًا لهم. كما أننا نجد أيضًا من الشباب من يهتمون بقضايا الدعوة إلى الله في المؤتمرات الدعوية، أو المسيرات السلمية التي تحتج على أوضاع المسلمين في العالم، وغيرها من النشاطات الشبابية، في حين أنه يتكاسل عن العبادات الأساسية والفروض، فقد يؤخر الصلاة، أو يسهر في حلقة ذكر إلى وقت متأخر من الليل، ما يتسبب في ضياع صلاة الفجر، وهؤلاء أيضًا يحتاجون إلى عون منا.

الولد الغضوب

نحن نعيش في عصور غاضبة، فالغضب ميل غريزي، لا يمكن استئصاله والتخلص منه، ولكن بالاستطاعة ضبطه والسيطرة عليه، أقصد السيطرة الداخلية التي يقوم بها الولد نفسه، لا السيطرة الخارجية كسيطرة الأب الذي يمنع ابنه من إظهار الغضب بالقوة.



سليمان الرومي

إن كتمان الغضب على هذه الطريقة يؤدي إلى اضطراب وغليان وثورة تختفي في نفس الولد، وتسبب له الأمراض العصبية، لذلك كانت معالجته بحاجة إلى انتباه ودقة، وخير وسيلة للنجاة من الغضب، هي تقوية إرادة الطفل حتى يستطيع ضبط نفسه.

ولابد أن نعلم أن للغضب فوائد منها المحافظة على النفس، والمحافظة على الدين، والمحافظة على العرض، والمحافظة على الوطن الإسلامي من كيد المعتدين ومؤامرات المستعمرين، ولولا ظاهرة الغضب التي أودعها الله في الإنسان، لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله، أو امتهن دينه، أو أراد عدو أن يغتصب أرضه ويستولي على بلاده، وهذا، بلاشك، من الغضب المحمود الذي كان مصاحبًا لفعله عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات، فقد ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قد جاءه من يشفع في حد من حدود الله فغضب، وظهرت على وجهه علامات الغضب، وقال قولته الخالدة «... إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (صحيح البخاري)

ويأمر القرآن الكريم المؤمنين والمؤمنات بكظم الغيظ، قال تعالى ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (فصلت:٣٤)، وقال تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ (الفرقان:٦٣)، وقال جل شأنه ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ (الشورى:٣٧).

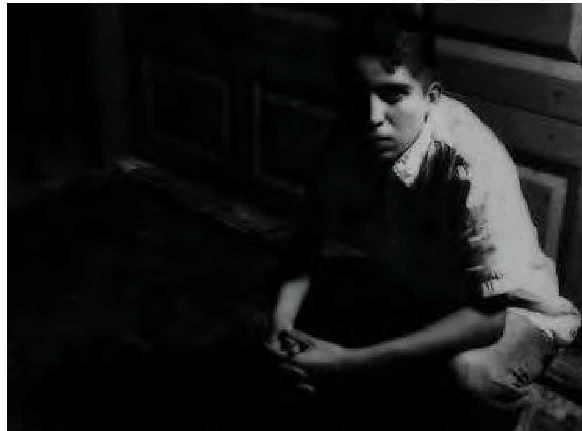
وصدق من قال: «درهم وقاية خير من قنطار علاج».

وللغضب لدى الأبناء أسباب، إذا علمناها وصلنا للعلاج، ومنها مثلا:

الجوع، فعلى الوالدين إطعام الولد في الوقت المخصص، لأن الإهمال يؤدي إلى أمراض جسمية وانفعالات نفسية، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» (رواه أبو داود).

المرض، فيجب على الوالدين متابعة الولد طبيًّا، ومحاولة علاجه، يقول الرسول ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل» (رواه مسلم).

التحقير والسخرية والإهانة، فعلى الوالدين أن ينزها لسانهما عن كلمات التحقير والإهانة، لأن



الإهانة تؤثر على الطفل نفسيا، وترسخ فيها انفعالات الغضب، فيجب أن نعين الولد على الثقة بنفسه، فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم»، ويقول رسول الله ﷺ: «رحم الله والدًا أعان ولده على بره» (رواه ابن حبان).

الغيرة، وهي ناجمة عن عدم عدل الأبوين في معاملة أولادهما، فإذا وجد طفل أباه يحسن معاملة أخيه ويعطيه أكثر منه، اشتعلت نيران الغضب في نفسه، وكان السبب في ذلك هو الأب، فالعدل، حتى في الحب، واجب ديني وتربوي.

تكليف الولد ما لا يطيق، بكثير من الأوامر والمتطلبات، مما يؤثر في نفسية الولد ويثير الغضب عنده.

العلاج الناجع

يجب على الوالدين تدريب الولد على المنهج النبوي في تسكين الغضب، وإليكم مراحل هذا المنهج:

١- تغيير الوضع الذي يكون عليه الولد عند الغضب، روى الإمام أحمد وغيره، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

٢- اللجوء إلى الوضوء، أخرج أبوداود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

٣- السكوت، يقول رسول الله ﷺ «إذا غضب أحدكم فليسكت» (رواه أحمد).

٤- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقد جاء في صحيح البخاري أنه استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضبًا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي، ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون.

٥- هذه هي أهم وصايا الرسول ﷺ في التخفيف من الغضب، وأتمنى من الوالدين ألا يستهينا بهذه الحالة، ويجب التعامل معها معاملة تربوية، وكذلك ما أحوجنا إلى مربين يعرفون طريقة الإسلام في التربية النفسية، ومنهج الرسول، ﷺ، في ذلك، وفي الختام نقول: ينبغي أن ندرب الطفل على الغضب لدينه وشرفه ووطنه، وهذا خير من أن يوجه غضبه إلى أمور تافهة.

دع طفلك يلعب

سهى إبراهيم ياسين

هل يلعب طفلك؟

أم تزعجك الفوضى التي يخلفها من جراء اللعب؟

وما مدى معرفتك لدور اللعب في حياة طفلك؟

كل هذه التساؤلات تدفعنا للقول: دع طفلك - عزيزي الأب- الأم- يلعب!- إن جهل الكثيرين بأهمية اللعب في حياة أطفالهم آت من اعتقاد سائد لديهم مفاده أن اللعب غير ذي فائدة أو أنه مجرد مضيعة للوقت، ولكن الحقيقة الثابتة هي أن اللعب يعتبر المفتاح الذهبي لنمو الطفل الجسمي والوجداني والثقافي، فهو طريقة لاكتشاف عالمه واكتسابه لخبرات عديدة عن نفسه وعن محيطه.

والحقيقة أن الدراسات الحديثة لسيكولوجية الطفل أبطلت هذه المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة لدى البعض، حيث كانت ترى في شراء الألعاب للأطفال هدراً للمال ومضيعة للوقت، في حين يرى البعض الآخر أنها عبارة عن مجسمات لا فائدة لها وإن كانت تفرح أطفالهم لأن مصيرها الكسر وسلة المهملات، جاهلين بأن اللعب- على اختلاف آليته ومهما كان مصيره- نافذة تطورية خلاقة لأطفالنا، تتكون من خلالها رؤيتهم عن العالم المحيط، وتعد فرصة ثمينة لبناء شخصية سوية.

لذلك نكرر قولنا بكل ثقة: دع طفلك يلعب!..

ولكن.

عليك أن تعلم أن طفلك يحتاج مكاناً خاصاً يضع فيه أشياءه، ويمارس اللعب بحرية متاحة وإن اختلفت ماهية هذه الألعاب حسب ما ترتئيه ثقافة المجتمع أو قدرات الطفل ورغباته.

وكثيرا ما يتبادر إلى أذهاننا تساؤل العديد من الآباء والأمهات عن آلية التعامل مع أطفالهم وقدراتهم.

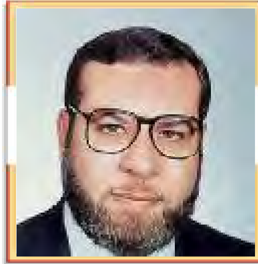
ولكن الجدير بالذكر أنه في حال لاحظت أيها المربي أن هناك بعض الأطفال الذين يمتلكون قدرات عالية تمكنهم من التعامل مع ألعاب مجهزة بتقنية مرتفعة كحل الألغاز أو تركيب وتحليل ألعاب صعبة في حين يفتقر طفلك لكيفية التعامل مع هذه النوعية من الألعاب، فاعلم أن هذا لايعني بالضرورة أن الطفل سيكون قادراً على فعل كل ذلك أو أنه يتوجب عليه القيام بذلك، فلا تدع عجزه عن ذلك يدفعك إلى الإحباط والتقليل من شأنه.

وفلتعلم أن لكل طفل قدراته وميوله الفكرية وإمكانياته وخبراته المكتسبة من بيئته الحياتيه وبالتالي يتطلب منا كآباء ومربين أن نقوم باختيار الألعاب التي من شأنها تنمية فكر طفلنا وذكائه وتفريغ انفعالاته بدلا من توجيه اللوم له، وإن كان مصيرها الكسر والتخريب أو الفوضى، ولاسيما أن اللعب بالإضافة إلى دوره الترويحي الهام في نمو قدرات الطفل فهو مرآة تعكس حالته النفسية أيضا، فعندما يضرب الطفل لعبته المتمثلة بطفل صغير «بي بي»، فإنما هو بذلك يسقط إحساسه بالغيرة من المولود الجديد الذي أخذ مكانه على ألعابه متمنيا ضربه وإبعاده ومظهراً بذلك إشارة مهمة لنا عما يعانيه طفلنا من ألم، وبالتالي يتطلب منا تغيير معاملتنا لهذا الطفل والاهتمام به أكثر.

وانطلاقا من كل ما سبق، نصل إلى حقيقة مفادها أن اللعب يعتبر منفذا طبيعيا لدى الطفل، حيث يفرغ الطفل انفعالاته ويستهلك طاقته الزائدة والتي تعطيه الفرصة للحركة، فضلا عن كونه وسيلة جيدة لفتح شهيته للطعام وتشجيعه على النوم الهادئ والطبيعي، وهذه أمور مهمة أيضا في حياة الطفل، غالبا ما تتصب شكاوى الأهالي حولها.

وأخيرا يمكننا القول إن الدور المهم للعب يتمثل في تحويل الطفل من مخلوق يركز في ذاته إلى إنسان اجتماعي يشارك الآخرين في لعبهم، وهذا بالضبط ما يدفعنا للطلب منك مجددا: دع طفلك يلعب!

الوقاية من الحروق المنزلية


د.عبدالرحمن النمر

على الرغم من تناقص أعداد المصابين بالحروق في السنوات الأخيرة، نتيجة القوانين الملزمة بتوفير أجهزة الإنذار المبكر عن الحريق، وتوفير وسائل الإطفاء في المنشآت العامة والصناعية ومكاتب العمل، فإن الحروق ما تزال من الإصابات المنزلية الشائعة خصوصا بين الأطفال.

ما الأسباب المختلفة للإصابة بالحروق؟ وما أنواع الحروق؟ وكيف يمكن تقديم الإسعافات الأولية للمصاب؟

يجب التنبيه ابتداء إلى أن معظم إصابات الحروق سببها الإهمال أو الغفلة أو سوء التصرف، وينطبق ذلك بوجه خاص على إصابات الحروق بين الأطفال، وبقدر بسيط من الاهتمام وتوفير وسائل الأمان يمكن تفادي كثير من الإصابات.

أسباب الحروق

١- اللهب المباشر

أخطر أسباب الحروق هو اللهب المباشر، وتوجد في المنازل مصادر عدة للهب المباشر، مثل مواقد الطهي وأجهزة التدفئة التي تعمل بالغاز، أما الشموع وقناديل الزيت ومواقد الكيروسين، فعلى الرغم من عدم شيوع استعمالها في هذا الزمان، فإنها ما تزال من مصادر اللهب المباشر في بعض المنازل.

٢- السوائل الساخنة

السوائل الساخنة، وفي مقدمتها الماء المغلي، من أكثر أسباب الإصابة بالحروق شيوعا، خصوصا بين الأطفال، إذ تمارس الأسر درجة من الحذر فيما يتعلق باقتراب الأطفال من مصادر اللهب المباشر، بينما تغفل عن السوائل الساخنة كسبب من أسباب الإصابة بالحروق، لذلك فإن معظم حروق الأطفال تنشأ عن انسكاب وعاء يحتوي على سائل ساخن، مثل إناء الطهي أو غلاية الماء أو براد الشاي، وأشباه ذلك.

٣- ملامسة الأجسام الساخنة

هذا كذلك من أكثر أسباب الإصابة بالحروق في المنازل، ويشيع ذلك بين ربات البيوت والأطفال، وتحدث الإصابة في هذه الحالات نتيجة الغفلة عن الجسم الساخن وإمساكه مباشرة دون حائل، أو نتيجة سوء التصرف أثناء استعمال الموقد لإعداد الطعام.

٤- الغازات والسوائل القابلة للاشتعال

عدم الاحتياط أثناء استعمال الغازات والسوائل القابلة للاشتعال، مثل الأسيتون (مادة تستعمل لإزالة الطلاء)، والبنزين (يستعمل أحيانا لتنظيف الملابس)، والكحول (يستعمل أحيانا كوقود



وأحيانا كمادة مذيبة) قد يؤدي إلى اشتعال حريق كبير، والأولى إبعاد هذه المواد تماما عن متناول الأطفال، وعند استعمالها في المنازل يجب أن تستعمل بمقادير صغيرة في مكان جيد التهوية ليس فيه مصدر لهب مباشر.

٥- المواد الكيميائية

بعض المواد المستعملة في المنازل تكون كاوية للجلد والأنسجة الحية، مثل البوتاس ومواد تطهير المراحيض ومواد إذابة الصدأ، وتكون هذه المواد سببا في الإصابة بالحروق إذا تركت في متناول الأطفال، ولم تتوفر الحيطة الكاملة عند استعمالها، ويتعين قراءة وفهم تعليمات استعمال هذه المواد جيدا، قبل محاولة فتح الإناء الذي يحتوي عليها، أما الذين يهملون تماما الإلمام بقواعد الاستعمال، فالأولى أن يستعيضوا عن تلك المواد الكيميائية الخطيرة بمواد أقل ضررا، وتؤدي نفس الغرض أو قريبا منه.

٦- التيار الكهربائي

التيار الكهربائي من أعظم مصادر الخطر في المنازل، والحروق الناشئة عنه خطيرة، فضلا عن أن التيار الكهربائي يمكن أن يصعق الإنسان في طرفة عين! لذلك يجب تأمين مصادر التيار الكهربائي في المنازل، وحيثما لزم الأمر فيجب استدعاء فني متخصص في أشغال الكهرباء للنهوض بهذا الأمر.

٧- المواد المتفجرة

من النادر وجود مواد متفجرة في المنازل، ولكن هذه المواد قد توجد في بعض لعب الأطفال، وغالبا ما تكون الإصابات الناتجة عن هذه المواد خطيرة، إذ قد تصيب الوجه والعينين، علاوة على أن المواد المتفجرة قد تكون سببا في نشوب حريق كبير.

٨- الحرارة المشعة

الإشعاع الحراري يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بحروق عند التعرض له لزمن طويل نسبيا، مثال ذلك التعرض لأشعة الشمس القوية، أو الجلوس زمنا طويلا بالقرب من مدفأة، وتكون الأجزاء المكشوفة من الجلد أكثر تعرضا للإصابة بسفعات أو حروق، من الأجزاء المغطاة.

أنواع الحروق

بصورة عامة تنقسم الحروق إلى نوعين: حروق سطحية، وهي التي تؤثر- فحسب- على طبقة البَشَرة، وهي الطبقة السطحية من الجلد، أما الحروق العميقة، وهي النوع الثاني من الحروق، فتؤثر على البشرة وعلى طبقة الأدَمة، وهي الطبقة العميقة من الجلد، وقد تتجاوز الحروق العميقة الجلد لتحرق الأنسجة الموجودة تحته، وعلى ذلك فإن الحروق السطحية لا تتجاوز سطح الجلد، بينما الحروق العميقة هي تلك التي تحرق الجلد كله، وأحيانا الجلد وما تحته.

أما من حيث الخطورة، فيجري تقييم الحروق تبعا للمنطقة المصابة بالحروق من الجسم، وكذلك تبعا لمساحة سطح الجسم المصابة بالحروق، فمثلا تعتبر حروق الوجه خطيرة، لأنها يمكن أن تؤثر على تراكيب تشريحية عدة في الوجه، فضلا عن التشوه الناتج عنها، ومثل ذلك يقال عن حروق منطقة العجان (منطقة الأعضاء التناسلية) إذْ تعتبر كلها خطيرة، سطحية كانت أمْ عميقة.

ومن حيث مساحة سطح الجسم المصابة بالحروق، فإنها إذا زادتْ عن عشرة في المائة (١٠في المائة) عند الأطفال فتعتبر الحالة خطيرة، وإذ زادت المساحة المحروقة من سطح الجسم عن خمسة عشر في المائة (١٥في المائة) عند كبار السن اعتبرت الحالة خطيرة كذلك، أما البالغون من الذكور والإناث في أوسط العمر، فيدخلون مرحلة الخطر إذا تجاوزت المساحة المحروقة خمسة وعشرين في المائة (٢٥ في المائة) من إجمالي سطح الجسم (النسب المذكورة تقريبية، تفيد في تقييم الموقف وتحديد خطورة الحروق، ولكنها ليست قاعدة يتعين التقيد بها في كل الأحوال).

وجدير بالذكر أن الحروق السطحية ليست أقل خطورة من الحروق العميقة، فمثلا إذا كانت نسبة الحروق السطحية خمسين في المائة (٥٠ في المائة) من مساحة سطح الجسم، فإنها تكون أكثر خطورة من حروق عميقة، تؤثر على عشرة في المائة (١٠ في المائة) أو عشرين في المائة (٢٠ في المائة) من مساحة سطح الجسم.

المقصود بتعبير «الخطورة» في هذا السياق هو تأثير الحروق على صحة الإنسان وعلى عمره، إذ تؤثر الحروق الخطيرة على الصحة من طريقين رئيسيين وبصورة مباشرة:

(١) فقدان سائل البلازما من الدم، نتيجة تدمير الشعيرات الدموية في الجلد، وهذا يؤدي بدوره إلى اضطراب خطير في كيمياء الدم وفي توازن السوائل في الجسم.

(٢) تسهيل الإصابة بالعدوى نتيجة تدمير أحد أهم خطوط الدفاع في الجسم وهو الجلد، ونتيجة توافر وسط غذائي جيد لنمو الميكروبات المسببة للمرض، يتمثل في سائل البلازما الذي يرتشح من الجلد المتهتك.

كذلك يجب التنويه إلى أن الحروق السطحية تكون أكثر إيلاما من الحروق العميقة! والتفسير الطبي لذلك هو أن الحروق العميقة تدمر نهايات الأعصاب (الخلايا العصبية) في الجلد، فلا يشعر المصاب بألم بعد ألم الحريق، بينما في الحروق السطحية تبقى الخلايا العصبية في الجلد غير مصابة، ولهذا يستمر الشعور بالألم في موضع الحرق إلى حين التئام موضع الإصابة.

بقدر من الاهتمام وحسن التصرف يمكن تلافي إصابات الحروق

الإسعافات الأولية

يتركز إسعاف المصاب بالحروق في إبعاده عن مصدر الخطر، وتسكين الألم، ثم تضميد موضع الإصابة، وفيما يلي تفصيل ذلك:

■ إبعاد المصاب عن مصدر الخطر قبل المغامرة بالاندفاع نحو المصاب لإنقاذه، يتعين تقييم الموقف بسرعة لتحديد أفضل وسيلة للتصرف، إذْ قد يؤدي الاندفاع الأعمى إلى إصابة المنقذ كذلك، أو إلى انتشار الحريق بدرجة أكبر.

■ إذا كان اللهب المباشر هو سبب الحريق، وإذا كانت النيران مشتعلة بثياب المصاب، فيجب على المنقذ أن يحتمي وراء بطانية حريق، قبل الاقتراب من المصاب. وبطانية الحريق عبارة عن قطعة قماش كبيرة من مادة غير قابلة للاشتغال، وهي متوفرة في الأسواق بأثمان في متناول الجميع، وإذا لم تتوافر بطانية الحريق فيمكن استعمال بطانية عادية، أو أي شيء في متناول اليد يقوم مقامها، وبمجرد الاقتراب من المصاب يجب لفه بسرعة في البطانية، ثم سحبه بعيدا عن مصدر اللهب إلى مكان آمن، ثم طرحه على الأرض في وضع الاستلقاء، لتفادي صعود اللهب إلى الوجه، وبعد إخماد النيران في ثياب المصاب، ويجب أن يتم ذلك بسرعة، يتوجه المنقذ لإخماد اللهب مصدر الحريق.

■ إذا كان التيار الكهربائي هو سبب الحريق، فيتعين قبل الاقتراب من المصاب عزل التيار الكهربائي، أو فصل الآلة أو الجهاز سبب الحريق عن مصدر التيار الكهربائي، فإذا لم يكن مصدر التيار الكهربائي معروفا، أو إذا لم يمكن عزله بسرعة، فيجب استعمال مادة عازلة كهربائيا قبل الاقتراب من المصاب، وإلا تعرض المنقذ للإصابة كذلك، ومن أمثلة المواد العازلة كهربائيا الخشب والبلاستيك، أما الماء فإنه من المواد جيدة التوصيل للتيار الكهربائي، لذلك فمن الخطورة بمكان استعمال الماء لإطفاء حريق كهربائي، أو الاقتراب من مصاب بالتيار الكهربائي بملابس أو أحذية مبتلة بالماء.

■ في حالة الحروق بالمواد الكيميائية يتعين إبعاد المصاب بسرعة وحذر عن مصدر الإصابة، ويراعى عدم إتلاف الوعاء المحتوي على المادة سبب الإصابة أو التخلص منه، لأن تعليمات الإسعاف الأولي في حالات الإصابة تكون مدونة عليه غالبا، وحتى إذا لم تكن للوعاء فائدة في هذا الشأن، فسوف تكون له فائدة في تقرير نوع العلاج اللازم عند نقل المريض إلى المستشفى، وذلك بمعرفة التركيب الكيميائي لمحتويات الوعاء، ومن الضروري اصطحاب الوعاء سبب الإصابة عند نقل المريض إلى المستشفى.

وبعد، فإذا كان الغرض مما سلف هو بيان كيفية إسعاف المصاب بحروق، فإن الأهم هو التنبيه إلى خطورة هذه الإصابات، وبيان مصادر الخطر. وبقدر من الاهتمام وحسن التصرف يمكن تلافي إصابات الحروق، والمضاعفات الكثيرة المترتبة عليها.

تربية الأبناء والثقة بالنفس

عادل صديق

الأبناء هم النعمة التي وهبها الله لنا. وهم أملنا وأمل بلادنا وقوام مستقبلها. وهم أمانة في أعناقنا، وغرس أيدينا.. ما نزرعه فيهم نجنيه منهم. وما نربيهم عليه ونبثه فيهم من قيم ومبادئ. أو نعلمه لهم من معارف وقناعات ومفاهيم يساهم بشكل لا يمكن لأحد أن يجادل فيه في تكوين شخصياتهم وتشكيل ملامحهم النفسية والسلوكية. فالأبناء يولدون صفحة بيضاء ينقشها الآباء والأمهات. ثم يتعلمون مجموعة من الأشياء التي يكونون منها لغة يعرفون بها العالم الخارجي. ثم ما يلبث الأبناء أن يكتشفوا أن الآخرين يتكلمون بلغة مختلفة، ولا نعني باللغة اللكنة أو اللهجة ولكن نعني بها ما تعلموه من المفاهيم والقيم والأخلاق والعادات والطبائع والأساليب التي يتعاملون بها مع الآخرين، من هنا تأتي أهمية اختبارات مدى الثبات والثقة بالنفس.. إن ٩٠٪ من قيم كل شخص فينا تتكون قبل سن ٧ سنوات!



إن الثقة بالنفس تنمو مع الفرد ويتواكب نموها مع نموه العقلي والجسدي ويرتبط ذلك بالبيئة التي ينشأ فيها، فالطفل يكتسب الثقة بالنفس خلال الأعوام الأولى من حياته عن طريق التفاعل الاجتماعي الحاصل بينه وبين الأم، وبينه وبين أفراد الأسرة والآخرين.

ويتم تقوية الثقة بالنفس أو إضعافها عن طريق نوعية التنشئة الاجتماعية، فعندما ينشأ الطفل في بيئة مملوءة بالثقة بالنفس يكون واثقا من نفسه معتمدا عليها لا يتخوف من مجابهة المواقف الاجتماعية أيًّا كان نوعها، ويحاول أن يخلق مواقف جديدة، ويتعامل مع الآخرين من مختلف الأعمار والأجناس.

إن إتاحة الفرصة للأبناء للتعبير عن مشاعرهم وآرائهم، ومنحهم التشجيع والتحفيز في ممارسة نشاطهم الحركي والفكري المستقل، كثيرا ما يؤدي إلى تكوين الثقة بالنفس وتقويتها، بينما يحدث ضعف أو فقدان للثقة بالنفس منذ الطفولة بسبب النواهي المتعددة، والانتقادات المختلفة التي يتلقاها الطفل من أبويه أو ممن يكبره سنًّا، دون الالتفات إلى كيفية التعامل مع المرحلة السنية التي يمر بها أو القدرات والإمكانات التي يتمتع بها، مما يؤدي إلى فقدان احترام الذات، وضعف الثقة بالنفس، وبالتالي يشعر الأبناء بأنهم ومترددون، وخائفون، وغير مؤهلين لمواجهة أبسط المواقف التي يمرون بها.

التربية والثقة بالنفس

هناك ظاهرة تتجلى واضحة في معظم بيوتنا وهي حجر الآباء على رغبات وميول الأبناء، فالأم إن كانت طبيبة ترغب في أن يكون طفلها طبيبا في يوم من الأيام، حتى وإن كانت له ميول مختلفة يريد ثقلها بالدراسة.

إن كثيرا من الأمهات والآباء يريدون رؤية أنفسهم في أطفالهم سواء من الناحية الشكلية أو من الناحية السلوكية، كما أن كثيرا منهم يجدون صعوبة شديدة في تربية أطفالهم إذا كانت شخصياتهم مختلفة عنهم.

قد يحاول أحد الأبوين دفع طفله المختلف عنه لأن يتبع طريقته نفسها، لكن هذا ليس حلا، فمن الضروري أن نقبل أطفالنا بشخصياتهم هم لأننا لو لم نفعل ذلك سيعانون.

على سبيل المثال، إذا دفعت طفلا ميوله أدبية لكي يتميز في العلوم لأن هذا هو مجالك، فقد يصبح طفلك متفوقا في مادة العلوم، لكنه لن يبرع في هذا المجال لأنه ليس المجال الذي يرى فيه نفسه ويشبع مواهبه هو، وكنتيجة لهذا قد يضعف تقديره لذاته.

عندما نحاول فعل أشياء نحن مجبرون عليها أو مضطرون إليها بدلا من الأشياء التي تنبع من داخلنا، فإن ذلك لاشك يولد شعورا دائما بعدم الثقة بالنفس، كما أن جزءا كبيرا من ثقتنا بأنفسنا ينبع من إيماننا بقدرتنا وكفاءتنا على فعل الأشياء التي نحاول القيام بها.

الأبناء الذين يجبرون دائما على القيام بأشياء لا تلائم طبيعتهم يكون إيمانهم بقدرتهم وكفاءتهم على القيام بهذه الأشياء ضعيفا، وبالتالي لن يشعروا بالحماس لعمل أي شيء جديد لشكهم وعدم ثقتهم في قدرتهم على النجاح، أما الأبناء الذين لديهم إيمان قوي بقدرتهم وكفاءتهم فغالبا ما يتمتعون بحماس أكبر لأن توقعاتهم للنتائج

التي يمكن أن يحققوها تكون إيجابية.

لذا فعلينا أن نكتشف بأنفسنا ميول ومواهب وإمكانات أبنائنا وهم في سن الطفولة، ومن ثم تعزيز وثقل هذه القدرات والميول ومراعاتها طوال عملية التوجيه والتربية والتعليم.

ويمكن اكتشاف تلك الميول والمواهب وتنميتها وثقلها لتعزيز الثقة بالنفس لدى الأبناء عن طريق:

١- مراقبة الأبناء من حيث طريقة الكلام وأساليب التعبير والسلوك في البيت.

٢- محاولة الإجابة على جميع الأسئلة التي يطرحونها ببساطة وسهولة.

٣- عدم نهرهم على أسئلتهم.

٤- محاولة توفير الأدوات التي تساعدهم على إظهار ميولهم كتوفير أدوات الرسم إذا كانوا يحبون الرسم...الخ.

٥- إشراكهم في أي من الأندية والجمعيات المختصة منها بممارسة الأنشطة الثقافية أو الرياضية...الخ.

٦- محاولة استشارة أحد المختصين في علم التربية لكي يساعد بشكل أكبر في تنمية اتجاهاتهم.

إن أبناءنا ليسوا قوالب جامدة، بل كل ابن بداخله الكثير من الاختلافات، فقد تكون لديه نقاط قوة ونقاط ضعف، قد يجيد شيئًا ولا يجيد آخر، مثله مثل كل البشر.

مقومات الثقة بالنفس

احترام الذات بتقدير الآخرين.

التعامل الجيد مع القريب والبعيد.

التحكم في المزاج.

التحلي بالهدوء.

الثبات في القول مع عدم التردد.

تحمل نتائج الأعمال مهما كان الثمن.

حب الحق والحقيقة.

الدفاع عن الحق بكل الوسائل.

التوازن العاطفي.



الانتقادات المختلفة التي يتلقاها الطفل من أبويه قد تتسبب في ضعف أو فقدان ثقته بنفسه

البحث عن الحلول باستمرار.

التحقق والتبين عند كل غموض.

تقديم العقلانية على السطحية.

العزة من غير تكبر والتواضع من غير ذلّة.

تأثير الخوف على الثقة بالنفس

الخوف غريزة طبيعية وهو انفعال فُطرت عليه نفوس البشر والحيوانات على السواء، وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحافظة على البقاء، والخوف عند الأبناء يجعل الآباء قلقين على مستقبلهم، فالأب يود أن يكون ابنه شجاعا واثقا من نفسه لكنه يجد في ولده الصغير كثيرا من الخوف والرهبة من بعض الأمور أو المواقف.

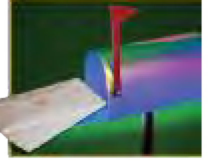
الخوف ضروري أحيانا ليكون هناك نوع من الحذر والحيطة تجاه مواقف معينة كالخوف من الامتحان مثلا، لأن الخوف سيدفع الابن نحو المحاولة وبذل الجهد حتى يتمكن من النجاح، كذلك عندما يخطو خطوة جديدة عليه تتنابه بعض المخاوف من الفشل، وهنا يأتي دور المربي بضرورة تشجيع الابن ودفعه نحو الأمام ومد يد العون له وتوجيهه.

تثبت الدراسات أن الإناث أكثر خوفا من الذكور، ويبدأ من سن ثلاث سنوات، فقبل ذلك إذا وجد طفل حية فإنه سيداعبها ويحاول لمسها، وكلما تقدم الطفل في العمر تزداد مخاوفه إلى أن يصل إلى سن معينة تبدأ تقل فيه المخاوف نتيجة لحصوله على خبرات أكبر، ولنعلم أن معظم مخاوف الطفل غير موضوعية وإنما هي خيالية، وكلما اشتد الخيال عند الطفل كلما زاد خوفه، فعلى الآباء أن يحاولوا الحد من تلك التخيلات غير الواقعية عن طريق تهدئة الطفل وتعليمه أن هناك فرقاً بين الخيال والواقع.

بعض الآباء يرتكبون أخطاء كبيرة في حق أبنائهم، فيستخدمون الخوف كوسيلة مجدية لفرض الطاعة عليهم.

ومن الصعب الفصل بين الخوف والعقاب في تربية الأبناء، إن موقف الطفل تجاه العقاب يجب أن يتصف بالاتزان فلا يصل إلى درجة الرعب والهلع أو إلى درجة اللامبالاة، بل يكون في درجة وسط بينهما لنستطيع تقويم الطفل وتوجيهه نحو السلوك الاجتماعي الأفضل دون أن نفقده الثقة في نفسه نتيجة الخوف أو عدم الاهتمام نتيجة الاطمئنان الكامل والأمان من العقاب.

أخيرا، جميلة هي الثقة بالنفس، وجميل أن نرى أبناءنا، ثمرة كفاحنا وغرس أيدينا، وهم يمشون مطمئنين واثقين ومتميزين بين أقرانهم منتصبي الهامة لا يخشون إلا الله وهم يشقون طريقهم في الحياة من نجاح إلى نجاح بلا غرور ولا إعجاب خادع.



القرآن وصحوة العقل

من حكمة الله تعالى أن لكل نبي ورسول معجزته التي خاطب بها قومه، وجاءت المعجزة مناسبة للبيئة، فهي مادية كما جاءت مصاحبة لموسى عليه السلام ممثلة في يده وعصاه التي تلقف ما يأفكون من خيال السحر والسحرة، أو كما صاحبت عيسى عليه السلام من شفاء للمرضى وإحياء للموتى بإذن الله، أما المعجزة التي صاحبت النبي محمدا ﷺ فقد نزلت في بيئة بدوية، بداوة في الفكر وفي العصبية وفي جمود العقل، ولكنهم كانوا أهل بلاغة وفصاحة وطلاقة لسان وبيان، فكانت معجزة القرآن التي تحدت بلاغتهم وفصاحتهم وأخرجتهم من بداوة الجهالة وعبادة الوثن والصنم إلى عبادة الله الواحد، ومن روح القبيلة إلى روح الجماعة، ومن الثأر وإشعال الحروب لأتفه الأسباب إلى التسامح والتعاون لتحقيق الخير والعدل والحق والسلام للجميع.

■ **محمد السيد عامر**

المسلمون والتربية العقلية

طامة كبرى ما نعانيه نحن المسلمون، اليوم، من تدني مستوى التربية العقلية في حياتنا، تلك التربية التي تقوي الإدراك والحفظ والاستنتاج والتحليل والتفكير المنطقي المنظم والتركيز واليقظة والذكاء والملاحظة والقدرة على الاستيعاب، وتوسع المدارك، وتقتل الجمود، وتدفع إلى البحث والاطلاع، تلك التربية التي تأتي متلازمة مع طلب العلم ومع التربية البدنية، الأمر الذي دفعنا إلى الكثير من الجدال والحروب الفكرية والمهاترات الثقافية الدامية، الأمر الذي قادنا إلى مخالفة الشرع وإلى التخلف الفكري والعلمانية والفقر والمرض، جاء ذلك من ضعف دور المؤسسات التربوية والتعليمية في الإعداد العقلي للناس عامة وللشباب خاصة، ذلك الإعداد الذي يدفع إلى طلب العلم، والتفكر في خلق الله، والتزود بالمعارف، وتقوية الإيمان بالله سبحانه وتعالى، واتباع منهجه كاملا في كل مناحي الحياة.

وللنجاة من هذا الداء اللعين يتحتم علينا اتباع منهج الإسلام في مسألة التربية العقلية بكل جوانبها وقضاياها، والتي لا تتحقق إلا في الجسد السليم المعافى القادر على قهر الصعاب، فالعقل السليم في الجسم السليم حقيقة لا ريب فيها، خروجا مما نحن فيه من وهم وسقم ووصولا إلى المستوى الحضاري المطلوب تحقيقا للريادة والقيادة لخير أمة أخرجت للناس، تنشر النور والعلم والحق والعدل والحرية والخير في العالمين.

■ **محمد علي الشريف**

اختيار الأصلح للوظيفة

اختيار وتعيين العاملين هو أحد الركائز الأساسية لنجاح أي نشاط اقتصادي، وإذا ما عدنا إلى القاعدة الشرعية فيما يتعلق باختيار الأصلح للوظيفة، نجد أنها تقوم على القوة والأمانة. وصاحب القرار أو مدير المؤسسة مسؤول مسؤولية كاملة عن اختيار من يتمتع بالمهارات والصفات التي تتناسب مع واجبات هذه الوظيفة وجزئياتها ومفرداتها وتوصيفها، وهذا ما يعرف بالقوة، وليس أدل على ذلك من قوله عز وجل ﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ (القصص:٢٦)، كما أكدت السنة النبوية الشريفة أن رسولنا الكريم ﷺ كان يتخير عماله من صالحي المسلمين، ويختارهم في الأغلب من المنظور إليهم في العرب ليوقروا في الصدر ويكون لهم سلطان على المؤمنين وغيرهم، ويحسنون العمل فيما يقولون. أما عن العنصر الثاني وهو «الأمانة» فإن ولي الأمر الذي يختار شخصًا ما لتولي إحدى الوظائف متحيزاً له أو محاباة أو للمحسوبية وإهمال الأصلح يكون خائنًا للأمانة التي حملها الله عز وجل إياه، وليس أدل على ذلك من قول العزيز الكريم: ﴿إن اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لاتخونوا اللّه والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال: ٢٧)، ويؤكد رسولنا الكريم ﷺ أن من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلًا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله.

■ **فوزي تاج الدين**

شهادة كبار المستشرقين في حق سيد المرسلين

ألم المؤرخ الإنجليزي المشهور بوسوورث سميث بتاريخ خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ في كتابه «محمد والدين المحمدي» فأظهر إنصافا يستحق أن يسجل له هنا، حيث قال في عرض كلامه عنه:

«... وكما كان محمد رئيسا للدولة كان رئيسا للدين أيضا، أي إنه كان «قيصرا وبابا» في شخص واحد، ولكنه كان بابا في غير مزاعم البابا، وقيصرا دون ان يكون له جيوش قيصر، فإذا حق لإنسان أن يقول عن نفسه إنه يحكم بحق إلهي، فقد كان ذلك الانسان محمدا، إذ كان حاصلا على كل سلطان الحكم، لا من طريق وسائله العادية، ولا بمقوماته المعروفة.

كان محمد- في وقت واحد- مؤسسا لأمة ومقيما إمبراطورية،

الرجولة معنى افتقدناه

الرجولة وصف اتفق العقلاء على مدحه والثناء عليه، ويكفيك- إن كنت مادحا- أن تصف إنسانا بالرجولة، أو أن تنفيها عنه، لتبلغ الغاية في الذم. ومع أنك ترى العجب من أخلاق الناس وطباعهم وترى ما لا يخطر على بال، لكنك لا ترى أبدا من يرضى بأن تنفي عنه الرجولة، ورغم اتفاق جميع الخلق على مكانة الرجولة إلا إن بين واقع الناس وبين الرجولة مسافة ليست قريبة، فالفرق بين الواقع والدعوى شاسع. وواقع الناس يكذب ادعاءهم.

وفي عصرنا الحاضر، عصر غزو الفضاء وحرب النجوم، عصر التقنية والاتصال، ارتقى الناس في عالم المادة لكنهم انحطوا في عالم الأخلاق والقيم، صعدوا إلى الفضاء وأقدامهم في الوحل والحضيض، تطلعوا إلى الإنجاز المادي، وهممهم على شهوتهم وأهوائهم ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ (الفرقان: ٤٤) وصرنا بحاجة إلى تذكير الرجال بسمات الرجولة، وأن نطالب الشباب أن يكونوا رجالا لا صغارا ولا مجرد ذكور، فكم بين وصف الذكورة والرجولة من فوارق.

■ **أميرة سليمان أبوجبة**

مشروعية التداوي

إن من نعم الله علينا أن خلق لكل داء دواء، وقدر به الشفاء، فمن يرجو من الله شفاء مصابه فليتبع ما أرشد إليه في كتابه، وليعمل بنصائح أهل الذكر امتثالا لما أمر به الله تعالى بقوله: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣).

ثم إن النبي ﷺ أمر بالتداوي وحث عليه، فقال لقوم من الأعراب يسألونه: أنتداوى؟ فأجابهم: «يا عباد الله تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد. قالوا: ما هو؟ قال: الهرم».

فإذا كان هذا أمر من يجب علينا أن نمتثل أمره فمن الخطأ أن نهمل أنفسنا ونتركها للمضرة، بل الأجدر أن نطيعه في ذلك ونخلص أنفسنا من المهالك، اتباعا لقول ربنا في الكتاب المبين: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥).

وإن ترك التداوي ينافي التوكل الذي هو حقيقة اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في أولاه وأخراه، إذ لا يمنع هذا الاعتماد على رب الأرباب من مباشرة الأسباب، لهذا قال ﷺ: «لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل».

■ **فؤاد الغريب**

بالربانية والإيجابية

«اللهم أجب دعوته وسدد رميته» (رواه الحاكم في المستدرك) هذا دعاء المصطفى لصحابي جليل أن يكون مستجاب الدعوة يقرع باب الكريم دوما بالتضرع والاستغاثة ان ينصر الله المجاهدين في غزة يقول ابن مسعود «ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له» والدعاء مخ العبادة، وسمة العبد الرباني، وقديما قال الشاعر:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن
لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي
ويرسلها إذا نفذ القضاء

ومن ذا الذي يرد دعاء السحر وسهام القدر وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، ومستجاب الدعوة تلزمه نيه صادقة يستصحبها عند كل عمل، وذاتية يتحلى بها، وأن يطيب مطعمه وينقي سريرته.. تبدو عبقرية دعاء النبي ﷺ «وسدد رميته» فتقرن بين الربانية والإيجابية بين قوة الإيمان والعقيدة، ونقاء السريرة ودقة التصويب، وحسن التدريب والأخذ بالأسباب وجمال الأداء، وتمزج بين بذل الجهد واستفراغ الوسع في شحن القلوب ونقاء النفوس، والسعي الحثيث لاكتساب مهارة إجادة التسديد وحسن التصويب.

■ **خلف عبدالله حسن**

وبانيا لدين، وهو وإن كان أميا فقد أتى بكتاب يحوي أدبا وقانونا وأخلاقا عامة، وكتبا مقدسة في كتاب واحد، وهو كتاب يقدسه إلى يومنا هذا مجموعة لا يستهان بها من النوع البشري، لأنه معجزة في دقة الأسلوب، وسمو الحكمة، وجلالة الحق. كان يقول عنه محمد إنه معجزته الخالدة، حقا إنه لمعجزة... ثم إذا نظرنا إلى ظروف الأحوال، وإلى ما كان لمحمد من الاحترام الفائق الوصف عند أتباعه وقارناه ببابا الكنيسة وبقديسي القرون الوسطى فإن أدعى شيء للدهش في محمد أنه لم يدع قط القدرة الذاتية على إحداث المعجزات، نعم كان يفعل ما يقول وكان أتباعه يرونه يقوم بتحقيق كل ما يقول.

أفتريد بعد هذا برهانا قاطعا على صحة صدقه وإخلاصه؟ لم يحرص محمد إلى آخر حياته على شيء إلا على ذلك اللقب الذي تلقب به من أول أمره، وهو لقب أعتقد بأنه سيأتي يوم ترضى فيه أرقى فلسفة وأخلص مسيحية أن تسلم له به. وهذا اللقب أنه رسول الله حقا. رسول الله حقا. ا.هـ.

نقول: نعم لقد وفق المؤرخ الإنجليزي «بوسوورث سميث» إلى الصواب كله فيما ذكر عن سيد المرسلين محمد ﷺ وأكثر ما أعجبنا به من عبارته قوله: إنه يعتقد بأنه سيأتي يوم تسلم فيه أرقى فلسفة وأخلص مسيحية بأن محمدا كان رسول الله حقا.

■ **محمد الحسيني**

الأمين العام لحزب النهضة الإسلامي في طاجيكستان الدكتور سيد عمر:

بقايا الشيوعيين وجماعات التنصير تسعيان لتذويب هويتنا

همام عبد المعبود

انتقد الأمين العام لحزب النهضة الإسلامي في طاجيكستان الدكتور سيد عمر وجود نخبة واسعة النفوذ داخل البلاد تنظر إلى الإسلام على أنه «عدو» و«غول»، مشددًا على أن وجهة النظر هذه تُتَرجم في حملات تشويه إعلامية، تسعى لإيجاد نوع من الفوبيا ضد الإسلام. وأضاف الدكتور عمر في حوار خاص لمجلة «الوعي الإسلامي» أن هناك قيودًا مفروضة على الدعوة الإسلامية، منها حظر تلقي الدراسات الإسلامية دون الحصول على تصاريح أمنية، كما أن هناك محاولات لتجفيف منابع الدين، مثل حظر الحجاب، وهدم العديد من المساجد، وحظر استخدام مكبرات الصوت خلال أذان الفجر، «وهي مظاهر نحاول كحزب إسلامي مواجهتها عبر جهود حثيثة»... وإليكم نص الحوار:

■ **استقبلت آسيا الوسطى الإسلام بشوق كبير، فهل تكرر هذا السيناريو في طاجيكستان؟**

- نعم.. وبشكل لافت، لقد لعب القائد المسلم العظيم قتيبة بن مسلم الدور الأبرز في دخول الإسلام إلى طاجيكستان، في الفترة ما بين عامي (٩٤ - ٩٦ هـ)، حيث ارتبط دخول الدين الحنيف بالأحداث التي تلت معركة القادسية، وفتح خرسان، وبلاد ما وراء النهر، ووصلت جيوش المسلمين إلى نهر جيحون، وانتقلت منه إلى منطقة وادي فرغانة التي تعتبر القاعدة التي انطلق منها الإسلام إلى معظم بلدان آسيا الوسطى، ثم أوفد القائد المسلم قوافل الدعوة من الدعاة والتجار لنشر الإسلام، فحققت هذه الجولات نتائج جيدة.

ثم جاءت الفترة الذهبية لانتشار الإسلام في هذا البلد، في عهد الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بمنطقة آسيا الوسطى اهتمامًا كبيرًا، تمثل في إيفاد أعداد كبيرة من الدعاة، وإنشاء مئات المدارس الدينية والكتاتيب بشكل خلق نهضة تعليمية ودينية أسهمت في إخراج عشرات العلماء والفقهاء الذين أثروا الفكر الإسلامي وعلومه، ومنهم على سبيل المثال الإمام البخاري والإمام الترمذي وغيرهم.

وقد أسهمت هذه النهضة في اصطباغ هذه المنطقة بالصبغة الإسلامية، لدرجة أن وصلت نسبة المسلمين في بعض القرون إلى ١٠٠ في المئة، إلا أن بعض التطورات التي حدثت في العهد الشيوعي من تهجير وتصفية جسدية في أوساط المسلمين جعلت هذا العدد ينخفض إلى أقل من ٨٣ في المئة، حيث تم جلب مواطنين من روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء وتوطينهم في البلاد التي هجرها مواطنوها إلى سيبيريا، حيث واجهوا الموت والتصفية من جانب جلاديهم السوفييت.



الشيوعيون سيطروا على وسائل الإعلام وأبعدوها عن الإسلام منذ زمن

إذابة واحتواء وقهر وبطش!

■ **تشتهر بلادكم بالتنوع العرقي، فهلا ألقيتم لنا الضوء على التركيبة السكانية للبلاد؟**

- يمثل الطاجيك الغالبية العظمى في البلاد، حيث تصل نسبتهم إلى حوالي ٥٨ في المئة، يليهم الأوزبك الذين يشكلون ٢٣ في المئة من جملة السكان، فيما يمثل القرقيز والتتر وقوميات أخرى البقية.

ويشكل المسلمون ٨٣ في المئة من سكان البلاد، ويتحدث أغلبهم اللغة الفارسية، رغم اعتناق الأغلبية الكاسحة للمذهب السني، باستثناء عدد قليل من الطائفة الإسماعيلية الأغاخانية، ويسكنون هضاب التأمير في إقليم غورتوخشان.

وجدير بالذكر أن هذا التنوع العرقي لم يشكل يومًا عاملًا للتوتر، حتى خلال الفترة العصيبة التي مرت بها البلاد في أعقاب الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي، وهي الأزمات التي أمكن تطويقها بفصل الإسلام الذي استطاع إذابة واحتواء هذا التنوع العرقي، وتسخيره لخدمة طاجيكستان كبلد ذات أغلبية إسلامية.

■ **ما واقع الإسلام في طاجيكستان حاليا، وما مدى إقبال مواطنيها على التعاطي معه؟**

- هناك ما يشبه الصحوة الإسلامية في البلاد، فهناك إقبال على أداء الصلوات والشعائر الإسلامية المختلفة من جانب أعداد كبيرة من المواطنين، لاسيما الشباب منهم، ورغم أن بلادنا قد ظلت ما يقارب سبعين

◆ صحافي مصري

عامًا تحت بطش العصابات الشيوعية، التي حاصرت الإسلام في المخابئ، وصادرت كل ما له علاقة به من مساجد ومدارس دينية ومصاحف وكتب، فإن هذه الإجراءات قوبلت بنوع من المقاومة السلبية، حيث ظل الجميع يحرص على أداء الصلاة وقراءة القرآن بشكل سري وورثوا ذلك لأبنائهم.

وفي الفترة الأخيرة تصاعدت حركة بناء المساجد، لدرجة أن شوارع مدن طاجيكستان مثل دوشنبه وقرمز وجوجند وكورغان امتلأت بالمساجد بشكل أثار فزع الحكومة التي شنت حملة على المساجد انتهت بهدم بعضها، وضم البعض الآخر للهيئة الدينية الرسمية، بذريعة عدم الحصول على تصاريح بناء!.

ورغم هذا فإن هذه المساجد تشهد إقبالاً شديدًا من قبل المواطنين، خاصة في يوم الجمعة وشهر رمضان والأعياد، على الرغم من أن أعداداً كبيرة من أبناء طاجيكستان ليسوا على علم بفضل صلاة الجماعة، فضلا عن تدني مستوى الخطباء، وهي المشكلة التي نسعى حاليا كحزب إسلامي وحيد وشرعي في البلاد إلى حلها عن طريق تنمية وعي الخطباء، وتنظيم دورات لأبنائنا، فضلا عن السعي للحصول على منح من الدول الإسلامية لابتعاث أبنائنا للدراسة بها، والعودة لتفعيل مسيرة الدعوة الإسلامية.

تشويه الإسلام.. قيود وحصار

■ **هناك تقارير تتحدث عن العراقيل التي توضع في وجه الدعوة الإسلامية، والتي كان آخرها حظر استخدام مكبرات الصوت خلال أذان الفجر؟**

- الدعوة الإسلامية تواجه مشكلات عديدة أبرزها عدم إتاحة الفرصة للشباب المسلم لدراسة العلوم الشرعية، ووضع عراقيل واشتراطات أمنية قبل الحصول على الرخصة، وكذلك حاولت وزارة التعليم فرض حظر ارتداء الحجاب الشرعي على المسلمات في المدارس والجامعات، وقد أخفقت في تنفيذ ذلك بعد اعتراض أولياء الأمور وأحزاب المعارضة، وفي مقدمتها حزب النهضة الإسلامي الذي أتشرف بشغل منصب أمينه العام، وهي الاعتراضات التي حدت برئيس الجمهورية إمام علي رحمانون على إلغاء هذا القرار الجائر والمستفز.

أما فيما يخص إلغاء استخدام مكبرات الصوت أثناء أذان الفجر، فهذا الأمر يعود إلى تنامي نفوذ شخصيات داخل الحكم، ترى الإسلام عدوًا لها، وتضع العراقيل أمام استعادة الطاجيكي هويته الإسلامية، وتعمل على تشويه صورة الإسلاميين، بدعوى سوء استخدام المساجد، والدين عمومًا، لتحقيق أهداف سياسية.

وكذلك تُشَن حملات إعلامية تُشبه الإسلام بالغول الذي يستعد للانقضاض على البلد، وهي حملات يقف وراءها الشيوعيون، غير أنها تواجه بمقاومة شديدة من قبل حزب النهضة والنشطاء الإسلاميين، وهي محاولات مصيرها الفشل بالتأكيد، لمخالفتها للهوية الإسلامية لشعب طاجيكستان.



الدعوة تواجه مشكلات أبرزها منع الشباب المسلم من دراسة العلوم الشرعية

■ **تحدثت في السابق عن عدم إتاحة الفرصة للشباب الطاجيكي للتعرف على الإسلام وشريعته.. نريد أن توضح الأمر للقراء؟**

- نعم هناك قيود تفرض على هذه الثقافة، عبر فرض قيود على استيراد الكتب والمؤلفات الإسلامية الكبيرة، وفرض ضرائب وجمارك عليها، وحظر بيع هذه الكتب في حالة وصولها، إلا بعد الحصول على تصريح من السلطات، وهي تصاريح استخراجها شديد الصعوبة، فضلًا عن حظر الدولة أي تجمعات دينية، سعيًا منها إلى تجفيف منابع الدين والتصدي لأي أنشطة دينية هدفها الوحيد ربط هذا الشعب بالإسلام كهوية ودين.

■ **لاشك أن الأزمة الاقتصادية ووجود آلاف اللاجئين يهيئان التربة لعبث المنظمات التنصيرية في البلاد.. أليس كذلك؟**

- في طاجيكستان تعمل أكثر من عشر منظمات تنصير، أغلبها بروتستانتي، ومنها الكاثوليكي، وعلى رأسها جمعية العون المسيحي، وجيش الخلاص، وفريق الكنيسة للإسكان، وجمعية الشبان الإنجيليين، ومنظمتا أكويب و«الإخوة المتحابون»، ومنظمة «الإخوة الكومبنيون»، وغيرها من المنظمات التي استطاعت استغلال حالة الفقر والعوز، وعدم وجود منظمات إغاثية إسلامية لمواجهتها في نشر سمومها بين مسلمي البلاد.

ولم تكتف هذه المنظمات بالسعي لتنصير المسلمين، ولكنها استغلت سعي النظام الحاكم لتسويق نفسه عالميا لتثبيت أقدامها في أراضي طاجيكستان المسلمة، ببناء ما يقرب من ١٠ كنائس في مدن البلاد المختلفة، وهو ما يخلق تحديا لنا لمواجهة هذا المد بشكل يتطلب مد يد العون من جانب الدول الإسلامية.

الشيخ أحمد عطية الأثري

(١٩٠٤-١٩٦١م)

هو القاضي المحدث اللغوي الخطيب البارع الشيخ أحمد عطية الأثري ولد عام ١٣٢٢هـ- الموافق ١٩٠٤م تقريبا في جزيرة فيلكا.

تحصيله العلمي

لا نعلم عن نشأته الأولى شيئا، سوى أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب كغيره من أبناء الكويت على يد أحد المعلمين في الكتاتيب المنتشرة في ذلك الزمان، وهذه هي المرحلة الأولى من مراحل حياته العلمية.

وتبدأ المرحلة الثانية حينما ولعت نفسه بالعلم منذ نعومة أظفاره، فيسر الله له أن تلقاه على يد بعض علماء الكويت المقيمين فيها والوافدين إليها، ويمكن ان نقسم مصادره العلمية التقسيم التالي:

شيوخه

١- الشيخ أحمد عبدالجليل الطبطبائي

كما أخبرنا الشيخ محمد بن جراح رحمه الله، فقد كان لهذا العالم دروس في مسجد الحداد القريب من منزله يحضرها طلبة العلم.

٢- الشيخ محمد اليماني، وكان هذا الشيخ يسكن حي المرقاب من مدينة الكويت، حيث كان إماما في مسجد هلال في ذلك الوقت، وكان الشيخ اليماني معجبا به غاية الاعجاب لما يراه عنده من الإقبال على طلب العلم وتوقد ذكائه وكثرة حفظه، فأقبل عليه يفيده مما عنده من علوم الآلة من نحو ولغة وصرف ومنطق، ولهذا انفرد الشيخ وتميز بهذه العلوم من بين علماء الكويت.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن أحمد آل مبارك الاحسائي، وأخذ شيخنا فقه الإمام مالك على هذا الشيخ الفاضل الذي أحب الكويت وأهلها، وحرص كل الحرص على استفادة تلاميذه من علمه، وكان هذا الشيخ متبحرا في مذهب الإمام مالك، وله فيه متن خاص به.



٤- الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي الاحسائي، ويعتبر هذا الشيخ من المترددين على الكويت دائما وينزل على بيت الرومي ضيفا، وهو من شيوخ الاحساء المشار إليهم بالبنان، وكان ضليعا في مذهب الإمام مالك، وله فيه نظم مشهور في فقه العبادات، كما كان ضليعا في النحو والصرف، وله في الصرف نظم سماه «مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني»، يدل على تبحره في هذا العلم، ومن كان هؤلاء شيوخه أجدر به أن يكون من أهل العلم.

قراءته واطلاعه

لقد كان الشيخ نادرة زمانه، ذكاء وحفظا، وحبا واجتهادا في طلب العلم، حتى بلغ به الذكاء أنه إذا درس أي علم من العلوم الشرعية على يد أي عالم يفد إلى الكويت، ثم يصادف أن يعود هذا العالم إلى بلاده قبل إتمام الدراسة العلمية التي بدأها معه الشيخ الأثري فإنه يستطيع أن يواصل استكمال ذلك العلم بما فتح عليه الله في فهم بقية ذلك الفن، واستيعابه ودراسته بمفرده، فالقراءة والاطلاع الواسع دعامتان من دعائم تكوينه العلمي الشرعي، هذا على قلة الكتاب في بلد مثل الكويت في ذلك الزمان.

وبلغ من حبه للقراءة أنه كان يستغل أيام إجازته السنوية ليبقى في بيته منكبا على قراءة الكتب قراءة واعية متفحصة.

وكان له ذوق رفيع في ترتيب الكتب والاعتناء بها والولوع بشرائها مهما يكن الثمن.

مواهبه

كان رحمه الله أديبًا وشاعرًا، يقرض الشعر في المناسبات النادرة، ومن ذلك تقريظه لكتاب ألفه المرحوم ملا عبدالمحسن عبدالله البحر فقال في أوله:

من البحر قد مد ابن بحر كتابه
ليستخرج الطلاب من قعره درا

ومما يؤسف له أن شعره قد ضاع كله.

أعماله ووظائفه

أ- تولى منصب القضاء مساعدا للشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة بعد وفاة عالم الكويت التقي الورع المرحوم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ- الموافق ١٩٣١م والذي لم يمكث فيه طويلا إذ اختاره الله إلى جواره.

ب-تولى الشيخ وظيفة الإمامة في مسجد هلال في المرقاب مدة طويلة، كما تولى فيه منصب الخطابة والوعظ.

وكان إذا قام خطيبا أعطى الموضوع حقه، وكان في بادئ الأمر يخطب من صحيفة، أما في أيامه الأخيرة فكان يخطب ارتجالا.

وفي مجالس وعظه الرمضانية وغيرها تخال نفسك جالسًا في روضة غناء بما تسمع من أحاديثه العذبة، وعباراته الشيقة.

وأما شرحه للحديث النبوي، فله طريقة فذة في استيفاء شرحه، وربما أخذ منه الحديث الواحد ستة أيام شرحًا.

ومن خصائصه التي يذكر بها أنه في خطبه ووعظه وأحاديثه لا يورد حديثا منكرا أو موضوعا ترغيبا للناس، أو ترهيبا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وعي وإدراك.

وفاته

توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٨١هـ- الموافق ١٩٦١م.

الداعية المجاهد الشيخ محمود عيد في ذمة الله

التحرير

بعد رحلة طويلة مع الوعظ والارشاد والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، والهجرة بعيدًا عن الأهل والأوطان، انتقل إلى رحمة الله تعالى في الـ ٢٧ من رمضان ١٤٣٠هـ، الموافق السابع عشر من سبتمبر ٢٠٠٩ في الكويت عن عمر ناهز السابعة والتسعين عاما، الداعية المجاهد والعالم العامل فضيلة الشيخ محمود عيد (يرحمه الله).



كان الفقيد الراحل عالما من طراز فريد عرفته منابر المساجد في الاسكندرية وفي مقدمها منبر «مسجد السلام» إماما لا يخشى في الله لومة لائم، لم يهادن ولم يساوم ولم يتنازل عن مبادئه، فقد ظل طوال حياته ثابتا على أفكاره مدافعا عنها، الأمر الذي أدخله السجن مرات عديدة، واضطر في النهاية لمغادرة الوطن عام ١٩٨٢م، وحط رحاله في كويت الخير بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فيها، ومنذ ذلك الحين وهو يمارس عمله الدعوي بالكويت، بعد أن عرضت عليه الوزارة العمل بها إماما وواعظا، وجال الشيخ محمود عيد على معظم مساجد الكويت وهيئاتها ودواوينها ليلقي فيها الخطب والمواعظ والدروس، ومن بين الهيئات والمؤسسات التي حرص على إلقاء خواطره فيها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وبيت التمويل الكويتي.

ولا ينسى أهل الكويت للراحل مواقفه الرائدة من قضية الاحتلال العراقي الغاشم للكويت، فقد رفض في البداية مغادرة الكويت لحرصه على مشاركة أهلها في هذه المحنة القاسية، وخطب في مساجدها داعيا الله أن يهلك الطغاة وأن ينتقم منهم، وأمام إصرار عائلته وتلامذته على ضرورة مغادرته الكويت، حتى لا يبطش به أتباع النظام الغازي وذلك في ظل إصراره على مهاجمته غير عابئ بالمصير الذي قد يلقاه، اضطر للخروج من ناحية العراق، وأثناء مروره بالمدن العراقية كان لا يكف عن الدعاء على الطواغيت والظالمين والمغتصبين بمساجدها أثناء الصلوات، في إشارة إلى النظام العراقي البائد، وبعد تحرير الكويت عاد مباشرة، واستأنف نشاطه الدعوي مجددا، وكان، رحمه الله، يحب الكويت حبا جما، بل كان يعشقها ولا يترك مناسبة إلا ويذكر أهلها بالخير.

نعاه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين على لسان العلامة الدكتور يوسف القرضاوي فقال عنه: كان الشيخ، رحمه الله، من أعظم الدعاة بلاء في سبيل الإسلام والأوطان، وأوقف حياته على مقاومة الاستعمار الأجنبي، والإصلاح في الداخل والخارج حتى أتاه اليقين. وقال عنه د.توفيق الواعي: عالمنا الكبير، وداعيتنا العظيم، وإمامنا الشجاع الشيخ محمود عيد كان عملاقا في ثباته، عظيما في دعوته، جاهرا بالحق، ناكرا للمنكر، ولو كان في القمم، غير هيَّاب ولا وجل، داعيا إلى الله لا يخشى في سبيله لومة لائم ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾.

رحم الله الفقيد الراحل وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، كما ندعوه تعالى أن يلهم ذويه ومحبيه وتلامذته الصبر والسلوان ﴿إنا لله وأنا إليه راجعون﴾.

جامع الزيتونة

التحرير

لأهل تونس الكرام في مسجدهم العَتيق «جامع الزيتونة» إجلالٌ وإعظام، عَبر عنه المؤرخون والأدباءُ بأفصح ما لديهم من العبارات والتراكيب؛ فهو الجامع الذي إذا ما بدا لك تَبلج نُوره، وأيْقَنْتَ أنه الجامع المُفْرَد، والمُفْرَدُ الجامع، على حد تعبير بعضهم.

التاريخُ المعماري لجامع الزيتونة

هو ثاني الجوامع التي رُفعت بإفريقية بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان، وقد أُسس سنة ١١٠هـ (٧٢٨م)، وقيل: سنة ١١٦هـ (٧٣٤م)، على يد عبيدالله بن الحبْحاب، والي هشام بن عبد الملك على إفريقية، وقيل: على يد حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاجنة.

أما تسميتُه بالزيتونة فقيل: لأنه بُني في موضع كان مشجرًا بالزياتين، قُطعت كلها ولم تبْقَ منها غير زيتونةٍ واحدة، سُمي بها الجامع.

وقد قام أمراء الدول المتعاقبة على تونس (التغلبية والصنهاجية والحفصية والعثمانية ...) بتوسعة الجامع وتحسين هندسته وزخرفته وترميم ما تداعى منه بحكم الزمن.

سماع كتب الحديث ورواياتها

يمتاز جامع الزيتونة عن غيره من مساجد تونس الخضراء بجملة من الخصائص، منها أنه من أقْدمها وأجلها، وهو رمزٌ لرسوخ المذهب المالكي منذ القدم، إذ حَمَله إليه سيدي علي بن زياد راوي «الموطأ»، ولاشك أن قيام الإمام سحنون بن عبدالسلام التنوخي بمهام القضاء في تونس قد عزز وجود المذهب.

وقد عَرَف الجامع حلقات رواية الحديث النبوي، والعناية بذلك جيلًا فجيلًا، وتبدأ مجالس الحديث غالبًا في الأحد الثاني من شهر رجب، وتستمر إلى اليوم الثاني أو الثالث والعشرين من رمضان من دون انقطاع، وتنعقد حِصص الرواية في أربعة أيام من كل أسبوع، أما الموكب الرسمي للختْم فيقع عشيةَ اليوم السادس والعشرين من رمضان، وأكثر ما اعْتُنِيَ به من كتب الحديث بعد موطأ الإمام مالك، صحيحا البخاري ومسلم وكتاب «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض.



الإمام العَلَم محمد الطاهر بن عاشور أغلى هدية زيتونية للأمة

التعليم

اشتهر الجامع منذ القدم بدوره في بث العلم الشرعي، لكنه لم يستقل بذلك؛ فقد كانت الدروس العلمية تُلَقى وتُلقن بالجوامع والمساجد الأخرى وفي الزوايا وبيوت العلماء، وإلقاء درْس معين إما أن يكون باقتراح من الشيخ المدرس، أو بطَلَبٍ من تلاميذه، وإذا ما بدأ الدرْس في كتاب مُقرر لا ينقطع منه، ولا ينتقل منه إلى غيره إلا بعد ختْمه، وقد كان لا يتقدم للتدريس وينتصبُ له إلا مَن أذن له شيوخه في ذلك، وهم في العادة لا يأذنون إلا لمن رأوْا فيه كفاءةً عاليةً وأمانةً تامةً وصلاحًا بيِّنًا، ولم يكن المدرس يتقاضى على تعليمه أجرًا من السلطة، ولكنه كان يعْتاشُ في الغالب من كسْب يده، فبعض علماء الزيتونة كان يحترف بيع الزهور أو الدباغة وغيرهما، وقد انْبنَى على هذا استقلالُهم التام عن أصحاب النفوذ السياسي؛ فلم تكن لهم أيةُ سلطة عليهم، بخلاف مَن تَقلد منهمُ خُطةً شرعيةً بحيث يتقاضى عليها جرايةً، ولذلك كان الكثير من العلماء يبتعد عن هذه الوظائف الرسمية، حتى لا يرتبط بالدولة، فتَتَقيدَ حريتُه، ويثقُل كاهلُه بما لا يتدين به أمام الله سبحانه وتعالى.

ولم يكن المقصود الأصلي من الدراسة في الزيتونة تحصيلَ الشهادات لتكون وسيلةً للارتزاق، وإنما كان لتحصيل العلم ورفع الجهل، وهذا لا ينفي أن كثيرًا من الوظائف كانتْ متوقفةً على مَن تتوافر فيه هذه الكفاءاتُ العلميةُ.

علوم الجامع الأعظم

العلوم أو الفنون التي تدرس بالجامع الأعظم يمكن تبويبُها حسب الاصطلاح إلى علوم نقلية وأخرى عقلية، ومن أهمها: علم التفسير، والتوحيد، والمصطلح، والفقه، والحديث، والقراءات والتجويد، وأصول الفقه، والفرائض، والتصوف،

والنحو، والصرف، واللغة والأدب، والمعاني والبيان، والسير والتاريخ، والعَروض، والميقات، وآداب البحث، والهندسة، والمساحة، والرسم والخط، والمنطق، والحساب، والهيئة.

مراحل التعليم بالجامع

كان التعليمُ الابتدائي يتلقاه الطفل المسلمُ في الكتاتيب، وهي مَحلاتٌ خاصةٌ بالبيوت، أو بجوامعِ الأحياء المتفرقة هنا وهناك، وَيَتلقى فيها الأطفالُ على وجه اللزُوم حفظَ القرآن الكريم أولًا بتمامه وكماله، ثم إتقانَ مبادئ اللغةَ العربيةَ نَحوًا وصرفًا وبلاغةً، وحفظَ بعض المتون الأصلية والمساعدة التي تُهيئُ صاحبَها لاقتحامِ دروسِ الجامع الأعظم.

مُقررات العلوم المُدرَّسة بالزيتونة

كانت العُلومُ المُدرَّسة في الجامع من خلال كُتُب رُتبت على ثلاث درجات باعتبار أهميتها وصعوبتها؛ فَمثلًا في المرتبة العالية في التفسير يُقرأ «أسرار التنزيل للبيضاوي» و«تفسير الجلالين»، وفي الحديث يقرأ «الموطأ» بشرح الزرقاني، و«صحيح البخاري» بشرح القسطلاني، وفي أصول الفقه «التوضيح» لصدر الشريعة، و«العضد على ابن الحاجب»، وفي الفقه «مختصر خليل» بشروحه، و«التبيين» بشرح الكنز في الفقه الحنفي.

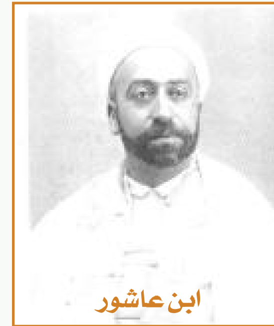
وفي المرتبة الوسطى، في علم الحديث «شرح اللقاني على الأربعين النووية»، وفي القراءات «نظم الشاطبية» بشرح ابن القاصح، وفي المصطلح «ألفية العراقي» مع شَرْحها، وفي الفرائض «السراجية» وشرحها، وفي الصرف «لامية الأفعال» وشرحها.

وفي المرتبة الأخيرة، في القراءات والتجويد «متن الجزرية»، وفي العقيدة «الجوهرة» و«صغرى الصغرى»، وفي الفقه الحنفي «متن الكنز» و«متن القُدُوري»، وفي الفقه المالكي «الرسالة» مع شرحها، و«متن ابن عاشر» بشرح ميارة عليه.



الشيخ محمد الصالح النيفر


مشيخة الجامع الأعظم وفروعه
شهادة العالمية في القسم الشرعي



ابن عاشور

الشهادات العلمية

سُلمُ الشهادات في الزيتونة على النحو التالي:

أولًا شهادة الأهلية: ويحصل عليها التلميذ إثر المرحلة الابتدائية.

ثانيًا شهادة التحصيل

في العلوم والقراءات: وينالها الطالبُ عند انتهاء المرحلة الثانوية.

ثالثًا شهادة العالمية:

وهي على ثلاثة أنواع، شهادة في العلوم الشرعية، وأخرى في الآداب، وثالثة في علوم القراءات.

إصلاح التعليم بالزيتونة

عانى الجامع- كغيره من الجامعات الإسلامية- ضعفًا في بعض أدْواره وأوقاته، فقام الشيخ المجدد محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله بحملته الإصلاحية التي شَملت زيادة عدد الفروع الزيتونية داخلَ وخارجَ تونس، كما عمل لتحسين ظروف معيشة طُلاب «الزيتونة» وأساتذته، وأَحدَث مناصبَ تدريسيةً خاصةً بعلوم الرياضيات والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا والفلسفة، وانتخب لها أساتذتها بطرق علمية دقيقة، وبهذه الإجراءات الإصلاحيةِ الجريئةِ وغيرها تَمَكن الزَيْتُونيون من استكمال عُدتهم الثقافية بالجمْع بين دراسة الحضارة العربية الإسلامية وبين الدراسة العصرية.

خزائن الكتب بالجامع

قبل أن نَختم حديثنا عن جامع الزيتونة بصفته معهدًا عظيمًا من معاهد العلم يَجْدُر بنا أن نتعرض إلى ما أُنْجِزَ في ميدان المكتبات، وهو كالآتي:

المكتبة الأحمدية: وقد أسسها أحمد باشا باي في «١٢٥٦هـ»، وتحتوي على ٢٦٩٦ مجلدًا.

المكتبة الصادقية: وتُعْرف أيضًا بـ «العَبْدلية»، وأسسها محمد الصادق باشا باي سنة «١٢٩٢هـ».

إسهام التعليم الزيتوني في الثقافة التونسيَة

كان للجامع دورٌ عظيمٌ في تثبيت العقيدة الإسلامية، وبث علومَ الشريعة والآداب العربية، كما كانتْ له إسهاماتٌ مباركةٌ في إشعاع الحضارة الإسلامية على تونسَ وأرجاء البلاد التي قَدِم منها طُلاب الزَيتونة، ولقد خَرج الزيتونة نحاريرَ الفقهاء من أمثال الشيخ سالم بوحاجب، والشيخ محمد الطاهر النيفر، ومحمد النجار، ومحمد العزيز جعيط، وغيرهم من أئمة المذهب المالكي، ومن علماء الحنفية الكبار أحمد حميدة بن الخوجة، وأحمد كريم.

كما أهدى جامعُ الزيتونة لتونس المبارَكة ولعموم الأمة المسلمة عالمَ القَرْن وَمجددَ العلمِ وشيخَ المتأخرين محمد الطاهر بن عاشور الذي حوى علوم الشريعة معقولًا ومنقولًا، وكان ثَرّ المادة، فسيحَ النظر، واسعَ المحفوظ، جليل الفهم، صائبَ الفكر، وهو بلا ريب أزْخرُ الزيتونيين إنتاجًا في علومِ الشرع وعلوم العربية.

ملاحظة: يرجى التنبه إلى أن أغلب ما ورد في هذا العرض مستقى من كتاب «جامع الزيتونة.. المَعْلم ورجاله» لمحمد العزيز بن عاشور، ويقع التصرف في العبارات تقديمًا وتأخيرًا من التحرير.



تاريخ الفكر في العالم الإسلامي



د. محمود مسعود

كثيرا ما كنت أبحث عن كتاب يوجز كليات قضايا الفكر الإسلامي، وفي نفس الوقت يكون شاملا ومحيطا بجوانب الفكر المتعددة، أو على الأقل يقدم تصورا كليا لمحاور الفكر الإسلامي عبر التاريخ، ولكن كان من الصعوبة بمكان وجود مثل هذا الكتاب بهذا المعنى في اللغة العربية، بالرغم من أن هناك كتابات كثر في اللغات الغربية تناولت هذا الجانب.

ويكمن السبب في ذلك في أن الغربيين في حاجة إلى أن يقدموا لجمهورهم تصورا عاما وشاملا ومحيطا بالفكر عند المسلمين، في المقابل نتخيل أن جمهور المثقفين في أمتنا قادر وحده أن يتصور المسائل الكلية للفكر الإسلامي، وهذا ليس بصحيح، حيث إن جمهور المثقفين لا يمكنهم تتبع ذلك إلا بقراءة عشرات المؤلفات في مجالات عدة؛ كمدخل للفلسفة ومدخل لعلم الكلام ومدخل للتصوف، ومقدمات في الفقه، ومقدمات في المنطق... إلخ، لكي يتمكنوا بالفعل من تصور سليم لكليات قضايا الفكر الإسلامي، وهو ما لا يسعه، بالطبع، وقتهم، ومع أن هناك عشرات العناوين في الغرب، باللغات الغربية المختلفة، تعالج مثل هذه القضية فأهمها في رأيي، كتاب Historia del pensamiento en el mundo islamic «تاريخ الفكر في العالم الإسلامي» لمؤلفه الإسباني ميغل كروث إيرنانديث، حيث يُعد أكثر شمولية وإحاطة.

مؤلف الكتاب هو الإسباني كروث إيرنانديث الذي ظل أستاذا للفكر الإسلامي في جامعة سلامنكا الإسبانية لمدة خمسة وعشرين عاما، ثم ظل في جامعة الأتونوما مدة مماثلة؛ أي ظل خمسين عاما يدرس الفكر الإسلامي، وقد نشر في بداية حياته العلمية بحثين عن ابن سينا، نال بهما درجة الدكتوراه، وله العديد من الأبحاث والمؤلفات في الفكر الإسلامي، ويقوم الآن بإعداد ترجمة جديدة للقرآن الكريم تتضمن شرح بعض معانيه، لكن كتابه «تاريخ الفكر في العالم الإسلامي» يُعد الأهم على الإطلاق من بين مؤلفاته.

وقد طبع الكتاب باللغة الإسبانية طبعات عدة كان آخرها عام ١٩٩٦م، ويدور في ثلاثة أجزاء وأربعة وعشرين فصلا، يبدأ بفصل تمهيدي عن الجزيرة العربية قبل الإسلام ومفهوم العصر الجاهلي، ووجود بعض أتباع الديانات السماوية في بلاد العرب، من اليهود في يثرب والنصارى في نجران والشام، ثم يحاول تصوير الحالة الدينية للجزيرة العربية قبل بعثة النبي ﷺ، ويبين بعض الآثار الإبراهيمية في الإسلام، وكذلك العناصر اليهودية والمسيحية التي قبلها الإسلام، ثم يبين أن الفارق الجوهري بين الإسلام وغيره هو نبذه للشرك وإبرازه للدور السياسي للدين، فمنذ أول نداءات الوحي نفى الإسلام الشرك بـ«لا إله إلا الله» ذات المعنى المطلق للتوحيد، كما أبرز الدور السياسي للدين منذ أول الفروض، ألا وهو فرض الصلاة الذي لا يؤدى كاملا إلا في جو جماعي اجتماعي سياسي وديني، فقد أعطى الإسلام منحى سياسيا للعبادة، فالصلاة التي كانت تؤدى بنزعة فردية عند الرهبان النصارى والمتعبدين اليهود أضحت تؤدى في جماعة واجتماع سياسي عند المسلمين، ثم ظل يبحث عن صيغ تفسير الإسلام من وجهة نظر الغرب، وذلك من خلال قراءة الإسلام عبر البوابة اليهودية المسيحية، أو من خلال الفكر اليوناني والإغريقي.

أما الفصل الثاني فقد خصصه لظهور الخلاف السياسي بين المسلمين، والذي أدى لظهور الفكر الشيعي عند المسلمين من القرن السابع حتى القرن الثاني عشر الميلادي، فبين الأصول الدينية والعرقية والثقافية والسياسية التي يختلف فيها الشيعة عن السنة، ثم أخذ يفصل الفرق الشيعية الثلاث الرئيسة والخلافات التي بينها، أما الفصل الثالث فعرض فيه لنشأة علم الكلام، وهو العلم المختص بدراسة العقيدة عند المسلمين، وبالطبع تطرق للحديث عن أهم الفرق العقدية عند المسلمين وهي فرقة المعتزلة، ثم كيف تطور الفكر العقدي النظري عند المسلمين من خلال تلك الفرقة وما تلاها من فرق إسلامية أخرى قامت بالرد عليها أو تبنت بعض مقولاتها؛ حيث كانت المعتزلة في بادئ نشأتها فرقة عقدية ثم تحولت لفرقة سياسية، وعلى العكس من ذلك كان الخوارج والشيعة، أما الفصل الرابع فقد خُصص للجانب الروحي عند المسلمين وبروز التصوف الإسلامي كعلامة على هذا الجانب، وظهور المنحى الباطني عند بعض المتصوفة المسلمين، أما الفصول الخامس والسادس والسابع فوضح فيها المؤلف نشأة الفلسفة المشائية عند المسلمين، تلك الفلسفة التي أخذت تسير على منوال الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي بصفة خاصة، وكذلك ظهور النزعة العقلية الخالصة عند المسلمين، والتي لاحت بقوة في القرنين الهجريين الثالث والرابع، أما الفصل الثامن فأخذ يبين فيه

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

رد فعل الإصلاحيين من علماء المسلمين ضد نزعة المغالاة والشطط التي ظهرت ولاحت في القرن الخامس الهجري بسبب الجري وراء النزعات الباطنية الغنوصية الشرقية التي كانت في الهند وفارس قبل الإسلام، وكذلك اللهث وراء الفلسفة الغربية سواء الوثنية الإغريقية أو اليونانية الطوباوية؛ أي ذات النزعة المثالية.

وكان نجم الإصلاحيين في نهاية القرن الخامس الهجري هو حجة الإسلام أبوحامد الغزالي، لهذا بين المؤلف من خلاله رد فعل المسلمين ضد هذه المغالاة من جميع النواحي؛ العقدية والفكرية والروحية، ثم ختم الجزء الأول من الكتاب بالحديث عن انتصار النزعات الباطنية وسيطرتها على مجريات الفكر والثقافة في العالم الإسلامي منذ نهايات القرن السادس الهجري حتى ظهور عصر النهضة.

أما الجزء الثاني من الكتاب فيدور حول حركة الفكر والثقافة في الأندلس والمغرب العربي، خاصة العلامة ابن حزم الذي خصص له فصلا مطولا وكذلك ابن خلدون، ثم جاء الجزء الثالث من الكتاب ليبحث تطور الفكر في العالم الإسلامي إبان العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة في الغرب، ثم أخذ يفسر ملامح عصر النهضة في العالم الإسلامي الذي بدأ كرد فعل ضد الاستعمار الغربي في شبه الجزيرة العربية بحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفي المغرب العربي بحركة الشيخ السنوسي، وفي السودان بحركة الإمام المهدي، ثم أخذ الفكر الإسلامي ينضج مع الأفغاني ومحمد عبده ومدرسة

المؤلف الإسباني: القرآن أكثر الكتب المقدسة يقيناً وأقلها إثارة للجدل بسبب الحفظ والكتابة

المنار، ثم ما أنتجته هذه النهضة من العودة للتراث الإسلامي وإعادة قراءته، وما أثمرته من ظهور الصحوة الإسلامية في مصر السنية بحركة الإخوان المسلمين، وفي إيران الشيعية بظهور الخميني.

الحقيقة أن الكتاب ذو أهمية بالغة لمن يريد أن يرى تاريخ الفكر الإسلامي بصورة مجملة وغير مخلة، حيث بذل المؤلف جهدا كبيرا من القراءة لكتب التاريخ والفكر والفلسفة والعقيدة والشريعة الإسلامية،



ليس هذا فحسب، بل قرأ أيضا كثيرا من كتب الأدب واللغة والنحو العربي، لكي يتمكن من تقديم كتاب موجز عن تطور التفكير عند المسلمين عبر أربعة عشر قرنا، منذ بدايات ظهور الدين الإسلامي إلى عصرنا هذا، وكان موضوعيا في أغلب القضايا التي طرحها، مما جعله ينأى عن كثير من الأحكام السلبية التي كانت تشيع في دراسات كثير من المستشرقين، فيقول عن القرآن: «هو أكثر الكتب المقدسة يقينا وأقلها إثارة للجدل بسبب ما تيسر له من الحفظ والكتابة»، كما أشاد

بعض المفكرين المسلمين، خاصة ابن رشد وابن خلدون وابن حزم، وبقوة ما أنتجه العقل المسلم في مجالات عدة كالفيزياء والرياضيات وغير ذلك.

لكن المؤلف، مع ذلك، تأثر بالرؤية الغربية تأثرا جد كبير، ففي كثير من قضايا الكتاب لم يدرك كل أبعاد الفكر الإسلامي لها، وذلك كالقول إن سرعة انتشار الإسلام أجبرت المسلمين على أن يضيفوا في القرآن والسنة، وإن عدم وجود هيئة تحدد ما هي السنة جعلت

المذاهب الفقهية والكلامية تضيف فيها وتنقص، وإن الفتوحات الإسلامية نوع من الاحتلال، ويبدو أن اتساع الفترة الزمنية للكتاب لم تجعله يدقق في كثير من الموضوعات، كما أنه لم يحسن فهم مسألة أهل الذمة، شأنه شأن كثير من الباحثين الغربيين الذين ينزعون هذه المسألة من تاريخها وإطارها العام لتبدو منقصة عند المسلمين ومسبة لتاريخهم، رغم أنها غير ذلك، فالجزية التي فرضها الإسلام على أهل الكتاب والتي كان يدفعها بعض أهل الكتاب في بادئ الأمر

لأنهم كانوا متحالفين مع أعداء الإسلام ويعادون المسلمين، فعند هزيمتهم وجبت عليهم الجزية، ليس لمخالفتهم في الدين ولكن لخيانتهم لوطنهم وعقيدتهم وليتحقق الاعتراف بالدولة الجديدة ذات الطابع العقدي.

أما وقد زالت شبهة الخيانة، واندمج في الدولة المسلمة غير المسلمين فقد أصبحت تلك الجزية مجرد ضريبة تجزئ عن المواطن غير المسلم في الدفاع عن أرضه وعرضه وصون كرامته وعزته، فهي ليست إكراها له أو إذلالا أو إهانة لشخصه، إنما هي وسيلة لحمايته من أعداء مرتقبين بين عشية وضحاها، خاصة بعدما أصبح ذميا؛ بمعنى أنه أصبح ذا عهد وذمة عند المسلمين الذين يحكمون بلدا هي وطنهم وأرضهم معا، وكان من المتصور هنا ثلاثة مواقف، الأول أن يُعفى الذمي من الدفاع عن أرضه ووطنه، وبالتالي لا يصبح مشاركا ولا فاعلا في هذا الوطن، أو أن يصبح جنديا مدافعا عن وطنه وأرضه، وفي الوقت ذاته يدافع عن عقيدة غيره، أو أن يدفع مالا قليلا ليدافع عن الأرض والعرض ولا يعرض نفسه للموت في سبيل عقيدة لا يؤمن بها، أما الأول فيجعله غير وطني، وبالتالي سيصبح غريبا في أهم ما يملك، وهو الوطن، وأما الثاني فكان صعب المنال، حيث سيجبر على اعتناق عقيدة هو ليس منها في شيء، فالجندي المسلم سيموت على الشهادة في سبيل نشر دينه ومعتقده، فلماذا يجبر غير المسلم على الدفاع عن عقيدة لا يؤمن بها؟!. أما الثالث فهو أن يدفع مالاً قليلاً عندما يدافع المسلمون عن عقيدتهم وعن الوطن معاً.

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

إيمان يس

استضافت القاهرة على مدى ثلاثة أيام من الشهر الماضي المؤتمر الدولي الذي عقد تحت عنوان «مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي» في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة بحضور عدد كبير من النخب العربية والإسلامية البارزة، وقد نظم المؤتمرَ مركزُ الدراسات الثقافية وحوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة بالتعاون مع وقف البحوث ودراسات الإنترنت باسطنبول.



وفي كلمته دعا أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة د.سيف الدين عبدالفتاح إلى أن يقوم بالإصلاح الحاكم المفكر، مستندا في دعوته إلى الحكم الراشد في الرؤية الإسلامية.

وردا على بعض المتخوفين من هذه الرؤية، الذين قالوا إن المفكر قد يهمل الواقع ويمعن في فكره وينسى الإصلاح على أرض الواقع، أجاب عبدالفتاح قائلا: هل سيكون واقعنا أسوأ مما نحن فيه الآن؟

وطالب عبدالفتاح بإعادة الاعتبار لثلاثة أمور مهمة، هي السياسة والإصلاح والفكر.

وعن إعادة إصلاح السياسة قال: نحن في هذا المجال بين تأميم المستبد الذي يريد أن يؤمم السياسة لمصلحته، وبين تحريف الغرب الذي أراد أن يحصرها في معنى السلطة والصراع عليها، مؤكدا أن تعريف السياسة هو ما عرفها به ابن القيم نقلا عن أستاذه ابن عقيل حينما قال:«إن السياسة هي ما كانت معه الأمور أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد»، وبذلك يكون الإصلاح معنى بنيويا في السياسة لا يمكن أن يُتخطى، بل هو جوهر السياسة ولبها.

وأكد عبدالفتاح على ضرورة الالتزام بنموذج الإصلاح الذي يقوم على دعوة النبي شعيب عليه السلام في الدعوة القرآنية ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (هود: ٨٨)، موضحا أن هذا النموذج يحدد خمسة عناصر لازمة وضرورية لعملية الإصلاح، وهي الإرادة، ثم «ما» التي تعني الوسائل والأدوات والآليات، ثم الاستطاعة والتي تعني جهدا إنسانيا كبيرا ومتعاظما ومرتبطا بقضية الإصلاح من مبتدئه إلى ما شاء الله، ثم التوفيق وهو ليس وعدا مجانيا بالمنن لأن الله سبحانه وتعالى لا يعطي المنن إلا لمن عمل بالسنن، والتوكل وهو السعي الفعال المتراكم، وهو ما يتعلق بالجانب الإيماني من الإصلاح، فالتوكل على الله والتوفيق منه سبحانه وتعالى، غير أن من الأهمية بمكان أن نقول: إن عالم المسلمين أفشل كل عمليات الإصلاح عندما فهم التوكل فهما خاطئا، ثم معنى المراجعة والإنابة في قوله ﴿وإليه أنيب﴾.

وأوضح عبدالفتاح أن هناك نظريات مهمة تقوم عليها عملية الإصلاح منها:

نظرية الفسيلة، وهي القائمة على الحديث النبوي «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (الألباني: صحيح على شرط مسلم)، ونظرية الثغر والرباط عليه، فكل منا على ثغر، ونظرية الفأس والسعي الفعال المستنبطة من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما جاءه أحدهم يشكو الفقر والحاجة فأعطاه صلى الله عليه وسلم فأسا ووجّهه إلى العمل قائلا «اذهب فاحتطب»، ونظرية الديمومة المتمثلة في الحديث «لا تحقرن من المعروف شيئا» (رواه مسلم).

وأضاف: أي مجتمع يقوم بعملية إصلاحية لابد أن يكون لديه أجهزة خاصة، هي جهاز المناعة الذاتية، وجهاز المراجعة الذاتية، وجهاز التجديد الذاتي، ثم يجمع هذه الأجهزة جميعا ما يسمّى بجهاز التصحيح الذاتي والقدرة على المبادرة والمواجهة، وبين هذه الأجهزة ما يجمع بينها من روابط وضوابط من مراجعة وقدرة على إحداث قدر من الإصلاح الفعال الذي يرتبط بعناصر الفاعلية.

وشدد على أن إستراتيجية أي إصلاح لابد أن تكون خماسية الأبعاد حيث تملك المرجعية، والشرعية، والقبول الاجتماعي، والدافعية، والجامعية، وتملك عناصر الفعالية حتى تستطيع أن تبني عملية الإصلاح وتنظم علاقتها بالسياسة.

كما حذر من الإصلاح الزائف الذي

تنقلب فيه هذه العناصر الخمسة إلى إصلاح زائف ضار، وهو المعكوس الذي يؤمن به الكثيرون الذين إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، فالمستبد مرجعيته ذاته، وشرعيته صناعة الرضا الكاذب والقبول الكاذب، حيث تشكل طبقة المستبدين والمستفيدين الانتهازيين والمنتفعين والمتسلقين، والجامعية، فإن المستبد يقوم بدوره في فض الجامعية، فالمستبد لابد أن يحكم في فُرقة تسود، فصناعة الفُرقة والتفرقة وعدم الثقة والخوف والاستخفاف هي صناعة المستبد الثقيلة والخفيفة.

كما حذر من التكاثر الإنجازي في جدول الإنجازات حين يصبح حتى الهواء إنجازا، والتبرير والمرحلة الانتقالية، حتى صرنا في مرحلة انتقالية إلى يوم القيامة، وترديد مقولة إننا في عنق الزجاجة حتى تحولت الزجاجة كلها إلى عنق.

ومن المغرب أكد رئيس مركز الدراسات والبحوث الإنسانية بوجدة د.سمير بودينار أهمية التعليم عند الحركة الإصلاحية؛ مرجعا ذلك إلى أسباب عدة منها كون التعليم عنصرا مركزيا في الرؤية المعرفية والمشروع التربوي لحركات الإصلاح، حيث يأتي برنامج التعليم على سلّم أولويات البرامج الدعوية والتكوينية، فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالمهمة الأساسية للحركات الإصلاحية ألا وهي «التبليغ»، فالتعليم هو قناة التواصل الأساسية للرؤى والقيم والأفكار، والأهم من ذلك كله النماذج، فضلا عن أهميته المطلقة في إعداد المورد البشري الذي يشكل مادة الإصلاح وهدفه في آن واحد.

كما أكد بودينار أهمية التعليم كجسر بين مجتمع الفكرة الأصلي، وهو المعلم أو من يقوم بدور الإصلاح، وبين مجاله الحيوي الذي قد يتسع لدوائر عدة بدءا من المحيطين بالمعلم، ونهاية بالعالم الإسلامي ككل بالنسبة لحركات الإصلاح.

ومن هنا كان على الحركات الإصلاحية أن تُعنى بالبرامج الدراسية خاصة الكتاب المدرسي، وتعنى أيضا بالإطار البشري خاصة نموذج المعلم والمدرس، والإمكانات التربوية المصاحبة على مستويات التجهيز والإدارة

أي مجتمع يقوم بعملية اصلاح لابد أن يكون محصناً بجهاز التصحيح الذاتي والقدرة على المبادرة

والمراقبة التربوية وآليات التقييم المستمر للأداء التربوي.

وعن شخصية من يقوم بعملية الإصلاح قال الكاتب والصحافي التركي علي بولاج: لابد لنجاح عملية الإصلاح أن يقوم عليها العالم المثقف، فلا يكفي أن يطلع المصلح على العلوم الإسلامية فحسب، من حديث وتفسير وفقه وتصوف، بل لابد له أيضا من معرفة بالعلوم الحديثة، وأن يتصل عن كثب بالعالم المعاصر، بذلك يجمع بين الحسنيين، وهذه هي الصورة القيادية التي نحن في أمس الحاجة إليها، لأن علماءنا التقليديين ينقلون دون دراية بالعالم المعاصر، أما مثقفونا فهم أمّيون، لا يعرفون شيئا عن العلوم والثقافة الإسلامية، أما المصلح فلابد له من استيعاب العالمَيْن (الدنيا والآخرة)، وإدراك الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا الأمر من الأهمية بمكان.

وأضاف بولاج: لابد للمصلح أن يتمتع بصفات عدة من أهمها، شدة اتباع القرآن والسنة، وهذا أمر مهم جدا، فهو يُعمل فكره ويشحذ قريحته وفقا للأسس والأصول الإسلامية، وأن يستخدم لغة راقية، هي لغة الدين؛ لغة الإسلام، وأن يرجع دائما إلى أصول الإسلام المشهورة المستخدمة في التاريخ الإسلامي.

وشدد بولاج على ضرورة اتباع المصلح لما سمّاه «النموذج التطوري» الملائم للعادات والتقاليد، فيجب عليه التوفيق بين أنشطة التطور في المجتمع والتجربة التاريخية، وأن يقوي هذا الأمر ويفعّله، فمواصلة التطور مع ارتباطه بالعادات والتقاليد أمر صحي ومثمر.

ومن الجزائر تحدث الأستاذ بكلية العلوم الإسلامية د.عمار جديل عن «الخدمة الإيمانية» ومحاربة الفقر ودورهما في الإصلاح.

وأوضح جديل أن التبليغ عن الله هو غاية وجودنا مؤكدا أن «الخدمة الإيمانية» هي رأس هذا التبليغ، فالخدمة هي دعوة حركية شاملة تستغرق الإنسانية والأسرة والمجتمع والفرد في تكامل دائب، كما أنها مسلك للتآلف وكسب القلوب فهي ليست حكرا على أحد.

كما أكد جديل أن الخدمة الإيمانية هي الطريق لمحاربة للفقر بنوعيه المادي والمعنوي، فهما لا يشيعان (الفقر المعنوي، الفقر المادي) أو يعيشان إلا حيث يستقر الجهل وتغيب الخدمة الإيمانية التي تعتمد على مبدأ الافتقار إلى الله الرزّاق ذي القوة المتين، فله الفضل كلّه، وعليه المعتمد في النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

ومن ماليزيا استنكر أستاذ الفلسفة في الجامعة الإسلامية العالمية د.أبويعرب المرزوقي انتقال فكر الإصلاح من المفهوم المبدع لمعنى السلف بوصفه حركة تحرر من التقليد، إلى المفهوم المقلد بوصفه عبودية لوثنيتين، وثنية الماضي الأهلي، ووثنية الماضي الأجنبي «عند الأصولية والعلمانية».

ويتفق معه في ذلك الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وعضو مجمع اللغة العربية د.سليم العوا الذي استنكر بدوره حرص كل مجدد على التأكيد أنه يجدد فقط في الفروع دون الأصول!

وأوضح العوا أن ما دفع المجددين إلى ذلك هو الخوف من التعرض للانتقاد، أو محاولة منهم لغلق الباب أمام العلمانيين حتى لا تتعرض ثوابت الدين إلى انتهاكاتهم، مؤكدا أن الكثير من الأصول يصلح للتجديد، وفي المقابل هناك فروع لا يجوز المساس بها.

وأكد أن التجديد في الثوابت يكون في فهمها وفي مدى تطبيقها وكيفية إعمالها.

أما النائب الأسبق لرئيس مجلس الدولة المستشار طارق البشري فقد رفض بشدة الاتهامات الموجهة للأمة العربية والإسلامية بأننا لدينا أزمة أفكار! مؤكدا أن مشكلتنا تتمثل في تحريك وتفعيل هذه الأفكار لتغيير الواقع، محذرا من هذه النظرة إلى أفكارنا التي دائما ما يحاول المستعمر أن ينال بها من الشعوب حتى تفقد عزيمتها وثقتها بنفسها.

وأضاف: نحن لسنا سذجا، ولسنا حمقى، ولسنا متخلفين، ومشكلتنا ليست مشكلة أفكار، وإنما هي مشكلة الأذرع التي لا تعمل جيدا، والأرجل التي لا تسير جيدا.. مشكلة القدرة على التنظيم والتحريك، أما أهدافنا فنحن نعرف كيف نضعها جيدا.

إعداد: هالة محمد

الأسطح الخضراء تحارب الاحتباس الحراري



تساعد «الأسطح الخضراء» أي أسطح المباني التي يغطيها النبات في المدن، على مكافحة الاحتباس الحراري العالمي، كما أشارت دراسة أعدها العالمان براد روي وكريستسن غيتر في مجلة «علم البيئة والتكنولوجيا»، وأفادت بأن تغطية أسطح المباني بالنبات في المدن التي يتجاوز عدد سكانها المليون نسمة يعادل إزالة ثاني أكسيد الكربون الذي تنتجه ١٠ آلاف سيارة وشاحنة على مدى سنة كاملة وتساهم أيضا في امتصاص ثاني أكسيد الكربون من الجو، وهو المسبب الأبرز للاحتباس الحراري.

وأكد العالمان أنهما قاسا معدلات الكربون في عينات من نبات وتراب من ١٣ سطح مبنى ووجدا أن «الأسطح الخضراء» في المدن تحبس ٥٥ الف طن من ثاني أكسيد الكربون.

مسح الدماغ وكشف أسراره

نجح فريق من العلماء الأميركيين من تصميم نموذج يشير إلى كيفية ظهور الصور التي يختزنها الإنسان في دماغه، وتمكنوا من تحويل هذه الأنماط العصبية باستخدام آلات الرنين المغناطيسي الوظيفي.

وهذا يساعدهم في الكشف عما تختزنه الذاكرة البشرية من صور، وتحويلها إلى برامج وأشرطة مسجلة، مما يشير إلى إمكانية تمكنهم مستقبلا من قراءة الدماغ.

ولفت أحد كبار الباحثين في الدراسة جاك غالانت، لدى جامعة كاليفورنيا الأميركية، إلى ان هذا النموذج هو ما يحتاجه العلماء في المستقبل ليصنعوا أجهزة قادرة على قراءة الدماغ.

اعتمد الفريق على أبحاث سابقة، والتي استخدمت بعض الأنماط لخلايا عصبية لتحديد الصور الموجودة بالدماغ، ولكنه في المقارنة الجديدة تم استخدام وسيلة أكثر كمالا للنظر للمركز البصري في الدماغ، الأمر الذي سهل إعادة تركيبها وتحديدها.

استخدم العلماء آلات الرنين المغناطيسي الوظيفي، والتي تقيس جريان الدم في الدماغ، وذلك لمتابعة النشاط العصبي لثلاثة أشخاص كانوا ينظرون يوميا إلى الأجسام والاشياء الموجودة في محيطهم.

تحطيم مركبتين فضائيتين فوق القمر

في التاسع من شهر أكتوبر الماضي تعمدت وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) تحطيم مركبتين فضائيتين في القطب الجنوبي للقمر في محاولة للتأكد من وجود مياه ضرورية للمهمات المستقبلية لاستكشاف القمر، وقد سبب الاصطدام انفجارين مكنا هواة الفلك والرصد على الأرض من مشاهدة مراحل الاصطدام الذي أحدث هالة من الدخان والصخور المتحطمة بارتفاع ٥ كم، وأمكن رؤيتها لمدة ٣٠ ثانية.



حلقة جديدة حول كوكب زحل

اكتشف علماء الفلك الأميركيون حلقة غير مرئية، تقريبا، حول كوكب زحل، وهي من الكبر، من ناحية الحجم، بحيث يمكنها استيعاب مليار كرة أرضية لتعبئتها.

ويميل مدار الحلقة الجديدة بمقدار ٢٧ درجة عن مستوى الحلقة الرئيسية لزحل، وتوجد على بعد ٦ ملايين كيلومتر عن الكوكب الشهير بحلقاته العديدة، وتمتد على مسافة ١٢ مليون كيلومتر.

ويعادل نصف قطر الحلقة المكتشف وجود ٣٠٠ كوكب زحل مصفوفة بجانب بعضها، كما ان حجمها الكبير يتيح لها استيعاب مليار كرة أرضية وفقاً لما كشفه مختبر الدفع النفاث التابع لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا).

وقالت عالمة الفلك في جامعة فرجينيا شارلوت فيل، التي شاركت اثنين من زملائها في إعداد الدراسة التي تضمنت الاكتشاف الجديد: «إن هذه الحلقة تعتبر حلقة هائلة الحجم».

كائنات المياه العذبة أكثر عرضة للانقراض



خلصت دراسة لعلماء بيولوجيين إلى أن المخلوقات والنباتات التي تعيش في الأنهار والبحيرات هي الأكثر عرضة للتهديد على كوكب الأرض، لأن نظمها البيئية تنهار.

من جانبه، دعا التجمع الدولي لخبراء التنوع البيولوجي «ديفرسيتاس» إلى إقامة شراكة جديدة بين الحكومات والعلماء للمساعدة على احتواء حالات الانقراض الناجمة عن التغيرات المناخية والحالات الأخرى التي يتسبب فيها الإنسان بالتلوث وانتشار المدن والتوسع في إقامة المزارع لإطعام السكان الذين يتزايد عددهم.

وقال تجمع الخبراء إن «سوء الإدارة واسع النطاق والحاجات البشرية المتزايدة للمياه تؤدي إلى انهيار النظم البيئية للمياه العذبة مما يجعل كائنات المياه العذبة هي الأكثر عرضة للتهديد على كوكب الارض».

وأضافوا ان معدلات انقراض الأنواع التي تعيش في المياه العذبة تزيد «من أربع إلى ست مرات عن مثيلاتها الأرضية أو البحرية» ومن بين هذه الأنواع التي تعيش في المياه العذبة الأسماك والضفادع والتماسيح والسلاحف.

من هنا وهناك

■ كشفت شركة «باناسونيك» اليابانية النقاب عن أحدث قارئة الكترونية لجوازات السفر في العالم وتتميز بتقنية متطورة جدا يمكنها من قراءة الجوازات وأرقامها والتقاط الصور المشتبه بها بسرعة خاطفة لاتتجاوز ثانية.

■ قالت وزارة البيئة السويسرية إنها تمكنت من تحويل نصف قماماتها المجمعة عام ٢٠٠٨م إلى خامات أولية عن طريق إعادة تدويرها، أما النصف الثاني فقد تم استخدامه لتوليد الطاقة للتدفئة أو للحصول على الكهرباء.

■ تمكن علماء كنديون للمرة الأولى من وضع أول خريطة جينية لمرض سرطان الثدي فيما يعتبر خطوة أولى محورية في مجال محاربة السرطان تمهيدا للوصول إلى علاج طبيعي مخصص لكل مريض.

■ قالت دراسة علمية ان أصحاب المستويات التعليمية العالية لا يتمتعون بصحة جيدة فحسب بل بإمكانهم مواجهة الضغط النفسي في حياتهم اليومية بشكل أفضل من نظرائهم الأقل تعليما.

■ توصل علماء أميركيون إلى فك رموز الهيكل ثلاثية الأبعاد للخريطة الجينية البشرية، ما يتيح اكتشاف معلومات جديدة عن

مكونات السحب المضيئة

تحاول وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) دراسة كيفية تشكل الغيوم المرتفعة عن سطح الأرض وذلك من خلال جمع المعلومات اللازمة بواسطة الصاروخ Black Bran xii الذي تم إطلاقه أخيرا وشوهدت بعد ذلك سلسلة من الأنوار المضيئة فوق أجزاء من شمال شرق الولايات المتحدة تبحث عن السحابة الليلية المضيئة التي شكلتها جزيئات العادم في المرحلة الرابعة من مهمته عندما كان على ارتفاع ١٧٣ ميلا، وتتكون السحب الطبيعية المضيئة أو الغيوم القطبية المتواجدة في «الميزو سفير» وهي أعلى طبقة في الغلاف الجوي للأرض، ويمكن مشاهدة هذه السحب بعد غروب الشمس مباشرة، وتتكون على ارتفاع ٨٠ كم عن سطح الأرض وفي الأوضاع الطبيعية لا يمكن رؤية السحب المضيئة بالعين المجردة ويمكن رؤيتها فقط عندما تسقط عليها أشعة الشمس وقت الغروب، ووفقا لـ «ناسا» فإن محطة المراقبة الأرضية ستتبع السحب المضيئة التي سيشكلها الصاروخ لمدة شهور وتتيح البيانات التي سيتم جمعها أثناء التجربة الوصول لرؤية حول تشكل هذا النوع من الغيوم وتطورها وخصائصها وسيستخدم العلماء البيانات الواردة في تقييم وتطوير نموذج محاكاة يمكنه التنبؤ بتوزيع ذرات الغبار التي تطلقها محركات الصواريخ في الغلاف الجوي العلوي.



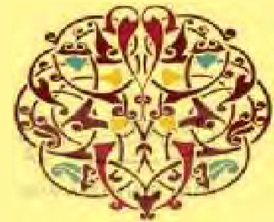


فتاوى الوعي

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الفتوى بالوزارة

٥٢٧٤ سفر المتمتع إلى المدينة وعودته إلى مكة محرمًا

نويت أن أحج هذا العام، ولكن الحملة تذهب إلى مكة مباشرة ولا تذهب إلى المدينة، وأرغب في زيارة المدينة المنورة بعد أداء العمرة.

والسؤال: هل عليّ أن أحرم بعد الزيارة من الميقات في طريق عودتي إلى مكة؟

إذا دخل الحاج مكة متمتعًا، ثم قام بأفعال العمرة وتحلل، ثم ذهب إلى المدينة المنورة للزيارة أو أي مدينة أخرى خارج الميقات غير موطنه، ثم أراد العودة إلى مكة لإتمام أفعال الحج، فإن عليه الإحرام، وجوبا، من الميقات، ولا يجوز له أن يغادر بغير إحرام، ثم هو على الخيار في أن يحرم بالعمرة فيدخل مكة ويقوم بأفعال العمرة ويتحلل، ثم يحرم بالحج من مكة قبل يوم عرفة، أو يحرم من الميقات بالحج مباشرة ولا يتحلل من إحرامه إلا بعد الوقوف بعرفة وأداء أفعال الحج، وعليه دم واحد للتمتع في كلتا الحالتين، والله أعلم.

٥٢٧٥ لبس المحرم المخيط ضرورة

أنا إنسان عندي التصاق في الفخذين، وأحتاج لاستعمال رباط ضاغط للفخذ، الغاية منه حماية الفخذين من التسلخ الناتج عن المشي.

فأرجو منكم بيان الحكم الشرعي في استعمال الرباط أثناء الإحرام.

اتفق الفقهاء على أن من فعل من المحظورات شيئًا لعذر مرض أو دفع أذى فإن عليه الفدية، يتخير منها: إما أن يذبح هديًا، أو يتصدق بإطعام ستة مساكين، أو يصوم ثلاثة أيام، لقوله تعالى: ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (البقرة: ١٩٦)، ولما ورد عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له حين رأى هوام رأسه: «أيؤذيك هوامُّ رأسك؟ قال: قلت: نعم، قال: فاحلق، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك نسيكة» (متفق عليه).

٥٢٧٧ تحلل من ترك طواف الإفاضة والوداع ورمي الجمرات

حججت هذا العام وكان معي بعض أهلي ومنهم أخت لي، وبعد عرفات وقبل طواف الإفاضة فوجئت بأن أختي التي حجت معي صار وضعها متأزما جدا، مما اضطرنا إلى أن ندخل المستشفى الذي أعطاها المهدئات الشديدة ثم عدنا بعد ذلك إلى الكويت مباشرة ولم تطف طواف الإفاضة، ولم تسع سعي الحج، ولم تطف طواف الوداع، ولا رمت الجمرات، أما نحن المرافقين فلم نتمكن سوى من طواف الإفاضة وسعي الحج، والذبح، ورمي الجمرة الكبرى، والحلق، وانشغلنا بها عن رمي الجمرات باقي الأيام، وعن طواف الوداع، وعن المبيت في منى، وذلك من أجل المحافظة عليها حتى لا تؤذي نفسها، فسافرنا بها مباشرة، فماذا يجب علينا فداء ما تركناه من أفعال الحج؟ وماذا يجب على أختي التي لم تستقر حالتها حتى الآن؟ لأننا أدخلناها إلى مستشفى الطب النفسي في الكويت.

مادام المستفتي- المرافق لأخته المريضة- قد وقف بعرفة وطاف طواف الإفاضة فقد صح حجه، إلا أنه لم يتمم رمي الجمرات، ورميها واجب باتفاق الفقهاء، وعليه لتركه الرمي دم، ولم يطف للوداع، وهو واجب عند جمهور الفقهاء وعليه لتركه دم.

أما الأخت المريضة فما دامت قد وقفت في عرفة قبل مرضها فقد صح حجها أيضا، إلا أنه بقي عليها أداء الركن الأخير من الحج، وهو طواف الإفاضة، ووقته العمر كله عند كثير من الفقهاء، كما أن عليها واجب السعي بعد طواف الإفاضة، ورمي الجمرات، وتقصير الشعر، وطواف الوداع، فأما طواف الإفاضة فلابد من فعله في أي وقت كان، وهي محرمة حتى تطوف هذا الطواف.

ولهذا فإن على هذه المريضة- بعد شفائها- أن تذهب إلى مكة المكرمة فتطوف طواف الإفاضة، وتسعى سعي الحج، وتذبح الهدي ، ثم تذبح شاة فداء لما تركته من الرجم، وتطوف طواف الوداع، ولا تتم حجتها إلا بذلك، وهي محرمة حكمًا، وممنوعة من كل ما يمتنع منه المحرم حتى تطوف ثم تتحلل وفق ما تقدم، والله أعلم.

٥٢٧٨ المبيت خارج حدود منى

أنا صاحب حملة أعاني من ضيق مساحة أرض منى المخصصة للحجاج الكويتيين من قبل وزارة الأوقاف، ومع تزايد الأعداد أقوم باستئجار أراض أخرى من المطوف السعودي لخدمة حجاج الحملة لاستغلالها في الاقتداء بسنة المبيت في منى وتوسعة المكان على الحجاج.

ولما كانت هذه المساحات المؤجرة تقع غالبًا خارج حدود منى وفي نهايتها باتجاه مزدلفة أو في مزدلفة، الأمر الذي يسبب الضيق الشرعي والحرج لدى الحجاج، على الرغم من أن التقسيم جاء حسب رأي السلطات السعودية.

والسؤال: ما حكم ذلك شرعًا على الحجاج وعلي أنا صاحب الحملة؟



المبيت في منى ليالي التشريق واجب عند جمهور الفقهاء وسنة عند بعضهم، مادام ذلك متيسرًا للحجاج في هذه الليالي، ولو بأجر لا يزيد على أجر المثل، فإذا تعذر المبيت في منى في هذه الليالي لشدة الزحام، أو طلب أصحاب الأرض في منى أجرًا فوق أجر المثل، جاز للحجاج المبيت في أقرب مكان من منى بدلاً منها للضرورة.

من القواعد الأصولية

١- الأصلُ في الكلام الحقيقةُ؛ فلا يُعْدَلُ به إلى المجازَ-إن قلنا به- إلا إذا تَعذّرت الحقيقَة.

٢- اللفظ إن دلَّ بنفسه فهو حقيقةٌ لذلك المعنى، وإن دَلَّ بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنىَ الآخر، فهو حقيَقةٌ في الحالين.

٣- الحقائقُ ثلاثٌ: شرعيّةٌ، ولُغويّةٌ، وعُرْفيّةٌ. فما حَكم به الشارعُ وحَدَّه: وجَب الرّجوعُ فيه إلى الحدِّ الشّرعيِّ، وما حكَم به ولم يحدَّه اكتفاءً بظهور معناهُ اللغوي: وجَب الرّجوعُ فيه إلى اللغة. وما لم يكن له حدٌّ في الشّرع، ولا في اللغة: رُجِع فيه إلى عادَة النّاس وعُرفِهم.

الأسماءُ التي لَم يحُدَّها الشارعُ بحدٍّ، ولا لها حدٌّ واحدٌ يشترك فيه جميع أهل اللغة: يرجع حدُّها إلى عادة الناس وعُرْفِهم، فتتنوَّع بحسَب عادتهم.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

نقل مقام إبراهيم من مكانه توسعة على الطائفين

بخصوص عرض الرسالة التي هي من تأليف الشيخ/ على الصالحي، الخاصة بنقل مقام إبراهيم، عليه السلام، وبيان الرأي فيها. فإنه في الدورة السادسة لهيئة كبار العلماء المنعقدة في النصف الأول من شهر صفر عام ١٣٩٥هـ، جرى من مجلس الهيئة استعراض الرسالة المذكورة، فوجدت تتلخص فيما يأتي:

أ- اقتراح بنقل المقام من مكانه الحالي إلى مكان آخر، ليتسع المطاف للطائفين أيام الحج.

ثم جرى من المجلس مناقشة هذه المقترحات، ومداولة الرأي فيها، وتقرر ما يلي:

أولاً: بالنسبة لموضوع نقل المقام، فمما لاشك فيه أن وضعه الحالي يعتبر من أقوى الأسباب فيما يلاقيه الطائفون في موسم الحج من المشقة العظيمة والكلفة البالغة التي قد تحصل بالبعض إلى الهلاك، أو تقارب، وذلك بسبب الزحام والصلاة عنده، وقد سبق أن بحث موضوع نقله، وصدر من سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله وأسكنه فسيح جناته- فتوى بجواز نقله شرعاً، إلا أنه رؤي الاكتفاء بتجربة تتلخص في إزالة الزوائد المحيطة بالمقام، ويبقى في مكانه، فإن كان ذلك كافيًا ومزيلاً للمحذور استمر بقاؤه في مكانه، وإلا تعين النظر في أمر نقله، وحيث مضى على هذه التجربة عدة سنوات واتضح أن بقاءه في مكانه الحالي لا يزال سببًا في حصول الزحام والمشقة العظيمة به، ونظرًا إلى أن من قواعد الشريعة الإسلامية أن المشقة تجلب التيسير، والنصوص الشرعية قد تضافرت في رفع الحرج عن هذه الأمة، قال تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، وقال تعالى﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وقال تعالى﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾، وقد تتبعت الهيئة الآثار الواردة في تعيين مكان مقام إبراهيم عليه السلام في عهد رسول الله ﷺ وما ذكره بعض أهل التفسير والحديث والتاريخ أمثال: الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر، والشوكاني وغيرهم، فترجح لديها أن مكانه في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وبعض من خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، في سقع البيت، ثم أخره عمر أول مرة، مخافة التشويش على الطائفين، ورده المرة الثانية حين حمله السيل إلى ذلك الموضع الذي وضعه فيه أول مرة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ بعد ذكره الأحاديث الواردة في الصلاة عنده، قال: قلت: وقد كان هذا المقام ملصقًا بجدار الكعبة قديمًا، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة، أو إنه انتهى عنده البناء فتركه هناك، ولهذا- والله أعلم- أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف، وناسب أن تكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر، وعمر»، وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده، ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ينابيع المعرفة

إعداد : محمد شفيق

شعر

قال التاج السبكي: أنشدنا الشيخ ناصرالدين محمد بن محمود البساسي المنجد، وهو من أخصاء الشيخ الباجي، قال أنشدنا شيخنا علاء الدين من لفظه لنفسه من قصيدة طويلة له:

فانهض بإقدام على الأقدام
إن كنت للعلياء ذا مرام
وشمر الساق عن اجتهاد
مثل اجتهاد السادة العباد
واستنهض الهمة في التحصيل
من كل شيخ عالم فضيل
وارحل إلى من يستحق الرحلة
خلف الفرات أو وراء الدجلة
حيث انتهت أخباره إليكا
فقصده محتم عليكا
واطرح رداء الكبر عن عطفيكا
وقل لداعي العلم يا لبيكا
واسع إليه ماشيا أو راكبا
كما استطعت للتقى مصاحبا
تضع لك الأملاك من رضاها
أجنحة وكم كذا سواها
من سنة دلت على التفضيل
وآية في محكم التنزيل
كإنما يخشى وخذ موزونا
هل يستوي الذين يعلمونا

توفي الباجي في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبعمائة، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٢٧١/١٠.

وصية حربية

قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله في حروب الردة: اعلم أن عليك عيونا من الله تراك وترعاك، فإذا لقيت العدو، فاحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تغسل الشهداء، لأن دم الشهيد يكون له نورًا يوم القيامة.

القرآن يزداد حلاوة

سأل رجل جعفر بن محمد: ما بال القرآن يزداد حلاوة في نفس قارئه وسامعه على كثرة القراءة والدرس؟ فقال: لأن الله لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة.

دعاني إلى بيته

يروى أن امرأة وقفت تتعلق بأستار الكعبة وتقول في صوت مؤمن، وقلب مطمئن ودعاء عجيب «يا رب بحق حبك لي أسألك رضاك والجنة» فسمعها أعرابي فعجب لقولها «بحق حبك لي» فسألها من أين عرفت أنه يحبك؟ فأجابته بثقة وإيمان، لولا أنه يحبني ما دعاني إلى بيته، وهل تدعو أنت إلى بيتك إلا من تحب؟

خروا سجدا خوفا من الله

قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله عز وجل أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة، أو قال رعدة شديدة خوفا من الله، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا، وخروا له سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد...». (رواه ابن خزيمة).

إضاعة الوقت

مثل رجل أمام الخليفة المنصور، ورمى إبرة غرست في الحائط، ثم أخذ يرمي واحدة بعد الأخرى، فكانت كل إبرة تدخل في ثقب حتى بلغت مائة، فأعجب المنصور به لمهارته، وأمر له بمائة دينار، وحكم عليه بمائة جلدة، فارتاع الرجل وسأل عن السبب، فقال له المنصور: أما الدنانير فلبراعتك، وأما الجلدات لإضاعتك الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد.

حوار بين قاتل ومقتول

عندما قبض رجال الحجاج الثقفي على سعيد بن جبير، ومثل بين يديه، قال الحجاج: ما اسمك؟ قال سعيد: سعيد بن جبير، فقال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير، قال سعيد: بل كانت أمي أعلم باسمي منك، قال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك، قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: فما قولك في محمد ﷺ؟ قال سعيد: نبي الرحمة، قال الحجاج: فما بالك لا تضحك؟ قال سعيد: أيضحك مخلوق من طين، والطين تأكله النار، قال الحجاج: يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك بها؟ قال سعيد: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة، ثم قال: اقتلوه، فضحك سعيد، فقال الحجاج: ما أضحكك وقد بلغني أنك لم تضحك منذ أربعين سنة؟ قال سعيد: أضحك عجبا من جرأتك على الله ومن حلم الله عليك! قال الحجاج: اقتلوه، فقال سعيد: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾.

رسائل متبادلة بين سجينين!

فهد العسكر الشاعر الكويتي الكبير رائد حركة التنوير والتغيير في المجتمع الكويتي كان يحب وطنه حبا جما، وينحاز إلى المواطن الإنسان، أرسل إلى صديقه عبدالمحسن محمد الرشيد وكان مسجونا يسأل عن حاله، فأرسل صديقه إليه رسالة قال فيها:

أيها السائل عن حالي
وما حال السجين
حال من أمسى كما أصبح
ذا روح حزين
تعبر الدنيا عليه
وهو في ظل السكون

فرد العسكر عليه برسالة قال فيها:

حالي كحالك أيها الشحرور
قست الحياة فكلنا مأسور
والعسكر المفجوع ضاق بحبه
وابن الرشيد بسجنه موتور
الأُسد تؤسر والنعاج طليقة
والصقر يهوي والغراب يطير

بر الوالدين

قال المأمون: لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، فقد بلغ من بره به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء ساخن وهما في السجن، فحدث أن منعه السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى في النوم إلى إناء من نحاس كان يسخن فيه الماء فملأه وأدناه من ضوء المصباح، ولم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح، فتوضأ يحيى منه.

هؤلاء في النار بشهادة القرآن

يا شقاوة هؤلاء وقد اشتد أذاهم لرسول الله ﷺ فأنزل الله فيهم قرآنا وهم في نار جهنم وبئس المصير، وهم:

- الوليد بن المغيرة ﴿سأرهقه صعودا﴾ (المدثر:١٧)
- أمية بن خلف ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾(الهمزة ١:)
- أبولهب ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ (المسد:١)
- العاص بن وائل ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ (مريم:٧٩)

فضائل المدينة المنورة

المدينة المنورة بلد الحبيب المصطفى ﷺ، تربة، ومهاجرا ومضجعا، ومسجدها يضم أغلى جسد، من صلى فيه صلاة كان أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وفيها يقول الشاعر:

لا كالمدينة منزل وكفى بها
شرفا حلول محمد بفنائها
ما بين بيتٍ للنبي ومنبر
حيا الإله رسوله وسقاها

الدعوة إلى الجهاد

قال أبوقدامة، أحد قادة المسلمين في معاركهم ضد الروم، كنت أميرا فدعوت إلى الجهاد في سبيل الله، فجاءت امرأة بورقة وصرة ففضضت الورقة لأقرأها، فإذا في تلك الورقة «بسم الله الرحمن الرحيم. من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين، سلام الله عليك، أما بعد: فإنك قد دعوتنا إلى الجهاد في سبيل الله، ولا قوة لي على الجهاد، ولا مقدرة لي على القتال، وهذه الصرة فيها ضفيرتي فخذها قيدا لفرسك، لعل الله سبحانه وتعالى يكتب لي شيئا من ثواب المجاهدين».

أوائل إسلامية

- أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة.
- أول مولود للنبي ﷺ القاسم.
- أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة عبدالله بن الزبير.
- أول مولود للأنصار بعد الهجرة النعمان بن بشير.
- أول مولود ولد في الإسلام عبدالله بن عمر.
- أول من رمى بسهم في سبيل الله سعد بن أبي وقاص.
- أول خصمين يوم القيامة جاران.

غرفة من طين

كان النبي ﷺ ينام في غرفة من طين، سقفها من جريد النخل، ويربط حجرين على بطنه، ويتوسد مخدة من سعف النخل ورهن درعه عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير..

مت ودرعك مرهون على شظف
من الشعير وأبقى رهنك الأجل
لأن فيك حديث اليتم أعذبه
حتى دعيت أبا الأيتام يا بطل

الدين يحارب الإشاعات الكاذبة

حارب الدين الإشاعات الكاذبة لشدة خطورتها على المجتمع، وعمل على مواجهتها والقضاء عليها قبل أن يستفحل أمرها وذلك بالوسائل الآتية: التثبت من صحة ما يقال ويسمع، مواجهتها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، كتمانها وعدم تكرار الحديث عنها، غرس الروح المعنوية العالية في الأمة، تغليب حسن الظن بالناس.



مسك الختام

إبراهيم نويري

وقفة مع مصطلح «الخطاب الإسلامي»

«الخطاب الإسلامي» مصطلح من المصطلحات المركبة، وهو يعني- وفق الدلالة العامة، أو الكلية- الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم من حولهم، بما في ذلك، بطبيعة الحال، محيطهم وبيئتهم الخاصة، كما يعني المنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها وتبليغها إلى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي، وإلى كل من يتلقى مضامين هذا الخطاب.

وقد ورد مصطلح الخطاب في مواضع قليلة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى في معرض حديثه- عز وجل- عن دعمه وإسناده ورعايته لملك نبيه داود عليه السلام، وأسلوبه في القضاء والحكم بين الناس، أو بين المتنازعين:﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (سورة ص ٢٠)، أو قوله تعالى: ﴿فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب﴾ (سورة ص ٢٣).

فمصطلح الخطاب الإسلامي أساسه، أو قوامه، فهمٌ استنبطه العقل المسلم من الوحي، واجتهاد استحال إلى أنماط متنوعة في العمل والسلوك والعلاقات العامة، لذلك فهو- كما يرى المفكر السعودي البارز الدكتور عبدالعزيز التويجري- يتداخل ويترادف مع مصطلح الدعوة الإسلامية، غير أنه أعمّ وأشمل، وبناءً على ذلك فإنه لا حرج ولا غضاضة- من وجهة نظره- في استبدال مصطلح الخطاب الإسلامي بـ«الدعوة الإسلامية»، مادام القصد هو إيجاد صيغة أكثر شمولاً وأعمق دلالةً للتعبير عن المعنى المقصود، وشحنه بالمفاهيم الإسلامية وتوظيفه ليؤدي معاني الدعوة الإسلامية بصورة مستفيضة.. فالعبرة تكمن في حسن استخدام المصطلح والإفادة من مضامينه وتأثيراته وظلاله.

وللأمانة التاريخية والعلمية يجدر بنا أن نشير إلى أن مصطلح «الدعوة الإسلامية» أيضا، بهذه الصيغة المركبة والمضافة، لم يكن مستعملا لدى علماء المسلمين ومفكري الإسلام ومؤرخيه قبل القرن التاسع عشر الميلادي، بل نعثر على مصطلحات أخرى تقوم مقامه وتؤدي وظيفته، أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والحسبة أو الاحتساب، وتبليغ دين الله، والدعوة إلى الخير... الخ.

ويقدم الداعية الجزائري المفكر الشيخ الطيب برغوث تعريفاً آخر لمصطلح الخطاب الإسلامي المعاصر بوصفه «مجمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية- من وسائل وأساليب ومناهج ومواقف- المجنّدة والمستخدمة في العمليات التغييرية، المخططة أو العفوية، الرسمية أو الشعبية، الفردية أو الجماعية، الهادفة إلى نصرة الإسلام كمنهج، وكتاريخ، وكحضارة، وكمستقبل، والتمكين له في الواقع الإسلامي أولاً، والواقع الإنساني ثانياً».

لكن صاحب هذا التعريف الشامل لمصطلح الخطاب الإسلامي يستدرك على واقع هذا الخطاب، فيسجل ملاحظة مفادها أن الخطاب الإسلامي المعاصر يكاد يقتصر على بعد واحد من أبعاد الخطاب الكثيرة، والمقصود بهذا البعد الكلمة المسموعة، والكلمة المقروءة، مع اجترار وتكرار ملحوظين، بل وفرار واضح من عالم الشهادة بمعناه الحضاري الشامل، وما يقتضيه من تبعات والتزامات جسام، إلى عالم الأحلام والأوهام والمثاليات الذي لا يزيد صاحبه إلا مزيدا من الخمول والجمود والاستكانة، بل والانسحاب في بعض الأحيان.

أما المفكر المعروف عمر عبيد حسنة، رئيس تحرير مجلة «الأمة» القطرية سابقا، فيشدد على ضرورة وأهمية التفريق بين مصطلحي «خطاب الإسلام» و«الخطاب الإسلامي» أو «خطاب المسلمين»، فمصطلح خطاب الإسلام لا علاقة له بالفهم البشري والاجتهاد العقلي، لأنه ينصرف ابتداءً إلى «خطاب الوحي بكل ألفاظه وظروفه وأحواله ومجالاته ومضامينه التي يعرض لها، فهو الخطاب المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» أي إنه المرجعية الأولى في الإسلام التي يمثلها بداهة القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة الموثقة، أما ما وراء ذلك من الإنتاج الفكري والفقهي والعلمي، والتعبير عن سائر الفهوم والجوانب المعرفية، فهو يمثل «خطاب المسلمين» واجتهاداتهم وفهومهم في التعامل مع «خطاب الإسلام» في الكتاب والسنة والسيرة، ومحاولاتهم تنزيله على واقع الحياة في كل عصر وحالة وزمان ومكان.

وبالرغم مما بُذل من جهود فكرية عامة وأكاديمية استهدفت تأصيل مصطلح «الخطاب الإسلامي» الذي راج استخدامه في أدبيات الفكر الإسلامي المعاصر، فإن الحاجة تظل قائمة لمواصلة ضبط هذا المصطلح وتحريره مما علق به من مفاهيم ومرئيات مغلوطة أو معوجّة سواء بغير قصد، أو بقصد وتخطيط ماكر، بسبب الغزو المفاهيمي والاصطلاحي الغربي لأنساقنا الفكرية والثقافية واللغوية والمعرفية، وهو ما يقضي بضرورة التصدي لإنجاز عمل فكري جماعي نوعي وأكاديمي، أقترح أن يُطلق عليه «موسوعة مصطلحات الفكر الإسلامي».. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

على C.D



بشرى سارة

قراءنا الأعزاء نزف إليكم بشرى صدور C.D بصيغة pdf لتوثيق مسيرة المجلة التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة خلال ٤٦ عاما









info@alwaei.com - www.alwaei.com الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني



دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

رحمة للعالمين



نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات

الفكرة والإعداد والإشراف العام
صلاح أبا الخيل

برنامج تلفزيوني باللغتين (العربية / الإنجليزية)

إلى كل من تعثر في خطاه .. إلى كل من أشقته الحياة .. إلى كل من يلتمس النجاة ..

تهدي إدارة الإعلام الديني برنامجها التلفزيوني

" نفائس رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم"

ويتضمن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، داعيةً المولى بأن يكون بصمة في قاموس الأخلاق والقيم، وثروة تتوارثها الأجيال على مر الزمن.

إنتاج إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
www.nafaess.com
info@nafaess.com